

# نُزُلُكُ الْمَسِيرِ

فِي  
سِلْمِ النَّفْسِ

تَأليف

الإمام أبو الفرج محمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن محمد الجوزي القرشي البغدادي

٥٠٨ - ٥٩٧ هـ

دار ابن خزيمة

المكتب الإسلامي

# فَتْحُ الْمُسْتَرْ

## عِلْمُ التَّفْسِيرِ

تَأْلِيفُ

الإمام أبي الفرج محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادى

٥٠٨ - ٥٩٧ هـ

دار ابن حزم

المكتب الاسلامي



جميع الحقوق محفوظة  
الطبعة الأولى الجديدة

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار  
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب. ١١/٢٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠ (٥)  
دمشق : ص.ب. ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧  
عمان : ص.ب. ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥

دار ابن خزيمة للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب. ١٤/٦٣٦٦ - تلفون : ٧٠١٩٧٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## مَقْدَمَةُ الطَبْعَةِ الثَّالِثَةِ

بقلم: زهير الشاويش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.  
أما بعد، فهذه الطبعة الثالثة من «زاد المسير» للإمام العلامة ابن الجوزي، الذي شرفني الله منذ عشرين سنة بإخراجه إلى دنيا الطباعة والانتشار، بين محبي كتاب الله، ونفع به. فله سبحانه الفضل والمنة، وبنعمته تتم الصالحات. ثم يسر الله لي المتابعة في هذا الطريق، وتقديم العدد الكبير من تراثنا العظيم تفسيراً، وعقيدة، وحديثاً، وفقهاً، جعل ذلك ذخراً لي يوم الدين. يوم لا يضر مال ولا بنون، يوم يلقي الناس جزاء أعمالهم. ولا يظلمون فتيلاً.  
ومن ذلك «جواهر الأفكار» للعلامة الشيخ عبد القادر بدران؛ و«التفسير العصري القديم» للشيخ عبد الفتاح الإمام؛ و«قرة العينين على تفسير الجلالين» للفاضل الشيخ محمد كنعان؛ و«البرهان على سلامة القرآن من الزيادة والنقصان» للعلامة الشيخ سعدى ياسين؛ و«تفسير جزئي عم وتبارك» للأستاذ أحمد مظهر العظمة؛ و«الفلم القرآني» للأستاذ عبد الرحمن الباني؛ و«المحات في علوم القرآن» للدكتور الشيخ محمد بن لطفي الصباغ؛ و«علوم القرآن» للدكتور عدنان زرزور، و«التجويد وعلوم القرآن» للأستاذ عبد البديع السيد صقر؛ و«فوائد قرآنية» للعالم الجليل الشيخ عبد الرحمن بن سعدى؛ و«إقامة الدليل والبرهان» للعلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع؛ و«تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب» لأبي حيان الأندلسي بتحقيق الأستاذ سمير مجذوب، و«الدستور القرآني» للأستاذ عزة دروزة؛ و«قصص القرآن» للأستاذ هوفق سليمة؛ و«الناسخ والمنسوخ» للعلامة ابن سلامة، و«قبضة البيان في ناسخ ومنسوخ القرآن» للشيخ البلوري؛ وغيرها.

كما أن تحت الإعداد للطبع، عدد آخر أرجوه تعالى أن يكون لنا عوناً على الإتمام والإحسان؛ وأن يصرف عنا شر الأشرار، وحسد وكيد من لا خلاق لهم، إنه سميع مجيب.

وهذه الطبعة أقدمها بعد تصغير الكتاب من حجم ٢٨/٢١ إلى حجم ٢٥/١٨ بطريقة الأوفست، ليكون حجمه أصغر استجابة لرغبة الكثيرين من العلماء وطلاب العلم؛ وليبقى ثمنه ضمن الحدود المعقولة.  
وقد قمت باستدراك الكثير مما قد نُدَّ عَنَّا سابقاً من الأخطاء ضمن الحدود التي تسمح بها طريقة الطبع؛ وأرجو الله سبحانه أن ينفع بها كما نفع بما سبقها، وأن يجعلنا من أهل طاعته، وخدام شريعته، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير؛ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## مَقَدِّمَةٌ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا. مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، وَصَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ، رَسُولِ اللَّهِ وَخَيْرِهِ مِنْ خَلْقِهِ، خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَأَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ.

أما بعد فهذا كتاب «زاد المسير في علم التفسير» للإمام المحقق أبي الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي الشيبلي البكري المعروف بابن الجوزي (٥٠٨ - ٥٩٧هـ).

نضعه بين أيدي القراء لأول مرة بعد أن اضطلعنا بتحقيقه وضبطه على نحو نرجو أن نكون قد وفَّقنا فيه.

ولعلنا لا نعدو الحق إذا قلنا: إن هذا الكتاب من أجل ما انتهى إلينا من ثراث السلف في بابه، وأوفاهها بالغاية من هذا العلم، مع تنقيح وتهذيب يسرّان الفائدة منه في أي غرض من أغراضه، وقد بعثه على تأليفه أنه نظر - كما يقول في مقدّمته - في كُتُب التفسير، فوجدها بين كبير قد يَنَسِّس الحافظ منه، وصغير لا يُستفاد كل المقصود منه، والمتوسط منها قليل الفوائد، عديم الترتيب، ورُبُّمَا أَهْمَلُ فِيهِ الْمَشْكِلُ، وَشَرَحَ غَيْرُ الْغَرِيبِ؛ فَاتَى بِهَذَا الْمَخْتَصَرِ الْمَسِيرَ مَنْطَوِيًّا عَلَى الْعِلْمِ الْغَزِيرِ. وَمَنْ تَمَّ حَاوِلَ فِي تَفْسِيرِهِ هَذَا أَنْ يَتَلَفَى مَا أَلْمَعَ إِلَيْهِ مِنْ عِيُوبِ التَّصْنِيفِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا مَنْ تَقَدَّمَ، فَتَرَكَ مَا لَا فَايِدَةَ فِي اسْتِصْصَاةِ، وَاسْتَدْرَكَ مَا فَاتَ السَّابِقِينَ مِمَّا لَا غِنَى عَنْ ذِكْرِهِ، وَحَرَّصَ أَنْ يَجْعَلَهُ عَلَى اخْتِصَارِهِ وَافِيًّا بِالْغَايَةِ مِنْهُ غَيْرَ مُجْخَلٍ بِشَيْءٍ مِمَّا يَحْتَاجُ طَالِبُ التَّفْسِيرِ إِلَيْهِ.

وكان معوِّله في تفسير الآي على ما أُثِرَ عن رسول الله ﷺ من الأخبار، ثم على ما نُقِلَ عن الأفاضل من علماء الصحابة من أمثال علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ثم على ما رُوِيَ عَنْهُمْ خَلَفَهُمْ مِنْ جِلَّةِ التَّابِعِينَ، كسعيد بن جبیر، وعكرمة بن عبد الله، وطاووس اليماني، وعطاء بن أبي رباح، وأبي العالية، والحسن البصري، وأضرابهم<sup>(١)</sup> وقد أَلَمَ أَيْضاً بِمَشْهُورِ الْقِرَاءَاتِ، وَأَطْرَافِ مِنْ شَوَادِهَا، وَنَقَلَ تَوْجِيهَهَا فِي الْعَرَبِيَّةِ عَنْ أَئِمَّةِ هَذَا الْعِلْمِ، وَلَمْ يَفْتَهُ - وَهُوَ يَفْسِرُ مَفْرَدَاتِ الْقُرْآنِ - أَنْ يَذْكَرَ اسْتِشْقَاقَهَا اسْتِكْمَالاً لِلْمَعْنَى، وَزِيَادَةً فِي الْفَايِدَةِ، كَمَا أَنَّهُ اسْتَعْرَضَ آرَاءَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالأئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ فِي الْمَسَائِلِ الْفَقْهِيَّةِ الْمُخْتَلَفَةِ.

أما المصادر التي نقل عنها، ففي طليعتها تفسير ابن جرير، وكتب الحديث، وكتابات ابن قتيبة: «مشكل القرآن»، و«غريب القرآن»، وكتب معاني القرآن، ولا سيما كتابا القراء والزجاج، و«الحجة» لأبي علي الفارسي، و«مجاز القرآن» لأبي غبيرة، وكتب ابن الأنباري في القرآن، و«أسماء الله الحسنى» للخطابي، وغيرها.

(١) لقد انبرى إلى تفسير القرآن من الصحابة الكرام عدد غير قليل، قالوا في القرآن بما سمعوا من رسول الله ﷺ مباشرة أو بالواسطة، وبما شاهدوه من أسباب النزول، وبما فتح الله عليهم من طريق الفهم والتأويل. وأشهر من عرف بذلك عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب رضي الله عنهم، وقد نثر المؤلف رحمه الله في تفسيره أقاويل هؤلاء الصحابة الأعلام في تأويل الآي. وأشهر تلاميذ ابن عباس من التابعين الذين أخذوا التفسير عنه سعيد بن جبیر، ومجاهد، وعكرمة مولا، وطاووس بن كيسان اليماني، وعطاء بن أبي رباح. وأشهر تلاميذ عبد الله بن مسعود علقمة بن قيس، ومسروق، والأسود بن يزيد، ومرة الهمداني، وعامر، والشعمي، والحسن البصري، وقادة بن دعامة الدوسي. وأشهر تلاميذ علي بن أبي طالب، عبيدة السلماني، وأبو الطفيل، والحسين ابنه. وأشهر تلاميذ أبي بن كعب، زيد بن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القرظي، وهؤلاء منهم من أخذ عنه مباشرة، ومنهم من أخذ عنه بالواسطة.



وكان أكثر ما يتقل عنهم بحكاية لفظهم نفسه، فإذا تجاوزَ ذلك إلى الحكاية بالمعنى لم يغفل في الغالب الإشارة إلى ذلك.

هذا ولم يُخلُ تفسيره من الاستشهاد ببعض الأحاديث المنكرة التي لا تصح، ومن إيراد طائفة غير قليلة من الأخبار الإسرائيلية الغريبة التي أغنانا الله عنها بما هو أصح منها وأنفع، وأوضح وأبلغ، وغالبه مما لا يتعلق به كبير فائدة، ولا حاصِلَ له مما ينتفع به في الدين<sup>(١)</sup> وكذلك لم يحاول ترجيح رأي على رأي أو معنى على معنى، ولا ناقش ما يحكيه من أقوال إلا في مواضع قليلة، ولكن مثل هذه المآخذ اليسيرة التي لا يكاد يخلو منها كتاب لا تحط من قدر هذا التفسير الجليل الزاخر بالفوائد.



(١) يقول علماء الإسلام: إن الأخبار الإسرائيلية على ثلاثة أقسام: أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح، والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه، والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به، ولا نكذبه، وتجاوز حكايته، لما روى البخاري ٣٦١/٦ بشرح «الفتح» أن النبي ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية»، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» قال الحافظ ابن كثير: وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيراً، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل أسماء أهل الكهف، ولون كليهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي شجر كانت، وأصحاء الطيور التي أحيها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله موسى عندها... إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم، لكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: «سَيَقُولُونَ لَكُنْهُنَّ أَيْهَهُنَّ كَذِبٌ» إلى آخر الآية. وقد علق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله على كلمة ابن كثير هذه، فقال: إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه، ولا كذبه شيء، وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يبين فيها، أو في تفصيل ما أجمل فيها، شيء آخر، لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله، ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مبين لمعنى قول الله سبحانه، ومنفصل لما أجمل فيه، وحاشا له ولكتابه من ذلك، وإن رسول الله ﷺ إذ أذن بالتحدث عنهم أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم، فأي تصديق لرواياتهم وأقوالهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله، ونضفها منه موضع التفسير أو البيان؟! اللهم غفر.

## نسخ الكتاب

كان اعتمادنا في نشر هذا التفسير على أربع نسخ مصورة عن أصول مخطوطة.

### النسخة الأولى:

مصورة عن مخطوطة الخزانة العامة بالرباط التابعة لوزارة الأوقاف هناك<sup>(١)</sup>، وقد حُيِّمَت كل نسخة بخاتم الخزانة. ونصه: مخطوطات الأوقاف - الخزانة العامة بالرباط. وفي وسط الخاتم كتب رقم النسخة المكتبي، وهو (١٨٣) وتحته حرف أبجدي يشير إلى رقم الجزء، وإلى جانبه خاتم آخر باسم مكتبة الزاوية الناصرية - تمكروت. وقد سجل على غلاف كل جزء من أجزاء النسخة اسم مالكها الأصلي، وهو أحمد بن محمد بن ناصر، ولعل كتب مكتبة الزاوية الناصرية نسبت إليه، غير أن ما في غلاف الجزء الرابع من النسخة يبين أن ملك النسخة قد انتقل إلى أحمد بن ناصر هذا من شخص آخر، كتب اسمه تحت عنوان الجزء نفسه، ثم في هامش آخر صفحاته وهو: محمد بن محمد بري. وجميع أجزاء هذه النسخة منقولة عن أصل المصنف الذي كتبه بيده، ومقروءة عليه، ومقابلة، كما يظهر من السماعات التي سبثت صورتها.

أما مقياسها فهو كما يبدو من القياس (السانتيمتري) الموضوع على وجه الغلاف (١٣×٢٠) أوصاف أجزائها: الجزء الأول: (١٨٣): عدد صفحاته ٥٣٧ صفحة، في كل منها ٢١ سطراً في كل سطر ١٣ كلمة تقريباً، يبتدئ بسورة الفاتحة، وينتهي بسورة المائدة. خطه جميل ومقروء بوضوح، وصفحاته الأوائل أكثر حسناً من غيرها، وهي إلى ذلك مضبوطة بالشكل، ولم يذكر فيه اسم ناسخه، ولا متى نسخ.

الجزء الثاني: (١٨٣): عدد صفحاته يزيد عن سابقه بثلاث صفحات، ويساويه في عدد أسطره وكلماته، يبتدئ بسورة الأنعام وينتهي بسورة الحجر، ويشبه الجزء الأول من حيث جمال خطه ووضوحه، وهو مثله أغفل من ذكر اسم الناسخ، غير أن تاريخ النسخ ذكر فيه، وهو يوم السبت ثالث رمضان من سنة ست وتسعين وخمسمئة، وذكر في آخره بخط دقيق ما صورته: بلغ العرض بأصل الشيخ الذي بخطه العتيق، وصح حسب الإمكان والحمد لله والمنة. وكذلك أثبت بعدها السماعات والقراءات عن الأئمة والعلماء.

الجزء الثالث: (١٨٣): عدد صفحاته وعدد الأسطر في كل صفحة يطابق ما في الجزء الثاني، وفي كل سطر ١٥ كلمة تقريباً، وعلى صفحة الغلاف كتبت أسماء السور المفسرة طيه، ويبتدئ بسورة (النحل)؛ وينتهي بسورة (يس). خطه واضح جميل متوسط الحجم وعُلِقَ على هامش آخر صفحاته ما نصه: بلغ مقابلة حسب الإمكان.

الجزء الرابع: (١٨٣): عدد صفحاته (٣٦٢) صفحة، في كل صفحة ٢٩ سطراً، أي بزيادة ثمانية أسطر عن صفحات الأجزاء السابقة، وفي كل سطر ١٤ كلمة. يبتدئ بسورة (يس) حتى آخر القرآن. خطه جميل مقروء وواضح، غير أنه ناعم دقيق الجسم متقارب الكلمات. ويبدو أن ناسخه غير ناسخ الأجزاء الثلاثة. ويظهر من التعليق على هامش الصفحة الأخيرة اسم الناسخ، إذ كتب ما نصه: وكتبه لي الشيخ إبراهيم بن الصارم القواس، أخذ أجرة كاملة، وعلقه تعليقاً، سألحه الله. وفي خاتمة الجزء ما يلي:

قال الشيخ رحمه الله: فهذا آخر «زاد المسير»، والحمد لله على الإنعام الغزير. وإذ قد بلغنا بحمد الله مرادنا مما أملنا، فلا يعتقده من رأى اختصارنا أنا قللنا، فإننا قد أشرنا بما ذكرنا إلى ما تركنا وذللتنا، فليكن الناظر كتابنا متيقظاً

(١) لا يفوتنا في هذه المناسبة أن نقدم خالص شكرنا، وجزيل امتناننا للسلطة القائلين على الخزانة العامة بالرباط، لقيدهم «فلما» مصوراً عن المخطوطة هدية خالصة، وللعالَم الفاضل الأستاذ عيد الفتاح أبو غدة الذي كان الواسطة في تيسير ذلك.



لما أغفلنا، فإننا صَمْنَا للاختصار مع نيل المراد، وقد فعلنا. ومن أراد زيادة بسط في التفسير فعليه بكتابتنا «المغني» في التفسير، فإن أراد مختصراً فعليه بكتابتنا المسمى بـ «تذكرة الأريب في تفسير الغريب». والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آبيه آدم وذريته والصالحين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

ثم يعقب ذلك فصل في ترتيب سور القرآن، ذكر في أوله أنه من صنع ابن الجوزي، وقد كتب عنوانه: «قصيدة» وليس كذلك، وإنما هو عبارة عن جمل مسجوعة تسهل حفظ أسماء سور القرآن الكريم مرتبة.

وفي هامش الصفحة التي قبل الأخيرة إلى جانب تفسير سورة (الناس) كُتِبَ بخط دقيق ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله كتب هذه البسملات من أوائل التفسير إلى آخره، وهو هذا الجزء الرابع مالكة العبد الفقير من الفقر إلى الفقر، الراجي رحمة ربه ذي الجود والبر، محمد بن محمد بري. بلغه الله ما أمله، وأم له، وكان له في حاله وماله بمحمد وآله.

كما كُتِبَ في الهامش اليساري من الصفحة الأخيرة، عند آخر التفسير ما نصه: «بلغ الله الحمد» وتحت بقليل: من كتب العبد الفقير من الفقر إلى الفقر محمد بن محمد بري لطف الله به وبالمسلمين بمته.

#### النسخة الثانية:

وهي نسخة المكتبة الأحمدية في حلب تحت رقم (٧٠)، وهي مؤلفة من أجزاء أربعة، في صفحة كل جزء (٢٩) سطراً، في كل سطر (١٤) كلمة تقريباً.

الجزء الأول: وعدد صفحاته (٤٩٢) ويتدئ من (الفاتحة) حتى نهاية سورة (الأنعام) خطه حسن وهو مغفل من التاريخ في أوله وآخره، ويبدو أنه قديم قريب من عهد المؤلف أو بعده بقليل.

الجزء الثاني: عدد صفحاته (٥٤٢) ويتدئ من أول تفسير سورة (الأنعام) إلى آخر سورة (الحجر)، وخطه أكثر وضوحاً من الجزء الأول، كما أن كاتبه غير كاتبه، وطريقة خطه ووضوحه وبيانه وصحة رسمه تظهر أنه كتب في عصر المؤلف أو بعده بفترة قريبة. وقد كتب في آخر الورقة بخط حديث: تم بها النقص الواقع في هذا الجزء من الورقة الساقطة من المخطوط الأصل.

#### الجزء الثالث: غير موجود.

الجزء الرابع: وعدد صفحاته (٤٢٩) ويتدئ بسورة (الأنبياء) وينتهي بانتهاء سورة (محمد) ﷺ. وخط هذا المجلد غير منقوط على عادة كتب القدامى، وفي آخره على هامش الصفحة: «الحمد لله، مر عليه مصلحاً الفقير الحنبلي لطف الله به» وفي آخره أيضاً بجانب الصفحة: تاريخ ولادة لابن متملك له سنة ٩٦٦.

وفي آخر الجزء ما صورته: «يتلوه الجزء الخامس من أول سورة (الفتح)، إلى آخر القرآن. ونقل... بعده من نسخة: تاريخ الفراغ من تعليقها يوم السبت حادي عشر من شعبان المكرم سنة اثنتين وسبعين وخمسمئة، وهو الجزء الرابع من كتاب «زاد المسير في علم التفسير» تأليف الشيخ الأجل الإمام العالم الأوحى جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي رحمه الله ونفعنا به ويعلموه في الدنيا والآخرة آمين.

#### النسخة الثالثة:

وهي نسخة العثمانية بحلب ورقمها (٤٦). وهي ناقصة لا يوجد منها إلا جزء واحد عدد صفحاته (٦٧١)، يتدئ من أول القرآن إلى نهاية (سورة الكهف)، مكتوب بخط غير قديم لعله من القرن التاسع، وليس في أوله أو آخره تاريخ لكتابتها، وإنما كتب على وجه الورقة الأولى المذهبة فيه: «من نعمه سبحانه وتعالى على عبده الحقير عبد الكريم بن أحمد الشراياتي» وخطه واضح حسن صحيح ناعم غير قليل، وهو من بداية المجلد إلى آخره بخط واحد. وفي صفحته بعض الطول إذ تحتوي على (٣٣) سطراً. وعلى هامشه بعض تعليقات تدل على أن النسخة مقروءة من بعض العلماء.

#### النسخة الرابعة:

وردت إلينا من مكتبة صاحب السمو الشيخ علي آل ثاني حفظه الله في قطر، وقد صنورت عن النسخة الأصلية

الموجودة في مكتبة راغب باشا باستنبول، وهي كاملة تقع في ٦١٣ ورقة من القطع الكبير، احتوت كل صفحة من صفحاتها على خمسة وثلاثين سطرًا، وفي كل سطر خمس عشرة كلمة، وخطها نسخي جميل واضح لم يذكر فيها تاريخ النسخ، وقد ذكر في آخرها اسم ناسخها، وهو محمد أمين بن المصطفى المذنب الخاطي الضعيف الأنكداري. إلا أنه وقع فيها تحريف وتصحيف وسقط غير قليل.

#### عملنا في التحقيق:

لقد اعتمدنا في التحقيق من هذه النسخ على النسخة المصورة عن مخطوطة الخزانة العامة بالرباط، لأنها أوثق النسخ، وأكملها، وأصحها، وأضبطها، ولأنها مقابلة ومقروءة على المؤلف، وتولينا تصحيح النص وضبطه، ومقابلته على ما بين أيدينا من الأصول، ومراجعته على أمهات المصادر التي استقى منها المؤلف، رحمه الله، مادة كتابه، وبذلنا الجهد في تفصيله وترقيمه، وشرح شواهد، وتخريج أحاديث، والكلام عليها حسب ما تقتضيه القواعد الحديثية، مسترشدين في ذلك بأمهات المصادر، وأقاويل جهابذة علم الحديث وتقاده، وعلقنا عليه بما تدعو الحاجة إليه، وسنقوم - إن شاء الله - بوضع فهرس عامة للكتاب بعد تمامه، تُيسر تمام الفائدة منه.

ونسأل الله المبتدئ لنا بنعمه قبل استحقاقها، المُدبِّمَها علينا مع تقصيرنا في الإتيان على ما أوجب به من شكره بها، الجاعِلَنا في خير أمة أخرجت للناس: أن يرزقنا فهمًا في كتابه، ثم سنة نبيه، وقولًا وعملاً يؤدي بها عنا حقه، ويوجب لنا نافلة مزيدة<sup>(١)</sup> ونسأله سبحانه السداد والتوفيق.

الخميس ٩ جمادى الآخرة ١٣٨٤ هـ

الموافق ١٥ تشرين الأول ١٩٦٤ م



(١) اقتباس من «الرسالة»: ١٩ للإمام الشافعي رحمه الله.



الحمد لله الذي شرفنا على الامير بالقرآن المحمود عانا بتوفيقه على الحق الي الامير  
الرشيد وقرره نفوسنا بين الوعد والوعيد وحفظه من تغير الحصول  
وتغير الغيب كما يات به الاطل من بين يديه ولا من حله ينزل من علم حده  
الحمد على التوفيق للتجديد اسكوه على الصديق في التوحيد واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة سبق ذكرها على التأكيد ان محمدا ربه  
ارسله الى القلوب والبعثه بشير الخلاق ونذير ادمر احادي الاكوان منبر اوتوب  
له من فضله خيرا كثيرا وحصله مقدم على الكل كبيرا وعمل له من اركان جسده  
نظير التي انزل على نبيه تعظما له ونورا وانزل عليه ظاهرا وبرا وصدق قوله  
بالقدوس الذي لا تغرب افعاله في الامس واليوم والليل على ان يا اولي اعين هذا  
القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهير ان جعل الله عليه وعلى آله واصحابه  
وانباؤه وارسله اسماعه وسلم تسليما كثيرا فان القرآن العزيز اسرار العلوم  
كان العلم حاضرا وفيه المهور كان شرف العلم شرف العلوم وولي بطرق جملة من  
كتب التفسير والعلوم كبر محمد بن الحافظ منه وصغيره لا يسعد اكل المقصود عنه  
والله المستطاع في الغايب على الخوايد عديم الزلزل ورعا اعمل فيه الشغل وشرح الغرر  
فانك تكتسب هذا الخصر السبب ونظروا على الحارم الغرر موسومة براد المستر في علم  
التفسير وقد بلغت في احصاء الفظه فاجتهد وذلكت اند في حفظه والله المعين على تجديده  
بما لا يجايد بتوفيقه حصل في فضيلة علمه التفسير روي اوعيد الزمر السجدة  
من عود قال كنا نتعلم من رسول الله صلى الله عليه وآله الحشر فلا نحاول والى الحشر الاخرة  
حتى دخلنا من العلم والعمل وروى قتادة عن الحسن ان قال ما انزل الله الا ما يحب ان يعلم  
وانما جاء به من العلم والعمل وروى قتادة عن الحسن ان قال ما انزل الله الا ما يحب ان يعلم

تولان احدى موسى في صدور الناس منهم ونا سجد فسمي اكن هاهنا  
باسم اكنه اسما به رجلا لا في قوله يعوزون رجال اكن وسما ههنا  
سوله استمع ففر من اكن هذا يدل القدا وعل هذا القول يكون السوا  
موسى سما اكن كما موسى للاشرف والتاك ان الوسااس الذي  
موسى من صدور الناس يعوس اكنه وههنا اكن والمعنى من سوا السوا  
الذي هو من اكن سوا عطف قوله والناس على الوسااس والمعنى من سوا السوا  
ومن سوا اسما اسرا سيعوس اكن ولاش هذا قول الرجاء  
الشيخ رحمه الله ههنا آخر نواد المسيرة واكمه على  
الانعام العزيرة واخذ لنا عبد الله مرادنا ما اقلنا خلا  
يعتقد من راي اكنه ما رانا انا اقلنا اعتقد انشرا بما  
ذكرنا الى ما نركنا وذلنا طبع الناظر كما ان اكنه على  
لما اقلنا انا اكنه على طبع نيل اكنه على انا  
وخذ فعلنا كومن اراد زيادة بسط في التفسير  
وعليه كما اننا اكنه في التفسير ان اراد محض  
فعلنا كما اننا اكنه في التفسير ان اراد محض  
في تفسير الغرض  
واكمه الله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله  
وذرئته والصالحين وسلم تسليما بحسب ما في يوم الدين  
بسم الله الرحمن الرحيم  
قال الشيخ ابو الفرج ابن الجوزي رحمه الله  
يا محمد انت كذا الخ من العزيرة وخذنا منك بدا  
ههنا من اشهر ما في نسخة واحدة ربيعة وخذنا منك بدا  
ما في نسخة واحدة ربيعة وخذنا منك بدا  
انما هو من اكنه على طبع نيل اكنه على انا  
واضطره الا اننا في نسخة واحدة ربيعة وخذنا منك بدا  
طبعة الا اننا في نسخة واحدة ربيعة وخذنا منك بدا  
اكنه على طبع نيل اكنه على انا











[illegible]

## سماعات الأجزاء الأربعة من زاد المسير<sup>(١)</sup>

قرأت هذه المجلدة جميعها، وهي الثانية من كتاب «زاد المسير» على شيخنا الإمام العالم العامل زين الدين أبي العباس أحمد بن عبد الدايم بن نعمة المقدسي<sup>(٢)</sup> فسح الله في مدته بحق سماعه قراءة، فسمعها الفقيه الإمام الفاضل شمس الدين أبو عبد الله محمد بن غالب بن يوسف بن سعيد الأنصاري، والفقيه الإمام الحافظ عبد الحافظ بن عبد المنعم بن غازي المقدسي، وصح ذلك وثبت في مجلس الشيخ المسمع، شيخ جبل قاسيون ظاهر دمشق، في مجالس آخرها يوم الجمعة السادس عشر لشهر صفر سنة أربع وستين وستمئة، وكذلك قرأت المجلد الأول مثل هذا والثالث بعده والرابع وذلك جميع كتاب (زاد المسير في علم التفسير) فسمعه جميعه شمس الدين محمد بن غالب المذكور، وعبد الحافظ بن عبد المنعم المذكور، سمع بقراءتي المجلد الثاني والثالث والرابع، وسمع المجلد الأول بقراءة غيري، وسماع شيخنا زين الدين المذكور على مصنفه جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي المذكور من أول الكتاب العزيز إلى آخر سورة (القصص) ومن أول سورة (العنكبوت) إلى آخر الكتاب العزيز إجازة من المصنف، إن لم يكن سماعاً. وذكر الشيخ المسمع أن الكتاب جميعه سماعه من المؤلف، وكانت لديه نسخة وعليها سماعه، فذكرنا هذه الإجازة احتياطاً.

وأجاز الشيخ للجماعة السامعين جميع ما تجوز عنه روايته بشرطه.

وكتب أحمد بن فرج بن أحمد بن محمد<sup>(٣)</sup> اللخمي الأندلسي عفا الله عنه وسامحه وغفر له ولوالديه ولمشايعه، ولجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.



(١) وهي مثبتة في آخر الجزء الثاني من مخطوطة الرباط. انظر لوحة رقم ٦ و٧.

(٢) هو أحمد بن عبد الدايم بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن بكر، المقدسي الصالحي، ولد سنة خمس وسبعين وخمسمئة بفندق الشيوخ من أرض نابلس، وسمع الكثير بدمشق من يحيى الثقفي، وأبي عبد الله بن صدقة، وأبي الحسن بن الموازيني، وعبد الرحمن الخرق، وإسماعيل الجنزوي وغيرهم، وانفرد بالرواية عنهم. ودخل بغداد، وسمع بها من أبي الفرج بن كليب، والمبارك بن المعطوش، وأبي الفرج بن الجوزي، وغيرهم. وقرأ بنفسه، وعني بالحديث، وتفقه على الشيخ موفق الدين، وخرج لنفسه مشيخة عن شيوخه، وجمع تاريخاً لنفسه، وكان فاضلاً متنبهاً وله نظم. ولي الخطابة بكفر بطنا بضع عشرة سنة. كان حسن الخط سريعاً فيه، كثيراً من نسخ الكتب له وبالأجرة. لازم الكتابة أكثر من ٥٠ سنة. وكان يكتب في اليوم إذا تفرغ تسعة كراريس، ويقال: إنه كتب بيده ألفي مجلة، منها «تاريخ الشام» لابن عساكر مرتين. و«المغني» لموفق الدين مرات. وكف بصره في آخر عمره. روى عنه الأئمة الكبار، والحفاظ المتقدمون والمتأخرون، منهم: الشيخ محيي الدين النووي، والشيخ شمس الدين بن أبي عمرو، والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، والشيخ تقي الدين بن تيمية. وتوفي في رجب سنة ٦٦٨. ودفن بسفح قاسيون. انظر «فيل طبقات الحنابلة» ٢/٢٧٨، و«نكت الهميان» ٩٩، و«وفوات الوفيات» ٨٥/١.

(٣) قال ابن العماد في «الشذرات» ٥/٤٤٣: هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرج بن أحمد الإشبيلي الشافعي المحدث الحافظ تفقه على ابن عبد السلام. قال اللخمي: وحصلنا عن ابن عبد الدايم وطبقته، عاش خمساً وسبعين سنة، وكان ذا ورع وعبادة وصدق.

## ترجمة ابن الجوزي<sup>(١)</sup>

نسبه - مولده - نشأته - شيوخه:

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن حُمّادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي، القرشي التميمي البكري البغدادي، الفقيه الحنبلي، الواظ الحافظ المفسر، الأديب الملقب: جمال الدين. وقد اختلف في نسبته، فقيل: إنّ جدّه جعفر نُسِبَ إلى قُرُصَة<sup>(٢)</sup> من قُرُصِ البصرة يقال لها: جوزة. قال المنذري: هو نسبة إلى موضع يقال له: قُرُصَة الجوز. وذكر الشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش أنه منسوب إلى محلة بالبصرة تسمى: محلة الجوز، وقيل: بل كانت بداره في واسط جوزة، لم يكن بواسط جوزة سواها. وكما اختلف في نسبته، اختلف كذلك في مولده، فقد وجد بخطه: لا أحقّق مولدي، غير أنه مات والذي في سنة أربع عشرة، وقالت الوالدة: كان لك من العمر نحو ثلاث سنين، فعلى هذا يكون مولده: سنة إحدى عشرة، أو اثنتي عشرة وخمسمائة.

وكان مولده ببغداد بدارب حبيب، فلما توفي والده، وهو صغير، كفلته أمه وعمته، وكان أهله تجاراً في النحاس، ولهذا يوجد في بعض سماعاته القديمة: ابن الجوزي الصفار. والصفر هو: النحاس. ولما ترعرع حملته عمته إلى مسجد أبي الفضل ابن ناصر الحافظ الثقة البغدادي فاعتنى به، وأسمعه الحديث، وقد قيل: إنّ أول سماعه كان سنة ٥١٦هـ. وحفظ القرآن، وقرأه مجوداً على جماعة من أئمة القراءة وفي كبره قرأ بالروايات بواسط علي ابن الباقلاني، قال في أول مشيخته: حملني شيخنا ابن ناصر إلى الأشياخ في الصغر، وأسمعني العوالي، وأثبت سماعاتي كلها بخطه، وأخذ لي إجازات منهم، فلما فهمت الطلب، كنت أأزم من الشيوخ أعلمهم، وأوتر من أرباب النقل أفهمهم، فكانت همتي تجويد العدد، لا تكثير العدد، ولما رأيت من أصحابي من يؤثر الاطلاع على كبار مشايخي، ذكرت عن كل واحد منهم حديثاً، ثم ذكر في هذه المشيخة له سبعة وثمانين شيخاً.

وسمع الكتب الكبار كالمسند للإمام أحمد<sup>(٣)</sup>، وجامع الترمذي، وتاريخ الخطيب البغدادي، وسمع صحيح البخاري على أبي الوقت، وصحيح مسلم بنزل، وما لا يحصى من الأجزاء، وتصانيف ابن أبي الدنيا، وغيرها. ثم صحب أبا الحسن ابن الزاغوني، ولأزمه، وعلق عنه الفقه والوعظ. قال ابن الجوزي: كان له في كل فن من العلم حظ وافر، ووعظ مدة طويلة، وصحبته زماناً، فسمعت منه الحديث، وعلقت عنه من الفقه والوعظ، وكانت له خلفه بجامع المنصور يناظر فيها يوم الجمعة قبل الصلاة، ثم يعظ فيها بعد الصلاة، ويجلس يوم السبت أيضاً.

وشهد ابن ناصر الدين للزاغوني أنه كان فقيه الوقت، وأنه كان مشهوراً بالصلاح والديانة، والورع والصيانة. وتوفي ابن الزاغوني حين بلغ ابن الجوزي سن الحلم، فطلب ابن الجوزي خلفته<sup>(٤)</sup> فلم يُعْطَ ذلك لصغره، وأعطيت الخلفة لأبي علي الرضائي، فذهب ابن الجوزي إلى الوزير، فألقى بين يديه فصلاً في المواعظ، فأذن له بالوعظ في جامع المنصور، قال ابن الجوزي: فتكلمت فيه، فحضر مجلسي أول يوم جماعة من أصحابنا الكبار من الفقهاء، منهم

(١) أخذت ترجمة ابن الجوزي عن كتاب «الذيل على طبقات الحائلية» ٣٩٩/١، «والبداية والنهاية» لابن كثير ٢٨/١٣. و«وفيات الأعيان» لابن خلكان ٢/٣٢١. ومما ألقاه ابن الجوزي نفسه. وانظر ترجمته في كتاب «القصاص والمذكرين» تحقيق الدكتور الشيخ محمد بن لطفي الصباغ. وأصل هذه الترجمة كنت قد وضعتها في أول زاد المسير.

(٢) فُرصة النهر: ثلثة التي يستقى منها، وفُرصة البحر: محط السفن.

(٣) وهو من مطبوعات المكتب الإسلامي مع فهرس للصحابة من عمل المحدث الشيخ ناصر الدين الألباني.

(٤) أي: أن يحل محله في وظائفه.



عبد الواحد بن شعيب، وأبو علي ابن القاضي، وأبو بكر بن عيسى، وغيرهم.

ثم تكلمت في مسجد معروف<sup>(١)</sup>، وفي باب البصرة، ونهر الملعى، فاتصلت المجالس، واشتد الزحام، وقوي اشتغالي بفنون العلم، وانقطعت مجالس أبي علي الرضائي.

وقرأ الفقه والخلاف والجدل والأصول على أبي بكر الدينوري، والقاضي أبي يعلى، وتتبع مشايخ الحديث والفقه، فكان منهم القاضي أبو بكر الأنصاري، وأبو القاسم الحريري، وأبو السعادات المتوكلي، وأخوه يحيى، وأبو عبد الله البار، وأبو الحسن علي بن أحمد الموحّد، وأبو غالب الماوردي، وأبو منصور ابن خير، وأبو القاسم السمرقندي، وعبد الملك الكرخي، وأبو سعد الزوزني، وأبو سعد البغدادي، ويحيى بن الطراح، وإسماعيل بن أبي صالح المؤذن، وأبو القاسم علي الهروي الواعظ، وأبو منصور القزاز، وعبد الجبار بن منته.

قال: ولم أقتع بفن واحد، بل كنت أسمع الفقه والحديث، وأتبع الزهاد، ثم قرأت اللغة، ولم أترك أحدا ممن يروي ويعظ، ولا غريباً يقدم، إلا وأحضره وأتخير الفضائل، ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث، فينقطع نفسي من العدو لثلاث أسبوع، وكنت أصبح وليس لي مأكّل. وأمسي وليس لي مأكّل، ما أذلني الله لمخلوق قط، ولو شرحت أحوالي لطال الشرح.

وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي أستاذ عصره في علوم العربية. وكان مدرّسها في المدرسة النظامية، وكان إمام الخليفة المقتفي. وكان [الجواليقي] متديناً ثقة ورعاً، غزير الفضل، كامل العقل، مليح الخط. كثير الضبط، له التصانيف الكثيرة. قال ابن الجوزي: قرأت عليه كتابه: «المعرب» وغيره من تصانيفه.

### صفاته وأخلاقه - مجالسه - مذهبه ومحاربه البدع:

كان ابن الجوزي يكثر الكلام عن نفسه في كتابه «صيد الخاطر»<sup>(٢)</sup> فيذكر أنه نشأ في النعيم، ورُبي على الدلال، وأنه قد حُبّب إليه العلم من زمن الطفولة، ولم يرغب في فن واحد من فنونه، بل رغب في كل فن، وأنه يتردد أبداً بين الزهد والعبادة، وبين العلم والبحث، وأن من لداته وأصحابه من أفنق عمره في اكتساب الدنيا، ثم لم يزل منها ما ناله هو، وأن عيشه ألين من عيشهم، وجاهه أعلى من جاههم، وتحدث كيف أنه كان في زمن الطلب يأخذ معه أرغفة يابسة، ويخرج في طلب الحديث، فيقعد على نهر عيسى - غربي بغداد -، لا يقدر على أكل هذا الخبز اليابس إلا عند الماء كلما أكل لقمة شرب عليها شربة، وأنه وجد مع ذلك من لذة العلم وحلاوة الإيمان ما يخاف جعله على نفسه العجب إن شرحه.

وقال عنه ابن العماد: وكان يراعي حفظ صحته، وتلطيف مزاجه، وما يفيد عقله قوة، وذهنه حدة، لباسه الناعم الأبيض المطيب، وله مداعبات حلوة، وما تناول مالا من جهة لا يتيقن حلها، ولا ذل لأحد، قال في «الفتة الكبد»<sup>(٣)</sup> يخاطب ولده: «وما ذل أبوك في طلب العلم قط، ولا خرج يطوف في البلدان كغيره من الوعاظ، ولا بعث رقعة إلى أحد يطلب منه شيئاً».

وقال ابن كثير: وكان فيه بهاء، وترفع، وإعجاب بنفسه، وسمو بها، أكثر من مقامها، وذلك ظاهر في كلامه في نشره ونظمه، ثم أورد له شعراً منه قوله:

لو كان هذا العلم شخصاً ناطقاً      وسألته هل زار مثلي؟ قال: لا

قال ابن رجب: مما عيب عليه ما يوجد في كلامه من التثاء على نفسه، والترفع والتعظيم، وكثرة الدعاوى، ولا ريب أنه كان عنده من ذلك طرف، سامحه الله.

قال ابن الجوزي في «الفتة الكبد»: ولقد وضع الله لي من القبول في قلوب الخلق فوق الحد، وأوقع كلامي في

(١) هو معروف الكرخي. ومسجده في محلة الكرخ غربي دجلة في بغداد.

(٢) طبع بتحقيق أستاذنا الكبير الشيخ علي الطنطاوي، وعلق على أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

(٣) طبعها المكتب الإسلامي بتحقيق الدكتور مروان القبانى.

نفوسهم فلا يرتابون بصحته، وقد أسلم على يدي نحو مائتين من أهل الذمة... وقد قطعت أكثر من عشرين ألف سالف مما يتعناه الجهال<sup>(١)</sup>.

وقال سبطه أبو المظفر: أقل ما كان يحضر مجلسه عشرة آلاف، وكان زاهداً في الدنيا متقللاً منها، وسعته يقول على المنبر في آخر عمره: «كتبْتُ بأصبعي هاتين ألفي مجلدة، وتاب على يدي مئة ألف». وما خرج من بيته إلا إلى الجامع للجمعة والمجلس، وما مازح أحداً قط، ولا أكل من جهة لا يتيقن حلها، وما زال على ذلك الأسلوب حتى توفاه الله تعالى.

وكان يتصف بقوة البديهة، وحضور الذهن، والأجوبة النادرة، مع كثرة الحفظ وسعة الرواية. ومن أندر أجوبته أنه وقع النزاع على عهده في المفاضلة بين أبي بكر وعلي، بين أهل السنة والشيعة، ورضوا فيما بينهم بما يجب به الشيخ أبو الفرج، فأقاموا له رجلاً وسط المجلس، فسأله عن ذلك، فقال على الفور: أفضلهما من كانت ابنته تحته، ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك. فقال السنية: هو أبو بكر عليه السلام، لأن عائشة رضي الله عنها تحت رسول الله ﷺ، وقالت الشيعة: هو علي عليه السلام، لأن فاطمة بنت رسول الله ﷺ تحته<sup>(٢)</sup>.

قال ابن خلكان: وهذه من لطائف الأجوبة، ولو حصل بعد الفكر التام وإمعان النظر كان في غاية الحسن، فضلاً عن البديهة. ومن أجوبته أن رجلاً سأله: أيهما أفضل، أسبج، أو استغفر؟ فقال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون منه إلى البخور.

ومنزلة في الوعظ لم يكن يدانيه فيها أحد، ولقد أوتي من قوة العارضة، وحسن التصرف في فنون القول، وشدة التأثير في الناس، ما لم يؤت الكثيرون.

قال ابن رجب: قرأت بخط الإمام ناصح الدين ابن الحنبلي الواعظ في حق الشيخ أبي الفرج: اجتمع فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره. وكانت مجالسه الوعظية جامعة للحسن والإحسان باجتماع طراف بغداد، ونظاف الناس، وحسن الكلمات المسجعة، والمعاني المودعة في الألفاظ الرائجة، وقراءة القرآن بالأصوات المرجعة، والنفحات المطربة، وصيحات الواجدين، ودمعات الخاشعين، وإثابة النادمين، وذل التائبين... ووعظ وهو ابن عشر سنين إلى أن مات. حضرت مجالسه الوعظية بباب بدر عند الخليفة المستضيء، ومجالسه بدرب دينار في مدرسته، ومجالسه بباب الأزج على شاطئ دجلة.

ويصف ابن الجوزي نفسه مجلساً من مجالسه فيقول: فسألني أهل الحرية أن أعقد عندهم مجلساً للوعظ ليلة، فوعدتهم ليلة الجمعة سادس ربيع الأول، وانقلت بغداد، وعبر أهلها عبوراً زاد على نصف شعبان زيادة كبيرة، فعبرت إلى باب البصرة فدخلتها بعد المغرب، فتلقاني أهلها بالشموع الكثيرة، وصحبني منها خلق عظيم، فلما خرجت من باب البصرة، رأيت أهل الحرية قد أقبلوا بشموع لا يمكن إحصاؤها، فأضيفت إلى شموع أهل باب البصرة، فحزرت بألف شمعة، وما رأيت البرية إلا مملوءة بالأضواء، وخرج أهل المحال والنساء والصبيان ينتظرون، وكان الزحام كالزحام بسوق الثلاثاء، فدخلت الحرية، وقد امتلأ الشارع، وأكرت الرواشين من وقت الضحى، ولو قيل: إن الذين خرجوا يطلبون المجلس، وسغوا في الصحراء بين باب البصرة والحرية مع المجتمعين في المجلس كانوا ثلاثمائة ألف ما أبعد القائل.

قال ابن الجوزي: وظهر أقوام يتكلمون بالبدع ويتعصبون في المذاهب، فأعاني الله سبحانه عليهم، وكانت كلمتنا العليا.

وكان الشيخ رحمه الله يظهر في مجالسه مدح السنة والإمام أحمد وأصحابه، ويذم من يخالفهم، ويصرح

(١) مثل ما يفعل اليوم السفهاء من إطالة الشعر والأظفار... إلخ.

(٢) الحق أنه أبو بكر، لأنه آخر المذكور، كما أن السؤال عن فضلها لا عن فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

بمذاهبهم في مسائل الأصول، لا سيما في مسألة القرآن<sup>(١)</sup>. وكلامه في كتبه الوعظية في ذلك كثير جداً. وقال يوماً على المنبر: أهل البدع يقولون: ما في السماء أحد، ولا في المصحف قرآن، ولا في القبر نبي، ثلاث عورات لكم.

وقيل له مرة: قلل من ذكر أهل البدع مخافة الفتن، فأنشد:

أتوب إليك يا رحمنُ مما  
وأما من هوى ليلى وحبي  
جنيثُ فقد تعاضمتِ الذنوبُ  
زيارتها، فإنني لا أتوب

وقال له قائل: ما فيك عيب إلا أنك حنلي، فأنشد:

وعيرني الواشون أنني أحبها  
وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ثم قال: أهذا عيبي؟! ولا عيب في وجه نقط صحته بالخال.

علمه ومصفاته:

ذكره الحافظ الديلمي في ذيله على تاريخ ابن السمعاني فقال: شيخنا الإمام جمال الدين ابن الجوزي صاحب التصانيف في فنون العلم: من التفاسير، والفقه، والحديث، والوعظ، والرقائق، والتواريخ وغير ذلك. وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه، والوقوف على صحيحه من سقيمه، وله فيه المصنفات من المسانيد والأبواب والرجال، ومعرفة ما يحتاج به في أبواب الأحكام والفقه، وما لا يحتاج به من الأحاديث الواهية الموضوعة، والانقطاع والاتصال، وله في الوعظ العبارة الرائقة، والإشارات الفائقة، والمعاني الدقيقة، والاستعارة الرشيدة، وكان من أحسن الناس كلاماً، وأتمهم نظاماً، وأعذبهم لساناً، وأجودهم بياناً، وبورك له في عمره وعمله، فروى الكثير، وسمع الناس منه أكثر من أربعين سنة، وحدث بمصنفاته مراراً.

وقال الموفق عبد اللطيف: كان ابن الجوزي لا يضيع من زمانه شيئاً، يكتب في اليوم أربعة كراريس، ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلداً إلى ستين. وله في كل علم مشاركة، لكنه كان في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفاظ، وفي التاريخ من المتوسعين ولديه فقه كافٍ...

وقد ذكر ابن القادسي في تاريخه ما أخذ على ابن الجوزي من كثرة أغلاطه في تصانيفه فقال: وعذره في هذا واضح، وهو أنه كان مكثراً من التصانيف، فيصنف الكتاب ولا يعتبره<sup>(٢)</sup>، بل يشتغل بغيره، وربما كتب في الوقت الواحد في تصانيف عديدة. ولولا ذلك لم يجتمع له هذه المصنفات الكثيرة. ومع هذا فكان تصنيفه في فنون من العلوم بمنزلة الاختصار من كتب في تلك العلوم، فينقل من التصانيف من غير أن يكون متقناً لذلك العلم من جهة الشيوخ والبحث، ولهذا نقل عنه أنه قال: أنا مرتب، ولست بمصنف.

قال ابن رجب: قرأ على الشيخ أبي الفرج جماعة: منهم طلحة العلثي، ومنهم أبو عبد الله ابن تيمية خطيب حوران. وذكر في أول تفسيره أنه قرأ عليه كتابه «زاد المسير» في التفسير قراءة بحث ومراجعة.

وروى عنه خلق، منهم ولده الصاحب محيي الدين، وسبطه أبو المظفر الواعظ<sup>(٣)</sup>، والشيخ موفق الدين ابن قدامة، والحافظ عبد الغني المقدسي، وابن الديلمي، وابن القطيعي، وابن النجار، وابن الخليل، وابن عبد الدايم، والتجيب عبد اللطيف الحراني، وهو خاتمة أصحابه بالسماع.

قال ابن رجب: وكان رحمه الله تعالى إذا رأى تصنيفاً وأعجبه صنف مثله في الحال، وإن لم يكن قد تقدم له في ذلك الفن عمل، لقوة فهمه، وحدة ذهنه، فربما صنف لأجل ذلك الشيء ونقيضه بحسب ما يتفق له من الوقوف على

(١) أي قضية خلق القرآن التي فارق المعتزلة والجمعية وآباعهم أهل السنة فيها. وكان ضلالهم فيها كبيراً. ومن زعم بأنها مسألة لفظية!! فقد دلس وخدع.

(٢) أي: لا يراجعه.

(٣) وهذا لم يكن ثقة وهو صاحب التاريخ المعروف.

تصانيف من تقدمه<sup>(١)</sup>.

قال ابن خلكان: وبالجملة فكتبه أكثر من أن تعد، وكتب بخطه شيئاً كثيراً، والناس يغالون في ذلك حتى يقولون: إنه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره، وقسمت الكراريس على المدة، فكان ما خص كل يوم تسع كراريس، وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل، ويقال: إنه جمعت براية أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله ﷺ فحصل منها شيء كثير، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته، ففعل ذلك، فكفت وفضل منها.

وتصانيف ابن الجوزي كثيرة جداً بلغت - فيما يذكر الرواة - خمسين ومائتي كتاب، وقد نقل ابن رجب عن ابن القطيعي أن ابن الجوزي ناووله كتاباً بخطه سرد فيه تصانيفه.

قال أبو الفرج: أول ما صنفت وألفت ولي من العمر نحو ثلاث عشرة سنة.

مصنفاته في القرآن وعلومه:

- ١ - «المغني» في التفسير ٨١ جزء. ٢ - «زاد المسير في علم التفسير» أربع مجلدات. ٣ - «تيسير البيان في تفسير القرآن» مجلد. ٤ - «تذكرة الأريب في تفسير الغريب» مجلد. ٥ - «غريب الغريب» جزء. ٦ - «نزاهة العيون النواظر في الوجوه والنظائر» مجلد. ٧ - «الوجوه النواظر في الوجوه والنظائر» مجلد. ٨ - «الإشارة إلى القراءة المختارة» ٤ أجزاء. ٩ - «تذكرة المتنبي في عيون المشتبه» جزء. ١٠ - «فنون الأفتان في عيون علوم القرآن» مجلد. ١١ - «ورد الأغصان في فنون الأفتان» جزء. ١٢ - «عمدة الراسخ في معرفة المنسوخ والناسخ» ٥ أجزاء. ١٣ - «المصنف بأكف أهل الرسوخ في علم الناسخ والمنسوخ»<sup>(٢)</sup> جزء.

مصنفاته في أصول الدين:

- ١٤ - «منتقد المعتقد» جزء. ١٥ - «منهاج الوصول إلى علم الأصول» ٥ أجزاء. ١٦ - «بيان غفلة القائل بقدم أفعال العباد» جزء. ١٧ - «غوامض الإلهيات» جزء. ١٨ - «مسلك العقل» جزء. ١٩ - «منهاج أهل الإصابة». ٢٠ - «السر المصون» مجلد. ٢١ - «دفع شبه التشبيه» ٤ أجزاء. ٢٢ - «الرد على المتعصب العنيد».

مصنفاته في الحديث والزهديات:

- ٢٣ - «جامع المسانيد بالخص الأسانيد». ٢٤ - «الحقائق» ٣٤ جزء. ٢٥ - «نفي النقل» ٥ أجزاء. ٢٦ - «المجتبى» مجلد. ٢٧ - «النزاهة» جزآن. ٢٨ - «عيون الحكايات» مجلد. ٢٩ - «ملنقط الحكايات» ١٣ جزء. ٣٠ - «إرشاد المريدين في حكايات السلف الصالحين» مجلد. ٣١ - «روضة الناقل» جزء. ٣٢ - «غرر الأثر». ٣٠ جزء. ٣٣ - «التحقيق في أحاديث التعليق» مجلدان. ٣٤ - «المديح» ٧ أجزاء. ٣٨ - «الموضوعات من الأحاديث المرفوعات» مجلدان. ٣٩ - «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» مجلدان. ٤٠ - «الكشف لمشكل الصحيحين» أربع مجلدات. ٤١ - «الضعفاء والمتروكين» مجلد. ٤٢ - «إعلام العالم بعد رسوخه بحقائق ناسخ الحديث ومنسوخه» مجلد. ٤٣ - «إخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث»<sup>(٣)</sup> جزء. ٤٤ - «السهم المصيب» جزآن. ٤٥ - «أخاير الذخائر» ٣ أجزاء. ٤٦ - «الفوائد عن الشيخ» ٦٠ جزء. ٤٧ - «مناقب أصحاب الحديث» مجلد. ٤٨ - «موت الخضر» مجلد. ٤٩ - «مختصرة» جزء. ٥٠ - «المشيخة» جزء. ٥١ - «المسلسلات» جزء. ٥٢ - «المحتسب في النسب» مجلد. ٥٣ - «تحفة

(١) قلت: وقد ألف رحمه الله كتاباً حافلاً في الأحاديث الموضوعات ليحترز منها الفقهاء والوعاظ وغيرهم، ومع ذلك فقد أورد في كبه الوعظية أحاديث موضوعة وأخبار واهية منكدة دون أن يشير إليها أو ينبه عليها، بل تراء يستشهد بها كأنها من الصحاح أو الحسان، كما تجد ذلك في كتابه «ذم الهوى» و«قرة العيون المبصرة بتلخيص كتاب التبصرة» و«رؤوس القوارير في الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير». قال الحافظ السخاوي في «شرح ألفية العراقي» ١٠٧: وقد أكثر ابن الجوزي في تصانيفه الوعظية وما أشبهها من إيراد الموضوع وشبهه.

(٢) وقد طبعته بالاشتراك في تحقيقه مع الأخ الفاضل الشيخ محمد كنعان.

(٣) طبع المكتب الإسلامي بتحقيق الشيخ محمد كنعان، وزهير الشاويش.

- الطلاب» ٣ أجزاء. ٥٤ - «تنوير مدلهم الشرف» جزء. ٥٥ - «الألقاب» جزء. ٥٦ - «فضائل عمر بن الخطاب» مجلد. ٥٧ - «فضائل عمر بن عبد العزيز» مجلد. ٥٨ - «فضائل سعيد بن المسيب» مجلد. ٥٩ - «فضائل الحسن البصري» مجلد. ٦٠ - «مناقب الفضيل بن عياض» أربعة أجزاء. ٦١ - «مناقب بشر الحافي» سبعة أجزاء. ٦٢ - «مناقب إبراهيم بن أدهم» ستة أجزاء. ٦٣ - «مناقب سفیان الثوري» مجلد. ٦٤ - «مناقب أحمد بن حنبل» مجلد. ٦٥ - «مناقب معروف الكرخي» جزآن. ٦٦ - «مناقب رابعة العدوية» جزء. ٦٧ - «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» مجلد. ٦٨ - «صفوة الصفوة» ٥ مجلدات. ٦٩ - «منهاج القاصدين» أربع مجلدات<sup>(١)</sup>. ٧٠ - «المختار من أخبار الأخيار» مجلد. ٧١ - «القاطع لمحال اللجاج بمحال الحجاج» جزء. ٧٢ - «عجالة المنتظر لشرح حال الخضر» جزء. ٧٣ - «النساء وما يتعلق بأدابهن» مجلد. ٧٤ - «علم الحديث المنقول في أن أبا بكر أم الرسول». جزء ٧٥ - «الجوهر». ٧٦ - «المغلق».

### مصنفاته في التاريخ:

- ٧٧ - «تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير» مجلد. ٧٨ - «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» ١٠ مجلدات. ٧٩ - «شذور العقود في تاريخ المعهود» مجلد. ٨٠ - «طرائف الظرائف في تاريخ السوالم» جزء. ٨١ - «مناقب بغداد» مجلد.

### مصنفاته في الفقه:

- ٨٢ - «الإنصاف في مسائل الخلاف». ٨٣ - «جُنة النظر وجنة النظر» وهي التعليقة الوسطى. ٨٤ - «معاصر المختصر في مسائل النظر». ٨٥ - «عمد الدلائل في مشتهر المسائل» وهي التعليقة الصغرى. ٨٦ - «المذهب في المذهب»<sup>(٢)</sup>. ٨٧ - «مسبوك الذهب» مجلد. ٨٨ - «النبذة» جزء. ٨٩ - «العبادات الخمس» جزء. ٩٠ - «أسباب الهداية لأرباب البداية» مجلد. ٩١ - «كشف الظلمة عن الضياء في رد دعوى». ٩٢ - «رد اللوم والضيغ في صوم يوم الغيم» جزء.

### مصنفاته في علوم الوعظ:

- ٩٣ - «اليواقيت في الخطب» مجلد. ٩٤ - «المنتخب في النواب»<sup>(٣)</sup> مجلد. ٩٥ - «منتخب المنتخب» مجلد. ٩٦ - «نسيم الرياض» مجلد. ٩٧ - «اللؤلؤ» مجلد. ٩٨ - «كنز المذكر» مجلد. ٩٩ - «الأرج» مجلد. ١٠٠ - «اللطائف» مجلد. ١٠١ - «كنوز الرموز» مجلد. ١٠٢ - «المقتبس» مجلد. ١٠٣ - «مواقف المرافق» مجلد. ١٠٤ - «شاهد ومشهود» مجلد. ١٠٥ - «واسطات العقود من شاهد ومشهود» مجلد. ١٠٦ - «الذهب» جزآن. ١٠٧ - «المدحش» مجلدان. ١٠٨ - «صبا نجد» جزء. ١٠٩ - «محاذنة العقل». ١١٠ - «لقط الجمال» جزء. ١١١ - «معاني المعاني» جزء. ١١٢ - «فتوح الفتوح» جزء. ١١٣ - «التعازي الملوكية» جزء. ١١٤ - «العقد المقيم» جزء. ١١٥ - «إيقاظ الوسنان من الرقعات بأحوال الحيوان والنبات» جزآن. ١١٦ - «نكت المجالس البدوية» جزآن. ١١٧ - «نزهة الأديب» جزآن. ١١٨ - «منتهى المنتهى» مجلد. ١١٩ - «تبصرة المبتدئ» ٢٠ جزء. ١٢٠ - «الياقوتة» جزآن. ١٢١ - «تحفة الوعاظ» مجلد.

### مصنفاته في فنون مختلفة:

- ١٢٢ - «ذم الهوى» مجلدان. ١٢٣ - «صيد الخاطر» ٦٥ جزء. ١٢٤ - «أحكام الأشعار بأحكام الإشعار» عشرون جزء. ١٢٥ - «القصاص والمذكرين»<sup>(٤)</sup>. ١٢٦ - «تقويم اللسان» مجلد. ١٢٧ - «الأذكياء» مجلد. ١٢٨ - «الحمقى» مجلد. ١٢٩ - «تليس إبليس» مجلدان. ١٣٠ - «لقط المنافع» في الطب مجلدان. ١٣١ - «الشيب والخضاب» مجلد.

(١) ومن مطبوعات المكتب الإسلامي لابن قدامة المقدسي، بتحقيق زهير الشاويش.

(٢) هو لابنه يوسف وقد طبعه المحسن الشيخ قاسم بن درويش فخر جزاء الله كل خير.

(٣) وهو تحت الطبع في المكتب الإسلامي، تحقيق الدكتور عبده الراجحي وزهير الشاويش.

(٤) وقد تم طبعه في المكتب الإسلامي بتحقيق الدكتور محمد الصباغ.



١٣٢ - «أعمار الأعيان»<sup>(١)</sup> جزء. ١٣٣ - «الثبات عند الممات» جزآن. ١٣٤ - «تنوير الغبش في فضل السود والحبش» مجلد. ١٣٥ - «الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ» جزء. ١٣٦ - «إشراف الموالي» جزآن. ١٣٧ - «إعلام الإحياء بأغلاط الأحياء». ١٣٨ - «تحريم المحل المكروه» جزء. ١٣٩ - «المصباح لدعوة الإمام المستضيء» مجلد. ١٤٠ - «عطف العلماء على الأمراء والأمراء على العلماء» جزء. ١٤١ - «النصر على مصر» جزء. ١٤٢ - «المجد العسدي» مجلد. ١٤٣ - «الفجر النوري» مجلد. ١٤٤ - «مناقب الستر الرفيع» جزء. ١٤٥ - «ما قلته من الأشعار» جزء. ١٤٦ - «المقامات» مجلد. ١٤٧ - «من رسائل» جزء. ١٤٨ - «الطب الروحاني» جزء. ١٤٩ - «بيان الخطأ والصواب عن أحاديث الشهاب» ١٦ جزء. ١٥٠ - «الباز الأشهب المنقض على من خالف المذهب». ١٥١ - «الوفا بفضائل المصطفى ﷺ» مجلدان. ١٥٢ - «النور في فضائل الأيام والشهور» مجلد. ١٥٣ - «تقريب الطريق الأبعد في فضائل مقبرة أحمد». ١٥٤ - «مناقب الإمام الشافعي». ١٥٥ - «العزلة». ١٥٦ - «الرياضة». ١٥٧ - «منهاج الإصابة في محبة الصحابة». ١٥٨ - «فنون الألباب». ١٥٩ - «الظرفاء والمتحابين». ١٦٠ - «مناقب أبي بكر». ١٦١ - «مناقب علي» مجلد. ١٦٢ - «فضائل العرب» مجلد. ١٦٣ - «درة الإكليل في التاريخ» أربع مجلدات. ١٦٤ - «الأمثال» مجلد. ١٦٥ - «المنفعة في المذاهب الأربعة» مجلدان. ١٦٦ - «المختار من الأشعار» عشر مجلدات. ١٦٧ - «رؤوس القوارير» مجلدان. ١٦٨ - «المرتجل في الوعظ» مجلد كبير. ١٦٩ - «ذخيرة الواعظ؟ أجزاء». ١٧٠ - «الزجر المخوف». ١٧١ - «الأسس والمحبة». ١٧٢ - «المطرب الملهم». ١٧٣ - «الزند الوري في الوعظ الناصري» جزآن. ١٧٤ - «الفاخر في أيام الإمام الناصر» مجلد. ١٧٥ - «المجد الصلاحي» مجلد. ١٧٦ - «لغة الفقه» جزآن. ١٧٧ - «غريب الحديث» مجلد. ١٧٨ - «ملح الأحاديث» جزآن. ١٧٩ - «الفصول الوعظية على حروف المعجم». ١٨٠ - «سلوة الأحزان» عشر مجلدات. ١٨١ - «المعشوق في الوعظ». ١٨٢ - «المجالس اليوسفية في الوعظ». ١٨٣ - «الوعظ المقبري». ١٨٤ - «قيام الليل» ٣ أجزاء. ١٨٥ - «المحادثة». ١٨٦ - «المناجاة». ١٨٧ - «زاهر الجواهر في الوعظ» أربع أجزاء. ١٨٨ - «كنز المذكر». ١٨٩ - «النحاة الخواتيم» جزآن. ١٩٠ - «المرتقى لمن اتقى». ١٩١ - «زين القصص» مجلد. ١٩٢ - «نسيم الرياض». ١٩٣ - «لفنة الكبد في نصيحة الولد»<sup>(٢)</sup>. ١٩٤ - «القرامطة»<sup>(٣)</sup>.

## وفاته:

قال سبطه أبو المظفر: جلس جدي يوم السبت سابع شهر رمضان - يعني سنة سبع وتسعين وخمسمائة - تحت تربة أم الخليفة المجاورة لمعروف الكرخي، وكنت حاضراً، فأنشد أبياتاً قطع عليها المجلس، ثم نزل عن المنبر فمرض خمسة أيام، وتوفي ليلة الجمعة بين العشاءين في داره وعمره نحو التسعين، وغسل وقت السحر واجتمع أهل بغداد، وغلقت الأسواق، وحملت جنازته على رؤوس الناس، وكان الجمع كثيراً جداً، وكان في شهر تموز، فأفطر بعض من حضر لشدة الحر وكثرة الزحام<sup>(٤)</sup>، وما وصل حفرة إلا وقت صلاة الجمعة والمؤذن يقول: الله أكبر. ودفن بباب حرب، بالقرب من مدفن أحمد بن حنبل رحمهما الله، وترك من الأولاد ثلاثة ذكور، وثلاث إناث. تغمده الله برحمته ونفع المسلمين بعلومه، وجعل أجر ذلك في صحيفة أعماله.



(١) وهو تحت الطبع بتحقيقي.

(٢) طبع المكتب الإسلامي تحقيق الدكتور الشيخ مروان القبانى.

(٣) طبع المكتب الإسلامي تحقيق الدكتور محمد بن لطفي الصباغ.

(٤) هذا الحفيد غير ثقة وصاحب مبالغات، وعجيب أن يترك الناس الفريضة من أجل نافلة، لأن صلاة الجنازة إذا قام بها البعض كان للأخريين نافلة.



فَتَاوَا الْإِسْلَامِ الْمُسْتَعْرِ  
عِلْمُ التَّفْسِيرِ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شرفنا على الأمم بالقرآن المجيد، ودعانا بتوفيقه على الحكم إلى الأمر الرشيد، وقوّم به نفوسنا بين الوعد والوعيد، وحفظه من تغيير الجهول وتحريف العنيد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

أحمده على التوفيق للتحميد، وأشكره على التحقيق في التوحيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يبقى ذخرها على التأيد، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله إلى القريب والبعيد، بشيراً للخلائق ونذيراً، وسراجاً في الأكوان منيراً، ووهب له من فضله خيراً كثيراً، وجعله مقدماً على الكل كبيراً، ولم يجعل له من أزياب جنسه نظيراً، ونهى أن يدعى باسمه تعظيماً له وتوقيراً، وأنزل عليه كلاماً قرر صدق قوله بالتحدي بمثله تقريراً، فقال: ﴿قُلْ لِّينْ أَجْمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ هَذَا الْفُرْقَانِ لَا يَأْتُونَ بِشَيْءٍ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ يُعِينُ ظَهْرَكَ﴾ [الاسراء: ٨٨] فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأزواجه وأشيعاه، وسلم تسليماً كثيراً.

لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفى الفهوم، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، وإني نظرت في جملة من كتب التفسير، فوجدتها بين كبير قد يش الحافظ منه، وصغير لا يستفاد كل المقصود منه<sup>(١)</sup>، والمتوسط منها قليل الفوائد عديم الترتيب، وربما أهمل فيه المشكل، وشرح غير الغريب، فأتيتك بهذا المختصر اليسير، منظوياً على العلم الغزير، ووسمته<sup>(٢)</sup> ب:

### [زاد المسير في علم التفسير]

وقد بالغت في اختصار لفظه، فاجتهد وفقك الله في حفظه، والله المعين على تحقيقه، فما زال جائداً بتوفيقه.

### فصل في فضيلة علم التفسير

روى أبو عبد الرحمن السلمي، عن ابن مسعود قال: كنا نتعلم من رسول الله ﷺ العشر، فلا نجاوزها إلى العشر الآخر حتى نعلم [ما]<sup>(٣)</sup> فيها من العلم والعمل<sup>(٤)</sup>.

وروى قتادة عن الحسن أنه قال: ما أنزل الله آية إلا أحب أن أعلم فيم أنزلت، وماذا عنى بها. وقال إياس بن معاوية: مثل من يقرأ القرآن ومن يعلم تفسيره أو لا يعلم، مثل قوم جاءهم كتاب من صاحب لهم ليلاً، وليس عندهم مصباح، فتدخلهم لمجيء الكتاب روعة لا يدرون ما فيه، فإذا جاءهم المصباح عرفوا ما فيه.

### فصل

اختلف العلماء: هل التفسير والتأويل بمعنى، أم يختلفان؟ فذهب قوم يميلون إلى العربية إلى أنهما بمعنى، وهذا قول جمهور المفسرين المتقدمين. وذهب قوم يميلون إلى الفقه إلى اختلافهما، فقالوا: التفسير: إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام التجلي. والتأويل: نقل الكلام عن وضعه فيما يحتاج في إثباته إلى دليل [لولا]<sup>(٥)</sup> ما ترك ظاهر اللفظ، فهو مأخوذ من قولك: أكل الشيء إلى كذا، أي: صار إليه<sup>(٦)</sup>.

(١) في الأصل: ووسمه، والتصويب من نسخة (ب).

(٢) في الأصل: عنه.

(٣) الزيادة من نسخة (ب).  
رواه الطبري، وإسناده صحيح.

(٤) الزيادة من «تاج العروس» للزبيدي. وفي نسخة (ب) «إلى دليل لولا ترك ظاهر اللفظ».

(٥) في الأصل: الأمل. والتصويب من نسخة (ب).

(٦) في الأصل: الأمل. والتصويب من نسخة (ب).

## فصل في مدة نزول القرآن

روى عكرمة عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر إلى بيت [العزة، ثم] <sup>(١)</sup> أنزل بعد ذلك في عشرين سنة <sup>(٢)</sup>.

وقال الشعبي: فرق الله تنزيل القرآن، فكان بين أوله وآخره عشرون سنة.

وقال الحسن: ذكر لنا أنه كان بين أوله وآخره ثمانين سنة، أنزل عليه بمكة ثمانين سنين.

## فصل

واختلفوا في أول ما نزل من القرآن، فثبت المنقول أن أول ما نزل: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [الملق: ١]. رواه عروة عن عائشة <sup>(٣)</sup> وبه قال قتادة وأبو صالح.

وروي عن جابر بن عبد الله: أن أول ما نزل ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ﴾ [المدثر: ١].

والصحيح أنه لما نزل عليه ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ رجع فتدثر فنزل: ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [ي: ١] يدل عليه ما أخرج [في] <sup>(٤)</sup> «الصحيحين» من حديث جابر قال: سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجلست منه رهباً، فرجعت فقلت: زملوني، زملوني، فذرني، فذرني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ﴾ [ي: ١] ومعنى جلست: فرقت. يقال: رجل مجووث [ومجثوث] <sup>(٥)</sup> وقد صحفه بعض الرواة فقال: جنت من الجبن، والصحيح الأول. وروي عن الحسن وعكرمة: أن أول ما نزل: ﴿يَسْأَلُ أَهْلَ الْقُرَى الْأَنْحَارِ﴾ [الرحمن: ١٧].

## فصل

واختلفوا في آخر ما نزل، فروى البخاري في أفراد من حديث ابن عباس، قال: آخر آية أنزلت على النبي ﷺ، آية الربا، وفي أفراد مسلم عنه: آخر سورة نزلت جميعاً ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: آخر آية أنزلت ﴿وَأَنقُضُ يَوْمًا مَّا رُفِعَ يَوْمُكَ إِلَى اللَّهِ﴾ <sup>(٦)</sup> [البقرة: ٢٨١] وهذا مذهب سعيد بن جبيرة وأبي صالح. وروى أبو إسحاق عن البراء قال: آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] وآخر سورة نزلت [براءة] <sup>(٧)</sup>. وروي عن أبي بن كعب: أن آخر آية نزلت: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]. إلى آخر السورة <sup>(٨)</sup>.

## فصل

لما رأيت جمهور كتب المفسرين لا يكاد الكتاب منها يفي بالمقصود كشفه حتى ينظر للآية الواحدة في كتب، قرب تفسير أخل فيه بعلم الناسخ والمنسوخ، أو ببعضه، فإن وجد فيه لم يوجد أسباب النزول، أو أكثرها، فإن وجد لم يوجد بيان المكي من المدني، وإن وجد ذلك لم توجد الإشارة إلى حكم الآية، فإن وجد لم يوجد جواب إشكال يقع في الآية، إلى غير ذلك من الفنون المطلوبة.

وقد أدرجت <sup>(٩)</sup> في هذا الكتاب من هذه الفنون المذكورة مع ما لم أذكره، مما لا يستغني التفسير عنه، ما أرجو به وقوع الغناء بهذا الكتاب عن أكثر ما يجانسه.

(١) الزيادة من نسخة (ب).

(٢) رواه الحاكم ج ٢/ ٢٢٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه مسلم.

(٤) الزيادة من نسخة (ب).

(٥) الزيادة من «لسان العرب».

(٦) رواه الطبري وإسناده صحيح، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال: رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما ثقات.

(٧) رواه البخاري في تفسير سورة [براءة].

(٨) رواه أحمد والحاكم.

(٩) وفي نسخة (ج): خرجت. وجواب لما «وقد أدرجت» وكان حقه أن يقال: «لقد أدرجت».



وقد حذرت من إعادة تفسير كلمة متقدمة إلا على وجه الإشارة، ولم أغادر من الأقوال التي أحطت بها إلا ما تبعه صحته مع الاختصار البالغ، فإذا رأيت في فرش الآيات ما لم يذكر تفسيره، فهو لا يخلو من أمرين؛ إما أن يكون قد سبق، وإما أن يكون ظاهراً لا يحتاج إلى تفسير.

وقد اتفق كتابنا هذا أنقى التفسير، فأخذ منها الأصح والأحسن والأصون، فنظمه في عبارة الاختصار. وهذا حين شروعتنا فيما ابتدأنا<sup>(١)</sup> له، والله الموفق.

### فصل في الاستعاذة

قال أمر الله ﷻ بالاستعاذة عند القراءة بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل: ٩٨) ومعناه: إذا أردت القراءة. ومعنى أعوذ: ألبأ وألوذ.

### فصل في ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قال ابن عمر: نزلت في كل سورة. وقد اختلف العلماء: هل هي آية كاملة، أم لا؟ وفيه [عن] أحمد روايتان. واختلفوا: هل هي من الفاتحة، أم لا؟ فيه عن أحمد روايتان أيضاً. فأما من قال: إنها من الفاتحة، فإنه يوجب قراءتها في الصلاة إذا قال بوجوب الفاتحة، وأما من لم يرها من الفاتحة، فإنه يقول: قراءتها في الصلاة سنة. ما عدا مالكاً فإنه لا يستحب قراءتها في الصلاة.

واختلفوا في الجهر بها في الصلاة فيما يجهر به، فنقل جماعة عن أحمد: أنه لا يسن الجهر بها، وهو قول أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وعمار بن ياسر، وابن مغفل، وابن الزبير، وابن عباس، وقال به من كبراء التابعين ومن بعدهم: الحسن، والشعبي، وسعيد بن جبير، وإبراهيم، وقتادة، وعمر بن عبد العزيز، والأعمش، وسفيان الثوري، ومالك، وأبو حنيفة، وأبو عبيد في آخرين.

وذهب الشافعي إلى أن الجهر مستنون، وهو مروى عن معاوية بن أبي سفيان، وعطاء، وطاوس، ومجاهد. فأما تفسيرها:

فقوله: «بِسْمِ اللَّهِ» اختصار، كأنه قال: أبدأ باسم الله. أو: بدأت باسم الله. وفي الاسم خمس لغات: «إِسْم» بكسر الالف، و«أَسْم» بضم الالف إذا ابتدأت بها، و«إِسْم» بكسر السين، و«سُم» بضمها، و«سُمَا». قال الشاعر:

وَاللَّهِ أَسْمَاكَ سُمّاً مُبَارَكاً      أَتَرَكُ اللَّهَ بِهِ إِشْشَارَكَ

وأنشدوا:

بِاسْمِ الَّذِي فِي كُلِّ سُورَةٍ سُمُّهُ

قال الفراء: بعض قيس [يقولون]:<sup>(٢)</sup> سمه، يريدون: اسمه، وبعض قضاة يقولون: سُمُهُ. أنشدني بعضهم:

وَعَامِنَا أَعْجَبْنَا مَقْدَمَهُ      يَدْعَى أَبَا السَّمْحِ وَقَرْضَابَ سُمُهُ

والقَرْضَاب: القطاع، يقال: سيف قَرْضَاب<sup>(٣)</sup>.

واختلف العلماء في اسم الله الذي هو «الله»:

فقال قوم: إنه مشتق، وقال آخرون: إنه علم ليس بمشتق. وفيه عن الخليل روايتان. إحداهما: أنه ليس بمشتق، ولا يجوز حذف الالف واللام منه كما يجوز من الرحمن. والثانية: رواها عنه سيبويه: أنه مشتق. وذكر أبو سليمان الخطابي عن بعض العلماء أن أصله في الكلام مشتق من: أله الرجل ياله: إذا فرغ إليه من أمر نزل به. فألهه، أي: أجاره وأمنه، فسمي إلهاً

(١) وفي نسخة (ج) ابتدأنا.

(٢) الزيادة من نسخة (ب).

(٣) جاء في القرطبي بعد إنشاء البيت: وقَرْضَاب الرجل: إذا أكل شيئاً يابساً فهو قَرْضَاب. وفي «الصحاح» و«اللسان» و«القاموس» و«شرح» قَرْضَاب الرجل: أكل شيئاً يابساً، حكوا ذلك عن ثعلب، وهو الأصح.

كما يسمّى الرجل إماماً. وقال غيره: أصله ولاء. فأبدلت الواو همزة فقليل: إله كما قالوا: وسادة وإسادة، ووشاح وإشاح. واشتق من الوله، لأن قلوب العباد توله نحوه. كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]. وكان القياس أن يقال: مألوه، كما قيل: معبود، إلا أنهم خالفوا به البناء ليكون علماً، كما قالوا للمكتوب: كتاب، وللمحسوب: حساب. وقال بعضهم: أصله من: أله الرجل يأله إذا تحير، لأن القلوب تتحير عند التفكير في عظمتها. وحكي عن بعض اللغويين: أله الرجل يأله إلامه، بمعنى: عبد يعبد عبادة.

وروي عن ابن عباس أنه قال: ﴿وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] أي: عبادتك. قال: والتأله: التعبد. قال رؤية: لله در الغانيات المملّهُ  
فمعنى الإله: المعبود.  
فأما «الرَّحْمَنُ»:

فذهب الجمهور إلى أنه مشتق من الرحمة، مبني على المبالغة، ومعناه: ذو الرحمة التي لا نظير له فيها. وبناء «فعلان» في كلامهم للمبالغة، فإنهم يقولون للشديد الامتلاء: ملآن، وللشديد الشيع: شعبان. قال الخطابي: فـ «الرحمن»: ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم ومصالحهم، وعتت المؤمن والكافر. و«الرحيم»: خاصّ للمؤمنين. قال عليه السلام: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]. والرحيم: بمعنى الراحم.



## سورة الفاتحة

روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال وقرأ عليه أبي بن كعب أم القرآن فقال: «والذي نفسي بيده، ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»<sup>(١)</sup>. فمن أسماؤها: الفاتحة، لأنه يستفتح الكتاب بها تلاوة وكتابة. ومن أسماؤها: أم القرآن، وأم الكتاب، لأنها أمت الكتاب بالتقدم. ومن أسماؤها: السبع المثاني، وإنما سميت بذلك لما استشرحه في (الحجر) إن شاء الله. واختلف العلماء في نزولها على قولين: أحدهما: أنها مكية، وهو مروى عن علي بن أبي طالب، والحسن، وأبي العالية، وقتادة، وأبي ميسرة. والثاني: أنها مدنية، وهو مروى عن أبي هريرة، ومجاهد، وعبيد بن عمير، وعطاء الخراساني. وعن ابن عباس كالقولين.

### فصل

#### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّاتِ الْثَلَاثِ

فأما تفسيرها: فـ ﴿الْحَمْدُ﴾ رفع بالابتداء، و ﴿لِلَّهِ﴾ الخبر والمعنى: الحمد ثابت لله، ومستقر له، والجمهور على كسر لام «الله» وضمها ابن أبي عبة، قال الفراء: هي لغة بعض بني ربيعة، وقرأ ابن السَّمِيعِ<sup>(٢)</sup>: «الحمد» بنصب الدال «الله» بكسر اللام. وقرأ أبو نهيك بكسر الدال واللام جميعاً. وأعلم أن الحمد: ثناء على المحمود، ويشاركه الشكر، إلا أن بينهما فرقاً، وهو: أن الحمد قد يقع ابتداء للثناء، والشكر لا يكون إلا في مقابلة النعمة، وقيل: لفظه لفظ الخبر، ومعناه الأمر، فتقديره: قولوا: الحمد لله. وقال ابن قتيبة: الحمد: الثناء على الرجل بما فيه من كرم أو حسب أو شجاعة، وأشباه ذلك. والشكر: الثناء عليه بمعروف أوالاه، وقد يوضع الحمد موضع الشكر. فيقال: حمدته على معروفه عندي، كما يقال: شكرت له على شجاعته. فأما «الرب» فهو المالك، ولا يذكر هذا الاسم في حق المخلوق إلا بالإضافة، فيقال: هذا رب الدار، ورب العبد. وقيل: هو مأخوذ من الثرية. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: يقال: رب فلان صنيعته يربها رباً: إذا أتمها وأصلحها، فهو رب ورباب. قال الشاعر:

يَرْبُ الَّذِي يَأْتِي مِنَ الْخَيْرِ إِنَّهُ إِذَا مَثَلَ الْمَعْرُوفِ زَادَ وَتَمَمَّا

قال: والرب يقال على ثلاثة أوجه: أحدها: المالك. يقال: رب الدار. والثاني: المصلح، يقال: رب الشيء. والثالث: السيد المطاع. قال تعالى: ﴿فَيَسْتَقِ رَّبَّهُمْ حَمْرًا﴾ (يوسف: ٤١). والجمهور على خفض باء «رَبِّ». وقرأ أبو العالية، وابن السَّمِيعِ، وعيسى بن عمر بنصبها. وقرأ أبو رزين العقيلي، والربيع بن خيثم<sup>(٣)</sup>، وأبو عمران الجوني برفعها. فأما «الْعَالَمِينَ» فجمع عالم، وهو عند أهل العربية: اسم للخلق من مبدئهم إلى منتهاهم، وقد سمو أهل الزمان الحاضر عالماً. فقال الحطيطي:

[تَنَحِّي فَاجْلِسْ مَنِي بَعِيداً] أَرَأَيْتَ أَنَّ اللَّهَ مِنْكَ الْعَالَمِينَ

فأما أهل النظر، فالعالم عندهم: اسم يقع على الكون الكلي المحدث من فلک، وسماء، وأرض، وما بين ذلك. وفي اشتقاق العالم قولان: أحدهما: أنه من العلم، وهو يقوي قول أهل اللغة. والثاني: أنه من العلامة، وهو يقوي قول أهل النظر، فكانه إنما سمي عندهم بذلك، لأنه دالٌّ على خالقه. وللمفسرين في المراد بـ «العالمين» هاهنا خمسة أقوال: أحدها: الخلق كله، السموات والأرضون وما فيهنَّ وما بينهن. رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: كل ذي

(١) رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. (٢) كذا في الأصل. وفي «اللسان» و«شرح القاموس»: السميع بالقاف.

(٣) جاء في «التقريب» الربيع بن خيثم بضم المعجمة، وفتح المثناة، وفي «الخلاصة» بفتح المعجمة والمثناة بينهما تحتانية. أي: خيثم، كما في الأصول التي بين أيدينا.

روح دب على وجه الأرض. رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم الجن والإنس. روي أيضاً عن ابن عباس،  
وبه قال مجاهد، ومقاتل. والرابع: أنهم الجن والإنس والملائكة، نقل عن ابن عباس أيضاً، واختاره ابن قتيبة.  
والخامس: أنهم الملائكة، وهو مروى عن ابن عباس أيضاً.

قوله تعالى: ﴿الْكَافِرُ الْكَافِرُ﴾. قرأ أبو العالية، وابن السميع، وعيسى بن عمر بالنصب فيهما، وقرأ أبو رزين  
العقيلي، والربيع بن خيثم، وأبو عمران الجوني بالرفع فيهما.

قوله تعالى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾. قرأ عاصم والكسائي، وخلف، ويعقوب: «مالك» بآلف. وقرأ ابن  
السميع، وابن أبي عمير كذلك، إلا أنهما نصبا الكاف. وقرأ أبو هريرة، وعاصم الجحدري: «مَلِكٍ» بإسكان اللام من  
غير الألف مع كسر الكاف، وقرأ أبو عثمان النهدي، والشعبي «مَلِكٍ» بكسر اللام ونصب الكاف من غير ألف. وقرأ  
سعد بن أبي وقاص، وعائشة، ومورق العجلي: «مَلِكٍ» مثل ذلك إلا أنهم رفعوا الكاف. وقرأ أبي بن كعب، وأبو رجاء  
المطارد «ملك» بياء بعد اللام مكسورة الكاف من غير ألف. وقرأ عمرو بن العاص كذلك، إلا أنه ضم الكاف. وقرأ  
أبو حنيفة<sup>(١)</sup>، وأبو حيوة «مَلِكٍ» على الفعل الماضي، «ويوم» بالنصب. وروى عبد الوارث عن أبي عمرو: إسكان  
اللام، والمشهور عن أبي عمرو وجمهور القراء «مَلِكٍ» بفتح الميم مع كسر اللام، وهو أظهر في المدح، لأن كل ملك  
مالك، وليس كل مالك ملكاً. وفي «الدين» هاهنا قولان: أحدهما: أنه الحساب، قاله ابن مسعود. والثاني: الجزاء،  
قاله ابن عباس، ولما أقر الله ﷻ في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أنه مالك الدنيا. دل بقوله: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ على  
أنه مالك الأخرى. وقيل: إنما خصّ يوم الدين، لأنه يفرد يومئذ بالحكم في خلقه.

قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. وقرأ الحسن، وأبو المتوكل، وأبو مجلز «يُعْبُدُ» بضم الياء وفتح الباء. قال ابن  
الأنباري: المعنى: قل يا محمد: إياك يعبد، والعرب ترجع من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، كقوله  
تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يونس: ٢٢] وقوله: ﴿وَمَنْهُمْ رِثْمٌ شَرَكَا طُهْرًا﴾ [إن هذا كان لَكُرْجَاءَ  
[الدحر: ٢١، ٢٢]. وقال لبيد:

باتت تشكى إلى النفس مجهشة      وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا

وفي المراد بهذه العبادة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى التوحيد. روي عن علي، وابن عباس في آخرين.  
والثاني: أنها بمعنى الطاعة، كقوله: ﴿لَا تَعْبُدُوا الشَّيَاطِينَ﴾ [يس: ٦٠]. والثالث: أنها بمعنى الدعاء، كقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ  
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [آفاقر: ٦٠].

قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: ثبتنا. قاله علي، وأبي. والثاني: أرشدنا. والثالث: وفقنا.  
والرابع: ألهمنا. رويت هذه الثلاثة عن ابن عباس. و«أَصْرَطَ» الطريق. ويقال: إن أصله بالسين، لأنه من الاستراط  
وهو: الابتلاع، فالصراط كأنه يستطر المارين عليه، فمن قرأ بالسين، كمجاهد، وابن محيصن، ويعقوب، فعلى أصل  
الكلمة، ومن قرأ بالصاد، كأبي عمرو، والجمهور، فلأنها أخف على اللسان، ومن قرأ بالزاي، كرواية الأصمعي عن  
أبي عمرو، واحتج بقول العرب: سقر وزقر<sup>(٣)</sup> وروي عن حمزة: إشمام السين زايًا، وروي عنه أنه تلفظ بالصراط بين  
الصاد والزاي. قال الفراء: اللغة الجيدة بالصاد، وهي لغة قريش الأولى، وعامة العرب يجعلونها سينًا، وبعض قيس  
يشمُون الصاد، فيقول: الصراط بين الصاد والسين، وكان حمزة يقرأ «الزراط» بالزاي، وهي لغة لعذرة وكلب وبني  
القين. يقولون في [أصدق]<sup>(٤)</sup> أزدق. وفي المراد بالصراط هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنه كتاب الله، رواه علي عن

(١) قال أبو العلاء الواسطي: إن الخزاوي وضع كتاباً في الحروف نسب إلى أبي حنيفة، فأخذت خط الدارقطني وجماعة، أن الكتاب موضوع لا أصل له.  
قال ابن الجوزي: وقد رأيت الكتاب المذكور، ومنه ﴿إِنَّمَا يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ الْمُتَّقُونَ﴾ برفع الهاء ونصب الهمزة، وقد راج ذلك على أكثر المفسرين،  
ونسبها إليه، وتكلف توجيهها، وإن أبا حنيفة ليرى منها. انظر «النشر في القراءات العشر» لابن الجوزي ١/٦٦.

(٢) قال في «لسان العرب» الزقر: لغة في الصقر.

(٣) الزيادة من القرطبي.

النبي ﷺ. والثاني: أنه دين الإسلام. قاله ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وأبو العالية في آخرين. والثالث: أنه الطريق الهادي إلى دين الله، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والرابع: أنه طريق الجنة، نقل عن ابن عباس أيضاً. فإن قيل: ما معنى سؤال المسلمين الهداية وهم مهتدون؟ ففيه<sup>(١)</sup> ثلاثة أجوبة<sup>(٢)</sup>: أحدها: أن المعنى: اهدنا لزوم الصراط، فحذف اللزوم. قاله ابن الأنباري. والثاني: أن المعنى: ثبتنا على الهدى، تقول العرب للقاء: قم حتى آتيك، أي: أثبت على حالك. والثالث: أن المعنى: زدنا هدى<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾. قال ابن عباس: هم النبيون، والصديقون، والشهداء، والصالحون. وقرأ الأكثرون «عليهم» بكسر الهاء، وكذلك «الديهم» و«اليهم» وقرأه حمزة بضمها. وكان ابن كثير يصل [ضم] الميم بواو. وقال ابن الأنباري: حكى اللغويون في «عليهم» عشر لغات، قرئ بعامتها «عليهم» بضم الهاء وإسكان الميم و«عليهم» بكسر الهاء وإسكان الميم، و«عليهمي» بكسر الهاء والميم والحق ياء بعد الكسرة، و«عليهمو» بكسر الهاء وضم الميم وزيادة واو بعد الضمة، و«عليهمو» بضم الهاء والميم وإدخال واو بعد الميم، و«عليهم» بضم الهاء والميم من غير زيادة واو، وهذه الأوجه الستة مأثورة عن القراء، وأوجه أربعة منقولة عن العرب «عليهمي» بضم الهاء وكسر الميم وإدخال ياء، و«عليهم» بضم الهاء وكسر الميم من غير زيادة ياء، و«عليهم» بكسر الهاء وضم الميم من غير إلحاق واو، و«عليهم» بكسر الهاء والميم ولا ياء بعد الميم. فأما «المغضوب عليهم» فهم اليهود؛ «والضالون»: النصاري. رواه علي بن حاتم عن النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>. قال ابن قتيبة: والضلال: الحيرة والعدول عن الحق.

### فصل

ومن السنة في حق قارئ الفاتحة أن يعقبها بـ «آمين». قال شيخنا أبو الحسن علي بن عبيد الله: وسواء كان خارج الصلاة أو فيها، لما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا قال الإمام: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فقال من خلفه: آمين، فوافق ذلك قول أهل السماء، غفر له ما تقدم من ذنبه»<sup>(٥)</sup>. وفي معنى آمين: ثلاثة أقوال: أحدها: أن معنى آمين: كذلك يكون. حكاه ابن الأنباري عن ابن عباس، والحسن. والثاني: أنها بمعنى: اللهم استجب. قاله الحسن والزجاج. والثالث: أنه اسم من أسماء الله تعالى. قاله مجاهد، وهلال بن يساف، وجعفر بن محمد. وقال ابن قتيبة: معناها: يا آمين أجب دعاءنا، فبسقطت ياء، كما سقطت في قوله: «يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا» [يوسف: ٢٩] تأويله: يا يوسف. ومن طول الألف فقال: آمين، أدخل ألف النداء على ألف آمين، كما يقال: آزيد أقبل. ومعناه: يا زيد. قال ابن الأنباري: وهذا القول خطأ عند جميع النحويين، لأنه إذا أدخل «يا» على «آمين» كان منادئ مفرداً، فحكم آخره الرفع، فلما أجمعت العرب على فتح نونه، دل على أنه غير منادى، وإنما فتحت نون «آمين» لسكونها وسكون الياء التي قبلها، كما تقول العرب: ليت، ولعل. قال: وفي «آمين» لغتان: «آمين» بالقصر، و«آمين» بالمد، والنون فيهما مفتوحة. أنشدنا أبو العباس عن ابن الأعرابي:

سَقَى اللَّهُ حَيًّا بَيْنَ صَارَةَ وَالْجَمَى  
أَمِينَ وَأَدَى اللَّهُ رَكْبًا إِلَيْهِمْ  
وَأَنشَدَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَيْضًا:  
تَبَاعَدَ مِنِّي فَظَحُلَ وَابْنُ أُمِّهِ  
(جَمَى)<sup>(٧)</sup> فَيَذَّ صَوَّبَ الْمُذْجَنَاتِ الْمَوَاطِرِ  
بَخِيرٍ وَوَقَّاهُمْ جِمَامَ الْمَقَادِرِ<sup>(٨)</sup>  
أَمِينَ فَزَادَ اللَّهُ مَا بَيْنَنَا بُغْدًا<sup>(٩)</sup>

(١) في الأصلين: فنته، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) في نسخة (أ) أوجه. وكذلك كان كتبها ناسخ (ب) ثم أصلها كما أثبتنا.

(٣) في نسخة (ب) هداية.

(٤) رواه أحمد والترمذي وحسنه.

(٥) رواه البخاري وسلم بلفظ: «إذا أمن الإمام فأمنوا، فإن من وافق تأمينة تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».

(٦) الزيادة من نسخة (ب).

(٧) البيتان في «اللسان» في مادة «أمن» ورواية الثاني فيه: ورد الله.

(٨) البيت سقط من نسخة (ب).

وأنشدنا أبو العباس أيضاً:  
يا ربَّ لا تسلبني حُبَّها أبداً  
وأنشدني أبي:  
أَمِينَ وَمَنْ أَعْطَاكَ مَنِّي هَوَادَةً  
وأنشدني أبي:  
فَقُلْتُ لَهُ قَدْ هَجَتْ لِي بَارِحَ الْهَوَى  
أَمِينَ وَأَضْنَاهُ الْهَوَى فَوْقَ مَا بِهِ

وَيَرْحَمُ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ أَمِينًا  
رمى الله في أطرافه فاقْفَعَلْتُ<sup>(١)</sup>  
أَصَابَ جِمَامُ الْمَوْتِ أَهْوَنَنَا وَجَدَا  
[أَمِينَ]<sup>(٢)</sup> وَلَا قَى مِنْ تَبَارِيحِهِ جَهْدَا

### فصل

نقل الأكترون عن أحمد أن الفاتحة شرط في صحة الصلاة، فمن تركها مع القدرة عليها لم تصح صلاته، وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة رحمه الله: لا تتعين، وهي رواية عن أحمد، ويدل على الرواية الأولى ما روي في «الصحيحين» من حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب». والله تعالى أعلم بالصواب.



(١) الاقفلال: تشنج الأصابع والكف من برد أو داء.

(٢) الزيادة من نسخة (ب).



## سورة البقرة

### فصل في فضيلتها<sup>(١)</sup>

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان»<sup>(٢)</sup>. وروى أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: «اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف، اقرأوا البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة»<sup>(٣)</sup>. والمراد بالزهراوين: المنيرتين. يقال لكل منير<sup>(٤)</sup>: زاهر. والغاية: كل شيء أظلم الإنسان فوق رأسه، مثل السحابة والغبرة. يقال: غايا القوم فوق رأس فلان بالسيف، كأنهم أظلموه به. قال لييد:

فَتَدَلَّيْتُ عَلَيْهِ قَافِلًا  
وعلى الأرض غيايات الطفل  
ومعنى فرقان: قطعتان. والفرق: القطعة من الشيء. قال عز وجل: ﴿كَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّيْرِ الْمَطِيرِ﴾ [الشعراء: ٦٣]. والصَّوْفُ: المصطفة المتضامة لتظل قارئها. والبطلة: السحرة.

### فصل في نزولها

قال ابن عباس: هي أول ما نزل بالمدينة، وهذا قول الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وجابر بن زيد، وقتادة، ومقاتل. وذكر قوم أنها مدنية سوى آية، وهي قوله عز وجل: ﴿وَأَنقُضُوا يَوْمَ تُجْزَىٰ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]. فإنها أنزلت يوم النحر بمنى في حجة الوداع.

### فصل

#### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأما التفسير. فقلوه: ﴿الْمَ ١﴾ اختلف العلماء فيها وفي سائر الحروف المقطعة في أوائل السور على ستة أقوال: أحدها: أنها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله. قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «الله عز وجل في كل كتاب سر، وسر الله في القرآن أوائل السور، وإلى هذا المعنى ذهب الشعبي، وأبو صالح، وابن زيد. والثاني: أنها حروف من أسماء، فإذا ألقت ضرباً من التأليف كانت أسماء من أسماء الله عز وجل. قال علي بن أبي طالب: هي أسماء مقطعة لو علم الناس تأليفها علموا اسم الله الذي إذا دعي به أجاب. وسئل ابن عباس عن «آلر» و«حم» و«نون» فقال: اسم الرحمن على الهجاء، وإلى نحو هذا ذهب أبو العالية، والربيع بن أنس. والثالث: أنها حروف أقسم الله بها، قاله ابن عباس، وعكرمة. قال ابن قتبية: ويجوز أن يكون أقسم بالحروف المقطعة كلها، واقتصر على ذكر بعضها كما يقول القائل: تعلمت «أ ب ث» وهو يريد سائر الحروف، وكما يقال: قرأت الحمد، يريد فاتحة الكتاب، فيسميها بأول حرف منها، وإنما أقسم بحروف المعجم لشرفها ولأنها مباني كتبه المنزلة، وبها يذكر ويوحى. قال ابن الأنباري: وجواب القسم محذوف، تقديره: وحروف المعجم لقد بين الله لكم السبيل، وأنهجت لكم الدلالات بالكتاب المنزل، وإنما حذف لعلم المخاطبين به، ولأن في قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ دليلاً على الجواب. والرابع: أنه أشار بما ذكر من الحروف إلى سائرها، والمعنى أنه لما كانت الحروف أصولاً للكلام المؤلف، أخبر أن هذا القرآن إنما هو مؤلف من هذه الحروف، قاله الفراء، وقطرب. فإن قيل: فقد علموا أنه حروف، فما الفائدة في إعلامهم بهذا؟

(٢) رواه مسلم والترمذي والنسائي.

(٤) في نسخة (أ): «مستير».

(١) هذا العنوان ثابت في نسخة (ب).

(٣) رواه مسلم.

فالجواب: أنه نبه بذلك على إعجازه، فكأنه قال: هو من هذه الحروف التي تؤلفون منها كلامكم، فما بالكم تعجزون عن معارضته؟! فإذا عجزتم فاعلموا أنه ليس من قول محمد ﷺ. والخامس: أنها أسماء للسور. روي عن زيد بن أسلم، وابنه، وأبي فاختة سعيد بن علاقة مولى أم هانئ. والسادس: أنها من الرمز الذي تستعمله العرب في كلامها. يقول الرجل للرجل: هل تأ؟ فيقول له: بلى، يريد هل تأتي؟ فيكتفي بحرف من حروفه. وأنشدوا:

قلنا لها قفي [لنا] فقالت كاف  
أراد قالت: أقف. ومثله:

نادوهم ألا الجموا ألا تا  
يريد: ألا تركبون؟ قالوا: بلى فاركبوا. ومثله:

بالخير خيرات وإن شراً فا  
ولا أريد الشر إلا أن تا

معناه: وإن شراً فشر ولا أريد الشر إلا أن تشاء. وإلى هذا القول ذهب الأخفش، والزجاج، وابن الأنباري. وقال أبو روق عطية بن الحارث الهمداني: كان النبي ﷺ يجهر بالقراءة في الصلوات كلها، وكان المشركون يصفقون ويصفقون، فنزلت هذه الحروف المقطعة، فسمعوها فبقوا متحيرين. وقال غيره: إنما خاطبهم بما لا يفهمون ليقبلوا على سماعه، لأن النفوس تتطلع إلى ما غاب عنها معناه، فإذا أقبلوا إليه خاطبهم بما يفهمون، فصار ذلك كالوسيلة إلى الإبلاغ، إلا أنه لا بد له من معنى يعلمه غيرهم، أو يكون معلوماً عند المخاطبين، فهذا الكلام يعم جميع الحروف.

وقد خص المفسرون قوله «آلَمْ» <sup>(١)</sup> بخمسة أقوال: أحدها: أنه من المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله عز وجل، وقد سبق بيانه. والثاني: أن معناه: أنا الله أعلم. رواه أبو الضحى عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود، وسعيد بن جبير. والثالث: أنه قسم. رواه أبو صالح عن ابن عباس، وخالد الحذاء عن عكرمة. والرابع: أنها حروف من أسماء. ثم فيها قولان: أحدهما: أن الألف من «الله» واللام من «جبريل» والميم من «محمد» قاله ابن عباس. فإن قيل: إذا كان قد تنول من كل اسم حرفه الأول اكتفاءً به، فلم أخذت اللام من جبريل وهي آخر الاسم؟! فالجواب: أن مبتدأ القرآن من الله تعالى، فدل على ذلك بابتداء أول حرف من اسمه، وجبريل انختم به التنزيل والإقراء، فتنول من اسمه نهاية حروفه، و«محمد» مبتدأ في الإقراء، فتنول أول حرف فيه. والقول الثاني: أن الألف من «الله» تعالى، واللام من «الطيف» والميم من «مجيد» قاله أبو العالية. والخامس: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله مجاهد، والشعبي، وقناة، وابن جريج.

قوله تعالى: «ذَلِكْ» <sup>(٢)</sup>. فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى هذا، وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والكسائي، وأبي عبيدة، والأخفش. واحتج بعضهم بقول خفاف بن ثلبة:

أقول له والرمح ياطر متنه  
تأمل خفافاً إنني أنا ذلكا

أي: أنا هذا. وقال ابن الأنباري. إنما أراد: أنا ذلك الذي تعرفه. والثاني: أنه إشارة إلى غائب. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أراد به ما تقدم إزاله عليه من القرآن. والثاني: أنه أراد به ما وعده أن يوحيه إليه في قوله: «سَتَلْقَى عَلَىكَ قَوْلًا نَبِيًّا» <sup>(٣)</sup>. والثالث: أنه أراد بذلك ما وعد به أهل الكتب السالفة، لأنهم وعدوا بنبي وكتاب. و«الْكِتَابُ»: القرآن. وسمي كتاباً، لأنه جمع بعضه إلى بعض، ومنه الكتيبة، سُمِّيَتْ بذلك لاجتماع بعضها إلى بعض. ومنه: كتبت البغلة <sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: «لَا رَيْبَ فِيهِ». الرِّيبُ: الشك. والهدى: الإرشاد. والمتقون: المحترزون مما اتقوه. وفرَّق شيخنا علي بن عبيد الله بين التقوى والورع، فقال: التقوى: أخذ <sup>(٥)</sup> عدة، والورع: دفع شبهة، فالتقوى: متحقق السبب، والورع: مظنون المسبب. واختلف العلماء في معنى هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أن ظاهرها النفي، ومعناها

(١) الرجز: للوليد بن عتبة.

(٢) قال في «اللسان»: وكتبت البغلة: إذا جمعت شُفري حيائها بحلقة أو سير، فلا ينزى عليها.

(٣) في نسخة (ب): «أشده».

النهي، وتقديرها: لا ينبغي أحد أن يرتاب به لإتقانه وإحكامه. ومثله: ﴿مَا كُنَّا أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٣٨]. أي: ما ينبغي لنا. ومثله: ﴿فَلَا رَفَتْ وَلَا فُسُوكَ﴾ [البقرة: ١٩٦]. وهذا مذهب الخليل، وابن الأنباري. والثاني: أن معناها: لا ريب فيه أنه هدى للمتقين. قاله المبرد. والثالث: أن معناها: لا ريب فيه أنه من عند الله، قاله مقاتل في آخرين. فإن قيل: فقد ارتاب به قوم. فالجواب: أنه حق في نفسه، فمن حقق النظر فيه علم. قال الشاعر:

ليس في الحق يا أمانة ريب [إنما الريب ما يقول الكذوب]<sup>(١)</sup>

فإن قيل: فالمتقي مهتد، فما فائدة اختصاص الهداية به؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه أراد المتقين، والكافرين، فاكفى بذكر أحد الفريقين، كقوله تعالى: ﴿سَرِيلَ تَقِيكُمْ أَلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]. أراد: والبرد. والثاني: أنه خص المتقين لانتفاعهم به، كقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَخْشَاكَ﴾ [التأوهات: ٤٥]. وكان منذراً لمن يخشى ولمن لا يخشى.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾. الإيمان في اللغة: التصديق، والشرح أقره على ذلك، وزاد فيه القول والعمل. وأصل الغيب: المكان المطمئن الذي يستتر فيه لنزوله عما حوله، فسمي كل مستتر: غيباً. وفي المراد بالغيب هاهنا ستة أقوال: أحدها: أنه الوحي، قاله ابن عباس، وابن جريج. والثاني: القرآن، قاله أبو رزين العقيلي، وزر بن حبيش. والثالث: الله عز وجل، قاله عطاء، وسعيد بن جبيرة. والرابع: ما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار، ونحو ذلك مما ذكر في القرآن. رواه السدي عن أشياخه، وإليه ذهب أبو العالية، وقتادة. والخامس: أنه قدر الله عز وجل، قاله الزهري. والسادس: أنه الإيمان بالرسول في حق من لم يره. قال عمرو بن مرة: قال أصحاب عبد الله له: طوبى لك، جاهدت مع رسول الله ﷺ، وجالسته. فقال: إن شأن رسول الله ﷺ كان ميئاً لمن رآه، ولكن أعجب من ذلك: قوم يجدون كتاباً مكتوباً يؤمنون به ولم يروه، ثم قرأ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِالْصَّلَاةِ﴾. الصلاة في اللغة: الدعاء. وفي الشريعة: أفعال وأقوال على صفات مخصوصة. وفي تسميتها بالصلاة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها سميت بذلك لرفع الصلاة، وهو مغز الذنب من الفرس. والثاني: أنها من صليت العود إذا لبته، فالمصلي يلين ويخشع. والثالث: أنها مبنية على السؤال والدعاء، والصلاة في اللغة: الدعاء، وهي في هذا المكان اسم جنس. قال مقاتل: أراد بها هاهنا: الصلوات الخمس. وفي معنى إقامتها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تمام فعلها على الوجه المأمور به، روي عن ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنه المحافظة على مواقيتها وضوئها وركوعها وسجودها، قاله قتادة، ومقاتل. والثالث: إدامتها، والعرب تقول في الشيء الراتب: قائم، وفلان يقيم أرزاق الجند، قاله ابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾. أي: أعطيناهم ﴿يُفْقُونَ﴾ أي يخرجون. وأصل الإنفاق الإخراج. يقال: نفقت الدابة: إذا خرجت روحها. وفي المراد بهذه النفقة أربعة أقوال: أحدها: أنها النفقة على الأهل والعيال، قاله ابن مسعود، وحذيفة. والثاني: أنها الزكاة المفروضة، قاله ابن عباس، وقتادة. والثالث: أنها الصدقات النوافل، قاله مجاهد، والضحاك. والرابع: أنها النفقة التي كانت واجبة قبل وجوب الزكاة، ذكره بعض المفسرين، وقالوا: إنه كان فرض على الرجل أن يمسك مما في يده مقدار كفايته يومه وليلته، ويفرق باقيه على الفقراء. فعلى قول هؤلاء، الآية منسوخة بآية الزكاة، وغير هذا القول أثبت. واعلم أن الحكمة في الجمع بين الإيمان بالغيب وهو عقد القلب، وبين الصلاة وهي فعل البدن، وبين الصدقة وهو تكليف يتعلق بالمال، أنه ليس في التكليف قسم رابع، إذ ما عدا هذه الأقسام فهو ممتزج بين اثنين منهما، كالحج والصوم ونحوهما.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾. اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه، رواه الضحاك عن ابن عباس، واختاره مقاتل. والثاني: أنها نزلت في العرب الذين آمنوا بالنبي وبما

أنزل من قبله... رواه أبو صالح عن ابن عباس، قال المفسرون: [الذي أنزل إليه، القرآن]. وقال شيخنا علي بن عبيد الله: القرآن<sup>(١)</sup> وغيره مما أوحى إليه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾. يعني: الكتب المتقدمة والوحي، فأما «الآخرة» فهي اسم لما بعد الدنيا، وسميت آخرة، لأن الدنيا قد تقدمتها: وقيل: سميت آخرة لأنها نهاية الأمر.

قوله تعالى: ﴿يُؤْتُونَكَ﴾. اليقين: ما حصلت به الثقة، وثلج به الصدر، وهو أبلغ علم مكتسب.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى﴾. أي: على رشاد. وقال ابن عباس: على نور واستقامة. قال ابن قتيبة: ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون ببقاء الأبد. وأصل الفلاح: البقاء. ويشهد لهذا قول لبيد:

نحل بلاداً كلُّها حُلٌّ قبلنا

ونرجو الفلاح بعد عادٍ وحمير

يريد: البقاء. وقال الزجاج: المفلح: الفائز بما فيه غاية صلاح حاله. قال ابن الأنباري: ومنه: حيّ على الفلاح، معناه: هلموا إلى سبيل الفوز ودخول الجنة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ الْآيَةِ كُنُوزٌ﴾. في نزولها أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في قادة الأحزاب، قاله أبو العالية. والثاني: أنها نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته، قاله الضحاك. والثالث: أنها نزلت في طائفة من اليهود، ومنهم حيي بن أخطب، قاله ابن السائب. والرابع: أنها نزلت في مشركي العرب، كأبي جهل وأبي طالب، وأبي لهب وغيرهم ممن لم يسلم. قال مقاتل: فأما تفسيرها، فالكفر في اللغة: التغطية. تقول: كفرت الشيء إذا غطيته، فسمي الكافر كافراً، لأنه يغطي الحق.

قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾. أي: متعادل عندهم الإنذار وتركه، والإنذار: إعلام مع تخويف، وتناذر بنو فلان هذا الأمر: إذا خوفه بعضهم بعضاً. قال شيخنا علي بن عبيد الله: هذه الآية وردت بلفظ العموم، والمراد به الخصوص، لأنها أذنت بأن الكافر حين إنذاره لا يؤمن، وقد آمن كثير من الكفار عند إنذارهم، ولو كانت على ظاهرها في العموم، لكان خبر الله لهم خلاف مخبره، ولذلك وجب نقلها إلى الخصوص.

قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾. الختم: الطبع، والقلب: قطعة من دم جامدة سوداء، وهو مستكن في الفؤاد، وهو بيت النفس، ومسكن العقل، وسمي قلباً لتقلبه، وقيل: لأنه خالص البدن، وإنما خصّه بالختم لأنه محل الفهم.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾. يريد: على أسماعهم، فذكره بلفظ التوحيد، ومعناه: الجمع، فاكتمى بالواحد عن الجميع، ونظيره قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ ظُلُمًا﴾ [الحج: ٥]. وأنشدوا من ذلك:

كلوا في نصف بطونكم تعيشوا

فلئن زمانكم زمن خميص

أي: في أنصاف بطونكم. ذكر هذا القول أبو عبيدة، والزجاج. وفيه وجه آخر، وهو أن العرب تذهب بالسمع مذهب المصدر، والمصدر يوحّد، تقول: يعجبني حديثكم، ويعجبني ضربكم. فأما البصر والقلب فهما اسمان لا يجريان مجرى المصادر في مثل هذا المعنى. ذكره الزجاج، وابن القاسم. وقد قرأ عمرو بن العاص، وابن أبي عتبة: (وعلى أسماعهم).

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾. الغشاوة: الغطاء. قال الفراء: أما قریش وعامة العرب، فيكسرون الغين من «غشاوة»، وعكل يضمون الغين، ويعض العرب يفتحها، وأظنها لريبة. وروى الفضل عن عاصم «غشاوة» بالنصب على تقدير: جعل على أبصارهم غشاوة. فأما العذاب، فهو الألم المستمر، وماء عذب: إذا استمر في الحلق سائفاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾. اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها في المناققين، ذكره السدي عن ابن مسعود، وابن عباس، وبه قال أبو العالية، وقتادة، وابن زيد. والثاني: أنها في منافقي أهل الكتاب.

رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال ابن سيرين: كانوا يتخوفون من هذه الآية. وقال قتادة: هذه الآية نعت المنافق، يعرف بلسانه، وينكر بقلبه، [و] يصدق بلسانه، ويخالف بعمله، ويصبح على حالٍ ويمسي على غيرها، ويتكفأ تكفأ السفينة، كلما هبت ريح هب معها.

قوله تعالى: ﴿يَخْدِعُونَ اللَّهَ﴾. قال ابن عباس: كان عبد الله بن أبي، ومعتب بن قشير، والجد بن القيس؛ إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا، ونشهد أن صاحبكم صادق، فإذا خلوا لم يكونوا كذلك، فنزلت هذه الآية. فأما التفسير، فالخدعة: الحيلة والمكر، وسميت خديعة، لأنها تكون في خفاء. والمخدع: بيت داخل البيت تختفي فيه المرأة، ورجل خادع: إذا فعل الخديعة، سواء حصل مقصوده أو لم يحصل، فإذا حصل مقصوده، قيل: قد خدع. وانخدع الرجل: استجاب للخداع، سواء تمعد الاستجابة أو لم يقصدها، والعرب تسمي الدهر خداعاً، لتلونه بما يخفيه من خير وشر. وفي معنى خداعهم الله؛ خمسة أقوال: أحدها: إنهم كانوا يخادعون المؤمنين، فكانهم خادعوا الله. روي عن ابن عباس؛ واختاره ابن قتبية. والثاني: إنهم كانوا يخادعون نبي الله، فأقام الله نبيه مقامه، كما قال: ﴿إِنَّ إِلَهِكُمْ يَأْمُرُكُمْ لِئَلَّا يَأْكُلُوا كَلِمَاتٍ خَدَّاعَةً﴾ [الفتح: ١٠]. قاله الزجاج. والثالث: أن الخادع عند العرب: الفاسد. وأنشدوا:

[أبيض اللون لذيذ طعمه] طيب الريق إذا الريق خدع<sup>(١)</sup>

أي: فسد. رواه محمد بن القاسم عن ثعلب عن ابن الأعرابي. قال ابن القاسم: فتأويل: يخادعون الله: يفسدون ما يظهرون من الإيمان بما يضمرون من الكفر. والرابع: أنهم كانوا يفعلون في دين الله ما لو فعلوه بينهم كان خداعاً. والخامس: أنهم كانوا يخفون كفرهم، ويظهرون الإيمان به.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: (وما يخادعون) وقرأ الكوفيون، وابن عامر: (يخدعون)، والمعنى: أن وبال ذلك الخداع عائد عليهم. ومتى يعود وبال خداعهم عليهم؟ فيه قولان: أحدهما: في دار الدنيا، وذلك بطريقين. أحدهما: بالاستدراج والإمهال الذي يزيدهم عذاباً. والثاني: باطلاع النبي والمؤمنين على أحوالهم التي أسروها. والقول الثاني: أن عود الخداع عليهم في الآخرة. وفي ذلك قولان: أحدهما: أنه يعود عليهم عند ضرب الحجاب بينهم وبين المؤمنين، وذلك قوله: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بِتَمِيمٍ يَسُورٌ لَهُ بَابٌ﴾ [الحديد: ١٣]. والثاني: أنه يعود عليهم عند اطلاع أهل الجنة عليهم، فإذا رأوهم طمعوا في نيل راحة من قبلهم، فقالوا: ﴿أَبِئْشَاءَ عَلَيْكَ يَنْ آتَاهُ أَوْ مِمَّا رَزَقْنَاهُ﴾ [الأعراف: ٥٠] فيجيئونهم: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ حَرَمُهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥١].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾. أي: وما يعلمون. وفي الذي لم يشعروا به قولان: أحدهما: أنه إطلاع الله نبيه على كذبهم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه إسرارهم بأنفسهم بكفرهم، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمَزٌ﴾. المرض هاهنا: الشك، قاله عكرمة، وقاتدة. ﴿فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَمَزًا﴾ هذا الإخبار من الله تعالى أنه فعل بهم ذلك، و«الآليم» بمعنى المؤلم، والجمهور يقرؤون (يكذبون) بالتشديد، وقرأ الكوفيون سوى أبان، عن عاصم بالتخفيف مع فتح الياء.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾. اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، وهو قول الجمهور، منهم ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أن المراد بها قوم لم يكونوا خلقوا حين نزولها، قاله سلمان الفارسي. وكان الكسائي يقرأ بضم القاف من «قيل» والحاء من «حيل» والغين من «غيض»، والجيم من «جبي»، والسين من «سي» و«سيئت». وكان ابن عامر يضم من ذلك ثلاثة «حيل» و«سيق» و«سي» و«سيئت». وكان نافع يضم «سي» و«سيئت»، ويكسر البواقي، والآخر يفسدون جميع ذلك. وقال الفراء: أهل الحجاز من قريش ومن جاورهم من بني كنانة يفسدون القاف في «قيل» و«جبي» و«غيض»؛ وكثير من عقيل ومن جاورهم وعامة أسد، يسمون<sup>(٢)</sup> إلى الضم من «قيل» و«جبي». وفي المراد بالفساد هاهنا خمسة أقوال: أحدها:

(١) البيت نسبة في «اللبان» لسويد بن أبي كاهل الشكري، وهو من قصيدة جيدة، تجلجا في «المفضليات».

(٢) في الأصول التي بين أيدينا «يشيرون» وما أثبتناه هو الصواب، كما هو في كتب القراءات.

أنه الكفر، قاله ابن عباس. والثاني: العمل بالمعاصي، قاله أبو العالية، ومقاتل. والثالث: أنه الكفر والمعاصي، قاله السدي عن أشياخه. والرابع: أنه ترك امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، قال مجاهد. والخامس: أنه النفاق الذي صادفوا به الكفار، وأطلعهم على أسرار المؤمنين، ذكره شيخنا علي بن عبيد الله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَحْنُ مُبْغُوتٌ﴾. فيه خمسة أقوال: أحدها: أن معناه إنكار ما عرفوا به، وتقديره: ما فعلنا شيئاً يوجب الفساد. والثاني: أن معناه: إنا نقصد الإصلاح بين المسلمين والكافرين، والقولان عن ابن عباس. والثالث: أنهم أرادوا مصادفة الكفار صلاح، لا فساد، قاله مجاهد، وقتادة. والرابع: أنهم أرادوا أن فعلنا هذا هو الصلاح، وتصديق محمد هو الفساد، قاله السدي. والخامس: أنهم ظنوا أن مصادفة الكفار صلاح في الدنيا لا في الدين، لأنهم اعتقدوا أن الدولة إن كانت للنبي ﷺ فقد أمّوه بمبايعته<sup>(١)</sup> وإن كانت للكفار فقد أمّوهم بمصافاتهم، ذكره شيخنا.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾. قال الزجاج. ألا: كلمة يتبدأ بها ينبه بها المخاطب، تدل على صحة ما بعدها. و«هم»: تأكيد للكلام.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. قولان: أحدهما: لا يشعرون أن الله يطلع نبيه على فسادهم. والثاني: لا يشعرون أن ما فعلوه فساد، لا صلاح.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَايَتُوا﴾ في المقول لهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: المنافقون، قاله مجاهد، وابن زيد. وفي القائلين لهم قولان: أحدهما: أنهم أصحاب النبي ﷺ، قاله ابن عباس، ولم يحنّ أحداً من الصحابة. والثاني: أنهم معينون، وهم سعد بن معاذ، وأبو لبابة، وأسيد، ذكره مقاتل. وفي الإيمان الذي دعوا إليه قولان: أحدهما: أنه التصديق بالنبي، وهو قول من قال: هم اليهود. والثاني: أنه العمل بمقتضى ما أظهروه، وهو قول من قال: هم المنافقون. وفي المراد بالناس هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: جميع الصحابة، قاله ابن عباس. والثاني: عبد الله بن سلام، ومن أسلم معه من اليهود، قاله مقاتل. والثالث: معاذ بن جبل، وسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وجماعة من وجوه الأنصار، عدهم الكلبي. وفيمن عتوا بالسفهاء ثلاثة أقوال: أحدها: جميع الصحابة، قاله ابن عباس. والثاني: النساء والصبيان، قاله الحسن. والثالث: ابن سلام وأصحابه، قاله مقاتل. وفيما عنوه بالغيب من إيمان الذين زعموا أنهم السفهاء ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أرادوا دين الإسلام، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: أنهم أرادوا البعث والجزاء، قاله مجاهد. والثالث: أنهم عتوا مكاشفة الفريقين بالعداوة من غير نظر في عاقبة، وهذا الوجه الذي قبله يخرج على أنهم المنافقون، والأول يخرج على أنهم اليهود. قال ابن قتيبة: والسفهاء: الجهلة، يقال: سفه فلان رآه إذا جهله، ومنه قيل للبذاء: سفه، لأنه جهل. قال الزجاج: وأصل السفه في اللغة: خفة الحلم، ويقال: ثوب سفه: إذا كان رقيقاً بالياً، وتسفت الرياح الشجر: إذا مالت به. قال الشاعر:

مشين كما اهتزت رماح تسفت  
أعاليها مر الرياح النواسم<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. قال مقاتل: لا يعلمون أنهم هم السفهاء.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَعَنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَايَتُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَبْرَهُونَ﴾. اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه، قاله ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في المنافقين وغيرهم من أهل الكتاب الذين كانوا يظهرون للنبي ﷺ من الإيمان ما يلقون رؤساءهم بضده، قاله الحسن. فأما التفسير: «فإلى»: بمعنى «مع» كقوله تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: مع الله. والشياطين: جمع شيطان، قال الخليل: كل متمرد عند العرب شيطان. وفي هذا الاسم قولان: أحدهما: أنه من شطن، أي: بعد عن الخير، فعلى هذا تكون النون أصلية. قال أميّه بن أبي الصلت في صفة سليمان ﷺ:

(١) في نسخة (١): «بمبايعته».

(٢) البيت الذي الرمة يصف النساء. يقول: إذا مشين اهتززن في مشيين، وتئين فكانهن رماح نصبت، فمرت عليها الرياح فاهتزرت وتشتت. والنواسم: الرياح الضميمة الهبوب.

أَيُّمَا شَاطِئِنِ عَصَاهُ عَكَاهُ  
عَكَاهُ: أَوْقَعَهُ. وَقَالَ النَّابِغَةُ:

نَأَتْ بِسَعَادٍ عَنْكَ نَوًى شَطُونِ  
وَالثَّانِي: أَنَّهُ مِنْ شَاطِئِ شَيْطٍ: إِذَا تَهَبَّ وَاحْتَرَقَ، فَتَكُونُ النَّوْنُ زَائِدَةً. وَأَنشَدُوا:

وَقَدْ يَشْطِيطُ عَلَيَّ أَرْمَاحُنَا الْبَاطِلِ<sup>(١)</sup>

أَي: يَهْلِكُ. وَكَيْ الْمَرَادُ بِشَيْطَانِهِمْ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ رُؤُوسُهُمْ فِي الْكُفْرِ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَالسَّدي. وَالثَّانِي: إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ، وَمَجَاهِدٌ. وَالثَّالِثُ: كَهَيْتِهِمْ، قَالَ الضُّحَّاكُ، وَالْكَلْبِيُّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾. فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ أَرَادُوا: إِنَّا مَعَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ. وَالثَّانِي: إِنَّا مَعَكُمْ عَلَى التَّصَرُّعِ وَالْمَعَاضِدَةِ. وَالْهَزْءُ: السَّخَرِيَّةُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾. اختلف العلماء في المراد باستهزاء الله بهم على تسعة أقوال: أَحَدُهَا: أَنَّهُ يَفْتَحُ لَهُمْ بَابَ مِنَ الْجَنَّةِ وَهُمْ فِي النَّارِ، فَيَسْرِعُونَ إِلَيْهِ فَيُفْلَقُ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ بَابَ آخَرَ، فَيَسْرِعُونَ فَيُفْلَقُ، فَيَضْحَكُ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ. رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَمَدَتْ النَّارُ لَهُمْ كَمَا تَجَمَدُ الْإِهَالَةُ فِي الْقَدَرِ، فَيَمَشُونَ فَتَنْخَسِفُ بِهِمْ. رَوَى عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ. وَالثَّالِثُ: أَنَّ الْاسْتِهْزَاءَ بِهِمْ: إِذَا ضُرِبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِلٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ، فَيَقُولُونَ فِي الظُّلْمَةِ، يَقَالُ لَهُمْ: ﴿أَرْجِعُوا وَرَكُّبُوا فَالْحِسُوا نَارًا﴾ [الحديد: ١٣]. قَالَه مِقَاتِلٌ. وَالرَّابِعُ: أَنَّ الْمَرَادَ بِهِ: يُجَازِيهِمْ عَلَى اسْتِهْزَائِهِمْ، فَقَوْلُ الْفَلْظِ بِمَثَلِهِ لَفْظًا وَإِنْ خَالَفَهُ مَعْنَى، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَحْزَنُونَ حَتَّى يَمُوتُوا سَوِيًّا﴾ [الشورى: ٤١] وَقَوْلُهُ: ﴿لَمَنْ أَكُنْتُمْ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا آفَعْتُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] وَقَالَ عَمْرُو بْنُ كَلْتُمٍ:

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا  
فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

أَرَادَ: فَتَعَاقِبُهُ بِأَغْلَظَ مِنْ عِقَابِهِ. وَالْخَامِسُ: أَنَّ الْاسْتِهْزَاءَ مِنْ اللَّهِ التَّخَطُّعُ لَهُمْ وَالتَّجْهِيلُ، فَمَعْنَاهُ: اللَّهُ يَخْطِئُ فَعَلَهُمْ، وَيَجْهَلُهُمْ فِي الْإِقَامَةِ عَلَى كُفْرِهِمْ. وَالسَّادِسُ: أَنَّ اسْتِهْزَاءَهُ: اسْتِدْرَاجُهُ إِيَّاهُمْ. وَالسَّابِعُ: أَنَّهُ إِيقَاعُ اسْتِهْزَائِهِمْ بِهِمْ، وَرَدُّ خُدَاعِهِمْ وَمَكْرِهِمْ عَلَيْهِمْ. ذَكَرَ هَذِهِ الْأَقْوَالُ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيُّ. وَالثَّامِنُ: أَنَّ الْاسْتِهْزَاءَ بِهِمْ أَنْ يَقَالَ لِأَحَدِهِمْ فِي النَّارِ وَهُوَ فِي غَايَةِ الذَّلِّ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] ذَكَرَهُ شَيْخُنَا فِي كِتَابِهِ. وَالثَّامِنُ: أَنَّهُ لَمَّا أَظْهَرُوا مِنْ أَحْكَامِ إِسْلَامِهِمْ فِي الدُّنْيَا خِلَافَ مَا أَبْطَنَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، كَانَ كَالْاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَكْبِرُونَ فِي كَلِمَتِهِمْ يَتَمَاهَوْنَ﴾. فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: يَمْكُنُ لَهُمْ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ. وَالثَّانِي: يَمْلِي لَهُمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَالثَّالِثُ: يَزِيدُهُمْ، قَالَه مَجَاهِدٌ. وَالرَّابِعُ: يَمْلَهُمْ، قَالَه الزَّجَاجُ. وَالطُّغْيَانُ: الزِّيَادَةُ عَلَى الْقَدْرِ، وَالْخُرُوجُ عَنْ حِيزِ الْإِعْتِدَالِ فِي الْكَثْرَةِ، يَقَالُ: طَغَى الْبَحْرُ: إِذَا هَاجَتْ أَمْوَاغُهُ، وَطَغَى السَّيْلُ: إِذَا جَاءَ بِمَاءٍ كَثِيرٍ. وَفِي الْمَرَادِ بِطُغْيَانِهِمْ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ كَفَرَهُمْ، قَالَه الْجُمْهُورُ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ عَتَوْهُمْ وَتَكَبَّرَهُمْ، قَالَه ابْنُ قُتَيْبَةَ. وَ«يَتَمَاهَوْنَ» بِمَعْنَى: يَتَحَيَّرُونَ، يَقَالُ: رَجُلٌ عَمَهُ وَعَامَهُ، أَيْ: مَتَحِيرٌ. قَالَ الرَّاجِزُ:

وَمُخَفِّقٍ مِنْ لَهْلُؤٍ وَلَهْلُؤٍ  
مِنْ مَهْمٍ يَجْتَبِيهِ فِي مَهْمِهِ

أَعْمَى السَّهْدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعُمَّةِ<sup>(٢)</sup>

(١) هُوَ عَجْزُ بَيْتٍ لِلْأَعْشَى، وَصَدْرُهُ: (قَدْ نَخَضِبُ الْمِيرَ مِنْ مَكْنُونٍ فَائِلَةً) وَالْفَائِلُ: عَرَقٌ فِي الْفَخْدِ يَكُونُ فِي خُرْبَةِ الْوَرَكِ يَنْحَدِرُ فِي الرَّجْلَيْنِ. وَمَكْنُونٌ فَائِلَةٌ: دَمُهُ الَّذِي كُنَ فِيهِ، أَرَادَ: إِنَّا حَذَّاقٌ بِالطَّمَنِ.

(٢) الشَّعْرُ لِرُؤْيَا بَنِ الْمَجَاجِ يَصِفُ مُضْلَةً مِنَ الْمَهَامَةِ. وَالْمُتَخَفِّقُ: الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ الْمُسْتَوِيَّةُ الَّتِي يَضْطَرِبُ فِيهَا السَّرَابُ. وَلِهَذَا: أَرْضٌ وَاسِعَةٌ، وَالْجَمْعُ لِهَالِهِ. وَالْمَهْمَةُ: الْفَلَاةُ الْمُقْفَرَةُ الَّتِي لَيْسَ بِهَا أَنْبَسٌ وَلَا مَاءٌ. وَجَابَ الْمَفَازَةَ وَاجْتَابَهَا: قَطَعَهَا سَيْرًا. وَقَوْلُهُ: فِي مَهْمَةٍ: أَيْ: يَقْطَعُهُ وَيَدْخُلُنَ فِي مَهْمَةٍ آخَرَ مَوْغِلِينَ فِي الصَّحْرَاءِ.



وقال ابن قتيبة: يعمهون: يركبون رؤوسهم، فلا يبصرون.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى﴾. في نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في جميع الكفار، قاله ابن مسعود، وابن عباس. والثاني: أنها في أهل الكتاب، قاله قتادة والسدي ومقاتل. والثالث: أنها في المنافقين، قاله مجاهد. واشتروا: بمعنى استبدلوا، والعرب تجعل من أثر شيئاً على شيء مشترياً له، وبائعاً للآخر. والضلالة والضلال بمعنى واحد. وفيهما للمفسرين ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراد هاهنا الكفر، والمراد بالهدى: الإيمان، روي عن الحسن وقاتة والسدي. والثاني: أنها الشك، والهدى: اليقين. والثالث: أنها الجهل، والهدى: العلم. وفي كيفية استبدالهم الضلالة بالهدى ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم آمنوا ثم كفروا، قاله مجاهد. والثاني: أن اليهود آمنوا بالنبي قبل مبعته، فلما بعث كفروا به، قاله مقاتل. والثالث: أن الكفار لما بلغهم ما جاء به النبي من الهدى فردوه واختاروا الضلال، كانوا كمن أبدل شيئاً بشيء، ذكره شيخنا علي بن عبيد الله.

قوله تعالى: ﴿فَمَا رَیَحَتْ يَحْتَرِثُهُمْ﴾. من مجاز الكلام، لأن التجارة لا تريح، وإنما يريح فيها، ومثله قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرٌ آلِيلٌ وَالنَّهَارِ﴾ [سبا: ٣٣] يريد: بل مكروهم في الليل والنهار. ومثله: ﴿إِذَا عَزَمَ الْأُمُورُ﴾ [محمد: ٢١] أي: عزم عليه. وأنشدوا:

حَارِثٌ قَدْ فَرَجَتْ عَنِّي هَمِي  
فَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى غَمِّي<sup>(١)</sup>  
والليل لا ينাম، بل ينام فيه، وإنما يستعمل مثل هذا فيما يزول فيه الإشكال، ويعلم مقصود قائله، فأما إذا أضيف إلي ما يصلح أن يوصف به، وأريد به ما سواه، لم يجوز، مثل أن تقول: ربح عبدك، وتريد: ربح في عبدك. وإلى هذا المعنى ذهب الفراء وابن قتيبة والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾. فيه خمسة أقوال: أحدها: وما كانوا في العلم بالله مهتدين. والثاني: وما كانوا مهتدين من الضلالة. والثالث: وما كانوا مهتدين إلى تجارة المؤمنين. والرابع: وما كانوا مهتدين في اشتراء الضلالة. والخامس: أنه قد لا يربح التاجر، ويكون على هدى من تجارته، غير مستحق للدم فيما اعتمده، فنفى الله عز وجل عنهم الأمرين، مبالغة في ذمهم.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا﴾. هذه الآية نزلت في المنافقين. والمثل بتحريك الراء: ما يضرب ويوضع لبيان النظائر في الأحوال. وفي قوله تعالى: ﴿اسْتَوْفَدَ﴾ قولان: أحدهما: أن السين زائدة، وأنشدوا:

وداع دعا يا من يجيبُ إلى الندى  
فلم يستجبه عند ذلك مجيب<sup>(٢)</sup>  
أراد: فلم يجبه، وهذا قول الجمهور، منهم الأخفش وابن قتيبة. والثاني: أن السين داخلة للطلب، أراد: كمن طلب من غيره ناراً.

قوله تعالى: ﴿قَلْبًا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُمْ دَهَبَ اللَّهُ بِضَوْفِهِمْ وَزَكَّاهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾. وفي «أضاءت» قولان: أحدهما: أنه من الفعل المتعدي، قال الشاعر:

أضياءت لهم أحسابهم ووجوههم  
دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه<sup>(٣)</sup>  
وقال آخر:

أضياءت لنا النار وجهاً أغرَّ  
والثاني: أنه من الفعل اللازم. قال أبو عبيد: يقال أضياءت النار، وأضياءها غيرها. وقال الزجاج: يقال: ضاء القمر، وأضاء. وفي «ما» قولان: أحدهما: أنها زائدة، تقديره: أضياءت حوله. والثاني: أنها بمعنى الذي. وحول

(١) الشعر لرؤبة بن المعجاج يمدح الحارث بن سليم من آل عمرو بن زيد مائة.

(٢) البيت لكعب بن سعد الغنوي من قصيدة يرثي بها أخاه أبا المغوار، وهي في «الأصمعيات».

(٣) الجزع: ضرب من الغرز. وقيل: هو الغرز اليماني، وهو الذي فيه يباغض وسواد، تشبه به الأعين.

(٤) البيت للجهمي كما في «اللسان».

الشيء: ما دار من جوانبه. والهاء: عائدة على المستوقد. فإن قيل: كيف وحده، فقال: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ﴾، ثم جمع فقال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ يَثْوِيهِمْ﴾؟ فالجواب: أن ثعلباً حكى عن الفراء أنه قال: إنما ضرب المثل للفعل، لا لأعيان الرجال، وهو مثل للثاق. وإنما قال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ يَثْوِيهِمْ﴾ لأن المعنى ذاهب إلى المنافقين، فجمع لذلك. قال ثعلب: وقال غير الفراء: معنى الذي: الجمع، وحده أولاً للفظه، وجمع بعد لمعناه، كما قال الشاعر:

فإن الذي حانت بفلج دماؤهم      هم القوم كل القوم يا أم خالد<sup>(١)</sup>  
فجعل «الذي» جمعاً.

### فصل

اختلف العلماء في الذي ضرب الله تعالى له هذا المثل من أحوال المنافقين على قولين: أحدهما: أنه ضرب بكلمة الإسلام التي يلفظون بها، ونورها صيانة النفوس وحقق الدماء، فإذا ماتوا سلبهم الله ذلك العز، كما سلب صاحب النار ضوءه. وهذا المعنى مروي عن ابن عباس. والثاني: أنه ضرب لإقبالهم على المؤمنين وسماهم ما جاء به الرسول، فذهاب نورهم: إقبالهم على الكافرين والضلال، وهذا قول مجاهد. وفي المراد بـ«الظلمات» هاهنا أربعة أقوال: أحدها: العذاب، قاله ابن عباس. والثاني: ظلمة الكفر، قاله مجاهد. والثالث: ظلمة يلقاها الله عليهم بعد الموت، قاله قتادة. والرابع: أنها نفاقهم، قاله السدي.

### فصل

وفي ضرب المثل لهم بالنار ثلاث حكم: إحداها: أن المستضيء بالنار مستضيء بنور من جهة غيره، لا من قبل نفسه، فإذا ذهبت تلك النار بقي في ظلمة، فكأنهم لما أقرروا بالسنتهم من غير اعتقاد قلوبهم؛ كان نور إيمانهم كالمستعار. والثانية: أن ضياء النار يحتاج في دوامه إلى مادة الحطب، فهو له كغذاء الحيوان، فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة الاعتقاد ليدوم. والثالثة: أن الظلمة الحادثة بعد الضوء أشد على الإنسان من ظلمة لم يجد معها ضياء، فشيبه حالهم بذلك.

قوله تعالى: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عَمًى﴾. الصمم: انسداد منافذ السمع، وهو أشد من الطرش. وفي البكم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الخرس، قاله مقاتل، وأبو عبيد، وابن فارس. والثاني: أنه عيب في اللسان لا يتمكن معه من النطق، وقيل: إن الخرس يحدث عنه. والثالث: أنه عيب في الفؤاد يمنعه أن يعي شيئاً يفهمه، فيجمع بين الفساد في محل الفهم ومحل النطق، ذكر هذين القولين شيخنا.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾. فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يرجعون عن ضلالتهم، قاله قتادة ومقاتل. والثاني: لا يرجعون إلى الإسلام، قاله السدي. والثالث: لا يرجعون عن الصمم والبكم والعمى، وإنما أضاف الرجوع إليهم، لأنهم انصرفوا باختيارهم، فغلبة أهوائهم عن تصفح الهدى بالآلات التصفح، ولم يكن بهم صمم ولا بكم حقيقة، ولكنهم لما التفتوا عن سماع الحق والنطق به؛ كانوا كالصم البكم. والعرب تسمي المعرض عن الشيء: أعمى، والملفت عن سماعه: أصم، قال مسكين الدارمي:

ما ضرَّ جواراً لي أجاوره      إلا يكون لبابه ستر  
أعمى إذا جارتي خرجت      حتى يوارى جارتي الخدر  
وتصمُّ عما بينهم أدني      حتى يكون كأنه وقر

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾. «أو»: حرف مردود على قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ واختلف العلماء فيه على ستة أقوال: أحدها: أنه داخل هاهنا للتخيير، تقول العرب: جالس الفقهاء أو النحويين، ومعناه: أنت

(١) البيت للأشهب بن ربيعة. وفلج: واد بين البصرة وحى ضربة، كانت فيه هذه الوقعة التي ذكرها.

مخير في مجالسة أي الفريقين شئت، فكانه خيرنا بين أن نضرب لهم المثل الأول أو الثاني. والثاني: أنه داخل للإيهام فيما قد علم الله تحصيله، فأبهم عليهم ما لا يطلبون تفصيله، فكانه قال: مثلهم كأحد هذين. ومثله قوله تعالى: ﴿فَبَيَّنَّا كَأَحَدٍ جَارٍ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] والعرب تبهم ما لا فائدة في تفصيله. قال لبيد:

تمنى ابتتاي أن يعيش أبوهما  
هل أنا إلا من أحد هذين الفريقين، وقد فنيا، فسبيلي أن أفنى كما فنيا. والثالث: أنه بمعنى: بل. وأنشد الفراء:

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى  
وصورتها أو أنت في العين أملح  
والرابع: أنه للتفصيل، ومعناه: بعضهم يشبه بالذي استوقد ناراً، وبعضهم بأصحاب الصبب. ومثله قوله تعالى: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: ١٣٥] معناه: قال بعضهم، وهم اليهود: كونوا هوداً، وقال النصارى: كونوا نصارى. وكذا قوله: ﴿فَبَيَّنَّا بِأَسْنَا بَيَّنَّا أَوْ هُمْ قَالُوا﴾ [الأعراف: ٤] معناه: جاءه بعضهم بأسنا بيئات، وجاء بعضهم بأسنا وقت القائلة. والخامس: أنه بمعنى الواو. ومثله قوله تعالى: ﴿أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُرُوكُمْ أَوْ بُرُوكُمْ مِنْ بُرُوكُمْ﴾ [النور: ٦١] قال جرير:

نال الخلافة أو كانت له قدراً  
كما أتى ربه موسى على قدر  
والسادس: أنه للشك في حق المخاطبين، إذ الشك مرتفع عن الحق عز وجل، ومثله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَيْنُكَ﴾ [الروم: ٢٧] يريد: فالإعادة أهون من الابتداء فيما تظنون. فاما التفسير لمعنى الكلام: أو كأصحاب صيب، فأضمر الأصحاب، لأن في قوله: ﴿يَمْلِكُونَ أَصْنَعَكُمْ فِي مَا تَزَوَّجُونَ﴾، دليلاً عليه. والصيب: المطر. قال ابن قتيبة: هو فيعل<sup>(١)</sup> من صاب يصبوب: إذا نزل من السماء، وقال الزجاج: كل نازل من علو إلى استفال، فقد صاب يصبوب، قال الشاعر:

كانهم صابت عليهم سحابة  
وفي الرعد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه صوت ملك يزجر السحاب، وقد روي هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، وبه قال ابن عباس ومجاهد. وفي رواية عن مجاهد: أنه صوت ملك يسبح. وقال عكرمة: هو ملك يسوق السحاب كما يسوق الحادي الإبل. والثاني: أنه ريح تختنق بين السماء والأرض. وقد روي عن أبي الجلد أنه قال: الرعد: الريح. واسم أبي الجلد: جيلان بن أبي فروة البصري، وقد روى عنه قتادة. والثالث: أنه اصطكاك أجرام السحاب، حكاه شيخنا علي بن عبيد الله. وفي البرق ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مخاريق يسوق بها الملك السحاب، روي هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وهو قول علي بن أبي طالب. وفي رواية عن علي قال: هو ضربة بمخراق من حديد. وعن ابن عباس: أنه ضربة بسوط من نور. قال ابن الأنباري: المخاريق: ثياب تلف، ويضرب بها الصبيان بعضهم بعضاً، فشب السوط الذي يضرب به السحاب بذلك المخراق. قال عمرو بن كلثوم:

كان سيوفنا فينا وفيهم  
وقال مجاهد: البرق: مصع ملك، والمصع: الضرب والتحريك. والثاني: أن البرق: الماء، قاله أبو الجلد. وحكى ابن فارس أن البرق: تلالو الماء. والثالث: أنه نار تنقذ من اصطكاك أجرام السحاب لسيره، وضرب بعضه لبعض، حكاه شيخنا. والصواعق: جمع صاعقة، وهي صوت شديد من صوت الرعد يقع معه قطعة من نار تحرق ما تصيبه. وروي عن شهر بن حوشب: أن الملك الذي يسوق السحاب، إذا اشتد غضبه، طار من فيه النار، فهي الصواعق. وقال غيره: هي نار تنقذ من اصطكاك أجرام السحاب. قال ابن قتيبة: وإنما سميت صاعقة، لأنها إذا أصابت قتلت، يقال: صعقتهم أي: قتلتهم.

(١) ولما اجتمعت المياه والواو، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء، وأدغمت فصارت «صيب» ونظيره: ميت وسيد وهين ولين.

(٢) أخرجه أحمد في «المستند»، والنسائي، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب. وهو حديث طويل أجاب فيه الرسول ﷺ عن أسئلة يهود، انظر «مستند أحمد» (٢٤٨٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَقْلَبُ وَجْهَهُ إِلَى الْكَافِرِينَ﴾. فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لا يفوته أحد منهم، فهو جامعهم يوم القيامة. ومثله قوله تعالى: ﴿أَمَلْتُ بِكُمْ شَرُّ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] قاله مجاهد. والثاني: أن الإحاطة: الإهلاك، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَلْبِطْ بِشَرِّهِ﴾ [الكهف: ٤٢]. والثالث: أنه لا يخفى عليه ما يفعلون.

قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ﴾. يكاد بمعنى: يقارب، وهي كلمة إذا أثبت انتفى العمل، وإذا نفيت ثبت الفعل. وسئل بعض المتأخرين فقبل له:

أنحوي هذا العصر ما هي كلمة  
إذا نفيت والله يشهد أثبتت  
جرت بلساني جرهم وثمود  
وإن أثبتت قامت مقام جحود  
ويشهد للإثبات عند النفي قوله تعالى: ﴿لَا يَكَادُونَ يَقْهَرُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨] وقوله: ﴿إِذَا لَفِجَ يَكَادُ لَرَّ يَكَادُ يَرْهَأُ﴾ [النور: ٤٠] ومثله: ﴿وَلَا يَكَادُ يَنْ﴾ [الزخرف: ٥٢] ويشهد للنفي عند الإثبات قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ﴾ [البقرة: ٢٠] و﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾ [النور: ٤٣] و﴿يَكَادُ زَيْتُنَا يَنْقُي﴾ [النور: ٣٥]. وقال ابن قتيبة: كاد بمعنى: همّ ولم يفعل. وقد جاءت بمعنى [الإثبات] قال ذو الرمة:

ولو أن لقمان الحكيم تعرضت  
أي: لو تعرضت له لبرق، أي: دهش وتحير. قلت: وقد قال ذو الرمة في المنفية ما يدل على أنها تستعمل للإثبات، وهو قوله:

إذا غير النأي المحبين لم يكد  
أراد: لم يبرح.

قوله تعالى: ﴿يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ﴾. قرأ الجمهور بفتح الباء، وسكون الخاء وفتح الطاء. وقرأ أبان بن تغلب، وأبان بن يزيد كلاهما عن عاصم، بفتح الباء وسكون الخاء، وكسر الطاء مخففاً. ورواه الجعفي عن أبي بكر عن عاصم، بفتح الباء وكسر الخاء، وتشديد الطاء، وهي قراءة الحسن كذلك، إلا أنه كسر الباء. وعنه: فتح الباء والخاء مع كسر الطاء المشددة. ومعنى ﴿يَخْطِفُ﴾: يستلب، وأصل الاختطاف: الاستلاب، ويقال لما يخرج به الدلو: خطاف، لأنه يختطف ما علق به. قال النابغة:

خطاطيف حجبني في حبال متينة  
والحجن المتعققة<sup>(١)</sup> وجمل خيطف: سريع المر، وتلك السرعة الخطفى.

قوله تعالى: ﴿كَلَّمَآ أَصْنَاءَ لَهُمْ﴾. قال الزجاج: يقال: ضاء الشيء يضيء، وأضاء يضيء، وهذه اللغة الثانية هي المختارة.

### فصل

اختلف العلماء ما الذي يشبه الرعد مما يتعلق بأحوال المنافقين على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التخويف الذي في القرآن، قاله ابن عباس. والثاني: أنه ما يخافون أن يصيبهم من المصائب إذا علم النبي والمؤمنون بنفاقهم، قاله مجاهد والسدي. والثالث: أنه ما يخافونه من الدعاء إلى الجهاد، وقتال من يبطنون مودته، ذكره شيخنا. واختلفوا: ما الذي يشبه البرق من أحوالهم على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما يتبين لهم من مواعظ القرآن وحكمه. والثاني: أنه ما يضيء لهم من نور إسلامهم الذي يظهره. والثالث: أنه مثل لما يتألمونه بإظهار الإسلام من حقن دماهم، فإنه بالإضافة إلى ما ذخر لهم في الأجل كالبرق. واختلفوا في معنى قوله: ﴿يَجْمَلُونَ أَمْسِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الْكَرْهِقِ﴾ على قولين: أحدهما: أنهم كانوا يفرون من سماع القرآن لئلا يأمرهم بالجهاد مخافة الموت، قاله الحسن والسدي. والثاني: أنه مثل لإعراضهم عن

(١) في الأصل: المتوقفة، وهو خطأ. وقال ابن قتيبة في «الشعر والشعراء»: رأيت علما منا يستجيدون معناه، ولست أرى ألفاظه جياداً، ولا مينة لمعناه، لأنه أراد: أنت في قدرتك عليّ، كخطاطيف عقف يمد بها، وأنا كدلو تمد بلك الخطاطيف.

القرآن كراهية له، قاله مقاتل. واختلفوا في معنى ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ على أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: كلما أتاهم القرآن بما يحبون تابعوه، قاله ابن عباس والسدي. والثاني: أن إضاءة البرق حصول ما يرجونه من سلامة نفوسهم وأموالهم، فيسرعون إلى متابعتها، قاله قتادة. والثالث: أنه تكلمهم بالإسلام، ومشيههم فيه، اهتدأهم به، فإذا تركوا ذلك وقفوا في ضلالة، قاله مقاتل. والرابع: أن إضاءته لهم: تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان، ومشيههم فيه: إقامتهم على المسالمة بإظهار ما يظهرونه. ذكره شيخنا. فأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَنِّي﴾ فمن قال: إضاءته: إتيانه إياهم بما يحبون، قال: إظلامه: إتيانه إياهم بما يكرهون. وعلى هذا سائر الأقوال التي ذكرناها بالعكس. ومعنى ﴿فَاتَّبَعُوا﴾ وقفوا.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَنْصَرُهُمْ﴾. قال مقاتل: معناه: لو شاء لأذهب أسمعهم وأبصارهم عقوبة لهم. قال مجاهد: من أول البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة في نعت المنافقين. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. اختلف العلماء فيمن عني بهذا الخطاب على أربعة أقوال: أحدها: أنه عام في جميع الناس، وهو قول ابن عباس. والثاني: أنه خطاب لليهود دون غيرهم، قاله الحسن ومجاهد. والثالث: أنه خطاب للكفار من مشركي العرب وغيرهم، قاله السدي. والرابع: أنه خطاب للمنافقين واليهود، قاله مقاتل. و﴿النَّاسِ﴾ اسم للحيوان الآدمي. وسما بذلك لتحركهم في مراداتهم. والنوس: الحركة. وقيل: سموا أناساً لما يعترهم من النسيان. وفي المراد بالعبادة هاهنا قولان: أحدهما: التوحيد. والثاني: الطاعة، روي عن ابن عباس. والخلق: الإيجاد. وإنما ذكر من قبلهم، لأنه أبلغ في التذكير، وأقطع للجحد، وأحوط في الحجة. وقيل: إنما ذكر من قبلهم، لينبههم على الاعتبار بأحوالهم من إثابة مطيع، ومعاقبة عاص. وفي «العل» قولان: أحدهما: أنها بمعنى كي، وأنشدوا في ذلك:

وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا

فلما كفنا الحرب كانت عهدكم

نكفث ووثقتم لنا كل مَوثِق

كلمع سراب في الملا متألِق<sup>(١)</sup>

يريد: لكي نكف، وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل وقطرب وابن كيسان. والثاني: أنها بمعنى الترجي، ومعناها: اعبدوا الله راجين للتعوي، ولأن تقوا أنفسكم بالعبادة عذاب ربكم. وهذا قول سيبويه. قال ابن عباس: لعلمكم تتقون الشرك، وقال الضحاك: لعلمكم تتقون النار. وقال مجاهد: لعلمكم تطيعون.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَمَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ وَرِثًا﴾. إنما سميت الأرض أرضاً لسعتها، من قولهم: أرضت القرحة: إذا اتسعت. وقيل: لانحطاطها عن السماء، وكل ما أسفل: أرض، وقيل: لأن الناس يرضونها بأقدامهم، وسميت السماء سماء لعلوها. قال الزجاج: وكل ما علا على الأرض فاسمه بناء، وقال ابن عباس: البناء هاهنا بمعنى السقف.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾. يعني: من السحاب. ﴿فَلَا﴾ يعني: المطر. ﴿فَلَا تَجْمَعُوا لَهُ أَنْدَادًا﴾ يعني: شركاء، أمثالاً. يقال: هذا ند هذا، ونديده. وفيما أريد بالانداد هاهنا قولان: أحدهما: الأصنام، قاله ابن زيد، والثاني: رجال كانوا يطيعونهم في معصية الله، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. فيه ستة أقوال: أحدها: وأنتم تعلمون أنه خلق السماء، وأنزل الماء، وفعل ما شرحه في هذه الآيات، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس وقتادة ومقاتل. الثاني: وأنتم تعلمون أنه ليس ذلك في كتابكم التوراة والإنجيل، روي عن ابن عباس أيضاً، وهو يخرج على قول من قال: الخطاب لأهل الكتاب. والثالث: وأنتم تعلمون أنه لا ند له، قاله مجاهد. والرابع: أن العلم هاهنا بمعنى العقل، قاله ابن قتية. والخامس: وأنتم تعلمون أنه لا يقدر على فعل ما ذكره أحد سواه. ذكره شيخنا علي بن عبيد الله. والسادس: وأنتم تعلمون أنها حجارة، سمعته من الشيخ أبي محمد بن الخشاب.

(١) لا يعرف قائلهما. والملا: الصحراء، والمتع من الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنْ مَا نَزَّلْنَا بِهَذَا الْقُرْآنِ فَانْتَدِبُوا إِلَىٰ حُبِّهِ لِقَاءِ رَبِّكُمْ وَأَنبِئُوا بِمَا كُنْتُمْ تُعْمَلُونَ﴾. سبب نزولها أن اليهود قالوا: هذا الذي يأتينا به محمد لا يشبه الوحي، وإنا لنفي شك منه، فنزلت هذه الآية. وهذا مروى عن ابن عباس ومقاتل. و«إن» هاهنا لغير شك، لأن الله تعالى علم أنهم مرتابون، ولكن هذا عادة العرب، يقول الرجل لابنه: إن كنت ابني فأطعني. وقيل: إنها هاهنا بمعنى إذ، قال أبو زيد: ومنه قوله تعالى: ﴿وَدَّعُوا مَا بَيْنَ إِيْنَا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُهُمْ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْإِسْلَامَ فَلاَ يَحِبُّوا إِلَيْكُمْ الْيَهُودَ وَنَسُوا الْآيَاتِ الَّتِي هُيَئِلَتْ عَلَيْهِمْ﴾. قال ابن قتيبة: السورة تهمز ولا تهمز، فمن همزها جعلها من أسارت، يعني [أفضلت] لأنها قطعة من القرآن، ومن لم يهمزها جعلها من سورة البناء، أي منزلة بعد منزلة. قال النابغة في النعمان:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

والسورة في هذا البيت: سورة المجد، وهي مستعارة من سورة البناء. وقال ابن الأنباري: قال أبو عبيدة: إنما سُميت السورة سورة لأنه يرتفع فيها من منزلة إلى منزلة، مثل سورة البناء. ومعنى: أعطاك سورة، أي: منزلة شرف ارتفعت إليها عن منازل الملوك. قال ابن القاسم: ويجوز أن تكون سميت سورة لشرفها، تقول العرب: له سورة في المجد، أي: شرف وارتفاع، أو لأنها قطعة من القرآن من قولك: أسارتُ سورة، أي: أبقيت بقية، وفي هاء «مثله» قولان: أحدهما: أنها تعود على القرآن المنزل، قاله قتادة، والفراء ومقاتل. والثاني: أنها تعود على النبي ﷺ، فيكون التقدير: فأتوا بسورة من مثل هذا العيد الأمي، ذكره أبو عبيدة والزجاج وابن القاسم. فعلى هذا القول: تكون «من» لابتداء الغاية، وعلى الأول: تكون زائدة.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْعُواٰ مُّشْكَاةً مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾. فيه قولان: أحدهما: أن معناه: استعنيوا<sup>(١)</sup> من المعونة، قاله السدي والفراء. والثاني: استغنيوا من الاستغاثة، وأنشدوا:

فلما التقت فرساننا<sup>(٢)</sup> ورجالهم دعوا يال كعب واعتزينا لعامر<sup>(٣)</sup>

وهذا قول ابن قتيبة: وفي «شهادتهم» أقوال: أحدها: أنهم ألهمهم، قاله ابن عباس والسدي ومقاتل والفراء. قال ابن قتيبة: وسما شهداء، لأنهم يشهدونهم، ويحضرونهم. وقال غيره: لأنهم عبدوهم ليشهدوا لهم عند الله. والثاني: أنهم أعوانهم، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أن معناه: فأتوا بناس يشهدون أن ما تأتون به مثل القرآن، روي عن مجاهد.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. أي: في قولكم: إن هذا القرآن ليس من عند الله، قاله ابن عباس. قوله تعالى: ﴿إِنْ لَّمْ تَقْعَلُوا﴾. في هذه الآية مضمّر مقدر، يقتضي الكلام تقديمه، وهو أنه لما تحداهم بما في الآية الماضية من التحدي، فسكتوا عن الإجابة؛ قال: ﴿إِنْ لَّمْ تَقْعَلُوا﴾. وفي قوله تعالى: ﴿وَكِنْ تَقْعَلُوا﴾ أعظم دلالة على صحة نبوة نبينا، لأنه أخبر أنهم لا يفعلون، ولم يفعلوا.

قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُ أَوَّلَ آيَةٍ وَقُدُّمًا أَوَّلَ آيَةٍ وَوَدَّعَا أَوَّلَ آيَةٍ وَوَدَّعَا أَوَّلَ آيَةٍ﴾. والوقوف: بفتح الواو: الحطب، وبضمها: التوقد، كالوضوء بالفتح: الماء، وبالضم: المصدر، وهو: اسم حركات المتوضئ. وقرأ الحسن وقاتدة: وَقُدُّمًا، بضم الواو، والاختيار الفتح. والناس أوقدوا فيها بطريق العذاب، والحجارة، لبيان قوتها وشدتها، إذ هي محرقة للحجارة. وفي هذه الحجارة قولان: أحدهما: أنها أصنامهم التي عبدوها، قاله الربيع بن أنس. والثاني: أنها حجارة الكبريت، وهي أشد الأشياء حراً إذا أحميت، يعذبون بها. ومعنى ﴿أُحِيتْ﴾: هيئت. وإنما خوّفهم بالنار إذا لم يأتوا بمثل القرآن، لأنهم إذا كذبوه، وعجزوا عن الإتيان بمثله؛ ثبت عليهم الحجة، وصار الخلاف عناداً، وجزاء المعاندين النار.

(٢) في الأصل: مرسانا.

(١) في «معاني القرآن» للفراء: استغنيوا بهم.

(٣) هذا البيت للرامي النيري. عزي واعتزى: انتسب، ودعا في الحرب بمثل قوله: يا لفلان أو يا للمهاجرين أو يا للأنصار، والاسم العزاء والعزوة، وهي دعوى المستغيث: «لسان العرب».

قوله تعالى: ﴿وَيَبْرِىءُ أَلْيَسَ عَمَّا تَقُولُ﴾. البشارة: أول خبر يرد على الإنسان، وسمي بشارة، لأنه يؤثر في بشرته، فإن كان خيراً، أثر المسرة والانبساط، وإن شراً، أثر الانجماع والغم، والأغلب في عرف الاستعمال أن تكون البشارة بالخير، وقد تستعمل في الشر، ومنه قوله تعالى: ﴿يَبْرِىءُ الْمُتَّقِينَ بِأَنَّهُمْ عَذَابُهُمْ أَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾. يشمل كل عمل صالح، وقد روي عن عثمان بن عفان أنه قال: أخلصوا الأعمال. وعن علي رضي الله عنه قال: أقاموا الصلوات المفروضات. فأما الجنات، فجمع جنة. وسميت الجنة جنة، لاستتار أرضها بأشجارها، وسمي الجن جناً، لاستتارهم، والجنين من ذلك، والدَّرْعُ جنة، وجنَّ الليل: إذا ستر، وذكر عن المفضل أن الجنة: كل بستان فيه نخل. وقال الزجاج: كل نبت كثف وكثر وستر بعضه بعضاً، فهو جنة. قوله تعالى: ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: من تحت شجرها لا من تحت أرضها.

قوله تعالى: ﴿هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: هذا الذي طعمنا من قبل، فزق الغداة كرزق العشي، روي عن ابن عباس والضحاك ومقاتل. والثاني: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا، قاله مجاهد وابن زيد. والثالث: أن ثمر الجنة إذا جُني خلفه مثله، فإذا رأوا ما خلف الجنى، اشتبه عليهم، فقالوا: ﴿هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قاله يحيى بن أبي كثير وأبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا بِهِ مُنْشِقَافًا﴾. فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه متشابه في المنظر واللون، مختلف في الطعم، قاله مجاهد وأبو العالية والضحاك والسدي ومقاتل. والثاني: أنه متشابه في جودته، لا رديء فيه، قاله الحسن وابن جريج. والثالث: أنه يشبه ثمار الدنيا في الخلقة والاسم، غير أنه أحسن في المنظر والطعم، قاله قتادة وابن زيد. فإن قال قائل: ما وجه الامتنان بمتشابهه، وكلما تنوع المطاعم واختلف ألوانها كان أحسن؟ فالجواب: أنا إن قلنا: إنه متشابه المنظر مختلف الطعم، كان أغرب عند الخلق وأحسن، فإنك لو رأيت تفاحة فيها طعم سائر الفاكهة، كان نهاية في العجب. وإن قلنا: إنه متشابه في الجودة؛ جاز اختلافه في الألوان والطعوم. وإن قلنا: إنه يشبه صورة ثمار الدنيا مع اختلاف المعاني؛ كان أطرف وأعجب، وكل هذه مطالب مؤثرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ أي: في الخلق، فإنهم لا يحضن ولا يبلمن، ولا يأتين الخلاء. وفي الخلق، فإنهم لا يحسدن، ولا يغرن، ولا ينظرن إلى غير أزواجهن. قال ابن عباس: نقية عن القذى والأذى. قال الزجاج: «ومطهرة» أبلغ من طاهرة، لأنه للتكثير. والخلود: البقاء الدائم الذي لا انقطاع له.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ضَرِبَ مَثَلًا فَاسْتَحْيُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٢٩] استحيى من دون الله أن يخلقوا ذكاً ولو اجتمعوا له [الحج: ٧٣]. ونزول قوله: ﴿كَذَّبَ الْمَكِيدِينَ أَخَذَتِ بَنَاتُ﴾ [النبوة: ٤١]. قالت اليهود: وما هذا من الأمثال؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس والحسن وقاتل وفتادة والفراء. والثاني: أنه لما ضرب الله المثلين المتقدمين، وهما قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٧] وقوله: ﴿أَوْ كَمِيسِرَ زَيْنَ السَّكَاةِ﴾ [البقرة: ١٩] قال المناقون: الله أجل وأعلى من أن يضرب هذه الأمثال، فنزلت هذه الآية، رواء السدي عن أشياخه. وروي عن الحسن ومجاهد نحوه. والحياء بالمد: الانقباض والاحتشام، غير أن صفات الحق لا يطلع لها على ماهية، وإنما تمر كما جاءت. وقد قال النبي ﷺ: «إن ربكم حيي كريم»<sup>(١)</sup>. وقيل: معنى لا يستحيي: لا يترك. وحكى ابن جرير الطبري عن بعض اللغويين أن معنى لا يستحيي: لا يخشى. ومثله: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] أي: تستحيي منه. فالاستحياء والخشية ينوب كل واحد منهما عن الآخر. وقرأ مجاهد وابن محيصن: لا يستحي بياء واحدة، وهي لغة.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾. قال ابن عباس: أن يذكر شيئاً. واعلم أن فائدة المثل أن يبين للمضروب له الأمر الذي ضرب لأجله، فينجلي عامضه.

(١) رواء أحمد، وأبو داود، والترمذي عن سلمان رضي الله عنه وقال الترمذي: حديث حسن غريب، ولفظه «إن ربكم حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً».



قوله تعالى: ﴿مَّا بَعُوضَةٌ﴾. ما زائدة، وهذا اختيار أبي عبيدة والزجاج والبصريين. وأنشدوا للناطقة:

[قالت]: ألا ليتما هذا الحمام لنا

وذكر أبو جعفر الطبري أن المعنى: ما بين بعوضة إلى ما فوقها، ثم حذف ذكر: «بين» و«إلى» إذ<sup>(١)</sup> كان في نصب البعوضة، ودخول الفاء في «ما» الثانية؛ دلالة عليهما، كما قالت العرب: مطرنا ما زبالة فالثعلبية، وله عشرون ما ناقة فجملاً، وهي أحسن الناس ما قرناً فقدماً [يعنون: ما بين قرنهما إلى قدمها]<sup>(٢)</sup>. وقال غيره: نصب البعوضة على البذل من المثل. وروى الأصمعي عن نافع: «بعوضة» بالرفع، على إضمار هو. والبعوضة: صغيرة البق.

قوله تعالى: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: فما فوقها في الكبر، قاله ابن عباس، وقتادة، وابن جريج، والفراء. والثاني: فما فوقها في الصغر، فيكون معناه: فما دونها، قاله أبو عبيدة. قال ابن قتيبة: وقد يكون الفوق بمعنى: دون، وهو من الأضداد، ومثله: الجون؛ يقال للأسود والأبيض. والصريم: الصبح، والليل. والسُدفة: الظلمة، والضوء. والجلل: الصغير، والكبير. والناهل: العطشان، والريان. والمائل: القائم، واللاطئ بالأرض. والصارخ: المغيث، والمستغيث. والهاجد: المصلي بالليل، والناثم. والرهوة: الارتفاع، والانحدار. والتلعة: ما ارتفع من الأرض، وما انهبط من الأرض. والظن: يقين، وشك. والأقراء: الحيض، والأطهار. والمفرع في الجبل: المصعد، والمنحدر. والوراء: خلفاً، وقداماً. وأسرت الشيء: أخفيته، وأعلته. وأخفيت الشيء: أظهرته وكتمته. ورتوت الشيء: شددته، وأرخيته. وشعبت الشيء: جمعته، وفرقته. وبغت الشيء بمعنى: بعته، واشتريته. وشريت الشيء: اشتريته، وبعته. والحي خلوف: غيب، ومتخلفون. واختلفوا في قوله: ﴿يُعْصِلُ بِوَيْهِ وَيَهْدِي بِهِمْ كَبِيرٌ﴾ هل هو من تمام قول الذين قالوا: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ أو هو مبتدأ من كلام الله ﷻ على قولين: أحدهما: أنه تمام الكلام الذي قبله، قاله الفراء، وابن قتيبة. قال الفراء: كأنهم قالوا: ماذا أراد الله بمثل لا يعرفه كل أحد، يضل به هذا، ويهدي به هذا؟! ثم استأنف الكلام والخبر عن الله ﷻ فقال الله: ﴿وَمَا يُعْصِلُ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]. والثاني: أنه مبتدأ من قول الله تعالى، قاله السدي ومقاتل. فأما الفسق؛ فهو في اللغة: الخروج، يقال: فسقت الرطبة: إذا خرجت من قشرها. فالفاسق: الخارج عن طاعة الله إلى معصيته. وفي المراد بالفاسقين هاهنا، ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: المنافقون، قاله أبو العالية والسدي. والثالث: جميع الكفار.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْفُتُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾. هذه صفة للفاسقين، وقد سبقت قبهم الأقوال الثلاثة. والنقض: ضد الإبرام، ومعناه: حل الشيء بعد عقده. وينصرف النقض إلى كل شيء بحسبه، فنقض البناء: تفريق جمعه بعد إحكامه. ونقض العهد: الإعراض عن المقام على أحكامه. وفي هذا العهد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما عهد إلى أهل الكتاب من صفة محمد ﷺ والوصية باتباعه، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: أنه ما عهد إليهم في القرآن، فأقروا به ثم كفروا، قاله السدي. والثالث: أنه الذي أخذه عليهم حين استخرج ذرية آدم من ظهره، قاله الزجاج. ونحن وإن لم نذكر ذلك العهد، فقد ثبت بخبر الصادق، فيجب الإيمان به. وفي «من» قولان: أحدهما: أنها زائدة، والثاني: أنها لا ابتداء الغاية، كأنه قال: ابتداء نقض العهد من بعد ميثاقه. وفي هاء «ميثاقه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، والثاني: أنها ترجع إلى العهد، فتقديره: بعد إحكام التوفيق فيه. وفي: الذي أمر الله أن يوصل: ثلاثة أقوال: أحدها: الرحم والقربة، قاله ابن عباس وقتادة والسدي. والثاني: أنه رسول الله ﷺ قطعوه بالتكذيب، قاله الحسن. والثالث: الإيمان بالله، وأن لا يفرق بين أحد من رسله، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، قاله مقاتل. وفي فسادهم في الأرض ثلاثة أقوال: أحدها: أنه استدعاهم الناس إلى الكفر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه العمل بالمعاصي، قاله السدي، ومقاتل. والثالث: أنه قطعهم الطريق على من جاء مهاجراً إلى النبي ﷺ ليمنعوا الناس من الإسلام. والخسران في اللغة: النقصان.

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ في كيف قولان: أحدهما: أنه استفهام في معنى التعجب، وهذا التعجب للمؤمنين، أي: اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون، وقد ثبت حجة الله عليهم، قاله ابن قتيبة والزجاج. والثاني: أنه استفهام خارج مخرج التقرير والتوبيخ. تقديره: ويحكم! كيف تكفرون بالله؟! قال المعجاج:

أطرباً وأنت قنـسـري  
[والدهر بالإنسان دواي<sup>(١)</sup>]

أراد: أطرب وأنت شيخ كبير؟!، قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَشْوَاثًا﴾. قال الفراء: أي: وقد كنتم أمواتاً. ومثله: ﴿أَوْ جَاءَكُمْ حَيْرَتٌ مِّنْ دُونِكُمْ﴾ [النساء: ٩٠] أي: قد حشرت. ومثله: ﴿وَإِنْ كَانَ قَبِيضٌ قَدْ مِّنْ دُونِ فَكَذَّبْتَ﴾ [يوسف: ٢٧] أي: فقد كذبت، ولولا إضمار «قد» لم يجز مثله في الكلام. وفي الحياتين، والموتيتين أقوال: أصحها: أن الموتة الأولى، كونهم نطفاً وعلقاً ومضغاً، فأحياهم في الأرحام، ثم يميتهم بعد خروجهم إلى الدنيا، ثم يحييهم للبعث يوم القيامة، وهذا قول ابن عباس وقتادة ومقاتل والفراء وتعلب، والزجاج، وابن قتيبة، وابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي: لأجلكم، فبعضه للانتفاع، وبعضه للاعتبار. ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾، أي: عمد إلى خلقها، والسما: لفظها لفظ الواحد، ومعناها، معنى الجمع، بدليل قوله: ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ﴾. وأيهما أسبق في الخلق: الأرض، أم السماء؟ فيه قولان: أحدهما، الأرض، قاله مجاهد. والثاني: السماء، قاله مقاتل. واختلفوا في كيفية تكميل خلق الأرض وما فيها، فقال ابن عباس: بدأ بخلق الأرض في يومين، ثم خلق السموات في يومين، وقدر فيها أقواتها في يومين. وقال الحسن ومجاهد: جمع خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام متوالية، ثم خلق السماء في يومين. والعليم: جاء على بناء: فعمل، للمبالغة في وصفه بكمال العلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾. كان أبو عبيدة يقول: «إذ» ملغاة، وتقدير الكلام: وقال ربك، وتابعه ابن قتيبة، وعاب ذلك عليهما الزجاج وابن القاسم. وقال الزجاج: إذ: معناها: الوقت، فكأنه قال: ابتداء خلقكم إذ قال ربك للملائكة. والملائكة: من الأولك، وهي الرسالة، قال ليبد:

وغلاق أرسلته أمه  
بالوك فبذلنا ما سأل

وواحد الملائكة: ملك، والأصل فيه: ملاك. وأنشد سيويه:

فلمست لإنسي ولكن لملايك  
تنزل من جو السماء يصبوب

قال أبو إسحاق: ومعنى ملاك: صاحب رسالة، يقال: مألكة ومألكة وملاكة. ومالك: جمع مألكة. قال الشاعر:

أبلغ النعمان عني مالكا  
أنه قد طال حبسي وانتظاري

وفي هؤلاء الملائكة قولان: أحدهما: أنهم جميع الملائكة، قاله السدي عن أشياخه. والثاني: أنهم الذين كانوا مع إبليس حين أهبط إلى الأرض، ذكره أبو صالح عن ابن عباس. ونقل أنه كان في الأرض قبل آدم خلق، فأنسدوا، فبعث الله إبليس في جماعة من الملائكة فأهلكوهم. واختلفوا ما المقصود في إخبار الله ﷻ الملائكة بخلق آدم على ستة أقوال: أحدها: أن الله تعالى علم في نفس إبليس كبراً، فأحب أن يطلع الملائكة عليه، وأن يظهر ما سبق عليه في علمه، رواه الضحاك عن ابن عباس، والسدي عن أشياخه. والثاني: أنه أراد أن يبلو طاعة الملائكة، قاله الحسن، والثالث: أنه لما خلق النار خافت الملائكة، فقالوا: ربنا لمن خلقت هذه؟ قال: لمن عصاني، فخافوا وجود المعصية منهم، وهم لا يعلمون بوجود خلق سواهم، فقال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] قاله ابن زيد. والرابع: أنه أراد إظهار عجزهم عن الإحاطة بعلمه، فأخبرهم حتى قالوا: ﴿أَجْتَمَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا؟﴾ فأجابهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. والخامس: أنه أراد تعظيم آدم بذكره بالخلافة قبل وجوده، ليكونوا معظمين له إن أوجده. والسادس: أنه أراد إعلامهم بأنه خلقه ليسكنه الأرض، وإن كان ابتداء خلقه في السماء. والخليفة: هو القائم مقام غيره، يقال: هذا

خلف فلان وخليفته. قال ابن الأنباري: والأصل في الخليفة خليف، بغير هاء، فدخلت الهاء للمبالغة في مدحه بهذا الوصف، كما قالوا: علامة ونسابة وراوية. وفي معنى خلافة آدم قولان: أحدهما: أنه خليفة عن الله تعالى في إقامة شرعه، ودلائل توحيده، والحكم في خلقه، وهذا قول ابن مسعود ومجاهد. والثاني: أنه خلف من سلف في الأرض قبله، وهذا قول ابن عباس والحسن.

قوله تعالى: ﴿أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن ظاهر الألف الاستفهام، دخل على معنى العلم ليقع به تحقيق. قال جرير:

الستم خير من ركب المطايا وأندي العالمين بسطون راح

معناه: أنتم خير من ركب المطايا. والثاني: أنهم قالوه لاستعلاء وجه الحكمة، لا على وجه الاعتراض. ذكره الزجاج. والثالث: أنهم سألوا عن حال أنفسهم، فتقديره: أتجعل فيها من يفسد فيها ونحن نسبح بحمدك، أم لا؟ وهل علمت الملائكة أنهم يفسدون بتوقيف من الله تعالى، أم قاسوا على حال من قبلهم؟ فيه قولان: أحدهما: أنه بتوقيف من الله تعالى، قاله ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة، وابن زيد وابن قتيبة. وروى السدي عن أشياخه: أنهم قالوا: ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضاً، فقالوا: ﴿أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا؟﴾ والثاني: أنهم قاسوه على أحوال من سلف قبل آدم، روي نحو هذا عن ابن عباس وأبي العالية ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَيُسْفِكُ الدَّمَ﴾ قرأ الجمهور بكسر الفاء، وضما ابن مصرف وإبراهيم بن أبي عبلة، وهما لغتان، وروي عن طلحة وابن مقسم: وَيُسْفِكُ: بضم الياء، وفتح السين، وتشديد الفاء مع كسرها، وهي لتكثير الفعل وتكريره. وسفك الدم: صبُّه وإراقته وسفحه، وذلك مستعمل في كل مضيغ، إلا أن السفك يختص الدم، والصب والسفح والإراقة يقال في الدم وفي غيره. وفي معنى تسييحهم أربعة أقوال: أحدها: أنه الصلاة، قاله ابن مسعود وابن عباس. والثاني: أنه قول: سبحان الله، قاله قتادة. والثالث: أنه: التعظيم والحمد، قاله أبو صالح. والرابع: أنه الخضوع والذل، قاله محمد بن القاسم الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾. القدس: الطهارة، وفي معنى تقديسهم ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: نطهر لك من أعمالهم، قاله ابن عباس. والثاني: نعظمك ونكبرك، قاله مجاهد. والثالث: نصلي لك، قاله قتادة. قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَلْمُؤُونَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: أعلم ما في نفس إبليس من البغي والمعصية، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي عن أشياخه. والثاني: أعلم أنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياء وصالحون، قاله قتادة. والثالث: أعلم أنني أملا جهنم من الجنة والناس، قاله ابن زيد. والرابع: أعلم عواقب الأمور، فأنا أبلي من تظنون أنه مطيع، فيؤديه الابتلاء إلى المعصية كإبليس، ومن تظنون به المعصية فيطيع، قاله الزجاج.

### الإشارة إلى خلق آدم ﷺ

روى أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله ﷻ خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر [والأبيض] والأسود، وبين ذلك، والسهل والحزن، وبين ذلك، والخبيث والطيب» قال الترمذي: هذا حديث صحيح<sup>(١)</sup>. وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «خلق الله تعالى آدم طوله ستون ذراعاً». وأخرج مسلم في أفراده من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «خلق الله آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة، ما بين العصر إلى الليل». قال ابن عباس: لما نفخ فيه الروح، أنه النفخة من قبل رأسه، فجعلت لا تجري منه في شيء إلا صار لحماً ودماً.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾. في تسمية آدم قولان: أحدهما: لأنه خلق من آدم الأرض، قاله ابن

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وصححه ابن حبان.

عباس وابن جبير والزجاج. والثاني: أنه من الأدمة في اللون، قاله الضحاك والنضر بن شميل وقطرب. وفي الأسماء التي علمه قولان: أحدهما: أنه علمه كل الأسماء، وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة. والثاني: أنه علمه أسماء معدودة لمسميات مخصوصة. ثم فيها أربعة أقوال: أحدها: أنه علمه أسماء الملائكة، قاله أبو العالية. والثاني: أنه علمه أسماء الأجناس دون أنواعها، كقولك: إنسان وملك وجني وطائر، قاله عكرمة. والثالث: أنه علمه أسماء ما خلق من الأرض من الدواب والهوام والطير، قاله الكلبي ومقاتل وابن قتيبة. والرابع: أنه علمه أسماء ذريته، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾. يريد: أعيان الخلق على الملائكة، قال ابن عباس: الملائكة هاهنا: هم الذين كانوا مع إبليس خاصة.

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ﴾: أخبروني.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: إن كنتم صادقين أنني لا أخلق خلقاً هو أفضل منكم وأعلم، قاله الحسن. والثاني: أنني أجعل فيها من يفسد فيها، قاله السدي عن أشياخه.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾. قال الزجاج: لا اختلاف بين أهل اللغة أن التسييح هو: التنزيه لله تعالى عن كل سوء. والعليم بمعنى: العالم، جاء على بناء «فعليل» للمبالغة. وفي الحكيم قولان: أحدهما: أنه بمعنى الحاكم، قاله ابن قتيبة. والثاني: المحكم للأشياء، قاله الخطابي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَكُدُّمُ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: أخبرهم، وروي عن ابن عباس: أنبئهم بكسر الهاء، قال أبو علي: قراءة الجمهور على الأصل، لأن أصل هذا الضمير أن تكون الهاء مضمومة فيه، ألا ترى أنك تقول: ضربهم وأبناءهم، وهذا لهم. ومن كسر أتبع كسر الهاء التي قبلها وهي كسرة الباء. والهاء والميم تعود على الملائكة. وفي الهاء والميم من «أسمائهم» قولان: أحدهما: أنها تعود على المخلوقات التي عرضها، قاله الأكثرون. والثاني: أنها تعود على الملائكة، قاله الربيع بن أنس. وفي الذي أبدوه قولان: أحدهما: أنه قولهم: ﴿أَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُقْسِدُ فِيهَا﴾، ذكره السدي عن أشياخه. والثاني: أنه ما أظهره من السمع والطاعة لله حين مروا على جسد آدم، فقال إبليس: إن فضل هذا عليكم ما تصنعون؟ فقالوا: نطيع ربنا، فقال إبليس في نفسه: لئن فضّلت عليه لأهلكته، ولئن فضل عليّ لأعصيته، قاله مقاتل. وفي الذي كنموه قولان: أحدهما: أنه اعتقاد الملائكة أن الله تعالى لا يخلق خلقاً أكرم منهم، قاله الحسن وأبو العالية وقتادة. والثاني: أنه ما أسره إبليس من الكبر والعصيان، رواه السدي عن أشياخه، وبه قال مجاهد وابن جبير ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَرَدُّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ عامة القراء على كسر التاء من الملائكة، وقرأ أبو جعفر والأعمش بضمها في الوصل، قال الكسائي: هي لغة أزد شنوءة. وفي هؤلاء الملائكة قولان: أحدهما: أنهم جميع الملائكة، قاله السدي عن أشياخه. والثاني: أنهم طائفة من الملائكة، روي عن ابن عباس، والأول أصح. والسجود في اللغة: التواضع والخضوع، وأنشدوا:

ساجد المنخر ما يرفعه خاشع الطرف أصم المستمع

وفي صفة سجودهم لآدم قولان: أحدهما: أنه على صفة سجود الصلاة، وهو الأظهر. والثاني: أنه الانحناء والميل المساوي للركوع.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ في هذا الاستثناء قولان: أحدهما: أنه استثناء من الجنس، فهو على هذا القول من الملائكة، قاله ابن مسعود في رواية، وابن عباس. وقد روي عن ابن عباس أنه كان من الملائكة، ثم مسخه الله تعالى شيطاناً. والثاني: أنه من غير الجنس، فهو من الجن، قاله الحسن والزهري. قال ابن عباس: كان إبليس من خزان الجنة، وكان يدير أمر السماء الدنيا. فإن قيل: كيف استثنى وليس من الجنس؟ فالجواب: أنه أمر بالسجود معهم، فاستثنى منهم، لأنه لم يسجد، وهذا كما تقول: أمرت عبيدي وإخوتي فأطاعوني إلا عبيدي، هذا قول الزجاج. وفي إبليس قولان: أحدهما: اسم أعجمي ليس بمشتق، ولذلك لا يصرف، هذا قول أبي عبيدة، والزجاج وابن الأنباري.

والثاني: أنه مشتق من الإبلّاس، وهو: اليأس، روي عن أبي صالح، وذكره ابن قتبية وقال: إنه لم يصرف، لأنه لا سمي له، فاستقل. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: والأول أصح، لأنه لو كان من الإبلّاس لصرف، ألا ترى أنك لو سميت رجلاً: بإخريط وأجفيل؛ لصرف في المعرفة.

قوله تعالى: ﴿إِن﴾ معناه: امتنع، ﴿وَأَسْكَنْتُ﴾ استفعل من: الكبر، وفي ﴿وَكَانَ﴾ قولان: أحدهما: أنها بمعنى: صار، قاله قتادة. والثاني: أنها بمعنى الماضي، فمعناه: كان في علم الله كافراً، قاله مقاتل وابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَتَذَكَّرْ أَنتَ وَرَجُلُكَ الْجَنَّةَ﴾: زوجته: حواء، قال الفراء: أهل الحجاز يقولون لامرأة الرجل: زوج، ويجمعونها: الأزواج. وتميم وكثير من قيس وأهل نجد يقولون: زوجة، ويجمعونها: زوجات. قال الشاعر:

فإن الذي يسعى يحترس زوجته  
كماشٍ إلى أسد الشرى يستبيلها<sup>(١)</sup>

وأشدني أبو الجراح:

يا صاح بلغ ذوي الزوجات كلهم  
أن ليس وصل إذا انحلت عرى الذنب  
وفي الجنة التي أسكنها آدم قولان: أحدهما: جنة عدن. والثاني: جنة الخلد. والرغد: الرزق الواسع الكثير، يقال: أرغد فلان: إذا صار في خصب وسعة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَأُ هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ أي: بالأكل، لا بالدنو منها. وفي الشجرة ستة أقوال: أحدها: أنها السنبلة، وهو قول ابن عباس، وعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، وهب بن منبه، وقاتدة، وعطية العوفي، ومحارب بن دثار، ومقاتل. والثاني: أنها الكرم، روي عن ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن جبير، وجعدة بن هبيرة. والثالث: أنها التين، روي عن الحسن، وعطاء بن أبي رباح، وابن جريج. والرابع: أنها شجرة يقال لها: شجرة العلم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والخامس: أنها شجرة الكافور، نقل عن علي بن أبي طالب. والسادس: أنها النخلة، روي عن أبي مالك. وقد ذكروا وجهاً سابعاً عن وهب بن منبه أنه قال: هي شجرة الخلد، وإنما الكلام على جنسها.

قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. قال ابن الأنباري: الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، ويقال: ظلم الرجل سقاه إذا سقاه قبل أن يخرج زبده. وقال الشاعر:

وصاحب صدق لم تربني شكاته  
ظلمت وفي ظلمي له عامداً أجراً

أراد بالصاحب: وطب اللبن، وظلمه إياه: أن يسقيه قبل أن يخرج زبده. والعرب تقول: هو أظلم من حية، لأنها تأتي الحفر الذي لم تحفره فتسكنه، ويقال: قد ظلم الماء الوادي: إذا وصل منه إلى مكان لم يكن يصل إليه فيما مضى. فإن قيل: ما وجه الحكمة في تخصيص تلك الشجرة بالهنيء؟ فالجواب: أنه ابتلاء من الله تعالى بما أراد. وقال أبو العالية: كان لها ثقل من بين أشجار الجنة، فلما أكل منها، قيل: اخرج إلى الدار التي تصلح لما يكون منك.

قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأُخْرِجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾. أزلهما بمعنى: استزلهما، وقرأ حمزة: (فأزلهما)، أراد: نحاها. قال أبو علي الفارسي: لما كان معنى ﴿أَسْكَنْتَ أَنتَ وَرَجُلُكَ الْجَنَّةَ﴾ اثبتا فيها، فثبتا؛ قابل حمزة الثبات بالزوال الذي يخالفه، ويقوي قراءته: ﴿فَأُخْرِجَهُمَا﴾. والشيطان: إبليس، وأضيف الفعل إليه، لأنه السبب. وفي هاء (عنها) ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تعود إلى الجنة. والثاني: ترجع إلى الطاعة. والثالث: ترجع إلى الشجرة. فمعناه: فأزلهما بؤلة صدرت عن الشجرة. وفي كيفية إزالته لهما، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه احتال حتى دخل إليهما الجنة، وكان الذي أدخله الحية<sup>(٢)</sup>، قاله ابن عباس والسدي. والثاني: أنه وقف على باب الجنة، وناداهما، قاله الحسن. والثالث: أنه وسوس إليهما، وأوقع في نفوسهما من غير مخاطبة ولا مشاهدة، قاله ابن إسحاق، وفيه بعد. قال الزجاج: الأجود: أن يكون خاطبهما، لقوله: ﴿وَكَاسَمَهُمَا﴾ [الأمراء: ٢١]. واختلف العلماء في معصية آدم بالأكل، فقال قوم: إنه نهى عن شجرة بعينها، فأكل من جنسها. وقال آخرون: تأول الكراهة في النهي دون التحريم.

(١) البيت قاله الفرزدق. ومعنى يستبيلها: أي يأخذ بولها بيده، كما في اللسان.

(٢) هذا من الأخبار الإسرائيلية التي لا مستند لها من الكتاب والسنة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَيْضِ عَدُوٍّ وَلَكَمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَفْرَقَاتٌ وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ﴾ الهبوط بضم الهاء: الانحدار من علو، وفتح الهاء: المكان الذي يهبط فيه، وإلى من انصرف هذا الخطاب؟ فيه ستة أقوال: أحدها: أنه انصرف إلى آدم وحواء والحية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: إلى آدم وحواء وإبليس والحية، حكاه السدي عن ابن عباس. والثالث: إلى آدم وإبليس، قاله مجاهد. والرابع: إلى آدم وحواء وإبليس، قاله مقاتل. والخامس: إلى آدم وحواء وذريتهما، قاله الفراء. والسادس: إلى آدم وحواء فحسب، ويكون لفظ الجمع واقعاً على الثنية، كقوله: ﴿وَكُنَّا لِحَكِيمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨] ذكره ابن الأنباري، وهو العلة في قول مجاهد أيضاً. واختلف العلماء: هل أهبطوا جملة أو متفرقين؟ على قولين: أحدهما: أنهم أهبطوا جملة، لكنهم نزلوا في بلاد متفرقة، قاله كعب، وهب. والثاني: أنهم أهبطوا متفرقين، فهبط إبليس قبل آدم، وهبط آدم بالهند، وحواء بجدة، وإبليس بالأبلة<sup>(١)</sup> قاله مقاتل. وروي عن ابن عباس أنه قال: أهبطت الحية بنصيبين، قال: وأمر الله تعالى جبريل بإخراج آدم، فقبض على ناصيته وخلصه من الشجرة التي قبضت عليه، فقال: أيها الملك ارفق بي. قال جبريل: إني لا أرفق بمن عصى الله، فارتعد آدم واضطرب، وهب كلامه، وجبريل يعاتبه في معصيته، ويعتد نعم الله عليه، قال: وأدخل الجنة ضحوة، وأخرج منها بين الصلاتين، فمكث فيها نصف يوم، خمسمائة عام مما يعد أهل الدنيا. وفي العداوة المذكورة هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن ذرية بعضهم أعداء لبعض، قاله مجاهد. والثاني: أن إبليس عدو لآدم وحواء، وهما له عدو، قاله مقاتل. والثالث: أن إبليس عدو للمؤمنين، وهم أعداؤه، قاله الزجاج. وفي المستقر قولان: أحدهما: أن المراد به القبور، حكاه السدي عن ابن عباس. والثاني: موضع الاستقرار، قاله أبو العالية، وابن زيد، والزجاج، وابن قتيبة، وهو أصح. والمتاع: المنفعة. والحين: الزمان. قال ابن عباس: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾، أي: إلى فناء الأجل بالموت.

قوله تعالى: ﴿فَلَقَدْ ءَادَمُ مِنْ زَوْجِهِ سَكَنَ قَابَ قَوْسَيْنِ فَإِنَّهُ مِنَ الْغَايِبِينَ﴾. تلقى: بمعنى أخذ، وقبل. قال ابن قتيبة: كان الله تعالى أوحى إليه أن يستغفره [ويستقبله] بكلام من عنده، ففعل [ذلك آدم] قتاب عليه. وقرأ ابن كثير: (فلقى آدم) بالنصب، (كلمات) بالرفع؛ على أن الكلمات هي الفاعلة. وفي الكلمات أقوال: أحدها: أنها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَرَّ تَقِيرَ لَنَا وَرَحِمْنَا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. قاله ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء الخراساني، وعبيد بن عمير، وأبو بن كعب، وابن زيد. والثاني: أنه قال: أي رب؛ ألم تخلقني يديك؟ قال: بلى. قال: ألم تنفخ في من روحك؟ قال: بلى، قال: ألم تسبق رحمتك إلي قبل غضبك؟ قال: بلى. قال: ألم تسجد لي ملائكتك، وتسكني جنتك؟ قال: بلى. قال: أي رب [أرايت] إن تبت وأصلحت، أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: نعم. حكاه السدي عن ابن عباس. والثالث: أنه قال: اللهم لا إله إلا أنت، سبحانه وبحمده، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي، إنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلا أنت، سبحانه وبحمده، رب إني ظلمت نفسي فتاب علي، إنك فارحمني، فإنت خير الراحمين، [اللهم] لا إله إلا أنت، سبحانه وبحمده، رب إني ظلمت نفسي فتاب علي، إنك أنت التواب الرحيم. زواه ابن أبي نجيع<sup>(٢)</sup> عن مجاهد. وقد ذكرت أقوال من كلمات الاعتذار تقارب هذا المعنى.

قوله تعالى: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾. أصل التوبة: الرجوع، فالتوبة من آدم: رجوعه عن المعصية، وهي من الله تعالى: رجوعه عليه بالرحمة، والثواب الذي كلما تكررت توبة العبد تكرر قبوله، وإنما لم تذكر حواء في التوبة، لأنه لم يجر لها ذكر، لا أن توبتها لم تقبل. وقال قوم: إذا كان معنى فعل الاثنين واحداً؛ جاز أن يذكر أحدهما ويكون المعنى لهما، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْسُوهُ﴾ [التوبة: ٦٣] وقوله: ﴿فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: ١١٧].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَلَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هَذِي فَمَنْ تَبِعَ هَذَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [١٧] في إعادة ذكر الهبوط - وقد تقدم - قولان: أحدهما: أنه أعيد لأن آدم أهبط إهابطين؛ أحدهما: من الجنة إلى السماء، والثاني: من السماء إلى الأرض. وأيهما الإهابط المذكور في هذه الآية؟ فيه قولان. والثاني: أنه إنما كرر الهبوط تأكيداً.

(١) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى (معجم البلدان).

(٢) في الأصلين: ابن كثير، وهو خطأ، فإن الراوي لهذا الأثر من مجاهد هو ابن أبي نجيع كما في الطبري.

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّا﴾ قال الزجاج: هذه «إن» التي للجزاء، ضمت إليها «ما» والأصل في اللفظ «إن ما» مفصولة، ولكنها مدغمة، وكتبت على الإدغام، فإذا ضمت «ما» إلى «إن» لزم الفعل النون الثقيلة أو الخفيفة. وإنما تلزمه النون لأن «ما» تدخل مؤكدة، ودخلت النون مؤكدة أيضاً، كما لزمّت اللام النون في القسم في قولك: والله لتفعلن، وجواب الجزء الفاء. وفي المراد بـ «الهدى» هاهنا قولان: أحدهما: أنه الرسول، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: الكتاب، حكاه بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾. وقرأ يعقوب: «فلا خوف»: بفتح الفاء من غير تنوين، وقرأ ابن محيصن بضم الفاء من غير تنوين. والمعنى: فلا خوف عليهم فيما يستقبلون من العذاب، ولا هم يحزنون عند الموت. والخوف لأمر مستقبل، والحزن لأمر ماضٍ.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ في معنى الآية: ثلاثة أقوال: أحدها: أنها العلامة، فمعنى آية: علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها، والذي بعدها، قال الشاعر:

ألا أبلغ لديك بني تميم  
بآية ما يحبون الطعاما  
وقال النابغة:

توهمت آيات لها فعرفت لها  
لستة أعوام وذا العام سابع  
وهذا اختيار أبي عبيد. والثاني: أنها سميت آية، لأنها جماعة حروف من القرآن، وطائفة منه. قال أبو عمرو الشيباني: يقال: خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم، وأنشدوا:

خرجنا من النقبين لا حي مثلنا  
بآيتنا نزجي اللقاح المطافلا<sup>(١)</sup>

والثالث: أنها سميت آية، لأنها عجب، وذلك أن قارئها يستدل إذا قرأها على مباينتها كلام المخلوقين، وهذا كما تقول: فلان آية من الآيات؛ أي: عجب من العجائب. ذكره ابن الأنباري. وفي المراد بهذه الآيات أربعة أقوال: أحدها: آيات الكتب التي تتلى. والثاني: معجزات الأنبياء. والثالث: القرآن. والرابع: دلائل الله في مصنوعاته. وأصحاب النار: سكانها، سمو أصحاباً، لصحبتهن إياها بالملازمة.

قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعِ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرًا فِتْنَىٰ آلِ عِمْرَانَ وَلَئِنَّ أَوَّلَ الْيَوْمِ لَكُنَّ أَكْثَرًا وَلَئِنْ كُنْتُمْ إِسْرَءِيلَ أَكْثَرًا فَتَمَيِّزُوا﴾ ﴿٤٠﴾. إسرائيل: هو يعقوب، وهو اسم أعجمي. قال ابن عباس: ومعناه: عبد الله. وقد لفظت به العرب على أوجه، فقالت: إسرائيل، وإسرائيل، وإسرائيل. قال أمية:

إنني زارد الحديد على الننا  
لا أرى من يعينني في حياتي  
وقال أعرابي صاد ضباً، فأتى به أهله:  
يقول أهل السوق لما جينا:  
هذا ورب البيت إسرائيل.

أراد: هذا مما مسخ من بني إسرائيل. والنعمة: المنّة، ومثلها: النعماء. والنعمة، بفتح النون: التمتع، وأراد بالنعمة: النعم، فوحدها، لأنهم يكتفون بالواحد من الجميع، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ كُنَّ بِذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤٤]. أي: ظهراء. وفي المراد بهذه النعمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ما استودعهم من التوراة التي فيها صفة رسول الله ﷺ قاله ابن عباس. والثاني: أنها ما أنعم به على آبائهم وأجدادهم إذ أنجاهم من آل فرعون، وأهلك عدوهم، وأعطاهم التوراة، ونحو ذلك، قاله الحسن والزجاج. وإنما من عليهم بما أعطى آباهم، لأن فخر الآباء فخر للأبناء، وعار الآباء عار على الأبناء. والثالث: أنها جمع نعمة على تصريف الأحوال. والمراد من ذكرها: شكرها، إذ من لم يشكر فما ذكر.

(١) نزجي: نسوق. اللقاح: ذوات الألبان من النوق. المطافل: النوق معها أولادها.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا﴾. قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: أوفيت، وأهل نجد يقولون: وفيت، بغير ألف. قال الزجاج. يقال: وفى بالعهد، وأوفى به، وأنشد:

أما ابن طوق فقد أوفى بدمته

كما وفى بقلاص النجم حاديها<sup>(١)</sup>

وقال ابن قتيبة: يقال: وفيت بالعهد، وأوفيت به، وأوفيت الكيل لا غير. وفي المراد بعهد: أربعة أقوال: أحدها: أنه ما عهده إليهم في التوراة من صفة محمد ﷺ، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه الإسلام، قاله أبو العالية. والرابع: أنه العهد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٣] قاله قتادة. قوله تعالى: ﴿أَوْفِ بِعِدَّتِكُمْ﴾. قال ابن عباس: أدخلكم الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْتَى فَاتِرَ يُرَوِّعُ﴾: أي: خافون.

قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَا بِمَا نَزَّلْتُ﴾ يعني القرآن ﴿مَعَذَاتًا لِمَا كُنْتُمْ﴾ يعني التوراة أو الإنجيل، فإن القرآن يصدقهما أنهما من عند الله، ويوافقهما في صفة النبي ﷺ. ﴿وَلَا تَكُونُوا أَكْثَرَكُمْ يَوْمَ﴾. إنما قال: أول كافر، لأن المتقدم إلى الكفر أعظم من الكفر بعد ذلك، إذ المبادر لم يتأمل الحجة، وإنما بادر بالعناد، فحاله أشد. وقيل: ولا تكونوا أول كافر به بعد أن آمن، والخطاب لرؤساء اليهود. وفي هاتئ قولان: أحدهما: أنها تعود إلى المنزل، قاله ابن مسعود وابن عباس. والثاني: أنها تعود على ما معهم، لأنهم إذا كنتموا وصف النبي ﷺ وهو معهم، فقد كفروا به، ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا يَاقِينَ﴾. أي: لا تستبدلوا [بآياتي] ثمنًا قليلًا. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما كانوا يأخذون من عرض الدنيا. والثاني: بقاء رئاستهم عليهم. والثالث: أخذ الأجرة على تعليم الدين. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُونُوا لِحَقِّ وَاسْتَمْتَعْتُمُونَ﴾. تلبسوا: بمعنى تخلطوا. يقال: لبست الأمر عليهم، ألبسه: إذا عميته عليهم، وتخليطهم أنهم قالوا: إن الله عهد إلينا أن نؤمن بالنبي الأمي، ولم يذكر أنه من العرب. وفي المراد بالحق قولان: أحدهما: أنه أمر النبي ﷺ، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقاتدة، وأبو العالية، والسدي ومقاتل. والثاني: أنه الإسلام، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾. يريد: الصلوات الخمس، وهي هاهنا اسم جنس، والزكاة: مأخوذة من الزكاء، وهو النماء، والزيادة. يقال: زكا الزرع يزكو زكاء. وقال ابن الأنباري: معنى الزكاة في كلام العرب: الزيادة والنماء، فسميت زكاة، لأنها تزيد في المال الذي تخرج منه، وتوفره، وتقيه من الآفات. ويقال: هذا أزكى من ذاك، أي: أزيد فضلًا منه.

قوله تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾. أي: صلوا مع المصلين. قال ابن عباس: يريد محمدًا ﷺ، والصحابة رضي الله عنهم. وقيل: إنما ذكر الركوع، لأنه ليس في صلاتهم ركوع، والخطاب لليهود. وفي هذه الآية دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع، وهي إحدى الروايتين عن أحمد رضي الله عنه.

قوله تعالى: ﴿أَقَامُوا النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَسَبَّوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَسْتُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْلَمُونَ﴾. قال ابن عباس: نزلت في اليهود، كان الرجل يقول لقريبته من المسلمين في السر: أثبت على ما أنت عليه فإنه حق. والالف في ﴿أَقَامُوا﴾ ألف الاستفهام، ومعناه التوبيخ. وفي «البر» هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التمسك بكتابهم، كانوا يأمرون باتباعه ولا يقومون به. والثاني: اتباع محمد ﷺ، روي القولان عن ابن عباس. والثالث: الصدقة، كانوا يأمرون بها، ويبخلون. ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَتَسَبَّوْا﴾ أي: تتركون. وفي «الكتاب» قولان: أحدهما: أنه التوراة، قاله الجمهور. والثاني: أنه القرآن، فلا يكون الخطاب على هذا القول لليهود.

(١) قلاص النجم: هي العشرون نجمًا التي ساقها الديبران في خطبة الثريا كما تزعم العرب. والبيت لطيف الغنوي.



قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَيْسِرُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ٤٥﴾ الأصل في الصبر: الحبس، فالصابر حابس لنفسه عن الجزع. وسمي الصائم صابراً لحبسه نفسه عن الأكل والشرب والجماع، والمصبورة: البهيمة تتخذ غرضاً. وقال مجاهد: الصبر هاهنا: الصوم. وفيما أمروا بالصبر عليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أداء الفرائض، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: أنه ترك المعاصي، قاله قتادة. والثالث: عدم الرئاسة، وهو خطاب لأهل الكتابين، ووجه الاستعانة بالصلاة أنه يتلى فيها ما يرغب في الآخرة، ويزهد في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا﴾ في المكنى عنها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الصلاة، قاله ابن عباس والحسن، ومجاهد والجمهور. والثاني: أنها الكعبة والقبلة، لأنه لما ذكر الصلاة، دلت على القبلة، ذكره الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثالث: أنها الاستعانة، لأنه لما قال: ﴿وَأَسْتَيْسِرُوا﴾ دل على الاستعانة، ذكره محمد بن القاسم النحوي.

قوله تعالى: ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ قال الحسن والضحاك: الكبيرة: الثقيلة، مثل قوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣] أي: ثقل، والخشوع في اللغة: التظامن والتواضع، وقيل: السكون.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُلْقُونَ أَنفُسَهُمْ عَلَى سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٩] والظن هاهنا: بمعنى اليقين، وله وجوه قد ذكرناها في كتاب «الوجوه والنظائر».

قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُوا بِحُكْمٍ﴾ [البقرة: ١٩٩] أي: اتبعوا بحكم، وهو من العام الذي أريد به الخاص.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلُوا بِحُكْمٍ﴾ [البقرة: ١٩٩] أي: اتبعوا بحكم، وهو من العام الذي أريد به الخاص.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلُوا بِحُكْمٍ﴾ [البقرة: ١٩٩] أي: اتبعوا بحكم، وهو من العام الذي أريد به الخاص.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلُوا بِحُكْمٍ﴾ [البقرة: ١٩٩] أي: اتبعوا بحكم، وهو من العام الذي أريد به الخاص.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلُوا بِحُكْمٍ﴾ [البقرة: ١٩٩] أي: اتبعوا بحكم، وهو من العام الذي أريد به الخاص.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلُوا بِحُكْمٍ﴾ [البقرة: ١٩٩] أي: اتبعوا بحكم، وهو من العام الذي أريد به الخاص.

أنهم أهل مصر، قاله مقاتل. والثاني: أهل بيته خاصة، قاله أبو عبيدة. والثالث: أتباعه على دينه، قاله الزجاج. وهل الآل والأهل بمعنى، أو يختلفان؟ فيه قولان: وقد شرحت معنى الآل في كتاب «النظائر». وفرعون: اسم أعجمي، وقيل: هو لقبه. وفي اسمه أربعة أقوال: أحدها: الوليد بن مصعب، قاله الأكثرون. والثاني: فيطوس<sup>(١)</sup>، قاله مقاتل. والثالث: مصعب بن الريان، حكاه ابن جرير الطبري. والرابع: مغيث، ذكره بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي: يولونكم. يقال: فلان يسومك خسفاً، أي: يوليكَ ذلاً واستخفافاً. وسوء العذاب: شديده. وكان الزجاج يرى أن قوله: ﴿يَذُحُّونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ تفسير لقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ سَوَاءَ الْعَذَابِ﴾، وأبى هذا بعض أهل العلم، فقال: قد فرق الله بينهما في موضع آخر، فقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ سَوَاءَ الْعَذَابِ وَيَذُحُّونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦] وإنما سوء العذاب: استخدامهم في أصعب الأعمال، وقال الفراء: الموضع الذي طرحت فيه الواو، تفسير لصفات العذاب، والموضع الذي فيه الواو، يبين أنه قد مسهم من العذاب غير الذبح، فكانه قال: يعذبونكم بغير الذبح وبالذبح.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعِزُّونَ بِنِسَاءِكُمْ﴾ أي: يستبقون نساءكم، أي: بناتكم. وإنما استبقوا نساءهم للاستدلال والخدمة. وفي البلاء هاهنا قولان: أحدهما: أنه بمعنى النعمة. قاله ابن عباس ومجاهد وأبو مالك وابن قتبية والزجاج. والثاني: أنه النعمة، رواه السدي عن أشياخه. فعلى هذا القول يكون «ذا» في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾: عائداً على سؤمهم سوء العذاب، وذبح أبنائهم واستحياء نساءهم، وعلى القول الأول يعود على النجاة من آل فرعون. قال أبو العالية: وكان السبب في ذبح الأبناء، أن الكهنة قالت لفرعون: سيولد العام بمصر غلام يكون هلاكك على يديه، فقتل الأبناء. قال الزجاج: فالعجب من حمق فرعون، إن كان الكاهن عنده صادقاً، فما ينفع القتل؟ وإن كان كاذباً، فما معنى القتل؟

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ رَفَعْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ الفرق: الفصل بين الشيئين، و«بكم» بمعنى «لكم». وإنما ذكر آل فرعون دونه، لأنه قد علم كونه فيهم. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنه من نظر العين، معناه: وأنتم ترونهم يفرقون. والثاني: أنه بمعنى العلم، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]. قاله الفراء.

### الإشارة إلى قصتهم

روى السدي عن أشياخه: أن الله تعالى أمر موسى أن يخرج بني إسرائيل، وألقى على القبط الموت، فمات بكر كل رجل منهم، فأصبحوا يدفنونه، فشغلوا عن طلبهم حتى طلعت الشمس. قال عمر بن ميمون: فلما خرج موسى بلغ ذلك فرعون، فقال: لا تتبعوهم حتى يصيح الديك، فما صاح ديك ليلتذ. قال أبو السليل: لما انتهى موسى إلى البحر قال: هيه<sup>(٢)</sup> أبا خالد، فأخذه أكل، يعني: رعدة، قال مقاتل: تفرق الماء يميناً وشمالاً كالجبيلين المتقابلين، وفيهما كوى ينظر كل سبط إلى الآخر. قال السدي: فلما رآه فرعون متفرقاً قال: ألا ترون البحر فرق مني، فانفتح لي؟ فأتت خيل فرعون فابت أن تقحم، فنزل جبريل على ماذيانة، فتشامت الحصن ربح الماذيانة، فافتحمت في إثرها، حتى إذا هم أولهم أن يخرج، ودخل آخرهم، أمر البحر أن يأخذهم، فالتطم عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَغَدَا مَوْجُ زَيْنَ لَيْلَةٍ﴾. قرأ أبو جعفر وأبو عمرو: «وعدنا» بغير ألف هاهنا وفي (الأعراف) و(طه) وواقفهما أبان عن عاصم في (البقرة) خاصة. وقرأ الباقر «واعدنا» بالفتح. ووجه القراءة الأولى: أفراد الوعد من الله تعالى، ووجه الثانية: أنه لما قبل موسى وعد الله ﷻ، صار ذلك مواعدة بين الله تعالى وبين موسى. ومثله: ﴿لَا تُؤَاخِذُهُمْ رَبُّهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]. ومعنى الآية: وعدنا موسى تمة أربعين ليلة، أو انقضاء أربعين ليلة. وموسى: اسم أعجمي، أصله بالعبرانية: موشا، فمؤ: هو الماء، وشا: هو الشجر، لأنه وجد عند الماء والشجر، فعرّب بالسين. ولماذا كان هذا الوعد؟ فيه قولان: أحدهما: لأخذ التوراة. والثاني: للتكليم. وفي هذه المدة قولان: أحدهما: أنها ذو

(١) في «البحر المحيط» فيطوس.

(٢) في الأصل: هي، وأبو خالد: كنى به البحر.

القعدة وعشر من ذي الحجة، وهذا قول من قال: كان الوعد لإعطاء التوراة. والثاني: أنها ذو الحجة وعشر من المحرم، وهو قول من قال: كان الوعد للتكليم، وإنما ذكرت الليالي دون الأيام، لأن عادة العرب التأريخ بالليالي، لأن أول الشهر ليله، واعتماد العرب على الأهلة، فصارت الأيام تبعاً لليالي. وقال أبو بكر النقاش: إنما ذكر الليالي، لأنه أمره أن يصوم هذه الأيام ويواصلها بالليالي، فلذلك ذكر الليالي وليس بشيء.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْنَاهُ الْبَيْعَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنْتُمْ عَلِيمُونَ﴾ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَقَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ذَلِكَ لَقَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ من بعده، أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل.

### الإشارة إلى اتخاذهم العجل

روى السدي عن أشياخه أنه لما انطلق موسى، واستخلف هارون، قال هارون: يا بني إسرائيل! إن الغنيمة لا تحل لكم، وإن حلتي القبط غنيمة فاجمعوه واحفروا له حفيرة، فادفنوه، فإن أحله موسى فخذوه، وإلا كان شيئاً لم تأكلوه، ففعلوا. قال السدي: وكان جبريل قد أتى إلى موسى ليذهب به إلى ربه، فرآه السامري، فأنكره وقال: إن لهذا شأنًا، فأخذ قبضة من أثر حافر الفرس، فدفنها في الحفيرة، فظهر العجل. وقيل: إن السامري أمرهم بإلقاء ذلك الحلي، وقال: إنما طالت غيبة موسى عنكم لأجل ما معكم من الحلي، فاحفروا لها حفيرة وقربوه إلى الله، يبعث لكم نبيكم، فإنه كان عارية، ذكره أبو سليمان الدمشقي. وفي سبب اتخاذ السامري عجلاً قولان: أحدهما: أن السامري كان من قوم يعبدون البقر، فكان ذلك في قلبه، قاله ابن عباس، والثاني: أن بني إسرائيل لما مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، أعجبهم ذلك، فلما سألو موسى أن يجعل لهم إلهاً وأنكر عليهم؛ أخرج السامري لهم في غيبته عجلاً لما رأى من استحسانهم ذلك، قاله ابن زيد. وفي كيفية اتخاذ العجل قولان: أحدهما: أن السامري كان صَوَّاعاً، فصاغه وألقى فيه القبضة، قاله علي وابن عباس. والثاني: أنهم حفروا حفيرة، وألقوا فيها حلي قوم فرعون وعواربهم تنزهاً عنها، فألقى السامري القبضة من التراب، فصار عجلاً. روي عن ابن عباس أيضاً. قال ابن عباس: صار لحماً ودماً وجسداً، فقال لهم السامري: هذا إلهكم وإله موسى قد جاء، وأخطأ موسى الطريق، فعبدوه وزفنوا حوله<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ الكتاب: التوراة. وفي الفرقان خمسة أقوال: أحدها: أنه النصر، قاله ابن عباس وابن زيد. والثاني: أنه ما في التوراة من الفرق بين الحق والباطل، فيكون الفرقان نعتاً للتوراة، قاله أبو العالية. والثالث: أنه الكتاب، فكرره بغير اللفظ. قال عدي بن زيد:

فَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِباً وَمِيناً

وقال عنترة:

أَفْوَى وَأَقْفَرُ بَعْدَ أَمِّ الْهَيْثَمِ

هذا قول مجاهد، واختيار الفراء والزجاج. والرابع: أنه فرق البحر لهم، ذكره الفراء والزجاج وابن القاسم. والخامس: أنه القرآن. ومعنى الكلام: لقد آتينا موسى الكتاب، ومحمداً الفرقان، ذكره الفراء، وهو قول قطرب.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوِّمُ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ بِأَخَذِكُمْ الْعِجْلَ فَتُوقُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاتَّقُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَثَابَّ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْوَقَّابُ الرَّجِيمُ﴾ ﴿٥٤﴾. القوم: اسم للرجال دون النساء، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَحَرُّ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَصَا أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ﴾ [الحجرات: ١١]. وقال زهير:

وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخْصَالِ أَدْرِي

أَفْصَحُ أَلْ حَصْنِ أُمَّ نِسَاءٍ؟

وإنما سماوا قوماً، لأنهم يقومون بالأمر.

قوله تعالى: ﴿فَتُوقُوا إِلَى بَارِيكُمْ﴾ قال أبو علي: كان ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحزمة والكسائي يكسرون الهمزة من غير اختلاس ولا تخفيف. وروى اليزيدي وعبد الوارث عن أبي عمرو: (باركنكم) بجزم الهمزة. روى عنه

العباس بن الفضل: «بارئكم» مهموزة غير مثقلة. وقال سيبويه: كان أبو عمرو يختلس الحركة في: «بارئكم» و: «يأمركم» وما أشبه ذلك مما تتوالى فيه الحركات، فيرى من سمعه أنه قد أسكن ولم يسكن. والبارئ: الخالق. ومعنى «قَاتِلُوا أَنْفُسَكُمْ»: ليقتل بعضهم بعضاً، قاله ابن عباس ومجاهد. واختلفوا فيمن خوطب بهذا على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه خطاب للكل، قاله السدي عن أشياخه. والثاني: أنه خطاب لمن لم يعبد ليقتل من عبد، قاله مقاتل. والثالث: أنه خطاب للعابدين فحسب، أمروا أن يقتل بعضهم بعضاً، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي الإشارة بقوله: «ذا» في: «ذلكم» قولان: أحدهما: أنه يعود إلى القتل. والثاني: أنه يعود إلى التوبة.

### الإشارة إلى قصتهم في ذلك

قال ابن عباس: قالوا لموسى: كيف يقتل الآباء الأبناء، والإخوة الإخوة؟ فأنزل الله عليهم ظلمة لا يرى بعضهم بعضاً، فقالوا: فما آية توبتنا؟ قال: أن يقوم السلاح فلا يقتل، وترفع الظلمة. فقتلوا حتى خاضوا في الدماء، وصاح الصبيان: يا موسى: العفو العفو. فبكى موسى، فنزلت التوبة، وقام السلاح، وارتفعت الظلمة. قال مجاهد: بلغ القتل سبعين ألفاً. قال قتادة: جعل القتل للقتيل شهادة، وللحي توبة.

قوله تعالى: ﴿وَرَأَى ثَمَرَهُمْ يُكْرَمُونَ لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهَنَّمَ فَاَخْذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ ٥٥﴾ ثُمَّ بَشَّرَكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَمَلَكُمْ تَنْكِرُونَ ٥٦﴾. في القائلين لموسى ذلك قولان: أحدهما: أنهم السبعون المختارون، قاله ابن مسعود وابن عباس. والثاني: جميع بني إسرائيل إلا من عصم الله منهم، قاله ابن زيد، قال: وذلك، أنه أتاهم بكتاب الله، فقالوا: والله لا نأخذ بقولك حتى نرى الله جهنم؛ فيقول: هذا كتابي. وفي «جهنم» قولان: أحدهما: أنه صفة لقولهم، أي: جهروا بذلك القول، قاله ابن عباس وأبو عبيدة. والثاني: أنها الرؤية البينة، أي: أرناه غير مستتر عنا بشيء، يقال: فلان يتجاهر بالمعاصي، أي: لا يستتر من الناس، قاله الزجاج. ومعنى «الصاعقة»: ما يصعقون منه، أي: يموتون. ومن الدليل على أنهم ماتوا، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَشَّرَكُمْ﴾ هذا قول الأكثرين. وزعم قوم أنهم لم يموتوا، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَعَرَّ مَوْسَىٰ صَيْقًا﴾ وهذا قول ضعيف، لأن الله تعالى فرق بين الموضعين، فقال هناك: ﴿فَلَمَّا أَفَّاكَ﴾ وقال هاهنا: ﴿ثُمَّ بَشَّرَكُمْ﴾ والإفاقة للمغشي عليه، والبعث للميت.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: ينظر بعضهم إلى بعض كيف يقع ميتاً. والثاني: ينظر بعضهم إلى إحياء بعض. والثالث: تنظرون العذاب كيف ينزل بكم، وهو قول من قال: نزلت نار فأحرقتهم. قوله تعالى: ﴿وَلَمَلْنَا عَلَيْهِمُ اللَّعَامَ وَأَزَلَّنا عَنْكُمْ النَّارَ وَالسَّالَوٰى كُلًّا مِنْ مَّيْمَنَتِكَ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٥٧﴾. «اللَّعَامَ»: السحاب، سمي غماماً، لأنه يغم السماء، أي: يسترها، وكل شيء غطيته فقد غمته، وهذا كان في التيه. وفي المن ثمانية أقوال: أحدها: أنه الذي يقع على الشجر فيأكله الناس، قاله ابن عباس والشعبي والضحاك. والثاني: أنه الترنجيبين، روي عن ابن عباس أيضاً، وهو قول مقاتل. والثالث: أنه صمغه، قاله مجاهد. والرابع: أنه يشبه الرب الغليظ، قاله عكرمة. والخامس: أنه شراب، قاله أبو العالية، والربيع بن أنس. والسادس: أنه خبز الرقاق مثل الذرة، أو مثل الثقي، قاله وهب. والسابع: أنه عسل، قاله ابن زيد. والثامن: أنه الزنجبيل، قاله السدي. وفي السلوى قولان: أحدهما: أنه طائر، قال بعضهم: يشبه السمانى، وقال بعضهم: هو السمانى. والثاني: أنه العسل<sup>(١)</sup> ذكره ابن الأنباري، وأنشد:

وقاسمها بالله جهداً لأنتم  
ألذ من السلوى إذا ما نشورها

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ قال ابن عباس: ما نقصونا وضرونا، بل ضروا أنفسهم.

قوله تعالى: ﴿وَرَأَى ثَمَرَهُمْ أَنْزَلُوا مَدِيدَ الْقَهَةِ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَأَنْزَلْنَا الْآبَابَ سَجْدًا وَفُتِلُوا حَتَّىٰ نَنْزِلَ كَعْرَ حَطَبِكُمْ

(١) نقل ابن عطية أن السلوى طير بإجماع المفسرين، وغلط الشاعر، وهو خالد بن زهير الهذلي حين ظن أن السلوى العسل في البيت الذي استشهد به المصنف، وقد رد عليه القرطبي، بأن دعوى الإجماع لا تصح.

وَسَيَزِيدُ الْغَافِلِينَ ﴿٥٨﴾. في القائل لهم قولان: أحدهما: أنه موسى بعد مضي أربعين سنة. والثاني: أنه يوشع بن نون بعد موت موسى. والقرية: مأخوذة من الجمع، ومنه: قريت الماء في الحوض. والمقارة: الحوض يجمع فيه الماء. وفي المراد بـ: ﴿مَكِيدُو الْقَرْيَةِ﴾ قولان: أحدهما: أنها بيت المقدس، قاله ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي. وروي عن ابن عباس أنها أريحا. قال السدي: وأريحا: هي أرض بيت المقدس. والثاني: أنها قرية من أداني قرى الشام، قاله وهب.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْعَلُوا أَبْنَاءَ سُجْعَا﴾ قال ابن عباس: وهو أحد أبواب بيت المقدس، وهو يدعى: باب حطة. وقوله: (سجداً) أي: ركعاً. قال وهب: أمروا بالسجود شكراً لله تعالى إذ ردهم إليها.

قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ وقرأ ابن السمين وابن أبي عبلة (حطة) بالنصب. وفي معنى حطة ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: استغفروا، قاله ابن عباس ووهب. قال ابن قتيبة: وهي كلمة [أمروا أن يقولوها] في معنى الاستغفار، من: حططت، أي: حط عنا ذنوبنا. والثاني: أن معناها: قولوا: هذا الأمر حق كما قيل لكم، ذكره الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أن معناها: لا إله إلا الله، قاله عكرمة. قال ابن جرير الطبري: فيكون المعنى: قولوا الذي يحط عنكم خطاياكم. [وهو قول: «لا إله إلا الله»]. ولماذا أمروا بدخول القرية؟ فيه قولان: أحدهما: أن ذلك للذنوب ركبوها فقبل: ﴿أَتَذْكُرُوا الْقَرْيَةَ﴾، ﴿وَأَذْعَلُوا أَبْنَاءَ سُجْعَا﴾ وقولوا حِطَّةٌ نُفِّرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ قاله وهب. والثاني: أنهم ملوا المن والسلوى، فقبل: ﴿أَتَمِيطُوا مِنكُمْ﴾ فكان أول ما لقيهم أريحا، فأمرؤا بدخولها.

قوله تعالى: ﴿نُفِّرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: (نغفر لكم) بالنون مع كسر الفاء. وقرأ نافع وأبان عن عاصم (يفغر) بياء مضمومة وفتح الفاء. وقرأ ابن عامر بياء مضمومة مع فتح الفاء.

قوله تعالى: ﴿فَقَدَّرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ﴿٥٩﴾. أعلم أن الله ﷻ أمرهم في دخولهم بفعل وقول، فالفعل السجود، والقول: حطة، فغير القوم الفعل والقول. فأما تغيير الفعل؛ ففيه خمسة أقوال: أحدها: أنهم دخلوا متزحفين على أوراكنهم. رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup> والثاني: أنهم دخلوا من قبل أستاذهم، قاله ابن عباس وعكرمة. والثالث: أنهم دخلوا مقنعي رؤوسهم، قاله ابن مسعود<sup>(٢)</sup>. والرابع: أنهم دخلوا على خروف عيونهم، قاله مجاهد. والخامس: أنهم دخلوا مستلقين، قاله مقاتل. وأما تغيير القول؛ ففيه خمسة أقوال: أحدها: أنهم قالوا مكان «حطة»: حبة في شعرة، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ. والثاني: أنهم قالوا: حنطة، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، ووهب، وابن زيد. والثالث: أنهم قالوا: حنطة حمراء فيها شعرة، قاله ابن مسعود. والرابع: أنهم قالوا: حبة حنطة مثقوبة فيها شعيرة سوداء، قاله السدي عن أشياخه. والخامس: أنهم قالوا: سنبلاناً، قاله أبو صالح. فأما الرجز؛ فهو العذاب، قاله الكسائي وأبو عبيدة والزجاج. وأنشدوا لرؤبة:

حَتَّى وَقَمْنَا كَيْدَهُ بِالرَّجَزِ

وفي ماهية هذا العذاب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ظلمة وموت، مات منهم في ساعة واحدة، أربعة وعشرون ألفاً، وهلك سبعون ألفاً عقوبة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه أصابهم الطاعون، عذبوا به أربعين ليلة ثم ماتوا، قاله وهب بن منبه. والثالث: أنه الثلج، هلك به منهم سبعون ألفاً، قاله سعيد بن جبيرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا اسْتَسْقَىٰ مَوْسَىٰ بِقَدَمَيْهِ فَلَمَّا أَضْرَبَ بِمِصْبَاحِ الْحَبْرِ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَضِيبًا مِّمَّا كَانَ كَلُّ آبَائِهِمْ تَسْمِيَةً كَلُّوا وَآشْرَبُوا مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَسْقُوا فِي الْأَرْضِ مَغْسُورِينَ﴾ ﴿٦٠﴾. استسقى بمعنى: استدعى ذلك، كقولك: استنصر. وفي الحجر قولان: أحدهما: أنه حجر معروف عين لموسى، قاله ابن عباس، وابن جبيرة، وقتادة، وعطية،

(١) الثابت عن رسول الله ﷺ من طريق أبي هريرة بلفظ «فدخلوا يزحفون على أستاذهم» رواه البخاري في التفسير. أما لفظ «متزحفين على أوراكنهم» فلم يرو عن أبي هريرة، وإنما هو من قول الحسن وقتادة كما في «تفسير الطبري».

(٢) وأستند هذا القول الطبري أيضاً إلى ابن عباس وعكرمة.

وابن زيد، ومقاتل. واختلفوا في صفته على ثلاثة أقوال. أحدها: أنه كان حجراً مربعاً، قاله ابن عباس. والثاني: كان مثل رأس الثور، قاله عطية. والثالث: مثل رأس الشاة، قاله ابن زيد. وقال سعيد بن جبير: هو الذي ذهب بشباب موسى. فجاءه جبريل فقال: إن الله تعالى يقول لك: ارفع هذا الحجر، فلي فيه قدرة، ولك فيه معجزة، فكان إذا احتاج إلى الماء ضربه. والقول الثاني: أنه أمر بضرب أي حجر كان، والأول أثبت.

قوله تعالى: ﴿كَانَ حَجَرٌ مِّنْهُ﴾ تقدير معناه: فضرب فانفجرت، فلما عرف بقوله: «فانفجرت» أنه قد ضرب، اكتفى بذلك عن ذكر الضرب. ومثله: ﴿أَوْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] قاله الفراء. ولما كان القوم اثني عشر سبطاً، أخرج الله لهم اثني عشرة عيناً، ولأنه كان فيهم تشاحن فسلموا بذلك منه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخْزُوا﴾ العثر: أشد الفساد، يقال: عثر، وعثا، وعاث. قال ابن الرقاق:

لولا الحياء وأن رأسي قد عثا فيه المشيب لزرت أم القاسم

قوله تعالى: ﴿وَرَأَى ثَمُوزَ يَمْشِي عَلَى طَعَامٍ دَجِجٍ قَانِعٍ لَّنَا. رَبُّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُثْمِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَاقِهَا وَفُومِهَا وَعَدِيِّهَا وَيَمْشِيهَا قَالِ أَتَشْتَبِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَفَظِلُّوا بِضَرٍّ فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَشَرِيتُمْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ وَالسُّكُونَ وَبَكَوْا يَنْفُسِهِمْ مِنْهُ قَالُوا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ وَيَكْفُرُونَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾. هذا قولهم في التيه. وعنوا بالطعام الواحد: المن والسلوى. قال محمد بن القاسم: كان المن يؤكل بالسلوى، والسلوى بالمن، فلذلك كانا طعاماً واحداً. والبقل هاهنا: اسم جنس، وعنوا به: البقول. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: تذهب العامة إلى أن البقل: ما يأكله الناس خاصة دون البهائم من النبات للنجم الذي لا يحتاج في أكله إلى طبخ، وليس كذلك، إنما البقل: العشب، وما ينبت الربيع مما يأكله الناس والبهائم، يقال: بقلت الأرض، وأبقلت، لغتان فصيحتان: إذا أنبت البقل. وابتقلت الإبل: إذا رعت. قال أبو النجم يصف الإبل:

تبقلت في أول التبقيل بين رماحي مالك ونهشل

وفي «القفاء» لغتان: كسر القاف وضمها، والكسر أجود، وبه قرأ الجمهور. وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء، وقتادة، وطلحة بن مصرف، والأعمش: بضم القاف. قال الفراء: الكسر لغة أهل الحجاز، والضم لغة تميم، وبعض بني أسد. وفي «الفوم» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحنطة، قاله ابن عباس، والسدي عن أشياخه، والحسن وأبو مالك، قال الفراء: هي لغة قديمة، يقول أهلها: فؤموا لنا، أي: اختبزوا لنا. والثاني: أنه الثوم، وهو قراءة عبد الله وأبي: «وئومها» واختاره الفراء، وعلل بأنه ذكر مع ما يشاكله، والفاء تبدل من الشاء، كما تقول العرب: الجدث، والجدف: للقبر، والأثافي والأثاني: للحجارة التي توضع تحت القدر. والمغافير، والمغاثير: لضرب من الصمغ. وهذا قول مجاهد، والربيع بن أنس، ومقاتل، والكسائي، والنضر بن شميل، وابن قتيبة. والثالث: أنه الجوب، ذكره ابن قتيبة والزجاج.

قوله تعالى: ﴿أَتَشْتَبِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ﴾: أي: أردأ ﴿وَالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾: أي: أعلى، يريد: أن المن والسلوى أعلى ما طلبتم.

قوله تعالى: ﴿أَفَظِلُّوا بِضَرٍّ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه اسم لمصر من الأمصار غير معين، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، وابن زيد، وإنما أمروا بالمصر، لأن الذي طلبوه في الأمصار. والثاني: أنه أراد البلد المسمى بمصر. وفي قراءة عبد الله والحسن وطلحة بن مصرف والأعمش «مصر» بغير تنوين، قال أبو صالح عن ابن عباس: أراد مصر فرعون، وهذا قول أبي العالقة والضحاك، واختاره الفراء، واحتج بقراءة عبد الله. قال: وسئل عنها الأعمش، فقال: هي مصر التي عليها صالح<sup>(١)</sup> بن علي. وقال مفضل الضبي: سميت مصرأ، لأنها آخر حدود المشرق، وأول حدود المغرب، فهي حد بينهما. والمصر: الحد. وأهل هجر يكتبون في عهدهم: اشترى فلان الدار بمصورها، أي: بحدودها. وقال عدي:

(١) في الأصل: سليمان، وهو خطأ. وصالح هذا: هو ابن علي بن عبد الله بن العباس، أول من ولي مصر من قبل أبي العباس السفاح سنة ١٣٣هـ. وتوفي بقسنين وهو عامل على حمص سنة ١٥٤هـ.

وجاعل الشمس مصراً لا خفاء به

بين النهار وبين الليل قد فصلا

وحكى ابن فارس أن قوماً قالوا: سميت بذلك لقصص الناس إياها، كقولهم: مضرت الشاة، إذا حلبتها، فالتاس يقصدونها، ولا يكادون يرغبون عنها إذا نزلوها.

قوله تعالى: ﴿وَتَشْرِيتُ عَلَيْهِمُ الزَّلَّةَ﴾: أي: ألزموها، قال الفراء: الزلة والذل: بمعنى واحد. وقال الحسن: هي الجزية. وفي المسكنة قولان: أحدهما: أنها الفقر والفاقة، قاله أبو العالية، والسدي، وأبو عبيدة. وروي عن السدي قال: هي فقر النفس. والثاني: الخضوع، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَيَبَادُوهُ﴾ أي: رجعوا. وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الغضب. وقيل: إلى جميع ما ألزموه من الذلة والمسكنة وغيرهما.

قوله تعالى: ﴿يَنْتَلِفُونَ أَلِيَّيْنِ﴾ كان نافع يهزم «النبيين» و«الأنبياء» و«النبوة» وما جاء من ذلك، إلا في موضعين: في الأحزاب: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ﴿إِنْ وَهَبَتْ لِنَفْسِكُمُ اللَّيْلُ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. وإنما ترك الهمز في هذين الموضعين لاجتماع همزتين مكسورتين من جنس واحد، وباقي القراء لا يهزمون جميع المواضع. قال الزجاج: الأجود ترك الهمز. واشتقاق النبي من: نبأ، وأنبأ، أي: أخبر. ويجوز أن يكون من: نبا ينبو: إذا ارتفع، فيكون بغير همز: فعلاً، من الرفعة. قال عبد الله بن مسعود: كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلاثمائة نبي، ثم يقيمون سوق بقلهم في آخر النهار.

قوله تعالى: ﴿يَبْدُوهُ الْحَقُّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: بغير جرم، قاله ابن الأنباري. والثاني: أنه تأكيد، كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ تَتَمَنَّي الْقُلُوبُ أَنِّي لِيَ الشَّكِرِ﴾. والثالث: أنه خارج مخرج الصفة لقتلهم أنه ظلم، فهو كقوله تعالى: ﴿رَبِّ أَتُحَرِّمُ بِالْحَقِّ﴾ فوصف حكمه بالحق، ولم يدل على أنه يحكم بغير الحق.

قوله تعالى: ﴿وَصَبَّأُوا صَبْأَتِ﴾ العدوان: أشد الظلم. وقال الزجاج: الاعتداء: مجاوزة القدر في كل شيء. قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَلْيَيْنَ مَأْمُورًا وَالْيَدِيزَاتُ يَأْخُذْنَ بِلِجَابِهَا وَالْمَنَافِقُونَ قُلُوبُهُمْ مُتَّعِينَ بِغُلُوبِهِمْ وَمَا لَهُمْ لَهَا مِنْ عَزْمٍ﴾. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَا تُخَالِفْ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَلْيَيْنَ مَأْمُورًا﴾ فيهم خمسة أقوال: أحدها: أنهم قوم كانوا مؤمنين بعيسى قبل أن يُبعث محمد ﷺ، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم الذين آمنوا بموسى، وعملوا بشريعته إلى أن جاء عيسى، فأمنوا به وعملوا بشريعته إلى أن جاء محمد. وهذا قول السدي عن أشياخه. والثالث: أنهم المنافقون، قاله سفيان الثوري. والرابع: أنهم الذين كانوا يطلبون الإسلام، كقس بن ساعدة، وبحيرا، وورقة بن نوفل، وسلمان. والخامس: أنهم المؤمنون من هذه الأمة.

قوله تعالى: ﴿وَالْيَدِيزَاتُ يَأْخُذْنَ بِلِجَابِهَا﴾ قال الزجاج: أصل هادوا في اللغة: تابوا. وروي عن ابن مسعود أن اليهود سموا بذلك، لقول موسى: ﴿هَذَا إِلَهِكُمْ﴾، والنصارى لقول عيسى: ﴿مَنْ أَمْسَكَكُمْ إِلَى اللَّهِ؟﴾. وقيل: سموا النصارى لقرية نزلها المسيح، اسمها: ناصرة، وقيل: لتناصروهم. فأما «الصابئون» فقرأ الجمهور بالهمز في جميع القرآن. وكان نافع لا يهزم كل المواضع. قال الزجاج: معنى الصابئين: الخارجون من دين إلى دين، يقال: صبا فلان: إذا خرج من دينه. وصباأت النجوم: إذا طلعت [وصبا نابه: إذا خرج]. وفي الصابئين سبعة أقوال: أحدها: أنه صنف من النصارى ألين قولا منهم، وهم السائحون المحلقة أوساط رؤوسهم، روي عن ابن عباس. والثاني: أنهم قوم بين النصارى والمجوس، ليس لهم دين، قاله مجاهد. والثالث: أنهم قوم بين اليهود والنصارى، قاله سعيد بن جبير. والرابع: قوم كالمجوس، قاله الحسن والحكم. والخامس: فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور، قاله أبو العالية. والسادس: قوم يصلون إلى القبلة، ويعبدون الملائكة، ويقرؤون الزبور، قاله قتادة. والسابع: قوم يقولون: لا إله إلا الله، فقط، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿مَنْ أَمَّنْ﴾ في إعادة ذكر الإيمان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لما ذكر مع المؤمنين طوائف من الكفار رجع قوله: ﴿مَنْ أَمَّنْ﴾ إليهم. والثاني: أن المعنى من أقام على إيمانه. والثالث: أن الإيمان الأول نطق المنافقين بالإسلام. والثاني: اعتقاد القلوب.

قوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ قال ابن عباس: أقام الفرائض.

## فصل

وهل هذه الآية محكمة أم منسوخة؟. فيه قولان: أحدهما: أنها محكمة، قاله مجاهد والضحاك في آخرين، وقدرها فيها: إن الذين آمنوا، ومن آمن من الذين هادوا. والثاني: أنها منسوخة بقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ وَبُكَاءَ الْفَنِّ يُغْفَلْ مِنْهُ﴾، ذكره جماعة من المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَآذِكُوا مَا بِهِ لَكُمْ لَعْنُونَ ﴿٦٣﴾﴾. الخطاب بهذه الآية لليهود. والميثاق: مفعال من التوثق بيمين أو عهد أو نحو ذلك من الأمور التي تؤكد القول. وفي هذا الميثاق ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أخذ ميثاقهم أن يعملوا بما في التوراة، فكرهوا الإقرار بما فيها، فرفع عليهم الجبل، قاله مقاتل. قال أبو سليمان الدمشقي: أعطوا الله عهداً ليعملن بما في التوراة، فلما جاء بها موسى فرأوا ما فيها من الثقل، امتنعوا من أخذها، فرفع الطور عليهم. والثاني: أنه ما أخذ الله تعالى على الرسل وتابعيهم من الإيمان بمحمد ﷺ، ذكره الزجاج. والثالث: ذكره الزجاج أيضاً، فقال: يجوز أن يكون الميثاق يوم أخذ الذرية من ظهر آدم.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ قال أبو عبيدة: الطور في كلام العرب: الجبل. وقال ابن قتيبة: الطور: الجبل بالسريانية. وقال ابن عباس: ما أنبت من الجبال فهو طور، وما لم ينبت فليس بطور. وأي الجبال هو؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: جبل من جبال فلسطين، قاله ابن عباس. والثاني: جبل نزلوا بأصله، قاله قتادة. والثالث: الجبل الذي تجلى له ربه، قاله مجاهد. وجمهور العلماء على أنه إنما رفع الجبل عليهم لإبائهم التوراة. وقال السدي: لإبائهم دخول الأرض المقدسة.

قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾. وفي المراد بالقوة أربعة أقوال: أحدها: الجد والاجتهاد، قاله ابن عباس وقاتلادة والسدي. والثاني: الطاعة، قاله أبو العالية. والثالث: العمل بما فيه، قاله مجاهد. والرابع: الصدق، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَآذِكُوا مَا بِهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: اذكروا ما تضمنه من الثواب والعقاب، قاله ابن عباس. والثاني: معناه: ادرسوا ما فيه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿لَعْنَكُمْ تَنْتَوْنُ﴾ قال ابن عباس: تنتون العقوبة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أعرضتم عن العمل بما فيه من بعد إعطاء الموائيق لتأخذه بجد، فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين بالعقوبة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ فِي الْبَيْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُفُّوا قَوْلَهُ خَبِيرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ السبت: اليوم المعروف، قاله ابن الأنباري: ومعنى السبت في كلام العرب: القطع، يقال: قد سبت رأسه: إذا حلقه وقطع الشعر منه، ويقال: نعل سبتية: إذا كانت مدبوغة بالقرظ مخلوقة الشعر، فسمي السبت سبتاً، لأن الله تعالى ابتداء الخلق فيه، وقطع فيه بعض خلق الأرض، أو: لأن الله تعالى أمر بني إسرائيل فيه بقطع الأعمال وتركها. قال: وقال بعضهم: سمي سبتاً، لأن الله تعالى أمرهم بالاستراحة فيه من الأعمال، وهذا خطأ، لأنه لا يعرف في كلام العرب سبت بمعنى: استراح. وفي صفة اعتدائهم في السبت قولان: أحدهما: أنهم أخذوا الحيتان يوم السبت، قاله الحسن ومقاتل. والثاني: أنهم حبسوها يوم السبت وأخذوها يوم الأحد، وذلك أن الرجل كان يحفر الحفيرة؛ ويجعل لها نهراً إلى البحر، فإذا كان يوم السبت فتح النهر، وقد حرم الله عليه العمل يوم السبت، فيقبل الموج بالحيتان حتى يلقها في الحفيرة، فيريد الحوت الخروج فلا يطيق، فيأخذها يوم الأحد، قاله السدي.





قوله تعالى: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُهْلِكِينَ﴾. وإنما انتفى من الهزء، لأن الهازئ جاهل لاعب، فلما تبين لهم أن الأمر من عند الله، قالوا: ﴿أَنْعَ لَنَا رَبُّكَ يَبْنِي لَنَا مَا بَخْسٌ﴾. قال الزجاج: وإنما سألوا: ما هي، لأنهم لا يعلمون أن بقرة يحيى بضرب بعضها ميت. فاما الفارض فهي: المسنة، يقال: فرضت البقرة فهي فارض: إذا أسنت. والبكرة: الصغيرة التي لم تلد، والعوان: دون المسنة، وفوق الصغيرة. يقال: حرب عوان: إذا لم تكن أول حرب، وكانت ثانية.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْعَ لَنَا رَبُّكَ يَبْنِي لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْثُهَا كَسْرُ الثَّظِيرِ﴾ ٧٠ قَالُوا أَنْعَ لَنَا رَبُّكَ يَبْنِي لَنَا مَا مِنْ إِدَّ الْبَقَرِ تَنْجِبُهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ٧١﴾. في الصفراء قولان: أحدهما: أنه من الصفرة، وهو: اللون المعروف، قاله ابن عباس، وقادة، وابن زيد، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنها السوداء، قاله الحسن البصري، ورده جماعة، فقال ابن قتيبة: هذا غلط في نعوت البقر، وإنما يكون ذلك في نعوت الإبل، يقال: يعبر أصفر، أي: أسود، لأن السوداء من الإبل يشوب سوادها صفرة، ويدل على ذلك: قوله تعالى: ﴿فَاقِعٌ لَوْثُهَا﴾ والعرب لا تقول: أسود فاقع، وإنما تقول: أسود حالك، وأصفر فاقع. قال الزجاج: وفاقع نعت للأصفر الشديد الصفرة، يقال: أصفر فاقع، وأحمر قاني، وأخضر ناضر، وأبيض يقن، وأسود حالك، وحلكوك ودجوجي، فهذه صفات المبالغة في الألوان. ومعنى ﴿كَسْرُ الثَّظِيرِ﴾ تعجبهم، قال ابن عباس: شدد القوم فشدد الله عليهم. وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لولا أن بني إسرائيل استنوا لم يعطوا الذي أعطوا» يعني بذلك قولهم: ﴿وَلَوْ أَنَّ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾. وفي المراد باهتدائهم قولان: أحدهما: أنهم أرادوا: المهتدون إلى البقرة، وهو قول الأكثرين، والثاني: إلى القاتل، ذكره أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا سَيَأْذُ مِنْهَا قَالُوا الْفَتَى حَقٌّ وَالْحَقُّ مَذْبُوحًا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ٧١. قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ﴾ قال قتادة: لم يذلها العمل فتثير الأرض. قال ابن قتيبة: يقال في الدواب: ذابة ذلول: بينة الذل بكسر الذال، وفي الناس: رجل ذليل بين الذل بضم الذال. ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾: تقلبها للزراعة، ويقال للبقرة: المثيرة. قال الفراء: لا تقفن على ذلول، لأن المعنى: ليست بذلول فتثير الأرض، وحكى ابن القاسم أن أبا حاتم السجستاني أجاز الوقف على ذلول، ثم أنكره عليه جداً، وعلل بأن التي تثير الأرض لا يعدم منها سقي الحرث؛ ومتى أثارت الأرض كانت ذلولاً. ومعنى: ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾: لا يستقى عليها الماء لسقي الزرع.

قوله تعالى: ﴿سَلَامَةٌ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: مسلمة من العيوب، قاله ابن عباس، وأبو العالية، وقادة، ومقاتل. والثاني: مسلمة من العمل، قاله الحسن وابن قتيبة. والثالث: مسلمة من الشية، قاله مجاهد وابن زيد، والرابع: مسلمة القوائم والخلق، قاله عطاء الخراساني. فأما الشية، فقال الزجاج: الوشي في اللغة: خلط لون بلون. ويقال: وشيت الثوب أشيه شية ووشياً، كقولك: وديت فلاناً أديه دية. ونصب: لا شية فيها، على النفي. ومعنى الكلام: ليس فيها لون يفارق سائر لونها. وقال عطاء الخراساني: لونها لون واحد.

قوله تعالى: ﴿الْفَتَى حَقٌّ وَالْحَقُّ﴾ قال ابن قتيبة: الآن: هو الوقت الذي أنت فيه، وهو حد الزمانين، حد الماضي من آخره، وحد المستقبل من أوله، ومعنى ﴿حَقٌّ وَالْحَقُّ﴾: بينت لنا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لغلاء ثمنها، قاله ابن كعب القرظي. والثاني: لخوف الفضيحة على أنفسهم في معرفة القاتل منهم، قاله وهب. قال ابن عباس: مكثوا يطلبون البقرة أربعين سنة حتى وجدوها عند رجل، فأبى أن يبيعهها إلا بملء مسكها ذهباً، وهذا قول مجاهد وعكرمة، وعبيدة، وهب، وابن زيد، والكلبي، ومقاتل في مقدار الثمن. فأما السبب الذي لأجله غلا ثمنها، فيحتمل وجهين: أحدهما: أنهم شددوا فشدد الله عليهم. والثاني: لإكرام الله ﷻ صاحبها، فإنه كان برأ بوالديه. فذكر بعض المفسرين أنه كان شاب من بني إسرائيل برأ بأبيه، فجاء رجل يطلب سلعة هي عنده، فانطلق لبيعه إياها، فإذا مفاتيح حانوته مع أبيه، وأبوه نائم، فلم يوقظه، ورد

المشتري، فأضعف له المشتري الثمن، فرجع إلى أبيه، فوجده نائماً، فعاد إلى المشتري فردّه، فأضعف له الثمن، فلم يزل ذلك دأبهما حتى ذهب المشتري، فأتاه الله على بره بأبيه أن نتجت له بقرة من بقره تلك البقرة. وروي عن وهب بن منبه في حديث طويل أن فتى كان برأً بالديه، وكان يحتطب على ظهره، فإذا باعه تصدق بثلثه، وأعطى أمه ثلثه، وأبقى لنفسه ثلثه، قالت له أمه يوماً: إني ورثت من أبيك بقرة، فتركها في البقر على اسم الله، فإذا أتيت البقر، فادعها باسم إله إبراهيم، فذهب فصاح بها، فأقبلت، فانطقها الله، فقالت: اركبني يا فتى، فقال [الفتى: إن أمي] لم تأمرني بهذا. فقالت: أيها البر بأمه! لو ركبتني لم تقدر عليّ، فانطلق، فلو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله [وينطلق معك] لانقلع لبرك بأمك. فلما جاء بها قالت أمه: بعها بثلاثة دنانير على رضى مني، فبعث الله ملكاً فقال: بكم هذه؟ قال: بثلاثة دنانير على رضى من أمي. قال: لك ستة ولا تستأمرها، فأبى، وعاد إلى أمه فأخبرها، فقالت: بعها بستة على رضى مني، فجاء الملك فقال: خذ اثني عشر ولا تستأمرها، فأبى، وعاد إلى أمه فأخبرها، فقالت: يا بني! ذاك ملكك، فقل له: بكم تأمرني أن أبيعها؟ فجاء إليه فقال له ذلك، فقال: يا فتى يشتري بقرتك هذه موسى بن عمران لقتيل يقتل في بني إسرائيل.

﴿وَإِذ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذَرْنِي وَمَا اللَّهُ بِمُخْرِجٍ مَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ٧٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذَرْنِي وَمَا اللَّهُ بِمُخْرِجٍ مَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ٧٢﴾ هذه الآية مؤخرة في التلاوة، مقدمة في المعنى، لأن السبب في الأمر بذبح البقرة قتل النفس، فتقدير الكلام: وإذ قتلتم نفساً فاذا رأتكم فيها، فسألتكم موسى فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾. ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَجْعَلُ لَكُمْ عَزَبًا قِسْماً﴾ [الكهف: ١، ٢] أراد: أنزل الكتاب قيماً، ولم يجعل له عوجاً، فأخر المقدم وقدم المؤخر، لأنه من عادة العرب. قال الفرزدق:

إن الفرزدق صخرة ملمومة طالت فليس تنالها الأوعالا  
أراد: طالت الأوعال. وقال جرير:

طاف الخيال وأين منك لماماً طاف الخيال لماماً، وأين هو منك؟ وقال الآخر:

خير من القوم العصاة أميرهم يا قوم فاستحيوا - النساء الجلس

أراد: خير من القوم العصاة النساء، فاستحيوا من هذا. ومعنى قوله: ﴿فَاذَرْنِي﴾: اختلفتم، قاله ابن عباس ومجاهد. وقال الزجاج: اذا رأتكم، بمعنى: تدارأتم، أي: تدافعتم، وألقى بعضكم على بعض، تقول: درأت فلاناً: إذا دفعته، وداريته: إذا لايته، ودريته إذا ختلته، فادغمت التاء في الدال، لأنهما من مخرج واحد، فأما الذي كتموه؛ فهو أمر القتل.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَقُولُونَ ٧٣﴾. من قال: أقاموا في طلبها أربعين سنة؛ قال: ضربوا قبره، ومن لم يقل ذلك، قال: ضربوا جسمه قبل دفنه. وفي الذي ضرب به ستة أقوال: أحدها: أنه ضرب بالعظم الذي يلي الغضروف، رواه عكرمة عن ابن عباس. قال أبو سليمان الدمشقي: وذلك العظم هو أصل الأذن، وزعم قوم أنه لا يكسر ذلك العظم من أحد فيعيش. قال الزجاج: الغضروف في الأذن، وهو ما أشبه العظم الرقيق من فوق الشحمة، وجميع أعلى صدفة الأذن، وهو معلق الشنوف، فأما العظمان اللذان خلف الأذن الناتنان من مؤخر الأذن، فيقال لهما: الخشأوان، والخششاوان، واحدهما: خُشَاءٌ، وخُشْشَاءٌ. والثاني: أنه ضرب بالفخذ، روي عن ابن عباس أيضاً، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، وذكر عكرمة ومجاهد أنه الفخذ الأيمن. والثالث: أنه البضعة التي بين الكتفين. رواه السدي عن أشياخه. والرابع: أنه الذنب، رواه ليث عن مجاهد. والخامس: أنه عجب الذنب، وهو عظم بني عليه البدن، روي عن سعيد بن جبير. والسادس: أنه اللسان، قاله الضحاك. وفي الكلام اختصار تقديره: فقلنا اضربوه ببعضها ليحيا، فضرِبوه فحي، فقام فأخبر بقاتله. وفي قاتله أربعة أقوال: أحدها: بنو أخيه، رواه عطية عن ابن عباس. والثاني: ابنا عمه، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهذان القولان

يدلان على أن قاتله أكثر من واحد. والثالث: ابن أخيه، قاله السدي عن أشياخه، وعبيدة. والرابع: أخوه، قاله عبد الرحمن بن زيد.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ﴾: فيه قولان: أحدهما: أنه خطاب لقوم موسى. والثاني: لمشركي قريش، احتج عليهم إذ جحدوا البعث بما يوافق عليه أهل الكتاب، قال أبو عبيدة: وآياته: عجائبه.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقَىٰ فَيُخْرَجُ مِنْهُ الْغَمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَوِيٍّ عَمَّا تَكْمُلُونَ﴾ (٧٤)

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: قال إبراهيم بن السري: قست في اللغة: غلظت ويست وعست، فقسوة القلب: ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه. والقاسي والعاسي: الشديد الصلابة. وقال ابن قتبية: قست وعست وعتت واحد، أي: ييست. وفي المشار إليهم بها قولان: أحدهما: جميع بني إسرائيل. والثاني: القاتل. قال ابن عباس: قال الذين قتلوه بعد أن سمى قاتله: والله ما قتلناه. وفي كاف «ذلك» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إشارة إلى إحياء الموتى، فيكون الخطاب لجميع بني إسرائيل. والثاني: إلى كلام القاتل، فيكون الخطاب للقاتل، ذكرهما المفسرون. والثالث: إلى ما شرح من الآيات من مسخ القردة والخنازير، ورفع الجبل وانجاس الماء، وإحياء القاتل، ذكره الزجاج. وفي «أو» أقوال: هي يعينها مذكورة في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَمِثْلِهِ﴾ وقد تقدمت.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ قال مجاهد: كل حجر ينفجر منه الماء، وينشق عن ماء، أو يتردى من رأس جبل، فمن خشية الله.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَمِعُوا أَنْ يُؤْمِرُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ قَرِيبٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ لَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ يَدْعُوهُ تَرَسَّوْا فَسَخَطَ اللَّهُ مَا وَعَدْتُمْ وَمَنْ يَتْلُونَ﴾ (٧٥) في المخاطبين بهذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنه النبي ﷺ خاصة، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: أنه المؤمنون، تقديره: أفتطمعون أن تصدقوا نبيكم، قاله أبو العالية وقتادة. والثالث: أنهم الأنصار، فإنهم لما أسلموا أحبوا إسلام اليهود للرضاعة التي كانت بينهم، ذكره النقاش. قال الزجاج: وألف «فَاسْتَمِعُوا» ألف استخبار، كأنه آيسهم من الطمع في إيمانهم. وفي سماعهم لكلام الله قولان: أحدهما: أنهم قرؤوا التوراة فحرقوها، هذا قول مجاهد والسدي في آخرين، فيكون سماعهم لكلام الله بتبليغ نبيهم، وتحريفهم: تغيير ما فيها. والثاني: أنهم السبعون الذين اختارهم موسى، فسمعوا كلام الله كفاً عند الجبل، فلما جاؤوا إلى قومهم قالوا: قال لنا: كذا وكذا، وقال في آخر قوله: إن لم تستطيعوا ترك ما أنهاكم عنه؛ فافعلوا ما تستطيعون. هذا قول مقاتل، والأول أصح. وقد أنكر بعض أهل العلم، منهم الترمذي<sup>(١)</sup> صاحب «النوادر» هذا القول إنكاراً شديداً، وقال: إنما خص بالكلام موسى وحده، وإلا فأي ميزة؟! وجعل هذا من الأحاديث التي رواها الكلبي وكان كذاباً. ومعنى «عَقَلُوا»: سمعوه ووعوه. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتْلُونَ﴾ قولان: أحدهما: وهم يعلمون أنهم حرقوه. والثاني: وهم يعلمون عقاب تحريفه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِمَعْشُرِهِمْ إِلَهُ بَعْضُ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٧٦) أولاً يعلمون أن الله يكلم ما يشاء وما يعيرون<sup>(٧٦)</sup> هذه الآية نزلت في نفر من اليهود، كانوا إذا لقوا النبي والمؤمنين قالوا: آمنا، وإذا خلا بعضهم إلى بعض، قالوا: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم، هذا قول ابن عباس، وأبي العالية، ومجاهد، وقتادة، وعطاء الخراساني، وابن زيد، ومقاتل. وفي معنى «بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» قولان: أحدهما: بما قضى الله عليكم، والفتح: القضاء، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الاعراف: ٨٩] قال السدي عن أشياخه: كان ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا، فكانوا يحدثون المؤمنين بما عذبوا به، فقال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم. [من العذاب، ليقولوا: نحن أحب إلى الله منكم، وأكرم على الله منكم] والثاني: أن معناه: بما علمكم الله. قال ابن عباس وأبو العالية وقتادة: الذي فتحه عليهم: ما أنزله من التوراة في صفة

(١) هو محمد بن علي، أبو عبد الله، عالم بالحديث وأصول الدين، توفي نحو ٣٢٠هـ، وقد تكلم عليه بعض أهل العلم، انظر «لسان الميزان» للحافظ ابن

محمد ﷺ وقال مقاتل: كان المسلم يلقى حليفه، أو أخاه من الرضاعة من اليهود، فيسأله: أتجدون محمداً في كتابكم؟ فيقولون: نعم، إنه لحق. فسمع كعب بن الأشرف وغيره، فقال لليهود في السر: أتحدثون أصحاب محمد بما فتح الله عليكم، أي: بما بين لكم في التوراة من أمر محمد ليخاصموكم به عند ريكهم باعترافيكم أنه نبي، أفلا تعقلون أن هذا حجة عليكم؟!

قوله تعالى: ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى: في حكم ربكم، كقوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ أَقْوَاهُمْ﴾ [التور: ١٣] والثاني: أنه أراد يوم القيامة.

﴿وَمَنْهُمْ أَتِيَتْهُمْ﴾ [التور: ١٣] والآية: ﴿وَمَنْهُمْ أَتِيَتْهُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ أَتِيَتْهُمْ﴾ يعني: اليهود. والامي: الذي لا يكتب ولا يقرأ، قاله مجاهد. وفي تسميته بالامي قولان: أحدهما: لأنه على خلقه الأمة التي لم تتعلم الكتاب، فهو على جبلته، قاله الزجاج. والثاني: أنه ينسب إلى أمه، لأن الكتابة في الرجال كانت دون النساء. وقيل: لأنه على ما ولدته أمه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمُوكَ الْكِتَابَ﴾ قال قتادة: لا يدرون ما فيه.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمَانِي﴾ جمهور القراء على تشديد الياء، وقرأ الحسن، وأبو جعفر، بتخفيف الياء، وكذلك: ﴿يَلِكْ أَمَانِيَّتُمْ﴾ [البقرة: ١١١] و﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٢٣] و﴿فِي أَمَانِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] و﴿وَعَزَّزْتُكُمْ الْأَمَانِيَّ﴾ [الحديد: ١٤] كله بتخفيف الياء وكسر الهاء من «أمانيهم». ولا خلاف في فتح ياء «الأماني». وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الأكاذيب. قال ابن عباس: ﴿إِلَّا أَمَانِيَّ﴾: يريد إلا قولاً يقولونه بأفواههم كذباً. وهذا قول مجاهد واختيار القراء. وذكر الفراء أن بعض العرب قال لابن داب<sup>(١)</sup> وهو يحدث: أهذا شيء رويته، أم شيء تمنيت؟ يريد: افتعلته؟ والثاني: أن الأماني: التلاوة، فمعناه: لا يعلمون فقه الكتاب، إنما يقتصرون على ما يسمعون به يتلى عليهم. قال الشاعر:

تمنى كتاب الله أول ليلة      تمنى داود الزبور على رسل

وهذا قول الكسائي والزجاج. والثالث: أنها أمانيهم على الله، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ هُمْ إِلَّا يَتْلُوتُمْ﴾ قال مقاتل: ليسوا على يقين، فإن كذب الرؤساء أو صدقوا، تابعوهم.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْفَوْا بِهِ. ذُنُوبًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ أَكِيدُهُمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ وَمَا يَكْسِبُونَ﴾ [٧٨] هذه الآية نزلت في أهل الكتاب [الذين] بدلوا التوراة وغيروا صفة النبي ﷺ فيها. وهذا قول ابن عباس وقتادة وابن زيد وسفيان. فأما الويل: فروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «ويل» واد في جهنم، يهوي الكافر فيه أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره<sup>(٢)</sup>. وقال الزجاج: الويل: كلمة تقولها العرب لكل من وقع فيهلكة، ويستعملها هو أيضاً<sup>(٣)</sup>. وأصلها في اللغة: العذاب والهلاك. قال ابن الأنباري: ويقال: معنى الويل: المشقة من العذاب. ويقال: أصله: وي لفلان، أي: حزن لفلان، فكسر الاستعمال للحرفين، فوصلت اللام بـ«وي» وجعلت حرفاً واحداً، ثم خبر عن «ويل» بلام أخرى، وهذا اختيار الفراء. والكتاب هاهنا: التوراة. وذكر الأيدي تأكيد، والشمع القليل: ما يضيء من الدنيا. وفيما يكسبون قولان: أحدهما: أنه عوض ما كتبوا. والثاني: إثم ما فعلوا.

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَنْبَاءًا مَقْدُونَةً﴾ قل أعوذ بـ«عهدك» عند الله عهداً قلن يحلف الله عهداً أم سؤلون على الله ما لا تملكون [٧٩]

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَنْبَاءًا مَقْدُونَةً﴾ وهم: اليهود. وفيما عنا بهذه الأيام قولان: أحدهما: أنهم أرادوا أربعين يوماً، قاله ابن عباس، وعكرمة، وأبو العالية، وقتادة، والسدي. ولماذا قدروها بأربعين؟ فيه ثلاثة

(١) هو أبو الوليد عيسى بن يزيد بن بكر بن داب المدني كان يضع الشعر، وأحاديث السر، وكلاماً ينسب إلى العرب، فسقط وزعمت روايته.

(٢) رواه أحمد، والترمذي، من طريق دراج عن أبي الهيثم، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وأقره الذهبي.

(٣) أي: الذي يقع في الهلكة، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَهَيِّئْ لَنَا كَمَا طَلَيْتَ﴾.

أقوال: أحدها: أنهم قالوا: بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة، ونحن نقطع مسيرة كل سنة في يوم، ثم ينقضي العذاب وتهلك النار، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم قالوا: عتب علينا ربنا في أمر، فأقسم ليعذبنا أربعين ليلة، ثم يدخلنا الجنة، فلن تمسنا النار إلا أربعين يوماً تحلة القسم، وهذا قول الحسن وأبي العالية. والثالث: أنها عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل، قاله مقاتل. والقول الثاني: أن الأيام المعدودة سبعة أيام، وذلك لأن عندهم أن الدنيا سبعة آلاف سنة، والناس يعذبون لكل ألف سنة يوماً من أيام الدنيا، ثم ينقطع العذاب، قاله ابن عباس: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَاهُ بَعْدَ الْآلِ عَهْدًا أَي: عهد إليكم أنه لا يعذبكم إلا هذا المقدار؟﴾.

﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَةُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾: بلى: بمنزلة «نعم» إلا أن «بلى» جواب النفي، و«نعم» جواب الإيجاب، قال الفراء: إذا قال الرجل لصاحبه: مالك علي شيء، فقال الآخر: نعم، كان تصديقاً أن لا شيء له عليه. ولو قال: بلى؛ كان رداً لقوله. قال ابن الأنباري: وإنما صارت «بلى» تتصل بالجدد، لأنها رجوع عن الجحد إلى التحقيق، فهي بمنزلة «بل» و«بل» سبيلها أن تأتي بعد الجحد، كقولهم: ما قام أخوك، بل أبوك. وإذا قال الرجل للرجل: ألا تقوم؟ فقال له: بلى؛ أراد: بل أقوم، فزاد الألف على «بل» ليحسن السكوت عليها، لأنه لو قال: بل؛ كان يتوقع كلاماً بعد بل، فزاد الألف ليزول هذا التوهم عن المخاطب. ومعنى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾: بلى من كسب. قال الزجاج: بلى: رد لقولهم: ﴿لَنْ تَمْسَاَ النَّارُ إِلَّا أُنْجَاكُمَا مَقْدُودَةً﴾ والسيدة هاهنا: الشرك في قول ابن عباس، وعكرمة، وأبي وائل، وأبي العالية، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل. ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَةُ﴾: أي: أحذقت به خطيئته. وقرأ نافع «خطيئاته» بالجمع. قال عكرمة: مات ولم يتب منها، وقال أبو وائل: الخطيئة: صفة للشرك. قال أبو علي: إما أن يكون المعنى: أحاطت بحسنته خطيئته، أي: أحبطتها، من حيث أن المحيط أكثر من المحاط به، فيكون كقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَقُولُوا﴾: ﴿حَاطَ بِهِمْ شُرَافُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٩] أو يكون معنى أحاطت به: أهلكته، كقوله: ﴿لَا أَنْ يَحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦].

﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ...﴾ الآية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَآمَنُوا بِالْوَعْدِ الَّذِي فِيهِ يَسْعَىٰ﴾ [البقرة: ٨٢].

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ هذا الميثاق مأخوذ عليهم في التوراة. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أي: ووصيتناهم بأبائهم وأمهاتهم خيراً. قال الفراء: والعرب تقول: أوصيك به خيراً، وآمرك به خيراً والمعنى: آمرك أن تفعل به، ثم تحذف «أن» فيوصل الخير بالوصية والأمر. قال الشاعر:

عجبت من دهماء إذ تشكرونا  
ومن أبني دهماء إذ يوصينا  
خيراً بها كأننا جافونا

وأما الإحسان إلى الوالدين؛ فهو برهما. قال ابن عباس: لا تنفض ثوبك فيصيهما الغبار. وقالت عائشة: ما بر والده من شد النظر إليه. وقال عروة: لا تمتنع عن شيء أحياه.

قوله تعالى: ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾: أي: ووصيتناهم بذوي القربى أن يصلوا أرحامهم. وأما اليتامى؛ فجمع: يتيم. قال الأصمعي: اليتيم في الناس، من قبل الأب، وفي غير الناس: من قبل الأم. قال ابن الأنباري: قال ثعلب: اليتيم معناه في كلام العرب: الانفراد. فمعنى صبي يتيم: منفرد عن أبيه. وأنشدنا:

أفاطم إنني هالك فتبيني<sup>(١)</sup>  
ولا تجزعي كل النساء يتيم

(١) في «اللسان»: فتبني، وكلا الروايتين معناهما واحد.

قال: يروى: يتيم ويقيم. فمن روى يتيم بالتاء؛ أراد: كل النساء ضعيف منفرد. ومن روى بالياء أراد: كل النساء يموت عنهن أزواجهن. وقال: أنشدنا ابن الأعرابي:

ثلاثة أحباب: فحب علاقة وحب تملأق وحب هو القتل

قال: فقلنا له: زدنا، فقال: البيت يتيم: أي: منفرد. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: إذا بلغ الصبي، زال عنه اسمه اليتيم. يقال منه: يتيم يتما ويتما. وجمع اليتيم: يتامى، وأيتام. وكل منفرد عند العرب يتيم ویتيمه. قال: وقيل: أصل اليتيم: الغفلة، وبه سمي اليتيم، لأنه يتغافل عن برة. والمرأة تدعى: یتيمه ما لم تزوج، فإذا تزوجت زال عنها اسم اليتيم، وقيل: لا يزول عنها اسم اليتيم أبداً. وقال أبو عمرو: اليتيم: الإبطاء، ومنه أخذ اليتيم، لأن البر يبطئ عنه. «والمساكين»: جمع مسكين، وهو اسم مأخوذ من السكن، كأن المسكين قد أسكنه الفقر.

قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وعاصم، وابن عامر: (حُسْنًا) بضم الحاء والتخفيف، وقرأ حمزة والكسائي: (حَسَنًا) بفتح الحاء والتثنية. قال أبو علي: من قرأ «حُسْنًا» فجائز أن يكون الحسن لغة في الحسن، كالْبَحْل، والبَحْل، والرُّشْد والرُّشْد. وجاء ذلك في الصفة كما جاء في الاسم، ألا تراهم قالوا: الثُّرْب والعُرب ويجوز أن يكون الحسن مصدراً كالکفر والشكر والشغل، وحذف المضاف معه، كأنه قال: قولوا قولاً ذا حسن. ومن قرأ (حَسَنًا) جعله صفة، والتقدير عنده: قولوا للناس قولاً حسناً، فحذف الموصوف. واختلَفوا في المخاطب بهذا على قولين: أحدهما: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، وابن جبير، وابن جريج. ومعناه: اصدقوا وبنوا صفة النبي. والثاني: أنهم أمة محمد ﷺ. قال أبو العالية: قولوا للناس معروفاً. وقال محمد بن علي بن الحسين: كلموهم بما تحبون أن يقولوا لكم. وزعم قوم أن المراد بذلك مساهلة الكفار في دعائهم إلى الإسلام. فعلى هذا؛ تكون منسوخة بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ: أَيُّ عَرَضْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ. وَفِيهِمْ قَوْلَان: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ أَوَّلُوهَا الَّذِينَ لَمْ يَدْلُوا. والثاني: أَنَّهُم الَّذِينَ آمَنُوا بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي زَمَانِهِ.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ بَيْنَ يَدَيْكُمْ ثُمَّ أَفَرَضْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِمْ تَقُولُونَ تَحْلِفُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَةِ وَالَّذِينَ لَمْ يَأْخُذُوا أَسْرَرُوا فَتَنْدَوْنَهُمْ وَهُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ إِيْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا وَمَا اللَّهُ بِمُنْجِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ أي: لا يسفك بعضكم دم بعض، ولا يخرج بعضكم بعضاً من داره. قال ابن عباس: ثم أفررت يومئذ بالعهد، وأنتم اليوم تشهدون على ذلك، فالإقرار على هذا متوجه إلى سلفهم، والشهادة متوجهة إلى خلفهم. ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: يقتل بعضكم بعضاً. روى السدي عن أشياخه قال: كانت قريظة حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج، فكانوا يقاتلون في حرب سمير<sup>(١)</sup> فيقاتل بنو قريظة مع حلفائهم النضير وحلفاءها، وكانت النضير تقاتل قريظة وحلفاءها، فيغلبونهم ويخربون الديار ويخرجون منها، فإذا أسر الرجل من الفريقين كليهما، جمعوا له حتى ينفذه، فتعيرهم العرب بذلك، فتقول: كيف تقاتلونهم وتنفذونهم؟! فيقولون: أمرنا أن نفيدهم، وحرّم علينا قتلهم. فتقول العرب: فلم تقاتلونهم؟ فيقولون: نستحي أن يستذل حلفاؤنا، فيعيرهم الله ﷻ فقال: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ فكان إيمانهم ببعضه: فداءهم الأسارى، وكفرهم: قتل بعضهم بعضاً.

قوله تعالى: ﴿تَقْلَهُرُونَ﴾: قرأ عاصم وحمزة والكسائي: (تظَاهرون) وفي (التحريم) (تظاها) بتخفيف الظاء. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر بتشديد الظاء مع إثبات الألف. قال أبو علي: من قرأ (تظاهاون) بتشديد

(١) سمير: حرب كانت في الجاهلية بين الأوس والخزرج. وسمير: رجل من بني عمرو بن عوف، وغير هذه الحرب تجدها في كتاب «الأغاني».

الظاء؛ أَدغم التاء في الظاء، لمقاربتها لها، فخفف بالإدغام. ومن قرأ (تظاهرون) خفيفة؛ حذف التاء التي أَدغمها أولئك من اللفظ، فخفف بالحذف. والتاء التي أَدغمها ابن كثير هي التي حذفها عاصم. وروي عن الحسن وأبي جعفر (تظَّهرون) بتشديد الظاء من غير ألف، فالتظاهر: التعاون. قال ابن قتيبة: وأصله من الظهر، فكان التظاهر: أن يجعل كل واحد من الرجلين [أو من القوم] الآخر ظهراً له يتقوى به، ويستند إليه. قال مقاتل: والإثم: المعصية، والعدوان: الظلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَأْتِوكُمُ اسْكِرَىٰ تَغْدُوهُمْ﴾ أصل الأسر: الشد. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (أسارى)، وقرأ الأعمش وحمة (أسرى) قال الفراء: أهل الحجاز يجمعون الأسير: «أسارى» وأهل نجد أكثر كلامهم «أسرى» وهو أجود الوجهين في العربية، لأنه بمنزلة قولهم: جريح وجرحى، وصريع وصريعى. وروى الأصمعي عن أبي عمرو قال: الأسارى: ما شدوا، والأسرى: في أيديهم، إلا أنهم لم يشدوا. وقال الزجاج: «فَعَلَى» جمع لكل ما أصيب به الناس في أبدانهم وعقولهم. يقال: هالك وهلكى، ومريض ومرضى، وأحمق وحمقى، وسكران وسكرى. فمن قرأ: (أسارى)؛ فهي جمع الجمع. تقول: أسير وأسرى وأسارى جمع أسرى.

قوله تعالى: ﴿تَغْدُوهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: (تغدوهم) وقرأ نافع وعاصم والكسائي: (تفادوهم) بآلف. والمفاداة: إعطاء شيء، وأخذ شيء مكانه. «أَفْتَرِئُونَ بَعْضُ الْكَتَبِ» وهو: فكاك الأسرى. «وَكَلَّفَرُونَ بَعْضُ» وهو: الإخراج والقتل. وقال مجاهد: تغديه في يد غيرك، وتقتله أنت بيدك؟! وفي المراد بالخزي قولان: أحدهما: أنه الجزية، قاله ابن عباس. والثاني: قتل قريظة ونفي النضير، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ قال ابن عباس: هم اليهود. وقال مقاتل: باعوا الآخرة بما يصيبونه من الدنيا.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيْدَتْهُ رَبُّنَا أَنْ يُبْرِجَ الْفُتُورِ أَكَلَمًا بَاءَكُمْ رَسُولًا يَمَا لَا تَهْوَىٰ أُنْسُكُمْ. اسْتَغْبَرْتُمْ فَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يريد التوراة. وقَفَّينا: أتبعنا. قال ابن قتيبة: وهو مأخوذ من القفا. يقال: قفوت الرجل: إذا سرت في أثره. والبينات: الآيات الواضحات كإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى. وأيدناه: قويناه. والأيد: القوة. وفي روح القدس ثلاثة أقوال: أحدها: أنه جبريل. والقدس: الطهارة، وهذا قول ابن عباس، وقتادة، والضحاك، والسدي في آخرين. وكان ابن كثير يقرأ: (بروح القدس) ساكنة الدال. قال أبو علي: التخفيف والتثقل فيه حسنان، نحو: العنق والعنق، والطنب والطنب. وفي تأييده به ثلاثة أقوال ذكرها الزجاج: أحدها: أنه أيد به لإظهار حاجته وأمر دينه. والثاني: لدفع بني إسرائيل عنه إذ أرادوا قتله. والثالث: أنه أيد به في جميع أحواله. والقول الثاني: أنه الاسم الذي كان يحيى به الموتى، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه الإنجيل، قاله ابن زيد.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَمَسَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ قرأ الجمهور بإسكان اللام، وقرأ قوم، منهم الحسن وابن محيصن بضمها. قال الزجاج: من قرأ: (غلف) بتسكين اللام، فمعناه: ذوات غلف، فكانهم قالوا: قلوبنا في أوعية. ومن قرأ (غُلْف) بضم اللام، فهو جمع (غلاف) فكانهم قالوا: قلوبنا أوعية للعلم، فما بالها لا تفهم وهي أوعية للعلم؟! فعلى الأول؛ يقصدون إعراضه عنهم، كأنهم يقولون: ما نفهم شيئاً. وعلى الثاني يقولون: لو كان قولك حقاً لقبلته قلوبنا.

قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: فقليل من يؤمن منهم، قاله ابن عباس وقتادة. والثاني: أن المعنى: قليل ما يؤمنون به. قال معمر: يؤمنون بقليل مما في أيديهم، ويكفرون بأكثره. والثالث: أن المعنى: فما يؤمنون قليلاً ولا كثيراً. ذكره ابن الأنباري، وقال: هذا على لغة قوم من العرب، يقولون: قلما رأيت مثل هذا الرجل، وهم يريدون: ما رأيت مثله. والرابع: فيؤمنون قليلاً من الزمان: كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [آل عمران: ٧٢] ذكره ابن الأنباري أيضاً. والخامس: أن المعنى: فإيمانهم قليل، ذكره ابن جرير الطبري. وحكى في «ما» قولين: أحدهما: أنها زائدة. والثاني: أن «ما» تجمع جميع الأشياء، ثم تخص بعض ما عمته بما يذكر بعدها.



﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا بَيْنَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَشْتَكُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَقْنَاهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ يَسْكَنُوا أَشْرَرُوا بِهِ أَنْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَوْضِيلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَكَوْهُ بِمَقْصِدٍ عَلَى عَصَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يعني: القرآن. و«يستفتحون»: يستنصرون. وكانت اليهود إذا قاتلت المشركين استنصروا باسم نبي الله محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿يَسْكَنُوا أَشْرَرُوا بِهِ أَنْ أَنْفُسُهُمْ﴾ بشئ: كلمة مستوفية لجميع الدم، ونقيضها: «نِعَمٌ» واشتروا، بمعنى: باعوا. والذي باعوها به قليل من الدنيا.

قوله تعالى: ﴿بَعِيًّا﴾ قال قتادة: حسداً. ومعنى الكلام: كفروا بغياً، لأن نزل الله الفضل على النبي ﷺ. وفي قوله تعالى: ﴿بِمَقْصِدٍ عَلَى عَصَى﴾ خمسة أقوال: أحدها: أن الغضب الأول لاتخاذهم العجل. والثاني: لكفرهم بمحمد، حكاه السدي عن ابن مسعود وابن عباس. والثاني: أن الأول لتكذيبهم رسول الله. والثاني: لعداوتهم لجبريل. رواه شهر عن ابن عباس. والثالث: أن الأول حين قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَقْلُوبَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] والثاني: حين كذبوا نبي الله. رواه أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء. والرابع: أن الأول لتكذيبهم بعيسى والإنجيل. والثاني: لتكذيبهم بمحمد والقرآن. قاله الحسن، والشعبي، وعكرمة، وأبو العالية، وقتادة، ومقاتل. والخامس: أن الأول لتبديلهم التوراة. والثاني: لتكذيبهم محمداً ﷺ قاله مجاهد. والمهين: المذل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَزُومُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَكَفَرُوا بِمَا وَزَّاهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني: القرآن؛ ﴿قَالُوا تَزُومُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ يعنون: التوراة. وفي قوله: ﴿وَكَفَرُوا بِمَا وَزَّاهُ﴾ قولان: أحدهما: أنه أراد بما سواه. ومثله: ﴿وَأَجَلٌ لَكُمْ مَا وَزَّاهُ ذِكْرُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] قاله الفراء ومقاتل. والثاني: بما بعد الذي أنزل عليهم. قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ يعود على ما وراءه. ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾ هذا جواب قولهم: ﴿تَزُومُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ فإن الأنبياء، وتقتلون بمعنى: قتلتم، فوضع المستقبل في موضع الماضي، لأن الهم لا يذهب إلى غيره. وأنشدوا في ذلك:

شهِدَ الْحَطِيبَةُ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ  
أَنَّ الْوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْعَذْرِ

أراد: يشهد.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْكُمْ بَيْعَتَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَوَافَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَيْنَا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْكَنُوا بِأَمْثَلِكُمْ بِهِ إِيصْنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فيها قولان: أحدهما: ما في الألواح من الحلال والحرام، قاله ابن عباس. والثاني: الآيات التسع، قاله مقاتل. وفي هاء «بعده» قولان: أحدهما: أنها تعود إلى موسى، فمعناه: من بعد انطلاقه إلى الجبل، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: أنها تعود إلى المجيء، لأن «جاءكم» يدل على المجيء. وفي ذكر عبادتهم العجل تكذيب لقولهم: ﴿تَزُومُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَوَافَا وَعَصَيْنَا﴾ قال ابن عباس: كانوا إذا نظروا إلى الجبل، قالوا: سمعنا وأطعنا، وإذا نظروا إلى الكتاب، قالوا: سمعنا وعصينا.

قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَيْنَا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ أي: سقوا حب العجل، فحذف المضاف، وهو الحب، وأقام المضاف إليه مقامه، ومثله قوله: ﴿الْعِجْلُ أَشْرُّ مَقْلُوبَتٍ﴾ [البقرة: ١٧٧] [أي وقت الحج] وقوله: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ [التوبة: ١١٩] [أي: أجعلتم صاحب سقاية الحاج]. وقوله: ﴿وَسَقَى الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] [أي: أهلها] وقوله: ﴿وَإِذَا

لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ [الإسراء: ١٧٥]. أي، ضعف عذاب الحياة. وقوله: ﴿لَمَكَّنَّاكَ صَرْيَعًا وَبَيَّعَ وَصَلَاتًا﴾ [الحج: ٤٤]. أي: بيوت صلوات. وقوله: ﴿بَلْ مَكْرُ الْآيِلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سبا: ٣٠]. أي: مكرهم فيهما. وقوله: ﴿فَلْيَعْلَمْ ذَاوُدُ﴾ [العلق: ١٧] أي: أله. ومن هذا قول الشاعر:

أَنْبَسْتُ أَنْ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْقَدْتُ  
أي: أهل المجلس. وقال الآخر:

وَشَرَّ الْمَنَايَا مَيِّتٌ بَيْنَ أَهْلِهِ

أي: شر المنايا مية ميت بين أهله.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَكْسًا بِأَمْرِكُمْ بِهِ يُكْسَكُم﴾ أي: أن تكذبوا المرسلين، وتقتلوا النبيين بغير حق، وتكتموا الهدى.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ في «إن» قولان: أحدهما: أنها بمعنى: الجحد، فالمعنى: ما كنتم مؤمنين إذ عصيتم الله، وعبدتم العجل. والثاني: أن تكون «إن» شرطاً معلقاً بما قبله، فالمعنى: إن كنتم مؤمنين؛ فبئس الإيمان إيمان يأمركم بعبادة العجل، وقتل الأنبياء، ذكرهما ابن الأنباري.

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [١٧] وَلَنْ يَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ [١٨] وَلَتَجِدَنَّ أَهْرَاسَ النَّاسِ عَلَى حَنُوزٍ وَرَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ مَسْكُوتٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزٍجٍ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [١٩]

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الْآخِرَةُ﴾ كانت اليهود تزعم أن الله تعالى لم يخلق الجنة إلا لإسرائيل وولده، فنزلت هذه الآية. ومن الدليل على علمهم بأن النبي ﷺ صادق، أنهم ما تمنوا الموت، وأكبر الدليل على صدقه أنه أخبر أنهم لا يتمنونه بقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَمَنَّوْهُ﴾ فما تمناه أحد منهم. والذي قدمته أيديهم: قتل الأنبياء وتكذيبهم، وتبديل التوراة.

قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ اللام: لام القسم، والنون توكيد له، والمعنى: ولتجدن اليهود في حال دعائهم إلى تمني الموت أحرص الناس على حياة، وأحرص من الذين أشركوا. وفي «الذين أشركوا» قولان: أحدهما: أنهم: المجوس، قاله ابن عباس، وابن قتيبة والزجاج. والثاني: مشركو العرب، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ أَحَدُهُمْ﴾ في الهاء والميم من «أحدهم» قولان: أحدهما: أنها تعود على الذين أشركوا، قاله الفراء. والثاني: ترجع إلى اليهود، قاله مقاتل. قال الزجاج: وإنما ذكر «ألف سنة» لأنها نهاية ما كانت المجوس تدعو بها لملوكها، كان الملك يحيا بأن يقال له: عش ألف نيروز، وألف مهرجان.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ﴾ فيه قولان ذكرهما الزجاج: أحدهما: أنه كناية عن أحدهم الذي جرى ذكره، تقديره: وما أحدهم بمزحزحه من العذاب تعميره. والثاني: أن يكون هو كناية عما جرى من التعمير، فيكون المعنى: وما تعميره بمزحزحه من العذاب، ثم جعل «أن يعمر» مبيناً عنه، كأنه قال: ذلك الشيء الذي ليس بمزحزحه من العذاب.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرًا لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢٧] مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ [٢٨] وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتِنَا بِبَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ [٢٩]

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ قال ابن عباس: أقبلت اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: من يأتيك من الملائكة؟ قال: جبريل: فقالوا: ذاك ينزل بالحرب والقتال، ذاك عدونا، فنزلت هذه الآية والتي تليها. وفي جبريل إحدى عشرة لغة: إحداها: جبريل، بكسر الجيم والراء من غير همز، وهي لغة أهل الحجاز، وبها قرأ ابن عامر، وأبو عمرو. قال ورقة بن نوفل:

من الله وحي يشرح الصدر مننزل

وجبريل يأتيه وميكال مغهما



قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن اليهود كانوا لا يسألون النبي عن شيء من التوراة إلا أجابهم، فسألوه عن السحر وخاصموه به، فنزلت هذه الآية، قاله أبو العالية. والثاني: أنه لما ذكر سليمان في القرآن قالت يهود المدينة: ألا تعجبون لمحمد يزعم أن ابن داود كان نبياً؟! والله ما كان إلا ساحراً، فنزلت هذه الآية. قاله ابن إسحاق. وتتلوه، بمعنى: تلت، و«على» بمعنى: «في» قاله المبرد. قال الزجاج: وقوله: ﴿عَلَىٰ مَائِكَ سِتِينَ﴾ أي: على عهد ملك سليمان. وفي كيفية ما تلت الشياطين على ملك سليمان ستة أقوال: أحدها: أنه لما خرج سليمان عن ملكه؛ كتبت الشياطين السحر، ودفتته في مصلاه، فلما توفي استخرجوه، وقالوا: بهذا كان يملك الملك، ذكر هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول مقاتل. والثاني: أن آصف كان يكتب ما يأمر به سليمان، ويدفنه تحت كرسيه، فلما مات سليمان، استخرجته الشياطين، فكتبوا بين كل سطرين سحراً وكذباً، وأضافوه إلى سليمان، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثالث: أن الشياطين كتبت السحر بعد موت سليمان، ثم أضافته إليه، قاله عكرمة. والرابع: أن الشياطين ابتدعت السحر، فأخذ سليمان، دفتته تحت كرسيه لئلا يتعلمه الناس، فلما قبض استخرجته، فعلمته الناس وقالوا: هذا علم سليمان، قاله قتادة. والخامس: أن سليمان أخذ عهد الدواب، فكانت الدابة إذا أصابت إنساناً طلب إليها بذلك العهد، فتخلي عنه، فزاد السحرة السجع والسحر، قاله أبو مجلز. والسادس: أن الشياطين كانت في عهد سليمان تسترق السمع، فتسمع من كلام الملائكة ما يكون في الأرض من موت أو غيث أو أمر، فيأتون الكهنة فيخبرونهم، فتحدث الكهنة الناس، فيجدونه كما قالوا، حتى إذا أمتهم الكهنة كذبوا لهم [وآدخلوا فيه غيره]، فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة، فاكتتب الناس ذلك الحديث في الكتب، وفشا في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب، فبعث سليمان في الناس، فجمع تلك الكتب في صندوق، ثم دفنها تحت كرسيه، ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلا احترق [وقال: لا أسمع أحداً يذكر أن الشياطين يعلمون الغيب إلا ضربت عنقه]، فلما مات سليمان؛ جاء شيطان إلى نفر من بني إسرائيل، فدلهم على تلك الكتب وقال: إنما كان سليمان يضبط أمر الخلق بهذا، ففشا في الناس أن سليمان كان ساحراً، واتخذ بنو إسرائيل تلك الكتب، فلما جاء محمد ﷺ خاصموه بها، هذا قول السدي. وسليمان: اسم عبراني، وقد تكلمت به العرب في الجاهلية، وقد جعله النابتة سليماً ضرورة، فقال:

ونسج سليم كل قضاة ذائل

واضطر الحطينة فجعله: سلاماً، فقال:

فيه الرماح وفيه كل سابغة

جدلاً محكمة من نسج سلام

وأرادا جميعاً: داود أبا سليمان، فلم يستقم لهما الشعر، فجعلاه: سليمان وغيره. كذلك قرأته على شيخنا أبي منصور اللغوي. وفي قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ دليل على كفر الساحر، لأنهم نسبوا سليمان إلى السحر، لا إلى الكفر. قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم بتشديد نون (ولكن) ونصب نون (الشياطين). وقرأ ابن عامر وحزمة والكسائي بتخفيف النون من (لكن) ورفع نون (الشياطين).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ وقرأ ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، والزهري (الملكين) بكسر اللام، وقراءة الجمهور أصح. وفي «ما» قولان: أحدهما: أنها معطوفة على السحر، فتقديره: واتبعوا ما تتلو الشياطين وما أنزل على الملكين. والثاني: أنها معطوفة على السحر، فتقديره: يعلمون الناس السحر، ويعلمونهم ما أنزل على الملكين. فإن قيل: إذا كان السحر نزل على الملكين، فلماذا كره؟ فالجواب من وجهين، ذكرهما، ابن السري، أحدهما: أنهما كانا يعلمان الناس: ما السحر، ويأمران باجتنابه، وفي ذلك حكمة؛ لأن سائلاً لو قال: ما الزنى؟ لوجب أن يوقف عليه، ويعلم أنه حرام. والثاني: أنه من الجائز أن يكون الله تعالى امتحن الناس بالملكين، فمن قبل التعلم كان كافراً، ومن لم يقبله فهو مؤمن، كما امتحن بنهر طالوت<sup>(١)</sup>. وفي الذي أنزل على الملكين قولان:

(١) وقال القرطبي في «تفسيره»: «ما» نهي، والوار للمطف على قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ وذلك أن اليهود قالوا: إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر، فنفى الله ذلك، وفي الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: وما كفر سليمان، وما أنزل على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر بباب =

أحدهما: أنه السحر، روي عن ابن مسعود والحسن، وابن زيد. والثاني: أنه التفرقة بين المرء وزوجه، لا السحر، روي عن مجاهد وقتادة. وعن ابن عباس كالقولين. قال الزجاج: وهذا من باب السحر أيضاً.

### الإشارة إلى قصة الملكين

ذكر العلماء أن الملكين إنما أنزلا إلى الأرض لسبب، وهو أنه لما كثرت خطايا بني آدم؛ دعت عليهم الملائكة، فقال الله تعالى: لو أنزلت الشهوة والشياطين منكم منزلتهما من بني آدم، لفعلتم مثل ما فعلوا، فحدثوا أنفسهم أنهم إن ابتلوا، اعتصموا، فأوحى الله إليهم [أن] اختاروا من أفضلكم ملكين، فاختاروا هاروت وماروت. وهذا مروي عن ابن مسعود، وابن عباس. واختلف العلماء: ماذا فعلا من المعصية على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها زنيا، وقتلا، وشربا الخمر، قاله ابن عباس. والثاني: أنهما جازا في الحكم، قاله عبيد الله بن عتبة. والثالث: أنهما هتما بالمعصية فقط. ونقل عن علي عليه السلام أن الزهرة كانت امرأة جميلة، وأنها خاصمت إلى الملكين هاروت وماروت، فراودها كل واحد منهما على نفسها، ولم يعلم صاحبه، وكانا يصعدان السماء آخر النهار، فقالت لهما: بم تهبطان وتصعدان؟ قالوا: باسم الله الأعظم، فقالت: ما أنا بمواثيتكما إلى ما تريدان حتى تعلمانيه، فعلماهما إياه، فطارت إلى السماء، فمسحها الله كوكبا<sup>(١)</sup>. وفي الحديث أن النبي ﷺ: «لعن الزهرة»، «إنها فتنت ملكين»<sup>(٢)</sup> إلا أن هذه الأشياء بعيدة عن الصحة<sup>(٣)</sup> وتأول بعضهم، هذا فقال: إنه لما رأى الكوكب، ذكر تلك المرأة، لا أن المرأة مسخت نجماً. واختلف

هاروت وماروت. فهاروت وماروت بدل من الشياطين في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أَكْثَمَ بَلَدٍ كَثِيرًا يَلْمُوهَ الْإِنْسَانَ الْفَاحِشَ﴾ هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل، وأصح ما قيل فيها، ولا يلتفت إلى ما سواه. وقال القاضي رحمه الله: اعلم أن للعلماء في هذه الآية وجوهاً كثيرة، وأقوالاً عديدة، فمنهم من ذهب فيها مذهب الإخباريين نقلة الفث والسمين، ومنهم من وقف مع ظاهرها البحث وتمحل لما اعترضه، بما المعنى الصحيح في غنى عنه. ومنهم من ادعى فيها التقديم والتأخير، ورد آخرها على أولها، بما جعلها أشبه بالألفاظ والمعجمات، التي ينتزه عنها بيان أبلغ كلام. إلى غير ذلك مما يراه المتبحر لما كتب فيها. والذي ذهب إليه المحققون أن هاروت وماروت كانا رجلين متظاهرين بالصلاح والتقوى في بابل - وهي مدينة بالعراق على نهر الفرات - وكانا يعلمان الناس السحر. وبلغ حسن اعتقاد الناس بهما أن ظنوا أنهما ملكان من السماء، وما يعلمانه للناس هو بوحى من الله. وبلغ مكر هذين الرجلين، ومحافظةهما على اعتقاد الناس الحسن فيهما أنهما صارا يقولان لكل من أراد أن يتعلم منهما: إنما نحن فتنة فلا تكفر. أي: إنما نحن أولو فتنة، نبؤك ونختبرك، أنشكر أم تكفر، ونصح لك أن لا تكفر، يقولان ذلك ليوهم الناس أن علومهما إلهية، وصناعتهما روحانية، وأنهما لا يقصدان إلا الخير. «وما هنا نافية على أصح الأقوال، ولفظ «الملكين» هنا وارد حسب العرف الجاري بين الناس في ذلك الوقت.

- (١) قال ابن كثير: غريب جداً.
- (٢) رواه أبو بكر بن مردويه، وابن راهويه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الزهرة فإنها هي التي فتنت الملكين هاروت وماروت». وقال ابن كثير في «تفسيره»: لا يصح، وهو منكر جداً.
- (٣) تنبيه: ما ورد من أن ابن عمر سمع النبي ﷺ يقول: «إن آدم لما أهبطه الله تعالى إلى الأرض، قالت الملائكة: أي رب، أئجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ قال: إني أعلم ما لا تعلمون. قالوا: ربنا نحن أطوع لك من بني آدم. قال الله تعالى للملائكة: هلموا ملكين من الملائكة، حتى يهبط بهما إلى الأرض، فننظر كيف يعملان. قالوا: ربنا هاروت وماروت، فأهبطا إلى الأرض ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر، لجاءتهما، فسلأها نفسها. فقالت: لا والله حتى تكلما بهذه الكلمة من الإشراك. فقالا: والله لا تشرك بالله أبداً، فلعنت هاتين، ثم رجعت بصبي تحمله، فسلأها نفسها. فقالت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبي. فقالا: والله لا تقتله أبداً، فلعنت ثم رجعت بقدح خمر تحمله، فسلأها نفسها. فقالت: لا والله حتى تشربا هذا الخمر، فشربا فسكرا، فوقعا عليها وقتلا الصبي، فلما أنافا، قالت المرأة: والله ما تركتما شيئاً مما أئبشما علي إلا قد فعلتما حين سكرتما، فخيرا بين عذاب الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا». فقد رواه أحمد في «المسنَد» وابن حبان، وهو حديث ضعيف جداً، ولم يصح أن رسول الله ﷺ حدث بهذا، ولعله من رواية ابن عمر عن كعب الأحبار عن بني إسرائيل. وقد ذكر ابن كثير في التفسير أن الحكاية خرافة إسرائيلية. وقال في «التاريخ»: وأما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وماروت من أن الزهرة كانت امرأة فراودها عن نفسها فأبت... فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين، وإن كان قد أخرجه كعب الأحبار، وتلقاه عنه طائفة من السلف، فلذكروه على سبيل الحكاية والتحديث عن بني إسرائيل. وكل هذا يرجح ما رجحه ابن كثير من أن الحديث من قصص كعب الأحبار الإسرائيلية، وأنه ليس مرفوعاً إلى النبي ﷺ وأن من رفته فقد أخطأ ووهم. وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال. وقال القاضي عياض: وإن ما ذكره أهل الأخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت، وما روي عن علي وابن عباس عليهما السلام في خبرهما وابتلائهما، فاعلم - أكرمك الله - أن هذه الأخبار لم يرو منها سقيم ولا صحيح عن رسول الله ﷺ وليس هو شيئاً يؤخذ بقياس، والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه، وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف، وهذه الأخبار من كتب اليهود وافتراءهم، كما نصه الله تعالى أول الآيات.

العلماء في كيفية عذابهما؛ فروي عن ابن مسعود أنهما معلقان بشعورهما إلى يوم القيامة، وقال مجاهد: إن جباً ملئ نارا فجعلا فيه. فأما بابل؛ فروي عن الخليل أن السن الناس تبليل بها. واختلفوا في حدها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الكوفة وسوادها، قاله ابن مسعود. والثاني: أنها من نصيبين إلى رأس العين، قاله قتادة. والثالث: أنها جبل في وهدة من الأرض، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَحِبُّوا فَنَصْنَعُ﴾ أي: اختبار وإبتلاء.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يريد: بقضائه. ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾: إشارة إلى اليهود ﴿لَمَنِ اشْتَرَيْتَهُ﴾، يعني: اختاره، يريد: السحر. واللام لام اليمين. فأما الخلاق؛ فقال الزجاج: هو النصب الوافر من الخير.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ مَا سَكَّرُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: باعوها به ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العقاب فيه.

### فصل

اختلف الفقهاء في حكم الساحر؛ فمذهب إمامنا أحمد رحمه الله يكفر بسحره، قتل به، أو لم يقتل، وهل تقبل توبته؟ على روايتين. وقال الشافعي: لا يكفر بسحره، فإن قتل بسحره وقال: سحري يقتل مثله، وتعمدت ذلك، قتل قوداً. وإن قال: قد يقتل، وقد يخطئ، لم يقتل، وفيه الدية. فأما ساحر أهل الكتاب، فإنه لا يقتل عند أحمد إلا أن يضر بالمسلمين، فيقتل لنقض العهد، وسواء في ذلك الرجل والمرأة. وقال أبو حنيفة: حكم ساحر أهل الكتاب حكم ساحر المسلمين في إيجاب القتل، فأما المرأة الساحرة، فقال: تحبس، ولا تقتل.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَلَوِيَّامُنَا لَنَكُونَنَّ مِن دُونِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿يَمَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْوَيْبَاتُ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا إِنَّا نَنْظُرُنَا وَنَسْمُوهُ وَنَحْكُمُ عَذَابَ آيَةٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ يعني: اليهود، والمشوبة: الثواب. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ قال الزجاج: أي: يعلمون بعلمهم.

قوله تعالى: ﴿يَمَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْوَيْبَاتُ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ قرأ الجمهور بلا تنوين، وقرأ الحسن، والأعمش، وابن محيصن بالتنوين، و«راعنا» بلا تنوين من راعيت، وبالتنوين من الرعونة، قال ابن قتيبة: راعناً بالتنوين: هو اسم مأخوذ من [الرعن] [الرعونة، أراد: لا تقولوا جهلاً ولا حمقاً. وقال غيره: كان الرجل إذا أراد استنصات صاحبه، قال: أرعني سمعك، فكان المناقون يقولون: راعنا، يريدون: أنت أرعن. وقوله: (انظرونا) بمعنى: انتظرونا، وقال مجاهد: انتظرونا: اسمع منا، وقال ابن زيد: لا تعجل علينا.

﴿مَّا يَوْمَ الْوَيْبَاتِ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الشِّرْكَاءَ أَن يُزِيلَ عَلَيْهِم مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ نَّبِيٍّ وَاللَّهُ يَخْتَصِرُ رَحْمَتَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا يَوْمَ الْوَيْبَاتِ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، قال ابن عباس: هم يهود المدينة، ونصارى نجران، فالمشركون مشركو أهل مكة. ﴿أَن يُزِيلَ عَلَيْهِم﴾ أي: على رسولكم. ﴿مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ نَّبِيٍّ﴾ أراد: النبوة والإسلام. وقال أبو سليمان الدمشقي: أراد بالخير: العلم والفقه والحكمة. ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصِرُ رَحْمَتَهُ مَن يَشَاءُ﴾ في هذه الرحمة قولان: أحدهما: أنها النبوة، قاله علي بن أبي طالب، ومحمد بن علي بن الحسين، ومجاهد والزجاج. والثاني: أنها الإسلام، قاله ابن عباس ومقاتل.

﴿مَّا نَسَخَ مِن ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ يَشَاءُ أَلَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿أَلَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِّلشَّكُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا نَسَخَ مِن ءَايَةٍ﴾ سبب نزولها: أن اليهود قالت لما نسخت القبلة: إن محمداً يحل لأصحابه إذا شاء، ويحرم عليهم إذا شاء؛ فنزلت هذه الآية. قال الزجاج: النسخ في اللغة: إبطال شيء وإقامة آخر مقامه، تقول العرب: نسخت الشمس الظل: إذا أذهبته، وحلت محله، وفي المراد بهذا النسخ ثلاثة أقوال: أحدها: رفع اللفظ

والحكم. والثاني: تبديل الآية بغيرها. روي عن ابن عباس، والأول قول السدي، والثاني: قول مقاتل. والثالث: رفع الحكم مع بقاء اللفظ، رواه مجاهد عن أصحاب ابن مسعود، وبه قال أبو العالية. وقرأ ابن عامر: (ما تُنسخ) بضم النون، وكسر السين. قال أبو علي: أي: ما نجده منسوخاً كقولك: أحمدت فلاناً، أي: وجدته محموداً، وإنما يجده منسوخاً بنسخه إياه<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تُنسخ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (تنسأها) بفتح النون مع الهزمة، والمعنى: نؤخرها. قال أبو زيد: نسأت الإبل عن الحوض، فأنا أنسأها: إذا أخرتها، ومنه: النسيفة في البيع. وفي معنى نؤخرها ثلاثة أقوال: أحدها: نؤخرها عن النسخ فلا ننسخها، قاله الفراء. والثاني: نؤخر إنزالها، فلا ننزلها البتة. والثالث: نؤخرها عن العمل بها بنسخنا إياها، حكاها أبو علي الفارسي. وقرأ سعد بن أبي وقاص: (تُنسخها) بقاء مفتوحة ونون. وقرأ سعيد بن المسيب والضحاك: (تُنسخها) بضم التاء. وقرأ نافع: (أو ننسأها) بنونين، الأولى مضمومة، والثانية ساكنة. أراد: أو تُنسخها، من النسيان.

قوله تعالى: ﴿فَأَن تَحْكُم بِهَا﴾ قال ابن عباس: بالين منها، وأيسر على الناس. قوله تعالى: ﴿أَوْ يُنسخ﴾ أي: في الثواب والمنفعة، فتكون الحكمة في تبديلها بمثلها الاختيار. ﴿أَلَمْ تَعْلَم﴾ لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه التوقيف والتقرير. والملك في اللغة: تمام القدرة واستحكامها، والله ﷻ يحكم بما يشاء على عباده، وبغير ما يشاء من أحكام.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلْ ثَمُودُ مِن قَبْلُ وَإِنَّ يَسْأَلُ الْكُفْرَ الْإِيمَانَ فَقَدْ جَلَّ سَوَاءُ السَّبِيلِ﴾ قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن رافع بن حريملة، وهب بن زيد، قالوا لرسول الله: اثنتا بكتاب نقرؤه ننزله من السماء علينا، وفجر لنا أنهاراً حتى نتبعك، فنزلت الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أن قريشاً سألت النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، فقال: (هو لكم كالمائدة لبني إسرائيل [إن كفرتم] فأبوا) قاله مجاهد. والثالث: أن رجلاً قال: يا رسول الله لو كانت كفاراتنا ككفارات بني إسرائيل، فقال النبي ﷺ: «اللهم لا نبغيها، ما أعطاكم الله خير مما أعطى بني إسرائيل، كانوا إذا أصاب أحدهم الخطيئة، وجدها مكتوبة على بابهِ وكفارتها، فإن كفرها كانت له خزيًا في الدنيا، وإن لم يكفرها كانت له خزيًا في الآخرة، فقد أعطاكم الله خيراً مما أعطى بني إسرائيل». فقال: ﴿وَمَن يَمَسَّ سَوَاءً أَوْ يَطْلُبْ نَفْسُهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٤١٠]. وقال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن» فنزلت هذه الآية. قاله أبو العالية. والرابع: أن عبد الله ابن أبي أمية المخزومي أتى النبي ﷺ في رهط من قريش، فقال: يا محمداً والله لا أؤمن بك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً، فنزلت هذه الآية. ذكره ابن السائب. والخامس: أن جماعة من المشركين جاؤوا إلى النبي ﷺ فقال بعضهم: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً. وقال آخر: لن أؤمن لك حتى تسير لنا جبال مكة، وقال عبد الله ابن أبي أمية: لن أؤمن لك حتى تأتي بكتاب من السماء، فيه: من الله رب العالمين إلى ابن أبي أمية: اعلم أنني قد أرسلت محمداً إلى الناس. وقال آخر: هلا جئت بكتابك مجتمعاً، كما جاء موسى بالتوراة. فنزلت هذه الآية. ذكره محمد بن القاسم الأنباري. وفي المخاطبين بهذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قريش، قاله ابن عباس ومجاهد. والثاني: اليهود، قاله مقاتل. والثالث: جميع العرب، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي «أم» قولان: أحدهما: أنها بمعنى: بل، تقول العرب: هل لك عليّ حق، أم أنت معروف بالظلم. يريدون: بل أنت. وأنشدوا:

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى      وصورتيها أم أنت في العين أملح

ذكره الفراء والزجاج. والثاني: بمعنى الاستفهام. فإن اعترض معترض، فقال: إنما تكون للاستفهام إذا كانت

(١) نص كلام أبي علي في القرطبي: قال أبو علي: ليست لغة، لأنه لا يقال: نسخ وأنسخ بمعنى، إلا أن يكون المعنى: ما نجده منسوخاً، كما تقول: أحمدت الرجل وأبخلته بمعنى: وجدته محموداً وبخلاً. قال أبو علي: وليس نجده منسوخاً إلا بأن ننسخه، فتفق القراءتان في المعنى وإن اختلفتا في اللفظ.

مردودة على استفهام قبلها، فأين الاستفهام الذي تقدمها؟ فغنه جوابان: أحدهما: أنه قد تقدمها استفهام، وهو قوله: ﴿أَلَمْ تَلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ذكره الفراء. وكذلك قال ابن الأنباري: هي مردودة على الألف في: ﴿أَلَمْ تَلَمْ﴾ فإن اعترض على هذا الجواب، فقيل: كيف يصح العطف ولفظ: ﴿أَلَمْ تَلَمْ﴾ ينبئ عن الواحد، (وتريدون) عن جماعة؟ فالجواب: أنه إنما رجع الخطاب من التوحيد إلى الجمع، لأن ما خاطب به النبي ﷺ فقد خاطبت به أمته، فاكتمى به من أمته في المخاطبة الأولى، ثم أظهر المعنى في المخاطبة الثانية. ومثل هنا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِمَ تَبْتَغِينَ﴾ [الطلاق: ١]. ذكر هذا الجواب ابن الأنباري. فأما الجواب الثاني عن (أم)؛ فهو أنها للاستفهام، وليست مردودة على شيء. قال الفراء: إذا توسط الاستفهام الكلام؛ ابتدىء بالألف ويأم، وإذا لم يسبقه كلام؛ لم يكن إلا بالألف أو بهـ «هل». وقال ابن الأنباري: «أم» جارية مجرى «هل»، غير أن الفرق بينهما: أن «هل» استفهام مبتدأ، لا يتوسط ولا يتأخر، و«أم»: استفهام متوسط، لا يكون إلا بعد كلام. فأما الرسول هاهنا؛ فهو: محمد ﷺ، والذي سئل موسى من قبل قولهم: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٣]. وهل سألوا ذلك نبياً أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنهم سألوا ذلك، فقالوا: ﴿كَانَ يُؤْمِنُ لَكَ حَقٌّ... تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْحَقَّ كَوَيْلًا﴾ [الاسراء: ٩٠-٩٢]. قاله ابن عباس. والثاني: أنهم بالنوا في المسائل، فقيل لهم بهذه الآية: لعلمكم تريدون أن تسألوا محمداً أن يريكم الله جهرة، قاله أبو سليمان الدمشقي. والكفر: الجحود. والإيمان: التصديق. وقال أبو العالية: المعنى: ومن يتبدل الشدة بالرخاء. وسواء السيل: وسطه.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَثَلًا وَسَخَّرْنَا مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ قُلُوبَهُمْ وَاسْتَعْمَرُوا سَخَّ بَاقِي اللَّهِ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن حبي بن أخطب، وأبا ياسر كانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أن كعب بن الأشرف كان يهجو النبي، ويحرض عليه كفار قريش في شعره، وكان المشركون واليهود من أهل المدينة يؤذون رسول الله حين قدمها، فأمر النبي بالصفح عنهم، فنزلت هذه الآية، قاله عبد الله بن كعب بن مالك. والثالث: أن نقرأ من اليهود دعوا حذيفة وعماراً إلى دينهم، فأبيا، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ومعنى «ودد»: أحب وتمنى. وأهل الكتاب: اليهود. قال الزجاج: ﴿مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِهِمْ﴾ موصول: (بلود كثير)، لا بقوله: (حسداً) لأن حسد الإنسان لا يكون إلا من عند نفسه. والمعنى: مودتهم لكفرهم من عند أنفسهم، لا أنه عندهم الحق. فأما الحسد، فهو تمنى زوال النعمة عن المحسود، وإن لم يصر للحاسد مثلها، وتفارق الغبطة، فإنها تمنى مثلها من غير حب زوالها عن المغبوط. وحد بعضهم الحسد فقال: هو أذى يلحق بسبب العلم بحسن حال الأخيار، ولا يجوز أن يكون الفاضل حسوداً، لأن الفاضل يجري على ما هو الجميل. وقال بعض الحكماء: كل أحد يمكن أن ترضيه إلا الحاسد، فإنه لا يرضيه إلا زوال نعمتك. وقال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد، حزن لازم، ونفس دائم، وعقل هائم، وحسرة لا تنقضي.

قوله تعالى: ﴿سَخَّ بَاقِي اللَّهِ بِأَمْرِهِ﴾ قال ابن عباس: فجاء الله بأمره في النصير بالجلء والنفي، وفي قريظة بالقتل والسبي.

## فصل

وقد روي عن ابن مسعود، وابن عباس، وأبي العالية، وقاتدة ؓ: أن العفو والصفح منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٢٩] وأبى هذا القول جماعة من المفسرين والفقهاء، واحتجوا بأن الله لم يأمر بالصفح والعفو مطلقاً، وإنما أمر به إلى غاية، وما بعد الغاية يخالف حكم ما قبلها، وما هذا سبيله لا يكون من باب المنسوخ، بل يكون الأول قد انقضت مدته بغايته، والآخر يحتاج إلى حكم آخر.



قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الشُّكْرُ وَالْقُرْبَىٰ﴾ في نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن الصحابة كانوا مع رسول الله في غزوة في ليلة مظلمة، فلم يعرفوا القبلة، فجعل كل واحد منهم مسجداً بين يديه وصلى، فلما أصبحوا إذا هم على غير القبلة، فذكروا ذلك لرسول الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية. رواه عامر بن ربيعة. والثاني: أنها نزلت في التطوع بالنافلة، قاله ابن عمر. والثالث: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿أَعُوذُ بِكَ لِكُلِّ غَافِرٍ﴾ [غانر: ٦٠]. قالوا: إلى أين؟ فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد. والرابع: أنه لما مات النجاشي، وأمرهم النبي ﷺ بالصلاة عليه؛ قالوا: إنه كان لا يصلي إلى القبلة؛ فنزلت هذه الآية، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: فتم الله، يريد: علمه معكم أين كنتم، وهو قول ابن عباس، ومقاتل. والثاني: فتم قبلة الله، قاله عكرمة، ومجاهد. والواسع: الذي وسع غناه مفارقة عباده، ورزقه جميع خلقه. والسعة في كلام العرب: الغنى.

### فصل

وهذه الآية مستعملة الحكم في المجتهد إذا صلى إلى غير القبلة، وفي صلاة المتطوع على الراحلة، والخائف. وقد ذهب قوم إلى نسخها، فقالوا: إنها لما نزلت؛ توجه رسول الله إلى بيت المقدس، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَيَسِّرْ مَا كُنْتُمْ قَوْلًا وَيُوحِكُمْ سَطْرًا﴾ [البقرة: ١٤٤]. وهذا مروى عن ابن عباس. قال شيخنا علي بن عبيد الله: وليس في القرآن أمر خاص بالصلاة إلى بيت المقدس، وقوله: ﴿فَاتَيْنَا قَوْلًا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ ليس صريحاً بالأمر بالتوجه إلى بيت المقدس، بل فيه ما يدل على أن الجهات كلها سواء في جواز التوجه إليها، فإذا ثبت هذا؛ دل على أنه وجب التوجه إلى بيت المقدس بالسنة، ثم نسخ بالقرآن.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَمْ يَلَمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَوْمَةٍ تَوَلَّى﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في اليهود إذ جعلوا عزيراً ابن الله، قاله ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في نصارى نجران حيث قالوا: عيسى ابن الله، قاله مقاتل. والثالث: أنها في النصارى ومشركي العرب، لأن النصارى قالت: عيسى ابن الله، والمشركون قالوا: الملائكة بنات الله، ذكره إبراهيم بن السري. والرابع: أنها في اليهود والنصارى ومشركي العرب، ذكره الثعلبي. فأما القنوت؛ فقال الزجاج: هو في اللغة بمعنيين: أحدهما: القيام. والثاني: الطاعة. والمشهور في اللغة والاستعمال أن القنوت: الدعاء في القيام، فالقانت: القائم بأمر الله. ويجوز أن يقع في جميع الطاعات، لأنه إن لم يكن قيام على الرجلين؛ فهو قيام بالنية. وقال ابن قتبية: لا أرى أصل القنوت إلا الطاعة، لأن جميع الخلال من الصلاة، والقيام فيها والدعاء وغير ذلك يكون عنها. وللمفسرين في المراد بالقنوت هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الطاعة، قاله ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه الإقرار بالعبادة، قاله عكرمة، والسدي. والثالث: القيام، قاله الحسن، والربيع. وفي معنى القيام قولان: أحدهما: أنه القيام له بالشهادة بالعبودية. والثاني: أنه القيام بين يديه يوم القيامة. فإن قيل: كيف عمَّ بهذا القول وكثير من الخلق ليس له بمطعم؟ فنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن يكون ظاهرها ظاهر العموم، ومعناها معنى الخصوص. والمعنى: كل أهل الطاعة له قانتون. والثاني: أن الكفار تسجد ظلالمهم لله بالغدوات والعشيات، فنسب القنوت إليهم بذلك. والثالث: أن كل مخلوق قانت له بأثر صنعه فيه، وجري أحكامه عليه، فذلك دليل على ذل للرب. ذكره ابن الأنباري.

﴿يُوحِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

قوله تعالى: ﴿يُوحِى السَّمَوَاتِ﴾ البديع: المبدع، وكل من أنشأ شيئاً لم يسبق إليه قيل له: أبدعت. قال الخطابي: البديع، فعيل بمعنى: مفعول، ومعناه: أنه فطر الخلق مخترعاً له لا على مثال سبق.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ قال ابن عباس: معنى القضاء: الإرادة. وقال مقاتل: إذا قضى أمراً في علمه، فإنما يقول له: كن فيكون. والجمهور على ضم نون (فيكون)، بالرفع على القطع. والمعنى: فهو يكون. وقرأ ابن عامر بنصب النون. قال مكِّي ابن أبي طالب: النصب على الجواب، لكن فيه بعد.

### فصل

وقد استدلل أصحابنا على قدم القرآن بقوله: ﴿كُنْ﴾ فقالوا: لو كانت «كن» مخلوقة؛ لانفترت إلى إيجادها بمثلها وتسلسل ذلك، والمتسلسل محال. فإن قيل: هذا خطاب لمعدوم؛ فالجواب أنه خطاب تكوين يُظهر أثر القدرة، ويستحيل أن يكون المخاطب موجوداً، لأنه بالخطاب كان، فامتنع وجوده قبله أو معه. ويحقق هذا أن ما سيكون متصور للعلم، فضاهاى بذلك الموجود، فجاز خطابه لذلك.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشْتَكِبْتُمْ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْتِي السَّامِعِينَ الْقَوْلَ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا يَنْفَرُونَ﴾ (١١٨)

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس والثاني: النصارى، قاله مجاهد. والثالث: مشركو العرب، قاله قتادة، والسدي عن أشياخه. و(لولا) بمعنى: هلا. وفي ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: اليهود والنصارى، قال السدي عن أشياخه. والثالث: اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار، قاله قتادة. ﴿تَشْتَكِبْتُمْ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: في الكفر. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُشْغِلُ عَنْ أَحْصَاءِ الْجَحِيمِ﴾ (١١٩)

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن النبي ﷺ قال يوماً: «ليت شعري ما فعل أبواي!» فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن النبي ﷺ قال: «لو أنزل الله بأسه باليهود لأموتوا» فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. وفي المراد (بالحق) هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن. قاله ابن عباس. والثاني: الإسلام. قاله ابن كيسان. والثالث: الصدق.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُشْغِلُ عَنْ﴾: الأكثرون بضم التاء، على الخبر، والمعنى: لست بمسؤول عن أعمالهم. وقر نافع ويعقوب، بفتح التاء وسكون اللام، على النهي عن السؤال عنهم. وجوز أبو الحسن الأخفش أن يكون معنى هذه القراءة: لا تسأل عنهم فإنهم في أمر عظيم. فيكون ذلك على وجه التعظيم لما هم فيه. فأما الجحيم؛ فقال الفراء: الجحيم: النار، والجمر على الجمر. وقال أبو عبيدة: الجحيم: النار المستحكمة المتظلية. وقال الزجاج: الجحيم: النار الشديدة الوقود، وقد جحم فلان النار: إذا شدد وقودها، ويقال لعين الأسد: جحمة لشدة توقدها. ويقال لوقود الحرب، وهو شدة القتال فيها: جاحم. وقال ابن فارس: الجاحم: المكان الشديد الحر. قال الأعشى:

يُعدون للهيجاء قبل لقائها  
غداة احتضار البأس والموت جاحم  
ولذلك سميت الجحيم. وقال ابن الأنباري: قال أحمد بن عبيد: إنما سميت النار جحيماً، لأنها أكثر وقودها من قول العرب: جحمت النار أجمعها: إذا أكرت لها الوقود. قال عمران بن حطان:

يرى طاعة الله الهدى وخلافه  
﴿وَلَنْ رَمَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَخْرُجَ مِنْهُمْ قُلُوبُكَ فَذَلِكَ هُوَ الْهَدَى وَخَلَافُهُ﴾ (١٢٠)

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ رَمَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي ﷺ إلى قبلتهم، فلما صرف إلى الكعبة يشربوا منه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم دعوه إلى دينهم، فنزلت، قاله مقاتل. والثالث: أنهم كانوا يسألونه الهدنة، ويطمعونه في أنه إن هادنهم وافقوه؛ فنزلت، ذكر معناه الزجاج. قال الزجاج: والملة في اللغة: السنة والطريقة. قال ابن عباس: (وهدى الله) هاهنا: الإسلام. وفي الذي جاءه من العلم أربعة أقوال: أحدها: أنه التحول إلى الكعبة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه البيان بأن دين الله الإسلام. والثالث: أنه القرآن. والرابع: العلم بضلالة القوم. ﴿مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ ينفعك ﴿وَلَا تَمِيرُ﴾ يمنعك من عقوبته.

﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكُتُبَ يَتْلُونَهَا حَتَّى لَا تَبْغُوا أَوْلِيَاءَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١٢١) ﴿يَبْقَى إِلَهُكُمُ الْمَعْرُوفُ﴾ (١٢٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السَّبِيلَ الَّتِي اتَّخَذُوا لِلَّهِ سَبِيلًا وَلَا تَقْبَلُوا مِنْهَا عَدْلًا وَلَا تَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا تَضُرُّكُمْ﴾ (١٢٣) ﴿وَلَا يَنْفَعُ الْإِسْلَامَ زَيْدٌ وَكَانَ زَيْدٌ يُكْفِرُ﴾ (١٢٤) ﴿وَلَا يَنْفَعُ الْإِسْلَامَ زَيْدٌ وَكَانَ زَيْدٌ يُكْفِرُ﴾ (١٢٥) ﴿وَلَا يَنْفَعُ الْإِسْلَامَ زَيْدٌ وَكَانَ زَيْدٌ يُكْفِرُ﴾ (١٢٦) ﴿وَلَا يَنْفَعُ الْإِسْلَامَ زَيْدٌ وَكَانَ زَيْدٌ يُكْفِرُ﴾ (١٢٧) ﴿وَلَا يَنْفَعُ الْإِسْلَامَ زَيْدٌ وَكَانَ زَيْدٌ يُكْفِرُ﴾ (١٢٨) ﴿وَلَا يَنْفَعُ الْإِسْلَامَ زَيْدٌ وَكَانَ زَيْدٌ يُكْفِرُ﴾ (١٢٩) ﴿وَلَا يَنْفَعُ الْإِسْلَامَ زَيْدٌ وَكَانَ زَيْدٌ يُكْفِرُ﴾ (١٣٠)

(١) رواه ابن جرير في التفسير من طريق موسى بن عبيدة الرضدي، وهو ضعيف جداً.

من اليهود، قاله ابن عباس. والثاني: في المؤمنين من أصحاب النبي ﷺ، قاله عكرمة، وقاتدة. وفي الكتاب قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله قاتدة. والثاني: أنه التوراة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿يَتْلُوهُ حَقٌّ تِلَاوَتِهِ﴾ أي: يعملون به حق عمله، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ في هاء «به» قولان: أحدهما: أنها تحود على الكتاب. والثاني: على النبي محمد ﷺ، وما بعد هذا قد سبق بيانه إلى قوله: ﴿وَإِذْ أَنْتَ إِذْ يُؤْمِنُ بِكَ كُنْتُمْ﴾ والابتلاء: الاختبار. وفي إبراهيم ست لغات: أحدها: إبراهيم، وهي اللغة الفاشية. والثانية: إبراهيم. والثالثة: إبراهيم. والرابعة: إبراهيم، ذكرهم الفراء. والخامسة: إبراهيم. والسادسة: إبراهيم. قال عبد المطلب:

عذت بما عاذ به إبراهيم  
وقال أيضاً:

نحن آل الله في كعبته  
لم ينزل ذاك على عهد إبراهيم  
وفي الكلمات خمسة أقوال: أحدها: أنها خمس في الرأس، وخمس في الجسد. أما التي في الرأس؛ فالفرق، والمضمضة، والاستنشاق، وقص الشارب، والسواك. وفي الجسد: تقليم الأظافر، وحلق العانة، وتنف الإبط، والاستطابة بالماء، والختان، رواه طاووس عن ابن عباس. والثاني: أنها عشر، ست في الإنسان، وأربع في المشاعر. والثالث: في الإنسان: حلق العانة، وتنف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب، والسواك، والغسل من الجنابة، والغسل يوم الجمعة. والرابع: في المشاعر: الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار، والإفاضة. رواه حنبل بن عبد الله عن ابن عباس. والثالث: أنها المناسك، رواه قاتدة عن ابن عباس. والرابع: أنه ابتلاء بالكوكب، والشمس، والقمر، والهجرة، والنار، وذبح ولده والختان، قاله الحسن. والخامس: أنها كل مسألة في القرآن، مثل قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]. ونحو ذلك، قاله مقاتل. فمن قال: هي أفعال فعلها؛ قال: معنى فأتاهن: عمل بهن. ومن قال: هي دعوات ومسائل؛ قال: معنى فأتاهن: أجابه الله إليهن. وقد روي عن أبي حنيفة أنه رأى: (إبراهيم) يرفع الميم (رَبِّ) ينصب الباء<sup>(١)</sup>، على معنى: اختر ربه هل يستجيب دعاءه، ويتخذة خليلاً أم لا؟.

قوله تعالى: ﴿وَنُذِرُوا﴾ في الذرية قولان: أحدهما: أنها فعلية من الذر، لأن الله أخرج الخلق من صلب آدم كالذر. والثاني: أن أصلها ذرورة، على وزن: فعلولة، ولكن لما كثر التضعيف أبدل من الراء الأخيرة ياء، فصارت: ذرورية، ثم أدغمت الواو في الياء، فصارت: ذرية، ذكرهما الزجاج، وصوب الأول. وفي العهد هاهنا سبعة أقوال: أحدها: أنه الإمامة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبير. والثاني: أنه الطاعة، رواه لضحك عن ابن عباس. والثالث: الرحمة، قاله عطاء وعكرمة. والرابع: الدين، قاله أبو العالية. والخامس: النبوة، قاله السدي عن أشياخه. والسادس: الأمان، قاله أبو عبيدة. والسابع: الميثاق، قاله ابن قتيبة. والأول أصح. وفي المراد بالظالمين هاهنا قولان: أحدهما: أنهم الكفار، قاله ابن جبير، والسدي. والثاني: العصاة، قاله عطاء.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ أُمَّةً مَقَرًّا وَمَرْجُومًا﴾ أي: جعلنا آل إبراهيم أمّةً مقرةً ومثابةً، قاله ابن قتيبة. ﴿وَلَا جُنْدًا لَهُمْ﴾ أي: لا جنود لهم، قاله ابن عباس. ﴿وَأَنَّا نَقُصُّهُمْ عَلَيْكَ﴾ أي: نأمرهم أن يذكروا قصصهم، قاله ابن عباس. ﴿وَنُفِثَ فِي السَّابِقِ﴾ أي: نُفِثَ فِي السَّابِقِ، قاله ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ أُمَّةً مَقَرًّا وَمَرْجُومًا﴾ البيت هاهنا: الكعبة، والألف واللام تدخل للمعهود، أو للجنس، فلما علم المخاطبون أنه لم يرد الجنس؛ انصرف إلى المعهود، قال الزجاج: والمثاب والمثابة واحد، كالمقام والمقامة، قال ابن قتيبة: والمثابة: المعاد، من قولك: ثبت إلى كذا، أي: عدت إليه، وثاب إليه جسمه بعد العلة: إذا عاد، فأراد: أن الناس يعودون إليه مرة بعد مرة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا﴾ قال ابن عباس: يريد أن من أحدث حدثاً في غيره، ثم لجأ إليه؛ فهو آمن، ولكن ينبغي

(١) سبق أن أشرنا إلى عدم صحة نسبة هذه القراءة وأمثالها إلى أبي حنيفة أحد أئمة المذاهب الأربعة رحمه الله.

لأهل مكة أن لا يبايعوه، ولا يطعموه، ولا يسقوه، ولا يؤووه، ولا يكلم حتى يخرج، فإذا خرج؛ أقيم عليه الحد. قال القاضي أبو يعلى: وصف البيت بالأمن، والمراد جميع الحرم، كما قال: ﴿هَذَا بَلَدٌ أَلَيْسَ﴾ [المائدة: ٩٥] والمراد: الحرم كله لأنه لا يذبح في الكعبة، ولا في المسجد الحرام، وهذا على طريق الحكم، لا على وجه الخبر فقط. وفي ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحرم كله، قاله ابن عباس. والثاني: عرفة والمزدلفة والجمار، قاله عطاء. وعن مجاهد كالقولين. وقد روي عن ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، قالوا: الحج كله مقام إبراهيم. والثالث: الحجر، قاله سعيد بن جبير، وهو الأصح. قال عمر بن الخطاب: قلت: يا رسول الله! لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت. وفي سبب وقوف إبراهيم على الحجر قولان: أحدهما: أنه جاء يطلب ابنه إسماعيل، فلم يجده، فقالت له زوجته: انزل، فأبى، فقالت: فدعني أغسل رأسك، فأنته بحجر فوضع رجله عليه، وهو راكب، فغسلت شقه، ثم رفعتة وقد غابت رجله فيه، فوضعت تحت الشق الآخر وغسلته، فغابت رجله فيه، فجعله الله من شعاره، ذكره السدي عن ابن مسعود وابن عباس. والثاني: أنه قام على الحجر لبنا البيت، وإسماعيل يناوله الحجارة، قاله سعيد بن جبير. قرأ الجمهور، منهم: ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: (وَاتَّخِذُوا) بكسر الخاء؛ على الأمر. وقرأ نافع، وابن عامر بفتح الخاء على الخبر. قال ابن زيد: قال النبي ﷺ: «أين ترون أن نصلي؟» فقال عمر: إلى المقام، فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾<sup>(١)</sup>. وقال أبو علي: وجه فتح الخاء: أنه معطوف على ما أضيف إليه، كأنه قال: وإذا اتخذوا. ويؤكد الفتح في الخاء أن الذي بعده خبر، وهو قوله: وعهدنا. قوله تعالى: ﴿رَعَىٰ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أي: أمرناهما وأوصيانهما. وإسماعيل: اسم أعجمي، وفيه لغتان: إسماعيل، و: اسماعين. وأنشدوا:

قال جوارى الحي لما جينا

هذا ورب البيت إسماعينا

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْهَآ بَيْتٌ﴾ قال قتادة: يريد من عبادة الأوثان والشرك، وقول الزور. فإن قيل: لم يكن هناك بيت؛ فما معنى أمرهما بتطهيره؟ فتنه جوابان: أحدهما: أنه كانت هناك أصنام، فأمرًا بإخراجها، قاله عكرمة. والثاني: أن معناه: ابنياه مطهراً، قاله السدي. والعاكفون: المقيمون، يقال: عكف يعكف ويعكف عكوفاً؛ إذا أقام، ومنه الاعتكاف. وقد روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى ينزل في كل ليلة ويوم، عشرين ومائة رحمة ينزل على هذا البيت: ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آيَاتًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّرَاثِ إِنَّكَ أَنتَ الْكَرِيمُ﴾ قَالَ رَبُّكَ فَامْنَعُهُمْ قِيلَ إِنَّهُ أَضْمَرَهُ إِلَّا عَذَابَ النَّارِ وَفِي السُّورَةِ

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آيَاتًا﴾ البلد: صدر القرى، والبالد: المقيم بالبلد، والبلدة: الصدر ووضعت الناقبة ببلدتها: إذا بركت، والمراد بالبلد هاتنا: مكة. ومعنى (آيَاتاً): ذا أمن. وأمن البلدة مجاز، والمراد أمن من فيه. وفي المراد بهذا الأمن ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سأل الله الأمن من القتل. والثاني: من الخسف والقذف. والثالث: من القحط والجذب. قال مجاهد: قال إبراهيم: لمن أمن، فقال الله ﷻ: ومن كفر فسأزقه.

قوله تعالى: ﴿فَأَمْنُهُمْ﴾ وقرأ ابن عامر: (فَأَمْنُهُ) بالتخفيف، من أمتعت. وقرأ الباقون بالتشديد من: مَتَّعَتِ والإمتاع: إعطاء ما تحصل به المتعة. والمتعة: أخذ الحظ من لذة ما يشتهي. وبماذا يمتعه؟ فيه قولان: أحدهما بالأمن. والثاني: بالرزق. والاضطرار: الإلجاء إلى الشيء، والمصير: ما ينتهي إليه الأمر.

﴿وَلَقَدْ رَفَعَ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرْسِلْنَا سَكَنًا وَبَّ عَيْنًا إِنَّكَ أَنتَ الثَّوَابُ الرَّجِيمُ﴾ رَبَّنَا وَابْنِ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

(١) رواه أحمد والبخاري، ولفظ أحمد عن عمر: وافقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت.

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» والحاكم في «الكنى» والخطيب في «التاريخ» والبيهقي في «الشعب» عن ابن عباس. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» في يوسف بن السفر، وهو متروك.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ القواعد: أساس البيت، واحدها: قاعدة. فأما قواعد النساء؛ فواحدتها: قاعدة، وهي العجوز. ﴿رَبَّنَا قَبَّلْ إِلَيْنَا﴾ أي: يقولان: ربنا، فحذف ذلك، كقوله: ﴿وَاللَّيْلُ نَكْتَلُ بِدُخَانِهِ﴾ [الرعد: ٢٥]. أراد: يقولون. (والسميع) بمعنى: السامع، لكنه أبلغ، لأن بناء فاعل للمبالغة. نال الخطابي: ويكون السماع بمعنى القبول والإجابة، كقول النبي ﷺ: «أعوذ بك من دعاء لا يسمع»<sup>(١)</sup> أي: لا يستجاب. وقول المصلي: سمع الله لمن حمده، أي: قبل الله حمد من حمده. وأنشدوا:

دعوت الله حتى خفت أن لا يكون الله يسمع ما أقول

### الإشارة إلى بناء البيت

روى أنس عن النبي ﷺ قال: كانت الملائكة تحج إلى البيت قبل آدم. وقال ابن عباس: لما أهبط آدم؛ قال الله تعالى: يا آدم! اذهب فابن لي بيتاً فطف به، واذكرني حوله كما رأيت ملائكتي تصنع حول عرشي. فأقبل يسعى حتى انتهى إلى البيت الحرام، وبناء من خمسة أجبل: من لبنان، وطور سيناء، وطور زيتا، والجودي، وحراء، فكان آدم أول من أسس البيت، وطاف به، ولم يزل كذلك حتى بعث الله الطوفان، فدرس موضع البيت، فبعث الله إبراهيم وإسماعيل. وقال علي ابن أبي طالب عليه السلام: لما أمر الله تعالى إبراهيم ببناء البيت؛ ضاق به ذرعاً، ولم يدر كيف صنع، فأنزل الله عليه كهيفة السحابة، فيها رأس يتكلم، فيها رأس يتكلم، فقال: يا إبراهيم! علم على ظلي، فلما علم ارتفعت. وفي رواية أنه كان يبني عليها كل يوم، قال: وحفر إبراهيم من تحت السكينة، فأبدى عن قواعد، ما تحرك القاعدة منها دون ثلاثين رجلاً. فلما بلغ موضع الحجر، قال لإسماعيل: التمس لي حجراً، فذهب يطلب حجراً، فجاء جبريل بالحجر الأسود، فوضعه، فلما جاء إسماعيل، قال: من جاءك بهذا الحجر؟ قال: جاء به من لم يتكل على بنائي وبنائك. وقال ابن عباس، وابن المسيب، وأبو العالية: رفعا القواعد التي كانت قواعد قبل ذلك. وقال السدي: لما أمره الله ببناء البيت؛ لم يدر أين يبني، فبعث الله له ريحاً، فكنست حول الكعبة عن الأساس الأول الذي كان البيت عليه قبل الطوفان.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ قال الزجاج: المسلم في اللغة: الذي قد استسلم لأمر الله، وخضع. والمناسك: المتعبدات. فكل متعبد منك ومنيك، ومنه قيل للعابد: ناسك. وتسمى الذبيحة المتقرب بها إلى الله ﷻ: نسكة. وكان الأصل في النسك إنما هو من الذبيحة لله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَآدَمَ﴾ أي: مذهبنا. قاله مجاهد. وقال غيره: هي جميع أفعال الحج. وقرأ ابن كثير: وأرنا) بجزم الراء. و﴿رَبِّ أَرُونِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]. و﴿أَرِنَا الَّذِيْنَ أَصْلَلْنَا﴾ [نمل: ٢٩]. وقرأ نافع، وحَمْزَة، والكسائي (أَرِنَا) بكسر الراء في جميع ذلك. وقرأ أبو بكر عن عاصم وابن عامر كذلك، إلا أنهم أسكنوا الراء من (أَرِنَا اللذين) جدداً. قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: (أَرِنَا) وكثير من العرب يجزم الراء، فيقول: (أَرِنَا مناسكنا) وقرأ بها بعض لغات. وأنشد بعضهم:

قالت سلمي اشتتر لنا دقيقا  
واشتتر فعجل خادماً لبيقا

ومن يتق فإن الله معه ورزق الله مؤتتاب وغادي  
قال قتادة: أراهما الله مناسكهما: الموقف بعرفات، والإفاضة من جمع، ورمي الجمار، والطواف، والسعي. قال أبو مجلز: لما فرغ إبراهيم من البيت أتاه جبريل، فأراه الطواف، ثم أتى به جمرة العقبة، فعرض له الشيطان، فأخذ جبريل سبع حصيات، وأعطى إبراهيم سبعاً، وقال له: ارم وكبر، فرميا وكبرا مع كل رمية حتى غاب الشيطان. ثم أتى به جمرة الوسطى، فعرض لهما الشيطان، فأخذ جبريل سبع حصيات، وأعطى إبراهيم سبع حصيات، فقال: ارم

(١) رواء مسلم عن زيد بن أرقم بلفظ: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشيع، ومن دعوة لا يستجاب لها».

وكبر، فرميا وكبرا مع كل رمية حتى غاب الشيطان. ثم أتى به الجمرة القصوى، فعرض لهما الشيطان، فأخذ جبريل سبع حصيات، وأعطى إبراهيم سبع حصيات. فقال له: ارم وكبر، فرميا وكبرا مع كل رمية حتى غاب الشيطان، ثم أتى به منى، فقال: هاهنا يحلق الناس رؤوسهم، ثم أتى به جمعاً، فقال: هاهنا يجمع الناس، ثم أتى به عرفة، فقال: أعرفت؟ قال: نعم. قال: فمن ثم سميت عرفات.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْنَيْ فِيهِمْ رَمُوكَ إِنَّا نَحْنُ الذَّيِّفُونَ﴾ في الهاء والميم من (فيهم) قولان: أحدهما: أنها تعود على الذرية، قاله مقاتل والفراء. والثاني: على أهل مكة في قوله: ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَكَ﴾ والمراد بالرسول: محمد ﷺ. وقد روى أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قيل: يا رسول الله! ما كان بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضأت له قصور الشام»<sup>(١)</sup>. والكتاب: القرآن. والحكمة: السنة، قاله ابن عباس. وروي عنه: الحكمة: الفقهاء والحلال والحرام، ومواظب القرآن. وسميت الحكمة حكمة، لأنها تمنع من الجهل.

وفي قوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: يأخذ الزكاة منهم فيطهرهم بها، قاله ابن عباس والفراء. والثاني: يطهرهم من الشرك والكفر، قاله مقاتل. والثالث: يدعومهم إلى ما يصيرون به أذكىاء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ قال الخطابي: العز في كلام العرب على ثلاثة أوجه: أحدها: بمعنى الغلبة يقولون: من عز بزز. أي: من غلب سلب. يقال منه: عز يعز، بضم العين من يعز، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَزَّزْنِي﴾<sup>(٢)</sup> الخطابي [ص: ٢٨]. والثاني: بمعنى الشدة والقوة، يقال منه: عز يعز، بفتح العين من يعز. والثالث: أن يكون بمعنى نفاسة القدر، يقال منه: عز يعز بكسر العين من يعز. ويتناول معنى العزيز على أنه الذي لا يعادله شيء، ولا مثل له.

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ بِمَا بِإِزْمِرٍ بَيْنَ يَدَيْ وَعَقُوبٍ بَيْنِي إِذْ اللَّهُ اصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ سبب نزولها أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه مهاجراً وسلمة إلى الإسلام، فأسلم سلمة، ورغب عن الإسلام مهاجر، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. قال الزجاج: «ومن» لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها التقرير والتوبيخ. والمعنى: ما يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه. ويقال: رغبت في الشيء إذا أردته. ورغبت عنه: إذا تركته. وملة إبراهيم: دينه.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: إلا من سفه نفسه، قاله الأخفش<sup>(٣)</sup> ويونس قال يونس: ولذلك تعدى إلى النفس فتنصبها، وقال الأخفش: نصبت النفس لإسقاط حرف الجر، لأن المعنى: إلا من سفه في نفسه. قال الشاعر:

نغالي اللحم للأضياف نيئاً ونرخصه إذا نضج القدور

والثاني: إلا من أهلك نفسه، قاله أبو عبيدة. والثالث: إلا من سفهت نفسه، كما يقال: غبن فلان رأيه، وهذا مذهب الفراء وابن قتيبة. قال الفراء: نقل الفعل عن النفس إلى ضمير «من»، ونصبت النفس على التشبيه بالتفسير، كما يقال: ضقت بالامر ذرعاً، يريدون: ضاق ذرعي به، ومثله: ﴿وَأَسْتَحَلَّ الرَّأْسَ سَكِينًا﴾ [مریم: ٤٤]. والرابع: إلا من جهل نفسه، فلم يفكر فيها، وهو اختيار الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُدْرِكُهُ الْآخِرَةُ كَأَنَّ الْفُلُوحِينَ﴾ قال ابن الأنباري: لمن الصالح حال عند الله تعالى. وقال الزجاج: الصالح في الآخرة: الفائز.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ وذلك حين وقوع الاصطفاء، قال ابن عباس: لما رأى الكوكب والقمر والشمس، قال له ربه: أسلم، أي: أخلص.

(١) رواه أبو داود الطيالسي وأحمد في «المستد» عن أبي أمامة، وفي سننه الفرج بن فضالة، وهو ضعيف، وجاء الحديث بمعناه في «مسند أحمد» من العرياض بن سارية، وقد صححه الشيخ أحمد شاكر.

(٢) نقل القرطبي في «التفسير» عن الأخفش في معنى (سفه نفسه) أنه فعل بها من السفه ما صار به سفياً. وعنه أيضاً: هي لغة، بمعنى سفه.

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى﴾ قرأ ابن عباس وأهل المدينة: (وأوصى) بألف، مع تخفيف الصاد، والباقون بغير ألف شدة الصاد، وهذا لاختلاف المصاحف. أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا ثابت، قال: أخبرنا ابن قشيش، قال: أخبرنا ابن حيويه، قال: حدثنا ابن الأنباري، قال: أخبرنا ثعلب، قال: قال: أملى عليّ خلف بن هشام البزار قال: اختلف مصحفا أهل المدينة وأهل العراق في اثني عشر حرفاً: كتب أهل المدينة: (وأوصى) وأهل العراق: (ووصى) وكتب أهل المدينة: ﴿سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. بغير واو، وأهل العراق: ﴿وَسَارِعُوا﴾ وكتب أهل المدينة: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [المائدة: ٥٦]. وأهل العراق: (ويقول) وكتب أهل المدينة: ﴿مَنْ يَزِلْذُ﴾ [المائدة: ٥٧]. وأهل العراق: (من يرتد) وكتب أهل المدينة: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ [التوبة: ١٠٨]. وأهل العراق (والذين) وكتب أهل المدينة: ﴿خَيْرًا مِنْهُمَا مُّثْقَلًا﴾ [الكهف: ٣٦]. وأهل العراق: (منها) وكتب أهل المدينة: ﴿فَيَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٧]. وأهل العراق: (وتوكل) وكتب أهل المدينة: ﴿وَأَنْ يُّظْهَرِ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المومن: ٢٦]. وأهل العراق: (أو أن يظهر) وكتب أهل المدينة في (حم عسق): ﴿يَمَّا كَسَبْتَ أَيُّدِيكُمْ﴾ بغير فاء، وأهل العراق: (فما) وكتب أهل المدينة ﴿مَا فَتَنَهِیَ الْأَنْفُسُ﴾ [الزخرف: ٧١]. باللهاء. وأهل العراق: (ما تشتهي) وكتب أهل المدينة: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْكَلِيمُ﴾ [الحديد: ٢٤]. وأهل العراق: (إن الله هو الغني الحميد) وكتب أهل المدينة: ﴿فَلَا يَخَافُ فَتْنََهَا﴾ [النسر: ١٥]. وأهل العراق (ولا يخاف). ووصى أبلغ من أوصى، لأنها تكون لمرات كثيرة، وهاء «بها» تعود على المسألة. قاله عكرمة والزجاج. قال مقاتل: وبنيه أربعة: إسماعيل، وإسحاق، ومدين، ومدائن. وذكر غير مقاتل نهم ثمانية.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا وَأنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ يريد: الزموا الإسلام، فإذا أدرككم الموت صادفكم عليه. ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَكَ مُّسْلِمُونَ﴾ [يوسف: ١٠١]. تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَلُونَ عَنْهَا كَأُولَِّمَنْ بَدَلُوا ﴿[البقرة: ١٢٣]﴾ قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ سبب نزولها أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألسنت تعلم أن يعقوب أوصى بنيه يوم مات باليهودية؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ أي: مضت، يشير إلى إبراهيم وبنيه، ويعقوب وبنيه. ﴿وَقَالُوا كُفُّوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَتَذَبَّدُونَ قُلْ بَلْ بِلِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَقِيقًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥] قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنَّا أُنزِلَ إِلَيْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ وَمَا أَوْفَىٰ الْيَهُودُ مِن رَّبِّهِمْ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ نَحْنُ لَكَ مُّسْلِمُونَ ﴿[البقرة: ١٢٦]﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُفُّوا هُودًا﴾ معناه: قالت اليهود: كونوا هوداً، وقالت النصارى: كونوا نصارى، تهتدوا. ﴿قُلْ بَلْ بِلِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَقِيقًا﴾ المعنى: بل تنسب ملة إبراهيم في حال حنيفيته. وفي الحنيف قولان: أحدهما: أنه المائل إلى عبادة. قال الزجاج: الحنيف في اللغة: المائل إلى الشيء، أخذ من قولهم: رجل أحنف، وهو الذي تميل قدماء كل واحدة منهما إلى أختها بأصابعها. قالت أم الأحنف ترقصه:

والله لسوياً حَنَفْتُ بِرَجُلِهِ  
ووقفة في ساقه من هزله  
ما كان في فتيانكم من مثله

والثاني: أنه المستقيم، ومنه قيل للأعرج: حنيف، نظراً له إلى السلامة، هذا قول ابن قتيبة. وقد وصف لمفسرون الحنيف بأوصاف، فقال عطاء: هو المخلص، وقال ابن السائب: هو الذي يحج. وقال غيرهما: هو الذي وُحِدَ ويحج، ويضحى ويختتن، ويستقبل الكعبة. فأما الأسباط: فهم بنو يعقوب، وكانوا اثني عشر رجلاً. قال الزجاج: السبط في اللغة: الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد. والسبط في اللغة: الشجرة لها قبائل، فالسبط: الذين هم من شجرة واحدة.

﴿إِن ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ قَوْمُ آدَمَ فَأَفْتَدَوْا وَلَوْ ءَانَا فِي شِقَاقِ نَجِيفَتُهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْكَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]



قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا آمَنَوا﴾ يعني: أهل الكتاب.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَلِمْ مَا آمَنَتم بِهِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: مثل إيمانكم، فزيدت الباء للتوكيد، كما زيدت في قوله: ﴿وَمَزَجَ إِلَيْكَ يَجْمَعُ النَّحْلَ﴾ (مریم: ٢٤). قاله ابن الأنباري. والثاني: أن المراد بالمثل هاهنا: الكتاب، وتقديره: فإن آمنوا بكتابكم كما آمتم بكتابهم، قاله أبو معاذ النحوي. والثالث: أن المثل هاهنا: صلة، والمعنى: فإن آمنوا بما آمتم به. ومثله قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (النورى: ١١). أي: ليس كهو شيء. وأنشدوا:

يا عادلي دعني من عدلكا  
مثلي لا يقبل من مثلكا

أي: أنا لا أقبل منك، فأما الشقاق؛ فهو المشاقة والعداوة، ومنه قولهم: فلان قد شق عصا المسلمين، يريدون: فارق ما اجتماعوا عليه من اتباع إمامهم، فكأنه صار في شق غير شقهم.

قوله تعالى: ﴿نَسِيكَمُ اللَّهُ﴾ هذا ضمان لنصر النبي ﷺ.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ سبب نزولها أن النصارى كانوا إذا ولد لأحدهم ولد، فأتى عليه سبعة أيام، صبغوه في ماء لهم، يقال له: المعمودية، ليظهره بذلك، ويقولون: هذا طهور مكان الختان، فإذا فعلوا ذلك؛ قالوا: صار نصرانياً حقاً، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. قال ابن مسعود وابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد، والنخعي، وابن زيد: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾: دينه. قال الفراء: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ [نصب] مردودة على الملة<sup>(١)</sup>. وقرأ ابن عبلة: (صِبْغَةُ اللَّهِ) بالرفع على معنى: هذه صبغة الله. وكذلك قرأ: (ملة إبراهيم) بالرفع أيضاً على معنى: هذه ملة إبراهيم. قال ابن قتيبة: المراد بصبغة الله: الختان، فسماه صبغة، لأن النصارى كانوا يصبغون أولادهم في ماء [ويقولون: هذا طهرة لهم، كالختان للحنفاء] فقال الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ أي: الزموا صبغة الله، لا صبغة النصارى أولادهم، وأراد بها: ملة إبراهيم. وقال غيره: إنما سمي الدين صبغة لبيان أثره على الإنسان، كظهور الصبغ على الثوب.

﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَفَرُّنَا مِنْ رَبِّكُمْ وَلَكُمُ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يريد: يهود المدينة، ونصارى نجران. والمحاجة: المخاصمة في الدين، فإن اليهود قالت: نحن أهل الكتاب الأول. وقيل: ظهرت اليهود عبدة الأوثان، فقيل لهم: تزعمون أنكوا موحدون، ونحن نوحدهم، فلم ظاهرتهم من لا يوحد؟!

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمُ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ قال أكثر المفسرين: هذا الكلام اقتضى نوع مساهلة، ثم نسخ بآية

السيف.

﴿أَمْ نَقُولُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنتُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَثُرَ شَهَادَةٌ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِقَاضٍ لِعَمَلِهِمْ تَقَابِلًا ۖ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٨) وَلَكِنْ أَهْلُ الْكِتَابِ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَانُوا يَسْتَلِمُونَ (١٣٩)

قوله تعالى: ﴿أَمْ نَقُولُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ...﴾ الآية. سبب نزولها أن يهود المدينة، ونصارى نجران قالوا للمؤمنين: إن أنبياء الله كانوا منا من بني إسرائيل، وكانوا على ديننا، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ومعنى الآية: إن الله قد أعلمنا بدين الأنبياء، ولا أحد أعلم به منه. قرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر، وأبو عمرو: (أم يقولون) بالياء على وجه الخبر عن اليهود. وقرأ ابن عامر وحزمة والكسائي وحفص عن عاصم: (تقولون) بالياء لأن قبله مخاطبة، وهي ﴿أَتُحَاجُّونَنَا﴾ وبعدها ﴿قُلْ أَنتُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾. وفي الشهادة التي كتبوها قولان: أحدهما: أن الله تعالى شهد عندهم بشهادة لإبراهيم ومن ذكر معه أنهم كانوا مسلمين، فكتبوها، قاله الحسن، وزيد بن أسلم. والثاني: أنهم كتبوها للإسلام، وأمر محمد وهم يعلمون أنه نبي دينه الإسلام، قاله أبو العالية، وقتادة.

(١) يريد أنها بدل من (ملة إبراهيم).

﴿ سَيَقُولُ الشُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَهُمْ مِنْ قِبَلِهِمْ آلِي كَاوًا عَلَيْهِمْ فَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِنَّ مِرْيَاقَ شَيْتَانٍ ﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الشُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله البراء بن عازب، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والثاني: أنهم أهل مكة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم المنافقون، ذكره السدي عن ابن مسعود، وابن عباس. وقد يمكن أن يكون الكل قالوا ذلك، والآية نزلت بعد تحويل القبلة. والشفهاء: الجهلة. ما ولاهم، أي: صرفهم عن قبلتهم: يريد: قبله المقدس. واختلف العلماء في مدة صلاة النبي ﷺ إلى بيت المقدس بعد ندومه إلى المدينة على ستة أقوال: أحدها: أنه ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر، قاله البراء بن عازب. والثاني: سبعة عشر شهراً، قاله ابن عباس. والثالث: ثلاثة عشر شهراً، قاله معاذ بن جبل. والرابع: تسعة أشهر، أو عشرة أشهر، قاله نس بن مالك. والخامس: ستة عشر شهراً. والسادس: ثمانية عشر شهراً، روي القولان عن قتادة. وهل كان استقباله إلى بيت المقدس برأيه، أو عن وحي؟ فيه قولان: أحدهما: أنه كان بأمر الله تعالى وزوجه، قاله ابن عباس وابن جريج. والثاني: أنه كان باجتهاده ورأيه، قاله الحسن، وأبو العالية، وعكرمة، والربيع. وقال قتادة: كان الناس يتوجهون إلى أي جهة شاؤوا بقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: ١١٥]. ثم أمرهم باستقبال بيت المقدس. وفي سبب اختياره بيت المقدس قولان: أحدهما: ليتألف أهل الكتاب، ذكره بعض المفسرين. والثاني: لامتحان العرب بغير ما لفوه، قاله الزجاج.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّكُمْ إِنَّا اللَّهُ الْكَائِنُ زُبُّونٌ رَحِيمٌ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ سبب نزولها أن اليهود قالوا: قبلتنا قبلة الأنبياء، ونحن عدلٌ بين الناس، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. والأمة: الجماعة. والوسط: العدل، قاله ابن عباس، وأبو سعيد، ومجاهد، وقاتادة، وقال ابن قتيبة: الوسط: العدل، الخيار، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُكُمْ﴾ [القلم: ٢٨]. أي: أعدلهم، وخيرهم. قال الشاعر:

هم وسط يرضى الأنعام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمُعْظَم

وأصل ذلك أن خير الأشياء أوسطها، والغلو والتقصير مذمومان. وذكر ابن جرير الطبري أنه من التوسط في الفعل، فإن المسلمين لم يقصروا في دينهم كاليهود، فإنهم قتلوا الأنبياء، وبدلوا كتاب الله، ولم يغلوا كالنصارى، فإنهم عموا أن عيسى ابن الله. وقال أبو سليمان الدمشقي: في هذا الكلام محذوف، ومعناه: جعلت قبلتكم وسطاً بين قبلتين، فإن اليهود يصلون نحو المغرب، والنصارى نحو المشرق، وأنتم بينهما.

قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: لتشهدوا للأنبياء على أممهم. روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل، ويجيء النبي ومعه الرجلان، ويجيء النبي معه أكثر من ذلك، فيقال لهم: أبأغفكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال للنبي: أبأغفكم؟ فيقول: نعم، فيقال: من يشهد لك؟ قال: محمد وأمه؛ فيشهدون أن الرسل قد بلغوا، فيقال: ما علمكم؟ فيقولون: أخبرنا نبينا أن الرسل قد بلغوا، فصدقناه، لذلك قوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾»<sup>(١)</sup> وهذا مذهب عكرمة، وقاتادة. والثاني: أن معناه: لتكونوا شهداء لمحمد ﷺ على الأمم: اليهود والنصارى والمجوس، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ يعني: محمداً ﷺ. وماذا يشهد عليهم؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أفعالهم، قاله ابن عباس، وأبو سعيد الخدري، وابن زيد. والثاني: بتبليغهم الرسالة، قاله قتادة، ومقاتل. والثالث: إيمانهم، قاله أبو العالية. فيكون على هذا «عليكم» بمعنى: لكم. قال عكرمة: لا يسأل عن هذه الأمة إلا نبيا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ يريد: قبلة بيت المقدس. ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لنرى. والثاني: لنميز. رُوي عن ابن عباس: والثالث: لنعلمه واقعاً، إذ علمه قديم، قاله جماعة من أهل التفسير، وهو يرجع إلى قول ابن عباس: «لنرى». والرابع: أن العلم راجع إلى المخاطبين، والمعنى: لتعلموا أنتم، قاله القراء. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْقُلْ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾ أي: يرجع إلى الكفر، قاله ابن زيد، ومقاتل. قوله تعالى: ﴿وَلَنْ كَانَتْ لَكِبْرَةً﴾ في المشار إليها قولان: أحدهما: أنه التولية إلى الكعبة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أنها قبلة بيت المقدس قبل التحول عنها، قاله أبو العالية، والزجاج. قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُخَيِّجَ بِمَنِّكُمْ﴾ نزل على سبب: وهو أن المسلمين قالوا: يا رسول الله! أرايت إخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُخَيِّجَ بِمَنِّكُمْ﴾<sup>(١)</sup> والإيمان المذكور هاهنا أريد به: الصلاة في قول الجماعة. وقيل: إنما سمي الصلاة إيماناً، لاشتغالها على قول ونية وعمل. قال القراء: وإنما أسند الإيمان إلى الأحياء [من المؤمنين] والمعنى: فيمن مات [من المسلمين] قبل أن تحول القبلة [لأنهم داخلون معهم في الملة]. قوله تعالى: ﴿رُؤُوفٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: (الرؤوف) على وزن: لرعوف، في جميع القرآن، ووجهها: أن فعولاً أكثر في كلامهم من فعل، فباب ضروب وشكور، أوسع من باب حذر ويقظ. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، عن عاصم: (الرؤف) على وزن: رَعُفٍ. ويقال: هو الغالب على أهل الحجاز. قال جرير:

ترى للمسلمين عليك حقاً كفعل الوالد الرؤف الرحيم

والرؤوف بمعنى: الرحيم، هذا قول الزجاج. وذكر الخطابي عن بعض أهل العلم أن الرأفة أبلغ الرحمة وأرقها. قال: ويقال: الرأفة أخص، والرحمة أعم.

﴿قَدْ رَأَى ثَقْلَبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَمَّا لَمَسَكَ يَبْلَهُ رَضِنَهَا قَوْلَ وَجْهِكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَبَيْتَ مَا كُنْتُمْ قَوْلُوا وَجْهَكُمْ شَطْرَهُ وَلَكِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَحْكُمُونَ أَهْلَ الْحَقِّ مِنْ دِينِهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَمْشُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ رَأَى ثَقْلَبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ سبب نزولها أن النبي ﷺ كان يحب أن يوجه إلى الكعبة، قاله البراء، وابن عباس، وابن المسيب، وأبو العالية، وقتادة. وذكر بعض المفسرين أن هذه الآية مقدمة في النزول على قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ أَتْلَهُمَا بِرَأْسِ الْكَلْبِ﴾ واختلفوا في سبب اختيار النبي الكعبة على بيت المقدس على قولين: أحدهما: أنها كانت قبلة إبراهيم، روي عن ابن عباس. والثاني: لمخالفة اليهود، قاله مجاهد. ومعنى ثقلب وجهه: نظره إليها يميناً وشمالاً. وفي «إلى»، و«ترضاها» بمعنى: «تحبها». و«الشطرا»: النحو من غير خلاف. قال ابن عمر: أتى الناس آت وهم في صلاة الصبح بقاء، فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وأمر أن يستقبل الكعبة، ألا فاستقبلوها [وكانت وجوههم إلى الشام] فاستداروا وهم في صلاتهم<sup>(٢)</sup>.

### فصل

اختلف العلماء أي وقت حولت القبلة؟ على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها حولت في صلاة الظهر يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله المدينة، قاله البراء بن عازب، ومقلد بن يسار. والثاني: أنها حولت يوم الثلاثاء للنصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدمه المدينة، قاله قتادة. والثالث: أنها حولت في جمادى الآخرة، حكاه ابن سلامة المفسر عن إبراهيم الحزبي. وفي «الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» قولان: أحدهما: اليهود، قاله مقاتل. والثاني: اليهود والنصارى، قاله أبو سليمان الدمشقي.

(١) رواه أحمد، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري ومسلم في «صحيحهما» ولقظه: من ابن عمر قال: بينما الناس في صلاة الصبح بقاء، إذ جاءهم آت، قال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة.



﴿مَنْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ١٦]. وقوله: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر: ٤٨٣].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ قال الزجاج: معناه: إلا من ظلم باحتجازه فيما قد وضع له، كما تقول: ما لك عليّ حجة إلا الظلم، أي: إلا أن تظلمني. أي: ما لك عليّ البتة، ولكنك تظلمني. قال ابن عباس: ﴿فَلَا تَقْشُورُهُمْ﴾ في انصرافكم إلى الكعبة ﴿وَأَخْشَوْنِي﴾ في تركها.

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُلَهِيكُمُ الْكِتَابَ وَيُعَلِّمُكُمُ الْيُسْمَاءَ وَيُعَلِّمُكُمُ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجاج: «كما» لا تصلح أن تكون جواباً لما قبلها، والأجود أن تكون معلقة بقوله: ﴿فَأَذْكُرُونِي﴾ وقد روي معناه عن عليّ، وابن عباس، ومجاهد، ومقاتل. والآية خطاب لمشركي العرب. وفي قوله: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ ثلاثة أقوال، قد سبق ذكرها في قصة إبراهيم. والكتاب: القرآن. والحكمة: السنة.

﴿فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْتُمْ وَأَنْشُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُون﴾ ﴿١٥١﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَذْكُرُونِي﴾ قال ابن عباس، وابن جبير: اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي. وقال إبراهيم بن السري: كما أنعمت عليكم بالرسالة، فأذكروني بتوحيدتي وتصديق نبيي. قال: فإن قيل: كيف يكون جواب: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾: ﴿فَأَذْكُرُونِي﴾؟ فإن قوله: ﴿فَأَذْكُرُونِي﴾ أمر. وقوله: ﴿أَذْكُرْتُمْ﴾ جزاء؛ فالجواب: أن المعنى: إن تذكروني أذكركم.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْشُرُوا لِي﴾ الشكر: الاعتراف بحق المنعم، مع الثناء عليه.

﴿يَتَأَيَّأُ الْإِيمَانُ أَتَمَّتْ آمَاتُهَا وَالصَّبْرُ وَالصَّلَاةُ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿١٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الْإِيمَانُ أَتَمَّتْ آمَاتُهَا وَالصَّبْرُ وَالصَّلَاةُ﴾ سبب نزولها أن المشركين قالوا: سيرجع محمد إلى ديننا، كما رجع إلى قبلتنا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. وقال ابن عباس: استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على أداء الفرائض، وبالصلاة، وقد سبق الكلام في الصبر، وبيان الاستعانة به وبالصلاة.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أُمِيتَ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾ سبب نزولها أنهم كانوا يقولون لقتلى بدر وأحد: مات فلان بيدر، مات فلان بأحد، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. ورفع الأموات بإضمار مكني من أسمائهم، أي: لا تقولوا: هم أموات، ذكر نحوه الفراء. فإن قيل: فنحن نراهم موتى، فما وجه النهي؟ فالجواب أن المعنى: لا تقولوا: هم أموات لا تصل أرواحهم إلى الجنات، ولا تنال من تحف الله ما لا يتاله الأحياء، بل هم أحياء، أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة<sup>(١)</sup>، فهم أحياء من هذه الجهة، وإن كانوا أمواتاً من جهة خروج الأرواح، ذكره ابن الأنباري. فإن قيل: أليس جميع المؤمنين منعمين بعد موتهم؟ فلم خصصتم الشهداء؟ فالجواب: أن الشهداء فضلوا على غيرهم بأنهم مرزوقون من مطاعم الجنة ومأكلاها، وغيرهم منعم بما دون ذلك، ذكره ابن جرير الطبري.

﴿وَلَتَبْلُوكُمْ بِغَيْرِ غُرَبٍ مِنَ الْكَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالسَّرْمَتِ أَلَيْسَ الْإِيمَانُ إِذَا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَأَنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾ ﴿١٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَتَبْلُوكُمْ بِغَيْرِ غُرَبٍ مِنَ الْكَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ قال الفراء: «من» تدل على أن لكل صنف منها شيئاً مضمراً، فتقديره: بشيء من الخوف، وشيء من الجوع، وشيء من نقص الأموال. وفيمن أريد في هذه الآية أربعة أقوال: أحدها: أنهم أصحاب النبي خاصة، قاله عطاء. والثاني: أنهم أهل مكة. والثالث: أن هذا يكون في آخر الزمان. قال كعب: يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا تمرة. والرابع: أن الآية على عمومها. فأما الخوف؛ فقال ابن عباس: وهو الفرع في القتال. والجوع: المجاعة التي أصابت أهل مكة سبع سنين. ونقص من الأموال: ذهاب أموالهم، والأنفس بالموت والقتل الذي نزل بهم، والشمرات لم تخرج كما كانت تخرج. وحكى أبو سليمان الدمشقي عن بعض أهل العلم: أن الخوف في الجهاد، والجوع في فرض الصوم، ونقص الأموال: ما فرض فيها من

(١) جاء في صحيح مسلم «أن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت...» الحديث.

الزكاة والحج، ونحو ذلك. والأنفس: ما يستشهد منها في القتال، والثمرات: ما فرض فيها من الصدقات. ﴿وَيُزَكِّرُ الْقَثِيرِينَ﴾ على هذه البلاوي بالجنة. واعلم أنه إنما أخبرهم بما سيصيبهم ليوطئوا أنفسهم على الصبر، فيكون ذلك أبعد لهم من الجزع. ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ يريدون: نحن عبيده يفعل بنا ما يشاء ﴿وَلِلَّهِ إِلَهُكُمْ﴾ يريدون: نحن مقررون بالبعث والجزاء على أعمالنا، والثواب على صبرنا. قال سعيد بن جبيرة: لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة شيئاً لم يعطه الأنبياء قبلهم ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِلَيْهِ رُجُوعُنَا﴾ ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾. ولو أعطيتها الأنبياء لأعطيتها يعقوب، ألم تسمع إلى قوله: ﴿يَتَأَسَّرُونَ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤] قال الفراء: وللمعرب في المصيبة ثلاث لغات: مصيبة، ومصابة، ومصوبة، زعم الكسائي أنه سمع أعرابياً يقول: جبر الله مصوبتك.

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ قال سعيد بن جبيرة: الصلوات من الله: المغفرة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ بالاسترجاع. قال عمر بن الخطاب: نعم العدلان، ونعمت العلاوة: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

﴿إِنَّا أَنشَأْنَا السَّمْعَ وَالْبَصَرَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَن حَاجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَصَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَبَازِغَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿إِنَّا الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَزَلْنَا مِنَ الْبَيْتِ وَالْمَدَنِيَّ وَمَا بَيْنَهُمَا لِنَاسٍ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ النَّبِيُّونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَا السَّمْعَ وَالْبَصَرَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رجلاً من الأنصار ممن كان يهمل لمناة في الجاهلية - ومناة: صنم كان بين مكة والمدينة - قالوا: يا رسول الله! إنا كنا لا نظوف بين الصفا والمروة تعظيماً لمناة، فهل علينا من حرج أن نظوف بهما؟ فنزلت هذه الآية. رواه عروة عن عائشة (٢). والثاني: أن المسلمين كانوا لا يطوفون بين الصفا والمروة، لأنه كان على الصفا تماثيل وأصنام؛ فنزلت هذه الآية. رواه عكرمة عن ابن عباس. وقال الشعبي: كان وثن على الصفا يدعى: إساف، وثن على المروة يدعى: نائلة، وكان أهل الجاهلية يسعون بينهما ويمسحونهما، فلما جاء الإسلام كفوا عن السعي بينهما، فنزلت هذه الآية. والثالث: أن الصحابة قالت للنبي ﷺ: إنا كنا نظوف بين الصفا والمروة، وإن الله تعالى ذكر الطواف بالبيت، ولم يذكره بين الصفا والمروة، فهل علينا من حرج أن لا نظوف بهما؟ فنزلت هذه الآية. رواه الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن جماعة من أهل العلم. قال إبراهيم بن السري: الصفا في اللغة: الحجارة الصلبة الصلدة التي لا تنبت شيئاً، وهو جمع، واحده صفاة وصفا، مثل: حصة وحصى. والمروة: الحجارة اللينة، وهذان الموضعان من شعائر الله، أي: من أعلام متعبداته. وواحد الشعائر: شعيرة. والشعائر: كل ما كان من موقف أو سعي أو ذبح. والشعائر: من شعرت بالشيء: إذا علمت به، فسميت الأعلام التي هي متعبدات الله: شعائر الله. والحج في اللغة: القصد، وكذلك كل قاصد شيئاً فقد اعتمره. والجنح: الإثم، أخذ من جنح: إذا مال وعدل، وأصله من جناح الطائر، وإنما اجتنب المسلمون الطواف بينهما، لمكان الأوثان، فقليل لهم: إن نصب الأوثان بينهما قبل الإسلام لا يوجب اجتنابهما، فأعلم الله ﷻ أنه لا جناح في التطوف بهما، وأن من تطوع بذلك فإن الله شاكر عليم. والشكر من الله: المجازاة والثناء الجميل، والجمهور قرؤوا (ومن تطوع) بالثناء ونصب العين. منهم: ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر. وقرأ حمزة، والكسائي «يطوع» بالياء وجزم العين. وكذلك خلافهم في التي بعدها بآيات.

### فصل

اختلفت الرواية عن إمامنا أحمد في السعي بين الصفا والمروة، فنقل الأثر من ترك السعي لم يجزه حجه.

(١) العدل بكسر العين: نصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير. والعلاوة: هي ما يوضع بين العدلين، وهي زيادة في الحمل، وأراد بالعدلين الصلاة، والرحمة. وبالعلاوة: الانتهاء، وقد أخرج هذا الأثر البخاري تعليقاً، ووصله الحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» وسنده صحيح، ورواه أحمد والبخاري ومسلم مطولاً.

ونقل أبو طالب: لا شيء في تركه عمداً أو سهواً، ولا ينبغي أن يتركه. ونقل الميموني أنه تطوع.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أُنْزِلَ مِنْ الْكِتَابِ وَالْمُذَنَّبِينَ﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: نزلت في رؤساء اليهود، كتبوا ما أنزل الله في التوراة من البينات والهدى، فاليينات: الحلال والحرام والحدود والفرائض. والهدى: نعت النبي وصفته ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ﴾ قال مقاتل: لبني إسرائيل. وفي الكتاب قولان: أحدهما: أنه التوراة، وهو قول ابن عباس. والثاني: التوراة والإنجيل، قاله قتادة. ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى الكافرين ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ قال ابن قتيبة: أصل اللعن في اللغة: الطرد، ولعن الله إبليس، أي: طرده، ثم انتقل ذلك فصار قولاً. قال الشماخ وذكر ماء:

ذَعَرْتُ بِهِ الْقُطْطَا وَنَفِثْتُ عَنْهُ

مقام الذئب كالرجل اللعين<sup>(١)</sup>

أي: الطريد. وفي اللاعنين أربعة أقوال: أحدها: أن المراد بهم: دواب الأرض، رواه البراء عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup> وهو قول مجاهد، وعكرمة. قال مجاهد: يقولون: إنما منعنا القطر بذنوبكم، فيلعنونه. والثاني: أنهم المؤمنون، قاله عبد الله بن مسعود. والثالث: أنهم الملائكة والمؤمنون، قاله أبو العالية، وقتادة. والرابع: أنهم الجن والإنس وكل دابة، قاله عطاء.

### فصل

وهذه الآية توجب إظهار علوم الدين، منصوبة كانت أو مستنبطة، وتدل على امتناع جواز أخذ الأجرة على ذلك، إذ غير جائز استحقاق الأجر على ما يجب فعله، وقد روى الأعرج عن أبي هريرة أنه قال: إنكم تقولون: أكثر أبو هريرة على النبي ﷺ، والله الموعود، وإيم الله: لولا آية في كتاب الله ما حدثت أحداً بشيء أبداً، ثم تلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أُنْزِلَ﴾ .. إلى آخرها<sup>(٣)</sup>.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَئِكَ أَكُوفٌ عَلَيْكَ﴾ وَأَنَا الْقَوِيُّ الرَّحِيمُ ﴿١٦١﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ قال ابن مسعود: إلا الذين تابوا من اليهود وأصلحوا أعمالهم، وبينوا صفة رسول الله في كتابهم.

### فصل

وقد ذهب قوم إلى أن الآية التي قبل هذه منسوخة بالاستثناء في هذه، وهذا ليس بنسخ، لأن الاستثناء إخراج بعض ما شمله اللفظ، وذلك يقتضي التخصيص دون النسخ، وما يحقق هذا أن الناسخ والمنسوخ لا يمكن العمل بأحدهما إلا بترك العمل بالآخر، وهما يمكن العمل بالمستثنى والمستثنى منه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَنْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَكُوتِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ إنما شرط الموت على الكفر، لأن حكمه يستقر بالموت عليه، فإن قيل: كيف قال: ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وأهل دينه لا يلعنونه، فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنهم يلعنونه في الآخرة. قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ لِّمَنْ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥]. وقال: ﴿كُلَّمَا دَخَلْتَ أُمَّةً لَمَنْتَ أَخْبَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]. والثاني: أن المراد بالناس هاهنا: المؤمنون، قاله ابن مسعود، وقتادة، ومقاتل. فيكون على هذا من العام الذي أريد به الخاص. والثالث: أن اللعنة من الأكثر يطلق عليها: لعنة جميع الناس تغليبا لحكم الأكثر على الأقل.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْقَرُونَ﴾ ﴿١٦٣﴾

(١) قال في «اللسان» أراد مقام الذئب الطريد، كالرجل. والرجل اللعين المطرود، لا يزال متنبهاً عن الناس، شبه الذئب به في ذله وشدة مخافته وذعره.

(٢) رواه ابن ماجه، وابن أبي حاتم، وفي سننه لث بن أبي سليم، وهو ضعيف.

(٣) رواه أحمد، والبيهقي، ومسلم، وغيرهم. وقوله: «والله الموعود» قال القاضي عياض في «المشارك»: أي: عند الله المجتمع، أو إليه. وقال الحافظ في «الفتح»: ورماده أن الله تعالى يحاسبني إن تعدت كذباً، ويحاسب من يظن بي سوء.

قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها تعود إلى اللعنة، قاله ابن مسعود، ومقاتل. والثاني: أنها ترجع إلى النار، وإن لم يجر لها ذكر فقد علمت.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: إن كفار قريش قالوا: يا محمد صف لنا ربك وانسبه، فنزلت هذه الآية، وسورة الإخلاص. والإله بمعنى: المعبود.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن المشركين قالوا للنبي: اجعل لنا الصفا ذهباً إن كنت صادقاً؛ فنزلت هذه الآية، حكاه السدي عن ابن مسعود، وابن عباس. والثاني: أنهم لما قالوا: انسب لنا ربك وصفه؛ فنزلت: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قالوا: فأرنا آية ذلك؛ فنزلت: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنه لما نزلت ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال كفار قريش: كيف يسع الناس إله واحد؟ فنزلت هذه الآية، قاله عطاء. فأما ﴿السَّمَكَاتِ﴾؛ فتدل على صانعها، إذ هي قائمة بغير عمد، وفيها من الآيات الظاهرة ما يدل يسيره على مبدعه، وكذلك الأرض في ظهور ثمارها، وتمهيد سهولها، وإرساء جبالها، إلى غير ذلك. ﴿وَخَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ كل واحد منهما حادث بعد أن لم يكن، وزائل بعد أن كان ﴿وَالْفَلَكَ﴾: السفن. قال ابن قتيبة: الواحد والجمع بلفظ واحد. وقال البيهقي: واحد فلكة، ويذكر ويؤنث. وقال الزجاج: الفلك: السفن، ويكون واحداً، ويكون جمعاً، لأن فَعَلَ، وفَعَّلَ جمعهما واحد، ويأتيان كثيراً بمعنى واحد. يقال: العجم والعُجم، والعرب والعُرب، والفلك والفُلك. والفلك: يقال لكل شيء مستدير، أو فيه استدارة. و﴿الْبَحْرِ﴾: الماء الغزير ﴿يَمَّا يَبْتَغِ النَّاسُ﴾ من المعاش. ﴿وَمَا أَرْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ﴾ يعني: المطر، والمطر ينزل على معنى واحد، وأجزاء الأرض والهواء على معنى واحد، والأنواع تختلف في النبات والطعوم والألوان والأشكال المختلفة، وفي ذلك رد على من قال: إنه من فعل الطبيعة، لأنه لو كان كذلك لوجب أن يتفق موجدوها، إذ المتفق لا يوجب المختلف، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى في قوله: ﴿يَسْقِي مِمَّا رَزَقَهُ يَنْفِثُ مِنْهَا عَلَى بَعْضِ الْأَشْجَارِ﴾ [الرعد: ٤].

قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَ﴾ أي: فرق.

قوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾ قرأ ابن كثير (الرياح) على الجمع في خمسة مواضع: هاهنا. وفي الحجر: ٢٢. ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيْحَ لَازِقَةً﴾ وفي الكهف: ٤٦. ﴿تَذَرُوهُ الرِّيْحُ﴾ وفي الروم: ٤٦. الحرف الأول (الرياح). وفي الجاثية: ٤. ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾ وقرأ باقي القرآن (الريح). وقرأ أبو جعفر (الرياح) في خمسة عشر موضعاً؛ في البقرة، وفي الأعراف: ٥٦. ﴿يُرْسِلُ الرِّيْحَ﴾ وفي إبراهيم: ١٨. ﴿أَسْتَشَدُّ بِهِ الرِّيْحُ﴾ وفي الحجر: ٢٢. ﴿الرِّيْحَ لَازِقَةً﴾ وفي سبحة: ١٩. وفي الكهف: ٤٥. ﴿تَذَرُوهُ الرِّيْحُ﴾ وفي الأنبياء: ٨١. وفي الفرقان: ٤٨. ﴿أُرْسِلَ الرِّيْحُ﴾ وفي النمل. والثاني من الروم: ٤٨. وفي سبأ: ١٢. وفي ص: ٣٦. وفي عسق: ٣٣. ﴿يُسْكِنُ الرِّيْحُ﴾ وفي الجاثية: ٥. ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾ تابعه نافع إلا في سبحة. ورياح سليمان: الأنبياء: ٨١. وتابع نافع أبو عمرو إلا في حرفين: (الريح) في إبراهيم، وعسق، ووافق أبا عمرو، وعاصم، وابن عامر. وقرأ حمزة (الرياح) جمعاً في موضعين: في الفرقان، والحرف الأول من الروم، وباقيهما على التوحيد. وقرأ الكسائي مثل حمزة، إلا إنه زاد عليه في الحجر: ٢٢. ﴿الرِّيْحَ لَازِقَةً﴾ ولم يختلفا فيما ليس فيه ألف ولا ميم، فمن جمع؛ فكل ريح تساوي أختها في الدلالة على التوحيد والنفخ، ومن وحد؛ أراد الجنس. ومعنى تصريف الرياح: تقلبها شمالاً مرة، وجنوباً مرة، ودبوراً أخرى، وصباً أخرى، وعذاباً ورحمة. ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾: المذلل. والآية فيه من أربعة أوجه، ابتداء كونه، وانتهاء تلاشي، وقيامه بلا دعامة ولا علاقة، وإرساله إلى حيث شاء الله تعالى. ﴿لَا تَسْبِيحُ﴾. الآية: العلامة. أخبرنا عبد الوهاب الحافظ قال: أخبرنا عاصم



قال: أخبرنا ابن بشران قال: أخبرنا ابن صفوان قال: حدثنا ابن أبي الدنيا قال: حدثني هارون قال: حدثني عفان عن مبارك بن فضالة قال: سمعت الحسن يقول: كانوا يقولون، يعني: أصحاب النبي ﷺ: الحمد لله الرفيق، الذي لو جعل هذا الخلق خلقاً دائماً لا يتصرف، لقال الشاك في الله: لو كان لهذا الخلق ربٌ لحادثه، وإن الله تعالى قد حادث بما ترون من الآيات، إنه جاء بضوء طَبَّق ما بين الخافقين، وجعل فيها معاشاً، وسراجاً وهاجاً، ثم إذا شاء ذهب بذلك الخلق، وجاء بظلمة طَبَّق ما بين الخافقين، وجعل فيه سكناً ونجوماً، وقمرأ منيراً، وإذا شاء، بنى بناء، جعل فيه المطر، والبرق، والرعد، والصواعق، ما شاء، وإذا شاء صرف ذلك، وإذا شاء جاء ببرد يقرقف الناس، وإذا شاء ذهب بذلك، وجاء بحر يأخذ أنفاس الناس، ليعلم الناس أن لهذا الخلق رباً يحادثه بما ترون من الآيات، كذلك إذا شاء ذهب بالدنيا وجاء بالآخرة.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ سَكِيدٌ الْعَذَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾ في الأنداد قولان قد تقدما في أول السورة. وفي قوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: يحبونهم كحب الذين آمنوا لله، هذا قول ابن عباس، وعكرمة، وأبي العالية، وابن زيد، ومقاتل، والفراء. والثاني: يحبونهم كمحبتهم لله، أي: يسوون بين الأوثان وبين الله تعالى في المحبة. هذا اختيار الزجاج، قال: والقول الأول ليس بشيء، والدليل على نفيه قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ قال المفسرون: أشد حباً لله من أهل الأوثان لا واثانهم.

قوله تعالى: ﴿لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، وعاصم، وحزمة والكسائي: (يرى) بالياء، ومعناه: لو يرون عذاب الآخرة؛ لعلموا أن القوة لله جميعاً. وقرأ نافع، وابن عامر، ويعقوب: ﴿لَوْ يَرَوْنَ﴾ بالتاء، على الخطاب للنبي ﷺ، والمراد به جميع الناس. وجوابه محذوف، تقديره: لرأيتم أمراً عظيماً، كما تقول: لو رأيت فلاناً والسياط تأخذه. وإنما حذف الجواب، لأن المعنى واضح بدونه. قال أبو علي: وإنما قال: «إذا» ولم يقل: «إذا» وإن كانت «إذا» لما مضى، لإرادة تقريب الأمر، فأتى بمثال الماضي، وإنما حذف جواب «لو» لأنه أفخم، لذهاب المتوعد إلى كل ضرب من الوعيد. وقرأ أبو جعفر، (إن القوة لله) و: (إن الله) بكسر الهمزة فيهما على الاستئناف، كأنه يقول: فلا يحزنك ما ترى من محبتهم أصنامهم إن ﴿الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ قال ابن عباس: القوة: القدرة، والمنعة.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْمَكَدَ وَنَقَطَتِ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ وقال الذين اتَّبَعُوا لَوْ أَنك لَنَا كُرَّةٌ فَنَتَّبَرَّا مَتَّحِينَ كَذَلِكَ يُرِيدُهُمُ اللَّهُ أَغْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾

قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم القادة والرؤساء، قاله ابن عباس، وأبو العالية، وقتادة، ومقاتل، والزجاج. والثاني: أنهم الشياطين، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْا الْمَكَدَ﴾ يشمل الكل. ﴿وَنَقَطَتِ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ أي: عنهم، مثل قوله: ﴿تَشْكُلُ يَدُ خَيْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٩]. وفي (الأسباب) أربعة أقوال: أحدها: أنها المودات، وإلى نحوه ذهب ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنها الأعمال، رواه السدي عن ابن مسعود، وابن عباس، وهو قول أبي صالح وابن زيد. والثالث: أنها الأرحام. رواه ابن جريج عن ابن عباس. والرابع: أنها تشمل جميع ذلك. قال ابن قتيبة: هي الأسباب التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا، فأما تسميتها بالأسباب، فالسبب في اللغة: الحبل، ثم قيل لكل ما يتوصل به إلى المقصود: سبب. والكُرَّة: الرجعة إلى الدنيا، قاله ابن عباس، وقتادة في آخرين ﴿فَنَتَّبَرَّا مَتَّحِينَ﴾ يريدون: من القادة ﴿كَمَا تَبَرَّأُوا﴾ في الآخرة. ﴿كَذَلِكَ يُرِيدُهُمُ اللَّهُ أَغْمَلَهُمْ﴾ قال الزجاج: أي: كتبوا بعضهم من بعض، يريدهم الله أعمالهم حسرات عليهم، لأن أعمال الكافر لا تنفعه. وقال ابن الأنباري: يريدهم الله أعمالهم القبيحة حسرات عليهم إذا رأوا أحسن المجازاة للمؤمنين بأعمالهم، قال: ويجوز أن يكون: كذلك يريدهم الله ثواب أعمالهم الصالحة وجزاءها، فحذف الجزاء وأقام الأعمال مقامه. قال ابن فارس: والحسرة: التلطف على الشيء الفات. وقال غيره: الحسرة: أشد الندامة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَاكًا مَّيْسًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الْكَافِرِينَ إِنَّكُمْ لَكُمْ عَذَابٌ مُبِينٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَاكًا مَّيْسًا﴾ نزلت في ثقيف، وخزاعة، وبني عامر بن صعصعة، فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام، وحرموا البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الْكَافِرِينَ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم ﴿خُطُوَاتِ﴾ مثقلة<sup>(١)</sup>. وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، وحمزة (خُطُوات) ساكنة الطاء خفيفة. وقرأ الحسن، وأبو الجوزاء (خُطُوات) بفتح الخاء وسكون الطاء من غير همز. وقرأ أبو عمران الجوني بضم الخاء والطاء مع الهمز. قال ابن قتيبة: خطواته: سبيله ومسلكه، وهي جمع خُطوة، والخطوة بضم الخاء: ما بين القدمين، ويفتحها: الفعلة الواحدة. واتباعهم خطواته: أنهم كانوا يحرمون أشياء قد أحلها الله، ويحلون أشياء قد حرمها الله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَكُمْ عَذَابٌ مُبِينٌ﴾ أي: بين. وقيل: أبان عداوته بما جرى له مع آدم.

﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ السوء: كل إثم وقبح. قال ابن عباس: وإنما سمي سوءاً، لأنه يسوء عواقبه، وقيل: لأنه يسوء إظهاره (والفحشاء) من: فحش الشيء: إذا جاز قدره. وفي المزماد بها هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أنها كل معصية لها حد في الدنيا. والثاني: أنها ما لا يعرف في شريعة ولا سنة. والثالث: أنها البخل، وهذه الأقوال الثلاثة منقولة عن ابن عباس. والرابع: أنها الزنى، قاله السدي. والخامس: المعاصي، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أنه حرم عليكم ما لم يحرم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ فَأَنزَلَهُ قَالُوا بِئْسَ نَبِئُ مَا اتَّخَذَ عَلَيْهِ سُلْطَانًا أَرْسَلَهُ أَنَّ تَقُولُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ فَأَنزَلَهُ قَالُوا بِئْسَ نَبِئُ مَا اتَّخَذَ عَلَيْهِ سُلْطَانًا أَرْسَلَهُ أَنَّ تَقُولُونَ﴾ اختلِفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها في الذين قيل لهم: ﴿كُلُوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَاكًا مَّيْسًا﴾ فعلى هذا تكون الهاء والميم هائدة عليهم، وهذا قول مقاتل. والثاني: أنها نزلت في اليهود، وهي قصة مستأنفة، فتكون الهاء والميم كناية عن غير مذكور، ذكره ابن إسحاق عن ابن عباس. والثالث: في مشركي العرب وكفار قريش، فتكون الهاء والميم هائدة إلى قوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ آمَنُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَتَدَّاءُ﴾ فعلى القول الأول؛ يكون المراد بالذي أنزل الله: تحليل الحلال، وتحريم الحرام. وعلى الثاني يكون: الإسلام. وعلى الثالث: التوحيد والإسلام. و﴿الَّذِينَ﴾ بمعنى: وجدنا.

قوله تعالى: ﴿أَرْسَلَهُ أَنَّ تَقُولُونَ﴾ من الدين، ولا يهتدون له، أيتبعونهم أيضاً في خطئهم

واقترائهم<sup>١٩</sup>.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْإِزِيِّ يَتَّقِي بَئْسَ لَاسْمَعُ إِلَّا دُعَاةً وَيَبْدَأُ مِمَّنْ بَيْنَكُمْ عَمَّى فَهُوَ لَا يَقُولُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

كُلُوا مِن لَّيْسَتِ مَا رَزَقْنَكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْإِزِيِّ يَتَّقِي﴾ في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناها: ومثل الذين كفروا كمثل البهائم التي يتنقى بها الراعي، وهذا قول الفراء، وثعلب، قالاً جميعاً: أضاف المثل إلى الذين كفروا، ثم شبههم بالراعي، ولم يقل: كالغنم، والمعنى: ومثل الذين كفروا كمثل البهائم التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت، فلو قال لها الراعي: ارعي، أو اشربي؛ لم تدر ما يقول لها، فكذلك الذين كفروا فيما يأتيهم من القرآن وإنذار الرسول، فأضيف التشبيه إلى الراعي، والمعنى في المرعي، وهو ظاهر في كلام العرب، يقولون: فلان يخافك كخوف الأسد، والمعنى: كخوف الأسد [لأن الأسد هو المعروف بأنه المخوف]. قال الشاعر:

كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم

والمعنى: كما كان الرجم فريضة الزنى. والثاني: أن معناها: ومثل الذين كفروا، ومثلنا في عظمهم، كمثل الناقع

والمنعوق به، فحذف: ومثلنا، اختصاراً، إذ كان في الكلام ما يدل عليه، وهذا قول ابن قتبية، والزجاج. والثالث: ومثل الذين كفروا في دعائهم ألهمهم التي يعبدون، كمثل الذي ينق، هذا قول ابن زيد، والذي ينق هو الراعي، يقال: نَقَّ بالغنم، ينق نَعَقاً ونَعِيقاً ونَعَقَاناً. قال ابن الأنباري: والفاشي في كلام العرب أنه لا يقال: نَقَّ، إلا في الصياح بالغنم وحدها، فالغنم تسمع الصوت ولا تعقل المعنى. ﴿مَنْ بَكَّمَ﴾ إنما وصفهم بالصمم والبكم، لأنهم في تركهم قبول ما يسمعون بمنزلة من لا يسمع، وكذلك في النطق والنظر، وقد سبق شرح هذا المعنى.

﴿إِنَّا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أُوْهِلَ بِهِ لَيْتِيَ اللَّهُ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ قرأ أبو جعفر «الميتة» هاهنا، وفي المائدة، والنحل: ﴿بَلَدَةً مَيْتَةً﴾ [ق: بالتشديد، حيث وقع. والميتة في عرف الشرع: اسم لكل حيوان خرجت روحه بغير ذكاة. وقيل: إن الحكمة في تحريم الميتة أن جمود الدم فيها بالموت يحدث أذى للأكل، وقد يسمى المذبوح في بعض الأحوال: ميتة حكماً، لأن حكمه حكم الميتة، كنيحة المرتد. فأما الدم؛ فالمحرم منه: المسفوح، لقوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]. قال القاضي أبو يعلى: فأما الدم الذي يبقى في خلل اللحم بعد الذبح، وما يبقى في العروق؛ فهو مباح. فأما لحم الخنزير؛ فالمراد: جملته، وإنما خص اللحم، لأنه معظم المقصود. قال الزجاج: الخنزير يشتمل على الذكر والأنثى. ومعنى ﴿وَمَا أُوْهِلَ بِهِ لَيْتِيَ اللَّهُ﴾. ما رفع فيه الصوت بتسمية غير الله، ومثله الإهلال بالحج، إنما هو رفع الصوت بالتلبية.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ أي: ألجئ بضرورة. وقرأ أبو جعفر: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ بكسر الطاء حيث كان. وأدغم ابن محيصن الضاد في الطاء.

قوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أن معناه غير باغ على الولاة، ولا عاد يقطع السبيل، هذا قول سعيد بن جبيرة ومجاهد. والثاني: غير باغ في أكله فوق حاجته، ولا متعد بأكلها وهو يجد غيرها، هذا قول الحسن، وعكرمة، وقتادة، والربيع. والثالث: غير باغ، أي: مستحل، ولا عاد: غير مضطر، روي عن سعيد بن جبيرة، ومقاتل. والرابع: غير باغ شهوته بذلك، ولا عاد بالشبع منه، قاله السدي.

### فصل

معنى الضرورة في إباحة الميتة: أن يخاف على نفسه أو بعض أعضائه. سئل أحمد رحمته الله عن المضطر إذا لم يأكل الميتة، فذكر عن مسروق أنه قال: من اضطر فلم يأكل فمات دخل النار. فأما مقدار ما يأكل؛ فنقل حنبل: يأكل مقدار ما يقيم به الموت. ونقل ابن منصور: يأكل بقدر ما يستغني. فظاهر الأولى: أنه لا يجوز له الشبع، وهو قول أبي حنيفة والشافعي، وظاهر الثانية: جواز الشبع، وهو قول مالك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْكُرُونَ بِهِ فَمَا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ قال ابن عباس: نزلت في اليهود، كنوا اسم النبي ﷺ وغيره في كتابهم. واليمن القليل: ما يصيبونه من أتباعهم من الدنيا. ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ قال الزجاج: معناه: إن الذين يأكلونه يعذبون به، فكانهم يأكلون النار. ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ﴾ هذا دليل على أن الله لا يكلم الكفار ولا يحاسبهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [فيه] ثلاثة أقوال: أحدها: لا يزكي أعمالهم، قاله مقاتل. والثاني: لا يشي عليهم، قاله الزجاج. والثالث: لا يطهرهم من دنس كفرهم وذنوبهم، قاله ابن جرير.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَاطَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ ﴿١٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَاطَةَ﴾ أي: اختاروها على الهدى.

قوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: فما أصبرهم على عمل يؤديهم إلى النار! قاله عكرمة، والربيع. والثاني: ما أجزأهم على النار؛ قاله الحسن، ومجاهد. وذكر الكسائي أن أعرابياً حلف له رجل كاذباً، فقال الأعرابي: ما أصبرك على الله، يريد: ما أجزأك. والثالث: ما أبقاهم في النار، كما تقول: ما أصبر فلاناً على الحبس، أي: ما أبقاه فيه، ذكره الزجاج. والرابع: أن المعنى: فأي شيء صبرهم على النار؟! قاله ابن الأنباري. وفي «ما» قولان: أحدهما: أنها للاستفهام، تقديرها: ما الذي أصبرهم؟ قاله عطاء، والسدي، وابن زيد، وأبو بكر بن عياش. والثاني: أنها للتعجب، كقولك: ما أحسن زيداً، وما أعلم عمراً. وقال ابن الأنباري: معنى الآية التعجب، والله يعجبُ المخلوقين، ولا يعجب هو كمعجبهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَرَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿١٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَرَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ الإشارة بذلك إلى ما تقدم من الوعيد بالعذاب، فتقديره: ذلك العذاب بأن الله نزل الكتاب بالحق، فكفروا به واختلفوا فيه. وفي «الكتاب» قولان: أحدهما: أنه التوراة. والثاني: القرآن. وفي «الحق» قولان: أحدهما: أنه العدل، قاله ابن عباس. والثاني: أنه ضد الباطل، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه التوراة. ثم في اختلافهم فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أن اليهود والنصارى اختلفوا فيها، فادعى النصارى فيها صفة عيسى، وأنكر اليهود ذلك. والثاني: أنهم خالفوا ما في التوراة من صفة محمد ﷺ. والثالث: أنهم خالفوا سلفهم في التمسك بها. والثاني: أنه القرآن، فمنهم من قال: شعر، ومنهم من قال: إنما يعلمه بشر. والشقاق: معاداة بعضهم لبعض. وفي معنى «بعيد» قولان: أحدهما: أن بعضهم متباعد في مشاقة بعض، قاله الزجاج. والثاني: أنه بعيد من الهدى.

﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ يَمْلَأُ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْكَفَّةِ وَالْإِيتِي وَآمَنَ بِأَلَمَالِ عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالْأَسْلَابِ وَأَتَمَّ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفَاتِ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبُيُوتِ وَالْمَرْوَةِ وَبَيْنَ الْبُيُوتِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ﴾ قال قتادة: ذكر لنا أن رجلاً سأل عن «البر»، فأنزلت هذه الآية، فدعاه رسول الله فتلها عليه. وفيمن حُوطب بها قولان: أحدهما: أنهم المسلمون. والثاني: أهل الكتابين. فعلى القول الأول؛ معناها: ليس البر كله في الصلاة، ولكن البر ما في هذه الآية. وهذا المعنى مروى عن ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، والضحاك، وسفيان. وعلى القول الثاني؛ معناها: ليس البر صلاة اليهود إلى المغرب، وصلاة النصارى إلى المشرق، ولكن البر ما في هذه الآية، وهذا قول قتادة، والربيع، وعوف الأعرابي، ومقاتل. وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ بنصب الراء. وقرأ الباقر برفعها، قال أبو علي: كلاهما حسن، لأن كل واحد من الاسمين؛ اسم «ليس» وخبرها، معرفة، فإذا اجتمعا في التعريف تكافأ في كون أحدهما اسماً، والآخر خبراً، كما تتكافأ التكرتان. وفي المراد بالبر ثلاثة أقوال: أحدها: الإيمان. والثاني: التقوى. والثالث: العمل الذي يقرب إلى الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: ولكن البر بر من آمن بالله. والثاني: ولكن ذا البر من آمن بالله، حكاها الزجاج. وقرأ نافع، وابن عامر: (ولكن البر) بتخفيف نون «لكن» ورفع «البر». وإنما ذكر اليوم الآخر، لأن عبدة الأوثان لا يؤمنون بالبعث. وفي المراد بالكتاب هاهنا قولان: أحدهما: أنه القرآن. والثاني: أنه بمعنى الكتب، فيدخل في هذا اليهود، لتكذيبهم بعض النبيين وردهم القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَمَّ الصَّلَاةَ عَلَى حُبِّهِ﴾ في هاء «حبه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى المال. والثاني: إلى الإيتاء. وكان الحسن إذا قرأها قال: سوى الزكاة المفروضة.

قوله تعالى: ﴿ذَوَى الْقُرْبَى﴾ يريد: قرابة المعطي. وقد شرحنا معنى: ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ﴾ عند رأس ثلاث

وثمانين آية من هذه السورة. فاما ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الضيف، قاله سعيد بن جبير، والضحاك، ومقاتل، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنه الذي يمر بك مسافراً، قاله الربيع بن أنس، وعن مجاهد، وقناة كالقولين. وقد روي عن الإمام أحمد أنه قال: هو المنقطع به يريد بلداً آخر. وهذا اختيار ابن جرير الطبري، وأبي سليمان الدمشقي، والقاضي أبو يعلى، ويحققه: أن السبيل الطريق، وابنه، صاحبه الضارب فيه، فله حق على من يمر به إذا كان محتاجاً. ولعل أصحاب القول الأول أشاروا إلى هذا، لأنه إن كان مسافراً، فإنه ضيف لم ينزل. والقول الثالث: أنه الذي يريد سفيراً، ولا يجد نفقة، ذكره الماوردي وغيره عن الشافعي.

قوله تعالى: ﴿رَفِيَ الرَّقَابُ﴾ أي: في فك الرقاب. ثم فيه قولان: أحدهما: أنهم المكاتبون يعانون في كتابتهم بما يعتقون به، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو مروى عن علي بن أبي طالب، والحسن، وابن زيد، والشافعي. والثاني: أنهم عبيد يشترون بهذا السهم ويعتقون، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مالك بن أنس، وأبو عبيد، وأبو ثور. وعن أحمد كالقولين. فاما البأساء؛ فهي: الفقر. والضراء: المرض. وحين البأس: القتال، قاله الضحاك.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ قال أبو العالية: تكلموا بالإيمان وحققوه بالعمل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْمِ بِالْحَرْمِ وَالْمَبْدِ وَالْمَبْدِ بِالْأَنْثَى وَالْأَنْثَى مِنَ عُنَى لَمْ يَنْ أَحِبُّهُ قَوْمٌ فَلْيَتَّبِعُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِكُمْ فَكُلَّمَا عَذَابَ إِلَيْهِ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ روى شيبان عن قتادة أن أهل الجاهلية كان فيهم بغي وطاعة للشيطان، وكان الحي منهم إذا كان فيهم عدة ومنعة، فقتل عبيدهم عبد قوم آخرين؛ قالوا: لن نقتل به إلا حراً، تعزراً لفضلهم على غيرهم. وإذا قتلت امرأة منهم امرأة من آخرين؛ قالوا: لن نقتل بها إلا رجلاً؛ فنزلت هذه الآية. ومعنى «كتب»: فرض، قاله ابن عباس وغيره. والقصاص: مقابلة الفعل بمثله، مأخوذ من: قص الأثر. فإن قيل: كيف يكون فرضاً والولي مخير بينه وبين العفو؟ فالجواب: أنه فرض على القاتل للولي، لا على الولي.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَنِ لَمْ يَنْ أَحِبُّهُ قَوْمٌ﴾ أي: من دم أخيه، أي: ترك له القتل، ورضي منه بالدية. ودل قوله: ﴿يَنْ أَحِبُّهُ قَوْمٌ﴾ على أن القاتل لم يخرج عن الإسلام، ﴿فَلْيَتَّبِعُوا بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: مطالبته بالمعروف، بأمر أخذ الدية بالمطالبة الجميلة التي لا يرهقه فيها: ﴿وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾ يأمر المطالب بأن لا يبخس ولا يماطل ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قال سعيد بن جبير: كان حكم الله على أهل التوراة أن يقتل قاتل العمد، ولا يعفى عنه، ولا يؤخذ منه دية، فرخص الله لأمة محمد، فإن شاء ولي المقتول عمداً قتل، وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى بِكُمْ﴾ أي: ظلم، فقتل قاتل صاحبه بعد أخذ الدية؛ ﴿فَكُلَّمَا عَذَابَ إِلَيْهِ﴾ قال قتادة: يقتل ولا تقبل منه الدية.

### فصل

ذهب جماعة من المفسرين إلى أن دليل خطاب<sup>(١)</sup> هذه الآية منسوخ، لأنه لما قال: ﴿كُلُّهُ بِالْحَرْمِ﴾؛ اقتضى أن لا يقتل العبد بالحر، وكذلك لما قال: ﴿وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى﴾ اقتضى أن لا يقتل الذكر بالأنثى من جهة دليل الخطاب، وذلك منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَيْكُمْ حَيْثُ أَنْ أَنْفَسَ بِالْأَنْفَسِ﴾ قال شيخنا علي بن عبيد الله: وهذا عند الفقهاء ليس بنسخ، لأن الفقهاء يقولون: دليل الخطاب حجة ما لم يعارضه دليل أقوى منه.

﴿وَكُلُّكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَرْمٌ يَأْذُلُ الْأَكْبَرُ لِمَلِكِكُمْ تَتَّقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَرْمٌ﴾ قال الزجاج: إذا علم الرجل أنه إن قُتِلَ قُتِلَ، أمسك عن القتل، فكان في ذلك حياة للذي هم بقتله ولنفسه، لأنه من أجل القصاص أمسك. وأخذ هذا المعنى الشاعر فقال:

أبلغ أبا مالك عني مغلفة وفي العتاب حياة بين أقوام

(١) دليل الخطاب عند الأصوليين هو مفهوم المخالفة، وهو ثبوت نفي حكم المنطوق للمسكوت.

يريد: أنهم إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتاب. والألباب: العقول، وإنما خصهم بهذا الخطاب وإن كان الخطاب عاماً، لأنهم المتصفون بالخطاب، لكونهم يأترون بأمره ويتبهون بنهيه.

قوله تعالى: ﴿كَلِمَاتُكُمْ تَنْتَوْنُ﴾ قال ابن عباس: لعلكم تنتقون الدعاء. وقال ابن زيد: لعلك تتقي أن يقتله فتقتل

به.

### فصل

نقل ابن منصور عن أحمد: إذا قتل رجل رجلاً بعصى، أو خنقه، أو شدخ رأسه بحجر، يقتل بمثل الذي قتل به. فظاهر هذا: أن القصاص يكون بغير السيف، ويكون بمثل الآلة التي قتل بها، وهو قول مالك، والشافعي. ونقل عنه حرب: إذا قتله بخشبة قتل بالسيف. ونقل أبو طالب: إذا خنقه قتل بالسيف. فظاهر هذا: أنه لا يكون القصاص إلا بالسيف، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا هَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُسْلِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا هَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ قال الزجاج: المعنى: وكتب عليكم، إلا أن الكلام إذا طال استغنى عن العطف بالواو. وعلم أن معناه معنى الواو، وليس المراد: كتب عليكم أن يوصي أحدكم عند الموت، لأنه في شغل حيث، وإنما المعنى: كتب عليكم أن توصوا وأنتم قادرون على الوصية، فيقول الرجل: إذا أنا مت، فلفلان كذا. فأما الخير هاهنا؛ فهو المال في قول الجماعة. وفي مقدار المال الذي تقع هذه الوصية فيه ستة أقوال: أحدها: أنه ألف درهم فصاعداً، روي عن علي، وقتادة. والثاني: أنه سبعمائة درهم فما فوقها، رواه طاووس عن ابن عباس. والثالث: ستون ديناراً فما فوقها، رواه عكرمة عن ابن عباس. والرابع: أنه المال الكثير الفاضل عن نفقة العيال. قالت عائشة لرجل سألها: إني أريد الوصية، فقالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف، قالت: كم عيالك؟ قال: أربعة. قالت: هذا شيء يسير، فدعه لعيالك. والخامس: أنه من ألف درهم إلى خمسمائة، قاله إبراهيم النخعي. والسادس: أنه القليل والكثير، رواه معمر عن الزهري. فأما المعروف؛ فهو الذي لا حيف فيه.

### فصل

وهل كانت الوصية ندباً أو واجبة؟ فيه قولان: أحدهما: أنها كانت ندباً. والثاني: أنها كانت فرضاً، وهو أصح، لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ﴾ ومعناه: فرض. قال ابن عمر: نسخت هذه الآية بآية الميراث. وقال ابن عباس: نسختها: ﴿لِإِنِّي تَبَيَّنْتُ أَنَّ تَرَكَ الْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧]. والعلماء متفقون على نسخ الوصية للوالدين والأقربين الذين يرثون، وهم مختلفون في الأقربين الذين لا يرثون: هل تجب الوصية لهم؟ على قولين، أحدهما أنها لا تجب لأحد.

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَدَلًا مِّمَّا بَدَلَهَا فَإِنَّهُ إِسْمٌ عَلَى الْإِثْمِ يَبْذُلُهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ قال الزجاج: من بدل أمر الوصية بعد سماعه إياها، فإنما إثمه على مبدله، لا على الموصي، ولا على الموصى له ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما قد قاله الموصي ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يفعله الموصى إليه.

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْسٍ جَنْفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُوفٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْسٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم ﴿مَوْسٍ﴾ ساكنة الواو، وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم ﴿مَوْصٍ﴾ مفتوحة الواو مشددة الصاد. وفي المراد بالخوف هاهنا قولان: أحدهما: أنه العلم. والثاني: نفس الخوف. فعلى الأول؛ يكون الجور قد وجد. وعلى الثاني: يخشى وجوده. والـ«جنف»: الميل عن الحق. قال الزجاج: ﴿جَنْفًا﴾، أي: ميلاً، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾، أي: قصد الإثم. وقال ابن عباس: الجنف: الخطأ، والإثم: العمد. قال أبو سليمان الدمشقي: الجنف: الخروج عن الحق، وقد يسمى به المخطئ والعامد، إلا أن المفسرين علقوا الجنف على المخطئ، والإثم على العامد. وفي توجيه هذه الآية قولان: أحدهما: أن معناها: من حضر رجلاً يموت، فأسرف في وصيته، أو قصر عن حق؛ فليأمره بالعدل، هذا قول مجاهد.

والثاني: أن معناها: من أوصى بجور، فرد وليه وصيته، أو ردها إمام من أئمة المسلمين إلى كتاب الله وسنة نبيه؛ فلا إثم عليه، وهذا قول قتادة.

قوله تعالى: ﴿فَأَمْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين الذين أوصى لهم، ولم يجر لهم ذكر، غير أنه لما ذكر الموصي أفاد مفهوم الخطاب أن هناك موصى له، وأنشد القراء:

وما أدري إذا يممْتُ أرضاً  
الخير الذي أنا ابتغيه  
أريد الخير أيهما يلينني؟  
أم الشر الذي هو يبتغيني

فكُنِّي في البيت الأول عن الشر بعد ذكره الخير وحده، لما في مفهوم اللفظ من الدلالة.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَفْتُونُ﴾

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ الصيام في اللغة: الإمساك في الجملة، يقال: صامت الخيل: إذا أمسكت عن السير، وصامت الريح: إذا أمسكت عن الهبوب. والصوم في الشرع: عبارة عن الإمساك عن الطعام والشراب والجماع مع انضمام النية إليه. وفي الذين من قبلنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أهل الكتاب، رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس، وهو قول مجاهد. والثاني: أنهم النصارى، قاله الشعبي، والربيع. والثالث: أنهم جميع أهل الملل، ذكره أبو صالح عن ابن عباس. وفي موضع التشبيه في كاف ﴿كَمَا كُتِبَ﴾ قولان: أحدهما: أن التشبيه في حكم الصوم وصفته، لا في عده. قال سعيد بن جبير: كتب عليهم إذا نام أحدهم قبل أن يطعم لم يحل له أن يطعم إلى القابلة، والنساء عليهم حرام ليلة الصيام، وهو عليهم ثابت. وقد أرخص لكم. فعلى هذا تكون هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿أَلَمْ لَكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ الْآفَةُ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فإنها فرقت بين صوم أهل الكتاب وبين صوم المسلمين. والثاني: أن التشبيه في عدد الأيام. ثم في ذلك قولان: أحدهما: أنه فرض على هذه الأمة صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وقد كان ذلك فرضاً على من قبلهم. قال عطية عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ قال: كان ثلاثة أيام من كل شهر، ثم نسخ برمضان. قال معمر عن قتادة: كان الله قد كتب على الناس قبل رمضان ثلاثة أيام من كل شهر، فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿تَهْتَرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ والثاني: أنه فرض على من قبلنا صوم رمضان بعينه. قال ابن عباس: فقدم النصارى يوماً ثم يوماً، وأخروا يوماً، ثم قالوا: نقدم عشراً ونؤخر عشراً. وقال السدي عن أشياخه: اشتد على النصارى صوم رمضان، فجعل يتقلب عليهم في الشتاء والصيف، فلما رأوا ذلك اجتمعوا فجعلوا صياماً في الفصل بين الشتاء والصيف، وقالوا: نزيد عشرين يوماً نكفر بها ما صنعنا. فعلى هذا تكون الآية محكمة غير منسوخة.

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ تَفْتُونُ﴾ لأن الصيام وصلة إلى التقى، إذ هو يكف النفس عن كثير مما تتطلع إليه من المعاصي، وقيل: لعلكم تفتون محظورات الصوم.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَمَا كَانَ عَلَى الْوَيْتِ يُطِيعُوهُ فَمَا كَانَ عَلَى الْوَيْتِ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ قال الزجاج: نصب «أياماً» على الظرف، كأنه قال: كتب عليكم الصيام في هذه الأيام. والعامل فيه «الصيام»، كأنَّ المعنى: كتب عليكم أن تصوموا أياماً معدودات. وفي هذه الأيام ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ثلاثة أيام من كل شهر. والثاني: أنها ثلاثة أيام من كل شهر ويوم عاشوراء. والثالث: أنها شهر رمضان، وهو الأصح. وتكون الآية محكمة في هذا القول، وفي القولين قبله تكون منسوخة، ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَمَا كَانَ عَلَى الْوَيْتِ يُطِيعُوهُ فَمَا كَانَ عَلَى الْوَيْتِ﴾ فيه إضمار: فافطر.

### فصل

وليس المرض والسفر على الإطلاق، فإن المريض إذا لم يضربه الصوم؛ لم يجز له الإفطار، وإنما الرحمة

موقوفة على زيادة المرض بالصوم. واتفق العلماء أن السفر مقدر، واختلفوا في تقديره، فقال أحمد، ومالك، والشافعي: أقله مسيرة ستة عشر فرسخاً؛ يومان، وقال أبو حنيفة وأصحابه: أقله مسيرة ثلاثة أيام، مسيرة أربعة وعشرين فرسخاً. وقال الأوزاعي: أقله مرحلة يوم، مسيرة ثمانية فراسخ. وقيل: إن السفر مشتق من السفر الذي هو الكشف، يقال: سفت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح: إذا أضاء، فسمي الخروج إلى المكان البعيد: سفرأ، لأنه يكشف عن أخلاق المسافرين.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ نقل عن ابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وابن عمر، وابن عباس، وسلمة بن الأكوع، وعلقمة، والزهري في آخرين في هذه الآية أنهم قالوا: كان من شاء صام، ومن شاء أفطر وافتدى، يطعم عن كل يوم مسكيناً، حتى نزلت: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فعلى هذا يكون معنى الكلام: وعلى الذين يطيقونه ولا يصومونه فدية، ثم نسخت. وروي عن عكرمة أنه قال: نزلت في الحامل والمرضع. وقرأ أبو بكر الصديق، وابن عباس: (وعلى الذين يُطِيقُونَهُ) بضم الياء وفتح الطاء وتشديد الواو. قال ابن عباس: هو الشيخ والشيخة.

قوله تعالى: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي ﴿فِدْيَةٌ﴾ منون ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ موحد. وقرأ نافع، وابن عامر: «فدية» بغير تنوين «طعام» بالخفض «مساكين» بالجمع. قال أبو علي: معنى القراءة الأولى: على كل واحد طعام مسكين. ومثله: ﴿تَلْبِذُوهُنَّ نَتْنًا﴾ [النور: ٤]. أي: اجدلوا كل واحد ثمانين. قال أبو زيد: أتينا الأمير فكسانا كلنا حلة، وأعطانا كلنا مئة، أي: فعل ذلك بكل واحد منا. قال: فأما من أضاف الفدية إلى الطعام، فكإضافة البعض إلى ما هو بعض له، وذلك أنه سمي الطعام الذي يفدى به: فدية، ثم أضاف الفدية إلى الطعام الذي يعم الفدية وغيرها، فهو على هذا من باب: خاتم حديد.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: من أطعم مسكينين، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أن التطوع إطعام مساكين، قاله طاووس. والثالث: أنه زيادة المسكين على قوته، وهو مروي عن مجاهد، وفعله أنس بن مالك لما كبر، ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ عائد إلى من تقدم ذكره من الأصحاء المقيمين المخيرين بين الصوم والإطعام على ما حكينا في أول الآية عن السلف، ولم يرجع ذلك إلى المرضى والمسافرين، والحامل والمرضع، إذ الفطر في حق هؤلاء أفضل من الصوم، وقد نهوا عن تعريض أنفسهم للتلف، وهذا يقوي قول القائلين بنسخ الآية.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلَلَكُمْ تَشْكُرَاتٌ﴾

قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ قال الأخفش: شهر رمضان بالرفع على تفسير الأيام، كأنه لما قال: ﴿إِنَّمَا تَعُدُّونَهُ﴾ فسرنا فقال: هي شهر رمضان. قال أبو عبيد: وقرأ مجاهد: (شهر رمضان) بالنصب، وأراه نصبه على معنى الإغراء: عليكم شهر رمضان فصوموه، كقوله: ﴿فَلْيَلْزِمُوا الْيَسْرَ﴾ وقوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾. وقال ابن عباس: الشهر: الرمن: حر الحجارة من شدة حر الشمس، ويقال: شهر رمضان، من شدة الحر، لأنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة، سموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيام رمن الحر، ويجمع على رمضانات، وأرمضاء، وأرمضة.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أنزل القرآن فيه جملة واحدة، وذلك في ليلة القدر إلى بيت العزة من السماء الدنيا. قاله ابن عباس. والثاني: أن معناه: أنه أنزل القرآن بفرض صيامه، روي عن مجاهد، والضحاك. والثالث: أن معناه: إن القرآن ابتدئ بنزوله فيه على النبي ﷺ قاله ابن إسحاق، وأبو سليمان الدمشقي. قال مقاتل: والفرقان: المخرج في الدين من الشبهة والضلالة.



قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ أي: من كان حاضراً غير مسافر. فإن قيل: ما الفائدة في إعادة ذكر المرض والسفر في هذه الآية، وقد تقدم ذلك؟ قيل: لأن في الآية المتقدمة منسوخاً، فأعاده لئلا يكون مقروناً بالمنسوخ.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك: اليسر: الإفطار في السفر، والعسر: الصوم فيه. وقال عمر بن عبد العزيز: أي ذلك كان أيسر عليك فافعل: الصوم في السفر، أو الفطر.

قوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا أَلْيَدَكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ بإسكان الكاف خفيفة. وقرأ أبو بكر عن عاصم بتشديد الميم، وذلك مثل: «وَصَى» و«أَوْصَى» وقال ابن عباس: ولتكمّلوا عدة ما أفطرتكم. وقال بعضهم: المراد به: لا تزيدوا على ما افترض، كما فعلت النصارى، ولا تنقلوه عن زمانه كما نقلته. ﴿وَلِتُكْمِلُوا أَلْيَدَكُمْ﴾ قال ابن عباس: حق على المسلمين إذا نظروا إلى هلال شوال، أن يكبروا لله حتى يفرغوا من عيدهم. فإن قيل: ما وجه دخول الواو في قوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا أَلْيَدَكُمْ وَلِتُكْمِلُوا أَلْيَدَكُمْ﴾ وليس هناك ما يعطف عليه؟ فالجواب: أن هذه الواو عطفت اللام التي بعدها على لام محذوفة، والمعنى: ولا يريد بكم العسر، ليسعدكم، ولتكمّلوا العدة، فحذفت اللام الأولى لوضوح معناها، ذكره ابن الأنباري.

### فصل

ومن السنة إظهار التكبير ليلة الفطر، وليلة النحر، وإذا غدوا إلى المصلّى. واختلفت الرواية عن أحمد رحمته متى يقطع في عيد الفطر، فنقل عنه حنبل: يقطع بعد فراغ الإمام من الخطبة. ونقل الأثرم. إذا جاء المصلّى قطع. قال القاضي أبو يعلى: يعني: إذا جاء المصلّى وخرج الإمام.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: أقرب ربنا فتناجيه، أم بعيد فتناديه؟ فنزلت هذه الآية، رواه الصلت بن حكيم عن أبيه عن جده. والثاني: أن يهود المدينة قالوا: يا محمداً كيف يسمع ربنا دعاءنا، وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام؟ فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم قالوا: يا رسول الله! لو نعلم أية ساعة أحب إلى الله أن ندعو فيها دعوانا، فنزلت هذه الآية، قاله عطاء. والرابع: أن أصحاب النبي قالوا له: أين الله؟ فنزلت هذه الآية، قاله الحسن. والخامس: أنه لما حرم في الصوم الأول على المسلمين بعد النوم الأكل والجماع؛ أكل رجل منهم بعد أن نام، ووطئ رجل بعد أن نام، فسألوا: كيف التوبة مما عملوا؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ومعنى الكلام: إذا سألك عني؛ فأعلمهم أنني قريب. وفي معنى «أجيب» قولان: أحدهما: أسمع، قاله الفراء، وابن القاسم. والثاني: أنه من الإجابة ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ أي: فليجيبوني. قال الشاعر:

وداع دعا يا من يجيب إلى الندى

أراد: فلم يجبه. وهذا قول أبي عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ قال أبو العالية: يعني: يهتدون.

### فصل

إن قال قائل: هذه الآية تدل على أن الله تعالى يجيب أدعية الداعين، وترى كثيراً من الداعين لا يستجاب لهم! فالجواب: أن أبا سعيد روى عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم؛ إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلاً»<sup>(١)</sup>. وجواب آخر: وهو أن الدعاء تفقر لإجابته إلى شروط أصلها الطاعة لله، ومنها أكل الحلال، فإن أكل الحرام

(١) رواه أحمد في «المستد» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ورواه البزار، وأبو يعلى بأسانيد جياد، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

يمنع إجابة الدعاء، ومنها حضور القلب، ففي بعض الحديث: «لا يقبل الله دعاء من قلب غافل لاه»<sup>(١)</sup>. وجواب آخر: وهو أن الداعي قد يعتقد المصلحة في إجابته إلى ما سأل، وقد لا تكون المصلحة في ذلك، فيجيب إلى مقصوده الأصلي، وهو: طلب المصلحة، وقد تكون المصلحة في التأخير أو في المنع.

﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الْيَسَارِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ يَسْأَلُكُمْ مِنْ يَأْسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ يَأْسُ لَهُمْ عَلَّمَ اللَّهُ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَخْتَاوْنَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَاقْنِ بَيْنَهُمْ وَاتَّقُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَبَرَ الْأَيْضَ مِنَ الْخَبَرِ الْأَوَّلِ ثُمَّ أَيْدُوا إِلَيْهِمْ أَلْيَدَكُمْ وَلَا تَبْشُرُوا أَنْفُسَكُمْ أَنْفُسُكُمْ فِي السَّجْدِ تَلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الْيَسَارِ أَرَأَيْتُمْ﴾ سبب نزول هذه الآية أن الصحابة كانوا إذا نام الرجل قبل الأكل والجماع، حرما عليه إلى أن يفطر، فجاء شيخ من الأنصار وهو صائم إلى أهله، فقال: عشوني، فقالوا: حتى نسخر لك طعاماً، فوضع رأسه فنام، فجاؤوا بالطعام، فقال: قد كنت نمت، فبات يتقلب ظهراً لبطن، فلما أصبح أتى النبي ﷺ، فأخبره، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله! إني أردت أهلي الليلة، فقالت: إنها قد نامت، فظننتها تعتل، فواقعتها، فأخبرتني أنها قد نامت، فأنزل الله تعالى في عمر بن الخطاب: ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الْيَسَارِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ يَسْأَلُكُمْ﴾ وأنزل الله في الأنصاري: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَبَرَ الْأَيْضَ مِنَ الْخَبَرِ الْأَوَّلِ﴾ هذا قول جماعة من المفسرين. واختلفوا في اسم هذا الأنصاري على أربعة أقوال: أحدها: قيس بن صرمة، قاله البراء. والثاني: صرمة بن أنس، قاله القاسم بن محمد. وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: صرمة بن مالك. والثالث: ضمرة بن أنس. والرابع: أبو قيس بن عمر<sup>(٣)</sup>. وذكر القولين أبو بكر الخطيب. فأما «الرفث» فقال ابن عمر، وابن عباس، ومجاهد، وعطاء، والحسن، وابن جبير في آخرين: هو الجماع.

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَأْسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ يَأْسُ لَهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن اللباس السكن. ومثله ﴿جَعَلَ لَكُمْ آيَةً لِبَاسًا﴾ [الفرقان: ٤٧]. أي: سكتاً. وهذا قول ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وقاعدة. والثاني: أنهم بمنزلة اللباس، لإفشاء كل واحد ببشرته إلى بشرة صاحبه، فكفى عن اجتماعهما متجردين باللباس. قال الزجاج: والعرب تسمي المرأة: لباساً وإزاراً، قال التابغة الجعدي:

إذا ما الضجيج ثنى جيدها

تشتت فكانت عليه لباساً

وقال غيره:

ألا أبلغ أبا حفص رسولاً

فدئ لك من أخي ثقة إزاري

يريد بالإزار: امرأته.

قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ اللَّهُ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَخْتَاوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ قال ابن قتبية: يريد: تخونونها بارتكاب ما حُرِّمَ عليكم. قال ابن عباس: وعنى بذلك فعل عمر، فإنه أتى أهله، فلما اغتسل أخذ يلوم نفسه ويكي. ﴿فَأَقْنِ بَيْنَهُمْ﴾: أصل المباشرة: إلصاق البشرة بالبشرة. وقال ابن عباس: المراد بالمباشرة هاهنا: الجماع. ﴿وَاتَّقُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الولد، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد في آخرين. قال بعض أهل العلم: لما كانت المباشرة قد تقع على ما دون الجماع، أباحهم الجماع الذي يكون من مثله الولد، فقال: ﴿وَاتَّقُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يريد: الولد. والثاني: أن الذي كتب لهم الرخصة، وهو قول قتادة، وابن زيد. والثالث: أنه ليلة القدر. رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس. والرابع: أنه القرآن، فمعنى الكلام: اتبعوا القرآن، فما أبيض لكم وأمرتم به فهو المتبغى، وهذا اختيار الزجاج.

(١) رواه أحمد في «المستند» عن عبد الله بن عمرو، وفي سننه ابن لهيعة، وله شاهد من حديث أبي هريرة عن الترمذي ولقظه: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»، وأصلها أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه، وفي سننه ضعف.

(٢) ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» أن الناس اختلفوا في اسم الأنصاري هذا، فبعضهم أخطأ اسمه وسماه بكتيبة، وبعضهم نسب لجدّه، وبعضهم قلب نسبه، وبعضهم صفّه «ضمرة» ورجح أن صوابه «أبو قيس صرمة بن أبي أنس قيس بن مالك بن عدي».

قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَيْثُ يَبْقَىٰ لَكُمْ الْخَبِيرُ الْأَيْسَرُ﴾ قال عدي بن حاتم: لما نزلت هذه الآية، عمدت إلى عقاليين، أبيض وأسود، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أقوم في الليل ولا أستبين الأسود من الأبيض، فلما أصبحت؛ غدوت على رسول الله فأخبرته، فضحك وقال: «إِنْ كَانَ وَسَادُكَ إِذَا لَمَرِضُ، إِنَّمَا ذَاكَ بَيَاضُ النَّهَارِ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ»<sup>(١)</sup>. وقال سهل بن سعد: نزلت هذه الآية: ﴿حَيْثُ يَبْقَىٰ لَكُمْ الْخَبِيرُ الْأَيْسَرُ مِنَ الْخَبِيرِ الْأَسْوَدِ﴾ ولم ينزل: ﴿مِنْ الْفَجْرِ﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأسود والخيط الأبيض، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له زيهما، فأنزل الله بعد ذلك ﴿مِنْ الْفَجْرِ﴾ فعلموا أنما يعني بذلك الليل والنهار.

### فصل

إذا شك في الفجر، فهل يدع السحور أم لا؟ فظاهر كلام أحمد يدل على أنه لا يدع السحور، بل يأكل حتى يستيقن طلوع الفجر. وقال مالك: أكره له أن يأكل إذا شك في طلوع الفجر، فإن أكل فعليه القضاء. وقال الشافعي: لا شيء عليه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا فِي السُّجُودِ﴾ في هذه المباشرة قولان: أحدهما: أنها المجامعة، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنها ما دون الجماع من اللمس والقبلة، قاله ابن زيد. وقال قتادة: كان الرجل المعتكف إذا خرج من المسجد، فلقى امرأته باشرها إذا أراد ذلك، فوعظهم الله في ذلك.

### فصل

الاعتكاف في اللغة: اللبث، يقال: فلان معتكف على كذا، وعاكف. وهو فعل مندوب إليه، إلا أن ينذره الإنسان، فيجب. ولا يجوز إلا في مسجد تقام فيه الجماعات، ولا يشترط في حق المرأة مسجد تقام فيه الجماعة، إذ الجماعة لا تجب عليها. وهل يصح بغير صوم؟ فيه عن أحمد روايتان.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُوا اللَّهَ﴾ قال ابن عباس: يعني: المباشرة ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾ قال الزجاج: الحدود ما منع الله من مخالفتها، فلا يجوز مجاوزتها. وأصل الحد في اللغة: المنع، ومنه: حد الدار، وهو ما يمنع غيرها من الدخول فيها. والحداد في اللغة: الحاجب والبواب، وكل من منع شيئاً فهو حداد. قال الأعشى:

فقمنا ولما يصح ديكنا إلى جونة عند حدادها

أي: عند ربها الذي يمنعها إلا بما يريده. وأحدث المرأة على زوجها، وحذت، فهي حاد، ومحد: إذا قطعت الزينة، وامتنعت منها، وأحدثت النظر إلى فلان: إذا منعت نظرك من غيره. وسمي الحديد حديداً، لأنه يمتنع به الأعداء.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ﴾ أي: مثل هذا البيان الذي ذكر. ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ سبب نزولها: أن امرأة القيس بن عابس<sup>(٢)</sup>، وعبدان الحضرمي، اختصما في أرض، وكان عبدان هو الطالب ولا بيته له، فأراد امرؤ القيس أن يحلف، فقرأ عليه النبي ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْتَدُونَ مَهْدَ اللَّهِ وَيَتَّبِعُونَ مَثَلًا قَلِيلًا﴾ (آل عمران: ٤٧). فكره أن يحلف، ولم يخاصم في الأرض، فنزلت هذه الآية. هذا قول جماعة، منهم سعيد بن جبير. ومعنى الآية: لا يأكل بعضكم أموال بعض، كقوله: ﴿فَأَقْضُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ قال القاضي أبو يعلى: والباطل على وجهين: أحدهما: أن يأخذه بغير طيب نفس من مالكة، كالسرقة، والغصب، والخيانة. والثاني: أن يأخذه بطيب نفسه، كالقمار، والغناء، وثمان الخمر. وقال الزجاج: الباطل: الظلم. ﴿وَتُدْلُوا﴾ أصله في

(١) رواه أحمد في «المستند» وهو في «الصحيحين» من غير وجه. (٢) في الأصل: ابن عباس.

اللغة من: أدليت الدلو: إذا أرسلتها لتملأها، ودلوتها: إذا أخرجتها. ومعنى أدلى فلان بحجته: أرسلها، وأتى بها على صحة. فمعنى الكلام: تعملون على ما يوجب إدلاء الحجة، وتخونون في الأمانة، وأنتم تعلمون أن الحجة عليكم في الباطن. وفي هاء «بها» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الأموال، كأنه قال: لا تصانعوا ببعضها جَوْرَةَ الحكام. والثاني: أنها ترجع إلى الخصومة، فإن قيل: كيف أعاد ذكر الأكل فقال: «ولا تأكلوا» و«لتأكلوا»؟ فالجواب: أنه وصل اللفظة الأولى بالباطل، والثانية بالإثم، فأعادها للزيادة في المعنى، ذكره ابن الأنباري.

﴿يَتْلُوكَ عَنِ الْآهْلِ قُلُوبُ مَوَيْتٍ لِلنَّاسِ وَالْحَيِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِكُمْ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَتْلُوكَ عَنِ الْآهْلِ﴾ هذه الآية من أولها إلى قوله: ﴿وَالْحَيِّ﴾ نزلت على سبب، وهو أن رجلين من الصحابة قالوا: يا رسول الله! ما بال الهلال يبدو دقيقاً، ثم يزيد ويمتلئ حتى يستدير ويستوي، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان؟ فنزلت: ﴿يَتْلُوكَ عَنِ الْآهْلِ قُلُوبُ مَوَيْتٍ لِلنَّاسِ وَالْحَيِّ﴾ هذا قول ابن عباس. ومن قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِكُمْ﴾ إلى آخرها، يدل على سبب آخر، وهو أنهم كانوا إذا حجوا، ثم قدموا المدينة، لم يدخلوا من باب، ويأتون البيوت من ظهورها، فنسي رجل، فدخل من باب، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِكُمْ﴾ هذا قول البراء بن عازب<sup>(١)</sup>. وفيما كانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها لأجله أربعة أقوال: أحدها: أنهم كانوا يفعلون ذلك لأجل الإحرام، قاله ابن عباس، وأبو العالية، والنخعي، وقتادة، وقيس النهشلي. والثاني: لأجل دخول الشهر الحرام، قاله البراء بن عازب. والثالث: أن أهل الجاهلية كانوا إذا هم أحدهم بالشئ فاحتبس عنه؛ لم يأت بيته من بابه حتى يأتي الذي كان هم به، قاله الحسن. والرابع: أن أهل المدينة كانوا إذا رجعوا من عيدهم فعلوا ذلك، رواه عثمان بن عطاء عن أبيه. فاما التفسير؛ فإنما سألوه عن وجه الحكمة في زيادة الأهلة ونقصانها، فأخبرهم أنها مقادير لما يحتاج الناس إليه في صومهم وحجهم وغير ذلك. والأهلة: جمع هلال. وكم يبقى الهلال على هذه التسمية؟ فيه للعرب أربعة أقوال: أحدها: أنه يسمى هلالاً لليلتين من الشهر. والثاني: لثلاث ليال، ثم يسمى: قمراً. والثالث: إلى أن يحجر، وتحجيره: أن يسير بخطة دقيقة، وهو قول الأصمعي. والرابع: إلى أن يبهز ضوءه سواد الليل. حكى هذه الأقوال ابن السري، واختار الأول، قال: واشتقاق الهلال من قولهم: استهل الصبي: إذا بكى حين يولد. وأهل القوم بالحج: إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية، فسمي هلالاً، لأنه حين يرى يهل الناس بذكره.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ وقد سبق بيانه، واختلف القراء في البيوت وما أشبهها، فقرأ ابن كثير، وابن عامر، والكسائي بكسر باء «البيوت» وعين «العيون» وغين «الثيوب» وروي عن نافع أنه ضم باء «البيوت» وعين «العيون» وغين «الغيوب» وجيم «الجيوب» وشين «الشيوخ» وروى عنه قالون أنه كسر باء «البيوت» وقرأ أبو عمر، وأبو جعفر بضم الأحرف الخمسة، وكسرها جميعاً حمزة، واختلف عن عاصم. قال الزجاج: من ضم «البيوت» فعلى أصل الجمع: بيت وبيوت، مثل: قلب وقلوب، وفلس وفلوس. ومن كسر؛ فإنما كسر للباء التي بعد الباء، وذلك عند البصريين رديء، لأنه ليس في الكلام فعول بكسر الفاء. وسمعت شيخنا أباً منصور اللغوي يقول: إذا كان الجمع على فعول، وثانيه ياء؛ جاز فيه الضم والكسر، تقول: بُيُوتٌ وبيوت، وشُيُوخٌ وشيوخ، وقُيُودٌ وقيدود.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُوكُمْ وَلَا تَقْتَدَرُوا إِنْ كَانَ اللَّهُ لَا يُجِبُ الْمُضْطَرِكِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ سبب نزولها أن رسول الله ﷺ لما صُدَّ عن البيت، ونحر هديه بالحديبية، وصالحه المشركون على أن يرجع من العام المقبل؛ رجع، فلما تجهز في العام المقبل؛ خاف أصحابه أن لا

(١) روى البخاري عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا أتوا البيت من ظهره، فانزل الله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِكُمْ﴾ ورواه مسلم، وابن جرير قريباً من لفظ المؤلف.

تفي لهم قريش بذلك، وأن يصدوهم ويقاتلوهم، وكره أصحابه القتال في الشهر الحرام؛ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾ أي: ولا تظلموا. وفي المراد بهذا الاعتداء أربعة أقوال: أحدها: أنه قتل النساء والولدان، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أن معناه: لا تقاتلوا من لم يقاتلكم، قاله سعيد بن جبير، وأبو العالية، وابن زيد. والثالث: أنه إتيان ما نهوا عنه، قاله الحسن. والرابع: أنه ابتداءهم بالقتال في الحرم في الشهر الحرام، قاله مقاتل.

### فصل

اختلف العلماء: هل هذه الآية منسوخة أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها منسوخة. واختلف أرباب هذا القول في المنسوخ منها على قولين: أحدهما: أنه أولها، وهو قوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ قالوا: وهذا يقتضي أن القتال يباح في حق من قاتل من الكفار، ولا يباح في حق من لم يقاتل، وهذا منسوخ بقوله: ﴿وَأَقْتُلُوا حَيْثُ تَجِدُونَهُمْ﴾ والثاني: أن المنسوخ منها: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾ ولهؤلاء في هذا الاعتداء قولان: أحدهما: أنه قتل من لم يقاتل. والثاني: أنه ابتداء المشركين بالقتال، وهذا منسوخ بآية السيف. والقول الثاني: أنها محكمة، ومعناها عند أرباب هذا القول: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ وهم الذين أعدوا أنفسهم للقتال، فأما من ليس بمعد نفسه للقتال، كالرهبان والشيخ الفناة، والزمنى، والمكافيف، والمجانين، فإن هؤلاء لا يقاتلون، وهذا حكم باقي غير منسوخ<sup>(٢)</sup>.

### فصل

اختلف العلماء في أول آية نزلت في إباحة القتال على قولين: أحدهما: أنها قوله تعالى: ﴿أُوذِيَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ عَلِمُوا﴾ [الحج: ٣٩]. قاله أبو بكر الصديق، وابن عباس، وسعيد بن جبير، والزهري. والثاني: أنها هذه الآية: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قاله أبو العالية، وابن زيد.

﴿وَأَقْتُلُوا حَيْثُ تَجِدُونَهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمْ وَالَّذِينَ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ لَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوا حَيْثُ تَجِدُونَهُمْ﴾ أي: وجدتموهم. يقال: ثقفته أثقفه: إذا وجدته. قال القاضي أبو يعلى: قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوا حَيْثُ تَجِدُونَهُمْ﴾ عام في جميع المشركين، إلا من كان بمكة، فإنهم أمروا بإخراجهم منها، إلا من قاتلهم، فإنهم أمروا بقتالهم، يدل على ذلك قوله في نسق الآية: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ﴾ وكانوا قد آذوا المسلمين بمكة حتى اضطروهم إلى الخروج، فكانهم أخرجوهم. فأما الفتنة، ففيها قولان: أحدهما: أنها الشرك، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وقتادة في آخرين. والثاني: أنها ارتداد المؤمن إلى عبادة الأوثان. قاله مجاهد. فيكون معنى الكلام على القول الأول: شرك القوم أعظم من قتلهم إياهم في الحرم. وعلى الثاني: ارتداد المؤمن إلى الأوثان أشد عليه من أن يقتل محققاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (ولا تقتلوهم... حتى يقتلوكم... فإن قتلوكم) بحذف الألف فيهن. وقد اتفق الكل على قوله: ﴿فَأَقْتُلُوهُمْ﴾ واحتج من قرأ بالآلف بقوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ واحتج من حذف الألف بقوله: ﴿فَأَقْتُلُوهُمْ﴾

### فصل

اختلف العلماء في قوله: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ﴾: هل هو منسوخ أم لا؟ فذهب مجاهد

(١) رواء الواحدى عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي وأبو صالح لا يحتج بهما.

(٢) قال أبو جعفر: وهذا القول أولى بالصواب، لأن دعوى المدهي نسخ آية؛ يحتمل أن تكون غير منسوخة بغير دلالة على صحة دعواه، تحكم.

في جماعة من الفقهاء إلى أنه محكم، وأنه لا يقاتل فيه إلا من قاتل، ويدل على ذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه خطب يوم فتح مكة، فقال: «يا أيها الناس! إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، ولم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي. وإنما أحلت لي ساعة من النهار، ثم عادت حراماً إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>. فبين ﷺ أنه خص في تلك الساعة بالإباحة على سبيل التخصيص، لا على وجه النسخ، ثبت بذلك حظر القتال في الحرم، إلا أن يقاتلوا فيدفعون دفعاً، وهذا أمر مستمر، والحكم غير منسوخ، وقد ذهب قتادة إلى أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]. فأمر بقتالهم في الحل والحرم وعلى كل حال. وذهب الربيع بن أنس، وابن زيد إلى أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ وزعم مقاتل أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَجِدُوهُمْ﴾. والقول الأول أصح.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ فَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِمْ حَتَّى لَا تَأْخُذَ الْفِتْنَةُ﴾ قال مقاتل: أي: فقاتلوهم.

﴿فَإِنْ أَنْتَبَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَنْتَبَهَوْا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: فإن انتهوا عن شركهم وقاتلكم. والثاني: عن كفرهم. والثالث: عن قتالكم دون كفرهم. فعلى القولين الأولين تكون الآية محكمة، ويكون معنى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ غفور لشركهم وجرمهم، وعلى القول الأخير؛ يكون في معنى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قولان: أحدهما: غفور لكم حيث أسقط عنكم تكليف قتالهم. والثاني: أن معناه: يأمركم بالغفران والرحمة لهم. فعلى هذا تكون الآية منسوخة بآية السيف.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ بَرَكَةً﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقاتل في آخرين: الفتنة هاهنا: الشرك.

قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ بَرَكَةً﴾ قال ابن عباس: أي: يخلص له التوحيد. والعدوان: الظلم، وأريد به هاهنا: الجزاء، فسمي الجزاء عدواناً مقابلة للشيء بمثله، كقوله: ﴿فَمَنْ أَعَدَّكَ عَلَيْهِمْ فَأَعْدُوا عَلَيْهِمْ﴾ والظالمون هاهنا: المشركون، قاله عكرمة، وقاتل في آخرين.

### فصل

وقد روي عن جماعة من المفسرين، منهم قتادة؛ أن قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَنْتَبَهَوْا فَلَا عُدُونَكُمْ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ منسوخ بآية السيف، وإنما يستقيم هذا إذا قلنا: إن معنى الكلام: فإن انتهوا عن قتالكم مع إقامتهم على دينهم، فأما إذا قلنا: إن معناه: فإن انتهوا عن دينهم؛ فالآية محكمة.

﴿الَّذِينَ لَمْ يَرْكَبُوا السَّيْرَ وَالْمَرْكُتَ يَمَاسُ فَمَنْ أَعَدَّكَ عَلَيْهِمْ فَأَعْدُوا عَلَيْهِمْ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّكَ عَلَيْهِمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَمْ يَرْكَبُوا السَّيْرَ وَالْمَرْكُتَ يَمَاسُ﴾ هذه الآية نزلت على سبب، واختلفوا فيه على قولين: أحدهما: أن النبي ﷺ أقبل هو وأصحابه معتمرين في ذي القعدة ومعهم الهدى، فصلحهم المشركون، فصالحهم نبي الله على أن يرجع عنهم ثم يعود في العام المقبل، فيكون بمكة ثلاث ليال، ولا يدخلها بسلام، ولا يخرج بأحد من أهل مكة، فلما كان العام المقبل؛ أقبل هو وأصحابه فدخلوها، فافتخر المشركون عليه إذ رده يوم الحديبية، فأقصه الله منهم وأدخله مكة في الشهر الذي رده فيه، فقال: ﴿الَّذِينَ لَمْ يَرْكَبُوا السَّيْرَ وَالْمَرْكُتَ يَمَاسُ﴾ وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وأبو العالية، وقاتل في آخرين. والثاني: أن مشركي العرب قالوا للنبي ﷺ: أنهيت عن قتالنا في الشهر الحرام؟ قال: «نعم» وأرادوا أن يفتروه في الشهر الحرام، فيقاتلوه فيه، فنزلت هذه الآية، يقول: إن استحلوا منكم شيئاً في الشهر الحرام، فاستحلوا منهم مثله، هذا قول الحسن، واختاره إبراهيم بن السري والزجاج. فأما أرباب القول

الأول؛ فيقولون: معنى الآية: الشهر الحرام الذي دخلتم فيه الحرم بالشهر الحرام الذي صدوكم فيه عام أول. ﴿وَالْحُرُمَتُ قِسَاصٌ﴾: اقتضت لكم منهم في ذي القعدة كما صدوكم في ذي القعدة. وقال الزجاج: الشهر الحرام، أي: قتال الشهر الحرام بالشهر الحرام، فأعلم الله تعالى أن أمر هذه الحرمات لا تجوز للمسلمين إلا قصاصاً، ثم نسخ ذلك بآية السيف، وقيل: إنما جمع الحرمات، لأنه أراد الشهر الحرام بالبلد الحرام، وحرمة الإحرام.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَغْتَدَى عَلَيْكُمْ فَانْقَدُوا عَلَيْهِ﴾ قال ابن عباس: من قاتلكم في الحرم فقاتلوه. وإنما سمي المقابلة على الاعتداء اعتداءً، لأن صورة الفيلين واحدة، وإن كان أحدهما طاعة والآخر معصية. قال الزجاج: والعرب تقول: ظلمني فلان فظلمته، أي: جازيته بظلمه. وجهل فلان عليّ، فجهلت عليه. وقد سبق بيان هذا المعنى في أول السورة.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبُوا اللَّهَ﴾ قال سعيد بن جبير: واتقوا الله، ولا تيدؤوهم بقتال في الحرم. ﴿وَأَقْبُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٩٥﴾ وَأَيُّهَا لَمَجَّ وَالْمَمَرَةُ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْرِجْتُمْ مِنْ أَسْتَبْرَ مِنْ الْمَدَى وَلَا تُلْقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِنْدُ بِحُلْمٍ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَعِدَّةٌ مِنْ سِتَارٍ أَوْ مَدَقَةٌ أَوْ سُلُوْلٌ فَإِذَا أَنْتُمْ مِنَ السَّحَابِ وَالْمَمَرَةُ إِلَى الْكَمِّ قَا اسْتَبْرَ مِنْ الْمَدَى مَنْ لَمْ يَجِدْ قِسِيًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْكَمِّ وَسَبْعًا إِذَا رَجَعْتُمْ يَلَكْ عَشْرَةٌ كَافِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا حَاضِرِي السَّجْدِ الْمَرَارِ وَأَقْبُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هذه الآية نزلت على سبب، وفيه قولان: أحدهما: أن النبي ﷺ لما أمر بالتجهز إلى مكة، قال ناسٌ من الأعراب: يا رسول الله! بماذا نتجهز؟ فوالله ما لنا زاد ولا مال! فنزلت، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن الأنصار كانوا ينفقون ويتصدقون، فأصابتهم سنة، فأمسكوا؛ فنزلت، قاله أبو جبير بن الضحاك<sup>(٢)</sup>. والسبيل في اللغة: الطريق. وإنما استعملت هذه الكلمة في الجهاد، لأنه السبيل الذي يقاتل فيه على عقد الدين. والتهلكة: بمعنى الهلاك، يقال: هلك الرجل يهلك هلاكاً وهلكاً وتهلكة. قال المبرد: وأراد بالأيدي: الأنفس؛ فعبّر بالبعض عن الكل. وفي المراد بالتهلكة هاتنا أربعة أقوال: أحدها: أنها ترك النفقة في سبيل الله، قاله حذيفة، وابن عباس، والحسن، وابن جبير، وعكرمة. ومجاهد، وقتادة، والضحاك. والثاني: أنها القعود عن الغزو شغلاً بالمال، قاله أبو أيوب الأنصاري. والثالث: أنها القنوط من رحمة الله، قاله البراء، والنعمان بن بشير، وعبيدة. والرابع: أنها عذاب الله، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: أحسنوا الإنفاق، وهو قول أصحاب القول الأول. والثاني: أحسنوا الظن بالله، قاله عكرمة، وسفيان، وهو يخرج على قول من قال: التهلكة: القنوط. والثالث: أن معناه: أدوا الفرائض، رواه سفيان عن أبي إسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّهَا لَمَجَّ وَالْمَمَرَةُ لِلَّهِ﴾ قال ابن فارس: الحج في اللغة: القصد، والاعتماد في الحج أصله: الزيارة. قال ثعلب: الحج بفتح الحاء: المصدر، ويكسرهما: الاسم. قال: وربما قال القراء: هما لغتان. وذكر ابن الأنباري في العمرة قولين: أحدهما: الزيارة. والثاني: القصد. وفي إتمامها أربعة أقوال: أحدها: أن معنى إتمامها: أن يفصل بينهما، فيأتي بالعمرة في غير أشهر الحج، قاله عمر بن الخطاب، والحسن، وعطاء. والثاني: أن يحرم الرجل من ديرة أهله<sup>(٣)</sup>، قاله علي بن أبي طالب، وطاووس، وابن جبير. والثالث: أنه إذا شرع في أحدهما لم يفسخه حتى يتم، قاله ابن عباس. والرابع: أنه فعل ما أمر الله فيهما، قاله مجاهد. وجمهور القراء على نصب «العمرة» بإيقاع الفعل عليها. وقرأ الأصمعي عن نافع والقزاز عن أبي عمرو، والكسائي عن أبي جعفر برفعها، وهي قراءة ابن مسعود، وأبي

(١) لم يرد هذا السبب بهذا اللفظ في كتب التفسير التي بين أيدينا، وإنما جاء فيها: عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ قال: لا يقولن أحدكم إني لا أجد شيئاً، إن لم يجد إلا مشقاً، فليجهز به في سبيل الله.

(٢) في الأصول التي بين أيدينا: الضحاك بن أبي جبير، وهو خطأ، وصوابه ما أثبتناه، فقد جاء في «تقريب التهذيب» أبو جبير - بفتح الجيم - ابن الضحاك الأنصاري المدني: صحابي، وقيل: لا صحبة له. والحديث رواه الطبراني في «الكبير» والأوسط وزاد: (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) وقال الهيثمي: ورجلها رجال الصحيح.

(٣) الديرة: تصغير الدار: كل موضع حل به قوم، فهو دارهم.

رزين، والحسن، والشعبي. وقراءة الجمهور تدل على وجوبها. وممن ذهب إلى أن العمرة واجبة: علي، وابن عمر، وابن عباس، والحسن، وابن سيرين، وعطاء، وطاووس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأحمد، والشافعي. وروي عن ابن مسعود، وجابر، والشعبي، وإبراهيم، وأبي حنيفة، ومالك، أنها سنة وتطوع.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمْرُهُمْ﴾ قال ابن قتيبة: يقال: أحصره المرض والعدو: إذا منعه من السفر، ومنه هذه الآية. وحصره العدو: إذا ضيق عليه. وقال الزجاج: يقال للرجل إذا حبس: قد حصر، فهو محصور. وللعلماء في هذا الإحصار قولان: أحدهما: أنه لا يكون إلا بالعدو، ولا يكون المريض محصراً. وهذا مذهب ابن عمر، وابن عباس، وأنس، ومالك، والشافعي، وأحمد. ويدل عليه قوله: ﴿فَإِذَا أَمْرُهُمْ﴾. والثاني: أنه يكون بكل حابس من مرض أو عدو أو عذر، وهو قول عطاء، ومجاهد، وقتادة، وأبي حنيفة. وفي الكلام اختصار وحذف، والمعنى: فإن أحصرتم دون تمام الحج والعمرة فحللتكم؛ فعليكم ما استيسر من الهدي. ومثله: ﴿أَوْ يَذُوقْ أَذًى مِنْ رَأْيِهِمْ فَيَذِيقَهُ﴾ تقديره: فحلقت، ففدية. والهدي: ما أهدي إلى البيت. وأصله: هديّ مشدد، فخفف، قاله ابن قتيبة. وبالتشديد يقرأ الحسن، ومجاهد. وفي المراد بـ﴿فَإِنْ أَمْرُهُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه شاة، قاله علي بن أبي طالب، وابن عباس، والحسن، وعطاء، وابن جبير، وإبراهيم، وقتادة، والضحاك. والثاني: أنه ما تيسر من الإبل والبقر لا غير، قاله ابن عمر، وعائشة، والقاسم. والثالث: أنه على قدر الميسرة، رواه طاووس عن ابن عباس. وروي عن الحسن، وقتادة قالوا: أعلاه بدنة، وأوسطه بقرة، وأخسه شاة. وقال أحمد: الهدي من الأصناف الثلاثة، من الإبل والبقر والغنم، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله، ومالك، والشافعي، رحمهما الله.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ قال ابن قتيبة: المحل: الموضع الذي يحل به نحره، وهو من: حل يحل. وفي المحل قولان: أحدهما: أنه الحرم، قاله ابن مسعود، والحسن، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، وابن سيرين، والثوري، وأبو حنيفة. والثاني: أنه الموضع الذي أحصر به فيذبحه ويحل، قاله مالك، والشافعي، وأحمد.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ يَذُوقْ أَذًى مِنْ رَأْيِهِمْ فَيَذِيقَهُ﴾ هذا نزل على سبب، وهو أن كعب بن عجرة كثر قمل رأسه حتى تهافت على وجهه، فنزلت هذه الآية فيه، فكان يقول: في نزلت خاصة<sup>(١)</sup>.

### فصل

قال شيخنا علي بن عبيد الله: اقتضى قوله: ﴿وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ تحريم حلق الشعر، سواء وجد به الأذى، أو لم يجد، حتى نزل: ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ يَذُوقْ أَذًى مِنْ رَأْيِهِمْ فَيَذِيقَهُ﴾ فاقضى هذا إباحة حلق الشعر عند الأذى مع الفدية، فصار ناسخاً لتحريمه المتقدم. ومعنى الآية: فمن كان منكم - أي: من المحرمين، محصراً كان أو غير محصر - مريضاً، واحتاج إلى لبس أو شيء يحظره الإحرام، ففعله، أو به أذى من رأسه فحلقت؛ ففدية من صيام. وفي الصيام قولان: أحدهما: أنه ثلاثة أيام، روي في حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وهو قول الجمهور. والثاني: أنه صيام عشرة أيام، روي عن الحسن وعكرمة، ونافع. وفي الصدقة قولان: أحدهما: أنه إطعام ستة مساكين، روي في حديث كعب<sup>(٢)</sup>، وهو قول من قال: الصوم ثلاثة أيام. والثاني: أنها إطعام عشرة مساكين، وهو قول من أوجب صوم عشرة أيام. والنسك: ذبح شاة، يقال: نسكت الله، أي: ذبحت له. وفي النسك لغتان: ضم النون والسين، وبها قرأ الجمهور، وضم النون مع تسكين السين، وهي قراءة الحسن.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَمْرُهُمْ﴾، أي: من العدو، إذ المرض لا تؤمن معاودته، وقال علقمة في آخرين: فإذا أمتتم من الخوف والمرض. ﴿فَإِنْ تَمَنَّعَ بِالْعَمَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ معناه: من بدأ بالعمرة في أشهر الحج، وأقام الحج من عامه ذلك؛ فعليه ما استيسر من الهدي. وهذا قول ابن عمر، وابن المسيب، وعطاء، والضحاك. وقد سبق الكلام فيما استيسر من الهدي.

(١) رواه البخاري ومسلم، وغيرهما عن كعب بن عجرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.



﴿فَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْمَلْحِ﴾ قال الحسن: هي قبل التروية بيوم، و[يوم] التروية، و[يوم] عرفة، وهذا قول عطاء، والشعبي، وأبي العالية، وابن جبير، وطاووس، وإبراهيم. وقد نقل عن علي عليه السلام. وقد روي عن الحسن، وعطاء قالوا: في أي العشر شاء صامهم. ونقل عن طاووس، ومجاهد، وعطاء، أنهم قالوا: في أي أشهر الحج شاء فليصمهم ونقل عن ابن عمر أنه قال: من حين يحرم إلى يوم عرفة.

### فصل

فإن لم يجد الهدي، ولم يصم الثلاثة أيام قبل يوم النحر، فماذا يصنع؟ قال عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن جبير، وطاووس، وإبراهيم: لا يجزئه إلا الهدي ولا يصوم. وقال ابن عمر وعائشة: يصوم أيام منى. ورواه صالح عن أحمد، وهو قول مالك. وذهب آخرون إلى أنه لا يصوم أيام التشريق، بل يصوم بعدهن. روي عن علي. ورواه المروزي عن أحمد، وهو قول الشافعي.

### فصل

فإن وجد الهدي بعد الدخول في صوم الثلاثة أيام، لم يلزمه الخروج منه، وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: يلزمه الخروج، وعليه الهدي. وقال عطاء: إن صام يومين ثم أيسر؛ فعليه الهدي. وإن صام ثلاثة ثم أيسر؛ فليصم السبعة، ولا هدي عليه. وفي معنى قوله: ﴿فِي الْمَلْحِ﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: في أشهر الحج. والثاني: في زمان الإحرام بالحج. وفي قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْهُ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ قولان: أحدهما: إذا رجعت إلى أمصاركم، قاله ابن عباس، والحسن، وأبو العالية، والشعبي، وقتادة. والثاني: إذا رجعت من حجكم، وهو قول عطاء، وسعيد بن جبير، وأبي حنيفة، ومالك. قال الأثرم: قلت لأبي عبد الله، يعني أحمد بن حنبل: فصيام السبعة أيام إذا رجع متى يصومهم؟ أفي الطريق، أم في أهله؟ قال: كل ذلك قد تأوله الناس. قيل لأبي عبد الله: ففرق بينهم، فرخص في ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أن معناه: كاملة في قيامها مقام الهدي، وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس، والحسن. قال القاضي أبو يعلى: وقد كان يجوز أن يظن ظان أن الثلاثة قد قامت مقام الهدي في باب استكمال الثواب، فأعلمنا الله تعالى أن العشرة بكمالها هي القائمة مقامه. والثاني: أن الواو قد تقوم مقام «أو» في مواضع، منها قوله: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتَى وَكُنْتُمْ وَرَثَةً﴾ [النساء: ٣] فأزال الله تعالى احتمال التخيير في هذه الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾ وإلى هذا المعنى ذهب الزجاج. والثالث: أن ذلك للتوكيد. وأنشدوا للفرزدق:

ثلاث واثنتان فهن خمس  
وسادسة تميل إلى شمامي  
وقال آخر:

هلا سألت جموع كندة يوم ولوا أين أيننا

وقال آخر:

كم نعمة كانت له كم كم وكم

والقرآن نزل بلغة العرب، وهي تكرر الشيء لتوكيده. والرابع: أن معناه: تلك عشرة كاملة في الفصل، وإن كانت الثلاثة في الحج، والسبعة بعد، لثلاث يسبق إلى وهم أحد أن السبعة دون الثلاثة، قاله أبو سليمان الدمشقي. والخامس: أنها لفظة خبر، ومعناها الأمر، فتقديره: تلك عشرة فأكملوها.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَعَنَ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي السَّجْدِ الْحَرَامِ﴾ في المشار إليه بذلك قولان: أحدهما: أنه التمتع بالعمرة إلى الحج. والثاني: أنه الجزء بالنسك والصيام. واللام من «المن» في هذا القول بمعنى: «على». فأما حاضروا المسجد الحرام؛ فقال ابن عباس، وطاووس، ومجاهد: هم أهل الحرم. وقال عطاء: من كان منزله دون المواقيت. قال ابن الأنباري: ومعنى الآية: إن هذا الفرض لمن كان من الغرباء، وإنما ذكر أهله، وهو المراد بالحضور، لأن الغالب على الرجل أن يسكن حيث أهله ساكنون.

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ مِّن رَّحْمَةِ فِيهِكَ الْمَجَّ فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَيْرٍ يَسْكُنَهُ اللَّهُ وَكَرَّوْذًا فَلَاك حَيْرَ الرَّأْيِ الْقَوِيُّ وَالْقَوِيُّ يَتَأَوَّلُ الْأَلْبَسَ ﴿١٩٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ في الحج لغتان. فتح الحاء، وهي لأهل الحجاز، وبها قرأ الجمهور. وكسرها، وهي لتميم، وقيل: لأهل نجد، وبها قرأ الحسن. قال سيبويه: يقال: حج حجاً، كقولهم: ذكر ذكراً. وقالوا: حجة، يريدون: عمل سنة. قال الفراء: المعنى: وقت الحج هذه الأشهر. وقال الزجاج: معناه: أشهر الحج أشهر معلومات. وفي أشهر الحج قولان: أحدهما: أنها شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، قاله ابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، والحسن، وابن سيرين، وعطاء، والشعبي، وطاووس، والنخعي، وقتادة، ومكحول، والضحاك، والسدي، وأبو حنيفة، وأحمد بن حنبل، والشافعي رحمهم الله. والثاني: أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة، وهو مروى عن ابن عمر أيضاً، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، والزهرى، والربيع، ومالك بن أنس. قال ابن جرير الطبري: إنما أراد هؤلاء أن هذه الأشهر ليست أشهر العمرة، إنما هي للحج، وإن كان عمل الحج قد انقضى بانقضاء منى، وقد كانوا يستحبون أن يفعلوا العمرة في غيرها. قال ابن سيرين: ما أحد من أهل العلم شك في أن عمرة في غير أشهر الحج أفضل من عمرة في أشهر الحج، وإنما قال: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾ وهي شهران وبعض الآخر على عادة العرب. قال الفراء: تقول العرب: له اليوم يومان لم أره، وإنما هو يوم، وبعض آخر. وتقول: زرتك العام، وأنتك اليوم، وإنما وقع الفعل في ساعة. وذكر ابن الأباري في هذا قولين: أحدهما: أن العرب توقع الجمع على الشئ، كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مَبْرُؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ وإنما يريد عائشة وصفوان. وكذلك قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَوِيدٌ﴾ يريد: داود وسليمان. والثاني: أن العرب توقع الوقت الطويل على الوقت القصير، فيقولون: قتل ابن الزبير أيام الحج، وإنما كان القتل في أقصر وقت.

### فصل

اختلف العلماء فيمن أحرم بالحج قبل أشهر الحج، فقال عطاء، وطاووس، ومجاهد، والشافعي: لا يجزئه ذلك، وجعلوا فائدة قوله: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ أنه لا ينعقد الحج إلا فيهن. وقال أبو حنيفة، ومالك، والثوري، والليث بن سعد، وأحمد بن حنبل: يصح الإحرام بالحج قبل أشهر، فعلى هذا يكون قوله: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ أي: معظم الحج يقع في هذه الأشهر، كما قال النبي ﷺ: «الحج عروة»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَنْ رَفَثَ فِيهِكَ الْمَجَّ﴾ قال ابن مسعود: هو الإهلال بالحج، والإحرام به. وقال طاووس، وعطاء: هو أن يلي. وروى عن علي، وابن عمر، ومجاهد، والشعبي في آخرين: أنه إذا قلَّد بدنته فقد أحرم، وهذا محمول على أنه قلَّدنا نأوي للحج. ونص الإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله في رواية الأثرم: أن الإحرام بالنية. قيل له: يكون محرماً بغير تلبية؟ قال: نعم إذا عزم على الإحرام، وهذا قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يجوز الدخول في الإحرام إلا بالتلبية أو تقليد الهدي وسوقه.

قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفْثَ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو، وأبو جعفر: «فلا رفث ولا فسوق» بالضم والتنوين. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمره، والكسائي بغير تنوين، ولم يرفع أحد منهم لام «جدال» إلا أبو جعفر. قال أبو علي: حجة من فتح أنه أشد مطابقة للمعنى المقصود، لأنه بالفتح قد نفى جميع الرفث والفسوق، كقوله: ﴿لَا رَبَّ فِيهِ﴾ فإذا رفع ونون كان النفي لواحد منه، وإنما فتحوا لام الجدال، ليتناول النفي جميع جنسه، فكذلك ينبغي أن يكون جمع الاسمين قبله. وحجة من رفع أنه قد علم من فحوى الكلام نفى جميع الرفث، وقد يكون اللفظ واحداً، والمراد بالمعنى: الجميع. وفي الرفث ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الجماع، قاله ابن عمر، والحسن، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة في آخرين. والثاني: أنه الجماع، وما دونه من التعريض به، وهو مروى عن ابن عمر أيضاً، وابن عباس، وعمرو بن

(١) رواه أحمد في «المستند» وأصحاب «السنن» والحاكم، والبيهقي، كلهم عن عبد الرحمن بن بصر المديني رحمهم الله، وسنده صحيح.

دينار في آخرين. والثالث: أنه اللغو من الكلام، قاله أبو عبد الرحمن اليزيدي. وفي الفسوق ثلاثة أقوال: أحدها: أنه السباب، قاله ابن عمر، وابن عباس، وإبراهيم في آخرين. والثاني: أنه التنازع بالألقاب، مثل أن تقول لأخيك: يا فاسق، يا ظالم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه المعاصي، قاله الحسن، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، وقتادة في آخرين، وهو الذي نختاره، لأن المعاصي تشمل الكل، ولأن الفاسق: الخارج من الطاعة إلى المعصية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُكَ فِي السَّجِّدِ﴾ الجدل: المراء. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: أن معناه: لا يماري أحد أحداً، فيخرجه المراء إلى الغضب، وفعل ما لا يليق بالحج، وإلى هذا المعنى ذهب ابن عمر، وابن عباس، وطاووس، وعطاء، وعكرمة، والنخعي، وقتادة، والزهري، والضحاك في آخرين. والثاني: أن معناه: لا شك في الحج ولا مراء، فإنه قد استقام أمره وعرف وقته وزال النسيء عنه، قال مجاهد: كانوا يحجون في ذي الحجة عامين، وفي المحرم عامين، ثم حجوا في صفر عامين، وكانوا يحجون في كل سنة في كل شهر عامين حتى وافقت حجة أبي بكر الآخر من العامين في ذي القعدة قبل حجة النبي ﷺ بسنة، ثم حج النبي ﷺ من قابل في ذي الحجة، فذلك حين قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض»<sup>(١)</sup> وإلى هذا المعنى ذهب السدي عن أشياخه، والقاسم بن محمد.

قوله تعالى: ﴿وَكُذِّبُوا فَمَا أَتَاكَ خَيْرَ الْآزَادِ الثَّقَوْنَ﴾ قال ابن عباس: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون، فيسألون الناس، فانزل الله تعالى: ﴿وَكُذِّبُوا فَمَا أَتَاكَ خَيْرَ الْآزَادِ الثَّقَوْنَ﴾<sup>(٢)</sup> قال الزجاج: أمروا أن يتزودوا، وأعلموا أن خير ما تزودوا تقوى الله ﷻ.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَقَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْرِى الْحَرَامِ وَادْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَوَنِ الصَّكَّالِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَكَاخَ النَّكَاسِ وَأَسْتَنْزِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذِي جَبَرٍ

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قال ابن عباس: كانوا يتقون البيوع والتجارة في الموسم، ويقولون: أيام ذكر، فنزلت هذه الآية. والابتغاء: الالتماس. والفضل هاهنا: التماس الرزق بالتجارة والكسب. قال ابن قتيبة: «أَقَضْتُمْ»، بمعنى: دفعتم. وقال الزجاج: معناه: دفعتم بكثرة، يقال: أفاض القوم في الحديث، إذا اندفعوا فيه، وأكثروا التصرف. وفي تسمية «عرات» قولان: أحدهما: أن الله تعالى بعث جبريل إلى إبراهيم فحج به، فلما أتى عرات قال: قد عرفت، فسميت «عرفة» قاله علي عليه السلام. والثاني: أنها سميت بذلك لاجتماع آدم وحواء، وتعارفهما بها، قاله الضحاك. قال الزجاج: والمشرع: المعلم، سمي بذلك، لأن الصلاة عنده. والمقام والمبيت والدعاء من معالم الحج، وهو مزدلفة، وهي جمع يسمى بالاسمين. قال ابن عمر، ومجاهد: المشعر الحرام: المزدلفة كلها.

قوله تعالى: ﴿وَادْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُمْ﴾ أي: جزاء هدايته لكم، فإن قيل: ما فائدة تكرير الذكر؟ قيل: فيه أربعة أجوبة: أحدها: أنه كرره للمبالغة في الأمر به. والثاني: أنه وصل بالذكر الثاني ما لم يصل بالذكر الأول، فحسن تكريره. فالمعنى: اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته. والثالث: أنه كرره ليدل على مواصلته، والمعنى: اذكروه ذكراً بعد ذكر، ذكر هذه الأقوال محمد بن القاسم التحوي. والرابع: أن الذكر في قوله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْرِى الْحَرَامِ﴾ هو: صلاة المغرب والعشاء اللتان يجمع بينهما بالمزدلفة. والذكر في قوله: ﴿كَمَا هَدَيْتُمْ﴾ هو: الذكر المفعول عند الوقوف بمزدلفة غداة جمع، حكاه القاضي أبو يعلى.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَوَنِ الصَّكَّالِينَ﴾ في هاء الكناية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الإسلام، قاله ابن

(١) متفق عليه من حديث أبي بكر نفع بن الحارث. قال العلماء في شرح هذا الحديث: إن العرب كانت تسمك بملة إبراهيم عليه السلام في تحريم الأشهر الأربعة، إلا أنهم كانوا إذا احتاجوا للقتال في شهر منها، أخروا تحريمهم إلى الشهر الذي يليه، فكانوا شهراً إلى شهر، حتى اختلط الأمر عليهم، فصادت حجة النبي ﷺ تحريمهم، لأنهم كانوا في تلك السنة حرموا ذا الحجة بمقتضى حسابهم، فأخبر ﷺ أن الاستدارة وافقت ما حكم الله سبحانه وتعالى به يوم خلق السماوات والأرض.

(٢) رواه البخاري، وأبو داود، والنسائي.

عباس. والثاني: أنها ترجع إلى الهدى، قاله مقاتل، والزجاج. والثالث: أنها ترجع إلى القرآن، قاله سفيان الثوري.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا مِمَّنْ حَيْثُ أَكْثَرُ النَّكَاسِ﴾ قالت عائشة: كانت قريش ومن يدين بدينها، وهم الحمس، يقفون عشية عرفة بالمزدلفة، يقولون: نحن قطن البيت، وكان بقية العرب والناس يقفون بعرفات، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>.

قال الزجاج: سمو الحمس لأنهم تحمسوا في دينهم، أي: تشددوا. والحماسة: الشدة في كل شيء. وفي المراد بالناس هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنهم جميع العرب غير الخمس، ويدل عليه حديث عائشة، وهو قول عروة، ومجاهد، وقناة. والثاني: أن المراد بالناس هاهنا: إبراهيم الخليل عليه السلام، قاله الضحاك بن مزاحم. والثالث: أن المراد بالناس آدم، قاله الزهري. وقد قرأ أبو المتوكل، وأبو نهيك، ومورق العجلي: «الناسي» بإثبات الياء. والرابع: أنهم أهل اليمن وربيعة، فإنهم كانوا يفيضون من عرفات، قاله مقاتل. وفي المخاطبين بذلك قولان: أحدهما: أنه خطاب لقريش، وهو قول الجمهور. والثاني: أنه خطاب لجميع المسلمين، وهو يخرج على قول من قال: الناس آدم، أو إبراهيم. والإفاضة هاهنا على ما يقتضيه ظاهر اللفظ: هي الإفاضة من المزدلفة إلى منى صبيحة النحر، إلا أن جمهور المفسرين على أنها الإفاضة من عرفات، فظاهر الكلام لا يقتضي ذلك، كيف يقال: ﴿فَإِذَا أَفْتَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ ثم أفيضوا من عرفات؟! غير أنني أقول: وجه الكلام على ما قال أهل التفسير: أن فيه تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس، فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله. «والغفور»: من أسماء الله ﷻ، وهو من قولك: غفرت الشيء: إذا غطيته، فكان الغفور هو الساتر لعبده برحمته، أو الساتر للذنوب عباده. والغفور: هو الذي يكثر المغفرة، لأن بناء المفعول للمبالغة من الكثرة، كقولك: صبور، وضروب، وأكول.

﴿فَإِذَا فُضِّيتُمْ لِنَائِكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِمَّنْ أَلْكَاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الْآخِرَةِ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ صِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿وَإِذَا فُضِّتُمْ إِلَى الْأَرْضِ فَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَآتُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُعْشَرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فُضِّيتُمْ لِنَائِكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن أهل الجاهلية كانوا إذا اجتمعوا بالموسم، ذكروا أفعال آبائهم وأيامهم وأنسابهم في الجاهلية، فتفاخروا بذلك؛ فنزلت هذه الآية. وهذا المعنى مروى عن الحسن، وعطاء، ومجاهد. والثاني: أن العرب كانوا إذا حدثوا أو تكلموا يقولون: وأبيك إنهم لفعلوا كذا وكذا؛ فنزلت هذه الآية. وهذا مروى عن الحسن أيضاً. والثالث: أنهم كانوا إذا قضا مناسكهم، قام الرجل يمني فقال: اللهم إن أبي كان عظيم الجفنة، كثير المال، فأعطني مثل ذلك، فلا يذكر الله، إنما يذكر أباه، ويسأل أن يعطى في دنياه؛ فنزلت هذه الآية، هذا قول السدي. والمناسك: المتعبات. وفي المراد بها هاهنا قولان: أحدهما: أنها جميع أفعال الحج، قاله الحسن. والثاني: أنها إراقة الدماء، قاله مجاهد. وفي ذكرهم آبائهم أربعة أقوال: أحدها: أنه إقرارهم بهم. والثاني: أنه حلفهم بهم. والثالث: أنه ذكر إحسان آبائهم إليهم، فإنهم كانوا يذكرونهم وينسون إحسان الله إليهم. والرابع: أنه ذكر الأطفال والآباء، لأنهم أول نطقهم بذكر آبائهم، روي هذا المعنى عن عطاء، والضحاك. وفي «أو» قولان: أحدهما: أنها بمعنى «بل». والثاني: بمعنى الواو. «والخلاق»: قد تقدم ذكره. وفي حسنة الدنيا سبعة أقوال: أحدها: أنها المرأة الصالحة، قاله علي. والثاني: أنها العبادة، رواه سفيان بن حسين عن الحسن. والثالث: أنها العلم والعبادة، رواه هشام عن الحسن. والرابع: المال، قاله أبو وائل، والسدي، وابن زيد. والخامس: العافية، قاله قناة. والسادس: الرزق الواسع، قاله مقاتل. والسابع: النعمة، قاله ابن قتيبة. وفي حسنة الآخرة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الحور العين، قاله علي عليه السلام. والثاني: الجنة، قاله الحسن، والسدي، ومقاتل. والثالث: العفو والمعافاة، روي عن الحسن، والثوري.

(١) روى البخاري في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وسائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه أن يأتي عرفات ثم يقف بها، ثم يفيض منها، فلذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا مِمَّنْ حَيْثُ أَكْثَرُ النَّكَاسِ﴾.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ قال الزجاج: معناه: دعاؤهم مستجاب، لأن كسبهم هاهنا هو الدعاء، وهذه الآية متعلقة بما قبلها، إلا أنه قد روي أنها نزلت على سبب يخالف سبب أخواتها، فروى الضحاك عن ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله! مات أبي ولم يحج، فأحج عنه؟ فقال: «لو كان على أبيك دين قضيته، أما كان ذلك يجزئ عنه؟» قال: نعم، قال: «فدين الله أحق أن يقضى!» قال: فهل لي من أجر؟ فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. وفي معنى سرعة الحساب خمسة أقوال: أحدها: أنه قلته، قاله ابن عباس. والثاني: أنه قرب مجيئه، قاله مقاتل. والثالث: أنه لما علم ما للمحاسب وما عليه قبل حسابه، كان سريع الحساب لذلك. والرابع: أن المعنى: والله سريع المجازاة، ذكر هذا القول والذي قبله الزجاج. والخامس: أنه لا يحتاج إلى فكر وروية كالعاجزين، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّسْكُورَاتٍ﴾ في هذا الذكر قولان: أحدهما: أنه التكبير عند الجمرات، وأديار الصلوات، وغير ذلك من أوقات الحج. والثاني: أنه التكبير عقب الصلوات المفروضات. واختلف أرباب هذا القول في الوقت الذي يتدئ فيه بالتكبير ويقطع على ستة أقوال: أحدها: أنه يكبر من صلاة الفجر يوم عرفة، إلى [ما] بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق، قاله علي، وأبو يوسف، ومحمد. والثاني: أنه من صلاة الفجر يوم عرفة إلى صلاة العصر من يوم النحر، قاله ابن مسعود، وأبو حنيفة. والثالث: من بعد صلاة الظهر يوم النحر إلى [ما] بعد العصر من آخر أيام التشريق، قاله ابن عمر، وزيد بن ثابت، وابن عباس، وعطاء. والرابع: أنه يكبر من صلاة الظهر يوم النحر إلى [ما] بعد صلاة الظهر من يوم النفر، وهو الثاني من أيام التشريق، قاله الحسن. والخامس: أنه يكبر من الظهر يوم النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق، قاله مالك بن أنس، وهو أحد قولي الشافعي. والسادس: أنه يكبر من صلاة المغرب ليلة النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق، وهذا قول للشافعي. ومذهب إمامنا أحمد أنه إن كان محلاً، كبر عقب ثلاث وعشرين صلاة؛ أولها الفجر يوم عرفة، وآخرها العصر من آخر أيام التشريق، وإن كان محلاً كبر عقب سبعة عشر صلاة؛ أولها الظهر من يوم النحر، وآخرها العصر من آخر أيام التشريق. وهل يختص هذا التكبير عقب الفرائض بكونها في جماعة، أم لا؟ فيه عن أحمد روايتان: إحداهما: يختص بمن صلاها في جماعة، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله. والثانية: يختص بالفريضة، وإن صلاها وحده، وهو قول الشافعي. وفي الأيام المعدودات ثلاثة أقوال: أحدها: أنها أيام التشريق، قاله ابن عمر، وابن عباس، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وقتادة في آخرين. والثاني: أنها يوم النحر ويومان بعده، روي عن علي، وابن عمر. والثالث: أنها أيام العشر، قاله سعيد بن جبيرة، والنخعي. قال الزجاج: «ومعدودات» يستعمل كثيراً للشيء القليل، كما يقال: دريهمات وحمامات.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَجَلَّى فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: فمن تعجل النفر الأول في اليوم الثاني من أيام منى؛ فلا إثم عليه، ومن تأخر إلى النفر الثاني، وهو اليوم الثالث من أيام منى، فلا إثم عليه. فإن قيل: إنما يخاف الإثم المتعجل، فما بال المتأخر ألحق به، والذي أتى به أفضل؟! فغته أربعة أجوبة: أحدها: أن المعنى: أن إثم على المتعجل، والمتأخر مأجور، فقال: لا إثم عليه، لتوافق اللفظة الثانية الأولى، كقوله: ﴿فَمَنْ أَتَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعْدُوا عَلَيْهِ﴾. والثاني: أن المعنى: فلا إثم على المتأخر في ترك استعمال الرخصة. والثالث: أن المعنى: قد زالت آثام المتعجل والمتأخر التي كانت عليهما قبل حجهما. والرابع: أن المعنى: طرح المأثم عن المتعجل والمتأخر إنما يكون بشرط التقوى. وفي معنى «لمن اتقى» ثلاثة أقوال: أحدها: لمن اتقى قتل الصيد، قاله ابن عباس. والثاني: لمن اتقى المعاصي في حجه، قاله قتادة. وقال ابن مسعود: إنما مغفرة الله لمن اتقى الله في حجه. والثالث: لمن اتقى فيما بقي من عمره، قاله أبو العالية، وإبراهيم.

﴿وَمَنْ أَلْتَأَسَّ مِنْ تَعْجَلِكِ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَتَّخِذُ اللَّهُ عَلَيَّ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَلْتَأَسَّ مِنْ تَعْجَلِكِ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على ثلاثة أقوال:

(١) لم يذكر هذا الحديث في شيء من كتب الحديث والتفسير التي بين أيدينا على أنه سبب لنزول الآية، والأحاديث في جواز الحج عن الغير وردت من طرق صحيحة عن ابن عباس وعلي وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم.

أحدهما: أنها نزلت في الأخنس بن شريق، كان لين الكلام، كافر القلب، يظهر للنبي الحسن، ويحلف له أنه يحبه، ويتبعه على دينه، وهو يضمير غير ذلك، هذا قول ابن عباس، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت فيمن نافق فأظهر بلسانه ما ليس في قلبه. وهذا قول الحسن، وقناة، وابن زيد. والثالث: أنها نزلت في سرية الرجيع<sup>(١)</sup>، وذلك أن كفار فريش بعثوا إلى النبي ﷺ وهو بالمدينة: إنا قد أسلمنا، فابث لنا نفراً من أصحابك يعلمونا ديننا، فبعث ﷺ خبيب بن عدي، ومرثداً الغنوي، وخالد بن بكير، وعبد الله بن طارق، وزيد بن الدثنة، وأمر عليهم عاصم بن ثابت، فساروا نحو مكة، فزلزوا بين مكة والمدينة ومعهم تمر، فأكلوا منه، فمرت عجوز فأبصرت النوى، فرجعت إلى قومها وقالت: قد سلك هذا الطريق أهل يثرب، فركب سبعون منهم حتى أحاطوا بهم، فحاربوهم، فقتلوا مرثداً، وخالداً، وابن طارق، ونثر عاصم كنانته وفيها سبعة أسهم، فقتل بكل سهم رجلاً من عظمائهم، ثم قال: اللهم إني حميت دينك صدر النهار، فأحمي لحمي آخر النهار، ثم أحاطوا به فقتلوه، وأرادوا حَرْزَ رأسه لبيعوه من سلافة بنت سعد، وكان قتل بعض أهلها، فنلرت: لئن قدرت على رأسه لثشرين في قحفه الخمر، فأرسل الله تعالى رجلاً<sup>(٢)</sup> من الدبر - وهي: الزنابير - فحمته، فلم يقدروا عليه، فقال: دعوه حتى يمسي فتذهب عنه، فناخذته، فجاءت سحابة فأمطرت كالعزالي، فبعث الله الوادي، فاحتلمه فذهب به، وأسروا خبيباً وزيداً، فابتاع بنو الحارث بن عامر خبيباً ليقتلوه، لأنه قتل آباهم، فلما خرجوا به ليقتلوه قال: دعوني أصلي ركعتين، فتركوه فصلى ركعتين، ثم قال: لولا أن تقولوا: جزع خبيب؛ لذت، وأنشأ يقول:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً  
على أي شق كان في الله مصرعي  
وذلك في ذات الإله وإن يشأ  
يبارك على أوصال شلو ممزج

فصلبوه حياً، فقال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد حولي يبلغ رسولك سلامي، فجاءه رجل منهم يقال له: أبو سروعة، ومعه رمح، فوضعه بين يدي خبيب، فقال له خبيب: اتق الله، فما زاده ذلك إلا عتواً. وأما زيد، فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه، فجاءه سفيان بن حرب حين قدم ليقتله، فقال: يا زيدا أنشدك الله، أتحب أن محمداً مكانك، وأنت في أهلك؟ فقال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكه تؤذي وأنا جالس في أهلي، ثم قتل<sup>(٣)</sup>. وبلغ النبي الخبر، فقال: «أيكم يحتمل خبيباً عن خشبته وله الجنة؟» فقال الزبير: أنا وصاحبي المقداد، فخرجوا يمشيان بالليل ويمكثان بالنهار، حتى وافيا المكان، وإذا حول الخشب أربعون مشركاً نيام نشاوى، وإذا هو رطب يثتنى لم يتغير فيه شيء بعد أربعين يوماً، فحملة الزبير على فرسه، وسار فلحقه سبعون منهم، فقفز الزبير خبيباً فابتلعه الأرض، وقال الزبير: ما جراًكم علينا يا معشر فريش؟! ثم رفع العمامة عن رأسه وقال: أنا الزبير بن العوام، وأمي صفية بنت عبد المطلب، وصاحبي المقداد، أسدان رابضان يدفعا عن شبلهما، فإن شتمت ناضلتكم، وإن شتمت نازلتنكم، وإن شتمت انصرفتكم، فانصرفوا، وقدا على رسول الله ﷺ وجبريل عنده، فقال: «يا محمد إن الملافة لتباهي بهذين من أصحابك». وقال بعض المنافقين في أصحاب خبيب: ربح هؤلاء المقتولين، لا في بيوتهم قعدوا، ولا رسالة صاحبهم أدوا، فأنزل الله تعالى في الزبير والمقداد وخبيب وأصحابه والمنافقين هذه الآية، وثلاث آيات بعدها. وهذا الحديث بطوله مروى عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَيَّ مَا فِي قَلْبِي﴾. فيه قولان: أحدهما: أنه يقول: إن الله يشهد أن ما ينطق به لساني هو الذي في قلبي. والثاني: أنه يقول: اللهم اشهد علي بهذا القول. وقرأ ابن مسعود: «ويستشهد الله» بزيادة سين وتاء. وقرأ الحسن، وطلحة بن مصرف، وابن محيصن وابن أبي عبة: «وَيَشْهَدُ» بفتح الياء «الله» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾. الخصام: جمع خصم، يقال: خصم وخصام وخصوم. قال الزجاج: والألد:

(١) الرجيع: ماء لهليل قرب الهداة بين عسفان ومكة، وهو الموضع الذي غدرت فيه عفل والقارة، بالنفر الذي بعثهم رسول الله ﷺ. انظر «سيره» ابن هشام ١٦٩/٢.

(٢) الرجل: الكثير.

(٣) روى معنى هذا الحديث البخاري إلى هنا مطولاً في كتاب المغازي من «صحيحه» وفيه قصة مقتل خبيب وزيد وعاصم.

الشديد الخصومة، واشتقاقه من لديدي العنق، وهما صفحتا العنق، ومعناه: أن خصمه في أي وجه أخذ من أبواب الخصومة، غلبه في ذلك.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ سَبِّحُوا لِلَّهِ مَا كُنْتُمْ سَبِّحُونَ مِنْ دُونِهِ قَالُوا مَا لَهُمْ أَسْمَاءُ يُسَبِّحُونَ بِهِ إِلَّا أَذْنَانُ يَغْشَى الْآذَانَ الْغَيْتُ فَيُنْصِتُونَ لَهَا لِكُلِّ شَيْءٍ عَصِيبٌ فَأُمُّهُ بِظُلْمٍ عَلَى تَوَلَّى سَوَاءٍ لَهَا مِنْ ذَنْبِكُمْ وَمِنْ ذَنْبِكُمْ فَذَنْبُهَا لَهَا كِذَابٌ ثُلُثُهَا﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ سَبِّحُوا لِلَّهِ مَا كُنْتُمْ سَبِّحُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه بمعنى: غضب، روي عن ابن عباس، وابن جريج. والثاني: أنه الانصراف عن القول الذي قاله، قاله الحسن. والثالث: أنه من الولاية، فتقديره: إذا صار والياً، قاله مجاهد والضحاك. والرابع: أنه الانصراف بالبدن، قاله مقاتل وابن قتيبة. وفي معنى «سعى» قولان: أحدهما: أنه بمعنى: عمل، قاله ابن عباس ومجاهد. والثاني: أنه من السعي بالقدم، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي الفساد قولان: أحدهما: أنه الكفر. والثاني: الظلم. والحرث: الزرع. والنسل: نسل كل شيء من الحيوان، هذا قول ابن عباس وعكرمة في آخرين. وحكى الزجاج عن قوم: أن الحرث: النساء، والنسل: الأولاد. قال: وليس هذا بمنكر، لأن المرأة تسمى حرثاً. وفي معنى إهلاكه للحرث والنسل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إهلاك ذلك بالقتل والإحراق والإفساد، قاله الآكثرون. والثاني: أنه إذا ظلم كان الظلم سبباً لقطع القطر، فيهلك الحرث والنسل، قاله مجاهد. وهو يخرج على قول من قال: إنه من التولي. والثالث: أنه إهلاك ذلك بالضلال الذي يؤول إلى الهلاك، حكاه بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسَادَ﴾ قال ابن عباس: لا يرضى بالمعاصي. وقد احتجت المعتزلة بهذه الآية، فأجاب أصحابنا بأجوبة. منها: أنه لا يحبه ديناً، ولا يريده شرعاً، فاما أنه لم يرده وجوداً؛ فلا. والثاني: أنه لا يحبه للمؤمنين دون الكافرين. والثالث: أن الإرادة معنى غير المحبة، فإن الإنسان قد يتناول المرء، ويريد بطل الجرح، ولا يجب شيئاً من ذلك. وإذا بان في المعقول الفرق بين الإرادة والمحبة؛ بطل ادعائهم التساوي بينهما، وهذا جواب معتمد. وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِبِئَادٍ الْكَفَرِ﴾ [الزمر: ١٧].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ اتَّقَى اللَّهَ فَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ فَاتَّخَذَ لَهُمْ سَبِيلًا لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الْظُلُمِ﴾

قوله تعالى: ﴿اتَّقَى اللَّهَ﴾ قال ابن عباس: هي الحمية. وأنشدوا:

أَخَذَتْهُ عِزَّةٌ مِنْ جَهْلِهِ فَتَوَلَّى مَغْضِباً فَعَلَ الضَّجِيرَ

ومعنى الكلام: حملته الحمية على الفعل بالإثم. وفي «جهنم» قولان، ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أنها أعجمية لا تجر للتعريف والعجمة. والثاني: أنها اسم عربي، ولم يجر للتأنيث والتعريف. قال رؤية: رُكَّيْهُ جَهَنَامُ: بعيدة القعر. وقال الأعشى:

دَعَوْتُ خَلِيلِي مَسْحَلًا وَدَعَا لَهُ جُهَنَامُ جَدْعًا لِلْهَجِينِ الْمَذْمُومِ<sup>(١)</sup>

فترك صرفه يدل على أنه اسم أعجمي مُعَرَّب. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: فحسبه جهنم جزاء عن إثمه. والثاني: فحسبه جهنم ذلاً من عزه. والمهاد: الفراش، ومهدت لفلان: إذا وطأت له، ومنه: مهد الصبي.

﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعَاصِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على خمسة أقوال: أحدها: أنها نزلت في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهو معنى قول عمر وعلي رضي الله عنهما. والثاني: أنها نزلت في الزبير والمقداد حين ذهبا لإنزال خبيب من خشبته، وقد شرحنا القصة. وهذا قول ابن عباس والضحاك. والثالث: أنها نزلت في صهيب الرومي، واختلفوا في قصته، فروي أنه أقبل مهاجراً نحو النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من قريش، فنزل، فانتشل كنانته، وقال: قد علمتم أنني من أركانكم بسهم، وإيم الله لا تصلون إليّ حتى أرميكم بكل سهم معي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، فإن شئتم دلتكم على مالي. قالوا: فدلنا على مالك نخل عنك، فعاهدكم على ذلك، فنزلت فيه هذه الآية، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ريح البيع أبا يحيى؟» وقرأ عليه القرآن. هذا قول سعيد بن المسيب، وذكر نحوه أبو

(١) جهنم: لقب لشاعر كان يهاجي الأعشى اسمه «عمرو بن قطن» وقيل: هو اسم شيطان الشاعر على عقيدة بعض العرب في ذلك، كما أن «مسحلاً» اسم شيطان الأعشى.

صالح عن ابن عباس، وقال: إن الذي تلقاه فبشره بما نزل فيه أبو بكر الصديق. وذكر مقاتل أنه قال للمشركين: أنا شيخ كبير لا يضركم إن كنت معكم أو عليكم، ولي عليكم حق لجواري، فخذوا مالي غير راحلة، واتركوني وديني، فاشترط أن لا يمنع عن صلاة ولا هجرة، فأقام ما شاء الله، ثم ركب راحلته، فأتى المدينة مهاجراً، فلقيه أبو بكر، فبشره وقال: نزلت فيك هذه الآية. وقال عكرمة: نزلت في صهيب، وأبي ذر الغفاري، فأما صهيب، فأخذه أهله فاقنطد به، وأما أبو ذر، فأخذه أهله فأفلت منهم حتى قدم مهاجراً. والرابع: أنها نزلت في المجاهدين في سبيل الله، قاله الحسن وابن زيد في آخرين. والخامس: أنها نزلت في المهاجرين والأنصار حين قاتلوا على دين الله حتى ظهرُوا، هذا قول قتادة. و«يشري» كلمة من الأضداد، يقال: شري، بمعنى: باع، وبمعنى: اشترى. فمعناها على قول من قال: نزلت في صهيب؛ معنى: يشتري. وعلى بقية الأقوال بمعنى: يبيع.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْفُتُوحِ وَالْأَنْبُكَةِ وَقُفَى الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ رُجُوعُ الْأُمُورِ ﴿٢١٠﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَآفَّةً﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب، كانوا بعد إسلامهم يتقون السبت ولحم الجمل، وأشياء يتقيها أهل الكتاب. رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالنبي محمد ﷺ، أمروا بالدخول في الإسلام. روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الضحاك. والثالث: أنها نزلت في المسلمين، يأمرهم بالدخول في شرائع الإسلام كلها، قاله مجاهد وقتادة. وفي «السلم» ثلاث لغات: كسر السين، وتسكين اللام؛ وبها قرأ أبو عمرو، وابن عامر في «البقرة» وفتح السين في «الأنفال» وسورة «محمد». وفتح السين مع تسكين اللام؛ وبها قرأ ابن كثير، ونافع، والكسائي في المواضع الثلاثة. وفتح السين واللام؛ وبها قرأ الأعمش في «البقرة» خاصة. وفي معنى «السلم» قولان: أحدهما: أنه الإسلام، قاله ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن قتيبة، والزجاج في آخرين. والثاني: أنها الطاعة، روي عن ابن عباس أيضاً، وهو قول أبي العالية، والربيع. وقال الزجاج: وكافة بمعنى الجميع، وهو في اشتقاق اللغة: ما يكف الشيء في آخره، من ذلك: كُفَّة القميص، وكل مستطيل فحرفه كُفَّة: بضم الكاف. ويقال في كل مستدير: كُفَّة بكسر الكاف، نحو: كُفَّة الميزان. ويقال: إنما سميت كُفَّة الثوب، لأنها تمنعه أن ينتشر، وأصل الكف: المنع، وقيل لطرف اليد: كف، لأنها تكف بها عن سائر البدن، ورجل مكفوف: قد كف بصره أن ينظر. واختلفوا: هل قوله: «كافة» يرجع إلى السلم، أو إلى الداخلين فيه؟ على قولين: أحدهما: أنه راجع إلى السلم، فتقديره: ادخلوا في جميع شرائع الإسلام. وهذا يخرج على القول الأول الذي ذكرناه في نزول الآية. والثاني: أنه يرجع إلى الداخلين فيه، فتقديره: ادخلوا كلكم في الإسلام، وبهذا يخرج على القول الثاني. وعلى القول الثالث يحتمل قوله: «كافة» ثلاثة أقوال: أحدها: أن يكون أمراً للمؤمنين بالسنتهم أن يؤمنوا بقلوبهم. والثاني: أن يكون أمراً للمؤمنين بالدخول في جميع شرائعه. والثالث: أن يكون أمراً لهم بالبات عليه، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا ءَامِنُوا﴾ [النساء: ١٣٦]. و: ﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾. والمعاصي. وقد سبق شرحها. و«الْبَيِّنَاتِ»: الدلالات الواضحات. وقال ابن جريج: هي الإسلام والقرآن. وبمعنى: ينتظرون.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ كان جماعة من السلف يمسكون عن الكلام في مثل هذا. وقد ذكر القاضي أبو يعلى عن أحمد أنه قال: المراد به: قدرته وأمره. قال: وقد بينه في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَّيَكُ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

قوله تعالى: ﴿فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْفُتُوحِ﴾ أي: بظلل. والظلل: جمع ظلة. و«الغمام»: السحاب الذي لا ماء فيه. قال الضحاك: في قطع من السحاب. ومتى يكون مجيء الملائكة؟ فيه قولان: أحدهما: أنه يوم القيامة، وهو قول الجمهور. والثاني: أنه عند الموت. قاله قتادة. وقرأ الحسن بخفض «الملائكة». و«قُضِيَ الْأَمْرُ»: قُضِيَ منه. ﴿وَإِلَى اللَّهِ رُجُوعُ الْأُمُورِ﴾. أي: تصير. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم، «تُرْجَع» بضم التاء. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي بفتحها. فإن قيل: فكان الأمور كانت إلى غيره؟ فتنه أربعة أجوبة: أحدها: أن المراد به إعلام الخلق أنه



المجازي على الأعمال بالشواب والعقاب، قاله الزجاج. والثاني: أنه لما عبد قوم غيره، ونسبوا أفعاله إلى سواء، ثم انكشف الغطاء يوم القيامة؛ ردوا إليه ما أضافوه إلى غيره. والثالث: أن العرب تقول: قد رجع علي من فلان مكروه: إذا صار إليه منه مكروه، وإن لم يكن سبق، قال الشاعر:

فإن تكن الأيام أحسن مرة  
إلتي فقد عادت لهنّ ذنوب

ذكرهما ابن الأنباري. ومما يشبه هذا قول لبيد:  
ومنا الممرء إلا كالشهاب وضوءه  
أراد: يصير رماداً لا أنه كان رماداً. وقال أمية بن أبي الصلت:

تلك المكارم لا قعبان من لبن  
شيبا بماء فعاداً بعد أبوالا<sup>(١)</sup>

أي: صار. والرابع: أنه لما كانت الأمور إليه قبل الخلق، ثم أوجدتهم فملكهم بعضها رجعت إليه بعد هلاكهم. فإن قيل: قد جرى ذكر اسمه تعالى في قوله: ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ فما الحكمة في أنه لم يقل: وإليه ترجع الأمور؟ فالجواب: أن إعادة اسمه أفخم وأعظم، والعرب إذا جرى ذكر شيء يفخم أعادوا لفظه، وأنشدوا:

لا أرى الموت يسبق الموت شيئاً  
نغص الموت ذا الغنى والفقير

فأعادوا ذكر الموت لفخامته في صدورهم، ذكره الزجاج.

﴿سَلِّ بِنِعْمَةِ إِسْرَافِيلَ كَمْ مَاتَتْهُمْ مِنْ أَلِيمٍ يَنْتَنُ وَمَنْ يَنْزِلُ مَعَهُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿سَلِّ بِنِعْمَةِ إِسْرَافِيلَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والمعنى له وللمؤمنين. قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: «سل» بغير همز، وبعض تميم يقول: «أسأل» بالهمز، وبعضهم يقول: «إسل» بالالف وطرح الهمز، والأولى أغربهن، وبها جاء الكتاب. وفي المراد بالسؤال قولان: أحدهما: أنه التقرير والذكر بالنعمة. والثاني: التوبيخ على ترك الشكر. والآية البينة: العلامة الواضحة، كالعصا، والغمام، والمن، والسلوى، والبحر. وفي المراد بنعمة الله قولان: أحدهما: أنها الآيات التي ذكرناها، قاله قتادة. والثاني: أنها حجج الله الدالة على أمر النبي ﷺ، قاله الزجاج. وفي معنى تبديلها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الكفر بها، قاله أبو العالية ومجاهد. والثاني: تغيير صفة النبي ﷺ، في التوراة. قاله أبو سليمان الدمشقي. والثالث: تعطيل حجج الله بالتأويلات الفاسدة.

﴿زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَسَعْرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

قوله تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ في نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أبي جهل وأصحابه، قاله ابن عباس. والثاني: نزلت في علماء اليهود، قاله عطاء. والثالث: في عبد الله بن أبي وأصحابه من المنافقين. قاله مقاتل. قال الزجاج: وإنما جاز في «زين» لفظ التذكير، لأن تأنيث الحياة ليس بحقيقي، إذ معنى الحياة ومعنى العيش واحد. وإلى من يضاف هذا التزيين؟ فيه قولان: أحدهما: أنه يضاف إلى الله. وقرأ أبي بن كعب، والحسن، ومجاهد، وابن محيصن، وابن أبي عبيدة: ﴿زَيْنٌ﴾ بفتح الزاي والياء، على معنى: زينها الله لهم. والثاني: أنه يضاف إلى الشيطان، روي عن الحسن. قال شيخنا علي بن عبيد الله: والتزيين من الله تعالى: هو التركيب الطبيعي، فإنه وضع في الطباع محبة المحبوب، لصورة فيه تزيين للنفس، وذلك من صنعه، وتزيين الشيطان بإذكار ما وقع من إغفاله مما مثله يدعو إلى نفسه لزيئته، فالله تعالى يزِين بالوضع، والشيطان يزِين بالإذكار. وما السبب في سخرية الكفار من المؤمنين؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم سخروا منهم للفقير. والثاني: لتصديقهم بالآخرة. والثالث: لاتباعهم للنبي ﷺ. وقيل: إنهم كانوا يوهمونهم أنكم على الحق، سخرية منهم بهم. وفي معنى كونهم «فوقهم» ثلاثة أقوال: أحدها: أن ذلك على أصله، لأن المؤمنين في عليين، والكفار في سجين. والثاني: أن حجج المؤمنين فوق شبه الكافرين، فهم المنتصرون. والثالث: في أن نعيم المؤمنين في الجنة فوق نعيم الكافرين في الدنيا.

(١) هو من قصيدة يمدح بها سيف بن ذي يزن إثر ظفوه بالحشة. القعب: القدح الفخيم. شيئا: خطأ.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يرزق من يشاء رزقاً واسعاً غير ضيق. والثاني: يرزق من يشاء بلا محاسبة في الآخرة.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحَقَّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَدَلٍ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَيْنًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ أَلَيْكَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِنَّ صِرَافَ مُنْتَفِعِينَ ﴿٢١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ في المراد بـ«الناس» هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: جميع بني آدم، وهو قول الجمهور. والثاني: آدم وحده، قاله مجاهد. قال ابن الأنباري: وهذا الوجه جائز، لأن العرب توقع الجمع على الواحد. ومعنى الآية: كان آدم ذا دين واحد، فاختلف ولده من بعده. والثالث: آدم وأولاده كانوا على الحق، فاختلفوا حين قتل قابيل هابيل. ذكره ابن الأنباري. والأمة هاهنا: الصنف الواحد على مقصد واحد. وفي ذلك المقصد الذي كانوا عليه قولان: أحدهما: أنه الإسلام، قاله أبي بن كعب، وقتادة، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنه الكفر. رواه عطية عن ابن عباس. ومتى كان ذلك؟ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه حين عرضوا على آدم، وأقروا بالمعبودية. قاله أبي بن كعب. والثاني: في عهد إبراهيم كانوا كفاراً. قاله ابن عباس. والثالث: بين آدم ونوح، وهو قول قتادة. والرابع: حين ركبوا السفينة، كانوا على الحق. قاله مقاتل. والخامس: في عهد آدم، ذكره ابن الأنباري. ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ بالنار. هذا قول الأكثرين. وقال بعض السلف: مبشرين لمن آمن بك يا محمد، ومنذرين لمن كذبك. ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحَقَّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ والكتاب: اسم جنس، كما تقول: كثر الدرهم في أيدي الناس. وذكر بعضهم أنه في التوراة. وفي المراد بالحق هاهنا قولان: أحدهما: أنه بمعنى الصدق والعدل. والثاني: أنه القضاء فيما اختلفوا فيه ﴿لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ في الحاكم هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الله تعالى. والثاني: أنه النبي الذي أنزل عليه الكتاب، والثالث: الكتاب، كقوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُتْلَىٰ عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢٩]. وقرأ أبو جعفر: «لِيُحْكَمَ» بضم الياء وفتح الكاف. وقرأ مجاهد «لتحكم» بالتاء على الخطاب للنبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ يعني: الدين.

قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ في هذه الهاء ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تعود إلى محمد ﷺ، قاله ابن مسعود. والثاني: إلى الدين. قاله مقاتل. والثالث: إلى الكتاب، قاله أبو سليمان الدمشقي. فأما هاء «أوتوه» فعائدة على الكتاب من غير خلاف. وقال الزجاج: ونصب «بغياً» على معنى المفعول له، فالمعنى: لم يوقعوا الاختلاف إلا للبغي، لأنهم عالمون بحقيقة الأمر في كتبهم. وقال الفراء: في اختلافهم وجهان: أحدهما: كفر بعضهم بكتاب بعض، والثاني: تبديل ما بدلوا.

قوله تعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ أَلَيْكَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: لمعرفة ما اختلفوا فيه، أو تصحيح ما اختلفوا فيه. وفي الذي اختلفوا فيه ستة أقوال: أحدها: أنه الجمعة، جعلها اليهود السبت، والنصارى الأحد، فروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة»<sup>(١)</sup> بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له فالיום لنا، وغدا لليهود، وبعد غد للنصارى<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه الصلاة، فمنهم من يصلي إلى المشرق، ومنهم من يصلي إلى المغرب. والثالث: أنه إبراهيم. قالت اليهود: كان يهودياً، وقالت النصارى: كان نصرانياً. والرابع: أنه عيسى، جعلته اليهود لفرية، وجعلته النصارى إلهاً. والخامس: أنه الكتب، آمنوا ببعضها، وكفروا ببعضها. والسادس: أنه الدين، وهو الأصح، لأن جميع الأقوال داخلة في ذلك.

(١) أي: نحن الآخرون زماناً، السابقون منزلة، والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية، فهي سابقة لهم في الآخرة، بأنهم أول من يحشر، وأول من يحاسب، وأول من يقضى بينهم، وأول من يدخل الجنة.

(٢) متفق عليه، واللفظ الذي أورده المصنف لمسلم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰهَا مُسْتَكِبُونَ ۖ هَٰؤُلَاءِ السُّبُلُ لَهَا أَسْمَاءُ وَأَسْمَاءُ كَثِيرَةٌ ۖ وَهِيَ فِي الْكِتَابِ لَكِنَّا نَسْأَلُكَ فِي الْآيَةِ ۚ﴾ قال بعضهم: توفيقه.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَكِبِينَ ۚ الْأَسَاءَةُ وَالضَّرَّةُ وَالْزُلْزُلَةُ ۚ وَقَالَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَكْرَ اللَّهِ تَصْرَفُ الْآيَاتِ ۚ إِنَّ تَصْرَفَ اللَّهِ قَرِيبٌ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن الصحابة أصابهم يوم الأحزاب بلاء وحصر، فنزلت هذه الآية، ذكره السدي عن أشياخه، وهو قول قتادة. والثاني: أن النبي ﷺ لما دخل المدينة هو وأصحابه اشتد بهم الضر، فنزلت هذه الآية، قاله عطاء. والثالث: أن المنافقين قالوا للمؤمنين: لو كان محمد نبياً لم يُسلط عليكم القتل، فأجابوهم: من قتل منا دخل الجنة، فقالوا: لم تمنون أنفسكم بالباطل؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. وزعم أنها نزلت يوم أحد. قال الفراء: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ بمعنى: أظننتم، وقال الزجاج: «أم» بمعنى: بل. وقد شرحنا «أم» فيما تقدم شرحاً كافياً. والمثل بمعنى: الصفة. «ولزلوا» خُوفوا وحُركوا بما يؤدي، وأصل الزلزلة في اللغة من: زل الشيء عن مكانه، فإذا قلت: زلته، فتأويله: كررت زلته من مكانه، وكل ما كان فيه ترجيع كُررت فيه فاء الفعل، تقول: أقل فلان الشيء: إذا رفعه من مكانه، فإذا كرر رفعه وردّه، قيل: قلقه. فالمعنى أنه تكرر عليهم التحريك بالخوف، قاله ابن عباس. البأساء: الشدة والبؤس، والضراء: البلاء والمرض. وكل رسول بعث إلى أمته يقول: ﴿مَنْ تَصْرَفَ اللَّهُ﴾ والنصر: الفتح، والجمهور على فتح لام ﴿حَقَّقَ يَقُولُ﴾، وضمها نافع.

### فصل

ومعنى الآية: أن البلاء والجهد بلغ بالأمم المتقدمة إلى أن استبطوا النصر لشدة البلاء. وقد دلت على أن طريق الجنة إنما هو الصبر على البلاء. قالت عائشة: ما شيع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز بُر حتى مضى لسبيله<sup>(١)</sup>. وقال حليفه: أقر أيامي لعيني، يوم أرجع إلى أهلي فيشكون إلي الحاجة. قيل: ولم ذلك؟ قال: لأنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الوالد ولده [بالخير]، وإن الله ليحتمي المؤمن من الدنيا، كما يحتمي المريض أهله الطعام»<sup>(٢)</sup>. أخبرنا أبو بكر الصوفي، قال: أخبرنا أبو سعيد ابن أبي صادق، قال: أخبرنا أبو عبد الله الشيرازي، قال: سمعت أبا الطيب ابن الفرخان يقول: سمعت الجنيد يقول: دخلت على سري السقطي وهو يقول:

حَلَلْتُ مَحَلَّةَ الْعَبْدِ الدَّلِيلِ

وَمَا زُمْتُ الدُّخُولَ عَلَيْهِ حَتَّى

وُصِنْتُ النَّفْسَ عَنْ قَالٍ وَقِيلِ

وَأَغْضَيْتُ الْجَفُونَ عَلَى قَذَاهَا

﴿يَتْلُوكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۚ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ كَيْلَ الَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ ۚ وَإِنَّ السَّبِيلَ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿يَتْلُوكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها نزلت في عمرو بن الجموح الأنصاري، وكان له مال كثير، فقال: يا رسول الله بماذا تنصديق، وعلى من تنفق؟ فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن لي ديناراً، فقال: «أنفقه على نفسك». فقال: إن لي دينارين، فقال: «أنفقهما على أهلك». فقال: إن لي ثلاثة، فقال: «أنفقهما على خادمك». فقال: إن لي أربعة، فقال: «أنفقهما على والدك». فقال: إن لي خمسة، فقال: «أنفقهما على قرابتك». فقال: إن لي ستة، فقال: «أنفقهما في سبيل الله، وهو أحسنها» فنزلت فيه هذه الآية. رواه عطاء عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. قال الزجاج: «ماذا» في اللغة على ضربين: أحدهما: أن

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها.  
(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» بدون سند وقد جاء معنى هذا الحديث مستنداً من طريق أبي هريرة ولم يذكر فيه أنه سبب لنزول الآية. فقد روى أحمد في «المسند» وأبو داود والنسائي والحاكم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تصدقوا» قال رجل: عندي دينار؟ قال: تصدق به على نفسك. قال: عندي دينار آخر؟ قال: تصدق به على زوجك. قال: عندي دينار آخر؟ قال: تصدق به على ولدك. قال: عندي دينار آخر؟ قال: تصدق به على خادمك. قال: عندي دينار آخر؟ قال: أنت أبصر وإسناده صحيح.

تكون «ذا» بمعنى الذي، و«ينفقون»: صلته، فيكون المعنى: يسألونك: أي شيء الذي ينفقون؟ والثاني أن تكون «ما» مع «ذا» اسماً واحداً، فيكون المعنى: يسألونك أي شيء ينفقون، قال: وكأنهم سألوا: على من ينبغي أن ينفقوا، وما وجه الذي ينفقون؟ لأنهم يعلمون ما المنفق، وأعلمهم الله أن أولى من أفضّل عليه الوالدان والأقربون. والخير: المال، قاله ابن عباس في آخرين. وقال: ومعنى: ﴿فَلْيَوَدُّ الَّذِينَ﴾: فعلى الوالدين.

### فصل

وأكثر علماء التفسير على أن هذه الآية منسوخة، قال ابن مسعود: نسختها آية الزكاة. وذهب الحسن إلى إحكامها، وقال ابن زيد: هي في النوافل. وهذا الظاهر من الآية، لأن ظاهرها يقتضي الندب، ولا يصح أن يقال: إنها منسوخة، إلا أن يقال: إنها اقتضت وجوب النفقة على المذكورين فيها.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ قال ابن عباس: لما فرض الله على المسلمين الجهاد شق عليهم وكرهوه، فنزلت هذه الآية. و«كتب» بمعنى: فرض في قول الجماعة. قال الزجاج: يقال: كرهت الشيء أكرهه كرهاً وكرهاً، وكرهاً وكرهية. وكل ما في كتاب الله من الكره، فالفتح فيه جائز، إلا أن أبا عبيد ذكر أن الناس مجتمعون على ضم هذا الحرف الذي في هذه الآية. وإنما كرهوه لمشقته على النفوس، لا أنهم كرهوا فرض الله تعالى. وقال الفراء: الكره والكره: لغتان. وكان النحويين يذهبون بالكره إلى ما كان منك مما لم تكره عليه، فإذا أكرهت على الشيء استحسبوا «كرهاً» بالفتح. وقال ابن قتيبة: الكره بالفتح، معناه: الإكراه والقهر، وبالضم معناه: المشقة. ومن نظائر هذا: الجهد: الطاقة، والجهد: المشقة، ومنهم من يجعلهما واحداً. وعظم الشيء: أكبره، وعظمه: نفسه. وعرض الشيء: إحدى نواحيه. وعرضه: خلاف طوله. والاكل: مصدر أكلت، والأكّل: المأكول، وقال أبو علي: هما لغتان، كالفقير والفقّر، والضّعب والضّعف، والدّف والدّف، والشّهد والشّهد.

قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ قال ابن عباس: يعني الجهاد. ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ فتح وغنيمة أو شهادة. ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا﴾ وهو: القعود عنه. ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ لا تصيبون فتحاً ولا غنيمة ولا شهادة. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أن الجهاد خير لكم. ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ حين أحببت القعود عنه.

### فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها من المحكم الناسخ للعفو عن المشركين. والثاني: أنها منسوخة، لأنها أوجبت الجهاد على الكل، فنسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيسْتَفِرُّوا كَأَنَّهُ﴾ [التوبة: ١٢٢]. والثالث: أنها ناسخة من وجه، منسوخة من وجه. وقالوا: إن الحال في القتال كانت على ثلاث مراتب: الأولى: المنع من القتال، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ [النساء: ٧٧]. والثانية: أمر الكل بالقتال، ومنه قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] ومثلها هذه الآية. والثالثة: كون القتال فرضاً على الكفاية، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيسْتَفِرُّوا كَأَنَّهُ﴾ [التوبة: ١٢٢]. فيكون الناسخ منها إيجاب القتال بعد المنع منه، والمنسوخ منه وجوب القتال على الكل.

﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ النَّهْرِ الْحَرَّاءِ قَالِ فِيهِ قُلْ فَتَأْتِي فِيهِ كِبَرٌ وَمَسَدٌ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَرٌ بِهِ وَالسَّجْدِ الْحَرَّاءِ وَخَرَجَ أَهْلُهُ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقِتَالِ وَلَا يَزَالُونَ يُعَذِّبُونَكَ حَتَّى يَرْضَوْكَ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَغْلَبُوا وَمَنْ يَزِيدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فِيمَنْتُمْ وَهُمْ كَايَرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ النَّهْرِ الْحَرَّاءِ قَالِ فِيهِ﴾ روى جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعث رهطاً واستعمل عليهم أبا عبيدة، فلما انطلق ليتوجه بكى صباية إلى رسول الله ﷺ فبعث مكانه عبد الله بن جحش، وكتب له كتاباً،

وأمره ألا يقرأه إلا بمكان كذا وكذا، وقال: «لا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك» فلما صار إلى المكان، قرأ الكتاب واسترجع، وقال: سمعاً [وطاعة لأمر] الله ولرسوله [فخبرهم الخبر، وقرأ عليهم الكتاب]، فرجع رجلان من أصحابه، ومضى بقيتهم، فأتوا ابن الحضرمي فقتلوه، فلم يدروا ذلك اليوم، أمين رجب، أو من جمادى الآخرة؟ فقال المشركون [للمسلمين]: قتلتم في الشهر الحرام. [فأتوا النبي ﷺ فحدثوه الحديث] فنزلت هذه الآية، فقال بعض المسلمين: لئن كان أصابهم خير فما لهم أجر، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ إلى قوله: ﴿رَجِمَ﴾ [البقرة: ٢١٨]. قال الزهري: اسم ابن الحضرمي: عمرو، واسم الذي قتله: عبد الله بن واقد الليثي. قال ابن عباس: كان أصحاب النبي ﷺ يظنون تلك الليلة من جمادى، وكانت أول رجب. وقد روى عطية عن ابن عباس أنها نزلت في شيئين: أحدهما: هذا. والثاني: دخول النبي ﷺ مكة في شهر حرام يوم الفتح، حين غاب المشركون عليه القتال في شهر حرام. وفي السائلين النبي ﷺ عن ذلك قولان: أحدهما: أنهم المسلمون سأله: هل أخطؤوا أم أصابوا؟ قاله ابن عباس وعكرمة ومقاتل. والثاني: أنهم المشركون سأله على وجه العيب على المسلمين، قاله الحسن وعروة، ومجاهد. والشهر الحرام: شهر رجب، وكان يدعى الأصم، لأنه لم يكن يسمع فيه للسلح قعقة تعظيماً له، ﴿يَقَاتِلُ فِيهِ﴾ أي: يسألونك عن قتال فيه. ﴿قُلْ يَقَاتِلُ فِيهِ كَيْفٌ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس: لا يجل. قال القاضي أبو يعلى: كان أهل الجاهلية يعتقدون تحريم القتال في هذه الأشهر، فأعلمهم الله تعالى في هذه الآية بقاء التحريم.

### فصل

اختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحرم: هل هو باق أم نسخ؟ على قولين: أحدهما: أنه باق. روى ابن جريج أن عطاء كان يحلف بالله: ما يحل للناس الآن أن يغزوا في الحرم، ولا في الأشهر الحرم، إلا أن يقاتلوا فيه أو يغزوا، وما نسخت. والثاني: أنه منسوخ، قال سعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار: القتال جائز في الشهر الحرام، هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]. ويقول تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٩]. وهذا قول فقهاء الأمصار.

قوله تعالى: ﴿وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هو مرفوع بالابتداء، وخبر هذه الأشياء: ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾. وفي المراد بـ ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هاهنا قولان: أحدهما: أنه الحج، لأنهم صدوا رسول الله ﷺ عن مكة. قاله ابن عباس والسدي عن أشياخه. والثاني: أنه الإسلام، قاله مقاتل. وفي هاء الكناية في قوله: ﴿وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، قاله السدي عن أشياخه، وقتادة، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: أنها تعود إلى السبيل. قاله ابن عباس. قال ابن قتيبة: وخفض ﴿وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ نسقاً على قوله: ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ كأنه قال: وصد عن سبيل الله، وعن المسجد الحرام.

قوله تعالى: ﴿وَلَخَرَجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ لما آذوا رسول الله ﷺ وأصحابه؛ اضطروهم إلى الخروج فكانهم أخرجوهم، فأعلمهم الله أن هذه الأفعال أعظم من قتل كل كافر. «والفتنة» هاهنا بمعنى الشرك. قاله ابن عمر، وابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، وقتادة، والجماعة. والفتنة في القرآن على وجه كثيرة، قد ذكرتها في كتاب «النظائر» ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ يعني: الكفار، ﴿يَقْتُلُونَكَ﴾ يعني: المسلمين. و﴿حَبَلَتْ﴾ بمعنى: بطلت:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَكْبَرَ عِنْدَ اللَّهِ وَأَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ رَجِمَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما نزل القرآن بالرخصة لأصحاب عبد الله بن جحش في قتل ابن الحضرمي، قال بعض المسلمين: ما لهم أجر، فنزلت هذه الآية: وقد ذكرنا هذا في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَسْتَلْزِمُكَ عَنِ النَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ عن جندب بن عبد الله. والثاني: أنه لما نزلت لهم الرخصة قاموا، فقالوا: [يا رسول الله] أنطمع أن تكون لنا غزاة تعطى فيها أجر المجاهدين، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. وقال: ﴿هَاجَرُوا﴾ من مكة إلى المدينة، ﴿وَجَدُوا﴾ في طاعة الله ابن الحضرمي وأصحابه. و﴿رَجِمَ﴾: مغفرته

وجنته. قال ابن الأنباري: الهجرة عند العرب من هجران الوطن والأهل والولد. والمهاجرون معناهم: المهاجرون الأولاد والأهل، فعرف مكان المفعول فأسقط. قال الشعبي: أول لواء عقد في الإسلام لواء عبد الله بن جحش، وأول مغنم قسم في الإسلام: مغنمه.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكَبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُحِبُّونَ قُلِ الْمَنُوءُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن عمر بن الخطاب، قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية (٢١٩). والثاني: أن جماعة من الأنصار جاؤوا إلى النبي ﷺ وفيهم عمر، ومعاذ، فقالوا: أفنتا في الخمر، فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال، فنزلت هذه الآية. وفي تسمية الخمر خمراً ثلاثة أقوال: أحدها: أنها سميت خمراً، لأنها تخامر العقل، أي: تخلطه. والثاني: لأنها تخمّر العقل، أي: تستره. والثالث: لأنها تخمّر، أي: تغطّي. ذكر هذه الأقوال محمد بن القاسم. وقال الزجاج: الخمر في اللغة: ما ستر على العقل، يقال: دخل فلان في خمار الناس، أي: في الكثير الذي يستتر فيهم، وخمار المرأة قناعها، سمي خمراً لأنه يغطي. قال: والخمر هاهنا هي المجمع عليها، وقياس كل ما عمل عملها أن يقال له: خمر، وأن يكون في التحريم بمنزلتها، لأن العلماء أجمعوا على أن القمار كله حرام، وإنما ذكر الميسر من بينه، وجعل كله قياساً على الميسر، والميسر إنما يكون قماراً في الجزر خاصة. فأما الميسر؛ فقال ابن عباس، وابن عمر، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة في آخرين: هو القمار. قال ابن قتيبة: يقال: يسرت: إذا ضربت بالقداح، ويقال للضارب بالقداح: ياسر ويأسرون، ويُسَر ويأسار. وكان أصحاب الثروة والأجواد في الشتاء عند شدة الزمان وكلية يتحرون جزوراً، وينجزونها أجزاء، ثم يضرّبون عليها بالقداح، فإذا قمر القامر، جعل ذلك لذوي الحاجة والمسكنة، وهو النفع الذي ذكره الله، وكانوا يتماذحون بأخذ القداح، ويتسابون بتركها ويعيبون من لا يسر.

قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ قرأ الأكثرون «كبير» بالباء، وقرأ حمزة والكسائي بالثاء. وفي إثم الخمر ثلاثة أقوال: أحدها: أن شربها ينقص الدين. قاله ابن عباس. والثاني: أنه إذا شرب سكر وآذى الناس، رواه السدي عن أشياخه. والثالث: أنه وقوع العداوة والبغضاء وتغطية العقل الذي يقع به التمييز، قاله الزجاج. وفي إثم الميسر قولان: أحدهما: أنه يشغل عن ذكر الله وعن الصلاة، ويوقع العداوة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه يدعو إلى الظلم ومنع الحق. رواه السدي عن أشياخه، وجائز أن يراد جميع ذلك. وأما منافع الخمر؛ فمن وجهين: أحدهما: الريح في بيعها. والثاني: انتفاع الأبدان (٢) مع التذاذ النفوس. وأما منافع الميسر: فإصابة الرجل المال من غير تعب.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا آكَبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: وإثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم، قاله سعيد بن جبير والضحاك ومقاتل. والثاني: وإثمهما قبل التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم أيضاً، لأن الإثم الذي يحدث في أسبابهما أكبر من نفعهما. وهذا منقول عن ابن جبير أيضاً. واختلفوا بماذا كانت الخمرة مباحة؟ على قولين: أحدهما: بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ لَتَتَذَوَّنَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ [النحل: ٦٧]. قاله ابن جبير. والثاني: بالشريعة الأولى، وأقر المسلمون على ذلك حتى حرمت.

### فصل

اختلف العلماء: هل لهذه الآية تأثير في تحريم الخمر أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها تقتضي ذمها دون تحريمها، رواه السدي عن أشياخه، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد وقتادة، ومقاتل. وعلى هذا القول تكون هذه

(١) أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي واللفظ لأحمد، عن عمر رضي الله عنه قال: لما نزل تحريم الخمر، قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية... الحديث. وصححه علي بن المديني، والترمذي.

(٢) كلا ليست الخمرة بتافهة للبدن، وثبت في الطب الحديث أن الخمرة ضارة بالبدن والعقل، وقد ألف في بيان ضررها كثير من الأطباء، مسلمين وغير مسلمين، وهناك رسالة في هذا الموضوع للدكتور نبيل الطويل، وهي ضمن كتابه «أحاديث في الصحة» وقد قام المكتب الإسلامي بطبعه ونشره.

الآية منسوخة. والقول الثاني: أن لها تأثيراً في التحريم، وهو أن الله تعالى أخبر أن فيها إثماً كبيراً والإثم كله محرم بقوله: ﴿وَالْإِثْمُ وَالْبَغْيُ﴾ [الأنعام: ٢٢٧]. هذا قول جماعة من العلماء، وحكاه الزجاج، واختاره القاضي أبو يعلى للعللة التي بينها، واحتج لصحة بعض أهل المعاني، فقال: لما قال الله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفِعٌ لِّثَايٍ﴾؛ وقع التساوي بين الأمرين، فلما قال: ﴿وَفِيهِمَا أَصْحَرٌ مِنْ نَفْسِهِمَا﴾ صار الغالب الإثم، وبقي النفع مستغرقاً في جنب الإثم، فعاد الحكم للغالب المستغرق، فغلب جانب الحظر.

### فصل

فأما الميسر؛ فالقول فيه مثل القول في الخمر، إن قلنا: إن هذه الآية دلت على التحريم، فالميسر حكمها حرام أيضاً، وإن قلنا: إنها دلت على الكراهة؛ فأقوم الأقوال أن نقول: إن الآية التي في المائدة نصت على تحريم الميسر. قوله تعالى: ﴿وَسَيُؤَنِّبُكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ قال ابن عباس: إن الذي سأله عن ذلك عمرو بن الجموح: قال ابن قتيبة: والمراد بالنفقة هاهنا: الصدقة والعطاء.

قوله تعالى: ﴿قُلِ الْمَنَافِقُونَ﴾ قرأ أبو عمرو برفع واو «العفو»، وقرأ الباقون بنصبها. قال أبو علي: «ماذا» في موضع نصب، فجوابه العفو بالنصب، كما تقول في جواب: ماذا أنفقت؟ درهماً، أي: أنفقت درهماً. هذا وجه نصب العفو. ومن رفع جعل «ذا» بمنزلة الذي، ولم يجعل «ماذا» اسماً واحداً، فإذا قال قائل: ماذا أنزل ربكم؟ فكانه قال: ما الذي أنزل ربكم؟ فجوابه: قرآن. قال الزجاج: «العفو» في اللغة: الكثرة والفضل، يقال: قد عفا القوم: إذا كثروا. و«العفو»: ما أتى بغير كلفة. وقال ابن قتيبة: العفو: الميسر. يقال: خذ ما عفاك، أي: ما أتاك سهلاً بلا إكراه ولا مشقة. وللمفسرين في المراد بالعفو هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أنه ما يفضل عن حاجة المرأة وعياله، رواه مقسم عن ابن عباس. والثاني: ما تطيب به أنفسهم من قليل وكثير، رواه عطية عن ابن عباس. والثالث: أنه القصد بين الإسراف والإقتار، قاله الحسن، وعطاء، وسعيد بن جبير. والرابع: أنه الصدقة المفروضة، قاله مجاهد. والخامس: أنه ما لا يتبين عليهم مقداره، من قولهم: عفا الأثر؛ إذا خفي ودرس، حكاه شيخنا عن طائفة من المفسرين.

### فصل

وقد تكلم علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية، فروى السدي عن أشياخه أنها نسخت بالزكاة، وأبى نسخها آخرون. وفصل الخطاب في ذلك أنا متى قلنا: إنه فرض عليهم بهذه الآية التصديق بفاضل المال، أو قلنا: إنه أوجبت عليهم هذه الآية صدقة قبل الزكاة، فالآية منسوخة بآية الزكاة، ومتى قلنا: إنها محمولة على الزكاة المفروضة كما قال مجاهد، أو على الصدقة المندوب إليها، فهي محكمة.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ﴾ قال الزجاج: إنما قال كذلك، وهو يخاطب جماعة، لأن الجماعة معناها: القبيل، كأنه قال: كذلك يا أيها القبيل. وجائز أن تكون الكاف للنبي ﷺ كأنه قال: كذلك يا أيها النبي، لأن الخطاب له مشتمل على خطاب أمته. وقال ابن الأنباري: الكاف في «كذلك» إشارة إلى ما بين من الإنفاق، فكانه قال: مثل ذلك الذي بينه لكم في الإنفاق بين الآيات. ويجوز أن يكون «كذلك» غير إشارة إلى ما قبله، فيكون معناه: هكذا، قاله ابن عباس: ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَتْلُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فتعرفون فضل ما بينهما، فتعملون للباقي منهما. ﴿وَسَيُؤَنِّبُكَ عَنْ إِلَهٍ قُلْ خَيْرٌ وَأَنْ تَخْلُطُوهُمْ فَيَحْزَنَكُمْ وَأَنَّ يَمْلِكَ الْفَاسِدَ مِنَ الصَّالِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْنَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا إِلَهًا غَيْرَ حَكِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَسَيُؤَنِّبُكَ عَنْ إِلَهٍ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه كما أنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٣٤] و﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا﴾ [النساء: ٩] انطلق من كان عنده مال يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسده فاشتد ذلك





قولان: أحدهما: أنه يُعَمُّ الكتابيات وغيرهن، وهو قول الأكثرين. والثاني أنه خاص في الوثنيات، وهو قول سعيد بن جبيرة، والنخعي، وقتادة. وفي المراد بالامة قولان: أحدهما: أنها المملوكة، وهو قول الأكثرين، فيكون المعنى: ولأنكاح أمة مؤمنة خير من نكاح حرة مشركة. والثاني: أنها المرأة، وإن لم تكن مملوكة، كما يقال: هذه أمة الله، وهذا قول الضحاك، والأول أصح. وفي قوله: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ قولان: أحدهما: بجمالها وحسنها. والثاني: بحسبها ونسبها.

### فصل

اختلف علماء النامخ والمنسوخ في هذه الآية، فقال القائلون بأن المشركات الوثنيات: هي محكمة، وزعم بعض من نصر هذا القول أن اليهود والنصارى ليسوا بمشركين بالله، وإن جحدوا بنبوة نبينا. قال شيخنا: وهو قول فاسد من وجهين: أحدهما: أن حقيقة الشرك ثابتة في حقهم حيث قالوا: عزيز ابن الله، والمسيح ابن الله. والثاني: أن كفرهم بمحمد ﷺ، يوجب أن يقولوا: إن ما جاء به ليس من عند الله، وإضافة ذلك إلى غير الله شرك. فاما القائلون بأنها عامة في جميع المشركات، فلهم في ذلك قولان: أحدهما: أن بعض حكمها منسوخ بقوله: ﴿وَالْحَصْنَةُ مِنَ الْإِيمَانِ أَوْثَرُ الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٦] وبقي الحكم في غير أهل الكتاب محكماً. والثاني: أنها ليست منسوخة، ولا ناسخة، بل هي عامة في جميع المشركات، وما أخرج عن عمومها من إباحة كافرة؛ فلذلك خاص، وهو قوله تعالى: ﴿وَالْحَصْنَةُ مِنَ الْإِيمَانِ أَوْثَرُ الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٦]؛ فهذه خصصت عموم تلك من غير نسخ، وعلى هذا عامة الفقهاء. وقد روي معناه عن جماعة من الصحابة، منهم: عثمان، وطلحة، وحذيفة، وجابر، وابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكَيِّمُوا الشُّرَكَ﴾ أي: لا تزوجهم بمسلمة حتى يؤمنوا؛ والكلام في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَزَوَّجْتُمْ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ مثل الكلام في أول الآية. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْبَيْتَةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾؛ قرأ الجمهور بخفض «المغفرة»، وقرأ الحسن، والقزاز، عن أبي عمرو، برفعها.

﴿رَسَلْنَاكَ عَلَى الْغَيْبِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا﴾ في الغيبين: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا حَيْثُ يَنْهَى﴾ فإذا تَطَهَّرَ فَأَوْفَرُ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطْلِقِينَ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿رَسَلْنَاكَ عَلَى الْغَيْبِ﴾ روى ثابت عن أنس قال: كانت اليهود إذا حاضت المرأة منهن لم يواكلوها، ولم يشاربوها، ولم يجامعوها في البيوت، فمثل النبي ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية، فأمرهم النبي ﷺ أن يواكلوها ويشاربونها ويكونوا معهم في البيوت، وأن يفتعلوا كل شيء ما عدا النكاح<sup>(١)</sup>. وقال ابن عباس: جاء رجل يقال له: ابن الدحداح<sup>(٢)</sup>، من الأنصار، إلى النبي ﷺ فقال: كيف نصنع بالنساء إذا حضن؟ فنزلت هذه الآية. وفي المحيض قولان: أحدهما: أنه اسم للمحيض، قال الزجاج: يقال: قد حاضت المرأة تحيض حيضاً ومخاضاً ومنحياً. وقال ابن قتبية: المحيض: الحيض. والثاني: أنه اسم لموضع الحيض، كالميل، فإنه موضع القيلولة، والمبيت موضع البيوتة. وذكر القاضي أبو يعلى أن هذا ظاهر كلام أحمد. فاما أرباب القول الأول؛ فأكدوه بأن في اللفظ ما يدل على قولهم، وهو أنه وصفه بالأذى، وذلك صفة لتفسير الحيض، لا لمكانه. وأما أرباب القول الثاني، فقالوا: لا يمتنع أن يكون للمحيض صفة للموضع، ثم وصفه بما قاربه وجاوره، كالعقيقة، فإنها اسم لشعر الصبي، وسميت بها الشاة التي

(١) أخرجه أحمد في «المستند» ومسلم في «صحيحه» ٢٤٦/١ ولفظه عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهن لم يواكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ قائلين: «رَسَلْنَاكَ عَلَى الْغَيْبِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا النَّسَاءَ فِي الْغَيْبِ» إلى آخر الآية. فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا للنكاح» فبلغ ذلك اليهود. فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه. فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر، فقالا: يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا، أفلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما، فخرجنا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي ﷺ، فأرسل في أكلهما فسقاهما. فعرفا أن لم يجد عليهما.

(٢) ويقال له: ابن الدحداح كما جاء في «الإصابة». والأثر ذكره ابن جرير عن السدي.

تذبح عند حلق رأسه مجازاً والمرابطة: اسم للجمل، وسميت المزابطة راوية مجازاً. والأذى يحصل للواطئ بالنجاسة، وتنن الرياح. وقيل: يورث جماع الحائض علة بالغة في الألم. ﴿فَاعْزَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ المراد به اعتزال الوطء في الفرج، لأن المحيض نفس الدم أو نفس الفرج ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُ﴾ أي: لا تقربوا جماعهم، وهو تأكيد لقوله: ﴿فَاعْزَلُوا النِّسَاءَ﴾.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَطْهَرُوا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص، عن عاصم ﴿حَتَّى يَطْهَرُوا﴾ خفيفة. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر، عن عاصم (يَطْهَرُونَ) بتشديد الطاء والهاء وفتحهما. قال ابن قتيبة: يطهرون: ينقطع عنهن الدم، يقال: طهرت المرأة وطهرت: إذا رأت الطهر، وإن لم تغتسل بالماء. ومن قرأ: ﴿يَطْهَرُونَ﴾ بالتشديد أراد: يغتسلن بالماء. والأصل يتطهرون، فأدغمت التاء في الطاء. قال ابن عباس ومجاهد: حتى يطهرون من الدم، فإذا تطهرون اغتسلن بالماء.

قوله تعالى: ﴿فَأَتَوْكُمْ﴾ إباحة من حظر، لا على الوجوب.

قوله تعالى: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: من قبل الطهر، لا من قبل الحيض، قاله ابن عباس، وأبو رزين، وقتادة، والسدي في آخرين. والثاني: أن معناه: فاتوهم من حيث أمركم الله أن لا تقربوهن فيه، وهو محل الحيض، قاله مجاهد. وقال من نصر هذا القول: إنما قال: ﴿أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ والمعنى: نهاكم، لأن النهي أمر بترك المنهي عنه (ومن) بمعنى (في): كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَدَّعَ الرَّسُولُ مِنْ بَيْنِ الْجُمُوعِ﴾ [الجمعة: ٩]. والثالث: فاتوهم من قبل التزويج الحلال، لا من قبل الفجور، قاله ابن الحنفية. والرابع: أن معناه: فاتوهم من الجهات التي يحل أن تقرب فيها المرأة، ولا تقربوهن من حيث لا ينبغي مثل أن كن صائمات أو معتكفات أو محرمات. وهذا قول الزجاج، وابن كيسان. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ قولان: أحدهما: التوابين من الذنوب، قاله عطاء، ومجاهد في آخرين. والثاني: التوابين من إتيان الحيض، ذكره بعض المفسرين. وفي قوله: ﴿وَتَحِبُّ التَّكْوِينَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: المتطهرين من الذنوب، قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو العالية. والثاني: المتطهرين بالماء، قاله عطاء. والثالث: المتطهرين من إتيان أدبار النساء. روي عن مجاهد.

### فصل

أقل الحيض يوم وليلة في إحدى الروايتين عن أحمد. والثانية: يوم. وقال أبو حنيفة: أقله ثلاثة أيام. وقال مالك وداود: ليس لأقله حد. وفي أكثره روايتان عن أحمد: إحداهما: خمسة عشر يوماً، وهو قول مالك والشافعي. والثانية: سبعة عشر يوماً. وقال أبو حنيفة: أكثره عشرة أيام. والحيض مانع من عشرة أشياء: فعل الصلاة، ووجوبها، وفعل الصوم دون وجوبه، والجلوس في المسجد، والاعتكاف، والطواف، وقراءة القرآن، وحمل المصحف، والامتناع في الفرج، وحصول نية الطلاق.

﴿يَسْأَلُكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْأَشْيَاءِ إِنْ شِئْتُمْ﴾ وَأَقْرَأُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْأَشْيَاءِ إِنْ شِئْتُمْ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن اليهود أنكروا جواز إتيان المرأة إلا من بين يديها، وهابت من يأتيها على غير تلك الصفة، فنزلت هذه الآية. روي عن جابر<sup>(١)</sup>، والحسن، وقتادة. والثاني: أن حياً من قريش كانوا يتزوجون النساء بمكة، ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات، فلما قدموا المدينة، تزوجوا من الانتصار، فذهبوا ليفعلوا ذلك، فأنكره، وانتهى الحديث إلى النبي ﷺ فنزلت هذه الآية. رواه مجاهد عن ابن عباس. والثالث: أن عمر بن الخطاب جاء إلى النبي ﷺ فقال: هلك، حولت رحلي الليلة، فنزلت هذه الآية. رواه سعيد بن جبير عن

(١) روى الشيخان وأبو داود عن جابر، قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿يَسْأَلُكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْأَشْيَاءِ إِنْ شِئْتُمْ﴾.

ابن عباس<sup>(١)</sup>. والحرث: المزدرع، وكنتي به هاهنا عن الجماع، فسماهن حرثاً، لأنهن مزدرع الأولاد، كالأرض للزرع، فإن قيل: النساء جمع، فلم لم يقل: حروث؟ فعه ثلاثة أجوبة، ذكرها ابن القاسم الأنباري النحوي: أحدها: أن يكون الحرث مصدرأ في موضع الجمع، فلزم التوحيد، كما تقول العرب: إختوك صوم، وأولادك فطر، يريدون: صائمين ومفطرين، فيؤدى المصدر بتوحيده عن اللفظ المجموع. والثاني: أن يكون أراد: حروث لكم، فاكثى بالواحد من الجمع، كما قال الشاعر:

كلوا في نصف بطونكم تعيشوا

أي: في أنصاف بطونكم. والثالث: أنه إنما وُحِدَ الحرث، لأن النساء شبهن به، ولسن من جنسه، والمعنى: نساؤكم مثل حروث لكم.

قوله تعالى: ﴿أَنْ شِئْتُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بمعنى: كيف شئتم، ثم فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: كيف شئتم، مقبلة أو مدبرة، وعلى كل حال، إذا كان الإتيان في الفرج. وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعطية، والسدي، وابن قتيبة في آخرين. والثاني: أنها نزلت في العزل. قاله سعيد بن المسيب، فيكون المعنى: إن شئتم فاعزلوا، وإن شئتم فلا تعزلوا. والقول الثاني: أنه بمعنى: إن شئتم، ومتى شئتم، وهو قول ابن الحنفية والضحاك، وروي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنه بمعنى: حيث شئتم، وهذا محكي عن ابن عمر ومالك بن أنس<sup>(٢)</sup>، وهو فاسد من وجوه: أحدها: أن سالم بن عبد الله لما بلغه أن نافعاً تحدث بذلك عن ابن عمر، قال: كذب العبد، إنما قال عبد الله: يؤتون في فروجهن من أدبارهن. وأما أصحاب مالك، فإنهم يتكرون صحته عن مالك، والثاني: أن أبا هريرة روى عن النبي ﷺ أنه قال: «معلمون من أنى النساء في أدبارهن»<sup>(٣)</sup>، فدل على أن الآية لا يراد بها هذا. والثالث: أن الآية نبهت على أنه محل الولد بقوله: ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ﴾ وموضع الزرع: هو مكان الولد. قال ابن الأنباري: لما نَصَّ الله على ذكر الحرث، والحرث به يكون النبات، والولد مثبته بالنبات؛ لم يجز أن يقع الوطء في محل لا يكون منه ولد. والرابع: أن تحريم إتيان الحائض كان لعله الأذى، والأذى ملازم لهذا المحل لا يفارقه.

قوله تعالى: ﴿وَقَدَرُوا لَآلِهَتَكُمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: وقدموا لأنفسكم من العمل الصالح، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وقدموا التسمية عند الجماع، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: وقدموا لأنفسكم في طلب الولد، قاله مقاتل. والرابع: وقدموا طاعة الله واتباع أمره، قاله الزجاج.

﴿وَلَا تَجْمَعُوا لَكُمْ عِزًّا﴾

(١) رواه الإمام أحمد والنسائي وابن حبان والترمذي، وقال: حسن غريب، ولقظه عند أحمد «عن ابن عباس قال: جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت. قال: «وما الذي أهلكك؟» قال: حولت رحلي الباردة، قال: فلم يرد علي شيئاً، قال: فأوحى الله إلى رسوله هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجْمَعُوا لَكُمْ عِزًّا﴾ قبل وأدير، وانقوا الدبر والحيفة. قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. وقوله: «حولت رحلي الباردة». قال ابن الأثير في «النهاية» كنى برحله عن زوجته، وأراد به شيطانها في قبلها من جهة ظهرها، لأن المجامع يطو المرأة ويركبها مما يلي وجهها، فعيث ركبها من جهة ظهرها كنى عنه بتحويل رحله. (والرحل): إما أن يريد به المنزل والمأوى، وإما أن يريد به الرجل الذي تركب عليه الإبل وهو الكور.

(٢) ثبت عن رسول الله ﷺ أحاديث في نهى الرجل أن يأتي المرأة في دبرها، فمن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «استحيوا إن الله لا يستحي من الحق، لا يحل أن تأتوا النساء في حشوشهن» (الحش: الدبر) رواه الدارقطني، والطبراني ورجاله ثقات. وعن غزمية بن ثابت الخثعمي أن رسول الله ﷺ قال: «لا يستحي الله من الحق، لا يستحي الله من الحق، ثلاثاً، لا تأتوا النساء في أعجازهن» رواه أحمد والنسائي وابن ماجه. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينظر الله إلى رجل أتى امرأة في الدبر» رواه الترمذي والنسائي وابن حبان في «صحيحه»، وحسن الترمذي، وصححه ابن حزم. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «الذي يأتي امرأة في دبرها هي اللوطية الصغرى». رواه أحمد والبخاري والطبراني في «الأوسط»، وصححه المنذري والهيثمي. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فصدقه، فقد كفر بما أنزل على محمد». رواه أحمد في «المستد» وأبو داود والترمذي وابن ماجه وسنده صحيح. فهذه الأحاديث الصحيحة تفسير قاطع للآية، فليس لمسلم أن يعدل عن تفسير رسول الله ﷺ إلى تفسير غيره مهما كان هذا الغير.

(٣) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه، وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح، لأن الحارث بن مخلد ذكره ابن حبان في «الثقات»، وباقي رجال الإسناد ثقات.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْمَلُوا اللَّهَ عَزَمَهُ لِبَيْنِكُمْ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في عبد الله بن رواحة، كان بينه وبين ختته<sup>(١)</sup> شيء، فحلف عبد الله أن لا يدخل عليه ولا يكلمه، وجعل يقول: قد حلفت بالله، فلا يحل لي، إلا أن تبر يميني، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أن الرجل كان يحلف بالله أن لا يصل رحمه، ولا يصلح بين الناس، فنزلت هذه الآية، قاله الربيع بن أنس. والثالث: أنها نزلت في أبي بكر حين حلف لا يتفق على مسطح، قاله ابن جريج. والرابع: نزلت في أبي بكر، حلف أن لا يصل ابنه عبد الرحمن حتى يسلم، قاله المقاتلان: ابن حيان، وابن سليمان. قال الفراء: والمعنى: ولا تجعلوا الله مُعْتَرِضاً لأيمانكم. وقال أبو عبيد: نصباً لأيمانكم، كأنه يعني: أنكم تعترضونه في كل شيء، فتحلفون به. وفي معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناها: لا تحلفوا بالله أن لا تبرؤوا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس، هذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وابن جبير، وإبراهيم، والضحاك، وقتادة، والسدي، ومقاتل، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج في آخرين<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن معناها: لا تحلفوا بالله كاذبين لتتقوا المخلوقين وتبرؤهم، وتصلحوا بينهم بالكذب، روى هذا المعنى عطية عن ابن عباس. والثالث: أن معناها: لا تكثروا الحلف بالله وإن كنتم بآراء مصلحين، فإن كثرة الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه. هذا قول ابن زيد.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُتُورِ إِنِّي فَرَمْتُ لَكُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُتُورِ إِنِّي فَرَمْتُ لَكُمْ قُلُوبَكُمْ﴾ قال الزجاج: اللغو في كلام العرب: ما اطرأ ولم يعقد عليه أمر، ويسمى ما لا يعتد به، لغواً. وقال ابن فارس: اشتقاق ذلك من قولهم لما لا يعتد<sup>(٣)</sup> [به] من أولاد الإبل في الدية وغيرها لغواً، يقال منه: لغأ يلغو، وتقول: لغني بالامر: إذا لهج به. وقيل: إن اشتقاق اللغة منه [أي: يلهج صاحبها بها]. وفي المراد باللغو هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أن يحلف على الشيء يظن أنه كما حلف، ثم يتبين له أنه بخلافه. وإلى هذا المعنى ذهب أبو هريرة، وابن عباس، والحسن، وعطاء، والشعبي، وابن جبير، ومجاهد، وقتادة، والسدي عن أشياخه، ومالك، ومقاتل. والثاني: أنه لا والله، ويلي والله، من غير قصد لعقد اليمين، وهو قول عائشة، وطاوس، وعروة، والنخعي، والشافعي. واستدل أرباب هذا القول بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ وكسب القلب: عقده وقصده، وهذان القولان متقولان عن الإمام أحمد، روى عنه ابنه عبد الله أنه قال: اللغو عندي أن يحلف على اليمين، يرى أنها كذلك، ولا كفارة. والرجل يحلف ولا يعقد قلبه على شيء، فلا كفارة. والثالث: أنه يمين الرجل وهو غضبان، رواه طاووس عن ابن عباس. والرابع: أنه حلف الرجل على معصية، فليحنث، وليكفر، ولا إثم عليه. قاله سعيد بن جبير. والخامس: أن يحلف الرجل على شيء، ثم ينساه. قاله النخعي. وقول عائشة أصح الجميع. قال حنبل: سئل أحمد عن اللغو فقال: الرجل يحلف فيقول: لا والله، ويلي والله، لا يريد عقد اليمين، فإذا عقد على اليمين لزمته الكفارة.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ قال مجاهد: أي: ما عقدت عليه قلوبكم «والحليم»: ذو الصفح الذي لا يستغزه غضب، فيعجل، ولا يستخفه جهل جاهل مع قدرته على العقوبة. قال أبو سليمان الخطابي: ولا يستحق اسم الحليم من سامح مع المعجز عن المجازاة، إنما الحليم الصفوح مع القدرة، المتأنى الذي لا يعجل بالعقوبة. وقد أنعم بعض الشعراء أبياتاً في هذا المعنى فقال:

لا يدرك المجد أقوامٌ وإن كرموا      حتى يذلّوا وإن عزّوا لأقوام  
ويُسْتَمَو فتري الألوانَ مسفرةً      لأصفح ذلٍّ ولكن صفح أحلام

(١) هو بشير بن النعمان، وكان ختته على أخته.

(٢) جاء في «غريب القرآن» لابن قتيبة في تفسير الآية: «لا تجعلوا الله بالحلف به؛ مانعاً لكم من أن تبرؤوا وتتقوا، ولكن إذا حلفتم على أن لا تصلوا رحماً، ولا تصدقوا، ولا تصلحوا، وعلى أشياء ذلك من أبواب البراء فكفروا وأتوا الذي هو خير».

(٣) في الأصل: بعد، والتصحيح من معجم مقاييس اللغة.

قال، ويقال: حَلَمَ الرجل يَحْلُمُ حُلْمًا بضم اللام في الماضي والمستقبل. وحَلَمَ في النوم، بفتح اللام، يحلم حُلْمًا، اللام في المستقبل والحاء في المصدر مضموتان.

### فصل

الأيمان على ضربين: ماضٍ ومستقبل، فالماضي على ضربين: يمين محرمة، وهي: اليمين الكاذبة، وهي أن يقول: والله ما فعلت، وقد فعل. أو: لقد فعلت، وما فعل. ويمين مباحة، وهي أن يكون صادقاً في قوله: ما فعلت. أو: لقد فعلت. والمستقبل على خمسة أقسام: أحدها: يمين عقدها طاعة، والمقام عليها طاعة، وحلها معصية، مثل أن يحلف: لأصليَنَّ الخمس، ولأصومَنَّ رمضان، أو: لا شربت الخمر. والثاني: عقدها معصية، والمقام عليها معصية، وحلها طاعة، وهي عكس الأولى. والثالث: يمين عقدها طاعة، والمقام عليها طاعة، وحلها مكروه، مثل أن يحلف: لَيْفَعَلَ النواقل من العبادات. والرابع: يمين عقدها مكروه، والمقام عليها مكروه، وحلها طاعة، وهي عكس التي قبلها. والخامس: يمين عقدها مباح، والمقام عليها مباح، وحلها مباح. مثل أن يحلف: لا دخلت بلدًا فيه من يظلم الناس، ولا سلكت طريقاً مخوفاً، ونحو ذلك.

﴿لَلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ إِنْ قَامُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية إذا طلب الرجل من امرأته شيئاً، فأبت أن تعطيه؛ حلف أن لا يقربها السنة، والستين، والثلاث، فيدعها لا أيماً، ولا ذات بعل، فلما كان الإسلام، جعل الله ذلك أربعة أشهر، فأنزل الله هذه الآية<sup>(١)</sup>. وقال سعيد بن المسيب: كان الإيلاء ضرار أهل الجاهلية، وكان الرجل لا يريد المرأة، ولا يحب أن يتزوجها غيره، فيحلف أن لا يقربها أبداً، فجعل الله تعالى الأجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المرأة أربعة أشهر، وأنزل هذه الآية. قال ابن قتيبة: يؤلون، أي: يحلفون. يقال: آليت من امرأتي، أولي إيلاء: إذا حلف لا يجامعها. والاسم: الأليّة. وقال الزجاج: يقال من الإيلاء: آليت أولي إيلاء وآليّة وآلوة وآلوة وآلوة، وهي بالكسر أقل اللغات، قال كثير:

قيل الألياء حافظٌ ليمينه وإن بدرت منه الأليّة بئرت

وحكى ابن الأنباري عن بعض اللغويين أنه قال: «من» بمعنى: «في» أو: «على» والتقدير: يحلفون على وطء نساءهم، فحذف الوطء، وأقام النساء مقامه، كقوله تعالى: ﴿مَا وَعَدْنَاهُ عَلَى رَسُولٍ﴾ [آل عمران: ١٩٤] أي: على السنة رسلك. وقيل: في الكلام حذف، تقديره: يؤلون يعتزلون من نساءهم. والتريص: الانتظار. ولا يكون مؤلياً إلا إذا حلف بالله أن لا يصيب زوجته أكثر من أربعة أشهر، فإن حلف على أربعة أشهر فما دون ذلك، لم يكن مؤلياً. وهذا قول مالك، وأحمد، والشافعي. وفاؤوا: رجعوا، ومعناه: رجعوا إلى الجماع، قاله علي، وابن عباس، وابن جبير، ومسروق، والشافعي. وإذا كان للمؤلي عذر لا يقدر معه على الجماع، فإنه يقول: متى قدرت جامعته، فيكون ذلك من قوله فيئة؛ فمتى قدر فلم يفعل، أمر بالطلاق، فإن لم يطلق، طلق الحاكم عليه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قال علي، وابن عباس: غفور لإثم اليمين.

﴿وَإِنْ عَزَّوَالَتَا فَلْيُحْلِلْهُمَا اللَّهُ تَبَارَكَ تَعَالَى﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَّوَالَتَا فَلْيُحْلِلْهُمَا اللَّهُ تَبَارَكَ تَعَالَى﴾ أي: حققوه. وفي عزم الطلاق قولان: أحدهما: أنه إذا مضت الأربعة الأشهر استحق عليه أن يفيء، أو يطلق، وهو مروى عن عمر وعثمان، وعلي، وابن عمر، وسهل بن سعد، وعائشة، وطاووس، ومجاهد، والحكم، وأبي صالح. وحكاه أبو صالح عن اثني عشر رجلاً من الصحابة، وهو قول مالك، وأحمد، والشافعي. والثاني: أنه لا يفيء حتى يمضي أربعة أشهر، فتطلق بذلك من غير أن يتكلم بطلاق. واختلف أرباب هذا القول فيما يلحقها من الطلاق على قولين: أحدهما: طلاقه بائنة. روي عن عثمان، وعلي، وابن عمر،

(١) رواه الرازي في معناه في «أسباب النزول» بسنده إلى ابن عباس.

وزيد بن ثابت، وقبيصة بن ذؤيب. والثاني: طلاق رجعية، روي عن سعيد بن المسيب، وأبي بكر بن عبد الرحمن، وابن شبرمة.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: سميع لطلاقه، عليم بنيته. والثاني: سميع ليمينه، عليم بها.

﴿وَالطَّلَاقُ يَرْتَبِعُ بَيْنَهُنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكُنَّ مَا عَلَّقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَوْلَاهُنَّ أَمْحُ بَرَاءَتُهُنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادَا إِصْلَاحًا وَلَكِنْ رِثْلُ الَّذِي عَلَيْهُنَّ بِالْمَرْفُوعِ وَالزَّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالطَّلَاقُ يَرْتَبِعُ بَيْنَهُنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ سبب نزولها: أن المرأة كانت إذا طلقت وهي راغبة في زوجها، قالت: أنا حبلى، وليست حبلى، لكي يراجعها، وإن كانت حبلى وهي كارهة، قالت: لست بحبلى، لكي لا يقدر على مراجعتها. فلما جاء الإسلام ثبتوا على هذا، فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتَ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِمَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ [الطلاق: ١] ثم نزلت: ﴿وَالطَّلَاقُ يَرْتَبِعُ بَيْنَهُنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾. رواه أبو صالح عن ابن عباس. فأما التفسير: فالطلاق: التخلية. قال ابن الأنباري: هي من قول العرب: أطلقت الناقة، فطلقت: إذا كانت مشدودة، فازلت الشد عنها، وخليتها، فشيء ما يقع للمرأة بذلك، لأنها كانت متصلة الأسباب بالرجل، وكانت الأسباب كالشد لها، فلما طلقها قطع الأسباب. ويقال: طلقت المرأة، وطلقت. وقال غيره: الطلاق: من أطلقت الشيء من يدي، إلا أنهم لكثرة استعمالهم اللفظتين فرقوا بينهما، ليكون التطليق مقصوراً في الزوجات. وأما القروء: فيراد بها: الأطهار، ويراد بها الحيض. يقال: أفترت المرأة إذا حاضت، وأفترت: إذا طهرت. قال النبي ﷺ في المستحاضة: «تتعد أيام أقرانها»<sup>(١)</sup> يريد: أيام حيضها. وقال الأعشى:

وفي كل عام أنت جاشم غزوة تشد لأقصاها غريم عزائكا  
مؤرثة مالا، وفي الحي رفعة لما ضاع فيها من قروء نساكا<sup>(٢)</sup>

أراد بالقروء: الأطهار، لأنه لما خرج عن نسائه أضاع أطهارهن. واختلف أهل اللغة في أصل القروء على قولين: أحدهما: أن أصله الوقت، يقال: رجع فلان لقرته، أي: لوقته الذي كان يرجع فيه، [ورجع لقارته أيضاً] قال الهذلي<sup>(٣)</sup>:

كرهت العقر عقر بني شليل إذا هبت لقارنها الرياح<sup>(٤)</sup>

فالحيض يأتي لوقت، والطهر يأتي لوقت، هذا قول ابن قتيبة. والثاني: أن أصله الجمع. وقولهم: قرأت القرآن، أي: لفظت به مجموماً. والقرء: اجتماع الدم في البدن، وذلك إنما يكون في الطهر، وقد يجوز أن يكون اجتماعه في الرحم، وكلاهما حسن، هذا قول الزجاج. واختلف الفقهاء في الأقراء على قولين: أحدهما: أنها الحيض. روي عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي موسى، وعبادة بن الصامت، وأبي الدرداء، وعكرمة، والضحاك، والسدي، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والحسن بن صالح، وأبي حنيفة وأصحابه، وأحمد بن حنبل رضي الله عنه فإنه قال: قد كنت أقول: القروء: الأطهار، وأنا اليوم أذهب إلى أنها الحيض<sup>(٥)</sup>. والثاني: أنها الأطهار. روي عن زيد بن ثابت، وابن عمر، وعائشة، والزهري، وأبان بن عثمان، ومالك بن أنس، والشافعي، وأبو إسحاق أحمد. ولفظ قوله تعالى: ﴿وَالطَّلَاقُ

(١) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سئل رسول الله ﷺ عن المستحاضة، فقال: «تتعد الصلاة أيام أقرانها، ثم تفتسل غسلاً واحداً، ثم تتوضأ عند كل صلاة» رواه ابن حبان في صحيحه، وقد رواه غير ابن حبان عن غير عائشة. انظر: «تصانيف الراية» ٢٠١/١.

(٢) ربما من تعبيد يملح بها هزلة بن علي الحنفي. جسم الأمر تجشمه جشماً وجشامة: تكلفه على جهد ومشقة. والغريبة والغرام: الجد وعقد القلب على امرأتك فاعله. المزاء: حسن الصبر عن فقد ما يفقد الإنسان. وقوله: مؤرثة: صفة لقوله: غزوة. يقول: لك في كل عام غزوة أنت جاشمها، تجمع لها صبرك وجلدك، فتعود منها بالمال والمجد الذي يعرضك عما عانيت من هجر نساك في وقت طهرهن، فلم تقربهن.

(٣) هو مالك بن أنس وأما الهذلي:

(٤) المقر: اسم مكان، كرمه لأنه قوتل فيه، وشليل: جد جرير بن عبد الله البجلي.

(٥) وقد نصر هذا القول ابن القيم في «زاد المعاد» والأحاديث الصحيحة تؤيده.

يَرْصَدُ ﴿ لَفْظُ الْخَبِيرِ، وَمَعْنَاهُ: الْأَمْرُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَتَّىٰ كَامِلَتَيْنِ﴾ وَقَدْ بَاتِي لَفْظُ الْأَمْرِ فِي مَعْنَى الْخَبِيرِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلْيَسِدْ لَهُ الرِّجْلُ مَدًّا﴾ [مريم: ٢٧]. وَالْمَرَادُ بِالْمُطْلَقَاتِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، الْبَالِغَاتِ، الْمَدْخُولِ بِهِنَ غَيْرِ الْحَوَامِلِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ يَكُنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَنْحَامِهِنَّ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ النِّعَمُ، قَالَ عُمَرُ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَمِقَاتِلٌ، وَابْنُ قَتَيْبَةَ، وَالزَّجَّاجُ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ الْحَيْضُ، قَالَ عِكْرِمَةُ، وَعَطِيَّةُ، وَالنَّخْعِيُّ، وَالزَّهْرِيُّ. وَالثَّلَاثُ: الْحَمْلُ وَالْحَيْضُ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ زَيْدٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُنَّ يُؤَيِّنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ خَرَجَ مَخْرَجَ الرَّعِيدِ لِهِنَّ وَالتَّوَكُّيدِ، قَالَ الزَّجَّاجُ: وَهُوَ كَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ: إِنْ كُنْتَ مُؤْمِنًا فَلَا تَظْلَمْ. وَفِي سَبَبٍ وَعِيْدِهِمْ بِذَلِكَ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ لِأَجْلِ مَا يَسْتَحِقُّهُ الزَّوْجُ مِنَ الرَّجْعَةِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: لِأَجْلِ إِلْحَاقِ الْوَلَدِ بِغَيْرِ أَبِيهِ، قَالَ قَتَادَةُ. وَقِيلَ: كَانَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا رَغِبَتْ فِي زَوْجِهَا، قَالَتْ: إِنِّي حَافِضٌ، وَقَدْ طَهَرْتُ. وَإِذَا زَهَدَتْ فِيهِ، كَتَمَتْ حَيْضَهَا حَتَّى تَغْتَسِلَ، فَتَقُوتهُ. وَالبَعُولَةُ: الْأَزْوَاجُ. وَذَلِكَ: إِشَارَةٌ إِلَى الْعِدَّةِ. قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالنَّخْعِيُّ، وَقَتَادَةُ فِي آخَرِينَ. وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ خُصُوصَ آخِرِ اللَّفْظِ لَا يَمْنَعُ عُمُومَ أَوَّلِهِ، وَلَا يُوْجِبُ تَخْصِيصَهُ، لِأَن قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْصَدُونَ﴾ عَامٌ فِي الْمُبْتَوَّاتِ وَالرَّجَعِيَّاتِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُؤَيِّنُ﴾ أَحَقُّ بِرِجْعِيَّاتٍ خَاصٍ فِي الرَّجَعِيَّاتِ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ أَرَادَا إِفْلَاحًا﴾ قِيلَ: إِنْ الرَّجُلُ كَانَ إِذَا أَرَادَ الْإِضْرَارَ بِأَمْرَاتِهِ، طَلَقَهَا وَاتْرَكَهَا، فَإِذَا قَارَبَ انْقِضَاءَ عِدَّتِهَا رَاجِعَهَا، ثُمَّ تَرَكَهَا مَدَّةً، ثُمَّ طَلَقَهَا، فَتَهْوَا عَنْ ذَلِكَ. وَظَاهِرُ الْآيَةِ يَقْتَضِي أَنَّهُ إِنَّمَا يَمْلِكُ الرَّجْعَةَ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْمَضَارَةِ بِطَوِيلِ الْعِدَّةِ عَلَيْهَا، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ ذَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوهُنَّ حَتَّىٰ يَكُنَّ إِفْلَاحًا﴾ عَلَى صِحَّةِ الرَّجْعَةِ وَإِنْ قَصِدَ الْإِضْرَارَ، لِأَن الرَّجْعَةَ لَوْ لَمْ تَكُنْ صَحِيحَةً إِذَا وَقَعَتْ عَلَى وَجْهِ الْإِضْرَارِ لَمَا كَانَ ظَالِمًا بِفَعْلِهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ يَشَأْ أَلَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَكْرِ﴾ وَهُوَ: الْمَعَاشِرَةُ الْحَسَنَةُ، وَالصَّحْبَةُ الْجَمِيلَةُ. رَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سئل عَنْ حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ، فَقَالَ: «أَنْ يَطْعَمَهَا إِذَا طَعِمَ، وَيَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى، وَلَا يَضْرِبُ الْوَجْهَ، وَلَا يَقْبِضَ، وَلَا يَهْجُرُ إِلَّا فِي الْبَيْتِ»<sup>(٢)</sup> وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلْمَرْأَةِ، كَمَا أَحَبُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي، لِهَذِهِ الْآيَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَزَيْتَالٍ عَلَيْهِنَ ذَرْبُ دَرَّةٍ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بِمَا سَاقَ إِلَيْهَا مِنَ الْمَهْرِ، وَأَنْفَقَ عَلَيْهَا مِنَ الْمَالِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: بِالْجِهَادِ وَالْمِيرَاثِ. وَقَالَ أَبُو مَالِكٍ: يَطْلُقُهَا، وَلَيْسَ لَهَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: تَنَالَتْ مِنْهُ مِنَ اللَّذَّةِ كَمَا يَنَالُ مِنْهَا، وَلَهُ الْفَضْلُ بِنَفَقَتِهِ. وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ أَمْرُتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لِأَمْرِتِ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»<sup>(٣)</sup>. وَقَالَتِ ابْنَةُ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ: مَا كُنَّا نَكَلِمُ أَزْوَاجَنَا إِلَّا كَمَا تَكَلِّمُونَ أَمْرَاءَكُمْ.

### فصل

اختلف العلماء في هذه الآية: هل تدخل في الآيات المنسوخات أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها تدخل في ذلك. واختلف هؤلاء في المنسوخ منها، فقال قوم: المنسوخ منها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْصَدُونَ أَنْفُسَهُنَّ تَلَذَّةً قُرْآنًا﴾ وقالوا: فكان يجب على كل مطلقة أن تعتد بثلاثة قروء، فنسخ حكم الحامل بقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْصَاءُ أَلْبَهُنَّ أَنْ يَصْنَعْنَ حَلَلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]. وحكم المطلقة قبل الدخول بقوله تعالى: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْدُونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩] وهذا مزوي عن ابن عباس، والضحاك في آخرين. وقال قوم:

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: أي: وزوجها الذي طلقها أحق بردتها ما دامت في عدتها، إذا كان مزاجها يردعها الإصلاح والخير، وهذا في الرجعيات. فأما المطلقات البوائن فلم يكن خال نزول هذه الآية مطلقة بائن، وإنما كان ذلك لما حصرنا في الطلقات الثلاث. فأما حال نزول هذه الآية فكان الرجل أحق برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة، فلما قصروا في الآية التي بعدها على ثلاث تطليقات، صار للناس مطلقة بائن وغير بائن. وإذا تأملت هذا تبين لك ضعف ما سلكه بعض الأصوليين من استنهادهم على مسألة عود الضمير، هل يكون مخصصاً لما تقدم من لفظ العموم أم لا؟ بهذه الآية الكريمة، فإن التمثيل بها غير مطابق لما ذكره، والله أعلم.

(٢) رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه واللفظ له، وحسنه النووي. (٣) رواه أحمد والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

أولها محكم، والمنسوخ قوله تعالى: ﴿وَيَتَوَلَّوْنَ أَحَقُّ بِرُؤْيَا﴾ قالوا: كان الرجل إذا طلق امرأته كان أحق برجعتها، سواء كان الطلاق ثلاثاً، أو دون ذلك، فنسخ بقوله تعالى: ﴿إِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَدِّ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾ والقول الثاني: أن الآية كلها محكمة، فأولها عام. والآيات الواردة في العدد، خصت ذلك من العموم، وليس بنسخ. وأما ما قيل في الارتجاع، فقد ذكرنا أن معنى قوله تعالى: ﴿وَيَتَوَلَّوْنَ أَحَقُّ بِرُؤْيَا فِي ذَلِكَ﴾، أي: في العدة قبل انقضاء القروء الثلاثة، وهذا القول هو الصحيح.

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِمْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُؤْتِيَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُؤْتِيَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ إِنَّكُم مَعْدُودُونَ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ سبب نزولها، أن الرجل كان يطلق امرأته، ثم يراجعها ليس لذلك شيء ينتهي إليه، فقال رجل من الأنصار لامرأته: والله لا أؤيك إلي أبداً ولا أدعك تحلين مني. فقالت: كيف ذلك؟ قال: أطلقك، فإذا دنا أجلك، راجعتك، فذهب إلى النبي ﷺ تشكو إليه ذلك، فنزلت هذه الآية، فاستقبلها الناس [جديداً] من كان طلق، ومن لم يكن طلق. رواه هشام بن عروة عن أبيه<sup>(١)</sup>. فأما التفسير، ففي قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ قولان: أحدهما: أنه بيان لسنة الطلاق، وأن يوقع في كل قرء طلقة، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنه بيان للطلاق الذي يملك معه الرجعة، قاله عروة، وقتادة، وابن قتيبة، والزجاج في آخرين.

قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ معناه: فالواجب عليكم إمساك بمعروف، وهو ما يعرف من إقامة الحق في إمساك المرأة. وقال عطاء، ومجاهد، والضحاك، والسدي: المراد بقوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾: الرجعة بعد الثانية. وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِمْسَانٍ﴾ قولان: أحدهما: أن المراد به: الطلقة الثالثة، قاله عطاء، ومجاهد، ومقاتل. والثاني: أنه الإمساك عن رجعتها حتى تنقضي عدتها، قاله الضحاك، والسدي. قال القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء: وهذا هو الصحيح، لأنه قال عقيب الآية: ﴿إِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَدِّ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾ والمراد بهذه الطلقة: الثالثة بلا شك، فيجب إذن أن يحمل قوله تعالى: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِمْسَانٍ﴾ على تركها حتى تنقضي عدتها، لأنه إن حمل على الثالثة، وجب أن يحمل قوله تعالى: ﴿إِنْ طَلَّقَهَا﴾ على رابعة، وهذا لا يجوز.

### فصل

الطلاق على أربعة أضرب: واجب، ومندوب إليه، ومحظور، ومكروه. فالواجب: طلاق المولي بعد التبرص، إذا لم يفي، وطلاق الحكمين في شقاق الزوجين، إذا رأيا الفرقة. والمندوب: إذا لم يتفقا، واشتد الشقاق بينهما، ليتخلصا من الإثم. والمحظور: في الحيض، إذا كانت مدخولاً بها، وفي طهر جامعها فيه قبل أن تطهر. والمكروه: إذا كانت حالهما مستقيمة، وكل واحد منهما قيم بحق صاحبه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ شَيْئاً﴾ نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، أتت زوجته إلى النبي ﷺ فقالت: والله ما أعيب على ثابت في دين ولا خلق، ولكني [أكره الكفر في الإسلام] لا أطيقه بغضاً. فقال لها النبي ﷺ: «أترقبين عليه حديثه؟» قالت: نعم. فأمره النبي ﷺ أن يأخذها، ولا يزداد. رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> واختلفوا في اسم زوجته، فقال ابن عباس: جميلة. ونسبها يحيى بن أبي كثير، فقال: جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول، وكنها مقاتل، فقال: أم حبيبة بنت عبد الله بن أبي. وقال آخرون: إنما هي جميلة أخت عبد الله بن أبي. وروى يحيى بن سعيد عن عمرة روايتين: إحداهما: أنها حبيبة بنت سهل. والثانية: سهلة بنت حبيب<sup>(٣)</sup>. وهذا الخلع

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» والترمذي، وغيرهما مرسلأ، لأن عروة بن الزبير تابعي. وقد جاء الحديث عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بنحوه متصلاً مرفوعاً، رواه الترمذي والحاكم والبيهقي.

(٢) رواه ابن ماجه عن ابن عباس، ورواه البخاري في «صحيحه» والسنائي بمعناه.

(٣) الذي في كتب التفسير حبيبة بنت سهل، ولم يذكر أحد منهم سهلة بنت حبيب، ولا وجدنا لها ترجمة في الصحاحيات. وقد اختلف العلماء فيمن اختلعت من ثابت بن قيس بن شماس، أمي جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول، أم حبيبة بنت سهل؟ والذي رجحه الحافظ ابن حجر وارتضاه =





عدتها، ثم يطلقها [يفعل ذلك]، يضارها [ويعضلها]<sup>(١)</sup> بذلك، فنزلت هذه الآية. والأجل هاهنا: زمان العدة. ومعنى البلوغ هاهنا: مقاربة الأجل دون حقيقة الانتهاء إليه، يقال: بلغت المدينة: إذا قاربتها، وبلغتها: إذا دخلتها. وإنما حمل العلماء هذا البلوغ على المقاربة، لأنه ليس بعد انقضاء العدة رجعة.

قوله تعالى: ﴿فَأَسْكُنُوا مِنْكُمْ بَيْتَكُمْ﴾ قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة: المراد به الرجعة قبل انقضاء العدة.

قوله تعالى: ﴿تَرْجُوْنَ مَعْرُوفٍ﴾ وهو تركها حتى تنقضي عدتها. والمعروف في الإمساك: القيام بما يجب لها من حق. والمعروف في التيسير: أن لا يقصد إضرارها، بأن يطيل عدتها بالمراجعة، وهو معنى قوله: ﴿وَلَا تُنْكِرُكُمْ مُزَاجَا لِعَقْدِكُمْ﴾ قاله الحسن ومجاهد، وقتادة في آخرين. وقال الضحاك: إنما كانوا يضارون المرأة لتفتدي. ﴿وَمَنْ يَمْلِكْ ذَلِكَ﴾ الاعتداء، ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بارتكاب الإثم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْذَرُوا آيَاتِ اللَّهِ هُرُوكُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الرجل يطلق أو يراجع، أو يعتق، ويقول: كنت لاعباً. روي عن عمر، وأبي الدرداء، والحسن. والثاني: أنه المضار بزوجه في تطويل عدتها بالمراجعة والطلاق. قاله مسروق، ومقاتل. ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَرْزَلَكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يُطْغَرُ بِهَا﴾ قال ابن عباس: احفظوا منته عليكم بالإسلام. قال: والكتاب: القرآن. والحكمة: الفقه. ﴿وَأَقْرَأُوا اللَّهَ﴾ في الضرار ﴿وَأَعْلَبُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ به وبغيره ﴿عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَا تَلْعَنُوا الزَّوْجَ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ إذا راضوا بينهم والمعرُوف ذلك يؤعطيه من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم لكم والله يتولى شأنكم وأنتم لا تعلمون ﴿٢٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْعَنُوا الزَّوْجَ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: ما روى الحسن أن معقل بن يسار زوج أخته من رجل من المسلمين، فكانت عنده ما كانت، فطلقها تطليقة [ثم تركها] ومضت العدة، فكانت أحق بنفسها، فخطبها مع الخطاب، فرضيت أن ترجع إليه، فخطبها إلى معقل، فغضب معقل، وقال: أكرمتك بها، فطلقتها؟! لا والله لا ترجع إليك آخر ما عليك. قال الحسن: فعلم الله ﷻ حاجة الرجل إلى امرأته، وحاجة المرأة إلى بعلها، فنزلت هذه الآية، فسمعها معقل، فقال: سمعاً لربي وطاعة، فدعا زوجها، فقال: أزوجك، وأكرمك<sup>(٢)</sup>. ذكر عبد الغني الحافظ عن الكلبي أنه سمي هذه المرأة، فقال: جميلة بنت يسار. والثاني: أن جابر بن عبد الله الأنصاري كانت له ابنة عم، فطلقها زوجها تطليقة، فانقضت عدتها، ثم رجع يريد رجعتها، فأبى جابر، وقال: طلقت ابنة عمنا، ثم تريد أن تتكحها الثانية؟! وكانت المرأة تريد زوجها، قد راضته، فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(٣)</sup>. فأما بلوغ الأجل في هذه الآية، فهو انقضاء العدة، بخلاف التي قبلها. قال الشافعي رحمه الله: دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْلَوْنَ﴾ خطاب للأولياء. قال ابن عباس، وابن جبير، وابن قتيبة في آخرين: معناه: لا تحبسوهن. والعرب تقول للشدائد: معضلات. وداء عضال: قد أعيا. قال أوس بن حجر:

وليس أخوك الدائم العهد بالذي      يذمك إن ولّى ويرضيك مقبلاً  
ولكنه النائي إذا كنت آمناً      وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلاً

وقالت ليلي الأخيلية:

(١) عضل المرأة، يعضلها: لم يحسن عشتها ليضطرها بذلك إلى الافتداء منه بمهرها الذي أمهرها.  
(٢) أخرجه بمعناه البخاري وأبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وقال الترمذي بعد روايته للحديث: وفي هذا الحديث دلالة على أنه لا يجوز النكاح بغير ولي، لأن أخت معقل بن يسار كانت ثيباً، فلو كان الأمر إليها، لزوجت نفسها ولم تتج إلى وليها معقل بن يسار، وإنما خاطب الله في هذه الآية الأولياء فقال: ﴿فَلَا تَسْلَوْنَ﴾ أي لا تحبسوهن. فني هذه الآية دلالة على أن الأمر إلى الأولياء في التزوج مع رضاهن.  
(٣) قال السيوطي في «لباب القول في أسباب النزول»: والأول أصح، وهو أقوى.

إذا نزل الحجاج أرضاً مريضة  
شفاها من الداء العفصال الذي بها  
قال الزجاج: وأصل العفصل، من قولهم: عضلت الدجاجة، فهي مُعْضِلٌ، إذا احتبس بيضها ونشب<sup>(١)</sup> فلم  
يخرج، وعضلت الناقة أيضاً: إذا احتبس ولدها في بطنها.  
قوله تعالى: ﴿إِذَا قَرَّبْتَ بَيْنَهُمُ وَتَوَلَّوْا﴾ قال السدي، وابن قتبية: معناه: إذا تراضى الزوجان بالنكاح الصحيح.  
قال الشافعي: وهذه الآية آية في أنه ليس للمرأة أن تزوج إلا بولي.  
قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يُؤْتِيهِمْ مِّنْ ذِي الشَّجَرَةِ﴾ قال مقاتل: الإشارة إلى نهى الولي عن المنع. قال الزجاج: إنما قال: «ذلك»،  
ولم يقل: «ذلكم» وهو يخاطب جماعة، لأن لفظ الجماعة لفظ الواحد، والمعنى: ذلك أيها القبيل.  
قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ لَكُمُ الرِّيحَ﴾ يعني ردة النساء إلى أزواجهن، أفضل من التفرة بينهم ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ لَكُمُ الرِّيحَ﴾ أي: أنقى لقلوبكم  
من الرية لئلا يكون هناك نوع محبة، فيجتمعان على غير وجه صلاح.  
قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَتْلُوهُنَّ مَا تَكْتُبْنَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: يعلم ود كل واحد منهما لصاحبه،  
قاله ابن عباس، والضحاك، والثاني: يعلم مصالحكم عاجلاً وآجلاً، قاله الزجاج في آخرين.  
﴿وَالَّذِي يُضَعِفُ أَوَّلَهُنَّ كَوَلِّيهنَّ﴾ كَوَلِّيهنَّ: أي: يَمُرُّنَّ أَوَّلَهُنَّ بِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَمُرَّ بِهِنَّ مِنَ الرِّجَالِ وَعَلَى الْوَلَدِ لَمْ يَنْهَهُنَّ وَكَسَوْنَهُنَّ بِالْمَرْوِيِّ لَا تَكَلَّفَ نَفْسٌ إِلَّا  
وَسَمَهَا لَا تُسَكَّرُ وَلَدَةً يُولَدُهَا وَلَا مَوْلُوداً لَمْ يُولَدْ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَ فَضَالاً عَنْ رَاضٍ بَيْنَهَا وَتَقَابُرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا وَلَا  
أَدْنَى أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَسْتُمْ مَا مَلَائِيكُمْ بِالْمَرْوِيِّ وَالْقَوْلُ اللَّهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْلَمُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾  
قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يُضَعِفُ أَوَّلَهُنَّ﴾ لفظه لفظ الخبر، ومعناه الأمر، كقوله تعالى: ﴿وَالصَّالِفَتُ يُرَضِّعُ بِأَنْفُسِهِنَّ  
ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وقال القاضي أبو يعلى: وهذا الأمر انصرف إلى الآباء، لأن عليهم الاسترضاع، لا إلى  
الوالدات، بدليل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَلَدِ لَرٌّ بَنَّهُنَّ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَتَأْتِيَهُنَّ أُولُو بَنَاهُنَّ﴾ [النساء: ٢٤] فلو كان محتجماً على  
الوالدة، لم تستحق الأجرة. وهل هذا عام في جميع والدات؟ فيه قولان: أحدهما: أنه خاص في المطلقات، قاله  
سعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، والسدي، ومقاتل في آخرين. والثاني: أنه عام في الزوجات والمطلقات، ولهذا  
نقول: لها أن تخرج نفسها لرضاع ولدها، سواء كانت مع الزوج، أو مطلقة، قاله القاضي أبو يعلى، وأبو سليمان  
الدمشقي في آخرين. والحوال: السنة، وفي قوله: ﴿كَوَلِّيهنَّ﴾ قولان: أحدهما: أنه دخل للتوكيد، كقوله تعالى: ﴿يَتْلُو  
عَشْرَةَ كَايَةً﴾ [البقرة: ١٩٦]. والثاني: أنه لما جاز أن يقول: «كولين»، ويريد أقل منهما، كما قال: ﴿فَمَنْ تَحَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ  
فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] ومعلوم أنه يتعجل في يوم، وبعض آخر. وتقول العرب: لم أر فلاناً منذ يومين، وإنما  
يريدون: يوماً وبعض آخر. قال: كاملين لتبين أنه لا يجوز أن ينقص منهما، وهذا قول الزجاج، والقراء.

### فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية، فقال بعضهم: هو محكم، والمقصود منه بيان مدة  
الرضاع، ويتعلق به أحكام، منها أنه كمال الرضاع، ومنها أنه يلزم الأب نفقة الرضاع مدة الحولين، ويجبره الحاكم  
على ذلك، ومنها أنه يثبت تحريم الرضاع في مدة الحولين، ولا يثبت فيما زاد، ونقل عن قتادة، والربيع بن أنس في  
آخرين أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَ فَضَالاً عَنْ رَاضٍ بَيْنَهَا وَتَقَابُرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا وَلَا أَدْنَى أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَسْتُمْ مَا مَلَائِيكُمْ بِالْمَرْوِيِّ وَالْقَوْلُ اللَّهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْلَمُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣] لأن الله  
تعالى قال في أولها: ﴿لَئِنْ أَرَادَ أَنْ يَمُرَّ بِالرِّجَالِ﴾ فلما قال في الثاني: ﴿فَإِنْ أَرَادَ فَضَالاً عَنْ رَاضٍ بَيْنَهَا وَتَقَابُرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا وَلَا أَدْنَى أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَسْتُمْ مَا مَلَائِيكُمْ بِالْمَرْوِيِّ وَالْقَوْلُ اللَّهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْلَمُونَ بَصِيرٌ﴾ خير بين الإزادتين،  
وذلك لا يعارض المدة المقدرة في التمام.

قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَرَادَ أَنْ يَمُرَّ بِالرِّجَالِ﴾ أي: هذا التقدير بالحولين لغيري إتمام الرضاعة. وقرأ مجاهد بتأنيث «أن»  
تتم الرضاعة، وبالرفع، وهي رواية الحلبي عن عبد الوارث. وقد تبه ذكر التمام على نفي حكم الرضاع بعد الحولين.

وأكثر القراء على فتح راء «الرضاعة»، وقرأ طلحة بن مصرف، وابن أبي عبيدة، وأبو رجاء، بكسرها، قال الزجاج: يقال: الرضاعة بفتح الراء وكسرها، والفتح أكثر، ويقال: ما حملة على ذلك إلا اللؤم، والرضاعة بالفتح هاهنا لا غير<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَلَدِ لَهُ﴾ يعني: الأب ﴿وَنُفَقَهُ وَكُسُوفَهُ﴾ يعني: الممرضعات. وفي قوله: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ دلالة على أن الواجب على قدر حال الرجل في إعساره ويساره، إذ ليس من المعروف إلزام المنعسر ما لا يطيقه، ولا الموسر التزور الطفيف، وفي الآية دليل على تسويغ اجتهد الرأي في أحكام الحوادث، إذ لا يتوصل إلى تقدير النفقة بالمعروف إلا من جهة غالب الظن، إذ هو معتبر بالعادة.

قوله تعالى: ﴿لَا تَكُلْ نَفْسٌ لِّأَخِيهِمْ﴾ أي: إلا ما تطيقه ﴿لَا تُكَاذِبْ وَلَدَهُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبان عن عاصم (لا تضار) برفع الراء، وقرأ نافع، وعاصم، وحزمة، والكسائي بنصبها، قال أبو علي: من رفع، فلاجل المرفوع قبله، وهو ﴿لَا تَكُلْ﴾، فأتبعه بما قبله ليقع تشابه اللفظ، ومن نصب جعله أمراً، وفتح الراء لتكون حركته موافقة لما قبلها وهو الألف، قال ابن قتيبة: معناه: لا تضار، فأدغمت الراء في الراء. وقال سعيد بن جبير: لا يحملن المطلقة مضارة الزوج أن تلقى إليه ولده. وقال مجاهد: لا تأتي أن ترضعه ضراراً بأبيه، ولا يضارَ الوالد بولده، فيمنع أمه أن ترضعه، ليحزنها بذلك. وقال عطاء، وقتادة، والزهري، وسفيان، والسدي في آخرين: إذا رضيت بما يرضى به غيرها، فهي أحق به. وقرأ أبو جعفر «لا تضار» بتخفيفها وإسكانها.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه وارث المولود، وهو قول عطاء، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وابن أبي ليلى، وقتادة، والسدي، والحسن بن صالح، ومقاتل في آخرين. واختلف أرباب هذا القول، فقال بعضهم: هو وارث المولود من عصبته، كائناً من كان، وهذا مروى عن عمر، وعطاء، والحسن، ومجاهد، وإبراهيم وسفيان. وقال بعضهم: هو وارث المولود على الإطلاق من الرجال والنساء، روي عن ابن أبي ليلى، وقتادة، والحسن بن صالح، وإسحاق، وأحمد بن حنبل. وقال آخرون: هو من كان ذا رحم محرم من ورثة المولود، روي عن أبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد. والقول الثاني: أن المراد بالوارث هاهنا، وأرث الوالد، روي عن الحسن والسدي. والثالث: أن المراد بالوارث الباقي من الولد بعد وفاة الآخر، روي عن سفيان. والرابع: أنه أريد بالوارث الصبي نفسه، والنفقة عليه، فإن لم يملك شيئاً، فعلى عصبته، قاله الضحاك، وقبيصة بن ذؤيب، قال شيخنا علي بن عبيد الله: وهذا القول لا يتنافى قول من قال: المراد بالوارث وارث الصبي، لأن النفقة تجب للموروث على الوارث إذا ثبت إعسار المتفق عليه. وفي قوله تعالى: ﴿يُثَلِّثُ ذَلِكَ﴾ ثلاثة أقوال. أحدها: أنه الإشارة إلى أجره الرضاع والنفقة، روي عن عمر، وزيد بن ثابت، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وإبراهيم، وقتادة، وقبيصة بن ذؤيب، والسدي. واختاره ابن قتيبة، والثاني: أن الإشارة بذلك إلى النهي عن الضرار، روي عن ابن عباس، والشعبي، والزهري، واختاره الزجاج. والثالث: أنه إشارة إلى جميع ذلك، روي عن سعيد بن جبير، ومجاهد، ومقاتل، وأبي سليمان الدمشقي، واختاره القاضي أبو يعلى، ويشهد لهذا أنه معطوف على ما قبله، وقد ثبت أن على المولود له النفقة والكسوة، وأن لا يضار، فيجب أن يكون قوله: ﴿وَيُثَلِّثُ ذَلِكَ﴾ مشيراً إلى جميع ما على المولود له.

قوله تعالى: ﴿إِذَا أَرَادَ أُنثَىٰ صَالًا مِّن رَّاحِلٍ﴾ الفصائل: الفطام. قال ابن قتيبة: يقال: فصلت الصبي أمه: إذا فطمته. ومنه قيل للحوار إذا قطع عن الرضاع: فصل، لأنه فصل عن أمه، وأصل الفصل: التفريق. قال مجاهد: التشاور فيما دون الحولين إن أرادته أن تظلم وأبى، فليس لها، وإن أراد هو، ولم ترد، فليس له ذلك حتى يقع ذلك عن تراض منهما وتشاور، يقول: غير مسئين إلى أنفسهما وإلى صبيهما.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَرَدُ أَنْ يَضَرُّوا وَلَدَكُمْ﴾ قال الزجاج: أي: لأولادكم. قال مقاتل: إذا لم ترض الأم بما يرضى به غيرها، فلا حرج على الأب أن يسترضع لولده.

(١) قال في «اللسان»: الرضاعة بالفتح والكسر: الاسم من الإرضاع، فأما من الرضاعة اللؤم، فالفتح لا غير.

وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا سَأَلْتُم مَّا أَتَيْتُم بِالْعَرَبِ﴾ قولان. أحدهما: إذا سألتم أيها الآباء إلى أمهات الأولاد أجور ما أرضعن قبل امتناعهن، قاله مجاهد، والسدي. والثاني: إذا سلمتم إلى الظئر أجرها بالمعروف، قاله سعيد بن جبير، ومقاتل. وقرأ ابن كثير: (ما أتيتكم) بالقصر، قال أبو علي: وجهه أن يقدر فيه: ما أتيتم نقده أو سوقه، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه [فكان التقدير: ما أتيتموه] ثم حذف الضمير من [الصلة] كما تقول: أتيت جميلاً، أي: فعلته. ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ أي: يقبضون بالموت. وقرأ المفضل عن عاصم «يتوفون» بفتح الباء في الموضعين. قال ابن قتيبة: هو من استيفاء العدد، واستيفاء الشيء: أن تستقصيه كله، يقال: توفيته واستوفيته، كما يقال: تيقنت الخير واستيقنته، هذا الأصل، ثم قيل للموت: وفاة وتوفت و«تربصت» ينتظرن، وقال الفراء: وإنما قال: «وعشراً» ولم يقل: عشرة، لأن العرب إذا أبهمت العدد من الليالي والأيام، غلبوا عليه الليالي، حتى إنهم ليقولون: صمنا عشراً من شهر رمضان، لكثرة تغليبهم الليالي على الأيام، فإذا أظهروا مع العدد تفسيره، كانت الإناث بغير هاء، والذكور بالهاء<sup>(١)</sup> كقوله تعالى: ﴿سَخَّرَ مَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَكَثَيَّةَ آيَاتٍ خُسُوفًا﴾ [الحاقة: ٧] فإن قيل: ما وجه الحكمة في زيادة هذه العشرة؟ فالجواب: أنه يبين صحة الحمل بنفخ الروح فيه، قاله سعيد بن المسيب، وأبو العالية، ويشهد له الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً [نطفة]، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح»<sup>(٢)</sup>.

### فصل

وهذه الآية ناسخة للتي تشابهها، وهي تأتي بعد آيات، وهي قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ [البقرة: ٢٤٠]. لأن تلك كانت تقتضي وجوب العدة سنة، وسنذكر ما يتعلق بها هنالك، إن شاء الله. فأما التي نحن في تفسيرها، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: نسختها ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]. والصحيح: أنها عامة دخلها التخصيص، لأن ظاهرها يقتضي وجوب العدة على المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً، سواء كانت حاملاً، أو غير حامل، غير أن قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ خص أولات الحمل، وهي خاصة أيضاً في الحرائر، فإن الأمة عدتها شهران وخمسة أيام، فبان أنها من العام الذي دخله التخصيص.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ يعني: انقضاء العدة. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَزَمْتُم بِهِ مِنْ ظُلْمِ الزَّوْجِ أَوْ كَتَمْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَتَذَكَّرُنَّ وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَمْرُقُوا عَقْدَةَ الزَّكَاجِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَقْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَأَخَذُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ سَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه قولان. أحدهما: أن معناه: فلا جناح على الرجال في تزويجهن بعد ذلك،

(١) قال أبو حيان رحمه الله في «البحر المحيط»: الذي نقل أصحابنا أنه إذا كان العدود مذكراً وحذته، فلك فيه وجهان. أحدهما وهو الأصل: أن يبقى العدد على ما كان عليه ولو لم يحدف العدود، فنقول: صمت خمسة، وترديد خمسة أيام. قالوا: وهو الفصح. قالوا: ويجوز أن تحذف منه كله تاء التأنيث. وحكى الكسائي عن أبي الجراح: صمنا من الشهر خمساً. ومعلوم أن الذي يصام من الشهر إنما هي الأيام واليوم مذكر. وكذلك قوله: ولا فسيري مثل ما سار راكب. يتعجم غمياً ليس فني سبيره اسم يريد: خمسة أيام. وعلى ذلك ما جاء في الحديث «من صام رمضان» وأتبعه بست من شوال. وإذا قرر هذا فجاء قوله تعالى: «وعشراً» على أحد الجائزين، وحسن هنا، أنه مقطع كلام، فهو شبه بالفواصل، كما حسن قوله تعالى: «إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا شَرًّا» [طه: ١٠٣] كونه فاصلة، فلذلك اختير مجيء هذا على أحد الجائزين.

(٢) رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ورواه أبو حوالة في «مسنده» وزاد [نطفة] بين قوله: «إن أحدكم» وبين قوله: «أربعين».

والثاني: فلا جناح على الرجال في ترك الإنكار عليهن إذا تزين وتزوجن. قال أبو سليمان الدمشقي: وهو خطاب لأوليائهن.

قوله تعالى: ﴿يَسَا مَعَلَيْنِ أَنْشَيْتَنَّهُ بِالْعُرْفِ﴾ فيه قولان. أحدهما: أنه للزينة والتشوف للنكاح، قاله الضحاك، ومقاتل. والثاني: أنه للنكاح، قاله الزهري، والسدي. والخير من أسماء الله تعالى، ومعناه: العالم بكنهه الشيء، المطلع على حقيقته. والخير: في صفة المخلوقين، إنما يستعمل في نوع من العلم، وهو الذي يتوصل إليه بالاجتهاد دون النوع المعلوم ببداهة العقل. وعلم الله تعالى سواء، فيما غمض ولطف، وفيما تجلى وظهر.

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَزَمْتُمْ بِهِ مِنْ ظُلْمِ الْإِنْسَاءِ﴾ هذا خطاب لمن أراد تزويج معتدة. والتعريض: الإيحاء والتلويح من غير كشف، فهو إشارة بالكلام إلى ما ليس له في الكلام ذكر. والخطبة بكسر الخاء: طلب النكاح، والخطبة بضم الخاء: مثل الرسالة التي لها أول وآخر. قال ابن عباس: التعريض أن يقول: إني أريد أن أتزوج. وقال مجاهد: أن يقول: إنك لجميلة، وإنك لحسنة، وإنك لآلى خير.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَكْتَنَتْ فِي أَنْفِكُمْ﴾ قال الفراء: كنتت الشيء، وأكنته<sup>(١)</sup> وقال ثعلب: أكنتت الشيء: إذا أخفيته في نفسك، وكنتته: إذا سترته بشيء. وقال ابن قتيبة: أكنتت الشيء: إذا سترته، ومنه هذه الآية، وكنتته: إذا صتمته. ومنه قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩] قال بعضهم: يجعل كنتته، وأكنتته، بمعنى: قوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَرْتُمُنَّ﴾ قال مجاهد: ذكره إياها في نفسه.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ لَكُمْ لَا تَوَاضَعُونَ سِرًّا﴾ فيه أربعة أقوال. أحدها: أن المراد بالسّر هاهنا: النكاح، قاله ابن عباس: وأنشد بيت امرئ القيس:

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وأن لا يشهد السر أمثالي

وفي رواية: يشهد لله<sup>(٢)</sup>. قال الفراء: ونرى أنه مما كنى الله عنه، كقوله تعالى: ﴿أَوْ جَكَهَ أَمَدٌ وَتَكُنَّ مِنَ الْبَاطِلِ﴾ [النساء: ٤٤٣]. وذكر الزجاج عن أبي عبيدة أن السر: الإفضاء بالنكاح [المحرم] وأنشد:

ويحرم سِرَّ جارِتهم عليهم ويأكل جارهم أنف القصاع<sup>(٣)</sup>

قال ابن قتيبة: استعير السر للنكاح، لأن النكاح يكون سراً، فالمعنى: لا تواعدوهن بالتزويج، [وهن في العدة] تصريحاً ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ لا تذكرن فيه رفثاً ولا نكاحاً. والثاني: أن المواعدة سراً؛ أن يقول لها: إني لك محب، وعاهديني أن لا تتزوجي غيري، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أن المراد بالسر الزنى<sup>(٤)</sup>. قاله الحسن، وجابر بن زيد، وأبو مجلز، وإبراهيم، وقتادة، والضحاك. والرابع: أن المعنى: لا تتكهنوهن في عهتهن سراً، فإذا حلّت أظهرتم ذلك، قاله ابن زيد. وفي القول المعروف قولان. أحدهما: أنه التعريض لها، وهو قول ابن عباس،

(١) ونص كلامه في معاني القرآن: للرب في وأكنت الشيء: إذا سترته، لفتان، كنتته، وأكنتته. وأنشدوني:  
ثلاث من ثلاث قداميات  
من اللاتي نكح من الصقيع  
وبعضهم يرويه: نكح، من أكنتت. وأما قوله: ﴿وَأَوْ كَتَرْتُمْ﴾ [الطور: ٢٤] و﴿بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩] فكانه مذهب للشيء يمان؛ وإحداهما قرية من الأخرى.

(٢) رواية البيت في الديوان هكذا:  
ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وألا يحسن البهو أمثالي  
وهي هذه الرواية فلا شاهد في البيت

(٣) البيت للمطيرة، وهو من قصيدة يمدح فيها بني رياح وبني كلب من بني يربوع، وأنف كل شيء: طرفه وأوله. والقصاع: جمع قصعة، وهي الجفنة الضخمة، يذكر عهتهم وحفاظهم وامتناعهم من انتهاك حرمة الجارة، واقترب الإثم في حقها، ويصف كرمهم وإثارهم. جارهم بالطعام على أنفسهم، فلا يقدمون إلى الطعام حتى يأخذ منه ما يشتهي وما يكتفي.

(٤) قال الأعشى:  
ولا تفسق سرياً جنة إن سهرها  
وقد فسروا السر في هذا البيت بالزنى، وهو ظاهر، وقد رجح هذا القول الطبري في تفسيره.

وسعيد بن جبير، وعطاء، والقاسم بن محمد، والشعبي، ومجاهد، وإبراهيم، وقتادة، والسدي. والثاني: أنه إعلام وليها برغبته فيها، وهو قول عبيدة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُكُمْ عَنْهُ الْعِدَّةُ﴾ قال الزجاج: معناه: لا تعزموا على عقدة النكاح، وحذفت «على» استخفافاً، كما قالوا: ضرب زيد الظهر والبطن، معناه: على الظهر والبطن ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ أي: حتى يبلغ فرض الكتاب أجله. قال: ويجوز أن يكون «الكتاب» بمعنى «الفرض» كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْيَسَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]. فيكون المعنى: حتى يبلغ الفرض أجله. قال ابن عباس، ومجاهد، والشعبي، وقتادة، والسدي: بلوغ الكتاب أجله: انقضاء العدة.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَلْعَنُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ قال ابن عباس: من الوفاء، فاحذروا أن تخالفوه في أمره. والحليم قد سبق بيانه.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِشُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّوْنَهُنَّ عَلَى التَّوْبِيعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْبَقْرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْحَشِينِ﴾ [٢٤]

قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وأبو عمرو «تمسوهن» بغير ألف حيث كان، وبفتح التاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف «تماسوهن» بألف وضم التاء في الموضعين هنا. وفي الأحزاب ثالث. قال أبو علي: وقد يراد بكل واحد من «فاعل» و«فعل» ما يراد بالآخر، تقول: طارت النمل، وعاقبت اللص. قال مقاتل بن سليمان: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة، ولم يسم لها مهراً، فطلقها قبل أن يمسها، فقال النبي ﷺ: «هل تمتعها بشيء؟» قال: لا. قال: «فتمتعها ولو بقلنسوتك» ومعنى الآية: ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة. وقد تكون «أو» بمعنى الواو. كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُ يَتِيمٌ كَاتِبًا أَوْ كُفْرًا﴾ [الدمر: ٢٤].

والمس: النكاح، والفريضة: الصداق، وقد دلت الآية على جواز عقد النكاح بغير تسمية مهر. ﴿وَمَتَّوْنَهُنَّ﴾ أي: أعطوهن ما يتمتعن به من أموالكم على قدر أحوالكم في الغنى والفقر. والمتاع: اسم لما يتتبع به، فذلك معنى قوله تعالى: ﴿عَلَى التَّوْبِيعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْبَقْرِ قَدَرُهُ﴾. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو «قدرة» بإسكان الدال في الحرفين، وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي بتحريك الحرفين، وعن عاصم: كالقراءتين، وهما لغتان.

### فصل

وهل هذه المتعة واجبة، أم مستحبة؟ فيه قولان: أحدهما: واجبة، واختلف أرباب هذا القول، لأي المطلقات تجب، على ثلاثة أقوال. أحدها: أنها واجبة لكل مطلقة، روي عن علي، والحسن، وأبي العالية، والزهرري. والثاني: أنها تجب لكل مطلقة إلا المطلقة التي فرض لها صداقاً، ولم يمسها، فإنه يجب لها نصف ما فرض، روي عن ابن عمر، والقاسم بن محمد، وشريح، وإبراهيم. والثالث: أنها تجب للمطلقة قبل الدخول إذا لم يسم لها مهراً، فإن دخل بها، فلا متعة، ولها مهر المثل، روي عن الأوزاعي، والثوري، وأبي حنيفة، وأحمد بن حنبل، والثاني: أن المتعة مستحبة، ولا تجب على أحد سواء سمى للمرأة، أو لم يسم، دخل بها، أو لم يدخل، وهو قول مالك، والليث بن سعد، والحكم، وابن أبي ليلى. واختلف العلماء في مقدار المتعة، فنقل عن ابن عباس، وسعيد بن المسيب: أعلاها خادم، وأدناها كسوة يجوز لها أن تصلي فيها، وروي عن حماد وأبي حنيفة: أنه قدر نصف صداق مثلها. وعن الشافعي وأحمد: أنه قدر يساره وإعساره، فيكون مقدراً باجتهاد الحاكم. ونقل عن أحمد: المتعة بقدر ما تجزئ فيه الصلاة من الكسوة، وهو درج وخمار.

(١) روى ابن أبي حاتم قال: قال محمد بن سيرين: قلت لعبيدة: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُكُمْ عَنْهُ الْعِدَّةُ﴾؟ قال: يقول لوليها: لا تسبقني بها، يعني: لا تزوجها حتى تملئني.

قوله تعالى: ﴿مَتَّعْنَا بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بقدر الإمكان، والحق: الواجب. وذكر المحسنين والمنفقين ضرب من التأيد.

﴿وَلَنْ تَلْفُتُوهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْسُوهُمْ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُمْ فَرِيضَةً مِمَّا رَضَيْتُمْ إِلَّا أَنْ يَمُوتُوا أَوْ يَمُوتُوا أَوْ يَمُوتُوا عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَمُوتُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١٧)

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَلْفُتُوهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْسُوهُمْ﴾ أي: قبل الجماع ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُمْ﴾ أي: أوجبتم لهم شيئاً التزمتم به، وهو المهر ﴿إِلَّا أَنْ يَمُوتُوا﴾ يعني: النساء، وعفو المرأة: ترك حقها من الصداق. وفي الذي بيده عقدة النكاح ثلاثة أقوال. أحدها: أنه الزوج، وهو قول علي، وابن عباس، وجبير بن مطعم، وابن المسيب، وابن جبير، ومجاهد، وشريح، وجابر بن زيد، والضحاك، ومحمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس، وابن شبرمة، والشافعي، وأحمد رحمهم الله في آخرين. والثاني: أنه الولي، روي عن ابن عباس، والحسن، وعلقمة، وطاوس، والشعبي، وإبراهيم في آخرين. والثالث: أنه أبو البكر. روي عن ابن عباس، والزهري، والسدي في آخرين. فعلى القول الأول عفو الزوج: أن يكمل لها الصداق، وعلى الثاني: عفو الولي: ترك حقها إذا أبت، روي عن ابن عباس، وأبي الشعثاء. وعلى الثالث يكون قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَمُوتُوا﴾ يختص بالثيبات. وقوله: ﴿أَوْ يَمُوتُوا﴾ يختص أبا البكر، قاله الزهري، والأول أصح، لأن عقدة النكاح خرجت من يد الولي، فصارت بيد الزوج، والعفو إنما يطلق على ملك الإنسان، وعفو الولي عفو عما لا يملك، ولأنه قال: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ والفضل في هبة الإنسان مال نفسه، لا مال غيره.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَمُوتُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه خطاب للزوجين جميعاً، روي عن ابن عباس، ومقاتل: والثاني: أنه خطاب للزوج وحده، قاله الشعبي، وكان يقرأ: ﴿وَأَنْ يَمُوتُوا﴾ بالياء.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ خطاب للزوجين. قال مجاهد: هو إتمام الرجل الصداق، وترك المرأة شرطها.

﴿حَافِظُوا عَلَى الْفَكَرَاتِ وَالْفَكَرَاتِ الْوُسْطَى وَوُفُوا لِلَّهِ كُنُوتَيْنِ﴾ (١٨)

قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الْفَكَرَاتِ﴾ المحافظة: المواظبة والمداومة، والصلوات بالآلف واللام ينصرف إلى المعهود، والمراد: الصلوات الخمس.

قوله تعالى: ﴿وَالْفَكَرَاتِ الْوُسْطَى﴾ قال الزجاج: هذه الروا إذا جاءت مخصصة، فهي دالة على فضل الذي تخصصه، كقوله تعالى: ﴿وَجَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾ [البقرة: ٩٧] قال سعيد بن المسيب: كان أصحاب رسول الله ﷺ، في الصلاة الوسطى هكذا، وشبك بين أصابعه<sup>(١)</sup>. ثم فيها خمسة أقوال. أحدها: أنها العصر، روى مسلم في «أفراد» من حديث علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه قال يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً»<sup>(٢)</sup>. وروى ابن مسعود، وسمرة، وعائشة عن النبي ﷺ، أنها صلاة العصر<sup>(٣)</sup>، روى مسلم في «أفراد» من حديث البراء بن عازب قال: نزلت هذه الآية ﴿حَافِظُوا عَلَى الْفَكَرَاتِ﴾ [وَالْفَكَرَاتِ الْوُسْطَى]<sup>(٤)</sup> وصلاة العصر فقرانها ما شاء الله، ثم نسخها الله، فنزلت: ﴿حَافِظُوا عَلَى الْفَكَرَاتِ وَالْفَكَرَاتِ الْوُسْطَى﴾ وهذا قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وابن مسعود، وأبي، وأبي أيوب، وابن عمر في رواية، وسمرة بن جندب، وأبي هريرة، وابن عباس في رواية عطية، وأبي سعيد

(١) يريد أنهم كانوا يختلفون في تعيين الصلاة الوسطى.

(٢) وتماه عند مسلم ثم صلاها بين المشائين، بين المغرب والعشاء» ورواه الإمام أحمد والبخاري وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وغير واحد من أصحاب «السانيد» والسنن، والصحاح.

(٣) حديث ابن مسعود هو في «صحيح مسلم» ٤٣٧/١، وحديث عائشة أيضاً في «صحيح مسلم» ٤٣٨/١. وأما حديث سمرة، فقد رواه الإمام أحمد في «مسنده»، والترمذي في «جامعه»، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) هذه الزيادة التي أوردها المؤلف هنا لم ترد في رواية البراء، وإنما وردت من طريق عائشة رضي الله عنها. انظر: «صحيح مسلم» ٤٣٨/١.



الخدري، وعائشة في رواية، وحفصة، والحسن، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وعطاء في رواية، وطاووس، والضحاك، والنخعي، وعبيد بن عمير، وزر بن حبيش، وقتادة، وأبي حنيفة، ومقاتل في آخرين، وهو مذهب أصحابنا<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها الفجر، روي عن عمر، وعلي في رواية، وأبي موسى، ومعاذ، وجابر بن عبد الله، وأبي أمامة، وابن عمر في رواية مجاهد، وزيد بن أسلم، وابن عباس في رواية أبي رجاء العطاردي، وعكرمة، وجابر بن زيد، وأنس بن مالك، وعطاء، وعكرمة، وطاووس في رواية ابنه، وعبد الله بن شداد، ومجاهد، ومالك، والشافعي. وروى أبو العالية قال: صليت مع أصحاب رسول الله ﷺ الغداة فقلت لهم: أيما الصلاة الوسطى؟ فقالوا: التي صليت قبل. والثالث: أنها الظهر، روي عن ابن عمر، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، وأبي سعيد الخدري، وعائشة في رواية، وروى ضميرة عن علي رضي الله عنه قال: هي صلاة الجمعة، وهي سائر الأيام الظهر. والرابع: أنها المغرب، روي عن ابن عباس، وقبيصة بن ذؤيب. والخامس: أنها العشاء الأخيرة، ذكره علي بن أحمد النيسابوري في "تفسيره". وفي المراد بالوسطى ثلاثة أقوال. أحدها: أنها أوسط الصلوات محلاً. والثاني: أوسطها مقداراً. والثالث: أفضلها. وأوسط الشيء: خيره وأعدله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٢]، فإن قلنا: إن الوسطى بمعنى: الفضلى، جاز أن يدعي هذا كل ذي مذهب فيها. وإن قلنا: إنها أوسطها مقداراً، فهي المغرب، لأن أقل المفروضات ركعتان، وأكثرها أربعاً. وإن قلنا: إنها أوسطها محلاً، فللقائلين: إنها العصر أن يقولوا: قبلها صلاتان في النهار، وبعدها صلاتان في الليل، فهي الوسطى. ومن قال: هي الفجر، فقال عكرمة: هي وسط بين الليل والنهار، وكذلك قال ابن الأنباري: هي وسط بين الليل والنهار، وقال: وسعت أبا العباس، يعني ثعلباً يقول: النهار عند العرب أوله: طلوع الشمس. قال ابن الأنباري: فعلى هذا صلاة الصبح من صلاة الليل، قال: وقال آخرون: بل هي من صلاة النهار، لأن أول وقتها أول وقت الصوم. قال: والصواب عندنا أن نقول: الليل المحض خاتمة طلوع الفجر، والنهار المحض، أوله: طلوع الشمس، والذي بين طلوع الفجر، وطلوع الشمس يجوز أن يسمى نهاراً، ويجوز أن يسمى ليلاً، لما يوجد فيه من الظلمة والضوء، فهذا قول يصح به المذهبان، قال ابن الأنباري: ومن قال: هي الظهر، قال: هي وسط النهار. فأما من قال: هي المغرب، فاحتج بأن أول صلاة فرضت، الظهر، فصارت المغرب وسطى، ومن قال: هي العشاء، فإنه قال: هي بين صلاتين لا تقصران.

قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ المراد بالقيام هاهنا: القيام في الصلاة، فأما القنوت، فقد شرحناه فيما تقدم. وفي المراد به هاهنا ثلاثة أقوال. أحدها: أنه الطاعة، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وابن جبير، والشعبي، وطاووس، والضحاك، وقتادة في آخرين. والثاني: أنه طول القيام في الصلاة، روي عن ابن عمر، والربيع بن أنس، وعن عطاء كالقولين. والثالث: أنه الإمساك عن الكلام في الصلاة. قال زيد بن أرقم: كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت الآية ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ فأمرنا بالسكوت [ونهيها عن الكلام]<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنْ خِفْتُمْ رِجَالَ أَوْ رُكْبَانًا فَلَوْأَ أَسْنِمْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ رِجَالَ أَوْ رُكْبَانًا﴾ أي: خفتم عدواً، فصلوا رجالاً، وهو جمع راجل، والركبان جمع راكب، وهذا يدل على تأكيد أمر الصلاة، لأنه أمر بفعلها على كل حال. وقيل: إن هذه الآية أنزلت بعد التي في سورة النساء، لأن الله تعالى وصف لهم صلاة الخوف في قوله: ﴿وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٠٢] ثم نزلت هذه الآية ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ أي: خوفاً أشد من ذلك، فصلوا عند المسايقة كيف قدرتم. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين ما روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه صلى يوم الخندق الظهر والعصر، والمغرب والعشاء بعد ما غاب الشفق<sup>(٣)</sup>؟

(١) وهو الصحيح الذي تدل عليه الأحاديث الصحيحة الراجعة، وإليه ذهب الطبري والعمادي وابن كثير، وأكثر أهل الأثر.

(٢) رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم وغيره.

(٣) رواه الترمذي وأبو يعلى والبيهقي عن ابن مسعود، ورواه النسائي وابن حبان عن أبي سعيد الخدري، ورواه البزار، في "مسنده" عن جابر بن عبد الله، ولم نجده من طريق ابن عباس كما ذكر المؤلف.

فالجواب: أن أبا سعيد روى أن ذلك كان قبل نزول قوله تعالى: ﴿إِن جُفِفَتْ رِيَالَا أَوْ رُكْبَانًا﴾ قال أبو بكر الأثرم: فقد بين الله أن ذلك الفعل الذي كان يوم الخندق منسوخ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَذَآ أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ في هذا الذكر قولان: أحدهما: أنه الصلاة، فتقديره: فصلوا كما كنتم تصلون آمين. والثاني: أنه الشاء على الله، والحمد له.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنَّ حَرْجَنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ غَفِيرٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ روى ابن حبان أن هذه الآية نزلت في رجل من أهل الطائف يقال له: حكيم بن الحارث، هاجر إلى المدينة ومعه أبواه وامراته، وله أولاد، فمات فرفع ذلك إلى النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية، فأعطى النبي ﷺ أبويه وأولاده من ميراثه، ولم يعط امرأته شيئاً، غير أنه أمرهم أن يتفقوا عليها من تركه زوجها حولاً.

قوله تعالى: ﴿وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، وابن عامر «وصية» بالنصب، وقرأ ابن كثير، ونافع، والكسائي «وصية» بالرفع. وعن عاصم كالفراءتين. قال أبو علي: من نصب حَمَلَهُ على الفعل، أي: ليوصوا وصية، ومن رفع، فمن وجهين. أحدهما: أن يجعل الوصية مبتدأ، والخبر لأزواجهم. والثاني: أن يضم له خبراً، تقديره: فعليهم وصية. والمراد منه من قارب الوفاة، فليوص، لأن المتوفى لا يؤمر ولا ينهى.

قوله تعالى: ﴿مَّتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ أي: مشعورهم إلى الحول ولا تخرجوهن. والمراد بذلك نفقة السنة وكسوتهما وسكنهاها ﴿وَإِنَّ حَرْجَنَ﴾ أي: من قبل أنفسهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: أولياء الميت. ﴿فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾ يعني التشوف إلى النكاح، وفي ماذا رفع الجناح عن الرجال؟ فيه قولان: أحدهما: أنه في قطع النفقة عنهن إذا خرجن قبل انقضاء الحول. والثاني: في ترك منعهن من الخروج، لأنه لم يكن مقامها الحول واجباً عليها، بل كانت مختيرة في ذلك.

### فصل

ذكر علماء التفسير أن أهل الجاهلية كانوا إذا مات أحدهم، مكثت زوجته في بيته حولاً، يتفق عليها من ميراثه، فإذا تم الحول، خرجت إلى باب بيتها، ومعها بعة، فرمت بها كلباً، وخرجت بذلك من عديتها، وكان معنى رميها بالبعة أنها تقول: مكثي بعد وفاة زوجي أهون عندي من هذه البعة. ثم جاء الإسلام، فأقرهم علي ما كانوا عليه من مكث الحول بهذه الآية، ثم نسخ ذلك بالآية المتقدمة في نظم القرآن على هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرْصَنَ أَنْفُسَهُنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾<sup>(٢)</sup>. ونسخ الأمر بالوصية لها بما فرض لها من ميراثه.

(١) وقد ذهب البعض إلى عدم التنسخ، وجعل صلاة الخوف قسمين، أحدهما: أن تكون في حال القتال - وهو المراد بهذه الآية - والثاني: في غير حال القتال، وهو المذكور في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَغْرِبْ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ فَتَلْتَمَ عَلَيْكَ بِهِنَّ نَفْسًا﴾ [النساء: ١٠٢]. وقد روى مالك في «الموطأ» عن نافع أن ابن عمر كان إذا سئل عن صلاة الخوف، وصفها، ثم قال: فإن كان خوف أشد من ذلك، صلوا رجالاً على أقدامهم أو ركباً، مستطلي القبلة أو غير مستطليها.

(٢) وإلى ذهب الجمهور من أجل العلم سلفاً وخلفاً. وروى البخاري عن ابن الزبير قال: قلت لعثمان بن عفان: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ قد نسخها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه. قال الحافظ ابن كثير: ومعنى هذا الإشكال الذي قال ابن الزبير لحسان: إذا كان حكمها قد نسخ بالأربعة الأشهر، فما الحكمة في إبقاء رسمها مع زوال حكمها، وبقاء رسمها بعد أن نسخها يومهم بقاء حكمها؟ فأجابه أمير المؤمنين بأن هذا أمر توقيفي، وأنا وجدتها مثبتة في المصحف كذلك بعدد، حيث وجدتها. وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ج ٨/ ١٤٤: وهذا الموضع ما وقع فيه التناسخ مقدماً في ترتيب التلاوة على المنسوخ، ثم أشار إلى آيات أخرى مثل هذا. ومن السلف من ذهب إلى أنها ليست منسوخة، وإنما خص من الحول بعضه، وبقي البعض وصية لها، إن شاءت أقامت، فقد روى البخاري عن مجاهد ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنَّ حَرْجَنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾ قال: جعل الله لها تمام السنة بسبعة أشهر وعشرين ليلة وصية، إن شاءت سكنت في وصيتها، وإن شاءت خرجت، وهو قوله الله تعالى: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنَّ حَرْجَنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فالعدة كما هي واجب عليها.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَرْءِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّيِّنِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَرْءِ﴾ قد سبق الكلام في المنفعة بما فيه كفاية.

﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: كما بيّن الذي تقدم من الأحكام ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: يثبت لكم وصف العقلاء باستعمال ما بين لكم، وثمرة العقل استعمال الأشياء المستقيمة، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النساء: ١٧] وإنما سموا جهالاً، لأنهم أثروا أهواءهم على ما علموا أنه الحق.

﴿وَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُولَئِكَ حَتَرُ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْقِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ معناه: ألم تعلم. قال ابن قتيبة: وهذا على جهة التعجب، كما تقول: ألا ترى إلى ما يصنع فلان؟

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ أُولَئِكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: وهم مؤتلفون، قاله ابن زيد. والثاني: أنه من العدد، وعليه العلماء. واختلفوا في عددهم على سبعة أقوال. أحدها: أنهم كانوا أربعة آلاف. والثاني: أربعين ألفاً، والقولان عن ابن عباس. والثالث: تسعين ألفاً، قاله عطاء بن أبي رباح، والرابع: سبعة آلاف، قاله أبو صالح. والخامس: ثلاثين ألفاً، قاله أبو مالك، والسادس: بضعة وثلاثين ألفاً، قاله السدي، والسابع: ثمانية آلاف، قاله مقاتل. وفي معنى: حذرهم من الموت، قولان: أحدهما: أنهم فروا من الطاعون، وكان قد نزل بهم، قاله الحسن، والسدي. والثاني: أنهم أمروا بالجهاد، ففروا منه، قاله عكرمة، والضحاك، وعن ابن عباس كالقولين.

### الإشارة إلى قصتهم

روى حصين بن عبد الرحمن عن هلال بن يساف قال: كانت أمّة من بني إسرائيل إذا وقع فيهم الروع، خرج لغنيائهم، وأقام فقراؤهم، فمات الذين أقاموا، ونجا الذين خرجوا، فقال الأشراف: لو أقمنا كما أقام هؤلاء لهلكنا، وقال الفقراء: لو ظننا كما ظن هؤلاء سلمنا، فأجمع رأيهم في بعض السنين على أن يظعنوا جميعاً، فظعنوا فماتوا، وصاروا عظاماً تترق، فكنتهم أهل البيوت والطوق عن بيوتهم وطرقهم، فمر بهم نبي من الأنبياء، فقال: يا رب لو شئت أحبيتهم، فعبدوك، وولدوا أولاداً يعبدونك، ويعمرون بلادك. [قال: أو أحب إليك أن أفعل؟ قال: نعم]. فقبل له: تكلم بكذا وكذا، فتكلم به، فنظر إلى العظام تخرج من عند العظام التي ليست منها إلى التي هي منها، ثم قيل له: تكلم بكذا وكذا، فتكلم به، فنظر إلى العظام تكسى لحماً وعصباً، ثم قيل له: تكلم بكذا وكذا، فنظر فإذا هم قعود يسبحون الله ويقدسونه، وأنزل الله فيهم هذه الآية. وهذا الحديث يدل على بعد المنية التي مكثوا فيها أمواتاً. وفي بعض الأحاديث: أنهم بقوا أمواتاً سبعة أيام، وقيل: ثمانية أيام. وفي النبي الذي دعا لهم قولان: أحدهما: أنه حزقيل، والثاني: أنه شمعون. فإن قيل: كيف أميت هؤلاء مرتين وقد قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦] فالجواب أن موتهم بالعقوبة لم يفن أعمارهم، فكان كقوله تعالى: ﴿وَأَلَيْ لَمْ تَمُتْ فِي مَوْتِكُمْ﴾ [الزمر: ٤٢] وقيل: كان إحيائهم آية من آيات نبيهم، وآيات الأنبياء نوادر لا يقاس عليها، فيكون تقدير قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ التي ليست من آيات الأنبياء، ولا لأمر نادر. وفي هذه القصة احتجاج على اليهود إذ أخبرهم النبي ﷺ بأمر لم يشاهدوه، وهم يعلمون صحته، واحتجاج على المنكرين للبعث، فدلهم عليه بإحياء الموتى في الدنيا، ذكر ذلك جميعه ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ نية ﷻ بذكر فضله على هؤلاء على فضله على سائر خلقه مع قلة شكرهم.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في المخاطبين بهذا قولان. أحدهما: أنهم الذين أماتهم الله، ثم أحياهم، قاله الضحاك. والثاني: خطاب لأمة محمد ﷺ. فمعناه: لا تهربوا من الموت، كما هرب هؤلاء، فما ينفعكم الهرب ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما تنطوي عليه ضمائرهم.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُجْمَعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ قال الزجاج: أصل القرض ما يعطيه الرجل أو يفعله ليجازى عليه، وأصله في اللغة القطع، ومنه أخذ المقرض. فمعنى أقرضته: قطعت له قطعة يجازيني عليها. فإن قيل: ما وجه تسمية الصدقة قرضاً؟ فالجواب من ثلاثة أوجه. أحدها: لأن هذا القرض يبدل بالجزاء، والثاني: لأنه يتأخر قضاؤه إلى يوم القيامة، والثالث: لتأكيد استحقاق الثواب به، إذ لا يكون قرض إلا والعوض مستحق به. فأما اليهود فإنهم جهلوا هذا، فقالوا: أيستقرض الله منا؟ وأما المسلمون فوثقوا بوعدهم الله، وبأدروا إلى معاملته. قال ابن مسعود: لما نزلت هذه الآية، قال أبو الدحداح: وإن الله ليريد منا القرض؟ فقال النبي ﷺ: نعم. قال: أرني يدك. قال: إني أقرضت ربي حائطي، قال: وحائطه فيه ستمائة نخلة، ثم جاء إلى الحائط، فقال: يا أم الدحداح أخرجني من الحائط. فقد أقرضته ربي<sup>(١)</sup>. وفي بعض الألفاظ: فعمدت إلى صبيانها تخرج ما في أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم، فقال النبي ﷺ: «كم من حلق رطاح في الجنة لأبي الدحداح». وفي معنى القرض الحسن ستة أقوال: أحدها: أنه الخالص لله، قاله الضحاك. والثاني: أن يخرج عن طيب نفس، قاله مقاتل. والثالث: أن يكون حلالاً، قاله ابن المبارك. والرابع: أن يحتسب عند الله ثوابه. والخامس: أن لا يتبعه مناً ولا أذى. والسادس: أن يكون من خيار المال.

قوله تعالى: ﴿فَيُضَاعِفُهُ لَهُ﴾ قرأ أبو عمرو «فيضاعفه» بآلف مع رفع الفاء، كذلك في جميع القرآن، إلا في سورة الأحزاب «يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ» وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي، جميع ذلك بالآلف مع رفع الفاء، وقرأ ابن كثير (فيضعفه) برفع الفاء من غير آلف في جميع القرآن، وقرأ ابن عامر (فيضعفه) بغير آلف مشددة في جميع القرآن، ووافقه عاصم على نصب الفاء في «فيضاعفه» إلا أنه أثبت الآلف في جميع القرآن، قال أبو علي: للرفع وجهان: أحدهما: أن يعطفه على ما في الصلة، وهو يقرض. والثاني: أن يستأنفه. ومن نصب حمل الكلام على المعنى، لأن المعنى: أ يكون قرض؟ فحمل عليه «فيضاعفه» وقال: ومعنى ضاعف وضعف: واحد، والمضاعفة: الزيادة على الشيء حتى يصير مثليين أو أكثر. وفي الأضعاف الكثيرة قولان. أحدهما: أنها لا يحصى عددها، قاله ابن عباس والسدي. وروى أبو عثمان النهدي عن أبي هريرة أنه قال: إن الله يكتب للمؤمن بالحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة، وقرأ هذه الآية، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة»<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنها معلومة المقدار، فالدرهم بسبعمائة، كما ذكر في الآية التي بعدها، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي «يبسط» و«بسطه» بالسين، وقرأهما نافع بالصاد. وفي معنى الكلام قولان. أحدهما: أن معناه: يقرر على من يشاء في الرزق، ويبسطه على من يشاء، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد. والثاني: يقبض يد من يشاء عن الإنفاق في سبيله، ويبسط يد من يشاء بالإنفاق، قاله أبو سليمان الدمشقي في آخرين.

(١) رواه ابن أبي حاتم بإسناد ضعيف، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣٢١/٦ وقال: رواه البزار، ورجاله ثقات. ثم ذكره أيضاً ٣٢٤/٩. وقال: رواه أبو يعلى، والطبراني، ورجلها ثقات، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح.

(٢) رواه أحمد في «المستند» من طريق مبارك بن فضالة عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي عثمان النهدي. وعلي بن زيد، ضعفه غير واحد. والحديث حسن. وقد قال الشيخ أحمد شاكر: رواه ابن أبي حاتم عن أبي غلام سليمان بن غلام المؤدب عن محمد الرقاعي عن زياد بن الجصاص عن أبي عثمان النهدي، وزياد بن الجصاص، ذكره البخاري في «التاريخ الكبير» فلم يذكر فيه جرحاً، وهذا أمانة توثيقه عنده، ثم لم يذكره في «الضعفاء»، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: ربما وهم. وهذا الحديث لم ينفرد به كما ترى، فقد رواه كما رواه علي بن زيد بن جدعان بنحوه، فأرقت شبهة الخطأ والوهم، وصح الحديث من الوجهين، والحمد لله.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَدُو مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ إِنَّكَ لَنَا مُلْكًا نَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَنْتَابُنَا قُلُوبًا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ قال الفراء: الملا: الرجال في كل القرآن لا يكون فيهم امرأة، وكذلك القوم والنفر والرهط. وقال الزجاج: الملا: هم الوجوه، وذوو الرأي، وإنما سموا ملاً، لأنهم مليونون بما يحتاج إليه منهم. وفي نبيهم ثلاثة أقوال. أحدها: أنه شمویل، قاله ابن عباس، وهب. والثاني: أنه يوشع بن نون، قاله قتادة. والثالث: أنه نبي، يقال له: سمعون بالسين المهملة<sup>(١)</sup>، سمته أمه بذلك، لأنها دعت الله أن يرزقها غلاماً، فسمع دعاؤها فيه، فسمته، هذا قول السدي.

وسبب سؤالهم ملكاً أن عدوهم غلب عليهم.

قوله تعالى: ﴿نَقْتُلُ﴾ قراءة الجمهور بالهون والجزم، وقرأ ابن أبي عبله بالياء والرفع، كناية عن الملك.

قوله تعالى: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ قراءة الجمهور بفتح السين، وقرأ نافع بكسرهما هاءين وفي سورة [محمد]، وهي لغتان.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ أي: فرض ﴿أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ أي: لعلكم تجبنون.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا﴾ يعنون: أخرج بعضنا، وهم الذين سبوا منهم وقهروا، فظاهره العموم، ومعناه الخصوص.

قوله تعالى: ﴿تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا عن الجهاد. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهم الذين عبروا النهر، وسيأتي ذكرهم.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي إِلَهِيهِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ ذكر أهل التفسير أن نبي بني إسرائيل سأل الله أن يبعث لهم ملكاً، فأتي بعضاً وقرن فيه دهن، وقيل له: إن صاحبكم الذي يكون ملكاً يكون طوله طول هذه العصا، ومتى دخل عليك رجل، فنشق الدهن، فهو الملك، فادهن به رأسه، وملكه على بني إسرائيل، فقاس القوم أنفسهم بالعصا، فلم يكونوا على مقدارها. قال عكرمة، والسدي: كان طالوت سقاء يسقي على حمار له، فضل حماره، فخرج يطلبه. وقال وهب: بل كان دباغاً يعمل الأدم، فضلت حمر لأبيه، فأرسل مع غلام له في طلبها، فمرا بيت شمویل النبي ﷺ، فدخلوا ليسألاه عن ضالتهما، فنشق الدهن، فقام شمویل، فقاس طالوت بالعصا، وكان على مقدارها، فدهنه، ثم قال له: أنت ملك بني إسرائيل، فقال طالوت: أما علمت أن وسطي أدنى أسباط بني إسرائيل، وبيتي أدنى بيوتهم؟ قال: بلى. قال: فبأية آية؟ قال: بأية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمره، فكان كما قال.

قال الزجاج: طالوت، وجالوت، وداود، لا تصرف، لأنها أسماء أعجمية، وهي معارف، فاجتمع فيها التعريف والعجمة.

قوله تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ﴾ من أي جهة يكون له الملك علينا قال ابن عباس: إنما قالوا ذلك، لأنه كان في بني إسرائيل سبطان، في أحدهما النبوة، وفي الآخر الملك، فلم يكن هو من أحد السبطين. قال قتادة: كانت النبوة في سبط لاوي، والملك في سبط يهوذا.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ أي: لم يؤت ما يتملك به الملك. ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾

أي: اختاراً، وهو «افتعل» من الصفوة. والبسطة: السعة، قال ابن قتيبة: هو من قولك: بسطت الشيء: إذا كان مجموعاً، ففتحته، ووسعته. قال ابن عباس: كان طالوت أعلم بني إسرائيل بالحرب، وكان يفوق الناس بمنكيه وعنفه ورأسه. وهل كانت هذه الزيادة قبل الملك، أم أحدثت له بعد الملك؟ فيه قولان. أحدهما: قبل الملك، قاله وهب، والسدي. والثاني: بعد الملك، قاله ابن زيد. والمراد بتعظيم الجسم، فضل القوة، إذ العادة أن من كان أعظم جسماً، كان أكثر قوة، والواسع: الغني.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلَ مُوسَىٰ وَآلَ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ الَّذِينَ تَزَيَّيْتُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ الآية: العلامة، فمعناه: علامة تملكك الله إياه ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ وهذا من مجاز الكلام، لأن التابوت يؤتى به، ولا يأتي، ومثله: ﴿إِذَا عَزَمَ الْأُمُورُ﴾ وإنما جاز مثل هذا، لزوال اللبس فيه، كما بينا في قوله تعالى: ﴿فَمَا رَئَيْتُم مِّنْهُنَّ﴾ [البقرة: ١٦]. وروي عن ابن مسعود، وابن عباس: أنهم قالوا لنبيهم: إن كنت صادقاً، فأتنا بآية تدل على أنه ملك، فقال لهم ذلك. وقال وهب: خيرهم، أي آية يريدون؟ فقالوا: أن يرد علينا التابوت. قال ابن عباس: كان التابوت من عود الشمشار عليه صفائح الذهب، وكان يكون مع الأنبياء إذا حضروا قتالاً قدموه بين أيديهم يستنصرون به، وفيه السكينة. وقال وهب بن منبه: كان نحواً من ثلاث أذرع في ذراعين. قال مقاتل: فلما تفرقت بنو إسرائيل، وعصوا الأنبياء، سلط الله عليهم عدوهم، فغلبوهم عليه. وفي السكينة سبعة أقوال. أحدها: أنها ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان، رواه أبو الأحوص عن علي عليه السلام. والثاني: أنها دابة بمقدار الهر، لها عينان لها شعاع، وكانوا إذا التقى الجمعان، أخرجت يدها، ونظرت إليهم، فيهزم الجيش من الرعب. رواه الضحاك عن ابن عباس. وقال مجاهد: السكينة لها رأس كراس الهرة، وجناحان. والثالث: أنها طست من ذهب [من الجنة] تغسل فيه قلوب الأنبياء. رواه أبو مالك عن ابن عباس. والرابع: أنها روح من الله تتكلم، كانوا إذا اختلفوا في شيء كلمتهم وأخبرتهم ببيان ما يريدون، رواه عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه. والخامس: أن السكينة ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها، رواه ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح، وذهب إلى نحوه الزجاج، فقال: السكينة، من السكون، فمعناه: فيه ما تسكنون إليه إذا اتاكم. والسادس: أن السكينة معناها هاهنا: الوقار، رواه معمر عن قتادة. والسابع: أن السكينة: الرحمة. قاله الربيع بن أنس<sup>(١)</sup>.

وفي البقية تسعة أقوال: أحدها: أنها رضاض الألواح التي تكسرت حين ألقاها موسى وعصاه، قاله ابن عباس، وقاتدة، والسدي. والثاني: أنها رضاض الألواح. قاله عكرمة، ولم يذكر العصا. وقيل: إنما اتخذ موسى التابوت ليجمع رضاض الألواح فيه. والثالث: أنها عصا موسى، والسكينة، قاله وهب. والرابع: عصا موسى وعصا هارون، وثيابهما، ولوحان من التوراة، والمن، قاله أبو صالح. والخامس: أن البقية: العلم والتوراة، قاله مجاهد، وعطاء بن أبي رباح. والسادس: أنها رضاض الألواح، وقفيز من من في طست من ذهب، وعصا موسى وعمامته، قاله مقاتل. والسابع: أنه قفيز من من ورضاض الألواح، حكاه سفيان الثوري عن بعض العلماء. والثامن: أنها عصا موسى

(١) قال ابن جرير الطبري: فأولى هذه الأقوال بالحق في معنى السكينة، ما قاله عطاء بن أبي رباح، أنها الشيء تسكن إليه النفوس من الآيات التي يعرفونها. وقال ابن عطية: والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأسى به وتقوى. وقال الشوكاني رحمه الله في «تفسيره»: وأقول: هذه التفسيرات المتناقضة لعلها وصلت إلى هؤلاء الأعلام من جهة اليهود أقسامهم الله، فجاءوا بهذه الأمور لقصد التلاعب بالمسلمين عليهم السلام، والتشكيك عليهم، وانظر إلى جعلهم لها تارة حيواناً، وتارة جماداً، وتارة شيئاً لا يعقل، كقول مجاهد: كهيئة الريح، لها وجه كوجه الهر، وجناحان وذنب مثل ذنب الهر. وهكذا كل منقول عن بني إسرائيل يتناقض ويشتمل على ما لا يعقل في الغالب، ولا يصح أن يكون مثل هذه التفسيرات المتناقضة مروياً عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا رايّاً له قاله فهم أجل قدر من الضمير بال رأي، وبما لا مجال للاجتهاد فيه. إذا تقرر لك هذا، عرفت أن الواجب الرجوع في مثل ذلك إلى معنى السكينة لغة، وهو معروف، ولا حاجة إلى ركوب هذه الأمور المتعسفة المتناقضة، فقد جعل الله عنها سمة.

والنعلان. ذكره الثوري أيضاً عن بعض أهل العلم. والتاسع: أن المhrad بالبقية: الجهاد في سبيل الله، ويذلك أمروا، قاله الضحاك.

والمراد بك موسى، وآل هارون: موسى، وهارون. وأنشد أبو عبيدة:

ولا تبك ميتاً بعد ميت أحبة علي وعباس وآل أبي بكر

يريد: أبا بكر نفسه.

قوله تعالى: ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قرأ الجمهور: «تحمله» بالتاء. وقرأ الحسن، ومجاهد، والأعمش بالياء. وفي المكان الذي حملته منه الملائكة إليهم قولان. أحدهما: أنه كان مرفوعاً مع الملائكة بين السماء والأرض منذ خرج عن بني إسرائيل، قاله الحسن. والثاني: أنه كان في الأرض.

وفي أي مكان كان؟ فيه قولان: أحدهما: أنه كان في أيدي العمالة قد دفنوه، قال ابن عباس: أخذ التابوت قوم جالوت، فدفنوه في متبرز لهم، فأخذهم الباسور فهلكوا، ثم أخذه أهل مدينة أخرى، فأخذهم بلاء، فهلكوا، ثم أخذه غيرهم كذلك، حتى هلكت خمس مدائن، فأخرجوه على بقرتين، ووجههما إلى بني إسرائيل، فساقتهما الملائكة. والثاني: أنه كان في برية التيه، خلفه فيها يوشع، ولم يعلموا بمكانه حتى جاءت به الملائكة، قاله قتادة. وفي كيفية مجيء الملائكة به قولان: أحدهما: أنها جاءت به بأنفسها، قال وهب: قالوا لنبيهم: اجعل لنا وقتاً يأتيها فيه، فقال: الصبح، فلم ينأوا ليلتهم، ووافت به الملائكة مع الفجر، فسمعوا حفيف الملائكة تحمله بين السماء والأرض. والثاني: أن الملائكة جاءت به على عجلة وثورين، ذكر عن وهب أيضاً. فعلى القول الأول: يكون معنى تحمله: نقله. وعلى الثاني: يكون معنى حملها: إياه: تسببها في حمله. قال الزجاج: ويجوز في اللغة أن يقال: حملت الشيء إذا كنت سبباً في حمله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ﴾ أي: علامة تدل على تملك طالوت. قال المفسرون: فلما جاءهم التابوت وأقروا له بالملك، تأهب للخروج، فأسرعوا في طاعته، وخرجوا معه، فذلك قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا فَسَلَ طَاوُتُ إِلَى الْجُثُودِ قَالَ إِنَّكُم مَّبْتَلِيكُمْ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْلُمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً يَجُوزُ وَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِطَاوُتَ وَجُثُودُهُ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَمُوا اللَّهَ كُفُّوا أَعْيُنَكُمْ عَنْ يَدَيْهِ وَالْإِتْمَانُ فِيكُمْ فَلَمَّا فَسَلَ طَاوُتُ قَالَ الَّذِينَ يَبْتَغِيُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَسَلَ طَاوُتُ إِلَى الْجُثُودِ﴾ أي: خرج وشخص. وفي عدد من خرج معه ثلاثة أقوال: أحدها: سبعون ألفاً، قاله ابن عباس. والثاني: ثمانون ألفاً، قاله عكرمة والسدي. والثالث: مائة ألف، قاله مقاتل. قال: وساروا في حر شديد، فابتلاههم الله بالنهر. والابتلاء: الاختبار. وفي النهر لغتان: إحدهما: تحريك الهاء، وهي قراءة الجمهور، والثاني: تسكينها، وبها قرأ الحسن ومجاهد. وفي هذا النهر قولان: أحدهما: أنه نهر فلسطين، قاله ابن عباس والسدي، والثاني: نهر بين الأردن وفلسطين، قاله عكرمة، وقاتدة، والربيع بن أنس. ووجه الحكمة في ابتلائهم به أن يعلم طالوت من له نية في القتال منهم، ومن ليس له نية.

قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي ليس من أصحابي.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ قرأ ابن كثير ونافع، وأبو عمرو، «غرفة» بفتح الغين، وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي بضمها. قال الزجاج: من فتح الغين، أراد المرة الواحدة باليد، ومن ضمها، أراد ملء اليد. وزعم مقاتل أن الغرفة كان يشرب منها الرجل، ودابته، وخدومه ويملاً قريته. وقال بعض المفسرين: لم يرد به غرفة الكف، وإنما أراد المرة الواحدة بقربة أو جرة، أو ما أشبه ذلك. وفي عدد القليل الذين لم يشربوا إلا غرفة قولان: أحدهما: أنهم أربعة آلاف، قاله عكرمة والسدي. والثاني: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وهو الصحيح، لما

روي عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه يوم بدر: «أنتم بعلة أصحاب طالوت يوم لقاء جالوت» وكانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا﴾ أي: لا قوة لنا، قال الزجاج: يقال: أطق الشيء إطاقة وطاقه، وطوقاً، مثل قولك: أطقته إطاعة وطاقه وطوعاً. واختلفوا في القائلين لهذا على ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الذين شربوا أكثر من غرفة، فإنهم انصرفوا، ولم يشهدوا، وكانوا أهل شك ونفاق، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: أنهم الذين قتل بصائرهم من المؤمنين، قاله الحسن، وقادة، وابن زيد. والثالث: أنه قول الذين جاوزوا معه، وإنما قال ذلك بعضهم لبعض، لما رأوا من قتلهم، وهذا اختيار الزجاج.

قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ في هذا الظن قولان: أحدهما: أنه بمعنى اليقين، قاله السدي في آخرين. والثاني: أنه الظن الذي هو التردد، فإن القوم توهموا لقلة عددهم أنهم سيقتلون فيلقون الله، قاله الزجاج في آخرين. وفي المظانين هذا الظن قولان: أحدهما: أنهم الثلاثمائة والثلاثة عشر، قالوا للراجعين: ﴿كَمْ يَنْ فَتَكْرَ قَلِيلَةٍ قَلَبَتْ يَنْتَهُ كَثِيرَةً﴾، قاله السدي. والثاني: أنهم أولو العزم والفضل من الثلاثمائة والثلاثة عشر. والفئة: الفرقة، قال الزجاج: وإنما قيل لهم: فئة من قولهم: فأوب رأسه بالعصا، وفأيته: إذا شققته.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال الحسن: بنصر الله.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أي بالنصر والإعانة.

﴿وَلَمَّا بَرَرُوا لِحَالُوهُمْ وَجُودِهِمْ قَالُوا رَبَّنَا أَنْتَ عَلَيْنَا مَكِينٌ﴾ يعني: أي: صاروا بالبراز من الأرض، وهو ما ظهر واستوى. و﴿أَنْتَ عَلَيْنَا مَكِينٌ﴾ بمعنى أصيب، ﴿وَكَيْتَ أَقْدَامَنَا﴾ أي: قو قلوبنا لتثبيت أقدامنا، وإنما تثبت الأقدام عند قوة القلوب. قال مقاتل: كان جالوت وجنوده يعبدون الأوثان.

﴿فَهَرَمُوهُمْ يَازِيدُ اللَّهُ وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَمَا كُنْهُ اللَّهُ الْمَلِكُ وَالْحَكْمَةُ وَعَلَّمَهُ مَكَا يَسْكَأُ وَلَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَهَرَمُوهُمْ﴾ أي: كسروهم وردوهم، قال الزجاج: أصل الهزم في اللغة: كسر الشيء، وثني بعضه على بعض، يقال: سقاء منهزم [ومنهزم] إذا كان بعضه قد ثني على بعض مع جفاف، وقصب منهزم: قد كسر وشقق، والعرب تقول: هزمت على زيد، أي: عطفت عليه.

قال الشاعر:

هزمت عليك اليوم يا ابنة مالك فنجودي علينا بالنوال وأنعمي<sup>(٢)</sup>

ويقال: سمعت هزمة الرعد، قال الأصمعي: كأنه صوت فيه تشقق.

وداود: هو نبي الله أبو سليمان، وهو اسم أعجمي، وقيل: إن إخوة داود كانوا مع طالوت، فمضى داود لينظر إليهم، فنادته أحجار، خذني، فأخذها، وجاء إلى طالوت، فقال: مالي إن قتلت جالوت؟ فقال: ثلث ملكي، وأنكحك ابنتي، فقتل جالوت.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْهُ اللَّهُ الْمَلِكُ﴾ يعني أتى داود ملك طالوت. وفي المراد بالحكمة هاهنا قولان. أحدهما: أنها النبوة، قاله ابن عباس. والثاني: الزبور، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُ مَكَا يَسْكَأُ﴾ فيه ثلاثة أقوال. أحدها: أنها صنعة الدروع، والثاني: الزبور، والثالث: منطق الطير.

(١) رواه ابن جرير عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال لأصحابه يوم بدر، فلذكروا. وأخرج أحمد والبخاري وغيره عن البراء بن عازب قال: كنا أصحاب محمد يتحدثون أن أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر - ولم يجاوزوا معه إلا مؤمن - بضعة عشرة وثلاثمائة.

(٢) البيت نسبة في «اللسان» لأبي بدر النخعي.





أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله أعظم؟ قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. قال: ففُضِرَ صَدْرِي، وقال: «ليهتك العلم يا أبا المنذر»<sup>(١)</sup> قال أبو عبيدة: القيوم: الذي لا يزول، لاستقامة وصفه بالوجود، حتى لا يجوز عليه التغيير بوجه من الوجوه. وقال الزجاج: القيوم: القائم بتدبير أمر الخلق، وقال الخطابي: القيوم: هو القائم الدائم بلا زوال، وزنه: «فيعول» من القيام، وهو نعت للمبالغة للقيام على الشيء، ويقال: هو القائم على كل شيء بالرعاية، يقال: قمت بالشيء: إذا وليته بالرعاية والمصلحة. وفي «القيوم» ثلاث لغات: القيوم، وبه قرأ الجمهور. والقيام، وبه قرأ عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وابن أبي عبيدة، والأعمش. والقيّم، وبه قرأ أبو رزين، وعلقمة. وذكر ابن الأنباري أنه كذلك في مصحف ابن مسعود، قال: وأصل القيوم: القيوم: فلما اجتمعت الياء والواو والسابق ساكن، جعلنا ياء مشددة. وأصل القيام: القوام، قال الفراء: وأهل الحجاز يصرفون الفعّال [إلى] الفيعال، فيقولون للصواغ: صياغ. فأما «السنة» فهي: النعاس من غير نوم، ومنه: الوسنان. قال ابن الرقاع:

وكانها بين النساء أعارها  
وسنان أقصده النعاس فرنقت  
عينيه أحور من جاذر جاسم  
في عينه سنة وليس بنائم<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ قال بعض العلماء: إنما لم يقل: والأرضين، لأنه قد سبق ذكر الجمع في السموات، فاستغنى بذلك عن إعادته، ومثله ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ ولم يقل: الأنوار.  
قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ فيه رد على من قال: ﴿مَنْ تَعْبُدُونَ إِلَّا لِيُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الزمر: ٣].  
قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ظاهر الكلام يقتضي الإشارة إلى جميع الخلق، وقال مقاتل: المراد بهم الملائكة. وفي المراد بـ ﴿يَسْأَلُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن الذي بين أيديهم أمر الآخرة، والذي خلفهم أمر الدنيا، روي عن ابن عباس، وقتادة. والثاني: أن الذي بين أيديهم الدنيا، والذي خلفهم الآخرة، قاله السدي عن أشياخه، ومجاهد وابن جريج، والحكم بن عتيبة. والثالث: ما بين أيديهم: ما قبل خلقهم، وما خلفهم: ما بعد خلقهم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُصَلُّونَ بِحُجْرٍ﴾ قال الليث: يقال لكل من أحرز شيئاً، أو بلغ علمه أقصاه: قد أحاط به. والمراد بالعلم هاهنا المعلوم ﴿وَصِبْحَ كُرْسِيِّ﴾ أي: احتمل وأطاق. وفي المراد بالكُرسي ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كرسي فوق السماء السابعة دون العرش، قال النبي ﷺ: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة»<sup>(٣)</sup> وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء. والثاني: أن المراد بالكُرسي علم الله تعالى. رواه ابن جبير عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن الكرسي هو العرش، قاله الحسن<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذُونَ﴾ أي: لا يشقله، يقال: آذ الشيء يؤذيه أوداً وإياداً. والأود: الثقل، وهذا قول ابن عباس، وقتادة، والجماعة. والعلّي: العالي القاهر، «فعل» بمعنى «فاعل»، وقال الخطابي: وقد يكون من العلو الذي هو مصدر: علا يعلو، فهو عال، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَلَى الْأَرْضِ أَسْتَوُوا﴾ [طه: ٥]. ويكون ذلك من علاء المجد

(١) ورواه الإمام أحمد، ولفظه عند مسلم عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ قال: ففُضِرَ صَدْرِي، وقال: «ولهك العلم يا المنذر» معنى «ليهتك العلم»: ليكن العلم منياً لك.

(٢) الجاذر: بقر الوحش، وهي حسان العيون. جاسم: موضع تكثر فيه الجاذر. الوسن: ثقل النوم وتجمعه. أقصده النعاس: قتله النعاس وأماته. ونقت: خالطت فيه. السنة: النوم الخفيف.

(٣) روى ابن مردويه وابن جرير الطبري، والبيهقي في «الأسماء والصفات». وقال البيهقي بعد روايته: تفرد به يحيى بن سعيد السعدي. وهو منكر الحديث، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد كما قال النقاد من المحدثين. وقد ساق البيهقي شاهداً له، وفي إسناده إبراهيم بن هشام، كذب أبو زرعة وأبو حاتم، ووصفه الذهبي بأنه أحد المتروكين، ولم يصب ابن حبان في توثيقه. فليس بقوى الحديث بهذا الشاهد.

(٤) قال الشيخ أحمد شاكر: هي رواية شاذة لا يقوم عليها دليل من كلام العرب. ولذلك رجح أبو منصور الأزهرى الرواية الصحيحة عن ابن عباس التي تقول: إن الكرسي موضع القدمين، وقال: وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها، ومن روى عنه في الكرسي، أنه العلم، فقد أبطل.

(٥) روى ابن جرير، وفي سننه جوير بن سعيد الأزدي، وهو ضعيف جداً.

والشرف، يقلل منه: علي يعلى علاء. ومعنى العظيم: ذو العظمة والجلال، والعظم في حقه تعالى، منصرف إلى عظم الشأن، وجلال القدر، دون العظم الذي هو من نعوت الأجسام.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ هَدًى تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْثُرِ الْفُلُوقُ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن المرأة من نساء الأنصار كانت في الجاهلية إذا لم يعيش لها ولد، تحلف: لئن عاش لها ولد لتهودته. فلما أجليت يهود بني النضير، كان فيهم ناس من أبناء الأنصار؛ فقال الأنصار: يا رسول الله أبناؤنا، فنزلت هذه الآية. هذا قول ابن عباس<sup>(١)</sup>. وقال الشعبي: قالت الأنصار: والله لنكرهن أولادنا على الإسلام، فإنما جعلناهم في دين اليهود إذ لم تعلم ديناً أفضل منه، فنزلت هذه الآية. والثاني: أن رجلاً من الأنصار تنصّر له ولدان قبل أن يبعث النبي ﷺ، ثم قدما المدينة، فلزمهما أبوهما، وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما، فأبيا، فاختصما إلى النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية. هذا قول مسروق. والثالث: أن ناساً كانوا مسترضعين في اليهود، فلما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير، قالوا: والله لنذهبن معهم. ولندين بدينهم، فممنهم أهلوه، وأرادوا إكراههم على الإسلام، فنزلت هذه الآية. والرابع: أن رجلاً من الأنصار كان له غلام اسمه ضبيح، كان يكرمه على الإسلام، فنزلت هذه الآية، والقولان عن مجاهد.

### فصل

واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية، فذهب قوم إلى أنه محكم، وأنه من العام المخصوص، فإنه خص من أهل الكتاب بأنهم لا يكرهون على الإسلام بل يختارون بينه وبين أداء الجزية، وهذا معنى ما روي عن ابن عباس ومجاهد وقادة<sup>(٢)</sup>. وقال ابن الأنباري: معنى الآية: ليس الدين ما تدين به في الظاهر على جهة الإكراه عليه، ولم يشهد به القلب، وتنطوي عليه الضمائر، إنما الدين هو المنعقد بالقلب. وذهب قوم إلى أنه منسوخ، وقالوا: هذه الآية نزلت قبل الأمر بالقتال، فعلى قولهم، يكون منسوخاً بآية السيف، وهذا مذهب الضحاك، والسدي، وابن زيد، واليعني هاهنا: أريد به الإسلام. والرشد: الحق. والغى: الباطل، وقيل: هو الإيمان والكفر. فأما الطاغوت؛ فهو اسم مأخوذ من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، قال ابن قتيبة: الطاغوت: واحد، وجمع، ومذكر، ومؤنث، قال الله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ الْتَافُوتَ﴾ وقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا الْتَافُوتَ أَنْ يَسْتَدِينُوا﴾ [الزمر: ١٧]. والبراد بالطاغوت هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أنه الشيطان، قاله عمر، وابن عباس، ومجاهد، والشعبي، والسدي، ومقاتل في آخرين. والثاني: أنه الكاهن، قاله سعيد بن جبير، وأبو العالية. والثالث: أنه الساحر، قاله محمد بن سيرين. والرابع: أنه الأصنام، قاله اليزيدي، والزجاج. والخامس: أنه مردة أهل الكتاب، ذكره الزجاج أيضاً.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ هذا مثل للإيمان، شبه التمسك به بالتمسك بالعروة الوثيقة. وقال الزجاج: معنى الكلام: فقد عقد لنفسه عقداً وثيقاً. والانفصام: كسر الشيء من غير إيانة.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الظُّلُمَاتِ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: متولي أمورهم، يهديهم، وينصرهم، ويعينهم. والظلمات: الضلالة. والنور: الهدى. والطاغوت: الشياطين، هذا قول ابن عباس، وعكرمة في آخرين. وقال مقاتل: الذين كفروا: هم

(١) أخرجه أبو داود والنسائي والبيهقي في «السنن» وابن حبان وابن أبي حاتم، والفضاء في «المختارة» عن ابن عباس، ولفظه عند أبي داود: عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مفلتة، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناؤنا، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ هَدًى تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. والمفلات: المرأة التي لا يعيش لها ولد.

(٢) ووجه ابن جرير الطبري في «تفسيره».

اليهود، والطاغوت: كعب بن الأشرف. قال الزجاج: والطاغوت هاهنا: واحد في معنى جماعة، وهذا جائز في اللغة إذا كان في الكلام دليل على الجماعة. قال الشاعر:

بها جيف الحسرى فأما عظامها

فبيض وأما جلدها فصليب<sup>(١)</sup>

أراد جلودها. فإن قيل: متى كان المؤمنون في ظلمة؟ ومتى كان الكفار في نور؟ فنه ثلاثة أجوبة. أحدها: أن عصمة الله للمؤمنين عن مواجهة الضلال، إخراج لهم من ظلام الكفر، وتزيين قراء الكفار لهم الباطل الذي يحيون به عن الهدى إخراج لهم من نور الهدى، وإخراجهم من ظلمة الكفر، مستعار هاهنا، وقد يقال للمنتع من الشيء: خرج منه، وإن لم يكن دخل فيه. قال تعالى: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ بِلَدِّي قَوْمًا لَا يَفْقَهُونَ اللَّهَ﴾ [يسف: ٣٧]. وقال: ﴿وَيُنَكِّرُ مَنْ يَرَىٰ لَكَ آيَاتِنَا﴾ [النحل: ٧٠]، وقد سبقت شواهد هذا في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّا اللَّهُ شَرِّحَ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠] والثاني: أن إيمان أهل الكتاب بالنبي قبل أن يظهر نور لهم، وكفرهم به بعد أن ظهر، خروج إلى الظلمات. والثالث: أنه لما ظهرت معجزات رسول الله ﷺ كان المخالف له خارجاً من نور قد علمه، والموافق له خارجاً من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمَلَكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُبْعَثُ وَأُمِّي وَأُمِّي قَالَتْ إِبْرَاهِيمُ تِلْكَ آتَاهُ بِنَايَ بِالْشَّمْسِ مِنْ أَلْتَرِيقِ فَاذْ يَمَّا مِنَ الْمَقْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَأَلَّا لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ قد سبق معنى «ألم تر». وحاج: بمعنى خاصم، وهو نمرود في قول الجماعة. قال ابن عباس: ملك الأرض شرقها وغربها؛ مؤمنان، وكافران؛ فالمؤمنان سليمان بن داود، وذو القرنين، والكافران: نمرود، ويختصر. قال ابن تقيّة: معنى الآية: حاجَّ إبراهيم، لأن الله آتاه الملك، فأعجب بنفسه [وملكه]. قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُبْعَثُ وَأُمِّي﴾ قال بعضهم: هذا جواب سؤال سابق غير مذكور، تقديره: أنه قال له: من ربك؟ فقال: ربي الذي يحيي ويميت. قال نمرود: أنا أحيي وأميت. قال ابن عباس: يقول: أترك من شئت، وأقتل من شئت. فإن قيل: لم انتقل إبراهيم إلى حجة أخرى، وعدل عن نصرته الأولى؟ فالجواب: أن إبراهيم رأى من فساد معارضة أمراً يدل على ضعف فهمه، فإنه عارض اللفظ بمثله، ونسي اختلاف الفعلين، فانتقل إلى حجة أخرى، قصداً لقطع المحاج، لا عجزاً عن نصرته الأولى.

قوله تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ أي: انقطعت حجته، فتحير. وقرأ أبو رزين العقيلي، وابن السميع: ﴿فَبُهِتَ﴾، بفتح الباء والهاء، وقرأ أبو الجوزاء، ويحيى بن يعمر، وأبو حيو: ﴿فَبُهِتَ﴾، بفتح الباء، وضم الهاء، قال الكسائي: ومن العرب من يقول: بهت، وبهت، بكسر الهاء وضمها. ﴿وَأَلَّا لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: الكافرين. قال مقاتل: لا يهديهم إلى الحجة، وعنى بذلك نمرود.

﴿وَكَالَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: كذا الذي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ قَالَ أَنِّي يُبْعَثُ. هَذَا اللَّهُ بَدَّ مَوْتَهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَيْفَ لَيْتُ قَالَ لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَيْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَانْظُرْ إِلَى جَمَارِكَ فَانْجَلِكَ مِائَةَ لَيْلٍ فَانْظُرْ إِلَى الْوَطَائِرِ كَيْفَ تُنْشِرُهَا ثُمَّ كُنْصُومًا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَالَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ قال الزجاج: هذا معطوف على معنى الكلام الذي قبله، معناه: رأيت كالذي حاج إبراهيم، أو كالذي مر على قرية؟ وفي المراد بالقرية قولان. أحدهما: أنها بيت المقدس لما خربه بختنصر، قاله وهب، وقتادة، والربيع بن أنس. والثاني: أنها التي خرج منها الألوف حذر الموت، قاله ابن زيد: وفي الذي مر عليها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عزيز، قاله علي بن أبي طالب، وأبو العالية، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وناجية بن كعب، وقتادة، والضحاك، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنه أرمياء، قاله وهب، ومجاهد، وعبد الله بن

(١) البيت لمعلقة بن عبدة بن النعمان بن قيس، من قصيدة مفضلية جيدة قالها يمدح الحارث بن جبلة ابن أبي شمر النسائي. الحسرى: الإبل المعية يتركها أصحابها فتبوء. الصليب: الجلد اليابس. وقوله: عظامها فيض؛ كنى بذلك ما استخراج ما فيها من الرذلة، فصليب يريد: وأما جلودها فلذرات صليب، وهو الصديد يسيل من الموتى، والأصل فيه صليب المقام، وهو ودكها.

عبيد بن حمير، والثالث: أنه رجل كافر شك في البعث، نقل عن مجاهد أيضاً. والخواية: الخالية، قاله الزجاج. وقال ابن قتبية: الخاوية: الخراب، والعروش: السقوف، وأصل ذلك أن تسقط السقوف، ثم تسقط الحيطان عليها ﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذَا اللَّهُ﴾ أي: كيف يحييها. فإن قلنا: إن هذا الرجل نبي، فهو كلام من يؤثر أن يرى كيفية الإعادة، أو يستهولها، فيعظم قدرة الله، وإن قلنا: إنه كان رجلاً كافراً، فهو كلام شاك، والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا اللَّهُ فِائَةٌ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَ﴾

### الإشارة إلى قصته

روى ناجية بن كعب عن علي عليه السلام قال: خرج عزيز نبي الله من مدينته، وهو رجل شاب، فمر على قرية، وهي خاوية على عروشها، فقال: أنى يحيي هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام، ثم بعثه، وأول ما خلق الله منه عيناه، فجعل ينظر إلى عظامه ينضم بعضها إلى بعض، ثم كسيت لحماً، ونفخ فيها الروح. قال الحسن: قبضه الله أول النهار، وبعثه الله آخر النهار بعد مائة سنة. قال مقاتل: ونودي من السماء: كم لبثت؟ قال قتادة: فقال: لبثت يوماً، ثم نظر فرأى بقية من الشمس فقال: أو بعض يوم. فهذا يدل على أنه عزيز. وقال وهب بن منبه: أقام أرميا بأرض مصر فأوحى الله إليه أن الحق بأرض إيلياء<sup>(١)</sup>، فركب حماره، وأخذ معه سلة من عنب وتين، ومعه سقاء جديد فيه ماء، فلما بدا له شخص بيت المقدس وما حوله من القرى [والمساجد] نظر إلى خراب لا يوصف [فلما رأى هدم بيت المقدس كالجبل العظيم] قال: أنى يحيي هذه الله بعد موتها؟ ثم نزل منها منزلاً، وريط حماره، [وعلق سقاه] فألقى الله عليه النوم، ونزع روحه مئة عام، فلما مر منها سبعون عاماً، أرسل الله ملكاً إلى ملك من ملوك فارس، عظيم، فقال: إن الله يأمرك أن تنفر بقومك، فتعمر بيت المقدس وإيلياء وأرضها حتى تعود أعمر ما كانت، [فقال الملك: أنظرني ثلاثة أيام حتى أتأهب لهذا العمل، ولما يصلحه من أداة العمل، فأنظره ثلاثة أيام] فانتدب ثلاثمائة قهرمان، ودفع إلى كل قهرمان ألف عامل، وما يصلحه من أداة العمل [فسار إليها قهارته ومعهم ثلاثمائة ألف عامل] فلما وقعوا في العمل، رد الله روح الحياة في عيني أرميا، وآخر جسده ميت، فنظر إليها تعمر، فلما تمت بعد ثلاثين سنة، رد الله إليه الروح، فنظر إلى طعامه وشرابه لم يتسنه [ونظر إلى حماره واقفاً كهينته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب، ونظر إلى الرمة في عنق الحمار لم تتغير جديدة، وقد أتى على ذلك ربح مائة عام، وبرد مائة عام، وحرّ مائة عام، لم تتغير ولم تتقص شيئاً، وقد نحل جسم أرميا من البلى، فأثبت الله له لحماً جديداً، ونشز عظامه وهو ينظر، فقال له الله: انظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه، وانظر إلى حمارك ولتجعلك آية للناس، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال: أعلم أن الله على كل شيء قدير<sup>(٢)</sup>. وزعم مقاتل أن هذه القصة كانت بعد رفع عيسى عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم «لبثت» و«لبثتم» في كل القرآن بإظهار التاء، وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي بالإدغام [لبثاً]<sup>(٣)</sup>، قال أبو علي الفارسي: من بين «لبثت»، فلتباين المخرجين، وذلك أن الظاء والذال والتاء من حيز، والطاء والتاء والذال من حيز، فلما تباين المخرجان، واختلفت الحيزان، لم يدغم. ومن أدغمها أجراها مجرى المثنيين، لاتفاق الحرفين في أنهما من طرف اللسان، وأصول الثنايا، واتفاقهما في الهمس. ورأى الذي بينهما من الاختلاف سيراً، فأجراها مجرى المثنيين<sup>(٤)</sup>. فأما طعامه وشرابه، فقال وهب: كان معه مكتل فيه عنب وتين، وقلة فيها ماء. وقال السدي: كان معه تين وعنب، وشرابه من العصير، لم يحمض التين والعنب، ولم يختمر العصير.

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: (يتسنه) و(اقتده) و(ما أغنى عني ماليه) و(سلطانيه) و(ماهيه) بإثبات الهاء في الوصل. وكان حمزة يحذفهن في الوصل، ووافقه الكسائي في حذف

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من الطبري.

(٤) قال النحاس: والإظهار أحسن لتباين مخرج التاء من مخرج الناء.

(١) أي: بيت المقدس.

(٣) أي: بإدغام التاء في الناء.

موضعين (يتسنه) واقتده وكلهم يقف على الهاء. ولم يختلفوا في (كتابيه) و(حسابيه) أنها بالهاء وصلاً ووقفاً. فأما معنى: (لم يتسنه)، فقال ابن عباس، والحسن، وقتادة في آخرين: لم يتغير. وقال ابن قتيبة: لم يتغير بجزء السنين عليه، واللفظ مأخوذ من السنه، يقال: سانهت النخلة: إذا حملت عاماً، وحالت عاماً.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ جَمَازِكَ﴾ قال مقاتل: انظر إليه، وقد ابيضت عظامه، وتفرقت أوصاله، فأعلاه الله. قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْأَلْكَ آيَةَ الْيَأْسِ﴾ اللام صلة للفعل مضمر تقديره: فعلنا بك ذلك لترك قدرتنا، ولتجعلك آية للناس، أي: علماً على قدرتنا، فأضمر الفعل لبيان معناه. قال ابن عباس: مات وهو ابن أربعين سنة، وابنه ابن عشرين سنة، ثم بعث وهو ابن أربعين، وابنه ابن عشرين ومائة، ثم أقبل حتى أتى قومه في بيت المقدس، فقال لهم: أنا عزيز، فقالوا: خدثنا أبائنا أن عزيزاً مات بأرض بابل، فقال لهم: أنا هو أرسلني الله إليكم أجدد لكم توراتكم، وكانت قد ذهبت، وليس منهم أحد يقرؤها، فأملأها عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ الظَّالِمِ﴾ قيل: أراد عظام نفسه، وقيل: عظام حماره، وقيل: هما جميعاً. قوله تعالى: ﴿كَيفَ تُنْشِرُهَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو (نشرها) بضم النون الأولى، وكسر الشين وراء مضمومة، ومعناه: نخيها، يقال: أنشر الله الميت، فنشروهم. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: ننشزها، بضم النون مع الزاي، وهو من النشر الذي هو الارتفاع. والمعنى: نرفع بعضها إلى بعض للأحياء. وقرأ الأعمش: ننشزها، بفتح النون، ورفع الشين مع الزاي، وقرأ الحسن، وأبان عن عاصم: ننشزها، بفتح النون مع الراء، كأنه من التشر عن الطي، فكان الموت طواها، والإحياء نشرها.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ أي: بان له إحياء الموتى ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «أعلم» مقطوعة الألف، مضمومة الميم، والمعنى: قد علمت ما كنت أعلمه غيباً مشاهدة. وقرأ حمزة والكسائي بوصل الألف، وسكون الميم على معنى الأمر، والابتداء على قراءتهما بكسر الهمزة، وظاهر الكلام أنه أمر من الله له، وقال أبو علي: نزل نفسه منزلة غيظه، فأمرها وخاطبها. وقرأ الجعفي عن أبي بكر، قال: «أعلم» بكسر اللام على معنى الأمر بإعلام الغير.

﴿وَرَأَىٰ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ أَبِي كَيْفَ تَتَّبِعِي الْتَوَقُّ قَالَ أَوَلَمْ تَوِيْنِ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَتَدَّ أَرْمَةً مِّنَ الظُّلُمِ قَصْرَةً إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعَاهُنَّ وَيَأْتِيَنَّكَ سَمِيًّا وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَأَىٰ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ أَبِي كَيْفَ تَتَّبِعِي الْتَوَقُّ﴾ في سبب سؤاله هذا أربعة أقوال. أحدها: أنه رأى ميتة تمزقها الهوام والسباع، فسأل هذا السؤال، وهذا قول ابن عباس، والحسن، وقتادة، والضحاك، وعطاء الخراساني، وابن جريج، ومقاتل. وما الذي كانت هذه الميتة؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: كان رجلاً ميتاً، قاله ابن عباس. والثاني: كان جيفة حمار، قاله ابن جريج، ومقاتل. والثالث: كان حوتاً ميتاً، قاله ابن زيد. والثاني: أنه لما بشر باتخاذ الله له خليلاً، سأل هذا السؤال ليعلم صحة البشارة، ذكره السدي عن ابن مسعود، وابن عباس. وروي عن سعيد بن جبير أنه لما بشر بذلك، قال: ما علامة ذلك؟ قال: أن يجيب الله دعاءك، ويحيي الموتى بسؤالك، فسأل هذا السؤال. والثالث: أنه سأل ذلك ليزيل عوارض الوسواس، وهو قول عطاء بن أبي رباح. والرابع: أنه لما نازعه نمرود في إحياء الموتى، سأل ذلك ليرى ما أخبر به عن الله، وهذا قول محمد بن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَوِيْنِ﴾ أي: أولست قد آمنت أنني أحيي الموتى؟ وقال ابن جبير: ألم توقن بالخلة؟

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ «اللام» متعلقة بفعل مضمر، تقديره: ولكن سألتك ليطمن، أو أرني ليطمن قلبي، ثم في المعنى أربعة أقوال: أحدها: لأعلم أنك تجيبني إذا دعوتك، قاله ابن عباس. والثاني: ليزداد قلبي يقيناً، قاله سعيد بن جبير. وقال الحسن: كان إبراهيم موقناً، ولكن ليس الخبر كالمعاينة. والثالث: ليطمن قلبي بالخلة، روي عن ابن جبير أيضاً. والرابع: أنه كان قلبه متعلقاً بزية إحياء الموتى، فأراد: ليطمن قلبه بالنظر، قاله ابن قتيبة. وقال غيره: كانت نفسه تائقة إلى رؤية ذلك، وطالب الشيء قلق إلى أن يظفر بطلبته، يدل على أنه لم يسأل لشك، أنه قال: ﴿أَرَبِي كَيْفَ تَتَّبِعِي الْتَوَقُّ﴾ وما قال: هل تحيي الموتى.

قوله تعالى: ﴿فَعَدَّ أَرْبَعَةً مِّنَ النَّجْمِ﴾ في الذي أخذ سبعة أقوال: أحدها: أنها الحمامة، والديك، والكوكبي، والطاووس، رواه عبد الله بن هبيرة عن ابن عباس. والثاني: أنها الطاووس، والديك، والدجاجة السندية، والأوزة، رواه الضحاك عن ابن عباس. وفي لفظ آخر، رواه الضحاك مكان الدجاجة السندية الرأل، وهو فرخ النعام. والثالث: أنها الشعانين، وكانت قرباهم يومئذ، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أنها الطاووس، والنسر، والغراب، والديك، نقل عن ابن عباس أيضاً، والخامس: أنها الديك، والطاووس والغراب، والحمام، قاله عكرمة، ومجاهد، وعطاء، وابن جريج، وابن زيد. والسادس: أنها ديك، وغراب، ويط، وطاووس، رواه ليث عن مجاهد. والسابع: أنها الديك، والبطة، والغراب، والحمامة، قاله مقاتل. وقال عطاء الخراساني: أوحى الله إليه أن خذ بطة وغراباً أسود وحمامة بيضاء، وديكاً أحمر.

قوله تعالى: ﴿فَصَرُّهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قرأ الجمهور بضم الصاد، والمعنى: أملهن إليك، يقال: صرت الشيء فانصار، أي: أملته فمال، وأنشدوا:

الله يعلم أنا في تلفتنا  
يوم الفراق إلى جيراننا صور

فمعنى الكلام: أجمعهن إليك ﴿ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْأً﴾ فيه إضمار قطعهن. قال ابن قتيبة: أضمر «قطعهن» واكتفى بقوله: ﴿ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْأً﴾ عن قوله «قطعهن»، لأنه يدل عليه، وهذا كنا نقول: أخذ هذا الثوب، واجعل على كل رمح عندك منه علماً. يريد: قطعه، وافعل ذلك. وقرأ أبو جعفر، وحمزة، وخلف والمفضل، عن عاصم «فَصَرُّهُنَّ إِلَيْكَ» بكسر الصاد. قال الزبيدي: هما واحد، وقال ابن قتيبة: الكسر والضم لفتان. قال القراء: أكثر العرب على ضم الصاد؛ وحدثني الكسائي أنه سمع بعض بني سليم يقول: صيرته، فأنا أصيره، وروي عن ابن عباس، ووهب، وأبي مالك، وأبي الأسود الدؤلي، والسدي، أن معنى المكسورة الصاد: قطعهن. وروي عن أبي عبيدة أنه قال: معناه بالضم: أجمعهن، وبالكسر: قطعهن.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْأً﴾ قال الزجاج: معناه: اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءاً. وروي عوف عن الحسن قال: اذبحهن ونفهن، ثم قطعهن أعضاء، ثم خلط بينهن جميعاً، ثم جزأها أربعة أجزاء، وضع على كل جبل جزءاً. ثم تنحى عنهن، فدعاهن، فجعل يعدو كل عضو إلى صاحبه حتى استرين كما كن، ثم أتينه يسعين. وقال قتادة: أمسك رؤوسها بيده، فجعل العظم يذهب إلى العظم، والريشة إلى الريشة، والبضعة إلى البضعة، وهو يرى ذلك، ثم دعاهن، فأقبلن على أرجلهن يلقي لكل طائر رأسه. وفي عدد الجبال التي قسمن عليها قولان. أحدهما: أنه قسمهن على أربعة أجبل، قاله ابن عباس، والحسن، وقاتدة. وروي عن ابن عباس قال: جعلهن أربعة أجزاء في أرباع الأرض، كأنه يعني جهات الإنسان الأربع. والثاني: أنه قسمهن سبعة أجزاء على سبعة أجبل، قاله ابن جريج، والسدي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْعَاهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا﴾ قال ابن قتيبة: يقال: عدواً، ويقال: مشياً على أرجلهن، ولا يقال للطيور إذا طار: سعى ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي: منيع لا يغلب ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يدبر، ويزعم مقاتل أن هذه القصة جرت لإبراهيم بالشام قبل أن يكون له ولد، وقبل نزول الصحف عليه، وهو ابن خمس وسبعين سنة.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَفَ سَكَابِلٍ فِي كُلِّ سَبْكَوَةٍ مِّائَةٌ حَبًّا وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حدثنا عن ثعلب أنه قال: إنما المثل - والله أعلم - للنفقة، لا للرجال، ولكن العرب إذا دل المعنى على ما يريدون، حذفوا، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَشْرُوا فِي قُلُوبِهِمُ أَلْجَبَلَ﴾

(١) لم يعرف قائله، وهو في «اللسان» و«الخزانة» و«شرح شواهد المغنبة» وبعد البيت:

وأنسني حينئذ ما يشني الهوى بصري  
من حوثما سلكوا أدنو فانظور

وهو من «الشواهد المضيضة».

فأضمر «الحب»، لأن المعنى معلوم، فكذلك هاهنا. أراد: مثل نفقة الذين ينفقون أموالهم، ونحو هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنَاءَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ ذَرًّا لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٠] يريد: بخل الباخلين، فحذف البخل. وفي المراد بسبيل الله قولان. أحدهما: أنه الجهاد. والثاني: أنه جميع أبواب البر. قال أبو سليمان الدمشقي: والآية مردودة على قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾. وقد أعلم الله ﷻ بضرب هذا المثل، أن الحسنة في النفقة في سبيله تضاعف بسبعمائة ضعف<sup>(١)</sup>.

وقال الشعبي: نفقة الرجل على نفسه وأهل بيته تضاعف سبعمائة ضعف. قال ابن زيد: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ لِمَن يَشَاءُ﴾ أي: يزيد على السبعمائة.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبَعُونَ مِمَّا انْفَقَوْا مِمَّا آذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَرْجُفُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال ابن السائب ومقاتل: نزلت في عثمان بن عفان في نفقته في غزوة تبوك، وشراؤه بئر رومة، ركية بالمدينة، تصدق بها على المسلمين، وفي عبد الرحمن بن عوف حين تصدق بأربعة آلاف درهم، وكانت نصف ماله<sup>(٢)</sup> وأما المن ففيه قولان. أحدهما: أنه المن على الفقير، ومثل أن يقول: قد أحسنت إليك ونعشتك، وهو قول الجمهور<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه المن على الله بالصدقة، روي عن ابن عباس. فإن قيل: كيف مدحهم بترك المن، ووصف نفسه بالمتان؟ فالجواب: أنه يقال: من فلان على فلان: إذا أنعم عليه، فهذا الممدوح، قال الشاعر:

فمئني علينا بالسلام فإنما  
أراد بالمن الإنعام. وأما الوجه المذموم، فهو أن يقال: من فلان على فلان: إذا استعظم ما أعطاه، واقتصر بذلك، قال الشاعر في ذلك:

أنت قليل لا ثم أسرع منة  
فنيك ممنون كذا قليل  
ذكر ذلك أبو بكر الأنباري. وفي الأذى قولان. أحدهما: أنه مواجهة الفقير بما يؤذيه، مثل أن يقول له: أنت أبله فقير، وقد بليت بك، وأراحتني الله منك. والثاني: أن يخبر بإحسانه إلى الفقير، من يكره الفقير إطلاعه على ذلك، وكلا القولين يؤذي الفقير وليس من صفة المخلصين في الصدقة. ولقد حدثنا عن حسان بن أبي سنان أنه كان يشتري أهل بيت الرجل وعياله، ثم يعطهم جميعاً، ولا يتعرف إليهم، ولا يخبرهم من هو.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ﴾  
قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أي: قول جميل للفقير، مثل أن يقول له: يوسع الله عليك، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي: يستر على

(١) أخرج مسلم عن ابن مسعود قال: جاء رجل بناقطة مخطومة، فقال: يا رسول الله هذه في سبيل الله، فقال ﷺ: ذلك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة. وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف». قال ﷺ: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشهوته من أجلي. للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخُلُوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» عن الكلبي، وأخرج ابن المنذر عن ابن المسيب قال: الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف، وثمان بن عفان في نفقتهما في جيش العسرة. وأخرج البخاري تعليقاً عن أبي عبد الرحمن أن عثمان ﷺ حين حوصر أشرف عليهم، وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ، ألسنتم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من حفر رومة فله الجنة» فحفرتها؟ ألسنتم تعلمون أنه قال: «من جهز جيش العسرة فله الجنة» فجهزته؟ قال: فصدقوه بما قال. قال الحافظ ابن حجر: وقد وصله الدارقطني والإسماعيلي وغيرهما من طريق القاسم بن محمد المروزي عن عبدان بن عامر. ورواه مطولاً الترمذي والنسائي والدارقطني وقال الترمذي: حديث حسن. وذكر في «الإصابة» أنه قد جاء من طرق كثيرة شهيرة صحيحة عن عثمان لما أن حصروه أنشد الصحابة في أشياء... وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار في كفه حين جهز جيش العسرة، فقرأها في حجره، فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره، ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم» مرتين، رواه أحمد والترمذي وحسنه.

(٣) روى مسلم عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم: المتان بما أعطى، والمبيل لإزاره، والمتفق سلمته بالحلف الكاذب».



المسلم خلته وفاقته، وقيل: أراد بالمغفرة التجاوز عن السائل إن استطال على المسؤول وقت رده ﴿يَوْمَ تَنْبَأُ عَنْ صِدْقِهِ يَكْتُمُهَا أَذًى﴾ وقد سبق بيانه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَطْلُوا صَدَقَتَكُمْ بِالْيَمَنِ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِيقَةً تَلْسُفُ أَلْسِنَةً وَلَا يَتَّقِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَتَحُلْ كَيْدُ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَكُمْ وَابِلٌ فَتَرْكَبُوهُمْ صَعْدًا لَا يَتُورُونَ عَلَى شَيْءٍ مَسْكُوبًا وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَطْلُوا صَدَقَتَكُمْ﴾ أي: لا تبطلوا ثوابها، كما تبطل ثواب صدقة المرائي الذي لا يؤمن بالله، وهو المنافق ﴿فَتَحُلْ﴾ أي: مثل نفقته، كمثل صفوان، قال ابن قتية: الصفوان: الحجر، والوابل: أشد المطر، والصلد: الأملس. وقال الزجاج: الصفوان: الحجر الأملس، وكذلك الصفا. وقال ثعلب: الصلد: النقي. وروي عن ابن عباس، وقاتدة ﴿فَتَرْكَبُوهُمْ صَعْدًا﴾: قالا: ليس عليه شيء. وهذا مثل ضربه الله تعالى للمرائي بنفقته، لا يقدر يوم القيامة على ثواب شيء مما أنفق.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ آمْوَالَهُمْ أُتْبَكَاءَ مَرَضَاتٍ أَلْوُ وَتَلْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَشَتَلِ جَحْمٍ بِرَبِّهِمْ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْطَلَهَا يَضَعِفُ فَإِنْ لَمْ يُسَبِّحْ وَابِلٌ فَطَلٌ وَاللهُ يَمَّا تَمَلُّونَ بَعِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ آمْوَالَهُمْ أُتْبَكَاءَ مَرَضَاتٍ أَلْوُ﴾ أي: طلباً لرضاء. وفي معنى التثبيت قولان. أحدهما: أنه الإنفاق على يقين وتصديق، وهذا قول الشعبي، وقاتدة، والسدي، في آخرين والثاني: أنه التثبيت لارتياح محل الإنفاق، فهم ينظرون أين يضعونها، وهذا قول الحسن، ومجاهد، وأبي صالح.

قوله تعالى: ﴿كَشَتَلِ جَحْمٍ﴾ الجنة: البستان. وقرأ مجاهد، وعاصم الجحدري «حبة» بالحاء. والربوة: ما ارتفع. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي «بربوة» بضم الراء. وقرأ عاصم، وابن عامر بفتح الراء، وقرأ الحسن والأعمش بكسر الراء، وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، «برباوة» بزيادة ألف، وفتح الراء، وقرأ أبي بن كعب، وعاصم الجحدري كذلك، إلا أنهما ضمّا الراء، وكذلك خلفهم في «المؤمنين». قال الزجاج: يقال: ربوة وربوة وربوة وريابة. والموضع المرتفع من الأرض إذا كان له ما يرويه من الماء، فهو أكثر ريعاً من السفلى. وقال ابن قتية: الربوة الارتفاع، وكل شيء ارتفع وزاد، فقد ربا، ومنه الربا في البيع.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ أَكْطَلَهَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع: أكلها، والأكلى بسكون الكاف حيث وقع، ووافقهما أبو عمرو، فيما أضيف إلى مؤنث، مثل: ﴿أَكْطَلَهَا دَاهِيَةٌ﴾ فأما ما أضيف إلى مذكر مثل: أكله؟ أو كان غير مضاف إلى مكنى: مثل ﴿أَكْطَلِ حَمِيلٌ﴾ فنقله أبو عمرو. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي جميع ذلك مثلاً. وأكلها، أي: ثمرها. ﴿يَضَعِفُ﴾ أي: مثلين. فأما «الطل» فقال ابن قتية: هو أضعف المطر، وقال الزجاج: هو المطر الدائم، الصغار القطر الذي لا تكاد تسيل منه المتاعب. قال ثعلب: وهذا لفظ مستقبل وهو لأمر ماض، فمعناه: فإن لم يكن أصابها وابل فطل<sup>(١)</sup>. ومعنى هذا المثل: أن صاحب هذه الجنة لا يخيب، فإنها إن أصابها الطل حسنت، وإن أصابها الوابل أضعفت، فكذلك نفقة المؤمن المخلص. والبصير من أسماء الله تعالى، معناه: المبصر. قال الخطابي: وهو فعيل بمعنى مفعول، كقولهم: أليم بمعنى مؤلم.

﴿أَيُّوْدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَاحِيَةٍ وَأَعْتَابُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مِنْ سُلَالِ الشَّجَرِ وَأَصَابَةُ الْكَبِيرِ وَلَمْ دُرِّيَتْ سُمَّانَةً فَأَصَابَهَا وَابِلٌ فَاصْبَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاصْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لِمَا كُنْتُمْ تَنْفَكُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَيُّوْدُ أَحَدُكُمْ﴾ هذه الآية متصلة بقوله تعالى: ﴿لَا تَطْلُوا صَدَقَتَكُمْ﴾ ومعنى: «أَيُّوْد» أيحب، وإنما ذكر التخييل والأعتاب، لأنهما من أنفس ما يكون في البساتين، وخص ذلك بالكبير، لأنه قد يشن من سعي الشباب في أكسابهم.

(١) قال الفراء: كيف قال قوله: ﴿إِنْ لَمْ يُسَبِّحْ وَابِلٌ فَطَلٌ﴾ وهذا الأمر قد مضى؟ قيل: أصحمت «كان» فصلح الكلام، ومثله أن تقول: قد أعتقت عبين، فإن لم أعتق اثنين، فواحداً بقيتتهما، والمعنى: إلا أكن، لأنه ماض، فلا بد من إضمار «كان» لأن الكلام جزاء. ومنه قول الشاعر:  
إذا ما انصبنا لم تلدني لسيمة  
ولم تجدي من أن تقري بها بسداً  
والبيت لزائد بن صعبشة الفقيسي يعرض بزوجه، وكانت أمها سيرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُرِّيَّةٌ مِّمَّنْكَ﴾ أي: ضعاف، وإذا ضعفت الذرية كان أحنى عليهم، وأكثر إشفاقاً ﴿فَأَصَابَهَا﴾ يعني: الجنة ﴿إِعْصَارٌ﴾ أي ريح شديدة، تهب بشدة، فترفع إلى السماء تراباً، كأنه عمود.  
قال الشاعر:

إِنْ كُنْتَ رِيحاً فَقَدْ لَاقَيْتَ إِعْصَاراً<sup>(١)</sup>

أي: لاقيت أشد منك. فإن قيل: كيف جاز في الكلام أن يكون له جنة فأصابها، ولم يقل: فُصِيْبُهَا؟ أفيجوز أن يقال: أتود أن تصيب مالا، فضاع، والمراد: فيضيق؟ فالجواب: أن ذلك جائز في «وددت»، لأن العرب تلقاها مرة بـ«إن»، ومرة بـ«لو»، فيقولون: وددت لو ذهبت عنا، ووددت أن تذهب عنا<sup>(٢)</sup>، قاله الفراء، وثعلب.

### فصل

وهذه الآية مثل ضربه الله تعالى في الحسرة بسلب النعمة عند شدة الحاجة. وفيمن قصّد به ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مثل الذي يختم له بالفساد في آخر عمره، قاله ابن عباس. والثاني: أنه مثل للمفرط في طاعة الله تعالى حتى يموت، قاله مجاهد. والثالث: أنه مثل للمرائي في الثقة، ينقطع عنه نفعها أحوج ما يكون إليه، قاله السدي.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ مَّا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَرْجَاكُمْ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيْمِنُوا بِالْكَفِّ مَتَّ ثُنُوفُوكُمْ وَلَكُمْ يَخَافُوكُمْ إِلَّا أَنْ تَشْرَحُوا فِيهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ مَّا كَسَبْتُمْ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن الأنصار كانوا إذا جدّوا النخل، جاء كل رجل بشيء من ذلك فعلقه في المسجد، فيأكل منه فقراء المهاجرين، وكان أناس ممن لا يرغب في الخير يجيء أحدهم بالقنو فيه الحشف والشيص<sup>(٣)</sup> فيعلقه، فنزلت هذه الآية. هذا قول البراء بن عازب<sup>(٤)</sup>. والثاني: أن النبي ﷺ أمر بزكاة الفطر، فجاء رجل بتمر رديء، فنزلت هذه الآية. هذا قول جابر بن عبد الله<sup>(٥)</sup>. وفي المراد بهذه الثقة قولان: أحدهما: أنها الصدقة المفروضة، قاله عبيدة السلماني في آخرين. والثاني: أنها التطوع. وفي المراد بالطيب هاهنا قولان: أحدهما: أنه الجيد الأنفس، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الحلال، قاله أبو معقل في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيْمِنُوا﴾ أي: لا تقصدوا. والتيمم في اللغة: القصد. قال ميمون بن قيس الأعشى:

تَيْمِمْتُ قَيْساً وَكَمْ دُونَهُ  
مِنَ الْأَرْضِ مِنْ مَنَهُمُ ذِي شَرٍّ<sup>(٦)</sup>

وفي الخبيث قولان: أحدهما: أنه الرديء، قاله الأکثرون، وسبب الآية يدل عليه. والثاني: أنه الحرام، قاله ابن زيد.

(١) قال أبو عبيدة: الإعصار: ريح تهب شديدة فيما بين السماء والأرض. يضرب مثلاً للعدل بغضه إذا صلب بمن هو أدهى منه وأشد.

(٢) وتعام كلام الفراء في معاني القرآن: فلما صلبت بـ«لو» وبـ«إن» ومعناها جميعاً الاستقبال، استجازوا أن يردوا «فعل» بتأويل «لو» على «يفعل» مع «أن» فذلك قال: (فأصابها) وهي في ملعبه بمنزلة «لو» إذا ضارعت «إن» بمعنى الجزاء، فوضعت في مواضعها، وأجبت «إن» بجواب «لو» و«لو» بجواب «إن» فكانه قيل: أيود أحدكم لو كانت له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر.

(٣) القنو: الكباسة، وهي العلق التام بشماريخه ورطبه، هو في التمر بمنزلة المنقود من العنب وجمعه: أقتاء. الحشف: هو التمر ما لم ينو، فإذا يبس صلب وقصد، لا طعم له ولا لحاء ولا حلاوة، والشيص: رديء التمر.

(٤) روى ابن أبي حاتم، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ولفظه عند الترمذي «من البراء» ﴿وَلَا تَيْمِنُوا بِالْكَفِّ مَتَّ ثُنُوفُوكُمْ﴾ قال: نزلت فينا معشر الأنصار، كنا أصحاب نخل، فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته، وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين، فيعلقه بالمسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاع، أتى القنو، ففصره بعضاه، فينقط البسر والتمر، فيأكل. وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنو، فيه الشيص والحشف، ويقنوه قد انكسر، فيعلقه، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ مَّا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَرْجَاكُمْ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيْمِنُوا بِالْكَفِّ مَتَّ ثُنُوفُوكُمْ وَلَكُمْ يَخَافُوكُمْ إِلَّا أَنْ تَشْرَحُوا فِيهِ﴾. قال: لو أن أحدكم أهدي إليه مثل ما أعطى، لم يأخذه إلا على إهماس أو حياء، قال: فكان بعد ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده.

(٥) روى الحاكم في «المستدرک» ٢/٢٨٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٦) ديوانه: ص ١٩ وهو من قصيدة يمدح بها قيس بن معدني كرب الكندي. ذي شرن: غليظ، والشرن: الغلظ. يصف وهودة الطريق الذي يسلكه ليصل منه إلى مملوحيه.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا حَيَاةٌ وَلَكُمْ فِيهَا مَوْءِدَةٌ﴾ قال ابن عباس: لو كان بعضكم يطلب من بعض حقاً له، ثم قضاء ذلك، ولم يأخذه إلى أن يرى أنه قد أغمض عن بعض حقه. وقال ابن قتية: أصل هذا أن يصرف المرء بصره عن الشيء، ويغمضه، فسمي الترخص إغماضاً. ومنه قول الناس للبائع: أغمض، أي: لا تشخص، وكن كأنك لا تبصر. وقال غيره: لما كان الرجل إذا رأى ما يكره، أغمض عينيه، لئلا يرى جميع ما يكره؛ جعل التجاوز والمساهلة في كل شيء إغماضاً.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ﴾ قال الزجاج: لم يأمركم بالتصدق عن عوز، لكنه بلا أخباركم، فهو حميد على ذلك. يقال: قد غني زيد، يغني غنى مقصوراً: إذا استغنى، وقد غني القوم: إذا نزلوا في مكان يغنيهم، والمكان الذي ينزلون فيه يغني. والغواني: النساء. قيل: إنما سمين بذلك، لأنهن غنين بجمالهن، وقيل: بأزواجهن. فأما «الحميد» فقال الخطابي: هو بمعنى المحمود، فعمل بمعنى مفعول.

﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفَقْرِ وَالْفَقْرُ وَاللَّهُ يَدْعُكُمْ مَغْفِرَةً إِنَّهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفَقْرِ﴾ قال الزجاج: يقال: وعدته أعداه وعداً وعدة وموعداً وموعدة وموعوداً، ويقال: الفقر، والفقر. ومعنى الكلام: يحملكم على أن تؤدوا في الصدقات الردي، يخوفكم الفقر بإعطاء الجيد. ومعنى: يعدكم الفقر، أي: بالفقر، وحذفت الباء. قال الشاعر:

أمرتُك الخيرَ فافعل ما أمرت به  
فقد تركتُك ذا مالٍ وذا نسبٍ

وفي الفحشاء قولان، أحدهما: البخل، والثاني: المعاصي. قال ابن عباس: والله يعدكم مغفرة لفحشاءكم، وفضلاً في الرزق.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ في المراد بهذه الحكمة أحد عشر قولاً: أحدها: أنها القرآن، قاله ابن مسعود، ومجاهد، والضحاك، ومقاتل في آخرين. والثاني: معرفة ناسخ القرآن، ومنسوخه، ومحكمه، ومتشابهه، ومقدمه، ومؤخره، ونحو ذلك، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: النبوة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: الفهم في القرآن، قاله أبو العالية، وقتادة، وإبراهيم. والخامس: العلم والفقه، رواه ليث عن مجاهد. والسادس: الإصابة في القول، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. والسابع: الورع في دين الله، قاله الحسن. والثامن: الخشية لله، قاله الربيع بن أنس. والتاسع: العقل في الدين، قاله ابن زيد. والعاشر: الفهم، قاله شريك. الحادي عشر: العلم والعمل، لا يسمى الرجل حكيماً إلا إذا جمعهما، قاله ابن قتية.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ قرأ يعقوب بكسر تاء «يؤت»، ووقف عليها بهاء. والمعنى: ومن يؤته الله الحكمة. وكذلك هي في قراءة ابن مسعود بهاء بعد التاء.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُ﴾ قال الزجاج: أي وما يتفكر فكراً يذكر به ما قص من آيات القرآن إلا ذور العقول. قال ابن قتية: «أولو» بمعنى: ذور، وواحد «أولو» «ذو»، و«أولات»: «ذات».

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ أَنْ تَنْفِقُوا مِنْ أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ عَلَىٰ رِجَالٍ مَهْجُورِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَنْفِقُوا مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ قال مجاهد: يُحْصِيهِ، وقال الزجاج: يجازي عليه. وفي المراد بالظالمين هاهنا، قولان: أحدهما: أنهم المشركون، قاله مقاتل. والثاني: المنفقون باليمن والأذى والرياء، والمنذرون في المعصية، قاله أبو سليمان الدمشقي. والأنصار: المانعون. فمعناه: ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله.

﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَيَنْسَوْنَ وَإِنْ تَبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَيَنْسَوْنَ﴾ قال ابن السائب: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ أَنْ تَنْفِقُوا مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَيَنْسَوْنَ﴾ قال ابن السائب: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ أَنْ تَنْفِقُوا مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾

قالوا: يا رسول الله، صدقة السر أفضل، أم العلانية؟ فنزلت هذه الآية. قال الزجاج، يقال: بدا الشيء يبدو: إذا ظهر، وأبديته إبداء: إذا أظهرته، وبدا لي بدء: إذا تغير رأيي عما كان عليه.

قوله تعالى: ﴿فَيَعْلَمَ﴾ في «نعم» أربع لغات. «نَعِمَ» بفتح النون، وكسر العين، مثل: عَلِمَ. و«نَعَمْ» بكسرها، و«نَعَمَ» بفتح النون، وتسكين العين، و«نَعَمَ» بكسر النون وتسكين العين. وأما قوله ﴿فَيَعْلَمَ﴾ فقرأ نافع في غير رواية «ورش»، وأبو عمرو، وعاصم في رواية أبي بكر، والمفضل: «فَيَعْلَمَا»، بكسر النون، والعين ساكنة، وقرأ ابن كثير، وعاصم في رواية حفص، ونافع في رواية «ورش»، ويعقوب بكسر النون والعين. وقرأ ابن عامر، وحمزة والكسائي، وخلف: «فَيَعْلَمَا» بفتح النون، وكسر العين، وكلهم شددوا الميم. وكذلك خلافهم في سورة النساء. قال الزجاج: «ما» في تأويل الشيء، أي: فنعم الشيء هي. وقال أبو علي: نعم الشيء إيدأها. وقوله تعالى ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يعني الإخفاء. وافق العلماء على أن إخفاء الصدقة النافلة أفضل من إظهارها<sup>(١)</sup>، وفي الفريضة قولان: أحدهما: أن إظهارها أفضل، قاله ابن عباس في آخرين. واختاره القاضي أبو يعلى، وقال الزجاج: كان إخفاء الزكاة على عهد رسول الله ﷺ أحسن، فأما اليوم، فالناس يسيئون الظن، فإظهارها أحسن. والثاني: إخفاؤها أفضل، قاله الحسن، وقتادة ويزيد بن أبي حبيب. وقد حمل أرباب القول الأول الصدقات في الآية على الفريضة، وحملوا ﴿وَلَا تُخْفَوْهَا﴾ على النافلة، وهذا قول عجيب، وإنما فضلت صدقة السر لمعتنين: أحدهما: يرجع إلى المعطي، وهو بُعْده عن الرياء، وقربه من الإخلاص، والإعراض عما تؤثر النفس من العلانية. والثاني: يرجع إلى المعطى، وهو دفع الذل عنه بإخفاء الحال، لأنه في العلانية يتكسر.

قوله تعالى: ﴿وَتُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم (وتكفر عنكم) بالنون والرفع، والمعنى: ونحن نكفر عنكم، ويجوز أن يكون مستأنفاً، وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي: «وتكفر» بالنون وجزم الراء. قال أبو علي: وهذا على حمل الكلام على موضع قوله: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأن قوله: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في موضع جزم، ألا ترى أنه لو قال: وإن تخفوها يكون أعظم لأجركم لجزم، ومثله ﴿لَوْلَا لَمْ تَرْوِي إِلَيَّ أَجَلٌ قَرِيبٌ فَأَسَدْتُكَ وَأَكُنَّ﴾ [المنافقون: ١٠] حمل قوله: «وأكن»، على موضع «فأصدق». وقرأ ابن عامر: «وتكفر» بالياء والرفع، وكذلك حفص عن عاصم على الكناية عن الله ﷻ، وقرأ أبان عن عاصم، «وتكفر» بالتاء المرفوعة، وفتح الفاء مع تسكين الراء.

قوله تعالى: ﴿مَنْ سَاءَ مَا يَحْكُمُ﴾ في «من» قولان: أحدهما: أنها زائدة. والثاني: أنها داخلية للتبعية. قال أبو سليمان الدمشقي: ووجه الحكمة في ذلك أن يكون العباد على خوف ووجل.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ مَدْحُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ لِّلْأَشْيِكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا لِنَفْسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُّؤْتِكُمْ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ مَدْحُهُمْ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن المسلمين كرهوا أن يتصدقوا على أقربائهم من المشركين، فنزلت هذه الآية، هذا قول الجمهور. والثاني: أن النبي ﷺ، قال: «لا تتصدقوا إلا على أهل دينكم» فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبيرة<sup>(٢)</sup>. والخير في الآية أريد به المال، قاله ابن عباس، ومقاتل: ومعنى: ﴿لِلْأَشْيِكُمْ﴾، أي: فلكم ثوابه.

(١) روى الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، من حديث عتبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالسر بالصدقة» وإسناده صحيح. وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يرجع إليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعه امرأة فأتى منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

(٢) رواه الطبري بهذا اللفظ عن سعيد بن جبيرة. وروى النسائي. والحاكم، وابن أبي حاتم، وابن المنذر عن ابن عباس قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين، فسألوا، فرخص لهم، فنزلت هذه الآية. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والريخ: العطية القليلة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقْبَلُ إِلَّا أَتَيْنَاكَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: هذا خاص للمؤمنين، أعلمهم الله أنه قد علم أن مراعاتهم ما عنده، وإذا أعلمهم بصحة قصدهم، فقد أعلمهم بالجزاء عليه.

قوله تعالى: ﴿يُؤْتِ لَكُمْ﴾ أي: توفون أجره. ومعنى الآية: ليس عليك أن يهتدوا، فتمنعهم الصدقة ليدخلوا في الإسلام، فإن تصدقتم عليهم أثبتتم. والآية محمولة على صدقة التطوع، إذ لا يجوز أن يعطى الكافر من الصدقة المفروضة شيئاً.

﴿الْفُقَرَاءُ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿الْفُقَرَاءُ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لما حثهم على الصدقات والتفقات، دلهم على خير من تُصدق عليه. وقد تقدم تفسير الإحصار عند قوله: ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾ [البقرة: ١١] وفي المراد: بـ ﴿الَّذِينَ أَحْصَرُوا﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنهم أهل الصفة حبسوا أنفسهم على طاعة الله، ولم يكن لهم شيء، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنهم فقراء المهاجرين، قاله مجاهد. والثالث: أنهم قوم حبسوا أنفسهم على الغزو، فلا يقدرّون على الاكتساب، قاله قتادة. والرابع: أنهم قوم أصابهم جراحات مع النبي ﷺ، فصاروا زمني، قاله سعيد بن جبير، واختاره الكسائي، وقال: أحصروا من المرض، ولو أراد الحبس، لقال: حُصِرُوا، وإنما الإحصار من الخوف، أو المرض، والحصر: الحبس في غيرهما. وفي سبيل الله قولان: أحدهما: أنه الجهاد، والثاني: الطاعة. وفي الضرب في الأرض قولان: أحدهما: أنه الجهاد لم يمكنهم لفقرهم، نقل عن ابن عباس. والثاني: الكسب، قاله قتادة. وفي الذي تمنعهم من ذلك ثلاثة أقوال: أحدها: الفقر، قاله ابن عباس. والثاني: أمراضهم، قاله ابن جبير، وابن زيد. والثالث: التزامهم بالجهاد، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْكَاوِلُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي «يحبسهم» و«يحبسين» بكسر الحين في جميع القرآن. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحزمة، وأبو جعفر، بفتح السين في الكل. قال أبو علي: فتح السين أقيس، لأن الماضي إذا كان على «فعل»، نحو: حسب، كان المضارع على «يفعل»، مثل: فرق يفرق، وشرب يشرب، والكسر حسن لموضع السمع. قال ابن قتيبة: لم يرد الجهل الذي هو ضد العقل، إنما أراد الجهل الذي هو ضد الخير، فكانه قال: يحسبهم من لا يخبر أمرهم. والتعفف: ترك السؤال<sup>(١)</sup>، يقال: عف عن الشيء وتعفف. والسيما: العلامة التي يعرف بها الشيء، وأصله من السمة، وفي المراد بسيماهم ثلاثة أقوال: أحدها: تجملهم، قاله ابن عباس. والثاني: خشوعهم، قاله مجاهد. والثالث: أثر الفقر عليهم، قاله السدي والربيع بن أنس، وهذا يدل على أن للسيما حكماً يتعلق بها، قال إمامنا أحمد في الميت يوجد في دار الحرب، ولا يغرف أمره: ينظر إلى سيماه، فإن كان عليه سيما الكفار من عدم الختان، حكم له بحكمهم، فلم يدفن في مقابر المسلمين، ولم يصل عليه، وإن كان عليه سيما المسلمين حكم له بحكمهم، وأما الإلحاف، فهو: الإلحاح، قال ابن قتيبة: يقال: ألحف في المسألة: إذا ألح، وقال الزجاج: معنى ألحف: شمل بالمسألة، ومنه اشتقاق اللحاف، لأنه يشمل الإنسان بالتغطية، فإن قيل: فهل كانوا يسألون غير ملحقين؟ فالجواب: أن لا، وإنما معنى الكلام: أنه لم يكن منهم سؤال، فيكون إلحاف.

قال الأعشى:

لا يغمز الساق من أين ولا وصبٍ ولا يعرض على شرسوفه الضفر<sup>(٢)</sup>

(١) جاء في «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة ولا اللقمتان، إنما المسكين الذي يتعفف، أقروا إن شئتم، ومعنى قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾.

(٢) في «الأصمعيات» من أين ومن وصب، والبيت لأعشى باهلة، من قصيدة يرثي بها أخاه لأمه المنتشر بن وهب. الأين: الإياع والتعب. والوصب: الوجع والمرض. والشرسوف: رأس الضلع مما يلي البطن. والصفير: يزعم العرب أنه دابة تعض الضلوع والشراسيف إذا جاع الإنسان. قال ابن السيد: وإنما أراد: لاصفر في جوفه، فيعض على شراسيفه. يعصفه بشدة الخلقة، وصحة البنية.

معناه: ليس بساقه أين ولا وصب، فيغمزها لذلك. قال الفراء: ومثله أن تقول: فلما رأيت مثل هذا الرجل، ولعلك لم تر قليلاً ولا كثيراً من أشباهه، فهم لا يسألون الناس الحافاً، ولا غير الحاف، وإلى نحو هذا ذهب الزجاج، وابن الأنباري في آخرين.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْمِ وَالْهَكَامِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في الذين يرتبطون الخيل في سبيل الله ﷻ، رواه حنش الصنعاني عن ابن عباس، وهو قول أبي الدرداء وأبي أمامة، ومكحول، والأوزاعي في آخرين. والثاني: نزلت في علي بن أبي طالب ﷺ، فإنه كان معه أربعة دراهم، فأنفق في الليل درهماً وبالنهار درهماً، وفي السر درهماً، وفي العلانية درهماً، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وابن السائب، ومقاتل. والثالث: أنها نزلت في علي، وعبد الرحمن بن عوف، فإن علياً بعث بوسق من تمر إلى أهل الصفة ليلاً، وبعث عبد الرحمن إليهم بدنانير كثيرة نهاراً، رواه الضحاك عن ابن عباس.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْبَيْتِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَكَلُ اللَّهِ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ الربا: أصله في اللغة: الزيادة، ومنه الربوة والرابية، وأربى فلان على فلان: زاد. وهذا الوعيد يشمل الآكل، والعامل به، وإنما خص الآكل بالذكر، لأنه معظم المقصود. وقد صح عن النبي ﷺ أنه «لمن أكل الربا وموكله وشاهديه وكتابه»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ قال ابن قتيبة أي: يوم البعث من القبور. والمس: الجنون، يقال: رجل ممسوس. فالتاس إذا خرجوا من قبورهم أسرعوا كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْآفَافِ رِكَاكًا﴾ [المعارج: ٤٤٣]. إلا أكلة الربا، فإنهم يقومون ويسقطون، لأن الله أربى الربا في بطونهم يوم القيامة حتى أنقلهم، فلا يقدر على الإسراع. وقال سعيد بن جبير: تلك علامة أكل الربا إذا استحله يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا الذي ذكر من عقابهم ﴿يَأْتَهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ وقيل: إن قتيلاً كانوا أكثر العرب رباً، فلما نهوا عنه؛ قالوا: إنما هو مثل البيع.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ قال الزجاج: كل تأنيث ليس بحقيقي، فتذكيره جائز، ألا ترى أن الوعد والموعظة معبران عن معنى واحد.

قوله تعالى: ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ أي: ما أكل من الربا. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: أن «الهاء» ترجع إلى العربي، فتقديره: إن شاء عصمته منه، وإن شاء لم يفعل، قاله سعيد بن جبير، ومقاتل. والثاني: أنها ترجع إلى الربا، فمعناه: يعفو الله عما شاء منه، ويعاقب على ما شاء منه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ قال ابن جبير: من عاد إلى الربا مستحلاً محتجاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ ﴿يَمْنَحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيَرْبِي الْعَدَّةَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [٢٧٤] إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿يَمْنَحُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معنى محقه: تنقيصه واضمحلاله، ومنه: محاق الشهر لنقصان الهلال فيه. روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير. والثاني: أنه إبطال ما يكون منه من صدقة ونحوها، رواه الضحاك عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أبو داود والترمذي وغيرهما عن عبد الله بن مسعود، ورواه مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله، ولفظه: «لمن أكل الربا وموكله وكتابه وشاهديه وقال: هما سواء».

(٢) أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه ووافقه الذهبي من حديث ابن مسعود مرفوعاً: «إن الربا وإن كثرت فإن عاقبته إلى قل والقل، بغض القاف وتشديد اللام: القلة، كالذل والذلة».

قوله تعالى: ﴿وَيَرْىَ الصَّدَاقَاتُ﴾ قال ابن جبير: يضاعفها. والكفَّار: الذي يكسر فعل ما يكفر به، والأثيم: المتعادي في ارتكاب الإثم المصر عليه.

﴿يَأْتِيهَا الْوَيْتُ مَأْتُوا أَتُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْوَيْتُ مَأْتُوا أَتُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ في نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في بني عمرو بن عُمير بن عوف من ثقيف، وفي بني المغيرة من بني مخزوم، وكان بنو المغيرة يأخذون الربا من ثقيف، فلما وضع الله الربا، طالبت ثقيف بني المغيرة لما لهم عليهم، فنزلت هذه الآية، والتي بعدها، هذا قول ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها نزلت في عثمان بن عفان، والعباس. كانا قد أسلفا في التمر، فلما حضر الجذاذ، قال صاحب التمر: إن أخذتما مالكما، لم يبق لي ولعلي ما يكفي، فهل لكما أن تأخذا النصف وأضعف لكما؟ ففعلا، فلما حل الأجل، طلبا الزيادة، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فنهاهما، فنزلت هذه الآية، هذا قول عطاء وعكرمة. والثالث: أنها نزلت في العباس، وخالد بن الوليد، وكانا شريكين في الجاهلية، وكانا يسلفان في الربا، فجاء الإسلام، ولهما أموال عظيمة في الربا، فنزلت هذه الآية، فقال النبي ﷺ: «ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضمه ربا العباس<sup>(٢)</sup>» هذا قول السدي. قال ابن عباس، وعكرمة، والضحاك: إنما قال: «مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الرِّبَا» لأن كل ربا كان قد ترك، فلم يبق إلا ربا ثقيف. وقال قوم: الآية محمولة على من أرى قبل إسلامه، وقبض بعضه في كفره، ثم أسلم، فيجب عليه أن يترك ما بقي، ويعفى له عما مضى. فأما المراباة بعد الإسلام، فمردودة فيما قبض، ويسقط ما بقي.

﴿وَإِنْ لَمْ تَمْلِكُوا فَاذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتَرُوا فَكَيْفَ يُرْوَسُ أَتْرُكُكُمْ لَا تَتْلُمُونَ وَلَا تَتْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَمْلِكُوا فَاذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «فَاذْنُوا» مقصورة، مفتوحة الذال. وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: «فَاذْنُوا» بمد الألف وكسر الذال. قال الزجاج: من قرأ: فاذنوا، بقصر الألف، وفتح الذال، فالمعنى: أيقنوا. ومن قرأ بمد الألف، وكسر الذال، فمعناه: أعلموا كل من لم يترك الربا أنه حرب. قال ابن عباس: يقال يوم القيامة لأكل الربا: خذ سلاحك للحرب<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْتَرُوا فَكَيْفَ يُرْوَسُ أَتْرُكُكُمْ لَا تَتْلُمُونَ وَلَا تَتْلَمُونَ﴾ أي: التي أقرضتموها، لا تظلمون، فتأخذون أكثر منها، ولا تظلمون فتتقصون منها، والجمهور على فتح «تاء» تظلمون الأولى، وضم «تاء» تظلمون الثانية. وروى المفضل عن عاصم: ضم الأولى، وفتح الثانية.

﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرٍ فَمُطْرَةٌ إِنْ مَيَّسَرْنَا وَنَا تَصَدَّقُوا حَتَّى لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرٍ﴾ ذكر ابن السائب، ومقاتل أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الرِّبَا﴾

(١) رواه الواحدي، من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

(٢) رواه الواحدي عن السدي بدون سند. وأخرج مسلم من حديث جابر في صفة حجة النبي ﷺ وفيه: فخطب الناس وقال: «إن مءاكم وأمواكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، وماء الجاهلية موضوع، وإن أول دم أضع من مصائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعا في بني سعد، لقتله هذيل، ورأى الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله.

(٣) ثبت من رسول الله ﷺ أحاديث في النهي عن الربا، والتفريق منه، وأنه من الكبائر، وأن عاقبة من يقع فيه وخيمة. من ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات». وروى البخاري عن سمرة بن جندب ؓ قال: قال النبي ﷺ: «رأيت الليلة وجلين أتاني فلأخرجاتي إلى أرض مقلصة، حتى أتينا هلى نهر من دم فيه رجل قائم، وهلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فلما أورد أن يخرج، رمى الرجل بحجر في فيه، فرمى حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر، فبرجع كما كان. قلت: ما هذا الذي رأيته في النهر؟ قال: أكل الربا». وروى أحمد بإسناد صحيح عن عبد الله بن خطلة غسيل الملائكة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مهم ربا يأكل الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية». وروى ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود ؓ، عن النبي ﷺ قال: «الربا ثلاثة وسبعون بابا» ورواه الحاكم وزاد فليسرها مثل أن ينكح الرجل أمه، وإن أرى الربا عرض الرجل المسلم» وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وروى الحاكم في «المستدرک» عن ابن عباس قال: نهى رسول الله ﷺ أن تشتري التمرة حتى تنطم، وقال: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم هذاب الله». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

قال بنو عمرو بن عمير لبني المغيرة: هاتوا رؤوس أموالنا، وندع لكم الربا، فشكا بنو المغيرة العسرة، فنزلت هذه الآية، فأما العسرة، فهي الفقر، والضيق. والجمهور على تسكين السين، وضمها أبو جعفر هاهنا وفي «سَكَاةُ الْمَسْرَةِ» وقرأ الجمهور بفتح سين «الميسرة»، وضمها نافع، وتابعه زيد عن يعقوب على ضم السين، إلا أنه زاد، فكسر الراء، وقلب التاء هاء، ووصلها بياء. قال الزجاج: ومعنى «وَلَنْ كَانَتْ» وإن وقع. والنظرة: التأخير، فأمرهم بتأخير رأس المال بعد إسقاط الربا إذا كان المطالب معسراً، وأعلمهم أن الصدقة عليه بذلك أفضل بقوله تعالى: «وَأَنْ تَصَدَّقُوا» والأكثرون على تشديد الصاد، وخففها عاصم مع تشديد الدال، وسكنها ابن عبله مع ضم الدال فجعله من الصدق.

﴿وَأَقْرَأُوا يَوْمَ تُنْجَمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٨١)

قوله تعالى: «وَأَقْرَأُوا يَوْمَ تُنْجَمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ» قرأ أبو عمرو بفتح تاء «ترجعون» وضمها الباقون. قال ابن عباس، وأبو سعيد الخدري، وسعيد بن جبير، وعطية، ومقاتل في آخرين: هذه آخر آية نزلت من القرآن<sup>(١)</sup>. قال ابن عباس: وتوفي رسول الله ﷺ بعدها بأحد وثمانين يوماً، وقال ابن جريج: توفي بعدها بسبع ليال. وقال مقاتل: بسبع ليال. قوله تعالى: «ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ» أي: تعطى جزاء ما كسبت.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلَأِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّخِذِ اللَّهُ رِبًّا وَلَا يَبْسُغْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَمِيمًا أَوْ لَا يَسْتَلِيعُ أَنْ يُمْلَأَ هُوَ فَلْيُكْتُبْ وَلْيُمْلَأِ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشِيرُوا شُهَدَاءَ بَيْنَ يَدَيْكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِكُمْ طَبْعٌ فَجَعَلْ أَمْرًا كَانُوا مِنْ رِزْوَنٍ مِنَ اللَّهِ فَإِنْ قِيلَ لِمَ لَا تَكْتُبُهَا قَدْ كُنَّا لِمَنْ هُنَا الْأَمْرُ وَلَا يَأْبَ اللَّهُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَقْرَأُوا أَنْ تَكْتُبُوا شَيْئًا أَوْ كَثِيرًا إِلَى أَجَلٍ ذَلِكَ أَمْسَسَ عِنْدَ اللَّهِ وَقَوْمٌ لِلشَّهَادَةِ وَأَذَقُوا أَلَّا تَرَائُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَیْرَةً حَاضِرَةً فَيُذَوِّبُهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَقَعُوا عَلَيْهِ فُتُورًا فُسُوفًا يُكْفَمُ وَأَقْرَأُوا اللَّهَ يَكْفُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٨٢)

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ» قال الزجاج: يقال: دأبت الرجل إذا عاملته، فأخذت منه بدین، وأعطيته.

قال الشاعر:

داينت أروى والديون تقضى

فما طلت بعضاً وأدت بعضاً

والمعنى: إذا كان لبعضكم على بعض دين إلى أجل مسمى، فاكتبوه، فأمر الله تعالى بكتابة الدين، وبالإشهاد، حفظاً منه للأموال، وللناس من الظلم، لأن من كانت عليه البينة، قل تحديته لنفسه بالطمع في إذهابه. وقال ابن عباس: نزلت هذه الآية في السلم خاصة. فإن قيل: ما الفائدة في قوله: «بدین» و«تداییتهم» يكفي عنه؟ فالجواب: إن تداییتهم يقع على معنيين. أحدهما: المشاركة والمبايعة والإقراض. والثاني: المجازاة بالأفعال، فالأول يقال فيه: الدين بفتح الدال، والثاني: يقال منه: الدين بكسر الدال. قال تعالى: «يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ يُدْعَى الَّذِينَ (٢٨٢)» [النار: ١٧] أي: يوم الجزاء.

(١) رواه الطبري والنسائي في «اللسن الكبير» وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»، وقال: رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما ثقات. وظاهر هذه الرواية يعارض ما ثبت عن ابن عباس من أن آخر آية نزلت هي آية الربا، فقد روى البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس ﷺ قال: آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا. وطريق الجمع بين الروایتين كما قال الحافظ ابن حجر أن هذه الآية - يريد آية الربا - ختم الآيات المنزل في الربا إذ هي معطوفة عليهن. وقال الزركشي في «البرهان» ٢١٠/١ بعد أن ذكر الآثار الواردة عن الصحابة عن آخر آية نزلت من القرآن: قال القاضي أبو بكر في «الانتصار»: وهذه الأقوال ليس في شيء منها ما رفع إلى النبي ﷺ ويجوز أن يكون قاله قائله بضرب من الاجتهاد، وتغليب الظن، وليس العلم بذلك من فرائض الدين، حتى يلزم ما طعن به الطاعنون من عدم الضبط. ويحتمل أن كلاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من رسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه، أو قبل مرضه بقليل، وغيره سمع منه بعد ذلك، وإن لم يسمعه هو لمفارقته له، ونزول الوحي عليه بقرآن بعد. ويحتمل أيضاً أن تنزل الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول ﷺ مع آيات نزلت معها، فيؤمر بوسم ما نزل منها، وتلاوتها عليهم بعد رسم ما نزل آخرها وتلاوته، فيظن سماع ذلك أنه آخر ما نزل من الترتيب.



وأنشدوا:

... دنَاهُم كَمَا دَانُوا<sup>(١)</sup>

فدل قوله: ﴿بَدَّيْنِ﴾ على المراد بقوله: ﴿تَدَايَنْتُمْ﴾ ذكره ابن الأنباري. فأما العدل فهو الحق. قال قتادة: لا تدعن حقاً، ولا تزيدن باطلاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ﴾ أي: لا يمتنع أن يكتب كما علمه الله، وفيه قولان. أحدهما: كما علمه الله الكتابة، قاله سعيد بن جبیر. وقال الشعبي: الكتابة فرض على الكفاية كالجهاد. والثاني: كما أمره الله به من الحق، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلِيُطْلِبَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ قال سعيد بن جبیر: يعني المطلوب، يقول: ليمل ما عليه من حق الطالب على الكاتب، ﴿وَلَا يَخْشَى مِنْهُ شَيْئاً﴾ أي: لا ينقص عند الإملاء. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: يقال: أمللت أمل، وأملت أملي لغتان، فأملت من الإملاء وأملت من الملل والملال، لأن الممل يطيل قوله على الكاتب ويكرره.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾ في المراد بالسفيه هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنه الجاهل بالأموال، والجاهل بالإملاء. قاله مجاهد، وابن جبیر. والثاني: أنه الصبي والمرأة، قاله الحسن. والثالث: أنه الصغير، قاله الضحاك، والسدي، والرابع: أنه المبذر، قاله القاضي أبو يعلى. وفي المراد بالضعيف ثلاثة أقوال: أحدها: أنه العاجز والأخسر، ومن به حمق، قاله ابن عباس، وابن جبیر. والثاني: أنه الأحمق، قاله مجاهد، والسدي. والثالث: أنه الصغير، قاله القاضي أبو يعلى.

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ قال ابن عباس: لا يستطيع لعيه. وقال ابن جبیر: لا يحسن أن يمل ما عليه، وقال القاضي أبو يعلى: هو المجنون.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْلِكْ وَرِيثُ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها تعود إلى الحق، فتقديره: فليملل ولي الحق، هذا قول ابن عباس، وابن جبیر، والربيع بن أنس، ومقاتل، واختاره ابن قتيبة. والثاني: أنها تعود إلى الذي عليه الحق، وهذا قول الضحاك، وابن زيد، واختاره الزجاج، وعاب قول الأولين، فقال: كيف يقبل قول المدعى؟ وما حاجته إلى الكتاب والإشهاد، والقول قوله؟ وهذا اختيار القاضي أبي يعلى أيضاً. والعدل: الإنصاف. وفي قوله تعالى: ﴿مِنْ رِثَائِكُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه يعني الأحرار، قاله مجاهد، والثاني: أهل الإسلام، وهذا اختيار الزجاج، والقاضي أبي يعلى، ويدل عليه أنه خاطب المؤمنين في أول الآية.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَظِيَيْنِ﴾ أراد: فإن لم يكن الشهيذان رجلين ﴿فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَتَانِ﴾ ولم يرد به: إن لم يوجد رجلان.

قوله تعالى: ﴿مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ﴾ قال ابن عباس: من أهل الفضل والدين.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَصِلَ إِحْدَهُمَا فَتُكْرَمَ بِحَدِيثِهَا الْأُخْرَى﴾ ذكر الزجاج، أن الخليل، وسيبويه، وسائر النحويين الموثوق بعلمهم، قالوا: معناه: استشهدوا امرأتين، لأن تذكر إحداهما الأخرى. ومن أجل أن تذكر إحداهما الأخرى.

(١) هو هجزييت من قصيدة لشهل بن شيان الزماني، أولها:

صَفَحْنَا عَنْ بَنِي ذَهَلٍ  
عَنِ الْأَيَّامِ أَنْ يَسْرِجَ  
فَلَمَّا صَمِرَ الشَّعْرُ  
وَلَمْ يَبْقَ سِوَى السَّعْدِ

وَقَلْبُنَا الْقَوْمِ إِخْوَانُ  
مِنْ قَوْمٍ كَالَّذِي كَانُوا  
وَأَمْسَى وَهُوَ عَرِيَانُ  
نَدْنَاهُمْ كَمَا دَانُوا

قال المرزوقي: القدوان والقداء والقُدْمُ: الظلم. وأما قوله: دناهم كما دانوا، والأول ليس بجزء، فهذا ليلهم إلى المطابقة والموافقة، وإخراج اللفظ في معرض صاحبه، ليعلم أنه جزاؤه على حدّ وقدره، أو ابتدأه. وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُونَ اللَّهَ وَهُمْ عَذِيبُهُمْ﴾ والله يستبزي يومٌ وما أشبهه. والدين: لفظة مشتركة في عدة معان: الجزاء والعادة والطاعة والحساب، وهو هاهنا الجزاء، ويقولون: فكما تدن داناء أي: كما تصنع يُصنع بك.

وقرأ حمزة: «إِنْ تَضَلَّ بِكسر الألف. والضلال هاهنا: النسيان، قاله ابن عباس والضحاك، والسدي، والربيع، ومقاتل، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. وأما قوله: «فَتَذَكَّرْ» قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، بالتخفيف مع نصب الراء، وقرأ حمزة بالرفع مع تشديد الكاف، وقرأ الباقون بالنصب، وتشديد الكاف. فمن شدد أراد الإذكار عند النسيان، وفي قراءة من خفف قولان: أحدهما: أنها بمعنى المشددة أيضاً، وهذا قول الجمهور. قال الضحاك، والربيع بن أنس، والسدي، ومعنى القراءتين واحد. والثاني: أنها بمعنى: تجعل شهادتهما بمنزلة شهادة ذكر، وهذا مذهب سفيان بن عيينة، وحكى الأصمعي عن أبي عمرو نحوه، واختاره القاضي أبو يعلى، وقد رده جماعة، منهم ابن قتيبة. قال أبو علي: ليس مذهب ابن عيينة بالقوي، لأنهم لو بلغن ما بلغن، لم تجز شهادتهن إلا أن يكون معهن رجل، ولأن الضلال هاهنا: النسيان، فينبغي أن يقابل بما يعادله، وهو التذكير.

قوله تعالى: «وَلَا يَأْتِ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا مُعْرَءٌ» قال قتادة: كان الرجل يطوف في الجواء العظيم<sup>(١)</sup>، [فيه القوم، فيدعونه إلى الشهادة] فلا يتبعه منهم أحد، فنزلت هذه الآية. وإلى ماذا يكون هذا الدعاء؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: إلى تحمل الشهادة، وإثباتها في الكتاب، قاله ابن عباس، وعطية، وقتادة، والربيع. والثاني: إلى إقامتها وأداؤها عند الحكم بعد أن تقدمت شهادتهم بها، قاله سعيد بن جبيرة، وطاووس، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، والشعبي، وأبو مجلز، والضحاك، وابن زيد. ورواه الميموني عن أحمد بن حنبل. والثالث: إلى تحملها وإلى أداؤها، روي عن ابن عباس، والحسن، واختاره الزجاج، قال القاضي أبو يعلى: إنما يلزم الشاهد أن لا يأبى إذا دعي لإقامة الشهادة إذا لم يوجد من يشهد غيره، فأما إن كان قد تحملها جماعة، لم تتعين عليه، وكذلك في حال تحملها، لأنه فرض على الكفاية كالجهاد، فلا يجوز لجميع الناس الامتناع منه.

قوله تعالى: «وَلَا تَقْرَأُوا» أي: لا تملوا وتضجروا أن تكتبوا القليل والكثير الذي قد جرت العادة بتأجيله إلى أجله، أي: إلى محل أجله «ذَلِكَمُ أَفْسَدَ عِنْدَ اللَّهِ» أي: أعدل، «وَأَقَوْمُ الشَّهَادَةِ» لأن الكتاب يذكر الشهود جميع ما شهدوا عليه «وَأَدَقَّ» أي: أقرب «أَلَا تَرَائِبُوا» أي: لا تشكوا «إِنَّ أَنْ تَكُونَ» الأموال «يَجْتَرُّ» أي: إلا أن تقع تجارة. وقرأ عاصم «تجارة» بالنصب على معنى: إلا أن تكون الأموال تجارة حاضرة، وهي البيوع التي يستحق كل واحد منهما على صاحبه تسليم ما عقد عليه من جهته بلا تأجيل، فأباح ترك الكتاب فيها توسعة، لئلا يضيق عليهم أمر تباعهم في مأكول أو مشروب.

قوله تعالى: «وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ» الإشهاد مندوب إليه فيما جرت العادة بالإشهاد عليه.

### فصل

وهذه الآية تتضمن الأمر بإثبات الدين في كتاب، وإثبات شهادة في البيع والدين. واختلف العلماء، هل هذا أمر وجوب، أم على وجه الاستحباب؟ فذهب الجمهور إلى أنه أمر ندب واستحباب<sup>(٢)</sup> فعلى هذا هو محكم،

(١) قال في «المساند»: الجواء بكسر الجاء: جماعة بيوت الناس إذا تداخت، والجمع: الأحيوة.

(٢) قال ابن كثير: وهذا الأمر معمول عند الجمهور على الإرشاد والندب، لا على الوجوب، والدليل على ذلك حديث غزيمة بن ثابت الأنصاري، وقد رواه الإمام أحمد، حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري، حدثنا عمارة بن غزيمة الأنصاري أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ، أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي، فاستبمه النبي ﷺ ليقتضيه ثمن فرسه، فأسرع النبي ﷺ، وأبطأ الأعرابي فطلق رجال يعترضون الأعرابي، فساوموه بالفرس، ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه، حتى زاد بعضهم الأعرابي في السرم على ثمن الفرس الذي ابتاعه النبي ﷺ، فنادى الأعرابي النبي ﷺ، فقال: إن كنت متابعاً هذا الفرس فابتعه، وإلا بعت. فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي: قال: «لو ليس قد ابتعته منك؟» قال الأعرابي: لا والله ما بعتك. فقال النبي ﷺ: فإل قد ابتعته منك؟ فطلق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجمان، فطلق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أنني بابتعتك، فمن جاء من المسلمين، قال الأعرابي: وملك، النبي ﷺ لم يكن يقول إلا حقاً، حتى جاء غزيمة، فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي. فطلق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أنني بابتعتك. قال غزيمة: أنا أشهد أنك قد بابتعت. فأقبل النبي ﷺ على غزيمة فقال: «هم تشهد؟» فقال: يتصدق بك يا رسول الله، فجعل رسول الله ﷺ شهادة غزيمة شهادة رجلين. ورواه أبو داود، والنسائي، والحاكم، وابن سعد في «الطبقات» والطبراني، ورجاله كلهم ثقات، وهو حديث صحيح.

وذهبت طائفة إلى أن الكتاب والإشهاد واجبان، روي عن ابن عمر، وأبي موسى، ومجاهد، وابن سيرين، وعطاء، والضحاك، وأبي قلابه، والحكم، وابن زيد. ثم اختلف هؤلاء، هل هذا الحكم باق، أم منسوخ؟ فذهب أكثرهم إلى أنه محكم غير منسوخ، وذهبت طائفة إلى أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ آيَاتُكُمْ بِضَرْبٍ مِمَّا كَلَّمَ اللَّهُ نَافِيَةً﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنَاكَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ قرأ أبو جعفر بتخفيف الراء من «يضار» وسكونها، وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: لا يضار بأن يدعى وهو مشغول، هذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والسدي، والربيع بن أنس، والفراء، ومقاتل. وقال الربيع: كان أحدهم يجيء إلى الكاتب فيقول: اكتب لي، فيقول: إني مشغول، فيلزمه، ويقول: إنك قد أمرت بالكتابة، فيضاره، ولا بدعه، وهو يجد غيره، وكذلك يفعل الشاهد، فنزلت: ﴿وَلَا يُنَاكَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾. والثاني: أن معناه: النهي للكاتب أن يضار من يكتب له، بأن يكتب غير ما يمل عليه، وللشاهد أن يشهد بما لم يستشهد عليه، هذا قول الحسن، وطاوس، وقناة، وابن زيد، واختاره ابن قتيبة، والزجاج. واحتج الزجاج على صحته بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَقَعُوا عَلَيْهِ فِئَافُوفًا﴾ قال: ولا يسمى من دعا كاتباً ليكتب، وهو مشغول، أو شاهداً؛ فاسقاً، إنما يسمى من حرف الكتاب، أو كذب في الشهادة، فاسقاً. والثالث: أن معنى المضارة: امتناع الكاتب أن يكتب، والشاهد أن يشهد، وهذا قول عطاء في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَفْعَلُوا﴾ يعني: المضارة.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقُومَتَهُ ۖ إِنْ آتَيْنَ بِكُمْ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَاذْكُرُوا الَّذِي أُوتِيتُمْ أَمْسَتْهُ وَلِئِنْ رُدُّوهُ لَأَكْتُبُنَا لَهُ الْبَهْدَ ۚ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِثْمٌ ۖ قَالُوا وَاللَّهِ يَكْفُلُونَ عَلَيْكَ ۖ﴾  
 قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ إنما خص السفر، لأن الأغلب عدم الكاتب والشاهد فيه. ومقصود الكلام: إذا عدمتم التوثيق بالكتاب، والإشهاد، فخذوا الرهن.

قوله تعالى: ﴿فَرِهَانٌ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعبد الوارث (فرهن) بضم الراء والهاء من غير ألف، وأسكن الهاء عبد الوارث. ووجهه للتخفيف. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحَمْزة، والكسائي (فرهان) بكسر الراء. وفتح الهاء، وإثبات الألف. قال ابن قتيبة: من قرأ (فرهان) أراد: جمع رهن، ومن قرأ: (فرهن) أراد: جمع رهان، فكانه جمع الجمع.

قوله تعالى: ﴿مَنْبُتٌ﴾ يدل على أن من شرط لزوم الرهن القبض، وقبض الرهن أخذه من راعه منقولاً، فإن كان مما لا ينقل، كالذور والأرضين، فقبضه تخلية راعه بينه وبين مرتهنه.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنَ بِكُمْ بَعْضُكُمْ﴾ أي: فإن وثق رب الدين بأمانة الغريم، فدفع ماله بغير كتاب، ولا شهود، ولا رهن، ﴿فَلْيُؤَدِّ الْأُتْقَانُ﴾ وهو المدين ﴿أَمْتَهُمْ وَلِيَقَ اللَّهَ رَبَّهُمْ﴾ أن يخون من ائتمنه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمَّا مِمَّنْ قَالُوا﴾ قال السدي عن أشياخه: فإنه فاجر قلبه. قال القاضي أبو يعلى: إنما أضاف الإثم إلى القلب، لأن المائم متعلق بعقد القلب، وكتمان الشهادة إنما هو عقد النية لترك أداها.

﴿ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي الْأَرْضِ كَمْ تَحْقِرُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تُبَدِّلُوا مَا فِي آلُفِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ بِمَا يَنْكُرُ اللَّهُ﴾ أما إبداء ما في النفس، فإنه العمل بما أضمره العبد، أو النطق، وهذا مما يحاسب عليه العبد، ويؤاخذ به، وأما ما يخفيه في نفسه، فاختلف العلماء في المراد بالمخفي في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنه عام في جميع المخفيات، وهو قول الأكثرين. واختلفوا: هل هذا الحكم ثابت في الموازنة، أم منسوخ؟ على قولين. أحدهما: أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَهُمْ مُعَذَّبُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] هذا قول ابن مسعود، وأبي هريرة، وابن عباس في رواية، والحسن، والشعبي، وابن سيرين

وسعد بن جبير، وقتادة، وعطاء الخراساني، والسدي، وابن زيد، ومقاتل<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه ثابت في المؤاخذه على العموم، فيؤاخذ به من يشاء، ويغفره لمن يشاء، وهذا مروى عن ابن عمر، والحسن، واختاره أبو سليمان الدمشقي، والقاضي أبو يعلى. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: هذه الآية لم تنسخ، ولكن الله ﷻ إذا جمع الخلائق، يقول لهم: أني مخبركم بما أخفيتم في أنفسكم مما لم يطلع عليه ملائكتي، فاما المؤمنون فيخبرهم، ويغفر لهم ما حدثوا به أنفسهم، وهو قوله تعالى: ﴿يَخْبِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ يقول: يخبركم به الله، وأما أهل الشرك والريب، فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب، وهو قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُ لَكُمْ يُشَاقُّ وَيَكْذِبُ مَنْ يُشَاقُّ﴾<sup>(٢)</sup>. والأكثر على تسكين راء «يفغر» وباء «يعذب» منهم ابن كثير ونافع، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وإنما جزموا لإتباع هذا ما قبله، وهو «يحاسبكم» وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، وعاصم ويعقوب: برفع الراء، والباء فيهما. فهؤلاء قطعوا الكلام عن الأول. قال ابن الأباري: وقد ذهب قوم إلى أن المحاسبة هاهنا هي إطلاع الله العبد يوم القيامة على ما كان حدث به نفسه في الدنيا، ليعلم أنه لم يعزب عنه شيء. قال: والذي نختاره أن تكون الآية محكمة، لأن النسخ إنما يدخل على الأمر والنهي. وقد روي عن عائشة أنها قالت: أما ما أعلنت، فالله يحاسبك به، وأما ما أخفيت، فما عجلت لك به العقوبة في الدنيا. والقول الثاني: أنه أمر خاص في نوع من المخفيات، ولأرباب هذا القول فيه قولان: أحدهما: أنه كتمان الشهادة، قاله ابن عباس في رواية، وعكرمة، والشعبي، والثاني: أنه الشك واليقين، قاله مجاهد. فعلى هذا المذكور تكون الآية محكمة.

﴿أَمَّا أَرْسُولُكُمْ فَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفِرُّ مِنْ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

قوله تعالى: ﴿أَمَّا أَرْسُولُكُمْ فَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾. روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» من حديث أبي مسعود البصري عن النبي ﷺ، أنه قال: «الأيتان من آخر سورة البقرة من قراءهما في ليلة كفتاه»<sup>(٣)</sup> قال أبو بكر النقاش: معناه: كفتاه عن قيام الليل<sup>(٤)</sup>. وقيل: إنهما نزلتا على سبب، وهو ما روى العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال: لما أنزل الله

(١) قل ابن كثير في «تفسيره» حديث ابن عباس المخرج في مسلم، وفيه: «فلما فعلوا ذلك نسخها الله، فأنزل الله: ﴿يَكُفِّرُ اللَّهُ تَقَاتًا إِلَّا وَصَمًا...﴾ ثم قال بعد أن ذكره أكثر من طريق: فهذه طرق صحيحة عن ابن عباس. وقد ثبت عن ابن عمر كما ثبت عن ابن عباس، فروى البخاري عن مروان الأصغر، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ - أحسبه ابن عمر - «وإن بُدِّدَا مَا فِي أَصْحَابِكُمْ أَوْ كُفِّرُوا» قال: نسخها الآية التي بعدها. وهكذا روي عن علي، وابن مسعود، والشعبي، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وقتادة: أنها منسوخة بالتي بعدها. وقد ثبت بما رواه الجماعة في كتبهم الستة عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تكلم أو تعمل». وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: إذا هم عبيدي بسيرة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكذبوها بسيرة، وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكذبوها حسنة، فإن عملها فاكذبوها عسرة».

(٢) وهو اختيار ابن جرير الطبري، واحتج على أنه لا يلزم من المحاسبة المعاقبة، وأنه تعالى قد يحاسب ويغفر، وقد يحاسب ويعاقب، بالحديث الذي رواه الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم عن صفوان بن محرز قال: «بينما نحن نطوف بالبيت مع عبد الله بن عمر وهو يطوف، إذ عرض له رجل فقال: يا ابن عمر، ما سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يهدو المؤمن من ربه ﷻ حتى يضع عليه كفتيه، فيقرره بطنويه، فيقول له: هل تعرف كذا؟ فيقول: رب أعرف مرتين، حتى إذا بلغ به ما شاء الله أن يبلغ، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أخفيها لك اليوم، قال: فيعطى صحيفة حسناته أو كتابه بيمينه، وأما الكفار والمنافقون، فينادي بهم على رؤوس الأشهاد: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَسَنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾». ثم قال ابن جرير: فتأويل الآية إذا: وإن تبدوا ما في أنفسكم أيها الناس فظنوه، أو تخفوه فتنطوي عليه نفوسكم يحاسبكم به الله، فيعرف مؤمنكم تفضله بغفوه عنه، ومغفرت له، فيغفر له، ويعذب منافقكم على الشك الذي انطوت عليه نفسه في وحدانية خالقه، وثبوت أبنائه.

(٣) رواه مسلم بهذا اللفظ، ورواه البخاري باللفظ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه».

(٤) وقيل: كفتاه عما يكون من الآفات تلك الليلة، وقيل: من الشيطان وشربه، قيل: حسب بهما أجراً وفضلاً، وروى مسلم في «صحيحه» عن عبد الله قال: لما أسري برسول الله ﷺ، انتهى به إلى سكرة التنهي، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يرجع به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فيقبض، قال: ﴿إِنِّي نَسِيتُ الْآيَةَ مَا يَتَنَبَّأُ﴾ قال: فراش من ذهب، قال: وأعطى رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطي الصلوات الخمس، وأعطى خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقححات. والمقححات، بكسر الحاء: الذنوب المقطاع التي تقحم أصحابها في النار، أي تلقى فيها.

تعالى: ﴿وَلَنْ تُبَدِّلُوا مَا فِي بُحُورِهِمْ أَوْ تُخْفُوا بُكَائِيكُمْ بِأَلْفَةٍ﴾ اشتد ذلك على أصحاب النبي ﷺ [فاتوا رسول الله ﷺ ثم جثوا على الركب] فقالوا: قد أنزل عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير». فلما قالوها وذلت بها ألستهم، أنزل الله في أثرها ﴿مَنْ أَرْسَلْ﴾<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: لما ذكر ما تشتمل عليه هذه السورة من القصص والأحكام، ختمها بتصديق نبيه، والمؤمنين. وقرأ ابن عباس (وكتابه) فقيلاً له في ذلك، فقال: كتاب أكثر من كُتِبَ، ذهب به إلى اسم الجنس، كما تقول: كثر الدرهم في أيدي الناس. وقد وافق ابن عباس في قراءته حمزة، والكسائي، وخلف، وكذلك في (التحريم)، وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم في رواية أبي بكر، وابن عامر (وكتبه) هاهنا بالجمع، وفي (التحريم) بالترديد. وقرأ أبو عمرو بالجمع في الموضعين.

قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَأُ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدٍ مِنْ رَسُولِي﴾ قرأ أبو عمرو ما أضيف إلى مكني على حرفين، مثل «رسلنا» و«رسلكم» بإسكان السين، وثقل ما عدا ذلك. وعنه في قوله تعالى: ﴿عَلَى رَسُولِكَ﴾ روايتان، التخفيف والتثقل. وقرأ الباقون كل ما في القرآن من هذا الجنس بالتثقل. ومعنى قوله: ﴿لَا تَقْرَأُ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدٍ مِنْ رَسُولِي﴾ أي: لا تفعل كما فعل أهل الكتاب، آمنوا ببعض، وكفروا ببعض. وقرأ يعقوب «لا يفرق» بالياء، وفتح الراء.

قوله تعالى: ﴿غُفِرَ لَكَ﴾ أي: نسألك غفرانك. والمصير: المرجع. ﴿لَا يَكُنْ لِلَّهِ نَفْسٌ إِلَّا وَمَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنَّا رَبَّنَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كُنَّا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفُ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَكُنْ لِلَّهِ نَفْسٌ إِلَّا وَمَعَهَا﴾ الوسع: الطاقة. قاله ابن عباس، وقادة. ومعناه: لا يكلفها ما لا قدرة لها عليه لاستحالت، كتكليف الزمن السعي، والأعمى النظر. فأما تكليف ما يستحيل من المكلف، لا لفقد الآلات، فيجوز كتكليف الكافر الذي سبق في العلم القديم أنه لا يؤمن الإيمان، فالآية محمولة على القول الأول. ومن الدليل على ما قلناه قوله تعالى في سياق الآية: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ فلو كان تكليف ما لا يطاق ممتنعاً، كان السؤال عبثاً، وقد أمر الله تعالى نبيه بدعاء قوم قال فيهم: ﴿وَلَنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهَدْيِ فَمَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبْكَ﴾ [الكهف: ٥٧] وقال ابن الأنباري: المعنى: لا تحملنا ما يثقل علينا أداؤه، وإن كنا مطيقين له على تجشم، وتحمل مكروه، فخطاب العرب على حسب ما تعقل، فإن الرجل منهم يقول للرجل يبغيه: ما أطيق النظر إليك، وهو مطيق لذلك، لكنه يثقل عليه، ومثله قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَلِيمُونَ السَّعْيَ﴾ (مؤد: ٢٠).

قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ قال ابن عباس: لها ما كسبت من طاعة ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من معصية. قال أبو بكر النقاش: فقله: «لها» دليل على الخير، و«عليها» دليل على الشر. وقد ذهب قوم إلى أن «كسبت» لمرة ومرات، و«اكتسبت» لا يكون إلا لشيء بعد شيء، وهما عند آخرين لغتان بمعنى واحد، كقوله ﷺ: ﴿قِيلَ الْكَافِرِينَ آمَنَّا بِمَا نُرِيدُ﴾ [الطارق: ١٧].

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ هذا تعليم من الله للخلق أن يقولوا ذلك، قال ابن الأنباري: والمراد بالنسيان هاهنا: الترك مع العمد، لأن النسيان الذي هو بمعنى الغفلة قد أمنت الآثام من جهته. والخطأ أيضاً هاهنا من جهة العمد، لا من جهة السهو<sup>(٢)</sup>، يقال: أخطأ الرجل: إذا تعمد، كما يقال: أخطأ إذا غفل. وفي «الإصر» قولان:

(١) رواه أحمد ومسلم وابن حبان بمعناه.

(٢) يؤيد هذا التفسير قوله ﷺ: «إن الله وضع من آمني الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». رواه ابن ماجه وابن حبان في «صحيحه» والطبراني عن ابن عباس. ورواه الحاكم ١٩٨/٢ ونظيره «تجاوز الله عن آمني الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وقال أبو جعفر الطبري: والنسيان على وجهين: أحدهما على وجه التضييع من العبد والتفريط، وهذا الذي يرغب العبد إلى الله ﷻ في تركه مواظبته به، وهو النسيان الذي عاقب الله ﷻ به آدم صلوات الله عليه، فأخرجه من الجنة، فقال في ذلك: ﴿وَلَقَدْ هَمَمْتُ إِنَّ كَادَ مِنْ قَبْلِ قَلْبِي وَلَمْ يَجِدْ لَمَرَّ عَذَابِي﴾ [طه: ١١٥]. والآخر: على وجه عجز الناسي عن حفظ ما استحفظ وكنل به، وضعف عقله عن احتماله، فإن ذلك من

أحدهما: أنه العهد، قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، والسدي. والثاني: الثقل، أي: لا تثقل علينا من الفروض ما ثقلته على بني إسرائيل، قاله ابن قتية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْمِلْكُمَا مَا لَا طَاقَةَ لَكُمَا بِهِ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه ما يصعب ويشق من الأعمال، قاله الضحاك، والسدي، وابن زيد، والجمهور، والثاني: أنه المحبة، رواه الثوري عن منصور عن إبراهيم. والثالث: الغلظة<sup>(١)</sup> قاله مكحول. والرابع: حديث النفس ووساوسها. والخامس: عذاب النار.

قوله تعالى: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ أي: أنت ولينا ﴿فَانصُرْنَا﴾ أي: أعنا. وكان معاذ إذا فرغ من هذه السورة قال: آمين.



العبد غير معصية، وهو به غير آثم، ولا وجه لمسألة العبد ربه أن يقره له. وكذلك الخطأ وجهان: أحدهما من وجه ما نهى عنه، فيأتيه بقصد منه وإرادة، فذلك خطأ منه، وهو به مأخوذ، وهذا الوجه الذي يرغب العبد إلى ربه في صفح ما كان منه من إثم عنه إلا ما كان من ذلك كفراً. والآخر منهما: ما كان منه على وجه الجهل به، والظن منه بأن له فعله، كالذي يأكل في شهر رمضان ليلاً، وهو يحسب أن الفجر لم يطلع، أو يؤخر صلاة في يوم فم، وهو ينتظر بتأخيره إياها دخول وقتها، فيخرج وقتها وهو يرى أن وقتها لم يدخل، فإن ذلك من الموضوع عن العبد الذي وضع الله ﷻ عن عباده الإثم فيه، فلا وجه لمسألة العبد ربه ألا يؤاخذ به. انتهى باختصار.

(١) الغلظة: غليان شهوة المواقعة من الرجل والمرأة.

## سورة آل عمران

ذكر أهل التفسير أنها مدنية، وأن صدرًا من أولها نزل في وفد نجران، قدموا النبي ﷺ في ستين ركبًا، فيهم العاقب، والسيد، فخاصموه في عيسى، فقالوا: إن لم يكن ولد الله، فمن أبوه؟ فنزلت فيهم صدر (آل عمران) إلى يضع وثمانين آية منها.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ١﴾ زَكَرَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ وَالْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٢) مِنْ قَبْلُ هَذِهِ لِقَائِي وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ٣﴾

قوله تعالى: ﴿زَكَرَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ يعني: القرآن ﴿وَالْحَقُّ﴾ يعني: العدل. ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب. وقيل: إنما قال في القرآن: ﴿نَزَلَ﴾ بالتشديد، وفي التوراة والإنجيل: ﴿أُنْزِلَ﴾، لأن كل واحد منهما أنزل في مرة واحدة، وأنزل القرآن في مرات كثيرة. فاما التوراة، فذكر ابن قتيبة عن الفراء أنه يجعلها من: وري الزند يري: إذا خرجت ناره: وأورثته، يريد أنها ضياء. قال ابن قتيبة: وفيه لغة أخرى: وري يري، ويقال: وريت بك زنادي، والإنجيل، من نجلت الشيء: إذا أخرجه، وولد الرجل: نجله، كأنه هو استخرجه، يقال: قبح الله ناجليه، أي: والديه، وقيل للماء يقطر من البئر: نجل، يقال: قد استنجل الوادي: [إذا ظهر نزره]. وإنجيل: إفعيل من ذلك، كان الله أظهر به عافيا من الحق دارسا. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: والإنجيل: أعجمي معرب، قال: وقال بعضهم: إن كان عربيا، فاشتقاقه من النجل، وهو ظهور الماء على وجه الأرض، واتساعه، ونجلت الشيء: إذا استخرجته وأظهرته، فالإنجيل مستخرج به علوم وحكم، وقيل: هو إفعيل من النجل وهو الأصل: فالإنجيل أصل لعلوم وحكم<sup>(١)</sup>. وفي الفرقان هاهنا قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله قتادة، والجمهور. قال أبو عبيدة: سمي القرآن فرقانا، لأنه فرق بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر، والثاني: أنه الفصل بين الحق والباطل في أمر عيسى حين اختلفوا فيه، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقال السدي: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: وأنزل التوراة، والإنجيل، والفرقان، فيه هدى للناس.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ٤﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يريد وفد نجران النصارى، كفروا بالقرآن، وبمحمد. والانتقام: المبالغة في العقوبة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ فِي الْآزْمِ وَلَا فِي السَّكَةِ ٥﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُكُمْ فِي الْأَنْهَارِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْقَهَّارُ ٦﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ فِي الْآزْمِ وَلَا فِي السَّكَةِ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: هذا تعريض بنصارى أهل نجران فيما كانوا ينطوون عليه من كيد النبي ﷺ، وذكر التصوير في الأرحام تنبيه على أمر عيسى.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَسْمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ٧﴾

قوله تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ المحكم: المتقن المتيقن، وفي المراد به هاهنا ثمانية أقوال: أحدها: أنه الناسخ، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، والسدي في آخرين. والثاني: أنه الحلال والحرام، روي عن ابن عباس،

(١) قال الشيخ أحمد شاذلي في تعليقه على «المعرب للجواليقي»: والصحيح أن الكلمة يونانية الأصل، أصلها «أونجيليون» مركبة من كلمتين معناهما: البشرى الحسنة.

ومجاهد. والثالث: أنه ما علم العلماء تأويله. روي عن جابر بن عبد الله. والرابع: أنه الذي لم ينسخ، قاله الضحاك. والخامس: أنه ما لم تتكرر ألفاظه، قاله ابن زيد. والسادس: أنه ما استقل بنفسه، ولم يحتج إلى بيان. ذكره القاضي أبو يعلى عن الإمام أحمد. وقال الشافعي، وابن الأنباري: هو ما لم يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً. والسابع: أنه جميع القرآن غير الحروف المقطعة. والثامن: أنه الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والحلال والحرام، ذكر هذا والذي قبله القاضي أبو يعلى<sup>(١)</sup>. وأم الكتاب أصله. قاله ابن عباس، وابن جبير، فكانه قال: هن أصل الكتاب اللواتي يعمل عليهن في الأحكام، ومجمع الحلال والحرام. وفي المتشابهة سبعة أقوال: أحدها: أنه المنسوخ، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، والسدي في آخرين. والثاني: أنه ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل، كقيام الساعة، روي عن جابر بن عبد الله. والثالث: أنه الحروف المقطعة كقوله: ﴿الْعَمَّ﴾ ونحو ذلك، قاله ابن عباس. والرابع: أنه ما اشتبهت معانيه، قاله مجاهد. الخامس: أنه ما تكررت ألفاظه، قاله ابن زيد. والسادس: أنه ما احتمل من التأويل وجوهاً. وقال ابن الأنباري: المحكم ما لا يحتمل التأويلات، ولا يخفي على مميز، والمتشابه: الذي تعتوره تأويلات. والسابع: أنه القصص، والأمثال، ذكره القاضي أبو يعلى. فإن قيل: فما فائدة إنزال المتشابه، والمراد بالقرآن البيان والهدى؟ ففته أربعة أجوبة: أحدها: أنه لما كان كلام العرب على ضربين: أحدهما: الموجز الذي لا يخفي على سامعه، ولا يحتمل غير ظاهره. والثاني: المجاز، والكنايات، والإشارات، والتلويحات، وهذا الضرب الثاني هو المستحلى عند العرب، والبديع في كلامهم، أنزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين، ليتحقق عجزهم عن الإتيان بمثله، فكانه قال: عارضوه بأي الضربين شتم، ولو نزل كله محكماً واضحاً، لقالوا: هلا نزل بالضرب المستحسن عندنا. ومتى وقع في الكلام إشارة أو كناية، أو تعريض أو تشبيه، كان أفصح وأغرب.

قال امرؤ القيس:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي  
بسهميك في أعشار قلب مقتل<sup>(٢)</sup>  
فجعل النظر بمنزلة السهم على جهة التشبيه، فحلا هذا عند كل سامع ومنشد، وزاد في بلاغته. وقال امرؤ القيس أيضاً:

رمتني بسهم أصاب الفؤاد  
وقال أيضاً:

فقلت له لما تمطى بصلبه  
فجعل ليل صلباً وصدرأ على جهة التشبيه، فحسن بذلك شعره. وقال غيره:

من كميأت أجادها طابخاها  
أراد بالطابخين: الليل والنهار على جهة التشبيه. وقال آخر:  
تبكي هاشماً في كل فجر  
كما تبكي على الفنن الحمام

(١) قال القاسمي في «محاسن التأويل» ص ٧٥٢: للعلماء في المحكم والمتشابه أقوال كثيرة، ومباحث واسعة، وأبدع ما رأيته في تحرير هذا المقام مقالة سابعة الذيل لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية عليه الرحمة والرضوان. ويعني بهذه المقالة الرسالة الموسومة بـ «الإكليل في المتشابه والتأويل» وقد أثبت القاسمي رحمه الله في تفسيره بطولها.

(٢) شرح القصائد السبع ص ٤٧. ذرفت: سال دمعه. وأراد بالسهمين: العينين. الأعشار: القطع والكسور. المقتل: المذل. يقول: ما يكيئت إلا لتجرحي قلباً معشراً، أي: مكسراً، ولم تبكي، لأنك مظلومة. وقال غير الأصمعي: كاذرت عيناك إلا لتذهبي قلبي كله، كالرجل الذي يأخذ المعلى والغريب، وهما من سهام القمار ولهما عشرة أنصباء، والجزور يقسم عشرة أعشار، وهذا مثل ضربه لنهايتها بقلبه كله.

(٣) «ديوانه» ص ١٥٥. وقوله: رمتني بسهم، أي: نظرت إلي نظرة فلم أنتصر، أي: لم يبلغ حبي من قلبها ما بلغ حبها من قلبي. وقال الطوسي: سهمها هاشماً: عينها.

(٤) شرح القصائد السبع ص ٧٥. تمطى: تمدد. جزؤه: وسطه. يقال: تمطى الرجل إذا تمدد، أي: طهره. يقول: قلت ليل لما أنرط طوله، وناءت أوائله، وإناءت أواخره تطاولاً، وطول الليل يبين عن مقاساة الأحزان والشدائد، والسهرة المتولى منها، لأن المغموم يستطيل ليله، والمسروور يستقصر ليله.



وقال آخر:

عجبت لها أنى يكون غناؤها

فصيحاً ولم تفتح بمنطقها فما

فجعل لها غناء وفماً على جهة الاستعارة. والجواب الثاني: أن الله تعالى أنزله مختبراً به عباده، ليقف المؤمن عنده، ويرده إلى عالمه، فيعظم بذلك ثوابه، ويرتاب به المنافق، فيداخله الزيف، فيستحق بذلك العقوبة، كما ابتلاهم بنهر طالوت. والثالث: أن الله تعالى أراد أن يشغل أهل العلم بردهم المتشابه إلى المحكم، فيطول بذلك فكرهم، ويتصل بالبحث عنه اهتمامهم، فيثابون على تعبهم، كما يثابون على سائر عباداتهم، ولو جعل القرآن كله محكماً لاستوى فيه العالم والجاهل، ولم يفضل العالم على غيره، ولما ت الخواطر، وإنما تقع الفكرة والحيلة مع الحاجة إلى الفهم. وقد قال الحكماء: عيب الغنى: أنه يورث البلادة، وفضل الفقر: أنه يبعث على الحيلة، لأنه إذا احتاج احتال. والرابع: أن أهل كل صناعة يجعلون في علومهم معاني غامضة، ومسائل دقيقة ليحرجوا بها من يعلمون، ويمرّونهم على انتزاع الجواب، لأنهم إذا قدروا على الغامض، كانوا على الواضح أقدر، فلما كان ذلك حسناً عند العلماء، جاز أن يكون ما أنزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو، وهذه الأجوبة معنى ما ذكره ابن قتيبة<sup>(١)</sup>، وابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿كَلَّمَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ ذَيْبٌ﴾ في الزيف قولان: أحدهما: أنه الشك، قاله مجاهد، والسدي. والثاني: أنه الميل، قاله أبو مالك، وعن ابن عباس كالقولين. وقيل: هو الميل عن الهدى. وفي هؤلاء القوم أربعة أقوال: أحدها: أنهم الخوارج، قاله الحسن. والثاني: المنافقون، قاله ابن جريج. والثالث: وقد نجران من النصارى، قاله الربيع. والرابع: اليهود، طلبوا معرفة بقاء هذه الأمة من حساب الجمل، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُوا مَا نَفَخَ فِيهِ﴾ قال ابن عباس: يُحِيلُونَ المحكم على المتشابه، والمتشابه على المحكم، ويُلْبِسُونَ. وقال السدي: يقولون: ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا، ثم نسخت؟! وفي المراد بالفتنة هاهنا، ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الكفر، قاله السدي، والربيع، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: الشبهات، قاله مجاهد. والثالث: إفساد ذات البين، قاله الزجاج. وفي التأويل وجهان: أحدهما: أنه التفسير. والثاني: العاقبة المتنتزة. والراسخ: الثابت، يقال: رسخ يرسخ رسوخاً. وهل يعلم الراسخون تأويله أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنهم لا يعلمونه، وأنهم مستأنفون، وقد روى طائوس عن ابن عباس أنه قرأ: (ويقول الراسخون في العلم آمناً به) وإلى هذا المعنى ذهب ابن مسعود، وأبي ابن كعب، وابن عباس، وعروة، وقتادة، وعمر بن عبد العزيز، والفراء، وأبو عبيدة، وثعلب، وابن الأنباري، والجمهور. قال ابن الأنباري: في قراءة عبد الله: (إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم) وفي قراءة أبي، وابن عباس: (ويقول الراسخون) وقد أنزل الله تعالى في كتابه أشياء، استأثر بعلمها، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقوله تعالى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨] فأنزل الله تعالى المجمل، ليؤمن به المؤمن، فيسعد، ويكفر به الكافر، فيشقى. والثاني: أنهم يعلمون، فهم داخلون في الاستثناء. وقد روى مجاهد عن ابن عباس أنه قال: أنا ممن يعلم تأويله، وهذا قول مجاهد، والربيع، واختاره ابن قتيبة، وأبو سليمان الدمشقي. قال ابن الأنباري: الذي روى هذا القول عن مجاهد ابن أبي نجيع، ولا تصح روايته التفسير عن مجاهد.

﴿رَبَّنَا لَا تُفِضْ قُلُوبَنَا بَدَلًا مِنْ هَدِينَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَكَّابُ﴾ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَمِيعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَبَّ فِيهِ إِلَّا أَنْتَ لَا يَخْلُقُ الْيَمَّةَ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُفِضْ قُلُوبَنَا﴾ أي يقولون: (ربنا لا تمل قلوبنا عن الهدى بعد إذ هديتنا) وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وابن يعمر، والجدري «لا تُفِضْ» بفتح التاء «قُلُوبُنَا» برفع الباء. ولذلك: بمعنى عندك. والوهاب: الذي يجود بالعطاء من غير استئابة، والمخلوقون لا يملكون أن يهبوا شفاء لسقيم، ولا ولدًا لعقيم، والله تعالى قادر على أن يهب جميع الأشياء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَسْرَهُمْ وَلَا أَفْلَاحَهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾

قوله تعالى: ﴿لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَسْرَهُمْ﴾ أي: لن تدفع، لأن المال يدفع عن صاحبه في الدنيا، وكذلك الأولاد، فأما في الآخرة، فلا ينفع الكافر ماله، ولا ولده. وقوله تعالى: ﴿يَنْتِ اللَّهُ﴾ أي: من عذابه.

﴿كَذَّابٍ مَالٍ يَرْفَعُونَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَلَا تَذَرُهُمُ اللَّهُ يَذُوبُهُمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّابٍ مَالٍ يَرْفَعُونَ﴾ في الدأب قولان: أحدهما: أنه العادة، فمعناه: كعادة آل فرعون، يريد: كفر اليهود، بكفر من قبلهم، قاله ابن قتيبة، وقال ابن الأنباري: «والكاف» في «كذاب» متعلقة بفعل مضمر، كأنه قال: كفرت اليهود، بكفر آل فرعون. والثاني: أنه الاجتهاد، فمعناه: أن دأب هؤلاء، وهو اجتهادهم في كفرهم، وتظاهرهم على النبي ﷺ كظواهر آل فرعون على موسى ﷺ، قاله الزجاج.

﴿قُلْ لِلَّهِ كُفْرُكُمْ سَعْيَكُمْ يَشْغُرُ إِنَّ جَهَنَّمَ رِيسٌ أَلِيهَا﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ كُفْرُكُمْ سَعْيَكُمْ يَشْغُرُ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر (ستغلبون وتحشرون) بالتاء (ويرونها) بالياء، وقرأ نافع ثلاثين بالتاء، وقرأ هن حمزة، والكسائي بالياء. وفي سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن يهود المدينة لما رأوا وقعة بدر، هموا بالإسلام، وقالوا: هذا هو النبي الذي نجده في كتابنا، لا ترد له راية، ثم قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتى تنظروا له وقعة أخرى، فلما كانت أحد، شكوا، وقالوا: ما هو به، ونقضوا عهداً كان بينهم وبين النبي، وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راجباً إلى أهل مكة، فقالوا: تكون كلمتنا واحدة، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها نزلت في قريش قبل وقعة بدر، فحقق الله وعده يوم بدر، روي عن ابن عباس، والضحاك. والثالث: أن أبا سفيان في جماعة من قومه، جمعوا الرسول الله ﷺ بعد وقعة بدر، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي يَسْتَوِي الثَّقَاتِ يَوْمَ تُنْزِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَجَ كَاذِبًا يَزْوَنَهُمْ وَيَلْبِسُهُمْ رَأْيَ الْكَافِرِ وَاللَّهُ يُوَفِّيهِمْ بِمَا كَانُوا يَسْعَوْنَ مِنْ بَشَاءٍ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلَّذِينَ الْأَنْبَسُ﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي يَسْتَوِي الثَّقَاتِ﴾ في المخاطبين بهذا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المؤمنون، روي عن ابن مسعود، والحسن. والثاني: الكفار، فيكون معطوفاً على الذي قبله، وهو يتخرج على قول ابن عباس الذي ذكرناه آنفاً. والثالث: أنهم اليهود، ذكره الفراء، وابن الأنباري، وابن جرير. فإن قيل: لم قال: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ ولم يقل: قد كانت لكم؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أن ما ليس بمؤث حقيقي، يجوز تذكيره. والثاني: أنه ردة المعنى إلى البيان، فمعناه: قد كان لكم بيان، فذهب إلى المعنى، وترك اللفظ، وأنشدا:

إِنْ أَمْرًا غَبَرَهُ مِنْكُمْ وَاحِدَةٌ  
بِعَدِي وَبِعَدِكَ فِي الدُّنْيَا لِمَغْرُورٍ

وقد سبق معنى «الآية» و«الفئة»، وكل مشكل تركت شرحه، فإنك تجده فيما سبق، والمراد بالفتن: النبي ﷺ وأصحابه، ومشركو قريش يوم بدر. قاله قتادة والجماعة. وفي قوله تعالى: ﴿يَزْوَنَهُمْ وَيَلْبِسُهُمْ﴾ قولان: أحدهما: يرونها ثلاثة أمثالهم، قاله الفراء، واحتج بأنك إذا قلت: عندي ألف دينار، واحتاج إلى مثليه، فإنك تحتاج إلى ثلاثة آلاف<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن معناه يرونها ومثلهم، قال الزجاج: وهو الصحيح<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿رَأَى الْكَافِرَ﴾ أي: في رأي العين. قال ابن جرير: جاء هذا على مصدر رأته، يقال: رأيته رأياً،

(١) رواه الواحد في «أسباب النزول» عن الكلبي، عن أبي صالح.

(٢) نعم كلام الفراء في «معاني القرآن» ١/١٩٤. فإن قلت: فكيف جاز أن يقال: «بمثلهم» يريد ثلاثة أمثالهم؟ قلت: كما تقول وعندك عيد: احتاج إلى مثله، فأنت محتاج إليه، وإلى مثله، وتقول: احتاج إلى مثلي صيد، فأنت إلى ثلاثة محتاج. ويقول الرجل: معي ألف واحتاج إلى مثليه، فهو يحتاج إلى ثلاثة، فلما نوى أن يكون الألف داخل في معنى المثل صار المثل اثنين، والمثلان ثلاثة، ومثله في الكلام أن تقول: أراكم مظلم، كأنك قلت: أراكم ضعيفكم، وأراكم مثليكم: يريد ضعيفكم، فهذا على معنى الثلاثة.

(٣) في القرطبي ٢٦/٤: قال الزجاج: وهذا باب الغلط - ما ذهب إليه الفراء - فيه غلط في جميع المقاييس، لأننا إنما نعقل مثل الشيء مسارباً له، فنعقل مثليه ما يساويه مرتين.

وروية. واختلفوا في الفة الرائية على ثلاثة أقوال، هي التي ذكرناها في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾. فإن قلنا: إن الفة الرائية المسلمون، فوجهه أن المشركين كانوا يضعفون على جدد المسلمين، فأروهم على ما هم عليه، ثم نصرهم الله، وكذلك إن قلنا: إنهم اليهود. وإن قلنا: إنهم المشركون، فتكثير المسلمين في أعينهم من أسباب النصر. وقد قرأ نافع: «ترونها» بالتاء. قال ابن الأنباري: ذهب إلى أن الخطاب لليهود. قال الفراء: ويجوز لمن قرأ «يرونهم» بالياء أن يجعل الفعل لليهود، وإن كان قد خاطبهم في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ لأن العرب ترجع من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب. وقد شرحنا هذا في «الفاتحة» وغيرها. فإن قيل: كيف يقال: إن المشركين استكثروا المسلمين. وإن المسلمين استكثروا المشركين، وقد بين قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّمِيقُ فِيكُمْ قُلُوبُكُمْ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٤] أن الفتين تساوتا في استقلال إحداهما للآخرى؟ فالجواب: أنهم استكثروهم في حال، واستقلوهم في حال، فإن قلنا: إن الفة الرائية المسلمون، فإنهم رأوا عدد المشركين عند بداية القتال على ما هم عليه، ثم قلل الله المشركين في أعينهم حتى اجترؤوا عليهم، فنصرهم الله بذلك السبب. قال ابن مسعود: نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم، فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً. وقال في رواية أخرى: لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مئة، فأسرنا منهم رجلاً، فقلت: كم كنتم؟ قال: ألفاً وإن قلنا: إن الفة الرائية المشركون، فإنهم استقلوا المسلمين في حال، فاجترؤوا عليهم، واستكثروهم في حال، فكان ذلك سبب خذلانهم، وقد نقل أن المشركين لما أسروا يومئذ، قالوا للمسلمين: كم كنتم؟ قالوا: كنا ثلاثمائة وثلاثة عشر. قالوا: ما كنا نراكم إلا تضعفون علينا.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُوَيِّدُ﴾، أي: يقوي. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ في الإشارة قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى النصر. والثاني: إلى رؤية الجيش مثلهم. والعبرة: الدلالة الموصلة إلى اليقين، المؤدية إلى العلم، وهي من العبور، كأنه طريق يُعبر به، ويتوصل به إلى المراد. وقيل: العبرة: الآية التي يعبر منها من منزلة الجهل إلى منزلة العلم. والأبصار: العقول والبصائر.

﴿زَيْنَ لِّئَامِ حُبِّ الشَّهَوَاتِ مِنَ الْكَوَالِ وَالْبَيْنِ وَالْقَنْطَارِ الْمُقْتَرِ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفَيْسِ وَالْحَبْلِ الْمُسَوِّمِ وَالْأَقْوِ وَالْعَرَبِ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِّئَامِ حُبِّ الشَّهَوَاتِ﴾ قرأ أبو رزين العقيلي، وأبو رجاء الطاردي، ومجاهد، وابن محيصن ﴿زَيْنَ﴾ بفتح الزاي «حُبِّ» بنصب الباء، وقد سبق في «البقرة» بيان التزيين. والقنطار: جمع قنطار، قال ابن دريد: ليست التون فيه أصلية، وأحسب أنه يعرب. واختلف العلماء: هل هو محدود أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه محدود، ثم فيه أحد عشر قولاً: أحدهما: أنه ألف ومثنا أوقية، رواه أبي بن كعب عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup> وبه قال معاذ بن جبل، وابن عمر، وعاصم بن أبي النجود، والحسن في رواية. والثاني: أنه اثنا عشر ألف أوقية، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>. وعن أبي هريرة كالثقلين، وفي رواية عن أبي هريرة أيضاً: اثنا عشر أوقية. والثالث: أنه ألف ومثنا دينار، ذكره الحسن، ورواه العوفي عن ابن عباس. والرابع: أنه اثنا عشر ألف درهم، أو ألف دينار، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وروي عن الحسن، والضحاك، كهذا القول، والذي قبله. والخامس: أنه سبعون ألف دينار، روي عن ابن عمر، ومجاهد. والسادس: ثمانون ألف درهم، أو مئة رطل من الذهب، روي عن سعيد بن المسيب، وقتادة. والسابع: أنه سبعة آلاف دينار، قاله عطاء. والثامن: ثمانية آلاف مثقال، قاله السدي. والتاسع: أنه ألف مثقال ذهب أو فضة، قاله الكلبي. والعاشر: أنه ملء مسك ثور ذهباً، قاله أبو نضرة، وأبو عبيدة. والحادي عشر: القنطار: رطل من الذهب، أو الفضة، حكاه ابن الأنباري. والقول الثاني: أن القنطار ليس بمحدود. وقال الربيع بن أنس: القنطار: المال الكثير، بعضه على بعض، وروي عن أبي عبيدة أنه ذكر عن العرب أن القنطار وزن لا يحد، وهذا اختيار ابن جرير الطبري.

(١) رواه الطبري في «الظهير» وذكره ابن كثير، وقال: وهذا حديث مبكر أيقناً، والأقرب أن يكون موقوفاً على أبي بن كعب، كثيره من الصحابة.

(٢) رواه أحمد في «المسند» وابن ماجه مرفوعاً، ورواه ابن جرير ووكيع موقوفاً. قال ابن كثير: وهذا أصح.

قال ابن الأنباري: قال بعض اللغويين: القنطار: العقدة الوثيقة المحكمة من المال. وفي معنى المقنطرة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها المضغفة، قال ابن عباس: القناطير ثلاثة، والمقنطرة تسعة، وهذا قول الفراء. والثاني: أنها المكملة، كما تقول: بدره مبدرة، وألف مؤلفة، وهذا قول ابن قتيبة. والثالث: أنها المضروبة حتى صارت دنائير ودراهم، قاله السدي. وفي المسومة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الراعية، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد في رواية، والضحاك، والسدي، والربيع، ومقاتل. قال ابن قتيبة: يقال: سامت الخيل، وهي سائمة: إذا رعت، وأسمتها وهي مسامة، وسومتها فهي مسومة: إذا رعيته، والمسومة في غير هذا: المعلمة في الحرب بالسومة وبالسائم، أي: بالعلامة. والثاني: أنها المعلمة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، واختاره الزجاج، وعن الحسن كالقولين. وفي معنى المعلمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها معلمة بالشية، وهو اللون الذي يخالف سائر لونها، روي عن قتادة. والثاني: بالكيف، روي عن المؤرج. والثالث: أنها البلق، قاله ابن كيسان. والثالث: أنها الحسان، قاله ابن عكرمة، ومجاهد. فأما الأنعام، فقال ابن قتيبة: هي: الإبل، والبقرة، والغنم، واحدها: نعم، وهو جمع لا واحد له من لفظه. والمأب: المرجع. وهذه الأشياء المذكورة قد تحسن نية العبد بالتلبس بها، فيثاب عليها، وإنما يتوجه الذم إلى سوء القصد فيها وبها.

﴿قُلْ أَزْيَضُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَزْيَضُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ﴾ روى عطاء بن السائب عن أبي بكر بن حفص قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾. قال عمر: يا رب الآن حين زينتها؟! فنزلت: ﴿قُلْ أَزْيَضُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ﴾ ووجه الآية أنه خير أن ما عنده خير مما في الدنيا، وإن كان محبوباً، ليتروا ما يحبون لما يرجون. فأما الرضوان، فقرأ عاصم، إلا حفصاً وأبان بن يزيد عنه، برفع الراء في جميع القرآن، واستثنى يحيى والعلمي كسر الراء في المائدة في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَكُمْ﴾ [المائدة: ١٦]. وقرأ الباقر بكسر الراء، والكسر لغة قريش. قال الزجاج: يقال: رضيت الشيء أرضاه رضى ومرضاه ورضواناً ورضواناً. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾. يعلم من يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا، فهو يجازيهم على أعمالهم.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَهْمَكُمُ لَأَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَانَ عَذَابُ النَّارِ ﴿١٦﴾ الضَّحِيحَ وَالْقُدْرَةَ وَالْقُدْرَةَ وَالْقُدْرَةَ وَالْقُدْرَةَ﴾

قوله تعالى: ﴿الضَّحِيحَ﴾ أي: على طاعة الله ﷻ، وعن محارمه ﴿وَالْقُدْرَةَ﴾ في عقائدهم وأقوالهم ﴿وَالْقُدْرَةَ﴾ بمعنى المطيعين لله ﴿وَالْقُدْرَةَ﴾ في طاعته. وقال ابن قتيبة: يعني بالنفقة: الصدقة. وفي معنى استغفارهم قولان: أحدهما: أنه الاستغفار المعروف باللسان، قاله ابن مسعود، والحسن في آخرين<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه الصلاة. قاله مجاهد، وقاتدة، والضحاك، ومقاتل في آخرين. فعلى هذا إنما سميت الصلاة استغفاراً، لأنهم طلبوا بها المغفرة. فأما السحر، فقال إبراهيم بن السري: السر: الوقت الذي قبل طلوع الفجر، وهو أول إدبار الليل إلى طلوع الفجر، فوصفهم الله بهذه الطاعات، ثم وصفهم بأنهم لشدة خوفهم يستغفرون.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الثِّقَاتِ بِالْإِسْلَامِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ سبب نزول هذه الآية أن حبرين من أجاز الشام قدما النبي ﷺ، فلما أبصرا المدينة، قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي ﷺ الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا

(١) ثبت في «الصحیح» وغيرهما من «المسانيد» و«السنن» من غیر وجه من جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال: «يُنزلُ الله تبارک وتعالی فی کل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له». وكان عبد الله بن عمر يصلي من الليل، ثم يقول: يا نافع هل جاء السحر؟ فإذا قال: نعم، أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح. رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير الطبري.





رخصة، فحكم عليهما بالرجم، فقالوا: جرت علينا يا محمد، ليس علينا الرجم. فقال: بيني وبينكم التوراة، فجاء ابن صوريا، فقرأ من التوراة، فلما أتى على آية الرجم، وضع كفه عليها، وقرأ ما بعدها، فقال ابن سلام: قد جاوزها، ثم قام، فقرأها، فأمر رسول الله ﷺ باليهوديين، فرجما، فغضب اليهود. فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثالث: أن النبي ﷺ دعا اليهود إلى الإسلام، فقال نعمان بن أبي أوفى: هلم نحاكمك إلى الأحبار. فقال: بل إلى كتاب الله، فقال: بل إلى الأحبار. فنزلت هذه الآية، قاله السدي. والرابع: أنها نزلت في جماعة من اليهود، دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، فقالوا: نحن أحق بالهدى منك، وما أرسل الله نبياً إلا من بني إسرائيل. قال: فأخرجوا التوراة، فإني مكتوب فيها أنني نبي، فأبوا، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل بن سليمان. فأما التفسير، فالنصيب الذين أوتوه: العلم الذي علموه من التوراة. وفي الكتاب الذي دعوا إليه قولان: أحدهما: أنه التوراة، رواه عكرمة، عن ابن عباس، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنه القرآن، رواه أبو صالح، عن ابن عباس، وهو قول الحسن، وقتادة. وفي الذين أريد أن يحكم الكتاب بينهم فيه أربعة أقوال: أحدها: ملة إبراهيم. والثاني: أنه القرآن، رواه أبو صالح، عن ابن عباس، وهو قول الحسن، وقتادة. وفي الذي أريد أن يحكم الكتاب بينهم فيه أربعة أقوال. أحدها: ملة إبراهيم. والثاني: حد الزنى. روي عن ابن عباس. والثالث: صحة دين الإسلام، قاله السدي. والرابع: صحة نبوة محمد ﷺ، قاله مقاتل. فإن قيل: التولي هو الإعراض، فما فائدة تكريره؟ فالجواب من أربعة أوجه: أحدها: التأكيد. والثاني: أن يكون المعنى: يتولون عن الداعي، ويعرضون عما دعا إليه. والثالث: يتولون بأبدانهم، ويعرضون عن الحق بقلوبهم. والرابع: أن يكون الذين تولوا علماءهم، والذين أعرضوا أتباعهم، قاله ابن الأنباري.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمْسُكَ أَلَانَا مَمْدُونَةٌ وَهَمَّ فِي يَوْمٍ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (١١)

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ يعني: الذي حملهم على التولي والإعراض أنهم قالوا: ﴿لَنْ تَمْسُكَ أَلَانَا مَمْدُونَةٌ﴾ وقد ذكرناها في «البقرة»: ﴿يَفْقَهُونَ﴾. وفي الذي اختلقوه قولان: أحدهما: أنه قولهم: لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات، قاله مجاهد، والزجاج. والثاني: قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، قاله قتادة، ومقاتل.

﴿لَكَيْفَ إِذَا جِئْتَهُمْ يَوْمَ لَا رَبَّ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٢)

قوله تعالى: ﴿لَكَيْفَ إِذَا جِئْتَهُمْ﴾ معناه: فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم ﴿يَوْمَ﴾ أي: لجزاء يوم، أو لحساب يوم. وقيل: «اللام» بمعنى: «في».

﴿عَلَى اللَّهِ مَلِكٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٣)

﴿عَلَى اللَّهِ مَلِكٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٣)

قوله تعالى: ﴿عَلَى اللَّهِ مَلِكٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ لما فتح مكة، ووعد أمته ملك فارس والروم، قال المنافقون واليهود: هيهات، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس، وأنس بن مالك. والثاني: أن النبي ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك فارس والروم في أمته، فنزلت هذه الآية، حكاه قتادة<sup>(٢)</sup>. والثالث: أن اليهود قالوا: والله لا نطيع رجلاً جاء ينقل النبوة من بني إسرائيل إلى غيرهم، فنزلت هذه الآية، قاله أبو سليمان الدمشقي. فأما التفسير، فقال الزجاج: قال: الخليل، وسبيويه، وجميع النحويين الموثوق بعلمهم: «اللهم» بمعنى «يا الله»، و«الميم» المشددة.

(١) جاء في «الصحيحين» وفي «سنن أبي داود» واللفظ له عن ابن عمر أنه قال: إن اليهود جاؤوا إلى النبي ﷺ، فذكروا له أن رجلاً منهم وامراً زنياً، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما تجدون في التوراة في شأن الزنى؟» فقالوا: نفصمهم ويجلدون. فقال عبد الله بن سلام: كذبتم إن فيها الرجم فأثروا بالتوراة، فنشروها، فجعل أحدهم يده على آية الرجم، ثم جعل يقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك فرفعها، فإذا فيها آية الرجم. فقالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما. فهذا الحديث الصحيح ليس فيه أن هذه القصة سبب لنزول الآية. وأثر المصنف رحمه الله إنما هو من رواية الكلبي عن أبي صالح. والكلبي هذا هو محمد بن السائب وقد اتفق العلماء على عدم الاحتجاج به، بل بعضهم نسب إلى الكذب، وقال البخاري: قال علي: حدثنا يحيى عن سفيان، قال لي الكلبي: كلما حدثتكم عن أبي صالح فهو كذب.

(٢) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال: ذكر لنا ...





﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرُونَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْهُمْ ثَمَنًا وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ تَعَالَى وَلِلَّهِ أَلُّ الْمَصِيرِ ٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرُونَ أَوْلِيَاءَ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن عبادة بن الصامت كان له خلفاء من اليهود، فقال يوم الأحزاب: يا رسول الله إن معي خمسمائة من اليهود، وقد رأيت أن أستظهر بهم على العدو، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في عبد الله بن أبي، وأصحابه من المنافقين كانوا يتولون اليهود، ويأتونهم بالأخبار يرجون لهم الظفر من النبي ﷺ، فنهى الله المؤمنين عن مثل فعلهم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أن قوماً من اليهود، كانوا يياطنون نفراً من الأنصار ليفتوهم عن دينهم، فنهاهم قوم من المسلمين عن ذلك، وقالوا: اجتنبوا هؤلاء اليهود، فأبوا، فنزلت هذه الآية. روي عن ابن عباس أيضاً. والرابع: أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره، كانوا يظهرون المودة لكفار مكة، فنهاهم الله ﷻ عن ذلك، هذا قول المقاتلين، ابن سليمان، وابن حيان. فأما التفسير، فقال الزجاج: معنى قوله تعالى: ﴿مَنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لا يجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن، أي: لا يتناول الولاية من مكان دون مكان المؤمنين، وهذا كلام جرى على المثل في المكان، كما تقول: زيد دونك، ولست تريد المكان، ولكنك جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع في المكان، والخسة كالاستفال في المكان. ومعنى ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي: فإله بريء منه.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْهُمْ ثَمَنًا﴾ قرأ يعقوب، والمفضل عن عاصم «ثَقِيَّةً» بفتح التاء من غير ألف، قال مجاهد: إلا مصادعة في الدنيا. قال أبو العالية: التقاة باللسان، لا بالعمل.

### فصل

والتقية رخصة، وليست بعزيمة. قال الإمام أحمد - وقد قيل: إن عرضت على السيف تجيب؟ - قال: لا. وقال: إذا أجاب العالم تقية، والجاهل بجهل، فمتى يبين الحق؟ وسنشرح هذا المعنى في «النحل» عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ﴾ [النحل: ١٠٦]، إن شاء الله.

﴿قُلْ إِنْ تُحِبُّوا مَا فِي سُكُوتِكُمْ أَوْ بُدُّوا بِكُمْ اللَّهُ وَسَلَّمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُحِبُّوا مَا فِي سُكُوتِكُمْ أَوْ بُدُّوا بِكُمْ﴾ قال ابن عباس: يعني اتخاذ الكافرين أولياء.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ تَعَالَى وَاللَّهُ زَوُّهُ بِالْجَوَادِ ٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ قال الزجاج: نصب «اليوم» بقوله: ﴿وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ تَعَالَى﴾ في ذلك اليوم. قال ابن الأنباري: يجوز أن يكون متعلقاً بالمصير، والتقدير: وإلى الله المصير، يوم تجد. ويجوز أن يكون متعلقاً بفعل مضمر، والتقدير: اذكر يوم تجد. وفي كيفية وجود العمل وجهان: أحدهما: وجوده مكتوباً في الكتاب. والثاني: وجود الجزاء عليه. والأمد: الغاية.

قال الطرماح:

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ عِدَّةَ الْعَمَلِ

وَمُؤَدٍّ إِذَا انْقَضَى أَمَلُهُ <sup>(١)</sup>

يريد: غاية أجله.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٣١﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ وقف

(١) الفيوانه ١١٢ وروايه فيه:

و مؤدٍّ إذا انقضى أَمَلُهُ

كل حي مستكمل عدة العمل

يريد أن المرء هالك إذا انقضى عدد أيامه وأكله في هذه الحياة الدنيا.

على قريش، وقد نصبوا أصنامهم يسجدون لها، فقال: «يا معشر قريش: لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم». فقالوا: يا محمد إنما نعبد هذه حبا لله، ليقربونا إلى الله زلفى. فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن اليهود قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، فنزلت هذه الآية، فعرضها النبي ﷺ عليهم، فلم يقبلوها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أن ناسا قالوا: إنا لنحب ربنا حبا شديدا، فأحب الله أن يجعل لحبه علما، فأنزل هذه الآية، قاله الحسن، وابن جريج. والرابع: أن نصارى نجران، قالوا: إنما نقول هذا في عيسى حبا لله، وتعظيما له، فنزلت هذه الآية، ذكره ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، واختاره أبو سليمان الدمشقي.

﴿قُلْ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَرِيمًا ذَا مَعْنًى﴾ فَإِنْ قُلُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُجِبُ الْكُفْرَانَ ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَرِيمًا ذَا مَعْنًى﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن عبد الله بن أبي قال لأصحابه: إن محمداً يجعل طاعته كطاعة الله، وبأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارى عيسى ابن مريم، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس. والثاني: أن النبي ﷺ دعا اليهود إلى الإسلام، فقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، ونحن أشد حبا لله مما تدعوننا إليه، فنزلت: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ ونزلت هذه الآية، هذا قول مقاتل. والثالث: أنها نزلت في نصارى نجران، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمُسَاوِيَّاتِهِمْ وَأَمَّا يُعْزِرُونَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمُسَاوِيَّاتِهِمْ وَأَمَّا يُعْزِرُونَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ قال ابن عباس: قالت اليهود: نحن أبناء إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ونحن على دينهم، فنزلت هذه الآية. قال الزجاج: ومعنى اصطفاهم في اللغة: اختارهم، فجعلهم صفوة خلقه، وهذا تمثيل بما يرى، لأن العرب تمثل المعلوم بالشيء المرمي، فإذا سمع السامع ذلك المعلوم كان عنده بمنزلة ما يشاهد عياناً، فنحن نعين الشيء الصافي أنه النقي من الكدر، فكذلك صفوة الله من خلقه. وفيه ثلاث لغات: صفوة، وصفوة، وصفوة. وأما آدم فعرابي، وقد ذكرنا اشتقاقه في «البقرة». وأما نوح، فأعجمي معرب، قال أبو سليمان الدمشقي: اسم نوح: السكن، وإنما سمي نوحاً، لكثرة نوحه. وفي سبب نوحه خمسة أقوال: أحدها: أنه كان ينوح على نفسه، قاله يزيد الرقاشي. والثاني: أنه كان ينوح لمعاصي أهله، وقومه. والثالث: لمراجعته ربه في ولده. والرابع: لدعائه على قومه بالهلاك. والخامس: أنه مر بكلب مجذوم، فقال: اخسأ يا قبيح، فأوحى الله إليه: أعبتني يا نوح، أم عبت الكلب؟ وفي آل إبراهيم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه من كان على دينه، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: أنهم إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، قاله مقاتل. والثالث: أن المراد «آل إبراهيم» هو نفسه، كقوله: ﴿وَوَيْلٌ لَّكَ كَرَّةً ۖ قَالَ مُوسَىٰ ۖ وَمَا لَهُ كَرَّةٌ ۚ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، ذكره بعض أهل التفسير. وفي «عمران» قولان: أحدهما: أنه والد مريم، قاله الحسن، وهب. والثاني: أنه والد موسى، وهارون، قاله مقاتل. وفي «آله» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عيسى ﷺ، قاله الحسن. والثاني: أن آله موسى وهارون، قاله مقاتل. والثالث: أن المراد به «آله» نفسه، ذكره بعض المفسرين، وإنما خص هؤلاء الذكر، لأن الأنبياء كلهم من نسلهم. وفي معنى اصطفاء هؤلاء المذكورين ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراد اصطفاي دينهم على سائر الأديان، قاله ابن عباس، واختاره الفراء، والدمشقي. والثاني: اصطفاهم بالنبوة، قاله الحسن، ومجاهد، ومقاتل. والثالث: اصطفاهم بتفضيلهم في الأمور التي ميزهم بها على أهل زمانهم. والمراد بـ «العالمين»: عالمو زمانهم، كما ذكرنا في «البقرة».

﴿ذُرِّيَّةً بِطَغْيٍ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بِطَغْيٍ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ قال الزجاج: نطغها على البذل، والمعنى: اصطفاي ذرية بعضها من بعض. قال ابن الأنباري: وإنما قال: بعضها، لأن لفظ الذرية مؤنث، ولو قال: بعضهم، ذهب إلى معنى الذرية. وفي معنى هذه البعضية قولان: أحدهما: أن بعضهم من بعض في التناثر والدين، لا في التنازل، وهو معنى قول ابن عباس،

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» من طريق جوير، عن الضحاك، عن ابن عباس. وجوير، هو أبو القاسم البلخي، نزيل الكوفة، راوي التفسير، قال الحافظ في «التبويب»: ضعيف جداً.

وقتادة. والثاني: أنه في التسلسل، لأن جميعهم ذرية آدم، ثم ذرية نوح، ثم ذرية إبراهيم، ذكره بعض أهل التفسير. قال أبو بكر النقاش: ومعنى قوله: ﴿وَرَبُّهُمُ بِضْعٌ مِّنْ بَينِهِمْ﴾ أن الأبناء ذرية للآباء، والآباء ذرية للأبناء، كقوله تعالى: ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْهُورِ﴾ [يس: ٤١]، فجعل الآباء ذرية للأبناء، وإنما جاز ذلك، لأن الذرية مأخوذة من: ذرا الله الخلق، فسمي الولد للوالد ذرية، لأنه ذري منه، وكذلك يجوز أن يقال للاب: ذرية للابن، لأن ابنه ذري منه، فالفعل يتصل به من الزوجين، ومثله: ﴿يُؤْتِيهِمُ كَسْبَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] فأضاف الحب إلى الله، والمعنى: كحب المؤمن لله، ومثله ﴿وَيُؤْتِيهِمُ الْغَنَاءَ عَلَى حِدِّهِ﴾ [الزمر: ٨]، فأضاف الحب للتمام.

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْكَابِرُ﴾ (٣٥)

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ في «إذ» قولان: أحدهما: أنها زائدة، واختاره أبو عبيدة، وابن قتيبة. والثاني: أنها أصل في الكلام. وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: اذكر إذ قالت امرأة عمران، قاله المبرد، والأخفش. والثاني: أن العامل في «إِذْ قَالَتِ» معنى الاصطفاء، فيكون المعنى: اصطفى آل عمران، إذ قالت امرأة عمران، واصطفاهم إذا قالت الملائكة: يا مريم، هذا اختيار الزجاج. والثالث: أنها من صلة «سميع» تقديره: والله سميع إذ قالت، وهذا اختيار ابن جرير الطبري. قال ابن عباس: واسم امرأة عمران حنة، وهي أم مريم، وهذا عمران بن ماثان<sup>(١)</sup>، وليس: «عمران أبي موسى» ولست هذه مريم أخت موسى. وبين عيسى وموسى ألف وثمانمائة سنة. والمُحَرَّر: العتيق. قال ابن قتيبة: يقال: اعتقت الغلام، وحررت: سواء. وأرادت: أي نذرت أن أجعل ما في بطني محرراً من التعبد للدنيا، ليعبدك. وقال الزجاج: كان على أولادهم فرضاً أن يطيعوهم في نذرهم، فكان الرجل ينذر في ولده أن يكون خادماً في متعبدهم. وقال ابن إسحاق: كان السبب في نذرها أنه أمسك عنها الولد حتى أسنت، فرأت طائراً يطعم فرخاً له، فدعت الله أن يهب لها ولداً، وقالت: اللهم لك عليّ إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس، فحملت بمریم، وهلك عمران. وهي حامل. قال القاضي أبو يعلى: والنذر في مثل ما نذرت صحيح في شريعتنا، فإنه إذا نذر الإنسان أن ينشئ ولده الصغير على عبادة الله وطاعته، وأن يعلمه القرآن، والفقه، وعلم الدين، صح النذر.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنْ الْذَكَرَ كَأَلَانِي قَالَ رَبِّ سَتَبَشِّرُنِي بِمِذَّةٍ مِّنْ رَبِّكَ فَقَدِ ابْتَدَأَ بِكُفْرًا يَدْعُو إِلَى الْفِتْنَةِ أَلَيْسَ بِالْكُفْرِ عَظِيمًا﴾ (٣٦)

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ قرأ ابن عامر، وعاصم إلا حفصاً ويعقوب «بِمَا وَضَعْتَ» بإسكان العين، وضم التاء. وقرأ الباقون بفتح العين، وجزم التاء، قال ابن قتيبة: من قرأ بجزم التاء، وفتح العين، فيكون في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: إني وضعتها أنثى، وليس الذكر كالأنثى، والله أعلم بما وضعت. ومن قرأ بضم التاء، فهو كلام متصل من كلام أم مريم.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ الْذَكَرَ كَأَلَانِي﴾ من تمام اعتذارها، ومعناه: لا تصلح الأنثى لما يصلح له الذكر، من خدمته المسجد، والإقامة فيه، لما يلحق الأنثى من الحيض والنفاس. قال السدي: ظنت أن ما في بطنها غلام، فلما وضعت جارية، اعتذرت. ومريم: اسم أعجمي. وفي الرجيم قولان: أحدهما: الملعون، قاله قتادة. والثاني: أنه المرحوم بالحجارة، كما تقول: قتل بمعنى مقتول، قاله أبو عبيدة، فعلى هذا سني رجيماً، لأنه يرمى بالنجوم.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَلَمَتْهَا رَبُّهَا بُتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَوِيًّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَوِيًّا الْمَكْرَبَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِذًا قَالَ يَمُومُ أَنَّ لَكَ مَذًا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٧)

قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ قرأ مجاهد (فتقبلها) بسكون اللام (رَبُّهَا) بنصب الباء (وَأَلَمَتْهَا) بكسر الباء وسكون التاء على معنى الدعاء قال الزجاج: الأصل في العربية: فتقبلها بتقبل حسن، ولكن «قبول» محمول على قبلها

قبولاً يقال: قبلت الشيء قبولاً، ويجوز قبولاً: إذا رضيته. ﴿وَأَنْبَأَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾، أي: جعل نشوءها نشوءاً حسناً، وجاء «نباتاً» على غير لفظ أنبت، على معنى: نبتت نباتاً حسناً. وقال ابن الأنباري: لما كان «أنبت» يدل على «نبت» حمل الفعل على المعنى، فكانه قال: وأنبتها، فنبتت هي نباتاً حسناً. قال امرؤ القيس:

فصرنا إلى الحسنى ورقاً كلامنا ورضتُ فذلتُ صعبةً أيّ إذلال<sup>(١)</sup>

أراد: أي رياضة، فلما دل «رضت» على «أذلت» حملة على المعنى. وللمفسرين في معنى النبات الحسن، قولان. أحدهما: أنه كمال النشوء، قال ابن عباس: كانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام، والثاني: أنه ترك الخطايا. قال قتادة: حدثنا أنها كانت لا تصيب الذنوب، كما يصيب بنو آدم.

قوله تعالى: ﴿وَكُفَّلَهَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «وكفلها» بفتح الفاء خفيفة، و«زكرياء» مرفوع ممدود. وروى أبو بكر عن عاصم: تشديد الفاء، ونصب «زكرياء»، وكان يمد «زكرياء» في كل القرآن في رواية أبي بكر. وروى حفص عن عاصم: تشديد الفاء و«زكريا» مقصورة في كل القرآن. وكان حمزة والكسائي يشددان «وكفلها»، ويقصران «زكريا» في كل القرآن. فأما «زكريا» فقال الفراء: فيه ثلاث لغات: أهل الحجاز يقولون: هذا زكريا قد جاء، مقصور، وزكرياء، ممدود، وأهل نجد يقولون: زكري، فيجرونه، ويلقون الألف. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، عن ابن دريد، قال: زكري اسم أعجمي، يقال: زكري، وزكرياء ممدود، وزكريا مقصور. وقال غيره: وزكري بتخفيف الياء، فمن قال: زكرياء بالمد، قال في التثنية: زكرياوان، وفي الجمع زكرياؤون، ومن قال: زكريا بالقصر، قال في التثنية زكريان، كما تقول: مديان، ومن قال: زكري بتخفيف الياء، قال في التثنية: زكريان - الياء خفيفة، وفي الجمع: زكرون - بطرح الياء.

### الإشارة إلى كفالة زكريا مريم

قال السدي: انطلقت بها أمها في خرقتها، وكانوا يقترحون على الذين يؤتون بهم، فقال زكريا وهو نبيهم يومئذ: أنا أحقكم بها، عندي أختها، فأبوا، وخرجوا إلى نهر الأردن، فألقوا أقلامهم التي يكتبون بها، فجرت الأقلام، وثبت قلم زكريا، فكفلها. قال ابن عباس: كانوا سبعة وعشرين رجلاً، فقالوا: نطرح أقلامنا، فمن سعد قلمه مغالباً للجرية فهو أحق بها، فصعد قلم زكريا، فعلى هذا القول كانت غلبة زكريا بمساعدة قلمه، وعلى قول السدي بوقوفه في جريان الماء. وقال مقاتل: كان يفلق عليه الباب، ومعه المفتاح، لا يأمن عليه أحداً، وكانت إذا حاضت، أخرجها إلى منزله تكون مع أختها أم يحيى، فإذا طهرت، ردها إلى بيت المقدس. والأكثرون على أنه كفلها منذ كانت طفلة بالقرعة. وقد ذهب قوم إلى أنه كفلها عند طفولتها بغير قرعة، لأجل أن أمها ماتت، وكانت خالتها عنده، فلما بلغت، أدخلوها الكنيسة لنذر أمها، وإنما كان الاقتراح بعد ذلك بمدة، لأجل سنة أصابتهم. فقال محمد بن إسحاق: كفلها زكريا إلى أن أصابت الناس سنة، فشكا زكريا إلى بني إسرائيل ضيق يده، فقالوا: ونحن أيضاً كذلك، فجعلوا يتدافعونها حتى اقترعوا، فخرج السهم على جريج النجار، وكان فقيراً، وكان يأتيها باليسير، فيمني، فدخل زكريا، فقال: ما هذا على قدر نفقة جريج؟ فمن أين هذا؟ قالت: هو من عند الله. والصحيح ما عليه الأكثرون، وأن القوم تشاحوا على كفالتها، لأنها كانت بنت سيدهم وإمامهم عمران، كذلك قال قتادة في آخرين، وأن زكريا ظهر عليهم بالقرعة منذ طفولتها. فأما المحراب، فقال أبو عبيدة: المحراب سيد المجالس، ومقدمها، وأشرفها، وكذلك هو من المسجد. وقال الأصمعي: المحراب هائنا: الغرفة. وقال الزجاج: المحراب في اللغة: الموضع العالي الشريف.

(١) «فيوانه» ص ٣٢. وصرنا إلى الحسنى. أي: لما نحب من الأمور. ورق كلامنا: أي: صرنا إلى الصبا وجد اللعب واللهو والغزل، فلم ترفع أصواتنا لتلا شعر بنا. ورضت قللت: بعد امتناع وصعوبة. والمعنى: ليبتها بالكلام والمداراة، كما يراض البعير بالسير حتى يذل. وقوله: أيّ إذلال، محمول على: رضت، لأن معناه: أذلت.

قال الشاعر:

رُبُّهُ مُحَرَّابٌ إِذَا جُنَّتْهَا

لَمْ الْقُهَا أَوْ أُرْتَقَى سَلْمًا<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ قال ابن عباس: ثمار الجنة، فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، وهذا قول الجماعة.

قوله تعالى: ﴿أَنْ لَّيْ هَذَا﴾ أي: من أين؟ قال الربيع بن أنس: كان زكريا إذا خرج، أغلق عليها سبعة أبواب، فإذا دخل وجد عندها رزقاً. وقال الحسن: لم ترتفع ثدياً قط، وكان يأتيها رزقها من الجنة، فيقول زكريا: أنى لك هذا؟ فتقول: هو من عند الله، فتكلمت وهي صغيرة. وزعم مقاتل أن زكريا استأجر لها ظنراً، وعلى ما ذكرنا عن ابن إسحاق يكون قوله لها: أنى لك هذا؟ لاستكثار ما يرى عندها. وما عليه الجمهور أصح. والحساب في اللغة: التقدير والتضييق.

﴿فَتَالِكُ دَعَا زَكْرِيَّا رَبِّهٖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاۓ﴾

قوله تعالى: ﴿فَتَالِكُ دَعَا زَكْرِيَّا رَبِّهٖ﴾ قال المفسرون: لما عين زكريا هذه الآية العجيبة من رزق الله تعالى مريم الفاكهة في غير حينها، طمع في الولد على الكبر. و﴿وَمِنْ لَدُنْكَ﴾ بمعنى: من عندك. والذرية، تقال للجمع، وتقال للواحد، والمراد بها هاهنا: الواحد. قال الفراء: وإنما قال طيبة، لتأنيث الذرية، والمراد بالطيبة: النقية الصالحة. والسميع: بمعنى السامع. وقيل: أراد مجيب الدعاء.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَيِّنٌ مُّصَدِّقًا لِّمَا كُنْتَ مِنَ اللَّهِ وَاسْتَدْعَا وَحْشًا وَيَبْسُ وَنَبِيًّا مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمر، وابن عامر: «فنادته» بالياء، وقرأ حمزة، والكسائي: «فناداه» بالفتح مالة، قال أبو علي: هو كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَسُوۡةُ﴾ [يوسف: ٢٠]. وقرأ علي، وابن مسعود، وابن عباس: «فناداه» بالفتح. وفي الملائكة قولان: أحدهما: جبريل وحده، قاله السدي، ومقاتل، ووجهه أن العرب تخبر عن الواحد بلفظ الجمع، تقول: ركبت في السفن، وسمعت هذا من الناس. والثاني: أنهم جماعة من الملائكة، وهو مذهب قوم، منهم ابن جرير الطبري. وفي المحراب قولان: أحدهما: أنه المسجد. والثاني: أنه قبلة المسجد. وفي تسمية محراب الصلاة محراباً، ثلاثة أقوال: أحدها: لانفراد الإمام فيه، ويُعدّه من الناس، ومنه قولهم: فلان حرب لفلان: إذا كان بينهما مباغضة، وتباعد، ذكره ابن الأنباري عن أبيه، عن أحمد بن عبيد. والثاني: أن المحراب في اللغة أشرف الأماكن، وأشرف المسجد مقام الإمام. والثالث: أنه من الحرب فالمصلي محارب للشيطان.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَيِّنٌ﴾ قرأ الأكثرون بفتح الالف على معنى: فنادته الملائكة بأن الله، فلما حذف الجار منها، وصل الفعل إليها، فنصبها. وقرأ ابن عامر، وحمزة، بكسر «إِنْ» فأضمر القول. والتقدير: فنادته، فقالت: إن الله يبشرك. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: يبشرك بضم الباء: وفتح الباء، والتشديد في جميع القرآن إلا في ﴿حَدَّثَ﴾ [عسق: ١]. ﴿يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ﴾ [الشورى: ٢٣] فإنهما فتحا الباء وضما الشين، وخففاها. فأما نافع، وابن عامر، وعاصم، فشددوا كل القرآن. وقرأ حمزة: «يبشّر» خفيفاً في كل القرآن، إلا قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِبَشِيرَةٍ﴾ [الحجر: ٥٤]. وقرأ الكسائي «يبشّر» مخففة في خمسة مواضع، في (آل عمران) في قصة زكرياء، وقصة مريم، في (بني إسرائيل)، وفي (الكهف) وفي (حم عسق) قال الزجاج: وفي «يبشرك» ثلاث لغات: أحدها: «يبشرك»، بفتح الباء وتشديد الشين. والثاني: «يبشرك» بإسكان الباء، وضم الشين. والثالثة: «يبشرك» بضم الباء وإسكان الباء، فمعنى «يبشرك» بالتشديد و«يبشرك» بضم الباء: البشارة. ومعنى «يبشرك» بفتح الباء: يَسْرُكُ ويفرحك، يقال: بَشَرْتُ الرجل أَبَشْرُهُ، إذا أفرحته، وبشّر الرجل يَبَشِّرُ: إذا فرح.

وَأَشَدُّ الْأَخْشِ وَالْكَسَائِي:

وَإِذَا لَقِيتَ الْبَاهِشِينَ إِلَى الْعَلِيِّ  
فَاعْنَهُمْ وَابْشُرْ بِمَا بَشَرُوا بِهِ  
عُتْبَرًا أَكْفُهُمْ بِقَاعِ مُمَجِّلٍ  
وَإِذَا هُمْ نَزَلُوا بِضْنِكَ فَاَنْزِلْ<sup>(١)</sup>

فهذا على بشر يَشُرْ: إذا فرح. وأصل هذا كله أن بشرة الإنسان تنبسط عند السرور، ومنه قولهم: يلقاني بَشِر. أي: بوجوه منبسط، وفي معنى تسميته «يحيى» خمسة أقوال: أحدها: لأن الله تعالى أحيا به عمر أمه، قاله ابن عباس. والثاني: لأن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان، قاله قتادة. والثالث: لأنه أحيا بين شيخ وعجوز، قاله مقاتل. والرابع: لأنه حيي بالعلم والحكمة التي أوتيتها، قاله الزجاج. والخامس: لأن الله أحيا بالطاعة، فلم يعص، ولم يَهْم، قاله الحسن بن الفضل. وفي «الكلمة» قولان: أحدهما: أنها عيسى، وسمي كلمة، لأنه بالكلمة كان، وهي «كن» وهذا قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقاتدة، والسدي، ومقاتل. وقيل: إن يحيى كان أكبر من عيسى بستة أشهر، وقتل يحيى قبل رفع عيسى. والثاني: أن الكلمة كتاب الله وآياته، وهو قول أبي عبيدة في آخرين. ووجهه أن العرب تقول: أنشدني فلان كلمة، أي: قصيدة. وفي معنى السيد ثمانية أقوال: أحدها: أنه الكريم على ربه، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنه الحليم التي، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الضحاك. والثالث: أنه الحكيم، قاله الحسن، وسعيد بن جبيرة، وعكرمة، وعطاء، وأبو الشعثاء، والربيع، ومقاتل. والرابع: أنه الفقيه العالم، قاله سعيد بن المسيب. والخامس: أنه التقي، رواه سالم عن ابن جبيرة. والسادس: أنه الحسن الخلق، رواه أبو روق عن الضحاك. والسابع: أنه الشريف، قاله ابن زيد. والثامن: أنه الذي يفوق قومه في الخير، قاله الزجاج. وقال ابن الأنباري: السيد هاهنا الرئيس، والإمام في الخير. فأما «الحصور» فقال ابن قتيبة: هو الذي لا يأتي النساء، وهو فعول بمعنى مفعول، كأنه محصور عنهن، أي: محبوس عنهن. وأصل الحصر: الحبس. ومما جاء على «فعول» بمعنى «مفعول»: ركوب بمعنى مركوب، وحلوب بمعنى محلوب، وهيوب بمعنى مهيب. واختلف المفسرون لماذا كان لا يأتي النساء؟ على أربعة أقوال: أحدها: أنه لم يكن له ما يأتي به النساء، فروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا» قال: ثم دلى رسول الله ﷺ يده إلى الأرض، فأخذ عوداً صغيراً، ثم قال: «وذلك أنه لم يكن له ما للرجال إلا مثل هذا العود، ولذلك سماه الله سيداً وحصوراً»<sup>(٢)</sup> وقال سعيد بن المسيب: كان له كالنواة. والثاني: أنه كان لا ينزل الماء، قاله ابن عباس، والضحاك. والثالث: أنه كان لا يشتهي النساء، قاله الحسن، وقاتدة، والسدي. والرابع: أنه كان يمنع نفسه من شهواتها، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يَمُنُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال ابن الأنباري: معناه: من الصالحين الحال عند الله.  
﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي عَلِيمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَآمَرَنِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَقَعْلُ مَا يَشَاءُ﴾<sup>(٣)</sup>  
قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي عَلِيمٌ﴾ أي: كيف يكون؟!.

قال الكمي:

أَتَى وَمِنْ أَيْمَنِ ابْنِكَ الطَّرَبُ<sup>(٣)</sup>

(١) البيهقي لمجد قيس بن غفان البرجمي من قصيدة حكيم أثبتها صاحب «الأصمعيات» رقم ٨٧، و«المفضليات» رقم ١١٦. يهش إلى الشيء: فرح به فأسرع إليه. القاع: أرض سهلة مستوية تنفرج عنها الجبال والأكام، ولا حصى فيها ولا حجارة، ولا تنبت الشجر. الممحل: المجدب. يقول: إذا رأيت الكرام الأسخياء، قد أجهتكم السنة، والقحط، والجذب، حتى اغبرت أيديهم من قلة ما يجدون، وكثرة ما بذلوا في معونة الناس فأهتهم. وأبشر من: بشر على وزن فرح يبشر، يقال: أتاني أمر يبشرت به، أي: سررت به. يقول: شاركهم في ارتياحهم، وفرحهم بالسخاء مع ما يلقون من جهد السنة. الضنك: الضيق. يقول: كن مع الكرام حيث كانوا، وأزل معهم كل منزل أنزلهموه كرمهم، من ضنك، وحاجة.

(٢) رواه ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم مرفوعاً وموقوفاً، ووصف ابن كثير المرفوع بأنه غريب جداً، وقال: الموقوف أصح إسناداً من المرفوع، وكذلك ذكر السيوطي في «الدر المنثور» المرفوع والموقوف، وقال: الموقوف أقوى إسناداً من المرفوع.

(٣) تعامه: من حيث لا صبرة ولا ريب. وهو مطلع قصيدة له يمدح بها رسول الله ﷺ. أبك: جاءك وعشيك، وهو فعل ماضٍ من الأوب. الطرب: خفة من فرح أو حزن، والمراد الأول. الصبا: الصبي والشوق. الريب: جمع ريبة، وهي الشبهة. يقول: كيف طربت مع كبير منك من حيث لا يوجد الطرب ومواضعه؟ الصبرة للصبر، والريب للحزن.

قال العلماء، منهم الحسن، وابن الأثيري، وابن كيسان: كانه قال: من أي وجه يكون لي الولد؟ أيكون بإزالة العقر عن زوجتي، ورة شبابي؟ أم يأتي ونحن على حالنا؟ فكان ذلك على سبيل الاستعلام، لا على وجه الشك. قال الزجاج: يقال: غلام بين الغلوميّة، وبين الغلاميّة، وبين الغلومة. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: الغلام: فعال، من الغلّمة، وهي شدة شهوة النكاح. ويقال للكهل: غلام.

قالت ليلى الأخيلى تمدح الحجاج:

غلام إذا هزّ القنّاة سقاها<sup>(١)</sup>

.....

وكان قولهم للكهل: غلام، أي: قد كان مرة غلاماً. وقولهم للطفل: غلام على معنى التفاضل، أي: سيصير غلاماً. قال: وقيل: الغلام الطار الشارب، ويقال للجارية غلامة. قال الشاعر:

يهان لها الغلامّة والغلام<sup>(٢)</sup>

.....

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغَ الْكَهْلَ﴾ أي: وقد بلغت الكبر، قال الزجاج: كل شيء بلغته فقد بلغك. وفي سنة يؤمّن ستة أقوال: أحدها: أنه كان ابن مائة وعشرين سنة، امرأته بنت ثمان وتسعين سنة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه كان ابن بضع وسبعين سنة، قاله قتادة. والثالث: ابن خمس وسبعين، قاله مقاتل. والرابع: ابن سبعين، حكاه فضيل بن غزوان. والخامس: ابن خمس وستين. والسادس: ابن ستين، حكاهما الزجاج. قال اللغويون: والعاقِر من الرجال والنساء: الذي لا يأتيه الولد، وإنما قال: «عاقِر»، ولم يقل: عاقرة، لأن الأصل في هذا الوصف للمؤنث، والمذكر فيه كالمستعار، فأجري مجرى «طالق» و«حائض» هذا قول الفراء.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَادَّكَ رَبُّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحَ بِالنَّهِيَةِ وَالْإِنْشِكَارِ﴾<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أي: علامة على وجود الحمل. وفي علة سؤاله «آية» قولان: أحدهما: أن الشيطان جاءه، فقال: هذا الذي سمعت من صوت الشيطان، ولو كان من وحي الله، لأوحاه إليك، كما يوحى إليك غيره، فسأل الآية، قاله السدي عن أشياخه. والثاني: أنه إنما سأل الآية على وجود الحمل ليبادر بالشكر، وليتبع السرور، لأن شأن الحمل لا يتحقق بأوله، فجعل الله آية وجود الحمل حبس لسانه ثلاثة أيام. فأما «الرمز» فقال الفراء: الرمز بالشفيتين، والحاجبين، والعينين، وأكثره في الشفتين. قال ابن عباس: جعل يكلم الناس بيده. وإنما منع من مخاطبة الناس، ولم يحبس عن الذكر لله تعالى. وقال ابن زيد: كان يذكر الله، ويشير إلى الناس. وقال عطاء بن السائب: اعتُقِلَ لسانه من غير مرض. وجمهور العلماء على أنه إنما اعتقل لسانه آيةً على وجود الحمل. وقال قتادة، والربيع بن أنس: كان ذلك عقوبة له إذ سأل الآية بعد مشافهة الملائكة بالبشارة.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحَ﴾ قال مقاتل: صل. قال الزجاج: يقال: فرغت من سُبْحَتِي، أي: من صلاتي. وسميت الصلاة تسييحاً، لأن التسييح تعظيم الله، وتبرئته من السوء، فالصلاة يوصف فيها بكل ما يبرئه من السوء.

قوله تعالى: ﴿بِالنَّهِيَةِ﴾ العشي: من حين نزول الشمس إلى آخر النهار ﴿وَالْإِنْشِكَارِ﴾: ما بين طلوع الفجر إلى وقت الضحى: قال الشاعر:

فلا الظلّ في برد الضحى تستطيعه

ولا الفسي من برد الشعبي يذوق<sup>(٤)</sup>

قال الزجاج: يقال: أبكر الرجل يبكر إيكاراً، وبكر يبكر تبكيراً، وبكر يبكر؛ في كل شيء تقدم فيه.

(١) الأماي ٨٦/١: وصدره: شفاها من البناء المضال الذي بها. وقوله:

تنبع أقصى دائها شفاها

إنما عبط الحجاج أرضاً مريضة

(٢) هو عجز بيت من قصيدة لأوس بن خلفاء الهجيمي، وصدره:

وثر كضفة صريح أبيوما

(٣) البيت لحمد بن ثور الهلالي: الديوان ص ٣٣. وهو من قصيدته الغزلية الجيدة التي قالها لما تقدم عمر بن الخطاب ﷺ إلى الشعراء: ألا يشب أحد بامرأة إلا جلده، فخرج من عقوبة عمر بأن ذكر اسرحه وسماها سرحه ملك. ورواية البيت في الديوان:

ولا الفسي منها بالمشي تذوق

فلا الظلّ منها بالضحى تستطيعه

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَلَكَرِهَ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْمَلَائِكَةِ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ قال جماعة من المفسرين: المراد بالملائكة: جبريل وحده. وقد سبق معنى الاصطفاء. وفي المراد بالتطهير هاهنا أربعة أقوال. أحدها: أنه التطهير من الحيض، قاله ابن عباس. وقال السدي: كانت مريم لا تحيض. وقال قوم: من الحيض والنفس. والثاني: من مس الرجال، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: من الكفر، قاله الحسن، ومجاهد. والرابع: من الفاحشة والإثم، قاله مقاتل. وفي هذا الاصطفاء الثاني أربعة أقوال: أحدها: أنه تأكيد للأول. والثاني: أن الأول للعبادة، والثاني: لولادة عيسى عليه السلام. والثالث: أن الاصطفاء الأول اختيار مبهم، وعموم يدخل فيه صوالح من النساء، فأعاد الاصطفاء لتفضيلها على نساء العالمين. والرابع: أنه لما أطلق الاصطفاء الأول، أبان بالثاني أنها مصطفاة على النساء دون الرجال. قال ابن عباس، والحسن وابن جريج: اصطفاهما على عالمي زمانها. قال ابن الأنباري: وهذا قول الأكثرين<sup>(١)</sup>.

﴿يَمْرُؤُا أَقْبَىٰ لِرَبِّكِ وَأَسْبَغَىٰ وَأَرْكَبَىٰ مَعَ الْوَكِيلِ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿يَمْرُؤُا أَقْبَىٰ لِرَبِّكِ﴾ قد سبق شرح القنوت في «البقرة»، وفي المراد به هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنه العبادة، قاله الحسن. والثاني: طول القيام في الصلاة، قاله مجاهد. والثالث: الطاعة، قاله قتادة، والسدي، وابن زيد. والرابع: الإخلاص، قاله سعيد بن جبیر. وفي تقديم السجود على الركوع أربعة أقوال: أحدها: أن الواو لا تقتضي الترتيب، وإنما تؤذن بالجمع، فالركوع مقدم، قاله الزجاج في آخرين. والثاني: أن المعنى استعلمي السجود في حال، والركوع في حال، لا أنهما يجتمعان في ركعة، فكانه حث لها على فعل الخير. والثالث: أنه مقدم ومؤخر، والمعنى: اركعي واسجدي، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَكِّلٌ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ذكرهما ابن الأنباري. والرابع: أنه كذلك كان في شريعتهم تقديم السجود على الركوع، ذكره أبو سليمان الدمشقي. قال مقاتل: ومعناه: اركعي مع المصلين قراء بيت المقدس. قال مجاهد: سجدت حتى قرحت.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَيْهَمْ أَلَيْسَ إِنَّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۚ﴾

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يَخْتَارُكِ يَكْفُمُ مِنْهُ أَسْمُهُ السَّيِّئُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۚ﴾ وَيَكْفُمُ النَّاسَ فِي الْهَيْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ «ذلك» إشارة إلى ما تقدم من قصة زكرياء، ويحيى، وعيسى، ومريم. والأنباء: الأخبار. والغيب: ما غاب عنك. والوحي: كل شيء دلت به من كلام، أو كتاب، أو إشارة، أو رسالة، قاله ابن قتيبة. والوحي في القرآن على أوجه تراها في كتابنا الموسوم بـ «الوجوه والنظائر» موقفة. وفي الأقسام ثلاثة أقوال: أحدها: أنها التي يكتب بها، قاله ابن عباس، وابن جبير، والسدي. والثاني: أنها العصي، قاله الربيع بن أنس. والثالث: أنها القداح، وهو اختيار ابن قتيبة، وكذلك قال الزجاج: هي قداح جعلوا عليها علامات يعرفونها على جهة القرعة. وإنما قيل للسهم: القلم، لأنه يقلم، أي: يبري. وكل ما قطعت منه شيئاً بعد شيء، فقد قلمته، ومنه القلم الذي يكتب به، لأنه قلم مرة بعد مرة، ومنه: قلمت لظفاري. قال: ومعنى: ﴿أَلَيْسَ إِنَّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ لينظروا أيهم تجب له كفالة مريم، وهو الضمان للقيام بأمرها. ومعنى: ﴿لَدَيْهِمْ﴾ عندهم. وقد سبق شرح كفالتهم لها آنفاً. وفي المراد بالكلمة هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قول الله له: «كن» فكان، قاله ابن عباس، وقاتدة. والثاني: أنها بشارة الملائكة مريم بعيسى، حكاه أبو سليمان. والثالث: أن الكلمة اسم لعيسى، وسمي كلمة، لأنه كان عن الكلمة. وقال القاضي أبو يعلى: لأنه يهتدى به كما يهتدى بالكلمة من الله تعالى. وفي تسميته بالمسيح ستة أقوال: أحدها: أنه لم يكن لقدمه أخمص، والأخمص: ما يتجافى عن الأرض من باطن القدم، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: أنه كان لا يمسح

(١) قال الحافظ ابن حجر ٣٣٩/٦ في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَكْنِيكَ عَلَىٰ نِسَاءِ الْمَلَائِكَةِ﴾ وظاهر أن مريم أفضل من جميع النساء، وهذا لا يمتنع عند من يقول: إنها نبيه، وأما من قال: ليست نبيه فيحمله على عالمي زمانها، وبالأول جزم الزجاج وجماعة، واختاره القرطبي، ويحتمل أيضاً أن يراد نساء بني إسرائيل أو نساء تلك الأمة.



بيده ذا عاهة إلا برا، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه مسح بالبركة، قاله الحسن، وسعيد. والرابع: أن معنى المسيح: الصديق، قاله مجاهد، وإبراهيم النخعي، وذكره اليزيدي. قال أبو سليمان الدمشقي: ومعنى هذا أن الله مسحه، فطهره من الذنوب. والخامس: أنه كان يمسح الأرض أي: يقطعها، ذكره ثعلب. وبيان: أنه كان كثير السياحة. والسادس: أنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، قاله أبو سليمان الدمشقي، وحكاه ابن القاسم. وقال أبو عبيد: المسيح في كلام العرب على معنيين: أحدهما: المسيح الدجال، والأصل فيه: الممسوح، لأنه ممسوح أحد العينين. والمسيح عيسى، وأصله بالعبرانية «مسيحا» بالشين، فلما عربته العرب، أبدلت من شينه سيناً، كما قالوا: موسى، وأصله بالعبرانية موسى. قال ابن الأنباري: وإنما بدأ بلقبه، فقال: المسيح عيسى ابن مريم، لأن المسيح أشهر من عيسى، لأنه قل أن يقع على سمي يشبه به، وعيسى قد يقع على عدد كثير، فقدمه لشهرته، ألا ترى أن القاب الخلفاء أشهر من أسمائهم. فأما قوله: عيسى ابن مريم، فإنا نسب إلى أمه، لينفي ما قال عنه الملحدون من النصارى، إذ أضافوه إلى الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِهَا﴾ قال ابن زيد: الوجيه في كلام العرب: المحبب المقبول. وقال ابن قتيبة. الوجيه: ذو الجاه. وقال الزجاج: هو ذو المنزلة الرفيعة عند ذوي القدر والمعرفة، يقال: قد وجّه الرجل يؤجّه وجهه، ولفلان جاه عند الناس، أي: منزلة رفيعة.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْمُتَرَفِّعِينَ﴾ قال قتادة: عند الله يوم القيامة. والمهد: مضجع الصبي في رضاعه، وهو مأخوذ من التمهيد، وهو التوطئة. وفي تكليمه للناس في تلك الحال قولان: أحدهما: لتبرئة أمه مما قذفت به. والثاني: لتحقيق معجزته الدالة على نبوته. قال ابن عباس: تكلم ساعة من مهده، ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق. ﴿وَكَهَلًا﴾ قال: ابن ثلاثين سنة أرسله الله تعالى، فمكث في رسالته ثلاثين شهراً، ثم رفعه الله. وقال وهب بن منبه: جاءه الوحي على رأس ثلاثين سنة، فمكث في نبوته ثلاث سنين، ثم رفعه الله. قال ابن الأنباري كان ﷺ قد زاد على الثلاثين، ومن أربى عليها، فقد دخل في الكهولة. والكهول عند العرب: الذي قد جاوز الثلاثين، وإنما سمي الكهل كهلاً، لاجتماع قوته، وكمال شبابه، وهو من قولهم: قد اكتهل النبات. وقال ابن فارس: الكهل: الرجل حين وخطه الشيب. فإن قيل: قد علم أن الكهل يتكلم، فعنه ثلاثة أجوبه: أحدها: أن هذا الكلام خرج مخرج البشارة بطول عمره، أي: أنه يبلغ الكهولة. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: ﴿وَكَهَلًا﴾ قال: ذلك بعد نزوله من السماء. والثاني: أنه أخبرهم أن الزمان يؤثر فيه، وأن الأيام تنقله من حال إلى حال، ولو كان إلهاً لم يدخل عليه هذا التغير، ذكره ابن جرير الطبري. والثالث: أن المراد بالكهل: الحليم، قاله مجاهد.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ في علة قولها هذا قولان: أحدهما: أنها قالت هذا تعجباً واستفهاماً، لا شكاً وإنكاراً، على ما أشرنا إليه في قصة زكريا، وعلى هذا الجمهور. والثاني: أن الذي خاطبها كان جبريل، وكانت تظنه آدمياً يريد بها سوءاً، ولهذا قالت: ﴿أَعَزُّ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٤١٨]، فلما بشرها لم تتيقن صحته قوله، لأنها لم تعلم أنه ملك، فلذلك قالت: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ أي: ولم يقرني زوج. والمس: الجماع، قاله ابن فارس. وسمي البشر بشراً، لظهورهم، والبشرة: ظاهر جلد الإنسان، وأبشرت الأرض: أخرجت نباتها. وبشرت الأديم: إذا قشرت وجهه، وتباشير الصبح: أوائله. قال - يعني جبريل: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: بسبب، وبغير سبب. وباقي الآية مفسر في «البقرة».

﴿وَيَعْلَمُ الْكِتَابَ وَالْعِزَّةَ وَالنَّوْزَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ الْكِتَابَ﴾ قرأ الأكثرون «ونعلمه» بالنون. وقرأ نافع، وعاصم بالياء، فعطفاه على قوله: «يشرك». وفي الكتاب قولان: أحدهما: أنه كُتِبَ النبيين وعلمهم، قاله ابن عباس. والثاني: الكتابة: قاله ابن جريج، ومقاتل. قال ابن عباس: والحكمة: الفقه، وقضاء النبيين.

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَنفَلْتُ لَكُم مِّنَ الذِّكْرِ الْكَيْدَ الطَّيِّرَ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَتْرَعُهُ الْأَكْهَمَ وَالْأَكْهَمَ وَأَتِي الْمَوْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا﴾ قال الزجاج: ينتصب على وجهين: أحدهما: ونجعله رسولاً. والاختيار عندي: ويكلم الناس رسولاً.

قوله تعالى: ﴿أَنِّي أَنفَلْتُ﴾ قرأ الأكثرون «أني» بالفتح، فجعلوها بدلاً من آية، فكانه قال: قد جئتكم بأني أخلق لكم، وقرأ نافع بالكسر، قال أبو علي: يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون مستأنفاً. والثاني: أنه فسر الآية بقوله: إني أخلق، أي: أصور وأقدر. قال ابن عباس: أخذ طيناً، وصنع منه خفاشاً، ونفخ فيه، فإذا هو طير، ويقال: لم يصنع غير الخفاش، ويقال: إن بني إسرائيل نعتوه بذلك، لأن الخفاش عجيب الخلق. وروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال لهم: ماذا تريدون؟ قالوا: الخفاش. فسأله أشد الطير خلقاً، لأنه يطير بغير ريش. وقال وهب: كان الذي صنعه يطير ما دام الناس ينظرونه، فإذا غاب عن أعينهم، سقط ميتاً، ليميز فعل الخلق من فعل الخالق. والأكثرون قرؤوا ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ وقرأ نافع هاهنا وفي (المائدة) «طائرًا». قال أبو علي: حجة الجمهور قوله تعالى: ﴿كَيْدَ الطَّيْرِ﴾ ولم يقل: كهية الطائر. ووجه قراءة نافع: أنه أراد: يكون ما أنفخ فيه، أو ما أخلقه، طائراً. وفي «الأكه» أربعة أقوال: أحدها: أنه الذي ولد أعمى، رواه الضحاك عن ابن عباس، وسعيد عن قتادة، وبه قال اليزيدي، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنه الأعمى، ذكره ابن جريج عن ابن عباس، ومعمار عن قتادة، وبه قال الحسن، والسدي. وحكى الزجاج عن الخليل أن الأكه: هو الذي يولد أعمى، وهو الذي يعمي، وإن كان بصيراً. والثالث: أنه الأعمش، قاله عكرمة. والرابع: أنه الذي يبصر بالنهار، ولا يبصر بالليل، قاله مجاهد والضحاك. والأبرص: الذي به وضح. وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام، علم الطب، فأراهم المعجزة من جنس ذلك، إلا أنه ليس في الطب إبراء الأكه والأبرص، وكان ذلك دليلاً على صدقه. قال وهب: ربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفاً، وإنما كان يداويهم بالدعاء. وذكر المفسرون أنه أحيأ أربعة أنفس من الموت، وعن ابن عباس: أن الأربعة كلهم بقي حتى ولد له، إلا سام بن نوح.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ قال سعيد بن جبير: كان عيسى إذا كان في المكتب يخبرهم بما يأكلون، ويقول للغلام: يا غلام إن أهلك قد هيؤا لك كذا وكذا من الطعام فتطمعني منه<sup>(١)</sup>؟ وقال مجاهد: بما أكلتم البارحة، وبما خيأتم منه. وعلى هذا المفسرون، إلا أن قتادة كان يقول: وأنبئكم بما تأكلون من المائدة التي تنزل عليكم، وما تدخرون منها، وكان أخذ عليهم أن يأكلوا منها، ولا يدخروا، فلما خانوا، مُسخوا خنازير<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَصَدَقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِّنَ التَّوْرَةِ وَلَأَجَلَ لَكُمْ تَسْمُنَ الْزَيْتِ الْكَرْيُ عَلَيْهِمْ وَيَشْكُرُ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَنْفُخُوا اللَّهُ وَأَطِيعُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ فَأَقْبِدُوا هَذَا يَرْحَمُ مُسْتَفِئِينَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَصَدَقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قال الزجاج: نصب «مصدقاً» على الحال، أي: وجئتكم مصدقاً ﴿وَلَأَجَلَ لَكُمْ تَسْمُنَ الْزَيْتِ الْكَرْيُ عَلَيْهِمْ﴾ قال قتادة: كان قد حرم عليهم موسى الإبل والثوب<sup>(٣)</sup> وأشياء من الطير، فأحلها عيسى. قوله تعالى: ﴿يَشْكُرُ بِبَيِّنَاتٍ﴾ أي: بآيات تعلمون بها صدقي، وإنما وحد، لأن الكل من جنس واحد ﴿بَيْنَ رَّبِّكُمْ﴾ أي: من عند ربكم.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ فَأَلْهَمَ الْكُرْهُنَ أَنَّ أَنْصَارَ اللَّهِ مَا نَآءُ وَأَشْهَدَ أَنَّآ مُّسْلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾

(١) أخرجه سعيد بن منصور وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير.

(٢) أخرجه عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عمار بن ياسر عليه السلام.

(٣) الثوب: جمع ثوب، وهي الشحم الرقيق الذي يغشى الكرش والأمعاء والمصارين من الذبائح والأنعام.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾ أي: علم. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: يقال: أحسستُ بالشيء، وحسست به، وقول الناس في المعلومات «محسوسات» خطأ، إنما الصواب «المحسّات» فأما المحسوسات، فهي المقتولات، يقال: حسه: إذا قتله. و«الأنصار»: الأعوان. و«إلى» بمعنى «مع» في قول الجماعة، قال الزجاج: وإنما حسنت في موضع «مع» لأن «إلى» غاية و«مع» تضم الشيء بالشيء<sup>(١)</sup>. قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون المعنى: من أنصاري إلى أن أبين أمر الله. واختلفوا في سبب استنصاره بالحواريين، فقال مجاهد: لما كفر به قومه، وأرادوا قتله، استنصر الحواريين. وقال غيره: لما كفروا به، وأخرجوه من قريتهم، استنصر الحواريين. وقيل: استنصرهم، لإقامة الحق، وإظهار الحجة. والجمهور على تشديد «إيا» الحواريين. وقرأ الجوني، والجحدري، وأبو حيو: الحواريون يتخفيف الياء. وفي معنى الحواريين ستة أقوال: أحدها: أنهم الخواص الأصفياء، قال ابن عباس: الحواريون: أصفياء عيسى. وقال الفراء: كانوا خاصة عيسى. وقال الزجاج: الحواريون في اللغة: الذين أخلصوا، ونفوا من كل عيب، وكذلك الدقيق: الحواري، إنما سمي بذلك، لأنه يتقى من لباب البر وخالصة. قال حذاق اللغويين: الحواريون: صفوة الأنبياء الذين خلصوا وأخلصوا في تصديقهم ونصرتهم. ويقال: عين حوراء: إذا اشتد بياضها وخلص، واشتد سوادها، ولا يقال: امرأة حوراء، إلا أن تكون مع حور عينها بيضاء. والثاني: أنهم البيض الثياب، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنهم سمو بذلك، لبياض ثيابهم. والثالث: أنهم القصارون، سمووا بذلك، لأنهم كانوا يحورون الثياب، أي: يبيضونها. قال الضحاک، ومقاتل: الحواريون: هم القصارون. قال اليزيدي: ويقال للقصارين: الحواريون، لأنهم يبيضون الثياب، ومنه سمي الدقيق: الحواري، والعين الحوراء: الثقبه المحاجر. والرابع: الحواريون: المجاهدون. وأنشدوا:

ونحن أناسٌ يملأ البَيْضُ هامنا      ونحن حواريون حين نزاحف  
جماجمنا يوم اللقاء ترأسنا      إلى الموت نمشي ليس فينا تحائف

والخامس: الحواريون: الصيادون. والسادس: الحواريون: الملوك، حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن الأنباري. قال ابن عباس: وعدد الحواريين اثنا عشر رجلاً. وفي صناعته قولان: أحدهما: أنهم كانوا يصطادون السمك، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: أنهم كانوا يغسلون الثياب، قاله الضحاک، وأبو أرتاة.

﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنَّا أَزْوَاجًا مِّمَّا أَزْنَمْنَا وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الْكَاثِبِينَ﴾ (٥٣)

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنَّا أَزْوَاجًا﴾ هذا قول الحواريين. والذي أنزل: الأنجيل. والرسول: عيسى. وفي المراد بالشاهدين خمسة أقوال: أحدها: أنهم محمد ﷺ وأمته، لأنهم يشهدون للرسول بالتبليغ، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أنهم من آمن قبلهم من المؤمنين، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم الأنبياء، لأن كل نبي شاهد أمته، قاله عطاء. والرابع: أن الشاهدين: الصادقون، قاله مقاتل. والخامس: أنهم الذين شهدوا للأنبياء بالتصديق. فمعنى الآية: صدقنا، واعترفنا، فاكبتنا مع من فعل فعلنا، هذا قول الزجاج.

﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيْنَ﴾ (٥٤)

قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: المكر من الخلق: خبث وخداع، ومن الله ﷻ: المجازاة، فسمي باسم ذلك، لأنه مجازاة عليه، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِرُومٍ﴾ (البقرة: ١٥)، ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيْنَ﴾ (آل عمران: ٥٤)، لأن مكره مجازاة، ونصر للمؤمنين. قال ابن عباس: ومكرهم، أن اليهود أرادوا قتل عيسى، فدخل خوخة، فدخل رجل منهم، فألقى عليه شبه عيسى، ورفع عيسى إلى السماء، فلما خرج إليهم، ظنوه عيسى، فقتلوه.

(١) قال الفراء في «معاني القرآن» ص ٢١٨: المفسرون يقولون: من أنصاري مع الله. وهو وجه حسن، وإنما يجوز أن تجعل «إلى» موضع «مع» إذا ضمنت إلى الشيء، مما لم يكن معه، كقول العرب: إن الذود إلى الذود إيل: أي: إذا إذا ضمنت الذود إلى الذود صارت إيلاً. فإذا كان الشيء مع الشيء لم تصلح مكان «مع» «إلى» ألا ترى أنك تقول: قدم فلان، ومعه مال كثير. ولا تقول في هذا الموضع: قدم فلان وإليه مال كثير. وكذلك تقول: قدم فلان إلى أهله، ولا تقول: مع أهله. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ معناه: ولا تضيّقوا أموالهم إلى أموالكم.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ وَإِنَّا لَمُطَهِّرُونَ﴾ **٥٥** كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْبَيْعَةِ ثُمَّ لَكَ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فَمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ **٥٦** .

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ قال ابن قتيبة: التوقي، من استيفاء العدد، يقال: توفيت، واستوفيت، كما يقال: تيقنت الخبر، واستيقنته، ثم قيل للموت: وفاة، وتوف. وأنشد أبو عبيدة:

إن بنى الأردد ليسوا من أحدٍ  
ليسوا إلى قيس وليسوا من أسدٍ  
ولا توفاهم قريش في العدد<sup>(١)</sup>

أي: لا تجعلهم وفاء لعددها، والوفاء: التمام. وفي هذا التوفي قولان: أحدهما: أنه الرفع إلى السماء<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه الموت. فعلى القول الأول يكون نظم الكلام مستقيماً من غير تقديم ولا تأخير، ويكون معنى «متوفيك» قابضك من الأرض وافية تاماً من غير أن ينال منك اليهود شيئاً، هذا قول الحسن، وابن جريج، وابن قتيبة، واختاره الفراء، ومما يشهد لهذا الوجه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنتَ أَزْوَاجٌ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]، أي: رفعتني إلى السماء من غير موت، لأنهم إنما بدلوا بعد رفعه، لا بعد موته. وعلى القول الثاني يكون في الآية تقديم وتأخير، وتقديره: إني رافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد ذلك، هذا قول الفراء، والزجاج في آخرين. فتكون الفائدة في إعلامه بالتوفي تعريفه أن رفعه إلى السماء لا يمنع من موته. قال سيعد بن المسيب: رُفِعَ عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة. وقال مقاتل: رفع من بيت المقدس ليلة القدر في رمضان. وقيل: عاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين. ويقال: ماتت قبل رفعه.

قوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ رَبِّكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه رفعه من بين أظهرهم. والثاني: متعهم من قبله. وفي الذين اتبعوه قولان: أحدهما: أنهم المسلمون من أمة محمد ﷺ، لأنهم صدقوا بنبوته، وأنه روح الله وكلمته، هذا قول قتادة، والربيع، وابن السائب. والثاني: أنهم النصارى، فهم فوق اليهود، واليهود متسلطون مهجرون، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿فَمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ يعني الدين.

﴿فَلَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدَبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ لَّعِينِينَ﴾ **٥٧**

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قيل: هم اليهود والنصارى، وعذابهم في الدنيا بالسيف والجزية، وفي الآخرة بالنار.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَاسَوْا وَعِمِلُوا الْفِتْنَةَ فَيُوقَعُهُمْ أَجْرُهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ **٥٨**

قوله تعالى: ﴿فَيُوقَعُهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ قرأ الأكثرون بالنون، وقرأ الحسن، وقاتدة، وحفص عن عاصم: «فيوقعهم» بالياء معطوفاً على قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى﴾.

﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ **٥٩**

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ يعني ما جرى من القصص. «وَمِنَ الْآيَاتِ»، يعني الدلالات على صحة رسالتك، إذ كانت أخباراً لا يعلمها أمي. «وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ» قال ابن عباس: هو القرآن. قال الزجاج: معناه: ذو الحكمة في تأليفه ونظمه، وإيانة الفوائد منه.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُم مِّنْ طَرَابُفٍ ثُمَّ قَالَ لَهُمُ إِنِّي كُنْتُ نَبِيًّا﴾ **٦٠**

(١) الرجز لمنظور البوري كما في «اللسان» ٤٠٠/١٥. يريد: أن قرئاً لا تجعلهم تمام جدهم، ولا تستوفي بهم جدهم.

(٢) وهو الصحيح المتعين، قال الطبري: وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: معنى ذلك إني قابضك من الأرض ورافعك، لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يُنْزَلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَيُقْتَلُ الدَّجَالُ، ثُمَّ يَمُوتُ فِي الْأَرْضِ مِلَّةً - ذَكَرَهَا، اختلفت الرواية في مبلغها - ثُمَّ يَمُوتُ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَدْفَنُونَهُ». ثم قال: «فومعلوم أنه لو كان قد أماته الله ﷻ، لم يكن بالذي يمته مئة أخرى، فيجمع عليه مبتتين، لأن الله ﷻ إنما أخبر بإياديه أنه يخلقهم ثم يميتهم، ثم يحييهم، كما قال جل ثناؤه: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يَرْجِعُكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ فِي ذَٰلِكُمْ يَتَذَكَّرُ» [الروم: ٤٥]. فتأويل الآية إذاً: قال الله لعيسى: يا عيسى إني قابضك من الأرض ورافعك إليّ، ومطهرك من الذين كفروا فوجدوا نبوتك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِثْلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَا كُنْتَ مِثْلَ آدَمَ﴾ قال أهل التفسير: سبب نزول هذه الآية، مخاصمة وفد نجران من النصاري للنبي ﷺ، في أمر عيسى، وقد ذكروه في أول السورة. فأما تشبيه عيسى بآدم، فلأنهما جميعاً من غير أب.

قوله تعالى: ﴿خَلَقْنَا مِنْ تُرَابٍ﴾ يعني: آدم. قال ثعلب: وهذا تفسير لآمر آدم. وليس بحال<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ قَالَ لَهُ﴾ يعني لآدم، وقيل لعيسى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: فكان: فأريد بالمستقبل الماضي، كقوله تعالى: ﴿وَأَتَّبِعُوا مَا تَنَزَّلُوا مِنَ السَّمَاوَاتِ﴾ أي: ما نزلت الشياطين.

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمِرِّينَ﴾

قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال الزجاج: الحق مرفوع على خبر ابتداء محذوف، المعنى: الذي أنبأتك به في قصة عيسى الحق من ربك ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: الشاكين. والخطاب للنبي خطاباً للخلق، لأنه لم يشك.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَدُو مَا جَاءَكَ مِنْ أَوْلِيَاءِكَ فَقُلْ مَا أَتَاكَ مِنْ بَدُوِّكَ وَأَنْتَ كَذَّابٌ﴾ أي: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَدُو مَا جَاءَكَ مِنْ أَوْلِيَاءِكَ وَأَنْتَ كَذَّابٌ وَأَنْتَ كَذَّابٌ وَأَنْتَ كَذَّابٌ فَتَجْعَلُ لَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَدُو مَا جَاءَكَ مِنْ أَوْلِيَاءِكَ وَأَنْتَ كَذَّابٌ وَأَنْتَ كَذَّابٌ وَأَنْتَ كَذَّابٌ

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ في هاء «فيه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى عيسى. والثاني: إلى الحق. والعلم: البيان والإيضاح.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْ مَا أَتَاكَ مِنْ بَدُوِّكَ وَأَنْتَ كَذَّابٌ﴾ قال ابن قتبية: تعالى: تفاعل، من علوت، ويقال للثنتين من الرجال والنساء: تعاليا، وللنساء: تعالين. قال الفراء: أصلها من العلو، ثم إن العرب لكثرة استعمالهم إياها، صارت عندهم بمنزلة «هلم» حتى استجازوا أن يقولوا للرجل، وهو فوق شرف: تعال، أي: اهبط. وإنما أصلها: الصعود. قال المفسرون: أراد بآبائنا: فاطمة والحسن، والحسين. وروى مسلم في «صحيحه» من حديث سعد بن أبي وقاص قال: لما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ مَا أَتَاكَ مِنْ بَدُوِّكَ وَأَنْتَ كَذَّابٌ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلي»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسًا﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أراد علي بن أبي طالب، قاله الشعبي. والعرب تخبر عن ابن العم بأنه نفس ابن عمه. والثاني: أراد الإخوان، قاله ابن قتبية. والثالث: أراد أهل دينه، قاله أبو سليمان الدمشقي. والرابع: أراد الأزواج. والخامس: أراد القرابة القريبة، ذكرهما علي بن أبي أحمد النيسابوري. فأما الابتهاال، فقال ابن قتبية: هو التداعي باللعن، يقال: عليه بهلة الله. وبهله، أي: لعنته. وقال الزجاج: معنى الابتهاال في اللغة: المبالغة في الدعاء، وأصله: الالتعان، يقال: بهله الله، أي: لعنه. وأمر بالمبالغة بعد إقامة الحجة. قال جابر بن عبد الله: قدم وفد نجران فيهم السيد والعاقب، فذكر الحديث... إلى أن قال: فدعاها إلى الملاعة، فوعده أن يعادها، فغدا رسول الله ﷺ فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما، فأبيا أن يجيباه، فأقرا له بالخراج، فقال: «والذي بعثني بالحق لو فعلا لمطر الوادي عليهم ناراً»<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَبِكَ اللَّهُ لَهُوَ الْغَرَضُ الْحَكِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ قال الزجاج: دخلت «من» هاهنا توكيداً ودليلاً على نفي جميع ما ادعى المشركون من الآلهة.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُنْفِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: عن الملاعة، قاله مقاتل. والثاني: أنه عن البيان الذي أتى به

(١) يريد أن جملة «خلقه» تفسيرية لمثل آدم، فلا موضع لها من الإعراب، ولا يصلح أن تكون حالاً، لأن «خلقه» فعل ماضٍ، ولا يكون الحال منه، وقيل: هي في موضع الحال، وقد مع «خلقه» مقدرة، والعامل فيها معنى التشبيه. انظر: «معاني القرآن» للفراء، «البحر المحيط» ٤٧٨/٢.

(٢) رواه مسلم في «فضائل الصحابة» مطولاً من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٣) قال الحافظ ابن كثير: رواه ابن موديه، ورواه الحاكم بمعناه، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، هكذا قال. وقد رواه أبو داود الطيالسي عن الشعبي مرسلاً، وهو أصح، وقد روي عن ابن عباس، والبراء نحو ذلك.

النبي ﷺ، قاله الزجاج. والثالث: عن الإقرار بوحداية الله، وتنزيهه عن الصاحبة والولد، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي الفساد هاتان قولان: أحدهما: أنه العمل بالمعاصي، قاله مقاتل، والثاني: الكفر، ذكره الدمشقي.

﴿قُلْ يَكْفُرُ الْكَافِرُ تَمَازُوا إِلَى كَلِمَةٍ سَلَمَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَقْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَكْفُرُ الْكَافِرُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله قتادة، وابن جريج، والربيع بن أنس. والثاني: وفد نجران الذين حاجوا في عيسى، قاله السدي ومقاتل. والثالث: أهل الكتابين جميعاً، قاله الحسن. وقال ابن عباس: نزلت في القسيسين والرهبان، فبعث بها النبي ﷺ إلى جعفر وأصحابه بالحشة، فقرأها جعفر، والنجاشي جالس، وأشرف الحشة. فاما «الكلمة» فقال المفسرون هي: لا إله إلا الله. فإن قيل: فهذه كلمات، فلم قال كلمة؟ فعه جوابان: أحدهما: أن الكلمة تعبر عن ألفاظ وكلمات. قال اللغويون: ومعنى كلمة: كلام فيه شرح قصة وإن طال، تقول العرب: قال زهير في كلمته؛ يراد في قصيدته.

قالت الخنساء:

وقافية مثل حد السنا

تقد الذؤابة من يذبل

نطقت ابن عمرو فسئلها

ن تبقى ويذهب من قالها

أبت أن تزايل أوعالها

ولم ينطق الناس أمثالها<sup>(١)</sup>

فأوقعت القافية على القصيدة كلها، والغالب على القافية أن تكون في آخر كلمة من البيت، وإنما سميت قافية، لأن الكلمة تتبع البيت، وتقع آخره، فسميت قافية من قول العرب: قفوت فلاناً: إذا اتبعته، وإلى هذا الجواب يذهب الزجاج وغيره. والثاني: أن المراد بالكلمة: كلمات، فاكفى بالكلمة من كلمات، كما قال علقمة بن عبدة:

بها جيف الحسرى فاما عظامها

أراد: وأما جلودها، فاكفى بالواحد من الجمع، ذكره والذي قبله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿سَلَمَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ قال الزجاج: يعني بالسواء العدل، وهو من استواء الشيء، ويقال: للعدل سواء ونيواء وسواء.

قال زهير بن أبي سلمى:

أروني خُطَّةً لا ضيمَ فيها

فإن تدعوا السواء فليس بيني

يسوي بيننا فيها السواء

وبينكم بني حصن بقاء<sup>(٢)</sup>

قال: وموضع «أن» في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ خفض على البدل من «كلمة». المعنى: تعالوا إلى أن لا نعبد إلا الله، وجائز أن يكون «أن» في موضع رفع، كأن قائله قال: ما الكلمة؟ فأجيب، فقيل: هي ألا نعبد إلا الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سجود بعضهم لبعض، قاله عكرمة. والثاني: لا يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله، قاله ابن جريج. والثالث: أن نجعل غير الله رباً، كما قالت النصارى في المسيح، قاله مقاتل والزجاج.

﴿يَكْفُرُ الْكَافِرُ تَمَازُوا إِلَى كَلِمَةٍ سَلَمَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَقْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُ الْكَافِرُ تَمَازُوا إِلَى كَلِمَةٍ سَلَمَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ قال ابن عباس، والحسن، والسدي: اجتمع عند النبي ﷺ

(١) الأبيات من قصيدة تروى بها أخاها معاوية. وفي الديوان: «يهلك» بدل «يذهب» و«تفارق» بدل «تزايل». تقد: تذوق. الذؤابة: أعلى كل شيء. يلبل: جبل في أقصى أرض بني كلاب. تقول: إن هذه القصيدة التي ينطق بها ماضية، كيف قاطع تقد قمم الجبال. وقولها: أبت أن تزايل أوعالها. أي: أن ذؤابة جبل يلبل ألفت الوعر، فكادت لا ترضى بأن لا تفارقها، تريد بذلك وصف علو الجبل، لأن الوعر لا تسكن سوى أعالي الجبال. وقولها: سهلها، أي: جثت بها سهلة.

(٢) الديوان ص ١٥ وفيه: أروني سنة لا عيب فيها. والسواء: العدل. يقول: أرونا سنة لا تعاب عليكم تسوي بيننا في الحق. وقوله: تدعو السواء. أي: تركوا العدل، فلا يبقى بعضنا على بعض.

نصارى نجران، وأحبار اليهود، فقال هؤلاء: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقال هؤلاء: ما كان إلا نصرياً. فنزلت هذه الآية.

﴿هَكَانَتْكُمْ هَؤُلَاءِ حَمَمَةٌ فِيمَا لَكُمْ يَوْمَ يَلَمُّ قَوْمٌ تَمَاجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَلْمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٦)

قوله تعالى: ﴿هَكَانَتْكُمْ﴾ قرأ ابن كثير «هانت» مثل: هعنتم، فأبدل من همزة الاستفهام «هاء» أراد: أنتم. وقرأ نافع وأبو عمرو «هانت» ممدوداً، استفهام بلا همزة، وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي «هانتكم» ممدوداً مهموزاً، ولم يختلفوا في مد «هؤلاء» و«أولاء».

قوله تعالى: ﴿فِيمَا لَكُمْ يَوْمَ يَلَمُّ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه ما رأوا وعانوا، قاله قتادة. والثاني: ما أمروا به، ونهوا عنه، قاله السدي. فأما الذي ليس لهم به علم، فهو شأن إبراهيم ﷺ. وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أنه كان بين إبراهيم وموسى، خمسمائة وخمس وسبعون سنة. وبين موسى وعيسى ألف وستمائة واثنان وثلاثون سنة. وقال ابن إسحاق: كان بين إبراهيم وموسى خمسمائة وخمس وستون سنة، وبين موسى وعيسى ألف وتسعمائة وخمس وعشرون سنة. وقد سبق في (البقرة) معنى الحنيف.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٦٧) إِنَّكَ أَقْبَلُ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٨)

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَقْبَلُ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رؤساء اليهود قالوا للنبي ﷺ: لقد علمت أننا أولى بدين إبراهيم منك، وأنه كان يهودياً، وما بك إلا الحسد، فنزلت هذه الآية. ومعناها: أحق الناس بدين إبراهيم، الذين اتبعوه على دينه، وهذا النبي ﷺ على دينه، قاله ابن عباس. والثاني: أن عمرو بن العاص أراد أن يغضب النجاشي على أصحاب النبي ﷺ، فقال النجاشي: إنهم ليشتمون عيسى! فقال النجاشي: ما يقول صاحبكم في عيسى؟ فقالوا: يقول: إنه عبد الله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم. فأخذ النجاشي من سواكه قدر ما يقذفه العين، فقال: والله ما زاد على ما يقول صاحبكم ما يزن هذا القذى، ثم قال: أبشروا، فلا دهورة (١) اليوم على حزب إبراهيم. قال عمرو بن العاص: ومن حزب إبراهيم؟ قال: هؤلاء الرهط وصاحبهم. فانزل الله يوم خصومتهم على النبي ﷺ هذه الآية، هذا قول عبد الرحمن بن غنم.

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٦٩)

قوله تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكَ﴾ سبب نزولها أن اليهود قالوا لمعاذ بن جبل، وعمار بن ياسر: تركتما دينكما، واتبعتما دين محمد، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والطائفة: اسم لجماعة مجتمعين على ما اجتمعوا عليه من دين، ورأي، ومذهب، وغير ذلك. وفي هذه الطائفة قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله ابن عباس. والثاني: اليهود والنصارى، قاله أبو سليمان الدمشقي. والفضال: الحيرة. وفيه هاهنا قولان: أحدهما: أنه الاستئصال عن الحق إلى الباطل، وهو قول ابن عباس، ومقاتل. والثاني: الإهلاك، ومنه ﴿أَوَدَّا ضَلَالًا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠]. قاله ابن جرير، والدمشقي. وفي قوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ قولان: أحدهما: وما يشعرون أن الله يدل المؤمنين على حالهم، والثاني: وما يشعرون أنهم يضلون أنفسهم.

﴿يَتَأَمَّلُ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (٧٠)

قوله تعالى: ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ قال قتادة: يعني: محمداً والإسلام ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أن بعث محمد في كتابكم، ثم تكفرون به.

﴿يَتَأَمَّلُ الْكِتَابَ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْمُنُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ (٧١)

قوله تعالى: ﴿لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ قال الزبيدي: معناه: لم تخلطون الحق بالباطل؟ قال ابن فارس: واللبس:

(١) قال في (اللسان: الدهورة: جمعك الشيء، وقذفك به في مهواة، ودهورت الشيء: كذلك، وفي حديث النجاشي: «فلا دهورة اليوم على حزب إبراهيم» كأنه أراد: لا ضيعة عليهم، ولا يترك حفظهم وتمهدهم..

اختلاط الأمر، وفي الأمر لبسة، أي: ليس بواضح. وفي الحق والباطل أربعة أقوال: أحدها: أن الحق: إقرارهم ببعض أمر النبي ﷺ، والباطل: كتمانهم بعض أمره. والثاني: الحق: إيمانهم بالنبي ﷺ غدوة، والباطل: كفرهم به عشية، روي عن ابن عباس. والثالث: الحق: التوراة، والباطل: ما كتبوه فيها بأيديهم، قاله الحسن، وابن زيد. والرابع: الحق: الإسلام، والباطل: اليهودية والنصرانية، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ﴾ قال قتادة: كتموا الإسلام، وكتموا محمداً ﷺ.

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَأْمُرُوا بِآلِئِذٍ أَنْزَلَ عَلَى الْغَيْبِ مَآثُورًا وَأَكْفَرُوا بَآخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن طائفة من اليهود قالوا: إذا لقيتهم أصحاب محمد أول النهار، فآمنوا، وإذا كان آخره، فصلوا صلاتكم لعلمهم يقولون: هؤلاء أهل الكتاب، وهم أعلم منا، فيقبلون عن دينهم، رواه عطية عن ابن عباس. وقال الحسن والسدي: تواطأ اثنا عشر حبراً من اليهود، فقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد باللسان أول النهار، واكفروا آخره، وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا، وشاورنا علماءنا، فوجدنا محمداً ليس بذلك، فيشك أصحابه في دينهم، ويقولون: هم أهل الكتاب، وهم أعلم منا، فيرجعون إلى دينكم، فترلت هذه الآية. وإلى هذا المعنى ذهب الجمهور. والثاني: أن الله تعالى صرف نبيه إلى الكعبة عند صلاة الظهر، فقال قوم من علماء اليهود: ﴿يَأْمُرُوا بِآلِئِذٍ أَنْزَلَ عَلَى الْغَيْبِ مَآثُورًا وَجَعَلْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ يقولون: آمنوا بالقبلة التي صلوا إليه الصبح، واكفروا بالنبي صلوا إليها آخر النهار، لعلمهم يرجعون إلى قبلتكم، رواه أبو صالح عن ابن عباس، قال مجاهد، وقتادة، والزجاج في آخرين. وجه النهار: أوله.

وأنشد الزجاج:

من كان مسروراً بمقتل مالك

يجد النساء حواسراً يندبنه

فليأت نسوتنا بوجه نهار

قد قُمن قبل تبليج الأسحار<sup>(١)</sup>

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكَ قُلْ إِنَّ الْهَدْيَ هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاطَرُوا عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكَ﴾ اختلف العلماء في توجيه هذه الآية على أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: ولا تصدقوا إلا من تبع دينكم، ولا تصدقوا أن يجادلوكم عند ربكم، لأنكم أصبح ديناً منهم، فيكون هذا كله من كلام اليهود بينهم، وتكون اللام في «لمن» صلة، ويكون قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهَدْيَ هُدَى اللَّهِ﴾ كلاماً معترضاً بين كلامين، هذا معنى قول مجاهد، والأخفش. والثاني: أن كلام اليهود تام عند قوله: ﴿لِمَن تَبِعَ دِينَكَ﴾ والباقي من قول الله تعالى، لا يعترضه شيء من قولهم، وتقديره: قل يا محمد: إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد، إلا أن تجادلكم اليهود بالباطل، فيقولون: نحن أفضل منكم، هذا معنى قول الحسن، وسعيد بن جبيرة. قال الفراء: معنى: «أن يؤتى»: أن لا يؤتى. والثالث: أن في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، إلا من تبع دينكم، فأخرت «أن»، وهي مقدمة في النية على مذهب العرب في التقديم والتأخير، ودخلت اللام على جهة

(١) البيان للربيع بن زياد العبسي، من أبيات قالها حين قتل حميمه مالك بن زهير، وحمي لفته، واستعد لطلب ثاره. وروايتها في «شرح الحماسة» للرمزوني:

من كان مسروراً بمقتل مالك

يجد النساء حواسراً يندبنه

فليأت ساحتنا بوجه نهار

يلطمن أوجههن بالأسحار

قال الرمزي في شرحهما: كانت العادة مستمرة مستحكمة فيهم، أنهم لا يندبون القتل أو يذكرون ثاره. فيقول: من كان فرحاً بمقتل مالك، شامتاً بأولائه، فلينزع ملابس المسرة، وليطرح أردية الشامة، فقد أدركت الأثر، وأدبقت الدماء، وشفيت الأوجاع، وليحضر ساحتنا في أول النهار، ليري أن ما كان محرماً من الرثاء قد حل، وأن الحظر الواقع ببيكاته قد رفع، ويجد النساء مكشوفات الرؤوس، يذكرنه بما كان من فضائله، ويندبنه بأشهر أوصافه، وأعلى مراتبه ومجالاته، فإن ذلك متصل من فعلهن، غير منقطع في أطراف الليل والنهار، والأصالة والأسحار.



التوكيد، كقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدٌّ لَّكُمْ﴾ [النمل: ٧٢] أي: ردكم. وقال الشاعر:

ما كنتُ أخدعُ للخليل بخلة

أراد: ما كنت أخدع الخليل. وقال الآخر:

يذمّون للدنيا وهم يحلبونها

أفأريق حتى ما يليز لها ثغل<sup>(١)</sup>

أراد: يذمون الدنيا، ذكره ابن الأنباري، والرابع: أن اللام غير زائدة، والمعنى: لا تجعلوا تصديقكم النبي في شيء مما جاء به إلا لليهود، فإنكم إن قلتم ذلك للمشركين، كان عوناً لهم على تصديقه، قاله الزجاج. وقال ابن الأنباري: لا تؤمنوا أن محمداً وأصحابه على حق، إلا لمن تبع دينكم، مخافة أن يطلع على عنادكم الحق، ويحاجوكم به عند ربكم، فعلى هذا يكون معنى الكلام: لا تقولوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم، وقد ذكر هذا المعنى مكي بن أبي طالب النحوي. وقرأ ابن كثير: أن يؤتى بهمتين، الأولى مخففة، والثانية ملّينة على الاستفهام، مثل: أنتم أعلم، قال أبو علي: ووجهها أن «أن» في موضع رفع بالابتداء، وخبره: يصدقون به، أو يعترفون به، أو يذكرونه لغيركم، ويجوز أن يكون موضع «أن» نصباً، فيكون المعنى: أنشيعون، أو أتذكرون أن يؤتى أحد، ومثله في المعنى: ﴿أَعَزُّوهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦]. وقرأ الأعمش، وطلحة بن مصرف: إن يؤتى، بكسر الهمزة، على معنى: ما يؤتى. وفي قوله تعالى: ﴿أَنْزِلْهُنَّ إِلَى الْبَارِئِ عِنْدَ رَبِّكُم﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: ولا تصدقوا أنهم يحاجوكم عند ربكم، لأنهم لا حجة لهم، قاله قتادة، والثاني: أن معناه: حتى يحاجوكم عند ربكم على طريق التعبد، كما يقال: لا يلقاه أو تقوم الساعة، قاله الكسائي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يعني النبوة، والكتاب، والهدى. ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ لا ما تمنيتموه أنتم يا معشر اليهود من أنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم.

﴿يَخْصُصُ رَحْمَتَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

قوله تعالى: ﴿يَخْصُصُ رَحْمَتَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ في الرحمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الإسلام، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: النبوة، قاله مجاهد. والثالث: القرآن والإسلام، قاله ابن جريج.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْنَتْهُ يَتَنَظَّرُ بِدِينِكَ لَا يُؤْذِيهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّاتِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْنَتْهُ يَتَنَظَّرُ﴾ قال ابن عباس: أودع رجل ألفاً ومئتي أوقية من ذهب عبد الله بن سلام، فأداها إليه، فمدحه الله بهذه الآية، وأودع رجل فنحاص بن عازوراء ديناراً، فخانه. وأهل الكتاب: اليهود، وقد سبق الكلام في القنطار. وقيل: إن «الباء» في قوله: «بقتنطار» بمعنى «على» فأما الدينار، فقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: الدينار فارسي معرب، وأصله: دينار، وهو وإن كان معرباً، فليس تعرف له العرب اسماً غير الدينار، فقد صار كالعربي، ولذلك ذكره الله تعالى في كتابه، لأنه خاطبهم بما عرفوا، واشتقوا منه فعلاً، فقالوا: رجل مُدَنَّر: كثير الدنانير. ويرذون مدنر: أشبه مستدير النقش بياض وسواد. فإن قيل: لم خص أهل الكتاب بأن فيهم خائناً وأميناً والخلق على ذلك، فالجواب: أنهم يخونون المسلمين استحقاقاً لذلك، وقد بيّنه في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّاتِ سَبِيلٌ﴾ فحلّهم منهم، وقال مقاتل: الأمانة ترجع إلى من أسلم منهم، والخيانة إلى من لم يسلم، وقيل: إن الذين يؤذون الأمانة: النصارى، والذين لا يؤدونها: اليهود.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: دُمْتُ ودُمت، ومُتَّ ومُتَّ، وتميم يقولون: مت ودُمت بالكسر، ويجتمعون في «يفعل» يدم. وفي هذا القيام قولان: أحدهما: أنه التقاضي، قاله مجاهد،

(١) نسبة في «اللسان» لابن حمام السلولي، وروايته فيه: ودعوا لنا الدنيا وهم يرضعونها. الأفريق: واحداً، فيقة: وهي اسم للبن الذي يجتمع بين الحلبتين. والنمل: زيادة في أطباء الناقة، والبقرة، والشاة، وإنما ذكر النمل للمبالغة في الارتفاع، لأن النمل لا يدر.

وقتادة، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. قال ابن قتيبة: والمعنى: ما دمت مواظباً بالاقتضاء له والمطالبة. وأصل هذا أن المطالب بالشيء يقوم فيه ويتصرف، والتارك له يقعد عنه. [قال الأعشى:

يقوم على الرِّغم في قومه فيعفو إذا شاء أو ينتقم

أي: يطالب بالذحل<sup>(١)</sup> ولا يقعد عنه. قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً يَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَلِيلَةٌ﴾ [آل عمران: ١١٣] أي: عاملة غير تاركة، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الزمر: ٣٣] أي: أخذ لها بما كسبت<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه القيام حقيقة، فتقديره: إلا ما دمت قائماً على رأسه، فإنه يعترف بأمانته، فإذا ذهب، ثم جثت، جحدك، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ يعني: الخيانة. والسبيل: الإثم والحرَج، ونظيره ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١] قال قتادة: إنما استحل اليهود أموال المسلمين، لأنهم عندهم ليسوا أهل كتاب.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ﴾ قال السدي: يقولون: قد أحل الله لنا أموال العرب.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَقْسِرُونَ﴾ قولان: أحدهما: يعلمون أن الله قد أنزل في التوراة الوفاء، وأداء الأمانة. والثاني: يقولون الكذب، وهم يعلمون أنه كذب.

﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿بَلَى﴾ رد الله ﷻ عليهم قولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُورِ سَبِيلٌ﴾ بقوله: ﴿بَلَى﴾ قال الزجاج: وهو عندي وقف التمام، ثم استأنف، فقال: ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ ويجوز أن يكون استأنف جملة الكلام بقوله: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى﴾. والعهد: ما عاهدهم الله ﷻ عليه في التوراة. وفي «هاء» ﴿عَهْدُهُ﴾ قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى. والثاني: إلى الموفى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَيَّدُوا بِمَالِهِمْ تِلْكَ قِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ يُكْفَرُ أَكْثَرُهُمْ وَلَا يُرْكَبُ فِيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَيَّدُوا بِمَالِهِمْ تِلْكَ قِيلًا﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن الأشعث بن قيس خاصم بعض اليهود في أرض، فجحد اليهودي، فقدمه إلى النبي ﷺ، فقال [له]: «ألك بينة؟» قال: لا. قال لليهودي: «أتحلف؟» فقال الأشعث: إذا يحلف فيذهب بمالي. فنزلت هذه الآية. أخرجه البخاري ومسلم<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنها نزلت في اليهود، عهد الله إليهم في التوراة بتبيين صفة النبي ﷺ، فجحدوا، وخالفوا لما كانوا يتالون من سفلتهم من الدنيا، هذا قول عكرمة، ومقاتل، والثالث: أن رجلاً أقام سلعة في السوق أول النهار، فلما كان آخره، جاء رجل يساومه، فحلف: لقد منعتها أول النهار من كذا، ولولا المساء لما باعها به، فنزلت هذه الآية، هذا قول الشعبي، ومجاهد. فعلى القول الأول، والثالث، العهد: لزوم الطاعة، وترك المعصية، وعلى الثاني: ما عهد به إلى اليهود في التوراة، واليمين: الحلف. وإن قلنا: إنها في اليهود، والكفار، فإن الله لا يكلمهم يوم القيامة أصلاً. وإن قلنا: إنها في العصاة، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: لا يكلمهم الله كلام خير. ومعنى ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾، أي: لا يعطف عليهم بخير مقراً لهم، قال الزجاج: تقول: فلان لا ينظر إلى فلان، ولا يكلمه، معناه: أنه غضبان عليه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُرْكَبُ فِيهِمْ﴾ أي: لا يطهرهم من دنس كفرهم وذنوبهم.

(١) الذحل: الثار، وطلب المكافأة بجنابة جنيت عليه، من قتل أو جرح أو نحو ذلك.

(٢) هذا نص كلام ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» ص ١٣٨ - ١٣٩، وما بين مقوفتين مزيد منه.

(٣) ونصه كما في البخاري ٥٣/٥ عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليطع بها مال امرئ مسلم، لم يأت الله وهو عليه غضبان» قال: فقال الأشعث: في والله كان ذلك. كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجحدني، فقدمته إلى النبي ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ: «ألك بينة؟» قلت: لا. قال: فقال لليهودي: «أتحلف؟» قال: قلت: يا رسول الله إذا يحلف ويذهب بمالي، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ يُكْفَرُ أَكْثَرُهُمْ وَلَا يُرْكَبُ فِيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إلى آخر الآية.

﴿وَإِنْ يَنْهَرُ لَفَرِيحًا يَلُوكَ آلَيْسَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَنْهَرُ لَفَرِيحًا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين، أحدهما: أنها نزلت في اليهود، رواه عطية، عن ابن عباس، والثاني: في اليهود والنصارى، رواه الضحاك عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ﴾ هي كلمة مؤكدة، واللام في قوله: «لَفَرِيحًا» وتوكيد زائد على توكيد «إِنْ». قال ابن قتيبة: ومعنى «يَلُوكَ آلَيْسَتَهُمْ»: يقبلونها بالتحريف والزيادة. والالسة: جمع لسان، قال أبو عمرو: اللسان يذكر ويؤنث، فمن ذكره جمعه: السنة، ومن أنثه، جمعه: السنأ، وقال الفراء: اللسان بعينه لم نسمعه من العرب إلا مذكراً. وتقول العرب: سبق من فلان لسان، يعنون به الكلام، فيذكرونه. وأنشد ابن الأعرابي:

لسانك معسول ونفسك شحّة  
وعند الشريا من صديقك مالكا  
وأنشد ثعلب:

نُصِيت على لسان كل مني  
فليت بآئه في جوف عكم<sup>(١)</sup>  
والعكم: العدل. ودل بقوله: كان مني، على أن اللسان الكلام. وأنشد ثعلب:  
أتنبني لسان بني عامر  
أحاديثها بعد قول نكير  
فأنت اللسان، لأنه عنى الكلمة والرسالة.

﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُلْقِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ  
يَمَا كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ الْكِتَابَ يَمَا كُنْتُمْ تُدْرَسُونَ ﴿٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن قوماً من رؤساء اليهود والنصارى، قالوا: يا محمد أتريد أن نتخذك رباً؟ فقال: معاذ الله، ما بذلك بعثي، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ألا نسجد لك؟ قال: «لا، فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله» فنزلت هذه الآية، قاله الحسن البصري. والثالث: أنها نزلت في نصارى نجران حيث عبدوا عيسى. قاله الضحاك، ومقاتل. وفيمن عنى «البشر» قولان: أحدهما: محمد ﷺ. والكتاب: القرآن، قاله ابن عباس، وعطاء. والثاني: عيسى، والكتاب: الإنجيل، قاله الضحاك، ومقاتل. والحكم: الفقه والعلم، قاله قتادة في آخرين. قال الزجاج: ومعنى الآية: لا يجتمع لرجل نبوة، والقول للناس: كونوا عباداً لي من دون الله، لأن الله لا يصطفي الكذبة.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا﴾ أي: ولكن يقول لهم: كونوا، فحذف القول لدلالة الكلام عليه.  
فأما الريانيون، فروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: هم الذين يغذون الناس بالحكمة، ويربونهم عليها، وقال ابن عباس، وابن جبير: هم الفقهاء المعلمون. وقال قتادة، وعطاء: هم الفقهاء العلماء الحكماء. قال ابن قتيبة: واحدهم ريانى، وهم العلماء المعلمون. وقال أبو عبيد: أحسب الكلمة ليست بعربية، إنما هي عبرانية، أو سريانية، وذلك أن أبا عبيدة زعم أن العرب لا تعرف الريانيين. قال أبو عبيد: وإنما عرفها الفقهاء، وأهل العلم، قال: وسمعت رجلاً عالماً بالكتب يقول: هم العلماء بالحلال والحرام، والأمر والنهي. وحكى ابن الأنباري عن بعض اللغويين: الرياني: منسوب إلى الرب، لأن العلم: مما يطاع الله به، فدخلت الألف والنون في النسبة للمبالغة، كما قالوا: رجل لحياني: إذا بالغوا في وصفه بكبر اللحية.

قوله تعالى: ﴿يَمَا كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع وأبو عمرو: «تُعْلَمُونَ»، بإسكان العين، ونصب اللام. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «تُعْلَمُونَ» مثقلاً، وكلهم قرؤوا: «تدرسون» خفيفة. وقرأ ابن

(١) قاله الجنيته: «ديوانه» ص ٣٤٧. اللسان هاتنا: الكلام، وأدخل الباء على «أن» مع «ليت» وهو قليل، وأراد: ليت أنه في جوف عكم، ففحم الباء على «أن» وهو حجة في العربية. وروى: «قلت ياناه»، ورودت بانه. والعكم: داخل الجنب على المثل بالعكم، وهو النمط تجعله المرأة كالوعاء تدخر فيه متاعها.

مسعود، وابن عباس، وأبو رزين، وسعيد بن جبير، وطلحة بن مصرف، وأبو حيو، «تُدْرَسُونَ»، بضم التاء مع التشديد، والدراسة: القراءة. قال الزجاج: ومعنى الكلام: ليكن هديكم ونيتكم في التعليم هدي العلماء والحكماء، لأن العالم إنما يستحق هذا الاسم إذا عمل بعلمه.

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْكِبَرَىٰ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٨٠)

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ﴾ قرأ ابن عامر، وحمزة، وخلف، ويعقوب، وعاصم في بعض الروايات عنه، وعبد الوارث عن أبي عمرو، واليزيدي في اختياره، بنصب الراء. وقرأ الباقر برفع الراء، فمن نصب كان المعنى: وما كان لبشر أن يأمركم، ومن رفع قطعه مما قبله. قال ابن جريج: ولا يأمركم محمد.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ آلِ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا بَايَعْتُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنبَتُكُمْ مِنْ حَبَابٍ وَجَعَلَكُمْ نَسَبًا مِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ تَتُوبُونَ إِلَيَّ وَإِنِّي أَخَذْتُ مِنَ النَّبِيِّينَ وَآخِذْتُمْ عَلَىٰ ذُلِكُمْ بِصُرُوفٍ فَأُولَٰئِكَ لَفُتُونَا قَالُوا أَفَرَرْنَا قَالَ فَوَاشَيْتُمْ وَأَكْنَا مِنْكُمْ مِنَ الشَّكِيِّينَ﴾ (٨١)

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ آلِ إِبْرَاهِيمَ﴾ قال الزجاج: موضع «إذ» نصب، المعنى: واذكر في أقاصيصك إذ أخذ الله، قال ابن عباس: الميثاق: العهد. وفي الذي أخذ ميثاقهم عليه قولان: أحدهما: أنه تصديق محمد ﷺ، روي عن علي، وابن عباس، وقتادة، والسدي. والثاني: أنه أخذ ميثاق الأول من الأنبياء ليؤمنن بما جاء به الآخر منهم، قاله طائوس. قال مجاهد، والربيع بن أنس: هذه الآية خطأ من الكتاب<sup>(١)</sup>، وهي في قراءة ابن مسعود: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ واحتج الربيع بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال بعض أهل العلم: إنما أخذ الميثاق على النبيين، وأمهم، فاكفى بذكر الأنبياء عن ذكر الأمم، لأن في أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذه على التابع، وهذا معنى قول ابن عباس، والزجاج.

واختلف العلماء في لام «لما» فقرأ الأكثرون «لما» بفتح اللام والتخفيف، وقرأ حمزة مثلها، إلا أنه كسر اللام، وقرأ سعيد بن جبير «لما» مشددة الميم، فقراءة ابن جبير، معناها: حين آتيتكم، وقال الفراء في قراءة حمزة: يريد أخذ الميثاق للذي آتاهم، ثم جعل قوله: ﴿تَتُوبُونَ إِلَيَّ﴾ من الأخذ. قال الفراء: ومن نصب اللام جعلها زائدة. و«ما» هاهنا بمعنى الشرط والجزاء، فالمعنى: لئن آتيتكم ومهما آتيتكم شيئاً من كتاب وحكمة. قال ابن الأنباري: اللام في قوله تعالى: ﴿لَمَّا بَايَعْتُمْ﴾ على قراءة من شدد أو كسر: جواب لأخذ الميثاق. قال: لأن أخذ الميثاق يمين، وعلى قراءة من خففها، معناها: القسم، وجواب القسم اللام في قوله: ﴿تَتُوبُونَ إِلَيَّ﴾. وإنما خاطب، فقال: آتيتكم، بعد أن ذكر النبيين وهم غيب، لأن في الكلام معنى قول وحكاية، فقال مخاطباً لهم: لما آتيتكم. وقرأ نافع «آتيناكم» بالنون والألف.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ قال علي ﷺ: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد، إن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به وليصرنه، وقال غيره: أخذ ميثاق الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضاً، والإصر هاهنا: العهد في قول الجماعة. قال ابن قتيبة: أصل الإصر: الثقل، فسمي العهد إصرأ، لأنه منقح من الأمر الذي أخذ له، وثقل وتشديد. وكلهم كسر ألف «إصري». وروى أبو بكر، عن عاصم، ضمّه. قال أبو علي: يشبه أن يكون الضم لغة.

(١) في الطبري «من الكاتب» قال الشيخ محمود شاكر: قلت: والقول الذي ذكره مجاهد إنه خطأ من الكاتب، إنما عني به أن قراءة ابن مسعود هي مع القراءة التي كانت في العرصة الأخيرة، فأخطأ وكتب القراءة الأولى، ولم يرد بقوله: خطأ من الكاتب، أنه وضع ذلك من عند نفسه؟ كيف والقرآن كتابا تلقى بالرواية والورثة عن رسول الله ﷺ، لا بما هو مكتوب في المصحف.

(٢) قال أبو بكر الباقلاني في كتاب «الانتصار لفضل القراءة»: وأما نحن وإن كنا نؤمن بجميع من ذكرنا من السلف وأتباعهم، فأنا لا نعتقد تصديق جميع ما يروى عنهم، بل نعتقد أن فيه كذباً كثيراً، قد قامت الدلالة على أنه موضوع عليهم، وأن فيه ما يمكن أن يكون حقاً عنهم وما يمكن أن يكون باطلاً، ولا يثبت عليهم من طريق العلم اليقيني بأخبار الآحاد، وإذا كان ذلك كذلك، وكانت هذه القراءات والكلمات المروية عن جماعة منهم المخالفة لما في مصحفنا، مما لا نعلم صحتها وثبوتها، وكنا مع ذلك نعلم اجتماعهم على تسليم مصحف عثمان وقراءته وإقراءهم ما فيه، والعمل به دون غيره، لم يجب أن نحفل بشيء من هذه الروايات عنهم لأجل ما ذكرنا.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاتَّبِعُونِي﴾ قال ابن فارس: الشهادة: الإخبار بما شوهد. وفيمن خوطب بهذا قولان: أحدهما: أنه خطاب للنبیین، ثم فيه قولان. أحدهما: أن معناه: فاشهدوا على أممكم، قاله علي بن أبي طالب. والثاني: فاشهدوا على أنفسكم، قال مقاتل. والثاني: أنه خطاب للملائكة، قاله سعيد بن المسيب. فعلى هذا يكون كناية عن غير مذكور.

﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ أَفَتَعِدُّوهُنَّ عِلَّةً يَسْتَفْتُونَ وَلَهُنَّ أَسْمَاءٌ مِّنَ الْكُتُبِ وَالْأَرْوَاحِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِذْنًا يَرْجِعُونَ ﴿٨٣﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَتَعِدُّوهُنَّ عِلَّةً يَسْتَفْتُونَ﴾ قرأ أبو عمرو: «يعنون» بالياء مفتوحة. ﴿وَالَّذِي تَرْجِعُونَ﴾ بالياء مضمونة، وقرأها الباقون بالياء في الحرفين. وروى حفص عن عاصم: «يعنون» و«يرجعون» بالياء فيهما، وفتح الياء وكسر الجيم يعقوب على أصله. قال ابن عباس: اختصم أهل الكتابين، فزعمت كل فرقة أنها أولى بدين إبراهيم، فقال النبي ﷺ: «كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم». فغضبوا، وقالوا: والله لا نرضى بقضائك، ولا نأخذ بدينك، فنزلت هذه الآية. والمراد بدين الله، دين محمد ﷺ. ﴿وَلَهُنَّ أَسْمَاءٌ﴾ انقاد، وخضع ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ الطوع: الانقياد بسهولة، والكره: الانقياد بمشقة وإياء من النفس. وفي معنى الطوع والكره ستة أقوال: أحدها: أن إسلام الكل كان يوم الميثاق طوعاً وكرهاً، رواه مجاهد عن ابن عباس، والأعمش عن مجاهد، وبه قال السدي. والثاني: أن المؤمن يسجد طائعاً، والكافر يسجد ظله وهو كاره، روي عن ابن عباس، ورواه ابن أبي نجيح، وليث عن مجاهد. والثالث: أن الكل أقروا له بأنه الخالق، وإن أشرك بعضهم، فأقراره بذلك حجة عليه في إشراكه، هذا قول أبي العالية، ورواه منصور عن مجاهد. والرابع: أن المؤمن أسلم طائعاً، والكافر أسلم مخافة السيف، هذا قول الحسن. والخامس: أن المؤمن أسلم طائعاً، والكافر أسلم حين رأى بأس الله، فلم ينفعه في ذلك الوقت، هذا قول قتادة. والسادس: أن إسلام الكل خضوعهم لنفاذ أمره في جبلتهم، لا يقدر أحد أن يمتنع من جباله عليها، ولا على تغييرها، هذا قول الزجاج، وهو معنى قول الشعبي: انقاد كلهم له.

﴿قُلْ إِنَّمَا آمَنَ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَتَّبِعْ عِدَّةَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهم أَن عَصَوْا اللَّهَ وَالْمَلَائِكَةَ وَالنَّاسِ أَعْمُونَ ﴿٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رجلاً من الأنصار ارتد، فلهق بالمشركين، فنزلت هذه الآية، إلى قوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ فكتب بها قومه إليه، فرجع تائباً [فقبل النبي ﷺ ذلك منه وخلقى عنه] رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وذكر مجاهد، والسدي أن اسم ذلك الرجل: الحارث بن سويد. والثاني: أنها نزلت في عشرة وهط ارتدوا، فيهم الحارث بن سويد، فندم، فرجع. رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثالث: أنها في أهل الكتاب، عرفوا النبي ﷺ، ثم كفروا به، رواه عطية عن ابن عباس، وقال الحسن: هم اليهود والنصارى. وقيل: إن «كيف» هاهنا لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها الجحد، أي: لا يهدي الله هؤلاء.

﴿حَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾

قوله تعالى: ﴿حَالِدِينَ فِيهَا﴾ قال الزجاج أي: في عذاب اللعنة ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي: يؤخرون عن الوقت. قال: ومعنى: ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ أي: أظهروا أنهم كانوا على ضلال، وأصلحو ما كانوا أفسدوه، وغفروا به من تبعهم ممن لا علم له.

(١) رواه النسائي وابن حبان وابن أبي حاتم والطبري والبيهقي والحاكم، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ورواه أحمد أيضاً، وإسناده صحيح.

## فصل

وهذه الآية استثنت من تاب ممن لم يتب، وقد زعم قوم أنها نسخت ما تضمنته الآيات قبلها من الوعيد، وليس بنسخ. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نَقْبَلَ تَوْبَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت فيمن لم يتب من أصحاب الحارث بن سويد، فإنهم قالوا: نقيم بمكة ونترصب بمحمد ريب المنون، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت في اليهود كفروا بعميس والإنجيل، ثم ازدادوا كفراً بمحمد والقرآن، قاله الحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني. والثالث: أنها نزلت في اليهود والنصارى، كفروا بمحمد بعد إيمانهم بصفته، ثم ازدادوا كفراً بإقامتهم على كفرهم، قاله أبو العالية. قال الحسن: كلما نزلت آية كفروا بها، فازدادوا كفراً، وفي علة امتناع قبول توبتهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم ارتدوا، وعزموا على إظهار التوبة لستر أحوالهم، والكفر في ضمائرهم، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم قوم تابوا من الذنوب في الشرك، ولم يتوبوا من الشرك، قاله أبو العالية. والثالث: أن: معناه: لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت، وهو قول الحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني، والسدي. والرابع: لن تقبل توبتهم بعد الموت إذا ماتوا على الكفر، قاله مجاهد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ إِلَّا الْأَرْضُ ذَهَبًا وَلَوْ اقْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ روى أبو صالح عن ابن عباس أن النبي ﷺ لما فتح مكة، دخل من كان من أصحاب الحارث بن سويد حياً في الإسلام، فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم كافراً. قال الزجاج: وملء الشيء: مقدار ما يملؤه. قال سيويه، والخليل: والملء بفتح الميم: الفعل، تقول: ملأت الشيء أملؤه ملاءً، المصدر بالفتح لا غير. والملاءة: التي تلبس ممدودة، والملاوة من الدهر: القطعة الطويلة منه، يقولون: ابل جديداً، وتمل حبیباً، أي: عش معه دهرأ طويلاً. و﴿ذَهَبًا﴾ منصوب على التمييز. وقال ابن فارس: ربما أنث الذهب، فقيل: ذهبه، ويجمع على الأذهاب.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ اقْتَدَى بِهِ﴾<sup>(١)</sup> قال الفراء: الواو هاهنا قد يستغنى عنها، ولو حذف كان صواباً، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُ مِنَ الْتَوَكُّينَ﴾ [الأنعام: ٧٥] قال الزجاج: هذا غلط، لأن فائدة الواو بيته، فليست مما يلقي. قال النحاس: قال أهل النظر من التحوين في هذه الآية: الواو ليست مقحمة، وتقديره: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً تبرعاً ولو اقتدى.

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ في البر أربعة أقوال: أحدها: أنه الجنة، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي في آخرين. قال ابن جرير: فيكون المعنى: لن تنالوا بر الله بكم الذي تطلبونه بطاعتكم. والثاني: التقوى، قاله عطاء، ومقاتل. والثالث: الطاعة، قاله عطية. والرابع: الخير الذي يستحق به الأجر، قاله أبو روق، قال القاضي أبو يعلى: لم يزد نفي الأصل، وإنما نفي وجود الكمال، فكانه قال: لن تنالوا البر الكامل.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه نفقة العبد من ماله، وهو صحيح شحيح، رواه ابن عمر عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه الإنفاق من محبوب المال، قاله قتادة، والضحاك. وفي المراد بهذه النفقة ثلاثة

(١) روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكتت مقتدياً به؟ قال: فيقول: نعم. فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر إيك آدم أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن تشرك بي، وأخرجه البخاري، ومسلم.

(٢) لم تنف على هذه الرواية التي ذكرها المؤلف من طريق ابن عمر في شيء من كتب السنة، وإنما الذي جاء فيها: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان» رواه البخاري ومسلم.

أقوال: أحدها: أنها الصدقة المفروضة، قاله ابن عباس، والحسن، والضحاك. والثاني: أنها جميع الصدقات، قاله ابن عمر. والثالث: أنها جميع النفقات التي يُبتغى بها وجه الله تعالى، سواء كانت صدقة، أو لم تكن، نُقل عن الحسن، واختاره القاضي أبو يعلى. وروى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. قال أنس: فلما نزلت: ﴿لَنْ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي نَفَقْتُمْ بِهَا حَيْثُ تَحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحة، فقال: يا رسول الله إن الله يقول: ﴿لَنْ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي نَفَقْتُمْ بِهَا حَيْثُ تَحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء<sup>(١)</sup>، وإنها صدقة لله، أرجو برّها وذخرها عند الله تعالى، فضمها حيث أراك الله، فقال ﷺ: «بئع بيع، ذلك مال ربيع أو رائع [شك الراوي<sup>(٢)</sup>]» وقد سمعت ما قلت، وإنني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقسمها أبو طلحة في أقاربه، وبني عمّه. وروي عن عبد الله بن عمر أنه قرأ هذه الآية فقال: لا أجد شيئاً أحب إليّ من جاريتي رميثة<sup>(٣)</sup>، فهي حرة لوجه الله، ثم قال: لولا أنني أعود في شيء جعلته لله، لنكحتها، فأنكحها نافعاً، فهي أم ولده، وسئل أبو ذر: أي الأعمال أفضل؟ فقال: الصلاة: عماد الإسلام، والجهاد: ستام العمل، والصدقة: شيء عَجِب، ثم قال السائل: يا أبا ذر لقد تركت شيئاً هو أوثق عمل في نفسي لا أراك ذكرته. قال: ما هو؟ قال: الصيام. فقال: قربة وليس هناك، وتلا قوله تعالى: ﴿لَنْ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي نَفَقْتُمْ بِهَا حَيْثُ تَحِبُّونَ﴾<sup>(٤)</sup>. قال الزجاج: ومعنى قوله تعالى: ﴿لَنْ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي نَفَقْتُمْ بِهَا حَيْثُ تَحِبُّونَ﴾ أي: يجازي عليه.

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لَّيْسَ إِسْرَؤِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَؤِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَنُؤِذُ بِالتَّوْرَةِ فَاتْلَوْهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لَّيْسَ إِسْرَؤِيلَ﴾ سبب نزولها أن النبي ﷺ قال: «أنا على ملة إبراهيم» فقالت اليهود: كيف وأنت تأكل لحوم الإبل. وتشرب ألبانها؟ فقال: «كان ذلك حلالاً لإبراهيم». فقالوا: كل شيء نحرّمه نحن، فإنه كان محرّماً على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا. فنزلت هذه الآية تكذيباً لهم. قاله أبو روق، وابن السائب<sup>(٥)</sup>. و«الطعام»: اسم للمأكول. قال ابن قتيبة: والجل: الحلال، ومثله الحرم والحرام، واللبس واللباس. وفي الذي حرّمه على نفسه، ثلاثة أقوال: أحدها: لحوم الإبل وألبانها. روي عن النبي ﷺ<sup>(٦)</sup>، ورواه أبو صالح، عن ابن عباس، وهو قول الحسن، وعطاء بن أبي رباح، وأبي العالية في آخرين. والثاني: أنه العروق، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(٧)</sup> وهو قول مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي في آخرين. والثالث: أنه زائدتا الكبد، والكليتان، والشحم إلا ما على الظهر، قاله عكرمة. وفي سبب تحريمه لذلك أربعة أقوال: أحدها: أنه طال به مرضٌ شديد، فنذر:

- (١) قوله: بيرحاء، قال الحافظ ابن حجر: يفتح الموحدة، وسكون التحتانية، وفتح الراء، وبالمهمل والمد، وجاء في ضبطه أوجه كثيرة، جمعها ابن الأثير في «النهاية»، فقال: يروى بفتح الباء، ويكسرهما، ويفتح الراء وضمهما، وبالمد والقصر. فهذه ثمان لغات. وفي رواية حماد بن سلمة «بريحاء» بفتح أوله وكسر الراء وتقديهما على التحتانية. وفي «سنن أبي داود» «باريحاء» مثله لكن بزيادة ألف. وقال البيهقي: أنصحها بفتح الباء، وسكون الألف، وفتح الراء مقصور، وكذا جزم به الصغاني، وقال: إنه «فيعلى» من البراح. قال: ومن ذكره بكسر الموحدة، وظن أنها بئر من آبار المدينة فقد صُف. وفي رواية البخاري: ربيع أو رائع، شك ابن مسلمة. قال الحافظ ابن حجر: أي القعني، والرواية الأولى واضحة من الريح، أي: ذو ريح. وقيل: هو فاعل بمعنى مفعول، أي: هو مال مبروح فيه. وأما الثانية فمعناها: رائع عليه أجره. قال ابن بطال: والمعنى أن مسافته قربة، وذلك أنفس الأموال. وقيل: مغتاة يروح بالأجر ويقتوبه، واكتفى بالروح عن الغد.
- (٢) في «الدر المنثور»: مرجأة.
- (٣) رواه ابن جرير الطبري ٥٩١/٦، وهذا الخبر منقطع لأن ميمون بن مهران لم يترك أباً ذر.
- (٤) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ولم يذكر له ستناً.
- (٥) روى الإمام أحمد بسند حسن عن ابن عباس قال: «حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ فقالوا: حدثنا عن خلال نسالك عنهن لا يعلمن إلا نبي [تذكر الحديث، وفيه لأنهم قالوا: أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟] [وأن رسول الله ﷺ قال لهم: فلنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل أي: يعقوب ﷺ مرض مرضاً شديداً، وطال سقمه، فنذر له نذراً، لئن شفاء الله من سقمه ليحرّم أحبّ الشراب إليه وأحبّ الطعام إليه. وكان أحبّ الطعام إليه لحمان الإبل، وأحبّ الشراب إليه ألبانها؟] فقالوا: اللهم نعم». فقال: «اللهم اشهد عليهم».
- (٦) رواه البيهقي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس.

لئن شفاه الله، ليحرّم من أحب الطعام والشراب إليه، روي عن النبي ﷺ. والثاني: أنه اشتكى عرق النساء<sup>(١)</sup> فحرّم العروق، قاله ابن عباس في آخرين. والثالث: أن الأطباء وصفوا له حين أصابه النساء اجتناب ما حرّمه، فحرّمه، رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: أنه كان إذا أكل ذلك الطعام، أصابه عرق النساء، فبييت وقيداً<sup>(٢)</sup> فحرّمه، قاله أبو سليمان الدمشقي. واختلفوا: هل حرم ذلك بإذن الله أو باجتهاده؟ على قولين. واختلفوا: بماذا ثبت تحريم الطعام الذي حرّمه على اليهود، على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه حرم عليهم بتحريمه، ولم يكن محرماً في التوراة، قاله عطية. وقال ابن عباس: قال يعقوب: لئن عافاني الله لا يأكله لي ولد. والثاني: أنهم وافقوا أباهم يعقوب في تحريمه، لا أنه حرّم عليهم بالشرع، ثم أضافوا تحريمه إلى الله، فأكذبهم الله بقوله: ﴿قُلْ قَاتِلُوا آلَ نَازِرَةَ قَاتِلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ هذا قول الضحاك. والثالث: أن الله حرّمه عليهم بعد التوراة لا فيها. وكانوا إذا أصابوا ذنباً عظيماً، حرم عليهم به طعام طيب، أو صب عليهم عذاب، هذا قول ابن السائب. قال ابن عباس: ﴿قَاتِلُوا آلَ نَازِرَةَ قَاتِلُوهَا﴾ هل تجدون فيها تحريم لحوم الإبل والبأنها!

﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ قُلْ لَّيْسَ لَكَ الْفُلْهُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى﴾ يقول: اختلق ﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: من بعد البيان في كتبهم، وقيل: من بعد مجيئكم بالتوراة وتلاوتكم إياها.

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ الصدق: الإخبار بالشئ على ما هو به، وضده الكذب. واختلفوا أي خبر عنى بهذه الآية؟ على قولين: أحدهما: أنه عنى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا﴾، قاله مقاتل، وأبو سليمان الدمشقي. والثاني: أنه عنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا﴾ قاله ابن السائب.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ قال مجاهد: افتخر المسلمون واليهود، فقالت اليهود: بيت المقدس أفضل من الكعبة. وقال المسلمون: الكعبة أفضل، فنزلت هذه الآية. وفي معنى كونه «أول» قولان: أحدهما: أنه أول بيت كان في الأرض، واختلف أرباب هذا القول، كيف كان أول بيت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ظهر على وجه الماء حين خلق الله الأرض، فخلقه قبلها بألفي عام، ودحاها من تحته، فروى سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: كانت الكعبة حشفة على وجه الماء، عليها ملكان يسبحان الليل والنهار قبل الأرض بألفي سنة، وقال ابن عباس: وضع البيت في الماء على أربعة أركان قبل أن تخلق الدنيا بألفي سنة، ثم دُحيت الأرض من تحت البيت، وبهذا القول يقول ابن عمر، وابن عمرو، وقتادة، ومجاهد، والسدي في آخرين. والثاني: أن آدم استوحش حين أهبط، فأوحى الله إليه، أن: ابن لي بيتاً في الأرض، فاصنع حوله نحو ما رأيت ملائكتي تصنع حول عرشي، فبناه، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. والثالث: أنه أهبط مع آدم، فلما كان الطوفان، رُفِعَ فصار معموراً في السماء، وبنى إبراهيم على أثره، رواه شيبان عن قتادة. القول الثاني: أنه أول بيت وُضِعَ للناس للعبادة<sup>(٣)</sup>، وقد كانت قبله بيوت، هذا قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه<sup>(٤)</sup>، والحسن، وعطاء بن السائب في آخرين، فأما بكة، فقال الزجاج: يصلح هذا الاسم أن يكون مشتقاً من البَكِّ. يقال: بكَّ الناس بعضهم بعضاً، أي: دفع. واختلفوا في تسميتها ببكة على ثلاثة أقوال: أحدها: لازدحام

(١) النساء: هو العرق الذي يخرج من الورك، فيستطن الغنلين، ثم يمر حتى يبلغ الكعب، وهو الذي يأخذه المرض المعروف.

(٢) قال في «اللسان»: الوقيد والموقود: الشديد المرض الذي قد أشرف على الموت. وفي «الطبري»: «فكان بيت له زقاء». والزقاء: صوت الباكى وصياحه.

(٣) يؤيده ما رواه أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام». قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى». قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة». قلت: ثم أي؟ قال: «ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجداً». رواه أحمد في «المستد» والبخاري ومسلم.

(٤) أثر علي، رواه ابن أبي حاتم، وصححه الحافظ ابن حجر.



الناس بها، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، والفراء، ومقاتل. والثاني: لأنها تبك أعناق الجبارة، أي: تلثقها، فلم يقصدها جبارٌ إلا قصمه الله، روي عن عبد الله بن الزبير، وذكره الزجاج. والثالث: لأنها تضع من نخوة المتجبرين، يقال: بككت الرجل، أي: وضعت منه، ورددت نخوته، قاله أبو عبد الرحمن البيهقي، وقطرب. واتفقوا على أن مكة اسمٌ لجميع البلدة. واختلفوا في بكة على أربعة أقوال: أحدها: أنه اسمٌ للبقعة التي فيها الكعبة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وأبو مالك، وإبراهيم. وعطية. والثاني: أنها ما حول البيت، ومكة ما وراء ذلك، قاله عكرمة. والثالث: أنها المسجد، والبيت. ومكة: اسمٌ للحرم كله، قاله الزهري، وضمرة بن حبيب. والرابع: أن بكة هي مكة، قاله الضحاك، وابن قتيبة، واحتج ابن قتيبة بأن الباء تبدل من الميم؛ يقال: سمد رأسه، وسبد رأسه: إذا استأصله، وشر لازم، ولازب.

قوله تعالى: ﴿مِارًا﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال. المعنى: الذي استقر بمكة في حال بركته.

قوله تعالى: ﴿وَهْدًى﴾ أي: وذا هدى. ويجوز أن يكون «هدى» في موضع رفع، المعنى: وهو هدى، فأما بركته، ففيه تغفر الذنوب، وتضاعف الحسنات، ويأمن من دخله. وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «من طاف بالبيت، لم يرفع قدماً، ولم يضع أخرى، إلا كتب الله له بها حسنة، وحط عنه بها خطيئة، ورفع له بها درجة»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَهْدًى لِّلْمَلَكِينَ﴾، في الهدى هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنه بمعنى القبلية، فتقديره: وقبلية للعالمين. والثاني: أنه بمعنى: الرحمة. والثالث: أنه بمعنى: الصلاح، لأن من قصده، صلحت حاله عند ربه. والرابع: أنه بمعنى: البيان، والدلالة على الله تعالى بما فيه من الآيات التي لا يقدر عليها غيره، حيث يجتمع الكلب والظلي في الحرم، فلا الكلب يهيج الظلي، ولا الظلي يستوحش منه، قاله القاضي أبو يعلى.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُزَكِّيهِ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ حِجٌّ أَسْطَعًا إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ غَنِيٌّ عَنِ الْمَالِكِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾، الجمهور يقرؤون: آيات. وروى عطاء عن ابن عباس أنه قرأ: «فيه آية بيّنة مقام إبراهيم»، وبها قرأ مجاهد. والآية: مقام إبراهيم. فأما من قرأ: «آيات» فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: الآيات: مقام إبراهيم، وأمن من دخله. فعلى هذا يكون الجمع معبراً عن التثنية، وذلك جائز في اللغة، كقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِنَكْفِيهِمْ شُهُودِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨]. وقال أبو رجاء: كان الحسن يعدّهن، وأنا أنظر إلى أصابعه: مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً، والله على الناس حج البيت، وقال ابن جرير: في الكلام إضمار، تقديره: منهم مقام إبراهيم. قال المفسرون: الآيات فيه كثيرة، منها مقام إبراهيم، ومنها: أمن من دخله، ومنها: امتناع الطير من العلو عليه، واستشفاء المريض منها به، وتعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة، وإهلاك أصحاب الفيل لما قصدوا إخراجه، إلى غير ذلك. قال القاضي أبو يعلى: والمراد بالبيت هاهنا: الحرم كله، لأن هذه الآيات موجودة فيه، ومقام إبراهيم ليست في البيت، والآية في مقام إبراهيم أنه قام على حجر، فأثرت قدماء فيه، فكان ذلك دليلاً على قدرة الله، وصدق إبراهيم.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، قال القاضي أبو يعلى: لفظه لفظ الخبر، ومعناه: الأمر، وتقديره: ومن دخله، فأمنوه، وهو عام فيمن جنى جناية قبل دخوله، وفيمن جنى فيه بعد دخوله، إلا أن الإجماع انعقد على أن من جنى فيه لا يؤمن، لأنه هنك حرمة الحرم ورد الأمان، فبقي حكم الآية فيمن جنى خارجاً منه، ثم لجأ إلى الحرم، وقد اختلف الفقهاء في ذلك، فقال أحمد في رواية المروزي: إذا قتل، أو قطع يداً، أو أتى حداً في غير الحرم، ثم دخله، لم يقم عليه الحد، ولم يقتص منه، ولكن لا يبيع، ولا يشارى، ولا يؤاكل حتى يخرج، فإن فعل شيئاً من ذلك في

(١) رواه أحمد في «المسند» رقم ٤٤٦٢، والترمذي في «جامعه» والحاكم في «المستدرک» وابن خزيمة في «صحيحه» عن ابن عمر، ولقظ المصنف عند ابن خزيمة. قال الهيثمي في مجمع «الزوائد» ٣/ ٢٤٠: وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط. وهشيم الراوي عن عطاء سمع منه بعد اختلاطه. وقد حسن الشيخ أحمد شاكر هذا الحديث في تعليقه على «المسند» فأنظره.

الحرم، استوفى منه. وقال أحمد في رواية حنبل: إذا قتل خارج الحرم، ثم دخله، لم يقتل. وإن كانت الجنابة دون النفس، فإنه يقام عليه الحد، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه. وقال مالك والشافعي: يقام عليه جميع ذلك في النفس، وفيما دون النفس.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آيَاتًا﴾، دليل على أنه لا يقام عليه شيء من ذلك، وهو مذهب ابن عمر، وابن عباس، وعطاء، والشعبي، وسعيد بن جبير، وطاووس.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾، الأكثرون على فتح حاء «الحج»، وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، بكسرهما. قال مجاهد: لما أنزل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] قال أهل الملل كلهم: نحن مسلمون، فنزلت هذه الآية، فحججه المسلمون، وتركه المشركون، وقالت اليهود: لا نحجه أبداً.

قوله تعالى: ﴿حِينَ اسْتَخْلَعَ إِلَيْهِ سَيِّلُهُ﴾، قال النحويون: من استطاع بدل من «الناس»، وهذا بدل البعض من الكل، كما تقول: ضربت زيداً رأسه. وقد روي عن ابن مسعود، وابن عمر، وأنس، وعائشة عن النبي ﷺ أنه سُئِلَ: ما السيل؟ فقال: «من وجد الزاد والراحلة»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾، فيه خمسة أقوال: أحدها: أن معناه: من كفر بالحج فاعتقله غير واجب، رواه مقسم عن ابن عباس، وابن جزيج عن مجاهد، وبه قال الحسن، وعطاء، وعكرمة، والضحاك، ومقاتل: والثاني: من لم يرج ثواب حجه، ولم يخف عقاب تركه، فقد كفر به، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد. والثالث: أنه الكفر بالله، لا بالحج، وهذا المعنى مروى عن عكرمة، ومجاهد. والرابع: أنه إذا أمكنه الحج، فلم يحج حتى مات، وسم بين عينيه: كافر، هذا قول ابن عمر. والخامس: أنه أراد الكفر بالآيات التي أنزلت في ذكر البيت، لأن قوماً من المشركين قالوا: نحن نكفر بهذه الآيات، هذا قول ابن زيد.

﴿قُلْ يَتَذَكَّرُ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى مَا سَمِعْتُمْ ۖ قُلْ يَتَذَكَّرُ الْكِتَابُ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِمَّنْ بَيْنَكُمْ يَتَّقُونَ ۚ وَأَنْتُمْ شُهَدَاؤُهَا وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَنْ مَعْمَلِكُمْ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَذَكَّرُ الْكِتَابُ﴾، قال الحسن: هم اليهود والنصارى، فأما آيات الله؛ فقال ابن عباس: هي القرآن ومحمد ﷺ. وأما الشهيد، فقال ابن قتيبة: هو بمعنى الشاهد، وقال الخطابي: هو الذي لا يغيب عنه شيء، كأنه الحاضر الشاهد.

قوله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ الْكِتَابُ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِمَّنْ بَيْنَكُمْ يَتَّقُونَ﴾. قال مقاتل: دعت اليهود حذيفة، وعمار بن ياسر، إلى دينهم، فنزلت هذه الآية، وفي المراد بأهل الكتاب هاهنا قولان: أحدهما: أنهم اليهود والنصارى، قاله الحسن. والثاني: اليهود. قاله زيد بن أسلم، ومقاتل. قال ابن عباس: لم تصدون عن سبيل الله: الإسلام، والحج. وقال قتادة: لم تصدون عن نبي الله، وعن الإسلام. قال السدي: كانوا إذا سئلوا: هل تجدون محمداً في كتبكم؟ قالوا: لا. فصودوا عنه الناس.

(١) قال الحافظ في «التلخيص»: رواه الدارقطني ٢٥٤/١، والحاكم ٤٤٢/١، والبيهقي من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾، قال: قيل: يا رسول الله ما السيل؟ قال: «الزاد والراحلة». قال البيهقي: الصواب عن قتادة عن الحسن مرسلاً، يعني الذي خرج الدارقطني، وسنده صحيح إلى الحسن ولا أرى الموصول إلا وهماً. وقد رواه الحاكم من حديث حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس أيضاً؛ إلا أن الراوي عن حماد هو أبو قتادة عبد الله بن واقد الحرائي، وقد قال أبو حاتم: هو منكر الحديث. وقد رواه الشافعي في «السنن» ٢٨٤/١، والترمذي ص ١٠٠، وابن ماجه ص ٢١٤، والدارقطني ص ٢٥٥ من حديث ابن عمر، وقال الترمذي: حسن، وهو من رواية إبراهيم بن يزيد الخوزي، وقد قال فيه أحمد والنسائي: متروك الحديث، ورواه ابن ماجه ٢١٤/١، والدارقطني من حديث ابن عباس، وسنده ضعيف أيضاً، ورواه ابن المنذر من قول ابن عباس. ورواه الدارقطني من حديث جابر، ومن حديث علي بن أبي طالب، ومن حديث ابن مسعود، ومن حديث عائشة، ومن حديث عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده، وطرقها كلها ضعيفة، وقد قال عبد الحق: إن طرقها كلها ضعيفة، وقال أبو بكر بن المنذر: لا يثبت الحديث في ذلك مستنداً، والصحيح من الروايات رواية الحسن مرسلة. وقال الشوكاني في «نيل الأوطار»: ولا يخفى أن هذه الطرق بقوى بعضها بمضغاً تفصلح للاحتجاج بها. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: فهذه الأحاديث مستندة من طرق حماد مرسلة وموقوفة تدل على أن مناط الوجوب الزاد والراحلة، مع علم النبي ﷺ أن كثيراً من الناس يقدرون على المشي.

قوله تعالى: ﴿تَبَوَّءُوا﴾ قال اللغويون: الهاء كناية عن السبيل، والسبيل يذكر ويؤنث. وأنشدوا:

فَلَا تَبْؤُدُ فُكْلٌ فَتَسَى أَنَاسُ      سَيُصْبِحُ سَالِكاً تِلْكَ السَّبِيلَا

ومعنى «تبغونها»: تبغون لها، تقول العرب: ابغني خادماً، يريدون: ابغته لي، فإذا أرادوا: ابتغ معي، وأعني على طلبه، قالوا: أبغني، ففتحوا الألف، ويقولون: وهبتك درهماً، كما يقولون: وهبت لك. قال الشاعر:

فَتَوَلَّى غُلَامُهُمْ ثُمَّ نَادَى      أَظْلِمَ أَصِيدُكُمْ أَمْ حِمَاراً؟

أراد: أصيد لكم. ومعنى الآية: يلتمسون لسبيل الله الزينج والتحريف، ويريدون رد الإيمان والاستقامة إلى الكفر والاعوجاج، ويطلبون العدول عن القصد، وهذا قول الفراء، والزجاج، واللغويين. قال ابن جرير: خرج هذا الكلام على السبيل، والمعنى: لأهله، كأن المعنى: تبغون لأهل دين الله، ولمن هو على سبيل الحق، عوجاً، أي: ضلالاً، قال أبو عبيدة: العوج بكسر العين في الدين، والكلام، والعمل، والعوج بفتحها، في الحائط والجذع، وقال الزجاج: العوج بكسر العين: فيما لا ترى له شخصاً، وما كان له شخص قلت: عوج بفتحها، تقول: في أمره ودينه عوج، وفي العصا عوج. وروى ابن الأنباري عن ثعلب قال: العوج عند العرب بكسر العين: في كل ما لا يحاط به، والعوج بفتح العين في كل ما لا يحصل، فيقال: في الأرض عوج، وفي الدين عوج، لأن هذين يتسعان، ولا يدركان. وفي العصا عوج، وفي السن عوج، لأنهما يحاط بهما، ويبلغ كنههما، وقال ابن فارس: العوج بفتح العين: في كل منتصب، كالحائط. والعوج: ما كان في بساط أو أرض، أو دين، أو معاش.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه، وأنتم شاهدون بصحة ما صددتم عنه، ويُطلان ما أنتم فيه، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس، وقتادة، والأكثرين. والثاني: أن معنى الشهداء هاهنا: العقلاء، ذكره القاضي أبو يعلى في آخرين.

﴿يُنَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ طَوْعَكُمْ قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْكُم بِرُدُّكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَفَرٍ﴾

سبب نزولها أن الأوس والخزرج كان بينهما حرب في الجاهلية، فلما جاء النبي ﷺ أطفأ تلك الحرب بالإسلام، فبينما رجلان أوسي وخزرجي يتحدثان، ومعهما يهودي، جعل اليهودي يذكّرهما أيامهما، والعداوة التي كانت بينهما حتى اقتتلا، فنأى كل واحد منهما بقومه، فخرجوا بالسلاح، فجاء النبي ﷺ، فأصلح بينهم، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد، وعكرمة، والجماعة. قال المفسرون: والخطاب بهذه الآية للأوس والخزرج. قال زيد بن أسلم: وعني بذلك الفريق: شاس بن قيس اليهودي وأصحابه. قال الزجاج: ومعنى طاعتهم: تقليدهم.

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُنَادِي عَلَى كُفْرِكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَمَنْ يَنْصَحْكُمْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ يَنْصَحْكُمْ بِاللهِ فَقَدْ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْصَحْكُمْ بِاللهِ﴾. قال ابن قتيبة: أي: يمتنع، وأصل العصمة: المنع، قال الزجاج: ويعتصم جزم بلامن، والجواب «فَقَدْ هَدَى».

﴿يُنَادِي الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

قال عكرمة: نزلت في الأوس والخزرج حين اقتتلوا، وأصلح النبي ﷺ بينهم. وفي «حق تقاته» ثلاثة أقوال: أحدها: أن يُطاع الله فلا يعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يشكر فلا يكفر، رواه ابن مسعود عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>. وهو قول ابن مسعود، والحسن، وعكرمة، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أن يجاهد في الله حق الجهاد وأن لا يأخذ العبد فيه لومة لائم، وأن يقوموا له بالقسط، ولو على أنفسهم، وأبائهم، وأبنائهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أن معناه: اتقوه فيما يحق عليكم أن تتقوه فيه، قاله الزجاج.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» والحاكم في «المستدرک» ٢/ ٢٩٤ موقوفاً غير مرفوع، وإسناده صحيح. ورواه ابن مردويه مرفوعاً كما ذكر المصنف، قال ابن كثير. والأظهر أنه موقوف.

## فصل

واختلف العلماء: هل هذا الكلام محكم أو منسوخ؟ على قولين: أحدهما: أنه منسوخ، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد، والسدي، ومقاتل. قالوا: لما نزلت هذه الآية، شقت على المسلمين، فنسخها قوله تعالى: ﴿فَأَقْوَ اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. والثاني: أنها محكمة، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو قول طاوس. قال شيخنا علي بن عبيد الله: والاختلاف في نسخها وإحكامها، يرجع إلى اختلاف المعنى المراد بها، فالمعتقد نسخها يرى أن «حق ثقاته» الوقوف مع جميع ما يجب له ويستحقه، وهذا يعجز الكل عن الوفاء به، فتحصيله من الواحد ممتنع، والمعتقد إحكامها يرى أن «حق ثقاته» أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته، فكان قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ مفسراً لـ «حق ثقاته» لا ناسخاً ولا مخصصاً.

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا يَمَنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ قال الزجاج: اعتصموا: استمسكوا. فأما الحبل، فيه ستة أقوال: أحدها: أنه كتاب الله: القرآن: رواه شقيق عن ابن مسعود<sup>(١)</sup> وبه قال قتادة، والضحاك، والسدي. والثاني: أنه الجماعة، رواه الشعبي عن ابن مسعود. والثالث: أنه دين الله، قاله ابن عباس، وابن زيد، ومقاتل، وابن قتيبة. وقال ابن زيد: هو الإسلام. والرابع: عهد الله، قاله مجاهد، وعطاء، وقتادة في رواية، وأبو عبيد، واحتج له الزجاج بقول الأعشى: وإذا تُجَوِّزُهَا حَبَالُ قَبِيلَةٍ وأشد ابن الأباري:

فلو حبالاً تناول من سُلَيْمَى لمدَّ بحبلِها حبالاً متيناً

والخامس: أنه الإخلاص، قاله أبو العالية. والسادس: أنه أمر الله وطاعته، قاله مقاتل بن حيان. قال الزجاج: وقوله: «جميعاً» منصوب على الحال، أي: كونوا مجتمعين على الاعتصام به. وأصل «تفرَّقُوا»: «تَفَرَّقُوا»، إلا أن الناء حذفت لاجتماع حرفين من جنس واحد، والمحذوفة هي الثانية، لأن الأولى دليلة على الاستقبال، فلا يجوز حذف الحرف الذي يدل على الاستقبال، وهو مجزوم بالنهي، والأصل: ولا تفرقون، فحذفت النون، لتدل على الجزم. قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا يَمَنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ اختلفوا فيمن أريد بهذا الكلام على قولين: أحدهما: أنهم مشركو العرب، كان القوي يستبيح الضعيف، قاله الحسن، وقتادة. والثاني: الأوس والخزرج، كان بينهم حرب شديد، قاله ابن إسحاق. والأعداء: جمع عدو. قال ابن فارس: وهو من عَدَا: إذا ظَلَمَ.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾ أي: صرتم، قال الزجاج: وأصل الأخ في اللغة أنه الذي مقصده مقصد أخيه، والعرب تقول: فلان يتوخى مساراً فلان، أي: ما يسره. والشُّفا: الحرف. وأعلم أن هذا مثل ضربه الله لإشرافهم على الهلاك، وقربهم من العذاب، كأنه قال: كنتم على حرف حفرة من النار، ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا الموت على الكفر. قال السدي: فأنقذكم منها محمد ﷺ.

﴿وَلَكُمْ يَنْكِحُ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَآَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ يَنْكِحُ اللَّهُ﴾ قال الزجاج: معنى الكلام: ولكونوا كلكم أمة تدعون إلى الخير، وتأمرون بالمعروف، ولكن «من» هاهنا تدخل لتحض المخاطبين من سائر الأجناس، وهي مؤكدة أن الأمر للمخاطبين، ومثله: ﴿فَلْيَجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٢٠] معناه: اجتنبوا الأوثان، فإنها رجس. ومثله قول الشاعر:

(١) رواه الطبري وإسناده صحيح، ولفظه: «إن الصراط محض تحضره الشياطين، ينادون: يا هيد الله، هلم هذا الطريق، ليصلوا عن سبيل الله، فاعتصموا بحبل الله، فإن حبل الله هو كتاب الله».

(٢) من «ديوانه» ص ٢٧ من قصيدته في قيس بن معد يكرب، وهذا البيت في ذكر ناقته. يقول: إذا ما أخذت من قبيلة جهودها حتى اجتاز ديارها أماناً، أعطتها القليلة التي تليها عهداً وفماً أن تخترق ديارها أمانة لا ينالها أحد بسوء، وذلك أن الغياض كلها ترهب قيساً وتخافه، فكل قاصد إليه، واجد الأمان حيث سار.

أخو رغائب يعطيها ويسألها

يأبى الظلامة منه النوفل الزفر<sup>(١)</sup>

وهو النوفل الزفر. لأنه وصفه بإعطاء الرغائب. والنوفل: الكثير الإعطاء للنوافل، والزفر: الذي يحمل الأثقال. ويدل على أن الكل أمروا بالمعروف والنهي عن المنكر قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ قال: ويجوز أن يكون أمر منهم فرقة، لأن الدعاة ينبغي أن يكونوا علماء بما يدعون إليه، وليس الخلق كلهم علماء، والعلم ينوب بعض الناس فيه عن بعض، كالجهاد، فأما الخير، ففيه قولان: أحدهما: أنه الإسلام، قاله مقاتل. والثاني: العمل بطاعة الله، قاله أبو سليمان الدمشقي. وأما المعروف، فهو ما يعرف كل عاقل صوابه، وضده المنكر، وقيل: المعروف ما هنا: طاعة الله، والمنكر: معصيته.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود والنصارى، قاله ابن عباس، والحسن في آخرين. والثاني: أنهم الحرورية<sup>(٢)</sup>، قاله أبو أمامة.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قرأ أبو رزین العقيلي، وأبو عمران الجوني، وأبو نهيك: «تببيض» و«تسود»، بكسر التاء فيهما. وقرأ الحسن، والزهري، وابن محيصن، وأبو الجوزاء: «تبياض» و«تسواء» بآلف، ومدة فيهما. وقرأ أبو الجوزاء، وابن يعمر: فأما الذين اسودت وُجُوهُهُمْ و«تسود» بآلف ومدة. قال الزجاج: أخبر الله بوقت ذلك العذاب، فقال: يوم تبيض وجوه. قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة. وفي الذين اسودت وجوههم، خمسة أقوال: أحدها: أنهم كل من كفر بالله بعد إيمانه يوم الميثاق، قاله أبي بن كعب. والثاني: أنهم الحرورية، قاله أبو أمامة، وأبو إسحاق الهمداني. والثالث: اليهود، قاله ابن عباس. والرابع: أنهم المنافقون، قاله الحسن. والخامس: أنهم أهل البدع، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿أَكْفَرْتُمْ﴾ قال الزجاج: معناه: يقال لهم: أكفرتم، فحذف القول لأن في الكلام دليلاً عليه، كقوله تعالى: ﴿رَأْسُيَ يُدْرِكُ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَنَا بَرْكَاتُكَ وَسَارَقَتْ فَكُنَّا كَالْعَنَاقِ﴾ [البقرة: ١٢٧]، أي: ويقولان: ربنا تقبل منا. ومثله: ﴿يَنْ كَلِّ بَابٍ سَكَنَ عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد: ٢٥، ٢٦] والمعنى: يقولون: سلام عليكم. والألف لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها التقرير والتوبيخ. فإن قلنا: إنهم جميع الكفار، فإنهم آمنوا يوم الميثاق، ثم كفروا، وإن قلنا: إنهم الحرورية، وأهل البدع، فكفرهم بعد إيمانهم: مفارقة الجماعة في الاعتقاد، وإن قلنا: اليهود، فإنهم آمنوا بالنبي قبل مبعثه، ثم كفروا بعد ظهوره، وإن قلنا: المنافقون، فإنهم قالوا بالاستسهم، وأنكروا بقلوبهم.

قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أصل الذوق إنما يكون بالفم، وهذا استعارة منه، فكأنهم جعلوا ما يتعرف وتعرف مذوقاً على وجه التشبيه بالذي يعرف عند التطعم، تقول العرب: قد دُقت من إكرام فلان ما يرغبني في قصده، يعنون: عرفت، ويقولون: ذق الفرس، فاعرف ما عنده. قال تميم بن مقبل:

أَوْ كَأَمْزَازٍ رُدِينِي تُذَاوِقُهُ أَيْدِي التَّجَارِ فَزَادُوا مَتْنَهُ لِينًا<sup>(٣)</sup>

(١) هو لأعشى باهلة، من قصيدة جيدة يرثي بها المشرق بن وهب الباهلي. والظلامة: ما أخذ ظملاً. النوفل: الكثير النوافل، وهي العطايا، واحدها: نافلة. الزافر: القوي على الحملات، وهي الغرامات التي تحملها عن القوم. قال في «اللسان» وقوله: «منه» مؤكدة للكلام، كما قال تعالى: ﴿يَبْيِزْ لَكُمْ بَيْنَ دُونِكُمْ﴾ [الأحاف: ٣١]. والمعنى: يأبى الظلامة، لأنه النوفل الزفر.

(٢) الحرورية: هم الخوارج الذين قاتلهم علي عليه السلام، نسبة إلى حروراء. قال باقر في «معجم البلدان»: وحروراء، يفتحون وسكون الواو، وراء أخرى وألف ممدودة: قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها، نزل بها الخوارج الذين خالفوا علياً عليه السلام فقتلوا فيها.

(٣) «ديوانه» ص: ٢٢٨. وقد جاء فيه «تداوله» مكان «تذاوقه» والرديني: الرمح، منسوب إلى ردينة، وهي امرأة كانت تقن هي وزوجها سمهر صنع الرماح بخرط هجر. التجار: جمع تاجر، وهو الذي يتجر في الشيء، الحاذق بالأمور. شبه تنني النساء في مشيهن باهتزاز الرمح اللدن. وقال الشماخ في وصف القوس:

فَذَاقَ فَاغَطَّتْهُ مِنَ اللَّيْنِ جَانِبًا

كَفَى وَلَهَا أَنْ يَفْرَقَ السَّهْمَ حَاجِزَ

وقال الآخر:

وإن الله ذاق حُلُوم قيس

فلما راء خِفَّتَهَا قِلاها<sup>(١)</sup>

يعنون بالدوق: العلم. وفي كتاب الخليل: كل ما نزل بإنسان من مكروه. فقد ذاقه.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْهَتْتَ وَجُوهُهُمْ فَبِئْسَ مَا فِيهَا خَلِيلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْهَتْتَ وَجُوهُهُمْ﴾ قال ابن عباس: هم المؤمنون. ورحمة الله: جنته، قال ابن قتيبة: ومسئ الجنة رحمة، لأن دخولهم إياها كان برحمته. وقال الزجاج: معناه: في ثواب رحمته، قال: وأعاد ذكر «فيها» تأكيداً.

﴿تِلْكَ أَيْتَاتُ اللَّهِ تَنْزِلُهَا عَلَيْكَ بِرَحْمَةٍ وَأَنَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال بعضهم: معناه: لا يعاقبهم بلا جرم. وقال الزجاج: أعلمنا أنه يعذب من عذبه باستحقاق.

﴿وَلَوْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا اللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورَ﴾<sup>(٤)</sup> كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَذُلُّوا بِاللَّهِ وَلَوْ مَا مَكَرَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْيَوْمُوتُ وَأَكْبَرُكُمْ الْقَسِيفُونَ﴾<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ سبب نزولها أن مالك بن الضيف ووهب بن يهودا اليهوديين، قالا لابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة (وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل): ديننا خير مما تدعونا إليه، ونحن أفضل منكم، فنزلت هذه الآية، هذا قول عكرمة ومقاتل. وفيمن أريد بهذه الآية، أربعة أقوال: أحدها: أنهم أهل بدر. والثاني: أنهم المهاجرون<sup>(٦)</sup>. والثالث: جميع الصحابة. والرابع: جميع أمة محمد ﷺ، نقلت هذه الأقوال كلها عن ابن عباس. وقد روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ، أنه قال: «إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها، وأكرمها على الله تعالى»<sup>(٧)</sup>. قال الزجاج: وأصل الخطاب لأصحاب النبي ﷺ، وهو يعم سائر أمته<sup>(٨)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ﴾، قولان: أحدهما: أنها على أصلها، والمراد بها الماضي، ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: كنتم في اللوح المحفوظ. والثاني: أن معناه: خُلِقْتُمْ وَوُجِدْتُمْ. ذكرهما المفسرون. والثالث: أن المعنى: كنتم مذ كنتم، ذكره ابن الأنباري. والثاني: أن معنى كنتم: أنتم، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]. ذكره الفراء<sup>(٩)</sup>، والزجاج. قال ابن قتيبة: وقد يأتي الفعل على بنية الماضي، وهو راءن، أو مستقبل، كقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ﴾ ومعناه: أنتم، ومثله: ﴿رَأَى قَالَ اللَّهُ يَكُونُ﴾ [المائدة: ١١٦]، أي: وإذ يقول. ومثله: ﴿أَنَّهُ أَتَى اللَّهَ﴾ [النحل: ٤١]، أي: سيأتي، ومثله: ﴿كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَلْهَادِ صَبِيًا﴾ [مريم: ٢٩]، أي: من هو في المهد، ومثله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]. أي: والله سميع بصير، ومثله: ﴿تَنْزِيلُ صَاحِبَا فَسَقْتَهُ﴾ [فاطر: ٩] أي: فنسوقه. وفي قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

(١) قال الجاحظ في «الحيوان» ٣٠/٥: قال يزيد بن الصمق لبني سليم حين صنعوا لسيدهم العباس بن أسن ما صنعوا، وقد كانوا توجهوا وملكوه، فلما خالفهم في بعض الأمر، وثبوا عليه وكان سبب ذلك قلة رطبه:

وإن الله ذاق حُلُوم قيس  
فلما ذاق خِفَّتَهَا قِلاها  
وأما لا تطيع لها أميراً  
فلما تررَّدَ قِيسَ قِلاها

قلاها: أبغضها. وخلاها: تركها. والخل، مقصورة: الرطب من الثبات، واحدة: خلا، يقول: جعلها كالسوائم ترتاد المرابي.

(٢) رواه أحمد، والنسائي، والحاكم بإسناد جيد عن ابن عباس. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ورواه اللحي.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: حديث حسن صحيح أخرجه الترمذي وحسنه، وابن ماجه، والحاكم وصححه، وله شاهد مرسل عن قتادة عند الطبري رجاله ثقات. وروى الإمام أحمد عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء، قلنا: يا رسول الله ما هو؟ قال نصرت بالرب، وأعطيت مفاتيح الأرض، وسيت أحمد، وجعل التراب لي طهوراً، وجعلت أمي خير الأمم» وقد حسن هذا الحديث الحافظ ابن كثير، والحافظ ابن حجر.

(٤) قال الحافظ ابن كثير بعدما ساق الأحاديث الثابتة في فضل أمة محمد ﷺ: فهذه الأحاديث في معنى قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَذُلُّوا بِاللَّهِ﴾ فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الملح، ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَبَّأُونَ عَنْ مُنْكَرٍ قَوْلُوا بَلْكَ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

(٥) جاء في معاني القرآن: وقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ في التأويل في اللوح المحفوظ، ومعناه: أنتم خير أمة، كقوله: ﴿وَأَكْبَرُكُمْ إِذْ كُنْتُمْ قِيلًا نَكَلِّمُكُمْ﴾ [المائدة: ٨٦]. و﴿إِذْ أَتَى قِيلٌ سَخَطَمُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٢٦]. فإضمار «كان» في مثل هذا وإظهارها سواء.

لِلنَّاسِ ﴿١١١﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: كتتم خير الناس للناس. قال أبو هريرة: يأتون بهم في السلاسل حتى يدخلوهم في الإسلام<sup>(١)</sup>. والثاني: أن معناه: كتتم خير الأمم التي أخرجت.

وفي قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ قولان: أحدهما: أنه شرط في الخيرية، وهذا المعنى مروى عن عمر بن الخطاب، ومجاهد، والزجاج. والثاني: أنه ثناء من الله عليهم، قاله الربيع بن أنس. قال أبو العالية: والمعروف: التوحيد. والمنكر: الشرك. قال ابن عباس: وأهل الكتاب: اليهود والنصارى.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ كَافِرُونَ﴾: مَنْ أسلم، كعبد الله بن سلام وأصحابه. ﴿وَكَفَرَهُمُ الْفَيْسُوقُ﴾، يعني: الكافرين، وهم الذين لم يسلموا.

﴿إِنْ يَشْرُوكُمْ إِلَّا ادِّتٌ وَإِنْ يَنْتِلُوَكُمْ يُولُوكُمْ أَلَذَّابًا ثُمَّ لَا يُمْسِرُونَ﴾ ﴿١١٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشْرُوكُمْ إِلَّا ادِّتٌ﴾ قال مقاتل: سبب نزولها أن رؤساء اليهود عمدوا إلى عبد الله بن سلام وأصحابه فأذوهم لإسلامهم، فنزلت هذه الآية. قال ابن عباس: والأذى قولهم: ﴿عُذِرْتُ أَيْنَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٠] و﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] و﴿ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]. وقال الحسن: هو الكذب على الله، ودعائهم المسلمين إلى الضلالة. وقال الزجاج: هو البهت والتحريف. ومقصود الآية: إعلام المسلمين بأنه لن ينالهم منهم إلا الأذى باللسان من دعائهم إياهم إلى الضلال، وإسماعهم الكفر، ثم وعدهم النصر عليهم في قوله: ﴿وَإِنْ يَنْتِلُوَكُمْ يُولُوكُمْ أَلَذَّابًا﴾.

﴿مُصِرَّتْ عَلَيْهِمُ الدِّتَةُ أَيْنَ مَا نُفِيقُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَيَأْتُو بِمَضْمُونٍ مِنَ اللَّهِ وَصِرَتْ عَلَيْهِمُ التَّنَكُّتُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ﴿١١٣﴾

قوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا نُفِيقُوا﴾ معناه: أدركو ووجدوا، وذلك أنهم أين نزلوا احتاجوا إلى عهد من أهل المكان، وأداء جزية. قال الحسن: أدركتهم هذه الأمة، وإن المجوس لتجبيهم الجزية. وأما الحبل، فقال ابن عباس، وعطاء، والضحاك، وقتادة، والسدي، وابن زيد: الحبل: العهد، قال بعضهم: ومعنى الكلام: إلا بعهد يأخوذونه من المؤمنين بإذن الله. قال الزجاج: وما بعد الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِنْ اللَّهِ﴾ ليس من الأول، وإنما المعنى: أنهم أذلاء، إلا أنهم يعصمون بالعهد إذا أعطوه. وقد سبق في «البقرة» تفسير باقي الآية.

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ فَإِذَا دَانَتْ آيَاتُ اللَّهِ وَهُمْ يَسْتَجِدُونَ﴾ ﴿١١٤﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾، في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن النبي ﷺ احتبس عن صلاة العشاء ليلة حتى ذهب ثلث الليل، ثم جاء فبشرهم، فقال: «إنه لا يصلي هذه الصلاة أحد من أهل الكتاب»<sup>(٢)</sup> فنزلت هذه الآية، قاله ابن مسعود. والثاني: أنه لما أسلم ابن سلام في جماعة من اليهود، قال أحبارهم: ما آمن بمحمد إلا أشرارنا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس، ومقاتل. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: ليس أمة محمد واليهود سواء، هذا قول ابن مسعود، والسدي. والثاني: ليس اليهود كلهم سواء، بل فيهم من هو قائم بأمر الله، هذا قول ابن عباس، وقتادة. وقال الزجاج: الوقف التام ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي: ليس أهل الكتاب متساوين. وفي معنى «قائمة» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الثابتة على أمر الله، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: أنها العادلة، قاله الحسن، ومجاهد، وابن جريج. والثالث: أنها المستقيمة، قاله أبو عبيد، والزجاج. قال الفراء: ذكر أمة واحدة ولم يذكر بعدها أخرى، والكلام مبني على أخرى، لأن «سواء» لا بد لها من اثنين، وقد تستجيز العرب إضمار أحد الشئيين إذا كان في الكلام دليل عليه. قال أبو ذؤيب:

(١) أخرجه البخاري ج ٨/ ١٦٩ موقوفاً، وهو في حكم المرفوع، لأنه في معنى الحديث المرفوع الذي رواه البخاري: «سبب الله ﷻ من قوم يدخلون الجنة في السلاسل».

(٢) رواه أحمد والطبري وأبو يعلى والبخاري وإسناده حسن، ولفظ أحمد: عن ابن مسعود قال: «أمر رسول الله ﷺ صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد، فإذا الناس ينتظرون الصلاة، قال: «إنا لئله ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة هيركم» قال: وأنزل هؤلاء الآيات: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ حتى بلغ ﴿وَمَا يَتَّقُوا مِنْ خَيْرِ مَنْ يَخْشَاهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ الْغَالِبُونَ﴾.

عصيت إليها القلب إنني لأمره  
ولم يقل: أم لا، ولا أم غي، لأن الكلام معروف المعنى. وقال آخر:  
وما أدري إذا يئمت أرضاً  
أريد الخير أيهما يليني  
أأخير الذي أنا ابتغيه  
أم الشر الذي هو يبتغيني<sup>(١)</sup>

ومثله قوله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى آلِي سُلَيْمٍ وَقَائِمٌ﴾ [الزمر: ٢٩] ولم يذكر ضده، لأن في قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْكُرُونَ وَالَّذِينَ لَا يَمْكُرُونَ﴾ [الزمر: ٢٩]. دليلاً على ما أضمر من ذلك، وقد رد هذا القول الزجاج، فقال: قد جرى ذكر أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، فأعلم الله أن منهم أمة قائمة. فما الحاجة إلى أن يقال: وأمة غير قائمة؟ وإنما بدأ بذكر فعل الأكثر منهم، وهو الكفر والمشاقة، فذكر من كان منهم مباحناً لهؤلاء. قال: و﴿عَائِةَ آلِئِلٍ﴾ ساعاته، وواحد الآناء: إنني. قال ابن فارس: يقال: مضى من الليل إنني، وإنيان، والجمع: الآناء. واختلف المفسرون: هل هذه الآناء معينة من الليل أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها معينة، ثم فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها صلاة العشاء، قاله ابن مسعود، ومجاهد. والثاني: أنها ما بين المغرب والعشاء، رواه سفيان عن منصور. والثالث: جوف الليل، قاله السدي. والثاني: أنها ساعات الليل من غير تعيين، قاله قتادة في آخرين.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَسْجُدْ﴾، قولان: أحدهما: أنه كناية عن الصلاة، قاله مقاتل، والفراء، والزجاج. والثاني: أنه السجود المعروف، وليس المراد أنهم يتلون في حال السجود، ولكنهم جمعوا الأمرين، التلاوة والسجود. ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٢)</sup> وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوا وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر وأبو بكر عن عاصم: «تفعلوا»، وتكفروه، بالتاء في الموضعين على الخطاب، لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾. قال قتادة: فلن تكفروه: لن يضل عنكم. وقرأ قوم، منهم حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وعبد الوارث عن أبي عمرو: يفعلوا، ويكفروا، بالياء فيهما، إخباراً عن الأمة القائمة. وبقية أصحاب أبي عمرو يخيرون بين الياء والتاء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُفَعِّلَهُمْ مِنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَمْوَالُهُمْ فِيهَا خَلَدُونَ﴾<sup>(٤)</sup> مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ اختلفوا فيمن أنزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها في نفقات الكفار وصدقاتهم، قاله مجاهد. والثاني: في نفقة سفلة اليهود على علمائهم، قاله مقاتل. والثالث: في نفقة المشركين يوم بدر. والرابع: في نفقة المنافقين إذا خرجوا مع المسلمين لحرب المشركين، ذكر هذين القولين أبو الحسن الماوردي. وقال السدي: إنما ضرب الإنفاق مثلاً لأعمالهم في شركهم. وفي الصر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه البرد، قاله الأكثرون. والثاني: أنه النار، قاله ابن عباس، قال ابن الأنباري: وإنما وصفت النار بأنها صر لتصويتها عند الانتهاب. والثالث: أن الصر: التصويت، والحركة من الحصى والحجارة، ومنه: صرير النعل، ذكره ابن الأنباري. والحرث: الزرع. وفي معنى ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ قولان: أحدهما: ظلموها بالكفر والمعاصي، ومنع حق الله تعالى. والثاني: بأن زرعوا في غير وقت الزرع.

(١) ديوان الهذليين ٧١/١ قال الشيخ محمود شاكر في تعليقه على البيت: رواية البيت هكذا لا يستقيم بها معنى، ورواية «ديوانه»:

عصاني إليها القلب إنني لأمره

ويروى: دعاني إليها. ومما رواه ابن صبحان. وتام معنى البيت في الذي يليه:

فقلت لقلبي يا لك الخير إنما

يقول: عصاني القلب، وذهب إليها، فأن أتبع ما يأمرني به.

(٢) للمذهب المبدئي من قصيدة جيدة في «المفضليات» والبيان تغيير صادق من جهل الإنسان بما يخفى له القدر من الخير والشر.



قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ اللَّهُ﴾ قال ابن عباس: أي: ما نقصهم ذلك بغير جرم أصابوه، وإنما أنزل بهم ذلك لظلمهم أنفسهم بمنع حق الله منه، وهذا مثل ضربه الله لإبطال أعمالهم في الآخرة. وحدثننا عن ثعلب، قال: بدأ الله تعالى هذه الآية بالريح، والمعنى: على الحرث، كقوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ وإنما المعنى على المنعوق به. وقريب منه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا يَرْثُونَ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُرْثُونَ﴾ فخير عنه «الأزواج» وترك «الذين» كأنه قال: أزواج الذين يتوفون منكم يتريصن، فبدأ بالذين، ومراده: بعد الأزواج. وأنشد:

لعلِّي إن مالت بي الريح ميلاً  
على ابن أبي ديان أن يتندماً

فخير عن ابن أبي ديان، وترك نفسه، وإنما أراد: لعل ابن أبي ديان أن يتندماً إن مالت بي الريح ميلاً. وقد يبدأ بالشيء، والمراد التأخير، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَوَجَّهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠] والمعنى: ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة يوم القيامة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ مُعَقِّلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يضافون المنافقين، ويواصلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصدقة، والجوار، والرضاع، والحلف، فنهوا عن مبايعتهم. قال الزجاج: البطانة: الذلاء الذين يستبطنون [أمره] وينسبط إليهم، يقال: فلان بطانة لفلان، أي: مُداخل له، مؤانس. ومعنى ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ﴾: لا يتقون غاية في الفائقكم فيما يُضُرُّكم<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: ودُّوا عنتكم، وهو ما نزل بكم من مكروه وضرٍّ، يقال: فلان يعنت فلاناً، أي: يقصد إدخال المشقة والأذى عليه، وأصل هذا من قولهم: أكمة عتوت، إذا كانت طويلة، شاقة المسلك. قال ابن قتبية: ومعنى ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ أي: من غير المسلمين. والخبال: الشر.

﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ قال ابن عباس: أي: قد ظهر لكم منهم الكذب، والشتيم، ومخالفة دينكم. قال القاضي أبو يعلى: وفي هذه الآية دلالة على أنه لا يجوز الاستعانة بأهل الذمة في أمور المسلمين من العملات والكتبة، ولهذا قال أحمد: لا يستعين الإمام بأهل الذمة على قتال أهل الحرب. وروي عن عمر أنه بلغه أن أبا موسى استكتب رجلاً من أهل الذمة، فكتب إليه يعنفه، وقال: لا تردوهم إلى العز بعد إذ أدخلهم الله.

﴿هَآئِنْتُمْ أُولَآءِ حَبِيبُوهُمْ وَلَا يُؤْمِنُونَ وَالْكِتَابُ كُذِّبَ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَاوَا عَصَوْا عَلَيْكُمْ الْآنَايِلَ مِنَ الْقَيْظِ قُلْ مَوْتُوْا يَتَّبِعْكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ يَدَايُ السُّدُورِ﴾

قوله تعالى: ﴿هَآئِنْتُمْ أُولَآءِ حَبِيبُوهُمْ﴾ قال ابن عباس: كان عامة الأنصار يواصلون اليهود ويواصلونهم، فلما أسلم الأنصار بغضهم اليهود، فنزلت هذه الآية. والخطاب بهذه الآية للمؤمنين. قال ابن قتبية: ومعنى الكلام: ها أنتم يا هؤلاء. فاما «تحيونهم» فالهاء والميم عائدة إلى الذين نهوا عن مصافاتهم. وفي معنى محبة المؤمنين لهم أربعة أقوال: أحدها: أنها الميل إليهم بالطباع، لموضع القرابة، والرضاع، والحلف، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس. والثاني: أنها بمعنى الرحمة لهم، لما يفعلون من المعاصي التي يقابلها العذاب الشديد، وهذا المعنى منقول عن قتادة. والثالث: أنها لموضع إظهار المنافقين الإيمان، روي عن أبي العالية. والرابع: أنها بمعنى إرادة الإسلام لهم، وهم يريدون المسلمين على الكفر، وهذا قول المفضل، والزجاج. والكتاب: بمعنى الكتب، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ هذه حالة المنافقين، وقال مقاتل: هم اليهود. والأنامل: أطراف الأصابع. قال ابن عباس: والغيظ: الحنق عليكم، وقيل: هذا من مجاز الكلام، ضُرب مثل لما حلَّ بهم، وإن لم يكن هناك عض على أنملة، ومعنى ﴿مَوْتُوْا يَتَّبِعْكُمْ﴾: ابقوا به حتى تموتوا، وإنما كان غيظهم من رؤية شمل المسلمين ملتصماً. قال

(١) قال القرطبي: معنى ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ لا يقصرون فيما فيه الفساد عليكم.

ابن جرير: هذا أمر من الله تعالى لنبيه أن يدعو عليهم بأن يهلكهم الله كعداً من الغيظ.

﴿إِنْ تَسْتَكْمِلُوا حَسَنَةَ شُكْرِكُمْ فَيَتَزَكَّوْا يَهْدِكُمْ إِلَى سَبِيلٍ مُبِينٍ﴾  
﴿وَإِنْ تَصْغُرُوا بِهَا فَإِنَّ تَشْيِيرَكُمْ كِبَارُكُمْ كَذِبًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ قُلُوبَكُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَكْمِلُوا حَسَنَةَ﴾ قال قتادة: وهي الألفة والجماعة. والسيئة: الفقرة والاختلاف، وإصابة طرف من المسلمين. وقال ابن قتيبة: الحسنة: النعمة. والسيئة: المصيبة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْغُرُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: على أذاهم، قاله ابن عباس. والثاني: على أمر الله، قاله مقاتل.

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَزَكَّوْا﴾ قولان: أحدهما: الشك، قاله ابن عباس. والثاني: المعاصي، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، «يضرُّكم» بكسر الضاد، وتخفيف الراء. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «لَا يَضُرُّكُمْ» بضم الضاد وتشديد الراء. قال الزجاج: الضر والضرير بمعنى واحد. فأما الكيد فقال ابن قتيبة: هو المكر. قال أبو سليمان الخطابي: والمحيط: الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه، وأحاط علمه بالأمور كلها.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ قال المفسرون: في هذا الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ولقد نصركم الله بيدر، وإذ غدوت من أهلك. وقال ابن قتيبة: تبوئ: من قولك: بوأتك منزلاً: إذا أهدتك إياه، أو أسكنته. ومعنى «مَقْعِدَ» لِلْقِتَالِ: المعسكر والمصاف. واختلفوا في أي يوم كان ذلك، على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوم أحد، قاله عبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وابن عباس، والزهري، وقتادة، والسدي، والربيع، وابن إسحاق، وذلك أنه خرج يوم أحد من بيت عائشة إلى أحد، فجعل يصف أصحابه للقتال. والثاني: أنه يوم الأحزاب، قاله الحسن، ومجاهد، ومقاتل. والثالث: يوم بدر، نقل عن الحسن أيضاً. قال ابن جرير: والأول أصح، لقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ وقد اتفق العلماء أن ذلك كان يوم أحد.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: سمع لمشاورتك إياهم في الخروج، ومرادهم للخروج، عليم بما يخفون من حب الشهادة.

﴿إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ قال الزجاج: كانت التبوئة في ذلك الوقت. وتفشلا: تجبنا، وتخورا. ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾، أي: ناصرهما. قال جابر بن عبد الله: نحن هم بنو سلمة، وبنو حارثة، وما نحب أن لو لم يكن ذلك لقول الله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾. وقال الحسن: [هما] طائفتان من الأنصار همتا بذلك، فعصمهما الله. وقيل: لما رجع عبد الله بن أبي في أصحابه يوم أحد، همت الطائفتان باتباعه، فعصمهما الله.

### فصل

فأما التوكل، فقال ابن عباس: هو الثقة بالله. وقال ابن فارس: هو إظهار العجز [في الأمر]، والاعتماد على غيرك، ويقال: فلان وكلةٌ تُكَلِّهُ، أي: عاجز، يكل أمره إلى غيره. وقال غيره: هو تفعل من الوكالة، يقال: وكلت أمري إلى فلان فتوكل به، أي: ضمنه، وقام به، وأنا متوكل عليه. وقال بعضهم: هو تفويض الأمر إلى الله ثقة بحسن تدبيره.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتَمَ إِذْ لَمْ تَكُنْ تَشْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾ في تسمية بدر قولان: أحدهما: أنها بشر لرجل اسمه بدر، قاله الشعبي. والثاني: أنه اسم للمكان الذي التقوا عليه، ذكره الواقدي عن أشياخه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَوْلَىٰ﴾ أي: لقلة العدد والعدد. ﴿لَكُمْكُمْ تَفْكَرُونَ﴾ أي: لتكونوا من الشاكرين.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَكُمْ رَجُلًا يَلْفَؤْ مِنْ أَلْفِكَ مَثَلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَكُمْ رَجُلًا﴾ قال الشعبي: قال كُرْز بن جابر لمشركي مكة: إني أمدكم بقومي، فاشتد ذلك على المسلمين، فنزلت هذه الآية. وفي أي يوم كان ذلك؟ فيه قولان: أحدهما: يوم بدر، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والثاني: يوم أحد، وعدهم فيه بالمدد إن صبروا، فلما لم يصبروا، لم يُمدُّوا، روي عن عكرمة، والضحاك، ومقاتل، والأول أصح. والكفاية: مقدار سد الخلة. والاكتفاء: الاقتصار على ذلك. والإمداد: إعطاء الشيء بعد الشيء.

قوله تعالى: ﴿مَثَلِينَ﴾ قرأ الأكثرون بتخفيف الزاي، وشدها ابن عامر.

﴿بَلْ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يَتَوَدَّدَكُمْ بَدَأْتُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: من وجههم وسفرهم هذا، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومقاتل، والزجاج. والثاني: من غضبهم هذا، قاله عكرمة، ومجاهد، والضحاك في آخرين. قال ابن جرير: من قال: من وجههم، أراد ابتداء مخرجهم يوم بدر، ومن قال: من غضبهم، أراد ابتداء غضبهم لقتالهم يوم بدر<sup>(١)</sup>. وأصل الفور: ابتداء الأمر يؤخذ فيه، يقال: فارت القدر: إذا ابتدأ ما فيها بالغليان، ثم اتصل. وقال ابن فارس: الفور: الغليان، يقال: فارت القدر تفور، وفار غضبه: إذا جاش، ويقولون: فعله من فوره، أي: قبل أن يسكن. وفي يوم فورهم قولان: أحدهما: أنه يوم بدر، قاله قتادة. والثاني: يوم أحد، قال مجاهد، والضحاك: كانوا غضبوا يوم أحد ليوم بدر مما لقوا.

قوله تعالى: ﴿مُسَوِّينَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم بكسر الواو، والباقون بفتحها، فمن فتح الواو، أراد أن الله سَوَّاهَا، ومن كسرها، أراد أن الملائكة سومت أنفسها. وقال الأخفش: سَوَّمت خيلها، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال يوم بدر: «سوموا فإن الملائكة قد سومت»<sup>(٢)</sup> ونسب الفعل إليها، فهذا دليل الكسر. قال ابن قتيبة: ومعنى مسومين: معلمين بعلامة الحرب، وهو من السيماء [مأخوذاً] والسومة: العلامة التي يعلم بها الفارس نفسه. قال علي بن أبي حمزة: وكان سيماء خيل الملائكة يوم بدر، الصوف الأبيض في أذنابها ونواصيها. وقال أبو هريرة: العهن الأحمر. وقال مجاهد: كانت أذناب خيولهم مجزوزة، وفيها العهن. وقال هشام بن عروة: كانت الملائكة على خيل بلق، وعليهم عمام صفر. وروي ابن عباس عن رجل من بني غفار قال: حضرت أنا وابن عم لي بدرأ، ونحن على شركنا، فأقبلت سحابة، فلما دنت من الخيل سمعنا فيها حممة الخيل، وسمعنا فارساً يقول: أقدم حيزوم، فأما صاحبي فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك، ثم انتعشت<sup>(٣)</sup>. وقال أبو داود المازني: إني لأتبع يوم بدر رجلاً من

(١) نص كلام ابن جرير: «فالذي قال في هذه الآية معنى قوله تعالى: ﴿مِنْ فُورِهِمْ هَذَا﴾ من وجههم هذا، قصد إلى أن تأويله: ويأتيكم كُرْز بن جابر وأصحابه يوم بدر من ابتداء مخرجهم الذي خرجوا منه لنصرة أصحابهم من المشركين. وأما الذين قالوا: معنى ذلك: من غضبهم هذا، فإنما عنوا أن تأويل ذلك: ويأتيكم كفار قريش، ويأتهم يوم أحد من ابتداء غضبهم الذي غضبوه لقتالهم الذين قتلوا يوم بدر بها.

(٢) رواه ابن جرير الطبري ١٨٦/٧ عن عمار بن إسحاق قال: إن أول ما كان الصوف ليومئذ - يعني يوم بدر - قال رسول الله ﷺ: «سوموا فإن الملائكة قد سومت». قال الشيخ أحمد شاكر: وعمار بن إسحاق أبو محمد مولى بني هاشم، روى عن المقداد بن الأسود، وعمر بن العاص، وكان قليل الحديث، وقال أبو حاتم والنسائي: لا نعلم روى عنه غير ابن هون، قال ابن معين: ثقة، وقال أيضاً: لا يساوي حديثه شيئاً، ولكن يكتب حديثه، فهذا الحديث كما ترى مرسل، ومن رجل يكتب حديثه ولا يجمع به.

(٣) رواه ابن هشام في «السيرة» ١/٦٣٣، ورواه ابن جرير في «التفسير»: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس، أن ابن عباس قال: حدثني رجل من بني غفار، قال: أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر، ونحن مشركان، ننظر الوقعة على من تكون الدبرة، فننتهب مع من ينتهب، قال: فبينما نحن في الجبل، إذ دنت منا سحابة، فسمعنا فيها حممة الخيل، فسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم. قال: فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك، ثم تماسكت، الدبرة: الهزيمة في القتال. أقدم: كلمة زجر تزرع بها الخيل، وأمر لها بالتقدم. حيزوم: اسم فارس من خيل الملائكة يومئذ، ويقال: هو فارس جبريل عليه السلام. وقناع القلب: غشاؤه. وجاء في الحديث الذي أخرجه «مسلم» ١٣٨٤، قال أبو زميل - هو سماك الحنفي - فحدثني ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر =

المشركين لأضره، فوق رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أن غيري قد قتله<sup>(١)</sup>. وفي عدد الملائكة يوم بدر خمسة أقوال: أحدها: خمسة آلاف، قاله الحسن. وروى جبير بن مطعم عن علي عليه السلام، قال: بينا أنا أمتح من قلب بدر، جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها، ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها إلا التي كانت قبلها، ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها، فكانت الريح الأولى جبريل نزل في ألفين من الملائكة، وكان مع رسول الله ﷺ، وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في ألفين من الملائكة عن يمين رسول الله، وكانت الريح الثالثة إسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن يسار رسول الله، وكنت عن يساره، وهزم الله أعداءه. والثاني: أربعة آلاف، قاله الشعبي. والثالث: ألف، قاله مجاهد. والرابع: تسعة آلاف، ذكره الزجاج. والخامس: ثمانية آلاف، ذكره بعض المفسرين.

﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرًا لَكُمْ وَلَسْطَمَ قُلُوبُكُمْ يَوْمَ وَمَا اتَّخَذُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْكَبِيرِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ﴾ يعني المدد ﴿إِلَّا بُشْرًا﴾، أي: إلا بشارة تطيب أنفسكم، ﴿وَلَسْطَمَ قُلُوبُكُمْ يَوْمَ﴾، فتسكن في الحرب، ولا تجزع، والأتشرون على أن هذا المدد يوم بدر. وقال مجاهد: يوم أحد، وروي عنه ما يدل على أن الله أمدهم في اليومين بالملائكة جميعاً، غير أن الملائكة لم تقاتل إلا يوم بدر. قوله تعالى: ﴿وَمَا اتَّخَذُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي: ليس بكثرة العدد والمُد.

﴿يَقْطَعُ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُنَّ فَيَنْفِلُوا حَآيِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَقْطَعُ طَرَفًا﴾ معناه: نصركم بيدر ليقطع طرفاً. قال الزجاج: أي: ليقتل قطعة منهم. وفي أي يوم كان ذلك؟ فيه قولان: أحدهما: في يوم بدر، قاله الحسن، وقناة، والجمهور. والثاني: يوم أحد، قتل منهم ثمانية وعشرون، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكْبِتُنَّ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: أن معناه: يهزمهم، قاله ابن عباس، والزجاج. والثاني: يخزيهم، قاله قتادة، ومقاتل. والثالث: يصرعهم، قاله أبو عبيد، واليزيدي. وقال الخليل: هو الصرع على الوجه. والرابع: يهلكهم، قاله أبو عبيدة. والخامس: يلعنهم، قاله السدي. والسادس: يُظْفَرُ عليهم، قاله المبرد. والسابع: يغيطهم، قاله النضر بن شميل، واختاره ابن قتيبة. وقال ابن قتيبة: أهل النظر يرون أن التاء فيه متقلبة عن دال، كأن الأصل فيه: يكبدهم، أي: يصيبهم في أكبادهم بالحزن والغيط، وشدة العداوة، ومنه يقال: فلان قد أحرق الحزن كبده، وأحرق العداوة كبده، والعرب تقول: العدو أسود الكبد. قال الأعشى:

فَمَا أَجْشَمْتُ مِنْ إِيَّانِ قَوْمِ هُمُ الْأَعْدَاءُ وَالْأَكْبَادُ سَوْدُ<sup>(٢)</sup>

كان الأكباد لما احترقت بشدة العداوة، اسودت، ومنه يقال للعدو: كاشح، لأنه يخبأ العداوة في كشمه. والكشح: الخاصرة، وإنما يريدون الكبد، لأن الكبد هناك. قال الشاعر:

وَأَضْمِرُ أَضْفَاناً عَلَيَّ كَشْوَخَهَا<sup>(٣)</sup>

والتاء والدال متقاربتا المخرج، والعرب تدغم إحداهما في الأخرى، وتبدل إحداهما من الأخرى، كقولهم: هرت الثوب وهرده: إذا خرقة، وكذلك: كبث العدو، وكبده، ومثله كثير.

= إلى المشرك أمامه. فخر مستقياً، فنظر إليه، فإذا هو قد حُومل أنفه، وشق وجهه كضربة بالسوط، فاحضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة» فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين.

(١) ذكر هذا الأثر ابن هشام ٦٣٣/١ عن ابن إسحاق عن أبيه، عن رجال من بني مازن بن النجار عن أبي داود المازني. ومن طريقه أخرجه الطبري وغيره.

(٢) «ديوانه» ص ٣٢٣. وأجشمت: على البناء للمجهول من أجشم الأمر: إذا كلفه إياه فتحمله بمشقة. إِيَّانِ قوم: يقصد قوم صاحبه التي انصرفت عنه. عدو أسود الكبد: أحرق كبد العدو.

(٣) هو للنمر بن تولب، وتماه:

وعف إذا أردى النفوس شحوبها

وأغمر منيهم نافذات تروني

أقارن أقواماً فأوفي قروضهم

تنفذ منهم نافذات تروني

قوله تعالى: ﴿يَتَقَبَّلُوا وَلاَ يَنْتَقَبِلُوا﴾ قال الزجاج: الخائب: الذي لم ينل ما أُمِّل. وقال غيره: الفرق بين الخيبة واليأس، أن الخيبة لا تكون إلا بعد الأمل، واليأس قد يكون من غير أمل.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ ظُلُمَاتٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ كسرت ربايته يوم أحد، وشج في جبهته حتى سال الدم على وجهه، فقال: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم عز وجل؟!». فنزلت هذه الآية. أخرجه مسلم في «أفراده» من حديث أنس<sup>(١)</sup>. وهو قول ابن عباس، والحسن، وقاعدة، والربيع. والثاني: أن النبي ﷺ، لعن قوماً من المنافقين، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عمر<sup>(٢)</sup>. والثالث: أن النبي ﷺ هم بسبب الذين انهزموا يوم أحد، فنزلت هذه الآية، فكف عن ذلك، نقل عن ابن مسعود، وابن عباس. والرابع: أن سبعين من أهل الصفة، خرجوا إلى قبيلتين من بني سليم، عصية وذكوان، فقتلوا جميعاً، فدعا النبي ﷺ عليهم أربعين يوماً، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل بن سليمان<sup>(٣)</sup>. والخامس: أن النبي ﷺ لما رأى حمزة مثلاً به، قال: «لأمثلن بكذا وكذا منهم» فنزلت هذه الآية، قاله الواقدي. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: ليس لك من استصلاحهم أو عذابهم شيء. والثاني: ليس لك من النصر والهزيمة شيء. وقيل: إن «لك» بمعنى «إليك».

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ قال الفراء: في نصبه وجهان، إن شئت جعلته معطوفاً على قوله تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَبًا﴾ وإن شئت جعلت نصبه على مذهب «حتى» كما تقول: لا أزال معك حتى تعطيني، ولما نفى الأمر عن نبيه أثبت أن جميع الأمور إليه بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿يَتَابَعُهَا الْآيَةُ ١٢٩﴾

﴿يَتَابَعُهَا الْآيَةُ ١٢٩﴾ قال أهل التفسير: هذه الآية نزلت في ربا الجاهلية. قال سعيد بن جبير: كان الرجل يكون له على الرجل المال، فإذا حلَّ الأجل، فيقول: آخر عني، وأزيدك على مالك، فتلك الأضعاف المضاعفة<sup>(٤)</sup>.

(١) ورواه أحمد في «المسند» والترمذي وغيرهما، والرباعية على وزن ثمانية: الأسنان الأربعة التي تلي الثنايا بين الثنية والثاب.

(٢) رواه أحمد في «المسند» والترمذي عن ابن عمر. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح يستغرب من هذا الوجه، من حديث نافع عن ابن عمر، ولفظه عند أحمد: «كان رسول الله ﷺ يدعو على رجال من المشركين يسبهم بأسمائهم، حتى أنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ ظُلُمَاتٌ﴾ فترك ذلك.

(٣) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، ثم يقول وهو قائم: اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مفسري، واجعلها عليهم كسني يوسف، اللهم العن لحيان ورعلاً وذكوان وعصية عصت الله ورسوله. ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ ظُلُمَاتٌ﴾ هذا لفظ مسلم. وقال الحافظ في «الفتح» ٢٧٣/٧: وهذا - يريد الحديث - إن كان محفوظاً أحتمل أن يكون نزول الآية تراخي عن قصة أحد، لأن قصة رعل وذكوان كانت بعدها، كما سيأتي تلو هذه الغزوة - وفيه بعد. والصواب أنها نزلت في شأن الذين دعا عليهم بسبب قصة أحد، والله أعلم. ويؤيد ذلك ظاهر قوله تعالى في صدر الآية: ﴿يَقْطَعُ طَرَبًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: يقتلهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: يخزيهم. ثم قال: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: فيسلموا ﴿أَوْ يُعَذِّبُهُمْ﴾ أي: إن ماتوا كفاراً. وقال في ج/٨: ٧١: ثم ظهر لي علة الخبر، وأن فيه إدراجاً، وأن قوله: حتى أنزل الله، منقطع من رواية الزهري عن بلغه، بين ذلك مسلم في رواية يونس المذكورة.

(٤) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في «عمدة التفسير» ٣٨/٣ تعليقاً على هذه الآية: والمتلاعبون بالدين من أهل عصرنا، وأولياؤهم من عابدي التشريع الوثني الأجنبي، بل التشريع اليهودي في الربا يلعبون بالقرآن، ويزعمون أن هذه الآية تدل على أن الربا المحرم هو الأضعاف المضاعفة، ليجيزوا ما بقي من أنواع الربا، على ما ترضى أهواؤهم وأهواء سادتهم، ويتركوا الآية الصريحة: ﴿وَإِن تَبْتَغُوا فَتَعَلُّمُكُمْ رُّشُوشٌ وَأَنَا تَعَلُّمُكُمْ لَا تَقْبَلُونَ وَلَا تَقْبَلُونَ﴾ فكانوا في تلاعبهم يتناول هذه الآية الصريحة أسوأ حالاً ممن «يَتُوبُونَ» مَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ اتِّبَاعُ آيَاتِهِ وَاتِّبَاعُ آيَاتِهِ عَلَيْهِمُ، «فأولئك الذين سمى الله فاحلروهم». وقال الشيخ محمود شلتوت في كتابه «تفسير القرآن الكريم» ص ١٥٨: بقي علينا أن ننبه في هذا الشأن لأمر خطير، هو أن بعض الباحثين المولعين بتصحيح التصرفات الحديثة، وتخريجها على أساس فقهي إسلامي، ليعرفوا بالتجديد، وعمق التفكير، يحاولون أن يجدوا تخريجها للمعاملات الربوية التي يقع التعامل بها في المصارف أو صناديق التوفير، أو السندات الحكومية أو نحوها، ويلتمسون السبيل إلى ذلك. فمنهم من يزعم أن القرآن إنما حرم الربا الفاحش بدليل قوله: ﴿أَضْمَكُمْ مُّضْمَكَةً﴾ فهذا قيد في التحريم لا بدان يكون له فائدة، وإلا كان الإتيان به عبثاً، تعالى الله عن ذلك، وما =

﴿وَأَتَقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ قال ابن عباس: هذا تهديد للمؤمنين، لئلا يستحلوا الربا. قال الزجاج: والمعنى: اتقوا أن تحلوا ما حرم الله فتكفروا.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْرِفَةِ رَبِّكُمْ﴾

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْرِفَةِ رَبِّكُمْ﴾ كلهم أثبت الواو في «وسارعوا» إلا نافعاً، وابن عامر، فإنهما لم يذكرها. وقال أبو علي: وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام، فمن قرأ بالواو، عطف «وسارعوا» على «وأطيعوا»، ومن حذفها، فلان الجملة الثانية ملتبسة بالأولى، فاستغنت عن العطف. ومعنى الآية: بادروا إلى ما يوجب المغفرة. وفي المراد بموجب المغفرة هاهنا عشرة أقوال: أحدها: أنه الإخلاص، قاله عثمان بن عفان رضي الله عنه. والثاني: أداء الفرائض، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والثالث: الإسلام، قاله ابن عباس. والرابع: التكبيرة الأولى من الصلاة، قاله أنس بن مالك. والخامس: الطاعة، قاله سعيد بن جبير، والسادس: التوبة، قاله عكرمة. والسابع: الهجرة، قاله أبو العالية. والثامن: الجهاد، قاله الضحاك. والتاسع: الصلوات الخمس، قاله يمان. والعاشر: الأعمال الصالحة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَرْضُهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قال ابن قتيبة: أراد بالعرض السعة، ولم يرد العرض الذي يخالف الطول، والعرب تقول: بلاد عريضة، أي: واسعة. وقال النبي ﷺ للمهنزين يوم أحد: «لقد ذهبتم فيها عريضة». قال الشاعر:

كَانَ بِلَادِ اللَّهِ هِيَ عَرِيضَةٌ

عَلَى الْخَائِفِ الْمَطْلُوبِ كَيْفُ حَابِلٍ<sup>(١)</sup>

قال: وأصل هذا من العرض الذي هو خلاف الطول، وإذا عرض الشيء اتسع، وإذا لم يعرض ضاق ودق. وقال سعيد بن جبير: لو أُلصق بعضهم إلى بعض كانت الجنة في عرضهم.

﴿الَّذِينَ يُؤْفِقُونَ فِي النَّارِ وَالصَّارِعَاءِ وَالْكَلْبِطِ الْعَنِيَّ وَالْمَافِي عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْفِقُونَ فِي النَّارِ وَالصَّارِعَاءِ وَالْكَلْبِطِ الْعَنِيَّ﴾ قال ابن عباس: في العسر واليسر. ومعنى الآية: أنهم رغبوا في معاملة الله، فلم يبطروهم الرخاء، فينسيهم، ولم تمنعهم الضراء فيخلوها.

قوله تعالى: ﴿وَالْكَلْبِطِ الْعَنِيَّ﴾ قال الزجاج: يقال: كظمت الغيظ: إذا أمسكت على ما في نفسك منه، وكظمت البعير<sup>(٢)</sup> على جرتة: إذا ردها في حلقه. وقال ابن الأنباري: الأصل في الكظم: الإمساك على غيظ وغم. وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى»<sup>(٣)</sup>.

فأثبته في زعمهم إلا أن يؤخذ بمفهومي، وهو إباحة ما لم يكن أضغاثاً مضاعفة من الربا. وهذا قول باطل، فإن الله سبحانه وتعالى أتى بقوله: ﴿أَنْتُمْ سَكَنُكُمْ﴾ توبيخاً لهم على ما كانوا يفعلون، وإبرازاً لفعلهم السيء، وتشهيراً به، وقد جاء مثل هذا الأسلوب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْفِرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِنَّ أَنْتُمْ كُنْتُمْ لَكُمْ كُفْرًا﴾ [التور: ٣٣] فليس الغرض أن يحرم عليهم إكراه الفتيات على البغاء في حالة إرادتهن التحصن، وأن يبيعه لهن إذا لم يردن التحصن، ولكنه يشع ما يفعلونه، ويشهر به، ويقول لهم: لقد بلغ بكم الأمر أنكم تكزبون فتياتكم على البغاء وهن يردن التحصن، وهذا أنقطع ما يصل إليه مولى مع مولاته، فكل ذلك الأمر في آية الربا، يقول الله لهم: لقد بلغ بكم الأمر في استحلال أكل الربا أنكم تأكلونه أضغاثاً مضاعفة، فلا تفعلوا ذلك، وقد جاء النهي في غير هذه المواضع مطلقاً صريحاً، وروى الله بحق الربا قل أو كثر، ولعن أكله وموكله، وكتابه وشاعديه، كما جاء في الآثار، وأذن من لم يدعه بحرب الله وحرب رسوله، واعتبره من الظلم الممقوت، وكل ذلك ذكر فيه في الربا على الإطلاق دون تقييد بقليل أو كثير. ومنهم من يعيل إلى اعتباره ضرورة من الضرورات بالنسبة للأمة، ويقول: ما دام صلاح الأمة في الناحية الاقتصادية متوقفاً على أن تتعامل بالربا، ولا اضطربت أحوالها بين الأمم، فقد دخلت بذلك في قاعدة «الضرورات تبيح المحظورات» وهذا أيضاً مغالطة، فقد بينا أن صلاح الأمة لا يتوقف على هذا التعامل، وأن الأمر فيه، إنما هو وهم من الأوهام، وضمف أمام النظم التي يسير عليها الغالبون الأقوياء. وخلاصة القول: إن كل محاولة يواد بها إباحة ما حرم الله، أو تبيير ارتكابه بأي نوع من أنواع التبرير، بدافع المجارة للاوضاع الحديثة أو الغربية، والانخلاق عن الشخصية الإسلامية، إنما هي جرأة على الله تعالى، وقول عليه بغير علم، وضمف في الدين، وتزلزل في اليقين.

(١) البيت غير منسوب في «الكامل» و«اللسان» وروايتهما: «كان فجاج الأرض». والحابل: الصائد. وكفته: حياته التي يصيد بها.

(٢) الجرعة، بالكسر: ما يخرج البعير من بطنه ليضغه ثم يلفه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» وابن ماجه عن ابن عمر، ونقل السندي عن «زوائد البوصيري» قال: إسناده صحيح، ورجاله ثقات. وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» وقال: رواه ابن ماجه، ورواه محتج بهم في الصحيح. الجرعة: يجوز فيها قسم الجيم، وهي الاسم من التجرع، أي: الشرب، ويجوز فتحها، وهي المرة الواحدة منه، والجرعة بالضم أيضاً: ملء الفم يتلعه، وتجرع الجرعة: شربها وابتلعها. قال في «اللسان»: وجع الغيظ: كظمه على المثل بذلك. وفي «النهاية»: كظم الغيظ: تجرعه واحتمال سبه، والصبر عليه.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَافِيهِ عَنِ النَّاسِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه العفو عن المماليك، قاله ابن عباس، والرابع. والثاني: أنه على إطلاقه، فهم يعفون عمن ظلمهم، قاله زيد بن أسلم، ومقاتل.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَعَسَىٰ أَلَّا اللَّهُ يَعْلَمَ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أولئك جَزَاءُكُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجَرُّي مِنْ فِتْنَةِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِيكِ فِيهَا وَنَمَّ أَجْرُ الْمَكِيلِينَ ﴿١٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن امرأة أتت إلى نهبان التمار تشتري منه تمرأ فضمتها، وقتلها، ثم ندم، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن أنصارياً وثقياً آخى النبي ﷺ بينهما، فخرج الثقي مع النبي ﷺ في بعض مغازيه، فكان الأنصاري يتعهد أهل الثقي، فجاء ذات يوم فأبصر المرأة قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها، فدخل ولم يستأذن، فذهب ليلثها فوضعت كفها على وجهها، فقبله ثم ندم، فأدبر راجعاً فقالت: سبحان الله خنت أمانتك، وعصيت ربك، ولم تصب حاجتك، قال: فخرج يسبح في الجبال، ويتوب إلى الله من ذنبه، فلما قدم الثقي أخبرته المرأة بفعله، فخرج يطلبه حتى دل عليه، فندم على صنيعه فوافقه ساجداً يقول: ذنبي ذنبي، قد خنت أخي، فقال له: يا فلان انطلق إلى رسول الله ﷺ فأسأله عن ذنبك، لعل الله أن يجعل لك منه مخرجاً، فرجع إلى المدينة، فنزلت هذه الآية بتوبته، رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وذكره مقاتل. والثالث: أن المسلمين قالوا للنبي ﷺ: بنو إسرائيل أكرم على الله منا! كان أحدهم إذا أذنب، أصيحت كفارة ذنوبه مكتوبة في عتبة بابه، فنزلت هذه الآية، فقال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بخير من ذلك» فقرأ هذه الآية، والتي قبلها، هذا قول عطاء<sup>(٣)</sup>. واختلفوا هل هذه الآية نعت للمنفقين في السراء والضراء؟ أم لقوم آخرين؟ على قولين: أحدهما: أنها نعت لهم، قاله الحسن. والثاني: أنها لصف آخر، قاله أبو سليمان الدمشقي. والقاحشة: القبيحة وكل شيء جاوز قدره، فهو فاحش. وفي المراد بها هاهنا قولان: أحدهما: أنها الزنى، قاله جابر بن زيد، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنها كل كبيرة، قاله جماعة من المفسرين. واختلفوا في «الظلم» المذكور بعدها، فلم يفرق قوم بينه وبين القاحشة، وقالوا: الظلم للنفس فاحشة أيضاً، وفرق آخرون، فقالوا: هو الصغائر. وفي قوله تعالى: ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ قولان: أحدهما: أنه ذكر اللسان، وهو الاستغفار، قاله ابن مسعود، وعطاء في آخرين. والثاني: أنه ذكر القلب، ثم فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه ذكر العرض على الله، قاله الضحاك. والثاني: أنه ذكر السؤال عنه يوم القيامة، قاله الواقدي. والثالث: ذكر وعيد الله لهم على ما أتوا، قاله ابن جرير. والرابع: ذكر نهي الله لهم عنه. والخامس: ذكر غفران الله: ذكر القولين أبو سليمان الدمشقي. فأما الإصرار، فقال الزجاج: هو الإقامة على الشيء. وقال ابن فارس: هو العزم على الشيء والثبات عليه<sup>(٤)</sup>. وللمفسرين في المراد بالإصرار ثلاثة أقوال: أحدها: أنه موافقة الذنب عند الاهتمام به، وهذا مذهب مجاهد. والثاني: أنه الثبوت عليه من غير استغفار، وهذا مذهب قتادة<sup>(٥)</sup>، وابن إسحاق. والثالث: أنه ترك الاستغفار منه، وهذا مذهب السدي<sup>(٦)</sup>. وفي معنى ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ثلاثة أقوال:

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» بدون سند.

(٢) رواه الواحدي عن عطاء بن أبي رباح مرفوعاً.

(٣) جاء في معجم مقاييس اللغة: ومن الباب: الإصرار: العزم على الشيء، وإنما جعلناه قياسه، لأن العزم على الشيء والإجماع عليه، وكذلك الإصرار: الثبات على الشيء.

(٤) روى الطبري عن قتادة قوله تعالى ﴿وَلَمْ يُبَيِّرُوا عَنْ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فليأكم والإصرار، فلما هلك المصرون الماضون قدماً لا تنهاهم مخافة الله عن حرام حرمه الله عليهم، ولا يتوبون من ذنب أصابوه حتى أتاهم الموت وهم على ذلك؟

(٥) قال أبو جعفر الطبري ٢٢٥/٧: وأولى الأقوال في ذلك بالضواب عندنا قول من قال: الإصرار: الإقامة على الذنب حامداً، وترك التوبة منه. ولا معنى لقول من قال: الإصرار على الذنب هو موافقته، لأن الله ﷻ مدح بترك الإصرار على الذنب مواقع الذنب، فقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَعَسَىٰ أَلَّا اللَّهُ يَعْلَمَ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. ولو كان مواقع الذنب مصراً بموافقته لإياد، لم يكن للاستغفار وجه مفهوم، لأن الاستغفار من الذنب إنما هو التوبة منه والندم، ولا يعرف للاستغفار من ذنب لم يوافق صاحبه وجه. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أصبر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة»، حدثني بذلك الحسين بن يزيد السبيعي قال: حدثنا عبد الحميد الحماني، عن عثمان بن واقد، عن أبي نصيرة، عن مولى أبي بكر، عن أبي بكر، عن رسول الله ﷺ. فلو كان مواقع الذنب مظراً لم يكن لقوله: «ما

أحدهما: وهم يعلمون أن الإصرار يضر، وأن تركه أولى من التماذي، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: يعلمون أن الله يتوب على من تاب، قاله مجاهد، وأبو عمارة. والثالث: يعلمون أنهم قد أذنبوا، قاله السدي، ومقاتل.

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ السنن: جمع سنة، وهي الطريقة. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: قد مضى قبلكم أهل سنن وشرائع، فانظروا ماذا صنعنا بالمكذبين منهم، وهذا قول ابن عباس. والثاني: قد مضت قبلكم سنن الله في إهلاك من كذب من الأمم، فاعتبروا بهم، وهذا قول مجاهد. وفي معنى ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ قولان: أحدهما: أنه السير في السفر. قال الزجاج: إذا سرتهم في أسفاركم، عرفتم أخبار الهالكين بتكذيبهم. والثاني: أنه التفكير. ومعنى: فانظروا: اعتبروا، والعاقبة: آخر الأمر.

﴿هَذَا يَكُنُّ لِّلنَّاسِ وَهْدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿هَذَا يَكُنُّ لِّلنَّاسِ﴾ قال سعيد بن جبير: هذه الآية أول ما نزل من «آل عمران» وفي المشار إليه بهذا قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله الحسن، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أنه شرح أخبار الأمم السالفة، قاله ابن إسحاق. والبيان: الكشف عن الشيء، وبيان الشيء: اتضح، وفلانٌ آيين من فلان، أي: أفصح. قال الشعبي: هذا بيان للناس من العمى، وهدى من الضلالة، وموعظة من الجهل.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ سبب نزولها أن أصحاب رسول الله ﷺ لما انهزموا يوم أحد، أقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل، فقال النبي ﷺ: «اللهم لا يعلون علينا، اللهم لا قوة لنا إلا بك» فنزلت هذه الآيات، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. قال ابن عباس، ومجاهد: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ أي: ولا تضعفوا. وفيما نهوا عن الحزن عليه أربعة أقوال: أحدها: أنه قتل إخوانهم من المسلمين، قاله ابن عباس. والثاني: أنه هزيمتهم يوم أحد، وقتلهم، قاله مقاتل. والثالث: أنه ما أصاب النبي ﷺ من شجه، وكسر رباطه، ذكره الماوردي. والرابع: أنها ما فات من الغنيمة، ذكره علي بن أحمد النيسابوري.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ قال ابن عباس: يقول: أنتم الغالبون فأخبر الأمر لكم.

﴿إِنْ يَسْتَكْبِرُوا فَجَاءَ مَسَّ الْيَوْمِ فَتْرَحْ مِثْلَهُ وَفَكَ الْأَيْتَامُ نَدَاوِلَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَرَبِّعَمَ اللَّهُ الْزَيْتَ مَامَتْوَا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَسْتَكْبِرُوا فَجَاءَ مَسَّ الْيَوْمِ﴾ قال ابن عباس: أصابهم يوم أحد قرح، فشكوا إلى النبي ﷺ ما لقوا، نزلت هذه الآية. فأما المس، فهو الإصابة، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع «قرح» بفتح القاف وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر، عن عاصم «قرح» بضم القاف. واختلفوا هل معنى القراءتين واحد أم لا؟ فقال أبو سعيد: القرح بالفتح: الجراح، والقتل. والقرح بالضم: ألم الجراح، وقال الزجاج: هما في اللغة بمعنى واحد، ومعناه: الجراح وألمها، قال: ومعنى نداولها، أي: نجعل الدولة في وقت للكفار على المؤمنين إذا عصى المؤمنون، فأما إذا أطاعوا، فهم منصورون، قال: ومعنى «وَرَبِّعَمَ اللَّهُ» أي: ليعلم واقعاً منهم، لأنه عالم قبل ذلك، وإنما يجازي على ما وقع. وقال ابن عباس: معنى العلم هاهنا: الرؤية.

= أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة معنى، لأن مواجهة اللنب إذا كانت هي الإصرار، فلا يزيل الاسم الذي لزمه معنى غيره، كما لا يزيل عن الزاني اسم زان، وعن القاتل اسم قاتل توبته منه، ولا معنى غيرها. وقد أبان هذا الخبر أن المستغفر من ذنبه غير مصر عليه، فمعلوم بذلك أن الإصرار غير المواجهة، وأنه المقام عليه، على ما قلنا قبل.

وقال ابن كثير بعد ذكره الحديث السابق الذي استدلل به الطبري: ورواه أبو داود، والترمذي، والبخاري في «مسند» من حديث عثمان بن واقد، وقد وثقه يحيى بن معين، وشيخه أبو نصيرة الواسطي، واسمه مسلم بن عبيد، وثقه الإمام أحمد، وابن حبان، وقرئ علي بن المديني، والترمذي: ليس إسناد هذا الحديث بذلك، فالظاهر أنه لأجل جهالة مولى أبي بكر، ولكن جهالة مثله لا تضر، لأنه تابعي كبير، ويكفي نسبه إلى أبي بكر، فهو حديث حسن.

(١) رواه ابن جرير ٢٣٦/٧. من ابن عباس.



قوله تعالى: ﴿وَتَّخِذْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ قال أبو الضحى: نزلت في قتلى أحد، قال ابن جريج: كان المسلمون يقولون: ربنا أرنا يوماً كيوم بدر، نلتبس فيه الشهادة، فاتخذ منهم شهداء يوم أحد. قال ابن عباس: والظالمون هاهنا: المنافقون: وقال غيره: هم الذين انصرفوا يوم أحد مع ابن أبي المنافق.

﴿وَلِيُحْصِيَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَحَقِّقَ الْكُفْرَ﴾ (١٤١)

قوله تعالى: ﴿وَلِيُحْصِيَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال الزجاج: معنى الكلام: جعل الله الأيام مداولة بين الناس، ليمحص المؤمنين، ويمحق الكافرين. وفي التمحيص قولان: أحدهما: أنه الابتلاء والاختبار، وأنشدوا:

رأيت فضيلاً كان شيئاً ملففاً فكشفه التمحيص حتى بدا لياً<sup>(١)</sup>

وهو قول الحسن، ومجاهد، والسدي، ومقاتل، وابن قتيبة في آخرين. والثاني: أنه التفتية، والتخليص، وهو قول الزجاج. وحكي عن المبرد، قال: يقال: محص الجبل محصاً: إذا ذهب منه الوبر حتى يتخلص، ومعنى قولهم: [اللهم] محص عنا ذنوبنا: أذهبها عنا<sup>(٢)</sup>. وذكر الزجاج عن الخليل أن التمحيص: التخليص، يقال: محصت الشيء أمحصه محصاً: إذا أخلصته. فعلى القول الأول التمحيص ابتلاء المؤمنين بما يجري عليهم، وعلى الثاني: هو تفتيتهم من الذنوب بذلك. قال الفراء: معنى الآية: وليمحص الله بالذنوب عن الذين آمنوا.

قوله تعالى: ﴿وَيَحَقِّقَ الْكُفْرَ﴾ فيه أربعة أقوال. أحدها: يهلكهم، قاله ابن عباس. والثاني: يذهب دعوتهم، قاله مقاتل. والثالث: ينقصهم ويقللهم<sup>(٣)</sup>، قاله الفراء. والرابع: يحبط أعمالهم، ذكره الزجاج.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَسِرْ اللَّهُ إِلَيْكُمْ الْيَوْمَ جُنُودًا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الْغَنِيُّونَ﴾ (١٤٢) وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْوَيْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (١٤٣)

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْوَيْتَ﴾ قال ابن عباس: لما أخبرهم الله تعالى على لسان نبيه ﷺ، بما فعل بهداه يوم بدر من الكرامة، وغبوا في ذلك، فتمنوا قتالاً يستشهدون فيه، فيلحقون بإخوانهم، فأراهم الله يوم أحد، فلم يلبثوا أن انهزموا إلا من شاء الله منهم، فنزل فيهم ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْوَيْتَ﴾ يعني القتال ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ أي: من قبل أن تنظروا إليه يوم أحد ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ يومئذ، قال الفراء وابن قتيبة: أي: رأيتم أسبابه، وهي السيف ونحوه من السلاح، وفي معنى ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تنظرون إلى السيف، قاله ابن عباس. والثاني: أنه ذكر للتوكيد، قاله الأخفش، وقال الزجاج: معناه: فقد رأيتموه، وأنتم بُصراء، كما تقول: رأيت كذا وكذا، وليس في عينك علة، أي: رأيته رؤية حقيقة. والثالث: أن معناه: وأنتم تنظرون ما تمينتم. وفي الآية إضمار [أي: فقد رأيتموه وأنتم تنظرون] فلم انهزمتم!

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَرْجِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٤)

قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ قال ابن عباس: صاح الشيطان يوم أحد: قتل محمد. فقال قوم: لئن كان قتل لنعطينهم بأيدينا إنهم لعشائرننا وإخواننا، ولو كان محمد حياً لم نهزم، فترخصوا في الفرار، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. وقال الضحاك: قال قوم من المنافقين: قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول، فنزلت هذه الآية. وقال قتادة: قال أناس: لو كان نبياً ما قُتل، وقال ناسٌ من عليّة أصحاب رسول الله: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى تلحقوا به، فنزلت هذه الآية. ومعنى الآية: أنه يموت كما ماتت قبله الرُّسل، أفإن مات على فراشه، أو قتل كمن قتل قبله من الأنبياء، أتقبلون على أعقابكم؟! أي: ترجعون إلى ما كنتم عليه من الكفر؟! وهذا على سبيل المثل، يقال لكل من رجع عما كان عليه: قد انقلب على عقبه، وأصله: رجعة القهقري، والعقب: مؤخر القدم.

(١) البيت لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، وهو في «عيون الأخبار» ٧٥/٣ و«الكامل» ١٨٣/١، وفي «الأغانى» أنه قاله في صديقه قصي بن ذكوان، ثم قال في ص ٦٧ أنه قاله في صديقه الحسين بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، بعد أن هاجرا.

(٢) في القرطبي: أي: «أخلصنا من عقوبتها».

(٣) في «معاني القرآن»: «يفنيهم» بدل من «يقللهم».

(٤) أخرجه ابن جرير: ٢٥٧/٧.

قوله تعالى: ﴿فَلَنْ يَشُرَّ اللَّهُ شَيْئًا﴾ أي: لن ينقص الله شيئاً برجوعه، وإنما يضر نفسه. ﴿وَسَيَجْزِي﴾ أي: يشيب الشاكرين، وفيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم الثابتون على دينهم، قاله علي عليه السلام، وقال: كان أبو بكر أمير الشاكرين.

والثاني: أنهم الشاكرون على التوفيق والهداية. والثالث: على الدين.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يَرُدُّ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرُدُّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ في الإذن قولان:

أحدهما: أنه الأمر، قاله ابن عباس. والثاني: الإذن نفسه، قاله مقاتل.

قال الزجاج: ومعنى الآية: وما كانت نفس لتموت إلا بإذن الله.

قوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا مُوَجَلًّا﴾ تأكيد، والمعنى: كتب الله ذلك كتاباً موجلاً، أي: كتاباً ذا أجل. والأجل: الوقت المعلوم، ومثله في التوكيد ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] لأنه لما قال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾ [النساء: ٢٢] دل

على أنه مفروض، فأكد بقوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ [النمل: ٨٨] لأنه لما قال: ﴿وَرَزَى لِبَالٍ حَسَبًا جَائِدَةً﴾ [النمل: ٨٨] دل على أنه خلق الله فأكد بقوله: ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرُدُّ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ أي: من قصد بعمله الدنيا، أعطي منها، قليلاً كان أو كثيراً، ومن قصد الآخرة بعمله، أعطي منها. وقال مقاتل: عنى بالآية: من ثبت يوم أحد، ومن طلب الغنيمة.

### فصل

وأكثر العلماء على أن هذا الكلام محكم، وذهبت طائفة إلى نسخة بقوله تعالى: ﴿عَمَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِنَمُنُّهُ﴾ [الاسراء: ١٨] والصحيح أنه محكم، لأنه لا يؤتى أحد شيئاً إلا بقدرته الله ومشيته.

ومعنى قوله تعالى: ﴿نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ أي: ما نشاء، وما قدرنا له، ولم يقل: ما يشاء هو.

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّيْءٍ فَكَتَلَ مَعْمُرٌ يَبْتَئُونَ كَيْدَ فَمَا وَهَرُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّادِقِينَ ﴿١٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّيْءٍ﴾ قرأ الجمهور «وكاين» في وزن «كعين». وقرأ ابن كثير «وكانن» في وزن «كاغن». قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: «كاين»، مثل: «كعين» ينصبون الهمزة، ويشددون الياء. وتميم يقولون: «وكانن» كأنها فاعل من كت، وأنشدني الكسائي:

وكاين ترى يسعى من الناس جاهداً  
وقال آخر:

وكاين أصابت مؤمناً من مُصيبةٍ  
على الله عقيبها ومنه ثوابها

وقال ابن قتيبة: كائن بمعنى «كم» مثل قوله: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّيْءٍ عَنَّا عَنْ شَرِّ رَيْبَةٍ﴾ [العلاق: ٨] وفيها لغتان: «كاين» بالهمزة وتشديد الياء، و«كانن» على وزن «قاتل»، [ويافع] وقد قرئ بهما [جميعاً في القرآن] والأكثر والأصح تخفيفها. قال الشاعر:

وكاين أرينا الموت من ذي تحيةٍ  
وقال الآخر:

وكاين ترى من صاميت لك مُعجِبٍ  
زيادته أو نقصه في التَّكَلِمِ<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَكَتَلَ مَعْمُرٌ يَبْتَئُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبان، والمفضل كلاهما عن عاصم: «فَقِيلَ»

(١) أنشده ابن فارس في «الصاحي» ص ١٣٢، ولم ينسبه لقاتل.

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى من «معلقات» في شرح الزرذني ص ٨٩، ونسبه الجاحظ في «البيان والبيان» ١/ ١٧٠ للأعور الشني، وذكر بعده بيتاً آخر وهو: لَمَّا انْطَلَقَ الْفَتَى نَصَفَتْ وَنَصَفَتْ فَوَادَهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَوْرَةُ اللَّحْمِ وَالْهَدْمِ

بضم القاف، وكسر التاء، من غير ألف، وقرأ الباقر: «قاتل» بألف. وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وأبو رجاء، والحسن، وأبو يعمر، وابن جبير، وقتادة، وعكرمة، وأيوب: «رَبِّيُونَ» بضم الراء، وقرأ ابن عباس، وأنس وأبو مجلز، وأبو العالية، والجلدري، بفتحها. فعلى حذف الألف يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون قتل للنبى وحده، ويكون المعنى: وكأين من نبى قتل، ومعه رببون، فما وهنوا بعد قتله. والثاني: أن يكون قتل للربيين، ويكون: «فَمَا وَهَنُوا» لمن بقي منهم. وعلى إثبات الألف يكون المعنى: أن القوم قاتلوا، فما وهنوا. وفي معنى الربيين خمسة أقوال: أحدهما: أنهم الألف، قاله ابن مسعود، وابن عباس في رواية، واختاره الفراء. والثاني: الجماعات الكثيرة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، والضحاك، وقتادة، والسدي، والربيع، واختاره ابن قتيبة. والثالث: أنهم الفقهاء والعلماء، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال الحسن، واختاره اليزيدي، والزجاج. والرابع: أنهم الأتباع، قاله ابن زيد. والخامس: أنهم المتألهون العارفون بالله تعالى، قاله ابن فارس. قوله تعالى: «فَمَا وَهَنُوا» فيه قولان: أحدهما: أنه الضعف، قاله ابن عباس، وابن قتيبة. والثاني: أنه العجز، قاله قتادة. قال ابن قتيبة: والاستكانة: الخشوع، والذل، ومنه أخذ المسكين. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: فما وهنوا بالخوف، وما ضعفوا بنقصان القوة، ولا استكانوا بالخضوع. والثاني: فما وهنوا لقتل نبيهم، ولا ضعفوا عن عدوهم، ولا استكانوا لما أصابهم.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَكُنْتَ أَقْدَامَنَا وَصَرَفْنَا عَنْ الْقَوْرِ الْكَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: «﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾» يعني الربيين. «﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾» أي: لم يكن قولهم غير الاستغفار. والإسراف: مجاوزة الحد، وقيل: أريد بالذنوب الصغائر، وبالإسراف: الكباثر.

قوله تعالى: «﴿وَكُنْتَ أَقْدَامَنَا﴾» قال ابن عباس: على القتال. وقال الزجاج: معناه: ثبتنا على دينك، فإن الثابت على دينه ثابت في حربه.

﴿فَقَالَتْ لَهُمُ اللَّهُ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُؤْتِي الْخَيْرِينَ﴾

قوله تعالى: «﴿فَقَالَتْ لَهُمُ اللَّهُ ثَوَابُ الدُّنْيَا﴾» فيه قولان: أحدهما: أنه النصر، قاله قتادة. والثاني: الغنيمة، قاله ابن جريج، وروي عن ابن عباس، أنه قال: النصر والغنيمة. وفي حسن ثواب الآخرة قولان: أحدهما: أنه الجنة. والثاني: الأجر والمغفرة، وهذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين ما يفعلون ويقولون عند لقاء العدو.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَزِيدُكُمْ عَلَىٰ أَغْفِيكُمْ فَتَسْقِلُوا خَسِيرِينَ﴾

قوله تعالى: «﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾» قال ابن عباس: نزلت في قول ابن أبي للمسلمين لما رجعوا من أحد: لو كان نبياً ما أصابه الذي أصابه، وفي الذين كفروا هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المنافقون على قول ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنهم اليهود والنصارى، قاله ابن جريج. والثالث: أنهم عبدة الأوثان، قاله السدي. قالوا: وكانوا قد أمروا المسلمين بالرجوع عن دينهم. ومعنى «﴿يَزِيدُكُمْ عَلَىٰ أَغْفِيكُمْ﴾»: يصرفوكم إلى الشرك. «﴿فَتَسْقِلُوا خَسِيرِينَ﴾» بالعقوبة.

﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَانَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾

قوله تعالى: «﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَانَكُمْ﴾» أي: وليكم ينصركم عليهم، فاستغفوا عن موالاته الكفار.

﴿سَتَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ يَمَآ أَتَرَكُوا بِاللهِ مَا كَمْ يُنَزِّلُ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمْ النَّارُ وَيَتْلُو مَتَوَى الْقُلُوبِ﴾

قوله تعالى: «﴿سَتَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ﴾»<sup>(١)</sup> قال السدي: لما ارتحل المشركون يوم أحد نحو مكة ندموا في بعض الطريق، وقالوا: قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلا الشرملة، تركتموهم؟! ارجعوا فاستاصلوهم، فخذ الله في قلوبهم الرعب، ونزلت هذه الآية. والإلقاء: القذف. والرعب: الخوف. قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو

(١) ثبت في «المصحيحين» من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلت لي الغنائم، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة».

عمرو، وحزمة «الرُّغْب» ساكنة العين، خفيفة. وقرأ ابن عامر، والكسائي، ويعقوب، وأبو جعفر، مضمومة العين، مثقلة، أين وقعت. والسلطان هاهنا: الحجة في قول الجماعة. والماوى: المكان الذي يؤوي إليه. والمثوى: المقام، والثوى: الإقامة. قال ابن عباس: والظالمون هاهنا: الكافرون.

﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ آلَهُ وِعْدَهُ إِذْ تَحْسَبُونَهُمْ بِأَذْيَةٍ هَاجَتْ إِذَا فُشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَكَفَّيْنَاهُمْ مِمَّا كَفَرْتُمْ وَمَا تَحْجُثُونَ﴾ **وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ مَرْفَعُكُمْ عَنْهُمْ بِبَنَاتِكُمْ** وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ آلَهُ وِعْدَهُ﴾ قال محمد بن كعب القرظي: لما رجع النبي ﷺ وأصحابه من أحد، قال قومٌ منهم: من أين أصابنا هذا، وقد وعدنا الله النصر؟ فزلت هذه الآية. وقال المفسرون: وعد الله تعالى المؤمنين النصر بأحد، فنصرهم، فلما خالفوا، وطلبوا الغنيمة، هُزموا. وقال ابن عباس: ما نُصر رسول الله ﷺ في موطن ما نُصر في أحد، فأنكر ذلك عليه، فقال: بيني وبينكم كتاب الله، إن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ آلَهُ وِعْدَهُ إِذْ تَحْسَبُونَهُمْ بِأَذْيَةٍ﴾ فأما الحسن، فهو القتل، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>، والحسن، ومجاهد، والسدي، والجماعة. وقال ابن قتبية: تحسونهم، أي: تستاصلونهم بالقتل، يقال: سَنَّةٌ حسوس: إذا أتت على كل شيء، وجراد محسوس: إذا قتله البرد. وفي قوله تعالى: ﴿بِنَاتِكُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: بأمرة، قاله ابن عباس. والثاني: بعلمه، قاله الزجاج. والثالث: بقضائه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿هَاجَتْ إِذَا فُشِلْتُمْ﴾ قال الزجاج: أي: جبنتم. ﴿وَتَنَزَّعْتُمْ﴾ أي: اختلفتم ﴿بَيْنَ مَا أَرَىٰكُمْ مِمَّا تُحِثُّونَ﴾ يعني: النصر. وقال الفراء: فيه تقديم وتأخير، معناه: حتى إذا تنازعتم في الأمر، فشلتكم وعصيتكم، وهذه الروا زائدة، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَيْنَا أَتَيْنَا لِلْجَبِينِ﴾ **وَتَذَكَّرْنَا** [الصفات: ١٥٣] معناه: نادينا. فأما تنازعهم، فإن بعض الرماة قال: قال انهزم المشركون، فما يمنعنا من الغنيمة؟ وقال بعضهم: بل ثبت مكاننا كما أمرنا رسول الله ﷺ، فترك المركز بعضهم، وطلب الغنيمة، وتركوا مكانهم، فذلك عصيانهم، وكان النبي ﷺ قد أوصاهم: «لو رأيتم الطير تخطفنا فلا تبرحوا من مكانكم».

قوله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ قال المفسرون: هم الذين طلبوا الغنيمة، وتركوا مكانهم. ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ وهم الذين ثبتوا. وقال ابن مسعود: ما كنت أظن أحداً من أصحاب محمد يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿مَرْفَعُكُمْ عَنْهُمْ﴾ أي: ردكم عن المشركين بقتلكم وهزيمتكم. ﴿بِنَاتِكُمْ﴾ أي: ليختبركم، فيبين الصابر من الجازع.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: عفا عن عقوبتكم، قاله ابن عباس. والثاني: عفا عن استئصالكم، قاله الحسن. وكان يقول: هؤلاء مع رسول الله، في سبيل الله غضاب الله، يقاتلون في سبيل الله، نهوا عن شيء فضيعوه، فما تركوا حتى غموا بهذا الغم، والفاسق اليوم يتجرم كل كبيرة، ويركب كل داهية، ويزعم أن لا بأس عليه، فسوف يعلم.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: إذ عفا عنهم، قاله ابن عباس. والثاني: إذ لم يقتلوا جميعاً، قاله مقاتل.

﴿إِذْ تَمْشِيُونَ عَلَى الْأَرْضِ وَرَأَيْتُمُ الْمَآءَ فَمَاشْتُمُوهُ وَأَخْرَجَكُمْ عَنْهَا يَوْمَئِذٍ الْغَنَاءَ﴾ **فَاتَّخَذْتُمْ مِمَّا آتَاكُمْ اللَّهُ حَبِيرًا يَمَسُّونَ** ﴿١٥٣﴾

(١) هو قطعة من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ٢٦٠٩ والحاكم ٢٩٦/٢ وصححه، ووافقه الذهبي، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «دلائل النبوة»، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداءة والنهاية» ٢٤/٥، وقال: وهذا حديث غريب، وهو من مراسلات ابن عباس، وله شواهد من وجوه كثيرة.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تُبْعِدُونَ وَلَا تَكُونُ﴾ قال المفسرون: «إذا متعلقة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ وأكثر القراء على ضم التاء، وكسر العين، من قوله: «تصعدون» وهو من الإصعاد. وروى أبان عن ثعلب، عن عاصم فتحها، وهي قراءة الحسن، ومجاهد، وهو من الصعود. قال الفراء: الإصعاد في ابتداء الأسفار، والمخارج، تقول: أصعدنا من بغداد إلى خراسان، فإذا صعدت على سلم أو درجة، قلت: صعدت، ولا تقول: أصعدت. وقال الزجاج: كل من ابتدا مسيراً من مكان، فقد أصعد، فأما الصعود، فهو من أسفل إلى فوق. ومن فتح التاء والعين، أراد الصعود في الجبل. وللمفسرين في معنى الآية قولان: أحدهما: أنه صعودهم في الجبل، قاله ابن عباس ومجاهد. والثاني: أنه الإبعاد في الهزيمة، قاله قتادة، وابن قتيبة، وتلويحاً بمعنى: «تعرّجون». وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَكْبَرٍ﴾ عام، وقد روي عن ابن عباس أنه أريد به النبي ﷺ قال: والنبي ﷺ يناديهم من خلفهم: «إلّٰي عباد الله، أنا رسول الله»، وقرأت عائشة، وأبو مجلز، وأبو الجوزاء، وحמיד «على أحد» بضم الألف والحاء، يعنون الجبل.

قوله تعالى: ﴿فَأَنْتَبَهُمْ﴾ أي: جازاكم. قال الفراء: الإثابة هاهنا بمعنى عقاب، ولكنه كما قال الشاعر:  
أخاف زياداً أن يكونَ عطاؤه  
أداهم سوداً أو محدرجةً سُفراً<sup>(١)</sup>

المحدرجة: السياط. والسود فيما يقال: القيد.

قوله تعالى: ﴿عَمَّا يُفْتَرُ﴾ في هذه الباء أربعة أقوال: أحدها: أنها بمعنى «مع». والثاني: بمعنى «بعد». والثالث: بمعنى «على»، فعلى هذه الثلاثة الأقوال يتعلق الغمان بالصحابة. وللمفسرين في المراد بهذين الغمين خمسة أقوال: أحدها: أن الغم الأول ما أصابهم من الهزيمة والقتل. والثاني: إشراف خالد بن الوليد بخيل المشركين عليهم، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أن الأول فرارهم الأول، والثاني: فرارهم حين سمعوا أن محمداً قد قتل، قاله مجاهد. والثالث: أن الأول ما فاتهم من الغنيمة وأصابهم من القتل والجراح، والثاني: حين سمعوا أن النبي ﷺ قد قتل، قاله قتادة. والرابع: أن الأول ما فاتهم من الغنيمة، والفتح، والثاني: إشراف أبي سفيان عليهم، قاله السدي. والخامس: أن الأول إشراف خالد بن الوليد عليهم، والثاني: إشراف أبي سفيان عليهم، ذكره الثعلبي. والقول الرابع: أن الباء بمعنى الجزاء، فتقديره: غمكم كما غمتم غيركم، فيكون أحد الغمين للصحابة، وهو أحد غومهم التي ذكرناها عن المفسرين، ويكون الغم الذي جُوزوا لأجله لغيرهم. وفي المراد بغيرهم قولان: أحدهما: أنهم المشركون غمومهم يوم بدر، قاله الحسن. والثاني: أنه النبي ﷺ غموه حيث خالفوه، فجوزوا على ذلك، بأن غموا بما أصابهم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا﴾ في «لا» قولان: أحدهما: أنها باقية على أصلها، ومعناها النفي، فعلى هذا في معنى الكلام قولان: أحدهما: فأنابكم غماً أنسابكم الحزن على ما فاتكم وما أصابكم، وقد روي أنهم لما سمعوا أن النبي قد قتل، نسوا ما أصابهم وما فاتهم. والثاني: أنه متصل بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ فمعنى الكلام: عفا عنكم، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم وأصابكم، لأن عفوه يذهب كل غم. والقول الثاني: أنها صلة، ومعنى الكلام: لكي تحزنوا على ما فاتكم وأصابكم عقوبة لكم في خلافكم. ومثلها قوله تعالى: ﴿لِنَلَّا بِمَا أَفَلَّ الْكَافِرُ أَنَّ يَتَدَارَكَهُ أَلَّا يَقْدِرَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ قَوْلِنَا فَهَلُمَّا قُلْ لَّوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٧﴾﴾

القتل. والهزيمة.

﴿ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَّا بَيْدٌ آمَنَةً فَأَسَسَ بَيْتَكُمْ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَّوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٧﴾﴾

(١) قاله الفرزدق، وزيد: هو ابن أبيه، كان قد توقع الفرزدق، ثم أظهر الرضى عنه، وأنه سيحبوه إن قصده، فلم يركن لذلك الفرزدق. والأداهم، جمع أدهم: وهو القيد. والمحدرجة: السياط، وهو وصف، من: حدرج السوط: إذا أحكم قتله حتى استوى، وسوط محدرج: مغار محكم القتل.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَدُوِّ الْقَوْمِ أَمْغَٔ أَمْنَةً﴾ قال ابن قتيبة: الأمانة: الأمن. يقال: وقعت الأمانة في الأرض. وقال الزجاج: معنى الآية: أعقبكم بما نالكم من الرعب أن أنكم أمناً تنامون معه، لأن الشديد الخوف لا يكاد ينام. و«نعاساً» منصوب على البدل من «أمانة»، يقال: نعى الرجل ينعس نَعَاساً، فهو ناعس. وبعضهم يقول: نعسان. قال الفراء: قد سمعتها، ولكني لا أشتبهها. قال العلماء: النعاس: أخف النوم. وفي وجه الامتنان عليهم بالنعاس قولان: أحدهما: أنه أمنهم بعد خوفهم حتى ناموا، فالمنة بزوال الخوف، لأن الخائف لا ينام. والثاني: قواهم بالاستراحة على القتال.

قوله تعالى: ﴿يَتَشَكَّىٰ مَلَأَيْتُكُمْ يَنْكُحُكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «يفشى» بالياء مع التفعيم، وهو يعود إلى النعاس. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف «تغشى» بالتاء مع الإمالة، وهو يرجع إلى الأمانة. فأما الطائفة التي غشيها النوم، فهم المؤمنون، والطائفة الذين أهملتهم أنفسهم: المنافقون، أهمهم خلاص أنفسهم، فذهب النوم عنهم. قال أبو طلحة: كان السيف يسقط من يدي، ثم أخذه، ثم يسقط، وأخذه من النعاس. وجعلت أنظر، وما منهم أحد يومتد إلا يمتد تحت حَجَفَتِهِ<sup>(١)</sup> من النعاس<sup>(٢)</sup>. وقال الزبير: أرسل الله علينا النوم، فما متاً رجل إلا ذقته في صدره، فوالله إني لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير: (لو كان لنا من الأمر شيء ما قلنا هاهنا)، فحفظها منه<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَتُخَوِّتُ يَٰلَهُ عِيْرَ الْحَقِّ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنهم ظنوا أن الله لا ينصر محمداً وأصحابه، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم كذبوا بالقدر، رواه الضحاك، عن ابن عباس. والثالث: أنهم ظنوا أن محمداً قد قتل، قاله مقاتل. والرابع: ظنوا أن أمر النبي ﷺ مضطرب، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ظَنَّ الْكُفَّاءُ﴾ قال ابن عباس: أي: كظن الجاهلية.

قوله تعالى: ﴿يَتُولَوْنَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه الجحد، تقديره: ما لنا من الأمر من شيء. قال الحسن: قالوا: لو كان الأمر إلينا ما خرجنا، وإنما أخرجنا كرهاً. وقال غيره: المراد بالأمر: النصر والظفر، قالوا: إنما النصر للمشركين ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ﴾، أي: النصر، والظفر، والقضاء والقدر ﴿لِلَّهِ﴾. والأكثرون قرؤوا ﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ بنصب اللام، وقرأ أبو عمرو يرفعها، قال أبو علي: حجة من نصب، أن «كلمه» بمنزلة «أجمعين» في الإحاطة والعموم، فلو قال: إن الأمر أجمع، لم يكن إلا النصب، و«كلمه» بمنزلة «أجمعين». ومن رفع، فلأنه قد ابتدأ به، كما ابتدأ بقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَهُمْ بَٰرِئُهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَتَحَفَّوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ في الذي أخفوه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قولهم: ﴿لَوْ كُنَّا لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهْنَا﴾. والثاني: أنه إسرارهم الكفر، والشك في أمر الله. والثالث: الندم على حضورهم مع المسلمين بأحد. قال أبو سليمان الدمشقي: والذي قال: ﴿هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ عبد الله بن أبي. والذي قال: ﴿لَوْ كُنَّا لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ معتب بن قشير.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَّوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ أي: لو تخلفتم، لخرج منكم من كُتِبَ عليه القتل، ولم ينجه القعود. والمضاجع: المصارع بالقتل. قال الزجاج: ومعنى (برزوا): صاروا إلى براز، وهو المكان المكتشف. ومعنى ﴿وَلَيَبْتَغِلَنَّ اللَّهُ مَا فِي بُدُونِكُمْ﴾ أي: ليختبره بأعمالكم، لأنه قد علمه غيباً، فيعلمه شهادة.

قوله تعالى: ﴿وَلَيُصَرِّصَنَّ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ قال قتادة: أراد ليظهرها من الشك والارتباب، بما يريكم من عجائب صنعه من الأمانة، وإظهار سرائر المنافقين. وهذا التمهيص خاص للمؤمنين. وقال غيره: أراد بالتمهيص: إبانة ما في القلوب من الاعتقاد لله، ولرسوله، وللمؤمنين، فهو خطاب للمنافقين.

(١) الحجة: ضرب من الترس، تتخذ من جلود الإبل مقورة، يطارق بعضها على بعض، ليس فيه خشب، وهي الحجة والذرة.

(٢) روى البخاري ج ١٧١/٨ عن أنس، أن أبا طلحة قال: غشنا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد، قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وأخذه، ويسقط وأخذه. وقد رواه الترمذي والنسائي والحاكم بنحو معناه. وروى ابن جرير ٣١٧/٧، والترمذي ١٢٥/٢، والحاكم ٢٩٧/٢ وصححه، ووافقه الذهبي، عن أنس عن أبي طلحة قال: رفعت رأسي يوم أحد، فجعلت أنظر، وما منهم يومتد أحد إلا يمتد تحت حجفته من النعاس، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَدُوِّ الْقَوْمِ أَمْغَٔ أَمْنَةً شَسَٔا﴾. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه ابن إسحاق، وابن راهويه، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل».

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما فيها. وقال ابن الأنباري: معناه: عليم بحقيقة ما في الصدور من المضمرات، فتأنيت ذات بمعنى الحقيقة، كما تقول العرب: لقيته ذات يوم. فيؤنثون لأن مقصدهم: لقيته مرة في يوم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّفَقُّ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾<sup>(١٥٥)</sup>  
قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّفَقُّ الْجَمْعَانِ﴾ الخطاب للمؤمنين، وتوليهم: فرارهم من العدو. والجمعان: جمع المؤمنين، وجمع المشركين، وذلك يوم أحد<sup>(١)</sup>. واستزلهم: طلب زللهم، قال ابن قتبية: هو كما تقول: استعجلت فلاناً، أي: طلبت عجلته، واستعملته: طلبت عمله. والذي كسبوا: يريد به الذنوب. وفي سبب فرارهم يومئذ قولان: أحدهما: أنهم سمعوا أن النبي ﷺ قد قتل، فترخصوا في الفرار، قاله ابن عباس في آخرين. والثاني: أن الشيطان أذكركم خطاياهم، فكروا لقاء الله إلا على حال يرضونها، قاله الزجاج.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(١٥٦)</sup>

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: كالمنافقين الذين قالوا لإخوانهم في النفاق، وقيل: إخوانهم في النسب. قال الزجاج: وإنما قال: «إذا ضربوا» ولم يقل: «إذ ضربوا»، لأنه يريد: شأنهم هذا أبداً، تقول: فلان إذا حدث صدق، وإذا ضرب صبر. و«إذا» لما يستقبل، إلا أنه لم يحكم له بهذا المستقبل إلا لما قد خبر منه فيما مضى. قال المفسرون: ومعنى «ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ»: ساروا وسافروا. و«غُرَى» جمع غازي. وفي الكلام محذوف تقديره: إذا ضربوا في الأرض، فماتوا، أو غزوا، فقتلوا.

قوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ قال ابن عباس: ليجعل الله ما ظنوا من أنهم لو كانوا عندهم، سلموا، «حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ» أي: حزناً. قال ابن فارس: الحسرة: التلهف على الشيء الفات. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: ليس تحرز الإنسان بمنعه من أجله.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ قرأ ابن كثير، وحزمة، والكسائي: «يعملون» بالياء، وقرأ الباقون بالياء. قال أبو علي: حجة من قرأ بالياء أن قبلها غيبة، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾، ومن قرأ بالياء، فحجته «لَا تَتَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا».

﴿وَلَكِنْ قُتِلَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتَتْ لَمَعْفَرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾<sup>(١٥٧)</sup>  
قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ قُتِلَتْ﴾ اللام في «لكن» لام القسم، تقديره: والله لئن قتلتم في الجهاد «أَوْ مُتَتْ» في إقامتكم. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «مُتَتْ» و«مُتْمٌ» و«مُتْنَا» برفع الميم في جميع القرآن، وروى حفص عن عاصم: «أَوْ مُتَتْ» «وَلَكِنْ مُتْمٌ» برفع الميم في هذين دون باقي القرآن. وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي كل ما في القرآن بالكسر.

قوله تعالى: ﴿لَمَعْفَرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: من أعراض الدنيا التي تتركون الجهاد لجمعها. وقرأ حفص عن عاصم: «يجمعون» بالياء، ومعناه: خير مما يجمع غيركم مما تركوا الجهاد لجمعهم. قال ابن عباس: خير مما يجمع المنافقون في الدنيا.

(١) روى الإمام أحمد، وأبو يعلى، والطبري، والبخاري، وإسناد حسن، عن عاصم، عن شقيق، قال: لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عتبة، فقال له الوليد: ما لي أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان؟ فقال له عبد الرحمن: أبلغه أني لم أفر يوم عنين - قال عاصم: يقول: يوم أحد - ولم أتخلف عن بدر، ولم أتروك سنة عمرا قال: فانطلق فغير بذلك عثمان، قال: فقال: أما قوله: «إني لم أفر يوم عنين»، فكيف يعبرني بذلك وقد عفا الله عنه؟ فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّفَقُّ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾<sup>(١٥٥)</sup> وأما قوله: «إني تخلفت يوم بدر»، فإني كنت أمراً رقية بنت رسول الله ﷺ حتى ماتت، وقد ضرب لي رسول الله ﷺ بسهم، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهم، فقد شهد. وأما قوله: «إني تركت سنة عمر، فإني لا أطيقها ولا هو، فإنه فعلته بذلك. عنين، بلفظ تشية العين: جبل من جبال أحد، ولذلك يقال له: يوم أحد، ويوم عنين».

﴿وَلَيْنَ لَمُنَّمْ أَوْ قِيلَتْمْ لَإِلَهِ اللَّهُ عَشْرُونَ﴾ (١٥٨)

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ لَمُنَّمْ﴾ أي: في إقامتكم. ﴿أَوْ قِيلَتْمْ﴾ في جهادكم. ﴿لَإِلَهِ اللَّهُ عَشْرُونَ﴾ وهذا تخويف من القيامة. والحشر: الجمع مع سوق.

﴿فِيمَا رَحِمَ رَبُّنَا إِلَهُ لَيْتَ لَمُنَّمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَخَذْنَا مِنْ حَولِكَ نَاقِصَةً مِمَّا رَأَيْنَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرُ لَكُمْ وَشَاوَرُكُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١٥٩)

قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَ رَبُّنَا إِلَهُ لَيْتَ لَمُنَّمْ﴾ قال الفراء وابن قتيبة، والزجاج: «ما» هاهنا صلة، ومثله: ﴿فِيمَا تَقْبِضُهُمْ يَمِشُّهُمْ﴾ قال ابن الأنباري: دخول «ما» هاهنا يحدث توكيداً. قال النابغة:

الممرء يهوى أن يعمي —

شئ وطول عيش ما يضره<sup>(١)</sup>

فأكبر يذكر «ما» وفيمن تتعلق به هذه الرحمة قولان: أحدهما: أنها تتعلق بالنبي ﷺ. والثاني: بالمؤمنين. قال قتادة: ومعنى ﴿لَيْتَ لَمُنَّمْ﴾ لان جانبك، وحسن خلقك، وكثر احتمالك<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: والفظ: الغليظ الجانب، السيئ الخلق، يقال: فظظلت تفظ فظاظه وفظظاً، والفظ: ماء الكرش والفرت، وإنما سمي فظاً لغلظ مشربه. فأما الغليظ القلب، فقيل: هو القاسي القلب، فيكون ذكر الفظاظه والغلظ - وإن كانا بمعنى واحد - توكيداً. وقال ابن عباس: الفظ: في القول، والغليظ القلب: في الفعل.

قوله تعالى: ﴿لَأَنصُرُوا﴾ أي: تفرقوا. وتقول: فضضت عن الكتاب ختمه: إذا فرقته عنه. ﴿فَأَعْفُ عَنْهُمْ﴾ أي: تجاوز عن هفواتهم، وسل الله المغفرة لذنوبهم ﴿وَشَاوَرُكُمْ فِي الْأَمْرِ﴾<sup>(٣)</sup> معناه: استخرج آراءهم، واعلم ما عندهم. ويقال: إنهم من: شرت العسل. وأنشدوا:

وقاسمها بالله حقاً لأنتم

ألد من السلولى إذا ما نشورها<sup>(٤)</sup>

قال الزجاج: يقال: شاورت الرجل مشاورة وشوراً، وما يكون عن ذلك اسمه المشورة. وبعضهم يقول: المشورة. ويقال: فلان حسن الصورة والشورة، أي: حسن الهيئة واللباس. ومعنى قولهم: شاورت فلاناً، أظهرت ما

(١) «أما لي المرتضى» ٢٦٦/١، و«حاشية البحرى» ص ١٣٦ و«أما لي القالي» ٨/٢، والخزانة ٥١٤/١ وفيها قد يضره بدل «ما يضره».

(٢) روى الإمام أحمد رقم ٦٦٢٢ والبخاري ٢٨٧/٤ عن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله في التوراة. فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: ﴿يَعِيبُ اللَّهُ إِلَهُكُمْ أَنْتُمْ إِنْ أَرَسْتُمْ أَنَّكُمْ رَبُّكُمْ وَرَبُّكُمْ وَرَبُّكُمْ وَرَبُّكُمْ﴾ وحرراً للابيين، وأنت عبدي ورسولي، سميت المتوكل، لست بظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينا عمياً، وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً.

(٣) قال الشيخ أحمد شاكِر في «عمدة التفسير» تعليقاً على هذه الآية: وهذه الآية: ﴿وَشَاوَرُكُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ والآية الأخرى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ اتخذهما اللاعبون بالدين في هذا العصر من العلماء وغيرهم عدتهم في التفضيل بالتأويل ليواظبوا صنع الإفترج في منهج النظام الدستوري الذي يزعمونه، والذي يخدمون الناس بتسميته النظام الديمقراطي، فاصطنع هؤلاء اللاعبون شعاراً من هاتين الآيتين يخدعون به الشعوب الإسلامية أو المتسببة للإسلام، يقولون كلمة حق يراد بها الباطل، يقولون: الإسلام يأمر بالشورى، ونحو ذلك من الألفاظ. وحقاً إن الإسلام يأمر بالشورى، ولكن أي شورى يأمر بها الإسلام؟ إن الله سبحانه يقول لرسوله ﷺ: ﴿وَشَاوَرُكُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ فَمَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَمَعْنَى الآية واضح صريح لا يحتاج إلى تفسير، ولا يحتمل التأويل، فهو أمر للرسول ﷺ، ثم لمن يكون ولي الأمر من بعده أن يستعرض آراء أصحابه الذين يراهم موضع الرأي الذين هم أولو الأحلام والنهى في المسائل التي تكون موضع تبادل الآراء، وموضع الاجتهاد في التطبيق، ثم يختار من بينها ما يراه حقاً أو صواباً، أو مصلحة، فيعزم على إنفاذه غير متقيد برأي فريق معين، ولا برأي عدد محدود، ولا برأي أكثرية، ولا برأي أقلية، فإذا عزم توكل على الله، وأخذ العزم على ما ارتأه. ومن المفهوم البيهقي الذي لا يحتاج إلى دليل أن الذين أمر الرسول بمشاورتهم - ويأتي به في من يلي الأمر من بعده - هم الرجال الصالحون القائمون على حدود الله، المتقون الله المقيمو الصلاة، المؤدو الزكاة، المجاهدون في سبيل الله، هم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «إني أنزلتكم أولو الأحلام والنهى» ليسوا هم الملحدون ولا المحاربين لدين الله، والفجار الذين لا يتورعون عن منكر، ولا الذين يزعمون أن لهم أن يضعوا شرائع وقوانين تخالف دين الله، وتهدم شريعة الإسلام، هؤلاء وأولئك من بين كافر وفاسق، موضعهم الصحيح تحت السيف أو السوط، لا موضع الاستشارة وتبادل الآراء.

(٤) البيت لخالد بن زهير، ديوان الهذليين ١٥٨/١ وشرح أشعار الهذليين ٢١٥/١. والسلوى: العسل. نشورها: نأخذها من غليظتها. قال في «اللسان»: قال الزجاج: أخطأ خالد إنما السلوى طائر. وقال الفارسي: السلوى: كل ما سلاك، وقيل للسل: سلوى، لأنه يسليك بحلواته وتأنيته عن غيره مما تلحقك فيه مودة الطبخ وغيره من أنواع الصناعة، يرد بذلك على أبي إسحاق الزجاج.



عنده وما عندي. وشرت الدابة: إذا امتاحتها: فعرفت هيبتها في سيرها. وشرت العسل: إذا أخذته من مواضع النحل. وعسل مشار. قال الأعشى:

كَأَنَّ الْقَرْنَفَلَ وَالزَّنَجَبِيَّ — لِبَاتًا بِفِيهَا وَأَرْبَاءَ مَشَارًا<sup>(١)</sup>

والأري: العسل. واختلف العلماء لأي معنى أمر الله نبيه بمشاورة أصحابه مع كونه كامل الرأي، تام التدبير، على ثلاثة أقوال: أحدها: ليستن به من بعده، وهذا قول الحسن، وسفيان بن عيينة. والثاني: لتطيب قلوبهم، وهو قول قتادة، والربيع، وابن إسحاق. ومقاتل. قال الشافعي رحمه الله: نظير هذا قوله ﷺ: «البكر تُستأمر في نفسها»<sup>(٢)</sup>، إنما أراد استطابة نفسها، فإنها لو كرهت، كان للأب أن يزوجه<sup>(٣)</sup>، وكذلك مشاورة إبراهيم عليه السلام لابنه حين أمر بذبحه. والثالث: للإعلام ببركة المشاورة، وهو قول الضحاك. ومن فوائد المشاورة أن المشاور إذا لم ينجح أمره، علم أن امتناع النجاح محض قدر، فلم يلم نفسه، ومنها أنه قد يعزم على أمر، فيبين له الصواب في قول غيره، فيعلم عجز نفسه عن الإحاطة بفنون المصالح. قال علي عليه السلام: الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه، والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم. وقال بعض الحكماء: ما استنبط الصواب بمثل المشاورة، ولا حُصِنَت النعم بمثل المواساة، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر. واعلم أنه إنما أمر النبي ﷺ بمشاورة أصحابه فيما لم يأت فيه وحى، وعصم بالذكر، والمقصود أرباب الفضل والتجارب منهم. وفي الذي أمر بمشاورتهم فيه قولان. حكاها القاضي أبو يعلى: أحدهما: أنه أمر الدنيا خاصة. والثاني: أمر الدين والدنيا، وهو أصح. وقد قرأ ابن مسعود، وابن عباس: «وشاورهم في بعض الأمر».

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ قال ابن فارس: العزم: عقد القلب على الشيء ويريد أن يفعله<sup>(٤)</sup>. وقد قرأ أبو رزين، وأبو مجلز، وأبو العالية، وعكرمة، والجحدري: (فإذا عزمْتُ) بضم التاء. فأما التوكل، فقد سبق شرحه. ومعنى الكلام: فإذا عزمْتَ على فعل شيء، فتوكل على الله، لا على المشاورة.

﴿إِنْ يَصْرُكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦١﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَصْرُكُمْ اللَّهُ﴾ قال ابن فارس: النصر: العون، والخذلان: ترك العون. وقيل: الكناية في قوله ﴿بَعْدِهِ﴾ تعود إلى خذلانه.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّ وَمَنْ يَكُلَّ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تَوَكَّلْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّ﴾ في سبب نزولها سبعة أقوال: أحدها: أن قطيفة من المغنم فقدت يوم بدر، فقال ناس: لعل النبي ﷺ أخذها، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>. والثاني: أن رجلاً غلَّ من غنائم هوازن يوم حنين، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أن قوماً من أشراف الناس طلبوا من

(١) رواه في الديوان ص ٩٣.

كَأَنَّ جَنْبِيًّا مِّنَ السَّنَجَبِيِّ — لِبَاتًا بِفِيهَا وَأَرْبَاءَ مَشَارًا

جَنْبِيٌّ: فعل من: جنى الثمر يجنيه. السنجيب: الزنجيل. نيات طيب الرائحة معروف. الأري: عسل النحل. شار العسل واشتاره: جمعه.

(٢) روى الجماعة إلا البخاري عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «الطيب أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن في نفسها، وإفئتها صماها» وفي رواية لأحمد ومسلم وأبي داود والنسائي «والبكر يستأمرها أبوها». وروى البخاري ومسلم عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، تستأمر النساء في أبضاعهن؟ قال: «نعم». قلت: إن البكر تستأمر فتسقي فتسكت؟ فقال: «سكاتها إنيها».

(٣) قال النووي في «شرح مسلم». وأما قوله ﷺ في البكر: «ولا تنكح البكر حتى تستأمر» فاختلوا في معناه، فقال الشافعي وابن أبي ليلى وأحمد وإسحاق وغيرهم: الاستئذان في البكر مأمور به، فإن كان الولي أباً أو جداً، كان الاستئذان مندوباً إليه، ولو زوجها بغير استئذنها، صح، لكما شفقت، وإن كان غيرهما من الأولياء، وجب الاستئذان، ولم يصح إنكاحها قبله. وقال الأوزاعي وأبو حنيفة وغيرهما من الكوفيين: يجب الاستئذان في كل بكر بالغة.

(٤) في «معجم مقاييس اللغة» ٣٠٨/٤ قال الخليل: العزم: ما عقد عليه القلب من أمر أنت قاعله، أي: متيقنه. ويقال: ما لفلان عزيمة، أي: ما يعزم عليه، كأنه لا يمكنه أن يصرم أمره، بل يخطط فيه ويتردد.

(٥) روى ابن أبي حاتم، وأبو داود، والترمذي، والطبري، وقال الترمذي: حسن غريب. وفي إسناده خفيف بن عبد الرحمن الجزري ضعفه أحمد، وقال ابن عدي: إذا حدث عن خفيف ثقة فلا بأس بحديثه، والراوي عنه في هذا الحديث عبد الواحد بن زياد العبدي، وهو ثقة، روى له الجماعة.

رسول الله ﷺ أن يخصهم بشيء من الغنائم، فنزلت هذه الآية، نقل عن ابن عباس أيضاً. والرابع: أن النبي ﷺ بعث طلائعاً، فغنم النبي ﷺ غنيمة، ولم يقسم للطلائع، فقالوا: قسم الفريء. ولم يقسم لنا، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك<sup>(١)</sup>. والخامس: أن قوماً غلوا يوم بدر، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. والسادس: أنها نزلت في الذين تركوا مركزهم يوم أحد طلباً للغنيمة، وقالوا: نخاف أن يقول النبي ﷺ: «من أخذ شيئاً، فهو له» فقال لهم النبي ﷺ: «ألم أعهد إليكم ألا تبرحوا؟! أظنتم أنا نفل؟! فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب، ومقاتل. والسابع: أنها نزلت في غلول الرحي، قاله القرظي، وابن إسحاق. وذكر بعض المفسرين أنهم كانوا يكرهون ما في القرآن من عيب دينهم وأكثمتهم، فسألوه أن يطوي ذلك، فنزلت هذه الآية.. واختلف القراء في «يغل» فقرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: بفتح الباء وضم الغين، ومعناها: يخون. وفي هذه الخيانة قولان: أحدهما: خيانة المال على قول الأكثرين. والثاني: خيانة الرحي على قول القرظي، وابن إسحاق. وقرأ الباقر: بضم الباء وفتح الغين، ولها وجهان: أحدهما: أن يكون المعنى يُخَان، [ويجوز أن يكون: يلقى خائناً، يقال: أغللت فلاناً، أي: وجدته غالاً، كما يقال: أحمقته: وجدته أحمق، وأحمدته: وجدته محموداً<sup>(٢)</sup>]. قاله الحسن، وابن قتيبة. والثاني: يُخَوِّن، قاله الفراء، وأجازة الزجاج، ورده ابن قتيبة، فقال: لو أراد: يخون، لقال: يغلل، كما يقال: يفسق، ويخون، ويفجر. وقيل: «اللام» في قوله «النبي» متقولة، ومعنى الآية: وما كان النبي ليُغَلِّ، ومثله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْغَافِلُونَ﴾ [سج: ٢٦]، أي: ما كان الله ليتخذ ولدأ. وهذه الآية من أطف التعريض، إذ قد ثبتت براءة ساحة النبي ﷺ من الغلول فدل على أن الغلول في غيره. ومثله: ﴿وَلَيْتَ أَوْ لِيَأْكُمَ لَعَنَ هَؤُلَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ﴾ [سج: ٢٥] وقد ذكر عند السدي نحو هذا.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الغلول: أخذ شيء من المغنم خفية، ومنه الغلالة، وهي ثوب يلبس تحت الثياب، والغلل: وهو الماء الذي يجري بين الشجر، والغلل: وهو الحقد الكامن في الصدر، وأصل الباب الاختفاء. وفي إتيانه بما غل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يأتي بما غله، يحمله، ويدل عليه ما روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوماً فذكر الغلول، فعظمه، وعظم أمره، ثم قال: «لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله اغثنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، فيقول: يا رسول الله اغثنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها نغاء، يقول: يا رسول الله اغثنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله اغثنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاغ تخفق، فيقول: يا رسول الله اغثنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله اغثنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك<sup>(٣)</sup>». الرغاء: صوت البعير، والنغاء: صوت الشاة، والنفس: ما يُغَلُّ من السبي، والرقاغ: الثياب، والصامت: المال. والقول الثاني: أنه يأتي حاملاً إثم ما غل. والثالث: أنه يرُدُّ عوض ما غل من حسناته، والقول الأول أصح لمكان الأثر الصحيح.

قوله تعالى: ﴿هَمْ تَوَفَّى كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي: تعطى جزاء ما كسبت.

﴿أَفَمَنْ أَتَىٰ بِضَوْنِ اللَّهِ كَفَّٰرًا يَسْخَطُونَ مِنْهُ وَآوَيْنَهُ جَهَنَّمَ وَنَسِيَ الْكَلِمَةَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَتَىٰ بِضَوْنِ اللَّهِ﴾ اختلفوا في معنى هذه الآية على قولين. أحدهما: أن معناها: أفمن اتبع

(١) أخرجه ابن أبي شيبة، وابن جرير من طريق سلمة بن نيط عن الضحاك.

(٢) الزيادة من «غريب القرآن» ص ١١٥ لاين قتيبة.

(٣) رواه الإمام أحمد رقم ٩٤٩٩، والبخاري ١٢٩/٦، ومسلم ١٦٦١/٣، واللفظ الذي ساقه المصنف لمسلم. وروى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم خيبر، أقبل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد، حتى أتوا على رجل فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: «كلا إني رأيت في بردة غلها، أو عباءة»، ثم قال رسول الله ﷺ: «الذهب فتاد في الناس: إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون». قال: فتاديت: إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون. وكذا رواه مسلم، والترمذي، وقال: حديث صحيح.

رضوان الله، فلم يغل، ﴿كَمْ بَاءَ يَسْخَطُونَ اللَّهَ﴾ حين غل ١٩ هذا قول سعيد بن جبير، والضحاك، والجمهور. والثاني: أن النبي ﷺ لما أمر المسلمين باتباعه يوم أحد، اتبعه المؤمنون، وتخلف جماعة من المنافقين، فأخبر الله بحال من تبعه، ومن تخلف عنه، هذا قول الزجاج.

﴿هُم دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿هُم دَرَجَتٌ﴾ قال الزجاج: معناه: هم ذوو درجات. وفي معنى درجات قولان: أحدهما: أنها درجات الجنة، قاله الحسن. والثاني: أنها فضائلهم، فبعضهم أفضل من بعض، قاله الفراء، وابن قتبية. وفيمن عنى بهذا الكلام قولان: أحدهما: أنهم الذين اتبعوا رضوان الله، والذين باؤوا بسخط من الله، فلمن اتبع رضوان الله الثواب، ولمن باء بسخطه العذاب، هذا قول ابن عباس. والثاني: أنهم الذين اتبعوا رضوان الله فقط، فإنهم يتفاوتون في المنازل، هذا قول سعيد بن جبير، وأبي صالح، ومقاتل.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَرُكُوعِهِمْ وَيُخَلِّصُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ وَالْعِصْيَةِ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلَ لَيْ سَلَكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أنعم عليهم. و«أنفسهم»: جماعتهم، وقيل: نسبهم. وقرأ الضحاك، وأبو الجوزاء: ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ بفتح الفاء. وفي وجه الامتنان عليهم بكونه من أنفسهم أربعة أقوال: أحدها: لكونه معروف النسب فيهم، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: لكونهم قد خبروا أمره، وعلّموا صدقه، قاله الزجاج. والثالث: ليسهل عليهم التعلم منه، لموافقة لسانه للسانهم، قاله أبو سليمان الدمشقي. والرابع: لأن شرفهم يتم بظهور نبي منهم، قاله الماوردي. وهل هذه الآية خاصة أم عامة؟ فيه قولان: أحدهما: أنها خاصة للعرب، روي عن عائشة<sup>(١)</sup> والجمهور. والثاني: أنها عامة لسائر المؤمنين، فيكون المعنى أنه ليس بملك، ولا من غير بني آدم، وهذا اختيار الزجاج. وقد سبق في [البقرة] بيان باقي الآية<sup>(٢)</sup>.

﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتُمْ مَعْصِيَةَ قَوْمٍ هَذَا قَوْلٌ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتُمْ مَعْصِيَةَ قَوْمٍ﴾ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما كان يوم أحد، عوقبوا بما صنعوا يوم بدر، من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون، وفر أصحاب النبي ﷺ، وكسرت ربابته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، فنزلت هذه الآية [إلى قوله تعالى ﴿قَوْلٌ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾]: قال: بأخذكم الفداء<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمَّا﴾ قال الزجاج: هذه واو النسق، دخلت عليها ألف الاستفهام، فبقيت مفتوحة على هيئتها قبل دخولها، ومثل ذلك قول القائل: تكلم فلان بكذا وكذا فيقول المجيب له: أو هو ممن يقول ذلك؟ فأما «المعصية» فما أصابهم يوم أحد، وكانوا قد أصابوا مثليها من المشركين يوم بدر، لأنهم قتل منهم سبعون، فقتلوا يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين، وهذا قول ابن عباس، والضحاك، وقتادة، والجماعة، إلا أن الزجاج قال: قد أصبتم يوم أحد مثليها، ويوم بدر مثليها، فجعل المثلين في اليومين.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ هَذَا﴾ قال ابن عباس: من أين أصابنا هذا ونحن مسلمون.

(١) أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «شعب الإيمان» ومعنى قول عائشة هذا: أن هذا الامتنان خاص بالعرب المسلمين، لأنهم يفقهون عنه، ويفهمون كلامه، ولا يحتاجون إلى ترجمان، وليس كذلك الأحاجم.

(٢) قال أبو جعفر الطبري في تفسير الآية: يعني بذلك: لقد تولى الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا، حين أرسل فيهم رسولا: ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ نبياً من أهل لسانهم، ولم يجعل من غير أهل لسانهم فلا يفقهون عنه ما يقول: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ يقول: يقرأ عليهم أي كتابه وتنزيله، ﴿وَرُكُوعِهِمْ﴾، يعني: يظهرهم من قلوبهم باتباعهم إياه، وطاعتهم له فيما أمرهم ونهاهم، ﴿وَيُخَلِّصُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ وَالْعِصْيَةِ﴾، يعني: ويعلمهم كتاب الله الذي أنزله عليه، وبين تأويله ومعانيه، والحكمة، ويعني بالحكمة، السنة التي سنّها الله جل ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله ﷺ وبيانه لهم، ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلَ لَيْ سَلَكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني: وإن كانوا قبل أن يمن الله عليهم بإرساله رسوله الذي هذه صفته، لقي ضلالاً مبيناً، يقول في جهالة جهلاء، وفي حيرة عن الهدى عمياء، لا يعرفون حقاً، ولا يطلون باطلاً.

(٣) رواه ابن أبي حاتم، وزايد بن معقون عنه، وزوايد الإمام أحمد في «المستدرک» رقم ٢٠٨ باطون وإسناده حسن.



﴿الَّذِينَ قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرُوا بِهِمْ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَوْتَ الْكَافِرَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَعَدُوا﴾ يعني القائلين قعدوا عن الجهاد.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري ٣٩٣/٧ مطولاً وسنده حسن. ورواه الإمام أحمد ١٣٧/٣ و٢١٠ و٢٨٩ بأسانيده صحيحة، وليس فيه: «فقلت هذه الآية» ولفظه عن أنس: أن رسول الله ﷺ لما بعث حراماً أخاه أماً سليم في سبعين رجلاً، فقتلوا يوم بئر معونة، وكان رئيس المشركين يومئذ عامر بن الطفيل، وكان هو أثنى النبي ﷺ فقال: اخترتني ثلاث خصال يكون لك أهل السهل، ويكون لي أهل الوبر، أو أكون خليفة من بعدك، أو أغزوك بنطفان ألف أشقر، وألف شقراء، قال: فطعن من بيت امرأة من بيت فلان، فقال: غدة كغدة البعير في بيت امرأة من بني فلان، اتوني بفرسي، فأني به، فركبه، فمات وهو على ظهره. فانطلق حرام أخو أم سليم ورجلان معه، رجل من بني أمية، ورجل أعرج، فقال لهم: كونوا قريباً مني حتى آتيهم، فإن آمنوني ولا كنتم قريباً، فإن قتلوني، أعلمكم أصحابكم. قال: فأتاهم حرام، فقال: أتؤمنوني، أبلغكم رسالة رسول الله ﷺ إليكم؟ قالوا: نعم. فجعل يمدحهم، وأومؤوا إلى رجل منهم من خلفه، فطعنه حتى أشفه بالرمح، قال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة، قال: ثم قتلوهم كلهم غير الأعرج، كان في رأس جبل، قال أنس: فأنزل علينا وكان مما يقرأ فنفسخ «أن بلغوا قومنا أننا لقينا ربنا، فربي عنا وأرضانا» قال: فدعا النبي ﷺ عليهم أربعين صباحاً، على رعل وذكوان ربني لحيان وعصية الذين عصوا الله ورسوله. ورواه البخاري ٢٩٧/٧، وانظر تفصيل القصة في «البداءة والنهاية» ٧١/٤ - ٧٤.

في النعمة والسرور، وآبأونا وأبناؤنا وإخواننا في القبور، فنزلت هذه الآية، ذكره علي بن أحمد النيسابوري. فأما التفسير، فمعنى الآية: لا تحسبهم أمواتاً كالأموات الذين لم يقتلوا في سبيل الله، وقد بينا هذا المعنى في (البقرة) وذكرنا أن معنى حياتهم: أن أرواحهم في حواصل طير تأكل من ثمار الجنة، وتشرب من أنهارها<sup>(١)</sup>. قال مجاهد: يرزقون من ثمر الجنة.

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ﴾ قال ابن قتيبة: الفرح: المسرة، فأما الذي آتاهم الله، فما نالوا من كرامة الله وورقه، والاستبشار: السرور بالبشارة، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ إخوانهم من المسلمين. وفي سبب استبشارهم بهم ثلاثة أقوال: أحدها: أن الله تعالى لما أخبر بكرامة الشهداء، أخبر الشهداء بأنهم قد أنزلت على نبيكم، وأخبرته بأمركم، فاستبشروا، وعلموا أن إخوانهم سيحرسون على الشهادة، قاله سعيد بن جبيرة. والثاني: يستبشرون بإخوانهم الذين يرجون لهم الشهادة، يقولون: إن قتلوا نالوا ما لنا من الفضل، قاله قتادة. والثالث: أن الشهيد يؤتى بكتاب فيه ذكر من تقدم عليه من إخوانه وأهله، وفيه يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، فيستبشر بقدمه، كما يستبشر أهل الغائب به، هذا قول السدي. والهاء والميم في قوله تعالى: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ تعود إلى الذين لم يلحقوا بهم. قال الفراء: معناه: يستبشرون لهم بأنهم لا خوف عليهم، ولا حزن. وفي ماذا يرتفع «الخوف» وال«حزن» عنهم؟ فيه قولان: أحدهما: لا خوف عليهم فيمن خلفوه من ذريتهم، ولا يحزنون على ما خلفوا من أموالهم. والثاني: لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه، ولا يحزنون على مفارقة الدنيا فرحاً بالآخرة.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِبَيْعَتِهِمْ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِبَيْعَتِهِمْ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ قال مقاتل: برحمة ووزق.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ قرأ الجمهور بالفتح على معنى: ويستبشرون بأن الله، وقرأ الكسائي بالكسر على الاستئناف.

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَمْرٌ عَظِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن المشركين لما انصرفوا يوم أحد، نذب النبي ﷺ أصحابه لاتباعهم، ثم خرج بمن انتدب معه، فلقي أبو سفيان قوماً، فقال: إن لقيتم محمداً، فأخبروه أنني في جمع كثير، فلقيتهم النبي ﷺ فسألهم عنه؟ فقالوا: لقيناه في جمع كثير، ونراك في قلة، فأبى إلا أن يطلبه، فسبقه أبو سفيان، فدخل مكة، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس<sup>(٢)</sup>، والثاني: أن أبا سفيان لما أراد الانصراف عن أحد، قال: يا محمد، موعد بيننا وبينك موسم بدر، فلما كان العام المقبل، وخرج أبو سفيان، ثم ألقى الله في قلبه الرعب، فبدا له الرجوع، فلقي نعيم بن مسعود<sup>(٣)</sup>، فقال: إني قد واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى، وهذا عام جذب، لا يصلح لنا، فثبطهم عنا، وأعلمهم أننا في جمع كثير، فلقيتهم فخوفهم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وخرج النبي ﷺ بأصحابه، حتى أقاموا ببدر ينتظرون أبا سفيان، فنزل قوله تعالى:

(١) روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن مسروق قال: لما سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْزَنُوا الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْثَلُ بِلَدِّكُمْ مِنْكُمْ يَرْزُقُونَ﴾ فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير غضر لها قناديل بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأتي إلى تلك القناديل». وقال الحافظ ابن كثير في «البيان» ٤٢٦/١: وقد روينا في «مسند الإمام أحمد» حديثاً فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة تسرح وإن كان الشهداء قد خصصوا بالذكر في القرآن تشريفاً لهم وتكريماً وتعظيماً أيضاً فيها، وتأكل من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسرور، وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة. وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم، اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة، أصحاب المذاهب المتبعة، فإن الإمام أحمد رواه عن محمد بن إدريس الشافعي، عن مالك بن أنس الأصبحي، عن الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «نفس المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعث».

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ص ٧٥ بإسناد إلى عمرو بن دينار.

(٣) في رواية ابن إسحاق أن الرسول بذلك كان معبد الخزاعي، وقال الحافظ ابن حجر: ويقال: إن الرسول بذلك كان نعيم بن مسعود الأشجعي.

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ الآيات. وهذا المعنى مروي عن مجاهد، وعكرمة<sup>(١)</sup>. والاستجابة: الإجابة. وأنشدوا:

فَلَمْ يَسْتَجِيبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبٌ<sup>(٢)</sup> .....

أي: فلم يجبه. وفي مراد النبي ﷺ وخروجه وندب الناس للخروج ثلاثة أقوال: أحدها: ليزهب العدو باتباعهم. والثاني: لموعد أبي سفيان. والثالث: لأنه بلغه عن القوم أنهم قالوا: أصبتم شوكتهم، ثم تركتموهم. وقد سبق الكلام في القرع.

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ أي: أحسنوا بطاعة الرسول، واتقوا مخالفته.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ في المراد بالناس ثلاثة أقوال. أحدها: أنهم ركب لقيهم أبو سفيان، فضمن لهم ضماناً لتخويف النبي ﷺ وأصحابه، قاله ابن عباس، وابن إسحاق. والثاني: أنه نعيم بن مسعود الأشجعي، قاله مجاهد، وعكرمة، ومقاتل في آخرين. والثالث: أنهم المنافقون، لما رأوا النبي ﷺ يتجهز، نهوا المسلمين عن الخروج، وقالوا: إن أتيتهم في ديارهم، لم يرجع منكم أحد، هذا قول السدي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه.

قوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ قال الزجاج: زادهم ذلك التخويف ثبوتاً في دينهم، وإقامة على نصرته نبيهم، وقالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup> أي: هو الذي يكفيننا أمرهم. فأما «الوكيل»، فقال الفراء: الوكيل: الكافي، واختاره ابن القاسم. وقال ابن قتبية: هو الكفيل، قال: ووكيل الرجل في ماله: هو الذي كفله له، وقام به. وقال الخطابي: الوكيل: الكفيل بأرزاق العباد ومصالحهم، وحقيقته: أنه الذي يستقل بالأمر الموكل إليه. وحكى ابن الأنباري أن قوماً قالوا: الوكيل: الرب.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَنْعَمَ بِرَبِّكُمْ إِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَنْعَمَ بِرَبِّكُمْ﴾ الإنقلاب: الرجوع. وفي النعمة، ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الأجر، قاله مجاهد. والثاني: العافية، قاله السدي. والثالث: الإيمان والنصر، قاله الزجاج. وفي الفضل، ثلاثة أقوال: أحدها: ربح التجارة، قاله مجاهد، والسدي، وهذا قول من يرى أنهم خرجوا لموعد أبي سفيان. قال الزهري: لما استنفر النبي ﷺ المسلمين لموعد أبي سفيان بيذر، خرجوا ببضائع لهم، وقالوا: إن لقينا أبا سفيان، فهو الذي خرجنا إليه، وإن لم نلقه ابتعنا ببضائعنا، وكانت بدر متجراً يوافي كل عام، فانطلقوا فقصوا حوائجهم، وأخلف أبو سفيان الموعود. والثاني: أنهم أصابوا سرية بالصفراء، فرزقوا منها، قاله مقاتل. والثالث: أنه الثواب، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَسْتَنْهَتُهُمْ سُوءُ﴾ قال ابن عباس: لم يؤذهم أحد. ﴿وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ في طلب القوم. ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ﴾ أي: ذو من يدفع المشركين عن المؤمنين.

(١) جاء في «الدر المنثور» ١٠١/٢: وأخرج النسائي، وابن أبي حاتم، والطبراني بسند صحيح من طريق عكرمة عن ابن عباس، قال: لما رجع المشركون عن أحد، قالوا: لا محمداً تلتم، ولا الكواعب أردتم، بشما صنعت، أرجعوا، فسمع رسول الله ﷺ بذلك، فندب المسلمين. فانتدبوا حتى بلغ حمراء الأسد، أو بشر أبي عتبة - شك سفيان - فقال المشركون: نرجع قابل، فرجع رسول الله ﷺ فكانت تعد غزوة، فأنزل الله ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ الآية. وقد كان أبو سفيان قال للنبي ﷺ: موعدهم موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا، فأما الجبان فرجع، وأما الشجاع فأخذ أمة القتال والتجارة، فاتوه فلم يجدوا به أحداً وتسوقوا، فأنزل الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَنْعَمَ بِرَبِّكُمْ إِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ الآية.

(٢) صدر البيت:

وداع دمعنا يا من يُجيب إلى السُّلَى

والبيت لكعب بن سعد الغنوي، وهو من قصيدة أصمية جيدة، يرثي بها أخاه أبا المغوار، قال الأصمعي: ليس في الدنيا مثله.

(٣) روى البخاري ج ١٧٢/٨ عن ابن عباس: «حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. وروى الإمام أحمد في «المسند» ٢٤/٦ بسند حسن عن عوف بن مالك أن النبي ﷺ قضى بين رجلين، فقال المقضي عليه لما أدير: حسبي الله ونعم الوكيل. فقال النبي ﷺ: فودعوا علي الرجل، فقال: ما قلت؟ قال: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل. فقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُلْهِمُ عَلَى الْمَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيسِ، فَإِنَّا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: حسبي الله ونعم الوكيل». وكذا رواه أبو داود والنسائي بنحوه.

﴿إِنَّا ذَلِكُمْ النَّبِيُّ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧٥)

قوله تعالى: ﴿إِنَّا ذَلِكُمْ النَّبِيُّ﴾ قال الزجاج: معناه: ذلك التخويف كان فعل الشيطان، سؤله للمخوفين. وفي قوله تعالى: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: يخوفكم بأوليائه، قاله الفراء، واستدل بقوله تعالى: ﴿يُنْذِرُ نَارًا شَهِيدًا﴾ [الكهف: ٤٤]. أي: ببأس، ويقول تعالى: ﴿يُنْذِرُ يَوْمَ الْآزِفِ﴾ [غافر: ١٥]، أي: بيوم التلاق. وقال الزجاج: معناه: يخوفكم من أوليائه، بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا﴾. وهذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبيرة، وعكرمة، وإبراهيم، وابن قتبية. وأنشد ابن الأنباري في ذلك:

وَأَيَقُنْتُ التَّفَرُّقَ يَوْمَ قَالُوا

ثُقُفْتُ مَالِ أَرِيدَ بِالسَّهَامِ<sup>(١)</sup>

أراد: أيقنت بالتفرق. قال: فلما أسقط الباء أعمل الفعل فيما بعدها ونصبه. قال: والذي نختاره في الآية أن المعنى: يخوفكم أوليائه. تقول العرب: قد أعطيت الأموال، يريدون: أعطيت القوم الأموال، فيحذفون القوم، ويقتصرون على ذكر المفعول الثاني. فهذا أشبه من ادعاء «باء» ما عليها دليل، ولا تدعو إليها ضرورة. والثاني: أن معناه: يخوف أوليائه المنافقين، ليقعدوا عن قتال المشركين، قاله الحسن والسدي، وذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ يعني: أولياء الشيطان ﴿وَكَافُونَ﴾ في ترك أمري. وفي «إن» قولان: أحدهما: أنها بمعنى: «إذا» قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنها للشرط، وهو قول الزجاج في آخرين.

﴿وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يُضِرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَقًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٦)

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ قرأ نافع «يُحْزِنُكَ» «يُحْزِنُنِي» «يُحْزِنُ» بضم الياء وكسر الزاي في جميع القرآن، إلا في (الأنبياء) ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْقَرْعُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، فإنه فتح الياء، وضم الزاي. وقرأ الباقون كل ما في القرآن بفتح الياء وضم الزاي. قال أبو علي: يشبه أن يكون نافع تبع في سورة (الأنبياء) أثراً، أو أحب أن يأخذ بالوجهين. وفي الذين يسارعون في الكفر أربعة أقوال: أحدها: أنهم المنافقون، ورؤساء اليهود، قاله ابن عباس. والثاني: المنافقون، قاله مجاهد. والثالث: كفار قريش، قاله الضحاك. والرابع: قوم ارتدوا عن الإسلام، ذكره الماوردي. وقيل: معنى مسارعهم في الكفر: مظاهرتهم للكفار، ونصرهم إياهم. فإن قيل: كيف لا يحزنه المسارعة في الكفر؟ فالجواب: لا يحزنك فعلهم، فإنك منصور عليهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُضِرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ فيه قولان: أحدهما: لن: ينقصوا الله شيئاً بكفرهم، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: لن يضروا أولياء الله شيئاً، قاله عطاء. قال ابن عباس: والحظ: النصب، والآخرة: الجنة. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النار.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٧)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ قال مجاهد: المنافقون آمنوا ثم كفروا، وقد سبق في (البقرة) معنى الاشتراء.

﴿وَلَا يَحْزَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا تُلَىٰ لَهُمْ حَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا تُلَىٰ لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١٧٨)

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا تُلَىٰ لَهُمْ حَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ﴾ اختلَفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال. أحدها: في اليهود والنصارى والمنافقين، قاله ابن عباس. والثاني: في قريظة والنضير، قاله عطاء. والثالث: في مشركي مكة، قاله مقاتل. والرابع: في كل كافر، قاله أبو سليمان الدمشقي<sup>(٢)</sup>. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، ﴿وَلَا يَحْزَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، ﴿وَلَا يَحْزَنَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، ﴿لَا تَحْزَنَ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٨] بالياء وكسر

(١) البيت للبد بن ربيعة، من قصيدة يرثي بها أخاه أريد، ذكر بعضها صاحب «الأغاني» ١٣٣/١٥.

(٢) أخرج عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال: ما من نفس برة، ولا فاجرة، إلا والموت خير لها من الحياة. إن كان برأ، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ وإن كان فاجراً، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا تُلَىٰ لَهُمْ حَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا تُلَىٰ لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا﴾ وإسناده صحيح.





قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْصِيَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في الذين يبخلون أن يودوا زكاة أموالهم، وهو قول ابن مسعود وأبي هريرة، وابن عباس في رواية أبي صالح، والشعبي، ومجاهد، وفي رواية السدي في آخرين. والثاني: أنها في الأجار الذين كتبوا صفة النبي ﷺ، ونبوته، رواه عطية عن ابن عباس، وابن جريج عن مجاهد، واختاره الزجاج. قال القراء: ومعنى الكلام: لا يحسن الباخلون البخل هو خيراً لهم، فاكفى بذكر «يبخلون» من البخل، كما تقول: قدم فلان، فسررت به، أي: سررت بقدومه. قال الشاعر:

إذا نُهي السفيه جري إليه  
وخالف السفيه إلى خلاف<sup>(١)</sup>

يريد: جرى إلى السفه. والذي آتاهم الله على قول من قال: البخل بالزكاة: هو المال، وعلى قول من قال: البخل بذكر صفة النبي ﷺ هو العلم.

قوله تعالى: ﴿هُوَ﴾ إشارة إلى البخل وليس مذكوراً، ولكنه مدلول عليه ب«يبخلون» وفي معنى تطويقهم به أربعة أقوال: أحدها: أنه يجعل كالحية يطوق بها الإنسان، روى ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا مثّل له يوم القيامة شجاع أقرع يفر منه، وهو يتبعه حتى يطوق في عنقه» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿سَيَطَوَّؤُنَّ مَا بَطَلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾<sup>(٢)</sup>. وهذا مذهب ابن مسعود، ومقاتل. والثاني: أنه يجعل طوقاً من نار، رواه منصور عن مجاهد، وإبراهيم. والثالث: أن معنى تطويقهم به: تكليفهم أن يأتوا به، رواه ابن أبي نجیح، عن مجاهد. والرابع: أن معناه: يلزم أعناقهم إثم، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُوْرِثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: يموت أهل السموات وأهل الأرض، ويبقى رب العالمين. قال الزجاج: خوطب القوم بما يعقلون، لأنهم يجعلون ما رجع إلى الإنسان ميراثاً إذا كان ملكاً له، وقال ابن الأنباري: معنى الميراث: انفراد الرجل بما كان لا يتفرد به، فلما مات الخلق، وانفرد عز وجل، صار ذلك له وراثه.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَمَّا قَمَلُونَ خَيْرٌ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «يعملون» بآلية اتباعاً لقوله تعالى: ﴿سَيَطَوَّؤُنَّ﴾ وقرأ الباقر بالتاء، لأن قبله ﴿وَلَنْ تُوْمِتُوا وَتَكْتُمُوا﴾.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ قَوِيْرٌ وَخَنَّ أَفْنِيَةً سَكَتُشْ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْآلِئِيَةَ بِعَمْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوْغُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ قَوِيْرٌ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل بيت مدراس اليهود، فوجدهم قد اجتمعوا على رجل منهم، اسمه فنحاص، فقال له أبو بكر: اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله. فقال: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقر، ولو كان غنياً عظم ما استقرض منا. فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والله لولا العهد الذي بيننا لضربت عنقك. فذهب فنحاص يشكو إلى النبي ﷺ، وأخبره أبو بكر بما قال، فجحد فنحاص، فنزلت هذه الآية، ونزل فيما بلغ من أبي بكر من الغضب ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُدْرُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) أنشد القراء في معاني القرآن ٢٤٨/١، وثعلب في مجالسه ٦٠/١، و«أمالي الشجري» ٦٨/١، والبيضاوي في «الخرائفة» ٣٨٣/٢، ولم ينسبه إلى قائل. وقوله: إذا نهي، متعلق بالنهي عام محذوف، أي: من أي شيء كان. وقوله: وخالف: مفعوله محذوف: أي: خالف زاجره. وقوله: والسفيه إلى خلاف: جملة تذييلة، أي: شأن السفيه الميل إلى مخالفة الناصح.

(٢) أخرجه أحمد في «المستد» رقم ٣٥٧٧، والترمذي، وابن خزيمة، وابن ماجه ٦٧/١، ولفظه: «ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله، إلا مثّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع حتى يطوق عنقه»، ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله تعالى: ﴿وَلَا يَخْصِيَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ الآية. وقال الترمذي: حسن صحيح. وروى البخاري ج ٢٧٣/٨، ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالا فلم يود زكاته، مثل له ماله شجاعاً أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه - يعني شديقيه - يقول: أنا مالك، أنا كنزك»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَخْصِيَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ إلى آخر الآية. الشجاع: الحية الذكر، وهو ضرب من الحيات خبيث مارد. وأقرع: ضفة من صفات الحياة الخبيثة، يزعمون أنه إذا طال عمر الحية، وكثر سمه، جمعه في رأسه حتى تتمط منه فروة رأسه.

عمران: ١٨٦] هذا قول ابن عباس<sup>(١)</sup> وإلى نحوه ذهب مجاهد، وعكرمة، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنه لما نزل قوله ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] قالت اليهود: إنما يستقرض الفقير من الغني، فنزلت هذه الآية، هذا قول الحسن، وقتادة. وفي الذين قالوا: إن الله فقير، أربعة أقوال: أحدها: أنه فنحاص بن عازوراء اليهودي، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: حيي بن أخطب، قاله الحسن وقتادة. والثالث: أن جماعة من اليهود قالوه. قال مجاهد: صلَّ أبو بكر رجلاً من الذين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَوِيرٌ وَعَنْ أَغْنِيَةٍ﴾ لم يستقرضنا وهو غني<sup>(٢)</sup>. والرابع: أنه النبَّاش بن عمرو اليهودي، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ قرأ حمزة وحده: «سَيَكْتُب» بياء مضمومة وقُتلهم بالرفع ويقول، بالياء، وقرأ الباقون: «سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا» بالنون، وقُتلهم بالنصب ونقول، بالنون، وقرأ ابن مسعود «وقال»، وقرأ الأعمش، وطلحة «ويقول». وفي معنى «سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا» قولان: أحدهما: سنحفظ عليهم ما قالوا، قاله ابن عباس. والثاني: سنأمر الحفظة بكتابته، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ﴾ أي: ونكتب ذلك. فإن قيل: هذا القائل لم يقتل نبياً قط، فالجواب أنه رضي بفعل متقدمه لذلك، كما بينا في قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِتَرِيقِ الْحَقِّ﴾. قال الزجاج: ومعنى «عَذَابُ الْحَرِيقِ» عذاب محرق، أي: عذاب بالنار، لأن العذاب قد يكون بغير النار.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ آيَاتِكُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَمِيدِ﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى العذاب، والذي قدمت أيديهم: الكفر والخطايا.

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا آلَ فِرْعَوْنَ أَن يَأْتِيَنَا بِقُرْآنٍ تَأْكُلُهُ الْأَنْدَادُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلٌ مِّن قِبَلِ رَبِّكَ نَبَذُوا فِي النَّارِ كَذِبًا﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا﴾ قال ابن عباس: نزلت في كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف، وحيي بن أخطب، وجماعة من اليهود، أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: إن الله عهد إلينا، أي: أمرنا في التوراة: أن لا نؤمن لرسول، أي: لا نصدق رسولا يزعم أنه رسول، حتى يأتينا بقرآن تأكله النار<sup>(٣)</sup>. قال ابن قتيبة: والقربان: ما تُقرب به إلى الله تعالى من ذبح وغيره. وإنما طلبوا القربان، لأنه كان من سنن الأنبياء المتقدمين، وكان نزول النار علامة القبول. قال ابن عباس: كان الرجل يتصدق، فإذا قبلت منه، نزلت نار من السماء، فأكلته، وكانت ناراً لها دوي، وحفيف. وقال عطاء: كان بنو إسرائيل يلذحون الله، فيأخذون أطياب اللحم، فيضعونها في وسط البيت تحت السماء، فيقوم النبي في البيت، ويناجي ربه، فتنزل نار، فتأخذ ذلك القربان، فيخر النبي ساجداً، فيوحي الله إليه ما يشاء. قال ابن عباس: قل يا محمد لليهود ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قِبَلِ رَبِّكَ﴾ أي: بالآيات، ﴿وَبِالَّذِي﴾ سألتم من القربان.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَالزُّبُرُ وَالْكِتَابُ الْمُنِيرُ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ معناه: لست بأول رسول كذب. قال أبو علي: وقرأ ابن عامر وحده «بالبينات وبالزبر» بزيادة باء، وكذلك في مصاحف أهل الشام، ووجهه أن إعادة الباء ضرب من التأكيد، ووجه قراءة الجمهور أن الواو قد أغتت عن تكرير العامل، تقول: مررت بزيد وعمرو، فتستغني عن تكرير الباء. وقال الزجاج: والزُّبر: جمع زبور، والزبور: كل كتاب ذي حكمة.

قوله تعالى: ﴿وَالْكِتَابُ الْمُنِيرُ﴾ قال أبو سليمان: يعني به الكتب النيرة بالبراهين والحجج.

(١) أخرجه ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس، ورجال إسناده ثقات خلا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت الأنصاري، فإنه مجهول تفرد عن ابن إسحاق كما قال الحافظ في «التقريب» وقال الشيخ أحمد شاكر في «عمدة التفسير» ٨٢/٣: «وإسناده جيد أو صحيح».

(٢) رواه عبد بن حميد، وابن جرير ٤٤٣/٧، وابن المنذر عن مجاهد. (٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص: ٧٧، عن الكلبي.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ تُجْرِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ دُخِيَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ قال ابن عباس: لما نزل قوله: ﴿قُلْ بِتَوَفَّيْنَاهُ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ﴾ (السجدة: ١١). قالوا: يا رسول الله إنما نزل في بني آدم، فأين ذكر الموت في الجن، والطير، والأنعام، فنزلت هذه الآية. وفي ذكر الموت تهديد للمكذبين بالمصير، وتزهيد في الدنيا، وتنبه على اغتنام الأجل. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ تُجْرِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بشارة للمحسنيين، وتهديد للمسيئين. قوله تعالى: ﴿فَمَنْ دُخِيَ﴾ قال ابن قتيبة: سُجِّي وأبعد. ﴿فَقَدْ فَازَ﴾<sup>(١)</sup> قال الزجاج: تأويل فاز: تباعد عن المكروه، ولقي ما يحب، يقال لمن نجا من هلكة، ولمن لقي ما يغتبط به: قد فاز.

قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ يريد أن العيش فيها يغر الإنسان بما يمتنيه من طول البقاء، وسيقطع عن قريب. قال سعيد بن جبير: هي متاع الغرور لمن لم يشغل بطلب الآخرة، فأما من يشغل بطلب الآخرة، فهي له متاع بلاغ إلى ما هو خير منها.

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْتَمَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَقُوا كَثِيرًا قَدْ تَصَدَّرُوا وَتَعَفَّوْا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَذَابِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ مرَّ بمجلس فيه عبد الله بن أبي، وعبد الله بن رواحة، فغشي المجلس عجاجة الدابة، فخرم ابن أبي أنفه بردائه، وقال: لا تغربوا علينا، فنزل رسول الله ﷺ، ثم فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال ابن أبي: إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا. وقال ابن رواحة: اغشنا به في مجالسنا يا رسول الله، فإننا نحب ذلك، فاستبَّ المسلمون، والمشركون، واليهود، فنزلت هذه الآية، رواه عروة عن أسامة بن زيد<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن المشركين واليهود كانوا يؤذون النبي ﷺ وأصحابه أشد الأذى، فنزلت هذه الآية، قاله كعب بن مالك الأنصاري<sup>(٣)</sup>. والثالث: أنها نزلت فيما جرى

(١) روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، اقروا إن شئتم: ﴿فَمَنْ دُخِيَ﴾ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ»، ورواه أحمد في «المسند»، والترمذي، والحاكم في «المستدرک» وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وروى الإمام أحمد في «المسند» رقم ٦٨٠٧، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يرحم من النار، ويدخل الجنة، فليتركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه». ورواه الإمام مسلم بأطول منه.

(٢) أخرجه البخاري بأطول منه ج ٨/ ١٧٣، ولفظه: عن عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد رضي الله عنه أخبره أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على طيفة فذكية، وأردف أسامة بن زيد وراه، يعود سعد بن عباد في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر. قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغربوا علينا. فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف، فنزل، فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن. فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرء، إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا، أرجع إلى رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه. فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاشتنا به في مجالسنا، فإننا نحب ذلك، فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود، حتى كادوا يتناوون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا. ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عباد فقال له النبي ﷺ: «يا سعد، ألم تسمع ما قال أبو حبيب - يريد عبد الله بن أبي - قال: كلا وكذا». قال سعد بن عباد: يا رسول الله، احف عنه، واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البحرة على أن يتوجه، فيمصبوه بالمصائب، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت. فمعا عنه النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ وأصحابه ينفرون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويمصرون عن الأذى. قال الله تعالى: ﴿لَتَسْتَمَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَقُوا كَثِيرًا﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿وَرَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ يُرِّى بَدُو إِسْتِغْنَاهُمْ عَنْهُمُ إِذْ جَاءَهُمْ بَدُو مَا يُرِّى لَهُمُ الْحَرْقُ فَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ وكان النبي ﷺ يتناول العفو وما أمره الله به، حتى أذن الله فيهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بداراً، فقتل الله به صناديد كفار قريش. قال ابن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه، فأياموا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا. قوله: يتناوون، أي: يتناوون. والبحرة: وفي رواية «البحيرة» هذا اللفظ يطلق على القرية وعلى البلد، والمراد به هنا: المدينة النبوية، ونقل ياقوت أن «البحيرة» من أسماء المدينة المنورة. شرق: غص، وهو كناية عن الحسد.

(٣) رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، ولفظه: أنها نزلت في كعب بن الأشرف فيما كان يهجو به النبي ﷺ من الشعر.

بين أبي بكر الصديق، وبين فنحاص اليهودي، وقد سبق ذكره عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والرابع: أنها نزلت في النبي ﷺ، وأبي بكر الصديق، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره مقاتل. وقال عكرمة: نزلت في النبي ﷺ، وأبي بكر الصديق، وفنحاص اليهودي. والخامس: أنها نزلت في كعب بن الأشرف، كان يحرض المشركين على رسول الله ﷺ وأصحابه في شعره، وهذا مذهب الزهري. قال الزجاج: ومعنى «التبلون» لتخبرن، أي: توقع عليكم المحن، فيعلم المؤمن حقاً من غيره. و«النون» دخلت مؤكدة مع لام القسم، وضمت الواو لسكونها، وسكون النون. وفي البلوى في الأموال قولان: أحدهما: ذهابها ونقصانها. والثاني: ما فرض فيها من الحقوق. وفي البلوى في الأنفس أربعة أقوال: أحدها: المصائب، والقتل. والثاني: ما فرض من العبادات. والثالث: الأمراض. والرابع: المصيبة بالأقارب، والعشائر. وقال عطاء: هم المهاجرون أخذ المشركون أموالهم، وباعوا رباعهم، وعذبوهم. قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَأْتُوا الْكِتَابَ﴾ قال ابن عباس: هم اليهود والنصارى، والذين أشركوا: مشركو العرب ﴿وَإِنْ قَسِمُوا﴾ على الأدنى ﴿وَتَقْتُلُوا﴾ الله بمجانبة معاصيه. قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: ما يعزم عليه، لظهور رشده.

### فصل

والجمهور على إحكام هذه الآية، وقد ذهب قوم إلى أن الصبر المذكور منسوخ بآية السيف. ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّ لِلنَّاسِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّنَّ مَا يَشْتَرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، وابن جبير، والسدي، ومقاتل. فعلى هذا، الكتاب: التوراة. والثاني: أنهم اليهود، والنصارى، والكتاب: التوراة والإنجيل. والثالث: أنهم جميع العلماء، فيكون الكتاب اسم جنس.

قوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّ لِلنَّاسِ﴾. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر، والمفضل عن عاصم، وزيد عن يعقوب «لتبينن» للناس ولا يكتمون» بالياء فيهما، وقرأ الباقون، وحفص عن عاصم بالتاء فيهما. وفي هاء الكناية في «لتبينن» و«تكتمون» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى النبي محمد ﷺ، وهذا قول من قال: هم اليهود. والثاني: أنها ترجع إلى الكتاب، قاله الحسن، وقتادة، وهو أصح، لأن الكتاب أقرب المذكورين، ولأن من ضرورة تبيينهم ما فيه إظهار صفة محمد ﷺ، وهذا قول من ذهب إلى أنه عام في كل كتاب. وقال علي بن أبي طالب ؑ: ما أخذ الله على أهل الجبل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا.

قوله تعالى: ﴿فَبَيَّنَّ﴾ قال الزجاج: أي: رمّوا به، يقال للذي يطرح الشيء ولا يعيا به: قد جعلت هذا الأمر بظهر. قال الفرزدق:

تميم بن قيس لا تكونن حاجتي  
بظهر ولا يعيا عليّ جوابها<sup>(٢)</sup>  
معناه: لا تكونن حاجتي مُهملة عندك، مطرحة. وفي هاء «فنبذوه» قولان: أحدهما: أنها تعود إلى الميثاق. والثاني: إلى الكتاب<sup>(٣)</sup>.

(١) قال الحافظ في «الفتح» ج ٨/ ١٧٣: رواه ابن أبي حاتم وابن المنذر بإسناد حسن عن ابن عباس.

(٢) «ديوانه» ٨٦/ ١، و«اللسان» ٥٢٢/ ٤، و«الأغاني»، وروايته في الديوان:

تميم بن زيد لا تهونن حاجتي  
لديك ولا يعيا عليّ جوابها

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب، الذين أخذ الله عليهم العهد على السنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، وأن ينهوا بذكره في الناس ليكونوا على أمة من أمرة، فإذا أرسله الله تعالى تابعوه، فكتبتوا ذلك، وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالذنن الطفيف، والحظ الدنيوي السخيف، فبست الصفة صفقتهم، وبست البيعة بيعتهم. وفي هذا تخذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم، فيصيبيهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسلكهم. فعلى العلماء أن يبدلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح، ولا يكتفوا منه شيئاً، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار». وهذا الحديث الذي =

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَبْدِلُوا﴾ يعني: استبدلوا بما أخذ الله عليهم القيام به، ووعدهم عليه الجنة ﴿كُنَّا قَلِيلًا﴾ أي: عرضاً يسيراً من الدنيا.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْغُونُ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ بِمَكَازٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْغُونُ بِمَا آتَوْا﴾ وقرأ أهل الكوفة: ﴿لَا تحسبن﴾ بالناء. وفي سبب نزولها ثمانية أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ، سأل اليهود عن شيء، فكتموه، وأخبروه بغيره، وأروه أنهم قد أخبروه به، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما آتوا من كتمانهم إياه، فنزلت هذه الآية. والثاني: أنها نزلت في قوم من اليهود، فرحوا بما يصيبون من الدنيا، وأحبوا أن يقول الناس: إنهم علماء، وهذا القول، والذي قبله عن ابن عباس. والثالث: أن اليهود قالوا: نحن على دين إبراهيم، وكتمو ذكر محمد ﷺ، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبير<sup>(١)</sup>. والرابع: أن يهود المدينة كتبت إلى يهود العراق واليمن، ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الأرض كلها: أن محمداً ليس بنبي، فابتنوا على دينكم، فاجتمعت كلمتهم على الكفر به، وفرحوا بذلك، وقالوا: نحن أهل الصوم والصلاة، وأولياء الله، فنزلت هذه الآية، هذا قول الضحاك، والسدي. والخامس: أن يهود خيبر أتوا النبي ﷺ وأصحابه، فقالوا: نحن على رأيكم، ونحن لكم رده، وهم مستمسكون بضلالتهم، فأرادوا أن يحمدهم نبي الله بما لم يفعلوا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. والسادس: أن ناساً من اليهود جهزوا جيشاً إلى النبي ﷺ، واتفقوا عليهم، فنزلت هذه الآية، قاله إبراهيم النخعي. والسابع: أن قوماً من أهل الكتاب دخلوا على النبي ﷺ، ثم خرجوا من عنده فذكروا للمسلمين أنهم قد أخبروا بأشياء قد عرفوها، فحمدوهم، وأبطنوا خلاف ما أظهروا، فنزلت هذه الآية، ذكره الزجاج. والثامن: أن رجلاً من المنافقين كانوا يتخلفون عن الغزو مع النبي ﷺ، فإذا قدم، اعتذروا إليه، وحلفوا، وأحبوا أن يحمداً بما لم يفعلوا، فنزلت هذه الآية، قاله أبو سعيد الخدري<sup>(٢)</sup>، وهذا القول يدل على أنها نزلت في المنافقين، وما قبله من الأقوال يدل على أنها في اليهود. وفي الذي أتوا ثمانية أقوال: أحدها: أنه كتمانهم ما عرفوا من الحق. والثاني: تبديلهم التوراة. والثالث: إيثارهم الفاني من الدنيا على الثواب. والرابع: إضلالهم الناس. والخامس: اجتماعهم على تكذيب النبي. والسادس: نفاقهم بإظهار ما في قلوبهم ضده. والسابع: اتفاقهم على محاربة النبي ﷺ، وهذه أقوال من قال: هم اليهود. والثامن: تخلفهم في الغزوات، وهذا قول من قال: هم المنافقون. وفي قوله تعالى: ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾<sup>(٣)</sup> ستة أقوال: أحدها: أحبوا أن يحمداً على إجابة النبي ﷺ، عن شيء سألهم عنه وما أجابوه. والثاني: أحبوا أن يقول الناس: هم علماء، وليسوا كذلك. والثالث: أحبوا أن يحمداً بما لم يفعلوا من الصلاة، والصيام. وهذه الأقوال الثلاثة عن ابن عباس. والرابع: أحبوا أن يحمداً على قولهم: نحن على دين إبراهيم، وليسوا عليه، قاله سعيد بن

استشهد به ابن كثير أخرجه أحمد وأبو داود، وابن ماجه، وأبو يعلى، والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، والبيهقي من حديث أبي هريرة به مرفوعاً، وهو عند الحاكم أيضاً وغيره عن ابن عمرو، وعند ابن ماجه عن أنس وأبي سعيد، وعند الطبراني من حديث ابن عباس وابن عمر وابن مسعود، وهو حديث صحيح.

(١) أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٢) رواه البخاري ج ٨/ ١٧٥، ومسلم، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في شعب الإيمان، ونقله عند البخاري: عن أبي سعيد الخدري رحمه الله، أن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو، وتخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتلوا إليه، وحلفوا، وأحبوا أن يحمداً بما لم يفعلوا فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْغُونُ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾.

(٣) روى الإمام أحمد عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف: أن مروان قال: اذهب يا رافع - ليوابه - إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى، وأحب أن يحمداً بما لم يفعل مذهباً، لتعذبن أجمعين؟ فقال ابن عباس: ما لكم بهذه؟ إنما نزلت هذه في أهل الكتاب، ثم تلا ابن عباس: ﴿وَرَبُّكَ أَخَذَ اللَّهُ مِنْهُنَّ أَيْمَانَهُنَّ أَنْ يُبَيِّنَنَّ بَيْنَهُنَّ الْأَيَّةَ، وَتِلَا مِنْ عِبَادِ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْغُونُ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ وقال ابن عباس: سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما آتوا من كتمانهم ما سألهم عنه. وهكذا رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن خزيمة، والحاكم، وابن مردويه.

جبير. والخامس: أحبوا أن يحمدا على قولهم: إنا راضون بما جاء به النبي، وليسوا كذلك، قاله قتادة. وهذه أقوال من قال: هم اليهود. والسادس: أنهم كانوا يحلفون للمسلمين إذ نصرُوا: إنا قد سررنا بنصركم، وليسوا كذلك، قاله أبو سعيد الخدري، وهو قول من قال: هم المنافقون.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «فلا يحسبهم»، بالياء وضم الباء، وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي: بالثاء، وفتح الباء. قال الزجاج: إنما كُرت «تحسبهم» لطول القصة، والعرب تعيد إذا طالت القصة «حسبت» وما أشبهها، إعلماً أن الذي يجري متصل بالاول، وتوكيداً له، فتقول: لا تظننَّ زيداً إذا جاء وكلمك بكذا وكذا، فلا تظنَّ صادقاً.

قوله تعالى: ﴿يَمَّا زَوْ﴾ قال ابن زيد، وابن قتيبة: بمنجاة.

﴿وَلَوْ أَنَّكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيه تكذيب القائلين: بأنه فقير. وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تهديد لهم، أي: لو شئت لعجلت عذابهم.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَتُوبِ آلِ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّلُ الْآيَاتِ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup> في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن قريشاً قالوا لليهود: ما الذي جاءكم به موسى؟ قالوا: عصاه وبده البيضاء. وقالوا للنصارى: ما الذي جاءكم به عيسى؟ قالوا: كان يبرئ الأكفم والأبرص، ويحيي الموتى. فأتوا النبي ﷺ، وقالوا: ادع ربك يجعل لنا الصفا ذهباً، فنزلت هذه الآية، رواه ابن جبير عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن أهل مكة سألوه أن يأتيهم بآية، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ لَكَبِيرٌ وَكَبِيرٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]. قالت قريش: قد سئى بين آلهمنا، اثنتا بآية، فنزلت هذه الآية، قاله أبو الضحى، واسمه: مُسلم بن صبيح. فأما تفسير الآية فقد سبق.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَرَضُوا فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا ضَلُّوا سَبِيلًا﴾

عَذَابِ آثَارِ ﴿١٨٩﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا﴾ في هذا الذكر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذكر في الصلاة، يصلي قائماً، فإن لم يستطع، فقاعداً، فإن لم يستطع، فعلى جنب<sup>(٣)</sup>، هذا قول علي، وابن مسعود، وابن عباس، وقتادة. والثاني: أنه الذكر في الصلاة وغيرها، وهو قول طائفة من المفسرين. والثالث: أنه الخوف، فالمعنى: يخافون الله قياماً في تصرفهم، وقعوداً في دعوتهم، وعلى جنوبهم في منامهم.

قوله تعالى: ﴿وَرَضُوا فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال ابن فارس: التفكير: تردد القلب في الشيء. قال ابن عباس: رعتان مقتصدتان في تفكير، خير من قيام ليلة، والقلب ساه.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا﴾ قال الزجاج: معناه: يقولون: ربنا ﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾، أي: خلقتة دليلاً عليك، وعلى صدق ما أتت به أنبياءك. ومعنى ﴿سُبْحَانَكَ﴾: براءة لك من السوء، وتنزيهاً لك أن تكون خلقتهم باطلاً، ﴿فَقِنَا عَذَابَ آثَارِ﴾، فقد صدقنا أن لك جنة ونارا.

(١) ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر (آل عمران) إذا قام الليل لتعجده، فروى البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه عن ابن عباس، قال: بت عند خالتي ميمونة، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة، ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد، فنظر إلى السماء، فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَتُوبِ آلِ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّلُ الْآيَاتِ﴾ ثم قام فتوضأ واستن، فصلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن ببلان فصلى ركعتين، ثم خرج فصلى بالناس الصبح.

(٢) أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، ورجاله ثقات إلا الحماني فإنه تكلم فيه. قال الحافظ: وقد خالفه الحسن بن موسى، فرواه عن يعقوب بن جعفر عن سعيد مرسلاً وهو أشبه، وعلى تقدير كونه مضبوطاً وصله، ففيه إشكال من جهة أن هذه السورة مدنية، وقريش من أهل مكة، ويحتمل أن يكون سؤالهم لذلك بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ولا سيما في زمن الهدنة.

(٣) جاء في «صحيح البخاري» عن عمران بن حصين: أن رسول الله ﷺ قال: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب».

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (١٩٢)

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾ قال الزجاج: المخزى في اللغة: المذل المحقور بأمرٍ قد لزمه، ويحجة. يقال: أخزيت، أي: ألزمت حجةً أدلته معها. وفيمن يتعلق به هذا الخزي قولان: أحدهما: أنه يتعلق بمن يدخلها مخلداً، قاله أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، وقادة، وابن جريج، ومقاتل. والثاني: أنه يتعلق بكل داخل إليها، وهذا المعنى مروى عن جابر بن عبد الله، واختاره ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ قال ابن عباس: وما للمشركين من مانع يمنعهم عذاب الله تعالى.

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (١٩٣)

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ في المنادي قولان: أحدهما: أنه النبي ﷺ، قاله ابن عباس، وابن جريج، وابن زيد، ومقاتل. والثاني: أنه القرآن، قاله محمد بن كعب القرظي، واختاره ابن جرير الطبري.

قوله تعالى: ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: ينادي إلى الإيمان، ومثله: ﴿الَّذِي هَدَيْتَنَا لِهَذَا﴾ (الأعراف: ٤٣)، ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ (الزلزلة: ٥)، [يريد: هدانا إلى هذا، وأوحى إليها] قاله الفراء. والثاني: بأنه مقدم ومؤخر، والمعنى: سمعنا منادياً للإيمان ينادي، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ قال مقاتل: امح عنا خطايانا. وقال غيره: غطها عنا، وقيل: إنما جمع بين غفران الذنوب، وتكفير السيئات، لأن الغفران بمجرد الفضل، والتكفير بفعل الخير ﴿وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي «الأبرار» والأشعار وذات قرار، وما كان مثله بين الفتح والكسر، وقرأ ابن كثير، وعاصم بالفتح: ومعنى: ﴿مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ فيهم، قال ابن عباس: وهم الأنبياء والصالحون.

﴿رَبَّنَا وَهَلَاكُنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا نَحْزَنُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (١٩٤)

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَهَلَاكُنَا مَا وَعَدْتَنَا﴾ قال ابن عباس: يعنون: الجنة ﴿عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ أي: على ألسنتهم. فإن قيل: ما وجه هذه المسألة والله لا يخلف الميعاد؟ فنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه خرج مخرج المسألة، ومعناه الخبر، تقديره: فآمننا، فاغفر لنا لتوطيننا ما وعدتنا. والثاني: أنه سؤال له، أن يجعلهم ممن آتاه ما وعده، لا أنهم استحقوا ذلك، إذ لو كانوا قد قطعوا أنهم من الأبرار، لكانت تركية لأنفسهم. والثالث: أنه سؤال لتعجيل ما وعدهم من النصر على الأعداء، لأنه وعدهم نصراً غير مؤقت، فرغبوا في تعجيله، ذكر هذه الأجوبة ابن جرير، وقال: أولى الأقوال بالصواب، أن هذه صفة المهاجرين، رغبوا في تعجيل النصر على أعدائهم. فكأنهم قال: لا صبر لنا على حلمك عن الأعداء، فعجل خزيهم، وظفرنا بهم.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عِبِلٍ وَبَيْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ﴾ (١٩٥)

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ روي عن أم سلمة قالت: يا رسول الله، لا أسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء؟ فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، واستجاب: بمعنى أجاب. والمعنى: أجابهم بأن قال لهم: إنني لا أضيع عمل عامل منكم، ذكراً كان أو أنثى. وفي معنى قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: بعضكم من بعض في الدين، والثمرة والموالة. والثاني: حكم جميعكم في الثواب واحد، لأن الذكور من الإناث، والإناث من الذكور. والثالث: كلكم من آدم وحواء.

قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ أي: تركوا الأوطان والأهل والعشائر ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ﴾ يعني: المؤمنين الذين

(١) رواه ابن جرير الطبري ١٩٥/٧، والحاكم في «المستدرک» ٣٠٠/٢، وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.



أخرجوا من مكة بأذى المشركين، فهاجروا، ﴿وَقَاتِلُوا﴾ المشركين ﴿وَقَاتِلُوا﴾. قرأ ابن كثير، وابن عامر: «وقاتلوا وقتلوا» مشددة التاء. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وعاصم: ﴿وَقَاتِلُوا وَقَاتِلُوا﴾ خفيفة. وقرأ حمزة، والكسائي: «وقتلوا وقتلوا». قال أبو علي: تقديم «قتلوا» جائر، لأن المعطوف بالواو يجوز أن يكون أولاً في المعنى، مؤخراً في اللفظ.

قوله تعالى: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: هو مصدر مؤكد لما قبله، لأن معنى ﴿وَلَا تُدْخِلْنَهُمْ جَنَّاتٍ﴾: لا يثبتهم<sup>(١)</sup>.

﴿لَا يَزِيدُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْيَلْدِ﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَتَسَّ إِلَهُادٌ ﴿١٩٧﴾ قوله تعالى: ﴿لَا يَزِيدُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْيَلْدِ﴾ ﴿١٩٧﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في اليهود، ثم في ذلك قولان: أحدهما: أن اليهود كانوا يضربون في الأرض، فيصيبون الأموال، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أن النبي ﷺ، أراد أن يستسلم من بعضهم شعيراً، فأبى إلا على رهن، فقال النبي ﷺ: «لو أعطاني لأوفيته، إني لأمين في السماء أمين في الأرض». فنزلت، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والقول الثاني: أنها نزلت في مشركي العرب كانوا في رخاء، فقال بعض المؤمنين: قد أهلكنا الجهد، وأعداء الله فيما ترون، فنزلت هذه الآية، هذا قول مقاتل. قال قتادة: الخطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره. وقال غيره: إنما خاطبه تأديباً وتحذيراً، وإن كان لا يغتر. وفي معنى «تقلبهم» ثلاثة أقوال: أحدها: تصرفهم في التجارات، قاله ابن عباس، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: تقلب ليلهم ونهارهم، وما يجري عليهم من النعم، قاله عكرمة، ومقاتل. والثالث: تقلبهم غير مأخوذ من بذونهم، ذكره بعض المفسرين. قال الزجاج: ذلك الكسب والربح متاع قليل. وقال ابن عباس: متعة يسيرة في الدنيا. والمهاد: الفراش.

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَنَّتٌ تَحْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِيكَ فِيهَا تَزُولُ مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآزِفَارِ﴾ ﴿١٩٨﴾ قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ قرأ أبو جعفر: «لكن» بالشديد ها هنا، وفي (الزمر) قال مقاتل: وحدوا. قال ابن عباس: «الزل» الثواب. قال ابن فارس: الزل: ما يهيا للتريل، والنزول: الضيف.

﴿وَلِإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعُونَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَاثَتِ اللَّهِ شَيْئاً قَلِيلاً أَوْ كَثِيراً لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿١٩٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في النجاشي، لأنه لما مات صلى عليه النبي ﷺ، فقال قائل: يصلي على هذا العلج النصراني، وهو في أرضه؟! فنزلت هذه الآية، هذا قول جابر بن عبد الله<sup>(٢)</sup>، وابن عباس، وأنس. وقال الحسن، وقاتادة: فيه وفي أصحابه. والثاني: أنها نزلت في مؤمني أهل الكتاب من اليهود والنصارى، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد.

(١) روى ابن جرير ٤٩١/٧ بإسناده صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ثلثة تدخل الجنة لفرقاء المهاجرين الذين تقى بهم المكارة، إذا أمروا سمعوا وأطاعوا، وإن كان لرجل منهم حلة إلى السلطان، لم تقض حتى يموت وهي في صدره، وإن الله يدهو يوم القيامة الجنة فتأتي برزخها وزينتها يقول: أي عبادي الذين قاتلوا في سبيلي، وقتلوا، وأوفوا في سبيلي، وجاهدوا في سبيلي، ادخلوا الجنة، فدخلوها بغير عذاب ولا حساب، وتأتي الملائكة، فيسجدون ويقولون: ربنا نحن نسبح الليل والنهار، ونقدس لك، من هؤلاء الذين أكرمتهم علينا؟ يقول الرب جل ثناؤه: هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي، وأوفوا في سبيلي، فتدخل الملائكة عليهم من كل باب ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِنَا سَبِّحْ قَسَمَ عَفَى أَكْرَمَ﴾ [الرعد: ٢٤]. ورواه الحاكم في «المستدرک» ٧١/٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ورواه أحمد ١٠٣، ١٠٥، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢٥٩/١٠ من روايته «المستند». وذكر في الأولى أنه رواه أيضاً البزار، والطبراني، ورجالهم ثقات، وذكر في الثانية أنه رواه أيضاً الطبراني، ورجاله الطبراني رجال الصحيح، غير أبي عثانة، وهو ثقة.

(٢) رواه ابن جرير ٤٩٧/٧ وإسناده ضعيف، وروى ابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن أنس بن مالك، قال: لما توفي النجاشي قال رسول الله ﷺ: «استغفروا لأخيكم». فقال بعض الناس: يا مرنأ أن نستغفر لمجع مات بأرض الحبشة؟! فنزلت: ﴿وَلِإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعُونَ لِلَّهِ﴾ الآية... وروى البزار، والطبراني في «الأوسط» ورجال الطبراني ثقات كما قال الهيثمي ٣٨/٣: أن النبي ﷺ صلى على النجاشي حين نمي، فقيل: يا رسول الله، تصلي على عبد حبشي؟! فأنزله الله ﷻ: ﴿وَلِإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ الآية. وصلاة النبي ﷺ على النجاشي صلاة الجنائز الغائبة، ثابتة صحيحة، رواها الشيخان من حديث جابر، ومن حديث أبي هريرة.

والثالث: في عبد الله بن سلام، وأصحابه، قاله ابن جريج، وابن زيد، ومقاتل. والرابع: في أربعين من أهل نجران، وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى، فأمنوا بالنبي ﷺ، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ يعني: القرآن، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ يعني: كتابهم. والخاشع: الذليل. ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ يعني: الله شُكْرًا قَلِيلًا. أي: عرضاً من الدنيا كما فعل رؤساء اليهود، وقد سلف بيان سرعة الحساب.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا﴾ قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: نزلت في انتظار الصلاة بعد الصلاة<sup>(١)</sup>، وليس يومئذ غزوٌ يربط. وفي الذي أمروا بالصبر عليه خمسة أقوال: أحدها: البلاء والجهاد، قاله ابن عباس. الثاني: الدين، قاله الحسن، والقرظي، والزجاج. والثالث: المصائب، روي عن الحسن أيضاً. والرابع: الفرائض، قاله سعيد بن جبيرة. والخامس: طاعة الله، قاله قتادة. وفي الذي أمروا بمصابرته قولان: أحدهما: العدو، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: الوعد الذي وعدهم الله، قاله عطاء، والقرظي. وفيما أمروا بالمرابطة عليه قولان: أحدهما: الجهاد للأعداء، قاله ابن عباس، والحسن، وقاتدة في آخرين. قال ابن قتبية: وأصل المرابطة والرباط<sup>(٢)</sup>: أن يربط هؤلاء خيولهم، وهؤلاء خيولهم في الثغر، كلُّ يُعَدُّ لصاحبه. والثاني: أنه الصلاة، أمروا بالمرابطة عليها، قاله أبو سلمة بن عبد الرحمن، وقد ذكرنا في (البقرة) معنى «لعل»، ومعنى «الفلاح».



(١) روى مسلم ٢/١٩٩، والنسائي ٨٩/١ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بما يمحوا الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط».

(٢) وردت أحاديث صحيحة عن الرسول ﷺ في فضل المرابطة، وحفظ ثغور المسلمين، وصيانة البلاد الإسلامية من دخول الكفار إليها، فروى البخاري ٦٣/٦ عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها». روى مسلم ٣/١٥٢٠ عن سلمان الفارسي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتنة». روى الإمام أحمد ٦/٢٠ عن فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ قال: «كل ميت يهتم على عمله إلا الذي مات مربطاً في سبيل الله، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر» ورواه أبو داود ١٤/٣، والترمذي ١٩٥/١، وقال الترمذي: حسن صحيح.

## ٤ - سورة النساء

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ مِنْ بَيْنِهَا زَوْجَهَا وَكَانَ بَيْنَهُمَا رَحِمًا كَثِيرًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَبًّا ۝١﴾

اختلفوا في نزولها على قولين: أحدهما: أنها مكِّيَّة، رواه عطية عن ابن عباس، وهو قول الحسن، ومجاهد، وجابر بن زيد، وقتادة. والثاني: أنها مدنيَّة، رواه عطاء عن ابن عباس، وهو قول مقاتل. وقيل: إنها مدنيَّة، إلا آية نزلت بمكة في عثمان بن طلحة حين أراد النبي ﷺ أن يأخذ منه مفاتيح الكعبة، فسلمها إلى العباس، وهي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى الطاعة، قاله ابن عباس. والثاني: بمعنى الخشية. قاله مقاتل. والنفس الواحدة: آدم، وزوجها حواء «وَمِنْ» في قوله: ﴿وَتَقَرَّبَ مِنْهَا﴾ للتبعية في قول الجمهور. وقال ابن بحر: منها، أي: من جنسها<sup>(١)</sup>. واختلفوا أي وقت خلقت له، على قولين: أحدهما: أنها خلقت بعد دخوله الجنة، قاله ابن مسعود، وابن عباس. والثاني: قبل دخوله الجنة، قاله كعب الأحبار، وهب، وابن إسحاق. قال ابن عباس: لما خلق الله آدم، ألقى عليه النوم، فخلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى<sup>(٢)</sup>، فلم تؤذ بشيء، ولو وجد الأذى ما عطف عليها أبداً، فلما استيقظ؛ قيل: يا آدم ما هذه؟ قال: حواء.

قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَ يَتِيمَا﴾ قال الفراء: بئ: نشر، ومن العرب من يقول: أبث الله الخلق، ويقولون: بشتك ما في نفسي، وأبشتك.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والبرجمي، عن أبي بكر، عن عاصم. واليزيدي، وشجاع، والجعفي، وعبد الوارث، عن أبي عمرو: «تساءلون» بالتشديد. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي، وكثير من أصحاب أبي عمرو عنه بالتخفيف.

قال الزجاج: الأصل: تساءلون، فمن قرأ بالتشديد. أدغم التاء في السين، لقرب مكان هذه من هذه، ومن قرأ بالتخفيف، حذف التاء الثانية لاجتماع التائين. وفي معنى «تَسَاءَلُونَ بِهِ» ثلاثة أقوال: أحدها: تتعاطفون به، قاله ابن عباس. والثاني: تتعاهدون، وتتعاقدون به. قاله الضحاك، والربيع. والثالث: تطلبون حقوقكم به، قاله الزجاج. فأما قوله: «وَالْأَرْحَامَ» فالجمهور على نصب الميم على معنى: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وفسرها على هذا ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والسُّدي، وابن زيد. وقرأ الحسن، وقتادة، والأعمش، وحزمة بخفض الميم على معنى: تساءلون به وبالأرحام، وفسرها على هذا الحسن، وعطاء، والنخعي. وقال الزجاج: الخفض في «الأرحام» خطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطراب الشعر، وخطأ في الدين، لأن النبي ﷺ قال: «لا تحلفوا بأبائكم»<sup>(٣)</sup>، وذهب إلى نحو هذا الفراء،

(١) في «البحر المحيط» ١٥٤/٣: وقيل: هو على حذف مضاف، التقدير: وخلق من جنسها زوجها، قاله ابن بحر، وأبو مسلم، لقوله تعالى: ﴿بَيْنَ أَفْئِكَ زَوْجَهَا﴾ و«زَوْجًا يَتِيمًا».

(٢) روى البيهقي ٢٦١/٦ ومسلم ١٠٩١/٢ عن أبي هريرة ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أوج شيء في الضلع أهله، فإن فُتحت ففُتحت كسرته، وإن تركته لم يزل أوج، فاستوصوا بالنساء» هذا لفظ البيهقي.

قال النووي في «شرح مسلم» ٥٧/١٠: وفيه دليل لما يقرره الفقهاء أو بعضهم أن حواء خلقت من ضلع آدم.

(٣) روى الإمام مسلم ١٢٦٧/٣ عن عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله»، وكانت قريش تحلف بأبائهم، فقال: «لا تحلفوا بأبائكم» وروى أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحلفوا بالطواغي ولا بأبائكم» والطواغي: الأصنام، واحداثها: طاغية. وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من حلف بغير الله فقد أشرك» وفي رواية «لمقد كفر» =

وقال ابن الأنباري: إنما أراد حمزة الخبر عن الأمر القديم الذي جرت عادتهم به، فالمعنى: الذي كنتم تسألون به وبالأرحام في الجاهلية. قال أبو علي: من جر، عطف على الضمير المجرور بالباء، وهو ضعيف في القياس، قليل في الاستعمال، فترك الأخذ به أحسن<sup>(١)</sup>. فأما الرقيب، فقال ابن عباس، ومجاهد: الرقيب: الحافظ. وقال الخطابي: هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، وهو في نعوت الآدميين الموكل بحفظ الشيء، المترصد له، المتحرز عن الغفلة فيه، يقال منه: رَقِبْتُ الشيء أَرْقِبُهُ رَقِيبَةً<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَتُوا النَّسَاءَ أَمْوَالَهُنَّ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْكَيْفَ بِأَلْفَيْهِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِنْ أَمْرُكُمْ إِلَهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النَّسَاءَ أَمْوَالَهُنَّ﴾ سبب نزولها: أن رجلاً من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ، طلب ماله فمنعه، فخاصمه إلى النبي ﷺ فنزلت، قاله سعيد بن جبير<sup>(٣)</sup>. والخطاب بقوله: «وَأَتُوا» للأولياء والأوصياء. قال الزجاج: وإنما سماها يتامى بعد البلوغ، بالاسم الذي كان لهم، وقد كان يقال للنبي ﷺ: يتيم أبي طالب. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْكَيْفَ بِأَلْفَيْهِ﴾ قرأ ابن محيصن: «تبدلوا» بقاء واحدة. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أنه إبدال حقيقة، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه أخذ الجيد، وإعطاء الرديء مكانه، قاله سعيد بن المسيب، والضحاك، والنخعي، والزهري، والسدي قال السدي: كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم، ويجعل مكانها المهزولة، ويأخذ الدراهم الجياد، ويطرح مكانها الزيوف. والثاني: أنه الريح على اليتيم، واليتيم غر لا علم له، قاله عطاء. والقول الثاني: أنه ليس بإبدال حقيقة، وإنما هو أخذه مستهلكاً، ثم فيه قولان: أحدهما: أنهم كانوا لا يورثون النساء والصغار، وإنما يأخذ الميراث الأكابر من الرجال، فنصيب الرجل من الميراث طيب، وبما أخذه من حق اليتيم خبيث، هذا قول ابن زيد. والثاني: أنه أكل مال اليتيم بدلاً من أكل أموالهم، قاله الزجاج. «وإلى» بمعنى «مع» والحبوب: الإثم. وقرأ الحسن، وقتادة، والنخعي بفتح الحاء. قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: حُوب بالضم، وتميم يقولونه بالفتح. قال ابن الأنباري: وقال الفراء: المضموم الاسم، والمفتوح المصدر. قال ابن قتيبة: وفيه ثلاث لغات: حُوب، وحُوب، وحَاب.

﴿وَأَنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِسُوا مَا عَالَبَ لَكُمْ مِنَ الْيَسَّارَةِ شَيْئًا وَتِلْكَ وَرِثَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ اختلفوا في تنزيلها وتأويلها على ستة أقوال: أحدها: أن القوم كانوا يتزوجون عدداً كثيراً من النساء في الجاهلية، ولا يتحرجون من ترك العدل بينهن، وكانوا يتحرجون في شأن اليتامى، فقبل لهم بهذه الآية: احذروا من ترك العدل بين النساء، كما تحذرون من تركه في اليتامى، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس، وسعيد بن جبير<sup>(٤)</sup> والضحاك، وقتادة، والسدي، ومقاتل. والثاني: أن أولياء اليتامى كانوا يتزوجون النساء

= رواه أحمد، والترمذي وقال: حديث حسن، والحاكم وصححه، وأثره الذهبي.

(١) قال ابن عطية: وهذه القراءة عند رؤساء نحويي البصرة لا تجوز، لأنه لا يجوز عندهم أن يعطف ظاهر على مضمير مخفوض. وانظر «الطبري» ١٩٩/٧ و«القرطبي» ٢/٥ و«البحر المحيط» ١٥٧/٣.

(٢) قال ابن كثير في «التفسير» ٤٤٨/١: وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَبًّا﴾ أي: هو مراقب لجميع أحوالكم وأعمالكم، كما قال: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ وفي الحديث الصحيح: «أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وهذا إرشاد وأمر بمراقبة الرقيب، ولهذا ذكر تعالى: أن أصل الخلق من أب واحد وأم واحدة، ليعطف بعضهم على بعض، ويحتشم على ضعفائهم. وقد ثبت في «صحيح مسلم» ٧٠٤/٢ من حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، فجاء قوم حفاة عراة مجتاهي النمار أو العباء. متقلدي السيوف، حامت من مضر، بل كلهم من مضر، فتمهر وجه رسول الله ﷺ، لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنُفُسٍ﴾ [النساء: ١] إلى آخر الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَبًّا﴾. والآية التي في الحشر: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكَفَتْكُمْ نَفْسًا قَدْ تَوَلَّى بَعْضًا مِنْ أَمْرِكُمْ﴾ [الحشر: ١٨] تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو يشق تمره. قال: فجاء رجل من الأنصار بعصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد صجرت. قال: ثم تابع الناس حتى رأيت كمين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذقية. ورواه الإمام أحمد وأصحاب «السنن».

(٣) قال السيوطي في «الدر المنثور» ١١٧/٢: أخرجه ابن أبي حاتم.

(٤) رواه بمعناه عن سعيد بن جبير الطبري ٥٣٦/٧ وإسناده صحيح، ونسبه السيوطي في «الدر» ١١٨/٢ إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

بأموال اليتامى، فلما كثر النساء، مالوا على أموال اليتامى، فَقَصَّروا على الأربع حفظاً لأموال اليتامى. وهذا المعنى مروى عن ابن عباس أيضاً، وعكرمة<sup>(١)</sup>. والثالث: أن معناها: وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا في صدقات اليتامى إذا نكحتموهن، فانكحوا سواهن من الغرائب اللواتي أحلَّ الله لكم، وهذا المعنى مروى عن عائشة<sup>(٢)</sup>. والرابع: أن معناها: وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا في نكاحهن، وحذرتن سوء الصحبة لهن، وقلة الرغبة فيهن، فانكحوا غيرهن، وهذا المعنى مروى عن عائشة أيضاً، والحسن. والخامس: أنهم كانوا يتحرَّجون من ولاية اليتامى، فأمروا بالتحرَّج من الزنى أيضاً، ونُذِّبوا إلى النكاح الحلال، وهذا المعنى مروى عن مجاهد. والسادس: أنهم تحرَّجوا من نكاح اليتامى، كما تحرَّجوا من أموالهم، فرخص الله لهم بهذه الآية، وقصرهم على عددٍ يمكن العدل فيه، فكانه قال: وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا فيهن، فانكحوهن، ولا تزيدوا على أربع لتعدلوا، فإن خفتم أن لا تعدلوا فيهن، فواحدة، وهذا المعنى مروى عن الحسن. قال ابن قتيبة: ومعنى قوله: وإن خفتم، أي: [إِنْ] علمتم أنكم لا تعدلون [بين اليتامى] يقال: أقسط الرجل: إذا عدل [ومنه قول النبي ﷺ] «المقسطون في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة» [ويقال: قسط الرجل: إذا جار] ومنه قول الله: ﴿وَأَمَّا الْفَالِيطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾<sup>(٣)</sup> وفي معنى العدل في اليتامى قولان: أحدهما: في نكاح اليتامى، والثاني: في أموالهم.

قوله تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ أي: ما حل لكم. قال ابن جرير: وأراد بقوله: ﴿مَا طَابَ لَكُمْ﴾، الفعل دون أعيان النساء، ولذلك قال: «ما» ولم يقل: «من» واختلفوا: هل النكاح من اليتامى، أو من غيرهن؟ على قولين قد سبقا.

قوله تعالى: ﴿مَتَىٰ ذَٰلِكَ وَرَبِّكَ﴾. قال الزجاج: هو بدل من ﴿مَا طَابَ لَكُمْ﴾ ومعناه: اثنتين اثنتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً، وإنما خاطب الله العرب بأفصح اللغات، وليس في شأن البلغ أن يعبر في العدد عن التسعة باثنتين، وثلاث، وأربع، لأن التسعة قد وضعت لهذا العدد، فيكون عيًّا في الكلام. وقال ابن الأنباري: هذه الواو معناها التفرُّق، وليست جامعة، فالمعنى: فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى، وانكحوا ثلاث في غير الحال الأولى، وانكحوا رباع في غير الحالين. وقال القاضي أبو يعلى: الواو هاهنا لإباحة أي الأعداد شاء، لا للجمع<sup>(٤)</sup>، وهذا العدد إنما هو للأحرار، لا للعبيد، وهو قول أبي حنيفة والشافعي. وقال مالك: هم كالأحرار. ويدل على قولنا: أنه قال: فانكحوا، فهذا منصرف إلى من يملك النكاح، والعبد لا يملك ذلك بنفسه، وقال في سياقها: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِّلُوا فَوَيْدٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، والعبد لا ملك له، فلا يباح له الجمع إلا بين اثنتين.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: علمتم، والثاني: خشيتم.

قوله تعالى: ﴿أَلَّا تُعَدِّلُوا﴾ قال القاضي أبو يعلى: أراد العدل في القسم بينهما.

(١) رواه ابن جرير ٥٣٥/٧ وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس. ورواه ابن جرير ٥٣٥/٧ عن عكرمة بمعناه. ولفظ الطبري: عن ابن عباس قال: قصر الرجال على أربع من أجل أموال اليتامى.

(٢) روى البخاري ١٧٩/٨ ومسلم ٢٣١٤/٤ عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِّلُوا فِي الْبَيْنِ﴾ فقالت: يا ابن أخي هذه البيعة تكون في حجر وليها، تشركه في ماله، ويعجبها ماله وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بنير أن يقسط في صداقتها، فيعطيه مثل ما يعطيها غيره، فتها عن ذلك إلا أن يقسطوا لهن، ويبلغوا لهن أعلى ستهن في الصداق، فأمرنا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن.

(٣) «غريب القرآن» ١١٩، وما بين معقنين منه. وحديث «المقسطون على منابر من لؤلؤ». رواه مسلم: ١٤٥٨/٣ ولفظه «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز جل - وكلنا بيديه يمين - الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا».

(٤) روى الإمام أحمد رقم (٤٦٠٩) عن مالك عن أبيه أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحت عشر نسوة، فقال له النبي ﷺ: «اختر منهن أربعة» ورواه الترمذي وصححه، وابن حبان، والحاكم، قال الحافظ ابن حجر: وأهله البخاري وأبو زرعة، وقال الحافظ ابن كثير في «الإرشاد»: رواه الإمام أبو هبة الله محمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، والترمذي، وابن ماجه، وهذا الإسناد رجاله على شرط الشيخين، إلا أن الترمذي يقول: سمعت البخاري يقول: هذا حديث غير محفوظ، والصحيح ما روى شعيب وغيره عن الزهري، قال: حدثت عن محمد بن شعيب الثقفي أن غيلان... فذكره، قال البخاري: وإنما حديث الزهري، عن سالم عن أبيه أن رجلاً من ثقيف طلق نساءه، فقال له عمر: تراجعتن نساءك... الحديث. قال ابن كثير: قلت: قد جمع الإمام أحمد في روايته لهذا الحديث بين هذين الحديثين بهذا السند، فليس ما ذكره البخاري قادحاً، وساق رواية النسائي برجال ثقات. «سبل السلام» ١٨٠/٢. انظر كلام الشيخ أحمد شاكر على هذا الحديث في «المستند»، فإنه قد فصل الكلام فيه.

قوله تعالى: ﴿فَوَاحِشَةً﴾ أي: فأنكحوا واحدة، وقرأ الحسن، والأعمش، وحميد: «فواحدة» بالرفع، المعنى، فواحدة تقنع.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يعني: السراي. قال ابن قتيبة: معنى الآية: فكما تخافون أن لا تعدلوا بين اليتامى إذا كفلتموهم، فحاقوا [أيضاً] أن لا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن، فقصّره على أربع، ليقدر على العدل، ثم قال: فإن خفتم أن لا تعدلوا بين هؤلاء الأربع، فأنكحوا واحدة، واقتصروا على ملك اليمين<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَذْنًا﴾ أي: أقرب. وفي معنى «تعولوا» ثلاثة أقوال: أحدها: تميلوا، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، وإبراهيم، وقتادة، والسدي، ومقاتل، والفراء. وقال أبو مالك، وأبو عبيد: تجوروا. قال ابن قتيبة، والزجاج: تجوروا وتميلوا بمعنى واحد. واحتكم رجلان من العرب إلى رجل، فحكم لأحدهما، فقال المحكوم عليه: إنك والله تعول علي، أي: تميل وتجور. والثاني: تضلوا، قاله مجاهد، والثالث: تكثر عيالكم، قال ابن زيد، ورواه أبو سليمان الدمشقي في «تفسيره» عن الشافعي، وردّه الزجاج، فقال: جميع أهل اللغة يقولون: هذا القول خطأ، لأن الواحدة يعولها، وإباحة ملك اليمين أزيد في العيال من أربع<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَتَهُنَّ عِلَّةً فَإِنْ طَلَّقَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ وَتَهُ قَسًا فَكُلُّهُ حَرَامٌ فَتَبَا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَتَهُنَّ عِلَّةً﴾ اختلفوا فيمن خوطب بهذا على قولين: أحدهما: أنهم الأزواج، وهو قول الجمهور، واحتجوا بأن الخطاب للناكحين قد تقدم، وهذا معطوف عليه، وقال مقاتل: كان الرجل يتزوج بلا مهر، فيقول: أرثك وترثيني، فتقول المرأة: نعم، فنزلت هذه الآية. والثاني: أنه متوجه إلى الأولياء<sup>(٣)</sup> ثم فيه قولان: أحدهما: أن الرجل كان إذا زوّج أئمة جاز صداقها دونها، فهذه الآية، هذا قول أبي صالح، واختاره الفراء، وابن قتيبة. والثاني: أن الرجل كان يعطي الرجل أخته ويأخذ أخته مكانها من غير مهر، فهذه الآية، رواه أبو سليمان التيمي عن بعض أشياخه. قال ابن قتيبة: والصدقات: المهر، واحدها: صدقة. وفي قوله «نحلة» أربعة أقوال: أحدها: أنها بمعنى الفريضة، قاله ابن عباس، وقتادة، وابن جريج، وابن زيد، ومقاتل. والثاني: أنها الهبة والعطية، قاله الفراء. قال ابن الأباري: كانت العرب في الجاهلية لا تعطي النساء شيئاً من مهرهن، فلما فرض الله لهن المهر، كان نحلة من الله، أي: هبة للنساء، فرضاً على الرجال. وقال الزجاج: هو هبة من الله للنساء. قال القاضي أبو يعلى: وقيل: إنما سمي المهر: نحلة، لأن الزوج لا يملك بدله شيئاً، لأن البضع بعد النكاح في ملك المرأة، ألا ترى أنها لو وطئت بشبهة، كان المهر لها دون الزوج، وإنما الذي يستحقه الزوج الاستباحة، لا الملك. والثالث: أنها العطية بطيب نفس، فكانه قال: لا تعطوهن مهرهن وأنتم كارهون، قاله أبو عبيدة. والرابع: أن معنى «النحلة»: الديانة، فتقديره: وآتوهن صدقاتهن ديانة، يقال: فلان يتحل كذا، أي: يدين به، ذكره الزجاج عن بعض العلماء.

(١) نص كلام ابن قتيبة في «المشكل» ٥١: والمعنى أن الله تعالى قصر الرجال على أربع نسوة. وحرم عليهم أن ينكحوا أكثر منهن، لأنه لو أباح لهم أن ينكحوا من الحرائر ما أباح من ملك اليمين لم يستطعوا العدل عليهن بالنسوة يتهن، فقال لنا: فكما تخافون ألا تعدلوا بين اليتامى إذا كفلتموهم، فحاقوا أيضاً ألا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن، فأنكحوا اثنتين وثلاثاً وأربعاً، ولا تتجاوزوا ذلك فتعجزوا عن العدل.

(٢) قال ابن كثير ٤٥١/١: وقوله ﴿وَاللَّهُ أَذْنًا أَلَّا تَرْوُوا﴾ قال بعضهم: ذلك أدنى ألا تكثر عيالكم، قاله زيد بن أسلم، وسفيان بن عيينة، والشافعي، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جُفِرَتْ شِحْرَةٌ﴾ أي: فقرأ ﴿فَسَوْفَ يَنْتَكِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ كُنْتُمْ﴾ وقال الشاعر:

فما يدري الفقير متى غناه وما يدري السفياني متى يبس يبعيل

وتقول العرب: عال الرجل يعيل عيلة. إذا افتقر، ولكن في هذا التفسير هاهنا نظر، فإنه كما يخشى كثرة العالة من تعداد الحرائر، كذلك يخشى من تعداد السراي أيضاً، والصحيح قول الجمهور ﴿وَاللَّهُ أَذْنًا أَلَّا تَرْوُوا﴾ أي: لا تجوروا، يقال: عال في الحكم: إذا قسط وظلم وجار.

(٣) اختار ابن جرير ٥٥٤/٧ أن الخطاب للأزواج، قال: لأن الله تعالى ابتدأ ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين النساء، ونهاهم عن ظلمهن والجرور عليهن، وعرفهم سبيل النجاة من ظلمهن. ولا دلالة في الآية على أن الخطاب قد صرف عنهم إلى غيرهم، فإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أن الذين قيل لهم ﴿فَأَنْكِحُوا مَا كَانَتْ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ شَقِّ وَلَدُكَ رَجُلًا﴾ هم الذين قيل لهم: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَتَهُنَّ﴾ وأن معناه: وآتوا من نكحت من النساء صدقاتهن نحلة، لأنه قال في أول الآية: فأنكحوا ما طاب لكم من النساء، ولم يقل: ﴿فَأَنْكِحُوا﴾ فيكون قوله: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَتَهُنَّ﴾ مصروحاً إلى أنه مثنى به أولياء النساء دون أزواجهن.

قوله تعالى: ﴿إِنْ طَلَّقَ لَكُمْ﴾ يعني النساء المنكوحات. وفي «لكم» قولان: أحدهما: أنه يعني الأزواج. والثاني: الأولياء. و«الهاء» في «منه» كناية عن الصداق، قال الزجاج: و«منه» هاهنا للجنس، كقوله: ﴿فَأَجْكِبُوا الرِّشَ مِنْ الْأَوْتَنِ﴾ [الحج: ٣٠] معناه: فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن، فكانه قال: كلوا الشيء الذي هو مهر، فيجوز أن يسأل الرجل المهر كله. و«نفساً»: منصوب على التمييز. فالمعنى: فإن طابت أنفسهن لكم بذلك، فكلوه هنياً مريئاً. وفي الهني ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما تؤمن عاقبته. والثاني: ما أعقب نفعاً وشفاء. والثالث: أنه الذي لا ينقضه شيء. وأما «المريء» فيقال: مريء الطعام: إذا انهضم، وحمدت عاقبته.

﴿وَلَا تُؤْثِرُوا السَّهْمَةَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْثِرُوا السَّهْمَةَ أَمْوَالَكُمْ﴾ المراد بالسفهاء خمسة أقوال: أحدها: أنهم النساء، قاله ابن عمر. والثاني: النساء والصبيان، قاله سعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، ومقاتل، والفراء، وابن قتيبة. وعن الحسن ومجاهد كالقولين. والثالث: الأولاد، قاله أبو مالك. وهذه الأقوال الثلاثة مروية عن ابن عباس، وروي عن الحسن، قال: هم الأولاد الصغار. والرابع: اليتامى، قاله عكرمة، وسعيد بن جبير في رواية. قال الزجاج: ومعنى الآية: ولا تؤثروا السفهاء أموالهم، بدليل قوله: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ وإنما قال: «أموالكم» ذكرًا للجنس الذي جعله الله أموالاً للناس. وقال غيره: أضافها إلى الولاة، لأنهم قوامها. والخامس: أن القول على إطلاقه، والمراد به كل سفيه يستحق الحجر عليه، ذكره ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي، وغيرهما، وهو ظاهر الآية<sup>(١)</sup>. وفي قوله: ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه أموال اليتامى. والثاني: أموال السفهاء.

قوله تعالى: ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ قرأ الحسن: «اللاتي جعل الله لكم قواماً». وقرأ ابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو عمرو: «قياماً» بالياء مع الألف هاهنا، وقرأ نافع، وابن عامر: «قِيَمًا» بغير ألف. قال ابن قتيبة: قياماً وقواماً بمنزلة واحدة، تقول: هذا قوام أمرك وقيامه، أي: ما يقوم به [أمرك]. وذكر أبو علي الفارسي أن «قواماً» و«قياماً» و«قِيَمًا»، بمعنى القوام الذي يقيم الشأن، قال: وليس قول من قال: «القيم» هاهنا: جمع «قيمة» بشيء.

قوله تعالى: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي: منها. وفي «القول المعروف» ثلاثة أقوال: أحدها: العدة الحسنة، قاله ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، ومقاتل. والثاني: الرزء الجميل، قاله الضحاك. والثالث: الدعاء، كقولك: عافاك الله، قاله ابن زيد.

﴿وَابْتَغُوا الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعِفٍّ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيبًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا الْيَتَامَى﴾ سبب نزولها أن رجلاً، يقال له: رفاعه، مات وترك ولداً صغيراً، يقال له: ثابت، فوليه عمه، فجاء إلى النبي ﷺ، فقال: إن ابن أخي يتيم في حجري، فما يحل لي من ماله؟ ومتى أدفع إليه ماله؟ فنزلت هذه الآية، ذكر نحوه مقاتل<sup>(٢)</sup>. والابتلاء: الاختبار. وبماذا يختبرون؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم يختبرون في عقولهم، قاله ابن عباس، والسدي، وسفيان، ومقاتل. والثاني: يختبرون في عقولهم ودينهم، قاله الحسن، وقتادة. وعن مجاهد كالقولين. والثالث: في عقولهم ودينهم، وحفظهم أموالهم، ذكره الثعلبي. قال القاضي أبو يعلى: وهذا الابتلاء قبل البلوغ.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: بلغوا أن ينكحوا النساء ﴿إِنْ آنَسْتُمْ﴾ أي: علمتم،

(١) قال ابن كثير: ٤٥٢/١: ينهى سبحانه وتعالى عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياماً، أي: تقوم بها معاشهم من التجارات وغيرها، ومن هاهنا يؤخذ الحجر على السفهاء، وهم أقسام؛ فتارة يكون الحجر للصغير، فإن الصغير سلب العبارة، وتارة يكون الحجر للجنون، وتارة لسوء التصرف، لنقص العقل أو الدين، وتارة للفلس، وهو إذا ما أحاطت الديون برجل، وضاق ماله عن وفاتها، فإذا سأل الغرماء الحاكم الحجر عليه حجر عليه.

(٢) ذكره الواحدي ص ٨٢ بدون سند.

وتبيّنتم. وأصل: أنست: أبصرت. وفي الرشد أربعة أقوال: أحدها: الصلاح في الدين، وحفظ المال، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: الصلاح في العقل، وحفظ المال، روي عن ابن عباس والسدي. والثالث: أنه العقل، قاله مجاهد، والنخعي. والرابع: العقل والصلاح في الدين، روي عن السدي.

### فصل

واعلم أن الله تعالى علّق رفع الحجر عن اليتامى بأمرين؛ بالبلوغ والرشد، وأمر الأولياء باختيارهم، فإذا استبانوا رشدهم، وجب عليهم تسليم أموالهم إليهم. والبلوغ يكون بأحد خمسة أشياء، ثلاثة يشترك فيها الرجال والنساء؛ الاحتلام<sup>(١)</sup>، واستكمال خمس عشرة سنة<sup>(٢)</sup>، والإنابات<sup>(٣)</sup>، وشيئان يختصان بالنساء: الحيض والحمل<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِسْرَافًا﴾ خطاب للأولياء، قال ابن عباس: لا تأكلوها بغير حق. و«بداراً»: يُبادرون أكل المال قبل بلوغ الصبي ﴿وَمَنْ كَانَ عَيْكًا فَلْيُتَّقِفْ﴾ بماله عن مال اليتيم. وفي الأكل بالمعروف أربعة أقوال: أحدها: أنه الأخذ على وجه القرض، وهذا مروي عن عمر، وابن عباس، وابن جبير، وأبي العالية، وعبيدة، وأبي وائل، ومجاهد، ومقاتل. والثاني: الأكل بمقدار الحاجة من غير إسراف، وهذا مروي عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وعطاء، والنخعي، وقتادة، والسدي. والثالث: أنه الأخذ بقدر الأجرة إذا عمل لليتيم عملاً، روي عن ابن عباس، وعائشة<sup>(٥)</sup>، وهي رواية أبي طالب، وابن منصور، عن أحمد رحمهم الله. والرابع: أنه الأخذ عند الضرورة، فإن أيسر قضاءه، وإن لم يوسر، فهو في حل، وهذا قول الشعبي.

### فصل

واختلف العلماء هل هذه الآية محكمة أو منسوخة؟ على قولين. أحدهما محكمة، وهو قول عمر، وابن عباس، والحسن، والشعبي، وأبي العالية، ومجاهد، وابن جبير، والنخعي، وقتادة في آخرين. وحكمها عندهم أن الغني ليس له أن يأكل من مال اليتيم شيئاً، فأما الفقير الذي لا يجد ما يكفيه، وتشغله رعاية مال اليتيم عن تحصيل الكفاية، فله أن يأخذ قدر كفايته بالمعروف من غير إسراف. وهل عليه الضمان إذا أيسر؟ فيه قولان لهم: أحدهما: أنه لا ضمان عليه، بل يكون كالأجرة له على عمله، وهو قول الحسن، والشعبي، والنخعي، وقتادة، وأحمد بن حنبل. والثاني: إذا أيسر وجب عليه القضاء، روي عن عمر وغيره، وعن ابن عباس أيضاً كالقولين. والقول الثاني: أنها منسوخة بقوله: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ﴾ [النساء: ٢٩] وهذا مروي عن ابن عباس، ولا يصح.

قوله تعالى: ﴿فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ قال القاضي أبو يعلى: هذا على طريق الاحتياط لليتيم، والولي، وليس بواجب،

- (١) لقوله رحمهم الله: «رفع القلم عن ثلاثة، عن الصبي حتى يحتلم، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق». رواه الترمذي ١٧٠/١ وأبو داود ٤/١٩٧ عن علي رحمهم الله. ورواه الدارمي ١٧١/٢ عن عائشة، وابن ماجه ٦٥٨/١ عنهما، وهو حديث صحيح.
- (٢) أعلّ الفقهاء ذلك من الحديث الثابت في «الصحيحين» عن ابن عمر، قال: «عرضت على النبي ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة فلم يُجزني، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني» قال نافع: «قدمت على عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فحدثه هذا الحديث؛ فقال: إن هذا لحد بين الصغير والكبير، وكب إلى عماله أن يفرضوا لمن بلغ خمس عشرة.
- (٣) يدل لذلك ما روى الإمام أحمد ٣١٠/٤ عن عطية القرظي، قال: «عرضنا على رسول الله ﷺ يوم قريظة، فكان من أنبت قتل، ومن لم ينبت خلى سبيله، فكنت فيمن لم ينبت، فخلى سبيلي. وقد أخرجه أصحاب «السنن» بنحوه، وقال الترمذي: حسن صحيح. قال ابن كثير: وإنما كان كذلك، لأن سعد بن معاذ كان قد حكم فيهم بقتل المقاتلة، وسبي الذرية. وكون البلوغ يثبت باستكمال خمس عشرة سنة والإنابات، هو مذهب الشافعي، وأحمد، وابن وهب، وأصبغ، وعبد الملك بن الماجشون، وهمر بن عبد العزيز، واختاره ابن العربي.
- (٤) قال القرظي: ٣٥/٥: فأما الحيض والحبل فلم يختلف العلماء في أنه بلوغ، وأن الفرائض والأحكام تجب بهما.
- (٥) في البخاري ١٨١/٨: عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ عَيْكًا فَلْيُتَّقِفْ وَمَنْ كَانَ قَوِيًّا فَلْيُؤَاغِلْ بِالْمَرْكُوفِ﴾ أنها نزلت في مال اليتيم إذا كان فقيراً أنه يأكل منه مكان قيامه عليه بمعروف. وروى الإمام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: ليس لي مال، ولي يتييم، فقال: «كل من مال يتييمك غير مُسَرَّب ولا مَبْنُور ولا متأنل مالاً، ومن غير أن تقي مالك» أو قال: «تفدي مالك بماله». ورواه أبو داود ١٥٦/٣، والنسائي ١٣١/٢، وابن ماجه ٨٣/٢ بنحوه، وهو حديث حسن. وقوله: «ولا متأنل» بتشديد التاء المثناة المكسورة. قال ابن الأثير: أي: غير جامع، يقال: مال مؤنل، ومجد مؤنل، بفتح التاء المثناة فيهما، أي: مجموع فو أصل.



فأما اليتيم، فإنه إذا كانت عليه يئنة، كان أبعد من أن يدعي عدم القبض، وأما الولي، فإنه تظهر أمانته، ويسقط عنه اليمين عند إنكار اليتيم للدفع. وفي «الحبيب» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الشهيد، قاله ابن عباس، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنه الكافي، من قولك: أحسبني هذا الشيء [أي: كفاني، والله حسيبي وحسيبك، أي: كافينا، أي: يكون حكماً بيننا كافياً].

قال الشاعر:

وَنُفْسِي وَلَيْدَ الْحَيِّ إِنْ كَانَ جَائِعاً  
وَنُحُسْبُهُ إِنْ كَانَ لَيْسَ بِجَائِعٍ<sup>(١)</sup>  
أي: نعطيه ما يكفيه حتى يقول: حسيبي<sup>(٢)</sup> قاله ابن قتيبة والخطابي. والثالث: أنه المحاسب، فيكون في مذهب جليس، وأكيل، وشريب، حكاة ابن قتيبة والخطابي.

﴿لِرَجَالٍ نَعِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَعِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَمَا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَعِيبًا مَقْرُومًا﴾<sup>(٣)</sup>  
قوله تعالى: ﴿لِرَجَالٍ نَعِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ سبب نزولها أن أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك ثلاث بنات وامرأة، فقام رجلان من بني عمه، يقال لهما: قتادة، وعرفطة<sup>(٤)</sup> فأخذوا ماله، ولم يعطيا امرأته، ولا بناته شيئاً، فجاءت امرأته إلى النبي ﷺ، فذكرت له ذلك، وشكت الفقر، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. وقال قتادة: كانوا لا يورثون النساء، فنزلت هذه الآية<sup>(٥)</sup>. والمراد بالرجال: الذكور، وبالنساء: الإناث، صغاراً كانوا أو كباراً. و«النصيب»: الحظ من الشيء، وهو مجمل في هذه الآية، ومقداره معلوم من موضع آخر، وذلك مثل قوله: ﴿وَمَا أَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَّاءِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١] وقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَثَرِ نِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ [التوبة: ١٠٣] والمفروض: الذي فرضه الله، وهو أكد من الواجب. ﴿وَإِذَا حَصَرَ الْقَيْسَرُ أُولُو الْقَرْبَى وَالْيَتَامَى وَالسَّكِينِ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾<sup>(٦)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَصَرَ الْقَيْسَرُ أُولُو الْقَرْبَى﴾ في هذه القسمة قولان: أحدهما: قسمة الميراث بعد موت الموروث، فعلى هذا يكون الخطاب للوارثين، وبهذا قال الأكثرون، منهم ابن عباس، والحسن، والزهري. والثاني: أنها وصية الميت قبل موته، فيكون مأموراً بأن يعين لمن لا يرثه شيئاً، روي عن ابن عباس، وابن زيد. قال المفسرون: والمراد بأولي القربى: الذي لا يرثون، ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ أي: أعطوهم منه، وقيل: أطعموهم، وهذا على الاستحباب عند الأكثرين، وذهب قوم إلى أنه واجب في المال، فإن كان الورثة كباراً، تولوا إعطاءهم، وإن كانوا صغاراً، تولّى ذلك عنهم ولّي مالهم، فروي عن عبيدة أنه قسم مال أيتام، فأمر بشاة، فاشتريت من مالهم، وبطعام فصنع، وقال: لولا هذه الآية لأحببت أن يكون من مالي<sup>(٧)</sup>، وكذلك فعل محمد بن سيرين في أيتام وليهم، وكذلك روي عن مجاهد: أن ما تضمنته هذه الآية واجب. وفي «القول المعروف» أربعة أقوال: أحدها: أن يقول لهم الولي حين يعطيهم: خذ بارك الله فيك، رواه سالم الأفطس، عن ابن جبير. والثاني: أن يقول الولي: إنه مال يتامى، ومالي فيه شيء، رواه أبو بشر عن ابن جبير. وفي رواية أخرى عن ابن جبير، قال: إن كان الميت أوصى لهم بشيء أنفذت لهم وصيتهم، وإن كان الورثة كباراً رضخوا لهم، وإن كانوا صغاراً، قال وليهم: إني ليست أملك هذا المال، إنما هو للصغار، فذلك القول المعروف. والثالث: أنه العدة الحسنة، وهو أن يقول لهم أولياء الورثة: إن هؤلاء الورثة صغار، فإذا بلغوا، أمرناهم أن يعرفوا حقكم. رواه عطاء بن دينار، عن ابن جبير. والرابع: أنهم يُعَطَّلُونَ من المال، ويقال لهم عند قسمة الأرضين والرقيق: بورك فيكم، وهذا القول المعروف. قال الحسن والنخعي: أدركنا الناس يفعلون هذا.

(١) البيت غير منسوب في «غريب القرآن» ١٧، و«الصالح» مادة: حسب، و«اللسان» مادة: قني، وفيه ١/٣١٢ لامرأة من بني قشير، وقوله: «نقفيه» أي: نؤثره بالنفقة، ويقال لها: الفتاة أيضاً، وهي ما يؤثر به الضيف والضييف.

(٢) ما بين معقنين من تمام كلام ابن قتيبة في «غريب القرآن» ص ١٧.

(٣) في ب «عكرمة وعرفطة» وفي «أسباب النزول» للواحدي ص: ٨٢ سويد وعرفطة، وفي «الدر المنثور» ٢/١٢٢: خالد وعرفطة، والخبر أخرجه أبو الشيخ وابن حبان في «كتاب الفرائض» من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي وأبو صالح، ضعيفان لا يحتج بهما.

(٤) أخرجه ابن جرير ٥٩٧/٧ من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة.

(٥) رواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن إسماعيل بن علية عن يونس بن عبيد عن ابن سيرين...

## فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها محكمة، وهو قول أبي موسى الأشعري، وابن عباس<sup>(١)</sup>، والحسن، وأبي العالية، والشعبي، وعطاء بن أبي رباح، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والنخعي، والزهري، وقد ذكرنا أن ما تضمنته من الأمر مستحب عند الأكثرين، واجب عند بعضهم. والقول الثاني: أنها منسوخة؛ نسخها قوله: ﴿يُؤَيِّدُكُمُ اللَّهُ فِي أَزْوَاجِكُمْ﴾ رواه مجاهد عن ابن عباس، وهو قول سعيد بن المسيب، وعكرمة، والضحاك، وقتادة في آخرين.

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرْكَا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ يُضْعِفُونَ﴾ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرْكَا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ يُضْعِفُونَ﴾ اختلفوا في المخاطب بهذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه خطاب للحاضرين عند الموصي. وفي معنى الآية على هذا القول قولان: أحدهما: وليخش الذين يحضرون موصياً في ماله أن يأمره بتفريقه فيمن لا يرثه، فيفرقه، ويترك ورثته، كما لو كانوا هم الموصين، لسرهم أن يخشهم من حضرم على حفظ الأموال للأولاد، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، ومقاتل. والثاني: على الضد من هذا القول، وهو أنه نهي لحاضري الموصي أن يمنعه من الوصية لأقاربه، وأن يأمره بالاعتصار على ولده، وهذا قول مقسم، وسليمان التيمي في آخرين. والقول الثاني: أنه خطاب لأولياء اليتامى متعلق بقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِسْتِزْكَارًا﴾ فمعنى الكلام: أحسنوا فيمن وليتم من اليتامى، كما تحبون أن يحسن ولاية أولادكم بعدكم، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس، وابن السائب. والثالث: أنه خطاب للأوصياء أمروا بأداء الوصية على ما رسم الموصي، وأن تكون الوجوه التي عينها مرعية بالمحافظة كرعى الذرية الضعاف من غير تبديل، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا أَوْ إِسْقَاتًا فَلْيُصَلِّ بَيْنَهُمَا فَلَا يُؤْخَذُ﴾ [البقرة: ١٨٢] فأمر الوصي بهذه الآية إذا وجد ميلاً عن الحق أن يستعمل قضية الشرع، ويصلح بين الورثة، ذكره شيخنا علي بن عبيد الله، وغيره، في «الناسخ والمنسوخ» فعلى هذا تكون الآية منسوخة، وعلى ما قبله تكون محكمة. و«الضعاف»: جمع ضعيف، وهم الأولاد الضغار. وقرأ حمزة: «ضعافاً» بإمالة العين. قال أبو علي: وجهها: أن ما كان على «فعال» وكان أوله حرفاً مستعلياً مكسوراً، نحو ضعاف، وقفاف، وخفاف؛ حسنت فيه الإمالة، لأنه قد يُصَعَّدُ بالحرف المستعلي، ثم يُخَفَّرُ بالكسر، فيستحب أن لا يُصَعَّدَ بالتخفيف بعد التصوُّب بالكسر، فيجعل الصوت على طريقة واحدة، وكذلك قرأ حمزة: ﴿عَاوُوا عَلَيْهِمْ﴾ بإمالة الخاء، والإمالة هاهنا حسنة، وإن كانت «الخاء» حرفاً مستعلياً، لأنه يطلب الكسرة التي في «خِفْتُ» فينحو نحوها بالإمالة. والقول «السديد»: الصواب.

(١) روى البخاري ١٨١/٨ عن ابن عباس في الآية قال: هي محكمة، وليست بمنسوخة. تابعه سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال الحافظ ابن حجر: وصله في الوصايا بلفظ «إن ناسأ برحمن أن هذه الآية نسخت، ولا والله ما نسخت، ولكنها مما تهان الناس بها، هما واليان، وإلي يرت، وذلك الذي يروق، وإولي لا يرت، وذلك الذي يقال له بالمعروف، يقول: لا أملك لك أن أعطيك، وهذا الإسنادان الصحيحان هما المتمدنان، وجاءت عنه روايات من أوجه ضعيفة عند ابن أبي حاتم وابن مردويه أنها منسوخة نسختها آية الميراث، وصح ذلك عن سعيد بن المسيب، وهو قول القاسم بن محمد وعكرمة وغير واحد، وبه قال الأئمة الأربعة وأصحابهم. وجاء عن ابن عباس قول آخر، أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن القاسم بن محمد أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر: قسم ميراث أبيه عبد الرحمن في حياة عائشة، فلم يدع في النار ذا قرابة ولا مسكيناً إلا أعطاه من ميراث أبيه، وتلا الآية. قال القاسم: فذكرته لابن عباس، فقال: ما أصاب، وليس ذلك له، إنما ذلك إلى الوصي، وإنما ذلك في الوصية، أي: ندب للميت أن يوصي لهم. قلت: - أي: الحافظ ابن حجر - وهذا لا ينافي حديث الباب، وهو أن الآية محكمة، وليست بمنسوخة. وقيل: معنى الآية: وإذا حضر قسمة الميراث قرابة الميت ممن لا يرت، واليتامى والمساكين، فإن نفوسهم تشوف إلى أخذ شيء منه، ولا سيما إن كان جزيلاً، فأمر الله سبحانه أن يرشخ لهم شيء على سبيل البر والإحسان. واختلف من قال بذلك: هل الأمر فيه على الندب أو الوجوب؟ فقال مجاهد وطائفة: هي على الوجوب، وهو قول ابن حزم أن على الوارث أن يعطي هذه الأصناف ما طابت به نفسه، ونقل ابن الجوزي عن أكثر أهل العلم أن المراد بأولي القرابة: من لا يرت، وأن معنى «فأرزقهم»: أعطوهم من المال. وقال آخرون: أطعموهم، وأن ذلك على سبيل الاستحباب، وهو المعتقد، لأنه لو كان على الوجوب لانتفى استحقاق في التركة، ومشاركة في الميراث بجهة مجهولة، فيفضي إلى التنازع والتقاطع، وعلى القول بالنسب فقد قيل: يفعل ذلك ولي المحجور، وقيل: لا بل يقول: ليس المال لي، وإنما هو لليتيم، وإن هذا هو المراد بقوله: ﴿وَرَوْوُوا لَهُمْ نَسَبَهُمْ﴾ وعلى هذا فتكون الواو في قوله ﴿وَرَوْوُوا﴾ للتقسيم، وعن ابن سيرين وطائفة: المراد بقوله: ﴿وَرَوْوُوا لَهُمْ نَسَبَهُمْ﴾ اصنعوا لهم طعاماً يأكلونه، وإنها على العموم في مال المحجور وغيره.



قوله تعالى: ﴿لِلَّذَرِّ يُقَالُ حَذَقَ الْأُنثَيْنِ﴾ يعني، للابن من الميراث مثل حظ الأنثيين، ثم ذكر نصيب الإناث من الأول، فقال: ﴿فَإِنْ كُنَّ﴾ يعني: البنات ﴿نِسَاءً فَوْقَ أُمَّتَيْنِ﴾ وفي قوله: «فوق» قولان: أحدهما: أنها زائدة، كقوله: ﴿فَأَمْزِيئًا فَوْقَ الْأَخْتَانِ﴾ [الأنعام: ١١٣]. والثاني: أنها بمعنى الزيادة. قال القاضي أبو يعلى: إنما نص على ما فوق الاثنين، والواحدة، ولم ينص على الاثنين، لأنه لما جعل لكل واحدة مع الذكر الثلث، كان لها مع الأنثى الثلث أولى.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً﴾ قرأ الجمهور بالنصب، وقرأ نافع بالرفع، على معنى: وإن وقعت، أو وجدت واحدة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَوْرِيهِ﴾ قال الزجاج: أبواه ثنية أب وأبة، والأصل في الأم أن يقال لها: أبة، ولكن استغني عنها بأم، والكناية في قوله: «لأبويه» عن الميت وإن لم يجر له ذكر.

وقوله تعالى: ﴿فَلِأَيِّ آلِثَلَاثٍ﴾ أي: إذا لم يخلف غير أبوين، فثلث ماله لأمه، والباقي للأب، وإنما خص الأم بالذكر، لأنه لو اقتصر على قوله: ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ ظن الظان أن المال يكون بينهما نصفين، فلما خصها بالثلث، دل على التفضيل. وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر ﴿فَلِأَيِّ آلِثَلَاثٍ﴾ وفي بطون أمهاتكم [الزمر: ٦] و﴿فِي أَيُّهَا﴾ [القصص: ٥٩] و﴿فِي أَيُّ آلِ الْكِتَابِ﴾ [الزخرف: ٤٤] بالرفع<sup>(١)</sup>. وقرأ حمزة والكسائي كل ذلك بالكسر إذا وُصِّلا، وحجتهما: أنهما أتبعوا الهمزة ما قبلها، من ياء أو كسرة.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ أي: مع الأبوين، فإنهم يحجبون الأم عن الثلث، فيردونها إلى السدس، واتفقوا على أنهم إذا كانوا ثلاثة إخوة، حجبوا، فإن كانا أخوين، فهل يحجبانهما؟ فيه قولان: أحدهما: يحجبانهما عن الثلث، قاله عمر، وعثمان، وعلي، وزيد، والجمهور<sup>(٢)</sup>. والثاني: لا يحجبها إلا ثلاثة، قاله ابن عباس<sup>(٣)</sup>، واحتج بقوله: إخوة. والأخوة: اسم جمع، واختلفوا في أقل الجمع، فقال الجمهور: أقله ثلاثة، وقال قوم: اثنان، والأول: أصح. وإنما حجب العلماء الأم بأخوين لدليل اتفقوا عليه، وقد يُسمى الاثنان بالجمع، قال الزجاج: جميع أهل اللغة يقولون: إن الأخوين جماعة، وحكى سيويه أن العرب تقول: وضعا رحالهما، يريدون: رَحْلِي ورحلتيهما<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مِنْ بَيْنِ بَنِي وَصِيَّتِهِ﴾ أي: هذه السهام إنما تقسم بعد الوصية والذين. وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر، عن عاصم «يوصى بها» بفتح الصاد في الحرفين. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «يوصي» فيهما بالكسر، وقرأ حفص، عن عاصم الأولى بالكسر، والثانية بالفتح. وأعلم أن الذين مؤخر في اللفظ، مقدم في المعنى، لأن الدين حق عليه، والوصية حق له، وهما جميعاً مقدمان على حق الورثة إذا كانت الوصية في ثلث المال، و«أو» لا توجب الترتيب، إنما تدل على أن أحدهما إن كان، فالميراث بعده، وكذلك إن كانا<sup>(٥)</sup>.

(١) أي: برفع الهمزة.

(٢) قال الشوكاني في «فتح القدير» ٣٩٨/١: وقد أجمع أهل العلم على أن الاثنين من الأخوة يقومون مقام الثلاثة فصاعداً في حجب الأم إلى السدس، إلا ما يروى عن ابن عباس أنه جعل الاثنين كالواحد في عدم الحجب.

(٣) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ٢٢٧/٦ من طريق إسحاق بن إبراهيم عن شيابة عن ابن أبي ذئب عن شعبة مولى ابن عباس. قال ابن كثير ١/٤٥٩: وفي صحة هذا الأثر نظر، فإن شعبة هذا تكلم فيه مالك بن أنس، ولو كان هذا صحيحاً عن ابن عباس، لذهب إليه أصحابه الأخصاء به، والمقول عنهم خلافه. وقد روى عبد الرحمن بن أبي الزناد عن خارجة بن زيد عن أبيه أنه قال: «الأخوان تسمى إخوة» وقد أفردت لهذه المسألة جزءاً على حدة. وفي «الترتيب»: شعبة بن دينار الهاشمي مولى ابن عباس المدني: صدوق سرح الحفظ.

(٤) في «مجاز القرآن» ١/١١٨: «فإن كان له إخوة» أي: أخوان فصاعداً، لأن العرب تجعل لفظ الجميع على معنى الاثنين، قال الراعي:

أَحْلِيْتُ إِنْ أَبَاكَ ضَافَ وَسَادَهُ      هُمَا بِنَا جَنْبَةً وَخِيَلَا  
طَرَقاً فَتِلْكَ هِمَامِي أَقْرَبُهُمَا ...      قُلُوماً لَوَاقِحَ كَالْقَيْسِي وَخُولا

فجعل الاثنين في لفظ الجميع، وجعل الجميع في لفظ الاثنين. وقال المرتضى في «أماليه» ١٥٥/٢: فمير بالهمام، وهي جمع عن الهمين، وهما اثنان. وغليظة: ابنة الشاعر، والمعنى أن أحد الهمين بات جنبه، والآخر داخل جوفه.

(٥) أخرج ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وابن الجارود والدارقطني والبيهقي في -

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَابْنُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَسَبًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه النفع في الآخرة، ثم فيه قولان: أحدهما: أن الوالد إذا كان أرفع درجة من ولده، رفع إليه ولده، وكذلك الولد، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. والثاني: أنه شفاعة بعضهم في بعض، رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس. والقول الثاني: أنه النفع في الدنيا، قاله مجاهد. ثم في معناه قولان: أحدهما: أن المعنى: لا تدرون هل موت الآباء أقرب، فينتفع الأبناء بأموالهم، أو موت الأبناء، فينتفع الآباء بأموالهم؟ قاله ابن بحر. والثاني: أن المعنى: أن الآباء والأبناء يتفاضلون في النفع. حتى لا يدري أيهم أقرب نفعاً، لأن الأولاد ينتفعون في صغرهم بالآباء، والآباء ينتفعون في كبرهم بالأبناء، ذكره القاضي أبو يعلى. وقال الزجاج: معنى الكلام: أن الله قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة. ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم، فتضعون الأموال على غير حكمة. إن الله كان عليمًا بما يصلح خلقه، حكيمًا فيما فرض. وفي معنى «كان» ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناها: كان عليمًا بالأشياء قبل خلقها، حكيمًا فيما يقدّر تدبيره منها، قاله الحسن. والثاني: أن معناها: لم يزل. قال سيبويه: كان القوم شاهدوا علمًا وحكمة، فقيل لهم: إن الله كان كذلك، أي: لم يزل على ما شاهدتم، ليس ذلك بحداث. والثالث: أن لفظة «كان» في الخبر عن الله ﷻ يتساوى ماضيها ومستقبلها، لأن الآيات عنده على حال واحدة، ذكّل هذه الأقوال الزجاج.

﴿وَلَكُمْ يَصِفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ كُنَّ يُرْجُونَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْكُمْ أَمْ يَحَسِبُ أَنْ يُدْعَى إِلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُؤْصِي بِهَا أَوْ دُونََ وَلَهُنَّ الرِّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرِّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ فُتُوتَ بِهَا أَوْ دُونََ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِمَّتَهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يَوْصِي بِهَا أَوْ دُونََ غَيْرَ مَضْكَوٍّ وَصِيَّتِهِ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَلَةً﴾ قرأ الحسن: «يُورِثُ» بفتح الواو، وكسر الراء مع التشديد. وفي الكلاية أربعة أقوال: أحدها: أنها ما دون الوالد والولد، قاله أبو بكر الصديق. وقال عمر بن الخطاب: أتى علي حين وأنا لا أعرف ما الكلاية، فإذا هو: من لم يكن له والد ولا ولد<sup>(١)</sup>، وهذا قول علي، وابن مسعود، زيد بن ثابت، وابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، وعطاء، والزهري، وقتادة، والفراء، وذكر الزجاج عن أهل اللغة، أن «الكلاية»: من قولهم: تكلله النسب، أي: لم يكن الذي يرثه ابنه، ولا أباه. قال: والكلاية سوى الوالد الولد، وإنما هو كالإكليل على الرأس. وذكر ابن قتبية عن أبي عبيدة أنه مصدر تكلله النسب<sup>(٢)</sup>. إذا أحاط به. والابن والأب: طرفان للرجل، فإذا مات، ولم يخلفهما، فقد مات عن ذهاب طرفيه، فسمي ذهاب الطرفين: كلاله [وكانها اسم للمصيبة في تكلل النسب مأخوذ منه؛ نحو هذا قولهم: وجهت الشيء: أخذت وجهه، وتغرّت الرجل: كسرت ثغره]<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن

= «سننه» عن علي ﷻ قال: إنكم تقرّون هذه الآية ﴿يُورِثُ بِهَا أَوْ دُونََ﴾ وإن رسول الله ﷺ قضى بالدين قبل الوصية، وإن أعيان بني الأم يتوارثون دون بني العلات. وفي سننه الحارث الأهور، وهو ضعيف، قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث أبي إسحاق عن الحارث عن علي، وقد تكلم بعض أهل العلم في الحارث، والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم. وقال ابن كثير بعد روايته للحديث في شأن الحارث: لكن كان حافظاً للفرائض معتبياً بها وبالكتاب. وقال ابن كثير أيضاً: أجمع العلماء من السلف والخلف على أن الدين مقدم على الوصية، وذلك عند إيمان النظر بفهم من فعوى الآية الكريمة. وقوله: «وبنو العلات، العلات: هم الذين أمهاتهم مختلفة وأبؤهم واحد. يريد أنهم إذا اجتمعوا توارث الأخوة الأشقاء دون الأخوة لأب».

(١) أثر عمر أخرجه البيهقي في «السنن» ٢٢٤/٦ من طريق محمد بن نصر عن عبد الأعلى عن حماد عن عمران بن حدير، عن السميث بن عمير. وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» عن طاووس - بسند صحيح - قال: سمعت ابن عباس يقول: كنت آخر الناس عهداً بعمر قسمته يقول: القول ما قلت، قلت: وما قلت؟ قال: الكلاية من لا ولد له ولا والد. قال ابن كثير: وهكذا قال علي وابن مسعود، وصح عن غير واحد من ابن عباس، وزيد بن ثابت، وبه يقول الشعبي، والنخعي، والحسن، وقتادة، وجابر بن زيد، والحكم، وبه يقول أهل المدينة، وأهل الكوفة، والبصرة، وهو قول الفقهاء السبعة، والأئمة الأربعة، وجمهور السلف والخلف، بل جميعهم، وقد حكى الإجماع عليه غير واحد.

(٢) في «مجاز القرآن» ١١٩/١ «يورث كلاله» مصدر من تكلله النسب، أي: تحلف النسب عليه، ومن قال «يورث كلاله» فهم الرجال الورثة، أي: يطفئ النسب عليه.

(٣) ما بين معقنين من تمام كلام ابن قتبية في «غريب القرآن» ص ١٢١.

الكلالة: من لا ولد له، رواه ابن عباس، عن عمر بن الخطاب، وهو قول طاووس. والثالث: أن الكلالة: ما عدا الوالد، قاله الحكم<sup>(١)</sup>. والرابع: أن الكلالة: بنو العم الأبعاد، ذكره ابن فارس، عن ابن الأعرابي<sup>(٢)</sup>. واختلفوا على ما يقع اسم الكلالة على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اسم للحي الوارث، وهذا مذهب أبي بكر الصديق. وعامة العلماء الذين قالوا: إن الكلالة من دون الوالد والولد، فإنهم قالوا: الكلالة: اسم للورثة إذا لم يكن فيهم ولد ولا والد، قال بعض الأعراب: مالي كثير، ويرثني كلالة مترخ نسبه<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه اسم للميت، قاله ابن عباس، والسدي، وأبو عبيدة في جماعة. قال القاضي أبو يعلى: الكلالة: اسم للميت، ولحاله، وصفته، ولذلك انتصب. والثالث: أنه اسم للميت والحي، قاله ابن زيد. وفيما أخذت منه الكلالة قولان: أحدهما: أنه اسم مأخوذ من الإحاطة، ومنه الإكليل، لإحاطته بالرأس. والثاني: أنه مأخوذ من الكلال، وهو التعب، كأنه يصل إلى الميراث من بُعد وإعياء. قال الأعشى:

فَأَكَيْتَ لَا أَرْتِي لَهَا مِنْ كِلَالَةٍ  
وَلَا مِنْ حَفَى حَتَّى تَزُورَ مُحَمَّدًا<sup>(٤)</sup>

قوله: ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ﴾ يعني: من الأم بإجماعهم.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ﴾ قال قتادة: ذكرهم وأنشأهم فيه سواء.

قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُضْكَرٍ﴾ قال الزجاج: «غير» منصوب على الحال، والمعنى: يوصي بها غير مضار، يعني: للورثة.

﴿ذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ وَنَافِعٌ يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يريد ما حدَّ الله من فرائضه في الميراث ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في شأن الموارث ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾ قرأ ابن عامر، ونافع: «ندخله» بالتون في الحرفين جميعاً، والباقون بالياء فيهما.

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَمَدَّدْ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا كَالَّذِي لَا يَخْلُكُ فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾<sup>(٦)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ﴾ فلم يرض بقسمه ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا﴾ فإن قيل: كيف قطع للعاصي بالخلود؟ فالجواب: أنه إذا رد حكم الله، وكفر به، كان كافراً مخلداً في النار.

﴿وَالَّذِينَ يَأْتِيكَ الْفِتْنَةُ مِنْ بَيْنَاهُمْ فَاسْتَشْهِدُوا بَيْنَهُمْ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّعَ الْوَيْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾<sup>(٧)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَأْتِيكَ الْفِتْنَةُ﴾ قال الزجاج: «التي» تجمع اللاتي واللواتي. قال الشاعر:

مِنَ اللَّوَاتِي وَالْتِي وَاللَاتِي  
زَعَمَنَ أَنِّي كَبُرْتُ لِذَاتِي<sup>(٨)</sup>

وتجمع اللاتي بإثبات التاء وحذفها. قال الشاعر:

(١) ذكره ابن جرير ٥٨/٨ حه.

(٢) ذكره في معجم مقاييس اللغة ١٢١/٥.

(٣) قوله: مترخ: أي بعيد نسبهم، من قولهم: تراخى فلان عني، أي: بعد عني. والخبر في الطبري ٦١/٨ عن العلاء بن زياد، قال: جاء شيخ إلى عمر رضي الله عنه، فقال: إني شيخ وليس لي وارث إلا كلالة أعراب مترخ نسبهم.

(٤) «ديوانه» ص ١٣٥ والبيت من قصيدة يمدح بها النبي ﷺ مطلعها:

أَلَمْ تَفْتَحْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا وَعَذَاكَ مَا عَادَ السُّلَيْمَ الْمُسْتَهْدَا

ولهذه القصيدة قصة مشهورة مودعها أن الأعشى خرج إلى النبي ﷺ يريد الإسلام، وقد أعد له هذه القصيدة ليمدحه بها، وكان ذلك في المدة التي بين صلح الحديبية وفتح مكة، فلما بلغ مكة، وعرفت قريش ما قصد له، لم يزالوا يفيضون إليه الإسلام، ويحدثونه بأسوأ ما يقدرون عليه، ويغرونه بالمال حتى صدوه عن وجهه بعد أن جمعوا له مائة ناقة حمراء، فقفّل الأعشى راجعاً إلى البصرة، ثم لم يلبث أن مات من عامه. «الأغاني» ١٢٥/٩.

(٥) قال البغدادى في «خزانة الأدب» ٥٦٠/٢: لا أعرف ما قبله ولا فائله مع كثرة وجوده في كتب النحو، قلت: وهو في «المصاح» و«اللسان» و«التاج» والقرطبي ٨٣/٥ وقوله: لذاتي جمع: لذة، ولذة الرجل: تربه الذي ولد معه قريباً.

من اللاتي لم يحججن يبغين حِسبة  
والفاحشة: الزنى في قول الجماعة. وفي قوله: ﴿فَاسْتَشِيرُوا عَلَيْهِنَّ﴾ قولان. أحدهما: أنه خطاب للأزواج.  
والثاني: خطاب للحكام، فالمعنى: اسمعوا شهادة أربعة منكم، ذكرهما الماوردي. قال عمر بن الخطاب: إنما  
جعل الله ﷻ الشهود أربعة متراً متروك به دون فواحشكم. ومعنى «منكم»: من المسلمين.  
قوله تعالى: ﴿فَأَنبِئْهُمْ فِي أَلْبُسُوتٍ﴾ قال ابن عباس: كانت المرأة إذا زنت، حبست في البيت حتى تموت،  
فجعل الله لهن سبيلاً، وهو الجلد، أو الرجم<sup>(١)</sup>.

﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَاتَّكَبَا وَاسْلَمَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ نَوَّابًا حَكِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذَانِ﴾ قرأ ابن كثير: «واللذان» بتشديد النون، و«هذان» في (طه) و(الحج) و«هاتين» في  
(القصص): «إحدى ابنتي هاتين» و«فذانك» كله بتشديد النون. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي،  
بتخفيف ذلك كله، وشدد أبو عمرو «فذانك» وحدهما. وقوله: واللذان: يعني: الزانين. وهل هو عام، أم لا، فيه  
قولان: أحدهما: أنه عام في الأيثار والثيب من الرجال والنساء، قاله الحسن، وعطاء. والثاني: أنه خاص في البكرين  
إذا زنيا، قاله أبو صالح، والسدي، وابن زيد، وسفيان. قال القاضي أبو يعلى: والأول أصح، لأن هذا تخصيص بغير  
دلالة.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَنِهَا﴾ يعني الفاحشة. قوله: ﴿فَأَذُوهُمَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الأذى بالكلام، والتعير، رواه  
أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والسدي، والضحاك، ومقاتل. والثاني: أنه التعير، والضرب بالنعال، رواه  
ابن أبي طلحة، عن ابن عباس. ﴿فَاتَّكَبَا﴾ من الفاحشة ﴿وَاسْلَمَا﴾ العمل ﴿فَأَعْرِضُوا﴾ عن أذاهما. وهذا كله كان  
قبل الحد.

### فصل

كان حد الزانين، فيما تقدم، الأذى لهما، والحبس للمرأة خاصة، فنسخ الحكمان جميعاً، واختلفوا بماذا وقع  
نسخهما، فقال قوم: بحديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: «خلوا عني، خلوا عني، قد جعل الله لهن  
سبيلاً، الثيب بالثيب جلد مائة، ورجم بالحجارة، والبكر بالبكر جلد مائة، ونفي سنة<sup>(٢)</sup>» وهذا على قول من يرى نسخ  
القرآن بالسنة. وقال قوم: نسخ بقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَانْلَبِذُوا إِلَىٰ رِجْلَيْهَا وَانَّهُ جُلْدُهَا﴾ [النور: ٢٢] قالوا: وكان قوله: ﴿وَالَّذَانِ  
يَأْتِيَنِهَا﴾ للبكرين، فنسخ حكمهما بالجلد، ونسخ حكم الثيب من النساء بالرجم<sup>(٣)</sup>. وقال قوم: يحتمل أن يكون النسخ  
وقع بقرآن، ثم رفع رسمه، وبقي حكمه، لأن في حديث عبادة «قد جعل الله لهن سبيلاً» والظاهر: أنه جعل بوحى لم  
تستقر تلاوته. قال القاضي أبو يعلى: وهذا وجه صحيح، يخرج على قول من لم ينسخ القرآن بالسنة. قال: ويمتنع أن  
يقع النسخ بحديث عبادة، لأنه من أخبار الأحاد، والنسخ لا يجوز بذلك.

(١) البيت في «مجاز القرآن» ١/١٢٥ منسوب إلى عمر بن أبي ربيعة، وليس في «ديوانه».

(٢) أخرجه ابن جرير ٧٤/٨، وابن المنذر، والنحاس في «تاسخه»: ٩٨، والبيهقي في «مسننه» من طريق علي بن طلحة عن ابن عباس. وعلي بن طلحة  
- كما في «التهذيب» - روى عن ابن عباس، ولم يسمع منه، ورواه أبو داود ٢٠٢/٤ من طريق عكرمة عن ابن عباس، وفي شذذه علي بن واقد، قال  
المنذري: وفيه مقال.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسنند» ٣١٨/٥، والشافعي في «الرسالة» ١٢٩، ٢٤٧، ومسلم في «صحيحه» ١٣١٦/٣، وأبو داود ٢٠٢/٤ عن عبادة بن  
الصامت ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ «خلوا عني، خلوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً». البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة  
والرجم» هنا لفظ مسلم.

(٤) قال الإمام الخطابي في «معالم السنن» ٢٤١/٦: واختلف العلماء في تنزيل هذا الكلام - يريد الحديث السابق - ووجه ترتبه على الآية، وهل هو ناسخ  
للآية أو مبین لها؟ فذهب بعضهم إلى النسخ، وهذا على قول من يرى نسخ الكتاب بالسنة، وقال آخرون: بل هو مبین للحكم الموعود بيانه في الآية،  
فكانه قال: عقوبتهن الحبس إلى أن يجعل الله لهن سبيلاً، فوقع الأمر بحبسهن إلى غاية، فلما انتهت مدة الحبس، وحين وقت مجيء السبيل، قال  
رسول الله ﷺ «خلوا عني تفسير السبيل وبيانه»، ولم يكن ذلك ابتداء حكم منه، وإنما هو بيان أمر كان ذكر السبيل منطقياً عليه، فأبان المبهم منه،  
وفصل المجمل من لفظه، فكان نسخ الكتاب بالكتاب لا بالسنة، وهذا أصوب القولين. والله أعلم.

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَقُولُونَ إِنَّهُ بَشَرٌ خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ قال الحسن: «إنما التوبة التي يقبلها الله». فأما «السوء»، فهو المعاصي، سمي سوءاً لسوء عاقبته.

قوله تعالى: ﴿بِجَهْلَةٍ﴾ قال مجاهد: كل عاصٍ فهو جاهل حين معصيته<sup>(١)</sup>. وقال الحسن، وعطاء، وقتادة، والسدي في آخرين: إنما سُموا جهالاً لمعاصيهم، لا أنهم غير مُميزين. وقال الزجاج: ليس معنى الآية أنهم يجهلون أنه سوء، لأن المسلم لو أتى ما يجهله، كان كمن لم يوقع سوءاً، وإنما يحتمل أمرين: أحدهما: أنهم عملوه، وهم يجهلون المكروه فيه. والثاني: أنهم أقدموا على بصيرة وعلم بأن عاقبته مكروهة، وآثروا العاجل على الآجل، فسموا جهالاً، لإيثارهم القليل على الراحة الكثيرة، والعاقبة الدائمة. وفي «القريب» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التوبة في الصحة، رواه أبو صالح، عن ابن عباس، وبه قال السدي، وابن السائب. والثاني: أنه التوبة قبل معاينة ملك الموت. رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال أبو مجلز. والثالث: أنه التوبة قبل الموت، وبه قال ابن زيد في آخرين<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتْتُ الْأَذِينَ يَتُوبُونَ وَهُمْ كَقُلُوبِ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ في السيئات ثلاثة أقوال: أحدها: الشرك، قاله ابن عباس، وعكرمة. والثاني: أنها النفاق، قاله أبو العالية، وسعيد بن جبيرة. والثالث: أنها سيئات المسلمين، قاله سفيان الثوري، واحتج بقوله: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَتُوبُونَ وَهُمْ كَقُلُوبِ﴾.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ في الحضور قولان: أحدهما: أنه السوق<sup>(٣)</sup>، قاله ابن عمر. والثاني: أنه معاينة الملائكة لقبض الروح، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقد روى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس أنه قال: أنزل الله تعالى بعد هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَتُوبُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ الآية [النساء: ١١٦]. فحرم المغفرة على من مات مشركاً، وأرجأ أهل التوحيد إلى مشيئته [فلم يؤسهم من المغفرة]<sup>(٤)</sup>. فعلى هذا تكون منسوخة في حق المؤمنين.

﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْثُوا النِّسَاءَ كَرَمًا وَلَا تَتَّبِعُوهُنَّ لِتَذَخَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَىٰ مُبِينَةٍ وَعَاطِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَّ أَنْ تَكُونُوا سَيِّئًا وَيَعْمَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْثُوا النِّسَاءَ كَرَمًا﴾ سبب نزولها: أن الرجل كان إذا مات، كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شأوا زوجها، وإن شأوا لم يزوجوها، فنزلت هذه الآية. قاله ابن عباس<sup>(٥)</sup>. وقال في رواية أخرى: كانوا في أول الإسلام إذا مات الرجل، قام أقرب الناس منه، فيُلقي على امرأته ثوباً، فيرث نكاحها. وقال مجاهد: كان إذا توفي الرجل، فابنه الأكبر أحق بامرأته، فينكحها إن شاء، أو يُنكحها من شاء. وقال أبو أمامة بن سهل بن حنيف: لما توفي أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته من بعده، وكان ذلك لهم في الجاهلية، فنزلت

(١) في «الطبري» ٨٩/٨ من طريق عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة قوله: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ قال: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن كل شيء عصي به، فهو جهالة عمداً كان أو غيره. وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير ٨٩/٨ وابن المنذر عن أبي العالية، أنه كان يحدث أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عبد فهو بجهالة. وسنده صحيح.

(٢) روى الإمام أحمد عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغ» ورواه الترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن غريب، ورواه الحاكم ٢٥٧/٤، وصححه، ووافقه الذهبي. ورواه الإمام أحمد والحاكم مطولاً من حديث عبد الرحمن البيهقي، قال البيهقي في «المجمع» ١٩٧/١٠: ورجال رجال الصحيح غير عبد الرحمن وهو ثقة.

(٣) يقال: حضرت فلاناً في السوق، وفي سياق الموت، أي: في التزج عند إقبال الموت.

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١٠١/٨ والزبادة منه، وأبو داود في «ناسخه»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٥) الأثر رواه البخاري في «صحيحه» ١٨٤/٨، ١٨٦ ولفظه: «كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجوها، وإن شأوا زوجها، وإن شأوا لم يزوجوها، وهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك» ورواه ابن جرير ١٠٤/٨، وأبو داود في «سننه» ٣١٠/٢.



هذه الآية<sup>(١)</sup>. قال عكرمة: واسم هذه المرأة: كيشة بنت معن بن عاصم، وكان هذا في العرب. وقال أبو مجلز: كانت الأنصار تفعله. وقال ابن زيد: كان هذا في أهل المدينة. وقال السدي: إنما كان ذلك للأولياء ما لم تسبق المرأة، فتذهب إلى أهلها، فإن ذهبت، فهي أحق بنفسها. وفي معنى قوله: ﴿أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ قولان: أحدهما: أن تروثا نكاح النساء، وهذا قول الجمهور. والثاني: أن تروثا أموالهن كرهًا. روى ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: كان يُلقب حميم<sup>(٢)</sup> الميت على الجارية ثوبًا، فإن كانت جميلة تزوجها، وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت، فيرثها<sup>(٣)</sup>. واختلف القراء في فتح كاف «الكراهة» وضمها في أربعة مواضع: هاهنا، وفي (التوبة) وفي (الأحقاف) في موضعين، فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو بفتح الكاف فيهن، وضمن حمزة. وقرأ عاصم، وابن عامر بالفتح في (النساء) و(التوبة)، وبالضم في (الأحقاف). وهما لغتان، قد ذكرناهما في (البقرة). وفيمن خوطب بقوله: ﴿وَلَا تَصَلُّوا﴾ ثلاثة أقوال. أحدها: أنه خطاب للأزواج، ثم في العضل الذي نهى عنه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الرجل كان يكره صحبة امرأته، ولها عليه مهر، فيحبسها، ويضربها لتفتدي، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك، والسدي. والثاني: أن الرجل كان ينكح المرأة الشريفة، فلعلها لا توافق، فيفارقها على أن لا تتزوج إلا بإذنه، ويشهد على ذلك، فإذا خطبت، فأرضته، أذن لها، وإلا عضلها، قاله ابن زيد. والثالث: أنهم كانوا بعد الطلاق يعضلون، كما كانت الجاهلية تفعل، فنهوا عن ذلك، روي عن ابن زيد أيضاً. وقد ذكرنا في (البقرة) أن الرجل كان يطلق المرأة، ثم يراجعها، ثم يطلقها كذلك أبداً إلى غير غاية يقصد إضرارها، حتى نزلت ﴿أَطْلِقْ مَرْثَاكَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. والقول الثاني: أنه خطاب للأولياء، ثم في ما نهوا عنه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الرجل كان في الجاهلية إذا كانت له قرابة قريبة، ألقى عليها ثوبه، فلم تتزوج أبداً غيره إلا بإذنه، قاله ابن عباس. والثاني: أن اليتيمة كانت تكون عند الرجل، فيحبسها حتى تموت، أو تتزوج بابه، قاله مجاهد. والثالث: أن الأولياء كانوا يمنعون النساء من التزويج، ليرثوهن، روي عن مجاهد أيضاً. والقول الثالث: أنه خطاب لورثة أزواج النساء الذين قيل لهم: لا يحل لكم أن تروثا النساء كرهًا. كان الرجل يرث امرأة قريبة، فيعضلها حتى تموت، أو تردّ عليه صداقها. هذا قول ابن عباس في آخرين<sup>(٤)</sup>. وعلى هذا يكون الكلام متصلاً بالأول، وعلى الأقوال التي قبله يكون ذكر العضل منفصلاً عن قوله: ﴿أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ﴾. وفي الفاحشة قولان: أحدهما: أنها النشوز على الزوج، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة في جماعة. والثاني: الزنى، قاله الحسن، وعطاء، وعكرمة في جماعة. وقد روى معمر، عن عطاء الخراساني، قال: كانت المرأة إذا أصابت فاحشة، أخذ زوجها ما ساق إليها، وأخرجها، فنسخ ذلك بالحد. قال ابن جرير: وهذا القول ليس بصحيح، لأن الحد حق الله، والافتداء حق للزوج، وليس أحدهما مبطلاً للآخر، والصحيح: أنها إذا أتت بأي فاحشة كانت، من زنى الفرج، أو بذاءة اللسان، جاز له أن يعضلها، ويُضَيِّقَ عليها حتى تفتدي<sup>(٥)</sup>. فأما قوله: ﴿يُتَيْتَرُ﴾ فقرأ ابن كثير، وأبو بكر، عن عاصم: «مُتَيْتَةٌ»، وآيات مبيّنات بفتح الياء فيهما جميعاً. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص، عن عاصم: بكسر الياء فيهما، وقرأ نافع، وأبو عمرو «مينة» كسراً وآيات مبيّنات فتحاً. وقد سبق ذكر «العشرة».

(١) أخرجه ابن جرير ١٠٥/٨ وابن مردويه، ورجال إسناده ثقات. (٢) الحميم: القريب الذي توده ويودك، وتهتم لأمره.

(٣) في الأصل «دميمة» وما أثبتناه هو الصواب، والخبر رواه ابن جرير ١٠٩/٨.

(٤) اختار الإمام أبو جعفر الطبري في تفسيره ١١٣/٨ القول الأول فقال بعد أن ذكر أقوال السلف في الآية: وأولى هذه الأقوال التي ذكرناها بالصحة في تأويل قوله: ﴿وَلَا تَصَلُّوا﴾ يَتَصَلُّونَ يَتَصَلُّونَ بِمَعْنَى مَا يَتَصَلُّونَ قَوْلٌ مِنْ قَالَ: نَهَى اللَّهُ جُلَّ شَأْنِهِ زَوْجَ الْمَرْأَةِ عَنْ التَّضْيِيقِ عَلَيْهَا، وَالْإِضْرَارِ بِهَا، وَهُوَ لَصَحْبَتِهَا كَارَهُ وَلَفَرَأَهَا مَحَبٌ، لِتَفْتَدِيَ مِنْهُ بِعِضْ مَا آتَاهَا مِنَ الصَّدَاقِ. وَإِنَّمَا قُلْنَا: ذَلِكَ أَوْلَى بِالصَّحَّةِ، لِأَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ إِلَى عَضْلِ امْرَأَةٍ إِلَّا لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ: إِمَّا لِزَوْجِهَا بِالتَّضْيِيقِ عَلَيْهَا، وَحَبْسِهَا عَلَى نَفْسِهَا وَهُوَ لَهَا كَارَهُ، مُضَارَّةٌ مِنْهَا بِذَلِكَ، لِأَخْذِهَا مَا آتَاهَا بِاِفْتِدَائِهَا مِنْ نَفْسِهَا بِذَلِكَ، أَوْ لَوَلِيَّهَا الَّذِي إِلَيْهِ إِتْكَاحُهَا، وَإِذَا كَانَ لَا سَبِيلَ إِلَى عَضْلِهَا لِأَحَدٍ فَيَرْفَعُهَا، وَكَانَ الْوَلِيُّ مَعْلُومًا أَنَّهُ لَيْسَ بِمَا آتَاهَا شَيْئًا، يُقَالُ: إِنْ عَضَلَهَا مِنَ النِّكَاحِ: «عَضَلَهَا» لِيَذْهَبَ بِعِضْ مَا آتَاهَا كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ الَّذِي عَنْهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْهَى عَنْ عَضْلِهَا، هُوَ زَوْجُهَا الَّذِي لَهُ السَّبِيلُ إِلَى عَضْلِهَا ضَرَارًا لِتَفْتَدِيَ مِنْهُ.

(٥) قال أبو جعفر: فمعنى الآية: ولا يحل لكم أيها الذين آمنوا أن تعضلوا نساءكم، فتضيّقوا عليهن، وتمنعوهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صدقاتكم، إلا أن يأتين بفاحشة - من زنى، أو بذاءة عليكم، وخلاف لكم فيما يجب عليهن لكم - مبنية ظاهرة، فيحل لكم حبسهن وعضلهن والتضييق عليهن، لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صدقات إن هن أفعلن منكم به.

قوله تعالى: ﴿فَسَمِعَ أَنَّ نَكَرَهُوا شَيْئًا﴾ قال ابن عباس: ربما رزق الله منهما ولدًا، فجعل الله في ولدهما خيراً كثيراً. وقد نذبت الآية إلى إمساك المرأة مع الكراهة لها، ونُبِئت على معنيين: أحدهما: أن الإنسان لا يعلم وجوه الصلاح، فرب مكرره عاد محموداً، ومحمود عاد مذموماً. والثاني: أن الإنسان لا يكاد يجد محبوباً ليس فيه ما يكره، فليصبر على ما يكره لما يُحِبُّ<sup>(١)</sup>. وأنشدوا في هذا المعنى:

وَمَنْ لَمْ يُعْطَ عَيْنُهُ عَنْ صَدِيقِهِ      وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وَهُوَ عَاتِبٌ  
وَمَنْ يَتَّبِعْ جَاهِداً كُلَّ عَشْرَةٍ      يَجِدُهَا وَلَا يَسْلَمُ لَهُ الدُّهْرُ صَاحِبٌ

﴿لَوْلَا أَرَدْتُمْ أَسْتَيْدَالَ رَزِيقِ مَخَاكِ رَزِيقٍ وَانْتَبَهْتُمْ لِمَعْدِنَهُمْ قِنَازًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَيْبَتِكُمْ وَإِنَّمَا تَيْبَسًا﴾  
قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَرَدْتُمْ أَسْتَيْدَالَ رَزِيقِ﴾ هذا الخطاب للرجال. والزوج: المرأة. وقد سبق ذكر «القنطار» في (آل عمران).

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ إنما ذلك في حق من وطنها، أو خلا بها، وقد بيّنت ذلك الآية التي بعدها. قال القاضي أبو يعلى: وإنما خص النبي عن أخذ شيء مما أعطى بحال الاستبدال، وإن كان المنع عاماً، لثلا يظن ظان أنه لما عاد البضع إلى ملكها، وجب أن يسقط حقها من المهر، أو يظن ظان أن الثانية<sup>(٢)</sup> أولى بالمهر منها، لقيامها مقامها. وفي البهتان قولان: أحدهما: أنه الظلم، قاله ابن عباس، وابن قتيبة. والثاني: الباطل، قاله الزجاج. ومعنى الكلام: أناخذونه مباهتين آتئين.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ أي: كيف تستجيزون أخذه. وفي «الإفضاء» قولان: أحدهما: أنه الجماع، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: الخلوة بها، وإن لم يغشها، قاله الفراء. وفي المراد بالميثاق هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذي أخذه الله للنساء على الرجال؛ الإمساك بمعروف، أو التيسير بإحسان. هذا قول ابن عباس، والحسن، وابن سيرين، وقتادة، والضحاك، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنه عقد النكاح، قاله مجاهد، وابن زيد. والثالث: أنه أمانة الله، قاله الربيع.

﴿لَوْلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ بَنَاتَ أُمَّتِكُمْ سَبِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ بَنَاتَ أُمَّتِكُمْ سَبِيلًا﴾ قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله إلا امرأة الأب، والجمع بين الأخنتين، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>: وقال بعض الأنصار: توفي أبو قيس بن الأسلت، فخطب ابنه قيس امرأته، فأتى النبي ﷺ تستأذنه، وقالت: إنما كنت أعده ولداً، فنزلت هذه الآية. قال أبو عمر غلام ثعلب: الذي حصلته عن ثعلب، عن الكوفيين، والمبرد عن البصريين، أن «النكاح» في أصل اللغة: اسم للجمع بين الشيتين. وقد سموا الوطء نفسه نكاحاً من غير عقد. قال الأعشى:

وَمِنْكَوْحَةٍ غَيْرِ مَمْهُورَةٍ<sup>(٤)</sup>

يعني المسبية الموطوءة بغير مهر ولا عقد. قال القاضي أبو يعلى: قد يطلق النكاح على العقد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثَمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩] وهو حقيقة في الوطء، مجاز في العقد، لأنه اسم للجمع، والجمع إنما يكون بالوطء، فسمي العقد نكاحاً، لأنه سبب إليه.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أنها بمعنى: بعد ما قد سلف، فإن الله يغفره، قاله الضحاك، والمفضل. وقال الأخفش: المعنى: لا تنكحوا ما نكح آبائكم، فإنكم تعدّون به، إلا ما قد سلف، فقد وضعه الله عنكم. والثاني: أنها بمعنى: سوى ما قد سلف، قاله الفراء. والثالث: أنها بمعنى: لكن ما قد سلف فدعوه،

(١) في «صحيح مسلم» ١٠٩/٢ عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا يفرق مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» أو قال: «غيره» والفرك: البفض.

(٢) في النسخة الأحمدية: «الباينة» وهو خطأ. (٣) أخرجه ابن جرير ١٣٣/٨ وسنده حسن.

(٤) «ديوانه» ص ٧٥ وعجوه: وأخرى يقال له: قادهما. يقول: كم في بيته من سيئة قد أحرزها لم يدفع فيها مهراً، وأخرى يطلب أهلها أن يقتدوها بالمال.

قاله قطرب. وقال ابن الأنباري: لكن ما قد سلف، فإنه كان فاحشة. والرابع: أن المعنى: ولا تنكحوا كنكاح آبائكم النساء، أي: كما نكحوا على الوجوه الفاسدة التي لا تجوز في الإسلام إلا ما قد سلف في جاهليتهم، من نكاح لا يجوز ابتداء مثله في الإسلام، فإنه معفو لكم عنه، وهذا كقول القائل: لا تفعل ما فعلت، أي: لا تفعل مثل ما فعلت، ذكره ابن جرير<sup>(١)</sup>. والخامس: أنها بمعنى «الواو» فتقديرها: ولا ما قد سلف، فيكون المعنى: اقطعوا ما أنتم عليه من نكاح الآباء، ولا تبدئوا، قاله بعض أهل المعاني. والسادس: أنها للاستثناء، فتقدير الكلام: لا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء بالنكاح الجائز [الذي كان عقده بينهم] إلا ما قد سلف منهم بالزنى، والسفاح، فإنهم حلال لكم، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ﴾ يعني النكاح، و«الفاحشة»: ما يفحش ويقبح. و«المقت»: أشد البغض. وفي المراد بهذا «المقت» قولان. أحدهما: أنه اسم لهذا النكاح، وكانوا يستمون نكاح امرأة الأب في الجاهلية: مقتاً، ويُسمون الولد منه: «المقتي». فاعلموا أن هذا الذي حرّم عليهم [من نكاح امرأة الأب] لم يزل منكراً [في قلوبهم] ممقوتاً عندهم. هذا قول الزجاج. والثاني: أنه يوجب مقت الله لفاعله، قاله أبو سليمان الدمشقي. قوله: ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: قبح هذا الفعل طريقاً.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخُوتُكُمْ وَعَخَوَاتُكُمْ وَكُلْتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنْ أُمَّهَاتٍ أَلْتُمْنَ فِي سُبُلِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَعَلَى الْإِنْسَانِ عَذَابٌ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ قال الزجاج: الأصل في أمهات: أمات، ولكن الهاء زيدت مؤكدة، كما زادوها في: أهرقت الماء، وإنما أصله: أرتقت.

قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ إنما سُمّين أمهات، لموضع الحرمة. واختلفوا: هل يعتبر في الرضاع العدد، أم لا؟ فنقل حبل، عن أحمد؛ أنه يتعلق التحريم بالرضعة الواحدة، وهو قول عمر، وعلي، وابن عباس، وابن عمر، والحسن، وطاووس، والشعبي، والنخعي، والزهري، والأوزاعي، والثوري، ومالك، وأبي حنيفة وأصحابه<sup>(٢)</sup>. ونقل محمد بن العباس، عن أحمد: أنه يتعلق التحريم بثلاث رضعات<sup>(٣)</sup>. ونقل أبو الحارث، عن أحمد: لا يتعلق بأقل من خمس رضعات متفرقات، وهو قول الشافعي<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ أمهات النساء: يحرم من بنفس العقد على البنت، سواء دخل بالبنت، أو لم يدخل، وهذا قول عمر، وابن مسعود، وابن عمر، وعمران بن حصين، ومسروق، وعطاء، وطاووس، والحسن، والجمهور. وقال علي عليه السلام: في رجل طلق امرأته قبل الدخول: له أن يتزوج أمها<sup>(٥)</sup> وهذا قول مجاهد، وعكرمة.

(١) واختاره ووصفه بأنه أولى الأقوال بالصواب، انظر «تفسيره» ١٣٧/٨.

(٢) لمعوم قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنْ أُمَّهَاتٍ أَلْتُمْنَ فِي سُبُلِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَعَلَى الْإِنْسَانِ عَذَابٌ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ وقوله ﷺ: «يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة» رواه مسلم ١٠٦٨/٢.

(٣) لما ثبت في «صحيح مسلم» ١٠٧٣/٢ عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحرم المصاة والمصتان، وعن أم الفضل قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تحرم الرضعة أو الرضعتان أو المصاة أو المصتان» وفي لفظ آخر: «لا تحرم الإملجة والإملاجان» رواه مسلم ١٠٧٤/٢.

(٤) ذكر ابن قدامة المقدسي في «المغني» ١٩٢/٩ الأقوال الثلاثة عن الإمام أحمد، وقال: إن الذي يتعلق به التحريم خمس رضعات فصاعداً، هذا الصحيح في المذهب، لما روى مسلم ١٠٧٥/٢ عن عائشة أنها قالت: «كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرم، ثم نسخ بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وعن فيما يقرأ من القرآن» وفي رواية الترمذي ١٣٧/١ «فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك» وفي حديث سهلة بنت سهيل أن رسول الله ﷺ أمرها أن ترضع سالماً مولى أبي حنيفة خمس رضعات والآية فسرتها السنة، وبينت الرضاعة المحرمة. وصرح ما رويناه يخص مفهوم ما رواه المخالف، فنجمع بين الأخبار، ونحملها على الصريح الذي رويناه.

(٥) رواه ابن جرير الطبري ١٤٥/٨، وفي سنده غلاس بن عمرو الهجري، نص البخاري في «التاريخ الكبير» بأنه لم يسمع من علي، وأن حديثه عنه من صحيفة كانت عنده، فمن أجل ذلك قال القرطبي في هذا الأثر: وحديث غلاس عن علي لا تقوم به حجة، ولا تصح روايته عند أهل العلم بالحديث، والصحيح عنه مثل قول الجماعة.



والثالث: الحرائر، فالمعنى: أنهن حرام بعد الأربع اللواتي دُكرْنَ في أول السورة، روي عن ابن عباس، وعبيدة. فعلى القول الأول في معنى قوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: إلا ما ملكت أيمانكم من السبايا في الحروب، وعلى هذا تأوَّل الآية علي، وعبد الرحمن بن عوف، وابن عمر، وابن عباس، وكان هؤلاء لا يرون بيع الأمة طلاقاً. والثاني: إلا ما ملكت أيمانكم من الإماء ذوات الأزواج، بسبي أو غير سبي، وعلى هذا تأوَّل الآية ابن مسعود، وأبي بن كعب، وجابر، وأنس، وكان هؤلاء يرون بيع الأمة طلاقاً. وقد ذكر ابن جرير، عن ابن عباس، وسعيد بن المسيب، والحسن أنهم قالوا: بيع الأمة طلاقاً، والأول أصح، لأن النبي ﷺ خير بريرة إذ أعتقها عائشة، بين المقام مع زوجها الذي زوّجها منه سادتها في حال رقها، وبين فراقه، ولم يجعل النبي ﷺ عتق عائشة إياها طلاقاً، ولو كان طلاقاً لم يكن لتخييره إياها معنى. ويدل على صحة القول الأول ما ذكرناه من سبب نزول الآية<sup>(١)</sup>. وعلى القول الثاني: العفاف حرام إلا بملك، والملك يكون عقدًا، ويكون ملك يمين. وعلى القول الثالث: الحرائر حرام بعد الأربع إلا ما ملكت أيمانكم من الإماء، فإنهن لم يُحصَرْنَ بعد.

قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على التوكيد، محمول على المعنى، لأن معنى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَهْلُكُمْ﴾: كتب الله عليكم هذا كتاباً، قال: ويجوز أن ينتصب على جهة الأمر، ويكون «عليكم» مفسراً له، فيكون المعنى: الزموا كتاب الله. قال: ﴿وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَدَّاءُ لَكُمْ﴾ أي: ما بعد هذه الأشياء، إلا أن السنة قد حرمت تزويج المرأة على عمتها، وتزويجها على خالتها<sup>(٢)</sup> وقرأ ابن السميع، وأبو عمران: «كتب الله عليكم» بفتح الكاف، والتاء، والباء، من غير ألف، ورفع الهاء. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: وأحل بفتح الحاء، وقرأ حمزة، والكسائي: بضم الألف.

### فصل

قال شيخنا علي بن عبيد الله: وعامة العلماء ذهبوا إلى أن قوله: ﴿وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَدَّاءُ لَكُمْ﴾ تحليل ورد بلفظ العموم، وأنه عموم دخله التخصيص، والمخصص له نهي النبي ﷺ أن تنكح المرأة على عمتها، أو على خالتها. وليس هذا على سبيل النسخ. وذهب طائفة إلى أن التحليل المذكور في الآية منسوخ بهذا الحديث<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ﴾ أي: تطلبوا إنا بصدقات في نكاح، أو ثمن في ملك ﴿لِتُحْيِيْنَ﴾ قال ابن قتيبة: متزويجين، وقال الزجاج: عاقدين التزويج، وقال غيرهما: متعقّفين غير زانين. والسفاح: الزنى، قال ابن قتيبة: أصله من سفحت القرية: إذا صبيتها، فسُمي الزنى سفاحاً، لأنه [يسافح] يصب النطفة، وتصب المرأة النطفة. وقال ابن فارس: السفاح: صب الماء بلا عقد، ولا نكاح، فهو كالشيء يسفح ضياعاً.

قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَلَهُنَّ أَجُورُهُنَّ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الاستمتاع في النكاح بالجمهور، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والجمهور. والثاني: أنه الاستمتاع إلى أجل مُسمًّى من غير عقد نكاح. وقد روي عن

(١) قال ابن كثير: ٤٧٤/١: وقد ذهب جماعة من السلف إلى أن بيع الأمة يكون طلاقاً من زوجها، أخذوا بعموم هذه الآية، وقد خالفهم الجمهور قديماً وحديثاً، فأروا أن بيع الأمة ليس طلاقاً لها، لأن المشتري نائب عن البائع، والبائع كان قد أخرج عن ملكه هذه المنفعة، وباعها مسلوقة عنها، واعتمدوا في ذلك على حديث بريرة المخرج في «الصحيحين» وغيرهما، فإن عائشة أم المؤمنين اشترتها وأعتقها، ولم ينسخ نكاحها من زوجها، فثبت، بل خيرها رسول الله ﷺ بين الفسخ والبقاء، فاختارت الفسخ، وقصتها مشهورة، فلو كان بيع الأمة طلاقاً كما قال هؤلاء، ما خيرها النبي ﷺ، فلما خيرها دل على بقاء النكاح، وأن المراد من الآية الميسات فقط، والله أعلم.

(٢) حديث انتهى رسول الله ﷺ أن يجمع الرجل بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها، رواه البخاري ١٠٧/٢٠، بشرح العيني، ومسلم ١٠٢٩/٢ وغيرهما عن أبي هريرة.

(٣) والأول هو الصواب، لأن قوله تعالى: ﴿وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَدَّاءُ لَكُمْ﴾ عام مخصوص بمحرمات دلت عليها دلائل أخر، فمن ذلك ما صح عن النبي ﷺ من النهي عن الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها. وقد حكى الترمذي المنع من ذلك عن كافة أهل العلم، وقال: لا نعلم بينهم اختلافاً في ذلك، ومن ذلك نكاح المعتدة، ومن ذلك أن من كان في نكاحه حرة لا يجوز له نكاح الأمة، ومن ذلك القادر على الحرة لا يجوز له نكاح الأمة، ومن ذلك من عنده أربع زوجات لا يجوز له نكاح الخامسة، ومن ذلك الملاعة فإنها محرمة على الملاعن أبداً. فالآية مما نزل عاماً، ودلت السنة ومواضع من التثليل على أنها مخصصة بغيرها.

ابن عباس: أنه كان يفتي بجواز المتعة، ثم رجع عن ذلك وقد تكلف قوم من مفسري القرآن، فقالوا: المراد بهذه الآية نكاح المتعة، ثم نسخت بما روي عن النبي ﷺ أنه نهى عن متعة النساء، وهذا تكلف لا يحتاج إليه، لأن النبي ﷺ أجاز المتعة، ثم منع منها، فكان قوله منسوخاً بقوله<sup>(١)</sup>. وأما الآية، فإنها لم تتضمن جواز المتعة. لأنه تعالى قال فيها: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِينَ غَيْرَ مُسْفِينٍ﴾ فدل ذلك على النكاح الصحيح. قال الزجاج: ومعنى قوله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ فما نكحتموهن على الشريطة التي جرت، وهو قوله: ﴿مُحْصِينَ غَيْرَ مُسْفِينٍ﴾ أي: عاقدين التزويج ﴿فَتَأْوِيلُهُنَّ أَجُورُهُنَّ﴾ أي: مهورهن. ومن ذهب في الآية إلى غير هذا، فقد أخطأ، وجعل اللغة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَيْنِ الْفَرِيضَتَيْنِ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أن معناه: لا جناح عليكم فيما تركته المرأة من صداقها، ووهبه لزوجها، هذا مروى عن ابن عباس، وابن زيد. والثاني: ولا جناح عليكم فيما تراضيت به من مقام، أو فرقة بعد أداء الفريضة، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: ولا جناح عليكم أيها الأزواج إذا أعسرتم بعد الفرض لنسائكم فيما تراضيت به من أن يتقنكم، أو يبرئكم، قاله أبو سليمان التيمي. والرابع: لا جناح عليكم إذا انقضى أجل المتعة أن يزدنكم في الأجل، وتزيدونهن في الأجر من غير استبراء، قاله السدي، وهو يعود على قصة المتعة. والخامس: لا جناح عليكم أن تهب المرأة للرجل مهرها، أو يهب هو للتي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب عليه. قاله الزجاج. والسادس: أنه عام في الزيادة، والنقصان، والتأخير، والإبراء، قاله القاضي أبو يعلى<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْصَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَمَنْ فَتَنَتْكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَمْوَالِكُمْ أَجُورُهُنَّ وَالْمَعْرُوفُ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحاتٍ وَلَا مُتَخَذَاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْسَنْتُمْ فَلَهُنَّ ثَلَاثُ عَشْرَ مِائَةً يَضُفُّ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْمَذَاقِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْمَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصِيرُوا خَيْرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾ «الطول» الغنى والسعة في قول الجماعة. و«المحصنات»: الحرائر. قال-

(١) عامة فقهاء الأمصار، وجماهير السلف والخلف على تحريم المتعة، وأنها منسوخة بعد الترخيص بها، وقد ثبت النسخ من حديث جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم، فقد أخرج مسلم ١٠٢٥/٢ من حديث سيرة الجهنبي أنه كان مع رسول الله ﷺ، فبأيهما الناس إني قد كنت أفتت في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة وفي لفظ له قال: أمرنا رسول الله ﷺ بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكة، ثم لم نخرج منها حتى نهانا عنها.

وفي البخاري ١١١/٢٠ بشرح العيني، ومسلم ١٠٢٧/٢ والترمذي ١٣٣/١، وابن ماجه ٦٣٠/١ عن علي بن أبي طالب أنه قال: نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر، وعن لحوم الحمر الأهلية. قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، وإنما روي عن ابن عباس شيء من الرخصة في المتعة، ثم رجع عن قوله حيث أخبر عن النبي ﷺ، وأمر أكثر أهل العلم على تحريم المتعة، وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق. وروى مسلم ١٠٢٣/٢ عن سلمة بن الأكوع أنه قال: رخص رسول الله ﷺ عام أوطاس في المتعة ثلاثاً، ثم نهى عنها.

وأخرج ابن ماجه ٦٣١/١ عن ابن عمر قال: لما ولي عمر بن الخطاب خطب الناس فقال: إن رسول الله ﷺ أذن لنا في المتعة ثلاثاً، ثم حرمها، والله لا أعلم أحداً يتمتع وهو محصن إلا رجسته بالحجارة. قال الحافظ في «التلخيص» ٢٩٤/٢: إسناد صحيح.

وروى الطبراني في «الأوسط» بسند قوي كما قال الحافظ من طريق إسحاق بن راشد عن الزهري عن سالم قال: أتني ابن عمر فقلت له: إن ابن عباس يأمر بنكاح المتعة، قال: معاذ الله ما أظن ابن عباس يفعل هذا، فقلت: بلى! قال: وهل كان ابن عباس على عهد رسول الله ﷺ إلا غلاماً صغيراً، ثم قال ابن عمر: نهانا عنها رسول الله ﷺ وما كنا مسافعين. وذكره الهيثمي في «المجموع» ٢٦٥/٤، وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال الصحيح، خلا المعافى بن سليمان وهو ثقة.

وروى الدارقطني في «سننه» ٢٩٨/٢ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: حرم أو هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث. قال الحافظ في «التلخيص»: وإسناده حسن، وله شاهد صحيح أخرجه البيهقي في «السنن» ٢٠٧/٧ عن سعيد بن المسيب. وقال الشوكاني في «نبيل الأوطار» ٦/٢٧٤: ونحن متمبلون بما بلغنا من الشارح، وقد صح لنا عنه التحريم المؤبد، ومخالفة طائفة من الصحابة له غير قاذفة في حجته، ولا قائمة لنا بالمعركة عن العمل به، كيف والجمهور من الصحابة قد حفظوا التحريم، وعملوا به، ورووه لنا.

(٢) قال أبو جعفر الطبري بعد أن ذكر أقوال السلف والعلماء: ١٨١/٨: وأولي هذه الأقوال بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ولا حرج عليكم أيها الناس فيما تراضيت به أنفسكم ونسائكم من بعد إصطائهن أجورهن على النكاح الذي جرى بينكم وبينهن من حط ما وجب لهن عليكم أو إبراء أو تأخير ووضع، وذلك نظير قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَمَّا الْفِتْنَةُ فَغَلَتْ إِنَّ كَانَ لِكُمْ عَنْ قَوْمِ نِسَاءٍ فَتَنَ كَمَا لَكُمُ عَنْ قَوْمِكُمْ فَتَنُوا مِثْلَ مَا تَتَنُونَ﴾ [النساء: ٤]. فأما الذي قاله السدي، فقول له معنى له، لفساد القول: بإحلال جماع امرأة بغير نكاح ولا ملك يمين.

الزواج: والمعنى: من لم يقدر على مهر الحرة، يقال: قد طال فلان طَولاً على فلان، أي: كان له فضل عليه في القدرة. والمراد بالفتيات هاهنا: المملوكات، يقال للأمة: فتاة، وللعبد: فتى، وقد سُمِّي بهذا الاسم من ليس بمملوك. قرأت على شيخنا الإمام أبي منصور اللغوي قال: المتفتية: الفتاة والمراقة، ويقال للجارية الحادثة: فتاة، وللغلام: فتى. قال القتيبي: وليس الفتى بمعنى الشاب والحدث، إنما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال<sup>(١)</sup>. فاما ذكر الإيمان، فشرط في إباحتهن، ولا يجوز نكاح الأمة الكتابية، هذا قول الجمهور، وقال أبو حنيفة: يجوز.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ قال الزجاج: معناه: اعملوا على ظاهركم في الإيمان، فإنكم متعبدون بما ظهر من بعضكم لبعض<sup>(٢)</sup>. قال: وفي قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ وجهان: أحدهما: أنه أراد النسب، أي: كلكم ولد آدم. ويجوز أن يكون معناه: دينكم واحد، لأنه ذكر هاهنا المؤمنات. وإنما قيل لهم ذلك، لأن العرب كانت تظعن في الأنساب، وتفخر بالأحساب، وتُسَمَّى ابن الأمة: الهجين، فأعلم الله ﷻ أن أمر العبيد وغيرهم مستو في باب الإيمان، وإنما كُره التزويج بالأمة، وحُرِّمَ إذا وَجَدَ إلى الحرة سبيلاً، لأن زُلْدَ الأمة من الحُرِّ يصيرون رقيقاً، ولأن الأمة ممتحنة في عشرة الرجال، وذلك يشق على الزوج. قال ابن الأنباري: ومعنى الآية: كلكم بنو آدم، فلا يتداخلكم شُموخ وأنفة من تزوج الإماء عند الضرورة. وقال ابن جرير: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ومن لم يستطع منكم طَولاً أن ينكح المحصنات [المؤمنات]، فليُنكح بعضكم من بعض، أي: لينكح هذا فتاة هذا.

قوله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوهُنَّ﴾ يعني: الإماء ﴿يَاذَنَ أَهْلَهُنَّ﴾، أي: سادتهن. و«الأجور»: المهور. وفي قوله: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ قولان: أحدهما: أنه مقدم في المعنى، فتقديره: انكحوهن ياذن أهلهن بالمعروف، أي: بالنكاح الصحيح: ﴿وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾. والثاني: أن المعنى: وآتوهن أجورهن بالمعروف، كمهور أمثالهن. قال ابن عباس: «محصنات»: عفاف غير زوان ﴿وَلَا مَخْذَلَاتٍ أَخَذْنَ﴾ يعني: أخلاء، كان الجاهلية يحرمون ما ظهر من الزنى، ويستحلون ما خفي. وقال في رواية أخرى: «المسافحات»: المعلنات بالزنى. و«المتخذات أخدان»: ذات الخليل الواحد. وقال غيره: كانت المرأة تتخذ صديقاً تزني معه، ولا تزني مع غيره.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَتَوْهُنَّ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «أحصن» مضمومة الألف. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر، والمفضل عن عاصم: بفتح الألف، والصاد. قال ابن جرير: من قرأ بالفتح، أراد: أسلمن، فصرن ممنوعات الفروج عن الحرام بالإسلام، ومن قرأ بالضم، أراد: فإذا تزوجن، فصرن ممنوعات الفروج من الحرام بالأزواج. فاما «الفاحشة»، فهي الزنى، و«المحصنات»: الحرائر، و«العذاب»: الحد. قال القاضي أبو يعلى: وليس الإسلام والتزويج شرطاً في إيجاب الحد على الأمة، بل يجب وإن عُدِمَا، وإنما شرط الإحصان في الحد، لثلاث يتوهم متوهم أن عليها نصف ما على الحرة إذا لم تكن محصنة، وعليها مثل ما على الحرة إذا كانت محصنة.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ الإشارة إلى إباحة تزويج الإماء. وفي «العنت» خمسة أقوال: أحدها: أنه الزنى، قاله ابن

(١) وتام كلام ابن قتية كما في «اللسان»: مادة: فتى: يدل على ذلك قول الشاعر:

إِنَّ الْفَتَى حَمْلٌ كُلُّ مَلْمُوءَةٍ  
وقال ابن هرمة:

قَدْ يَدْرِكُ الشَّرَفَ الْفَتَى وَرِثَاوُهُ  
وقال الأسود بن يعفر:

يَا بِمَعْدٍ زَيْدٍ فِي فَتَاةٍ فَرَقُوا  
فِي آلِ غَرْفٍ لَوْ بَغِيَتْ لِي الْأُمَى  
فَتَحْبِسُوا الْأَرْضَ الْفَضَاءَ لِعَزْمِهِمْ

قَتَلُوا وَنَفْسِيأً بِمَعْدٍ حَسَنٍ تَأْدِي  
لَوْ جَدَيْتَ فِيهِمْ أَمْرَةَ الْمُجْدَادِ  
وَيَزِيدُ وَإِيْدَهُمْ عَلَى الرُّكَّادِ

(٢) في «البحر المحيط» ٢٢١/٣: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ لما خاطب المؤمنين بالحكم الذي ذكره من تجوز نكاح عادم طول الحرة المؤمنة للأمة المؤمنة، نيه على أن الإيمان هو وصف باطن، وأن المطلق عليه هو الله، فالمعنى: أنه لا يشترط في إيمان الفتيات أن يكونوا عالمين بذلك العلم اليقيني، لأن ذلك إنما هو الله تعالى، فيكفي من الإيمان منتهن إظهاره، فمن كانت مظاهرة للإيمان فتكاحها صحيح.

عباس، والشعبي، وابن جبير، ومجاهد، والضحاك، وابن زيد، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: أنه الهلاك، ذكره أبو عبيدة، والزجاج. والثالث: لقاء المشقة في محبة الأمة، حكاه الزجاج. والرابع: أن العنت هاهنا: الإثم. والخامس: أنه العقوبة التي تعنته، وهي الحد، ذكرهما ابن جرير الطبري<sup>(١)</sup>. قال القاضي أبو يعلى: وهذه الآية تدل على إباحة نكاح الإمام المؤمنات بشرطين: أحدهما: عدم طول الحرّة. والثاني: خوف الزنى، وهذا قول ابن عباس، والشعبي، وابن جبير، ومسروق، ومكحول، وأحمد، ومالك، والشافعي. وقد روي عن علي، والحسن، وابن المسيّب، ومجاهد، والزهري، قالوا: ينكح الأمة، وإن كان موسراً، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ قال ابن عباس والجماعة: عن نكاح الإمام، وإنما ندب إلى الصبر عنه، لاسترقاق الأولاد.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ يَتَّبِعَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ يَتَّبِعَ لَكُمْ﴾ اللام بمعنى «أن» وهذا مذهب جماعة من أهل العربية، واختاره ابن جرير، ومثله ﴿وَأَمَرْتُ لِأَعْمَلُ بَيْنَكُمْ﴾ [الشورى: ١٥] ﴿وَأَمَرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ [الأنعام: ٧١] ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا﴾ [الصف: ٨]. والبيان من الله تعالى بالنص تارة، وبدلالة النص أخرى. قال الزجاج: «والسُنَن»: الطُرُق، فالمعنى يدلكم على طاعته، كما دل الأنبياء وتابعيهم. وقال غيره: معنى الكلام: يريد الله لِيُبينَ لكم سُنَنَ من قبلكم من أهل الحق والباطل، لتجتنبوا الباطل وتجيئوا الحق، ويهديكم إلى الحق.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ الْتَمَسُوا الشَّهَوَاتِ أَنْ يَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجاج: يريد أن يدلكم على ما يكون سبباً لتوبتكم. وفي الذين اتبعوا الشهوات أربعة أقوال: أحدها: أنهم الزناة، قاله مجاهد، ومقاتل، والثاني: اليهود والنصارى، قاله السدي. والثالث: أنهم اليهود خاصة، ذكره ابن جرير. والرابع: أهل الباطل، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ أي: عن الحق بالمعصية.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَخُفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَخُفِّفَ عَنْكُمْ﴾ التخفيف: تسهيل التكليف، أو إزالة بعضه. قال ابن جرير: والمعنى: يريد أن يُيسّرَ لكم بإذنه في نكاح الفتيات المؤمنات لمن لم يستطع طولاً لحرّة. وفي المراد بضعف الإنسان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الضعف في أصل الخلقة. قال الحسن: هو أنه خُلِقَ من ماء مهين. والثاني: أنه قلة الصبر عن النساء، قاله طاووس، ومقاتل. والثالث: أنه ضعف العزم عن قهر الهوى، وهذا قول الزجاج، وابن كيسان.

﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَتْ بِحَرَّةٍ عَنْ تَرَاثُكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ الباطل: ما لا يحل في الشرع.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَتْ بِحَرَّةٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «تجارة» بالرفع. وقرأ حمزة، والكسائي، وعاصم بالنصب، وقد بينا العلة في آخر (البقرة).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه على ظاهره، وأن الله حرم على العبد قتل نفسه، وهذا الظاهر<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن معناه: لا يقتل بعضكم بعضاً، وهذا قول ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، والسدي، ومقاتل، وابن قتيبة. والثالث: أن المعنى: لا تكلّفوا أنفسكم عملاً ربّما أدّى إلى قتلها وإن

(١) قال الطبري: والصواب من القول في قوله: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَمَتَ مِنْكُمْ﴾ ذلك لمن خاف منكم ضرراً في دينه ويدنه.

(٢) روى الإمام أحمد في «المستدرك» ١٨٥/١٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل نفسه بحديدٍ لحديدته يلهه بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بسمه يلهه يديه يحسه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه، فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً» ورواه البخاري ٢١١/١٠ ومسلم ١٠٣/١ وغيرهما.



كان فرضاً، وعلى هذا تأولها عمرو بن العاص في غزاة ذات السلاسل حيث صلى بأصحابه جنباً في ليلة باردة، فلما ذكر ذلك للنبي ﷺ، قال له: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟» فقال: يا رسول الله إني احتلمتُ في ليلة باردة، واشفتُ إن اغتسلت أن أحلِم، فذكرت قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فضحك رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. والرابع: أن المعنى: لا تغفلوا عن حظ أنفسكم، فمن غفل عن حظها، فكأنما قتلها، هذا قول الفضيل بن عياض. والخامس: لا تقتلوا بارتكاب المعاصي.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾ في المشار إليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قتل النفس، قاله ابن عباس، وعطاء. والثاني: أنه عائد إلى كل ما نهى الله عنه من أول السورة إلى هاهنا، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: قتل النفس، وأكل الأموال بالباطل، قاله مقاتل.

﴿إِنْ جَحْتَبُونَا كِبَارًا مَا نُثَبِّتْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُظْلِمَكُمْ مَثَلًا تَذَكَّرُهَا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ جَحْتَبُونَا كِبَارًا مَا نُثَبِّتْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُظْلِمَكُمْ مَثَلًا تَذَكَّرُهَا﴾ اجتناب الشيء: تركه جانباً. وفي الكبائر أحد عشر قولاً: أحدها: أنها سبع، فروى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»<sup>(٢)</sup>. وقد روي هذا الحديث من طريق آخر عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «الكبائر سبع، الإشراك بالله أولهن، وقتل النفس بغير حقها، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم بداراً أن يكبروا، والفرار من الزحف، ورمي المحصنات، وانقلاب إلى أعرابية بعد هجرة»<sup>(٣)</sup>. وروي عن علي رضي الله عنه قال: هي سبع، فعذ هذه<sup>(٤)</sup>. وروي عن عطاء أنه قال: هي سبع، وعدّ هذه، إلا أنه ذكر مكان الإشراك

(١) رواه الإمام أحمد في «المستد» ٢٠٣/٤، وأبو داود ١٤١/١، ورواه البخاري تعليقاً ٣٨٥/١، قال الحافظ ابن حجر: هذا التعليق وصله أبو داود والحاكم من طريق يحيى بن أيوب عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمران بن أبي أنس، عن عبد الرحمن بن جبير، عن عمرو بن العاص، قال: احتلمت في ليلة باردة في غزاة ذات السلاسل، فاشفت أن اغتسل فأهلك تيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً. ورواه أيضاً من طريق عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب، لكن زادا بين عبد الرحمن بن جبير وعمرو بن العاص رجلاً، وهو أبو قيس مولى عمرو بن العاص، وقال في القصة: «فصل منابه وتوضأ» وقال فيه: «لو اغتسلت مت» وذكر أبو داود أن الأوزاعي روى عن حسان بن عطية هذه القصة فقال فيها: تيمم. ورواه عبد الرزاق من وجه آخر عن عبد الله بن عمرو بن العاص، ولم يذكر التيمم. والسياق الأول أليق بمراد المصنف - يعني البخاري - وإسناده قوي، لكنه علقه بصيغة التمرض، لكونه اختصره. وقال البيهقي: يمكن الجمع بين الروايات بأنه توضأ، ثم تيمم عن اليائي، وقال النووي: وهو متعين.

وقال ابن القيم في «زاد المعاد» ١٥٨/٢: اختلفت الرواية عنه، فروي عنه فيها أنه غسل منابه، وتوضأ وضوءه للصلاة، ثم صلى بهم، ولم يذكر التيمم، وكان هذه الرواية أقوى من رواية التيمم. قال عبد الحق الإشبيلي - وقد ذكرها وذكر رواية التيمم قبلها - ثم قال: وهذا أوصل من الأول، لأنه عن عبد الرحمن بن جبير المصري عن أبي قيس مولى عمرو بن عمرو، والأولى التي فيها التيمم من رواية عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص لم يذكر بينهما أبا قيس.

(٢) البخاري ٢٩٤/٥، ١٦٠/١٢، ومسلم ٩٢/١ والموبقات: المهلكات، قال المهلب: سميت بذلك، لأنها سبب لإهلاك مرتكبيها.

(٣) قال الحافظ ابن حجر ١٦٠/١٢: المراد بالموبقة - يريد حديث البخاري «اجتنبوا السبع الموبقات» - هنا الكبيرة، كما ثبت في حديث أبي هريرة من وجه آخر أخرجه البزار وابن المنذر من طريق عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رفعه: «الكبائر الشرك بالله وقتل النفس...» الحديث مثل رواية أبي الفيث إلا أنه ذكر بدل «السحر» «الانتقال إلى الأعرابية بعد الهجرة».

قلت: ومعنى هذه الجملة: الرجوع إلى سكنى البادية كالأعراب.

(٤) رواه ابن جرير ٢٣٥/٨، ولفظه: عن محمد بن سهل بن أبي حثمة عن أبيه قال: إني لفي هذا المسجد مسجد الكوفة، وعلي يخطب الناس على المنبر، فقال: يا أيها الناس إن الكبائر سبع، فأصباح الناس فأعادها ثلاث مرات، ثم قال: ألا تسألوني عنها؟ قالوا: يا أمير المؤمنين ما هي؟ قال: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار يوم الزحف، والتعرب بعد الهجرة. فقلت لأبي: يا أبا ما التعرب بعد الهجرة؟ كيف لحق هاهنا؟ فقال: يا بني وما أعظم من أن يهاجر الرجل حتى إذا وقع سهمه في الفيل، وجوب عليه الجهاد، خلج ذلك من عنقه، فرجع أعرابياً كما كان!! ورواه ابن مردويه مرفوعاً، قال ابن كثير: وفي إسناده نظر، ورفع غلط فاحش، والصواب ما رواه ابن جرير.

والتعرب شهادة الزور وعقوق الوالدين<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها تسع، روى عبيد بن عمير، عن أبيه، وكان من الصحابة، عن النبي ﷺ أنه سئل ما الكبائر؟ فقال: «تسع، أعظمهن الإشراك بالله، وقتل نفس المؤمن بغير حق، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، والسحر، وأكل الربا، وقذف المحصنة، وعقوق الوالدين المسلمين، واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتاً»<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها أربع، روى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه قال: «الكبائر؛ الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس»<sup>(٣)</sup>. وروى أنس بن مالك قال: ذكر رسول الله ﷺ الكبائر، أو سئل عنها، فقال: «الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين» وقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قول الزور، أو شهادة الزور»<sup>(٤)</sup>. وروي عن ابن مسعود أنه قال: الكبائر أربع: الإشراك بالله، والأمن لمكر الله، والقنوط من رحمة الله، والإياس من روح الله<sup>(٥)</sup>. وعن عكرمة نحوه. والرابع: أنها ثلاث، فروى عمران بن حصين، عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الشرك بالله، وعقوق الوالدين - وكان متكئاً فاحتفز - قال: والزور»<sup>(٦)</sup>. وروى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، فقال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين - وكان متكئاً فجلس - فقال: وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. وأخرجنا في «الصحيحين» من حديث ابن مسعود قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنب أكبر؟ قال: «أن تجعل لله تعالى نداً وهو خلقك». قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم منك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»<sup>(٧)</sup>. والخامس: أنها مذكورة من أول السورة إلى هذه الآية، قاله ابن مسعود، وابن عباس. والسادس: أنها إحدى عشرة: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار من الزحف، وقذف المحصنات، وشهادة الزور، والسحر، والخيانة. روي عن ابن مسعود أيضاً. والسابع: أنها كل ذنب يختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس. والثامن: أنها كل ما أوجب الله عليه النار في الآخرة، والحد في الدنيا، روى هذا المعنى أبو صالح، عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والتاسع: أنها كل ما عصي الله به، روي عن ابن عباس، وعبيدة، وهو قول ضعيف. والعاشر: أنها كل ذنب أوعده الله عليه النار، قاله الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك في رواية، والزجاج. والحادي عشر: أنها ثمان: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل المؤمن، وقذف المحصنة، والزنا، وأكل مال اليتيم، وقول الزور، واقتطاع الرجل يمينه وعهده ثمناً قليلاً. رواه مخرز، عن الحسن البصري<sup>(٨)</sup>.

(١) رواه ابن جرير ٢٣٨/٨.

(٢) رواه الحاكم مطولاً ٥٩٩/٤، ٢٥٩/٤، وقال: قد احتجنا برواية هذا الحديث غير عبد الحميد بن سنان، فأما عمير بن قتادة فإنه صحابي، وابنه عبيد مفتق على إخراجهم والاحتجاج به. وتعبه الذهبي في «مختصره» بأنهما لم يحتجا بعبد الحميد لجهالته، وثقته ابن حبان.

(٣) ورواه أبو داود ١٥٧/٣، والنسائي ٨٩٩/٧، وذكره ابن كثير ٤٨١/١ عن رواية الحاكم، ثم قال: هكذا رواه الحاكم مطولاً، وقد أخرجه أبو داود والنسائي مختصراً من حديث معاذ بن هانئ به، وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديثه مبسوطاً ثم قال الحاكم: رجاله كلهم محتج بهم في «الصحيحين» إلا عبد الحميد بن سنان، قلت: وهو حجازي لا يعرف إلا بهذا الحديث، وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات» وقال البخاري: في حديثه نظر.

(٤) البخاري ٤٨٢/١١، ولن نجد في مسلم من رواية عبد الله بن عمرو، وإنما هو في رواية أنس بن مالك، وفيه «قول الزور» مكان قوله «واليمين الغموس» وزاد الإمام أحمد في «المسند» ١١٢/١١، وذكره ابن كثير ٤٨٣/١ من رواية «المسند» ونسبه للبخاري، والترمذي، والنسائي. واليمين الغموس: قال ابن الأثير في «النهاية»: هي اليمين الكاذبة الفاجرة، كالتى يقطع بها الحالف مال غيره، سميت غموساً، لأنها تنفس صاحبها في الإنم، ثم في النار، «وفعول» للمبالغة. وفي «عمدة القاري» ١٩٣/٢٣: قال ابن عبد البر: أكثر أهل العلم لا يرون في الغموس كفارة، ونقله ابن بطال أيضاً من جمهور العلماء، وبه قال النخعي، والحسن البصري، ومالك ومن تبعه من أهل المدينة، والأوزاعي في أهل الشام، والثوري وسائر أهل الكوفة، وأحمد، وإسحاق، وأبو ثور، وأبو عبيد، وأصحاب الحديث. وقال الشافعي: فيها الكفارة، وبه قال طائفة من التابعين.

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» ١٣١/٣، والبخاري ٣٤٥/١٠، ومسلم ٩٢/١.

(٦) خبر ابن مسعود ساقه الطبري من طرق كثيرة، وقال ابن كثير: هو صحيح إليه بلا شك.

(٧) رواه البخاري في «الأدب المفرد» ١٠١/١ وزاد الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١٦١/١٢ نسبته إلى البيهقي، والطبراني وقال: سنده حسن.

(٨) البخاري ٤١٣/١٣، ومسلم ٩٠/١، والحليلة: الزوجة، سميت بذلك لكونها تحل للزوج، وقيل: لكونها تحل معه.

(٨) قال أبو جعفر الطبري: وأولى ما قيل في تأويل «الكبائر» بالصحة، ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ، دون ما قاله غيره، وإن كان كل قائل فيها قولاً -

قوله تعالى: ﴿كَفَرْنَا عَنْكُمْ سَفَهًا﴾ روى المفضل، عن عاصم: «يكفر» ويدخلكم بالياء فيهما، وقرأ الباقون بالنون فيهما، وقرأ نافع، وأبان عن عاصم، والكسائي عن أبي بكر، عن عاصم: «مدخلًا» بفتح الميم هاهنا، وفي (الحج) وضم الباقون «الميم»، ولم يختلفوا في ضم «ميم» ﴿مُدْخَلٌ مِدْقِي﴾ و﴿مُدْخَلٌ مِدْقِي﴾ [الإسراء: ٨٠] قال أبو علي الفارسي: يجوز أن يكون «المدخل» مصدرًا، ويجوز أن يكون مكانًا، سواء فتح، أو ضم. قال السدي: السيات هاهنا: هي الصغائر. والمدخل الكريم: الجنة. قال ابن قتية: والكريم: بمعنى: الشريف.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ وَسَعَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن أم سلمة قالت: يا رسول الله: يغزو الرجال، ولا تغزو، وإنما لنا نصف الميراث، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد<sup>(١)</sup>. والثاني: أن النساء قلن: وددن أن الله جعل لنا الغزو، فنصيب من الأجر ما يصيب الرجال، فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنه لما نزل ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلَتَيْهِمْ﴾ قال الرجال: إنا لنرجو أن نفضل على النساء بحسبنا، كما فضلنا عليهن في الميراث، وقال النساء: إنا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال، كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة، والسدي<sup>(٣)</sup>. وفي معنى هذا التمني قولان: أحدهما: أن يتمنى الرجل مال غيره، قاله ابن عباس، وعطاء. والثاني: أن يتمنى النساء أن يكن رجالاً. وقد روي عن أم سلمة أنها قالت: يا ليتنا كنا رجالاً، فنزلت هذه الآية. وللتمني وجه: أحدها: أن يتمنى الإنسان أن يحصل له مال غيره، ويوزل عن الغير، فهذا الحسد. والثاني: أن يتمنى مثل ما لغيره، ولا يحب زواله عن الغير، فهذا هو الغبطة<sup>(٤)</sup> وربما لم يكن نيل ذلك مصلحة في حق المتمنى. قال الحسن: لا تمنّ مال فلان، ولا مال فلان، وما يدريك لعل هلاكه في ذلك المال؟ والثالث: أن

من الذين ذكرنا أقوالهم قد اجتهد وبالغ في نفسه، ولقوله في الصحة مذهب. وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١٦٣/١٢: ومن أحسن التعاريف، أي: تعريف الكبيرة قول القرطبي في «المفهم»: كل ذنب أطلق عليه بنص كتاب أو سنة أو إجماع: أنه كبيرة أو عظيم، أو أخبر فيه بشدة العقاب، أو علق عليه الحد، أو شدد التكرار عليه، فهو كبيرة. وعلى هذا ينبغي تتبع ما ورد فيه الوعيد، أو اللعن، أو الفسق، من القرآن، أو الأحاديث الصحيحة والحسنة، ويضم إلى ما ورد فيه التنصيص في القرآن والأحاديث الصحاح والحسان على أنه كبيرة، فمهما بلغ مجموع ذلك، عرف منه تحرير جدها. وقال الذهبي في أوائل كتاب «الكبائر»: والذي يتجه ويقوم عليه الدليل: أن من ارتكب شيئاً من هذه العظام مما فيه حد في الدنيا، كالقتل، والزنى، والسرقة، أو جاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب، أو غضب، أو تهديد، أو لعن فاعله على لسان نبي محمد ﷺ فإنه كبيرة، ولا بد من تسليم أن بعض الكبائر أكبر من بعض، ألا ترى أنه ﷺ عدّ الشرك بالله من الكبائر؟ مع أن مركبه مخلد في النار، ولا ينفرد له أبداً. وقال الحافظ ١٦٢/١٢ بعد أن جمع كثيراً من الأحاديث في بيان الكبائر: فهذا جميع ما وقفت عليه مما ورد التصريح بأنه من الكبائر، أو من أكبر الكبائر صحيحاً وضعيفاً مرفوعاً وموقوفاً، وقد تتبعته غاية التبع وفي بعض ما ورد خاصاً ويدخل في عموم غيره، ثم قال: والمعتمد من كل ذلك ما ورد مرفوعاً بغير تدخل من وجه صحيح، وهي السبعة المذكورة في حديث الباب - يعني حديث «اجتنبوا السبع الموبقات» والانتقال عن الهجره والزنى والسرقة والعقوق واليمين الغموس والإلحاد في الحرم وشرب الخمر، وشهادة الزور، والنعمة، وترك التزوّج من البول، والغلول ونكث الصفقة وفراق الجماعة، فذلك عشرون خصلة، وتفاوت مراتبها، والمجمع على عدم من ذلك أقوى من المختلف فيه إلا ما عهده القرآن أو الإجماع فيلتحق بما فوقه.

(١) روى الإمام أحمد في «المستدرك» ٣٢٢/٦ والترمذي ١٢٧/٢ والحاكم ٣٥٠/٢، عن سفیان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أم سلمة. قال الحاكم: هذا حديث على شرط الشيخين إن كان سمع مجاهد من أم سلمة، ووافقه الذهبي على تصحيحه، قال الشيخ أحمد شاكر: وأما حكم الترمذي في روايته من طريق ابن عبيدة بأنه حديث مرسل، فإنه جزم بلا دليل، ومجاهد أدرك أم سلمة يقيناً وعاصرها، فإنه ولد سنة ٢١، وأم سلمة ماتت بعد سنة ٦٠ على اليقين، والمعاصرة من الراوي الثقة تحمل على الاتصال إلا أن يكون الراوي مدلساً، ولم يزعم أحد أن مجاهداً مدلس إلا كلمة قالها القطب الحلبي في «شرح البخاري» حكاهما عنه الحافظ في «التلخيص» ٤٤/١٠، ثم عقب عليها بقوله: ولم أر من نسب إلى التدليس. وقال الحافظ أيضاً في «الفتح» ١٩٤/٦ رداً على من زعم أن مجاهداً لم يسمع من عبد الله بن عمرو: لكن سماع مجاهد من عبد الله بن عمرو ثابت وليس بمدلس.

(٢) في «الدر المنثور»: أخرجه سعيد بن منصور، وابن المنذر، عن عكرمة.

(٣) أخرجه ابن جرير ٢٦٤/٨، وابن أبي حاتم عن السدي.

(٤) قال ابن كثير: وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية: قال: ولا يتمنى الرجل فيقول: ليت أن لي مال فلان وأهله، فهى الله عن ذلك، ولكن ليسأل الله من فضله. وقال الحسن ومحمد بن سيرين وعطاء والضحاك نحو هذا، وهو الظاهر من الآية، ولا يرد على هذا ما ثبت في صحيح البخاري ٦٥/٩ لا حسد إلا في اثنين، رجل آتاه الله مالاً فسلطه علىهلكته في الحق، فيقول رجل: لو أن لي مثل مال فلان لعملت مثله، فإن هذا شيء غير ما نهى عنه الآية، وذلك أن الحديث حفص على تمنى مثل نعمة هذا، الآية نهت عن تمنى حين نعمة هذا.

تتمنى المرأة أن تكون رجلاً، ونحو هذا مما لا يقع، فليعلم العبد أن الله أعلم بالمصالح، فليرضى بقضاء الله، ولتكن أمانه الزيادة من عمل الآخرة.

قوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المراد بهذا الاكتساب: الميراث، وهو قول ابن عباس، وعكرمة. والثاني: أنه الثواب والعقاب. فالمعنى: أن المرأة ثابا كثواب الرجل، وتأثم كإثمه، هذا قول قتادة، وابن السائب، ومقاتل. واحتج على صحته أبو سليمان الدمشقي بأن الميراث لا يحصل بالاكتساب، وبأن الآية نزلت لأجل التمني والفضل.

قوله تعالى: ﴿وَسَلُّوا اللَّهَ مِنْ قَضَائِهِ﴾ قرأ ابن كثير، والكسائي، وأبان، وخلف في اختياره «سَلُّوا اللَّهَ» «فَسَلَّ الذين» «فَسَلَّ بَنِي إِسْرَآئِيلَ» «وَسَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا» وما كان مثله من الأمر المواجه به، وقبله «واو» أو «فاء» فهو غير مهموز عندهم. وكذلك نقل عن أبي جعفر، وشيبة<sup>(١)</sup>. وقرأ الباقون بالهمز في ذلك كله، ولم يختلفوا في قوله: ﴿وَلَسْتُمْ أَتَقَرُّوا﴾ [الممتحنة: ١٠] أنه مهموز. وفي المراد بالفضل قولان: أحدهما: أن الفضل: الطاعة، قال سعيد بن جبير، ومجاهد، والسدي. والثاني: أنه الرزق، قاله ابن السائب، فيكون المعنى: سلوا الله ما تتمنون من النعم، ولا تتمنوا مال غيركم.

﴿وَلِكُلِّ جَمَلًا مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَتَأْتُوهُمْ نَصِيْبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ جَمَلًا مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ الموالى: الأولياء، وهم الورثة من العصبية وغيرهم. ومعنى الآية: لكل إنسان موالى يرثون ما ترك. وارتفاع الوالدين والأقربين على معنيين من الإعراب: أحدهما: أن يكون الرفع على خبر الابتداء، والتقدير: وهم الوالدان والأقربون، ويكون تمام الكلام قوله ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾. والثاني: أن يكون رفعاً على أن الفاعل التارك للمال، فيكون الوالدان، هم المولى.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «عاقدت» بالالف، وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «عقدت» بلا ألف. قال أبو علي: من قرأ بالالف، فالتقدير: والذين عاقدتهم أيما نكم، ومن حذف الالف، فالمعنى: عقدت جلفهم أيما نكم، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه. وفيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أهل الحلف، كان الرجل يحالف الرجل، فأَيَمَها مات ورثه الآخر، فنسخ ذلك بقوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وروى عنه عطية قال: كان الرجل يلحق الرجل في الجاهلية، فيكون تابعه، فإذا مات الرجل، صار لأهله الميراث، وبقي تابعه بغير شيء، فأنزل الله ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ فأعطي من ميراثه، ثم نزل من بعد ذلك ﴿وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ وممن قال هم الحلفاء: سعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة. والثاني: أنهم الذين آخى بينهم رسول الله ﷺ، هم المهاجرون والأنصار، كان المهاجرون يورثون الأنصار دون ذوي رحم للأخوة التي عقدوا رسول الله ﷺ بينهم. رواه سعيد بن جبير، عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. وبه قال ابن زيد. والثالث: أنهم الذين كانوا يَتَّبِعُونَ أبناء غيرهم في الجاهلية، هذا قول سعيد بن المسيب. فأما أرباب القول الأول،

(١) في «طبقات القراء» ٣٢٩/١: شيبه بن نصاح بن مرجس بن يعقوب إمام ثقة مفرئ المدينة مع أبي جعفر وقاضيا، ومولى أم سلمة ؓ، مسحت على رأسه، ودعت له بالخير.

(٢) في «الطبري» ٢٧٥/٨ عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَتَأْتُوهُمْ نَصِيْبُهُمْ﴾ فكان الرجل يعاقد الرجل: أيهما مات ورثه الآخر، فأنزل الله ﴿وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في كتبه ألف من التَّوْبِيْنِ وَالْمُتَّبِعِيْنَ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا إِنَّ أَوْلِيَانَكُمْ مَشْرُوكًا [سورة الأحزاب: ٦] يقول: إلا أن يوصوا لأوليائهم الذين عاقدوا وصية فهو لهم جائز من ثلث مال الميت، وذلك هو المعروف. قلت: وعلي بن أبي طلحة أرسل عن ابن عباس ولم يره، فالخير منقطع.

(٣) أخرجه البخاري ١٨٦/٨، وأبو داود، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «سننه» عن ابن عباس، وتام الحديث: فلما نزلت: ﴿وَلِكُلِّ جَمَلًا مِّمَّا تَرَكَ﴾ نسخت، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَتَأْتُوهُمْ نَصِيْبُهُمْ﴾ من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصى له.

فقالوا: نسخ حكم الحلفاء الذين كانوا يتعاقدون على النصر والميراث بآخِر (الأنفال)، وإليه ذهب ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة، والثوري، والأوزاعي، ومالك، وأحمد، والشافعي. وقال أبو حنيفة وأصحابه: هذا الحكم باقٍ غير أنه جعل ذوي الأرحام أولى من موالي المعاهدة. وذهب قوم إلى أن المراد: فأتوهم نصيبهم من النصر والنصيحة من غير ميراث، وهذا مروى عن ابن عباس، ومجاهد. وذهب قوم آخرون إلى أن المعاهدة: إنما كانت في الجاهلية على النصر لا غير، والإسلام لم يُغَيِّرْ ذلك، وإنما قرَّره، فقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا حَلَفَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَزِدْهُ إِلَّا شِدَّةً»<sup>(١)</sup> أراد: النصر والعون. وهذا قول سعيد بن جبيرة، وهو يدل على أن الآية محكمة.

﴿إِنِّي بَالٍ قَوْمُوتٍ عَلَى الْإِسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَدْ نَسُوا حِظًّا مِمَّا كَانُوا يَمْلِكُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَدْ نَسُوا حِظًّا مِمَّا كَانُوا يَمْلِكُونَ

قوله تعالى: ﴿إِنِّي بَالٍ قَوْمُوتٍ عَلَى الْإِسَاءِ﴾ سبب نزولها: أن رجلاً لطم زوجته لطمَةً فاستعدت عليه رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. وذكر المفسرون أنه سعد بن الربيع الأنصاري. قال ابن عباس: «قَوْمُونَ» أي: مسلطون على تأديب النساء في الحق. وروى هشام بن محمد، عن أبيه في قوله: ﴿إِنِّي بَالٍ قَوْمُوتٍ عَلَى الْإِسَاءِ﴾ قال: إذا كانوا رجلاً، وأنشد:

أَكَلٌ أَمْرِي تَحْسِبِينَ أَمْرًا      وَنَارًا تَوْقُدُ بِاللَّيْلِ نَارًا<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ يعني: الرجال على النساء، وفضل الرجل على المرأة بزيادة العقل، وتوفير الحظ في الميراث، والغنيمة، والجمعة، والجماعات، والخلافة، والإمارة، والجهاد، وجعل الطلاق إليه على غير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ قال ابن عباس: يعني المهر والنفقة عليهن. وفي «الصالحات» قولان: أحدهما: المحسنات إلى أزواجهن، قاله ابن عباس. والثاني: العاملات بالخير، قاله ابن المبارك. قال ابن عباس: «وَالْقَاتِنَاتُ»: المطيعات لله في أزواجهن، و«الحافظات للغيب»، أي: لغيب أزواجهن. وقال عطاء، وقتادة: يحفظن ما غاب عنه الأزواج من الأموال، وما يجب عليهن من صيانة أنفسهن لهم.

قوله تعالى: ﴿بِمَا حَفَظَ اللَّهُ﴾ قرأ الجمهور برفع اسم «الله» وفي معنى الكلام على قراءتهم ثلاثة أقوال: أحدها: بحفظ الله إياهن، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، ومقاتل. وروى ابن المبارك، عن سفيان، قال: بحفظ الله إياها

(١) رواه مسلم في «صحيحه» ١٩٦١/٤، والإمام أحمد في «المسند» ٨٣/٤، وأبو داود، وابن جرير، والنسائي، عن جبيرة بن مطعم، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حلف في الإسلام، وإِنَّمَا حَلَفَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً» قال القرطبي في «المفهم»: معنى: لا حلف، لا يتحالف أهل الإسلام كما كان أهل الجاهلية، كانوا يتحالفون، وذلك أن المتحالفين كانوا يتناصرون في كل شيء فيمنع الرجل حليفه وإن كان ظالماً، ويقوم دونه، ويدفع عنه بكل ممكن حتى يمنع الحقوق، ويصير به على الظلم والفساد، ولما جاء الشرع بالانتصاف من الظالم، وأنه يؤخذ ما عليه من الحق لا يمتنه أحد من ذلك، وحد الحدود، وبين الأحكام؛ أبطل ما كانت الجاهلية عليه من ذلك. قال النووي: وأما المواخاة في الإسلام، والمخالفة على طاعة الله تعالى والتناصر في الدين، والتعاون على البر والتقوى، وإقامة الحق، فهذا باقٍ، لم ينسخ، وهذا معنى قوله ﷺ في هذه الأحاديث: «وَأَمَّا حَلَفَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً» وأما قوله ﷺ: «لا حلف في الإسلام» فالمراد به حلف التواضع والحلف على ما منع الشرع منه، والله أعلم.

(٢) الخبر في الأصول كلها معزو لابن عباس، وقد بحث في كتب «التفسير» فلم أجد أحداً عزاه إليه، ولا نقله عنه، وقد ذكره ابن جرير ٢٩١/٨ عن الحسن، وابن جريج، والسدي، وفي «الدر المنثور» ١٥١/٢: وأخرج ابن أبي حاتم عن طريق أشعث بن عبد الملك، عن الحسن، وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير من طريق قتادة عن الحسن. وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طريق جرير بن حازم، عن الحسن. وأخرج ابن مردويه عن علي قال: أتى النبي ﷺ...

(٣) البيت في «سبويه» ٣٣/١، و«الأصمعيات» ص ٢٢١، و«الشعر والشعراء» ١٩٢ و«شواهد المعيني» ٤٤٦/٣، و«الخزانة» ١٩١/٤، وهو لأبي ذؤاد الأبادي من قصيدة يصف بها قرساً. وقوله: «فَوَنَارًا تَوْقُدُ» هكذا الأصل، وهو موافق لرواية ابن قتيبة. وفي «الأصمعيات» «فَوَنَارًا تَوْقُدُ» وهو الموافق لرواية سبويه، و«الخزانة»، والمعيني. والبيت شاهد للمطف على معنوي عاملين بتقدير «كل» و«تحيين» قال النحاس: ومن لم يعطف على عاملين رواه «فوناراً» بالنصب.

أن جعلها كذلك. والثاني: بما حفظ الله لهن مهورهن، وإيجاب نفقتهن، قاله الزجاج. والثالث: أن معناه: حافظات للغيب بالشيء الذي يحفظ به أمر الله، حكاه الزجاج. وقرأ أبو جعفر بنصب اسم الله. والمعنى: يحفظهن الله في طاعته.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَخَاوَعُ النَّفْسُ لَهْ خَوْفًا مِّنَ اللَّهِ﴾ في الخوف قولان: أحدهما: أنه بمعنى العلم، قاله ابن عباس. والثاني: بمعنى الظن لما يبدو من دلائل النشوز، قاله الفراء، وأنشد:

وَمَا خِفْتُ يَا سَلَامُ أَنَّكَ عَائِي (١)

قال ابن قتيبة: والنشوز: بغض المرأة للزوج، يقال: تَشَرَّتْ المرأة على زوجها، ونشبت: إذا فركته، ولم تطمئن عنده، وأصل النشوز: الانزعاج (٢). وقال الزجاج: أصله من النشز، وهو المكان المرتفع من الأرض.

قوله تعالى: ﴿يُظَاهِرُ﴾ قال الخليل: الوعظ: التذكير بالخير فيما يرق له القلب. قال الحسن: يعظها بلسانه، فإن أبت وإلا هجرها. واختلفوا في المراد بالهجر في المضجع على أربعة أقوال: أحدها: أنه ترك الجماع، رواه سعيد بن جبير، وابن أبي طلحة، والعمري، عن ابن عباس، وبه قال ابن جبير، ومقاتل. والثاني: أنه ترك الكلام، لا ترك الجماع، رواه أبو الضحى عن ابن عباس، وخصيف عن عكرمة، وبه قال السدي، والثوري. والثالث: أنه قول الهجر من الكلام في المضجع، روي عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة. فيكون المعنى: قولوا لهن في المضجع هجراً من القول. والرابع: أنه هجر فراشها، ومضاجعتها. روي عن الحسن، والشعبي، ومجاهد، والنخعي، ومقسم، وقتادة. قال ابن عباس: أهجرها في المضجع، فإن أقبلت وإلا فقد أذن الله لك أن تضربها ضرباً غير مبرح. وقال جماعة من أهل العلم: الآية على الترتيب، فالوعظ عند خوف النشوز، والهجر عند ظهور النشوز، والضرب عند تكرره، واللجاج فيه. ولا يجوز الضرب عند ابتداء النشوز. قال القاضي أبو يعلى: وعلى هذا مذهب أحمد. وقال الشافعي: يجوز ضربها في ابتداء النشوز.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَمْنَكُمْ﴾ قال ابن عباس: يعني في المضجع ﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ أي: فلا تتجن عليها العلل. وقال سفيان بن عيينة: لا تكلفها الحب، لأن قلبها ليس في يدها. وقال ابن جرير: المعنى: فلا تلتمسوا سبيلاً إلى ما لا يحل لكم من أبدانهم وأموالهم بالعلل، وذلك أن تقول لها وهي مطيعة لك: لست لي مُحبة، فتضربها، أو تؤذيها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: لا تبغوا على أزواجكم، فهو ينتصر لهن منكم. وقال الخطابي: الكبير: الموصوف بالجلال، وكبر الشأن، يصغر دون جلاله كل كبير. ويقال: هو الذي كبر عن شبه المخلوقين.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَنِيكُمْ فَأَبْشِرُوا بْحَسَبِ أَمَلِكُمْ وَحَكَمَاتِنَ أَهْلِيكُمْ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: في الخوف قولان: أحدهما: أنه الحذر من وجود ما لا يتيقن وجوده، قاله الزجاج. والثاني: أنه العلم، قاله أبو سليمان الدمشقي. قال الزجاج: والشقاق: العداوة، واشتقاقه من المتشاقين، كل صنف منهم في شق. والحقم: هو القيم بما يسند إليه. وفي المأمور بإنفاذ الحكمين قولان: أحدهما: أنه السلطان إذا تراءفاً إليه، قاله سعيد بن جبير، والضحاك. والثاني: الزوجان، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾ قال ابن عباس: يعني الحكمين. وفي قوله: ﴿يُؤَقِّي اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ قولان: أحدهما: أنه راجع إلى الحكمين، قاله ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وعطاء، والسدي، والجمهور. والثاني: أنه راجع إلى الزوجين، ذكره بعض المفسرين.

(١) صدره: أتاني كلام عن نصيب يقول: وهو لأبي الغول الطهوي، شاعر إسلامي كان في الدولة المروانية. والبيت في «الخرائفة» ١٠٩/٣، و«مسط اللالي» ٥٧٩، و«معاني القرآن» ١٤٦/١، ٢٦٥، و«نادر أبي زيد» و«الطبري» ٥٥٠/٤، ٢٩٩/٨.

(٢) في «غريب القرآن» ١٢٦ «إذا تركه... الارتجاع».

## فصل

والحكمان وكيلان للزوجين، ويُعتبر رضا الزوجين فيما يحكما به، هذا قول أحمد، وأبي حنيفة، وأصحابه. وقال مالك، والشافعي: لا يفترق حكم الحكمين إلى رضا الزوجين<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا ۚ وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالْجُنُوبِ وَالْجُنُبِ وَأَيْنَ السَّبِيلِ ۚ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ قال ابن عباس: وحده.

قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ قال الفراء: أغراهم بالإحسان إلى الوالدين.

قوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الجار الذي بينك وبينه قرابة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، ومقاتل في آخرين. والثاني: أنه الجار المسلم، قاله نوف الشامي. فيكون المعنى: ذي القربى منكم بالإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ روى المفضل، عن عاصم: «الجار الجنب» بفتح الجيم، وإسكان النون. قال أبو علي: المعنى: والجار ذي الجنب، فحذف المضاف. وفي الجار الجنب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الغريب الذي ليس بينك وبينه قرابة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك، وابن زيد، ومقاتل في آخرين. والثاني: أنه جارك عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك، وخلفك، رواه الضحاك، عن ابن عباس. والثالث: أنه اليهودي والنصراني، قاله نوف الشامي<sup>(٢)</sup>. وفي صاحب الجنب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الزوجة، قاله علي، وابن مسعود، والحسن، وإبراهيم النخعي، وابن أبي ليلى. والثاني: أنه الرفيق في السفر، قاله ابن عباس في رواية مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن قتيبة. وعن سعيد بن جبيرة كقولين. والثالث: أنه الرفيق، رواه ابن جريج، عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. قال ابن زيد: هو الذي يَلصُقُ بك رجاء خيرك. وقال مقاتل: هو رفيقك حضراً وسفراً. وفي ابن السبيل أقوال قد ذكرناها في (البقرة).

(١) قال ابن جرير ٣٣١/٨: وأي الأمرين كان. فليس لهما - أي للحكمين - ولا لواحد منهما الحكم بينهما بالفرقة، ولا بأخذ مال إلا برضى المحكوم عليه بذلك، وإلا ما لزم من حق لأحد الزوجين على الآخر في حكم الله، وذلك ما لزم الرجل لزوجته من الثقة والإسكاف بمعروف إن كان هو الظالم لها. فاما غير ذلك، فليس ذلك لهما، ولا لأحد من الناس غيرهما، لا السلطان ولا غيره، وذلك أن الزوج إن كان هو الظالم للمرأة فللإمام السبيل إلى أخذه بما يجب لها عليه من حق، وإن كانت المرأة هي الظالمة زوجها الناشئة عليه، فقد أباح الله له أخذ الفدية منها، وجعل إليه طلاقاً على ما قد بيناه في سورة (البقرة). وإذ كان الأمر كذلك، لم يكن لأحد الفرقة بين رجل وامرأة بغير رضا الزوج، ولا أخذ مال من المرأة بغير رضاها بإعطائه إلا بحجة يجب التسليم لها من أصل أو قياس. وإن بعث الحكمين السلطان، فلا يجوز لهما أن يحكما بين الزوجين بفرقة إلا بتوكيل الزوج إياهما بذلك، ولا لهما أن يحكما بأخذ مال من المرأة إلا برضى المرأة.

قلت: وقد تمسك الإمام مالك بلفظ الحكم، فرأى نفاذ حكم الحكمين عليهما في المال والفرقة، بخلاف أبي حنيفة وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وابن حزم الظاهري وأصحابه، فإنهم يرون جميعاً أن نفاذ حكمهما عليهما متوقف على رضا الزوجين بتحكيمهما من قبل، لأن السياق يعين أن شأن الحكمين السعي في الإصلاح لا التفرق، ولا يعرف في اللغة، ولا في الشريعة: أصلحت بين الزوجين، أي: طلقتهما عليه، كما في «المحلى» ٨٧/١٠ لابن حزم، وقال ابن حزم: ليس في الآية ولا في شيء من السنن أن للحكمين أن يفرقا، ولا أن ذلك للحاكم.

(٢) ذهب ابن جرير الطبري في تفسير معنى «الجنب» في هذا الموضع إلى أنه الغريب البعيد، مسلماً كان أو مشركاً، يهودياً كان أو نصرانياً، وقال: إن «الجنب» في كلام العرب البعيد، كما قال أئشي بنى قيس:

أَتَيْتُ حُرَيْشاً زَالِماً عَيْنَ جَنَابِيْ

فَكَانَ حُرَيْشٌ فِي سَطَائِي جَانِماً

يعني بقوله: «من جنابة» عن بعد وغربة، ومنه قيل: اجتنب فلان فلاناً: إذا بعد منه وتجنبه، وجنبه غيره: إذا منعه إياه، ومنه قيل للجنب: جنباً، لاعتزاله الصلاة حتى ينفل. فمعنى ذلك: والجار المجانب للقرابة. قلت: وقد ورد في الوصية بالجار أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»، رواه البخاري في «صحيحه» كتاب «الأدب» ومسلم ٢٠٢٥/٤. ومنها ما رواه الإمام أحمد في «المستند» ٢/ ١٦٨، والترمذي ١٢٩/٣، والحاكم في «المستدرک» ٤/ ١٦٤ عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره». وروى الإمام مسلم في «صحيحه» ٢٠٢٥/٤ عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر! إذا طبخت مرقة، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك». وروى البخاري في «صحيحه» كتاب «الرقائق»، ومسلم كتاب «الإيمان»: مرفوعاً «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره».

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يعني: المملوكين<sup>(١)</sup>. وقال بعضهم: يدخل فيه الحيوان البهيم. قال ابن عباس: والمختال: البطر في مشيته، والفخور: المفتخر على الناس بكبره. وقال مجاهد: هو الذي يعد ما أعطى، ولا يشكر الله، وقال ابن قتيبة: المختال: ذو الخيلاء والكبر. وقال الزجاج: المختال: الصِّلَفُ التَّيَاهُ الجهول. وإنما ذكر الاختيال هاهنا، لأن المختال يأنف من ذوي قرباته، ومن جيرانه إذا كانوا قراء.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْثُرُونَ مَا مَاءُ تَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ ذكر المفسرون أنها نزلت في اليهود. فأما سبب نزولها، فقال ابن عباس: كان كَرْدَمُ بن زيد، [حليف كعب بن الأشرف] وأسامة بن حبيب، ونافع بن أبي نافع، وبحري بن عمرو، وحيي بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن النابوت، يأتون رجالاً من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ، وكانوا يخالطونهم، ويتصحبون لهم، فيقولون لهم: لا تنفقوا أموالكم، فإنا نخشى عليكم الفقر [فني ذهابها] ولا تسارعوا في النفقة، فإنكم لا تدرون ما يكون، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وفي الذي بخلوا به وأمروا الناس بالبخل به قولان: أحدهما: أنه المال، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: أنه إظهار صفة النبي ﷺ ونبوته، قاله مجاهد، وقتادة، والسدي.

قوله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «بالبخل» خفيفاً. وقرأ حمزة، والكسائي: «بالبخل» محركاً، وكذلك في سورة (الحديد). وفي الذين آتاهم الله من فضله قولان: أحدهما: أنهم اليهود، أوتوا علم نعت محمد ﷺ فكتموه، هذا قول الجمهور. والثاني: أنهم أرباب الأموال بخلوا بها، وكتموا الغنى، ذكره الماوردي في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ قال الزجاج: معناه: جعلنا ذلك عتاداً لهم، أي: مثبتاً لهم.

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقًا النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقًا النَّاسِ﴾<sup>(٣)</sup> اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل. والثاني: أنهم المنافقون، قاله السدي، والزجاج، وأبو سليمان الدمشقي. والثالث: مشركو مكة أنفقوا على عداوة النبي ﷺ، ذكره الثعلبي. والقرين: صاحب الموالف، وهو فاعيل من الاقتران بين الشيتين. وفي معنى مقارنة الشيطان قولان: أحدهما: مصاحبه في الفعل. والثاني: مصاحبه في النار.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ المعنى: وأي شيء على هؤلاء الذين ينفقون أموالهم رياء الناس، ولا يؤمنون بالله، لو آمنوا. وفي الإنفاق المذكور هاهنا قولان: أحدهما: أنه الصدقة، قاله ابن عباس. والثاني: الزكاة، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ تهديد لهم على سوء مقاصدهم.

(١) قال الحافظ ابن كثير: وقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وصية بالأرقاء، لأن الرقيق ضعيف الحيلة، أسير في أيدي الناس، فلها ثبت أن رسول الله ﷺ جعل يوصي أمته في مرض الموت بقول: «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم» فجعل يرددوا حتى ما يفيض بها لسانه. قلت: والحديث رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه ٥١٩/١ عن أنس، وإسناده صحيح على شرط الشيخين كما في «الزوائد». وروى الإمام أحمد عن المقدام بن معد يكرب، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولداً فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة» ورواه النسائي، وإسناده صحيح والله الحمد. وعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «للمملوك طعامه وكسوته، ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق» رواه مسلم. وعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «هم إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلظهم لأن كلهم فاعيتوهم عليه» أخرجه.

(٢) رواه ابن هشام عن ابن إسحاق في «سيرته» ٢/٢٠٨، وابن جرير ٨/٣٥٣ عن ابن عباس، وفي سننه محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال الذهبي: لا يعرف. قلت: ابن إسحاق لم يصرح بالتحديث.

(٣) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: إن الله ذكر الباذين المرائين الذين يقصدون بإعطائهم السمعة، وأن يمدحوا بالكرم، ولا يريدون بذلك وجه الله، وفي حديث «الثلاثة الذين هم أول من تسجر بهم النار، وهم: المالم والمغازي والمنفق، المراءون بأعمالهم» يقول صاحب المال: ما تركت من شيء تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت في سبيلك، فيقول الله: كذبت إنما أردت أن يقال: جواد فقد قيل! أي: فقد أخذت جزاءك في الدنيا، وهو الذي أردت بملكك. والحديث رواه مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، عن أبي هريرة.



﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَنْتَعِبْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا ذَرًّا﴾ قد شرحنا الظلم فيما سلف، وهو مستحيل على الله ﷻ، لأن قوما قالوا: الظلم: تصرف فيما لا يملك، والكل ملكه، وقال آخرون: هو وضع الشيء في غير موضعه، وحكمته لا تقتضي فعلاً لا فائدة تحته. ومثقال الشيء: زنة الشيء. قال ابن قتيبة: يقال: هذا على مثقال هذا، أي: على وزنه. قال الزجاج: وهو مفعول من الثقل. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: يظن الناس أن المثقال وزن دينار لا غير، وليس كما يظنون. مثقال كل شيء: وزنه، وكل وزن يسمى مثقالاً، وإن كان وزن ألف. قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْتَخِنُ الَّذِينَ يَحِبُّونَهُ لِيُقَدِّسَ لِنَفْسِهِ مَا فِي الْأَشْيَاءِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] قال أبو حاتم: سألت الأصمعي عن صنجة مثقال الميزان، فقال: فارسي، ولا أدري كيف أقول، ولكنني أقول: مثقال، فإذا قلت للرجل: ناولي مثقالاً، فأعطاك صنجة ألف، أو صنجة حبة، كان ممثلاً. وفي المراد بالنزة خمسة أقوال: أحدها: أنه رأس نملة حمراء، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: ذرة يسيرة من التراب، رواه يزيد بن الأصم، عن ابن عباس. والثالث: أصغر النمل، قاله ابن قتيبة، وابن فارس. والرابع: الخردلة. والخامس: الواحدة من الهباء الظاهر في ضوء الشمس إذا طلعت من ثقب، ذكرهما الثعلبي. واعلم أن ذكر النزة ضربٌ مثل بما يعقل، والمقصود أنه لا يظلم قليلاً ولا كثيراً.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً﴾ قرأ ابن كثير، ونافع: حسنة بالرفع. وقرأ الباقون بالنصب. قال الزجاج: من رفع، فالمعنى: وإن تحدث حسنة، ومن نصب، فالمعنى: وإن تك فعلته حسنة.

قوله تعالى: ﴿يُضَعِّفُهَا﴾ قرأ ابن عامر، وابن كثير: يُضَعِّفُهَا بالتشديد من غير ألف. وقرأ الباقون: يضاعفها بالألف مع كسر العين. قال ابن قتيبة: يضاعفها بالألف: يعطي مثلها مرات، ويضعفها بغير ألف: يعطي مثلها مرة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مِن لَّدُنَّ﴾ أي: من قبله. والأجر العظيم: الجنة<sup>(٢)</sup>.

﴿كَفَّ إِذَا جُنَا مِنْ كُلِّ أُنْتُمْ بِشَهِيدٍ وَجُنَا بِكَ عَلَى مَوْلَا، شَهِيدًا﴾

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ قال الزجاج: معنى الآية: فكيف يكون حال هؤلاء يوم القيامة، فحذف الحال، لأن في الكلام دليلا عليه. ولفظ «كيف» لفظ الاستفهام، ومعناها التوبيخ. والشهيد: نبي الأمة. وبماذا يشهد؟ فيه أربعة أقوال: أحدها: بأنه قد بلغ أمته. قاله ابن مسعود<sup>(٣)</sup>، وابن جريج، والسدي، ومقاتل.

(١) نص كلام ابن قتيبة في «غريب القرآن» ١٢٧: يضمها، أي: يؤتي مثلها مرات، ولو قال: يضمها لكان مرة واحدة. وفي «مجاز القرآن» ١/١٢٧: «يضاعفها»: أضاعفاً، و«يضعُفها»: ضعفين. وفي «الطبري» ٨/٣٦٦. وأما قوله: «يضاعفها» فإنه جاء بالألف، ولم يقل «يضعُفها»، لأنه أريد به في قول بعض أهل العربية يضاعفها أضاعفاً كثيرة، ولو أريد به في قوله: يضمف ذلك ضعفين، لقل: «يضعُفها» بالتشديد.

(٢) قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الآية: ١/٤٩٧: يخبر تعالى أنه لا يظلم عبداً من عباد يوم القيامة مثقال حبة خردل، ولا مثقال ذرة، بل يؤهلها له وبضاعفها له إن كانت حسنة، كما قال تعالى: ﴿وَنُصِّعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا يُغْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ سَبْعِينَ مِائَةً أَلْفًا وَمِائَةً وَخَمْسِينَ نَفْسًا﴾. وقال تعالى مخبراً عن لقمان أنه قال: ﴿يَسِّرْ لِي إِيمَانِي إِنَّ تِلْكَ شَيْئٌ كَثِيرٌ مِنْ خَزَائِكَ فَتَكُنْ فِي صَحْرَةٍ أَوْ فِي أَرْضٍ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ ذِكَرُ﴾ [لقمان: ١٦] وقال تعالى: ﴿يُسَيِّرُ بَدَنَهُ أَتَاكُمُ الْمَوْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يَرْجِعُهُ فِيمَا يُرِيدُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ وفي الحديث الشفاعة الطويل، وفيه «يقول الله ﷻ: ارجعوا لمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه من النار» وفي لفظ: «أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه من النار»، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقول أبو سعيد: إقرءوا إن شئتم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الآية.

قلت: روى الإمام مسلم في «صحيحه» ٢١٦٢/٤ عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها». ورواه الإمام أحمد ١٢٣/٣، والطبراني في «معجمه».

(٣) روى الإمام أحمد في "المسند" ٣٥٥٠ والبخاري ٨١/٩، ومسلم ٥٥١/١ عن عبد الله بن مسعود، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «الرا على القرآن» قال: نقلت: يا رسول الله أفرا عليك وعليك أنزل؟! قال: «إني أشتقي أن أسمعه من غيري» فقرأت «النساء» حتى إذا بلغت: «كَذَبَ إِذَا جُنُتًا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ يَهْدِيهِمْ وَجَعًا يَكْ عَلَى هَؤُلَاءِ شَيْعًا» [النساء: ٤١] فغمت رأسي، أو غمزني رجل إلى جنب، فوفت رأسي، فرايت دموعه تسيل. هذا لفظ مسلم.

والثاني: بإيمانهم، قاله أبو العالية. والثالث: بأعمالهم، قاله مجاهد، وقتادة. والرابع: يشهد لهم وعليهم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يعني: نبينا ﷺ. وفي «هؤلاء» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم جميع أمته، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه يشهد عليهم. والثاني: يشهد لهم، فتكون «على» بمعنى: اللام. والقول الثاني: أنهم الكفار يشهد عليهم بتبليغ الرسالة، قاله مقاتل. والثالث: اليهود والنصارى، ذكره الماوردي.

﴿يَوْمَ يَدْعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ شِئْنَا بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾

قوله تعالى: ﴿لَوْ شِئْنَا بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: «لو تُشَوِّى»، بضم التاء، وتخفيف السين. والمعنى: ودُّوا لو جُعِلُوا تراباً، فكانوا هم والأرض سواء، هذا قول الفراء في آخرين. قال أبو هريرة: إذا حشر الله الخلائق، قال للبهائم، والدواب، والطير: كونى تراباً. فعندها يقول الكافر: يا ليتنى كنت تراباً<sup>(١)</sup>. وقرأ نافع، وابن عامر: «لو تُسَوِّى»، بفتح التاء، وتشديد السين، والمعنى: لو تتسوى، فأدغمت التاء في السين، لقربها منها. قال أبو علي: وفي هذه القراءة اتساع، لأن الفعل مسند إلى الأرض، وليس المراد: ودُّوا لو صارت الأرض مثلهم، وإنما المعنى: ودُّوا لو يتسَوَّون بها. ثم في المعنى للمفسرين قولان: أحدهما: أن معناه: ودُّوا لو تخرقت بهم الأرض، فساخا فيها، قاله قتادة، وأبو عبيدة، ومقاتل. والثاني: أن معناه: ودُّوا أنهم لم يبعثوا، لأن الأرض كانت مستوية بهم قبل خروجهم منها، قاله ابن كيسان، وذكر نحوه الزجاج. وقرأ حمزة، والكسائي: «لو تُسَوِّى»، بفتح التاء، وتخفيف السين والواو مشددة مماله، وهي بمعنى: تتسَوِّى، فحذف التاء التي أدغمها نافع، وابن عامر. فأما معنى القراءتين، فواحد.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ في «الحديث» قولان: أحدهما: أنه قولهم: ما كنا مشركين، هذا قول الجمهور. والثاني: أنه أمر النبي ﷺ وصفته ونعته، قاله عطاء. فعلى الأول يتعلق الكتمان بالآخرة، وعلى الثاني يتعلق بما كان في الدنيا، فيكون المعنى: ودُّوا أنهم لم يكتُموا ذلك. وفي معنى الآية ستة أقوال: أحدها: ودُّوا إذا فضحتهم جوارحهم أنهم لم يكتُموا الله شركهم، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس. والثاني: أنهم لما شهدت عليهم جوارحهم لم يكتُموا الله حديثاً بعد ذلك، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنهم في موطن لا يكتُمونه حديثاً، وفي موطن يكتُمون، ويقولون: ما كنا مشركين، قاله الحسن. والرابع: أن قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ كلام مستأنف لا يتعلق بقوله: ﴿لَوْ شِئْنَا بِهِمُ الْأَرْضُ﴾، هذا قول الفراء، والزجاج. ومعنى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾: لا يقدرُونَ على كتمانه، لأنه ظاهر عند الله<sup>(٢)</sup>. والخامس: أن المعنى: ودُّوا لو سَوَّيت بهم الأرض، وأنهم لم يكتُموا الله حديثاً. والسادس: أنهم لم يعتقدوا قولهم: ما كنا مشركين كذباً، وإنما اعتقدوا أن عبادة الأصنام طاعة، ذكر القولين ابن الأنباري. وقال القاضي أبو يعلى: أخبروا بما توهَّموا، إذ كانوا يظنون أنهم ليسوا بمشركين، وذلك لا يخرجهم عن أن يكونوا قد كذبوا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْأَ إِلَىٰ عَارِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَابُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْرَةً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَسَدٌ أَمْثَلُ مِنْ الْخَامِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾ روى أبو عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي

(١) رواه ابن جرير الطبري ٢٦/٣٠ طبع مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثانية، وإسناده قوي.

(٢) قال ابن كثير: قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ إخبار عنهم بأنهم يعترفون بجميع ما فعلوه، ولا يكتُمون منه شيئاً. وروى ابن جرير عن سعيد بن جبير، قال: جاء رجل إلى ابن عباس، فقال: سمعت الله ﷻ يقول - يعني إخباراً عن المشركين يوم القيامة أنهم قالوا: «وَلَوْ رَكَّبْنَا مَثَلًا مُّشْرِكِينَ» وقال في الآية الأخرى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ فقال ابن عباس: أما قوله «وَلَوْ رَكَّبْنَا مَثَلًا مُّشْرِكِينَ» فإنهم لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا: نعالوا فلنجد، فقالوا: «وَلَوْ رَكَّبْنَا مَثَلًا مُّشْرِكِينَ». فحتم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم، فلا يكتُمون الله حديثاً. قلت: وسنده حسن. ورواه الطبري أيضاً بإسنادين آخرين، وذكرهما ابن كثير عنه.

طالب ﷺ قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً، فدعانا، وسقانا من الخمر، فأخذت [الخمر] منا، وحضرت الصلاة، فقدموني، فقرأت «قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون، ونحن نعبد ما تعبدون» فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. وفي رواية أخرى، عن أبي عبد الرحمن، عن علي ﷺ أن الذي قدموه، وخطب في هذه السورة، عبد الرحمن بن عوف<sup>(٢)</sup>. وفي معنى قوله: «لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ» قولان: أحدهما: لا تتعرضوا بالسكر في أوقات الصلاة. والثاني: لا تدخلوا في الصلاة في حال السكر، والأول أصح، لأن السكران لا يعقل ما يخاطب به. وفي معنى: «وَأَنْتُمْ شَكَرْتُمْ» قولان: أحدهما: من الخمر، قاله الجمهور. والثاني: من النوم، قاله الضحاك، وفيه بعد. وهذه الآية اقتضت إباحة السكر في غير أوقات الصلاة، ثم نسخت بتحريم الخمر<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: «وَلَا جُنُبًا» قال ابن قتيبة: الجنابة: البعد، قال الزجاج: يقل: رجل جنب، ورجلان جنب، ورجال جنب، كما يقال: رجل رضى، وقوم رضى. وفي تسمية الجنب بهذا الاسم قولان: أحدهما: لمجانبة مآثيه محله. والثاني: لما يلزمه من اجتناب الصلاة، وقراءة القرآن، ومس المصحف، ودخول المسجد.

قوله تعالى: «إِلَّا عَارِي سَبِيلٍ» فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: لا تقربوا الصلاة وأنتم جنب إلا أن تكونوا مسافرين غير واجدين للماء فتتيمموا، وتصلوا. وهذا المعنى مروى عن علي ﷺ، ومجاهد، والحكم، وقتادة، وابن زيد، ومقاتل، والفراء، والزجاج. والثاني: لا تقربوا مواضع الصلاة وهي المساجد وأنتم جنب إلا مجتازين، ولا تقعدوا. وهذا المعنى مروى عن ابن مسعود، وأنس بن مالك، والحسن، وسعيد بن المسيب، وعكرمة، وعطاء الخراساني، والزهري، وعمرو بن دينار، وأبي الضحى، وأحمد، والشافعي، وابن قتيبة<sup>(٤)</sup>. وعن ابن عباس، وسعيد ابن جبير، كالقولين، فعلى القول الأول: «عابر السبيل»: المسافر، و«قربان الصلاة»: فعلها، وعلى الثاني: «عابر السبيل»: المجتاز في المسجد، و«قربان الصلاة»: دخول المسجد الذي تفعل فيه الصلاة.

قوله تعالى: «وَإِنْ كُنْتُمْ تَرْتَهُنَّ» في سبب نزول هذا الكلام قولان: أحدهما: أن رجلاً من الأنصار كان مريضاً فلم يستطع أن يقوم فيتوضأ، ولم يكن له خادم، فأتى رسول الله ﷺ، فذكر له ذلك، فنزلت هذه الآية «وَإِنْ كُنْتُمْ تَرْتَهُنَّ أَوْ عَلَى سَكَرٍ» قاله مجاهد. والثاني: أن أصحاب رسول الله ﷺ أصابهم جراحات، ففشت فيهم، وإبتلوا بالجنابة، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت: «وَإِنْ كُنْتُمْ تَرْتَهُنَّ» الآية كلها، قاله إبراهيم النخعي. قال القاضي أبو يعلى: وظاهر الآية يقتضي جواز التيمم مع حصول المرضي الذي يستترّ معه باستعمال الماء، سواء كان يخاف التلف، أو لا

(١) أخرجه أبو داود ٤٤٥/٣، والترمذي ١٢٧/٢، وابن جرير ٣٧٦/٨، كلهم من طريق عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي ﷺ، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) رواه ابن جرير ٣٧٦/٨، عن محمد بن بشار، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان الثوري، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي ﷺ.

(٣) روى الإمام أحمد ٣٧٩/١ عن عمر بن الخطاب، قال: لما نزل تحريم الخمر قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية التي في سورة (البقرة) «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالنَّبِيرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ» قال: فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في سورة (النساء) «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى» فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى: أن لا يقربوا الصلاة سكران، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في (المائدة)، فدعي عمر فقرئت عليه، فلما بلغ «هَئِلْ أَنْتُمْ سُكَرَى» قال: فقال عمر: انتهيتا انتهيتا. ورواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه. قال علي بن المديني: هذا الإسناد صالح، وصححه الترمذي.

(٤) قال ابن جرير ٣٨٤/٨ بعد أن حكى القولين: وأولى القولين بالتأويل لذلك تأويل من تأوله «وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَارِي سَبِيلٍ» إلا مجتازي طريق فيه. وذلك أنه قد بين حكم المسافر إذا عدم الماء وهو جنب في قوله: «وَإِنْ كُنْتُمْ تَرْتَهُنَّ أَوْ عَلَى سَكَرٍ أَوْ جَسَةً أَمْ يَكُنْ مِنْ الْغَائِلِ أَوْ كُنْتُمْ الْإِنْسَاءَ تَلَمَّ يَحْدُوا مَكَاهَ تَتِيمًا سَبِيلًا جُنُبًا» فكان معلوماً بذلك أن قوله: «وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَارِي سَبِيلٍ» لو كان معنياً به المسافر، لم يكن لإعادة ذكره في قوله: «وَإِنْ كُنْتُمْ تَرْتَهُنَّ أَوْ عَلَى سَكَرٍ» معنى مفهوم، وقد مضى ذكر حكمه قبل ذلك. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الآية: يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا المساجد للصلاة مصلين فيها وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون، ولا تقربوها أيضاً جنباً حتى تنفسلوا إلا عابري سبيل. والعابر السبيل: المجتاز مرأً وقطعاً، يقال منه: عبرت هذا الطريق، فانا عبره عبراً وهبوراً. قال ابن كثير ٥٠٢/١: وهذا الذي نصره - يعني ابن جرير - هو قول الجمهور، وهو الظاهر من الآية.

يخاف، وكذلك السفر يجوز فيه التيمم عند عدم الماء، سواء كان قصيراً، أو طويلاً، وعدم الماء ليس بشرط في جواز التيمم للمريض، وإنما الشرط: حصول الضرر، وأما السفر، فعدم الماء شرط في إباحة التيمم، وليس السفر بشرط، وإنما ذكر السفر، لأن الماء يُعدم فيه غالباً.

قوله تعالى: ﴿أَوْ جَسَدًا أَحَدٌ مِنكُم مِّنَ الْفَالِطِ﴾ «أو» بمعنى الواو، لأنها لو لم تكن كذلك، لكان وجوب الطهارة على المريض والمسافر غير متعلق بالحدث. والغايط: المكان المظلم من الأرض، فكفي عن الحدث بمكانه، قاله ابن قتيبة. وكذلك قالوا للمزادة: راوية، وإنما الرواية للبعير الذي يُسقى عليه، وقالوا للنساء: طعائن، وإنما الطعائن: الهوادج، وكُنْ يَكُن فيها، وسموا الحدث عذرة، لأنهم كانوا يلقون الحدث بأفنية الدور.

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَكَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «أو لأمستم» بآلف هاهنا، وفي (المائدة)، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف في اختياره، والمفضل عن عاصم، والوليد بن عتبة، عن ابن عامر «أَوْ لَمَسْتُمُ» بغير ألف هاهنا، وفي (المائدة). وفي المراد بالملامسة قولان: أحدهما: أنها الجماع، قاله علي، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنها الملامسة باليد، قاله ابن مسعود، وابن عمر، والشعبي، وعبيدة، وعطاء، وابن سيرين، والنخعي، والنهدي، والحكم، وحماة<sup>(١)</sup>. قال أبو علي: اللّمس يكون باليد، وقد اتسع فيه فأوقع على غيره، فمن ذلك «وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ» [الجن: ٨] أي: عالجنا غيب السماء، ومنا من يسترقه فيلقيه إلى الكهنة، ويخبرهم به. فلما كان اللّمس يقع على غير المباشرة باليد، قال: «فَلَمَسُوا بِأَيْدِيهِمْ» [الأنعام: ٧] فخصّ اليد، لثلاثا يلتبس بالوجه الآخر، كما قال: «وَحَلَلِيلُ آبَائِكُمُ الَّذِينَ مِن أَمْثَلِكُمُ» [النساء: ٢٣] لأن الابن قد يدعى وليس من الصلب.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّ يَحْدُوا مَاءً تَيَمَّمُوا﴾ سبب نزولها: أن عائشة رضي الله عنها كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، فانقطع عقد لها، فأقام النبي صلى الله عليه وسلم على التماسه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فزلت هذه الآية، فقال أميّد بن حُضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. أخرجه البخاري، ومسلم<sup>(٢)</sup>، وفي رواية أخرى أخرجه البخاري ومسلم أيضاً: أن

(١) قال ابن جرير ٣٩٦/٨: وأولى القولين في ذلك للصواب قول من قال: حتى الله بقوله «أَوْ لَكَسْتُمُ النِّسَاءَ» الجماع دون غيره من معاني اللّمس، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قبل بعض نساؤه، ثم صلى ولم يتوضأ، ثم روى عن عائشة قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ، ثم يُقبل، ثم يعلي ولا يتوضأ»، ثم روى عن عروة، عن عائشة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعض نساؤه، ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ. قلت: من هي إلا أنت؟ فضحكت». وحديث عائشة هنا، رواه أبو داود ٨٣/١، وابن ماجه ١٦٨/١، وأحمد في «المسند» ٢١٠/٦، وقد تكلم على هذا الحديث بعض الأئمة، والحق أنه صحيح. قال أبو عمر بن عبد البر: صححه الكوفيون وثبوته لرواية الثقات من أئمة الحديث له، وحبيب لا ينكر لقائه عروة، لروايته عن هو أكبر من عروة وأقدم موتاً.

قلت: ولم ينفرد حبيب برواية هذا الحديث، فقد تابعه عليه هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير. انظر «سنن الدارقطني» من: ٥٠، وقد جاء الحديث بإسناد آخر صحيح عن عائشة، انظر «الجههر النقي» ١٢٥/١، و«نصب الراية» ٣٨/١.

وقال الإمام ابن رشد في «بداية المجتهد» ٢٩/١: وسبب اختلافهم في هذه المسألة اشتراك اسم اللّمس في كلام العرب، فإن العرب تطلق مرة على اللّمس الذي هو باليد، ومرة تكفي به عن الجماع، فذهب قوم إلى أن اللّمس الموجب للطهارة في أية الوضوء هو الجماع في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَكَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ وذهب آخرون إلى أنه اللّمس باليد. ثم قال: «وقد احتج من أوجب الوضوء من اللّمس باليد، بأن اللّمس ينطلق حقيقة على اللّمس باليد، وينطلق مجازاً على الجماع، وأنه إذا تردد اللفظ بين الحقيقة والمجاز: فالأولى أن يحمل على الحقيقة، حتى يدل الدليل على المجاز. ولأولئك أن يقولوا: إن المجاز إذا كثّر استعماله كان أدل على المجاز منه على الحقيقة، كالحال في اسم «الغائط» الذي هو أدل على الحدث - الذي هو فيه مجاز - منه على المظلم من الأرض، الذي هو فيه حقيقة. والذي اعتقده: أن اللّمس وإن كانت دلالة على المعنيين بالسواء: أو قريباً من السواء - فإنه أظهر عندني في الجماع، وإن كان مجازاً، لأن الله تعالى قد كنى بالمباشرة واللمس عن الجماع، وهما في معنى اللّمس، وعلى هذا التأويل في الآية يحتاج بها في إجازة التيمم للجنب، دون تقدير تقديم فيها ولا تأخير، على ما سيأتي بعد، وترتفع المعارضة التي بين الآثار والآية على التأويل الآخر - يريد ابن رشد بالآثار هنا حديث عائشة في القبلة - وأما من فهم من الآية اللّمسين معاً فضعيف، فإن العرب إذا خاطبت بالاسم المشترك إنما تقصد به معنى واحداً من المعاني التي يدل عليها الاسم، لا جميع المعاني التي يدل عليها، وهذا بين بنفسه في كلامهم».

(٢) البخاري ١٨٩/٨، ومسلم ٢٧٩/١، ولفظه عن عائشة أنها قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء (أو بذات الجيش) انقطع عقد لي، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا: ألا ترى إلى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء. فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ليسوا على ماء، وليس معهم ماء! قالت: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطمئن بيده في =

عائشة استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فبعث رسول الله ﷺ رجالاً في طلبها، فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء، فصلوا بغير وضوء، وشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت آية التيمم<sup>(١)</sup>. والتيمم في اللغة: القصد، وقد ذكرناه في قوله: ﴿وَلَا تَتِمَّمُوا الْكَيْتَ﴾ وأما الصعيد: فهو التراب، قاله علي، وابن مسعود، والفراء، وأبو عبيد<sup>(٢)</sup> والزجاج، وابن قتيبة. وقال الشافعي: لا يقع اسم الصعيد إلا على تراب ذي غبار. وفي الطَّبَّ قولان: أحدهما: أنه الطاهر. والثاني: الحلال.

قوله تعالى: ﴿فَأَنسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَبْذِيْكُمْ﴾ الوجه الممسوح في التيمم: هو المحدود في الوضوء. وفيما يجب مسحه من الأيدي ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إلى الكوعين حيث يقطع السارق، روى عمار عن النبي ﷺ أنه قال: «التيمم ضربة للوجه والكفين»<sup>(٣)</sup> وبهذا قال سعيد بن المسيب، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، والأوزاعي، ومكحول، ومالك، وأحمد، وإسحاق، ودادود. والثاني: أنه إلى المرفقين، روى ابن عباس عن النبي ﷺ: أنه تيمم، فمسح ذواعيه<sup>(٤)</sup>. وبهذا قال ابن عمر، وابنه سالم، والحسن، وأبو حنيفة، والشافعي، وعن الشعبي كالقولين. والثالث: أنه يجب المسح من رؤوس الأنامل إلى الأباط، روى عمار بن ياسر قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلت الرخصة في المسح، فضربنا بأيدينا ضربة لوجوهنا، وضربة لأيدينا إلى المناكب والأباط<sup>(٥)</sup>. وهذا قول الزهري.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزُوزًا﴾ قال الخطابي: «العفو»: بناء للمبالغة. و«العفو»: الصفح عن الذنوب، وترك مجازاة المسيء. وقيل: إنه مأخوذ من: عفت الريح الأثر: إذا درسته، وكان العافي عن الذنوب يمحوه بصفحه عنه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُشْكِرُونَ كَصَلَاةِ رَبِّدُونَ أَن تَصَلُّوا لِّلنَّبِيِّ ﷺ﴾

خاصرتي، فلا يمتنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذلي، فنام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم «فتيمموا» فقال أسيد بن الحضير (وهو أحد النقباء): ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. فقالت عائشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه. فوجدنا العقد تحته. والبيداء: هي ذو الحليفة بالقرب من المدينة من طريق مكة، وذات الجيش وراء ذي الحليفة، قاله ابن التين.

(١) البخاري ٣٧٣/١، ومسلم ٢٧٩/١.

(٢) في النسخة الأحمدية «وأبو عبيدة» وفي «مجاز القرآن» ١٢٨/١: الصعيد: وجه الأرض. وفي «اللسان» ٢٥٤/٣: وقال أبو إسحاق: الصعيد وجه الأرض، قال: وعلى الإنسان أن يضرب يديه وجه الأرض، ولا يبالي أكان في الموضع تراب أو لم يكن، لأن الصعيد ليس هو التراب، إنما هو وجه الأرض تراباً كان أو غيره، قال: ولو أن أرضاً كلها صخر لا تراب عليه، ثم ضرب التيمم يده على ذلك الصخر، لكان ذلك طهوراً إذا مسح به وجهه، قال الله تعالى ﴿فَتَمْسَحْ بِوُجُوْهِكُمْ﴾ لأنه نهاية ما يصعد إليه من باطن الأرض، لا أعلم بين أهل اللغة خلافاً فيه أن الصعيد وجه الأرض. اهـ.

ونقل القرطبي أيضاً ٢٣٦/٥: عن الخليل، وابن الأعرابي، والزجاج. أن الصعيد: وجه الأرض كان عليه تراب أو لم يكن، وقد ذهب إلى تخصيص التيمم بالتراب الشافعي وأحمد ودادود. وذهب مالك، وأبو حنيفة، وعطاء، والأوزاعي، والثوري إلى أنه مجزئ بالأرض وما عليها. وقال ابن القيم في «زاد المعاد» ١٠٣/١: وكذلك كان تيمم بالأرض التي يصلي عليها، تراباً كانت أو سبخة أو رملًا. وصح عنه أنه قال: «حيثما أدركت رجلاً من أمتي الصلاة ففنده مسجده وطهوره». وهذا نص صريح في أن من أدركته الصلاة في الرمل فالرمل له طهوره. ولما سافر هو وأصحابه في غزوة تبوك قطعوا تلك الرمال في طريقهم، وماؤهم في غاية القلة، ولم يروا عنه أنه حمل معه التراب، ولا أمر به، ولا فعله أحد من أصحابه، مع القطع بأن في المفاز الرمال أكثر من التراب، وكذلك أرض الحجاز وغيره. ومن تدبر هذا قطع بأنه كان تيمم بالرمل؛ والله أعلم، وهذا قول الجمهور.

(٣) البخاري ٣٧٧/١، ومسلم ٢٨٠/١، وأبو داود ١٣٦/١، والنسائي ١٦٩/١، وابن ماجه ١٥٨/١.

(٤) لم نجد في كتب السنة التي بين أيدينا هذا الحديث بهذا اللفظ عن ابن عباس، وروى الزبار من طريق محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، عن عمار، قال: كنت في القوم حين نزلت الرخصة في المسح بالتراب إذا لم نجد الماء، فأمرنا، فضربنا واحدة للوجه ثم ضربة أخرى لليدين إلى المرفقين. قال الحافظ في «الدراية» ص ٣٦: بعد أن حسن إسناده: لكن أخرجه أبو داود، فقال: «إلى المناكب» وذكر أبو داود علته والاختلاف فيه. وحديث «التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين» رواه الدارقطني، والحاكم من حديث ابن عمر وقد تفرد علي بن ظبيان برفعه، ووقفه غيره، وصوب وقفه الدارقطني، وأخرجه الدارقطني، والحاكم أيضاً من طريقين واهيين عن ابن عمر. قاله الحافظ ابن حجر. وقد روي من حديث جابر، ومن حديث عائشة، انظر «نصب الراية» ١٥٠/١، ١٥٤.

(٥) أبو داود ١٣٤/١، والنسائي ١٦٧/١. وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٣٧٦/١٥: إن الأحاديث الواردة في صفة التيمم لم يصح منها سوى حديث أبي جهيم، وعمار، وما عداهما فضعيف أو مختلف في رفعه ووقفه، والراجح عدم رفعه، فأما حديث أبي جهيم، فورد بذكر اليدين مجعلاً، وأما حديث عمار، فورد بذكر الكفين في «الصحيحين»، وبذكر المرفقين في «السنن» وفي رواية «إلى نصف الذراع» وفي رواية «إلى الأباط». فأما رواية المرفقين وكذا نصف الذراع، ففيهما مقال، وأما رواية الأباط، فقال الشافعي وغيره: إن كان ذلك وقع بأمر النبي ﷺ، فكل تيمم صح للنبي ﷺ بعده، فهو ناسخ له، وإن كان وقع بغير أمره، فالحجة فيما أمر به، ومما يقري رواية «الصحيحين» في الاكتفاء على الوجه والكفين كون عمار كان يقف بعد النبي ﷺ بذلك، ورواي الحديث أعرف بالمراد به من غيره، ولا سيما الصحابي المجتهد.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في رفاعه بن زيد بن تابوت. والثاني: أنها نزلت في رجلين كانا إذا تكلم النبي ﷺ لوبا ألسنتهما وعاباه، روي القولان عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثالث: أنها نزلت في اليهود، قاله قتادة. وفي النصيب الذي أوتوه قولان: أحدهما: أنه علم نبوة محمد النبي ﷺ. والثاني: العلم بما في كتابهم دون العمل.

قوله تعالى: ﴿يَشْكُرُونَ أَلَسَّكَدَّةً﴾ قال ابن قتيبة: هذا من الاختصار، والمعنى: يشكرون الضلالة بالهدى، ومثله: ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (الصافات: ٧٨) أي: تركنا عليه ثناء حسناً، فحذف الثناء لعلم المخاطب. وفي معنى اشتراهم الضلالة أربعة أقوال: أحدها: أنه استبدلهم الضلالة بالإيمان، قاله أبو صالح، عن ابن عباس. والثاني: أنه استبدلهم التكذيب بالنبي ﷺ بعد ظهوره بإيمانهم به قبل ظهوره، قاله مقاتل. والثالث: أنه إيتارهم التكذيب بالنبي ﷺ لأخذ الرشوة، وثبوت الرئاسة لهم، قاله الزجاج. والرابع: أنه إعطاؤهم أحبارهم أموالهم على ما يصنعونه من التكذيب بالنبي ﷺ، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُقْبِلُوا إِلَيْكَ﴾ خطاب للمؤمنين. والمراد بالسبيل: طريق الهدى.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ (١٥)

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ فهو يعلمكم ما هم عليه، فلا تستنصحوهم، وهم اليهود، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ لكم، فمن كان وليه، لم يضره عدوه. قال الخطابي: «الولي»: الناصر، و«الولي»: المتولي للأمر، والقائم به، وأصله من الولي، وهو القرب، و«النصير»: فاعيل بمعنى فاعل<sup>(٢)</sup>.

﴿يَوْمَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَآتَمَمَّ عَيْنُ مُسَيِّمٍ وَرَدَعَنَا لَيْثٌ يَا لَيْتَنَّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلَّوْا أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَآتَمَمَّ وَاسْمُ الْعَصَةِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّمْ يَكْفُرْهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْثِرُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٦)

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قال مقاتل: نزلت في رفاعه بن زيد، ومالك بن الضيف، وكعب بن أسيد، وكلهم يهود. وفي «من» قولان ذكرهما الزجاج: أحدهما: أنها من صلة الذين أوتوا الكتاب، فيكون المعنى: ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب من الذين هادوا. والثاني: أنها مستأنفة، فالمعنى: من الذين هادوا قوم يحرفون، فيكون قوله: يحرفون، صفة، ويكون الموصوف محذوفاً، وأنشد سيويه:

وما الدهر إلا تارتان فمنهما

أموت وأخرى ابتغي العيش أكلح<sup>(٣)</sup>

والمعنى: فمنهما تارة أموت فيها. قال أبو علي الفارسي: والمعنى: وكفى بالله نصيراً من الذين هادوا، أي: إن الله ينصر عليهم. فأما «التحريف»، فهو التغير. و«الكلم»: جمع كلمة. وقيل: إن «الكلام» مأخوذ من «الكلم»، وهو الجرح الذي يشق الجلد واللحم، فسمي الكلام كلاماً، لأنه يشق الأسماع بوصوله إليها، وقيل: بل لتشقيقه المعاني المطلوبة في أنواع الخطاب. وفي معنى تحريفهم الكلم قولان: أحدهما: أنهم كانوا يسألون النبي ﷺ عن الشيء، فإذا خرجوا، حرفوا كلامه، قاله ابن عباس. والثاني: أنه تبديلهم التوراة، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿عَنِ مَوَاضِعِهِ﴾، أي: عن أماكنه ووجوهه.

(١) أخرج الأول ابن جرير ٤٢٨/٨ من طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس، ومحمد بن أبي محمد مجهول. ونسبه السيوطي في «الدر» ١٦٨/٢ إلى ابن إسحاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل».

(٢) قال ابن كثير ٥٠٧/١ في تفسيره: يخبر تبارك وتعالى عن اليهود - عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة - أنهم يشتركون بالضلالة بالهدى، ويعرضون عما أنزل الله على رسوله، ويتكبرون ما بأيديهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين في صفة محمد ﷺ ليشتروا به ثمناً قليلاً من حطام الدنيا. ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُقْبِلُوا إِلَيْكَ﴾ أي: يريدون لو تكفروا بما أنزل عليكم أيها المؤمنون، ويتكبرون ما أنتم عليه من الهدى والعلم النافع، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ أي: هو يعلم بهم، ويحذرهم منهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ أي: كفى به ولياً لمن لجأ إليه، ونصيراً لمن استنصره.

(٣) البيت لتميم بن مقبل، «ديوانه» ص ٢٤، و«الكتاب» ٣٧٦/١، و«الكامل» ٩٠٨/٣، و«حجامة البحري» ١٨٣، و«الحيوان» ٤٨/٣. والكدر: الاكتساب، يقال: فلان يكدر على أهله. يقول: لا راحة في الدنيا، لأن وقتها قسمان، إما موت وهو مكروه عند النفس، وإما حياة وكلها سعي في المعيشة. واستشهد به سيويه والمبرد على حذف الاسم لدلالة الصفة عليه، وتقديره الكلام: فمنها تارة أموت فيها، كما ذكره المؤلف رحمه الله.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ قال مجاهد: سمعنا قولك، وعصينا أمرك.  
قوله تعالى: ﴿وَأَتَمَعَ غَيْرَ مَسْجٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: اسمع لا سمعت، قاله ابن عباس، وابن زيد، وابن قتيبة. والثاني: أن معناه: اسمع غير مقبول ما تقول، قاله الحسن، ومجاهد. وقد تقدم في (البقرة) معنى: وراعنا. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال قتادة: «اللي»: تحريك ألستهم بذلك. وقال ابن قتيبة معنى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أنهم يحرفون «راعنا» عن طريق المراعاة، والانتظار إلى السبب بالرعونة. قال ابن عباس: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ مما بدلوا، و﴿أَقْرَبُ﴾ أي: أعدل، ﴿وَلَكِنَّ لَّهُمْ اللَّهُ يَكْفُرُ﴾ بمحمد<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: فلا يؤمن منهم إلا قليل، وهم عبد الله بن سلام، ومن تبعه، قاله ابن عباس. والثاني: فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً، قاله قتادة، والزجاج. قال مقاتل: وهو اعتقادهم أن الله خلقهم ورزقهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ قال قتادة: «اللي»: تحريك ألستهم بذلك. وفي قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: «اللي»: تحريك ألستهم بذلك. وفي قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: «اللي»: تحريك ألستهم بذلك. وفي قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: «اللي»: تحريك ألستهم بذلك.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ قال قتادة: «اللي»: تحريك ألستهم بذلك. وفي قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: «اللي»: تحريك ألستهم بذلك. وفي قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: «اللي»: تحريك ألستهم بذلك.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ قال قتادة: «اللي»: تحريك ألستهم بذلك. وفي قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: «اللي»: تحريك ألستهم بذلك. وفي قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: «اللي»: تحريك ألستهم بذلك.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ قال قتادة: «اللي»: تحريك ألستهم بذلك. وفي قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: «اللي»: تحريك ألستهم بذلك. وفي قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: «اللي»: تحريك ألستهم بذلك.

(١) في «مشكل القرآن» ٢٩١: هؤلاء قوم من اليهود كانوا يقولون للنبي ﷺ إذا حدثهم وأمرهم: سمعنا، ويقولون في أنفسهم: عصينا، وإن أرادوا أن يكلموه بشيء قالوا له: اسمع يا أبا القاسم، ويقولون في أنفسهم: لا سمعت، ويقولون له: راعنا، يوهمون في ظاهر اللفظ أنهم يرددون: انتظرنا، حتى تكلمك بما نريد، كما تقول العرب: أرعني سمعك وراعني، أي: انتظرني ورتق بي وتلوم علي، هذا ونحوه، وإنما يريد سبه بالرعونة في لغتهم، فقال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ويقولون كذا وكذا، ويقولون: ﴿وَرَكِبْنَا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: قلباً للكلام بها، ﴿وَلَكِنَّا فِي الْآخِرِينَ﴾ رَوْنَاهُمْ قَوْلَهُمْ: سمعنا وعصينا، وقالوا: واسمع، مكان قولهم: لا سمعت، وانتظرنا، مكان قولهم: راعنا، وكان خيراً لهم وأقوم. والعرب تقول: نظرتك وانتظرتك بمعنى واحد، قال الخطيب:

وَقَدْ نَظَرْتُكُمْ لِبَنَاءٍ عَاشِيَةٍ

(٢) أخرجه ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل» من طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: حدثني سعيد بن جبيرة أو عكرمة عن ابن عباس.

(٣) في تفسير الطبري ٤٤٢/٨: وقال آخرون: معنى ذلك: من قبل أن نمحو آثارهم من وجوههم التي هم بها، وناحتهم التي هم بها، فنردنا على أديارها من حيث جاؤوا منه بديلاً من الشام.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَلَظَّتْهُمْ﴾ يعود إلى أصحاب الوجوه. وفي معنى لمن أصحاب السبب قولان: أحدهما: مسخهم قردة، قاله الحسن، وقتادة، ومقاتل. والثاني: طردهم في التيه حتى هلك فيه أكثرهم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَقْعُولًا﴾ قال ابن جرير: الأمر هاهنا بمعنى المأمور، سُمِّيَ باسم الأمر لحدوثه عنه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ قال ابن عمر: لما نزلت: ﴿يَكِيدُوا الَّذِينَ اتَّبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَنْقُطُوا مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] قالوا لرسول الله ﷺ: والشرك؟ فكره رسول الله ﷺ ذلك، فنزلت هذه<sup>(١)</sup>. وقد سبق معنى الإشراف.

والمراد من الآية: لا يغفر لمشرك مات على شركه. وفي قوله: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ نعمة عظيمة من وجهين: أحدهما: أنها تقتضي أن كل ميت على ذنب دون الشرك لا يقطع عليه بالعذاب، وإن مات مصراً<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن تعليقه بالمشيئة فيه نفع للمسلمين، وهو أن يكونوا على خوف وطمع.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٥٩)

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ سبب نزولها: أن مرحب بن زيد، وبحري بن عون - وهما من اليهود - أتيا النبي ﷺ بأطفالهما، ومعهما طائفة من اليهود فقالوا: يا محمد هل على هؤلاء من ذنب؟ قال: لا، قالوا: والله ما نحن إلا كهيتهم، ما من ذنب نعمله بالنهار إلا نُكْفَرُ عنا بالليل، وما من ذنب نعمله بالليل إلا كُفِّرَ عنا بالنهار، فنزلت هذه الآية. هذا قول ابن عباس<sup>(٣)</sup>.

وفي قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ قولان: أحدهما: ألم تُخبر، قاله ابن قتيبة. والثاني: ألم تعلم، قاله الزجاج. وفي الذين يزكون أنفسهم قولان: أحدهما: اليهود على ما ذكرنا عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أنهم اليهود، والنصارى، وبه قال الحسن، وابن زيد. ومعنى «يزكون أنفسهم»: يزعمون أنهم أزكيا، يقال: زكى الشيء: إذا نما في الصلاح. وفي الذي زكوا به أنفسهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم برؤوا أنفسهم من الذنوب، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. والثاني: أن اليهود قالوا: إن أبناءنا الذين ماتوا يزكوننا عند الله، ويشفعون لنا، رواه عطية، عن ابن عباس. والثالث: أن اليهود كانوا يقدمون صبيانهم في الصلاة فيؤمونهم، يزعمون أنهم لا ذنوب لهم، هذا قول عكرمة، ومجاهد، وأبي مالك. والرابع: أن اليهود والنصارى قالوا: ﴿هَٰمْ أَتَيْنُوا اللَّهَ وَأَجَبْتُوهُ﴾ [المائدة: ١٨] وقالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَانًى﴾ [البقرة: ١١١] هذا قول الحسن، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يجعله زاكياً، ولا يظلم الله أحداً مقدار فتيل. قال ابن جرير: وأصل «الفتيل»: المفتول، صُرف عن مفعول إلى فاعل، كصريع، ودهين. وفي الفتيل قولان: أحدهما: أنه ما يكون في شق النواة، رواه عكرمة، عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعطاء بن أبي رباح، والضحاك، وقتادة، وعطية، وابن زيد، ومقاتل، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنه ما يخرج بين الأصابع من الوسخ إذا دلكن، رواه العوفي، عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وأبو مالك، والسدي، والفرّاء.

(١) ابن جرير ٤٤٩/٨، ونقله عنه ابن كثير، ثم قال: وقد رَوَاهُ ابْنُ مَرْثُومٍ عَنْ ابْنِ عَمْرِو.

(٢) قال ابن جرير الطبري ٤٥٠/٨: وقد أبانت هذه الآية على أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله تعالى، إن شاء عفا عنه ذنبه، وإن شاء عاقبه عليه، ما لم تكن كبيرة شركاً بالله تعالى. قلت: وروى البخاري في «صحيحه» ٦٠/١ عن عباد بن الصامت ؓ: «وكان شهد بداراً، وهو أحد النقباء ليلة القبة - أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «يا أيها الناس، لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا بيهتان تفسدونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفي منكم، فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً، فعوقب في الدنيا، فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً، ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه» فبايعناه على ذلك. ورواه مسلم ١٣٣٣/٣ والترمذي. وروى الإمام أحمد في «المسند» ١٦٦/٥ عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة». قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى ثلاثاً»، ثم قال في الرابعة: «على رغم أنف أبي ذر»، فخرج أبو ذر وهو يجر إزاره، وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر، فكان أبو ذر يحدث بهذا بعد ويقول: وإن رغم أنف أبي ذر» ورواه الشيخان.

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٨٨ بمعناه عن الكلبي.



﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْرَءُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى إِثْمًا مُبِينًا﴾ (١)

قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْرَءُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ وهو قولهم: ﴿عَنْ أَتَيْنَا اللَّهَ وَأَجِبُونَهُ﴾ وقولهم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هَؤُلَاءِ أَوْ نَصَرَهُ﴾ وقولهم: لا ذنب لنا، ونحو ذلك مما كذبوا فيه ﴿وَكَفَى بِهِ﴾ أي: وحسبهم بقيلهم الكذب ﴿إِثْمًا مُبِينًا﴾ يبين كذبهم لسامعيه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ (٢)

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن جماعة من اليهود قدموا على قريش، فسألوهم: أديتنا خير، أم دين محمد؟ فقال اليهود: بل دينكم، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن كعب بن الأشرف، وحيي بن أخطب، قدما مكة، فقالت لهما قريش: أنحن خير، أم محمد؟ فقالا: أنتم، فنزلت هذه الآية، هذا قول عكرمة في رواية<sup>(٢)</sup>. وقال قتادة: نزلت في كعب، وحيي، ورجلين آخرين من بني النضير قالوا لقريش: أنتم أهدى من محمد. والثالث: أن كعب بن الأشرف وهو الذي قال لكفار قريش: أنتم أهدى من محمد، فنزلت هذه الآية. وهذا قول مجاهد، والسدي، وعكرمة في رواية. والرابع: أن حيي بن أخطب قال للمشركين: نحن وإياكم خير من محمد، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن زيد. والمراد بالمذكورين في هذه الآية اليهود. وفي «الجبت» سبعة أقوال. أحدها: أنه السحر، قاله عمر بن الخطاب، ومجاهد، والشعبي. والثاني: الأصنام، رواه عطية، عن ابن عباس. وقال: عكرمة: الجبت: صنم. والثالث: حيي بن أخطب، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، والفراء. والرابع: كعب بن الأشرف، رواه الضحاك، عن ابن عباس، وليث عن مجاهد. والخامس: الكاهن، روي عن ابن عباس، وبه قال ابن سيرين، ومكحول. والسادس: الشيطان، قاله سعيد بن جبيرة في رواية، وقتادة، والسدي. والسابع: الساحر، قاله أبو العالية، وابن زيد. وروى أبو بشر، عن سعيد بن جبيرة، قال: الجبت: الساحر بلسان الحبشة. وفي المراد بالطاغوت هاهنا ستة أقوال: أحدها: الشيطان، قاله عمر بن الخطاب، ومجاهد في رواية، والشعبي، وابن زيد. والثاني: أنه اسم للذين يكونون بين يدي الأصنام يعبرون عنها ليضلوا الناس، رواه العوفي، عن ابن عباس. والثالث: كعب بن الأشرف، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، والفراء. والرابع: الكاهن، وبه قال سعيد بن جبيرة، وأبو العالية، وقتادة، والسدي. والخامس: أنه الصنم، قاله عكرمة. وقال: الجبت والطاغوت صنمان. والسادس: الساحر، روي عن ابن عباس، وابن سيرين، ومكحول. فهذه الأقوال تدل على أنهما اسمان لمسميين. وقال اللغويون منهم ابن قتيبة، والزجاج: كل معبود من دون الله، من حجر، أو صورة، أو شيطان، فهو جبت وطاغوت<sup>(٣)</sup>.

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢١٠، والطبري من طريق ابن إسحاق ٨/٤٦٩ وفي سننه مجهول.

(٢) أثر عكرمة، رواه سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم مرسلاً. وروى ابن جرير ٨/٤٦٦ عن ابن عباس، قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة، قالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيدهم؟ قال: نعم. قالوا: ألا ترى إلى هذا الصنوبر المنبت من قومه. يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحميم، وأهل السدانة، وأهل السقاية؟ قال: أنتم خير منه. قال: فانزلت ﴿إِنَّكَ تَكْتُمُ الْآيَاتِ﴾ [الكوثر: ٣] وانزلت ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ يَدُكَ لَمْ تَبْصُرَ﴾. وإسناده صحيح. وزاد السيوطي نسبة في «الدرر» ٢/١٧١ لأحمد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. وقولهم «ألا ترى إلى هذا الصنوبر الأبر» في «النهاية» الصنوبر: سفقات تنبت في جذع النخلة، لا في الأرض، ثم قالوا للرجل القرد الضعيف اللليل الذي لا أهل له ولا عقب ولا ناصر: «صنوبر» قال الأستاذ محمود شاكر: فأراد هؤلاء الكفار من قريش أن محمداً ﷺ - بأبي هو وأمي - صنوبر تنبت في جذع نخلة، فإذا قلع انقطع، فكذلك هو إذا مات، فلا عقب له. وكذبوا ونصر الله رسوله ﷺ وقطع دابر الكافرين. والآيت: الذي لا عقب له.

(٣) قال أبو جعفر الطبري ٨/٤٦٥: والصواب من القول في تأويل ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ أن يقال: يصدقون بمعبودين من دون الله، يعبدونهما من دون الله، ويتخذونهما ألهمين، وذلك أن «الجبت» و«الطاغوت» اسمان لكل معظم بمعبدة من دون الله أو طاعة أو خضوع له، كأننا ما كان ذلك المعظم، من حجر أو إنسان أو شيطان، وإذا كان ذلك كذلك، وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدوها، كانت معظمة بالمعبادة من دون الله، فقد كانت جبوته وطواغيت، وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولا عنهما ما قالوا في أهل الشرك بالله، وكذلك حيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف، لأنهما كانا مطاعين في أهل ملتهما من اليهود في معصية الله، والكفر به، ورسوله، فكانا جبتين وطاغوتين.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني لمشركي قريش: أنتم ﴿أَهْدَىٰ مِنَ الْآيِينَ ءَامَنُوا﴾، يعنون النبي وأصحابه طريقاً في الديانة والاعتقاد.

﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وَمَنْ يَلْعَنُ اللَّهَ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَمْ يَنْصِبْ مِنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيرًا ﴿٥٣﴾

﴿أَمْ لَمْ يَنْصِبْ مِنَ الْمَلِكِ﴾ هذا استفهام معناه الإنكار، فالتقدير: ليس لهم. وقال الفراء: قوله: ﴿إِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيرًا﴾ جوابٌ لجزء مضمّر، تقديره: ولئن كان لهم نصيب لا يؤتون الناس نصيراً<sup>(١)</sup>. وفي «التقيير» أربعة أقوال: أحدها: أنه النقطة التي في ظهر النواة، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن زيد، ومقاتل، والفراء، وابن قتيبة في آخرين. والثاني: أنه القشر الذي يكون في وسط النواة، رواه التيمي، عن ابن عباس. وروي عن مجاهد: أنه الخيط الذي يكون في وسط النواة. والثالث: أنه نقر الرجل الشيء يطرّف إبهامه، رواه أبو العالية، عن ابن عباس. والرابع: أنه حبة النواة التي في وسطها، رواه ابن أبي نجیح، عن مجاهد. قال الأزهري: «والفتيل» و«التقيير» و«القطمير»: تضرب أمثالا للشيء التافه الحقيق.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ سبب نزولها: أن أهل الكتاب قالوا: يزعم محمد أنه أوتي ما أوتي في تواضع، وله تسع نسوة، فأبيّ ملك أفضل من هذا، فنزلت، رواه العوفي، عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وفي «أم» قولان: أحدهما: أنها بمعنى ألف الاستفهام، قاله ابن قتيبة. والثاني: بمعنى «بل» قاله الزجاج، وقد سبق ذكر «الحسد» في (سورة البقرة) والحاسدون هاهنا: اليهود. وفي المراد بالناس هاهنا أربعة أقوال: أحدها: النبي ﷺ، رواه عطية، عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، والسدي، ومقاتل. والثاني: النبي ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام. والثالث: العرب، قاله قتادة. والرابع: النبي، والصحاب، ذكره الماوردي. وفي الذي آتاهم الله من فضله ثلاثة أقوال: أحدها: إراحة الله تعالى نبيه أن ينكح ما شاء من النساء من غير عدد، روي عن ابن عباس، والضحاك، والسدي. والثاني: أنه النبوة، قاله ابن جريج، والزجاج. والثالث: بعثة نبي منهم على قول من قال: هم العرب<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ﴾ يعني: التوراة، والإنجيل، والزبور. كله كان في آل إبراهيم، وهذا النبي من أولاد إبراهيم. وفي الحكمة قولان: أحدها: النبوة، قاله السدي، ومقاتل. والثاني: الفقه في الدين، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي الملك العظيم خمسة أقوال: أحدها: ملك سليمان، رواه عطية، عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثاني: ملك داود، وسليمان في النساء، كان لداود مائة امرأة، وسليمان سبع مائة امرأة، وثلاثمائة سريّة، رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>، وبه قال السدي. والثالث: النبوة، قاله مجاهد. والرابع: التأييد بالملائكة، قاله ابن زيد في آخرين.

(١) قال الطبري ٤٧٥/٨: ورفع قوله: ﴿لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ﴾ ولم يُنْصَبْ به «إذنه» ومن حكمه أن تنصب الأفعال المستقبلية إذا ابتدئ الكلام بها، لأن معها «فاعة» ومن حكمه إذا دخل فيها بعض جروف المطف على توجه إلى الابتداء بها مرة، وإلى النقل عنها إلى غيرها أخرى، وهذا الموضع مما أريد به «الفاعة» في النقل عن «إذنه» إلى ما بعدها، وأن يكون معنى الكلام: أم لهم نصيب، فلا يؤتون الناس نصيراً إذن. وانظر استيفاء الكلام على «إذن» في «سيرة» ٤١١/١، ومعاني القرآن للفراء ٢٧٣/١.

(٢) رواه ابن جرير ٤٧٨/٨ قال: حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فذكره. وهذا إسناد مبسّط بالضعفاء: محمد بن سعد، قال الخطيب: هو لين في الحديث، وأبو سعد بن محمد بن الحسن العوفي، ضعيف جداً، وعمه: وهو الحسن بن الحسن بن عطية العوفي، ضعفه ابن معين، وابن سعد، وأبو حاتم، والنسائي. وأبو: هو الحسن بن عطية بن سعد العوفي، وهو ضعيف أيضاً. قال البخاري في «الكبير»: ليس ذاك، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث. وأبو أبيه: عطية بن سعد بن جندة العوفي، قال الحافظ في «الطب»: صدوق يخطئ كثيراً، كان مدلساً.

(٣) قال ابن جرير ٤٧٩/٨: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول قتادة وابن جريج الذي ذكرناه قبل، أن معنى «الفضل» في هذا الموضع: النبوة التي فضل الله بها محمداً، وشرف بها العرب، إذ آتاهما رجلاً منهم دون غيرهم، لما ذكرنا من أن دلالة ظاهر هذه الآية تدل على أنها تقرّبط للنبي ﷺ وأصحابه، رحمة الله عليهم، على ما قد بينا قبل، وليس النكاح وتزوج النساء - وإن كان من فضل الله جل ثناؤه الذي آتاه عباده - بتقرّبط لهم ومدح.

(٤) سنده ضعيف.

(٥) سنده ضعيف.

والخامس: الجمع بين سياسة الدنيا، وشرع الدين، ذكره الماوردي<sup>(١)</sup>.

﴿قِيَّتُمْ مِّنْ ءَمَانٍ يَّهْدِي وَيُتِمُّ مَن صَدَّ عَنْهُ وَكُنَّ يَجْمَعُ سَمِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿قِيَّتُمْ مِّنْ ءَمَانٍ يَّهْدِي﴾ فيمن تعود عليه الهاء والميم قولان: أحدهما: اليهود الذين أنذرهم نبينا محمد ﷺ، وهذا قول مجاهد، ومقاتل، والفراء في آخرين. فعلى هذا القول في هاء «يه» ثلاثة أقوال: أحدها: تعود على ما أنزل الله على نبينا محمد ﷺ، قاله مجاهد. قال أبو سليمان: فيكون الكلام مبنياً على قوله ﴿عَلَى مَا ءَاتَاهُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ وهو النبوة، والقرآن. والثاني: أنها تعود إلى النبي ﷺ، فتكون متعلقة بقوله: ﴿أَرَى يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ يعني بالناس: محمداً ﷺ، ويكون المراد بقوله: ﴿قِيَّتُمْ مِّنْ ءَمَانٍ يَّهْدِي﴾ عبد الله بن سلام، وأصحابه. والثالث: أنها تعود إلى النبي عن آل إبراهيم، قاله الفراء. والقول الثاني: أن الهاء، والميم في قوله «فمنهم» تعود إلى آل إبراهيم، فعلى هذا في هاء «يه» قولان: أحدهما: أنها عائدة إلى إبراهيم، قاله السدي. والثاني: إلى الكتاب، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ مَن صَدَّ عَنْهُ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وابن جبير، وعكرمة، وابن يعمر، والجدري: «من صد عنه» برفع الصاد. وقرأ أبي بن كعب، وأبو الجوزاء، وأبو رجاء، والجوني: بكسر الصاد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلًّا لَّيْسَتْ جُودُهُمْ بَدَلَتُهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا يَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>  
قوله تعالى: ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ قال الزجاج: أي: نشويهم في نار. ويروى أن يهودية أدت إلى النبي ﷺ شاة مصليّة، أي: مشوية. وفي قوله: ﴿بَدَلَتُهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ قولان: أحدهما: أنها غيرها حقيقة، ولا يلزم على هذا أن يقال: كيف بدلت جلود التذت بالمعاصي بجلود ما التذت، لأن الجلود آفة في إيصال العذاب إليهم، كما كانت آفة في إيصال اللذة، وهم المعاقبون لا الجلود. والثاني: أنها هي بعينها تعاد بعد احتراقها، كما تعاد بعد البلى في القبور. فتكون الغيرية عائدة إلى الصفة، لا إلى الذات، فالمعنى: بدلناهم جلوداً غير محترقة، كما تقول: صُغت من خاتمي خاتماً آخر. وقال الحسن البصري في هذه الآية: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة، كلما أكلتهم قيل لهم: عودوا، فعادوا.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَجْزِيهِمْ جَزَاءَ فِعْلِهِمْ فِي سَاعَاتٍ يَخَيَّرُ يَوْمَئِذٍ الْغَنَىٰ فِيهَا أَمْثَلُ قَدْرًا مِّنْ الْبَرِّ فِيهَا أَزْوَاجٌ مَُّطَهَّرَةٌ وَدَجَلَتْهُمُ ظُلُمَاتُ الْغَيِّ﴾<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَدَجَلَتْهُمُ ظُلُمَاتُ الْغَيِّ﴾ قال الزجاج: هو الذي يظلل من الحرّ والريح، وليس كل ظل كذلك، فأعلم الله تعالى أن ظل الجنة ظليل لا حرّ معه، ولا برد. فإن قيل: أفي الجنة برد أو حر يحتاجون معه إلى ظل؟ فالجواب: أن لا، وإنما خاطبهم بما يعقلون مثله، كقوله: ﴿وَكَمْ رَزَقْنَاهُمْ فِيهَا بُكَرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢] وجواب آخر: وهو أنه إشارة إلى كمال وصفها، وتمكين بنائها، فلو كان البرد أو الحرّ يتسلط عليها، لكان في أبنيتها وشجرها ظل ظليل.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

نِعِيمًا بَيِّرًا﴾<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ لما فتح مكة، طلب مفتاح البيت من عثمان بن أبي طلحة، فذهب ليعطيه إياه، فقال العباس: بأبي أنت وأمي اجتمع لي مع السقاية، فكف عثمان يده مخافة أن يعطيه للعباس، فقال النبي ﷺ: «هات المفتاح» فأعاد العباس قوله، وكف عثمان، فقال النبي ﷺ: «أرني المفتاح إن كنت تؤمن بالله وباليوم الآخر» فقال: هاك يا رسول الله بأمانة الله، فأخذ المفتاح، ففتح البيت، فنزل جبريل بهذه الآية، فدعا عثمان، فدفعه إليه. رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٦)</sup>، وبه قال مجاهد،

(١) رجح ابن جرير رحمه الله في «تفسيره» ٤٨٢/٨ قول ابن عباس في تفسير «الملك» بملك سليمان، قال: لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، دون الذي قال: إنه ملك النبوة، ودون قول من قال: إنه تحليل النساء والملك عليهن، لأن كلام الله الذي خاطب به العرب غير جائز توجيهه إلا إلى المعروف المستعمل فيهم من معانيه، إلا أن تأتي دلالة، أو تقوم حجة على أن ذلك بخلاف ذلك، يجب التسليم لها.

(٢) قال السيوطي في «الدر المنثور» ١٧٤/٢: أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس مطولاً. قلت: والكلبي وأبو صالح ضعيفان لا يحتج بهما.

والزهري، وابن جريج، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت في الأمراء. رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال زيد بن أسلم، وابنه، ومكحول، واختاره أبو سليمان الدمشقي، وقال: أمر الأمراء أن يؤدوا الأمانة في أموال المسلمين. والثالث: أنها نزلت عامة، وهو مروى عن أبي بن كعب، وابن عباس، والحسن، وقنادة، واختاره القاضي أبو يعلى. واعلم أن نزولها على سبب لا يمنع عموم حكمها، فإنها عامة في الودائع وغيرها من الأمانات. وقال ابن مسعود: الأمانة في الوضوء، وفي الصلاة، وفي الصوم، وفي الحديث، وأشد ذلك في الودائع<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَمَّا يَبْتَغِيكُمْ رَبِّي﴾ يقول: نعم الشيء يعظكم به، وقد ذكرناه في (البقرة).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي إذ بعثه النبي ﷺ في سرية، أخرجه البخاري، ومسلم، من حديث ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن عمار بن ياسر كان مع خالد بن الوليد في سرية، فهرب القوم، ودخل رجل منهم على عمار، فقال: إني قد أسلمت، هل ينفعني، أو أذهب كما ذهب قومي؟ قال عمار: أقم فانت آمن، فرجع الرجل، وأقام فجاء خالد، فأخذ الرجل، فقال عمار: إني قد أمته، وإنه قد أسلم، قال: أنتجبر علي وأنا الأمير؟ فتنازعا، وقاما على رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ طاعة الرسول في حياته: امتثال أمره، واجتناب نهيه، وبعد مماته: اتباع سنته<sup>(٤)</sup>. وفي أولي الأمر أربعة أقوال: أحدها: أنهم الأمراء، قاله أبو هريرة<sup>(٥)</sup>، وابن عباس في رواية، وزيد بن أسلم، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنهم العلماء، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو قول جابر بن عبد الله، والحسن، وأبي العالية، وعطاء، والنخعي، والضحاك، ورواه خصيف عن مجاهد. والثالث: أنهم أصحاب النبي ﷺ، رواه ابن

(١) قال ابن كثير في تفسير الآية: يخبر تعالى أنه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها، وفي حديث الحسن عن سمره أن رسول الله ﷺ قال: «أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تعن من خانك» رواه الإمام أحمد وأهل السنن. وهو يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله ﷻ على عباده من الصلاة والزكاة والصيام، والكفارات، والذنور، وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه، لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض، كالودائع وغير ذلك مما يأتون به بعضهم على بعض من غير اطلاع بينة على ذلك، فأمر الله ﷻ بأدائها، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة، كما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لَتَوْفَى الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهَا حَتَّى يَنْقُصَ لِلشَّاةِ الْجَمَاءُ مِنَ الْقِرْنَاءِ». قلت: وحديث «أد الأمانة...» رواه أبو داود في سننه ٣٩٩٣، والترمذي ٢٥١١/٢، والدارمي ٢٦٤٢/٢، والحاكم ٤٦٧/٢، كلهم من حديث أبي هريرة. قال الترمذي: حسن غريب. وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. قلت: وهو حديث صحيح. وقد وهم الشيخ أحمد شاكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في عزو الحديث إلى الإمام أحمد وأهل السنن من طريق سمره. وللإمام ابن تيمية رحمه الله رسالة أسماها «السياسة الشرعية» بناها على هذه الآية الكريمة، فارجع إليها، فإنها فريدة في بابها.

(٢) البخاري: ١٩٠/٨، ومسلم: ١٤٦٥/٣. قال الحافظ في «الفتح»: كذا ذكره - أي: البخاري - مختصراً، والمعنى: نزلت في قصة عبد الله بن حذافة، أي: المقصود منها في قصته قوله ﴿إِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ - الآية. قلت: وقصة حذافة بطولها رواها الإمام أحمد ٦٢٢/٢، والبخاري ١٣/١٠٩، ومسلم ١٤٦٩/٣ عن علي رضي الله عنه، قال: بعث رسول الله ﷺ سرية، واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، فأغشوه في شيء فقال: اجعلوا لي حطباً، فجعلوا له، ثم قال: أوقدوا ناراً، فأوقدوا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى، قال: فادخلوها، قال: فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار، فكانوا كذلك، وسكن غضبه، وطفئت النار، فلما رجعوا، ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها إنما لطاعة في المعروف».

(٣) ذكره ابن جرير بأطول مما ذكره المصنف ٤٩٨/٨ عن السدي، ونقله ابن كثير عنه ٥١٨/١ ثم قال: وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طرق عن السدي مرسلًا، ورواه ابن مردويه من رواية الحكم بن ظهير عن السدي عن أبي صالح، عن ابن عباس، فذكره بنحوه والله أعلم.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: النكته في إعادة العامل في «الرسول» دون «أولي الأمر» مع أن المطاع في الحقيقة هو الله تعالى، كون الذي يعرف به ما يقع به التكليف، هما القرآن والسنة، فكان التقدير: وأطيعوا الله فيما قضى عليكم في القرآن، وأطيعوا الرسول فيما بين لكم من القرآن، وما ينصه عليكم من السنة، والمعنى: أطيعوا الله فيما يأمركم به من الوحي المتبني بتلاوته، وأطيعوا الرسول فيما يأمركم به من الوحي الذي ليس بقرآن. قلت: وقد روى أبو داود ٢٧٩/٤ بسند صحيح عن المقدام بن معدى كرب، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجبت فيه من حلال فاحلوه، وما وجبت فيه من حرام فحرموه، وإن ما حرمه رسول الله ﷺ كما حرم الله».

(٥) رواه ابن جرير عن أبي هريرة بإسناد صحيح، وقد ذكره الحافظ في «الفتح» ١٩١/٨، وقال: أخرجه الطبري بإسناد صحيح.

أبي نجیح، عن مجاهد، وبه قال بكر بن عبد الله المزني. والرابع: أنهم أبو بكر، وعمر، وهذا قول عكرمة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾ قال الزجاج: معناه: اختلفتم وقال كل فريق: القول قولي. واشتقاق المنازعة: أن كل واحد يتزعج الحجة.

قوله تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالْكُرُوبِ﴾ في كيفية هذا الرد قولان: أحدهما: أن رده إلى الله رده إلى كتابه، ورده إلى النبي رده إلى سنته، هذا قول مجاهد، وقتادة، والجمهور. قال القاضي أبو يعلى: وهذا الرد يكون من وجهين: أحدهما: إلى المنصوص عليه باسمه ومعناه. والثاني: الرد إليهما من جهة الدلالة عليه، واعتباره من طريق القياس، والنظائر. والقول الثاني: أن رده إلى الله ورسوله أن يقول من لا يعلم الشيء: الله ورسوله أعلم، ذكره قوم منهم الزجاج. وفي المراد بالتأويل أربعة أقوال: أحدها: أنه الجزء، والثواب، وهو قول مجاهد، وقتادة. والثاني: أنه العاقبة، وهو قول السدي، وابن زيد، وابن قتبية، والزجاج. والثالث: أنه التصديق، مثل قوله: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُبَيْنَى﴾ [يوسف: ١٠٠] قاله ابن زيد في رواية. والرابع: أن معناه: ردكم إياه إلى الله ورسوله أحسن من تأويلكم، ذكره الزجاج<sup>(٢)</sup>.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في رجل من المنافقين كان بينه وبين يهودي خصومة، فقال اليهودي: انطلق بنا إلى محمد، وقال المنافق: بل إلى كعب بن الأشرف، فأبى اليهودي، فأتيا النبي ﷺ، ففضى لليهودي، فلما خرجا، قال المنافق: ننتقل إلى عمر بن الخطاب، فأقبلا إليه، ففضا عليه القصة، فقال: رويداً حتى أخرج إليكما، فدخل البيت، فاشتمل على السيف، ثم خرج، فضرب به المنافق حتى برد، وقال: هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء الله ورسوله، فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن أبا بردة الأسلمي كان كاهناً يقضي بين اليهود، فتنافر إليه ناس من المسلمين، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة، عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن يهودياً ومنافقاً كانت بينهما خصومة، فدعا اليهودي المنافق إلى النبي، لأنه لا يأخذ الرشوة، ودعا المنافق إلى حكاهم، لأنهم يأخذون الرشوة، فلما اختلفا، اجتمعا أن يحكما كاهناً، فنزلت هذه الآية، هذا قول الشعبي<sup>(٥)</sup>. والرابع: أن رجلاً من بني النضير قتل رجلاً من بني قريظة، فاخصموا،

(١) قال أبو جعفر: وأولى الأقوال من ذلك بالصواب، قول من قال: هم الأمراء، والولاء، لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالامر بطاعة الأئمة والولاء فيما كان له طاعة، وللمسلمين مصلحة. ثم ذكر الأحاديث التي وردت في الباب.

(٢) قال الحافظ ابن كثير ٥١٨/١ في تفسير الآية: وهذا أمر من الله ﷻ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠] فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ﴾ أي: ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ﴾ فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة، ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمناً بالله، ولا باليوم الآخر. وقوله: ﴿فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ﴾ أي: التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، والرجوع في فصل النزاع إليهما خير ﴿وَلَكُمْ تَأْوِيلٌ﴾ أي: وأحسن حاقية ومألاً، كما قاله السدي وغير واحد، وقال مجاهد: وأحسن جزاء وهو قريب.

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ٩٢ من الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٤) نقل الخبر الهشيمي في «المجمع» ٦/٧ وقال: رواه الطبراني، ووجهه رجال الصحيح، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١٧٨/٢ عن أبي حاتم والطبراني بسند صحيح. وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» في ترجمة أبي بردة: وعند الطبراني بسند جيد عن ابن عباس قال: كان أبو بردة الأسلمي كاهناً يقضي بين اليهود، فذكر القصة في نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ...﴾ قلت: وقوله: «فتنافر إليه ناس من المسلمين» هكذا جاءت في الأصول وفي «مجمع الزوائد» ٦/٧، و«الدر المنثور» ١٧٨/٢، و«اللباب للقول» ص: ٦٧، والطبري ٥١٠/٨ من رواية السدي «فقال المنافق من بني قريظة والنضير: انطلقوا إلى أبي بردة بن بشر بيننا» وفي ابن كثير ٥١٩/١: «فتنافر إليه ناس من المشركين» وفي «أسباب النزول» للواحدي ص: ٩٢ «فتنافر إليه ناس من أسلم». وفي «المجمع» وابن كثير، و«الفتح» ٢٩/٥، و«الدر المنثور» و«أسباب النزول»: «أبو بردة» بدل «أبي بردة» وهو خطأ.

(٥) ابن جرير ٥٠٨/٨، عن الشعبي، ونسبه السيوطي في «الدر» لابن المنذر، وذكره الواحدي في أسباب النزول: ٩٢ بسنده إلى الشعبي.

فقال المنافقون منهم: انطلقوا إلى أبي بردة الكاهن، فقال المسلمون من الفريقين: بل إلى النبي ﷺ، فأبى المنافقون، فانطلقوا إلى الكاهن، فنزلت هذه الآية. هذا قول السدي<sup>(١)</sup>. والزُّعْم والزُّعْم لغتان، وأكثر ما يستعمل في قول ما لا تتحقق صحته، وفي «الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليه وما أنزل من قبله» قولان: أحدهما: أنه المنافق. والثاني: إن الذي زعم أنه آمن بما أنزل إليه المنافق، والذي زعم أنه آمن بما أنزل من قبله اليهودي. والطاغوت: كعب بن الأشرف، قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، والربيع، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ قال مقاتل: أن يتبرؤوا من الكهنة، و«الضلال البعيد»: الطويل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوكَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ قال مجاهد: هذه الآية والتي قبلها نزلتا في خصومة اليهودي، والمنافق، والهاء والميم في «لهم»: إشارة إلى الذين يزعمون. و«الذي أنزل الله»: أحكام القرآن. و«إلى الرسول» أي: إلى حكمه.

﴿فَكَيْفَ إِذَا آتَيْنَهُمْ مِصْبِيحًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءَهُمْ بِهِمْ بَلِّغُوا إِلَهُكُمْ إِنَّ أَرْدَنَ إِلَاٰهُكُمْ وَتَوَفِّيَهُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا آتَيْنَهُمْ مِصْبِيحًا﴾ أي: كيف يصنعون ويحتالون إذا أصابهم عقوبة من الله؟ وفي المراد بالمصيبة قولان: أحدهما: أنه تهديد ووعد. والثاني: أنه قتل المنافق الذي قتله عمر. وفي الذي قدمت أيديهم ثلاثة أقوال: أحدها: ففاقهم واستهزأهم. والثاني: ردعهم حكم النبي ﷺ. والثالث: معاصيهم المتقدمة. قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْنَا﴾ بمعنى: ما أردنا.

قوله تعالى: ﴿إِلَّاٰهُكُمْ وَتَوَفِّيَهُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لما قتل عمر صاحبهم، جاؤوا يطلبون بدمه، ويحلفون ما أردنا بالمطالبة بدمه إلا إحساناً إلينا، وما يوافق الحق في أمرنا. والثاني: ما أردنا بالترافع إلى عمر إلا إحساناً وتوفيئاً. والثالث: أنهم جاؤوا يعتذرون إلى النبي ﷺ من محاكمتهم إلى غيره، ويقولون: ما أردنا في عدولنا عنك إلا إحساناً بالتقريب في الحكم، وتوفيئاً بين الخصوم دون الحمل على مَرِّ الحق<sup>(٢)</sup>.

﴿أَوَلَيْكَ الْذَرِيَّةُ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِتْنَةُ أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ الْذَرِيَّةُ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: من النفاق والزيف. وقال ابن عباس: إضمارهم خلاف ما يقولون ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تعاقبهم ﴿وَعِظْهُمْ﴾ بلسانك ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِتْنَةُ أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ أي: تقدم إليهم: إن فعلتم الثانية، عاقبتكم. وقال الزجاج: يقال: بَلَغَ الرجل يَبْلُغُ بلاغة فهو بليغ: إذا كان يبلغ بعبارة لسانه كُتُه ما في قلبه. وقد تكلم العلماء في حد «البلاغة» فقال بعضهم: «البلاغة»: إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، وقيل: «البلاغة»: حسن العبارة مع صحة المعنى، وقيل: «البلاغة»: الإيجاز مع الإفهام، والتصرف من غير إضجار. قال خالد بن صفوان: أحسن الكلام ما قُلَّت ألفاظه، وكثُرَت معانيه، وخيَّرَ الكلام ما شَوَّقَ أوله إلى سماع آخره. وقال غيره: إنما يستحق الكلام اسم البلاغة إذا سابق لفظه معناه، ومعناه لفظه، ولم يكن لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك.

## فصل

وقد ذهب قوم إلى أن «الإعراض» المذكور في هذه الآية منسوخ بآية السيف.

(١) رواه ابن جرير ٥٠٨/٨ عن السدي.

(٢) قال أبو جعفر في تفسير الآية: يعني بذلك جل ثناؤه، فكيف بهؤلاء الذين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وهم يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك ﴿وَإِذَا آتَيْنَهُمْ مِصْبِيحًا﴾ يعني إذا نزلت بهم نعمة من الله ﴿فَمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني بذنوبهم التي سلفت منهم، ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ بِهِمْ بَلِّغُوا﴾ ثم جاؤوا يحلفون بالله كذباً وزوراً ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَاٰهُكُمْ وَتَوَفِّيَهُمْ﴾ وهذا خير من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المنافقين أنهم لا يردعهم عن النفاق العبر والنعم، وأنهم إن تأتاهم عقوبة من الله على تحاكمهم إلى الطاغوت لم ينبيوا ولم يتوبوا، ولكنهم يحلفون بالله كذباً وجرأة على الله: ما أردنا باحتكامنا إليه إلا الإحسان من بعضنا إلى بعض، والصواب فيما احتكمتنا فيه إليه.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنْتُمْ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ جَاهِدُوا فَمَا تَسْتَفْتُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمْ الرُّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ قال الزجاج: «من» دخلت للتوكيد. والمعنى: وما أرسلنا رسولاً إلا ليطاع. وفي قوله: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: أنه بمعنى: الأمر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الإذن نفسه، قاله مجاهد. وقال الزجاج: المعنى: إلا ليطاع بأن الله أذن له في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنْتُمْ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ يرجع إلى المتحاكمين اللذين سبق ذكرهما. قال ابن عباس: ظلّموا أنفسهم بسخطهم قضاء الرسول ﴿جَاهِدُوا فَمَا تَسْتَفْتُوا اللَّهَ﴾ من صنيعهم.

﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُكَ حَتَّى يُحْكَمَوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْئَلُوكَ خِيبًا﴾ قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُكَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها نزلت في خصومة كانت بين الزبير وبين رجل من الأنصار في شراج الحرة<sup>(١)</sup>، فقال النبي ﷺ للزبير: «اسق ثم أرسل إلى جارك» فغضب الأنصاري، قال: يا رسول الله: أن كان ابن عمنك فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال للزبير: «اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يبلغ الجذر» قال الزبير: فوالله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك. أخرجه البخاري، ومسلم<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنها نزلت في المنافق، واليهودي اللذين تحاكما إلى كعب بن الأشرف، وقد سبق قصتهما، قاله مجاهد<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُكَ﴾ أي: لا يكونون مؤمنين حتى يحكموك، وقيل: «لا» رد لزعمهم أنهم مؤمنون، والمعنى: فلا، أي: ليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا، وهم يخالفون حكمك. ثم استأنف، فقال: وريك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، أي: فيما اختلفوا فيه. وفي «الحرج» قولان: أحدهما: أنه الشك، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي في آخرين. والثاني: الضيق، قاله أبو عبيدة، والزجاج. وفي قوله: ﴿وَيَسْئَلُوكَ خِيبًا﴾ قولان: أحدهما: يسلموا لما أمرتهم به، فلا يعارضونك، هذا قول ابن عباس، والزجاج، والجمهور. والثاني: يسلموا ما تنازعا فيه لحكمك، ذكره الماوردي.

﴿وَلَوْ أَنَّ كُتِبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا قَلَّوْهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّكُمْ قُلْتُمْ مَا يُعْطُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَكُمْ وَأَشَدَّ تَبَتُّلًا﴾ وَإِنَّا لَنَجِدُهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ كُتِبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ سبب نزولها: أن رجلاً من اليهود قال: والله لقد كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم، فقتلناها. فقال ثابت بن قيس بن الشماس: والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا، فنزلت هذه الآية. هذا قول السدي<sup>(٤)</sup>. قال الزجاج: «لو» يمتنع به الشيء لامتناع غيره، تقول: لو جاءني زيد لجئتته. والمعنى: أن

(١) الشراج، بكسر الشين، جمع شُرَج: مسيل الماء من الحرة إلى السهل. والحرة: موضع معروف بالمدينة، وهي أرض ذات حجارة سود نخرة، كانما أحرقت بالنار.

(٢) البخاري ٢٦/٥، ومسلم ١٨٣٠/٤، ولفظه من عروة، عن عبد الله بن الزبير ﷺ أنه حدثه أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند رسول الله ﷺ في شراج الحرة التي يسقون بها النخل. فقال الأنصاري: سرح الماء يمر، فأبى عليه، فاختصما عند النبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ للزبير: «اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك»، فغضب الأنصاري، فقال: أن كان ابن عمنك، فتلون وجه النبي ﷺ، ثم قال: «اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجذر» فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُكَ حَتَّى يُحْكَمَوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾. وقد أفاض الحافظ ابن حجر في «الفتح» في بيان صحة الحديث واتصاله فانظرو. قوله: «فقال الأنصاري سرح» أي: أطلق الماء، وإنما قال له ذلك، لأن الماء كان يمر بأرض الزبير قبل أرض الأنصاري، فيحبس لإكمال سقي أرضه، ثم يرسله إلى أرض جاره، فالتمس منه الأنصاري تعجيل ذلك فامتنع. وقوله: «أن كان ابن عمنك» بفتح هزة «أن» وهي للتعليل، كأنه قال: حكمت له بالتقديم لأجل أنه ابن عمنك. وقوله: «حتى يرجع إلى الجذر» أي: يصير إليه والجذر، بفتح الجيم: الحواجز التي تحبس الماء.

(٣) الطبري ٥٢٣/٨. قال الحافظ في «الفتح» ٢٩/٥: إنساده صحيح. وقد رجح ابن جرير هذا القول، وقال: إنه أولى بالصواب، لأن قوله ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُكَ حَتَّى يُحْكَمَوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ في سياق قصة الذين ابتدأ الله الخبر عنهم بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُوتِيَ إِلَهُكُمُ وَلَا دَلَالَةٌ تَدُلُّ عَلَى انْقِطَاعِ قَسَمِهِمْ، فَالْحَقُّ بَعْضُ ذَلِكَ بَعْضٌ مَا لَمْ تَأْتِ دَلَالَةٌ عَلَى انْقِطَاعِهِ أَوَّلَى. ثُمَّ قَالَ: وَغَيْرُ مُسْتَحِيلٍ أَنْ تَكُونَ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي قِصَّةِ الْمُحْكَمِينَ إِلَى الطَّاغُوتِ، وَيَكُونُ فِيهَا بَيَانٌ مَا أَحْكَمَ فِيهِ الزَّبِيرُ وَصَاحِبُهُ الْأَنْصَارِيُّ.

(٤) ابن جرير ٥٢٦/٨، ونقله ابن كثير عن ابن أبي حاتم أيضاً.

محييتك امتنع لامتناع مجيئه، و«كتبنا» بمعنى: فرضنا. والمعنى: لو أنا فرضنا على المؤمنين بك أن يقتلوا أنفسهم. قرأ أبو عمرو: «أَنْ أَقْتُلُوا» أنفسهم، بكسر النون، «أَوْ أَخْرُجُوا» بضم الواو. وقرأ ابن عامر، وابن كثير، ونافع، والكسائي: «أَنْ أَقْتُلُوا أَوْ أَخْرُجُوا» بضم النون والواو. وقرأ عاصم، وحزمة بكسرهما. والمعنى: لو فرضنا عليهم كما فرضنا على قوم موسى، لم يفعله إلا قليل منهم، هذه قراءة الجمهور. وقرأ ابن عامر: «إِلَّا قَلِيلًا» بالنصب. «وَلَوْ أَنَّهُمْ» يعني: المنافقين الذين يزعمون أنهم آمنوا، وهم يتحاكمون إلى الطاغوت، ويصدون عنك «فَقُلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ» أي: ما يذكرون به من طاعة الله، والوقوف مع أمره، «لَكَانَ حَزْرًا لَهُمْ» وأثبت لأمورهم. وقال السدي: «وَأَشَدُّ تَوْبَةً» أي: تصديقاً.

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾<sup>(١)</sup> ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِالْعِلْمِ ﴿٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان شديد المحبة لرسول الله ﷺ، فرأه رسول الله يوماً فعرف الحزن في وجهه، فقال: «يا ثوبان ما غير وجهك؟» قال: ما بي من وجع غير أنني إذا لم أرك اشتقت إليك، فأذكر الآخرة، فأخاف أن لا أراك هناك، فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: ما ينبغي أن نفارقك في الدنيا، فإنك إذا فارقتنا رفعت فوقنا، فنزلت هذه الآية. هذا قول مسروق<sup>(٢)</sup>. والثالث: أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي وهو محزون، فقال: «ما لي أراك محزوناً؟» فقال: يا رسول الله غداً ترفع مع الأنبياء، فلا نصل إليك. فنزلت هذه الآية. هذا قول سعيد بن جببر<sup>(٣)</sup>. قال ابن عباس: ومن يطع الله في الفرائض، والرسول في السنن. قال ابن قتيبة: والصديق: الكثير الصدق، كما يقال: فسيق، وسكير، وشريب، وخمير، وسكيت، وفجير، وعشيق، وضليل، وظليم: إذا كثرت منه ذلك. ولا يقال ذلك لمن فعل الشيء مرة أو مرتين حتى يكثر منه ذلك، أو يكون عادة. فأما الشهداء، فجمع شهيد وهو القتل في سبيل الله. وفي تسميته بالشهيد خمسة أقوال: أحدها: لأن الله تعالى وملائكته شهدوا له بالجنة، قاله ثعلب. والثاني: لأن ملائكة الرحمة تشهده. والثالث: لسقوطه بالأرض، والأرض: هي الشاهدة، ذكر القولين ابن فارس اللغوي. والرابع: لقيامه بشهادة الحق في أمر الله حتى قتل، قاله أبو سليمان الدمشقي. والخامس: لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل، قاله شيخنا علي بن عبيد الله. فأما الصالحون، فهو اسم لكل من صلحت سيرته وعلايته. والجمهور على أن النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين عام في جميع من هذه صفته<sup>(٤)</sup>. وقال عكرمة: المراد بالنبيين هاهنا محمد، والصديقين أبو بكر، وبالشهداء عمر وعثمان وعلي، وبالصالحين سائر الصحابة.

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» بدون سند عن الكلبي. (٢) الطبري ٥٣٤/٨، وابن أبي حاتم، وإسناده صحيح.

(٣) ابن جرير ٥٣٤/٨ بإسناد لا بأس به. وروى الطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية» ١٢٥/٨ والفضلاء المقدسي في «صفة الجنة» عن عائشة قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي، وأحب إلي من أهلي، وأحب إلي من ولدي، وإنني لأكون في البيت فأذكرك، فما أصبر حتى أتيتك فأناظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإن دخلت الجنة خشيت أن لا أراك؟ فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزلت عليه ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ قال الفضلاء المقلدي: لا أرى بإسناده بأساً. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/٧: رواه الطبراني في «الصغير» والأوسط، ورجاله رجال الصحيح، غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة.

(٤) في «صحيح مسلم» ٣٥٣/١ عن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال: «كنت أبيت عند النبي ﷺ، فأتيت بوضوئه وحاجته، فقال لي: «سل»، فقلت: يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: «أو غير ذلك؟» قلت: هو ذاك، قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود» وروى الإمام أحمد، والطبراني عن عمرو بن مرة الجهني، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت شهر رمضان؟ فقال رسول الله ﷺ: «من مات على ذلك كان مع النبيين، والصديقين، والشهداء يوم القيامة هكذا» ونصب أصميه - ما لم يبق والده» قال الهيثمي في «الزوائد» ١٤٧/٨: رواه أحمد، والطبراني بإسنادين، ورجال أحد إسنادي الطبراني رجال الصحيح. وذكره قبل ذلك ٤٦/١ مختصراً، وقال: رواه الزبار، ورجاله رجال الصحيح، خلا شيخي الزبار، وأرجو أنه إسناد حسن أو صحيح. قال ابن كثير بعدما روى جملة من الأحاديث: وأعظم من هذا كله بشارة ما ثبت في «الصحيح» و«المسانيد» وغيرهما من طرق متواترة عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ فقال: «المرء مع من أحب» قال أنس: فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث. وفي رواية عن أنس أنه قال: إني لأحب رسول الله ﷺ، وأحب أبا بكر وعمر ﷺ، وأرجو أن يبعثني الله معهم، وإن لم أعمل كعملهم.



قوله تعالى: ﴿وَحَسَنَ أَزْوَاجِكَ زَوْجًا﴾ قال الزجاج: «رفيقاً» منصوب على التمييز، وهو ينوب عن رقاء. قال الشاعر:  
بها جيف الحسرى فأما عظامها  
فبيض وأما جلدُها فصليب<sup>(١)</sup>  
وقال آخر:

ففي خلقكم عظم وقد شجينا<sup>(٢)</sup>  
يريد: في خلقكم عظام<sup>(٣)</sup>.

﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ﴾ الذي أعطى المذكورين ﴿مِنْ اللَّهِ وَكَفَى بِالْعِلْمِ﴾ بالمقاصد والنيات.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا﴾<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: احذروا عدوكم. والثاني: خذوا سلاحكم.

قوله تعالى: ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ﴾ قال ابن قتيبة: أي: جماعات، واحدتها: ثبة، يريد جماعة بعد جماعة. وقال  
الزجاج: «الثبات»: الجماعات المتفرقة. قال زهير:

وقد أغدو على ثبة كرام  
قال ابن عباس: فانفروا ثبات، أي: عصياً، سرايا متفرقين، أو انفروا [جميعاً يعني]<sup>(٥)</sup> كلكم.

### فصل

وقد نقل عن ابن عباس أن هذه الآية وقوله: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] وقوله: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُمَذِّنَكُمْ  
عَدَاؤَ آلِ يَمِينٍ﴾ [التوبة: ٣٩] منسوخات بقوله: ﴿وَمَا كَانَتِ الْيَهُودُ يُنْفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢] قال أبو سليمان الدمشقي:  
والأمر في ذلك بحسب ما يراه الإمام، وليس في هذا من المنسوخ شيء.

﴿وَلَنْ يَنفِرَ لَكَ الْيَهُودُ فَإِنْ أَصْبَحَ مُصِيبٌ قَالَ قَدْ أَتَمَّ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَوْ أَنَّ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾<sup>(٦)</sup> وَلَنْ أَصْبَحَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ  
لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ يَنْفِرْ وَيَنْفِرْ مَوَدَّةً يَنْتَلِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٧)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنفِرَ لَكَ الْيَهُودُ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها في المنافقين، كعبد الله بن  
أبي، وأصحابه كانوا يشاققون عن الجهاد، فإن لقيت السرية نكبة، قال من أبطأ منهم: لقد أنعم الله عليّ، وإن لقوا  
غنيمة، قال: يا ليتني كنت معهم. هذا قول ابن عباس، وابن جريج. والثاني: أنها نزلت في المسلمين الذين قلت  
علومهم بأحكام الدين، فتشبثوا لقلة العلم، لا لضعف الدين، ذكره الماوردي، وغيره. فعلى الأول تكون إضافتهم إلى  
المؤمنين بقوله «منكم» لموضع نطقهم بالإسلام، وجريان أحكامه عليهم، وعلى الثاني تكون الإضافة حقيقة. قال ابن

(١) البيت لمعلقة بن عبدة وهو في «المفضليات» ٣٩٢، و«مختار الشعر الجاهلي» ٤٢١، و«الكتاب» ١٠٧/١ وقد تقدم. قال الأعلام: الشاهد فيه وضع  
الجلد موضع الجلود، لأنه اسم جنس ينوب واحد عن جميعه فأفرد ضرورة لذلك. وصف طريقاً بعيداً شاقاً على من سلكه، فجيف الحسرى - وهي  
المعينة من الإبل - مستقرة فيه. وقوله: «فأما عظامها فيبيض، أي: أكلت السباع والطير ما عليها من اللحم فتمعرت وبدا وضحها. وقوله: «فأما جلدُها  
فصليب، أي: محرم يابس، لأنه ملقى بالفلأ لا يدبغ، ويقال: «الصليب» هنا الولد، أي: قد سال ما فيه من رطوبة لإحماء الشمس عليه.

(٢) «الكتاب» ١٠٧/١، وصدره: لا تنكروا القتل وقد سينت. وهو للمسبب بن زيد مائة الغنوي، قال الأعلام: الشاهد فيه وضع «الحلق» مكان الحلق.  
وصف أنهم قتلوا من قوم كانوا قد سبوا من قومه، فيقول: لا تنكروا قتلنا لكم، وقد سببتم منا، ففي خلقكم عظم بقتلنا لكم، «وقد شجينا» نحن  
أيضاً، أي: غصصنا بسيكم لمن سببتم منا، وهذا مثل.

(٣) قال سيبويه في «الكتاب» ١٠٧/١: وليس بمستكر في كلامهم أن يكون اللفظ واحداً والمعنى جميع، حتى قال بعضهم في الشعر من ذلك ما لا  
يستعمل في الكلام، ثم أنشد البيتين اللذين ذكرهما المصنف. وفي «مجاز القرآن» ١٣١/١: والعرب تلفظ بلفظ الواحد، والمعنى يقع على الجميع.  
قال العباس بن مرداس:

فقلنا أنزلوا أنما أخوكم  
فقد برئت من الأخي الصدور

وفي القرآن ﴿فَنُفِخَ فِيهِمْ نُفْثًا﴾ [الحج: ٢٢] والمعنى: أطفالاً. وفي «البحر المحيط» ٢٨٨/٣: وجاء مفرداً، إما لأن «الرفيق» مثل الخليل، والصديق  
يكون للمفرد والمثنى، والمجموع بلفظ واحد، وإما لإطلاق المفرد في باب التمييز اكتفاءً ويراد به الجمع، ويحسن ذلك هنا كونه فاصلة.

(٤) «ديوانه» ٧٢، و«مختار الشعر الجاهلي» ٢٧٠، و«مجاز القرآن» ١٣٢/١، و«الطبري» ٥٣٦/٨، و«اللسان» «ثبا» و«نشا» وفي الديوان: وقد أغدو على  
كرب كرام. والرواية التي استشهد بها المؤلف وغيره هي رواية الأعلام.

(٥) الزيادة من الطبري.

جرير: اللام في «لمن» لام تأكيد. قال الزجاج: واللام في «ليبطئن» لام القسم، كقولك: إن منكم لمن أحلف بالله لبطئن، يقال: «أبطأ الرجل» و«بطؤ». فمعنى «أبطأ»: تأخر، ومعنى «بطؤ»: ثقل. وقرأ أبو جعفر: (لَيُبطِئَنَّ) بتخفيف الهمزة. وفي معنى: «ليبطئن» قولان: أحدهما: لبطئن هو بنفسه، وهو قول ابن عباس. والثاني: لبطئن غيره، قاله ابن جريج. قال ابن عباس: و«المصيبة»: النكبة. و«الفضل من الله»: الفتح والغنية.

قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ قرأ ابن كثير، وحفص، والمفضل، عن عاصم: «كأن لم تكن» بالتاء، لأن الفاعل المسند إليه مؤنث في اللفظ. وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر، عن عاصم: «يكن» بالياء، لأن التانيث ليس بحقيقي. قال الزجاج: يجوز أن يكون المعنى: يقولن يا ليتني كنت معكم، كأن لم يكن بينكم وبينه مودة، أي: كأنه لم يعاقدكم على أن يجاهد معكم. ويجوز أن يكون هذا الكلام معترضاً به، فيكون المعنى: ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن يا ليتني كنت معكم، فإن أصابتكم مصيبة، قال: قد أنعم الله علي، كأن لم يكن بينكم وبينه مودة. فيكون معنى «المودة» أي: كأنه لم يعاقدكم على الإيمان<sup>(١)</sup>.

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٧٤)

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يشرون هاهنا: بمعنى يبتغون في قول الجماعة. وأنشدوا:  
وشررت... بُرداً لبتني  
من بُرد بُرد كنت هامة<sup>(٢)</sup>

و«برد»: غلام له باعه. ومعنى الآية: ليكن قتال المقاتلين على وجه الإخلاص، وطلب الآخرة.

قوله تعالى: ﴿يُقَاتِلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ خرج مخرج الغالب، وقد يثاب من لم يغلب ولم يقتل.  
﴿وَمَا لَكُم لَّا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالسَّيِّئِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أُهْلُهَا وَاجْتَمَلْنَا بِهَا لَدُنْكَ وَيَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ لَنَا مِن لَّدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (٧٥)

قوله تعالى: ﴿السَّيِّئِينَ مِنَ الرِّجَالِ﴾ قال الفراء: تقديره: وفي المستضعفين. وكذلك روي عن ابن عباس. وقال الزجاج: المستضعفون في موضع خفض، والمعنى في سبيل الله، وسبيل المستضعفين، أي: ما لكم لا تسمعون في خلاص هؤلاء؟ قال ابن عباس: وهم ناس مسلمون كانوا بمكة لا يستطيعون أن يخرجوا. و«القرية»: مكة في قول الجماعة. قال الفراء: وإنما خفض «الظالم» لأنه نعت للأهل، فلما عاد الأهل على القرية كان فعل ما أضيف إليها بمنزلة فعلها، تقول: مرت بالرجل الواسعة داره<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَاجْتَمَلْنَا بِهَا لَدُنْكَ وَيَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ لَنَا مِن لَّدُنْكَ نَصِيرًا﴾ قال أبو سليمان: سألوا الله ولياً من عنده يلي إخراجهم منها، ونصيراً يمنعهم من المشركين. قال ابن عباس: فلما فتح رسول الله مكة، جعل الله ﷺ النبي ﷺ وليهم، واستعمل عليهم رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد، فكان نصيراً لهم، ينصف الضعيف من القوي<sup>(٤)</sup>.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الْأَغْلُوْبِ قَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ كَيْدَ الَّذِينَ كَفَرُوا ضَعِيفٌ﴾ (٧٦)

(١) قال ابن عطية: المتناق يعاطي المؤمنين المودة، ويعاهد على التزام كلف الإسلام، ثم يتخلف نفاقاً وشكاً وكفراً بالله ورسوله، ثم يمتن عندما يكشف الغيب الظفر للمؤمنين، فعلى هذا يجهي قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ القاذبة بليغة، واعتراضاً بين القاتل والمقول بلفظ يظهر زيادة في قبح فعلهم «البحر المحيط» ٢٩٣/٣.

(٢) البيت لابن مفرغ، وهو يزيد بن ربيعة بن مفرغ، شاعر إسلامي، ولقب جده مفرغاً، لأنه راهن على سقاء لبن أن يشربه، فشربه حتى فرغ، فلقب مفرغاً، ويكنى أبا عثمان، وهو من حمير، انظر أخباره في «الشعر والشعراء» ٣٢١، و«الأغانى» ١٨/١٨١. والبيت في «مجاز القرآن» ٤٨/١، و«الأضداد» لابن السكيت: ١٨٥، و«الشعر والشعراء» ٣٢١/١، والكمال: ٣٢٥/١، و«الخرزاة» ٢/٢١٤. وفي «الخرزاة»: والهامة: أنشى الصدى وهو ذكر اليوم، وفي «مزج الذهب» للمسموعي: ومن العرب من يزعم أن النفس طائر ينسبط في الجسم، فإذا مات الإنسان أو قتل، لم يزل يطيف به مستوحشاً، فيصيح على قبره، ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيراً، ثم يكبر حتى يكون كضرب من اليوم، وهو أبداً مستوحش، ويوجد في الديار المعطلة، ومصارع القتلى والقبور، وإثنا لم تزل عند ولد الميت، ومخلفه لتعلم ما يكون بعده فتخبره.

(٣) «معاني القرآن» ١/٢٧٧.

(٤) قال الحافظ في «الإصابة» ٢/٤٤٤: أورده العجلي في ترجمة هشام بن محمد بن السائب الكلبي بسند إليه عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس...

قوله تعالى: ﴿يَتَلَوْنَهُ فِي سِيبِلٍ الطَّاغُوتِ﴾ الطاغوت هاهنا: الشيطان. وقال أبو عبيدة: الطاغوت هاهنا في معنى جماعة، كقوله: ﴿وَلَكُمْ الْخِزْيَرِ﴾ معناه: ولحم الخنازير<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ النَّاصِطِينَ﴾ يعني: مكروه وصنيعه ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ حيث خذل أصحابه يوم بدر.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَى مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ الْآخِرُ وَلَا ظَالِمُونَ قَبِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ اختلَفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في نفر من المهاجرين، كانوا يحبون أن يؤذن لهم في قتال المشركين وهم بمكة قبل أن يُفرض القتال، فنهوا عن ذلك، فلما أُذِن لهم فيه، كرهه بعضهم. روى هذا المعنى أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وهو قول قتادة، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت واصفة أحوال قوم كانوا في الزمان المتقدم، فخلّدت هذه الأمة من مثل حالهم، روى هذا المعنى عطية، عن ابن عباس. قال أبو سليمان الدمشقي: كأنه يومئذ إلى قصة الذين قالوا: ابعت لنا ملكاً. وقال مجاهد: هي في اليهود. فأما كُفَّ اليد، فالمراد به: الامتناع عن القتال، ذلك كان بمكة. و«كُتِبَ» بمعنى: فُرض، وذلك بالمدينة، هذا على القول الأول.

قوله تعالى: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ في هذا الفريق ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المنافقون. والثاني: أنهم كانوا مؤمنين، فلما فرض القتال، نافقوا جُبناً وخوفاً. والثالث: أنهم مؤمنون غير أن طبائعهم غلبتهم، فنفرت نفوسهم عن القتال. قوله: ﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾ في المراد بالناس قولان: أحدهما: كفار مكة. والثاني: جميع الكفار.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ قيل: إن «أو» بمعنى الواو، و«كُتِبَ» بمعنى: فرضت. و«لولا» بمعنى «هلا». قال الفراء: إذا لم تر بعدها اسماً، فهي استفهام، بمعنى هلا، وإذا رأيت بعدها اسماً مرفوعاً، فهي التي جوابها اللام، تقول: لولا عبد الله لضربتك. وقال ابن قتيبة: إذا رأيتها بغير جواب، فهي بمعنى «هلا» تقول: لولا فعلت كذا، ومثلها «لوما» فإذا رأيت لـ «لولا» جواباً، فليست بمعنى «هلا» إنما هي التي تكون لأمر يقع بوقوع غيره، كقوله: ﴿لَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [لَيْتَ فِي بَطْنِيهِ] [الصافات: ١٤٣ - ١٤٤] قلت: فأما «لولا» التي لها جواب فكثيرة في الكلام، وأنشدوا في ذلك:

لولا الحياء وأن رأسي قد عشا

وأما التي بمعنى «هلا» فأنشدوا منها:

تعذون عقر النيب أفضل مجدكم

فيه المشيب لُزْتُ أم القاسم<sup>(٣)</sup>

بني ضو طري لولا الكمي المقنعا<sup>(٤)</sup>

(١) في «مجاز القرآن» ٧٩/١: «أولياؤهم الطاغوت» في موضع جميع، لقوله: «يخرجونهم».

(٢) ذكره الواحدي عن الكلبي، وروى ابن جرير ٥٤٩/٨ عن ابن عباس: أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلّة! فقال: «إني أمرت بالمعروف، فلا تقتاتلوا»، فلما حوله الله إلى المدينة، أمر بالقتال فكفوا، فأذن الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية. وإسناده جيد، ورواه الحاكم في «المستدرک» مع اختلاف في لفظه، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) البيت لعدي بن الرقاع، وهو في «غريب القرآن» ص ٥٠، و«الشعر والشعراء» ٦٠٢/٢، و«الكامل» ١٧٧/١، و«الأغاني» ٣١١/٩، و«أمالي المرتضى» ٥١١/١، و«السمط» ٥٢١/١. وعشا فيه المشيب: أفسده أشد الإفساد، وهي بالياء المثلثة، وهي كذلك في «الشعر والشعراء» و«اللسان». وفي «السمط»: علا. وفي «أمالي المرتضى»: بدا. وفي حاشية أصل المرتضى: فشا. وفي «غريب القرآن»: عشا. وفي «الأغاني» و«الكامل»: عسا. قال ابن قتيبة: وكان بعض الرواة ينشد بيت عدي بن الرقاع:

لولا الحياء وأن رأسي قد عشا

فيه المشيب لُزْتُ أم القاسم

ويشكر على من يرويه: «عسا» قال: وكيف يمسو الشيب وهو إلى أن يرق في كبر الرجل ويلين، أقرب منه إلى أن يغلظ ويقسو ويصلب.

(٤) البيت لجرير بن عطية، ونسبه بعضهم للأشهب بن ربيعة، وهو خطأ، وهو في ديوان جرير: ٣٣٨، و«النفائض» ٨٣٣، من قصيدة طويلة في مناقبة جرير والفرزدق، و«مجاز القرآن» ٥٢/١، و«شرح المفصل» ١٤٤/٨، و«الخرزانة» ٤٦١/١، ورواية «الديوان والنفائض»: «أفضل سعيكم». وقوله: «عقر النيب» عقر الناقة أو الفرس: ضرب قوائمها فقطعها، والعرب تفعل ذلك إذا أرادوا نحر البعير كيلا يشرد عند النحر. والنيب، جمع ناب: وهي الناقة المسنة. ويشير جرير بذلك إلى ما كان يفخر به الفرزدق من معارقة أبيه غالب بن صعصعة، وسحيم بن وثيل الرياحي بمكان يقال له: صمعة، فعقر

أراد: فهلاً تعدون الكمي، والكمي: الداخل في السلاح. وفي الأجل القريب قولان: أحدهما: أنه الموت، فكأنهم قالوا: هلاً تركتنا نموت موتاً، وعافيتنا من القتل، هذا قول السدي، ومقاتل. والثاني: أنه إمهال زمان، فكأنهم قالوا: هلاً أخرت فرض الجهاد عنا قليلاً حتى نكثر وتقوى، قاله أبو سليمان الدمشقي في آخرين.

قوله تعالى: ﴿هَلْ مَنَعَ الدُّنْيَا نِيلَ﴾ أي: مدة الحياة فيها قليلة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْلُوبُوا فِيلًا﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «ولا يظلمون» بالياء. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وعاصم: بالناء. وقد سبق ذكر المتاع والفيل.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسْتَدِيرِينَ﴾ تَبَيَّنَ أَنَّ تَحْيِيَّتَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ نُسِيتُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ قُلْ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنَّ هَذِهِ الْقَوْمَ لَا يَكُونُونَ بِفَقْهٍ حَبِيصًا ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾ سبب نزولها أن المنافقين قالوا في حقّ شهداء أحد: لو كانوا عندنا ما ماتوا، وما قتلوا، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس، ومقاتل. والبروج: الحصون، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>، وابن قتيبة. وفي «المشيدة» خمسة أقوال: أحدها: أنها الحصينة، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: المطولة، قاله أبو مالك، ومقاتل، وابن قتيبة. والثالث: المجصصة، قاله هلال بن خباب، واليزيدي. والرابع: أنها المبنية بالشيد، وهو الجص، قاله أبو سليمان الدمشقي. والخامس: أنها بروج في السماء، قاله الربيع بن أنس، والثوري. وقال السدي: هي قصور يبض في السماء مبنية.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نُفَصِّلُ لَكَ آيَاتِهِ﴾: اختلفوا فيهم على ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المنافقون واليهود، قاله ابن عباس. والثاني: المنافقون، قاله الحسن. والثالث: اليهود، قاله ابن السري. وفي الحسنة والسيئة قولان: أحدهما: أن الحسنة: الخصب، والمطر. والسيئة: الجذب، والغلاء، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. والثاني: أن الحسنة: الفتح والغنيمة، والسيئة: الهزيمة والجراح، ونحو ذلك، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس. وفي قوله: ﴿يَوْمَ تَعْلَمُ﴾: قولان: أحدهما: بشؤمك، قاله ابن عباس. والثاني: بسوء تدبيرك، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ عِنْدَ اللَّهِ﴾: قال ابن عباس: الحسنة والسيئة، أما الحسنة، فأنعم بها عليك، وأما السيئة، فابتلاك بها.

**قوله تعالى:** ﴿لَقَدْ هَمَّتْ كَذَّابَةٌ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهَا رَبُّهَا الرِّسَالَةُ لَوْ أَنَّهَا فَهِمَتْ﴾ «فما» في قوله: ﴿لَقَدْ هَمَّتْ كَذَّابَةٌ﴾ «وَلَقَدْ هَمَّتْ أَلَيْسَ تَبْتَغِي» ﴿وَمَا لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٍّ وَلَا يَنْصُرُهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ «فما للذين كفروا» والباقيون وقفوا على اللام. فاما «الحديث»، فقيل: هو القرآن، فكانه قال: لا يفقهون القرآن، فيؤمنون به، ويعلمون أن الكل من عند الله.

﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ رَسُولًا وَكَفَىٰ وَهُوَ شَهِيدًا﴾<sup>(١٧١)</sup>  
 قوله تعالى: ﴿﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾﴾ في المخاطب بهذا الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عام، فتقديره: ما أصابك أيها الإنسان، قاله قتادة. والثاني: أنه خطاب للنبي ﷺ، والمراد به غيره، ذكره الماوردي. وقال ابن الأنباري: ما أصابك الله من حسنة، وما أصابك الله به من سيئة، فالعلان يرجعان إلى الله ﷻ. وفي «الحسنة» و«السيئة» ثلاثة أقوال: أحدها: أن الحسنة: ما فُتح عليه يوم بدر، والسيئة: ما أصابه يوم أحد، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس. والثاني: الحسنة: الطاعة، والسيئة: المعصية، قاله أبو العالية. والثالث: الحسنة: النعمة، والسيئة، البلية، قاله ابن تينية، وعن أبي العالية نحوه، وهو أصح، لأن الآية عامة. وروى كرداب، عن يعقوب: «مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ»

١٦ - سحيم خساً وأمسك وعقر غالب مئة أو مئتين. قال ابن الأثير في «النهاية» ٣/ ١١٤: وفي حديث ابن عباس: «لا تأكلوا من تعاقر الأعراب فإني لا آمن أن يكون مما أهل به لغير الله» هو عقرهم الإبل، كان يتبارى الرجلان في الجود والسخاء، فيعقر هذا إبلًا، ويعقر هذا إبلًا حتى يمجز أحدهما الآخر، وكانوا يفعلونه رياءً وسمعةً وتقاضاً، ولا يقصدون به وجه الله، فشيبه بما ذبح لغير الله. وقوله: «بني ضوئري» يعني: يا بني الحمقى، قال في «اللسان»: ويقال للقوم إذا كانوا لا يفتنون غناه: «بني ضوئري». الكسي: الشجاع الذي لا يهرب، فلا يحيد عن قرنه، كان عليه سلاح أو لم يكن. والمقنع: الذي على رأسه البيضة والمغفر، ومعنى «تعدون»: تجعلون وتحسبون، ولهذا عداه إلى مغولين.

(١) ذكره الواحدي من رواية أبي صالح عن ابن عباس.

بتشديد النون، ورفعها، ونصب الميم، وخفض اسم «الله» ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ مِنْ نَفْسِكُمْ﴾ بنصب الميم، ورفع السين<sup>(١)</sup>. وقرأ ابن عباس: وما أصابك من سيئة، فمن نفسك، وأنا كتبتها عليك. وقرأ ابن مسعود: وأنا عدتها عليك<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ نَفْسِكَ﴾ أي: فبذنبك، قاله الحسن، وقتادة، والجماعة. وذكر فيه ابن الأنباري وجهاً آخر، فقال: المعنى: أضمن نفسك، فأضمرت ألف الاستفهام، كما أضمرت في قوله ﴿وَلَكَ يَسَّةٌ﴾ أي: أو تلك نعمة<sup>(٣)</sup>.  
قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ قال الزجاج: ذكر الرسول مؤكّد لقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ والباء في «بالله» مؤكدة. والمعنى: وكفى بالله شهيداً. «وشهيداً»: منصوب على التمييز، لأنك إذا قلت: كفى بالله، ولم تبين في أي شيء الكفاية كنت مبهماً. وفي المراد بشهادة الله هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: شهيداً لك بأنك رسوله، قاله مقاتل. والثاني: على مقاتلهم، قاله ابن السائب. والثالث: لك بالبلاغ، وعليهم بالتكذيب والنفاق، قاله أبو سليمان الدمشقي. فإن قيل: كيف عاب الله هؤلاء حين قالوا: إن الحسنة من عند الله، والسيئة من عند النبي ﷺ، وردة عليهم بقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ثم عاد، فقال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ مِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ نَفْسِكُمْ﴾ فهل قال القوم إلا هكذا؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنهم أضافوا السيئة إلى النبي ﷺ تشاؤماً به، فردّ عليهم، فقال: كل بتقدير الله. ثم قال: ما أصابك من حسنة، فمن الله، أي: من فضله، وما أصابك من سيئة، فبذنبك، وإن كان الكل من الله تقديراً. والثاني: أن جماعة من أرباب المعاني قالوا: في الكلام محذوف مقدر، تقديره: فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً، يقولون: ما أصابك من حسنة، فمن الله، وما أصابك من سيئة، فمن نفسك. فيكون هذا من قولهم. والمحذوف المقدر في القرآن كثير، ومنه قوله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ [البقرة: ١٢٧] أي: يقولون: ربنا. ومثله ﴿أَوْ يَهْدِ أَدْنَىٰ مِنْ رَأْيِهِمْ فَبِذْنِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٦] أي: فخلق، ففدية. ومثله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَدْرَجَتْ وَجُوهُهُمْ أَكْفَرُ مِنْ﴾ [آل عمران: ١٠٦] أي: يقال لهم. ومثله ﴿وَاللَّكِبْكَةُ يَدْعُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَمٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] أي: يقولون سلام. ومثله ﴿أَوْ كَلِمَ بِهِ أَلَمَتْهُ كُلُّ لَوْنٍ إِلَّا الْأَمْرُ﴾ [الرعد: ٣١] أراد: لكان هذا القرآن. ومثله ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَعُوفٌ رَجِيمٌ﴾ [النور: ٢٠] أراد: لعذبكم. ومثله ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [الجنّة: ١٢] أي: يقولون. وقال النمر بن تولب:

فَلَمَّا الْمَنِيَّةُ مَنْ يَخْشَاهَا

أراد: أينما ذهب. وقال غيره:

فَأَقْسَمَ لَوْ شِئْنَا أَنَا رَسُولُهُ

أراد: لرددناه.

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾

(١) في «البحر المحيط» ٣/٣٠٢: وقرأت عائشة رضي الله عنها: فمن نفسك، بفتح الميم ورفع السين، فمن: استفهام معناه الإنكار، أي: فمن نفسك حتى ينسب إليها، المعنى: ما للنفس في الشيء فعل.

(٢) في «القرطبي» ٥/٢٨٥: وروى عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس وأبي وابن مسعود، وذكر القراءة، ثم قال: فهذه قراءة على التفسير، وقد أثبتنا بعض أهل الزيف من القرآن، والحديث بذلك عن ابن مسعود وأبي منقطع، لأن مجاهداً لم ير عبد الله ولا أبيهما.

(٣) في «البحر المحيط»: والعرب تحذف ألف الاستفهام، قال أبو غرashed: رفونسي ورفالوا يا خويلد لم ترع.

أي: أهم هم؟ قلت: والبيت في «ديوان الهذليين» ٢/١٤٤، قال الشارح: رفوني: أي سكتوني وكان أصلها: رفؤوني، قال أبو سعيد: وأهل الحجاز يهمزون، فترك الهمزة. قلت: وفي «البحر المحيط»: «رفوني» وهو تحريف.

(٤) «مشكل القرآن» ١٦٨، «وآدب الكاتب» ١٨٣، «والمعاني الكبير» ٢/١٢٦٤، وهو من قصيدة له في «مختارات ابن الشجري» ١٩، وقيل هذا البيت قوله:

فَإِنْ أَنْتَ لَا قَبِيْلَتَ فَنَسِيْ نَجْدِيْ

فَلَا تَنْهَيْيْكَ أَنْ تُقْدِمَا

يقول: إذا لقيت قوماً ذوي نجدة في حرب، فلا تهيب الإقدام عليها، فإن الذي يخشى المنيّة تلقاه أين ذهب من الأرض.

(٥) البيت لامرئ القيس، وهو في «ديوانه» ٢٤٢ وفي «أجذك» قال شارح الديوان: وقوله: «لو شيء» يريد لو أحد، وليس لـ «لو» هنا جواب، كما أمسك عن الجواب في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١]. فيقول: لو أحد أنانا رسوله لما أجبناء، ولكننا لم ندفعك عن ذلك.

قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ سبب نزولها: أن النبي ﷺ قال: «من أطاعني، فقد أطاع الله<sup>(١)</sup>، ومن أحبني، فقد أحب الله» فقال المنافقون: لقد قارب هذا الرجل الشرك، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ومعنى الكلام: من قَبِلَ ما أتى به الرسول، فإنما قبل ما أمر الله به، ومن تَوَلَّى، أي: أعرض عن طاعته. وفي «الحفيظ» قولان: أحدهما: أنه الرقيب، قاله ابن عباس. والثاني: المحاسب، قاله السدي، وابن قتيبة.

### فصل

قال المفسرون: وهذا كان قبل الأمر بالقتال، ثم نُسِخَ بآية السيف. ﴿وَيُؤْتُوا طَاعَةً فَإِذَا بَرَرُوا مِنْ عِنْدِكَ طَائِفَةٌ مِمَّنْ غَدَاةً تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُوا طَاعَةً﴾ نزلت في المنافقين، كانوا يؤمنون عند رسول الله ﷺ ليأمنوا، فإذا خرجوا خالفوا، هذا قول ابن عباس. قال الفراء: والرفع في «طاعة» على معنى: أمرُك طاعة. قوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة: بيت، بسكون «التاء»، وإدغامها في «الطاء» ونصب الباقون «التاء». قال أبو علي: التاء والطاء والدال من حيز واحد، فحسن الإدغام، ومَنْ بَيْنَ، فلانفصال الحرفين، واختلاف المخرجين. قال ابن قتيبة: والمعنى [فإذا برزوا من عندك، أي: خرجوا، بيت طائفة منهم غير الذي تقول، أي<sup>(٢)</sup>]: قالوا: وقَدَرُوا لِيلاً غير ما أعطوك نهاراً. قال الشاعر:

أَتُونِي فَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّنُّوا      وكانوا أَتُونِي بِشَيْءٍ نُكِّرَ<sup>(٣)</sup>

والعرب تقول: هذا أمر قد قُدِّرَ لِيْلٍ [وفُزِغَ منه ليل، ومنه قول الحارث بن حِزْزَةَ:

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا      أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء<sup>(٤)</sup>

وقال بعضهم: بَيَّتَ، بمعنى: بَدَّلَ، وأنشد:

وَبَيَّتَ قَوْلِي عِنْدَ الْمَلِكِ      قَاتِلُكَ اللَّهُ عَبْدًا كَفُورًا<sup>(٥)</sup>

وفي قوله: ﴿غَدَاةً تَقُولُ﴾ قولان: أحدهما: غير الذي تقول الطائفة عندك، وهو قول ابن عباس، وابن قتيبة. والثاني: غير الذي تقول أنت يا محمد، وهو قول قتادة، والسدي.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يكتب في الأعمال التي تثبتها الملائكة، قاله مقاتل في آخرين. والثاني: ينزله إليك في كتابه. والثالث: يحفظه عليهم ليجازوا به، ذكر القولين الزجاج، قال ابن عباس: فأعرض عنهم: فلا تعاقبهم، وثق بالله ﷻ، وكفى بالله ثقة لك. قال: ثم نسخ هذا الإعراض، وأمر بقتالهم. فإن قيل: ما الحكمة في أنه ابتداء بذكرهم جملة، ثم قال: ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ﴾ والكل منافقون؟ فالجواب من وجهين، ذكرهما أهل التفسير: أحدهما: أنه أخبر عن سهر ليله، ودبر أمره منهم دون غيره منهم. والثاني: أنه ذكر من علم أنه يبقى على نفاقه دون من علم أنه يرجع.

(١) قول الرسول ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله» رواه البخاري ٩٩/١٣، ومسلم ١٤٦٦/٣ عن أبي هريرة ؓ. قال الحافظ في «الفتح»: قوله: «من أطاعني فقد أطاع الله»: هذه الجملة منزهة من قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.

(٢) الزيادة من «غريب القرآن» ١٣١.

(٣) البيت لعبيدة بن همام، آخر بني العدوية من بني مالك بن حنظلة من بني تميم، وهو في «مجاز القرآن» ١٣٣/١، و«غريب القرآن» ١٣١، و«الكامل» ٧٣٩/٢، و«الحيوان» ٤٧٦/٤، و«تفسير الطبري» ٥٦٣/٨، نكر، بضمين، مثل نكر بضم فسكون: الأمر المنكر الذي تنكره، والبيت يشمه الذي بعده وهو:

لَأُنَكِّحَ أَيْمَهُمْ مَنْ لَفُوا      وهمل ينكح العبد حمر لحر؟  
وقد ذكر الجاحظ في «الحيوان» خبر هذين البيتين في خبر النعمان بن المنذر ومثاله، وذلك أن أخاه المنذر بن المنذر خطب إلى عبيدة بن همام، فردّه أقبح الرد، وفكر البيتين.

(٤) الزيادة من «غريب القرآن» ١٣١. والبيت في «شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» ٤٥٢.

(٥) البيت للأسود بن عامر بن جوين الطائي، وهو في «غريب القرآن» ١٣٢، و«تفسير الطبري» ١٩٢/٩، و«الجامع لأحكام القرآن» ٢٨٩/٥ وفيهما «عبد الملك» وفي «الطبري»، «قاتلك الله عبداً كئوداً».

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ قال الزجاج: «التدبر»: النظر في عاقبة الشيء، و«التدبر» النحل، سُمي دبراً، لأنه يُعَقَّبُ ما يُتَّبَعُ به، و«التدبر»: المال الكثير، سُمي دبراً لكثرة، لأنه يبقى للأعقاب والأدبار. وقال ابن عباس: أفلا يتدبرون القرآن، فيتفكرون فيه، فيرون تصديق بعضه لبعض، وأن أحداً من الخلائق لا يقدر عليه. قال ابن قتيبة: والقرآن من قولك: ما قرأت الناقة سلى<sup>(١)</sup> قط، أي: ما ضمت في رحمها ولدأ، وأنشد أبو عبيدة:

هَجَانُ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا<sup>(٢)</sup>

وإنما سُمي قرآنأ، لأنه جمع السور، وضمها<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَوْ جَاءُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التناقض، قاله ابن عباس، وابن زيد، والجمهور. والثاني: الكذب، قاله مقاتل، والزجاج. والثالث: أنه اختلاف تفاوت من جهة بليغ من الكلام، ومردول، إذ لا بد للكلام إذا طال من مردول، وليس في القرآن إلا بليغ، ذكره الماوردي في جماعه<sup>(٤)</sup>.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَلْطِقُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَتُهُ لَفُتِنُوا الشَّيْطَانُ إِلَّا قَلِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن النبي ﷺ لما اعتزل نساءه، دخل عمر المسجد، فسمع الناس يقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه، فدخل على النبي ﷺ فسأله: أطلقت نساءك؟ قال: «لا». فخرج فنادى: ألا إن رسول الله لم يطلق نساءه. فنزلت هذه الآية. فكان هو الذي استنيط الأمر. انفرد بإخراجه مسلم، من حديث ابن عباس، عن عمر<sup>(٥)</sup>. والثاني: أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث سرية من السرايا فَعَلَّيْتُ أَوْ عَلَّيْتُ، تحدثوا بذلك، وأفشوه، ولم يصبروا حتى يكون النبي هو المتحدث به. فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح، عن ابن عباس. وفي المشار إليهم بهذه الآية قولان: أحدهما: أنهم المنافقون. قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أهل النفاق، وضعفة المسلمين، ذكره الزجاج. وفي المراد بالأمن أربعة أقوال: أحدها: فوز السرية بالظفر والغنيمة، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنه الخبر يأتي إلى النبي ﷺ أنه ظاهر على قوم، فيأمن منهم، قاله الزجاج. والثالث: أنه ما يعزم عليه رسول الله ﷺ من المودة والأمان لقوم، ذكره الماوردي. والرابع: أنه الأمن يأتي من المأمن وهو المدينة، ذكره أبو سليمان الدمشقي مخرجاً من حديث عمر. وفي «الخوف» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه النكبة التي تُصِيب السرية، ذكره جماعة من المفسرين. والثاني: أنه الخبر يأتي أن قوماً يجتمعون للنبي ﷺ، فيخاف منهم، قاله الزجاج. والثالث: ما يعزم عليه النبي من الحرب والقتال، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ قال ابن قتيبة: أشاعوه. وقال ابن جرير: والهاء عائدة على الأمر<sup>(٦)</sup>.

(١) في «اللسان» السلى: لفاقة الولد من الدواب والإبل، وهو من الناس الشمية.

(٢) صدره: فزاعي عيطل آدماء بكر. والبيت لعمر بن كلثوم من معلقته المشهورة، وقد انفرد أبو عبيدة بهذه الرواية، انظر «شرح القصائد السبع الجاهليات» ٣٨٠. وهو في «مجاز القرآن» ٢/١ و«غريب القرآن» ٣٣ و«تفسير الطبري» ٩٦/١ و«الجمهرة» ٢٢٩/١، و«اللسان» و«التاج» مادة قرأ. والعيطل: الناقة الطويلة العنق في حسن منظر وسمن. والأدماة: البيضاء مع سواد المقلتين، وصفها بأنها بكر، لأن ذلك أحسن لها، وهي في عهدنا ذلك ألين وأسمن، وهجان اللون: بيضاء كريمة.

(٣) رجع الطبري في «تفسيره» ٩٤/١ قول ابن عباس في تأويل «القرآن» بالثلاوة والقراءة. ونقل عنه أنه فسر قول الله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ﴾ أي: بيناء (فاتبع قرآنه) يقول اصعل به. ثم قال: ومعنى قول ابن عباس هذا: فإذا بيناء بالقراءة فاعمل بما بيناء لك بالقراءة.

(٤) قال ابن جرير ٥٧٧/٨: يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ أفلا يتدبر الميبتون غير الذي تقول لهم يا محمد كتاب الله، فيعلموا حجة الله عليهم في طاعتك، واتباع أمرك، وأن الذي أتيتهم من التنزيل من عند ربهم لاتباق معانيه، واتلاف أحكامه، وتأييد بعضه ببعضاً بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق، فإن ذلك لو كان من غير الله، لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض.

(٥) مسلم ١١٠٥/٢ وهو حديث طويل فيه فوائد عظيمة، وتوجيهات قيمة، فارجع إليه.

(٦) في «الطبري» ٥٦٨/٨: «والهاء» في قوله: «أذاعوا به» من ذكر «الأمر» وتأويله: أذاعوا بالأمر من الأمن أو الخوف الذي جاءهم، يقال منه: «أذاع فلان بهذا الخبر وأذاعه» ومنه قول أبي الأسود:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ يعني: الأمر ﴿إِلَى الرَّسُولِ﴾ حتى يكون هو المخبر به ﴿وَلَا تَأْتِي الْأُمَمُ مِنْهُمْ﴾ وفيهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم مثل أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم أبو بكر، وعمر، قاله عكرمة. والثالث: العلماء، قاله الحسن، وقادة، وابن جريج. والرابع: أمراء السرايا، قاله ابن زيد، ومقاتل. وفي ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنهم الذين يتبعونه من المذيعين له، قاله مجاهد. والثاني: أنهم أولو الأمر، قاله ابن زيد. والاستنباط في اللغة: الاستخراج. قال الزجاج: أصله من النبط، وهو الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر، يقال من ذلك: قد أنبط فلان في غصراء، أي: استنبط الماء من طين حُرّ. والنبط: سُموا نبطاً، لاستنباطهم ما يخرج من الأرض. قال ابن جرير: ومعنى الآية: وإذا جاءهم خير عن سرية للمسلمين بخير أو بشر أفشوه، ولو سكتوا حتى يكون الرسول وذو الأمر يتولون الخبر عن ذلك، فيصححوه إن كان صحيحاً، أو يطلوه إن كان باطلاً، لعلم حقيقة ذلك من يبحث عنه من أولي الأمر<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾. في المراد بالفضل أربعة أقوال: أحدها: أنه رسول الله. والثاني: الإسلام. والثالث: القرآن. والرابع: أولو الأمر. وفي الرحمة أربعة أقوال: أحدها: أنها الوحي. والثاني: اللطف. والثالث: النعمة. والرابع: التوفيق.

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّبِعُوا الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ في معنى هذا الاستثناء ثلاثة أقوال: أحدها: أنه راجع إلى الإذاعة، فتقديره: أذاعوا به إلا قليلاً. وهذا قول ابن عباس، وابن زيد، واختاره الفراء، وابن جرير<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه راجع إلى المستنبطين، فتقديره: لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً، وهذا قول الحسن، وقادة، وإخثاره ابن قتيبة. فعلى هذين القولين، في الآية تقديم وتأخير. والثالث: أنه راجع إلى اتباع الشيطان، فتقديره: لا تتبعتم الشيطان إلا قليلاً منكم، وهذا قول الضحاك، واختاره الزجاج. وقال بعض العلماء: المعنى: لولا فضل الله بإرسال النبي إليكم، لضللتكم إلا قليلاً منكم كانوا يستدركون بعقولهم معرفة الله، ويعرفون ضلال من يعبد غيره، كفس بن ساعدة.

﴿فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْفُلْ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّصِ الْمُؤَيَّنَّ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَكُفَّ بِأَمْرِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ سبب نزولها: أن النبي ﷺ لما نذب الناس لموعده أبي سفيان بيد الصغرى بعد أخذ، كره بعضهم ذلك، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. وفي «فناء» «فقاتل» قولان: أحدهما: أنه جواب قوله: ﴿وَمَنْ يَكْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾، والثاني: أنها متصلة بقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ذكرهما ابن السري. والمراد بسبيل الله: الجهاد.

قوله تعالى: ﴿لَا تَكْفُلْ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ أي: إلا المجاهدة بنفسك<sup>(٣)</sup>. و«حَرِّصْ»: بمعنى حَضِّضْ. قال الزجاج:

(١) نص كلامه في «جامع البيان» ٥٦٨/٨، ٥٧١: وإذا جاءهم خير عن سرية للمسلمين غازية بأنهم قد أمنوا عن عدوهم بغلبتهم إياهم ﴿أَوْ الْحَرِّصِ﴾ يقول: أو تخوفهم من عدوهم بإصابة عدوهم منهم، ﴿أَنَّهُمْ يُدْرِكُونَ﴾ يقول: أفشوه ويشوه في الناس قبل رسول الله ﷺ، وقبل ما أتى سرايا رسول الله ﷺ... ولو ردوا الأمر الذي نالهم من عدوهم والمسلمين إلى رسول الله ﷺ، وإلى أولي أمرهم، يعني: وإلى أمرائهم وسكتوا فلم يذيعوا ما جاءهم من الخبر حتى يكون رسول الله ﷺ، أو ذوو أمرهم هم الذين يتولون الخبر عن ذلك، بعد أن ثبت عندهم صحته، أو بطوله، فيصححوه إن كان صحيحاً، أو يطلوه إن كان باطلاً، لعلم حقيقة ذلك الخبر الذي جاءهم به، الذين يبحثون عنه، ويستخرجونه «منهم» يعني أولي الأمر، «والهاء» وال«ميم» في قوله «منهم» من ذكر أولي الأمر، يقول: لعلم ذلك من أولي الأمر من يستنبطه.

(٢) انظر «معاني القرآن» للفراء ٢٧٩/١، و«جامع البيان» ٥٧٧/٨.

(٣) قال ابن جرير الطبري: فأما قوله ﴿لَا تَكْفُلْ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فإنه يعني لا يكلفك الله فيما فرض عليك من جهاد عدو وعدوك إلا ما حثك من ذلك من دون ما حثك غيرك منه، أي: إنك إنما تتبّع بما اكتسبه دون ما اكتسبه غيرك، وإنما عليك ما كلفته دون ما كلفه غيرك. وقال الزجاج: أمره بالجهاد وإن قاتل وحده، لأنه ضمن له النصر. وقال ابن كثير: يأمر تعالى عبده ورسوله محمداً ﷺ أن يباشر القتال بنفسه، ومن نكل فلا عليه منه، ولهذا قال: ﴿لَا تَكْفُلْ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ روى ابن أبي حاتم عن أبي إسحاق، قال: سألت البراء بن عازب عن الرجل يلقى المائة من العدو فيقاتل أيكون ممن قال الله فيه: ﴿وَلَا تُلْزِمُوا بِمَا عَلَى الْإِسْلَامِ﴾؟ قال: قد قال الله تعالى: ﴿فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْفُلْ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّصِ الْمُؤَيَّنَّ﴾. ورواه الإمام أحمد عن أبي إسحاق، قال: قلت للبراء: الرجل يحمل على المشركين، أهر من ألقى بيده إلى التهلكة؟ قال: لا، إن الله بعث رسوله ﷺ وقال: ﴿فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْفُلْ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ إنما ذلك في النفقة. قلت: وإسناده صحيح، وذكره الهيثمي في «الزوائد» ٣٣٨/٥ عن «المستند» وقال: رجاله رجال الصحيح، غير سليمان بن داود الهاشمي وهو ثقة.



ومعنى «عسى» في اللغة: معنى الطمع والإشفاق. والإطماع من الله واجب. و«البأس»: الشدة. وقال ابن عباس: والله أشدَّ عذاباً. قال قتادة: و«التنكيل»: العقوبة.

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾<sup>(١)</sup>  
قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً﴾ في المراد بالشفاعة أربعة أقوال: أحدها: أنها شفاعة الإنسان للإنسان، ليجتلب له نفعاً، أو يخلصه من بلاء، وهذا قول الحسن، ومجاهد، وقاتدة، وابن زيد. والثاني: أنها الإصلاح بين اثنين، قاله ابن السائب. والثالث: أنه الدعاء للمؤمنين والمؤمنات، ذكره الماوردي. والرابع: أن المعنى: مَنْ يَصْرِ شَفْعاً لَوْتَرِ أَصْحَابِكَ يَا مُحَمَّد، فيشفعهم في جهاد عدوهم وقتالهم في سبيل الله، قاله ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي. وفي الشفاعة السيئة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها السعي بالنميمة، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثاني: أنها الدَّعَاء على المؤمنين والمؤمنات، وكانت اليهود تفعله، ذكره الماوردي. والثالث: أن المعنى من يشفع وتر أهل الكفر، فيقاتل المؤمنين، قاله ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي. قال الزجاج: و«الكفل» في اللغة: النصيب، وأخذ من قولهم: اكتفلت البعير: إذ أدت على سنامه، أو على موضع من ظهره كساء، وركبت عليه. وإنما قيل له: كِفْل، لأنه لم يستعمل الظهر كله، وإنما استعمل نصيباً منه. وفي «المقيت» سبعة أقوال: أحدها: أنه المقتدر، قال أحيدة بن الجلاح:

وَذِي ضِعْفَيْنِ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ      وَكُنْتُ عَلَى مَسَاءَتِهِ مُقِيتًا<sup>(٢)</sup>

والى هذا المعنى ذهب ابن عباس، وابن جرير، والسدي، وابن زيد، والفراء، وأبو عبيد، وابن قتيبة، والخطابي. والثاني: أنه الحفيظ، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والزجاج. وقال: هو بالحفيظ أشبه، لأنه مشتق من القوت، يقال: قُتَّ الرجل أقوته قوتاً: إذا حفظت عليه نفسه بما يقوته. والقوت: اسم الشيء الذي يحفظ نفسه [ولا فضل فيه على قدر الحفظ]، فمعنى المقيت: الحافظ الذي يعطي الشيء على قدر الحاجة من الحفظ. قال الشاعر:

أَلَيْ الْفَضْلُ أَمْ عَلَيَّ إِذَا حُو      سَبْتُ إِنِّي عَلَى الْحَسَابِ مُقِيتٌ<sup>(٣)</sup>

والثالث: أنه الشهيد، رواه ابن أبي نجيج، عن مجاهد، واختاره أبو سليمان الدمشقي. والرابع: أنه الحسيب، رواه خصيف عن مجاهد. والخامس: الرقيب، رواه أبو شيبه عن عطاء. والسادس: الدائم، رواه ابن جرير عن عبد الله بن كثير. والسابع: أنه معطي القوت، قاله مقاتل بن سليمان. وقال الخطاب: المقيت يكون بمعنى معطي القوت، قال الفراء: يقال: قاته وأقاته.

﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحَيٍّ أَوْ بِخَيْرٍ فَلْيَرَوْهُمَا إِنِ اللَّهُ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحَيٍّ﴾ في التحية قولان: أحدهما: أنها السلام، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني:

(١) «غريب القرآن» ١٣٢، و«تفسير الطبري» ٥٨٤/٩، و«اللسان» مادة: قوت، و«الجمهرة» ٣٦/٢، ونسبه للزبير بن عبد المطلب. قال الأستاذ محمود شاكر: لم أجده للزبير، بل وجدته لأبي قيس بن رفاع، مرفوع القافية في «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام: ٢٤٣، وفي «الطبقات»: بعد أن ذكر تخريج البيت: وروايتهم «مقيتاً» وهو خطأ، ورواه ابن السجري: «واني في مساهمة مقيت» والرفع في رواية ابن سلام وجه عربي صحيح، انظر ابن مالك في كتابه «شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح» ٢٤/٢١، وتأويل البيت «وكنته على مساهمة مقيت» فحذف خبر كان، لأنه ضمير متصل، كما يحذف المفعول به إذا كان ضميراً متصلاً، ويستغنى عنه بنية الضمير، يعني: وكنت ذا ضغن مثله وأنا على مساهمة مقيت. ومقيت: مقتدر، من قولهم: أقات على الشيء: اقتدر عليه وأطاقه.

(٢) البيت للسموأل بن عادياء، وهو في «مجاز القرآن» ١/١٣٥، و«الأصمعيات» ٨٥، و«طبقات فحول الشعراء» ٢٣٧، و«غريب القرآن» ١٣٣، و«اللسان» ٧٥/٢، وقوله:

لَيْتَ شِعْرِي وَأَشْمَرَةً إِذَا مَا      قَرَّبُوهَا مِنْ شُورَةٍ قَسِيْرَةٍ

وقوله: «ليت شعري» أي: ليت لي علماً حاضراً يحيط بما سوف يكون. وأشعرن: استفهام، يقول: وهل أشعرن. وقوله: «قربوها منشورة» يعني: صحت أعماله يوم يقوم الناس لرب العالمين. وفي «الصحاح»: المقيت: الحافظ للشيء والشاهد له. أي: أعرف ما عملت من السوء، لأن الإنسان على نفسه بصيرة.

الدَّعَاءُ، ذكره ابن جرير، والماوردي. فأما «أحسن منها» فهو الزيادة عليها، وردّها: قول مثلها. قال الحسن: إذا قال أخوك المسلم: السلام عليكم، فرد السلام، وزد: ورحمة الله. أو ردّ ما قال ولا تزد. وقال الضحاك: إذا قال: السلام عليك، قلت: وعليكم السلام ورحمة الله. وإذا قال: السلام عليك ورحمة الله، قلت: وعليكم السلام، ورحمة الله وبركاته، وهذا منتهى السلام. وقال قتادة: بأحسن منها للمسلم، أو ردّها على أهل الكتاب.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُجَمِّعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَمَدَكُمُ مِنَ اللَّهِ حَتَّىٰ﴾

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ قال مقاتل: نزلت في الذين شكّوا في البعث. قال الزجاج: واللام في «ليجمعنكم» لام القسم، كقولك: والله ليجمعنكم، قال: وجائز أن تكون سُميت القيامة، لقيام الناس من قبورهم، وجائز أن تكون، لقيامهم للحساب.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَمَدَكُمُ مِنَ اللَّهِ حَتَّىٰ﴾ إنما وصف نفسه بهذا، لأن جميع الخلق يجوز عليهم الكذب، ويستحيل في حقّه.

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً﴾ في سبب نزولها سبعة أقوال: أحدها: أن قوماً أسلموا، فأصابهم وباء بالمدينة وجماعها، فخرجوا فاستقبلهم نفرٌ من المسلمين، فقالوا: مالكم خرجتم؟ قالوا: أصابنا وباء بالمدينة، واجتويناها، فقالوا: أما لكم في رسول الله أسوء؟ فقال بعضهم: نأفقوا، وقال بعضهم: لم ينافقوا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه<sup>(١)</sup>. والثاني: أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى أحد، رجع ناسٌ ممن خرج معه، فافترق فيهم أصحاب رسول الله، ففرقة تقول: تقتلهم، وفرقة تقول: لا تقتلهم، فنزلت هذه الآية، هذا في «الصححين» من قول زيد بن ثابت<sup>(٢)</sup>. والثالث: أن قوماً كانوا بمكة تكلموا بالإسلام وكانوا يعاونون المشركين، فخرجوا من مكة لحاجة لهم، فقال قوم من المسلمين: اخرجوا إليهم، فاقتلوهم، فإنهم يظاهرون عدوكم. وقال قوم: كيف تقتلهم وقد تكلموا بمثل ما تكلمنا به؟ فنزلت هذه الآية، رواه عطية، عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والرابع: أن قوماً قدموا المدينة، فأظهروا الإسلام، ثم رجعوا إلى مكة، فأظهروا الشرك، فنزلت هذه الآية، هذا قول الحسن، ومجاهد، والخامس: أن قوماً أعلنوا الإيمان بمكة وامتنعوا من الهجرة، فاختلف المؤمنون فيهم، فنزلت هذه الآية، وهذا قول الضحاك. والسادس: أن قوماً من المنافقين أرادوا الخروج من المدينة، فقالوا للمؤمنين: إنه قد أصابنا أوجاع في المدينة، فلعلنا نخرج فنتماثل، فإننا كنا أصحاب بادية، فانطلقوا واختلف فيهم أصحاب رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية. هذا قول السدي. والسابع: أنها نزلت في شأن ابن أبي حنينة حين تكلم في عائشة بما تكلم، وهذا قول ابن زيد<sup>(٤)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ خطاب للمؤمنين. والمعنى: أي شيء لكم في الاختلاف في أمرهم؟ و«الفتنة»: الفرقة.

(١) «المسند» ١٣١/٣. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/٧ عن أحمد وقال: وفيه ابن إسحاق وهو مدلس، وأبو سلمة لم يسمع من أبيه، قلت: ولم يصرح ابن إسحاق بالحديث، وذكره السيوطي في «أسباب النزول» ٧١، قال: في إسناده تدليس وانقطاع. وقال الحافظ في «الفتح»: وفي سبب نزولها قول آخر، أخرجه أحمد من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه، وذكر الحديث، ثم قال: وأخرجه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن أبي سلمة مرسلاً، فإن كان محفوظاً، احتمل أن تكون نزلت في الأمرين جميعاً. وقوله «اجتويناها» أي أصابنا الجوى، وهو المرفق ودهاء الجوف إذا تطاول، وذلك إذا لم يوافقهم هواها واستغضوها، ويقال: اجتويت البلد: إذا كرهت المقام فيها وإن كنت في نعمة، قاله في «النهاية».

(٢) «المسند» ١٨٤/٥، والبخاري ١٩٣/٨ ومسلم ٢١٤٢/٤. قال الحافظ في «الفتح»: وهذا هو الصحيح في سبب نزولها. وفي «الفتح»: وقوله فرجع ناسٌ ممن خرج معه، يعني عبد الله بن أبي وأصحابه، وقد ورد ذلك صريحاً في رواية موسى بن عقبة في «المغازي»، وأن عبد الله بن أبي كان وافق رايه رأي النبي ﷺ على الإقامة بالمدينة، فلما أشار غيره بالخروج، وأجابهم النبي ﷺ فخرج، قال عبد الله بن أبي: أطاعهم وعصاني، حلام تقتل أنفسنا؟ فرجع بثلاث الناس. قال ابن إسحاق في رواية: فاتبهم عبد الله بن عمرو بن حرام وهو والد جابر، وكان خزرجياً كعبد الله بن أبي، فنادشدهم أن يرجعوا فأبوا، فقال: أبعدكم الله.

(٣) ابن جرير ١٠/٩، وابن أبي حاتم من طريق الموهبي، وإسناده ضعيف جداً.

(٤) ابن جرير ١٣/٩. وقوى قول من قال: إنها نزلت في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ في قوم كانوا ارتدوا بعد إسلامهم من أهل مكة.

وفي معنى «أركسهم» أربعة أقوال: أحدها: ردّهم، رواه عطاء، عن ابن عباس. قال ابن قتيبة: ركست الشيء، وأركسته: لغتان، أي: نكسهم وردّهم في كفرهم<sup>(١)</sup>، وهذا قول الفراء، والزجاج. والثاني: أوقعهم، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس. والثالث: أهلكهم، قاله قتادة. والرابع: أضلّهم، قاله السدي. فأما الذي كسبوا، فهو كفرهم، وارتدادهم. قال أبو سليمان: إنما قال: أتريدون أن تهتدوا من أضلّ الله، لأن قوماً من المؤمنين قالوا: إخواننا، وتكلموا بكلمتنا.

قوله تعالى: ﴿فَلَنْ نَجِدَ لَهُمْ سَبِيلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: إلى الحجّة، قاله الزجاج. والثاني: إلى الهدى، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿وَدُّوا أَنْ تُكْفِرُوا بِمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا سَوَاءً فَلَا تَنفَعُكُمْ آلُيَاهُمْ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَنفَعُكُمْ آلُيَاهُمْ وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَدُّوا أَنْ تُكْفِرُوا بِمَا كَفَرُوا﴾ أخبر الله ﷻ المؤمنين بما في ضماير تلك الطائفة، لئلا يحسنوا الظن بهم، ولا يجادلوا عنهم، وليعتقدوا عداوتهم.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَنفَعُكُمْ آلُيَاهُمْ﴾ أي: لا توالوهم فإنهم أعداء لكم ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ أي: يرجعوا إلى النبي ﷺ. قال ابن عباس: فإن تولوا عن الهجرة والتوحيد، ﴿فَتَذَرُوهُمْ﴾ أي: اتسروهم، واقتلوهم حيث وجدتموهم في الجبل والحرم<sup>(٢)</sup>.

### فصل

قال القاضي أبو يعلى: كانت الهجرة فرضاً إلى أن فتحت مكة. وقال الحسن: فرض الهجرة باق، وأعلم أن الناس في الهجرة على ثلاثة أضرب: من تجب عليه، وهو الذي لا يقدر على إظهار الإسلام في دار الحرب، خوفاً على نفسه، وهو قادر على الهجرة، فتجب عليه لقوله: ﴿إِنَّمَا تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِمَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ والثاني: من لا تجب عليه بل تستحب له، وهو من كان قادراً على إظهار دينه في دار الحرب. والثالث: من لا تستحب له، وهو الضعيف الذي لا يقدر على إظهار دينه، ولا على الحركة كالشيخ الفاني والزمن فلم تستحب له للحقوق المشقة.

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رِسْقٌ أَوْ جَاهِدُكُمْ حَصَرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يَقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ هذا الاستثناء راجع إلى القتل، لا إلى الموالاة. وفي «يصلون» قولان: أحدهما: أنه بمعنى يتصلون ويلجؤون. قال ابن عباس: كان هلال بن عويمر الأسلمي وأدع رسول الله ﷺ على أن لا يُعَيِّنَ ولا يُعَيَّنَ عليه. فكان من وصل إلى هلال من قومه وغيرهم، فلهم من الجوار مثل ما لهلال<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه بمعنى يتسبون، قاله ابن قتيبة، وأنشد:

إِذَا أَتَيْتُ قَالَتْ أَبِكَرِ بْنِ وَائِلٍ

وَيَكُرُّ سَبَّهَا وَالْأَنْفُ وَرَاغِمٌ<sup>(٤)</sup>

(١) نص كلام ابن قتيبة في غريب القرآن ١٣٣: «وَأَلَّفَهُ أَرْكَسَهُمْ» أي: نكسهم وردّهم في كفرهم، وهي في قراءة عبد الله بن مسعود «رَكَسَهُمْ» وهما لغتان ركست الشيء وأركسته.

(٢) في «مفاتيح الغيب» ٢٨١/٣: دلت الآية على أنه لا يجوز موالاة المشركين والمنافقين والمشركين بالزندقة والإلحاد، وهذا متأكد بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا جَاءْنَا بِالنَّبِيِّينَ وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ [المتحنة: ١] والسبب فيه أن أعرس الأبياء وأعظمها عند جميع الخلق هو الدين، لأن ذلك هو الأمر الذي يتقرب به إلى الله تعالى، ويتوصل به إلى طلب السعادة في الآخرة، وإذا كان كذلك، كانت العداوة الحاصلة بسببه أعظم أنواع العداوة، وإذا كان كذلك، امتنع طلب المحبة والولاية في الموضع الذي يكون أعظم موجبات العداوة حاصلاً فيه.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله: ثم استثنى الله سبحانه من هؤلاء فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رِسْقٌ﴾ أي: إلا الذين لجؤوا وتحيزوا إلى قوم بينكم وبينهم مهادنة، أو عقد ذمة، فاجعلوا حكمهم كحكمهم، وهذا قول السدي، وابن زيد، وابن جرير. وانظر تفصيل القول في «المفني» ١٠/٥١٣، وقيل الأوطار، ١٧٦/٨.

(٤) البيت للأعشى وهو في «ديوانه» ص ٨١، و«مجاز القرآن» ١/١٣٦، و«غريب القرآن» ١٣٣، و«تفسير الطبري» ٢٠/٩، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس ١٠٩.

يريد: إذا انتسبت، قالت: أبكراً، أي: يا آل بكر. وفي القوم المذكورين أربعة أقوال: أحدها: أنهم بنو بكر بن زيد مناة، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم هلال بن عويمر الأسلمي، وسراقه بن مالك، وخزيمة بن عامر بن عبد مناف، قاله عكرمة. والثالث: أنهم بنو مدلج، قاله الحسن<sup>(١)</sup>. والرابع: خزاعة وبنو مدلج، قاله مقاتل. قال ابن عباس: «والميثاق: العهد».

قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: أو يصلون إلى قوم جاؤوكم، قاله الزجاج في جماعة. والثاني: أنه يعود إلى المطلوبين للقتل، فتقديره: أو رجعوا فدخلوا فيكم، وهو بمعنى قول السدي.

قوله تعالى: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن فيه إضمار «قد». والثاني: أنه خبرٌ بعد خبر، فقوله: ﴿جَاءُوكُمْ﴾: خبرٌ قد تم، و﴿حَصِرَتْ﴾: خبرٌ مستأنف، حكاها الزجاج. وقرأ الحسن، ويعقوب، والمفضل، عن عاصم: «حَصِرَ صُدُورُهُمْ» على الحال. و«حصرت»: ضاقت، ومعنى الكلام: ضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذي بينكم وبينهم، أو يقاتلوا قومهم، يعني قريشاً. قال مجاهد: هلال بن عويمر هو الذي حَصِرَ صدره أن يقاتلكم، أو يقاتل قومه.

قوله تعالى: ﴿وَكُذِّبَتْ شَأْنُ اللَّهِ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكَ﴾ قال الزجاج: أخبر أنه إنما كفَّهم بالرعب الذي قذف في قلوبهم. وفي «السلام» قولان: أحدهما: أنه الإسلام، قاله الحسن. والثاني: الصلح، قاله الربيع. ومقاتل.

### فصل

قال جماعة من المفسرين: معاهدة المشركين وموادعتهم المذكورة في هذه الآية منسوخة بآية السيف. قال القاضي أبو يعلى: لما أعزَّ الله الإسلام أمروا أن لا يقبلوا من مشركي العرب إلا الإسلام أو السيف<sup>(٢)</sup>.

من قصيدة يهجو بها يزيد بن مسهر الشيباني. قال في «اللسان»: اتصلت: انتسبت، وفسرها شارح شعر الأعشى: إذا دعت: يعني يدعو الجاهلية، وهو الاعتزاز. يقول: تدعى إليهم وتتسبب، وهي من إمانهم اللواتي سبين وقد رغمت أنوف رجالهم الذين كانوا يدافعون عنهم، ثم انهزموا عنهم وتركوهن للسباء. قلت: وما جرى عليه ابن قتيبة في تفسير هذه الآية سيقه إليه أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١٣٦/١ وتعقبهما النحاس بقوله في «الناسخ والمنسوخ» ١٠٩: وهذا غلط عظيم، لأنه يذهب إلى أن الله تعالى حظر أن يقاتل أحد بينه وبين المسلمين نسب، والمشركون قد كان بينهم وبين السابقين الأولين أنساب، وأشد من هذا الجهل الاحتجاج بأن ذلك كان ثم نسخ، لأن أهل التأويل مجمعون على أن الناسخ له (برائة)، وإنما نزلت (برائة) بعد الفتح وبعد أن انتقلت الحروب، وإنما يؤتى هذا من الجهل بقول أهل التفسير، والاجترار على كتاب الله، وحمله على المعقول من غير علم بأقوال المتقدمين. والتقدير على قول أهل التأويل: فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أولئك خزاعة صالحهم النبي ﷺ على أنهم لا يقاتلون، وأعطاهم الزمام والأمان، ومن وصل إليهم، فدخل في الصلح معهم، كان حكمه حكمهم ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ أي: وإلا الذين جاؤوكم حصرت صدورهم، وهم بنو مدلج وبنو خزاعة ضاقت صدورهم أن يقاتلوا المسلمين، أو يقاتلوا قومهم بني مدلج. و«حصرت»: خبر بعد خبر.

وفي «صحيح البخاري» في قصة صلح الحديبية: فكان من أحب أن يدخل في صلح قريش وعهدهم، ومن أحب أن يدخل في صلح محمد ﷺ وأصحابه وعهدهم.

(١) قال ابن كثير ٥٣٣/١: وروى ابن أبي حاتم، حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن الحسن أن سراقه بن مالك المدجلي حنثهم، قال: لما ظهر يعني النبي ﷺ على أهل بدر واحد، وأسلم من حولهم، قال سراقه بلغني أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى قومي بني مدلج، فأتيته فقلت: أشدك النعمة. فقالوا: صَ، فقال النبي ﷺ: «هوه ما تريد؟» قال: بلغني أنك تريد أن تبعث إلى قومي، وأنا أريد أن توادعهم، فإن أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الإسلام، وإن لم يسلموا، لم تخش قلوب قومك عليهم، فأخذ رسول الله ﷺ بيد خالد بن الوليد، فقال: «ذهب معه فاعلم ما يريد»، فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله ﷺ، وإن أسلمت قريش أسلموا، فأنزل الله ﴿وَدُّوا أَنْ يَكْفُرُوا كَمَا كَفَرُوا فَكَفَرُوا سَوَاءً لَكَ تَعْلَمُوا بِمَنْ أَرْسَلْنَا﴾ ورواه ابن مردويه، وقال: فأنزل الله ﴿إِلَّا إِلَهُي يُبَلِّغُكَ إِنْ قَرِمَ بِبَيْنِكُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ يَشْفُقُ﴾ فكان من وصل إليهم كانوا معهم على عهدهم. قلت: والحسن لم يسمع من سراقه، وعلي بن زيد بن جدعان: ضعيف.

(٢) قال الخرقى: ولا تقبل الجزية إلا من يهودي أو نصراني أو مجوسي إذا كانوا مقيمين على ما عاهدوا عليه، ومن سواهم بالإسلام أو القتل. قال في «المغني» ٥٣٣/١٠: يعني من سوى اليهود والنصارى والمجوس لا تقبل منهم الجزية، ولا يقرُّون بها، ولا يقبل منهم إلا الإسلام، فإن لم يسلموا قتلوا، هذا ظاهر منذهب أحمد، وروي عن الحسن بن ثواب أنها تقبل من جميع الكفار إلا عبدة الأوثان من العرب، لأن حديث بريدة يدل بعمومه على قبول الجزية من كل كافر إلا أنه خرج منه عبدة الأوثان من العرب لتغلظ كفرهم من وجهين: أحدهما: دينهم، والثاني: كونهم من وهط النبي ﷺ. وفي «نيل الأوطار» ٥٣/٨، وقوله: «فسلمهم الجزية» ظاهره عدم الفرق بين الكافر المجمي والعربي، والكتابي وغير الكتابي، وإلى ذلك ذهب مالك، والأوزاعي، وجماعة من أهل العلم.

﴿سَتَجِدُونَ كَافِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوا بَكُمْ وَيَاسُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَبُوا فِيهَا فَإِنْ كَمْ يَتَزَلَّوْا وَلِتَلَوْا إِلَيْكُمْ آلَتَكُمُ وَيَكُونُوا أَيْدِيَهُمْ فَعُدُّوهُمْ وَأَقْبُلُوهُمْ حَيْثُ تَوْفَعْتُمُوهُمْ وَأَوَّلَتْكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾﴾  
 قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ كَافِرِينَ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أسد وغطفان، كانوا قد تكلموا بالإسلام ليأمنوا المؤمنين بكلمتهم، ويأمنوا قومهم بكفرهم، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في بني عبد الدار، رواه الضحاك، عن ابن عباس. والثالث: أنها نزلت في قوم أرادوا أخذ الأمان من النبي ﷺ، وقالوا: لا نقاتلك ولا نقاتل قومنا، قاله قتادة. والرابع: أنها نزلت في نعيم بن مسعود الأشجعي، كان يأمن في المسلمين والمشركين، فينقل الحديث بين النبي ﷺ وبينهم، ثم أسلم نعيم، هذا قول السدي. ومعنى الآية: ستجدون قوماً يظهرن الموافقة لكم ولقومهم، ليأمنوا الفريقين، كلما دعوا إلى الشرك، عادوا فيه، فإن لم يعترفوا في القتال، ويلقوا إليكم الصلح، ويكفوا أيديهم عن قتالكم، فخذوهم، أي: اتسروهم، واقتلوهم حيث أدرتكموهم، وأولائكم جعلنا لكم عليهم حجة بينة في قتلهم.

### فصل

قال أهل التفسير: والكف عن هؤلاء المذكورين في هذه الآية منسوخ بآية السيف.

﴿وَمَا كَانِ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحَرِيرُ رَقَبَةٍ مَوْمِنَةٍ وَوَدِيَّةٌ مَسْكُوتَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانِ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحَرِيرُ رَقَبَةٍ مَوْمِنَةٍ وَإِنْ كَانِ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ فَوَدِيَّةٌ مَسْكُوتَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحَرِيرُ رَقَبَةٍ مَوْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قَوْسِيَّامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانِ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن عياش بن أبي ربيعة أسلم بمكة قبل هجرة رسول الله، ثم خاف أن يظهر إسلامه لقومه، فخرج إلى المدينة فقالت أمه لابنيها أبي جهل، والحارث ابني هشام، وهما أخواه لأمه: والله لا يُظْلَتِي سَقْفٌ، ولا أذوق طعاماً ولا شرباً حتى تأتيا نبي به. فخرجا في طلبه. ومعهما الحارث بن زيد، حتى أتوا عياشاً وهو مُتَحَضِّرٌ في أطم، فقالوا له: انزل فإن أمك لم يؤوها سقفاً، ولم تذوق طعاماً، ولا شرباً، ولك علينا أن لا نحول بينك وبين دينك، فنزل، فأوثقوه، وجلده كل واحد منهم مائة جلدة، فقدموا به على أمه، فقالت: والله لا أحلك من وثاقل حتى تكفر، فطرح موثقاً في الشمس حتى أعطاهم ما أرادوا، فقال له الحارث بن زيد: يا عياش لئن كان ما كنت عليه هدى لقد تركته، وإن كان ضلالاً لقد ركبته. فغضب، وقال: والله لا ألقاك خالياً إلا قتلتك، ثم أثلت عياش بعد ذلك، وهاجر رسول الله ﷺ بالمدينة، ثم أسلم الحارث بعده، وهاجر ولم يعلم عياش، فلقبه يوماً فقتله، فقيل له: إنه قد أسلم، فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره بما كان، وقال: لم أشعر بإسلامه، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. وهو قول سعيد بن جبير، والسدي، والجمهور. والثاني: أن أبا الدرداء قتل رجلاً قال لا إله إلا الله في بعض السرايا، ثم أتى النبي ﷺ، فذكر له ما صنع، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن زيد<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: معنى الآية: وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً البتة. والاستثناء ليس من الأول، وإنما المعنى: إلا أن يُخطئ المؤمن. وروى أبو عبيدة، عن يونس: أنه سأل رؤية عن هذه الآية، فقال: ليس له أن يقتله عمداً ولا خطأ، ولكنه أقام «إلا» مقام «لوا» قال الشاعر:

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ      لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ<sup>(٢)</sup>

(١) قال ابن جرير الطبري ٣٤/٩: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله عرف عباده بهذه الآية ما على من قتل مؤمناً خطأ من كفارة ودية، وجائز أن تكون الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة وقتله، وفي أبي الدرداء وصاحبه. رأي ذلك كان، فالذي عنى الله تعالى بالآية: تعريف عباده ما ذكرنا. وقد عرف ذلك من عقل عنه من عباده تنزيهه، وغير ضائهم جهلهم بمن نزلت فيه.

(٢) البيت لعمرو بن معد يكرب، وقيل لسوار بن المضرب، وقيل لحضرمي بن عامر. وهو في سيبويه ٣٧١/١، والكامل ١٢٤٠/٣، والبيان والبيان ١/٢٢٨، وشرح المفصل ٨٩/٢، والبحر المحيط ٣٢١/٣، وشواهد المغني ٧٨، وخزانة الأدب ٥٢/٢. قال الأعلام: والشاهد فيه نعت «كل» =

أَرَادَ: وَالْفَرْقَانِ. وقال بعض أهل المعاني: تقدير الآية: لكن قد يقتله خطأ، وليس ذلك فيما جعل الله له، لأن الخطأ لا تصح فيه الإباحة، ولا النهي. وقيل: إنما وقع الاستثناء على ما تضمنته الآية من استحقاق الإثم، وإيجاب القتل.

قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرَ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ قال سعيد بن جبير: عتق الرقبة واجب على القاتل في ماله، واختلفوا في عتق الغلام الذي لا يصح منه فعل الصلاة والصيام، فروى عن أحمد جوازه، وكذلك روى ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وهذا قول عطاء، ومجاهد<sup>(١)</sup>. وروى عن أحمد: لا يجزئ إلا من صام وصلى، وهو قول ابن عباس في رواية، والحسن، والشعبي، وإبراهيم، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿وَدِيَّةً مُّسْكَنَةً لِّكَ أَهْلِيكَ﴾ قال القاضي أبو يعلى: ليس في هذه الآية بيان من تلزمه هذه الدية، وانفق الفقهاء على أنها عاقلة القاتل، تحملها عنه على طريق المواساة، وتلزم العاقلة في ثلاث سنين، كل سنة ثلثها. والعاقلة: العصبات من ذوي الأنساب، ولا يلزم الجاني منها شيء<sup>(٢)</sup>. وقال أبو حنيفة: هو كواحد من العاقلة. وللنفس ستة أبدال: من الذهب ألف دينار، ومن الورق اثنا عشر ألف درهم، ومن الإبل مائة، ومن البقر مائتا بقرة، ومن الغنم ألفا شاة، وفي الحلل روايتان عن أحمد، إحداهما: أنها أصل، فتكون مائتا حلة. فهذه دية الذكر الحر المسلم، ودية الحرة المسلمة على النصف من ذلك.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَكْسِفُوا﴾ قال سعيد بن جبير: إلا أن يتصدق أولياء المقتول بالدية على القاتل.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُمْ مُّؤْمِنُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: وإن كان المقتول خطأ من قوم كفار، ففيه تحرير رقبة من غير دية، لأن أهل ميراثه كفار. والثاني: وإن كان مقيماً بين قومه، فقتله من لا يعلم بإيمانه، فعليه تحرير رقبة ولادية، لأنه ضيع نفسه بإقامته مع الكفار، والقولان مرويان عن ابن عباس، وبالأول قال النخعي، وبالثاني سعيد بن جبير. وعلى الأول تكون «من» للتبعض، وعلى الثاني تكون بمعنى في.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مِنَ قَوْمٍ يَبْئِسُكَ اللَّهُ فِي دِينِهِمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الرجل من أهل الذمة يقتل خطأ، فيجب على قاتله الدية والكفارة، هذا قول ابن عباس، والشعبي، وقتادة، والزهري، وأبي حنيفة، والشافعي. ولأصحابنا تفصيل في مقدار ما يجب من الدية<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه المؤمن يقتل وقومه مشركون، ولهم عقد، فدية لقومه، وميراثه للمسلمين، هذا قول النخعي.

يقوله: «إلا الفرقدان» على تأويل «غير» والتقدير: وكل أخ غير الفرقدين مفارقة أخوه، وهذا على مذهب الجاهلية، كأنه قال هذا قبل الإسلام، ويحتمل أنه يريد في مدة الدنيا. والفرقدان، ثنية فرقد: وهو نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به، وبجانبه آخر أخفى منه، فهما فرقدان. وقال أبو حيان رحمه الله بعد أن نقل مقالة أبي عبيدة: والذي يظهر أن قوله: «إلا خطأ» استثناء منقطع، وهو قول الجمهور منهم أبان بن تغلب، والمعنى: لكن المؤمن قد يقتل المؤمن خطأ.

(١) قال ابن كثير ٥٣٤/١: والذي عليه الجمهور أنه متى كان مسلماً صح عتقه من الكفارة، سواء كان صغيراً أو كبيراً.

(٢) في «المعني» ٤٩٦/٩: ولا تعلم بين أهل العلم خلافاً في أن دية الخطأ على العاقلة، قال ابن المنذر: أجمع على هذا كل من تحفظ عنه من أهل العلم، وقد ثبت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قضى بدية الخطأ على العاقلة، وأجمع أهل العلم على القول به، وقد جعل النبي ﷺ دية عمد الخطأ على العاقلة بما قد رويناه من الأحاديث، وفيه تشبه على أن العاقلة تحمل دية الخطأ، والمعنى في ذلك أن جنائيات الخطأ تكثر، ودية الأدمي كثيرة، فإيجابها على الجاني في ماله يصحف به، فاقتضت الحكمة إيجابها على العاقلة على سبيل المواساة للقاتل، والإعانة له تخفيفاً عنه إذا كان معذوراً في فعله، ويغفر هو بالكفارة. قال ابن كثير: وهذه الدية إنما تجب على عاقلة القاتل لا في ماله، قال الشافعي: لا أعلم مخالفاً أن رسول الله ﷺ قضى بالدية على العاقلة، وهو أكثر من حديث الخاصة. وهذا الذي أشار إليه رحمه الله قد ثبت في غير ما حديث، فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: اقتلت امرأتان من هذيل، فرمت إحداهما الأخرى بحجر، فقتلتها وما في بطنها، فاخصصوا إلى رسول الله ﷺ قضى أن دية جنيها غرة عبد أو أمة، وقضى بدية المرأة على عاتقها، وهذا يقتضي أن حكم عمد الخطأ حكم الخطأ المحض في وجوب الدية. لكن هذا تجب فيه الدية أثلاثاً كالعمد لشبهه به. وفي «صحيح البخاري» من عبد الله بن عمر، قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جليمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون: صباناً صباناً، فجعل خالد يقتلهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فرغ يديه وقال: «اللهم إني أبرأ إليك من صنع خالد» قال ابن إسحاق: وبعث علياً، فودى قتلاهم، وما أنلف من أموالهم حتى مبلغه الكلب. وهذا يؤخذ منه أن خطأ الإمام أو نائبه يكون في بيت المال.

(٣) في «الكافي» ٧٨/٣: ودية الكتابي نصف دية المسلم، لما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال: «دية المعاهد نصف دية المسلم» رواه أبو داود. وروي عنه: أن دية ثلث الدية، لما روي أن عمر جعل دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف، إلا أنه رجع عن هذه الرواية، =

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قَسِيماً شَهْرَيْنِ مُكْتَابَيْنِ﴾ اختلفوا هل هذا الصيام بدل من الرقبة وحدها إذا عدها، أو بدل من الرقبة والدية؟ فقال الجمهور: عن الرقبة وحدها، وقال مسروق، ومجاهد، وابن سيرين: عنهما. واتفق العلماء على أنه إذا تخلل صوم الشهرين إفطار لغير عذر، فعليه الابتداء، فأما إذا تخللها المرض، أو الحيض، فعندنا لا يقطع التتابع، وبه قال مالك. وقال أبو حنيفة: المرض يقطع، والحيض لا يقطع، وفرق بينهما بأنه يمكن في عادة صوم شهرين بلا مرض، ولا يمكن ذلك في الحيض، وعندنا أنها معذورة في الموضعين.

قوله تعالى: ﴿وَرَبِّكَ مِنَ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: معناه: فعل الله ذلك توبة منه. قوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَظِيماً﴾ أي: لم يزل عظيمًا بما يصلح خلقه من التكليف ﴿حَكِيماً﴾ فيما يقضي بينهم، ويدبره في أمورهم.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَعَظِيبُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً﴾ سبب نزولها: أن مقيس بن ضبابة وجد أخاه هشام بن ضبابة قتيلاً في بني النجار، وكان مسلماً، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأرسل رسول الله رسولا من بني فهر، فقال له: إيت بني النجار، فأقرئهم مني السلام، وقل لهم: إن رسول الله ﷺ يأمركم إن علمتم قاتل هشام، فادفعوه إلى مقيس بن ضبابة، وإن لم تعلموا له قاتلاً، فادفعوا إليه دية، فأبلغهم الفهري ذلك، فقالوا: والله ما نعلم له قاتلاً، ولكننا نعطى دية، فأعطوه مائة من الإبل، ثم انصرفا راجعين إلى المدينة، فأتى الشيطان مقيس بن ضبابة، فقال: تقبل دية أخيك، فيكون عليك سبّة ما بقيت. اقتل الذي معك مكان أخيك، وأفضل بالدية، فرمى الفهري بصخرة، فشدخ رأسه، ثم ركب بعيراً منها، وساق بقيتها راجعاً إلى مكة، وهو يقول:

قتلت به فهراً وحملت عقله  
وأدركت ثأري واضطجعتُ موسداً  
سُراً بني النجار أرباب فارح  
وكننت إلى الأصنام أول راجع

فنزلت هذه الآية، ثم أهدر النبي ﷺ دمه يوم الفتح، فقتل، رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وفي قوله: ﴿مُتَعَمِّداً﴾ قولان: أحدهما: متعمداً لأجل أنه مؤمن، قاله سعيد بن جبير. والثاني: متعمداً لقتله، ذكره بعض المفسرين. وفي قوله: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ قولان: أحدهما: أنها جزاؤه قطعاً. والثاني: أنها جزاؤه إن جازاه. واختلف العلماء هل للمؤمن إذا قتل مؤمناً متعمداً توبة أم لا؟ فذهب الأكثرون إلى أن له توبة، وذهب ابن عباس إلى أنه لا توبة له.

= وقال: كنت أذهب إلى أن دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف، فأتا اليوم أذهب إلى نصف دية المسلم. قلت: أما حديث عمرو بن شعيب فرواه أيضاً أحمد، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن ماجه، وهو حديث حسن. وأما أثر عمر فقد رواه عنه سعيد بن المسيب، وهو منقطع، لأن سعيداً لم يسمع من عمر.

(١) أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ص ٩٨ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ونسبه السيوطي في «الدر المنثور» ١٩٦/٢ إلى البيهقي في «شعب الإيمان» من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. ورواه ابن جرير الطبري ٦١/٩ من طريق ابن جريج عن عكرمة ولفظة: أن رجلاً من الأنصار قتل أخا مقيس بن ضبابة، فأعطاه النبي ﷺ الدية، فقبلها، ثم وثب على قاتل أخيه فقتله. قال ابن جريج: وقال غيره: ضرب النبي ﷺ دية على بني النجار، ثم بعث مقيساً، وبعث معه رجلاً من بني فهر في حاجة للنبي ﷺ، فاحتمل مقيس الفهري، وكان أيداً فغضب به الأرض، ورضخ رأسه بين حجرين، ثم ألقي يتنن:

ثأرت به فهراً وحملت عقله  
سُراً بني النجار أرباب فثارح

فقال النبي ﷺ: «أظنه قد أحدث حدثاً، أما والله لئن كان فعل لا أومنه في جُل ولا حَرَم، ولا سلم ولا حرب» فقتل يوم الفتح. قال ابن جريج: وفيه نزلت هذه الآية ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً﴾. وفي «سيره ابن هشام» ٢٩٣/٢ قال ابن إسحاق: وقدم مقيس بن ضبابة من مكة مسلماً فيما يظهر، فقال: يا رسول الله جئتك مسلماً، وجئتك أطلب دية أخي، فبُلى خطأ. فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام بن ضبابة فأقام عند رسول الله غير كثير، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله، ثم خرج إلى مكة مرتداً، فقال في شعر يقوله:

شفي الثَّنَسُ أن قد مات بالقراع مُسَوِّداً  
وكنانت هموم الثَّنَسِ من قبيل قتلته  
حسنت به وتري وأدركت ثأرتي  
ثأرت به فهراً وحملت عقله  
نُضِرَج ثوربيه ومناه الأخباوع  
ثُلِمُ فتحننني وطاء المفضاجع  
وكنسنت إلى الأوثان أول راجع  
سُراً بني النجار أرباب فثارح

## فصل

اختلف العلماء في هذه الآية هل هي محكمة أم منسوخة؟ فقال قوم: هي محكمة، واحتجوا بأنها خبر، والأخبار لا تحتل النسخ، ثم اختلف هؤلاء فرقتين، إحداهما قالت: هي على ظاهرها، وقاتل المؤمن مخلد في النار. والفرقة الثانية قالت: هي عامة قد دخلها التخصيص بدليل أنه لو قتله كافر، ثم أسلم الكافر، انهدرت عنه العقوبة في الدنيا والآخرة، فإذا ثبت كونها من العام المخصص، فأبي دليل صالح للتخصيص، وجب العمل به. ومن أسباب التخصيص أن يكون قتله مستحلاً، فيستحق الخلود لاستحلاله. وقال قوم: هي مخصوصة في حق من لم يُثب، واستدلوا بقوله تعالى في الفرقان: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان]. وقال آخرون: هي منسوخة بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْيِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].<sup>(١)</sup>

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا صَرَّمْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَتِيلًا وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَلُونَ عَزَمَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا قَوْلَ اللَّهِ مَكَائِدُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [١١]

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا صَرَّمْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَتِيلًا﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ بعث سرية فيها المقداد بن الأسود، فلما أتوا القوم، وجدوهم قد تفرقوا، وبقي رجل له مال كثير لم يبرح، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فاهوى إليه المقداد فقتله. فقال له رجل من أصحابه: أقتلت رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله؟ لا أذكرن ذلك للنبي ﷺ، فلما قدموا على النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله إن رجلاً شهد أن لا إله إلا الله، فقتله المقداد، فقال: «ادعوا لي المقداد فقال: يا مقداد أقتلت رجلاً قال لا إله إلا الله، فكيف لك بـ لا إله إلا الله غداً! قال: فانزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا صَرَّمْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَتِيلًا وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَلُونَ عَزَمَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا قَوْلَ اللَّهِ مَكَائِدُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا﴾ فقال رسول الله ﷺ للمقداد: «كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار، فظاهر إيمانه فقتلته؟ وكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة قبل». رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن رجلاً من بني سليم مر على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، ومعه غنم، فسلم، فقالوا: ما سلم عليكم إلا ليتعوذ [مننا]، فعمدوا إليه فقتلوه، وأخذوا غنمه، فأتوا بها رسول الله ﷺ، فنزلت هذه

(١) قال الشوكاني في «فتح القدير» ٤٦١/١: وقد اختلف العلماء هل لقاتل العمد من توبة أم لا توبة له؟ فروى البخاري عن سعيد بن جبيرة قال: اختلف فيها علماء أهل الكوفة، فرجلت فيها إلى ابن عباس فسأته عنها، فقال: نزلت هذه الآية ﴿وَمَنْ يَشْكُلْ مُمْسِكًا مُتَعَمِّدًا﴾ وهي آخر ما نزل وما نسخها شيء. وقد روى النسائي عنه نحو هذا. وروى النسائي عن زيد بن ثابت نحوه. ومن ذهب إلى أنه لا توبة له من السلف أبو هريرة، وعبد الله بن عمرو، وأبو سلمة، وعبيد بن عمير، والحسن، وقادة، والضحاك بن مزاحم، نقله ابن أبي حاتم عنهم. وذهب الجمهور إلى أن التوبة منه مقبولة، واستدلوا بمثل قوله تعالى ﴿إِذْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ يَدُوكُمْ أَلْتَكُنَّ﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ أَلْفَقَ يَبْدُلُ الْوَرْدَ عَنْ يَأبُودٍ﴾ وقوله: ﴿وَتَبَيَّنُوا مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، قالوا أيضاً: والجمع ممكن بين آية النساء هذه، وآية الفرقان فيكون معناهما: فجزاؤه جهنم إلا من تاب، لا سيما وقد اتحد السبب، وهو القتل والموجب وهو التوعد بالعقاب. واستدلوا أيضاً بالحديث المذكور في الصحيحين عن عباد بن الصامت أنه قال: «بابعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق»، ثم قال: «فمن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء علمه» وبحديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم في «صحيحه» غيره في الذي قتل مئة نفس. وذهب جماعة منهم أبو حنيفة وأصحابه، الشافعي إلى أن القاتل عمداً داخل تحت المشية تاب أو لم يتاب. وقد أوضحت في شرحي على «المتقى» متمسك كل فريق. والحق أن باب التوبة لم يخلق دون كل عاص، بل هو مفتوح لكل من قصده ورام الدخول منه، وإذا كان الشرك - وهو أعظم الذنوب وأشدّها - تمحوه التوبة إلى الله ويقبل من صاحبه الخروج منه، والدخول في باب التوبة، فكيف بما دونه من المعاصي التي من جملتها القتل عمداً، لكن لا بد في توبة قاتل العمد من الاعتراف بالقتل، وتسليم نفسه للقصاص إن كان واجباً. أو تسليم الدية إن لم يكن القصاص واجباً، وكان القاتل غنياً متمسكاً من تسليمها أو بعضها. وأما مجرد التوبة من القاتل عمداً، وعزمه على أن لا يعود إلى قتل أحد من دون اعتراف ولا تسليم نفس، فنحن لا نقطع بقبولها، والله أرحم الراحمين هو الذي يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون.

(٢) رواه البزار والطبراني في «الكبير» والدارقطني في «الأفراد» قال الهيثمي في «معجم الزوائد» ٨/٧: وإسناده جيد. وقد روى البخاري ١٢٧/٢ شرح الفتح بعضه مختصراً تعليقاً، فقال الحافظ: وهذا التعليق وصله البزار والدارقطني في «الأفراد» والطبراني في «الكبير» من رواية أبي بكر بن علي بن عطاء بن مقدم والد محمد بن أبي بكر المقدمي عن حبيب وذكر الحديث بطوله - ثم قال: قال الدارقطني: تغرد به حبيب وتفرد به أبو بكر عنه. قلت: أي الحافظ ابن حجر - قد تابع أبا بكر سفيان الثوري، لكنه أرسله. أخرجه ابن أبي شيبة عن وكيع عنه، وأخرجه الطبري من طريق أبي إسحاق الفزاري عن الثوري كذلك.



الآية. رواه عكرمة، عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثالث: أن قوماً من أهل مكة سمعوا بسرية لرسول الله ﷺ أنها تُريدُهم فهربوا، وأقام رجل منهم كان قد أسلم، يقال له: مرداس، وكان على السرية رجل، يقال له: غالب بن فضالة، فلما رأى مرداس الخيل، كبر ونزل إليهم، فسلم عليهم، فقتله أسامة بن زيد، واستاق غنمه، ورجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه، فوجد رسول الله ﷺ من ذلك وجداً شديداً، ونزلت هذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وقال السدي: كان أسامة أمير السرية. والرابع: أن رسول الله بعث أبا حذرد الأسلمي، وأبا قتادة، ومحلّم بن جثامة في سرية إلى إضم<sup>(٣)</sup>، فلقوا عامر بن الأضبط الأشجعي، فحيّاهم بتحية الإسلام، فحمل عليه محلّم بن جثامة فقتله، وسلبه بغيراً وسقاء. فلما قدموا على النبي ﷺ أخبروه، فقال: «أُقتلته بعد ما قال آمنت؟!». ونزلت هذه الآية. رواه ابن أبي حذرد، عن أبيه<sup>(٤)</sup>. فأما التفسير، فقوله: «إِذَا ضَرَجْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أي: سرتهم وغزوتهم. وقوله: «فَتَيَّيَرُوا» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «فَتَيَّيَرُوا» بالنون من التبيين للامر قبل الإقدام عليه. وقرأ حمزة، والكسائي وخلف (فتشيتوا) بالثاء من الثبات وترك الاستعجال، وكذلك قروا في (الحجرات).

قوله تعالى: «لَئِنْ آتَيْنَا لِيُكَلِّمَنَّكُمْ أَلْسِنَتَهُمُ» قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر، وحفص عن عاصم، والكسائي: «السلام» بالألف مع فتح السين. قال الزجاج: يجوز أن يكون بمعنى التسليم، ويجوز أن يكون بمعنى الاستسلام. وقرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، وخلف، وجبلة عن المفضل عن عاصم: «السلم» بفتح السين واللام من غير ألف، وهو من الاستسلام. وقرأ أبان بن يزيد عن عاصم: بكسر السين وإسكان اللام من غير ألف. «والسلم»: الصلح. وقرأ الجمهور: «لَئِنْ آتَيْنَا لِيُكَلِّمَنَّكُمْ» بكسر الميم، وقرأ علي، وابن عباس، وعكرمة، وأبو العالية، ويحيى بن يعمر، وأبو جعفر: بفتح الميم من الأمان.

قوله تعالى: «تَبْتَغُونَ عَرَصَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا» و«عرضها»: ما فيها من مال، قل أو كثر. قال المفسرون: والمراد به: ما غنموه من الرجل الذي قتله.  
قوله تعالى: «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمٍ يَكُونُ فِيهِ قولان: أحدهما: أنه ثواب الجنة، قاله مقاتل. والثاني: أنها أبواب الرزق في الدنيا، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: «كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: كذلك كنتم تأمنون من قومكم المؤمنين بهذه الكلمة، فلا تُخيفوا من قالها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: كذلك كنتم تُخفون إيمانكم بمكة كما كان هذا يخفي إيمانه، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثالث: كذلك كنتم من قبل مشركين، قاله مسروق، وقاتدة، وابن زيد.

قوله تعالى: «فَرَجَّ اللَّهُ عَلَيْهِمُ» في الذي مَنَ به أربعة أقوال: أحدها: الهجرة، قاله ابن عباس. والثاني: إعلان الإيمان، قاله سعيد بن جبيرة. والثالث: الإسلام، قاله قاتدة، ومسروق. والرابع: التوبة على الذي قتل ذلك الرجل، قاله السدي.

قوله تعالى: «فَتَيَّيَرُوا» تأكيد للاول.

«لَا يَسْتَوِي الْقَاتِلُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عِدَّ أُولَى الْأَنْفَرِ وَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْمُرُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاتِلِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْمُسْتَفِيءَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاتِلِينَ أَجْرًا عَظِيمًا» ﴿١٥﴾

قوله تعالى: «لَا يَسْتَوِي الْقَاتِلُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» قال أبو سليمان الدمشقي: نزلت هذه الآية من أجل قوم كانوا إذا

(١) «المسنَد»، والترمذي ٩٠/٤، والحاكم: ٢٤٥/٢ من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، ورواه بمعناه البخاري ١٩٤/٨، ومسلم ٢٣١٩/٤ من طريق سفيان عن عمرو، عن عطاء عن ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن جرير ٧٦/٩ عن أبي صالح، واسم الذي على رأس السرية عنده «غليب»، وانظر الاختلاف في اسمه «غليب» أو «غلبت» في «الإصابة».

(٣) إضم: واد يشق الحجاز حتى يفرغ في البحر، من عند المدينة، وهو واد لأشجع وجهية.

(٤) «المسنَد»، ١١/٦، وابن جرير ٧٣/٩، وذكره الهيثمي في «المجموع»، ٨/٧، وقال: رواه أحمد والطبراني ورجالهم ثقات. قلت: وفي سند أحمد القعقاع بن عبد الله بن أبي حذرد، أورده الحافظ ابن حجر في «تكميل الحفظة»، ونقل عن البخاري أن له صحة ولا تصح، ولم يذكر عن أحد توثيقه.

حضرت غزاة يستأذنون في القعود. وقال زيد بن ثابت: إني لقاعد إلى جنب رسول الله ﷺ إذ غشيت السكينة، ثم سُرِّي عنه، فقال: «اكتب» (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون) الآية، فقام ابن أم مكتوم، فقال: يا رسول الله، فكيف بمن لا يستطيع الجهاد؟ فوالله ما قضى كلامه حتى غشيت رسول الله السكينة، ثم سُرِّي عنه، فقال: «اقرأ» فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون، فقال النبي ﷺ: «غَيْرَ أُولَى الضَّرَرِ» فالحققتها<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: «لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ» يعني عن الجهاد، والمعنى: أن المجاهد أفضل. قال ابن عباس: وأريد بهذا الجهاد غزوة بدر<sup>(٢)</sup>. وقال مقاتل: غزاة تبوك.

قوله تعالى: «غَيْرَ أُولَى الضَّرَرِ» قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة: (غير) برفع الراء، وقرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، وخلف، والمفضل: بنصبها. قال أبو علي: من رفع الراء، جعل «غير» صفة للقاعدين، ومن نصبها، جعلها استثناء من القاعدين. وفي «الضرر» قولان: أحدهما: أنه العجز بالزمانة والمرض، ونحوهما. قال ابن عباس: هم قوم كانت تحبسهم عن الغزاة أمراض وأوجاع. وقال ابن جبير، وابن قتبية: هم أولو الزمانة. وقال الزجاج: الضرر: أن يكون ضريراً أو أعمى أو زماً. والثاني: أنه العذر، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

قوله تعالى: «وَقَدْ كَفَرَ اللَّهُ لِلْجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَائِدِينَ دَرَجَةً» في هؤلاء القاعدين قولان: أحدهما: أنهم القاعدون بالضرر، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: القاعدون من غير ضرر، قاله أبو سليمان الدمشقي. قال ابن جبير: والدرجة: الفضيلة. فأما الحسنی فهي الجنة في قول الجماعة.

قوله تعالى: «وَقَدْ كَفَرَ اللَّهُ لِلْجَاهِدِينَ عَلَى الْقَائِدِينَ» قال ابن عباس: القاعدون هاهنا: غير أولي الضرر، وقال سعيد بن جبير: هم الذين لا عذر لهم.

﴿دَرَجَاتٍ يَنْتَهِ وَيَنْتَهِ وَنُفُورًا وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

قوله تعالى: «دَرَجَاتٍ يَنْتَهِ» قال الزجاج: درجات في موضع نصب بدلاً من قوله: «أَجراً عظيماً»، وهو مفسر للأجر. وفي المراد بالدرجات قولان: أحدهما: أنها درجات الجنة، قل ابن محيريز: الدرجات: سبعون درجة ما بين كل درجتين حُضِرَ الفرس الجواد المضمر سبعين سنة<sup>(٣)</sup>، وإلى نحوه ذهب مقاتل. والثاني: أن معنى الدرجات: الفضائل، قاله سعيد بن جبير<sup>(٤)</sup>. قال قتادة: كان يقال: الإسلام درجة، والهجرة في الإسلام درجة، والجهاد في الهجرة درجة، والقتل في الجهاد درجة. وقال ابن زيد: الدرجات: هي السبع التي ذكرها الله تعالى في براءة حين قال: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظُلْمٌ...» إلى قوله: «وَلَا يَنْظُرُونَ وَادِياً إِلَّا كُنَّ كُنُفٌ...» [التوبة: ١٢٠، ١٢١]. فإن قيل: ما الحكمة في أن الله تعالى ذكر في أول الكلام درجة، وفي آخره درجات؟ فنه جوابان: أحدهما: أن الدرجة الأولى تفضيل المجاهدين على القاعدين من أولي الضرر منزلة. والدرجات: تفضيل المجاهدين على القاعدين من غير أولي الضرر منازل كثيرة، وهذا معنى قول ابن عباس. والثاني: أن الدرجة الأولى درجة المدح والتعظيم، والدرجات: منازل الجنة، ذكره القاضي أبو يعلى.

(١) «المسند» ١٨٤/٥، والبخاري ١٩٥/٨، وأبو داود ١٧/٣، والترمذي ٩٢/٤، والنسائي ٩/٦، ولفظه عند البخاري عن ابن شهاب قال: حدثني سهل بن سعد الساعدي أنه رأى مروان بن الحكم في المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أن النبي ﷺ أُملى عليه «لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْقَائِدِينَ وَالْجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» فجاء ابن أم مكتوم وهو يحملها علي قال: يا رسول الله والله لو أستطيع الجهاد معك لجهادتك، وكان أعمى، فأنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فنقلت حلي حتى خفت أن ترض فخذي، ثم سُرِّي عنه، فأنزل الله «غَيْرَ أُولَى الضَّرَرِ». وحملها - يضم أوله وكسر الميم وتشديد اللام - هو مثل حملها. والرض: الدق. وسري: كشف. ودوى البخاري عن البراء، قال: لما نزلت «لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْقَائِدِينَ» دعا رسول الله ﷺ زيداً فكتبها، فجاء ابن أم مكتوم، فشكا غرابته، فأنزل الله «غَيْرَ أُولَى الضَّرَرِ».

(٢) «البخاري» ١٩٧/٨.

(٣) حضر الفرس: ارتقاه في عدوه، يقال: أحضر الفرس يحضر إحضاراً: عدا عدواً شديداً. والفرس المضمر: هو الذي أعد إعداداً للسياق والركض.

(٤) روى البخاري ٩/٦، ٣٤٩/١٣ عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن في الجنة مائة درجة أهلتها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض» وروى مسلم ١٥٠١/٣ عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «يا أيها سعيد من رضي بالله رياءً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، ورجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد، فقال: أعدنا حلي يا رسول الله ففعل، ثم قال: «والغرض يرفع بها العبد مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله».

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْكُفْرَ ظَالِمِينَ﴾ قَالَوا قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَبِعَمَّةٍ فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَوِيرًا ﴿٩٧﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْكُفْرَ ظَالِمِينَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن أناساً كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام، فلما خرج النبي ﷺ إلى بدر لم تدع قريش أحداً إلا أخرجوه معهم، فقتل أولئك الذين أقروا بالإسلام، فنزلت فيهم هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وقال قتادة: نزلت في أناس تكلموا بالإسلام، فخرجوا مع أبي جهل، فقتلوا يوم بدر، واعتنوا بغير عذر، فأبى الله أن يقبل منهم. والثاني: أن قوماً نافقوا يوم بدر، وارتابوا، وقالوا: غير هؤلاء دينهم وأقاموا مع المشركين حتى قتلوا، فنزلت فيهم هذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنها نزلت في قوم تخلفوا عن رسول الله ﷺ، ولم يخرجوا معه، فمن مات منهم قيل أن يلحق بالنبي، ضربت الملائكة وجهه ودبره، رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وفي «التوفي» قولان: أحدهما: أنه قبض الأرواح بالموت، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: الحشر إلى النار، قاله الحسن. قال مقاتل: والمراد بالملائكة ملك الموت وحده. وقال في موضع آخر: ملك الموت وأعداؤه، وهم ستة، ثلاثة يُلون أرواح المؤمنين، وثلاثة يُلون أرواح الكفار. قال الزجاج: ﴿ظَالِمِينَ﴾ نصب على الحال، والمعنى: تتوفاهم في حال ظلمهم أنفسهم، والأصل: ظالمين، لأن النون حذفت استخفافاً. فاما ظلمهم لأنفسهم، فيحتمل على ما ذكر في قصتهم أربعة أقوال: أحدها: أنه ترك الهجرة، والثاني: رجوعهم إلى الكفر، والثالث: الشك بعد اليقين. والرابع: إغاة المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ كُنْتُمْ﴾ قال الزجاج: هو سؤال توبيخ، والمعنى: كنتم في المشركين أو في المسلمين.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ قال مقاتل: كنا مقهورين في أرض مكة، لا نستطيع أن نذكر الإيمان، قالت الملائكة: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَبِعَمَّةٍ﴾ يعني المدينة ﴿فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ يعني: إليها. وقول الملائكة لهم يدل على أنهم كانوا يستطيعون الهجرة.

﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَمُوءَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا عَفُورًا ﴿٩٩﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ﴾ سبب نزولها: أن المسلمين قالوا في حق المستضعفين من المسلمين بمكة: هؤلاء بمنزلة الذين قتلوا ببدر، فنزلت هذه الآية. قاله مجاهد. قال الزجاج: «المستضعفين» نصب على الاستثناء من قوله: ﴿مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ قال أبو سليمان: «المستضعفون»: ذوو الأسنان، والنساء، والصبيان.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ أي: لا يقدرون على حيلة في الخروج من مكة، ولا على نفقة، ولا قوّة. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ قولان: أحدهما: أنهم لا يعرفون الطريق إلى المدينة، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد. والثاني: أنهم لا يعرفون طريقاً يتوجهون إليه، فإن خرجوا هلكوا، قاله ابن زيد. وفي «عسى» قولان: أحدهما: أنها بمعنى الإيجاب، قاله الحسن. والثاني: أنها بمعنى الترجي. فالمعنى: أنهم يرجون العفو، قاله الزجاج.

(١) أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «سننه» عن ابن عباس قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرموا، فاستغفروا لهم، فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْكُفْرَ ظَالِمِينَ﴾ الآية. قال: فكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين بهذه الآية: لا عذر لهم، قال: فخرجوا، فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة فنزلت فيهم ﴿وَمَنْ أَتَاكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ بِكُلِّ بَأْسٍ يَنْفَعُكَ مِنْهُ فَأَخْرِجْهُ عَنْ مَكَانِهِ﴾ الآية (المنكوت: ١٠) فكتب المسلمون إليهم بذلك، فحزنوا وأيسوا من كل خير، ثم نزل فيهم ﴿فَإِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ يَوْمَ تُرْفَعُ أَرْسُلُهُمْ وَهُمْ فِي عُرْسٍ مُبَارَكَةٍ﴾ الآية (النحل: ١١٠) فكتبوا إليهم بذلك: «إن الله قد جعل لكم مخرجاً» فخرجوا فأدبرهم المشركون، فقاتلوهم حتى نجا من نجا، وقتل من قتل. وإسناده صحيح، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/١٠٧، وقال: رواه البزار، ورجال رجال الصحيح غير محمد بن شريك وهو ثقة. وقوله «فأعطوهم الفتنة» أي: كفروا بعد إسلامهم. وفي البخاري ١٩٧/٨ سبب آخر لهذه الآية عن محمد بن عبد الرحمن أبي الأسود، قال: قطع على أهل المدينة بئس، فاكثرت فيه، فلبقت عكرمة مولى ابن عباس، فأخبرته فنهاني عن ذلك أشد النهي، ثم قال: أخبرني ابن عباس أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكتفون سواد المشركين على رسول الله ﷺ يأتي السهم يوم به، فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل، فانزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْكُفْرَ ظَالِمِينَ﴾.

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٠٠)

قوله تعالى: ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ قال سعيد بن جبير، ومجاهد: متزحزحاً عما يكره. وقال ابن قتبية: المراعيم والمهاجر: واحد، يقال: راغمت وهاجرت، وأصله: أن الرجل كان إذا أسلم، خرج عن قومه مُراعِماً، أي: مغاضباً لهم، ومهاجراً، أي: مقاطعاً من الهجران، فليل للذهب: مراغم، وللمصير إلى النبي ﷺ هجرة، لأنها كانت بهجرة الرجل قومه. [قال الجعدي: عزيز المراعيم والمذهب] (١). وفي السعة قولان: أحدهما: أنها السعة في الرزق، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: التمكن من إظهار الدين، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ اتفقوا على أنه نزل في رجل خرج مهاجراً، فمات في الطريق، واختلفوا فيه على ستة أقوال: أحدها: أنه ضمرة بن العيص، وكان ضريباً موبراً، فقال: احملوني فحمل وهو مريض، فمات عند التنعيم (٢)، فنزل فيه هذا الكلام، رواه سعيد بن جبير (٣). والثاني: أنه العيص بن ضمرة بن زبناخ الخزاعي أمر أهله أن يحملوه على سريه، فلما بلغ التنعيم مات، فنزلت فيه هذه الآية، رواه أبو بشر عن سعيد ابن جبير. والثالث: أنه ابن ضمرة الجندعي مرض، فقال لبيته: أخرجوني من مكة، فقد قتلني غمها، فقالوا: أين؟ فأوماً بيده نحو المدينة، يريد الهجرة، فخرجوا به فمات في الطريق، فنزل فيه هذا، ذكره ابن إسحاق. وقال مقاتل: هو جندب بن ضمرة. والرابع: أن اسمه سبرة، فلما نزل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ فَلَا جِزَاءَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُعْرَبُونَ﴾ (٤) إلى قوله ﴿مُرْعًا كَثِيرًا﴾ قال لأهله وهو مريض: احملوني، فإني موبر، ولي من المال ما يُلغني إلى المدينة، فلما جاوز الحرم، مات. فنزل فيه هذا، قاله قتادة. والخامس: أنه رجل من بني كنانة هاجر، فمات في الطريق، فسخر منه قومه، فقالوا: لا هو بلغ ما يريد، ولا أقام في أهله حتى يدفن، فنزل فيه هذا، قاله ابن زيد. والسادس: أنه خالد بن حزام أخو حكيم بن حزام، خرج مهاجراً، فمات في الطريق، ذكره الزبير بن بكار، وقوله: «وقع» معنا: وجب.

﴿وَلَا تَرْتَمُوا فِي الْأَرْضِ فَنَنْسِيَكُمْ عَنْهُ أَنْ تُصَلُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ كَرُّوا إِلَى اللَّهِ يَنْسِيَكُمْ أَلَيْسَ لَكَ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (١٠١)

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَمُوا فِي الْأَرْضِ فَنَنْسِيَكُمْ عَنْهُ أَنْ تُصَلُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ روى مجاهد عن أبي عياش الزُّرقي قال: كنا مع رسول الله ﷺ ببغسفان (٥)، وعلى المشركين خالد بن الوليد، [قال: فصلينا الظهر، فقال المشركون: لقد أصبنا غرة، لو كنا حملنا عليهم وهم في الصلاة، فنزلت آية القصر فيما بين الظهر والعصر] (٥). والضرب في الأرض: السفر،

(١) ما بين معنيين من تمام كلام ابن قتبية في «غريب القرآن» ١٣٥. وصدر البيت «كطود يلاذ بأركانه» وهو في «ديوانه» ٣٣، و«مجاز القرآن» ١٣٨/١، و«الطبري» ١١٢/٩، و«اللسان» و«التاج» مادة رغم، والطود: الجبل العظيم المنيف. يلاذ: يتحصن، والمراحم: المضطرب في البلاد والمذهب.

(٢) التنعيم: موضع في الحل بين مَرْ وسَرْ، بينه وبين مكة فرسفان، ومن التنعيم يحرم من أراد العمرة من أهل مكة.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير ١١٤/٩، والبيهقي في «سننه» ١٤/٩ عن سعيد بن جبير. وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس، قال: خرج ضمرة بن جندب إلى رسول الله ﷺ فمات في الطريق قبل أن يصل إلى رسول الله ﷺ، فنزلت ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية. وفي إسناده أشعث بن سوار، وهو ضعيف. ورواه ابن جرير ١١٨/٩ بنحوه بإسناد آخر، وفيه شريك بن عبد الله القاضي، وهو صدوق يخطئ كثيراً، وذكره الهيثمي في «الزوائد» ١٠/٧، وقال: رواه أبو يعلى، ورجاله ثقات، ونسبه السيوطي في «الدر المنثور» ٢٠٧/٢ لأبي يعلى وابن أبي حاتم والطبراني بسند رجاله ثقات، ثم لاين جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من وجه آخر.

(٤) صفان: على مرحلتين من مكة.

(٥) هو قطعة من حديث طويل أخرجه الطبري: ١٣١/٩، وأحمد في «المسند» ٩٥/٤، وأبو داود ١٦/٢، والنسائي ١٧٧/٣، والحاكم في «المستدرک» ٣٣٧/١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه البيهقي، وقال الحافظ ابن كثير في: «تفسيره»: وإسناده صحيح، وله شواهد كثيرة، ولفظه بتسامه: عن أبي عياش الزُّرقي، قال: كنا مع رسول الله ﷺ ببغسفان، وعلى المشركين خالد بن الوليد، فصلينا الظهر، فقال المشركون: لقد أصبنا غرة، لقد أصبنا غفلة لو كنا حملنا عليهم وهم في الصلاة، فنزلت آية القصر بين الظهر والعصر، فلما حضرت العصر، قام رسول الله ﷺ مستقبل القبلة، والمشركون أمامه، فصلى خلف رسول الله ﷺ صف، وصف بعد ذلك الصف صف آخر، فركع رسول الله ﷺ، وركعوا جميعاً، ثم سجد، وسجد الصف الذين يلونه، وقام الآخرون يحرسونهم، فلما صلى هؤلاء السجدتين وقاموا، سجد الآخرون الذين كانوا خلفهم، ثم تأخر الصف الذي يليه إلى مقام الآخرين، وتقدم الصف الأخير إلى مقام الصف الأول، ثم ركع رسول الله ﷺ وركعوا جميعاً، ثم سجد وسجد الصف الذي يليه، وقام الآخرون يحرسونهم، فلما جلس رسول الله ﷺ والصف الذي يليه، سجد الآخرون، ثم جلسوا جميعاً، فسلم عليهم جميعاً، فصلّاها ببغسفان، وصلّاها يوم بني سليم. هذا لفظ أبي داود.



صلّوا الظهر، ندموا إذ لم يكبوا عليهم، فقال بعضهم لبعض: دعوهم فإن لهم صلاة هي أحب إليهم من آبايهم وأبنائهم، يعتون العصر، فإذا قاموا فشدوا عليهم، فلما قاموا إلى صلاة العصر، نزل جبريل بهذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ، ولا يدل على أن الحكم مقصورٌ عليه، فهو كقوله ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣] وقال أبو يوسف: لا تجزئ صلاة الخوف بعد النبي ﷺ. والهاء والميم من «فيهم» تعودُ على الضارين في الأرض.

قوله تعالى: ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ أي: ابتدأتها، «فَلَنَقُومَنَّ مَعَكُمْ وَنُنِيبُ إِلَيْكُمْ» أي: لتقف. ومثله ﴿وَإِذَا أَطْمَ عَيْنُهُمْ قَامُوا﴾ [البقرة: ٢٠]. «وَلْيَأْخُذُوا بِأَمْرِهِمْ» فيهم قولان: أحدهما: أنهم الباقون، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم المصلون معه، ذكره ابن جرير. قال: وهذا السلاح كالسيف، يتقلده الإنسان، والخنجر يشده إلى ذراعه.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ يعني المصلين معه «فَلْيَكُونُوا» في المشار إليهم قولان: أحدهما: هم الطائفة التي لم تصل، أمرت أن تحرس الطائفة المصلية، وهذا معنى قول ابن عباس. والثاني: أنهم المصلون معه أمروا إذا سجدوا أن ينصرفوا إلى الخرس. واختلف العلماء كيف ينصرفون بعد السجود، فقال قوم: إذا أتموا مع الإمام ركعةً أتموا لأنفسهم ركعةً، ثم سلموا، وانصرفوا، وقد تمت صلاتهم. وقال آخرون: ينصرفون عن ركعة، واختلف هؤلاء، فقال بعضهم: إذا صلوا مع الإمام ركعة وسلموا، فهي تجزئهم. وقال آخرون منهم أبو حنيفة: بل ينصرفون عن تلك الركعة إلى الخرس وهم على صلاتهم، فيكونون في وجه العدو مكان الطائفة الأخرى التي لم تصل، وتأتي تلك الطائفة. واختلفوا في الطائفة الأخرى، فقال قوم: إذا صلى بهم الإمام أطال التشهد حتى يقضوا الركعة الفائتة، ثم يسلم بهم، وقال آخرون: بل يسلم هو عند فراغه من الصلاة بهم، فإذا سلم قضوا ما فاتهم. وقال آخرون: بل يصلي بالطائفة الثانية ركعة ويسلم هو، ولا تسلم هي، بل ترجع إلى وجه العدو، ثم تجيء الأولى، فتقضي ما بقي من صلاتها وتسلم، وتمضي وتجيء الأخرى، فتم صلاتها، وهذا مذهب أبي حنيفة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد الذين صلوا أولاً. وقال الزجاج: يجوز أن يريد به الذين وجاه العدو، لأن المصلي غير مقاتل، ويجوز أن يكون الجماعة أمروا بحمل السلاح، لأنه أربح للعدو، وأحرى أن لا يقدموا عليهم. والجناح: الإثم، وهو من: جنحت: إذا عدلت عن المكان، وأخذت جانباً عن القصد. والمعنى: أنكم إذا وضعت أسلحتكم، لم تعدلوا عن الحق.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ يَكُمُ آذَى مِنْ مَطَرٍ﴾ قال ابن عباس: رخص لهم في وضع الأسلحة لثقلها على المريض وفي المطر، وقال: وخذوا حذرکم كي لا يتفكروکم.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِزًّا وَفُؤَادًا وَغَلَّ جُؤُودِكُمْ فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ يعني صلاة الخوف، وقضيتهم بمعنى: فرغتم.

(١) في «المعني» ٢/٢٦٨: ويجوز أن يصلي صلاة الخوف على كل صفة صلاها رسول الله ﷺ، قال أحمد: كل حديث يروى في أبواب صلاة الخوف، فالعمل به جائز، وقال: ستة أوجه أو سبعة يروى فيها كلها جائز، وقال الأثرم: قلت لأبي عبد الله: تقول بالأحاديث كلها، كل حديث في موضعه، أو تختار واحداً منها؟ قال: أنا أقول: من ذهب إليها كلها فحسن، وأما حديث سهل، فأنا أختاره. قلت: وحديث سهل الذي اختاره الإمام أحمد رواه الجماعة ولفظه عند مسلم ٥٧٥/١: عن صالح بن خوات بن جبير عن سهل بن أبي حنيفة أن رسول الله ﷺ صلى بأصحابه في الخوف، فصنّفهم خلفه صفين، فصلى بالذين يلونه ركعة، ثم قام، فلم يزل قائماً حتى صلى الذين خلفهم ركعة، ثم تقدموا وتأخر الذين كانوا قدامهم فصلى بهم ركعة، ثم قعد حتى صلى الذين تخلفوا ركعة، ثم سلم. وقال الحافظ في «التلخيص» ص ١٤١: رويت صلاة الخوف عن النبي ﷺ على أربعة عشر نوعاً ذكرها ابن حزم في جزء مفرد، وبعضها في «صحيح مسلم» ومعظمها في «سنن أبي داود». وذكر الحاكم منها ثمانية أنواع، وذكر ابن حبان تسعة، وقال: ليس بينها تضاد، ولكنه ﷺ صلى صلاة الخوف مراراً، والمرء سبحانه له أن يصلي ما شاء عند الخوف من هذه الأنواع، وهي من الاختلاف المباح. ونقل ابن الجوزي عن أحمد أنه قال: ما أعلم في هذا الباب حديثاً إلا صحيحاً.

قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ في هذا الذكر قولان: أحدهما: أنه الذكر لله في غير الصلاة، وهذا قول ابن عباس، والجمهور قالوا: وهو التسييح، والتكبير، والدعاء، والشكر. والثاني: أنه الصلاة، فيكون المعنى: فصلوا قياماً، فإن لم تستطيعوا فقعوداً، فإن لم تستطيعوا فعلى جنوبكم، هذا قول ابن مسعود. وفي المراد بالطمأنينة قولان: أحدهما: أنه الرجوع إلى الوطن عن السفر، وهو قول الحسن، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه الأمن بعد الخوف، وهو قول السدي، والزجاج، وأبي سليمان الدمشقي. وفي إقامة الصلاة قولان: أحدهما: إتمامها، قاله مجاهد، وقتادة، والزجاج، وابن قتية. والثاني: أنه إقامة ركوعها وسجودها، وما يجب فيها مما قد يترك في حالة الخوف، هذا قول السدي.

قوله تعالى: ﴿كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا تَوْفِيقًا﴾ أي: فرضاً. وفي «الموقت» قولان: أحدهما: أنه بمعنى المفروض، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي، وابن زيد. والثاني: أنه الموقت في أوقات معلومة، وهو قول ابن مسعود، وقتادة، وزيد بن أسلم، وابن قتية.

﴿وَلَا تَهَيُّوْا فِي آيَةِ الْقُوَىٰ إِنَّ تَكُوْنُوْا تَأْمِنُوْنَ فَإِنَّهُمْ يَأْمِنُوْنَ كَمَا تَأْمِنُوْنَ وَيَرْجُوْنَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُوْنَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيْمًا حَكِيْمًا ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهَيُّوْا فِي آيَةِ الْقُوَىٰ﴾ قال أهل التفسير: سبب نزولها: أن النبي ﷺ أمر أصحابه لما انصرفوا من أحد أن يسيروا في أثر أبي سفيان وأصحابه، فشكوا ما بهم من الجراحات، فنزلت هذه الآية. قال الزجاج: ومعنى «تهنوا»: تضعفوا، يقال: وَهَنَ يَهْنُ: إِذَا ضَعُفَ، وكلُّ ضَعْفٍ فَهْرٌ وَهْنٌ. وابتغى القوم: طلبهم بالحرب. و«القوم» هاهنا: الكفار ﴿إِنْ تَكُوْنُوْا تَأْمِنُوْنَ﴾ أي: توجعون، فإنهم يجدون من الوجود بما ينالهم من الجراح والتعب، كما تجدون، وأنتم مع ذلك ترجون ما لا يرجون. وفي هذا الرجاء قولان: أحدهما: أنه الأمل، قاله مقاتل. قال الزجاج: وهو إجماع أهل اللغة الموثوق بعلمهم. والثاني: أنه الخوف، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال الفراء: ولم يوجد الخوف بمعنى الرجاء إلا ومعه جحد، [فإذا كان كذلك كان الخوف على جهة الرجاء والخوف، وكان الرجاء كذلك] كقوله: ﴿تَا كُوْرًا لَا رَجُوْنَ لِلَّهِ وَكَأَنَّ﴾ [نوح: ١٣] وقوله: ﴿لَا يَرْجُوْنَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الجن: ١٤] قال الشاعر:

لا ترجي حين تلاقي الذائدا  
وقال الهذلي:

إذا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسَعَهَا  
ولا يجوز رجوتك وأنت تريد خفتك، ولا خفتك وأنت تريد رجوتك<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: وإنما اشتمل الرجاء على معنى الخوف، لأنه أمل قد يخاف أن لا يتم، فعلى القول الأول يكون المعنى: ترجون النصر وإظهار دينكم والجنة. وعلى الثاني: تخافون من عذاب الله ما لا يخافون.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ الْقَائِمِ بِآيَاتِ اللَّهِ وَلَا تَكُنَ لِلْمُخَلَّفِينَ حَاسِمًا ﴿١٠٥﴾﴾  
قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن طلعة بن أبيرق سرق درعاً لقتادة بن النعمان، وكان الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق يَنْشِيرُ من خرق في الجراب، حتى انتهى إلى الدار،

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢٨٦/١، و«الأضداد» لابن الأثير ص ١١، و«اللسان»: مادة رجا، من غير نسبة. و«الذائد»: من ذاد الإبل: إذا طردها وساقها ودفعها.

(٢) «فهرش أشعار الهذليين» ١٤٤/١، و«معاني القرآن» ٢٨٦/١، و«الطبري» ١٧٤/٩. وهذا البيت لأبي ذؤيب من قصيدة له، وصف فيها مشتار العسل من بيوت النحل، فقال قبل هذا البيت:

فَلَوْ كَانَ حَبْلٌ مِنْ ثَمَانِينَ نَامَةً  
تُدَلِّي عَلَيْهَا بِالْحَبَالِ مُرْتَقَاً  
وقوله: لم يرج لسعها: أي: لم يخف ولم ينالها. وقوله: خالفها: أي دخل بيت النحل ليأخذ عسلها وقد خرجت إليه حين سمعت حسه فخالفها إلى بيوت عسلها غير هياب للسعها. ويروى «وخالفها» بالحاء، أي لازمها. والنوب: جمع نائب: وهو صفة للنحل أي: أنها ترضى ثم تنوب إلى بيتها لتضع عسلها، تهجى وتذهب. والعوامل: التي تعمل العسل، ويروى «العوامل» أي ذوات العسل.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢٨٦/١، وما بين معقنين منه.

ثم خياها عند رجل من اليهود، فالتصمت الدرع عند طعمة، فلم توجد عنده، وحلف: مالي بها علم، فقال أصحابها: بلى والله، لقد دخل علينا فأخذها، وطلبنا أثره حتى دخل داره، فرأينا أثر الدقيق، فلما حلف تركوه، واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي فأخذوه، فقال: دفعها إلي طعمة، فقال قوم طعمة: انطلقوا إلى رسول الله ﷺ وليجادل عن صاحبنا فإنه بريء، فأتوه فكلّموه في ذلك، فهم أن يفعل، وأن يعاقب اليهودي، فنزلت هذه الآيات كلها. رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن رجلاً من اليهود، استودع طعمة بن أبيرق درعاً، فخانها، فلما خاف اطلاعهم عليها، ألقاها في دار أبي مُليل الأنصاري، فجادل قوم طعمة عنه، وأتوا النبي ﷺ فسألوه أن يبرئه، ويكذب اليهودي، فنزلت الآيات، هذا قول السدي، ومقاتل. والثالث: أن مشربة رفاعة بن زيد نُقبت، وأخذ طعامه وسلاحه، فأتهم به بنو أبيرق، وكانوا ثلاثة؛ بشير، ومبشر، وبشر، فذهب قتادة بن النعمان إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أهل بيت منّا فيهم جفاء نقبوا مشربة<sup>(٢)</sup> لعتي رفاعة بن زيد، وأخذوا سلاحه، وطعامه، فقال: انظر في ذلك، فذهب قوم من قوم بني أبيرق إلى النبي ﷺ، فقالوا: إن قتادة بن النعمان، وعمّه، عمدوا إلى أهل بيت منّا يرمونهم بالسرقه وهم أهل بيت إسلام وصلاح، فقال النبي لقتادة: «رميتهم بالسرقه على غير بينة!» فنزلت هذه الآيات. قاله قتادة بن النعمان<sup>(٣)</sup>. والكتاب: القرآن. والحق: الحكم بالعدل. «لِيَحْكُمَ بَيْنَ الْكَائِنِينَ»: أي لتقضي بينهم. وفي قوله: «يَا أَيُّهَا اللَّهُ» قولان: أحدهما: أنه الذي علّمه، والذي علّمه أن لا يقبل دعوى أحد على أحد إلا ببرهان. والثاني: أنه ما يؤدي إليه اجتهاده، ذكره الماوردي<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ حَصِيصًا﴾ قال الزجاج: لا تكن مخصصاً، ولا دافعاً عن خائن. واختلفوا هل خاصم عنه أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه قام خطيباً فعذره. رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه همّ بذلك ولم يفعله، قاله سعيد بن جبير، وفتادة. قال القاضي أبو يعلى: وهذه الآية تدلّ على أنه لا يجوز لأحد أن يخاصم عن غيره في إثبات حق أو نفيه، وهو غير عالم بحقيقة أمره، لأن الله تعالى عاتب نبيه على مثل ذلك.

﴿وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّكَ اللَّهُ كَاَنَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ﴾ في الذي أمر بالاستغفار منه قولان: أحدهما: أنه القيام بعذره. والثاني: أنه العزم على ذلك.

﴿وَلَا تَجِدُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَيَّامًا﴾ يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله يما يعملون محيطاً

(١) إسناده ضعيف جداً.

(٢) الجفاء: غلط الطبع، والمشرية، بفتح الميم وسكون الشين وفتح الراء أو ضمها: وهي الغرفة، أو العلية، أو الصفة بين الغرفة، والمشارب: الملاهي. هو قطعة من حديث طويل رواه الترمذي: ٩٣/٤، وابن جرير: ١٨١/٩، والحاكم: ٣٨٥/٤، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. قلت: وليس كما قال، ففي إسناده عمر بن قتادة بن النعمان الظفري الأنصاري المدني لم يخرج له مسلم، وهو مجهول، لم يوثقه غير ابن حبان، انظر تهذيب التهذيب ٤٨٩/٧.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٥٥٠/١: وقوله: «لِيَحْكُمَ بَيْنَ الْكَائِنِينَ يَأْتِي أَرْكَهُ اللَّهُ» احتج به من ذهب من علماء الأصول إلى أنه كان ﷺ له أن يحكم بالاجتهاد بهذه الآية، وما ثبت في «الصحاحين» عن أم سلمة: أن رسول الله ﷺ سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج إليهم فقال: «ألا إنما أنا بشر، وإنما أقضي بغيري مما أسمع، ولعل أحداكم أن يكون ألحن بحجتي من بعض فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار، فليحبلها أو ليلرها» وروى الإمام أحمد عن أم سلمة، قالت: جاء رجلا من الأنصار يختصمان إلى رسول الله ﷺ في موارث بينهما قد دزست، ليس عندهما بينة، فقال رسول الله ﷺ: «إنكم تختصمون إلي، وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجتي من بعض، وإنما أقضي بينكم على نحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها إسقاطاً في عتقه يوم القيامة» فبكى الرجلان، وقال كل منهما: حقي لأخي، فقال رسول الله ﷺ: «أما إذا قلتما فاذعبا فالتسما ثم توخيا الحق بينكما، ثم استهما، ثم ليحل كل واحد منهما صاحبه» وقد رواه أبو داود من حديث أسامة بن زيد به وزاد: «إني إنما أقضي بينكما برأي فيما لم ينزل علي فيه». قلت: الحديث الأول في البخاري ٧٧/٥، ٢٩٩/١٢، ١٣٩/١٣، ١٥١، وفي مسلم: ١٣٣٧/٣ وقد استوفى الحافظ رحمه الله في «الفتح» ١٥١/١٣ الكلام على هذا الحديث فانظره. والحديث الثاني رواه أحمد في «المسند» ٣٢٠/٦، وإسناده حسن، ورواه أبو داود: ٤١٠/٣ مختصراً. والإسقاط: بكسر الهمزة وسكون السين: الحديدة التي تحرك بها النار وتسمر. وفي «تفسير ابن كثير»: «الانتظام» وهو تحريف.



قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجِدُ عَنِ الْبَيْتِ يَمْتَتُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: يخونون أنفسهم، فيجعلونها خائنة بارتكاب الخيانة. قال عكرمة: والمراد بهم: طعمة بن أبيرق، وقومه الذين جادلوا عنه. وفي حديث العوفي عن ابن عباس قال: انطلق نفرٌ من عشيرة طعمة ليلاً إلى رسول الله ﷺ فقال: إن صاحبنا بريء. والاستخفاء: الاستتار، والمعنى: يستترون من الناس لئلا يظلموا على خيانتهم وكذبهم، ولا يسترون من الله، وهو معهم بالعلم. وكلُّ ما فُكر فيه، أو خيض فيه بليل، فقد بَيَّت. وجمهور العلماء على أن المشار إليه بالاستخفاء، والتبَيُّت، قوم طعمة. والذي يَبْتَوِي: احتياهم في براءة صاحبهم بالكذب. وقال الزجاج: هو السارق نفسه، والذي بَيَّت أنه قال: أرمي اليهودي بأنه سارق الدرع، وأحلف أني لم أسرقها، فتقبل يميني، ولا تقبل يمين اليهودي.

﴿هَكَأُنْتَ هَوَّلَاكَ جَدَلْتَهُ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّدُ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ قوله تعالى: ﴿هَكَأُنْتَ هَوَّلَاكَ جَدَلْتَهُ عَنْهُمْ﴾ قال الزجاج: «ها» للتنبية، وأعيدت في أوله. والمعنى: ها أنتم الذين جادلتم. والمجادلة، والجدال: شدة المخاصمة، والجدل: شدة الفتل. والكلام يعود إلى مَنْ احتج عن السارق. فأما قوله: «عنهم» فإنه عائد إلى السارق. و«عليهم» بمعنى «لهم». والوكيل: القائم بأمر مَنْ وكَّله، فكانه قال: من الذي يتوكل لهم منكم في خصومة ربهم؟

﴿وَمَنْ يَمْلِكُ سَوْءًا أَوْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرَ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهُ عَفْوَكَ رَحِيمًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَمْلِكُ سَوْءًا أَوْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرَ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهُ عَفْوَكَ رَحِيمًا﴾ اختلَفوا في نزولها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت خطاباً للسارق، وعَرْضاً للتوبة عليه. رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال ابن زيد، ومقاتل. والثاني: أنها للذين جادلوا عنه من قومه، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنه عني بها كل مسيء ومُذنب. ذكره أبو سليمان الدمشقي. وإطلاقها لا يمنع أن تكون نزلت على سبب. وفي هذا السوء ثلاثة أقوال: أحدها: أنه السرقة. والثاني: الشرك. والثالث: أنه كل ما يَأْثُم به. وفي هذا الظلم قولان: أحدهما: أنه رمي البريء بالثَّمة. والثاني: ما دون الشرك<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ أي: ومن يعمل ذنباً ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ يقول: ما يعود وباله عليه. قاله مقاتل، وهذه في طعمة أيضاً.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا بَرِيئًا فَقَدْ أَخْتَلَمَ بِهِنَّاءً وَإِنَّمَا مِثْلُهَا﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾ جمهور العلماء على أنها نزلت متعلقة بقصة طعمة بن أبيرق. وقد روى الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول إذ رمى عائشة ؓ بالإفك. وفي قوله: ﴿خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾ أربعة أقوال: أحدها: أن «الخطيئة» يمين السارق الكاذبة، و«الإثم»: سرقة الدرع، ورميه اليهودي، قاله ابن السائب. والثاني: أن «الخطيئة» ما يتعلق به من الذنب، و«الإثم»: قذف البريء، قاله مقاتل. والثالث: أن «الخطيئة» قد تقع عن عمد، وقد تقع عن خطأ، و«الإثم»: يختص العمد. قاله ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي. وذكر الزجاج أن الخطيئة نحو قتل الخطأ الذي يرتفع فيه الإثم. والرابع: أنه لما سَمَى الله ﷻ بعض المعاصي خطيئة، وبعضها إثمًا، أعلم أن من كسب ما يقع عليه أحد هذين الاسمين، ثم قذف به بريئاً، فقد احتمل بهتاناً، ذكره الزجاج أيضاً. فأما قوله: ﴿ثُمَّ يَرَوْهَا بَرِيئًا﴾ أي: يقذف بما جناه بريئاً منه. فإن قيل: الخطيئة والإثم اثنان، فكيف قال: «به» فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أنه أراد: ثم يرمي بهما، فاكفى بإعادة الذكر على الإثم من إعادته على الخطيئة، كقوله: ﴿انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ فخص التجارة، والمعنى للتجارة والتهور. والثاني: أن الهاء تعود على الكسب، فلما دلَّ بـ «يكسب» على الكسب، كنى عنه. والثالث:

(١) روى الإمام أحمد في «المسند» ١٧٤/١ عن علي ؓ قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً تعني الله بما شاء أن ينفعتني منه، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يظن ذنباً ثم يتوَضَّأُ ليعملَ رَكْعَتَيْنِ، ثم يستغفرُ تعالى للذنب إلا غفر له» وقرأ هاتين الآيتين: ﴿وَمَنْ يَمْلِكُ سَوْءًا أَوْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرَ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهُ عَفْوَكَ رَحِيمًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجُوءًا أَوْ غَلْظًا... أَنْفُسَهُمْ﴾ الآية (آل عمران: ١١٣) ورواه الترمذي: ٢٥٧/٢، وابن حبان في «صحيحه» وهو حديث حسن. وقد ذكر في «التلخيص» ٢٦٨/١ تحسينه عن ابن عدي.

أن الهاء راجعة على معنى الخطيئة والإثم، كأنه قال: ومَن يكسب ذنباً، ثم يرم به. ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري. والرابع: أن الهاء تعود على الإثم خاصة، قاله ابن جرير الطبري. وفي المراد بالبريء الذي قذفه هذا السارق قولان: أحدهما: أنه كان يهودياً، قاله ابن عباس، وعكرمة، وابن سيرين، وقتادة، وابن زيد، وسماه عكرمة، وقتادة، زيد بن السَّمِير<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه كان مسلماً، روي عن ابن عباس، وقتادة بن النعمان، والسدي، ومقاتل. واختلفوا في ذلك المسلم، فقال الضحاك عن ابن عباس: هو عائشة لما قذفها ابن أبي، وقال قتادة بن النعمان: هو ليبيد بن سهل. وقال السدي، ومقاتل: هو أبو مُلَيْل الأنصاري. فأما البهتان: فهو الكذب الذي يُحَيَّر من عَقْمه، يقال: بهت الرجل: إذا تحيَّر. قال ابن السائب: فقد احتمل بهتاناً برميه البريء، وإثماً مبيناً يمينه الكاذبة.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها متعلقة بقصة طعمة وقومه، حيث لبسوا على النبي ﷺ أمر صاحبهم، هذا قول ابن عباس من طريق ابن السائب. والثاني: وقد ثقیف قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: جتناك نبایعك على أن لا نُحشِر ولا نُعشِر، وعلى أن تمتعنا بالعزى سنة، فلم يجيبهم، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس في رواية الضحاك. وفي المراد بفضل الله ورحمته قولان: أحدهما: النبوة والمعصية. والثاني: الإسلام والقرآن، روي عن ابن عباس. قال مقاتل: لولا فضل الله عليك حيث بين لك أمر طعمة، وحولك بالقرآن عن تصديق الخائض، لهمت طائفة منهم أن يُضِلُّوكَ. قال الفراء: والمعنى: لقد همت. فإن قيل: كيف قال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ وقد همت بإضلاله؟ فالجواب: أنه لولا فضل الله عليك ورحمته، لظهر تأثير ما هموا به. فأما الطائفة، فعلي رواية ابن السائب عن ابن عباس: قوم طعمة، وعلى رواية الضحاك: وقد ثقیف. وفي الإضلال قولان: أحدهما: التخطئة في الحكم. والثاني: الاستزلال عن الحق. قال الزجاج: وما يضلُّون إلا أنفسهم، لأنهم يعملون عمل الضالين، فيرجع الضلال إليهم. فأما «الكتاب»، فهو القرآن. وفي «الحكمة» ثلاثة أقوال: أحدها: القضاء بالوحي، قاله ابن عباس. والثاني: الحلال والحرام، قاله مقاتل. والثالث: بيان ما في الكتاب، وإلهام الصواب، وإلقاء صحة الجواب في الرُّوع، قاله أبو سليمان الدمشقي، وفي قوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الشرع، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: أخبار الأولين والآخرين، قاله أبو سليمان. والثالث: الكتاب والحكمة، ذكره الماوردي، وفي قوله: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المنة بالإيمان. والثاني: المنة بالنبوة، هذان عن ابن عباس. والثالث: أنه عام في جميع الفضل الذي خصه الله به، قاله أبو سليمان.

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِمَدْقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ اتَّبِعْنَاهُ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِ اللَّهِ قَسَوْتَ نُزُلِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾ قال ابن عباس: هم قوم طعمة، وقال مقاتل: وكلهم يهود تناجوا في أمر طعمة، وقال مجاهد: هو عام في نجوى جميع الناس. قال الزجاج: ومعنى النجوى: ما تنفرد به الجماعة أو الاثنان، سراً كان أو ظاهراً. ومعنى «نجوت الشيء» في اللغة: خلصته وألقيته، يقال: نجوت الجلد: إذا ألقيته عن البعير وغيره. قال الشاعر:

فقلْتُ انجُوتْ عنها نجا الجلد إنّه

سُيرُضِيكما منها سَنَامٌ وَغَارِيَةٌ<sup>(٢)</sup>

(١) في «الطبري» ١٨٧/٩، و«ابن كثير» ٥٥٣/١ زيد بن السمين.

(٢) البيت لأبي القمر الكلبي كما في «الخرزانة» ٢٢٧/٢ و«المعني» ٣٧٣/٣، ونسب في «الخرزانة» أيضاً إلى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، وهو في «المجمل» و«اللسان» مادة نجا، و«إصلاح المتن» ٩٤ و«المخصص» ١٧٥/٧، ٨١/١٥، ١٤٣ بدون نسبة. وقال في «اللسان»: قال الفراء: أضاف النجا إلى الجلد [وهما مترادفان] لأن العرب تضيف الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان، كقوله تعالى: حق اليقين، ولدار الآخرة، والجلد نجا مقصور أيضاً، وقال ابن بري: ومثله ليزيد بن الحكم:

وقد نجوت فلاناً: إذا استنكته، قال الشاعر:

نَجُوتُ مُجَالِدًا فَوَجَدْتُ مِنْهُ  
وأصله كله من النجوة، وهو ما ارتفع من الأرض، قال الشاعر يصف سيلاً:

فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بَعَقَوْتَهُ  
والمُسْتَكْنُ كَمَنْ يَمْشِي بِقُرْوَاهُ<sup>(١)</sup>

والمراد بنجواهم: ما يدبرونه بينهم من الكلام. فأما قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾، فيجوز أن يكون بمعنى: إلا في نجوى من أمر بصدقة، ويجوز أن يكون استثناء ليس من الأول، فيكون بمعنى: لكن من أمر بصدقة، ففي نجواهم خير<sup>(٢)</sup>. وأما قوله: ﴿أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ فالمعنى: حث عليها. وأما المعروف، ففيه قولان: أحدهما: أنه الفرض، روي عن ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنه عام في جميع أفعال البر، وهو اختيار القاضي أبي يعلى، وأبي سليمان الدمشقي.

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُوْثِقِينَ قُلُوبُهُ مَأْكُوتٌ وَاصْلَوْهُ جَهَنَّمَ وَكَانَتْ مَصِيرًا ١٥﴾  
قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما نزل القرآن بتكذيب طعمة، وبيان ظلمه، وخاف على نفسه من القطع والفضيحة، هرب إلى مكة، فلحق بأهل الشرك، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، والسدي. وقال مقاتل: لما قدم مكة نزل على الحجاج بن علاط السلمي فأحسن نزله، فبلغه أن في بيته ذهباً، فخرج في الليل فنقب حائط البيت، فعلموا به فأحاطوا بالبيت، فلما رأوا، أرادوا أن يرجموه، فاستحيا الحجاج، لأنه ضيفه، فتركه، فخرج، فلحق بحرة بني سليم يعبد صنمهم حتى مات على الشرك، فنزل فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الشَّاكِرِينَ﴾ وقال غيره: بل خرج مع تجار فسرق منهم شيئاً، فرموه بالحجارة حتى قتلوه، وقيل: ركب سفينة، فسرق فيها مالاً، فعُلِمَ به، فألقي في البحر. والقول الثاني: أن قوماً قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا، ثم ارتدوا، فنزلت فيهم هذه الآية، روي عن ابن عباس. ومعنى الآية: ومن يخالف الرسول في التوحيد والحدود، ومن بعد ما تبين له التوحيد والحكم، ويتبع غير دين المسلمين، نوّه ما تولى، أي: نكله

تفاوض من أطوي طوى الكشح دونه

ومن دون من صافيته أنت منطوي

قال: ويقوي قول الفراء بعد البيت قولهم: عرق النسا، وحبل الوريد، وثابت قطنة، وسعيد كرز. وفي «الخزائن»: وقال ابن السرياني في شرح أبيات «إصلاح المنطق»: يريد: قشر عنها لحمها وشحمها، كما يقشر الجلد فإنها سمينة. وغاربها: ما بين السنام والمنق. قال صاحب «الخزائن»: ويؤخذ من هذا التفسير أن «النجا» هنا اسم مصدر بمعنى النجوى، على أنه مفعول مطلق، وليس اسماً للجلد فلا يكون كما قاله الفراء فأمل.

(١) البيت في «الحجوان» ٢٥٢/١ للحكم بن عبد الله الأسدي، وورد بدون نسبة في «معجم مقاييس اللغة» ٣٩٨/٥، و«المخصص» ٢٠٩/١١، و«اللسان» مادة: جلد، ونكه، ونجا وفي «الحجوان» و«اللسان»: «قريب عهد»، وفي «المخصص» و«معجم مقاييس اللغة»: «حديث عهد». قلت: وقد جاء في النسخة الخطية لكتاب «الحجوان» التي رمز لها محقق الكتاب بـ «ل» و«نجوت» بالجيم، على الصواب كما هو في سائر المراجع، ولكن المحقق حذفها، ووضع مكانها «نجوت» بالحاء، ثم أثبت ما في نسخة «ل» بالهَمْش، وقال: هو تحريف.

(٢) البيت لعبيد بن الأبرص في «ديوانه» ٥٣، و«الآزمنة والأمكنة» ٩٣/٢ و«الأمالي» ١٧٧/١، و«مختارات ابن السجري» ١٠١، و«اللسان» ٣٠٨/١٥ ويرى أيضاً لأوس بن حجر في «ديوانه» ١٦، و«الشعر والشعراء» ١٦٠/١، و«الحجوان» ١٣٢/٦، و«الأغانى» ٧١/١١. وفي «الديوان» وبعض المراجع: «فمن بنجوته كمن بمحفله»، والمحفل: مستقر الماء. النجوة: ما ارتفع من الأرض. والعقوة: الساحة، وما حول الدار، والمحلة. والمستكن: الذي استكن في بيته، ولكن: والقرواح: الأرض البارزة للشمس لا يسترها شيء. يريد أن المطر هم المرتفعات والمنخفضات، وأدرك الناس الذين في بيوتهم وخارجها.

(٣) في «الطبري» ٢٠٢/٩: وقال بعض نحوي الكوفة: قد تكون «من» في موضع خفض ونصب، أما خفض فعلى قولك: لا خير في كثير من نجواهم إلا في من أمر بصدقة، فتكون «النجوى» على هذا التأويل هم الرجال المناجون، كما قال جل ثاوه ﴿وَمَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ فَلَهُمْ إِلَّا هُوَ رَاقِبُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] وكما قال ﴿وَلَا تَجْرُوا نَجْوَىٰ﴾ [الإسراء: ٤٧] وأما نصب فعلى أن تجعل «النجوى» فعلاً فيكون نصباً، لأنه حينئذ يكون استثناء منقطعاً، لأن «من» خلاف «النجوى» فيكون ذلك نظير قول الشاعر:

وقسفت فيها أميلاًناً أسألها

عشت جواباً وما بالريبع من أحد

إلا الأوازي لا يأسأ أسئنها

والنؤي كالخوض بالمظلمومة الجلي

وقد يحتمل «من» على هذا التأويل أن يكون رقماً كما قال الشاعر:

ويبلدة ليس بها أنيس

إلا اليمافير ولا اليميس

قلت: وأراد بعض نحوي الكوفة: الفراء، وكلامه هذا في «معاني القرآن» ٢٨٧/١. مع بعض تغيير.



سؤل لهم، هذا قول مقاتل، والزجاج. والثالث: أنه أصنامهم التي عبدوا، ذكره الماوردي. فأما «المريد»، فقال الزجاج: «المريد»: المارد، وهو الخارج عن الطاعة، ومعناه: أنه قد مرد في الشر، يقال: مرد الرجل يمرّد مُروداً: إذا عتا، وخرج عن الطاعة. وتأويل المردود: أن يبلغ الغاية التي يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصنف، وأصله في اللغة: املاس الشيء، ومنه قيل للإنسان: أمرّد: إذا لم يكن في وجهه شعر، وكذلك يقال: شجرة مرداء: إذا تناثر ورقها، وصخرة مرداء: إذا كانت ملساء. وفي قوله: ﴿لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: أنه ابتداء دعاء عليه باللعن، وهو قول من قال: هو الأوثان. والثاني: أنه إخبار عن لعن متقدم، وهو قول من قال: هو إبليس. قال ابن جرير: المعنى: قد لعنه الله. قال ابن عباس: معنى الكلام: دحره الله، وأخرجه من الجنة. وقال - يعني إبليس -: ﴿لَأَخْذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوسًا﴾. وقال ابن قتيبة: أي: حظاً افترضته لنفسي منهم، فأصلهم. وقال مقاتل: النصيب المفروض: أن من كل ألف إنسان واحد في الجنة، وسائرهم في النار<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: «الفرض» في اللغة: القطع، و«الفرضة»: الثلثة تكون في النهر. و«الفرض» في القوس: الحزن الذي يشد فيه الوتر، والفرض فيما ألزمه الله العباد: جعله حتماً عليهم قاطعاً.

﴿وَلَا يَسْتَلِمُهُمْ وَلَا يَشْفَعُ لَهُمْ﴾. قال ابن عباس: عن سبيل الهدى، وقال غيره: ليس له من الضلال سوى الدعاء إليه. وفي قوله: ﴿وَلَا يَسْتَلِمُهُمْ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنه الكذب الذي يخبرهم به، قال ابن عباس: يقول لهم: لا جنة، ولا نار، ولا بعث. والثاني: أنه التسوية بالتوبة، روي عن ابن عباس. والثالث: أنه إيهامهم أنهم سينالون من الآخرة حظاً، قاله الزجاج. والرابع: أنه تزيين الأمانى لهم، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَبْتَكَكُمْ إِذَا كُنْتُمْ أَكْثَرُ﴾ قال قتادة، وعكرمة، والسدي: هو شق أذن البحيرة. قال الزجاج: ومعنى «يبتك» يشققن، يقال: بكت الشيء أبكته بتكاً: إذا قطعته، وبتكه وبتك، مثل: قطعه وقطع. وهذا في البحيرة كانت الجاهلية إذا ولدت الناقة خمسة أبطن، وكان الخامس ذكراً، شقوا أذن الناقة، وامتنعوا من الانتفاع بها، ولم تُطرَد عن ماء، ولا مرعى، وإذا لقيها المعبي، لم يركبها. سؤل لهم إبليس أن هذا قرينة إلى الله تعالى. وفي المراد بتغيير خلق الله خمسة أقوال: أحدها: أنه تغيير دين الله، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن في رواية، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، والنخعي، والضحاك، والسدي، وابن زيد، ومقاتل. وقيل: معنى تغيير الدين: تحليل الحرام، وتحريم الحلال. والثاني: أنه تغيير الخلق بالخصاء، رواه عكرمة عن ابن عباس، وهو مروي عن أنس بن مالك. وعن مجاهد، وقتادة، وعكرمة، كالقولين. والثالث: أنه التغيير بالوشم، وهو قول ابن مسعود<sup>(٢)</sup>، والحسن في رواية. والرابع: أنه تغيير أمر الله، رواه أبو شبة عن عطاء. والخامس: أنه عبادة الشمس والقمر والحجارة، وتحريم ما حرّموا من الأنعام، وإنما خلق ذلك للانتفاع به، قاله الزجاج<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ في المراد بالولي قولان: أحدهما: أنه بمعنى الرب،

(١) وفي «القرطبي» ٣٨٨/٥ قلت: وهذا صحيح معنى، يفضده قوله تعالى لآدم يوم القيامة: «ابعث بعث النار، فيقول: وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعة وتسعين». أخرجه مسلم. وبعث النار: هو نصيب الشيطان.

(٢) أحمد في «المسند»، والبخاري ٨٨٣/٨، ومسلم ١٧٩٩/٣، ولفظه: «لعمركم الله الواشحات والمستوشحات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله...» قلت: الواشمة هي التي تشم، والمستوشمة: هي التي تطلب الروشم، والوشم: أن يفرز في العضو إبرة أو نحوها حتى يسيل الدم، ثم يحشى بكحل أو زور فيخضر. والمتنصة والنامصة: التي تنف الشعر من وجهها. وقيل: هي التي تزيل شعر الحاجبين بالمشاش حتى ترقه وترفعه وتسويه. والمتفلجة: التي تمنع الفلج بأسنانها إذا كانت متلاصقة، وذلك بأن تحك ما بينهما بالمرء حتى يتسع ما بين أسنانها.

(٣) قال أبو جعفر الطبري ٢٢٢/٩: وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك قول من قال: معناه: ﴿وَلَا تَرْبُحْهُمْ فَلْيَرْبُحْ كُنُكَ اللَّهُ﴾ قال: دين الله، وذلك لدلالة الآية الأخرى على أن ذلك معناه، وهي قوله: ﴿يُطْرَقُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِ النَّاسِ مَنَظَرًا لَا يُبْدِلُ لَيْفَتِي اللَّهُ إِلَيْكَ أَلِيَّتُكَ أَفَتُخْبِرُ﴾ [الروم: ٣٠] وإذا كان ذلك معناه، دخل في ذلك فعل كل ما نهى الله عنه، من خصاء ما لا يجوز خصاؤه ووشم ما نهى عن وشمه ووشره وغير ذلك من المعاصي، ودخل فيه ترك كل ما أمر الله به، لأن الشيطان لا شك أنه يدعو إلى جميع معاصي الله، وينهى عن جميع طاعته، فذلك معنى أمره نصيبه المفروض من عباد الله، بتغيير ما خلق الله من دينه.

قاله مقاتل. والثاني: من الموالاة، قاله أبو سليمان الدمشقي. فإن قال قائل: من أين لإبليس العلم بالعواقب حتى قال: ولا ضللتهم. وقال في (الأعراف): ﴿وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾. وقال في (بنی اسرائیل): ﴿لَاخْنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾. فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه ظن ذلك، فتحقق ظنه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ لَيْلَىٰ طَلْعُهُ﴾ [سبا: ٢٠] قاله الحسن، وابن زيد. وفي سبب ذلك الظن قولان: أحدهما: أنه لما قال الله تعالى له: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ يَمَعَكَ مِنْهُمْ أَبَدًا﴾ [ص: ٨٥] علم أنه ينال ما يريد. والثاني: أنه لما استزل آدم، قال: ذرية هذا أضعف منه. والثاني: أن المعنى: لأحرصن ولا اجتهدن في ذلك، لا أنه كان يعلم الغيب، قاله ابن الأنباري. والثالث: أن من الجائز أن يكون علم من جهة الملائكة بخبر من الله تعالى أن أكثر الخلق لا يشكرون، ذكره الماوردي. فإن قيل: فلم اقتصر على بعضهم فقال: ﴿نُوبِيًا مَّفْرُوسًا﴾ وقال: ﴿وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧] وقال: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه يجوز أن يكون علم مآل الخلق من جهة الملائكة، كما بينا. والثاني: أنه لما لم ينل من آدم كل ما يريد، طمع في بعض أولاده، وأيس من بعض. والثالث: أنه لما عاين الجنة والنار، علم أنهما خلقتا لمن يسكنهما، فأشار بالنصيب المفروض إلى ساكني النار.

قوله تعالى: ﴿يَعِدُّهُمْ﴾ يعني: الشيطان يعد أولياءه. وفيما يعدهم به قولان: أحدهما: أنه لا بعث لهم، قاله مقاتل. والثاني: النصرة لهم، ذكره أبو سليمان الدمشقي. وفيما يُنمِّيهم قولان: أحدهما: الغرور والأمانى، مثل أن يقول: سيطول عمرك، وتنال من الدنيا مرادك. والثاني: الظفر بأولياء الله.

﴿يَعِدُّهُمْ وَيُنمِّيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾. أَوْلَيْكَ مَاؤُثْمَرُ جَهَنَّمَ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَجَاهِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: باطلاً يغرهم به. فاما المحيص. فقال الزجاج: هو المعيل والملجأ، يقال: حصت عن الرجل أحيص، ورووا: حصت أحيص بالجمع والضاد، بمعنى: حصت، ولا يجوز ذلك في القرآن، وإن كان المعنى واحداً، لأن القراءة ستة، والذي في القرآن أفصح مما يجوز، ويقال: حصت أحوص حوصاً وحياسة<sup>(١)</sup>: إذا خطت، قال الأصمعي: يقال: حص عين صقرك، أي: خط عينه، والحوص في العين: ضيق مؤخرها، ويقال: وقع في حيص بيص. وحاص باص: إذا وقع فيما لا يقدر على التخلص منه<sup>(٢)</sup>.

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَمْلِكُ سَوْماً يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيْرًا﴾ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن أهل الأديان اختصموا، فقال أهل التوراة: كتابنا خير الكتب، ونبينا خير الأنبياء، وقال أهل الإنجيل مثل ذلك، وقال المسلمون: كتابنا نسخ كل كتاب، ونبينا خاتم الأنبياء، فنزلت هذه الآية، ثم خير بين الأديان بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا وَمَنْ أَشْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> وإلى هذا المعنى ذهب مسروق، وأبو صالح، وقتادة، والسدي. والثاني: أن العرب قالت: لا تُبعث، ولا نعتب، ولا نحاسب، فنزلت هذه الآية، هذا قول مجاهد<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن اليهود والنصارى قالوا: لا يدخل الجنة غيرنا، وقالت قريش: لا تُبعث، فنزلت هذه الآية، هذا قول عكرمة. قال الزجاج: اسم «ليس» مضمَر، والمعنى: ليس ثواب الله ﷻ بأمانيتكم، وقد جرى ما يدل على الثواب، وهو قوله: ﴿سَنَجَاهِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾. وفي المشار إليه بقوله «أمانيتكم» قولان: أحدهما: أنهم المسلمون على قول الأكثرين. والثاني: المشركون على قول مجاهد.

(١) في الأصول التي بين أيدينا «حياسة» والتصويب من «اللسان».

(٢) قال ابن عيش شارح «المفصل» ١١٤/٤: العرب تقول: «وقع الناس في حيص بيص» إذا وقعوا في فتنة واختلاط من أمرهم، لا مخرج لهم منه، وهما اسمان زكيا اسماً واحداً، ونبيا بناء «خمسة عشر» و«خيم» مأخوذ من: حاص يحيص: إذا فر، يقال: ما عته محيص، أي: مهرب. و«فيص» مأخوذ من قولهم: باص بيوص: أي: فات وسبق، لأنه إذا وقع الاختلاط والفتنة، فمنهم هارب، ومنهم فانت، ولذلك فسرهما - أي الزمخشري - «بفتنة تموج بأهلها متأخرين ومتقدمين» فالحيص: التأخر والهرب، والبوص: التقدم والسبق، وكان ينبغي أن يقال: حيص بوص، غير أنهم أتبعوا الثاني الأول.

(٣) رواه ابن جرير الطبري: ٢٣٠/٩.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وإسناده صحيح، ورجع هذا القول الطبري ٢٣٢/٩.

فأما أمانى المسلمين، فما نقل من قولهم كتابنا ناسح للكتب، ونبينا خاتم الأنبياء، وأمانى المشركين قولهم: لا نبعث وأمانى أهل الكتاب قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، وإن النار لا تمسنا إلا أياماً معدودة، وإن كتابنا خير الكتب، ونبينا خير الأنبياء، فأخبر الله ﷻ أن دخول الجنة والجزاء بالأعمال لا بالأمانى. وفي المراد «بالسوء» قولان: أحدهما: أنه المعاصي، ومنه حديث أبي بكر الصديق أنه قال: يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية؟ ﴿مَنْ يَمَلَّ سَوْئًا يُجْزَ بِهِ﴾ فإذا عملنا سوءاً جزينا به، فقال: «غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تمرض؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأواء؟» (١) فلذلك ما تُجْزَوْنَ به» (٢). والثاني: أنه الشرك، قاله ابن عباس، ويحيى بن أبي كثير. وفي هذا الجزاء قولان: أحدهما: أنه عام في كل من عمل سوءاً فإنه يجازى به، وهو معنى قول أبي بن كعب، وعائشة، واختاره ابن جرير، واستدل عليه بحديث أبي بكر الذي قدمناه. والثاني: أنه خاص في الكفار يجازون بكل ما فعلوا، فأما المؤمن فلا يجازى بكل ما جنى، قاله الحسن البصري. وقال ابن زيد: وعد الله المؤمنين أن يكفر عنهم سيئاتهم، ولم يعد المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾ قال أبو سليمان: لا يجد من أراد الله أن يجزيه بشيء من عمله ولياً، وهو القريب، ولا ناصرأ يمنعه من عذاب الله وجزائه.

﴿وَمَنْ يَمَلَّ مِنَ الْفَعْلَيْنِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَمَلَّ مِنَ الْفَعْلَيْنِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ قال مسروق: لما نزلت ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء، فنزلت ﴿وَمَنْ يَمَلَّ مِنْ... الْفَعْلَيْنِ﴾ الآية، وهذه تدل على ارتباط الإيمان بالعمل الصالح، فلا يقبل أحدهما إلا بوجود الآخر، وقد سبق ذكر «التقير».

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ قال ابن عباس: خير الله بين الأديان بهذه الآية. وأسلم، بمعنى: أخلص. وفي «الوجه» قولان: أحدهما: أنه الدين. والثاني: العمل. وفي الإحسان قولان: أحدهما: أنه التوحيد، قاله ابن عباس. والثاني: القيام لله بما فرض الله، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي اتباع ملة إبراهيم قولان: أحدهما: اتباعه على التوحيد والطاعة. والثاني: اتباع شريعته، اختاره القاضي أبو يعلى. فأما الخليل، فقال ابن عباس: الخليل: الصفي، وقال غيره: المصافي، وقال الزجاج: هو المحب الذي ليس في محبته خلل. قال: وقيل: الخليل: الفقير، فجاز أن يكون إبراهيم سمي خليل الله بأنه أحبه محبة كاملة، وجزاء أن يكون لأنه لم يجعل فقره وفاته إلا إليه، و«الخلّة»: الصداقة، لأن كل واحد يسد خلل صاحبه، و«الخلّة» بفتح الخاء: الحاجة، سُميت خلّة للاختلال الذي يلحق الإنسان فيما يحتاج إليه، وسمي الخل الذي يؤكل خللاً، لأنه اختل منه طعم الحلاوة. وقال ابن الأنباري: الخليل: فعيل من الخلّة، والخلّة: المودة. وقال بعض أهل اللغة: الخليل: المحب، والمحب الذي ليس في محبته نقص ولا خلل، والمعنى: أنه كان يحب الله، ويحبه الله محبة لا نقص فيها، ولا خلل، ويقال: الخليل: الفقير، فالمعنى: اتخذه فقيراً إليه ينزل فقره وفاته به، لا بغيره. وفي سبب اتخاذ الله له خليلاً ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اتخذه خليلاً لإطعامه الطعام، روى عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: «يا جبريل لم اتخذ الله إبراهيم خليلاً؟ قال: لإطعامه الطعام» (٣). والثاني: أن الناس أصابتهم سنة فأقبلوا إلى باب إبراهيم يطلبون الطعام، وكانت له ميرة من صديق

(١) اللأواء: بفتح اللام والواو بينهما همزة ساكنة بالمد: المشقة والشدة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المستد» ١/١٨١، وابن جرير ٩/٢٤٢، والحاكم في «المستدرک» ٣/٧٤، والبيهقي في «السنن» ٣/٣٧٣ عن أبي بكر ﷺ، وفي إسناده انقطاع بين التابعي أبي بكر بن أبي زهير الثقفي رواه عن أبي بكر الصديق وبين أبي بكر، لكن للحديث شواهد تؤيد صحته، من ذلك ما رواه الإمام أحمد في «المستد» ١٣/١١٥، ومسلم في «صحيحه» ٤/١٩٩٣، والترمذي ٤/٩٤ عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿مَنْ يَمَلَّ سَوْئًا يُجْزَ بِهِ﴾ شقت على المسلمين وبلغت منهم ما شاء الله تَبَلَّغَ، فشكروا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال لهم رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا»، فلي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبه، أو الشوكة يشاكها». وقوله: قاربوا: أي: اقتصدوا فلا تغفلوا ولا تقصروا بل توسطوا. وسددوا: منأ: إقصوا السداد وهو الصواب. والنكبة: ما يصب الإنسان من الحوادث.

(٣) نسبة السيوطي في «الدرر» ٢٠/٢٣٠ للبيهقي في «شعب الإيمان».

له بمصر في كل سنة، فبعث غلماناً بالإنجيل إلى صديقه، فلم يعطهم شيئاً، فقالوا: لو احتملنا من هذه البطحاء ليرى الناس أننا قد جئنا بميرة، فملؤوا الغرائر<sup>(١)</sup> رملًا، ثم أتوا إبراهيم عليه السلام، فأعلموه، فاهتم إبراهيم لأجل الخلق. فنام وجاءت سارة وهي لا تعلم ما كان، ففتحت الغرائر، فإذا دقيق حواري، فأمرت الخبازين فخبزوا، وأطعموا الناس، فاستيقظ إبراهيم، فقال: من أين هذا الطعام؟ فقالت: من عند خليلك المصري، فقال: بل من عند خليلي الله ﷻ، فيومئذ اتخذ الله خليلًا، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنه اتخذ خليلًا لكسره الأصنام، وجداله قومه، قاله مقاتل.

﴿وَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ أي: أحاط علمه بكل شيء.

﴿وَسَتَقُولُكَ فِي الْإِنْسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُبَيِّنُكُمْ فِيهِمْ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَاءُ الَّذِي لَا تُوَفُّوهُمْ مَا كُتِبَ لَهُمْ وَرَوَّيُونَ أَنَّ نَكَحَهُنَّ وَالشَّهَائِدِينَ مِنْ آلِ الْوَلَدَانِ وَأَنْ تَقُولُوا لَيْسَ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَسَتَقُولُكَ فِي الْإِنْسَاءِ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أنهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال، فلما فرض الله الموارث في هذه السورة، شق ذلك عليهم، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>، هذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبيرة، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد. والثاني: أن ولي اليتيمة كان يتزوجها إذا كانت جميلة وهويها، فيأكل مالها، وإن كانت دمية منعها الرجال حتى تموت، فإذا ماتت ورثها، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثالث: أنهم كانوا لا يوتون النساء صدقاتهن، ويتملك ذلك أولياؤهن، فلما نزل قوله: ﴿وَمَا تَرَا الْإِنْسَاءَ صَدَقَتِهِنَّ غِلًا﴾ سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية، هذا قول عائشة رضي الله عنها<sup>(٥)</sup>.

والرابع: أن رجلاً كانت له امرأة كبيرة، وله منها أولاد، فأراد طلاقها، فقالت: لا تفعل، واقسم ليس في كل شهر إن شئت أو أكثر، فقال: لئن كان هذا يصلح، فهو أحب إليّ، فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك، فقال: «قد سمع الله ما تقول، فإن شاء أجابك»، فنزلت هذه الآية، والتي بعدها، رواه سالم الأفطس عن سعيد بن جبيرة<sup>(٦)</sup>. والخامس: أن ولي اليتيمة كان إذا رغب في مالها وجمالها لم يسط لها في صداقها، فنزلت هذه الآية، ونهوا أن ينكحوهن، أو يملغوا بهن أعلى ستهن من الصداق، ذكره القاضي أبو يعلى. وقوله: ﴿وَسَتَقُولُكَ﴾ أي: يطلبون الفتوى، وهي تبين المشكل من

(١) الغرائر: جمع غرارة بكسر اللين: وهي الجوارق التي يوضع فيها التبن والقمح وغيرها.

(٢) إسناده ضعيف، وقد رواه ابن جرير الطبري في «التفسير» بدون سند، ونقله عنه ابن كثير، وقال: وفي صحة هذا وقوعه نظر، وغايته أن يكون خيراً إسرائيلياً لا يصدق ولا يكذب.

(٣) ابن جرير: ٢٥٣/٩ وابن المنذر من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. وعطاء هذا صدوق لكنه اختلط، فمن روى عنه قبل الاختلاط فحديثه صحيح، ومن روى عنه بعده فإنه يتوقف في حديثه ولا يحتج به. قال الحافظ في «التهذيب»: قلت: فيحصل لنا من مجموع كلامهم أن سفیان الثوري وشعبة وزهرياً، وزائدة وحمام بن زيد وأيوب عنه صحيح، ومن عداهم يتوقف فيه.

(٤) لم نجد هذا الأثر عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة في كتب المصادر التي بين أيدينا، وفي الطبري ٢٥٥/٩ عن إبراهيم قال: كان الرجل منهم تكون له اليتيمة بها الدمامة والأمر الذي يرغب عنها فيه، ولها مال، قال: فلا يتزوجها ولا يزوجه، حتى تموت فيرثها. قال: فنهاهم الله عن ذلك. وفيه أيضاً عن ابن عباس من طريق الموني: كانت اليتيمة تكون في حجر الرجل فيرغب أن ينكحها أو يجامعها، ولا يعطيها مالها رجاء أن تموت فيرثها، وإن مات لها حميم لم تعط من الميراث شيئاً، وكان ذلك في الجاهلية، فبين الله لهم ذلك.

(٥) رواه ابن جرير ٢٨١/٩ بمعناه.

(٦) روى البخاري: ١٧٩/٨، ومسلم ٢٣١٥/٤ عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله: ﴿وَلَنْ يَجْزِيَكَ إِلَّا نَقِيطًا فِي الْإِنْسَاءِ فَانْكِحُوا مَا كَتَبَ لَكُمْ مِنَ الْإِنْسَاءِ مَتَىٰ وَلَكُمْ فِيهِمْ رِزْقٌ﴾ فقالت: يا ابن أخي هذه اليتيمة تكون في حجر ولها تشاركه في ماله، فيعجب مالها وجمالها، فيريد ولها أن يتزوجها بغير أن يسط في صداقها، فيعطيا مثل ما يعطيها غيره. فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يسطوا لهن، ويملغوا لهن أعلى ستهن في الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن، قال عروة: قالت عائشة: ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فيهن، فأنزل الله ﷻ ﴿وَسَتَقُولُكَ فِي الْإِنْسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُبَيِّنُكُمْ فِيهِمْ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَاءُ الَّذِي لَا تُوَفُّوهُمْ مَا كُتِبَ لَهُمْ وَرَوَّيُونَ أَنَّ نَكَحَهُنَّ وَالشَّهَائِدِينَ مِنْ آلِ الْوَلَدَانِ وَأَنْ تَقُولُوا لَيْسَ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ قالت عائشة: وقال الله في الآية الأخرى: ﴿وَيَرْثُونَ أَنْ نَكَحَهُنَّ﴾ رغبة أحدهم عن البيتة التي تكون في حجره، حين تكون قليلة المال والجمال. فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهن منهن.



الأحكام. وقيل: الاستفتاء: الاستخبار. قال المفسرون: والذي استفتوه فيه، ميراث النساء، وذلك أنهم قالوا: كيف تراث المرأة والصبي الصغير؟

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْتَلِ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ قال الزجاج: موضع «ما» رفع، المعنى: الله يفتيكم فيهن، وما يتلى عليكم في الكتاب أيضاً يفتيكم فيهن. وهو قوله: ﴿وَمَا أَلَيْنَا أُتُلَّهُمْ...﴾ الآية. والذي تلى عليهم في التزويج قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣]. وفي يتامى النساء قولان: أحدهما: أنهن النساء اليتامى، فأضيفت الصفة إلى الاسم، كما تقول: يوم الجمعة. والثاني: أنهن أمهات اليتامى، فأضيف إليهن أولادهن اليتامى. وفي الذي كتب لهن قولان: أحدهما: أنه الميراث، قاله ابن عباس، ومجاهد في آخرين. والثاني: أنه الصداق. ثم في المخاطب بهذا قولان: أحدهما: أنهم أولياء المرأة كانوا يحوزون صداقها دونها. والثاني: ولي اليتيمة، كان إذا تزوجها لم يعدل في صداقها. وفي قوله: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ قولان: أحدهما: وترغبون في نكاحهن رغبة في جمالهن، وأموالهن، هذا قول عائشة، وعبيدة. والثاني: وترغبون عن نكاحهن لقبهجن، فتمسكوهن رغبة في أموالهن، وهذا قول الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَالسُّنَّيْنِ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ قال الزجاج: موضع المستضعفين خفض على قوله: ﴿وَمَا يَنْتَلِ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾ المعنى: وفي الولدان. قال ابن عباس: يريد أنهم لم يكونوا يورثون صغيراً من الغلمان والجواري، فنهاهم الله عن ذلك، وبين لكل ذي سهم سهمه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ قال الزجاج: موضع «أن» خفض، فالمعنى: في يتامى النساء، وفي أن تقوموا لليتامى بالقسط. قال ابن عباس: يريد العدل في مهرهن ومواريهن.

﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَوْلِهَا شَوْراً أَوْ إِعْزَاجاً فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا أَنْ يُصَلِّحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْذِرُوا الْآفَاقُ الْكُفْرَ وَكَانَ ثَمَسُهُمْ وَتَنَفَّسُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَتْ يَمَا تَمَلَّوْتُ خَبيراً﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَوْلِهَا شَوْراً﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن سودة خشيت أن يطلقها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله لا تطلقني، وأمسكني، واجعل يومي لعائشة، ففعل، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن بنت محمد بن مسلمة كانت تحت رافع بن خديج، فكره منها أمراً، إما كبيراً، وإما غيره، فأراد طلاقها، فقالت: لا تطلقني، واقسم لي ما شئت، فنزلت هذه الآية، رواه الزهري عن سعيد بن المسيب<sup>(٢)</sup>. قال مقاتل: واسمها خويلة. والثالث: قد ذكرناه عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير في نزول الآية التي قبلها. وقالت عائشة: نزلت في المرأة تكون عند الرجل، فلا يستكثر منها، ويريد فراقها، ولعلها تكون له محبة أو يكون لها ولد فنكره فراقه، فنقول له: لا تطلقني وأمسكني، وأنت في حل من شأني. رواه البخاري، ومسلم<sup>(٣)</sup>. وفي خوف النشوز

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي ١٧/٢، والترمذي ٩٤/٤، والبيهقي في «السنن» ٢٩٧/٣، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحافظ في «الفتح» بعد نقل هذا الحديث عن الترمذي: وله شاهد في «الصحيحين» من حديث عائشة بدون ذكر نزول الآية. قلت: روى الشيخان عن عائشة أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة، وكان النبي ﷺ يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة. وأخرج أبو داود في «سننه» ٢٢٦/٢ عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت عائشة: يا ابن أخي كان رسول الله لا يفضل بمضنا على بعض في القسم، من مكته عندنا، وكان قل يوم إلا وهو يظوف علينا جميعاً، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ التي هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت، وفرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ: يا رسول الله يومي لعائشة، فقبل ذلك رسول الله ﷺ منها، قالت: نقول في ذلك أنزل الله تعالى وفي أضيابها، أراه قال: ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَوْلِهَا شَوْراً﴾. وإسناده جيد.

(٢) «الموطأ» ٥٤٨/٢ عن ابن شهاب عن رافع بن خديج. و«الأم» ١٧١/٥، و«المسنند» للشافعي ٢٨/٢، و«جامع البيان» ٢٧٥/٩، عن الزهري عن سعيد بن المسيب. ورواه الحاكم في «المستدرک» ٣٠٨/٢ من طريق إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق مرفوعاً إلى رافع بن خديج، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ورواه البيهقي في «السنن» من طريق أخرى مطولاً من طريق أبي اليمان عن شعيب ابن أبي حمزة عن الزهري.

(٣) البخاري ١٩٩/٨، ومسلم ٢٣١٦/٤ ولفظه عن عائشة في قوله ﷺ: ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَوْلِهَا شَوْراً﴾ قالت: «نزلت في المرأة تكون عند الرجل، فلمله أن لا يستكثر منها، وتكون لها صحبة وولد، فنكره أن يفارقها، فنقول له: أنت في حل من شأني».

قولان: أحدهما: أنه العلم به عند ظهوره. والثاني: الحذر من وجوده لأماراته. قال الزجاج: والنشوز من بعل المرأة: أن يُسيء عشرتها، وأن يمنعها نفسه ونفقتها. وقال أبو سليمان: نشوزاً، أي: نبوأ عنها إلى غيرها، وإعراضاً عنها، واشتغالاً بغيرها. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ أَنْ يُصَلِّحَا بَيْنَهُمَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «يُصَلِّحَا بَيْنَهُمَا» بفتح الياء، والتشديد. والأصل: «يتصالحا»، فأدغمت التاء في الصاد. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «يُصَلِّحَا» بضم الياء، والتخفيف. قال المفسرون: والمعنى: أن يوقعا بينهما أمراً يرضيان به، وتلوم بينهما الصلحة، مثل أن تصبر على تفضيله. وروي عن علي، وابن عباس: أنهما أجازا لهما أن يصطلحا على ترك بعض مهرها، أو بعض أيامها، بأن يجعله لغيرها. وفي قوله: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ قولان: أحدهما: خير من الفرقة، قاله مقاتل، والزجاج. والثاني: خير من النشوز والإعراض، ذكره الماوردي. قال قتادة: متى ما رضيت بدون ما كان لها، واصطلحا عليه، جاز، فإن أثبت لم يصلح أن يجلسها على الخسف.

قوله تعالى: ﴿وَأَحْضَرْتُ الْأَنْفُسَ الشُّحَّ﴾ «أحضرت»: بمعنى: ألزمت. و«الشح» الإفراط في الحرص على الشيء. وقال ابن فارس: «الشح»: البخل مع الحرص، وتشاح الرجلان على الأمر: لا يريدان أن يفوتهما. وفيمن يعود إليه هذا الشح من الزوجين قولان: أحدهما: المرأة، فتقديره: وأحضرت نفس المرأة الشح بحقها من زوجها، هذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير. والثاني: الزوجان جميعاً، فالمرأة تشح على مكانها من زوجها، والرجل يشح عليها بنفسه إذا كان غيرها أحب إليه، هذا قول الزجاج. وقال ابن زيد: لا تطيب نفسه أن يعطيها شيئاً فتحلله، ولا تطيب نفسها أن تعطي شيئاً من مالها، فتعقله عليها.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَحْسَبُوا فِيهِ قَوْلَانِ: أحدهما: بالصبر على التي يكرهها. والثاني بالإحسان إليها في عشرتها.

قوله تعالى: ﴿وَتَتَّقُوا﴾ يعني الجور عليها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَّا تَمَلُّونَ حَيًّا﴾ فيجازيكم عليه. ﴿وَلَنْ تَسْتَظِيمُوا أَنْ تَدُلُّوا بَيْنَ الْأَسْوَ وَوَحَرَّصْتُمْ فَلَا تَحِيلُوا كُلَّ الْبَيْتِ تَدْرُوهَا كَالْمَلَقَةِ وَإِنْ تَصْلَحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَظِيمُوا أَنْ تَدُلُّوا بَيْنَ الْأَسْوَ﴾ قال أهل التفسير: لن تطبقوا أن تسووا بينهن في المحبة التي هي ميل الطباع، لأن ذلك ليس من كسبكم ﴿وَوَحَرَّصْتُمْ﴾ على ذلك<sup>(١)</sup> ﴿فَلَا تَحِيلُوا﴾ إلى التي تحبون في النفقة والقسم. وقال مجاهد: لا تتعمدوا الإساءة فتدلوا الأخرى كالمعلقة وقال ابن عباس: المعلقة: التي لا هي أيم، ولا ذات بعل. وقال قتادة: المعلقة: المسجونة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْلَحُوا﴾ أي: بالعدل في القسمة ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجور ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا﴾ لميل القلوب. ﴿وَإِنْ يَفْقَرَا بَيْنَ اللَّهِ كُلًّا مِنْ سَعْيِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ كَفَرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَفْقَرَا﴾ يقول: وإن أبت المرأة أن تسمح لزوجها بإيثار التي يميل إليها، واختارت الفرقة، فإن الله يغني كل واحد من سعته. قال ابن السائب: يغني المرأة برجل، والرجل بامرأة. ثم ذكر ما يوجب الرغبة إليه في طلب الخير، فقال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يعني: أهل

(١) قال أبو بكر بن العربي في «شرح الترمذي» ٨٠/٥: قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَظِيمُوا أَنْ تَدُلُّوا بَيْنَ الْأَسْوَ وَوَحَرَّصْتُمْ فَلَا تَحِيلُوا كُلَّ الْبَيْتِ تَدْرُوهَا كَالْمَلَقَةِ﴾ فأعبر سبحانه أن أحداً لا يملك العدل بين النساء، والمعنى فيه تعلق القلب لبعضهن أكثر منه إلى بعض، فعذرهن فيما يكنون، وأخذهم بالمساواة فيما يظهرون. قلت: روى أبو حازم ٣٢٦/٢ والترمذي بشرح ابن العربي ٨٠/٥، والنسائي ٦٤/٧، وابن ماجه ٦٣٤/١ بسند جيد عن عائشة قالت: إن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل، ويقول: «اللهم هذه قسمتي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» وصححه أيضاً ابن كثير في «الضيق». ورواه الحاكم ١٨٧/٢ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي. قال الترمذي: ومعنى قوله: «لا تلمني فيما تملك ولا أملك» إنما يعني به الحب والمودة.



﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِإِذْنِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَالْكِتَابَ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رُسُلِهِ ۚ وَالْكِتَابَ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ

قوله تعالى: ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «نُزِّلَ على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل» مضمومين<sup>(٢)</sup>. وقرأ نافع، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «نُزِّلَ على رسوله، والكتاب الذي أنزل» مفتوحين. والمراد بالكتاب الذي نزل على رسوله القرآن، والكتاب الذي أنزل من قبل: كل كتاب أنزل قبل القرآن، فيكون «الكتاب» هاهنا اسم جنس.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها في اليهود آمنوا بموسى، ثم كفروا بعد موسى، ثم آمنوا بعزير، ثم كفروا بعده بعيسى، ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ، هذا قول ابن عباس. وروي عن قتادة قال: آمنوا بموسى، ثم كفروا بعبادة العجل، ثم آمنوا به بعد عوده، ثم كفروا بعده بعيسى، ثم ازدادوا كفراً بمحمد. والثاني: أنها في اليهود والنصارى، آمن<sup>(ه)</sup> اليهود بالتوراة، وكفروا بالإنجيل، وآمن النصارى بالإنجيل، ثم تركوه فكفروا به، ثم ازدادوا كفراً بالقرآن وبمحمد، رواه شيبان عن قتادة. وروي عن الحسن قال: هم قوم من أهل الكتاب، قصدوا تشكيك المؤمنين، فكانوا يظهرون الإيمان ثم الكفر، ثم ازدادوا كفراً بثبوتهم على دينهم. وقال مقاتل: آمنوا بالتوراة وموسى، ثم كفروا من بعد موسى، ثم آمنوا بعيسى والإنجيل، ثم كفروا من بعده، ثم ازدادوا كفراً بمحمد والقرآن. والثالث: أنها في المنافقين آمنوا، ثم ارتدوا، ثم ماتوا على كفرهم، قاله مجاهد. وروي ابن جريج<sup>(٦)</sup> عن مجاهد ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ قال: ثبتوا عليه حتى ماتوا. قال ابن عباس: ﴿لَوْ يَكُنِ اللَّهُ يُفَيِّرُ لَكُمْ﴾ ما أقاموا على ذلك ﴿وَلَا يَزِيدُهُمْ سَبِيلًا﴾ أي: لا يجعلهم بكفرهم مهتدين. قال: وإنما علق امتناع المغفرة بكفر بعد كفر، لأن المؤمن بعد الكفر يُغْفَرُ له كفره، فإذا ارتدَّ طَوَّلَتْ بالكفر الأول.

قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُتَّقِينَ﴾ زعم مقاتل أنه لما نزلت المغفرة في (سورة الفتح) للنبي والمؤمنين قال عبد الله بن

(٢) في الأحمديّة: للحاكم.

(٤) أي: على بئانهما للمفعول، والنائب ضمير الكتاب.

(٦) في الأحمدية: ابن جرير. والخبر رواه ابن جرير عن ابن جريج، عن مجاهد.

(٦) في «الأحمدية»: ابن جرير. والخبر رواه ابن جرير عن ابن جريج، عن مجاهد.

أبي ونفر معه: فما لنا؟ فنزلت هذه الآية. وقال غيره: كان المنافقون يتولون اليهود، فألحقوا بهم في التبشير بالعذاب. وقال الزجاج: معنى الآية: اجعل موضع بشارتهم العذاب. والعرب تقول: تحيتك الضرب، أي: هذا بدل لك من التحية. قال الشاعر:

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع<sup>(١)</sup>

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْيَبْتَتُونَ إِعْنَذُ الْيَزَاءِ فَإِنَّ الْيَزَاءَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ﴾ قال ابن عباس: يتخذون اليهود أولياء في العون والنصرة.

قوله تعالى: ﴿أَلْيَبْتَتُونَ إِعْنَذُ الْيَزَاءِ﴾ أي: القوة بالظهور على محمد وأصحابه، والمعنى: أيتقون بهم؟ قال مقاتل: وذلك أن اليهود أعانوا مشركي العرب على قتال رسول الله ﷺ. وقال الزجاج: أيتغي المنافقون عند الكافرين العزة. والعزة: المنعة، وشدة الغلبة، وهو مأخوذ من قولهم: أرض غزاز. قال الأصمعي: «الغزاز»: الأرض التي لا تنبت. فتأويل العزة: الغلبة والشدة التي لا يتعلق بها إذلال. قالت الخنساء:

كان لم يكونوا حمى يتقى إذ الناس إذ ذاك من عز برا<sup>(٢)</sup>

أي: من قوي وغلب سلب. ويقال: قد استعز على المريض<sup>(٣)</sup>، أي: اشتد وجعه. وكذلك قول الناس: يعز علي يفعل، أي: يشتد، وقولهم: قد عز الشيء: إذا لم يوجد، معناه: صعب أن يوجد، والباب واحد<sup>(٤)</sup>.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ أَلَا يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئَ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾

﴿إِنَّكُمْ إِذَا يَتْلَاهُمْ لَأَنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَنَفِّينَ وَالْكَافِرِينَ فِي هَهُمَ جَمِيعًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾، وقرأ عاصم، ويعقوب: «نَزَلَ» بفتح النون والزاي. قال المفسرون: الذي نزل عليهم في النهي عن مجالستهم، قوله في (الأنعام ٦٨) ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي مَائِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ وكان المنافقون يجلسون إلى أحبار اليهود، فيسخرون من القرآن ويكذبون به، فنهى الله المسلمين عن مجالستهم. وآيات الله: هي القرآن. والمعنى: إذا سمعتم الكفر بآيات الله، والاستهزاء بها، فلا تقعدوا معهم حتى يأخذوا من حديث غير الكفر والاستهزاء. ﴿إِنَّكُمْ﴾ إن جالستموهم على ما هم عليه من ذلك، فأنتم «يَتْلَاهُمْ» وفي ماذا تقع المماثلة فيه قولان:

(١) «الكتاب» لسيبويه ١/٣٦٥، ٤٢٩، و«الغزاة» ٥٣/٤ قال البخاري: وهذا البيت نسبته شرح آيات الكتاب وغيرهم إلى عمرو بن معديكرب الصحابي ولم أره في شعره. وفي «المعدة» لابن رشيق: ٢/٢٩٢. وما يعد سرقاً وليس يسرق اشتراك اللفظ المتعارف، كقول عترة:

وخيل قد دلفت لها بخيل عليها الأشد تهتصرا هتصرا

وقول عمرو بن معدي كرب:

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع /

والخيل: اسم جمع الفرس لا واحد له من لفظه، والمراد به الفرسان، وأراد بالخيل الأول: خيل الأعداء، والثاني: خيله، والضمير في «بينهم» للخليين. ودلفت: دنوت وزحفت. ووجيع: بمعنى موجه، يقول: إذا تلاقوا جملوا بدلاً من تحية بعضهم لبعض القرب الرجوع. وهذا على سبيل التحكم.

(٢) «ديوانها» ١٤٤، و«الكامل» ٢/٧٩٣، ٣/١٢٢٣، و«مجمع الأمثال» ٢/٣٠٧، و«شواهد المنهي» ٨٨، و«الحماسة» لابن الشجري ١/٢٤٦ قال ابن الشجري: «وهز»: معناه: غلب، من قول الله ﷻ ﴿وَهَزَّ فِي الطَّيْرِ﴾ [ص: ٢٣]. و«هز»: معناه: سلب، تقول: بززت الرجل: إذا سلبته سلاحه، ويقال للسلاح المسلوب: هذا يز فلان. و«من»: في البيت بمعنى الذي، وموضعها مع «هز» رفع بالابتداء و«هز» خبرها، والجملة التي هي المبتدأ وخبره خير من المبتدأ الأول الذي هو الناس، والمائد إلى الناس محذوف، كما حذفوه من قولهم: «السمن متوان بدرهم» يريدون: متوان منه، وكذلك التقدير: من عز منهم يز، ولا يجوز أن يكون «إذ ذاك» خبراً عن الناس لما ذكرته لك من امتناع الأخبار بطرف الزمان عن الأشخاص، وإذا بطل أن يكون «إذ ذاك» خبراً عن الناس، بقي أن يتعلق ببز، ولا يجوز أن تكون «من» شرطية، لأن الشرط وجوبه لا يعمل واحد منهما فيما قبله بإجماع البصريين، كما لا يتقدم على الاستفهام ما يكون في حيزه، وأجاز قوم من البغداديين أن يعمل جواب الشرط فيما تقدم عليه لفارقه الاستفهام بكونه جزاء، فعلى قول هؤلاء تحتل «من» أن تكون شرطاً، فاما «ذاك» فموضعه رفع بالابتداء وخبره محذوف. أي: ذاك كائن أو موجود، ولا يجوز أن يكون موضع ذاك على انفراد خفضاً، لأن «إذ» لا تضاف إلا إلى جملة، فموضع الجملة التي هي ذاك وخبره جر.

(٣) استمر: بالبناء للمجهول، وفي الحديث «أنه استمر برسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه» أي: اشتد به المرض وغلبه، وأشرف على الموت.

(٤) في «الصحاح»: عز الشيء يز عزاً وعزة وعزازة: إذا قل لا يكاد يوجد، فهو عزيز. وعز فلان يزر عزاً وعزازة أيضاً: أي: صار عزيزاً، أي: قوي بعد ذلة. وعز علي أن تفعل كذا، وعز علي ذاك، أي: حق واشتد، وفي المثل: «إذا عز أخوك فهز، وعز يعز عزاً: غلبه، وفي المثل «من عز هز».

أحدهما: في العصيان. والثاني: في الرضا بحالهم، لأن مُجالس الكافر غير كافر. وقد نُبّهت الآية على التحذير من مجالسة العصاة<sup>(١)</sup>. قال إبراهيم النخعي: إن الرجل ليجلس في المجلس فيتكلم بالكلمة، فيرضي الله بها، فتصيبه الرحمة فتعم من حوله، وإن الرجل ليجلس في المجلس، فيتكلم بالكلمة، فيسخط الله بها، فيصيبه السخط، فيعم من حوله.

﴿الَّذِينَ يَرْضَوْنَكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ تَسْتَحِذْ عَلَيْهِمْ وَتَتَنَزَّلْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرْضَوْنَكُمْ﴾ قال أبو سليمان: هذه الآية نزلت في المنافقين خاصة. قال مقاتل: كان المنافقون يرضون بالمؤمنين الدوائر، فإن كان الفتح، قالوا: ألم تكن معكم؟ فأعطونا من الغنيمة. وإن كان للكافرين نصيب، أي: دولة على المؤمنين، قالوا للكفار: ألم نستحوذ عليكم؟ قال المبرّد: ومعنى: ألم نستحوذ عليكم: ألم نغلبكم على رأيكم. وقال الزجاج: ألم تغلب عليكم بالموالاة لكم. و«نستحوذ» في اللغة، بمعنى: نستولي، يقال: حذت الإبل، وحزتها: إذا استوليت عليها وجمعتها. وقال غيره: ألم نستول عليكم بالمعونة والنصرة؟ وقال ابن جريج: ألم نبين لكم أنا على دينكم؟ وفي قوله: ﴿وَتَتَنَزَّلْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: نمنعكم منهم بتخيلهم عنكم. والثاني: بما نعلمكم من أخبارهم. والثالث: بصرفنا إياكم عن الدخول في الإيمان. ومراد الكلام: إظهار المنة من المنافقين على الكفار، أي: فاعرفوا لنا هذا الحق عليكم.

قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يعني المؤمنين والمنافقين. قال ابن عباس: يريد أنه آخر عقاب المنافقين.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لا سبيل لهم عليهم يوم القيامة، روى يسع الحضمي عن علي بن أبي طالب أن رجلاً جاءه، فقال: أرايت قول الله ﷻ: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ وهم يقاتلوننا [فيظهرون ويقتلون]، فقال: ولن يجعل الله للكافرين يوم القيامة على المؤمنين سبيلًا. هذا مروى عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وقتادة. والثاني: أن المراد بالسبيل: الظهور عليهم، يعني: أن المؤمنين هم الظاهرون، والعاقبة لهم، وهذا المعنى في رواية عكرمة، عن ابن عباس. والثالث: أن السبيل: الحجة. قال السدي: لم يجعل الله عليهم حجة، يعني فيما فعلوا بهم من القتل والإخراج من الديار. قال ابن جرير: لما وعد الله المؤمنين أنه لا يدخل المنافقين مدخلهم من الجنة، ولا المؤمنين مدخل المنافقين، لم يكن للكافرين على المؤمنين حجة بأن يقولوا لهم: أنتم كنتم أعداءنا، وكان المنافقون أوليائنا، وقد اجتمعتم في النار<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ يَخْدَعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى إِرْهَاقٍ وَكَانُوا يُدْكَرُونَ اللَّهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ يَخْدَعُونَ اللَّهَ﴾ أي: يعملون عمل المخادع. وقيل: يخادعون نبيّه، وهو خادعهم، أي:

(١) روى الإمام أحمد ١٤٨/٢ بترتيب الساعاتي، والترمذي ٢٠/٤ وحسنه، والنسائي ١٩٨/١ من حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر» وهو حديث صحيح. قال ابن حجر: أخرجه النسائي من حديث جابر مرفوعاً وإسناده جيد، قلت: وليس في النسائي الشطر الثاني من الحديث، وأخرجه الترمذي من وجه آخر بسند فيه ضعف، وأبو حنيفة في «مسند» ٤٧٧/٣ عن ابن عمر بسند فيه انقطاع، وأحمد ٢١٠/١ من عمر بسند فيه مجهول. وفي «القرطبي» ٤١٨/٥: فكل من جلس في مجلس مصيبة، ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمصيبة وعملوا بها، فإن لم ينكر على النكير عليهم، فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية.

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٥٦، وابن جرير ٣٢٧/٩ بإسناد صحيح، الحاكم ٣٠٩/٢، وصححه ووافقه الذهبي، وزاد السيوطي في «الدر» ٢٣٥/٢ نسبته للرباعي وعبد بن حميد وابن المنذر. و«يسع» بضم الياء في أوله وفتح السين، وسكون الياء الثانية: هو ابن معاذ الحضمي، ويقال: الكندي، وهو تابعي وثقه النسائي وغيره، مترجم في «التهذيب» ٣٨٠/١١ ووقع في «الأحمدية» وتفسير ابن كثير: «سبيل» وهو تصحف.

(٣) ذكر القرطبي في «تفسره» ٤١٩/٥ للآية التأويل الثالث: وهو أن الله سبحانه لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً منه إلا أن يتواصوا بالباطل ولا يتناهوا عن المنكر، ويتفاعدوا عن التوبة، فيكون تسلط العدو من قبلهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِنْ مُؤْمِنِينَ وَمَا كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ [الشورى] ٢٠ قال ابن العربي: وهذا نفس جداً. فيكون المعنى إذن: إن الكافرين لا يكون لهم من حيث هم كافرون سبيل ما على المؤمنين من حيث هم مؤمنون، يقومون بحقوق الإيمان ويتبعون هديّه.

مجازيهم على خداعهم. وقال الزجاج: لما أمر بقبول ما أظهروا، كان خادعاً لهم بذلك. وقيل: خداعه إياهم يكون في القيامة بإطفاء نوره، وقد شرحنا طرفاً من هذا في (البقرة).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالًا﴾ أي: متناقلين. و«كسالي»: جمع كسلان، و«الكسل»: التناقل عن الأمر. وقرأ أبو عمران الجوني: «كسالي» بفتح الكاف، وقرأ ابن السميع: «كسلي»، بفتح الكاف من غير ألف. وإنما كانوا هكذا. لأنهم يصلون حذراً على دمائهم، لا يرجون بفعلها ثواباً، ولا يخافون بتركها عقاباً<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَرَاءُونَ النَّاسَ﴾ أي: يصلون ليراهم الناس. قال قتادة: والله لولا الناس ما صلى المنافق<sup>(٢)</sup>. وفي تسمية ذكرهم بالقليل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سُمي قليلاً، لأنه غير مقبول، قاله علي عليه السلام، وكتادة. والثاني: لأنه رياء، ولو كان لله لكان كثيراً، قاله ابن عباس، والحسن. والثالث: أنه قليل في نفسه، لأنهم يقتصرون على ما يظهر، دون ما يخفى من القراءة والتسبيح، ذكره الماوردي.

﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا يَهْدِ لَهُ سَبِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ المذبذب: المتردد بين أمرين، وأصل المذبذب: التحرك، والاضطراب، وهذه صفة المنافق، لأنه محير في دينه لا يرجع إلى اعتقاد صحيح. قال قتادة: ليسوا بالمشركين المصّرّحين بالشرك، ولا بالمؤمنين المخلصين. قال ابن زيد: ومعنى «بين ذلك»: بين الإسلام والكفر، لم يظهروا الكفر فيكونوا إلى الكفار، ولم يصدقوا الإيمان، فيكونوا إلى المؤمنين. قال ابن عباس: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا يَهْدِ لَهُ سَبِيلًا﴾ إلى الهدى. وقد روى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «مثل المنافق: مثل الشاة العائرة بين الغنمين تُعْمَرُ إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة، ولا تدري أيها تتبع»<sup>(٣)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَرْيَدُونَ أَنْ تَحْكُمُوا بِمَا عَلَى كُمْ سُلْطَنًا يُبِينُ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ في المراد بالكافرين قولان: أحدهما: اليهود، قاله ابن عباس. والثاني: المنافقون، قال الزجاج: ومعنى الآية: لا تجعلوهم بطانتكم وخاصتكم. والسلطان: الحجة الظاهرة<sup>(٤)</sup>، وإنما قيل للأمير: سلطان، لأنه حجة الله في أرضه، واشتقاق السلطان: من السليط. والسليط<sup>(٥)</sup>: ما يستضاء به، ومن هذا قيل للزيت: السليط. والعرب تؤثت السلطان وتذكره، تقول: قضت عليك السلطان، وأمرتك السلطان، والتذكر أكثر وبه جاء القرآن، فمن أثت، ذهب إلى معنى الحجة، ومن ذكر، أراد صاحب السلطان. قال ابن الأنباري: تقدير الآية: أريدون أن تجعلوا الله عليكم بموالة الكافرين حجة بينة تلزمكم عذابه، وتكسبكم غضبه؟.

﴿إِنَّ الْكُفْرَانَ فِي الذُّرَى الْأَشْكَالِ مِنَ النَّارِ وَكَانَ يُعَذِّبُهُمْ بِغَيْرِهَا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْكُفْرَانَ فِي الذُّرَى الْأَشْكَالِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: بفتح الراء، وقرأ

(١) أخرج الإمام مسلم ٤٥١/١ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة المشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيها لأتوها ولو حيوا، ولقد هممت أن أمر بالصلاة فقام، ثم أمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار». وفي «السند» عن أبي هريرة رضي الله عنه «ولو لا ما في البيوت من النساء والذرية لأقمت صلاة المشاء، وأمرت فتياني يحرقون ما في البيوت بالنار». وروى الإمام مالك في «الموطأ» ٢٢٠/١ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان، قام فقرعها أرمياً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً» ورواه مسلم ٤٣٤/١، والترمذي ٣٠١/١، والنسائي ٢٥٤/١.

(٢) في «الأحمدية» المنافقون.

(٣) رواه الإمام أحمد ١٢٩/٧، ومسلم ٢١٤٦/٤ وابن جرير ٣٣٣/٩. والشاة العائرة: هي المترددة بين قطيعين لا تدري أيهما تتبع، من قولهم: حار القرس والكلب وغيرهما يعير عياراً: إذ ذهب كأنه منفلت من صاحبه، فهو يتردد هنا وهنا. وقوله: تعير إلى هذه مرة. أي: تذهب في ترددها إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة.

(٤) روى ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن ابن عباس في قوله «سُلْطَنًا يُبِينُ»: كل سلطان في القرآن حجة.

(٥) في «الأحمدية» التسليط، وهو خطأ. و«السليط» الزيت. قال: النابتة الجدي:

عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: بتسكين الراء. قال الفراء: وهي لغتان: قال أبو عبيدة: جهنم أدراك، أي: منازل، وأطبق<sup>(١)</sup>. فكل منزل منها: درك. وحكى ابن الأنباري عن بعض العلماء أنه قال: الدركات: مرق، بعضها تحت بعض. وقال الضحاك: الدرج: إذا كان بعضها فوق بعضها، والدرك: إذا كان بعضها أسفل من بعض. وقال ابن فارس: الجنة درجات، والنار دركات. وقال ابن مسعود في هذه الآية: هم في توايت من حديد مبهمة [عليهم]<sup>(٢)</sup>. قال ابن الأنباري: المبهمة: التي لا أفعال عليها، يقال: أمرٌ مبهمٌ: إذا كان ملتبساً لا يعرف معناه، ولا بابه.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ نَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ قال ابن عباس: مانعاً من عذاب الله.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَخْلَصُوا وَبَنَتْ لَهُمْ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ قال مقاتل: سبب نزولها: أن قوماً قالوا عند ذكر مستقر المنافقين: فقد كان فلان وفلان منافقين، فتابوا، فكيف يُفعل بهم؟ فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. ومعنى الآية: إلا الذين تابوا من النفاق ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ أعمالهم بعد التوبة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: استمسكوا بدينه. ﴿وَأَخْلَصُوا وَبَنَتْ لَهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الإسلام، وإخلاصه: رفع الشرك عنه، قاله مقاتل. والثاني: أنه العمل، وإخلاصه: رفع شوائب النفاق والرياء منه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في «مع» قولان: أحدهما: أنها على أصلها، وهو الاقتران. وفي ماذا اقترنوا بالمؤمنين؟ فيه قولان: أحدهما: في الولاية، قاله مقاتل. والثاني: في الدين. والثواب. قاله أبو سليمان. والثاني: أنها بمعنى «من» فتقديره: فأولئك من المؤمنين، قاله الفراء.

﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ «ما» حرف استفهام، ومعناه: التقرير<sup>(٤)</sup>، أي: إن الله لا يعذب الشاكر المؤمن، ومعنى الآية: ما يصنع الله بعذابكم إن شكرتم نعمه، وآمتم به وبرسوله. والإيمان مقدم في المعنى وإن أُخِّر في اللفظ. وروي عن ابن عباس أن المراد بالشكر: التوحيد.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ أي: للقليل من أعمالكم، علماً بنياتكم، وقيل: شاكراً، أي: قابلاً.

﴿لَا يُجِبُ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَى مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ جَمِيعًا عَلِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يُجِبُ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن ضيفاً تضيف قوماً فأسأوا قراءاً فاشتكاهم، فنزلت هذه الآية رخصة في أن يشكوا، قاله مجاهد<sup>(٥)</sup>. والثاني: أن رجلاً نال من أبي بكر

(١) تمام كلام أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ١٤٢: ويقال للجميل الذي عجز عن بلوغ الركية: أعطني دركاً أصل به.

(٢) قال السيوطي في «الدر» ٢٣٦/٢: روى ابن أبي شيبة، وهناد، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم في صفة النار عن ابن مسعود. قلت: وفي سنده انقطاع، لأن خيشمة بن عبد الرحمن الراوي عن ابن مسعود لم يسمع منه، ذكره الإمام أحمد، ورواه ابن أبي حاتم من طريق حماد بن سلمة: أخبرنا علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن أن ابن مسعود... وعلي بن يزيد ضعيف، والقاسم بن عبد الرحمن صدوق يرسل كثيراً. وفي «الطبري» ٣٣٩/٩: عن أبي هريرة: ﴿إِنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا الْأَشْكَالَ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ قال: «في توايت تَرَجَّعَ عليهم» وفي «تفسير ابن كثير» ٥٧٠/١: ورواه ابن أبي حاتم بسند حسن، ولفظه: «الدرك الأسفل: بيوت لها أبواب تطبق عليهم، فتوقد من تحتم ومن فوقهم».

(٣) في «صحيح البخاري» ٢٠٠/٨: عن الأسود قال: كنا في حلقة عبد الله، ف جاء حذيفة حتى قام علينا، فسلم، ثم قال: لقد أنزل النفاق على قوم خير منكم. قال الأسود: سبحان الله! إن الله يقول: ﴿إِنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا الْأَشْكَالَ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ فبسم عبد الله، وجلس حذيفة في ناحية المسجد، فقام عبد الله، ففترق أصحابه، فرماني بالحصى، فاتيت، فقال حذيفة: عجبت من ضحكك وقد عرف ما قلت، لقد أنزل النفاق على قوم كانوا خيراً منكم، ثم تابوا فتاب الله عليهم. قال الحافظ ابن حجر: ويستفاد من قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَخْلَصُوا وَبَنَتْ لَهُمْ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ صحة توبة الزنديق، وقبولها على ما عليه الجمهور، فإنها مستثناة من المنافقين من قوله: ﴿إِنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا الْأَشْكَالَ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ وقد استدل بذلك جماعة، منهم أبو بكر الرازي في «أحكام القرآن».

(٤) في «الأحذية»: التقدير، وهو خطأ.

(٥) ابن جرير ٣٤٧/٩، ونسب السيوطي في «الدر» للفرابي وعبد بن حميد، وجاء في «تفسير ابن كثير» ٥٧٠/١: قال ابن عباس في تفسير الآية: يقول: لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوماً، فإنه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه، وذلك قوله ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ وإن صبر فهو خير له. وروى أبو داود ١٠٧/٢ عن عائشة قالت: سُرق لها شيء، فجمعت تدعو عليه، فقال النبي ﷺ: «لا تسبني» (قال الخطابي: لا تسبني عنه، =



الصدوق والنبي ﷺ حاضر، فسكت عنه أبو بكر مراراً، ثم ردة عليه، فقام النبي ﷺ، فقال أبو بكر: يا رسول الله شتمني فلم تقل له شيئاً، حتى إذا رددت عليه قمت؟! فقال: «إن ملكاً كان يجيب عنك، فلما رددت عليه، ذهب الملك، وجاء الشيطان» فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، هذا قول مقاتل. واختلف القراء في قراءة ﴿لَا مَن ظَلَمَ﴾ فقرأ الجمهور بضم الظاء، وكسر اللام. وقرأ عبد الله بن عمرو، والحسن، وابن المسيب، وأبو رجاء، وسعيد بن جبيرة، وقادة، والضحاك، وزيد بن أسلم، بفتحهما. فعلى قراءة الجمهور، في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: إلا أن يدعو المظلوم على من ظلمه، فإن الله قد أرخص له، قاله ابن عباس. والثاني: إلا أن ينتصر المظلوم من ظالمه، قاله الحسن، والسدي. والثالث: إلا أن يخبر المظلوم بظلم من ظلمه، رواه ابن أبي نجيع عن مجاهد. وروى ابن جريج عنه قال: إلا أن يجهر الضيف بظم من لم يضيفه. فأما قراءة من فتح الظاء، فقال ثعلب: هي مردودة على قوله: ﴿مَّا يَمْكُلُ اللَّهُ بِمَلَايِكُمْ﴾ إلا من ظلم. وذكر الزجاج فيها قولين: أحدهما: أن المعنى: إلا أن الظالم يجهر بالسوء ظملاً. والثاني: إلا أن تجهروا بالسوء للظالم. فعلى هذا تكون «إلا» في هذا المكان استثناء منقطعاً، ومعناها: لكن المظلوم يجوز له أن يجهر لظالمه بالسوء. ولكن الظالم قد يجهر بالسوء. واجهروا له بالسوء<sup>(٢)</sup>. وقال ابن زيد: إلا من ظلم، أي: أقام على النفاق، فيجهر له بالسوء حتى يتزعزع.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَوِيحاً﴾ أي: لما تجهرون به من سوء القول ﴿عَلِيماً﴾ بما تخفون. وقيل: سميعاً لقول المظلوم، عليم بما في قلبه، فليتب الله، ولا يقل إلا الحق. وقال الحسن: من ظلم، فقد رخص له أن يدعو على ظالمه من غير أن يعتدي، مثل أن يقول: اللهم أعني عليه، اللهم استخرج لي حقي، اللهم حل بينه وبين ما يريد<sup>(٣)</sup>.  
﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفَوْهُ أَوْ تُقَرُّوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا﴾ قال ابن عباس: يريد من أعمال البر كالصيام والصدقة. وقال بعضهم: إن تبدوا خيراً بدلاً من السوء. وأكثرهم على أن «الهاء» في «تخفوه» تعود إلى الخير. وقال بعضهم: تعود إلى السوء.

أي: لا تخفني عن بدعائك) وقال الحسن البصري: لا يدع عليه، وليل: اللهم أعني عليه واستخرج حقي منه. وقال عبد الكريم بن مالك الجزري في هذه الآية: هو الرجل يشتمك فتشتمه لكن إن اتى عليك فلا تفتري عليه، لقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَّقُونَ اللَّهَ لَآتَيْنَهُم مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ مَّا يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا مَّا يَكْفِيهِمْ﴾ وروى أبو داود ٣٧٧/٤ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الاستئذان ما قاله فعلى الباطل منها ما لم يعتد المظلوم» أقلت: ورواه أحمد في المسند ١٩٤/١٤ والبخاري في «الأدب المفرد» ٥١٢/١، ومسلم ٢٠٠٠/٤، والترمذي ١٣٩٩/٣. وقد روى البخاري ٧٧/٥، ومسلم ١٣٥٢/٣ عن عتبة بن عامر قال: قلنا: يا رسول الله إنك تبغون فلا يقرؤنا، فما ترى في ذلك؟ فقال: «إذا نزلتم يقوم فأمرؤا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا منهم وإن لم يفعلوا، فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم» وروى الإمام أحمد ١٣١/٤، وأبو داود عن المقدم أبي كريمة عن النبي ﷺ أنه قال: «أيما مسلم ضاف قوماً فأصبح الضيف محروماً، فإن حقاً على كل مسلم نصره حتى يأخذ بقري ليلته من زعمه وماله» وروى أحمد ١٣٠/٤ أيضاً عن المقدم أبي كريمة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ليلة الضيف واجبة على كل مسلم، فإن أصبح بفاته محروماً كان ديناً عليه، فإن شاء اقتضاه وإن شاء تركه» ورواه أبو داود ٤٦٩/٣. ومن هذا القبيل الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار عن أبي هريرة «أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: إن لي جاراً يؤذيني، فقال له: «أخرج متاعك، فضعه على الطريق»، فأخذ الرجل متاعه، فطرحه على الطريق، فجعل كل من مر به قال: ما لك؟ قال: جاري يؤذيني، فيقول: اللهم العنه، اللهم اخزه». قال: فقال: أرجع إلى منزلك، وقال: لا أؤذيك أبداً» ورواه أبو داود ٤٦٠/٤ والبخاري في «الأدب المفرد» ٢١٦/١ وهو حديث حسن.

(١) لم يذكره أحد من المفسرين سبباً لنزول الآية، وقد جاء معنى الحديث بدون ذكر سبب، فعن ابن المسيب قال: بينما رسول الله ﷺ جالس ومعه أصحابه وقع رجل بأبي بكر ﷺ، فأذاه فصمت عنه أبو بكر، ثم أذاه الثانية، فصمت عنه أبو بكر، ثم أذاه الثالثة، فانتصر أبو بكر، فقام رسول الله ﷺ، فقال: أوجدت علي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «نزل ملك من السماء بكتبه بما قال لك، فلما انتصرت ذهب الملك وقعد الشيطان فلم أكن لأجلس إذ وقع الشيطان» رواه أبو داود هكذا مراسلاً ٣٧٧/٤ ومتصلاً من طريق ابن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة بنحوه، قال المنذري: وذكر البخاري في «تاريخه» أن المرسل أصح.

(٢) في «مجمع البيان» للطبرسي ٢٧٣/٦ قال ابن جني: ظَلَمَ وظَلِمَ جميعاً على الاستثناء المنقطع، أي: لكن من ظلم فإن الله لا يخفى عليه أمره، ودل عليه قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَكِينًا﴾ وموضع «من» نصب في الوجهين جميعاً، قال الزجاج: فيكون المعنى: لكن المظلوم يجهر بظلمته تشكياً، ولكن الظالم يجهر بذلك ظملاً، قال: ويجوز أن يكون موضع «من» رفعاً، على معنى: لا يحب الله أن يجهر بالسوء من القول إلا من ظلم، فيكون «من» بدلاً من معنى «أخذه». المعنى: لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء من القول إلا المظلوم، قال: وفيها وجه آخر لا أعلم أحداً من النحويين ذكره، وهو أن يكون على معنى: لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول. وقال الطبري: وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ ﴿لَا مَن ظَلَمَ﴾ بضم الظاء، لإجماع الحجة من القراءة وأهل التأويل على صحتها، وشذوذ قراءة من قرأ ذلك بالفتح.

(٣) ابن جرير ٣٤٤/٩

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَدُوًّا﴾ قال أبو سليمان: أي: لم يزل ذا عفوٍ مع قدرته، فاعفوا أنتم مع القدرة<sup>(١)</sup>.  
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود كانوا يؤمنون بموسى، وعزير، والتوراة، ويكفرون بعيسى، والإنجيل، ومحمد، والقرآن، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم اليهود والنصارى، آمن اليهود بالتوراة وموسى، وكفروا بالإنجيل وعيسى، وآمن النصارى بالإنجيل وعيسى، وكفروا بمحمد والقرآن، قاله قتادة. ومعنى قوله: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أي: يريدون أن يفرقوا بين الإيمان بالله، والإيمان برسله، ولا يصح الإيمان به والتكذيب برسله أو ببعضهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: بين إيمانهم ببعض الرسل، وتكذيبهم ببعض ﴿سَبِيلًا﴾ أي: مذهبا يذهبون إليه. وقال ابن جريج: ديناً يدينون به.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْدَانَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِمًّا﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ آخِلٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ ذكره (الحق) هاهنا تأكيداً لكفرهم إزالةً لتوهم من يتوهم أن إيمانهم ببعض الرسل<sup>(٢)</sup> يزيل عنهم اسم الكفر.

﴿يَسْأَلُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِأَعْيُنِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَمُوسَى شَاكِرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم سألوه أن ينزل كتاباً عليهم خاصة، هذا قول الحسن، وقاتدة. والثاني: أن اليهود والنصارى أتوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: لا نبايعك حتى تأتينا بكتاب من عند الله إلى فلان أنك رسول الله، وإلى فلان بكتاب أنك رسول الله، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن جريج. والثالث: أن اليهود سألوا النبي ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء مكتوباً كما نزلت التوراة على موسى، هذا قول القرظي، والسدي. وفي المراد بأهل الكتاب قولان: أحدهما: اليهود والنصارى. والثاني: اليهود. وفي المراد بأهل الكتاب المنزل من السماء قولان: أحدهما: كتاب مكتوب غير القرآن. والثاني: كتاب بتصديقه في رسالته، وقد بينا في (البقرة) معنى سؤالهم رؤية الله جهرة، واتخاذهم العجل. والبيّنات: الآيات التي جاء بها موسى. فإن قيل: كيف قال: ثم اتخذوا العجل، و«ثم» تقتضي التراخي والتأخر، أفكان اتخاذ العجل بعد قولهم: «أرنا الله جهرة؟» فغنه أربعة أجوبة، ذكرهن ابن الأنباري. أحدهن: أن تكون «ثم» مردودة على فعلهم القديم، والمعنى: وإذ وعدنا موسى أربعين ليلة، فخالفوا أيضاً، ثم اتخذوا العجل. والثاني: أن تكون مقدمة في المعنى، مؤخرة في اللفظ، والتقدير: فقد اتخذوا العجل، ثم سألوا موسى أكبر من ذلك. ومثله «فَالِئِنَّ إِلَهُهُمْ ثُمَّ قَوْلَ عَنَّمْ فَأَنْظَرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ» [النمل: ٢٨] المعنى: فألقه إليهم، ثم انظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم. والثالث: أن المعنى، ثم كانوا اتخذوا العجل، فأضمر الكون. والرابع: أن «ثم» معناها التأخير في الإخبار، والتقديم في الفعل، كما يقول القائل: شربت الماء، ثم أكلت الخبز، يريد: شربت الماء، ثم أخبركم أنني أكلت الخبز بعد إخباري بشرب الماء<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ أي: لم نستأصل عبدة العجل. وال«السلطان المبين»: الحجّة البينة. قال ابن عباس: اليد والعصا. وقال غيره: الآيات التسع.

(١) روى الإمام أحمد في «المسند» ١٢/١٩٤، ومسلم في «صحيحه» ٤/٢٠٠١ عن أبي هريرة مرفوعاً: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله».

(٢) في «الأحذية»: ذكرهم بزيادة «هم» ولا معنى لها هنا.

(٣) في «البحر المحيط» ٣/٣٨٧: «ثم» للترتيب في الأخبار لا في نفس الأمر، ثم قد كان من أمرهم أن اتخذوا العجل، آباؤهم والذين سبقوا غير الذين اتخذوا العجل.

﴿وَرَفَعْنَا قُورَيْسَهُمُ الْطُّورَ يَبْتَغِيهِمْ وَفَلَّانَا لَهُمْ أَتَّخَذُوا إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ وَلَا بَلَاءُهُمْ﴾ (١٥٤)

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا قُورَيْسَهُمُ الْطُّورَ يَبْتَغِيهِمْ﴾ أي: بما أعطوا الله من العهد والميثاق: ليعملن بما في التوراة.

قوله تعالى: ﴿لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ قرأ نافع: لا تعدوا، بتسكين العين، وتشديد الدال، وروى عنه ورش «تعدوا» بفتح العين، وتشديد الدال. وقرأ الباقون «تعدوا» خفيفة، وكلهم ضم الدال<sup>(١)</sup>. وقد ذكرنا هذا وغيره في (البقرة) و«الميثاق الغليظ»: العهد المؤكد.

﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ نَفْسُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَوْلِهِمُ الْآيَةَ بغيرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٥٥)

قوله تعالى: ﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ نَفْسُهُمْ﴾ «ما» صلة مؤكدة. قال الزجاج: والمعنى: فبنقضهم ميثاقهم، وهو أن الله أخذ عليهم الميثاق أن يبينوا ما أنزل عليهم من ذكر النبي ﷺ وغيره. والجالب للباء العامل فيها، وقوله: ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ مَيْتَاتٍ﴾ أي: بنقضهم ميثاقهم، والأشياء التي ذكرت بعده حرمنا عليهم. وقوله: ﴿يُظَاهِرُ﴾ بدل من قوله: ﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ﴾، وجعل الله جزاءهم على كفرهم أن طبع على قلوبهم. وقال ابن فارس: الطبع: الختم و«من ذلك» طبع الله على قلب الكافر [كانه] ختم [عليه حتى لا يصل إليه هدى ولا نور] فلم يوفق للخير، والطابع: الخاتم يختم به<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: فلا يؤمن منهم إلا القليل، وهم عبد الله بن سلام، وأصحابه، قاله ابن عباس. والثاني: المعنى: إيمانهم قليل، وهو قولهم: ربنا الله، قاله مجاهد.

﴿وَيَكْفُرُ بِهِمْ عَلَىٰ مَرَّةٍ مِّنْهُمَا عَلِيمًا﴾ (١٥٦)

قوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُ بِهِمْ﴾ في إعادة ذكر الكفر فائدة: وفيها قولان. أحدهما: أنه أراد: ويكفرهم بمحمد والقرآن، قاله ابن عباس. والثاني: ويكفرهم بالمسيح، وقد بشروا به، قاله أبو سليمان الدمشقي. فاما «البهتان» فهو في قول الجماعة: قذفهم مريم بالزنى.

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظُّلُمِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨)

قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾ قال الزجاج: أي باعتبارفهم بقتلهم إياه، وما قتلوه، يُعَذِّبُونَ عَذَابَ مَنْ قَتَلَ، لأنهم قتلوا الذي قتلوا على أنه نبي. وفي قوله: «رسول الله» قولان: أحدهما: أنه من قول اليهود، فيكون المعنى: أنه رسول الله على زعمه. والثاني: أنه من قول الله، لا على وجه الحكاية عنهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي: ألقي شبهه على غيره. وفيمن ألقي عليه شبهه قولان: أحدهما: أنه بعض من أراد قتله من اليهود. روى أبو صالح عن ابن عباس: أن اليهود لما اجتمعت على قتل عيسى، أدخله جبريل خوخة لها روزة، ودخل وراءه رجل منهم، فألقى الله عليه شبه عيسى، فلما خرج على أصحابه، قتلوه يظنونهم عيسى، ثم صلبوه، وبهذا قال مقاتل، وأبو سليمان. والثاني: أنه رجل من أصحاب عيسى، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن عيسى خرج على أصحابه لما أراد الله رفعه، فقال: أيكم يُلقى عليه شبيهي، فيقتل مكاني، ويكون معي في درجتي؟ فقام شاب فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم أعاد القول، فقام الشاب، فقال عيسى: اجلس، ثم أعاد، فقال الشاب: أنا، فقال: نعم

(١) في الطبري ٣٦٢/٩: واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه عامة قراء أمصار المسلمين ﴿لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ بتخفيف العين من قول القائل: عدوت في الأمر: إذا تجاوزت الحق فيه، أعدد عدواً وعدواً وعدواً، وقرأ ذلك بعض قراء أهل المدينة «وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا» بتشديد العين وتشديد الدال، والجمع بين ساكنين، بمعنى تعدوا، ثم تدمج الدال فتصير دالاً مشددة مضمومة، وفي «النشر» ٢٤٤/٢: واختلفوا في «تعدوا» فقرأ أبو جعفر: بتشديد الدال مع إسكان العين، وكذلك روى ورش إلا أنه فتح العين، وكذلك قالون إلا أنه اختلف عنه في إسكان العين واختلاسها، فروى عنه المراقبون من طريقه: إسكان العين مع التشديد كما يجرى جعفر سواء، وهكذا وردت النصوص عنه، وروى المغاربة عنه: للاختلاس لحركة العين، ويعبر بعضهم عنه بالإخفاء فرأوا من الجمع بين الساكنين. وانظر «إبراز المعاني» ٢٩٣.

(٢) «معجم مقاييس اللغة» ٤٣٨/٣، وما بين معقنين منه.

أنت ذاك، فألقي عليه شبه عيسى، ورفع عيسى، وجاء اليهود، فأخذوا الرجل، فقتلوه، ثم صلبوه<sup>(١)</sup>. وبهذا القول قال وهب بن منبه، وقتادة، والسدي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا الَّذِينَ اَخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ في المختلفين قولان: أحدهما: أنهم اليهود، فعلى هذا في هاء «فيه» قولان: أحدهما: أنها كناية عن قتله، فاختلفوا هل قتلوه أم لا؟. وفي سبب اختلافهم في ذلك قولان. أحدهما: أنهم لما قتلوا الشخص المشبه كان الشبه قد أُلقي على وجهه دون جسده، فقالوا: الوجه وجه عيسى، والجسد جسد غيره، ذكره ابن السائب. والثاني: أنهم قالوا: إن كان هذا عيسى، فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا، فأين عيسى؟ يعنون الذي دخل في طلبه، هذا قول السدي. والثاني: أن «الهاء» كناية عن عيسى، واختلافهم فيه قول بعضهم: هو ولد زني، وقول بعضهم: هو ساحر. والثاني: أن المختلفين النصارى، فعلى هذا في هاء «فيه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى قتله، هل قتل أم لا؟ والثاني: أنها ترجع إليه، هل هو إله أم لا؟ وفي هاء «منه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى قتله. والثاني: إلى نفسه، هل هو إله، أم لغيرِ رُشدة، أم هو ساحر؟.

قوله تعالى: ﴿مَا كُنْ مِنْهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا انْتِغَ الظَّنُّ﴾ قال الزجاج: «اتباع» منصوب بالاستثناء، وهو استثناء ليس من الأول. والمعنى: ما لهم به من علم إلا أنهم يتبعون الظن، وإن رُفِعَ جاز على أن يجعل علمهم اتباع الظن، كما تقول العرب: تحيتك الضرب.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قُلُوهُ﴾ في «الهاء» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الظن فيكون المعنى: وما قتلوا ظنهم يقيناً، هذا قول ابن عباس. والثاني: أنها ترجع إلى العلم، أي: ما قتلوا [العلم به] يقيناً، تقول: قتلته يقيناً، وقتلته علماً [للرأي والحديث]<sup>(٢)</sup> هذا قول الفراء، وابن قتيبة. قال ابن قتيبة: وأصل هذا: أن القتل للشيء يكون عن قهر واستعلاء وغلبة، يقول: فلم يكن علمهم بقتل المسيح علماً أحيط به، إنما كان ظناً. والثالث: أنها ترجع إلى عيسى، فيكون المعنى: وما قتلوا عيسى حقاً، هذا قول الحسن. وقال ابن الأنباري: اليقين مؤخر في المعنى، فالتقدير: وما قتلوه، بل رفعه الله إليه يقيناً.

﴿وَلَنْ يَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ قَبْلَ مَوْتِهِ. وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿٣٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ قال الزجاج: المعنى: وما منهم أحد إلا ليؤمنن به، ومثله ﴿وَلَنْ يَنْكَرُوا إِلَّا وَأَدْعَاهُمْ﴾ [مریم: ٧١]. وفي أهل الكتاب قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله ابن عباس. والثاني: اليهود والنصارى، قاله الحسن، وعكرمة. وفي هاء «به» قولان: أحدهما: أنها راجعة إلى عيسى، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنها راجعة إلى محمد ﷺ، قاله عكرمة. وفي هاء «موته» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى المؤمنين. روى سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: ليس يهودي يموت أبداً حتى يؤمن بعيسى، فقيل لابن عباس: إن خر من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهوي<sup>(٣)</sup> قال: وهي في قراءة أبي: «قبل موتهم»<sup>(٤)</sup>. وهذا قول مجاهد، وسعيد بن جبیر. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: يؤمن اليهودي قبل أن يموت، ولا تخرج روح النصراني حتى يشهد أن عيسى عبدٌ. وقال عكرمة: لا تخرج روح اليهودي والنصراني حتى يؤمن بمحمد ﷺ. والثاني: أنها تعود إلى عيسى. روى عطاء عن ابن عباس قال: إذا نزل إلى الأرض لا يبقى يهودي ولا نصراني، ولا أحدٌ يعبد غير الله إلا أتبعه

(١) هو قطعة من خبر طويل رواه ابن أبي حاتم، وذكره الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٥٧٤/١ وصححه إسناده إلى ابن عباس. وقد استبعد الشيخ أحمد شاکر في «عمدة التفسير» ٣١/٤ صحة هذا الأثر، ورده، واستنتج أنه من أوامم المنهال بن عمرو الأسدي، راوياً عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس، ثم قال: فالذي يؤمن به موثقين هو ما أخبرنا الله به في كتابه نصاً أنهم ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم دون أن ندخل في تفصيل كيف شبه لهم، وعلى مَنْ مِنَ الناس ألقي شبهه؟ فهذا التفصيل لم تكلف الإيمان به، إذ لم يعلمنا الله ولا رسوله بشيء من ذلك التفصيل.

(٢) «غريب القرآن» ص ١٣٧، والزيادة منه.

(٣) الهوي، بضم الهاء، وكسر الواو والياء المشددة: مصدر هوى يهوي: إذا سقط من فوق إلى أسفل.

(٤) رواه ابن جرير الطبري ٣٨٢/٩، ولفظه: عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس: ﴿وَلَنْ يَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال: هي في قراءة أبي «قبل موتهم» ليس يهودي يموت أبداً حتى يؤمن بعيسى. قيل لابن عباس: أرايت إن خر من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهوي، فقيل: أرايت إن ضرب عنق أحد منهم؟ قال: يلجأ بها لسانه.

وصدقه، وشهد أنه روح الله، وكلمته، وعبد، ونبيه<sup>(١)</sup>. وهذا قول قتادة، وابن قتيبة، واختاره ابن جرير<sup>(٢)</sup>، وعن الحسن كالقولين. وقال الزجاج: هذا بعيد، لعموم قوله: ﴿وَلَا يَنْفَعُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾، والذين يبقون حينئذ شرمة منهم، إلا أن يكون المعنى: إنهم كلهم يقولون: إن عيسى الذي ينزل لقتل الدجال نؤمن به.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْفَيْتَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ قال قتادة: يكون عليهم شهيداً أنه قد بلغ رسالات ربه، وأقر بالعبودية على نفسه.

﴿فَيُظَلِّقُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبَقَتْ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَيَصَدِّقُهُمُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿فَيُظَلِّقُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قال مقاتل: حرم الله على أهل التوراة الربا، وأن يأكلوا أموال الناس ظلماً، ففعلوا، وصدوا عن دين الله، وعن الإيمان بمحمد ﷺ، فحرم الله عليهم ما ذكر في قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كَعَلَى ذِي ظُلْفَرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] عقوبة لهم. قال أبو سليمان: وظلمهم: نقضهم ميثاقهم، وكفرهم بآيات الله، وما ذكر في الآيات قبلها. وقال مجاهد: ﴿وَيَصَدِّقُهُمُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال: صدّهم أنفسهم وغيرهم عن الحق. قال ابن عباس: صدّهم عن سبيل الله، يعني الإسلام، وأكلهم أموال الناس بالباطل، أي: بالكذب على دين الله، وأخذ الرشى على حكم الله، وتبديل الكتب التي أنزلها الله ليستديموا المآكل.

﴿وَأَعَدُّهُمْ الزَّكَاةَ وَكَفَرُوا عَنْهُ وَأَكَلُوا أَمْوَالَهُمْ الْأَنْفُسِ وَالْأَيْمَانِ وَأَعَدُّنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَعَدُّنَا﴾ أي: أعدنا للكافرين، يعني اليهود. وقيل: إنما قال «منهم»، لأنه علم أن قوماً منهم يؤمنون، فيؤمنون العذاب.

(١) ابن جرير ٣٨٠/٩ وإسناده صحيح، وقد صحح الحافظ ابن كثير الروايات التي جاءت عن ابن عباس في تفسير هذه الآية.

(٢) قال أبو جعفر الطبري ٣٨٦/٩ وأولى الأقوال بالصحة والصواب، قول من قال: تأويل ذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب من غيره من الأقوال، لأن الله جل ثناؤه حكم لكل مؤمن بمحمد ﷺ بحكم أهل الإيمان في الموارثة والصلاة عليه، والحق صغار أولاده بحكمه في الملة، فلو كان كل كتابي يؤمن بعيسى قبل موته، لوجب أن لا يرث الكتابي إذا مات على ملته إلا أولاده الصغار، أو البالغون منهم من أهل الإسلام، إن كان له ولد صغير أو بالغ مسلم، وإن لم يكن له ولد صغير ولا بالغ مسلم، كان ميراثه مصروفاً حيث يصرف مال المسلم يموت ولا وارث له، وأن يكون حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه وغسله وتقييره، لأن من مات مؤمناً بعيسى، فقد مات مؤمناً بمحمد ﷺ، وجميع الرسل. وذلك أن عيسى صلوات الله عليه، جاء بتصديق محمد وجميع المرسلين صلوات الله عليهم، فالمصدق بعيسى والمؤمن به، مصدق بمحمد وجميع أنبياء الله ورسله، كما أن المؤمن بمحمد، مؤمن بعيسى وجميع أنبياء الله ورسله. فغير جائز أن يكون مؤمناً بعيسى من كان بمحمد مكذباً. وقال الحافظ ابن كثير ٥٧٧/١: ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجبهة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم، فقتلوا الشبه وهم لا يبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه وإنه باق حي، وإنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التي ستوردنا إن شاء الله قريباً - فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف. فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ، ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ولهذا قال: ﴿وَلَا يَنْفَعُ أَهْلَ الْكِتَابِ إِذَا كُذِّبَتْ بِهِ قَوْلَ مَوَدَّةٍ﴾ أي: قبل موت عيسى ﷺ الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب ﴿وَيَوْمَ الْفَيْتَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ أي: بأعمالهم التي شاهدنا منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض. فاما من فسر هذه الآية بأن المعنى أن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما الصلاة والسلام - فهذا هو الواقع، وذلك أن كل أحد عند احتضاره ينجلي له ما كان جاهلاً به فيؤمن به، ولكن لا يكون ذلك إيماناً تاماً له إذا كان قد شاهد الملك، كما قال تعالى في أول هذه السورة: ﴿وَلَكِنَّهُمْ أَكْثَرُ يُكْذِبُونَ﴾ يَكْذِبُونَ أَكْثَرُ حَقٌّ إِذَا حَصَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُنْتُ أَتَقَنُّ وَلَا أَكُونُ بِمُتَوَكِّلٍ رَحْمَةً كَقَوْلِهِ ﴿قُلْنَا زَاكِرًا فَلَمَّا كَلَمْنَا إِلَهُهُ وَرَدَّ رَسَدًا وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا يُكْفِيهِمْ﴾ قُلْنَا إِلَهُهُ بِمَقْعَدِهِمْ لَمَّا رَأَوْا بَنَاتًا [المؤمن: ٨٤، ٨٥] وهذا يدل على ضعف ما احتج به ابن جرير في رد هذا القول، حيث قال: ولو كان المراد بهذه الآية هذا لكان كل من آمن بمحمد ﷺ أو بالمسيح ممن كفر بهما يكون على دينهما حينئذ لا يرثه أقرباؤه من أهل دينه، لأنه قد أخبر الصادق أنه يؤمن به قبل موته. فهذا ليس بجيد، إذ لا يلزم من إيمانه في حالة لا ينفعه إيمانه أنه يصير بذلك مسلماً. ألا ترى قول ابن عباس: ولو تردى من شاق، أو ضرب بالسيف، أو أقرسه سبع، فإنه لا بد أن يؤمن بعيسى! فالإيمان به في هذه الحال ليس بتافع ولا ينقل صاحبه عن كفره، لما قمنا والله أعلم. ومن تأمل هذا جيداً وأمن النظر اتضح له أنه هو الواقع - لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا بل المراد بها الذي ذكرناه من تقرير وجود عيسى ﷺ، وبقاء حياته في السماء، وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارى الذين تباينت أقوالهم فيه وتصادمت وتماكست وتناقضت وخلت عن الحق ففرط هؤلاء اليهود، وأفرط هؤلاء النصارى، تنفصه اليهود بما رموه به وأمه من العظائم، وأطراه النصارى بحيث ادعوا فيه ما ليس فيه، فرفعوهم في مقابلة أولئك عن مقام النبوة إلى مقام الربوبية، تعالى الله عما يقول هؤلاء وهؤلاء علواً كبيراً وتنزه وتقدس لا إله إلا هو.

﴿لَكِنَّ الرَّاْسِيخُونَ فِي الْإِيمَانِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُسْتَضِئِينَ بِنُورِ الْإِيمَانِ أُولَئِكَ سَتَجِدُنَهُمْ أَبْرَارًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِيخُونَ فِي الْإِيمَانِ﴾ قال ابن عباس: هذا استثناء لمؤمني أهل الكتاب، فأما الراسخون، فهم الثابتون في العلم. قال أبو سليمان: وهم عبد الله بن سلام، ومن آمن معه، والذين آمنوا من أهل الإنجيل. مَن قَدِمَ مع جعفر من الحبشة، والمؤمنون، يعني أصحاب رسول الله. فأما قوله: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ فهم القائمون بأدائها كما أمروا. وفي نصب «المقيمين» أربعة أقوال: أحدها: أنه خطأ من الكاتب، وهذا قول عائشة، وروي عن عثمان بن عفان أنه قال: إن في المصحف لحناً ستقيمه العرب بالسنتها<sup>(١)</sup>. وقد قرأ ابن مسعود، وأبي، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والجحدري: «والمقيمون الصلاة» بالواو. وقال الزجاج: قول من قال إنه خطأ، بعيد جداً، لأن الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة، والقدوة، فكيف يتركون في كتاب الله شيئاً يُصلِّحُه غيرهم؟! فلا ينبغي أن ينسب هذا إليهم. وقال ابن الأنباري: حديث عثمان لا يصح، لأنه غير متصل، ومحال أن يؤخر عثمان شيئاً فاسداً، ليُصلِّحَه من بعده<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه نسق على «ما» والمعنى: يؤمنون بما أنزل إليك، وبالمقيمين الصلاة، فقيل: هم الملائكة، وقيل: الأنبياء. والثالث: أنه نسق على الهاء والميم من قوله «مِنْهُمْ» فالمعنى: لكن الراسخون في العلم منهم، ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أنزل إليك. قال الزجاج: وهذا رديء عند النحويين، لا ينسق بالظاهر المجرور على المضمهر المجرور إلا في الشعر. والرابع: أنه منصوب على المدح، فالمعنى: اذكر المقيمين الصلاة، وهم المؤتون الزكاة، وأنشدوا:

لَا يَبْعَدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ      سُمُّ الْعُدَاةِ وَأَفْنَةُ الْجُزُرِ  
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مَعْتَرِكٍ      وَالطَّيِّبُونَ مَعَايِدَ الْأُزُرِ<sup>(٣)</sup>

(١) قال السخاري: هذا الأثر ضعيف، والإسناد فيه اضطراب وانقطاع، لأن عثمان رضي الله عنه جعل للناس إماماً يقتدون به، فكيف يرى فيه لحناً ويتركه لتقييم العرب بالسنتها؟ وقد كتب مصاحف سبعة، وليس فيها اختلاف قط إلا فيما هو من وجوه القراءات، وإذا لم يقمه هو ومن باشر الجمع، كيف يقيم غيرهم؟ وقد نقل ابن هشام في شرح «شذور الذهب» ٥٠ عن الإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية رحمه الله أنه قال: وقد زعم قوم أن قراءة من قرأ «إِنْ هَؤُلَاءِ» لحن، وأن عثمان رضي الله عنه قال: إن في المصحف لحناً ستقيمه العرب بالسنتها. وهذا خبر باطل لا يصح من وجوه. أحدها: أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتسارعون إلى إنكار أدنى المنكرات، فكيف يقررون اللحن في القرآن مع أنهم لا كلفة عليهم في إزالته. والثاني: أن العرب كانت تستقيح اللحن غاية الاستقياح في الكلام، فكيف لا يستحبون بقاءه في المصحف. والثالث: أن الاحتجاج بأن العرب ستقيمه بالسنتها غير مستقيم، لأن المصحف الكريم يقف عليه العربي والعجمي. والرابع: أنه قد ثبت في «الصحيح» أن زيد بن ثابت أراد أن يكتب «التابوت» بالهاء على لغة الأنصار، فمنعوه من ذلك، ورفعوه إلى عثمان رضي الله عنه، فأمرهم أن يكتبوه بالثاء على لغة قريش. وقال الزمخشري: نصب على المدح لبيان فضل الصلاة، وهو باب واسع قد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد، ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً في خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظره في الكتاب، ولم يعرف مذاهب العرب، وما لهم من النصب على الاختصاص من الائتقان، وغبي عليه أن السابقين الأولين كانوا أبعد همه في الفيرة على الإسلام، وذنب المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلثة ليسدوا من بعدهم، وغرقاً يرفوه من يلحق بهم. وقد روى أبو جعفر الطبري الرواية التي نسبت إلى عائشة أم المؤمنين بقوله: فلو كان ذلك خطأ من الكاتب، لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف غير مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابه بخلاف ما هو في مصحفنا. وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أبي في ذلك، ما يدل على أن الذي في مصحفنا من ذلك صواب غير خطأ مع أن ذلك لو كان خطأ من جهة الخط، لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول ﷺ يعلمون من علموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن، ولا صلحوا بالسنتهم، ولقنوه الأمة تعليماً على وجه الصواب، وفي نقل المسلمين جميعاً ذلك قراءة على ما هو به في الخط مرسوماً أدل الدليل على صحة ذلك وصوابه، وأن لا صنع في ذلك للكاتب.

(٢) انظر كلام الزجاج هذا وكلام ابن تيمية رحمهما الله على الآية في مجموع فتاويه؛ ١٥٣/١٥.

(٣) «مجاز القرآن» ١٤٣/١، و«سبويه» ١٠٤/١، و«الكامل» ٧٥١/٢، و«الأمالي» ١٥٤/٢، و«خزانة الأدب» ٣٠١/٢ وهما للخرق بنت هفان من قصيدة رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد الضبيعي، وابنها حلقة بن بشر، وأخوها حسان وشرحيل، ومن قتل معه من قومه. قال البغدادى: وقولها: سم العداة.. السم: معروف وسيته مثله. والعداة: الأعداء، جمع عاد، كقصة: جمع قاض. حكى أبو زيد: أشتت الله عاهيك، أي: هدوك. ولا يكون «العداة» جمع عدو، لأن «عدواً» فعول، وفعلول لا يجمع على فعلة، وإنما يجمع عليه فاعل المعتل اللام. والأعداء: جمع عدو، أجروا فعولاً مجرى فعيل كشراف وأشراف، وقد جمعوا أعداء على أهادي. والآفة: العلة. والجزر: يضم فسكون: جمع جزور، والأصل بضمين كرسول ورسول، فسكن الثاني تخفيفاً. والجزور: هي الناقة التي تنحر، فإن كانت من الغنم فهي جزرة يفتحين. وصفتهن أولاً بالشجاعة والنجدة، وأنهم يقتلون أعداءهم كما يقتلهم السم، وثانياً بالكرم ونحر الإبل للأضياف، فكانهم آفة للإبل تصيبها فتهلكها. والباء في «بكل»: ظرفية متعلقة بالنازلين. والمعترك، والمعرك، وموضع القتال، وهو مشتق من: عركت الرعى الحب: إذا طعنته، أرادوا أن موضع القتال: يطعن كما تطعن الرعى ما يحصل فيها. وقولها: النازلين بكل معترك. يعني أنهم ينزلون عن الخيل عند ضيق المعترك فيقاتلون على أقدامهم، وفي ذلك الوقت يتداهون: نزالي. وقولها: =

وهذا على معنى: اذكر النازلين، وهم الطيبون، ومن هذا قولك: مررت بزيد الكريم، إن أردت أن تخلصه من غيره، فالخفض هو الكلام، وإن أردت المدح والثناء، فإن شئت نصبت، فقلت: بزيد الكريم، كأنك قلت: اذكر الكريم، وإن شئت رفعت على معنى: هو الكريم. وتقول: جاني قومك المطعمين في المحل، والمغيثون في الشدائد على معنى: اذكر المطعمين، وهم المغيثون، وهذا القول اختيار الخليل، وسيبويه. فهذه الأقوال حكاها الزجاج، واختار هذا القول.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ قَبْلِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زَكَرِيَّا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ قال ابن عباس: قال عدي بن زيد، وشكين: يا محمد ما نعلم الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. وقد ذكرنا في «آل عمران» معنى الوحي، وذكر هنالك. وإسحاق: أعجمي، وإن وافق لفظ العربي، يقال: أسحقه الله يسحقه إسحاقاً، ويعقوب: أعجمي. فأما يعقوب، وهو ذكر الحجل وهي القبج<sup>(٢)</sup> فعربي، كذلك قرأته على شيخنا أبي منصور اللغوي<sup>(٣)</sup>. وأيوب: أعجمي، ويونس: اسم أعجمي. قال أبو عبيدة، يقال: يُونس ويونس بضم النون وكسرهما، وحكى أبو زيد الأنصاري عن العرب همزة مع الكسرة والضمّة والفتحة. وقال الفراء: يونس بضم النون من غير همز لغة أهل الحجاز، وبعض بني أسد يقول: يونس بالهمز، وبعض بني عُقيل يقول: يونس بفتح النون من غير همز. والمشهور في القراءة يونس برفع النون من غير همز. وقد قرأ ابن مسعود، وقتادة، ويحيى بن يعمر، وطلحة: يونس بكسر النون مهموزاً. قرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران، والجحدري: يُونس بفتح النون من غير همز. وقرأ أبو المتوكل: يونس بفتح النون مهموزاً. وقرأ أبو السّمك العدوي: يونس بكسر النون من غير همز. وقرأ عمرو بن دينار برفع النون مهموزاً. وهارون: اسم أعجمي، وباقي الأنبياء قد تقدم ذكرهم. فأما الزبور، فأكثر القراء على فتح الزاي، وقرأ أبو رزين، وأبو رجاء، والأعمش، وحزمة بضم الزاي. قال الزجاج: فمن فتح الزاي، أراد: كتاباً، ومن ضم، أراد: كُتِبَ. ومعنى ذكر «داود» أي: لا تنكروا تفضيل محمد بالقرآن، فقد أعطى الله داود الزبور. وقال أبو علي: كأن حمزة جعل كتاب داود أنحاء، وجعل كل نحو زبراً، ثم جمع، فقال: زُبُوراً. وقال ابن قتيبة: الزُّبُور فُعُول بمعنى مفعول، كما تقول: حلوب وركوب بمعنى: محلوب ومركوب، وهو من قولك: زبرت الكتاب أزره زبراً: إذا كتبه، قال: وفيه لغة أخرى: الزُّبُور بضم الزاي، كأنه جمع<sup>(٤)</sup>.

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ تأكيد كَلَّمَ بالمصدر يدل على أنه سمع كلام الله حقيقة. روى أبو سليمان الدمشقي، قال: سمعت إسماعيل بن محمد الصفار يقول: سمعت ثعلباً يقول: لولا أن الله تعالى أكّد الفعل بالمصدر،

والطيبون. أرادت أنهم أهداء في فروجه، لأن العرب تكني بالشيء عما يحويه أو يشتمل عليه، كقولهم: ناصح الجيب، يريدون الفؤاد، فكنا عنه بالجيب الذي يقع عليه أو قريباً من. قال ابن خلف: إذا وصفوا الرجل بطهارة الإزار وطيه، فهو إشارة وكناية عن عفة الفرج، يراد أنه: لا يعقد إزاره على فرج زانية وكذلك طهارة الذيل. وإذا وصف بطهارة الكم أو الرदन وهو الكم بعينه: أرادوا أنه لا يسرق ولا يخون وإذا وصفوه بطهارة الجيب: أرادوا أن قلبه لا ينطوي على غش ولا مكروه، وقد يكونون عن عفة الفرج طيب الحجة كما قال النابغة:

ورفاق النعمال طيب حجراتهم يحيون بالرحبان يوم السباب

(١) مسيرة ابن هشام ٥٦٢/١، وابن جرير ٤٠٠/٩ عن ابن عباس، وفي سنده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، ذكره ابن حبان في «الثقات» وقال الذهبي: لا يعرف. وسكين بن أبي سكين، وعدي بن زيد بن بني قيقاع، ذكرهم ابن هشام في «السيرة» في الأهداء من يهود.

(٢) في «اللسان» ٣٥١/٢: القبج: الحجل، والقبج: الكروان مغرب، وهو بالفارسية كيج مغرب، القاف والجيم لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب، والقبجة: تقع على الذكر والأنثى حتى تقول: يعقوب، يخص بالذكر، لأن الهاء إنما دخلته على أنه الواحد من الجنس، وكذلك النعامة حتى تقول: ظليم، والنحلة حتى تقول: يسيوب.

لجاز أن يكون كما يقول أحدنا للآخر: قد كلمتُ لك فلاناً بمعنى: كتبت إليه رقعة، أو بعثت إليه رسولاً، فلما قال: تكليماً لم يكن إلا كلاماً مسموعاً من الله<sup>(١)</sup>.

﴿وَمُسْلِمًا مُبْتَلًى وَمُذْنَبًا لِّئَلَّا يُكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يُكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾ أي: لئلا يحتجوا في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل، لأن هذه الأشياء إنما تجب بالرسل<sup>(٢)</sup>.

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَاللَّهُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن النبي ﷺ دخل على جماعة من اليهود، فقال: «إني والله أعلم أنكم لتعلمون أنني رسول الله»، فقالوا: ما نعلم ذلك، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن رؤساء أهل مكة أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: سألنا عنك اليهود، فزعموا أنهم لا يعرفونك، فأتنا بمن يشهد لك أن الله بعثك، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن السائب. قال الزجاج: الشاهد: الميّن لما يشهد به، فالله ﷻ بين ذلك، ويعلم مع إبانته أنه حق. وفي معنى ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنزله وفيه علمه، قاله الزجاج. والثاني: أنزله من علمه، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والثالث: أنزله إليك بعلم منه أنك خيرته من خلقه، قاله ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: يشهدون أن الله أنزله. والثاني: يشهدون بصدقك<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ قال الزجاج: «الباء» دخلت مؤكدة. والمعنى: اكتفوا بالله في شهادته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال مقاتل وغيره: هم اليهود كفروا بمحمد، وصدّوا الناس عن الإسلام، قال أبو سليمان: وكان صدّهم عن الإسلام قولهم للمشرّكين ولأتباعهم: ما نجد صفة محمد في كتابنا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ طَرِيقًا﴾ إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يبيّراً

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ قال مقاتل وغيره: هم اليهود أيضاً كفروا بمحمد والقرآن. وفي الظلم

المذكور هاهنا قولان: أحدهما: أنه الشرك، قاله مقاتل. والثاني: أنه جحدهم صفة النبي محمد ﷺ في كتابهم.

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يريد من مات منهم على الكفر. وقال أبو سليمان: لم يكن الله ليستر عليهم قبيح فعالهم، بل يفضحهم في الدنيا، ويعاقبهم بالقتل والجلاء والسبي، وفي الآخرة بالنار ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ طَرِيقًا﴾ ينجون فيه. وقال مقاتل: طريقاً إلى الهدى ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ يعني كان عذابهم على الله هيناً.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ وَالْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ حَكِيمًا﴾

(١) وفي «القرطبي» ١٨/٦: قال النحاس: وأجمع التعويون على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازاً وأنه لا يجوز في قول الشاعر:

استملا البحر عرض وقال قطني

أن يقول: قال قولاً، فكنا لما قال: «تكليماً» وجب أن يكون كلاماً على الحقيقة من الكلام الذي يعقل.

(٢) روى البخاري في «صحيحه» ٣٣٧/١٣، ومسلم ٢١١٤/٤ واللفظ له من عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحد أحب إليه الملع من الله ﷻ من أجل ذلك ملح نفسه، وليس أحد أغبر من الله من أجل ذلك حرم الفواحش، وليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل».

(٣) «سيرة ابن هشام» ٢١١/٢، وابن جرير ٤٠٩/٩ من ابن عباس قال: دخل على رسول الله ﷺ جماعة من يهود، فقال لهم: «إني والله أعلم أنكم لتعلمون أنني رسول الله ﷻ»، فقالوا: ما نعلم ذلك، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَاللَّهُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ وزاد البيهقي في «الدر» ٢٤٨/٢ إلى ابن المنذر، والبيهقي في «الدلائل». قلت: وفي سننه محمد مولى زيد بن ثابت وهو مجهول كما تقدم.

(٤) في «الأحمدية»: بصدق.



قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ الكلام عام، وروي عن ابن عباس أنه قال: أراد المشركين. ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالهدى، والصدق.

قوله تعالى: ﴿فَقَامُوا حَيًّا لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> قال الزجاج عن الخليل وجميع البصريين: إنه منصوبٌ بالحمل<sup>(٢)</sup> على معناه، لأنك إذا قلت: انته خيراً لك، وأنت تدفعه عن أمر فتدخله في غيره، كان المعنى: انته وأت خيراً لك، وادخل في ما هو خير لك. وأنشد الخليل وسيبويه قول عمر بن أبي ربيعة:

فواعديهِ سَرَحْتَنِي مَالِك

أَو الرُّبَا بَيْنَهُمَا أَسْهَلَا<sup>(٣)</sup>

كانه قال: إيتي مكاناً أسهل.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو غني عنكم، وعن إيمانكم. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بما يكون من إيمان أو كفر ﴿حَكِيمًا﴾ في تكليفكم مع علمه بما يكون منكم.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا ابْنُ مَرْيَمَ ذَرْوهُنَّ فَأَمَّا اللَّهُ وَرُسُلُهُ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ وَلَدٌ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ قال مقاتل: نزلت في نصارى نجران، السيد والعاقب، ومن معهما. والجمهور على أن المراد بهذه الآية: النصارى. وقال الحسن: نزلت في اليهود والنصارى. والغلو: الإفراط ومجاوزة الحد، ومنه غلا السحر. وقال الزجاج: الغلو: مجاوزة القدر في الظلم. وغلو النصارى في عيسى: قول بعضهم: هو الله، وقول بعضهم: هو ابن الله، وقول بعضهم: هو ثالث ثلاثة. وعلى قول الحسن غلو اليهود فيه قولهم: إنه لغير رشفة. وقال بعض العلماء: لا تغلوا في دينكم بالزيادة في التشدد فيه<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ أي: لا تقولوا: إن الله له شريك أو ابن أو زوجة. وقد ذكرنا معنى «المسيح» والكلمة في (آل عمران). وفي معنى ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ سبعة أقوال: أحدها: أنه روحٌ من أرواح الأبدان. قال أبي بن كعب: لما أخذ الله الميثاق على بني آدم كان عيسى روحاً من تلك الأرواح، فأرسله إلى مريم، فحملت به. والثاني: أن الروح النفخ، فسمي روحاً، لأنه حدث عن نفخة جبريل في درع مريم. ومنه قول ذي الرمة:

(١) وفي «مجاز القرآن» ١٤٣/١ ﴿فَقَامُوا حَيًّا لَكُمْ﴾ نصب على ضمير جواب «يكن خيراً لكم» وكذلك كل أمر ونهي. قلت: ويريد بقوله: «ضمير» الإضمار الذي هو المصدر، لا بمعنى الضمير في اصطلاح النحاة.

(٢) في «الأحمدية» على الحمل.

(٣) «ديوانه» ٣٤٩ وروايته فيه:

وواعديهِ سَدَرْتَنِي مَالِك أَوْ ذَا الَّذِي بَيْنَهُمَا أَسْهَلَا

وسيبويه ١٤٣/١، و«الخرائفة» ٢٨٠/١، و«ابن جرير» ٤١٥/٩. قال الأعلام: الشاهد فيه نصب أسهل بإضمار فعل دل عليه ما قبله، لأنه لما قال: «فواعدي سرحتي مالك أو الربا بينهما» علم أنه مزج لها داع إلى إتيان أحدهما، فكانه قال: إيتي أسهل الأمرين عليك. وهذا تفسيره على مقالة سيبويه. ونقل صاحب «الخرائفة» عن ابن خلف معناه أنها قالت لأمتها: واهدي الليلة أن يقصد السرحتين، ويلتص مكاناً سهلاً يقرب من ذلك الموضع، لأنهما إذا علوا الرى عرف مكانهما وشنع أمرهما. و«أسهل» أعمل: تفضيل من السهولة ضد الحزونة، والمفضل عليه محلوف تقديره: أسهل منهما. وسرحتا مالك: شجرتان لمالك، والسرحة: واحدة السرح، وهو كل شجر عظيم لا شك له. والرى: جمع رهوة: المشرف من الأرض، وكانت الرى بين السرحتين.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله: ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزل التي أعطاه الله إياها، فقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه - ممن زعم أنه على دينه - فادعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقاً أو باطلاً، أو ضلالاً أو رشاداً، أو صحيحاً أو كذباً، ولهذا قال تعالى ﴿أَتَكْفُرُونَ أَفَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا كُلًّا مَن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] وروى الإمام أحمد ٢٢٦/١ عن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد الله ورسوله» ورواه البخاري: ٣٣٥/١. قلت: قال الحافظ ابن حجر: وقوله: «لا تطروني» بضم أوله، والإطراء: المدح بالباطل، تقول: أطرت فلاناً: مدحته فأطرت في مدحه. وقوله: «كما أطرت النصارى ابن مريم» أي: في دعواهم فيه الإلهية وغير ذلك.

وَقُلْتُ لَهُ اَرْفَعَهَا إِلَيْكَ وَأَخِيهَا

هذا قول أبي روق. والثالث: أن معنى ﴿رُوحٌ مِّنْهُ﴾ إنسان حيٌّ بإحياء الله له. والرابع: أن الروح: الرحمة، فمعناه: ورحمة منه، ومثله ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]. والخامس: أن الروح هاهنا جبريل. فالمعنى: ألقاها الله إلى مريم، والذي ألقاها رُوحٌ منه، ذكر هذه الأقوال الثلاثة أبو سليمان الدمشقي. والسادس: أنه سناه روحاً، لأنه يحيا به الناس كما يحيون بالأرواح، ولهذا المعنى سمي القرآن روحاً، ذكره القاضي أبو يعلى. والسابع: أن الروح: الوحي أوحى الله إلى مريم يبشرها به، وأوحى إلى جبريل بالنفخ في درعها، وأوحى إلى ذات عيسى أن: كن فكان. ومثله: ﴿يُرِزُّكَ اللَّيْلُكَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ﴾ [النحل: ٢٢] أي: بالوحي، ذكره الثعلبي. فأما قوله: «منه» فإنه إضافة تشريف، كما تقول: بيت الله، والمعنى من أمره، ومما يقاربها قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [البقرة: ١٣]. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لَنَنْزِلَنَّهُ﴾ قال الزجاج: رفعه بإضمار: لا تقولوا ألقاها ثلاثة «إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدَهُ» أي: ما هو إلا إله واحد «مُسَبَّحُهُ» ومعنى «سبحانه»: تبرئته من أن يكون له ولد. قال أبو سليمان: ﴿وَكُنِّي بِاللَّهِ وَكَيْلًا﴾ أي: فيما على خلقه، مدبراً لهم.

﴿لَنْ يَسْتَنْبِكَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَكَةُ الْمَرْيَمُ وَمَنْ يَسْتَنْبِكُ عَنْ عِبَادَتِهِ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْبِكَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ سبب نزولها: أن وفد نجران وفدوا على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد لم تذكر صاحبنا؟ قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى، قال: وأي شيء أقول له؟ هو عبد الله، قالوا: بل هو الله، فقال: إنه ليس بعار عليه أن يكون عبداً لله، قالوا: بلى، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال الزجاج: معنى يستنكب: يأنف، وأصله في اللغة من تكفت الدمع: إذا نحته بأصبعك من خذك. قال الشاعر:

فبانوا فلولا ما تدغُرُ منهم من الجلف لم ينكف لعينيك مذمُعٌ<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلَا الْمَلَكَةُ الْمَرْيَمُ﴾ قال ابن عباس: هم حملة العرش. ﴿فَأَمَّا الْآيَاتُ فَأَتَوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَزَيِّدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الْآيَاتُ اسْتَغْنَوْا وَأَسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَخْذُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا يَصِيرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ أي: ثواب أعمالهم ﴿وَزَيِّدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ مضاعفة الحسانات. وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله: ﴿يُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ قال: يدخلون الجنة، ﴿وَزَيِّدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾: الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا<sup>(٢)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾

(١) «ديوانه» ص ٢٤٦، وابن جرير ٤٢٠/٩، و«اللسان» مادة «روح» من جملة آيات نمت بها النار وقبل البيت:

فَلَمَّا بَدَأْتُ كُنْتُهَا وَهِيَ طِفْلَةٌ  
بَطْلَاءٌ لَمْ تُكْمَلْ فَرَاغاً وَلَا شَيْبَرًا

وقلت... البيت ويعد:

وظاهر لها من يابس الشُّخْتِ واستمن.  
ولما تَنَمَّثَتْ تَأْكُلُ الرُّمَّ لَمْ تَدَغْ  
فَلَمَّا جَرَتْ فِي الْجَزْلِ جَرِيًّا كَانَتْ

وقوله: أرفعها إليك. أي: قال لصاحبه: خلها بيك، وأرفعها إلى فمك، ثم أحيا بروحك أي: انفخ لها نفخاً يسيراً، واقته لها قيته قدواً، يأمره بالرق والتفح القليل شيئاً شيئاً، كأنه جعل التفح قوتاً لهذه النار، يقدّر لها تقديرأ شيئاً بعد شيء حتى تكتمل.

(٢) «اللسان» ٣٤٠/٩، و«تاج العروس» ٢٦١/٦ ولم ينسأه لقاتل. وفي «التلخيص»: فماتوا. وانظر كلام الزجاج في «القرطبي» ٢٦/٦.

(٣) في «الدر المنثور» ٢٤٩/٢: وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية»، والإسماعيلي في «معجمه» بسند ضعيف عن ابن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿يُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَزَيِّدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قال: أجورهم: يدخلهم الجنة. ويزيدهم من فضله: الشفاعة فيمن وجبت لهم النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا. وذكره ابن كثير عن ابن مردويه، ثم قال: وهذا إسناد لا يثبت، وإذا روي عن ابن مسعود موقوفاً فهو جيد. وفي «المعجم» ١٣/٧: رواء الطبراني في «الأوسط» و«الكبير»، وفي إسماعيل بن عبد الله الكندي ضمنه الذهبي من عند نفسه، فقال: أتى بخبر منكرو، وبقيته رجاله وثقوا. قلت: ذكره الذهبي في «الميزان» ١٠٩/١، وقال: روى عن الأعمش، وعنه بقية بخبر عجيب منكرو. قلت: يريد به هذا الخبر.

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ في البرهان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحجة، قاله مجاهد، والسدي. والثاني: القرآن، قاله قتادة. والثالث: أنه النبي محمد ﷺ، قاله سفيان الثوري. فأما النور المبين، فهو القرآن، قاله قتادة، وإنما سماه نوراً، لأن الأحكام تبين به ببيان الأشياء بالنور.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسُخِّرَتْ لَهُمْ فِي رَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ مِيرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝١٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ أي: استمسكوا. وفي هاء «به» قولان: أحدهما: أنها تعود إلى النور وهو القرآن، قاله ابن جريج. والثاني: تعود إلى الله تعالى، قاله مقاتل. وفي «الرحمة» قولان: أحدهما: أنها الجنة، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنها نفس الرحمة، والمعنى: سيرهم، قاله أبو سليمان. وفي «الفضل» قولان: أحدهما: أنه الرزق في الجنة، قاله مقاتل. والثاني: أنه الإحسان، قاله أبو سليمان.

قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ مِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: يوفقهم لإصابة الطريق المستقيم. وقال ابن الحنفية: الصراط المستقيم: دين الله.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمَرْتُكُمْ فَلَيْسَ لَكُمْ وَلَدٌ وَلَكُمْ أَخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ أَثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا النِّصْفَانِ بِمَا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها نزلت في جابر بن عبد الله. روى أبو الزبير عن جابر قال: مرضت فأتاني رسول الله ﷺ يعودني هو وأبو بكر [وهما ماشيان] فوجدني قد أغمي علي، فتوضاً رسول الله ﷺ، ثم صب علي من وضوئه، فأفقت، وقلت: يا رسول الله كيف أصنع في مالي؟ وكان لي تسع أخوات، ولم يكن لي ولد. فلم يجبني بشيء، ثم خرج وتركني، ثم رجع إلي وقال: «يا جابر لا أراك ميتاً من وجعك هذا، وإن الله ﷻ قد أنزل في أخواتك، وجعل لهن الثلثين»، فقرأ علي هذه الآية: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ فكان جابر يقول: أنزلت هذه الآية في<sup>(١)</sup>. والثاني: أن الصحابة أهمهم بيان شأن الكلالة فسألوا عنها نبي الله، فنزلت هذه الآية، هذا قول قتادة. وقال سعيد بن المسيب: سأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ كيف نورث الكلالة؟ فقال: «أو ليس قد بين الله تعالى ذلك، ثم قرأ: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَالَةً﴾، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾<sup>(٢)</sup>».

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَمَرْتُكُمْ فَلَيْسَ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ أي: مات ﴿لَيْسَ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ يريد: ولا ولد؛ فاكتمى بذكر أحدهما، ويدل على المحذوف أن الفتيا في الكلالة، وهي من ليس له ولد ولا والد.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ أَخْتٌ﴾ يريد من أبيه وأمه ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ عند انفرادها ﴿وَهُوَ يَرِثُهَا﴾ أي: يستغرق ميراث الأخت إذا لم يكن لها ولد ولا والد، وهذا هو الأخ من الأب والأم، أو من الأب ﴿إِنْ كَانَتْ أَثْنَتَيْنِ﴾ يعني: أختين. وسئل الأخفش ما فائدة قوله «اثنتين» و«كانتا» لا يُفسر إلا باثنتين؟ فقال: أفادت العدد العاري عن الصفة، لأنه يجوز في «كانتا» صغيرتين، أو حرتين، أو صالحتين، أو طالحتين، فلما قال: «اثنتين» فإذا إطلاق العدد على أي وصف كانتا عليه ﴿فَلَهُمَا النِّصْفَانِ﴾ من تركه أخيهما الميت ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ يعني المخلفين.

قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ قال ابن قتيبة: لثلاث تضيلا. وقال الزجاج: فيه قولان: أحدهما: أن لا تضلوا، فأضمرت لا. والثاني: كراهية أن تضلوا، وهو قول البصريين. قال ابن جريج: أن تضلوا في شأن الموارث.

(١) أبو داود: ١٦٤/٣، والطحاوي في «مستدركه» ١٧/٢، وابن جرير: ٤٣٢/٩، والبيهقي في «السنن» ٢٣١/٦، وروى مسلم في «صحيحه» ١٢٣٤/٣ عن جابر بن عبد الله قال: مرضت، فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر يعوداني ماشيين، فأغمي علي، فتوضاً، ثم صب علي من وضوئه فأفقت قلت: يا رسول الله! كيف أقضي في مالي؟ فلم ير علي شيئاً حتى نزلت آية الميراث ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ وروى البخاري: ١٨٢/٨، ومسلم: ١٢٣٥/٣ عن جابر ﷺ قال: عادني النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ منه، ثم رش علي فأفقت، قلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزل ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾.

(٢) أخرجه ابن جرير: ٤٣١/٩، وهو حديث مرسل، وفي سننه سفيان بن وكيع شيخ الطبري وهو ضعيف.

## سورة المائدة<sup>(١)</sup>

قال ابن عباس، والضحاك: هي مدنية. وقال مقاتل: نزلت نهاراً وكلها مدنية. وقال أبو سليمان الدمشقي: فيها من المكي ﴿أَيُّومَ أَكَلْتُمْ لَكُمْ وَبَيْنَكُمْ﴾ قال: وقيل: فيها من المكي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ والصحيح أن قوله: ﴿أَيُّومَ أَكَلْتُمْ لَكُمْ وَبَيْنَكُمْ﴾ نزلت بعرفة يوم عرفة، فلهذا نسبت إلى مكة.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْتَمِرِ إِلَّا مَا يَتَلَقَّى عَلَيْكُمْ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۖ﴾ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ اختلّفوا في المخاطبين بهذا على قولين: أحدهما: أنهم المؤمنون من أمتنا، وهذا قول الجمهور. والثاني: أنهم أهل الكتاب، قاله ابن جريج. والعقود: العهود، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، وقتادة، والضحاك، والسدي، والجماعة. وقال الزجاج: «العقود»: أوكد العهود. واختلّفوا في المراد بالعهود هاهنا على خمسة أقوال: أحدها: أنها عهود الله التي أخذها على عباده فيما أحلّ وحرم، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنها عهود الدين كلها، قاله الحسن. والثالث: أنها عهود الجاهلية، وهي الحلف الذي كان بينهم، قاله قتادة. والرابع: أنها العهود التي أخذها الله على أهل الكتاب من الإيمان بالنبي محمد ﷺ، قاله ابن جريج، وقد ذكرنا عنه أن الخطاب للكتابيين. والخامس: أنها عقود الناس بينهم، من بيع، ونكاح، أو عقد الإنسان على نفسه من نذر، أو يمين، وهذا قول ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْتَمِرِ﴾ في بهيمة الأنعام ثلاثة أقاويل: أحدها: أنها أجنّة الأنعام التي توجد ميتة في بطون أمهاتها إذا ذبحت الأمهات، قاله ابن عمر، وابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنها الإبل، والبقر، والغنم، قاله الحسن، وقتادة، والسدي. وقال الربيع: هي الأنعام كلها. وقال ابن قتيبة: هي الإبل، والبقر، والغنم، والوحوش كلها. والثالث: أنها وحوش الأنعام كالظباء، وبقر الوحش، وروي عن ابن عباس، وأبي صالح. وقال الفراء: بهيمة الأنعام: بقر الوحش، والظباء، والحمر الوحشية. قال الزجاج: وإنما قيل لها بهيمة، لأنها أبهمت عن أن تميّز، وكل حي لا يميّز فهو بهيمة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يَتَلَقَّى عَلَيْكُمْ﴾ روي عن ابن عباس أنه قال: هي الميتة وسائر ما في القرآن تحريمه. وقال ابن الأنباري: المتلو علينا من المحظور الآية التي بعدها، وهي قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْيَسَةُ﴾<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿عَنِ رَسُولِ اللَّهِ﴾ قال أبو الحسن الأخفش: أوفوا بالعقود غير محلي الصيد، فانتصب على الحال. وقال غيره: المعنى: أحث لكم بهيمة الأنعام غير مستحلي اصطیادها وأنتم حرم، قال الزجاج: الحرم: المحرمون، وواحد الحرم: حرام، يقال: رجل حرام، وقوم حرم. قال الشاعر:

(١) روى الحاكم في «المستدرک» ٣١١/٢ عن جبير بن نفير قال: حججت فدخلت على عائشة رضي الله عنها، فقالت لي: يا جبير تقرأ المائدة؟ فقلت: نعم، قالت: أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم من حرام فحرموه. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ورواه الإمام أحمد وزاد: «وسألتهما عن خلق رسول الله ﷺ؟ فقالت: القرآن».

(٢) في الحديث عن النبي ﷺ قال: «فكافة الجنين ذكاة أمه» رواه أبو داود ١٣٦/٣، والترمذي ١٧٨/١، وابن ماجه ١٠٦٧/٢ من حديث جابر وهو حديث صحيح. وفي «المغني» ٥١/١١: إذا خرج الجنين ميتاً من بطن أمه بعد ذبحها أو وجده ميتاً في بطنها، أو كانت حركته بعد خروجه كحركة الملبوح فهو حلال. روي هذا عن عمر وعلي وبه قال سعيد بن المسيب، والنخعي، والشافعي، وإسحاق وابن المنذر.

(٣) وفي «القرطبي» ٣٥/٦: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يَتَلَقَّى عَلَيْكُمْ﴾ أي: يقرأ عليكم في القرآن والسنة من قوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْيَسَةُ﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام: «وكل ذي ناب من السباع حرام».

فقلت لها فيشي إليك فانني

حرام وإنسي بعد ذاك لبيب<sup>(١)</sup>

أي: ملب. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُمْ مَا يُرِيدُ﴾ أي: الخلق له يحل ما يشاء لمن يشاء، ويحرم ما يريد على من يريد. ﴿يَكَايِلُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَاعِدَ وَلَا أَيْتِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَوْنَ فَصْلًا مِنْ بَيْنِهِمْ وَرَضُوا إِذَا حُلَّتُمْ فَلَأَمْطُوا وَلَا يَجْرِمَكُمْ شَتَاؤُنَ قَوْمٍ أَنْ سَادَكُمُ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَمَازُونَا عَلَى الْإِزِّ وَالْقَوَائِي وَلَا تَمَازُونَا عَلَى الْإِزِّ وَالْمَدَوْنِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن شريح بن ضبيعة<sup>(٢)</sup> أتى المدينة، فدخل على النبي ﷺ، فقال: إلى ما تدعو؟ فقال: «إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله»، فقال: إن لي أمراء خلفي أرجع إليهم أشاورهم، ثم خرج، فقال النبي ﷺ: «لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر، وما الرجل بمسلم»، فمر شريح بسرح لأهل المدينة، فاستاقه، فلما كان عام الحديبية، خرج شريح إلى مكة معتمراً، ومعه تجارة، فأراد أهل السرح أن يغيروا عليه كما أغار عليهم، فاستأذنوا رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. وقال السدي: اسمه الحُطَمُ بن هند البكري<sup>(٤)</sup>. قال: ولما ساق السرح جعل يرتجز:

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطَمَ

ليس براعي إبل ولا غنم

وَلَا بِجَزَارٍ عَلَى ظَهْرٍ وَضَمَ

باتوا نياماً وابسُ هندی لم ينم

بَاتَ يُقَارِسِيهَا غَلَامٌ كَالزَّلَمِ

خَدَّلَجُ السَّاقِينَ مَسْوُوحُ الْقَدَمِ<sup>(٥)</sup>

(١) البيت للمضرب بن كعب بن زهير بن أبي سلمى، وهو في «مجاز القرآن» ١/١٤٥، و«السمط» ٢/٧٩١، و«الانقباض» ٤٧٥، و«شرح أدب الكاتب» للجواليقي ٤١١، و«القرطبي» ٦/٣٦٦. قال البطليوسي: سمي المضرب، لأنه شبب بامرأة، فغار أخوها لذلك، فضربه بالسيف ضربات عديدة، ويروى لشبل بن الصامت المري وبعدة:

فَصَدَّتْ بِمِيشِي شَادِي وَتَبَسَّمَتْ

بِمَجْجَفَاءَ عَنْ غُرْلِهِنَّ غُرُوبَ

وأراد بالفر: أسنانه، والغروب: جمع غرب، وهو حد الأسنان. وصف أن محبوبته لقيها وهو محرم ملب، فتورع عن الكلام معها، ومعنى «فيشي»: ارجعي. و«الحرام»: المحرم. و«ليب» هاتماً بمعنى: ملب وهو نادر، لأن فعلاً لا يستعمل بمعنى «فعل». و«بعد» بمعنى: «مع» وقوله: «فيشي إليك» أمر بعد أمر على معنى التأكيد في إبعادها عن نفسه.

(٢) في «أسباب النزول» للواحدي: شبيب الكندي.

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص ١٠٧ عن ابن عباس بدون سند.

(٤) رواية السدي هذه أخرجه ابن جرير ٩/٤٧٢. ورواه أيضاً ابن جرير، وابن المنذر من طريق عكرمة.

(٥) الرجز في «الأغانى» ١٤/٤٤، و«حماسة» أبي تمام ١/٣٥٤. و«رغبة الأمل» ٤/٧٥، و«البيان والتبيين» ٢/٣٠٨. وقد اختلفوا في نسبة هذا الشعر اختلافاً كثيراً، فنسب في «الحماسة» لرشيد بن ربيع العتري، ونسب أيضاً للأغلب الجبلي، وللأخضر بن شهاب، ولجابر بن حني التغلبي، وانظر «السمط» ٧٢٩، ولعل الحطم أشده مدحاً لنفسه فيما فعل من سوق السرح. وقبل هذا الرجز:

هَذَا أَوَانُ الشَّيْءِ فَاشْتَدَّ زَيْمُ

قال المروزي: وزيم اسم فرس، وقوله: قد لفها. يريد الإبل، وجعل الفعل لليل على المجاز. والمعنى: جمعها برجل متناهي القوة، عنيف السوق، يكسر الطرائد بعضاً على بعض، لقله رفق وكثرة عصفه، ولأنه قليل الفكر فيها إذا كانت حصلت بالغارة، فإن سلمت فهي غنم، وإن تلفت فليست بغنم، فالعرض منها بالقرب. وقوله: الحطم: بناء للمبالغة، وهو من الحطم: الكسر. وقوله:

لَيْسَ بِبِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ

ولا بجزارٍ على ظهرٍ وضَمَ

يقول: لا يرفق هذا الرجل بوساقه رفق الرعاة، ولا رفق الجزار، وذلك أن الراعي مكترى لاستصلاح مرعيه، وحفظ ما ضم إليه بجهد، والجزار لا يستهلك ماله، ولا ينفق عنف من لا يبالي به، وهذا صفة المغوار، القليل الفكر في فساد ما يحويه منها، الناهب عن استيقانها، لا يبالي كيف استوسقت، على أي حالة تحصلت. وقوله: باتوا نياماً... يقول: مكث الناس النائمون في ليلهم، وهذا الرجل لم ينم، لأنه كان يبيت للغارة، ثم قال: بات يقاسيها أي: يعاني الغارة كيف يوقعها ويدبرها، متى يأخذ فيها غلام مدبج الخلق، خفف ثقف مشمس، كأنه قدح. يعني ابن هند. والزلم، بفتح الزاي وضمتها: القدح كان يتقسم به. قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقْسِيَهُ بِالْأَنْزَلِ﴾. ويجوز أن يكون المضمرون في «باتوا» المغار عليهم. وقوله: خدلج الساقين، يصفه بأنه غليظ الساقين، ولوطه الأرض صوت، ولقدهم خفق، وهو سرعة الخطو مع ضرب الأرض بها، كأنه يشير بهذا إلى ثباته وقوته في العمل والسير، وشدة بلاته وصبره على الكد. وقال الأستاذ محمود شاكر: وخدلج الساقين: ممتلئ الساقين، وهذا غير حسن في الرجال، وإنما صواب روايته ما رواه ابن الأعرابي:

مَسْهَفُ الْكَشْحِينَ خَفَاقُ الْقَدَمِ

أي: ضامر أخصر، وخفاق القدم: لأقدامه خفق متتابع على الأرض من سرعته وهو يحدو بالإبل. ورواية المصنف «مسحوق القدم» أي: ليس لباطن قدميه أخصر، فأسفل قدميه مستو أملس لين، ليس فيهما تكسر ولا شقاق.

والثاني: أن ناساً من المشركين جاؤوا يؤمنون البيت يوم الفتح مهئين بعمرة، فقال المسلمون: لا ندع هؤلاء بل نغير عليهم، فنزل قوله: ﴿وَلَا تَأَيَّنَ آيَاتُ الْحُرَّامِ﴾<sup>(١)</sup>. قال ابن قتية: وشعائر الله: ما جعله الله علماً لطاعته. وفي المراد بها هاهنا سبعة أقوال: أحدها: أنها مناسك الحج، رواه الضحاك عن ابن عباس. وقال الفراء: كانت عامة العرب لا يرون الصفا والمروة من الشعائر، ولا يطوفون بينهما، فقال الله تعالى: لا تستحلوا ترك ذلك. والثاني: أنها ما حرم الله تعالى في حال الإحرام، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: دين الله كله، قاله الحسن. والرابع: حدود الله، قاله عكرمة، وعطاء. والخامس: حرم الله، قاله السدي. والسادس: الهدايا المشعرة لبيت الله الحرام، قاله أبو عبيدة، والزجاج. والسابع: أنها أعلام الحرم، نهاهم أن يتجاوزوها غير محرمين إذا أراوا دخول مكة، ذكره الماوردي، والقاضي أبو يعلى<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْهَرُوا الْحُرَّامَ﴾ قال ابن عباس: لا تُجْلُوا القتال فيه. وفي المراد بالشهر الحرام ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ذو القعدة، قاله عكرمة، وقادة. والثاني: أن المراد به الأشهر الحرم. قال مقاتل: كان جنادة بن عوف يقوم في سوق عكاظ كل سنة فيقول: ألا إني قد أحللت كذا، وحرمت كذا. والثالث: أنه رجب، ذكره ابن جرير الطبري. والهدى: كل ما أهدي إلى بيت الله تعالى من شيء. وفي القلائد قولان: أحدهما: أنها المقلدات من الهدى، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنها ما كان المشركون يقلدون به إبلهم وأنفسهم في الجاهلية، ليأمنوا به عدوهم، لأن الحرب كانت قائمة بين العرب إلا في الأشهر الحرم، فمن لقوه مقلداً نفسه، أو بغيره، أو مشعراً بُدْئُهُ أو سائِقاً هدياً لم يُتعرض له. قال ابن عباس: كأن من أراد أن يسافر في غير الأشهر الحرم، قلد بغيره من الشعر والوبر، فيأمن حيث ذهب. وروى مالك بن يعقوب<sup>(٣)</sup> عن عطاء قال: كانوا يقلدون من لحاء شجر الحرم، فيأمنون به إذا خرجوا من الحرم. فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>. وقال قتادة: كان الرجل في الجاهلية إذا خرج من بيته يريد الحج تقلد من الشعر، فلم يعرض له أحد، وإذا رجع تقلد قلادة شعر، فلم يعرض له أحد<sup>(٥)</sup>. وقال الفراء: كان أهل مكة يقلدون بلحاء الشجر، وسائر العرب يقلدون بالوبر والشعر. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: لا تستحلوا المقلدات من الهدى. والثاني: لا تستحلوا أصحاب القلائد. والثالث: أن هذا نهى للمؤمنين أن ينزعوا شيئاً من شجر الحرم، فيقلدوه كما كان المشركون يفعلون في جاهليتهم، رواه عبد الملك عن عطاء، وبه قال مطرف، والربيع بن أنس<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأَيَّنَ آيَاتُ الْحُرَّامِ﴾ «الآتم»: القاصد، والبيت الحرام: الكعبة، والفضل: الريح في التجارة، والرضوان من الله يطلبونه في حجهم على زعمهم. ومثله قوله: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَيْكَ إِلَهَكَ الْوَلَّى﴾ [طه: ٩٧] وقيل: ابتغاء الفضل عام، وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ لفظه لفظ الأمر، ومعناه الإباحة، نظيره: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠] وهو يدل على إحرام متقدم<sup>(٧)</sup>.

- (١) أخرجه ابن جرير ٤٧٤/٩: حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد...
- (٢) رجع ابن جرير الطبري ما ذهب إليه عطاء من قوله - حين سئل عن شعائر الله -: حرمان الله، اجتناب سخط الله، واتباع طاعته، فذلك شعائر الله.
- (٣) في «الأحمدية» «معول» وهو تصحيف. ومالك هذا ثقة، روى له الجماعة، مترجم في «التلخيص» ٢٢/١٠.
- (٤) ابن جرير ٤٦٨/٩ وفي سند سفيان بن وكيع، وهو ضعيف. و«اللحاء» بكسر اللام: قشر الشجرة.
- (٥) ابن جرير ٤٦٨/٩ وإسناده صحيح. والشعر، يفتح السين وضم الميم: ضرب من الشجر، صفار الورق، قصار الشوك، وله برمة صفراء يأكلها الناس، وليس في الغضاء شيء أجود خشباً منه، ينقل إلى القرى فتغشى به البيوت. وقوله: «تقلد من الشعر» يريد قشره.
- (٦) اختار ابن جرير أن الله نهى عن استحلال حرمة المقلد، هدياً كان أو إنساناً دون حرمة القلادة، فمعنى الآية على ما اختاره: يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله، ولا الشهر الحرام، ولا الهدى، ولا المقلد نفسه بقلائد الحرم.
- (٧) قال ابن كثير ٥/٢: وقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ أي: فرغتم من إحرامكم، وأحللتم منه، فقد أباحنا لكم ما كان محرماً عليكم في حال الإحرام من الصيد، وهذا أمر بعد الحظر، والصحيح الذي يثبت على السبيل أنه يرد الحكم إلى ما كان عليه قبل النهي، فإن كان واجباً رده واجباً، وإن كان مستحباً فمستحب، أو مباحاً فمباح، ومن قال: إنه على الوجوب ينتقض عليه بآيات كثيرة، ومن قال: إنه للإباحة يرد عليه آيات أخرى، والذي يتظم الأدلة كلها هذا الذي ذكرناه، كما اختاره بعض علماء الأصول والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ وروى الوليد عن يعقوب «يجرمكم» بسكون النون، وتخفيفها. قال ابن عباس: لا يحملكم، وقال غيره: لا يدخلكم في الجرم. كما تقول: آثمته، أي: أدخلته في الإثم. وقال ابن قتيبة: لا يكسبكم يقال: فلان جارم أمه، أي: كاسبهم، كذلك جريمتهم<sup>(١)</sup>. وقال الهذلي ووصف عقاباً:

جريمة ناهض في رأس زيق  
تري لعظام ما جمعت صليباً<sup>(٢)</sup>

والناهض: فرخها، يقول: هي تكسب له، وتأتيه بقوته. و«الشنان»: البغض، يقال: شنته أشنوه: إذا أبغضته. وقال ابن الأنباري: «الشنان»: البغض، و«الشنان» بتسكين النون: البغيض. واختلف القراء في نون الشنان، فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: بتحريكها، وأسكنها ابن عامر، وروى حفص عن عاصم تحريكها، وأبو بكر عنه تسكينها، وكذلك اختلف عن نافع. قال أبو علي: «الشنان»، قد جاء وصفاً، وقد جاء اسماً، فمن حرك، فلائه مصدر، والمصدر يكثر على فعلان، نحو الزوان، ومن سكن، قال: هو مصدر، وقد جاء المصدر على فعلان، تقول: لويت ديتة لياناً، فالمعنى في القراءتين واحد، وإن اختلف اللفظان. واختلفوا في قوله: «أن صدوكم» فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بالكسر، وقرأ الباقون بالفتح، فمن فتح جعل الصد ماضياً، فيكون المعنى من أجل أن صدوكم، ومن كسرها، جعلها للشرط، فيكون الصد متروكاً. قال أبو الحسن الأفش: وقد يكون الفعل ماضياً مع الكسر، كقوله: «إن يسرق فقد سرك أخ لك من قبل» [يوسف: ٧٧] وقد كانت السرقة عندهم قد وقعت، وأنشد أبو علي الفارسي:

إذا ما انتسبنا لم تلدني لثيمة  
ولم تجدي من أن تُقري بها بُداً<sup>(٣)</sup>

[فانقضاء الولادة أمر ماض وقد جملة جزاء، والجزاء إنما يكون بالمستقبل، فيكون المعنى: إن نتسب لا تجدي مولود لثيمة]<sup>(٤)</sup>. قال ابن جرير: وقراءة من فتح الألف آيين، لأن هذه السورة نزلت بعد الحديدية، وقد كان الصد تقدم. فعلى هذا في معنى الكلام قولان: أحدهما: ولا يحملكم بغض أهل مكة أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا فيه، فتقاتلوهم، وتأخذوا أموالهم إذا دخلتموه، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لا يحملكم بغض أهل مكة وصدكم إياكم أن تعتدوا بإتيان ما لا يحل لكم من الغارة على المعتمرين من المشركين، على ما سبق في نزول الآية. قوله تعالى: ﴿وَتَمَارَوْا عَلَى آلِيٍّ وَالتَّقْوَى﴾ قال الفراء: ليؤمن بعضكم بعضاً. قال ابن عباس: البر ما أمرت به، و«التقوى»: ترك ما نهيت عنه. فأما «الإثم»: فالمعاصي. والعدوان: التعدي في حدود الله، قاله عطاء<sup>(٥)</sup>.

(١) في «الأحلية»: «جرمتهم» وهو خطأ.

(٢) البيت لأبي غراش الهذلي كما في «ديوان الهذليين» ١٣٣/٢، و«المعاني الكبير» ٢٨٠/١ و«غريب القرآن» ١٣٩، و«معجم مقاييس اللغة» ٤٤٦/١، و«اللسان»: مادة جرم وهو في وصف عقاب شبه فرسه بها وقوله:

كانسي إذ غبداً ضئلاً بزي

جريمة: كاسية. وناهض: فرخ. والنيق: أرفع موضع في الجبل. والصليب: الدوك. وقال الأزهري في «التهذيب» عن هذا البيت: يصف عقاباً تصيد فرخها الناهض ما تأكله من لحم طير أكلته وبقي عظامه يسيل منها الدوك.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٦١/١، ١٧٨، و«ابن جرير» ١٦٥/٢، و«شذور الذهب» ٣٢٩، و«شواهد المعنى» ٣٣. وهو لزائدة بن صمعة القمصي يعرض بزوجته، وكانت أمها مرية، وقيل البيت:

ومتني عن قوس العبد وناغدت

والشاهد فيه قوله: «إذا ما انتسبنا لم تلدني لثيمة» فإن ظاهره أن جواب الشرط، وهو قوله «لم تلدني» ماض في المعنى وإن كان فعلاً مضارعاً في اللفظ، لكن هذا الظاهر غير مراد، لأن الشاعر يريد أن يقول: إنا إذا تفاخرنا بأنسابنا، تبين أني لم تلدني لثيمة.

(٤) ما بين معقنين من «مجمع البيان» للطبرسي ١١/٦.

(٥) قال ابن كثير ٦/٢: وقوله تعالى ﴿وَتَمَارَوْا عَلَى آلِيٍّ وَالتَّقْوَى﴾ ولا تماروا على آلئير و«التقوى» والتعاون على المآثم والمحامد. قال ابن جرير: الإثم: ترك ما أمر الله بفعله، وترك المنكرات، وهو التقوى، وبينها من التناصر على الباطل، والتعاون على المآثم والمحامد. وقد روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك، قال، قال رسول الله ﷺ: «اتصروا أحكام ظالماً أو مظلوماً، قيل يا رسول الله، هذا نصرت مظلوماً، فكيف أنصرك إذا كان ظالماً؟ قال: تحجزه وتمنعه من الظلم، فذلك نصره» ورواه البخاري ٧١/٥، ومسلم ١٩٩٨. وروى الإمام مسلم في «صحيحه» ١٥٦/٣ عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «من دأ حل خير لله مثل أجر فاعله». وروى الإمام مسلم أيضاً ٢٠٦٠/٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».

## فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها محكمة، روي عن الحسن أنه قال: ما نسخ من المائدة شيء، كذلك قال أبو ميسرة في آخرين قالوا: ولا يجوز استحلال الشعائر، ولا الهدى قبل أوان ذبحه. واختلفوا في «القلائد» فقال قوم: يحرم رفع القلايد عن الهدى حتى ينحر، وقال آخرون: كانت الجاهلية تقلد من شجر الحرم، فقبل لهم: لا تستحلوا أخذ القلايد من الحرم، ولا تصدوا القاصدين إلى البيت. والثاني: أنها منسوخة، وفي المنسوخ منها أربعة أقوال: أحدها: أن جميعها منسوخ، وهو قول الشعبي. والثاني: أنها وردت في حق المشركين كانوا يقلدون هداياهم، ويظهرون شعائر الحج من الإحرام والتلبية، فنهي المسلمون بهذه الآية عن التعرض لهم، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿فَاعْتَلُوا الْمَشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وهذا قول الأكثرين. والثالث: أن الذي نسخ قوله: ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّ إِلَيْكَ الْمُرْتَكِبُ﴾ نسخه قوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَدَ عَلَيْهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٣٨] روي عن ابن عباس، وقناة. والرابع: أن المنسوخ منها: تحريم الشهر الحرام، وأمن البيت الحرام: إذا كانوا مشركين. وهدي المشركين: إذا لم يكن لهم من المسلمين أمان، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْقِمُوا إِلَّا أَنْ لَكُمْ مِنْ يَوْمِكُمْ أَنْ تَمْسُوكُمْ وَأَنْ تَمْسُوكُمْ الْيَوْمَ أَكَلْتُمْ لَحْمَكُمْ وَبَيْنَكُمْ وَأَمْسَكْتُمْ عَلَيْكُمْ يَوْمَئِذٍ وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامُ وَبِمَا فَمِنَ آمَسَكْتُمْ فِي مَخَصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾<sup>(١)</sup> مفسر في (البقرة)، فأما «المنخنقة» فقال ابن عباس: هي التي تختنق تموت، وقال الحسن، وقناة: هي التي تختنق بجبل الصائد وغيره. قلت: والمنخنقة حرام كيف وقع ذلك. قال ابن قتيبة: «الموقوذة»: التي تضرب حتى توفد، أي: تشرف على الموت، ثم ترك حتى تموت، وتؤكل بغير ذكاة<sup>(٢)</sup>، ومنه يقال: فلان وقيد، وقد وقذته العباد. «والمترددة»: الواقعة من جبل أو حائط، أو في بشر، يقال: تردى: إذا سقط. «والنطيحة»: التي تنطحها شاة أخرى، أو بقرة، «فعليلة» في معنى «مفعولة» ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو مجلز، وابن أبي ليلى: السَّبُع: بسكون الباء. والمراد: ما اقتصره فأكل بعضه ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي: إلا ما لحقتم من هذا كله وبه حياة، فذبحتموه. فأما الاستثناء، ففيه قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى المذكور من عند قوله: ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾. والثاني: أنه يرجع إلى ما أكل السبع خاصة، والعلماء على الأول.

## فصل في الذكاة

قال الزجاج: أصل الذكاة في اللغة: تمام الشيء، فمنه الذكاء في السن، وهو تمام السن. قال الخليل: الذكاء:

(١) يستثنى من الميتة السمك فإنه حلال سواء مات بتذكية أو غيره، لما رواه مالك ٢٢/١، والشافعي ٢١/١، وأحمد ٢١٤/١، وأبو داود ٥٤/١، والترمذي ٩٦/١، والنسائي ١٧٤/١، وابن ماجه ١٣٦/١، وابن خزيمة، وابن حبان في «صحيحهما» عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ سئل عن ماء البحر، فقال: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» وكذلك الجراد لما روى الشافعي ١٧٣/٢، وأحمد ١٠٣/٨، وابن ماجه ١٠٧٣/٢، والدارقطني ٥٤٠، والبيهقي ٢٥٤/١ من ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أحل لكم ميتان وسمان، فأما الميتان فالسمك والجراد، وأما السمان فالكلب والطحال» وقد رواه سليمان بن بلال - أحد الأثبات - عن زيد بن أسلم عن ابن عمر فوقف عليه، وصحح الموقوف أبو زهرة الرازي وأبو حاتم. قال الحافظ ابن حجر في «التلخيص» ٩: نعم الرواية الموقوفة التي صححها أبو حاتم وغيره هي في حكم المرفوع، لأن قول الصحابي: «أحل لنا، وحرم علينا كذا، مثل قوله: أمرنا بكذا ونهينا عن كذا، فيحصل الاستدلال بهذه الرواية، لأنها في معنى المرفوع.

(٢) في «صحيح مسلم» ١٥٢٩/٣ أن عدي بن حاتم قال: قلت: يا رسول الله إني أرمي بالمرعاض الصيد فأصيب، قال: «إذا رميت بالمرعاض فخرق فكله، وإن أصاب بمرعضة فلوئما هو وقيد فلا تأكله» وفي «المعني» ٢٥/١١: المرعاض: عود محدد، وربما جعل في رأسه حديد، قال أحمد: المرعاض يشبه السهم يحلف به الصيد، فربما أصاب الصيد بحد فخرق وقتل فيباح، وربما أصاب بمرعضة فقتل بقله فيكون موقوذاً فلا يباح، وهذا قول علي، وعثمان، وعمار، وابن عباس وبه قال النخعي ومالك، والثوري، والشافعي، وأبو حنيفة، وإسحاق، وأبو ثور. وقال الشوكاني في «فتح القدير» ٨/٢: وقد سألت جماعة من أهل العلم عن الصيد بالبنادق الحديدية التي يجعل فيها البارود والرصاص إذا مات ولم يتمكن الصائد من تذكيته حياً، والذي يظهر لي أنه حلال، لأنها تخزق وتدخل في الغالب من جانب منه، وتخرج من الجانب الآخر، وقد قال ﷺ في الحديث الصحيح: «إذا رميت بالمرعاض فخرق فكله» فاعتبر الخرق في تحليل الصيد.



أن تأتي على قروحه سنة، وذلك تمام استكمال القوة، ومنه الذكاء في الفهم، وهو أن يكون فهماً تاماً، سريع القبول. ودُكِّيت النار، أي: أتممت إشعالها. وقد روي عن علي، وابن عباس، والحسن، وقتادة أنهم قالوا: ما أدركت ذكاته بأن توجد له عينٌ تُظَرِّف، أو ذنب يتحرك، فأكله حلالاً. قال القاضي أبو يعلى: ومذهب أصحابنا أنه إن كان يعيش مع ما به، حل بالذبح، فإن كان لا يعيش مع ما به، نظرت، فإن لم تكن حياته مستقرة، وإنما حركته حركة المذبوح، مثل أن شقَّ جوفه، وأبينت حشوته، فانفصلت عنه، لم يحل أكله، وإن كانت حياته مستقرة يعيش اليوم واليومين، مثل أن يشقَّ جوفه، ولم تقطع الأمعاء، حل أكله. ومن الناس من يقول: إذا كانت فيه حياة في الجملة أبيح بالذكاة، والصحيح ما ذكرنا، لأنه إذا لم تكن فيه حياة مستقرة، فهو في حكم الميت. ألا ترى أن رجلاً لو قطع حُشْوَةَ آدمي، ثم ضرب عنقه آخر، فالأول هو القاتل، لأن الحياة لا تبقى مع الفعل الأول<sup>(١)</sup>. وفي ما يجب قطعه في الذكاة روايتان: إحداهما: أنه الحلقوم والمريء، والعرقان اللذان بينهما الحلقوم والمريء، فإن نقص من ذلك شيئاً، لم يؤكل، هذا ظاهر كلام أحمد في رواية عبد الله. والثانية: يجزئ قطع الحلقوم والمريء، وهو ظاهر كلامه في رواية حنبل، وبه قال الشافعي. وقال أبو حنيفة: يجزئ قطع الحلقوم والمريء وأحد الودجين. وقال مالك: يجزئ قطع الأوداج، وإن لم يقطع الحلقوم<sup>(٢)</sup>. وقال الزجاج: الحلقوم بعد الفم، وهو موضع النفس، وفيه شعب تشعب منه في الرئة. والمريء: مجرى الطعام، والودجان: عرقان يقطعهما الذابح. فأما الآلة التي تجوز بها الذكاة، فهي كل ما أنهر الدم، وفري الأوداج سوى السن والظفر، سواء كانا منزوعين، أو غير منزوعين<sup>(٣)</sup>. وأجاز أبو حنيفة الذكاة بالمنزوعين. فأما البعير إذا توحش، أو تردى في بئر، فهو بمنزلة الصيد ذكاته عقره<sup>(٤)</sup>. وقال

(١) في «المغني» لابن قدامة ٦١/١١ والمنخقة، والموقودة، والمتردة، والنطيحة وأكيلة السج وما أصابها مرض فماتت به محرمة إلا أن تدرك ذكاتها لقوله تعالى: ﴿لَا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ وفي حديث جارية كعب أنها أصيبت شاة من غنمها، فأدركتها فذبحتها بحجر فسل النبي ﷺ فقال: «كلوها» رواه أحمد البخاري. فإن كانت لم يبق من حياتها إلا مثل حركة المذبوح لم تبح بالذكاة، لأنه لو ذبح ما ذبحه المجوسي لم يبيح، وإن أدركها وفيها حياة مستقرة بحيث يمكن ذبحها حلت لمعوم الآية والخبر، وسواء كانت قد انتهت إلى حال يعلم أنها لا تعيش معه أو تعيش لمعوم الآية والخبر، ولأن النبي ﷺ لم يسأل ولم يستفصل. وقد قال ابن عباس في ذنب عدا على شاة فمقرها، فوقع قصيبها بالأرض، فأدركها فذبحها بحجر قال: يلقي ما أصاب الأرض ويأكل سائرهما. وقال أحمد في بهيمة عقرت بهيمة حتى تبين فيها آثار الموت إلا أن فيها الروح يعني فذبحت قال: إذا مصمت بذنبها، وطرفت بعينها، وسال الدم، فأرجو إن شاء الله تعالى أن لا يكون بأكلها بأس، وررى ذلك بإسناده عن عقيل بن عمير وطاوس وقالوا: تحركت، ولم يقلوا: سال الدم، وهذا على مذهب أبي حنيفة. وقال إسماعيل بن سعيد: سألت أحمد عن شاة مريضة خافوا عليها الموت، فذبحوها فلم يعلم منها أكثر من أنها طرقت بعينها أو حركت يدها أو رجلها أو ذنبها بضعف فنهز الدم قال: فلا بأس به، وقال ابن أبي موسى: إذا انتهت إلى حد لا تعيش معه لم تبح بالذكاة، ونص عليه أحمد فقال: إذا شق الذنب بطنها فخرج قصيبها فذبحها لا تؤكل، وقال: إن كان يعلم أنها تموت من عقر السج فلا تؤكل وإن ذكاه، وقد يخاف على الشاة الموت من العلة والشيء يصيبها فيأبدها فليذبحها فيأكلها وليس هذا مثل هذه، لا يدري لعلها تعيش، والتي قد خرجت أمعاؤها يعلم أنها لا تعيش، وهذا قول أبي يوسف والأول أصح، لأن عمر ﷺ انتهى به الجرح إلى حد علم أنه لا يعيش معه فوصى بقبولت وصاياه، ووجبت العبادة عليه، وفي ما ذكرنا من عموم الآية والخبر وكون النبي ﷺ لم يستفصل في حديثه جارية كعب ما يرد هذا وتحمل نصوص أحمد على شاة خرجت أمعاؤها وبانت منها فتلك لا تحل بالذكاة، لأنها في حكم الميت، ولا تبقى حركتها إلا كحركة المذبوح، فأما ما خرجت أمعاؤها ولم تبين منها فهي في حكم الحياة، تباح بالذبح ولهذا قال الخرقي فيمن شق بطن رجل فأخرج حشوته فقطعها فأبانه، ثم ضرب عنقه آخر، فالقاتل هو الأول، ولو شق بطن رجل، وضرب عنقه آخر، فالقاتل هو الثاني. وقال بعض أصحابنا: إذا كانت تعيش معظم اليوم حلت بالذكاة، وهذا التحديد بعيد يخالف ظواهر النصوص ولا سبيل إلى معرفته، وقوله في حديث جارية كعب: «فأدركتها فذكتها بحجر» يدل على أنها بادرتها بالذكاة حين خافت موتها في ساعتها، والصحيح أنها إذا كانت تعيش زمناً يكون الموت بالذبح أسرع منه، حلت بالذبح، وأنها متى كانت مما لا يتيقن موتها كالمريضة أنها متى تحركت وسال دمها حلت والله أعلم.

(٢) في «المغني» ٤٤/١١: وأما الفعل فيعتبر قطع الحلقوم والمريء، وبهذا قال الشافعي، وعن أحمد رواية أخرى أنه يعتبر مع هذا قطع الودجين، وبه قال مالك وأبو يوسف، لما روى أبو هريرة ﷺ قال: نهى رسول الله عن شريطة الشيطان وهي التي تذبح فقطع الجلد ولا تفري الأوداج، ثم ترك حتى تموت. رواه أبو داود ١٣٦/٣. [قال المنذري: وفي إسناده عمرو بن عبد الله الصنعاني وقد تكلم فيه غير واحد] وقال أبو حنيفة: يعتبر قطع الحلقوم والمريء وأحد الودجين. ولا خلاف في أن الأكل قطع الأربعة، الحلقوم والمريء والودجين.

(٣) روى البخاري: ٩٤/٥، ومسلم: ١٥٥٨/٤، وأبو داود: ١٣٤/٣، والنسائي: ٢٢٦/٧، والترمذي: ١٨٠/١ وابن ماجه: ١٠٦١/٢ عن رافع بن خديج قال: قلت: يا رسول الله إننا نقلى العدو غداً وليس معنا مدى، فقال النبي ﷺ: «ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ما لم يكن سناً أو ظفراً وسأحدثكم عن ذلك، أما السن فمعظم، وأما الظفر فمدى الحيشة».

(٤) روى البخاري: ٩٤/٥، ومسلم: ١٥٥٨، والنسائي: ٢٢٨/٧، وأبو داود عن رافع بن خديج قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فند بعير من إبل القوم، ولم يكن معهم خيل، فرموا رجل بسهم فحبسه، فقال رسول الله ﷺ: «إن ليله البهائم أوابد كأوابد الوحش، فما فعل منها هذا فافعلوا به هكذا». وفي -

مالك: ذكاته ذكاة المقدور عليه<sup>(١)</sup>. فإن رمى صيداً، فأبأن بعضه، وفيه حياة مستقرة، فذكاه، أو تركه حتى مات جاز أكله، وفي أكل ما بان منه روايتان.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ في النصب قولان: أحدهما: أنها أصنام تنصب فتعبد من دون الله، قاله ابن عباس، والفراء، والزجاج، فعلى هذا القول يكون المعنى، وما ذبح على اسم النصب، وقيل لأجلها، فتكون «على» بمعنى «اللام»، وهما يتعاقبان في الكلام، كقوله: ﴿فَسَكَّرَ لَكَ﴾ [الواقعة: ٩١] أي: عليك، وقوله: ﴿وَرَأَى اسْمَاءُ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٢٧]. والثاني: أنها حجارة كانوا يذبحون عليها، ويشترحون اللحم عليها ويعظمونها، وهو قول ابن جريج. وقرأ الحسن، وخارجه عن أبي عمرو: على النُّصُبِ، يفتح النون، وسكون الصاد، قال ابن قتيبة، يقال: نُصِبَ ونُصِبَ ونُصِبَ، وجمعه أنصاب.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْكَرِ﴾ قال ابن جرير: أي: وأن تطلبوا علم ما قسم لكم، أو لم يقسم بالأزلام، وهو استعملت من القسم [قسم الرزق والحاجات]. قال ابن قتيبة: الأزلام: القداح، واحدها: زَلَمٌ وزَلَمٌ. والاستقسام بها: أن يضرب [بها] فيعمل بما يخرج فيها من أمرٍ أو نهي، فكانوا إذا أرادوا أن يقتسموا شيئاً بينهم، فأجَبُوا أن يعرفوا قسم كل امرئٍ تعرفوا ذلك منها، فأخذ الاستقسام من القسم وهو النصيب. قال سعيد بن جبيرة: الأزلام: حصى يبيض، كانوا إذا أرادوا غدواً، أو رواحاً، كتبوا في قدحين، في أحدهما: أمرني ربي، وفي الآخر: نهاني ربي، ثم يضربون بهما، فأيهما خرج، عملوا به. وقال مجاهد: الأزلام: سهام العرب، وكعاب فارس التي يتقمارون بها. وقال السدي: كانت الأزلام تكون عند الكهنة. وقال مقاتل: في بيت الأصنام. وقال قوم: كانت عند سدة الكعبة<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: ولا فرق بين ذلك، وبين قول المنجمين: لا تخرج من أجل نجم كذا، أو أخرج من أجل نجم كذا.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ فَسُقُ﴾ في المشار إليه بذلك قولان: أحدهما: أنه جميع ما ذكر في الآية، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وبه قال سعيد بن جبيرة. والثاني: أنه الاستقسام بالأزلام، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والفسق: الخروج عن طاعة الله إلى معصيته<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَنْسُ الْيَوْمَ كَذَرُوا مِنْ رَيْبِكُمْ﴾ في هذا اليوم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اليوم الذي دخل فيه رسول الله مكة في حجة الوداع، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال ابن السائب: نزلت ذلك اليوم. والثاني: أنه يوم عرفة، قاله مجاهد، وابن زيد. والثالث: أنه لم يرد يوماً بعينه، وإنما المعنى: الآن يشعرون كما تقول: أنا اليوم قد كبرت، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: العرب توقع اليوم على الزمان الذي يشتمل على الساعات والليالي، فيقولون: قد كنت في غفلة، فالיום استيقظت، يريدون: فالآن، ويقولون: كان فلان يزورنا، وهو اليوم يجفوننا، ولا يقصدون باليوم قصد يوم واحد. قال الشاعر:

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرُ<sup>(٤)</sup>

= «المنفي»: روي ذلك عن علي، وابن مسعود، وابن عمر، وأبن عباس، وعائشة رضي الله عنها، وبه قال مسروق، والأسود، والحسن، وعطاء، والشعبي، والحكم، وحناد، والثوري، وأبو حنيفة، والشافعي، وإسحاق، وأبو ثور.

(١) ذكر في «المنفي» أن الإمام أحمد قال: لعل مالكا لم يسمع حديث رافع بن خديج. وتناول ابن العربي في «أحكام القرآن» الحديث بأن مفاده جواز حبس ما تد من البهائم بالرمي وغيره، لا أن ذلك ذكاة لها.

(٢) روى البخاري ٢٧٦/٦ من ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحييت، ورأى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأزلام، فقال: «فانظروا الله، والله إن استقسما بالأزلام قط».

(٣) قال الحافظ ابن كثير: وقد أمر الله المؤمنين إذا تردوا في أمورهم أن يستخبروه بأن يعبدوه، ثم يسألوه الخيرة في الأمر الذي يريدونه، كما روى الإمام أحمد والبخاري ٤٠/٣ وأهل السنن عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن، ويقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - ويسميه باسمه - خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال: عاجل أمري وآجله، فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلمه شراً لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري، فاصرفني عنه واصرفه عني، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به» لفظ أحمد. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٤) البيت للنمر بن تولب كما في «الشواهد الكبرى» ٥٦٥/١ للميني، والنمر بن تولب: شاعر مخضرم عاش عمراً طويلاً في الجاهلية، وكان فيها شاعر =

أراد: فزمان لنا، وزمان علينا، ولم يقصد ليوم واحد لا ينضم إليه غيره. وفي معنى يأسهم قولان: أحدهما: أنهم يتسوا أن يرجع المؤمنون إلى دين المشركين، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: يتسوا من بطلان الإسلام، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: وإنما يتسوا من إبطال دينهم لما نقل الله خوف المسلمين إليهم، وأمنهم إلى المسلمين، فعملوا أنهم لا يقدرّون على إبطال دينهم، ولا على استئصالهم، وإنما قاتلوهم بعد ذلك ظناً منهم أن كفرهم يبقّى. قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ قال ابن جريج: لا تخشوهم أن يظهروا عليكم، وقال ابن السائب: لا تخشوهم أن يظهروا على دينكم، واخشوني في مخالفة أمري.

قوله تعالى: ﴿أَلَيْمَ أَكَلْتُمْ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ روى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين إنكم تقرأون آيةً من كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: وأي آية هي؟ قال: قوله: ﴿أَلَيْمَ أَكَلْتُمْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْتَكُمْ عَلَيْكُمْ فَتَقْتُلُوهَا﴾ فقال عمر: إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله، والساعة التي نزلت فيها، والمكان الذي نزلت فيه على رسول الله وهو قائم بعرفة في يوم جمعة. وفي لفظ «نزلت عشية عرفة»<sup>(١)</sup> قال سعيد بن جبيرة: عاش رسول الله ﷺ بعد ذلك أحداً وثمانين يوماً. فأما قوله: ﴿أَلَيْمَ﴾ ففيه قولان: أحدهما: أنه يوم عرفة، وهو قول الجمهور<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه ليس بيوم معين، رواه عطية عن ابن عباس، وقد ذكرنا هذا آنفاً. وفي معنى إكمال الدين خمسة أقوال: أحدها: أنه إكمال فرائضه وحدوده، ولم ينزل بعد هذه الآية تحليل ولا تحريم، قاله ابن عباس، والسدي، فعلى هذا يكون المعنى: اليوم أكملت لكم شرائع دينكم. والثاني: أنه بنفي المشركين عن البيت، فلم يحج معهم مشرك عامئذٍ، قاله سعيد بن جبيرة، وقادة. وقال الشعبي: كمال الدين هاهنا: عزه وظهوره، وذلل الشرك ودروسه، لا تكامل الفرائض والسنن، لأنها لم تنزل تنزل إلى أن قبض رسول الله ﷺ، فعلى هذا يكون المعنى: اليوم أكملت لكم نصر دينكم. والثالث: أنه رفع النسخ عنه. وأما الفرائض فلم تنزل تنزل عليه حتى قبض، روي عن ابن جبيرة أيضاً. والرابع: أنه زوال الخوف من العدو، والظهور عليهم، قاله الزجاج. والخامس: أنه أمن هذه الشريعة من أن تنسخ بأخرى بعدها، كما نسخ بها ما تقدمها. وفي إتمام النعمة ثلاثة أقوال: أحدها: منع المشركين من الحج معهم، قاله ابن عباس، وابن جبيرة، وقادة. والثاني: الهداية إلى الإيمان، قاله ابن زيد. والثالث: الإظهار على العدو، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿مَنْ أَمْطَرَ﴾ أي: دعت الضرورة إلى أكل ما حُرّم عليه. ﴿فِي تَحَصُّنٍ﴾ أي: مجاعة، والخصم: الجوع. قال الشاعر يذم رجلاً:

يَرَى الْخُمْصَ تَعْذِيباً وَإِنْ يَلْقَى شُبْعَةً يَبِثْ قَلْبُهُ مِنْ قِلَّةِ الْهَمِّ مُبْهِمًا<sup>(٣)</sup>

وهذا الكلام يرجع إلى المحرمات المتقدمة من الميتة والدم، وما ذكر معهما. قوله: ﴿غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ قال ابن تقيّة: غير مائل إلى ذلك، و«الجنف»: الميل. وقال ابن عباس، والحسن، ومجاهد: غير متعمد للإثم. وفي معنى «تجانف الإثم» قولان: أحدهما: أن يتناول منه بعد زوال الضرورة، روي عن ابن عباس في آخرين. والثاني: أن

الرباب، وكان من ذوي النعمة والوجاهة جواداً وقابلاً لماله، أدرك الإسلام وهو كبير السن، ووقد على النبي ﷺ فكتب له كتاباً فكان في أيدي أهله. وقوله: «فيوم علينا ويوم لنا» يريد أن الدهر يومان، يوم يكون علينا وفيه نساء، ويوم يكون لنا وفيه نسر وفرح.

(١) البخاري ٢٠٣/٨، ومسلم ٢٣١٢/٤، ولفظ مسلم قريب من سياقة المصنف، ورواه الإمام أحمد في «المسند» ٢٣٧/١، والترمذي ٩٦/٤، والنسائي ١١٤/٨.

(٢) قال ابن كثير: والصواب الذي لا شك فيه ولا مرية: أنها أنزلت يوم عرفة وكان يوم جمعة، كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عباس، وسمرة بن جندب، وأرسله الشعبي، وقادة بن دعام، وشهر بن حوشب، وغير واحد من الأئمة والعلماء، واختاره ابن جرير رحمه الله.

(٣) البيت لحاتم الطائي، وهو في «ديوانه» ١٠٩، و«توابع أبي زيد» ١١١، و«طبقات فحول الشعراء» ٤٨٣، و«الأغاني» ١٦/١٢٢، و«غريب القرآن» ١٤١. وقوله:

لِحَاثِ اللَّهِ مُمْلُوكاً مُنْهَاهُ وَمِنْهُ  
مِنَ الْعَيْشِ أَنْ يَلْقَى كَبُوساً وَمَطْعَمًا  
وللشعر في «طبقات ابن سلام» خبر فانظره.



ما صيد به من سباع البهائم والطيور، كالكلب، والفهد، والصقر، والبازي، ونحو ذلك مما يقبل التعليم. قال ابن عباس: كل شيء صاد فهو جارح. وفي تسميتها بالجوارح قولان: أحدهما: لكسب أهلها بها. قال ابن قتيبة: أصل الاجتراح: الاكتساب، يقال: امرأة لا جارح لها، أي: لا كاسب. والثاني: لأنها تجرح ما تصيد في الغالب، ذكره الماوردي. قال أبو سليمان الدمشقي: وعلامة التعليم أنك إذا دعوته أجاب، وإذا أسدته استأسد، ومضى في طلبه، وإذا أمسك أمسك عليك لا على نفسه، وعلامة إمساكه عليك: أن لا يأكل منه شيئاً، هذا في السباع والكلاب، فأما تعليم جوارح الطير فبخلاف السباع، لأن الطائر إنما يُعلم الصيد بالأكل، والفهد والكلب وما أشبههما يعلمون بترك الأكل، فهذا فرق ما بينهما.

وفي قوله: ﴿مَكْلَبِينَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أصحاب الكلاب، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول ابن عمر، وسعيد بن جبيرة، وعطاء، والضحاك، والسدي، والفراء، والزجاج، وابن قتيبة. قال الزجاج: يقال: رجل مكلب وكلاي، أي: صاحب صيد بالكلاب. والثاني: أن معنى «مكلبين»: مُصْرَيْنَ على الصيد، وهذا مروى عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد. والثالث: أن «مكلبين» بمعنى: معلمين. قال أبو سليمان الدمشقي: وإنما قيل لهم: مكلبين، لأن الغالب من صيدهم إنما يكون بالكلاب. قال ثعلب: وقرأ الحسن، وأبو رزين، «مُكْلَبِينَ»، بسكون الكاف، يقال: أكلب الرجل: إذا كثرت كلابه، وأمشى: إذا كثرت ماشيته، والعرب تدعو الصائد مكلباً.

قوله تعالى: ﴿يَتْلُوْنَ رِجَالًا مَّا عَلَّمَهُمُ اللّٰهُ﴾ قال سعيد بن جبيرة: تؤذّبونهم لطلب الصيد. وقال الفراء: تؤذّبونهم أن لا يأكلن صيدهن. واختلفوا هل إمساك الصائد عن الأكل شرط في صحة التعليم أم لا؟ على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه شرط في كل الجوارح، فإن أكلت، لم يؤكل، روي عن ابن عباس، وعطاء. والثاني: أنه ليس بشرط في الكل، ويؤكل وإن أكلت، روي عن سعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وأبي هريرة، وسلمان الفارسي. والثالث: أنه شرط في جوارح البهائم، وليس بشرط في جوارح الطير، وبه قال الشعبي، والنخعي، والسدي، وهو أصح لما بينا أن جوارح الطير يعلم على الأكل، فأبيح ما أكل منه، وسباع البهائم تعلم على ترك الأكل، فأبيح ما أكلت منه. فعلى هذا إذا أكل الكلب والفهد من الصيد، لم يبيح أكله. فأما ما ل منه الصقر والبازي، فمباح، وبه قال أبو حنيفة، وأصحابه، وقال مالك: يباح أكل ما أكل منه الكلب، والفهد، والصقر، فإن قتل الكلب، ولم يأكل، أبيع. وقال أبو حنيفة: لا يباح، فإن أدرك الصيد، وفيه حياة، فمات قبل أن يذكيه، فإن كان ذلك قبل القدرة على ذكاته أبيع، وإن أمكنه فلم يذكه، لم يبيح، وبه قال مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يباح في الموضعين. فأما الصيد بكلب المنجوسي، فروى عن أحمد أنه لا يكره، وهو قول الأكثرين، وروي عنه الكراهة، وهو قول الثوري، لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾ وهذا خطاب للمؤمنين. قال القاضي أبو يعلى: ومنع أصحابنا الصيد بالكلب الأسود، وإن كان معلماً، لأن النبي ﷺ أمر بقتله<sup>(١)</sup>، والأمر بالقتل: يمنع ثبوت اليد، ويبطل حكم الفعل، فيصير وجوده كالعدم، فلا يباح صيده.

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا آسَكَنَ عَلَيْكُمْ﴾ قال الأخفش: «من» زائدة، كقوله: ﴿فِيمَا مِنْ بَرٍّ﴾ [النور: ٤٤]. قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا أَنَّمَا اللّٰهُ عَلَّمَكُمْ فِي هَآءِ الْكُتَابِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُا تَرْجِعُ إِلَى الْإِرْسَالِ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالسَّيْدِي، وَعِنْدَنَا أَنَّ التَّسْمِيَةَ شَرْطٌ فِي إِبَاحَةِ الصَّيْدِ<sup>(٢)</sup>. والثاني: تَرْجِعُ إِلَى الْأَكْلِ فَتَكُونُ التَّسْمِيَةُ مُسْتَحْتَبَةً. قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللّٰهَ﴾ قال سعيد بن جبيرة: لا تستحلوا ما لم يذكر اسم الله عليه.

(١) روى الإمام أحمد، ومسلم ١٢٠٠/٣ عن جابر قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتل الكلاب حتى إن المرأة تقدم من البادية بكلبها ففتقله، ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتلها وقال: «عليكم بالأسود البهيم في الثغطين فإنه شيطان» وروى أبو داود ١٤٤/٣، والدارمي ٩٠/٢ عن عبد الله بن مغفل عن النبي ﷺ قال: «لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها كلها، فافعلوا منها كل أسود بهيم».

(٢) قال في «المنهي»: فإن ترك التسمية عمداً أو سهواً، لم يبيح. هذا تحقيق المذهب. وروى البخاري ٩٢/٢١ «شرح المعني» ومسلم ١٥٣١/٣ عن عدي بن حاتم ﷺ قال: قلت: يا رسول الله إني أرسل كلبني وأسمي. قال: «إن أرسلت كلبك وسميت فأخذ، فقتل، وإن أكل منه فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه». قلت: إني أرسل كلبني فأجد معه كلباً آخر، لا أدري أيهما أخذ؟ قال: «فلا تأكل فإنما سميت على كلبك، ولم تسم على غيره».



واللّيث بن سعد، والشافعي، وأصحابنا، وروي عن الشعبي، وأبي مسيرة جواز ذلك، وبه قال أبو حنيفة. فأما المجوس، فالجمهور على أنهم ليسوا بأهل كتاب، وقد شدّ من قال: إنهم أهل كتاب، ويطل قولهم قوله ﷺ: «سُئِلُوا بِهِمْ سُنَّةُ أَهْلِ الْكِتَابِ»<sup>(١)</sup>. فأما «الأجور»، و«الإحصان»، و«السّفاح»، و«الأخذان» فقد سبق في سورة (النساء).

قوله تعالى: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ» سبب نزول هذا الكلام: أن الله تعالى لما رخص في نكاح الكتابيات قلن يبينهن: لولا أن الله تعالى قد رضي علينا، لم يبح للمؤمنين تزويجنا، وقال المسلمون: كيف يتزوج الرجل منا الكتابية وليست على ديننا، فنزلت: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ» رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل بن حيان: نزلت فيما أحصن المسلمون من نساء أهل الكتاب، يقول: ليس إحصان المسلمين إياهن بالذي يخرجهن من الكفر. وروى ليث عن مجاهد: ومن يكفر بالإيمان، قال: الإيمان بالله تعالى. قال الزجاج: معنى الآية: من أحل ما حرم الله، أو حرم ما أحله الله، فهو كافر. وقال أبو سليمان: من جحد ما أنزله الله من شرائع الإيمان، وعرفه من الحلال والحرام، فقد حبط عمله المقدم. وسمعت الحسن بن أبي بكر النيسابوري الفقيه يقول: إنما أباح الله ﷻ الكتابيات، لأن بعض المسلمين قد يعجبه حسنهن، فحذّر ناكحهن<sup>(٢)</sup> من الميل إلى دينهن بقوله: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ».

«يَتَأْتِيهَا الذِّبْتُ» إِذَا قُتِمَتْ إِلَى الْكَلْبَةِ فَانْقَلَبَتْ وَجْهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْفَرَافِقِ وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْبَابَكُمْ إِلَى الْكَمْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطْبُؤْا مِنْكُمْ رِجْلَكُمْ أَوْ عَلَى سَاقٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ الْمَرْءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُسَمِّيَكُمْ بِاسْمِهِ عَلَيْكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ

قوله تعالى: «إِذَا قُتِمَتْ إِلَى الْكَلْبَةِ» قال الزجاج: المعنى: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، كقوله: «إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَوِذْ بِأَلَلَّهِ» [النحل: ٩٨] قال ابن الأنباري: وهذا كما تقول: إذا أخيت فأخ أهل الحسب، وإذا اتجرت فاتجر في البر. قال: ويجوز أن يكون الكلام مقدماً ومؤخراً، تقديره: إذا غسلتم وجوهكم، واستوفيتم الطهور، فقوموا إلى الصلاة. وللعلماء في المراد بالآية قولان: أحدهما: إذا قمت إلى الصلاة محدثين، فاغسلوا، فصار الحدث مضراً في وجوب الوضوء، وهذا قول سعد بن أبي وقاص، وأبي موسى الأشعري، وابن عباس، والفقهاء. والثاني: أن الكلام على إطلاقه من غير إضمار، فيجب الوضوء على كل من يريد الصلاة، محدثاً كان، أو غير محدث، وهذا مروي عن علي عليه السلام<sup>(٣)</sup>، وعكرمة، وابن سيرين. ونقل عنهم أن هذا الحكم غير منسوخ، ونقل عن جماعة من العلماء أن ذلك كان واجباً، ثم نسخ بالسنة، وهو ما روى بريدة أن النبي ﷺ صلى يوم الفتح خمس صلوات بوضوء واحد، فقال له عمر: لقد صنعت شيئاً لم تكن تصنعه؟ فقال: «عملاً فعلته يا عمر»<sup>(٤)</sup>. وقال قوم: في الآية تقديم وتأخير، ومعناها: إذا

(١) رواء مالك في «الموطأ» ٢٧٨/١، والشافعي في «مسنده» ١٣٠/٢، وغيرهما، وفيه كلام انظره في «نصب الراية» ٤٤٨/٣.

(٢) في نسخة الرباط: نكاحهن.

(٣) روى ابن جرير ١٢/١، والنحاس في «التاسع والمنسوخ» ١١٩ عن مسعود بن علي الشيباني قال: سمعت عكرمة يقول: كان علي عليه السلام يتوضأ عند كل صلاة، ويقرأ هذه الآية «يَتَأْتِيهَا الذِّبْتُ» إِذَا قُتِمَتْ إِلَى الْكَلْبَةِ فَانْقَلَبَتْ وَجْهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْفَرَافِقِ وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْبَابَكُمْ إِلَى الْكَمْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطْبُؤْا مِنْكُمْ رِجْلَكُمْ أَوْ عَلَى سَاقٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ الْمَرْءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُسَمِّيَكُمْ بِاسْمِهِ عَلَيْكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ» وهذا الأثر ساقه ابن كثير في «تفسيره» ٢٢/٢، وساق معه أثرين آخرين عن علي، ثم قال: وهذه طرق جيلة عن علي، يقرى بعضها بعضاً.

(٤) أحمد في «المسند» ٣٥٠/٥، ومسلم ٢٣٢/١، وأبو داود ٨٢/١، والنسائي ٨٦/١، وابن ماجه ١٧٠/١، والترمذي ٨٩/١ وقال: حديث حسن صحيح. وروى البخاري ٢٧٣/١ عن سويد بن النعمان قال: فخرجنا مع رسول الله ﷺ عام خير حتى إذا كنا بالصهبا صلى لنا رسول الله ﷺ العصر، فلما صلى دعا بالأطعمة، فلم يؤت إلا بالسويق، فأكلنا وشربنا، ثم قام النبي ﷺ إلى المغرب، فمضى ثم صلى لنا المغرب ولم يتوضأ. قال أبو جعفر الطبري ١٩/١٠: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: إن الله عني بقوله: «إِذَا قُتِمَتْ إِلَى الْكَلْبَةِ فَانْقَلَبَتْ وَجْهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْفَرَافِقِ وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْبَابَكُمْ إِلَى الْكَمْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطْبُؤْا مِنْكُمْ رِجْلَكُمْ أَوْ عَلَى سَاقٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ الْمَرْءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُسَمِّيَكُمْ بِاسْمِهِ عَلَيْكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ» بعد حدث كان من ناقض طهارته، وقبل إحداث الوضوء منه، وأمر ندب لمن كان على طهر قد تقدم منه، ولم يكن منه بعده حدث ينقض طهارته، ولذلك كان عليه السلام يتوضأ لكل صلاة قبل فتح مكة، ثم صلى يومئذ الصلوات كلها بوضوء واحد، ليعلم أمته أن ما كان يفعل ﷺ من تجديد الطهر لكل صلاة، إنما كان منه أخذاً بالفضل وإيثارة منه لأحب الأمور إلى الله، ومساعدة منه إلى ما تنبه إليه ربه لا على أن ذلك كان عليه فرضاً واجباً. قلت: ومنع الجمهور أنه يستحب الوضوء لكل صلاة، لما روى الإمام أحمد في «المسند» ٢٥٠/١٣ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِتَيَمُّمِ كُلِّ صَلَاةٍ بِوَضُوءٍ» أو مع =

قمتم إلى الصلاة من النوم أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء، فاغسلوا وجوهكم.

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّكُمْ إِلَى التَّرَافُفِ﴾ «إلى» حُرِّفَ موضوعُ للغاية، وقد تدخل الغاية فيها تارة، وقد لا تدخل، فلما كان الحدث يقيناً، لم يرتفع إلا بيقين مثله، وهو غسل المرفقين. فأما الرأس فنقل عن أحمد وجوب مسح جميعه، وهو قول مالك، وروي عنه: يجب مسح أكثره، وروي عن أبي حنيفة روايتان: إحداهما: أنه يتقدّر برقع الرأس. والثانية: بمقدار ثلاث أصابع<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، وأبو بكر عن عاصم: بكسر اللام عطفاً على مسح الرأس، وقرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم، ويعقوب: بفتح اللام عطفاً على الغسل، فيكون من المقدم والمؤخر. قال الزجاج: الرُّجُل من أصل الفخذ إلى القدم، فلما حدّ الكعبين، عُلِمَ أن الغسل ينتهي إليهما، ويدل على وجوب الغسل التحديد بالكعبين، كما جاء في تحيد اليد «إلى المرافق» ولم يجر في شيء من المسح تحديد. ويجوز أن يراد الغسل على قراءة الخفض، لأن التحديد بالكعبين يدل على الغسل، فينسق بالغسل على المسح. قال الشاعر:

يَا لَيْتَ بَعْلُكَ قَدْ غَدَا

مَتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمَحًا<sup>(٢)</sup>

والمعنى: وحاملاً رُمَحاً. وقال الآخر:

عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا<sup>(٣)</sup>

والمعنى: وسقيتها ماءً بارداً. وقال أبو الحسن الأخفش: يجوز الجر على الإبتاع، والمعنى: الغسل، نحو قولهم: جحر ضبٍ خرب. وقال ابن الأنباري: لما تأخرت الأرجل بعد الرؤوس، نسقت عليها للقرّب والجوار، وهي في المعنى نسق على الوجوه، كقولهم: جحر ضبٍ خرب<sup>(٤)</sup>، ويجوز أن تكون منسوقة عليها، لأن العرب تسمي الغسل مسحاً، لأن الغسل لا يكون إلا بمسح. وقال أبو علي: مَنْ جَرَّ فَحَجَّتْهُ أنه وجد في الكلام عاملين: أحدهما: الغسل، والآخر: الباء الجازة، ووجه العاملين إذا اجتماعاً: أن يحمل الكلام على الأقرب منهما دون الأبعد، وهو «الباء» هاهنا، وقد قامت الدلالة على أن المراد بالمسح: الغسل من وجهين: أحدهما: أن أبا زيد قال: المسح خفيف

كل وضوء سواك، ولأخوت عشاء الآخرة إلى ثلث الليل» وإسناده صحيح، وقد سقط من إسناده في طبعة الشيخ أحمد شاكر للمسد: أبو سلمة الراوي عن أبي هريرة. وعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يتوضأ عند كل صلاة. قيل له: فأنتم كيف تصنعون؟ قال: كنا ننصلي الصلوات بوضوء واحد ما لم نحدث. رواه أحمد في «المستد» بترتيب الساعاتي ٥٤/٢، والبخاري ٨٥/١، والنسائي ٨٥/١، وأبو داود ٨١/١، والترمذي ٨٨/١، والبيهقي في «السنن» ١٧٠/١. وعن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل أن رسول الله ﷺ كان أمر بالوضوء لكل صلاة طاهراً كان أو غير طاهر، فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك عند كل صلاة، ووضع عنه الوضوء إلا من حدث. رواه أحمد ٢٢٥/٥، وأبو داود ٤٣/١ وإسناده حسن.

(١) قال الحافظ ابن كثير ٢٤/٢: وقوله: ﴿وَأَسْكُرُوا يَدَيْكُمْ﴾ اختلفوا في هذه الباء هل هي للإصاق وهو الأظهر، أو للتبويض وفيه نظر، على قولين، ومن الأصوليين من قال: هذا مجمل، فليرجع في بيانه إلى السنة. وقد ثبت في «الصحيحين» من طريق مالك عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه: أن رجلاً قال لعبد الله بن زيد بن عاصم - وهو جد عمرو بن يحيى - وكان من أصحاب النبي ﷺ: هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ؟ فقال عبد الله بن زيد: نعم، فعدا بوضوء، فأفرغ على يديه، فغسل يديه مرتين مرتين، ثم مضى واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل يديه مرتين إلى المرفقين، ثم مسح رأسه بيديه، فأقبل بهما وأدير، بدأ بمقدم رأسه، ثم ذهب بهما إلى قفاه، ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه، ثم غسل رجليه. قلت: الحديث في البخاري ٢٥٨/١، ومسلم ٢١٠/١. وفي «المغني» ١١٢/١: لا خلاف في وجوب مسح الرأس، وقد نص الله تعالى عليه بقوله: ﴿وَأَسْكُرُوا يَدَيْكُمْ﴾ واختلف في قدر الواجب، فروي عن أحمد وجوب مسح جميعه في حق كل أحد، وهو ظاهر كلام الخري، ومذهب مالك، وروي عن أحمد: يجزئ مسح بعضه. قال أبو الحارث: قلت لأحمد: فإن مسح برأسه وترك بعضه؟ قال: يجزئه.

(٢) البيت غير منسوب في «مشكل القرآن» ١٦٥، وتفسير الطبري ١٤٠/١، و«الكامل» ٢٨٩/١، و«أمالي المرتضى» ٥٤/١، و«أمالي ابن الشجري» ٢/٣٢١، و«شرح الحامسة» للرزوقي ١١٤٧/٣، و«اللسان» مادة: قلد، ونسبه في حواشي ابن القوطية على «الكامل» ١٨٩، طبع ليبسك لعبد الله بن الزبير. ويروى الشطر الأول منه «ورأيت زوجك في الوضوء» وفي «اللسان» تقلد الأمر: احتمله وكذلك تقلد السيف.

(٣) تمامه: حتى شئت هائلة حينها. وهو في «مشكل القرآن» ١٦٥، و«أمالي المرتضى» ٢٥٩/٢، و«أمالي ابن الشجري» ٣٢١/٢، و«الإنصاف» ٢٥٣، وشرح «شواهد المغني» ٣١٤، و«الخرزانة» ٤٩٩/١. قال الميني: ١٨١/٤: أنشده الأصمعي وغيره، ولم أر أحداً عزاه إلى قائله. وشتت: بمعنى أقامت شتاء، ففي القاموس: شتا باليد: أقام به شتاء، كشى وتشتى. وهماله: من هملت العين: إذا صبت دمعها، وعينها فاعل «همالة».

(٤) قال أبو حيان في «البحر» ٤٣٧/٣: وهو تأويل ضعيف جداً، ولم يرد إلا في التمت حيث لا يلبس على خلاف فيه قد قرر في علم العربية.



الغسل، قالوا: تمسحت للصلاة، وقال أبو عبيدة: ﴿نَطَقْتُ مَسَّحًا بِالسُّوقِ﴾، أي: ضرباً، فكان المسح بالآية غسل خفيف. فإن قيل: فالمستحب التكرار ثلاثاً؟ قيل: إنما جاءت الآية بالمفروض دون المسنون. والوجه الثاني: أن التحديد والتوقيت إنما جاء في المغسول دون الممسوح، فلما وقع التحديد مع المسح، علم أنه في حكم الغسل لموافقة الغسل في التحديد، وحجة من نصب أنه حمل ذلك على الغسل لاجتماع فقهاء الأمصار على الغسل<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِلَى الْكَمْبَيْنِ﴾ «إلى» بمعنى «مع» والكعبان: العظامان الناشتان من جانبي القدم.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ أي: فتطهروا، فأدغمت التاء في الطاء، لأنهما من مكان واحد، واجتلبت الهمزة توصلاً إلى النطق بالسكان، وقد بين الله ﷻ طهارة الجنب في سورة (النساء) بقوله: ﴿حَتَّى تَغْتَابِلُوا﴾ [النساء: ٤٣] وقد ذكرنا هناك الكلام في تمام الآية إلى قوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ و«الحرَج»: الضيق، فجعل الله الدين واسعاً حين رخص في التيمم.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ يُطَهِّرَكُمْ﴾ أي: يريد أن يطهركم. قال مقاتل: من الأحداث والجنابة، وقال غيره: من الذنوب والخطايا، لأن الوضوء يكفر الذنوب.

قوله تعالى: ﴿وَلْيُسَبِّحْ بِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي يَتَذَكَّرُ فِيهِ الْبَشَرُ نَفْسٌ ذَا ذُنُوبٍ﴾ في الذي يتم به النعمة أربعة أقوال: أحدها: بغفران الذنوب. قال محمد بن كعب القرظي: حدثني عبد الله بن دارة، عن حمزان قال: مررت على عثمان بفخارة من ماء، فدعا بها فتوضأ، فأحسن الوضوء ثم قال: لو لم أسمع من رسول الله ﷺ غير مرة أو مرتين أو ثلاثاً ما حدثتكم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما توضأ عبد فأحسن الوضوء، ثم قام إلى الصلاة، إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى». قال محمد بن كعب: وكنت إذا سمعت الحديث التمسته في القرآن، فالتسنت هذا فوجدته في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ لِيَفْهَرَّ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتَبَيَّنَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا تَحَدَّرَ﴾ [الفتح: ١، ٢] فعلمت أن الله لم يتم النعمة عليه حتى غفر له ذنوبه، ثم قرأت الآية التي في «المائدة»: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ إلى قوله ﴿وَلْيُسَبِّحْ بِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي يَتَذَكَّرُ فِيهِ الْبَشَرُ نَفْسٌ ذَا ذُنُوبٍ﴾ فعلمت أنه لم يتم النعمة عليهم حتى غفر

(١) قال القرطبي ٩٢/٦: إن لفظ «المسح» مشترك يطلق بمعنى المسح، ويطلق بمعنى الغسل، قال الهروي: أخبرنا الأزهرى أخبرنا أبو بكر محمد بن عثمان بن سعيد الداردي عن أبي حاتم عن أبي زيد الأنصاري قال: «المسح» في كلام العرب يكون غسلًا ويكون مسحًا، ومنه يقال للرجل إذا توضأ، فغسل أعضائه: قد تمسح، ويقال: مسح الله ما بك: إذا غسلك وطهرتك من الذنوب. فإذا ثبت بالنقل عن العرب أن «المسح» يكون بمعنى «الغسل» فترجح قول من قال: إن المراد بقراءة الخفض الغسل، بقراءة النصب التي لا احتمال فيها، وبكثرة الأحاديث الثابتة بالغسل، والتوعد على ترك غسلها في أخبار صحاح لا تحصى كثرة أخرجه الأئمة. وقال الحافظ ابن كثير ٢٦/٢: ومن أحسن ما يستدل به على أن «المسح» يطلق على الغسل الخفيف ما رواه الحافظ البيهقي ٧٥/١ عن النزال بن سبرة يحدث عن علي بن أبي طالب أنه صلى الظهر ثم قعد في حوائج الناس في رجة الكوفة حتى حضرت صلاة العصر، ثم أتى بكوز من ماء، فأخذ منه خففة واحدة، مسح بها وجهه ويديه ورأسه ورجليه، ثم قام فشرب فضله وهو قائم، ثم قال: إن ناساً يكرهون الشرب قائماً، وإن رسول الله ﷺ صنع كما صنعت، وقال: «هذا وضوء من لم يحدث». رواه البخاري في «الصحيح» ببعض معناه. قلت: رواه البخاري في «كتاب الأشرية» ٧١/١٠ ولفظه: من عبد الملك بن مسيرة سمعت النزال بن سبرة يحدث عن علي بن أبي طالب أنه صلى الظهر، ثم قعد في حوائج الناس في رجة الكوفة حتى حضرت صلاة العصر، ثم أتى بماء فشرب وغسل وجهه ويديه وذكر رأسه ورجليه، ثم قام فشرب فضله وهو قائم، ثم قال: إن ناساً يكرهون الشرب قائماً، وإن النبي ﷺ صنع مثل ما صنعت. قال الحافظ: وفي رواية يهز: «فأخذ منه كفاً فمسح وجهه وذراعيه ورأسه ورجليه» وكذلك عند الطيالسي «فغسل وجهه ويديه ومسح على رأسه ورجليه» ومثله في رواية عمرو بن مرزوق عند الإسماعيلي. ويؤخذ منه أنه في الأصل: ومسح على رأسه ورجليه، وأن «آدم» - وهو أحد رواة الحديث - توقف في مساقه، فعبر بقوله: وذكر رأسه ورجليه. ووقع في رواية الأعمش، فغسل يديه ومضمض واستنشق، ومسح بوجهه وذراعيه ورأسه، وفي رواية علي بن الجعد عن شعبة عند الإسماعيلي: مسح بوجهه ورأسه ورجليه. والأحاديث التي جاءت بالنسل كثيرة، ففي البخاري ٢٣٢/١، ومسلم ٢١٤/١ عن عبد الله بن عمرو، قال: تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفرنا سافرنها، فأدركنا وقد أقمنا الصلاة صلاة العصر، ونحن نتوضأ، فجعلنا نتمسح على أرجلنا، فننادى بأعلى صوته: «أسيبوا الوضوء»، ويل للأعقاب من النار» وهو في «الصحيحين» أيضاً من حديث أبي هريرة. وفي «صحيح مسلم» ٢١٣/١ عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «ويل للأعقاب من النار»، وروى مسلم ٢١٥/١ عن عمر بن الخطاب: أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قدم، فأبصره النبي ﷺ فقال: «ارجع فأحسن وضوءك» فرجع ثم صلى. وروى أبو داود ٨٢/١، وابن ماجه ٢١٨/١ عن أنس بن مالك أن رجلاً أتى النبي ﷺ وقد توضأ وترك موضع الظفر لم يصبه الماء، فقال له النبي ﷺ: «ارجع فأحسن وضوءك» قال ابن كثير: وإسناده جيد قوي صحيح. وفي «الصحيحين» و«السنن» عن عثمان، وعلي، وابن عباس، ومعاوية، وعبد الله بن زيد بن عاصم، والمقدام بن معد يكرب: أن رسول الله ﷺ غسل الرجلين في وضوءه إما مرة أو مرتين أو ثلاثاً، على اختلاف رواياتهم.

لهم<sup>(١)</sup>. والثاني: بالهداية إلى الإيمان، وإكمال الدين، وهذا قول ابن زيد. والثالث: بالرخصة في التيمم، قاله مقاتل، وأبو سليمان. والرابع: ببيان الشرائع، ذكره بعض المفسرين.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرِيشَتَهُ الَّتِي وَافَقَكُمْ بِهَا إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٧﴾  
قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يعني النعم كلها. وفي هذا حث على الشكر. وفي الميثاق أربعة أقوال: أحدها: أنه إقرار كل مؤمن بما آمن به. قال ابن عباس: لما أنزل الله الكتاب، وبعث الرسول، فقالوا: آمنا، ذكرهم ميثاقه الذي أقروا به على أنفسهم، وأمرهم بالوفاء. والثاني: أنه الميثاق الذي أخذه من بني آدم حين أخرجه من ظهره، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وابن زيد. والثالث: أنه ما وثق على المؤمنين على لسان نبيه ﷺ من الأمر بالوفاء بما أقروا به من الإيمان. روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أنه الميثاق الذي أخذ من الصحابة على السمع والطاعة في بيعة العقبة، وبيعة الرضوان، ذكره بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ قال مقاتل: اتقوه في نقض الميثاق ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما فيها من إيمان وشك.

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ مَآمَنُوا كُونُوا قَوَّيِمٌ لِلَّهِ شُهَدَاءُ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاكُومُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَقْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨﴾

قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ مَآمَنُوا كُونُوا قَوَّيِمٌ لِلَّهِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت من أجل كفار قريش أيضاً، وقد تقدم ذكرهم في قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاكُومُ قَوْمٍ أَنَّ سَدُوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ روى نحو هذا أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> وبه قال مقاتل. والثاني: أن قريشاً بعثت رجلاً ليقول رسول الله ﷺ، فاطلع الله نبيه على ذلك، ونزلت هذه الآية والتي بعدها، هذا قول الحسن. والثالث: أن النبي ﷺ ذهب إلى يهود بني النضير يستعينهم في دية، فهتوا بقتله، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>، قاله مجاهد، وقطادة. ومعنى الآية: كونوا قوامين لله بالحق، ولا يحملكنم بغض قوم على ترك العدل ﴿اعْدِلُوا﴾ في الولي والعدو ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، أي: إلى التقوى. والمنى: أقرب إلى أن تكونوا متقين، وقيل: هو أقرب إلى اتقاء النار.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ١٠﴾

(١) نسبة السيوطي في «الدر» ٢٤٦/٢ إلى ابن المبارك في «الزهد»، وابن المنذر، والبيهقي في «شعب الإيمان» من طريق محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن دارة عن حمزان مولى عثمان، عن عثمان ؓ... وقد جاء في فضل الوضوء أحاديث صحاح عن النبي ﷺ. روى مسلم ٢١٦/١ عن عثمان بن عفان ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره» وروى مالك في «الموطأ» ٣٠/١، والبخاري ٢٢٨/١، ومسلم ٢٥٥/١، والنسائي ٩١/١ عن عثمان ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئ يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يصلي الصلاة إلا غُفِرَ له ما بينه وبين الصلاة الأخرى حتى يصليها». وروى مسلم ٢٠٩/١، وأبو داود ٨٠/١، والنسائي ٩٢/١، والترمذي ٧٨/١، وابن ماجه ١٥٩/١ عن عتبة بن عامر قال: كانت علينا رعاية الإبل، فجاءت نوتبي فروحتها بعشي، فأدركت رسول الله ﷺ قائماً يحدث الناس، فأدركت من قوله: «ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه، ثم يقوم فيصلي ركعتين، مقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة» فقلت: ما أجود هذا فلما قال بين يدي يقول: التي قبلها أجود، فنظرت فلما عمر، قال: إني قد رأيتك جئت آتفاً، قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو تُسَبِّح، ثم يقول: لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» وزاد الترمذي بعد قوله «ورسوله»: «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين» وسندها حسن. وروى مالك ٣٢/١، ومسلم ٢١٥/١، والترمذي ٦/١ عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرجت من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة بطشتها يده مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها بركبتيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب» وروى مسلم ٢٠٣/١ عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شرط الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغتو فإتبع نفسه فتمنطها أو موقها، والطهور الوضوء. وديوبتها يهلكها.

(٢) في النسخة الأحمدية: روي نحو هذا عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) أخرجه ابن جرير ٩٦/١٠ عن عبد الله بن كثير.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ في معناها قولان: أحدهما: أن المعنى: وعدهم الله أن يغفر لهم ويأجرهم، فاكتمى بما ذكر عن هذا المعنى. والثاني: أن المعنى: وعدهم فقال: لهم مغفرة. وقد بينا في (البقرة) معنى «الجحيم».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن رجلاً من محارب قال لقومه: ألا أقتل لكم محمداً؟ فقالوا: وكيف تقتله؟ فقال: أفنتك به، فأقبل إلى رسول الله ﷺ وسيفه في حجره، فأخذه، وجعل يهزه، ويهيم به، فيكئته الله، ثم قال: يا محمد ما تخافني؟ قال: لا، قال: لا تخافني وفي يدي السيف؟ قال: يمتني الله منك، فأغمد السيف، فنزلت هذه الآية، رواه الحسن البصري عن جابر بن عبد الله. وفي بعض الألفاظ: فسقط السيوف من يده. وفي لفظ آخر: فما قال له النبي ﷺ شيئاً، ولا عاقبه. واسم هذا الرجل: غورث بن الحارث من محارب خصفة<sup>(١)</sup>. والثاني: أن اليهود عزموا على الفتك برسول الله ﷺ، فكفاه الله شرهم. قال ابن عباس: صنعوا له طعاماً، فأوجي إليه بشأنهم، فلم يأت<sup>(٢)</sup>. وقال مجاهد، وعكرمة: خرج إليهم يستعينهم في دية، فقالوا: اجلس حتى نعطيك، فجلس هو وأصحابه، فخلا بعضهم ببعض، وقالوا: لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن، فمن يظهر على هذا البيت، فيطرح عليه صخرة؟ فقال عمرو بن جحاش: أنا، فجاء إلى رحي عظيمة لي طرحها عليه، فأمسك الله يده، وجاء جبريل، فأخبره، وخرج، ونزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن بني ثعلبة، وبني محارب أرادوا أن يفتكوا بالنبي وأصحابه، وهم ببطن نخلة في غزاة رسول الله ﷺ السابعة، فقالوا: إن لهم صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم، فإذا سجدوا وقعنا بهم، فأطلع الله نبيه على ذلك، وأنزل صلاة الخوف، ونزلت هذه الآية، هذا قول قتادة<sup>(٤)</sup>. والرابع: أنها نزلت في حق اليهود حين ظاهروا المشركين على رسول الله ﷺ، هذا قول ابن زيد.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَوَعَدْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَوَضَعْتُمْ يَدَكُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُعْطِيَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بِرَدِّ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ صَدَّى سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ قال أبو العالية: أخذ الله ميثاقهم أن يخلصوا له العبادة، ولا يعبدوا غيره. وقال مقاتل: أن يعملوا بما في التوراة. وفي معنى النقيب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الضمين، قاله الحسن، ومعناه: أنه ضمين ليعرف أحوال من تحت يده، ولا يجوز أن يكون ضميناً عنهم بالوفاء، لأن ذلك لا يصح ضمانه. وقال ابن قتبية: هو الكفيل على القوم. والنقابة شبيهة بالعرفاة. والثاني: أنه الشاهد، قاله قتادة. وقال ابن

(١) رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» ١٥٢ من طريق ابن إسحاق قال: حدثني عمرو بن عبيد عن جابر أن رجلاً... وقد سقط من إسناده الحسن، فقد رواه ابن هشام في «السيرة» ٢٠٥/٢ من ابن إسحاق وحدثني عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» ص ٦ من طريق معمر عن الزهري ذكره عن أبي سلمة عن جابر. وقصة هذا الأعرابي - وهو غورث بن الحارث - ثابتة في «الصحاحين» بدون ذكر السبب، فقد روى البخاري ٣٣٠/٧، ومسلم ٥٧٦/١ من سنن ابن أبي سنان الدؤلي عن جابر بن عبد الله ﷺ أخبره أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فلما قتل رسول الله ﷺ قتل معه، فأدركتهم القافلة في وادٍ كثير الغضاء، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس في الغضاء يستظلون بالشجر ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة، فعلق بها سيفه. قال جابر: فمنا نومة فإذا رسول الله ﷺ يبعثنا، فنجتاه، فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذا اختلط سفي» وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتاً، فقال لي: من يمتك مني؟ قلت له: الله. فها هوذا جالس، ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ.

(٢) رواه ابن جرير ١٠٥/١٠ وابن أبي حاتم وسنده ضعيف لا يحتج به.

(٣) خبر مجاهد وعكرمة رواه ابن جرير ١٠٢/١٠، وانظر ابن هشام ١٩٠/٢.

(٤) ابن جرير ١٠٥/١٠ وفيه «وهو ببطن نخلة» قال الأستاذ محمود شاكر: هكذا قال في الغزوة السابعة وهي في كثير من الروايات «الغزوة التاسعة» وهي «غزوة ذي أسر» بنجد، انظر ابن سعد ٢٤٤/١، وإمتاع الأسماع للمقرئ ١١٠/١. والذي جاء في الأخبار أن صلاة الخوف كانت في السنة السابعة.

فارس: النقيب: شاهد القوم، وضمينهم. والثالث: الأمين، قاله الربيع بن أنس، واليزيدي، وهذه الأقوال تتقارب. قال الزجاج: النقيب في اللغة، كالأمين والكفيل، يقال: نقب الرجل على القوم ينقب: إذا صار نقيباً عليهم، وصناعته النقابة، وكذلك عُرفَ عليهم: إذا صار عريفاً، ويقال لأول ما يبدو من الجرب: النقبة، ويجمع الثُّقْب والثُّقَب. قال الشاعر:

مَتَبَذَّلاً تَبْدُو مُحَاسِنُهُ      يَضْعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ الثُّقْبِ<sup>(١)</sup>

ويقال: في فلان مناقب جميلة، وكل الباب معناه: التأثير الذي له عمق ودخول، ومن ذلك نقتب الحائط، أي: بلغت في الثقب آخره، والنقبة من الجرب: داء شديد الدخول. وإنما قيل: نقيب، لأنه يعلم دخيلة أمر القوم، ويعرف مناقبهم، وهو الطريق إلى معرفة أمورهم. ونقل أن الله تعالى أمر موسى وقومه بالسير إلى الأرض المقدسة، وكان يسكنها الجبارون، فقال تعالى: يا موسى اخرج إليها وجاهد من فيها من العدو، وتخذ من قومك اثني<sup>(٢)</sup> عشر نقيباً، من كل سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا به، فاخاروا النقباء. وفيما بعثوا له قولان: أحدهما: أن موسى بعثهم إلى بيت المقدس، ليأتوه بخبر الجبارين، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي. والثاني: أنهم بعثوا ضمناً على قومهم بالوفاء بميثاقهم، قاله الحسن، وابن إسحاق. وفي نبوتهم قولان: أحدهما: أنهم ليسوا بأنبياء.

قوله تعالى: ﴿وَسَأَلَ اللَّهُ﴾ في الكلام محذوف. تقديره: وقال الله لهم. وفي المقول لهم قولان: أحدهما: أنهم بنو إسرائيل، قاله الجمهور. والثاني: أنهم النقباء، قاله الربيع، ومقاتل. ومعنى ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾، أي: بالعون والنصرة. وفي معنى: ﴿وَعَزَّزْنَاهُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه الإعانة والنصر، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقطادة، والسدي. والثاني: أنه التعظيم والتوقير، قاله عطاء، واليزيدي، وأبو عبيدة، وابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضَهُمُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا﴾ في هذا الإقراض قولان: أحدهما: أنه الزكاة الواجبة. والثاني: صدقة التطوع. وقد شرحنا في (البقرة) معنى القرض الحسن.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ يشير إلى الميثاق ﴿فَعَزَّزْنَاهُ بِقُوَّةٍ مِمَّا دَخَلُوا بِهِ﴾، أي: أخطأ قصد الطريق.

﴿فِيمَا تَنَافَعُوا يَتَخَفَتُمْ لَكُمْهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فِيمَا تَنَافَعُوا﴾ في الكلام محذوف، تقديره: فتنافسوا، فبنقضهم لعناهم. وفي المراد بهذه اللعنة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها التعذيب بالجزية، قاله ابن عباس. والثاني: التعذيب بالمسخ، قاله الحسن، ومقاتل. والثالث: الإبعاد من الرحمة، قاله عطاء، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «قاسية» بالألف، يقال: قست، فهي قاسية، وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل، عن عاصم: «قسيّة» بغير ألف مع تشديد الياء،

(١) البيت للبريد بن الصمة من جملة أبيات في «الشعر والشعراء» ٣٠٢/١ و«الأغاني» ٢٢/١٠، و«اللسان» مادة نقب، قالها في الخساء بنت عمرو بن الشريد، وقد مر بها وهي تهنا بغيراً لها، فود تبذلت حتى فرغت منه، ثم نضت عنها ثيابها فاغسلت، ووديد يراها وهي لا تشعر به، فأعجبته فانصرف إلى رحله وأثنا يقول:

خَيَاوُ ثَمَاضَرٍ وَارِبَعَاوَا خُجْبِي      وَفُئُوا فِلَانٍ وَفَوْفَكُمُ خُجْبِي  
أَشْرَاسٌ قَدْ هَامَ الْفَوَادُ بِكُمْ      وَأَصْحَابُهُ تَجَلَّ مِنْهُمُ  
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا مَمَمْتُ بِهِ      كَالْيَوْمِ طَالِي أَيْنَقُ جُزْبُ  
مَتَبَذَّلاً تَبْدُو مُحَاسِنُهُ      يَضْعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ الثُّقْبِ  
مَتَحُوراً نَضَحَ الْهِنَاءُ بِهِ      نَضَحَ الْمَعْبِرُ بِرِيطَةِ الْمَضْبِ  
قَسَلِيهِمْ عَنِّي خُنَاسٌ إِذَا      عَفَّ الْجَمِيعُ الْخُطْبُ مَا خُطْبِي

فخطبها إلى أبيها فردته وقالت: أتراني تاركة بني عمي كأنهم حواري المراح، ومرة شيخ بني جشم؟

(٢) في الأحمدية «اثنا عشر» وهو خطأ.

لأنه قد يجيء فاعل وفعل، مثل شاهد وشهيد، وعالم وعليم. «والقسوة»: خلاف اللين والرفقة. وقد ذكرنا هذا في (البقرة). وفي تحريفهم الكلم ثلاثة أقوال: أحدها: تغيير حدود التوراة، قاله ابن عباس. والثاني: تغيير صفة محمد ﷺ، قاله مقاتل. والثالث: تفسيره على غير ما أنزل، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿عَنْ مَوَاضِيَهُ﴾ مبين في سورة (النساء).

قوله تعالى: ﴿وَكُتِبَ عَلَيْكُمُ احْتِسَابُ حَتَّىٰ تَذَكَّرُوا يَوْمَ﴾ النسيان هاهنا: الترك عن عمد. والحظ: النصيب. قال مجاهد: نسوا كتاب الله الذي أنزل عليهم. وقال غيره: تركوا نصيبهم من الميثاق المأخوذ عليهم. وفي معنى ﴿ذَكِّرُوا يَوْمَ﴾ قولان: أحدهما: أمروا. والثاني: أوصوا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَلْفَةٍ مِنْهُمْ﴾ وقرأ الأعمش «على خيانة منهم» قال ابن قتيبة: الخائنة: الخيانة. ويجوز أن تكون صفة للخائين، كما يقال: رجل طاغية، وراوية لحديث. قال ابن عباس: وذلك مثل نقض قرينة عهد رسول الله ﷺ، وخروج كعب بن الأشرف إلى أهل مكة للتحريض على رسول الله ﷺ ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ لم ينقضوا العهد، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه. وقيل: بل القليل ممن لم يؤمن.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْتَفَ عَنْهُمْ وَاصْفَحَ﴾ واختلّفوا في نسخها على قولين: أحدهما: أنها منسوخة، قاله الجمهور. واختلّفوا في ناسخها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها آية السيف. والثاني: قوله: ﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ [التوبة: ٢٩] والثالث: قوله: ﴿وَلَمَّا تَخَفْتُمْ مِنْ قُوَّةِ حَيَاتِهِ﴾ [الأنفال: ٥٨]. والثاني: أنها نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي ﷺ عهد، فغدروا، وأرادوا قتل النبي ﷺ، فأظهره الله عليهم، ثم أنزل الله هذه الآية، ولم تنسخ. قال ابن جرير: يجوز أن يعنى عنهم في غدره فعلوها، ما لم ينصبوا حرباً، ولم يمتنعوا من أداء الجزية والإقرار بالصغار، فلا يتوجه النسخ<sup>(١)</sup>.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْتَهُ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَعَسَا حَتَّىٰ تَذَكَّرُوا يَوْمَ﴾ فَأَعْتَفْنَا عَنْهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِنْ يَوْمَ الْيَمِينِ وَسَوْفَ يُنْفِئُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْتَهُ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ﴾ قال الحسن: إنما قال: ﴿قَالُوا إِنَّا نَصَرْتَهُ﴾، ولم يُقَل: من النصارى، ليدل على أنهم ليسوا على منهاج النصارى حقيقة، وهم الذين اتبعوا المسيح. وقال قتادة: كانوا بقرية، يقال لها: ناصرة، فسمّوا بهذا الاسم. قال مقاتل: أخذ عليهم الميثاق، كما أخذ على أهل التوراة أن يؤمنوا بمحمد، فتركوا ما أمروا به.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْتَفْنَا عَنْهُمْ﴾ قال النضر: هيجنا، وقال المؤرج: حرّشنا بعضهم على بعض. وقال الزجاج: ألصقنا بهم ذلك، يقال: غريت بالرجل غرى مقصوراً: إذا لصقت به، هذا قول الأصمعي. وقال غير الأصمعي: غريت به غراء ممدود، وهذا الغراء الذي يُغرى به إنما يلصق به الأشياء، ومعنى أغرينا بينهم العداوة والبغضاء: أنهم صاروا فرقاً يكفر بعضهم بعضاً. وفي الهاء الميم من قوله «بينهم» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى اليهود والنصارى، قاله مجاهد، وقاتدة، والسدي. والثاني: أنها ترجع إلى النصارى خاصة، قاله الربيع. وقال الزجاج: هم النصارى، منهم النسطورية واليعقوبية، والملكية، وكل فرقة منهم تعادي الأخرى. وفي تمام الآية وعيد شديد لهم.

﴿يَمَآئِلُ السَّكَنَةِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُكُمْ يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾﴾

(١) نص كلام ابن جرير ١٣٥/١٠ قال أبو جعفر: والذي قاله قتادة وهو أن الآية منسوخة بقوله: ﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ - غير مدفوع بإمكانه، غير أن الناسخ الذي لا شك فيه من الأمر، هو ما كان نافية كل معاني خلافه الذي كان قبله، فاما ما كان غير نافٍ جميعه، فلا سبيل إلى العلم بأنه ناسخ إلا بخبر من الله ﷻ أو من وسوله ﷺ، وليس في قوله: ﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرِ...﴾ دلالة على الأمر بنفي معاني الصفح والعفو عن اليهود. وإذا كان ذلك كذلك وكان جائزاً مع إقرارهم بالصغار وأدانهم الجزية بعد القتال الأمر بالعفو عنهم في غدره هموا بها، أو نكته غرموا عليها، ما لم ينصبوا حرباً دون أداء الجزية ويمتنعوا من الأحكام اللازمهم - لم يكن واجباً أن يحكم لقوله: ﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرِ...﴾ الآية، بأنه ناسخ قوله: ﴿فَأَعْتَفَ عَنْهُمْ وَاصْفَحَ﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الشَّكِيثِينَ.

قوله تعالى: ﴿يَتَأَخَذُ الْكِتَابَ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود. والثاني: اليهود والنصارى. والرسول: محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿يَبْرُثُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ قال ابن عباس: أخفوا آية الرجم<sup>(١)</sup> وأمر محمد ﷺ وصفته ﴿وَيَقُولُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ يتجاوز، فلا يخبرهم بكتمانه. فإن قيل: كيف كان له أن يمسك عن حق كتموه فلا يبينه؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه كان متلقياً ما يؤمر به، فإذا أمر بإظهار شيء من أمرهم، أظهره، وأخذهم به، وإلا سكت. والثاني: أن عقد اللزمة إنما كان على أن يُقرّوا على دينهم، فلما كتموا كثيراً مما أمروا به، واتخذوا غيره ديناً، أظهر عليهم ما كتموه من صفته وعلامة نبوته، لتتحقق معجزته عندهم، واحتكموا إليه في الرجم، فأظهر ما كتموا مما يوافق شريعته، وسكت عن أشياء ليتحقق إقرارهم على دينهم.

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ قال قتادة: يعني بالنور: النبي محمداً ﷺ. وقال غيره: هو الإسلام، فاما الكتاب المبين، فهو القرآن.

﴿يَهْدِي بِذِي اللَّهِ مِنْ أَمْرِ رَبِّكَ وَمِنْهُ مَثَلٌ السَّكِينِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِذِي اللَّهِ﴾ يعني: بالكتاب. ورضوانه: ما رضى الله تعالى. و«السُّبُل»، جمع سبيل، قال ابن عباس: سبيل السلام: دين الإسلام. وقال السدي: «السلام»: هو الله، و«سبله»: دينه الذي شرعه. قال الزجاج: وجائز أن يكون «سبيل السلام» طريق السلامة التي من سلكها سليم في دينه، وجائز أن يكون «السلام» اسم الله عز وجل، فيكون المعنى: طرق الله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ قال ابن عباس: يعني الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ يعني: الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي: بأمره ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الإسلام. وقال الحسن: طريق الحق.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ كَفَرَ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ إِلَيْكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَآتَاهُ مِنَ الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ قال ابن عباس: هؤلاء نصارى أهل نجران، وذلك أنهم اتخذوه إلهاً ﴿قُلْ كَفَرَ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي: فمن يقدر أن يدفع من عذابه شيئاً ﴿إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ إِلَيْكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ أي: فلو كان إلهاً كما تزعمون لقدّر أن يرده أمر الله إذا جاءه بإهلاكه أو إهلاك أمته، ولما نزل أمر الله بأمته لم يقدر أن يدفع عنها. وفي قوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ ردّ عليهم حيث قالوا للنبي: فهات مثله من غير أب. فإن قيل: فلم قال ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ولم يقل: وما بينهما؟<sup>(٢)</sup> فالجواب أن المعنى: وما بين هذين النوعين من الأشياء، قاله ابن جرير.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَفْعَلُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَمُوتُ مَنِ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى﴾ قال مقاتل: هم يهود المدينة، ونصارى نجران. وقال السدي: قالوا: إن الله تعالى أوحى إلى إسرائيل: إن ولدك بكري من الولد<sup>(٣)</sup>، فادخلهم النار فيكونون فيها أربعين يوماً حتى تطهرهم، وتأكل خطاياهم، ثم ينادي مناد: أخرجوا كلّ مختون من بني إسرائيل. وقيل: إنهم لما قالوا: المسيح ابن الله، كان

(١) ابن جرير ١٠/١٤١، والحاكم في المستدرک ٤/٣٥٩، قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) في النسخة الأحمدية «وما بينهم» والتصويب من نسخة «الرباط» والطبري.

(٣) الخبر في «الطبري» ٦/١٢٠، وابن كثير ٢/٣٥، ونسبه لابن جرير وابن أبي حاتم. وجاء في «الطبري» ١٠/١٥١: «إن الله أوحى إلى بني إسرائيل أن ولدنا من ولدك فادخلهم النار...» وقال الأستاذ محمود شاكر في «المخطوطة»: «إلى إسرائيل إن ولدك من الولد أدخلهم النار» وهو غلط بلا معنى صوابه ما في المطبوعة على الأرجح. قلت: الصواب ما جاء في «المخطوطة» بزيادة «بكري» كما وردت في الأصل وفي «تفسير ابن كثير» وغيره.

معنى قولهم: ﴿تَحْنُ أَبْنَاؤُكَ اللَّهُ﴾ أي: متا ابن الله. وفي قوله: ﴿قَدْ فَلَمَّ يَعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ إبطال لدعواهم، لأن الأب لا يعذب ولده، والحبیب لا يُعَذِّبُ حبیبه<sup>(١)</sup> وهم يقولون: إن الله يعذبنا أربعين يوماً بالنار. وقيل: معنى الكلام: فلم عذب منكم من مسخه قردة وخنازير؟ وهم أصحاب السبت والمائدة.

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقْنَا﴾ أي: أنتم كسائر بني آدم تُجَارُونَ بالإحسان والإساءة. قال عطاء: يغفر لمن يشاء، وهم الموحدون، ويعذب من يشاء، وهم المشركون.

﴿يَتَأَمَّلُ الْكِتَابَ فَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿يَتَأَمَّلُ الْكِتَابَ فَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ سبب نزولها: أن معاذ بن جبل، وسعد بن عباد، وعقبة بن وهب، قالوا: يا معشر اليهود اتقوا الله، والله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه بصفته. فقال وهب بن يهودا<sup>(٣)</sup>، ورافع: ما قلنا هذا لكم، وما أنزل الله بعد موسى من كتاب، ولا أرسل رسولا بشيراً ولا نذيراً [بعده]، فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>، قاله ابن عباس. فاما «الفترة» فاصلها السكون، يقال: فتر الشيء يفتر فتوراً: إذا سكنت حدته، وانقطع عما كان عليه، والطرف الفاتر: الذي ليس بحديد. والفتور: الضعف. وفي مدة الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ أربعة أقوال: أحدها: أنه كان بين عيسى ومحمد ﷺ ستمائة سنة، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>، وبه قال سلمان الفارسي، ومقاتل. والثاني: خمسمائة سنة وستون سنة، قاله قتادة. والثالث: أربع مائة وبضع وثلاثون سنة، قاله الضحاك. والرابع: خمسمائة سنة وأربعون سنة، قاله ابن السائب. وقال أبو صالح عن ابن عباس: ﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي: انقطاع منهم، قال: وكان بين ميلاد عيسى، وميلاد محمد ﷺ خمسمائة سنة وتسعة وتسعون سنة، وهي فترة. وكان بعد عيسى أربعة من الرسل، فذلك قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤]. قال: والرابع لا أدري من هو. وكان بين تلك السنين مائة سنة، وأربع وثلاثون نبوة وسائرها فترة. قال أبو سليمان الدمشقي: والرابع - والله أعلم - خالد بن سنان الذي قال فيه رسول الله ﷺ «نبي ضيعه قوم»<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ قال الفراء: كي لا تقولوا: [ما جاءنا من بشير]<sup>(٧)</sup>، مثل قوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ [النساء: ١٧٦]. وقال غيره: لثلاث تقولوا، وقيل: كراهة أن تقولوا.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمُوا أَدْرُكُوا بِصَبْرٍ إِلَى اللَّهِ أَفْئِدَةً لَا تُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]

(١) روى الإمام أحمد ١٠٤/٣ قال: حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس قال: مر النبي ﷺ في نفر من أصحابه وصبي في الطريق، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ، فأقبلت تسعى، وتقول: ابني ابني، وسعت فأخذته فقال القوم: يا رسول الله ما كانت هذه لتلقي ولدها في النار، قال: فخفضهم النبي ﷺ، فقال: «لا، والله لا يلقي حبيبه في النار» قلت: وإسناده صحيح، وحميد الطويل وإن قال بعضهم: إنه يلدس عن أنس، فإن الوساطة بينه وبين أنس ثابت، وهو ثقة صحيح كما قال الحافظ العلائي.

(٢) في «الطبري»، و«السيرة» و«الدرر المشتهرة»: «يهودا» بالذال.

(٣) ابن هشام ٥٦٣/١، وابن جرير ١٥٥/١٠ وفي سنده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت وهو مجهول. وزاد السيوطي نسبته في «الدرر» ٢٢٩/٢ لابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في «الذلائل».

(٤) ونسب ابن كثير إلى أبي عثمان التهذي وقاتدة في رواية عنه، ورواه البخاري عن سلمان الفارسي. قال ابن كثير: وهو المشهور.

(٥) روى البخاري ٣٥٤/٦، ومسلم ١٨٣٦/٤ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى، الأنبياء أبناء هلات، وليس بيني وبين عيسى شيء» قال الحافظ ابن كثير ٣٥/٢: وهذا فيه رد على من زعم أنه بعث بعد عيسى نبي يقال له: خالد بن سنان، كما حكاه القاضي وغيره. وقال الحافظ في «الفتح»: واستدل به، أي: بالحديث على أنه لم يبعث بعد عيسى أحد إلا نبيا ﷺ وفيه نظر، لأنه ورد أن الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إلى أصحاب القرية المذكورة قصتهم في سورة (يس) كانوا من أتباع عيسى، وأن جرجيس وخالد بن سنان كانا نبيين، وكانا بعد عيسى. والجواب أن هذا الحديث يُعْتَمَدُ ما ورد من ذلك، فإنه صحيح بلا تردد، وفي غيره مقال، أو المراد أنه لم يبعث بعد عيسى نبي بشريعة مستقلة، وإنما بعث بعده من بعث بتقرير شريعة عيسى. وقصة خالد بن سنان أخرجه الحاكم في «المستدرک» من حديث ابن عباس، ولها طرق جمعتها في ترجمته في كتابي في الصحابة. قلت: يريد كتاب «الإصابة» فانظره ٤٥٨/١.

(٦) ما بين معنيين من «معاني القرآن» للفراء ٣٠٣/١.

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلْ يَسْمُكُ أَنْبِيَاءَ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم السبعون الذين اختارهم موسى، وانطلقوا معه إلى الجبل، جعلهم الله أنبياء بعد موسى وهارون، وهذا قول ابن السائب، ومقاتل. والثاني: أنهم الأنبياء الذين أُرسلوا من بني إسرائيل بعد موسى، ذكره الماوردي. وبماذا جعلهم ملوكاً؟ فيه ثمانية أقوال: أحدها: بالمن والسلوى والحجر. والثاني: بأن جعل للرجل منهم زوجة وخادماً. والثالث: بالزوجة والخادم والبيت<sup>(١)</sup>، رويت هذه الثلاثة عن ابن عباس، وهذا الثالث اختيار الحسن، ومجاهد. والرابع: بالخادم والبيت، قاله عكرمة. والخامس: بتخليكهم الخدم، وكانوا أول من تملك الخدم، ومن اتخذ خادماً فهو ملك، قاله قتادة، والسادس: بكونهم أحراراً يملك الإنسان منهم نفسه وأهله وماله، قاله السدي. والسابع: بال منازل الواسعة، فيها المياه الجارية، قاله الضحاك. والثامن: بأن جعل لهم الملك والسلطان، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ كَمَا تَمْ يَوْمَ أَحَدًا يَوْمَ الْمَوْتِ﴾ اختلفوا فيمن خوطب بهذا على قولين: أحدهما: أنهم قوم موسى، وهذا مذهب ابن عباس، ومجاهد. قال ابن عباس: ويعني بالعالمين: الذين هم بين ظهرانيهم<sup>(٢)</sup>. وفي الذي أتاهم ثلاثة أقوال: أحدها: المن والسلوى والحجر والغمام، رواه مجاهد عن ابن عباس وقال به. والثاني: أنه الدار والخادم والزوجة، رواه عطاء عن ابن عباس. قال ابن جرير: ما أوتي أحد من النعم في زمان قوم موسى ما أوتوا. والثالث: كثرة الأنبياء فيهم، ذكره الماوردي. والثاني: أن الخطاب لأمه محمد ﷺ، وهذا مذهب سعيد بن جبيرة<sup>(٣)</sup>، وأبي مالك.

﴿يَتَقَوَّرُ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَنَنْقَلِبُوا حَسْرَةً﴾

قوله تعالى: ﴿يَتَقَوَّرُ أَدْخُلُوا﴾ وقرأ ابن محيصن: يا قوم، بضم الميم، وكذلك ﴿يَتَقَوَّرُ أَدْخُلُوا﴾ و﴿يَتَقَوَّرُ أَدْخُلُوا﴾ [الأعراف: ٥٩] وفي معنى «المقدسة» قولان: أحدهما: المطهرة، قاله ابن عباس، والزجاج. قال: وقيل للسطل: القدس، لأنه يُطَهَّرُ منه، وسُمِّيَ بيت المقدس، لأنه يتطهر فيه من الذنوب. وقيل: سمّاها مقدسة، لأنها طهرت من الشرك، وجعلت مسكناً للأنبياء والمؤمنين. والثاني: أن المقدسة: المباركة، قاله مجاهد. وفي المراد بتلك الأرض أربعة أقوال: أحدها: أنها أريحا، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال السدي، وابن زيد. قال السدي: أريحا: هي أرض بيت المقدس. وروي عن الضحاك أنه قال: المراد بهذه الأرض إيلياء وبيت المقدس. قال ابن قتيبة: وقرأت في مناجاة موسى أنه قال: اللهم إنك اخترت من الأنعام الضائنة، ومن الطير الحمامة، ومن البيوت بكة وإيلياء، ومن إيلياء بيت المقدس. فهذا يدل على أن إيلياء الأرض التي فيها بيت المقدس. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي أن إيلياء بيت المقدس، وهو معرّب. قال الفرزدق:

وَيْتَانِ بَيْتُ اللَّهِ نَحْنُ وَلَهُ

وَيْتُ بَاعِلَى إِيلْيَاءِ مُشْرِفٌ<sup>(٤)</sup>

والقول الثاني: أنها الطور وما حوله، رواه مجاهد عن ابن عباس وقال به. والثالث: أنها دمشق وفلسطين وبعض الأردن، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أنها الشام كلها، قاله قتادة. وفي قوله تعالى: ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بمعنى أمركم وفرض عليكم دخولها، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: أنه بمعنى: وهبها الله

(١) روى مسلم في «صحيحه» ١١٠/١٨ بشرح النووي، وابن جرير ١٦١/١٠ عن أبي عبد الرحمن الخُبَازي قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص، وسأله رجل، فقال: ألسنا من فراء المهاجرين، فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم. قال ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم. قال: فأتت من الأنبياء. قال: فإن لي خادماً، قال: فأتت من الملوك.

(٢) قال ابن كثير: ٣٧/٢: والمقصود كانوا أفضل زمانهم، ولا فهذه الأمة أشرف منهم وأفضل عند الله، وأكمل شريعة، وأقوم منهاجاً، وأكرم نبياً، وأعظم ملوكاً، وأغزر أرزاقاً، وأكثر أموالاً وأولاداً، وأوسع مملكة، وأدوم عزاً. قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وخبر ابن عباس رواه الحاكم في «المستدرک» ٣١٢/٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) أثر سعيد بن جبيرة رواه ابن جرير ١٦٤/١٠ عن السدي.

(٤) «ديوانه» ٣٢/٢، و«المعرب» ٣٢، و«معجم البلدان» ٣٩٢/١، و«اللسان»: مادة «أيل» وفي النسخة الأحمدية: «وبنيان» وهو تصحيف. وإيلياء: بكسر الهمزة في أوله ثم ياء، ثم لام مكسورة ثم ياء وألف ممدودة. قال في «القاموس»: ويقصر ويشد فيهما، وإلياً: بياء واحدة ويقصر.



لكم، قاله محمد بن إسحاق. وقال ابن قتيبة: جعلها لكم. والثالث: كتب في اللوح المحفوظ أنها مساكنكم. فإن قيل: كيف قال: فإنها محرمة عليهم، وقد كتبها لهم؟ فغنه جوابان: أحدهما: أنه إنما جعلها لهم بشرط الطاعة، فلما عصوا حرمها عليهم. والثاني: أنه كتبها لبني إسرائيل، واليه صارت، ولم يعن موسى أن الله كتبها للذين أمروا بدخولها بأعينهم. قال ابن جرير: ويجز أن يكون الكلام خرج مخرج العموم، وأريد به الخصوص، فتكون مكتوبة لبعضهم، وقد دخلها يوشع، وكالب.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدُوا عَلَيْهِمْ آيَاتٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا ترجعوا عن أمر الله إلى معصيته. والثاني: لا ترجعوا إلى الشرك به.

﴿قَالُوا يَكُونُ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذَرُكَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ قال الزجاج: الجبار من الأدميين: الذي يُجبر الناس على ما يريد، يقال: جبار: بَيْنُ الْجَبَرِيَّةِ، والجَبَرِيَّةُ بكسر الجيم والياء، والجَبَرُوتُ والجَبُورَةُ والتَّجَارُ والجَبَرُوت. وفي معنى وصفه هؤلاء بالجبارين ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم كانوا ذوي قوة، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم كانوا عظام الخلق والأجسام، قاله قتادة. والثالث: أنهم كانوا قتالين، قاله مقاتل.

### الإشارة إلى القصة

قال ابن عباس: لما نزل موسى وقومه بمدينة الجبارين، بعث اثني عشر رجلاً ليأتوه بخبرهم، فلقيهم رجل من الجبارين، فجعلهم في كسائه، فأتى بهم المدينة، ونادى في قومه فاجتمعوا، فقالوا لهم: من أين أنتم؟ فقالوا: نحن قوم موسى بعثنا لنأتيه بخبركم، فأعطوهم حبةً من عنبٍ توقر الرجل، وقالوا لهم: قولوا لموسى وقومه: اقدروا قدر فاكهم، فلما رجعوا، قالوا: يا موسى إن فيها قوماً جبارين. وقال السدي: كان الذي لقيهم، يقال له: عاج، يعني: عوج بن عناق، فأخذ الاثني عشر، فجعلهم في حُجْرته وعلى رأسه حُزْمة حطب، وانطلق بهم إلى امرأته، فقال: انظري إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا، فطرحهم بين يديها، وقال: ألا أطحنهم برجلي؟ فقالت امرأته: لا، بل خلّ عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا. فلما خرجوا قالوا: يا قوم إن أخبرتم بني إسرائيل بخبر القوم، ارتدوا عن نبي الله، فأخذوا الميثاق بينهم على كتمان ذلك، فنكث عشرة، وكنم رجلان. وقال مجاهد: لما رأى الثقباء الجبارين وجدوهم يدخل في كُفٍّ أحدهم اثنان منهم، ولا يحمل عقود عنهم إلا خمسة أو أربعة، ويدخل في شطر الرمانة إذا نزع حبها خمسة أو أربعة، فرجع الثقباء كلُّهم ينهى سبطه عن قتالهم، إلا يوشع، وابن يوقنا<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا آذَنُوا عَلَيْهِمُ الْآبَاءُ إِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ في الرجلين ثلاثة أقوال: أحدها: أنهما يوشع بن نون، وكالب بن يوقنة، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: ابن يوقنا، وهما من الثقباء. والثاني: أنهما كانا من الجبارين فأسلما، روي عن ابن عباس. والثالث: أنهما كانا في مدينة الجبارين، وهما على دين موسى، قاله الضحاك. وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبيرة، وأبو رجاء، وأيوب: «يُخَافُونَ» بضم الياء، على معنى أنهما كانا من العدو، فخرجوا مؤمنين. وفي معنى «خوفهم» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم خافوا الله وحده. والثاني: خافوا الجبارين، ولم يمنعهم خوفهم قول الحق. والثالث: يُخَافُ منهم، على قراءة ابن جبيرة. وفيما أنعم به عليهما أربعة أقوال: أحدها: الإسلام، قاله ابن عباس. والثاني: الصلاح والفضل واليقين، قاله عطاء. والثالث: الهدى، قاله الضحاك. والرابع: الخوف، ذكره ابن جرير عن بعض السلف.

(١) كان الأجدر بالمصنف أن لا يذكر هذه الأخبار الإسرائيلية الكاذبة التي وضعا القصص ونفقت عند من لا يميز بين الصحيح والسقيم، فدونها في كثير من التفسير. وغير لنا أن تقتصر في وصفهم على ما ذكر الله تعالى في الآيات الكريمة دونما زيادة.

قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبُيُوتَ﴾ قال ابن عباس: قال الرجلان: ادخلوا عليهم باب القرية، فإنهم قد مُلثوا منا رُعباً وقرعاً.

﴿قَالُوا يَكُونُ مِنَّا لَوْ نَدْعُهُمْ آيَةً مَا دَاخَمُوا فِيهَا قَدْ هَبَبْنَاكَ وَأَنَّا هَمْنًا قَدْ هَبَبْنَاكَ﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ هَبَبْنَاكَ وَأَنَّا هَمْنًا قَدْ هَبَبْنَاكَ﴾ قال ابن زيد: قالوا له: انظر كما صنع ربك بفرعون وقومه، فليصنع بهؤلاء. وقال مقاتل: فاذهب أنت وسل ربك النصر. وقال غيرهما: اذهب أنت وليجزيك ربك. قال ابن مسعود: لقد شهدت من المقداد شهيداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عُذِلَ به، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك، ومن بين يديك ومن خلفك. فرأيت رسول الله ﷺ أشرق لذلك وجهه وسُرَّ به<sup>(١)</sup>. وقال أنس: استشار رسول الله ﷺ الناس يوم خرج إلى بدر، فأشار عليه أبو بكر، ثم استشارهم، فأشار عليه عمر فسكت، فقال رجل من الأنصار: إنما يريدكم، فقالوا: يا رسول الله! لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن والله لو ضربت أعبادها حتى تبلغ برك الغمام لكنا معك<sup>(٢)</sup>.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ فيه قولان: أحدهما: لا أملك إلا نفسي، وأخي لا يملك إلا نفسه. والثاني: لا أملك إلا نفسي وإلا أخي، أي: وأملك طاعة أخي، لأن أخاه إذا أطاعه فهو كالملك له، وهذا على وجه المجاز، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما نفعتني مال [قط] ما نفعتني مال أبي بكر» فبكى أبو بكر، وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله<sup>(٣)</sup> يعني: أنني متصرف حيث صرقتني، وأمرك جائز في مالي.

قوله تعالى: ﴿فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ قال ابن عباس: اقض بيننا وبينهم. وقال أبو عبيدة: باعد، وافصل، وميز. وفي المراد بالفاسقين ثلاثة أقوال: أحدها: العاصون، قاله ابن عباس. والثاني: الكاذبون، قاله ابن زيد. والثالث: الكافرون، قاله أبو عبيدة. قال السدي: غضب موسى حين قالوا له: اذهب أنت وربك، فدعا عليهم، وكان عجلة من موسى عجلها.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَهَيُوتُ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَهَيُوتُ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ الإشارة إلى الأرض المقدسة. ومعنى تحريمها عليهم: منعهم منها. فأما نصب «الأربعين»، فقال الفراء: هو منصوب بالتحريم، وجائز أن يكون منصوباً بـ «يهيئون»<sup>(٤)</sup>. وقال الزجاج: لا يجوز أن يتصّب بالتحريم، لأن التفسير جاء أنها محرمة عليهم أبداً. قلت: وقد اختلف المفسرون في ذلك، فذهب الأكثرون،

(١) «المسند» ٢٥٩/٥، ٦٥/٦، ١٧٤، والبخاري ٢٢٣/٧، ٢٠٥/٨، والحاكم في «المستدرک» ٣٤٩/٣، وصححه ووافقه الذهبي. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» عن البخاري، ثم قال: انفرد به البخاري دون مسلم، فرواه في مواضع من «اصحبه». وقوله: «مما عُذِلَ به» قال الحافظ: بضم المهملة وكسر الدال المهمة، أي: وزن، أي: من كل شيء يقابل ذلك من الذنوبات.

(٢) «المسند» ٩٧/٢٠ بترتيب الساعاتي. ورواه النسائي وابن حبان وابن مردويه. قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ٣٦٣/٣ بعدما رواه عن «المسند»: وهذا إسناد ثلاثي صحيح على شرط الصحيح. وبرك الغمام: قال في «النهاية» بفتح الباء وتكسر، وتضم الفين وتكسر، وهو موضع باليمن. وقال السهيلي في «الروض الأنف» ٦٥/٢: وجدت في بعض كتب التفسير أنها مدينة الحجة.

(٣) «المسند» ١٨٣/١٣، وابن ماجه ٣٦١/١. وقال البوصيري في «زوائد»: إسناده إلى أبي هريرة في مقال، لأن سلميان بن مهران الأعمش ينسب وكذا أبو معاوية إلا أنه صرح بالتحديث، فزال التلبس، وبقي رجاله رجال الصحيح، وتبعه الشيخ أحمد شاکر في شرح «المسند» بقوله: وهذا تعليل منه غير جيد ولا سليم، فإنه - كما قال - قد صرح أبو معاوية والأعمش بالتحديث في رواية ابن ماجه، فلم يبق موضع للكلام، ولا يسمى هذا الإسناد حديثاً بأن فيه مقالاً. ثم رواية أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح صحيحة على شرط الشيخين، والصحيحان روايا الكثير بهذا الإسناد. قلت: الذي في «سنن ابن ماجه» تصريح أبي معاوية بالسماع، وأما الأعمش فلم يصرح. ورواه ابن حبان في «صحيحه» ٣٣١/٢ من مصورة «التفاسيم والأنوار» وذكر السيوطي أوله في «الجامع الصغير» ونسبه لأحمد وابن ماجه ورمز له بالحسن، وزاد شارحه المناوي أنه رواه أبو يعلى أيضاً، ثم قال: قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير إسحاق بن إسرائيل وهو ثقة مأمون، وليس هذا الحديث من شرط «الزوائد» للهيثمي، ولم يوجد فيه.

(٤) في «المكبري» ٢١٣/١: «أربعين سنة» ظرف لـ «محرمه» فالتحريم على هذا مقدار «بتهيئون» حال من الضمير المجزوء، وقيل: هي ظرف لـ «بتهيئون» فالتحريم على هذا غير مؤقت.

منهم عكرمة، وقتادة، إلى ما قال الزجاج، وأنها حرّمت عليهم أبداً. قال عكرمة: فإنها محرمة عليهم أبداً يتيهون في الأرض أربعين سنة، وذهب قومٌ، منهم الربيع بن أنس، إلى أنها حرّمت عليهم أربعين سنة، ثم أمروا بالسير إليها، وهذا اختيار ابن جرير. قال: إنما نصبت بالتحريم، والتحريم كان عاماً في حق الكل، ولم يدخلها في هذه المدة منهم أحد، فلما انقضت، أذن لمن بقي منهم بالدخول مع ذراريهم. قال أبو عبيدة: ومعنى: يتيهون: يحورون ويضلون<sup>(١)</sup>.

### الإشارة إلى قصّتهم

قال ابن عباس: حرّم الله على الذين عَصَوْا دُخُولَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فلبثوا في تيههم أربعين سنة، وماتوا في التيه، ومات موسى وهارون، ولم يدخل بيت المقدس إلا يوشع وكالب بأبناء القوم، وناهض يوشع بمن بقي معه مدينة الجبارين فأفتتحها. وقال مجاهد: تاهوا أربعين سنة يصبحون حيث أمسوا، ويمسون حيث أصبحوا. وقال السدي: لما ضرب الله عليهم التيه، ندم موسى على دعائه عليهم، وقالوا له: ما صنعت بنا، أين الطعام؟ فأنزل الله المنّ. قالوا: فأين الشراب؟ فأمر موسى أن يضرب بعصاه الحجر. قالوا: فأين الظل؟ فظلّل عليهم الغمام. قالوا: فأين اللباس؟ وكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان، ولا يتخرق لهم ثوب، وقُبض موسى ولم يبق أحد ممن أبى دخول قرية الجبارين إلا مات، ولم يشهد الفتح. وفيه قول آخر أنه لما مضت الأربعون خرج موسى ببني إسرائيل من التيه، وقال لهم: ادخلوا هذه القرية، فكلوا منها حي شتّم رغداً، وادخلوا الباب سجداً، وقولوا حطة. إلى آخر القصة. وهذا قول الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد. قال ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي: وهذا الصحيح، وأن موسى هو الذي فتح مدينة الجبارين مع الصالحين من بني إسرائيل، لأن أهل السيرة أجمعوا على أن موسى هو قاتل عوج، وكان عوج ملكهم، وكان بلعم بن باعوراء فيمن سباه موسى وقتله، ولم يدخل مع موسى من قدامئهم غير يوشع وكالب، وإنما حرّمت على الذين لم يطيعوا. وفي مسافة أرض التيه قولان: أحدهما: تسعة فراسخ، قاله ابن عباس. قال مقاتل: هذا عرضها، وطولها ثلاثون فرسخاً. والثاني: ستة فراسخ في طول اثني عشر فرسخاً، حكاه مقاتل أيضاً.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْرِ الْمُتَيْبِينَ﴾ قال الزجاج: لا تحزن على قوم شأنهم المعاصي، ومخالفة الرسل<sup>(٢)</sup>. وقال ابن قتيبة: يقال: أسيت على كذا، أي: حزنت، فأننا آسئ أسئ.

﴿وَأَتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ النبا: الخبر. وفي ابني آدم قولان: أحدهما: أنهما ابناه لصلبه، وهما قابيل وهابيل، قاله ابن عمر، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنهما أخوان من بني إسرائيل، ولم يكونا ابني آدم لصلب، هذا قول الحسن، والعلماء على الأول، وهو أصح، لقوله: ﴿كَيْفَ يُؤَرَى سَوَاءَ أَخِي﴾ [المائدة: ٣١] ولو كان من بني إسرائيل، لكان قد عرف الدفن، ولأن النبي ﷺ قال عنه: «إنه أول من سن القتل»<sup>(٣)</sup>. وقوله تعالى:

(١) في مجاز القرآن: ١٦٠: أي: يحورون ويحارون ويضلون. وفي «الطبري» ١٩٩/١٠: يحارون ويضلون. قلت: وجاء في هامش نسخة الرباط ما نصه: لملة: يحارون.

(٢) قال الحافظ ابن كثير ٤٠/٢ بعد تفسير الآيات: وهذه القصة تضمنت ترغيب اليهود، وبيان فضائلهم ومخالفاتهم لله ولرسوله، ونكولهم عن طاعتها فيما أمرهم به من الجهاد، فضمنت أنفسهم عن مصابرة الأعداء ومجالاتهم ومقاتلتهم، مع أن بين أظهرهم رسول الله وكتابه وصفه من خلفه في ذلك الزمان، وهو يمدح بالنصر والظفر بأعدائهم، وهذا مع ما شاهدوا من فعل الله بدمهم فرعون من العذاب والنكال، والفرق له ولجوده في اليوم وهم ينظرون، لتعز به أعينهم، وما بالمهد من قدم، ثم يتكلمون عن مقاتلة أهل بلد هي بالنسبة إلى ديار مصر لا توازي عشر المشار في عدة أهلها وعددهم. فظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام، وانفضحوا فضيحة لا يغطيها الليل، ولا يسترها الليل. هذا وهم في جهلهم يعمهون، وفي غيهم يترددون، وهم البغضاء إلى الله وأعدائه، ويقولون مع ذلك: نحن أبناء الله وأحباؤه!! قبح الله وجههم التي سخر منها الخزائير والقرد، والزعم لهم لعنة تصحيم إلى النار ذات الوتود، ويقضي لهم فيها بتأييد الخلود، وقد فعل، وله الحمد من جميع الوجود.

(٣) «المفسنة» ٢٢٦/٥، والبخاري ٢٦٢٦/٦، ١٦٩/١٢، ٢٥٦/١٣، ومسلم ١٣٠٣/٣، والترمذي ٩٢/٢، والنسائي ٨٢/٧، وابن ماجه ٨٧٣/٢ من حديث ابن مسعود مرفوعاً، ولفظه: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من معها، لأنه أول من سن القتل» وقوله: «كفل منها» الكفل،

﴿يَا لَحَى﴾ أي: كما كان. والقريان: فعلان من القرب، وقد ذكرناه في (آل عمران). وفي السبب الذي قربا لأجله قولان: أحدهما: أن آدم ﷺ كان قد نُهي أن يُنكِحَ المرأةَ أخاها الذي هو توأماها<sup>(١)</sup>، وأجبر له أن يُنكِحَها غيره من إخوتها، وكان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى، فولدت له ابنة وسيمة، وأخرى دميمة، فقال أخو الدميمة لأخي الوسيمة: أنكحني أختك، وأنكحك أختي، فقال أخو الوسيمة: أنا أحق بأختي، وكان أخو الوسيمة صاحب حرث، وأخو الدميمة صاحب غنم، فقال: هَلَمْ فَلتَقْرَبْ قرباناً، فأينا تُقْبَلُ قربانهُ فهو أحقُّ بها، فجاء صاحب الغنم بكبش أبيض أعين أقرن، وجاء صاحب الحرث بصَبْرٍ<sup>(٢)</sup> من طعام، فَتُقْبَلُ الكبش، فحزنه الله في الجنة أربعين خريفاً، فهو الذي ذبحه إبراهيم، فقتله صاحب الحرث، فولد آدم كلهم من ذلك الكافر، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنهما قرباه من غير سبب<sup>(٤)</sup>. روى العوفي عن ابن عباس أن ابني آدم كانا قاعدَيْنِ يوماً، فقالا: لو قربنا قرباناً، فجاء صاحب الغنم بخير غنمه وأسمتها، وجاء الآخر ببعض زرع، فنزلت النار، فأكلت الشاة، وترك الزرع، فقال لأخيه: أتمشي في الناس وقد علموا أن قربانك تُقْبَلُ، وأنت خيرٌ مني! لأقتلنك. واختلفوا هل قابيل وأخته ولدا قبل هابيل وأخته، أم بعدهما؟ على قولين، وهل كان قابيل كافراً أو فاسقاً غير كافر؟ فيه قولان. وفي سبب قبول قربان هابيل قولان: أحدهما: أنه كان أتقى لله من قابيل. والثاني: أنه تقرب بخيار ماله، وتقرب قابيل بشر ماله. وهل كان قربانها بامر آدم، أم من قبل أنفسهما؟ فيه قولان: أحدهما: أنه كان وآدم قد ذهب إلى زيارة البيت. والثاني: أن آدم أمرهما بذلك. وهل قُتل هابيل بعد تزويج أخت قابيل، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه قتله قبل ذلك لثلاث يصل إليها. والثاني: أنه قتله بعد نكاحها.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَاقْتُلَنَّكَ﴾ وروى زيد عن يعقوب: «لأقتلنك» بسكون النون وتخفيفها. والقائل: هو الذي لم يُتَقَبَّلَ منه. قال الفراء: إنما حذف ذكره لأن المعنى يدل عليه، ومثل ذلك في الكلام أن تقول: إذا رأيت الظالم والمظلوم أعنت<sup>(٥)</sup>، وإذا اجتمع السفیه والحليم حُود، وإنما كان ذلك، لأن المعنى لا يشكل، فلو قلت: مر بي رجل وامرأة، فأعنت، وأنت تريد أحدهما، لم يجز، لأنه ليس هناك علامة تدل على مرادك<sup>(٦)</sup>. وفي المراد بالمتقين قولان: أحدهما: أنهم الذين يتقون المعاصي، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم الذين يتقون الشرك، قاله الضحاك.

﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ بِإِيدِي إِيَّاكَ لِأَقْتُلَنَّكَ﴾ إِنَّكَ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿مَا أَنَا بِبَاسٍ بِإِيدِي إِيَّاكَ لِأَقْتُلَنَّكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: ما أنا بمنصهر لنفسي، قاله ابن عباس. والثاني: ما كنت لأبتدئك، قاله عكرمة. وفي سبب امتناعه من دفعه عنه قولان: أحدهما: أنه منعه التحرج مع قدرته

= بكر أوله وسكون الفاء، النصب، وأكثر ما يطلق على الأجر، والصف على الإثم. ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِنْ رَدَّيْتُكَ﴾ [الحديد: ٢٨] ووقع على الإثم في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

(١) التوام والتَّوَم والتَّوَم والتَّوَم: هو من جميع الحيوان: المولود مع غيره في بطن من الاثنين إلى ما زاد، ذكرًا وأنثى، أو ذكرًا مع الأنثى. ويقال أيضاً: توأم للذكر، وتوامة للأنثى. «لسان العرب».

(٢) الصبرة: كومة من الطعام بلا كيل ولا وزن، ويقال: اشتريت الشي صبرةً، أي: بلا كيل ولا وزن.

(٣) ابن جرير الطبري ٢٢٣/١٠، وابن كثير ٤٢/٢ من ابن أبي حاتم، وجود إسناده، وزاد السيوطي في «الدر المنثور» ٢٢٣/٢ نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن عساکر، وجود إسناده أيضاً. قال الشيخ أحمد شاكر: وهو خبر - كما ترى - ليس من السنة النبوية، بل ظاهره يدل على أنه مما أخذه ابن عباس من كتب أهل الكتاب.

(٤) قال ابن كثير: وهو ظاهر القرآن ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ فالسياق يقتضي أنه إنما غضب عليه وحسده لقبول قربانه دون. قلت: وخبر ابن عباس الذي ساقه المصنف عن العوفي ضعيف جداً.

(٥) في النسخة الأحمدية: «أعيت» وهو تحريف.

(٦) اختصر المؤلف رحمه الله كلام الفراء في «معاني القرآن» ٣٠٥/١ وإليك نصه بشماه قال: ولم يقل: قال الذي لم يتقبل منه: لأقتلنك، لأن المعنى يدل على أن الذي لم يتقبل منه هو القائل لحسده لأخيه: لأقتلنك، ومثله في الكلام أن تقول: إذا اجتمع السفیه والحليم حمد، تنوي بالحمد الحليم، وإذا رأيت الظالم والمظلوم أعنت، وأنت تنوي: أعنت المظلوم للمعنى الذي لا يشكل. ولو قلت: مر بي رجل وامرأة فأعنت، وأنت تريد أحدهما لم يجز حتى يبين، لأنهما ليس فيهما علامة تستدل بها على موضع المعونة، إلا أن تريد: فأعنتهما جميعاً.

على الدفع وجوازه له، قاله ابن عمر<sup>(١)</sup>، وابن عباس. والثاني: أن دفع الإنسان عن نفسه لم يكن في ذلك الوقت جائزاً، قاله الحسن، ومجاهد<sup>(٢)</sup>. وقال ابن جرير: ليس في الآية دليل على أن المقتول علم عزم القاتل على قتله، ثم ترك الدفع عن نفسه، وقد ذكر أنه قتله غيلةً، فلا يدعى ما ليس في الآية إلا بدليل<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: إني أريد أن ترجع بإثم قتلي وإثمك الذي في عنقك، هذا قول ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك. والثاني: أن تبوء بإثمي وإثمك في قتلك لي، وهو مروى عن مجاهد أيضاً<sup>(٤)</sup> قال ابن جرير: والصحيح عن مجاهد القول الأول. وقد روى البخاري، ومسلم في «صحيحيهما» من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقتل نفس ظمناً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه كان أول من سن القتل» فإن قيل: كيف أراد هابيل وهو من المؤمنين أن يبوء قابيل بالإثم وهو معصية، والمؤمن يجب لأخيه ما يجب لنفسه؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه ما أراد لأخيه الخطيئة، وإنما أراد: إن قتلتي أردت أن تبوء بالإثم، وإلى هذا المعنى ذهب الزجاج. والثاني: أن في الكلام محذوفاً، تقديره: إني أريد أن لا تبوء بإثمي وإثمك، فحذف «لا» كقوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي الْأَرْضِ رَوًى أَنْ تُبَدِّلَ يَوْمَهُمْ﴾ [البقرة: ١٠] أي: أن لا تميد بكم، ومنه قول امرئ القيس:

فقلتُ يمينُ الله أبرحُ قاعداً

ولو قطعوا رأسي لَدَيْكَ وأوصالي<sup>(٥)</sup>

أراد: لا أبرح. وهذا مذهب ثعلب. والثالث: أن المعنى: أريد زوال أن تبوء بإثمي وإثمك، وبطلان أن تبوء بإثمي وإثمك، فحذف ذلك، وقامت «أن» مقامه، كقوله: ﴿وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْوَجَلَ﴾ [البقرة: ٩٣] أي: حب العجل، ذكره والذي قبله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ الإشارة إلى مصاحبة النار.

﴿فَقَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَقَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: تابعت على قتل أخيه، قاله ابن عباس. والثاني: شجعت، قاله مجاهد. والثالث: زينت له، قاله قتادة. والرابع: رخصت له، قاله أبو الحسن الأخفش. والخامس: أن «قَوَّعَتْ» فُتِلَتْ من «الطوع» والعرب تقول: طاع لهذه الظبية أصول هذا الشجر، وطاع له كذا، أي: آتاه طوعاً، حكاة

(١) في «الطبري» عن عبد الله بن عمرو.

(٢) قال القرطبي ١٣٦/٦: قال علماؤنا: وذلك مما يجوز التعبد به، إلا أن في شرعنا يجوز دفعه إجماعاً، وفي وجوب ذلك عليه خلاف، والأصح وجوب ذلك، لما فيه من النهي عن المنكر. وفي الحشوية قوم لا يجوزون للمصول عليه الدفع، واحتجوا بحديث أبي ذر، وحمله العلماء على ترك القتال في الفتنة، وكف اليد عند الشبهة على ما يناه في كتاب «التذكرة». قلت: حديث أبي ذر في «المسنَد» ١٤٩/٥، وأبي داود ١٤٢/٤، وابن ماجه ١٣٠٨/٢ وفيه «أُريت إن قتل الناس بعضهم بعضاً، يعني حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء كيف تصنع؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: اقعد في بيتك، وأغلِق عليك بابك. قال: فإن لم أترك؟ قال: فأت من أنت منهم، فكن فيهم. قال: فأخذ سلاحي؟ قال: إذن تشاركهم فيما هم فيه، ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف، فأتى طرف رءائك على وجهك حتى يبوء بإثمك وإثمك» وفي معناه أحاديث عن جماعة من الصحابة، انظر «سنن أبي داود»، كتاب الفتن.

(٣) انظر كلام ابن جرير مطوّل في «التفسير» ٢١٤/١٠.

(٤) قال ابن كثير ٤٤/٢: وهذا قول وجدته عن مجاهد وأخشي أن يكون غلطاً، لأن الصحيح من الرواية عنه خلافه. قلت: القاتل ابن كثير: وقد يتوهم كثير من الناس هذا القول، ويذكرون في ذلك حديثاً لا أصل له «ما ترك القاتل على المقتول من ذنب» وقد روى البزار حديثاً يشبه هذا ولكن ليس به، فروى عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «قتل الصبر لا يمر بقلب إلا معه». وهذا لا يصح، ولو صح فمعناه: أن الله يكفر عن المقتول بألم القتل ذنوبه، فاما أن تحمل على القاتل فلا. ولكن قد يتفق هذا في بعض الأشخاص وهو الغالب، فإن المقتول يطالب القاتل في العرصات، فيأخذ له من حسنته بقدر مظلمته، فإن نفلت ولم يستوف حقه أخذ من سيئات المقتول فطرحت على القاتل، وقد صح الحديث بذلك عن رسول الله ﷺ في المظالم كلها، والقتل أعظمها وأشدّها.

(٥) «ديوانه» ٣٢، ومشكل القرآن ١٧٤، والصناعتين: ١٧٤، والطبري ٤٢/١٣. وقد أضمر حرف النفي - وهو «لا» - لدلالة المعنى عليه، لأن الفعل بعد القسم غير مؤكّد، ولو كان الكلام إثباتاً لوجب تأكيد الفعل بالنون. والأوصال: جمع وصل بالكسر: وهو كل عضو ينفصل من آخر.

الزجاج عن المبرد. وقال ابن قتيبة: شايئته وانقادت له، يقال: لساني لا يطوع بكذا، أي: لا يتقاد<sup>(١)</sup>. وهذه المعاني تتقارب. وفي كيفية قتله ثلاثة أقوال: أحدها: أنه رماه بالحجارة حتى قتله، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: ضرب رأسه بصخرة وهو نائم، رواه مجاهد عن ابن عباس، والسدي عن أشياخه. والثالث: رضع رأسه بين حجرين. قال ابن جريج: لم يدر كيف يقتله، فتمثل له إيليس، وأخذ طائرًا فوضع رأسه على حجر، ثم شدخه بحجر آخر، ففعل به هكذا، وكان له «هابيل» يومئذ عشرون سنة. وفي موضع مصرعه ثلاثة أقوال: أحدها: على جبل ثور، قاله ابن عباس. والثاني: بالبصرة، قاله جعفر الصادق. والثالث: عند عقبة جراء، حكاه ابن جرير الطبري. وفي قوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْقَتِيلِينَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: من الخاسرين الدنيا والآخرة، فخرانه الدنيا: أنه أسخط والديه، وبقي بلا أخ، وخسرانه الآخرة: أنه أسخط ربه، وصار إلى النار، قاله ابن عباس. والثاني: أنه أصبح من الخاسرين الحسنات، قاله الزجاج. والثالث: من الخاسرين أنفسهم بإهلاكهم إياها، قاله القاضي أبو يعلى.

﴿بَقِيَ اللَّهُ غَرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيرِيَهُ كَيْفَ يُؤَدِّي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يَوَلِّيكَ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغَرَابِ فَأُوَدِّي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿بَقِيَ اللَّهُ غَرَابًا يَبْحَثُ﴾ قال ابن عباس: حمله على عاتقه، فكان إذا مشى تخطف يده ورجلاه في الأرض، وإذا قعد وضعه إلى جنبه حتى رأى غرابين اقتتلا، فقتل أحدهما الآخر، ثم بحث له الأرض حتى وراه بعد أن حمله سنين. وقال مجاهد: حمله على عاتقه مائة سنة. وقال عطية: حمله حتى أروح<sup>(٢)</sup>. وقال مقاتل: حمله ثلاثة أيام. وفي المراد بسوء أخيه قولان: أحدهما: حورة أخيه. والثاني: جيفة أخيه.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِينَ﴾ فإن قيل: أليس الندم توبة، فلم لم يقبل منه؟ فنعته أربعة أجوبة: أحدها: أنه يجوز أن لا يكون الندم توبة لمن تقدّمنا، ويكون توبة لهذه الأمة، لأنها خصّت بخصائص لم تشارك فيها، قاله الحسن بن الفضل. والثاني: أنه ندم على حمله لا على قتله. والثالث: أنه ندم إذ لم يواره حين قتله. والرابع: أنه ندم على فوات أخيه، لا على ركوب الذنب. وفي هذه القصة تحذير من الحسد، لأنه الذي أهلك قابيل.

﴿وَمِنْ آجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آجَلِ ذَلِكَ﴾ قال الضحاك: من أجل ابن آدم الذي قتل أخاه ظلمًا. وقال أبو عبيدة: من جناية ذلك، ومن جري ذلك. قال الشاعر<sup>(٣)</sup>:

وأهل خباءٍ صالحٍ ذاتٌ بينهم  
أي: جانبه وجارٌ ذلك عليهم. وقال قوم: الكلام متعلق بما قبله، والمعنى: فأصبح من النادمين من أجل ذلك.

(١) وتام كلام ابن قتيبة في «غريب القرآن» ١٤٢: ومنه يقال: أتيت طائفاً وطرواً وكروهاً، ولو كان من «أطاع» لكان مطيعاً وطاعة وإطاعة.

(٢) يقال: أروح اللحم، وأراح: أثنى وسطعت له ريح خبيثة.

(٣) نسب أبو عبيدة في «مجاز القرآن» إلى الخنوث وهو توبة بن مفرس أحد بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وإنما سماه الخنوث الأحنف بن قيس، لأن الأحنف كلمه، فلم يكلمه احتقاراً له، فقال: إن صاحبكم هذا لخنوث. والخنوث: المتجبر الذاهب بنفسه، المستصغر للناس. وذكره الأمدى في «المؤلف والمختلف» ٩١ وقال: قتل أخواه... فأدرك الأخذ بشارهما، وجزع على أخويه جزعاً شديداً. وكان لا يزال يبكي أخويه، فطلب إليه الأحنف أن يكف قايي، فسماه الخنوث، وهو الذي يمنعه الغيظ أو البكاء من الكلام. ونسب التبريزي في شرح «إصلاح المنطق» والشتري في «شرح ديوان زهير» إلى خوات بن بجير الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ والحق بشعر زهير بن أبي سلمى في «ديوانه» بشرح الششتري.

(٤) «مجاز القرآن» ١٣٢/١، و«إصلاح المنطق» ٩، و«الطبري» ٢٣١/١٠، و«ديوان زهير» بشرح الششتري ٣٣، و«اللسان» مادة: أجل. وفي رواية لابن بري في «اللسان».

بشيء عزيز عاجلٍ أنا أجله  
سؤالك بالشيء الذي أنت جاهله

وأهل خباءٍ آمنين فجمعهم  
وأقبلت أسعى أسأل القوم مالهم

ويرى الشطر الأول من البيت الثاني «فأقبلت في الساعين أسأل عنهم». قال الششتري: ومعنى البيت: أنه وصف تأريشه بين قوم مصطلخين وسعيه بينهم بالفساد حتى أوقعهم في حرب وعاجل شر أجله عليهم، أي: جناه وأحدثه، ثم زعم أنه بعد ما كادهم وبعت الحرب بينهم جمل يسأل عن الساعين بالشر المهيجين له بين القوم، كما يسأل الإنسان عما جهل.

فعلى هذا يحسن الوقف هاهنا، وعلى الأول لا يحسن الوقف. والأول أصح. و«كتبنا» بمعنى: فرضنا. ومعنى «تَكَرَّرَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ» أي: قتلها ظلماً ولم تقتل نفساً. «أَوْ قَسَاوُ فِي الْأَرْضِ» «فساد» منسوق على «نفس»، المعنى: أو بغير فساد تستحق به القتل. وقيل: أراد بالفساد هاهنا: الشرك. وفي معنى قوله: «نَكَاةً أَوْ قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا» خمسة أقوال: أحدها: أن عليه إثم من قتل الناس جميعاً، قاله الحسن، والزجاج. والثاني: أنه يصلى النار بقتل المسلم، كما لو قتل الناس جميعاً، قاله مجاهد، وعطاء. وقال ابن قتيبة: يُعَذَّبُ كما يُعَذَّبُ قَاتِلُ النَّاسِ جميعاً. والثالث: أنه يجب عليه من القصاص مثل ما لو قتل الناس جميعاً، قاله ابن زيد. والرابع: أن معنى الكلام: ينبغي لجميع الناس أن يُعِينُوا ولي المقتول حتى يُقْبِده منه، كما لو قتل أولياءهم جميعاً، ذكره القاضي أبو يعلى. والخامس: أن المعنى: من قتل نبياً أو إماماً عادلاً، فكأنما قتل الناس جميعاً، رواه عكرمة عن ابن عباس. والقول بالعموم أصح. فإن قيل: إذا كان إثم قاتل الواحد كإثم من قتل الناس جميعاً، دل هذا على أنه لا إثم عليه في قتل مَنْ يقتله بعد قتل الواحد إلى أن يفنى الناس؟ فالجواب: أن المقدار الذي يستحقه قاتل الناس جميعاً، معلوم عند الله محدود، فالذي يقتل الواحد يلزمه ذلك الإثم المعلوم، والذي يقتل الاثنين يلزمه مثله، وكلما زاد قتلاً زاده الله إثمًا، ومثل هذا قوله: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثَرَاتٍ» [الأنعام: ١٦٠] فالحسنة معلوم عند الله مقدار ثوابها، فعاملها يعطي بمثل ذلك عشر مرات. وهذا الجواب عن سؤال سائل إن قال: إذا كان من أحيا نفساً فله ثواب مَنْ أحيا الناس، فما ثواب من أحيا الناس كلهم؟ هذا كله منقول عن المفسرين. والذي أراه أن التشبيه بالشئ قريب منه، لأنه لا يجوز أن يكون إثم قاتل شخصين كإثم قاتل شخص، وإنما وقع التشبيه بـ «كأنما»، لأن جميع الخلائق من شخص واحد، فالمقتول يتصور منه نشر عدد الخلق كلهم<sup>(١)</sup>. وفي قوله: «وَمَنْ أَحْيَاهَا» خمسة أقوال: أحدها: استنقاذها من هلكة، روي عن ابن مسعود، ومجاهد. قال الحسن: من أحياها من غرق أو حرق أو هلاك. وفي رواية عكرمة عن ابن عباس: من شَدَّ عَصَدَ نَبِيٍّ أو إمامٍ عادِلٍ، فكأنما أحيا الناس جميعاً. والثاني: ترك قتل النفس المحرمة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في رواية. والثالث: أن يعفو أولياء المقتول عن القصاص، قاله الحسن، وابن زيد، وابن قتيبة. والرابع: أن يزرع عن قتلها وينهى. والخامس: أن يعين الولي على استيفاء القصاص، لأن في القصاص حياة، ذكرهما القاضي أبو يعلى. وفي قوله: «نَكَاةً أَوْ قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا» قولان: أحدهما: فله أجر من أحيا الناس جميعاً، قاله الحسن، وابن قتيبة. والثاني: فعلى جميع الناس شكره، كما لو أحياهم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ» يعني: بني إسرائيل الذين جرى ذكرهم.

«إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ نَسَافُ أَنْ يَقْتُلُوا أَوْ يُكَلِّبُوا أَوْ تَقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاءُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» ﴿٥٦﴾

قوله تعالى: «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في ناسٍ من عُرَيْنَةِ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، فَاجْتَوَوْهَا، فَبِعَثَمِ رَسُولِ اللَّهِ فِي إِبْلِ الصَّدَقَةِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا فَفَعَلُوا، فَصَحَّوْا، وَارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ، وَقَتَلُوا الرَّاعِي، وَاسْتَأْفَقُوا الْإِبِلَ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ فِي آثَارِهِمْ، فَجَاءَ بِهِمْ، فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ

(١) قال ابن جرير ٢٤١/١٠: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: أنه من قتل نفساً مؤمنة بغير نفس قتلها، فاستحققت القود بها والمقتل قصاصاً - أو بغير فساد في الأرض بحرب الله ورسوله وحرب المؤمنين فيها - فكانما قتل الناس جميعاً فيما استوجب من عظيم العقوبة من الله جل ثناؤه، كما أوعده ذلك - من فعله - ربه بقوله: «وَمَنْ يَكُفِّرْ كُفْرًا ثُمَّ يَزِدْهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَكُفِّرْ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مِثْقَلٍ ذَرَّةٍ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَظِيمًا» [سورة النساء]. وقال ابن كثير في تفسير الآية ٤٦/٢: أي: من قتل نفساً بغير سبب من قصاص أو فساد في الأرض واستحل قتلها بلا سبب ولا جناة، فكانما قتل الناس جميعاً، لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس، ومن أحياها، أي: حرم قتلها واعتقد ذلك، فقد سلم الناس كلهم بهذا الاعتبار، ولهذا قال: «نَكَاةً أَوْ قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا». وفي «البحر المحيط» لأبي حيان ٤٦٨/٣: وقال ابن عطية: والذي أقول: إن التشبيه بين قاتل النفس وقاتل الكل لا يطرد من جميع الجهات، لكن الشبه قد يحصل من ثلاث جهات. إحداها: القود فإنه واحد، والثانية: الوعد، فقد وعد الله قاتل النفس بالخلود في النار، وتلك غاية العذاب، فإن تورقته يخرج من النار بعد ذلك بسبب التوحيد، فكذلك قاتل الجميع أن لو اتفق ذلك. والثالثة: انتهاك الحرمة، فإن نفساً واحدة في ذلك وجميع الأنفس سواء، والمتنكح في واحدة ملحوظ بعين متنكح الجميع.

وأرجلهم من خلاف، وسَمَّرَ أعينهم، وألقاهم بالحِجَّةِ حتى ماتوا، ونزلت هذه الآية، رواه قتادة عن أنس<sup>(١)</sup>، وبه قال سعيد بن جبير، والسدي. والثاني: أن قوماً من أهل الكتاب كان بينهم وبين النبي ﷺ عهد وميثاق، فنقضوا العهد، وأفسدوا في الأرض، فخير الله رسوله بهذه الآية: إن شاء أن يقتلهم، وإن شاء أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف. رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثالث: أن أصحاب أبي بردة الأسلمي قطعوا الطريق على قوم جاؤوا يريدون الإسلام، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال ابن السائب: كان أبو بردة، واسمه هلال بن عويمر، وادع النبي ﷺ على أن لا يعينه ولا يعين عليه، ومن أتاه من المسلمين لم يُهْجِ، ومن مَرَّ بهلال إلى رسول الله ﷺ لم يُهْجِ، فَمَرَّ قوم من بني كنانة يريدون الإسلام بناسٍ من قوم هلال، فَتَهَدَّؤا إليهم، فقتلوه وأخذوا أموالهم، ولم يكن هلال حاضراً، فنزلت هذه الآية. والرابع: أنها نزلت في المشركين، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وبه قال الحسن. واعلم أن ذكر «المحاربة» لله ﷻ في الآية مجاز. وفي معناها للعلماء قولان: أحدهما: أنه سَمَّاهم محاربين له تشبيهاً بالمحاربين حقيقة، لأن المخالف محارب، وإن لم يحارب، فيكون المعنى: يخالفون الله ورسوله بالمعاصي. والثاني: أن المراد: يحاربون أولياء الله، وأولياء رسوله. وقال سعيد بن جبير: أراد بالمحاربة الله ورسوله، الكفر بعد الإسلام. وقال مقاتل: أراد بها الشرك. فأما «الفساد» فهو القتل والجراح وأخذ الأموال، وإخافة السبل.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُكَلِّبُوا﴾ اختلف العلماء هل هذه العقوبة على الترتيب، أم على التخيير؟ فمذهب أحمد ﷺ أنها على الترتيب، وأنهم إذا قتلوا، وأخذوا المال، أو قتلوا ولم يأخذوا، قُتِلُوا وصُلُّوا، وإن أخذوا المال، ولم يقتلوا، قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإن لم يأخذوا المال، قُتِلُوا. قال ابن الأنباري: فعلى هذا تكون «أو» مبقضة، فالمعنى: بعضهم يفعل به كذا، وبعضهم كذا، ومثله قوله: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقْدَامَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣٥] المعنى: قال بعضهم هذا، وقال بعضهم هذا. وهذا القول اختيار أكثر اللغويين. وقال الشافعي: إذا قتلوا وأخذوا المال، قُتِلُوا وصُلُّوا، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال، قُتِلُوا ولم يُصَلُّوا، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا، قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف. وقال مالك: الإمام مخير في إقامة أي الحدود شاء، سواء قتلوا أو لم يقتلوا، أخذوا المال أو لم يأخذوا، والصلب بعد القتل. وقال أبو حنيفة، ومالك: يُصَلَّب ويُبْعَج برمج حتى يموت. واختلفوا في مقدار زمان الصلْب، فعندنا أنه يُصَلَّب بمقدار ما يشتهر صلْبُه. واختلف أصحاب الشافعي، فقال بعضهم: ثلاثة أيام، وهو مذهب

(١) «المسند» ١٦٣/٣ من طريق معمر بن قتادة، ١٧٠، ٢٣٣ من طريق سعيد بن قتادة، ٢٨٧ من طريق حماد بن قتادة، ٢٩٠ من طريق عفان بن قتادة، والبخاري: ٢٨٩٨/١، ١٠٨٠/٦، ٣٥٢٧/٨، ٢٠٦/٨، ٩٩/١٢، ومسلم ١٥٣/١١، وأبو داود ١٨٦/٤، والنسائي ٩٧/٧، ومسنن البيهقي ٦٢/٨. عريضة، بضم العين المهملة وفتح الراء وآخرها نون ثم هاء: حي من قضاة وحي من بجيلة، والمراد هنا الثاني. واجتوى الأرض بالبدل: إذا كره المقام فيه وإن كان في نعمة، وقيد الخطابي بما إذا تضرر بالإقامة وهو المناسب هنا، وقيل: أصابهم الجوى، وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول. و«سمر» روي بتشديد الميم وبخفيفها، وضبطت في الأصل بالتشديد. ووقع لمسلم من رواية عبد العزيز «وسمل» بالتخفيف واللام. قال الخطابي: السمل: فقه العين بأي شيء كان. قال أبو ذؤيب الهذلي:

شَوَّلْتُ بِشَرْكَ فَهِيَ عَوْرَتُكُمْ

وَالْعَيْنُ بِمَعْنَاهُمْ كَانَ حَذَاقُهَا

قال: «والسمر» لغة في «السمل» ومخرجهما متقارب. قال: وقد يكون من السمار، يريد: أنهم كحلوا بأبمال قد أحميت. قال الحافظ ابن حجر: وقد وقع التصريح بالمراد عند المصنف - يعني البخاري - من رواية وهيب عن أيوب، ومن رواية الأوزاعي عن يحيى كلاهما عن أبي قلابة. ولفظه: ثم أمر بمساير فأحميت فكلهم بها». قلت: وإنما سمل رسول الله ﷺ أعينهم قصاصاً، لأنهم سملوا آعين الرعاة. وقد جاء التصريح بذلك عن أنس في «صحيح مسلم» ١٥٧/١١. والحره، بفتح الحاء: أرض ذات حجارة سود نخرات، كانتا أحرقتا بالنار، ومدينة رسول الله ﷺ بين حرتين.

(٢) النسائي ١٠١/٧، وأبو داود: ١٨٧/٤، وتامه: فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه لم يكن عليه سبيل، وليست هذه الآية للرجل المسلم، فمن قتل وأفسد في الأرض وحارب الله ورسوله، ثم لحق بالكفار قبل أن يقدر عليه، لم يمتنع ذلك أن يقام فيه الحد الذي أصاب. وإسناده حسن، ورواه الطبري ٢٤٤/١٠ من قول عكرمة والحسن البصري. وقد ضعف القرطبي هذا القول، وردده بقوله تعالى: ﴿هَلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ شَيْءٍ أَنْ يَقْتُلُوا رَسُولَ اللَّهِ يُكْفِرُوا﴾. وقال أبو ثور: وفي الآية دليل على أنها نزلت في غير أهل الشرك، وهو قوله جل ثناؤه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ قَالُوا لِمَنْ تَدْعُونَا أَنْ نَقُولَ لِمَنْ تَدْعُونَ﴾. وقد أجمعوا على أن أهل الشرك إذا وقعوا في أيدينا فأسلموا أن مداهم نكرم، فدل ذلك على أن الآية نزلت في أهل الإسلام. وقال ابن كثير ٤٨/٢ وتبعه الشوكاني في «فتح القدير» ٣٢/٢: والصحيح أن هذه الآية عامة في المشركين وغيرهم ممن ارتكبت هذه الصفات.



أبي حنيفة، وقال بعضهم: يترك حتى يسيل صديده. قال أبو عبيدة: ومعنى «من خلاف» أن تُقَطَّع يَدُهُ اليمنى ورجله اليسرى، يُخَالَفُ بَيْنَ قَطْعِهِمَا. فأما «النفي» فأصله الطرد الإبعاد. وفي صفة نفيهم أربعة أقوال: أحدها: إبعادهم من بلاد الإسلام إلى دار الحرب، قاله أنس بن مالك، والحسن، وقتادة، وهذا إنما يكون في حق المحارب المشرك، فأما المسلم فلا ينبغي أن يُضطر إلى ذلك. والثاني: أن يُطلبوا لِنَقَامِ عَلَيْهِمُ الْحُدُودَ، فَيُعِيدُوا، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثالث: إخراجهم من مدينتهم إلى مدينة أخرى، قاله سعيد بن جبير. وقال مالك: ينفي إلى بلد غير بلده، فيحبس هناك. والرابع: أنه الحبس، قاله أبو حنيفة وأصحابه. وقال أصحابنا: صِفَةُ النفي: أن يُشْرَدَ ولا يترك يأوي في بلد، فكلما حَصَلَ في بلد نُفِيَ إلى بلد غيره. وفي «الخزي» قولان: أحدهما: أنه العقاب. والثاني: الفضيحة. وهل يثبت لهم حكم المحاربين في المصر، أم لا؟ ظاهر كلام أصحابنا أنه لا يثبت لهم ذلك في المصر<sup>(١)</sup> وهو قول أبي حنيفة. وقال الشافعي، وأبو يوسف: المصر والصحارى سواء، ويعتبر في المال المأخوذ قدر نصاب، كما يُعتبر في حَقِّ السَّارِقِ، خلافاً لمالك<sup>(٢)</sup>.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ قال أكثر المفسرين: هذا الاستثناء في المحاربين المشركين إذا تابوا من شركهم وحرهم وفسادهم، وآمنوا قبل القدرة عليهم، فلا سبيل عليهم فيما أصابوا من مال أو دم، وهذا لا خلاف فيه. فأما المحاربون المسلمون، فاختلَفوا فيهم، ومذهب أصحابنا: أن حدود الله تسقط عنهم من انتحام القتل والصلب والقطع والنفي. فأما حقوق الأديين من الجراح والأموال، فلا تسقطها التوبة، وهذا قول الشافعي<sup>(٣)</sup>.

﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا تَوَاصَوْا بَيْنَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ حَيْثُ وَشَكَّ مَعَكُمْ لَقَتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا تُقِيلُ بِهِمْ وَلَقَدْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ مَخْرَجٍ وَهُمْ فِيهَا كَاذِبُونَ

قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ في «الوسيلة» قولان: أحدهما: أنها القرية، قاله ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، والفراء. وقال قتادة: تقربوا إليه بما يرضيه. قال أبو عبيدة: يقال: توسلت إليه، أي: تقربت إليه. وأنشد: إذا غفل الواشون غُدّاً لَوْضِلْنَا وَعَادَ التَّصَافِي بَيْنَنَا وَالْوَسَائِلُ<sup>(٤)</sup>

والثاني: المحبة، يقول: تحبوا إلى الله، هذا قول ابن زيد:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

(١) في «المغني» ٣٠١/١: وثبت أحكام المحاربين بشروط ثلاثة. أحدها: أن يكون ذلك في الصحراء، فإن كان ذلك منهم في القرى والأمصار، فقد توقف أحمد رحمه الله فيهم، وظاهر كلام الخرقى أنهم غير محاربين، وبه قال أبو حنيفة، والثوري، وإسحاق... وقال كثير من أصحابنا: هو قاطع حيث كان، وبه قال الأوزاعي، والليث، والشافعي، وأبو يوسف، وأبو ثور.

(٢) في «القرطبي» ١٥٣/٦: ولا يراعى في المال الذي يأخذه المحارب نصاباً كما يراعى في السرقة، وانظر «أحكام القرآن» لابن العربي ٥٩٨/٢.

(٣) قال الخرقى: فإن تابوا من قبل أن يقدر عليهم، سقطت عنهم حدود الله تعالى، وأخذوا بحقوق الأديين من الأنفس والجراح والأموال، إلا أن يعفى لهم عنها. قال ابن قدامة: لا نعلم في هذا خلافاً بين أهل العلم، وبه قال مالك، والشافعي، وأصحاب الرأي، وأبو ثور.

(٤) «مجاز القرآن» ١٦٤/١، و«الطبري» ٢٩٠/١٠، و«القرطبي» ١٥٩/٦، وقاله لا يعرف. واستشهد أبو عبيد أيضاً - على أن الوسيلة معناها القرية - ببيت عترة:

إِنَّ السَّوْجَالَ لَهُمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ

إِنْ يَأْخُذُوكَ تَكُونُ لِي وَتَخْشَعُ لِي

وهو في «مختار الشعر الجاهلي» ٣٩٦، و«الطبري» ٢٩٠/١٠، و«الخرزاة» ١١/٣ من أبيات قالها لامراته، وكانت لا تزال تذكر خيله، وتلومه في فرس كان يؤثّر على خيله، ويسقيه ألبان إبله فقال:

لَا تَذْكُرِي مُهْرِي وَمَا أَطْعَمْتُهُ

فَيَكُونُ جِلْدُكَ مِثْلَ جِلْدِ الْأَجْرَبِ

إِنْ الْخَبَبُوقُ لَهُ وَأَنْتَ مَسْوومَةٌ

فَتَأْؤَمِي مَا شِئْتَ ثُمَّ تَحْوِي

كُذِبَ الْمَعْنِيَقُ وَمَاءٌ شَرُّ بَارِدٍ

إِنْ السَّرْجُجَالُ.....

وَيَكُونُ مَرْكَبُكَ الْقَعُودَ وَحَدَجُهُ

وَابْنُ النِّعَامَةِ عِنْدَ ذَلِكَ مَرْكَبِي

قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ قال ابن السائب: نزلت في طعمة بن أبيرق، وقد مضت قصته في سورة (النساء). و(السارق): إنما سُمي سارقاً، لأنه يأخذ الشيء في خفاء، واسترق السمع: إذا تسمع مستخفياً. قال المبرد: والسارق هاهنا مرفوع بالابتداء، لأنه ليس القصد منه واحداً بعينه، وإنما هو كقولك: مَنْ سَرَقَ فاقطع يده<sup>(١)</sup>. وقال ابن الأنباري: وإنما دخلت الفاء، لأن في الكلام معنى الشرط، تقديره: من سرق فاقطعوا يده. قال الفراء: وإنما قال: ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ لأن كل شيء موحد من خلق الإنسان إذا دُكِرَ مضافاً إلى اثنين فصاعداً، جُمع، تقول: قد هُشمت رؤوسهما، وملأت [ظهورهما] وبطنهما [ضرباً]. ومثله ﴿فَقَدْ صَنَّتْ قُلُوبُكُنَّ﴾ [التحريم: ٤] وإنما اختير الجمع على الثنية، لأن أكثر ما تكون عليه الجوارح اثنين اثنين في الإنسان: اليدين، والرجلين، والعينين، فلما جرى أكثره على هذا، دُهِبَ بالواحد منه إذا أُضيف إلى اثنين مذهب الثنية، وقد يجوز تثنيتهما. قال أبو ذؤيب:

فَتَخَالَسَا نَفْسَيْهِمَا بَنَوَانِي كَسَوَانِي الْعُبُطُ النِّي لَا تُرْقِعُ<sup>(٢)</sup>

### فصل

وهذه الآية اقتضت وجوب القطع على كل سارق، وبينت الشئ أن المراد به السارق لينصاب من جرّز مثله، كما قال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥] ونهى النبي ﷺ عن قتل النساء، والصبيان، وأهل الصوامع<sup>(٣)</sup>. واختلّف في مقدار النصاب، فمذهب أصحابنا: أن للسرقة نصابين: أحدهما: من الذهب ربع دينار، ومن الورق ثلاثة دراهم، أو قيمة ثلاثة دراهم من العروض<sup>(٤)</sup> وهو قول مالك<sup>(٥)</sup>. وقال أبو حنيفة: لا يقطع حتى تبلغ السرقة

(١) في معاني القرآن للفراء ٣٠٦/١: وقوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ مرفوعان بما عاد من ذكرهما، والنصب فيهما جائز، كما يجوز: أزيد ضربته؟ و: أزيداً ضربته، وإنما تختار العرب الرفع في (السارق والسارقة) لأنها غير موقتين، فوجهها توجيه الجزاء، كقولك: من سرق فاقطعوا يده. ومن لا يكون إلا رفعاً، ولو أردت سارقاً بعينه، أو سارقة بعينها، كان النصب وجه الكلام. ومثله ﴿وَالَّذِينَ يَأْتِيَنَّاهُمْ وَيَكْفُرُوا﴾ [النساء: ١٦] وفي قراءة عبد الله (والسارقون والسارقات فاقطعوا أيديهما). وانظر كتاب سيره ٧١/١.

(٢) «ديوان الهذليين» ٢٠/١، وشرح «أشعار الهذليين» ٤٠/١، و«معاني القرآن» للفراء ٣٠٧/١، و«جمهرة أشعار العرب» ٢٤٨ طبع صادر، وجاء فيها: «عط» وهو تحريف. والبيت من قصيدته العينية المشهورة التي يري بها بنه. تخالسا: جعل كل واحد منهما يختلس نفس صاحبه بالطن، والتوافد: جمع نافذة وهي الطعن تنفذ حتى يكون لها راسان. عُطِبَ: جمع عبط، وأصل العبط: شق الجلد الصحيح، ونحر البعير من غير علة. قال الأخفش: شبه الطمعة بالثوب الجديد الذي قد تلعق قطعة قطعة، فلا يقدر أحد على رقبته، وروى الأصبغ: «كنزنا العطب» والعطب: القطن. يقول: إن كلاً من هذين البطلين قد اختلس نفس صاحبه بطلعات نوافذ تشبه في اتساعها ونفاذها وعدم التامها شقوقاً في ثياب جدد، لا ترقع بعد شقها، وهي شقوق الجيوب وأطراف الأكمام واللبويل.

(٣) روى البخاري ١٠٤/٦، ومسلم ١٣٦٤/٣، وأبو داود ٧٢/٣، والترمذي، والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما: وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان. وروى مسلم ١٣٥٧/٣ عن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «الجزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اهزؤا ولا تفلخوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدة». وروى أحمد ٢٥٧/٤ عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيشه قال: «الجزوا باسم الله قاتلوا من كفر بالله لا تغدروا ولا تفلخوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع» وفيه إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة وثقه أحمد والمجلي، وخسفه ابن معين وغيره. وبقية رجاله ثقات.

(٤) وذلك أنه ورد عن النبي ﷺ أنه قطع يد السارق في ربع دينار، وفي ثلاثة دراهم. فقد روى أحمد ١١٠/١٦ بترتيب الساعاتي، ومالك: ٣٠١، والبخاري ٨٩/١٢، ومسلم ١٣١٢/٣، وأبو داود ١٩٢/٤، والنسائي ٧٨/٨، والترمذي ١٧٤/١ عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعداً. وفي رواية لمسلم ١٣١٢/٣، والنسائي ٨١/٨، وابن ماجه ٨٢٢/٢: «لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً» وفي رواية للبخاري ٨٩/١٢، والنسائي ٧٨/٨، وأبو داود ١٩٢/٤: «تقطع يد السارق في ربع دينار» وفي رواية للبخاري ٨٩/١٢: «تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً». وروى الإمام أحمد ١١٠/١٦، والبخاري ٩٣/١٢، ومسلم ١٣١٣/٣، وأبو داود ١٩٢/٤، والنسائي ٧٦/٨، والترمذي ١٧٤/١، وابن ماجه ٨٢٢/٢ عن ابن عمر أن النبي ﷺ قطع في مجن ثمنه ثلاثة دراهم، وفي رواية «قيمة ثلاثة دراهم».

(٥) في «المدينة» ٦٥/١٦ قلت: أرأيت إن سرق ما يساوي ثلاثة دراهم ذلك اليوم وهو لا يساوي ربع دينار اليوم لارتفاع صرف الدينار، أيقطع فيه في قول مالك؟ قال: قال مالك: نعم يقطع إذا سرق قيمة ثلاثة دراهم ذلك اليوم. قال مالك: لأن النبي ﷺ قطع في ثلاثة دراهم، وإن عثمان بن عفان قطع في ثلاثة دراهم، وإن عمر قُوم الدية على اثني عشر ألف درهم، فلا ينظر إلى الصرف في هذه الأشياء إن ارتفع أو انخفض، وإنما ينظر في هذا إلى ما مضى به السنة. قلت: أرأيت إن اتضع الصرف صرف الذهب فسرق ربع دينار من ذهب وهو لا يساوي ثلاثة دراهم، أقطع يده لأنه ربع دينار؟ قال: نعم وإنما تقوم الأشياء كلها بالذهب والفضة.

عشرة دراهم<sup>(١)</sup>. وقال الشافعي: الاعتبار في ذلك برقع دينار، وغيره مقوّم به، فلو سرق درهمين قيمتهما ربع دينار، قُطِع، فإن سرق نصاباً من الثبر، فعليه القطع. وقال أبو حنيفة: لا يقطع حتى يبلغ ذلك نصاباً مضروباً، فإن سرق منديلاً لا يساوي نصاباً، في طرفه دينار، وهو لا يعلم، لا يقطع. وقال الشافعي: يقطع. فإن سرق ستارة الكعبة، قطع، خلافاً لأبي حنيفة. فإن سرق صبيّاً صغيراً حُرّاً، لم يقطع، وإن كان على الصغير حُلِي. وقال مالك: يقطع بكل حال. وإذا اشترك جماعة في سرقة نصاب، قطعوا، وبه قال مالك، إلا أنه اشترط أن يكون المسروق ثقیلاً يحتاج إلى معاونة بعضهم لبعض في إخراجه. وقال أبو حنيفة، والشافعي: لا قطع عليه بحال<sup>(٢)</sup> ويجب القطع على جاحد العارية عندنا، وبه قال سعيد بن المسيب، والليث بن سعد، خلافاً لأكثر الفقهاء<sup>(٣)</sup>.

## فصل

فأما الحرز، فهو ما جعل للسكنى، وحفظ الأموال، كاللور والمضارب والخيم التي يسكنها الناس، ويحفظون أمتعتهم بها، فكل ذلك حرز، وإن لم يكن فيه حافظ ولا عنده، وسواء سُرق من ذلك وهو مفتوح الباب، أو لا باب له إلا أنه محبّس بالبناء. فأما ما كان في غير بناء ولا خيمة، فإنه ليس في حرز إلا أن يكون عنده من يحفظه. ونقل الميموني عن أحمد: إذا كان المكان مشتركاً في الدخول إليه، كالحمام والخيمة لم يقطع السارق منه، ولم يُعتَبَر الحافظ. ونقل عنه ابن منصور: لا يقطع سارق الحمام إلا أن يكون على المتاع أجير حافظ. فأما النباش، فقال أحمد في رواية أبي طالب: يقطع، وبه قال مالك، والشافعي، وابن أبي ليلى. وقال الثوري، والأوزاعي، وأبو حنيفة: لا يقطع.

(١) في «موطأ مالك» برواية محمد بن الحسن ٣٠٤: قال محمد: قد اختلف الناس فيما تقطع فيه اليد، فقال أهل المدينة: ربع دينار، ورووا هذه الأحاديث، وقال أهل العراق: لا تقطع في أقل من عشرة دراهم، ورووا ذلك عن النبي ﷺ وعن عمر وعن عثمان وعن علي وعن عبد الله بن مسعود وعن غير واحد، فإذا جاء الاختلاف في الحدود، أخذ فيها بالثقة، وهو قول أبي حنيفة والعمامة من فقهاءنا. وانظر أدلة الحنفية في «نصب الرأية» ٣/ ٣٥٥ للزيلعي، و«سنن أبي داود» ١٩٣/ ٣، و«مسند أحمد» ١١/ ١٣٩، و«التعليق الممجّد» ٣٠٤ للكنزي، و«التعليق المغني» على سنن الدارقطني ٣٦٨.

(٢) في «تفسير القرطبي» ١٦٣/ ٦: إذا اجتمع جماعة فاشتركوا في إخراج نصاب من حرزه فلا يخلو، إما أن يكون بعضهم ممن يقدر على إخراجه، أو لا، إلا بتعاونهم، فإذا كان الأول فاختلف فيه علماؤنا على قولين: أحدهما: يقطع فيه. والثاني: لا يقطع فيه، وبه قال أبو حنيفة والشافعي، قالوا: لا يقطع في السرقة المشتركة إلا بشرط أن يجب لكل واحد من حصته نصاب، لقوله ﷺ: «لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً» وكل واحد من هؤلاء لم يسرق نصاباً فلا قطع عليهم. ووجه القطع في إحدى الروايتين أن الاشتراك في الجنابة لا يسقط عقوبتها كالاشتراك في القتل، قال ابن العربي: وما أقرب ما بينهما فإنما قلنا: الجماعة بالواحد صيانة للبناء، لئلا يتعاون على سفكها الأعداء، فكذلك في الأموال مثله، لا سيما وقد ساعدنا الشافعي على أن الجماعة إذا اشتركوا في قطع يد رجل قطعوا ولا فرق بينهما. وإن كان الثاني وهو مما لا يمكن إخراجه إلا بالتعاون، فإنه يقطع جميعهم بالاتفاق من العلماء، ذكره ابن العربي.

(٣) في «شرح المفردات» للبهوتي ٣٠٨: يقطع جاحد العارية كالسارق، وجزم به جماعة من الأصحاب وهو المذهب، قطع به في «التفتيح» و«الإقناع» و«المنتهى» وهو قول إسحاق، وصح الشيخ الموفق والشارح وجماعة: لا قطع عليه، وهو قول المخزي، وأبي إسحاق بن شاقلا، وأبي الخطاب، وسائر الفقهاء، لقوله ﷺ: «لا قطع على الخائن»، رواه أحمد وأصحاب «السنن» وصححه الترمذي، ولأن الواجب قطع السارق، والخائن ليس بسارق، فأشبه جاحد الوديعة وغيره من الأمانات. ولنا حديث عائشة قالت: كانت امرأة تستعير المتاع وتجده، فأمر النبي ﷺ بقطع يدها، فأتى أهلها أسامة فكلّموه فكلم النبي ﷺ، فقال ﷺ: «لا أراك تكلمني في حد من حدود الله تعالى»، ثم قام النبي ﷺ خطيباً وقال: «إنما هلك من كان قبلكم أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها» قال: قطع يدها. متفق عليه. قال أحمد: لا أعرف شيئاً يدينه، والجواب عنه بأنها قطعت بسرقته لا بجدها، لا يلائم سياق الخبر. قلت: وجاء في البخاري: أنها سرت. قال الحافظ ٧٩/ ١٢ وقد وقع في رواية معمر عن الزهري في هذا الحديث أن المرأة المذكورة كانت تستعير المتاع وتجده. أخرجه مسلم وأبو داود، وأخرجه النسائي من رواية شعيب بن أبي حمزة عن الزهري بلفظ: «استعارت امرأة على السنة ناس يعرفون وهي لا تعرف حليا بفاعته، وأعلنت ثمنه الحديث. قال شيخنا في «شرح الترمذي» - أي الحافظ العراقي -: اختلف على الزهري، فقال الليث ويونس وإسماعيل بن أمية، وإسحاق بن راشد: سرت، وقال معمر وشعيب: إنها استعارت وجحدت. ثم قال الحافظ: وجزم جماعة بأن معمر تفرد عن الزهري بقوله: «استعارت وجحدت» وليس كذلك، بل تابعه شعيب كما ذكره شيخنا عند النسائي، ويونس كما أخرجه أبو داود من رواية أبي صالح كاتب الليث عن الليث، وعلقه البخاري لليث عن يونس لكن لم يسق لفظه. قلت: وبذلك يتبين أن قول البهوتي - بعد أن ذكر الحديث بلفظ «استعار» - متفق عليه، وهم، وانظر الكلام على هذا الحديث في «الفتح» ١٢/ ٧٧.

## فصل

فأما موضع قطع السارق، فمن مفصل الكف، ومن مفصل الرجل. فأما اليد اليسرى والرجل اليمنى، فروى عن أحمد: لا تقطع، وهو قول أبي بكر، وعمر، وعلي، وأبي حنيفة، وروى عنه: أنها تقطع، وبه قال مالك، والشافعي. ولا يثبت القطع إلا بإقراره مرتين<sup>(١)</sup>، وبه قال ابن أبي ليلى، وابن شبرمة، وأبو يوسف. وقال أبو حنيفة، ومالك، والشافعي: يثبت بمرة. ويجتمع القطع والغرم موبراً كان أو معسراً. وقال أبو حنيفة: لا يجتمعان، فإن كانت العين باقية أخذها ربها، وإن كانت مستهلكة، فلا ضمان. وقال مالك: يضمنها إن كان موبراً، ولا شيء عليه إن كان معسراً.

قوله تعالى: ﴿تَكَالَى مِنَ اللَّهِ﴾ قد ذكرنا «التكال» في (البقرة).

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ قال سعيد بن جبیر: شديد في انتقامه، حكيم إذ حكم بالقطع. قال الأصمعي: قرأت هذه الآية، وإلى جنبي أعرابي، فقلت: والله غفور رحيم، سهواً، فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ قلت: كلام الله. قال: أعد فاعدت: والله غفور رحيم، فقال: ليس هذا كلام الله، فتنهت، فقلت: والله عزيز حكيم. فقال: أصبت، هذا كلام الله. فقلت له: أقرأ القرآن؟ قال: لا. قلت: فمن أين علمت أنني أخطأت؟ فقال: يا هذا عزّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع.

﴿فَن تَابَ مِنْ بَدِّ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أَلَمْ تَلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُدَبِّ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْرِى لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿فَن تَابَ مِنْ بَدِّ ظُلْمِهِ﴾ سبب نزولها: أن امرأة كانت قد سرت، فقالت: يا رسول الله هل لي من توبة؟ فنزلت هذه الآية. قاله عبد الله بن عمرو<sup>(٢)</sup>. وقال سعيد بن جبیر: فمن تاب من بعد ظلمه، أي: سرقته، وأصلح العمل، فإن الله يتجاوز عنه، إن الله غفور لما كان منه قبل التوبة، رحيم لمن تاب.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَبِالَّذِينَ هَادُوا سَتَمُونَ لِلْكَذِبِ سَتَمُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْكُلُوا الْكُفْرَ مِنْ بَدِّ مَرَاضِيهِمْ يَقُولُونَ إِنَّا أَوتِيتُشْ هَذَا فَخَذُوهُ وَإِن لَمْ تُؤْتُوهُ فَاخْتَدُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِهِمْ فَلَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ مرّ بيهودي وقد حمموه<sup>(٣)</sup> وجلدوه، فقال: أهكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم؟ قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى، هكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم؟ قال: لا، ولكنه كثر في أشرافنا، فكان ترك الشريف، وتقيمه على الوضع، فقلنا: تعالوا نُجَمِّعْ على شيء نقيم على الشريف والوضع، فاجتمعنا على التحميم والجلد. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه» فأمر به فرُجم،

(١) قال الخرمي: ولا يقطع إلا بشهادة عدلين أو اعتراف مرتين. ولم يذكر المصنف رحمه الله الشهادة، لأن كل من حفظ عنه من أهل العلم يوجب القطع بشهادة حرين مسلمين.

(٢) «المسند» ١٨٥/١٠، وابن جرير ٢٩٩/١٠ ولفظه «عن عبد الله بن عمرو أن امرأة سرت على عهد رسول الله ﷺ، فجاء بها الذين سرقتهم، فقالوا: يا رسول الله: إن هذه المرأة سرتنا، قال قومها: فنحن ننديها، يعني أهلها، فقال رسول الله ﷺ: «اطعموها» فقالوا: نحن نغذيها بخمسمة دينار، قال: «اطعموها» قال: فقطعت يدها اليمنى. فقالت المرأة: هل لي من توبة يا رسول الله؟ قال: «نعم أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك» فأنزل الله ﷻ في سورة المائدة ﴿فَن تَابَ مِنْ بَدِّ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ...﴾ إلى آخر الآية. وهو في «مجمع الزوائد» ٦/ ٢٧٦، وقال الهيثمي: رواه أحمد وفيه ابن لهيعة، وحديث حسن وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات. قلت: وفي إسناده أيضاً يحيى بن عبد الله بن شريح المعافري. قال أحمد: أحاديثه متاكر، وقال البخاري: فيه نظر. وقال النسائي: ليس بالقوي. وقال ابن معين: ليس به بأس، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به إذا روى عنه ثقة. ونقله ابن كثير في «التفسير» ٥٧/٢ عن «مسند أحمد»، وقال: وهذه المرأة هي المبخزومية التي سرت، وحديثها ثابت في «الصحيحين» من رواية الزهري عن عروة عن عائشة.

(٣) في «اللسان» وحمم الرجل: سخم وجهه بالحمم، وهو الفحم، وفي حديث الرجم: أنه مرّ بيهودي محمّم مجلود، أي: مسود الوجه.

ونزلت هذه الآية، رواه البراء بن عازب<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها نزلت في ابن سوريا آمن ثم كفر، وهذا المعنى مروى عن أبي هريرة<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها نزلت في يهودي قتل يهودياً، ثم قال: سلوا محمداً فإن كان بُعِثَ بالذِّية، اختصمنا إليه، وإن كان بعث بالقتل، لم نأته، قاله الشعبي<sup>(٣)</sup>. والرابع: أنها نزلت في المنافقين، قاله ابن عباس، ومجاهد. والخامس: أن رجلاً من الأنصار أشارت إليه قريظة يوم حصارهم على ماذا ننزل؟ فأشار إليهم: أنه الذَّبِج، قاله السدي<sup>(٤)</sup>. قال مقاتل: هو أبو لبابة بن عبد المنذر، قالت له قريظة: أنزل على حكم سعد، فأشار بيده: إنه الذَّبِج، وكان حليفاً لهم. قال أبو لبابة: فعلمت أنني قد خُنتُ الله ورسوله، فنزلت هذه الآية. ومعنى الكلام: لا يحزنك مسارعة الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم وهم المنافقون، ومن الذين هادوا وهم اليهود. ﴿سَتَكُونُ لِلْكَذِبِ﴾ قال سيبويه: هو مرفوعٌ بالابتداء. قال أبو الحسن الأخفش: ويجوز أن يكون رَفَعَهُ على معنى: ومن الذين هادوا سماعون للكذب. وفي معناه أربعة أقوال: أحدها: سماعون منك ليكذبوا عليك. والثاني: سماعون للكذب، أي: قائلون له. والثالث: سماعون للكذب الذي بذلوه في توراتهم. والرابع: سماعون للكذب، أي: قائلون له، ومنه: «سمع الله لمن حمده» أي: قبل. وفي قوله: ﴿سَتَكُونُ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَئِنْ يَأْتُوكَ﴾ قولان: أحدهما: يسمعون لأولئك، فهم عيونٌ لهم. والثاني: سماعون من قوم آخرين، وهم رؤساؤهم المبدلون التوراة. وفي السماعين للكذب، وللقوم الآخرين قولان: أحدهما: أن «السماعين للكذب» يهود المدينة، والقوم الآخرون [الذين لم يأتوا رسول الله ﷺ] يهود فذكَ. والثاني: بالعكس من هذا. وفي تحريفهم الكلم خمسة أقوال: أحدها: أنه تغيير حدود الله في التوراة، وذلك أنهم غيروا الرِّجْم، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: تغيير ما يسمعون من النبي ﷺ بالكذب عليه، قاله الحسن. والثالث: إخفاء صفة النبي ﷺ. والرابع: إسقاط القود بعد استحقاقه. والخامس: سوء التأويل. وقال ابن جرير: المعنى يُحَرِّفُونَ حكم الكلم، فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين بذلك.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ بَيْنِ مَوَاقِعِهِ﴾ قال الزجاج: أي: من بعد أن وَضَعَهُ الله مواضعه، فأحلَّ حلاله وحرم حرامه. قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِيئَتُنَا هَذَا فَخْذُهُ﴾ في القائلين لهذا قولان: أحدهما: أنهم اليهود، وذلك أن رجلاً وامرأة من أشrafهم زنيا، فكان حدهما الرِّجْم، فكرهت اليهود رجمهما، فبعثوا إلى النبي ﷺ يسألونه عن قضائه في الزَّانِينِ إذا أَحْصَا، وقالوا: إن أفتاكم بالجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرِّجْم فلا تعملوا به، هذا قول الجمهور. والثاني: أنهم المنافقون. قال قتادة: وذلك أن بني النضير كانوا لا يُعْطُونَ قريظة القود إذا قتلوا منهم، وإنما يعطونهم الدية، فإذا قتلت قريظة من النضير لم يُرْضَوْا إلا بالقود تعزراً عليهم، فقتل بنو النضير رجلاً من قريظة عمداً، فأرادوا رفع ذلك إلى النبي ﷺ، فقال رجل من المنافقين: إن قتلكم قتيلاً عمداً، ومتى ترفعوا ذلك إلى محمد خشيئاً عليكم القود، فإن قُلبَتْ منكم الدِّية فأعطوا، وإلا فكونوا منه على حذر<sup>(٥)</sup>. وفي معنى «فاحذروا» ثلاثة أقوال: أحدها: فاحذروا أن تعملوا بقوله الشديد. والثاني: فاحذروا أن تطلعوه على ما في التوراة فيأخذكم بالعمل به. والثالث: فاحذروا أن تسألوه بعدها. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُدْرِكُ اللَّهَ فَتَنَّتْهُ﴾ في «الفتنة» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى الضلالة، قاله ابن عباس ومجاهد. والثاني: العذاب، قاله الحسن، وقاتدة. والثالث: الفضيحة، ذكره الزجاج. قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَ تَمَلِّكَ لَمْ يَكُ اللَّهُ شَيْئاً﴾ أي: لا تغني عنه، ولا تقدر على استنقاذه. وفي هذا تسلية للنبي ﷺ من حزنه على مسارعتهم في الكفر.

(١) «المسند» ٢٨٦/٤، ومسلم ١٣٢٧/٣، وأبو داود ٢٥١/٤، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس ١٣٠، و«مسنن البيهقي» ٢٤٦/٨. وتامه: فأنزل الله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ لَا يَحْزَنُونَ لَا يَحْزَنُ عَلَيْكُمُ الْكَفَرُ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أُوتِيئْتُمْ هَذَا فَخْذُوهُ﴾ يقول: اتوا محمداً، فإن أكرمكم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرِّجْم فاحذروا، فأنزل الله تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْزَنْكُمْ يَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْزَنْكُمْ يَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. واختار ابن كثير هذا السبب، وقال: هو الصحيح.

(٢) ابن جرير: ٣٠٤/١٠، و«مسنن البيهقي» ٢٤٦/٨، وذكره السيوطي في «الدرر» ٢٨١/٢. وزاد نسبه إلى ابن إسحاق، وابن المنذر. قلت: وفي سننه مجهول.

(٣) ابن جرير ٣٠٢/١٠، وزاد السيوطي نسبه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ.

(٤) ابن جرير ٣٠٢/١٠، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٥) ابن جرير: ٣١٥/١٠ من طريق يزيد بن زريع قال: حدثنا سعيد عن قتادة...

قوله تعالى: ﴿لَرُبِّدُ اللَّهِ أَنْ يَطْلُبَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ قال السدي: يعني المنافقين واليهود، لم يُرَدْ أن يظهر قلوبهم من دس الكفر، ووسخ الشرك بطهارة الإيمان والإسلام.

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أما خزي المنافقين، فبهتك سترهم وإطلاع النبي على كفرهم، وخزي اليهود بفضيحتهم في إظهار كذبهم إذ كتموا الرجم، وبأخذ الجزية منهم. قال مقاتل: وخزي قريظة بقتلهم وسبيهم، وخزي النضير بإجلائهم.

﴿سَتُؤْتُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثُلُونَ لِلْصَّحِّ فَإِنْ جَاءَكُمْ فَاتَّخَذْتُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْتُمْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَعْزُوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاتَّخَذْتُمْ بَيْنَهُمْ أَلْفُسْطًا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْفَاسِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿سَتُؤْتُونَ لِلْكَذِبِ﴾ قال الحسن: يعني حكام اليهود يسمعون الكذب ممن يكذب عندهم في دعواه، ويأتيهم برشوة فيأخذونها. وقال أبو سليمان: هم اليهود يسمعون الكذب، وهو قول بعضهم لبعض: محمد كاذب، وليس بنبي، وليس في التوراة رجم، وهم يعلمون كذبهم.

قوله تعالى: ﴿أَكْثُلُونَ لِلْصَّحِّ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر «الشُّحْتُ» مضمومة الحاء مثقلة. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحزمة «الشُّحْتُ» ساكنة الحاء خفيفة. وروى خارجة بن مصعب عن نافع «أَكْثُلُونَ لِلْصَّحِّ» بفتح السين وجزم الحاء. قال أبو علي: الشُّحْتُ والشُّحْتُ لغتان، وهما اسمان للشيء المسحوت، وليس بالمصدر، فأما من فتح السين، فهو مصدر سحط، فأوقع اسم المصدر على المسحوت، كما أوقع الضرب على المضروب في قولهم: هذا الدرهم ضرب الأمير. وفي المراد بالسحت ثلاثة أقوال: أحدها: الرُّشوة في الحكم. والثاني: الرشوة في الدين، والقولان عن ابن مسعود. والثالث: أنه كل كسب لا يحل، قاله الأخفش.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ جَاءَكُمْ فَاتَّخَذْتُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْتُمْ عَنْهُمْ﴾ فيمن أريد بهذا الكلام قولان: أحدهما: اليهوديان اللذان زنيا، قاله الحسن، ومجاهد، والسدي. والثاني: رجلان من قريظة والنضير قتل أحدهما الآخر، قاله قتادة. وقال ابن زيد: كان حيي بن أخطب قد جعل للنضيريين دينين، والقرظي دية، لأنه كان من النضير، فقالت قريظة: لا نرضى بحكم حيي، ونتحاكم إلى محمد، فقال الله تعالى لنبيه: ﴿فَإِنْ جَاءَكُمْ فَاتَّخَذْتُمْ بَيْنَهُمْ﴾ الآية.

## فصل

اختلف علماء التفسير في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها منسوخة وذلك أن أهل الكتاب كانوا إذا ترافعوا إلى النبي ﷺ كان مخيراً، إن شاء حكم بينهم، وإن شاء أعرض عنهم، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَرْزَلَهُ﴾ فلزمه الحكم، وزال التخيير، وهذا مروي عن ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، والسدي<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها محكمة، وأن الإمام ونوابه في الحكم مخيرون إذا ترافعوا إليهم، إن شاؤوا حكموا بينهم، وإن شاؤوا أعرضوا عنهم، وهذا مروي عن الحسن، والشعبي، والنخعي، والزهري، وبه قال أحمد بن حنبل، وهو الصحيح<sup>(٢)</sup>، لأنه لا تنافي بين الآيتين، لأن إحداهما خيَّرت بين الحكم وتركه. والثانية بينت كيفية الحكم إذا كان<sup>(٣)</sup>.

﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُكَ اللَّهُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّى مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾

(١) قال أبو جعفر النحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١٢٩: وهو الصحيح من قول الشافعي. قال في كتاب «الجزية»: ولا خيار له إذا تحاكموا إليه، لقوله ﷺ: ﴿حَقٌّ يَطْلُبُ الْبِرَّةَ مَنْ يَرَوْكُمْ سَوْرَتَكُمْ﴾ [التوبة: ٢٩] وهذا من أصلح الاحتجاجات، لأنه إذا كان معنى: «وهم صاغرون» أن تجري عليهم أحكام المسلمين، وجب ألا يردوا إلى أحكامهم، فإذا وجب هذا فالآية منسوخة، وهو أيضاً قول الكوفيين: أبي حنيفة، وزفر، وأبي يوسف، ومحمد، لا اختلاف بينهم إذا تحاكم أهل الكتاب إلى الإمام أنه ليس له أن يعرض عنهم، غير أن أبا حنيفة قال: إذا جاءت المرأة والزوج، فعليه أن يحكم بينهما بالعدل، فإن جاءت المرأة وحدها ولم يرض الزوج لم يحكم... وقال الباقون: بل يحكم.

(٢) وقد أتى بهذا القول عطاء بن أبي رباح، ومالك بن أنس. ذكر ذلك النحاس عنهما في «الناسخ والمنسوخ» ١٢٩، والقرطبي في «الأحكام» ١٨٤/٦، وإليه ذهب قتادة كما في «الطبري» ١٠/٣٣٠، وسعيد بن جبير كما ذكره المؤلف عنه في «ناسخ القرآن» الورقة ٨٣. واختاره أبو جعفر الطبري، لعدم التعارض بين الآيتين، ولأنه لم يصح به خبر عن رسول الله ﷺ، ولم يجمع عليه علماء المسلمين.

(٣) ذكر هذا الكلام المؤلف رحمه الله أيضاً في «فواسخ القرآن» الورقة: ٨٤.

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحْكَمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ﴾ قال المفسرون: هذا تعجيب من الله ﷻ لنيبيه من تحكيم اليهود إياه بعد علمهم بما في التوراة من حكم ما تحاكموا إليه فيه، وتقرع لليهود إذ يتحاكمون إلى من يجحدون نبوته، ويتركون حكم التوراة التي يعتقدون صحتها.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: حكم الله بالرجم، وفيه تحاكموا، قاله الحسن. والثاني: حكمه بالقود، وفيه تحاكموا، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: من بعد حكم الله في التوراة. والثاني: من بعد تحكيمك. وفي قوله: ﴿وَمَا أَوْلَيْتُكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ قولان: أحدهما: ليسوا بمؤمنين لتحريفهم التوراة. والثاني: ليسوا بمؤمنين أن حكمك من عند الله لجحدهم نبوتك.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَهْدِيكُمْ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّشِيدُونَ وَالْأَنْبِيَاءُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا الْكَافَرِينَ وَأَخْشَوُوا اللَّهَ وَتَتَّقُوا يَأْتِيَنَّكُمْ قُلُوبُكُمْ وَلَكُمْ آيَاتُ اللَّهِ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ قال المفسرون: سبب نزول هذه الآية: استفتاء اليهود رسول الله ﷺ في أمر الزانيين، وقد سبق. والهدى: البيان. فالتوراة مبينة صحة نبوة محمد ﷺ، ومبينة ما تحاكموا فيه إليه. و«النور»: الضياء الكاشف للشبهات، والموضح للمشكلات. وفي النبيين الذين أسلموا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الأنبياء من لدن موسى إلى عيسى، قاله الأكثرون. فعلى هذا القول في معنى «أسلموا» أربعة أقوال: أحدها: أسلموا لحكم الله، رضوا بقضائه. والثاني: انقادوا لحكم الله، فلم يكتموه كما كتم هؤلاء. والثالث: أسلموا أنفسهم إلى الله ﷻ. والرابع: أسلموا لما في التوراة ودانوا بها، لأنه قد كان فيهم من لم يعمل بكل ما فيها كعيسى عليه السلام. قال ابن الأنباري: وفي «المسلم» قولان: أحدهما: أنه سُمي بذلك لاستسلامه وانقياده لربه. والثاني: لإخلاصه لربه، من قوله: «وَرَجُلًا سَلَامًا لِرَجُلٍ»<sup>(١)</sup> [الزمر: ٢٩] أي: خالصاً له. والثاني: أن المراد بالنبيين محمد ﷺ، قاله الحسن، والسدي. وذلك حين حكم على اليهود بالرجم، وذكره بلفظ الجمع كقوله: «أَرَأَيْتُمْ أَفْعَالَكُمْ عَلَى مَا أَتَلَّهُمْ اللَّهُ مِنْ قَوْلِهِ» [النساء: ٥٤]. وفي الذي حكم به منها قولان: أحدهما: الرجم والقود. والثاني: الحكم بسائرهما ما لم يرد في شرعه ما يخالف. والثالث: النبي محمد ﷺ، ومن قبله من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، قاله عكرمة.

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ قال ابن عباس: تابوا من الكفر. قال الحسن: هم اليهود. قال الزجاج: ويجوز أن يكون في الآية تقديم وتأخير على معنى: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين أسلموا. فاما «الريانيون» فقد سبق ذكرهم في (آل عمران). وأما «الأخبار» فهم العلماء واحدهم خبر وجبر، والجمع أخبار وجبور. وقال الفراء: أكثر ما سمعت العرب تقول في واحد الأخبار: جبر بكسر الحاء. وفي اشتقاق هذا الاسم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه من الخبر وهو الأثر الحسن، قاله الخليل. والثاني: أنه من الجبر الذي يكتب به، قاله الكسائي. والثالث: أنه من الخبر الذي هو الجمال والبهاء. وفي الحديث: «يخرج رجل من النار قد ذهب جبره وسبزه» أي: جماله وبهاؤه. فالعالم بهي بجمال العلم، وهذا قول قطرب. وهل بين الريانيين والأخبار فرق أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: لا فرق، والكل العلماء، هذا قول الأكثرين، منهم ابن قتيبة، والزجاج. وقد روي عن مجاهد أنه قال: الريانيون: الفقهاء العلماء، وهم فوق الأخبار. وقال السدي: الريانيون العلماء، والأخبار القراء. وقال ابن زيد: الريانيون: الولاة، والأخبار: العلماء، وقيل: الريانيون: علماء النصارى، والأخبار: علماء اليهود.

قوله تعالى: ﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: بما استودعوا من كتاب الله وهو التوراة. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: يحكمون بحكم ما استحفظوا. والثاني: العلماء بما استحفظوا. قال ابن جرير: «الباء» في

(١) كنا في الأصل «سالمًا» بالآلف وكسر اللام اسم فاعل. وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، ويعقوب، أي: خالصاً من الشركة، ووافقهم ابن مجيب، واليزيدي، والحسن. وقرأ الباقون: بفتح السين واللام بلا ألف، مصدر وصف به للمبالغة في الخلو من الشركة.

قوله: ﴿بِمَا اسْتَحْضَرُوا﴾ من صلة الأحبار. وفي قوله: ﴿وَكَاَنُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءُ﴾ قولان: أحدهما: وكانوا على ما في التوراة من الرّجْم شهداء، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وكانوا شهداء لمحمد ﷺ بما قال إنه حق. رواه العوفي عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْا أَلَنَّاكُمْ وَأَخْشَوْنَ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وحزمة، وابن عامر، والكسائي «واخشون» بغير ياء في الوصل والوقف. وقرأ أبو عمرو بياء في الوصل، وبغير ياء في الوقف، وكلاهما حسن. وقد أشرنا إلى هذا في (آل عمران). ثم في المخاطبين بهذا قولان: أحدهما: أنهم رؤساء اليهود، قيل لهم: فلا تخشوا الناس في إظهار صفة محمد، والعمل بالرّجْم، واخشوني في كتمان ذلك، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس. قال مقاتل: الخطاب لليهود المدينة، قيل لهم: لا تخشوا يهود خبير أن تخبروهم بالرّجْم، ونعت محمد، واخشوني في كتمانهم. والثاني: أنهم المسلمون، قيل لهم: لا تخشوا الناس، كما خشيت اليهود الناس، فلم يقولوا الحق، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيمَانِكُمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ في المراد بالآيات قولان: أحدهما: أنها صفة محمد ﷺ والقرآن. والثاني: الأحكام والفرائض. والتمن القليل مذكور في (البقرة). فأما قوله: ﴿وَمَنْ لَّئِي يَحْكُمَ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. وقوله تعالى بعدها: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُنَافِقُونَ﴾. فاختلف العلماء فيمن نزلت على خمسة أقوال: أحدها: أنها نزلت في اليهود خاصة، رواه عبيد بن عبد الله عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: أنها نزلت في المسلمين، روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس نحو هذا المعنى. والثالث: أنها عامة في اليهود، وفي هذه الأمة، قاله ابن مسعود، والحسن، والنخعي، والسدي. والرابع: أنها نزلت في اليهود والنصارى، قاله أبو مجلز. والخامس: أن الأولى في المسلمين، والثانية في اليهود، والثالثة في النصارى، قاله الشعبي. وفي المراد بالكفر المذكور في الآية الأولى قولان: أحدهما: أنه الكفر بالله تعالى. والثاني: أنه الكفر بذلك الحكم، وليس بكفر ينقل عن الملة. وفصل الخطاب: أن من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً له، وهو يعلم أن الله أنزله، كما فعلت اليهود، فهو كافر، ومن لم يحكم به ميلاً إلى الهوى من غير جحود، فهو ظالم وفاسق<sup>(١)</sup>. وقد روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو فاسق وظالم<sup>(٢)</sup>.

﴿وَكُتِبَ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذُنَ بِالْأَذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَّئِي يَحْكُمَ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُتِبَ﴾ أي: فرضنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: على اليهود ﴿فِيهَا﴾ أي: في التوراة. قال ابن عباس: وكتبت عليهم فيها أن النفس بالنفس، فما بالهم يخالفون، فيقتلون النفسين بالنفس، ويفقون العينين بالعين؟ وكان على بني إسرائيل القصاص أو العفو، وليس بينهم دية في نفس ولا جرح، فخفف الله عن أمة محمد بالدية. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذُنَ بِالْأَذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾، ينصبون ذلك كله ويرفعون «والجروح» وكان نافع، وعاصم، وحزمة ينصبون ذلك كله، وكان الكسائي يقرأ: «أن النفس بالنفس» نصباً،

(١) وقد ارتضى هذا المذهب أبو جعفر الطبري في «تفسيره» ٣٥٨/١٠، فإنه قال: فكل من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به، فهو باله كافر، كما قال ابن عباس، لأنه بجحوده حكم الله بعد علمه أنه أنزله في كتابه نظير جحوده نبوة نبيه بعد علمه أنه نبي. وفي «القرطبي» ١٩٠/٦: قال ابن مسعود، والحسن: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار، أي: معتقداً ذلك ومستحلاً له، فأما من فعل ذلك وهو معتقد أنه راسب محرم، فهو من فساق المسلمين، وأمره إلى الله تعالى، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له. وقال إسماعيل القاضي في «أحكام القرآن»: ظاهر الآيات يدل على أن من نعل مثل ما فعلوا - يعني اليهود - واخترع حكماً يخالف به حكم الله، وجعله ديناً يعمل به، فقد لزمه مثل ما لزمهم من الوعيد المذكور حاكماً كان أو غيره.

(٢) «الطبري» ٢٥٧/١٠، وعلي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس ﷺ. وروى الحاكم في «المستدرک» ٣١٣/٢ من طريق صفوان بن عيينة، عن هشام بن عجير عن طاووس عن ابن عباس: أنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، إنه ليس كقراءة ينقل عن الملة ﴿وَمَنْ لَّئِي يَحْكُمَ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ كفر دون كفر. ثم قال: هنا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.



ويرفع ما بعد ذلك. قال أبو علي: وحجته أن الواو لعطف الجُمْل، لا للاشتراك في العامل، ويجوز أن يكون حمل الكلام على المعنى، لأن معنى: وكتبنا عليهم: قلنا لهم: النفس بالنفس، فحمل العين على هذا، وهذه حجة من رفع الجروح. ويجوز أن يكون مستأنفاً، لا أنه مما كُتِبَ على القوم، وإنما هو ابتداء إيجاب. قال القاضي أبو يعلى: وقوله: العين بالعين، ليس المراد قلع العين بالعين، لتعذر استيفاء المماثلة، لأننا لا نقف على الحد الذي يجب قلعه، وإنما يجب فيما ذهب ضروؤها وهي قائمة، وصفة ذلك أن تُشَدَّ عين القالع، وتُحْمَى مرآة، فتقدم من العين التي فيها القصاص حتى يذهب ضرووها. وأما الأنف فإذا قطع المارن، وهو ما لأن منه، وتركت قصبته، ففيه القصاص، وأما إذا قطع من أصله، فلا قصاص فيه، لأنه لا يمكن استيفاء القصاص، كما لو قطع يده من نصف الساعد. وقال أبو يوسف، ومحمد: فيه القصاص إذا استوعب. وأما الأذن، فيجب القصاص إذا استوعبت، وعرف المقدار. وليس في عظم قصاص إلا في السن، فإن قلعت قلع مثلها، وإن كُسِرَ بعضها، برد بمقدار ذلك. وقوله: «وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ» يقتضي إيجاب القصاص في سائر الجراحات التي يمكن استيفاء المثل فيها.

قوله تعالى: «فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ» يشير إلى القصاص. «فَهُوَ كِفَارَةٌ لِّرُّ» في هاء «له» قولان: أحدهما: أنها إشارة إلى المجروح، فإذا تصدَّق بالقصاص كفر من ذنوبه، وهو قول ابن مسعود، وعبد الله بن عمرو بن العاص<sup>(١)</sup>، والحسن، والشعبي. والثاني: إشارة إلى الجارح إذا عفا عنه المجروح، كفر عنه ما جنى، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل، وهو محمول على أن الجاني تاب<sup>(٢)</sup> من جنايته، لأنه إذا كان مُصْرّاً فعقوبة الإصرار باقية.

«وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٧﴾»

قوله تعالى: «وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم» أي: وأتبعنا على آثار النبيين الذين أسلموا «بِعِيسَى» فجعلناه يقفو آثارهم «مُصَدِّقًا» أي: بعثناه مُصَدِّقًا «لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» «وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا» ليس هذا تكراراً للأول، لأن الأول لعيسى، والثاني للإنجيل، لأن عيسى كان يدعو إلى التصديق بالتوراة، والإنجيل أنزل وفيه ذكر التصديق بالتوراة.

«وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ فِيهِ وَنَ لَّزَّ يَحْكُمَ بِمَا أُنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٨﴾»

قوله تعالى: «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَهْلُ الْإِنجِيلِ» قرأ الأكثرون بجزم اللام على معنى الأمر، تقديره: وأمرنا أهله أن يحكموا بما أنزل الله فيه. وقرأ الأعمش، وحزمة بكسر اللام، وفتح الميم على معنى «كي»، فكانه قال: وآتيناه الإنجيل لكي يحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه.

«وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَمَلَةٍ بَيْنَكُمْ سِتْرَةٌ وَمِنْهَا بَاطِلٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ ﴿١٩﴾»

قوله تعالى: «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ» يعني القرآن «بِالْحَقِّ» أي: بالصدق «مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ» قال ابن عباس: يريد كل كتاب أنزله الله تعالى. وفي «المهيمن» أربعة أقوال: أحدها: أنه المؤيمن<sup>(٣)</sup> رواه التميمي<sup>(٤)</sup> عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء، والضحاك. وقال المبرد: «مهيمن» في معنى: «مؤيمن» إلا أن الهاء بدل من الهمزة، كما قالوا: أرقت الماء، وهرقت، وإياك وإيتاك. وأرباب هذا القول يقولون: المعنى: أن القرآن

(١) قول عبد الله بن عمرو بن العاص، أخرجه الطبري ٣٦٢/١٠، والبيهقي في «السنن» ٥٤/٨، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ٦٣/٢ من تفسير ابن أبي حاتم من طريق الطيالسي عن شعبة، وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٢٨٨/٢ وزاد نسبه للفرباهي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

(٢) في النسخة الأحمدية «مات» وهو خطأ.

(٣) قوله: «المؤيمن» كذا في الأصول المخطوطة التي بين أيدينا، وفي الطبري وسائر المراجع: «المؤمن».

(٤) هو أربعة ويقال: أريد التميمي الكوفي، روى التفسير عن ابن عباس، وروى عنه أبو إسحاق السبيعي. قال الحافظ في «التقريب»: صدوق.

مؤمن على ما قبله من الكتب، إلا أن ابن أبي نجيج روى عن مجاهد: «ومهيماً عليه»<sup>(١)</sup>. قال: محمد مؤتمن على القرآن. فعلى قوله، في الكلام محذوف، كأنه قال: وجعلناك يا محمد مهيماً عليه، فتكون هاء «عليه» راجعة إلى القرآن. وعلى غير قول مجاهد ترجع إلى الكتب المتقدمة. والثاني: أنه الشاهد، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة، والسدي، ومقاتل. والثالث: أنه المصدق على ما أخبر عن الكتب، وهذا قول ابن زيد، وهو قريب من القول الأول. والرابع: أنه الرقيب الحافظ، قاله الخليل<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: «فَأَحْكَمَ بَيْنَهُمْ» يشير إلى اليهود «يَسَاءَ أَنْزَلَ اللَّهُ» إليك في القرآن «وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَنَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ». قال أبو سليمان: المعنى: فترجع عما جاءك. قال ابن عباس: لا تأخذ بأهوائهم في جلد المحضن. قوله تعالى: «إِنَّا جَعَلْنَا بَيْنَكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا» قال مجاهد: الشريعة: السنة، والمنهاج: الطريق. وقال ابن قتيبة: الشريعة والشريعة واحد، والمنهاج: الطريق الواضح. فإن قيل: كيف نسق «المنهاج» على «الشريعة» وكلاهما بمعنى واحد؟ فعه جوابان: أحدهما: أن بينهما فرقاً من وجهين: أحدهما: أن «الشريعة» ابتداء الطريق، والمنهاج: الطريق المستمر، قاله المبرّد. والثاني: أن «الشريعة» الطريق الذي ربما كان واضحاً، وربما كان غير واضح، والمنهاج: الطريق الذي لا يكون إلا واضحاً، ذكره ابن الأنباري. فلما وقع الاختلاف بين الشريعة والمنهاج، حُسِّنَ نسق أحدهما على الآخر. والثاني: أن الشريعة والمنهاج بمعنى واحد، وإنما نسق أحدهما على الآخر لاختلاف اللفظين. قال الحطّين: **أَلَا حَبِذَا هِنْدُ وَأَرْضُ بِهَا هِنْدُ**

وهند أتى من دونها النأي والبُعد<sup>(٣)</sup>

فنسق البُعد على النأي لما خالفه في اللفظ، وإن كان موافقاً له في المعنى، ذكره ابن الأنباري، وأجاب عنه أرباب القول الأول، فقالوا: «النأي» كل ما قلّ بعده أو كثر كأنه المفارقة، والبعد إنما يُستعمل فيما كثرت مسافة مفارقتها. وللمفسرين في معنى الكلام قولان: أحدهما: لكل ملة جعلنا شريعةً ومنهاجاً، فلاهل التوراة شريعة، ولاهل الإنجيل شريعة، ولاهل القرآن شريعة، هذا قول الأكثرين. قال قتادة: الخطاب للأمم الثلاث: أمة موسى، وعيسى، وأمة محمد، فالتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة يُحِلُّ الله فيها ما يشاء، ويحرم [ما يشاء] بلاء، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، ولكن الدين الواحد الذي لا يُقبل غيره، التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به الرسل. والثاني: أن المعنى: لكل من دخل في دين محمد جعلنا القرآن شريعةً ومنهاجاً، هذا قول مجاهد<sup>(٤)</sup>.

(١) في «تحاف فضلاء البشر» ١٢١: وعن ابن محيصن «ومهيماً» يفتح الميم الثانية «عليه» في موضع رفع على التباية إن كان حالاً من الكتاب، فإن كان حالاً من كاف «إليك» فثابت الفاعل ضمير مستتر يعود إليه ﷺ، والجمهور على كسرهما اسم فاعل.

(٢) قال ابن كثير في «التفسير» ٦٥/٢: وقوله تعالى «وَمُهِيمًا بَيْنَهُمْ» قال ابن عباس: مؤتمناً عليه، وقال: القرآن أمين على كل كتاب قبله، وروى عن عكرمة، وسعيد بن جبيرة، ومجاهد، ومحمد بن كعب، وعطية، وقتادة، وعطاء الخراساني، والسدي، وابن زيد نحو ذلك. وقال ابن جريج: القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل. وعن ابن عباس: أي: حاكماً على ما قبله من الكتب. وهذه الأقوال كلها متضاربة المعنى، فإن اسم «المهيمن» يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمتها وأكملها وأعظمها حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، ولهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها، وتكفل تعالى حفظه بنفسه الكريم، فقال: «إِنَّا نَحْنُ الرَّزَّاقُ الْكَرِيمُ لَا تُخْطِئُونَ» [الحجر: ٩] فأما ما حكاه ابن أبي حاتم عن عكرمة، وسعيد بن جبيرة، وعطاء الخراساني، وابن أبي نجيج عن مجاهد أنهم قالوا في قوله: «ومهيماً عليه» يعني محمداً ﷺ أمين على القرآن، فإنه صحيح في المعنى، ولكن في تفسير هذا بهذا نظراً، وفي تنزيله عليه من حيث العربية أيضاً نظراً. وبالجملة فالصحيح الأول. وقال أبو جعفر ابن جرير بعد حكايته له عن مجاهد: وهذا التأويل بعيد من المنهزم في كلام العرب، بل هو خطأ، وذلك أن «المهيمن» عطف على «المصدق» فلا يكون إلا صلة لما كان المصدق صفة له. قال: ولو كان لأمر كما قال مجاهد، لقال: وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، مهيماً عليه. يعني: من غير عطف.

(٣) «ديوانه» ١٤٠، «والموشح»: ٩١ من قصيدة يمدح بها بني سعد، «واللسان» مادة: «نأي» وفيه قول الحطّين:

وهند أتى من دونها النأي والبعد

إنما أراد المفارقة، ولو أراد البعد لما جمع بينهما.

(٤) قال ابن كثير في «التفسير» ٦٦/٢: ثم هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام، المتفقة في التوحيد، كما ثبت في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات فبيننا واحد» يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله، وضمنه كل كتاب أنزله، كما قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» [آل عمران: ١٥٩] «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» [آل عمران: ١٥٩] «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» [آل عمران: ١٥٩]

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْتُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ فيه قولان: أحدهما: لجمعكم<sup>(١)</sup> على الحق. والثاني: لجعلكم على ملّة واحدة ﴿وَلَكِنْ يَسْتَوِيكُمْ﴾ أي: ليختبركم ﴿فِي مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ من الكتب، ويبيّن لكم من الملل. فإن قيل: إذا كان المعنى بقوله: ﴿إِكْلَ جَمَلًا مِنْكُمْ شِرْعَةً﴾: نبينا محمداً مع سائر الأنبياء قبله، فمن المخاطب بقوله: ﴿يَسْتَوِيكُمْ﴾؟ فالجواب: أنه خطاب لنبينا، والمراد به سائر الأنبياء والأمم. قال ابن جرير: والعرب من شأنها إذا خاطبت غائباً، فأرادت الخبر عنه إن تغلب المخاطب، فتخرج الخبر عنهما على وجه الخطاب.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَوُوا عَلَىٰ خَيْرَ مَا أَتَيْتُمْ﴾ قال ابن عباس، والضحاك: هو خطاب لأمة محمد ﷺ. قال مقاتل: «والخيرات»: الأعمال الصالحة. «إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ» في الآخرة «فَيُنْزِلُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» من الدين. قال ابن جرير: قد بين ذلك في الدنيا بالأدلة والحجج، وغداً يبينه بالمجازاة.

﴿وَأَن أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ بِمَا نَزَّلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَاعْتَزِرْكُمْ عَنْ بَعْضِ مَا نَزَّلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ إِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُبَيِّنَ دِينَكُمْ فِي ذُنُوبِهِمْ وَلَئِنْ كُنْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنَ الْتَائِبِينَ لَفَقِمْوهُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَن أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ بِمَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ سبب نزولها: أن جماعة من اليهود منهم كعب بن أسيد<sup>(٢)</sup>، وعبد الله بن صوريا، وشأس بن قيس، قال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد، لعلنا نفتحه عن دينه، فأتوه، فقالوا: يا محمد، قد عرفت أننا أحياء اليهود وأشرافهم، وأننا إن تبعناك، اتبعك اليهود، وإن بيننا وبين قوم خصومة، فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، ونحن نؤمن بك، فأبى ذلك رسول الله ﷺ، ونزلت هذه الآية، وهذا قول ابن عباس<sup>(٣)</sup>. وذكر مقاتل: أن جماعة من بني النضير قالوا له: هل لك أن تحكم لنا على أصحابنا أهل قريظة في أمر الدماء كما كنا عليه من قبل، ونبايعة؟ فنزلت هذه الآية. قال القاضي أبو يعلى: وليس هذه الآية تكراراً لما تقدّم، وإنما نزلنا في شيئين مختلفين، أحدهما: في شأن الرّجم، والآخر: في التسوية في الديات حتى تحاكموا إليه في الأمرين.

قوله تعالى: ﴿وَاعْتَزِرْكُمْ عَنْ بَعْضِ مَا نَزَّلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ﴾ أي: يصرفكم ﴿عَنْ بَعْضِ مَا نَزَّلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه الرّجم، قاله ابن عباس. والثاني: شأن القصاص والدماء، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ فيه قولان: أحدهما: عن حكمك. والثاني: عن الإيمان، فاعلم أن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يعذبهم ببعض ذنوبهم. وفي ذكر البعض قولان: أحدهما: أنه على حقيقته، وإنما يصيبهم ببعض ما يستحقونه. والثاني: أن المراد به الكل، كما يُذكر لفظ الواحد، ويراد به الجماعة، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١] والمراد: جميع المسلمين. وقال الحسن: أراد ما عجله من إجلاء بني النضير وقتل بني قريظة.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ كُنْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنَ الْتَائِبِينَ﴾ قال المفسرون: أراد اليهود. وفي المراد بالفسق هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: الكفر، قاله ابن عباس. والثاني: الكذب، قاله ابن زيد. والثالث: المعاصي، قاله مقاتل.

﴿أَنكُمْ الْجَاهِلِينَ يُتَوَنَّىٰ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَّ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَنكُمْ الْجَاهِلِينَ يُتَوَنَّىٰ﴾ قرأ الجمهور «يغنون» بالياء، لأن قبله غيبة، وهي قوله: ﴿وَلَئِنْ كُنْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنَ الْتَائِبِينَ﴾. وقرأ ابن عامر «تبغون» بالثاء، على معنى: قل لهم. وسبب نزولها: أن النبي ﷺ لما حكم بالرّجم على اليهوديين تعلق بنو قريظة ببني النضير، وقالوا: يا محمد هؤلاء إخواننا، أبونا واحد، وديننا واحد، إذا قتلوا منا قتيلاً أعطونا سبعين وسقاً<sup>(٤)</sup> من تمر، وإن قتلنا منهم واحداً أخذوا منا أربعين ومائة وسق، وإن قتلنا منهم رجلاً قتلوا به

- أَلَا تَأْتِيهِمْ سَاعَةٌ يَأْتِيهِمُ فِيهَا رُسُلُهُمْ يَقُولُونَ لَهُمْ لَنْزِلُوا إِلَيْكُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُخْبِرُونَ [النحل: ٣٦] وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي، فقد يكون الشيء في الشريعة حراماً، ثم يحل في الشريعة الأخرى وبالعكس، وخفياً، فيزداد في الشدة في هذه دون هذه، وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة الدائمة.

(١) في النسخة الأحمدية: لجمعكم.

(٢) كذا في الأصول المخطوطة «أسيد» بالياء، وفي «سيرة ابن هشام» ٥٦٧/١، والطبري ٣٩٣/١٠، وابن كثير ٦٧/٢، والدر المنثور ٢٩٠/٢ «كعب بن أسيد».

(٣) قلت: في مسنده عند الطبري محمد مولى زيد بن ثابت لم يوثقه غير ابن حبان.

(٤) الوسق يفتح الواو وكسرهما: حمل بعير، أو ستون صاعاً، وهو مكيال لهم.

رجلين، وإن قتلنا امرأة قتلوا بها رجلاً، فاقض بيننا بالعدل، فقال رسول الله ﷺ: «ليس لبني النضير على بني قريظة فضل في عقل ولا دم» فقال بنو النضير: والله لا نرضى بقضائك، ولا نطيع أمرك، ولناخذن بأمرنا الأول، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: ومعنى الآية: أنطلب اليهود حكماً لم يأمر الله به، وهم أهل كتاب الله، كما تفعل الجاهلية<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا﴾ قال ابن عباس. ومن أعدل؟ وفي قوله: ﴿لَقَوْمٌ يُؤْتُونَ﴾ قولان: أحدهما: يؤقنون بالقرآن، قاله ابن عباس. والثاني: يؤقنون بالله، قاله مقاتل. وقال الزجاج: مَنْ أيقن بتبين عدل الله في حكمه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَكَّمْ عَلَيْهِمْ فَأِنَّهُمْ إِيَّاهُمْ يَلْتَمِسُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أبي ثبابة حين قال لبني قريظة إذ رضوا بحكم سعد: إنه الذبح، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول عكرمة<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن عبادة بن الصامت قال: يا رسول الله إن لي موالي من اليهود، وإنني أبرأ إلى الله من ولاية يهود، فقال عبد الله بن أبي: إني رجل أخاف الدوائر، ولا أبرأ إلى الله من ولاية يهود، فنزلت هذه الآية، قاله عطية العوفي<sup>(٤)</sup>. والثالث: أنه لما كانت وقعة أحد خافت طائفة من الناس أن يُدال عليهم الكفار، فقال رجل لصاحبه: أما أنا فالحق بفلان اليهودي، فأخذ منه أماناً، أو أنهز معه، فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(٥)</sup>، ومقاتل. قال الزجاج: لا تتولهم في الدين. وقال غيره: لا تستصروا بهم، ولا تستعينوا، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في العون والنصرة.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّمْ عَلَيْهِمْ فَأِنَّهُمْ إِيَّاهُمْ يَلْتَمِسُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: من يتولهم في الدين، فإنه منهم في الكفر. والثاني: من يتولهم في العهد فإنه منهم في مخالفة الأمر.

﴿فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسُوعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْنُ أَنْ شَهِبْنَا ذَاكِرًا فَحَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَّ الْفَتْحُ أَزْ أَمْرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيُضِلُّهُمُ عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ تَبِيبًا﴾

قوله تعالى: ﴿فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسُوعُونَ فِيهِمْ﴾ قال المفسرون: نزلت في المنافقين، ثم لهم في ذلك قولان: أحدهما: أن اليهود والنصارى كانوا يعمرون<sup>(٦)</sup> المنافقين ويقرضونهم فيؤادونهم، فلما نزلت ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ قال المنافقون: كيف نقطع مودة قوم إن أصابتنا سنة وسعوا علينا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وممن قال: نزلت في المنافقين، ولم يعين: مجاهد، وقتادة. والثاني: أنها نزلت في عبد الله بن أبي، قاله عطية العوفي. وفي المراد بالمرض قولان: أحدهما: أنه الشك، قاله مقاتل. والثاني: النفاق، قاله الزجاج. وفي قوله: «يسارعون فيهم» ثلاثة أقوال: أحدها: يسارعون في مولاتهم ومناصحتهم، قاله مجاهد، وقتادة. والثاني: في رضاهم،

(١) أبو صالح ضعيف لا يحتج به، وقد جاءت آثار عن ابن عباس أن بني النضير وبني قريظة تحاكموا إلى النبي ﷺ، وأن رسول الله ﷺ حملهم على الحق، وجعل الدية بينهم سواء. انظر «مسند أحمد» ١٤٥/٥، و«الطبري» ٣٧٧/١٠، و«ابن كثير» ٦٠/٢، و«الدر المنثور» ٢٨٤/٢.

(٢) روى البخاري ١٨٥/١٢ عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه».

(٣) أبو صالح ضعيف لا يحتج به، وقول عكرمة ذكره ابن جرير في «تفسيره» ٣٩٨/١٠.

(٤) ابن جرير ٣٩٥/١٠، وفيه عطية بن سعد العوفي، وصفه الحافظ في «التقريب» بقوله: صدوق يخطئ كثيراً، وأنه مدلس. وروى الطبري بمعناه أيضاً من طريق ابن إسحاق: حدثني والذي إسحاق بن يسار عن عبادة بن الوليد... وسنده حسن، وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٢٩٠/٢، وزاد نسيبه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» وابن عساکر. وأخرج ابن مردويه من طريق عبادة بن الوليد عن أبيه عن جده عبادة بن الصامت قال: «نزلت هذه الآية حين أتيت رسول الله ﷺ فبرأت إليه من حلف يهود، وظهرت رسول الله ﷺ والمسلمين عليهم».

(٥) «الطبري» ٣٩٧/١٠، وقوله «يدال عليهم الكفار»، الإالة: الغلبة، يقال: أدبل لنا على أعدائنا، أي: نصرنا عليهم. ومنه حديث أبي سفيان، وهرقل: نُدال عليه ويُدال علينا، أي: نغلبه مرة ويغلبنا أخرى.

(٦) أي: يجلبون لهم الطعام.

قاله ابن قتيبة. والثالث: في معاونتهم على المسلمين، قاله الزجاج: وفي المراد «بالدائرة» قولان: أحدهما: الجذب والمجاعة، قاله ابن عباس. قال ابن قتيبة: نخشى أن يدور علينا الدهر بمكرهه، يعنون الجذب، فلا يبايعونا، ولنمتار فيهم فلا يبيعرونا. والثاني: انقلاب الدولة لليهود على المسلمين، قاله مقاتل. وفي المراد بالفتح أربعة أقوال: أحدها: فتح مكة، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: فتح قرى اليهود، قاله الضحاك. والثالث: نصر النبي ﷺ على من خالفه، قاله قتادة، والزجاج. والرابع: الفرج، قاله ابن قتيبة. وفي «الأمر» أربعة أقوال: أحدها: إجلاء بني النضير وأخذ أموالهم، وقتل قريظة، وسبي فراريهم، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثاني: الجزية، قاله السدي. والثالث: الخصب، قاله ابن قتيبة. والرابع: أن يؤمر النبي ﷺ بإظهار أمر المنافقين وقتلهم، قاله الزجاج. وفيما أسروا قولان: أحدهما: موالاتهم. والثاني: قولهم: لعل محمداً لا ينصر.

﴿وَقُولِ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَ الْكِتَابِ أَتَيْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقُولِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قرأ أبو عمرو، بنصب اللام على معنى: وعسى أن يقول. ورفع الباقون، فجعلوا الكلام مستأنفاً. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: يقول، بغير واو، مع رفع اللام، وكذلك في مصاحف أهل مكة والمدينة. قال المفسرون: لما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير، اشتد ذلك على المنافقين، وجعلوا يتأسفون على فراقهم، وجعل المنافق يقول لقريبه المؤمن إذا رآه جاداً في معاداة اليهود: أهذا جزاؤهم منك، طال والله ما أشبعوا بطنك؟ فلما قُتِلَ قريظة، لم يُطَقْ أحدٌ من المنافقين ستر ما في نفسه، فجعلوا يقولون: أربعائة حُصِدُوا في ليلة، فلما رأى المؤمنون ما قد ظهر من المنافقين، قالوا: ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يعنون المنافقين ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَبِآيَاتِهِ﴾ قال ابن عباس: أغلظوا في الأيمان. وقال مقاتل: جهد أيمانهم: القسم بالله. وقال الزجاج: اجتهدوا في المبالغة في اليمين ﴿إِنَّهُمْ لَمُتَكِبُونَ﴾ على عدوكم ﴿حِطَّتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ بنفاقهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَحْزَنُونَ لَوْ مَا لَاحَظَ ذَلِكَ فَضَّلَ اللهُ يَوْمَهُ مِنَ النَّاسِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «يرتد»، بإدغام الدال الأولى في الأخرى، وقرأ نافع، وابن عامر: «يرتدد»، بدالين. قال الزجاج: «يرتدد» هو الأصل، لأن الثاني إذا سُكِّنَ مِنَ المضاعف، ظهر التضعيف. فأما «يرتد» فأدغمت الدال الأولى في الثانية، وحُرِّكَتِ الثانية بالفتح، لالتقاء الساكنين. قال الحسن: علم الله أن قوماً يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم ﷺ، فأخبرهم أنه سيأتي قوم يُحِبُّهُمْ ويحبُّونَهُ. وفي المراد بهؤلاء القوم ستة أقوال: أحدها: أبو بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة، قاله علي بن أبي طالب، والحسن، وقاتادة، والضحاك، وابن جريج. قال أنس بن مالك: كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة، وقالوا: أهل القبلة، فتقلد أبو بكر سيفه، وخرج وحده، فلم يجدوا بداً من الخروج على أثره. والثاني: أبو بكر، وعمر، وزوي عن الحسن، أيضاً. والثالث: أنهم قوم أبي موسى الأشعري، روى عياض الأشعري<sup>(١)</sup> أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «هم قوم هذا» يعني: أبا موسى<sup>(٢)</sup>. والرابع: أنهم أهل اليمن، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والخامس: أنهم الأنصار، قاله السدي. والسادس: المهاجرون والأنصار، ذكره أبو سليمان الدمشقي. قال ابن جرير: وقد أنجز الله ما وَعَدَ فَأَتَى بِقَوْمٍ فِي زَمَنِ عَمْرٍ كَانُوا أَحْسَنَ مَوْقِعاً فِي الْإِسْلَامِ مِمَّنْ أَرْتَدَ.

(١) عياض الأشعري: هو عياض بن عمرو الأشعري. مختلف في صحبته، روى عن النبي ﷺ مرسلاً، وروى عن أبي موسى وامرأة أبي موسى، وروى عنه الشعبي وسماك بن حرب. قال الحافظ: وروايته عن امرأة أبي موسى عند مسلم. مترجم في «التذهيب» ٢٠٢/٨، و«الإصابة» ٥٠/٣، و«التاريخ الكبير» للبخاري ١٩/٤.

(٢) ابن جرير ٤١٥/١٠، و«طبقات ابن سعد» ١٠٧/٤، والحاكم في «المستدرک» ٣١٣/٣، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٦/٧، وقال: رواه الطبراني في «معجمه» صحيح، وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٢٩٢/٢ وزاد نسبه لابن أبي شيبة في «مسنده»، وعبد بن حميد، والحكيم الترمذي، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل».

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى الشُّكِّ﴾ قال علي بن أبي طالب عليه السلام: أهل رِقَّة على أهل دينهم، أهل غِلْظَةٍ على من خالفهم في دينهم. وقال الزجاج: معنى «أذلة»: جانبهم لئِن على المؤمنين، لا أنهم أذلاء. ﴿يَجْتَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ تَوْبَةَ اللَّهِ﴾ لأن المنافقين يراقبون الكفار، ويظاهرونهم، ويخافون لومهم، فأعلم الله ﷻ أن الصحيح الإيمان لا يخاف في الله لومة لائم، ثم أعلم أن ذلك لا يكون إلا بتوقيفه، فقال: ﴿ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ يَكُونُ مَنْ يَشَاءُ﴾ يعني: محبتهم لله، ولين جانبهم للمسلمين، وشدنتهم على الكافرين<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّا وَرَدُّنَا اللَّهُ رَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ السُّلُوكَ وَيَتَّقُونَ الزُّكُورَ وَهُمْ ذَكُورٌ ۝ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِرْبَ اللَّهِ هُوَ الْقَتِيلُ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَرَدُّنَا اللَّهُ رَسُولَهُ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أن عبد الله بن سلام وأصحابه جاؤا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: إن قوماً قد أظهروا لنا العداوة، ولا نستطيع أن نجالس أصحابك لبعد المنازل، فنزلت هذه الآية، فقالوا: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين، وأذن بلال بالصلاة، فخرج رسول الله ﷺ فإذا مسكين يسأل الناس، فقال رسول الله ﷺ: «هل أعطاك أحد شيئاً؟» قال: نعم. قال: «ماذا؟» قال: خاتم فضة. قال: «من أعطاك؟» قال: ذاك القائم، فإذا هو علي بن أبي طالب، أعطانيه وهو راکع، فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وبه قال مقاتل. وقال مجاهد: نزلت في علي بن أبي طالب، تصدق وهو راکع. والثاني: أن عبادة بن الصامت لما تبرأ من حلفائه اليهود نزلت هذه الآية في حقه، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنها نزلت في أبي بكر الصديق، قاله عكرمة. والرابع: أنها نزلت فيمن مضى من المسلمين ومن بقي منهم، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَّقُونَ الزُّكُورَ وَهُمْ ذَكُورٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم فعلوا ذلك في ركوعهم، وهو تصدق علي عليه السلام بخاتمه في ركوعه<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن من شأنهم إيتاء الزكاة وفعل الركوع. وفي المراد بالركوع ثلاثة أقوال: أحدها: أنه نفس الركوع على ما روى أبو صالح عن ابن عباس. وقيل: إن الآية نزلت وهم في الركوع. والثاني: أنه صلاة التطوع بالليل والنهار، وإنما أفرد الركوع بالذكر تشريفاً له، وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنه الخضوع والخشوع، وأنشدوا: لا تُذِلُّ الْفَقِيرَ عِلَّكَ أَنْ تَرُ كَعَّ يَوْمًا وَالْمُدَّهْرَ قَدْ رَعَّعَ<sup>(٤)</sup>

ذكره الماوردي. فأما «حزب الله» فقال الحسن: هم جند الله. وقال أبو عبيدة: أنصار الله<sup>(٥)</sup>. ثم فيهم قولان:

(١) قال ابن كثير في «التفسير» ٧٠/٢: وقوله ﷻ: ﴿يَجْتَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ تَوْبَةَ اللَّهِ﴾ أي: لا يرددهم عما هم فيه من طاعة الله، وإقامة الحدود، وقنال أعداءه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لا يرددهم عن ذلك راد، ولا يصددهم عنه صاد، ولا يحيك فيهم لوم لائم، ولا عذل عاذل. وروى الإمام أحمد عن أبي ذر قال: «أمرني خليلي ﷺ بـسبع: أمرني بحب المساكين والفقير منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقني، وأمرني أن أصل الرحم وإن أهرت، وأمرني ألا أسأل أحداً شيئاً، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرأ، وأمرني ألا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أكثر من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله» فإنهم من كنز تحت العرش». قلت: أخرجه أحمد في «المسنند» ١٥٩/٥ وسنده حسن، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٢٦٥/٧، ونسبه للطبراني في «الصغير» والكبير، وقال: يروجه رجال الصحيح غير سلام أبي المنذر وهو ثقة، ورواه البزار.

(٢) رواه ابن مردويه من طريق محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. قلت: محمد بن السائب متروك، نقل الذهبي في «ميزان الاعتدال» عن البخاري أن يحيى وابن مهدي تركاه، وروى عنه عن سفيان قال: قال لي الكلبي: كل ما حدثك عن أبي صالح فهو كذب، وأبو صالح ضعيف، وخاصة فيما يروي عنه الكلبي. ولذلك قال ابن كثير رحمه الله: هذا إسناد لا يفرح به، ثم قال ابن كثير: ورواه ابن مردويه من حديث علي بن أبي طالب عليه السلام نفسه، وعمار بن ياسر، وأبي رافع، وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدنا، وجهالة رجالها.

(٣) قال ابن كثير في «التفسير» ٧١/٢: وقد تورع بعض الناس أن هذه الجملة - أي جملة: وهم راکعون - في موضع الحال من قوله: ﴿وَيَتَّقُونَ الزُّكُورَ﴾ أي: في حال ركوعهم، ولو كان هذا كذلك، لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره، لأنه ممدوح، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى. ثم ساق الآثار الرواية في ذلك، وأبان عن عوارها.

(٤) قاله الأصبهني بن قُريظ بن عوف بن كعب السعدي التميمي، شاعر جاهلي قديم، أمام قومه إليه، فانطلق عنهم إلى آخرين فعملوا كالأولين، فقال: بكل واد بنو سعد. يعني: قومه. والبيت في «البيان والبيان» ٣/٣٤١، و«الشعر والشعراء» ١/٣٤٣، و«الأمالي» ١/١٠٧، و«حسانة ابن الشجري» ١٣٧، و«الحامسة البصرية» ١٣٤، و«زهر الآداب» ١/٥١٧، و«الأغاني» ١٨/٦٨، و«شواهد العيني» ٤/٣٣٤، و«شواهد السيوطي» ١٥٥. وقوله: لا تذلل. روي: لا تُعَاد، وروي: لا تحقرن. وروي: لا تُهَيَّن، والأصل: لا تهينن الفقير حذفت التثنية الخفية لالتقاء الساكنين، وبقيت الفتحة.

(٥) وأنشد أبو عبيدة في ذلك قول رؤبة:

فَكَيْفَ أَضْمَى وَيَلَالُ حَنْزَلِي

أحدهما: أنهم المهاجرون والأنصار، قاله ابن عباس. والثاني: الأنصار، ذكره أبو سليمان.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَثِيرُ أُولَئِكَ اتَّعَتُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا هُزُؤًا وَلَعِبًا﴾ سبب نزولها: أن رفاعه بن زيد بن التابوت، وسويد بن الحارث كانا قد أظهرتا الإسلام، ثم نافقا، وكان رجال من المسلمين يواؤونهما، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. فأما اتخاذهم الذين هُزُوا ولعباً، فهو إظهارهم الإسلام، وإخفاؤهم الكفر، وتلاعبهم بالدين. والذين أوتوا الكتاب: اليهود والنصارى، والكفار: عبدة الأوثان. قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحزمة: «الكفار» بالنصب على معنى: لا تتخذوا الكفار أولياء. وقرأ أبو عمرو، والكسائي: و«الكفار» خفصاً، لقرب الكلام من العامل الجار<sup>(٢)</sup>، وأمال أبو عمرو الألف. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تولوهم.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن منادي رسول الله ﷺ كان إذا نادى إلى الصلاة، وقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قاموا لا قاموا، صلوا لا صلوا، على سبيل الاستهزاء والضحك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن الكفار لما سمعوا الأذان حسدوا رسول الله ﷺ والمسلمين على ذلك، وقالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئاً لم نسمع به فيما مضى من الأمم الخالية، فإن كنت تدعي النبوة، فقد خالفت في هذا الأذان الأنبياء قبلك، فما أقبح هذا الصوت، وأسمج هذا الأمر، فنزلت هذه الآية، ذكره بعض المفسرين. وقال السُّدِّي: كان رجل من النصارى بالمدينة إذ سمع المنادي ينادي: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: حُوق الكاذب، فدخلت خادمه ذات ليلة بناه وهو نائم، وأهله نيام، فسقطت شرارة فأحرقت البيت، فاحترق هو وأهله. والمناداة: هي الأذان، واتخاذهم إياها هُزُؤاً: تضحكهم وتغامزهم ﴿ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما لهم في إجابة الصلاة، وما عليهم في استهزائهم بها.

﴿قُلْ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَٰؤُلَاءِ إِن هُمُ الْفٰسِقُونَ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَٰؤُلَاءِ﴾ سبب نزولها: أن نفرأ من اليهود أوتوا رسول الله ﷺ، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فذكر جميع الأنبياء، فلما ذكر عيسى، جحدوا نبوته، وقالوا: والله ما تعلم ديناً شراً من دينكم، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، قاله ابن عباس. وقرأ الحسن، والأعمش: «تَتَّبِعُونَ» بفتح القاف. قال الزجاج: يقال: تَتَّبَعْتُ عَلَى الرَّجُلِ أَتَوَيْتُمْ، وَتَتَّبَعْتُ عَلَيْهِ أَنْقَمْتُ، والأول أجود. ومعنى «نقمت»: بالغت في كراهة الشيء، والمعنى: هل تكرهون منا إلا إيماننا، وفسقكم، لأنكم علمتم أننا على حق، وأنكم فسقتم.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَٰلِكَ مُتَوَبِّعًا عِندَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاطِينِ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَٰلِكَ﴾ قال المفسرون: سبب نزولها قول اليهود للمؤمنين: والله ما علمنا أهل دين أقل خطأً منكم في الدنيا والآخرة، ولا ديناً شراً من دينكم. وفي قوله: ﴿بَشِّرْهُم بِشَرٍّ مِّنْ ذَٰلِكَ﴾ قولان: أحدهما: بشرهم بالمؤمنين، قاله ابن عباس. والثاني: بشرهم بما نقمتهم من إيماننا، قاله الزجاج. فأما «المثوبة» فهي الثواب. قال الزجاج: وموضع «شَرٍّ» في قوله: «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ» إن شئت كان رفعاً، وإن شئت كان خفصاً، فمن خفص جعله بدلاً من «شَرٍّ» فيكون المعنى: أنبئكم بمن لعنه الله؟ ومن رفع فبإضمار «هو» كأن قائلأ قال: مَنْ ذَٰلِكَ؟ فقيل: هو من لعنه الله. قال أبو صالح عن ابن عباس: من لعنه الله بالجزية، وغضب عليه بعبادة العجل، فهم شر مثوبة عند الله. وروي عن ابن

- وهو في «ديوانه» ١٦ من أرجوزة يمدح بها بلال بن أبي بردة، وأضوى: أضعف وأرق.

(١) ابن جرير الطبري: ٤٢٩/١٠ ورجاله ثقات، خلا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت فلم يوثقه غير ابن حبان.

(٢) وتقدير الآية على هذه القراءة: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هُزُؤًا ولعباً من الذين أوتوا الكتاب ومن قبلكم ومن الكفار أولياء.

(٣) عزاء السيوطي في «الدر المنثور» ٢٩٤/٢ لليهقي في «دلائل النبوة» من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

عباس أن المسخّن من أصحاب السبت: مسخ شبابهم قردة، ومشايخهم خنازير. وقال غيره: القردة: أصحاب السبت، والخنازير: كفار مائدة عيسى. وكان ابن قتيبة يقول: أنا أظن أن هذه القردة والخنازير هي المسوخ بأعيانها توالدت. قال: واستدللت بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ فدخل الألف واللام يدل على المعرفة، وعلى أنها القردة التي تعين، ولو كان أراد شيئاً انقراض ومضى، لقال: وجعل منهم قردة وخنازير، إلا أن يصح حديث أم حبيبة في «المسوخ» فيكون كما قال عليه السلام. قلت أنا: وحديث أم حبيبة في «الصحيح» انفراد بإخراجه مسلم، وهو أن رجلاً سأل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، القردة والخنازير هي ممّا مُسِخ؟ فقال النبي ﷺ: «[إن الله] لم يمسخ قوماً أو يهلك قوماً، فيجعل لهم نسلًا ولا عاقبة، وإن القردة والخنازير قد كانت قبل ذلك»<sup>(١)</sup> وقد ذكرنا في سورة (البقرة) عن ابن عباس زيادة بيان ذلك، فلا يلتفت إلى ظن ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتُ﴾ فيها عشرون قراءة. قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع، والكسائي: «وعبد» بفتح العين والباء والدال، ونصب تاء «الطاغوت». وفيها وجهان. أحدهما: أن المعنى: وجعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت. والثاني: أن المعنى: من لعنه الله وعبد الطاغوت. وقرأ حمزة: «وَعَبَدَ الطَّاغُوتُ» بفتح العين والدال، وضم الباء، وخفض تاء الطاغوت. قال ثعلب: ليس لها وجه إلا أن يجمع فَعَلَ على فَعْل. وقال الزجاج: وجهها أن الاسم بني على «فَعْل» كما تقول: عَلِمَ زيد، ورجل حَذَرَ، أي: مبالغ في الحذر. فالمعنى: جعل منهم خَدَمَ الطاغوت ومن بلغ في طاعة الطاغوت الغاية<sup>(٢)</sup>. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، «وَعَبَدُوا» بفتح العين والباء، ورفع الدال على الجمع «الطاغوت». بالنصب. وقرأ ابن عباس، وابن أبي عبيدة: «وَعَبَدَ» بفتح العين والباء والدال، إلا أنهم كسروا تاء «الطاغوت». قال الفراء: أرادوا «عبدة» فحذفوا الهاء<sup>(٣)</sup>. وقرأ أنس بن مالك: «وَعَبِدَ» بفتح العين والدال وبياء بعد الباء وخفض تاء «الطاغوت». وقرأ أيوب، والأعمش: «وَعَبَدَ»، برفع العين ونصب الباء والدال مع تشديد الباء، وكسر تاء «الطاغوت». وقرأ أبو هريرة، وأبو رجاء، وابن السميع: «وعابد» باللف، مكسورة الباء، مفتوحة الدال، مع كسر تاء «الطاغوت». وقرأ أبو العالية، ويحيى بن وثاب: «وَعَبَدَ» برفع العين والباء وفتح الدال، مع كسر تاء الطاغوت. قال الزجاج: هو جمع عبيد، وَعَبَدَ مثل رَغِيف، ورَغِف، وسَرِير، وسُرُر، والمعنى: وجعل منهم عبيد الطاغوت. وقرأ أبو عمران الجوني، ومورق العجلي، والنخعي: «وَعَبِدَ» برفع العين وكسر الباء مخففة، وفتح الدال مع ضم تاء «الطاغوت». وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعكرمة: «وَعَبِدَ» بفتح العين والدال، وتشديد الباء مع نصب تاء الطاغوت. وقرأ الحسن، وأبو مجلز، وأبو نهيك: «وَعَبَدَ» بفتح العين والدال، وسكون الباء خفيفة مع كسر تاء الطاغوت. وقرأ قتادة، وهذيل بن شرحبيل: «وَعَبَدَ» بفتح العين والباء والدال وتاء في اللفظ منصوبة بعد الدال «الطاغوت» باللف وواو وياء بعد الغين على الجمع. وقرأ الضحاك، وعمرو بن دينار: «وَعَبِدَ» برفع العين وفتح الباء والدال مع تخفيف الباء، وكسر تاء «الطاغوت». وقرأ سعيد بن جبير، والشعبي: «وَعَبَدَ» مثل حمزة، إلا أنهما رفعوا تاء «الطاغوت». وقرأ يحيى بن يعمر، والجحدري: «وَعَبَدَ» بفتح العين ورفع الباء والدال مع كسر تاء «الطاغوت». وقرأ أبو الأشهب الطاردي: «وَعَبِدَ» برفع العين وتسكين الباء، ونصب الدال، مع كسر تاء

(١) مسلم: ٢٠٥١/٤، ورواه الإمام أحمد في «المسند» ٢٦٠/٥.

(٢) في «معاني القرآن» للفراء ٢١٤/١: وأما قوله: «وَعَبَدَ الطَّاغُوتُ» فإن تكن فيه لغة مثل: حَذَرَ وعَجَل فهو وجه، وإلا فإنه أراد - والله أعلم - قول الشاعر:

أَبْنِي تُبَيْيَسِي إِنْ أَمَحَّمْ      أُمَّةً وَإِنْ أَبَاكُم عُبُدْ

وهذا في الشعر يجوز لضرورة القوافي، فأما في القراءة فلا. قلت: والبيت لأوس بن حجر، وهو في «ديوانه» ٢١، «والصالح»، «واللسان» و«التاج»: عبد. قلت: ورواه ابن سيده في «المختص» ٩٥/٣: «وإن أباكم وغب».

(٣) «معاني القرآن» ٣١٤/١، وفي الطبري ٤٤١/١٠: ولو قرئ ذلك «وَعَبَدَ الطَّاغُوتُ» بالكسر كان له مخرج في العربية صحيح، وإن لم أستجز اليوم القراءة بها، إذ كانت قراءة الحجة من القراءة بخلافها. ووجه جوازها في العربية أن يكون مراداً بها: عبدة الطاغوت، ثم حذفت الهاء للإضافة كما قال الراجز: قام ولاها فسقوه صرعداً، يريد: قام ولاتها، فحذف التاء من «ولاتها» للإضافة. قلت: وصرعد: موضع بالشام، من عمل حوران، تنسب إليه الخمر الجيدة.



«الطاغوت». وقرأ أبو السَّمَاك: «وَعَبْدُهُ» بفتح العين والباء والدال وتاء في اللفظ بعد الدال مرفوعة مع كسر تاء «الطاغوت». وقرأ معاذ القارئ: «وعابد» مثل قراءة أبي هريرة إلا أنه ضم الدال. وقرأ أبو حيو: «وَعَبَادَ» بتشديد الباء ويألف بعدها مع رفع العين، وفتح الدال. وقرأ ابن حَزَلَم، وعمرو بن فائد: «وَعَبَادَ» مثل أبي حيو إلا أن العين مفتوحة والدال مضمومة. وقد سبق ذكر «الطاغوت» في سورة (البقرة). وفي المراد به هاهنا قولان: أحدهما: الأصنام. والثاني: الشيطان.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ شِرْكُنَا﴾ أي: هؤلاء الذين وصفناهم شر مكاناً من المؤمنين، ولا شر في مكان المؤمنين، ولكن الكلام مبني على كلام الخصم، حين قالوا للمؤمنين: لا نعرف شراً منكم، ف قيل: من كان بهذه الصفة، فهو شرٌ منهم.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَمِمَّا قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ (١١)

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ قال قتادة: هؤلاء ناسٌ من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ فيخبرونه أنهم مؤمنون بما جاء به، وهم متمسكون بضلاتهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ﴾ أي: دخلوا كافرين، وخرجوا كافرين، فالكفر معهم في حالتهم، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ من الكفر والنفاق.

﴿وَرَأَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَكَّفُونَ فِي الْآثَرِ وَالْعُدُونِ وَأَكْثِلَهُمُ الشُّعْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَمْلِكُونَ﴾ (١٢)

قوله تعالى: ﴿وَرَأَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ يعني: اليهود «يُسَكَّرُونَ»، أي: يبادرون «في الآثر» وفيه قولان: أحدهما: أنه المعاصي، قاله ابن عباس: والثاني: الكفر، قاله السدي. فأما العدوان فهو الظلم. وفي «السحت» ثلاثة أقوال: أحدها: الرشوة في الحكم. والثاني: الرشوة في الدين. والثالث: الربا.

﴿لَوْلَا يَتَّبِعُهُمُ الْزَيْبُوتُ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِيمَةَ وَأَكْثِلَهُمُ الشُّعْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١٣)

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَتَّبِعُهُمُ الْزَيْبُوتُ وَالْأَحْبَارُ﴾ «لولا» بمعنى: «هلاً» و«الزبانيون» مذكورون في (آل عمران)، و«الأحبار» قد تقدم ذكرهم في هذه السورة. وهذه الآية من أشد الآيات على تاركي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لأن الله تعالى جمع بين فاعل المنكر وتارك الإنكار في الهم. قال ابن عباس: ما في القرآن آية أشد توبيخاً من هذه الآية.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُمُوهُمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُبْقِي كَيْفَ يَشَاءُ وَلَئِذَا بَرَأْتُمُ النَّاسَ يَوْمَ يَخْلَقُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ كَمَا هُنَّ أَوَّلَ نَسْفَةٍ أَتَرَاهُنَّ عَائِلًا قَالُوا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَارَوْا بِالْحِمْيَرِ وَلَهُمْ قِسْطٌ غَلِيظٌ قَالُوا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَارَوْا بِالْحِمْيَرِ وَلَهُمْ قِسْطٌ غَلِيظٌ﴾ (١٤)

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: نزلت في فنحاص اليهودي وأصحابه، قالوا: يد الله مغلولة. وقال مقاتل: فنحاص وابن صلوبا<sup>(١)</sup>، وعازر بن أبي عازر. وفي سبب قولهم هذا ثلاثة أقوال: أحدها: أن الله تعالى كان قد بسط لهم الرزق، فلما عصوا الله تعالى في أمر محمد ﷺ وكفروا به كُفَّت عنهم بعض ما كان بسط لهم، فقالوا: يد الله مغلولة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والثاني: أن الله تعالى استقرض منهم كما استقرض من هذه الأمة، فقالوا: إن الله بخيل، ويده مغلولة فهو يستقرضنا، قاله قتادة. والثالث: أن النصراني لما أعانوا بختنصر المجوسي على تخريب بيت المقدس، قالت اليهود: لو كان الله صحيحاً، لمنتعنا منه، فيده مغلولة، ذكره قتادة أيضاً. والمغلولة: الممسكة المنقبضة. وعن ماذا عَنُوا أنها ممسكة، فيه قولان: أحدهما: عن العطاء، قاله ابن عباس، وفتادة، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: ممسكة عن عذابنا، فلا يعذبنا إلا تحلة القسم بقدر عبادتنا العجل، قاله الحسن. وفي قوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: غلَّت في جهنم، قاله الحسن. والثاني: أمسكت

عن الخير، قاله مقاتل. والثالث: جُعلوا بُخلاء، فهم أبخل قوم، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: وهذا خبر أخبر الله تعالى به الخلق أن هذا قد نزل بهم، وموضعه نصب على معنى الحال. تقديره: قالت اليهود هذا في حال حكم الله بغل أيديهم، ولعنته إياهم، ويجوز أن يكون المعنى: فغلت أيديهم، ويجوز أن يكون دعاء، معناه: تعليم الله لنا كيف ندعو عليهم، كقوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [اللب: ١] وقوله: ﴿لَتَنَحَّلَنَّ مِنَ التَّسِدِّ الْحَرَامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَائِيَتُكَ﴾ [الفتح: ٢٧]. وفي قوله: ﴿وَلِيُتْرِكُوا يَمَانًا قَالُوا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أبعادوا من رحمة الله. والثاني: عذبوا في الدنيا بالجزية، وفي الآخرة بالنار. والثالث: مُسَخَّرُوا قردة وخنازير. وروى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «من لمن شيئاً لم يكن للبعثه أهلاً رجعت اللعنة على اليهود بلعنة الله إياهم». قال الزجاج: وقد ذهب قومٌ إلى أن معنى «يد الله»: نعمته، وهذا خطأ ينقضه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ فَسَيَكُونُوا سَبْحًا﴾ [البقرة: ١٧٥] فيكون المعنى على قولهم: نعمته، ونعم الله أكثر من أن تحصي. والمراد بقوله: بل «يُكَاهَ مَبْسُوكَيْنِ»: أنه جواد يتفق كيف يشاء<sup>(١)</sup> وإلى نحو هذا ذهب ابن الأنباري. قال ابن عباس: إن شاء وسَّع في الرزق، وإن شاء قَتَّر.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْرِكُ كَيْدَ رَبِّهِمْ مَا أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طَافَيْنَا وَكَفَرْنَا﴾ قال الزجاج: كلما أنزل عليك شيء كفروا به، فيزيد كفرهم. والطغيان: هاهنا: الغلو في الكفر. وقال مقاتل: وليزيدن بني النضير ما أنزل إليك من ريك من أمر الرجم والذماء طغياناً وكفراً.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْغَيْبِ وَالْمُتَعَذِّاتِ﴾ فيمن عني بهذا قولان: أحدهما: اليهود والنصارى، قاله ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل. فإن قيل: فأين ذكر النصارى؟ فالجواب: أنه قد تقدم في قوله: ﴿لَا تَتَّبِعُوا الْيَهُودَ وَالْمَسِيحَ أَزْوَاجًا﴾. والثاني: أنهم اليهود، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا أَقْدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ لَمُلَاقًا اللَّهُ﴾ ذكر لإيقاد النار مَثَلٌ ضَرْبٌ لاجتهادهم في المحاربة، وقيل: إن الأصل في استعارة اسم النار للحرب أن القبيلة من العرب كانت إذا أرادت حرب أخرى أوقدت النار على رؤوس الجبال، والمواضع المرتفعة، ليعلم استعدادهم للحرب، فيتأهب من يريد إعانتهم. وقيل: كانوا إذا تحالفوا على الجُدِّ في حربهم، أوقدوا ناراً، وتحالفوا. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: كلما جمعوا لحرب النبي ﷺ فزعمهم الله. والثاني: كلما مكروا مكرأ رده الله.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: بالمعاصي، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: بمحو ذكر النبي ﷺ من كتبهم، ودفع الإسلام، قاله الزجاج. والثالث: بالكفر. والرابع: بالظلم، ذكرهما الماوردي.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ وَلَكَلَّهِنَّ جَنَّةُ النَّعِيمِ﴾ [١٥]

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يعني: اليهود والنصارى ﴿آمَنُوا﴾ بالله وبرسله ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ﴾ التي سلفت.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِالْتَّوْحِيدِ وَالْإِسْلَامِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْفَرُوا مِنْ تَوْحِيدِهِ وَفِي غَيْبِ أَنْبِيَائِهِمْ إِنَّهُمْ لَمُنْكَرُونَ وَلَكِنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ [١٦]

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِالْتَّوْحِيدِ وَالْإِسْلَامِ﴾ قال ابن عباس: عملوا بما فيها. وفيما أنزل إليهم من ربهم قولان: أحدهما: كتب أنبياء بني إسرائيل. والثاني: القرآن، لأنهم لما خطبوا به، كان نازلاً إليهم.

قوله تعالى: ﴿لَأَكْفَرُوا مِنْ تَوْحِيدِهِ وَفِي غَيْبِ أَنْبِيَائِهِمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: لأكلوا بقطر السماء، ونبات الأرض، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقاتل. والثاني: أن المعنى: لو سَّع عليهم، كما يقال: فلان في خير من قرنه إلى

(١) روى البخاري ٢٦٥/٨، ٣٤٧/١٣، ومسلم ٦٩١/٢ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن يمين الله ملأى لا يغيثها نفقة، سحاه الليل والنهار، أرايتكم ما أتفق منذ خلق السموات والأرض؟ لأنه لم يغيث ما في يمينه». قال: وعرشه على الماء وفي يده الأخرى القبض يرفع ويخفض. وقال: يقول الله تعالى: اتَّقُوا أَنفُسَكُمْ عَلَيْكُمْ. وقوله: سحاه، يفتح السين وتشديد الحاء، أي: دائم الصب والهطل بالمطاء. وقوله: لا يغيثها، أي: لا ينقصها. والليل والنهار: منصوبان على الظرف.

قدمه، ذكره الفراء، والزجاج. وقد أعلم الله تعالى بهذا أن التقوى سبب في توسعة الرزق كما قال: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] وقال: ﴿وَرَزَقْنَاهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣].

قوله تعالى: ﴿يَنفُثُ أُنثَىٰ مُّتَعِدَّةٌ﴾ يعني: من أهل الكتاب، وهم الذين أسلموا منهم، قاله ابن عباس، ومجاهد. وقال القرطبي: هم الذين قالوا: المسيح عبد الله ورسوله. و«الاقتصاد» الاعتدال في القول والعمل من غير غلو ولا تقصير.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَفْعَلُ بِكَ مَا يَهْدَى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٧)

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت على أسباب، روى الحسن أن النبي ﷺ قال: «لما بعثني الله برسالته، ضقت بها ذرعاً، وعرفت أن من الناس من يكذبني»، وكان رسول الله ﷺ، بهاب قريشاً واليهود والنصارى، فأنزل الله هذه الآية<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: لما نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال: «يا رب كيف أصنع؟ إنا أنا وحدي يجتمع علي الناس»، فأنزل الله ﴿وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَفْعَلُ بِكَ مَا يَهْدَى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾. وقال ابن عباس: كان مقاتل: لما دعا اليهود، وأكثر عليهم جعلوا يستهزؤون به، فسكت عنهم، فحُرض بهذه الآية. وقال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يحرس فيرسل معه أبو طالب كل يوم رجلاً من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت عليه الآية، فقال: «يا حمّاه إن الله قد عصمني من الجن والإنس»<sup>(٢)</sup>. وقال أبو هريرة: نزل رسول الله ﷺ ذات يوم تحت شجرة وعلق سيفه فيها، فجاء رجل فأخذه، فقال: يا محمد من يمنعني منك؟ فقال: «الله»، فنزل قوله: ﴿وَاللَّهُ يَفْعَلُ بِكَ مَا يَهْدَى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. قالت عائشة: سهر رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقلت: ما شأنك؟ قال: «ألا رجل صالح يحرسني الليلة»، فبينما نحن في ذلك إذ سمعت صوت السلاح، فقال: «من هذا؟ فقال: سعد وحذيفة جئنا نحرسك، فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطة، فنزلت ﴿وَاللَّهُ يَفْعَلُ بِكَ مَا يَهْدَى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من قبة آدم وقال: «انصرفوا أيها الناس، فقد عصمني الله تعالى»<sup>(٤)</sup>. قال الزجاج: قوله: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ معناه: بلغ جميع ما أنزل إليك، ولا تراقب أحداً، ولا تترك شيئاً منه مخافة أن ينالك مكروه، فإن تركت منه شيئاً، فما بلغت<sup>(٥)</sup>. قال ابن قتيبة: يدل على هذا المحذوف قوله: ﴿وَاللَّهُ يَفْعَلُ بِكَ مَا يَهْدَى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ وقال ابن عباس: إن كتبت آية فما بلغت رسالتي. وقال غيره: المعنى: بلغ جميع ما أنزل إليك جهراً، فإن أخفيت شيئاً منه لخوف أذى يلحقك، فكانك ما بلغت شيئاً. وقرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «رسالته» على التوحيد. وقرأ نافع «رسالاته» على الجمع.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَفْعَلُ بِكَ مَا يَهْدَى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يمنعك منهم. وعصمة الله: منعه للعبد من المعاصي، ويقال: طعام لا يعصم، أي: لا يمنع من الجوع. فإن قيل: فأين ضمان العصمة وقد شُجَّ جبينه، وكسرت رباعيته، ويبلغ في أذاه؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه عصمه من القتل والأسر وتلف الجملة، فأما عوارض الأذى، فلا تمنع عصمة الجملة. والثاني: أن هذه الآية نزلت بعدما جرى عليه ذلك، لأن «المائدة» من أواخر ما نزل.

(١) نسب السيوطي في «الدر المنثور» ٢/٣٩٨ لأبي الشيخ.

(٢) نقل ابن كثير في «التفسير» ٢/٧٨ عن ابن مردويه خبراً بمعناه عن جابر بن عبد الله، ثم قال: وهذا حديث غريب وفيه نكارة، فإن هذه الآية مدنية، وهذا الحديث يقتضي أنها مكية، ثم أخرج عن ابن مردويه الحديث الذي ذكره المصنف، وقال: رواه الطبراني عن يعقوب بن خيلان العماني عن أبي كريب به، وهذا أيضاً حديث غريب، والصحيح أن هذه الآية مدنية بل هي من أواخر ما نزل بها، والله أعلم.

(٣) الخبر في «موارد الظمان» في زوائد ابن حبان، ٤٣، ونقله ابن كثير عن ابن مردويه وابن حبان. وفي سننه مؤمل بن إسماعيل المدودي وهو صدوق سيء الحفظ، وانظر ترجمته في «التهذيب» ١٠/٣٨٠.

(٤) الترمذي ٤/٩٦، والطبري ١٠/٤٦٩، والحاكم ٢/٣١٣، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقد حسن الحافظ في «الفتح» إسناده.

(٥) روى البخاري ٨/٢٠٦، ومسلم ١/١٥٩ عن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل عليه، فقد كذب، والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يهديهم إلى الجنة. والثاني: لا يعينهم على بلوغ غرضهم.

﴿قُلْ يَهْدِي إِلَيْكُمْ اللَّهُ حَقَّ تَقْدِيرًا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن ذِكْرِكُمْ كِتَابًا مِّنْهُمَا تَأْتِي إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ طَائِفَاتٌ كُلُّ قَوْمٍ مِّنْهُمَا لَمَّةٌ مِّنْهُمَا لِيُؤْذِنَهُم فِي الْحَرْبِ وَالْمَلَّةِ وَالْخَبَرِ فَأُولَٰئِكَ سُلُوكُهُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَهْدِي إِلَيْكُمْ اللَّهُ حَقَّ تَقْدِيرًا﴾ سبب نزولها: أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألسنت تؤمن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها حق؟ قال: «بلى، ولكنكم أحدثتم وجمدتم ما فيها، فأنا بريء من إحدائكم». فقالوا: نحن على الهدى، وناخذ بما في أيدينا، ولا نؤمن بك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. فأما أهل الكتاب، فالمراد بهم اليهود والنصارى. وقوله: ﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ مِّنَ الدِّينِ الْحَقِّ حَتَّى تَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾، وإقامتهما: العلم بما فيهما، ومن ذلك الإيمان بمحمد ﷺ. وفي الذي أنزل إليهم من ربهم قولان قد سبقا، وكذلك باقي الآية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالشَّيْقُونَ وَالصَّابِقُونَ سَيُؤْتَوْنَ أَجْرًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَلََّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالشَّيْقُونَ﴾ قد ذكرنا تفسيرها في (البقرة). وكذلك اختلفوا في إحكامها ونسخها كما بينا هناك. فأما رفع «الصابين» فذكر الزجاج عن البصريين، منهم الخليل، وسيبويه أن قوله: «والصابئون» محمول على التأخير، ومرفوع بالابتداء. والمعنى: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصابئون والنصارى كذلك أيضاً، وأنشدوا:

وَالْأَفَاعِلُ مَا عَلِمُوا أَنَا وَأَنْتُمْ بُغَاةٌ مَا بَقِينَا فِي شِقَاقٍ<sup>(١)</sup>

المعنى: فاعلموا أنا بغاة ما بقينا في شقاق، وأنتم أيضاً كذلك.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُكُمْ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ قَرِيبًا كَذَبُوا وَكَرِهُوا﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ قال مقاتل: أخذ ميثاقهم في التوراة بأن يعملوا بما فيها. قال ابن عباس: كان فيمن كذبوا، محمد، وعيسى، وفيمن قتلوا، زكريا، ويحيى. قال الزجاج: فأما التكذيب، فاليهود، والنصارى يشتركون فيه. وأما القتل فيخص اليهود.

﴿وَحَسِبُوا أَنَّ تَكْوِينَ فَتْنَةً فَمَوُوا وَكُفُّوا عَمَّا وَعَدُوا كَذَبُوا وَكَرِهُوا بِمَا يَكُونُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَنَّ تَكْوِينَ فَتْنَةً﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر: «تكون» بالنصب. وقرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «تكون» بالرفع، ولم يختلفوا في رفع «فتنة». قال مكي بن أبي طالب: من رفع جعل «أن» مخففة من الثقيلة، وأضمر معها «الهاء»، وجعل «حسبوا» بمعنى: أيقنوا، لأن «أن» للتأكيد، والتأكيد لا يجوز إلا مع اليقين. والتقدير: أنه لا تكون فتنة. ومن نصب جعل «أن» هي الناصبة للفعل، وجعل «حسبوا» بمعنى: ظنوا. ولو كان قبل «أن» فعل لا يصلح للشك، لم يجوز أن تكون إلا مخففة من الثقيلة، ولم يجوز نصب الفعل بها، كقوله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ يَجْعَلُ إِلَيْهِمْ﴾ [طه: ٨٩] و﴿وَعَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ﴾ [المزمل: ٢٠] قال أبو علي: الأفعال ثلاثة: فعلٌ يدلُّ على ثبات الشيء واستقراره، نحو العلم والتيقن، وفعلٌ يدلُّ على خلاف الثبات والاستقرار، وفعلٌ يجذب إلى هذا مرة، وإلى هذا أخرى، فما كان معناه العلم، وقعت بعده «أن» الثقيلة، لأن معناها ثبوت الشيء واستقراره، كقوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ

(١) البيت لبشر بن أبي خازم من قصيدة يهجو بها أوس بن حارثة. وهو في «ديوانه» ١٦٥، وسيبويه ٢٩٠/١، و«شواهد العيني» ٢٧١/٢ وقيله:

إِذَا جَسَزْتَ نَوَاصِييَ آلِ بَدْرٍ فَأَدْوَمَهَا وَأَسْرَى فِي السَّوْثَاقِ

وقصة البيتين أن قوماً من آل بدر الفزاريين جاؤا بني لأم من طيء، فأسرتهم طيء، وجزوا نواصيههم، وقالوا: منّا عليكم ولم تقتلكم، فغضب بنو فزارة، فانتصر لهم بشر للحلف الذي كان بينهم وبين بني أسد قومه. والمعنى: أدوا إلينا نواصي بني بدر، واحملوا معنا أسرارهم، وإلا فإنّا وأنتم متعادون أبداً.

أَلَمَلِ الْيَتِيمَ ﴿٢٥﴾ [النور: ٢٥] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَرْزُقْكَ اللَّهُ رَبُّكَ﴾ [العلق: ١٤] وما كان على غير وجه الثبات والاستقرار نحو: أطمع وأخاف وأرجو، وقعت بعده «أَنْ» الخفيفة، كقوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَفِيَا بَعْدُكُمْ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَنْتَظِفَكُمُ الْفَأْسُ﴾ [الأنفال: ٢٦] ﴿فَخَشِيْتُمْ أَنْ يُرْفِقَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٠] ﴿أَلَمْعُ أَنْ يَتَفَرَّقَ لِي﴾ [الشراء: ٨٢] وما كان متردداً بين الحالين مثل حسبْتُ وظننت، فإنه يُجعل تارةً بمنزلة العلم، وتارةً بمنزلة أرجو وأطمع وكلتا القراءتين في ﴿وَحَيِّبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ قد جاء بها التنزيل. فمثل مذهب من نصب: ﴿أَمْ حَبِيبَ الَّذِينَ أَجْرَعُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يُجَاهِدُوا﴾ [الجنابة: ٢١] ﴿أَمْ حَبِيبَ الَّذِينَ يَمْشُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ [المنكوت: ٤] ﴿أَحْسِبَ الْفَأْسَ أَنْ يَرْكُوزَ﴾ [المنكوت: ٢] ومثل مذهب مَنْ رفع: ﴿أَحْسِبُونَ أَلَّا يُؤْذِرَهُ﴾ [المؤمنون: ٥٥] ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٠] قال ابن عباس: ظنوا أن الله لا يعذبهم، ولا يبتليهم يقتلهم الأنبياء، وتكذيبهم الرسل.

قوله تعالى: ﴿فَسَمُوا وَصَمُوا﴾ قال الزجاج: هذا مثل تأويله: أنهم لم يعملوا بما سمعوا، ورأوا من الآيات، فصاروا كالعمي الصم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: رفع عنهم البلاء، قاله مقاتل. وقال غيره: هو ظفرهم بالأعداء، وذلك مذكور في قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: ٦]. والثاني: أن معنى «تاب عليهم»: أرسل إليهم محمداً يعلمهم أن الله قد تاب عليهم إن آمنوا وصدّقوا، قاله الزجاج. وفي قوله: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾ قولان: أحدهما: لم يتوبوا بعد رفع البلاء، قاله مقاتل. والثاني: لم يؤمنوا بعد بعثة محمد ﷺ، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ أي: عمي وصم كثير منهم، كما تقول: جاءني قومك أكثرهم. قال ابن الأنباري: هذه الآية نزلت في قوم كانوا على الكفر قبل أن يُبعث رسول الله ﷺ، فلما بعث كذبوه بغياً وحسداً، وقدرُوا أن هذا الفعل لا يكون مؤيقاً لهم، وجانباً عليهم، فقال الله تعالى: ﴿وَحَيِّبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ أي: ظنوا ألا تقع بهم فتنة في الإصرار على الكفر، فعموا وصموا بمجانبة الحق. ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: عرّضهم للتوبة بأن أرسل محمداً ﷺ وإن لم يتوبوا، ثم عموا وصموا بعد بيان الحق بمحمد، كثير منهم، فخص بعضهم بالفعل الأخير، لأنهم لم يجتمعوا كلهم على خلاف رسول الله ﷺ.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لَكُمْ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَتَعْبُدُونَ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّكُمْ مَن يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ قال مقاتل: نزلت في نصارى نجران، قالوا ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ﴾ أي: وقد كان المسيح قال لهم وهو بين أظهرهم: إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ تَلَكَّ تَلَكَّفُوا وَكَانَ مِنْ إِلَهِ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُوا لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ تَلَكَّ تَلَكَّفُوا﴾ قال مجاهد: هم النصارى. قال وهب بن منبه: لما ولد عيسى لم يبق صنم إلا خرب لوجهه، فاجتمعت الشياطين إلى إبليس، فأخبروه، فذهب فطاف أقطار الأرض، ثم رجع، فقال: هذا المولود الذي ولد من غير ذكر، أردت أن أنظر إليه، فوجدت الملائكة قد حَفَّتْ بأمه، فليخلف عندي اثنان من مردتك. فلما أصبح، خرج بهما في صورة الرجال، فأتوا مسجد بني إسرائيل وهم يتحدثون بأمر عيسى، ويقولون: مولود من غير أب. فقال إبليس: ما هذا بشراً، ولكن الله أحب أن يتمثل في امرأة ليختبر العباد، فقال أحد صاحبيه: ما أعظم ما قلت، ولكن الله أحب أن يتخذ ولدأ. وقال الثالث: ما أعظم ما قلت، ولكن الله أراد أن يجعل إلهاً في الأرض، فألحقوا هذا الكلام على السنة الناس، ثم تفرّقوا، فتكلم به الناس. وقال محمد بن كعب: لما رفع عيسى اجتمع منه من علماء بني إسرائيل، وانتخبوا منهم أربعة، فقال أحدهم: عيسى هو الله كان في الأرض ما

بدا له، ثم صعد إلى السماء، لأنه لا يحيي الموتى ولا يبرئ الأكفم والأبرص إلا الله. وقال الثاني: ليس كذلك، لأننا قد عرفنا عيسى، وعرفنا أمه، ولكنه ابن الله. وقال الثالث: لا أقول كما قلتما، ولكن جاءت به أمه من عمل غير صالح. فقال الرابع: لقد قلمت قبيحاً، ولكنه عبد الله ورسوله وكلمته، فخرجوا، فاتبع كل رجل منهم عتق<sup>(١)</sup> من الناس. قال المفسرون: ومعنى الآية: أن النصارى قالت: الإلهية مشتركة بين الله وعيسى ومريم، وكل واحد منهم إله. وفي الآية إضممار، فالمعنى: ثالث ثلاثة آلهة، فحذف ذكر الآلهة، لأن المعنى مفهوم، لأنه لا يكفر من قال: هو ثالث ثلاثة، ولم يرد الآلهة، لأنه ما من اثنين إلا وهو ثالثهما، وقد دل على المحذوف قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ﴾. قال الزجاج: ومعنى ثالث ثلاثة: أنه أحد ثلاثة. ودخلت «من» في قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ﴾ للتوكيد. والذين كفروا منهم، هم المقيمون على هذا القول. وقال ابن جرير: المعنى: ليمس الذين يقولون: المسيح هو الله، والذين يقولون: إن الله ثالث ثلاثة، وكل كافر يسلك سبيلهم، عذاب أليم.

﴿أَنَّا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَسَتَغْفِرُهُ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٧٦)

قوله تعالى: ﴿أَنَّا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ قال الفراء: لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه الأمر، كقوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾

[المائدة: ٩١].

﴿مَّا السَّيِّئُ بَرُّهُ إِلَّا رَشَودٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَسْأَلُ صِدْقَهُ كَآنَا بِأَعْيُنِنَا لَطَمَتِ الْأَنْفُ ثَمَامًا﴾ (٧٧)

قوله تعالى: ﴿مَّا السَّيِّئُ بَرُّهُ إِلَّا رَشَودٌ﴾ فيه رد على اليهود في تكذيبهم رسالته، وعلى النصارى في ادعائهم إلهيته. والمعنى: أنه ليس بإله، وإنما حكمه حكم من سبقه من الرسل. وفي قوله: ﴿وَأَسْأَلُ صِدْقَهُ﴾ رد على من نسبها من اليهود إلى الفاحشة. قال الزجاج: والصدقة: المبالغة في الصدق، وصدّيق «فعل» من أبنية المبالغة، كما تقول: فلانٌ صدّيق، أي: مبالغ في السكوت. وفي قوله: ﴿كَآنَا بِأَعْيُنِنَا لَطَمَتِ الْأَنْفُ ثَمَامًا﴾ قولان: أحدهما: أنه بين أنهما يعيشان بالغذاء، ومن لا يقيمه إلا أكل الطعام فليس بإله، قاله الزجاج. والثاني: أنه نُبّه بأكل الطعام على عاقبته، وهو الحدث، إذ لا بد لأكل الطعام من الحدث، قاله ابن قتيبة. قال: وقوله: ﴿أَنظَرْتُ نَبِيَّ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ من اللطف ما يكون من الكناية. «ويوفكون»: يُصرفون عن الحق ويُعدّلون، يقال: أفك الرجل عن كذا: إذا عدل عنه، وأرض مأفوك: محرومة المطر والنبات، كان ذلك صُرف عنها وعدل.

﴿قُلْ أَشْبَدُوتَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ شَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ أَسْمِعُ السَّمِيعُ الْغَلِيمُ﴾ (٧٨)

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَشْبَدُوتَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال مقاتل: قل لنصارى نجران: أتعبدون من دون الله، يعني عيسى ابن مريم ما لا يملك لكم ضرراً في الدنيا، ولا نفعاً في الآخرة. والله هو السميع لقولهم: المسيح ابن الله، وثالث ثلاثة، العليم بمقاتلتهم.

﴿قُلْ يَأْمُرُ الْكِتَابُ لَا تَقُولُوا فِي رَيْبِكُمْ عِدَّ الْحَيِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاكِهِ السَّبِيلِ﴾ (٧٩)

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأْمُرُ الْكِتَابُ﴾ قال مقاتل: هم نصارى نجران. والمعنى: لا تغلوا في دينكم، فتقولوا غير الحق في عيسى. وقد بينا معنى «الغلو» في آخر سورة (النساء).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ قال أبو سليمان: من قبل أن تضلوا. وفيهم قولان: أحدهما: أنهم رؤساء الضلالة من اليهود. والثاني: رؤساء اليهود والنصارى. والآية خطاب للذين كانوا في عصر نبينا ﷺ نُهر أن يتبعوا أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم.

﴿لَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاكِهِ السَّبِيلِ﴾ (٨٠)

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنَاتِ إِتْرَافِيلَ﴾ في لعنهم قولان: أحدهما: أنه نفس اللعن، ومعناه: المباحدة من الرحمة. قال ابن عباس: لُعِنُوا على لسان داود، فصاروا قردة، ولعنوا على لسان عيسى في الإنجيل. قال الزجاج: وجائز أن يكون داود وعيسى أغليماً أن محمداً نبي، ولعنوا من كفر به. والثاني: أنه المسخ، قاله مجاهد، لعنوا على لسان داود فصاروا قردة، وعلى لسان عيسى، فصاروا خنازير. وقال الحسن، وقتادة: لعن أصحاب السبت على لسان داود، فإنهم لما اعتدوا، قال داود: اللهم العنهم، واجعلهم آية، فمسخوا قردة. ولعن أصحاب المائدة على لسان عيسى، فإنهم لما أكلوا منها ولم يؤمنوا؛ قال عيسى: اللهم العنهم كما لعنت أصحاب السبت، فجعلوا خنازير.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَمَّا عَبَّوْا﴾ أي: ذلك اللعن بمصعبتهم لله تعالى في مخالفتهم أمره ونهيه، وباعتدائهم في مجاوزة ما حده لهم.

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ التناهي: تفاعل من النهي، أي: كانوا لا ينهى بعضهم بعضاً عن المنكر. وذكر المفسرون في هذا المنكر ثلاثة أقوال: أحدها: صيد السمك يوم السبت. والثاني: أخذ الرشوة في الحكم. والثالث: أكل الربا، وأثمان الشحوم. وذكر المنكر منكرًا يدل على الإطلاق، ويمنع هذا الحصر، ويدل على ما قلنا، ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على الذنب نهاه عنه تعذيراً، فإذا كان الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وخليطه وشريبه، فلما رأى الله تعالى ذلك منهم، ضرب بقلوب بعضهم على بعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ قال الزجاج: اللام دخلت للقسم والتوكيد، والمعنى: لبئس شيئاً فعلهم.

﴿كَرِهَ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْا الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ وَكَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِآتِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَهُ مَا أَخَذَهُمْ أُولَئِكَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾

قوله تعالى: ﴿كَرِهَ كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم المنافقون، روي عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد. والثاني: أنهم اليهود، قاله مقاتل في آخرين، فعلى هذا القول انتظام الآيات ظاهر، وعلى الأول يرجع الكلام إلى قوله: ﴿قَدَّمَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُكْذِبُونَ فِيهِمْ﴾. وفي الذين كفروا قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله أرباب القول الأول. والثاني: أنهم مشركو العرب، قاله أرباب هذا القول الثاني.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ أي: بشما قدموا لمعادهم ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قال الزجاج: يجوز أن تكون «أن» في موضع رفع على إضمار هو، كأنه قيل: هو أن سخط الله عليهم.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ فِتْنَةٌ وَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ رَجَعُوا عَلَيْهِمْ قُلْ هِيَ تَكُونُ آتِجَةً بِمَا وَعَدُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَاَمَنَّا فَكُفِّ عَنَّا الشَّهِيدِينَ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾ قال المفسرون: نزلت هذه الآية وما بعدها مما يتعلق بها في النجاشي وأصحابه. قال سعيد بن جبیر: بعث النجاشي قوماً إلى رسول الله ﷺ فأسلموا، فنزلت فيهم هذه الآية والتي بعدها<sup>(٢)</sup>، وسنذكر قصتهم فيما بعد. قال الزجاج: واللام في «لتجدن» لام القسم، والنون دخلت تفصل بين الحال والاستقبال، و«عداوة» منصوب على التمييز، واليهود ظاهروا المشركين على المؤمنين حسداً للنبي ﷺ.

(١) أحمد ٥/٢٦٨، وأبو داود ٤/١٧٢، والترمذي ٤/٩٧، وابن ماجه ٢/١٣٢٧، وابن جرير ١٠/٤٩٢ عن عبد الله بن مسعود ؓ. قال المنذري: وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه فهو منقطع.

(٢) اختار الإمام أبو جعفر الطبري أن هذه الآيات نزلت في صفة أقوام بهذه المثابة، سواء كانوا من الحبشة أو غيرها.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ يعني: عبدة الأوثان. فأما الذين قالوا: إنا نصارى، فهل هذا عام في كل النصارى، أم خاص؟ فيه قولان: أحدهما: أنه خاص، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه أراد النجاشي وأصحابه لما أسلموا، قاله ابن عباس، وابن جبير. والثاني: أنهم قوم من النصارى كانوا متمسكين بشريعة عيسى، فلما جاء محمد ﷺ أسلموا، قاله قتادة. والقول الثاني: أنه عام. قال الزجاج: يجوز أن يراد به النصارى، لأنهم كانوا أقل مظهرة للمشركين من اليهود.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتَلُوا﴾ قال الزجاج: «القس» و«القسيس»: من رؤساء النصارى. وقال قطرب: القسيس: العالم بلغة الروم، فأما «الرهبان» فهم العباد أرباب الصوامع. قال ابن فارس: الترقب: التعبد، فإن قيل: كيف مدحهم بأن منهم قسيسين وزهباناً، وليس ذلك من أمر شريعتنا؟ فالجواب: أنه مدحهم بالتمسك بدین عيسى حين استعملوا في أمر محمد ما أخذ عليهم في كتابهم، وقد كانت الرهبانية مستحسنة في دينهم. والمعنى: بأن فيهم علماء بما أوصى به عيسى من أمر محمد ﷺ. قال القاضي أبو يعلى: وربما ظن جاهل أن في هذه الآية مدح النصارى، وليس كذلك، لأنه إنما مدح من آمن منهم، ويدل عليه ما بعد ذلك، ولا شك أن مقالة النصارى أقبح من مقالة اليهود.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَتَكَبَّرُونَ﴾، أي: لا يتكبرون عن اتباع الحق.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَرْسَلُوا﴾ قال ابن عباس: لما حضر أصحاب النبي ﷺ بين يدي النجاشي، وقرؤوا القرآن، سمع ذلك القسيسون والرهبان، فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق، فقال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتَلُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَمِنَ الشَّاهِدِينَ﴾. وقال سعيد بن جبير: بعث النجاشي من خيار أصحابه ثلاثين رجلاً إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليهم القرآن، فبكوا ورقوا، وقالوا: نعرف الله، وأسلموا، وذهبوا إلى النجاشي فأخبروه فأسلم، فأنزل الله فيهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَرْسَلُوا﴾.. الآية. وقال السدي: كانوا اثني عشر رجلاً؛ سبعة من القسيسين، وخمسة من الرهبان، فلما قرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن، بكوا وآمنوا، فنزلت هذه الآية فيهم.

قوله تعالى: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، أي: مع من يشهد بالحق. وللمفسرين في المراد بالشاهدين هاهنا أربعة أقوال: أحدها: محمد وأمه، رواه علي بن أبي طلحة، وعكرمة عن ابن عباس. والثاني: أصحاب محمد ﷺ، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: الذين يشهدون بالإيمان، قاله الحسن. والرابع: الأنبياء والمؤمنون، قاله الزجاج.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوَّامِينَ الصَّالِحِينَ﴾ ٨٤ ﴿فَأَنبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا فَجَنَّتْ عَنَّا يَنُوحَاتُهَا الْأَنهَارُ خَلَائِفَ فَإِنَّ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٨٥ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ٨٦

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ قال ابن عباس: لا مهم قومهم على الإيمان، فقالوا هذا. وفي القوم الصالحين ثلاثة أقوال: أحدها: أصحاب رسول الله، قاله ابن عباس. والثاني: رسول الله ﷺ وأصحابه، قاله ابن زيد. والثالث: المهاجرون الأولون، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال ابن عباس: ثواب المؤمنين.

﴿يُنَادِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنُوا حَتَّى تَخْرُجُوا مِنَّا لَكُمْ لَا تَقْدَرُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَعَتِّلِينَ﴾ ٨٧ ﴿وَكُلُوا مِنَّا نَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا حَلَالًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنشَأَ يَدَهُ مُؤْمِنَاتٍ﴾ ٨٨

قوله تعالى: ﴿يُنَادِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنُوا حَتَّى تَخْرُجُوا مِنَّا لَكُمْ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ، منهم عثمان بن مظعون، حرّموا اللحم والنساء على أنفسهم، وأرادوا حبّ أنفسهم ليتفرّغوا للعبادة، فقال رسول الله: «لم أؤمر بذلك»، ونزلت هذه الآية، رواه العوفي عن ابن عباس. وروى أبو صالح عن ابن عباس، قال: كانوا عشرة: أبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وعثمان بن مظعون، والمقداد بن الأسود، وسالم مولى أبي حذيفة، وسلمان الفارسي، وأبو ذر، وعمار بن ياسر، اجتمعوا في دار عثمان بن مظعون، فتواتقوا على



ذلك، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «من رغب عن سنّتي فليس مني» ونزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. قال السدي: كان سبب عزيمهم على ذلك أن رسول الله ﷺ جلس يوماً، فلم يزدهم على التخويف، فرقّ الناس، وبكوا، فغزم هؤلاء على ذلك، وحلفوا على ما عزموا عليه. وقال عكرمة: إن علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وعثمان بن مظعون، والمقداد، وسالم مولى أبي حذيفة في أصحابه، تبتّلوا، فجلسوا في البيوت، واعتزلوا النساء، ولبسوا المسوح<sup>(٢)</sup> وحرّموا طيبات الطعام واللباس، إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل، وهموا بالاختصاء، وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار، فنزلت هذه الآية. والثاني: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ، فقال: إني إذا أكلت من هذا اللحم، أقبلت على النساء، وإني حرّمته عليّ، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن ضيفاً نزل بعد الله بن رواحة، ولم يكن حاضراً، فلما جاء، قال لزوجته: هل أكل الضيف؟ فقالت: انتظرتك. فقال: حبست ضيفي من أجلي؟! طعامك عليّ حرام. فقالت: وهو عليّ حرام إن لم تأكله، فقال الضيف: وهو عليّ حرام إن لم تأكلوه، فلما رأى ذلك ابن رواحة قال: قربي طعامك، كلوا بسم الله، ثم غدا إلى النبي ﷺ، فأخبره بذلك فقال: أحسنت، ونزلت هذه الآية، وقرأ حتى بلغ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُحْوَ فِي آيَاتِكُمْ﴾ رواه عبد الرحمن بن زيد عن أبيه<sup>(٤)</sup>. فأما «الطيبات» فهي اللذيزات التي تشتهيها النفوس مما أبيع. وفي قوله: «ولا تعتدوا» خمسة أقوال: أحدها: لا تجبّوا أنفسكم، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وإبراهيم. والثاني: لا تأتوا ما نهى الله عنه، قاله الحسن. والثالث: لا تسبّروا بغير سيرة المسلمين من ترك النساء، وإدامة الصيام، والقيام، قاله عكرمة. والرابع: لا تحرّموا الحلال، قاله مقاتل. والخامس: لا تغصبوا الأموال المحرّمة، ذكره الماوردي.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُحْوَ فِي آيَاتِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْهُ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا نَطْعُمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قَوْمِيًّا فَلْيَذْهَبْ فَأَيُّ الْفِكْرِ كَثِيرٌ﴾<sup>(٥)</sup> كَذَلِكَ يبينُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُحْوَ فِي آيَاتِكُمْ﴾ سبب نزولها: أنه لما نزل قوله: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال القوم الذين كانوا حرّموا النساء واللحم: يا رسول الله كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها؟ فنزلت هذه الآية، رواه العوفي عن ابن عباس. وقد سبق ذكر «الفحوى» في سورة (البقرة).

قوله تعالى: ﴿بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «عقدتم» بغير ألف، مشددة القاف. قال أبو عمرو: معناها: وكدمت. وقرأ أبو بكر، والمفضل عن عاصم: «عقدتم» خفيفة بغير ألف، واختارها أبو عبيد. قال ابن جرير: معناه: أوجبتموها على أنفسكم. وقرأ ابن عامر: «عاهدتم» بآلف، مثل «عاهدتم». قال القاضي أبو يعلى: وهذه القراءة المشددة لا تحتل إلا عقد قول. فأما المخففة، فتحتمل عقد القلب، وعقد القول. وذكر المفسرون في معنى الكلام قولين: أحدهما: ولكن يؤاخذكم بما عقدتم عليه قلوبكم في التعمد لليمين، قاله مجاهد. والثاني: بما عقدتم عليه قلوبكم أنه كذب، قاله سعيد بن جبير.

قوله تعالى: ﴿فَكَفَرْتُمْهُ﴾ قال ابن جرير: الهاء عائدة على «ما» في قوله: ﴿بِمَا عَقَّدْتُمْ﴾

## فصل

فأما إطعام المساكين، فروى عن ابن عمر، وزيد بن ثابت، وابن عباس، والحسن في آخرين: أن لكل مسكين

(١) ابن جرير ٥١٩/١٠ عن عكرمة بمعناه، وخرجه السيوطي في «الدر» وزاد نسبه لابن المنذر، وأبي الشيخ.

(٢) المسوح: جمع مسح بكسر فسكون: وهو كساء من شعر يلبسه الرهبان.

(٣) الترمذي ٩٧/٤، وابن جرير ٥٢٠/١٠. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وروى البخاري ٢٠٧/٨ عن عبد الله بن مسعود، قال: كنا نغزو مع النبي ﷺ، وليس معنا نساء، فقلنا: ألا نخضعي؟ فنهانا عن ذلك، فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب، ثم قرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَبُوا نَفْسَكُمْ بِمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

(٤) ابن جرير ٥١٩/١٠، وزاد السيوطي في «الدر المثلث» نسبه إلى ابن أبي حاتم.

مَذْبُورٌ، وبه قال مالك، والشافعي. وروي عن عمر، وعلي، وعائشة في آخرين: لكل مسكين نصف صاع من بُرٍّ، قال عمر، وعائشة: أو صاعاً من تمر، وبه قال أبو حنيفة. ومذهب أصحابنا في جميع الكفارات التي فيها إطعام، مثل كفارة اليمين، والظهار، وفدية الأذى، والمفطرة في قضاء رمضان، مَذْبُورٌ، أو نصف صاع تمر أو شعير. ومن شرط صحة الكفارة، تملك الطعام للفقراء، فإن غَدَّاهم وعَشَّاهم، لم يجزئه، وبه قال سعيد بن جبير، والشافعي. وقال الثوري، والأوزاعي: يجزئه، وبه قال أبو حنيفة، ومالك. ولا يجوز صرف مَدِينٍ إلى مسكين واحد، ولا إخراج القيمة في الكفارة، وبه قال الشافعي. وقال أبو حنيفة: يجوز. قال الزجاج: وإنما وقع لفظ التذكير في المساكين، ولو كانوا إنثاءً لأجزأ، لأن المغْلَبَ في كلام العرب التذكير. وفي قوله: ﴿يَنْ أَوْسَطَ مَا تُلَمُّونَ أَهْلِيكُمْ﴾ قولان: أحدهما: من أوسطه في القدر، قاله عمر، وعلي، وابن عباس، ومجاهد. والثاني: من أوسط أجناس الطعام، قاله ابن عمر، والأسود، وعبيدة، الحسن، وابن سيرين. وروي عن ابن عباس قال: كان أهل المدينة [يقولون]: للحر من القوت أكثر مما للمملوك، وللكبير أكثر ما للصغير، فنزلت ﴿يَنْ أَوْسَطَ مَا تُلَمُّونَ أَهْلِيكُمْ﴾ ليس بأفضله ولا بأخسّه. وفي كسوتهم خمسة أقوال: أحدها: أنها ثوبٌ واحدٌ، قاله ابن عباس، ومجاهد، وطاووس، وعطاء، والشافعي. والثاني: ثوبانٌ، قاله أبو موسى الأشعري، وابن المسيب، والحسن، وابن سيرين، والضحاك. والثالث: إزار ورداء وقيص، قاله ابن عمر. والرابع: ثوب جامع كالملحفة، قاله إبراهيم النخعي. والخامس: كسوة تجزئ فيها الصلاة، قاله مالك. ومذهب أصحابنا: أنه إن كسا الرجل، كساه ثوباً، والمرأة ثوبين، درعاً وخماراً، وهو أدنى ما تُجزئ فيه الصلاة. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو الجوزاء، ويحيى بن يعمر: «أو كُسوتهم»، بضم الكاف. وقد قرأ سعيد بن جبير، وأبو العالية، وأبو نهيك، ومعاذ القارئ<sup>(١)</sup>: «أو كاسوتهم» بهجمة مكسورة، مفتوحة الكاف، مكسورة التاء والهاء. وقرأ ابن السميع، وأبو عمران الجوني مثله، إلا أنهما فتحا الهمزة. قال المصنف: ولا أرى هذه القراءة جائزة، لأنها تسقط أصلاً من أصول الكفارة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَبَوٍ﴾ تحريرها: عتقها، والمراد بالرقبة: جملة الشخص. واتفقوا على اشتراط إيمان الرقبة في كفارة القتل لموضع النص. واختلَفوا في إيمان الرقبة المذكورة في هذه الكفارة على قولين: أحدهما: أنه شرط، وبه قال الشافعي، لأن الله تعالى قيد بذكر الإيمان في كفارة القتل، فوجب حمل المطلق على المقيّد. والثاني: ليس بشرط، وبه قال أبو حنيفة، وعن أحمد رضي الله عنه في إيمان الرقبة المعتقة في كفارة اليمين، وكفارة الظهار، وكفارة الجماع، والمنذورة، روايتان.

قوله تعالى: ﴿مَنْ لَرَّ يَحْدَ﴾ اختلفوا فيما إذا لم يجده، صام، على خمسة أقوال: أحدها: أنه إذا لم يجد درهمين صام، قاله الحسن. والثاني: ثلاثة درهم، قاله سعيد بن جبير. والثالث: إذا لم يجد إلا قَدْرَ ما يكْفُر به، صام، قاله قتادة. والرابع: يمتن درهماً، قاله أبو حنيفة. والخامس: إذا لم يكن له إلا قدر قوته وقوت عائلته يومه وليلته، قاله أحمد، والشافعي. وفي تنابع الثلاثة أيام، قولان: أحدهما: أنه شرط، وكان أبي، وابن مسعود يقرآن: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات» وبه قال ابن عباس، ومجاهد، وطاووس، وعطاء، وقتادة، وأبو حنيفة، وهو قول أصحابنا. والثاني: ليس بشرط، ويجوز التفريق، وبه قال الحسن، ومالك، وللشافعي فيه قولان.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ كَثْرَةُ آيَاتِنَا عَلَيْكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ فيه إضمار تقديره: إذا حلفتُم وحشتم. وفي قوله: ﴿وَأَحْضَرُوا آيَاتِنَا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أقلُّوا منها، ويشهد له قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِآيَاتِكُمْ﴾ وأنشدوا: قَلِيلَ الْأَيَّامِ حَافِظَ لِيَمِينِهِ<sup>(٢)</sup>

والثاني: احفظوا أنفسكم من الحنث فيها. والثالث: راعوها لكي تؤدُّوا الكفارة عند الحنث فيها.

(١) هو معاذ بن الحارث أبو الحارث، ويقال: أبو حليمة، الأنصاري المدني المعروف بالقارئ. روى عنه نافع وابن سيرين، وحدث عنه نافع مولى ابن عمر، توفي بالحرّة سنة ثلاث وستين، وهو ابن تسع وستين. «طبقات القراء» لابن الجزري ٣٠١/٢.

(٢) وتامه: وإن سبقت منه الآية بروت. والبيت لكثير عزة. «ديوانه» ٢٢٠/٢، «اللسان»: مادة «آي»، ولم ينسبه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَكُمُ الْخَيْرُ وَالْبَيِّرُ وَالْأَصَابُ وَالْأَكْثَرُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١)

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَكُمُ الْخَيْرُ وَالْبَيِّرُ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن سعد بن أبي وقاص أتى نفراً من المهاجرين والأنصار، فأكل عندهم، وشرب الخمر قبل أن تحرم، فقال: المهاجرون خير من الأنصار، فأخذ رجلٌ لُحْي (٢) جمل فضربه، فجدع أنفه، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، فنزلت هذه الآية، رواه مصعب بن سعد عن أبيه (٣). وقال سعيد بن جبيرة: صنع رجل من الأنصار صنيعاً، فدعا سعد بن أبي وقاص، فلما أخذت فيهم الخمرة افتخروا واستبوا، فقام الأنصاري إلى لُحْي بعير، فضرب به رأس سعد، فإذا الدم على وجهه، فذهب سعد يشكو إلى النبي ﷺ، فنزل تحريم الخمر في قوله: ﴿إِنَّا لَكُمُ الْخَيْرُ وَالْبَيِّرُ﴾ إلى قوله: ﴿تُفْلِحُونَ﴾ (٤). والثاني: أن عمر بن الخطاب قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت التي في (البقرة) فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت التي في النساء ﴿لَا تَقْرَبُوا السَّكَرَةَ وَآتَيْتُمْ سُكْرَى﴾ [النساء: ٤٣] فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية، رواه أبو ميسرة عن عمر (٥). والثالث: أن أناساً من المسلمين شربوها، فقاتل بعضهم بعضاً، وتكلموا بما لا يرضاه الله من القول، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أن قبيلتين من الأنصار شربوا، فلما ثملوا عث بعضهم ببعض، فلما صَحَّوْا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه وبرأسه وبلحيته، فيقول: صنع بي هذا أخي فلان! والله لو كان بي رؤوفاً ما صنع بي هذا، حتى وقعت في قلوبهم الضغائن، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (٥). وقد ذكرنا الخمر والميسر في (البقرة)، وذكرنا في «النصب» في أول هذه السورة قولين، وهما اللذان ذكرهما المفسرون في الأنصاب. وذكرنا هناك «الأزلام». فأما الرَجَس، فقال الزجاج: هو اسمٌ لكل ما استُفْزِرَ من عمل، يقال: رَجَسَ الرَّجُلُ يَرَجُسُ، وَرَجَسَ يَرَجُسُ: إذا عمل عملاً قبيحاً، والرَّجَسُ بفتح الراء: شدة الصوت، فكان الرَّجَسُ، العمل الذي يقبح ذكره، ويرتفع في القبح، ويقال: رَعَدَ رَجَاس: إذا كان شديد الصوت.

قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ الشَّيْطَانِ﴾ قال ابن عباس: من تزين الشيطان. فإن قيل: كيف نُسِبَ إليه، وليس من فعله؟ فالجواب: أن نسبته إليه مجاز، وإنما نسب إليه، لأنه هو الداعي إليه، المَزِين له، ألا ترى أن رجلاً لو أغرى رجلاً بضرب رجل، لجاز أن يقال له: هذا من عملك.

قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ قال الزجاج: اتركوه. واشتقاقه في اللغة: كونوا جانباً منه. فإن قيل: كيف ذكر في هذه الآية أشياء، ثم قال: فاجتنبوه؟ فالجواب: أن الهاء عائدة على الرَجَس، والرَجَس واقع على الخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام، ورجوع الهاء عليه بمنزلة رجوعها على الجمع الذي هو واقع عليه، ومنبئ عنه، ذكره ابن الأنباري.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْفِتْنَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَرَسَدَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَبِهُونَ﴾ (٦)

﴿وَالْيَهُودُ وَالنَّسَارَ وَالْمَسِيحَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّهُمْ قَوْمُ النَّارِ﴾ (٧)

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْفِتْنَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ أما «الخمر» فوقع العداوة والبغضاء فيها على نحو ما ذكرنا في سبب نزول الآية من القتال والممارسة. وأما الميسر، فقال قتادة: كان الرجل يقامر على أهله وماله، فيَقْمَرُ ويبقى حزناً سلباً، فينظر إلى ماله في يد غيره، فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء.

(١) لُحْي الجمل، بفتح اللام وسكون الحاء، وهما لحيان، وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم.

(٢) ابن جرير ٥٦٩/١٠، والمسنده ٨٢/٣، ومسلم ١٨٧٧/٤، و«سنن البيهقي» ٢٨٥/٨، و«الناسخ والمنسوخ» لأبي جعفر النحاس ٤٠.

(٣) لم تجد هذا الخبر عن سعيد بن جبيرة في شيء من المراجع التي بين أيدينا.

(٤) «المسنده» ٣١٦/١، و«سنن أبي داود» ٤٤٤/٣، و«سنن النسائي» ٢٨٦/٨، والترمذي ٩٨/٤، والطبري ٥٦٦/١٠، و«سنن البيهقي» ٢٨٥/٨، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس: ٣٩. ونقل الحافظ في «الفتح» وابن كثير في «التفسير» تصحيحه عن علي بن المديني والترمذي.

(٥) ابن جرير ٥٧١/١٠، و«سنن البيهقي» ٢٨٥/٨، والحاكم في «المستدرک» ١٤١/٤، قال الذهبي: قلت: صحيح على شرط مسلم. وخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٨/٧ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه لفظ استفهام، ومعناه: الأمر. تقديره: انتهوا. قال الفراء: رد علي أعرابي: هل أنت ساكت، هل أنت ساكت؟ وهو يريد: اسكت، اسكت. والثاني: أنه استفهام، لا بمعنى: الأمر. ذكر شيخنا علي بن عبيد الله أن جماعة كانوا يشربون الخمر بعد هذه الآية، ويقولون: لم يحرمها، إنما قال: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾، فقال بعضنا: انتهينا، وقال بعضنا: لم تنته، فلما نزلت ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ﴾ [الأعراف: ٣٣] حُرِّمَتْ، لأن «الإثم» اسم للخمر. وهذا القول ليس بشيء والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فيما أمركم، واحذروا خلافهما ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: عرضتم، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِكُمْ﴾ محمد ﴿الْبَلَّغُ الْكَلِيمُ﴾ وهذا وعيد لهم، كأنه قال: فاعلموا أنكم قد استحققتم العذاب لتوليكم. ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ إِنْ شَاءُوا أَن يَتَوَفَّوْا وَآَتَوْا وَمَا تَفَوَّاهُ مِنَ الذِّكْرِ وَمَا أَتَوْا وَمَا تَنَبَّأُوا مِنَ الْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ إِنْ شَاءُوا﴾ سبب نزولها: أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ ماتوا وهم يشربون الخمر، إذ كانت مباحة، فلما حرمت، قال ناس: كيف بأصحابنا وقد ماتوا وهم يشربونها؟ فنزلت هذه الآية، قاله البراء بن عازب<sup>(١)</sup>. و«الجناح»: الإثم. وفيما طعموا ثلاثة أقوال: أحدها: ما شربوا من الخمر قبل تحريمها، قاله ابن عباس، والجمهور. قال ابن قتيبة: يقال: لم أطعم خبزاً وأدماء ولا ماء ولا نوماً. قال الشاعر:

فإن شئت حرمت النساء سواكم  
وإن شئت لم أطعم ثقافاً ولا برداً<sup>(٢)</sup>

النقاخ: الماء [البارد] الذي يتفخ الفؤاد ببرده، والبرد: النوم. والثاني: ما شربوا من الخمر وأكلوا من الميسر. والثالث: ما طعموا من المباحات. وفي قوله: ﴿إِذَا مَا أَتَوْا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: اتقوا بعد التحريم، قاله ابن عباس. والثاني: اتقوا المعاصي والشرك. والثالث: اتقوا مخالفة الله في أمره. وفي قوله: ﴿وَمَا آمَنُوا﴾ قولان: أحدهما: آمنوا بالله ورسوله. والثاني: آمنوا بتحريمها. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قال مقاتل: أقاموا على الفرائض.

قوله تعالى: ﴿يَمْ أَرْسَلْنَا﴾ في هذه التقوى المعادة أربعة أقوال: أحدها: أن المراد خوف الله ﷻ. والثاني: أنها تقوى الخمر والميسر بعد التحريم. والثالث: أنها الدوام على التقوى. والرابع: أن التقوى الأولى مخاطبة لمن شربها قبل التحريم، والثانية لمن شربها بعد التحريم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا آمَنُوا﴾ في هذا الإيمان المُعَاد قولان: أحدهما: صدقوا بجميع ما جاء به محمد ﷺ. والثاني: آمنوا بما يجيء من الناسخ والمنسوخ.

قوله تعالى: ﴿يَمْ أَرْسَلْنَا﴾ في هذه التقوى الثالثة أربعة أقوال: أحدها: اجتنبوا العود إلى الخمر بعد تحريمها، قاله ابن عباس. والثاني: اتقوا ظلم العباد. والثالث: توقوا الشبهات. والرابع: اتقوا جميع المحرمات. وفي الإحسان قولان: أحدهما: أحسنوا العمل بترك شربها بعد التحريم، قاله ابن عباس. والثاني: أحسنوا العمل بعد تحريمها، قاله مقاتل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَبِئْسَ لِلَّهِ خِطَابٌ مِمَّنْ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْتَابُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْنِيهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْتَابُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْنِيهِمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(١) «مسند الطيالسي» ١٨/٢، والطبري ٥٧٩/١٠، والترمذي ٩٨/٤، وهذا حديث حسن صحيح. وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٣٢٠/٢ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وأبي الشيخ، وابن مردويه. وروى البخاري ٢٠٩/٨، ومسلم ١٤٨/١٣، والنسائي ٢٨٧/٨ عن أنس رضي الله عنه قال: كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة، فنزل تحريم الخمر، فأمر منادياً فنادى، فقال أبو طلحة: أخرج فانظر ما هذا الصوت؟ قال: فخرجت، فقلت: هذا مناد ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، فقال لي: اذهب فأهرقها، قال: فجرت في سكك المدينة، قال: وكانت غمرهم يرميها الفضيخ، فقال بعض القوم: قتل قوم وهي في بطونهم، قال: فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ إِنْ شَاءُوا﴾. وروى أحمد ٢٤١/٤ بسند حسن عن ابن عباس قال: لما حرمت الخمر قال أناس: يا رسول الله أصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها فأنزلت ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ إِنْ شَاءُوا﴾.

(٢) البيت لعبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجي، وهو في «ديوانه» ١٠٩، و«غريب القرآن» ١٤٦، والقرطبي ١٧٨/١٩، و«اللسان» مادة: نقيح.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا اللَّهَ يَغْتَوِيَنَّ مِنَ الْغَيْبِ﴾ قال المفسرون: لما كان عام الحديبية، وأقام النبي ﷺ بالتنعيم<sup>(١)</sup>، كانت الوحوش والطير تغشاهم في رحالهم، وهم مُحْرَمُونَ، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>، ونهوا عنها ابتلاء. قال الزجاج: اللام في «اليلوثكم» لام القسم، ومعناه: لنختبرن طاعتكم من معصيتكم. وفي «من» قولان: أحدهما: أنها للتعويض، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه عنى صيد البر دون صيد البحر. والثاني: أن عنى الصيد ما داموا في الإحرام كأن ذلك بعض الصيد. والثاني: أنها لبيان الجنس، كقوله: ﴿فَأَجْكِبُوا أَلَيْسَ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحج: ٣٠].

قوله تعالى: ﴿تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَهَامَاتُكُمُ﴾ قال مجاهد: الذي تناله اليد: الفراخ والبيض، وصغار الصيد، والذي تناله الرماح: كبار الصيد.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَلِمْ إِلَهُهُ﴾ قال مقاتل: ليرى الله من يخافه بالغيب ولم يره، فلا يتناول الصيد وهو مُحْرَم ﴿فَنَاقَتَهُ﴾ فأخذ الصيد عمداً بعد النهي للمُحْرَم عن قتل الصيد ﴿فَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَدٌ﴾ قال ابن عباس: يوسع بطنه وظهره جلدًا، وتسلب ثيابه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مَتَعِدًا فَأَجْرُهُ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَذَا بُلْغُ الْحَكْمِ أَوْ كَثْرَةُ طَعَامٍ سَيَكُونُ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَعَلَى أَرْسِهِ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مَتَعِدًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن يتعمد قتله ذاكراً لإحرامه، قاله ابن عباس، وعطاء. والثاني: أن يتعمد قتله ناسياً لإحرامه، قاله مجاهد. فاما قتله خطأ، ففيه قولان: أحدهما: أنه كالعمد، قاله عمر، وعثمان، والجمهور. قال الزهري: نزل القرآن بالعمد، وجرت السُّنة في الخطأ، يعني: ألحقت المخطئ بالمتعمد في جوب الجزاء. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «الضَّيْعُ صَيْدٌ وَفِيهِ كِبْشٌ إِذَا قَتَلَهُ الْمُحْرَمُ»<sup>(٣)</sup> وهذا عام في العمد والمخطئ. قال القاضي أبو يعلى: أفاد تخصيص العمد بالذكر ما ذكر في أثناء الآية من الوعيد، وإنما يختص ذلك بالعمد. والثاني: أنه لا شيء فيه، قاله ابن عباس، وابن جبير، وطاووس، وعطاء، وسالم، والقاسم، ودادود. وعن أحمد روايتان: أصحهما الوجوب.

قوله تعالى: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «فجزاء ومثل» مضافة وبخفض «مثل». وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «فجزاء» منون «مثل» مرفوع. قال أبو علي: من أضاف، فقوله: ﴿مِنْ النَّعَمِ﴾ يكون صفة للجزاء، وإنما قال: مثل ما قتل، وإنما عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله، لأنهم يقولون: أنا أكرمُ مثلك، يريدون: أنا أكرمُك، فالمعنى: جزاء ما قتل. ومن رفع «المثل»، فالمعنى: فعليه جزاء من النعم مماثل للمقتول، والتقدير: فعليه جزاء. قال ابن قتيبة: النعم: الإبل، وقد يكون البقر والغنم، والأغلب عليها الإبل. وقال الزجاج: النعم في اللغة: الإبل والبقر والغنم، فإن انفردت الإبل، قيل لها: نعم، وإن انفردت البقر والغنم، لم تسم نعماً.

## فصل

قال القاضي أبو يعلى: والصيد الذي يجب الجزاء بقتله: ما كان مأكول اللحم، كالغزال، وحمار الوحش،

(١) التنعيم: موضع بين مَرْ وسَرْف، بين مكة وفسخ، ومن التنعيم يحرم من أراد العمرة.

(٢) نسبة السيوطي في «الدر المنثور» ٢/٣٢٧ إلى ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان.

(٣) أبو داود ٣/٤٨٥، وابن ماجه ٢/١٠٣٠، والدارقطني ١/٢٦٦، والبيهقي ٥/١٨٣، والحاكم ١/٤٥٢، ٤٥٣ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي. ورواه النسائي ٥/١٩١، والترمذي ١/١٠٤، ولفظه عن ابن أبي عمار قال: سألت جابر بن عبد الله عن الضيغ، فأمرني بأكلها. قلت: أصيد هي؟ قال: نعم. قلت: أسمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال في «عنه الكبير»: سألت عنه البخاري فصحه، وقال البيهقي: هو حديث جيد تقوم به الحجة.

والنعامة، ونحو ذلك، أو كان متولداً من حيوان يؤكل لحمه، كالسمع، فإنه متولد من الضبع والذئب، وما عدا ذلك من السباع كلها فلا جزاء على قاتلها؛ سواء ابتدأ قتلها، أو عدت عليه، فقتلها دفعاً عن نفسه، لأن السبع لا مثل له صورة ولا قيمة، فلم يدخل تحت الآية، ولأن النبي ﷺ أجاز للمحرم قتل الحية، والعقرب، والفريسة، والغراب، والحدأة، والكلب العقور، والسبع العادي<sup>(١)</sup>. قال: والواجب بقتل الصيد فيما له مثل من الأنعام مثله، وفيما لا مثل له قيمته، وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: الواجب فيه القيمة، وحمل المثل على القيمة، وظاهر الآية يرد ما قال، ولأن الصحابة حملوا الآية على المثل من طريق الصورة، فقال ابن عباس: المثل النظير، ففي الظبية شاة، وفي النعامة بغير.

قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُ بِهِ دَأْوُ عَدُوِّ يَنْكُمْ﴾ يعني بالجزاء، وإنما ذكر اثنين، لأن الصيد يختلف في نفسه، فافتقر الحكم بالمثل إلى عدلين.

قوله تعالى: ﴿يَنْكُمْ﴾ يعني: من أهل ملتكم.

قوله تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغُ الْكَيْبَةِ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال، والمعنى: يحكمان به مقدراً أن يهدي. ولفظ قوله «بالغ الكيبة» لفظ معرفة، ومعناه: النكرة. والمعنى: بالغاً الكيبة، إلا أن التوئين حُذِفَ استخفافاً. قال ابن عباس: إذا أتى مكة ذبحه، وتصدق به.

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَثْرَةُ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحفصة، والكسائي: ﴿أَوْ كَثْرَةُ﴾ منوناً ﴿طَعَامُ﴾ رفعاً. وقرأ نافع، وابن عامر: ﴿أَوْ كَثْرَةُ﴾ رفعاً غير منون «طعام مساكين» على الإضافة. قال أبو علي: من رفع ولم يصف، جعله عطفاً على الكفارة عطف بيان، لأن الطعام هو الكفارة، ولم يصف الكفارة إلى الطعام، لأن الكفارة لقتل الصيد، لا للطعام، ومن أضاف الكفارة إلى الطعام، فلأنه لما خیر المكفر بين الهدي، والطعام، والصيام، جازت الإضافة لذلك، فكانه قال: كفارة طعام، لا كفارة هدي، ولا صيام. والمعنى: أو عليه بدل الجزاء والكفارة، وهي طعام مساكين. وهل يعتبر في إخراج الطعام قيمة النظير، أو قيمة الصيد؟ فيه قولان: أحدهما: قيمة النظير، وبه قال عطاء، والشافعي، وأحمد. والثاني: قيمة الصيد، وبه قال قتادة، وأبو حنيفة، ومالك. وفي قدر الإطعام لكل مسكين قولان: أحدهما: مذان من بُرٍّ، وبه قال ابن عباس، وأبو حنيفة. والثاني: مُدٌّ برٍّ، وبه قال الشافعي، وعن أحمد روايتان، كالقولين.

قوله تعالى: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلَاكُمَا﴾ قرأ أبو رزين، والضحاك، وقتادة، والجحدري، وطلحة: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ﴾ بكسر العين. وقد شرحنا هذا المعنى في (البقرة). قال أصحابنا: يصوم عن كل مُدٍّ برٍّ، أو نصف صاع تمر، أو شعير يوماً. وقال أبو حنيفة: يصوم يوماً عن نصف صاع في الجميع. وقال مالك، والشافعي: يصوم يوماً عن كل مُدٍّ من الجميع.

## فصل

وهل هذا الجزاء على الترتيب، أم على التخيير؟ فيه قولان: أحدهما: أنه على التخيير بين إخراج النظير، وبين الصيام، وبين الإطعام. والثاني: أنه على الترتيب، إن لم يجد الهدي، اشترى طعاماً، فإن كان معسراً صام، قاله ابن سيرين. والقولان مرويان عن ابن عباس، وبالأول قال جمهور الفقهاء.

(١) روى البخاري ٣٠/٤، ٣٢، ومسلم ٨٥٧/٢، والترمذي ١٠٣/١، والنسائي ١٨٨/٥، وابن ماجه ١٠٣١/٢ عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «خمس فواسق يقتلن في الحرم، الفأرة، والمقرب، والغراب، والجدأة، والكلب العقور». ورواه البخاري ومسلم عن طريق ابن عمر مرفوعاً ولفظه: «خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح: المقرب، والفأرة، والكلب العقور، والغراب، والحدأة» وقول المصنف «الفريسة» يريد بها الفأرة، وقد وردت اللفظة في البخاري من حديث جابر. وقوله: «السبع العادي» هو قطعة من حديث، قال الحفاظ في «التلخيص» ٢٢٤/١: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري في حديث. وفيه يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف وإن حسنه الترمذي، وفيه لفظة منكورة وهي قوله: «ويروى الغراب ولا يقتله». وأما الحية، فقد روى مسلم ٨٥٦/٢ عن عائشة مرفوعاً «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الحية والغراب الأبقع، والفأرة، والكلب العقور، والحدأة». وروى مسلم أيضاً من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ أمر بقتل حية وهو بنى.

قوله تعالى: ﴿يَذْكُرْكَ وَكَأَلْ أَثَرُوهٗ﴾ أي: جزاء ذنبه. قال الزجاج: «الوبال»: ثقل الشيء في المكروه، ومنه قولهم: طعامٌ وبيل، وماءٌ وبيل: إذا كانا ثقلين. قال الله ﷻ: ﴿تَأَخَذْتَهُ أَثَدًا وَيَلَا﴾ [الزلزل: ١٦] أي: ثقيلاً شديداً.

قوله تعالى: ﴿عَمَّا آتَاكَ مَا سَلَكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: ما سلف في الجاهلية، من قتلهم الصيد، وهم محرمون، قاله عطاء. والثاني: ما سلف من قتل الصيد في أول مرة، حكاه ابن جرير، والأول أصح. فعلى القول الأول يكون معنى قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ في الإسلام، وعلى الثاني: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ ثانية بعد أولى. قال أبو عبيدة: «عاد» في موضع يعود، وأنشد:

إِنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا      وَإِنْ ذُكِرَتْ بِسَوْءٍ عِنْدَهُمْ أُذُنُوا<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَيَنْقِمْ اللَّهُ بِنْدَهُ﴾ «الانتقام»: المبالغة في العقوبة، وهذا الوعيد بالانتقام لا يمنع إيجاب جزاء ثانٍ إذا عاد، وهذا قول الجمهور، وبه قال مالك، والشافعي، وأحمد. وقد روي عن ابن عباس، والنخعي، وداود: أنه لا جزاء عليه في الثاني، إنما وعد بالانتقام.

﴿أَيْلَ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَّاعًا لَكُمْ وَالسَّيَارَ وَمَنْ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَيْلَ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ قال أحمد: يؤكل كلُّ ما في البحر إلا الضفدع والتمساح، لأن التمساح يأكل الناس يعني: أنه يَفْرُسُ. وقال أبو حنيفة، والثوري: لا يباح منه إلا السمك. وقال ابن أبي ليلى، ومالك: يباح كلُّ ما فيه من ضفدع وغيره. فأما طعامه، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما نبذه البحر ميتاً، قاله أبو بكر، وعمر، وابن عمر، وأبو أيوب، وقتادة. والثاني: أنه مليحة<sup>(٢)</sup>، قاله سعيد بن المسيّب، وسعيد بن جبير، والسدي. وعن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة كالقولين. واختلفت الرواية عن النخعي، فروي عنه كالقولين، وروي عنه أنه جمع بينهما، فقال: طعامه المليح وما لفظه. والثالث: أنه ما نبت بمائه من زروع البرِّ، وإنما قيل لهذا: طعام البحر، لأنه يثبت بانه، حكاه الزجاج. وفي المتاع قولان: أحدهما: أنه المنفعة، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة. والثاني: أنه الحل، قاله النخعي. قال مقاتل: متاعاً لكم، يعني: المقيمين، وللسيارة، يعني: المسافرين.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ أما الاصطيد، فمحرم على المحرم، فإن صيد لأجله، حُرْم عليه أكله خلافاً لأبي حنيفة، فإن أكل فعلية الضمان خلافاً لأحد قولي الشافعي. فإن ذبح المُحْرَم صيداً، فهو ميتة خلافاً لأحد قولي الشافعي أيضاً. فإن ذبح الحلال صيداً في الحرم، فهو ميتة أيضاً، خلافاً لأكثر الحنكية.

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ فَيُكَافِئُ لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا فِي السُّكُوتِ وَمَا فِي الْأَنْصَابِ وَأَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ مِمَّا عَلَيْهِمْ﴾

قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ﴾ جعل بمعنى: صَيَّر. وفي تسمية الكعبة كعبة قولان: أحدهما: لأنها مربعة، قاله عكرمة، ومجاهد. والثاني: لعلوها وتوثقها، يقال: كعبت المرأة كعابة، وهي كاعب: إذا تتأ ثديها. ومعنى تسمية البيت بأنه حرام: أنه حُرْم بصاد عنده، وأن يختلئ ما عنده من الخلا، وأن يُعَصَّدَ شجره<sup>(٣)</sup>، وعظمت حرمة. والمراد بتحريم

(١) البيت لقعب ابن أم صاحب، وهي أمه، واسم أبيه: ضمرة، أحد بني عبد الله بن غطفان، وكان في أيام الوليد بن عبد الملك، وهو من جملة أبيات قالها في أناس من قومه، كانوا يناصبونه العداوة، ويتبعون عثراته، ويشهرونها في الناس. وهو في «مجاز القرآن» ١/ ١٧٧، و«الحماسة» ٣/ ١٤٥٠، و«السمطة» ١/ ٣٦٢، و«الانقباض» ٢٩٢، و«شواهد المغني» للسيوطي: ٣٢٦، و«شرح المصنوع» ٤٧٠، و«اللسان»: أذن. ورواية الشطر الثاني في المراجع التي ذكرت آنفاً هذا «مجاز القرآن»:

مَنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا      مَنِ ذُكِرَتْ بِسَوْءٍ عِنْدَهُمْ أُذُنُوا

وبعد البيت:

وَأَنْ ذُكِرَتْ بِسَوْءٍ عِنْدَهُمْ أُذُنُوا      لَبِئْسَتِ الْخَلْقَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ

مَنْ إِذَا سَمِعُوا غَيْرًا ذُكِرَتْ بِهِ      جَهْلًا عَلَيْنَا وَجِبْنًا عَنْ هَذِهِم

(٢) المليح: على وزن فاعل: هو الملح، يقال: سمك مليح وملوح وملح.

(٣) روى البخاري ٤٠/ ٤ عن ابن عباس ؓ أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَةً، فَلَمْ تَحُلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَا تَحُلْ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَإِنَّمَا أَحَلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ، وَلَا يَخْتَلِي خِلَافًا، وَلَا يَعْصِدُ شَجَرُهَا، وَلَا يَنْفَرُ صَيْدُهَا، وَلَا تُلْتَقِطُ لِقَطْعَتُهَا إِلَّا لِمُعْرَفٍ»، قال المباس: يا رسول الله إلا الأذخر لصاغتنا =

البيت سائر الحرم، كما قال: ﴿هَذَا بَلَدُ الْكَمَةِ﴾ وأراد: الحرم<sup>(١)</sup>. والقيام: بمعنى القوام. وقرأ ابن عامر: قيما بغير ألف. قال أبو علي: وجهه على أحد أمرين، إما أن يكون جعله مصدراً، كالشيع، أو حذف الألف وهو يريد بها، كما يقصر الممدود. وفي معنى الكلام ستة أقوال: أحدها: قياماً للدين، ومعالم للحج، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: قياماً لأمر من توجه إليها، رواه العوفي عن ابن عباس. قال قتادة: كان الرجل لو جرَّ كلَّ جريرة، ثم لجأ إليها، لم يُتناول، ولم يُقَرَّب. وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام، لم يعرض له ولم يقربه، وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر، فأحمته ومنعته من الناس، كان إذا نفر تقلد قلادة من الإذخر أو من إحاء السمر فمنعته من الناس حتى يأتي أهله. حواجز ألَّفها الله بين الناس في الجاهلية<sup>(٢)</sup>. والثالث: قياماً لبقاء الدين، فلا يزال في الأرض دين ما حُجَّت واستُقبِلت، قاله الحسن. والرابع: قوام دنيا وقوام دين، قاله أبو عبيدة<sup>(٣)</sup>. والخامس: قياماً للناس، أي: مما أمروا أن يقوموا بالفرض فيه، ذكره الزجاج. والسادس: قياماً لمعايشهم ومكاسبهم بما يحصل لهم من التجارة عندها، ذكره بعض المفسرين. فأما الشهر الحرام، فالمراد به الأشهر الحرم، كانوا يأمن بعضهم بعضاً فيها، فكان ذلك قواماً لهم، وكذلك إذا أهدى الرجل هدياً أو قلد بعيه أمر كيف تصرف، فجعل الله تعالى هذه الأشياء عصمة للناس بما جعل في صدورهم من تعظيمها.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَسْلُوَا﴾ ذكر ابن الأنباري في المشار إليه بذلك أربعة أقوال: أحدها: أن الله تعالى أخبر في هذه السورة بغيوب كثيرة من أخبار الأنبياء وغيرهم، وأطلع على أشياء من أحوال اليهود والمنافقين، فقال: ذلك لتعلموا، أي: ذلك الغيب الذي أنبأكم به عن الله يدلكم على أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض، ولا تخفى عليه خافية. والثاني: أن العرب كانت تسفك الدماء بغير حلها، وتأخذ الأموال بغير حقها، ويقتل أحدهم غير القاتل، فإذا دخلوا البلد الحرام، أو دخل الشهر الحرام، كفُّوا عن القتل. والمعنى: جعل الله الكعبة أمناً، والشهر الحرام أمناً، إذ لو لم يجعل للجاهلية وقتاً يزول فيه الخوف لهلكوا، فذلك يدل على أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض. والثالث: أن الله تعالى صرف قلوب الخلق إلى مكة في الشهور المعلومه فإذا وصلوا إليها عاش أهلها معهم، ولولا ذلك ماتوا جوعاً، لعلمه بما في ذلك من صلاحهم، وليستدلوا بذلك على أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض. والرابع: أن الله تعالى جعل مكة أمناً، وكذلك الشهر الحرام، فإذا دخل الطيبي الوحشي الحرم، أنس بالناس، ولم ينفر من الكلب، ولم يطلبه الكلب، فإذا خرجا عن حدود الحرم، طلبه الكلب، ودُغِر هو منه، والطائر يأنس بالناس في الحرم، ولا يزال يطير حتى يقرب من البيت، فإذا قرب منه عدل عنه، ولم يطر فوقه إجلالاً له، فإذا لحقه وجع طرح نفسه على سقف البيت استشفاء به، فهذه الأعاجيب في ذلك المكان، وفي ذلك الشهر قد دللنا على أن الله تعالى يعلم ما في السموات وما في الأرض.

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ في هذه الآية تهديد شديد. وزعم مقاتل أنها نزلت والتي بعدها، في أمر شريح بن صبيعة وأصحابه، وهم حجاج اليمامة حين هم المسلمون بالغارة عليه، وقد سبق ذكر ذلك في أول السورة.

= وقبرنا. قال: «إلا الإذخر» قال الحافظ: وقوله: «ولا يخطئ غلاماً بالخاء المعجمة، والخلئ: مقصور، وذكر ابن التين أنه وقع في رواية القاسبي بالمد، وهو الرطب من اللبث، واختلاؤه: قطعه واحتشاه. وقوله «لا يعضد» أي: لا يقطع. قوله «الإذخر» هو نبت معروف عند أهل مكة طيب الريح، له أصل متدفن، وقفيان دقاق، ينبت في السهل والحر، وأهل مكة يسقون به البيوت بين الخشب، ويسدون الخلل بين اللبث في القبور، ويستعملونه بدلاً من الحلفاء في الوعد.

(١) حد حرم مكة، من طريق المدينة: ثلاثة أميال عند بيوت السقيا، ويقال لها: بيوت نثار، وهي دون التنعيم، ويعرف الآن بمساجد عائشة. وحده من طريق اليمن: سبعة أميال عند أضاة لبن. وحده من طريق العراق: سبعة أميال على ثنية خل بالمقطع. وحده من الجعرانة: تسعة أميال في شعب عبد الله بن خالد، وحده من طريق جدة: عشرة أميال عند منقطع الأعشاش. وحده من طريق الطائف على عرفات من بطن نمرة: سبعة أميال عند طرف عرفة، وحده من بطن عرفة: أحد عشر ميلاً. عن «مفيد الأنام» ٢٥٥/١.

(٢) الخبر في الطبري ٩٣/١١، والزيادة منه.

(٣) الذي في «مجاز القرآن» ١٧٧/١: «جعل الله البيت الحرام قياماً للناس» أي: قواماً. وقال حميد الأرقط: قوام دنيا وقوام دين.



وهل هذه الآية محكمة، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنها محكمة، وأنها تدل على أن الواجب على الرسول التبليغ، وليس عليه الهدى. والثاني: أنها كانت قبل الأمر بالقتال، ثم نسخت بآية السيف<sup>(١)</sup>.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأْتِيَ الْأَنْبِيَاءَ لَكُمْ تَفْهِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ روى جابر بن عبد الله أن رجلاً قال: يا رسول الله إن الخمر كانت تجارتي، فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله؟ فقال له النبي ﷺ: «إن الله لا يقبل إلا الطيب» فنزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. وفي الخبيث والطيب أربعة أقوال: أحدها: الحلال والحرام، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: المؤمن والكافر، قاله السدي. والثالث: المطيع والعاصي. والرابع: الرديء والجيد، ذكرهما الماودي. ومعنى الإعجاب هاهنا: السرور بما يتعجب منه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتْلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْوَمٌ وَإِنْ تَسْلُوا عَنْهَا جِئَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ بُدِّ لَكُمْ عَمَّا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَتْلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْوَمٌ﴾ في سبب نزولها ستة أقوال: أحدها: أن الناس سألوا النبي ﷺ حتى أحفوه بالمسألة، فقام مغضباً خطيباً، فقال: «سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا إلا بيته لكم»، فقام رجل من قريش، يقال له عبد الله بن خذافة كان إذا لاحى يُدعى إلى غير أبيه، فقال: يا نبي الله من أبي؟ قال: «أبوك خذافة»، فقام آخر، فقال: أين أبي؟ قال: في النار، فقام عمر فقال: رضىنا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبالقرآن إماماً، إنا حديثو عهد بجاهلية، والله أعلم من أبائنا، فسكن غضبه، ونزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن أبي هريرة<sup>(٣)</sup>، وقتادة عن أنس<sup>(٤)</sup>. والثاني: أن رسول الله ﷺ خطب الناس، فقال: «إن الله كتب عليكم الحج»، فقام عكاشة بن محصن، فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال: «أما إني لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ثم تركتم لضللتم، اسكتوا عني ما سكث عنكم، فإنما هلك من هلك ممن كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم»، فنزلت هذه الآية، رواه محمد بن زياد عن أبي هريرة<sup>(٥)</sup>. وقيل: إن السائل عن ذلك الأقرع بن حابس<sup>(٦)</sup>. والثالث: أن قوماً كانوا يسألون رسول الله ﷺ استهزاء، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فنزلت هذه الآية، رواه أبو الجورية عن ابن عباس<sup>(٧)</sup>. والرابع: أن قوماً سألوا رسول الله ﷺ عن البحيرة، والسائبة،

(١) القول الأول هو الصحيح، لأن الآية خبر، وهو لا يقبل النسخ، والقصر فيها إضافي يراد به تقرير أن الرسول ﷺ ليس مكلفاً إيجاد الإيمان في قلوبهم، إذ هذا ليس في مقدور أحد سوى الله جل جلاله.

(٢) «أسباب النزول» ص ١٢٠ للواحدي.

(٣) الطبري ١٠٣/١١ من طريق عبد العزيز حدثنا قيس عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة. وعبد العزيز: هو عبد العزيز بن أبان الأموي من ولد سعيد بن العاص، ذكره الذهبي في «الميزان»، وقال عنه: أحد المتروكين، وكذب يحيى بن معين، وقال أبو حاتم: لا يكتب حديثه، وقال البخاري: فيه نظر. وقيس: هو ابن الربيع الأسدي أبو محمد الكوفي صدوق تغير لما كبر. على أن ابن كثير نقله في «تفسيره» ١٠٥/٢ عن الطبري، وقال: إسناده جيد.

(٤) البخاري ١٣/٢٢٠، ومسلم ٤/١٨٣٤، وابن جرير ١١/٧٩ بالفاظ مقاربة وباطول مما رواه المصنف. وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٣٣٤/٢ نسبته إلى ابن حميد، ولابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

(٥) ابن جرير ١١/١٠٥ وسنده حسن، وفيه «فقام محصن الأسدي» في الرواية الثانية «عكاشة بن محصن الأسدي». ورواه أحمد في المسند ٥٠٨/٢، ومسلم ٢/٩٧٥، والسائل رجل، ولم يبين في الخبر اسمه، وليس فيه ذكر الآية ونزولها، ولفظه «خطبنا رسول الله ﷺ»، فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ نسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم، ثم قال: فزوني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه». وقد أشار الحافظ في «الفتح» ١٣/٢٢٠ إلى هذا الحديث، وما فيه من زيادة السؤال عن الحج، ثم قال: وأخرجه الدارقطني مختصراً، وزاد فيه «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتْلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْوَمٌ» وله شاهد عن ابن عباس عند الطبري في «التفسير».

(٦) قال النووي في «شرح مسلم» ٩/١٠١: «هذا الرجل هو الأقرع بن حابس، كذا جاء مبيئاً في غير هذه الرواية» قلت: الرواية التي جاء فيها مبيئاً هي من حديث ابن عباس عند أحمد في «المسند» ٤/٨٤، ٢٢٤، ١٧٢/٤، ١٧٥.

(٧) البخاري ٨/٢١٢، والطبري: ١١/٩٨، وأبو الجورية: هو حطان بن خفاف بن زهير بن عبد الله بن رمح بن عرعة الجرهمي، وثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة وغيرهم، وقال ابن عبد البر: أجمعوا على أنه ثقة.

والوصيلة، والهام، فنزلت هذه الآية، رواه مجاهد عن ابن عباس<sup>(١)</sup>، وبه قال ابن جبير. والخامس: أن قوماً كانوا يسألون الآيات والمعجزات، فنزلت هذه الآية، روي هذا المعنى عن عكرمة. والسادس: أنها نزلت في تمتيهم الفرائض، وقولهم: ودنا أن الله تعالى أذن لنا في قتال المشركين، ومؤالهم عن أحب الأعمال إلى الله، ذكره أبو سليمان الدمشقي. قال الزجاج: «أشياء» في موضع خفض إلا أنها فتحت، لأنها لا تنصرف. وتبد لكم: تظهر لكم. فأعلم الله تعالى أن السؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغي أن يقع، لأنه يسوء الجواب عنه. وقال ابن عباس: إن تبد لكم، أي: إن نزل القرآن فيها بتغليظ، ساءكم ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ سَأَلْتُمْ عَنَّا جِنَّةً يَنْزِلُ الْقرآنُ﴾ أي: حين ينزل القرآن فيها بفرض أو إيجاب، أو نهي أو حكم، وليس في ظاهر ما نزل دليل على شرح ما بكم إليه حاجة، فإذا سألتهم حينئذٍ عنها تبد لكم. وفي قوله: ﴿عَنَّا اللَّهُ عَنَّا﴾ قولان. أحدهما: أنه إشارة إلى الأشياء. والثاني: إلى المسألة. فعلى القول الأول في الآية تقديم وتأخير. والمعنى: لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم، عفا الله عنها. ويكون معنى: عفا الله عنها: أمسك عن ذكرها، فلم يوجب فيها حكماً. وعلى القول الثاني، الآية على نظمها، ومعنى: عفا الله عنها: لم يؤاخذ بها.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَذِبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ في هؤلاء القوم أربعة أقوال. أحدها: أنهم الذين سألو عيسى نزول المائدة، قاله ابن عباس، الحسن. والثاني: أنهم قوم صالح حين سألو الناقة، هذا على قول السدي. وهذان القولان يخرجان على أنهما سألو الآيات. والثالث: أن القوم هم الذين سألو في شأن البقرة وذبحها، فلو ذبحوا بقرة لأجزاء، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم، قاله ابن زيد. وهذا يخرج على سؤال من سأل عن الحج، إذ لو أراد الله أن يشدد عليهم بالزيادة في الفرض لشدد. والرابع: أنهم الذين قالوا لنبي لهم: ابعت لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، وهذا عن ابن زيد أيضاً، وهو يخرج على من قال: إنما سألو عن الجهاد والفرائض تمتياً لذلك. قال مقاتل: كان بنو إسرائيل يسألون أنبياءهم عن أشياء، فإذا أخبروهم بها تركوا قولهم ولم يصدقوهم، فأصبحوا بتلك الأشياء كافرين.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَ يَمِينِهِ وَلَا شَآئِئِهِ وَلَا رَصِيدٍ وَلَا سَكِينٍ وَلَا رَاحٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَ يَمِينِهِ﴾ أي: ما أوجب ذلك، ولا أمر به. وفي «البحيرة» أربعة أقوال. أحدها: أنها الناقة إذا نُجِحت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس، فإن كان ذكراً نحروه، فأكله الرجال والنساء، وإن كان أنثى شقوا أذنها، وكانت حراماً على النساء لا يتفعن بها، ولا يذقن من لبنها، ومنافعها للرجال خاصة، فإذا ماتت، اشترك فيها الرجال والنساء، قاله ابن عباس، واختاره ابن قتيبة. والثاني: أنها الناقة تلد خمس إناث ليس فيهن ذكر، فيشعدون إلى الخامسة، فينكحون أذنها، قاله عطاء. والثالث: أنها ابنة السائبة، قاله ابن إسحاق، والفراء. قال ابن إسحاق: كانت الناقة إذا تابعت بين عشر إناث، ليس فيهن ذكر، سُيِّت، فإذا نُجِحت بعد ذلك أنثى، شُقَّت أذنها، وسُمِّيت بحيرة، وخلت مع أمها. والرابع: أنها الناقة كانت إذا نُجِحت خمسة أبطن، وكان آخرها ذكراً يحررها أذنها، أي: شقوها، وامتنعوا من ركوبها وذبحها، ولا تطرد عن ماء، ولا تمنع عن مرعى، وإذا لقيها لم يركبها، قاله الزجاج. فأما «السائبة»<sup>(٢)</sup>، فهي فاعلة بمعنى: مفعولة، وهي المسيية، كقوله: ﴿فِي يَمِينِهِ رَأْسُي﴾ أي مرضية. وفي السائبة خمسة أقوال. أحدها: أنها التي تُسَبِّب من الأنعام للآلهة، لا يركبون لها ظهراً، ولا يحلبون لها لبناً، ولا يجزؤون منها وبراً، ولا يحملون عليها شيئاً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أن الرجل كان يُسَبِّب من ماله ما شاء، فيأتي به

(١) ابن جرير: ١١١/١١ من طريق خفيف عن مجاهد عن ابن عباس وخروجه السيوطي في «الدر المنثور» ٣٣٦/٢ وزاد نسبه إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه وخفيف: هو خفيف بن عبد الرحمن الجزري. قال الحافظ في «التقريب»: صدوق، سبه الحفظ، غلط بأخوه، روي بالإرجاء.

(٢) روى البخاري ٢١٣/٨، ومسلم ٢١٩٢/٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «رأيت عمرو بن عامر الغزامي يجر قصبه في النار، وكان أول من سبب السواكب». وروى البخاري ٢١٤/٨ عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ «رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً، ورأيت عمراً يجر قصبه وهو أول من سبب السواكب» والقصب، بضم القاف وسكون الصاد المهملة: الأعماء.

خزنة الآلهة، فيطعمون ابن السبيل من ألبانه ولحمه إلا النساء فلا يطعمونهن شيئاً منه إلا أن يموت، فيشترك فيه الرجال والنساء، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال الشعبي: كانوا يهدون لآلهتهم الإبل والغنم، ويتركونها عند الآلهة، فلا يشرب منها إلا رجلاً، فإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء. والثالث: أنها الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث، سببت، فلم تركب، ولم يجز لها وبر، ولم يشرب لبنها إلا ضيف أو ولدّها حتى تموت، فإذا ماتت أكلها الرجال والنساء، ذكره الفراء. والرابع: أنها البعير يُسبب بنذر يكون على الرجل إن سلمه الله تعالى من مرض، أو بلغه منزله أن يفعل ذلك، قاله ابن قتيبة. قال الزجاج: كان الرجل إذا نذر شيء من هذا، قال: ناقتي سائبة، فكانت كالبحيرة في أن لا ينتفع بها ولا تمنع من ماء ومرعى. والخامس: أنه البعير يحجج عليه الحجة، فيُسبب، ولا يستعمل شكراً لنجسها، حكاه الماوردي عن الشافعي. وفي «الوصيلة» خمسة أقوال: أحدها: أنها الشاة كانت إذا نُتِجَتْ سبعة أبطن، نظرُوا إلى السابغ، فإن كان أنثى، لم ينتفع النساء منها بشيء إلا أن تموت، فيأكلها الرجال والنساء، وإن كان ذكراً، ذبحوه، فأكلوه جميعاً، وإن كان ذكراً وأنثى، قالوا: وصلت أخاها، فترك مع أخيها فلا تذبح، ومنافعها للرجال دون النساء، فإذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وذهب إلى نحوه ابن قتيبة، فقال: إن كان السابغ ذكراً، ذبح فأكل منه الرجال والنساء، وإن كان أنثى، تركت في النعم، وإن كان ذكراً وأنثى، قالوا: وصلت أخاها، فلم تذبح لمكانها، وكانت لحومها حراماً على النساء، ولبن الأنثى حراماً على النساء إلا أن يموت منها شيء فيأكله الرجال والنساء. والثاني: أنها الناقة البكر تبتكر<sup>(١)</sup> في أول نتاج الإبل بالأنثى، ثم تتقي بالأنثى، فكانوا يستبقونها لطواغيتهن، ويذعنونها الوصيلة، أي: وصلت إحدهما بالأخرى، ليس بينهما ذكر، رواه الزهري عن ابن المسيب. والثالث: أنها الشاة تنتج عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن، فيدعونها الوصيلة، وما ولدت بعد ذلك فللذكر دون الإناث، قاله ابن إسحاق. والرابع: أنها الشاة تنتج سبعة أبطن، عناقين<sup>(٢)</sup> عناقين، فإذا ولدت في سابغها عناقاً وجدياً، قيل: وصلت أخاها، فحُجرت مجرى السائبة، قاله الفراء. والخامس: أن الشاة كانت إذا ولدت أنثى، فهي لهم، وإذا ولدت ذكراً جعلوه لآلهتهم، فإن ولدت ذكراً وأنثى، قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم، قاله الزجاج. وفي «الحام» ستة أقوال: أحدها: أنه الفحل، ينتج من صلبه عشرة أبطن، فيقولون: قد حمى ظهره، فيسبيونه لأصنامهم، ولا يحمل عليه، قاله ابن مسعود، وابن عباس، واختاره أبو عبيدة، والزجاج. والثاني: أنه الفحل يولد لولده، فيقولون: قد حمى هذا ظهره، فلا يحملون عليه، ولا يجزؤون وبره، ولا يمنعونه ماءً، ولا مرعى، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، واختاره الفراء، وابن قتيبة. والثالث: أنه الفحل يظهر من أولاده عشر إناث من بناته، وبنات بناته، قاله عطاء. والرابع: أنه الذي ينتج له سبع إناث متواليات، قاله ابن زيد. والخامس: أنه الذي لصلبه عشرة كلها تضرب في الإبل، قاله أبو روق. والسادس: أنه الفحل يضرب في إبل الرجل عشر سنين، فيخلّى، ويقال: قد حمى ظهره، ذكره الماوردي عن الشافعي. قال الزجاج: والذي ذكرناه في البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام أثبت ما رويناه عن أهل اللغة. وقد أعلم الله ﷻ في هذه الآية أنه لم يحرم من هذه الأشياء شيئاً، وإن الذين كفروا افتروا على الله ﷻ. قال مقاتل: وافترأؤهم: قولهم: إن الله حرمه وأمرنا به. وفي قوله: «وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» قولان: أحدهما: وأكثرهم، يعني: الأتباع لا يعقلون أن ذلك كذب على الله من الرؤساء الذين حرموا، قاله الشعبي. والثاني: لا يعقلون أن هذا التحريم من الشيطان، قاله قتادة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَسْتَدُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني: إذا قيل لهؤلاء المشركين الذين حرموا على أنفسهم هذه الأنعام: تعالوا إلى ما أنزل الله في القرآن من تحليل ما حرّمهم على أنفسهم، قالوا: «حَسْبُنَا» أي: يكفينا «مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا» من الدين والمنهاج «أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا» من الدين «وَلَا يَسْتَدُونَ» له، أي: يتبعونهم في خطئهم.

(١) يقال: ابتكرت الحامل: إذا ولدت بكرها، وأنت في الثاني، وثالث في الثالث.

(٢) المناق: الأنثى من ولد المزم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup> قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن النبي ﷺ كتب إلى هَجْر، وعليهم المنذر بن ساوي يدعوهم إلى الإسلام، فإن أبوا فليؤدُّوا الجزية، فلما أتاه الكتاب، عرضه على مَنْ عنده من العرب واليهود والنصارى والمجوس، فأقرُّوا بالجزية، وكرهوا الإسلام، فكتب إليهم رسول الله ﷺ: «أما العرب فلا تقبل منهم إلا الإسلام أو السيِّف، وأما أهل الكتاب والمجوس، فاقبل منهم الجزية» فلما قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ أسلمت العرب، وأعطى أهل الكتاب والمجوس الجزية، فقال منافقو مكة: عجباً لمحمد يزعم أن الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا، وقد قبل من مجوس هَجْر، وأهل الكتاب الجزية، فهلاً أكرههم على الإسلام، وقد ردَّها على إخواننا من العرب، فشق ذلك على المسلمين، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: كان رسول الله ﷺ لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب، فلما أسلمت العرب طوعاً وكرهاً، قبلها من مجوس هَجْر، فطعن المنافقون في ذلك، فنزلت هذه الآية. والثاني: أن الرجل كان إذا أسلم، قالوا له: سهت آباءك وضللهم، وكان ينبغي لك أن تنصرهم، فنزلت هذه الآية، قاله ابن زيد. قال الزجاج: ومعنى الآية: إنما ألزمكم الله أمر أنفسكم، ولا يؤاخذكم بذنوب غيركم، وهذه الآية لا توجب ترك الأمر بالمعروف، لأن المؤمن إذا تركه وهو مستطيع له، فهو ضالٌّ، وليس بمهتدي<sup>(٢)</sup>. وقال عثمان بن عفان: لم يأت تأويلها بعد. وقال ابن مسعود: تأويلها في آخر الزمان: قولوا ما قبل منكم، فإذا غلبتم، فعليكم أنفسكم<sup>(٣)</sup>. وفي قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قولان: أحدهما: لا يضرركم من ضل بترك الأمر بالمعروف إذا هديتم أنتم للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قاله حذيفة بن اليمان، وابن المسيب. والثاني: لا يضرُّكم من ضل من أهل الكتاب إذا أدُّوا الجزية، قاله مجاهد. وفي قوله: ﴿يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تنبيه على الجزاء.

### فصل

فعلى ما ذكرنا عن الزجاج في معنى الآية، هي محكمة، وقد ذهب قوم من المفسرين إلى أنها منسوخة، ولهم في ناسخها قولان: أحدهما: أنه آية السيف. والثاني: أن آخرها نسخ أولها. روي عن أبي عبيد أنه قال: ليس في القرآن آية جمعت الناسخ والمنسوخ غير هذه، وموضع المنسوخ منها إلى قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ﴾ والناسخ: قوله: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾. والهُدَى هاهنا: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر<sup>(٤)</sup>.

(١) روى الإمام أحمد في «المسند» ٢/١، ١٧، ٣٣، ٥٢ عن قيس بن أبي حازم، قال: قام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس إنكم تفرِّون هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ إلى آخر الآية، وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يممهم الله بعباده» قال الحافظ ابن كثير في «التفسير» ١٠٩/٢: وقد روى هذا الحديث أصحاب السنن الأربعة وابن حبان في «صحيحه» وغيرهم من طرق كثيرة عن جماعة كثيرة عن إسماعيل بن أبي خالد به متصلاً مرفوعاً، ومنهم من رواه عنه به موقوفاً على الصديق، وقد رجح رفعه الدارقطني. وقال ابن جرير ١٥٢/١ بعد أن أورد الآثار: وأولى هذه الأقوال، وأصح التاويلات عندنا بتأويل هذه الآية ما روي عن أبي بكر الصديق ﷺ فيها، وهو ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ الزموا العمل بطاعة الله، وبما أمركم به، وانتهوا عما نهاكم الله عنه ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ يقول: فإنه لا يضرركم ضلال من ضل إذا أنتم لزمتم العمل بطاعة الله، وأديتم فيمن ضل من الناس ما ألزمكم الله به فيه، من فرض الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر الذي يركبه، أو يحاول ركوبه، والأخذ على يديه إذا رام ظمناً لمسلم أو معاهد، ومنعه منه، فأبى النزوع عن ذلك، ولا ضير عليكم في تمادي فيه وضلاله، إذا أنتم اهتديتم، وأديتم حق الله تعالى ذكره فيه. وإنما قلنا ذلك أولى التاويلات في ذلك بالصواب، لأن الله تعالى ذكره، أمر المؤمنين أن يقوموا بالقسط، ويتعاونوا على البر والتقوى، ومن القيام بالقسط الأخذ على يدي الظالم، ومن التعاون على البر والتقوى، الأمر بالمعروف، وهذا مع ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من أمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولو كان للناس ترك ذلك لم يكن للأمر به معنى إلا في الحال التي رخص فيه رسول الله ﷺ ترك ذلك، وهي حال المجز عن القيام به بالجوارح الظاهرة فيكون مرخصاً لتركه، إذا قام حيثنَّ بأداء فرض الله عليه في ذلك بقلبه. وإذا كان ما وصفنا من التأويل بالآية أولى، فينبى أنه قد دخل في معنى قوله: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ مما قاله حذيفة وسعيد بن المسيب من أن ذلك (إذا أمرتم بالمعروف ونهيت عن المنكر).

(٢) ابن جرير الطبري ١٣٩/١، وذكر الهيثمي في «المجمع» ١٩/٧، وقال: رواء الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن الحسن البصري لم يسمع من ابن مسعود.

(٣) ذكر المؤلف رحمه الله في كتابه «نواسخ القرآن» ورقة ٨٥ أربعة أشياء تدل على إحكام هذه الآية هي في إيجاز:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ وَاحِدٌ مِنْ عَشِيرَتِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَرِيتُمْ فِي الْأَرْضِ فَامْنَحْنِيكُم مِّنْهُنَّ مَوْبِقَ مَوْبِقَةٍ عَشِيرَتُهُمَا مِنْ بَنِي الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ بِأَلْفِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا تَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ قَرْبًا وَلَا تَكُنُّوا مِنْ شَرِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١)

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ﴾ روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان تميم الداري، وعدي بن بدءا يختلفان إلى مكة، فصحبهما رجل من قريش من بني سهم، فمات بأرض ليس فيها أحد من المسلمين، فأوصى إليهما بتركته، فلما قدما، دفعهما إلى أهله، وكنما جاماً كان معه من فضة، وكان مخزواً بالذهب، فقالا: لم نره، فأتي بهما إلى النبي ﷺ، فاستحلفهما بالله: ما كنما، وخلي سبيلهما. ثم إن الجام وُجد عند قوم من أهل مكة، فقالوا: ابتعناه من تميم الداري، وعدي بن بدء، فقام أولياء السهمي، فأخذوا الجام، وحلف رجلان منهم بالله: إن هذا الجام جام صاحبنا، وشهادتنا أحق من شهادتهما، وما اعتدينا، فنزلت هذه الآية، والتي بعدها<sup>(١)</sup>. قال مقاتل: واسم الميت: بُزَيْلُ بْنُ أَبِي مَارِيَةَ مَوْلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ، وكان تميم، وعدي نصرانيين، فأسلم تميم، ومات عدي نصرانياً<sup>(٢)</sup>. فأما التفسير، فقال الفراء: معنى الآية: ليشهدكم اثنان إذا حضر أحدكم الموت<sup>(٣)</sup>. قال الزجاج: المعنى: شهادة هذه الحال شهادة اثنين، فحذف «شهادة»، ويقوم «اثنان» مقامهما. وقال ابن الأنباري: معنى الآي: ليشهدكم في سفركم إذا حضركم الموت، وأردتم الوصية اثنان. وفي هذه الشهادة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الشهادة على الوصية التي ثبتت عند الحكام، وهو قول ابن مسعود، وأبي موسى، وشريح، وابن أبي ليلى، والأوزاعي، والثوري، والجمهور. والثاني: أنها إيمان الوصي بالله تعالى إذا ارتاب الورثة بهما، وهو قول مجاهد. والثالث: أنها شهادة الوصية، أي: حضورها، كقوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٣٣] جعل الله الوصي هاهنا اثنين تأكيداً، واستدل أرباب هذا القول بقوله: ﴿يَقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ قالوا: والشاهد لا يلزمه يمين. فأما «حضور الموت» فهو حضور أسبابه ومقدماته. وقوله: ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾، أي: وقت الوصية. وفي قوله: «منكم» قولان: أحدهما: من أهل دينكم وملتكم، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وشريح، وابن سيرين، والشعبي، وهو قول أصحابنا والثاني: من عشيرتكم وقبيلتكم، وهم مسلمون أيضاً، قاله الحسن، وعكرمة، والزهري، والسدي.

قوله تعالى: ﴿أَوْ وَاحِدٌ مِنْ عَشِيرَتِكُمْ﴾ تقديره: أو شهادة آخرين من غيركم. وفي قوله: «من غيركم» قولان: أحدهما: من غير ملتكم ودينكم، قاله أرباب القول الأول. والثاني: من غير عشيرتكم وقبيلتكم، وهم مسلمون أيضاً، قاله أرباب القول الثاني. وفي «أو» قولان: أحدهما: أنها ليست للتخيير، وإنما المعنى: أو آخران من غيركم إن لم تجدوا منكم، وبه قال ابن عباس، وابن جبير، والثاني: أنها للتخيير، ذكره الماوردي.

١ - أن قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَفْسَحُكُمْ﴾ يقتضي إغراء الإنسان بمصالح نفسه، ويضمن الإخبار بأنه لا يعاقب بفساد غيره، وليس من مقتضى ذلك ألا ينكر على غيره، وإنما غاية الأمر أن يكون ذلك مسكوتاً عنه، فيقف على الدليل.

٢ - أن الآية تدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَفْسَحُكُمْ﴾ أمر بإصلاحها وأداء ما عليها، وقد ثبت وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فصار من جملة ما على الإنسان في نفسه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بدليل قوله ﷺ فيها: ﴿إِنَّمَا أَفْسَحُكُمْ﴾.

٣ - أن الآية قد حملها قوم على أهل الكتاب إذا أدوا الجزية، فيحتلوا لا يلزمون بغيرها.

٤ - أنه لما عاينهم في تقليد آبائهم بالآية المتقدمة، أعلمهم بهذه الآية أن المكلف إنما يلزمه حكم نفسه، وأنه لا يضره ضلال غيره إذا كان مهتدياً، حتى يعلموا أنه لا يلزمهم من ضلال آبائهم شيء من الدم والعقاب قال: وإذا تلمعت هذه المناسبة بين الآيتين لم يكن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هاهنا مدخل، وهذا أحسن الوجوه في الآية.

(١) البخاري ٣٠٧/٥، ٣٠٩، وأبو داود: ٤١٨/٣، والترمذي ١٠٠/٤، وحسنه، وابن جرير ١٨٥/١١، والبيهقي في «السنن» ١٦٥/١٠. وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٣٤٢/٢، وزاد نسبه إلى ابن المنذر والطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه. والجام: إناء من فضة. وقوله: (كان مخزواً بالذهب) أي: عليه صفائح من ذهب على هيئة خوص النخل وهو ورقه، والتخويس: أن يجعل على الشيء صفائح من الذهب على قدر عرض خوص النخل.

(٢) تميم الداري: هو تميم بن أوس بن خارجة اللخمي منسوب إلى جده الدار بن هانئ وفد على رسول الله ﷺ سنة تسع وأسلم، وكان نصرانياً، وأما عدي بن بدء، فكان نصرانياً، ويذكر أنه أسلم، لكن الحافظ ابن حجر صحح في «الإصابة» في ترجمته أنه مات نصرانياً.

(٣) نص كلام الفراء في «معاني القرآن» ٣٢٣ يقول: شاهدان أو وصيان، وقد اختلف فيه، ووقع الاثنان الشهادة، أي: ليشهدكم اثنان من المسلمين.

## فصل

فالقائل بأن المراد بالآية شهادة مسلمين من القبيلة، أو من غير القبيلة لا يشك في إتحكام هذه الآية. فأما القائل بأن المراد بقوله: ﴿أَوْ مَلَكَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أهل الكتاب إذا شهدوا على الوصية في السفر، فلم يفيها قولان: أحدهما: أنها محكمة، والعمل على هذا باق، وهو قول ابن عباس، وابن المسيب، وابن جبير، وابن سيرين، وقتادة، والشعبي، والثوري، وأحمد في آخرين. والثاني: أنها منسوخة بقوله: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ وهو قول زيد بن أسلم، وإليه يميل أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، قالوا: وأهل الكفر ليسوا بعدول، والأول أصح، لأن هذا موضع ضرورة كما يجوز في بعض الأماكن شهادة نساء لا رجل معهن بالحیض والنفس والاستهلال<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتَ حَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ هذا الشرط متعلق بالشهادة، والمعنى: ليشهدكم اثنان إن أنتم ضربتم في الأرض، أي: سافرتهم. ﴿فَأَصْبَحْتُمْ شُعْبَةً مِنَ الْمَوْتِ﴾ فيه محذوف، تقديره: وقد أسندتم الوصية إليهما، ودفعتم إليهما ما لكم ﴿فَتَحْسَبُهُمَا مِنْ بَعْدِ الْفَلَاكَةِ﴾ خطاب للورثة إذا ارتابوا. وقال ابن عباس: هذا من صلة قوله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾، أي: من الكفار. فأما إذا كانا مسلمين، فلا يمين عليهما. وفي هذه الصلاة قولان: أحدهما: صلاة العصر، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال شريح، وابن جبير، وإبراهيم، وقتادة، والشعبي. والثاني: من بعد صلاتهما في دينهما، حكاه السدي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وقال به. وقال الزجاج: كان الناس بالحجاز يحلفون بعد صلاة العصر، لأنه وقت اجتماع الناس. وقال ابن قتيبة: لأنه وقت يعظمه أهل الأديان.

قوله تعالى: ﴿فَيَقْسِمَانِ بِآلِهِ﴾ أي: فيحلفان ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ أي: شككتم يا أولياء الميت. ومعنى الآية: إذا قَدِمَ الموصي إليهما بركة المتوفى، فاتهمهما الوارث، استحلها بعد صلاة العصر: أنهما لم يسرقا، ولم يخونا. فالشرط في قوله: ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ متعلق بتجسوسهما، كأنه قال: إن إرَبْتُمُ جَسَمْتُمُوهَا فاستحلفتموهما، فيحلفان بالله: ﴿لَا تَشْرِي بِهِ﴾ أي: بأيماننا، وقيل: بتحريف شهادتنا، فإلهاء عائدة على المعنى. ﴿كُنَّا﴾ أي: عرضاً من الدنيا ﴿وَلَوْ كُنَّا قَا قُرْهُ﴾ أي: ولو كان المشهود له ذا قرابة منا، وخصّ ذا القرابة، لميل القريب إلى قريبه. والمعنى: لا نحابي في شهادتنا أحداً، ولا نميل مع ذي القربى في قول الزور. ﴿وَلَا تَكُنَّ شَهَادَةُ اللَّهِ﴾ إنما أضيفت إليه، لأمره بإقامتها، ونفيه عن كتمانها. وقرأ سعيد بن جبير: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ بالتونين «الله» بقطع الهمزة وقصرها، وكسر الهاء، ساكنة النون في الوصل. وقرأ سعيد بن المسيب، وعكرمة «شهادة» بالتونين والوصل منصوبة الهاء. وقرأ أبو عمران الجوني «شهادة» بالتونين وإسكانها في الوصل «الله» بقطع الهمزة وقصرها مفتوحة الهاء. وقرأ الشعبي، وابن السميع «شهادة» بالتونين وإسكانها في الوصل «الله» بقطع الهمزة، ومدّها، وكسر الهاء. وقرأ أبو العالية، وعمرو بن دينار مثله، إلا أنهما نصبها الهاء. واختلف العلماء لأي معنى وجبت اليمين على هذين الشاهدين، على ثلاثة أقوال: أحدها: لكونهما من غير أهل الإسلام، روي هذا المعنى عن أبي موسى الأشعري. والثاني: لوصية وقعت بخط الميت وَقَدْ وَرَّثَهُ بعض ما فيها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: لأن الورثة كانوا يقولون: كان مال ميتنا أكثر، فاستخانا الشاهدين، قاله الحسن، ومجاهد.

(١) جاء في «شرح المفردات» ص ٣٣٣: إذا كان مسلم مع رفقة كفار مسافرين ولم يوجد غيرهم من المسلمين فوصى وشهد بوصيته اثنان منهم قبلت شهادتهما ويستحلفان بعد العصر لا تشترى به ثمنًا ولو كان ذا قربي ولا نكتم شهادة الله وأنها وصية الرجل بعينه، فإن عثر على أنهما استحقا إثماً قام آخران من أولياء الموصي فعلقا بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما ولقد خانا وكنا يقضى لهم. قال ابن المنذر: وبهذا قال أكابر العلماء ومن قاله شريح، والنخعي، والأوزاعي ويحيى بن حمزة وقضى بذلك عبد الله بن مسعود في زمن عثمان، رواه أبو عبيدة: وقضى به أبو موسى الأشعري، رواه أبو داود، والخلال. وقال أبو حنيفة، ومالك، والشافعي: لا تقبل لأن من لا تقبل شهادته على غير الوصية لا تقبل في الوصية كالفاسق وأولى... (ولنا) قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ إِذَا سَمِعْتُمْ لَهْوَ النَّاسِ جَمْعًا فَتُحَذِّرُوا بَعْضُهُمْ أَلْحَادًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الآية، وهذا نص الكتاب وقد قضى به رسول الله ﷺ كما في حديث ابن عباس رواه أبو داود وقضى به بعده أبو موسى، وابن مسعود كما تقدم، وحمل الآية على أنه أراد من غير عشرينكم لا يصح لأن الآية نزلت في قصة عدي وتميم بلا خلاف بين المفسرين ودلت عليه الأحاديث ولأنه لو صح ما ذكره لم تجب الأيمان لأن الشاهدين من المسلمين لا قسامة عليهما.

(٢) هذه رواية شاذة، رواها الطبري ١٧٥/١١ في قصة طويلة، ثم ردّها ردّاً شديداً، وجزم بأن المراد الصلاة المعروفة للمخاطبين التي كان رسول الله ﷺ يتغيرها لاستحلاف من أراد تغليب اليمين عليه، وهي صلاة العصر.

﴿إِنَّ عِزَّ عَقِّ أَهْمَا اسْتَحَقَّ إِنَّمَا فَخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلِينَ يُقِيمَانِ بِاللَّهِ لَهَدَدَنَا أَحَقُّ مِنْ كَهَدَّتِهِمَا وَمَا آتَيْنَا إِنَّا إِنَّا لَيْنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠٧)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِزَّ عَقِّ أَهْمَا اسْتَحَقَّ إِنَّمَا﴾ قال المفسرون: لما نزلت الآية الأولى، دعا رسول الله ﷺ عدياً وتيمماً، فاستحلفهما عند المنبر: أنهما لم يخونا شيئاً مما دفع إليهما، فحلفا، وخلى سبيلهما، ثم ظهر الإناء الذي كتماه، فرفعهما أولياء الميت إلى رسول الله ﷺ، فنزلت ﴿إِنَّ عِزَّ عَقِّ أَهْمَا اسْتَحَقَّ إِنَّمَا﴾ ومعنى «عثر»: أطلع، أي: إن عثر أهل الميت، أو من يلي أمره، على أن الشاهدين اللذين هما آخران من غيرنا ﴿اسْتَحَقَّ إِنَّمَا﴾ لميلهما عن الاستقامة في شهادتهما ﴿فَخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أي: مقام هذين الخائنين ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلِينَ﴾. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: «استحق» بضم التاء، «الأوليان» على الشنية. وفي قوله ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ قولان: أحدهما: أنهما الذميان. والثاني: الوليان. فعلى الأول في معنى «استحقَّ عَلَيْهِمُ» أربعة أقوال: أحدها: استحق عليهم الإيصاء، قال ابن الأنباري: المعنى: من القوم الذين استحق فيهم الإيصاء، استحقه الأوليان بالميت، وكذلك قال الزجاج: المعنى: من الذين استحققت الوصية أو الإيصاء عليه. والثاني: أنه الظلم، والمعنى: من الذين استحق عليهم ظلم الأوليان، فحذف الظلم، وأقام الأوليين مقامه، ذكره ابن القاسم أيضاً. والثالث: أنه الخروج مما قاما به من الشهادة، لظهور خيانتهم. والرابع: أنه الإثم، والمعنى: استحق منهم الإثم، ونابت «على» عن «من» كقوله: ﴿عَلَّ النَّاسِ يَسْتَرْوُونَ﴾ [المطففين: ٢٧] أي: منهم. وقال الفراء: «على» بمعنى «في» كقوله: ﴿عَلَّ مُلْكُ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي: في ملكه، ذكر القولين أبو على الفارسي. وعلى هذه الأقوال مفعول «استحق» محذوف مقدر. وعلى القول الثاني في معنى «استحقَّ عَلَيْهِمُ» قولان: أحدهما: استحق منهم الأوليان، وهو اختيار ابن قتيبة. والثاني: جني عليهم الإثم، ذكره الزجاج. فأما «الأوليان»، فقال الأخفش: الأوليان: اثنان، واحدهما: الأولى، والجمع: الأولون. ثم للمفسرين فيهما قولان: أحدهما: أنهما أولياء الميت، قاله الجمهور. قال الزجاج: «الأوليان» في قول أكثر البصريين يرتفعان على البدل مما في «يقومان» والمعنى: فليقم الأوليان بالميت مقام هذين الخائنين. وقال أبو علي: لا يخلو الأوليان أن يكون ارتفاعهما على الابتداء، أو يكون خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: فأخران يقومان مقامهما، هما الأوليان، أو يكون بدلاً من الضمير الذي في «يقومان». والتقدير: فيقوم الأوليان. والقول الثاني: أن الأوليان: هما الذميان، والمعنى: أنهما الأوليان بالخيانة، فعلى هذا يكون المعنى: يقومان، إلا من الذين استحق عليهم. قال الشاعر:

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءٍ زَرَمَ شَرِبَةً      مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى طَهْيَانٍ<sup>(١)</sup>

أي: بدلاً من ماء زمزم. وروى قرّة عن ابن كثير، وحفص وعاصم<sup>(٢)</sup>: «استحق» بفتح التاء والحاء «الأوليان» على الشنية، والمعنى: استحق عليهم الأوليان بالميت وصيته التي أوصى بها، فحذف المفعول. وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: «استحق» برفع التاء، وكسر الحاء، «الأولين» بكسر اللام، وفتح النون على الجمع، والتقدير: من الأولين الذين استحق فيهم الإثم، أي: جني عليهم، لأنهم كانوا أولين في الذكر. ألا ترى أنه قد تقدم ﴿ذَوَى عَدْلٍ يَنْكَرُ﴾ على قوله: ﴿أَوْ فَاخْرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾. وروى الحلبي عن عبد الوارث «الأولين» بفتح الواو وتشديد هاء، وفتح اللام، وسكون الياء، وكسر النون، وهي تشية: أول. وقرأ الحسن البصري: «استحق» بفتح التاء والحاء، «الأولان» تشية «أول» على البديل من قوله: «فَاخْرَانِ». وقال ابن قتيبة: أشبه الأقوال بالآية أن الله تعالى أراد أن يعرفنا كيف يشهد بالوصية عند حضور الموت، فقال: ﴿ذَوَى عَدْلٍ يَنْكَرُ﴾، أي: عدلان من المسلمين [تشهدونهما على الوصية]، وعلم أن من الناس من يسافر فيصحبه في سفره أهل الكتاب دون المسلمين، وينزل القرية التي لا يسكنها غيرهم، ويحضره الموت، فلا يجد من يشهده من المسلمين، فقال: ﴿أَوْ فَاخْرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾، أي: من غير أهل دينكم، ﴿وَلَا مَهْرَبَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافرتم ﴿فَأَمَّا بَيْنَكُمْ وَمِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ وتم الكلام. فالعدلان من المسلمين للحضر والسفر خاصة إن أمكن إشهادهما في

(١) في «اللسان الطهيان»: كأنه اسم قلّة جبل، والطهيان: خشية يرد عليها الماء، ثم أنشد البيت، ونسب للأحول الكندي.

(٢) في النسخة الأحمدية: وروى قرّة عن ابن كثير، وحفص عن عاصم.





الكرامة. والثانية: توكيد حجته على جاحده. ومن نعمة على مريم أنه اصطفاها وطهرها، وأتاها برزقها من غير سبب. وقال الحسن: المراد بذكر النعمة: الشكر. فأما النعمة، فللفظها لفظ الواحد، ومعناها الجمع. فإن قيل: لم قال هاهنا: ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا﴾ وفي (آل عمران) «فيه»؟ فالجواب: أنه جائز أن يكون ذكر الطير على معنى الجميع، وأنت على معنى الجماعة، وجاز أن يكون «فيه» للطير، و«فيها» للهيئة، ذكره أبو على الفارسي.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا بَيِّنٌ مِّمَّا قَدْ خَلَتْ أَعْيُنُ النَّاسِ عَنْ حُكْمِهِ وَيَعْلَمُونَهُ لِقَاءَ رَبِّهِمْ﴾. قرأ ابن كثير، وعاصم هاهنا، وفي (هود) والصف ﴿إِلَّا بَيِّنٌ مِّمَّا قَدْ خَلَتْ أَعْيُنُ النَّاسِ عَنْ حُكْمِهِ وَيَعْلَمُونَهُ لِقَاءَ رَبِّهِمْ﴾. وقرأ في (يونس) ﴿لَكِنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَرًا كُفْرًا﴾. وألف. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، الأربعة ﴿بَيِّنٌ مِّمَّا قَدْ خَلَتْ أَعْيُنُ النَّاسِ عَنْ حُكْمِهِ وَيَعْلَمُونَهُ لِقَاءَ رَبِّهِمْ﴾. بغير ألف، فمن قرأ «سحراً» أشار إلى ما جاء به، ومن قرأ «ساحراً»، أشار إلى الشخص.

﴿وَإِذْ أَخْبَرْنَا لَكَ الْحَوَارِيُّونَ أَنْ آمَنُوا بِوَيْرُسِيِّ قَالُوا مَآءًا وَآشِدَّةً إِنَّا نَسْتَمِثُونَ﴾

وفي الوحي إلى الحواريين قولان. أحدهما: أنه بمعنى الإلهام، قاله الفراء. وقال السدي: قذف في قلوبهم. والثاني: أنه بمعنى الأمر، فتقديره: أمرت الحواريين و«إلى» صلة، قاله أبو عبيدة. وفي قوله: ﴿وَآشِدَّةً﴾ قولان: أحدهما: أنهم يعنون الله تعالى. والثاني: عيسى عليه السلام. وقوله: ﴿إِنَّا نَسْتَمِثُونَ﴾ أي: مخلصون للعبادة والتوحيد. وقد سبق شرح ما أهمل هاهنا فيما تقدم.

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَحْيَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ قال الزجاج: أي: هل يقدر. وقرأ الكسائي: «هل يستطيع» بالطاء، ونصب الرب. قال الفراء: معناه: هل تقدر أن تسأل ربك. قال ابن الأنباري: ولا يجوز لأحد أن يتوهم أن الحواريين شكوا في قدرة الله، وإنما هذا كما يقول الإنسان لصاحبه: هل يستطيع تقوم معي، وهو يعلم أنه مستطيع، ولكنه يريد: هل يسهل عليك. وقال أبو علي: المعنى: هل يفعل ذلك بمسالتك إياه<sup>(١)</sup>. وزعم بعضهم أنهم قالوا ذلك قبل استحكام إيمانهم ومعرفتهم، فرد عليهم عيسى بقوله: اتقوا الله، أن<sup>(٢)</sup> تنسبوه إلى عجز، والأول أصح. فأما «المائدة» فقال اللغويون: المائدة: كل ما كان عليه من الأخوة طعام، فإذا لم يكن عليه طعام، فليس بمائدة، والكأس: كل إناء فيه شراب، فإذا لم يكن فيه شراب، فليس بكأس، ذكره الزجاج. قال الفراء: وسمعت بعض العرب يقول للطبق الذي تهدي عليه الهدية: هُوَ الْمُهْدَى، مقصور، ما دامت عليه الهدية، فإذا كان فارغاً رجع إلى اسمه إن كان طبقاً أو خواناً أو غير ذلك. وذكر الزجاج عن أبي عبيدة أن لفظها فاعلة، وهي في المعنى مفعولة، مثل «يَبْدُو رَأْيِي» [الحاقة: ٢١]. قال أبو عبيدة: وهي من العطاء، والممتاد: المفتعل المطلوب منه العطاء، قال الشاعر:

إلى أمير المؤمنين الممتاد<sup>(٣)</sup>

وَمَا زِدَ عُمْراً: إذا أعطاه. قال الزجاج: والأصل عندي في «مائدة» أنها فاعلة من: ماد يمد: إذا تحرك، فكانها تميد بما عليها. وقال ابن قتيبة: المائدة: الطعام، من: مادني يمدني، كأنها تميد الأكليين، أي: تعطيهم، أو تكون فاعلة بمعنى: مفعول بها، أي: ميد بها الأكلون.

قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: اتقوه أن تسألوه البلاء، لأنها إن نزلت وكذبتم، عذبتهم، قاله مقاتل. والثاني: أن تسألوه ما لم تسألوه الأمم قبلكم، ذكره أبو عبيد. والثالث: أن تشكوا في قدرته.

﴿قَالُوا يُرِيدُ أَنْ لُتَّكُلَ مِنَّا وَلَقَدْ عَلِمْنَا مَا لَمَنِ الْقَوْلُ وَنَعْلَمُ أَنَّ قَدَ صَدَقْتَنَا وَكَوْكَرَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّهِيدِينَ﴾

(١) في نسخة الرباط: «ما يفعل ذلك بمسالتك إياه».

(٢) في «الأحمدية» «أي» بدل «أن» وهو خطأ.

(٣) الرجز لرؤبة، وهو في «ديوانه» ٤٠، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/١٨٣، و«اللسان»: مادة «ميد»، وقبله: نهدي رؤوس المترفين الأنداد. والمترفون: المتعمنون المترسمون في لذات الدنيا وشهواتها، والأنداد: جمع ند بكسر النون، وهو هنا بمعنى الضد، يقال للرجل إذا خالفك، فأردت وجهاً تذهب إليه، ونازعك في ضده: هو ندي ونديدي، حكاه قطرب كما في «الأضداد» ٢/٢٥٦ لأبي الطيب الحلبي. ويأتي أيضاً بمعنى المثل والشبيه. وانظر «الأضداد» ٢٣ لابن الأنباري. يقول: تقتل الخارجين على أمير المؤمنين، ثم نهدي إليه رؤوسهم، وهو المسؤول دون الناس.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَ مِنَّا﴾ هذا اعتذار منهم يبتون به سبب سؤالهم حين نهوا عنه، وفي إرادتهم للأكل منها ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أرادوا ذلك للحاجة، وشدة الجوع، قاله ابن عباس. والثاني: ليزدادوا إيماناً، ذكره ابن الأنباري. والثالث: للتبرك بها، ذكره الماوردي. وفي قوله: ﴿وَنَعْلَمَنَّ قُلُوبُكَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تعلمن إلى أن الله تعالى قد بعثك إلينا نبياً. والثاني: إلى أن الله تعالى قد اختارنا أعواناً لك. والثالث: إلى أن الله تعالى قد أجابك. وقال ابن عباس: قال لهم عيسى: هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوماً، ثم لا تسألونه شيئاً إلا أعطاكم؟ فصاموا، ثم سألو المائدة. فمعنى: ﴿وَنَعْلَمَنَّ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في أننا إذا صمنا ثلاثين يوماً لم نسأل الله شيئاً إلا أعطانا. وفي هذا العلم قولان: أحدهما: أنه علم يحدث لهم لم يكن، وهو قول من قال: كان سؤالهم قبل استحكام معرفتهم. والثاني: أنه زيادة علم إلى علم، ويقين إلى يقين، وهو قول من قال: كان سؤالهم بعد معرفتهم. وقرأ الأعمش: ﴿وتعلم﴾ بالياء، والمعنى: وتعلم القلوب أن قد صدقتنا. وفي قوله: ﴿وَمِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: من الشاهدين لله بالقدرة، ولك بالنبوة. والثاني: عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم، وذلك أنهم كانوا مع عيسى في البرية عند هذا السؤال. والثالث: من الشاهدين عند من يأتي من قوما بما شاهدنا من الآيات الدالة على أنك نبي. والرابع: من الشاهدين لك عند الله بأداء ما بعث به.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ وقرأ ابن محيصن، وابن السميع، والجحدري: «ولاولنا وآخرنا» برفع الهمزة، وتخفيف الواو، والمعنى: يكون اليوم الذي نزلت فيه عيداً لنا، نعظمه نحن ومن بعدنا، قاله قتادة، والسدي. وقال كعب: أنزلت عليهم يوم الأحد، فاتخذوه عيداً. وقال ابن قتيبة: عيداً، أي: مجمعاً. قال الخليل بن أحمد: العيد: كل يوم يجمع، كأنهم عادوا إليه. وقال ابن الأنباري: سُمِّيَ عيداً للعود من الترح إلى الفرح.

قوله تعالى: ﴿وَآيَةً مِنْكَ﴾ أي: علامة منك تدل على توحيدك، وصحة نبوة نبيك. وقرأ ابن السميع، وابن محيصن، والضحاك «وأنه منك» بفتح الهمزة، وينون مشددة. وفي قوله: ﴿وَارْزُقْنَا﴾ قولان: أحدهما: ارزقنا ذلك من عندك. والثاني: ارزقنا الشكر على ما أنعمت به من إيجابتك لنا.

﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْسَلُهَا عَلَيْكُمْ فَأَيُّ عَذَابٍ عَذَابًا لَا أَعْدِيهِ أَعْدَاءُ مِنَ الْمَلَكِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْسَلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ قرأ نافع، وعاصم، وابن عامر «مَرْسَلُهَا» بالتشديد، وقرأ الباقون خفيفة. وهذا وعد بإجابة سؤال عيسى. واختلف العلماء: هل نزلت، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها نزلت، قاله الجمهور، فروى وهب بن منبه عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي قال: لما رأى عيسى أنهم قد جدوا في طلبها لبس جبة من شعر، ثم توضأ، واغتسل، وصفت قدميه في محرابه حتى استويا، وألصق الكعب بالكعب، وحاذى الأصابع بالأصابع، ووضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره، وطأطأ رأسه خضوعاً، ثم أرسل عينيه بالبكاء، فما زالت تسيل دموعه على خده، وتقطر من أطراف لحيته حتى ابتلت الأرض من دموعه حيال وجهه، ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال: اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء، فينما عيسى كذلك، هَبَطَتْ عَلَيْنَا مائدة من السماء، سفرة حمراء بين غمامتين، غمامة من تحتها، وغمامة من فوقها، وعيسى يبكي ويتضرع، ويقول: إلهي اجعلها سلامة، لا تجعلها عذاباً، حتى استقرت بين يديه، والحواريون من حوله، فأقبل هو وأصحابه حتى قعدوا حولها، وإذا عليها منديل مغلف، فقال عيسى: أيكم أوثق بنفسه وأقل بلاء عند ربه فليأخذ هذا المنديل، وليكشف لنا عن هذه الآية. قالوا: يا روح الله أنت أولانا بذلك، فأكشف عنها، فاستأنف وضوءاً جديداً، وصلى ركعتين، وسأل ربه أن يأذن له بالكشف عنها، ثم قعد إليها، وتناول المنديل، فإذا عليها سمكة مشوية، ليس فيها شوك، وحولها من كل البقل ما خلا الكراث، وعند رأسها الخل، وعند ذنبها الملح، وحولها خمسة أرغفة، على رغيف تمر، وعلى رغيف زيتون، وعلى رغيف خمس رمانات. فقال شمعون رأس الحواريين: يا روح الله أؤمن طعام الدنيا هذا، أم من طعام الجنة؟ فقال عيسى: سبحان الله أما تتبهون! ما أخوفني عليكم. قال شمعون: لا وإله بني إسرائيل ما أردت بهذا سوءاً. قال عيسى: ليس ما ترون عليها من طعام



لِي يَحْيَىٰ إِنْ كُنْتَ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَسْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ في زمان هذا القول قولان: أحدهما: أنه يقوله له يوم القيامة، قاله ابن عباس، وقتادة، وابن جريج. والثاني: أنه قاله له حين رفعه إليه، قاله السدي، والأول أصح. وفي «إذ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها زائدة، والمعنى: وقال الله، قاله أبو عبيدة. والثاني: أنها على أصلها، والمعنى: وإذ يقول الله له، قاله ابن قتيبة. والثالث: أنها بمعنى: «إذا»، كقوله: ﴿وَلَوْ رَزَقْنِي إِذْ فَزَعُوا﴾ [سبا: ٥١] والمعنى: إذا. قال أبو النجم:

ثُمَّ جَزَاكَ اللَّهُ عُنْثِي إِذْ جَزَى جَنَاتٍ عَذَنِي فِي السَّمَوَاتِ الْعِلَا<sup>(١)</sup>

ولفظ الآية لفظ الاستفهام، ومعناها التوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى. قال أبو عبيدة: وإنما قال: «إِلَّهَيْن»، لأنهم إذ أشركوا فعل ذكر مع فعل أنثى [عُلب فعل الذكر] ذكروهما. فإن قيل: فالتنصاري لم يتخذوا مريم إلهًا، فكيف قال الله تعالى ذلك فيهم؟ فالجواب: أنهم لما قالوا: لم تلد بشرًا، وإنما ولدت إلهًا، لزمهم أن يقولوا: إنها من حيث البعضية بمثابة من ولدته، فصاروا بمثابة من قاله.

قوله تعالى: ﴿قَالَ سُبْحَنَكَ﴾ أي: براءة لك من السوء ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ أي: لست أستحق العبادة، فأدعوا الناس إليها. وروى عطاء بن السائب عن ميسرة قال: لما قال الله تعالى لعيسى: ﴿هَآءَتْ قُلَّتْ لِغَلِيظٍ أَخِذْ صَبْرًا وَيَأْتِي الْكَهَيَّاتِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ رُعد كل مفصل منه حتى وقع مخافة أن يكون قد قاله، وما قال: إني لم أقُل، ولكنه قال: ﴿إِنْ كُنْتَ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ فإن قيل: ما الحكمة في سؤال الله تعالى له عن ذلك وهو يعلم أنه ما قاله؟ فالجواب: أنه تثبيت للحجة على قومه، وإكذاب لهم في ادعائهم عليه أنه أمرهم بذلك، ولأنه إقرار من عيسى بالعجز في قوله: ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ وبالعبودية في قوله: ﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿تَسْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ قال الزجاج: تعلم ما أضمره، ولا أعلم ما عندك علمه، والتأويل: تعلم ما أعلم وأنا لا أعلم ما تعلم.

﴿مَا قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ أَرْقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿١١٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ قال مقاتل: وحده.

قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾<sup>(٢)</sup> أي: على ما يفعلون ما كنت مقيمًا فيهم، [وقوله] ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ فيه قولان: أحدهما: بالرفع إلى السماء. والثاني: بالموت عند انتهاء الأجل. و«الرقيب» مشروح في سورة (النساء)، و«الشهيد» في (آل عمران).

﴿إِنْ تُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عِبَادَتِي وَإِنْ تَقْفَرُوا لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْغَافِرُ الْكَرِيمُ﴾ ﴿١١٩﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عِبَادَتِي﴾ قال الحسن، وأبو العالية: إن تعذبهم، فبإقامتهم على كفرهم، وإن تغفر لهم، فببوتة كانت منهم. وقال الزجاج: علم عيسى أن منهم من آمن، ومنهم من أقام على الكفر، فقال في جملتهم: ﴿إِنْ تُؤْمِنُوا﴾ أي: إن تعذب من كفر منهم فإنهم عبادك، وأنت العادل فيهم، لأنك قد أوضحت لهم الحق، فكفروا،

(١) «الأضداد» لابن الأثير: ١١٩، و«أضداد» أبي الطيب: ٢٨/١، وابن جرير: ٢٣٥/١١، والصاحبي: ١١٢، و«اللسان»: طها. وفيها: العلالي بدل «السماوات» ومي جمع «عليه» بكسر الغين وتشديد اللام المكسورة، والياء المشددة: وهي الفقرة العالية من البيت، وأراد ذلك في (عليين) المذكورة في القرآن.

(٢) روى الإمام أحمد ٣٥١/٢، والبخاري ٢١٥/٨، ومسلم ٢١٩٤/٤، وأبو داود الطيالسي ٢٢٥/٢ عن ابن عباس ؓ قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حافة حرة غزلاء» ثم قال: ﴿كُنَّا بَدَلًا أَوَّلَ حَسَنِي يُسَيِّدُ وَعَدًا عَلَيْكَ إِنْ كُنَّا قَتِيلِينَ...﴾ إلى آخر الآية، ثم قال: «ألا وإن أول الخلائق يَكْسَى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحسنوا بمك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ أَرْقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ إِنْ تُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عِبَادَتِي وَإِنْ تَقْفَرُوا لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْغَافِرُ الْكَرِيمُ﴾ قال: «فيقال لي: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم». وقوله: «غزلاء» جمع أغرل، أي: غير مختونين، أي: أنهم يحشرون كما خلقوا لا شيء معهم، ولا ينقص منهم شيء، بل يتم لهم كل ما نقص منهم.

وإن تغفر لهم، أي: وإن تغفر لمن أفلح منهم، وآمن، فذلك تفضل منك، لأنه قد كان لك أن لا تغفر لهم بعد عظيم فريتهم، وأنت في مغفرتك لهم عزيز، لا يمتنع عليك ما تريد، حكيم في ذلك. وقال ابن الأنباري: معنى الكلام: لا ينبغي لأحد أن يعترض عليك، فإن عذبهم؛ فلا اعتراض عليك، وإن غفرت لهم - ولست فاعلاً إذا ماتوا على الكفر - فلا اعتراض عليك. وقال غيره: العفو لا يقص عرك، ولا يخرج عن حكمك. وقد روى أبو ذر قال: قام رسول الله ﷺ قيام ليلة بآية يرددها: ﴿إِنْ تَدْرِبُهُمْ فَبِإِثْمِهِمْ وَإِنْ تَنْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ الْحَكِيمُ﴾ (١).

﴿قَالَ اللَّهُ هَلْ يَبْعَثُ الْمُتَّقِينَ فِي دَارِهِمْ مَنْ جَاءَتْ غَمَرًا مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْأَوَّلُ الْعَظِيمُ﴾ (٢) اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَلْ يَبْعَثُ الْمُتَّقِينَ فِي دَارِهِمْ مَنْ جَاءَتْ غَمَرًا مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْأَوَّلُ الْعَظِيمُ﴾ قرأ الجمهور برفع اليوم، وقرأ نافع بنصبه على الظرف. قال الزجاج: المعنى: قال الله هذا لعيسى في يوم ينفع الصادقين صدقهم، ويجوز أن يكون على معنى: قال الله هذا الذي ذكرناه يقع في يوم ينفع الصادقين صدقهم. والمراد باليوم: يوم القيامة. وإنما خص نفع الصدق به، لأنه يوم الجزاء. وفي هذا الصدق قولان: أحدهما: أنه صدقهم في الدنيا ينفعهم في الآخرة. والثاني: صدقه في الآخرة ينفعهم هنالك. وفي هذه الآية تصديق لعيسى فيما قال.

قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: بطاعتهم، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بشوابه. وفي قوله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تنبيه على عبودية عيسى، وتحريض على تعلق الآمال بالله وحده.



(١) «المسند» ١٤٩/٥ ولفظه عن أبي ذر قال: صلى رسول الله ﷺ ليلة، قرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها ﴿إِنْ تَدْرِبُهُمْ فَبِإِثْمِهِمْ وَإِنْ تَنْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ الْحَكِيمُ﴾ (٢) فلما أصبح قلت: يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها. قال: «سألت ربي ﷻ الشفاعة لأمتي فأعطانيها، وهي نافلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله ﷻ شيئا» ورجاله ثقات، خلا جسر بنت دجاجة العامرية، فإنه لم يوثقها سوى العجلي وابن حبان، وقال البخاري: عند جسر حجاب. انظر «تهذيب التهذيب» ٤٠٦/١٢.

## سورة الأنعام

### فصل في نزولها

روى مجاهد عن ابن عباس: أن (الأنعام) مما نزل بمكة. وهذا قول الحسن، وقتادة، وجابر بن زيد. وروى يوسف بن مهرة عن ابن عباس قال: نزلت سورة (الأنعام) جملةً ليلاً بمكة، وحولها سبعون ألف ملك<sup>(١)</sup>. وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: هي مكة، نزلت جملة واحدة، ونزلت ليلاً؛ وكتبوها من ليلتهم، غير ست آيات وهي: ﴿قُلْ تَكَلَّأْنَا أَثَلٌ مَّا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى آخر الثلاث آيات [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣] وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية [الأنعام: ٩١]. وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ إلى آخر الآيتين [الأنعام: ٩٣، ٩٤]. وذكر مقاتل نحو هذا. وزاد آيتين: قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكَنَّتْ يَلَمُّونَ أَنَّهُمْ مُنْكَرٌ مِنَ رَبِّكَ يُلَاقُونَ﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكَنَّتْ يَلَمُّونَ﴾ [الأنعام: ٢١]. وروى عن ابن عباس، وقتادة قال: هي مكة، إلا آيتين نزلتا بالمدينة؛ قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية [الأنعام: ٩١]. وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَّعْرُوشَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١]. وذكر أبو الفتح ابن شيطا أنها مكة، غير آيتين نزلتا بالمدينة ﴿قُلْ تَكَلَّأْنَا﴾ والتي بعدها [الأنعام: ١٥١، ١٥٢].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَسْبُ لِلَّهِ الْوَلِيُّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَقُولُونَ ۖ﴾

فأما التفسير، فقال كعب: فاتحة (الكهف) فاتحة (الأنعام)، وخاتمتها خاتمة (هود)؛ وإنما ذكر السموات والأرض، لأنهما من أعظم المخلوقات. والمراد «بالجعل»: الخلق. وقيل: إِنَّ «جَعَلَ» ههنا: صلة؛ والمعنى: والظلمات. وفي المراد بالظلمات والنور ثلاثة أقوال: أحدها: الكفر والإيمان، قاله الحسن. والثاني: الليل والنهار، قاله السدي. والثالث: جميع الظلمات والأنوار. قال قتادة: خلق الله السموات قبل الأرض، والظلمات قبل النور، والجنة قبل النار.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: المشركين بعد هذا البيان ﴿بِرَبِّهِمْ يَقُولُونَ﴾، أي: يجعلون له عديلاً، فيعبدون الحجارة الموات، مع إقرارهم بأنه الخالق لما وُصف. يقال: عدلت هذا بهذا: إذا ساوته به. قال أبو عبيدة: هو مقدم ومؤخر، تقديره: يعدلون بربهم. وقال الضُّعْرُ بن شميل: الباء: بمعنى «عن».

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ يُسَمَّىٰ عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُّونَ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ يعني: آدم، وذلك أنه لما شك المشركون في البعث، وقالوا: من يحيي هذه العظام؟ أعلمهم أنه خلقهم من طين، فهو قادر على إعادة خلقهم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ يُسَمَّىٰ عِنْدَهُ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أن الأجل الأول: أجل الحياة إلى الموت، والثاني: أجل الموت إلى البعث، روي عن ابن عباس، والحسن، وابن المسيب، وقتادة، والضحاك، ومقاتل. والثاني: أن الأجل الأول: النوم الذي تُقْبَضُ فيه الروح، ثم ترجع في حال اليقظة؛ والأجل المسمى عنده: أجل موت الإنسان. رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أن الأجل الأول: أجل الآخرة متى يأتي، والأجل الثاني: أجل الدنيا، قاله مجاهد في رواية. والرابع: أن الأول: خلق الأشياء في ستة أيام، والثاني: ما كان بعد ذلك إلى يوم القيامة، قاله عطاء الخراساني. والخامس: أن الأول: قضاء حين أخذ الميثاق على خلقه، والثاني: الحياة في الدنيا،

(١) ذكره ابن كثير ١٢٢/٢ عن الطبراني في «الكبير» وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف ضعيف ابن سعد، والإمام أحمد، وابن معين وغيرهم. وزاد السيوطي في «الدر المنثور» ٢/٣ نسبه لأبي عبيد، وابن الضريس، وابن المنذر، وابن مردويه.

قاله ابن زيد، كأنه يشير إلى أجل الذرية حين أحياءهم وخاطبتهم. والسادس: أن الأول: أجل من قدم مات من قبل، والثاني: أجل من يموت بعد، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْهُمُ﴾ أي بعد هذا البيان ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: تشكّون، قاله قتادة، والسدي. وفيما شكوا فيه قولان: أحدهما: الوجدانية. والثاني: البعث. والثاني: يختلفون: مأخوذ من المراء، ذكره الماوردي.

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: هو المعبود في السموات وفي الأرض، قاله ابن الأنباري. والثاني: وهو المتفرد بالتدبير في السموات وفي الأرض، قاله الزجاج. والثالث: وهو الله في السموات، ويعلم سرهم وجهركم في الأرض، قاله ابن جرير. والرابع: أنه مقدّم ومؤخّر. والمعنى: وهو الله يعلم سرهم وجهركم في السموات والأرض، ذكره بعض المفسرين.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ نزلت في كفار قريش. وفي «الآية» قولان: أحدهما: أنها الآية من القرآن. والثاني: المعجزة، مثل انشقاق القمر. والمراد بالحق: القرآن. والأنباء: الأخبار. والمعنى: سيعلمون عاقبة استهزائهم.

﴿أَمْ يَرَوْنَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّن قَبْلِهِمْ مِّن قُرُونٍ مَّكَثَتْهُمُ فِي الْأَرْضِ مَا لَرُ تُمْكِنَ لَكُرٍّ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِزْزَارًا وَجَعَلْنَا الْآتِهَا نَحْمَرُ مِنْ قَتِيلِهِمْ فَاهْلَكْتَهُمْ يَدُّوهُمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿كَمْ آتَيْنَاهُم مِّن قَبْلِهِمْ مِّن قُرُونٍ﴾ القرن: اسم أهل كل عصر، وسموا بذلك لاقترانهم في الوجود. وللمفسرين في المراد بالقرن سبعة أقوال: أحدها: أنه أربعون سنة، ذكره ابن سيرين عن النبي ﷺ. والثاني: ثمانون سنة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: مائة سنة، قاله عبد الله بن بشر المازني، وأبو سلمة بن عبد الرحمن. والرابع: مائة وعشرون سنة، قاله زُرارة بن أوفى، وإياس بن معاوية. والخامس: عشرون سنة، حكاه الحسن البصري. والسادس: سبعون سنة، ذكره الفراء. والسابع: أن القرن: أهل كل مدة كان فيها نبي، أو طبقة من العلماء، قُلَّتِ السُّنُونُ، أو كثرت؛ بدليل قوله ﷺ: «خيركم قرني» يعني: أصحابي «ثم الذين يلونهم» يعني: التابعين «ثم الذين يلونهم»<sup>(١)</sup> يعني: الذين أخذوا عن التابعين. فالقرن: مقدار التوسط في أعمار أهل الزمان، فهو في كل قوم على مقدار أعمارهم؛ واشتقاق القرن: من الاقتران. وفي معنى ذلك الاقتران قولان: أحدهما: أنه سمي قرناً، لأنه المقدار الذي هو أكثر ما يقترن فيه أهل ذلك الزمان في بقائهم. هذا اختيار الزجاج. والثاني: أنه سمي قرناً، لأنه يقرن زماناً بزمان، وأمةً بأمة، قاله ابن الأنباري. وحكى ابن قتيبة عن أبي عبيدة قال: يرون أن أقل ما بين القرنين: ثلاثون سنة.

قوله تعالى: ﴿مَّكَثَتْهُمُ فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: أعطيتناهم ما لم نُعطِكم. يقال: مكثته ومكثت له: إذا أقدرته على الشيء بإعطاء ما يصح به الفعل من العدة. وفي هذه الآية رجوع من الخبر إلى الخطاب. فأما السماء: فالمراد بها المطر. ومعنى «أرسلنا»: أنزلنا. و «المدرارة»: مفعال، من درأ، يدرأ؛ والمعنى: نرسلها كثيرة الدَّر. ومفعال: من أسماء

(١) رواه بهذا اللفظ البخاري في «صحيحه» ١٩٠/٥ بشرح «الفتح» عن عمران بن حصين ؓ، وتامه، قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة، قال النبي ﷺ: «إن بعدكم قوماً يَخُونُونَ ولا يُوْتَمَنُونَ، ويشهدون ولا يستشهدون، وينلدون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن» ورواه البخاري ١٩١/٥، ومسلم ١٩٦٣/٤ في «صحيحهما» عن عبد الله بن مسعود ؓ عند بلفظ «خير الناس قرني»، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يحييهم أقوام تنسى شهادة أحدهم ميمته، ويمينه شهادته» ورواه مسلم ١٩٦٢/٤ بلفظ «خير أمي قرني». وانظر الكلام على هذا الحديث في «فتح الباري» ٥/٧.

المبالغة، كقولهم: امرأة مذكّار: إذا كانت كثيرة الولادة للذكور، وكذلك مثنائ. فإن قيل: السماء مؤنثة، فلم ذكّر مدراراً؟ فالجواب: أن حكم ما تعدل من النوع عن منهاج الفعل وبنائه، أن يلزم التذكير في كلّ حال، سواء كان وصفاً لمذكر أو مؤنث؛ كقولهم: امرأة مذكّار، ومعطار؛ وامرأة مذكّر، ومؤنث؛ وهي كفور، وشكور. ولو بُنيت هذه الأوصاف على الفعل، لقيل: كافرة، وشاكرة، ومُذكّرة؛ فلما عدل عن بناء الفعل، جرى مجرى ما يستغني بقيام معنى التانيث فيه عن العلامة؛ كقولهم: التعلّ لبستّها، والفأس كسرتّها، وكان إيتاؤهم التذكير للفرق بين المبني على الفعل، والمعدول عن مثلي الأفاعيل. والمراد بالمدراار: المبالغة في اتصال المطر ودوامه؛ يعني: أنها تكثر وقت الحاجة إليها؛ لا أنها تدوم ليلاً ونهاراً، ففسد، ذكره ابن الأنباري.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي رُقَاسٍ لَقَالَ الْفِئْتُمُ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٧)

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي رُقَاسٍ﴾ سبب نزولها: أن مشركي مكة قالوا: يا محمد، والله لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله، ومعه أربعة من الملائكة، يشهدون أنه من عند الله، وأنتك رسوله، فتزلت هذه الآية، قاله ابن السائب. قال ابن قتيبة: والقرطاس: الصحيفة، يقال للرامي إذا أصاب الصحيفة: قَرَطَسَ<sup>(١)</sup>. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: القرطاس قد تكلموا به قديماً. ويقال: إن أصله غير عربي. والجمهور على كسر قافه، وضمها أبو رزين، وعكرمة، وطلحة، ويحيى بن يعمر.

فأما قوله تعالى: ﴿قَلَسُوا بِآيَاتِهِمْ﴾ فهو تأكيد لنزوله، وقيل: إنما علّقه باللمس باليد إبعاداً له عن السحر، لأن السحر يتخلّل في المراتب، دون الملموسات. ومعنى الآية: إنهم يدفعون الصحيح.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ (٨)

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ قال مقاتل: نزلت في النضر بن الحارث، وعبد الله بن أبي أمية، ونوفل بن خويلد؛ و «لولا» بمعنى «هلا» ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ نصده؛ ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ فعابونه ولم يؤمنوا، ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾؛ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: لماتوا، ولم يؤخروا طرفة عين لتوبة، قاله ابن عباس. والثاني: لقامت الساعة، قاله عكرمة، ومجاهد. والثالث: لعجل لهم العذاب، قاله قتادة.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِ مَا يَلْبَسُونَ﴾ (٩)

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: ولو جعلنا الرسول إليهم ملكاً، لجعلناه في صورة رجل، لأنهم لا يستطيعون رؤية الملك على صورته، ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: لشبّنا عليهم. يقال: ألّبت الأمر على القوم، ألّبه: أي: شبهته عليهم، وأشكلته. والمعنى: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا، فلا يدرون أملك هو، أم آدمي؟ فأضللناهم بما به ضلّوا، قبل أن يُبعث الملك. وقال الزجاج: كانوا يلبسون على ضعفهم في أمر النبي ﷺ، فيقولون: إنما هذا بشر مثلكم؛ فقال تعالى: لو رأوا الملك رجلاً، لكان يلحقهم فيهِ من اللبس مثل ما لحق ضعفهم منه. وقرأ الزهري، ومعاذ القارئ، وأبو رجاء: «وللبسنا»، بالتشديد، «عليهم ما يلبسون»، مشددة أيضاً.

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَقَّ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١٠) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا

كَتَبَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١١)

قوله تعالى: ﴿فَحَقَّ بِالَّذِينَ سَخِرُوا﴾ أي: أحاط. قال الزجاج: الحيق في اللغة: ما اشتمل على الإنسان من

(١) اختصر المؤلف رحمه الله كلام ابن قتيبة، وإليك نصه بتمامه من «غريب القرآن» ١٥٠: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي رُقَاسٍ﴾ أي: صحيفة، وكذلك قوله: ﴿يَجْمَلُونَ قَائِلِينَ﴾ أي: صحفاً. قال المرار:

عَقِبَ الْمَنَازِلِ غَيْرُ مَثَلِ الْأَنْفُسِ

فَوَقَفَتْ تَعْتَرِفُ الصُّحُفُ بِعَدَمِهَا

والأنفس: جمع نفس، مثل قنح وأقنح وأقنداح. أراد غير مثل النفس عرفته بالقرطاس، ثم قال: «فوقفت تعترف الصحيفة» فأعلمك أن القرطاس هو الصحيفة، ومنه يقال للرامي إذا أصاب: قرطس، إنما يراد أصاب الصحيفة.

بِعَدَمِ الرُّمَاقِ عَرَفَتْهُ بِالْقُرْطَاسِ

عَمَسَ الْكِتَابَ وَقَدْ يُرَى لَمْ يَغْمَسِ



مكروه فعله، ومنه: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْكَرُّ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]؛ أي: ترجع عاقبة مكروهه إلا عليهم. قال السدي: وقع بهم العذاب الذي استهزؤا به.

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ إِلَيْكُمْ يَوْمَ الْيَقِينَةِ لَا رَبَّ فِيهِ إِلَّا الَّذِي خَشِعُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المعنى: فإن أجابوك، وإلا فـ ﴿قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ قال ابن عباس: قضى لنفسه أنه أرحم الراحمين. قال الزجاج: ومعنى كتب: أوجب ذلك إيجاباً مؤكداً، وجائز أن يكون كتب في اللوح المحفوظ؛ وإنما حُوِّطَ الخلق بما يعقلون، فهم يعقلون أن تؤكد الشيء المؤخر أن يحفظ بالكتاب. وقال غيره: رحمته عامة؛ فمنها تأخير العذاب عن مستحقه، وقبول توبة العاصي.

قوله تعالى: ﴿لِيَجْمَعَ إِلَيْكُمْ يَوْمَ الْيَقِينَةِ﴾ اللام: لام القسم، كأنه قال: والله ليجمعنكم إلى اليوم الذي أنكرتموه. وذهب قوم إلى أن «إلى» بمعنى: «في». ثم اختلفوا، فقال قوم: في يوم القيامة. وقال آخرون: في قبوركم إلى يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: بالشرك، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لما سبق فيهم من القضاء. وقال ابن قتيبة: قوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ مردود إلى قوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِيبَ الْمُكَذِّبِينَ﴾ الذين خسروا.

﴿وَلَكُمْ مَا سَكَنَ فِي الْآلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّيِّعُ الْغَلِيظُ﴾ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ مَا سَكَنَ فِي الْآلِ وَالنَّهَارِ﴾ سبب نزولها أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: قد علمنا أنه إنما يحملك على ما تدعوننا إليه الحاجة؛ فنحن نجعل لك نصيباً في أموالنا حتى تكون من أغنانا رجلاً، وترجع عما أنت عليه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. وفي معنى «سكن» قولان: أحدهما: أنه من السكنى. قال ابن الأعرابي: «سكن» بمعنى حل. والثاني: أنه من السكون الذي يضاد الحركة. قال مقاتل: من المخلوقات ما يستقر بالنهار، ويتشر بالليل؛ ومنها ما يستقر بالليل، ويتشر بالنهار. فإن قيل: لم خص السكون بالذكر دون الحركة؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن السكون أعم وجوداً من الحركة. والثاني: أن كل متحرك قد يسكن، وليس كل ساكن يتحرك. والثالث: أن في الآية إضماراً؛ والمعنى: وله ما سكن وتحرك؛ كقوله: ﴿يَتَّبِعُكُمْ الْحَرُّ﴾ [النحل: ٨٢] أراد: والبرد؛ فاختصر.

﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ فَاطِمَةُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ قُلْ إِنَّهُ أَمْرٌ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسَدٌ وَلَا تَكُونُ يَنْ الْمَشْرِكِينَ﴾ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ فَاطِمَةُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ذكر مقاتل أن سبب نزولها، أن كفار قريش قالوا: يا محمد، ألا ترجع إلى دين آبائك؟ فنزلت هذه الآية. وهذا الاستفهام معناه الإنكار؛ أي: لا أتخذ ولياً غير الله أتولاه، وأعبده، وأستعينه.

قوله تعالى: ﴿فَاطِمَةُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الجمهور على كسر راء «فاطر». وقرأ ابن أبي عبيدة برفعها. قال أبو عبيدة: الفاطر، معناه: الخالق. وقال ابن قتيبة: المبتدئ. ومنه «كل مولود يولد على الفطرة»<sup>(١)</sup> أي: على ابتداء الخلقة، وهو الإقرار بالله حين أخذ العهد عليهم في أصلاب آبائهم. وقال ابن عباس: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر؛ فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: أنا ابتدأتها. قال الزجاج: إن قيل: كيف يكون الفطر بمعنى الخلق؟ والانفطار: الانشقاق في قوله تعالى: ﴿إِذَا أَسَّأَةُ انْفَطَرَتْ﴾ ﴿١٠﴾ [الانفطار: ١] فالجواب: إنما يرجعان إلى شيء واحد، لأن معنى «فطرهما»: خلقهما خلقاً قاطعاً. والانفطار، والفطور: تقطع وتشقق.

(١) البخاري (١٩٧/٣) عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدهاء» ورواه البخاري أيضاً (١٧٦/٣) ومسلم في «صحيحه» (٢٠٤٧/٤) بلفظ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة» ثم يقول أبو هريرة: «وولدت الله ألقي فكر الناس عليها لا يبين إلتقى الله» الآية. ورواه أحمد في «المسند» عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يمرب منه لسانه، فإذا عبر عنه لسانه، إما شاكراً، وإما كفوراً» وفي رواية لمسلم (٢٠٤٨/٤): «ليس من مولود يولد إلا على هذه الفطرة، حتى يمرب عنه لسانه» وفي رواية له أيضاً: «حتى يبين عنه لسانه».

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُلْهِمْ وَلَا يُلْهِمْ﴾ قرأ الجمهور بضم الياء من الثاني؛ ومعناه: وهو يَرْزُق ولا يُرْزُق، لأن بعض العبيد يرزق مولاه. وقرأ عكرمة والأعمش «ولا يطعم» بفتح الياء. قال الزجاج: وهذا الاختيار عند البصرياء بالعربية، ومعناه: وهو يَرْزُق وَيُطْعِم ولا يأكل.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُنَبِّئُكَ أَنَّ أَكْثَرَكُمْ أَبْطَلُ مِنْ أَهْلِ الْأَمَةِ﴾ أي: أول مسلم من هذه الأمة؛ ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ قال الأخفش: معناه: وقيل لي: لا تكوننَّ، فصارت: أمرت، بدلاً من ذلك؛ لأنه حين قال: أمرت، قد أخبر أنه قيل له.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ زعم بعض المفسرين أنه كان يجب عليه أن يخاف عاقبة الذنوب، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿لِيُفَرِّقَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَلِكَ وَما تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٣] والصحيح أن الآيتين خبر، والخبر لا يدخله النسخ، وإنما هو معلق بشرط، ومثله: ﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَنْكَ﴾ [الزمر: ٦٦].

﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَجِمَهُ وَذَلِكَ الْقُورُ الْمُنِينُ﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم ﴿مَنْ يُصْرِفْ﴾ بضم الياء وفتح الراء، يعنون: العذاب. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «يُصْرِفْ» بفتح الياء وكسر الراء؛ الضمير قوله: ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾؛ ومما يحسن هذه القراءة قوله ﴿فَقَدْ رَجِمَهُ﴾، فقد اتفق إسناد الضميرين إلى اسم الله تعالى، ويعني بقوله: ﴿يُصْرِفْ﴾ العذاب «يَوْمَئِذٍ»، يعني: يوم القيامة، ﴿وَذَلِكَ﴾ يعني: صرف العذاب.

﴿وَلَنْ يَسْأَلَكَ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ كَافٍ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَسْأَلَكَ يَخْبرُ فَمَوْعِدٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَسْأَلَكَ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ﴾ الضم: اسم جامع لكل ما يتضرر به الإنسان، من فقر، ومرض، وغير ذلك؛ والخبر: العافية. والثاني: أن الضر: الفقر، والخير: الغنى.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْكَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ القاهر: الغالب، والقهر: الغلبة. والمعنى: أنه قهر الخلق فصرّفهم على ما أراد طوعاً وكرهاً؛ فهو المستعلي عليهم، وهم تحت التسخير والتذليل.

﴿قُلْ أَنتُمْ أَكْبَرُ شَهَادَةً عَلَى اللَّهِ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ إِلَيْكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ هَالِكَةً أَزْوَاجًا فَلَا أَشْهَادَ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُي وَإِنِّي بَرٌّ بِمَا تَشْرَكُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنتُمْ أَكْبَرُ شَهَادَةً عَلَى اللَّهِ﴾ سبب نزولها: أن رؤساء مكة أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، ما نرى أحداً يصدقك بما تقول، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى، فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر ولا صفة، فأرنا من يشهد أنك رسول الله؛ فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. ومعنى الآية: قل لقريش: أي شيء أعظم شهادة؟ فإن أجابوك، وإلا فقل: الله، وهو شهيد بيني وبينكم على ما أقول. وقال الزجاج: أمره الله أن يحتج عليهم بأن شهادة الله في بُرْئِهِ أكبر شهادة، وأن القرآن الذي أتى به، يشهد له أنه رسول الله، وهو قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾. ففي الإنذار به دليل على نبوته، لأنه لم يأت أحد بمثله، ولا يأتي؛ وفيه خبر ما كان وما يكون؛ ووعده فيه بأشياء، فكانت كما قال. وقرأ عكرمة، وابن السميع، والجحدري «وَأُوحِيَ إِلَيَّ» بفتح الهمزة والحاء: «القرآن» بالنصب؛ فأما «الإنذار»، فمعناه: التخويف، ومعنى «وَمَنْ بَلَغَ» أي: من بلغ إليه هذا القرآن، فإني نذير له. قال القرطبي: من بلغه القرآن فكانما رأى النبي ﷺ، وكلمه<sup>(١)</sup>. وقال أنس بن مالك: لما نزلت هذه الآية، كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقبصر وكل جبار يدعوهم إلى الله ﷻ.

(١) الطبري ٢٩١/٢١ دون قوله: «وكلمه» وفيه: ثم قرأ ﴿وَمَنْ بَلَغَ إِلَيْكُمْ لَتَشْهَدُوا﴾ ونسبه ابن كثير: ١٢٦/٢ إلى ابن أبي حاتم، وقال: زاد أبو خالد - وهو أحد رواة الخبر - «وكلمه».

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَشَهِيدُونَ أَنْتَ مَعَ اللَّهِ إِلَهَهُ آخَرُ﴾ هذا استفهام معناه الإنكار عليهم. قال الفراء: وإنما قال: «آخَرُ» ولم يقل: «آخر» لأن الآلهة جمع؛ والجمع يقع عليه التانيث، كما قال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨١] وقال: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ [طه: ٥٢].

﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكِتَابَ يَرْفُوتُهُ كَمَا يَرْفُوتُ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكِتَابَ﴾ في الكتاب قولان: أحدهما: أنه التوراة والإنجيل؛ وهذا قول الجمهور. والثاني: أنه القرآن. وفي هاء (يعرفونه) ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى النبي ﷺ، قاله السدي. وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال لعبد الله بن سلام: إن الله قد أنزل على نبيه بمكة ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكِتَابَ يَرْفُوتُهُ كَمَا يَرْفُوتُ آبَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٧، والأسماء: ٢١] فكيف هذه المعرفة؟ فقال: لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني، ولأننا أشد معرفة بمحمد ﷺ مني بابني. فقال عمر: وكيف ذاك؟ فقال: إني أشهد أنه رسول الله حقاً، ولا أدري ما يصنع النساء. والثاني: أنها ترجع إلى الدين والنبي. فالمعنى: يعرفون الإسلام أنه دين الله ﷻ، وأن محمداً رسول الله، قاله قتادة. والثالث: أنها ترجع إلى القرآن. فالمعنى: يعرفون الكتاب الدال على صدقه؛ ذكره الباوردي. وفي ﴿الَّذِينَ خَيْرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنهم مشركو مكة. والثاني: كفار أهل الكنائس.

﴿وَمَنْ أَظْلَرُ مِنْ أَتَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَرُ مِنْ أَتَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ أي: اختلق على الله الكذب في ادعاء شريك معه. وفي «آياته» قولان: أحدهما: أنها محمد والقرآن، قاله ابن السائب. والثاني: القرآن، قاله مقاتل. والمراد بالظلم المذكور في هذه الآية: الشرك.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِمْماً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِمْماً﴾ انتصب «اليوم» بمحذوف تقديره: واذكر يوم نحشرهم. قال ابن جرير: والمعنى: لا يقلحون اليوم، ولا يوم نحشرهم. وقرأ يعقوب: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ ثم يقول: بالياء فيهما. وفي الذين عنى قولان: أحدهما: المسلمون والمشركون. والثاني: العابدون والمعيدون. وقوله: ﴿آيِنَ شُرَكَائِكُمُ﴾ سؤال توبيخ. والمراد بشركائهم: الأوثان؛ وإنما أضافها إليهم لأنهم زعموا أنها شركاء لله. وفي معنى: ﴿يَزْعُمُونَ﴾ قولان: أحدهما: يزعمون أنهم شركاء مع الله. والثاني: يزعمون أنها تشفع لهم.

﴿ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «ثم لم تكن» بالياء، «فتنتهم» بالرفع. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «تكن» بالياء أيضاً، «فتنتهم» بالنصب؛ وقد رويت عن ابن كثير أيضاً. وقرأ حمزة، والكسائي: «يكن» بالياء، «فتنتهم» بالنصب. وفي «الفتنة» أربعة أقوال: أحدها: أنها بمعنى الكلام والقول. قال ابن عباس، والضحاك: لم يكن كلامهم. والثاني: أنها المعلقة. قال قتادة، وابن زيد: لم تكن معذرتهم. قال ابن الأنباري: فالمعنى: اعتذروا بما هو مهلك لهم، وسبب لفضيحتهم. والثالث: أنها بمعنى البلية. قال عطاء الخراساني: لم تكن بليتهم. وقال أبو عبيد: لم تكن بليتهم التي ألزمتهم الحجة، وزادتهم لائمة. والرابع: أنها بمعنى الافتتان. والمعنى: لم تكن عاقبة فتنتهم. قال الزجاج: لم يكن افتتانهم بشركهم، وإقامتهم عليه، إلا أن تبرؤوا منه. ومثل ذلك في اللغة أن ترى إنساناً يحب غاوياً، فإذا وقع في هلكة تبرأ منه؛ فيقول: ما كانت محبتك لفلان إلا أن انتفيت منه. قال: وهذا تأويل لطيف، لا يعرفه إلا من عرف معاني الكلام، وتصرفت العرب في ذلك. وقال ابن الأنباري: المعنى: أنهم افتتنوا بقولهم هذا، إذ كذبوا فيه، ونفوا عن أنفسهم ما كانوا معروفين به في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «والله

ربنا» بكسر الباء. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بنصب الباء. وفي هؤلاء القوم الذين هذا وصفهم قولان: أحدهما:

أنهم المشركون. والثاني: المنافقون<sup>(١)</sup>. ومتى يحلفون؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: إذا رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا من كان مسلماً، قالوا: تعالوا نكابر عن شركنا، فحلفوا، قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنهم إذا دخلوا النار، ورأوا أهل التوحيد يخرجون، حلفوا [واعتذروا]، قاله سعيد بن جبير، ومجاهد. والثالث: أنهم إذا سئلوا: أين شركاؤكم؟ تبرؤوا، وحلفوا: ما كنا مشركين، قاله مقاتل.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ كَذَّبُوا عَنْ أَنْسِيهِمْ وَمَكَدَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (١١)

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ كَذَّبُوا عَنْ أَنْسِيهِمْ﴾ أي: باعتذارهم بالباطل. ﴿وَمَكَدَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: ذهب ما كانوا يَدْعُونَ ويخلقون من أن الأصنام شركاء لله، وشفعائهم في الآخرة.

﴿وَمَنْ مِّنْ يَّمْتَنِعِ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُذُوبًا لَا يَقُولُ بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ بِجُورِهِمْ يَقُولُ أَلَيْسَ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطُورُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٢) وَمَنْ يَتَّبِعْهُ عَنْهُ وَيَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَلَا يَهْلِكُونَ إِلَّا أَنْسِيهِمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١٣)

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ مِّنْ يَّمْتَنِعِ إِلَيْكَ﴾ سبب نزلوها: أن نفرأ من المشركين، منهم عتبة، وشيبة، والنضر بن الحارث، وأمية وأبي ابن خلف، جلسوا إلى رسول الله ﷺ، واستمعوا إليه، ثم قالوا للنضر بن الحارث: ما يقول محمد؟ فقال: والذي جعلها بينة، ما أدري ما يقول؟ إلا أني أرى تحرك شفتيه، وما يقول إلا أساطير الأولين، مثلما كنت أحدثكم عن القرون الماضية؛ وكان النضر كثير الحديث عن القرون الأولى، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. فاما «الأكِنَّة»، فقال الزجاج: هي جمع كِنَان، وهو الغطاء؛ مثل عِنَانٍ وَأَعِنَّةٍ. وأما: «أن يفتقروا»، فمَنْصُوب على أنه مفعول له. المعنى: وجعلنا على قلوبهم أَكِنَّةً لِّكَرَاهَةِ أَنْ يَفْقَهُوهُ، فلما حذفت اللام، نصبت الكراهة؛ ولما حذفت الكراهة، انتقل نصبها إلى «أن». «الوقر»: ثَقُلَ السَّمْعُ، يقال: في أذنه وَقْرٌ، وَقَدْ وَقِرَتِ الْأُذُنُ، تُوقَرُ. قال الشاعر:

وَكَلَامٌ سَبِيٌّ قَدْ وَقِرَتْ

أُذُنِي عَنْهُ وَمَا بِي مِنْ صَمَمٍ<sup>(٣)</sup>

والوقر، بكسر الواو: أَنْ يُحْمَلَ البعير وغيره مقدار ما يطيق، يقال: عليه وَقْرٌ، ويقال: نخلة موقرة، وموقرة. وإنما فُعل ذلك بهم مجازاة لهم بإقامتهم على كفرهم، وليس المعنى أنهم لم يفهموه، ولم يسمعه؛ ولكنهم لما عدلوا عنه، وصرفوا فكرهم عما عليهم في سوء العاقبة، كانوا بمنزلة من لم يعلم ولم يسمع. ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُذُوبًا﴾ أي: كل علامة تدل على رسالتك، ﴿لَا يَقُولُ بِهَا﴾. ثم أعلم الله ﷻ مقدار احتجاجهم وجدلهم، وأنهم إنما يستعملون في الاحتجاج أن يقولوا: ﴿إِنْ هَذَا﴾، أي: ما هذا ﴿إِلَّا أَسْطُورُ الْأَوَّلِينَ﴾ وفيها قولان: أحدهما: أنها ما سَطَّرَ من أخبارهم وأحاديثهم. روى أبو صالح عن ابن عباس قال: أساطير الأولين: كذبهم، وأحاديثهم في دهرهم. وقال أبو الحسن الأخفش: يزعم بعضهم أن واحدة الأساطير: أسطورة. وقال بعضهم: أسطورة؛ ولا أراه إلا من الجمع الذي ليس له واحد، نحو عباديد، ومذاكير، وأبائيل. وقال ابن قتيبة: أساطير الأولين: أخبارهم وما سطر منها، أي: ما كتب، ومنه قوله: ﴿تَوَالَّفَرُوا وَيَتَّبِعُونَ﴾ (١٤) ﴿الْقَلَمُ﴾ أي: يكتبون، واحدا سطر، ثم أسطار، ثم أساطير جمع الجمع، مثل قول، وأقوال، وأقاويل<sup>(٤)</sup>. والقول الثاني: أن معنى أساطير الأولين: الترهات. قال أبو عبيدة: واحد الأساطير: أسطورة، وإسطارة، ومجازها مجاز الترهات. قال ابن الأنباري: الترهات عند العرب: طرق غامضة، ومسالك مشككة، يقول قائلهم: قد

(١) قال ابن كثير بعد أن نقل هذا القول عن ابن عباس: وفيه نظر، فإن هذه الآية مكية، والمنافقون إنما كانوا بالمدينة، والتي نزلت في المنافقين آية ﴿يَمُنُّونَ﴾ (١٨).

(٢) الطبري ٣٠٢/١١، وذكره ابن كثير ١٢٧/٢ عن ابن أبي حاتم وإسناده حسن، ونصه: عن سعيد بن جبير قال: أتى رجل ابن عباس فقال: سمعت الله يقول: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نَجْمًا وَلَا نُجُودًا﴾ (النساء: ٤٢) قال ابن عباس: أما قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نَجْمًا وَلَا نُجُودًا﴾ فإنه لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا: تعالوا نجعد، فقالوا: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نَجْمًا وَلَا نُجُودًا﴾ ففتح الله على أفواههم، وتكلمت أيديهم وأرجلهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نَجْمًا وَلَا نُجُودًا﴾ (٢٧/٨) تبين أن السائل هو نافع بن الأزرق، وكان يأتي ابن عباس ليقتلي عليه مشابه القرآن.

(٣) البيت للملقب البدي من قصيدة حكيمية جيدة أثبتها صاحب «المفصليات» ٢٩٣.

(٤) «غريب القرآن» ٣٧.

أخذنا في ترهات البساس، يعني: قد عدلنا عن الطريق الواضح إلى المشكل؛ وعما يعرف إلى ما لا يعرف. و«البساس»: الصحاري الواسعة، والترهات: طرق تشعب من الطريق الأعظم، فتكثر وتشكل، فجعلت مثلاً لما لا يصح وينكشف. فإن قيل: لم عابوا القرآن بأنه أساطير الأولين، وقد سطر الأولون ما فيه علم وحكمة، وما لا عيب على قائله؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنهم نسبوه إلى أنه ليس بوحى من الله. والثاني: أنهم عابوه بالإشكال والغموض، استراحة منهم إلى البهت والباطل. فعلى الجواب الأول تكون «أساطير» من التسطير، وعلى الثاني تكون بمعنى الترهات، وقد شرحنا معنى الترهات.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ يَهْوُونَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن أبا طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ، ويتباعدوا عما جاء به، فنزلت فيه هذه الآية، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهو قول عمرو بن دينار، وعطاء بن دينار، والقاسم بن مخيمرة<sup>(١)</sup>. وقال مقاتل: كان رسول الله ﷺ عند أبي طالب يدعو إلى الإسلام، فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون بالنبي ﷺ سوءاً، فسألوا أبا طالب أن يدفعه إليهم فيقتلوه، فقال: ما لي عنه صبر، فقالوا: ندفع إليك من شبابنا من شئت مكان ابن أخيك؛ فقال أبو طالب: حين تروح الإبل، فإن حنت ناقة إلى غير فصيلها دفعته إليكم، وقال:

وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ  
فَاضْطَغَ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةً  
وَعَرَضْتَ دِينَناً لَا مَحَالَةَ أَنَّهُ  
لَوْ لَا الْمَلَأَةُ أَوْ حَذَارِي سُبَّةٌ  
خَسَى أَوْسَدَ فِي الثَّرَابِ دَفِينَا  
وَابْشُرْ وَقَرِّ بِذَاكَ مِنْكَ عُيُونَا  
مِنْ خَيْرِ أَذْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا  
لَوْ جَدْتُنِي سَمَحاً بِذَاكَ مُبِينَا

فنزلت فيه هذه الآية. والثاني: أن كفار مكة كانوا يهون الناس عن اتباع النبي ﷺ، ويتباعدون بأنفسهم عنه، رواه الوالبي عن ابن عباس، وبه قال ابن الحنفية، والضحاك، والسدي. فعلى القول الأول، يكون قوله: «وهم» كناية عن واحد؛ وعلى الثاني: عن جماعة. وفي هاء «عنه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى النبي ﷺ. ثم فيه قولان: أحدهما: يهون عن أذاه. والثاني: عن أتباعه. والقول الثاني: أنها ترجع إلى القرآن، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد. بمعنى يبعدون. وفي هاء «عنه» قولان: أحدهما: أنها راجعة إلى النبي ﷺ. والثاني: إلى القرآن. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَهْلِكُونَ﴾ أي: وما يهلكون ﴿إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ بالتباعد عنه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنهم يهلكونها. ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ تُؤْتَى عَلَى الثَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ﴾ كَأَيِّ رَبَّنَا وَكَوْنُ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ تُؤْتَى عَلَى الثَّارِ﴾ في معنى «وقفوا» ستة أقوال: أحدها: حبسوا عليها، قاله ابن السائب. والثاني: عُرِضُوا عليها، قاله مقاتل. والثالث: عاينوها. والرابع: وقفوا عليها وهي تحتهم. والخامس: دخلوا إليها فعرّفوا مقدار عذابها، تقول: وقفت على ما عند فلان، أي: فهمته وتبينته، ذكر هذه الأقوال الثلاثة الزجاج، واختار الأخير. وقال ابن جرير: «على» هاهنا بمعنى «في». والسادس: جعلوا عليها وقفاً، كالوقوف المؤيدة على سبلها، ذكره الماوردي. والخطاب بهذه الآية للنبي ﷺ، والوعيد للكفار، وجواب «لو» محذوف، ومعناه: لو رأيتم في تلك الحال، لرأيتم عجباً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْذِبُ كَأَيِّ رَبَّنَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم برفع الباء من «تكذب»، والنون من «تكون». قال الزجاج: والمعنى أنهم تمنوا الرد، وضمنوا أنهم لا يكذبون. والمعنى: يا ليتنا نُرَدُّ، ونحن لا نكذب بآيات ربنا، رُدُّنَا أَوْ لَمْ نُرَدِّ، ونكون من المؤمنين، لأننا قد عاينا ما لا نكذب معه أبداً. قال: ويجوز الرفع على وجه آخر، على معنى «يا ليتنا نرد»، يا ليتنا لا نكذب، كأنهم تمنوا الرد والتوفيق للتصديق. وقال الأخفش: إذا رفعت جعلته على مثل اليمين، كأنهم قالوا: ولا نكذب - واللّه - بآيات ربنا، ونكون - والله - من المؤمنين.

(١) هو أبو عروة القاسم بن مخيمرة الهمداني الكوفي، نزيل دمشق، ثقة فاضل مترجم في «التهذيب».

وقرأ حمزة إلا العجلي<sup>(١)</sup>، وحفص عن عاصم، ويعقوب: بنصب الباء من «نكذب»، والنون من «نكون». قال مكي بن أبي طالب: وهذا النصب على جواب التمني، وذلك بإضمار «أن»، حملاً على مصدر «نرد»، فأضمرت «أن» لتكون مع الفعل مصدراً، فعطف بالواو مصدراً على مصدر. وتقديره: يا ليت لنا رداً، وانتفاءً من التكذيب، وكوناً من المؤمنين. وقرأ ابن عامر برفع الباء من «نكذب»، ونصب النون من «نكون»؛ فالرفع قد بينا علته، والنصب على جواب التمني.

﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخَفُّونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٧٨﴾ وَقَالُوا إِنَّا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخَفُّونَ مِنْ قَبْلُ﴾ «بل»: هاهنا ردٌ لكلامهم، أي: ليس الأمر على ما قالوا من أنهم لو ردوا لأمنوا. وقال الزجاج: «بل» استدراك وإيجاب بعد نفي؛ تقول: ما جاء زيد، بل عمرو. وفي معنى الآية أربعة أقوال: أحدها: بدا ما كان يخفيه بعضهم عن بعض، قاله الحسن. والثاني: بدا بنطق الجوارح ما كانوا يخفون من قبل بالسستهم، قاله مقاتل. والثالث: بدا لهم جزاء ما كانوا يخفونه، قاله المبرد. والرابع: بدا للاتباع ما كان يخفيه الرؤساء، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ قال ابن عباس: لعادوا إلى ما نُهُوا عنه من الشرك، وإنهم لكاذبون في قولهم: ﴿وَلَا تَكْذِبْ يَكُونُ مِنْهُ لَكُمْ عَذَابٌ﴾. قال ابن الأنباري: كذبهم الله في إخبارهم عن أنفسهم، أنهم إن رُدُّوا، آمنوا ولم يكذبوا، ولم يكذبهم في التمني.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنَّا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ هذا إخبار عن منكري البعث. قال مقاتل: لما أخبر النبي ﷺ كفار مكة بالبعث، قالوا هذا. وكان عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يقول: هذا حكاية قولهم، لو ردوا لقالوه.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَقُولُ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَقُولُ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ قال مقاتل: عُرِضُوا على ربهم ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾. وقال غيره: أليس هذا البعث حقاً؟ فعلى قول مقاتل: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بالعذاب، وعلى قول غيره: ﴿تَكْفُرُونَ﴾ بالبعث.

﴿فَإِذَا حَيْرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْشَرُنَا عَلَى مَا قَرَّلْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْثَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِيدُهُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا حَيْرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ إنما وُصِفُوا بالخسران، لأنهم باعوا الإيمان بالكفر، فعظم خسرانهم. والمراد بلقاء الله: البعث والجزاء، والساعة: القيامة؛ والبغته: المفاجأة. قال الزجاج: كل ما أتى فجأة فقد بغت، يقال: قد بغته الأمر يَبْغِثُهُ بَغْتَةً، إذا أتاه فجأة. قال الشاعر:

وَلَكِنَّهُمْ بَأْسُوا وَلَمْ أَحْشَ بَغْتَةً وَأَفْطَحَ شَيْءٌ حِينَ يَفْجَأُكَ الْبَغْتُ<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿يَحْشَرُنَا﴾ الحسرة: التلطف على الشيء ألفاظ، وأهل التفسير يقولون: يا ندامتنا. فإن قيل: ما معنى دعاء الحسرة، وهي لا تعقل؟ فالجواب: أن العرب إذا اجتهدت في المبالغة في الإخبار عن عظيم ما تقع فيه، جعلته نداءً، فَتَدْخُلُ عليه «يا» للتنبية، والمراد تنبيه الناس لا تنبيه المنادی. ومثله قولهم: لا أرىك هاهنا، لفظه لفظ الناهي لنفسه، والمعنى للمني؛ ومن هذا قولهم: يا خَيْلَ الله اركبي، يراد: يا فرسان خيل الله. وقال سيبويه: إذا قلت: يا عجباه، فكأنك قلت: احضر. وتعال يا عَجَبٌ، فهذا زمانك. فأما التفریط فهو: التضييع. وقال الزجاج: التفریط في اللغة: تقبلة العجز<sup>(٣)</sup>. وفي المكني عنه بقوله: «فيها» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الدنيا، فالمعنى: على ما

(١) هو أبو أحمد عبد الله بن صالح بن مسلم بن صالح العجلي الكوفي نزيل بغداد، مقرأ مشهور ثقة، أخذ القراءة عرضاً عن حمزة الزيات، وعن سليم عن حمزة أيضاً، مات في حدود العشرين ومائتين.

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ١٩٣، و«الكامل» ٨٧٨، و«اللسان»: بغت، وهو ليزيد بن ضبة مولى لثيف، واسم أبيه مقسم، وضبة أمه، غلبت على نسبه، لأن أباه مات وخلفه صغيراً. وهو شاعر إسلامي.

(٣) في «اللسان»: وقال الزجاج: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْجًا﴾، أي: كان أمره التفریط، وهو تقديم العجز.

ضيعنا في الدنيا من عمل الآخرة، قاله مقاتل. والثاني: أنها الصفة، لأن الخسران لا يكون إلا في صفقة، وترك ذكرها اكتفاء بذكر الخسران؛ قاله ابن جرير. والثالث: أنها الطاعة، ذكره بعض المفسرين. فأما الأوزار، فقال ابن قتبية: هي الأنام، وأصل الوزر: الحمل على الظهر. وقال ابن فارس: الوزر: الثقل. وهل هذا الحمل حقيقة؟ فيه قولان: أحدهما: أنه على حقيقته. قال عمير بن هانئ: يحشر مع كل كافر عمله في صورة رجل قبيح، كلما كان هؤلاء عظمه عليه، وزاده خوفاً، فيقول: بشس الجليس أنت، مالي ولك؟ فيقول: أنا عمك، طالما ركبتني في الدنيا، فلا ريكبك اليوم حتى أخزيتك على رؤوس الناس، فيركبه ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدي ربه، فذلك قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ وهذا قول السدي، وعمرو بن قيس الملائي<sup>(١)</sup>، ومقاتل. والثاني: أنه مثل، والمعنى: يحملون ثقل ذنوبهم، قاله الزجاج. قال فجعل ما ينالهم من العذاب بمنزلة أثقل ما يتحمل، ومعنى ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزُونُونَ﴾: بشس الشيء شيئاً يزرونه، أي يحملونه.

﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبِثٌ وَلَهُوَ وَلَكِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبِثٌ وَلَهُوَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: وما الحياة الدنيا في سرعة انقطاعها، وقصر عمرها، إلا كالشيء يلعب به. والثاني: وما أمر الدنيا والعمل لها إلا لعب ولهو، فأما فعل الخير، فهو من عمل الآخرة، لا من الدنيا. والثالث: وما أهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو، لاشتغالهم عما أمروا به. واللعب: ما لا يُجدي نفعاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ خَيْرٌ﴾ اللام: لام القسم، والدار الآخرة: الجنة ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ فيعملون لها. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، «يعقلون» بالياء، في (الأنعام) و (الأعراف) و (يوسف) و (يس)، وقرأوا في (القصص) بالتاء. وقرأ نافع كل ذلك بالياء، وروى حفص عن عاصم كل ذلك بالتاء، إلا في (يس) ﴿فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (يس: ٦٧)، بالياء. وقرأ ابن عامر الذي في (يس) بالياء، والباقي بالتاء.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَيَبْغِيكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ لَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَكَادُوا أَنْ يَحْمِلُوا﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَيَبْغِيكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن رجلاً من قريش يقال له: الحارث بن عامر، قال: والله يا محمد ما كذبتنا قط فنتهمك اليوم، ولكننا إن نتبعك نتخطف من أرضنا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: كان الحارث بن عامر يكذب النبي في العلانية، فإذا خلا مع أهل بيته، قال: ما محمد من أهل الكذب، فنزلت فيه هذه الآية. والثاني: أن المشركين كانوا إذا رأوا النبي ﷺ، قالوا فيما بينهم: إنه لنبي، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح. والثالث: أن أبا جهل قال للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب الذي جئت به، فنزلت هذه الآية، قاله ناجية بن كعب<sup>(٢)</sup>. وقال أبو يزيد المدني: لقي رسول ﷺ أبا جهل، فصافحه أبو جهل، فقيل له: أتصافح هذا الصابئ؟ فقال: والله إني لأعلم أنه نبي، ولكن متى كنا تبعاً لبني عبد مناف؟ فأنزل الله هذه الآية. والرابع: أن الأخنس بن شريق لقي أبا جهل، فقال الأخنس: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد أصادق هو، أم كاذب؟ فليس هاهنا من يسمع كلامك غيري. فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق، وما كذب قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء، والسقاية، والحجابة، والنبوة، فماداً يكون لسائر قريش؟ فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(٣)</sup>. فأما الذي يقولون، فهو التكذيب للنبي ﷺ، والكفر بالله. وفي الآية تسلية للنبي ﷺ وتعزية عما يواجهون به.

(١) هو أبو عبد الله عمرو بن قيس الملائي الكوفي، ثقة فاضل متعب، مترجم في «التلخيص» وغيره. وقد خرج الطبري أثره ٣٢٧/١١، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٩/٣ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وإسناد ابن أبي حاتم فيما رواه ابن كثير (١٢٩/٢): حدثنا أبو سعيد الأشج، قال: حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس الملائي عن أبي مرزوق.

(٢) الطبري: ٣٣٤/١١، مرسلاً عن ناجية بن كعب الأسدي، ورواه الترمذي ١٠٣/٤ عن علي، ثم رواه مرسلاً من رواية ناجية بن كعب دون ذكر علي، وقال: وهذا أصح، ورواه الحاكم في «المستدرک» ٣١٥/٢ موصلاً بإسناد آخر غير إسناد الترمذي، وصححه على شرط الشيخين، قال الشيخ أحمد شاکر في «عمدة التفسير» (٢٥/٥): فالواصل زيادة من ثقتين، فهي مقبولة على اليقين، وقد تعقب الذهبي تصحيح الحاكم إياه «على شرط الشيخين» بأنهما لم يخرجها لناجية شيئاً. وهذا صحيح، فإن الشيخين لم يخرجها لناجية بن كعب الأسدي شيئاً، ولكنه تابعي ثقة، فالحديث صحيح، وإن لم يكن على شرطهما.

(٣) الطبري: ٣٣٢/١١.

قوله تعالى: ﴿يَنْهَىٰ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾ قرأ نافع، والكسائي: «يُكْذِبُونَكَ» بالتخفيف وتسكين الكاف. وفي معناها قولان: أحدهما: لا يُقْلِقُونَكَ كاذباً؛ قاله ابن قتيبة. والثاني: لا يكذبون الشيء الذي جئت به، إنما يجحدون آيات الله، ويتعرضون لعقوباته. قال ابن الأنباري: وكان الكسائي يحتج لهذه القراءة بأن العرب تقول: كذبت الرجل: إذا نسبته إلى الكذب وصنعة الأباطيل من القول؛ وأكذبه: إذا أخبرته أن الذي يحدث به كذب، ليس هو الصانع له. قال: وقال غير الكسائي؛ يقال: أكذبت الرجل: إذا أدخلته في جملة الكذابين، ونسبته إلى صفتهم، كما يقال: أبخلت الرجل: إذا نسبته إلى البخل، وأجبت: إذا وجدته جباناً. قال الشاعر:

فَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرُونِي بِحُبِّكُمْ      وَطَائِفَةٌ قَالُوا مُسِيءٌ وَمُذْنِبٌ<sup>(١)</sup>

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، وابن عامر: «يُكْذِبُونَكَ» بالتشديد وفتح الكاف؛ وفي معناها خمسة أقوال: أحدها: لا يكذبونك بحجة، وإنما هو تكذيب عناد ونهت، قاله قتادة، والسدي. والثاني: لا يقولون لك: إنك كاذب، لعلمهم بصدقك، ولكن يكذبون ما جئت به، قاله ناجية بن كعب. والثالث: لا يكذبونك في السر، ولكن يكذبونك في العلانية، عداوة لك، قاله ابن السائب، ومقاتل. والرابع: لا يقدرون أن يقولوا لك فيما أنبأت به مما في كتبهم: كذبت. والخامس: لا يكذبونك بقلوبهم، لأنهم يعلمون أنك صادق، ذكر القولين الزجاج. وقال أبو علي: يجوز أن يكون معنى القراءتين واحداً وإن اختلفت اللفظتان، إلا أن «فعلت»: إذا أرادوا أن ينسبوه إلى أمر أكثر من «أفعلت». ويؤكد أن القراءتين بمعنى، ما حكاه سيوبه أنهم قالوا: قللت، وأقللت، وكثرت، وأكثرت بمعنى. قال أبو علي: ومعنى «لا يكذبونك»: لا يقدرون أن ينسبك إلى الكذب فيما أخبرت به مما جاء في كتبهم، ويجوز أن يكون معنى الحقيقة: لا يصادفونك كاذباً، كما يقال: أحمدت الرجل: إذا أصبته محموداً، لأنهم يعرفونك بالصدق والأمانة: «وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَكُونُ اللَّهُ يَجْعَلُونَ» بالسنتهم ما يعلمونه يقيناً، لعنادهم. وفي «آيات الله» هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنها محمد ﷺ، قاله السدي. والثاني: محمد والقرآن، قاله ابن السائب. والثالث: القرآن، قاله مقاتل.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ صَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرُوا وَلَا مَيِّلَ لِّكَفٍّ أَلَّوْهُ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِيِّ الْأَرْسَلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ هذه تعزية له على ما يلقي منهم. قال ابن عباس: «صَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا» رجاء ثوابي،: «وَأَوْدُوا» حتى نُشِرُوا بالمناشير، وُحِرُوا بالنار: «حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرُوا» بتعذيب من كذبهم<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا مَيِّلَ لِّكَفٍّ أَلَّوْهُ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: لا خُلف لمواعيده، قاله ابن عباس. والثاني: لا مبدل لما أخبر به وما أمر به، قاله الزجاج. والثالث: لا مبدل لحكوماته، وأفضيته النافذة في عبادته، فعبرت الكلمات عن هذا المعنى، كقوله: «وَلَكِنَّ حَقَّقَ كَلِمَةَ الْكَافِرِينَ» [الزمر: ٧١] أي: وجب ما قضي عليهم. فعلى هذا القول والذي قبله، يكون المعنى: لا مبدل لحكم كلمات الله، ولا ناقض لما حكم به، وقد حكم بنصر أنبيائه بقوله: «لَا تَعْجَلْ بِأَنَا وَرَسُولِي» [المجادلة: ٢١]. والرابع: أن معنى الكلام معنى النهي، وإن كان ظاهره الإخبار؛ فالمعنى: لا يُبدل أحد كلمات الله، فهو كقوله: «لَا رَيْبَ فِيهِ» [البقرة: ٢٦]. والخامس: أن المعنى: لا يقدر أحد على تبديل كلام الله، وإن زخرف واجتهد، لأن الله تعالى صانه برصين اللفظ، وقويم الحكم، أن يختلط بألفاظ أهل الزيغ، ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِيِّ الْأَرْسَلِينَ﴾ أي: فيما صبروا عليه من الأذى فنصروا. وقيل إن: «مِن»: صلة.

(١) البيت للكثير بن زيد الأسدي من قصيدته الرائعة في مدح آل البيت.

(٢) روى البخاري في «صحيحه» (٤٥٦/٦) و (١٢٦/٧) و (٢٨١/١٢) عن خباب بن الأرت ؓ قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد برودة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا نستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: «كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك من دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون».





قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمُّ أَسْثَالِكُمْ﴾ قال مجاهد: أصناف مصنفه. وقال أبو عبيدة: أجناس يعرفون الله ويعبدونه. وفي معنى «أمثالكم» أربعة أقوال: أحدها: أمثالكم في كون بعضها يفقه عن بعض، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: في معرفة الله، قاله عطاء. والثالث: أمثالكم في الخلق والموت والبعث، قاله الزجاج. والرابع: أمثالكم في كونها تطلب الغذاء، وتبغى الرزق، وتتوقى المهلك، قاله ابن قتيبة. قال ابن الأنباري: وموضع الاحتجاج من هذه الآية أن الله تعالى رغب في المشركين عقولاً، وجعل لهم أفهاماً ألزمهم بها أن يتدبروا أمر النبي ﷺ ويتمسكوا بطاعته، كما جعل للطير أفهاماً يعرف بها بعضها إشارة بعض، وهدى الذكور منها لإتيان الأنثى، وفي كل ذلك دليل على نفاذ قدرة المركب ذلك فيها.

قوله تعالى: ﴿مَا قَرَّلْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ في الكتاب قولان: أحدهما: أنه اللوح المحفوظ. روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس: ما تركنا شيئاً إلا وقد كتبناه في أم الكتاب، وإلى هذا المعنى ذهب قتادة، وابن زيد. والثاني: أنه القرآن. روى عطاء عن ابن عباس: ما تركنا من شيء إلا وقد بيناه لكم. فعلى هذا يكون من العام الذي أريد به الخاص، فيكون المعنى: ما فرطنا في شيء بكم إليه حاجة إلا وبيناه في الكتاب، إما نصاً، وإما مجملًا، وإما دلالة، كقوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يَتْلُو لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٩] أي: لكل شيء يحتاج إليه في أمر الدين.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَّا رِيحٌ مُمْشِرَةٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الجمع يوم القيامة. روى أبو ذر قال: انتطحت شاتان عند النبي ﷺ فقال: يا أبا ذر، «أندري فيما انتطحتا؟» قلت: لا. قال: «لكن الله يدري، وسيقضي بينهما»<sup>(١)</sup>. وقال أبو هريرة: يحشر الله الخلق يوم القيامة، البهائم والدواب والطير وكل شيء، فيبلغ من عدله أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً، فيقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن معنى حشرها: موتها، قاله ابن عباس، والضحاك.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سُدَّ وَجْهَكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَكُنْ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يَقْنُتْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني ما جاء به محمد ﷺ ﴿سُدَّ وَجْهَكُمْ﴾ عن القرآن لا يسمعون، ﴿وَجْهَكُمْ﴾ عنه لا ينطقون به، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: في الشرك والضلالة. ﴿مَنْ يَكُنْ اللَّهُ يُضِلُّهُ﴾ فيموت على الكفر، ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وهو الإسلام.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة: «أرايتم» و «أرايتكم» و «أرايت» بالألف في كل القرآن مهموزاً؛ ولين الهمزة نافع في الكل. وقرأ الكسائي بغير همز ولا ألف. قال الفراء: العرب تقول: أرايتك، وهم يريدون: أخبرني. فاما عذاب الله، ففي المراد به هاتان قولان: أحدهما: أنه الموت، قاله ابن عباس. والثاني: العذاب الذي كان يأتي الأمم الخالية، قاله مقاتل. فاما الساعة، فهي القيامة. قال الزجاج: وهو اسم للوقت الذي يصعق فيه العباد، وللوقت الذي يبعثون فيه.

قوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ أي: أندعون صنماً أو حجراً لكشف ما بكم<sup>(١)</sup> فاحتج عليهم بما لا يدفعونه، لأنهم كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ جواب لقوله: «أرايتكم»، لأنه بمعنى أخبروا، كأنه قيل لهم: إن كنتم صادقين، فأخبروا من تدعون عند نزول البلاء بكم؟.

(١) «المسند» ٥/١٦٢ و ١٧٣، و«الطبري» ١١/٣٤٨.

(٢) الطبري ١١/٣٤٧، والحاكم ٢/٣١٦ وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وأورده ابن كثير في «تفسيره» ٢/١٣١ ثم قال: وقد روي هذا مرفوعاً في حديث الصور، وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٣/١١ وزاد نسب لأبي عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم. وروى مسلم في «صحيحه» ٤/١٩٩٧ عن أبي هريرة مرفوعاً: «لنؤمن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء». والجلحاء: الشاة إذا لم تكن ذات قرن، والقرناء: الشاة الكبيرة القرن.

﴿يَلِإِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ (٤١)

قوله تعالى: ﴿يَلِإِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ قال الزجاج: أعلمهم أنهم لا يدعون في الشدائد إلا إياه؛ وفي ذلك أعظم الحجج عليهم، لأنهم عبدوا الأصنام. ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ المعنى: فيكشف الضر الذي من أجله دعوتهم، وهذا على اتساع الكلام مثل قوله: ﴿وَنَسِيَ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، أي: أهل القرية. ﴿وَتَنْسَوْنَ﴾: يجوز أن يكون بمعنى «تتركون»؛ ويجوز أن يكون المعنى: إنكم في ترككم دعاءهم بمنزلة من قد نسيتهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَكَذَّبْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالنَّاسِئَةِ وَلَعَنْنَاهُمْ بِحَزْرُوتٍ﴾ (٤٢)

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ في الآية محذوف، تقديره: ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك رسلاً فخالفهم، فأخذناهم بالْبَأْسَاءِ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الزمانة والخوف، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها البؤس، وهو الفقر، قاله ابن قتيبة. والثالث: أنها الجوع، ذكره الزجاج. وفي الضراء ثلاثة أقوال: أحدها: البلاء، والجوع، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: النقص في الأموال والأنفس، ذكره الزجاج. والثالث: الأسقام والأمراض، قاله أبو سليمان.

قوله تعالى: ﴿لَعَنْنَاهُمْ بِحَزْرُوتٍ﴾ أي: لكي يتضرعوا. والتضرع: التذلل والاستكانة، وفي الكلام محذوف تقديره: فلم يتضرعوا..

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤٣)

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا﴾ معناه: «فهلأ». والبأس: العذاب. ومقصود الآية: أن الله تعالى أعلم نبيه ﷺ أنه قد أرسل إلى قوم قبله بلغوا من الفسوة أنهم أخذوا بالشدائد، فلم يخضعوا، وأقاموا على كفرهم، وزين لهم الشيطان ضلالتهم فأصروا عليها.

﴿فَلَمَّا شَاؤْنَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فُزِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةٍ فَإِذَا هُمْ خِسِفُونَ﴾ (٤٤)

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا شَاؤْنَا دُكِّرُوا بِهِ﴾ قال ابن عباس: تركوا ما وعظوا به. ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يريد رخاء الدنيا وسرورها. وقرأ أبو جعفر، وابن عامر: «فَتَحْنَا» بالشدائد هنا وفي (الأعراف)، وفي (الأنبياء): «فُتِّحَتْ»، وفي (القمر): «فَتَحْنَا»، والجمهور على تخفيفهن. قال الزجاج: أبواب كل شيء كان مغلقاً عنهم من الخير، حتى إذا ظنوا أن ما كان نزل بهم، لم يكن انتقاماً، وما فُتِحَ عليهم، فاستحقاقهم، أخذناهم بغتة، أي: فاجأهم عذابنا. وقال ابن الأنباري: إنما أراد بقوله «كل شيء»: التأكيد، كقول القائل: أكلنا عند فلان كل شيء، وكنا عنده في كل سرور، يريد بهذا العموم تكثر ما يصفه والإطباب فيه، كقوله: ﴿رَأَوَيْتَ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]. وقال الحسن: من وُسِّعَ عليه فلم ير أنه لم يُمَكَّرَ به، فلا رأي له؛ ومن قُتِرَ عليه فلم ير أنه ينظر له، فلا رأي له، ثم قرأ هذه الآية، وقال: مُكَّرَ بالقوم ورب الكعبة، أعطوا حاجاتهم ثم أخذوا<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ خِسِفُونَ﴾ في المبلس خمسة أقوال: أحدها: أنه الآيس من رحمة الله ﷻ، رواه الضحاك عن ابن عباس؛ وقال في رواية أخرى: الآيس من كل خير. وقال الفراء: المبلس: اللباس المنقطع رجاءه، ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجة، فلا يكون عنده جواب: قد أبلس. قال العجاج:

يَا صَاحِبَ هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُّكْرَسًا

قَالَ نَعَمْ أَغْرَرْتُهُ وَإِبْلَسًا<sup>(٢)</sup>

أي: لم يحجز جواباً. وقيل: المكرس: الذي قد بعرت فيه الإبل، وبؤلت، فيكرب بعضها بعضاً. والثاني: أنه

(١) في «تفسير المنار» ٤١٤/٧: والآية تفيد أن البأساء والضراء وما يقابلها من السراء والنعماء، مما يترى ويتهدب به الموقفون من الناس، وإلا كانت النعم أشد وبالأعلى عليهم من النقم، وهذا ثابت بالاخبار، فلا خلاف في أن الشدائد مصلحة للفساد، وأجدر الناس بالاستفادة من الحوادث المؤمن، كما ثبت في حديث صهيب مرفوعاً في «صحیح مسلم»: «هَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنْ أَمَرَهُ كُلُّهُ لَهْ خَيْرٌ، وَلَيْسَ فَلَكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاهُ شُكْرٌ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاهُ صَبْرٌ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».

(٢) «مجاز القرآن» ١٩٣/١، و«معاني القرآن» للفراء: ٣٣٥، و«الطبري» ٣٦٣/١١، و«الكامل» ٥٣٩، و«اللسان» و«التاج»: بلس.

المفتضح. قال مجاهد: الإيلاس: الفضيحة. والثالث: أنه المهلك، قاله السدي. والرابع: أنه المجهود المكروب الذي قد نزل به من الشر ما لا يستطيعه، قاله ابن زيد. والخامس: أنه الحزين النادم، قاله أبو عبيدة، وأنشد لرؤية: وحضرت يوم الخميس الأخماس وفي الوجوه صُفرة وإيلاس<sup>(١)</sup> أي: اكتئاب، وكسوف، وحزن. وقال الزجاج: هو الشديد الحسرة، الحزين، اليأس. وقال في موضع آخر: المبلس: الساكت المتحير.

﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوَمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَلَمْ يَكُن لِرَبِّ الْمَالِيَةِ﴾ (١٥)

قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوَمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قال ابن السائب: دابرهم: الذي يتخلف في آخرهم. والمعنى: أنهم استؤصلوا. وقال أبو عبيدة: دابرهم: آخرهم الذي يدبرهم. قال ابن قتيبة: هو كما يقال: اجثت أصلهم. قال المفسرون: وإنما حمد نفسه على قطع دابرهم، لأن ذلك إنعام على رسلهم الذين كذبوهم، وعلم الحمد على كفايته شر الظالمين.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ تُصَوِّفُونَ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِقُونَ﴾ (١٦)

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ﴾ أي: أذهبها، ﴿وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ حتى لا تعرفون شيئاً ﴿مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ؟﴾ في هاء «به» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تعود على الفعل، والمعنى: يأتيكم بما أخذ الله منكم، قاله الزجاج. وقال الفراء: إذا كنت عن الأفاعيل، وإن كثرت، وحدثت الكناية، كقولك للرجل: إقبالك وإدبارك يؤذيني. والثاني: أنها تعود إلى الهدى، ذكره الفراء. فعلى هذا تكون الكناية عن غير مذكور، ولكن المعنى يشمل عليه، لأن من أخذ سمعه وبصره وختم على قلبه لم يهتد. والثالث: أنها تعود على السمع، ويكون ما عطف عليه داخلاً معه في القصة، لأنه معطوف عليه، ذكره الزجاج. والجمهور يقرؤون: ﴿مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرُ﴾ بكسر هاء «به». وروى المسيبي<sup>(٢)</sup> عن نافع: «به أنظر»: بالضم. قال أبو علي: من كسر، حذف الياء التي تلحق الهاء في نحو: بهي عيب؛ ومن ضم، فعلى قول من قال: فخففنا بهو وبيداهو الأرض، فحذف الواو.

قوله تعالى: ﴿أَنْظَرُ كَيْفَ تُصَوِّفُونَ الْآيَاتِ﴾ يعني تكون العلامات في أمور شتى، فيخوفهم بأخذ الأسماع والأبصار والقلوب، وبما صنع بالأمم الخالية ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْذِقُونَ﴾، أي: يعرضون فلا يعتبرون.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ بَقْتَةٌ أَوْ جَهَنَّمُ هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١٧)

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ بَقْتَةٌ أَوْ جَهَنَّمُ﴾ قال الزجاج: البقعة: المفاجأة؛ والجهنة: أن يأتيهم وهم يرونه. ﴿هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: هل يهلك إلا أنتم ومن أشبهكم، لأنكم كفرتم معاندين، فقد علمتم أنكم ظالمون.

﴿وَمَا يُزِيلُ الْعَرْسِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ مَّأْمَنَ وَأَسْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يُسْهِمُونَ الْعَذَابَ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (١٩)

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُزِيلُ الْعَرْسِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ أي: بالثواب؛ ومنذرين بالعقاب، وليس لإرسالهم ليأتوا بما يقترحونه من الآيات. ثم ذكر ثواب من صدق، وعقاب من كذب في تمام الآية والتي بعدها. وقال ابن عباس: يفسقون: بمعنى يكفرون.

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِيَّيَّكَ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢٠)

(١) «ديوانه» ٦٧، و«مجاز القرآن» ١/ ١٩٢، و«اللسان»: بلس، ورواية «ديوانه» و«عرفت يوم الخميس».

(٢) هو إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المسيب المدني، إمام جليل، عالم بالحديث، قيم في قراءة نافع، ضابط لها، محقق، فقيه. انظر «طبقات القراء» ١/ ١٥٧.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ آفَاقٍ﴾ سبب نزولها: أن أهل مكة قالوا: يا محمد، لو أنزل الله عليك كنزاً فستغني به، فإنك فقير محتاج، أو تكون لك جنة تأكل منها، فإنك تجوع، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال الزجاج: وهذه الآية متصلة بقوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ آفَاقٍ﴾، فأعلمهم أنه لا يملك خزائن الله التي منها يرزق ويعطي، ولا يعلم الغيب فيخبرهم به إلا بوحي، ولا يقول: إنه ملك، لأن الملك يشاهد من أمور الله تعالى ما لا يشاهده البشر. وقرأ ابن مسعود، وابن جبير، وعكرمة، والجاحدري: «إني ملك» بكسر اللام. وفي الأعمى والبصير قولان: أحدهما: أن الأعمى: الكافر، والبصير: المؤمن، قاله ابن عباس وقتادة. والثاني: الأعمى: الضال والبصير: المهتدي، قاله سعيد بن جبير ومجاهد. وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ قولان: إحداهما فيما بين لكم من الآيات الدالة على وحدانيته، وصدق رسوله. والثاني: فيما ضرب لكم من مثل الأعمى والبصير، وأنهما لا يستويان.

﴿وَأَنْذِرْ يَوْمَ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِمْ إِنَّهُمْ لَخَالِفُونِ إِلَىٰ يَوْمِ اللَّهِ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥١)  
قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ يَوْمَ﴾ قال الزجاج: يعني بالقرآن، وإنما ذكر الذين يخافون الحشر دون غيرهم، وإن كان مذكراً لجميع الخلق، لأن الحجة على الخائفين الحشر أظهر، لا عترفهم بالمعاد، فهم أحد رجلين: إما مسلم، فيُنذر ليؤدي حق الله عليه في إسلامه، وإما كافر، فأهل الكتاب مجمعون على البعث. وذكر الولي والشفيع، لأن اليهود والنصارى ذكرت أنها أبناء الله وأحبّاءه، فأعلم ﷺ أن أهل الكفر ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع. وقال غيره: ليس لهم من دونه ولي، أي: ليس لهم غير الله ولي ولا شفيع، لأن شفاعة الشافعين بأمره. وقال أبو سليمان الدمشقي: هذه الآية متعلقة بقوله: ﴿وَأَرْسِلْ فِي هَذِهِ الْقُرْآنِ لِأُذُنِكُمْ يَوْمَ﴾ [الأنعام: ١١٩].

﴿وَلَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُرْآنِ وَالْوَحْيِ يَوْمَئِذٍ مِنْ حِسَابِكُمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَنْ يَنْسَئِكُمْ عَنْهُمْ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ اللَّهُ أُولَئِكَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ (٥٢)  
قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ روى سعد بن أبي وقاص قال: نزلت هذه الآية في ستة: فتي، وفي ابن مسعود، وصهيب، وعمار، والمقداد، وبلال. قالت قریش لرسول الله ﷺ: إنا لا نرضى أن نكون أتباعاً لهؤلاء، فاطردهم عنك. فدخل على رسول الله من ذلك ما شاء الله أن يدخل، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. وقال خباب بن الأرت: نزلت فينا، كنا ضعفاء عند النبي ﷺ، يعلمنا بالغداة والعشي ما ينفعنا، فجاء الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، فقالا: إنا من أشرف قومنا، وإنا نكره أن يرونا معهم، فاطردهم إذا جالسناك. قال: «نعم». فقالوا: لا نرضى حتى تكتب بيننا كتاباً، فأتي بأديم ودواة، ودعا علياً ليكتب، فلما أراد ذلك، ونحن قعود في ناحية، إذ نزل جبريل بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَنَّا بِمَعْشَرٍ يَمُنُّ﴾ فرمى بالصحيفة ودعانا، فأتيناه وهو يقول: ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾. فلدنونا نه يومئذ حتى وضعنا ركبنا على ركبته<sup>(٢)</sup>. وقال ابن مسعود: مرّ الملاء من قریش على رسول الله ﷺ وعنده خباب، وصهيب، وبلال، وعمار، فقالوا: يا محمد، رضيت بهؤلاء، أتريد أن نكون تبعاً لهم؟ فنزلت: ﴿وَلَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>. وقال عكرمة: جاء عتبة، وشيبة ابنا ربيعة، ومطعم بن عدي، والحارث بن نوفل، في أشرف بني عبد مناف، إلى أبي طالب فقالوا: لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وعبيدنا كان أعظم في صلورنا، وأدنى لاتباعنا إياه، فأتاه أبو طالب فحدثه بذلك، فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون، فنزلت هذه الآيات، فأقبل عمر يعتذر من مقالته<sup>(٤)</sup>. وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن هذه

(١) رواه ابن ماجه ١٣٨٣/٢، ومسلم بنحوه مختصراً ١٨٧٨/٤، ورواه بنحوه الطبري ٣٧٨/١١، وأورده ابن كثير في «تفسيره» ١٣٥/٢ بنحوه عن سعد، وقال: رواه الحاكم في «مستدرکه» من طريق سفيان وقال: على شرط الشيخين، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» من طريق المقدم بن شريح به.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» ٣٧٦/١١ بمعناه، وأورده ابن كثير في «تفسيره» ١٣٤/٢ من رواية ابن أبي حاتم وقال: وهذا حديث غريب، فإن الآية مكية، والأقرع بن حابس، وعيينة، إنما أسلما بعد الهجرة بدهر. ورواه ابن ماجه ١٣٨٣/٢.

(٣) رواه أحمد في «المسند» رقم (٣٩٨٥) وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه عليه: إسناده صحيح، ورواه الطبري ٣٧٤/١١، ٣٧٥.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» ٣٧٩/١١، ٣٨٠ بأطول منه.

الآيات نزلت في الموالى، منهم بلال، وصهيب، وخباب، وعُمار، ومُهَاجِر، وسلمان، وعامر بن فهيرة، وسالم مولى أبي حذيفة؛ وأن قوله: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْسِرُوا إِنْ رَجَعُوا﴾ نزلت فيهم أيضاً. وقد روى العوفي عن ابن عباس: أن ناساً من الأشراف قالوا للنبي ﷺ: نؤمن لك، وإذا صلينا فأخّر هؤلاء الذين معك، فليصلوا خلفنا. فعلى هذا، إنما سألوه تأخيرهم عن الصف، وعلى الأقوال التي قبله، سألوه طردهم عن مجلسه.

قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ في هذا الدعاء خمسة أقوال: أحدها: أنه الصلاة المكتوبة، قاله ابن عمر، وابن عباس. وقال مجاهد: هي الصلوات الخمس؛ وفي رواية عن مجاهد، وقتادة قالا: يعني صلاة الصبح والعصر. وزعم مقاتل أن الصلاة يومئذ كانت ركعتين بالغداة، وركعتين بالعشي؛ ثم فرضت الصلوات الخمس بعد ذلك. والثاني: أنه ذكر الله تعالى، قاله إبراهيم النخعي، وعنه كالقول الأول. والثالث: أنه عبادة الله، قاله الضحاك. والرابع: أنه تعلم القرآن غداة وعشية، قاله أبو جعفر. والخامس: أنه دعاء الله بالتوحيد، والإخلاص له، وعبادته، قاله الزجاج. وقرأ الجمهور: «بالغداة»؛ وقرأ ابن عامر هاهنا وفي (الكهف) أيضاً: «بِالْغُدُوَّةِ» بضم الغين وإسكان الدال ويعدها واو. قال الفراء: والعرب لا تدخل الألف واللام على «الغدوة»، لأنها معرفة بغير ألف ولام، ولا تضيفها العرب؛ يقولون: أتيتك غداة الخميس، ولا يقولون: غُدوة الخميس، فهذا دليل على أنها معرفة. وقال أبو علي: الوجه: الغداة، لأنها تستعمل نكرة، وتتعرف باللام؛ وأما غُدوة، فمعرفة. وقال الخليل: يجوز أن تقول: أتيتك اليوم غُدوة ويكرة، فجعلها بمنزلة ضحوة، فهذا وجه قراءة ابن عامر. فإن قيل: دعاء القوم كان متصلاً بالليل والنهار، فلماذا خص الغداة والعشي؟ فالجواب: أنه نبه بالغداة على جميع النهار، وبالعشي على الليل، لأنه إذا كان عمل النهار خالصاً له، كان عمل الليل أصفى.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ قال الزجاج: أي يريدون الله، فيشهد الله لهم بصحة النيات، وأنهم مخلصون في ذلك. وأما الحساب المذكور في الآية، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه حساب الأعمال، قاله الحسن. والثاني: حساب الأرزاق. . والثالث: أنه بمعنى الكفاية؛ والمعنى: ما عليك من كفايتهم، ولا عليهم كفايتك.

قوله تعالى: ﴿فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قال ابن الأنباري؛ عظم هذا الأمر على النبي ﷺ، وخُوف بالدخول في جملة الظالمين، لأنه كان قد هم بتقديم الرؤساء على الضعفاء.

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ يَقُولُوا أَهْلُكُلَّاءَ مَكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِكِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ المعنى: وكما ابتلينا قبلك الغني بالفقير، ابتلينا أيضاً بعضهم ببعض. و «فتنا» بمعنى: ابتلينا واختبرنا؛ ﴿يَقُولُوا﴾، يعني الكبراء؛ ﴿أَهْلُكُلَّاءَ﴾ يعنون الفقراء والضعفاء ﴿مَكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بالهدى؟ وهذا استفهام معناه الإنكار، كأنهم أنكروا أن يكونوا سبقوهم بفضيلة. قال ابن السائب: ابتلى الله الرؤساء بالموالي؛ فإذا نظر الشريف إلى الوضع قد آمن قبله، أنف أن يسلم، ويقول: سبقني هذا؟.

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِكِينَ﴾ أي: بالذين يشكرون نعمته إذا من عليهم بالهداية. والمعنى: إنما يهدي الله من يعلم أنه يشكر. والاستفهام في «أليس»، معناه التقرير، أي: إنه كذلك.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كُنْتُ نَقِصُوا الرِّحْمَةَ أَنْتُمْ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا يَمْهَكُكُمْ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَيعُوهُ وَأَصْلَحَ فَأَنْتُمْ غُفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال: أحدها: أنها نزلت في رجال أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا أصبنا دنوباً عظيمة، فسكت عنهم رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، قاله أنس بن مالك. والثاني: أنها نزلت في الذين نهي عن طردهم، فكان النبي ﷺ إذا رآهم يداهم بالسلاط، وقال: «الحمد لله الذي

(١) رواه الطبري في «تفسيره» ١١/٣٩٠، ٣٩١ من طريق مجمع بن سمعان قال: سمعت ما هان. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» وزاد نسبه إلى الفريابي وعبد بن حميد، وسددة، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن أبي حاتم. وما هان هو أبو سالم الكوفي الأعور؛ ثقة عابد، روى عن ابن عباس وأم سلمة، قتلته الحجاج سنة ثلاث وثمانين.

جعل في أمي من أمرني أن أبداهم بالسلام، قاله الحسن، وعكرمة. والثالث: أنها نزلت في أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحزمة، وجعفر، وعثمان بن مظعون، وأبي عبيدة، ومصعب بن عمير، وسالم، وأبي سلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وعمار، وبلال، قاله عطاء. والرابع: أن عمر بن الخطاب كان أشار على رسول الله ﷺ بتأخير الفقراء، استمالة للرؤساء إلى الإسلام. فلما نزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾، جاء عمر يعتذر من مقالته ويستغفر منها، فنزلت فيه هذه الآية، قاله ابن السائب. والخامس: أنها نزلت مبشرة بإسلام عمر بن الخطاب؛ فلما جاء وأسلم، تلاها عليه رسول الله ﷺ، حكاه أبو سليمان الدمشقي. فاما قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِكَائِنًا﴾ فمعناه: يصدقون بحججنا وبراهيننا.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه أمر بالسلام عليهم تشريفاً لهم؛ وقد ذكرناه عن الحسن، وعكرمة. والثاني: أنه أمر بإبلاغ السلام إليهم عن الله تعالى، قاله ابن زيد. قال الزجاج: ومعنى السلام: دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات. وفي السوء قولان: أحدهما: أنه الشرك. والثاني: المعاصي. وقد ذكرنا في سورة (النساء) معنى «الجهالة». قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «إنه من عمل منكم سوءاً» فإنه غفور بكسر الالف فيهما. وقرأ عاصم، وابن عامر: يفتح الالف فيهما. وقرأ نافع: بنصب ألف «أنه» وكسر ألف «فإنه غفور». قال أبو علي: من كسر ألف «إنه» جعله تفسيراً للرحمة؛ ومن كسر ألف «فإنه غفور» فلأن ما بعد الفاء حكمه الابتداء، ومن فتح ألف «أنه» من عمل جعل «أن» بدلاً من الرحمة، والمعنى: كتب ربكم «أنه من عمل»، ومن فتحها بعد الفاء، أضمر خبراً تقديره: فله: «أنه غفور رحيم» والمعنى: فله غفرانه. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا لَهُ قَارِجَهُنَّ﴾ [التوبة: ٦٣]، معناه: فله أن له نار جهنم. وأما قراءة نافع، فإنه أبدل من الرحمة، واستأنف ما بعد الفاء.

﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ أي: وكما فصلنا لك في هذه السورة دلائلنا وأعلامنا على المشركين، كذلك نبين لك حججتنا في كل حق ينكوه أهل الباطل. قال ابن قتيبة؛ ومعنى تفصيلها: إتيانها متفرقة شيئاً بعد شيء.

قوله تعالى: ﴿وَلَتَسْتَبِينَ﴾ وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «ولتستبين» بالتاء، «سبيل» بالرفع. وقرأ نافع، وزيد عن يعقوب: بالتاء أيضاً، إلا أنهما نصبا السبيل. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «ولتستبين» بالياء، «سبيل» بالرفع. فمن قرأ «ولتستبين» بالياء أو التاء، فلأن السبيل تذكر وتؤنث على ما بينا في (آل عمران)، ومن نصب اللام، فالمعنى: ولتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين. وفي سبيلهم التي بُيِّنَتْ له، قولان: أحدهما: أنها طريقهم في الشرك، ومصيرهم إلى الخزي، قاله ابن عباس. والثاني: أنها مقصودهم في طرد الفقراء عنه، وذلك إنما هو الحسد، لا إثارة مجالسته واتباعه، قاله أبو سليمان. فإن قيل: كيف انفردت لام «كي» في قوله: «ولتستبين» وسبيلها أن تكون شرطاً لفعل يتقدمها أو يأتي بعدها؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري بجوابين: أحدهما: أنها شرط لفعل مضمر، يراد به: ونفعل ذلك لكي تستبين. والثاني: أنها معطوفة على لام مضمرة، تأويله: تفصل الآيات لينكشف أمرهم، ولتستبين سبيلهم.

﴿قُلْ إِنِّي نُبَيِّنُ أَنَّ عَبْدَ الْوَلِيِّ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَدْ صَلَّيْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَهِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُبَيِّنُ أَنَّ عَبْدَ الْوَلِيِّ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني الأصنام. وفي معنى «تدعون» قولان: أحدهما: تدعونهم لكهة. والثاني: تعبدون؛ قاله ابن عباس. وأهواؤهم: دينهم. قال الزجاج: أراد إنما عبدتموها على طريق الهوى، لا على طريق البينة والبرهان. ومعنى «إذا» معنى الشرط؛ والمعنى: قد ضللت إن عبدتها. وقرأ طلحة، وابن أبي ليلى: «قد ضللت» بكسر اللام.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عَشِدُّوا لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَّا يَكْفُرُونَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ سبب نزولها أن النضر بن الحارث وسائر قريش قالوا للنبي ﷺ: يا محمد اتنا بالعذاب الذي تبعنا به، استهزاء؛ وقام النضر عند الكعبة وقال: اللهم إن كان ما يقول حقاً، فأتنا بالعذاب؛

فترت هذه الآية؛ رواء أبو صالح عن ابن عباس. فأما البينة، فهي الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل. قال الزجاج: أنا على أمرين، لا متبوع لهوى.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِؤُتَىٰ﴾ في هاء الكناية، ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الرب. والثاني: ترجع إلى البيان. والثالث: ترجع إلى العذاب الذي طلبوه استهزاء.

قوله تعالى: ﴿مَا عَنِدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِؤُتَىٰ﴾ أي: ما بيدي. وفي الذي استعجلوا به قولان: أحدهما: أنه العذاب؛ قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: أنه الآيات التي كانوا يقرحونها؛ ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الحكم الذي يفصل به بين المختلفين بإيجاب الثواب والعقاب. والثاني: أنه القضاء بإزالة العذاب على المخالف.

قوله تعالى: ﴿يَقُضُّ الْحَقُّ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع ﴿يُقَضُّ الْحَقُّ﴾ بالصاد المشددة، من القصص؛ والمعنى: أن كل ما أخبر به فهو حق. وقرأ أبو عمرو، وابن عمر، وحزمة، والكسائي: «يقضي الحق» من القضاء؛ والمعنى: يقضي القضاء الحق.

﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ، لَقَفُضَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>  
قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ﴾ أي: من العذاب «لَقَفُضَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» قال ابن عباس: يقول: لم أمهلكم ساعة، ولأهلككم.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: إن شاء عاجلهم، وإن شاء أخر عقوبتهم. والثاني: أعلم بما يؤول إليه أمرهم، وأنه قد يهتدي منهم قوم، ولا يهتدي آخرون؛ لذلك يؤخرهم.

﴿وَعِنْدُ مَفَاتِيحِ الْقَبْرِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْغَيْبِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا بَيِّنٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَعِنْدُ مَفَاتِيحِ الْقَبْرِ﴾ قال ابن جرير: المفاتيح: جمع مفتاح؛ يقال: مفتاح ومفتاح، فمن قال: مفتاح، جمعه: مفاتيح. ومن قال: مفتاح، جمعه: مفاتيح. وفي «مفاتيح الغيب» سبعة أقوال: أحدها: أنها خمس لا يعلمها إلا الله ﷻ. روى البخاري في أفرادها من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله، لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله، ولا يعلم ما تغيب الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا تعلم نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى ينزل الغيث إلا الله»<sup>(٣)</sup> قال ابن مسعود: «أوتي نبؤكم علم كل شيء إلا مفاتيح الغيب»<sup>(٤)</sup>. والثاني: أنها خزائن غيب السموات من الأنداد والأرزاق، قاله ابن عباس. والثالث: ما غاب عن الخلق من الثواب والعقاب، وما تصير إليه الأمور، قاله عطاء. والرابع: خزائن غيب العذاب، متى ينزل، قاله مقاتل. والخامس: الوصلة إلى علم الغيب إذا استعلم، قاله الزجاج. والسادس: عواقب الأعمار وخواتيم الأعمال. والسابع: ما لم يكن، هل يكون، أم لا يكون؟ وما يكون كيف يكون وما لا يكون، إن كان، كيف يكون؟ فأما البر، فهو القفر. وفي البحر قولان: أحدهما: أنه الماء، قاله الجمهور. والثاني: أنه القرى، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ قال الزجاج: المعنى: أنه يعلمها ساقطة وثابتة، كما تقول: ما يجيثك أحد إلا وأنا أعرفه، ليس تأويله: أعرفه في حال مجيئه فقط. فأما ظلمات الأرض، فالمراد بها بطن الأرض.

(١) «المسند» ٧/٧، والبخاري: ٢١٩/٨، «وصحيح ابن حبان» ٦٩/١، ٧٠.

(٢) الطبري: ٤٠١/١١، ورواه أحمد في «المسند» ٢٤١/٥ بلفظ: «أوتي نبؤكم ﷺ مفاتيح كل شيء غير خمس» ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ تَبْلُغُ الْقَبْرَ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَتَىٰ تَدْرِي نَفْسٌ يَأْتِي الْأَرْضَ تَتَوَلَّىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>، قال الشيخ أحمد شاكراً في تعليقه على «المسند»: إسناده صحيح، وذكره ابن كثير في «التفسير» ٤٧٤/٦ عن هذا الموضع، ثم قال: «وكذا رواه عن محمد بن جعفر عن شعبة عن عمرو بن مرة به وزاد في آخره: قال: قلت له: أنت سمعته من عبد الله؟ قال: نعم أكثر من خمسين مرة، ورواه أيضاً عن وكيع عن مسعر عن عمرو بن مرة به، وهذا إسناد حسن على شرط «السنن» ولم يخرجوه». وهو أيضاً في «مجمع الزوائد» ٢٦٣/٨، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى ورجاهما رجال الصحيح. ورواه أحمد أيضاً في «المسند» ٣١٧/٧ من حديث ابن عمر مرفوعاً بلفظ «أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس»...



وفي الرطب واليابس، خمسة أقوال: أحدها: أن الرطب: الماء، واليابس: البادية. والثاني: الرطب: ما يُنبت، واليابس: ما لا يُنبت. والثالث: الرطب: الحي، واليابس: الميت. والرابع: الرطب: لسان المؤمن يذكر الله، واليابس: لسان الكافر لا يتحرك بذكر الله. والخامس: أنهما الشيء ينتقل من إحدى الحالتين إلى الأخرى، فهو يعلمه رطباً، ويعلمه يابساً. وفي الكتاب المبين قولان: أحدهما: أنه اللوح المحفوظ؛ قاله مقاتل. والثاني: أنه علم الله المتقن؛ ذكره الزجاج. فإن قيل: ما الفائدة في إحصاء هذه الأشياء في كتاب؟ فعنه ثلاثة أجوبة، ذكرهن ابن الأنباري: أحدها: أنه أحصاها في كتاب لتقف الملائكة على نفاذ علمه. والثاني: أنه نبه بذلك عباده على تعظيم الحساب، وأعلمهم أنه لا يفوته ما يصنعون، لأن من يثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب، فهو إلى إثبات ما فيه ثواب وعقاب أسرع. والثالث: أن المراد بالكتاب: العلم؛ فالمعنى: أنها مثبتة في علمه.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ يريد به النوم، لأنه يقبض الأرواح عن التصرف بالنوم، كما يقبض بالموت. وقال ابن عباس: يقبض أرواحكم في منامكم. وجرحتم: بمعنى كسبتم. ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾ أي: يوقظكم فيه، أي: في النهار. ﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: لتبلغوا الأجل المسمى لانقطاع حياتكم، فدل بالليظة بعد النوم على البعث بعد الموت.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ الحفظة: الملائكة، واحدهم: حافظ، والجمع: حفظة، مثل كاتب وكتبة، وفاعل وفعله. وفيما يحفظونه قولان: أحدهما: أعمال بني آدم؛ قاله ابن عباس. والثاني: أعمالهم وأجسادهم، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ وقرأ حمزة: «توفاه رسلنا» وحجته أنه فعل مسند إلى مؤنث غير حقيقي، وإنما التأنيث للجمع، فهو مثل: ﴿وَقَالَ يَسُوهُ﴾ [يوسف: ٣٠]. وفي المراد بالرسول ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أعوان ملك الموت، قاله ابن عباس. وقال النخعي: أعوانه يتوفون النفوس، وهو يأخذها منهم. والثاني: أن المراد بالرسول ملك الموت وحده، قاله مقاتل. والثالث: أنهم الحفظة، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ قال ابن عباس: لا يضيعون. فإن قيل: كيف الجمع بين قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ وبين قوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾؟ [السجدة: ١١] فعنه جوابان: أحدهما: أنه يجوز أن يريد بالرسول ملك الموت وحده، وقد يقع الجمع على الواحد. والثاني: أن أعوان ملك الموت يفعلون بأمره، فأضيف الكل إلى فعله. وقيل: تَوَفَّى أعوان ملك الموت بالنزع، وتوفَّى ملك الموت بأن يأمر الأرواح فتجيب، ويدعوها فتخرج، وتوفَّى الله تعالى بأن يخلق الموت في الميت.

﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ آلَ لَهِ الْحَكْمُ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ يعني العباد. وفي متولي الرد قولان: أحدهما: أنهم الملائكة، ردّتهم بالموت إلى الله تعالى. والثاني: أنه الله ﷻ، ردّهم بالبعث في الآخرة. وفي معنى ردهم إلى الله تعالى، قولان: أحدهما: أنهم ردوا إلى المكان الذي لا يملك الحكم فيه إلا الله وحده. والثاني: أنهم ردوا إلى تدبيره وحده؛ لأنه لما أنشأهم كان منفرداً بتدبيرهم، فلما مكّنتهم من التصرف صاروا في تدبير أنفسهم، ثم كفهم عنه بالموت، فصاروا مردودين إلى تدبيره.

قوله تعالى: ﴿آلَ لَهِ الْحَكْمُ﴾ يعني القضاء. وبيان سرعة الحساب في (البقرة) <sup>(١)</sup>.

(١) يعني: تقدم بيان سرعة الحساب في سورة (البقرة) عند قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ والله سميعٌ عليم.

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتٍ الْوَحْشِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُقَرَّبُونَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ﴾ قرأ عاصم، وحزمة، والكسائي، وأبو جعفر: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ﴾ ﴿قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ﴾، مشددين. وقرأ يعقوب، والقزاز عن عبد الوارث: بسكون النون وتخفيف الجيم. قال الزجاج: والمشددة أجود للكثرة. وظلمات البر والبحر: شدائدها؛ والعرب تقول لليوم الذي تلقى فيه شدة: يوم مظلم، حتى إنهم يقولون: يوم ذو كواكب، أي: قد اشتدت ظلمته حتى صار كالليل. قال الشاعر:

فَدَيْتُ لِبَنِي دُهْلٍ بِنِ شَيْبَانَ نَاقِيَتِي إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ أَشْنَعَا<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا﴾ أي: مظهرين الضراعة، وهي شدة الفقر إلى الشيء، والحاجة.

قوله تعالى: ﴿وَخُفْيَةً﴾ قرأ عاصم إلا حفصاً: «وخفية» بكسر الخاء؛ وكذلك في (الأعراف). وقرأ الباقون بضم الخاء، وهما لغتان. قال الفراء: وفيها لغة أخرى بالواو، ولا تصلح في القراءة، خفوة، وخفوة. ومعنى الكلام، أنكم تدعون في أنفسكم، كما تدعونه ظاهراً: ﴿لَئِنْ أَجَبْنَا﴾، كذلك قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو عمرو: «لئن أنجبنا»، وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «لئن أنجانا» بالف، لمكان الغيبة في قوله: «تدعون». وكان حمزة، والكسائي، وخلف، يميلون الجيم.

قوله تعالى: ﴿مِنْ هَذِهِ﴾ يعني: في أي شدة وقعتم، قلتم: ﴿لَئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ﴾. قال ابن عباس: و«الشاكرون» هاتنا: المؤمنون. وكانت قريش تسافر في البر والبحر، فإذا ضلوا الطريق وخافوا الهلاك، دَعَوْا الله مخلصين فأنجاهم. فاما «الكرب» فهو الغم الذي يأخذ بالنفس، ومنه اشتقت الكربة.

﴿قُلْ هُوَ الْغَاوُّ عَلَى أَنْ يَمُوتَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِمَّنْ فَوْقَكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا وَيُزَيِّنَ بَيْنَكُمْ بِأَسِّ بَقِيٍّ أَنْظَرُ كَيْفَ تُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَهُمْ يَتَفَهَمُونَ ﴿٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْغَاوُّ عَلَى أَنْ يَمُوتَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِمَّنْ فَوْقَكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الذي فوقهم: العذاب النازل من السماء، كما حُصِب قوم لوط، وأصحاب الفيل. والذي من تحت أرجلهم: كما حُصِف بقارون، قاله ابن عباس، والسدي، ومقاتل. وقال غيرهم: ومنه الطوفان، والريح، والصيحة، والرجفة. والقول الثاني: أن الذي من فوقهم: من قِبَل أمرائهم. والذي من تحتهم: من سَفَلتهم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال في رواية أخرى: الذي من فوقهم: أئمة السوء؛ والذي من تحت أرجلهم: عبيد السوء.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا﴾ قال ابن عباس: يُبْتُ فيكم الأهواء المختلفة، فتصبرون فِرْقًا. قال ابن قتبية: يلبسكم: من الالتباس عليهم<sup>(٢)</sup>. والمعنى: حتى تكونوا شيعاً، أي: فرقاً مختلفين. ثم يذيق بعضكم بأس بعض بالقتال والحرب. وقال الزجاج: يلبسكم، أي: يخلط أمركم خلط اضطراب، لا خلط اتفاق. يقال: لَبَسْتُ عليهم الأمر، ألبسه: إذا لم أيتبه. ومعنى شيعاً: أي يجعلكم فرقاً، فإذا كنتم مختلفين، قاتل بعضكم بعضاً.

قوله تعالى: ﴿وَيُزَيِّنَ بَيْنَكُمْ بِأَسِّ بَقِيٍّ﴾ أي: يقتل بعضكم بيد بعض. وفيمن غَيَّ بهذه الآية، ثلاثة أقوال: أحدها:

(١) البيت أنشده سيويه في «الكتاب» ٢١/١، ونسبه لمقاس العائذي، واسمه مسهر بن النعمان بن عمرو بن ربيعة بن تيم بن الحارث... وهو شاعر جاهلي كما نص عليه ابن دريد في «الاشتقاق»، وذكر المرزباني أنه مخضرم. ورواية الشطر الثاني عند سيويه:

«إِذَا كَانَ يَوْمٌ ذُو كَوَاكِبٍ أَشْنَعُ»

وأورد بعده لعمرو بن شاس بيتاً آخر هو:

بَنِي أَسَدٍ هَلْ تَعْلَمُونَ بِلَاءَنَا إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ أَشْنَعَا

فالمنصف لفق البيت من البيتين، قال الأعمش: أراد: وقع يوم، أو حضر يوم، ونحو ذلك مما يقتصر فيه على الفاعل، وأراد باليوم يوماً من أيام الحرب، وصفه بالشدّة، فجعله كالليل تبدو فيه الكواكب، ونسب إلى الشبهة، إما لكثرة السلاح الصفيقة فيه، وإما لما ذكره من النجوم، ودخل بن شيبان بن بني بكر بن وال، وكان مقاس نازلاً فيهم، وأصله من قريش من عائلة، وهم حي منهم.

(٢) في «غريب القرآن»: من الالتباس عليكم.

أنها في المسلمين أهل الصلاة، هذا مذهب ابن عباس، وأبي العالية، وقتادة. وقال أبي بن كعب في هذه الآية: هن أربع خلال، وكلهن عذاب، وكلهن واقع قبل يوم القيامة، فمضت اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة، ألبسوا شيعاً، وأذيق بعضهم بأس بعض. وثنتان واقعتان لا محالة: الخسف، والرجم<sup>(١)</sup>. والثاني: أن العذاب للمشركين، وباقي الآية للمسلمين، قاله الحسن. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة، سألته أن لا يصيبكم بعذاب أصاب به من كان قبلكم، فأعطانيها، وسألته أن لا يسلط عليكم عدواً يستبيح بيفتكم فأعطانيها، وسألته أن لا يلبسكم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض، فمنعنيها»<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها تهذد للمشركين، قاله ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي.

﴿كَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَأَسْتَبَيِّنَكُمْ يُبَيِّنُ﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ في هاء «به» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها كناية عن القرآن. والثاني: عن تصرف الآيات. والثالث: عن العذاب.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَأَسْتَبَيِّنَكُمْ يُبَيِّنُ﴾ فيه قولان: أحدهما: لست حفيظاً على أعمالكم لأجازيكم بها، إنما أنا منذر، قاله الحسن. والثاني: لست حفيظاً عليكم، أخذكُم بالإيمان، إنما أدعوكُم إلى الله، قاله الزجاج.

### فصل

وفي هذا القدر من الآية قولان: أحدهما: أنه اقتضى الاقتصار في حقهم على الإنذار من غير زيادة، ثم نسخ ذلك بآية السيف. والثاني: أن معناه: لست حفيظاً عليكم، إنما أطالبكم بالظواهر من الإقرار والعمل، لا بالأسرار؛ فعلى هذا هو محكم.

﴿لِكُلِّ نَبَرٍ مُّشْتَرِكٌ وَسَوَاءٌ تَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَرٍ مُّشْتَرِكٌ﴾ أي: لكل خبر يخبر الله به وقت يقع فيه من غير خلف ولا تأخير. قال السدي: فاستقر نبأ القرآن بما كان يعدهم من العذاب يوم بدر. وقال مقاتل: منه في الدنيا يوم بدر، وفي الآخرة جهنم.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَلَوْلَا يَسِينُكَ الشَّيْطَانُ لَكَلَّا تَقَعُ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ فيمن أريد بهذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: المشركون. والثاني: اليهود. والثالث: أصحاب الأهواء. والآيات: القرآن. وخوض المشركين فيه: تكذيبهم به واستهزاؤهم، ويقاربه خوض اليهود، وخوض أهل الأهواء بالمراء والخصومات.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: فاترك مجالستهم، حتى يكون خوضهم في غير القرآن. ﴿وَإِذَا يَسِينُكَ﴾ قرأ ابن عامر: «يَسِينُكَ»، بفتح النون، وتشديد السين، والنون الثانية. ومثل هذا: عَرَمْتُهُ وأَعَرَمْتُهُ. وفي التنزيل: ﴿فَتَبَيَّنَ الْكَافِرِينَ أَلَهُمْ﴾ [الطارق: ١٧]. والمعنى: إذا أنساك الشيطان، فقعدت معهم ناسياً نَهَيْتَا لك، فلا تقعد بعد الذكرى. والذكر والذكرى: واحد. قال ابن عباس: قم إذا ذكرته؛ والظالمون: المشركون.

(١) «المسنند» ١٣٤/٥، ١٣٥، و«الطبري» ٤٢٢/١١، وخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢١/٧، ثم قال: رواه أحمد ورجاله ثقات، قلت: أي الهيثمي: - والظاهر أن من قوله: «فمضت اثنتان إلى آخره» من قول رفيع: (يعني أبا العالية) فإن أبي بن كعب لم يتأخر إلى زمن الفتنة. وقال الحافظ في «الفتح» ٢٢٠/٨: وقد أهل هذا الحديث بأن أبي بن كعب لم يدرك سنة خمس وعشرين من الوفاة النبوية، فكان حديثه انتهى عند قوله: «لا محالة» والباقي من كلام بعض الرواة، وأهل أيضاً بأنه مخالف لحديث جابر وغيره، وأجيب بأن طريق الجمع أن الإعادة المذكورة في حديث جابر وغيره مقيدة بزمان مخصوص، وهو وجود الصحابة، والقرون الفاضلة، وقد روى أحمد والترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص قال: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ أَتَذْكُرُ﴾ إلى آخرها فقال: أما إنها كانت، ولم يأت تأويلها بعد، وهذا يحتمل أن لا يخالف حديث جابر بأن المراد بتأويلها ما يتعلق بالفتن ونحوها.

(٢) «صحيح مسلم» ٢٢١٦/٤ عن سعد بن أبي وقاص، و«المسنند» ٢٤٠/٥، و«ابن ماجه» ١٣٠٣/٢ عن معاذ بن جبل ؓ، وقال البوصيري في «زوائد»: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَئِنْ ذُكِّرُوا لَمَّا تُقَاتِلُوا﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن المسلمين قالوا: لئن كنا كلما استهزأ المشركون بالقرآن، وخاضوا فيه، فمنعناهم، لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام، ولا أن نطوف بالبيت، فنزلت هذه الآية. والثاني: أن المسلمين قالوا: إنا نخاف الإثم إن لم ننهم عن الخوض، فنزلت هذه الآية. والثالث: أن المسلمين قالوا: لو قمنا عنهم إذا خاضوا، فإننا نخشى الإثم في مجالستهم، فنزلت هذه الآية. هذا عن مقاتل، والأولان عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: يتقون الشرك. والثاني: يتقون الخوض.

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَتَّبِعْكُمْ﴾ يعني: حساب الخاضعين. وفي «حسابهم» قولان: أحدهما: أنه كفرهم وآثامهم.

والثاني: عقوبة خوضهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ ذُكِّرُوا لَمَّا تُقَاتِلُوا﴾ أي: ولكن عليكم أن تذكروهم. وفيما تذكرونهم به، قولان: أحدهما: المواقف.

والثاني: قيامكم عنهم. قال مقاتل: إذا قمتم عنهم، منعهم من الخوض الحياء منكم، والرغبة في مجالستكم.

قوله تعالى: ﴿لَمَّا تُقَاتِلُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: يتقون الاستهزاء. والثاني: يتقون الوعيد.

### فصل

وقد ذهب قوم إلى أن هذه الآية منسوخة، لأنها اقتضت جواز مجالسة الخاضعين والاعتصار على تذكيرهم، ثم نسخت بقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَمْعَدُوا مَعَهَا﴾ [النساء: ١٤٠]. والصحيح أنها محكمة، لأنها خير، وإنما دلت على أن كل عبد يختص بحساب نفسه، ولا يلزمه حساب غيره.

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠] قوله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم الكفار. والثاني: اليهود والنصارى. وفي اتخاذهم دينهم لعباً ولهواً، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه استهزاؤهم بآيات الله إذا سمعوها. والثاني: أنهم دانوا بما اشتبهوا، كما يُلْهَوْنَ بما يشتهون. والثالث: أنهم يحافظون على دينهم إذا اشتبهوا، كما يلهون إذا اشتبهوا. قال الفراء: ويقال: إنه ليس من قوم إلا ولهم عيد، فهم يُلْهَوْنَ في أعيادهم، إلا أمة محمد ﷺ فإن أعيادهم صلاة وتكبير وبر وخير.

### فصل

ولعلماء الناسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية، قولان: أحدهما: أنه خرج مخرج التهديد، كقوله: ﴿ذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠] فعلى هذا، هو محكم، وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد. والثاني: أنه اقتضى المسامحة لهم والإعراض عنهم، ثم نسخ بآية السيف؛ وإلى هذا ذهب قتادة، والسدي.

قوله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي: عظ بالقرآن. وفي قوله: ﴿أَنْ تَبْسَلَ نَفْسًا﴾ قولان: أحدهما: لثلا تبسل نفس، كقوله: ﴿أَنْ تَبْسَلَ نَفْسًا﴾ [النساء: ١٧٦]. والثاني: ذكركم بإسالة المسلمين بجناياتهم لعلهم يخافون. وفي معنى «تبسل» سبعة أقوال: أحدها: تُسَلِّم، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، والسدي. وقال ابن قتيبة: تُسَلِّم إلى الهلكة. قال الشاعر:

وَيْسَالِي بَسْنِي بِسْنِي جُرْمٍ  
بَعْرُونَاهُ لَا يَدْمُ مُرَاقِي<sup>(١)</sup>  
أي: بغير جرم أجرمناه؛ والبغو: الجناية. وقال الزجاج: تُسَلِّمُ بعملها غير قادرة على التخلص. والمستبسل:

(١) البيت لحوف بن الأحوص الكلابي كما قال ابن قتيبة في «المعاني الكبير» ١١٤/٢، وهو في «نوادير أبي زيد» ١٥١، و«مجاز القرآن» ١٩٤/١، و«غريب القرآن» ١٥٥، و«الطبري» ٤٤٥/١١، و«القرطبي» ١٦/٧، و«شواهد الكشاف» ٢٠٠، و«اللسان» و«التاج» «بسل» و«بهر».

المستسلم الذي لا يعلم أنه يقدر على التخلص. والثاني: تَفْضَح، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: تُدْفَع، رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: تُهْلَكُ، روي عن ابن عباس أيضاً. والخامس: تُحْبَسُ وتُؤْخَذ، قاله قتادة، وابن زيد. والسادس: تُجْزَى، قاله ابن السائب، والكسائي. والسابع: تُرْتَهَن، قاله الفراء. وقال أبو عبيدة: تُرْتَهَن وتسلم؛ وأنشد:

مُنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةَ تَسْرُئِي سَمِيرَ اللَّيَالِي مُبَسَّلًا بِالْجَرَائِرِ<sup>(١)</sup>

سمير الليالي: أبد الليالي. فأما الولي: فهو الناصر الذي يمنعها من عذاب الله. والعدل: الغداء. قال ابن زيد: وإن تفتد كل فداء لا يقبل منها. فأما الحميم، فهو الماء الحار. قال ابن قتيبة: ومنه سمي الحقام.

﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أَيْنَمَا نَقُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا لِسُلَيْمَ رَبِّ الْمَلَكِئِكِ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقْبِمُوا لَكَرَّةً وَأَتَّقُوا وَهُوَ إِلَهُ رَبِّكَ مُشْرُوكٌ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: أنعب ما لا يضرنا إن لم نعبد، ولا ينفعنا إن عبدناه، وهي الأصنام. ﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾ أي: نرجع إلى الكفر: ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ﴾ إلى الإسلام، فنكون ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ وقرأ حمزة: «استهواه الشياطين»، على قياس قراءته: ﴿تَوَلَّيْتُ رُسُلًا﴾. وفي معنى «استهواها» قولان: أحدهما: أنها هوت به وذهبت، قاله ابن قتيبة. وقال أبو عبيدة: تشبه له الشياطين، فيتبعها حتى تهوي به في الأرض، فضله. والثاني: زُيِّنَ له هواء، قاله الزجاج. قال: و «حيران» منصوب على الحال، أي: استهوته في حال حيرته. قال السدي: قال المشركون للمسلمين: اتبعوا سبلنا، واتركوا دين محمد، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ﴾ فنكون كرجل كان مع قوم على طريق، فضل، فحيرته الشياطين، وأصحابه على الطريق يدعون: يا فلان هلم إلينا، فإننا على الطريق، فيأبى. وقال ابن عباس: نزلت هذه الآية في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، دعاه أبوه وأمه إلى الإسلام فأبى. قال مقاتل: والمراد بأصحابه: أبواه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ هذا رد على من دعا إلى عبادة الأصنام، وزجر عن إجابته كأنه قيل له: لا تفعل ذلك، لأن هدى الله هو الهدى، لا هدى غيره.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا لِسُلَيْمَ﴾ قال الزجاج: العرب تقول: أمرتك أن تفعل، وأمرتك لتفعل، وأمرتك بأن تفعل. فمن قال: «بأن» فالباء للإلصاق. والمعنى: وقع الأمر بهذا الفعل، ومن قال: «أن تفعل» فعلى حذف الباء؛ ومن قال: «لتفعل» فقد أخبر بالعلة التي لها وقع الأمر. قال: وفي قوله: ﴿وَأَنْ أَقْبِمُوا لَكَرَّةً﴾ وجهان: أحدهما: أمرنا لأن نسلم، ولأن نقيم الصلاة. والثاني: أن يكون محمولاً على المعنى، لأن المعنى: أمرنا بالإسلام وبإقامة الصلاة. ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْحَقَّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلَهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَبِيرُ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْحَقَّ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: خلقهما للحق. والثاني: خلقهما حقاً. والثالث: خلقهما بكلامه وهو الحق. والرابع: خلقهما بالحكمة.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ قال الزجاج: الأجود أن يكون منصوباً على معنى: واذكر يوم يقول كن فيكون، لأن بعده ﴿قَوْلَهُ قَالَ لِزَيْدٍ﴾ فالمعنى: واذكر هذا وهذا. وفي الذي يقول له كن فيكون، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوم القيامة، قاله مقاتل. والثاني: ما يكون في القيامة. والثالث: أنه الصور، وما ذكر من أمر الصور يدل عليه، قالهما الزجاج. قال: وخص ذلك اليوم بسرعة إيجاد الشيء ليدل على سرعة أمر البعث.

(١) البيت للشنفرى، وهو شاعر جاهلي من صعاليك العرب وفتاكهم، وهو في «الطرائف» ٣٦، و«مجاز القرآن» ١/١٩٥، و«الشعر والشعراء» ٢٦/١، و«الحمامة» بشرح الترنيزي ٢/٦٣، وشرح «المفصليات» ١٩٧، و«الطبري» ١١/٤٤٦، و«اللسان» و«التاج»: بسل. وقوله: سمير الليالي، ويروى «سميس الليالي» وهما بمعنى: معنى «مبسلًا بالجرائر» أنه أسلم إلى عدوه بما جنى عليهم.



المعنى: أتتخذ آزر أصناماً؟ فكانه جعل أصناماً بدلاً من آزر، والاستفهام معناه الإنكار. والثالث: أنه ليس باسم، إنما هو سب بعب، وفي معناه قولان: أحدهما: أنه الموعج، كأنه عابه بريغه وتوجيهه عن الحق، ذكره الفراء. والثاني: أنه المخطئ، فكانه قال: يا مخطئ أتتخذ أصناماً؟ ذكره الزجاج. والرابع: أنه لقب لأبيه، وليس باسمه، قاله مقاتل بن حيان. قال ابن الأنباري: قد يغلب على اسم الرجل لقبه، حتى يكون به أشهر منه باسمه. والجمهور على قراءة «آزر» بالنصب. وقرأ الحسن، ويعقوب بالرفع. قال الزجاج: من نصب، فموضع «آزر» خفض بدلاً من أبيه؛ ومن رفع فعلى النداء.

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (٧٥)

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: وكما أريناه البصيرة في دينه، والحق في خلاف قومه، نريه ﴿مَلَكُوتَ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ﴾. وقيل: «نري» بمعنى أريناه. قال الزجاج: والملوك بمنزلة الملوك، إلا أن الملوك أبلغ في اللغة، لأن الوار والقاء يضافان للمبالغة؛ ومثل الملوك: الرغبوت والرهبوت. قال مجاهد: ملكوت السموات والأرض: آياتها؛ تفرجت له السموات السبع، حتى العرش، فنظر فيهن، وتفرجت له الأرضون السبع، فنظر فيهن. وقال قتادة: ملكوت السموات: الشمس والقمر والنجوم، وملكوت الأرض: الجبال والشجر والبحار. وقال السدي: أقيم على صخرة، وفتحت له السموات والأرض، فنظر إلى ملك الله ﷻ، حتى نظر إلى العرش، وإلى منزله من الجنة، وفتحت له الأرضون السبع، حتى نظر إلى الصخرة التي عليها الأرضون.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ هذا عطف على المعنى، لأن معنى الآية: نريه ملكوت السموات والأرض ليستدل به، وليكون من الموقنين. وفي ما يورق به ثلاث أقوال: أحدها: وخذانية الله وقدرته. والثاني: نبوته ورسالته. والثالث: ليكون موقناً بعلم كل شيء حساً، لا خبراً.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (٧٦)

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ قال الزجاج: يقال: جن عليه الليل، وأجنه الليل: إذا أظلم، حتى يستر بظلمته؛ ويقال لكل ماستر: جن، وأجن، والاختيار أن يقال: جن عليه الليل وأجنه الليل.

### الإشارة إلى بدء قصة إبراهيم عليه السلام

روى أبو صالح عن ابن عباس قال: وُلد إبراهيم في زمن نُمرود، وكان لنمرود كُهان، فقالوا له: يولد في هذه السنة مولود يفسد آلهة أهل الأرض، ويدعوهم إلى غير دينهم، ويكون هلاك أهل بيتك على يده، فعزل النساء عن الرجال، ودخل آزر إلى بيته، فوقع على زوجته، فحملت، فقال الكهان لنمرود: إن الغلام قد حمل به الليلة. فقال: كل من ولدت غلاماً فاقتلوه. فلما أخذ أم إبراهيم المخاض، خرجت هاربة، فوضعت في نهر يابس، ولقته في خرقه، ثم وضعت في خلفاء<sup>(١)</sup>، وأخبرت به أباه، فأناده، فحفر له سرباً، وسد عليه بصخرة، وكانت أمه تختلف إليه فترضعه، حتى شب وتكلم، فقال لأمه: من ربي؟ فقالت: أنا. قال: فمن ربك؟ قالت: أبوك. قال: فمن رب أبي؟ قالت: اسكت. فسكت، فرجعت إلى زوجها، فقالت: إن الغلام الذي كنا نتحدث أنه يغيّر دين أهل الأرض، ابنك. فأناده، فقال له مثل ذلك. فلما جنّ عليه الليل، دنا من باب السرب، فنظر فرأى كوكباً. قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم «رأى»، بفتح الراء والهمزة؛ وقرأ أبو عمرو: «رأى»؛ بفتح الراء وكسر الهمزة، وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم. «رأى»، بكسر الراء والهمزة، واختلفوا فيها إذا لقيها ساكن، وهوأت في ستة مواضع: ﴿رَأَى الْقَوْمُ﴾ وفي النحل ﴿وَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ﴾ [النحل: ٨٥] ﴿وَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ أَشْرَكَ﴾ [النحل: ٨٦] وفي الكهف: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ [الكهف: ٥٣] وفي الأحزاب: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأحزاب: ٢٢]. وقرأ أبو بكر عن

(١) في «اللسان» الحلفاء: ثبت أطرافه محددة، كأنها أطراف سعف النخل والخواص، يثبت في مغايض النساء والنزوز، الواحدة: حلفة، مثل قصبة وقصباء، وطرفة وطرفاء.

عاصم، وحمزة إلا العبسي، وخلف في اختياره: بكسر الراء وفتح الهمزة في الكل، وزوى العبسي كسرة الهمزة أيضاً، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو؛ وابن عامر، والكسائي: بفتح الراء والهمزة. فإن اتصل ذلك بمكني، نحو: رأك، ورآه، ورأها؛ فإن حمزة، والكسائي، وخلف، والوليد عن ابن عامر، والمفضل، وأبان، والقزاز عن عبد الوارث، والكسائي عن أبي بكر: يكسرون الراء، ويميلون الهمزة. وفي الكوكب الذي رآه قولان: أحدهما: أنه الزهرة، قاله ابن عباس، وقادة. والثاني: المشتري، قاله مجاهد، والسدي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه على ظاهره. روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قال: هذا ربي، فعبدته حتى غاب، وعبد القمر حتى غاب، وعبد الشمس حتى غابت؛ واحتج أرباب هذا القول بقوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ وهذا يدل على نوع تحيير، قالوا: وإنما قال هذا في حال طفولته على ما سبق إلى وهمه، قبل أن يثبت عنده دليل. وهذا القول لا يرتضى، والمتأهلون للنسبة محفوظون من مثل هذا على كل حال. فاما قوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ فما زال الأنبياء يسألون الهدى، ويتضرعون في دفع الضلال عنهم، كقوله: ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَيْنَ أَنْ تُغَيِّبَ الْأَنْبِيَاءَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] ولأنه قد آتاه رشده من قبل، وأراه ملكوت السموات والأرض ليكون موقناً، فكيف لا يعصمه عن مثل هذا التحيير؟ والثاني: أنه قال ذلك استدراجاً للحجة، ليعيب آلهتهم ويربهم بغضها عند أفولها، ولا بد أن يضرهم في نفسه: إما على زعمكم، أو فيما تظنون، فيكون كقوله: ﴿إِنِّي بُرِّئُكُمْ﴾، وإما أن يضرهم: فيكون كقوله: ﴿رَبَّنَا ثَقَلَتْ مَوَازِينُنَا﴾ [البقرة: ١٧٧]، أي: يقولان ذلك، ذكر نحو هذا أبو بكر ابن الأنباري، ويكون مراده استدراج الحجة عليهم؛ كما نقل عن بعض الحكماء أنه نزل يقوم يعبدون صنماً، فأظهر تعظيمه، فأكرموه، وصدروا عن رأيه، فدهمهم عدو، فشاورهم ملكهم، فقال: ندعو إلهنا ليكشف ما بنا، فاجتمعوا يدعونه، فلم ينفع، فقال هاهنا إله ندعوه، فيستجيب، فدعوا الله، فصرف عنهم ما يحذرون، وأسلموا. والثالث: أنه قال مستفهماً، تقديره: أهذا ربي؟ فاضمرت ألف الاستفهام، كقوله: ﴿أَفَلَيْسَ مَعَ فَعْمَ لَلْمَلَكُوتِ﴾ [الأنبياء: ٢٢٤] أي: أفهم الخالدون؟ قال الشاعر:

كَذَّبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِسَوَائِطٍ      عَلَسَ الظُّلَامُ مِنَ الرَّيَابِ حَيَالاً<sup>(١)</sup>

أراد: أكذبتك؟ قال ابن الأنباري: وهذا القول شاذ، لأن حرف الاستفهام لا يضر إذا كان فارقاً بين الإخبار والاستخبار؛ وظاهر قوله: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ أنه إشارة إلى الصانع. وقال الزجاج: كانوا أصحاب نجوم، فقال: هذا ربي، أي: هذا الذي يدبرني، فاحتج عليهم أن هذا الذي تزعمون أنه مدبر، لا ترى فيه إلا أثر مدبر. و«أفل» بمعنى: غاب؛ يقال: أفل النجم يأفل ويأفل أفولاً.

قوله تعالى: ﴿لَا أُحِبُّ الْأَقْلِيلَ﴾ أي: حبّ ربّ معبود، لأن ما ظهر وأفل كان حادثاً مدبراً. ﴿قُلْنَا رَاكَ الْفَرُّ بِإِذَا قَالَ هَذَا رَبِّي قُلْنَا أَفَلَمْ يَلَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوَّيْنِ الضَّالِّينَ﴾ قُلْنَا رَاكَ الشَّمْسُ بِإِذَا قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْثَرُ قُلْنَا أَفَلَمْ يَلَمْ يَهْدِنِي رَبِّي؟ وَمَا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْنَا رَاكَ الْفَرُّ﴾ قال ابن تقيّة: سمي القمر قمراً لبياضه؛ والأقمر: الأبيض؛ وليلة قمراء، أي: مضية. فاما البازغ، فهو الطالع. ومعنى ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي﴾: لئن لم يثبتني على الهدى. فإن قيل: لم قال في الشمس: هذا، ولم يقل: هذه؟ فتنه أربعة أجوبة: أحدها: أنه رأى ضوء الشمس، لا عينها، قاله محمد بن مقاتل. والثاني: أنه أراد: هذا الطالع ربي، قاله الأخفش. والثالث: أن الشمس بمعنى الضياء والنور، فحمل الكلام على المعنى. والرابع: أن الشمس ليس في لفظها علامة من علامات التأنيث، وإنما يشبه لفظها المذكر، فجاز تذكيرها. ذكره والذي قبله ابن الأنباري.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وَعَاجَزُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْتَنِي وَلَا أَحَادُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾

(١) البيت للأخطل من قصيدة يهجو بها جريراً، وهو في «ديوانه» ٤١، ومجاز القرآن: ٥٦/١، والكمال: ٦١١، والطبري: ٣٦١/١، والنهاية، واللسان (كذب) وشواهد المعنى: ٥٢، والغزاة: ٤١١/٢، ٤٥٢/٤.



قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ قال الزجاج: جعلت قصدي بعبادتي وتوحيدي لله رب العالمين تعالى. وباقي الآية قد تقدم.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ﴾ قال ابن عباس: جادلوه في آلهتهم، وخوفوه بها، فقال منكراً عليهم: ﴿أَتُحْجَرُونَ﴾. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿أَتُحْجَرُونَ﴾ و ﴿تَأْمُرُونَ﴾ [الزمر: ٩٤] بتشديد النون. وقرى نافع، وابن عامر بتخفيفها فحذفوا النون الثانية لالتقاء النونين. ومعنى ﴿أَتُحْجَرُونَ فِي اللَّهِ﴾ أي: في توحيده. ﴿وَقَدْ هَدَيْنَا﴾ أي: بين لي ما به اهتديت. وقرأ الكسائي: «هداني»، بإمالة الدال. والإمالة حسنة فيما كان أصله الياء، وهذا من هدى يهدي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تَشْرِكُونَ بِهِ﴾ أي: لا أرهب آلهتكم، وذلك أنهم قالوا: نخاف أن تمسك آلهتنا بسوء، فقال: لا أخافها لأنها لا تضر ولا تنفع ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾. فله أخاف ﴿وَيَسَّعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: علمه علماً تاماً.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾  
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ أي: من هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تخافون أنتم أنكم أشركتم بالله الذي خلقكم ورزقكم، وهو قادر على ضرركم ونفعكم ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ أي: حجة. ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ أي: بأن يأمن العذاب، الموحّد الذي يعبد من بيده الضر والنفع؟ أم المشرك الذي يعبد ما لا يضر ولا ينفع؟ ثم بين الأحق من هو بقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي: لم يخلطوه بشرك. روى البخاري، ومسلم في «صحيحهما» من حديث ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية، شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك؟ فقال: «إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه: ﴿إِنَّكَ أَكْثَرُكَ لَظْمًا عَظِيمًا﴾»<sup>(١)</sup> لقمان: ١١٣؟ وفيمن عنى بهذه الآية، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إبراهيم وأصحابه، وليست في هذه الأمة، قاله علي بن أبي طالب. وقال في رواية أخرى: هذه الآية لإبراهيم خاصة، ليس لهذه الأمة منها شيء. والثاني: أنه من هاجر إلى المدينة، قاله عكرمة. والثالث: أنها عامة، ذكره بعض المفسرين. وهل هي من قول إبراهيم لقومه، أم جواب من الله تعالى؟ فيه قولان.

﴿وَلَيْكَ حُجَّتُنَا إِنِّيهِمَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ رَفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾  
قوله تعالى: ﴿وَلَيْكَ حُجَّتُنَا﴾ يعني ما جرى بينه وبين قومه من الاستدلال على حدوث الكوكب والقمر والشمس، وعيبيهم، إذ سوا بين الصغير والكبير، وعبدوا من لا ينطق، وإلزامه إياهم الحجة. ﴿إِنِّيهِمَا إِبْرَاهِيمَ﴾ أرشدناه إليها بالإلهام. وقال مجاهد: الحجة قول إبراهيم: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ؟﴾

قوله تعالى: ﴿رَفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عمرو وابن عامر: «دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ»، مضافاً. وقرأ عاصم، وحمزة والكسائي: «دَرَجَتٍ»، منوناً، وكذلك قرؤوا في (يوسف) [يوسف: ٢٦]. ثم في المعنى قولان: أحدهما: أن الرفع بالعلم والفهم والمعرفة. والثاني: بالا斯塔فة للرسالة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ قال ابن جرير: حكيم في سياسة خلقه، وتلقيه أنبياءه الحجج على أممهم المكذبة عليهم بما يؤول إليه أمر الكل.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾  
﴿٨٢﴾ وَكَرَّمْنَا إِيَّاهُ وَيَسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلًّا مِّنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٣﴾ وَاسْمِعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَخَوَتِهِمْ وَاجْتَنَبْتُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٥﴾

(١) «المستد» ٢٠٧/٥، و«البخاري» ٨١/١، ٢٢١/٨، و«مسلم بشرح النووي» ١٤٢/٢، ١٤٣، و«الترمذي» ١٣٢/٢.

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا لَكَ إِسْحَاقَ﴾ ولدًا لصلبه ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ولدًا لإسحاق: ﴿كَلَّا﴾ من هؤلاء المذكورين: ﴿هَدَيْنَا﴾ أي: أرشدنا.

قوله تعالى: ﴿زَيْنَ دُؤَيْبٍ﴾ في «هاء الكناية»، قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى نوح؛ رواه أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء، ومقاتل، وابن جرير الطبري. والثاني: إلى إبراهيم، قاله عطاء. وقال الزجاج: كلا القولين جائز، لأن ذكرهما جميعاً قد جرى، واحتج ابن جرير للقول الأول بأن الله تعالى ذكر في سياق الآيات لوطاً، وليس من ذرية إبراهيم. وأجاب عنه أبو سليمان الدمشقي بأنه يحتمل أن يكون أراد: ووهبنا له لوطاً في المعاضدة والنصرة، ثم قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ من أبين دليل على أنه إبراهيم، لأن افتتاح الكلام إنما هو بذكر ما أثاب به إبراهيم. فأما «يوسف» فهو اسم أعجمي. قال الفراء: «يوسف». بضم السين من غير همز، لغة أهل الحجاز، وبعض بني أسد يقول: «يوسف» بالهمز، وبعض العرب يقول: «يوسف» بكسر السين، وبعض بني عُقَيْل يقول: «يوسف» بفتح السين.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: كما جزينا إبراهيم على توحيده وثباته على دينه، بأن رفعنا درجته ووهبنا له أولاداً أنبياء أتقياء، كذلك نجزي المحسنين. فأما عيسى، وإلياس، واليسع، ولوطاً؛ فأسماء أعجمية، وجمهور القراء يقرؤون «اليسع» بلام واحدة مخففاً، منهم ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر. وقرأ حمزة، والكسائي هاهنا وفي (ص): «إِلْيَاسُ» بلامين مع التشديد. قال الفراء: وهي أشبه بالصواب، وبأسماء الأنبياء من بني إسرائيل، ولأن العرب لا تدخل على «يَعْقُلُ»، إذا كان في معنى فلان، ألفاً ولاماً، يقولون: هذا يسع قد جاء، وهذا يعمر، وهذا يزيد، فهكذا الفصحى من الكلام. وأنشدني بعضهم:

وَجَدْنَا الْوَلِيدَ بِنَ الْيَزِيدِ مَبَارَكاً  
شَدِيدُ أَخْنَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلُهُ<sup>(١)</sup>

فلما ذكر الوليد بالالف واللام، أتبعه يزيد بالالف واللام، وكل صواب. وقال مكي: من قرأه بلام واحدة، فالأصل عنده: يسع، ومن قرأه بلامين، فالأصل عنده: لَيْسَعُ، فأدخلوا عليه حرف التعريف، وباتي أسماء الأنبياء قد تقدم بيانها، والمراد بالعالمين: عالمو زمانهم.

قوله تعالى: ﴿زَيْنَ عَابِدٍ وَزَيْنَةَ﴾ «من» هاهنا للتبعيض. قال الزجاج: المعنى: هدينا هؤلاء، وهدينا بعض آبائهم وذرياتهم. ﴿وَزَيْنَةَ﴾ مثل اخترناهم واصطفيناهم، وهو مأخوذ من جيت الشيء: إذا أخلصته لنفسك. وجيت الماء في الحوض: إذا جمعته فيه. فأما الصراط المستقيم، فهو التوحيد.

﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: ذلك دين الله الذي هم عليه: ﴿يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾. ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ يعني الأنبياء المذكورين ﴿لَحَبِطَ﴾ أي: لبطل وزال عملهم، لأنه لا يقبل عمل مشرك.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْفُكْرَ وَالشُّعْرَ فَإِنْ يَكْثُرْ بِهَا هَوْلًا فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني الكتب التي أنزلها عليهم. والحكم: الفقه، والعلم ﴿فَإِنْ يَكْثُرْ بِهَا﴾ يعني بآياتنا. وفيمن أشير إليه بـ «هؤلاء» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أهل مكة، قاله ابن عباس، وسعيد بن المسيب، وقتادة. والثاني: أنهم قريش، قاله السدي. والثالث: أمة النبي ﷺ، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا﴾ قال أبو عبيدة: فقد رزقناها قوماً. وقال الزجاج: وكلنا بالإيمان بها قوماً. وفي هؤلاء القوم أربعة أقوال: أحدها: أنهم أهل المدينة من الأنصار، قاله ابن عباس، وابن المسيب، وقتادة، والسدي. والثاني: الأنبياء والصالحون، قاله الحسن. وقال قتادة: هم النبيون الثمانية عشر المذكورون في هذا المكان. وهذا اختيار الزجاج، وابن جرير. والثالث: أنهم الملائكة، قاله أبو رجاء. والرابع: أنهم المهاجرون والأنصار.

(١) البيت من قصيدة لابن ميادة الرماح بن أبرد يمدح فيها أبا العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان. وهو في «معاني القرآن» للفراء ١/٣٤٢، و«المعني» ٥٢، و«تاريخ الخلفاء» للسيوطي ٢٥٢. وقوله: «بأحناء الخلافة» فالأحناء جمع الحنو وهو الجهة والجانب، ويقال: أحناء الأسور لما تشابه منها وأشكل المخرج منه. والكاهل: اسم لما بين الكتفين، ويعبر بشدة الكاهل عن القوة.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أَقْتَدُ شُدْ لَا أَتَلَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنَّهُ لَا يَذْكُرُ لِلْمَلَكِ﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ يعني النبيين المذكورين. وفي قوله تعالى: ﴿فَبِهِدْهُمْ أَقْتَدُ﴾ قولان: أحدهما: بشرائهم وبسنتهم فاعمل، قاله ابن السائب. والثاني: اقتد بهم في صبرهم، قاله الزجاج. وكان ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، يشتون الهاء من قوله: ﴿اقتده﴾ في الوصل ساكنة. وكان حمزة، وخلف، ويعقوب، والكسائي عن أبي بكر، واليزيدي في اختياره، يحدفون الهاء في الوصل. ولا خلاف في إثباتها في الوقف، وإسكانها فيه. قوله تعالى: ﴿شُدْ لَا أَتَلَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ يعني على القرآن. والذكرى: العظة. والعالمون هاهنا: الجن والإنس.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلْبَنِي إِسْرَءِيلَ يَجْعَلُونَ لِقَائِهِ قَرَارِيسَ تَدْوِنُهَا وَيُخْفُونَهَا كَثِيرًا وَظَنَّوْا أَنَّهُ لَوِ شَاءَ اللَّهُ لَوِ أَنزَلَهُمْ عَلَى شَاوِءٍ مِّنْهُمْ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كِبَارُهَا وَلَا بَأْسًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ في سبب نزولها سبعة أقوال: أحدها: أن مالك بن الصيف رأس اليهود، أتى رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال له رسول الله ﷺ: «أشكك بالذي أنزل التوراة على موسى، أتجد فيها أن الله يغيض الحبر السمين؟» قال: نعم. قال «فأنت الحبر السمين». فغضب، ثم قال: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس؛ وكذلك قال سعيد بن جبير، وعكرمة: نزلت في مالك بن الصيف. والثاني: أن اليهود قالوا: يا محمد، أنزل الله عليك كتاباً؟ قال: «نعم». قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً، فنزلت هذه الآية، رواه الواهبي عن ابن عباس. والثالث: أن اليهود قالوا: يا محمد، إن موسى جاء بالروح يحملها من عند الله، فأتينا بآية كما جاء موسى، فنزل: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُخِزَّهُمْ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾، إلى قوله: ﴿عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٣ - ١٥٦]. فلما حدثهم بأعمالهم الخبيثة، قالوا: والله ما أنزل الله عليك ولا على موسى وعيسى، ولا على بشر، من شيء، فنزلت هذه الآية، قاله محمد بن كعب. والرابع: أنها نزلت في اليهود والنصارى، أتاهم الله علماً فلم يتشفعوا به، قاله قتادة. والخامس: أنها نزلت في فنحاص اليهودي، وهو الذي قال: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ قاله السدي. والسادس: أنها نزلت في مشركي قريش، قالوا: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد<sup>(١)</sup>. والسابع: أن أولها، إلى قوله: ﴿مِن شَيْءٍ﴾ في مشركي قريش. وقوله: ﴿مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلْبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ في اليهود، رواه ابن كثير عن مجاهد. وفي معنى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: ما عظموا الله حق عظمتهم، قاله ابن عباس، والحسن، والفراء، وثعلب، والزجاج. والثاني: ما وصفوه حق صفته، قاله أبو العالية، واختاره الخليل. والثالث: ما عرفوه حق معرفته، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ قَرَارِيسَ﴾ معناه: يكتبونه في قراطيس. وقيل: إنما قال: قراطيس، لأنهم كانوا يكتبونه في قراطيس مقطعة، حتى لا تكون مجموعة، ليخفوا منها ما شاؤوا.

قوله تعالى: ﴿يُدْوِنُهَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «يجعلونه قراطيس يبدونها» و«يخفون» بالياء فيهن. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي؛ بالتاء فيهن. فمن قرأ بالياء، فلان القوم غيب، بدليل قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾. ومن قرأ بالتاء، فعلى الخطاب؛ والمعنى: تبدو من منها ما تحبون، وتخفون كثيراً، مثل صفة محمد ﷺ، وآية الرجم، ونحو ذلك مما كتّموه.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّيْتُمْ مَا لَوِ شَاءَ اللَّهُ لَوِ أَنزَلَهُمْ عَلَى شَاوِءٍ مِّنْهُمْ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كِبَارُهَا وَلَا بَأْسًا﴾ في المخاطب بهذا قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله الجمهور. والثاني: أنه خطاب للمسلمين، قاله مجاهد. فعلى الأول: علّموا ما في التوراة؛ وعلى الثاني: علّموا على لسان محمد ﷺ.

(١) رجع هذا القول ابن كثير وقال: إنه الأصح، لأن الآية مكية، واليهود لا يتكروا إزال الكتب من السماء، وقريش والعرب قاطبة كانوا يعبدون إرسال رسول من البشر كما قال: ﴿أَكَا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ عَسَا أَن يُبَيِّنَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [يونس: ٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَنبِئُكَ أَنَّ يَقُولُونَ بِالَّذِي هُوَ عِلْمٌ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٤].

قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ هذا جواب لقوله: ﴿مَنْ أَرْزَلَ الْكَتَبَ﴾ وتقديره: فإن أجابوك، وإلا فقل: الله أنزله.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَرَّهُمْ﴾ تهديد. وخوضهم: باطلهم. وقيل: إن هذا أمر بالإعراض عنهم، ثم نسخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ يعني القرآن. قال الزجاج والمبارك: الذي يأتي من قبله الخير الكثير. والمعنى: أنزلناه للبركة والإنذار.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَآرَكٌ مُصَدِّقٌ لِّدِينِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقٌ لِّدِينِ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب.

قوله تعالى: ﴿وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ قرأ عاصم إلا حفصاً: «وليتنذر» بالياء؛ فيكون الكتاب هو المنذر. وقرأ الباقر: بالياء، على الخطاب للنبي ﷺ. فأما أم القرى، فهي مكة. قال الزجاج: والمعنى: لتنذر أهل أم القرى. وفي تسميتها بأم القرى أربعة أقوال: أحدها: أنها سميت بذلك، لأن الأرض دُحيت من تحتها، قاله ابن عباس. والثاني: لأنها أقدمها، قاله ابن قتيبة. والثالث: لأنها قبله جميع الناس، يؤمنونها. والرابع: لأنها كانت أعظم القرى شأنًا، ذكرهما الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ قال ابن عباس: يريد الأرض كلها.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ في هاء الكتابة قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن. والثاني: إلى النبي محمد ﷺ. والمعنى: من آمن بالآخرة آمن به؛ ومن لم يؤمن به، فليس إيمانه بالآخرة حقيقة، ولا يعتد به، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فدل على أنه أراد المؤمنين الذين يحافظون على الصلوات.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اتَّخَذَ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اتَّخَذَ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أن أولها، إلى قوله: ﴿وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ نزل في مسلمة الكذاب. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ نزل في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان قد تكلم بالإسلام، وكان يكتب لرسول الله ﷺ في بعض الأحيان؛ فإذا أُملي عليه: «عزيز حكيم» كتب: «غفور رحيم» فيقول لرسول الله ﷺ: هذا وذاك سواء. فلما نزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ ﴿١٦﴾ أملاها عليه، فلما انتهى إلى قوله: ﴿خَلَقْنَا مَاخِرًا﴾ عجب عبد الله بن سعد، فقال: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤] فقال رسول الله ﷺ: «كذا أنزلت علي، فاكبتها» فشك حيثن، وقال: لئن كان محمد صادقاً، لقد أوحى إلي كما أوحى إليه، ولئن كان كاذباً، لقد قلت كما قال، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. قال عكرمة: ثم رجع إلى الإسلام قبل فتح مكة. والقول الثاني: أن جميع الآية في عبد الله بن سعد، قاله السدي. والثالث: أنها نزلت في مسلمة، والأسود العنسي، قاله قتادة. فإن قيل: كيف أفرد قوله: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ من قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اتَّخَذَ﴾ وذاك مفتري أيضاً؟ فغنه جوابان: أحدهما: أن الوصفين لرجل واحد، وصف بأمر بعد أمر ليدل على جرأته. والثاني: أنه خص بقوله: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ بعد أن عم بقوله: ﴿اتَّخَذَ عَلَىٰ اللَّهِ﴾ لأنه ليس كل مفتري على الله يدعي أنه يوحى إليه، ذكرهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي: سأقول. قال ابن عباس: يعنون الشعر، وهم المستهزئون. وقيل: هو قول عبد الله بن سعد بن أبي سرح. قال الزجاج: وهذا جواب لقولهم: ﴿لَوْ كُنَّا لَفَقْنَا مِثْلَ هَذَا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قوم كانوا مسلمين بمكة، فأخرجهم الكفار

معه إلى قتال بدر، فلما أبصروا قلة أصحاب رسول الله ﷺ رجعوا عن الإيمان، فنزل فيهم هذا، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم الذين قالوا: ﴿مَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ قاله أبو سليمان. والثالث: الموصوفون في هذه الآية، وهم المفترون والمدَّعون الوحي إليهم، ومماثلة كلام الله. قال الزجاج: وجواب «لو» محذوف؛ والمعنى: لو تراه في غمرات الموت لرأيت عذاباً عظيماً. ويقال لكل من كان في شيء كبير: قد غمر فلاناً ذلك. قال ابن عباس: غمرات الموت: سكراته. قال ابن الأنباري: قال اللغويون: سميت غمرات، لأن أهوالها يغمرن من يقعن به.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ كُذِّبَتْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بالضرب، قاله ابن عباس. والثاني: بالعذاب، قاله الحسن، والضحاك. والثالث: باسطوها لقبض الأرواح من الأجساد، قاله الفراء. وفي الوقت الذي يكون هذا فيه ثلاثة أقوال: أحدها: عند الموت. قال ابن عباس: هذا عند الموت، الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، وملك الموت يتوفاهم. والثاني: يوم القيامة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: في النار، قاله الحسن. قوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فيه إضمار «يقولون» وفي معناه قولان: أحدهما: استسلموا لإخراج أنفسكم. والثاني: أخرجوا أنفسكم من العذاب إن قدرتم.

قوله تعالى: ﴿تَجَزَّوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ قال أبو عبيدة: الهون: مضوم، وهو الهوان؛ وإذا فتحوا أوله، فهو الرِّفْقُ والدَّعة. قال الزجاج: والمعنى: تجزؤون العذاب الذي يقع به الهوان الشديد. ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَرَكَّبْتُمْ مَا حَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ سبب نزولها: أن النضر بن الحارث قال: سوف تشفع لي اللات والعزى، فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة. ومعنى فرادى: وحداً. وهذا إخبار من الله تعالى بما يوبخ به المشركين يوم القيامة. قال أبو عبيدة: فرادى، أي: فرد فرد. وقال ابن قتيبة: فرادى: جمع فرد. وللمفسرين في معنى «فرادى» خمسة أقوال متقاربة المعنى: أحدها: فرادى من الأهل والمال والولد، قاله ابن عباس. والثاني: كل واحد على حدة، قاله الحسن. والثالث: ليس معكم من الدنيا شيء، قاله مقاتل. والرابع: كل واحد منفرد عن شريكه في الغي وشقيقه، قاله الزجاج. والخامس: فرادى من المعبودين، قاله ابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا مال ولا أهل ولا ولد. والثاني: حفاة عراة غرلاً. والغزل: القلف. والثالث: أحياء. و«حَوَّلْنَاكُمْ» بمعنى ملكانكم. «وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ» أي: في الدنيا. والمعنى: أن ما دأبتم في تحصيله في الدنيا فني، وبقي الندم على سوء الاختيار. وفي شفاعتهم، قولان: أحدهما: أنها الأصنام. قال ابن عباس: شفعاؤكم، أي: ألهمتكم الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم. و«زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ» أي: عندكم شركاء. وقال ابن قتيبة: زعمتم أنهم لي في خلقكم شركاء. والثاني: أنها الملائكة؛ كانوا يعتقدون شفاعتها، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، وأبو بكر عن عاصم: بالرفع. وقرأ نافع، والكسائي، وحفص عن عاصم: بنصب النون على الظرف. قال الزجاج: الرفع أجود، ومعناه: لقد تقطع وصلكم، والنصب جائز، ومعناه: لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم. وقال ابن الأنباري: التقدير: لقد تقطع ما بينكم، فحذف «ما» لوضوح معناها. قال أبو علي: الذين رفعوه، جعلوه اسماً، فاستندوا الفعل الذي هو «تَقَطَّعَ» إليه؛ والمعنى: لقد تقطع وصلكم. والذين نصبوا، أضمرنا اسم الفاعل في الفعل، والمضمر هو الوصل؛ فالتقدير: لقد تقطع وصلكم بينكم. وفي الذي كانوا يزعمون قولان: أحدهما: شفاعة ألهمتهم. والثاني: عدم البعث والجزاء.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْثِ وَالنَّوْثِ﴾ وفيه معنى الفلق قولان: أحدهما: أنه بمعنى الخلق، فالمعنى: خالق الحب والنوى، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، ومقاتل. والثاني: أن الفلق بمعنى الشق. ثم في معنى

الكلام قولان: أحدهما: أنه فلق الحبة عن السنبلة، والنواة عن النخلة، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والسدي، وابن زيد. والثاني: أنه الشقان اللذان في الحب والنوى، قاله مجاهد، وأبو مالك. قال ابن السائب: الحب: ما لم يكن له نوى، كالبرّ والشعير؛ والنوى: مثل نوى التمر.

قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْمَاءَ مِنَ التَّيْتِ وَيُخْرِجُ التَّيْتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ قد سبق تفسيره في (آل عمران).

قوله تعالى: ﴿فَأَنْ تَقُولُوا﴾ أي: كيف تُصرفون عن الحق بعد هذا البيان.

﴿فَأَنْ تَقُولُوا﴾ أي: كيف تُصرفون عن الحق بعد هذا البيان.

قوله تعالى: ﴿فَأَنْ تَقُولُوا﴾ في معنى الفلق قولان قد سبقا. فأما الإصباح، فقال الأخفش: هو مصدر من أصبح. وقال الزجاج: الإصباح والصبح واحد. وللمفسرين في الإصباح، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ضوء الشمس بالنهار، وضوء القمر بالليل، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه إضاءة الفجر، قاله مجاهد. وقال ابن زيد: فلق الإصباح من الليل. والثالث: أنه نور النهار، قاله الضحاك. وقرأ أنس بن مالك، والحسن، وأبو مجلز، وأيوب، والجحدري: ﴿فالق الإصباح﴾ بفتح الهمزة. قال أبو عبيد: ومعناه جمع صبح.

قوله تعالى: ﴿وجاعل الليل سكناً﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «جاعل» بآلف. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «وجعل» بغير ألف. «الليل» نصباً. قال أبو علي: من قرأ: «جاعل» فلاجل «فالق» وهم يراعون المشاكلة. ومن قرأ: «جعل» فلأن فاعلاً هاهنا، بمعنى: «فعل» بدليل قوله: ﴿الْقَمَرُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾. فأما السكن، فهو ما سكنت إليه. والمعنى: أن الناس يسكنون فيه سكناً راحة. وفي الحساب قولان: أحدهما: أنه الحساب، قاله الجمهور. قال ابن قتيبة: يقال: خذ من كل شيء بحسابه، أي: بحسابه. وفي المراد بهذا الحساب، ثلاثة أقوال: أحدها: أنهما يجريان إلى أجل يُجعل لهما، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: يجريان في منازلهما بحساب، ويرجعان إلى زيادة ونقصان، قاله السدي. والثالث: أن جريانهما سبب لمعرفة حساب الشهور والأعوام، قاله مقاتل. والقول الثاني: أن معنى الحساب؛ الضياء، قاله قتادة. قال الماوردي، كأنه أخذه من قوله تعالى: ﴿وَرَبِّبَلْ عَلَيْنَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٤٠] أي: ناراً. قال ابن جرير: وليس هذا من ذلك في شيء.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾ جعل، بمعنى خلق. وإنما امتنّ عليهم بالنجوم، لأن سالكي القفار وراكبي البحار، إنما يهتدون في الليل لمقادسهم بها.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني آدم. ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، إلا رؤساً: بكسر القاف. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي: بفتحها. قال الزجاج: من كسر، فالمعنى: «فمنكم مستقر» ومن نصب، فالمعنى: «فلكم مستقر». فأما مستودع، فبالفتح لا غير. ومعناه على فتح القاف: «ولكم مستودع» وعلى كسر القاف: «منكم مستودع». وللمفسرين في هذا المستقر والمستودع تسعة أقوال: أحدها: فمستقر في الأرحام، ومستودع في الأضلاب، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبيرة، ومجاهد، وعطاء، والضحاك، والنخعي، وقاتدة، والسدي، وابن زيد. والثاني: المستقر في الأرحام، والمستودع في القبر، قاله ابن مسعود. والثالث: المستقر في الأرض، والمستودع في الأضلاب، رواه ابن جبيرة عن ابن عباس. والرابع: المستقر والمستودع في الرحم، رواه قابوس عن أبيه عن ابن عباس. والخامس: المستقر حيث يأوي، والمستودع حيث يموت، رواه مقسم عن ابن عباس. والسادس: المستقر في الدنيا، والمستودع في القبر. والسابع: المستقر في القبر، والمستودع في الدنيا، وهو عكس الذي قبله، روى عن الحسن. والثامن: المستقر في الدنيا، والمستودع عند الله تعالى، قاله مجاهد. والتاسع: المستقر في الأضلاب، والمستودع في الأرحام، قاله ابن بحر، وهو عكس الأول.



ويلوغه. وأهل الحجاز يقولون: يَنْع، بفتح الباء، وبعض أهل نجد يضمونها. قال ابن قتيبة: يقال: يَنْع الثمرة، وأينعت: إذا أدركت، وهو اليَنْع واليَنْع. وقرأ الحسن، ومجاهد، وقتادة، والأعمش، وابن محيصن: «وَيُنْعِه» بضم الياء. قال الزجاج: اليَنْع: التَضِج. قال الشاعر:

فِي قَبَابِ حَوْلِ دَسْكَرَةٍ حَوْلَهَا الرِّثْيُونُ قَدْ يَنْعَا<sup>(١)</sup>

وبيّن الله تعالى لهم بتصريف ما خلق، ونقله من حال إلى حال لا يقدر عليه الخلق، أنه كذلك يبعثهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ قال ابن عباس: يصدّقون أن الذي أخرجها النبات قادر على أن يحيي الموتى. وقال مقاتل: يصدقون بالتوحيد.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْإِلَهِ﴾ وَخَرَفُوا لَمْ يَبَيِّنْ وَيَنْتَبِهُ يَتَوَقَّعُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠١﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْإِلَهِ﴾ جعلوا، بمعنى وصفوا. قال الزجاج: نصب «الجن» من وجهين: أحدهما: أن يكون مفعولاً، فيكون المعنى: وجعلوا الله الجن شركاء؛ ويكون الجن مفعولاً ثانياً، كقوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبُدُ الرَّحْمَنِ إِنْتَاءً﴾ [الزخرف: ١٩]. والثاني: أن يكون الجن بدلاً من شركاء، ومفسراً للشركاء. وقرأ أبو المتوكل، وأبو عمران، وأبو حيوة، والجحدري: «شركاء الجن» برفع النون؛ وقرأ ابن أبي عتبة، ومعاذ القاري: «الجن» بخفض النون. وفي معنى جعلهم الجن شركاء ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أطاعوا الشياطين في عبادة الأوثان، فجعلوهم شركاء لله، قاله الحسن، والزجاج. والثاني: قالوا: إن الملائكة بنات الله فهم شركاؤه، كقوله: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ لَكِنَّةً فَسَبَّ﴾ [الصافات: ١٥٨] فسمى الملائكة جنّاً لاجتماعهم، قاله قتادة، والسدي، وابن زيد. والثالث: أن الزنادقة قالوا: الله خالق النور والماء والدواب والأنعام، وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب، وفيهم نزلت هذه الآية. قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ﴾ في الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الجاعلين له الشركاء، فيكون المعنى: وجعلوا للذي خلقهم شركاء لا يخلقون. والثاني: أنها ترجع إلى الجن، فيكون المعنى: والله خلق الجن، فكيف يكون الشريك لله محدثاً؟ ذكرهما الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَخَرَفُوا لَمْ يَبَيِّنْ وَيَنْتَبِهُ﴾ وقرأ نافع: «وخرقوا» بالتشديد، للمبالغة والتكثير، لأن المشركين ادّعوا الملائكة بنات الله، والنصارى المسيح، واليهود عزيزاً. وقرأ ابن عباس، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء: «وخرقوا» بحاء غير معجمة وتشديد الراء وبالفاء. وقرأ ابن السميع، والجحدري: «خارقوا» بألف وخاء معجمة. قال السدي: أما «البنون»، فقول اليهود عزيز ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله. وأما البنات فقول مشركي العرب: الملائكة بنات الله. قال الفراء: خرقوا، واخترقوا، وخلقوا، واختلقوا، بمعنى افتروا. وقال أبو عبيدة: خرقوا: جعلوا. قال الزجاج: ومعنى: «بغير علم»: أنهم لم يذكره من علم، إنما ذكروه تكذّباً.

﴿يَبْعُ السَّمَكَاتِ وَالْأَدْيَ أَنْ يَكُونَ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ يَكْفِي شَيْءٌ عَلَيْهِ﴾ ﴿١٠٢﴾ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٣﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْ يَكُونَ لَمْ يَلِدْ﴾ قال الزجاج: أي: من أين يكون له ولد، والولد لا يكون إلا من صاحبة! واحتج عليهم في نفي الولد بقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ﴾ فليس مثل خالق الأشياء، فكيف يكون الولد لمن لا مثل له! فإذا نُسب إليه الولد، فقد جعل له مثل.

﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٠٤﴾

(١) «الحيوان» ١٠/٤، و«الكامل» ٢٢٦/١، و«مجاز القرآن» ٢٠٢/١، و«الطبري» ٥٨٠/١١، و«خزانة الأدب» ٢٧٩/٣، و«اللسان»: ينح. قال المبرد: قال أبو عبيدة: هذا الشعر مختلف فيه، فبعضهم ينسبه إلى الأوحص، وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية. وفي «اللسان» قال ابن بري: هو للأوحص، أو يزيد بن معاوية، أو عبد الرحمن بن حسان، ونسبه صاحب «اللسان» في مادة: «دمكر» إلى الأخطل. والدمكرة: بناء كالقصر، كانت الأعاجم تتخذ للشرب والملاهي.



قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ في الإدراك قولان: أحدهما: أنه بمعنى الإحاطة. والثاني: بمعنى الرؤية. وفي «الأبصار» قولان: أحدهما: أنها العيون، قاله الجمهور. والثاني: أنها العقول، رواه عبد الرحمن بن مهدي عن أبي حصين القارئ. ففي معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: لا تحيط به الأبصار، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن المسيب، وعطاء. وقال الزجاج: معنى الآية: الإحاطة بحقيقته، وليس فيها دفع للرؤية، لما صح عن رسول الله ﷺ من الرؤية<sup>(١)</sup>، وهذا مذهب أهل السنة والعلم والحديث. والثاني: لا تدركه الأبصار إذا تجلّى بنوره الذي هو نوره، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: لا تدركه الأبصار في الدنيا، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومقاتل. ويدل على أن الآية مخصوصة بالدنيا، قوله: ﴿يَوْمَ يُؤْتِيهِمْ نَافِثَةٌ ۚ إِنَّهَا غَاطِرَةٌ ۖ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] فقيّد النظر إليه بالقيامة، وأطلق في هذه الآية، والمطلق يحمل على المقيد..

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُدْرِكْ الْأَبْصَارُ﴾ فيه القولان. قال الزجاج: وفي هذا الإعلام دليل على أن خلقه لا يدركون الأبصار، أي: لا يعرفون حقيقة البصر، وما الشيء الذي صار به الإنسان يبصر من عينه، دون أن يبصر من غيرهما من أعضائه؛ فأعلم الله أن خلقاً من خلقه لا يدرك المخلوقون كنهه، ولا يحيطون بعلمه؛ فكيف به ﷻ؟! فأما «اللطيف»، فقال أبو سليمان الخطابي: هو البرّ بعباده، الذي يلفظ بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون. قال ابن الأعرابي: اللطيف: الذي يوصل إليك أركبك في رفق؛ ومنه قولهم: لطف الله بك؛ ويقال: هو الذي لطف عن أن يدرك بالكمية. وقد يكون اللطف بمعنى الدقة والغموض، ويكون بمعنى الصغر في نعت الأجسام، وذلك مما لا يليق بصفات الباري سبحانه. وقال الأزهري: اللطيف من أسماء الله، معناه: الرفيق بعباده؛ والخير: العالم بكنه الشيء، المطلع على حقيقته.

﴿فَإِذَا جَاءَكُمْ بِبَصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَكُمْ بِبَصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ البصائر: جمع بصيرة، وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به. قال الزجاج: والمعنى: قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والبصائر ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾. نفع ذلك ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ فعلى نفسه ضرر ذلك، لأن الله ﷻ غني عن خلقه. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ أي: لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ والوكيل، وهذا قبل الأمر بالقتال.

## فصل

وذكر المفسرون أن هذه الآية نسخت بأية السيف. وقال بعضهم؛ معناها: لست رقيباً عليكم، أحصي أعمالكم؛ فعلى هذا لا وجه للنسخ.

﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ قال الأخفش: «وكذلك» معناها: وهكذا. وقال الزجاج: المعنى: ومثل ما بيّنا فيما تلي عليك، تبين الآيات. قال ابن عباس: نصّر الآيات، أي: نبينها في كل وجه، ندعوهم بها مرة، ونخوفهم بها أخرى. ﴿وَلِيَقُولُوا﴾ يعني أهل مكة حين قرأ عليهم القرآن «دارست». قال ابن الأنباري: معنى الآية: وكذلك نصرف الآيات، لنزمتهم الحجة، وليقولوا: دارست؛ وإنما صرّف الآيات ليسعد قوم يفهمها والعمل بها، ويشقى آخرون بالإعراض عنها؛ فمن عمل بها سعد، ومن قال: دارست، شقي. قال الزجاج: وهذه اللام في «ليقولوا» يسميها أهل اللغة لام الصيرورة. والمعنى: أن السبب الذي أداهم إلى أن قالوا: دارست، هو تلاوة الآيات، وهذا كقوله: ﴿فَالْتَفَتُوا إِلَىٰ رِقَابِهِمْ فَسَاءَ رِقَابُهُمْ وَهَاتُوا رِقَابَهُمْ عَذَابًا وَحَرًّا﴾ [التقصص: ٨] وهم لم يطلبوا بأخذه أن يعاديه، ولكن كان عاقبة الأمر أن صار لهم عدواً وحزناً. ومثله أن تقول: كتب فلان الكتاب لحتفه، فهو لم يقصد أن يهلك نفسه

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «التفسير» ١٦١/٢: تواترت الأخبار عن أبي سعيد، وأبي هريرة، وأنس، وجابر، وصهيب، وبلال، وغير واحد من الصحابة عن النبي ﷺ أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات، وفي روضات الجنات، جعلنا الله تعالى منهم بهتة وكرمه.

بالكتاب، ولكن العاقبة كانت الهلاك. فأما «دارست» فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «دارست» بالالف وسكون السين وفتح التاء؛ ومعناها: ذكرت أهل الكتاب. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «درست» بسكون السين وفتح التاء، من غير ألف، على معنى: قرأت كتب أهل الكتاب. قال المفسرون: معناها: تعلمت من جبر، ويسار. وسنبين هذا في قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ بَسَرُهُ﴾ [النمل: ١٠٣] إن شاء الله. وقرأ ابن عامر، ويعقوب: «درست» بفتح الراء والسين وسكون التاء من غير ألف. والمعنى: هذه الأخبار التي تتلوها علينا قديمة قد درست. أي: قد مضت وامتح. وجميع من ذكرنا فتح الدال في قراءته. وقد روي عن نافع أنه قال: «دُرِسَتْ» برفع الدال وكسر الراء وتخفيف التاء، وهي قراءة ابن يعمر؛ ومعناها: فُرِثَتْ. وقرأ أبي بن كعب: «دُرِسَتْ» بفتح الدال والسين وضم الراء وتسكين التاء. قال الزجاج: وهي بمعنى: «دُرِسَتْ» أي: امتحنت؛ إلا أن المضمومة الراء أشد مبالغة. وقرأ معاذ القارئ، وأبو العالية، ومورق: «دُرِسَتْ» برفع الدال، وكسر الراء وتشديدها ساكنة السين. وقرأ ابن مسعود، وطلحة بن مصرف: «دُرِسَتْ» بفتح الراء والسين بلا ألف ولا تاء. وروى عصمة عن الأعمش: «دارس» بالالف.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَمَنُّونَ﴾ يعني: التصريف ﴿لِقَوْرِ يَمَلُّونَ﴾ ما تبين لهم من الحق فيقبلوه.

﴿أَلَيْسَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٥٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِكَافٍ

قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ قال المفسرون: نسخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال حكاهما الزجاج: أحدها: لو شاء لجعلهم مؤمنين. والثاني: لو شاء لأنزل آية تضطرمهم إلى الإيمان. والثالث: لو شاء لاستأصلهم، فقطع سبب شركهم. قال ابن عباس: وباتي الآية نسخ بآية السيف.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِنْ رَبَّهُمْ تَرَجَّهُمْ وَقَبِيحُكُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما قال للمشركين: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ قالوا: لتنتهين يا محمد عن سب آلهمنا وعبيها، أو لنهجون إلهك الذي تعبده، فنزلت هذه الآية، روى أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن المسلمين كانوا يسبون أوثان الكفار، فيردون ذلك عليهم، فنهاهم الله تعالى أن يستسبوا لربهم قوماً جهلة لا علم لهم بالله، قاله قتادة. ومعنى «يدعون»: يعبدون، وهي الأصنام. ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ﴾ أي: فيسبوا من أمرهم بعبعبها، فيعود ذلك إلى الله تعالى، لا أنهم كانوا يصرحون بسب الله تعالى، لأنهم كانوا يقررون أنه خالقهم، وإن أشركوا به<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، أي: ظلماً بالجهل. وقرأ يعقوب: «عُدُوًّا»، بضم العين والدال وتشديد الواو. والعرب تقول في الظلم: عدا فلان عُدُوًّا وعُدُوًّا وعُدُونًا. وعدا، أي: ظلم.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: كما زينا لهؤلاء المشركين عبادة الأصنام، وطاعة الشيطان، كذلك زينا لكل جماعة اجتمعت على حق أو باطل عملهم من خير أو شر. قال المفسرون: وهذه الآية نسخت بآية الخطاب في آية السيف.

﴿وَأَسْأَلُ بِاللَّهِ جَهَنَّمَ إِنْ جَاءَتْهُمْ مَاءٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْرِكُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾  
قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ بِاللَّهِ جَهَنَّمَ إِنْ جَاءَتْهُمْ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما نزل في [الشعراء: ٤٤]: ﴿إِنْ تَأْتَا تَزَلَّ عَلَيْهِمُ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ﴾ قال المشركون: أنزلها علينا حتى والله نؤمن بها؛ فقال المسلمون: يا رسول الله، أنزلها عليهم

(١) ومن هذا القليل - وهو ترك المصلحة لرد مفسدة أرجح منها - ما روى الإمام أحمد ٤٨/١٠، ٤٩، والبخاري ٣٣٨/١٠، ومسلم ٩٢/١ عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «من الكبائر شتم الرجل والديه» قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «نعم، يسب أباه، يسب أمه، يسب أمه فیسب أمه».

لكي يؤمنوا؛ فنزلت هذه الآية؛ رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن قريشاً قالوا: يا محمد، تخبرنا أن موسى كان معه عصى يضرب بها الحجر، فينفجر منها اثنتا عشرة عينا، وأن عيسى كان يحيي الموتى، وأن ثمود كانت لهم ناقة، فائتوا بمثل هذه الآيات حتى نصدقك: فقال: «أي شيء تحبون؟» قالوا: أن تجعل لنا الصفا ذهباً. قال: «فلأن فعلت تصدقوني؟» فقالوا: نعم، والله لئن فعلت لتتبعك أجمعين. فقام رسول الله ﷺ يدعو، فجاءه جبريل فقال: إن شئت أصبح الصفا ذهباً، ولكني لم أرسل آية فلم يصدق بها، إلا أنزلت العذاب، وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم. فقال رسول الله ﷺ: «اتركهم حتى يتوب تائبهم»، فنزلت هذه الآية إلى قوله: «يَجْهَلُونَ»، هذا قول محمد بن كعب القرظي<sup>(١)</sup>. وقد ذكرنا معنى «جَهْدَ أَيْتِنَهُمْ» في (المائدة)؛ وإنما حلفوا على ما اقترحوا من الآيات، كقولهم: «لَنْ نُؤْمِنَكَ لَكَ حَقٌّ نَقْبُرُ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَوْمًا» [الإسراء: ٩٠].

قوله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ» أي: هو القادر على الإتيان بها دون أحد من خلقه. «وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا» أي: يدريك أنها. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم، وخلف في اختياره: بكسر الالف، فعلى هذه القراءة يكون الخطاب بقوله: «يشعركم» للمشركين، ويكون تمام الكلام عند قوله: «وَمَا يُشْعِرُكُمْ» ويكون المعنى: وما يدريك أنكم تؤمنون إذا جاءت؟ وتكون «إنها» مكسورة على الاستئناف والإخبار عن حالهم. وقال أبو علي: التقدير: وما يُشْعِرُكُمْ إيمانهم؟ فحذف المفعول. والمعنى: لوجأت الآية التي اقترحوها، لم يؤمنوا. فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين. قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله: «وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا»؛ فقلت: ما منعها أن تكون كقولك: ما يدريك أنه لا يفعل؟ فقال: لا يحسن ذلك في هذا الموضع؛ إنما قال: «وَمَا يُشْعِرُكُمْ» ثم ابتداء فأوجب، فقال: «إنها إذا جاءت لا يؤمنون» ولو قال: «وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إذا جاءت لا يؤمنون»؛ كان ذلك عذراً لهم. وقرأ نافع، وحفص عن عاصم، وحزمة، والكسائي: «أنها»، بفتح الالف؛ فعلى هذا، المخاطب بقوله: «وَمَا يُشْعِرُكُمْ» رسول الله ﷺ وأصحابه؛ ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: وما يدريك لعلها إذا جاءت لا يؤمنون. وفي قراءة أبي: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون. والعرب تجعل «أن» بمعنى «لعل». يقولون: اتت السوق أنك تشتري لنا شيئاً، أي: لعلك. قال عدي بن زيد:

أَعَاذِلْ مَا يُشْعِرُكَ أَنَّ مَنِيَّتِي

إِلَى سَاعَةٍ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضَحَى عَدِي<sup>(٢)</sup>

أي: لعل منيتي. وإلى هذا المعنى ذهب الخليل، وسيبويه، والفراء في توجيه هذه القراءة. والثاني: أن المعنى: وما يدريك أنها إذا جاءت يؤمنون، وتكون «لا» صلة؛ كقوله تعالى: «قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا أَنْتَ إِذْ أَنْتَ» [الأعراف: ١٢] وقوله تعالى: «وَحَكْرُكُمْ عَلَى قَرْيَةٍ أَفْلَكُنَّهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ» [الأنبياء: ٩٥] ذكره الفراء ورده الزجاج واختار الأول. والأكثر على قراءة: «يؤمنون» بالياء؛ منهم ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وحفص عن عاصم؛ وقرأ ابن عامر، وحزمة، بالتاء، على الخطاب للمشركين. قال أبو علي: من قرأ بالياء، فلان الذين أقسموا غيب، ومن قرأ بالتاء، فهو انصراف من الغيبة إلى الخطاب.

«وَنَقَلِبْ أَيْدِيَهُمْ وَأَنْصُرَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَئِكَ سَئَرُوا وَنَدَرَهُمْ فِي طَعْنِهِمْ يَمَّعُونَ»

قوله تعالى: «وَنَقَلِبْ أَيْدِيَهُمْ وَأَنْصُرَهُمْ» التقلب: تحويل الشيء عن وجهه. وفي معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: لو أتيناهم بآية كما سألوا، لقلبنا أفدتهم وأبصارهم عن الإيمان بها، وحلنا بينهم وبين الهدى، فلم يؤمنوا كما لم يؤمنوا بما رأوا قبلها، عقوبة لهم على ذلك. وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد. والثاني: أنه جواب لسؤالهم في الآخرة الرجوع إلى الدنيا؛ فالمعنى: لو ردوا لحلنا بينهم وبين الهدى كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا، روى هذا المعنى ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: ونقلب أفئدة هؤلاء وأبصارهم عن الإيمان بالآيات كما لم يؤمن أوائهم من الأمم الخالية بما رأوا من الآيات، قاله مقاتل. والرابع: أن ذلك التقلب

(١) «الطبري» ٣٨/١٢، وقال ابن كثير بعد أن أورده: وهذا مرسل، وله شواهد من وجوه آخر.

(٢) «جمهرة أشعار العرب» ١٧٩، و«الشعر والشعراء» ١٧٨/٨ و«اللسان»: أن، وغيرها، من قصيدة له حكيمة.

في النار عقوبة لهم، ذكره الماوردي. وفي هاء «به» أربعة أقوال: أحدها: أنها كناية عن القرآن. والثاني: عن النبي ﷺ. والثالث: عما ظهر من الآيات. والرابع: عن التقلب. وفي المراد بـ «أول مرة» ثلاثة أقوال: أحدها: أن المرة الأولى: دار الدنيا. والثاني: أنها معجزات الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم. والثالث: أنها صرف قلوبهم عن الإيمان قبل نزول الآيات أن لو نزلت. والطفيان والعمة مذكوران في سورة (البقرة).

﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَّنا إِلَيْهِمُ الْكَلْبُكَةُ وَكَلَّمَهُمُ النَّوْكَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا يَلْجِئُونَنَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَئِنْ أَكْثَرْتُمُ يَجهِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَّنا إِلَيْهِمُ الْكَلْبُكَةُ﴾ سبب نزولها: أن المستهزئين أتوا رسول الله ﷺ في رهط من أهل مكة، فقالوا له: ابعد لنا بعض موتانا حتى نسألكم: أحق ما تقول، أم باطل؟ أو أربنا الملائكة يشهدون لك أنك رسول الله، أو اتنا بالله والملائكة قبلاً، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صلح عن ابن عباس. ومعنى الآية: ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة كما سألوا، وكلمهم الموتى، فشهدوا لك بالنبوة ﴿وَحَشَرْنَا﴾ أي: جمعنا ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدنيا ﴿فَبَلَّغْنَا كَانُوا يَلْجِئُونَنَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، فأخبر أن وقوع الإيمان بمشيئته، لا كما ظنوا أنهم متى شأوا آمنوا، ومتى شأوا لم يؤمنوا. فاما قوله: ﴿وَقَبْلًا﴾، فقرأ ابن عامر، ونافع: بكسر القاف وفتح الباء. قال ابن قتيبة: معناها: معاينة. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: ﴿قَبْلًا﴾ بضم القاف والياء. وفي معناها، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه جمع قبيل، وهو الصنف؛ فالمعنى: وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً قبلاً، قاله مجاهد، واختاره أبو عبيدة، وابن قتيبة. والثاني: أنه جمع قبيل أيضاً، إلا أنه: الكفيل؛ فالمعنى: وحشرنا عليهم كل شيء، فكفَّل بصبحة ما تقول، اختاره القراء، وعليه اعتراض، وهو أن يقال: إذا لم يؤمنوا بإتزال الملائكة، وتكليم الموتى، فلأن لا يؤمنوا بالكفالة التي هي قول، أولى. فالجواب: أنه لو كفَّل الأشياء المحشورة، فنطق ما لم ينطق، كان ذلك آية بينة. والثالث: أنه بمعنى المقابل، فيكون المعنى: وحشرنا عليهم كل شيء، فقابلهم، قاله ابن زيد. قال أبو زيد: يقال: لقيت فلاناً قَبْلًا وقَبْلًا وقَبْلًا وقَبْلًا وقَبْلًا وقَبْلًا، وهو للمواجهة. قال أبو علي: فالمعنى في القرآن - على ما قاله أبو زيد - واحد، وإن اختلفت الألفاظ.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَكْثَرْتُمُ يَجهِلُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: يجهلون أن الأشياء لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى. والثاني: أنهم يجهلون أنهم لو أتوا بكل آية ما آمنوا.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ أي: وكما جعلنا لك ولأمتك شياطين الإنس والجن أعداء، كذلك جعلنا لمن تقدَّمك من الأنبياء وأمهم؛ والمعنى: كم ابتليناك بالأعداء، ابتلينا من قبلك، ليعظم الثواب عند الصبر على الأذى. قال الزجاج: «عدو» في معنى أعداء، و«شياطين الإنس والجن»: منصوب على البدل من «عدو»، ومفسر له؛ ويجوز أن يكون: «عدو» منصوب على أنه مفعول ثان، المعنى: وكذلك جعلنا شياطين الإنس والجن أعداء لأمهم. وفي شياطين الإنس والجن ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم مردة الإنس والجن، قاله الحسن، وقاعدة. والثاني: أن شياطين الإنس: الذين مع الإنس، وشياطين الجن: الذين مع الجن، قاله عكرمة، والسدي. والثالث: أن شياطين الإنس والجن: كفارهم، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿يُوحِي﴾ أصل الوحي: الإعلام والدلالة بستر وإخفاء. وفي المراء به هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: يأمر. والثاني: يوسوس. والثالث: يشير. وأما ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾، فهو ما زَيَّن منه، وحُسِّن، وموَّه، وأصل الزخرف: الذهب. قال أبو عبيدة: كل شيء حُسِّنَتْ وزَيَّنَتْ وهو باطل، فهو زخرف. وقال الزجاج: «الزخرف» في اللغة: الزينة؛ فالمعنى: أن بعضهم يزَيِّن لبعض الأفعال القبيحة؛ و«غُرُورًا» منصوب على المصدر؛ وهذا المصدر محمول على المعنى، لأن معنى إضفاء الزخرف من القول: معنى الغرور، فكأنه قال: يَغُرُّون غُرُورًا. وقال

ابن عباس: ﴿رُحُوتَ الْقَوْلِ غُرُوتًا﴾: الأمانى بالباطل. قال مقاتل: وكل إبليس بالإنس شياطين يضلونهم، فإذا التقى شيطان الإنس بشيطان الجن، قال أحدهما لصاحبه: إني أضللت صاحبي بكذا وكذا، فأضللت أنت صاحبك بكذا وكذا، فذلك وحى بعضهم إلى بعض. وقال غيره: إن المؤمن إذا أعىب شيطانه، ذهب إلى متمرّد من الإنس، وهو شيطان الإنس، فأغراه بالمؤمن ليفتنه. وقال قتادة: إن من الجن شياطين، وإن من الإنس شياطين. وقال مالك بن دينار: إن شيطان الإنس أشد عليّ من شيطان الجن، لأنّي إذا تعرّضت من ذاك ذهب عني، وهذا يجرّني إلى المعاصي عياناً.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ مَنَآ رَبُّكَ مَا فَهَرُوتُ﴾ في هاء الكناية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الوسوسة. والثاني: ترجع إلى الكفر. والثالث: إلى الغرور، وأذى النّبيين.

قوله تعالى: ﴿فَلَذَرْنَهُمْ وَمَا يَفْقَرُونَ﴾ قال مقاتل: يريد كفار مكة وما يفترون من الكذب. وقال غيره: فذر المشركين وما يخاصمونك به مما يوحي إليهم أولياهم، وما يختلقون من كذب، وهذا القدر من هذه الآية منسوخ بآية السيف.

﴿وَلَقَدْ صَاحَقَ إِلَيْهِ ثَلَاثُ أَتْلُفَاتٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَاحَقَ إِلَيْهِ﴾ أي: ولتيل؛ والهاء: كناية عن الزخرف والغرور. والأتلفة: جمع فؤاد، مثل غراب وأغربة. قال ابن الأنباري: فعلنا بهم ذلك لكي تصغى إلى الباطل أثلة الذين لا يؤمنون بالآخرة، (وليبرضوا) الباطل، ﴿وَلَيَقْرَأُوا﴾ أي: ليكتبوا، وليعملوا ما هم عاملون.

﴿أَفَتَعْتَبِرُ اللَّهُ ابْتِغَاءَ حُكْمٍ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَكُونُونَ أُمَّةً مِّثْلَ مَا كُنْتُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا عَظِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَتَعْتَبِرُ اللَّهُ ابْتِغَاءَ حُكْمٍ﴾ سبب نزولها: أن مشركي قريش قالوا للنبي ﷺ: اجعل بيننا وبينك حكماً، إن شئت من أحبار اليهود، وإن شئت من أحبار النصارى، ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك، فنزلت هذه الآية، ذكره الماوردي. فاما الحكم، فهو بمعنى الحاكم؛ والمعنى: أغفر الله أطلب قاضياً بيني وبينكم؟ و«الكتاب»: القرآن، و«المفصل»: المبين الذي بان فيه الحق من الباطل، والأمر من النهي، والحلال من الحرام. ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ فيهم قولان: أحدهما: علماء أهل الكتابين، قاله الجمهور. والثاني: رؤساء أصحاب النبي محمد ﷺ، كآبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأشباههم، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿يَكُونُونَ أُمَّةً مِّثْلَ مَا كُنْتُمْ﴾ قرأ ابن عمر، وحفص عن عاصم: «متزل» بالتشديد؛ وخففها الباقون.

﴿وَكُنْتُمْ كَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ كَافِرِينَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع: «كلمات» على الجمع؛ وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي، ويعقوب: «كلمة» على التوحيد؛ وقد ذكرت العرب الكلمة، وأرادت الكثرة؛ يقولون: قال قس في كلمته، أي: في خطبته، وزهير في كلمته، أي: في قصيدته. وفي المراد بهذه الكلمات ثلاثة أقوال: أحدها: أنها القرآن، قاله قتادة. والثاني: أقضيته وعداته. والثالث: وعده ووعيده، وثوابه وعقابه. وفي قوله: ﴿وَكُنْتُمْ كَافِرِينَ﴾ قولان: أحدهما: صدقاً فيما أخبر، وعدلاً فيما قضى وقدر. والثاني: صدقاً فيما وعد وأوعد، وعدلاً فيما أمر ونهى. وفي قوله: ﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ قولان: أحدهما: لا يقدر المفترون على الزيادة فيها والتقصان منها. والثاني: لا خلف لمواعيده، ولا مغير لحكمه.

﴿وَلَنْ نُعْطِيَهُمْ أَكْثَرَ مِنْ فِي الْأَرْضِ يُعْطُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَكُونُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ نُعْطِيَهُمْ أَكْثَرَ مِنْ فِي الْأَرْضِ﴾ سبب نزولها: أن الكفار قالوا للمسلمين: أنا نأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل ربيكم؟ فنزلت هذه الآية، ذكره الفراء. والمراد بـ «أَكْثَرَ مِنْ فِي الْأَرْضِ»: الكفار. وفي ماذا يطيعهم؟ فيه أربعة أقوال: أحدها: في أكل الميتة. والثاني: في أكل ما ذبحوا للأصنام. والثالث: في عبادة الأوثان. والرابع: في اتباع ملل الآباء؛ و«سَبِيلِ اللَّهِ»: دينه. قال ابن قتيبة: ومعنى «يَخْرُصُونَ»: يحدسون ويوقعون؛ ومنه قيل

للحازر: خالص. فإن قيل: كيف يجوز تعذيب من هو على ظنٍّ من شركه، وليس على يقين من كفره؟! فالجواب: أنهم لما تركوا التماس الحجة، واتبعوا أهواءهم، واقتصروا على الظن والجهل، عُذِّبوا، ذكره الزجاج.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَخْلَعُ عَنْ سَيْبِلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (١٧)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَخْلَعُ عَنْ سَيْبِلِهِ﴾ قال الزجاج: موضع «مَنْ» رفع بالابتداء، ولفظها لفظ الاستفهام؛ والمعنى: إن ربك هو أعلم أي الناس يَخلع عن سبيله. وقرأ الحسن: «مَنْ يُضِلُّ» بضم الياء وكسر الضاد، وهي رواية ابن أبي شريح. قال أبو سليمان: ومقصود الآية: لا تلغث إلى قسم من أقسم أنه يؤمن عند مجيء الآيات، فلن يؤمن إلا من سبق له القدر بالإيمان.

﴿تَكْلُوا مِنَّا ذِكْرَ أَنَّمَا اللَّهُ عَلَىٰكُمْ وَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٨)

قوله تعالى: ﴿تَكْلُوا مِنَّا ذِكْرَ أَنَّمَا اللَّهُ عَلَىٰكُمْ﴾ سبب نزولها: أن الله تعالى لما حرم الميتة، قال المشركون للمؤمنين: إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله، فما قتل الله لكم أحق أن تأكلوه مما قتلتم أنتم، يريدون الميتة، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِنَّا ذِكْرَ أَنَّمَا اللَّهُ عَلَىٰكُمْ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّوا بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَفِينَ﴾ (١٩)

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾ قال الزجاج: المعنى: وأي شيء يقع لكم في أن لا تأكلوا؟ وموضع «أن» نصب، لأن «في» سقطت، فوصل المعنى إلى «أن» فنصبها.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «فُضِّلَ لكم ما حُرِّمَ عليكم» مرفوعتان؛ وقرأ نافع، وحفص عن عاصم، ويعقوب، والقزاز عن عبد الوارث: «فُضِّلَ» بفتح الفاء، «ما حُرِّمَ» بفتح الحاء، وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «فُضِّلَ» بفتح الفاء، «ما حُرِّمَ» بضم الحاء. قال الزجاج: أي: فُضِّلَ لكم الحلال من الحرام، وأحل لكم في الاضطرار ما حُرِّم. وقال سعيد بن جبيرة: فُضِّلَ لكم ما حُرِّمَ عليكم، يعني: ما بُيِّنَ في (المائدة) من الميتة، والدم، إلى آخر الآية. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّوا بِأَهْوَاءِهِمْ﴾ يعني: مشركي العرب يضلون في أمر الذبائح وغيره. قرأ ابن كثير. وأبو عمرو: «لِيُضِلُّوا»، وفي (يونس: ٨٨): «رَبَّنَا لِيُضِلُّوا» وفي (إبراهيم: ٣٠): «أَنْتَدَادُ لِيُضِلُّوا» وفي (الحج: ٢٩): «ثَلَاثِي عِظْفُو لِيُضِلُّ» وفي (النمل: ٦١): «لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَغْيِرَ عِلْمُ» وفي (الزمر: ٤٨): «أَنْتَدَادُ لِيُضِلَّ» بفتح الياء في هذه المواضع الستة؛ وضمهن عاصم، وحمزة، والكسائي. وقرأ نافع، وابن عامر: «لِيُضِلُّوا بِأَهْوَاءِهِمْ». وفي (يونس): «لِيُضِلُّوا» بالفتح؛ وضمًا<sup>(١)</sup> الأربعة الباقية. فمن فتح، أراد: أنهم هم الذين ضلوا؛ ومن ضم، أراد: أنهم أضلوا غيرهم، وذلك أبلغ في الضلال، لأن كل مُضِلٌّ ضَالٌّ وليس كل ضَالٍّ مُضِلًّا.

﴿وَذَرُوا ظِلَهِمُ الْإِثْمَ وَبَابِلُهُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزُونَ مِنَّا كَأُولَٰئِكَ بِقَرَّةٍ﴾ (٢٠)

قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظِلَهِمُ الْإِثْمَ وَبَابِلُهُمْ﴾ في الإثم هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الزنا، رواه أبو صالح عن ابن عباس؛ فعلى هذا، في ظاهره وباطنه قولان: أحدهما: أن ظاهره: الإعلان به، وباطنه: الاستسار؛ قاله الضحاك، والمسدي. قال الضحاك: وكانوا يرون الاستسار بالزنا حلالاً. والثاني: أن ظاهره نكاح المحرمات، كالأمهات، والبنات، وما نكح الآباء. وباطنه: الزنا، قاله سعيد بن جبيرة. والثاني: أنه عام في كل إثم. والمعنى: ذروا المعاصي، سرًّا وعلانيتها؛ وهذا مذهب أبي العالية، ومجاهد، وقتادة، والزجاج. وقال ابن الأنباري: المعنى: ذروا الإثم من جميع جهاته. والثالث: أن الإثم: المعصية<sup>(٢)</sup>، إلا أن المراد به هاهنا أمر خاص. قال ابن زيد: ظاهره هاهنا: نزع أثوابهم، إذ كانوا يطوفون بالبيت عراة، وباطنه: الزنا.

(١) أي: نافع، وابن عامر المتقدم ذكرهما.

(٢) روى الإمام أحمد في «المستدرك» ١٨٢/٤، ومسلم في «صحيحه» ١٩٨٠/٤ عن النواس بن سميان الأنصاري، قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكهرت أن يُطلع عليه الناس».



﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ مُجْرِمِينَ يَسْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْشُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَسْمُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ أي: وكما زيننا للكافرين عملهم، فكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها، وقيل معناه: وكما جعلنا فساق مكة أكابرها، فكذلك جعلنا فساق كل قرية أكابرها. وإنما جعل الأكابر فساق كل قرية، لأنهم أقرب إلى الكفر بما أعطوا من الرياسة والسعة. وقال ابن قتيبة: تقدير الآية: وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر؛ و«أكابر» لا ينصرف، وهم العظماء.

قوله تعالى: ﴿يَسْكُرُوا فِيهَا﴾ قال أبو عبيدة: المكر: الخديعة، والحيلة، والفجور، والغدر، والخلاف. قال ابن عباس: ليقولوا فيها الكذب. قال مجاهد: أجلسوا على كل طريق من طرق مكة أربعة، ليصرفوا الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ، يقولون للناس: هذا شاعر، وكاهن.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَمْشُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ أي: ذلك المكر بهم يحق.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلَمًا حِثٌّ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سِجِّينَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ لِّمَا كَانُوا يَسْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ سبب نزولها: أن أبا جهل قال: زاحمتنا بنو عبد مناف في الشرف، حتى إذا صرنا كغرس بني وهان، قالوا: مئاً نبي يوحى إليه. والله لا نؤمن به ولا نطيعه أو أن يأتينا وحى كما يأتيه، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. قال الزجاج: الهاء والميم تعود على الأكابر الذين جرى ذكرهم. وقال أبو سليمان: تعود على المجادلين في تحريم الميتة. قال مقاتل: والآية: انشقاق القمر، والدخان. قال ابن عباس في قوله: ﴿وَشَلَّ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ قال: حتى يوحى إلينا، ويأتينا جبريل، فيخبرنا أن محمداً صادق. قال الضحاك: سأل كل واحد منهم أن يختص بالرسالة والوحي.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَهْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾ وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: ﴿رِسَالَتُهُ﴾ بنصب التاء على التوحيد؛ والمعنى: أنهم ليسوا لها بأهل، وذلك أن الوليد بن المغيرة قال: والله لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك، لأنني أكبر منك سناً، وأكثر منك مالاً، فنزل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَهْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾. وقال أهل المعاني: الأبلغ في تصديق الرسل أن لا يكونوا قبل مبعثهم مطاعين في قومهم، لأن الطعن كان يترجعه عليهم، فيقال: إنما كانوا رؤساء فأتبعوا، فكان الله أعلم حيث جعل الرسالة لبيتم أبي طالب، دون أبي جهل، والوليد، وأكابر مكة.

قوله تعالى: ﴿سِجِّينَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ﴾ قال أبو عبيدة: الصغار: أشد الذل. وقال الزجاج: المعنى هم، وإن كانوا أكابر في الدنيا، فسيصيبهم صغار عند الله، أي: صغار ثابت لهم عند الله. وجائز أن يكون المعنى: سيصيبهم عند الله صغار. وقال الفراء: معناه: صغار من عند الله، فحذفت «من». وقال أبو رزق: صغار في الدنيا، وعذاب شديد في الآخرة. ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ صَخِيحًا حَرَبًا كَانَمَا يُضَعِّدُ فِي الْكُفْرِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ قال مقاتل: نزلت في رسول الله ﷺ، وأبي جهل.

قوله تعالى: ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ﴾ قال ابن الأعرابي: الشرح: الفتح. قال ابن قتيبة: ومنه يقال: شرحت لك الأمر، وشرحت اللحم: إذا فتحته. وقال: ابن عباس: «يشرح صدره» أي: يوسع قلبه للتوحيد والإيمان. وقد روى ابن مسعود أن النبي ﷺ قرأ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، فقيل له: يا رسول الله، وما هذا الشرح؟ قال: «نور يلقفه الله في القلب، فيفتح القلب». قالوا: فهل لذلك من أماراة؟ قال: «نعم». قيل: وما هي؟ قال: «الإجابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله»<sup>(١)</sup>.

(١) «الطبري» ١٠٠/١٢، ١٠١ من طريقين عن عبد الله بن مسعود، وكلاهما ضعيف، وأورده ابن كثير ١٧٤/٢، بعد أن ذكره من طريق مرسل عن أبي جعفر الهاشمي، وقال: فهذه طرق لهذا الحديث مرسله ومتصلة يشد بعضها بعضاً. وانظر تعليق الأستاذ محمود شاكر على الحديث في «تفسير الطبري» ٩٩/١٢، ١٠٢.



قوله تعالى: ﴿صَبَّأً﴾ قرأ الأكثرون بالتشديد. وقرأ ابن كثير: «صَبَّأً»، وفي [الفرقان: ١٣]: «مَكَانًا صَبَّأً» بتسكين الياء خفيفة. قال أبو علي: الصَّبِيُّ، والصَّبِيُّ: مثل الميت، والميت.

قوله تعالى: ﴿حَرَجًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «حَرَجًا» بفتح الراء. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: بكسر الراء. قال الفراء: وهما لغتان. وكذلك قال يونس بن حبيب النحوي: هما لغتان، إلا أن الفتح أكثر على السنة العرب من الكسر، ومجرهما مجرى الذَّنْفِ والذَّنْفِ. وقال الزجاج: الحرج في اللغة: أضيق الضيق.

قوله تعالى: ﴿كَانَمَا يَصَاعِدُ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «يَصْعَدُ» بتشديد الصاد والعين وفتح الصاد من غير ألف. وقرأ أبو بكر عن عاصم: «يَصَاعِدُ» بتشديد الصاد وبعدها ألف. وقرأ ابن كثير: «يَصْعَدُ» بتخفيف الصاد والعين من غير ألف والصاد ساكنة. وقرأ ابن مسعود، وطلحة: «تَصْعَدُ» بتاء من غير ألف. وقرأ أبي بن كعب: «يتصاعد» بألف وتاء. قال الزجاج: قوله: ﴿كَانَمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾. و«يَصْعَدُ»، أصله: «يتصاعد»، و«يتصعد»، إلا أن التاء تدغم في الصاد لقربها منها، والمعنى: كأنه كُلف أن يَصْعَدَ إلى السماء إذا دعي إلى الإسلام من ضيق صدره عنه. ويجوز أن يكون المعنى: كأن قلبه يصعد في السماء نبؤاً عن الإسلام والحكمة. وقال الفراء: ضاق عليه المذهب، فلم يجد إلا أن يصعد في السماء، وليس يقدر على ذلك. وقال أبو علي: «يَصْعَدُ» و«يَصَاعِدُ»: من المشقة، وصعوبة الشيء، ومنه قول عمر: ما تَصْعَدُنِي شيء كما تصعدني خطبة النكاح، أي: ما شق علي شيء مشقتها.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ما قصصنا عليك. ﴿يَعْمَلُ اللَّهُ الْرَّحْمَنُ﴾ وفيه خمسة أقوال: أحدها: أنه الشيطان، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. يعني: أن الله يسلطه عليهم. والثاني: أنه المائم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنه ما لا خير فيه، قاله مجاهد. والرابع: أنه العذاب، قاله عطاء، وابن زيد، وأبو عبيدة. والخامس: أنه اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة، قاله الزجاج. وهذه الآية تقطع كلام القدرية، إذ قد صرحت بأن الهداية والإضلال متعلقة بإرادة الله تعالى.

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن، قاله ابن مسعود. والثاني: التوحيد، قاله ابن عباس. والثالث: ما هو عليه من الدين، قاله عطاء. ومعنى استقامته: أنه يؤدي بسالكه إلى الفوز. قال مكي بن أبي طالب: و«مستقيماً»: نصب على الحال من «صراط»، وهذه الحال يقال لها: الحال المؤكدة، لأن صراط الله، لا يكون إلا مستقيماً، ولم يؤت بها لتفرق بين حالتين، إذ لا يتغير صراط الله عن الاستقامة أبداً، وليست هذه الحال كالحال من قولك: «هذا زيد راكباً»، لأن زيدا قد يخلو من الركوب.

﴿لَمْ دَارُ السَّالِكِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ يَمَّا كَانُوا يَمْلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَمْ دَارُ السَّالِكِينَ﴾ يعني الجنة. وفي تسميتها بذلك أربعة أقوال: أحدها: أن السلام هو الله، وهي داره، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، والسدي. والثاني: أنها دار السلامة التي لا تنقطع، قاله الزجاج. والثالث: أن تحية أهلها فيها السلام، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والرابع: أن جميع حالاتها مقرونة بالسلام، ففي ابتداء دخولهم: ﴿اتَّخَذُوا سَبِيلَهُ﴾ [الحجر: ٤٦]، وبعد استقرارهم: ﴿وَاللَّهُ يَكْفِيكَ دَخْلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [سَلَامٌ عَلَيْهِمْ] [الرعد: ٢٣]، وقوله: ﴿إِلَّا قِيْلَ سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٦]، وعند لقاء الله ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ﴾ [آل-إس: ٢٥٨]، وقوله: ﴿يَحْيِيهِمْ يَوْمَ يَقُومَةُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]. ومعنى: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: مضمونة لهم عنده، ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ أي: متولي إيصال المنافع إليهم، ودفع المضار عنهم ﴿يَمَّا كَانُوا يَمْلُونَ﴾ من الطاعات.

﴿يَوْمَ يَشْرَهُمْ جَمِيعًا يَمَسِّرُ لِيَنَّى قَدْ اسْتَغْنَيْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أُولِي الْأُولِيَّاتِ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَنْتَعْ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَمَلَنَا الْوَيْلَ بَلَّغْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَوْنُكُمْ حَلِيلِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿رَبِّهِمْ تَحْشُرُهُمْ جِئًا﴾ يعني الجن والإنس. وقرأ حفص عن عاصم: «يشحروهم» بالياء. قال أبو سليمان: يعني: المشركين وشياطينهم الذين كانوا يوحون إليهم بالمجادلة لكم فيما حرمه الله من الميتة.

قوله تعالى: ﴿يَتَمَشَّرُ اللَّيْلِ﴾ فيه إضمار، فيقال لهم: يا معشر؛ والمعشر: الجماعة، أمرهم واحد، والجمع: المعاشر. وقوله: ﴿هَؤُلَاءِ أَسْكَرْتُمْ بَيْنَ الْإِنْسِ﴾ أي: من إخوانهم وإضلالهم. ﴿وَقَالَ أُولَئِكَ وَمَنْ يَنْ الْإِنْسِ﴾ يعني الذين أضلهم الجن. ﴿وَكُنَّا أَسْتَمْتَعُ بَعْضًا بِبَعْضٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن استمتع الإنس بالجن: أنهم كانوا إذا سافروا، فزلوا وادياً، وأرادوا ميثاً، قال أحدهم: أعوذ بعظيم هذا الوادي من شر أهله؛ واستمتع الجن بالإنس: أنهم كانوا يفخرون على قومهم، ويقولون: قد سدنا الإنس حتى صاروا يعوذون بنا، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل، والفراء. والثاني: أن استمتع الجن بالإنس: طاعتهم لهم فيما يفرونهم به من الضلالة والكفر والمعاصي. واستمتع الإنس بالجن: أن الجن رُئيت لهم الأمور التي يهزؤونها، وشهزها إليهم حتى سهل عليهم فعلها، روى هذا المعنى عطاء عن ابن عباس، وبه قال محمد بن كعب، والزجاج. والثالث: أن استمتع الجن بالإنس: إغواؤهم بإيادهم. واستمتع الإنس بالجن: ما يتلقون منهم من السحر والكهانة ونحو ذلك. والمراد بالجن في هذه الآية: الشياطين.

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا أَكْبَرًا أَلَيْسَ أَكْبَرًا لَنَا﴾ فيه قولان: أحدهما: الموت، قاله الحسن، والسدي. والثاني: الحشر، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَا نَرَى مَوَازِينَكُمْ﴾ قال الزجاج: المئوى: المقام؛ و ﴿خَلِيلِينَ﴾ منصوب على الحال. المعنى: النار مقامكم في حال خلود دائم ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ هو استثناء من يوم القيامة، والمعنى: ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا﴾ مذهبهم، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ من مقدار حشرهم من قبورهم، ومدتهم في محاسبتهم. ويجوز أن تكون ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يزيدهم من العذاب. وقال بعضهم: إلا ما شاء الله من كونهم في الدنيا بغير عذاب؛ وقيل في هذا غير قول، ستجدها مشروحة في (هود) إن شاء الله.

﴿وَكُنَّا نُولِي بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نُولِي بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ في معناه أربعة أقوال: أحدها: نجعل بعضهم أولياء بعض، رواه سعيد عن قتادة. والثاني: نُتَّبِعُ بعضهم بعضاً في النار بأعمالهم من الموالاة، وهي المتابعة، رواه معمر عن قتادة. والثالث: نسلط بعضهم على بعض، قاله ابن زيد. والرابع: نكل بعضهم إلى بعض ولا نعينهم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: من المعاصي.

﴿يَتَمَشَّرُ اللَّيْلِ وَالْإِنْسِ أَلَّا يَأْتِيَكُمْ رَسُولٌ يَنْتَكُمُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَتَمَشَّرُ اللَّيْلِ وَالْإِنْسِ أَلَّا يَأْتِيَكُمْ﴾ قرأ الحسن، وقاتدة: «تأتكم» بالياء، ﴿رَسُولٌ يَنْتَكُمُ﴾ واختلقوا في الرسالة إلى الجن على أربعة أقوال: أحدها: أن الرسل كانت تبعث إلى الإنس خاصة، وأن الله تعالى بعث محمداً ﷺ إلى الإنس والجن، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن رسل الجن، هم الذين سمعوا القرآن، فولوا إلى قومهم مننرين، روي عن ابن عباس أيضاً. وقال مجاهد: الرسل من الإنس، والنلر من الجن، وهم قوم يسمعون كلام الرسل، فيملعون الجن ما سمعوا. والثالث: أن الله تعالى بعث إليهم رسلاً منهم، كما بعث إلى الإنس رسلاً منهم، قاله الضحاك، ومقاتل، وأبو سليمان، وهو ظاهر الكلام. والرابع: أن الله تعالى لم يبعث إليهم رسلاً منهم، وإنما جاءتهم رسل الإنس، قاله ابن جريج، والفراء، والزجاج. قالوا: ولا يكون الجمع في قوله: ﴿أَلَّا يَأْتِيَكُمْ رَسُولٌ يَنْتَكُمُ﴾ مانعاً أن تكون الرسل من أحد الفريقين، كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الْقُوَّةُ وَالْزَّيْنَةُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وإنما هو خارج من الملح وحده. وفي دخول الجن الجنة إذا آمنوا قولان: أحدهما: يدخلونها، ويأكلون ويشربون، قاله الضحاك. والثاني: أن ثوابهم أن يجاروا من النار ويصيروا تراباً، رواه سفيان عن ليث.

قوله تعالى: ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ عَائِي﴾ أي: يقرؤون عليكم كتيب. ﴿وَرُئِدُوا نَكْرًا﴾ أي: يخوفونكم بيوم القيامة. وفي

قوله: ﴿وَتَبَدَّلَ اللَّهُ أَنفُسَهُمْ﴾ قولان: أحدهما: أقرنا على أنفسنا بإنذار الرسل لنا. والثاني: شهد بعضنا على بعض بإنذار الرسل إياهم. ثم أخبرنا الله تعالى بحالهم، فقال: ﴿وَعَرَّضَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: بزيتها، وإمهالهم فيها. ﴿وَتَبَدَّلَهُمْ﴾ أي: أقرنا أنهم كانوا في الدنيا كافرين. وقال مقاتل: ذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر.

﴿وَلَا يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ قال الزجاج: ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل، وأمر عذاب من كذب، لأنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم، أي: لا يهلككم حتى يبعث إليهم رسولا. قال ابن عباس: «بظلم» أي: بشرك ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ لم يأتهم رسول.

﴿وَلَا كَلِمَ دَرَجَتٍ مِّنَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِمَنكُورٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا كَلِمَ دَرَجَتٍ مِّنَّا عَمِلُوا﴾ أي: لكل عامل بطاعة الله أو بمعصيته درجات، أي: منازل يبلغها بعمله، إن كان خيراً فخيراً، وإن كان شراً فشرأ. وإنما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط، كتفاضل الدرج.

قوله تعالى: ﴿عَمَّا يَمْكُرُونَ﴾ قرأ الجمهور بالياء؛ وقرأ ابن عامر بالياء على الخطاب.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُدْخِلْكُمْ مِّنْ بَيْنِكُمْ مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّنْ دُرِّيَّةٍ قَوِيمٍ﴾

﴿إِن مَّا تُوعَدُونَ لَآئٍ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ﴾ يريد: الغني عن خلقه ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ قال ابن عباس: بأوليائه وأهل طاعته. وقال غيره: بالكل. ومن رحمته تأخير الانتقام من المخالفين. ﴿إِن يَشَأْ يُدْخِلْكُمْ﴾ بالهلاك؛ وقيل: هذا الوعيد لأهل مكة؛ ﴿وَيَسْتَخْلِفُ مِّنْ بَيْنِكُمْ مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم﴾ أي: ابتدأكم ﴿مِّنْ دُرِّيَّةٍ قَوِيمٍ﴾ يعني: آباءهم الماضين. ﴿إِن مَّا تُوعَدُونَ﴾ به من مجيء الساعة والحشر ﴿لَآئٍ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: بفائتين. قال أبو عبيدة: يقال: أعجزني كذا، أي: فاتني وسبقني.

﴿فَلْيَقْوُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَىٰ مَكَائِكُمْ إِنِّي عَايِلٌ فَسَوْفَ تَمْلِكُونَ مَن تَكُونُوا لَمْ عَقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَكَائِكُمْ﴾ وقرأ أبو بكر عن عاصم: «مكاناتكم» على الجمع. قال ابن قتيبة: أي: على موضعكم، يقال: مكان ومكانة، ومنزل ومنزلة. وقال الزجاج: اعملوا على تمكنكم. قال: ويجوز أن يكون المعنى: اعملوا على ما أنتم عليه. تقول للرجل إذا أمرته أن يثبت على حال: كن على مكانتك.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي عَايِلٌ﴾ أي: عامل ما أمرني به ربي ﴿فَسَوْفَ تَمْلِكُونَ مَن تَكُونُوا لَمْ عَقِبَةُ الدَّارِ﴾. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «تكون» بالياء. وقرأ حمزة، والكسائي: بالياء. وكذلك خلافهم في [الفصل: ١٣٧]، ووجه التانيث، اللفظ، ووجه التذكير، أنه ليس بتانيث حقيقي. وعاقبة الدار: الجنة. والظالمون هاهنا: المشركون. فإن قيل: ظاهر هذه الآية أمرهم بالإقامة على ما هم عليه، وذلك لا يجوز. فالجواب: أن معنى هذا الأمر المبالغة في الوعيد؛ فكانه قال: أقيموا على ما أنتم عليه، إن رضيتم بالعذاب، قاله الزجاج.

## فصل

وفي هذه الآية قولان: أحدهما: أن المراد بها التهديد؛ فعلى هذا هي محكمة. والثاني: أن المراد بها ترك القتال، فعلى هذا هي منسوخة بآية السيف.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَيْبِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِنْ شِئْتُمْ بِسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ قال ابن قتيبة: ذراً، بمعنى خلق. ﴿مِنَ الْحَرْثِ﴾ وهو الزرع. ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: الإبل والبقر والغنم. وكانوا إذا زرعوا، خطوا خطأ، فقالوا: هذا لله، وهذا لآلهتنا، فإذا حصدوا ما

جعلوه لله، فوقع منه شيء فيما جعلوه لألتهم، تركوه وقالوا: هي إليه محتاجة؛ وإذا حصلوا ما جعلوه لألتهم، فوقع منه شيء في مال الله، أعاده إلى موضعه. وكانوا يجعلون من الأنعام شيئاً لله؛ فإذا ولدت إنانها ميتاً أكلوه، وإذا ولدت أنعام ألتهم ميتاً عظموه فلم يأكلوه. وقال الزجاج: معنى الآية: وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً، جعلوا لشركائهم نصيباً، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلّهِ بِرَحْمَتِهِ وَهَذَا لَشُرَّاكِبِنَا﴾، فدل بالإشارة إلى النصيبين على نصيب الشركاء؛ وكانوا إذا زكا ما لله، ولم يزك ما لشركائهم، ردوا الزاكي على أصنامهم، وقالوا: هذه أحوج، والله غني؛ وإذا زكا ما للأصنام، ولم يزك ما لله، أقروه على ما به. قال المفسرون: وكانوا يصرفون ما جعلوا لله إلى الضيفان والمساكين. فمعنى قوله: ﴿فَلَا يَحِلُّ لَكَ آلَ اللَّهِ﴾ أي: إلى هؤلاء. ويصرفون نصيب ألتهم في الزرع إلى النفقة على خدامها. فأما نصيبها في الأنعام، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان للنفقة عليها أيضاً. والثاني: أنهم كانوا يقتربون به، فيذبحونه لها. والثالث: أنه البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام. وقال الحسن: كان إذا هلك ما لأوثانهم غرموه، وإذا هلك ما لله لم يغرموه. وقال ابن زيد: كانوا لا يأكلون ما جعلوه لله حتى يذكروا عليه اسم أوثانهم، ولا يذكرون الله على ما جعلوه للأوثان. فأما قوله: «بزعمهم» فقرأ الجمهور: بفتح الزاي، وقرأ الكسائي، والأعمش: بضمها. وفي الزعم ثلاث لغات ضم الزاي، وفتحها، وكسرهما. ومثله: السَّقَط، والسَّقَط، والسَّقَط؛ والفَتَك، والفَتَك، والرُّعْم، والرُّعْم، والرُّعْم. قال الفراء: فتح الزاي في الرُّعْم، لأهل الحجاز؛ وضمها لأسد؛ وكسرهما لبعض قيس فيما يحكي الكسائي.

﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُتَكِبِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ لِيُذْهِبُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ﴾ أي: ومثل ذلك الفعل القبيح فيما قسموا بالجهل زَيْن. قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون «وكذلك» مستأنفاً، غير مشارٍ به إلى ما قبله، فيكون المعنى: وهكذا زَيْن. وقرأ الجمهور: «زَيْن» بفتح الزاي والياء، ونصب اللام من «قَتَلَ»، وكسر الدال من «أَوْلَادِهِمْ»، ورفع «الشركاء»؛ وجه هذه القراءة ظاهر. وقرأ ابن عامر؛ بضم زاي «زَيْن»، ورفع اللام [من «قَتَلَ»]، ونصب الدال من «أَوْلَادِهِمْ»، وخفض «الشركاء». قال أبو علي: ومعناها: قتل شركائهم أَوْلَادَهُمْ؛ ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به، وهذا قبيح، قليل في الاستعمال. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والحسن: «زَيْن» بالرفع، «قَتَلَ» بالرفع أيضاً، «أَوْلَادِهِمْ» بالجر، «شُرَكَائُهُمْ» رفعاً. قال الفراء: رَفَعَ القتل إذ لم يسم فاعله؛ ورفع الشركاء بفعل نواه، كأنه قال: زَيْنه لهم شركائهم. وكذلك قال سيبويه في هذه القراءة: قال: كأنه قيل: مَنْ زَيْنه؟ فقال: شركائهم. قال مكي بن أبي طالب: وقد روي عن ابن عامر أيضاً أنه قرأ بضم الزاي، ورفع اللام، وخفض الأولاد والشركاء؛ فيصير الشركاء اسماً للأولاد، لمشاركتهم للأباء في النسب والميراث والدين. وللمفسرين في المراد بشركائهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم الشياطين، قاله الحسن، ومجاهد، والسدي. والثاني: شركائهم في الشرك، قاله قتادة. والثالث: قوم كانوا يخدمون الأوثان، قاله الفراء، والزجاج. والرابع: أنهم الثَّوَاة من الناس، ذكره الماوردي. وإنما أضيف الشركاء إليهم، لأنهم هم الذين اختلقوا ذلك وزعموه. وفي الذي زَيْنوه لهم من قتل أولادهم قولان: أحدهما: أنه وأد البنات أخياء خيفة الفقر، قاله مجاهد. والثاني: أنه كان يحلف أحدهم أنه إن ولد له كذا وكذا غلاماً أن ينحر أحدهم، كما حلف عبد المطلب في نحر عبد الله، قاله ابن السائب، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبُوهُمْ﴾ أي: ليهلكوهم. وفي هذه اللام قولان: أحدهما: أنها لام «كي». والثاني: أنها لام العاقبة، كقوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ [القصص: ٨] أي: آل أمرهم إلى الردى، لا أنهم قصدوا ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ أي: ليخلطوا. قال ابن عباس: ليُدخلوا عليهم الشك في دينهم؛ وكانوا على دين إسماعيل، فرجعوا عنه بتزيين الشياطين.

قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ﴾ قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية إذا دفنوا بناتهم قالوا: إن الله أمرنا بذلك؛

فقال: ﴿وَلَذَرْنَهُمْ وَمَا يَفْقَهُونَ﴾؛ أي؛ يكذبون؛ وهذا تهديد ووعيد، فهو محكم. وقال قوم: مقصوده ترك قتالهم، فهو منسوخ بآية السيف.

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَمْثَلُ الَّذِي أَتَيْنَاهُمْ بِهِ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّهُمْ هُتُونٌ وَلَا يَذْكُرُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمْ آيَاتٌ فَذَرْنَهُمْ وَمَا يَفْقَهُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَمْثَلُ الَّذِي أَتَيْنَاهُمْ بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ الحرج، قال ابن قتيبة: وإنما قيل للحرام: حجر، لأنه حُجر على الناس أن يصيبوه. وقرأ الحسن، وقتادة: «حُجر» بضم الحاء. قال الفراء: يقال: حَجَر، وحُجِر، بكسر الحاء وضمها؛ وهي في قراءة ابن مسعود: «حرج»، مثل: «جذب» و«جبد». وفي هذه الأنعام التي جعلوها للأصنام قولان: أحدهما: أنها البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام. والثاني: أنها الذبائح التي للأوثان؛ وقد سبق ذكرهما.

قوله تعالى: ﴿لَا يَذْكُرُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمْ آيَاتٌ﴾ هو كقولك: لا يذوقها إلا من نريد. وفيمن أطلقوا له تناولها قولان: أحدهما: أنهم منعوا منها النساء، وجعلوها للرجال، قالها ابن السائب. والثاني: عكسه، قاله ابن زيد. قال الزجاج: أعلم الله تعالى أن هذا التحريم زعم منهم، لا حجة فيه ولا برهان. وفي قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ هُتُونٌ وَلَا يَذْكُرُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمْ آيَاتٌ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الحام، قاله ابن عباس. والثاني: البحيرة، كانوا لا يحشون عليها، قاله أبو وائل. والثالث: البحيرة، والسائبة، والحام، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ هُتُونٌ وَلَا يَذْكُرُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمْ آيَاتٌ﴾ هي قربان ألهتهم، يذكرون عليها اسم الأوثان خاصة. وقال أبو وائل: هي التي كانوا لا يحشون عليها؛ وقد ذكرنا هذا عنه في قوله: ﴿حُرِّمَتْ لَهُمْ هُتُونٌ﴾، فعلى قوله؛ الصفتان لموصوف واحد. وقال مجاهد: كان من إيلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها في شيء؛ لا إن ركبوا، ولا إن حملوا، ولا إن حلبوا، ولا إن نبتجوا. وفي قوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ عَلَى اللَّهِ قَوْلَانِ﴾ أحدهما: أن ذكر أسماء أوثانهم وترك ذكر الله، هو الافتراء. والثاني: أن إضافتهم ذلك إلى الله تعالى، هو الافتراء؛ لأنهم كانوا يقولون: هو حرم ذلك.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَفْئِدَةِ إِلَّا لُغْوٌ بَعِيدٌ وَمَنَعَهُمْ عَلَيْهَا ذِكْرٌ وَإِنْ يَذْكُرُوا إِلَّا كَلِمَةً نَّاسِيَةً وَمَا كَانَ لَهُمْ فِيهَا عِلْمٌ قَبْلَ هَٰذَا وَلَا يَذْكُرُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمْ آيَاتٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَفْئِدَةِ﴾ يعني بالأنعام: المحرمات عندهم، من البحيرة، والسائبة، والوصيلة. وللمفسرين في المراد بما في بطونها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اللب، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: الأجنة، قاله مجاهد. والثالث: الولد واللب، قاله السدي، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ قرأ الجمهور: «خالصة» على لفظ التانيث. وفيها أربعة أوجه: أحدها: أنه إنما أنثت، لأن الأنعام مؤنثة، وما في بطونها مثلها، قاله الفراء. والثاني: أن معنى «ما» التانيث، لأنها في معنى الجماعة؛ فكانه قال: جماعة ما في بطون هذه الأنعام خالصة، قاله الزجاج. والثالث: أن الهاء دخلت للمبالغة في الوصف، كما قالوا: «علامة» و«نسابة». والرابع: أنه أجري مجرى المصادر التي تكون بلفظ التانيث عن الأسماء المذكرة، كقولك: عطاؤك عافية، والرخص نعمة، ذكرهما ابن الأنباري. وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، والضحاك، والأعمش، وابن أبي عبيدة: «خالص» بالرفع، من غير هاء. قال الفراء: وإنما ذكر لتذكير «ما». وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وعكرمة، وابن يعمر: «خالصة» برفع الصاد والهاء على ضمير مذكر، قال الزجاج: والمعنى: ما خلص حياً. وقرأ قتادة: «خالصة» بالنصب. فأما الذكور، فهم الرجال، والأزواج: النساء.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكُنْ ثَبَتٌ﴾ قرأ الأكثرون: «يكن» بالياء، «ميتة» بالنصب؛ وذلك مردود على لفظ «ما». والمعنى: وإن يكن ما في بطون هذه الأنعام ميتة. وقرأ ابن كثير: «يكن» بالياء، «ميتة» بالرفع. وافقه ابن عامر في رفع الميتة؛ غير أنه قرأ: «تكن» بالتاء. والمعنى: وإن تحدث وتقع، فجعل «كان»: تامة لا تحتاج إلى خبر. وقرأ أبو بكر عن عاصم: «تكن» بالتاء، «ميتة» بالنصب. والمعنى: وإن تكن الأنعام التي في البطون ميتة.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءٌ﴾ يعني الرجال والنساء. ﴿سَيَبْرِيهِمْ وَصَفَّهُمْ﴾ قال الزجاج: أراد جزاء وصفهم الذي هو كذب.

﴿قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ وقرأ ابن كثير، وابن عامر: «قتلوا» بالتشديد. قال ابن عباس: نزلت في ربيعة، ومضر، والذين كانوا يدفنون بناتهم أحياء في الجاهلية من العرب. وقال قتادة: كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم بنته مخافة السبي والفاقة، ويغذو كلبه. وقال الزجاج: وقوله: «سفهًا» منصوب على معنى اللام، تقديره: للسفه؛ تقول: فعلت ذلك حذر الشر. وقرأ ابن السميع، والجحدري، ومعاذ القارئ: «سفهاء» برفع السين وفتح الفاء والهاء وبالمدة وبالنصب والهمز.

قوله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ﴾ أي: كانوا يفعلون ذلك للسفه من غير أن أتاهم علم في ذلك، وحرموا ما رزقهم الله من الأنعام والحراث، وزعموا أن الله أمرهم بذلك.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ غُلًّا مُّكْتَلَمًا وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَاحَ مُتَشَكِّبَةً وَكَأَنَّهُمْ يَوْمَ حَصَادِهِمْ لَا شَرَفًا لِّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُتَشَرِّفِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن المعروشات ما انبسط على وجه الأرض، فانتشر ما يعرّش، كالكرم، والقرع، والبطيخ؛ وغير معروشات: ما قام على ساق، كالنخل، والزروع، وسائر الأشجار. والثاني: أن المعروشات: ما أنبت الناس؛ وغير معروشات: ما خرج في البراري والجبال من الثمار، روي عن ابن عباس. والثالث: أن المعروشات، وغير المعروشات: الكرم، منه ما عرّش، ومنه ما لم يعرّش، قاله الضحاك. والرابع: أن المعروشات: الكروم التي قد عرّش عنها، وغير المعروشات: سائر الشجر التي لا تعرّش، قاله أبو عبيدة. والأكل: الثمر. «وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَاحَ مُتَشَكِّبَةً»، قد سبق تفسيره.

قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ هذا أمر بإباحة؛ وقيل: إنما قدّم الأكل لينهى عن فعل الجاهلية في زروعهم من تحريم بعضها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَثْمَرَ حَقُّ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قرأ ابن عامر، وعاصم، وأبو عمرو: بفتح الحاء، وهي لغة أهل نجد، وتميم. وقرأ ابن كثير، ونافع، وحزمة، والكسائي: بكسرهما، وهي لغة أهل الحجاز، ذكره الفراء. وفي المراد بهذا الحق قولان: أحدهما: أنه الزكاة، روي عن أنس بن مالك، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، والحسن، وطاووس، وجابر بن زيد، وابن الحنفية، وقاتدة في آخرين؛ فعلى هذا، الآية محكمة. والثاني: أنه حق غير الزكاة فرض يوم الحصاد، وهو إطعام من حضر، وترك ما سقط من الزرع والثمر، قاله عطاء، ومجاهد. وهل نُسَخ ذلك، أم لا؟ إن قلنا: إنه أمر وجوب، فهو منسوخ بالزكاة؛ وإن قلنا: إنه أمر استحباب، فهو باقٍ الحكم. فإن قيل: هل يجب إيتاء الحق يوم الحصاد؟ فالجواب: إن قلنا: إنه إطعام من حضر من الفقراء، فذلك يكون يوم الحصاد؛ وإن قلنا: إنه الزكاة، فقد ذكرت عنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن الأمر بالإيتاء محمول على النخيل، لأن صدقتها تجب يوم الحصاد. فأما المزروع، فالأمر بالإيتاء منها محمول على وجوب الإخراج؛ إلا أنه لا يمكن ذلك عند الحصاد، فيؤخّر إلى زمان التنقية، ذكره بعض السلف. والثاني: أن اليوم ظرف للحق، لا للإيتاء؛ فكأنه قال: وآتوا حقه الذي وجب يوم حصاده بعد التنقية. والثالث: أن فائدة ذكر الحصاد أن الحق لا يجب فيه بنفس خروجه وبلوغه؛ إنما يجب يوم حصوله في يد صاحبه. وقد كان يجوز أن يتوهم أن الحق يلزم بنفس نيابته قبل قطعه، فأفادت الآية أن الوجوب فيما يحصل في اليد، دون ما يتلف، ذكر الجوابين القاضي أبو يعلى. وفي قوله: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا﴾ ستة أقوال: أحدها: أنه تجاوز المفروض في الزكاة إلى حد يُجحف به، قاله أبو العالية، وابن جريج. وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن ثابت بن قيس بن شماس صرم خمسمائة نخلة، ثم قسمها في يوم واحد، فأمسى ولم يترك لأهله شيئاً، فكره الله تعالى له ذلك، فنزلت: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا لَكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُتَشَرِّفِينَ﴾. والثاني: أن الإسراف: منع الصدقة الواجبة، قاله سعيد بن المسيب. والثالث: أنه

الإنفاق في المعصية، قاله مجاهد، والزهري. والرابع: أنه إشراك الآلهة في الحرث والأنعام، قاله عطية العوفي، وابن السائب. والخامس: أنه خطاب للسلطان لئلا يأخذ فوق الواجب من الصدقة، قاله ابن زيد. والسادس: أنه الإسراف في الأكل قبل أداء الزكاة، قاله ابن بحر.

﴿وَمِنَ الْأَنْكَرِ حَمُولَةُ وَفَرْشًا كُلُّوْا مِنَّا رَزَقَكُمْ اللهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ تَنْبِيْهُ أَرْوَجُ﴾  
قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْكَرِ حَمُولَةُ وَفَرْشًا﴾ هذا نسق على ما قبله؛ والمعنى: أنشأ جثات، وأنشأ حملة وفَرْشًا. وفي ذلك خمسة أقوال: أحدها: أن الحمولة: ما حل من الإبل، والفرش: صغارها، قاله ابن مسعود، والحسن، ومجاهد، وابن قتيبة. والثاني: أن الحمولة: ما انتفعت بظهورها، والفرش: الراعية، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أن الحمولة: الإبل، والخليل، والبغال، والحمير، وكل شيء يُحْمَلُ عليه. والفرش: الغنم: رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: الحمولة: من الإبل، والفرش: من الغنم، قاله الضحاك. والخامس: الحمولة: الإبل والبقر. والفرش: الغنم وما لا يحمل عليه من الإبل، قاله قتادة. وقرأ عكرمة، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء: «حمولة» بضم الحاء.

قوله تعالى: ﴿كُلُّوْا مِنَّا رَزَقَكُمْ اللهُ﴾ قال الزجاج: المعنى: لا تحرموا ما حرمتكم مما جرى ذكره: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: طريقه. قال: وقوله: ﴿تَنْبِيْهُ أَرْوَجُ﴾ بدل من قوله: ﴿حَمُولَةُ وَفَرْشًا﴾. والزوج، في اللغة: الواحد الذي يكون معه آخر. قال المصنف؛ وهذا كلام يفتقر إلى تمام، وهو أن يقال: الزوج: ما كان معه آخر من جنسه، فحينئذ يقال لكل واحد منهما: زوج.

﴿وَمِنَ الْمَكَايِ أَنْثَى وَمِنَ الْمَعَزِ أَنْثَى قُلِ الْمَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَرِ الْأُنْثَيْنِ أَمَّا اسْتَمْتَكْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيْنِ يَتَوْنِي بِمِلْهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ أَنْثَى وَمِنَ الْبَقَرِ أَنْثَى قُلِ الْمَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَرِ الْأُنْثَيْنِ أَمَّا اسْتَمْتَكْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ مَسَّكُمْ اللهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا يُغْوِي النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْمَكَايِ أَنْثَى﴾ الضأن: ذوات الصوف من الغنم، والمعز: ذوات الشعر منها. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «المعز» بفتح العين. وقرأ نافع، وحمره، وعاصم، والكسائي: بتسكين العين. والمراد بالأنثيين الذكر والأنثى. ﴿قُلِ الْمَكَرَيْنِ﴾ من الضأن والمعز حرم الله عليكم ﴿أَرِ الْأُنْثَيْنِ﴾ منها؟. المعنى: فإن كان ما حرم عليكم الذكورين، فكل الذكور حرام، وإن كان حرم الأنثيين، فكل الإناث حرام، وإن كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين، فهي تشتمل على الذكور، وتشتمل على الإناث، وتشتمل على الذكور والإناث، فيكون كل جنين حراماً. وقال ابن الأنباري: معنى الآية: ألحقكم التحريم من جهة الذكورين، أم من جهة الأنثيين؟ فإن قالوا: من جهة الذكورين، حُرِّمَ عليهم كل ذكر، وإن قالوا: من جهة الأنثيين، حرمت عليهم كل أنثى؛ وإن قالوا: من جهة الرحم، حُرِّمَ عليهم الذكر والأنثى. وقال ابن جرير الطبري: إن قالوا: حُرِّمَ الذكورين، أوجبوا تحريم كل ذكر من الضأن والمعز، وهم يستمتعون بلحوم بعض الذكور منها وظهوره، وفي ذلك فساد دعواهم. وإن قالوا: حُرِّمَ الأنثيين أوجبوا تحريم لحوم كل أنثى من ولد الضأن والمعز، وهم يستمتعون بلحوم بعض ذلك وظهوره. وإن قالوا: ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين، فقد كانوا يستمتعون ببعض ذكورها وإناثها. قال المفسرون: فاحتج الله تعالى عليهم بهذه الآية والتي بعدها، لأنهم كانوا يحرمون أجناساً من النعم، بعضها على الرجال والنساء، وبعضها على النساء دون الرجال. وفي قوله: ﴿قُلِ الْمَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَرِ الْأُنْثَيْنِ﴾ إبطال لما حرّموه من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام. وفي قوله: ﴿أَمَّا اسْتَمْتَكْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيْنِ﴾، إبطال قولهم: ﴿مَا فِي بَطْنِي هَذَا الْأَنْكَرُ خَالِكَةٌ لِّلْكَوْكَبِ وَحَرَّمَ عَلَى أَرْوَجِي﴾.

قوله تعالى: ﴿يَتَوْنِي بِمِلْهِ﴾ قال الزجاج: المعنى: فسروا ما حرمتكم بعلم، أي: أنتم لا علم لكم، لأنكم لا تؤمنون بكتاب. ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ أي: هل شاهدتم الله قد حرّم هذا، إذا كنتم لا تؤمنون برسول؟

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا يُغْوِلُ الْإِنْسَانُ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قال ابن عباس: يريد عمرو بن لحي، ومن جاء بعده. والظالمون هاهنا: المشركون.

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُوتِيَ لِيُغَيِّرَ اللَّهُ بِوَيْهِمْ أَمْرًا قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَيْعَ وَبَايَعَهُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ نبههم بهذا على أن التحريم والتحليل، إنما يثبت بالوحي. وقال طاووس، ومجاهد: معنى الآية: لا أجد محرماً مما كنتم تستحلون في الجاهلية إلا هذا. والمراد بالطعام: الأكل. ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ أي: إلا أن يكون المأكول ميتة. قرأ ابن كثير، وحمزة: ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ﴾ بالياء، «ميتة» نصباً. وقرأ ابن عامر: «إلا أن تكون» بالناء، «ميتة» بالرفع؛ على معنى: إلا أن تقع ميتة، أو تحدث ميتة. ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ قال قتادة: إنما حُرِّمَ المسفوح، فأما اللحم إذا خالطه دم، فلا بأس به. قال الزجاج: المسفوح: المصبوب. وكانوا إذ ذكروا يأكلون الدم كما يأكلون اللحم. والرجس: اسم لما يقتنر، وللعذاب. ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ المعنى: أو أن يكون المأكول فسقاً. ﴿أَوَّلَ لَيْلٍ أَلُوْهُ يَوْمَ﴾ أي: رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله، فسمي ما ذكر عليه غير الله فسقاً؛ والفسق: الخروج من الدين.

### فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها محكمة. ولأرباب هذا القول في سبب إحكامها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها خبر، والخبر لا يدخله النسخ. والثاني: أنها جاء جواباً عن سؤال سألوه؛ فكان الجواب بقدر السؤال، ثم حُرِّمَ بعد ذلك ما حُرِّمَ. والثالث: أنه ليس في الحيوان محرم إلا ما ذكر فيها. والقول الثاني: أنها منسوخة بما ذكر في (المائدة) من المنخقة والموقوذة، وفي السُّنَّة من تحريم الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير<sup>(١)</sup>. وقيل: إن آية (المائدة) داخلة في هذه الآية، لأن تلك الأشياء كلها ميتة.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا كُلُّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنْ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُرُهُمَا أَوْ لَحْمَهَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِظُلْفٍ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَكُمْ وَلَكِنْ لَصَدِيقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا كُلُّ ذِي ظُفْرٍ﴾ وقرأ الحسن، والأعمش: «ظفر» بسكون الفاء؛ وهذا التحريم تحريم بلوى وعقوبة. وفي ذي الظفر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما ليس بمنفرج الأصابع، كالإبل، والنعام، والإوز، والبط، قاله ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وقاتادة، والسدي. والثاني: الإبل فقط، قاله ابن زيد. والثالث: كل ذي حافر من الدواب، ومخلب من الطير، قاله ابن قتيبة. قال: وسمي الحافر ظفراً على الإستعارة؛ والعرب تجعل الحافر والأظلاف موضع القدم، استعارة؛ وأنشدوا:

سَأَمْنَعُهَا أَوْ سَوَفَ أَجْعَلُ أَمْرَهَا إِلَى مَلِكٍ أَظْلَاهُ لَمْ تُشَقِّقْ<sup>(٢)</sup>

أراد قدميه؛ وإنما الأظلاف للشاء والبقرة. قال ابن الأنباري: الظفر هاهنا، يجري مجرى الظفر للإنسان. وفيه ثلاث لغات. أعلاهن: ظُفْرٌ، ويقال: ظُفْرٌ، وأظفور. وقال الشاعر:

(١) روى الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، عن أبي ثعلبة الخشني، قال: «حرم رسول الله ﷺ لحوم الحمر الأهلية» وزاد أحمد: «ولحم كل ذي ناب من السباع» وقد صح النهي عن أكل لحوم الحمر الأهلية من حديث البراء بن عازب، وابن عمر، وأبي هريرة، وزاهر الأسلمي، وابن أبي أرفى. وروى الجماعة إلا البخاري والترمذي عن ابن عباس قال: «نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير» وروى مسلم في «صحيحه» ٣/ ١٥٣٤ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كل ذي ناب من السباع حرام».

(٢) البيت غير منسوب في «مشكل القرآن» ١١٦، و«الصناعتين» ٣٠١، و«الموازن» ٤٤، و«الأمالي» ١٢٠/٢. وفي «السمط» ٧٤٦: البيت لعقنان بن قيس بن عاصم بن عبيد اليربوعي، وكان النعمان بن المنذر استعمل الغلاق بن عمرو الرياحي على هجائن من يلي أرضه من العرب، وكانت لعقنان هذا هجائن، فأغفاه، فطلبها الغلاق، فعمد عقنان بإبله حتى أتى النعمان، فأجاره ولم يأخذ منها شيئاً. فقال قصيدة منها:

سواء عليكم شؤؤها وهجائنُها وإن كان فيها واضح اللون يسبرق  
سامعتها - الليث - وهذه من أتيح الاستعارات، وإنما يريد بقوله: أظلافه لم تشقق: أنه متمل مرتقه، فلم تشقق قدماء.



ألم تر أنَّ الموتَ أَذْرَكَ مَنْ مَضَى  
وقال الآخر:

لقد كنتُ ذا نابٍ وظُفِرٍ على العِدَى  
وقال الآخر:

ما بين لُقمته الأولى إذا انحدرتُ  
وبين أخرى تليها قيدُ أظفُور<sup>(١)</sup>

وفي شحوم البقر والغنم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إنما حرّم من ذلك شحوم الثروب خاصة، قاله قتادة. والثاني: شحوم الثروب والكلبي، قاله السدي، وابن زيد. والثالث: كل شحم لم يكن مختلطاً بعظم، ولا على عظم، قاله ابن جريج. وفي قوله: ﴿إِلَّا مَا حَكَّتْ ظُهُورُهُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما علق بالظهر من الشحوم، قاله ابن عباس. والثاني: الألية، قاله أبو صالح، والسدي. والثالث: ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما، قاله قتادة. فاما الحوايا، فللمفسرين فيها أقوال تتقارب معانيها. قال ابن عباس، والحسن، وابن جبير، ومجاهد، وقاتدة، والسدي، وابن قتيبة: هي المباعر. وقال ابن زيد: هي بنات اللبن، وهي المراض التي تكون فيها الأمعاء. وقال الفراء: الحوايا: هي المباعر، وبنات اللبن. وقال الأصمعي: هي بنات اللبن، واحدها: حاوية، وحاوية، وحوية. قال الشاعر:

أفئّلهم ولا أرى مُعاويه  
الجاحظَ العَيْنَ العَظِيمَ الحاوية<sup>(٢)</sup>  
وقال الآخر:

كأنَّ نقيقَ الحَبِّ في حاوياته  
فحيحُ الأفاعي أو نقيقُ العقارب<sup>(٣)</sup>

وقال أبو عبيدة: الحوايا: ما تحوى من البطن، أي: ما استدار منها. وقال الزجاج: الحوايا: اسم لجميع ما تحوى من الأمعاء، أي: استدار. وقال ابن جرير الطبري: الحوايا: ما تحوى من البطن، فاجتمع واستدار، وهي بنات اللبن، وهي المباعر، وتسمى: المراض، وفيها الأمعاء.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه شحم البطن والألية، لأنهما على عظم، قاله السدي. والثاني: كل شحم في القوائم، والجنب، والرأس، والعيني، والأذنين، فهو مما اختلط بعظم، قاله ابن جريج. واتفقوا على أن ما حملت ظهورهما خلال، بالاستثناء من التحريم. فاما ما حملت الحوايا، أو ما اختلط بعظم، ففيه قولان: أحدهما: أنه داخل في الاستثناء، فهو مباح؛ والمعنى: وأبيح لهم ما حملت الحوايا من الشحم وما اختلط بعظم، هذا قول الأكثرين. والثاني: أنه نسق على ما حرّم، لا على الاستثناء؛ فالمعنى: حرّمنا عليهم شحومهما، أو الحوايا، أو ما اختلط بعظم، إلا ما حملت الظهور، فإنه غير محرم، قاله الزجاج. فاما «أو» المذكورة هاهنا، فهي بمعنى الواو، كقوله: ﴿إِنَّمَا أَوْفَرُّوا﴾ [النمر: ٢٤].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُكُمْ﴾ أي: ذلك التحريم عقوبة لهم على بغيهم. وفي بغيهم قولان: أحدهما: أنه قتلهم الأنبياء، وأكلهم الربا. والثاني: أنه تحريم ما أحل لهم.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَكَثِيرٌ لَا يُرِيدُ بِأَسْمِكُمْ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ قال ابن عباس: لما قال رسول الله ﷺ للمشركون: «هذا ما أوحى إليّ أنه محرّم على المسلمين وعلى اليهود»، قالوا: فإنك لم تصب، فنزلت هذه الآية. وفي المكذبين قولان: أحدهما: المشركون، قاله ابن عباس. والثاني: اليهود، قاله مجاهد. والمراد بذكر الرحمة الواسعة، أنه لا يعجل بالعقوبة. والبأس: العذاب. وفي المراد بالمجرمين قولان: أحدهما: المشركون. والثاني: المكذبون.

(١) البيت غير منسوب في «اللسان» و«أساس البلاغة»: ظفر، ورواه فيهما:

ما بين لُقمته الأولى إذا ازدرت

(٢) البيت في «اللسان»: حوي، منسوب لعلي عليه السلام.

(٣) قاله جرير، وهو في «ديوانه» ٨٣، و«معجم مقاييس اللغة» ١١٢/٢، و«اللسان»: حوى.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَفْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْرَكْنَا وَلَا أَبَاؤُنَا وَلَا حُرْمَتُنَا مِنْ قَبْلُ هَذَا كَذَبٌ الْيَوْمَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَوْلَا أَنْتُمْ لَمْ يَخْلُقْنَا وَإِنَّ الظَّنَّ بِأَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَفْرَكُوا﴾ أي: إذا لزمتمهم الحجة، وتيقنوا باطل ما هم عليه من الشرك وتحريم ما لم يحرمه الله ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْرَكْنَا﴾، فاجعلوا هذا حجة لهم في إقامتهم على الباطل؛ فكانهم قالوا: لو لم يرض ما نحن عليه، لحال بيننا وبينه؛ وإنما قالوا ذلك مستهزئين، ودافعين للاحتجاج عليهم، فيقال لهم: لم تقولون عن مخالفيتكم إنهم ضالون، وإنما هم على المشيئة أيضاً؟ فلا حجة لهم، لأنهم تعلّقوا بالمشيئة، وتركوا الأمر؛ ومشية الله تعم جميع الكائنات، وأمره لا يعم مراداته، فعلى العبد اتباع الأمر، وليس له أن يتعلّل بالمشيئة بعد ورود الأمر.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ قال ابن عباس: أي: قالوا لرسولهم مثلما قال هؤلاء لك، ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ أي: عذابنا. ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: كتاب نزل من عند الله في تحريم ما حرّمتم ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ لا اليقين؛ و﴿إِنْ﴾ بمعنى «ما». و«تخرصون»: تكذبون.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ قال الزجاج: حجّته البالغة: تبيّنه أنه الواحد، وإرساله الأنبياء بالحجج المعجزة. قال السدي: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يوم أخذ الميثاق.

﴿قُلْ هَلَمْ شَهِدَ لَكُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرْغَبُونَ بِدُولِكِ ﴿١٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلَمْ شَهِدَ لَكُمْ﴾ قال الزجاج: زعم سيبويه أن «هلم» هاء ضمت إليها «لَمْ»، وجعلتا كالكلمة الواحدة؛ فأكثر اللغات أن يقال: «هلم»: للواحد والاثنتين والجماعة؛ بذلك جاء القرآن. ومن العرب من يشي ويجمع ويؤنث، فيقول للذكر: «هلم»، وللمرأة: «هلمّي»، وللإثنين: «هلمّنا»، وللثنتين: «هلمّنا»، وللجماعة: «هلمّوا»، وللنساء: «هلمّن». وقال ابن قتيبة: «هلم»، بمعنى: «تعال» وأهل الحجاز لا يشترطونها ولا يجمعونها. وأهل نجد يجعلونها من «هلمّمت»، فيشترطون ويجمعون ويؤنثون؛ وتوصل باللام، فيقال: «هلم لك»، «وهلم لكما». قال: وقال الخليل: أصلها «لَمْ»، وزيدت الهاء في أولها. وخالفه الفراء، فقال: أصلها «هل» ضم إليها «أَمْ»؛ والرفعة التي في اللام من همزة «أَمْ» لما تركت انتقلت إلى ما قبلها؛ وكذلك «الهم» يرى أصلها: «يا الله أمنا بخير» فكثرت في الكلام، فاختلطت، وتركزت الهمزة. وقال ابن الأنباري: معنى «هلم»: أقبل؛ وأصله: «أَمْ يا رجل»، أي: «اقصد»، فضموا «هل» إلى «أَمْ» وجعلوهما حرفاً واحداً، وأزالوا «أَمْ» عن التصرف، وحولوا ضمة همزة «أَمْ» إلى اللام، وأسقطوا الهمزة، فانصلت الميم باللام. وإذا قال الرجل للرجل: «هلم»، فأراد أن يقول: لا أفعل، قال: «لا أهلم» و«لا أهلم». قال مجاهد: هذه الآية جواب قولهم: إن الله حرم البحيرة، والساقية. قال مقاتل: الذين يشهدون أن الله حرم هذا الحرث والأنعام، ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾ أن الله حرمه ﴿فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُ﴾ أي: لا تصدّق قولهم.

﴿قُلْ تَسَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَا لَوْلَاذِينَ إِحْسَنًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ تَرْذُلُكُمْ وَإِسَافَتُمْ وَلَا تُقْرَبُوا الْقَوَاعِصَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَلَّيْتُكُمْ بِرَبِّكُمْ قَوْلُونَ ﴿١٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَسَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ «ما» بمعنى «الذي». وفي «لا» قولان: أحدهما: أنها زائدة، كقوله: ﴿أَلَّا تَشْبَدُ﴾ [الأعراف: ١٢]. والثاني: أنها ليست زائدة، وإنما هي نافية؛ فعلى هذا القول، في تقدير الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أن يكون قوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾، محمولاً على المعنى؛ فتقديره: أتْل عليكم أن لا تشركوا، أي: أتْل تحريم الشرك. والثاني: أن يكون المعنى: أوصيكم أن لا تشركوا، لأن قوله: ﴿وَيَا لَوْلَاذِينَ إِحْسَنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] محمول على معنى: أوصيكم بالوالدين إحساناً، ذكرهما الزجاج. والثالث: أن الكلام تم عند قوله: ﴿حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ﴾. ثم في قوله: «عليكم» قولان: أحدهما: أنها إغراء، كقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

فالتقدير: عليكم أن لا تشركوا، ذكره ابن الأنباري. والثاني: أن يكون بمعنى: فرض عليكم، ووجب عليكم أن لا تشركوا. وفي هذا الشرك قولان: أحدهما: أنه ادعاء شريك مع الله ﷻ. والثاني: أنه طاعة غيره في معصيته.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا أَكْذَبُكُمْ﴾ يريد دفن البنات أحياء. ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ أي: من خوف فقر.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أن الفواحش: الزنا، وما ظهر منه: الإعلان به، وما بطن الاستمرار به، قاله ابن عباس، والحسن، والسدي. والثاني: أن ما ظهر: الخمر، ونكاح المحرمات. وما بطن: الزنا، قاله سعيد بن جبيرة، ومجاهد. والثالث: أن ما ظهر: الخمر، وما بطن: الزنا، قاله الضحاك. والرابع: أنه عام في الفواحش. وظاهرها: علانيتها، وباطنها: سرها، قاله قتادة. والخامس: أن ما ظهر: أفعال الجوارح، وما بطن: اعتقاد القلوب، ذكره الماوردي في تفسير هذا الموضع، وفي تفسير قوله: ﴿وَدَرُوا ظَهَرَ الْإِثْمِ وَبَطَنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠]. والنفس التي حرم الله: نفس مسلم أو معاهد. والمراد بالحق: إذن الشرع.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأُولُوا الْكَيْلِ وَالْيَتِيمَانِ بِالْقِسْطِ لَا تَكُنْ فَنَاءً لِأَنْتُمْ وَمَنْهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَهْدِ اللَّهُ أَوْفُؤًا لِّدِينِكُمْ وَمَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النساء: ٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ إنما خص مال اليتيم، لأن الطمع فيه، لقلة مراعيه وضعف مالكة، أقوى. وفي قوله: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنه أكل الوصي المصلح للمال بالمعروف وقت حاجته، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: التجارة فيه، قاله سعيد بن جبيرة، ومجاهد، والضحاك، والسدي. والثالث: أنه حفظه له إلى وقت تسليمه إليه، قاله ابن السائب. والرابع: أنه حفظه عليه، وتثمينه له، قاله الزجاج. قال: و «حتى» محمولة على المعنى؛ فالمعنى: احفظوه عليه حتى يبلغ أشده، فإذا بلغ أشده، فادفعوه إليه. فاما الأشد، فهو استحكام قوة الشباب والسِّن. قال ابن قتيبة: ومعنى الآية: حتى يتناهى في النبات إلى حدِّ الرجال. يقال: بلغ أشده: إذا انتهى منتهاه قبل أن يأخذ في النقصان. وقال أبو عبيدة: الأشدُّ لا واحد له منه؛ فإن أكرموا على ذلك، قالوا: شُدٌّ، بمنزلة: ضَبٌّ، والجمع: أَضْبٌ. قال ابن الأنباري: وقال جماعة من البصريين: واحد الأشدُّ: شُدٌّ، بضم الشين. وقال بعض البصريين: واحد الأشدُّ: شِدَّةٌ، كقولهم: نعمة، وأنعم. وقال بعض أهل اللغة: الأشدُّ: اسم لا واحد له. وللمفسرين في الأشد ثمانية أقوال: أحدها: أنه ثلاث وثلاثون سنة، رواه ابن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين سنة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أربعون سنة، روي عن عائشة رضي الله عنها. والرابع: ثماني عشرة سنة، قاله سعيد بن جبيرة، ومقاتل. والخامس: خمس وعشرون سنة، قاله عكرمة. والسادس: أربع وثلاثون سنة، قاله سفيان الثوري. والسابع: ثلاثون سنة، قاله السدي. وقال: ثم جاء بعد هذه الآية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا الْبِكَاةَ﴾ [النساء: ٦] فكانه يشير إلى النسخ. والثامن: بلوغ الحُلُم، قاله زيد بن أسلم، والشعبي، ويحيى بن يعمر، وربيعة، ومالك بن أنس، وهو الصحيح. ولا أظن بالذين حكينا عنهم الأقوال التي قبله فسروا الآية بما ذكر عنهم، وإنما أظن أن الذين جمعوا التفسير، نقلوا هذه الأقوال من تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ [يوسف: ٢٢، والقصص: ١٤] إلى هذا المكان؛ وذلك نهاية الأشد، وهذا ابتداء تمامه؛ وليس هذا مثل ذلك. قال ابن جرير: وفي الكلام محذوف، ترك ذكره اكتفاءً بدلالة ما ظهر عما حذف، لأن المعنى: حتى يبلغ أشده؛ فإذا بلغ أشده، فأنستم منه رشداً، فادفعوا إليه ماله. قال المصنف: إن أراد بما ظهر ما ظهر في هذه الآية، فليس بصحيح؛ وإنما استفيد إيناس الرشد والإسلام من آية أخرى؛ وإنما أطلق في هذه الآية ما قيّد في غيرها، فحمل المطلق على المقيد.

قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْكَيْلِ﴾ أي: أتموه ولا تنقصوا منه. و ﴿الْيَتِيمَاتِ﴾ أي: وُزْنَ الميزان. والقسط: العدل. ﴿لَا تَكُنْ فَنَاءً لِأَنْتُمْ وَمَنْهَا﴾ أي: ما يسعها، ولا تضيق عنه. قال القاضي أبو يعلى: لما كان الكيل والوزن يتعذر فيهما التحديد بأقل القليل كُلفنا الاجتهاد في التحري، دون تحقيق الكيل والوزن.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا﴾ أي: إذا تكلمتم أو شهدتم، فقولوا الحق، ولو كان المشهود له أو عليه ذا قرابة. وعهد الله يشتمل على ما عهده إلى الخلق وأوصاهم به، وعلى ما أوجه الإنسان على نفسه من نذر وغيره. ﴿ذَلِكَ﴾

وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: لتذكروهم وتأخذوا به. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] و ﴿يَذَكَّرُونَ﴾ [انعام: ١٢٦] و ﴿يَذَكِّرُ الْإِنْسَانَ﴾ [مریم: ٦٧] و ﴿أَنْ يَذَكَّرَ﴾ [الفرقان: ٦٢]، و ﴿يَذَكِّرُوا﴾ [الإسراء: ٤١] مشدداً ذلك كله. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم، وابن عامر كل ذلك بالتشديد، إلا قوله: ﴿أَوَلَا يَذَكِّرُ الْإِنْسَانَ﴾ [مریم: ٦٧] فأنهم خففوه. روى أبان، وحفص عن عاصم: «يذكرون» خفيفة الذال في جميع القرآن. قرأ حمزة، والكسائي: «يذكرون» مشدداً إذا كان بالياء، ومخففاً إذا كان بالياء.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو: «وَأَنَّ» بفتح الألف مع تشديد النون. قال الفراء: إن شئت جعلت «أَنَّ» مفتوحة بوقوع «اتل» عليها؛ وإن شئت جعلتها خفصاً، على معنى: ذلکم وصاکم به، وبأن هذا صراطي مستقيماً. وقرأ ابن عامر بفتح الألف أيضاً، إلا أنه خفف النون، فجعلها مخففة من الثقيلة؛ وحكم إعرابها حكم تلك. وقرأ حمزة، والكسائي: بتشديد النون مع كسر الألف. قال الفراء: وكسر الألف على الاستئناف. وفي الصراط قولان: أحدهما: أنه القرآن. والثاني: الإسلام. وقد بينا إعراب قوله: «مستقيماً» أيضاً. فأما «السُّبُلُ»، فقال ابن عباس: هي الضلالات<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: البدع والشبهات. وقال مقاتل: أراد ما حرموا على أنفسهم من الأنعام والحرث. ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: فضلكم عند يه.

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ يَتَّقُوا رَبَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ قال الزجاج: «ثم» هاهنا للمعطف على معنى التلاوة؛ فالمعنى اتل ما حرم ربكم، ثم اتل عليكم ما آناه الله موسى. وقال ابن الأنباري: الذي بعد «ثم» مقدّم على الذي قبلها في النية؛ والتقدير: ثم كنا قد آتينا موسى الكتاب قبل إنزالنا القرآن على محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ في قوله: «تماماً» قولان: أحدهما: أنها كلمة متصلة بما بعدها؛ تقول: أعطيتك كذا تماماً على كذا، وتماماً لكذا، وهذا قول الجمهور. والثاني: أن قوله: «تماماً» كلمة قائمة بنفسها، غير متصلة بما بعدها؛ والتقدير: آتينا موسى الكتاب تماماً، أي: في دفعة واحدة، لم نفرّق إنزاله كما فرّق إنزال القرآن، ذكره أبو سليمان الدمشقي. وفي المشار إليه بقوله: «أحسن» أربعة أقوال: أحدها: أنه الله ﷻ. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: تماماً على إحسان الله إلى أنبيائه، قاله ابن زيد. والثاني: تماماً على إحسان الله تعالى إلى موسى؛ وعلى هذين القولين، يكون «الذي» بمعنى «ما». والقول الثاني: أنه إبراهيم الخليل عليه السلام؛ فالمعنى: تماماً للنعمة على إبراهيم الذي أحسن في طاعة الله، وكانت ثبوت موسى نعمة على إبراهيم، لأنه من ولده، ذكره الماوردي. والقول الثالث: أنه كل محسن من الأنبياء، وغيرهم. وقال مجاهد: تماماً على المحسنين، أي: تاماً لكل محسن. وعلى هذا القول، يكون «الذي» بمعنى «من»، و «على» بمعنى لام الجر؛ ومن هذا قول العرب: أتم عليه، وأتم له. قال الراعي:

رَعَيْتُهُ أَشْهَرًا وَخَلَا عَلِيًّا<sup>(٢)</sup>

أي: لها. قال ابن قتيبة: ومثل هذا أن تقول: أوصي بمالي للذي غزا وحج؛ تريد: للغازين والحاجين. والقول الرابع: أنه موسى. ثم في معنى: «أحسن» قولان: أحدهما: أحسن في الدنيا بطاعة الله ﷻ. قال الحسن،

(١) روى الإمام أحمد في «المسند» ١٨٢/٤، ١٨٣، والحاكم في «المستدرک» ١/٧٣ عن الثواس بن سميان الأنصاري عن رسول الله ﷺ قال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جَبَّتِي الصراط سوران، فهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تموجوا، وداع يدعو من جنف الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة: محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم». وخرجه ابن كثير في «التفسير»، ثم قال: إسناده حسن صحيح. وقوله: «تموجوا» قال القاري في «شرح المشكاة»: بتشديد الجيم من الأعرجاج، كذا في نسخة السيد وغيره، وفي نسخة: بتشديد الواو على حذف إحدى التاءين، وهو تأكيد لما قبله، أي: لا تميلوا إلى الأطراف. قلت: ووقع في «المسند»: «ولا تنفرجوا» وهو تحريف.

(٢) تمامه: فطار النّبي فيها واستغارا. وهو في «أدب الكاتب» لابن قتيبة: ٤٠١ عن أبيات يصف بها ناقة ذات سمن. قال الجواليقي: رعته، أي: رعت هذه الناقة هذا النبات أشهراً، وتخلت به، لم يرعه غيرها. وطار النّبي، أي: ارتفع الشحم، واستغارا، أي: هبط فيها ودخل.

وقتادة: تماماً لكرامته في الجنة إلى إحسانه في الدنيا. وقال الربيع: هو إحسان موسى بطاعته. وقال ابن جرير: تماماً لنعمنا عنده على إحسانه في قيامه بأمرنا ونهيها. والثاني: أحسن من العلم وكُتِبَ الله القديمة؛ وكأنه زيد على ما أحسنه من التوراة؛ ويكون «التمام» بمعنى الزيادة، ذكره ابن الأنباري. فعلى هذين القولين، يكون «الذي» بمعنى: «ما». وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رزين، والحسن، وابن يعمر: «على الذي أحسن»، بالرفع. قال الزجاج: معناه: على الذي هو أحسن الأشياء. وقرأ عبد الله بن عمرو، وأبو المتوكل، وأبو العالية: «على الذين أحسن» برفع الهمزة وكسر السين وفتح النون؛ وهي تحتمل الإحسان، وتحتمل العلم.

قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: تبياناً لكل شيء من أمر شريعتهم مما يحتاجون إلى علمه، لكي يؤمنوا بالبعث والجزاء.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لِمَلِكِكُمْ رُحْمَُونَ ﴿١٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ يعني القرآن، ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا﴾ أن تخالفوه ﴿لِمَلِكِكُمْ رُحْمَُونَ﴾. قال الزجاج: لتكونوا راجين للرحمة.

﴿إِنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفِيلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَقُولُوا﴾ سبب نزولها: أن كفار مكة قالوا: قاتل الله اليهود والنصارى، كيف كذبوا أنبياءهم؛ فوالله لو جاءنا نذير وكتاب، لكننا أهدى منهم، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. قال الفراء: «أن» في موضع نصب في مكانين: أحدهما: أنزلناه لئلا تقولوا. والآخر: من قوله: واتقوا أن تقولوا. وذكر الزجاج عن البصريين، أن معناه: أنزلناه، كراهة أن تقولوا؛ ولا يجوزون إضمار «لا». فأما الخطاب بهذه الآية، فهو لأهل مكة؛ والمراد إثبات الحجة عليهم بإنزال القرآن كي لا يقولوا يوم القيامة: إن التوراة والإنجيل أنزلا على اليهود والنصارى، وكنا غافلين عما فيها. و«دراستهم»: قراءتهم الكتب. قال الكسائي: ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفِيلِينَ﴾ لا نعلم ما هي، لأن كتبهم لم تكن بلغتنا، فأنزل الله كتاباً فبلغتهم لتقطع حججهم.

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ قال الزجاج: إنما كانوا يقولون هذا، لأنهم مبدلون بالأذهان والأفهام، وذلك أنهم يحفظون أشعارهم وأخبارهم، وهم أميون لا يكتبون. ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ أي: ما فيه البيان وقطع الشبهات. قال ابن عباس: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ أي: حجة، وهو النبي، والقرآن، والهدى، والبيان، والرحمة، والنعمة. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: أكفر ﴿وَمَنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني محمداً والقرآن. ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أعرض فلم يؤمن بها. وسوء العذاب: قبيحه.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِشْرَاقٌ لَوْ تَكَانَ أَمْنٌ مِنْ قَبْلِ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا غُرُورًا قُلْ يَنْظُرُونَ إِنَّمَا نُنْظِرُكُمْ﴾ ﴿١٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «تأتيهم» بالياء. وقرأ حمزة، والكسائي: «يأتيهم» بالياء. وهذا الإتيان لقبض أرواحهم. وقال مقاتل: المراد بالملائكة: ملك الموت وحده.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ قال الحسن: أو يأتي أمر ربك<sup>(١)</sup>. وقال الزجاج: أو يأتي إهلاكه وانتقامه، إما بعذاب عاجل، أو بالقيامة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ وروى عبد الوارث إلا الفراز: بتسكين ياء «أو يأتي»، وفتحها الباقون.

(١) خرج ابن الجوزي هنا على مذهب السلف في هذا النقل.

وفي هذه الآية أربعة أقوال: أحدها: أنه طلوع الشمس من مغربها، رواه أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>، وبه قال ابن مسعود. وفي رواية زارة بن أوفى عنه، وعبد الله بن عمرو، ومجاهد، وقتادة، والسدي. وقد روى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورأها الناس، آمن من عليها، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»<sup>(٢)</sup>. وروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، طُبع على كل قلب بما فيه، [و] كفى الناس العمل»<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه طلوع الشمس والقمر من مغربهما، رواه مسروق عن ابن مسعود. والثالث: أنه إحدى الآيات الثلاث، طلوع الشمس من مغربها، والذباب، وفتح يأجوج ومأجوج، روى هذا المعنى القاسم عن ابن مسعود. والرابع: أنه طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض، قاله أبو هريرة؛ والأول أصح. والمراد بالخير هاهنا: العمل الصالح؛ وإنما لم ينفع الإيمان والعمل الصالح حينئذٍ، لظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان. وقال الضحاک: من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه، قبل منه، كما يقبل منه قبل الآية. وقيل: إن الحكمة في طلوع الشمس من مغربها، أن الملحدة والمنجمين، زعموا أن ذلك لا يكون، فيريهم الله قدرته، ويطلعها من المغرب كما أطلعها من المشرق، ولتحقق عجز نمرود حين قال له إبراهيم: ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

### فصل

وفي قوله: ﴿قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ قولان: أحدهما: أن المراد به التهديد، فهو محكم. والثاني: أنه أمر بالكف عن القتال، فهو منسوخ بآية السيف.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا وَبَيَّنَّ وَكَانُوا شَيْعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا وَبَيَّنَّ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «فَرَقُوا» مشددة. وقرأ حمزة، والكسائي: «فارقوا» بآلف. وكذلك قرؤوا في [الرم: ٤٣٢]؛ فمن قرأ؛ «فَرَقُوا»، أراد: آمنوا ببعض، وكفروا ببعض. ومن قرأ: «فارقوا»، أراد: باينوا. وفي المشار إليهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم أهل الضلالة من هذه الأمة، قاله أبو هريرة. والثاني: أنهم اليهود والنصارى، قاله ابن عباس، والضحاک، وقتادة، والسدي. والثالث: اليهود، قاله مجاهد. والرابع: جميع المشركين، قاله الحسن. فعلى هذا القول، دينهم: الكفر الذي يعتقدونه ديناً، وعلى ما قبله، دينهم: الذي أمرهم الله به. والشَّيْع: الفرق والأحزاب. قال الزجاج: ومعنى «شَيْعَتْ» في اللغة: اتبعت. والعرب تقول: شاعكم السلام، وأشاعكم، أي: تبعكم. قال الشاعر:

أَلَا يَا نَحْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقِي

بَرُّودِ الظِّلِّ شَاعَكُمْ السَّلَامُ<sup>(٤)</sup>

وتقول: أتيتك غداً، أو شبيعة، أي: أو اليوم الذي يتبعه. فمعنى الشيعة: الذين يتبع بعضهم بعضاً، وليس كلهم متفقين. وفي قوله تعالى: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ قولان: أحدهما: لست من قتالهم في شيء؛ ثم نسخ بآية السيف، وهذا مذهب السدي. والثاني: لست منهم، أي: أنت بريء منهم، وهم منك بُرءاء، إنما أمرهم إلى الله في جزائهم، فتكون الآية محكمة.

(١) «المسند» ٣/٣١، و«الطبري» ١٢/٢٤٧، و«الترمذي» ٢/١٣٣. وفي سننه عطية العوفي، وهو ضعيف.

(٢) «المسند» رقم (٧١٦١)، و«البخاري» ٨/٢٢٣، و«مسلم» ٢/١٩٤، و«أبو داود» ٤/١٦٣، و«ابن ماجه» ٢/٢٣٥٢. وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٥٧/٣ وزاد نسبه إلى عبد بن حميد، وعبد الرزاق، والنسائي، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث»، والطبراني، وابن أبي عدي.

(٣) «المسند» ٣/١٣٣، و«الطبري» ١٢/٢٥٣، وخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥/٢٥٠ وقال: رجال أحمد ثقات. وقال ابن كثير بعد أن ذكره ٢/١٩٥: هذا الحديث حسن الإسناد، ولم يخرج أحد من الكتب الستة.

(٤) البيت غير منسوب في «أساس البلاغة»، و«اللسان»: شيع.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْمَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَمَنْ لَا يَمْلِكُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْمَالِهَا﴾ وقرأ يعقوب، والقزاز عن عبد الوارث: «عَشْرٌ» بالتونين، «أَمْثَالُهَا» بالرفع. قال ابن عباس: يريد: من عملها، كتبت له عشر حسنات. ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا﴾ جزاء ﴿مِثْلُهَا﴾. وفي الحسنة والسيئة هاهنا قولان: أحدهما: أن الحسنة: قول لا إله إلا الله. والسيئة: الشرك، قاله ابن مسعود، ومجاهد، والنخعي. والثاني: أنه عام في كل حسنة وسيئة. روى مسلم في «صحيحه» من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «يقول الله ﷻ: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر». فإن قيل: إذا كانت الحسنة كلمة التوحيد، فأى مثل لها حتى يجعل جزاء قائلها عشر أمثالها؟ فالجواب: أن جزاء الحسنة معلوم القدر عند الله، فهو يجازي فاعلها بعشر أمثاله، وكذلك السيئة. وقد أشرنا إلى هذا في (المائدة) عند قوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسُ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]. فإن قيل: المثل مذكر، فلم قال: ﴿عَشْرُ أَثْمَالِهَا﴾ والهاء إنما تسقط في عدد المؤنث؟ فالجواب: أن الأمثال خلقت حسنات مؤنثة؛ وتلخيص المعنى: فله عشر حسنات أمثالها، فسقطت الهاء من عشر، لأنها عدد مؤنث، كما تسقط عند قولك: عشر نعال، وعشر جباب.

﴿قُلْ إِنِّي مَتَّبِعُ دِينَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي مَتَّبِعُ دِينَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ قال الزجاج: أي: دلتني على الدين الذي هو دين الحق. ثم فسر ذلك بقوله: ﴿وَبِإِيمَانٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «قِيَمًا» مفتوحة القاف، مشددة الياء. والقيَم: المستقيم. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «قِيَمًا» بكسر القاف وتخفيف الياء. قال الزجاج: وهو مصدر، كالصَّغَر والكَبَر. وقال مكي: من خففه بناء على «فعل» وكان أصله أن يأتي بالواو، فيقول: «قَوْمًا» كما قالوا: عَوْض، وجَوْل، ولكنه شذ عن القياس. قال الزجاج: ونصب قوله: ﴿وَبِإِيمَانٍ﴾ محمول على المعنى، لأنه لما قال: «هداني» دل على عرفني ديناً؛ ويجوز أن يكون على البدل من قوله: ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، فالمعنى: هداني صراطاً مستقيماً ديناً قِيَمًا. و«حنيفاً» منصوب على الحال من إبراهيم، والمعنى: هداني ملة إبراهيم في حال حنيفيته.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَئِكَ لُزْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْكَافِرِينَ

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يريد: الصلاة المشروعة. والنسك: جمع نسكة. وفي النسك هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنها الذبائح؛ قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وابن قتبية. والثاني: الدين، قاله الحسن. والثالث: العبادة. قال الزجاج: النسك كل ما تُقَرَّب به إلى الله ﷻ، إلا أن الغالب عليه أمر الذبح. والرابع: أنه الدين، والحج، والذبائح، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ الجمهور على تحريك ياء «محياي»، وتسكين ياء «مماتي». وقرأ نافع: بتسكين ياء «محياي»، ونصب ياء «مماتي»، ثم المفسرين في معناه قولان: أحدهما: أن معناه: لا يملك حياتي ومماتي إلا الله. والثاني: حياتي لله في طاعته، ومماتي لله في رجوعي إلى جزائه. ومقصود الآية أنه أخبرهم أن أفعالي وأحوالي لله وحده، لا لغيره كما تشركون أنتم به.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْكَافِرِينَ﴾ قال الحسن، وقاتدة: أول المسلمين من هذه الأمة.

﴿قُلْ أَغْفِرُ اللَّهُ أَمْرًا رَبِّكَ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِدُ وَازِدَةً وَنَدَّ أَخْرَجْتُ لَكَ رَبِّكَ مَرْجُوكَ بَيِّنَةٌ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْفِرُ اللَّهُ أَمْرًا رَبِّكَ﴾ سبب نزولها أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: ارجع عن هذا الأمر، ونحن لك الكفلاء بما أصابك من تبعة، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ أي: لا يؤخذ سواها بعملها. وقيل: المعنى: إلا عليها عقاب معصيتها، ولها ثواب طاعتها. ﴿وَلَا تَزِدُ وَازِدَةً وَنَدَّ أَخْرَجْتُ﴾ قال الزجاج: لا تؤخذ نفس أئمة بلائم أخري. والمعنى: لا يؤخذ أحد بذنب غيره. قال أبو سليمان: ولما ادّعت كل فرقة من اليهود والنصارى أو المشركين أنهم أولى بالله من

غيرهم، عرفهم أنه الحاكم بينهم بقوله: ﴿يَتَذَكَّرُ لِمَا كُنْتُمْ فِيهِ مَخْلُقُونَ﴾ ونظيره ﴿إِنَّ اللَّهَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الحج: ١٧].

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ رِزْقًا وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَشَدِيدُ الرَّجِيمِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ﴾ قال أبو عبيدة: الخلائف: جمع خليفة. قال الشماخ:

تُصِيبُهُمْ وَتُخْطِئُنِي الْمَنَايَا وَأَخْلَفْتُ فِي رُبُوعٍ عَنْ رُبُوعٍ<sup>(١)</sup>

وللمفسرين فيمن خلفوه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم خلفوا الجن الذين كانوا سكان الأرض؛ قاله ابن عباس. والثاني: أن بعضهم يخلف بعضاً؛ قاله ابن قتية. والثالث: أن أمة محمد خلفت سائر الأمم، ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ أي: في الرزق، والعلم، والشرف، والقوة، وغير ذلك ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: ليختبركم، فيظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه سماه سريعاً، لأنه آتٍ، وكل آتٍ قريب. والثاني: أنه إذا شاء العقوبة، أسرع عقابه.



(١) «ديوانه» ٥٨، و«مجاز القرآن» ٢٠٩/١، و«الطبري» ٢٨٨/١٢، و«القرطبي» ١٥٨/٧، و«اللسان»، و«التاج»: ربع. والربوع: جمع ربع، وهو جماعة الناس الذين ينزلون ربماً يسكنونه، يقول: أبقي في قوم بعد قوم.







قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ أي: العدل. وإنما قال: «موازينه» لأن «من» في معنى جميع، يدل عليه قوله: ﴿فَأُولَئِكَ﴾. وفي معنى «يَقِيلُونَ» قولان: أحدهما: يجحدون. والثاني: يكفرون. قال الفراء: والمراد بموازينه: ووزنه. والعرب تقول: هل لك في درهم بميزان درهمك، ووزن درهمك، ويقولون: داري بميزان دارك، ووزن دارك؛ ويريدون: حذاء دارك. قال الشاعر:

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ لِقَائِكُمْ ذَا مِرْوَةٍ      عِنْدِي لِكُلِّ مُخَاصِمٍ مِيزَانُهُ<sup>(١)</sup>  
يعني: مثل كلامه ولفظه.

### فصل

والقول بالميزان مشهور في الحديث، وظاهر القرآن ينطق به. وأنكرت المعتزلة ذلك، وقالوا: الأعمال أعراض، فكيف توزن؟ فالجواب: أن الوزن يرجع إلى الصحائف، بدليل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَسْتَخْلَصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تَسْمَةٌ وَتُسَمَّيْنَ سِجْلًا، كُلُّ سِجْلٍ مَدَّ الْبَصَرُ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتَنْكَرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمْتُكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟» فيقول: لا يا رب. فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب؛ فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة؛ قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة؛ أخرجه أحمد في «مسنده»، والترمذي<sup>(٢)</sup>. وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الطَّوِيلِ الْأَكُولِ الشَّرِيبِ، فَلَا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»<sup>(٣)</sup>، فعلى هذا يوزن الإنسان. قال ابن عباس: توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان. فأما المؤمن، فيؤتى بعمله في أحسن صورة، فيوضع في كفة الميزان، فتثقل حسناته على سيئاته، وأما الكافر، فيؤتى بعمله في أقبح صورة، فيوضع في كفة الميزان، فيخف وزنه<sup>(٤)</sup>. وقال الحسن: للميزان لسان وكفتان. وجاء في الحديث: أن داود ﷺ سأل ربه أن يريه الميزان، فأراه إياه؛ فقال: يا إلهي، من يقدر أن يملأ كفتي حسنات؟ فقال: يا داود، إني إذا رضيت عن عبدي، ملأتها بتمرة. وقال حذيفة: جبريل صاحب الميزان يوم القيامة، فيقول له ربه: زن بينهم، وزد من بعضهم على بعض؛ فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة. فإن لم تكن له حسنة، أخذ من سيئات المظلوم، فرد على سيئات الظالم، فيرجع وعليه مثل الجبال. فإن قيل: أليس الله يعلم مقادير الأعمال، فما الحكمة في وزنها؟ فالجواب أن فيه خمسة حكم: إحداها: امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا. والثانية: إظهار علامة السعادة والشقاوة في الآخرة. والثالثة: تعريف العباد ما لهم من خير وشر. والرابعة: إقامة الحجة عليهم. والخامسة: الإعلام بأن الله عادل لا يظلم. ونظير هذا أنه أثبت الأعمال في كتاب، واستنسخها من غير جواز النسيان عليه.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ فيه قولان: أحدهما: مكناكم إياها. والثاني: سهّلنا عليكم التصرف فيها. وفي المعاييش قولان: أحدهما: ما تعيشون به من المطاعم والمشارب. والثاني: ما تتوصلون به إلى المعاييش، من زراعة، وعمل، وكسب. وأكثر القراء على ترك الهمز في «معايش» وقد رواها خارجة عن نافع مهموزة. قال

- (١) في «اللسان»: والميزان: المقدار، أشد ثقل: قد كنت.....
- (٢) «المسند» ١٩٧/١١، و«سنن الترمذي» ٣٦٧/٣، وابن ماجه ١٤٣٧/١، والحاكم في «المستدرک» ٥٢٩/١. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وهو كما قال.
- (٣) ذكره ابن كثير في «التفسير» ١٠٧/٣ من طريق ابن أبي حاتم عن أبي هريرة بلفظ: «يؤتى بالرجل الأكول الشراب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها». وروى البخاري ٣٢٤/٨، ومسلم ٢١٤٧/٤ عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» وقال: «الزُّورُ»: ﴿لَا يُؤْمِرُكُمْ بِهِنَّ الْإِنْسَانُ﴾، [الكهف: ١٠٥].
- (٤) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» بأطول مما هنا، ونسبه إلى البيهقي في «شعب الإيمان».

الزجاج: وجميع النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ، لأن الهمز إنما يكون في الياء الزائدة. نحو صحيفة وصحائف؛ فصحيفة من الصحف؛ والياء زائدة. فأما معايش، فمن العيش؛ فالياء أصلية.

قوله تعالى: ﴿فَلَيْلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: شكركم قليل. وقال ابن عباس: يريد أنكم غير شاكرين.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِئَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: ولقد خلقناكم في ظهر آدم، ثم صورناكم في الأرحام، رواه عبد الله بن الحارث عن ابن عباس. والثاني: ولقد خلقناكم في أصلاب الرجال، وصورناكم في أرحام النساء، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والثالث: «ولقد خلقناكم»، يعني آدم، «ثم صورناكم»، يعني ذريته من بعده، رواه العوفي عن ابن عباس. والرابع: «ولقد خلقناكم»، يعني آدم، «ثم صورناكم» في ظهره، قاله مجاهد. والخامس: «خلقناكم» نطفًا في أصلاب الرجال، وترائب النساء، «ثم صورناكم» عند اجتماع النطف في الأرحام، قاله ابن السائب. والسادس: «خلقناكم» في بطون أمهاتكم، «ثم صورناكم» فيما بعد الخلق بشق السمع والبصر، قاله معمر. والسابع: «خلقناكم»، يعني آدم خلقناه من تراب، «ثم صورناكم»، أي: صورناه، قاله الزجاج وابن قتيبة. قال ابن قتيبة: فجعل الخلق لهم إذ كانوا منه؛ فمن قال: عنى بقوله: «خلقناكم» آدم، فمعناه: خلقنا أصلكم؛ ومن قال: صورنا ذريته في ظهره، أراد إخراجهم يوم الميثاق كهشة الذر. والثامن: «ولقد خلقناكم» يعني الأرواح، «ثم صورناكم» يعني الأجساد، حكاه القاضي أبو يعلى في «المعتمد». وفي «ثم» المذكورة مرتين قولان: أحدهما: أنها بمعنى الواو، قاله الأخفش. والثاني: أنها للترتيب، قاله الزجاج.

﴿قَالَ مَا مَنَّكَ آلَا سَجَدَ إِذْ أَمَرْتَهُ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّثْلَهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾

قوله تعالى: ﴿مَا مَنَّكَ آلَا سَجَدَ﴾ «ما» استفهام، ومعناها الإنكار. قال الكسائي: «لا» هاهنا زائدة. والمعنى: ما منعك أن تسجد؟ وقال الزجاج: موضع «ما» رفع. والمعنى: أي شيء منعك من السجود؟ و«لا» زائدة مؤكدة، ومثله: ﴿إِنَّمَا يَمْلِكُ أَمَلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩]. قال ابن قتيبة: وقد تزداد «لا» في الكلام. والمعنى: طرحتها لإبلاء في الكلام، أو جحد، كهذه الآية. وإنما زاد «لا» لأنه لم يسجد. ومثله: ﴿أَنَّهُمَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩] على قراءة من فتح «أنها»، فزاد «لا» لأنهم لم يؤمنوا؛ ومثله: ﴿وَحَرَّزْنَاهُ عَلَى قُرْبَىٰ أَهْلِكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]. وقال الفراء: «لا» هاهنا جحد محض، وليست بزايدة، والمنع راجع إلى تأويل القول، والتأويل: من قال لك: لا تسجد؛ فأحل المنع محل القول، ودخلت بعده «أن» ليدل على تأويل القول الذي لم يتصرح لفظه. وقال ابن جرير: في الكلام محذوف، تقديره: ما منعك من السجود، فأحوجك أن لا تسجد؟ قال الزجاج: وسؤال الله تعالى لإبليس ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ﴾ توبيخ له، ويظهر أنه معاند، ولذلك لم ينب، وأتى بشيء في معنى الجواب، ولفظه غير جواب، لأن قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّثْلَهُ﴾ إنما هو جواب، أيكما خير؟ ولكن المعنى: منعني من السجود فضلي عليه. ومثله قولك للرجل: كيف كنت؟ فيقول: أنا صالح؛ وإنما الجواب: كنت صالحاً، فيجيب بما يحتاج إليه وزيادة. قال العلماء: وقع الخطأ من إبليس حين قاس مع وجود النص، وخفي عليه فضل الطين على النار؛ وفضله من وجوه: أحدها: أن من طبع النار الطيش والالتهاب والعجلة، ومن طبع الطين الهدوء والرزانة. والثاني: أن الطين سبب الإنبات والإيجاد، والنار سبب الإعدام والإهلاك. والثالث: أن الطين سبب جمع الأشياء، والنار سبب تفريقها.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهَا مَكَانٌ يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قَائِلٌ مِّنْهَا﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهم: أنها ترجع إلى السماء، لأنه كان فيها، قاله الحسن. والثاني: إلى الجنة، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿مَكَانٌ يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ إن قيل: فهل لأحد أن يتكبر في غيرها؟ فالجواب: أن المعنى: ما للمتكبر أن يكون فيها، وإنما المتكبر في غيرها. وأما الصاغر، فهو الدليل. والصغار: الذل. قال الزجاج: استكبر إبليس بإبائه السجود، فأعلمه الله أنه صاغر بذلك.

﴿قَالَ أَنْظِرْ لِيَ يَوْمَ يُمْتَرُونَ﴾ ١٤ ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ النَّظِيرِينَ﴾ ١٥

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنْظِرْ﴾ أي أمهلني وأخرني ﴿إِلَى يَوْمِ يُمْتَرُونَ﴾، فأراد أن يعبر قنطرة الموت وسأل الخلود، فلم يجبه إلى ذلك، وأنظره إلى النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم. وقد بين مدة إمهاله في (الحجر) بقوله: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ ١٦ (الحجر: ٢٨). وفي ما سأل الإمهال له قولان: أحدهما: الموت. والثاني: العقوبة. فإن قيل: كيف قيل له: ﴿إِنَّكَ مِنَ النَّظِيرِينَ﴾ وليس أحد أنظر سواه؟ فالجواب: أن الذين تقوم عليهم الساعة منظرون إلى ذلك الوقت بأجالهم، فهو منهم.

﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَتَذَكَّرَ لَمْ يَزِدْكَ مِزَاجًا مِّنَ النَّسِيمِ﴾ ١٧

قوله تعالى: ﴿فِيمَا أُغْوِيَنِي﴾ في معنى هذا الإغواء قولان: أحدهما: أنه بمعنى الإضلال، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنه بمعنى الإهلاك، ومنه قوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مریم: ٥٩]، أي: هلاكاً، ذكره ابن الأنباري. وفي معنى «فيما» قولان: أحدهما: أنها بمعنى القسم، أي: فبإغوائك لي. والثاني: أنها بمعنى الجزاء، أي فبأنك أغويتني، ولأجل أنك أغويتني ﴿لَأَتَذَكَّرَ لَمْ يَزِدْكَ مِزَاجًا مِّنَ النَّسِيمِ﴾. قال الفراء، والزجاج: أي على صراطك. ومثله قولهم: ضُرب زيد الظهر والبطن. وفي المراد بالصراط هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه طريق مكة، قاله ابن مسعود، والحسن، وسعيد بن جبيرة؛ كأن المراد صُدُّهم عن الحج. والثاني: أنه الإسلام، قاله جابر بن عبد الله، وابن الحنفية، ومقاتل. والثالث: أنه الحق، قاله مجاهد.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ ١٨

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: «من بين أيديهم» أشككهم في آخرتهم، «ومن خلفهم» أرغبهم في دنياهم، «وعن أيمنهم» أي: من قبل حسنتاتهم، «وعن شمائلهم» من قبل سيئاتهم، قاله ابن عباس. والثاني: مثله، إلا أنهم جعلوا «من بين أيديهم» الدنيا، «ومن خلفهم» الآخرة، قاله النخعي، والحكم بن عتيبة. والثالث: مثل الثاني، إلا أنهم جعلوا «وعن أيمنهم» من قبل الحق أصْدُهُم عنه، «وعن شمائلهم» من قبل الباطل أرْدُهُم إليه، قاله مجاهد، والسدي. والرابع: «من بين أيديهم» من سبيل الحق، «ومن خلفهم» من سبيل الباطل، «وعن أيمنهم» من قبل آخرتهم، «وعن شمائلهم» من أمر الدنيا، قاله أبو صالح. والخامس: «من بين أيديهم» «وعن أيمنهم» من حيث يبصرون، «ومن خلفهم» «وعن شمائلهم» من حيث لا يبصرون، نقل عن مجاهد أيضاً. والسادس: أن المعنى: لا تنصرفن لهم في الإضلال من جميع جهاتهم، قاله الزجاج، وأبو سليمان الدمشقي. فعلى هذا، يكون ذكر هذه الجهات، للمبالغة في التأكيد. والسابع: «من بين أيديهم» فيما بقي من أعمارهم، فلا يقدمون فيه على طاعة، «ومن خلفهم» فيما مضى من أعمارهم، فلا يمتنعون فيه من معصية، «وعن أيمنهم» من قبل الغنى، فلا يفتقونه في مشكور، «وعن شمائلهم» من قبل الفقر، فلا يمتنعون فيه من محظور، قاله الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ ١٩ فيه قولان: أحدهما: موحدان، قاله ابن عباس. والثاني: شاكرين لنعمتك، قاله مقاتل. فإن قيل: من أين علم إيليس ذلك؟ فقد أسلفنا الجواب عنه في سورة (النساء).

﴿قَالَ أخرجَ مِنَّا مَذْمُومًا مَذْمُورًا لَّمْ يَكَمْ مِثْلَهُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٢٠ وَكَهَادِمُ اسْتَكْبَرَتْ رَزَوَكَ الْجَنَّةُ فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ يَشْتَكَا وَلَا تَرَىٰ خَلْقَ الشَّجَرَةِ فَتَحْكُمُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٢١

قوله تعالى: ﴿قَالَ أخرجَ مِنَّا مَذْمُومًا﴾ وقرأ الأعمش: «مذموماً» بضم الذال من غير همز. قال الفراء: الذَّامُّ: الذَّمُّ؛ يقال: ذأنت الرجل، أذأته ذأماً؛ وذممته، أذمته ذمّاً؛ وذنته، أذيمته ذَيْماً؛ ويقال: رجل مذووم، ومذموم، ومذيم، بمعنى. قال حسان بن ثابت:

وأقاموا حتى أببروا جميعاً  
في مقامٍ وكلُّهم مَذْمُومٌ<sup>(١)</sup>

(١) «سيرة ابن هشام» ١٥٠/٢، وفيها: «حتى أبحوا... وكلهم مذموم» والبيت من قصيدة يذكر فيها عدة أصحاب اللواء يوم أحد.

قال ابن قتية: المذموم: المذموم بأبلغ اللم. والمدحور: المقصى المبعد. وقال الزجاج: معنى المذموم كمنعنى المذموم، والمدحور: المبعد من رحمة الله. واللام من «الأملاء»: لام القسم؛ والكلام بمعنى الشرط والجزاء، كأنه قيل له: من تبعك، أعذبه، فدخلت اللام للمبالغة والتوكيد. فلام «الأملاء» هي لام القسم، ولام «لمن تبعك» توطئة لها. فأما قوله: «منهم» فقال ابن الأنباري: الهاء والميم عائدتان على ولد آدم، لأنه حين قال: «وَلَقَدْ خَلَقْتَكُمْ ثُمَّ مَوَزَّيْنَكُمْ» [الأعراف: ١١] كان مخاطباً لولد آدم، فرجع إليهم، فقال: «لَنْ يَمَكَّ وَتَهُمْ» فجعلهم غائبين، لأن مخاطبهم في ذا الموضوع توقع لبساً؛ والعرب ترجع من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب. ومن قال: «وَلَقَدْ خَلَقْتَكُمْ ثُمَّ مَوَزَّيْنَكُمْ» خطاب لآدم، قال: أعاد الهاء والميم على ولده، لأن ذكره يكفي من ذكرهم؛ والعرب تكتفي بذكر الوالد من ذكر الأولاد إذا انكشف المعنى وزال اللبس. قال الشاعر:

أرى الخَطْفَى بِذِ الْفِرْزْدُقِ شِغْرَهُ

ولكن خيراً من ثَلَسِيبِ مُجَاشِعُ

أراد: أرى ابن الخطفى، فاكفى بالخطفى من ابنه.

قوله تعالى: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ» يعني أولاد آدم المخالفين وقرناءهم من الشياطين.

«فَرَسَوْنَهُمَا لَمَّا أَتَيْنَهُمَا» ما فَرَسَوْنَهُمَا مِنْ سَوَاهِمَهُمَا وَقَالَ مَا تَهَكُّمًا رَيْبًا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنْ

الْمَلَكَيْنِ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: «فَرَسَوْنَهُمَا لَمَّا أَتَيْنَهُمَا» قيل: إن الوسوسة: إخفاء الصوت. قال ابن فارس: الوسواس: صوت الحلي، ومنه وسواس الشيطان. و «لهماء» بمعنى «إليهما»، «يَبْتِئُ لَمَّا» أي: ليظهر لهما «مَا ذُرِيَ عَنْهُمَا» أي: ستر. وقيل: إن لام «ليدي» لام العاقبة؛ وذلك أن عاقبة الوسوسة أدت إلى ظهور عورتهما، ولم تكن الوسوسة لظهورها.

قوله تعالى: «إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ» قال الأخفش، والزجاج: معناه: ما نهاكما إلا كراهة أن تكونوا ملكين. وقال ابن الأنباري: المعنى: إلا أن لا تكونا، فاكفى بـ «أن» من «لا» فأسقطها. فإن قيل: كيف انقاد آدم لإبليس، مستشرفاً إلى أن يكون ملكاً، وقد شاهد الملائكة ساجدة له؟ فنه جوابان: أحدهما: أنه عرف قريهم من الله، واجتماع أكثرهم حول عرشه، فاستشرف لذلك، قاله ابن الأنباري. والثاني: أن المعنى: إلا أن تكونا طويلي العمر مع الملائكة: «أَوْ تَكُونَا مِنَ الْمَلَكَيْنِ» لا تموتان أبداً، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقد روى يعلى بن حكيم عن ابن كثير: «أن تكونا ملكين» بكسر اللام، وهي قراءة الزهري.

«وَكَاَسَهُمَا إِلَى لَعْنَا رَبِّهِمَا» فَذَلَّلَهُمَا يَتَذَرَّبُونَ لَهَا ذَاكَ الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهَا سَورَتُهَا وَمَلَوْنَهَا يَخْشِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَكَادَتْهُمَا رَبُّهُمَا أَوْ آتَاهُمَا عَنْ يَمِينِكُمَا الشَّجَرَةَ وَأَقْبَلَ لَعْنًا إِلَى الشَّيْطَانِ لَكُمَا عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ قَالَا رَبَّنَا عَلَّمَنَا أَنْشَأَنَا وَلَكِنْ لَوْ تَنَفَّرْنَا لَرَوَّحْتَنَا فَتَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿١٨﴾ قَالَ فِيهَا جَنَّاتٌ مِنْ جَنَّتَيْنِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فِيهَا مِنْ ثَمَرَاتِهِمْ وَلَهُمْ فِيهَا مَزِينٌ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: «وَكَاَسَهُمَا» قال الزجاج: حلف لهما، فدلأهما في المعصية بأن غرهما. قال ابن عباس: غرهما باليمين، وكان آدم لا يظن أن أحداً يحلف بالله كاذباً.

قوله تعالى: «فَلَمَّا ذَاكَ الشَّجَرَةَ» أي: فلما ذاقا ثمر الشجرة. قال الزجاج: وهذا يدل على أنها إنما ذاقاها ذواقاً، ولم يبالغا في الأكل. والسواة كناية عن الفرج، لا أصل له في تسميته. ومعنى: «وَمَلَوْنَهَا» أخذها في الفعل؛ والأكثر: طفق يطفق؛ وقد رويت: طفق يطفق، بكسر الفاء، ومعنى: «يَخْشِفَانِ» يجعلان ورقة على ورقة، ومنه قيل للذي يرقع النعل: خصاف. وفي الآية دليل على أن إظهار السواة قبيح من لدن آدم؛ ألا ترى إلى قوله: «يَبْتِئُ لَمَّا مَا ذُرِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاهِمَهُمَا» فإنهما بادرا يستتران لقبح التكشف. وقيل: إنما سميت السواة سواة، لأن كشفها يسوء صاحبها. قال وهب بن منبه: كان لباسهما نوراً على فروجهما، لا يرى أحدهما عورة الآخر؛ فلما أصابا الخطيئة، بدت لهما سوءاتهما. وقرأ الحسن: «سَوَاتُهُمَا» على التوحيد؛ وكذلك قرأ: «يَخْشِفَانِ» بكسر الياء والخاء مع تشديد الصاد. وقرأ الزهري: بضم الياء وفتح الخاء مع تشديد الصاد. وفي الورق قولان: أحدهما: ورق الثين، قاله

ابن عباس. والثاني: ورق الموز، ذكره المفسرون. وما بعد هذا قد سبق تفسيره إلى قوله: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ يعني الأرض. واختلف القراء في تاء «تخرجون»؛ فقرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: بضم التاء وفتح الراء، هاهنا؛ وفي الروم: ﴿وَكَذَلِكَ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ١٩]. وفي الزخرف: ﴿كَذَلِكَ تَخْرُجُونَ﴾ [الزخرف: ١١]. وفي الجاثية: ﴿لَا يُخْرِجُونَ نَبَاتًا﴾ [الجاثية: ٢٥]. وقرأ ابن حمزة، والكسائي: بفتح التاء وضم الراء. وفتح ابن عامر التاء في (الأعراف) فقط. فأما التي في (الروم): ﴿إِذَا أَنتَرَ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]، وفي ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾: ﴿يَوْمَ تَخْرُجُونَ﴾ [المعارج: ٤٣] فمفتوحتان من غير خلاف.

﴿يَبْقَىٰ هَآذِمٌ مِّمَّنْ أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُّرَىٰ سَوَآءُكُمْ وَرِثًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَبْقَىٰ هَآذِمٌ مِّمَّنْ أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا﴾ سبب نزولها: أن ناساً من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة، فنزلت هذه الآية، قاله مناجد. وقيل: إنه لما ذكر عري آدم، من علينا باللباس. وفي معنى ﴿أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: خلقناكم. والثاني: ألهمناكم كيفية صنعه. والثالث: أنزلنا المطر الذي هو سبب نبات ما يتخذ لباساً. وأكثر القراء قروا: وريشاً. وقرأ ابن عباس، والحسن، وزر بن حبيش، وقتادة، والمفضل، وأبان عن عاصم: «وريشاً» بألف. قال الفراء: يجوز أن تكون الرياش جمع الريش. ويجوز أن تكون بمعنى الريش كما قالوا: لبس، ولباس. قال الشاعر:

فَلَمَّا كَشَفْنَ اللَّبْسَ عَنْهُ مَسَحْنَهُ

بِأَطْرَافِ طِفْلِ زَانَ غَيِّلاً مُؤَثِّمًا<sup>(١)</sup>

قال ابن عباس، ومجاهد: «الرياش»: المال؛ وقال عطاء: المال والنعم. وقال ابن زيد: الريش: الجمال؛ وقال معبد الجهني: الريش: الرزق؛ وقال ابن قتيبة: الريش والرياش: ما ظهر من اللباس. وقال الزجاج: الريش: اللباس وكل ما ستر الإنسان في جسمه ومعيشته. يقال: تريش فلان، أي: صار له ما يعيش به. أنشد سيويه:

رِيَاشِي مِنْكُمْ وَهَوَايَ مِنْكُمْ

وَإِنْ كَانَتْ زِيَارَتُكُمْ لِمَا<sup>(٢)</sup>

وعلى قول الأكثرين: الريش والرياش بمعنى. قال قطرب: الريش والرياش واحد. وقال سفيان الثوري: الريش: المال، والرياش: الثياب.

قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة: «ولباسُ التقوى» بالرفع. وقرأ ابن عامر، ونافع، والكسائي: بنصب اللباس. قال الزجاج: من نصب اللباس، عطف به على الريش؛ ومن رفعه، فيجوز أن يكون مبتدأ، ويجوز أن يكون مرفوعاً بإضمار: هو؛ المعنى: وهو لباس التقوى، أي: وستر العورة لباس المتقين. وللمفسرين في لباس التقوى عشرة أقوال: أحدها: أنه السمات الحسن، قاله عثمان بن عفان؛ ورواه الزبائل بن عمرو عن ابن عباس. والثاني: العمل الصالح، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: الإيمان، قاله قتادة، وابن جريج، والسدي؛ فعلى هذا، سمي لباس التقوى، لأنه يقي العذاب. والرابع: خشية الله تعالى، قاله عروة بن الزبير. والخامس: الحياء، قاله معبد الجهني، وابن الأنباري. والسادس: ستر العورة للصلاة، قاله ابن زيد. والسابع: أنه الدرع، ومائر آلات الحرب، قاله زيد بن علي. والثامن: العفاف، قاله ابن السائب. والتاسع: أنه ما يتقى به الحر والبرد، قاله ابن بحر. والعاشر: أن المعنى: ما يلبسه المتقون في الآخرة، خير مما يلبسه أهل الدنيا، رواه عثمان بن عطاء عن أبيه.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ قال ابن قتيبة: المعنى: ولباس التقوى خير من الثياب، لأن الفاجر، وإن كان حسن الثوب، فهو بادي العورة: و «ذلك» زائدة. قال الشاعر في هذا المعنى:

(١) البيت لمحمد بن ثور الهلالي، «ديوانه» ١٤، و«معاني القرآن» للفراء: ١/ ٣٧٥، و«الطبري» ١٢/ ٣٦٤، و«المخصص» ٤/ ٣٥، و«اللمعان»: «ليس» و«طفل». الطفل: البتان الناعم، أراد: مسحه بأطراف ينان طفل. والفيل: الساعد الريان الممتلئ. والموشم: عليه الوشم. والوشم: زينة الجاهلية، وقد أبطلها الإسلام، ولعن فاعلها.

(٢) البيت لجريج، «ديوانه» ٥٠٦، يمدح هشام بن عبد الملك، وأنشد سيويه ٢/ ٤٥ ونسبه للراعي. والمام: الشيء اليسير، وهو أيضاً: الزيادة في النظم، وأصله من ألم بالمتزل؛ إذا نزل به ثم رحل.

إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ وَسَطَ الْقَوْمِ عُربَانَا

قال ابن الأنباري: ويقال: لباس التقوى، هو اللباس الأول، وإنما أعاده لما أخبر عنه بأنه خير من التعري، إذ كانوا يتعبدون في الجاهلية بالتعري في الطواف.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ مَّآثِرِ اللَّهِ﴾ قال مقاتل: يعني: الثياب والمال من آيات الله وصنعه، لكي يذكروا، فيعتبروا في صنعه.

﴿يَبْقَىٰ آدَمُ لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبْنَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَهُمَا إِنَّمَا بَرَكْتُ لَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ آوِيَةً لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَبْقَىٰ آدَمُ لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ﴾ قال المفسرون: هذا الخطاب للذين كانوا يطوفون عراة؛ والمعنى: لا يخذعكم ولا يضلّكم بغروره، فيزين لكم كشف عورتكم، كما أخرج أبيكم من الجنة بغروره. وأضيف الإخراج ونزع اللباس إليه، لأنه السبب. وفي «لباسهما» أربعة أقوال: أحدها: أنه النور، رواه أبو صالح عن ابن عباس؛ وقد ذكرناه عن ابن منبه. والثاني: أنه كان كالظفر؛ فلما أكلا، لم يبق عليهما منه إلا الظفر، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وابن زيد. والثالث: أنه التقوى، قاله مجاهد. والرابع: أنه كان من ثياب الجنة، ذكره القاضي أبو يعلى.

قوله تعالى: ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَهُمَا﴾ أي: ليري كل واحد منهما سواة صاحبه. ﴿إِنَّمَا بَرَكْتُ لَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ قال مجاهد: قبيله: الجن والشياطين. قال ابن عباس: جعلهم الله يجرّون من بني آدم مجرى الدم، وصدور بني آدم مساكن لهم، فهم يرون بني آدم، وبني آدم لا يرونهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ آوِيَةً لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال الزجاج: سلطناهم عليهم، يزدون في غيهم. وقال أبو سليمان: جعلناهم موالين لهم.

﴿وَإِذَا قَالُوا فَجِئْنَا قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهِمُ آيَاتِنَا وَاللَّهُ أَشَدُّ حَقًّا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَالُوا فَجِئْنَا﴾ فيمن عني بهذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة. والفاحشة: كشف العورة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وزيد بن أسلم، والسدي. والثاني: أنهم الذين جعلوا السائبة والوصيلة والحام وتلك الفاحشة، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم المشركون؛ والفاحشة: الشرك، قاله الحسن، وعطاء. قال الزجاج: فأعلمهم عز وجل أنه لا يأمر بالفحشاء، لأن حكمته تدل على أنه لا يفعل إلا المستحسن. والقسط: العدل. والعدل: ما استقر في النفوس أنه مستقيم لا ينكره معيّر، فكيف يأمر بالفحشاء، وهي ما عظم فيحها؟

﴿قُلْ أَمرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد، فصلّوا فيه، ولا يقول أحدكم: أصلي في مسجد، قاله ابن عباس، والضحاك، واختاره ابن قتية. والثاني: توجّهوا حيث كنتم في الصلاة إلى الكعبة، قاله مجاهد، والسدي، وابن زيد. والثالث: اجعلوا سجودكم خالصاً لله تعالى دون غيره، قاله الربيع بن أنس. والرابع: اقصّدوا المسجد في وقت كل صلاة، أمراً بالجماعة لها، ذكره الماوردي. وفي قوله: ﴿وَادْعُوهُ﴾ قولان: أحدهما: أنه العبادة. والثاني: الدعاء. وفي قوله: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ قولان: أحدهما: مُفَرِّدين له العبادة. والثاني: موحّدين غير مشركين. وفي قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: كما بدأكم سعداء وأشقياء، كذلك تبعثون، روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والقرظي، والسدي، ومقاتل، والفراء. والثاني: كما خلّقتكم بقدرته، كذلك يعيدكم، روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وابن زيد، والزجاج، وقال: هذا الكلام متصل بقوله: ﴿فِيهَا نَحْيُونَ فِيهَا تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥]. والثالث: كما بدأكم لا تملكون شيئاً، كذلك تعودون، ذكره الماوردي.



﴿فَرِيقًا هَذًا وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ يُحِبُّونَ أَنَّهُمْ مُتَّخَذُونَ

قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَذًا﴾ قال الفراء: نصب الفريق بـ «تعودون». وقال ابن الأنباري: نصب «فريقاً» و «فريقاً» على الحال من الضمير الذي في «تعودون»، يريد: تعودون كما ابتدأ خلقكم مختلفين، بعضهم سعداء، وبعضكم أشقياء.

قوله تعالى: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ أي: بالكلمة القديمة، والإرادة السابقة.

﴿يَنبَغِي مَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَنبَغِي مَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ سبب نزولها: أن ناساً من الأعراب كانوا يطوفون بالبيت عراءً، الرجال بالنهار، والنساء بالليل، وكانت المرأة تعلق على فرجها سيوراً، وتقول:

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَأَ مِنْهُ فَلَا أَجْلُ

فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup> قاله ابن عباس. وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: كانوا إذا حجوا، فأفاضوا من منى، لا يصلح لأحد منهم في دينه الذي اشتروا أن يطوف في ثوبيه، فيلقيهما حتى يقضي طوافه، فنزلت هذه الآية. وقال الزهري: كانت العرب تطوف بالبيت عراءً، إلا الحمس، قريش وأحلافها، فمن جاء من غيرهم، وضع ثيابه وطاف في ثوبي أحمس، فإن لم يجد من يُعيره من الحمس، ألقى ثيابه وطاف عرياناً، فإن طاف في ثياب نفسه، جعلها حراماً عليه إذا قضى الطواف، فلذلك جاءت هذه الآية. وفي هذه الزينة قولان: أحدهما: أنها الثياب. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ورد في ستر العورة في الطواف، قاله ابن عباس، والحسن في جماعة. والثاني: أنه ورد في ستر العورة في الصلاة، قاله مجاهد، والزجاج. والثالث: أنه ورد في التزين بأجمل الثياب في الجمع والأعياد، ذكره الماوردي. والثاني: أن المراد بالزينة: المشط، قاله أبو رزين.

قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ قال ابن السائب: كان أهل الجاهلية لا يأكلون في أيام حَجِّهم دَسَماً، ولا ينالون من الطعام إلا قوتاً، تعظيماً لحجهم، فنزل قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾. وفي قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ أربعة أقوال: أحدها: لا تسرفوا بتحريم ما أحل لكم، قاله ابن عباس. والثاني: لا تأكلوا حراماً، فذلك الإسراف، قاله ابن زيد. والثالث: لا تشركوا، فمعنى الإسراف هاهنا: الإشراك، قاله مقاتل. والرابع: لا تأكلوا من الحلال فوق الحاجة، قاله الزجاج. ونُقِلَ أن الرشيد كان له طبيب نصراني جاذق، فقال لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، فقال علي: قد جمع الله تعالى الطب في نصف آية من كتابنا. قال: ما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾. قال النصراني: ولا يؤثر عن نبيكم شيء من الطب، فقال: قد جمع رسولنا علم الطب في ألفاظ يسيرة. قال: وما هي؟ قال: «المعدة بيت الداء، والحمية رأس الداء، وعودوا كل بدن ما اعتاده»<sup>(٢)</sup>. فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً. قال المصنف: هكذا نقلت هذه الحكاية، إلا أن هذا الحديث المذكور فيها عن النبي ﷺ لا يثبت. وقد جاءت عنه في الطب أحاديث قد ذكرتها في كتاب «لقط المَنَافِعِ فِي الطَّبِّ».

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ تَفْصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن المشركين عَيَّرُوا المسلمين، إذ

(١) مسلم في «صحيحه» ٢٢٢٠/٤ من طريق غندر عن شعبة، و«الطبري» ٣٩٠/١٢. ورواه الحاكم في «المستدرک» ٣١٩/٢ - ٣٢٠ من طريق أبي داود الطيالسي عن شعبة، ولكن قال: نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾. ثم قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) ذكره الحافظ السخاوي في «المفاد الحسن» وقال: لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ، بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب، أو غيره. نعم عند ابن أبي الدنيا في «الصمت» من جهة وهب بن منبه قال: أجمعت الأطباء على أن رأس الطب الحمية، وأجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت. وللخلال من حديث عائشة: «الأزم دواء، والمعدة داء، وعودوا بدنأ ما اعتاده». وأورد الغزالي في «الإحياء» من المرفوع: «البطنة أصل الداء، والحمية أصل للدواء، وعودوا كل بدن بما اعتاده». وقال مخرجه: «لم أجد له أصلاً».

لبسوا الثياب في الطواف، وأكلوا الطيبات، فنزلت، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم كانوا يُحرمون أشياء أحلها الله، من الزروع وغيرها، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: نزلت في طوافهم بالبيت عراً، قاله طاووس، وعطاء. وفي زينة الله قولان: أحدهما: أنها ستر العورة؛ فالمعنى: من حرم أن تلبسوا في طوافكم ما يستركم؟ والثاني: أنها زينة اللباس. وفي الطيبات قولان: أحدهما: أنها الحلال. والثاني: المستلذ. ثم في ما عني بها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها البحائر، والسرائب، والوصائل، والحوامي التي حرّموها، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: أنه السُّنَنُ، والألبان، واللحم، وكانوا حرّموه في الإحرام، قاله ابن زيد. والثالث: الحرث، والأنعام، والألبان، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ لِلَّهِ مَلَكٌ فِي السَّمَوَاتِ وَالتُّرُكُوتِ﴾ قال ابن الأنباري: «خالصة» نصب على الحال من لام مضمرة، تقديرها: هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة، وهي لهم في الآخرة خالصة، فحذفت اللام لوضوح معناها، كما تحذف العرب أشياء لا يُلِيس سقوطها. قال الشاعر:

تَقُولُ ابْنَتِي لَمَّا رَأَتْني شَاحِباً  
كَأَنَّكَ يَخْمِنُكَ الطَّعَامُ طَبِيبُ  
تَسْتَأْجِ أَحَدَاتٍ تَخْرُجْنَ إِخْوَتِي  
فَشَيْبَنَ رَأْسِي، وَالْحُطُوبُ تُشِينُ

أراد: فقلت لها: الذي أكسبني ما ترين، تتابع أحداث، فحذف لانكشاف المعنى. قال المفسرون: إن المشركين شاركوا المؤمنين في الطيبات، فأكلوا ولبسوا ونكحوا، ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للمؤمنين، وليس للمشركين فيها شيء. وقيل: خالصة لهم من ضرر أو إثم. وقرأ نافع: «خالصة» بالرفع. قال الزجاج: ورفعهما على أنه خبر بعد خبر، كما تقول: زيد عاقل لبيب: والمعنى: قل هي ثابتة للذين آمنوا في الدنيا، خالصة يوم القيامة. قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْأَيَّاتِ﴾ أي: هكذا نبينها.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ قرأ حمزة: ﴿رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ بإسكان الياء. ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أن المراد بها الزنا، ما ظهر منه: علانيته، وما بطن: سره، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير. والثاني: أن ما ظهر: نكاح الأمهات، وما بطن: الزنا، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال علي بن الحسين. والثالث: أن ما ظهر: نكاح الأبناء نساء الآباء، والجمع بين الأختين، وأن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها، وما بطن: الزنا، روي عن ابن عباس أيضاً. والرابع: أن ما ظهر: الزنا، وما بطن: العزل، قاله شريح. والخامس: أن ما ظهر: طواف الجاهلية عراً، وما بطن: الزنا، قاله مجاهد. والسادس: أنه عام في جميع المعاصي. ثم في «ما ظهر منها وما بطن» قولان: أحدهما: أن الظاهر: الغلانية، والباطن: السر، قاله أبو سليمان الدمشقي. والثاني: أن ما ظهر: أفعال الجوارح، والباطن: اعتقاد القلوب، قاله الماوردي. وفي الإثم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذنب الذي لا يوجب الحد، قاله ابن عباس، والضحاك، والفراء. والثاني: المعاصي كلها، قاله مجاهد. والثالث: أنه الخمر، قاله الحسن، وعطاء. قال ابن الأنباري: أنشدنا رجل في مجلس ثعلب بحضرته، وزعم أن أبا حنيفة أنشده:

نَشْرَبُ الْإِثْمَ بِالصُّوَاعِ جَهَاراً  
وَنَرَى الْمُشْكَ بَيْنَنَا مُسْتَقَاراً<sup>(١)</sup>

فقال أبو العباس: لا أعرفه، ولا أعرف الإثم: الخمر، في كلام العرب. وأنشدنا رجل آخر:

نَشْرَبُ الْإِثْمَ حَتَّى نَسْلُ عَقْلِي  
كَذَاكَ الْإِثْمُ تَذْهَبُ بِالْعُقُولِ

قال أبو بكر: وما هذا البيت معروفاً أيضاً في شعر من يحتج بشعره، وما رأيت أحداً من أصحاب الغريب أدخل

(١) البيت غير منسوب في «اللسان»: أنم، و«التاج»: منك. والمثك: «الأرج».

الإثم في أسماء الخمر، ولا سمّتها العرب بذلك في جاهلية ولا إسلام. فإن قيل: إن الخمر تدخل تحت الإثم، فصواب، لا لأنه اسم لها. فإن قيل: كيف فصل الإثم عن الفواحش، وفي كل الفواحش إثم؟ فالجواب: أن كل فاحشة إثم، وليس كل إثم فاحشة، فكان الإثم كل فعل مذموم؛ والفاحشة: العظيمة. فاما البغي، فقال الفراء: هو الاستطالة على الناس.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَشْرَبُوا﴾ قال الزجاج: موضع «أن» نصب؛ فالمعنى: حرّم الفواحش، وحرّم الشرك. والسلطان: الحجة.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ عام في تحريم القول في الدين من غير يقين.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْبِلُونَ﴾ (٣٤)

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ سبب نزولها: أنهم سألوا النبي ﷺ العذاب، فأنزلت، قاله مقاتل. وفي الأجل قولان: أحدهما: أنه أجل العذاب. والثاني: أجل الحياة. قال الزجاج: الأجل: الوقت المؤقت. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً﴾ المعنى: ولا أقل من ساعة. وإنما ذكر الساعة، لأنها أقل أسماء الأوقات.

﴿يَتَّبِعُ مَا مَدَّ إِنَّا يَأْتِيَنَّكَ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُضُّونَ عَلَيْكَ بِأَيِّ فَنِي آتَيْنِي وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْكَ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣٥) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٦) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَتْلَوْنَ نَجْمَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ فَهُمْ إِنَّمَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ رُسُلُنَا فَيَقُولُ لَهُمْ قَالُوا أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا هَلُولَا عَلْنَا وَنَحْنُ عَلَ أَنْفُسِهِمْ أَنْتُمْ كَاوُوا كَذِبُونَ (٣٧)

قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُ مَا مَدَّ إِنَّا يَأْتِيَنَّكَ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ قال الزجاج: أضمر: «فأطيعوهم». وقد سبق معنى «إما» في سورة [البقرة: ٢٣٨]؛ والباقي ظاهر إلى قوله: ﴿يَتْلَوْنَ نَجْمَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ ففي معناه سبعة أقوال: أحدها: ما قُدر لهم من خير وشر، رواه مجاهد عن ابن عباس. والثاني: نصيبهم من الأعمال، فيجزون عليها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: ما كُتب عليهم من الضلالة والهدى، قاله الحسن. وقال مجاهد، وابن جبير: من السعادة والشقاوة. والرابع: ما كُتب لهم من الأرزاق والأعمار والأعمال، قاله الربيع، والقرطبي، وابن زيد. والخامس: ما كُتب لهم من العذاب، قاله عكرمة، وأبو صالح، والسدي. والسادس: ما أخبر الله تعالى في الكتب كلها: أنه من افترى على الله كذباً، أسود وجهه، قاله مقاتل. والسابع: ما أخبر في الكتاب من جزائهم، نحو قوله: ﴿فَأَنذَرْتُكَ نَارًا تَلْقَى﴾ (٣٧) [الليل: ١٤]، قاله الزجاج. فإذا في الكتاب خمسة أقوال: أحدها: أنه اللوح المحفوظ. والثاني: كُتب الله كلها. والثالث: القرآن. والرابع: كتاب أعمالهم. والخامس: القضاء.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ أحدها: أنهم أعوان ملك الموت، قاله النخعي. والثاني: ملك الموت وحده، قاله مقاتل. والثالث: ملائكة العذاب يوم القيامة. وفي قوله: «يتوَفَّوْنَهُمْ» ثلاثة أقوال: أحدها: يتوَفَّوْنَهُم بالموت، قاله الأكثرون. والثاني: يتوَفَّوْنَهُم بالحشر إلى النار يوم القيامة، قاله الحسن. والثالث: يتوَفَّوْنَهُم عذاباً، كما تقول: قُلت فلاناً بالعذاب، وإن لم يمت، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِن مَّا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ أي: تعبدون «مِنْ دُونِ اللَّهِ»، وهذا سؤال تبكييت وتقريع. قال مقاتل: المعنى: فليمنعوكم من النار. قال الزجاج: ومعنى «هَلُولَا عَلْنَا» بطلوا وذهبوا، فيعتفون عند موتهم أنهم كانوا كافرين. وقال غيره: ذلك الاعتراف يكون يوم القيامة.

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أَسْمَدَ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْيَمِينِ وَالْأَيْمَنِ فِي الْآثَارِ كُلًّا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَمَنَتْ أَهْبَابُهَا فَهُمْ إِذَا أَدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُنَبِّئُكُمْ لِأُولَئِكَمْ هُنَا حُلُقَاءٌ أَصْلَحُوا فَفَاجَأَهُمْ عَذَابًا يَضَعُفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٨)

قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا﴾ إن الله تعالى يقول لهم ذلك بواسطة الملائكة، لأن الله تعالى لا يكلم الكفار يوم القيامة. قال ابن قتيبة: و«في» بمعنى: «مع». وفي قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ قولان: أحدهما: مضت إلى العذاب. والثاني: مضت في الزمان، يعني كفار الأمم الماضية.

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَمَنَتْ لِحَبَابِهَا﴾ وهذه أخوة الدين والملة، لا أخوة النسب. قال ابن عباس: يلعنون من كان قبلهم. قال مقاتل: كلما دخل أهل ملة، لنوا أهل ملتهم، فيلعن اليهود اليهود، والنصارى النصارى، والمشركون المشركين، والأتباع القادة، ويقولون: أنتم القيموننا هذا الملقى حين أطعناكم. وقال الزجاج: إنما تلعنوا، لأن بعضهم ضل باتباع بعض.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا دَارَكُوا﴾ قال ابن قتيبة: أي: تداركوا، فادغمت التاء في الدال، وأدخلت الألف ليسلم السكون لما بعدها، يريد: تابعوا فيها واجتمعوا.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَخْرِجْنَهُنَّ لِأَدْلُهُنَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: آخر أمة لأول أمة، قاله ابن عباس. والثاني: آخر أهل الزمان لأولهم الذين شرعوا له ذلك الدين، قاله السدي. والثالث: آخرهم دخولا إلى النار، وهم الأتباع، لأولهم دخولا. وهم القادة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ ضَلُّوا﴾ قال ابن عباس: شرعوا لنا أن نتخذ من دونك إلهاً.

قوله تعالى: ﴿فَنَاقِهِمْ عَذَابًا صِغَاقًا﴾ قال الزجاج: أي: عذاباً مضاعفاً.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لِكُلِّ صِغَفٌ﴾ أي: عذاب مضاعف ولكن لا تعلمون. قرأ أبو بكر، والمفضل عن عاصم: «يعلمون»، بالياء. قال الزجاج: والمعنى: لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر. وقرأ الباقون: «تعلمون» بالتاء، وفيها وجهان ذكرهما الزجاج: أحدهما: لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكل فريق من العذاب. والثاني: لا تعلمون يا أهل الدنيا مقدار ذلك. وقيل: إنما طلب الأتباع مضاعفة عذاب القادة، ليكون أحد العذابين على الكفر، والثاني على إغرائهم به، فأجيبوا ﴿لِكُلِّ صِغَفٌ﴾ أي: كما كان للقادة ذلك، فلكم عذاب بالكفر، وعذاب بالاتباع. قوله: ﴿فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: في الكفر، نحن وأنتم فيه سواء، قاله ابن عباس. والثاني: في تخفيف العذاب، قاله مجاهد.

﴿وَقَاتِلْ أَوْلَاهُمَ لِلْخِزْيَةِ مَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَنُؤْثِرُوا عَلَىَّ الْغَدَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ قال مقاتل: من الشرك والتكذيب.

﴿إِنَّ الْآيَةَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَتَّبِعْ لَهُمْ آيَةُ رَبِّكَ وَلَا يَكُونُ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُكْفِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْآيَةَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: بحجبنا وأعلامنا التي تدل على توحيد الله ونبوة الأنبياء، وتكبروا عن الإيمان بها ﴿لَا تَتَّبِعْ لَهُمْ آيَةُ رَبِّكَ﴾. قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر: «تُفْتَحُ»؛ بالتاء، وشددوا التاء الثانية. وقرأ أبو عمرو: «لَا تُفْتَحُ» بالتاء خفيفة، ساكنة الفاء. وقرأ حمزة، والكسائي: «لَا يُفْتَحُ» بالياء مضمومة خفيفة. وقرأ اليزيدي عن اختياره: «لَا تَفْتَحُ» بياء مفتوحة ﴿آيَةُ رَبِّكَ﴾ بنصب الباء، فكانه أشار إلى أفعالهم. وقرأ الحسن: بياء مفتوحة، مع نصب الأبواب، كأنه يشير إلى الله ﷻ. وفي معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء، رواه الضحاك عن ابن عباس، وهو قول أبي موسى الأشعري، والسدي في آخرين، والأحاديث تشهد به<sup>(١)</sup>. والثاني: لا تفتح لأعمالهم، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم، رواه عطاء عن ابن عباس. والرابع: لا تفتح لأرواحهم ولا لأعمالهم، قاله ابن جريج، ومقاتل. وفي السماء قولان: أحدهما: أنها السماء المعروفة، وهو المشهور. والثاني: أن المعنى: لا تفتح لهم أبواب الجنة ولا يدخلونها، لأن الجنة في السماء، ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ الجمل: هو الحيوان المعروف. فإن قال قائل: كيف خص الجمل من دون سائر الدواب، وفيها ما هو أعظم منه؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن ضرب المثل بالجمل يحصل المقصود؛

(١) انظر مستد أحمد ٢٨٧/٤، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦، وتفسير الطبري ٤٢٤/١٢، وابن كثير ٢/٢١٣.

والمقصود أنهم لا يدخلون الجنة، كما لا يدخل الجمل في ثقب الإبرة، ولو ذكر أكبر منه أو أصغر منه، جاز، والناس يقولون: فلان لا يساوي درهماً، وهذا لا يبغي عنك شيئاً، وإن كنا نجد أقل من الدرهم والقتيل. والثاني: أن الجمل أكبر شأنًا عند العرب من سائر الدواب، فإنهم يقدمونه في القوة على غيره، لأنه يوقر بحمله فينهض به دون غيره من الدواب، ولهذا عجبهم من خلق الإبل، فقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الناس: ١٧]، فآثر الله ذكره على غيره لهذا المعنى. ذكر الجوابين ابن الأنباري. قال: وقد روى شهر بن حوشب عن ابن عباس أنه قرأ: «حتى يلج الجملُ» بضم الجيم وتشديد الميم، وقال: هو القَلْسُ<sup>(١)</sup> الغليظ. قال المصنف: وهي قراءة أبي رزين، ومجاهد، وابن محيصن، وأبي مجلز، وابن يعمر، وأبان عن عاصم. قال: وروى مجاهد عن ابن عباس: «حتى يلج الجملُ» بضم الجيم وفتح الميم وتخفيفها. قلت: وهي قراءة قتادة، وقد رويت عن سعيد بن جبير، وأنه قرأ: «حتى يلج الجملُ» بضم الجيم وتسكين الميم. قلت: وهي قراءة عكرمة. قال ابن الأنباري: فالجمل يحتمل أمرين: يجوز أن يكون بمعنى الجمل، ويجوز أن يكون بمعنى جملة من الجمال، قيل في جمعها: جملٌ، كما يقال: حُجرة، وحَجَر، وظلمة، وظَلَم. وكذلك من قرأ: «الجملُ» يسوغ له أن يقول: الجملُ، بمعنى الجمل، وأن يقول: الجمل، جمع جملة، مثل بُسرة، وبُسُر. وأصحاب هذه القراءات يقولون: الحبل والحبال، أشبه بالإبرة والخيوط من الجمال. وروى عطاء بن يسار عن ابن عباس أنه قرأ: «الجملُ» بضم الجيم والميم، وبالتخفيف، وهي قراءة الضحاك، والجحدري. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء: «الجملُ» بفتح الجيم، ويسكون الميم خفيفة.

قوله تعالى: ﴿فِي سَرِّ لَيْلِيَّاتٍ﴾ السم في اللغة: الثقب. وفيها ثلاث لغات: فتح السين، وبها قرأ الأكثرون، وضمها، وبه قرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وقتادة، وابن محيصن، وطلحة بن مصرف، وكسرها، وبه قرأ أبو عمران الجوني، وأبو نهيك، والأصمعي عن نافع. قال ابن القاسم: والخياط: المخيط، بمنزلة اللحاف والملحف، والقرام والمقرم. وقد قرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وأبو مجلز: «في سم المخيط». وقال الزجاج: الخياط: الإبرة، وسمها: ثقبها. والمعنى: أنهم لا يدخلون الجنة أبداً. قال ابن قتيبة: هذا كما يقال: لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب، ويبيض القار.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْجَنَّةِينَ﴾ أي: مثل ذلك نجزي الكافرين أنهم لا يدخلون الجنة.

﴿لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَكَلِمَاتُ الْفَالِاحَةِ لَا تَكَلِّفُ قَسًا إِلَّا وَسْمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ المهاد: الفراش. وفي المراد بالغواشي ثلاثة أقوال: أحدها: اللحف، قاله ابن عباس، والقرظي، وابن زيد. والثاني: ما يشاهم من فوقهم من الدخان، قاله عكرمة. والثالث: غاشية فوق غاشية من النار، قاله الزجاج. قال ابن عباس: والظالمون هاهنا: الكافرون.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ فَخَيَّمْنَاهُمْ سُرُورًا وَنَقَلْنَاهُمْ مِّنَ الْغَمِّ إِلَى السَّعَادَةِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ فيمن عني بهذه الآية أربعة أقوال: أحدها: أهل بدر. روى الحسن عن علي عليه السلام أنه قال: فينا والله أهل بدر نزلت: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾. وروى عمرو بن الشريد عن علي أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا، وعثمان، وطلحة، والزبير، من الذين قال الله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾. والثاني: أنهم أهل الأحقاد من أهل الجاهلية حين أسلموا. روى كثير النواء عن أبي جعفر قال: نزلت هذه الآية في علي، وأبي بكر، وعمر. قلت لأبي جعفر: فأي غل هو؟ قال: غل الجاهلية، كان بين بني هاشم وبني تيم وبني عدي في الجاهلية شيء، فلما أسلم هؤلاء، تحابوا، فأخذت أبا بكر الخاصرة، فجعل علي يسجن يده ويكمد بها خاصرة

(١) القلس، بفتح القاف ويسكون اللام: حبل غليظ من حبال السفن.

أبي بكر، فنزلت هذه الآية. والثالث: أنهم عشرة من الصحابة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الله بن مسعود، قاله أبو صالح. والرابع: أنها في صفة أهل الجنة إذا دخلوها. روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «يُخْلَصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيَجْبِسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا هَلَبُوا وَثَقُوا، أَذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ». فوالذي نفسي بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا<sup>(١)</sup>. وقال ابن عباس: أول ما يدخل أهل الجنة الجنة، تعرض لهم عيان، فيشربون من إحدى العينين، فيذهب الله ما في قلوبهم من غلٍّ وغيره مما كان في الدنيا، ثم يدخلون إلى العين الأخرى، فيغتسلون منها، فتشرق ألوانهم، وتصفو وجوههم، وتجري عليهم نضرة النعيم. فاما النزح، فهو قلع الشيء من مكانه. والغل: الحقد الكامن في الصدر. وقال ابن قتيبة: الغل: الحسد والعداوة.

قوله تعالى: ﴿لَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَرَادُوا أَن يَدْخُلُوا﴾ قال الزجاج: معناه: هذان لما صيرنا إلى هذا. قال ابن عباس: يعنون ما وصلوا إليه من رضوان الله وكرامته. وروى عاصم بن ضمرة عن علي كرم الله وجهه قال: تستقبلهم الولدان كأنهم لؤلؤ منثور، فيطوفون بهم كطافتهم بالحميم جاء من الغيبة، ويبشرونهم بما أعد الله لهم، ويذهبون إلى أزواجهم فيبشرونهم، فيستخفون الفرح، فيقمن على أسكنة الباب، فيقلن: أنت رأيته، أنت رأيته؟ قال: فيجيء إلى منزله فينظر في أساسه، فإذا صخر من لؤلؤ، ثم يرفع بصره، فلو أن الله ذلله لذهب بصره، ثم ينظر أسفل من ذلك، فإذا هو بالشجر الموضونة، والفرش المرفوعة، والزرايب المبوثة، فعند ذلك قالوا: ﴿لَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَرَادُوا أَن يَدْخُلُوا﴾ فأنه قد أتى الله كلهم قرأ «وما كنا» بإثبات الواو، غير ابن عامر، فإنه قرأ «ما كنا لنهتدي» بغير واو، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام. قال أبو علي: وجه الاستغناء عن الواو، أن القصة ملتبسة بما قبلها، فأغنى التباسها به عن حرف العطف، ومثله ﴿رَأَيْبَهُمْ كَلْبَهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢].

قوله تعالى: ﴿لَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَرَادُوا أَن يَدْخُلُوا﴾ هذا قول أهل الجنة حين رأوا ما وعدتهم الرسل عياناً. ﴿وَوَدُّوا أَنْ يَلَكُمُ كَلْبَةٌ﴾ قال الزجاج: إنما قال «تلكم» لأنهم وعدوا بها في الدنيا، فكانه قيل لهم: هذه تلكم التي وعدتم بها. وجائز أن يكون هذا قيل لهم حين عاينوها قبل دخولهم إليها. قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر «أورثتموها» غير مدغمة. وقرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي «أورثتموها» مدغمة، وكذلك قرؤوا في [الزخرف: ٧٢]. قال أبو علي: من ترك الإدغام، فلتباين مخرج الحرفين، ومن أدغم، فلأن التاء والتاء مهموستان متقاربتان. وفي معنى «أورثتموها» أربعة أقوال: أحدها: ما روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار، فاما الكافر فإنه يرث المؤمن منزله من النار، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة»<sup>(٢)</sup>، فذلك قوله: ﴿أورثتموها﴾ بكاء كثير تميلون. وقال بعضهم: لما سمي الكفار أمواتاً بقوله: ﴿أَمُوتُوا عَزَّ أَكْبَرُ﴾ [النحل: ٢١]. وسمى المؤمنين أحياء بقوله: ﴿لَتَنبُرْ مِنْ كَانِ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠] أورث الأحياء الموتى. والثاني: أنهم أورثوها عن الأعمال، لأنها جعلت جزاء لأعمالهم، وثواباً عليها، إذ هي عواقبها، حكاه أبو سليمان الدمشقي. والثالث: أن دخول الجنة برحمة الله، واقتسام

(١) «البخاري» ٧٠/٥، و ٣٤٦/١١ بشرح الفتح، والطبري ٣٨/١٤ قال الحافظ ٣٤٦/١١: قوله: «والذي نفس محمد بيده» هذا ظاهره أنه مرفوع كله، وكذا في سائر الروايات، إلا في رواية عفان عند الطبري قال: فإنه جعل هذا من كلام قتادة، فقال بعد قوله: «ففي دخول الجنة» قال: وقال قتادة: «والذي نفسي بيده لأحدهم أهدى... إلخ». وفي رواية شعيب بن إسحاق بعد قوله: «ففي دخول الجنة» قال: «والذي نفسي بيده... إلخ». فأبهم القائل، فعلى رواية عفان يكون هو قتادة، وعلى رواية غيره يكون هو النبي ﷺ، وزاد محمد بن المنهال عند الإسماعيلي: قال قتادة: كان يقال: ما يشبه بهم إلا أهل الجنة إذا انصرفوا من جمعهم، وهكذا عند عبد الوهاب وروح. وفي رواية بشر بن خالد وعفان جميعاً عند الطبري قال: وقال بعضهم... فذكروا، وكذا في رواية شعيب بن إسحاق، ويونس بن محمد، والقاتل: وقال بعضهم: هو قتادة، ولم أقف على تسمية القائل.

(٢) «الطبري» ٦/١٨ من رواية الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رافعاً بلفظ: «ما منكم من أحد إلا وله منزلان، منزل في الجنة، ومنزل في النار، وإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾». وكذلك أورده ابن كثير ٣/٢٣٩ من رواية ابن أبي حاتم عن أبي هريرة مرفوعاً. ورواه أحمد في «المستند» بنحوه، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/٣٩٩ وذكر رواية أخرى له، ثم قال: رواه أحمد ورجال الرواية الأولى رجال الصحيح.

(٣) كلا الأصل «لتنور» بالتاء، وهي قراءة نافع، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب، وأما قراءة حفص، فبالياء «لتنور».

الدرجات بالأعمال. فلما كان يفسّر نيلها لا عن عوض، سميت ميراثاً. والميراث: ما أخذته عن غير عوض. والرابع: أن معنى الميراث هاهنا: أن أمرهم يؤول إليها كما يؤول الميراث إلى الوارث. ﴿وَأَذَانُ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ أَصْحَابِ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَابًا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ كَثِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ أي: من العذاب؟ وهذا سؤال تقرير وتعبير. ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾. قرأ الجمهور بفتح العين في سائر القرآن، وكان الكسائي يكررها. قال الأخفش: هما لفتان.

قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي: نادى مناد: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ قرأ ابن كثير في رواية قتيل ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ خفيفة النون ساكنة. وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي: ﴿أَنْ﴾ بالتشديد، «لعنة الله» بالنصب. قال الأخفش: و «أَنْ» في قوله: ﴿أَنْ يَنْكُرَ الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ٤٣] وقوله: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾، وقوله: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ [يونس: ٤١]، و: ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا﴾، هي «أَنْ» الثقيلة خففت. قال الشاعر:

فِي فُتَيْحَةِ كَسْبُوفِ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا  
وَأَشَدُّ أَيْضًا:

أَكْأَشِرُهُ وَأَعْلَمُ أَنْ كِلَانَا

ومعناه: أنه كلانا؛ وتكون «أَنْ قَدْ وَجَدْنَا» في معنى: أي. قال ابن عباس: والظالمون هاهنا: الكافرون. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: أذن المؤذن أن لعنة الله على الذين كفروا وصّدوا عن سبيل الله، وهو الإسلام. ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَابًا﴾ مفسر في [إلى عمران: ٤٩]. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: وهم يكونون الآخرة كافرون.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنْهَا جِبَابٌ﴾ [الحديد: ١٣]، فسمي هذا السور بالأعراف لارتفاعه. قال ابن عباس: الأعراف: هو السور الذي بين الجنة والنار، له عرف كعرف الديك. وقال أبو هريرة: الأعراف: جبال بين الجنة والنار، فهم على أعرافها، يعني: على ذراها، خلقتها كخليفة عرف الديك. قال اللغويون: الأعراف عند العرب: كل ما ارتفع من الأرض وعلا؛ يقال لكل عالٍ: عُرف، وجمعه: أعراف. قال الشاعر:

كُلُّ كِنَازٍ لَحْمُهُ نِيَّافٍ  
وقال الآخر:

وَرِئْتُ بِنَاءِ آبَاءِ كِرَامٍ

وفي «أصحاب الأعراف» قولان: أحدهما: أنهم من بني آدم، قاله الجمهور. وزعم مقاتل أنهم من أمة محمد ﷺ خاصة. وفي أعمالهم تسعة أقوال: أحدها: أنهم قوم قُتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم، فمتعهم من دخول الجنة معصية آبائهم، ومنعهم من دخول النار قتلهم في سبيل الله، وهذا مروى عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>. والثاني: أنهم قوم تساوت حسناتهم

(١) قاله الأعمش، وهو في «ديوانه» ٥٩، وسيبويه ٢٨٢/١، ٤٤٠، ٤٨٠ - ١٢٣/٢، و«الطبري» ٤٤٤/١٢، و«أمالى الشجري» ٢/٢، و«الإنصاف» ٨٩، و«الخزائن» ٥٤٧/٣ - ٣٥٦/٤. وهذا البيت أشده هكذا سيبويه، وتبعه النحاة، وهو ملفق من بيتين، يقول الأعمش في قصيدته:

إِذَا كُنْتُ لَكَ نَاصِحًا نَسِيتُ  
أَنْ لَيْسَ يَنْفَعُ عَنِّي فِي الْحَيَاةِ الْجَبَلُ

(٢) البيت غير منسوب في «سيبويه» ٤٤٠/١، و«الإنصاف» لابن الأنباري: ٨٩، ١٨٣، و«أمالى ابن الشجري» ١/١٨٨، وقوله: أكاشرك: أحاحكه.

(٣) البيت غير منسوب في «معجاز القرآن» ٢١٥/١، و«الطبري» ٤٥٠/١٢، و«غريب القرآن» ١٦٨، و«اللسان»: نوف. والكناز: المجتمع اللحم القوية، والنياف: الطويل، والعلم: الجبل.

(٤) «الطبري» ٥٥٨/١٢، وفيه أبو معشر نجح بن عبد الرحمن السدي المدني وهو ضعيف، وأورده ابن كثير في «التفسير» ٢/٢١٦ عن سعيد بن منصور، ثم قال: ورواه ابن مردويه، وابن جرير، وابن أبي حاتم من طرق عن أبي معشر به.

وسميتهم، فلم تبلغ بهم حسناتهم دخول الجنة، ولا سيئاتهم دخول النار، قاله ابن مسعود، وحذيفة، وابن عباس، وأبو هريرة، والشعبي، وقتادة. والثالث: أنهم أولاد الزنا، رواه صالح مولى التوأمة عن ابن عباس. والرابع: أنهم قوم صالحون فقهاء علماء، قاله الحسن، ومجاهد؛ فعلى هذا يكون لبثهم على الأعراف على سبيل التزمة. والخامس: أنهم قوم رضي عنهم أبائهم دون أمهاتهم، أو أمهاتهم دون آبائهم، رواه عبد الوهاب بن مجاهد عن إبراهيم. والسادس: أنهم الذين ماتوا في الفترة ولم يبدلوا دينهم، قاله عبد العزيز بن يحيى. والسابع: أنهم أنبياء، حكاه ابن الأنباري. والثامن: أنهم أولاد المشركين، ذكره المنجوفي في تفسيره. والتاسع: أنهم قوم عملوا لله، لكنهم راؤوا في عملهم، ذكره بعض العلماء. والقول الثاني: أنهم ملائكة، قاله أبو مجلز، واعترض عليه، فقيل: إنهم رجال، فكيف تقول: ملائكة؟ فقال: إنهم ذكور وليسوا بآناث. وقيل: معنى قوله: ﴿وَكُلُّ الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ أي: على معرفة أهل الجنة من أهل النار، ذكره الزجاج، وابن الأنباري. وفيه بُعد وخلاف للمفسرين.

قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ كُلًّا إِيَّاهُمْ﴾ أي: يعرف أصحاب الأعراف أهل الجنة وأهل النار. وسيما أهل الجنة: بياض الوجوه، وسيما أهل النار: سواد الوجوه، وزرقة العيون. والسيما: العلامة. وإنما عرفوا الناس، لأنهم على مكان عالٍ يشرفون فيه على أهل الجنة والنار. ﴿وَرَأَوْا﴾ يعني: أصحاب الأعراف ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ﴾. وفي قوله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوا وَمَنْ يَطْمَعُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنه إخبار من الله تعالى لنا أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطعمون في دخولها، قاله الجمهور. والثاني: أنه إخبار من الله تعالى لأهل الأعراف إذا رأوا زمرة يذهب بها إلى الجنة أن هؤلاء لم يدخلوها وهم يطعمون في دخولها، هذا قول السدي.

﴿وَرَأَوْا صُرُفَ أَبْصَرْتُمْ لِلَّهِ أَصْحَابَ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْا صُرُفَ أَبْصَرْتُمْ﴾ يعني أصحاب الأعراف. والتلقاء: جهة اللقاء، وهي جهة المقابلة. وقال أبو عبيدة: تلقاء أصحاب النار، أي: حيالهم.

﴿وَرَأَوْا أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَرْفَعُهُمْ إِيَّاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْا أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَرْفَعُهُمْ إِيَّاهُمْ﴾ روى أبو صالح عن ابن عباس قال: ينادون: يا وليد بن المغيرة، يا أبا جهل بن هشام، يا عاص بن وائل، يا أمية بن خلف، يا أبي بن خلف، يا سائر رؤساء الكفار، ما أغنى عنكم جمعكم في الدنيا المال والولد. ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: تتعظمون عن الإيمان.

﴿أَتَذْكُرُوا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنْتَهِمُ اللَّهُ بِعَثْمِهِمْ أَنْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا أَشَدُّ عَذَابًا﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَذْكُرُوا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنْتَهِمُ اللَّهُ بِعَثْمِهِمْ أَنْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن أهل النار أقسموا أن أهل الأعراف داخلون النار معنا، وأن الله لن يدخلهم الجنة، فيقول الله لأهل النار: ﴿أَتَذْكُرُوا﴾ يعني أهل الأعراف ﴿الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنْتَهِمُ اللَّهُ بِعَثْمِهِمْ أَنْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾ رواه وهب بن منبه عن ابن عباس. قال حذيفة: بينا أصحاب الأعراف هنالك، أغلغ عليهم ربهم فقال لهم: «ادخلوا الجنة فإني قد غفرت لكم»<sup>(١)</sup>. والثاني: أن أهل الأعراف يرون في الجنة الفقراء والمساكين الذين كان الكفار يستهزئون بهم، كسلمان، وصهيب، وخباب، فينادون الكفار: ﴿أَتَذْكُرُوا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنْتَهِمُ اللَّهُ بِعَثْمِهِمْ أَنْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾ قاله ابن السائب. فعلى هذا ينقطع كلام أهل الأعراف عند قوله: ﴿يَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ ويكون الباقي من خطاب الله لأهل الجنة. وقد ذكر المفسرون في قوله: ﴿أَتَذْكُرُوا الْجَنَّةَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن يكون خطاباً من الله لأهل الأعراف، وقد ذكرناه. والثاني: [أن] يكون خطاباً من الله لأهل الجنة. والثالث: أن يكون خطاباً من أهل الأعراف لأهل الجنة، ذكرهما الزجاج. فعلى هذا الوجه الأخير، يكون معنى قول أهل الأعراف لأهل الجنة: ﴿أَتَذْكُرُوا الْجَنَّةَ﴾: اعلوا إلى القصور المشرفة، وارتفعوا إلى المنازل المنيفة، لأنهم قد رأوهم في الجنة. وروى مجاهد عن عبد الله بن الحارث قال: يؤتى بأصحاب الأعراف إلى نهر يقال له: الحياة، عليه قضبان الذهب مكللة



باللؤلؤ، فيُغمسون فيه، فيخرجون، فتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها، ويقال لهم: تمتوا ما شئتم، ولكن سبعون ضعفاً، فهم مساكين أهل الجنة.

﴿وَكَذَلِكَ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ يَكُونُوا عَلَيْهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٥٠) ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَبِئْسَ مَا تَكُونُونَ﴾ (٥١)

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ قال ابن عباس: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة، طمع أهل النار في الفرج بعد لباس، فقالوا: يا رب، إن لنا قربات من أهل الجنة، فإذن لنا حتى نراهم ونكلمهم، فنظروا إليهم وإلى ما هم فيه من النعيم فعرفوهم. ونظر أهل الجنة إلى قرباتهم من أهل جهنم فلم يعرفوهم، قد اسودت وجوههم وصاروا خلقاً آخر، فنادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم، وأخبروهم بقرباتهم، فينادي الرجل أخاه: يا أخي قد احترقت فأغشني، فيقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾. قال السدي: عنى بقوله: ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ الطعام. قال الزجاج: أعلم الله ﷻ أن ابن آدم غير مستغنٍ عن الطعام والشراب، وإن كان معذباً.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسَفْنَا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِعَاقِلِينَ﴾ (٥٢)

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ قال ابن عباس: هم المستهزون. والمعنى: أنهم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم. وقال أبو روق: دينهم: عيدهم. وقال قتادة: ﴿لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ أي: أكلاً وشرباً. وقال غيره: هو ما رزبه الشيطان لهم من تحريم البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، والمكأ، والتصدية، ونحو ذلك من خصال الجاهلية.

قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ﴾ قال الزجاج: أي: نتركهم في العذاب كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا. و «ما» نسق على «كما» في موضع جر. والمعنى: وكجحدهم. قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون المعنى: فالיום نتركهم في النار على علم منا ترك ناسي غافلي كما استعملوا في الإعراض عن آياتنا وهم ذاكرون ما يستعمله من نسي وغفل.

﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَفَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ مُدُنٍ وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٥٣)

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ﴾ يعني القرآن. ﴿فَفَصَّلْنَاهُ﴾ أي: بيناه بليضاح الحق من الباطل. وقيل: فصلناه فصلاً مرة بتعريف الحلال، ومرة بتعريف الحرام، ومرة بالوعد، ومرة بالوعيد، ومرة بحديث الأمم. وفي قوله: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ قولان: أحدهما: على علم منا بما فصلناه. والثاني: على علم منا بما يصلحكم مما أنزلناه فيه. وقرأ ابن السمين، وابن محيصن، وعاصم، والجحدري، ومعاذ القارئ: «فَفَصَّلْنَاهُ» بضاد معجمة.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ سُوءُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُعْمَةٍ أَنْ نَقْتُلَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (٥٤)

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ قال ابن عباس: تصديق ما وعدوا في القرآن. ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ وهو يوم القيامة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ سُوءُ﴾ أي: تركوه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا: ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: بالبعث بعد الموت.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَرُدُّ﴾ قال الزجاج: المعنى: أو هل تَرُدُّ. وقوله: ﴿فَتَمَكِّلُ﴾ منصوب على جواب الفاء للاستفهام. ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَالنَّهَارَ بِمِثْقَلِ ذَرَّةٍ وَالْغَمْرَ وَالشَّجَرِ مُمْسِكِينَ بِأَمْرِهِ آيَاتُهُ لَهَا الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥٥)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ اختلفوا أي يوم بدأ بالخلق على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوم السبت. روى مسلم في «صحيحه» من حديث أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فقال: «خلق الله ﷻ التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر [من] يوم الجمعة [في] آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل»<sup>(١)</sup>، وهذا اختيار محمد بن إسحاق. قال

(١) «المسند» ٨٣٢٣، و«مسلم» ٢١٤٩/٤. قال الحافظ ابن كثير في «التفسير» ٦٩١ بعد أن أورده: وهذا الحديث من غرائب «صحيح مسلم»، وقد تكلم

ابن الأنباري: وهذا إجماع أهل العلم. والثاني: يوم الأحد، قاله عبد الله بن سلام، وكعب، والضحاك، ومجاهد، واختاره ابن جرير الطبري، وبه يقول أهل التوراة. والثالث: يوم الاثنين، قاله ابن إسحاق، وبهذا يقول أهل الإنجيل. ومعنى قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي: في مقدار ذلك، لأن اليوم يعرف بطلوع الشمس وغروبها، ولم تكن الشمس حيثئذ. قال ابن عباس: مقدار كل يوم من تلك الأيام ألف سنة، وبه قال كعب، ومجاهد، والضحاك، ولا نعلم خلافاً في ذلك. ولو قال قائل: إنها كأيام الدنيا، كان قوله بعيداً من وجهين: أحدهما: خلاف الآثار. والثاني: أن الذي يتوهمه المتوهم من الإبطاء في ستة آلاف سنة، يتوهمه في ستة أيام عند تصفح قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٢٨]. فإن قيل: فهلاً خلقها في لحظة، فإنه قادر؟ فعنه خمسة أجوبة: أحدها: أنه أراد أن يقع في كل يوم أمراً تستعظمه الملائكة ومن يشاهده، ذكره ابن الأنباري. والثاني: أن التثبت في تهديد ما خلق لآدم وذريته قبل وجوده، أبلغ في تعظيمه عند الملائكة. والثالث: أن التعجيل أبلغ في القدرة، والتثيت أبلغ في الحكمة، فأراد إظهار حكمته في ذلك، كما يظهر قدرته في قول: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾. والرابع: أنه علم عباده التثبت، فإذا تثبت من لا يزل، كان ذو الزلل أولى بالتثبت. والخامس: أن ذلك الإمهال في خلق شيء بعد شيء، أبعد من أن يظن أن ذلك وقع بالطبع أو بالاتفاق.

قوله تعالى: ﴿هَئِذَا اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ قال الخليل بن أحمد: العرش: السرير؛ وكل سرير لملك يسمى عرشاً؛ وقلما يُجمع العرش إلا في اضطراب؛ واعلم أن ذكر العرش مشهور عند العرب في الجاهلية والإسلام. قال أمية بن أبي الصلت:

مَجِدُوا اللَّهَ فَهُوَ لِمَجْدِ أَهْلٍ      رَيْنَا فِي السَّمَاءِ أُنْسَى كَيْبِرَا  
بِالْبِنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّا      س وَسَوَّىٰ فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرَا  
شَرْجَعًا لَا يَنَالُهُ نَاطِرُ الْعَيْنِ      مِنْ تَرَىٰ دُونَهُ الْمَلَائِكُ صُورَا

وقال كعب: إن السموات في العرش كالقنديل معلق بين السماء والأرض. وروى إسماعيل بن أبي خالد عن سعد الطائي قال: العرش ياقوتة حمراء. وإجماع السلف منعقد على أن لا يزيديا على قراءة الآية. وقد شد قوم فقالوا: العرش بمعنى الملك. وهذا عدول عن الحقيقة إلى التجوز، مع مخالفة الأثر؛ ألم يسمعو قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [مرد: ٧] أتراه كان المُلْك على الماء؟ وكيف يكون الملك ياقوتة حمراء؟ وبعضهم يقول: استوى بمعنى استولى؛ ويحتج بقول الشاعر:

حَتَّى اسْتَوَى بِشَرْ عَلَى الْعِرَاقِ      مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ  
وبقول الشاعر أيضاً:

هُمَا اسْتَوِيَا بِفَضْلِهِمَا جَمِيعًا      عَلَى عَرْشِ الْمُلُوكِ بِغَيْرِ زُورِ

وهذا منكر عند اللغويين. قال ابن الأعرابي: العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى، ومن قال ذلك فقد أعظم. قالوا: وإنما يقال استولى فلان على كذا، إذا كان بعيداً عنه غير متمكن منه، ثم تمكن منه؛ والله ﷻ لم يزل مستولياً على الأشياء؛ والبيتان لا يعرف قائلهما، كذا قال ابن فارس اللغوي. ولو صحنا، فلا حجة فيهما لما بيّنا من استيلاء من لم يكن مستولياً. نعوذ بالله من تعطيل الملحدة وتشبيه المجسمة.

قوله تعالى: ﴿يُنشِئُ آيِلَ النَّهَارِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «يُنشِئُ» ساكنة الغين خفيفة. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «يُنشِئُ» مفتوحة الغين مشددة؛ وكذلك قرؤوا في [الرمذ: ٢٣]. قال الزجاج: المعنى: أن الليل يأتي على النهار فيغطيه؛ وإنما لم يقل: ويغشي النهار الليل، لأن في الكلام دليلاً عليه؛ وقد قال في موضع آخر: ﴿يَكُونُ آيِلَ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى الْآيِلِ﴾ [الزمر: ٢٥]. وقال أبو علي: وإنما لم

عليه علي بن المديني، والبخاري وغير واحد من الحفاظ، وجملوه من كلام كعب، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعاً، وقد حرر ذلك البيهقي.

يقول: يغشي النهار الليل، لأنه معلوم من فحوى الكلام، كقوله: ﴿مَرْيَلٌ يَتَّبِعُكُمْ الْغَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، وانتصب الليل والنهار، لأن كل واحد منهما مفعول به. فأما الحثيث، فهو السريع.

قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسْعِرَاتٌ﴾ قرأ الأكثرون: بالنصب فيهن، وهو على معنى: خلق السموات والشمس. وقرأ ابن عامر: «والشمس والقمر والنجوم مسخرات» بالرفع فيهن هاهنا وفي [النحل: ١٢]، تابعه حفص في قوله تعالى: ﴿وَالنُّجُومُ مُسْعِرَاتٌ﴾ في [النحل: ١٢] فحسب. والرفع على الاستئناف. والمسخرات: المذلللات لما يراد منهن من طلوع وأقول وسير على حسب إرادة المدبر لهن.

قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ لأنه خلقهم ﴿وَالْأَمْرُ﴾. وقيل: الأمر: القضاء.

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: تفاعل من البركة، رواه الضحاك عن ابن عباس؛ وكذلك قال القتيبي، والزجاج. وقال أبو مالك: افعل من البركة. وقال الحسن: تحيي البركة من قبلة. وقال الفراء: تبارك: من البركة؛ وهو في العربية كقولك: تقدس ربنا. والثاني: أن تبارك بمعنى تعالى، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وكذلك قال أبو العباس: تبارك: ارتفع؛ والمتبارك: المرتفع. والثالث: أن المعنى: باسمه يُتبرك في كل شيء، قاله ابن الأنباري. والرابع: أن معنى «تبارك» قدس، أي: تظهر، ذكره ابن الأنباري أيضاً.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ التضرع: التذلل والخضوع. والخُفية: خلاف العلانية. قال الحسن: كانوا يجتهدون في الدعاء، ولا تسمع إلا همساً. ومن هذا حديث أبي موسى: «اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً»<sup>(١)</sup>. وفي الاعتداء المذكور هاهنا قولان: أحدهما: أنه الاعتداء في الدعاء. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن يدعو على المؤمنين بالشر، كالخزي واللعنة، قاله سعيد بن جبير، ومقاتل. والثاني: أن يسأل ما لا يستحقه من منازل الأنبياء، قاله أبو مجلز. والثالث: أنه الجهر في الدعاء، قاله ابن السائب. والثاني: أنه مجاوزة المأمور به، قاله الزجاج.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: لا تفسدوها بالكفر بعد إصلاحها بالإيمان. والثاني: لا تفسدوها بالظلم بعد إصلاحها بالعدل. والثالث: لا تفسدوها بالمعصية بعد إصلاحها بالطاعة. والرابع: لا تعصوا، فيمسك الله المطر، ويهلك الحرت بمعاصيكم بعد أن أصلحها بالمطر والخصب. والخامس: لا تفسدوها بقتل المؤمنين بعد إصلاحها ببقائه. والسادس: لا تفسدوها بتكذيب الرسل بعد إصلاحها بالوحي. وفي قوله: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قولان: أحدهما: خوفاً من عقابه، وطمعاً في ثوابه. والثاني: خوفاً من الرد، وطمعاً في الإجابة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال الفراء: رأيت العرب تؤنث القرية في النسب، لا يختلفون في ذلك، فإذا قالوا: دارك منا قريب، أو فلانة منا قريب، من القرب والبعد، ذكروا وأنثوا، وذلك أنهم جعلوا القريب خلفاً من المكان، كقوله: ﴿وَمَا مِنْ مِنَ الظَّالِمِينَ يَبْعِدُ﴾ [هود: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذُرُّكَ لَمَّا لَئْسَ لَكَ تَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، ولو أنث ذلك لكان صواباً. قال عروة:

عَشِيَّةٌ لَا عَفْرَاءَ مِنْكَ قَرِيبَةٌ فَتَذْنُو وَلَا عَفْرَاءَ مِنْكَ بَعِيدٌ<sup>(٢)</sup>

(١) «البخاري» ٩٤/٦، و«مسلم» ٢٠٧٦/٤. وقوله: «اربعوا على أنفسكم»: قال النووي: أي: أرققوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم، فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان ليعد من يخاطبه لسمعه وأنتم تعدون الله تعالى، وليس هو بأصم ولا غائب، بل هو سميع قريب، وهو معكم بالعلم والإحاطة.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٣٨١/١، و«الطبري» ٤٨٨/١٢، وهو في «ديوان عروة بن حزام»، وفي «تزيين الأسواق» ٨٤/١، و«وسط اللآلي» ٤٠١ من شعر له، صواب إنشاء على الباء:

فَتَذْنُو وَلَا عَفْرَاءَ مِنْكَ قَرِيبٌ  
لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْمَعْطِيَامِ بَيْنِي

عَشِيَّةٌ لَا عَفْرَاءَ مِنْكَ بَعِيدَةٌ  
وَأَنِّي لَتَشْفِئَانِي لَذَكَرَاكَ قَتِيرَةٌ

وقال الزجاج: إنما قيل: «قريب» لأن الرحمة والغفران والعتو بمعنى واحد، وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي. وقال الأخفش: جاز أن تكون الرحمة هاهنا في معنى المطر.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا فَقَالَا سُقْنَاهُ لِيَكُلُوا مِمَّنْ قَاوَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّوْبِ كَذَلِكَ نُفِخُ الْمَوْتِ لَكُمْ تَذَكُّرًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ قرأ أبو عمرو، ونافع، وابن عامر، وعاصم: «الرياح» على الجمع. وقرأ ابن كثير، وحزمة، والكسائي: «الريح» على التوحيد. وقد يأتي لفظ التوحيد، ويراد به الكثرة، كقولهم: كثر الدرهم في أيدي الناس، ومثله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَشِيرٌ ۝﴾ [المصر: ٢].

قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، ونافع: «نُشْرًا» بضم النون والشين؛ أرادوا جمع نشور؛ وهي الريح الطيبة الهبوب، تهب من كل ناحية وجانب. قال أبو عبيدة: النُّشْرُ: المتفرقة من كل جانب. وقال أبو علي: يحتمل أن تكون النشور بمعنى المتشتر، وبمعنى الناشر؛ يقال: أنشر الله الريح، مثل أحيائها، فنشرت، أي: حيت. والدليل على أن إنشار الريح إحيائها قول الفقسي:

وَهَبْتُ لَهُ رِيحَ الْجَنُوبِ وَأُخِيَّتْ

ويدل على ذلك أن الريح قد وصفت بالموت. قال الشاعر:

إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَمُوتَ الرِّيحُ فَأَقْمِدَ الْيَوْمَ وَأَشْتَرِيحُ

والريدة والريدانة: الريح. وقرأ ابن عامر، وعبد الوارث، والحسن البصري: «نُشْرًا» بالنون مضمومة وسكون الشين، وهي في معنى «نُشْرًا». يقال: كُتِبَ وَكُتِبَ، ورُسِلَ ورُسِلَ. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، والمفضل عن عاصم: «نُشْرًا» بفتح النون وسكون الشين. قال الفراء: النُّشْرُ: الريح الطيبة اللينة التي تنشئ السحاب. وقال ابن الأنباري: النُّشْرُ: المنتشرة الواسعة الهبوب. وقال أبو علي: يحتمل النُّشْرُ أن يكون خلاف الطي، كأنها كانت بانقطاعها كالمطوية. ويحتمل أن يكون معناها ما قاله أبو عبيدة في النشر: أنها المتفرقة في الوجوه؛ ويحتمل أن يكون معناها: النشر الذي هو الحياة، كقول الشاعر:

[حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مُمًّا رَأُوا] يَا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ<sup>(١)</sup>

قال: وهذا هو الوجه. وقرأ أبو رجاء العطاردي، وإبراهيم النخعي، ومسروق، ومورق العجلي: «نُشْرًا» بفتح النون والشين. قال ابن القاسم: وفي النُّشْرُ وجهان: أحدهما: أن يكون جمعاً للنشور، كما قالوا: عَمُودٌ وَعَمَدٌ، وإِهَابٌ وَأَهَبٌ. والثاني: أن يكون جمعاً، واحده ناشر، يجري مجرى قوله: غَائِبٌ وَغَيْبٌ، وحافِدٌ وَخَفَدٌ؛ وكل القراء نَوْنُ الكلمة. وكذلك اختلافهم في [الفرقان: ٤٨] و [النمل: ٦٣]. هذه قراءات من قرأ بالنون. وقد قرأ آخرون بالباء؛ فقرأ عاصم إلا المفضل: «بُشْرَى» بالباء المضمومة وسكون الشين مثل فُعْلَى. قال ابن الأنباري: وهي جمع بشيرة، وهي التي تبشر بالمطر. والأصل ضم الشين، إلا أنهم استقلوا الضميتين. وقرأ ابن خثيم، وابن جندب مثله، إلا أنها نونا الراء. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران، وابن أبي عبيدة: بضم الباء والشين، وهذا على أنها جمع بشيرة. والرحمة هاهنا: المطر؛ سماء رحمة لأنه كان بالرحمة. و «أَقْلَتْ» بمعنى حملت. قال الزجاج: السحاب: جمع سحابة. قال ابن فارس: سمي السحاب لانسحابه في الهواء.

قوله تعالى: ﴿فَقَالَا﴾ أي: بالباء. وقوله تعالى: ﴿سُقْنَاهُ﴾ رد الكناية إلى لفظ السحاب، ولنظفه لفظاً واحداً. وفي قوله: ﴿لِيَكُلُوا﴾ قولان: أحدهما: إلى بلد. والثاني: لإحياء بلد. والميئ: الذي لا يُبْتَثُ فيه، فهو محتاج إلى المطر. وفي قوله: ﴿قَاوَلْنَا بِهِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن الكناية ترجع إلى السحاب. والثاني: إلى المطر، ذكرهما الزجاج. والثالث: إلى البلد، ذكره ابن الأنباري. فأما هاء «فَأَخْرَجْنَا بِهِ» فتحتمل الأقوال الثلاثة.

(١) البيت غير منسوب في «اللسان»: ريد، والريدة: الريح اللينة.

(٢) البيت لأعشى قيس، «ديوانه» ١٨ من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة، ويمدح عامر بن الطفيل في المناقرة التي جرت بينهما.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: كما أحيينا هذا البلد. وقال مجاهد: نحيا الموتى بالمطر كما أحيينا البلد الميت به. قال ابن عباس: يرسل الله تعالى بين النفتين مطراً كمني الرجال، فنبت الناس به في قبورهم كما نبثوا في بطون أمهاتهم.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ قال الزجاج: لعل ترج. وإنما خوطب العباد على ما يرجوه بعضهم من بعض؛ والمعنى: لعلكم بما بيناه لكم تستدلون على توحيد الله، وأنه يبعث الموتى.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ يعني الأرض الطيبة التربة، ﴿يَخْرِجُ نَبَاتُهُ﴾ وقرأ ابن أبي عبلة: «يُخْرِجُ» بضم الباء وكسر الراء، «نَبَاتُهُ» بنصب التاء، ﴿وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرِجُ﴾ كذلك أيضاً. وقد روى أبان عن عاصم: «لا يُخْرِجُ» بضم الياء وكسر الراء. والمراد بالذي خبت: الأرض السبخة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ قرأ الجمهور: بفتح النون وكسر الكاف. وقرأ أبو جعفر: «نَكِدًا» بفتح الكاف. وقرأ مجاهد، وقتادة، وابن محجن: «نَكِدًا» بإسكان الكاف. قال أبو عبيدة: قليلاً عسيراً في شدة، وأنشد:

لَا تُنَجِّرُ الْوَعْدَ إِذَا وَعَدْتَ وَإِنْ أَغْطَيْتَ أَغْطَيْتَ ثَائِفَهَا نَكِدًا<sup>(١)</sup>

قال المفسرون: هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر؛ فالمؤمن إذا سمع القرآن وعقله انتفع به وبأن أثره عليه، فنبت به بالبلد الطيب الذي يمرع ويخصب ويحسن أثر المطر عليه؛ وعكسه الكافر.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَتَاكُمْ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَكَلٍ مَّيْمَنٍ (٦٠) قَالَ يَتَّقُوا لَيْسَ بِي سَكَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُولَٰئِكَ رِجَالُ الْأَنْحَامِ (٦٢) وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٣)

قوله تعالى: ﴿يَتَّقُوا اللَّهَ﴾ قال مقاتل: وحُدوه؛ وكذلك في سائر القصص بعدها. قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ قرأ الكسائي: «غيره» بالخفض. قال أبو علي: جعل غيراً صفة لـ «إِلَه» على اللفظ.

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ قرأ أبو عمرو: «أُولَٰئِغْكُمْ» ساكنة الباء خفيفة اللام. وقرأ الباقون: «أُولَٰئِغْكُمْ» مفتوحة الباء مشددة اللام.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ يقال: نصحت ونصحت له، وشكرته وشكرت له.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: من مغفرتك لمن تاب، وعقوبتك لمن أصر. وقال مقاتل: أعلم من نزول العذاب ما لا تعلمونه؛ وذلك أن قوم نوح لم يسمعا بوقم عذبوا قبلهم.

﴿أَوْ عَجِزْتُ أَنْ جَاءَكَ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكَ عَلَىٰ رَجُلٍ يَنْكُرُ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٦٤) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عِيبًا (٦٥)

قوله تعالى: ﴿أَوْ عَجِزْتُ﴾ قال الزجاج: هذه واو العطف، دخلت عليها ألف الاستفهام، فبقيت مفتوحة. وفي الذكر قولان: أحدهما: الموعظة. والثاني: البيان. وفي قوله: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ يَنْكُرُ﴾ قولان: أحدهما: أن «على» بمعنى: «مع»، قاله الفراء. والثاني: أن المعنى: على لسان رجل منكم، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿قَوْمًا عِيبًا﴾ قال ابن عباس: عيبت قلوبهم عن معرفة الله وقدرته وشدة بطشه.

﴿وَلَا عَادَ لِحَاظِهِمْ هُوَذَا قَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٦٦) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٧) قَالَ يَتَّقُوا لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٨) أُولَٰئِكَ رِجَالُ الْأَنْحَامِ (٦٩) وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ (٧٠) أَوْ عَجِزْتُ أَنْ جَاءَكَ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكَ عَلَىٰ رَجُلٍ يَنْكُرُ لِيُنْذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ

مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَنَحْذَرُ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَيْنَا بِمَا صَدَقْنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُودُ﴾ المعنى: وأرسلنا إلى عاد ﴿لَنَاغْمُ هُوَذَا﴾. قال الزجاج: وإنما قيل: أخوهم، لأنه بشر مثلهم من ولد أبيهم آدم. ويجوز أن يكون أخاهم لأنه من قومهم. وقال أبو سليمان الدمشقي: وعاد قبيلة من ولد سام بن نوح؛ وإنما سماه أخاهم، لأنه كان نسيباً لهم، وهو وهم من ولد عاد بن عوص بن إدم بن سام.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرُّنَكَ فِي سَقَاةٍ﴾ قال ابن قتيبة: السفاهة: الجهل. وقال الزجاج: السفاهة: خفة الحُلم والراي. يقال: ثوب سفيه، إذا كان خفيفاً. ﴿وَلَنَا لَتَلُّكَ مِنَ الْكَلْبِيتِ﴾ فكفروا به، طائنين، لا مستيقنين. ﴿قَالَ يَنْفَرُوا لَيْسَ فِي سَقَاةٍ﴾ هذا موضع أدب للخلق في حسن المخاطبة، فإنه دفع ما سبوه به من السفاهة بغيره فقط.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَكُمُ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ قال الضحاك: أمين على الرسالة. وقال ابن السائب: كنت فيكم أميناً قبل اليوم.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ ذكّرهم النعمة حيث أهلك من كان قبلهم، وأسكنهم مساكنهم. ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ أي: طولاً وقوّة. وقال ابن عباس: كان أطولهم مائة ذراع، وأقصرهم ستين ذراعاً. قال الزجاج: وآلاء الله: نعمه؛ واحداً: إلى. قال الشاعر:

أَبْيَضُ لَا يَرْمَبُ الْهُزَالُ وَلَا  
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَاحِداً «إِلَيَّ»، «وَالِي».

قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَا بِمَا صَدَقْنَا﴾ أي: من نزول العذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في أن العذاب نازل بنا. وقال عطاء: في نبؤتك وإرسالك إلينا.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَبٌ أَتَجِدَلُونِي وَتَأْمَلُونَ سَعْيَتُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِلَى مَعَكُمْ مِنَ السَّعِيرِينَ﴾ ﴿٧١﴾ فَأَجَبْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ رِجْسَهُ مَنَا وَطَلَعْنَا دَائِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ أي: وجب ﴿عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَبٌ﴾ قال ابن عباس: عذاب وسخط. وقال أبو عمرو بن العلاء: الرجز؛ بالزاي، والرجس؛ بالسين؛ بمعنى واحد، قلبت السين زايًا.

قوله تعالى: ﴿أَتَجِدَلُونِي وَتَأْمَلُونَ سَعْيَتُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ يعني: الأصنام. وفي تسميتهم لها قولان: أحدهما: أنهم سَعَوْها كلمة. والثاني: أنهم سَعَوْها بأسماء مختلفة. والسلطان: الحجة. ﴿فَانظُرُوا﴾ نزول العذاب ﴿إِلَى مَعَكُمْ مِنَ السَّعِيرِينَ﴾ الذي يأتكم من العذاب في تكذيبكم إياي.

﴿وَلَا تَحْشُرُوا أَعْيُنَكُمْ مَدِينًا قَالَ يَنْفَرُوا أَتَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عَيْدٌ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَشِيرَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يَسُوءَ قِيَادَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٧٣﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ثَمَدَاتٍ مِنْ شُهُولِهَا قُصُورًا وَتَجْعَلُونَ الْجِبَالَ يُوقَاتٍ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَقْنُوتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْشُرُوا﴾ قال أبو عمرو بن العلاء: سميت ثمود لقبلة ماثها. قال ابن فارس: الثمد: الماء القليل الذي لا مادة له.

قوله تعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ في إضافتها إليه قولان: أحدهما: أن ذلك للتخصيص والتفضيل، كما يقال: بيت الله. والثاني: لأنها كانت بتكوينه من غير سبب.

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ آيَةٌ﴾ أي: علامة تدل على قدرة الله؛ وإنما قال: «لكم» لأنهم هم الذين اقترحوها، وإن كانت آية لهم ولغيرهم. وفي وجه كونها آية قولان: أحدهما: أنها خرجت من صخرة ملساء، فتمخضت بها تمخض الحامل،

ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها. والثاني: أنها كانت تشرب ماء الوادي كله في يوم، وتسقيهم اللبن مكانه. قوله تعالى: ﴿تَذَرُهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ قال ابن الأنباري: ليس عليكم مؤنتها وعلفها. و «تأكل» مجزوم على جواب الشرط المقدر، أي: إن تذروها تأكل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْهَوْا يَسْهَوْا﴾، أي: لا تصيوها بعقر.

قوله تعالى: ﴿وَيُؤَاكُمُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أنزلكم؛ يقال: تبوأ فلان منزلاً: إذا نزله. ويؤأته: أنزلته. قال الشاعر: وَيُؤَاكُمُ فِي صَمِيمٍ مَغْشَرِهَا  
فَتَمَّ فِي قَوْمِهَا مُبْؤُوءَهَا<sup>(١)</sup>

أي: أنزلت من الكريم في صميم النسب؛ قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿تَتَّبِعُونَ مِنْ شُوْلِبَها قُصُورًا﴾ السهل: ضد الحزن. والقصر: ما شُيِّدَ وعلا من المنازل. قال ابن عباس: اتخذوا القصور في سهول الأرض للصيف، ونقبوا في الجبال للشتاء. قال وهب بن منبه: كان الرجل منهم يبنى البنيان، فتمر عليه مائة سنة، فيخرب، ثم يجده، فتمر عليه مائة سنة، فيخرب ثم يجده، فتمر عليه مائة سنة، فيخرب؛ فأضجرهم ذلك، فاتخذوا من الجبال بيوتاً.

﴿قَالَ أَلَمْ أَكُنْ أَنْتَكُمُ مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَفْعَوْا لِي مِنْ أَمَانٍ مِنْهُمْ أَتَمْلِكُونَ أَنْ صَلياً مَرْسَلٍ مِنْ رَبِّي قَالُوا إِنَّا بِكَ أَوَّلٌ بِهٖ مُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup> قَالَ أَلَمْ أَكُنْ أَنْتَكُمُ مِنْ قَوْمِهِ. وقرأ ابن عامر ﴿وَقَالَ لِلْأَكْ﴾ بزيادة واو؛ وكذلك هي في مصاحفهم. ومعنى الآية: تكبروا عن عبادة الله. ﴿لِلَّذِينَ اسْتَفْعَوْا﴾ يزيد: المساكين. ﴿لِي مِنْ أَمَانٍ مِنْهُمْ﴾ بدل من قوله ﴿لِلَّذِينَ اسْتَفْعَوْا﴾ لأنهم المؤمنون. ﴿أَتَمْلِكُونَ أَنْ صَلياً مَرْسَلٍ﴾ هذا استفهام إنكار.

﴿فَمَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَرُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّيهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحْ أَثْنَانَا يَمَّا تَوَدَّعَا إِنْ كُنَّا مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٣)</sup> فَأَخَذَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمٌ<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَمَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ أي: قتلوها. قال ابن قتبية: والعقر يكون بمعنى القتل، ومنه قوله ﷺ عند ذكر الشهداء: «من عقر جواده»<sup>(٥)</sup> وقال ابن إسحاق: كَمَنَ لها قاتلها في أصل شجرة فرماها بسهم، فانتظم به عضلة ساقها، ثم شد عليها بالسيف فكسر عرقوبها، ثم نحرها. قال الأزهري: العقر عند العرب: قطع عرقوب البعير، ثم جعل العقر نحرًا، لأن ناجر البعير يعقره ثم ينحره.

قوله تعالى: ﴿وَعَتَرُوا﴾ قال الزجاج: جاوزوا المقدار في الكفر. قال أبو سليمان: عتوا عن اتباع أمر ربهم.

قوله تعالى: ﴿يَمَّا تَوَدَّعَا﴾ أي: من العذاب.

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ قال الزجاج: الرجفة: الزلزلة الشديدة.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ أي: في مدينتهم. فإن قيل: كيف وُحِدَ الدار هاهنا، وجمعها في موضع آخر، فقال: ﴿فِي دَارِهِمْ﴾ [مود: ٦٧]؟ فغنى جوابان، ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أنه أراد بالدار: المعسكر، أي: فأصبحوا في معسكرهم. وأراد بقوله: ﴿فِي دَارِهِمْ﴾: المنازل التي ينفرد كل واحد منها بمنزل. والثاني: أنه أراد بالدار: الديار، فاكفَى بالواحد من الجميع، كقول الشاعر:

كُلُّوا فِي يَصْفٍ بِظَنِّكُمْ تَعْرِشُوا

وشواهد هذا كثيرة في هذا الكتاب.

قوله تعالى: ﴿جِثِيمٌ﴾ قال الفراء: أصبحوا رماداً جائئاً. وقال أبو عبيدة: أي: بعضهم على بعض جثوم. والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للإبل. وقال ابن قتبية: الجثوم: البروك على الركب. وقال غيره: كأنهم أصبحوا

(١) البيت لإبراهيم بن عَزْمَةَ في «مجاز القرآن» ٢١٨/١، و«اللسان»: بوا، وشواهد المعنى: ٢٨٠.

(٢) رواه ابن ماجه ٩٣٤/٢ عن عمرو بن عبسة قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟ قال: «من أهرق دمه وعقر جواده» قال في «الزوائد»: إسناده ضعيف لضعف محمد بن ذكوان.

موتى على هذه الحال. وقال الزجاج: أصبحوا أجساماً ملقاة في الأرض كالرماد الجاثم. قال المفسرون: معنى «جاثمين»: بعضهم على بعض، أي: إنهم سقط بعضهم على بعض عند نزول العذاب.

﴿تَوَكَّلْ عَلَيْهِمْ وَقَالَ تَقْوِيمٌ لَقَدْ أَفْلَحْتُمْ رَسُولَ رَبِّي وَصَحَّتْ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَحْيَوْنَ الْقَصِيحَ ۝٧٩﴾ وَلَوْ مَا إِذْ قَالَ يَقْوِيمٌ أَتَأْتُونَ الْقَتْلَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحْوَرٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَأَتَأُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْإِنْسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُشْرِفُونَ ۝٨١﴾ وَمَا كُنْتُمْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ ۝٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿تَوَكَّلْ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: انصرف صالح عنهم بعد عقر الناقة، لأن الله تعالى أوحى إليه أن يخرج من بين أظهرهم، فإني مهلكهم. وقال قتادة: ذكر لنا أن صالحاً أسمع قومه كما أسمع نبيكم قومه، يعني: بعد موتهم.

قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الْقَتْلَ﴾ يعني إتيان الرجال. ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحْوَرٍ﴾ قال عمرو بن دينار: ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط. وقال بعض اللغويين: لوط: مشتق من لطت الحوض: إذا ملسته بالطين. قال الزجاج: وهذا غلط، لأنه اسم أعجمي كإسحاق، ولا يقال: إنه مشتق من السحق وهو البعد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَأَتَأُونَ الرِّجَالَ﴾ هذا استفهام إنكار. والمسرف: المجاوز ما أمر به. وقوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ يعني لوطاً وأتباعه المؤمنين ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾ قال ابن عباس: ينتزهون عن أذبار الرجال وأذبار النساء.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَذَابَةُ الْمُجْرِمِينَ ۝٨٤﴾ قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ في أهله قولان: أحدهما: ابتداء. والثاني: المؤمنون به. ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أي: الباقيين في عذاب الله تعالى. قال أبو عبيدة: وإنما قال: «من الغابرين» لأن صفة النساء مع صفة الرجال تُذكر إذا أشرك بينهما.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ قال ابن عباس: يعني: الحجارة. قال مجاهد: نزل جبريل، فأدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط، ورفعها، ثم قلبها، فجعل أعلاها أسفلها، ثم أتبعوا بالحجارة. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَتَاهُمْ نَجَاتٌ قَالَ يَقْوِيمٌ أَتَقْبِلُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْوُوا الْكَفْلَ وَالْيَزَاتِ وَلَا تَبْخَسُوا الْكَاسَ أَنبَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝٨٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال قتادة: مدين: ماء كان عليه قوم شعيب، وكذلك قال الزجاج، وقال: لا ينصرف، لأنه اسم البقعة. وقال مقاتل: مدين: هو ابن إبراهيم الخليل لصلبه. وقال أبو سليمان الدمشقي: مدين: هو ابن مديان بن إبراهيم، والمعنى: أرسلنا إلى ولد مدين، فعلى هذا: هو اسم قبيلة. وقال بعضهم: هو اسم للمدينة. فالمعنى: وإلى أهل مدين. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: مدين اسم أعجمي. فإن كان عربياً، فإلياء زائدة، من قولهم: مدن بالمكان: إذا أقام به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا الْكَاسَ أَنبَاءَهُمْ﴾ قال الزجاج: الْبَخْسُ: النقص والقلّة؛ يقال: بَخَسْتُ أَبْخَسَ؛ بالسين، وبخست عينه، بالصاد لا غير. ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا تعملوا فيها بالمعاصي بعد أن أصلحها الله بالأمر بالعدل، وإرسال الرسل.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: مصدّقين بما أخبرتكم عن الله. ﴿وَلَا تَقْسِدُوا يَكْفِلُ صِرَاطَ تَوَعُّدٍ وَتَعْدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَمُوتُنَهَا عِوَجًا وَذَكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَبِيلًا نَكَرْتُمْ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَذَابَةُ الْمُفْسِدِينَ ۝٨٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْسِدُوا يَكْفِلُ صِرَاطَ﴾ أي: بكل طريق ﴿تَوَعُّدُونَ﴾ مَنْ آمَنَ بشعيب بالشر، وتخوفونهم بالعذاب والقتل. فإن قيل: كيف أفرد الفعل، وأحلاه من المفعول، فهلاً قال: توعّدون بكذا؟ فالجواب: أن العرب إذا أحلّت هذا الفعل من المفعول، لم يدل إلا على شر؛ يقولون: أوعدت فلاناً. وكذلك إذا أفردوا وعدت من مفعول، لم يدل



إِلا عَلَى الْخَيْرِ. قَالَ الْفَرَاءُ: يَقُولُونَ: وَعِدْتُهُ خَيْرًا، وَأَوْعِدْتُهُ شَرًّا؛ فَإِذَا أَسْقَطُوا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، قَالُوا: وَعِدْتُهُ: فِي الْخَيْرِ، وَأَوْعِدْتُهُ: فِي الشَّرِّ؛ فَإِذَا جَاؤُوا بِالْبَاءِ، قَالُوا: وَعِدْتُهُ بِالشَّرِّ. وَقَالَ الرَّاجِزُ:

أَوْعِدْتَنِي بِالسُّجْنِ وَالْأَذَاهِمِ

قَالَ الْمَصْنُفُ: وَقَرَأْتُ عَلَى شَيْخِنَا أَبِي مَنْصُورٍ اللُّغَوِيِّ، قَالَ: إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَذْكُرُوا مَا تَهَدُّوْا بِهِ مَعَ أَوْعِدْتُ، جَاؤُوا بِالْبَاءِ، فَقَالُوا: أَوْعِدْتُهُ بِالضَّرْبِ، وَلَا يَقُولُونَ: أَوْعِدْتُهُ الضَّرْبَ. قَالَ السَّدِيُّ: كَانُوا عَشَّارِينَ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: كَانُوا يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَصَدُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَي: تَصْرِفُونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِهِ. ﴿وَتَبْعُوكَهَا عِوَجًا﴾ مَفْسَرٌ فِي [آلِ عِمْرَانَ: ٩٩].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُفَرْتُمْ﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: جَعَلَكُمْ أَغْنِيَاءَ بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ فَقَرَاءَ؛ وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ: كَثُرَ عَدَدُكُمْ بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ قَلِيلًا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونُوا غَيْرَ ذَوِي مَقْدَرَةٍ وَأَقْدَارٍ، فَكُفَرْتُمْ.

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِرُوا فَأَسِيرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ: لَنُخْرِجَنَّكَ بِشَيْبٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قُرْبِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي وَلِيِّنَا قَالَ أَوْلُو كُنَّا كَرِهِينَ ﴿٨٧﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِرُوا﴾ أَي: إِنْ اخْتَلَفْتُمْ فِي رِسَالَتِي، فَصَرَفْتُمْ فَرِيقَيْنِ، مُصَدِّقِينَ وَمَكْذِبِينَ ﴿فَأَسِيرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ بِتَعَذِيبِ الْمَكْذِبِينَ، وَإِنْجَاءِ الْمُصَدِّقِينَ ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ لِأَنَّهُ الْعَدْلُ الَّذِي لَا يَجُورُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي وَلِيِّنَا﴾ يَعْنُونَ دِينَنَا، وَهُوَ الشَّرْكُ. قَالَ الْفَرَاءُ: جَعَلَ فِي قَوْلِهِ: «لَنَعُودَنَّ» لَامًا كَجَوَابِ الْيَمِينِ، وَهُوَ فِي مَعْنَى شَرْطٍ؛ وَمِثْلُهُ فِي الْكَلَامِ: وَاللَّهِ لِأَضْرِبَنَّكَ أَوْ تُقَرَّرَ لِي، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ مَعْنَى: «إِلَّا»، أَوْ مَعْنَى: «حَتَّى». ﴿فَقَالَ أَوْلُو كُنَّا كَرِهِينَ﴾ أَي: أَوْ تَجْبِرُونَنَا عَلَى مِلَّتِكُمْ إِنْ كَرِهْنَاهَا؟ وَالْأَلْفُ لِلِاسْتِفْهَامِ. فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ قَالُوا: «لَنَعُودَنَّ»، وَشُعَيْبٌ لَمْ يَكُنْ فِي كَفَرٍ قَطُّ، فَيَعُودُ إِلَيْهِ؟ فَعَنَى جَوَابَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ لَمَّا جَمَعُوا فِي الْخُطَابِ مَعَهُ مَنْ كَانَ كَافِرًا، ثُمَّ آمَنَ، خَاطَبُوا شُعَيْبًا بِخُطَابِ أَتْبَاعِهِ، وَغَلَّبُوا لَفْظَهُمْ عَلَى لَفْظِهِ، لِكَثْرَتِهِمْ، وَانْفِرَادِهِ. وَالثَّانِي: أَنَّ الْمَعْنَى: لِنَعُودَنَّ إِلَى مِلَّتِنَا؛ فَوَقَعَ الْعَوْدُ عَلَى مَعْنَى الْإِبْتِدَاءِ، كَمَا يُقَالُ: قَدْ عَادَ عَلِيٌّ مِنْ فُلَانٍ مَكْرُوهٍ، أَي: قَدْ لَحَقَنِي مِنْهُ ذَلِكَ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ سَبَقَ مِنْهُ مَكْرُوهٌ. قَالَ الشَّاعِرُ:

فَإِنْ تَكُنِ الْإِيَّامُ أَحْسَنَ مَرَّةً  
إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ

وَقَدْ شَرَحْنَا هَذَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِلَّا اللَّهُ رُبُّنَا الْأُمُورُ﴾ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: [٢١٠]، وَقَدْ ذَكَرَ مَعْنَى الْجَوَابِينَ الزَّجَّاجُ، وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ.

﴿هَذَا أَقْرَبُنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مَبْنًَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفَتَحَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِبَنِيِّهِمْ شُعَيْبًا لِمَكَ إِذْ أَخْبَرْتَهُمْ ﴿٨٩﴾ فَلَعَذَّتْهُمْ رِجْفُهُ فَأَمْسَبُوا فِي دَارِهِمْ جَنَاحِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَقْتَرِ إِلَيْهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَوْ هُمُ الْخَائِرُونَ ﴿٩١﴾ فَنَزَلْنَا عَنْهُمْ وَالْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا لَكَ كَذِبًا كَذِبًا عَنِ قَوْمِهِ كَذِبِينَ ﴿٩٢﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَذَا أَقْرَبُنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا يَدْعُونَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُمْ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ، فَلِذَلِكَ سَمَّوْهُ مِلَّةً. ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾ أَي: فِي الْمِلَّةِ، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أَي: إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ وَمَشِيتِهِ أَنْ نَعُودَ فِيهَا، ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْلَمُ مَا يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أَي: فِيمَا تَوَعَّدْتُمُونَا بِهِ، وَفِي حِرَاسَتِنَا عَنِ الضَّلَالِ. ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَحْكَمَ بَيْنَنَا، وَأَنْشَدَ:

أَلَا أُبْلِغُ بِزِيْ عُضْمٍ رَّشُولًا بِأَنِّي عَنْ فُتَاخَتِكُمْ غَزِيٌّ<sup>(١)</sup>

قال الفراء: وأهل عُمان يسمون القاضي: الفاتح والفتاح. قال الزجاج: وجائز أن يكون المعنى: أظهر أمرنا حتى يفتح ما بيننا وينكشف؛ فجائز أن يكونوا سألوا بهذا نزول العذاب بقومهم ليظهر أن الحق معهم.

قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَفْتَنَّا فِيهَا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: كان لم يعيشتوا في دارهم، قاله ابن عباس، والأخفش. قال حاتم طي:

عَزَيْنَا زَمَانًا بِالسَّعْطِ لِكَ وَالْوَيْسِ كُلاً سَقَانَاهُ بِكَأْسِيهِمَا الدُّهْرِ<sup>(٢)</sup>

فَمَا زَادَنَا بَغِيًّا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ غِنَانًا، وَلَا أَزَى بِأَخْسَابِنَا الْفَقْرِ<sup>(٣)</sup>

قال الزجاج: معنى غنينا: عشنا. والصعلوك: الفقر، والعرب تقول للفقر: الصعلوك. والثاني: كان لم يتغنموا فيها، قاله قتادة. والثالث: كأن لم يكونوا فيها، قاله ابن زيد، ومقاتل. والرابع: كأن لم ينزلوا فيها، قاله الزجاج، قال الأصمعي: المغاني: المنازل؛ يقال: غنينا بمكان كذا، أي: نزلنا به. وقال ابن قتيبة: كأن لم يقيموا فيها، ومعنى: غنينا بمكان كذا: أقمنا. قال ابن الأنباري: وإنما كرر قوله: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا﴾ للمبالغة في ذمهم؛ كما تقول: أخوك الذي أخذ أموالنا، أخوك الذي شتم أعراسنا.

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أعرض. والثاني: انصرف. ﴿وَقَالَ يَافُوهُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي بَنِي﴾ قال قتادة: أسمع شعيب قومه، وأسمع صالح قومه؛ كما أسمع نبيكم قومه يوم بدر؛ يعني: أنه خاطبهم بعد الهلاك. ﴿فَكَيْفَ آمَنَ﴾ أي: أحزن. وقال ابن إسحاق: أصاب شعيباً على قومه حزن شديد، ثم عاتب نفسه، فقال: كيف آسى على قوم كافرين.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسْوَءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرُّوْنَ﴾<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ قال الزجاج: يقال لكل مدينة: قرية، لاجتماع الناس فيها. وقال غيره: في الآية اختصار، تقديره: فكذبوه. ﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسْوَءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ وقد سبق تفسير البأساء والضراء في [الأنعام: ٤٤٢]، وتفسير التضرع في هذه السورة [الأعراف: ٥٥]. ومقصود الآية: إعلام النبي ﷺ بسوء الله في المكذبين، وتهديد قريش.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آلِهَاتُنَا الْعُتْرَةَ وَالشَّرَّاءَ فَخَذَّاهُمْ بِقَنَةٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(٥)</sup> وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٦)</sup> أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ يَقَابِلُونَ﴾<sup>(٧)</sup>

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن السيئة: الشدة؛ والحسنة: الرخاء، قاله ابن عباس. والثاني: السيئة: الشر؛ والحسنة: الخير، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى عَفَوْا﴾ قال ابن عباس: كثروا، وكثرت أموالهم. ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آلِهَاتُنَا الْعُتْرَةَ وَالشَّرَّاءَ﴾ فنحن مثلهم، يصيبنا ما أصابهم، يعني: أنهم أرادوا أن هذا داب الدهر، وليس بعقوبة. ﴿فَخَذَّاهُمْ بِقَنَةٍ﴾ أي: فجاء بنزول العذاب ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بنزوله، حتى أهلكهم الله.

قوله تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ قال الزجاج: المعنى: أتاهم الغيث من السماء والنبات من الأرض، وجعل ذلك زاكياً كثيراً.

﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾<sup>(٨)</sup> أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(٩)</sup>

(١) «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٠، و«إصلاح المنطق» ١١٢، و«الطبري» ١٢/ ٥٦٤، و«السمط» ٩٢٧، و«القرطبي» ١٣/ ٩٤، و«اللسان» و«التاج»: فتح. وينو عضم: رطم عمرو بن معد يكرب الزبيدي. والبيت مختلف في غزوه، انظر تعليق الراجكوتي في «سطح اللاي» ٩٢٧.

(٢) البيتان في «ديوان حاتم» ١١٩، و«الأغاني» ١٧/ ٢٩٦، و«خزانة الأدب» للبغدادى ١٦٣/ ٢.

(٣) في «الديوان»، و«الخزانة»: فَمَا زَادَنَا بَأْسًا وَأَبَا، والكبير والفخر.

قوله تعالى: ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، ونافع: «أَوَ أَمِنَ أَهْلُ» بإسكان الواو. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «أَوَ أَمِنَ» بتحريك الواو. وروى ورش عن نافع: «أَوَ أَمِنَ» يدغم الهمزة، ويلقي حركتها على الساكن.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(١)</sup> ذَلِكَ الْقَرْيَةُ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ﴾ وقرأ يعقوب: «فَهْدِ» بالنون، وكذلك في [طه: ١٢٨]، و[السجدة: ٢٦]. قال الزجاج: من قرأ بالياء، فالمعنى: أولم يبين الله لهم. ومن قرأ بالنون، فالمعنى: أولم نبين. وقوله تعالى: ﴿وَنَطْبَعُ﴾ ليس بمحمول على «أصبناهم»، لأنه لو حمل على «أصبناهم» لكان: ولطبعنا. وإنما المعنى: ونحن نطبع على قلوبهم. ويجوز أن يكون محمولاً على الماضي، ولفظه لفظ المستقبل، كما قال: «أَنْ لَوْ نَشَاءُ»، والمعنى: لو شئنا. وقال ابن الأنباري: يجوز أن يكون معطوفاً على: أصبنا، إذ كان بمعنى نُصِيب: فوضع الماضي في موضع المستقبل عند وضوح معنى الاستقبال، كما قال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَبْرًا مِمَّنْ ذَٰلِكَ﴾ [الفرقان: ١٠]، أي: إن يشأ، يدل عليه قوله: ﴿وَيَجْعَلُ لَكَ فُقُورًا﴾، قال الشاعر:

إِنْ يَسْمَعُوا رَبَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا  
يُنِي، وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَقُّوا<sup>(٢)</sup>  
أي: يدفنوا.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يقبلون، ومنه «سمع الله لمن حمده»، قال الشاعر:

دَعَاؤُ اللَّهِ حُسْنٌ خِفْتُ أَنْ لَا  
يَكُونُ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق في علم الله أنهم يكذبون به يوم أقرؤا له بالميثاق حين أخرجهم من صلب آدم، هذا قول أبي بن كعب. والثاني: فما كانوا ليؤمنوا عند إرسال الرسل بما كذبوا به يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من صلب آدم، فآمنوا كرهاً حيث أقرؤا باللسن، وأضمرُوا التأكيد، قاله ابن عباس، والسدي. والثالث: فما كانوا لو رددناهم إلى الدنيا بعد موتهم ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هلاكهم، هذا قول مجاهد. والرابع: فما كانوا ليؤمنوا بما كذب به أوائلهم من الأمم الخالية، بل شاركوهم في التأكيد، قاله يمان بن رباب. والخامس: فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات والعجائب بما كذبوا قبل رؤيتها.

﴿وَمَا رَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ رَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاشِقِينَ﴾ ﴿١٠١﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا رَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ قال مجاهد: يعني: القرون الماضية. قال أبو عبيدة: أي: وفاء. قال ابن عباس: يريد الوفاء بالعهد الذي عاهدهم حين أخرجهم من صلب آدم. وقال الحسن: العهد هاهنا: ما عهده إليهم مع الأنبياء أن لا يشركوا به شيئاً.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ رَجَدْنَا﴾ قال أبو عبيدة: وما وجدنا أكثرهم إلا الفاسقين.

﴿ثُمَّ بَشَّرْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مَوْسَىٰ بِتَابِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرْنَاهُ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿١٠٢﴾ وَقَالَ مَوْسَىٰ يَفِرْعَوْنَ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْمَلَكِينَ ﴿١٠٣﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٤﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَلَيْتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٥﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٠٦﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَشَّرْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يعني: الأنبياء المذكورين.

(١) البيت لعنن ابن أم صاحب، وهي أمه، واسم أبيه غمرة، أحد بني عبد الله بن غطفان، من شعراء العصر الأموي. وهو في «الحجاسة» ١٢/٤، وشاهد المعنى للسيوطي ٣٢٦.

(٢) البيت غير منسوب في «اللسان»: سمع.

قوله تعالى: ﴿فَنَظَرُوا بِهَا﴾ قال ابن عباس: فكذبوا بها. وقال غيره: فجحذوا بها.

قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ «على» بمعنى الباء. قال الفراء: العرب تجعل الباء في موضع «على»؛ تقول: رميت بالقوس، وعلى القوس، وجئت بحال حسنة، وعلى حال حسنة. وقال أبو عبيدة: «حقيق» بمعنى؛ حريص. وقرأ نافع، وأبان عن عاصم: «حَقِيقٌ عَلَيَّ» بتشديد الباء وفتحها، على الإضافة. والمعنى: واجب عليّ.

قوله تعالى: ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ﴾ قال ابن عباس: يعني: العصا. «فَأَرْسِلْ مَن يَشَاءُ لِيَمْلِكُنَا آلَ هَارُونَ» أي: أطلق عنهم؛ وكان قد استخدمهم في الأعمال الشاقة. «فَإِذَا هِيَ ثَغْبَانٌ مُّثِينٌ» قال أبو عبيدة: أي: حية ظاهرة. قال الفراء: الثغبان: أعظم الحيات، وهو الذكر. وكذلك روى الضحاك عن ابن عباس: الثغبان: الحية الذكر.

﴿وَرَجَعَ يَدُهُ إِذَا هِيَ بَيْتَانٌ لِلنَّظِيرِينَ﴾ قال الملائكة من قَوْمِ رَعَوْنَ إِنَّكَ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٨﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخَيِّبَكَ مِنْ أَنْتِجِكَ فَمَكَدَا تَأْمُرُونَ ﴿١٠٩﴾ قَالُوا أَيْتُهُ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١٠﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَظِيمٍ ﴿١١١﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ رَعَوْتَ قَالُوا إِنَّكَ لَنَا لَكَبِيرٌ إِنْ كُنَّا عَنْ الْمَلِكِينَ ﴿١١٢﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَوِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُوا يَكْفُومُ سِحْرًا إِنْ تَلَفَى وَإِنَّا أَنْ تَكُونَ عَنْ الْمَلِكِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَعْزَمُوا وَجَاءَهُمْ سِحْرٌ عَظِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَأَرْجَبْنَا لِمَنْ مَوَسَّى أَنْ آتَى عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْكُفُونَ ﴿١١٦﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَمْكُفُونَ ﴿١١٧﴾ فَنُفِثُوا مِنْهَا وَكَانُوا مُصِغِرِينَ ﴿١١٨﴾ وَالَّذِي السَّحَرَةُ سَجَدِينَ ﴿١١٩﴾ قَالُوا مَا مَأْسَا رَبِّ الْمَلِكِينَ ﴿١٢٠﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢١﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَجَعَ يَدُهُ﴾ قال ابن عباس: أدخل يده في جيبه، ثم أخرجها، فإذا هي تبرق مثل البرق، لها شعاع غلب نور الشمس، فغفروا على وجوههم؛ ثم أدخلها جيبه فصارت كما كانت. قال مجاهد: بيضاء من غير برص.

قوله تعالى: ﴿فَمَكَدَا تَأْمُرُونَ﴾ قال ابن عباس: ما الذي تشيرون به عليّ؟ وهذا يدل على أنه من قول فرعون، وأن كلام الملائكة انقطع عند قوله: ﴿مَنْ أَرْسَلَكُمْ﴾. قال الزجاج: يجوز أن يكون من قول الملائكة، كأنهم خاطبوا فرعون ومن يخصه، أو خاطبوه وحده؛ لأنه قد يقال للرئيس المطاع: ماذا ترون؟

قوله تعالى: ﴿أَيْتُهُ﴾ قرأ ابن كثير «أرجهوه» مهموز بواو بعد الهاء في اللفظ. وقرأ أبو عمرو مثله، غير أنه يضم الهاء ضمة، من غير أن يبلغ بها الواو؛ وكانا يهزمان: «مرجون» [النوبة: ١٠٦] و«ترجي» [الأحزاب: ٥١]. وقرأ قالون والمسيبي عن نافع «أرجه» بكسر الهاء، ولا يبلغ بها الباء، ولا يهمز. وروى عنه ورش: «أرجهي» يصلها بياء، ولا يهمز بين الجيم والهاء. وكذلك قال إسماعيل بن جعفر عن نافع؛ وهي قراءة الكسائي. وقرأ حمزة: «أرجه» ساكنة الهاء غير مهموز، وكذلك قرأ عاصم في غير رواية المفضل، وقد روى عنه المفضل كسر الهاء من غير إشباع ولا همز، وهي قراءة أبي جعفر، وكذلك اختلافهم في سورة [الشعراء: ٣٦]. قال ابن قتيبة أَرْجُجُهُ: أخرجه؛ وقد يهمز، يقال: أرجأت الشيء، وأرجيته. ومنه قوله: ﴿فَتَنبِي مِّنْ نَّفَاةٍ مِّثْنَةٍ﴾ [الأحزاب: ٥١]. قال الفراء: بنو أسد تقول: أرجيت الأمر، بغير همز، وكذلك عامة قيس؛ وبعض بني تميم يقولون: أرجأت الأمر، بالهمز، والقراء مولعون بهمزها، وترك الهمز أجود.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ﴾ يعني مدائن مصر، «حَاشِرِينَ» أي: من يحشر السحرة إليك ويجمعهم. وقال ابن عباس: هم الشرط.

قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَظِيمٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «سَحَابٍ»، وفي يونس: [١٧٩]: «بِكُلِّ سَحَابٍ»؛ وقرأ حمزة، والكسائي: «سَحَابٍ» في الموضعين؛ ولا خلاف في [الشعراء: ٣٧] أنها: «سَحَابٍ».

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَنَا لَأَجْرًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وحفص عن عاصم: «إِنَّكَ لَنَا لَأَجْرًا» مكسورة الألف على الخبر، وفي [الشعراء: ٤١]: «إَيْنَ» ممدودة مفتوحة الألف، غير أن حفصاً روى عن عاصم في [الشعراء: ٤١]: «إَيْنَ» بهمزتين. وقرأ أبو عمرو: «إَيْنَ لَنَا» ممدودة في السورتين. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن

عاصم: بهمزتين في الموضعين. قال أبو علي: الاستفهام أشبه بهذا الموضع، لأنهم لم يقطعوا على أن لهم الأجر، وإنما استفهموا عنه.

قوله تعالى: ﴿وَالَكُمْ مَعَ الْأَجْرِ الْمُتَرْتِبِ﴾ أي: ولكم مع الأجر المتزلة الرفيعة عندي.

قوله تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ قال أبو عبيدة: عَشُّوا أعين الناس وأخذوها. ﴿وَأَسَدُّ أَبْصَارَهُمْ﴾ أي: خوفوهم. وقال الزجاج: اسْتَدْعُوا رهبهم حتى رهبهم الناس.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ قرأ عاصم: ﴿تَلْقَفُ﴾ ساكنة اللام، خفيفة القاف هاهنا وفي [طه: ٦٩]، والشعراء: [٤٥]. وروى البرزني، وابن فليح عن ابن كثير: ﴿تَلْقَفُ﴾ بتشديد التاء. قال الفراء: يقال: لَقَفْتُ الشيء، فأنا لَقَفُهُ لَقْفًا وَلَقْفَانًا، والمعنى: تبتلع. قوله تعالى: ﴿مَا يَأْكُرُونَ﴾ أي: يكذبون، لأنهم زعموا أنها حيات.

قوله تعالى: ﴿فَوَقَّ الْحَقُّ﴾ قال ابن عباس: استبان. ﴿وَبَطَّلَ مَا كَانُوا يَمَكُونُ﴾ من السحر.

### (الإشارة إلى قصتهم)

اختلفوا في عدد السحرة على ثلاثة عشر قولاً: أحدها: اثنان وسبعون، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: اثنان وسبعون ألفاً، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال مقاتل. والثالث: سبعون، روي عن ابن عباس أيضاً. والرابع: اثنا عشر ألفاً، قاله كعب. والخامس: سبعون ألفاً، قاله عطاء، وكذلك قال وهب في رواية، إلا أنه قال: فاختار منهم سبعة آلاف. والسادس: سبعمائة. وروى عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب أنه قال: كان عدد السحرة الذين عارضوا موسى سبعين ألفاً متخبرين من سبعمائة ألف، ثم إن فرعون اختار من السبعين ألف سبعمائة. والسابع: خمسة وعشرون ألفاً، قاله الحسن. والثامن: تسعمائة، قاله عكرمة. والتاسع: ثمانون ألفاً، قاله محمد بن المنكدر. والعاشر: بضعة وثلاثون ألفاً، قاله السدي. والحادي عشر: خمسة عشر ألفاً، قاله ابن إسحاق. والثاني عشر: تسعة عشر ألفاً، رواه أبو سليمان الدمشقي. والثالث عشر: أربع مائة، حكاه الثعلبي. فاما أسماء رؤسائهم، فقال ابن إسحاق: رؤوس السحرة ساتور، وعاذور، وحطحط، ومُصْفَى، وهم الذين آمنوا، كذا حكاه ابن ماكولا. ورأيت عن غير ابن إسحاق: سابورا، وعازورا. وقال مقاتل: اسم أكبرهم شمعون. قال ابن عباس: ألقوا حبلاً غلاظاً، وخشياً طولاً، فكانت ميلاً في ميل، فألقى موسى عصاه، فإذا هي أعظم من حبالهم وعصبيهم، قد سدت الأفق، ثم فتحت فاما ثمانين ذراعاً، فابتلعت ما ألقوا من حبالهم وعصبيهم، وجعلت تأكل جميع ما قدرت عليه من صخرة أو شجرة، والناس ينظرون، وفرعون يضحك تجلداً، فأقبلت الحية نحو فرعون، فصاح: يا موسى، يا موسى، فأخذها موسى، وعرفت السحرة أن هذا من السماء، وليس هذا بسحر، فخرؤا سُجُداً، وقالوا: آمنا برب العالمين، فقال فرعون: إياي تعنون؟ فقالوا: رب موسى وهارون، فأصبحوا سحرة، وأمسا شهداء. وقال وهب بن منبه: لما صارت شعباناً حملت على الناس فانهمزموا منها، فقتل بعضهم بعضاً، فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً. وقال السدي: لقي موسى أمير السحرة، فقال: أرايت إن غلبتك غداً، أنؤمن بي؟ فقال الساحر: لا تئين غداً بسحر لا يغلبه السحر، فوالله لئن غلبتني لأؤمنن بك. فإن قيل: كيف جاز أن يأمرهم موسى بالإلقاء، وفعل السحر كفر؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن مضمون أمره: إن كنتم محقين فآلقوا. والثاني: ألقوا على ما يصح، لا على ما يفسد ويستحيل، ذكرهما الماوردي. والثالث: إنما أمرهم بالإلقاء لتكون معجزته أظهر، لأنهم إذا ألقوا، ألقى عصاه فابتلعت ذلك، ذكره الواحدي. فإن قيل: كيف قال: ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ﴾؟ وإنما سجدوا باختيارهم؟ فالجواب أنه لما زالت كل شبهة بما أظهر الله تعالى من أمره، اضطهرهم عظيم ما عاينوا إلى مبادرة السجود، فصاروا مفعولين في الإلقاء تصحيحاً وتعظيماً لشأن ما رأوا من الآيات، ذكره ابن الأنباري. قال ابن عباس: لما آمنت السحرة، أتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا مَنَعَهُ بِهِ قَدْ لَبَّى أَن مَادَنَ لَكَ إِنَّ هَذَا لَكَرَّ تَكَرَّرْتُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنَّا أَهْلَهَا فَتَوَفَّ تَمَامُونَ﴾ لَأَطْلَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَبْطَلُكُمْ مِّنْ جِلْفٍ ثُمَّ لَأَقْسِرَنَّكَم أَجْمَعِينَ ﴿١٢٣﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَٰهِنَا رَبَّنَا مُتَقَلِّبُونَ ﴿١٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿ءَأَمْتُمْ بِهِ﴾ قرأ نافع، وابن عامر، وأبو عمرو: «ءأمتم به» بهمة ومدة على الاستفهام. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «أأمتم به» فاستفهموا بهمزتين، الثانية ممدودة. وقرأ حفص عن عاصم: «أمتم به» على الخبر. وروى ابن الإخريط<sup>(١)</sup>: عن ابن كثير: «قال فرعون وأمتمت به» فقلب همزة الاستفهام واواً، وجعل الثانية ملبية بين بين. وروى قتيل عن القواس مثل رواية ابن الإخريط، غير أنه كان يهزم بعد الواو. وقال أبو علي: همز بعد الواو، لأن هذه الواو منقلبة عن همزة الاستفهام، وبعد همزة الاستفهام همزة «أفعلتم» فحققتها ولم يخفها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَكُنْزٌ مَّكَرْتُمُوهُ﴾ قال ابن السائب: لصنيع صنعتموه فيما بينكم وبين موسى في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر فتخرجوا منها أهلها ﴿فَسَوْفَ تَمْلِكُونَ﴾ عاقبة ما صنعتم، ﴿لَأَقْبِلَنَّ لِيُؤَيِّدَكُمْ وَأَرْبَطَكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ وهو قطع اليد اليمنى، والرجل اليسرى. قال ابن عباس: أول من فعل ذلك، وأول من صلب فرعون.

﴿وَمَا نَقِمْ يَمَّا إِلَّا أَنْ ءَمَّكَ بِبَيْتِنَا لِمَا جَاءَنَا رَبَّنَا فَقِمْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّأْ مُسْلِمِينَ﴾ وَقَالَ الْكَلْبُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنْقِيلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِيزُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقِمْ يَمَّا﴾ أي: وما تكره منا شيئاً، ولا تطعن علينا إلا لانا أماناً. ﴿وَكَيْفَ أَتَّبِعَ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ مجاهد: على القطع والصلب حتى لا نرجع كفاراً ﴿وَتَوَقَّأْ مُسْلِمِينَ﴾ أي: مخلصين على دين موسى.

قوله تعالى: ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ﴾ هذا إغراء من الملأ لفرعون. وفيما أرادوا بالفساد في الأرض قولان: أحدهما: قتل أبناء القبط، واستحياء نسايتهم، كما فعلوا ببني إسرائيل، قاله مقاتل. والثاني: دعاؤهم الناس إلى مخالفة فرعون وترك عبادته.

قوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ﴾ جمهور القراء على نصب الراء؛ وقرأ الحسن برفعها. قال الزجاج: من نصب «ويذرك» نصبه على جواب الاستفهام بالواو؛ والمعنى: أيتكون منك أن تذر موسى وأن يذرك؟ ومن رفعه جعله مستأنفاً، فيكون المعنى: أترك موسى وقومه، وهو يذرك وآلهتك؟ والأجود أن يكون معطوفاً على «أتذر» فيكون المعنى: أترك موسى وأيتذك موسى؟ أي: أنطلق له هذا؟.

قوله تعالى: ﴿وَالْأِهْلَكَ﴾ قال ابن عباس: كان فرعون قد صنع لقومه أصناماً صغاراً، وأمرهم بعبادتها، وقال أنا ربكم ورب هذه الأصنام، فذلك قوله: ﴿إِنَّا رَبُّكُمْ الْأَكْبَرُ﴾ [النعام: ٢٤]. وقال غيره: كان قومه يعبدون تلك الأصنام تقريباً إليه. وقال الحسن: كان يعبد تيساً في السر. وقيل: كان يعبد البقر سراً. وقيل: كان يجعل في عنقه شيئاً يعبد به. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبو العالية، وابن محيصن: «والإهتك» بكسر الهمزة وقصرها وفتح اللام ويألف بعدها. قال الزجاج: المعنى: ويترك وربوبيتك. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: الإلاهة: العبادة؛ فالمعنى: ويترك وعبادة الناس إياك. قال ابن قتيبة: من قرأ: «والإهتك» أراد: ويترك والشمس التي تعبد، وقد كان في العرب قوم يعبدون الشمس ويسمونها إلهة. قال الأعشى:

فَمَا أَذْكَرُ الرُّؤْبِ حَتَّى انْقَلَبْتُ قُبُلُ الْإِلَهِةِ مِنْهَا قَرِيباً

يعني الشمس. والرهب: ناقته. يقول: اشتغلت بهذه المرأة عن ناقتي إلى هذا الوقت.

قوله تعالى: ﴿سَنْقِيلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ قرأ أبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «سنتقتل» و ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [الأمرات: ١٢٦] بالشديد، وخففها نافع. وقرأ ابن كثير: «سَنْقِيلُ» خفيفة، و «يقتلون» مشددة. وإنما عدل عن قتل موسى إلى قتل الأبناء لعلهم أنه لا يقدر عليه. ﴿رَبَّنَا قَوِّهِمْ قَهْرُكَ﴾ أي: عالون بالملك والسلطان. فشكا بنو إسرائيل إعادة القتل على أبنائهم، فقال موسى: ﴿اسْتَعِيزُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ على ما يفعل بكم ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ

يُنْكَاهُ مِنْ إِسْكَافِهِ». وقرا الحسن، وهبيرة عن حفص عن عاصم: «يورثها» بالتشديد. فاطمهم موسى أن يعطيهم الله أرض فرعون وقومه بعد إهلاكهم.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَوْتِىَ الْمَيِّتِينَ﴾ فيها قولان: أحدهما: الجنة. والثاني: النصر والظفر.

﴿قَالُوا أَوْزَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَنِ رَبِّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَذُوكُمْ وَتَسْتَظْلِمُونَ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَمْلِكُونَ﴾ ولقد أخذنا مال فرعون والسجين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ﴿١٣١﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَوْزَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ في هذا الأذى ستة أقوال: أحدها: أن الأذى الأول والثاني أخذ الجزية، قاله الحسن. والثاني: أن الأول ذبح الأبناء، والثاني إدراك فرعون يوم طلبهم، قاله السدي. والثالث: أن الأول أنهم كانوا يسخرون في الأعمال إلى نصف النهار، ويرسلون في بقيته يكتسبون، والثاني تسخيرهم جميع النهار بلا طعام ولا شراب، قاله جوير. والرابع: أن الأول تسخيرهم في ضرب اللين، وكانوا يعطونهم التبن الذي يخلطونه في الطين؛ والثاني أنهم كلّفوا ضرب اللين وجعل التبن عليهم، قاله ابن السائب. والخامس: أن الأول قتل الأبناء، واستحياء البنات، والثاني تكليف فرعون إياهم ما لا يطيقونه، قاله مقاتل. والسادس: أن الأول استخدامهم وقتل أبنائهم واستحياء نسائهم، والثاني إعادة ذلك العذاب. وفي قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ قولان: أحدهما: تأتينا بالرسالة، ومن بعد ما جئنا بها، قاله ابن عباس. والثاني: تأتينا بعهد الله أنه سيخلصنا، ومن بعد ما جئنا به، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿عَنِ رَبِّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَذُوكُمْ﴾ قال الزجاج: عسى: طمع وإشفاق، إلا أن ما يُطِيع الله فيه فهو واجب.

قوله تعالى: ﴿وَتَسْتَظْلِمُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ في هذا الاستخلاف قولان: أحدهما: أنه استخلاف من فرعون وقومه. والثاني: استخلاف عن الله تعالى، لأن المؤمنين خلفاء الله في أرضه. وفي الأرض قولان: أحدهما: أرض مصر، قاله ابن عباس. والثاني: أرض الشام، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَمْلِكُونَ﴾ قال الزجاج: أي: يراه بوقوعه منكم، لأنه إنما يجازيهم على ما وقع منهم، لا على ما علم أنه سيقع.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا مَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّبِينِ﴾ قال أبو عبيدة: مجازة: ابتليناهم بالجدوب. وآل فرعون: أهل دينه وقومه. وقال مقاتل: هم أهل مصر. قال البغوي: «بالسنين» أي: بالقحط والجدوب عاماً بعد عام. وقال الزجاج: السنون في كلام العرب: الجدوب، يقال: مستهم السنة، ومعناه: جذب السنة، وشدة السنة. وإنما أخذهم بالضراء، لأن أحوال الشدة، تُرْقِ القلوب، وتُرجب فيما عند الله وفي الرجوع إليه. قال قتادة: أما السنون، فكانت في بواديهم ومواشيهم، وأما نقص الثمرات، فكان في أمصارهم وقراهم. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: ليس لهم كل شيء، وذعبت مواشيهم، حتى يس نيل مصر. فاجتمعوا إلى فرعون فقالوا له: إن كنت رباً كما تزعم، فاملا لنا نيل مصر، فقال: غُدوة يصححكم الماء، فلما خرجوا من عنده، قال: أي شيء صنعت؟ أنا أقدر أن أجيء بالماء في نيل مصر غدوة أصبح، فيكذبوني؟! فلما كان جوف الليل، اغتسل، ثم لبس يدرعة من صوف، ثم خرج حافياً حتى أتى بطن نيل مصر فقام في بطنه، فقال: اللهم إني أعلم أنك تقدر أن تملأ نيل مصر ماءً، فاملأه، فما علم إلا بخير الماء لما أراد الله به من الهلكة. قلت: وهذا الحديث بعيد الصحة، لأن الرجل كان دهرياً لا يثبت إلهاً. ولو صح، كان إقراره بذلك كإقرار إبليس، وتبقى مخالفته عناداً.

﴿إِذَا جَاءَهُمْ الْحِسْةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَهُمْ الْحِسْةُ﴾ وهي الغيث والخصب وسعة الرزق والسلامة ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أي: نحن مستحقوها على ما جرى لنا من العادة في سعة الرزق، ولم يعلموا أنه من الله فيشكروا عليه. ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ وهي

القسط والجذب والبلاء ﴿يَعْبُرُوا بِمُوسَىٰ وَنَحْنُ مُعْتَدُونَ﴾ أي: يتشاءموا بهم. وكانت العرب تزجر الطير، فتشاءم بالبارح، وهو الذي يأتي من جهة الشمال، وتبرك بالسائح، وهو الذي يأتي من جهة اليمين.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّا طَارِفُمْ عَبْدًا لَّهِ﴾ قال أبو عبيدة: «ألا» تنبيه وتوكيد ومجاز. «طائرهم» حظهم ونصيبهم. وقال ابن عباس: «أَلَا إِنَّا طَارِفُمْ عَبْدًا لَّهِ» أي: إن الذي أصابهم من الله. وقال الزجاج: المعنى: ألا إن الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به في الآخرة، لا ما ينالهم في الدنيا.

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِيَا مِنَّا بَرٌّ أَوْ بَرٌّ فَسَبَّحْنَا بِهَا وَمَا تَنَالُوا فِي الدُّنْيَا﴾ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ فَفُتِنُوا فَاسْتَضَكَّرُوا وَكَانُوا قَوْمًا فَجُورِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا﴾ قال الزجاج: زعم النحويون أن أصل «مهما» ماما، ولكن أبدل من الألف الأولى الهاء ليختلف اللفظ، ف «ما» الأولى هي «ما» الجزاء، و «ما» الثانية هي التي تزداد تأكيداً للجزاء، ودليل النحويين على ذلك أنه ليس شيء من حروف الجزاء إلا و «ما» تزداد فيه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَتَفَقَّهُمُ﴾ [الأنفال: ٥٧] كقولك: إن تتفقهم، وقال: ﴿وَمَا تَرْضَىٰ عَنْهُمْ﴾ [الإسراء: ٢٨]، وتكون «ما» الثانية للشرط والجزاء، والتفسير الأول هو الكلام، وعليه استعمال الناس. قال ابن الأنباري: فعلى قول من قال: إن معنى «مه» الكف، يحسن الوقف على «مه»، والاختيار أن لا يوقف عليها دون «ما» لأنها في المصحف حرف واحد. وفي الطوفان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الماء. قال ابن عباس: أرسل عليهم مطر دائم الليل والنهار ثمانية أيام، وإلى هذا المعنى ذهب سعيد بن جبيرة، وقتادة، والضحاك، وأبو مالك، ومقاتل، واختاره الفراء، وابن قتيبة. والثاني: أنه الموت، روته عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ <sup>(١)</sup>، وبه قال مجاهد، وعطاء، ووهب بن منبه، وابن كثير. والثالث: أنه الطاعون، نقل عن مجاهد، ووهب أيضاً. وفي القمل سبعة أقوال: أحدها: أنه السوس الذي يقع في الحنطة، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وقال به. والثاني: أنه الدبى، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعطاء. وقال قتادة: القمل: أولاد الجراد. وقال ابن فارس: الدبى: الجراد إذا تحرك قبل أن تنبت أجنته. والثالث: أنه دواب سود صغار، قاله الحسن، وسعيد بن جبيرة. وقيل: هذه الدواب هي السوس. والرابع: أنه الجعلان، قاله حبيب بن أبي ثابت. والخامس: أنه القمل، ذكره عطاء الخراساني، وزيد بن أسلم. والسادس: أنه البراغيث، حكاه ابن زيد. والسابع: أنه الحمنان، واحدها: حمنانة، وهي ضرب من القردان، قاله أبو عبيدة. وقرأ الحسن، وعكرمة، وابن يعمر: «القمل» برفع القاف وسكون الميم. وفي الدم قولان: أحدهما: أن ماءهم صار دماً، قاله الجمهور. والثاني: أنه رعا ف أصابهم، قاله زيد بن أسلم.

### (الإشارة إلى شرح القصة)

قال ابن عباس: جاءهم الطوفان، فكان الرجل لا يقدر أن يخرج إلى ضيعته، حتى خافوا الغرق، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشفه عنا، ونؤمن بك، ونرسل معك بني إسرائيل؛ فدعا لهم، فكشفه الله عنهم، وأثبت لهم شيئاً لم يثبت قبل ذلك، فقالوا: هذا ما كنا نتمنى، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل ما أنبت الأرض، فقالوا: ادع لنا ربك، فدعا، فكشف الله عنهم، فأحرزوا زروعهم في البيوت، فأرسل الله عليهم القمل، فكان الرجل يخرج يطحن عشرة أجرة إلى الرحي، فلا يرى منها ثلاثة أقفزة، فسألوه، فدعا لهم، فكشف عنهم، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الضفادع، ولم يكن شيء أشد منها، كانت تجيء إلى القدور وهي تغلي وتغور، فتلقي أنفسها فيها، فتفسد طعامهم وتطفئ نيرانهم، وكانت الضفادع برية، فأورثها الله تعالى برد الماء والثرى إلى يوم القيامة، فسألوه، فدعا لهم، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الدم، فجرت أنهارهم وقُلُوبهم دماً، فلم يقدروا على الماء العذب، وبنو إسرائيل في الماء العذب، فإذا دخل الرجل منهم يستقي من أنهار بني إسرائيل صار ما دخل فيه دماً، والماء من بين يديه ومن خلفه صافٍ عذب لا يقدر

(١) «الطيري» ٥١/١٣ وفي سننه المنهال بن خليفة العجلي وهو ضعيف، والحجاج بن أرطاة صدوق كثير الخطأ والتدليس. وخرجه ابن كثير ٢/٢٤٠ من رواية ابن مردويه عن يحيى بن يمان به وقال: وهو حديث غريب.



عليه، فقال فرعون: أقسم بالله يا موسى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننَّ لك، ولنرسلن معك بني إسرائيل، فدعا موسى، فذهب الدم وَعَذَّبَ ماؤهم، فقالوا: والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُفَصِّلُهَا﴾ قال ابن قتيبة: بين الآية والآية فصل. قال المفسرون: كانت الآية تمكث من السبب إلى السبب، ثم ييقون عقيب رفعها شهراً في عافية، ثم تأتي الآية الأخرى. قال وهب بن منبه: بين كل آيتين أربعون يوماً. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: مكث موسى في آل فرعون بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم الآيات، الجراد والقمل والضفادع والدم. وفي قوله: ﴿فَاسْتَكَبُّوا﴾ قولان: أحدهما: عن الإيمان. والثاني: عن الانزعاج.

﴿وَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزَ قَالُوا يَمْشُوا يَمْشُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ فَلَمَّا كَفَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِلِقَاؤِهِ إِذَا هُمْ يَسْكُتُونَ ۝ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ يَوْمَهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزَ﴾ أي: نزل بهم العذاب. وفي هذا العذاب قولان: أحدهما: أنه طاعون أهلكت منهم سبعين ألفاً، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير. والثاني: أنه العذاب الذي سلطه الله عليهم من الجراد والقمل وغير ذلك، قاله ابن زيد. قال الزجاج: «الرجز»: العذاب، أو العمل الذي يؤدي إلى العذاب. ومعنى الرجز في العذاب: أنه المقلقل لشدة قلقه شديدة متتابعة. وأصل الرجز في اللغة: تتابع الحركات، فمن ذلك قولهم: ناقة رجزاء، إذا كانت ترتعد قوائمها عند قيامها. ومنه رجز الشعر، لأنه أقصر أبيات الشعر، والانتقال من بيت إلى بيت، سريع، نحو قوله:

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَبَذُغٌ  
أُخْبِبَ فِيهَا وَأَضْعُغٌ

وزعم الخليل أن الرجز ليس بشعر، وإنما هو أنصاف أبيات وأثلاث.

قوله تعالى: ﴿بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: بما أوصاك أن تدعوه به. والثاني: بما تقدم به إليك أن تدعوه فيجيبك. والثالث: بما عهد عندك في كشف العذاب عن آمن. والرابع: أن ذلك منهم على معنى القسم، كأنهم أقسموا عليه بما عهد عنده أن يدعو لهم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَجَلٌ هُمْ بِلِقَاؤِهِ﴾ أي: إلى وقت غرقهم. ﴿إِذَا هُمْ يَسْكُتُونَ﴾ أي: يتقضون العهد.

قوله تعالى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: انتصرنا منهم بإحلال نعمتنا بهم، وتلك النعمة تغريقتنا إياهم في اليم. قال ابن قتيبة: اليم: البحر بالسريرية.

قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: عن الآيات، وغفلتهم: تركهم الاعتبار بها. والثاني: عن النعمة.

﴿وَأَرْزَأْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَعْمَلُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَكْرِبَهَا إِلَىٰ بُرْجَانَا فِيهَا وَتَمَّتْ لَكُم مِّنْ رَبِّكُمُ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ يَدَيْ إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ رِعَاجًا وَمَا كَانُوا بِمَشْرِقِهَا وَمَا كَانُوا بِمَكْرِبِهَا ۖ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَسْكُتُونَ عَلَىٰ أَصْنَانٍ لَهُمْ قَالُوا يَمْشُوا أَجَلٌ لَّنَا إِلَيْهَا كَمَا لَمْ إِلَيْهَا ۖ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَّجْهَلُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَرْزَأْنَا الْقَوْمَ﴾ يعني بني إسرائيل. ﴿الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَعْمَلُونَ﴾ أي: يُسْتَدْلُونَ بذبح الأبناء، واستخدام النساء، وتسخير الرجال. ﴿مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَكْرِبَهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مشارق الشام ومغاريها، قاله الحسن. والثاني: مشارق أرض الشام ومصر. والثالث: أنه على إطلاقه في شرق الأرض وغربها.

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ بُرْجَانَا فِيهَا﴾ قال ابن عباس: بالماء والشجر.

قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ لَكُم مِّنْ رَبِّكُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ وهي وعد الله لبني إسرائيل بإهلاك عدوهم، واستخلافهم في الأرض، وذلك في قوله: ﴿وَرَوَّيْكَ أَنْ تَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتَفْعَلُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصاص: ٥]، وقد بيَّنا حلة تسمية ذلك كله في (آل عمران: ١٤٦).

قوله تعالى: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: على طاعة الله تعالى. والثاني: على أذى فرعون.

قوله تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أي: أهلكتنا ﴿مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ رِعَاجًا وَمَا كَانُوا بِمَشْرِقِهَا وَمَا كَانُوا بِمَكْرِبِهَا﴾ من العمارات والمزارع. والدمار: الهلاك.

﴿مَا كَانُوا بِعِرْشُوتٍ﴾ أي: يبنون. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «يعرِشون» بكسر الراء هاهنا وفي [النحل: ٦٨]. وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بضم الراء فيهما. وقرأ ابن أبي عيلة: «يُعِرْشُون» بالتشديد. قال الزجاج: يقال: عَرَشَ يَعْرِشُ وَيَعْرِشُ: إذا بنى.

قوله تعالى: ﴿يَعْكُفُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، ويعقوب: «يَعْكُفُونَ» بضم الكاف. وقوا حمزة، والكسائي، والمفضل: بكسر الكاف. وقرأ ابن أبي عيلة: بضم الياء وتشديد الكاف. قال الزجاج: ومعنى «يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ»: يواظبون عليها ويلازمونها، يقال لكل من لزم شيئاً وواظب عليه: عَكَفَ يَعْكُفُ وَيَعْكُفُ. قال قتادة: كان أولئك القوم نزولاً بالركة، وكانوا من لخم. وقال غيره: كانت أصنامهم تماثيل البقر. وهذا إخبار عن عظيم جهلهم حيث توهّموا جواز عبادة غير الله بعدما رأوا الآيات.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَرٌ مَّا هُمْ بِهِ يُنْظَلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَرٌ مَّا هُمْ بِهِ﴾ قال ابن تقيّة: مُهْلَك. والبار: الهلاك.

﴿قَالَ أَغْيَرُ آثَرُ آبَائِكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْغَالِبِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَغْيَرُ آثَرُ آبَائِكُمْ إِلَهًا﴾ أي: أطلب لكم، وهذا استفهام إنكار. قال المفسرون، منهم ابن عباس، ومجاهد: العالَمون هاهنا: عالموا زمانهم.

﴿وَإِذْ أَجَبْتُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَشُورُكُمْ سُوءَ الْمَقَادِيرِ يَقُولُونَ آبَاءُكُمْ رَسُولٌ مِثْلُكُمْ وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَجَبْتُمْ﴾ قرأ ابن عامر: «وَإِذْ أَنْجَاكُمْ» على لفظ الغائب المفرد.

﴿وَوَعَدَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْتَهَا بِعَشْرِ فَنَمَّ يَمِثُّ رَبِّيهِ أَزْبِيعَ لَيْلَةٍ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَعَدَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ المعنى: وعدناه انقضاء الثلاثين ليلة. قال ابن عباس: قال موسى لقومه: إن ربي وعدني ثلاثين ليلة، فلما فصل إلى ربه زاده عشراً، فكانت فتنتهم في ذلك العشر. فإن قيل: لم زيد هذا العشر؟ فالجواب: أن ابن عباس قال: صام تلك الثلاثين ليلهن ونهارهن، فلما انسلخ الشهر، كره أن يكلم ربه وريح فيه ريح فم الصائم، فتناول شيئاً من نبات الأرض فمضغه، فأوحى الله تعالى إليه: لا كلمتك حتى يعود فوك على ما كان عليه، أما علمت أن رائحة فم الصائم أحب إليّ من ريح المسك؟ وأمره بصيام عشرة أيام. وقال أبو العالية: مكث موسى على الطور أربعين ليلة، فبلغنا أنه لم يحدث حتى هبط منه. فإن قيل: ما معنى: «فَنَمَّ يَمِثُّ رَبِّيهِ أَزْبِيعَ لَيْلَةٍ» وقد علم ذلك عند انضمام العشر إلى الثلاثين؟ فالجواب من وجوه: أحدها: أنه للتأكيد. والثاني: ليدل أن العشر، ليالي، لا ساعات. والثالث: لينفي تمام الثلاثين بالعشر أن تكون من جملة الثلاثين، لأنه يجوز أن يسبق إلى الوهم أنها كانت عشرين ليلة فأتمت بعشر. وقد بينا في سورة [البقرة: ٥١] لماذا كان هذا الوعد.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ﴾ قال ابن عباس: مُرِّمُهم بالإصلاح. وقال مقاتل: ارفق.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِهِ وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَوْظِرْ لِي آيَاتِكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَفَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا كَمُلَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَمَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَوْعًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْتَوَّابِينَ﴾

﴿يُمِثُّ رَبِّيهِ أَزْبِيعَ لَيْلَةٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِهِ﴾ قال الزجاج، أي: للوقت الذي وقَّتنا له. «وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ» أسمعته كلامه، ولم يكن فيما بينه وبين الله شيء فيما سمع أحد. «قَالَ رَبِّ أَوْظِرْ لِي آيَاتِكَ» أي: أرني نفسك.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ تَرِنِي﴾ تعلق بهذا نفاة الرؤية وقالوا: «لن» لنفي الأبد، وذلك غلط، لأنها قد وردت وليس المراد بها الأبد في قوله: ﴿لَنْ يَسْمَعُوا أَيْدَاً يَمَّا فَدَمَّتْ آيَاتُهُمْ﴾ [البقرة: ٩٥] ثم أخبر عنهم بتمنيهِ في النار بقوله: ﴿يَسْمَعُونَ حَيَاتًا رَكَّةً﴾ [الزخرف: ١٧]، ولأن ابن عباس قال في تفسيرها: لن تراني في الدنيا. وقال غيره: هذا جواب لقول

موسى: «أرني»، ولم يُرد؛ أرني في الآخرة، وإنما أراد في الدنيا، فأجيب عما سأل. وقال بعضهم: لن تراني بسؤالك. وفي هذه الآية دلالة على جواز الرؤية، لأن موسى مع علمه بالله تعالى، سألها، ولو كانت مما يستحيل لما جاز لموسى أن يسألها، ولا يجوز أن يجهل موسى مثل ذلك، لأن معرفة الأنبياء بالله ليس فيها نقص، ولأن الله تعالى لم ينكر عليه المسألة وإنما منعه من الرؤية، ولو استحالت عليه لقال: «لا أرى»، ألا ترى أن نوحاً لما قال: ﴿إِنِّي أَنبِئُكُمْ بِمَا لَكُمْ مِنْ آثَرِكُمْ﴾ [هود: ٤٥] أنكر عليه بقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَيْسَ بَيْنَ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦]. ومما يدل على جواز الرؤية أنه علّقها باستقرار الجبل، وذلك جائز غير مستحيل، فدل على أنها جائزة، ألا ترى أن دخول الكفار الجنة لما استحال علّقها بمستحيل فقال: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْجَمَلُ فِي سَوَاءٍ لِّجَاوِلٍ﴾ [الأعراف: ٤٠].

قوله تعالى: ﴿إِنِّي اسْتَفْتَرْتُ مَكَائِلَ﴾ أي ثبت ولم يتضعف.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ لَيْلُهُمْ﴾ قال الزجاج: ظهر، وبان. ﴿جَعَلَكُمْ دَكَّاءَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿دَكَّاءَ﴾ منونة مقصورة هاهنا وفي [الكهف: ٩٨]. وقرأ عاصم: ﴿دَكَّاءَ﴾ هاهنا منونة مقصورة، وفي [الكهف: ٩٨]: ﴿دَكَّاءَ﴾ ممدودة غير منونة. وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿دكاءَ﴾ ممدودة غير منونة في الموضعين، قال أبو عبيدة: «جعلهم دكاً أي: مندكاً، والدك: المستوي؛ والمعنى: مستوياً مع وجه الأرض، يقال: ناقة دكاء، أي: ذاهية السنام مستوي ظهرها. قال ابن قتيبة: كان سنامها دكاً، أي: التصق، قال: ويقال: إن أصل دككت: دققت، فأبدلت القاف كافاً لتقارب المخرجين. وقال أنس بن مالك في قوله: ﴿جَعَلَكُمْ دَكَّاءَ﴾: ساخ الجبل. قال ابن عباس: واسم الجبل: زبير، وهو أعظم جبل يمدن، وإن الجبال تطاولت ليتجلى لها، وتواضع زبير فتجلى له.

قوله تعالى: ﴿وَحَزَنَ مَوْسَى صَوْفًا﴾ فيه قولان: أحدهما: مغشياً عليه، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد. والثاني: ميتاً، قاله قتادة، ومقاتل، والأول أصح، لقوله: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ وذلك لا يقال للميت. وقيل: بقي في غشيته يوماً وليلة.

قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَكَ بُتُّ لَيْلِكَ﴾ فيما تاب منه ثلاثة أقوال: أحدها: سؤاله الرؤية، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: من الإقدام على المسألة قبل الإذن فيها. والثالث: اعتقاد جواز رؤيته في الدنيا. وفي قوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قولان: أحدهما: أنك لن ترى في الدنيا، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أول المؤمنين من بني إسرائيل، رواه عكرمة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَمْلَيْتُكَ﴾ فتح ياء «إني» ابن كثير، وأبو عمرو. وقرأ ابن كثير، ونافع: «برسالتني». قال الزجاج: المعنى: اتخذتك صفوة على الناس برسالاتي وبيكلامي، ولو كان إنما سمع كلام غير الله لما قال: ﴿يُرْسَلُنِي وَيُكَلِّمُنِي﴾ لأن الملائكة تنزل إلى الأنبياء بكلام الله.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا يَمِينُ وَأَمْرُكَ وَأَخَذُوا بِأَحْسَنِ سَائِرِهِكَ دَارَ الْقَنُوقِينَ﴾ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ في ماهية الألواح سبعة أقوال: أحدها: أنها زبرجد، قاله ابن عباس. والثاني: ياقوت، قاله سعيد بن جبير. والثالث: زمرد أخضر، قاله مجاهد. والرابع: برّد، قاله أبو العالية. والخامس: خشب، قاله الحسن. والسادس: صخر، قاله وهب بن منبه. والسابع: زمرد وياقوت، قاله مقاتل. وفي عددها أربعة أقوال: أحدها: سبعة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: لوحان، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء. قال: وإنما سماها الله تعالى ألواحاً، على مذهب العرب في إيقاع الجمع على التثنية، كقوله: ﴿وَكُنَّا لِكُلِّهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨] يريد داود، وسليمان، وقوله: ﴿فَقَدْ صَفَّتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: ٢٤]. والثالث: عشرة، قاله وهب. والرابع: تسعة، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قولان: أحدهما: من كل شيء يحتاج إليه في دينه من الحلال والحرام والواجب وغيره. والثاني: من الحكم والبيز.

قوله تعالى: ﴿مَوْعِظَةً﴾ أي: نهياً عن الجهل. ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ أي: تبییناً لكل شيء من الأمر والنهي والحدود والأحكام.

قوله تعالى: ﴿فَتَذَكَّرْنَا يُثُورَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بجذ وحزم، قاله ابن عباس. والثاني: بطاعة، قاله أبو العالية. والثالث: بشكر، قاله جوير.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ قَوْمَكَ تَأْخُذُوا بِأَحْسَنَاءَ﴾ إن قيل: كان فيها ما ليس بحسن؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن المعنى: يأخذوا بحسنها، وكلها حسن، قاله قطرب. وقال ابن الأنباري: ناب «أحسن» عن «حسن» كما قال الفرزدق: **إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا** **بَيْنَا دَعَائِمُهُ أَعْرُ وَأَطْوَلُ<sup>(١)</sup>**

أي: عزيزة طويلة. وقال غيره: «الأحسن» هاهنا صلة، والمعنى: يأخذوا بها. والثاني: أن بعض ما فيها أحسن من بعض. ثم في ذلك خمسة أقوال: أحدها: أنهم أمروا فيها بالخير ونهوا عن الشر، ففعل الخير هو الأحسن. والثاني: أنها اشتملت على أشياء حسنة بعضها أحسن من بعض، كالقصاص والعفو والانتصار والصبر، فأبروا أن يأخذوا بالأحسن، ذكر القولين الزجاج. فعلى هذا القول، يكون المعنى: أنهم يتبعون العزائم والفضائل، وعلى الذي قبله، يكون المعنى: أنهم يتبعون الموصوف بالحسن وهو الطاعة، ويجتنبون الموصوف بالقبح وهو المعصية. والثالث: أحسنها: الفرائض والنوافل، وأدونها في الحسن: المباح. والرابع: أن يكون للكلمة مغنيان أو ثلاثة، فتصرف إلى الأشبه بالحق. والخامس: أن أحسنها: الجمع بين الفرائض والنوافل.

قوله تعالى: ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَنَاقِينَ﴾ فيها أربعة أقوال: أحدها: أنها جهنم، قاله الحسن، ومجاهد. والثاني: أنها دار فرعون وقومه، وهي مصر، قاله عطية العوفي. والثالث: أنها منازل من هلك من الجبارة والعمالقة، يريهم إياها عند دخولهم الشام، قاله قتادة. والرابع: أنها مصارع الفاسقين، قاله السدي. ومعنى الكلام: سأريكم عاقبة من خالف أمري، وهذا تهديد للمخالف، وتحذير للموافق.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَاتِي لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَيِّئَ الرَّشْدِ لَا يَقْتَدُوا سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ سَبِيلَ اللَّهِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ عَنْهُمْ كُلُّ مَعْرِفَةٍ هَلْ يَجْعَزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَمَكُونُ ﴿١٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ في هذه الآية قولان: أحدهما: أنها خاصة لأهل مصر فيما رأوا من الآيات. والثاني: أنها عامة، وهو أصح. وفي الآيات قون: أحدهما: أنها آيات الكتب المنلوقة. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أمنعهم فهمها. والثاني: أمنعهم من الإيمان بها. والثالث: أصرفهم عن الاعتراض عليها بالإبطال. والثاني: أنها آيات المخلوقات كالسما والارض والشمس والقمر وغيرها، فيكون المعنى: أصرفهم عن التفكير والاعتبار بما خلقت. وفي معنى يتكبرون قولان: أحدهما: يتكبرون عن الإيمان وأتباع الرسول. والثاني: يحقرون الناس ويرون لهم الفضل عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَيِّئَ الرَّشْدِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «سبيل الرشذ» بضم الراء خفيفة. وقرأ حمزة، والكسائي: «سبيل الرشذ» بفتح الراء والشين مثقلة.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ قال الزجاج: فعل الله بهم ذلك بأنهم «كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ»، أي: كانوا في تركهم الإيمان بها والتدبر لها بمنزلة الغافلين. ويجوز أن يكون المعنى: وكانوا عن جزائها غافلين. **﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عِجَلًا حَسَدًا لَمْ يَخُورْ أَلَمْ يَرَ أَنَّهُ لَا يَكْفِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾**

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل للميقات. «مِنْ حُلِيِّهِ» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «مِنْ حُلِيِّهِ» بضم الحاء. وقرأ حمزة، والكسائي: «حُلِيِّهِ» بكسر الحاء. وقرأ يعقوب: بفتحها وسكون اللام وتخفيف الياء. والحلي: جمع حلي، مثل ثدي وثدي، وهو اسم لما يتحسن به من

الذهب والفضة. قال الزجاج: ومن كسر الحاء من «حليهم» أتبع الحاء كسر اللام. والجسد: هو الذي لا يعقل ولا يميز، إنما هو بمعنى الجنة فقط. قال ابن الأنباري: ذكر الجسد دلالة على عدم الروح منه، وأن شخصه شخص مثال وصورة، غير منضم إليهما روح ولا نفس. فأما الخوار، فهو صوت البقرة، يقال: خَارَتْ البقرة تَخُورُ، وَجَارَتْ تَجَارُ؛ وقد نُقِلَ عن العرب أنهم يقولون في مثل صوت الإنسان من البهائم: رَغَا البعير وَجَزَجَرَ وَهَذَرَ وَقَبَقَبَ، وَصَهَلَ الفرس وَحَنَحَمَ، وَشَهَقَ الحمار وَنَهَقَ، وَشَحَجَ البغل، وَنَعَثَ الشاة وَيَعَرَثَ، وَتَأَجَّتِ النَّعْجَةُ، وَيَعَمُ<sup>(١)</sup> الظبي وَنَزَبَ<sup>(٢)</sup>، وَزَارَ الأسدُ وَنَهَتْ وَنَأَتْ، وَوَعَرَ الذئب، وَنَهَمَ الفيلُ، وَزَقَعَ<sup>(٣)</sup> الفَرْدُ، وَضَبَحَ الثَّغْلُبُ، وَعَوَى الكَلْبُ وَنَبَحَ، وَمَاءَتِ السُّتُورُ، وَصَاتَ الفَارَةُ، وَنَعَقَ الغُرَابُ معجمة الغين، وَزَقَا الدَّيْكَ وَسَقَعَ، وَصَفَرَ النُّشُرُ، وَهَذَرَ الحمام وَهَذَلَ، وَنَفَضَتِ الضَّمَادُجُ وَنَفَثَتْ، وَعَزَفَتِ الجِنَّ. قال ابن عباس: كان العجل إذا خار سجدوا، وإذا سكت رفعوا رؤوسهم. وفي رواية أبي صالح عنه: أنه خار خورة واحدة ولم يتبعها مثلهما، وبهذا قال وهب، ومقاتل. وكان مجاهد يقول: خواره خفيف الريح فيه؛ وهذا يدل على أنه لم يكن فيه روح. وقرأ أبو رزين العقيلي، وأبو مجلز: «له جُوار» بجيم مرفوعة.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكِلُهُمْ﴾ أي: لا يستطيع كلامهم. ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ أي: لا يبين لهم طريقاً إلى حجة. ﴿أَتَحْكُمُونَ﴾ يعني اتخذوه إلهاً. ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس: مشركين.

﴿وَكَا سَقَطَ فِي أَيَدِهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ سَلَوْا قَالُوا لَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَسْفِرْ لَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَيْدِيهِمْ فِي سَبْعَةِ مَخَلِّتَيْنِ مِنْ بَدْيٍ أَعْجَلَتهُ أَمْرُ رَبِّكَمَّ وَالَّذِي الْأَلْوَاخُ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ الْقَوْمِ اسْتَغْفِرُونِي لَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْحِتْ فِي الْأَعْدَةِ وَلَا تَجْعَلَنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْوَلَدَ أَوَّلَ سَبِيلًا هُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ تَجْرَى الْأَنْفُسُ﴾ ﴿١٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَا سَقَطَ فِي أَيَدِهِمْ﴾ أي: ندموا. قال الزجاج: يقال للرجل النادم على ما فعل، المتحسر على ما فرط: قد سَقَطَ في يده، وأسقط في يده. وقرأ ابن السميع، وأبو عمران الجوني: «سَقَطَ» بفتح السين. قال الزجاج: والمعنى: ولما سَقَطَ الندم في أيديهم، يشبه ما يحصل في القلب وفي النفس بما يُرى بالعين. قال المفسرون: هذا الندم منهم إنما كان بعد رجوع موسى.

قوله تعالى: ﴿لَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «يرحمنا ربنا» ويغفر لنا» بالياء والرفع. وقرأ حمزة، والكسائي: «ترحمنا» وتغفر لنا» بالياء، «ربنا» بالنصب.

قوله تعالى: ﴿غَضِبَنَ أَيْدِيَهُمْ﴾ في الأسف ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحزين، قاله ابن عباس، والحسن، والسدي. والثاني: الجزع، قاله مجاهد. والثالث: أنه الشديد الغضب، قاله ابن قتية، والزجاج. وقال أبو الدرداء: الأسف: منزلة وراء الغضب أشد منه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ أي: لقومه ﴿يَسْكَا خَلَقْتَنِي مِنْ بَدْيٍ﴾ فتح ياء «بعدى» أهل الحجاز، وأبو عمرو؛ والمعنى: بشئ ما عملتم بعد فراقني من عبادة العجل. ﴿أَعْجَلَتهُ أَمْرُ رَبِّكَمَّ﴾ قال الفراء: يقال: عَجَلْتُ الأمر والشئ: سبقته، ومنه هذه الآية. وأعجلته: استحثته. قال ابن عباس: أعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له؟! قال الحسن: يعني وَعَدَ الأربعين ليلة.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي الْأَلْوَاخُ﴾ التي فيها التوراة. وفي سبب إلقائه إياها قولان: أحدهما: أنه الغضب حين رآهم قد عبدوا العجل، قاله ابن عباس. والثاني: أنه لما رأى فضائل غير أمته من أمة محمد ﷺ اشتد عليه، فآلفاها، قاله قتادة، وفيه بُعد. قال ابن عباس: لما رمى بالألواح فتحطمت، رُفِعَ منها ستة أسباع، وبقي سبع.

قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ في ما أخذ به من رأسه ثلاثة أقوال: أحدها: لحيته وذؤبائه. والثاني: شعر رأسه. والثالث: أذنه. وقيل: إنما فعل به ذلك، لأنه توهم أنه عصى الله بمقامه بينهم وترك الحقوق به، وتعريفه ما أحدثوا بعده

ليرجع إليهم فيتلافهم ويردهم إلى الحق، وذلك قوله: ﴿قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَّكَ إِذْ كُنْتُمْ سُلُوكًا ۝٩٢﴾ [طه: ٩٢، ٩٣].  
قوله تعالى: ﴿إِبْنِ أُمٍّ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «قال ابن أم» نصباً. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: بكسر الميم، وكذلك في [طه: ٩٤]. قال الزجاج: من فتح الميم، فلكثر استعمال هذا الاسم، ومن كسر، أضافه إلى نفسه بعد أن جعله اسماً واحداً، ومن العرب من يقول: «يا ابن أمي» بإثبات الياء. قال الشاعر:

يَا ابْنَ أُمِّي وَيَا شَقِيْقَ نَفْسِي      أَنْتَ خَلَفْتَنِي لِدَهْرٍ شَدِيدٍ<sup>(١)</sup>

وقال أبو علي: يحتمل أن يريد من فتح: «يا ابن أم» أمًا، ويحذف الألف، ومن كسر: «ابن أمي» فيحذف الياء. فإن قيل: لم قال: «يا ابن أم» ولم يقل: «يا ابن أب»؟ فالجواب أن ابن عباس قال: كان أخاه لأبيه وأمه، وإنما قال له ذلك ليرفقه عليه. قال أبو سليمان الدمشقي: والإنسان عند ذكر الوالدة أرقُّ منه عند ذكر الوالد. وقيل: كان لأمه دون أبيه، حكاة الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ﴾ يعني عبدة العجل ﴿اسْتَفْهَمُوا﴾ أي: استدلوني. ﴿فَلَا تَشْمِتْ بِالْأَعْدَاءِ﴾ قرأ عبد الله بن عباس، ومالك بن دينار، وابن عاصم: «فلا تَشْمِتْ» بقاء مفتوحة مع فتح الميم، «الأعداء» بالرفع. وقرأ مجاهد، وأبو العالية، والضحاك، وأبو رجاء: «فلا تَشْمِتْ» بفتح التاء وكسر الميم، «الأعداء» بالنصب. وقرأ أبو الجوزاء، وابن أبي عجلة مثل ذلك، إلا أنهما رفعاً «الأعداء». ويعني بالأعداء: عبدة العجل. ﴿وَلَا تَجْمَلْنِي﴾ في موجدتك وعقوبتك لي ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وهم عبدة العجل. فلما تبين له عُذْرُ أخيه ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾.

قوله تعالى: ﴿وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الجزية، قاله ابن عباس. والثاني: ما أمروا به من قتل أنفسهم، قاله الزجاج. فعلى الأول يكون ما أضيف إليهم من الجزية في حق أولادهم، لأن أولئك قتلوا ولم يؤدوا جزية. قال عطية: وهذه الآية فيما أصاب بني قريظة والنضير من القتل والجلاء لتوليهم متخذي العجل ورضاهم به.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ قال ابن عباس: كذلك أعاقب من اتخذ إلهاً دوني. وقال مالك بن أنس: ما من مبتدع إلا وهو يجد فوق رأسه ذلَّةً، وقرأ هذه الآية. وقال سفيان بن عيينة: ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلَّةً تغشاه، قال: وهي في كتاب الله تعالى. قالوا: وأين هي؟ قال: أو ما سمعتم قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْوُجُلَ سَيِّئَاتٍ غَضِبَ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قالوا: يا أبا محمد، هذه لأصحاب العجل خاصة، قال: كلا، اتلوا ما بعدها. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ فهي لكل مفترٍ ومبتدع إلى يوم القيامة.

﴿وَالَّذِينَ عَلِمُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَيْنِهِمَا وَأَمَّنُوا﴾ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَيْنِهِمَا لَعَزُوزٌ رَحِيمٌ<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَلِمُوا السَّيِّئَاتِ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الشرك. والثاني: الشرك وغيره من الذنوب: ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَيْنِهِمَا﴾ يعني السيئات. وفي قوله: ﴿وَأَمَّنُوا﴾ قولان: أحدهما: آمنوا بالله، وهو يُخْرِجُ على قول من قال: هي الشرك. والثاني: آمنوا بأن الله تعالى يقبل التوبة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَيْنِهِمَا﴾ يعني السيئات.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ﴾ فِي شَعْبَا هَذِي وَرَحْمَةُ اللَّهِ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ وقرأ ابن عباس، وأبو عمران «سَكَّتْ» بفتح السين وتشديد الكاف وبتاء بعدها، «الغضب» بالنصب. وقرأ سعيد بن جبير، وابن يعمر، والجحدري «سَكَّتْ» بضم السين وتشديد الكاف مع كسرهما. وقرأ ابن مسعود، وعكرمة، وطلحة «سَكَّنَ» بنون. قال الزجاج: «سكت» بمعنى سكن، يقال: سكت يسكت سَكْتًا: إذا سكن، وسكت يسكت سَكْتًا وسكوتًا: إذا قطع الكلام. قال: وقال بعضهم: المعنى: ولما سكت موسى عن

(١) البيت في «الطبري» ١٢٩/١٣، و «أمالى الزبيدي» ٩، و «جمهرة أشعار العرب» ٢٦٢، و «اللسان»: شق، وهو لأبي زيد حرملة بن المنذر الطائي من

قصيدة يرثي ابن أخته اللجلاج، ويقال: يرثي أخاه اللجلاج، ويروي البيت:

يَا ابْنَ غَسَّاءِ شَقِيْقَ نَفْسِي لِدَهْرٍ شَدِيدٍ

يَا ابْنَ غَسَّاءِ شَقِيْقَ نَفْسِي يَا

ورواية المصنف، هي رواية النحاة جميعاً في كتبهم في «باب النداء». وقوله: «شقيق» تصغير شقيق، وهو الأخ.

الغضب، على القلب، كما قالوا: أدخلت القلنسوة في رأسي. والمعنى: أدخلت رأسي في القلنسوة، والأول هو قول أهل العربية.

قوله تعالى: ﴿أَخَذَ الْأَلْوَابُ﴾ يعني التي كان ألقاها. وفي قوله: ﴿وَفِي نُحُوتَيْهَا﴾ قولان: أحدهما: وفيما بقي منها؛ قاله ابن عباس. والثاني: وفيما نُسخ فيها؛ قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْجُونَ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنه عام في الذين يخافون الله، وهو معنى قول ابن عباس. والثاني: أنهم أمة محمد ﷺ خاصة، وهو معنى قول قتادة.

﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّيمِثُّواْ فَلَانَا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلَ وَإِنِّي أَهْلَكَأَ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنِّي إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ المعنى: اختار من قومه، فحذف «من»، تقول العرب: اخترتك القوم، أي: اخترتك من القوم، وأنشدوا:

مِنَّا الَّذِي اخْتَارَ الرُّجَالَ سَمَاحَةً  
وَجُوداً إِذَا هَبَّ الرِّيحُ الرُّعَازُ<sup>(١)</sup>

هذا قول ابن قتيبة، والفراء، والزجاج. وفي هذا الميقات أربعة أقوال: أحدها: أنه الميقات الذي وَقَّعَهُ اللهُ لموسى ليأخذ التوراة، أمر أن يأتي معه سبعين، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال نوف البكالي. والثاني: أنه ميقات وَقَّعَهُ اللهُ تعالى لموسى، وأمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً ليدعوا ربهم، فدعوا فقالوا: اللهم أعطنا ما لم تعط أحداً قبلنا، ولا تعطيه أحداً بعدنا، فكره الله ذلك، وأخذتهم الرجفة؛ رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنه ميقات وَقَّعَهُ اللهُ لموسى، لأن بني إسرائيل قالوا له: إن طائفة تزعم أن الله لا يكلمك، فخذ معك طائفة منا ليسمعوا كلامه فيؤمنوا فتذهب التهمة، فأوحى الله إليه أن اختر من خيارهم سبعين، ثم ارتقى بهم على الجبل أنت وهارون، واستخلف يوشع بن نون، ففعل ذلك؛ قاله وهب بن منبه. والرابع: أنه ميقات وَقَّعَهُ اللهُ لموسى ليلقاه في ناس من بني إسرائيل، فيعتذر إليه من فغل عبدة العجل، قاله السدي. وقال ابن السائب: كان موسى لا يأتي ربه إلا بإذن منه. فأما الرجفة فهي الحركة الشديدة. وفي سبب أخذها إياهم أربعة أقوال: أحدها: أنه ادعاهم على موسى قتل هارون؛ قاله علي بن أبي طالب. والثاني: اعتداهم في الدعاء، وقد ذكرناه في رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنهم لم ينتهوا عبدة العجل ولم يرضوا؛ نقل عن ابن عباس. وقال قتادة، وابن جريج: لم يأمرهم بالمعروف، ولم ينههم عن المنكر، ولم يزيلوهم. والرابع: أنهم طلبوا استماع الكلام من الله تعالى، فلما سمعوه قالوا: ﴿كُنْ تَوْفِيقَ لَكَ حَقٌّ رَزَى اللهُ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]؛ قاله السدي وابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلَ وَإِنِّي﴾ قال السدي: قام موسى يبكي ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلَ وَإِنِّي﴾ قال الزجاج: لو شئت أمتهم قبل أن تبليهم بما أوجب عليهم الرجفة. وقيل: لو شئت أهلكتهم من قبل خروجنا وإياي، فكان بنو إسرائيل يعاينون ذلك ولا يهتموني.

قوله تعالى: ﴿أَهْلَكَأَ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنِّي﴾ قال المبرِّد: هذا استفهام استعطاف، أي: لا تُهلكنا. وقال ابن الأنباري: هذا استفهام على تأويل الجحد، أراد: لست تفعل ذلك. و«السفهاء» هاهنا: عبدة العجل. وقال الفراء: ظن موسى أنهم أهلكوا باتخاذ أصحابهم العجل. وإنما أهلكوا بقولهم: ﴿إِنَّا اللهُ جَهْرَةً﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الابتلاء، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وأبو العالية. والثاني: العذاب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة.

قوله تعالى: ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾ أي: ناصرنا وحافظنا.

(١) البيت للفردق، «ديوانه» ٥١٦، و«النفائض» ٦٩٦، و«مسيوبه» ١٨/١، و«الكامل» ٣٢/١، و«مالي ابن الشجري» ١٨٦/١، و«الغزاة» ٣/٦٦٩، و«اللسان»: غير. وعنى بهذا البيت آباء غالباً، وهو أحد أجواد بني تميم.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَتُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَدْعُوهُمْ مَكُونُوا عَنْهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ بِأَمْرِهِمْ بِالتَّوْرَةِ وَتَتَّبِعُونَ عَنْ الْمُسْكِرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّلِبَتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالُوا يَا اللَّهِ رَسُولُهُ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَرِهَ النَّبِيَّ وَالْجُوهَ لَمَّا كُنْتُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ﴾ أي: حقق لنا وأوجب ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وهي الأعمال الصالحة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ المغفرة والجنة ﴿إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ﴾ أي: تبنا، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبو العالية، وقتادة، والضحاك، والسدي. وقال ابن قتيبة: ومنه ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾ [البقرة: ٦٢] كأنهم رجعوا من شيء إلى شيء. وقرأ أبو وجزة السعدي: ﴿إِنَّا هَذَا﴾ بكسر الهاء. قال ابن الأنباري: المعنى: لا تتغير؛ يقال: هاد يهود ويهيد.

قوله تعالى: ﴿قَالِ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾. وقرأ الحسن البصري، والأعمش، وأبو العالية: «من أساء» بسين غير معجمة مع النصب.

قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في هذا الكلام أربعة أقوال: أحدها: أن مخرجه عام ومعناه خاص، وتأويله: ورحمتي وسعت المؤمنين من أمة محمد ﷺ، لقوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، قاله ابن عباس. والثاني: أن هذه الرحمة على العموم في الدنيا، والخصوص في الآخرة؛ وتأويلها: ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا، البر والفاجر، وفي الآخرة هي للمؤمنين خاصة، قاله الحسن، وقتادة. فعلى هذا، معنى الرحمة في الدنيا للكافر أنه يُرزق ويدفع عنه، كقوله في حق فارون: ﴿وَأَحْيَيْنَا كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٢٧]. والثالث: أن الرحمة: التوبة، فهي على العموم، قاله ابن زيد. والرابع: أن الرحمة تَسع كل الخلق إلا أن أهل الكفر خارجون منها، فلو قدر دخولهم فيها لوسعتهم، قاله ابن الأنباري: قال الزجاج: وسعت كل شيء في الدنيا<sup>(١)</sup> ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ في الآخرة. قال المفسرون: معنى «فَسَأَكْتُبُهَا»: فسأوجبها. وفي الذين يتقون قولان: أحدهما: أنهم المتقون للشرك، قاله ابن عباس. والثاني: للمعاصي، قاله قتادة. وفي قوله: ﴿وَتُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ قولان: أحدهما: أنها زكاة الأموال، قاله الجمهور. والثاني: أن المراد بها طاعة الله ورسوله، قاله ابن عباس والحسن، ذهب إلى أنها العمل بما يزكي النفس ويطهرها. وقال ابن عباس، وقتادة: لما نزلت ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ قال إبليس: أنا من ذلك الشيء، فترعها الله من إبليس، فقال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَتُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ فقالت اليهود: نحن نتقي، ونؤتي الزكاة، ونؤمن بآيات ربنا، فترعها الله منهم، وجعلها لهذه الأمة، فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾. وقال نَوْث: قال الله تعالى لموسى: أجعل لكم الأرض طهوراً ومسجداً، وأجعل السكينة معكم في بيوتكم، وأجعلكم تقرؤون التوراة عن ظهور قلوبكم، يقرؤها الرجل منكم، والمرأة، والحر، والعبد، والصغير، والكبير. فأخبر موسى قومه بذلك، فقالوا: لا نريد أن نصلي إلا في الكنائس والبيع، ولا أن تكون السكينة إلا في التابوت، ولا أن نقرأ التوراة إلا نظراً، فقال الله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ إلى قوله: «المفلحون». وفي هؤلاء المذكورين في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ وَتُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ إلى قوله: «المفلحون» قولان: أحدهما: أنهم كل من آمن بمحمد ﷺ، وتبعه، قاله ابن عباس. والثاني: أنه محمد ﷺ، قاله السدي، وقتادة. وفي تسميته بالأمي قولان: أحدهما: لأنه لا يكتب. والثاني: لأنه من أم القرى.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَدْعُوهُمْ مَكُونُوا عَنْهُمْ﴾ أي: يجدون نفعه ونبوته.

قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُمُ بِالتَّوْرَةِ﴾ قال الزجاج: يجوز أن يكون مستأنفاً، ويجوز أن يكون «يجدلونه مكتوباً عندهم»

(١) روى مسلم في «صحيحه» ٢١٠٨/٤ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ مائةَ رحمة، أنزل منها رحمةً واحدةً بين الجن والإنس، والبهائم والوحوش، فيها يتطافون، وبها يتراحمون، وبها تملأ الوحش على ولعها، وأنزل الله تسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة».



أنه يأمرهم بالمعروف. قال ابن عباس: المعروف: مكارم الأخلاق، وصلة الأرحام. والمنكر: عبادة الأوثان، وقطع الأرحام. وقال مقاتل: المعروف: الإيمان، والمنكر: الشرك. وقال غيره: المعروف: الحق، لأن العقول تعرف صحته، والمنكر: الباطل، لأن العقول تنكر صحته. وفي الطيبات أربعة أقوال: أحدها: أنها الحلال، والمعنى: يُحل لهم الحلال. والثاني: أنها ما كانت العرب تستطيعه. والثالث: أنها الشُّحوم المحرمة على بني إسرائيل. والرابع: ما كانت العرب تحرّمه من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام. وفي الخبائث ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الحرام، والمعنى: ويحرّم عليهم الحرام. والثاني: أنها ما كانت العرب تستخبه ولا تأكله، كالحيات، والحشرات. والثالث: ما كانوا يستحلونه من الميتة، والدم، ولحم الخنزير.

قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ غَنَمٌ بِمَرْعَمٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي «إصرهم». وقرأ ابن عامر «أصارهم» ممدودة الألف على الجمع. وفي هذا الإصر قولان: أحدهما: أنه العهد الذي أخذ الله على بني إسرائيل أن يعملوا بما في التوراة، قاله ابن عباس. والثاني: التشديد الذي كان عليهم من تحريم السبت، وأكل الشحوم والعروق، وغير ذلك من الأمور الشاقة، قاله قتادة. وقال مسروق: لقد كان الرجل من بني إسرائيل يذنب الذنب، فيصبح وقد كُتب على باب بيته: إن كفارته أن تترج عينك، فنيّرُهما.

قوله تعالى: ﴿وَالْأَعْظَمُ الْكُفَى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ قال الزجاج: ذكر الأغلال تمثيل، ألا ترى أنك تقول: جعلت هذا طوقاً في عنقك، وليس هناك طوق، إنما جعلت لزومه كالطوق. والأغلال: أنه كان عليهم أن لا يُقبل منهم في القتل دية، وأن لا يعملوا في السبت، وأن يقرضوا ما أصاب جلودهم من البول.

قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ يعني بمحمد ﷺ ﴿وَعَزَّزُوا﴾ زوروا أبان «وعزّروه»، بتخفيف الزاي. وفي المعنى قولان: أحدهما: نصره وأعانوه، قاله مقاتل. والثاني: عظّموه، قاله ابن قتيبة. والنور الذي أنزل معه: القرآن سماء نوراً، لأن بيانه في القلوب كبيان النور في العيون. وفي قوله «معه» قولان: أحدهما: أنها بمعنى «عليه». والثاني: بمعنى أنزل في زمانه. قال قتادة: أما نصره، فقد سُبّقت إليه، ولكن خيركم من آمن به واتبع التور الذي أنزل معه.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُؤْتِي يَأْتُو وَكَذَلِكَ﴾ في الكلمات قولان: أحدهما: أنها القرآن، قاله ابن عباس. وقال قتادة: كلماته: آياته. والثاني: أنها عيسى ابن مريم، قاله مجاهد، والسدي.

﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّؤْمِنٍ أُمَّةٌ يَهُودُكَ وَالْحَقُّ رَبُّهُ يَدُلُّونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّؤْمِنٍ أُمَّةٌ يَهُودُكَ وَالْحَقُّ﴾ فيه قولان: أحدهما: يدعون إلى الحق. والثاني: يعملون به. قوله تعالى: ﴿وَبِهِ يَدُلُّونَ﴾ قال الزجاج: وبالحق يحكمون. وفي المشار إليهم بهذا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قوم وراء الصين لم تبلغهم دعوة الإسلام، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: أنهم من آمن بالنبي ﷺ مثل ابن سلام وأصحابه، قاله ابن السائب. والثالث: أنهم الذين تمسكوا بالحق في زمن أنبيائهم، ذكره الماوردي.

﴿وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا﴾ أي: وأزجناهم إلى موسى إذ استسقنهم قومه أن يضرب يعضاك المجرى فأنجست منه اثنتا عشرة عينة قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم النعم وأنزلنا عليهم السيل والسلاطين كلوا من كسبت ما ردقنكم وما ظلموا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿وَلَوْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَفِّرْ لَكُمْ حَبِيبَتُكُمْ سَرِيذُ الْمُخْسِينِ﴾ ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا مِنْ السَّكَاءِ يَمَسُّ السَّكَاءُ يَمَسُّ السَّكَاءُ يَمَسُّ السَّكَاءُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَهُمْ﴾ يعني قوم موسى، يقول: فرقناهم: ﴿اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا﴾ يعني أولاد يعقوب، وكانوا اثني عشر ولداً، فولد كل واحد منهم سبطاً. قال الفراء: وإنما قال «اثنتي عشرة» والسبط ذكر، لأن بعده «أمماً» فذهب بالتأنيث إلى الأم، ولو كان «اثني عشر» لتذكير السبط، كان جائزاً. وقال الزجاج: المعنى: وقطعناهم اثنتي عشرة فرقة، «أسباطاً» نعت «فرقة» كأنه يقول: جعلناهم أسباطاً، وفرقناهم أسباطاً، فيكون «أسباطاً» بدلاً من «اثنتي عشرة»

قوله تعالى: ﴿يَكْدِبُ يُكِيْسُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي، «بئس» على وزن فاعيل، فالهمزة بين الباء والياء. وقرأ نافع: «بئس» بكسر الباء من غير همز. وقرأ ابن عامر كذلك، إلا أنه همز. وروى خارجة عن نافع: «بئس» بفتح الباء من غير همز، على وزن «فَعَّلَ». وروى أبو بكر عن عاصم: «بئاس» على وزن «فَعَّلَ». وقرأ

ابن عباس، وأبو رزين، وأيوب: «بَيَّاسٍ» على وزن «فَيْعَالٍ». وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، ومعاذ القاري: «بَيْسٍ» يفتح الباء وكسر الهمزة من غير ياء على وزن «نَيْسٍ». وقرأ الضحاك، وعكرمة: «بَيْسٍ» بتشديد الباء مثل «قَيْمٍ». وقرأ أبو العالية، وأبو مجلز: «بَيْسٍ» يفتح الباء والسين وبهمزة مكسورة من غير ياء ولا ألف على وزن «فَعِيلٍ». وقرأ أبو المتوكل، وأبو رجاء: «بائِسٍ» بألف ومدة بعد الباء وبهمزة مكسورة بوزن «فَاعِلٍ». قال أبو عبيدة: البئس: الشديد، وأنشد:

حَنَقًا عَلَيَّ وَمَا تَرَى لِي فِيهِمْ أَثَرًا بَيْسًا<sup>(١)</sup>

وقال الزجاج: يقال: بئس يئس بأساً. والعاتي: الشديد الدخول في الفساد، المتحدر الذي لا يقبل موعظة. وقال ابن جرير: «فلما عتوا» أي: تمردوا فيما نهوا عنه؛ وقد ذكرنا في سورة [البقرة: ٦٥] قصة مسخهم. وكان الحسن البصري يقول: والله ما لحوم هذه الحيتان بأعظم عند الله من دماء قوم مسلمين.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُكُوكُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أعلم، قاله الحسن، وابن قتبية، وقال: هو من أذنتك بالامر. وقال ابن الأنباري: «تأذن» بمعنى أذن؛ كما يقال: تعلم أن فلاناً قائم، أي: أعلم. وقال أبو سليمان الدمشقي: أي: أعلم أنبياء بني إسرائيل. والثاني: حتم، قاله عطاء. والثالث: وعد، قاله قطرب. والرابع: تألى، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُ عَنْهُمْ﴾ أي: على اليهود، وقال مجاهد: على اليهود والنصارى بمعاصيهم. ﴿مَنْ يَسْأَلُهُمْ﴾ أي: يوليهم ﴿مَوْتَ الْكَلْبِ﴾. وفي المبعوث عليهم قولان: أحدهما: أنه محمد ﷺ وأمه، قاله ابن عباس. والثاني: العرب، كانوا يجبونهم الخراج، قاله سعيد بن جبير، قال: ولم يجب الخراج نبي قط إلا موسى، جباه ثلاث عشرة سنة، ثم أمسك إلى النبي ﷺ. وقال السدي: بعث الله عليهم العرب يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم. وفي سوء العذاب أربعة أقوال: أحدها: أخذ الجزية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: المسكنة والجزية، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: الخراج، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير. والرابع: أنه القتال حتى يسلموا، أو يعطوا الجزية.

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَسْمًا﴾ يَنْهَهُ الصَّالِحُونَ وَيَمْنَهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَيَكُونُهُمْ بِالْمَسْكَنَةِ وَالشَّيْئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَسْمًا﴾ قال أبو عبيدة: فرقتهم فرقا. قال ابن عباس: هم اليهود، ليس من بلد إلا وفيه منهم طائفة. وقال مقاتل: هم بنو إسرائيل. وقيل: معناه: شتات أمرهم واقتراق كلمتهم. ﴿يَنْهَهُ الصَّالِحُونَ﴾ وهم المؤمنون بعيسى ومحمد ﷺ. ﴿وَيَمْنَهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ وهم الكفار. وقال ابن جرير: إنما كانوا على هذه الصفة قبل أن يبعث عيسى، وقبل اوتدادهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَكُونُهُمْ﴾ أي: اختبرناهم ﴿بِالْمَسْكَنَةِ﴾ وهي الخير، والخصب، والعافية، ﴿وَالشَّيْئَاتِ﴾ وهي الجذب، والشر، والشدائد؛ فالحسنات والسيئات تحت على الطاعة، أما النعم فلطلب الازدياد منها، وخوف زوالها، والنقم فلكشفها، والسلامة منها. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لكي يتوبوا.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَنِيهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ يَغْلِبْهُ يَأْخُذُوا أَلَمْ يَوْعَدْ عَلَيْهِمْ يَشِيقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا يَتَّقُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَنِيهِمْ﴾ أي: من بعد الذين وصفناهم. ﴿خَلَفٌ﴾ وقرأ الجوني، والجحدري: «خَلَفٌ» بفتح اللام. قال أبو عبيدة: الخَلَفُ والخَلْفُ واحد؛ وقوم يجعلون المحرك اللام، للصالح، والمسكن، لغير الصالح. وقال ابن قتبية: الخَلَفُ: الردي من الناس ومن الكلام، يقال: هذا خَلَفٌ من القول. وقال ابن الأنباري: أجش ما تستعمل العرب الخَلَفُ، بإسكان اللام، في الردي المذموم، وتفتح اللام في الفاضل الممدوح. وقد يوقع الخَلَفُ على

الممدوح، والخَلَفَ على المذموم؛ غير أن المختار ما ذكرناه. وفي المراد بهذا الخَلَف ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: النصارى. والثالث: أن الخَلَف من أمة محمد ﷺ، والقولان عن مجاهد. فإن قيل: الخَلَف واحد، فكيف قال: «يأخذون» وكذلك قال في [مریم: ٥٩] «أضاعوا»؟ فقد ذكر ابن الأنباري عنه جوابين: أحدهما: أن الخَلَف جمع خالف، كما أن المركب جمع راكب، والشَّرْب جمع شارب. والثاني: أن الخَلَف مصدر يكون للاثنتين والجميع، والمذكر والمؤنث.

قوله تعالى: ﴿وَرَوُّا الْكِتَابَ﴾ أي: انتقل إليهم انتقال الميراث من سلف إلى خلف، فيخرج في الكتاب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التوراة. والثاني: الإنجيل. والثالث: القرآن.

قوله تعالى: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ أي: هذه الدنيا، وهو ما يعرض لهم منها. وقيل: سماء عرضاً، لقلة بقائه. قال ابن عباس: يأخذون ما أحبوا من حلال أو حرام. وقيل: هو الرüşة في الحكم. وفي وصفه بالأدنى قولان: أحدهما: أنه من الدنؤ. والثاني: أنه من الدناءة.

قوله تعالى: ﴿سَيَقَرُّ لَنَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: إنا لا نواخذ، تَمْثِيلاً على الله الباطل. والثاني: أنه ذنب يغفره الله لنا، تأميراً لرحمة الله تعالى. وفي قوله: ﴿وَلَنْ يَأْتِيَهُمْ عَرَضٌ يَشْتَرُوا بِأَلْسِنَتِهِمُ﴾ قولان: أحدهما: أن المعنى: لا يشبعهم شيء، فهم يأخذون لغير حاجة، قاله الحسن. والثاني: أنهم أهل إصرار على الذنوب، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَخُذْ عَلَيْهِمُ يَسْتَكْ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ قال ابن عباس: وكّد الله عليهم في التوراة أن لا يقولوا على الله إلا الحق، فقالوا الباطل، وهو ما أوجبوا على الله من مغفرة ذنوبهم التي لا يتوبون منها، وليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار.

قوله تعالى: ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ معطوف على «ورثوا». ومعنى «درسوا ما فيه»: قرؤوه، فكانه قال: خالفوا على علم. «وَالنَّارُ الْآخِرَةُ» أي: ما فيها من الثواب ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن الباقي خير من الفاني. قرأ ابن عامر، ونافع، وحفص عن عاصم: بالناء، والباقون: بالياء.

﴿وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحزمة، والكسائي وحفص عن عاصم «يمسكون» مشددة، وقرؤوا «ولا تسيكوا» بصم الكواكب مخففة [المتحفة: ١٠] وقرأهما أبو عمرو بالتشديد. وروى أبو بكر عن عاصم أنه خففهما. ويقال: مسكت بالشئ، وتمسكت به، واستمسكت به، وامسكت به. وهذه الآية نزلت في مؤمني أهل الكتاب الذين حفظوا حدوده ولم يحرفوه، منهم [عبد الله] بن سلام وأصحابه. قال ابن الأنباري: وخبر «الذين»: «إنا» وما بعده، وله ضمير مقدر بعد «المصلحين» تأويله: والذين يمسكون الكتاب إنا لا نضيع أجر المصلحين منهم، ولهذه العلة وعدهم حفظ الأجر بشرط، إذ كان منهم من لم يصلح. قال: وقلا بعض النحويين: المصلحون يرجعون على الذين، وتلخيص المعنى عنده: والذين يمسكون بالكتاب، وأقاموا الصلاة، إنا لا نضيع أجرهم، فأظهرت كنايةهم بالمصلحين، كما يقال: عليّ لقيت الكسائي، وأبو سعيد رويت عن الخدري، يراة: لقيته ورويت عنه. قال الشاعر:

فيا ربّ ليلي أنت في كلّ موطنٍ

وأنت الذي في رَحْمَةِ الله أَطْمَعُ<sup>(١)</sup>

أراد في رحمته، فأظهر ضمير الهاء.

﴿وَلَا تَنْفَعُ الْجِبِلَّ تَوْفَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ زُلْفَىٰ بِهِمَّ خُلُوعًا مَّا أَتَيْنَتْكُمْ بِقُورٍ وَادَّكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الْجِبِلَّ تَوْفَهُمْ﴾ أي: واذكر لهم إذ تنفعا الجبل، أي: رفعناه. قال مجاهد: أخرج الجبل من الأرض، ورفع فوقهم كالظلة، فقبل لهم: لتؤمنن أو ليقعن عليكم. وقال قتادة: نزلوا في أصل جبل، فرفع فوقهم، فقال: لتأخذن أمري، أو لارمينكم به.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَا لَهُمْ رَافِعٌ يَوْمَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الظن المعروف. والثاني: أنه بمعنى اليقين. وباقى الآية مفسر في سورة [البقرة: ٦٣].

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان» - ونعمان قريب من عرفة - ذكره ابن قتيبة «فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها، فشرهم بين يديه كاللذر، ثم كلمهم قبلاً، وقال: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ»<sup>(١)</sup> ومعنى الآية: وإذا أخذ ربكم من ظهور بني آدم. فقله: «من ظهورهم» بدل من «بني آدم». وقيل: إنما قال: «من ظهورهم» ولم يقل: من ظهر آدم، لأنه أخرج بعضهم من ظهور بعض، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لأنه قد علم أنهم بنوه، وقد أخرجوا من ظهوره. وقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وحزمة، والكسائي «ذُرِّيَّتَهُمْ» على التوحيد. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر «ذُرِّيَّاتِهِمْ» على الجمع. قال أبو علي: الذرية تكون جمعاً، وتكون واحداً. وفي قوله: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أشهدهم على أنفسهم بإقرارهم، قاله مقاتل. والثاني: دلهم بخلقه على توحيده، قاله الزجاج. والثالث: أنه أشهد بعضهم على بعض بإقرارهم بذلك، قاله ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ والمعنى: وقال لهم: ألسنت بربكم؟ وهذا سؤال تقرير. قالوا: بلى شهدنا أنك ربنا. قال السدي: قوله: «شهدنا» خبر من الله تعالى عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم. ويحسن الوقف على قوله: «بلى» لأن كلام الذرية قد انقطع. وزعم الكلبي أن الذرية لما قالت «بلى» قال الله للملائكة: «اشهدوا» فقالوا: «شهدنا». وروى أبو العالية عن أبي بن كعب قال: جمعهم جميعاً، فجعلهم أزواجاً، ثم صورهم، ثم استنطقهم، ثم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ أنك إلهنا. قال: فلاني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أبابكم آدم ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ لم نعلم بهذا. وقال السدي: أجابته طائفة طائعين، وطائفة كارهين تقيّة.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ قرأ أبو عمرو «أن يقولوا»، «أو يقولوا» بالياء فيهما. وقرأ الباقون بالياء فيهما. قال أبو علي: حجة أبي عمرو قوله: «وإذا أخذ ربك» وقوله: «قالوا بلى»، وحجة من قرأ بالياء أنه قد جرى في الكلام خطاب «ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا». ومعنى قوله: «يقولوا»: لئلا يقولوا، ومثله: ﴿أَنْ تَبَيَّنَ بِكُمْ﴾ [لقمان: ١٠]. وفي قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا﴾ قولان: أحدهما: أنه إشارة إلى الميثاق والإقرار. والثاني: أنه إشارة إلى معرفة أنه الخالق. قال المفسرون: هذه الآية تذكير من الله تعالى بما أخذ على جميع المكلفين من الميثاق، واحتجاج عليهم لئلا يقول الكفار: إنا كنا عن هذا الميثاق غافلين لم نذكره، ونسيانهم لا يسقط الاحتجاج بعد أن أخبر الله تعالى بذلك على لسان النبي ﷺ الصادق. وإذا ثبت هذا بقول الصادق، قام في النفوس مقام الذكر، فالاحتجاج به قائم. ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَيْنِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ فأتبعنا منهاجهم على جهل منا بالهيتك ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ في دعواهم أن معك إلهاً. فقطع الله احتجاجهم بمثل هذا، إذ أذكرهم أخذ الميثاق على كل واحد منهم. وجماعة أهل العلم على ما شرحنا من أنه استنطق الذر، ورغب فيهم عقولاً وأفهاماً عرفوا بها ما عرض

(١) «المسند» ١٥١/٤، وهو في «مجمع الزوائد» ٢٥/٧ وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. ونقله ابن كثير في «التفسير» عن أحمد وقال: وقد روى هذا الحديث الثنائي في كتاب التفسير من «مسند» عن محمد بن عبد الرحمن صاعقة عن حسين بن محمد المروزي به، ورواه ابن جرير، وابن أبي حاتم من حديث حسين بن محمد به إلا أن ابن أبي حاتم جعله موقوفاً. وأخرجه الحاكم في «مستدرکه» من حديث حسين بن محمد وغيره عن جرير بن حازم عن كلثوم بن جبر به، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقد احتج مسلم بكلثوم بن جبر هكذا قال، وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبيرة فوقه، وكذا رواه إسماعيل بن عليه، وكيع عن ربيعة بن كلثوم بن جبر عن أبيه به، وكذا رواه العوفي، وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس، فهذا أكثر وأثبت.

عليهم. وقد ذكر بعضهم أن معنى أخذ الذرية: إخراجهم إلى الدنيا بعد كونهم نطفاً، ومعنى إشهداهم على أنفسهم: اضطرارهم إلى العلم بأنه خالقهم بما أظهر لهم من الآيات والبراهين. ولما عرفوا ذلك ودعاهم كل ما يرون ويشاهدون إلى التصديق، كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهدين على أنفسهم بصحته، كما قال: ﴿شَهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾ [التوبة: ١٧] يريد: هم بمنزلة الشاهدين، وإن لم يقولوا: نحن كفر، كما يقول الرجل: قد شهدت جوارحي بصدقك، أي: قد عرفته. ومن هذا الباب قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٩] أي: بين وأعلم. وقد حكى نحو هذا القول ابن الأنباري، والأول أصح، لموافقة الآثار<sup>(١)</sup>.

﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ﴾ أي: وكما بينا في أخذ الميثاق الآيات، ليتدبرها العباد فيعملوا بموجبها. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: ولكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر إلى التوحيد.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الْوَلَدِ مَائِيَّةَ مَائِيَّةٍ فَنَسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ قال الزجاج: هذا نسق على ما قبله، والمعنى: اتل عليهم إذ أخذ ربك، ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الْوَلَدِ مَائِيَّةَ مَائِيَّةٍ﴾ وفيه ستة أقوال: أحدها: أنه رجل من بني إسرائيل يقال له: بلعم بن أبر، قاله ابن مسعود. وقال ابن عباس: بلعم بن باعوراء. وروى عنه: أنه بلعام بن باعور، وبه قال مجاهد، وعكرمة، والسدي. وروى العوفي عن ابن عباس أن بلعاماً من أهل اليمن. وروى عنه ابن أبي طلحة أنه من مدينة الجبارين. والثاني: أنه أمية بن أبي الصلت، قاله عبد الله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن المسيب، وأبو روق، وزيد بن أسلم، وكان أمية قد قرأ الكتب، وعلم أن الله مرسل رسولاً، ورجا أن يكون هو، فلما بعث النبي ﷺ حسده وكفر. والثالث: أنه أبو عامر الراهب، روى الشعبي عن ابن عباس قال: الأنصار تقول: هو الراهب الذي بُني له مسجد الشقاق، وروى عن ابن المسيب نحوه. والرابع: أنه رجل كان في بني إسرائيل، أعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيهن، وكانت له امرأة له منها ولد، وكانت سمجة دميعة، فقالت: ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، فدعا الله لها، فلما علمت أن ليس في بني إسرائيل مثلها، رغبت عن زوجها وأرادت غيره، فلما رغبت عنه، دعا الله أن يجعلها كلبه تَبَاحَةً، فذهبت منه فيها دعوتان، فجاء بنوها وقالوا: ليس بنا على هذا صبر أن صارت أثنا كلباً تَبَاحَةً يعبرنا الناس بها، فادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليها أولاً، فدعا الله، فعادت كما كانت، فذهبت فيها الدعوات الثلاث، رواه عكرمة عن ابن عباس، والذي روي لنا في هذا الحديث «وكانت سَمِجَةً» بكسر الميم، وقد روى سيبويه عن العرب أنهم يقولون: رجل سَمِجٌ: بتسكين الميم، ولم يقولوا: سَمِجٌ؛ بكسرهما. والخامس: أنه المنافق، قاله الحسن. والسادس: أنه يكمل من انسلخ من الحق بعد أن أعطيه من اليهود والنصارى والحنفاء، قاله عكرمة. وفي الآيات خمسة أقوال: أحدها: أنه اسم الله الأعظم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال ابن جبير. والثاني: أنها كتاب من كتب الله ﷻ. روى عكرمة عن ابن عباس قال: هو بلعام، أوتي كتاباً فانسلك منه. والثالث: أنه أوتي النبوة، فَرُشِّدَ قَوْمُهُ عَلَى أَنْ يَسْكُتَ، ففعل وتركهم على ما هم عليه، قاله مجاهد، وفيه بُعد، لأن الله تعالى لا يصطفي لرسالته إلا معصوماً عن مثل هذه الجبال. والرابع: أنها حُجَج التوحيد، وفهم أدلتها. والخامس: أنها العلم بكتب الله ﷻ. والمشهور في التفسير أنه بلعام، وكان من أمره على ما ذكره المفسرون أن موسى ﷺ غزا البلد الذي هو فيه، وكانوا كفاراً، وكان هو مجاب الدعوة، فقال ملكهم: ادع على موسى، فقال: إنه من أهل ديني، ولا ينبغي لي أن أدعو عليه، فأمر الملك أن تحت خشية لصلبه، فلما رأى ذلك، خرج على أتان له ليدعو على موسى، فلما عاين عسكرهم، وقت الأتان فضرها، فقالت: لم تضربني، وهذه نازة تتوقد قد منعتني أن أمشي؟ فارجع، فرجع إلى الملك فأخبره، فقال: إما أن تدعو عليهم، وإما أن أصلي بك، فدعا على موسى باسم الله الأعظم أن لا يدخل المدينة،

فاستجاب الله له، فوقع موسى وقومه في التيه يدعائه، فقال موسى: يا رب، بأي ذنب وقعنا في التيه؟ فقال: بدعاء بلعم. فقال: يا رب، فكما سمعت دعاءه عليّ، فاسمع دعائي عليه، فدعا الله أن ينزع منه الاسم الأعظم، فنزع منه. وقيل: إن بلعام أمر قومه أن يزينوا النساء ويرسلوهن في العسكر ليفشو الزنا فيهم، فنصروا عليهم. وقيل: إن موسى قتله بعد ذلك. وروى السدي عن أشياخه أن بلعم أتى إلى قومه متبرعاً، فقال: لا ترهبوا بني إسرائيل، فإنكم إذا خرجتم لقتالهم، دعوت عليهم فهلكوا، فكان فيما شاء عندهم من الدنيا. وذلك بعد مضي الأربعين سنة التي تاهوا فيها، وكان نبيهم يوشع، لاموسى.

قوله تعالى: ﴿فَأَسْلَخَ مِنْهَا﴾ أي: خرج من العلم بها.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ قال ابن قتيبة: أدركه. يقال: اتبعت القوم: إذا لحقتهم، وتبعتهم: سرت في أثرهم. وقرأ طلحة بن مصرف: «فاتبعه» بالتشديد. وقال البيهقي: اتبعه وأتبعه لغتان. وكان «أتبعه» خفيفة بمعنى: قفاه، و«أتبعه» مشددة: حذا حذوه. ولا يجوز أن تقول: أتبعناك، وأنت تريد: أتبعناك، لأن معناها: اقتدينا بك. وقال الزجاج: يقال: تبع الرجل الشيء وأتبعه بمعنى واحد. قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَتَّبِعْ هَذَا﴾ [البقرة: ٢٣٨] وقال: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ رَعْدٌ﴾ [يونس: ٩٠].

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ مِنَ الْفَاقِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: من الضالين، قاله مقاتل. والثاني: من الهالكين الفاسدين، قاله الزجاج.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَشَبَّهُ لَكَلْبٍ إِنَّ تَحِيْلَ عَلَيْهِ يَلْهَتْ أَوْ تَقَرُّعُهُ يَلْهَتْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْرِ الْآيَةِ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ في هاء الكناية في «رفعناه» قولان: أحدهما: أنها تعود إلى الإنسان المذكور، وهو قول الجمهور: فيكون المعنى: ولو شئنا لرفعنا منزلة هذا الإنسان بما علمناه. والثاني: أنها تعود إلى الكفر بالآيات، فيكون المعنى: لو شئنا لرفعنا عنه الكفر بآياتنا، وهذا المعنى مروي عن مجاهد. وقال الزجاج: لو شئنا لخلنا بينه وبين المعصية.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: ركن إلى الدنيا وسكن. قال الزجاج: يقال: أخلد وخلد، والأول أكثر في اللغة. والأرض هاهنا عبارة عن الدنيا، لأن الدنيا هي الأرض بما عليها. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: أنه ركن إلى أهل الدنيا، ويقال: إنه أرضى امرأته بذلك، لأنها حملته عليه. وقيل: أرضى بني عمه وقومه. والثاني: أنه ركن إلى شهوات الدنيا؛ وقد بين ذلك بقوله: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ والمعنى أنه انقاد لما دعاه إليه الهوى. قال ابن زيد: كان هواه مع قومه. وهذه الآية من أشد الآيات على أهل العلم إذا مالوا عن العلم إلى الهوى.

قوله تعالى: ﴿فَتَشَبَّهُ لَكَلْبٍ إِنَّ تَحِيْلَ عَلَيْهِ يَلْهَتْ أَوْ تَقَرُّعُهُ يَلْهَتْ﴾ معناه: أن هذا الكافر، إن زجرته لم ينزجر، وإن تركته لم يهتد، فالحالتان عنده سواء كحالاتي الكلب، فإنه إن طرد وحُمل عليه بالطرد كان لاهتاً، وإن ترك وريض كان أيضاً لاهتاً، والتشبيه بالكلب اللاهث خاصة؛ فالمعنى: فمثله كمثل الكلب لاهتاً؛ وإنما شبهه بالكلب اللاهث، لأنه أخس الأمثال على أخس الحالات وأبشعها. وقال ابن قتيبة: كل لاهث إنما يلهث من إعياء أو عطش، إلا الكلب، فإنه يلهث في حال راحته وحال كلاله، فضربه الله مثلاً لمن كذب بآياته، فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن لم تعظه فهو ضال، كالكلب إن طردته وزجرته فسعى لهث، أو تركته على حاله رابضاً لهث. قال المفسرون: زَجِرَ في منامه عن الدعاء على بني إسرائيل فلم ينزجر، وخاطبته أتانته فلم ينته، ففُضِرَ له هذا المثل ولسائر الكفار؛ فذلك قوله: ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْرِ الْآيَةِ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ لأن الكافر إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال؛ وهو مع إرسال الرمل إليه كمن لم يأت رسول ولا بينة.

قوله تعالى: ﴿فَأَقْصِصْ الْقِصَصَ﴾ قال عطاء: قَصَصَ الذين كفروا وكذبوا أنبياءهم.

﴿سَآءَ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسُهُمْ كَآثِرًا بِظُلْمِهِمْ ۖ﴾ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى وَمَن يُضِلِّ فَلَا تَنفِكُ عَنْهُ **الْمُضِلُّونَ** ﴿١٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿سَآءَ مَثَلًا﴾ يقال: ساء الشيء يسوء: إذا قُبِحَ، والمعنى: ساء مثلاً مثل القوم، فحُذِفَ المضاف، فُتَّصِبَ «مثلاً» على التمييز.

قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسُهُمْ كَآثِرًا بِظُلْمِهِمْ﴾ أي: يَضُرُّونَ بالمعصية.  
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كُفْرًا بَيْنَ الْمَنِّ وَالْإِنِّ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَفْئِدَةٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَآثِرُ بَلٍّ لَهُمْ أَصْلٌ أُولَٰئِكَ هُمُ الْتَافُوتُونَ﴾ ﴿١٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ أي: خلقنا. قال ابن قتيبة: ومنه ذرية الرجل، إنما هي الخلق منه، ولكن همزها يتركه أكثر العرب.

قوله تعالى: ﴿يَجَهَنَّمُ﴾ هذه اللام يسميها بعض أهل المعاني لام العاقبة، كقوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ وَخِزْيًا﴾ (القصص: ٨) ومثله قول الشاعر:

أَمْوَالُنَا لِذَوِي الْمِيرَاثِ نَجْمَعُهَا

ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز يعزّيه بموت ابنه، فقال:

تَعَزَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلِئْسَ

لَمَّا قَدْ تَرَى يُغْذَى الصَّغِيرُ وَيُؤَلَّدُ

وقد أخبر الله ﷺ في هذه الآية بنفاذ علمه فيهم أنهم يصيرون إليها بسبب كفرهم.

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ لما أعرض القوم عن الحق والتفكر فيه، كانوا بمنزلة من لم يفقه ولم يُبصر

ولم يسمع. وقال محمد بن القاسم النحوي: أراد بهذا كله أمر الآخرة، فإنهم يقولون أمر الدنيا.

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَآثِرُ بَلٍّ﴾ شُبَّهَهم بالأنعام لأنها تسمع وتبصر ولا تعتبر، ثم قال: ﴿بَلٍّ لَهُمْ أَصْلٌ﴾ لأن الأنعام تبصر منافعها ومضارها، فتلزم بعض ما تبصره، وهؤلاء يعلم أكثرهم أنه معاند، فيُقدِّم على النار، ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْتَافُوتُونَ﴾ عن أمر الآخرة.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سُبُحَّانَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿١٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ سبب نزولها أن رجلاً دعا الله في صلاته، ودعا الرحمن، فقال أبو جهل: ليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً، فما بال هذا يدعو اثنين؟ فأنزل الله هذه الآية، قاله مقاتل. فأما الحسنی، فهي تأنيت الأحسن. ومعنى الآية أن أسماء الله حسنى، وليس المراد أن فيها ما ليس بحسن. وذكر الماوردي أن المراد بذلك ما مالت إليه النفوس من ذكره بالعمو والرحمة دون السخط والنقمة. وقوله: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أي: نادوه بها، كقولك: يا الله، يا رحمن.

قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «يُلْحِدُونَ» بضم الياء، وكذلك في [النحل: ١٠٣] و[السجدة] و[الصافات: ٤٠]. وقرأ حمزة: «يَلْحَدُونَ» بفتح الحاء والياء فيهن. ووافقه الكسائي، وخلف في [النحل: ١٠٣]. قال الأخفش: أَلْحَدَ وَلَحَدَ: لغتان؛ فمن قرأ بهما أراد الأخذ باللغتين، فكان الإلحاد: العدول عن الاستقامة. وقال ابن قتيبة: يجورون عن الحق ويعدلون؛ [فيقولون: اللات والعزى ومناة وأشباه ذلك] ومنه لَحَدُ القبر، لأنه في جانب. قال الزجاج: ولا ينبغي لأحد أن يدعو بما لم يسم به نفسه، فيقول: يا جواد، ولا يقول: يا سخي؛ ويقول: يا قوي، ولا يقول: يا جلد، ويقول: يا رحيم، ولا يقول: يا رفيق، لأنه لم يصف نفسه بذلك. قال أبو سليمان الخطابي: ودليل هذه الآية أن الغلط في أسمائه والزيغ عنها إلحاد، ومما يُسمع على السنة العامة قولهم: يا سبحان، يا برهان، وهذا مهجور مستهجن لا قدوة فيه، وربما قال بعضهم: يا رب طه ويس. وقد أنكر ابن عباس على رجل قال: يا رب القرآن. وروي عن ابن عباس أن إلحادهم في أسمائه أنهم سموها بها أو ثابتهن، وزادوا فيها ونقصوا منها، فاشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان.



## فصل

والجمهور على أن هذه الآية محكمة، لأنها خارجة مخرج التهديد، كقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ﴾ [المنذر: ١١]، وقد ذهب بعضهم إلى أنها منسوخة بآية القتال، لأن قوله: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يَلْعَنُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ۖ﴾ يقتضي الإعراض عن الكفار، وهذا قول ابن زيد.

﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أَنْتَ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْلَمُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أَنْتَ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ ۖ﴾ أي: يعملون به، ﴿وَبِهِ يَعْلَمُونَ ۖ﴾ أي: وبالعامل به يعملون. وفيمن أريد بهذه الآية أربعة أقوال: أحدها: أنهم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان من هذه الأمة، قاله ابن عباس. وكان ابن جريج يقول: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: «هذه أمي، بالحق يأخذون ويعطون ويقضون»<sup>(١)</sup>. وقال قتادة: بلغنا أن النبي ﷺ كان إذا تلا هذه الآية قال: «هذه لكم وقد أعطي القوم مثلها»<sup>(٢)</sup> ثم يقرأ: ﴿وَمَنْ قَوَّرَ مُوسَى أَنْتَ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْلَمُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٥٩]. والثاني: أنهم من جميع الخلق، قاله ابن السائب. والثالث: أنهم الأنبياء. والرابع: أنهم العلماء، ذكر القولين الماوردي.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأَمْلَى لَهُمْ أَنْ يَكِيدُوا مِثْلَهُ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: هم أهل مكة. وقال مقاتل: نزلت في المستهزئين من قريش.

قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ قال الخليل بن أحمد: سنطوي أعمارهم في اغترار منهم. وقال أبو عبيدة: الاستدراج: أن يُتدرج إلى الشيء في خفية قليلاً قليلاً ولا يُهجم عليه، وأصله من الدَّرَجَة، وذلك أن الراقي والنازل يرقى ويتزل مرقاة مرقاة؛ ومنه: دَرَجَ الكتاب: إذا طواه شيئاً بعد شيء؛ ودرج القوم: إذا ماتوا بعضهم في إثر بعض. وقال البيهقي: الاستدراج: أن يأتيه من حيث لا يعلم. وقال ابن قتبية: هو أن يذيقهم من بأسه قليلاً قليلاً من حيث لا يعلمون، ولا يباغتهم به ولا يجاهرهم. وقال الأزهري: سَنَأْخِذُهُمْ قَلِيلًا قَلِيلًا من حيث لا يحتسبون؛ وذلك أن الله تعالى يفتح عليهم من النعم ما يبتغتهم به ويركونون إليه، ثم يأخذهم على غربتهم أغفل ما يكونون. قال الضحاك: كلما جددوا لنا معصية جددنا لهم نعمة. وفي قوله: ﴿وَمَنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قولان: أحدهما: من حيث لا يعلمون بالاستدراج. والثاني: بالهلكة.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ الإملاء: الإمهال والتأخير.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كَيْدِي مِثْلَهُ ۖ﴾ قال ابن عباس: إن مكري شديد. وقال ابن فارس: الكيد: المكر؛ فكل شيء عالجته فأنت تكيده. قال المفسرون: مكر الله وكيده: مجازاة أهل المكر والكيد على نحو ما بينا في سورة [البقرة: ١٥] و[آل عمران: ٥٤] من ذكر الاستهزاء والخداع والمكر.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا يَصْحَابُهُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَزِيرٌ مُبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرَبٌ إِلَيْهِمْ ۖ﴾ أي: حديث بعدد يؤمنون ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَيِّ لُغْوٍ يَضِلُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا يَصْحَابُهُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ سبب نزولها أن رسول الله ﷺ، علا على الصفا ليلة، ودعا قريشاً فخذلاً فخذلاً: يا بني فلان، يا بني فلان، فحذَّروهم بأس الله وعقابه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون، بات يصوت حتى الصباح، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>، قاله الحسن، وقاتة. ومعنى الآية: أولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة، أي: جنون، فحُثُّهم على التفكير في أمره ليعلموا أنه بريء من الجنون. ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هو ﴿إِلَّا﴾

(١) «الطبري» ٢٨٦/١٣، وابن كثير: ٢٦٩/٢، وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ١٤٩/٣، وزاد نُسبته إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ.

(٢) أورده السيوطي في «الدر» ١٤٩/٣ ونسب لابن جريج، وابن المنذر، وعبد بن حميد.

(٣) «الطبري» ٢٨٩/١٣، وابن كثير: ٢٧٠/٢. وأورده السيوطي في «الدر» وزاد نُسبته لابن المنذر، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

يَذَرُّ» أي: مخوف «ثُمَّ يَبَيِّنُ طَرِيقَ الْهُدَى. ثُمَّ حَثَّهُمْ عَلَى النَّظَرِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْعِلْمِ فَقَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لِيَسْتَدْلُوا عَلَى أَنَّ لَهَا صَانِعًا مَدْبِرًا؛ وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ الْمَلَكُوتِ فِي سُورَةِ [الأنعام: ٧٥].

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ﴾ قَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأَبِيٌّ، وَالْجَحْدَرِيُّ: «أَجَالَهُمْ». وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَوَّلَمَ يَنْظُرُوا فِي الْمَلَكُوتِ وَفِيمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَفِي أَنْ عَسَى أَنْ تَكُونَ أَجَالُهُمْ قَدْ قَرِبتَ فِيهِلِكُوا عَلَى الْكُفْرِ، وَيَصِيرُوا إِلَى النَّارِ ﴿يَأْتِي حَبِيبِي بِمَدَدٍ يُؤَيِّنُ﴾ يَعْنِي الْقُرْآنَ وَمَا فِيهِ مِنَ الْبَيَانِ. ثُمَّ ذَكَرَ سَبَبَ إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَيِّ هَلَاكٍ لَهُمْ وَبَلَدُهُمْ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَابْنُ عَامِرٍ: «وَبَلَدُهُمْ» بِالنُّونِ وَالرَّفْعِ. وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو: «بِالْيَاءِ وَالرَّفْعِ». وَقَرَأَ حَمْزَةً، وَالْكَسَايْنِيُّ: «وَبَلَدُهُمْ» بِالْيَاءِ مَعَ الْجَزْمِ خَفِيفَةً. فَمَنْ قَرَأَ بِالرَّفْعِ، اسْتَأْنَفَ، وَمَنْ جَزَمَ «وَبَلَدُهُمْ» عَطَفَ عَلَى مَوْضِعِ الْفَاءِ. قَالَ سَيِّبِيُّهِ: وَمَوْضِعُهَا جَزْمٌ؛ فَالْمَعْنَى: مَنْ يَضِلُّ اللَّهُ يَذَرُهُ؛ وَقَدْ سَبَقَ فِي سُورَةِ [البقرة: ١٥] مَعْنَى الطُّغْيَانِ وَالْعَمَةِ.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُحِيطُ بِوَقْعِهَا إِلَّا مَن نُّقِلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ فِي سَبَبِ نَزُولِهَا قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنَا مَتَى السَّاعَةُ؟ فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: أَنَّ قُرَيْشًا قَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ قَرَابَةٌ، فَيَبَيِّنْ لَنَا مَتَى السَّاعَةُ؟ فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَه قَتَادَةُ<sup>(١)</sup>. وَقَالَ عُرْوَةُ: الَّذِي سَأَلَهُ عَنِ السَّاعَةِ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ. وَالْمُرَادُ بِالسَّاعَةِ هَاهُنَا الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا الْخَلْقُ.

قوله تعالى: ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَي: مَتَى مُرْسَاهَا؟ أَي: مَتَاهَا. وَمَرَسَ السَّفِينَةَ: حَيْثُ تَنْتَهِي. وَقَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ: «أَيَّانَ» بِمَعْنَى: مَتَى؛ وَ «مَتَى» بِمَعْنَى: أَيَّ حِينٍ، وَنَرَى أَنَّ أَصْلَهَا: أَيَّ أَوَانٍ؛ فَحُذِفَتِ الْهَمْزَةُ [وَالْوَاوُ]، وَجُعِلَ الْحَرْفَانِ وَاحِدًا، وَمَعْنَى الْآيَةِ: مَتَى ثُبُوتُهَا؟ يُقَالُ: رَسَا فِي الْأَرْضِ، أَي: ثَبَتَ، وَمَنْهَ قِيلَ لِلْجِبَالِ: رَوَاسِي. قَالَ الزَّجَّاجُ: وَمَعْنَى الْكَلَامِ: مَتَى وَقُوعُهَا؟

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ أَي: قَدْ اسْتَثْنَى بِعِلْمِهَا «لَا يُحِيطُ بِهَا» أَي: لَا يَظْهَرُهَا فِي وَقْعِهَا «إِلَّا مَن» قوله تعالى: ﴿نُقِلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: ثَقُلَ وَقُوعُهَا عَلَى أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ، وَوَجْهُهُ أَنَّ الْكُلَّ يَخَافُونَهَا، مُحْسِنُهُمْ وَمُسِيئُهُمْ. وَالثَّانِي: عَظُمَ شَأْنُهَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَالَه عِكْرَمَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَابْنُ جَرِيرٍ. وَالثَّلَاثُ: خَفِيَ أَمْرُهَا، فَلَمْ يُعْلَمْ مَتَى كَوْنُهَا، قَالَه السُّدِّيُّ. وَالرَّابِعُ: أَنَّ «فِي» بِمَعْنَى «عَلَى» فَالْمَعْنَى: ثَقُلَتْ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَالَه قَتَادَةُ. قوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً﴾ أَي: فُجَاءَةً<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَلَيْهِمْ﴾ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ مِنَ الْمَقْدَّمِ وَالْمُؤَخَّرِ، فَتَقْدِيرُهُ: يَسْأَلُونَكَ عَنْهَا كَأَنَّكَ حَفِيٌّ، أَي: بَرٌّ بِهِمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي حَقِيْقَةٍ﴾ [مريم: ٤٧]. قَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَسْبَاطُ عَنْ السُّدِّيِّ: كَأَنَّكَ صَدِيقٌ لَهُمْ. وَالثَّانِي: كَأَنَّكَ حَفِيٌّ بِسُؤَالِهِمْ، مُجِيبٌ لَهُمْ. قَالَ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَأَنَّكَ يَعِجْبُكَ سُؤَالُهُمْ. وَقَالَ خَصِيفٌ عَنْ مُجَاهِدٍ: كَأَنَّكَ تَحِبُّ أَنْ يَسْأَلُوكَ عَنْهَا. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: كَأَنَّكَ قَرِيبٌ بِسُؤَالِهِمْ. وَالثَّلَاثُ: كَأَنَّكَ عَالِمٌ بِهَا، قَالَه الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ زَيْدٍ، وَالْفَرَّاءِ. وَالرَّابِعُ: كَأَنَّكَ اسْتَحْفِيتِ السُّؤَالَ عَنْهَا حَتَّى عَلِمْتَهَا، قَالَه ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ. وَقَالَ عِكْرَمَةُ: كَأَنَّكَ سُؤُولُ عَنْهَا. وَقَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ: كَأَنَّكَ مَعْنِيْ بَطْلَبُ

(١) قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ ٢٩٣/١٣: وَالصُّرَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنْ قَوْمًا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، وَجَازَ أَنْ يَكُونَ كَانُوا مِنْ قُرَيْشٍ، وَجَازَ أَنْ يَكُونَ كَانُوا مِنَ الْيَهُودِ، وَلَا خَبَرَ بِذَلِكَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ قَطَّاعٍ قَطَعَ الْقَوْلَ عَلَى أَيِّ ذَلِكَ كَانَ.

(٢) رَوَى الْبُخَارِيُّ ٧٧/١٣ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَيْمَا بَيْنَهُمَا، فَلَا يَتْبَاعُهُمَا وَلَا يَطْوِيَانَهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَيْنٍ لَحَقَتْهُ فَلَا يَطْعُمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقَى فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَكْلُهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعُمُهَا» وَهُوَ جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ طَوِيلٍ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ السَّاعَةَ تَأْتِي بَغْتَةً. وَقَوْلُهُ: «يَلِيطُ حَوْضَهُ» يَفْتَحُ أَوَّلَهُ مِنَ الثَّلَاثِي، وَيُضَمُّ مِنَ الرَّيَاضِيِّ، وَالْمَعْنَى: يَصْلَحُهُ بِالطَّيْنِ وَالْمَدَرِ، فَيَسِدُ شَقْوَقَهُ، لِيَمْلَأَهُ وَيَسْقِي مِنْهُ دَوَابَّهُ.

علمها. وقال ابن الأنباري: فيه تقديم وتأخير، تقديره: يسألونك عنها كأنك حفي بها، والحفي في كلام العرب: المعنى.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمْتُكُمْ الْقُرْآنَ﴾ أي: لا أعلمها إلا هو ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال مقاتل في آخرين: المراد بالناس هاهنا أهل مكة. وفي قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ قولان: أحدهما: لا يعلمون أنها كائنة، قاله مقاتل. والثاني: لا يعلمون أن هذا مما استأثر الله بعلمه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ أَهْلَ الْقَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْغَيْبِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِلَّا أَنَا إِلَّا يُؤَيِّرُ وَبَيِّرُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ سبب نزولها أن أهل مكة قالوا: يا محمد، ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو، فتشتري فتربح، وبالأرض التي تريد أن تجذب، فترحل عنها إلى ما قد أخصب؟ فنزلت هذه الآية، روي عن ابن عباس. وفي المراد بالنفع والضرر قولان: أحدهما: أنه عام في جميع ما ينفع ويضر، قاله الجمهور. والثاني: أن النفع: الهدى، والضرر: الضلالة، قاله ابن جريج.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا ما أراد أن أملكه بتمليكه إياي؛ ومن هو على هذه الصفة فكيف يعلم علم الساعة؟

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ أَهْلَ الْقَيْبِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لو كنت أعلم بجذب الأرض وقحط المطر قبل كون ذلك لهيات لسنه الجذب ما يكفيها، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لو كنت أعلم ما أربح فيه إذا اشتريته لاستكثر من الخير، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: لو كنت أعلم متى أموت لاستكثر من العمل الصالح، قاله مجاهد. والرابع: لو كنت أعلم ما أسأل عنه من الغيب لأجبت عنه. ﴿وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ﴾ أي: لم يلحني تكذيب، قاله الزجاج. فأما الغيب، فهو كل ما غاب عنك. ويخرج في المراد بالخير هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه العمل الصالح. والثاني: المال. والثالث: الرزق.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الفقر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه كل ما يسوء، قاله ابن زيد. والثالث: الجنون، قاله الحسن. والرابع: التكذيب، قاله الزجاج. فعلى قول الحسن، يكون هذا الكلام مبتدأ، والمعنى: وما بي من جنون إنما أنا نذير، وعلى باقي الأقوال يكون متعلّقاً بما قبله.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّيَا حَمَلًا حَقِيْبًا قَمَرَتْ بِهِ فَمَلَأَ أَنتَ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْنَا صَبِيْلاً لَتَكُوْنَنَّ مِنَ الْكَافِرِيْنَ﴾ ﴿فَلَمَّا ءَاتَيْنَا صَبِيْلاً قَمَرَتْ بِهِ فَمَلَأَ أَنتَ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْنَا صَبِيْلاً لَتَكُوْنَنَّ مِنَ الْكَافِرِيْنَ﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني بالنفس: آدم، ويزوجها: حواء. ومعنى ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: لِيَأْسُ بِهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا. ﴿فَلَمَّا تَغَشَّيَا﴾ أي: جامعها. قال الزجاج: وهذا أحسن كناية عن الجماع. والحمل، بفتح الحاء: ما كان في بطن، أو أخرجه شجرة. والحمل، بكسر الحاء: ما يُحْمَل. والمراد بالحمل الخفيف: الماء.

قوله تعالى: ﴿قَمَرَتْ بِهِ﴾ أي: استمرت به، قعدت وقامت ولم يُثْقَلْها. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وابن عباس، والضحاك: «فاستمرت به». وقرأ أبي بن كعب، والجوني: «استمارت به» بزيادة ألف. وقرأ عبد الله بن عمرو، والجدري: «فماوت به» بآلف وتشديد الراء. وقرأ أبو العالية، وأيوب، ويحيى بن يعمر: «قَمَرَتْ بِهِ» خفيفة الراء، أي: شكّت وتمارت أحملت، أم لا؟ ﴿فَلَمَّا أَتَتْكَ﴾، أي: صار حملها ثقيلاً. وقال الأخفش: صارت ذا ثقل. يقال: ائمرنا، أي: صرنا ذوي ثمر.

قوله تعالى: ﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ يعني آدم وحواء ﴿لَئِنْ ءَاتَيْنَا صَبِيْلاً﴾ وفي المراد بالصالح قولان: أحدهما: أنه الإنسان المشابه لهما، وخافا أن يكون بهيمة، هذا قول الأكثرين. والثاني: أنه الغلام، قاله الحسن، وقادة.

## شرح السبب في دعائهما

ذكر أهل التفسير أن إبليس جاء حواء، فقال: ما يدريك ما في بطنك، لعله كلب أو خنزير أو حمار؛ وما يدريك من أين يخرج، أيشق بطنك، أم يخرج من فيك، أو منخريك؟ فأخزنها ذلك، فدعوا الله حينئذ، فجاء إبليس فقال: كيف تجدنيك؟ قالت: ما أستطيع القيام إذا قعدت، قال: أفرأيت إن دعوت الله، فجعله إنساناً مثلك ومثل آدم، أتسمينه باسمي؟ قالت: نعم. فلما ولدته سوياً، جاءها إبليس فقال: لم لا تُسمّيه بي كما وعدتني؟ فقالت: وما اسمك؟ قال: الحارث، وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث، فسمته: عبد الحارث، وقيل: عبد شمس برضى آدم، فذلك قوله: ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَليماً جَمَلًا لَمْ يَشْكُرَا﴾<sup>(١)</sup>. قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «شركاء» بضم الشين والمد، جمع شريك. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: «شركاً» مكسورة الشين على المصدر، لا على الجمع. قال أبو علي: من قرأ «شركاً» حذف المضاف، وكأنه أراد: جعلاً له ذا شريك، وذوي شريك؛ فيكون المعنى: جعلاً لغيره شركاً، لأنه إذا كان التقدير: جعلاً له ذوي شريك، فالمعنى: جعلاً لغيره شركاً؛ وهذه القراءة في المعنى كقراءة من قرأ «شركاء». وقال غيره: معنى «شركاء»: شريكاً، فأوقع الجمع موقع الواحد كقوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. والمراد بالشريك: إبليس، لأنهما أطاعاه في الاسم، فكان الشريك في الطاعة، لا في العبادة؛ ولم يقصدا أن الحارث ربهما، لكن قصدا أنه سبب نجاة ولدهما؛ وقد يُطلق العبد على من ليس بملوك. قال الشاعر:

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِياً

وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شَيْمَةِ الْعَبْدِ<sup>(٢)</sup>

وقال مجاهد: كان لا يعيش لآدم ولد، فقال الشيطان: إذا وُلد لكما ولد فسمياه عبد الحارث، فأطاعاه في الاسم، فذلك قوله: ﴿جَمَلًا لَمْ يَشْكُرَا فِيمَا أَتَاهُمَا﴾<sup>(٣)</sup>، هذا قول الجمهور، وفيه قول ثانٍ، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: ما أشرك آدم، إن أول الآية لشكر، وآخرها مثل ضربه الله لمن يعبد في قوله: ﴿جَمَلًا لَمْ يَشْكُرَا فِيمَا أَتَاهُمَا﴾. وروى قتادة عن الحسن، قال: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً فهو دودهم ونصروهم<sup>(٤)</sup>. وروي عن الحسن، وقاتدة قالاً: الضمير في قوله: ﴿جَمَلًا لَمْ يَشْكُرَا﴾ عائد إلى النفس وزوجه من ولد آدم، لا إلى آدم وحواء. وقيل: الضمير راجع إلى الولد الصالح، وهو السليم الخلق، فالمعنى: جعل له ذلك الولد شركاء. وإنما قيل: «جعلاً» لأن حواء كانت تلد في كل بطن ذكراً وأنثى. قال ابن الأنباري: الذين جعلوا له شركاء اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار الذين هم أولاد آدم وحواء. فتأويل الآية: فلما أتاهما صالحاً، جعل أولادَهُما له شركاء، فحذف الأولاد وأقامهما مقامهم كما قال: ﴿وَتَشْتَلِي الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٤٨٢]. وذهب السدي إلى أن قوله: ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ في مشركي العرب خاصة، وأنها مفصولة عن قصة آدم وحواء.

﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَمُمْ يَخْلُقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ قال ابن زيد: هذه لآدم وحواء حيث سمّيا ولدهما عبد شمس، والشمس لا

(١) «الطبري» ٣٠٧/١٣ - ٣٠٨. ثم قال الطبري عقبه: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن آدم وحواء أنهما دعوا الله ربهما بحمل حواء، وأقسما لئن أعطاهما ما في بطن حواء صالحاً، ليكونان لله من الشاكرين، والصالح قد يشمل معاني كثيرة، منها الصلاح في استواء الخلق، ومنها الصلاح في الدين، والصالح في العقل والتدبير، وإذا كان ذلك كذلك ولا خبر عن الرسول يوجب الحجة بأن ذلك على بعض معاني الصلاح دون بعض، ولا فيه من العقل دليل، وجب أن يعم كما عمه الله يقال: إنهما قالاً: لئن آتيتنا صالحاً بجميع معاني الصلاح.

(٢) البيت للمفتح الكندي وهو في «الحامسة» ١١٨٠/٣، و«الأمالي» ٢٧٧/١، ورواية الشطر الثاني فيهما: «وما شيمة لي غيرها تشبه العبد».

(٣) «الطبري» ٣١٢/١٣، وابن كثير: ٢٧٥/٢ من طريق ابن أبي حاتم عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب.

(٤) «الطبري» ٣١٥/١٣، وابن كثير: ٢٧٥/٢ وقال: وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن عليه السلام أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفسير، وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عدل عنه هو ولا غيره، ولا سيما مع تنواه الله وورعه، فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم، مثل كعب أو وهب بن منبه، وغيرهما كما سيأتي بيانه إن شاء الله، إلا أننا برتنا من عهدة المرفوع، والله أعلم.



﴿وَأَن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿١٩٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا﴾ في المراد بهؤلاء قولان: أحدهما: أنهم الأصنام. ثم في قوله: ﴿وَتَرَاهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ﴾ قولان: أحدهما: يواجهونك، تقول العرب: داري تنظر إلى دارك، ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ لأنه ليس فيهم أرواح. والثاني: وتراهم كأنهم ينظرون إليك، لأن لهم أعيناً مصنوعة، فأسقط كاف التشبيه، كقوله: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ﴾ [الحج: ٢] أي: كأنهم سكارى، ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ في الحقيقة. وإنما أخبر عنهم بالهاء والميم، لأنهم على هيئة بني آدم. والقول الثاني: أنهم المشركون، فالمعنى: وتراهم ينظرون إليك بأعينهم ولا يبصرون بقلوبهم.

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿١٩٩﴾

قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ الميسور، وقد سبق شرحه في سورة (البقرة: ٢١٩). وفي الذي أمر بأخذ العفو منه ثلاثة أقوال: أحدها: أخلاق الناس، قاله ابن الزبير، والحسن، ومجاهد<sup>(١)</sup> فيكون المعنى: اقبل الميسور من أخلاق الناس، ولا تستقص عليهم فتظهر منهم البغضاء. والثاني: أنه المال، وفيه قولان: أحدهما: أن المراد بعفو المال: الزكاة، قاله مجاهد في رواية الضحاك. والثاني: أنها صدقة كانت تؤخذ قبل فرض الزكاة، ثم نُسخَت بالزكاة، روي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثالث: أن المراد به: مساهلة المشركين والعفو عنهم، ثم نسخ بآية السيف، قاله ابن زيد<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي: بالمعروف. وفي قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ قولان: أحدهما: أنهم المشركون، أمر بالإعراض عنه، ثم نُسخ ذلك بآية السيف. والثاني: أنه عام فيمن جهل، أمر بصيانة النفس عن مقابلتهم على سفهمهم، وإن وجب عليه الإنكار عليهم. وهذه الآية عند الأكثرين كلها محكمة، وعند بعضهم أن وسطها محكم، وطرفها منسوخان على ما بينا.

﴿وَأَمَّا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَوِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّكَ الْآيَةُ آتَتْهُمُ إِذَا سَأَلْتَهُم مِّنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ كَرُّوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ ﴿٢٠١﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ قال ابن زيد؛ لما نزلت ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ قال النبي ﷺ: «يا رب كيف بالغضب؟ فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>». فأما قوله: ﴿وَأَمَّا﴾ فقد سبق بيانه في سورة (البقرة) في قوله: ﴿وَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ [البقرة: ٣٨]، وقال أبو عبيدة: ومجاز الكلام: وإما تستخفك منه خفة وغضب وعجلة. وقال السدي: النزغ: الوسوسة وحديث النفس. قال الزجاج: النزغ: أدنى حركة تكون، تقول: قد نزغته: إذا حركته. وقد سبق معنى الاستعاذة.

قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طِيفٌ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي: «طيف» بغير ألف. وقرأ نافع، وهاصم، وابن عامر، وحمزة: «طائف» بألف ممدوداً مهموزاً. وقرأ ابن عباس، وابن جبيرة، والجحدري، والضحاك: «طَيْفٌ» بتشديد الياء من غير ألف. وهل الطائف والطيف بمعنى واحد، أم يختلفان؟ فيه قولان: أحدهما: أنها بمعنى واحد، وهما ما كان كالخيال والشيء يلم بك، حكى عن الفراء. وقال الأخفش: الطيف أكثر في كلام العرب من الطائف، قال الشاعر:

(١) «الطبري» ٣٢٦/١٣ - ٣٢٧، وابن كثير: ٢٧٧/٢. وروى البخاري في «صحيحه» ٢٢٩/٨ عن عبد الله بن الزبير: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ قال: ما أنزل الله [أي هذه الآية] إلا في أخلاق الناس. وروى البخاري أيضاً ٢٢٩/٨ أن ابن عباس قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من الثغر الذين يدينهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولاً كانوا أو شباناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: ساستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعينية، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: يني يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٢٠١﴾ وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله.

(٢) «الطبري» ٣٢٨/١٣.

(٣) وقال «الطبري» ٣٢٩/١٣: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معناه: خذ العفو من أخلاق الناس وارك الخليفة عليهم، وقال: أمر بذلك النبي ﷺ في المشركين.

(٤) «الطبري» ٣٣٣/١٣، وابن كثير: ٢٧٨/٢، وأورده السيوطي في «الدر» ١٥٤/٣ عن ابن جرير الطبري - وابن زيد: هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

أَلَا يَا لَقَعَزُمٍ لَطِيفِ الْخَيَالِ أَرَوْقٌ مِمَّنْ نَاسِجٌ ذِي دَلَالٍ<sup>(١)</sup>

والثاني: أن الطائف: ما يطوف حول الشيء، والطيْف: اللُمة والوسوسة والخُطرة، حكى عن أبي عمرو: وروي عن ابن عباس أنه قال: الطائف: اللُمة من الشيطان، والطيْف: الغضب. وقال ابن الأنباري: الطائف: الفاعل من الطيف؛ والطيْف عند أهل اللغة: اللُمة من الشيطان؛ وزعم مجاهد أنه الغضب.

قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: تذكروا الله إذا همُّوا بالمعاصي فتركوها، قاله مجاهد. والثاني: تفكروا فيما أوضح الله لهم من الحجة، قاله الزجاج. والثالث: تذكروا غضب الله؛ والمعنى: إذا جرَّاهم الشيطان على ما لا يحل، تذكروا غضب الله، فأمسكوا، فإذا هم مبصرون لمواضع الخطأ بالتفكير.

﴿وَلِيَخْشَوْهُمْ يَمْدُونَهُمْ فِي الْآلِي ثُمَّ لَا يَقْصُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِيَخْشَوْهُمْ يَمْدُونَهُمْ فِي الْآلِي﴾ في هذه الهاء والميم قولان: أحدهما: أنها عائدة على المشركين؛ فتكون هذه الآية مقدمة على التي قبلها، والتقدير: وأعرض عن الجاهلين، وإخوان الجاهلين، وهم الشياطين ﴿يَمْدُونَهُمْ فِي الْآلِي﴾ قرأ نافع: «يمدونهم» بضم الياء وكسر الميم. والياقون: بفتح الياء وضم الميم. قال أبو علي: عامة ما جاء في التنزيل فيما يُحمَد ويُستحب: أمددت، على أفعلت، كقوله: ﴿أَتَيْدُونِي بِسَالٍ﴾ [النمل: ٣٦] ﴿أَنَّمَا يُدِثُّهُمُ يَوْمَ مِّنْ تَالٍ﴾ [المؤمنون: ٥٥] ﴿وَأَتَدْنَهُمْ بِفِكَهَةٍ﴾ [الطور: ٢٢]، وما كان على خلافه يجيء على: مَدَدْتُ، كقوله: ﴿وَسَلَّكُمُ فِي طَفِينِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]؛ فهذا يدل على أن الوجه فتح الياء، إلا أن وجه قراءة نافع بمنزلة ﴿فَيُتَرَّمُهُ بِكَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]. قال المفسرون: ﴿يَمْدُونَهُمْ فِي الْآلِي﴾ أي: يزيئون لهم، ويريدون منهم لزومه؛ فيكون معنى الكلام: إن الذين اتَّقُوا إذا جرَّاهم الشيطان إلى خطيئة، تابوا منها، وإخوان الجاهلين، وهم الشياطين، يمدونهم في الغي، هذا قول الأكثرين من العلماء. وقال بعضهم: الهاء والميم ترجع إلى الشياطين، وقد جرى ذكرهم لقوله: «من الشيطان»؛ فالمعنى: وإخوان الشياطين يمدونهم. والثاني: أن الهاء والميم ترجع إلى المتقين؛ فالمعنى: وإخوان المتقين من المشركين، وقيل: من الشياطين يمدونهم في الغي، أي: يريدون من المسلمين أن يدخلوا معهم في الكفر، ذكر هذا القول جماعة منهم ابن الأنباري. فإن قيل: كيف قال: «وإخوانهم» وليسوا على دينهم؟ فالجواب: أنا إن قلنا: إنهم المشركون، فجائز أن يكونوا إخوانهم في النسب، أو في كونهم من بني آدم، أو لكونهم يظهرون النصح كالإخوان؛ وإن قلنا: إنهم الشياطين، فجائز أن يكونوا لكونهم مصاحبين لهم، والقول الأول أصح.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَقْصُرُونَ﴾ وقرأ الزهري، وابن أبي عبيدة: «لا يقصرون» بالتشديد. قال الزجاج: يقال: أقصر يقصُر، وقصُر يقصُر. قال ابن عباس: لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات، ولا الشياطين تقصِر عنهم؛ فعلى هذا يكون قوله: «يقصرون» من فعل الفريقين، وهذا على القول المشهور؛ ويخرج على القول الثاني أن يكون هذا وصفاً للإخوان فقط.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَنْتُمْ مَائِدَةٌ لِّكَ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَذِي زَكَاةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ﴾ يعني به المشركين. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: إذا لم تأتهم بآية، سألوها تعنتاً. قاله ابن السائب. والثاني: إذا لم تأتهم بآية لإبطاء الوحي، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ قولان: أحدهما: هلَّا افتعلتها من تلقاء نفسك، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد، والفراء، والزجاج، وابن قتيبة في آخرين، وحكى عن الفراء أنه قال: العرب تقول: اجتبيت الكلام، واختلقته، وارتجلته؛ إذا افتعلته من قبل نفسك. والثاني: هلَّا طلبتها لنا قبل مسألتك؟ ذكره الماوردي؛ والاول أصح.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنْتُمْ مَائِدَةٌ لِّكَ مِنْ رَبِّي﴾ أي: ليس الأمر لي.

قوله تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني القرآن. قال أبو عبيدة: البصائر بمعنى الحجج والبرهان والبيان، واحداً منها: بصيرة. وقال الزجاج: معنى البصائر: ظهور الشيء وبيانه.

(١) البيت لأمية بن عائذ في شرح «أشعار الهذليين» ٢/ ٤٩٤، قال السكري: الطيف: ما جاء في المنام، يقول: هذا الخيال جاء من امرأة نازحة ذات دلال، والدلال: الشكل والهيئة الحسنة، والنازح: البعيد، والأرق: أن يعضض عنه مرة ويفتحها أخرى، ويروى: «يؤرق» أي: يسهر غيره.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١)

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ اختلفوا في نزولها على خمسة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ قرأ في الصلاة المكتوبة، فقرأ أصحابه وراءه رافعين أصواتهم، فنزلت هذه الآية (١)، قاله ابن عباس. والثاني: أن المشركين كانوا يأتون رسول الله إذا صلى، فيقول بعضهم لبعض: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن المسيب. والثالث: أن فتي من الأنصار كان كلما قرأ النبي ﷺ شيئاً، قرأ هو، فنزلت هذه الآية، قاله الزهري. والرابع: أنهم كانوا يتكلمون في صلاتهم أول ما قرضت، فيجيء الرجل فيقول لصاحبه: كم صليتم؟ فيقول: كذا وكذا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. والخامس: أنها نزلت تأمر بالإنصات للإمام في الخطبة يوم الجمعة، روي عن عائشة، وسعيد بن جبيرة، وعطاء، ومجاهد، وعمر بن دينار في آخرين (٢).

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدَعْوَةَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٣)

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ في هذا الذكر أربعة أقوال: أحدها: أنه القراءة في الصلاة، قاله ابن عباس؛ فعلى هذا، أمر أن يقرأ في نفسه في صلاة الإسرار. والثاني: أنه القراءة خلف الإمام سرّاً في نفسه، قاله قتادة. والثالث: أنه يُحَرِّمُ الله باللسان. والرابع: أنه ذكر الله باستدامة الفكر، لا يغفل عن الله تعالى، ذكر القولين الماوردي. وفي المخاطب بهذا الذكر قولان: أحدهما: أنه المستمع للقرآن، إما في الصلاة، وإما من الخطيب، قاله ابن زيد. والثاني: أنه خطاب النبي ﷺ، ومعناه عام في جميع المكلفين.

قوله تعالى: ﴿تَضَرَّعًا وَخِيفَةً﴾ التضرع: الخشوع في تواضع؛ والخيفة: الحذر من عقابه.

قوله تعالى: ﴿وَدَعْوَةَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ الجهر: الإعلان بالشيء؛ ورجل جهر الصوت: إذا كان صوته عالياً. وفي هذا نص على أنه الذكر باللسان؛ ويحتمل وجهين: أحدهما: قراءة القرآن. والثاني: الدعاء، وكلاهما مندوب إلى إخفائه (٣)، إلا أن صلاة الجهر قد بين أدبها في قوله: ﴿وَلَا يَجْهَرُ بِصَوْتِكَ وَلَا تُنَافِئُ بِهِمَا﴾ [الإسراء: ١١٠]. فأما الغدو فهو جمع غُدوة؛ والآصال جمع أضل، والأضل جمع أصيل؛ فالآصال جمع الجمع، والآصال: العشيات. وقال أبو عبيدة: هي ما بين العصر إلى المغرب؛ وأنشد:

لَعَنَمُرِي لَأَنْتَ الْبَيْتُ أَكْرَمُ أَهْلِهِ وَأَقْعُدُ فِي أَفْيَاءِهِ بِالْأَصَائِلِ (٤)

وروي عن ابن عباس أنه قال: يعني بالغدو: صلاة الفجر؛ والآصال: صلاة العصر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (٥)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني الملائكة. ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: لا يتكبرون ويتعظمون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ وفي هذه العبادة قولان: أحدهما: الطاعة. والثاني: الصلاة والخضوع فيها. وفي قوله: ﴿يُسَبِّحُونَهُ﴾ قولان: أحدهما: يثنيونه عن السوء. والثاني: يقولون: سبحان الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ أي: يصلون. وقيل: سبب نزول هذه الآية أن كفار مكة قالوا: أنسجد لما تأمرنا؟ فنزلت هذه الآية تخبر أن الملائكة وهم أكبر شأناً منكم، لا يتكبرون عن عبادة الله. وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي ويقول: يا ويله، أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فمضيت فلي النار» (٥).



(١) ذكره السيوطي في «الدرر» ١٥٥/٣ عن ابن مردويه من رواية ابن عباس.

(٢) قال «الطبري» ٣٥٢/١٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: أمروا باستماع القرآن في الصلاة إذا قرأ الإمام وكان من خلفه ممن يأم به يسمعه، وفي الخطبة.

(٣) روى البخاري ٩٤/٦، ومسلم ٢٠٧٦/٤ عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ: «أيها الناس أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أسم ولا غالياً، إنكم تدعون سميماً قريباً وهو معكم» والملفظ لسلم.

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في «ديوان الهذليين» ١/١٤١، ومجاز القرآن ١/٢٣٩، و«الأغاني» ٦/٥٧، و«الخرائز» ٢/٤٧٩، ٥٦٤.

(٥) رواه مسلم ٨٧/١، وابن ماجه ٣٣٤/١ عن أبي هريرة ﷺ، وأورده السيوطي في «الدرر» ١٥٨/٣ وزاد نسبه للبيهقي.



## سورة الأنفال

وهي مدنية بإجماعهم. وحكى الماوردي عن ابن عباس أن فيها سبع آيات مكيات، أولها: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٣٠].

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَنْفَالِ عَلَى الْأَنْفَالِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر: «من قتل قتيلًا فله كذا وكذا، ومن أسر أسيرًا فله كذا وكذا»، فأما المشيخة، فثبتوا تحت الرايات، وأما الشبان، فسارعوا إلى القتل والغنائم، فقال المشيخة للشبان: أشركونا معكم، فإننا كنا لكم رداءً؛ فأبوا، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فنزلت سورة (الأنفال)، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن سعد بن أبي وقاص أصاب سيفاً يوم بدر، فقال: يا رسول الله، هبه لي، فنزلت هذه الآية، رواه مصعب بن سعد عن أبيه<sup>(٢)</sup>. وفي رواية أخرى عن سعد قال: قتلت سعيد بن العاص، وأخذت سيفه فأنتيت به رسول الله، فقال: «أذهب فاطرحه في القَبَضِ» فرجعت، وبني ما لا يعلمه إلا الله؛ فما جاوزت إلا قريباً حتى نزلت سورة (الأنفال)، فقال: «أذهب فخذ سيفك»<sup>(٣)</sup>. وقال السدي: اختصم سعد وناس آخرون في ذلك السيف، فسألوا النبي ﷺ، فأخذه النبي ﷺ منهم، فنزلت هذه الآية. والثالث: أن الأنفال كانت خالصة لرسول الله ﷺ، ليس لأحد منها شيء، فسألوه أن يعطيهم منها شيئاً، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وفي المراد بالأنفال ستة أقوال: أحدها: أنها الغنائم، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك، وأبو عبيدة، والزجاج، وابن قتيبة في آخرين. وواحد الأنفال: نَقْلٌ، قال لبيد:

إِنْ تَقَوَّيْ زُبْنَ خَيْرٌ نَقْلٌ      وَإِذِنْ اللَّوْ رَيْشِي وَعَجَلٌ<sup>(٤)</sup>

والثاني: أنها ما نَقَلَ رسول الله ﷺ القاتل من سلب قتيله. والثالث: أنها ما شذ من المشركين إلى المسلمين من عُبْد أو دابة بغير قتال، قاله عطاء. وهذا والذي قبله مرويان عن ابن عباس أيضاً. والرابع: أنه الخُمس الذي أخذه رسول الله ﷺ من الغنائم، قاله مجاهد. والخامس: أنه أنفال السرايا، قاله علي بن صالح بن حي. وحكي عن الحسن قال: هي السرايا التي تتقدم أمام الجيوش. والسادس: أنها زيادات يُؤَيَّرُ بها الإمام بعض الجيش لما يراه من المصلحة، ذكره الماوردي. وفي «عن» قولان: أحدهما: أنها زائدة، والمعنى: يسألونك الأنفال؛ وكذلك قرأ سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو العالية: «يسألونك الأنفال» بحذف «عن». والثاني: أنها أصل،

(١) «الطبري» ٣٦٨/١٣، ورواه أبو داود في «سننه» ١٠٢/٣ مع اختلاف يسير، وكذلك البيهقي ٢٩١/٦ - ٢٩٢، والحاكم ١٣١/٢ - ١٣٢، وقال: صحيح، وأقره الذهبي. وخرجه ابن كثير في «تفسيره» ٢٨٤/٢ وزاد نُسبته إلى النسائي، وابن حبان، وابن مردويه. وذكره السيوطي في «الدر» ١٥٩/٣، وزاد، نسبته إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وأبي الشيخ.

(٢) «الطبري» ٣٧٦/١٣، ورواه مسلم ٥٣/١٢ - ٥٤ باطول منه، وخرجه ابن كثير في «تفسيره» ٢٨٣/٢، ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» ٢٩١/٦.

(٣) «المسنَد» ٧٨/٣، و«الطبري» ٣٧٣/١٣، و«الأموال» لأبي عبيد (٣٠٣) وهو ضعيف لانقطاعه، فإن محمد بن عبيد الله الثقفي أبو عون لم يدرك سعداً، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في خلال الخبر: قتلت سعيد بن العاص، وقال غيره: العاص بن سعيد. قال أبو عبيد: هذا عندنا هو المحفوظ. وفي «الإصابة» ٣٦٦/٣: وأخرجه البغوي من طريق محمد بن عبيد الله الثقفي عن سعيد قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير، وقتلت أنا سعيد بن العاص، قال الحافظ ابن حجر: كذا فيه، والصواب: العاص بن سعيد بن العاص، فإنه قتل يوم بدر كافراً، أما سعيد بن العاص بن أمية، فإنه مات قبل بدر مشركاً.

(٤) «ديوانه» ١٧٤، و«مجاز القرآن» ٢٤٠/١، و«جمهرة الأشعار» ٧، و«الطبري» ٣٦٦/١٣، و«غريب القرآن» ١٧٧، و«اللسان»: نقل. وقوله: خير نقل، هذه رواية الأصمعي، وروى أبو عبيدة: خير النقل، قال أبو الحسن: النقل: الفضل والمصلحة. والريث: مصدر رثت أريث: إذا أبطأت.

والمعنى: يسألونك عن الأنفال لمن هي؟ أو عن حكم الأنفال؛ وقد ذكرنا في سبب نزولها ما يتعلق بالقولين. وذكر أنهم إنما سألوا عن حكمها لأنها كانت حراماً على الأمم قبلهم.

### فصل

واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية، فقال بعضهم: إنها ناسخة من وجه، منسوخة من وجه، وذلك أن الغنائم كانت حراماً في شرائع الأنبياء المتقدمين، فنسخ الله ذلك بهذه الآية، وجعل الأمر في الغنائم إلى ما يراه الرسول ﷺ ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسُهُ﴾ [الأنفال: ٤١]. وقال آخرون: المراد بالأنفال شيان: أحدهما: ما يجعله الرسول ﷺ لطائفة من شجعان العسكر ومتقدميه، يستخرج به نصحبهم، ويحرضهم على القتال. والثاني: ما يفضل من الغنائم بعد قسمتها كما روي عن ابن عمر قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فغنمنا إبلاً، فأصاب كل واحد منا اثنا عشر بعيراً، وقُتلنا بعيراً بعيراً؛ فعلى هذا هي محكمة، لأن هذا الحكم باقٍ إلى وقتنا هذا.

### فصل

ويجوز التَّغْلُّ قبل إحراز الغنيمة، وهو أن يقول الإمام: من أصاب شيئاً فهو له، وبه قال الجمهور. فأما بعد إحرازها، ففيه عن أحمد روايتان. وهل يستحق القاتل سَلْبَ المقتول إذا لم يشترط له الإمام؟ فيه قولان: أحدهما: يستحقه، وبه قال الأوزاعي، والليث، والشافعي. والثاني: لا يستحقه، ويكون غنيمة للجيش، وبه قال أبو حنيفة، ومالك؛ وعن أحمد روايتان كالقولين.

قوله تعالى: ﴿فِي الْأَنْفَالِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ يحكمان فيها ما أَرَادَا، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك مخالفته ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ قال الزجاج: معنى «ذات بينكم» حقيقة وصلحكم. والبين: الوصل؛ كقوله: ﴿لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]. ثم في المراد بالكلام قولان: أحدهما: أن يَرُدَّ القويُّ على الضعيف، قاله عطاء. والثاني: ترك المنازعة تسليماً لله ورسوله.

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: اقبلوا ما أمركم به في الغنائم وغيرها. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ قال الزجاج: إذا ذُكِرَتْ عظمته وقدرته وما خَوْفُ به من عصاه، فزعت قلوبهم، قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَا وَجَلَ

على أَيْنَا تَغْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ<sup>(١)</sup>  
يقال: وَجَلَ يُوْجَلُ وَيَجَلُ وَيَجَلُّ، هذه أربع لغات حكاهما سيويه. وأجودها: يُوْجَلُ. وقال السدي: هو الرجل يهم بالمعصية، فيذكر الله فيترع عنها.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ﴾ أي: آيات القرآن. وفي قوله: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تصديقاً، قاله ابن عباس. والمعنى: أنهم كلما جاءهم شيء عن الله آمنوا به فزادوا إيماناً بزيادة الآيات. والثاني: يقيناً، قاله الضحاك. والثالث: خشية الله، قاله الربيع بن أنس. وقد ذكرنا معنى التوكل في [آل عمران: ١٢٢].

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ قال ابن عباس: يعني الصلوات الخمس: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ يعني الزكاة. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ قال الزجاج: «حقاً» منصوب بمعنى دلت عليه الجملة، والجملة «أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ»، فالمعنى: أحق ذلك حقاً. قال مقاتل: المعنى: أولئك هم المؤمنون لا شك في إيمانهم كشك المنافقين. قوله تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال عطاء: درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم، والرزق الكريم: ما أعد لهم فيها.

(١) البيت لمعن بن أوس في «مجاز القرآن» ١/٢٤٠، و«الانتصاب» ٤٦٣، وشرح حسانة أبي تمام، للمرزوقي ٣/١١٢٦، و«الحماسة البصرية» ١٤١، و«الخرائفة» ٣/٥٠٥.

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ ⑤ ﴿يَجْعَلُوكَ فِي الْحَقِّ بَدْمًا بَيْنَ كَانَمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ⑥

قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ في متعلّق هذه الكاف خمسة أقوال: أحدها: أنها متعلقة بالأفعال. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أن تأويله: امض لأمر الله في الغنائم وإن كرهوا، كما مضيت في خروجك من بيتك وهم كارهون، قاله الفراء. والثاني: أن الأفعال لله والرسول ﷺ بالحق الواجب، كما أخرجك ربك بالحق، وإن كرهوا ذلك، قاله الزجاج. والثالث: أن المعنى: يسألك عن الأفعال مجادلة، كما جادلوك في خروجك، حكاه جماعة من المفسرين. والثاني: أنها متعلقة بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْلِمُوا﴾، والمعنى: إن التقوى والإصلاح خير لكم، كما كان إخراج الله نبيه محمداً خيراً لكم وإن كرهه بعضكم، هذا قول عكرمة. والثالث: أنها متعلقة بقوله: ﴿يَجْعَلُوكَ﴾، فالمعنى: مجادلتهم إياك في الغنائم كإخراج الله إياك إلى بدر وهم كارهون، قاله الكسائي. والرابع: أنها متعلقة بقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾، والمعنى: وهم المؤمنون حقاً كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، ذكره بعض ناقلي التفسير. والخامس: أن «كما» في موضع قَسَم، معناها: والذي أخرجك من بيتك، قاله أبو عبيدة، واحتج بأن «ما» في موضع «الذي» ومنه قوله: ﴿وَمَا عَلَّمَكَ الْاَلِفَ وَالْاِيَّ﴾ ⑦ [البيان: ٣] قال ابن الأنباري: وفي هذا القول بُغْد، لأن الكاف ليست من حروف الإقسام. وفي هذا الخروج قولان: أحدهما: أنه خروجه إلى بدر، وكره ذلك طائفة من أصحابه، لأنهم علموا أنهم لا يظفرون بالغنيمة إلا بالقتال. والثاني: أنه خروجه من مكة إلى المدينة للهجرة. وفي معنى قوله: «بالحق» قولان: أحدهما: أنك خرجت ومعك الحق. والثاني: أنك خرجت بالحق الذي وجب عليك. وفي قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ قولان: أحدهما: كارهون خروجك. والثاني: كارهون صرف الغنيمة عنهم، وهذه كراهة الطبع لمشقة السفر والقتال، وليست كراهة لأمر الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُوكَ فِي الْحَقِّ﴾ يعني في القتال يوم بدر، لأنهم خرجوا بغير عُدَّة، فقالوا: هَلَّا أخبرتنا بالقتال لناخذ العُدَّة، فجادلوه طلباً للرخصة في ترك القتال. وفي قوله: ﴿يَعِدُّ مَا يَبَيِّنُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تبين لهم فرضه. والثاني: تبين لهم صوابه. والثالث: تبين لهم أنك لا تفعل إلا ما أمرت به. وفي «المجادلين» قولان: أحدهما: أنهم طائفة من المسلمين، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنهم المشركون، قاله ابن زيد، فعلى هذا يكون جدالهم في الحق الذي هو التوحيد، لا في القتال. فعلى الأول، يكون معنى قوله: ﴿كَانَمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ أي: في لقاء العدو ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾، لأن أشد حال من يساق إلى الموت أن يكون ناظراً إليه، وعالمًا به. وعلى قول ابن زيد: كأنما يساقون إلى الموت حين يُدْعَوْنَ إلى الإسلام لكرهتهم إياه.

﴿وَرَأَى يَمْدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهُمَا لَكُمْ وَوَدَّوْنَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُوْثَ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُثَبِّتَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقَطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ ⑧ ﴿يُحْيِي الْحَقَّ وَيَبْلُغُ الْبَيْتَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ⑨

قوله تعالى: ﴿وَرَأَى يَمْدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ قال أهل التفسير: أقبل أبو سفيان من الشام في عير لقريش، حتى إذا دنا من بدر، نزل جبريل فأخبر النبي ﷺ بذلك، فخرج في جماعة من أصحابه يريدهم، فبلغهم ذلك فبعثوا عمرو بن ضمضم الغفاري إلى مكة مستغيثاً، فخرجت قريش لل منع عنها، ولحق أبو سفيان بساحل البحر، ففات رسول الله، ونزل جبريل بهذه الآية: ﴿وَرَأَى يَمْدُكُمُ اللَّهُ﴾، والمعنى: اذكروا إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين. والطائفتان: أبو سفيان وما معه من المال، وأبو جهل ومن معه من قريش؛ فلما سبق أبو سفيان بما معه، كتب إلى قريش: إن كنتم خرجتم لثحرزوا ركايبكم، فقد أحرزتها لكم. فقال أبو جهل: والله لا نرجع. وسار رسول الله ﷺ يريد القوم، فكره أصحابه ذلك وودّوا أن لو نالوا الطائفة التي فيها الغنيمة دون القتال؛ فذلك قوله: ﴿وَوَدَّوْنَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ﴾ أي: ذات السلاح. يقال: فلان شاكي السلاح؛ بالتخفيف، وشاك في السلاح؛ بالتشديد، وشاك. قال أبو عبيدة: ومجاز الشوكة الحد؛ يقال: ما أشد شوكة بني فلان، أي: حدّهم. وقال الأخفش: إنما أنت ذات الشوكة، لأنه يعني الطائفة.

قوله تعالى: ﴿وَرِيدُ اللَّهِ أَنْ يُحْيِيَ الْحَقَّ﴾ في المراد بالحق قولان: أحدهما: أنه الإسلام، قاله ابن عباس في آخرين. والثاني: أنه القرآن، والمعنى: يُحْيِي ما أنزل إليك من القرآن.

قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُونَ﴾ أي: بعبادته التي سبقت من إعزاز الدين، كقوله: ﴿يُظْهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة: ٣٣].

قوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: يجتث أصلهم؛ وقد بيَّنا ذلك في [الأنعام: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿لِيُحْيِيَ الْحَقَّ﴾ المعنى: ويريد أن يقطع دابر الكافرين كيما يحق الحق. وفي هذا الحق القولان المتقدمان. فأما الباطل، فهو الشرك؛ والمجرمون هاهنا: المشركون.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُبْدِّدُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكَلْبِ مَرْدُوفٍ ۖ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلَظْمَةً لِّبِهِمْ ۖ وَلَظْمَةً لِّبِهِمْ ۖ وَمَا الْقَوْلُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ سبب نزولها ما روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر، نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة وثيف، ونظر إلى المشركين وهم ألف وزيادة، فاستقبل القبلة، ثم مَدَّ يديه وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال: «اللهم أنجز ما وعدتني، اللهم أنجز ما وعدتني، اللهم إني تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض أبداً» فما زال يستغيث ربه ويدعوه، حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر الصديق فأخذ رداءه فردَّاه به، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كذاك<sup>(١)</sup> مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك؛ وأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِذْ﴾ قال ابن جرير: هي من صلة «يبتل». وفي قوله: ﴿تَسْتَغِيثُونَ﴾ قولان: أحدهما: تستنصرون. والثاني: تستجيرون. والفرق بينهما أن المستنصر يطلب الظفر، والمستجير يطلب الخلاص. وفي المستغِيثين قولان: أحدهما: أنه رسول الله ﷺ، والمسلمون، قاله الزهري. والثاني: أنه رسول الله ﷺ، قاله السدي. فأما الإمداد فقد سبق في [آل عمران: ١٢٤]. وقوله: ﴿بِأَنِّي﴾ قرأ الضحاك، وأبو رجا: «بِأَلَفٍ» بهمة ممدودة وبألف على الجمع. وقرأ أبو العالية. وأبو المتوكل: «بِأَلُوفٍ» برفع الهمزة واللام ويوau بعدها على الجمع. وقرأ ابن حنبل<sup>(٣)</sup>، والجحدري: «بِأَلُوفٍ» بضم الألف واللام من غير واو ولا ألف، وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران: «بِإِلْفٍ» بياء مفتوحة وسكون اللام من غير واو ولا ألف. فأما قوله: ﴿مَرْدُوفٍ﴾ فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «مَرْدُوفِينَ» بكسر الدال. قال ابن عباس، وقتادة، والضحاك، وابن زيد، والفراء: هم المتتابعون. وقال أبو علي: يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكونوا مردفين مثلهم، تقول: أردفت زيدا دابتي؛ فيكون المفعول الثاني محذوفاً في الآية. والثاني: أن يكونوا جاؤوا بعدهم؛ تقول العرب: بنو فلان مردوفونا، أي: هم يجيئون بعدنا. قال أبو عبيدة: مردفين جاؤوا بعد. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: «مَرْدُوفِينَ» بفتح الدال. قال الفراء: أراد: فَعَلَ ذلك بهم، أي: إن الله أردف المسلمين بهم. وقرأ معاذ القارئ، وأبو المتوكل الناجي، وأبو مجلز: «مَرْدُوفِينَ» بفتح الراء والدال مع التشديد. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران: «مَرْدُوفِينَ» برفع الراء وكسر الدال. وقال الزجاج: يقال: ردت الرجل: إذا ركبته خلفه، وأردفته: إذا أركبته خلفي. ويقال: هذه دابة لا تُرَادِف، ولا يقال: لا تُرْدِف. ويقال: ودفن الرجل: إذا جثت بعده. فمعنى «مردفين» يأتون فرقة بعد فرقة. ويجوز في اللغة: مُرْدَفِينَ ومُرْدَفِينَ ومَرْدَفِينَ، فالدال مكسورة مشددة على كل حال، والراء يجوز فيها الفتح والضم والكسر. قال سيبويه: الأصل مرتدفين، فأدغمت التاء في الدال فصارت مُرْدَفِينَ لأنك طرحت حركة التاء على الراء؛ وإن شئت لم تطرح حركة التاء، وسكرت الراء لالتقاء الساكنين. والذين ضموا الراء، جعلوها تابعة لضممة الميم. وقد سبق في [آل عمران: ١٢٤] تفسير قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وكان مجاهد يقول: ما أمد الله النبي ﷺ بأكثر من هذه الألف التي ذكرت في [الأشغال: ١٠]، وما ذكر الثلاثة والخمسة إلا بشري، ولم يُعَدُّوا بها؛ والجمهور على خلافه، وقد ذكرنا اختلافهم في عدد الملائكة في [آل عمران: ١٢٦].

(١) هكذا وقع لجماهير رواة مسلم «كذاك»، ولبعضهم: «كفاك» وكل بمعنى. وفي الطبري، و«مسند أحمد»، وتفسير ابن كثير: «كفاك».

(٢) «الطبري» ٤٠٩/١٣، ورواه مسلم ١٣٨٤/٣ مطرولاً، وأحمد في «المسند» رقم ٢٠٨ و ٢٢١.

(٣) هو تميم بن حذلم الضبي أبو سلمة الكوفي.

﴿إِذْ يَنْفِيكُمُ النَّعَاسُ أَمْنَهُ مِنْهُ وَيَرْكَبُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَنْفِيكُمُ النَّعَاسُ أَمْنَهُ مِنْهُ﴾ قال الزجاج: «إِذ» موضعها نصب على معنى: وما جعله الله إلا بشري، في ذلك الوقت، ويجوز أن يكون المعنى: اذكروا إِذْ يَغْشَاكُمْ النعاس. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «إِذْ يَغْشَاكُمْ» بفتح الياء وجزم الغين وفتح الشين وألف «النعاس» بالرفع. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «يُغْشِيكُمْ» بضم الياء وفتح الغين مشددة الشين مكسورة، «النعاس» بالنصب. وقرأ نافع: «يُغْشِيكُمْ» بضم الياء وجزم الغين وكسر الشين، «النعاس» بالنصب. وقال أبو سليمان الدمشقي: الكلام راجع على قوله: ﴿وَلِيُطَهِّرَنَّ بِهِ قُلُوبَكُمْ﴾ إِذْ يَغْشَاكُمْ النعاس. قال الزجاج: و «أَمْنَهُ» منصوب: معقول له، كقولك: فعلت ذلك حذر الشر. يقال: أمنتُ أَمْنًا وأمانًا وأَمَنَةً. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو المتوكل، وأبو العالية، وابن يغمر، وابن محيصن: «أَمْنَهُ مِنْهُ» بسكون الميم.

قوله تعالى: ﴿وَيَرْكَبُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ قال ابن عباس: نزل النبي ﷺ يوم بدر، وبينه وبين الماء رملة، وغلبهم المشركون على الماء، فأصاب المسلمين الظمأ، وجعلوا يصلون محدثين، وألقى الشيطان في قلوبهم الوسوسة، يقول: تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلون محدثين، فأنزل الله عليهم مطراً، فشريوا وتطهروا، واشتد الرمل حين أصابه المطر، وأزال الله رجز الشيطان، وهو وسواسه، حيث قال: قد غلبكم المشركون على الماء. وقال ابن زيد: رجز الشيطان: كيد، حيث أوقع في قلوبهم أنه ليس لكم بهؤلاء القوم طاقة. وقال ابن الأنباري: ساءهم عدم الماء عند فقرهم إليه، فأرسل الله السماء، فزالَت وسوسة الشيطان التي تُكسب عذاب الله وغيظه، إِذْ الرجز: العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ الربط: الشد. و «على» في قول بعضهم صلة، فالمعنى: وليربط قلوبكم. وفي الذي ربط به قلوبهم وقواها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الصبر، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه الإيمان، قاله مقاتل. والثالث: أنه المطر الذي أرسله يثبت به قلوبهم بعد اضطرابها بالوسوسة التي تقدم ذكرها.

قوله تعالى: ﴿وَيُثَبِّتُ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ في هاء «به» قلان: أحدهما: أنها ترجع إلى الماء؛ فإن الأرض كانت رَمَلة، فاشتدت بالمطر، وثبتت عليها الأقدام، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي في آخرين. والثاني: أنها ترجع إلى الربط، فالمعنى: وثبت بالربط الأقدام، ذكره الزجاج.

﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ مَعَكُمْ ذُنُوبُهُمْ أَمَّا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأُولَٰئِكَ فِي الْأَعْنَاقِ وَكَفَرُوا بِرَبِّهِمْ كُلٌّ بِنَانٍ ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاكَرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۖ ذَٰلِكُمْ فَتَقُوهُمْ وَأَنْتُمْ كَافِرُونَ ۖ عَذَابُ النَّارِ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ مَعَكُمْ﴾ قال الزجاج: «إِذ» في موضع نصب، والمعنى: وليربط إِذْ يوحى. ويجوز أن يكون المعنى: واذكروا إِذْ يوحى. قال ابن عباس: وهذا الوحي إلهام.

قوله تعالى: ﴿إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ وهم الذين أمد بهم المسلمين. ﴿أَنْ مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصرة. ﴿فَتَقُوهُمْ﴾ فَمَتَّقُوا، ﴿وَأَنْتُمْ كَافِرُونَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: قاتلوا معهم، قاله الحسن. والثاني: بشروهم بالنصر؛ فكان الملك يسير أمام الصف في صورة الرجل، ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم، قاله مقاتل. والثالث: تبتوهم بأشياء تُلْقُونَهَا في قلوبهم تقوى بها، ذكره الزجاج. والرابع: صححوا عزائمهم ونياتهم على الجهاد، ذكره الثعلبي. فأما الرعب، فهو الخوف. قال السائب بن يسار: كنا إذا سألنا يزيد بن عامر السَّوَّائِي عن الرعب الذي ألقاه الله في قلوب المشركين كيف؟ كان يأخذ الحصى فيرمي به الطست فيطن، فيقول: كنا نجد في أجوافنا مثل هذا.

قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ فِي الْأَعْنَاقِ﴾ في المخاطب بهذا قولان: أحدهما: أنهم الملائكة. قال ابن الأنباري: لم تعلم الملائكة أين تقصد بالضرب من الناس، فعلمهم الله تعالى ذلك. والثاني: أنهم المؤمنون، ذكره جماعة من

المفسرين. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: فاضربوا الأعناق، و «فوق» صلة، وهذا قول عطية، والضحاك، والأخفش، وابن قتيبة. وقال أبو عبيدة: «فوق» بمعنى «على»، تقول: ضربته فوق الرأس، وضربته على الرأس. والثاني: اضربوا الرؤوس لأنها فوق الأعناق، وبه قال عكوة. وفي المراد بالبنان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الأطراف، قاله ابن عباس، والضحاك. وقال الفراء: علمهم مواضع الضرب، فقال: اضربوا الرؤوس والأيدي والأرجل. وقال أبو عبيدة، وابن قتيبة: البنان: أطراف الأصابع. قال ابن الأنباري: واكتفى بهذا من جملة اليد والرجل. والثاني: أنه كل مفصل، قاله عطية، والسدي. والثالث: أنه الأصابع وغيرها من جميع الأعضاء، والمعنى: أنه أباحهم قتلهم بكل نوع، هذا قول الزجاج. قال واشتقاق البنان من قولهم: أبى بالمكان: إذا أقام به، فالبنان به يعتدل كل ما يكون للإقامة والحياة.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ﴾ «ذلك» إشارة إلى الضرب، و «شاقوا» بمعنى: جانبوا، فصاروا في شق غير شق المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَذُوقُوا﴾ خطاب للمشركين؛ والمعنى: ذوقوا هذا في عاجل الدنيا. وفي فتح «أن» قولان: أحدهما: بإضمار فعل، تقديره: ذلكم فذوقوه واعلموا أن للكافرين. والثاني: أن يكون المعنى: ذلك بأن للكافرين عذاب النار. فإذا ألقى الباء، نصبت. وإن شئت، جعلت «أن» في موضع رفع؛ يريد: ذلكم فذوقوه، وذلكم أن للكافرين عذاب النار، هذا معنى قول الفراء.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَيْسَ الذِّكْرُ كَفَرُوا رَحَقًا فَلَا تُلَومُوا أَعْدَاءَكُمْ ۚ وَمَنْ يُلَومْهُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا مَتَحَنِّنًا لِّقَوْلِهِ أَوْ لِمَتَّحِنًا ۚ إِنَّ فَتْرَهُ قَدْ تَجَدَّدَتْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ وَأَنزَلَهُ جَهَنَّمَ وَلَئِنَّ الْغَايِبَ ۙ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا لَيْسَ الذِّكْرُ كَفَرُوا رَحَقًا﴾ الزحف: جماعة يزحفون إلى عدوهم؛ قاله الليث. والتزاحف: التداني والتقارب، قال الأعشى:

لَمَنِ الْقُلُوبُ سَيرُهُنَّ تَزَحَفُ

قال الزجاج: ومعنى الكلام: إذا واقفتهم للقتال فلا تدبروا ﴿وَمَنْ يُلَومْهُمْ﴾ يوم حربهم ﴿دُبِيرُهُ﴾ إلا أن يتحرف ليقاتل، أو يتحيز إلى فئة؛ ف «متحرفاً» و «متحيزاً» منصوبان على الحال. ويجوز أن يكون نصبهما على الاستثناء؛ فيكون المعنى: إلا رجلاً متحرفاً أو متحيزاً. وأصل متحيز؛ مُتَحَيِّزٌ؛ فأدغمت الياء في الواو. قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَهُ جَهَنَّمَ﴾ أي: مرجعه إليها؛ ولا يدل ذلك على التخليد.

## فصل

اختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال قوم: هذه خاصة في أهل بدر، وهو مروي عن ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، والحسن، وابن جبير، وقتادة، والضحاك. وقال آخرون: هي على عمومها في كل منهزم؛ وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً. وقال آخرون: هي على عمومها، غير أنها نسجت بقوله: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ يَأْتِي سَابِرَةً يَتْلُوا وَيَأْتِي﴾ [الأفان: ٦٦] فليس للمسلمين أن يفروا من مثلهم، وبه قال عطاء بن أبي رباح. وروى أبو طالب عن أحمد أنه سئل عن الفرار من الزحف، فقال: لا يفر رجل من رجلين؛ فإن كانوا ثلاثة، فلا بأس. وقد نقل نحو هذا عن ابن عباس. وقال محمد بن الحسن: إذا بلغ الجيش اثني عشر ألفاً، فليس لهم أن يفروا من عدوهم، وإن كثر عددهم. ونقل نحو هذا عن مالك؛ ووجهه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما هُزم قوم إذا بلغوا اثني عشر ألفاً من قلة»<sup>(١)</sup> إذا صبروا وصدقوا.

﴿قَلَّمَ تَقْلُومَهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَلَّهْمُ وَمَا رَيْتَ إِذْ رَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَكَنٌ ۚ وَلَيْسَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَعْدَاءَ حَسْبًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۙ﴾ ﴿ذَلِكَ وَأَنَّ اللَّهَ مُؤَيَّدٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ۙ﴾

(١) رواه أبو داود رقم (٢٦١١) عن ابن عباس بلفظ: «لن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة» وقال: والصحيح أنه مرسل، ورواه الترمذي وقال: حسن غريب، ولم يصححه، لأنه يروى سنناً ومرسلاً ومعضلاً. قال ابن القطان: لكن هذا ليس بلمة فالأقرب صحته.

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ وقرأ ابن عامر، وأهل الكوفة إلا عاصماً «ولكن الله قتلهم» ولكن الله رمى بتخفيف النون ورفع اسم الله فيهما. وسبب نزول هذا الكلام أن أصحاب رسول الله ﷺ لما رجعوا عن بدر جعلوا يقولون: قَتَلْنَا وَقَتَلْنَا، هذا معنى قول مجاهد. فأما قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ ففي سبب نزوله ثلاثة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ قال لعلي: «ناولني كفاً من حصباء» فنأوله، فرمى به في وجوه القوم، فما بقي منهم أحد إلا وقعت في عينه حصاة<sup>(١)</sup>. وقيل: أخذ قبضة من تراب، فرمى بها، وقال: «شاهت الوجوه»؛ فما بقي مشرك إلا شغل بعينه يعالج التراب الذي فيها، فنزلت: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ وذلك يوم بدر؛ وهذا قول الأكثرين. وقال ابن الأنباري: وتأويل شاهت: قبحت؛ يقال: شاه وجهه يشوه شوهاً وشوهاً، ويقال: رجل أشوه، وامرأة شوهاء؛ إذا كانا قبيحين. والثاني: أن أبي بن خلف أقبل يوم أحد إلى النبي ﷺ يريد، فاعترض له رجال من المؤمنين، فأمرهم رسول الله ﷺ فخلوا سبيله، وطعنه النبي ﷺ بحرته، فسقط أبي عن فرسه، ولم يخرج من طعته دم، فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور، فقالوا: إنما هو خدش، فقال: والذي نفسي بيده، لو كان الذي بي بأهل المجاز لماتوا أجمعون، فمات قبل أن يقدّم مكة؛ فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن المسيب عن أبيه: والثالث: أن رسول الله ﷺ رمى يوم خيبر بسهم، فأقبل السهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو على فراشه، فنزلت هذه الآية، ذكره أبو سليمان الدمشقي في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ اختلفوا في معنى إضافة قتلهم إليه على أربعة أقوال: أحدها: أنه قتلهم بالملائكة الذين أرسلهم. والثاني: أنه أضاف القتل إليه لأنه تولى نصرهم. والثالث: لأنه ساقهم إلى المؤمنين، وأمكنهم منهم. والرابع: لأنه ألقى الرعب في قلوبهم. وفي قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: وما ظفرت أنت ولا أصبت، ولكن الله أظفرك وأيدك، قاله أبو عبيدة. والثاني: وما بلغ رميك كفاً من تراب أو حصى أن تملأ عيون ذلك الجيش الكثير، إنما الله تولى ذلك؛ قاله الزجاج. والثالث: وما رميت قلوبهم بالرعب إذ رميت وجوههم بالتراب؛ ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَيَسِّرْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَشْرَاءُ بِلَاةٍ حَسَنًا﴾ أي: لينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والاجر. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لدعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنبأاتهم.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ﴾ قال الزجاج: موضعه رفع: والمعنى: الأمر ذلکم. وقال غيره: «ذلکم» إشارة إلى القتل والرمي والبلاء الحسن. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ أي: واعلموا أن الله. والذي ذكرناه في فتح «أن» في قوله: ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هو مذكور في فتح «أن» هذه.

قوله تعالى: ﴿مُؤْمِنٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمر «مُؤْمِنٌ» بفتح الواو وتشديد الهاء منونة «كيداً» بالنصب. وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «موهنٌ» ساكنة الواو، «كيداً» بالنصب. وروى حفص عن عاصم موهنٌ كيد مضاف. والموهن: المضعف، والكيد: المكر.

﴿إِنْ تَسْتَدِينُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ حَزَرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَدُّوا نَعْدَ وَلَنْ نَقُوَّ عَنْكُمْ فَنَقُكُمْ حِينًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَدِينُوا﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن أصحاب رسول الله ﷺ استنصروا الله وسألوه الفتح، فنزلت هذه الآية؛ وهذا المعنى مروى عن أبي بن كعب، وعطاء الخراساني. والثاني: أن أبا جهل قال: اللهم أينما كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره اليوم، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أن المشركين أخذوا بأستار الكعبة قبل خروجهم إلى بدر، فقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم القبيلتين؛ فنزلت هذه الآية؛ قاله السدي. والرابع: أن المشركين قالوا: اللهم إنا لا نعرف ما جاء به محمد، فافتح بيننا وبينه

بالحق؛ فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة. والخامس: أنهم قالوا بمكة: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَنْزِلْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ الآية [الأشغال: ٣٢]، فعذبوا يوم بدر، قاله ابن زيد. فخرج من هذه الأقوال أن في المخاطبين بقوله: «إِنْ تَسْتَفْتَحُوا» قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون. والثاني: المشركون؛ وهو الأشهر. وفي الاستفتاح قولان: أحدهما: أنه الاستنصار؛ قاله ابن عباس، والزجاج في آخرين. فإن قلنا: إنهم المسلمون، كان المعنى: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر بالملائكة؛ وإن قلنا: إنهم المشركون؛ احتمل وجهين: أحدهما: إن تستنصروا فقد جاء النصر عليكم. والثاني: إن تستنصروا لأحب الفريقين إلى الله، فقد جاء النصر لأحب الفريقين. والثاني: أن الاستفتاح: طلب الحكم، والمعنى: إن تسألوا الحكم بينكم وبين المسلمين، فقد جاءكم الحكم؛ وإلى هذا المعنى ذهب عكرمة، ومجاهد، وقتادة. فأما قوله: ﴿وَأَنْ تَنْبِئُوا فَهَؤُلَاءِ لَكُمْ﴾ فهو خطاب للمشركين على قول الجماعة. وفي معناه قولان: أحدهما: إن تنتهوا عن قتال محمد ﷺ، والكفر، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: إن تنتهوا عن استفتاحكم، فهو خير لكم، لأنه كان عليهم، لا لهم، ذكره الماوردي. وفي قوله: ﴿وَأَنْ تَعُدُّوا نَعْدَكُمْ﴾ قولان: أحدهما: وإن تعودوا إلى القتال، نُعِدْ إِلَى هَزِيمَتِكُمْ، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وإن تعودوا إلى الاستفتاح، نُعِدْ إِلَى الْفَتْحِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَنفِي عَنَّا فَتُحْكَمْ شَيْئًا﴾ أي: جماعتكم وإن كثرت، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: «وإن الله يكسر الألف. وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «وإن» بفتح الألف. فمن قرأ بكسر «أن» استأنف. قال الفراء: وهو أحب إلي من فتحها. ومن فتحها، أراد: ولأن الله مع المؤمنين. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا تولوا عن رسول الله ﷺ. والثاني: لا تولوا عن أمر رسول الله ﷺ. ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ ما نزل من القرآن، روي القولان عن ابن عباس.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿إِنَّ سَرَّ الدُّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ أَلَمُّ الْبِكَمِ الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في بني عبد الدار بن قصي، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: في اليهود، قريظة والنضير، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: في المنافقين، قاله ابن إسحاق، والواقدي، ومقاتل. وفي معنى الكلام قولان: أحدها: أنهم قالوا: سمعنا، ولم يتفكروا فيما سمعوا، فكانوا كمن لم يسمع، قاله الزجاج. والثاني: أنهم قالوا: سمعنا سماع من يقبل، وليسوا كذلك، حكى عن مقاتل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَرَّ الدُّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ أَلَمُّ الْبِكَمِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في بني عبد الدار بن قصي، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: في المنافقين، قاله ابن إسحاق، والواقدي. والدواب: اسم كل حيوان يذُبُّ؛ وقد بينا في سورة [البقرة: ١٨] معنى الصم والبكم، ولم سَمَاهُمْ بذلك.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ يُعْرِضُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: ولو علم فيهم صدقاً وإسلاماً. والثاني: لو علم فيهم خيراً في سابق القضاء. والثالث: لو علم أنهم يضلُّون. والرابع: لو علم أنهم يضغون. وفي قوله: ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لأسمعهم جواب كل ما يسألون عنه، قاله الزجاج. والثاني: لزرعهم الفهم، قاله أبو سليمان الدمشقي. والثالث: لأسمعهم كلام الموتى يشهدون بنبوتك، حكاه الماوردي. وفي قوله: ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ قولان: أحدهما: مكذبون، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وهم معرضون عما أسمعهم لمعاندتهم، قاله الزجاج.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْنِ يُعْزَرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا﴾ أي: اجيبوا.



قوله تعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ يعني الرسول ﴿لِمَا يَحْيِيكُمْ﴾ وفيه ستة أقوال: أحدها: أن الذي يحييكم: كل ما يدعو الرسول إليه، وهو معنى قول أبي صالح عن ابن عباس. وفي أفراد البخاري من حديث أبي سعيد بن المعلق قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ، فلم أجبه، ثم أتيتُه فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: «الم يقل الله: ﴿اسْتَجِبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يَحْيِيكُمْ﴾ قلت: بلى، ولا أعود إن شاء الله»<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه الحق، رواه شيبه عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. والثالث: أنه الإيمان، رواه ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال السدي. والرابع: أنه اتباع القرآن، قاله قتادة، وابن زيد. والخامس: أنه الجهاد، قاله ابن إسحاق. وقال ابن قتيبة: هو الجهاد الذي يحيي دينهم ويعليهم. والسادس: أنه إحياء أمورهم، قاله الفراء. فيخرج في إحيائهم خمسة أقوال: أحدها: أنه إصلاح أمورهم في الدنيا والآخرة. والثاني: بقاء الذكر الجميل لهم في الدنيا، وحياء الأبد في الآخرة. والثالث: أنه دوام نعيمهم في الآخرة. والرابع: أنه كونهم مؤمنين، لأن الكافر كالميت. والخامس: أنه يحييهم بعد موتهم، وهو على قول من قال: هو الجهاد، لأن الشهداء أحياء، ولأن الجهاد يُعزهم بعد ذلهم، فكأنهم صاروا به أحياء.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرَّةِ وَبَيْنَ الْقِيلَةِ﴾ وفيه عشرة أقوال: أحدها: يحول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الإيمان، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير. والثاني: يحول بين المؤمن وبين معصيته، وبين الكافر وبين طاعته، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك والفراء. والثالث: يحول بين المرء وقلبه حتى لا يتركه يعقل، قاله مجاهد. قال ابن الأنباري: المعنى: يحول بين المرء وعقله، فبادروا الأعمال، فإنكم لا تأمنون زوال العقول، فتحصلون على ما قدمتم. والرابع: أن المعنى: هو قريب من المرء، لا يخفى عليه شيء من سره، كقوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ إِلَهُ مِنْ حَلِ الرِّيْدِ﴾ [ق: ١٦] وهذا معنى قول قتادة. والخامس: يحول بين المرء وقلبه، فلا يستطيع إيماناً ولا كفراً إلا بإذنه، قاله السدي. والسادس: يحول بين المرء وبين هواه، ذكره ابن قتيبة. والسابع: يحول بين المرء وبين ما يتمنى بقلبه من طول العمر والنصر وغيره. والثامن: يحول بين المرء وقلبه بالموت، فبادروا الأعمال قبل وقوعه. والتاسع: يحول بين المرء وقلبه بعلمه، فلا يضر العبد شيئاً في نفسه إلا والله عالم به، لا يقدر على تخييبه عنه. والعاشر: يحول بين ما يوقعه في قلبه من خوف أو أمن، فيأمن بعد خوفه، ويخاف بعد أمنه، ذكر معنى هذه الأقوال ابن الأنباري. وحكى الزجاج أنهم لما فكروا في كثرة عدوهم وقلة عددهم، فدخل الخوف قلوبهم، أعلمهم الله تعالى أنه يحول بين المرء وقلبه بأن يبده بالخوف الأمن، ويبدل عدوّه بالقرّة الضعف؛ وقد أعلمت هذه الآية أن الله تعالى هو المقلب للقلوب، المتصرف فيها<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَهُكُمْ خَيْرٌ﴾ أي: للجزاء على أعمالكم.

﴿وَأَتَّقُوا فَتَنَةَ لَا تُفْسِدَنَّ إِلَيْنِ ظُلُومًا مِنْكُمْ خَاسَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا فَتَنَةَ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أصحاب النبي ﷺ خاصة، قاله ابن عباس، والضحاك. وقال الزبير بن العوام: لقد قرأناها زماناً، وما نرى أننا من أهلها، فإذا نحن المغنيون بها. والثاني: أنها نزلت في رجلين من قريش، قاله أبو صالح عن ابن عباس، ولم يسمهما. والثالث: أنها عامة، قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: في هذه الآية، أمر الله المؤمنين أن لا يفتروا المنكر بين أظهرهم، فيعصمهم الله بالعذاب. وقال مجاهد: هذه الآية لكم أيضاً. والرابع: أنها نزلت في علي، وعمار، وطلحة، والزبير، قاله الحسن. وقال السدي: نزلت في أهل بدر خاصة، فأصابتهم يوم الجمل. وفي الفتنة هاهنا سبعة أقوال: أحدها: القتال.

(١) «البخاري» ١١٩/٨، ٢٣١ دون قوله «قلت: بلى ولا أعود إن شاء الله» وهذه الزيادة إنما وردت عند أحمد في «المستد» ٦٥/١٨ بترتيب الساعاتي، والترمذي ١١١/٢ من حديث أبي هريرة عن أبي بن كعب.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» ٢٠٤٥/٤ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصميين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء» ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك».

وروى الترمذي ٣٦/٢ أن أنس بن مالك ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يكتر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» فقلت: يا نبي الله أما بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم، إن القلوب بين أصميين من أصابع الله يقبلها كيف شاء». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

والثاني: الضلالة. والثالث: السكوت عن إنكار المنكر. والرابع: الاختيار. والخامس: الفتنة بالأموال والأولاد. والسادس: البلاء. والسابع: ظهور البدع. فاما قوله: ﴿لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ حَاسَةً﴾ فقال الفراء: أمرهم، ثم نهاهم، وفيه طرف من الجزاء. وإن كان نهياً، كقوله: ﴿بِأَيُّهَا الْقَتْلُ أَذْهَلُوا سَنَكْتُمْ لَا يَحْمِلُكُمْ سَيِّئُونَ﴾ [النمل: ١٨] أمرهم، ثم نهاهم؛ وفيه تأويل الجزاء. وقال الأخفش: «لا تصيبين» ليس بجواب، وإنما هو نهى بعد نهى؛ ولو كان جواباً ما دخلت النون. وذكر ابن الأنباري فيها قولين: أحدهما: أن الكلام تأويله تأويل الخير، إذ كان المعنى: إن لا يتقوها، تُصِبَ الذين ظلموا، أي: وغيرهم، أي: لا تقع بالظالمين دون غيرهم، لكنها تقع بالصالحين والظالمين؛ فلما ظهر الفعل ظهور النهي، والنهي راجع إلى معنى الأمر، إذ القائل يقول: لا تقم، يريد: دع القيام، ووقع مع هذا جواباً للأمر، أو كالجواب له، فأكد له شبه النهي، فدخلت النون المعروف دخولها في النهي وما يضارعه. والثاني: أنها نهى محض، معناه: لا يقصدن الظالمون هذه الفتنة، فيهلكوا؛ فدخلت النون لتوكيد الاستقبال، كقوله: «لا يحطمتكم». وللمفسرين في معنى الكلام قولان: أحدهما: لا تصيبين الفتنة الذين ظلموا. والثاني: لا يصيبين عقاب الفتنة. فإن قيل: فما ذنب من لم يظلم؟ فالجواب: أنه بموافقته للأشرار، أو بسكوته عن الإنكار، أو بتركه للفرار، استحق العقوبة<sup>(١)</sup>. وقد قرأ علي، وابن مسعود، وأبي بن كعب: «التصين الذين ظلموا» بغير ألف.

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قِيْلَ مُتَشَفَعُونَ فِي الْأَرْضِ أَخَاثُونَ أَنْ يَخْطِفَكُمْ أُنَاسٌ فَتَأْوِنَكُمْ وَابْنُدَكُمْ بِصَرْوِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الْمَلَكِ تَشْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قِيْلَ﴾ قال ابن عباس: نزلت في المهاجرين خاصة، كانت عدتكم قليلة، وهم مقهورون في أرض مكة، يخافون أن يستلبهم المشركون. وفي المراد بالناس ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أهل مكة، قاله ابن عباس. والثاني: فارس والروم، قاله وهب بن منبه. والثالث: أنهم المشركون الذين حضروا بدرًا، والمسلمون قليون يومئذ، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿فَتَأْوِنَكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: فأواكم إلى المدينة بالهجرة، قاله ابن عباس، والأكثر. والثاني: جعل لكم ماوى تسكنون فيه آمنين، ذكره الماوردي. وفي قوله: ﴿وَابْنُدَكُمْ بِصَرْوِهِ﴾ قولان: أحدهما: قواكم بالملائكة يوم بدر، قاله الجمهور. والثاني: عضدكم بنصره في بدر وغيرها، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي قوله: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الْمَلَكِ﴾ قولان: أحدهما: أنها الغنائم التي أحلها لهم، قاله السدي. والثاني: أنها الخيرات التي مكنتهم منها، ذكره الماوردي.

﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحْزَنُوا أَنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر؛ وذلك أن النبي ﷺ لما حاصر قريظة سألوه أن يصلحهم على ما صالح عليه بني النضير، على أن يسيروا إلى أرض الشام، فأبى أن يعطيهم ذلك إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبوا، وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة، وكان مناصحاً لهم، لأن ولده وأهله كانوا عندهم، فبعث إليهم، فقالوا: ما ترى، أننزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه: إنه الذبح فلا تفعلوا، فاطاعوه، فكانت تلك خيانتة؛ قال أبو لبابة: فما زالت قدمائي حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله، ونزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس، والأكثرين. وروي أن أبا لبابة ربط نفسه بعد نزول هذه الآية إلى سارية من سواري المسجد، وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شرباً حتى أموت أو يتوب الله علي، فمكث سبعة أيام كذلك، ثم تاب الله عليه، فقال: والله لا أخل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يخلني، فجاء فحلّه بيده، فقال أبو لبابة: إن من تمام توبتي أن أهجّر دار قومي التي أصبت فيها اللذنب، وأن أنخلع من مالي، فقال

(١) روى البخاري ٩٤/٥ - ٢٦٦ عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً».

رسول الله ﷺ: «يجزئك الثلث»<sup>(١)</sup>. والثاني: أن جبريل أتى رسول الله ﷺ فقال: إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «أخرجوا إليه واكتموا»، فكتب إليه رجل من المنافقين: إن محمداً يريدكم، فخذوا حذرکم، فنزلت هذه الآية، قاله جابر بن عبد الله<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها نزلت في قتل عثمان بن عفان، قاله المغيرة بن شعبه. والرابع: أن قوماً كانوا يسمعون الحديث من رسول الله ﷺ، فيفشونه حتى يبلغ المشركين، فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(٣)</sup>. وفي خيانة الله قولان: أحدهما: ترك فرائضه. والثاني: معصية رسوله. وفي خيانة الرسول قولان: أحدهما: مخالفته في السر بعد طاعته في الظاهر. والثاني: ترك سنته. وفي المراد بالأمانات ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الفرائض، قاله ابن عباس. وفي خيانتها قولان: أحدهما: تنقيصها. والثاني: تركها. والثاني: أنها الدين، قاله ابن زيد؛ فيكون المعنى: لا تُظهروا الإيمان وتُبطئوا الكفر. والثالث: أنها عامة في خيانة كل مؤتمن، ويؤكد نزولها في ما جرى لأبي لبابة.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آتَوُكُم وَأُولَئِذْكُمْ فَتْنَةٌ وَكَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنَفُّوا اللَّهَ يَجْعَلَ لَكُم رُفْقًا وَيَكْفُرْ عَنْكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيَتَّخِذَ لَكُمُ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آتَوُكُم وَأُولَئِذْكُمْ فَتْنَةٌ﴾ قال ابن عباس: هذا خطاب لأبي لبابة، لأنه كانت له أموال وأولاد عند بني قريظة. فأما الفتنة، فالمراد بها: الابتلاء والامتحان الذي يُظهر ما في النفس من اتباع الهوى أو تجنبه ﴿وَكَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ خير من الأموال والأولاد.

قوله تعالى: ﴿إِن تَنَفُّوا اللَّهَ﴾ أي: بترك معصيته، واجتناب الخيانة لله ورسوله.

قوله تعالى: ﴿يَجْعَلَ لَكُم رُفْقًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه المخرج، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وابن قتبية، والمعنى: يجعل لكم مخرجاً في الدين من الضلال. والثاني: أنه النجاة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والسدي. والثالث: أنه النصر، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال الفراء. والرابع: أنه هدى في قلوبهم يفرقون به بين الحق والباطل، قاله ابن زيد، وابن إسحاق.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ (٢٠)

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هذه الآية متعلقة بقوله: ﴿وَأَذْكُرُوا﴾ إذ أُنْتُ قِيلَ، فالمعنى: أذكر المؤمنين ما من الله به عليهم، واذكر إذ يمكر بك الذين كفروا.

### الإشارة إلى كيفية مكرهم

قال أهل التفسير: لما بوع رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وأمر أصحابه أن يلحقوا بالمدينة، أشفت قريش أن يعلو أمره، وقالوا: والله لكانكم به قد كُرَّ عليكم بالرجال، فاجتمع جماعة من أشرافهم ليدخلوا دار الندوة فيتشاوروا في أمره، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ كبير، فقالوا: من أنت؟ قال: أنا شيخ من أهل نجد، سمعت ما اجتمعتم له، فأردت أن أحضرکم، ولن تعدموا من رأيي نصحاً، فقالوا: ادخل، فدخل معهم، فقالوا: انظروا في أمر هذا الرجل، فقال بعضهم: احبسوه في وثاق، وتربصوا به رب المنون. فقال إبليس: ما هذا برأي، يوشك أن يثب أصحابه فيأخذوه من أيديكم. فقال قائل: أخرجوه من بين أظهرکم. فقال: ما هذا برأي، يوشك أن يجمع عليكم ثم يسير إليكم. فقال أبو جهل: نأخذ من كل قبيلة غلاماً، ثم نعطي كل غلام سيفاً فيضربه به ضربة رجل واحد، فيفترق دمه في القبائل، فما أظن هذا الحي من قريش يقوى على ضرب قريش كلها، فيقبلون العقل ونستريح. فقال إبليس: هذا والله الرأي. ففترقوا

(١) خير أبي لبابة أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ١٣٤، وأخرج بعضه الطبري ١٣/٤٨١، وابن هشام ٢/٢٣٦.

(٢) قال ابن كثير في «الضمير» بعد أن أورده عن ابن جرير: هذا حديث غريب جداً، وفي سنده وسياقه نظر.

(٣) قال أبو جعفر الطبري ١٣/٤٨٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله نهى المؤمنين عن خيائته وخيانة رسوله وخيانته أماته، وجائز أن تكون نزلت في أبي لبابة، وجائز أن تكون نزلت في غيره، ولا خبر عندنا بأي ذلك كان يجب التسليم له بصحته. وقال ابن كثير ٢/٣٠١: والصحيح أن الآية عامة وإن صح أنها وردت على سبب خاص، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء.

عن ذلك. وأتى جبريل رسول الله ﷺ فأمره أن لا يبيت في مضجعه، وأخبره بمكر القوم، فلم يبيت في مضجعه تلك الليلة، وأمر علياً فبات في مكانه، وبات المشركون يحرسونه، فلما أصبح رسول الله ﷺ، أذن له الله في الخروج إلى المدينة، وجاء المشركون لئلا أصبحوا، فرأوا علياً، فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، فاقصروا أثره حتى بلغوا الجبل، فمروا بالغار، فرأوا نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخله لم يكن عليه نسج العنكبوت<sup>(١)</sup>. فأما قوله: ﴿لِيُثْبِتْ﴾ فقال ابن قتيبة: معناه: ليحبسوك. يقال: فلان مثبت وجعاً: إذا لم يقدر على الحركة. وللمفسرين فيه قولان: أحدهما: ليثبتوك في الوثاق، قاله ابن عباس، والحسن في آخرين. والثاني: ليثبتوك في الحبس، قاله عطاء، والسدي في آخرين. وكان القوم أرادوا أن يحبسوه في بيت ويشدوا عليه بابه ويلقوا إليه الطعام والشراب، وقد سبق بيان المكر في (آل عمران: ٥٤).

﴿وَإِذَا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مَائِكُنَا قَالُوا فَذَسَمْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مَائِكُنَا﴾ ذكر أهل التفسير أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث بن علقمة بن كلفة، وأنه لما سمع رسول الله ﷺ يذكر قصص القرون الماضية، قال: لو شئت لقلت مثل هذا. وفي قوله: ﴿فَذَسَمْنَا﴾ قولان: أحدهما: قد سمعنا منك ولا نطيعك. والثاني: قد سمعنا قبل هذا مثله، وكان النضر يختلف إلى فارس تاجراً، فيسمع العباد يقرؤون الإنجيل. وقد بين التحدي كذب من قال: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾. وقد سبق معنى الأساطير في (الأنعام: ٢٥).

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِمَّا وَعَدَنَا فَأَنبِئْ عَنَّا جِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِمَذَآبٍ آخِرٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِمَّا وَعَدَنَا﴾ اختلّفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في النضر أيضاً، رواه جماعة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، والسدي. والثاني: أنها نزلت في أبي جهل، فهو القائل لهذا؛ قاله أنس بن مالك، وهو مخرج في «الصحاحين»<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها نزلت في قريش، قالوا هذا، ثم ندموا فقالوا: غفرانك اللهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، رواه أبو معشر عن يزيد بن رومان، ومحمد بن قيس. وفي المشار إليه بقوله: ﴿إِنْ كَانَتْ هَذِهِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن. والثاني: كل ما يقوله رسول الله ﷺ من الأمر بالتوحيد وغيره. والثالث: أنه إكرام محمد ﷺ بالنبوة من بين قريش.

﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ في المشار إليه قولان: أحدهما: أهل مكة. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: وما كان الله يعذبهم وأنت مقيم بين أظهرهم. قال ابن عباس: لم تُعَذَّبْ قرية حتى يخرج نبيها والمؤمنون معه. والثاني: وما كان الله يعذبهم وأنت حي؛ قاله أبو سليمان. والثاني: أن المشار إليهم المؤمنون، والمعنى: وما كان الله يعذب المؤمنين بضرب من العذاب الذي أهلك به من قبلهم وأنت حي؛ ذكره أبو سليمان الدمشقي.

### فصل

قال الحسن، وعكرمة: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعْبُدُكُمْ اللَّهُ﴾ [الأفعال: ٣٤]، وفيه بُعد، لأن النسخ لا يدخل على الأخبار. وقال ابن أبيزى: كان النبي ﷺ بمكة، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ فخرج

(١) «سيرة ابن هشام» ١/ ٤٨٠ - ٤٨٣ قال فيه ابن إسحاق: فحدثني من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد وغيره ممن لا أنهم عن عبد الله بن عباس. ورواه أحمد في «مسنده» رقم (٣٢٥١) مختصراً، وفي سنده عثمان بن عمرو الجزري، وثقه ابن حبان، وضمفه غيره، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٢٧/ ٧ مختصراً أيضاً وقال: رواه أحمد، والطبراني، وفيه عثمان بن عمرو الجزري، وثقه ابن حبان، وضمفه غيره، وفيه رجاله رجال الصحيح. وأورده السيوطي في «الدر» ٣/ ١٧٩ وزاد نسبه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الدلائل»، والخطيب، وهو في «الطبري» ١٣/ ٤٩٤ و ٤٩٧ مختصراً.

(٢) «البخاري» ٨/ ٢٣٢، و«مسلم» ٤/ ٢١٥٤، وأورده السيوطي في «الدر» ٣/ ١٨٠ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن أنس بن مالك.

إلى المدينة، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وكان أولئك البقية من المسلمين بمكة يستغفرون، فلما خرجوا أنزل الله: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup>. وجميع أقوال المفسرين تدل على أن قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، كلام مبتدأ من إخبار الله ﷻ. وقد روي عن محمد بن إسحاق أنه قال: هذه الآية من قول المشركين، قالوا: والله إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفر، فرد الله عليهم ذلك بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وفي معنى هذا الكلام خمسة أقوال: أحدها: وما كان الله معذب المشركين، وفيهم من قد سبق له أن يؤمن؛ رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، واختاره الزجاج. والثاني: وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون الله، فإنهم كانوا يلبتون ويقولون: غفرانك؛ وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً، وفيه ضعف، لأن استغفار المشرك لا أثر له في القبول. والثالث: وما كان الله معذبهم، يعني المشركين، وهم - يعني المؤمنين الذين بينهم - يستغفرون؛ روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الضحاك، وأبو مالك. قال ابن الأنباري: وُصفوا بصفة بعضهم، لأن المؤمنين بين أظهرهم، فأوقع العموم على الخصوص، كما يقال: قتل أهل المسجد رجلاً، وأخذ أهل البصرة فلاناً، ولعله لم يفعل ذلك إلا رجل واحد. والرابع: وما كان الله معذبهم وفي أصلاهم من يستغفر الله، قاله مجاهد. قال ابن الأنباري: فيكون معنى تعذيبهم: إهلاكهم؛ فالمعنى: وما كان الله مهلكهم، وقد سبق في علمه أنه يكون لهم أولاد يؤمنون به ويستغفرونه؛ فوصفهم بصفة ذرايعهم، وغلبوا عليهم كما غلب بعضهم على كلهم في الجواب الذي قبله. والخامس: أن المعنى: لو استغفروا لما عذبهم الله، ولكنهم لم يستغفروا فاستحقوا العذاب؛ وهذا كما تقول العرب: ما كنت لأهينك وأنت تكرمني؛ يريدون: ما كنت لأهينك لو أكرمتني؛ فأما إذ لست تكرمني، فإنك مستحق لإهانتني، وإلى هذا القول ذهب قتادة والسدي. قال ابن الأنباري: وهو اختيار اللغويين. وذكر المفسرون في معنى هذا الاستغفار ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الاستغفار المعروف؛ وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: أنه بمعنى الصلاة؛ رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، ومنصور عن مجاهد، وبه قال الضحاك. والثالث: أنه بمعنى الإسلام، رواه ابن أبي نجيج عن مجاهد، وبه قال عكرمة.

﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِمْ إِلَّا الْمُتَفَنُّونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ هذه الآية أجازت تعذيبهم، والأولى نفت ذلك. وهل المراد بهذا: العذاب الأول، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه هو الأول، إلا أن الأول امتنع بشيئين: أحدهما: كون النبي ﷺ فيهم. والثاني: كون المؤمنين المستغفرين بينهم؛ فلما وقع التمييز بالهجرة، وقع العذاب بالباقيين يوم بدر، وقيل: بل وقع بفتح مكة. والثاني: أنهما مختلفان، وفي ذلك قولان: أحدهما: أن العذاب الثاني قتل بعضهم يوم بدر، والأول استئصال الكل؛ فلم يقع الأول لما قد علم من إيمان بعضهم، وإسلام بعض ذرايعهم، ووقع الثاني. والثاني: أن العذاب الأول عذاب الدنيا. والثاني: عذاب الآخرة؛ قاله ابن عباس. فيكون المعنى: وما كان الله معذب المشركين لاستغفارهم في الدنيا، وما لهم آلَا يعذبهم الله في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ قال الزجاج: المعنى: وهم يصدون ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أوليائه. وفي هاء الكناية في قوله: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى «المسجد»، وهو قول الجمهور. قال الحسن: إن المشركين قالوا: نحن أولياء المسجد الحرام، فرد الله عليهم بهذا. والثاني: أنها تعود إلى الله ﷻ، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ أي: ما أولياؤه ﴿إِلَّا الْمُتَفَنُّونَ﴾ للشرك والمعاصي، ولكن أكثر أهل مكة لا يعلمون من الأولى بيت الله.

(١) «الطبري» ٥٠٩/١٣، ٥١٠، وأورده السيوطي في «الدرر» ١٨١/٣ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْآيَةِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١٥)

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْآيَةِ﴾ سبب نزولها أنهم كانوا يطوفون بالبيت ويصفقون ويصفرون ويضعون خدودهم بالأرض، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عمر. فأما المكاء، ففيه قولان: أحدهما: أنه الصفير، قاله ابن عمر، وابن عباس، وابن جبير، وقتادة، وأبو عبيدة، والزجاج، وابن قتيبة. قال ابن فارس: يقال: مكا الطائر [يمكو] مكاء: إذا صفّر، ويقال: مكيث يده [تمكى] مكى، مقصور، أي: غلظت وخشنت، ويقال: تمكى: إذا توضع. وأنشدوا:

[إِنَّكَ وَالْجَوْرَ عَلَى سَبِيلِ] كَالْمُتَمَكِّي بِدَمِ الْقَتِيلِ<sup>(١)</sup>

وسئل أبو سلمة بن عبد الرحمن عن المكاء، فجمع كفيو، وجعل يصفّر فيهما. والثاني: أنه إدخال أصابعهم في أفواههم يخلطون به، وبالتصديّة على محمد ﷺ صلاته، قاله مجاهد. قال ابن الأنباري: أهل اللغة ينكرون أن يكون المكاء إدخال الأصابع في الأفواه، وقالوا: لا يكون إلا الصفير. وفي التصديّة قولان: أحدهما: أنها التصفيق، قاله [ابن] عمر، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والجمهور. قال ابن قتيبة: يقال: صدّى: إذا صفق يديه. قال الراجز:

صُنْتُ بِخَدِّ وَجَلْتُ عَنْ خَدِّ وَأَنَا مِنْ غَرَوِ الْهَوَى أَصْدِي<sup>(٢)</sup>

الغرو: المعجب، يقال: لا غرو من كذا، أي: لا عجب. والثاني: أن التصديّة: صدّهم الناس عن البيت الحرام، قاله سعيد بن جبير. وقال ابن زيد: هو صدّهم عن سبيل الله ودينه. وزعم مقاتل أن النبي ﷺ كان إذا صلى في المسجد الحرام، قام رجلان من المشركين من بني عبد الدار عن يمينه فيصفقان، ورجلان عن يساره فيصفقان، فيتخلط على النبي ﷺ صلاته وقراءته، فقتلهم الله بيدر، فذلك قوله: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ يتوحيده الله. فإن قيل: كيف سمي المكاء والتصديّة صلاة؟ فتنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أنهم جعلوا ذلك مكان الصلاة، ومشهور في كلام العرب أن يقول الرجل: زرت عبد الله، فجعل جفائي صلتي، أي: أقام الجفاء مقام الصلة، قال الشاعر:

قُلْتُ لَهُ أَظْهَمَنِي غَمِيمٌ تَمَرًا فَكَانَ بَمَرِي كَهَرَةٍ وَزَبْرًا

أي: أقام الصباح عليّ مقام التمر، والثاني: أن من كان المكاء والتصديّة صلاته، فلا صلاة له، كما تقول العرب: ما لفلان عيب إلا السخاء، يريدون: من السخاء عيبه، فلا عيب له، قال الشاعر:

فَنَى كَمُلْتُ خَيْرَاتُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَلَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا<sup>(٣)</sup>

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْمِنُونَ آمَاةً لَّهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَيُخْفِئُونَ عَنْهَا ثُمَّ يَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يَصُدُّوا كَفَرُوا بِالَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ جَهَنَّمَ بُحْرُونَ﴾ (١٦)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْمِنُونَ آمَاةً لَّهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في المطعميين ببدر، وكانوا اثني عشر رجلاً يطعمون الناس الطعام، كل رجل يطعم يوماً، وهم: عتبة، وشيبة، ومُنَبِّه وُنَبَّيه ابنا الحجاج، وأبو البختري<sup>(٤)</sup>، والنضر بن الحارث، وأبو جهل، وأخوه الحارث، وحكيم بن حزام، وأبيّ بن خلف، وزمعة بن الأسود، والحارث بن عامر بن نوفل، هذا قول أبي صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب، استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش لقتال رسول الله ﷺ سوى من استجاش من

(١) البيت في «اللسان» مكاء، ونسبه إلى عترة الطائي، وعترة هذا: هو عترة بن عكبرة الطائي، وعكبرة أم أمه، وبها يعرف، وهو عترة بن الأخرس بن ثعلبة بن صبيح بن معبد بن عدي بن أفلت بن سلسلة بن عمرو بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن بن عتود، شاعر محسن وفارس. «المؤتلف والمختلف» ٢٢٥.

(٢) «غريب القرآن» لابن قتيبة ١٧٩. وانظر «ديوان بشار» ٢٢٢/٢ - ٢٢٣.

(٣) البيت للناطقة الجعدي، «ديوان» ١٧٣ طبع المكتب الإسلامي، و«الحمامة» ٩٦٩/٢، و«الخزانة» ١٢/٢، و«شرح شواهد المغني» ٢٠٩.

(٤) هو سعيد بن فيروز الطائي.

العرب، قاله سعيد بن جبير<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: نزلت في نفقة أبي سفيان على الكفار يوم أُحد. والثالث: أنها نزلت في أهل بدر، وبه قال الضحاك. فأما سبيل الله، فهو دين الله.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي: تكون عاقبة نفقتهم ندامة، لأنهم لم يظفروا.

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَجْعَلُ جَمِيعًا فِجْجَةً فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٣٦).

قوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر «ليميز» خفيفة. وقرأ حمزة، والكسائي «ليميز» بالتشديد وهما لغتان: ميزته وميزته. وفي لام «ليميز» قولان: أحدهما: أنها متعلقة بقوله: «فسيُفْقونها» قاله ابن الأنباري. والثاني: أنها متعلقة بقوله: «إلى جهنم يحشرون»، قاله ابن جرير الطبري. وفي معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: ليميز أهل السعادة من أهل الشقاء، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال السدي، ومقاتل: يميز المؤمن من الكافر. والثاني: ليميز العمل الطيب من العمل الخبيث، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: ليميز الإنفاق الطيب في سبيله، من الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان، قاله ابن زيد، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي: يجمع بعضه فوق بعض، وهو قوله: ﴿فَيَجْعَلُ جَمِيعًا فِجْجَةً﴾. قال الزجاج: الركم؛ أن يُجْعَلَ بعض الشيء على بعض، يقال: ركمت الشيء أركمه ركاماً؛ والركام؛ الاسم؛ فمن قال: المراد بالخبيث: الكفار، فإنهم في النار بعضهم على بعض؛ ومن قال: أموالهم، فله في ذلك قولان: أحدهما: أنها ألقيت في النار ليعذب بها أربابها، كما قال تعالى: ﴿فَتَكُونُ فِيهَا حِبَابُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥]. والثاني: أنهم لما عظموا في الدنيا، أراهم هوانها بإلقائها في النار كما تلقى الشمس والقمر في النار، ليرى من عبدهما ذلها.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٧).

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ نزلت في أبي سفيان وأصحابه، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: إن ينتهوا عن المحاربة، يُغْفَرْ لَهُمْ ما قد سلف من حربهم، فلا يؤاخذون به؛ وإن يعودوا إلى المحاربة، فقد مضت سنة الأولين في نصر الله أولياءه؛ وقيل: في قتل من قُتل يوم بدر وأسر. والثاني: إن ينتهوا عن الكفر، يُغْفَرْ لَهُمْ ما قد سلف من الإثم؛ وإن يعودوا إليه، فقد مضت سنة الأولين من الأمم السالفة حين أخذوا بالعذاب المستأصل. قال يحيى بن معاذ في هذه الآية: إن توحيداً لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر، لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب<sup>(٢)</sup>.

﴿وَيَقِيلُ لَهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَذَرْهُمْ لَا يُغْفَرُ لَهُمْ﴾ (٣٨).

قوله تعالى: ﴿وَيَقِيلُ لَهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَذَرْهُمْ لَا يُغْفَرُ لَهُمْ﴾ أي: شرك. وقال الزجاج: حتى لا يفتن الناس فتنة كفر؛ ويدل عليه قوله: ﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: عن الكفر والقتال، ﴿فَذَرْهُمْ لَا يُغْفَرُ لَهُمْ﴾ وقرأ يعقوب إلا روحاً: «بما تعملون» بالتاء.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ يَوْمَ الْمَوْلَىٰ وَنَعَمَ النَّصِيرُ﴾ (٣٩).

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا عن الإيمان وعادوا إلى القتال ﴿فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ﴾ أي: وليكم وناصركم. قال ابن قتيبة: ﴿نَعَمَ الْمَوْلَىٰ﴾ أي: نعم الولي ﴿وَنَعَمَ النَّصِيرُ﴾ أي: الناصر، مثل قدير وقادر، وسميع وسامع.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا وَاللِّسَانِ وَالسَّكِينِ وَآثَرِ النَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤٠).

(١) الطبري ١٣/٥٣٠.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» ١/١١١ عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: قلنا: يا رسول الله، أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: «من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية»، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والأخر.

وروى مسلم أيضاً في «صحيحه» ١/١١٢ من حديث عمرو بن العاص ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله».

قوله تعالى: ﴿وَأَقْلَمُوا أَنْكَا غَنَمَهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ اختلَفوا، هل الغنيمة والفِيء بمعنى واحد، أم يختلفان؟ على قولين: أحدهما: أنهما يختلفان. ثم في ذلك قولان: أحدهما: أن الغنيمة: ما ظهر عليه من أموال المشركين، والفِيء: ما ظهر عليه من الأرضين، قاله عطاء بن السائب. والثاني: أن الغنيمة: ما أخذ عنوةً، والفِيء: ما أخذ عن صلح، قاله سفيان الثوري. وقيل: بل الفِيء: ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، كالعشور، والجزية، وأموال المهادنة، والصلح، وما هربوا عنه. والثاني: أنهما واحد، وهما: كل ما نيل من المشركين، ذكره الماوردي. وقال الزجاج: الأموال ثلاثة أصناف؛ فما صار إلى المسلمين من المشركين في حال الحرب، فقد سماه الله تعالى: أنفالاً وغنائم؛ وما صار من المشركين من خراج أو جزية مما لم يأخذ في الحرب، فقد سماه: فَيْئاً؛ وما خرج من أموال المسلمين، كالزكاة، والنذر، والقرب، سماه: صدقة. وأما قوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ فالمراد به: كل ما وقع عليه اسم شيء. قال مجاهد: الجُحْيط من الشيء.

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ حُكْمَهُ﴾ وروى عبد الوارث: «حُكْمُهُ» بسكون الميم. وفي المراد بالكلام قولان: أحدهما: أن نصيب الله مستحق يُصرف إلى بيته. قال أبو العالية: كان يجاء بالغنيمة فيقسمها رسول الله ﷺ على خمسة أسهم، فيقسم أربعة بين الناس، ثم يجعل من السهم الخامس للكعبة؛ وهذا مما انفرد به أبو العالية فيما يقال. والثاني: أن ذكر الله هاهنا لأحد وجهين: أحدهما: لأنه المتحَكِّم فيه، والمالك له، والمعنى: فأن للرسول خمسة ولذي القربى، كقوله: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَنْفَالِ كُلِّ الْأَنْفَالِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١]. والثاني: أن يكون المعنى: إن الخمس مصروف في وجوه القرب إلى الله تعالى، وهذا قول الجمهور. فعلى هذا، تكون الواو زائدة، كقوله: ﴿فَلَمَّا أَتَيْنَاكَ وَلَمْ نَكُنْ لَكَ الْبَقِيَّةَ﴾ [الصافات: ١٠٣] المعنى: ناديتنا، ومثله كثير.

### فصل

أجمع العلماء على أن أربعة أخماس الغنيمة لأهل الحرب خاصة؛ فأما الخمس الخامس، فكيف يقسم؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يقسم منه الله وللرسول ولمن ذكر في الآية. وقد ذكرنا أن هذا مما انفرد به أبو العالية، وهو يقتضي أن يقسم على ستة أسهم. والثاني: أنه مقسوم على خمسة أسهم: سهم للرسول، وسهم لذوي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السبيل، على ظاهر الآية، وبه قال الجمهور. والثالث: أنه يقسم على أربعة أسهم. فسهم الله ﷻ وسهم رسوله عائد على ذوي القربى، لأن رسول الله ﷺ لم يكن يأخذ منه شيئاً، وهذا المعنى رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

### فصل

فأما سهم الرسول ﷺ، فإنه كان يصنع فيه ما بيئاً. وهل سقط بموته، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: لم يسقط بموته، وبه قال أحمد، والشافعي في آخرين. وفيما يُصْنَع به قولان: أحدهما: أنه للخليفة بعده، قاله قتادة. والثاني: أنه يُصْرَفُ في المصالح، وبه قال أحمد، والشافعي. والثاني: أنه يسقط بموته كما يسقط الصفي، فيرجع إلى جملة الغنيمة، وبه قال أبو حنيفة. وأما ذوو القربى، ففيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم جميع قريش. قال ابن عباس: كنا نقول: نحن هم؛ فأبى علينا قومنا، وقالوا: قريش كلها ذوو قريش. والثاني: بنو هاشم، وبنو المطلب، وبه قال أحمد، والشافعي. والثالث: أنهم بنو هاشم فقط، قاله أبو حنيفة. وبماذا يستحقون؟ فيه قولان: أحدهما: بالقرابة، وإن كانوا أغنياء، وبه قال أحمد، والشافعي. والثاني: بالفقر، لا بالاسم، وبه قال أبو حنيفة. وقد سبق في [البقرة: ١٧٧] معنى اليتامى والمساكين وابن السبيل. وينبغي أن تُعتبر في اليتيم أربعة أوصاف: موت الأب، وإن كانت الأم باقية. والصَّغَرُ، لقوله ﷻ: ﴿لَا يَتَّمِعْ بِعَدْلٍ حُلُمٌ﴾<sup>(١)</sup>. والإسلام، لأنه مال للمسلمين. والحاجة، لأنه مُعَدُّ للمصالح.

(١) رواه أبو داود ١٥٦/٣ من حديث علي بن أبي طالب بلفظ: «لا يتم بعد احتلام، ولا صمات يوم إلى الليل» قال المنذري: في إسناده يحيى بن محمد المدني الجاري، قال البخاري: يتكلمون فيه. وقال ابن حبان: يجب التكتب عما انفرد به من الروايات.



قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَىٰ عِبَادِنَا مِنَّا أَلْفًا قَدِيمًا﴾ هو يوم بدر، فُرق فيه بين الحق والباطل بنصر المؤمنين. والذي أنزل عليه يومئذ قوله: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأضال: ٤١] نزلت حين اختلفوا فيها، فالمعنى: إن كنتم آمنتم بذلك، فاصدروا عن أمر الرسول في هذا أيضاً.

﴿إِذْ أَنتُم بِالْمَدِينَةِ الْأُثْيَا وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكِبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْيَمِينِ وَلَكِنَّ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَن هَلَكَ عَنَّا بِيَنَّا وَيَبْقَى مَن حَيَّ عَنَّا بِيَنَّا وَرَأَى اللَّهُ لَسِيْعٌ عَلَيْهِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْمَدِينَةِ الْأُثْيَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «بالعدوة» و«العدوة» العين فيهما مكسورة. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: بضم العين فيهما. قال الأخفش: لم يُسمع من العرب إلا الكسر. وقال ثعلب: بل الضم أكثر اللغتين. قال ابن السكيت: عدوة الوادي وعدوته: جانبه؛ والجمع: عُدى وعُدَى. والدنيا: تأنيث الأدنى؛ وضدها: القصوى، وهي تأنيث الأنصى؛ وما كان من النعوت على «فعلَى» من ذوات الواو، فإن العرب تحوّلته إلى الياء، نحو: الدنيا، من: دنوت؛ والعليا، من: علوت؛ لأنهم يستثقلون الواو مع ضم الأول، وليس في هذا اختلاف، إلا أن أهل الحجاز قالوا: القصوى، فأظهروا الواو، وهو نادر؛ وغيرهم يقول: القصيا. قال المفسرون: إذ أنتم بشفير الوادي الأدنى من المدينة، وعدوكم بشفيره الأقصى من مكة، وكان الجمعان قد نزلا وادي بدر على هذه الصفة، والركب: أبو سفيان وأصحابه. قال الزجاج: من نصب «أسفل» أراد: والركب مكاناً أسفل منكم، ويجوز الرفع على معنى: والركب أشد تسفلاً منكم. قال قتادة: وكان المسلمون أعلى الوادي، والمشركون أسفله. وفي قوله: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْيَمِينِ﴾ قولان: أحدهما: لو تواعدتم، ثم بلغكم كثرتهم، لتأخّرت عن الميعاد، قاله ابن إسحاق. والثاني: لو تواعدتم على الاجتماع في المكان الذي اجتمعتم فيه من عدوتي وادي بدر لاختلفتم في الميعاد، قاله أبو سليمان. وقال الماوردي: كانت تقع الزيادة والنقصان، أو التقدم والتأخر من غير قصد لذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ وهو إعزاز الإسلام، وإذلال الشرك.

قوله تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَن هَلَكَ عَنَّا بِيَنَّا﴾ وروى خلف عن يحيى: «لِيَهْلِكَ» بضم الياء وفتح اللام.

قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى مَن حَيَّ عَنَّا بِيَنَّا﴾ قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «من حي» بياء واحدة مشدد، وهذه رواية حفص عن عاصم، وقنبل عن ابن كثير. وروى ثبيل عن ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: «حيي» بيامين، الأولى مكسورة، والثانية مفتوحة، وهي قراءة نافع. فمن قرأ بيامين، يبين ولم يُدغم. ومن أدغم ياء «حيي» فلا اجتماع حرفين من جنس واحد. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: ليقتل من قُتل من المشركين عن حجة، ويبقى من بقي منهم عن حجة. والثاني: ليكفر من كفر بعد حجة، ويؤمن من آمن عن حجة.

﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرْسَلْنَاهُمْ كَثِيرًا لَفُتِلْتُمْ وَلَتَنْتَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّكُمْ عَلَيْهِ يُدَاتِ الْقُصُورُ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن نبي الله ﷺ رأى عسكر المشركين في المنام قبل لقائهم في قلة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال مجاهد: لما أخبر أصحابه بأنه رآهم في المنام قليلاً، كان ذلك تبييناً لهم. قال أبو سليمان المشيقي: والكلام متعلق بما قبله، فالمعنى: وإن الله لسميع لما يقوله أصحابك، عليهم بما يضرهم، إذ حدثهم بما رأيت في منامك. والثاني: إذ يريكم الله بعينك التي تنام بها، قاله الحسن<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: وكثير من النحويين يذهبون إلى هذا المذهب. ومعناه عندهم: إذ يريكم الله في موضع منامك، أي: بعينك؛ ثم حذف الموضع، وأقام المنام مقامه.

= وقد حسنه النووي في «الأذكار» و«الرياض». وقال المناوي: وفي رواية للبخاري «بعد حلم» كما هي رواية المصنف هنا. وفي «المقاصد الحسنة» للسخاوي: روى أبو داود عن علي في حديث، وقد أهله غير واحد، وحسنه النووي متمسكاً بسكوت أبي داود عليه، لا سيما وهو عند الطبراني في «الصغير» من وجه آخر عن علي، بل له شواهد عن جابر، وأنس وغيرهما.

(١) قال ابن كثير: ٣١٥/٢: وهذا القول غريب.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ مِنْ أَمَامِ اللَّهِ فِي هَاتِهِمَا نَجْمٌ﴾ أي: لجئتم وتأخرتم عن حربهم. وقال مجاهد: لفشل أصحابك، ولراوا ذلك في وجهك.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَوَفَّيْتُمُ فِي الْأَمْرِ﴾ أي: لاختلفتم في حربهم، فكان ذلك من دواعي هزيمتكم، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَكَنَ﴾ من المخالفة والفشل.

﴿وَإِذْ يُرِيدُكُمْ فِي الْقَيْمِ فِي أَعْيُنِكُمْ قِيلَ لِلَّذِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ يَقُولُ اللَّهُ أَمْرًا كَأَنَّهُ مَقُولٌ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾<sup>(١)</sup>  
قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيدُكُمْ فِي الْقَيْمِ فِي أَعْيُنِكُمْ قِيلَ﴾ قال مقاتل: صدق الله رؤيا رسوله التي أخبر بها المؤمنين عن قلة عدوهم قبل لقاءهم، بأن قللهم وقت اللقاء في أعينهم. وقال ابن مسعود: لقد قللوا في أعيننا، حتى قلت لرجل إلى جاني: أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة؛ حتى أخذنا رجلاً منهم، فسالناه، فقال: كُنَّا ألفاً. قال أبو صالح عن ابن عباس: استقل المسلمون المشركين، والمشركون المسلمين، فاجترأ بعضهم على بعض. فإن قيل: ما فائدة تكرير الرؤية هاهنا، وقد ذكرت في قوله: ﴿إِذْ يُرِيدُكُمْ اللَّهُ؟﴾ فنه جوابان: أحدهما: أن الأولى كانت في المنام، والثانية في اليقظة. والثاني: أن الأولى للنبي ﷺ خاصة، والثانية له ولأصحابه. فإن قيل: تكثير المؤمنين في أعين الكافرين أولى، لمكان إعزازهم. فنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنهم لو كثروا في أعينهم، لم يقدموا عليهم، فلم يكن قتال، والقتال سبب النصر، فقللهم لذلك. والثاني: أنه قللهم لئلا يتأهب المشركون كل التأهب؛ فإذا تحقق القتال، وجددهم المسلمون غير مستعدين، فظفروا بهم. والثالث: أنه قللهم ليحمل الأعداء عليهم في كثرتهم، فيغلبهم المسلمون، فيكون ذلك آية للمشركين ومنبهاً على نصرة الحق.

﴿يَتَأْتِيهِمُ الْيَقِينُ﴾ أي: إذا لقيت فئة فاثبتوا وأذكروا الله كثيراً لملككم لتلحقوا<sup>(٢)</sup> وأطيعوا الله ورسوله ولا تتزعزعا فتفشلوا وتذهب ريضكم وأمروا إن الله مع الصابرين<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ الفئـة: الجماعة. ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الدعاء والنصر. والثاني: ذكر الله على الإطلاق.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَزَعَّزَعُوا فَنَفْثَالُكُمْ﴾ قد سبق ذكر التنازع والفشل آنفاً.

قوله تعالى: ﴿وَتَلَبَّسَ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ وروى أبان: «ويذهب، بالياء والجزم. وفيه أربعة أقوال: أحدها: تذهب شدتكم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال السدي: حدثكم وجدكم. وقال الزجاج: صولتكم وقوتكم. والثاني: يذهب نصركم، قاله مجاهد، وقتادة. والثالث: تنقطع دولتكم، قاله أبو عبيدة. وقال ابن قتيبة: يقال هبَّتْ له ریح النصر: إذا كانت له الدولة. ويقال: له الريح اليوم، أي: الدولة. والرابع: أنها ریح حقيقة، ولم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله فتضرب وجوه العدو؛ ومنه قوله ﷺ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وأهلكث هاذ بالذبور»<sup>(٤)</sup>، وهذا قول ابن زيد، ومقاتل.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِيشَةً وَالْأَنْبَاءُ عَنْ سَيْبِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَمْلِكُونَ مَحِيطٌ﴾<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا﴾ قال المفسرون: هم أبو جهل ومن خرج معه من مكة، خرجوا ليدفعوا عن غيرهم التي كانت مع أبي سفيان، ومعهم القيان والمعازف، وهم يشربون الخمر. فلما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز ما معه، كتب إليهم: إني قد أحرزت أموالكم فارجعوا. فقال أبو جهل: والله لا فعل حتى نرد بدران فتقيم ثلاثاً، وننحر العجز، وننظم الطعام، ونسقى الخمر، ونسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابونا. فساروا إلى بدر، فكانت الواقعة؛ فسقوا كؤوس المنيا مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان. فأما البطر؛ فهو الطغيان في النعم، وترك شكرها. والرياء: العمل من أجل رؤية الناس. وسبيل الله هاهنا: دينه.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفُتَيَانُ لُكْمَ عَلِيٍّ عَبِيدٍ وَقَالَ إني بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(٦)</sup>

(١) أحمد في «المستد» رقم (٢٩٨٤)، و«البخاري» ٤٣٢/٢، و«مسلم» ٦١٧/٢، كلهم من رواية عبد الله بن عباس ؓ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ رَجَّيْنَاهُمْ أَصْحَابَهُمْ﴾ قال عروة بن الزبير: لما أجمعت قريش المسير إلى بدر، ذكروا ما بينهم وبين كنانة من الحرب، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقاة بن مالك المدلجي، وكان من أشراف بني كنانة، فقال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ الْآثَرِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعاً. وفي المراد بأعمالهم هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: شركهم. والثاني: مسيرهم إلى بدر. والثالث: قتالهم لرسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفُتَيَانُ﴾ أي: صارتا بحيث رأت إحداهما الأخرى. وفي المراد بالفتتين قولان: أحدهما: فئة المسلمين، وفئة المشركين، وهو قول الجمهور. والثاني: فئة المسلمين، وفئة الملائكة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَنَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾ قال أبو عبيدة: رجع من حيث جاء. وقال ابن قتيبة: رجع القهقري. قال ابن السائب: كان إبليس في صف المشركين على صورة سراقاة، أخذاً بيد الحارث بن هشام؛ فرأى الملائكة فنكص على عقبيه، فقال له الحارث: أفراراً من غير قتال؟ فقال: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾؛ فلما هُزم المشركون، قالوا: هَزَمَ النَّاسَ سَرَاةً، فبلغه ذلك، فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم. قال قتادة: صدق عدو الله في قوله: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾، ذكر لنا أنه رأى جبريل ومعه الملائكة، فعلم أنه لا يد له بالملائكة، وكذب عدو الله في قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾، والله ما به مخافة الله، ولكن علم أنه لا قوة له بهم. وقال عطاء: معناه: إني أخاف الله أن يهلكني. وقال ابن الأنباري: لما رأى نزول الملائكة، خاف أن تكون القيامة، فيكون انتهاء إنظاره، فيقع به العذاب. ومعنى «نكص» رجع هارباً بخزي وذل. واختلفوا في قوله: ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ بِمَا كُفَّيْتُمْ﴾ هل هو ابتداء كلام، أو تمام الحكاية عن إبليس، على قولين.

﴿إِذْ يَكْفُرُ الْمُنَافِقُونَ﴾ والثاني: ﴿إِذْ يَكْفُرُ الْمُنَافِقُونَ﴾ قال ابن عباس: هم قوم من أهل المدينة من الأوس والخزرج. فأما الذين في

قلوبهم مرض، ففيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قوم كانوا قد تكلّموا بالإسلام بمكة، فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر كرهاً؛ فلما رأوا قلة المسلمين وكثرة المشركين، ارتابوا وناقضوا، وقالوا: ﴿عَرَّ هَؤُلَاءِ وَبَهُمْ﴾، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وإليه ذهب الشعبي في آخرين. وعدّهم مقاتل، فقال: كانوا سبعة: قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زعمة، وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منية بن الحجاج، والوليد بن الوليد بن المغيرة، والوليد بن عتبة بن ربيعة. والثاني: أنهم المشركون، لما رأوا قلة المسلمين، قالوا: ﴿عَرَّ هَؤُلَاءِ وَبَهُمْ﴾ رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن. والثالث: أنهم قوم مرتابون، لم يُظهروا عداوة النبي ﷺ، ذكره الماوردي. والمرض هاهنا: الشك، والإشارة بقوله: «هؤلاء» إلى المسلمين؛ وإنما قالوا هذا، لأنهم رأوا قلة المسلمين، فلم يشكوا في أن قريشاً تغلبهم.

﴿رَأَوْا تَرَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُفِرُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿رَأَوْا تَرَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُفِرُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٥﴾ قرأ الجمهور «يتوفى» بالياء. وقرأ ابن عامر «تتوفى» بتاءين. قال المفسرون: نزلت في الرهط الذين قالوا: ﴿عَرَّ هَؤُلَاءِ وَبَهُمْ﴾. وفي المراد، بالملائكة ثلاثة أقوال: أحدها: ملك الموت وحده، قاله مقاتل. والثاني: ملائكة العذاب، قاله أبو سليمان الدمشقي. والثالث: الملائكة الذين قاتلوا يوم بدر، ذكره الماوردي. وفي قوله: ﴿يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ أربعة أقوال: أحدها: يضربون وجوههم بيدراً لما قاتلوا، وأدبارهم لما انهزموا. والثاني: أنهم جاؤهم من بين أيديهم ومن خلفهم، فالذين أمامهم ضربوا وجوههم، والذين وراءهم ضربوا أدبارهم. والثالث: يضربون وجوههم يوم القيامة إذا لقوهم، وأدبارهم إذ ساقوهم إلى النار. والرابع: أنهم يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت بسيطا من نار. وهل المراد نفس الوجوه والأدبار، أم المراد ما أقبل من أبدانهم وأدبر؟ فيه قولان. وفي قوله: ﴿وَذُفِرُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ قولان: أحدهما: أنه في الدنيا؛ وفيه إضمار «يقولون»، فالمعنى: يضربون ويقولون، كقوله: ﴿وَإِذْ يَرْجَى إِذْ يَرْجَى الْقَوَاعِدُ مِنَ الْبَيْتِ يُرْسِلُ رِسَالًا﴾ [البقرة: ١٧٧] أي: ويقولون. قال النابغة:

كَأَنَّكَ مِنْ جَمَالِ بَنِي أَقِيْشٍ يُقَعَّرَقُ خَلْفَ رَجُلَيْهِ بِشَنْ<sup>(١)</sup>  
والمعنى: كأنك جمل من جمال لبني أقيش، هذا قول الفراء وأبي عبيدة. والثاني: أن الضرب لهم في الدنيا، فإذا وردوا يوم القيامة إلى النار، قال خزنتها: ذوقوا عذاب الحريق، هذا قول مقاتل.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَكُمْ﴾ أي: بما كسبت من قبائح أعمالكم: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>(٣)</sup> لا يظلم عباده بمقوبتهم على الكفر، وإن كان كفرهم بقضائه، لأنه مالك، فله التصرف في ملكه كما يشاء، فيستحيل نسبة الظلم إليه.

﴿كَذَّابٍ مَّالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِي اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يَذْنُوبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ سَدِيدٌ الْعِقَابِ﴾<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿كَذَّابٍ مَّالٍ فِرْعَوْنَ﴾ أي: كعادتهم. والمعنى: كذب هؤلاء كما كذب أولئك، فنزل بهم العذاب كما نزل بأولئك. قال ابن عباس: أيقن آل فرعون أن موسى نبي الله فكذبوه، فكذلك هؤلاء في حق محمد ﷺ.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَذِّبًا نِعْمَةً أَنْفُسَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَذِّبُوا مَا أَنْفُسُهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ﴾ أي: ذلك الأخذ والعقاب بأن الله ﴿لَمْ يَكُ مُعَذِّبًا نِعْمَةً أَنْفُسَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَذِّبُوا﴾ بالكفران وترك الشكر. قال مقاتل: والمراد بالقوم هاهنا أهل مكة، أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، ثم بعث فيهم محمداً ﷺ، فلم يعرفوا النعم على أنفسهم، فغضب الله ما بهم. وقال السدي: كذبوا بمحمد، فنقله الله إلى الأنصار. قال أبو سليمان الخطابي: والقوي يكون بمعنى القادر، فمن قوي على شيء فقد قدر عليه، وقد يكون معناه: التام القوة الذي لا يستولي عليه العجز في حال، والمخلوق، وإن وصف بالقوة، فقوته متناهية، وعن بعض الأمور قاصرة.

﴿كَذَّابٍ مَّالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِي رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ يَذْنُوبُهُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَاذِبٍ ظَالِمٍ﴾<sup>(٦)</sup>

قوله تعالى: ﴿كَذَّابٍ مَّالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: كذب أهل مكة بمحمد والقرآن، كم كذب آل فرعون بموسى والتوراة، وكذب من قبلهم بأنبيائهم. قال مكي بن أبي طالب: الكاف من «كذاب» في موضع نصب، نعت لمحذوف تقديره: غيرنا بهم لما غيروا تغييراً مثل عادتنا في آل فرعون، ومثلها الآية الأولى، إلا أن الأول للعادة في العذاب؛ تقديره: فعلنا بهم ذلك فعلاً مثل عادتنا في آل فرعون.

قوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ يعني الأمم المتقدمة، بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالريح، فكذلك أهلكنا كفار مكة بيدرس. وقال بعضهم: يعني بقوله: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ الذين أهلكوا بيدرس.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٧)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: نزلت في بني قريظة من اليهود، منهم كعب بن الأشرف وأصحابه.

﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْشُطُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْوَةٍ وَهُمْ لَا يُتَّقُونَ﴾<sup>(٨)</sup>

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ في «من» أربعة أقوال: أحدها: أنها صلة؛ والمعنى: الذين عاهدتهم. والثاني: أنها للتبعض؛ فالمعنى: إن شر الدواب الكفار. وشرهم الذين عاهدت ونقضوا. والثالث: أنها بمعنى «مع»؛ والمعنى: عاهدت معهم. والرابع: أنها دخلت، لأن العهد أخذ منهم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَنْشُطُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْوَةٍ﴾ أي: كلما عاهدتهم نقضوا. وفي قوله: ﴿وَهُمْ لَا يُتَّقُونَ﴾

(١) «مجاز القرآن» ٤٧/١، و«الكتاب» ٣٢٧/١، و«الكامل» ٣٣٩، و«مختار الشعر الجاهلي» ٢٠٠/١، و«اللسان»، و«التاج»: تقعع، و«الخزانة» ٢/٣١٢. وقمع الشيء: صوت، ويقولون: فلان يقمع له بالشان، وهو مثل يضرب لمن يروعه ما لا حقيقة له، وبنو أقيش: فخذ من أشجع، ويقال: هم من عكل، وليلهم غير عناق، يضرب بنفازها المثل، فجعل عينة بن حصن المهجو كالجمل النافر لجبهته وخفته عند الفزع، والشن: الجلد البالي.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» ١٩٩٤/٤ عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا...» الحديث.

قولان: أحدهما: لا يَتَّقُونَ نقض العهد. والثاني: لا يَتَّقُونَ الله في نقض العهد. قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ قد عاهد يهود قريظة أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه، فنقضوا العهد وأعانوا عليه مشركي مكة بالسلاح، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا؛ ثم عاهدوه الثانية، فنقضوا ومالوا الكفار يوم الخندق، وكتب كعب بن الأشرف إلى مكة يوافقهم على مخالفة رسول الله ﷺ.

﴿فَإِنَّمَا تَتَّقَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَمَتَّى يَمُوتَ مِنْ خَلْفِهِمْ لَمْ يَكُنْ يَدْعُونَ﴾ (٥٧)

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا تَتَّقَنَّهُمْ﴾ قال أبو عبيدة: مجازة: فإن تثقفنهم. فعلى قوله، تكون «ما» زائدة. وقد سبق بيان «فأما» في [البقرة: ٣٨]. قال ابن قتبية: فمعنى «تثقفنهم» تطفر بهم. ﴿فَمَتَّى يَمُوتَ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: افعل بهم فعلاً من العقوبة والتنكيل يتفرق به من وراءهم من أعدائك. قال: ويقال: شرد بهم، أي: سمع بهم، بلغة قريش. قال الشاعر:

أَطُوفُ فِي الْأَبَاطِحِ كُلِّ يَوْمٍ      مَخَافَةً أَنْ يُشْرِدَ بِي حَكِيمٌ<sup>(١)</sup>

وقال ابن عباس: نكل بهم تنكيلاً يشرد غيرهم من ناقضي العهد، لعلهم يذكرون النكال فلا يتقضون العهد.

﴿وَلِإِنَّمَا تَخَافُكَ مِنْ قَوْرِ حَيَاتِهِ فَأَنبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿وَلِإِنَّمَا تَخَافُكَ مِنْ قَوْرِ حَيَاتِهِ﴾ قال المفسرون: الخوف هاهنا بمعنى العلم، والمعنى: إن علمت من قوم قد عاهدتهم خيانه، وهي نقض عهد. وقال مجاهد: نزلت في بني قريظة. وفي قوله: ﴿فَأَنبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ أربعة أقوال: أحدها: فآلتى إليهم نقضك العهد لتكون وإياهم في العلم بالنقض سواء، هذا قول الأكثرين، واختاره الفراء، وابن قتبية، وأبو عبيدة. والثاني: فانبذ إليهم جهراً غير سر، ذكره الفراء أيضاً في آخرين. والثالث: فانبذ إليهم على مهل، قاله الوليد بن مسلم. والرابع: فانبذ إليهم على عدل من غير حيف، وأنشدوا:

فَاضْرِبْ وَجْهَ الْخُدْرِ الْأَعْدَاءِ      حَتَّى يُجِيبُوكَ إِلَى السَّوَاءِ<sup>(٢)</sup>

ذكره أبو سليمان الدمشقي.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقاً إِذْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٩)

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقاً إِذْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «ولا تحسبن» بالثاء وكسر السين؛ إلا أن عاصماً فتح السين. وقرأ ابن عامر، وحزمة، وحفص عن عاصم: بالياء وفتح السين. وفي الكافرين هاهنا قولان: أحدهما: جميع الكفار، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم الذين انهزموا يوم بدر، ذكره محمد بن القاسم النحوي وغيره. و«سبقوا» بمعنى فاتوا. قال ابن الأنباري: وذلك أنهم أشفقوا من هلكة تنزل بهم في بعض الأوقات؛ فلما سلموا منها، قيل: لا تحسبن أنهم فاتوا بسلامتهم الآن، فإنهم لا يعجزونا، أي: لا يفوتونا فيما يستقبلون من الأوقات.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قرأ الجمهور بكسر الالف. وقرأ ابن عامر: بفتحها؛ وعلى قراءته اعتراض. لقائل أن يقول: إذا كان قد قرأ «يحبسن» بالياء، وقرأ «أنهم» بالفتح، فقد أقرهم على أنهم لا يعجزون؛ ومتى علموا أنهم لا يعجزون، لم يلاموا؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال: المعنى: «لا يحسبن الذين كفروا سبقوا» لا يحسبن أنهم يعجزون؛ و«لا» زائدة مؤكدة. وقال أبو علي: المعنى: لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سبقوا وآباءهم سبقوا، لأنهم لا يفوتون، فهم يعجزون على كفرهم.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُهْبِطُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٦٠)

قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ في المراد بالقوة أربعة أقوال: أحدها: أنها الرمي، رواه عقبه بن

(١) البيت غير منسوب في «اللسان»: شرد. وأطوف: أطوف، وحكيم: رجل من بني سليم كانت قريش ولته الأخذ على أيدي السفهاء.

(٢) البيت في «الطبري» غير منسوب ٧٧/١٤، والفرد بضمين، جمع غدور، مثل صبور، وهو القائد المستمرئ للغدر.

عامر عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. وقال الحكم بن أبان: هي النبل. والثاني: ذكور الخيل، قاله عكرمة. والثالث: السلاح، قاله السدي، وابن قتيبة. والرابع: أنه كل ما يُتَّقَوَّى به على حرب العدو من آلة الجهاد.

قوله تعالى: ﴿رَبِّاتٍ رَّيَابٍ لِّلْجَلِّ﴾ يعني ربطها واقتنائها للغزو؛ وهو عام في الذكور والإناث في قول الجمهور. وكان عكرمة يقول: المراد بقوله: ﴿رَبِّاتٍ رَّيَابٍ لِّلْجَلِّ﴾ إناثها.

قوله تعالى: ﴿تَرْهَبُونَ بِهِ﴾ روى رويس، وعبد الوارث «تَرْهَبُونَ» بفتح الراء وتشديد الهاء، أي؛ تخيفون وترعبون به عدو الله وعدوكم، وهم مشركو مكة وكفار العرب.

قوله تعالى: ﴿وَالْأَخْرَيْنَ مِن دُونِهِمَا﴾ أي: من دون كفار العرب. واختلفوا فيهم على خمسة أقوال: أحدها: أنهم الجن. روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هم الجن، وإن الشيطان لا يخبل أحداً في داره فرس عتيق»<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنهم بنو قريظة، قاله مجاهد. والثالث: أهل فارس، قاله السدي. والرابع: المنافقون، قاله ابن زيد. والخامس: اليهود، قاله مقاتل.

﴿وَلَا جُنْحَ لِّلْسَلَمِ فَأَجْتَعَ لَهَا وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنْحَ لِّلْسَلَمِ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم «للسلم» بكسر السين. قال الزجاج: السلم: الصلح والمسالمة. يقال: سلم وسلم وسلم في معنى واحد، أي: إن مالوا إلى الصلح فويل إليه. قال الفراء: إن شئت جعلت «لها» كناية عن السلم لأنها توثق، وإن شئت جعلتها للفعل، كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَدِيدٍ لِّتَغْفِرَ رَجِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٥٣]. فإن قيل لم قال «لها» ولم يقل: «إليها»؟ فالجواب: أن «اللام» و«إلى» تنوب كل واحدة منهما عن الأخرى. وفيمن أريد بهذه الآية قولان: أحدهما: المشركون، وأنها نسخت بآية السيف. والثاني: أهل الكتاب، فإن قيل: إنها نزلت في ترك حربهم إذا بذلوا الجزية وقاموا بشرط الذمة، فهي محكمة. وإن قيل: نزلت في موادعتهم على غير جزية، توجه النسخ لها بآية الجزية.

﴿وَلَا يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ نَصْرَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُمْ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُرِيدُوا﴾ قال مقاتل: يعني يهود قريظة: ﴿أَن يَخْدَعُوكَ﴾ بالصلح لتكف عنهم، حتى إذا جاء مشركو العرب، أعانهم عليك ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾. قال الزجاج: فإن الذي يتولى كفايتك الله ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ﴾ أي: قواك. وقال مقاتل: قواك بنصره وبالمؤمنين من الأنصار يوم بدر.

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ يعني الأوس والخزرج، وهم الأنصار، كانت بينهم عداوة في الجاهلية، فألف الله بينهم بالإسلام. وهذا من أعجب الآيات، لأنهم كانوا ذوي أنفة شديدة؛ فلو أن رجلاً لطم رجلاً. لقتلت عنه قبيلته حتى تدرك ثاره، قال بهم الإسلام إلى أن يقتل الرجل ابنه وأباه.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: حسبك الله، وحسب من اتبعك، هذا قول أبي صالح عن ابن عباس، وبه قال ابن زيد، ومقاتل، والأكثر. والثاني: حسبك الله ومتبعوك، قاله مجاهد. وعن الشعبي كالقولين. وأجاز الفراء والزجاج الوجهين. وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: أسلم مع رسول الله ﷺ تسعة وثلاثون، ثم أسلم عمر فصاروا أربعين، فنزلت هذه الآية. قال أبو سليمان الدمشقي: هذا لا يحفظ، والسورة مدنية بإجماع، والقول الأول أصح.

(١) روى مسلم في «صحيحه» ١٣/٦٤ من حقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ﴿وَلَا يُرِيدُوا لَهُمْ مَا اسْتَغْنَوْا عَنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ١٣] «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي». ورواه أبو داود في «سننه» رقم ٢٥١٥، وابن ماجه رقم ٢٨١٣، والحاكم ٣٢٨/٢ وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجه البخاري، ووافقه الذهبي.

(٢) ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٢/٣٢٢ من رواية ابن أبي حاتم عن يزيد بن عبد الله بن غريب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كان يقول في قول الله تعالى: ﴿وَالْأَخْرَيْنَ مِن دُونِهِمَا لَا يَخْبَلُونَ﴾ قال: «هم الجن» ثم قال: ورواه الطبراني عن يزيد بن عبد الله بن غريب به وزاد: قال رسول الله ﷺ: «لا يخبل بيت فيه هتين من الخيل» وقال: وهذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا مته.

﴿يَأْتِيَا النَّبِيَّ حَرِيصَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرُونَ يَغْلِبُوا يَأْتِيَانِي وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ يَأْتِيَانِي أَنَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ يَأْتِيَانِي صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا يَأْتِيَانِي وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿حَرِيصَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ قال الزجاج: تأويله: حثهم. وتأويل التحريض في اللغة: أن يحث الإنسان على الشيء حثاً يعلم معه أنه حارص إن تخلف عنه. والحارص: الذي قد قارب الهلاك.

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرُونَ يَغْلِبُوا يَأْتِيَانِي﴾ لفظ هذا الكلام لفظ الخبر، ومعناه الأمر، والمراد: يقاتلوا مائتين، وكان هذا فرضاً في أول الأمر، ثم نسخ بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ ففرض على الرجل أن يثبت لرجلين، فإن زادوا جاز له الفرار. قال مجاهد: وهذا التشديد كان في يوم بدر. واتفق القراء على قوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ﴾ فقرأوا «يكن» بالياء، واختلفوا في قوله: ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ يَأْتِيَانِي أَنَا﴾، وفي قوله: ﴿فَإِنْ تَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ﴾ فقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: بالتاء فيهما. وقرأهما عاصم، وحزمة، والكسائي: بالياء. وقرأ أبو عمرو «يكن منكم مائة يغلبوا» بالياء، «فإن تكن منكم مائة صابرة» بالتاء. قال الزجاج: من أنث، فللفظ المائة؛ ومن ذكر، فلأن المائة وقعت على عدد مذكر. وقال أبو علي: من قرأ بالياء، فإنه أراد منه المذكر، بدليل قوله: «يغلبوا»، وكذلك المائة الصابرة هم رجال، فقرأوها بالياء، لموضع التذكير. فأما أبو عمرو، فإنه لما رأى صفة المائة مؤنثة بقوله: «صابرة» أنث الفعل، ولما رأى «يغلبوا» مذكراً، ذكر. ومعنى الكلام: إن يكن منكم عشرون صابرون يثبتون عند اللقاء، يغلبوا مائتين، لأن المؤمنين يحسبون أفعالهم، وأهل الشرك يقاتلون على غير احتساب ولا طلب ثواب، فإذا صدقهم المؤمنون القتال لم يثبتوا؛ وذلك معنى قوله: ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَعَلِمَ﴾ وروى المفضل «وعلم» بضم العين «أن فيكم ضعفاً» بضم الضاد. وقرأ عاصم، وحزمة: بفتح الضاد. وكذلك خلافهم في [الروم: ٥٥]، قال الفراء: الضم لغة قريش، والفتح لغة تميم. قال الزجاج: والمعنى في القراءتين واحد، يقال: هو الضَّعْفُ والضُّعْفُ، والمَكْتُ والمُكْتُ، والفقر والفقر، وفي اللغة كثير من باب فَعَلَ وفُعِلَ، والمعنى واحد. وقرأ أبو جعفر «وعلم أن فيكم ضعفاً» على فَعَلًا. فأما قوله: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فهو إعلام بأن الغلبة لا تقع إلا بإرادته.

﴿مَا كَانَتْ لِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُخْرِجَ فِي الْأَرْضِ تَرْبُودَاتٍ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُخْرِجَ فِي الْأَرْضِ﴾ روى مسلم في أفرادهِ من حديث عمر بن الخطاب قال: لما هزم الله المشركين يوم بدر، وقُتل منهم سبعون وأُسِرَ منهم سبعون، استشار النبي ﷺ أبا بكر وعمر وعلياً، فقال أبو بكر: يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإنني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوَّةً لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً. فقال رسول الله: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكَّنني من فلان، قريب لعمر، فأضرب عنقه، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، تمكَّن حمزة من أخيه فلان فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هودة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأمتهم وقادتهم. فهوي رسول الله ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فأخذ منهم الفداء. فلما كان من الغد، غدوت إلى رسول الله ﷺ، فإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وهما يبيكان. فقلت: يا رسول الله، أخبرني ماذا يبيكان أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت. فقال النبي ﷺ: «أبكي للذي عرض علي أصحابك من الفداء. لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة» لشجرة قريبة، فأنزل الله ﴿مَا كَانَتْ لِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾ إلى قوله ﴿عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>. وروى عن ابن عمر قال: لما أشار عمر بقتلهم، وفاداهم رسول الله ﷺ، أنزل الله تعالى

(١) «الطبري» ٦٣/١٤ ورواه أحمد في «المستد» رقم ٢٠٨ و ٢٢١ مطولاً، ورواه مسلم في «صحيحه» ١٣٨٣/٣ - ١٣٨٥ كذلك مطولاً، وقد رواه المؤلف من رواية مسلم مختصراً بمعناه، وروى بعضه أبو داود في «سننه» رقم ٢٦٩٠، ورواه الترمذي ١٣٤/٢ مختصراً، والواحد في «أسباب النزول» =

﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ﴾ إلى قوله ﴿حَلَاكًا بِحَبَابٍ﴾، فلقى النبي ﷺ عمر، فقال: «كاد يصيبنا في خلافك بلاء»<sup>(١)</sup>. فأما الأسرى، فهو جمع أسير، وقد ذكرناه في [البقرة: ٨٥]. والجمهور قرؤوا «أن يكون» بالياء، لأن الأسراء مذكرون. وقرأ أبو عمرو «أن تكون»، قال أبو علي: أنت على لفظ الأسرى، لأن الأسرى وإن كان المراد به التذكير والرجال فهو مؤنث اللفظ. والأكثرون قرؤوا «أسرى» وكذلك ﴿لَمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾. وقرأ أبو جعفر، والمفضل «أسارى» في الموضعين، ووافقهما أبو عمرو، وأبان في الثاني. قال الزجاج: والإيخان في كل شيء: قُوَّة الشيء وشِدَّتُهُ. يقال: قد أئخنه المرض: إذا اشتدت قُوَّتُهُ عليه. والمعنى: حتى يبالغ في قتل أعدائه. ويجوز أن يكون المعنى: حتى يتمكن في الأرض. قال المفسرون: معنى الآية: ما كان لنبي أن يحبس كافراً قدر عليه للفداء أو المن قبل الإيخان في الأرض. وكانت غزاة بدر أول قتال قاتله رسول الله ﷺ، ولم يكن قد أئخن في الأرض بعد. ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ وهو المال. وكان أصحاب النبي ﷺ قد فادوا يومئذ بأربعة آلاف أربعة آلاف. وفي قوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ قولان: أحدهما: يريد لكم الجنة، قاله ابن عباس. والثاني: يريد العمل بما يوجب ثواب الآخرة، ذكره الماوردي.

### فصل

وقد روي عن ابن عباس، ومجاهد في آخرين: أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿فَإِنَّمَا مَتَّ بَدُّ وَلَمَّا فَدَاكَ﴾ [محمد: ٤]، وليس للنسخ وجه، لأن غزاة بدر كانت وفي المسلمين قِلَّةٌ؛ فلما كثروا واشتد سلطانهم، نزلت الآية الأخرى، وبيّن هذا قوله: ﴿حَتَّى يُخْرِجَ فِي الْآخِرِينَ﴾.

﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ في معناه خمسة أقوال: أحدها: لولا أن الله كتب في أم الكتاب أنه سيُجْلُ لكم الغنائم لمَسَّكم فيما تعجلتم من المغنم والفداء يوم بدر قبل أن تؤمروا بذلك عذابٌ عظيم، روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. وقال أبو هريرة: تعجل ناس من المسلمين فأصابوا الغنائم، فنزلت الآية. والثاني: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب من أتى ذنباً على جهالة لعوقبتهم، روى هذا المعنى عطاء عن ابن عباس، وابن جريج عن مجاهد. وقال ابن إسحاق: سبق أن لا أعذب إلا بعد النهي، ولم يكن نهاهم. والثالث: لولا ما سبق لأهل بدر أن الله لا يعذبهم، لعذبتم، قاله الحسن، وابن جبير، وابن أبي نجيع عن مجاهد. والرابع: لولا كتاب من الله سبق من أنه يغفر لمن عمل الخطايا ثم علم ما عليه فتاب، فذكره الزجاج. والخامس: لولا القرآن الذي اقتضى غفران الصفات، لعذبتم، ذكره الماوردي. فيخرج في الكتاب قولان: أحدهما: أنه كتاب مكتوب حقيقة. ثم فيه قولان: أحدهما: أنه ما كتبه الله في اللوح المحفوظ. والثاني: أنه القرآن. والثاني: أنه بمعنى القضاء.

﴿كُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿كُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ قال الزجاج: الفاء للجزاء. والمعنى: قد أحلت لكم الفداء فكلوا. والحلال منصوب على الحال. قال مقاتل: إن الله غفور لما أخذتم من الغنيمة قبل حلها، رحيم بكم إذ أحلها لكم. فجعل رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب، وخباب بن الأرت يوم بدر على القبض<sup>(٢)</sup>، وقسمها النبي ﷺ بالمدينة، وانطلق بالأسارى، فيهم العباس، وعقيل، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب. وكان مع العباس يومئذ عشرون أوقية من ذهب، فلم تحسب له من فداه، وكلف أن يفدي ابني أخيه، فأدّى عنها ثمانين أوقية من ذهب. وقال النبي ﷺ: «أضعفوا

= مطولاً ١٣٧ - ١٣٨، وأورده ابن كثير في «التفسير» ٢/ ٢٨٩ من رواية أحمد بطوله وقال في آخره: ورواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن جرير، وابن مردويه من طرق عن عكرمة بن عمار به.

(١) أورده السيوطي في «الدرر» ٣/ ٢٠٢ عن أبي نعيم في «الحلية» من طريق مجاهد عن ابن عمر ﷺ.  
(٢) القبض بفتح القاف والباء. قال أبو عبيد القاسم بن سلام: القبض: الذي تجمع عنده الغنائم، وقال غيره: بمعنى المقبوض، وهو ما جمع من الغنيمة قبل أن تقسم.



على العباس الفداء» فأخذوا منه ثمانين أوقية، وكان فداء كل أسير أربعين أوقية. فقال العباس لرسول الله ﷺ: لقد تركتني ما حيث أسأل قريشاً بكفّي. فقال له: «أين الذهب الذي تركته عند أم الفضل؟» فقال: أي الذهب؟ فقال: «إنك قلت لها: إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا، فإن حدث بي حدث، فهو لك ولولئك» فقال: ابن أخي، من أخبرك؟ فقال: «الله أخبرني»، فقال العباس: أشهد أنك صادق، وما علمت أنك رسول الله قبل اليوم؛ وأمر ابني أخيه فأسلما. وفيهم نزلت: ﴿قُلْ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ يَتَكُ الْأَسْرَى﴾ الآية. وروى العوفي عن ابن عباس أنها نزلت في جميع من أسر يوم بدر. وقال ابن زيد: لما بُعِثَ رسول الله ﷺ أتاه رجال، فقالوا: لولا أننا نخاف هؤلاء القوم لأسلمنا، ولكننا نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله. فلما كان يوم بدر، قال المشركين: لا يتخلف عنا أحد إلا هدمنا داره واستحلنا ماله، فخرج أولئك القوم، فقتلت طائفة منهم وأسرت طائفة. فأما الذين قُتلوا، فهم الذين قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْهُمْ النَّبِيُّ تَوَلَّوْا أَنفُسِهِمْ﴾ [النحل: ٢٨]. وأما الذين أسروا فقالوا: يا رسول الله أنت تعلم أننا كنا نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، وإنما خرجنا مع هؤلاء خوفاً منهم. فذلك قوله: ﴿قُلْ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ يَتَكُ الْأَسْرَى﴾ إلى قوله: ﴿عَلَيْدُ حَكِيدٍ﴾. فأما قوله: ﴿إِن يَصْلَحِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ حَيْرًا﴾ فمعناه إسلاماً وصدقا ﴿يُؤْتِكُمْ حَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾ من الفداء. وفيه قولان: أحدهما: أكثر مما أخذ منكم. والثاني: أحل وأطيب. وقرأ الحسن، ومجاهد، وقتادة، وابن أبي عبلة: «مما أخذ منكم» بفتح الخاء؛ يشيرون إلى الله تعالى. وفي قوله: ﴿وَيَقْبُرَ لَكُمْ﴾ قولان: أحدهما: يغفر لكم كفركم وقتالكم رسول الله، قاله الزجاج. والثاني: يغفر لكم خروجكم مع المشركين، قاله ابن زيد في تمام كلامه الأول.

﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٧١)

قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾ يعني: إن أراد الأسراء خيانتك بالكفر بعد الإسلام ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ إذ كفروا به قبل أسرهم. وقال ابن زيد: فقد خانوا بخروجهم مع المشركين؛ وقد ذكرنا عنه أنها نزلت في قوم تكلموا بالإسلام. وقال مقاتل: المعنى: إن خانوك أمكنتك منهم فقتلتهم وأسرتهم كما أمكنتك بيدر. قال الزجاج: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخيانة إن خانوها، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره عليهم ومجازاته إياهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجَرُوا وَإِنْ اسْتَفْرَضْتُمْ فِي الَّذِينَ اسْتَفْرَضْتُمْ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ يَنْتَضِمُونَ وَبَيْنَهُمْ رِيقُ اللَّهِ وَمَا تَعْمَلُونَ بَعْضٌ﴾ (٧٢)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني: المهاجرين الذين هجروا ديارهم وأموالهم وقومهم في نصرة الدين. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا﴾ يعني: الأنصار، أووا رسول الله، وأسكنوا المهاجرين ديارهم، ونصروهم على أعدائهم. ﴿أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: في النصرة. والثاني: في الميراث. قال المفسرون: كانوا يتوارثون بالهجرة، وكان المؤمن الذي لم يهاجر لا يرث قريبه المهاجر، وهو معنى قوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجَرُوا﴾. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر، وعاصم، والكسائي: «ولايتهم» بفتح الواو. وقرأ حمزة: بكسر الواو. قال الزجاج: المعنى: ليس بينكم وبينهم ميراث حتى يهاجروا. ومن كسر واو الولاية، فهي بمنزلة الإمارة؛ وإذا فتحت، فهي من النصرة. وقال يونس النحوي: الولاية، بالفتح، لله ﷻ، والولاية، بالكسر، من وُلِّيت الأمر. وقال أبو عبيدة: الولاية، بالفتح، للمخالف؛ والولاية، للمخلوق. قال ابن الأباري: الولاية، بالفتح، مصدر الولي، والولاية: مصدر الوالي، يقال: ولي بين الولاية، ووالي بين الولاية؛ فهذا هو الاختيار؛ ثم يصلح في ذا ما يصلح في ذا. وقال ابن فارس: الولاية، بالفتح، النصرة، وقد تكسر. والولاية، بالكسر: السلطان.

## فصل

وذهب قوم إلى أن المراد بهذه الولاية مولاة النصر والمودة. قالوا: ونسخ هذا الحكم بقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]. فاما القائلون بأنها ولاية الميراث، فقالوا: نسخت بقوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأشغال: ٧٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرْتُمْ فِي الَّذِينَ﴾ أي: إن استنصركم المؤمنون الذين لم يهاجروا فانصروهم، إلا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم عهد، فلا تغدروا بأرباب العهد. وقال بعضهم: لم يكن على المهاجر أن ينصر من لم يهاجر إلا أن يستنصره.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ فَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [٧٦] وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَمْ تُغْفَرُوا وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: في الميراث، قاله ابن عباس. والثاني: في النصر، قاله قتادة. وفي قوله: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوا﴾ قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى الميراث، فالمعنى: إلا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه يرجع إلى التناصر. فالمعنى: إلا تعاونوا وتناصروا في الدين، قاله ابن جريج. وبيانه أنه إذا لم يتول المؤمن المؤمن توكلاً حقاً، ويتبرأ من الكافر جداً، أدى ذلك إلى الضلال والفساد في الدين. فإذا هجر المسلم أقرابه الكفار، ونصر المسلمين، كان ذلك أدعى لأقرابه الكفار إلى الإسلام وترك الشرك.

قوله تعالى: ﴿وَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ قرأ أبو هريرة. وابن سيرين، وابن السميع: «كثير» بالناء.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ أي: هم الذين حققوا إيمانهم بما يقتضيه من الهجرة والنصرة، بخلاف من أقام بدار الشرك. والرزق الكريم: هو الحسن، وذلك في الجنة.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٧٥]

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ﴾ أي: من بعد المهاجرين الأولين. قال ابن عباس: هم الذين هاجروا بعد الحديبية.

قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ أي: في الموارث بالهجرة. قال ابن عباس: أخى النبي ﷺ بين أصحابه، وكانوا يتوارثون بذلك الإخاء حتى نزلت هذه الآية، فتوارثوا بالنسب.

قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اللوح المحفوظ. والثاني: أنه القرآن - وقد بين لهم قسمة الميراث في سورة [النساء: ١١، ١٢]. والثالث: أنه حكم الله، ذكره الزجاج.



## سورة التوبة

﴿بَرَآءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

### فصل في نزولها

هي مدنية بإجماعهم، سوى الآيتين اللتين في آخرها: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] فإنها نزلت بمكة. روى البخاري في «صحيحه» من حديث البراء قال: آخر سورة نزلت (براءة)<sup>(١)</sup>. وقد نُقل عن بعض العرب أنه سمع قارئاً يقرأ هذه السورة، فقال الأعرابي: إني لأحسب هذه من آخر ما نزل من القرآن. قيل له: ومن أين علمت؟ فقال: إني لأسمع عهوداً تُنبَذُ، ووصايا تُتْلَى.

### فصل

واختلفوا في أول ما نزل من (براءة) على ثلاثة أقوال: أحدها: أن أول ما نزل منها قوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاقِلَ كَثِيرَةٍ﴾ [التوبة: ٢٥]، قاله مجاهد. والثاني: «﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾» [التوبة: ٤١]، قاله أبو الضحى، وأبو مالك. والثالث: «﴿لَا تَنْصُرُوهُ﴾» [التوبة: ٤٠]، قاله مقاتل. وهذا الخلاف إنما هو في أول ما نزل منها بالمدينة، فإنهم قد قالوا: نزلت الآيتان اللتان في آخرها بمكة.

### فصل

ولها تسعة أسماء: أحدها: سورة التوبة. والثاني: براءة؛ وهذان مشهوران بين الناس. والثالث: سورة العذاب، قاله حذيفة. والرابع: الْمُعَشَّقَةُ، قاله ابن عمر. والخامس: سورة البحوث، لأنها بحثت عن سرائر المنافقين، قاله المقداد بن الأسود. والسادس: الفاضحة، لأنها فضحت المنافقين، قاله ابن عباس. والسابع: المبعثرة، لأنها بعثت أخبار الناس، وكشفت عن سرائرهم، قاله الحارث بن يزيد، وابن إسحاق. والثامن: المشيرة، لأنها أثارت مخازي المنافقين ومثالبهم، قاله قتادة. والتاسع: الحافرة، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين، قاله الزجاج.

### فصل

وفي سبب امتناعهم من كتابة التسمية في أولها ثلاثة أقوال: أحدها: رواه ابن عباس، قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عملتم إلى (الأنفال) وهي من المثاني، وإلى (براءة) وهي من المثني، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما «بسم الله الرحمن الرحيم»؟ فقال: كان رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه شيء يدعو بعض من يكتب، فيقول: «ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»، وكانت (الأنفال) من أوائل ما نزل بالمدينة، و (براءة) من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها؛ وقُبض رسول الله ﷺ، ولم يُبين لنا أنها منها، فظننا أنها منها؛ فمن ثَمَّ قرئت بينهما ولم أكتب بينهما: «بسم الله الرحمن الرحيم»<sup>(٢)</sup>. وذكر نحو هذا المعنى عن أبي بن كعب. قال الزجاج: والشبه الذي بينهما، أن في (الأنفال) ذكر اليهود، وفي (براءة) نقضها. وكان قتادة يقول: هما سورة واحدة. والثاني: رواه

(١) «البخاري» ٢٢٧/٨.

(٢) «المستد» ٣٩٩/١، وأبو داود ٢٩٠/١، والترمذي ١٣٤/٢ وحسنه، وابن أبي داود في «المصاحف» ٣١، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١٥٨، والحاكم ٣٣٠/٢، وصححه، وخرجه السيوطي في «الدر» ٢٠٧/٣ وزاد نسبته إلى النسائي، وابن المنذر، وابن حبان، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل»، وقد ضعف هذا الحديث الشيخ أحمد شاكر، بل حكم عليه بأنه لا أجل له في تعليقه على «المستد»، فأنظره.

محمد بن الحنفية، قال: قلت لأبي: لم لم تكتبوا في (براءة) «بسم الله الرحمن الرحيم»؟ فقال: يا بني، إن (براءة) نزلت بالسيف، وإن «بسم الله الرحمن الرحيم» أمان. وسئل سفيان بن عيينة عن هذا، فقال: لأن التسمية رحمة، والرحمة أمان، وهذه السورة نزلت في المنافقين. والثالث: أن رسول الله ﷺ، لما كتب في صلح الحديبية «بسم الله الرحمن الرحيم»، لم يقبلوها وردوها، فما ردها الله عليهم، قاله عبد العزيز بن يحيى المكي.

### فصل

فأما سبب نزولها، فقال المفسرون: أخذت العرب تنقض عهوداً بنتتها مع رسول الله ﷺ، فأمره الله تعالى بإلقاء عهودهم إليهم، فأنزل (براءة) في سنة تسع، فبعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميراً على الموسم ليقم للناس الحج في تلك السنة، وبعث معه صديقاً من (براءة) ليقراها على أهل الموسم، فلما سار، دعا رسول الله ﷺ علياً، فقال: «أخرج بهذه القصة من صدر (براءة) وأذن في الناس بذلك» فخرج علي على ناقه رسول الله ﷺ العضاء حتى أدرك أبا بكر، فرجع أبو بكر فقال: يا رسول الله، أنزل في شأني شيء؟ قال: «لا، ولكن لا يبلغ عني إلا رجل مني، أما ترضى أنك كنت صاحبي في الغار، وأنتك صاحبي على الحوض»؟ قال: بلى يا رسول الله. فسار أبو بكر أميراً على الحج، وسار علي ليؤذن بـ (براءة).

### فصل

وفي عدد الآيات التي بعثها رسول الله ﷺ من أول (براءة) خمسة أقوال: أحدها: أربعون آية، قاله علي ﷺ. والثاني: ثلاثون آية، قاله أبو هريرة. والثالث: عشر آيات، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: سبع آيات، رواه ابن جريج عن عطاء. والخامس: تسع آيات، قاله مقاتل.

### فصل

فإن توهم متوهم أن في أخذ (براءة) من أبي بكر، وتسليمها إلى علي، تفضيلاً لعلي على أبي بكر، فقد جهل؛ لأن النبي ﷺ أجرى العرب في ذلك على عادتهم. قال الزجاج: وقد جرت عادة العرب في عقد عهدها ونقضها، أن يتولى ذلك على القبيلة رجل منها؛ وجائز أن تقول العرب إذا تلا عليها نقض العهد من ليس من رهط النبي ﷺ: هذا خلاف ما نعرف فيما في نقض العهود، فأزاح النبي ﷺ العلة بما فعل. وقال عمرو بن بحر: ليس هذا بتفضيل لعلي على أبي بكر، وإنما عاملهم بعادتهم المتعارفة في حمل العقد، وكان لا يتولى ذلك إلا السُّد منهم، أو رجل من رهطه ذئب، كآخ، أو عم؛ وقد كان أبو بكر في تلك الحجة الإمام، وعلي يأنتم به، وأبو بكر الخطيب، وعلي يسمع. وقال أبو هريرة: بعثني أبو بكر في تلك الحجة مع المؤذنين الذين بعثهم يؤذنون بمنى: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان؛ فأذن معنا علي بـ (براءة) وبذلك الكلام. وقال الشعبي: بعث رسول الله ﷺ علياً يؤذن بأربع كلمات: «ألا لا يحج بعد العام مشرك، ألا لا يطوف بالبيت عريان، ألا ولا يدخل الجنة إلا مسلم، ألا ومن كانت بينه وبين محمد مدة فأجله إلى مدته، والله بريء من المشركين ورسوله».

### فصل

فأما التفسير، فقولته تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ﴾ قال الفراء: هي مرفوعة بإضمار «هذه»، ومثله: ﴿سُورَةٌ أُنزِلَتْهَا﴾ [النور: ٢]. وقال الزجاج: يقال: برئت من الرجل والدين براءة، وبرئت من المرض؛ وبرأت أيضاً أبرأ برءاً، وقد رووا: برأت أبرؤ بروءاً. ولم نجد في ما لاهم همز: فَعَلْتُ أَفْعُل، إلا هذا الحرف. ويقال: بريت القلم، وكل شيء نحته: أبريه برئاً، غير مهموز. وقرأ أبو رجاء، ومورق، وابن يعمر: «براءة» بالنصب. قال المفسرون: والبراءة هاهنا: قطع الموالاة، وارتفاع العصمة، وزوال الأمان. والخطاب في قوله: ﴿إِلََّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ لأصحاب رسول الله ﷺ، والمراد رسول الله ﷺ، لأنه هو الذي كان يتولى المعاهدة، وأصحابه راضون؛ فكانهم بالرضا عاهدوا أيضاً؛ وهذا عام في كل من عاهد رسول الله ﷺ. وقال مقاتل: هم ثلاثة أحياء من العرب: خزاعة، وبنو مدلج، وبنو جذيمة.

﴿تَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ يُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ (١)

قوله تعالى: ﴿تَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: انطلقوا فيها آمنين لا يقع بكم من مكروه. إن قال قائل: هذه مخاطبة شاهد، والآية الأولى إخبار عن غائب، فعنه جوابان: أحدهما: أنه جائز عند العرب الرجوع من الغيبة إلى الخطاب. قال عترة:

شَطَّتْ مَزَارُ الْعَاشِقِينَ فَاصْبَحْتُ عَسِيراً عَلَى طَلَبِكِ ابْنَةَ مَخْرَمٍ (٢)

هذا قول أبي عبيدة. والثاني: أن في الكلام إضماراً، تقديره: فقل لهم: سيجحوا في الأرض، أي: اذهبوا فيها، وأقبلوا، وأدبروا، وهذا قول الزجاج. واختلفوا فيمن جعلت له هذه الأربعة الأشهر على أربعة أقوال: أحدها: أنها أمان لأصحاب العهد، فمن كان عهده أكثر منها، حُطَّ إليها، ومن كان عهده أقل منها، رفع إليها، ومن لم يكن له عهد، فأجله انسلاخ المحرم خمسون ليلة، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك. والثاني: أنها للمشركين كافة، من له عهد، ومن ليس له عهد، قاله مجاهد، والزهري، والقرظي. والثالث: أنها أجل لمن كان رسول الله ﷺ قد آمنه أقل من أربعة أشهر، أو كان أمانه غير محدود؛ فأما من لا أمان له، فهو حرب، قاله ابن إسحاق. والرابع: أنها أمان لمن لم يكن له أمان ولا عهد؛ فأما أرباب العهود، فهم على عهودهم إلى حين انقضاء مددهم، قاله ابن السائب. ويؤكد ما روي أن علياً نادى يومئذ: ومن كان بينه وبين رسول الله عهد، فعهد إلى مدته. وفي بعض ألفاظ: فأجله أربعة أشهر. واختلفوا في مدة هذه الأربعة الأشهر على أربعة أقوال: أحدها: أنها الأشهر الحرم: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، قاله ابن عباس. والثاني: أن أولها يوم الحج الأكبر، وهو يوم النحر، وآخرها العاشر من ربيع الآخر، قاله مجاهد، والسدي، والقرظي. والثالث: أنها شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، لأن هذه الآية نزلت في شوال، قاله الزهري. قال أبو سليمان الدمشقي: وهذا أضعف الأقوال، لأنه لو كان كذلك، لم يجز تأخير إعلامهم به إلى ذي الحجة، إذ كان لا يلزمهم الأمر إلا بعد الإعلام. والرابع: أن أولها العاشر من ذي القعدة، وآخرها العاشر من ربيع الأول، لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك اليوم، ثم صار في السنة الثانية في العشر من ذي الحجة، وفيها حج رسول الله ﷺ وقال: «إن الزمان قد استدار» (٣)، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ أي: وإن أجلتكم هذه الأربعة الأشهر فلن تفوتوا الله.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ قال الزجاج: الأجود فتح «أن» على معنى: اعلموا أن، ويجوز كسرهما على الاستئناف. وهذا ضمان من الله نصرته المؤمنين على الكافرين.

﴿وَأَذِّنْ لِلَّهِ رَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ﴾ (٤)

قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ لِلَّهِ رَسُولِهِ﴾ أي: إعلم؛ ومنه أذان الصلاة. وقرأ الضحاك، وأبو المتوكل، وعكرمة، والجحدري، وابن يعمر: ﴿وَأَذِّنْ﴾ بكسر الهمزة وقصرها ساكنة الذال من غير ألف.

(١) البيت في «شرح القصائد السبع الطوال» ٢٩٩، و«مجاز القرآن» ٢٣/١، و«مختار الشعر الجاهلي» ٣٧٠ من معلقته المشهورة، وقوله: شطت مزار العاشقين، يعني: شطت عبلة مزار العاشقين، أي: بعدت من مزارهم. وفي «شرح المعلقات»: حلت بأرض الزائرين، والزائرون: الأعداء. جعلهم يزأرون زفير الأسد، شبه وعيدهم بالزفير، يقول: نزلت الحية بلاد أعدائي، ففسر عليّ طلابها.

(٢) الحديث في «المسنند» ٣٧/٥، والبخاري ٤٥٩/٣ و ٢٤٤/٨ و ٦/١٠، ومسلم رقم ١٦٧٩، وأبو داود رقم ١٩٤٧. ولفظه في البخاري ٦/١٠ عن أبي بكره ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس ذا الحجة؟» قلنا: بلى، قال: «أي بلد هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس يوم النحر؟» قلنا: بلى، قال: «فإن مءاءكم وأموالكم - قال محمد (ابن سيرين): وأهراضكم - عليكم حرام كحرمه يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أفعالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا يبلغ الشاهد منكم الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوهى له من بعض من سمعه، فكان محمد (ابن سيرين) إذا ذكره قال: صدق النبي ﷺ، ثم قال (أي النبي ﷺ): «ألا هل بلغت، ألا هل بلغت».

قوله تعالى: ﴿إِلَى النَّاسِ﴾ أي: للناس. يقال: هذا إعلام لك، وإليك. والناس هاهنا عام في المؤمنين والمشركين. وفي يوم الحج الأكبر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوم عرفة، قاله عمر بن الخطاب، وابن الزبير، وأبو جحيفة، وطاووس، وعطاء. والثاني: يوم النحر، قاله أبو موسى الأشعري، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن أبي أوفى، وابن المسيب، وابن جبير، وعكرمة، والشعبي، والنخعي، والزهري، وابن زيد، والسدي في آخرين. وعن علي، وابن عباس، كالقولين. والثالث: أنه أيام الحج كلها، فعبر عن الأيام باليوم، قاله سفيان الثوري. قال سفيان: كما يقال: يوم بعث، ويوم الجمل، ويوم صفين يراد به: أيام ذلك، لأن كل حرب من هذه الحروب دامت أياماً. وعن مجاهد، كالأقوال الثلاثة. وفي تسميته بيوم الحج الأكبر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سمّاه بذلك لأنه اتفق في سنة حج فيها المسلمون والمشركون، ووافق ذلك عيد اليهود والنصارى، قاله الحسن. والثاني: أن الحج الأكبر: هو الحج، والأصغر: هو العمرة، قاله عطاء، والشعبي. والثالث: أن الحج الأكبر: القرآن، والأصغر: الأفراد، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ﴾ وقرأ الحسن، ومجاهد، وابن يعمر: «إِنَّ اللَّهَ بِكسر الهمزة. ﴿يَبْرَأُ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: من عهد المشركين، فحذف المضاف ﴿وَرَسُولُهُ﴾ رفع على الابتداء، وخبره مضمرة على معنى: ورسوله أيضاً بريء. وقرأ أبو رزين، وأبو مجلز، وأبو رجاء، ومجاهد، وابن يعمر، وزيد عن يعقوب: «ورسوله» بالنصب. ثم رجع إلى خطاب المشركين بقوله: ﴿فَإِنْ تَبَيَّنَ﴾ أي: رجعت عن الشرك، ﴿وَرَأَيْتُمْ﴾ عن الإيمان. ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْصُرُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتَيْنَا إِلَيْهِمْ عَهْدُهُمْ إِلَى تَقَرُّبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: فلما قرأ علي (براءة)، قالت بنو ضمرة: ونحن مثلهم أيضاً؟ قال: لا، لأن الله تعالى قد استثناكم؛ ثم قرأ هذه الآية. وقال مجاهد: هم قوم كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد ومدة، فأمر أن يفي لهم. قال الزجاج: معنى الكلام: وقعت البراءة من المعاهدين الناقضين للعهود، إلا الذين عاهدتم ثم لم ينقضوكم، فليسوا داخلين في البراءة ما لم ينقضوا العهد. قال القاضي أبو يعلى: وفصل الخطاب في هذا الباب: أنه قد كان بين رسول الله ﷺ وبين جميع المشركين عهد عام، وهو أن لا يُصدَّ أحدٌ عن البيت، ولا يُخاف أحد في الشهر الحرام، فجعل الله عهدهم أربعة أشهر؛ وكان بينه وبين أقوام منهم عهود إلى آجال مسماة، فأمر بالوفاء لهم، وإتمام مدتهم إذا لم يُخشَ غدرهم.

﴿وَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَشَدَّوهُمْ وَأَحْصُوا لَهُمْ كُفْلَ مَرَصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، قاله الأكثرون. والثاني: أنها الأربعة الأشهر التي جعلت لهم فيها السياحة، قاله الحسن في آخرين، فعلى هذا، سميت حُرماً لأن دماء المشركين حرمت فيها.

قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: من لم يكن له عهد ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ قال ابن عباس: في الحل والحرم والأشهر الحرم.

قوله تعالى: ﴿وَشَدَّوهُمْ﴾ أي: أسروهم؛ والأخذ: الأسير. ﴿وَأَحْصُوا لَهُمْ﴾ أي: احبسوهم؛ والحصر: الحبس. قال ابن عباس: إن تحصنوا فاحصروهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا لَهُمْ كُفْلَ مَرَصَدٍ﴾ قال الاخفش: أي: على كل مرصد؛ فألقى «على» وأعمل الفعل، قال الشاعر:

نُغَالِي اللَّحْمَ لِلْأَضْيَافِ نَيْشاً      وَنُرِخِصُّهُ إِذَا نَفِجَ الْقُدُورُ<sup>(١)</sup>

(١) البيت غير منسوب في «اللسان» و «أساس البلاغة» مادة غلى. قال أبو مالك: نغالي اللحم: نشتره غالياً، ثم نبله ونطمعه إذا نفج في قدورنا.

المعنى: نغالي باللحم، فحذف الباء كما حذف «على». وقال الزجاج: «كل مرصد» ظرف، كقولك: ذهبت مذهباً، فلست تحتاج أن تقول في هذه إلا ما تقوله في الظروف، مثل: خلف، وقدام.  
قوله تعالى: ﴿إِنْ تَابُوا﴾ أي: من شركهم. وفي قوله: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ قولان: أحدهما: اعترفوا بذلك. والثاني: فعلوه.

### فصل

واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أن حكم الأسارى كان وجوب قتلهم، ثم نسخ بقوله: ﴿إِنَّمَا مَتَّ بَدُّ وَلَمَّا فِتْنَةً﴾ [محمد: ٤٨]، قاله الحسن، وعطاء في آخرين. والثاني: بالعكس، وأنه كان الحكم في الأسارى: أنه لا يجوز قتلهم صبراً، وإنما يجوز المن أو الفداء بقوله: ﴿إِنَّمَا مَتَّ بَدُّ وَلَمَّا فِتْنَةً﴾ ثم نسخ بقوله: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾، قاله مجاهد، وقتادة. والثالث: أن الآيتين محكمتان، والأسير إذا حصل في يد الإمام، فهو مخير، إن شاء من عليه، وإن شاء فاداه، وإن شاء قتله صبراً، أي ذلك رأى فيه المصلحة للمسلمين فعل، هذا قول جابر بن زيد، وعليه عامة الفقهاء، وهو قول الإمام أحمد.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْنِغْهُ مَائِمَةً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ①

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ قال المفسرون: وإن أحد من المشركين الذين أمرتك بقتلهم استأمنك يبتغي أن يسمع القرآن وينظر فيما أمر به ونهي عنه، فأجزه، ثم أبلغه الموضع الذي يأمن فيه. وفي قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قولان: أحدهما: أن المعنى: ذلك الذي أمرناك به من أن يُعرفوا ويُجاروا لجهلهم بالعلم. والثاني: ذلك الذي أمرناك به من رده إلى مأمته إذا امتنع من الإيمان، لأنهم قوم جهلة بكتاب الله.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُوا لَكُمْ فَاسْتَقْبُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ②

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ أي: لا يكون لهم ذلك، ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وفيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم بنو ضمرة، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم قريش، قاله ابن عباس أيضاً. وقال قتادة: هم مشركو قريش الذين عاهدهم نبي الله ﷺ زمن الحديبية، فنكثوا وظاهروا المشركين. والثالث: أنهم خزاعة، قاله مجاهد. وذكر أهل العلم بالسيرة أن رسول الله ﷺ لما صالح سهيل بن عمرو في غزوة الحديبية، كتب بينه وبينه: «هذا ما اصطلاح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو، اصطلاحاً على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض، على أنه لا إسلال ولا إغلال، وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل، وأنه من أتى محمداً منهم بغير إذن وليه رده إليه، وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يردوه، وأن محمداً يرجع عنا عامه هذا بأصحابه، ويدخل علينا في قابل في أصحابه فيقيم بها ثلاثاً لا يدخل علينا بسلاح، إلا سلاح المسافر، السيوف في القرب» فوثبت خزاعة فقالوا: نحن ندخل في عهد محمد وعقده، ووثبت بنو بكر فقالوا: نحن ندخل في عهد قريش وعقدها. ثم إن قريشاً أعانت بني بكر على خزاعة بالرجال والسلاح فبيئوا خزاعة ليلاً، فقتلوا منهم عشرين رجلاً. ثم إن قريشاً ندمت على ما صنعت، وعلموا أن هذا نقض للعهد والمدة التي بينهم وبين رسول الله ﷺ، وخرج قوم من خزاعة إلى رسول الله ﷺ فأخبروه بما أصابهم، فخرج إليهم وكانت غزاة الفتح. قال أبو عبيدة: الإسلال: السرقة، والإغلال: الخيانة. قال ابن الأعرابي: وقوله: «وأن بيننا عيبة مكفوفة» مثل: أراد: أن صلحنا مُحْكَمٌ مُسْتَوْثَقٌ منه، كأنه عيبة مشرحة. وزعم بعض المفسرين أن قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ نسخ بقوله: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾.

﴿كَيْفَ زِلْ يَبْظَهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْبِيُوا فِيكُمْ إِلَّا رَا وَنَمَّ يَرْبُؤَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَإِنَّ قُلُوبَهُمْ لَكَاظِمَةٌ فَاسْتَخِفُّوا لَهُمْ﴾ ③

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ لَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجاج: المعنى: كيف يكون لهم عهد وإن يظهروا عليكم، فحذف ذلك، لأنه قد سبق، قال الشاعر:

وَحَبَّرْتُ مَانِي أَنَّمَا الْمَوْتُ بِالْقُرَى

أي: فكيف مات وليس بقرية؟ ومثله قول الحطيئة:

فَكَيْفَ لَمْ أَغْلَمْهُمْ خَذَلَوْكُمْ

أي: فكيف تلومونني على مدح قوم؟ واستغنى عن ذكر ذلك، لأنه قد جرى في القصيدة ما يدل على ما أضرر. وقوله: ﴿يَظْهَرُوا﴾ يعني: يقدروا ويظفروا. وفي قوله: ﴿لَا يَرْثُوكُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لا يحفظوا. والثاني: لا يخافوا، قاله السدي. والثالث: لا يرأوا، قاله قطرب. وفي الإل خمسة أقوال: أحدها: أنه القرابة، رواه جماعة عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، والسدي، ومقاتل، والفراء، وأنشدوا:

إِنَّ الْوُشَاةَ كَثِيرٌ إِنْ أَطَعْتَهُمْ

وقال الآخر:

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ

والثاني: أنه الجوار، قاله الحسن. والثالث: أنه الله تعالى، رواه ابن أبي نجيج عن مجاهد، وبه قال عكرمة. والرابع: أنه العهد، رواه خصيف عن مجاهد، وبه قال ابن زيد، وأبو عبيدة. والخامس: أنه الجلف، قاله قتادة. وقرأ عبد الله بن عمرو، وعكرمة، وأبو رجاء، وطلحة بن مصرف: «إيلاً» بياء بعد الهمزة. وقرأ ابن السميع، والجحدري: «ألاً» بفتح الهمزة وتشديد اللام. وفي المراد بالذمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها العهد، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقاتدة، والضحاك في آخرين. والثاني: التزم ممن لا عهد له، قاله أبو عبيدة، وأنشد:

لَا يَرْثُوكُمْ بِنَا إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ

والثالث: الأمان، قاله الزبيدي، واستشهد بقوله: «ويسعى بذمتهم أدناهم»<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَرْضَوَكُمْ بِالْإِيمَانِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يرضونكم بأفواههم في الوفاء، وتأبى قلوبهم إلا الغدر. والثاني: يرضونكم بأفواههم في العدة بالإيمان، وتأبى قلوبهم إلا الشرك. والثالث: يرضونكم بأفواههم في الطاعة، وتأبى قلوبهم إلا المعصية، ذكرهن الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَسِيقُونَ﴾ قال ابن عباس: خارجون عن الصّدق، ناكثون للعهد.

﴿أَشْرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ﴾<sup>(١)</sup> لَمْ يَرْثُوكُمْ فِي مَوْتِهِمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ<sup>(٢)</sup> فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَخَرُّوا عَلَى الْإِسْلَامِ فَتَقَبَّلَ اللَّهُ تَابَهُمْ

قوله تعالى: ﴿أَشْرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان على طعامة، قاله مجاهد. والثاني: أنهم قوم من اليهود، قاله أبو صالح. فعلى الأول، آيات الله: حججه. وعلى الثاني: هي آيات التوراة. والتمن القليل: ما حصلوه بدلاً من الآيات. وفي وصفه بالقليل وجهان: أحدهما: لأنه حرام، والحرام قليل. والثاني: لأنه من عَرْض الدنيا الذي بقاؤه قليل. وفي قوله: ﴿فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ثلاثة

(١) البيت لكعب بن سعد الخزيمي من مريثته الشهيرة النبيلة في «الأصمعيات» ٩٩، و«طبقات فحول الشعراء» ١٧٦، و«أمناني القالي» ١٥١/٢، و«جمهرة أشعار العرب» ١٣٥، و«معاني القرآن» للفراء ٤٢٤/١.

(٢) «ديوانه» ١٤٠ وفيه: على موطن ولا أدبكم قتلوا. وقوله: خذلوكم على معظم، قال أبو عمرو: أي: لم يخلدوكم في أمر حدث. وقوله: ولا أدبكم قتلوا، أي: لم يقموا في حسيبكم.

(٣) قاله حسان بن ثابت الأنصاري، «ديوانه» ٤٠٧، و«اللسان»: «ألل» وهو من آيات مها بها أبا سفيان قبل إسلامه. والسقب: هو ولد الناقة ساعة يولد، والرأل: ولد النعام، يقول: ما قرأتك في قرش إلا كقرابة الفصيل من ولد النعام، أي: لست منهم في نسب.

(٤) «المستند» رقم ٩٥٩، وأبو داود رقم ٤٥٣٠، والسنائي ٢٠/٨، كلهم من حديث علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو جزء من حديث طويل، وسنده صحيح.



أقوال: أحدهما: عن بيته، وذلك حين منعوا النبي ﷺ بالحديبية دخول مكة. والثاني: عن دينه بمنع الناس منه. والثالث: عن طاعته في الوفاء بالعهد.

﴿وَأَن لَّكُم مِّنْهُم مَّا يَدْعُوهُمْ وَطَعُوا فِي دَبَابِكُمْ فَقَالُوا أَأَمَّةٌ الْكَافِرِ إِنَّهُمْ لَا يَأْمَنُونَ لَهُمْ وَلَهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّكُم مِّنْهُم مَّا يَدْعُوهُمْ وَطَعُوا فِي دَبَابِكُمْ فَقَالُوا أَأَمَّةٌ الْكَافِرِ إِنَّهُمْ لَا يَأْمَنُونَ لَهُمْ وَلَهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ قال ابن عباس: نزلت في أبي سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد حين أعانوا بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله، فأمر رسول الله ﷺ أن يسير إليهم فينصر خزاعة، وهم الذين هموا بإخراج رسول الله ﷺ. فأما النكت، فمعناه: النقض. والأيمان هاهنا: العهود. والظعن في الدين: أن يعاب، وهذا يوجب قتل الذمي إذا طعن في الإسلام، لأن المأخوذ عليه أن لا يطعن فيه.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَأَمَّةٌ الْكَافِرِ﴾ قرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي «أمة» بتحقيق الهمزتين. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: بتحقيق الأولى وتلين الثانية. والمراد بأمة الكفر: رؤوس المشركين وقادتهم. ﴿إِنَّهُمْ لَا يَأْمَنُونَ لَهُمْ﴾ أي: لا عهود لهم صادقة؛ هذا على قراءة من فتح الألف، وهم الأكثرون. وقرأ ابن عامر «لا إيمان لهم» بالكسر<sup>(١)</sup>؛ وفيها وجهان ذكرهما الزجاج: أحدهما: أنه وصف لهم بالكفر ونفي الإيمان، والثاني: لا أمان لهم، تقول: آمنت إيماناً، والمعنى: فقد بطل أمانكم لهم بنقضهم. وفي قوله: ﴿لَهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ قولان: أحدهما: عن الشرك. والثاني: عن نقض العهود. وفي «العل» قولان: أحدهما: أنها بمعنى الترجي، المعنى: ليرجى منهم الانتهاء. قاله الزجاج. والثاني: أنها بمعنى: «كي»، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿أَلَا تَتَذَكَّرُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّوْكُمْ أَوَّلَ مَا اتَّخَذْتُمُ اللَّهَ حَقًّا أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ فَيَلْوَهُمْ يَعْمَهُهُمُ اللَّهُ بِأَدْبَارِهِمْ وَيَخْزِيهِمْ وَيَعْرُكُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَنْفِ سُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيَذْهَبَ عَيْظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَا تَتَذَكَّرُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّوْكُمْ أَوَّلَ مَا اتَّخَذْتُمُ اللَّهَ حَقًّا أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ قال الزجاج: هذا على وجه التوبيخ، ومعناه الحض على قتالهم. قال المفسرون: وهذا نزل في نقض قريش عهد رسول الله ﷺ الذي عاهدهم بالحديبية حيث أعانوا على خزاعة. وفي قوله: ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ قولان: أحدهما: أنهم أبو سفيان في جماعة من قريش، كانوا فيمن هم بإخراج النبي ﷺ من مكة. والثاني: أنهم قوم من اليهود، غدروا برسول الله ﷺ، ونقضوا عهده وهموا بمعاونة المنافقين على إخراجهم من المدينة.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ بَدَّوْكُمْ أَوَّلَ مَا اتَّخَذْتُمُ اللَّهَ حَقًّا﴾ فيه قولان: أحدهما: بدؤوكم بإعاتتهم على حلفائكم، قاله ابن عباس. والثاني: بالقتال يوم بدر، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿اتَّخَذْتُمُ اللَّهَ حَقًّا﴾ قال الزجاج: اتخشون أن ينالكم من قتالهم مكروه؟ فمكروه عذاب الله أحق أن يخشى إن كنتم مصدقين بعدابه وثوابه.

قوله تعالى: ﴿وَيَنْفِ سُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: يعني خزاعة.

قوله تعالى: ﴿وَيَذْهَبَ عَيْظُ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: كriebها ووجدلها بمعونة قريش بني بكر عليها.

قوله تعالى: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ قال الزجاج: هو مستأنف، وليس بجواب «فَاتَّخَذْتُمُ اللَّهَ حَقًّا». وفيمن عني به قولان: أحدهما: بنو خزاعة، والمعنى: ويتوب الله على من يشاء من بني خزاعة، قاله عكرمة. والثاني: أنه عام في المشركين كما تاب على أبي سفيان، وعكرمة، وسهيل. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بنبأ المؤمنين، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما قضى.

(١) قال أبو جعفر الطبري: والصواب من القراءة في ذلك الذي لا أستجيز القراءة بغيره، قراءة من قرأ بفتح الألف، دون كسرهما، لإجماع الحجة من القراءة على القراءة به، وإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من أن تأويله: لا عهد لهم، والإيمان التي بمعنى العهد، لا تكون إلا بفتح الألف، لأنها جمع يمين كانت على عقد كان بين المتوادعين.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَسْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَسْتَحِدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا النَّبِيِّينَ وَلِيَبْلُوَ اللَّهُ خَيْرٌ بِمَا قَمَلْتُمْ ۗ﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا﴾ في المخاطب بهذا قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون، خاطبوا بهذا حين شق على بعضهم القتال، قاله الأكثرون. والثاني: أنهم قوم من المنافقين كانوا يسألون رسول الله ﷺ الخروج معه إلى الجهاد تعذيراً، قاله ابن عباس. وإنما دخلت الميم في الاستفهام، لأنه استفهام معترض في وسط الكلام، فدخلت لفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ. قال الفراء: ولو أريد به الابتداء، لكان إما بالالف، أو بـ «هل»، ومعنى الكلام: أن تُتركوا بغير امتحان يبين به الصادق من الكاذب. ﴿وَلَمَّا يَسْلَمْ اللَّهُ﴾ أي: ولم تجاهدوا فيعلم الله وجود ذلك منكم؛ وقد كان يعلم ذلك غيباً، فأراد إظهار ما علم ليجازي على العمل. فأما وليجة، فقال ابن قتبية: هي البطانة من غير المسلمين، وهو أن يتخذ الرجل من المسلمين دخيلاً من المشركين وخليطاً وواذاً؛ وأصله من الولوج. قال أبو عبيدة: وكل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون في القوم وليس منهم فهو وليجة فيهم.

﴿مَا كَانَ لِلشُّرِكِينَ أَنْ يَسْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ۗ﴾  
﴿إِنَّمَا يَسْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ مَآمِنَ يَأْتِيهِ الْيُودُ الْآخِرُ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَمَسَّوْا أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنْ الْهَادِينَ ۗ﴾

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلشُّرِكِينَ أَنْ يَسْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «مسجد الله» على التوحيد، ﴿إِنَّمَا يَسْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ على الجمع. وقرأ عاصم، ونافع، وابن عامر، وحزمة، والكسائي على الجمع فيهما. وسبب نزولها أن جماعة من رؤساء قريش أسروا يوم بدر فيهم العباس بن عبد المطلب، فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فغيروهم بالشرك، وجعل علي بن أبي طالب يوبِّخ العباس بقتال رسول الله ﷺ وقطيعة الرحم، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوئنا وتكتمون محاسننا؟ فقالوا: وهل لكم من محاسن؟ قالوا: نعم، لنحن أفضل منكم أجراً؛ إنا لنعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحجيج، ونفك العاني، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، قاله مقاتل في جماعة. وفي المراد بالعمارة قولان: أحدهما: دخوله والجلوس فيه. والثاني: البناء له وإصلاحه؛ فكلاهما محظور على الكافر. والمراد من قوله: ﴿مَا كَانَ لِلشُّرِكِينَ﴾ أي: يجب على المسلمين منهم من ذلك. قال الزجاج: وقوله: ﴿شَاهِدِينَ﴾ حال. المعنى: ما كانت لهم عمارته في حال إقرارهم بالكفر، ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ لأن كفرهم أذهب ثوابها. فإن قيل: كيف يشهدون على أنفسهم بالكفر، وهم يعتقدون أنهم على الصواب؟ فتنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه قول اليهودي: أنا يهودي، وقول النصراني: أنا نصراني، قاله السدي. والثاني: أنهم ثبتوا على أنفسهم الكفر بعدولهم عن أمر النبي ﷺ، وهو حق لا يخفى على معيّر، فكانوا بمنزلة من شهد على نفسه. والثالث: أنهم آمنوا بأنبياء شهدوا لمحمد ﷺ بالتصديق، وحرّضوا على اتباعه، فلما آمنوا بهم وكذبوه، دلوا على كفرهم، وجرى ذلك مجرى الشهادة على أنفسهم بالكفر، لأن الشهادة هي تبين وإظهار، ذكرهما ابن الأنباري. فإن قيل: ما وجه قوله: ﴿إِنَّمَا يَسْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ مَآمِنَ يَأْتِيهِ الْيُودُ الْآخِرُ﴾ ولم يذكر الرسول، والإيمان لا يتم إلا به؟ فالجواب: أن فيه دليلاً على الرسول، لقوله: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ أي: الصلاة التي جاء بها الرسول، قاله. فإن قيل: ﴿فَمَسَّوْا﴾ ترج، وفاعل هذه الخصال مهتد بلا شك. فالجواب: أن «عسى» من الله واجبة، قاله ابن عباس. فإن قيل: قد يعمر مساجد الله من ليس فيه هذه الصفات. فالجواب: أن المراد أنه من كان على هذه الصفات المذكورة، كان من أهل عمارتها؛ وليس المراد أن من عمرها كان بهذه الصفة.

﴿لَمَسَّوْا سِقَايَةَ الْمَآئِ وَحِمَارَ الْمَسْجِدِ الْفَرَارِ ۚ كُنْ مَآمِنَ يَأْتِيهِ الْيُودُ الْآخِرُ وَجَنَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۗ﴾  
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْتِيهِمْ أَفْضَلُ دَرَجَةٍ عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ النَّازِلُونَ ۗ﴾  
﴿يُخَيَّرُهُمْ رَبُّهُمْ يَرَجَحُو مِنْهُ وَيَرْضَوْنَ وَجَدَتْ لَهُمْ فِيهَا نَيْصٌ مُبِينٌ ۗ﴾  
﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۗ﴾

قوله تعالى: ﴿لَمَسَّوْا سِقَايَةَ الْمَآئِ﴾ في سبب نزولها ستة أقوال: أحدها: رواه مسلم في «صحيحه» من حديث

النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ، فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد [الإسلام إلا] أن أسقي الحاج، وقال الآخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد [الإسلام إلا] أن أغمر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلت، فزجرهم عمر، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، وهو يوم الجمعة، ولكني إذا صليت الجمعة، دخلت فاستفتيت رسول الله فيما اختلفتم فيه، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. والثاني: أن العباس بن عبد المطلب قال يوم بدر: لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نغمر المسجد الحرام ونسقي الحاج ونفك العاني<sup>(٢)</sup>، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أن المشركين قالوا: عمارة بيت الله الحرام، والقيام على السقاية، خير ممن آمن وجاهد، وكانوا يفتخرون بالحرم من أجل أنهم أهله، فنزلت هذه الآية، رواه عطية العوفي عن ابن عباس. والرابع: أن علياً والعباس وطلحة - يعني سادن الكعبة - افتخروا، فقال طلحة: أنا صاحب البيت، بيدي مفتاحه، ولو أشاء بت فيه. وقال العباس: أنا صاحب السقاية، والقائم عليها، ولو أشاء بت في المسجد. وقال علي: ما أدري ما تقولون، لقد صليت ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد، فنزلت هذه الآية، قاله الحسن، والشعبي، والقرظي. والخامس: أنهم لما أمروا بالهجرة قال العباس: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة: أنا صاحب الكعبة فلا نهاجر، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، قاله مجاهد. هكذا ذكر مجاهد، وإنما الصواب عثمان بن طلحة، لأن طلحة هذا لم يسلم. والسادس: أن علياً قال للعباس: ألا تلحق بالنبي ﷺ؟ فقال: ألس في أفضل من الهجرة، ألس أسقي حاج بيت الله وأمر المسجد الحرام؟ فنزلت هذه الآية والتي بعدها، قاله مروة الهمداني، وابن سيرين. قال الزجاج: ومعنى الآية: أجمعتم أهل سقاية الحاج وأهل عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله؟ فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه. قال الحسن: كان يُبذّر زبيب، فيسقون الحاج في الموسم. وقال ابن عباس: عمارة المسجد: تجميره، وتخليقه، فأخبر الله أن أفعالهم تلك لا تنفعهم مع الشرك، وسماهم ظالمين لشركهم.

قوله تعالى: ﴿أَعْظَمُ دِينَةً﴾ قال الزجاج: هو منصوب على التمييز. والمعنى: أعظم من غيرهم درجة. والفائز: الذي يظفر بأمنيته من الخير. فأما النعيم، فهو لين العيش، والمقيم: الدائم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَاقِلَهُمْ هُمْ أَكْثَرُ لَكُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أنه لما أمر المسلمون بالهجرة، جعل الرجل يقول لأهله: إنا قد أمرنا بالهجرة، فمنهم من يسرع إلى ذلك، ومنهم من يتعلق به عياله وزوجته فيقولون: ننشدك الله أن تدعنا إلى غير شيء، فيرق قلبه فيجلس معهم، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه لما أمر الله المؤمنين بالهجرة، قال المسلمون: يا نبي الله، إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين، قطعنا آباءنا وعشائرننا، وذبيت تجارتنا، وخربت ديارنا، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه لما قال العباس: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة: أنا أحجب الكعبة فلا نهاجر، نزلت هذه الآية والتي قبلها، هذا قول قتادة، وقد ذكرناه عن مجاهد. والرابع: أن نفراً ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة، فنهى الله عن ولايتهم، وأنزل هذه الآية، قاله مقاتل. والخامس: أن النبي ﷺ لما أمر الناس بالجهاز لنصرة خزاعة على قريش، قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، نعاونهم عى قومنا؟ فنزلت هذه الآية، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

﴿قَدْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ اقْرَبُوهَا وَاقْرَبُوا قُرْبَاهَا وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَاقِلَهُمْ هُمْ أَكْثَرُ لَكُمْ﴾

- (١) «الطبري» ١٦٩/١٤، ومسلم ٢٦/١٣، وأورده السيوطي في «الدر» ٢١٨/٣ وزاد نسبه لأبي داود، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه.
- (٢) العاني: الأسير.
- (٣) «الطبري» ١٧٠/١٤ وعلي بن أبي طلحة لم يدرك ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ثَلَّ إِنَّ كَانَ إِلَٰهًا لَّكَ﴾ الآية، في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في الذين تخلفوا مع عيالهم بمكة ولم يهاجروا، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن علي بن أبي طالب قدم مكة، فقال لقوم: ألا تهاجرون؟ فقالوا: نقيم مع إخواننا وعشائرنا ومساكننا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن سيرين. والثالث: أنه لما نزلت الآية التي قبلها، قالوا: يا رسول الله، إن نحن اعتزلنا مَنْ خَالَفْنَا في الدين، قطعنا آباءنا وعشيرتنا، وذهبت تجارتنا، وخربت ديارنا، فنزلت هذه الآية، ذكره بعض المفسرين في هذه الآية، وذكره بعضهم في الآية الأولى كما حكيناها عن ابن عباس. فاما العشيرة، فهم الأقارب الأدنون. وروى أبو بكر عن عاصم «وعشيرائكم» على الجمع. قال أبو علي: وجهه أن كل واحد من المخاطبين له عشيرة، فإذا جمعت قلت: عشيرائكم؛ وحجة من أفرد: أن العشيرة واقعة على الجمع، فاستغنى بذلك عن جمعها. وقال الأخفش: لا تكاد العرب تجمع عشيرة: عشيرات، إنما يجمعونها على عشائر. والافتراق بمعنى الاكتساب. والترص: الانتظار. وفي قوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ قولان: أحدهما: أنه فتح مكة، قاله مجاهد والاكثرون، ومعنى الآية: إن كان المَقَام في أهاليكم، وكانت الأموال التي اكتسبتموها ﴿وَيَحْكُمُكُمْ كَسَادَةً﴾ لفراقكم بلدكم ﴿وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ﴾ من الهجرة، فأقيموا غير مثابين حتى تُفتح مكة، فيسقط فرض الهجرة. والثاني: أنه العقاب، قاله الحسن.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرَ﴾ (١٥)

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ أي: في أماكن. قال الفراء: وكل جمع كانت فيه ألف قبلها حرفان وبعدها حرفان لم يُجَرَّ (١)، مثل، صوامع، ومساجد. وجُري «حنين» لأنه اسم لمذكر، وهو واد بين مكة والطائف، وإذا سُمِّيَتْ ماءً أو وادياً أو جبلاً باسم مذكر لا علته فيه، أجريته، من ذلك: حنين، وبدر، وجراء، وبُيَير، ودابق (٢). ومعنى الآية: أن الله ﷻ أعلمهم أنهم إنما يغلبون بنصر الله لا بكثرتهم. وفي عددهم يوم حنين أربعة أقوال: أحدها: أنهم كانوا ستة عشر ألفاً، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: عشرة آلاف، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: كانوا اثني عشر ألفاً، قاله قتادة، وابن زيد، وابن إسحاق، والواقدي. والرابع: أحد عشر ألفاً وخمسمائة، قاله مقاتل. قال ابن عباس: فقال ذلك اليوم سلمة بن سلامة بن وقش، وقد عجب لكثرة الناس: لن نُغْلَب اليوم من قِلَّة، فساء رسول الله ﷺ كلامه، ووَكَلُوا إلى كلمة الرجل، فذلك قوله: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾. وقال سعيد بن المسيب: القاتل لذلك أبو بكر الصديق. وحكى ابن جرير أن القاتل لذلك رسول الله ﷺ. وقيل: بل العباس. وقيل: رجل من بني بكر.

قوله تعالى: ﴿وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: برحبها. قل الفراء: والباء هاهنا بمنزلة «في» كما تقول: صافت عليكم الأرض في رحبها ويرحبها.

### الإشارة إلى القصة

قال أهل العلم بالسيرة: لما فتح رسول الله ﷺ مكة، تأمر عليه أشراف هوازن وثقيف، فجاؤوا حتى نزلوا أوطاس (٣)، وأجمعوا المسير إليه، فخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما التقوا أعجبهم كثرتهم فهزموا. وقال البراء بن عازب: لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكبنا على الغنائم، فأقبلوا بالسهم، فانكشف المسلمون عن رسول الله ﷺ (٤). وبعضهم يقول: ثبت مع رسول الله ﷺ يومئذ جماعة من أصحابه منهم أبو بكر، وعمر، وعلي، والعباس، وأبو سفيان بن الحارث. وبعضهم يقول: لم يبق معه سوى العباس وأبي سفيان، فجعل النبي يقول للعباس: «ناؤ: يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمره، يا أصحاب سورة البقرة» فنادى، وكان صيئاً، فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنَّت إلى أولادها، يقولون: يا

(١) إجراء الاسم عند الكوفيين صرفه وتنوينه، وعدم إجرائه: منع صرفه. (٢) دابق: قرية من قرى حلب.

(٣) أوطاس: واد في ديار هوازن. (٤) البخاري ٢٤/٨، ومسلم ١٢/١٢١.

لبيك، فنظر النبي ﷺ إلى قتالهم، فقال: «الآن حمي الوطيس، أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» ثم قال للعباس: «ناولني حصيات» فناولته، فقال: «شاهت الوجوه» ورمى بها، وقال: «انهزموا ورب الكعبة»، فكدف الله في قلوبهم الرعب فانهزموا<sup>(١)</sup>. وقيل: أخذ رسول الله ﷺ كفاً من تراب، فرماه به فانهزموا. وكانوا يقولون: ما بقي منا أحد إلا امتلأت عيناه بالتراب<sup>(٢)</sup>.

﴿ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۝﴾  
ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ﴾ أي: بعد الهزيمة. قال أبو عبيدة: هي فَعِيلَةٌ من السكون، وأنشد:

لِلْوَ قَبْرِ غَالِهَا مَاذَا يُجِن  
وكذلك قال المفسرون: الأمن والطمأنينة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ جُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ قال ابن عباس: يعني الملائكة. وفي عددهم يومئذ ثلاثة أقوال: أحدها: ستة عشر ألفاً، قاله الحسن. والثاني: خمسة آلاف، قاله سعيد بن جبير. والثالث: ثمانية، قاله مجاهد، يعني: ثمانية آلاف. وهل قاتلت الملائكة يومئذ، أم لا؟ فيه قولان. وفي قوله: ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أربعة أقوال: أحدها: بالقتل، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: بالقتل والهزيمة، قاله ابن أبيزى، ومقاتل. والثالث: بالخوف والحذر، ذكره الماوردي. والرابع: بالقتل، والأسر، وسبي الأولاد، وأخذ الأموال، ذكره بعض ناقلي التفسير.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يوفقه للتوبة من الشرك.

﴿يُنَادِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَاهِهِمْ هَكَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ﴾ قال أبو عبيدة: معناه: فذر. قال الزجاج: يقال لكل شيء مستغفر: نجس. وقال الفراء: لا تكاد العرب تقول: نجس، إلا وقبلها رجس، فإذا أفردوها قالوا: نجس. وفي المراد بكونهم نجساً ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أنجاس الأبدان، كالكلب والخنزير، حكاه الماوردي عن الحسن، وعمر بن عبد العزيز. وروى ابن جرير عن الحسن قال: من صافحهم فليتوضأ. والثاني: أنهم كالأنجاس لتركهم ما يجب عليهم من غسل الجنابة، وإن لم تكن أبدانهم أنجاساً، قاله قتادة. والثالث: أنه لما كان علينا اجتنابهم كما تجتنب الأنجاس، صاروا بحكم الاجتناب كالأنجاس، وهذا قول الأكثرين، وهو الصحيح.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ قال أهل التفسير: يريد جميع الحرم. ﴿بَعْدَ عَاهِهِمْ هَكَذَا﴾ وهو سنة تسع من الهجرة، وهي السنة التي حج فيها أبو بكر وقرئت (براءة). وقد أخذ أحمد ﷺ بظاهر الآية، وأنه يحرم عليهم دخول الحرم، وهو قول مالك، والشافعي. واختلفت الرواية عنه في دخولهم غير المسجد الحرام من المساجد، فروي عنه المنع أيضاً إلا لحاجة، كالحرم، وهو قول مالك. وروي عنه جواز ذلك، وهو قول الشافعي. وقال أبو حنيفة: يجوز لهم دخول المسجد الحرام، وسائر المساجد.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ وقرأ سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، والشعبي، وابن السميع: «عائلة». قال سعيد بن جبير: لما نزلت: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَاهِهِمْ هَكَذَا﴾ شق على المسلمين، وقالوا: مَنْ يأتينا بطعامنا؟ وكانوا يَفْتَدِمُونَ عليهم بالتجارة، فنزلت: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ الآية. قال

(١) «مسند أحمد» رقم ١٧٧٥ بنحوه، ورواه مسلم ١١٥/١٢ - ١١٧ بنحوه أيضاً. وذكره الطبري ١٨٢/١٤ - ١٨٣، ورواه الحاكم في «المستدرک» ٣/ ٣٢٧، وأوردته السيوطي في «الدرر» ٢٢٤/٣ - ٢٢٥، وزاد نسبه لعبد الرزاق، وابن سعد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٢) «مسند أحمد» ٢٨٦/٥ عن أبي عبد الرحمن الفهري، والطبري في «التفسير» ١٨٥/١٤، وخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٨١/٦ - ١٨٢ وقال: رواه البزار، والطبراني، ورجالهم.

(٣) البيت لأبي حنيفة الكلابي في «مجاز القرآن» ١/ ٢٥٥، و«اللسان»: سكن.

الأخفش: العيلة: الفقر. يقال: عال يعمل عيلة: إذا افتقر. وأعال إعالة فهو يُعيل: إذا صار صاحب عيال. وقال أبو عبيدة: العيلة هاهنا مصدر عال فلان: إذا افتقر، وأنشد:

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل<sup>(١)</sup>

وللمفسرين في قوله: «وإن قولان: أحدهما: أنها للشرط، وهو الأظهر. والثاني: أنها بمعنى «وإذا»، قاله عمرو بن فايد. قالوا: وإنما خاف المسلمون الفقر، لأن المشركين كانوا يحملون التجارات إليهم، ويجيئون بالطعام وغيره. وفي قوله: «فَسَوْفَ يُنْفِئُكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ شَكَّ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أنزل عليهم المطر عند انقطاع المشركين عنهم، فكثر خيرهم، قاله عكرمة. والثاني: أنه أغناهم بالجزية المأخوذة من أهل الكتاب، قاله قتادة، والضحاك. والثالث: أن أهل نجد، وجُزْش، وأهل صنعاء أسلموا، فحملوا الطعام إلى مكة على الظُفْرِ، فأغناهم الله به، قاله مقاتل.

قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ» قال ابن عباس: عليم بما يصلحكم، «حَكِيمٌ» فيما حكم في المشركين. «فَتَذِلُّوا آلَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يَأْتِيهِمْ الْآخِرُ وَلَا يَحْمِلُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣١﴾»

قوله تعالى: «فَتَذِلُّوا آلَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» قال المفسرون: نزلت في اليهود والنصارى. قال الزجاج: ومعناها لا يؤمنون بالله إيمان الموحدين، لأنهم أقروا بأنه خالقهم وأنه له ولد، وكذلك إيمانهم بالبعث لأنهم لا يقرون بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون. وقال الماوردي: إقرارهم باليوم الآخر يوجب الإقرار بحقوقه، وهم لا يقرون بها، فكانوا كمن لا يُقِرُّ به.

قوله تعالى: «وَلَا يَحْمِلُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» قال سعيد بن جبيرة: يعني الخمر والخنزير.

قوله تعالى: «وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ» في الحق قولان: أحدهما: أنه اسم الله، فالمعنى: دين الله، قاله قتادة. والثاني: أنه صفة للدين، والمعنى: ويدِينون الدين الحق<sup>(٢)</sup>؛ فأضاف الاسم إلى الصفة. وفي معنى «يدِينون» قولان: أحدهما: أنه بمعنى الطاعة، والمعنى: لا يطيعون الله طاعة حق، قاله أبو عبيدة. والثاني: أنه من: دان الرجل يدين كذا: إذا التزمه. ثم في جملة الكلام قولان: أحدهما: أن المعنى: لا يدخلون في دين محمد ﷺ، لأنه ناسخ لما قبله. والثاني: لا يعملون بما في التوراة من اتباع محمد ﷺ.

قوله تعالى: «حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ» قال ابن الأنباري: الجزية: الخراج المَجْعُول عليهم؛ سميت جزية، لأنها قضاء لما عليهم؛ أخذ من قولهم: جَزَى يَجْزِي: إذا قضى؛ ومنه قوله تعالى: «لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا» [البقرة: ٤٨]، وقوله: «وَلَا تَجْزِي عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ»<sup>(٣)</sup>. وفي قوله: «عَنْ يَدٍ» ستة أقوال: أحدها: عن قهر، قاله قتادة، والسدي. وقال الزجاج: عن قهر ودُلٌّ. والثاني: أنه النقد العاجل، قاله شريك، وعثمان بن مقسم. والثالث: أنه إعطاء المبتدئ

(١) البيت لأحيحة بن الجلاح في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢٥٥/١، و«معاني القرآن» للفراء ٢٥٥، و«جمهرة أشعار العرب» ١٢٥، و«اللسان» و«التاج» حبل، وهو من قصيدته التي قالها في حرب بينه وبين قومه من الأوس وبني النجار من الخزرج، قتل فيها أخوه، وكانت عنده امرأته سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية، فعذبت قومه ما جئ به أميعة وقومه من الأوس، فضرها حتى كسر يدها وطلقها، وبعد هذا البيت قرين له: وما تدري إذا أجمعت أمراً

(٢) قال ابن كثير ٣٤٧/٢: فهم في نفس الأمر لما كفروا بمحمد ﷺ لم يبق لهم إيمان صحيح بأحد من الرسل، ولا بما جاؤوا به، وإنما يتبعون آراءهم وأهواءهم وآباءهم فيما هم فيه، لا لأنه شرع الله ودينه، لأنهم لو كانوا مؤمنين بما بأيديهم إيماناً صحيحاً، لقادهم ذلك إلى الإيمان بمحمد ﷺ، لأن جميع الأنبياء بشروا به، وأمروا باتباعه، فلما جاء وكفروا به وهو أشرف الرسل، علم أنهم ليسوا متمسكين بشرع الأنبياء الأتقين لأنه من عند الله، بل لحظوظهم وأهوائهم، فلذلك لا يتفهم إيمانهم ببقية الأنبياء وقد كفروا بسيدهم وأفضلهم وخاتمهم وأكملهم.

(٣) هو قطعة من حديث طويل، فقد روى البخاري ١٥/١٠، ومسلم ١٥٥٣/٣ واللفظ له عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا (يعني يوم حيد الأضيح) نصلي، ثم نرجع فنحترق، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح (يعني قبل صلاة العيد) فإثمنا هو لحم قمحه لأمله، ليس من السك في شيء»، وكان أبو بردة بن نيار (خال البراء بن عازب) قد ذبح (يعني قبل الصلاة) فقال: «عندني جذعة خير من ستة» فقال: انيها ولن تجزي عن أحد بعدك.

بالعطاء، لا إعطاء المكافئ، قاله ابن قتيبة. والرابع: أن المعنى: عن اعتراف للمسلمين بأن أيديهم فوق أيديهم. والخامس: عن إنعام عليهم بذلك، لأن قبول الجزية منهم إنعام عليهم، حكاها الزجاج. والسادس: يؤدونها بأيديهم، ولا يشقونها مع رسلهم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ صَافِرُونَ﴾ الصاغر: الذليل الحقير. وفيما يَكْلُفُونَهُ من الفعل الذي يوجب صغارهم خمسة أقوال: أحدها: أن يمشوا بها مُكَلِّبِينَ، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن لا يُحْمَدُوا على إعطائهم، قاله سلمان الفارسي. والثالث: أن يكونوا قِيَاماً والأخذ جالساً، قاله عكرمة. والرابع: أن دفع الجزية هو الصغار. والخامس: أن إجراء أحكام الإسلام عليهم هو الصغار.

### فصل

واختلف في الذين تؤخذ منهم الجزية من الكفار، فالمشهور عن أحمد: أنها لا تقبل إلا من اليهود والنصارى والمجوس، وبه قال الشافعي. ونقل الحسن بن ثواب عن أحمد: أنه من سُبِي من أهل الأديان من العرب والعجم، فالعرب إن أسلموا، وإلا السيف، وأولئك إن أسلموا، وإلا الجزية؛ فظاهر هذا أن الجزية تؤخذ من الكل، إلا من عابدي الأوثان من العرب فقط، وهو قول أبي حنيفة، ومالك.

### فصل

فأما صفة الذين تؤخذ منهم الجزية، فهم أهل القتال. فأما الزُّمَيْنُ، والأعمى، والمفلوج، والشيخ الفاني، والنساء، والصبيان، والراهب الذي لا يخالط الناس، فلا تؤخذ منهم.

### فصل

فأما مقدارها، فقال أصحابنا: على الموسر: ثمانية وأربعون درهماً، وعلى المتوسط: أربعة وعشرون، وعلى الفقير المعتمل: اثنا عشر، وهو قول أبي حنيفة. وقال مالك: على أهل الذهب أربعة دنانير، وعلى أهل الورق أربعون درهماً، وسواء في ذلك الغني والفقير. وقال الشافعي: على الغني والفقير دينار. وهل تجوز الزيادة والتقصان مما يؤخذ منهم؟ نقل الأثر من أحمد: أنها تزداد وتنقص على قدر طاقتهم، فظاهر هذا: أنها على اجتهاد الإمام ورأيه. ونقل يعقوب بن بختان<sup>(١)</sup>: أنه لا يجوز للإمام أن ينقص من ذلك، وله أن يزيد.

### فصل

ووقت وجوب الجزية: آخر الحول، وبه قال الشافعي. وقال أبو حنيفة: تجب في أول الحول. فأما إذا دخلت سنة في سنة، فهل تسقط جزية السنة الماضية؟ عندنا لا تسقط. وقال أبو حنيفة: تسقط. فأما إذا أسلم، فإنها تسقط بالإسلام. فأما إن مات؛ فكان ابن حامد يقول: لا تسقط. وقال القاضي أبو يعلى: يحتمل أن تسقط.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُسَبِّحُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُ اللَّهُ أَلَمْ يُؤْتِكُونَهُ ﴿١٥﴾ أَتَعْبُدُونَ أَصْنَانًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أَسْرَوْا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة: «عزير» ابن الله بغير تنوين. وقرأ عاصم، والكسائي، ويعقوب، وعبد الوارث عن أبي عمرو: منوناً. قال مكّي بن أبي طالب: من نون عزيراً رفعه على الابتداء، و «ابن» خبره. ولا يحسن حذف التنوين على هذا من «عزير» لالتقاء الساكنين. ولا تحذف ألف «ابن» من الخط، ويكسر التنوين لالتقاء الساكنين. ومن لم ينون «عزيراً» جعله أيضاً مبتدأ،

(١) هو يعقوب بن إسحاق بن بختان أحد تلامذة الإمام أحمد، ترجمته في «طبقات الحنابلة» ١/١٤٥.

و «ابن» صفة له؛ فيُحذف التنوينُ على هذا استخفافاً لالتقاء الساكنين، ولأن الصفة مع الموصوف كالشيء الواحد، وتحذف ألف «ابن» من الخط، والخبر مضمَر تقديره: عزيز بن الله نبيُّنا وصاحبنا. وسبب نزولها أن سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: كيف نَنَجُّكَ وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أن عزيزاً ابن الله؟ فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، قاله ابن عباس. وقال ابن عمر، وابن جريج: إن القائل لذلك فنحاص. فأما العزيز، فقال شيخنا أبو منصور اللغوي: هو اسم أعجمي معرب، وإن وافق لفظ العربية، فهو عبراني؛ كذا قرأته عليه. وقال مكِّي بن أبي طالب: العزيز عند كل النحويين: عربي مشتق من قوله: يعزُّروه. وقال ابن عباس: إنما قالوا ذلك، لأنهم لما عملوا بغير الحق، أنساهم الله التوراة، ونسخها من صدورهم، فدعا عزيز الله تعالى؛ فعاد إليه الذي نُسخ من صدورهم، ونزل نور من السماء فدخل جوفه، فأذن في قومه فقال: قد آتاني الله التوراة؛ فقالوا: ما أوتيها إلا لأنه ابن الله. وفي رواية أخرى عن ابن عباس: أن يختصر لما ظهر على بني إسرائيل، وهدم بيت المقدس، وقتل من قرأ التوراة، كان عزيز غلاماً، فتركه. فلما توفي عزيز ببابل، ومكث مائة عام، ثم بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل، فقال: أنا عزيز؛ فكذبوه وقالوا: قد حدَّثنا آباؤنا أن عزيزاً مات ببابل، فإن كنتَ عزيزاً فأملل علينا التوراة؛ فكتبها لهم؛ فقالوا: هذا ابن الله. وفي الذين قالوا هذا عن عزيز ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم جميع بني إسرائيل، روي عن ابن عباس. والثاني: طائفة من سلفهم، قاله الماوردي. والثالث: جماعة كانوا على عهد رسول الله ﷺ، وفيهم قولان: أحدهما: فنحاص وحده، وقد ذكرناه عن ابن عمر، وابن جريج. والثاني: الذين ذكرناهم في أول الآية عن ابن عباس. فإن قيل: إن كان قول بعضهم، فلم أضيف إلى جميعهم؟ فته جوابان: أحدهما: أن إيقاع اسم الجماعة على الواحد معروف في اللغة، تقول العرب: جثت من البصرة على البغال، وإن كان لم يركب إلا بغلاً واحداً. والثاني: أن من لم يقل، لم ينكره.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ في سبب قولهم هذا قولان: أحدهما: لكونه ولد من غير ذكر. والثاني: لأنه أحى الموتى، وأبرأ الكفَّة والبُرس؛ وقد شرحنا هذا المعنى في [المائدة: ١١٠].  
قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِآزُوبَةٍ﴾ إن قال قائل: هذا معلوم، فما فائدته؟ فالجواب: أن المعنى: إنه قول بالغم، لا بيان فيه، ولا برهان، ولا تحته معنى صحيح، قاله الزجاج.

قوله تعالى: «يضاهون» قرأ الجمهور: من غير همز. وقرأ عاصم: ﴿يُضَاهُونَ﴾. قال ثعلب: لم يتابع عاصماً أحد على الهمز. قال الفراء: وهي لغة. قال الزجاج: «يضاهون» يشابهون قول من تقدَّمهم من كفَّرتهم، فإنما قالوه اتباعاً لمقدِّمهم. وأصل المضاهاة في اللغة: المشابهة؛ والأكثر ترك الهمز؛ واشتاقه من قولهم: امرأة ضهاة، وهي التي لا يثبت لها ثدي. وقيل: هي التي لا تحيض، والمعنى: أنها قد أشبهت الرجال. قال ابن الأنباري: يقال: ضاهت، وضاهات: إذا شبَّهت. وفي ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم عبدة الأوثان، والمعنى: أن أولئك قالوا: الملائكة بنات الله، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم اليهود، فالمعنى: أن النصارى في قولهم: المسيح ابن الله، شابهوا اليهود في قولهم: عزيز ابن الله، قاله قتادة، والسدي. والثالث: أنهم أسلافهم، تابعوهم في أقوالهم تقليداً، قاله الزجاج، وابن قتيبة. وفي قوله: ﴿تَنَكَّلَهُمُ اللَّهُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: لعنهم الله، قاله ابن عباس. والثاني: قتلهم الله، قاله أبو عبيدة. والثالث: عاداهم الله، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿أَن يَصْطَكُوا﴾ أي: من أين يصرفون عن الحق.

قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَسْكَارًا﴾ قد سبق في [المائدة: ٤٤] معنى الأسكار والرهبان. وقد روي عن النبي ﷺ أنه سئل عن هذه الآية، فقال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئاً استحلَّوه، وإذا حرما عليهم شيئاً حرَّموه»<sup>(٢)</sup>. فعلى هذا المعنى: إنهم جعلوهم كالآرياب وإن لم يقولوا: إنهم آرياب.

(١) «الطبري» ٢٠٢/١٤، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٢٩/٢، وزاد نسبه لابن إسحاق، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) رواه الترمذي ٣٢٦/٢، وقال: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وخطيف بن أمين ليس بمعروف في الحديث. -



قوله تعالى: ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ قال ابن عباس: اتخذوه رباً.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ أَنْ يُدْفَعَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٢٢)

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يخدموا دين الله بتكذيبهم، يعني: أنهم يكذبون به ويُعرضون عنه يريدون إطفاله بذلك. وقال الحسن وقناة: نور الله: القرآن والإسلام. فاما تخصيص ذلك بالأفواه، فلما ذكرنا في الآية قبلها. وقيل: إن الله تعالى لم يذكر قولاً مقروناً بالأفواه والألسن إلا وهو زور.

قوله تعالى: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ أَنْ يُدْفَعَ نُورُهُ﴾ قال الفراء: إنما دخلت «إلا» هاهنا، لأن في الإباء طرفاً من الجحد، ألا ترى أن «أبى» كفولك: «لم أفعل»، و «لا أفعل»، فكانه بمنزلة قولك: ما ذهب إلا زيد، قال الشاعر:

فَهَلْ لِي أَمْ غَيْرُهَا إِنْ تَرَكْتُهَا أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ أَكُونَ لَهَا ابْنِماً<sup>(١)</sup>

وقال الزجاج: المعنى: ويأبى الله كل شيء إلا إتمام نوره. قال مقاتل: «يتم نوره» أي: يظهر دينه.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٢٣)

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ يعني محمداً ﷺ. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التوحيد. والثاني: القرآن. والثالث: تبيان الفرائض. فاما دين الحق، فهو الإسلام. وفي قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ قولان: أحدهما: أن الهاء عائدة على رسول الله ﷺ، فالمعنى: ليعلمه شرائع الدين كلها، فلا يخفى عليه منها شيء، قاله ابن عباس. والثاني: أنها راجعة إلى الدين. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: ليظهر هذا الدين على سائر الملل<sup>(٢)</sup>. ومتى يكون ذلك؟ فيه قولان: أحدهما: عند نزول عيسى عليه السلام، فإنه يتبعه أهل كل دين، وتصير الملل واحدة، فلا يبقى أهل دين إلا دخلوا في الإسلام أو أدوا الجزية، قاله أبو هريرة، والضحاك. والثاني: أنه عند خروج المهدي، قاله السدي. والقول الثاني: أن إظهار الدين إنما هو بالحجج الواضحة، وإن لم يدخل الناس فيه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَكُونُونَ أَمْوَالًا لِّلنَّاسِ بِالْبَاطِلِ يُفْضَلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقِدُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِمَا كَفَرُوا بِهِمْ يَكْفُلُهُمْ﴾ (٢٤)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ﴾ الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى. وفي الباطل أربعة أقوال: أحدها: أنه الظلم، قاله ابن عباس. والثاني: الرشا في الحكم، قاله الحسن. والثالث: الكذب، قاله أبو سليمان. والرابع: أخذه من الجهة المحظورة، قاله القاضي أبو يعلى. والمراد: أخذ الأموال، وإنما ذكر الأكل، لأنه معظم المقصود من المال. وفي المراد بسبيل الله هاهنا قولان: أحدهما: الإيمان برسول الله ﷺ، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: أنه الحق والحكم.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت عامة

رواه «الطبري» ٢١٠/١٤ من طرق من عدي بن حاتم، وخرجه السيوطي في «الدر» ٢٣٠/٣، وزاد نسبة لابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «مسنده».

(١) قاله المتكلم، وهو في «معاني القرآن» للفراء ٢٣٣/١، من قصيدة له يرد فيها على من عبر أمه مطلقاً:   
يَمِيرُنِي أُمِّي رَجَالٌ وَلَا أَرَى أَخَا كَرَمٍ إِلَّا بَانَ يَتَكْرَمُنَا

وهي في «مختارات ابن السجري» ٣١ وقوله: ابنما، أراد: ابناً، فزاد الميم.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» ٢٢١٥/٤، عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى (جمع) لي الأرض، فرأيت مشارقتها ومغارها، وإن أمي سبيل ملكها ما زوي لي منها». وروى الإمام أحمد في «المسند» ١٠٣/٤، عن تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بمن عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يمز به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر»، وكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والثرف والمز، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية. وروى أحمد في «المسند» ٤/٦، عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بمن عزيز أو ذل ذليل، إما يهزمهم الله ﷻ ليجمعهم من أهلها، أو يهلكهم فيلبنون لها». وروى مسلم ٢٢٣٠/٤، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يطلع الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى، فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) أن ذلك تاماً، قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله رجلاً طيبة ثقلى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقي من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم».

في أهل الكتاب والمسلمين، قاله أبو ذر، والضحاك. والثاني: أنها خاصة في أهل الكتاب، قاله معاوية بن أبي سفيان. والثالث: أنها في المسلمين، قاله ابن عباس، والسدي. وفي الكثر المستحق عليه هذا الوعيد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما لم تؤدّ زكاته. قال ابن عمر: كل مال أدّيت زكاته وإن كان تحت سبع أرضين فليس بكنز، وكل مال لا تؤدّ زكاته فهو كنز وإن كان ظاهراً على وجه الأرض<sup>(١)</sup>، وإلى هذا المعنى ذهب الجمهور. فعلى هذا، معنى الإنفاق: إخراج الزكاة. والثاني: أنه ما زاد على أربعة آلاف، روي عن علي بن أبي طالب أنه قال: أربعة آلاف نفقة، وما فوقها كنز. والثالث: ما فضل عن الحاجة، وكان يجب عليهم إخراج ذلك في أول الإسلام ثم نُسَخ. فإن قيل: كيف قال: «ينفقونها» وقد ذكر شيئين؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن المعنى: يرجع إلى الكنوز والأموال. والثاني: أنه يرجع إلى الفضة، وحُذِف الذهب، لأنه داخل في الفضة، قال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف<sup>(٢)</sup>

يريد: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راضٍ، ذكر القولين الزجاج. وقال الفراء: إن شئت اكتفيت بأحد المذكورين، كقوله: «وَمَنْ يَكْتِبْ حَبِيبَةً أَوْ لَيْثًا ثُمَّ يَزِرْ يَدَ رَبِّكَ» [النساء: ١١٢]، وقوله: «وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً أَنْفَسُوا لَهَا» [البقرة: ٢١]، وأنشد:

إنني ضمنت لمن أناني ما جئني وأبى وكان وكنت غير غدير<sup>(٣)</sup>

ولم يقل: غديرين، وإنما اكتفى بالواحد لاتفاق المعنى. قال أبو عبيدة: والعرب إذا أشركوا بين اثنين قصروا، فخبّروا عن أحدهما استغناءً بذلك، وتحقيقاً لمعرفة السامع بأن الآخر قد شاركه، ودخل معه في ذلك الخبر، وأنشد:

فمن يك أمسى بالمدينة رخله فإني وقيارٌ بها لغريب<sup>(٤)</sup>

والنصب في «قيار» أجود، وقد يكون الرفع. وقال حسان بن ثابت:

إن شرَّ الشباب والشَّعَرِ الأسـود ما لم يُعاصِرَ كان جُنونا<sup>(٥)</sup>

ولم يقل: يعاصيا.

﴿يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكَوَّنُ بِهَا جُثَاثُهُمْ وَجُثُوبُهُمْ رَطْهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ تَدْرِيُونَ مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي: على الأموال. قال ابن مسعود: والله ما من رجل يُكوى بكنز، فيوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم، ولكن يوسّع جلده، فيوضع كل دينار ودرهم على حدته<sup>(٦)</sup>. وقال ابن عباس: هي حية تنطوي على جنبه وجهته، تقول: أنا مالك الذي بخلت به.

قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا كُنْتُمْ﴾ فيه محذوف تقديره: ويقال لهم هذا ما كنتم لأنفسكم ﴿تَدْرِيُونَ مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: عذاب ذلك. فإن قيل: لم خصّ الجباه والجنوب والظهور من بقية البدن؟ فالجواب: أن هذه المواضع مجوفة، فيصل الحر إلى أجوافها، بخلاف اليد والرجل. وكان أبو ذر يقول: بشر الكنازين بكفي في الجباه وكفي في الجنوب

(١) أثر ابن عمر رواه الطبري ٢١٨/١٤، وإسناده صحيح. ورواه بمعناه مالك في «الموطأ» ٢٥٦/١.

(٢) قاله عمرو بن أمّ القيس من بني الحارث بن الخزرج، جاهلي قديم، وهو جد عبد الله بن رواحة، والبيت في «جمهرة أشعار العرب» ٢٣٧، وسيبويه ٣٧/١ (منسوباً لقيس بن الخطيم) وهو خطأ، و«معاني القرآن» ٤٣٤/١، و«مجاز القرآن» ٢٥٨/١، و«الخرائج» ١٩٠/٢.

(٣) البيت غير منسوب في «معاني القرآن» ٤٣٤/١، ونسبه سيبويه في «الكتاب» ٣٨/١ للفرزدق.

(٤) قاله ضايع بن الحارث اليربوعي وهو في «الأصمعيات» ١٦، و«سيبويه» ٣٨/١، و«القرطبي» ٢٤٦/٦، و«شواهد المغني» ٢٩٣، و«الخرائج» ٢٢٣/٤، و«اللسان»، و«التاج»: غير.

(٥) «ديوانه» ٤١٣، و«مجاز القرآن» ٢٥٨/١، و«القرطبي» ١٢٨/٨، و«الجمهرة» ٢٠٧/٢، و«اللسان»: شرح، والشرح: الحد، أي: غاية ارتفاعه، يعني بذلك أقصى قوته ونفادته وهفوانه.

(٦) «الطبري» ٢٣٣/١٤، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٢٩/٧ - ٣٠ وقال: رواه الطبراني رجاله رجال الصحيح. وأورده ابن كثير ٣٥٢/٢ من طريق ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً وقال: ولا يصح رفعه والله أعلم. وخروجه السيوطي في «الدرة» ٢٣٣/٣، وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

وكي في الظهور، حتى يلتقي الحرُّ في أجوافهم<sup>(١)</sup>. وجواب آخر: وهو أن الغني إذا رأى الفقير، انقبض؛ وإذا ضمه وإياه مجلس، ازدد عنه وولاه ظهره، قاله أبو بكر الوراق.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْقِيَمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الشُّرَكَاءَ كَأَنَّهُمْ يُدْبِلُونَكُمْ كَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال المفسرون: نزلت هذه الآية من أجل النسيء الذي كانت العرب تفعله، فربما وقع حجهم في رمضان، وربما وقع في شوال، إلى غير ذلك؛ وكانوا يستحلون المحرم عاماً، ويحرمون مكانه صفر، وتارة يحرمون المحرم ويستحلون صفر. قال الزجاج: أعلم الله ﷻ أن عدد شهور المسلمين التي تُعبدوا بأن يجعلوه لستهم؛ اثنا عشر شهراً على منازل القمر؛ فجعل حجهم وأعيادهم على هذا العدد، فتارة يكون الحج والصوم في الشتاء، وتارة في الصيف، بخلاف ما يعتد به أهل الكتاب، فإنهم يعملون على أن السنة ثلاثمائة يوم وخمسة وستون يوماً وبعض يوم. وجمهور القراء على فتح عين «اثنا عشر». وقرأ أبو جعفر: «اثنا عشر»، «واحد عشر»، «واثنا عشر»، يسكنون العين فيهن.

قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في اللوح المحفوظ. قال ابن عباس: في الإمام الذي عند الله، كتبه ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾ وفيها قولان: أحدهما: أنها رجب، وذو القعدة، وذو الحجة. والمحرم، قاله الأكثرون. وقال القاضي أبو يعلى: إنما سماها حُرماً لمعنيين: أحدهما: تحريم القتال فيها، وقد كان أهل الجاهلية يعتقدون ذلك أيضاً. والثاني: لتعظيم انتهاك المحارم فيها أشد من تعظيمه في غيرها، وكذلك تعظيم الطاعات فيها. والثاني: أنها الأشهر التي أجل المشركون فيها للسياحة، ذكره ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْقِيَمُ﴾ فيه قولان: أحدهما: ذلك القضاء المستقيم، قاله ابن عباس. والثاني: ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوي، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ اختلفوا في كناية «فيهن» على قولين: أحدهما: أنها تعود على الاثني عشر شهراً، قاله ابن عباس. فعلى هذا يكون المعنى: لا تجعلوا حرامها حلالاً، ولا حلالها حراماً، كفعل أهل النسيء. والثاني: أنها ترجع إلى الأربعة الحرم، وهو قول قتادة، والفراء؛ واحتج بأن العرب تقول لما بين الثلاثة إلى العشرة: ثلاث ليال خلون، وأيام خلون؛ فإذا جُزئت العشرة قالوا: خلث ومضت؛ ويقولون لما بين الثلاثة إلى العشرة: مُرٌّ، وهؤلاء؛ فإذا جُزئت العشرة، قالوا: هي، وهذه؛ إرادة أن تُعرف سمة القليل من الكثير. وقال ابن الأنباري: العرب تعيد الهاء والنون على القليل من العدد، والهاء والألف على الكثير منه؛ والقلّة: ما بين الثلاثة إلى العشرة، والكثرة: ما جاوز العشرة، يقولون: وجهت إليك أكبشاً فاذبحهنّ، وكباشاً فاذبحها؛ فلهذا قال: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾، وقال: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ﴾ لأنه يعني بقوله: «فيهن» الأربعة. ومن قال من المفسرين: إنه يعني بقوله: «فيهن» الاثني عشر، فإنه ممكن؛ لأن العرب ربما جعلت علامة القليل للكثير، وعلامة الكثير للقليل. وعلى قول من قال: ترجع «فيهن» إلى الأربعة؛ يُخرج في معنى الظلم فيهن أربعة أقوال: أحدها: أنه المعاصي؛ فتكون فائدة تخصيص النهي عنه بهذه الأشهر، أن شأن المعاصي يعظم فيها أشد من تعظيمه في غيرها، وذلك لفضلها على ما سواها، كقوله: ﴿يُزَيِّرُ وَمُيَكِّنُ﴾ [البقرة: ٢٦٨] وإن كانا قد دخلا في جملة الفاكهة، وقوله: ﴿فَلَا رَفَقَ وَلَا فُشُوكَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] وإن كان منهيّاً عنه في غير الحج،

(١) «الطبري» ٢٣٠/١٤، وفي «صحيح مسلم» ٦٩٠/٢، عن الأحنف بن قيس قال: كنت في نفر من فرس، فمر أبو ذر وهو يقول: «بشر الكاذبين بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم، وبكي من قبل أنفاهم يخرج من جباههم»، قال: ثم تنخى فقمعد، قال: قلت: من هذا قالوا: أبو ذر، قال: فقلت إليه: قلت: ما شيء سمعتك تقول قبيل، قال: ما قلت إلا شيئاً قد سمعته من نبيهم ﷺ. . . . وروى مسلم أيضاً ٦٨٢/٢ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحس عليه في نار جهنم فيجعل صفائح فيكوى بها جنباه وجبينه حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. . . .»

وكما أمر بالمحافظة على الصلاة الوسطى وإن كان مأموراً بالمحافظة على غيرها، هذا قول الأكثرين. والثاني: أن المراد بالظلم فيهن فعل النسيء، وهو تحليل شهر محرم، وتحريم شهر حلال، قاله ابن إسحاق. والثالث: أنه البداية بالقتال فيهن؛ فيكون المعنى: فلا تظلموا أنفسكم بالقتال فيهن إلا أن تبدؤوا بالقتال، قاله مقاتل. والرابع: أنه ترك القتال فيهن؛ فيكون المعنى: فلا تظلموا فيهن أنفسكم بترك المحاربة لعدوكم، قاله ابن بحر، وهو عكس قول مقاتل. والسر في أن الله تعالى عظم بعض الشهور على بعض، ليكون الكف عن الهوى فيها ذريعة إلى استدامة الكف في غيرها تدرجاً للنفس إلى فراق مألوفها المكروه شرعاً.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَ مَا كَانَ يَنْهَوْنَهُ عَنْهُ وَنُقُبُّهُمْ عَنْهُمَا لِيُزِلُّوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ عَادُوا فِي صِلَاةٍ فِيهِمْ فَلَا يُصْلِحُ لَهُمْ اللَّهُ فَهِيَ تَكُونُ أُولَىٰ عَلَىٰ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ الجمهور على همز النسيء ومدّه وكسر سينه. وروى شبل عن ابن كثير: «النسء» على وزن النيسع. وفي رواية أخرى عن شبل: «النسيء» مشددة الياء من غير همز، وهي قراءة أبي جعفر؛ والمراد بالكلمة التأخير. قال اللغويون: النسيء: تأخير الشيء. وكانت العرب تحرم الأشهر الأربعة، وكان هذا مما تمسكت به من ملة إبراهيم؛ فربما احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب تكون بينهم، فيؤخرون تحريم المحرم إلى صفر، ثم يحتاجون إلى تأخير صفر أيضاً إلى الشهر الذي بعده؛ ثم تندفع الشهور شهراً بعد شهر حتى يستدير التحريم على السنة كلها، فكانهم يستثنون الشهر الحرام ويستقرضونه، فأعلم الله ﷻ أن ذلك زيادة في كفرهم، لأنهم أحلوا الحرام، وحرّموا الحلال: ﴿لِيُؤْخِطُوا﴾ أي: ليوافقوا ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ فلا يخرجون من تحريم أربعة، ويقولون: هذه بمنزلة الأربعة الحرم، ولا يبالون بتحليل الحرام، وتحريم الحلال. وكان القوم لا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة إذا اجتمعت العرب للموسم، قال الفراء: كانت العرب في الجاهلية إذا أرادوا الصّدْرَ عن منى، قام رجل من بني كنانة يقال له: نعيم بن ثعلبة، وكان رئيس الموسم، فيقول: أنا الذي لا أعاب ولا أجاب ولا يردّ لي قضاء؛ فيقولون: أنستنا شهراً؛ يريدون: أخر عنا حرمة المحرم، واجعلها في صفر، فيفعل ذلك. وإنما دعاهم إلى ذلك توالي ثلاثة أشهر حُرّم لا يغيرون فيها، وإنما كان معاشهم من الإغارة، فتستدير الشهور كما يتنا. وقيل: إنما كانوا يستحلون المحرم عاماً، فإذا كان من قابل ردّوه إلى تحريمه. قال أبو عبيد: والتفسير الأول أحب إليّ، لأن هذا القول ليس فيه استدارة. وقال مجاهد: كان أول من أظهر النسيء جنادة بن عوف الكناني، فوافقت حجة أبي بكر ذا القعدة، ثم حج النبي ﷺ في العام القابل في ذي الحجة، فذلك حين قال: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»<sup>(١)</sup>. وقال الكلبي: أول من فعل ذلك نعيم بن ثعلبة.

قوله تعالى: ﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «يُضِلُّ» بفتح الياء وكسر الضاد، والمعنى: أنهم يكتسبون الضلال به. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «يُضِلُّ» بضم الياء وفتح الضاد، على ما لم يُسم فاعله. وقرأ الحسن البصري، ويعقوب إلا الوليد: «يُضِلُّ» بضم الياء وكسر الضاد؛ وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: يُضِلُّ الله به. والثاني: يُضِلُّ الشيطان به، ذكرهما ابن القاسم. والثالث: يُضِلُّ به الذين كفروا الناس، لأنهم الذين سنوه لهم. قال أبو علي: التقدير: يُضِلُّ به الذين كفروا تابعيهم. وقال ابن القاسم: الهاء في «به» راجعة إلى النسيء، وأصل النسيء: المنسوء، أي: المؤخر، فينصرف عن «مفعول» إلى «فعل» كما قيل: مطبوخ وطبخ، ومقدور وقدير، قال: وقيل: الهاء راجعة إلى الظلم، لأن النسيء كُشِفَتْ تأويل الظلم، فجرى مجرى المظهر؛ والأول اختيارنا.

﴿يَتَأْتِيَكُمُ الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيكُمْ وَالْحَيَاةَ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

(١) رواه أحمد في «المستند» ٣٧/٥، والبخاري ٦/١٠، ومسلم رقم ١٦٧٩، وأبو داود رقم ١٩٤٧ عن أبي بكره ﷺ، وقد أوردنا الحديث بطوله صفحة (٥٦٧).

قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا﴾ قال المفسرون: لما أمر رسول الله ﷺ بغزوة تبوك، وكان في زمن عسرة وجذب وحر شديد، وقد طابت الثمار، عَظُمَ ذلك على الناس وأحبوا المُقام، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. وقوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾ استفهام معناه التبويخ. وقوله: ﴿أَنْفِرُوا﴾ معناه: اخرجوا. وأصل النفر: مفارقة مكان إلى مكان آخر لأمر حاج إلى ذلك. وقوله: ﴿أَتَأْتَلَتُمْ﴾ قال ابن قتيبة: أراد: تناقلتم، فأدغم التاء في التاء، وأحدث الألف ليسكن ما بعدها، وأراد: قعدتم. وفي قراءة ابن مسعود، والأعمش: «تناقلتم». وفي عنى: ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تناقلتم إلى شهوات الدنيا حين أخرجت الأرض ثمرها، قاله مجاهد. والثاني: اطمأنتم إلى الدنيا، قاله الضحاك. والثالث: تناقلتم إلى الإقامة بأرضكم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿أَرَيْسُتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: بنعيمها من نعيم الآخرة، فما يُتَمَتَّع به في الدنيا قليل بالإضافة إلى ما يُتَمَتَّع به الأولياء في الجنة<sup>(٢)</sup>.

﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُمَذِّنْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup> قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُمَذِّنْكُمْ﴾ سبب نزولها أن رسول الله ﷺ لما حثهم على غزو الروم تناقلوا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. وقال قوم: هذه خاصة فيمن استنفره رسول الله ﷺ فلم ينفر. قال ابن عباس: استنفر رسول الله ﷺ حياً من العرب فتناقلوا عنه، فأمسك عنهم المطر فكان عذابهم<sup>(٤)</sup>. وفي قوله: ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ وعيد شديد في التخلف عن الجهاد، وإعلام بأنه يستبدل لنصر نبيه قوماً غير متناقلين. ثم أعلمهم أنهم إن تركوا نصره لم يضره، كما لم يضره ذلك إذ كان بمكة. وفي هاء «تَضُرُّوهُ» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله، والمعنى: لا تضروا الله بترك النفير، قاله الحسن. والثاني: أنها ترجع إلى رسول الله ﷺ، فالمعنى: لا تضروه بترك نصره، قاله الزجاج.

### فصل

وقد روي عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، قالوا: نُسخ قوله: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُمَذِّنْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بقوله: ﴿وَمَا كَانَتِ الْكُفْرَانُ يَسْتَبْدِلُ كَانَهُ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وقال أبو سليمان الدمشقي: ليس هذا من المنسوخ، إذ لا تنافي بين الآيتين، وإنما حكم كل آية قائم في موضعها. وذكر القاضي أبو يعلى عن بعض العلماء أنهم قالوا: ليس هاهنا نسخ، ومتى لم يقاوم أهل الثغور العدو، ففرض على الناس النفير إليهم، ومتى استغفوا عن إعانة من وراءهم، غُذِر القاعدون عنهم. وقال قوم: هذا في غزوة تبوك، ففرض على الناس النفير مع رسول الله ﷺ.

﴿إِلَّا تَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ إِذْ هُمَا فِي الْكَافِرِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدُوهُ بِجُثُودٍ لَمْ تَدْرِكُوا وَجْعَلْ كُلَّكَ الَّذِينَ كَفَرُوا الشُّقْلَ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْغَالِبُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَضُرُّوهُ﴾ أي: بالنفير معه: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ إعانة على أعدائه، ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حين قصدوا إهلاكه على ما شرحنا في قوله: ﴿وَإِذْ يَنْفِرُ بَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٣٠] فأعلمهم أن نصره ليس بهم. قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ العرب تقول: هو ثاني اثنين، أي: أحد الاثنين، وثالث ثلاثة، أي: أحد الثلاثة، قال الزجاج: وقوله: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ منصوب على الحال؛ المعنى: فقد نصره الله أحد اثنين، أي: نصره منفرداً إلا من

(١) «الطبري» ٢٥٣/١٤، عن مجاهد، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٣٧/٣، وزاد نسبه لسيد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» رقم (٢٨٥٨) عن المستورد أخى بني فهر قال: قال رسول الله ﷺ: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبهه هذه - وأشار يحيى (أحد الرواة) بالسبابة - في اليوم، فلينظر بهم ترجع»، ورواه أحمد في «المسند» ٢٢٨/٤، والمعنى: ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها وقناه للآخرة، ودوام الآخرة، ودوام لذتها ونعيمها، إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصبع إلى باقي البحر.

(٣) رواه بنحوه أبو داود في «مسنده» رقم (٢٥٠٦) وفي سنده نجدة بن نفع وهو مجهول. وأورده السيوطي في «الدر» ٢٣٩/٣، وزاد نسبه لابن المنذر، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «مسنده».

أبي بكر، وهذا معنى قول الشعبي: عاتب الله أهل الأرض جميعاً في هذه الآية غير أبي بكر. وقال ابن جرير: المعنى: أخرجوه وهو أحد الاثنين، وهما رسول الله ﷺ وأبو بكر. فأما الغار، فهو ثقب في الجبل، وقال ابن فارس: الغار: الكهف، والغار: نبت طيب الريح، والغار: الجماعة من الناس، والغاران: البطن والفرج، وهما الأجوفان، يقال: إنما هو عبد غارته. قال الشاعر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السُّفَرَ يَزُمُّ وَلَيْلَةً وَأَنَّ الْفَتَى يَسْعَى لِنَارِهِ ذَائِباً<sup>(١)</sup>

قال قتادة: وهذا الغار في جبل بمكة يقال له: ثور. قال مجاهد: مكثا فيه ثلاثاً. وقد ذكرت حديث الهجرة في كتاب «الحدائق». قال أنس بن مالك: أمر الله ﷻ شجرة فنبتت في وجه رسول الله ﷺ فسترته، وأمر العنكبوت فنسجت في وجهه، وأمر حمامتين وحشيتين فوقتا في فم الغار، فلما دنوا من الغار، عجل بعضهم لينظر، فرأى حمامتين، فرجع فقال: رأيت حمامتين على فم الغار، فعلمت أنه ليس فيه أحد<sup>(٢)</sup>. وقال مقاتل: جاء القائف فنظر إلى الأقدام فقال: هذه قدم ابن أبي قحافة، والأخرى لا أعرفها، إلا أنها تشبه القدم التي في المقام. وصاحبه في هذه الآية أبو بكر، وكان أبو بكر قد بكى لما مرَّ المشركون على باب الغار، فقال له النبي ﷺ: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟»<sup>(٣)</sup> وفي السكينة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الرحمة، قاله ابن عباس. والثاني: الوقار، قاله قتادة. والثالث: السكون والطمأنينة، قاله ابن قتية، وهو أصح. وفي هاء «عليه» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى أبي بكر، وهو قول علي بن أبي طالب، وابن عباس، وحبيب بن أبي ثابت. واحتج من نصر هذا القول بأن النبي ﷺ كان مطمئناً. والثاني: أنها ترجع إلى النبي ﷺ، قاله مقاتل. والثالث: أن الهاء هاهنا في معنى تثنية، والتقدير: فأَنزَلَ الله سكينة عليهما، فاكتمى بإعادة الذكر على أحدهما من إعادته عليهما، كقوله: «وَاللَّهُ رُسُلُهُ أَحَدٌ أَنْ يُرْسَدَهُ» [التوبة: ٤٢]، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَأَبْكَدُ﴾ أي: قواه، يعني النبي ﷺ بلا خلاف. ﴿يَسْخَرُونَ لَكُمْ تَرَوكَا﴾ وهم الملائكة. ومتى كان ذلك؟ فيه قولان: أحدهما: يوم بدر، ويوم الأحزاب، ويوم حنين، قاله ابن عباس. والثاني: لما كان في الغار، صرّفت الملائكة وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته، قاله الزجاج. فإن قيل: إذا وقع الاتفاق أن هاء الكناية في «أيده» ترجع إلى النبي ﷺ، فكيف تفارقها هاء «عليه» وهما متفقتان في نظم الكلام؟ فالجواب: أن كل حرف يردُّ إلى الأليق به، والسكينة إنما يحتاج إليها المنزعج، ولم يكن النبي ﷺ منزعجاً. فأما التأييد بالملائكة، فلم يكن إلا للنبي ﷺ ونظير هذا قوله: ﴿لَنُزَيِّنَنَّ لَهُ وَرُسُلَهُ وَنُفَرِّدَهُ وَنُقَرِّدَهُ﴾ [التفتح: ٨] يعني النبي ﷺ، ﴿وَنُفَرِّدَهُ﴾ يعني الله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُ كَلِمَةً إِلَهِينَ كَلِمَةً إِلَهِينَ كَلِمَةً إِلَهِينَ﴾ فيها قولان: أحدهما: أن كلمة الكافرين الشرك، جعلها الله السفلى لأنها مقهورة، وكلمة الله وهي التوحيد، هي العليا، لأنها ظهرت، هذا قول الأكثرين. والثاني: أن كلمة الكافرين ما قدروا بينهم في الكيد به ليقتلوه، وكلمة الله أنه ناصرهم، رواه عطاء عن ابن عباس. وقرأ ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقاتدة، والضحاك، ويعقوب: «وكلمة الله» بالنصب.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أي: في انتقامه من الكافرين: ﴿حَكِيمٌ﴾ في تديبه. ﴿أَنفَرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَنَدُهُمَا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَمْ حَرِّ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup> قوله تعالى: ﴿أَنفَرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ سبب نزولها أن المقداد جاء إلى رسول الله ﷺ، وكان عظيمًا سمينًا، فشكا إليه وسأله أن يأذن له، فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(٥)</sup>. وفي معنى «خفافاً وثقالاً» أحد عشر قولاً: أحدها: شيوخاً

(١) البيت في «اللسان» غور غير منسوب.

(٢) ابن سعد في «الطبقات» ٢٢٩/١، عن أبي مصعب المكي قال: أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة، فسمعتهم يتحدثون أن النبي ﷺ ليلة الغار: أمر الله شجرة.. الحديث. وفي سننه ضعيف ومجهول. وفي «مسند أحمد» ٨٧/٥، من حديث ابن عباس: «... فمروا بالغار فرأوا على بابِه نسج العنكبوت»، وفي سننه عثمان الجزي لم يوثقه غير ابن حبان.

(٣) «البخاري» ١٠/٧، و«مسلم» ١٨٥٤/٤، دون قوله: وكان أبو بكر قد بكى لما مرَّ المشركون على باب الغار. وأورده السيوطي في «الدر» وزاد: نسب لآلِ سعد، وابن أبي شيبة، وأحمد، والترمذي، وأبي عوادة، وابن حبان، وابن المنذر، وابن مردويه.

(٤) «أسباب النزول» للواحدي ١٤١، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٤٦/٣، ونسب لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

وشباباً، رواه أنس عن أبي طلحة، وبه قال الحسن، والشعبي، وعكرمة، ومجاهد، وأبو صالح، وشعُر بن عطية، وابن زيد في آخرين. والثاني: رجالاً وركباناً، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الأوزاعي. والثالث: نشاطاً وغير نشاط، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، ومقاتل. والرابع: أغنياء وفقراء، روي عن ابن عباس. ثم في معنى هذا الوجه قولان: أحدهما: أن الخفاف: ذوو العسرة وقلة العيال، والثقال: ذوو العيال والميسرة، قاله الفراء. والثاني: أن الخفاف: أهل الميسرة، والثقال: أهل العسرة، حكى عن الزجاج. والخامس: ذوي عيال، وغير عيال. قاله زيد بن أسلم. والسادس: ذوي ضياع، وغير ذوي ضياع، قاله ابن زيد. والسابع: ذوي أشغال، وغير ذوي أشغال، قاله الحكم. والثامن: أصحاء، ومرضى، قاله مرة الهمداني، وجوير. والتاسع: حراباً ومتأملين، قاله يمان بن رباب. والعاشر: خفافاً إلى الطاعة، وثقالاً عن المخالفة، ذكره الماوردي. والحادي عشر: خفافاً من السلاح، وثقالاً بالاستكثار منه، ذكره الثعلبي.

### فصل

روى عطاء الخراساني عن ابن عباس أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِیَسْتَفِزُّوا كَأَنَّهُ﴾<sup>(١)</sup> [التوبة: ١٧٢]. وقال السدي: نسخت بقوله: ﴿لَیْسَ عَلَی الصُّمَّكَاءِ وَلَا عَلَی الرَّمْضِ﴾<sup>(٢)</sup> [التوبة: ٩١].

قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ قال القاضي أبو يعلى: أوجب الجهاد بالمال والنفس جميعاً، فمن كان له مال وهو مريض أو مقعد أو ضعيف لا يصلح للقتال، فعليه الجهاد بماله، بأن يعطيه غيره فيغزو به، كما يلزمه الجهاد بنفسه إذا كان قوياً. وإن كان له مال وقوة، فعليه الجهاد بالنفس والمال. ومن كان معديماً عاجزاً، فعليه الجهاد بالنصح لله ورسوله، لقوله: ﴿وَلَا عَلَی الَّذِينَ لَا یُحْذِرُونَ مَا یُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩١].

قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ خَبْرٌ لَكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: ذلكم الجهاد خير لكم من تركه والثقل عنه. والثاني: ذلكم الجهاد خير حاصل لكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما لكم من الثواب.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَدَّتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ قال المفسرون: نزلت في المنافقين الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك. ومعنى الآية: لو كان ما دُعوا إليه عرضاً قريباً. والعرض: كل ما عرض لك من منافع الدنيا، فالمعنى: لو كانت غنيمة قريبة، أو كان سفرًا قاصداً، أي: سهلاً قريباً، لآتبعوك طمعاً في المال ﴿وَلَكِنْ بَدَّتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ قال ابن قتيبة: الشقة: السفر؛ وقال الزجاج: الشقة: الغاية التي تُقصد؛ وقال ابن فارس: الشقة: مصير إلى أرض بعيدة، تقول: شقة شاقّة.

قوله تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ يعني المنافقين إذا رجعتهم إليهم ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا﴾ وقرأ زائدة عن الأعمش، والأصمعي عن نافع: ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا﴾ بضم الواو، وكذا أين وقع، مثل: ﴿لَوْ أَكَلْتُ عَلَيْهِمُ﴾ [الكهف: ١٨]، كأنه لما احتج إلى حركة الواو، حركت بالضم لأنها أخت الواو، والمعنى: لو قدرنا وكان لنا سعة في المال. ﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكذب والفتاق ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ لأنهم كانوا أغنياء ولم يخرجوا.

﴿عَمَّا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ حَقٌّ يَتَبَيَّنُ لَكَ الْآيَةُ صَدَقُوا وَتَعَلَّمُوا الْكَذِبَ

قوله تعالى: ﴿عَمَّا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ كان ﷺ قد أذن لقوم من المنافقين في التخلّف لما خرج إلى تبوك، قال ابن عباس: ولم يكن يومئذ يعرف المنافقين. قال عمرو بن ميمون: اثنتان فعلهما رسول الله ﷺ ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين، وأخذه الفداء من الأسارى؛ فعاتبه الله كما تسمعون. قال مورّق: عاتبه ربّه بهذا. وقال سفيان بن عيينة: انظر

(١) وقد ذهب إلى إحكام الآية ومنع النسخ جماعة، منهم ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي، وحكى القاضي أبو يعلى عن بعض العلماء أنهم قالوا: ليس هاهنا نسخ، ومتى لم يقاوم أهل الثغور العدو، ففرض على الناس الثغر إليهم، ومتى استفخوا عن إعانة من وراءهم حذر القاعدون عنهم.

(٢) أخرجه السيوطي في [الدرر: ٢٤٦/٣]، من رواية ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن السدي.

إلى هذا اللطف، بدأه بالعفو قبل أن يعيَّره بالذَّنْب. وقال ابن الأنباري: لم يخاطب بهذا لجرم أجرمه، لكنَّ الله وقرَّه ورفع من شأنه حين افتتح الكلام بقوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ كما يقول الرجل لمخاطبه إذا كان كريماً عليه: عفا الله عنك، ما صنعت في حاجتي؟ ورضي الله عنك، هلاً زرتني.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الْآيَاتِ صَدَقُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: حتى تعرف ذوي العذر في التخلف ممن لا عذر له. والثاني: لو لم تأذن لهم، لقعُدوا وبيان لك كذبهم في اعتذارهم. قال قتادة: ثم إن الله تعالى نسخ هذه الآية بقول: ﴿فَإِذَا لَمْ يَشْكُ مِنْهُمْ﴾ [النور: ٦٢].

﴿لَا يَسْتَنْذِرُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَاللَّهُ وَالْيَوْمُ الْآخِرُ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْرِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ﴾ ① ﴿لَا يَسْتَنْذِرُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَاللَّهُ وَالْيَوْمُ الْآخِرُ وَكَرِهَتْ قُلُوبُهُمْ قَهْرُ فِي رَبِّهِمْ بَرْدُورُ﴾ ②

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَنْذِرُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَاللَّهُ﴾ قال ابن عباس: هذا تعيير للمنافقين حين استأذنوا في القعود. قال الزجاج: أعلم الله ﷻ نبيه ﷺ أنَّ علامة النفاق في ذلك الوقت الاستئذان.

### فصل

وروي عن ابن عباس أنه قال: نسخت هذه الآية بقوله: ﴿لَمْ يَدْعُوا حَتَّى يَسْتَضِيُوا﴾ إلى آخر الآية [النور: ٦٢]. قال أبو سليمان الدمشقي: وليس للنسخ هاهنا مدخل، لإمكان العمل بالآيتين، وذلك أنه إنما عاب على المنافقين أن يستأذنوه في القعود عن الجهاد من غير عذر، وأجاز للمؤمنين الاستئذان لما يعرض لهم من حاجة، وكان المنافقون إذا كانوا معه فعرضت لهم حاجة، ذهبوا من غير استئذانه.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ ③ ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْصَعُوا خِلَافَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْقَلِيلِينَ﴾ ④

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ يعني المستأذنين له في القعود. وفي المراد بالعدَّة قولان: أحدهما: النية، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: السلاح، والمركوب، وما يصلح للخروج، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والانبعاث: الانطلاق، والتبُّط: ردُّك الإنسان عن الشيء يفعله.

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا﴾ في القائل لهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ألهموا ذلك خذلاناً لهم، قاله مقاتل. والثاني: أن النبي ﷺ قاله غضباً عليهم. والثالث: أنه قول بعضهم لبعض، ذكرهما الماوردي. وفي المراد بالقاعدین قولان: أحدهما: أنهم القاعدون بغير عذر، قاله ابن السائب. والثاني: أنهم القاعدون بعذر، كالنساء والصبيان، ذكره علي بن عيسى. قال الزجاج: ثم أعلم الله ﷻ لم كره خروجهم، فقال: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ والخبال: الفساد وذهاب الشيء. وقال ابن قتيبة: الخبال: الشر. فإن قيل: كان الصحابة كان فيهم خبال حتى قيل: ﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾؟ فالجواب: أنه من الاستثناء المنقطع، والمعنى: ما زادوكم قوَّة، لكن أوقعوا بينكم خبالاً. وقيل: سبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ لما خرج، ضرب عسكره على ثنية الورداء، وخرج عبد الله بن أبي، فضرب عسكره على أسفل من ذلك؛ فلما سار رسول الله ﷺ، تخلف ابن أبي فيمن تخلف من المنافقين، فزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَأَوْصَعُوا خِلَافَكُمْ﴾ قال الفراء: الإيضاع: السير بين القوم. وقال أبو عبيدة: لأسرعوا بينكم، وأصله من التخلل. قال الزجاج: يقال: أوضعت في السير: أسرعت.

قوله تعالى: ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ قال الفراء: يبيغونها لكم. وفي الفتنة قولان: أحدهما: الكفر، قاله الضحاك، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: تفريق الجماعة، وشتات الكلمة. قال الحسن: لأضعوا خلاصكم بالنميمة لإفساد ذات بينكم.

(١) قال السيوطي في «الدرر» ٤٤٧/٣: وأخرج ابن إسحاق، وابن المنذر، عن الحسن البصري قال: كان عبد الله بن أبي، وعبد الله بن نبتل، ورفاعة بن زيد بن تابوت من عظماء المنافقين، وكانوا ممن يكيد الإسلام وأهله، وفيهم أنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ ابْتِغَا الْفِتْنَةَ مِنْ نَبَلٍ وَكَبُرُوا لَكَ الْاِثْمُ﴾ إلى آخر الآية، وهي الآية التي بعد هذه.



قوله تعالى: ﴿رَبِّكَ سَتَعْلَمُ لَكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: عيون ينقلون إليهم أخباركم، قاله مجاهد، وابن زيد. والثاني: من يسمع كلامهم ويطيعهم، قاله قتادة، وابن إسحاق.

﴿لَقَدْ آتَيْنَا الْيُنُسَ بْنَ قَيْلٍ وَكُلُّوا لَكَ الْأَمْرُ حَقٌّ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ آتَيْنَا الْيُنُسَ﴾ في الفتنة قولان: أحدهما: الشر، قاله ابن عباس. والثاني: الشر، قاله مقاتل. قوله تعالى: ﴿يُنُسَ﴾ أي: من قبل غزوة تبوك. وفي قوله: ﴿وَكُلُّوا لَكَ الْأَمْرُ﴾ خمسة أقوال: أحدها: بَعَا لَكَ الغوائل، قاله ابن عباس. وقيل: إن اثني عشر رجلاً من المنافقين وقفوا على طريقه ليفتكوا به، فسلمه الله منهم. والثاني: احتالوا في تشئت أمرك وإبطال دينك، قاله أبو سليمان الدمشقي. قال ابن جرير: وذلك كانصراف ابن أبي يوم أحد بأصحابه. والثالث: أنه قولهم ما ليس في قلوبهم. والرابع: أنه ميلهم إليك في الظاهر، وممالة المشركين في الباطن. والخامس: أنه حلفهم بالله ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَبْنَا مَعَكُمْ﴾ ذكر هذه الأقوال الثلاثة الماوردي.

قوله تعالى: ﴿حَقٌّ جَاءَ الْحَقُّ﴾ يعني النصر ﴿وَبَيَّنَّ أَمْرُ اللَّهِ﴾ يعني الإسلام.

﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْأَلُ أَثَدَّنَ لِي وَلَا تَقِيَّتِي إِلَّا فِي الْيُنُسَ سَعْلَوْا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (٥٩)

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْأَلُ أَثَدَّنَ لِي﴾ سبب نزولها أن رسول الله ﷺ قال للجد بن قيس: «يا جد، هل لك في جِلاذ بني الأصفر، لعلك أن تغنم بعض بنات الأصفر»، فقال: يا رسول الله، ائذن لي فأقيم، ولا تفتني بينات الأصفر. فأعرض عنه، وقال: «قد أفنت لك»، ونزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وهذه الآية وما بعدها إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ فِي الْمَنَافِقِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ يعني المنافقين ﴿مَن يَسْأَلُ أَثَدَّنَ لِي﴾ أي: في القعود عن الجهاد، وهو الجد بن قيس. وفي قوله: ﴿وَلَا تَقِيَّتِي﴾ أربعة أقوال: أحدها: لا تفتني بالنساء، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد. والثاني: لا تُكسبني الإثم بأمرك إِيَّايَ بالخروج وهو غير متيسر لي، فأثم بالمخالفة، قاله الحسن، وقاتدة، والزجاج. والثالث: لا تكفرني بالزامك إِيَّايَ الخروج، قاله الضحاك. والرابع: لا تصرفني عن شغلي، قاله ابن بحر.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي الْيُنُسَ سَعْلَوْا﴾ في هذه الفتنة أربعة أقوال: أحدها: أنها الكفر، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الحرج، قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: الإثم، قاله قتادة، والزجاج. والرابع: العذاب في جهنم، ذكره الماوردي.

﴿إِنْ تُبَيِّنْكَ حَسَنَةً نَّسُودْهُمْ وَإِنْ تُبَيِّنْكَ مُصِيبَةً يَأْكُلُوا فَنَدَّ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَيَسْأَلُونَ وَهُمْ فَرِحُوا﴾ (٦٠)

قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبَيِّنْكَ حَسَنَةً﴾ أي: نصر وغنيمة. والمصيبة: القتل والهزيمة. ﴿يَسْأَلُونَ فَنَدَّ أَخَذْنَا أَمْرًا﴾

أي: عَمِلْنَا بالحزم فلم نخرج. ﴿وَيَسْأَلُونَ وَهُمْ فَرِحُوا﴾ بمصائبك وسلامتهم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما قضى علينا، قاله ابن عباس. والثاني: ما بين لنا في كتابه من أننا نظفر فيكون ذلك حسناً لنا، أو نقتل فتكون الشهادة حسناً لنا أيضاً، قاله الزجاج. والثالث: لن يصيبنا في عاقبة أمرنا إلا ما كتب الله لنا من النصر الذي وعدنا، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ أي: ناصرنا.

﴿قُلْ هَلْ نَرَبُّونَ بَنًا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَرَبُّنَ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِندِهِ أَوْ يَأْخُذَنَا فَرَصًا﴾ (٦١)

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نَرَبُّونَ بَنًا﴾ أي: تنتظرون. والحسيان: النصر والشهادة. ﴿وَنَحْنُ نَرَبُّنَ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِندِهِ﴾ في هذا العذاب قولان: أحدهما: الصواعق، قاله ابن عباس. والثاني: الموت، قاله ابن جرير.

(١) أورده السيوطي في «الدرر» ٢٤٨/٣، من رواية محمد بن إسحاق، وابن المنذر، والبيهقي في «الدلائل» من طريقه عن عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَذَّيَّبًا﴾ يعني: القتل.

﴿قُلْ أَنِفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّنْ يَتَّخِذَ مِنكُمْ لَكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٥٦)

قوله تعالى: ﴿أَنِفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ سبب نزولها أن الجد بن قيس قال للنبي ﷺ لما عرض عليه غزو الروم: إذا رأيت النساء افتننت. ولكن هذا مالي أعينك به، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: وهذا لفظ أمر، ومعناه معنى الشرط والجزاء، المعنى: إن أنفقت طائعين أو مكريين لن يتقبل منكم. ومثله في الشعر قول كثير:

أسيشي بنا أو أحسنني لا ملنومة  
لدينا ولا مقلية إن تقلت<sup>(٢)</sup>

لم يأمرها بالإساءة، ولكن أعلمها أنها إن أساءت أو أحسنت فهو على عهدنا. قال الفراء: ومثله ﴿أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠].

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا إِلَهُهُمْ فَوَعُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُقِيمُونَ إِلَّا وَهُمْ كَذِبُونَ﴾ (٥٧)

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا إِلَهُهُمْ فَوَعُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُقِيمُونَ إِلَّا وَهُمْ كَذِبُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «تقبل» بالتاء. وقرأ حمزة، والكسائي: «يقبل» بالياء. قال أبو علي: من أنث، فلان الفعل مسند إلى مؤنث في اللفظ؛ ومن قرأ بالياء، فلأنه ليس بتأنيث حقيقي، فجاز تذكره؛ كقوله: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. وقرأ الجحدري: «أن يقبل» بياء مفتوحة، «نفقتهم» بكسر التاء. وقرأ الأعشى: «نفقتهم» بغير الف، مرفوعة التاء. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء: «أن يقبل» بالياء «نفقتهم» بنصب التاء على التوحيد.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ قال ابن الأنباري: «أن» هاهنا مفتوحة، لأنها بتأويل المصدر مرتفعة بـ «منعهم»، والتقدير: وما منعهم قبول النفقة منهم إلا كفرهم بالله.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ قد شرحناه في سورة [النساء: ١٤٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقِيمُونَ إِلَّا وَهُمْ كَذِبُونَ﴾ لأنهم يعدون الإنفاق مغرمًا.

﴿فَلَا تُحِيبُكُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُحِيبُكُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: فلا تعجبكم أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن قتبية. فعلى هذا، في الآية تقديم وتأخير، ويكون تعذيبهم في الآخرة بما صنعوا في كسب الأموال وإنفاقها. والثاني: أنها على نظمها، والمعنى: ليُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا بِالمصائب في الأموال والأولاد، فهي لهم عذاب، وللمؤمنين أجر، قاله ابن زيد. والثالث: أن المعنى: ليُعَذِّبَهُمْ بِأَخْذِ الزَّكَاةِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَالتَّفَقُّةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قاله الحسن. فعلى هذا، ترجع الكناية إلى الأموال وحدها. والرابع: ليُعَذِّبَهُمْ بِسَبْيِ أَوْلَادِهِمْ وَغَنِيمَةِ أَمْوَالِهِمْ، ذكره الماوردي. فعلى هذا تكون في المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: تخرج، يقال: زهق السهم: إذا جاوز الهدف.

﴿وَيَلْبِسُونَ بِاللَّهِ لَيِّنَةً وَمَا هُمْ بِمُتَّقِينَ﴾ (٥٩) لَوْ يَخْشَوْنَ تَلَجًّا أَوْ مَخْرَبًا أَوْ مَذَخَلًا لَوَلَّوْا إِلَهُهُمَّ وَهُمْ يَكْفُرُونَ (٦٠)

قوله تعالى: ﴿وَيَلْبِسُونَ بِاللَّهِ لَيِّنَةً لِّنَاصِيَّتِهِمْ﴾ أي: مؤمنون، و «يَلْبِسُونَ» بمعنى يخافون. فاما الملجأ، فقال الزجاج: الملجأ واللجأ مقصور مهموز، وهو المكان الذي يُتَحَصَّنُ فِيهِ. والمخارات: جمع مغارة، وهو الموضع الذي يغور فيه الإنسان، أي: يستتر فيه. وقرأ سعيد بن جبير، وابن أبي عبيدة: «أو مغارات» بضم الميم؛ لأنه يقال: أغرت

(١) «الطبري»: ٢٩٤/١٤، وفي سنده انقطاع.

(٢) البيت لكثير عزة: «ديوانه» ٥٣/١، من قصيدته المشهورة، و«الطبري» ٢٩٤/٢، و ٢٩٣/١٤، و«معاني القرآن» للفراء ٤٤١/١، يقال: قلاه يقليه قلب، فهو مقلي: كرهه وأبغضه، وتقل: تبغض، أي: استعمل من الفعل أو القول ما يدعو إلى بغضه.

وَعُرْتُ: إِذَا دَخَلْتَ الْغُورَ. وَأَصْلُ مُدْخَلَ: مَدْتَحَلَ، وَلَكِنْ التَّاءُ تَبْدَلُ بَعْدَ الدَّالِ دَالًا، لِأَنَّ التَّاءَ مَهْمُومَةٌ، وَالدَّالُ مَجْهُورَةٌ، وَالتَّاءُ وَالدَّالُ مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ، فَكَانَ الْكَلَامُ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ أَخْفَتْ. وَقَرَأَ أَبِي، وَأَبُو الْمُتَوَكِّلِ، وَأَبُو الْجَوَازِ: ﴿أَوْ مُدْخَلًا﴾ بَرَفِ الْمِيمِ، وَتَاءُ وَدَالٍ مُفْتَوَحَتَيْنِ، مُشَدَّدَةُ الْخَاءِ. وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأَبُو عِمْرَانَ: ﴿مُدْخَلًا﴾ بِنُونٍ بَعْدَ الْمِيمِ الْمَضْمُومَةِ. قَرَأَ الْحَسَنُ، وَابْنُ يَعْمَرَ، وَيَعْقُوبُ: «مُدْخَلًا» بِفَتْحِ الْمِيمِ وَتَخْفِيفِ الدَّالِ وَسُكُونِهَا. قَالَ الزَّجَّاجُ: مَنْ قَالَ: «مُدْخَلًا» فَهُوَ مَنْ دَخَلَ يَدْخُلُ مُدْخَلًا؛ وَمَنْ قَالَ: «مُدْخَلًا» فَهُوَ مَنْ أَدْخَلْتَهُ مُدْخَلًا، قَالَ الشَّاعِرُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُنْسَانًا وَمُضْبَحًا  
بِالْخَيْرِ صَبَحْنَا رَبِّي وَمَسَانًا<sup>(١)</sup>

وَمَعْنَى مُدْخَلَ وَمُدْخَلَ: أَنَّهُمْ لَوْ وَجَدُوا قَوْمًا يَدْخُلُونَ فِي جَمَلَتِهِمْ ﴿لَوَلَّوْا﴾ إِلَيْهِ، أَي: إِلَى أَحَدِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ﴿وَقَدْ يَجْمَعُونَ﴾ أَي: يَسْرِعُونَ إِسْرَاعًا لَا يَرِدُ فِيهِ وَجُوهٌ شَيْءٌ. يُقَالُ: جَمَعَ وَطَمَحَ: إِذَا أَسْرَعَ وَلَمْ يَرُدَّ وَجْهَهُ شَيْءٌ؛ وَمَنْهَ قِيلَ: فَرَسَ جَمُوحٌ لِلَّذِي إِذَا حَمَلَ لَمْ يَرِدْهُ اللَّجَامُ.

﴿وَمَنْهُمْ مَن يَلِيزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ إِنْ أَعْطُوا مِنْهَا رِشْوًا وَلَئِن لَّمْ يَعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَحْطُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ مَن يَلِيزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ فِيمَنْ نَزَلَتْ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ ذُو الْخَوِيسِرَةِ التَّمِيمِي، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا: أَعْدَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(٢)</sup>. وَيُقَالُ: أَبُو الْخَوَاصِرِ. وَيُقَالُ: ابْنُ ذِي الْخَوِيسِرَةِ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ ثَعْلَبَةُ بْنُ حَاطِبٍ، كَانَ يَقُولُ: إِنَّمَا يُعْطِي مُحَمَّدٌ مِنْ يَشَاءُ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ: «يَلِمُزُكَ» بِعَيْبِكَ وَيَطْمَعُ عَلَيْكَ. يُقَالُ: هَمَزْتُ فَلَانًا وَلَمَزْتَهُ: إِذَا اغْتَبَيْتَهُ وَجَبْتَهُ؛ وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى كَسْرِ مِيمِ «يَلِمُزُكَ». وَقَرَأَ يَعْقُوبُ، وَنَظِيفٌ عَنْ قَنْبَلٍ، وَأَبَانٌ عَنْ عَاصِمٍ، وَالْقَزَازُ عَنْ عَبْدِ الْوَارِثِ: ﴿يَلِيزُكَ﴾ و ﴿يَلِيزُكَ﴾ و ﴿لَا تَلِيزُكَ﴾ بِضَمِّ الْمِيمِ فِيهِنَّ. وَقَرَأَ ابْنُ السَّمِيعِ: «يَلَامُزُكَ» مِثْلَ: يَفَاعَلُكَ. وَقَدْ رَوَاهَا حُمَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ابْنِ كَثِيرٍ. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ: وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فَاعِلْتُ فِي هَذَا مِنْ وَاحِدٍ، نَحْوُ: طَارَقَتْ النُّعْلَ، وَعَافَاهُ اللَّهُ، لِأَنَّ هَذَا لَا يَكُونُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ. وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ: «يَلِمُزُكَ» بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ مِنْ غَيْرِ أَلْفٍ، مِثْلُ: يَفْعَلُكَ. قَالَ الزَّجَّاجُ: يُقَالُ: لَمَزْتُ الرَّجُلَ أَلِمَزَهُ وَأَلْمَزَهُ، بِكَسْرِ الْمِيمِ وَضَمِّهَا: إِذَا عَبْتَهُ، وَكَذَلِكَ: هَمَزْتَهُ أَهْمَزَهُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا لَقَيْتُكَ تُبْدِي لِي مَكَاثِرَةً  
وَإِنْ تَعَيَّبْتُ كُنْتَ الْهَامِزَ اللَّمَزَةَ<sup>(٣)</sup>

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ رَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾<sup>(٤)</sup> إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالتَّمِيلِينَ عَلَيْهِمَا وَالْمُؤْتَفَقَةُ قُلُوبُهُمْ فِي الرِّقَابِ وَالْقُدْرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ رَسُولُهُ﴾ أَي: قَنَعُوا بِمَا أَعْطَاهُ. ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ فِي الزِّيَادَةِ، أَي: لِكَانِ خَيْرًا لَهُمْ. وَهَذَا جَوَابُ «لَوْ»، وَهُوَ مُحذُوفٌ فِي اللَّفْظِ. ثُمَّ بَيَّنَّ الْمُسْتَحَقَّ لِلصَّدَقَاتِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ اخْتَلَفُوا فِي صِفَةِ الْفَقِيرِ وَالْمَسْكِينِ عَلَى سِتَّةِ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّ الْفَقِيرَ: الْمَتَعَفِّفُ عَنِ السُّؤَالِ وَالْمَسْكِينُ: الَّذِي يَسْأَلُ وَبِهِ رَمَقٌ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ، وَجَابِرُ بْنُ زَيْدٍ، وَالزَّهْرِيُّ، وَالْحَكَمُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَمُقَاتِلٌ. وَالثَّانِي: أَنَّ الْفَقِيرَ: الْمَحْتَاجُ الَّذِي بِهِ زَمَانَةٌ، وَالْمَسْكِينُ: الْمَحْتَاجُ الَّذِي لَا زَمَانَةَ بِهِ، قَالَه قَتَادَةُ. وَالثَّلَاثُ: الْفَقِيرُ: الْمَهَاجِرُ، وَالْمَسْكِينُ: الَّذِي لَمْ يَهَاجِرْ، قَالَه الضَّحَّاكُ بْنُ مَزَاحِمٍ، وَالنَّخَعِيُّ. وَالرَّابِعُ: الْفَقِيرُ: فَقِيرُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْمَسْكِينُ: مَنْ أَمَلَ الْكِتَابَ، قَالَه عِكْرَمَةُ. وَالْخَامِسُ: أَنَّ الْفَقِيرَ: مَنْ لَهُ الْبُلْغَةُ مِنَ الشَّيْءِ، وَالْمَسْكِينُ: الَّذِي لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ، قَالَه أَبُو حَنِيفَةَ، وَيُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ، وَيَعْقُوبُ بْنُ السَّكِّتِ، وَابْنُ قَتِيْبَةَ. وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِ الرَّاعِي:

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت في «الأغاني» ١٢٩/٤، و«اللسان» مسا.

(٢) «الطبري» ٣٠٣/١٤ وإسناده صحيح، وقصة ذو الخويسرة معروفة عن سبب النزول رواها البخاري في «صحيحه» ٤٥٥/٦، ومسلم ١٦٥/٧ من طريق الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري.

(٣) البيت لزيد الأعجم في «الطبري» ٣٠١/١٤، و«مجاز القرآن» ٢٦٣/١، و«شواهد الكشاف» ١٥٢، و«إصلاح المنطق» ٤٧٥، و«الجمهرة» لابن دريد ١٨/٣، و«المقاييس» ٦٦/٦، و«اللسان»: همز.

أَمَّا الْفَقِيرُ الَّذِي كَانَتْ حَلْوَيْتُهُ

وَفَقَّ الْعِيَالُ فَلَمْ يُشْرَكَ لَهُ سَبَدٌ<sup>(١)</sup>

فسماء فقيراً، وله حلوبة تكفيه وعياله. وقال يونس: قلت لأعرابي: أفقير أنت؟ قال: لا والله، بل مسكين؛ يريد: أنا أسوأ حالاً من الفقير. والسادس: أن الفقير أمس حاجة من المسكين، وهذا مذهب أحمد، لأن الفقير مأخوذ من انكسار الفقار، والمسكنة مأخوذة من السكون والخشوع، وذلك أبلغ. قال ابن الأنباري: ويروى عن الأصمعي أنه قال: المسكين أحسن حالاً من الفقير. وقال أحمد بن عبيد: المسكين أحسن حالاً من الفقير، لأن الفقير أصله في اللغة: المفقور الذي نزع فقرة من فقر ظهره، فكانه انقطع ظهره من شدة الفقر؛ فصُرف عن مفقور إلى فقير، كما قيل: مجروح وجريح، ومطبوخ وطبخ، قال الشاعر:

لَمَّا رَأَى لُبْدَ النَّسُورِ تَطَايَرَتْ

رَفَعَ الْقَوَادِمَ كَالْفَقِيرِ الْأَعْزَلِ<sup>(٢)</sup>

قال: ومن الحجة لهذا القول قوله: ﴿أَمَّا السَّقِينَةُ فَكَانَتْ لِسَكِينٍ يَمْشُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ رِزْقُهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ١٧٩]، فوصف بالمسكنة من له سفينة تساوي مالاً؛ قال: وهو الصحيح عندنا. قوله تعالى: ﴿وَالْكَمِيلَيْنِ عَلَيْهَا﴾ وهم السعاة لجباية الصدقة، يُعْطَوْنَ منها بقدر أجور أمثالهم، وليس ما يأخذونه بركة.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ﴾ وهم قوم كان رسول الله ﷺ يتألفهم على الإسلام بما يعطيهم، وكانوا ذوي شرف، وهم صنفان: مسلمون، وكافرون. فأما المسلمون، فصنفان؛ صنف كانت نيئاتهم في الإسلام ضعيفة، فتألفهم تقوية لنيئاتهم، كمُئِنَّة بن حصن، والأقرع؛ وصنف كانت نياتهم حسنة، فأعطوا تألفاً لعشائرهم من المشركين، مثل عدي بن حاتم. وأما المشركون، فصنفان؛ صنف يقصدون المسلمين بالأذى، فتألفهم دفعاً لأذاهم، مثل عامر بن الطفيل؛ وصنف كان لهم ميل إلى الإسلام، تألفهم بالعطية ليؤمنوا، كصفوان بن أمية. وقد ذكرت عدد المؤلفات في كتاب «التلقيح». وحكمهم باقي عند أحمد في رواية، وقال أبو حنيفة، والشافعي: حكمهم منسوخ. قال الزهري: لا أعلم شيئاً نسخ حكم المؤلفات قلوبهم.

قوله تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ قد ذكرنا في سورة [البقرة: ١٧٧].

قوله تعالى: ﴿وَالْمُكْرِمِينَ﴾ وهم الذين لزمهم الدين ولا يجدون القضاء. قال قتادة: هم ناس عليهم دين من غير فساد ولا إسراف ولا تبذير، وإنما قال هذا، لأنه لا يؤمن في حق المفسد إذا قُضِيَ دينه أن يعود إلى الاستدانة لذلك؛ ولا خلاف في جواز قضاء دينه ودفع الزكاة إليه، ولكن قتادة قاله على وجه الكراهية.

قوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني: الغزاة والمرابطين. ويجوز عندنا<sup>(٣)</sup> أن يعطى الأغنياء منهم والفقراء، وهو قول الشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يعطى إلا الفقير منهم. وهل يجوز أن يصرف من الزكاة إلى الحج، أم لا؟ فيه عن أحمد روايتان.

قوله تعالى: ﴿وَأَبْنِ السَّيْلِ﴾ هو المسافر المنقطع به، وإن كان له مال في بلده؛ قاله مجاهد، وقاتدة، وأبو حنيفة، وأحمد. فأما إذا أراد أن ينشئ سفراً، فهل يجوز أن يعطى؟ قال الشافعي: يجوز، وعن أحمد مثله؛ وقد ذكرنا في سورة [البقرة: ١٧٧] فيه أقوالاً عن المفسرين.

قوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ يعني أن الله افترض هذا.

(١) «ديوانه» ٥٥، «إصلاح المنطق» ٣٢٦، «الانتصاب» ١١٤، والحلوبة: الناقة التي تحلب، وقوله: وفق العيال، أي: لها لين قدر كفايتهم لا فضل فيه عنهم. وقيل: قدر ما يقوتهم، وكل شيء طابق شيئاً فهو وفق له. والسبد: الشعر. وقيل: الوبر. فإذا قيل: ماله سبد ولا ليد، فمعناه: ماله ذو وير ولا صوف متلب، يكتى بهما عن الإبل والغنم.

(٢) البيت للبيد، «ديوانه» ٢٧٤، «اللسان»: فقر، ومعجم البلدان ٦/٢٧٨، ومعجم مقاييس اللغة ٤/٩٠، «الحيوان» ٦/٣٢٦، وقوله: كالفقير، ويروى: كالمعير، ويروى: كالكسير. والأعزل: المائل اللذب توصف به الخيل. والقوادم: أربع رشاش في مقدم الجناح، الواحدة: قادمة، والفقير: المكسور الفقار، وهي ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العقب.

(٣) أي: عند الحنابلة.

## فصل

وحدُّ الغنى الذي يمنع أخذ الزكاة عند أصحابنا بأحد شيئين: أن يكون مالكاً لخمسين درهماً، أو عدلها من الذهب، سواء كان ذلك يقوم بكفايته، أو لا يقوم. والثاني: أن يكون له كفاية، إما من صناعة، أو أجرة عقار، أو عروض للتجارة يقوم ربها بكفايته. وقال أبو حنيفة: الاعتبار في ذلك أن يكون مالكاً لتصاب تجب عليه فيه الزكاة. فأما ذوو القربى الذين تحرم عليهم الصدقة، فهم بنو هاشم، وبنو المطلب. وقال أبو حنيفة: تحرم على ولد هاشم، ولا تحرم على ولد المطلب. ويجوز أن يعمل على الصدقة من بني هاشم وبنو المطلب ويأخذ عمالته منها، خلافاً لأبي حنيفة. فأما موالى بني هاشم وبنو المطلب، فتحرم عليهم الصدقة، خلافاً لمالك. ولا يجوز أن يعطي صدقة من تلزمه نفقته؛ وبه قال مالك، والثوري. وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يعطي والداً وإن علا، ولا ولداً وإن سفل، ولا زوجة، ويعطي من عداهم. فأما الذمي؛ فلا كثرون على أنه لا يجوز إعطاؤه. وقال عبيد الله بن الحسن: إذا لم يجد مسلماً، أعطى الذمي. ولا يجب استيعاب الأصناف، ولا اعتبار عدد من كل صنف؛ وهو قول أبي حنيفة، ومالك؛ وقال الشافعي: يجب الاستيعاب من كل صنف ثلاثة. فأما إذا أراد نقل الصدقة من بلد المال إلى موضع تقصر فيه الصلاة، فلا يجوز له ذلك، فإن نقلها لم يجزئه؛ وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة؛ يكره نقلها، وتجزئه. قال أحمد: ولا يعطى الفقير أكثر من خمسين درهماً. وقال أبو حنيفة: أكره أن يعطى رجل واحد من الزكاة مائتي درهم، وإن أعطيته أجزأك. فأما الشافعي، فاعتبر ما يدفع الحاجة من غير حد. فإن أعطى من يظنه فقيراً، فبان أنه غني، فهل يجزئ؟ فيه عن أحمد روايتان.

﴿وَرَبُّهُمْ الْيَزِيدُ يُوْذُوْنَ النَّبِيَّ وَيَقُوْلُوْنَ هُوَ اُذُنٌ قُلْ اُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ بَيِّنٌ يُّبَيِّنُ الْاِلٰهَ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مِنْكُمْ وَالَّذِيْنَ يُوْذُوْنَ رَسُوْلًا مِّنْ اِلٰهِ هُمْ عَدَاۤئُكُمُ الْاِيْمُ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّهُمْ الْيَزِيدُ يُوْذُوْنَ النَّبِيَّ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن خذام بن خالد، والجلال بن سويد، وعبيد بن هلال في آخرين، كانوا يؤذون رسول الله ﷺ، فقال بعضهم لبعض: لا تفعلوا، فلنا نخاف أن يبلغه فيقع بنا، فقال الجلال: بل نقول ما شئنا، فإنما محمد أذن سامعة، ثم تأتيه فيصدقنا؛ فنزلت هذه الآية؛ قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن رجلاً من المنافقين يقال له: بُنْتَل بن الحارث، كان ينم حديث رسول الله ﷺ إلى المنافقين، فقيل له: لا تفعل؛ فقال: إنما محمد أذن، من حديثه شيئاً، صدقه؛ نقول ما شئنا، ثم تأتيه فنحلف له فيصدقنا، فنزلت هذه الآية؛ قاله محمد بن إسحاق<sup>(١)</sup>. والثالث: أن ناساً من المنافقين منهم جلاس بن سويد، ووديع بن ثابت، اجتمعوا، فأرادوا أن يقعوا في النبي ﷺ، وعندهم غلام من الأنصار يدعى عامر بن قيس، فحقوقه، فتكلموا وقالوا: لئن كان ما يقوله محمد حقاً، لنحن شر من الحمير، فغضب الغلام، وقال: والله إن ما يقوله محمد حق، وإنكم لشر من الحمير؛ ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فدعاهم فسألهم، فحلفوا أن عامراً كاذب، وحلف عامر أنهم كذبو، وقال: اللهم لا تفرق بيننا حتى تبين صدق الصادق، وكذب الكاذب؛ فنزلت هذه الآية، ونزل قوله: ﴿يَحْفَتُوْكَ يٰۤاِلٰهَ لَكُمْ لِيْمٌ يُّرْسُوْكُمْ﴾، قاله السدي<sup>(٢)</sup>. فأما الأذى فهو عيبه ونقل حديثه. ومعنى ﴿أُذُنٌ﴾ يقبل كل ما قيل له. قال ابن قتبية: الأصل في هذا أن الأذن هي السامعة، فقيل لكل من صدق بكل خبر يسمعه: أذن. وجمهور القراء يقرؤون ﴿هُوَ اُذُنٌ قُلْ اُذُنٌ﴾ بالتثنية. وقرأ نافع ﴿هو أذنٌ قل أذنٌ خيرٌ﴾ بإسكان الذال فيها. ومعنى ﴿أذنٌ خيرٌ لكم﴾ أي: أذن خير، لا أذن شر؛ يسمع الخير فيعمل به، ولا يعمل بالشر إذا سمعه. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، وابن يعمر، وابن أبي عتبة ﴿أذنٌ﴾ بالتثنية «خيرٌ» بالرفع. والمعنى: إن كان كما قلتم، يسمع منكم ويصدقكم، خيرٌ لكم من أن يكذبكم. قال أبو علي: يجوز أن تطلق الأذن على الجملة، كما قال الخليل: إنما سميت الناب من

(١) «الطبري» ٣٢٥/١٤، و «أسباب النزول» للواحدي ١٤٣، وأورد السيوطي في «الدر» وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) «أسباب النزول» للواحدي ١٤٣ من السدي، و «الطبري» ٣٢٩/١٤، و «الدر» ٣٣٠ عن قتادة سبباً لنزول الآية التي بعدها ﴿يَحْفَتُوْكَ يٰۤاِلٰهَ لَكُمْ لِيْمٌ يُّرْسُوْكُمْ﴾،

وأورد السيوطي كذلك في «الدر» ٢٥٣/٣ عن قتادة من طريق ابن أبي حاتم، وابن المنذر، وعن السدي من طريق ابن أبي حاتم.

الإبل، لمكان الباب البازل، فسميت الجملة كلها به، فأجروا على الجملة اسم الجارحة لإرادتهم كثرة استعماله لها في الإصغاء بها. ثم بين ممن يقبل، فقال: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن قتيبة: الباء واللام زائدتان؛ والمعنى: يصدق الله ويصدق المؤمنين. وقال الزجاج: يسمع ما ينزل الله عليه، فيصدق به، ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه به، ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي: وهو رحمة، لأنه كان سبب إيمان المؤمنين. وقرأ حمزة «ورحمته» بالخفض. قال أبو علي: المعنى: أذن خير ورحمة. والمعنى: مستمع خير ورحمة.

﴿يَخْلِفُونَكَ بِاللَّهِ لَكُمْ يُرِضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحْسَنُ أَنْ يُرِضُوهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَخْلِفُونَكَ بِاللَّهِ لَكُمْ يُرِضُوكُمْ﴾ قال ابن السائب: نزلت في جماعة من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك، فلما رجع النبي ﷺ، أتوا المؤمنين يعتذرون إليهم، ويحلفون ويعتلون. وقال مقاتل: منهم عبد الله بن أبي، حلف لا يتخلف عن رسول الله ﷺ، وليكوننَّ معه على عدوه. وقد ذكرنا في الآية التي قبلها أنهم حلفوا أنهم ما نطقوا بالعيب. وحكى الزجاج عن بعض النحويين أنه قال: اللام في «ليرضوكم» بمعنى القسم، والمعنى: يخلصون بالله لكم ليرضيتكم. قال: وهذا خطأ، لأنهم إنما حلفوا أنهم ما قالوا ما حكي عنهم ليُرضوا باليمين، ولم يحلفوا أنهم يُرضون في المستقبل. قلت: وقول مقاتل يؤكد ما أنكره الزجاج، وقد مال إليه الأخفش.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحْسَنُ أَنْ يُرِضُوهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: بالتوبة والإنابة. والثاني: بترك الطعن والعيب. فإن قيل؛ لم قال: «يُرضوه» ولم يقل: يرضوهم؟ فقد شرحنا هذا عند قوله: ﴿وَلَا يُفْقِدُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

﴿أَلَمْ يَلْمِزُوا أَنْتَ مَنْ يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَبْدَلَهُمْ لَكَ النَّارَ جَهَنَّمَ خَلِيفًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَلْمِزُوا﴾ روى أبو زيد عن المفضل «ألم تعلموا» بالشاء. «أَنْتَ مَنْ يُحَادِدُ اللَّهَ» فيه قولان: أحدهما: من يخالف الله، قاله ابن عباس. والثاني: من يعادي الله، كقولكم: من يُجانب الله ورسوله، أي: يكون في حد، والله ورسوله في حد.

قوله تعالى: ﴿فَأَبْدَلَهُمْ لَكَ النَّارَ جَهَنَّمَ﴾ قرأ الجمهور: «فإن» بفتح الهمزة. وقرأ أبو رزين، وأبو عمران، وابن أبي عبيدة: بكسرها. فمن كسر، فعلى الاستئناف بعد الفاء، كما تقول: فله نار جهنم. ودخلت «إن» مؤكدة. ومن قال: «فإن له» فإنما أعاد «أن» الأولى تأكيداً؛ لأنه لما طال الكلام، كان إعادتها أوكد.

﴿يَحْذَرُ الْكَافِرُونَ أَنْ تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ سُورَةً تُفْتِنُهُمْ يَمَّا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَغْفِرُوا إِنَّ اللَّهَ خَرِجَ مَا تَحْذَرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْكَافِرُونَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن المنافقين كانوا يعيرون رسول الله ﷺ فيما بينهم، ويقولون: عسى الله أن لا يفشي سرنا، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد. والثاني: أن بعض المنافقين قال: لوددت أني جُلِدت مائة جلدة، ولا ينزل فينا شيء يفضحنا، فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(١)</sup>. والثالث: أن جماعة من المنافقين وقفوا للنبي ﷺ في ليلة مظلمة عند مرجعه من تبوك ليفتكوا به، فأخبره جبريل ﷺ ونزلت هذه الآية، قاله ابن كيسان. وفي قوله: ﴿يَحْذَرُ الْكَافِرُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنه إخبار من الله ﷻ عن حالهم، قاله الحسن، وقتادة، واختاره ابن القاسم. والثاني: أنه أمر من الله ﷻ لهم بالحرص، فتقديره: ليحذر المنافقون، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: والعرب ربما أخرجت الأمر على لفظ الخبر، فيقولون: يرحم الله المؤمن، ويعذب الكافر؛ يريدون: ليرحم وليعذب، فيسقطون اللام، ويُجروته مجرى الخبر في الرفع، وهم لا ينون إلا الدعاء؛ والدعاء مضارع للأمر.

قوله تعالى: ﴿قُلِ اسْتَغْفِرُوا﴾ هذا وعيد خرج مخرج الأمر تهديداً. وفي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَرِجَ مَا تَحْذَرُونَ﴾ وجهان: أحدهما: مظهر ما تُسِرُّون. والثاني: ناصر من تخلفون، ذكرهما الماوردي.

﴿وَلَكِنْ مَسَّ النَّفْسَ أَنْ يَقُولَ: إِنَّا كُنَّا غُفُوشٌ وَلَكِنْ قُلْ إِيَّاكَ وَرَبِّيكَ. كَثُرَتْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ لَا تَسْتَهْزِئُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِسْلَامِكُمْ إِنْ تَقِفْ عَنْ طَاعَتِي عَنْكُمْ تَحْدِثُ طَائِفَةً بِأَنْتُمْ كَانُوا يُجْرِيكَ﴾



أولياء بعض، ﴿يَأْمُرُونَ بِالشُّكْرِ﴾ وهو الكفر، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ وهو الإيمان. وفي قوله: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ أربعة أقوال: أحدها: يقبضونها عن الإنفاق في سبيل الله، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد. والثاني: عن كل خير، قاله قتادة. والثالث: عن الجهاد في سبيل الله. والرابع: عن رفعها في الدعاء إلى الله تعالى، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿سُئِلَ اللَّهُ فَرَسِيهِمْ﴾ قال الزجاج: تركوا أمره، فتركهم من رحمته وتوفيقه. قال: وقوله: ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ أي: هي كفاية ذنوبهم، كما تقول: عَذْبُكَ حَسْبُ فَعْلِكَ، وحَسْبُ فلان ما نزل به، أي: ذلك على قدر فعله. وموضع الكاف في قوله: ﴿كَأَلَيْكَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ نصب، أي: وعدكم الله على الكفر به كما وعد الذين من قبلكم. وقال غيره: رجع عن الخبر عنهم إلى مخاطبتهم، وشبههم في العدول عن أمره بمن كان قبلهم من الأمم الماضية.

قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَمْتُمْوا عَلَى قِيَمِهِمْ﴾ قال ابن عباس: استمتعوا بنصيبتهم من الآخرة في الدنيا. وقال الزجاج: بحظهم من الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَحُشِّنَ﴾ أي: في الطعن على الذين وتكذيب نبيكم كما خاضوا. ﴿وَأُزْلِفَتْ حَبِلَتُ أَصْنَانِهِمْ فِي الدُّنْيَا﴾ لأنها لم تقبل منهم، وفي الآخرة، لأنهم لا يثابون عليها، ﴿وَأُزْلِفَتْ لَهُمُ الْخَيْرُونَ﴾ بفوت الثواب وحصول العقاب.

قوله تعالى: ﴿وَقَوِّرْ إِبْرَاهِيمَ﴾ قال ابن عباس: يريد نمرود بن كنعان ﴿وَأَصْحَابَ مَدْيَنَ﴾ يعني قوم شعيب. ﴿وَالْمُؤَيَّدِينَ﴾ قرى لوط. قال الزجاج: وهم جمع مؤنثكة، اتضفت بهم الأرض، أي: انقلبت. قال: ويقال: إِنَّهُمْ جَمِيعٌ مِنْ أَهْلِكَ، [كما] يقال للهالك: انقلبت عليه الدنيا.

قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ﴾ يعني هذه الأمم ﴿رُشِلْتُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فكذبوا بها، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ قال ابن عباس: ليهلكهم حتى يبعث فيهم نبياً ينذرهم، والمعنى أنهم أهلكوا باستحقاقهم.

﴿وَالْمُؤَيَّدُونَ وَالْمُؤَيَّدَتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ بِالْمَعْرُوفِ وَالْمَعْرُوفِ عَنِ الشُّكْرِ وَيُسْمِعُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْثِرُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤَيَّدِينَ وَالْمُؤَيَّدَتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ وَسَكَنٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُنَادِيهِمْ أَهْلُهَا أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٧٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤَيَّدُونَ وَالْمُؤَيَّدَتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي: بعضهم يوالي بعضاً، فهم يد واحدة، يأمرون بالإيمان، وينهون عن الكفر.

قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ قال أبو عبيدة: في جنات خُلد، يقال: عَدَنَ فلان بأرض كذا، أي: أقام، ومنه: المعْدِنُ، وهو في مَعْدِنٍ صدق، أي: في أصل ثابت. قال الأعشى:

وإن تَسْتَضِيفُوا إِلَى جِلْمِهِ تُضَافُوا إِلَى رَاجِحٍ قَدْ عَدَنَ<sup>(١)</sup>

أي: رزين لا يُسْتَخَف. قال ابن عباس: جنات عدن، هي بُطْنَانُ الْجَنَّةِ، وَبُطْنَانُهَا: وسطها، وهي أعلى درجة في الجنة، وهي دار الرحمن ﷻ، وسقفها عرشه، خلقها بيده، وفيها عين التنسيم، والجنان حولها محدقة بها.

قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ زَكَةَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال ابن عباس: أكبر مما يوصف. وقال الزجاج: أكبر مما هم فيه من النعيم. فإن قيل: لم كان الرضوان أكبر من النعيم؟ فتنه جوابان: أحدهما: أن سرور القلب برضى الرب نعيم يختص بالقلب، وذلك أكبر من نعيم الأكل والشرب. وفي حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «يقول الله ﷻ لأهل الجنة: يا أهل الجنة، هل رضيتم؟ فيقولون: رينا وما لنا لا نرضى، وقد أعطينا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أفلا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم أبداً<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن الموجب للنعيم الرضوان، والموجب ثمرة الموجب، فهو الأصل.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ وَأَمْرُهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَعِيرُ ٧٣﴾

(١) «ديوانه» ١٧، و«مجاز القرآن» ١/ ٢٦٤، و«الطبري» ١٤/ ٣٥٠، و«اللسان»: وزن. واستضاف إليه: لجأ إليه عند الحاجة.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ١١/ ٣٦٣ - ٣٦٤، و«مسلم» ٤/ ٢١٧٦.



قوله تعالى: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أما جهاد الكفار، فبالسيف. وفي جهاد المنافقين قولان: أحدهما: أنه باللسان، قاله ابن عباس، والحسن، والضحاك، والربيع بن أنس. والثاني: جهادهم بإقامة الحدود عليهم، روي عن الحسن، وقناة. فإن قيل: إذا كان رسول الله ﷺ قد أمر بجهادهم وهو يعلم أعيانهم، فكيف تركهم بين أظهر أصحابه فلم يقتلهم؟ فالجواب: أنه إنما أمر بقتال من أظهر كلمة الكفر وأقام عليها، فأما من إذا أطلع على كفره، أنكر وحلف وقال: إني مسلم، فإنه أمر أن يأخذه بظاهر أمره، ولا يبحث عن سره.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَظَ عَلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس: يريد شدة الانتهاز لهم، والنظر بالبغضة والمقت. وفي الهاء والميم من «عليهم» قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى الفريقين، قاله ابن عباس. والثاني: إلى المنافقين، قاله مقاتل. ﴿يَحْلُوتُ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَوْمًا يُبَالَوْنَ وَمَا تَقَمُّوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَبْتَغُوا يَكُونُوا يَعْزُوبُ اللَّهُ عَنَّا أَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ دَرَجَةٍ وَلَا يُصِيبُ» (٧٤)

قوله تعالى: ﴿يَحْلُوتُ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ ذكر المنافقين فعابهم؛ فقال الجلاس بن سويد: إن كان ما يقول على إخواننا حقاً، لنحن شر من الحمير. فقال عامر بن قيس: والله إنه لصق، ولأنتم شر من الحمير؛ وأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فأتى الجلاس فقال: ما قلت شيئاً، فحلفا عند المنبر، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وذهب إلى نحوه الحسن، ومجاهد، وابن سيرين. والثاني: أن عبد الله بن أبي قال: والله لئن رجعنا إلى المدينة، ليخرجن الأعرض منها الأذل، فسمعه رجل من المسلمين، فأخبر رسول الله ﷺ، فأرسل إليه، فجعل يحلف بالله ما قال، فنزلت هذه الآية، قاله قناة. والثالث: أن المنافقين كانوا إذا خلوا، سبوا رسول الله ﷺ وأصحابه، وطعنوا في الدين؛ فنقل حذيفة إلى رسول الله ﷺ بعض ذلك، فحلفوا ما قالوا شيئاً، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك. فأما كلمة الكفر، فهي سبهم رسول الله ﷺ، وطعنهم في الدين. وفي سبب قوله: ﴿وَهُمْ يَوْمًا يُبَالَوْنَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في ابن أبي حين قال: لئن رجعنا إلى المدينة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قناة. والثاني: أنها نزلت فيهم حين هموا بقتل رسول الله، رواه مجاهد عن ابن عباس، قال: والذي هم رجل يقال له: الأسود. وقال مقاتل: هم خمسة عشر رجلاً، هموا بقتله ليلة العقبة. والثالث: أنه لما قال بعض المنافقين: إن كان ما يقول محمد حقاً، فنحن شر من الحمير؛ وقال له رجل من المؤمنين: لأنتم شر من الحمير، هم المنافق بقتله؛ فذلك قوله: ﴿وَهُمْ يَوْمًا يُبَالَوْنَ﴾، هذا قول مجاهد. والرابع: أنهم قالوا في غزوة تبوك: إذا قدمنا المدينة، عقدنا على رأس عبد الله بن أبي تاجاً نباهي به رسول الله ﷺ؛ فلم ينالوا ما هموا به.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَقَمُّوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ﴾ قال ابن قتيبة: أي: ليس ينقمون شيئاً، ولا يتعرفون من الله إلا الصنع، ومثله قول الشاعر:

مَا نَقَمَ النَّاسُ مِنْ أَمْنَةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ عَضِبُوا  
وَأَنَّهُمْ مَادَّةُ الْمُؤَلُّوكِ وَلَا تَضْلُحْ إِلَّا عَلَىٰ هُمُ الْعَرَبُ

وهذا ليس مما يُنقم، وإنما أراد، أن الناس لا ينقمون عليهم شيئاً، وكقول النابغة:

بِهِنَّ فَلَوْلَ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوءَهُمْ

أي: ليس فيهم عيب. قال ابن عباس: كانوا قبل قدوم النبي ﷺ المدينة في ضنك من معاشهم، فلما قدم عليهم غنموا، وصارت لهم الأموال. فعلى هذا، يكون الكلام عاماً. وقال قناة: هذا في عبد الله بن أبي. وقال عروة: هو

(١) البيتان لعبد الله بن قيس الرقيات «ديوانه» ٤، و«الكامل» ٦٤٨، و«طبقات فحول الشعراء» ٥٣٣، و«مجاز القرآن» ١٧٠/١، و«الأغاني» ١٦٠/٤، و«غريب القرآن» ١٩٠، و«السمط» ٢٩٥، و«شواهد المغني» ٢١١، و«الخزانة» ٦٢٨/٣.

(٢) «ديوانه» ١١، و«مختار الشعر الجاهلي» ١٦١، و«العمدة» ٤٥/٢، و«الصناعتين» ٤٠٨.

الجلال بن سويد، قُتل له مولى، فأمر له رسول الله ﷺ بدينه، فاستغنى؛ فلما نزلت ﴿فَإِنْ يَكُونُوا بِكَ حِزْبًا لَّسْتَ بِالْعَالِمِ﴾ قال الجلاس: أنا أتوب إلى الله.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكُونُوا﴾ أي: يعرضوا عن الإيمان. قال ابن عباس: كما تولى عبد الله بن أبي، ﴿يَعِدُّهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل، وفي الآخرة بالنار.

﴿وَمَنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٧٥)

قوله تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري، أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال: «ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره، خير من كثير لا تطبيقه» قال: ثم قال مرة أخرى، فقال: «أما ترضى أن تكون مثل نبي الله؟ فوالذي نفسي بيده، لو شئت أن تسير معي الجبال ذهباً وفضة، لساوت» فقال: والذي بعثك بالحق، لئن دعوت الله أن يرزقني مالاً، لأوتين كل ذي حق حقه. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارزق ثعلبة مالاً» فاتخذ غنماً، فنمت، فضاقت عليه المدينة، فتنحى عنها، ونزل وادياً من أوديتها، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة، ويترك ما سواهما. ثم نمت، حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، ثم نمت، فترك الجمعة. فسأل عنه رسول الله ﷺ، فأخبر خبره، فقال: «يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة!» وأنزل الله تعالى: ﴿حُذِّرْ مَنْ أَتَزَكَّىٰ صَدَقَ﴾ [التوبة: ٩]، وأنزل فرائض الصدقة؛ فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة، وكتب لهما كتاباً يأخذان الصدقة، وقال: «فمرا بشعلبة، وبفلان» رجل من بني سليم، فخرجا حتى أتيا ثعلبة، فسألاه الصدقة، وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: «ما هذا إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، ما أدري ما هذا، انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إلي». فانطلقا؛ فأخبر السلمي، فاستقبلهما بخيار ماله، فقالا: لا يجب هذا عليك؛ فقال: خذاه، فلن نفسي بذلك طيبة؛ فأخذاه منه. فلما فرغا من صدقتهما، مرا بشعلبة فقال: أروني كتابكما، فقال: ما هذه إلا أخت الجزية، انطلقا حتى أرى رأيي، فانطلقا، فأخبرا رسول الله ﷺ بما كان، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾، وكان عند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فخرج إلى ثعلبة، فأخبره؛ فأتى رسول الله، وسأله أن يقبل منه صدقته، فقال: «إن الله قد منعني أن أقبل منك صدقتك»؛ فجعل يحشو التراب على رأسه. فقال: «هذا عملك، قد أمرتك فلم تطعني». فرجع إلى منزله. وقُبِض رسول الله، ولم يقبل منه شيئاً، فلما ولي أبو بكر، سأله أن يقبل منه، فأبى. فلما ولي عمر، سأله أن يقبل منه، فأبى. فلما ولي عثمان، سأله أن يقبلها؛ فقال: لم يقبلها رسول الله ولا أبو بكر ولا عمر، فلم يقبلها؛ وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه. روى هذا الحديث القاسم عن أبي أمامة الباهلي<sup>(١)</sup>. قال ابن عباس: مر ثعلبة على مجلس، فأشهدهم على نفسه: لئن آتاني الله من فضله، آتيت كل ذي حق حقه، وفعلت كذا وكذا. فاتاه الله من فضله، فأخلف ما وعد؛ فقص الله علينا شأنه. والثاني: أن رجلاً من بني عمرو بن عوف، كان له مال بالشام، فأبطأ عنه، فجهد له جهداً شديداً، فحلف بالله لئن آتانا من فضله، أي: من ذلك المال، لأصدقن منه، ولأصلن، فاتاه ذلك المال، فلم يفعل، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس. قال ابن السائب: والرجل حاطب بن أبي بلتعة. والثالث: أن ثعلبة، ومعتب بن قشير، خرجا على ملأ، فقالا: والله لئن رزقنا الله لنصدقن. فلما رزقهما، بخلا به، فنزلت هذه الآية، قاله الحسن، ومجاهد. والرابع: أن نبتل بن الحارث، وجد بن قيس، وثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير، قالوا: لئن آتانا الله من فضله لنصدقن. فلما آتاهم من فضله بخلوا به، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك. فأما التفسير، فقله: ﴿وَمَنْهُمْ﴾ يعني المنافقين ﴿مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ أي: علي عهد الله ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ الأصل: لنصدقن، فأدغمت التاء في الصاد لقربها منها. ﴿وَلَنَكُونُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: لنعملن ما يعمل أهل الصلاح في أموالهم من صلة الرحم والإنفاق في الخير. وقد روى كهمس عن معبد بن ثابت أنه قال: إنما هو شيء نؤوه في أنفسهم ولم يتكلموا به؛ ألم تسمع إلى قوله: ﴿أَلَمْ يَكُونُوا أَعْدَاؤَ اللَّهِ يَكْلَمُ الْغَوَّاسُ﴾؟

(١) «الطبري» ١٤/٣٧١ - ٣٧٢ وخروجه البوشني في «المجمع» ٧/٣١ - ٣٢ وقال: رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الألهماني وهو متروك. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف»: رواه الطبراني، والبيهقي في «الدلائل» و«الشعب» وابن أبي حاتم، والطبري، وابن مرفوعه، كلهم من طريق علي بن يزيد الألهماني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة، وقال: وهذا إسناد ضعيف جداً.

﴿لَقَدْ آتَيْنَهُم مِّن فَضْلِهِمْ يَجْلُوا بِهِمْ وَيَقُولُوا وَهُمْ تُعْرِضُونَ﴾ (٧٦)

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ آتَيْنَهُم مِّن فَضْلِهِمْ﴾ أي: ما طلبوا من المال: ﴿يَجْلُوا بِهِمْ﴾ ولم يفوا بما عاهدوا ﴿وَيَقُولُوا وَهُمْ تُعْرِضُونَ﴾ عن عهدهم.

﴿فَأَعْقَبْتَهُمْ نِقَافًا فِي قَوْلِهِمْ إِنْ يَأْتُوا بِقَوْلِهِمْ يَمَّا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ (٧٨)

قوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبْتَهُمْ﴾ أي: صيّر عاقبة أمرهم النفاق. وفي الضمير في «أعقبهم» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله، فالمعنى: جازاهم الله بالنفاق، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنها ترجع إلى البخل، فالمعنى: أعقبهم ببخلهم بما نذرنا نفاقاً، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ يعني المنافقين: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ وهو ما في نفوسهم ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ حديثهم بينهم.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٩)

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لَنَعْيٍ عن صاع هذا، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، قاله أبو مسعود<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن عبد الرحمن بن عوف جاء بأربعين أوقية من ذهب، وجاء رجل من الأنصار بصاع من طعام؛ فقال بعض المنافقين: والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلا رياء، وإن كان الله ورسوله لَنَعْنِينَ عن هذا الصاع، قاله ابن عباس<sup>(٣)</sup>. وفي هذا الأنصاري قولان: أحدهما: أنه أبو خيثمة، قاله كعب بن مالك. والثاني: أنه أبو عقيل. وفي اسم أبي عقيل ثلاثة أقوال: أحدها: عبد الرحمن بن يَسْجَانَ، رواه أبو صالح عن ابن عباس؛ ويقال: ابن يَسْجَانَ؛ ويقال: سَيْحَان<sup>(٤)</sup>. وقال مقاتل: هو أبو عقيل بن قيس. والثاني: أن اسمه الْخَبْجَاب، قاله قتادة. والثالث: الْخُبَاب. قال قتادة: جاء عبد الرحمن بأربعة آلاف، وجاء عاصم بن عدي بن الْعَجْلَان بمائة وَسَق من تمر. و ﴿يَلْمِزُونَ﴾ يعني يعيبون. و ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ أي: المتطوعين، قال الفراء: أَدْعَمَتِ التَّاء في الطَّاء، فصارت طَاءً مشددة. والجُهد لغة أهل الحجاز، ولغة غيرهم الجُهد. قال أبو عبيدة: الجُهد، بالفتح والضم سواء، ومجازه: طاقتهم. وقال ابن قتيبة: الجُهد: الطاقة؛ والجُهد: المشقة. قال المفسرون: عُني بالمطَّوِّعِينَ عبدُ الرحمن، وعاصم، وبالذين لا يجدون إلا جهدهم: أبو عقيل. وقوله: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي: جازاهم على فعلهم، وقد سبق هذا المعنى.

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ كُفْرًا بِآلِهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٨٠)

قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ سبب نزولها: أنه لما نزل وعيد اللامزين قالوا: يا رسول الله استغفر لنا، فنزلت هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «سوف استغفر لهم أكثر من سبعين، لعل الله يغفر لهم»؛ فنزل قوله: ﴿سَوْءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٤٦]، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وظاهر قوله: «استغفر لهم» الأمر، وليس كذلك؛ إنما المعنى: إن استغفرت، وإن لم تستغفر، لا يُغْفَرُ لَهُمْ، فهو كقوله: ﴿أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [التوبة: ٥٣]، وقد سبق شرح هذا المعنى هناك، هذا قول المحققين. وذهب قوم إلى أن ظاهر اللفظ يعطي أنه إن زاد على

(١) «الطبري» ٣٨٨/١٤، «البخاري» ٢٣٤/٣، و٢٤٩/٨، و«مسلم» ١٠٥/٧، وأسباب النزول، للواحيدي ١٤٦، وأورده السيوطي في «الدر» ٣٢٢/٣ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وأبي نعيم في «المعرفة».

(٢) في الأصل: ابن مسعود، وكذا جاء في «الدر» وهو خطأ، والتصويب من المراجع التي ذكرت في التعليق السابق، وأبو مسعود: هو أبو مسعود الأنصاري البصري، واسمه عتبة بن عمرو بن ثعلبة، صاحب رسول الله ﷺ شهد العقبة.

(٣) «الطبري» ٣٨٢/١٤، وأورده السيوطي في «الدر» وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٤) انظر «فتح الباري» ٢٤٩/٨، فقد استوفى الحافظ ابن حجر الكلام على أبي عقيل هذا.

السبعين، رجي لهم الغفران. ثم نسخت بقوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾. فإن قيل: كيف جاز أن يستغفر لهم، وقد أخبر بأنهم كفروا؟ فالجواب: أنه إنما استغفر لقوم منهم على ظاهر إسلامهم من غير أن يتحقق خروجهم عن الإسلام، ولا يجوز أن يقال: علم كفرهم ثم استغفر. فإن قيل: ما معنى حصر العدد بسبعين؟ فالجواب: أن العرب تستكثر في الأحاد من سبعة، وفي العشرات من سبعين.

﴿تَرَى الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرْبِ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تَرَى الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ﴾ يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك. والمخلف: المتروك خلف من مضى. «بمقعدهم» أي: بقعودهم. وفي قوله: ﴿خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: بعد رسول الله ﷺ، قاله أبو عبيدة. والثاني: أن معناه: مخالفة رسول الله ﷺ، وهو منصوب، لأنه مفعول له، فالمعنى: بأن قعدوا لمخالفة رسول الله ﷺ، قاله الزجاج. وقرأ ابن مسعود، وابن عمر، والأعمش، وابن أبي عبيدة: «خَلَفَ رسول الله»، ومعناها: أنهم تأخروا عن الجهاد. وفي قوله: ﴿لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرْبِ﴾ قولان: أحدهما: أنه قول بعضهم لبعض، قاله ابن إسحاق، ومقاتل. والثاني: أنهم قالوه للمؤمنين، ذكره الماوردي. وإنما قالوا هذا، لأن الزمان كان حينئذٍ شديد الحر. ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ لمن خالف أمر الله. وقوله: ﴿يَفْقَهُونَ﴾ معناه: يعلمون. قال ابن فارس: الفقه: العلم بالشيء. تقول: فقهت الحديث أفقهه؛ وكل علم بشيء: فقه. ثم اختص به علم الشريعة، فقيل لكل عالم بها: فقيه. قال المصنف: وقال شيخنا علي بن عبيد الله: الفقه في إطلاق اللغة: الفهم، وفي عرف الشريعة: عبارة عن معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بأفعال المكلفين، بنحو التحليل، والتحرير، والإيجاب، والإجزاء، والصحة، والفساد، والغرم، والضمان، وغير ذلك. وبعضهم يختار أن يقال: الفقه: فهم الشيء. وبعضهم يختار أن يقال: علم الشيء.

﴿تَلَيَّسَكُمْ قَلِيلًا وَلَيْسَكُمَا كَثِيرًا جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تَلَيَّسَكُمْ قَلِيلًا﴾ لفظه لفظ الأمر، ومعناه التهديد. وفي قلته ضحكهم وجهان: أحدهما: أن الضحك في الدنيا، لكثرة حزنها وهمومها، قليل، وضحكهم فيها أقل، لما يتوجه إليهم من الوعيد. والثاني: أنهم إنما يضحكون في الدنيا، ويقاؤها قليل. ﴿وَلَيْسَكُمَا كَثِيرًا﴾ في الآخرة. قال أبو موسى الأشعري: إن أهل النار ليكون الدموع في النار، حتى لو أجمعت السفن في دموعهم لجرت، ثم إنهم ليكون الدم بعد الدموع، فلمثل ما هم فيه فليكني. قوله تعالى: ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: من النفاق والمعاصي.

﴿إِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْرَكَ لَمْ يُخْرِجْ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقْبِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْبِلُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ﴾ أي: ردك من غزوة تبوك إلى المدينة ﴿إِلَى طَائِفَةٍ﴾ من المنافقين الذين تخلفوا بغير عذر. وإنما قال: ﴿إِلَى طَائِفَةٍ﴾ لأنه ليس كل من تخلف عن تبوك كان منافقاً. ﴿فَاسْتَدْرَكَ لَمْ يُخْرِجْ﴾ معك إلى الغزو، ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا إِلَى غَزَاةٍ﴾، ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ﴾ عني ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حين لم تخرجوا إلى تبوك. وذكر الماوردي في قوله: ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ قولين: أحدهما: أول مرة دُعيتهم. والثاني: قبل استئذانكم. فأما الخالفون، فقال أبو عبيدة: الخالف: الذين خلف بعد شاخص، فقد في رحله، وهو الذي يتخلف عن القوم. وفي المراد بالخالفين قولان: أحدهما: أنهم الرجال الذين تخلفوا لأعداء، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم النساء والصبيان، قاله الحسن، وقتادة.

﴿وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَكَيْشُوتَ ﴿٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ سبب نزولها: أنه لما توفي عبد الله بن أبي، جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ، فقال: أعطني قميصك حتى أكفنه فيه، وصل عليه، واستغفر له. فأعطاه قميصه؛ فقال: آذني أصلي عليه، فأذنه؛ فلما

أراد أن يصلي عليه، جذبه عمر بن الخطاب، وقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟ فقال: «أنا بين خيرتين: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾» [التوبة: ٨١] فصلى عليه، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، رواه نافع عن ابن عمر. قال قتادة: «ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «ما يغني عنه قميصي من عذاب الله تعالى، والله إني لأرجو أن يسلم به ألف من قومه»<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رآوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله ﷺ، وأراد الصلاة عليه. فأما قوله: «منهم» فإنه يعني المنافقين. وقوله: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ، إذا دفن الميت، وقف على قبره ودعا له<sup>(٣)</sup>؛ فنهى عن ذلك في حق المنافقين. وقال ابن جرير: معناه لا تتولّ دفنه؛ وهو من قولك: قام فلان بأمر فلان؛ وقد تقدم تفسيره.

﴿وَلَا تُشْجِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُغْنِيَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَيُزَكِّيَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٨٥) وَإِذَا أُنذِرَتْ سُرُورٌ أَدَّ مَائِمُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطُّوَلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَحْنُ مَعَ الْكَافِرِينَ (٨٦) رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَأَمْوَالُهُمْ لَا يَفْقَهُوهُمْ (٨٧) لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْمَنَاصِبُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨٩) ﴿وَلَا تُشْجِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ سبق تفسيره [التوبة: ٥٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُنذِرَتْ سُرُورٌ﴾ هذا عام في كل سورة. وقال مقاتل: المراد بها سورة (براءة).  
قوله تعالى: ﴿أَنْ مَائِمُوا﴾ أي: بأن آمنوا. وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: استديموا الإيمان. والثاني: افعلوا فعل من آمن. والثالث: آمنوا بقلوبكم كما آمنتم بالستكم، فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين.  
قوله تعالى: ﴿اسْتَأْذَنَكَ﴾ أي: في التخلف ﴿أُولُو الطُّوَلِ﴾ يعني الغنى، وهم الذين لا عذر لهم في التخلف. وفي «الخوالف» قولان: أحدهما: أنهم النساء، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقاتدة، وشمر بن عطية، وابن زيد، والضراء. وقال أبو عبيدة: يجوز أن تكون الخوالف هاهنا النساء، ولا يكادون يجمعون الرجال على تقدير فواعل، غير أنهم قد قالوا: فارس، والجميع: فوارس، وهالك [في قوم] هوالك. قال ابن الأنباري: الخوالف لا يقع إلا على النساء، إذ العرب تجمع فاعلة: فواعل؛ فيقولون: ضاربة، وضارب، وشاتمة، وشواتم؛ ولا يجمعون فاعلاً: فواعل، إلا في حرفين: فوارس، وهوالك؛ فيجوز أن يكون مع الخوالف: المتخلفات في المنازل. ويجوز أن يكون: مع المتخلفات العاصيات. ويجوز أن يكون: مع النساء العجزة اللاتي لا مدافعة عندهن. والقول الثاني: أن الخوالف: خساس الناس وأدنياؤهم؛ يقال: فلان خالفة أهله؛ إذا كان دونهم، ذكره ابن قتيبة؛ فأما «طَبَعَ»، فقال أبو عبيدة: معناه: ختم. و«الخيرات» جمع خيرة. وللمفسرين في المراد بالخيرات ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الفاضلات من كل شيء، قاله أبو عبيدة. والثاني: الجواري الفاضلات، قاله المبرّد. والثالث: غنائم الدنيا ومنافع الجهاد، ذكره الماوردي.

﴿وَبَلَدَ الْمُعَذَّرُونَ مِنْ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٩٠)  
قوله تعالى: ﴿وَبَلَدَ الْمُعَذَّرُونَ﴾ وقرأ ابن مسعود: «المعتذرون». وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وقاتدة، وابن يعمر، ويعقوب «المُعَذَّرُونَ» بسكون العين وتخفيف الذال. وقرأ ابن السميع «المعاذرون» بالفتح. قال أبو عبيدة: المعتذرون من يعتذر وليس بجاد، وإنما يعرض بما لا يفعله، أو يظهر غير ما في نفسه. وقال ابن قتيبة: يقال: عذرت في الأمر؛ إذا قصرت، وأعذرت: جددت. وقال الزجاج: من قرأ «المُعَذَّرُونَ» بتشديد الذال، فتأويله: المعتذرون الذين يعتذرون، كان لهم عذر، أو لم يكن، وهو هاهنا أشبه بأن يكون لهم عذر، وأنشدوا:

- (١) «الطبري» ٤٠٦/١٤، و«البخاري» ١١٠/٣، و«أبو داود» ٢٥١/٨ - ٢٥٥، و«مسلم» ١٧/١٢١، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٦٦/٣، وزاد نسيه لابن أبي حاتم، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل».
- (٢) «الطبري» ٤١٠/١٤، والسيوطي في «الدر» ٢٦٦/٢.
- (٣) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل» رواه أبو داود رقم (٣٢٢١) وهو حديث صحيح، وفيه دلالة على مشروعية الاستغفار للميت عند الفراغ من دفنه، وسؤال التثبيت له، أي: أن ينثه الله في الجواب، وفيه دلالة على سؤال القبر، وقد ورد في ذلك أحاديث صحيحة كثيرة.

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا

وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اغْتَنَزَ<sup>(١)</sup>

أي: فقد جاء بعذر. ويجوز أن يكون «المعذرون» الذين يعذرون، يوهمون أن لهم عذراً، ولا عذر لهم. ويجوز في النحو: المعذرون؛ بكسر العين، والمُعذرون؛ بضم العين، غير أنه لم يُقرأ بهما، لأن اللفظ بهما يثقل. ومن قرأ «المعذرون» بتسكين العين، فتأويله: الذين أعذروا وجاؤوا بعذر. وقال ابن الأنباري: المعذرون هاهنا: المعتذرون بالعذر الصحيح. وأصل الكلمة عند أهل النحو: المعتذرون، فحوّلت فتحة التاء إلى العين، وأبدلت الـذال من التاء، وأدغمت في الـذال التي بعدها، فصارتا ذالاً مشددة. ويقال في كلام العرب: اعتذر: إذا جاء بعذر صحيح، وإذا لم يأت بعذر. قال الله تعالى: ﴿ثَلَّ لَا مَقْزُورٌ﴾ فدل على فساد العذر، وقال لبيد:

وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اغْتَنَزَ

أي: فقد جاء بعذر صحيح. وكان ابن عباس يقرأ «المعذرون» ويقول: لعن الله المعتذرين. يريد: لعن الله المقصّرين من المنافقين وغيرهم. والمعتذرون: الذين يأتون بالعذر الصحيح؛ فبان من هذا الكلام أن لهم عذراً على قراءة من خفف. وهل يثبت لهم عذر على قراءة من شدد؟ فيه قولان. قال المفسرون: جاء هؤلاء ليؤذّن لهم في التخلف عن تبوك، فأذن لهم رسول الله ﷺ، وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر وإظهار علّة، جرأة على الله تعالى.

﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُثُونَ حَرْجًا إِذَا نَضَحُوا بِآبِ رَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَلَّوْا لِتَحِيلَتِهِمْ فَعَلَّ لَا أَجِدَ مَا آخِذُكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَتْ نَفْسُكُمْ تَقِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرْجًا أَلَّا يَحْدُثُوا مَا يُفْقُونَ ﴿١٧﴾ ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَبْذِلُونَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَلَاحَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في عائذ بن عمرو وغيره من أهل العذر، قاله قتادة. والثاني: في ابن [أم] مكتوم، قاله الضحاك. وفي المراد بالضعفاء ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الزمنى والمشايخ الكبار، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنهم الصغار. والثالث: المجانين؛ سموا ضعافاً لضعف عقولهم، ذكر القولين الماوردي. والصحيح أنهم الذين يضعفون لزمانة، أو عَمَى، أو سِنًا، أو ضَعَفَ في الجسم. والمرضى: الذين بهم أعلال مانعة من الخروج للقتال، و ﴿الَّذِينَ لَا يَحْدُثُونَ﴾ هم المُقْلُونَ، والـحرج: الضيق في القعود عن الغزو بشرط النصح لله ولرسوله، وفيه وجهان: أحدهما: أن المعنى: إذا برثوا من النفاق. والثاني: إذا قاموا بحفظ الذراري والمنازل. فإن قيل بالوجه الأول، فهو يعم جميع المذكورين. وإن قيل بالثاني، فهو يخص المقلّين. وإنما شُرط النصح، لأن من تخلف بقصد السعي بالفساد، فهو مذموم؛ ومن النصح لله: حث المسلمين على الجهاد، والسعي في إصلاح ذات بينهم، وسائر ما يعود باستقامة الدين.

قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أي: من طريق بالعقوبة، لأن المحسن قد سد بإحسانه باب العقاب.

قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَلَّوْا لِتَحِيلَتِهِمْ﴾ نزلت في البكّائين، واختلف في عددهم وأسمائهم؛ فروى أبو صالح عن ابن عباس قال: من ستة: عبد الله بن مغفل، وصخر بن سلمان، وعبد الله بن كعب الأنصاري، وعُليّ بن زيد الأنصاري، وسالم بن عُمر، وثعلبة بن عتبة<sup>(٢)</sup>، أتوا رسول الله ﷺ ليحملهم، فقال: ﴿لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ فانصرفوا باكين<sup>(٣)</sup>. وقد ذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي مكان صخر بن سلمان: سلمة بن صخر، ومكان ثعلبة بن عتبة: عمرو بن عتبة. قال: وقيل منهم معقل بن يسار. وروى أبو إسحاق عن أشياخه أن البكّائين سبعة من الأنصار: سالم بن عُمر، وعُليّ بن زيد، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، وعمرو بن الحُمام بن الجموح، وعبد الله بن

(١) البيت للبيد: «هيواته» ٢١٤، و«مجاز القرآن» ١٦/١، و«الطبري» ١١٩/١، و«الأغاني» ٩٨/١٤، و«مشكل القرآن» ١٩٨، و«رسالة الغفران» ٤٢٩، و«المقد الفريد» ٤٩/١، و«الغزاة» ٢١٧/٢، و«اللسان» عذر. وقوله اعترف هنا، بمعنى أعتذر أي: بلغ أقصى الغاية في العذر.

(٢) ضبطه الحافظ في «الإصابة» بالعين المهملة، كما في الأصل، وفي «الطبري» بالعين المعجمة.

(٣) «سيرة ابن هشام» ٥١٨/٢، بنحوه، والسيوطي في «الدر» ٢٦٧/٢.

مغفل. وبعض الناس يقول: بل، عبد الله بن عمرو المزني، وعرباض بن سارية، وهرمي بن عبد الله أخو بني واقف. وقال مجاهد: نزلت في بني مقرن، وهم سبعة؛ وقد ذكروهم محمد بن سعد، فقال: النعمان بن عمرو بن مقرن. وقال أبو خيثمة: هو النعمان بن مقرن، وسويد بن مقرن، ومعقل بن مقرن، وسنان بن مقرن، وعقيل بن مقرن، وعبد الرحمن بن مقرن، وعبد الرحمن بن عقيل بن مقرن. وقال الحسن البصري: نزلت في أبي موسى وأصحابه. وفي الذي طلبوا من رسول الله ﷺ أن يحملهم عليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الدواب، قاله ابن عباس. والثاني: الزاد، قاله أنس بن مالك. والثالث: النعال، قاله الحسن.

﴿يَتَذَرُونَ لَكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَمْتَدِّزُوا لَنُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ لَكُمْ أَلْبَابَكُمْ رَسِيْرَى اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَزِدُّونَ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَالشَّهَادَةُ عَلَيْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَتَذَرُونَ لَكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْكُمْ﴾ قال ابن عباس: نزلت في المنافقين، يعتذرون إليكم إذا رجعت من غزوة تبوك، فلا تعذروهم فليس لهم عذر. فلما رجع رسول الله ﷺ أتوه يعتذرون، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا تَمْتَدِّزُوا﴾ لن نصدقكم، قد أخبرنا الله أنه ليس لكم عذر ﴿رَسِيْرَى اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ إن علمتم خيراً وتبتم من تخلفكم ﴿ثُمَّ تَزِدُّونَ﴾ بعد الموت ﴿إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَالشَّهَادَةُ عَلَيْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ﴾.

﴿سَيَعْلَنُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَدَّعْتُمْ جَزَاءً يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَنُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ قال مقاتل: حلف منهم بضعة وثمانون رجلاً، منهم جَدُّ بن قيس، ومُعْتَب بن قشير.

قوله تعالى: ﴿لِتَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: لتصفحوا عن ذنبهم. والثاني: لأجل إعراضكم. وقد شرحنا في [المائدة: ٩٠] معنى الرجس.

﴿يَعْلَنُونَ لَكُمْ لِرِضَا عَنْهُمْ فَلَمَّا رَضُوا عَنْهُمْ قَاتَ اللَّهُ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَعْلَنُونَ لَكُمْ لِرِضَا عَنْهُمْ﴾ قال مقاتل: حلف عبد الله بن أبي النبي ﷺ: لا أتخلف عنكم، ولا كونن معك على عدوك؛ وطلب منه أن يرضى عنه، وحلف عبد الله بن سعد بن أبي سرح لعمر بن الخطاب، وجعلوا يترضون النبي ﷺ وأصحابه، وكان رسول الله ﷺ قال لما قدم المدينة: ﴿لَا تَجَالِسُوهُمْ وَلَا تَكَلِّمُوهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَمْلِكُوا حَدْرَدَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا﴾ قال ابن عباس: نزلت في أعراب أسد وغطفان وأعراب من حول المدينة، أخبر الله أن كفرهم ونفاقهم أشد من كفر أهل المدينة، لأنهم أقسى وأجفى من أهل الحضر.

قوله تعالى: ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَمْلِكُوا﴾ قال الزجاج: «أن» في موضع نصب، لأن الباء محذوفة من «أن»، المعنى: أجدر بترك العلم. تقول: جدير أن تفعل، وجدير بأن تفعل، كما تقول: أنت خليف بأن تفعل، أي: هذا الفعل مسير فيك، فإذا حذفت الباء لم يصلح إلا بـ «أن»، وإن أتيت بالياء، صلح بـ «أن» وغيرها، فتقول: أنت جدير بأن تقوم، وجدير بالقيام. فإذا قلت: أنت جدير القيام، كان خطأ، وإنما صلح مع «أن» لأن «أن» تدل على الاستقبال، فكانها عوض من المحذوف. فاما قوله: ﴿حَدْرَدَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فيعني به الحلال والحرام والفرائض. وقيل: المراد بالآية أن الأعم في العرب هذا.

﴿وَرِزْقِ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذْ مَأْتِيقًا مَقَرَّمًا وَيَتَنَبَّضْ بِكَ الدَّوَابِّرَ عَلَيْهِمْ دَاكِيرَةُ السَّوَى وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَرِزْقِ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذْ مَأْتِيقًا﴾ إذا خرج في الغزو، وقيل: ما يدفعه من الصدقة ﴿مَقَرَّمًا﴾ لأنه لا يرجو له ثواباً. قال ابن قتيبة: المغرم: هو الغرم والخسر. وقال ابن فارس: الغرم: ما يلزم أداؤه، والغرام: اللزوم، وسمي الغريم لإلحاحه. وقال غيره: الغرم: التزام ما لا يلزم.

(١) أخرجه السيوطي في «الدرر» ٢٦٨/٣، من طريق ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، عن السدي بنحوه.

قوله تعالى: ﴿وَيَرْجِعُ﴾ أي: وينتظر ﴿يَكُ الدَّوَابُّ﴾ أي: دوائر الزمان بالمكروه، بالموت، أو القتل، أو الهزيمة. وقيل: ينتظر موت الرسول ﷺ، وظهور المشركين.

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو بضم السين. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عمر، وحمزة، والكسائي: «السَّوء» بفتح السين؛ وكذلك قرؤوا في سورة [الفتح: ٦]، والمعنى: عليهم يعود ما ينتظرونه لك من البلاء. قال الفراء: وفتح السين من السَّوء هو وجه الكلام. فمن فتح، أراد المصدر من: سُوَّءٌ سَوَاءٌ. ومن رفع السين، جعله اسماً، كقولك: عليهم دائرة البلاء والعذاب. ولا يجوز ضم السين في قوله: ﴿مَا كَانَ لِبُؤْيُوتِكَ أَمْرًا سَوَاءً﴾ [سرم: ٢٨] ولا في قوله: ﴿وَلَقَدْ نَتَنَّا ظَرْفَ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ١٢] لأنه ضدُّ لقولك: رَجُلٌ صِدْقٌ. وليس للسوء هاهنا معنى في عذاب ولا بلاء، فيضم.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَخَذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَةً عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ قال ابن عباس: وهم من أسلم من الأعراب، مثل جُهينة، وأسلم، وغفار. وفي قوله: ﴿وَيَخَذُ مَا يُنْفِقُ﴾ قولان: أحدهما: في الجهاد. والثاني: في الصدقة. فاما القربات، فجمع قُرْبَةٍ، وهي: ما يقرب العبد من رضى الله ومحبته. قال الزجاج: وفي القربات ثلاثة أوجه: ضم الراء، وفتحها، وإسكانها. وفي المراد بصلوات الرسول قولان: أحدهما: استغفاره، قاله ابن عباس. والثاني: دعاؤه، قاله قتادة، وابن قتيبة، والزجاج، وأنشد الزجاج:

عليك مثل الذي صليت فاعتجضي

قال: إن شئت قلت: مثل الذي، ومثل الذي؛ فالأول أمرٌ لها بالدعاء، كأنه قال: ادعي لي مثل الذي دعوت. والثاني: بمعنى: عليك مثل هذا الدعاء.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «قُرْبَةٍ» لهم خفيفة. وروى ورش، وإسماعيل بن جعفر عن نافع، وأبان، والمفضل عن عاصم: «قُرْبَةٍ» لهم بضم الراء. وفي المشار إليها وجهان: أحدهما: أن الهاء ترجع إلى نفقتهم وإيمانهم. والثاني: إلى صلوات الرسول. قوله تعالى: ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ قال ابن عباس: في جنته.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْمُتَجَرِّينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْمُتَجَرِّينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ فيهم ستة أقوال: أحدها: أنهم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ، قاله أبو موسى الأشعري، وسعيد بن المسيب، وابن سيرين، وقاتادة. والثاني: أنهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان، وهي الحديبية، قاله الشعبي. والثالث: أنهم أهل بدر، قاله عطاء بن أبي رباح. والرابع: أنهم جميع أصحاب رسول الله ﷺ، حصل لهم السبق بصحبته. قال محمد بن كعب القرظي: إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي ﷺ وأوجب لهم الجنة محسنهم ومسيئهم في قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْمُتَجَرِّينَ وَالْأَنْصَارِ﴾. والخامس: أنهم السابقون بالموت والشهادة، سبقوا إلى ثواب الله تعالى، ذكره الماوردي. والسادس: أنهم الذين أسلموا قبل الهجرة، ذكره القاضي أبو يعلى.

قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُتَجَرِّينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ قرأ يعقوب: «والأنصار» برفع الراء.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ من قال: إن السابقين جميع الصحابة، جعل هؤلاء تابعي الصحابة، وهم الذين لم يصحبوا رسول الله ﷺ. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: والذين اتَّبَعُوهُمْ بإحسان إلى أن تقوم الساعة.



ومن قال هم المتقدمون من الصحابة، قال: هؤلاء تبعوهم في طريقهم، واقتدوا بهم في أفعالهم، ففضل أولئك بالسبق، وإن كانت الصلبة حاصلة للكل. وقال عطاء: اتباعهم إياهم بإحسان: أنهم يذكرون محاسنهم ويترحمون عليهم.

قوله تعالى: ﴿تَجَسَّى تَحْتَهَا الْآلِهَتُ﴾ قرأ ابن كثير: «من تحتها» فزاد «من» وكسر التاء الثانية.

قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ يعم الكل. قال الزجاج: رضي الله أفعالهم، ورضوا ما جازاهم به.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَهُمُ سَعْدِيهِمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّوهُنَّ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَفِقُونَ﴾ قال ابن عباس: مزيعة، وجبهة، وأسلم، وغفار، وأشجع، كان فيهم بعد إسلامهم منافقون. قال مقاتل: وكانت منازلهم حول المدينة.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ﴾ قال ابن عباس: مرونا عليه وثبتوا، منهم عبد الله بن أبي، وجند بن قيس، والجلال، ومعتب، ووخوح، وأبو عامر الراهب. وقال أبو عبيدة: عتوا ومرنوا عليه، وهو من قولهم: تمرّد فلان، ومنه: شيطان مريد. فإن قيل: كيف قال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا﴾، وليس يجوز في الكلام: من القوم قعدوا؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن تكون «من» الثانية مردودة على الأولى؛ والتقدير: ومن حولكم من الأعراب ومن أهل المدينة منافقون، ثم استأنف «مردوا». والثاني: أن يكون في الكلام «من» مضمرة، تقديره: ومن أهل المدينة من مردوا؛ فأضمرت «من»، للدلالة «من» عليها، كقوله: ﴿وَمَا يَنبَغِي إِلَّا لَهُمْ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] يريد: إلا من له مقام معلوم؛ وعلى هذا ينقطع الكلام عند قوله: «منافقون». والثالث: أن «مردوا» متعلق بمنافقين، تقديره: ومن أهل المدينة منافقون مردوا، ذكر هذه الأجوبة ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ فيه وجهان: أحدهما: لا تعلمهم أنت حتى نُعَلِّمَكَ بهم. والثاني: لا تعلم عواقبهم.

قوله تعالى: ﴿سَعْدِيهِمْ مَّرَّتَيْنِ﴾ فيه عشرة أقوال: أحدها: أن العذاب الأول في الدنيا، وهو فضيحتهم بالنفاق، والعذاب الثاني: عذاب القبر، قاله ابن عباس. قال: وقام رسول الله ﷺ يوم جمعة خطيباً، فقال: «يا فلان اخرج فإنك منافق، ويا فلان اخرج»<sup>(١)</sup> ففضحهم. والثاني: أن العذاب الأول: إقامة الحدود عليهم. والثاني: عذاب القبر؛ وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أن أحد العذابين: الزكاة التي تؤخذ منه، والآخر: الجهاد الذي يؤمرون به، قاله الحسن. والرابع: الجوع، وعذاب القبر، رواه شبل عن ابن أبي نجيع عن مجاهد، وبه قال أبو مالك. والخامس: الجوع والقتل، رواه سفيان عن ابن أبي نجيع عن مجاهد. والسادس: القتل والسبي، رواه معمر عن ابن أبي نجيع عن مجاهد. وقال ابن قتبية: القتل والأسر. والسابع: أنهم عُذِّبُوا بالجوع مرتين، رواه خُصَيْف عن مجاهد. والثامن: أن عذابهم في الدنيا بالمصائب في الأموال والأولاد، وفي الآخرة بالنار، قاله ابن زيد. والتاسع: أن الأول: عند الموت، تضرب الملائكة وجوههم وأبدانهم، والثاني: في القبر بمنكر ونكير، قاله مقاتل بن سليمان. والعاشر: أن الأول بالسيف، والثاني عند الموت؛ قاله مقاتل بن حيان.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَرُدُّوهُنَّ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ يعني عذاب جهنم.

﴿وَالْآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنهم عشرة رهط تخلّفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فلما دنا رجوع رسول الله ﷺ، أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد. فلما رآهم رسول الله ﷺ، قال: «من هؤلاء؟» قالوا: هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلّفوا عنك، فأقسموا بالله لا يطلقون أنفسهم حتى تطلقهم أنت وتعذرهم، فقال: «وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله تعالى هو الذي يطلقهم، رغبوا

(١) «الطبري» ٤٤١/١٤ - ٤٤٢، وخرجه الهيثمي في «المجمع» ٣٣/٧، وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه الحسين بن عمرو بن محمد العنقري، وهو ضعيف. وأورده السيوطي في «الدر» وزاد نسبته لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

هني وتخلّفوا عن الغزو مع المسلمين» فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، فأرسل إليهم فأطلقهم وعذرهم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وروى العوفي عن ابن عباس أن الذين تخلّفوا كانوا ستة، فأوثق أبو لبابة نفسه ورجلان معه، وبقي ثلاثة لم يوثقوا أنفسهم فلما نزلت هذه الآية، أطلقهم رسول الله ﷺ وعذرهم<sup>(٢)</sup>. وروى أبو صالح عن ابن عباس أنهم كانوا ثلاثة: أبو لبابة بن عبد المنذر، وأوس بن ثعلبة، ووديعة بن حذام الأنصاري. وقال سعيد بن جبير، ومجاهد، وزيد بن أسلم: كانوا ثمانية. وقال قتادة: ذكر لنا أنهم كانوا سبعة. والثاني: أنها نزلت في أبي لبابة وحده. واختلفوا في ذنبه على قولين: أحدهما: أنه خان الله ورسوله بإشارته إلى بني قريظة حين شاوروه في النزول على حكم سعد أنه الذبيح، وهذا قول مجاهد<sup>(٣)</sup>، وقد شرحناه في [الأنفال: ٢٧]. والثاني: أنه تخلّف عن تبوك<sup>(٤)</sup>، قاله الزهري. فأما الاعتراف، فهو الإقرار بالشئ عن معرفة. والاعتراف بالذنب أدعى إلى صدق التوبة والقبول.

قوله تعالى: ﴿خَطَرُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرُ سَيِّئًا﴾ قال ابن جرير: وضع الواو مكان الباء، والمعنى: بآخري سيء، كما تقول: خلطت الماء واللبن. وفي ذلك العمل قولان: أحدهما: أن العمل الصالح: ما سبق من جهادهم، والسيء: التأخر عن الجهاد، قاله السدي. والثاني: أن العمل الصالح: توبتهم، والسيء: تخلّفهم، ذكره الفراء. وفي قوله: «عسى» قولان: أحدهما: أنه واجب من الله تعالى، قاله ابن عباس. والثاني: أنه ترديد لهم بين الطمع والإشفاق، وذلك يصد عن الله والإهمال.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ سَدَقَةً تَطْهَرُكُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ سَدَقَةً﴾ قال المفسرون: لما تاب الله ﷻ على أبي لبابة وأصحابه، قالوا: يا رسول الله، هذه أموالنا فتصدق به عنا، فقال: «ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً» فنزلت هذه الآية<sup>(٥)</sup>. وفي هذه الصدقة قولان: أحدهما: أنها الصدقة التي بذلوها تطوعاً، قاله ابن زيد، والجمهور. والثاني: الزكاة، قاله عكرمة.

قوله تعالى: ﴿تَطْهَرُكُمْ﴾ وقرأ الحسن «تطهرهم بها» بجزم الراء. قال الزجاج: يصلح أن يكون قوله: «تطهرهم» نعتاً للصدقة، كأنه قال: خذ من أموالهم صدقة مطهرة. والأجود أن يكون للنبي ﷺ، المعنى: فإنك تطهرهم بها ف «تطهرهم» بالجزم، على جواب الأمر، المعنى: إن تأخذ من أموالهم، تطهرهم. ولا يجوز في «تزكّيهم» إلا إثبات الياء، اتّباعاً للمصحف. قال ابن عباس: «تطهرهم» من الذنوب، «وتزكّيهم»: تصحّلهم. وفي قوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ قولان: أحدهما: استغفر لهم، قاله ابن عباس. والثاني: ادع لهم، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿إِنْ صَلَاتُكَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم «إن صلواتك» على الجمع. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم «إن صلاتك» على التوحيد. وفي قوله: ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ خمسة أقوال: أحدها: طمأنينة لهم أن الله قد قَبِلَ منهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال أبو عبيدة: تثبيت وسكون. والثاني: رحمة لهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: قُرْبَةٌ لهم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: وَقَارٌ لهم، قاله قتادة. والخامس: تزكية لهم، حكاه الثعلبي. قال الحسن، وقاتدة: وهؤلاء سوى الثلاثة الذين خَلَفُوا.

(١) «الطبري» ٤٤٧/١٤ - ٤٤٨، و «أسباب النزول» لإلواحي ١٤٨، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٧٢/٣، وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل».

(٢) «الطبري» ٤٤٨/١٤ - ٤٤٩، والسيوطي في «الدر» ٢٧٢/٣، وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٣) «الطبري» ٤٥١/١٤، والسيوطي في «الدر» ٢٧٢/٣، ونسبه لابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل» عن مجاهد مختصراً. وعن سعيد بن المسيب مطولاً ونسبه للبيهقي.

(٤) «الطبري» ٤٥٢/١٤، وقال: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: نزلت هذه الآية في المعتزتين بخطأ فعلهم في تخلّفهم عن رسول الله ﷺ وتركهم الجهاد معه، والخروج لغزو الروم حين شخص إلى تبوك، وأن الذين نزل ذلك فيهم جماعة، أحدهم أبو لبابة. وقال ابن كثير ٣٨٥/٢. وهذه الآية وإن كانت نزلت في أناس معينين، إلا أنها عامة في كل المذنبين الخطائين المخلفين المتلوّثين.

(٥) «الطبري» ٤٥٤/١٤ - ٤٥٥.

﴿أَنْزِلْ يَسْمَعُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُتَّقُونَ وَسَرُدُّونَ إِلَى عِلِّيِّ السَّيِّئَةِ وَيَتَذَكَّرُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْزِلْ يَسْمَعُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ﴾ قرأ الجمهور «يعلموا» بالياء. وروى عبد الوارث «تعلموا» بالتاء. وقوله: ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ قال أبو عبيدة: أي: من عبده، تقول: أخذته منك، وأخذته عنك.

قوله تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ قال ابن قتيبة: أي يقبلها. ومثله ﴿خُذِ الْقَمْرَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] أي: اقبله.

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾ قال ابن زيد: هذا خطاب للذين تابوا.

﴿وَأَخْرَجُوا مُرَجُوجَ اللَّهِ إِنَّهُمُ يَعْدُبُهُمْ وَإِنَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿١٠٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجُوا مُرَجُوجَ اللَّهِ﴾ وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي «مرجُون» بغير همز. والآية نزلت في كعب بن مالك، ومُرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وكانوا فيمن تخلف عن تبوك من غير عذر، ثم لم يبالغوا في الاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه، ولم يوثقوا أنفسهم بالسواوي؛ فوقف رسول الله ﷺ أمرهم، ونهى الناس عن كلامهم ومخالطتهم حتى نزل قوله: ﴿وَقُلِ الْفَالَسَةُ الْيَرِيكَ تَخْلَقُوا﴾ [التوبة: ١١٨]. قال الزجاج: «وأخرون» عطف على قوله: «ومن أهل المدينة»، فالمعنى: منهم منافقون، ومنهم «أخرون مُرَجُون» أي: مؤخرون؛ و «إما» لوقوع أحد الشيتين، والله تعالى عالم بما يصير إليه أمرهم، لكنه خاطب العباد بما يعلمون، فالمعنى: ليكن أمرهم عندكم على الخوف والرجاء.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بما يؤول إليه حالهم، حكيم بما يفعله بهم.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا شِرْكًَا وَكَفَرُوا وَتَقَرَّبُوا إِلَى الْكُفْرِ وَلَازَمُوا إِلَيْنَا حَرَكَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ لَكُمُ الْيَوْمَ﴾ ﴿١٠٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «والذين» بواو، وكذلك هي في مصاحفهم. وقرأ نافع، وابن عامر: «الذين» بغير واو، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام. قال أبو علي: من قرأ بالواو، فهو معطوف على ما قبله، نحو قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧٥]، ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَلُزِمُكَ﴾ [التوبة: ٥٨]، ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ [التوبة: ٦١]، والمعنى: ومنهم الذين اتخذوا مسجداً. ومن حذف الواو، فعلى وجهين: أحدهما: أن يضم - ومنهم الذين اتخذوا - كقوله: أكفرتم، المعنى: فيقال لهم: أكفرتم. والثاني: أن يضم الخبر بعد، كما أضمر في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالسَّجِدَ الْحَرَامَ﴾ [الحج: ٢٥]، المعنى: يُنتقم منهم ويعذبون. قال أهل التفسير: لما اتخذ بنو عمرو بن عوف مسجداً قباء، ويعثوا إلى رسول الله ﷺ، فأتاهم فصلى فيه؛ حسدهم إخوانهم بنو عثم بن عوف، وكانوا من منافقي الأنصار، فقالوا: نبني مسجداً، ونرسل إلى رسول الله ﷺ فيصلي فيه، ويصلي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام؛ وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية وتنصر، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، عاداه، فخرج إلى الشام، وأرسل إلى المنافقين أن أعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح، وابتوا لي مسجداً، فإني ذاهب إلى قيصر فأتي بجند الروم فأخرج محمداً وأصحابه، فبنوا هذا المسجد إلى جنب مسجد قباء؛ وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً: خِذام بن خالد ومن داره أخرج المسجد، وتبثل بن الحارث، وبيجاد بن عثمان، وثعلبة بن حاطب، ومُعْتَب بن قُشَيْر، وعَبَاد بن حُثَيْف، ووديعه بن ثابت، وأبو حبيبة بن الأزعر، وجارية بن عامر، وابناه يزيد<sup>(١)</sup> ومُجَمِّع؛ وكان مُجَمِّع إمامهم فيه، ثم صلحت حاله، وبخزج جد عبد الله بن حثيف، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ: «ما أردت بما أرى؟» فقال: والله ما أردت إلا الحسنى، وهو كاذب. وقال مقاتل: الذي حلف مُجَمِّع. وقيل: كانوا سبعة عشر؛ فلما فرغوا منه، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا قد ابتئنا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي فيه؛ فدعا بقميصه ليلسه، فنزل عليه القرآن وأخبره الله خبرهم، فدعا معن بن عدي، ومالك بن النخشم في آخرين، وقال: «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدموه

(١) كذا الأصل يزيد، والذي في «الطبري» و«سيرة ابن هشام»، و«ابن كثير»، و«الدرر»: «زيد».

وأحرقوه، وأمر به رسول الله ﷺ أن يتخذ كُناسة تُلقي فيها الجيف<sup>(١)</sup>. ومات أبو عامر بالشام وحيداً غريباً. فاما التفسير، فقال الزجاج: «الذين» في موضع رفع، المعنى: ومنهم الذين اتخذوا مسجداً ضراراً. و«ضراراً» انتصب مفعولاً له، المعنى: اتخذوه للضرار والكفر والتفريق والإرصاد. فلما حذفت اللام، أفضى الفعل فنصب. قال المفسرون: والضرار بمعنى المضارة لمسجد قباء، «وَكُفِّرًا» بالله ورسوله «وَتَقَرِّبًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ» لأنهم كانوا يصلون في مسجد قباء جميعاً، فأرادوا تفريق جماعتهم، والإرصاد: الانتظار، فانتظروا به مجيء أبي عامر، وهو الذي حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار. «وَكَيْفَ لَنْ إِنْ أَرَدْنَا» أي: ما أردنا «إِلَّا الْخُسْفَى» أي: ما أردنا بابتناؤه إلا الحسنى؛ وفيها ثلاثة أوجه: أحدها: طاعة الله. والثاني: الجنة. والثالث: فعل التي هي أحسن من إقامة الدين والاجتماع للصلاة. وقد ذكرنا اسم الحالف.

﴿لَا تَقْرَءُ فِيهِ أَبَدًا لَمَْسْجِدٍ أُتِيَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَلْوَىٰ يَوْمٍ أَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَ فِيهِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ أَنْ يَنْظُرُوا بِاللهِ عِشْرَ الْمُنَظِّهِينَ﴾ (١٣٨)

قوله تعالى: «لَا تَقْرَءُ فِيهِ» أي: لا تصل فيه أبداً. «لَمَْسْجِدٍ أُتِيَ عَلَى التَّقْوَىٰ» أي: بني على الطاعة، وبناء المتقون «مِنْ أَلْوَىٰ يَوْمٍ» أي: منذ أول يوم. قال الزجاج: «مِنْ» في الزمان، والأصل: منذ ومذ، وهو الأكثر في الاستعمال. وجائز دخول «من» لأنها الأصل في ابتداء الغاية والتبعض، ومثله قول زهير:

لَمَنْ الدِّيارُ بِقُنَّةِ الْجَجْرِ أَقْوَنَ مِنْ جَجَجٍ وَمِنْ شَهْرٍ

وقيل: معناه: مِنْ مَرَّ جَجَجٍ وَمِنْ مَرَّ شهر. وفي هذا المسجد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة الذي فيه منبره وقبره. روى سهل بن سعد أن رجلين اختلفا في عهد رسول الله ﷺ في المسجد الذي أسس على التقوى، فقال أحدهما: هو مسجد الرسول، وقال الآخر: هو مسجد قباء، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: «هو مسجدي هذا»<sup>(٢)</sup> وبه قال ابن عمر، وزيد بن ثابت، وأبو سعيد الخدري، وسعيد بن المسيب. والثاني: أنه مسجد قباء، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وقتادة، وعروة، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، والضحاك، ومقاتل. والثالث: أنه كل مسجد بني في المدينة، قاله محمد بن كعب.

قوله تعالى: «فِيهِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ أَنْ يَنْظُرُوا» سبب نزولها أن رجلاً من أهل قباء كانوا يستنجون بالماء، فنزلت هذه الآية، قاله الشعبي<sup>(٣)</sup>. قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية، أتاهم رسول الله ﷺ فقال: «ما الذي أثنى الله به عليكم» فقالوا: إنا نستنجي بالماء<sup>(٤)</sup>. فعلى هذا، المراد به الطهارة بالماء. وقال أبو العالية: أن يتطهروا من الذنوب. «أَتَمَنَ أَتَمَنَ بَلَيْكُنْ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ أَلْوَىٰ وَضَوَانٍ حَرَّ أَمَّ مَنْ أَتَمَنَ بَلَيْكُنْ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَكَأَ فَأَتَاهَا بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٣٩)

قوله تعالى: «أَتَمَنَ أَتَمَنَ بَلَيْكُنْ» قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «أسس» بفتح الألف في الحرفين جميعاً وفتح النون فيهما. وقرأ نافع، وابن عامر «أسس» بضم الألف «بنيانه» برفع النون. والبنيان مصدر يراد به المبني. والتأسيس: إحكام أس البناء، وهو أصله، والمعنى: المؤسس بنيانه متقياً يخاف الله ويرجو رضوانه خير، أم المؤسس بنيانه غير متقٍ؟ قال الزجاج: وشفا الشيء: حرثه وحده. والشفا مقصور، يكتب بالألف، ويشى شفوان.

(١) «الطبري» ٤٦٨/١٤، وأورده السيوطي بنحوه في «الدر» ٢٧٧/٣.

(٢) «ديوانه» ٨٦، و«مختار الشعر الجاهلي» ٢٦٣. وروى الأصمعي: ومن دهر. قوله: من شهر، أراد: من شهور. وأقوين: خلون. والقنة: أعلى الجبل، أو هي الجبل الذي ليس بمتشرف.

(٣) «الطبري» ٤٧٩/١٤، وأحمد في «المسند» ٣٣١/٥، و«مسلم» ١٠١٥/٢ بنحوه، وخرجه الهيثمي في «المجمع» ٣٤/٧ وقال: رواه كلاً أحمد، والطبراني باختصار، ورجالهما رجال الصحيح.

(٤) «الطبري» ٤٨٧/١٤، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٧٨/٣.

(٥) السيوطي في «الدر» ٢٧٨/٣ بنحوه، ونسبه للطبراني، وأبي الشيخ، والحاكم، وابن مردويه.

قوله تعالى: ﴿جُرْئِي﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي «جُرْف» مثقلاً. وقرأ ابن عامر، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: «جُرْف» ساكنة الراء. قال أبو علي: فالضم الأصل، والإسكان تخفيف، ومثله: الشُّغْل والشُّغْل. قال ابن قتيبة: المعنى: على حرف جرف هائر. والجرف: ما يتجرف بالسيول من الأودية. والهاثر: الساقط. ومنه: تهوّر البناء وإنهار؛ إذا سقط. وقرأ ابن كثير، وحمزة «هار» بفتح الهاء. وأمال الهاء نافع، وأبو عمرو: وعن عاصم كالقراءتين.

قوله تعالى: ﴿فَأَنبَارٌ يُّدَى﴾ أي: بالياباني ﴿فِي نَارٍ جَهَنَّمَ﴾. قال الزجاج: وهذا مثل، والمعنى: أن بناء هذا المسجد كبناء على جرف جهنم يتهوّر بأهله فيها. وقال قتادة: ذكر لنا أنهم حفروا فيه حفرة، فروي فيها الدخان. قال جابر: رأيت المسجد الذي بني ضراراً يخرج منه الدخان.

﴿لَا يَزَالُ بُعِثُهُمُ الْوَيُّ بَنُو رَبِّهِ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُعِثُهُمُ﴾ يعني: مسجد الضرار ﴿الَّذِي بَنُوا رَبِّهِ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: شكاً ونفاقاً، لأنهم كانوا يحسبون أنهم محسنون في بناءه، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: حسرة وندامة، لأنهم ندموا على بناءه، قاله ابن السائب ومقاتل. والثالث: أن المعنى: لا يزال هدم بنيانهم حرازة وغيظاً في قلوبهم، قاله السدي، والمبرد.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ قرأ الأكثرون: «إلا» وهو حرف استثناء. وقرأ يعقوب «إلى أن» فجعله حرف جر. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «تَقَطَّعَ» بضم التاء. وقرأ ابن عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم: «تَقَطَّعَ» بفتح التاء. ثم في المعنى قولان: أحدهما: إلا أن يموتوا، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقاتة في آخرين. والثاني: إلا أن يتوبوا توبة تنقطع بها قلوبهم نداماً وأسفاً على تفریطهم، ذكره الزجاج.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَوَعَدَا عَلَيْهِمْ حَتَّى فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ سبب نزولها أن الأنصار لما بايعت رسول الله ﷺ ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلاً، قال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم»، قالوا: فإذا فعلنا ذلك، فما لنا؟ قال: «الجنة» قالوا: ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل، فنزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى﴾ الآية، قاله محمد بن كعب القرظي<sup>(١)</sup>. فأما اشتراء النفس، فبالجهاد. وفي اشتراء الأموال وجهان: أحدهما: بالإتفاق في الجهاد. والثاني: بالصدقات. وؤكّر الشراء هاهنا مجاز، لأن المشتري حقيقة هو الذي لا يملك المشتري، فهو كقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. والمراد من الكلام أن الله أمرهم بالجهاد بأنفسهم وأموالهم ليجازيهم عن ذلك بالجنة، فعبّر عنه بالشراء لما تضمن من عوض ومعوض. وكان الحسن يقول: لا والله، إن في الدنيا مؤمن إلا وقد أخذت بيعته. وقال قتادة: ثابتهم والله فأعلى لهم.

قوله تعالى: ﴿فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ» فاعل ومفعول. وقرأ حمزة، والكسائي: «فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ» مفعول وفاعل. قال أبو علي: القراءة الأولى بمعنى أنهم يقتلون أولاً ويقتلون، والأخرى يجوز أن تكون في المعنى كالأولى، لأن المعطوف بالواو يجوز أن يراد به التقديم؛ فإن لم يقدر فيه التقديم، فالمعنى: يقتل من بقي منهم بعد قتل من قُتل، كما أن قوله: ﴿فَمَا وَهَدُوا لِمَا آصَابَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٦] ما وهن من بقي يقتل من قُتل. ومعنى الكلام: إن الجنة عوض عن جهادهم، قُتلوا أو قُتلوا. ﴿وَعَدَا عَلَيْهِمْ﴾ قال

الزجاج: نصب «وعداً» بالمعنى، لأن معنى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ كُنتُمْ تَوعدُوا﴾: «وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا»، قال: وقوله: ﴿فِي النَّارِ يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ يدل على أن أهل كل ملة أمروا بالقتال ووعدوا عليه الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرْوَىٰ أَيُّ لَا أَحَدَ أَرْوَىٰ بِمَا وَعَدَ﴾: ﴿يَنْبَغِي اللَّهُ فَاسْتَشِيرُوا﴾ أي: فافرحوا بهذا البيع. ﴿الْمُكِنُّونَ﴾: الْمُكِنُّونَ الْمُكِنُّونَ الْمُكِنُّونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْمُتَنَبِّهُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾

قوله تعالى: ﴿الْمُكِنُّونَ﴾: سبب نزولها: أنه لما نزلت التي قبلها، قال رجل: يا رسول الله، وإن سرق وإن زنى وإن شرب الخمر؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. قال الزجاج: يصلح الرفع هاهنا على وجوه: أحدها: المدح، كأنه قال: هؤلاء التائبون، أو هم التائبون. ويجوز أن يكون على البدل، والمعنى: يقاتل التائبون؛ فهذا مذهب أهل اللغة، والذي عندي أنه رفعٌ بالابتداء، وخبره مضمَر، المعنى: التائبون ومن ذكر معهم لهم الجنة أيضاً وإن لم يجاهدوا إذا لم يقصدوا ترك الجهاد ولا العناد، لأن بعض المسلمين يجزئ عن بعض في الجهاد. وللمفسرين في قوله: «التائبون» قولان: أحدهما: الراجعون عن الشرك والنفاق والمعاصي. والثاني: الراجعون إلى الله في فعل ما أمر واجتناب ما حظر. وفي قوله: ﴿الْمُكِنُّونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: المطيعون لله بالعبادة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: المقيمون الصلاة، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: الموحدون، قاله سعيد بن جبير.

قوله تعالى: ﴿الْمُكِنُّونَ﴾ قال قتادة: يحمدون الله على كل حال. وفي السائحين أربعة أقوال: أحدها: الصائمون، قاله ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، وقاتلة في آخرين. قال الفراء: ويرى أهل النظر أن الصائم إنما سمي صائماً تشبيهاً بالسائح، لأن السائح لا زاد معه؛ والعرب تعطف بالواو على السبعة، كقوله: ﴿وَتَأْمِنُهُمُ كَلِمَتُهُ﴾ [الكهف: ٢٢] وقوله في صفة الجنة: ﴿وَفِيهَا زَوجَاتٌ﴾ [الزمر: ٧٣]، ذكره جماعة من المفسرين. والثاني: أن الواو إنما دخلت على التائبين لأن الأمر بالمعروف ناهٍ عن المنكر في حال أمره، فكان دخول الواو دلالة على أن الأمر بالمعروف لا ينفرد دون النهي عن المنكر كما ينفرد الحامدون بالحمد دون السائحين، والسائحين بالسياحة دون الحامدين في بعض الأحوال والأوقات.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُتَنَبِّهُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ قال الحسن: القائمون بأمر الله. ﴿مَا كَانَتِ لِلَّيْلِ وَاللَّيْلِ مَأْمُورًا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قَرْبَىٰ مِنْ بَدَىٰ مَا بَدَّيْنَهُمْ لَمَنْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ وَمَا كَانَتِ اسْتَغْفَارُ إِزْرِيمَ لَا يُؤْمَرُ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِزْرِيمَ لَأَكْذَرُ حَيْثُ ﴿١١٣﴾ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَتِ لِلَّيْلِ وَاللَّيْلِ مَأْمُورًا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه رسول الله ﷺ، وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية، فقال: «أي عم، قل معي: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وابن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل يكرر كلامه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: أنا على ملة عبد المطلب. فقال النبي ﷺ: «الاستغفرون لك ما لم أنه عنك»، فنزلت: ﴿مَا كَانَتِ لِلَّيْلِ وَاللَّيْلِ مَأْمُورًا﴾ الآية، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، أخرجه البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه<sup>(١)</sup>. وقيل: إنه لما مات أبو طالب، جعل

قوله تعالى: ﴿وَالْمُتَنَبِّهُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ القائمون بأمر الله. ﴿مَا كَانَتِ لِلَّيْلِ وَاللَّيْلِ مَأْمُورًا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قَرْبَىٰ مِنْ بَدَىٰ مَا بَدَّيْنَهُمْ لَمَنْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ وَمَا كَانَتِ اسْتَغْفَارُ إِزْرِيمَ لَا يُؤْمَرُ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِزْرِيمَ لَأَكْذَرُ حَيْثُ ﴿١١٣﴾

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَتِ لِلَّيْلِ وَاللَّيْلِ مَأْمُورًا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه رسول الله ﷺ، وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية، فقال: «أي عم، قل معي: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وابن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل يكرر كلامه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: أنا على ملة عبد المطلب. فقال النبي ﷺ: «الاستغفرون لك ما لم أنه عنك»، فنزلت: ﴿مَا كَانَتِ لِلَّيْلِ وَاللَّيْلِ مَأْمُورًا﴾ الآية، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، أخرجه البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه<sup>(١)</sup>. وقيل: إنه لما مات أبو طالب، جعل

(١) «الطبري» ٥١٠/١٤، وأحمد في «المسنود» ٤٣٣/٥، و«البخاري» ١٧٦/٣ - ١٧٧، و«ابن ماجه» ٢٥٨/٨ و«مسلم» ٢١٣/١ - ٢١٦، وأورده السيوطي في «الدرر» ٢٨٢/٣ وزاد نسبه لابن أبي شيبة، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل».

النبي ﷺ يستغفر له، فقال المسلمون: ما يمتنعنا أن نستغفر لأبائنا ولذوي قراباتنا، وقد استغفر إبراهيم لأبيه، وهذا محمد يستغفر لعمه؟ فاستغفروا للمشركين، فنزلت هذه الآية. قال أبو الحسين بن المنادي<sup>(١)</sup>: هذا لا يصح، إنما قال النبي ﷺ لعمه: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» قبل أن يموت، وهو في السياق، فأما أن يكون استغفر له بعد الموت، فلا، فانقلب ذلك على الرواة، وبقي على انقلابه. والثاني: أن النبي ﷺ مرّ بقبر أمه آمنة، فتوضأ وصلى ركعتين، ثم بكى، فبكى الناس لبكائه، ثم انصرف إليهم، فقالوا: ما الذي أبكاك؟ فقال: «موت بقبر أمي فصليت ركعتين، ثم استأذنت ربي أن أستغفر لها، فنهيت، فبكيت، ثم عدت فصليت ركعتين، واستأذنت ربي أن أستغفر لها، فزجرت زجراً، فأبكاني»، ثم دعا براحته فركبها؛ فما سار إلا هنيئاً، حتى قامت الناقة لتقل الوحي؛ فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ والآية التي بعدها، رواه بريدة عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثالث: أن رجلاً استغفر لأبيه، وكانا مشركين، فقال له علي بن أبي طالب: أتستغفر لهما وهما مشركان؟ فقال: أولم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ فذكر ذلك علي للنبي ﷺ، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، رواه أبو الخليل عن علي<sup>(٣)</sup>. والرابع: أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا نبي الله، إن من آبائنا من كان يحسن الجوار، ويصل الرحم، ويفك العاني، ويوفي بالذمم، أفلا نستغفر لهم؟ فقال: «بلى»، والله لأستغفرون لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه، فنزلت هذه الآية، ويترن عن إبراهيم، قاله قتادة<sup>(٤)</sup>. ومعنى قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أُصْحَابُ الْجُبَيْرِ﴾ أي: من بعد ما بان أنهم ماتوا كفاراً.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَنْ مَرْغَبَةٍ وَفَعَلَهَا لِنَاءِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن إبراهيم وعد أباه الاستغفار، وذلك قوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرَ لَكَ رَبِّي﴾ [مریم: ٤٧]، وما كان يعلم أن الاستغفار للمشركين محظور حتى أخبره الله بذلك. والثاني: أن أباه وعده أنه إن استغفر له آمن؛ فلما تبين لإبراهيم عداوة أبيه لله تعالى بموته على الكفر، ترك الدعاء له. فعلى الأول، تكون هاء الكتابة في «إيَّاه» عائدة على آزر، وعلى الثاني، تعود على إبراهيم. وقرأ ابن السميع، ومعاذ القارئ، وأبو نهيك: «وعدها أباه» بالباء. وفي الأوَّاه ثمانية أقوال: أحدها: أنه الخاشع الدُّعَاء المتضرع، رواه عبد الله بن شداد بن الهاد عن النبي ﷺ. والثاني: أنه الدُّعَاء، رواه زرُّ عن عبد الله، وبه قال عبيد بن عمير. والثالث: الرحيم، رواه أبو العبيد بن العامري عن ابن مسعود، وبه قال الحسن، وقتادة، وأبو ميسرة. والرابع: أنه الموقن، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك. والخامس: أنه المؤمن، رواه العوفي، ومجاهد، وابن أبي طلحة عن ابن عباس. والسادس: أنه المسبِّح، رواه أبو إسحاق عن أبي ميسرة، وبه قال سعيد بن المسيب، وابن جبير. والسابع: أنه المتأوِّه للذكر عذاب الله، قاله الشعبي. قال أبو عبيدة: مجاز أوَّاه مجاز فَعَال من التأوِّه، ومعناه: متضرع شَقَقاً وَفَرَقاً ولزوماً لطاعة ربه، قال المُتَّعِب:

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بَلِيلٌ      تَأَوُّهُ أَمَةٌ السَّرَجِلِ الْحَزِينِ<sup>(٥)</sup>

والثامن: أنه الفقيه، رواه ابن جريج عن مجاهد. فأما الحليم، فهو الصفوح عن الذنوب.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يَسْتَأْذِنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ يَكُلِّ شَيْئًا عَلَيْهِ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَعَلَّمُ شُكَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَتَّبِعِي وَيُؤْتِي وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝﴾

(١) هو أحمد بن جعفر بن محمد أبو الحسين بن المنادي (٢٥٦ - ٣٣٦ هـ) عالم بالتفسير والحديث من أهل بغداد. قال ابن الجوزي: من وقف على مصنفاته علم فضله واطلاعه، ووقف على فوائد لا توجد في غير كتبه، جمع بين الرواية والدراية، ولا حشر في كلامه، آخر من روى عنه محمد بن فارس اللغوي، من كتبه «اختلاف العدد» و«دعاء أنواع الاستعاذات من سائر الآفات والعمات».

(٢) «الطبري» ٥١٢/١٤ مختصراً، وأحمد في «مسند» ٣٥٩/٥، «مسلم» ٦٧١/٢، بمعناه، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٨٤/٣ عن ابن مردويه.

(٣) «الطبري» ٥١٤/١٤، ٥١٥، وأحمد في «السنن» رقم ٧٧١، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٨٢/٣ وزاد نسبته للطائلي، وابن أبي شيبة، والترمذي، والنسائي، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان»، والغبية في «المختارة».

(٤) «الطبري» ٥١٣/١٤.

(٥) البيت في «الطبري» ٥٣٤/١٤، و«المفضليات» ٢٩١، و«مجاز القرآن» ٢/٢٧٠، و«طبقات فحول الشعراء» ٣٣١، و«السمط» ٥٦، و«القرطبي» ٨/٢٧٦، و«اللسان»: أوه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلْفٌ يَصِلُ قَوْمًا﴾ الآية، سبب نزولها: أنه لما نزلت آية الفرائض، وجاء النسخ، وقد غاب قوم وهم يعلمون بالأمر الأول مثل أمر القبله والخمر، ومات أقوام على ذلك، سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال قوم: المعنى أنه يبين أنه لم يكن ليأخذهم بالاستغفار للمشركون قبل تحريره، فإذا حرّمه ولم يمتنعوا عنه، فقد ضلوا. وقال ابن الأنباري: في الآية حذف واختصار، والتأويل: حتى يبين لهم ما يتقون، فلا يتقونه، فعند ذلك يستحقون الضلال؛ فحذف ما حذف لبيان معناه، كما تقول العرب: أمرتك بالتجارة فكسبت الأموال؛ يريدون: فتجرت فكسبت.

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُنْصَرَفِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ يَهْمُ رَوْفٌ رَّحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ قال المفسرون: تاب عليه من إذنه للمنافقين في التخلف. وقال أهل المعاني: هو مفتاح كلام، وذلك أنه لما كان سبب توبة التائبين، ذكر معهم، كقوله: ﴿فَأَذِّنْ لِلَّهِ الْحُكْمَ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْلَ الْأَشْيَاءِ﴾ [٤١].

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُنْصَرَفِ﴾ قال الزجاج: هم الذين اتبعوه في غزوة تبوك، والمراد بساعة العسرة: وقت العسرة، لأن الساعة تقع على كل الزمان، وكان في ذلك الوقت حرّ شديد، والقوم في ضيقة شديدة، كان الجمل بين جماعة يعقبون عليه، وكانوا في فقر، فربما اقتسم الثمرة اثنان، وربما مص الثمرة الجماعة ليشربوا عليها الماء، وربما نحروا الإبل فشربوا من ماء كروشها من الحر. وقيل لعمر بن الخطاب: حدثنا عن ساعة العسرة، فقال: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى إن الرجل ليذهب يلتبس الماء، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع، وحتى إن الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده. فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن الله قد عودك في الدعاء خيراً، فادع لنا. قال: «تحب ذلك؟» قال: نعم. فرفع يديه، فلم يرجعهما حتى قالت السماء<sup>(١)</sup>، فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر، فلم نجدها جاوزت العسكر<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ قرأ حمزة، وحفص عن عاصم «كاد يزيغ» بالياء. وقرأ الباقر بالياء، وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: تميل إلى التخلف عنه، وهم ناس من المسلمين هموا بذلك، ثم لحقوه، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن القلوب مالت إلى الرجوع للشدة التي لقوها، ولم تترغ عن الإيمان، قاله الزجاج. والثالث: أن القلوب كادت تزيغ تلفاً بالجد والشدة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ كرر ذكر التوبة، لأنه ليس في ابتداء الآية ذكر ذنبهم، فقدم ذكر التوبة فضلاً منه، ثم ذكر ذنبهم، ثم أعاد ذكر التوبة.

﴿وَمَنْ أَلْفَنَتْهُمْ أَلْفٌ حَتَّى إِذَا سَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَلْفَنَتْهُمْ أَلْفٌ حَتَّى إِذَا سَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو مجلز، والشعبي، وابن عمر: «خالفوا» بالفاء، وقرأ معاذ القارئ، وعكرمة، وحמיד: «خَلَفُوا» بفتح الخاء واللام المخففة. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو العالية: «خَلَفُوا» بفتح الخاء واللام مع تشديدها. وهؤلاء هم المرادون بقوله: ﴿وَبَاخِرُونَ مُتَجَرِّبُونَ﴾ وقد تقدّمت أسماؤهم [التوبة: ١٠٦]. وفي معنى «خَلَفُوا» قولان: أحدهما: خَلَفُوا عن التوبة، قاله ابن عباس، ومجاهد. فيكون المعنى: خَلَفُوا عن توبة الله على

(١) قالت السماء: أي، أقبلت بالحجاب.

(٢) «الطبري» ٥٤١/١٤ - ٥٤٢، وخرجه الهيثمي في «المجمع» ١٩٤/٦ - ١٩٥ وقال: رواه البزار، والطبراني في «الأوسط»، ورجال البزار ثقات. وذكره السيوطي في «الدرر» ٢٨٦/٣ وزاد نسبه لابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي في «الدلائل»، والضياء في «المختارة».





وقالت طائفة: فرض الله تعالى على جميع المؤمنين في زمان النبي ﷺ ممن لا عذر له الخروج معه لشيتين: أحدهما: أنه من الواجب عليهم أن يَفُوه بأنفسهم. والثاني: أنه إذا خرج الرسول فقد خرج الدين كله، فأمرُوا بالتظاهر لثلاث يَقلُ العدد، وهذا الحكم باقٍ إلى وقتنا؛ فلو خرج أمير المؤمنين إلى الجهاد، وجب على عامة المسلمين متابعتة لما ذكرنا. فعلى هذا، الآية محكمة. قال أبو سليمان: لكل آية وجهها، وليس للنسخ على إحدى الآيتين طريق.

﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ يَسْتَفِرُّوْنَ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ يَسْتَفِرُّوْنَ كَآفَّةً﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أنه لما أنزل الله ﷻ عيوب المنافقين في غزوة تبوك، قال المؤمنون: والله لا نتخلف عن غزوة يغزوها رسول الله ﷺ ولا سرية أبداً. فلما أرسل السرايا بعد تبوك، نفر المسلمون جميعاً، وتركوا رسول الله وحده، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن رسول الله ﷺ لما دعا على مضر، أجلبت بلادهم؛ فكانت القبيلة منهم تُقْبِلُ بأسرها إلى المدينة من الجهد، ويظهرون الإسلام وهم كاذبون؛ فضيقوا على أصحاب رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أن ناساً أسلموا، وخرجوا إلى البوادي يعلمون قومهم، فنزلت: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يَكُونُ لَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٩]، فقال ناس من المنافقين: هلك من لم ينفر من أهل البوادي، فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة. والرابع: أن ناساً خرجوا إلى البوادي يعلمون الناس ويهدونهم، ويصيبون من الحطب ما ينتفعون به، فقال لهم الناس: ما نراكم إلا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا؛ فاقبلوا من البادية كلهم، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد. قال الزجاج: ولفظ الآية لفظ الخبر، ومعناها الأمر، كقوله: ﴿مَا كَانَتِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلشَّارِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]، والمعنى: ينبغي أن ينفر بعضهم، ويبقى البعض، قال الفراء: ينفر وينفر، بكسر الفاء وضمها، لغتان. واختلف المفسرون في المراد بهذا النفر على قولين: أحدهما: أنه النفر إلى العدو، فالمعنى: ما كان لهم أن ينفروا بأجمعهم، بل تنفر طائفة، وتبقى مع النبي ﷺ طائفة ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ يعني الفرقة القاعدية. فإذا رجعت السرايا، وقد نزل بعدهم قرآن أو تجدد أمر، أعلموهم به وأنذروهم به إذا رجعوا إليهم، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس. والثاني: أنه النفر إلى رسول الله ﷺ، بل تنفر منهم طائفة ليضغه هؤلاء الذين ينفرون، ولينذروا قومهم المتخلفين، هذا قول الحسن، وهو أشبه بظاهر الآية. فعلى القول الأول، يكون نفر هذه الطائفة مع رسول الله ﷺ إن خرج إلى غزاة أو مع سراياه. وعلى القول الثاني، يكون نفر الطائفة إلى رسول الله ﷺ لاقتباس العلم.

﴿يَتَّبِعُوا الَّذِينَ آمَنُوا فَتِلْكَ الْآيَاتُ يُلْوَكَمُ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَفِرُّونَ ﴿١٢٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَمٌ فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿١٢٧﴾ أُولَٰئِكَ يَرْوَنَ أَنَّهُمْ بَقِيَّتُوا فِي كُلِّ عَاوِلَةِ سَاعَةٍ أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَنْتَفِرُونَ وَلَا هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿١٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿يَتِلْوَ الَّذِينَ آمَنُوا فَتِلْكَ الْآيَاتُ يُلْوَكَمُ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ قد أمر بقتال الكفار على العموم، وإنما يُبْتَدَأُ بالأقرب فالأقرب. وفي المراد بمن يليهم خمسة أقوال: أحدها: أنهم الروم، قاله ابن عمر. والثاني: قريظة، والنضير، وخيبر، وفدك، قاله ابن عباس. والثالث: الديلم، قاله الحسن. والرابع: العرب، قاله ابن زيد. والخامس: أنه عام في قتال الأقرب فالأقرب، قاله قتادة. وقال الزجاج: في هذه الآية دليل على أنه ينبغي أن يقاتل أهل كل نحر الذين يلونهم. قال: وقيل: كان النبي ﷺ ربما تخلف في حربه الذين يلونه من الأعداء ليكون ذلك أهيبَ له، فأمر بقتال من يليه لِيَسْتَرْ بذلك. وفي الغلظة ثلاث لغات: غِلْظَة، بكسر الغين؛ وبها قرأ الأكثرون. وَغِلْظَة، بفتح الغين، رواها جبلة عن عاصم. وَغِلْظَة، بضم الغين، رواها المفضل عن عاصم. ومثلها: جُدَّة وَجُدَّة وَجُدَّة، وَجِدَّة وَجِدَّة وَجِدَّة، وَرَغْوَة وَرَغْوَة وَرَغْوَة، وَرَبْوَة وَرَبْوَة وَرَبْوَة، وَقَسْوَة وَقَسْوَة وَقَسْوَة، وَلَوَة وَلَوَة وَلَوَة، فِي الْيَمِينِ. وَشَاة لِّجَبَة وَلَجَبَة وَلَجَبَة، وَشَاة لِّبَنَاهَا. قال ابن عباس في قوله «غلظة»: شجاعة. وقال مجاهد: شدة.

قوله تعالى: ﴿فَيَنْهَرُ مَنْ يَقُولُ أَتُكْفِرُونَ زَادَهُ هُنَا إِيمَانًا﴾ هذا قول المنافقين بعضهم لبعض استهزاء بقول الله تعالى. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ لأنهم إذا صدقوا بها وعملوا بما فيها، زادتهم إيماناً. ﴿وَقَرَأَ تَنْبِيْهُنَّ﴾ أي: يفرحون بنزولها. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَمٌ﴾ أي: شك ونفاق. وفي المراد بالرجس ثلاثة أقوال: أحدها: الشك، قاله ابن عباس. والثاني: الإثم، قاله مقاتل. والثالث: الكفر، لأنهم كلما كفروا بسورة زاد كفرهم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ يعني المنافقين. وقرأ حمزة: «أو لا ترون» بالثاء على الخطاب للمؤمنين. وفي معنى: ﴿يَنْتَبِهُنَّ﴾ ثمانية أقوال: أحدها: يكذبون كذبة أو كذبتين يُضِلُّونَ بها، قاله حذيفة بن اليمان. والثاني: ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: يُتَلَوْنَ بالغزو في سبيل الله، قاله الحسن، وقناة. والرابع: يُفْتَنُونَ بالسَّنة والجوع، قاله مجاهد. والخامس: بالأوجاع والأمراض، قاله عطية. والسادس: يَنْقُضُونَ عهدهم مرة أو مرتين، قاله يمان. والسابع: يكفرون، وذلك أنهم كانوا إذا أخبرهم النبي ﷺ بما تكلموا به إذ خَلَوْا، علموا أنه نبي، ثم يأتيهم الشيطان فيقول: إنما بلغه هذا عنكم، فيشركون، قاله مقاتل بن سليمان. والثامن: يُفْضَحُونَ بإظهار نفاقهم، قاله مقاتل بن حيان.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: من نفاقهم. ﴿وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ أي: يعتبرون ويتعظون. ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ قال ابن عباس: كانت إذا أنزلت سورة فيها عيب المنافقين، وخطبهم رسول الله ﷺ وعرض بهم في خطبته، شق ذلك عليهم، ونظر بعضهم إلى بعض يريدون الهرب، يقولون: ﴿هَلْ يَرْبِكُمْ يَتَّخِذُ﴾ من المؤمنين إن قمت؟ فإن لم يره أحد، خرجوا من المسجد. قال الزجاج: كأنهم يقولون ذلك إيماءً لئلا يعلم بهم أحد، ﴿ثُمَّ أَنْصَرُوا﴾ عن المكان، وجائز عن العمل بما يسمعون. وقال الحسن: ثم انصرفوا على عزم التكذيب بمحمد ﷺ وبما جاء به.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ قال ابن عباس: عن الإيمان. وقال الزجاج: أضلَّهم مجازاة على فعلهم. ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ قرأ الجمهور بضم الفاء. وقرأ ابن عباس، وأبو العالية، والضحاك، وابن محيصن، ومجوب عن أبي عمرو: بفتحها. وفي المضمومة أربعة أقوال: أحدها: من جميع العرب، قاله ابن عباس؛ وقال: ليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت رسول الله ﷺ. والثاني: ممن تعرفون، قاله قناة. والثالث: من نكاح لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية، قاله جعفر الصادق. والرابع: بشر مثلكم، فهو أكد للحجة، لأنكم تفقهون عن موثلكم، قاله الزجاج. وفي المفتوحة ثلاثة أقوال: أحدها: أفضلكم خلقاً. والثاني: أشرفكم نسباً. والثالث: أكثركم طاعة لله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: شديد عليه ما شقَّ عليكم، رواه الضحاك عن ابن عباس. قال الزجاج: شديد عليه عنتكم. والعنت: لقاء الشدة. والثاني: شديد عليه ما أنتمكم، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال الحسن: حريص عليكم أن تؤمنوا. قوله تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ قال ابن عباس: سماء باسمين من أسمائه. وقال أبو عبيدة: «رؤوف» فعول، من الرأفة، وهي أرق من الرحمة؛ ويقال: «رؤف»، وأنشد:

تسرى للمؤمنين عليك حقاً كفعل الوالد الرؤوف الرحيم<sup>(١)</sup>

وقيل: رؤوف بالمطيعين، رحيم بالملذنين.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (١٢٩)

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا عن الإيمان ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أي: يكفيني ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾. وقرأ ابن محيصن: «العظيم» برفع الميم. وإنما خص العرش بالذكر، لأنه الأعظم، فيدخل فيها الأصغر. قال أبي بن كعب: آخر آية أنزلت ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إلى آخر السورة<sup>(١)</sup>.



(١) «الطبري» ٥٨٨/١٤ - ٥٨٩، والحاكم في «المستدرک» ٣٣٨/٢، و«المسند» ١١٧/٥ وفي سننه علي بن زيد بن جدعان. قال الهيثمي في «المجمع» ٣٦/٧: وهو ثقة سبى الحفظ وبقية رجاله ثقات، ورواه أحمد في «المسند» ١٣٤/٥ بأطول منه عن عمر بن شقيق عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب، ورجاله ثقات خلا عمر بن شقيق فإنه مجهول.

## سورة يونس

## فصل في نزولها

روى عطية، وابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مكية، وبه قال الحسن، وعكرمة. وروى أبو صالح عن ابن عباس أن فيها من المدني قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ [يونس: ٤٠]. وفي رواية عن ابن عباس: فيها ثلاث آيات من المدني، أولها قوله: ﴿إِن كُنْتَ فِي شَكٍّ﴾ [يونس: ٩٤] إلى رأس ثلاث آيات، وبه قال قتادة. وقال مقاتل هي مكية، غير آيتين، قوله: ﴿إِن كُنْتَ فِي شَكٍّ﴾ والتي تليها [يونس: ٩٤، ٩٥]. وقال بعضهم: هي مكية إلا آيتين، وهي قوله: ﴿قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ﴾ والتي تليها [يونس: ٥٨، ٥٩].

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ مَآئِتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾

فأما قوله: ﴿الرَّ﴾ قرأ ابن كثير: «الر» بفتح الراء. وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «الر» على الهجاء مكسورة. وقد ذكرنا في أول سورة (البقرة) ما يشتمل على بيان هذا الجنس. وقد حُصِّت هذه الكلمة بستة أقوال: أحدها: أن معناها: أنا الله أرى، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنا الله الرحمن، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أنه بعض اسم من أسماء الله. روى عكرمة عن ابن عباس قال: «الر» و«حَم» و«نَ» حروف الرحمن. والرابع: أنه قَسَمَ أقسم الله به، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والخامس: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله مجاهد، وقاتدة. والسادس: أنه اسم للسورة، قاله ابن زيد. وفي قوله: ﴿تِلْكَ﴾ قولان: أحدهما: أنه بمعنى «هذه»، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره أبو عبيدة. والثاني: أنه على أصله. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الإشارة إلى الكتب المتقدمة من التوراة والإنجيل، قاله مجاهد، وقاتدة؛ فيكون المعنى: هذه الأقاصيص التي تسمعونها، تلك الآيات التي وصفت في التوراة والإنجيل. والثاني: أن الإشارة إلى الآيات التي جرى ذكرها، من القرآن، قاله الزجاج. والثالث: أن «تلك» إشارة إلى «الر» وأخواتها من حروف المعجم، أي: تلك الحروف المفتحة بها السور هي «مَآئِتُ الْكِتَابِ» لأن الكتاب بها يتلى، وألفاظه إليها ترجع، ذكره ابن الأنباري. قال أبو عبيدة: «الْحَكِيمِ» بمعنى المحكم المبين الموضح؛ والعرب قد تضع فعلاً في معنى مفعول، قال الله تعالى: ﴿مَا لَدَى عَيْنٍ﴾ [آ: ٢٣، ١٨] أي: مُعَدَّد.

﴿كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَجْرٌ يُؤْتِي ۖ إِنَّ رَجُلَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكِينَ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ عِنْدِ إِلَهِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاغْبِذُوا أَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ سبب نزولها: أن الله تعالى لما بعث محمداً ﷺ أنكرت الكفار ذلك، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. والمراد بالناس هاهنا: أهل مكة، والمراد بالرجل: محمد ﷺ. ومعنى «وَمِنْهُمْ»: يعرفون نسبه، قاله ابن عباس، فأما الألف فهي للتوبيخ والإنكار. قال ابن الأنباري: والاحتجاج عليهم في كونهم عجبا من إرسال محمد، محذوف هاهنا، وهو مبين في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّيِّسَتَهُمْ﴾ [الزعر: ٢٢]، أي: فكما وضع لكم هذا التفاضل بالمشاهدة، فلا تنكروا تفضيل الله من شاء بالنبوة؛ وإنما حذفه هاهنا اعتماداً على ما بيّنه في موضع آخر. قال: وقيل: إنما عجبا من ذكر البعث والنشور، لأن الإنذار والتبشير يتصلان بهما، فكان جوابهم في مواضع كثيرة تدل على كون ذلك، مثل قوله: ﴿وَهُوَ أَمَرْتُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]،

(١) «الطبري» ١٣/١٥، وأخرجه السيوطي في «الدر» ٢٩٩/٣ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس.

وقوله: ﴿يَتَّبِعَهَا الَّذِينَ أَشْقَاءُ أَوْلَىٰ مَرَرٌ﴾ [يس: ١٧٩]. وفي المراد بقوله: ﴿قَدَّمَ صِدْقِي﴾ سبعة أقوال: أحدها: أنه الثواب الحسن بما قَدَّمُوا من أعمالهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وروى عنه أبو صالح قال: عمل صالح يُقَدَّمون عليه. والثاني: أنه ما سبق لهم من السعادة في الذكر الأول، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. قال أبو عبيدة: سابقة صدق. والثالث: شفيع صدق، وهو محمد ﷺ يشفع لهم يوم القيامة، قاله الحسن. والرابع: سَلَفُ صدق تقدّمهم بالإيمان، قاله مجاهد، وقتادة. والخامس: مقام صدق لا زوال عنه، قاله عطاء. والسادس: أن قدم الصدق: المنزلة الرفيعة، قاله الزجاج. والسابع: أن القدم هاهنا: مصيبة المسلمين بنبيهم ﷺ وما يلحقهم من ثواب الله عند أسفهم على فقدته ومحبتهم لمشاهدته، ذكره ابن الأنباري. فإن قيل: لِمَ أُنْزِلَ القَدَمُ هاهنا على اليد، والعرب تستعمل اليد في موضع الإحسان؟ فالجواب: أن القدم ذكرت هاهنا للتقدم، لأن العادة جارية بتقدّم الساعي على قدميه، والعرب تجعلها كناية عن العمل الذي يُتقدّم فيه ولا يقع فيه تأخر، قال ذو الرمة:

لَكُمْ قَدَمٌ لَا يُنْكَرُ النَّاسُ أَنَّهَا      مع الحَسَبِ العَادِي طَمَّتْ عَلَى الْبَحْرِ<sup>(١)</sup>

فإن قيل: ما وجه إضافة القدم إلى الصدق؟ فالجواب: أن ذلك مدح للتقدم، وكل شيء أضيفه إلى الصدق، فقد مدحته؛ ومثله: ﴿أَذِلَّةٍ لِئَذِلَّ صِدْقِي وَأَفْرَجِي نَجْرَ صِدْقِي﴾ [الإسراء: ٨٠]، وقوله: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقِي﴾ [القمر: ٥٥]. وفي الكلام محذوف، تقديره: أوحينا إلى رجل منهم، فلما أتاهم الوحي ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّكَ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «لَسَاحِرٌ» بآلف. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «لَسَحَرٌ» بغير آلف. قال أبو علي: قد تقدم قوله: ﴿أَنَّ أَوْحِيًّا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ فمن قال: ساحر، أراد الرجل؛ ومن قال: سحر، أراد الذي أوحى سحر، أي: الذي تقولون أنتم فيه: إنه وحي، سحر. قال الزجاج: لما أنذرهم بالبعث والنشور، فقالوا: هذا سحر، أخبرهم أن الذي خلق السموات والأرض قادر على بعثهم بقوله: ﴿إِنَّكُمْ رَجَعْتُمْ إِلَىٰ اللَّهِ﴾ وقد سبق تفسيره في [الأعراف: ٥٤]. قوله تعالى: ﴿يَذْكُرُ الْأُمُورَ﴾ قال مجاهد: يقضيه. وقال غيره: يأمر به ويمضيه.

قوله تعالى: ﴿مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْ بَدَأَهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يشفع أحد إلا أن يأذن له، قاله ابن عباس. قال الزجاج: لم يَجْرُ للشفيع ذكر قبل هذا، ولكن الذين خوطبوا كانوا يقولون: الأصنام شفعاؤنا. والثاني: أن المعنى: لا ثاني معه، مأخوذ من الشُّفْع، لأنه لم يكن معه أحد، ثم خلق الأشياء. فقوله: ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْ بَدَأَهُ﴾ أي: من بعد أمره أن يكون الخلق فكان، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ قال مقاتل: وحْدَهُ. وقال الزجاج: المعنى: فاعبدوه وحده. وقوله: ﴿تَذَكَّرْتُمْ﴾ معناه: تَتَعَلَّظُونَ.

﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَسَاءُ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: مصيركم يوم القيامة ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ قال الزجاج: «وَعَدَ اللَّهُ» منصوب على معنى: وعدكم الله وعداً، لأن قوله: ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾ معناه: الوعد بالرجوع، و«حقاً» منصوب على: أحق ذلك حقاً. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ قرأه الأكثرون بكسر الالف. وقرأت عائشة، وأبو رزين، وعكرمة، وأبو العالية، والأعمش: بفتحها. قال الزجاج: من كسر، فعلى الاستئناف، ومن فتح، فالمعنى: إليه مرجعكم، لأنه يبدأ الخلق. قال مقاتل: يبدأ الخلق ولم يكن شيئاً، ثم يعيده بعد الموت. وأما القسط، فهو العدل. فإن قيل: كيف خصَّ جزاء المؤمنين بالعدل، وهو في جزاء الكافرين عادل أيضاً؟ فالجواب: أنه لو جمع الفريقين في القسط، لم يتيين في حال اجتماعهما ما يقع بالكافرين من العذاب الأليم والشرب من الحميم، ففصلهم من المؤمنين ليبيّن ما يجزيهم به مما هو

(١) «ديوانه» ٣٦١ طبع المكتب الإسلامي، والبيت من قصيدة في مدح بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، يقول بعده:

خلال النبي المصطفى عند ربه      وعثمان والفاروق بعد أبي بكر

ورواية البيت في الديوان: «طمت على الفخر». والعادي القديم، وطمت: علت.

عدل أيضاً، ذكره ابن الأنباري. فأما الحميم، فهو الماء الحار. وقال أبو عبيدة: كل حار فهو حميم.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ النُّجُومِ وَالْجَسَّابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ فِي تَخْلِيلِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَكِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الْآيَاتِ لَا يَرُوحُ إِلَّا قَلِيلًا وَرَوَّحُوا بِالْخَمْرِ الدُّنْيَا وَاطْلُؤُا بِهَا وَالْآيَاتِ هُمْ عَنْ مَائِنِنَا غَافِلُونَ ﴿٨﴾ أُولَئِكَ مَأْوَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩﴾ إِنَّ الْآيَاتِ مَآثِرًا وَكَوْنُوا الصَّالِحِينَ يَتَّبِعُهُمْ رَبُّهُمْ بِإِذْنِهِمْ تَتَّبِعُهُمْ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنهَارُ فِي جَنَّتِ النَّجِيمِ ﴿١٠﴾ دَعَوْتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَتِهِمْ أَنْ لِمَسَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ سَجَّةً وَالنَّجْمَ ذُكًى﴾ قرأ الأكثرون: «ضياء» بهمزة واحدة. وقرأ ابن كثير: «ضياء» بهمزين في كل القرآن، أي: ذات ضياء. ﴿وَالْقَمَرَ ذُورًا﴾ أي: ذات نور. ﴿وَقَدَرُوا مَنَازِلَهُ﴾ أي: قدرله، فحذف الجار، والمعنى: هيأ وسرله منازل. قال الزجاج: الهاء ترجع إلى «القمر» لأنه المقدر لعلم السنين والحساب. وقد يجوز أن يعود إلى الشمس والقمر، فحذف أحدهما اختصاراً. وقال الفراء: إن شئت جعلت تقدير المنازل للقمر خاصة، لأن به تعلم الشهور. وإن شئت جعلت التقدير لهما، فاكفني بذكر أحدهما من صاحبه، كقوله: ﴿وَاللَّهُ رَاسُوهُ أَحَىٰ أَنْ يُرْمَوْهُ﴾ [التوبة: ٦٢]. قال ابن قتيبة: منازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً من أول الشهر إلى ثمانين ليلة، ثم يستسر. وهذه المنازل، هي النجوم التي كانت العرب تنسب إليها الأنواء، وأسماؤها عندهم الشُّرطان، والبُيُتَيْن، والثُرَيَّا، والذِّبْرَان، والهُقْعَة، والهُنْعَة، والدُّرَاع، والثُّرَة، والظُّرْف، والجهة، والرُّبْرَة، والصَّرْفَة، والعَوَاء، والسَّماك، والغُفْر، والزُّبَانِي، والإكليل، والقلب، والشُّوْلَة، والنعام، والبلدة، وسعد الذَّابِح، وسعد بُلْع، وسعد السُّعود، وسعد الأخبية، وفَرُغ والإكليل، والقدّم، وفَرُغ الدلو المؤخَّر، والرِّشَاء وهو الحوت.

قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي للحق، من إظهار صنعه وقدرته والدليل على وحدانيته. ﴿يَفْضَلُ الْأَنْثَىٰ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «يَفْضَلُ» بالياء. وقرأ نافع، وابن عامر، وحَمْزَة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «نَفْضَلُ الْآيَاتِ» بالنون، والمعنى: نُبَيِّئُهَا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يستدلون بالأمارات على قدرته.

قوله تعالى: ﴿الْأَنْثَىٰ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: يتقون الشرك. والثاني: عقوبة الله. فيكون المعنى: إن الآيات لمن لم يحمله هواء على خلاف ما وضع له من الحق.

قوله تعالى: ﴿لَا يَرْجُوا لِقَاءَنَا﴾ قال ابن عباس: لا يخافون البعث. ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ اختاروا ما فيها على الآخرة. ﴿وَأَمَّا نَأْوٍ رَبَّنَا﴾ أتروها. وقال غيره: ركنوا إليها، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها آيات القرآن ومحمد، قاله ابن عباس. والثاني: ما ذكره في أول السورة من صنعه، قاله مقاتل. فاما قوله: ﴿غَافِلُونَ﴾ فقال ابن عباس: مكذبون. وقال غيره: مُعْرِضُونَ. قال ابن زيد: وهؤلاء هم الكفار. قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قال مقاتل: من الكفر والتكذيب.

قوله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِمُ رُسُلُهُمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: يهديهم إلى الجنة ثواباً بإيمانهم. والثاني: يجعل لهم نوراً يمشون به بإيمانهم. والثالث: يزيدهم هدى بإيمانهم. والرابع: يشيهم بإيمانهم. فاما الهداية، فقد سقت لهم. قوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ أي: تجري بين أيديهم وهم يرونها من علو.

قوله تعالى: ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا﴾ أي: دعاؤهم. وقد شرحنا ذلك في أول [الأعراف: ٥]. وفي المراء بهذا الدعاء قولان: أحدهما: أنه استدعاؤهم ما يشتهون. قال ابن عباس: كلما اشتهى أهل الجنة شيئاً، قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ فيأتيهم ما يشتهون؛ فإذا طعموا، قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فذلك آخر دعاؤهم. وقال ابن جريج: إذا مرَّ بهم الطير يشتهونه، قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ فيأتيهم الملك بما اشتتهوا، فيسلم عليهم، فيردون عليه فذلك قوله: ﴿وَرَبَّيْنَاهُمْ فِيهَا سَلَّمَ﴾. فإذا أكلوا، حمداً ربهم؛ فذلك قوله: ﴿وَمَا أَجَزُ دَعَوْنَهُمْ أَنَّ لَكَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. والثاني: أنهم إذا أرادوا الرغبة إلى الله تعالى في دعاء يدعو به، قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَيُخَيِّمُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تحية بعضهم لبعض، وتحية الملائكة لهم، قاله ابن عباس.

والثاني: أن الله تعالى يُصَيِّبُهُم بالسَّلام. والثالث: أن النجاة: المُلْك، فالمعنى: مُلكهم فيها سالم، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَرْجُوا دَعْوَتَهُمْ﴾ أي: دعاؤهم وقولهم: ﴿إِنِ احْتَسَدُوا رَبِّي أَغْلِبَنِي﴾. قرأ أبو مجلز، وعكرمة، ومجاهد، وابن يعمر، وقتادة، ويعقوب: «أَنَّ الحمد لله» بتشديد النون ونصب الدال. قال الزجاج: أعلم الله أنهم يبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه، ويختمون بشكره والثناء عليه. وقال ابن كيسان: يفتتحون كلامهم بالترديد، ويختمونه بالتوحيد.

﴿وَلَوْ يَسْئَلُ اللَّهُ النَّاسُ أَشْرَ اسْتِغْثَالِهِمْ بِالْحَبْرِ لَفُتِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَتَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَسْئَلُ اللَّهُ النَّاسَ أَشْرَ﴾ ذكر بعضهم أنها نزلت في النضر بن الحارث حيث قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [الأنفال: ٨]. والتعجيل: تقديم الشيء قبل وقته. وفي المراد بالآية قولان: أحدهما: ولو يعجل الله للناس الشر إذا دعوا على أنفسهم عند الغضب وعلى أهلهم، واستعجلوا به كما يعجل لهم الخير، لهلكوا، هذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: ولو يعجل الله للكافرين العذاب على كفرهم كما عجل لهم خير الدنيا من المال والولد، لعجل لهم قضاء آجالهم ليتعجلوا عذاب الآخرة، حكاها الماوردي. ويقوي هذا تمام الآية وسبب نزولها. وقد قرأ الجمهور: ﴿لَفُتِيَ إِلَيْهِمْ﴾ بضم القاف ﴿أَجَلُهُمْ﴾ بضم اللام. وقرأ ابن عامر: ﴿لَفُتِيَ﴾ بفتح القاف ﴿أَجَلُهُمْ﴾ بنصب اللام. وقد ذكرنا في أول (سورة البقرة: ١٥) معنى الطغيان والعمه.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا لِحَبِيئِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَكَانَ لَوْ يَدْعُنَا إِلَىٰ مِثْلِهِ مَشَرًا﴾ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في أبي حذيفة، واسمه هاشم بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت في عتبة بن ربيعة، والوليد بن المغيرة، قاله عطاء. و «الضر»: الجهد والشدة. واللام في قوله: ﴿لِحَبِيئِهِ﴾ بمعنى «على». وفي معنى الآية قولان: أحدهما: إذا مسه الضر دعا على جنبه، أو دعا قاعداً، أو دعا قائماً، قاله ابن عباس. والثاني: إذا مسه الضر في هذه الأحوال، دعا، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أعرض عن الدعاء، قاله مقاتل. والثاني: مر في العافية على ما كان عليه قبل أن يُتلى، ولم يَعتَظ بما يناله، قاله الزجاج. والثالث: مر طاعياً على ترك الشكر. قوله تعالى: ﴿كَكَانَ لَوْ يَدْعُنَا﴾ قال الزجاج: «كان» هذه مخففة من الثقيلة، المعنى: كأنه لم يدعنا، قالت الخنساء:

كَأَن لَّمْ يَكُونُوا جَمِئاً يُنْقَى إِذَا النَّاسُ إِذْ ذَاكَ مَنَ عَرّاً بَرّاً<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيْنَ لِّلْمُتَرَفِينَ﴾ المعنى: كما زُيِّن لهذا الكافر الدعاء عند البلاء، والإعراض عند الرِّخاء، كذلك زُيِّن للمُسرفين، وهم المجاوزون الحد في الكفر والمعصية، علمهم.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا يَظْهَرُونَ﴾ ﴿١٣﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ قال مقاتل: هذا تخويف لكفار مكة. والظلم هاهنا بمعنى الشرك. وفي قوله: ﴿وَمَا كَانُوا يَظْهَرُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنه عائد على أهل مكة، قاله مقاتل. والثاني: على القرون المتقدمة، قاله أبو سليمان. قال ابن الأنباري: ألزمهم الله ترك الإيمان لمعاندتهم الحق وإلثامهم الباطل. وقال الزجاج: جائز أن يكون جعل جزاءهم الطبع على قلوبهم، وجائز أن يكون أعلم ما قد علم منهم.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي﴾ أي: نعاقب ونهلك ﴿الْقَوْمَ الْمُتَرَفِينَ﴾ يعني المشركين من قومك.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَدِيلِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤﴾



قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾ قال ابن عباس: جعلناكم يا أمة محمد خلائف، أي: استخلفناكم في الأرض. وقال قتادة: ما جعلنا الله خلائف إلا لينظر إلى أعمالنا، فأروا الله من أعمالكم خيراً بالليل والنهار. ﴿وَإِذَا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمْ أَنبَاءُ بَنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَهُ أَن تَبْعَثَ لَهُمْ هَذَا أَوْ يَدُلُّهُمْ قُلُوبُهُمْ مَا يَكُونُ لَهُ أَن يَأْتِيَهُمْ مِن نَّبَأٍ نَقِيٍّ إِن أَنزِلَ إِلَّا مَا يَكُونُ إِلَيْهِ لَخَافُ إِن عَصَيْتَ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمْ أَنبَاءُ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في المستهزئين بالقرآن من أهل مكة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في مشركي مكة، قاله مجاهد، وقتادة. والمراد بالآيات: القرآن. و«يرجون» بمعنى: يخافون. وفي علّة طلبهم سوى هذا القرآن أو تبديله قولان: أحدهما: أنهم أرادوا تغيير آية العذاب بالرحمة، وآية الرحمة بالعذاب، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم كرهوا منه ذكر البعث والنشور، لأنهم لا يؤمنون به، وكرهوا عيب آلهتهم، فطلبوا ما يخلو من ذلك، قاله الزجاج. والفرق بين تبديله والإتيان بغيره، أن تبديله لا يجوز أن يكون معه، والإتيان بغيره قد يجوز أن يكون معه.

قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لَهُ﴾ حرّك هذه الباء ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأسكنها الباقون. ﴿مِن نَّبَأٍ نَقِيٍّ﴾ حرّكها نافع، وأبو عمرو؛ وأسكنها الباقون، والمعنى: من عند نفسي، فالمعنى: أن الذي أتيت به من عند الله، لا من عندي فأبدله. ﴿إِنَّ لَخَافُ﴾ فتح هذه الباء ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو. ﴿إِن عَصَيْتَ رَبِّي﴾ أي: في تبديله أو تغييره ﴿عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ يعني في القيامة.

### فصل

وقد تكلم علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على ما بيّنا في نظيرتها في [الأنعام: ١٥]. ومقصود الآيتين تهديد المخالفين؛ وأضيف ذلك إلى الرسول ليصعب الأمر فيه.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْهِمْ وَلَا أَذْرَبْكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ قُلْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّكُمْ لَا يُبْلِغُونَ الْحُجُورَ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْهِمْ﴾ يعني القرآن؛ وذلك أنه كان لا يُنزل عليّ، فيأمرني بتلاوته عليكم. ﴿وَلَا أَذْرَبْكُمْ بِهِ﴾ أي: ولا أعلمكم الله به. قرأ ابن كثير: «وَلَا أَذْرَبْكُمْ» بلام التوكيد من غير ألف بعدها، يجعلها لاماً دخلت على «أدركم». وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «أدركم» بالإمالة. وقرأ الحسن، وابن أبي عبلة، وشيبة بن نصاح: «ولا أدراكنكم» بناء بين الألف والكاف. ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ وقرأ الحسن، والأعمش: «عُمُرًا» بسكون الميم. قال أبو عبيدة: وفي العمر ثلاث لغات: عُمر، وعُمُر، وعُمُر. قال ابن عباس: أقمت فيكم أربعين سنة لا أحدثكم بشيء من القرآن ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنه ليس من قبلي. ﴿قُلْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: لم أفتّر على الله ولم أكذب عليه، وأنتم فعلتم ذلك حيث زعمتم أن معه شريكاً. والمجرمون ها هنا: المشركون.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتَعْبُدُونَ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ شُبْحَنَهُ وَقَسَمًا يَشْرِكُونَ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ أي: لا يضرهم إن لم يعبدوه، ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ إن عبدوه، قاله مقاتل، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني المشركين. ﴿هَؤُلَاءِ﴾ يعنون الأصنام. قال أبو عبيدة: خرجت كنايةها على لفظ كناية الأدميين. وقد ذكرنا هذا المعنى في [الأمراء: ١٩١] عند قوله: ﴿وَهُمْ يَخْلُقُونَ﴾. وفي قوله: ﴿شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: شفعأونا في الآخرة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، ومقاتل. والثاني: شفعأونا في إصلاح معاشنا في الدنيا، لأنهم لا يَقْرُونَ بالبعث، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنتَنَزَّلُوهُ اللَّهُ يَمَا لَا يَمْلِكُ﴾ قال الضحاك: أتخبرون الله أن له شريكاً، ولا يعلم الله لنفسه شريكاً في السموات ولا في الأرض.

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاتَّخَذُوا وَلُولا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاتَّخَذُوا﴾ قد شرحنا هذا في سورة [البقرة: ٢١٣] وأحسن الأقوال أنهم كانوا على دين واحد موحدين، فاختلفوا وعبدوا الأصنام، فكان أول من بعث إليهم نوح عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿وَلُولا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ولولا كلمة سبقت بتأخير هذه الأمة أنه لا يهلكهم بالعذاب كما أهلك الذين من قبلهم، لقضي بينهم بنزول العذاب، فكان ذلك فصلاً بينهم فيما فيه يختلفون من الدين. والثاني: أن الكلمة: أن لكل أمة أجلاً، وللدنيا مدة لا يتقدم ذلك على وقته. والثالث: أن الكلمة: أنه لا يأخذ أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه. وفي قوله: ﴿لَقُيَ بَيْنَهُمْ﴾ قولان: أحدهما: لقضي بينهم بإقامة الساعة. والثاني: بنزول العذاب على المكذبين.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني المشركين ﴿لَوْلَا﴾ أي: هلاً ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ مثل العصا واليد وآيات الأنبياء. ﴿قُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن سؤالك: لم لم تنزل الآية؟ غيب، ولا يعلم علّة امتناعها إلا الله. والثاني: أن نزول الآية متى يكون؟ غيب، ولا يعلمه إلا الله.

قوله تعالى: ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: انتظروا نزول الآية. والثاني: قضاء الله بيننا بإظهار المحق على المبطل.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ عَذَابِهِمْ سَتَرْنَا لَهُمْ مَكْرًا إِذَا أَسْرَعُ مَكْرًا فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا بِكُتُوبٍ مَّا تَمْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا على أهل مكة بالجذب فحقطوا سبع سنين، أتاه أبو سفيان، فقال: ادع لنا بالخصب، فإن أخصبنا صدقناك، فدعا لهم، فسقوا ولم يؤمنوا، ذكره الماوردي. قال المفسرون: المراد بالناس هاهنا: الكفار. وفي المراد بالرحمة والضراء ثلاثة أقوال: أحدها: أن الرحمة: العافية والسرور، والضراء: الفقر والبلاء، قاله ابن عباس. والثاني: الرحمة: الإسلام، والضراء: الكفر، وهذا في حق المنافقين، قاله الحسن. والثالث: الرحمة: الخصب، والضراء: الجذب، قاله الضحاك. وفي المراد بالمكر هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنه الاستهزاء والتكذيب، قاله مجاهد، ومقاتل. والثاني: أنه الجحود والرد، قاله أبو عبيدة. والثالث: أنه إضافة النعم إلى غير الله، فيقولون: سقينا بنوء كذا، قاله مقاتل بن حيان. والرابع: أن المكر: النفاق، لأنه إظهار الإيمان وإبطان الكفر، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ أي: جزاء على المكر. ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ يعني الحفظة ﴿يَكُتُبُونَ مَّا تَمْكُرُونَ﴾ أي: يحفظون ذلك لمجازاتهم عليه. وقرأ يعقوب وإلا رويساً وأبا حاتم، وأبان عن عاصم: «يمكرون» بالياء.

﴿هُوَ الَّذِي يَسِّرُكَ فِي الْوَحْيِ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتَ فِي أَلْفِكَ وَبَيْنَ يَمِينٍ يَبِيعُ طَيْبَةً وَفَرِحُوا بِمَا جَاءَتْهَا رَيْحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ الَّذِينَ لَيْسَ أَمْرُهُمْ فِي هَؤُلَاءِ شَيْءٍ فَكَلَّمُوا مِنْ الْمُشْكِرِينَ﴾ قلنا: أَمْحُهُمْ إِذَا هُمْ يَتَوْنُ فِي الْأَرْضِ بِمَنْزِلَةِ النَّاسِ يَأْتِي النَّاسَ إِكْمًا بِمَنْزِلَةِ عَلَى أَسْمِكُمْ مَنَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِنَّا سَرَجَمَكُمُ فَنَنفِثُكُمْ يَمَا كُنْتُمْ تَمْلُكُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يَسِّرُكَ﴾ أي: الله الذي هو أسرع مكرًا، هو الذي ييسركم ﴿فِي الْوَحْيِ﴾ على الدواب، وفي البحر على السفن، فلو شاء انتقم منكم في البر أو في البحر. وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر: «ينشركم» بالنون والشين من النشر، وهو في المعنى مثل قوله: ﴿وَبَيْنَهُمَا بَيَاطٌ كَبِيرٌ﴾ [النساء: ٢٧]. والملك: السفن. قال الفراء: الملك تذكّر وتؤنث، وتكون واحدة وتكون جمعاً، قال تعالى هاهنا: ﴿جَاءَتْهَا﴾ فأنث، وقال في آية: ﴿فِي أَلْفِكَ الْمَشْهُورِ﴾ فذكر.

قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا﴾ عاد بعد المخاطبة لهم إلى الإخبار عنهم. قال الزجاج: كل من أقام الغائب مقام من يخاطبه جاز أن يردّه إلى الغائب، قال الشاعر:

سَطَّطَ مَزَارُ العاشقين فأصبح  
قوله تعالى: ﴿رِيحٌ مَّيِّسَةٌ﴾ أي: لَيِّنَةٌ. ﴿وَدَّرَحُوا بِهَا﴾ لئِذَا. ﴿جَاءَتْهَا﴾ يعني الفلك. قال الفراء: وإن شئت جعلتها للريح، كأنك قلت: جاءت الريح الطيبة ريح عاصف، والعرب تقول: عاصف وعاصفة، وقد عصفت الريح وأعصفت، والألف لغة لبني أسد. قال ابن عباس: الريح العاصف: الشديدة. قال الزجاج: يقال: عصفت الريح، فهي عاصف وعاصفة، وأعصفت، فهي معصف ومعصفة. ﴿وَيَا هُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: من كل أمكنة الموج.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى اليقين. والثاني: أنه التوهم. وفي قوله: ﴿أُحِيطَ بِهِمْ﴾ قولان: أحدهما: دنوا من الهلكة. قال ابن قتيبة: وأصل هذا أن العدو إذا أحاط ببيلد، فقد دنا أهله من الهلكة. وقال الزجاج: يقال لكل من وقع في بلاء: قد أحيط بفلان، أي: أحاط به البلاء. والثاني: أحاطت بهم الملائكة، ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿دَعَا اللَّهَ تَحْلِيصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ دون أولئهم. قال ابن عباس: تركوا الشرك، وأخلصوا لله الربوبية، وقالوا: ﴿لَيْنَ أَيْمَاتٍ مِنْ هَؤُلَاءِ﴾ الريح العاصف ﴿تَنفُكُونَ مِنَ الَّذِينَ﴾ أي: الموحدين.

قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ البغي: الترامي في الفساد. قال الأصمعي: يقال: بغى الجرح: إذا ترامى إلى فساد. قال ابن عباس: يبتغون في الأرض بالدعاء إلى عبادة غير الله والعمل بالمعاصي والفساد. ﴿يَأْتِيَا النَّاسَ﴾ يعني أهل مكة. ﴿إِنَّمَا يَبْغِيكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: جناية مظالمكم بينكم على أنفسكم. وقال الزجاج: عملكم بالظلم عليكم يرجع.

قوله تعالى: ﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، وحفص، وأبان عن عاصم: ﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بنصب المتاع. قال الزجاج: من رفع المتاع، فالمعنى أن ما تتألف به هذا البغي إنما تتصفون به في الدنيا، ومن نصب المتاع، فعلى المصدر. فالمعنى: تمتعون متاع الحياة الدنيا. وقرأ أبو المتوكل، واليزيدي في اختياره، وهارون العتكي عن عاصم: ﴿متاع الحياة﴾ بكسر العين. قال ابن عباس: ﴿متاع الحياة الدنيا﴾، أي: منفعة في الدنيا.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْغَيْثِ إِذَا سُكِرَ بِهِ نَازِلًا أَمْطَرَ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الْغَايِبُونَ وَأَسْخَاكُمْ أَتَمَّ مِنْ أَنْ تُبْذَرُوا عَلَيْكُمْ أَمْ لَهُمْ حَسْبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْغَيْثِ إِذَا سُكِرَ بِهِ نَازِلًا أَمْطَرَ﴾ هذا مثل ضربه الله للدنيا الفانية، فشبها بمطر نزل من السماء ﴿فَإِنْ خَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ يعني الثف النبات بالمطر، وكثر ﴿وَمَا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ من الحبوب وغيرها ﴿وَالْأَنْعَامُ﴾ من المرعى. ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَفَتَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ قال ابن قتيبة: وزيتها بالنبات. وأصل الزخرف: الذهب، ثم يقال للنقش والنور والزهر وكل شيء زُفِرَ. زخرف. وقال الزجاج: الزخرف: كمال حسن الشيء.

قوله تعالى: ﴿وَأُزَيِّنَتْ﴾ قرأ الجمهور «وازيئت» بالتشديد. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وأبو عبد الرحمن، والحسن، وابن يعمر: بفتح الهمزة وقطعها ساكنة الزاي، على وزن: وَأَفْعَلْتُ. قال الزجاج: من قرأ «وَأُزَيِّنَتْ» بالتشديد، فالمعنى: وتزيئت، فأدغمت التاء في الزاي، وأسكنت الزاي فاجتلبت لها ألف الوصل؛ ومن قرأ «وَأُزَيِّنَتْ» بالتخفيف على أفعلت، فالمعنى: جاءت بالزينة. وقرأ أبي، وابن مسعود: «وتزيئت».

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَمْنَا﴾ أي: أيقن أهل الأرض ﴿أَنَّهُمْ قَدْ بُذِرُوا عَلَيْهَا﴾ أي: على ما أنبتته، فأخبر عن الأرض، والمراد النبات، لأن المعنى مفهوم. ﴿أَتَمَّ أَمْرًا﴾ أي: قضاؤنا بإهلاكها ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَبِيدًا﴾ أي: محصوداً لا شيء فيها، والحصيد: المقطوع المستأصل. ﴿كَأَن لَّمْ تَرَ بِالْأَمْنِ﴾ قال الزجاج: لم تعمّر. والمغاني: المنازل التي

يعمرها الناس بالنزول فيها. يقال: غَنَيْنَا بِالْمَكَانِ: إِذَا نَزَلُوا بِهِ. وقرأ الحسن: «كَانَ لَمْ يَغْنُ» بالياء، يعني الحصيد. قال بعض المفسرين: تأويل الآية: أن الحياة في الدنيا سبب لاجتماع المال وما يروق من زهرة الدنيا ويعجب، حتى إذا استتم ذلك عند صاحبه، وظن أنه متع بذلك، سلب عنه بموته، أو بحادثة تهلكه، كما أن الماء سبب لالتفاف النبات وكثرته، فإذا تزيت به الأرض، وظن الناس أنهم مستمتعون بذلك، أهلكه الله، فعاد ما كان فيها كأن لم يكن.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ الْكَافِرِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ لَكُمْ مِرَاطَ شَيْئٍ ۖ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْمُسْتَقِيمَ ۚ وَلَا يَرْهَقُ وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ الْكَافِرِ﴾ يعني الجنة. وقد ذكرنا معنى تسميتها بذلك عند قوله: ﴿لَهُمْ دَارُ الْكَافِرِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧]. واعلم أن الله عَمَّ بالدعوة، وخصَّ بالهداية من شاء، لأن الحكم له في خلقه. وفي المراد بالصراط المستقيم أربعة أقوال: أحدها: كتاب الله، رواه علي عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>. والثاني: الإسلام، رواه الثَّوَّاس بن سمعان عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثالث: الحق، قاله مجاهد، وقادة. والرابع: المخرج من الضلالات والشُّبُه، قاله أبو العالية.

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ قال ابن عباس: قالوا: لا إله إلا الله. قال ابن الأنباري: الحسنی: كلمة مستغنى عن وصفها ونعتها، لأن العرب توقعها على الخلَّة المحبوبة المرغوب فيها المفروح بها، فكان الذي تعلمه العرب من أمرها يغني عن نعتها، فكذلك المزيد عليها محمول على معناها ومتعرف من جهتها، يدل على هذا قول امرئ القيس:

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت  
فَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَزَقَّ غَلَامُنَا  
هَصْرْتُ بِغَصْنِ ذِي شَمَارِيخٍ مَيَّالٍ<sup>(٣)</sup>  
وَرُضْتُ فَلَذْتُ صَفْبَةً أَيْ إِذْلَالٍ

أي: إلى الأمر المحبوب. وهصرت بمعنى مدت. والغصن كناية عن المرأة. والباء مؤكدة للكلام، كما تقول العرب: ألقى بيده إلى الهلاك، يريدون: ألقى يده. والشماريخ كناية عن الذوائب. ورضت، معناه: أذلت. ومن أجل هذا قال: أي إذلال، ولم يقل: أي رياضة. وللمفسرين في المراد بالحسنى خمسة أقوال: أحدها: أنها الجنة، روي عن رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>، وبه قال الأكثرون. والثاني: أنها الواحدة من الحسنات بواحدة، قاله ابن عباس. والثالث: النصر، قاله عبد الرحمن بن سابط. والرابع: الجزاء في الآخرة، قاله ابن زيد. الخامس: الأمانة، ذكره ابن الأنباري. وفي الزيادة ستة أقوال: أحدها: أنها النظر إلى الله ﷻ. روى مسلم في «صحيحه» من حديث صهيب عن النبي ﷺ أنه قال: «الزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل»<sup>(٥)</sup>. وبهذا القول قال أبو بكر الصديق، وأبو موسى

(١) «الطبري» ١٧١/١ - ١٧٢ عن علي مرفوعاً، وإسناده ضعيف جداً. وقد خرج ابن كثير في «تفسيره» ٢٧/١ من رواية ابن أبي حاتم عن علي مرفوعاً، بسند ضعيف أيضاً، وخرجه السيوطي في «الدر» ١٥/١ عن علي مرفوعاً، وزاد نسبه لابن أبي شيبه، والترمذي وضعفه، وابن الأنباري في «المصاحف»، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب»، ومذاه على الحارث الأعور، قال الحافظ ابن كثير في «الفضائل» ٥: «وقد تكلموا فيه، بل قد كذب بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما أنه تعمد الكذب في الحديث فلا، وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام، وقد وهم بعضهم في رفعه».

(٢) «الطبري» ١٧٦/١، وخرجه أحمد في «المسند» ١٨٢/٤ - ١٨٣، ونقله ابن كثير ٢٧/١ من رواية «المسند»، وقال: وهكذا رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير، من حديث الليث بن سعد به، ورواه الترمذي، والنسائي جميعاً عن علي بن حجر، عن بقة، عن جبير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن الثَّوَّاس بن سمعان به، وهو إسناده حسن صحيح. وذكره السيوطي في «الدر» ١٥/١، وزاد نسبه لابن المنذر، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن الثَّوَّاس مرفوعاً، ونص الحديث: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنيتي الصراط سورن فيها أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط طع يدعوا يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تموجوا. وداع يدعوا من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحها فتأكل إن تفتحها تلج، فالصراط: الإسلام، والصوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: معالم الله، وتلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم».

(٣) ديوانه: ٣٢. وقوله: تنازعنا الحديث، أي: حدثني وحدثنها، وأصله من النزوع بالدلو، وهو جذبها، ومعنى أسمحت: انقادت وسهلت بعد صعوبتها وامتناعها.

(٤) «الطبري» ٦٥/١٥ بسند ضعيف جداً، وذكره ابن كثير ٤١٤/٢ من رواية ابن أبي حاتم بسنده، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣/٣٠٥ وزاد نسبه للدارقطني في الرِّقَّة، وابن مردويه.

(٥) الحديث في «مسلم» ١٦٣/١ ولفظه: عن صهيب عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ». ورواه أحمد =

الأشعري، وحذيفة، وابن عباس، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، والسدي، ومقاتل. والثاني: أن الزيادة: غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب، رواه الحكم عن علي، ولا يصح<sup>(١)</sup>. والثالث: أن الزيادة: مضاعفة الحسنه إلى عشر أمثالها، قاله ابن عباس، والحسن. والرابع: أن الزيادة: مغفرة ورضوان، قاله مجاهد. الخامس: أن الزيادة: أن ما أعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به في القيامة، قاله ابن زيد. والسادس: أن الزيادة: ما يشتهونه، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْشَى أَي: لا يخشى ﴿وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ وقرأ الحسن، وقتادة، والأعمش: «قَتَرًا بِاسْكَانِ التَّاء» وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه السواد. قال ابن عباس: سواد الوجوه من الكآبة. وقال الزجاج: القتر: الغبرة التي معها سواد. والثاني: أنه دخان جهنم، قاله عطاء. والثالث: الخزي، قاله مجاهد. والرابع: الغبار، قاله أبو عبيدة. وفي اللذة قولان: أحدهما: الكآبة، قاله ابن عباس. والثاني: الهوان، قاله أبو سليمان.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَنْبَغِي بِمِثْلِهَا وَزَجَّاهُمْ إِلَيْهَا مَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ حَاسِرٍ كَانُوا أَفْشَيْتَ وَجُوهَهُمْ يَطْلَعُ مِنْ أَيْلٍ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَحْسَنُ أَلْوَارِهِمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ قال ابن عباس: عملوا الشر. ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَنْبَغِي بِمِثْلِهَا﴾ في الآية محذوف، وفي تقديره قولان: أحدهما: أن فيها إضمار «لهم»، المعنى: لهم جزاء سيئة بمثلها، وأشد ثعلب:

فَإِنْ سَأَلَ الْوَاشُونَ عَنْهُ فَقُلْ لَهُمْ  
مُلِمٌّ بَلَنِي لَمَّةٌ ثُمَّ إِنَّهُ  
أَرَادَ هُوَ مُلِمٌّ، وهذا قول الفراء.

والثاني: أن فيها إضمار «منهم»، المعنى: جزاء سيئة منهم بمثلها، تقول العرب: رأيت القوم صائم وقائم، أي: منهم صائم وقائم، أشد الفراء:

حَتَّى إِذَا مَا أَضَاءَ الضُّبْحُ فِي عَالَسٍ  
وَعُودَ الْبَقْلِ مَلُويٍّ وَنَحْصُودُ

أي: منه ملوي، وهذا قول ابن الأنباري. وقال بعضهم: الباء زائدة هاءنا، و«من» في قوله: ﴿وَمِنْ عَاصِرٍ﴾ صلة، والعاصم: المانع. ﴿كَانُوا أَفْشَيْتَ وَجُوهَهُمْ﴾ أي: ألبست: ﴿وَقَلْعًا﴾ قرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة: «قَطْعًا» مفتوحة الطاء، وهي جمع قطعة. وقرأ ابن كثير، والكسائي، ويعقوب: «قَطْعًا» بتسكين الطاء. قال ابن قتيبة: وهو اسم ما قُطِع. قال ابن جرير: وإنما قال: «مُظْلِمًا» ولم يقل: «مُظْلِمَةٌ» لأن المعنى: قطعاً من الليل المظلم، ثم حذفت الألف واللام من «المظلم»، فلما صار نكرة، وهو من نعت الليل، نُصِبَ عَلَى الْقَطْعِ؛ وقوم يسمون ما كان كذلك حالاً، وقوم قطعاً.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجَمًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَرِيقًا بَيْنَهُمْ وَرِيقًا إِنَّا نَافِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ فَكَفَنَ بِاللَّهِ شَيْدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَيْبٍ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجَمًا﴾ قال ابن عباس: يُجمع الكفار وألتهتهم. ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ﴾ أي: ألتهتهم. قال الزجاج: «مَكَانَكُمْ» منصوب على الأمر، كأنهم قيل لهم: انتظروا مكانكم حتى نفصل بينكم، والعرب تتوعد فتقول: مكانك، أي: انتظر مكانك، فهي كلمة جرت على الوعيد.

قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا بَيْنَهُمْ وَرِيقًا﴾ قرأ ابن أبي عبله: «فزايلنا» بألف، قال ابن عباس: فرّقنا بينهم وبين ألتهتهم. وقال

= ٣٣٣/٤ و ١٦/٦، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣٠٥/٣ وزاد نسبه للطائسي، وهناد، والترمذي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والدارقطني في الرؤية، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات». واللفظ الذي ساقه المؤلف «الزيادة: النظر إلى وجه الله ﷻ» ذكره السيوطي من رواية الدارقطني، وابن مردويه عن صهيب.

(١) «الطبري» ٦٩/١٥ عن الحكم بن عتيبة، عن علي، وهو ضعيف لإرساله، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣٠٦/٣ من طريق الحكم بن عتيبة عن علي، وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والبيهقي في الرؤية.



وفي آخر السورة كذلك. وقرأ نافع، وابن عامر الحرفين «كلمات» على الجمع. قال الزجاج: الكاف في موضع نصب، أي: يثُل أفعالهم جازاهم ربك، والمعنى: حق عليهم أنهم لا يؤمنون. وقوله: ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بدل من ﴿كَثُرَ رَيْبُكَ﴾ وجائز أن تكون الكلمة حقت عليهم لأنهم لا يؤمنون، وتكون الكلمة ما وعدوا به من العقاب. وذكر ابن الأنباري في ﴿كَذَلِكَ﴾ قولين: أحدهما: أنها إشارة إلى مصدر «تُصرفون»، والمعنى: مثل ذلك الصرف حقت كلمة ربك. والثاني: أنه بمعنى هكذا. وفي معنى «حقت» قولان: أحدهما: وجبت. والثاني: سبقت. وفي كلمته قولان: أحدهما: أنها بمعنى وعده. والثاني: بمعنى قضائه. ومن قرأ «كلمات» جعل كل واحدة من الكلم التي توعدوا بها كلمة. وقد شرحنا معنى الكلمة في (الأعراف: ١٣٧ و ١٥٨).

قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ أي: إلى الحق.

قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ لَا يَهْدِي﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وورش عن نافع «يَهْدِي» بفتح الياء والهاء وتشديد الدال. قال الزجاج: الأصل يهتدي، فادغمت التاء في الدال، فطرحت فتححتها على الهاء. وقرأ نافع إلا ورشاً، وأبو عمرو: «يَهْدِي» بفتح الياء وإسكان الهاء وتشديد الدال، غير أن أبا عمرو كان يُشِم الهاء شيئاً من الفتح. وقرأ حمزة، والكسائي: «يَهْدِي» بفتح الياء وسكون الهاء وتخفيف الدال. قال أبو علي: والمعنى: لا يهدي غيره إلا أن يَهْدِي هو، ولو هُذِيَ الصُّمُّ لم يهتد، ولكن لما جعلوها كمن يعقل، أجريت مجراه. وروى يحيى بن آدم عن أبي بكر عن عاصم: «يَهْدِي» بكسر الياء والهاء وتشديد الدال، وكذلك روى أبان وجيلة عن المفضل وعبد الوارث، قال الزجاج: أتبعوا الكسرة الكسرة، وهي رديئة لثقل الكسرة في الياء. وروى حفص عن عاصم، والكسائي عن أبي بكر عنه: «يَهْدِي» بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال، قال الزجاج: وهذه في الجودة كالمفتوحة الهاء، إلا أن الهاء كُسرَت لالتقاء الساكنين. وقرأ ابن السميع: «يهتدي» بزيادة تاء. والمراد بقوله: ﴿أَنَّهُ لَا يَهْدِي﴾ الصم ﴿إِلَّا أَنْ يَهْدِيَهُ﴾. وظاهر الكلام يدل على أن الأصنام إن هديت اهتدت، وليست كذلك، لأنها حجارة لا تهتدي، إلا أنهم لما اتخذوها آلهة، عبر عنها كما يعبر عن من يعقل، ووصفت صفة من يعقل وإن لم تكن في الحقيقة كذلك؛ ولهذا المعنى قال في صفتها: ﴿أَنَّهُ﴾ لأنهم جعلوها كمن يعقل. ولما أعطاهم حقها في أصل وضعها، قال: ﴿يَقَاتِلَ لِمَ يُدْعَىٰ مَا لَا يَسْتَعِ﴾ (مریم: ٤٢). وقال الفراء: ﴿أَنَّهُ لَا يَهْدِي﴾ أي: أتعبدون ما لا يقدر أن يتنقل من مكانه إلا أن يحول؟ وقد صرف بعضهم الكلام إلى الرؤساء والمضللين، والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿فَأَلْكَرُ﴾ قال الزجاج: هو كلام تام، كأنه قيل لهم: أي شيء لكم في عبادة الأوثان؟ ثم قيل لهم: ﴿كَيْفَ تَعْبُدُونَ﴾ أي: على أي حال تحكمون؟ وقال ابن عباس: كيف تقضون لأنفسكم؟ وقال مقاتل: كيف تقضون بالجور؟.

﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: كلهم ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: ما يستيقنون أنها آلهة، بل يظنون شيئاً فيُعبونه. ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أي: ليس هو كاليقين، ولا يقوم مقام الحق. وقال مقاتل: ظنهم بأنها آلهة لا يدفع عنهم من العذاب شيئاً، وقال غيره: ظنهم أنها تشفع لهم لا يغني عنهم.

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يَقْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ قَصْدِيقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْمَلَكِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يَقْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: هذا جواب قولهم: ﴿أَنْتَ يَشْرَانِي غَيْرَ هَذَا أَوْ بَدَلَهُ﴾ (يونس: ١٥) وجواب قولهم: ﴿أَقْرَبَهُ﴾ (الفرقان: ٤). قال الفراء: ومعنى الآية: ما ينبغي لمثل هذا القرآن أن يفترى من دون الله، فجاءت «أن» على معنى ينبغي. وقال ابن الأنباري: يجوز أن تكون «أن» مع «يفترى» مصدرًا، وتقديره: وما كان هذا القرآن افتراءً. ويجوز أن تكون «كان» تامة، فيكون المعنى: ما نزل هذا القرآن، وما ظهر هذا القرآن لأن يفترى، وبأن يفترى، فتُنصب «أن» بفقد الخافض في قول الفراء، وتخفص بإضمار الخافض في قول الكسائي. وقال ابن قتيبة: معنى «أَنْ يَقْتَرَىٰ» أي: يضاف إلى غير الله، أو يُخْتَلَق.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تصديق الكتب المتقدمة، قاله ابن عباس. فعلى هذا، إنما قال: ﴿الَّذِي﴾ لأنه يريد الوحي. والثاني: ما بين يديه من البعث والنشور، ذكره الزجاج. والثالث: تصديق النبي ﷺ الذي بين يدي القرآن، لأنهم شاهدوا النبي ﷺ وعرفوه قبل سماعهم القرآن، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ أي: وبيان الكتاب الذي كتبه الله على أمة محمد ﷺ والفرائض التي فرضها عليهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُزِّلَ لَهُ الْبُكُورُ فَهُمْ لَا يَخِفُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُزِّلَ لَهُ الْبُكُورُ﴾ في «أم» قولان: أحدهما: أنها بمعنى الواو، قاله أبو عبيدة. والثاني: بمعنى بل، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا يُسُورًا مِّثْلَهُ﴾ قال الزجاج: المعنى: فأتوا بسورة مثل سورة منه، فذكر المثل لأنه إنما التمس شبه الجنس، ﴿وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ ممن هو في التكذيب مثلكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنه اختلقه.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ وَلَكِنَّا بآيَاتِهِمْ تَأْوِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: بما لم يحيطوا بعلم ما فيه ذكر الجنة والنار والبعث والجزاء. والثاني: بما لم يحيطوا بعلم التكذيب به، لأنهم شاغون فيه. وفي قوله: ﴿وَلَكِنَّا بآيَاتِهِمْ تَأْوِيلًا﴾ قولان: أحدهما: تصديق ما وعدوا به من الوعيد. والتأويل: ما يؤول إليه الأمر. والثاني: ولم يكن معهم علم تأويله، قاله الزجاج. قيل لسفيان بن عيينة: يقول الناس: كل إنسان عدو ما جهل، فقال: هذا في كتاب الله. قيل: أين؟ فقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ﴾. وقيل للحسين بن الفضل: هل تجد في القرآن: من جهل شيئاً عاداه؟ فقال: نعم، في موضعين: قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ﴾ وقوله: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَشْفَارُ﴾ [الأحاف: ١١].

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: قريش، قاله مقاتل بن سليمان. وفي هاء «به» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى محمد ﷺ ودينه، قاله مقاتل. والثاني: إلى القرآن، قاله أبو سليمان الدمشقي. وهذه الآية تضمنت الإخبار عما سبق في علم الله، فالمعنى: ومنهم مَن سيؤمن به. وقال الزجاج: منهم من يعلم أنه حق فيصدق به ويعانده فيظهر الكفر. ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أي: يشك ولا يصدق.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ قال عطاء: يريد المكذبين، وهذا تهديد لهم.

﴿رَبَّنَا كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ وَلَكِنَّا بآيَاتِهِمْ تَأْوِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ﴾ الآية. قال أبو صالح عن ابن عباس: نسختها آية السيف؛ وليس هذا بصحيح، لأنه لا تنافي بين الآيتين.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَن تَسْمِعَهُمْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: في يهود المدينة، كانوا يأتون رسول الله ﷺ ويستمعون القرآن فيعجبون ويشتهونه ويغلب عليهم الشفاء، فنزلت هذه الآية. والثاني: أنها نزلت في المستهزئين، كانوا يستمعون إلى النبي ﷺ للاستهزاء والتكذيب، فلم ينتفعوا، فنزلت فيهم هذه الآية، والقولان مرويان عن ابن عباس. والثالث: أنها نزلت في مشركي قريش، قاله مقاتل. قال الزجاج: ظاهرهم ظاهر من يستمع، وهم لشدة عداوتهم بمنزلة الصم. ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: ولو كانوا مع ذلك جهالاً. وقال ابن عباس: يريد أنهم شر من الصم، لأن الصم لهم عقول وقلوب، وهؤلاء قد أصم الله قلوبهم.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَن تَهْدِيَهُمْ أَوْ لَا تَهْدِيَهُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ قال ابن عباس: يريد متعجبين منك. ﴿أَفَأَن تَهْدِيَهُمْ أَوْ لَا تَهْدِيَهُمْ﴾ يريد أن الله



أعمى قلوبهم فلا يبصرون. وقال الزجاج: ومنهم من يُقِيل عليك بالنظر، وهو من بغضه لك وكرهته لما يرى من آياتك كالأعمى. وقال ابن جرير: ومنهم من يستمع قولك وينظر إلى حججك على نُبُوتك، ولكن الله قد سلبه التوفيق. وقال مقاتل: و «لو» في الآيتين بمعنى «إذا».

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ٤٤

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ لما ذكر الدين سبق القضاء عليهم بالشقاوة، أخبر أن تقدير ذلك عليهم ليس بظلم، لأنه يتصرف في ملكه كيف شاء، وهم إذا كسبوا المعاصي فقد ظلموا أنفسهم بذلك، لأن الفعل منسوب إليهم، وإن كان بقضاء الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «ولكن الناس» بتخفيف النون وكسرهما، ورفع الاسم بعدهما.

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ الْكَافُورُ إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ٤٥

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ الْكَافُورُ﴾ وقرأ حمزة: «يحشرهم» بالياء. قال أبو سليمان الدمشقي: هم المشركون.

قوله تعالى: ﴿كَانَ لَوْ يَشَاءُ إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾ فيه قولان: أحدهما: كأن لم يلبثوا في قبورهم، قاله ابن عباس. والثاني: في الدنيا، قاله مقاتل. قال الضحاك: قصر عندهم مقدار الوقت الذي بين موتهم وبعثهم، فصار كالساعة من النهار، لهول ما استقبلوا من القيامة.

قوله تعالى: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ قال ابن عباس: إذا بُعثوا من القبور تعارفوا، ثم تنقطع المعرفة. قال الزجاج: وفي معرفة بعضهم بعضاً، وعلم بعضهم بإضلال بعض، التوبيخ لهم، وإثبات الحجة عليهم. وقيل: إذا تعارفوا ويُخ بعضهم بعضاً، فيقول هذا لهذا: أنت أضللتني، وكسبتني دخول النار.

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ هو من قول الله تعالى، لا من قولهم، والمعنى: خسروا ثواب الجنة إذ كذبوا بالبعث ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ من الضلالة.

﴿وَإِنَّا رُبَّمَا بَعْضُ آلِي نُونُمْ أَوْ نَزَوْنَا فَإِنَّا زَجَرْنَاهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ ٤٦

فَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ ٤٧

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا رُبَّمَا بَعْضُ آلِي نُونُمْ﴾ قال المفسرون: كانت رقعة بدر مما أراه الله في حياته من عذابهم. ﴿أَوْ نَزَوْنَا﴾ قيل أن نريك ﴿فَإِنَّا زَجَرْنَاهُمْ﴾ بعد الموت، والمعنى: إن لم تنتقم منهم عاجلاً، انتقمنا أجلاً.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب. قال الفراء: «ثم» هاهنا عطف، ولو قيل: معناها: هناك الله شهيد، كان جائزاً. وقال غيره: «ثم» هاهنا بمعنى الواو. وقرأ ابن أبي عبيدة: «ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ بفتح الاء، يراد به: هنالك الله شهيد.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا زَجَرْنَاهُمْ فُقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: إذا جاء في الدنيا بعد الإذن له في دعائهم، قضى بينهم بتعجيل الانتقام منهم، قاله الحسن. وقال غيره: إذا جاءهم في الدنيا، حُكم عليهم عند اتباعه وخلافه بالطاعة والمعصية. والثاني: إذا جاء يوم القيامة، قاله مجاهد. وقال غيره: إذا جاء شاهداً عليهم. والثالث: إذا جاء في القيامة وقد كُتبوا في الدنيا، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿فَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ فيه قولان: أحدهما: بين الأئمة، فائيب المحسن وعوقب المسيء. والثاني: بينهم وبين نبيهم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٤٨

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ في القائلين هذا قولان: أحدهما: الأمم المتقدمة، أخبر عنهم باستعجال العذاب لأنبيائهم، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم المشركون الذين أنذرهم نبينا ﷺ، قاله أبو سليمان. وفي المراد بالوعد قولان: أحدهما: العذاب، قاله ابن عباس. والثاني: قيام الساعة. ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنت وأتباعك.

﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا إِلَهٌ لِّكُلِّ شَيْءٍ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ إِذَا جَاءَ أَلْبَهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقِيمُونَ ٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنِ اتَّخَذْتُمْ عَذَابَكُمْ يَوْمًا مَّا دَاكَّ يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ٥٠ أَفَرَأَى إِذَا مَا وَقَعَ عَذَابُهُمْ أَفَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِتْنَةٌ ٥١ قُلْ لِلَّهِ الظُّلُمَاتُ كُلُّهَا هَلْ نَحْمِلُهَا إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا إِلَهٌ لِّكُلِّ شَيْءٍ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾... الآية، قد ذكرت تفسيرها في آيتين من [الأعراف: ٣٤ و ١٨٨].

قوله تعالى: ﴿إِنِ اتَّخَذْتُمْ عَذَابَكُمْ يَوْمًا مَّا دَاكَّ﴾ قال الزجاج: البيات: كل ما كان بليلاً. وقوله: ﴿مَّا دَاكَّ﴾ في موضع رفع من جهتين: إحداهما: أن يكون «ذا» بمعنى الذي، المعنى: ما الذي يستعجل منه المجرمون؟ ويجوز أن يكون «ماداً» اسماً واحداً، فيكون المعنى: أي شيء يستعجل منه المجرمون؟ والهاء في «منه» تعود على العذاب. وجائز أن تعود على ذكر الله تعالى، فيكون المعنى: أي شيء يستعجل المجرمون من الله تعالى؟ وعودها على العذاب أجود، لقوله: ﴿أَفَرَأَى إِذَا مَا وَقَعَ عَذَابُهُمْ أَفَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِتْنَةٌ ٥١﴾. وذكر بعض المفسرين أن المراد بالمجرمين: المشركون، وكانوا يقولون: نكذب بالعذاب ونستعجله، ثم إذا وقع العذاب أمنا به؛ فقال الله تعالى موثقاً لهم: ﴿أَفَرَأَى إِذَا مَا وَقَعَ عَذَابُهُمْ أَفَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِتْنَةٌ ٥١﴾ أي: هنالك تؤمنون فلا يُقبل منكم الإيمان، ويقال لكم: الآن تؤمنون؟ فاضمر: تؤمنون به مع ﴿أَفَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِتْنَةٌ ٥١﴾. مستهزئين، وهو قوله: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: كفروا، عند نزول العذاب ﴿ذُرُّوا عَذَابَ النَّارِ﴾، لأنه إذا نزل بهم العذاب، أفصوا منه إلى عذاب الآخرة الدائم.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَقٍ إِنَّهُمْ لَكَاظِمُونَ وَمَا أَشَدُّ بِمُعْجِزَةٍ ٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَقٍ إِنَّهُمْ لَكَاظِمُونَ وَمَا أَشَدُّ بِمُعْجِزَةٍ ٥٣﴾ أي: ويستعجلونك «أحقُّ هُوَ» يعنون البعث والعذاب. ﴿قُلْ إِي وَرَقٍ﴾ المعنى: نعم «ورق»، وفتح هذه الباء نافع، وأبو عمرو. وإنما أقسم مع إخباره تأكيداً. وقال ابن قتيبة: «إي» بمعنى «بل» ولا تأتي إلا قبل اليمين صلة لها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَشَدُّ بِمُعْجِزَةٍ ٥٣﴾ قال ابن عباس: بسابقين. وقال الزجاج: لستم ممن يُعجز أن يجازي على كفره.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظِلْمَةٌ مَا فِي الْأَرْضِ لَآتَتْهُ مِنْهُ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُتِنَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَتْلَمَهُونَ ٥٤﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظِلْمَةٌ ٥٤﴾ قال ابن عباس: أشركت. «مَا فِي الْأَرْضِ لَآتَتْهُ مِنْهُ» عند نزول العذاب. «وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ» يعني: الرؤساء أخفوها من الاتباع. «وَفُتِنَ بَيْنَهُمْ» أي: بين الفريقين. وقال آخرون منهم أبو عبيدة والمفضل: «أسروا الندامة» بمعنى أظهروا، لأنه ليس بيوم تصنع ولا تصير، والإسوار من الأضداد؛ يقال: أسرت الشيء، بمعنى: أخفيته. وأسرته: أظهرته، قال الفرزدق:

ولما رأى الحجاج جرد سيفه

أسر الحروري الذي كان أضمر<sup>(١)</sup>

يعني: أظهر. فعلى هذا القول: أظهروا الندامة عند إحراق النار لهم، لأن النار ألتهتهم عن التصنع والكتمان. وعلى الأول: كتموها قبل إحراق النار لإياهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظِلْمَةٌ ٥٤﴾ قال ابن عباس: ما وعد أوليائه من الثواب، وأعداءه من العقاب. ﴿وَلِكُلِّ أَكْزَمَةٍ﴾ يعني المشركين ﴿لَا يَتْلَمَهُونَ﴾

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَشَارَةٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهَذَى لِلْمُؤْمِنِينَ ٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ﴾ قال ابن عباس: يعني قريشاً. ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ﴾ يعني القرآن. ﴿وَبَشَارَةٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: دواء لداء الجهل. ﴿وَهَذَى﴾ أي: بيان من الضلالة.

(١) البيت في «أضداد الأصمعي» ٢١، و«أضداد السجستاني» ١٥١، و«أضداد ابن السكيت» ١٧٦، و«أضداد ابن الأنباري» ١٤٦، و«أضداد أبي الطيب» ٣٥٣، و«اللسان» و«التاج»: سرر، مشبواً فيها جميعاً إلى الفرزدق، وليس في «ديوانه».

﴿قُلْ يُضِلُّ اللَّهُ وِرْثِيهِ. فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿قُلْ يُضِلُّ اللَّهُ وِرْثِيهِ﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: أن فضل الله: الإسلام، ورحمته: القرآن، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، وهلال بن يساف. وروي عن الحسن، ومجاهد في بعض الرواية عنهما، وهو اختيار ابن قتيبة. والثاني: أن فضل الله: القرآن، ورحمته: أن جعلهم من أهل القرآن، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال أبو سعيد الخدري، والحسن في رواية. والثالث: أن فضل الله: العلم، ورحمته: محمد ﷺ، رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: أن فضل الله: الإسلام، ورحمته: تزيينه في القلوب، قاله ابن عمر. والخامس: أن فضل الله: القرآن، ورحمته: الإسلام، قاله الضحاك، وزيد بن أسلم، وابنه، ومقاتل. والسادس: أن فضل الله ورحمته: القرآن، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، واختاره الزجاج. والسابع: أن فضل الله: القرآن، ورحمته: السنة، قاله خالد بن معدان. والثامن: فضل الله: التوفيق، ورحمته: العصمة، قاله ابن عينة.

قوله تعالى: ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز، وقتادة، وأبو العالية، ورويس عن يعقوب: «فلتفرحوا» بالياء. وقرأ الحسن، ومعاذ القارئ، وأبو المتوكل مثل ذلك، إلا أنهم كسروا اللام. وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران: «فبذلك فافرحوا». قال ابن عباس: بذلك الفضل والرحمة. ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: مما يجمع الكفار من الأموال. وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، ورويس: «تجمعون» بالياء. وحكى ابن الأنباري أن الباء في قوله: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ﴾ خبر لاسم مضمر، تأويله: هذا الشفاء وهذه الموعظة بفضل الله ورحمته، فبذلك التطول من الله ليفرحوا.

﴿قُلْ أَنَبِئْتُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْنَاهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَدَّبَ لَكُمْ أَرْ عَلَى اللَّهِ تَتُوبُونَ﴾ (٥٩)

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَبِئْتُكُمْ مَا أَنَزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ قال المفسرون: هذا خطاب لكفار قريش، كانوا يحرّمون ما شاؤوا، ويحلّون ما شاؤوا. و «أَنَزَلَ» بمعنى خلق. وقد شرحنا بعض مذاهم فيما كانوا يفعلون من البحيرة والسائبة وغير ذلك في (المائة: ١٠٣) و (الانعام: ١٣٩).

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَدَّبَ لَكُمْ﴾ أي: في هذا التحليل والتعريم.

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أكرمَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٦٠)

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: ما ظنهم أن الله فاعل بهم يوم القيامة بكذبهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ حين لم يعجل عليهم بالعقوبة ﴿وَلَئِنْ أكرمَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ تأخير العذاب عنهم.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ شَيْءٍ نَسْنَالُ ذَرَّةً فِي الْآرِضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦١)

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ أي: في عمل من الأعمال، وجمعه: شؤون. ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها تعود إلى الشأن. قال الزجاج: معنى الآية: أي وقت تكون في شأن من عبادة الله، وما تلوت من الشأن من قرآن. والثاني: أنها تعود إلى الله تعالى، فالمعنى: وما تلوت من الله، أي: من نازل منه من قرآن، ذكره جماعة من العلماء. والخطاب للنبي ﷺ، وأمه داخلون فيه، بدليل قوله: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ قال ابن الأنباري: جمع في هذا، ليدل على أنهم داخلون في الفعلين الأولين.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الهاء عائدة على العمل. قال ابن قتيبة: تفيضون بمعنى تأخذون فيه. وقال الزجاج: تتشرون فيه، يقال: أفاض القوم في الحديث: إذا انتشروا فيه وخاضوا. ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ معناه: وما يبعد. وقال ابن قتيبة: ما يبعد ولا يغيب. وقرأ الكسائي «يعزب» بكسر الزاي هاهنا وفي [سبأ: ٣]. وقد بينا (مثقال ذرة) في سورة [النساء: ٤٠].

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ قرأ الجمهور بفتح الراء فيهما. وقرأ حمزة، وخلف، ويعقوب، برفع

الراء فيهما. قال الزجاج: مَنْ قرأ بالفتح، فالمعنى: وما يعزب عن ربك من مثقال ذرّة، ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر، والموضع موضع خفض، إلا أنه فُتح لأنه لا ينصرف. ومن رفع، فالمعنى: وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا أصغر ولا أكبر. ويجوز رفعه على الابتداء، فيكون المعنى: ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ﴿لَا فِي كِتَابٍ ثَبِينٍ﴾ قال ابن عباس: هو اللوح المحفوظ.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلَىٰ آلَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ﴿لَهُمُ الْبَشَرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلَىٰ آلَ اللَّهِ﴾ روى ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله، مَنْ أولياء الله؟ قال: «الذين إذا رُؤوا ذُكر الله»<sup>(١)</sup>. وروى عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله ﷻ» قالوا: يا رسول الله، مَنْ هم، وما أعمالهم لعلنا نحبيهم؟ قال: «هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتماطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس»، ثم قرأ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلَىٰ آلَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١٥﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبَشَرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح، أو تُرى له، رواه عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وجابر بن عبد الله، وأبو هريرة عن النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنها بشارة الملائكة لهم عند الموت، قاله الضحاك، وقتادة، والزهري. والثالث: أنها ما بشر الله به في كتابه من جنته وثوابه، كقوله: ﴿وَيُبَشِّرُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥]، ﴿وَأَنبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ [نصفت: ٢٠]، ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [التوبة: ٢١]، وهذا قول الحسن، واختاره الفراء، والزجاج، واستدلاً بقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾. قال ابن عباس: لا خُلف لمواعيده، وذلك أن مواعيده بكلماته، فإذا لم تبدل الكلمات، لم تبدل المواعيد. فأما بشرهم في الآخرة، ففيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الجنة، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>، واختاره ابن قتيبة. والثاني: أنه عند خروج الروح تبشّر برضوان الله، قاله ابن عباس. والثالث: أنها عند الخروج من قبورهم، قاله مقاتل<sup>(٥)</sup>.

﴿وَلَا يَحْزَنُونَ قَوْلَهُمْ إِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ جَبِيئاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنُونَ قَوْلَهُمْ﴾ قال ابن عباس: تكذيبهم. وقال غيره: تظاهروهم عليك بالعداوة وإنكارهم وأذاهم. وتم الكلام هاهنا. ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ جَبِيئاً﴾ أي: الغلبة له، فهو ناصرك وناصر دينك، ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولهم: ﴿الْعَلِيمُ﴾ بإضمارهم، فيجازيهم على ذلك.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَسْجُدُ لِلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَسْتَعِزُّوهُ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَحْمِرُونَ﴾ ﴿١٦﴾

(١) «الطبري» ١٢٠/١٥ مرسلاً، وأورده ابن كثير في «التفسير» ٤٢٢/٢ من رواية البزار مرفوعاً عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣٠٩/٣ وزاد نسبه إلى المبارك، والحكيم الترمذي في «تواضع الأصول»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) «الطبري» ١٢١/١٥، وأبو داود رقم (٣٥٢٧)، وذكره الحافظ ابن كثير وقال: إسناده جيد، إلا أنه منقطع بين أبي زرعة وعمر بن الخطاب، ورواه الطبري ١٢٢/١٥، وأحمد ٣٤٣/٥ مطولاً من حديث أبي مالك الأشعري، وفي سنده شهر بن حوشب. وروى معاذ بن جبل ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله ﷻ: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغبطهم النبيون والشهداء» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) انظر رواية الحديث عن هؤلاء الصحابة في «الطبري» ١٢٥/١٥ - ١٤٠. و«الدر» ٣١١/٣ - ٣١٣.

(٤) «الطبري» ١٣١/١٥، والسيوطي في «الدر» ٣١١/٣ وزاد نسبه لأبي الشيخ، وابن مردويه.

(٥) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله - تعالى ذكره - أخبر أن أوليائه المتقين البشري في الحياة الدنيا، ومن البشارة في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، ومنها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله، ومنها بشرى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسول الله ﷺ من الثواب الجزيل، وكل هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة الدنيا بشره بها، ولم يخص الله من ذلك معنى دون معنى، فلذلك مما عه - جل ثناؤه - أن لهم البشري في الحياة الدنيا، وأما في الآخرة فالجنة.



قوله تعالى: ﴿وَشُرَكَاءَكُم﴾ قال الفراء وابن قتيبة: المعنى: وادعوا شركاءكم. وقال الزجاج: الواو هاهنا بمعنى «مع»، فالمعنى: مع شركائكم. تقول: لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها، أي: مع فصيلها. وقرأ يعقوب: «وشركاؤكم» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَنتُمْ عَلَيْهِ غُثَّةٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يكن أمركم مكتوماً، قاله ابن عباس. والثاني: غماً عليكم، كما تقول: كرب وكربة، قاله ابن قتيبة. وذكر الزجاج القولين. وفي قوله: ﴿ثُمَّ أَقْبَضُوا إِلَيْكَ﴾ قولان: أحدهما: ثم اقضوا إلي ما في أنفسكم، قاله مجاهد. والثاني: افعلوا ما تريدون، قاله الزجاج، وابن قتيبة. وقال ابن الأنباري: معناه: اقضوا إلي بمكروهم وما توعدونني به، كما تقول العرب: قد قضى فلان، يريدون: مات ومضى.

﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُمْ مِنِّي إِجْرًا إِن تَجْرَىٰ إِلَّا عَلٰى آلِهَةٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أُكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوا فَتَجَنَّبَهُ وَمِن مَّعَىٰ فِي الْفُلِ وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَفَاءَ وَأَقْرَبْنَا آلِيْنَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿٧٣﴾  
قوله تعالى: ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أعرضتم عن الإيمان. ﴿فَمَا سَأَلْتُمْ مِنِّي إِجْرًا﴾ أي: لم يكن دعائي إياكم طمعاً في أموالكم.

قوله تعالى: ﴿إِن تَجْرَىٰ﴾ حرّك هذه الباء ابن عامر، وأبو عمرو، ونافع، وحفص عن عاصم، وأسكنها الباقون.  
قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَفَاءَ﴾ أي: جعلنا الذين نجّوا مع نوح خلفاءً ممن هلك.  
﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَآمَنُوا بِآيَاتِنَا فَكَانُوا يُؤْمِنُونَ بِمَا كَذَّبُوا بِهٖ مِنْ قَبْلُ كَذٰلِكَ نَطْغِ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُتَكِبِينَ﴾ ﴿٧٤﴾  
قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ﴾ أي: من بعد نوح ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ قال ابن عباس: يريد: إبراهيم وهوداً وصالحاً ولوطاً وشعيباً. ﴿فَآمَنُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: بان لهم أنهم رسل الله. ﴿فَمَا كَانُوا﴾ أي: أولئك الأقوام ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا كَذَّبُوا﴾ يعني الذين قبلهم. والمراد: أن المتأخرين مضوا على سنن المتقدمين في التكذيب. وقال مقاتل: فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من العذاب من قبل نزوله.

قوله تعالى: ﴿كَذٰلِكَ نَطْغِ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُتَكِبِينَ﴾ أي: كما طبعنا على قلوب أولئك، ﴿كَذٰلِكَ نَطْغِ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُتَكِبِينَ﴾ يعني المتجاوزين ما أمروا به.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُّوسٰى وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ ﴿٧٥﴾  
قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ﴾ يعني الرسل الذين أرسلوا بعد نوح.  
﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسٰى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّهُۥ عَنَّا وَبَدَّلَ عَلَيْنَا مَوَٰثِقَ الْكُتُبِ لَكَ الْكِبَرُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَشْعُرُونَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِمَ تُؤْمِنُونَ قَالُوا مَا أَشْهَرُ مُلْكُوتٍ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا انْقَضَىٰ قَالُوا مُوسٰى مَا يَشْعُرُ بِهٖ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَبَّطِلَهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُخَوِّفُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكُلِّ مَكِيدَةٍ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾  
قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ وهو ما جاء به موسى من الآيات.

قوله تعالى: ﴿أَسِحْرٌ هٰذَا﴾ قال الزجاج: المعنى: أتقولون للحق لما جاءكم هذا اللفظ، وهو قولهم: ﴿إِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾. ثم قرأهم فقال: ﴿أَسِحْرٌ هٰذَا؟﴾ قال ابن الأنباري: إنما أدخلوا الألف على جهة نفضيع الأمر، كما يقول الرجل إذا نظر إلى الكسوة الفاخرة: أكسوة هذه؟ يريد بالاستفهام تعظيمها، وتأتي الرجل جائزة، فيقول: أحق ما أرى؟ معظماً لما ورد عليه. وقال غيره: تقدير الكلام: أتقولون للحق لما جاءكم: هو سحر؟ أم سحر هذا؟ فحذف السحر الأول اكتفاءً بدلالة الكلام عليه، كقوله: ﴿إِنَّمَا جَاءَكُمْ وَعَدُ الْآخِرَةِ يَكُونُ نُجُومًا﴾ [الإسراء: ٧] المعنى بعثناهم ليسوءوا وجوهكم.

قوله تعالى: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّهُۥ﴾ قال ابن قتيبة: لتصرفنا. قال: لفّ فلاناً عن كذا: إذا صرفته. ومنه الالتفات، وهو الانصراف عما كنت مقبلاً عليه.



الْقَرْيَةِ» [يوسف: ٨٢]. وعلى القول الثاني يرجع ذكر الملاء إلى الذرية. قال ابن جرير: وهذا أصح، لأنه كان في الذرية من أبوه قبطي وأمه إسرائيلية، فهو مع فرعون على موسى.

قوله تعالى: ﴿أَن يَبْقِيَهُمْ﴾ يعني فرعون، ولم يقل: يقتلهم، لأن قومه كانوا على من كان عليه. وفي هذه الفتنة قولان: أحدهما: أنها القتل، قاله ابن عباس. والثاني: التعذيب، قاله ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْجِعُ لِمَا فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: متطاول في أرض مصر ﴿وَلَهُمْ لِيَنَّ الْمُشْرِكِينَ﴾ حين كان عبداً فادعى الربوبية.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ مَّا نُنْتُمْ بِاللَّهِ فَكَيْفَ يُؤْكَلُ﴾ لما شكى بنو إسرائيل إلى موسى ما يهلدهم به فرعون من ذبح أولادهم، واستحياء نساءهم، قال لهم هذا. وفي قوله: ﴿لَا يَجْعَلُكُمْ قَتْلًا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لا تهلكننا بعذاب على أيدي قوم فرعون، ولا بعذاب من قبلك، فيقول قوم فرعون: لو كانوا على حق ما غلبوا ولا سُلْطَنًا عليهم. والثاني: لا تسلطهم علينا فيفتنونا، والقولان مرويان عن مجاهد. والثالث: لا تسلطهم علينا فيفتنونا بنا، لظنهم أنهم على حق، قاله أبو الضحى، وأبو مجلز.

قوله تعالى: ﴿أَن تَوَكَّلُوا بِاللَّهِ فَكَيْفَ يُؤْكَلُ﴾ قال المفسرون: لما أرسل موسى، أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخرت كلها، ومنعوا من الصلاة، وكانوا لا يصلون إلا في الكنائس؛ فأمر أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلون فيها خوفاً من فرعون. و«تَوَكَّلُوا» معناه: اتخذوا، وقد شرحناه في [الامراء: ٧٤]. وفي المراد بمصر قولان: أحدهما: أنه البلد المعروف بمصر، قاله الضحاك. والثاني: أنه الإسكندرية، قاله مجاهد. وفي البيوت قولان: أحدهما: أنها المساجد، قاله الضحاك، والثاني: القصور، قاله مجاهد. وفي قوله: ﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أربعة أقوال: أحدها: اجعلوها مساجد، رواه مجاهد، وعكرمة، والضحاك عن ابن عباس، وبه قال النخعي، وابن زيد. وقد ذكرنا أن فرعون أمر بهدم مساجدهم، فقبل لهم: اجعلوا بيوتكم قبلة بدلاً من المساجد. والثاني: اجعلوها قبيل القبلة، رواه الموفى عن ابن عباس. وروى الضحاك عن ابن عباس، قال: قِيلَ مَكَّة. وقال مجاهد: أمروا أن يجعلوها مستقبل الكعبة، وبه قال مقاتل، وقتادة، والفراء. والثالث: اجعلوها يقابل بعضها بعضاً، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال سعيد بن جبير. والرابع: واجعلوا بيوتكم التي بالشام قبلة لكم في الصلاة، فهي قبلة اليهود إلى اليوم، قاله ابن بحر. فإن قيل: البيوت جمع، فكيف قال: «قبلة» على التوحيد؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، فقال: من قال: المراد بالقبلة الكعبة، قال: وُحِّدَتِ الْقِبْلَةُ لِتَوْحِيدِ الْكَعْبَةِ. قال: ويجوز أن يكون أراد: اجعلوا بيوتكم قبلاً، فاكتمى بالواحد عن الجمع، كما قال العباس بن مرداس:

فَقُلْنَا أَهْلُوا إِنَّا أَخْرَكُم

فَقَدْ بَرِثَ مِنَ الْإِحْنِ الصُّدُورُ

يريد: إنا إخوانكم. ويجوز أن يكون وُحِّدَ «قبلة» لأنه أجراها مجرى المصدر، فيكون المعنى: واجعلوا بيوتكم إقبالاً على الله، وقصداً لما كنتم تستعملونه في المساجد. ويجوز أن يكون وُحِّدَهَا، والمعنى: واجعلوا بيوتكم شيئاً قبلة، ومكاناً قبلة، ومحلة قبلة.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ قال ابن عباس: أتموا الصلاة ﴿وَيَذَرُوا الْكُفْرَ﴾ أنت يا محمد. قال سعيد بن جبير: بشرهم بالنصر في الدنيا، وبالجنة في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَآئِيتٌ وَمِائَتٌ وَمِائَةٌ وَتِلْكَ أَمْرُكَ﴾ قال ابن عباس: كان لهم من لدن فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن ذهب وفضة وزبرجد وياقوت.

قوله تعالى: ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ وفي لام «لِيُضِلُّوا» أربعة أقوال: أحدها: أنها لام «كي» والمعنى: آتيتهم ذلك كي يضلوا، وهذا قول الفراء. والثاني: أنها لام العاقبة، والمعنى: إنك آتيتهم ذلك فأصارهم إلى الضلال، ومثله قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوٌّ وَخَصَمٌ﴾ [التقصص: ٢٨] أي: آل أمرهم إلى أن صار لهم عدواً، لا أنهم قصدوا ذلك، وهذا كما تقول للذي كسب مالا فآذاه إلى الهلاك: إنما كسب فلان لحته، وهو لم يكسب المال طلباً للحثف، وأنشدوا:



وللخراب يُجِدُّ النَّاسُ عَمَرَانَا

وللمنايا تُرِّي كُلُّ مُرْضِعَةٍ

وقال آخر:

كما لخراب الدُّور تُبْنِي الْمَسَاكِينُ

وللموتِ تَغْدُو الْوَالِدَاتُ بِخَالَهَا

وقال آخر:

فللموت ما تَلِدُ الْوَالِدَ

فإن يَكُنِ الْمَوْتُ أَفْنَاهُمْ

أراد: عاقبة الأمر ومصيره إلى ذلك، هذا قول الزجاج. والثالث: أنها لام الدعاء، والمعنى: ربنا ابتلهم بالفضل عن سبيلك، ذكره ابن الأنباري. والرابع: أنها لام أجل، فالمعنى: آتيتهم لأجل ضلالتهم عقوبة منك لهم، ومثله قوله: «سَيَلُونُ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَمْرُضُوا عَنْهُمْ» [التوبة: ٩٥] أي: لأجل إعراضكم، حكاه بعض المفسرين. وقرأ أهل الكوفة إلا المفضل، وزيد، وأبو حاتم عن يعقوب: «لِيُضِلُّوا» بضم الياء، أي: لِيُضِلُّوا غيرهم.

قوله تعالى: «رَبَّنَا أَتَيْتَنَا» روى الحلبي عن عبد الوارث: «اطْمَسَ» بضم الميم «عَلَى أَمْوَالِهِمْ» وفيه قولان: أحدهما: أنها جُمِلت حجارة، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والضحاك، وأبو صالح، والفراء. وقال القرطبي: جُمِل سَكْرُهُمْ حجارة. وقال ابن زيد: صار ذهبهم ودراهمهم وعدسهم وكل شيء لهم حجارة. وقال مجاهد: مسخ الله النخل والثمار والأطعمة حجارة، فكانت إحدى الآيات التسع. وقال الزجاج: تطميس الشيء: إذهابه عن صورته والانتفاع به على الحال الأولى التي كان عليها. والثاني: أنها هُلكت، فالمعنى أهلك أموالهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، ومنه يقال: طُمست عينه، أي: ذهب، وطُمس الطريق: إذا عفا ودرس. وفي قوله: «وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ» أربعة أقوال: أحدها: أطبع عليها، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مقاتل، والفراء، والزجاج. والثاني: أهلكهم كفاراً، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثالث: اشدت عليها بالضلالة، قاله مجاهد. والرابع: أن معناه: قَسَّ قُلُوبَهُمْ، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: «فَلَا يُؤْمِنُوا» فيه قولان: أحدهما: أنه دَعَاء عليهم أيضاً، كأنه قال: اللهم فلا يؤمنوا، قاله الفراء، وأبو عبيدة، والزجاج. وقال ابن الأنباري: معناه: فلا آمنوا، قال الأعشى:

فلا يَنْبَسِطُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوَى

ولا تُلْقِنِي إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ<sup>(١)</sup>

معناه لا انبسط، ولا لقيتني. والثاني: أنه عطف على قوله: «لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ»، فالمعنى: أنك آتيتهم لِيُضِلُّوا فلا يؤمنوا، حكاه الزجاج عن المبرد<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: «حَتَّى يَرَوْا آيَاتَ الْكَلِيمِ» قال ابن عباس: هو الغرق، وكان موسى يدعو، وهارون يؤمن، فقال الله تعالى: «فَدَّ أَجَبْتَ دَعْوَتُكُمَا»، وكان بين الدعاء والإجابة أربعون سنة. فان قيل: كيف قال: «دَعْوَتُكُمَا» وهما دعوتان؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن الدعوة تقع على دعوتين وعلى دَعَوَاتٍ وكلامٍ يطول كما بيَّنا في [الأعراف: ١٥٨] أن الكلمة تقع على كلمات، قال الشاعر:

وكان دعا دعوة قومه

هلم إلى أمركم قد صُرم<sup>(٣)</sup>

فأوقع «دعوة» على ألفاظ بينها آخر بيته. والثاني: أن يكون المعنى: قد أجبت دعواتكما، فاكثفى بالواحد من ذكر الجميع، ذكر الجوابين ابن الأنباري. وقد روى حماد بن سلمة عن عاصم أنه قرأ «دَعَوَاتُكُمَا» بالألف وفتح العين. والثالث: أن موسى هو الذي دعا، فالدعوة له، غير أنه لما آمن هارون، أشرك بينهما في الدعوة، لأن التامين على الدعوة منها. وفي قوله: «فَأَسْتَقِيمَا» أربعة أقوال: أحدها: فاستقيما على الرسالة وما أمرتكما به، قاله أبو صالح عن

(١) «ديوانه» ٥٨ من قصيدته في هجاء يزيد بن مسهر الشيباني، والطبري ١٥/١٨٣.

(٢) قال ابن جرير الطبري ١٥/١٨٥: والصواب من القول في ذلك، أنه في موضع جزم على الدعاء، بمعنى (فلا آمنوا)، وإنما اخترت ذلك، لأن ما قبله دعاء وذلك قوله: «رَبَّنَا أَتَيْتَنَا» فالحقاق قوله: «فَلَا يُؤْمِنُوا» إذ كان في سياق ذلك بمعنى أشبه وأولى.

(٣) البيت لأعشى قيس، «ديوانه» ٤٣، «ومجاز القرآن» ١/٢٠٨، والطبري ٨/٧٧، والطبري ٧/١٥٨، واللسان «والناج» ريع.

ابن عباس. والثاني: فاستقيما على دعاء فرعون وقومه إلى طاعة الله، قاله ابن جرير. والثالث: فاستقيما في دعائكما على فرعون وقومه. والرابع: فاستقيما على ديني، ذكرهما أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِ﴾ قرأ الأكثرون بتشديد تاء «تَتَّبِعَانِ». وقرأ ابن عامر بتخفيفها مع الاتفاق على تشديد نون «تَتَّبِعَانِ»، إلا أن النون الشديدة دخلت للنهي مؤكدة، وكُسرت لسكونها وسكون النون التي قبلها، واختير لها الكسر لأنها بعد الألف، فشبهت بنون الاثنين. قال أبو علي: ومن خفض النون أمكن أن يكون خفف النون الثقيلة، فإن شئت كان على لفظ الخبر، والمعنى الأمر، كقوله: ﴿يَرْصَصْ بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٢٨ و ٢٣٤] و ﴿لَا تُصَاكَّرْ وَلَا تَلَدَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣] أي: لا ينبغي ذلك، وإن شئت جعلته حالاً من قوله: ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ تقديره: استقيما غير متبعين. وفي المراد بسبيل الذين لا يعلمون قولان: أحدهما: أنهم فرعون وقومه، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الذين يستعجلون القضاء قبل مجيئه، ذكره أبو سليمان الدمشقي. فإن قيل: كيف جاز أن يدعَ موسى على قومه؟ فالجواب: أن بعضهم يقول: كان ذلك بوحى، وهو قول صحيح، لأنه لا يُظن بنبي أن يُقدِّم على مثل ذلك إلا عن إذن من الله ﷻ، لأن دعاءه سبب للانتقام.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾ قال أبو عبيدة: أتبعهم وتبعهم سواء. وقال ابن قتيبة: أتبعهم: لحقهم. ﴿بَنِيَّاءَ وَعَدُوًّا﴾ أي: ظملاً. وقرأ الحسن «فَاتَّبَعَهُمْ» بالتشديد، وكذلك شددوا «عُدُوًّا» مع ضم العين.

قوله تعالى: ﴿حَقٌّ لِّئَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ مَا أَتَى أَنَّهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر «أنه» بفتح الألف، والمعنى: آمنت بأنه. فلما حذف حرف الجر، وصل الفعل إلى «أَنْ» فنُصب. وقرأ حمزة والكسائي «إنه» بكسر الألف، فحملوه على القول المضمر، كأنه قال: آمنت، فقلت: إنه. قال ابن عباس: لم يقبل الله إيمانه عند رؤية العذاب. قال ابن الأنباري: جنح فرعون إلى التوبة حين أغلق بابها لحضور الموت ومعاينة الملائكة، فقيل له: ﴿مَّا لَكَ﴾ أي: الآن تتوب وقد أضعت التوبة في وقتها، وكنت من المفسدين بالدعاء إلى عبادة غير الله ﷻ؟ والمخاطب له بهذا كان جبريل. وجاء في الحديث أن جبريل جعل يدسُّ الطين في فم فرعون خشية أن يُغفرَ له<sup>(١)</sup>. قال الضحاك بن قيس: اذكروا الله في الرُخاء يذكركم في الشدة، إن يونس ﷺ كان عبداً صالحاً، وكان يذكر الله، فلما وقع في بطن الحوت سأل الله، فقال الله: ﴿فَلَوْلَا أَنْتُمْ كَانِ مِنَ السَّائِغِينَ﴾ ﷻ لَكَيْتَ فِي بَطْنِي إِنْ يَرَوْهُ يُعَذِّبُونَ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤]، وإن فرعون كان عبداً طاعياً ناسياً للذكر الله تعالى، فلما أدركه الغرق قال: آمنت، فقال الله: ﴿مَّا لَكَ﴾ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ

قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾ وقرأ يعقوب «تُنْجِيكَ» مخفف. قال اللغويون منهم يونس وأبو عبيدة: تُنْجِيكَ على نجوة من الأرض، أي: ارتفاع، ليصير علماً أنه قد غرق. وقرأ ابن السميع «تُنْجِيكَ» بحاء. وفي سبب إخراجه من البحر بعد غرقه ثلاثة أقوال: أحدها: أن موسى وأصحابه لما خرجوا، قال من بقي من المدائن من قوم فرعون: ما أغرق فرعون، ولكنه هو وأصحابه يتصيدون في جزائر البحر، فأوحى الله إلى البحر أن اللفظ فرعون عرياناً، فكانت نجاة هبرة، وأوحى الله تعالى إلى البحر: أن اللفظ ما فيك، فلفظهم البحر بالساحل، ولم يكن يلفظ غريقاً، فصار لا يقبل غريقاً إلى يوم القيامة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أن أصحاب موسى قالوا: إنا نخاف أن يكون فرعون ما غرق، ولا نؤمن بهلاكه، فدعا موسى ربه، فأخرجه حتى أيقنوا بهلاكه، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وإلى نحوه ذهب قيس بن عباد، وعبد الله بن شداد، والسدي، ومقاتل. وقال السدي: لما قال بنو إسرائيل: لم يفرق فرعون، دعا موسى، فخرج فرعون في ستمائة ألف وعشرين ألفاً عليهم الحديد، فأخذته بنو إسرائيل يمثلون به. وذكر غيره أنه إنما أخرج من البحر وحده دون أصحابه. وقال ابن جريج: كُذِّبَ بعض بني إسرائيل بفرقه، فرمى به البحر على ساحل البحر حتى رآه بنو إسرائيل قُصِيْراً أحمر كأنه ثور. وقال أبو سليمان: عرفه بنو إسرائيل بدرج كان له من لؤلؤ لم يكن لأحد

(١) «المسند» ١٦/٤، ونقله ابن كثير في «التفسير» ٤٣٠/٢ عن الطيالسي، وقال: وقد رواه أبو عيسى الترمذي أيضاً، وابن جرير أيضاً من غير وجه من شعبة، وقال الترمذي: حسن غريب صحيح. ورواه الحاكم في «المستدرک» ٣٤٠/٢ وقال: هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، إلا أن أكثر أصحاب شعبة أوقفوه على ابن عباس، ووافقه الذهبي.

مثلها. فأما وجهه فقد غيَّره سُحُطُ الله تعالى. والثالث: أنه كان يدَّعي أنه ربُّ، وكان يعبدُه قوم، فبيَّن الله تعالى أمره، فأغرقه وأصحابه، ثم أخرجهم من بينهم، قاله الزجاج. وفي قوله: ﴿يَذُكُّكَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: بجسدك من غير روح، قاله مجاهد. وذكر البدن دليل على عدم الروح. والثاني: بدرعك، قاله أبو صخر. وقد ذكرنا أنه كانت له درع من لؤلؤ، وقيل: من ذهب، فعُرف بدرعه. والثالث: نلقبك عرياناً، قاله الزجاج. والرابع: ننجيكَ وحدك، قاله ابن قتيبة. وفي قوله: ﴿لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لتكون لمن بعدك في النكال آية لئلا يقولوا مثل مقالتك، فإنك لو كنت إلهاً ما غرقت، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال أبو عبيدة: «خلفك» بمعنى بعدك، والآية: العلامة. والثاني: لتكون لبني إسرائيل آية، قاله السدي. والثالث: لمن تخلف من قومه، لأنهم أنكروا غرقه على ما ذكرنا في أول الآية، فخرج في معنى الآية قولان: أحدهما: عبرة للناس. والثاني: علامة تدل على غرقه. وقال الزجاج: الآية أنه كان يدَّعي أنه ربُّ، فبان أمره، وأخرج من بين أصحابه لما غرقوا. وقرأ ابن السمين، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء ﴿لِمَنْ خَلَقَكَ﴾ بالقاف.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَوْجَاً صَدَفٍ وَرَفَعْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ نَافَاً اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْيَوْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْبِضُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَتَنَّا آلَ لَيْسَ بِقَرْمُونَ الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا يَتَابَعَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِرُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: أنزلناهم منزل صدق، أي منزلاً كريماً. وفي المراد ببني إسرائيل قولان: أحدهما: أصحاب موسى. والثاني: قريظة والنضير. وفي المراد بالمنزل الذي أنزلوه خمسة أقوال: أحدها: أنه الأردن، وفلسطين، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الشام، وبيت المقدس، قاله الضحاك وقتادة. والثالث: مصر، روي عن الضحاك أيضاً. والرابع: بيت المقدس، قاله مقاتل. والخامس: ما بين المدينة والشام من أرض يثرب، ذكره علي بن أحمد النيسابوري. والمراد بالطيبات: ما أحل لهم من الخيرات الطيبة. ﴿نَافَاً اخْتَلَفُوا﴾ يعني بني إسرائيل. قال ابن عباس: ما اختلفوا في محمد، لم يزالوا به مصدقين، ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْيَوْمُ﴾ يعني القرآن، وروي عنه: حتى جاءهم العلم، يعني محمداً. فعلى هذا يكون العلم هاهنا: عبارة عن المعلوم. وبيان هذا أنه لما جاءهم، اختلفوا في تصديقه، وكفروا به أكثرهم بغياً وحسداً بعد أن كانوا مجتمعين على تصديقه قبل ظهوره.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتَ فِي شكٍ﴾ في تأويل هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أن الخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره من الشاكين، بدليل قوله في آخر السورة: ﴿إِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِنْ رَبِّي﴾ [يونس: ١٠٥]، ومثله قوله: ﴿يَتَابَعَاتِ النَّبِيِّ أَنَّى اللَّهُ وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُتَفَيِّضِينَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَتْ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٤﴾﴾ [الأحزاب] ثم قال: ﴿يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ [الأحزاب: ٣] ولم يقل: بما تعمل، وهذا قول الأكثرين. والثاني: أن الخطاب للنبي ﷺ، وهو المراد به. ثم في المعنى قولان: أحدهما: أنه خوطب بذلك وإن لم يكن في شك، لأنه من المستفيض في لغة العرب أن يقول الرجل لولده: إن كنت ابني فيرئي، ولعبد: إن كنت عبدي فاطعني، وهذا اختيار الفراء. وقال ابن عباس: لم يكن رسول الله ﷺ في شك، ولا سأل. والثاني: أن تكون «إن» بمعنى «ما» فالمعنى: ما كنت في شك ﴿تَنَتَلَفُ﴾، المعنى: لسا نريد أن نأمرك أن تسأل لأنك شاك، ولكن لتزداد بصيرة، ذكره الزجاج. والثالث: أن الخطاب للشاكين، فالمعنى: إن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزل إليك على لسان محمد، فسل، روي عن ابن قتيبة. وفي الذي أنزل إليه قولان: أحدهما: أنه أنزل إليه أنه رسول الله. والثاني: أنه مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل.

قوله تعالى: ﴿تَنَتَلَفُ الَّذِينَ يَقْرَمُونَ الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ وهم اليهود والنصارى. وفي الذين أمر بسؤالهم منهم قولان: أحدهما: من آمن، كعبد الله بن سلام، قاله ابن عباس، ومجاهد في آخرين. والثاني: أهل الصدق منهم، قاله الضحاك، وهو يرجع إلى الأول، لأنه لا يصدق إلا من آمن. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ هذا كلام مستأنف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَوَّلَ حَقٌّ﴾ أي؛ وجبت ﴿عَلَيْكُمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي؛ قوله. وبماذا حقت الكلمة عليهم، فيه أربعة أقوال: أحدها: باللعنة. والثاني: بنزول العذاب. والثالث: بالسخط. والرابع: بالنقمة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾ قال الأخفش: إنما أنت فعل «كل» لأنه أضافه إلى «آية» وهي مؤنثة.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُوَسُّوْنَ لَكُمُ الْكَيْدَ فَكُفُّوا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ﴾ أي: أهل قرية. وفي «الولا» قولان: أحدهما: أنه بمعنى: لم تكن قرية آمنت ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾ أي: قُبِلَ منها ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُوَسُّوْنَ﴾، قاله ابن عباس. وقال قتادة: لم يكن هذا لأمة آمنت عند نزول العذاب، إلا لقوم يونس. والثاني: أنها بمعنى: فهلاً، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج. قال الزجاج: والمعنى: فهلاً كانت قرية آمنت في وقت نفعها إيمانها، إلا قوم يونس؟ و «إلا» هاهنا استثناء ليس من الأول، كأنه قال: لكن قومٌ يونس. قال الفراء: نُصِبَ القوم على الانقطاع مما قبله، ألا ترى أن «ما» بعد «إلا» في الجحد يتبع ما قبلها؟ تقول: ما قام أحد إلا أخوك، فإذا قلت: ما فيها أحد إلا كلباً أو حماراً، نصبت، لانقطاعهم من الجنس، كذلك كان قوم يونس منقطعين من غيرهم من أمم الأنبياء، ولو كان الاستثناء وقع على طائفة منهم لكان رفعاً. وذكر ابن الأنباري في قوله: «إلا» قولين آخرين: أحدهما: أنها بمعنى الواو، والمعنى: وقوم يونس لما آمنوا فعلنا بهم كذا وكذا، وهذا مروى عن أبي عبيدة، والفراء ينكره. والثاني: أن الاستثناء من الآية التي قبل هذه تقديره: حتى يروا العذاب الأليم إلا قوم يونس، فالاستثناء على هذا متصل غير منقطع.

قوله تعالى: ﴿كُفُّوا عَنْهُمْ﴾ أي: صرفنا عنهم ﴿عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ أي: عذاب الهوان والذل ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى حين آجالهم.

### الإشارة إلى شرح قصتهم

ذكر أهل العلم بالسِّيَر والتفسير أن قوم يونس كانوا بـ «نينوى» من أرض الموصل، فأرسل الله ﷻ إليهم يونس يدعوهم إلى الله ويأمرهم بترك الأصنام، فأبوا، فأخبرهم أن العذاب مصيَّبهم بعد ثلاث، فلما تشكَّاهم العذاب، قال ابن عباس، وأنس: لم يبق بين العذاب وبينهم إلا قدر ثلثي ميل، وقال مقاتل: قدر ميل، وقال أبو صالح عن ابن عباس: وجدوا حرَّ العذاب على أكتافهم، وقال سعيد بن جبیر: غشيهم العذاب كما يغشى الثوبُ القبر، وقال بعضهم: غامت السماء غيماً أسود يظهر دخاناً شديداً، فغشي مدينتهم، واسودَّت سطوحهم، فلما أيقنوا بالهلاك لبسوا المسوح، وحثَّوا على رؤوسهم الرماد، وفرقوا بين كل والدَّة ولدها من الناس والأنعام، وعجَّوا إلى الله بالتوبة الصادقة، وقالوا: آمنا بما جاء به يونس، فاستجاب الله منهم. قال ابن مسعود: بلغ من توبتهم أن تراؤوا المظالم بينهم، حتى إن كان الرجل ليأتي إلى الحجر قد وضع عليه أساس بنيانه فيقلعه، فيرده. وقال أبو الجلد<sup>(١)</sup>: لما غشيهم العذاب، مشَّوا إلى شيخ من بقية علمائهم، فقالوا: ما ترى؟ قال: قولوا: يا حيُّ حين لا حيٍّ، يا حيُّ مُحيي الموتى، يا حيُّ لا إله إلا أنت، فقالوها، فكُشف العذاب عنهم. قال مقاتل: عجَّوا إلى الله أربعين ليلة، فكُشف العذاب عنهم. وكانت التوبة عليهم في يوم عاشوراء يوم الجمعة. قال: وكان يونس قد خرج من بين أظهرهم، فقيل له: ارجع إليهم، فقال: كيف أرجع إليهم فيجدوني كاذباً؟ وكان من يكذب بينهم ولا بيَّنة له يُقتل، فانصرف مغاضباً، فالتقمه الحوت. وقال أبو صالح عن ابن عباس: أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له: شعيا، فقيل له: انت فلاناً الملك، فقل له يبعث إلى بني إسرائيل نبياً قوياً أميناً، وكان في مملكته خمسة من الأنبياء، فقال الملك ليونس: اذهب إليهم، فقال: ابعت غيري، فعزم عليه أن يذهب، فأتى بحر الروم، فركب سفينة، فالتقمه الحوت، فلما خرج من بطنها أمر أن يطلق إلى قومه، فانطلق نذيراً لهم، فأبَوْا عليه، فوعدهم بالعذاب، وخرج، فلما تابوا رُفِعَ عنهم. والقول الأول أثبت عند العلماء، وأنه إنما التقمه الحوت بعد إنذاره لهم وتوبتهم. وسيأتي شرح قصته في التمام الحوت إياه في

(١) أبو الجلد، بفتح الجيم، وسكون اللام، هو جيلان بن أبي فروة الأسدي.

مكانه إن شاء الله تعالى [الصفات: ١٤٢]. فإن قيل: كيف كُشف العذاب عن قوم يونس بعد إتيانه إليهم، ولم يُكشَف عن فرعون حين آمن؟ فنعته ثلاثة أجوبة: أحدها: أن ذلك كان خاصاً لهم كما ذكرنا في أول الآية. والثاني: أن فرعون باشره العذاب، وهؤلاء دنا منهم ولم يباشروهم، فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية، فأما الذي يعاين، فلا توبة له، ذكره الزجاج. والثالث: أن الله تعالى علم منهم صدق النيات، بخلاف مَنْ تقدّمهم من الهالكين، ذكره ابن الأنباري.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُم جَعِمًا أَفَاتَ تَكَرَّهُ النَّاسُ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٠١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ حريصاً على إيمان جميع الناس، فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبقت له السعادة. قال الأخفش: جاء بقوله: «جميعاً» مع «كل» تأكيداً كقوله: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَجَدَّدُوا إِلَهُنَّ اثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١].

قوله تعالى: ﴿أَفَاتَ تَكَرَّهُ النَّاسُ﴾ قال المفسرون، منهم مقاتل: هذا منسوخ بآية السيف، والصحيح أنه ليس هاهنا نسخ، لأن الإكراه على الإيمان لا يصح، لأنه عمل القلب.

﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَعْمَلُ الْخَيْرَ عَلَى الْإِذْنِ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: بقضاء الله وقدره. والثاني: بأمر الله، روي عن ابن عباس. والثالث: بمشيئة الله، قاله عطاء. والرابع: إلا أن يأذن الله في ذلك، قاله مقاتل. والخامس: بعلم الله. والسادس: بتوفيق الله، ذكرهما الزجاج، وابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَيَعْمَلُ الْخَيْرَ﴾ أي: ويجعل الله الرجس. وروي أبو بكر عن عاصم: «ونجعل الرجس» بالنون. وفيه خمسة أقوال: أحدها: أنه السخط، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: الإثم والعدوان، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنه ما لا خير فيه، قاله مجاهد. والرابع: العذاب، قاله الحسن، وأبو عبيدة، والزجاج. الخامس: العذاب والغضب، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿عَلَى الْإِذْنِ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: لا يعقلون عن الله أمره ونهيهِ. وقيل: لا يعقلون حججه ودلائل توحيده.

﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُقِي الْأَكْنَثُ وَالْأَنْدُرُ عَنْ قَوْرٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال المفسرون: قل للمشركين الذين يسألونك الآيات على توحيد الله: انظروا بالتفكير والاعتبار ماذا في السموات والأرض من الآيات والعبر التي تدل على وحدانيته ونفاذ قدرته كالشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، وكل هذا يقتضي خالقاً مدبراً. ﴿وَمَا تُقِي الْأَكْنَثُ وَالْأَنْدُرُ عَنْ قَوْرٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في علم الله.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آبَائِهِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِلَى مَعَكُمْ مِنَ السَّعَاطِينِ ﴿١٠٤﴾ ثُمَّ نَبِّئْ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا سُبْحَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ قال ابن عباس: يعني كفار قريش. ﴿إِلَّا مِثْلَ آبَائِهِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ قال ابن الأنباري: أي: مثل وقائع الله بمن سلف قبلهم، والعرب تكني بالأيام عن الشرور والحروب، وقد قصد بها أيام الشرور والأفراح إذا قام دليل بذلك.

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَانظُرُوا﴾ هلاكي ﴿إِلَى مَعَكُمْ مِنَ السَّعَاطِينِ﴾ لنزول العذاب بكم. ﴿ثُمَّ نَبِّئْ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ من العذاب إذا نزل، فلم يهلك قوم قط إلا نجا نبيهم والذين آمنوا معه.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا سُبْحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قرأ يعقوب، وحفص، والكسائي في قراءته وروايته عن أبي بكر: «ننج المؤمنين» بالتخفيف. ثم في هذا الإنجاء قولان: أحدهما: ننجيهم من العذاب إذا نزل بالمكذّبين، قاله الربيع بن أنس. والثاني: ننجيهم في الآخرة من النار، قاله مقاتل.

﴿قُلْ يَٰأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَمْبُتُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ وَلَأُرْسِلَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَآنَ أَفْعِدْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَتَّبِعْ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰأَيُّهَا النَّاسُ﴾ قال ابن عباس: يعني أهل مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي﴾ الإسلام ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَمْبُتُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وهي الأصنام ﴿وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي﴾ يقدر أن يمتحكم. وقال ابن جرير: معنى الآية: لا ينبغي لكم أن تشكوا في ديني، لأنني أعبد الله الذي يمتع وينفع ويضر، ولا تستنكروا عبادة من يفعل هذا، وإنما ينبغي لكم أن تشكوا وتذكروا ما أنعم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر. فإن قيل: لم قال: ﴿الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ﴾ ولم يقل: «الذي خلقكم»؟ فالجواب: أن هذا يتضمن تهديدهم، لأن ميعاد عذابهم الوفاة.

قوله تعالى: ﴿وَآنَ أَفْعِدْ وَجْهَكَ﴾ المعنى: وأمرت أن أقم وجهك، وفيه قولان: أحدهما: أخلص عملك. والثاني: استقم بإقبالك على ما أمرت به بوجهك. وفي المراد بالحنيف ثلاثة أنوال: أحدها: أنه المتبع، قاله مجاهد. والثاني: المخلص، قاله عطاء. والثالث: المستقيم، قاله القرطبي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ﴾ إن دعوته ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إن تركت عبادته. و«الظالم» الذي يضع الشيء في غير موضعه.

﴿وَإِن يَسْأَلْكُمُ اللَّهُ بَعْثِي فَلَا كَافِيَ لَهٗ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِيدَكُمُ بَعْثِي فَلَا رَآءَ لِقَتْلِهِمْ يُعْصِي بِوَهْمٍ مِّنْ يَّسَآءٍ مِّنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَخُذُوا حَتَّىٰ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِي وَمَن حَضَلَ فَإِنَّمَا يَهْدِي لَهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمُصَدِّقٍ ﴿١٠٨﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُصَّكَ اللَّهُ وَهُوَ خَبِيرُ الْمُكَرَّمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْأَلْكُمُ اللَّهُ بَعْثِي﴾ أي: بشدة وبلاء ﴿فَلَا كَافِيَ﴾ لذلك ﴿إِلَّا هُوَ﴾ دون ما يعبد المشركون من الأصنام. وإن يصيب بخير، أي: برحمة ونعمة وعافية، فلا يقدر أحد أن يمنعك إياه. ﴿يُعْصِي بِوَهْمٍ﴾ أي: بكل واحد من الضر والخير.

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه القرآن. والثاني: محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَمَن حَضَلَ فَإِنَّمَا يَهْدِي لَهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمُصَدِّقٍ﴾ أي: وإنما يكون وبال ضلاله على نفسه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمُصَدِّقٍ﴾ أي: في منعكم من اعتقاد الباطل، والمعنى: لست بحفيظ عليكم من الهلاك كما يحفظ الوكيل المتناع من الهلاك. قال ابن عباس: وهذه منسوخة بآية القتال، والتي بعدها أيضاً، وهي قوله: ﴿وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُصَّكَ اللَّهُ﴾ لأن الله تعالى حكم بقتل المشركين، والجزية على أهل الكتاب. والصحيح: أنه ليس هاهنا نسخ. أما الآية الأولى، فقد ذكرنا الكلام عليها في نظيرتها في [الأنعام: ١٠٧]. وأما الثانية، فقد ذكرنا نظيرتها في سورة [البقرة: ١٠٩] قوله: ﴿فَاعْبُدُوا وَأَسْمِعُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ﴾.



## سورة هود

[عليه السلام]

## فصل في نزولها

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مكية كلها، وبه قال الحسن، وعكرمة، ومجاهد، وجابر بن زيد، وقناة. وروى عن ابن عباس أنه قال: هي مكية، إلا آية، وهي قوله: ﴿وَأَقْبِرَ السَّلَوةَ لَكَرَى النَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤]، وعن قناة نحوه. وقال مقاتل: هي مكية كلها، إلا قوله: ﴿فَلَمَّا تَرَكَ تَارِكًا بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ [هود: ١٢] وقوله: ﴿أَوَلَيْكَ يُؤْمِنُونَ بِؤسَىٰ﴾ [هود: ١٧] وقوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ يُذَوِّبُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]. وروى أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، عجل إليك الشيب، قال: «شيبني هود وأخوانها: الحاقة، والواقعة، وعم يتساءلون، وهل أتاك حديث الغاشية»<sup>(١)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ كَيْتُ أَكَيْتُ أَيْتُ ثُمَّ فُيَلَّتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ حَبِيرٍ ۝﴾

فأما «الر» فقد ذكرنا تفسيرها في سورة (يونس). قال الفراء: و «كَيْتُ» مرفوع بالهجاء الذي قبله، كأنك قلت: حروف الهجاء هذا القرآن، وإن شئت رفعته بإضمار «هذا كتاب»، والكتاب: القرآن. وفي قوله: ﴿أَكَيْتُ أَيْتُ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أحكمت فما تُنسخ بكتاب كما تُسخت الكتب والشرائع، قاله ابن عباس، واختاره ابن قتيبة. والثاني: أحكمت بالأمر والنهي، قاله الحسن، وأبو العالية. والثالث: أحكمت عن الباطل، أي: مُنعت، قاله قناة، ومقاتل. والرابع: أحكمت بمعنى جُمعت، قاله ابن زيد. فإن قيل: كيف عمّ الآيات هاهنا بالإحكام، وخص بعضها في قوله: ﴿وَيْتُ أَيْتُ تُحْكَمُ﴾ [آل عمران: ٢٨]؟ فتنه جوابان: أحدهما: أن الإحكام الذي عمّ به هاهنا غير الذي خصّ به هناك. وفي معنى الإحكام العام خمسة أقوال، قد أسلفنا منها أربعة في قوله: ﴿أَكَيْتُ أَيْتُ﴾. الخامس: أنه إعجاز النظم والبلاغة وتضمن الجُكم المعجزة. ومعنى الإحكام الخاص: زوال اللَّبس، واستواء السامعين في معرفة معنى الآية. والجواب الثاني: أن الإحكام في الموضعين بمعنى واحد. والمراد بقوله: ﴿أَكَيْتُ أَيْتُ﴾: أحكم بعضها بالبيان الواضح ومنع الالتباس، فأوقع العموم على معنى الخصوص، كما تقول العرب: قد أكلت طعام زيد، يعنون: بعض طعامه، ويقولون: قُتلنا وربّ الكعبة، يعنون: قُتل بعضنا، ذكر ذلك ابن الأنباري. وفي قوله: ﴿ثُمَّ فُيَلَّتْ﴾ ستة أقوال: أحدها: فضلت بالحلال والحرام، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: فضلت بالثواب والعقاب، رواه جسر بن فرقد عن الحسن. والثالث: فضلت بالوعد والوعيد، رواه أبو بكر الهذلي عن الحسن أيضاً. والرابع: فضلت بمعنى فسرت، قاله مجاهد. الخامس: أنزلت شيئاً بعد شيء، ولم تنزل جملة، ذكره ابن قتيبة. والسادس: فضلت بجميع ما يحتاج إليه من الدلالة على التوحيد، وثبتت نبؤة الأنبياء، وإقامة الشرائع، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ﴾ أي: من عنده.

﴿أَلَا سُبُّوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُرْهُتُهُ لَيْزٌ وَبِئْسَ ۝ وَإِنْ أَسْتَفْهَرُوا دَكَّارٌ ثُمَّ تَوَبَّا إِلَيْهِ يَتَّبِعُكُمْ مَتَمَّا حَسَا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَسَلِّمْ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝ إِلَىٰ اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾

(١) «جامع الترمذي» ١٦٢/٢، ولفظه: قال أبو بكر: يا رسول الله قد ثبت، قال: شيبني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» ٨٧: وأطال الدارقطني في ذكر علله، واختلاف طرقه في أوائل كتاب «العلل». وانظر الكلام على هذا الحديث في «المقاصد الحسنة» ٢٥٥، ٢٥٦. للحافظ السخاوي.

قوله تعالى: ﴿أَلَا تَتَذَكَّرُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ قال الفراء: المعنى: فصلت آياته بأن لا تعبدوا إلا الله ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا﴾ و «أن» في موضع نصب بالقائق الخافض. وقال الزجاج: المعنى: آمركم أن لا تعبدوا ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ وأن استغفروا. قال مقاتل: والمراد بهذه العبادة: التوحيد. والخطاب لكفار مكة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الاستغفار والتوبة هاهنا من الشرك، قاله مقاتل. والثاني: استغفروهم من الذنوب السالفة، ثم توبوا إليه من المستأنفة متى وقعت. وذكر عن الفراء أنه قال: «ثم» هاهنا بمعنى الواو.

قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُكُمْ مَتَىٰ مَتَا حَسَا﴾ قال ابن عباس: يفضل عليكم بالرزق والسعة. وقال ابن قتيبة: يُعْزِمُكُمْ. وأصل الإمتاع: الإطالة، يقال: أمتع الله بك، ومتّع الله بك، إمتاعاً ومتاعاً، والشئ الطويل: ممتع، يقال: جبل ممتع، وقد متع النهار: إذا تطاول. وفي المراد بالأجل المسمى قولان: أحدهما: أنه الموت، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، قتادة. والثاني: أنه يوم القيامة، قاله سعيد بن جبيرة.

قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا كُلُّ ذِي نَفْسٍ مَّسْكُورٍ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: ويؤت كل ذي فضل من حسنّة وخير فضله، وهو الجنة. والثاني: يؤتبه فضله من الهداية إلى العمل الصالح. والثاني: أنها ترجع إلى العبد، فيكون المعنى: ويؤت كل من زاد في إحسانه وطاعته ثواب ذلك الفضل الذي زاده، فيفضله في الدنيا بالمتزلة الرفيعة، وفي الآخرة بالثواب الجزيل.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: تُعرضوا عما أمرتم به، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو مجلز، وأبو رجاء: «وإن تولّوا» بضم التاء. ﴿فَإِنْ أَكَاثَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه إضمار «قل». واليوم الكبير: يوم القيامة.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُرْسُونَ وَمَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ بِذَاتِ الشُّدْرِ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أنها نزلت في الأخنس بن شريق، وكان يجالس رسول الله ﷺ ويحلف إنه ليحبّه، ويضمر خلاف ما يظهر له، فنزلت فيه هذه الآية<sup>(١)</sup>، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في ناس كانوا يستحيون أن يقضوا إلى السماء في الخلاء ومجامعة النساء، فنزلت فيهم هذه الآية، رواه محمد بن عباد عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها نزلت في بعض المنافقين، كان إذا مرّ برسول الله ﷺ، ثنى صدره وظهره وطأ رأسه وغطى وجهه لئلا يراه رسول الله، قاله عبد الله بن شداد. والرابع: أن طائفة من المشركين قالوا: إذا أغلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا واستغشنا ثيابنا وثبنا صدورنا على عداوة محمد ﷺ، كيف يعلم بنا؟ فأخبر الله عما كنتم، ذكره الزجاج. والخامس: أنها نزلت في قوم كانوا لشدة عداوتهم رسول الله ﷺ إذا سمعوا منه القرآن حنّوا صدورهم، ونكسوا رؤوسهم، وتغشوا ثيابهم ليعد عنهم صوت رسول الله ﷺ ولا يدخل أسماعهم شيء من القرآن، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ يقال: ثنيت الشيء: إذا عطفته وطويته. وفي معنى الكلام خمسة أقوال: أحدها: يكتون ما فيها من العداوة لمحمد ﷺ، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: يثنون صدورهم على الكفر، قاله مجاهد. والثالث: يحنونها لئلا يسمعو كتاب الله، قاله قتادة. والرابع: يثنونها إذا ناجى بعضهم بعضاً في أمر رسول الله ﷺ، قاله ابن زيد. الخامس: يثنونها حياة من الله تعالى، وهو يخرج على ما حكينا عن ابن عباس. قال ابن الأنباري: وكان ابن عباس يقرأها: «ألا إنهم تثنّوني صدورهم» وفسرها أن ناساً كانوا يستحيون أن يقضوا إلى السماء في الخلاء ومجامعة النساء. فتثنّوني: تغوّعل، وهو فعل للصدور، معناه: المبالغة في ثني الصدور، كما تقول العرب: أحلولى الشيء، يحلّولي: إذا بالغوا في وصفه بالحلاوة، قال عنترة:

(١) «أسباب النزول» للرازي ١٥٣، عن الكلبي.

(٢) «البخاري» ٢٦٤/٨، والطبري ٢٣٦/١٥، وخرجه السيوطي في «الدرر» ٣٢٠/٣ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه.



وَقَاتِلْ ذُمْرَكَ السِّنِينَ الْخَوَالِيَا  
وَقَوْلِكَ لِلشَّيْءِ الَّذِي لَا تَنَالُهُ

فعلى هذا القول، هو في حق المؤمنين، وعلى بقية الأقوال، هو في حق المنافقين. وقد خُرج من هذه الأقوال في معنى «يَتَنَوَّنُ صُدُورُهُمْ» قولان: أحدهما: أنه حقيقة في الصدور. والثاني: أنه كتمان ما فيها.

قوله تعالى: «لِيَسْتَخَفُّوا مِنْهُ» في هاء «منه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى. والثاني: إلى رسوله ﷺ.

قوله تعالى: «أَلَا حِينَ يَسْتَخَفُّونَ يَكَابِهُهُمْ» قال أبو عبيدة: العرب تدخل «ألا» تأكيداً وإيجاباً وتنبهاً. قال ابن قتبية: «يستغشون ثيابهم» أي: يتغشونها ويستترون بها. قال قتادة: أخفى ما يكون ابن آدم، إذا حنى ظهره، واستغشى ثيابه، وأضمر منه في نفسه. قال ابن الأنباري: أعلم الله أنه يعلم سرائرهم كما يعلم مظهراتهم.

قوله تعالى: «إِنَّكُمْ عَلَيْهِ يَدَاتُ الشُّدُورِ» وقد شرحناه في (آل عمران: ١١٩).

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ ثَبِينٍ﴾ ﴿١﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ يَبْتَاطُكُمْ أَنْتُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا وَلَكِنْ قُلْتُمْ إِنَّا لَنُفْثِنُكُمْ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ شَيْنٌ ﴿٢﴾

قوله تعالى: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ» قال أبو عبيدة: «من» من حروف الزوائد، والمعنى: وما دابة، والدابة: اسم لكل حيوان يذب. وقوله: «إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا» قال العلماء: فضلاً منه، لا وجوباً عليه. و«على» هاهنا بمعنى «من». وقد ذكرنا المستقر والمستودع في سورة (الأنعام: ٦٧).

قوله تعالى: «كُلٌّ فِي كِتَابٍ» أي: ذلك عند الله في اللوح المحفوظ، هذا قول المفسرين. وقال الزجاج: المعنى: ذلك ثابت في علم الله ﷻ.

قوله تعالى: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» قال ابن عباس: عرشه: سريره، وكان الماء إذ كان العرش عليه على الريح. قال قتادة: ذلك قبل أن يخلق السموات والأرض.

قوله تعالى: «يَبْتَاطُكُمْ» أي: لبتخبركم الاختبار الذي يجازي عليه، فيثيب المعبر بما يرى من آيات السموات والأرض، ويعاقب أهل العناد.

قوله تعالى: «إِنَّكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا» فيه أربعة أقوال: أحدها: أيكم أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله ﷻ، وأسرع في طاعة الله، رواه ابن عمر عن رسول الله ﷺ (٢). والثاني: أيكم أعمل بطاعة الله، قاله ابن عباس. والثالث: أيكم أتم عقلاً، قاله قتادة. والرابع: أيكم أزهدي في الدنيا، قاله الحسن وسفيان.

قوله تعالى: «إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ شَيْنٌ» قال الزجاج: السحر باطل عندهم، فكأنهم قالوا: إن هذا إلا باطل بين، فأعلمهم الله تعالى أن القدرة على خلق السموات والأرض تدل على بعث الموتى.

﴿وَلَكِنْ آخَرَاءَ عَنْهُمْ الْمَذَابَ إِنْ أَتَوْا مُعْذِرُونَ لَيَقُولَنَّ مَا يَجْهَشُونَ إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِدِ

يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣﴾

قوله تعالى: «وَلَكِنْ آخَرَاءَ عَنْهُمْ الْمَذَابَ» قال المفسرون: هؤلاء كفار مكة، والمراد بالآمة المعدودة: الأجل المعلوم، والمعنى: إلى مجيء آمة وانقراض أخرى قبلها. «لَيَقُولَنَّ مَا يَجْهَشُونَ» وإنما قالوا ذلك تكذيباً واستهزاءً.

(١) «ديوانه» ١٩٢، و«مختار الشعر الجاهلي» ١/ ٣٨٠. وقوله: قاتل الله، تعجب، وذكرك: تذكرك. يقول: قاتل الله الطلول ما أجلبها للأحزان، وأبعثها للتشوق. وإحلولي: حلني في عينك وسررت به. يقول: وقاتل قولك للشئ تحبه ولا تناله: ليت هذا الشئ لي.

(٢) «الطبري» ١٥/ ٢٥٠ - ٢٥١، وهو حديث ضعيف بمرة، في سننه داود بن المحبر الطائي الثقفي صاحب كتاب «المعلل»، وهو صاحب مناكير، وفيه أيضاً عبد الواحد بن زيد، منكر الحديث، ضعيف بمرة. وذكره السيوطي في «الدرر» ٣/ ٣٢٢ من رواية داود بن المحبر في كتاب «المعلل»، وزاد نسبه لابن أبي حاتم، والحاكم في «التاريخ»، وابن مردويه.

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ وقال: ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾. وقال بعضهم: لا يُصرف عنهم العذاب إذا أتاهم. وقال آخرون: إذا أخذتهم سيوف رسول الله ﷺ لم تُغمد عنهم حتى يباد أهل الكفر وتعلو كلمة الإخلاص.

قوله تعالى: ﴿وَنَكَفَّ بِهِمْ﴾ قال أبو عبيدة: نزل بهم وأصابهم. وفي قوله: ﴿فَمَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنه الرسول والكتاب، قاله أبو صالح عن ابن عباس، فيكون المعنى: حاق بهم جزاء استهزائهم. والثاني: أنه العذاب، كانوا يستهزئون بقولهم: ﴿فَمَا يَحْيِيهِمْ﴾، وهذا قول مقاتل.

﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنَّا كَافِرًا ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، قاله ابن عباس. والثاني: في عبد الله بن أبي أمية المخزومي، ذكره الواحدي. والثالث: أن الإنسان هاهنا اسم جنس، والمعنى: ولئن أذقنا الناس، قاله الزجاج. والمراد بالرحمة: النعمة، من العافية، والمال، والولد. واليؤوس: القنوط، قال أبو عبيدة: هو فعول من يئس. قال مقاتل: إنه ليؤوس عند الشدة من الخير، كفور لله في نعمه في الرخاء.

﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرْبٍ مِّمَّا سَيَّئُوا لَيَقُولُنَّ دَهَبَ النَّسِيتَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَنَجْجُ فَخْرًا ۝١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً﴾ قال ابن عباس: صحة وسعة في الرزق. ﴿بَعْدَ ضَرْبٍ﴾ بعد مرض وفقر. ﴿لَيَقُولُنَّ دَهَبَ النَّسِيتَاتُ عَنِّي﴾ يريد الضر والفقر. ﴿إِنَّهُ لَنَجْجُ﴾ أي: يبطر ﴿فَخْرًا﴾ قال ابن عباس: يفاخر أوليائي بما أوسعت عليه. فإن قيل: ما وجه عيب الإنسان في قوله: ﴿دَهَبَ النَّسِيتَاتُ عَنِّي﴾، وما وجه ذمه على الفرح، وقد وصف الله الشهداء فقال: (فرحين)؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، فقال: إنما عابه بقوله: ﴿دَهَبَ النَّسِيتَاتُ عَنِّي﴾ لأنه لم يعترف بنعمة الله، ولم يحمده على ما صُرف عنه. وإنما ذمه بهذا الفرح، لأنه يرجع إلى معنى المرح والتكبر عن طاعة الله، قال الشاعر:

ولا يُنْسِينِي الْحَدَثَانُ عِرْضِي      ولا أُلْقِي مِنَ الْفَرْحِ الْإِزَارَا<sup>(١)</sup>

يعني من المرح. وفرح الشهداء فرح لا يبر فيه ولا خيلاء، بل هو مقرون بالشكر فهو مستحسن.

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ قال الفراء: هذا الاستثناء من الإنسان، لأنه في معنى الناس، كقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَشِيرٌ ۝١﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا. [المعر: ٢، ٣]. وقال الزجاج: هذا استثناء ليس من الأول، والمعنى: لكن الذين صبروا. قال ابن عباس: الوصف الأول للكفار، والذين صبروا أصحاب محمد ﷺ.

﴿فَلَمَّا تَرَكَ تَارِكًا بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَافِيًا بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَهُ مَعَهُ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا أَنْتَ تُنْزِلُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٤﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَكَ تَارِكًا بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ سبب نزولها أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: ﴿أَتَيْتَ بِشَرْءٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ﴾ [يونس: ١٥]، فهم النبي ﷺ لا أن يُسمعهم عيب آلهتهم رجاء أن يتبعوه، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: فلعلك تارك تبليغ بعض ما يوحى إليك من أمر الآلهة، وضائق بما كُلِّفَتْه من ذلك صدرك، خشية أن يقولوا: لولا أنزل عليه كتز. والثاني: فلعلك لعظيم ما يرد على قلبك من تخليطهم تتوهم أنهم يُزيلونك عن بعض ما أنت عليه من أمر ربك. فأما الضائق، فهو بمعنى الضيق. قال الزجاج: ومعنى ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾: كراهية أن يقولوا. وإنما عليك أن تنذرهم بما يوحى إليك، وليس عليك أن تأتيهم باقتراحهم من الآيات.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الحافظ. والثاني: الشهيد، وقد ذكرناه في

[آل عمران: ١٧٣].

(١) البيت لابن أحمَر في مجاز القرآن ١١١/٢، وغيره، منسوب في «الكامل» ٤٠، ٦٧٣ وفيه: ولا أرخي من المرح الإزارا.

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُوحٍ قُلٌّ فَأَتُوا بِمِثَرٍ مِّمَّنْ لَئِيْلٌ مُنْقَرِنَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَلَفْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مُصْذِقِينَ ۝ قَالَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ أَنْزَلَ بِإِذْنِ اللَّهِ الْفُتُورَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُوحٍ قُلٌّ﴾ «أم، بمعنى «بل»، و «افتراء» أتى به من قبل نفسه. ﴿قُلْ فَأَتُوا﴾ أنتم في معارضتي ﴿بِمِثَرٍ مِّمَّنْ لَئِيْلٌ مُنْقَرِنَاتٍ﴾ في البلاغة «مُنْقَرِنَاتٍ» بزعمكم ودعواكم «وَادْعُوا مَنِ اسْتَلَفْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ» إلى المعاونة على المعارضة «إِنْ كُنْتُمْ مُصْذِقِينَ» في قولكم: «افتراء». ﴿قَالَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي: يجيبوكم إلى المعارضة، فقد قامت الحجة عليهم لكم. فإن قيل: كيف وحّد القول في قوله: «قل فأتوا» ثم جمع في قوله: «فإن لم يستجيبوا لكم»؟ فغنة جوابان: أحدهما: أن الخطاب للنبي ﷺ وحده في الموضعين، فيكون الخطاب له بقوله: «لكم» تعظيماً، لأن خطاب الواحد بلفظ الجميع تعظيم، هذا قول المفسرين. والثاني: أنه وحّد في الأول لخطاب النبي ﷺ. وجمع في الثاني المخاطبة النبي ﷺ وأصحابه، قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّهُ أَنْزَلَ بِإِذْنِ اللَّهِ الْفُتُورَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنزله وهو عالم بإنزاله، وعالم بأنه حق من عنده. والثاني: أنزله بما أخبر فيه من الغيب، ودلّ على ما سيكون وما سلف، ذكرهما الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: واعلموا ذلك. ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْجِلُونَ﴾ استفهام بمعنى الأمر. وفيمن خطب به قولان: أحدهما: أهل مكة، ومعنى إسلامهم: إخلاصهم لله العباد، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم أصحاب رسول الله ﷺ، قاله مجاهد.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا فِي هَٰذِهِ مَا يَشَاءُ ۖ وَمَنْ كَانَ يُرِيدِ الْآخِرَةَ إِلَّا الشَّاكِرَ ۖ وَسَيُجْزَىٰ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا فِي هَٰذِهِ مَا يَشَاءُ﴾ اختلغا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها عامة في جميع الخلق، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنها في أهل القبلة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنها في اليهود والنصارى، قاله أنس. والرابع: أنها في أهل الرياء، قاله مجاهد. وروى عطاء عن ابن عباس: من كان يريد عاجل الدنيا ولا يؤمن بالبعث والجزاء. وقال غيره: إنما هي في الكافر، لأن المؤمن يريد الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَيُجْزَىٰ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ أي: أجور أعمالهم ﴿وَيَا﴾. قال سعيد بن جبير: أعطوا ثواب ما عملوا من خير في الدنيا. وقال مجاهد: مَنْ عمل عملاً من صِلَةٍ، أو صدقة، لا يريد به وجه الله، أعطاه الله ثواب ذلك في الدنيا، ويدراً به عنه في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَيُجْزَىٰ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ قال ابن عباس: أي في الدنيا. ﴿لَا يَنْتَظِرُونَ﴾ أي: لا يُنْقِصُونَ من أعمالهم في الدنيا شيئاً. ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ﴾ عملوا لغير الله ﴿لَيْسَ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا﴾ أي: ما عملوا في الدنيا من حسنة ﴿وَكُلُّ مَا كَانُوا﴾ لغير الله ﴿يَعْمَلُونَ﴾

## فصل

وذكر قوم من المفسرين، منهم مقاتل، أن هذه الآية اقتضت أن من أراد الدنيا بعمله، أعطي فيها ثواب عمله من الرزق والخير، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿عَمَلَكُمْ لَمْ فِيهَا مَا لَكُمْ لِمَنْ يُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]، وهذا لا يصح، لأنه لا يوفى إلا لمن يريد.

﴿أَفَنَنْتُمْ عَلَىٰ يَدَيْهِمْ وَأَنْتُمْ شَاهِدُونَ ۚ وَمَنْ قَبِلَ كُتُوبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحِمَةً ۚ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ۚ مِنَ الْأَحْزَابِ ۚ فَلَأَنَّا نَمُوتَ فَلَا نَكُنْ فِي مِثَرِهِ ۚ يَنْتَظِرُ ۚ إِنَّهُ الْحَقُّ ۚ بَيْنَ يَدَيْكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَنَنْتُمْ عَلَىٰ يَدَيْهِمْ﴾ في المراد بالينة أربعة أقوال: أحدها: أنها الدين، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها رسول الله ﷺ، قاله الضحاك. والثالث: القرآن، قاله ابن زيد. والرابع: البيان، قاله مقاتل.

وفي المشار إليه بـ «مَنْ» قولان: أحدهما: أنه رسول الله ﷺ، قاله ابن عباس والجمهور. والثاني: أنهم المسلمون، وهو يخرج على قول الضحاك. وفي قوله: ﴿يَتْلُوهُ﴾ قولان: أحدهما: يتبعه. والثاني: يقرؤه. وفي هاء «يتلوه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى النبي ﷺ. والثاني: إلى القرآن، وقد سبق ذكره في قوله: ﴿قَاتِلُوا يُسُورَ يَثْلُوهُ مُفَرِّشَتِي﴾ [هود: ١٣]. وفي المراد بالشاهد ثمانية أقوال: أحدها: أنه جبريل، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وإبراهيم في آخرين. والثاني: أنه لسان رسول الله ﷺ الذي كان يتلو القرآن، قاله علي بن أبي طالب، والحسن، وقتادة في آخرين. والثالث: أنه علي بن أبي طالب. و«يتلوه» بمعنى يتبعه، رواه جماعة عن علي بن أبي طالب، وبه قال محمد بن علي، وزيد بن علي. والرابع: أنه رسول الله ﷺ هو شاهد من الله تعالى، قاله الحسين بن علي ﷺ. الخامس: أنه ملك يحفظه ويسدده، قاله مجاهد. والسادس: أنه الإنجيل يتلو القرآن بالتصديق، وإن كان قد أنزل قبله، لأن النبي ﷺ بشرت به التوراة، قاله الفراء. والسابع: أنه القرآن ونظمه وإعجازه، قاله الحسين بن الفضل. والثامن: أنه صورة رسول الله ﷺ ووجهه ومخايله، لأن كل عاقل نظر إليه علم أنه رسول الله ﷺ. وفي هاء «منه» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الله تعالى. والثاني: إلى النبي ﷺ. والثالث: إلى البيئة.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ في هذه الهاء ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى النبي ﷺ، قاله مجاهد. والثاني: إلى القرآن، قاله ابن زيد. والثالث: إلى الإنجيل، أي: ومن قبل الإنجيل ﴿كُتِبَ مُوسَى﴾ يتبع محمداً بالتصديق له، ذكره ابن الأنباري. قال الزجاج: والمعنى: وكان من قبل هذا كتاب موسى دليلاً على أمر النبي ﷺ، فيكون ﴿كُتِبَ مُوسَى﴾ عطفاً على قوله: ﴿يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ أي: ويتلوه كتاب موسى، لأن موسى وعيسى بشرًا بالنبي ﷺ في التوراة والإنجيل. ونصب «إماماً» على الحال. فإن قيل: كيف تتلوه التوراة، وهي قبله؟ قيل: لما بشرت به، كانت كأنها تالية له، لأنها تبعته بالتصديق له. وقال ابن الأنباري: ﴿كُتِبَ مُوسَى﴾ مفعول في المعنى، لأن جبريل تلاه على موسى، فارتفع الكتاب، وهو مفعول بمضمر بعده، تأويله: ومن قبله كتاب موسى كذا، أي: تلاه جبريل أيضاً، كما تقول العرب: أكرمت أخاك وأبوك، فيرفعون الأب، وهو مكرم على الاستئناف، بمعنى: وأبوك مكرم أيضاً. قال: وذهب قوم إلى أن ﴿كُتِبَ مُوسَى﴾ فاعل، لأنه تلا محمداً بالتصديق كما تلاه الإنجيل.

## فصل

فتلخيص الآية: أفمن كان على بيئة من ربه كمن لم يكن؟ قال الزجاج: ترك المضاد له، لأن في ما بعده دليلاً عليه، وهو قوله: ﴿مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ لَمْ يَكُنْ﴾ [هود: ٢٤]. وقال ابن قتيبة: لما ذكر قبل هذه الآية قوماً ركنوا إلى الدنيا، جاء بهذه الآية، وتقدير الكلام: أفمن كانت هذه حاله كمن يريد الدنيا؟ فاكتمى من الجواب بما تقدم، إذ كان فيه دليل عليه. وقال ابن الأنباري: إنما حذف لانكشاف المعنى، والمحذوف المقدر كثير في القرآن والشعر، قال الشاعر:

فَأَقْسِمُ لَوْ شِئْتُ أَنَا نَا رَسُولُهُ

سِوَاكَ، وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَذْفَعاً<sup>(١)</sup>

فإن قلنا: إن المراد بمن كان على بيئة من ربه، رسول الله ﷺ، فمعنى الآية: ويتبع هذا النبي شاهد، وهو جبريل ﷺ «منه» أي: من الله. وقيل: «شاهد» هو علي بن أبي طالب، «منه» أي: من النبي ﷺ. وقيل: «يتلوه» يعني القرآن، يتلوه جبريل، وهو شاهد لمحمد ﷺ أن الذي يتلوه جاء من عند الله تعالى. وقيل: ويتلو رسول الله ﷺ القرآن وهو شاهد من الله. وقيل: ويتلو لسان رسول الله ﷺ القرآن، فلسانه شاهد منه. وقيل: ويتبع محمداً شاهد له بالتصديق، وهو الإنجيل من الله تعالى. وقيل: ويتبع هذا النبي شاهد من نفسه، وهو سمته وهدية الدال على صدقه.

(١) البيت لأمرئ القيس: «ديوانه» ٢٤٢، والطبري ١٧٧/١٥، ومشكل القرآن ١٦٦، والخازن ٢٢٧/٤. قوله: لو شيء، يريد: لو أحد، وليس له «لو» هنا جواب، كما أمسك عن الجواب في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَا تُكْرِمُونَ الْبَنَاتِ﴾ [الرعد: ٣] فنقول: لو أحد أنا رسول الله ﷺ، ولكننا لم ننفك عن ذلك.

وإن قلنا: إن المراد بمن كان على بيّنة من ربه المسلمون، فالمعنى: أنهم يتبعون رسول الله ﷺ وهو البيّنة، ويتبع هذا النبي شاهد له بصدقه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَرَحْمَةً﴾ إنما سماه إماماً، لأنه كان يهتدى به، «ورحمة» أي: وذا رحمة، وأراد بذلك التوراة، لأنها كانت إماماً وسبباً لرحمة من آمن به.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إشارة إلى أصحاب موسى. والثاني: إلى أصحاب محمد ﷺ. والثالث: إلى أهل الحق من أمة موسى وعيسى ومحمد. وفي هاء «به» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى التوراة. والثاني: إلى القرآن. والثالث: إلى محمد ﷺ. وفي المراد بالأحزاب هاهنا أربعة أقوال: أحدها: جميع الملل، قاله سعيد بن جبير. والثاني: اليهود والنصارى، قاله قتادة. والثالث: قريش، قاله السدي. والرابع: بنو أمية، وبنو المغيرة بن عبد الله المخزومي، وآل أبي طلحة بن عبد العزى، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُمْ﴾ أي: إليها مصيرهم، قال حسان بن ثابت:

أَوْرَدْتُسُوهَا جِيَاضَ الْمَوْتِ ضَاحِيَةً فَالنَّارُ مَوْعِدُهَا وَالْمَوْتُ لَاقِيَهَا<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي رَيْبٍ مِّنْهُ﴾ قرأ الحسن، وقتادة: «مربة» بضم الميم أين وقع. وفي المكني عنه قولان: أحدهما: أنه الإخبار بمصير الكافر به، فالمعنى: فلا تك في شك أن موعد المكذب به النار، وهذا قول ابن عباس. والثاني: أنه القرآن، فالمعنى: فلا تك في شك من أن القرآن من الله تعالى، قاله مقاتل. قال ابن عباس: والمراد بالناس هاهنا: أهل مكة.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرْشُوكَ عَلَى رَيْبِهِمْ﴾ قال الزجاج: ذكر عرضهم توكيداً لحالهم في الانتقام منهم، وإن كان غيرهم يعرض أيضاً. فأما «الأشهاد» ففيهم خمسة أقوال: أحدها: أنهم الرسل، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الملائكة، قاله مجاهد، وقتادة. والثالث: الخلائق، روي عن قتادة أيضاً. وقال مقاتل: «الأشهاد» الناس، كما يقال: على رؤوس الأشهاد، أي: على رؤوس الناس. والرابع: الملائكة والنبيون وأمة محمد ﷺ يشهدون على الناس، والجوارح تشهد على ابن آدم، قاله ابن زيد. الخامس: الأنبياء والمؤمنون، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: وفائدة إخبار الأشهاد بما يعلمه الله: تعظيم بالأمر المشهود عليه، ودفع المجاهدة فيه.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعُوقِبُهَا عِوَا وَمَا كُفَرُوا﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قد تقدم تفسيرها في [الأعراف: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُفَرُوا﴾ قال الزجاج: ذكرت «هم» ثانية على جهة التوكيد لشأنهم في الكفر.

﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعِجِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَعِّفُ لَهُمُ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَصَلَّيْنَا عَنْهُمْ مَا كَانُوا بِقُدْرَةٍ

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعِجِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: لم يعجزوني أن أمر الأرض فتخسف بهم. ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: لا ولي لهم ممن يعبدون يمنهم مني. وقال ابن الأنباري: لما كانت عادة العرب جارية بقولهم: لا وزر لك مني ولا نفق، يعنون بالوزر: الجبل، والنفق: السرب، وكلاهما يلجأ إليه الخائف، أعلم الله تعالى أن هؤلاء الكافرين لا يسبقونه هرباً، ولا يجدون ما يحجز بينهم وبين عذابه من جميع ما يستر من الأرض ويلجأ إليه. قال: وقوله: «من أولياء» يقتضي محذوفاً، تلخيصه: من أولياء يمنعونهم من عذاب الله، فحذف هذا لشهرته.

قوله تعالى: ﴿يُضَعِّفُ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ يعني الرؤساء الصادقين عن سبيل الله، وذلك لإضلالهم أتباعهم واقتداء غيرهم بهم. وقال الزجاج: ﴿لَمْ يَكُونُوا مُعِجِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: في دار الدنيا، ولا لهم ولي يمنع من انتقام الله، ثم استأنف ﴿يُضَعِّفُ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ لعظم كفرهم بنبيه وبالبعث والنشور.

(١) «ديوانه» ٤٢٤. والضاحية: من الإبل والغنم: التي تشرب ضحى، وهي هنا على المثل، وحياض الموت ترشيح.

قوله تعالى: ﴿مَا كَاوًا يَسْتَلِيمُونَ أَلَسَّحَ﴾ فيمن عَنِي بهذا قولان: أحدهما: أنهم الكفار. ثم في معناه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم لم يقدروا على استماع الخير، وإبصار الحق، وفعل الطاعة، لأن الله تعالى حال بينهم وبين ذلك، هذا معنى قول ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أن المعنى: يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع ولا يسمعون، وبما كانوا يبصرون حُجج الله ولا يعتبرون بها، فحذف الباء، كما تقول العرب: لأجزيتك ما عملت، وبما عملت، ذكره الفراء، وأشد ابن الأنباري في الاحتجاج له:

نُغَالِي التَّلْحِمَ لِلْأَصْيَافِ نَيْشًا وَنَبْذُلُهُ إِذَا نَفِجَ الْقُدُورُ<sup>(١)</sup>

أراد: نُغَالِي باللحم. والثالث: أنهم من شدة كفرهم وعداوتهم للنبي ﷺ ما كانوا يستطيعون أن يفهموا ما يقول، قاله الزجاج. والقول الثاني: أنهم الأصنام، فالمعنى: ما كان للألهة سمع ولا بصر، فلم تستطع لذلك السمع، ولم تكن تبصر. فعلى هذا، يرجع قوله: ﴿مَا كَاوًا﴾ إلى أوليائهم، وهي الأصنام، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس أيضاً. ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَحَلَّوْا الصَّلَاحَ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ<sup>(٣)</sup> مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَصْنَى وَالْأَصْمَى وَالْعَمِيرِ وَالسَّيِّعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَقَلَّ تَذَكُّرُونَ<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ قال ابن عباس: يريد: حقاً إنهم الأخسرون. وقال الفراء: «لاجرم» كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد ولا محالة، فجرت على ذلك، وكثر استعمالهم إياها حتى صارت بمنزلة «حقاً»، ألا ترى أن العرب تقول: لا جرم لأنتيتك، لا جرم لقد أحسنت، وأصلها من جرم، أي: كسبت الذنب. قال الزجاج: ومعنى «لاجرم»: «لا» نفي لما ظنوا أنه يقع، كان المعنى: لا يقع ذلك جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون، أي: كسب لهم ذلك الفعل الخسران. وذكر ابن الأنباري أن «لا» رد على أهل الكفر فيما قدروهم من اندفاع الشر عنهم في الآخرة، والمعنى: لا يندفع عنهم عذابي، ولا يجدون ولياً يصرف عنهم نقمتي، ثم ابتداء مستأنفاً «جرم»، قال: وفيها قولان: أحدهما: أنها بمعنى: كسب كفرهم وما قدروهم من الباطل وقوع العذاب بهم. فـ «جرم» فعل ماضٍ، بمعناه: كسب، وفاعله مضمَر فيه من ذكر الكفر وتقرير الباطل. والثاني: أن معنى جرم: أحقَّ وصَحَّحَ، وهو فعل ماضٍ، وفاعله مضمَر فيه، والمعنى: أحقَّ كفرهم وقوع العذاب والخسران بهم، قال الشاعر<sup>(٥)</sup>:

وَلَقَدْ طَلَعْتُ أَبَا حُسَيْنَةَ طَعْنَةً جَرِمْتَ فَرَارَةً بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا<sup>(٦)</sup>

أراد: حقت الطعنة فزاراة بالغضب. ومن العرب من يغيّر لفظ «جرم» مع «لا» خاصة، فيقول بعضهم: «لا جُرم»، ويقول آخرون: «لا جَر» بإسقاط الميم، ويقال: «لا إذا جرم» و«لا إذا جر» بغير ميم، و«لا إن ذا جرم» و«لا عن ذا جرم»، ومعنى اللغات كلها: حقاً.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: خافوا ربهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنابوا إلى ربهم، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: تابوا إلى ربهم، قاله قتادة. والرابع: اطمأنوا، قاله مجاهد. والخامس: أخلصوا، قاله مقاتل. والسادس: تخشعوا لربهم، قاله الفراء. والسابع: تواضعوا لربهم، قاله ابن قتيبة. فإن قيل: لم أوثرت «إلى» على اللام في قوله: ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾، والعادة جارية بأن يقال: أخبتوا لربهم؟ فالجواب: أن المعنى: وَجَّهُوا خَوْفَهُمْ وَخُشُوعَهُمْ وَإِخْلَاصَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ، واطمأنوا إلى ربهم. قال الفراء: وربما جعلت العرب «إلى» في موضع اللام، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُوبِ﴾<sup>(٧)</sup> وقوله: ﴿الَّذِينَ هَدَيْنَا لِلْهُدَى﴾<sup>(٨)</sup> [الأعراف: ٤٣]. وقد يجوز في العربية: فلان يخبت إلى الله، يريد يفعل ذلك موجهً إلى الله. قال بعض المفسرين: هذه الآية نازلة في أصحاب رسول الله ﷺ، وما قبلها نازل في المشركين. ثم ضرب للفريقين مثلاً، فقال: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَصْنَى وَالْأَصْمَى﴾

(١) تقدم البيت ٥٦٨.

(٢) نسيه البطليوسي في «الافتصاب» لأبي أسماء بن الفرية، وقيل: بل هو لمطية بن عفيف.

(٣) «مجاز القرآن» ١/١٤٧، و«الافتصاب» ٣١٣، و«ميسويه» ٤١٨/١، و«معاني القرآن» ٨٠، و«القرطبي» ٤٥/٦، و«اللسان»، و«التاج»: جرم،

و«الخزانة» ٣١٠/٤، و«شواهد الكشاف» ٣٢.

قال مجاهد: الفريقان: المؤمن والكافر. فأما الأعمى والأصم فهو الكافر، وأما البصير والسميع فهو المؤمن. قال قتادة: الكافر عَمِيَ عن الحق وَصُمَّ عنه، والمؤمن أَبْصَرَ الحقَ وَسَمِعَهُ ثم انتفع به. وقال أبو غيبة: في الكلام ضهير، تقديره: مثل الفريقين كمثل الأعمى. وقال الزجاج: مثل الفريقين المسلمين كالْبصير والسميع، ومثل: فريق الكافرين كالأعمى والأصم، لأنهم في عداوتهم وتركهم للفهم بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر.

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ أي: هل يستويان في المشابهة؟ والمعنى: كما لا يستويان عندكم، كذلك لا يستوي المؤمن والكافر عند الله. وقال أبو عبيدة: «هل» هاهنا بمعنى الإيجاب، لا بمعنى الاستفهام، والمعنى: لا يستويان. قال الفراء: وإنما لم يقل: «يستون» لأن الأعمى والأصم من صفو واحد، والسميع والبصير من صفو واحد، كقول القائل: مررت بالعاقل واللييب، وهو يعني واحداً، قال الشاعر:

وما أذري إذا يئُمنْتُ أرضاً      أريدُ الخيرَ أيهما يلينِي<sup>(١)</sup>

فقال: أيهما. وإنما ذكر الخير وحده، لأن المعنى يُعرف، إذ المبتغي للخير متي للشر. وقال ابن الأنباري: الأعمى والأصم صفتان لكافر، والسميع والبصير صفتان لمؤمن، فردَّ الفعلُ إلى الموصوفين بالأوصاف الأربعة، كما تقول: العاقل والعالم، والظالم والجاهل، حضراً مجلسي، فتثني الخبر بعد ذكر الأربعة، لأن الموصوف بالعلم هو الموصوف بالعقل، وكذلك المنعوت بالجهل هو المنعوت بالظلم، فلما كان المنعوتان اثنين، رجع الخبر إليهما، ولم يُلتفت إلى تفريق الأوصاف، ألا ترى أنه يسوغ أن تقول: الأديب واللييب والكريم والجميل قصدي، فتوحد الفعل بعد أوصاف لعله أن الموصوف بهن واحد، ولا يمتنع عطف النعوت على النعوت بحروف العطف، والموصوف واحد، فقد قال تعالى: ﴿التَّحِيُّنُ الْكَبِيرُ﴾ [التوبة: ١١٢] ثم قال: ﴿الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ فلم يقتض دخول الواو وقوع خلاف بين الأمرين والناهين، وقد قيل: الأمر بالمعروف ناهٍ عن المنكر في حال أمره، وكان دخول الواو دلالة على الأمر بالمعروف، لأن الأمر بالمعروف لا ينفرد دون النهي عن المنكر، كما ينفرد الحامدون بالحمد دون الساتحين، والساتحون بالسياحة دون الحامدين، ويدل أيضاً على أن العرب تنسق النعت على التعت والمنعوت واحد، كقول الشاعر يخاطب سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان:

يَظُنُّ سَعِيدٌ وابْنُ عَمْرٍو بَأْسَنِي      إذا سَأَمَنِي ذَلًّا أَكُونُ بِهِ أَزْضَى

فسق ابن عمرو على سعيد، وهو سعيد.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذْ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ١٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَِّّي لَنَافٍ عَنَّا بِقَوْمِ آلِهِم ١٦ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا تَرَبَّلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا تَرَبَّلَكَ إِلَّا نَفْسٌ هُمْ أَوْلَا لَنَا بِأَدَىٰ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ١٧ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَدَيْكُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ رَبِّكُمْ فَخِيتُ عَلَيْكُمْ أَنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَوْ أَنَّكُمْ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ١٨ وَتَقْوِيهِ لَا أَشْتَكِيكُمْ عَلَيْهِ مَا لَئِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُّلتَفَعُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰ إِنَّكُمْ قَوْمًا تَهْتَكُونَ ١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذْ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي «إني» بفتح الالف، والتقدير: أرسلناه بأنى، وكان الوجه بأنه لهم نذير، ولكنه على الرجوع من الإخبار عن الغائب إلى خطاب نوح قومه. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة «إني» بكسر الالف، فحملوه على القول المضمر، والتقدير: فقال لهم: إني لكم نذير.

قوله تعالى: ﴿مَا تَرَبَّلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ أي: إنساناً مثلنا، لا فضل لك علينا. فأما الأراذل، فقال ابن عباس: هم السَّفَلَةُ. وقال ابن قتيبة: هم جمع «أرذل»، يقال: رجل رَذُلٌ، وقد رَذُلَ رذالة ورذولة. ومعنى الأراذل: الشرار. قوله تعالى: ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ قرأ الأكثرون «بادي» بغير همز. وقرأ أبو عمرو بالهمز بعد الدال. وكلهم همز «الرأي»

غير أبي عمرو. وللعلماء في معنى «بادي» إذا لم يهمز ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: ما نرى أتباعك إلا سفلتنا وأردالنا في بادي الرأي لكل ناظر، يعنون أن ما وصفناه به من النقص لا يخفى على أحد فيخالفنا، هذا مذهب مقاتل في آخرين. والثاني: أن المعنى أن هؤلاء القوم أتبعوك في ظاهر ما يرى منهم، وطوئتهم على خلافك. والثالث: أن المعنى: اتبعوك في ظاهر رأيهم، ولم يتدبروا ما قلت، ولو رجعوا إلى التفكير لم يتبعوك، ذكر هذين القولين الزجاج. قال ابن الأنباري: وهذه الثلاثة الأقوال على قراءة من لم يهمز، لأنه من بدا، يبدؤا إذا ظهر. فأما من همز «بادي» فمعناه: ابتداء الرأي، أي أتبعوك أول ما ابتدؤوا يظرون، ولو فكروا لم يعدلوا عن موافقتنا في تكذيبك.

قوله تعالى: ﴿وَمَا زَيْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من فضل في الخلق، قاله ابن عباس. والثاني: في الملك والمال ونحو ذلك، قاله مقاتل. والثالث: ما فُضِّلتم باتباعكم نوحاً، ومخالفتكم لنا بفضيلة نتبعكم طلباً لها، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿بَلْ تَطْلُكُم كَذِبَاتٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: نتيقنكم، قاله الكلبي. والثاني: نحسبكم، قاله مقاتل. قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ يَتَقَرُّ مِنْ زَيْ﴾ أي: على يقين وبصيرة. قال ابن الأنباري: وقوله: «إِنْ كُنْتُمْ» شرط لا يوجب شكاً يلحقه، لكن الشك يلحق المخاطبين من أهل الزيف، فتقديره: إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي عِنْدَكُمْ. ﴿وَمَا لَكُنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها النبوة، قاله ابن عباس. والثاني: الهداية، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «فَعَمِيَتْ» بتخفيف الميم وفتح العين. قال ابن قتيبة: والمعنى: عميت عنها، يقال: عمي عليّ هذا الأمر: إذا لم أفهمه، وعميت عنه بمعنى. قال الفراء: وهذا مما حوَّلت العرب الفعل إليه، وهو في الأصل لغيره، كقولهم: دخل الخاتم في يدي، والخف في رجلي، وإنما الإصبع تدخل في الخاتم، والرجل في الخف، واستجازوا ذلك إذ كان المعنى معروفاً. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «فَعَمِيَتْ» بضم العين وتشديد الميم. قال ابن الأنباري: ومعنى ذلك: فعمَّها الله عليكم إذ كنتم ممن حُكِمَ عليه بالشقاء. وكذلك قرأ أبي بن كعب، والأعمش: «فعمَّها عليكم». وفي المشار إليها قولان: أحدهما: البيئة. والثاني: الرحمة.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكُمْ قَوْمًا﴾ أي: أَلَمْ نُرَبِّكُمْ قَوْمًا؟ وهذا استفهام معناه الإنكار، يقول: لا تقدر أن تُلْزِمكم من ذات أنفسنا. قال قتادة: والله لو استطاع نبي الله ﷺ لألزمها قومه، ولكن لم يملك ذلك. وقيل: كان مراد نوح ﷺ ردّ قولهم: ﴿وَمَا زَيْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ فبيّن فضله وفضل مَنْ آمَن به بأنه على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ، وقد آتاه رحمةً مِنْ عِنْدِهِ، وسلب المكذِبون ذلك.

قوله تعالى: ﴿لَا أَتْلُكُمْ عَيْنًا﴾ أي: على نصحي ودعائي إياكم «تَاللَّهِ» فتتهموني. وقال ابن الأنباري: لما كانت الرحمة بمعنى الهدى والإيمان، جاز تذكرها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَاسَأُوا﴾ قال ابن جريج: سألوهم طردهم أفنة منهم، فقال: لا يجوز لي طردهم، إذ كانوا يلقون الله فيجزيهم بإيمانهم، ويأخذ لهم ممن ظلمهم وصغر شؤونهم. وفي قوله: ﴿وَلَكِنْ قَوْلًا تَهْتَكُونَ﴾ قولان: أحدهما: تجهلون أن هذا الأمر من الله تعالى، قاله ابن عباس. والثاني: تجهلون لأمركم إياي بطرد المؤمنين، قاله أبو سليمان.

﴿وَيَتَقَرُّ مِنْ يَشْرِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْبَيْتَ وَلَا أَقُولُ إِنْ مَلَكَتْ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَوِجُ أَغْنِيَكُمْ عَنْهُنَّ وَلَا أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنْ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْشُؤْ قَدْ جَدَلْنَا فَاكْشَرَتْ جَدَلْنَا فَأَيُّهَا بَيِّنَاتٌ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنَا بِمُتَّبِعٍ وَلَا يَتَعَفَّوْ تَصِحُّ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُؤَيِّدَكُمْ هُوَ وَرَبُّكُمْ وَلِلَّهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَتَقَرُّ مِنْ يَشْرِي مِنَ اللَّهِ﴾ أي: من يمنني من عذاب الله إِنْ طَرَدْتُمْ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ قال ابن الأنباري: أراد بالخزائن: علم الغيب المطوي عن الخلق،



لأنهم قالوا له: إنما أتبعك هؤلاء في الظاهر وليسوا معك، فقال لهم: ليس عندي خزائن غيوب الله فأعلم ما تنطوي عليه الضمائر. وإنما قيل للغيوب: خزائن، لغموضها عن الناس واستارها عنهم. قال سفيان بن عيينة: إنما آيات القرآن خزائن، فإذا دخلت خزنة فاجتهد أن لا تخرج منها حتى تعرف ما فيها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ قيل: إنما قال لهم هذا، لأن أرضهم أجديت، فسألوه: متى يجيء المطر؟ وقيل: بل سألوه: متى يجيء العذاب؟ فقال: ولا أعلم الغيب. وقوله: ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ جواب لقولهم: ﴿مَا رَبُّكَ إِلَّا بِشْرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود: ٢١٧]. ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ أي: تحتقر وتستصغر المؤمنين. قال الزجاج: «تزدري» تستقل وتستخس، يقال: زريت على الرجل: إذا عبت عليه وخسست فعله، وأزريت به: إذا قصرت به. وأصل تزدري: تزتري، إلا أن هذه التاء تبدل بعد الزاي دالاً، لأن التاء من حروف الهمس، وحروف الهمس خفية، فالتاء بعد الزاي تخفى، فأبدلت منها الدال لجهرها.

قوله تعالى: ﴿لَنْ يُؤْمِنَهُمْ اللَّهُ عَزَّ﴾ قال ابن عباس: إيماناً. ومعنى الكلام: ليس لي أن أطلع على ما في نفوسهم فأقطع عليهم شيء، وليس لاحتقاركم إياهم يبطل أجرهم. ﴿إِنِّي إِذَا لَيِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ إن قلت هذا الذي تقدم ذكره، وقيل: إن طردتهم.

قوله تعالى: ﴿فَدَّ جَدَدَتَنَا﴾ قال الزجاج: الجدال: هو المبالغة في الخصومة والمناظرة، وهو مأخوذ من الجدَل، وهو شدة القتال، ويقال للصقر: أجدل، لأنه من أشد الطير. ويُقرأ «جَدَلْنَا».

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّا بِمَا صَدَقْنَا﴾ قال ابن عباس: يعنون العذاب. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أنه يأتينا.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَصْحَ لَكُمْ﴾ أي أنصحكم. وفي هذه الآية شرطان، فجواب الأول النصح، وجواب الثاني النفع.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُصَوِّبَكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يضلكم، قاله ابن عباس. والثاني: يهلككم، حكاه ابن الأنباري. وقال: هو قول مرغوب عنه. والثالث: يضلكم ويهلككم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ أي: هو أولى بكم، يتصرف في ملكه كما يشاء ﴿وَالَّذِي تُرْجَمُونَ﴾ بعد الموت.

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُفِثَ قُلُوبُنَا فَنَقُولُ بِحُجَّتِهِمْ﴾ أي: فَنَقُولُ بِحُجَّتِهِمْ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٢٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ قال الزجاج: المعنى: أيقولون: (افتراء)؟ قال ابن قتية: الافتراء: الاختلاق. ﴿فَقُلْ لِّإِبْرَاهِيمَ﴾ أي: جرم ذلك الاختلاق إن كنت فعلت. ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ في التكذيب. وقرأ أبو المتوكّل، وابن السميع: «فعلني أجرامي» بفتح الهمزة.

﴿وَأَرْسِلْ إِنْ شِئْتَ أَنْ تُرْسِلَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا يَنْتَفِيسُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسِلْ إِنْ شِئْتَ أَنْ تُرْسِلَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ قال المفسرون: لما أوحى إليه هذا، استجاز الدعاء عليهم، فقال: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَبَابًا﴾ [نوح: ٢٦].

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَنْتَفِيسُ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: لا تحزن. وقال الفراء، والزجاج: لا تستكن ولا تحزن. قال أبو صالح عن ابن عباس: فلا تحزن إذا نزل بهم الغرق ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَحْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ﴾ ﴿٢٢٧﴾ وَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٢٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ أي: وأعمل السفينة. وفي قوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: برأى منا، قاله ابن عباس. والثاني: بحفظنا، قاله الربيع. والثالث: بعلمنا، قاله مقاتل. قال ابن الأنباري: إنما جمع على مذهب العرب في إيقاعها الجمع على الواحد، تقول: خرجنا إلى البصرة في السفن، وإنما جمع، لأن من عادة الملك أن يقول: أمرنا ونهينا. وفي قوله: ﴿وَوَحِّينَا﴾ قولان: أحدهما: وأمرنا لك أن تصنعها. والثاني: وبتعليمنا إياك كيف تصنعها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الدِّينِ ظُلْمًا﴾ فيه قولان: أحدهما: لا تسألني الصّبح عنهم. والثاني: لا تخاطبني في أمهالهم. وإنما نهي عن الخطاب في ذلك صيانة له عن سؤال لا يجاب فيه.

### الإشارة إلى كيفية عمل السفينة

روى الضحاك عن ابن عباس قال: كان نوح يُضرب ثم يُلف في لُبْدٍ فيُلقي في بيته، يُرَوْن أنه قد مات، ثم يخرج فيدعوهم. حتى إذا يش من إيمان قومه، جاءه رجل ومعه ابنة وهو يتوكأ على عصا، فقال: يا بني، انظر هذا الشيخ لا يفررك، قال: يا أبت أمكني من العصا، فأخذها فضربه ضربة شجّة مؤصّحة<sup>(١)</sup>، وسالت الدماء على وجهه، فقال: رب قد ترى ما يفعل بي عبادك، فإن يكن لك فيهم حاجة فاهدّم، وإلا فصبّرني إلى أن تحكم، فأوحى الله إليه ﴿أَنْتُمْ كَنْزُكُمْ مِنْ قَوْمِكُمْ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَ﴾، قال يا رب، وما الفلك؟ قال: بيت من خشب يجري على وجه الماء أنتجى فيه أهل طاعتي، وأغرق أهل معصيتي. قال: يا رب، وأين الماء؟ قال: إني على ما أشاء قدير، قال: يا رب، وأين الخشب؟ قال: أغرس الشجر، فغرس الساج<sup>(٢)</sup> عشرين سنة، وكفّت عن دعائهم، وكفّوا عنه، إلا أنهم يستهزئون به، فلما أدرك الشجر، أمره ربه، فقطعه وجفّفه ولقّفه، فقال: يا رب، كيف أتخذ هذا البيت؟ قال: اجعله على ثلاث صور، رأسه كراس الطائوس، وجوّؤه كجوّج الطائر، وذنبه كذنب الديك، واجعلها مطبقة، وبعث الله إليه جبريل يعلمه، وأوحى الله إليه أن عجّل عمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني، فاستأجر نجارين يعملون معه، وسام، وجام، وياث، معه ينتحون السفينة، فجعل طولها ستمائة ذراع، وعرضها ثلاثمائة وثلاثين ذراعاً، وعلوها ثلاثاً وثلاثين، وفجّر الله له عين القار تغلي غلياناً حتى طلاها. وعن ابن عباس قال: جعل لها ثلاث بطون، فحمل في البطن الأول الوحوش والسباع والهوام، وفي الأوسط الدواب والأنعام، وركب هو ومن معه البطن الأعلى. وروي عن الحسن أنه قال: كانت سفينة نوح طولها ألف ذراع، وماتاً ذراع، وعرضها ستمائة ذراع. وقال قتادة: كانت فيما ذكر لنا طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسمائة ذراع، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً. وقال ابن جريج: كان طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسين ومائة ذراع، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً، وكان في أعلاها الطير، وفي وسطها الناس، وفي أسفلها السباع. وزعم مقاتل أنه عمل السفينة في أربعمئة سنة.

قوله تعالى: ﴿وَسَكَّلْنَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم رأوه يبني السفينة وما رأوا سفينة قط، فكانوا يسخرون ويقولون: صرت بعد النبوة نجاراً؟ وهذا قول ابن إسحاق والثاني: أنهم قالوا له: ما تصنع؟ فقال: أبني بيتاً يمشي على الماء، فسخروا من قوله، وهذا قول مقاتل. وفي قوله: ﴿إِنْ تَسَخَّرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَّرُ مِنْكُمْ﴾ خمسة أقوال: أحدها: إن تسخروا من قولنا فإننا نسخر من غفلتكم. والثاني: إن تسخروا من فعلنا عند بناء السفينة، فإننا نسخر منكم عند الغرق، ذكره المفسرون. والثالث: إن تسخروا منا في الدنيا، فإننا نسخر منكم في الآخرة، قاله ابن جرير. والرابع: إن تستجهلونا، فإننا نستجهلكم، قاله الزجاج. والخامس: إن تسخروا منا، فإن نستنصر الله عليكم، فسمى هذا سخرية، ليطغى اللفظان «كما بنا في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْتَبْرِئُ مِنْهُمْ﴾» [البقرة: ١٥]، هذا قول ابن الأنباري. قال ابن عباس: لم يكن في الأرض قبل الطوفان نهر ولا بحر، فلذلك سخروا منه، وإنما مياه البحار بقية الطوفان.

﴿سَوَّيْتُ لَكُمُوهَ مِنْ يَأْيُوهَ عَذَابٌ يَمْزِيهِ وَيَجْلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿سَوَّيْتُ لَكُمُوهَ﴾ هذا وعيد، ومعناه: فسوف تعلمون من هو أحق بالسخرية، ومن هو أحمد عاقبة.

قوله تعالى: ﴿مِنْ يَأْيُوهَ عَذَابٌ يَمْزِيهِ﴾ أي: يُذِلُّه، وهو الغرق. ﴿وَيَجْلُ عَلَيْهِ﴾ أي: ويجب عليه ﴿عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ في

الآخرة.

(١) المؤصّحة: الشجة التي بلغت المقطم، فأوصحت عنه. ولا قصاص في شيء من الشجاج إلا في المؤصّحة، وفي غيرها الدية.

(٢) الساج: شجر ينظم جداً، ويذهب طولاً وعرضاً، وله ورق أمثال التراس الديلمية، يتغطى الرجل بورق منه، فتكته من المطر، وله رائحة طيبة تشابه رائحة ورق الجوز مع رقّة ونعّمة.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَثَرُهَا وَقَارَ أَلْتُّورُ قُلْنَا اتَّجِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ إِلَّا قَلِيلٌ﴾

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَثَرُهَا﴾ فيه قولان: أحدهما: جاء أمرنا بعذابهم وإهلاكهم. والثاني: جاء عذابنا وهو الماء، ابتدا بجنبات الأرض فدار حولها كالإكليل، وجعل المطر ينزل من السماء كأفواه القرب، فجعلت الوحوش يطلبن وسط الأرض هرباً من الماء حتى اجتمعن عند السفينة، فحينئذ حمل فيها من كل زوجين اثنين.

قوله تعالى: ﴿وَقَارَ أَلْتُّورُ﴾ الفور: الغليان؛ والفؤارة: ما يفر من القدر، قاله ابن فارس. قال المصنف: وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي عن ابن دريد قال: التور: اسم فارسي معرب لا تعرف له العرب اسماً غير هذا، فلذلك جاء في التنزيل، لأنهم خطبوا بما عرفوا. وروي عن ابن عباس أنه قال: التور، بكل لسان عربي وعجمي. وفي المراد بهذا التور ستة أقوال: أحدها: أنه اسم لوجه الأرض، رواه عكرمة عن علي عليه السلام. وروى الضحاك عن ابن عباس: التور: وجه الأرض، قال: قيل له: إذا رأيت الماء قد علا وجه الأرض، فاركب أنت وأصحابك، وهذا قول عكرمة، والزهري. والثاني: أنه تنوير الصبح، رواه أبو جحيفة عن علي عليه السلام. وقال ابن قتيبة: التنوير عند الصلاة. والثالث: أنه طلوع الفجر، روي عن علي أيضاً، قال: «وفار التور»: طلوع الفجر. والرابع: أنه طلوع الشمس، وهو منقول عن علي أيضاً. والخامس: أنه تنور أهله، روى العوفي عن ابن عباس قال: إذا رأيت تنوراً أهلك يخرج منه الماء، فإنه هلاك قومك. وروى أبو صالح عن ابن عباس: أنه تنور آدم عليه السلام، وهبه الله لنوح، وقيل له: إذا فار الماء منه، فاحمل ما أمرت به. وقال الحسن: كان تنوراً من حجارة، وهذا قول مجاهد، والفراء، ومقاتل. والسادس: أنه أعلى الأرض وأشرفها<sup>(١)</sup>. قال ابن الأنباري: شُبِّهَتْ أَعَالِي الْأَرْضِ وَأَمَّا كُنْهَا الْمَرْتَفَعَةُ لَعُلَّوْهَا، بِالثَّانِيَةِ. واختلفوا في المكان الذي فار منه التور على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه فار من مسجد الكوفة، رواه حبة العرنى عن علي عليه السلام. وقال زر بن حبیش: فار التور من زاوية مسجد الكوفة اليمنى. وقال مجاهد: نبع الماء من التور، فعلمت به امرأته فأخبرته، وكان ذلك بناحية الكوفة. وكان الشعبي يحلف بالله ما كان التور إلا بناحية الكوفة. والثاني: أنه فار بالهند، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: أنه كان في أقصى دار نوح، وكانت بالشام في مكان يقال له: عين وردة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اتَّجِلْ فِيهَا﴾ أي: في السفينة ﴿مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾. وروى حفص عن عاصم: «من كل» بالتنوين. قال أبو علي: والمعنى: من كل شيء، ومن كل زوج زوجين، فحذف المضاف. وانتصاب «اثنين» على أنهما صفة لزوجين، وقد علم أن الزوجين اثنين، ولكنه توكيد. قال مجاهد: من كل صنف، ذكراً وأنثى. وقال ابن قتيبة: الزوج يكون واحداً، ويكون اثنين، وهو هاهنا واحد، ومعنى الآية: احمل من كل ذكر وأنثى اثنين. وقال الزجاج: المعنى: احمل زوجين اثنين من كل شيء، والزوج في كلام العرب يجوز أن يكون معه واحد، والاثنان يقال لهما: زوجان، يقال: عندي زوجان من الطير، إنما يريد ذكراً وأنثى فقط. وقال ابن الأنباري: إنما قال «اثنين» فثنى الزوج، لأنه قصد قصد الذكر والأنثى من الحيوان، وتقديره: من كل ذكر وأنثى.

قوله تعالى: ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: واحمل أهلك. قال المفسرون: أراد بأهله: عياله وولده. ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي: سبق عليه القول من الله بالإهلاك. قال الضحاك: وهم امرأته وابنه كنعان.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ معناه: واحمل من آمن. وفي عددهم ثمانية أقوال: أحدها: أنهم كانوا ثمانين رجلاً معهم أهلهم، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أن نوحاً حمل معه ثمانين إنساناً، وبنيه الثلاثة، وثلاث نسوة لبنيه، وامرأة نوح، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس. والثالث: كانوا ثمانين إنساناً، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: كانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة. والرابع: كانوا أربعين، ذكره ابن جريج عن

(١) قال ابن كثير ٤٤٥/٢ بعد أن ساق أكثر هذه الأقوال: وهذه أقوال غريبة.

ابن عباس. والخامس: كانوا ثلاثين رجلاً، رواء أبو نهيك عن ابن عباس. والسادس: كانوا ثمانية، قال الحكم بن عتيبة: كان نوح وثلاثة بنيه وأربع كئنه. قال قتادة: ذكر لنا أنه لم ينج في السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة بنين له، ونساؤهم، فجماعتهم ثمانية، وهذا قول القرظي، وابن جريج. والسابع: كانوا سبعة، نوح، وثلاث كئنه له وثلاثة بنين، قاله الأعمش. والثامن: كانوا عشرة سوى نسائهم، قاله ابن إسحاق. وروي عنه أنه قال: الذين نَجَوْا مع نوح بنوه الثلاثة، ونساؤهم ثلاث، وستة ممن آمن به<sup>(١)</sup>.

﴿وَقَالَ آتِكُمَا فِيهَا يَمِينُ اللَّهِ بِحَبْرٍ مِثْلٍ بَهِرٍّ وَمِنْ رَمْيِ فَارٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ﴾ يعني نوحاً للذين أمر بحملهم ﴿آتِكُمَا﴾ السفينة. قال ابن عباس: ركبوا فيها لعشر مضيئ من رجب، وخرجوا منها يوم عاشوراء. وقال ابن جريج: رفعت من عين وردة يوم الجمعة لعشر مضيئ من رجب، فأنت موضع البيت فطافت به أسبوعاً، وكان البيت قد رُفِعَ في ذلك الوقت، ورست بباقردي<sup>(٢)</sup> على الجودي يوم عاشوراء. قال ابن عباس: قرض الغار حبال السفينة، فشكا نوح ذلك، فأوحى الله تعالى إليه، فمسح ذنب الأسد، فخرج سنوران، وكان في السفينة عذرة، فشكا ذلك إلى ربه، فأوحى الله تعالى إليه، فمسح ذنب الفيل، فخرج خنزيران فأكلا ذلك<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَمِينُ اللَّهِ بِحَبْرٍ مِثْلٍ بَهِرٍّ وَمِنْ رَمْيِ فَارٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «مَجْرَاهَا» بضم الميم. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «مَجْرَاهَا» بفتح الميم، وكسر الراء. وكلهم قرؤوا بضم الميم من «مرساها»، إلا أن ابن كثير، وأبا عمرو، وابن عامر، وحفصاً عن عاصم، كانوا يفتحون السين. ونافع، وأبو بكر عن عاصم، كانا يقرآنها بين الكسر والتفخيم. وكان حمزة، والكسائي، وخلف، يميلونها. وليس في هؤلاء أحد جعلها نعتاً لله، وإنما جعل الوصفين نعتاً لله تعالى، الحسن، وكتادة، وحُميد الأعرج، وإسماعيل بن مجالد عن عاصم، فقرؤوا «مَجْرِيهَا وَمُرْسِيهَا» بضم الميم، وبياءين صحيحتين، مثل مبديها ومنشيا. وقرأ ابن مسعود: «مَجْرَاهَا» بفتح الميم، وإمالة الراء بعدها ألف، «وَمُرْسَاهَا» برفع الميم، وإمالة السين بعدها ألف. وقرأ أبو رزين، وأبو المتوكل: «مَجْرَاهَا» بفتح الميم والراء، ويألف بعدها، «وَمُرْسَاهَا»، برفع الميم وفتح السين، ويألف بعدها. وقرأ أبو الجوزاء، وابن يعمر: «مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا» بفتح الميم فيهما جميعاً، وفتح الراء والسين، ويألف بعدهما وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الميمين، إلا أنه أمال الراء والسين فيهما. وقرأ أبو عمران الجوني، وابن جبير، برفع الميم فيهما، وفتح الراء والسين، ويألف بعدهما جميعاً. فمن قرأ بضم الميمين، جعله من أجرى وأرسي. ومن فتحهما، جعله مصدرأ من جرى الشيء يجري مجرى، ورسي يرسي مرسى. قال الزجاج: قوله: ﴿يَمِينُ اللَّهِ﴾ أي: بالله، والمعنى: أنه أمرهم أن يسلموا في وقت جريها وقت استقرارها. ومن قرأ بضم الميمين، فالمعنى: بالله إجراؤها، وبالله إرساها. ومن فتحهما، فالمعنى: بالله يكون جريها، وبالله يقع إرساؤها، أي: إقرارها. وسمعت شيخنا أبا منصور اللغوي يقول: من ضم الميم في «مَجْرَاهَا» أراد: أجراها الله مجرى، ومن فتحها، أراد: جرت مجرى. وقال الضحاك: كان إذا أراد أن تجري، قال: بسم الله، فجرت. وإذا أراد أن ترسي، قال: بسم الله، فرست.

﴿وَمِنْ رَمْيِ فَارٍ﴾ في مِجَّ كَالْجِبَالِ وَكَأَنَّهُ نُجُجٌ أَيْ مَكَاتٍ فِي مَقَرِّ يَبُوءُ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ سَائِرُ آلِ جِبَلٍ يَصْهَرُ مِنْ أَلَمِهِ قَالُوا لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعُوا وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْفُتُورِ ﴿٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَمْيِ فَارٍ﴾ شبهه بالجبال في عظمه وارتفاعه، ويقال: إن الماء ارتفع على

(١) قال أبو جعفر الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله: ﴿وَمَا آمَنَ نَقَمٌ إِلَّا قِيلَ﴾ يفهم بأنهم كانوا قليلاً، ولم يحد عددهم بمقدار، ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح، فلا ينبغي أن يتجاوز في ذلك حد الله، إذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حد من كتاب الله، أو أثر عن رسول الله ﷺ.

(٢) ضبطه ياقوت بكسر القاف وفتح الدال، وهو موضع بالجزيرة بالقرب من جبل الجودي.

(٣) الخبر ذكره الطبري ٢٤٢/١٥ من ابن عباس وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، وأورده ابن كثير عن ابن جرير واستغفريه، وليس يشك عاقل أن هذا الخبر من بقية أخبار بني إسرائيل، ولا يبلغ أن يكون شيئاً.

أطول جبل في الأرض أربعين ذراعاً، ويروى خمس عشرة ذراعاً. وذكر بعض المفسرين أنه ارتفع نحو السماء سبعين فرسخاً من الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَكَاذِبٌ شُجٌّ أَتَتْهُ﴾ لا يختلفون أنه كان كافراً. وفي اسمه قولان: أحدهما: كنمان، وهو قول الأكثرين. والثاني: اسمه يام، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عبيد بن عمير، وابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَكَاذِبٌ فِي مَعْزِلٍ﴾ المعزل: المكان المتقطع. ومعنى العزل: التنحية. وفي معنى الكلام وجهان ذكرهما الزجاج: أحدهما: في معزل من السفينة. والثاني: في معزل من دين أبيه.

قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْ أَرْكَبَ ثَمَّاءَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي «يا بني أركب» مضافة، بكسر الياء. وروى أبو بكر عن عاصم «يا بني» مفتوحة الياء هاهنا، وباقى القرآن مكسورة. وروى حفص عنه بالفتح في كل القرآن «يا بني» إذا كان واحداً. قال النحويون: الأصل في «بني» ثلاث ياءات، ياء التصغير، وياء بعدها هي لام الفعل، وياء بعد لام الفعل هي ياء الإضافة. فمن قرأ «يا بني» أراد: يا بني، فحذف ياء الإضافة، وترك الكسرة تدل عليها، كما يقال: يا غلام أقبل. ومن فتح الياء، أبدل من كسرة لام الفعل فتحة، استقلاً لاجتماع الياءات مع الكسرة، فانقلبت ياء الإضافة ألفاً، ثم حذفت الألف كما تحذف الياء، فبقيت الفتحة على حالها. وقيل: إن المعنى: يا بني آمن واركب معنا.

قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ﴾ أي: ساصير وأرجع ﴿إِلَّا جَبَلٍ يَعْصِيْ﴾ أي بمعنى «مكة الماء» أي: من تغريق الماء. ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا مانع اليوم من أمر الله، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لا معصوم، ومثله: ماء دافق، أي: مدفوق، وسر كاتم، وليل نائم، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَّجَعْ﴾ قال الزجاج: هذا استثناء ليس من الأول، والمعنى: لكن من رحم الله فإنه معصوم. قال مقاتل: إلا من رحم فركب السفينة.

قوله تعالى: ﴿وَمَاءٌ بَيْنَهُمَا مَوْجٌ﴾ في المكني عنهما قولان: أحدهما: أنهما ابن نوح والجبل الذي زعم أنه يعصمه، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: نوح وابنه، قاله مقاتل.

﴿وَقِيلَ يَكْرَأُ أَلَيْكَ مَآءُكَ فَعَسَا أَقْبَىٰ مِمَّا رَفَعْنَا لَكَ الْأُمْرُ وَأَسْوَدَتْ عَلَى الْكُفُورِيِّ وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿وَكَاذِبٌ شُجٌّ رَّجَعْ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي أَتَىٰ مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ﴾ ﴿قَالَ يَنْفُخُ إِنَّمَا يُنْفِخُ بِإِذْنِ رَبِّكَ إِنَّمَا عَنَّا وَرَبِّنَا وَلَٰكِنَّا نَسْتَكْفِرُ﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخُوذُ بِكَ أَنْ أَشْتَكَّ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَفْخِرْ لِي وَتَزَكِّيَ أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَكْرَأُ أَلَيْكَ مَآءُكَ﴾ وقف قوم على ظاهر الآية، وقالوا: إنما ابتلعت ما نبع منها، ولم تبتلع ماء السماء، فصار ذلك بحاراً وأنها راء، وهو معنى قول ابن عباس. وذهب آخرون إلى أن المراد: ابلي ماءك الذي عليك، وهو ما نبع من الأرض ونزل من السماء، وذلك بعد أن غرق ما على وجه الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَنَسَسَا أَقْبَىٰ﴾ أي: أمسكي عن إنزال الماء. قال ابن الأنباري: لما تقدم ذكر الماء، علم أن المعنى: أقلمي عن إنزال الماء.

قوله تعالى: ﴿وَفُغِيَ الْمَاءُ﴾ أي: نقص. قال الزجاج: يقال: غاض الماء يغيض: إذا غاب في الأرض. ويجوز إسماع الضم في الغين.

قوله تعالى: ﴿وَفُغِيَ الْأَمْرُ﴾ قال ابن عباس: غرق من غرق، ونجا من نجا. وقال مجاهد: قضى الأمر: هلاك قوم نوح. وقال ابن قتيبة: «وقضى الأمر» أي: فرغ منه. قال ابن الأنباري: والمعنى: أحكمت هلكة قوم نوح، فلما دلت القصة على ما بيّن هلكتهم، أغنى عن نعت الأمر.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْوَدَتْ﴾ يعني السفينة ﴿عَلَى الْكُفُورِيِّ﴾ وهو أسم جبل. وقرأ الأعمش، وابن أبي عبيدة: «على الجودي» بسكون الياء. قال ابن الأنباري: وتشديد الياء في «الجودي» لأنها ياء النسبة، فهي كالياء في علوي،

وهاشمي. وقد خففها بعض القراء. ومن العرب من يخفف ياء النسبة، فيسكنها في الرفع، والخفض، ويفتحها في النصب، فيقول: قام زيد العلوي، ورأيت زيداً العلوي. قال ابن عباس: دارت السفينة بالبيت أربعين يوماً، ثم وجهها الله إلى الجودي فاستقرت عليه. واختلفوا أين هذا الجبل على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بالموصل، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثاني: بالجزيرة، قاله مجاهد، وقتادة. وقال مقاتل: هو بالجزيرة قريب من الموصل. والثالث: أنه بناحية آبد، قاله الزجاج. وفي علة استوائها عليه قولان: أحدهما: أنه لم يفرق، لأن الجبال تشامت يومئذ وتناولت، وتواضع هو فلم يفرق، فأرست عليه، قاله مجاهد. والثاني: أنه لما قلَّ الماء أُرْسَتْ عليه، فكان استوائها عليه دلالة على قلة الماء.

قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ بِمَاءٍ أَلْوَيْنٍ﴾ قال ابن عباس: بُدَأَ من رحمة الله للقوم الكافرين. فإن قيل: ما ذنب من أغرق من البهائم والأطفال؟ فالجواب: أن أجالهم حضرت، فأمتوا بالفرق، قاله الضحاك، وابن جريج.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنْ آتَيْتَ مِنْ أَهْلِي﴾ إنما قال نوح هذا، لأن الله تعالى وعده نجاة أهله، فقال: ﴿وَإِنْ وَعَدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَخْتَفِكُمُ لِلْكَافِرِينَ﴾ قال ابن عباس: أعدل العادلين. وقال ابن زيد: فأنت أحكم الحاكمين بالحق. واختلفوا في هذا الذي سأل فيه نوح على قولين: أحدهما: أنه ابن نوح لصلبه، قاله ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبيرة، ومجاهد، والضحاك، والجمهور. والثاني: أنه ولد على فراشه لغير رثدة<sup>(١)</sup> ولم يكن ابنه. روى ابن الأنباري بإسناده عن الحسن أنه قال: لم يكن ابنه، إن امرأته فجرت. وعن الشعبي قال: لم يكن ابنه، إن امرأته خائته، وعن مجاهد نحو ذلك<sup>(٢)</sup>. وقال ابن جريج: ناداه نوح وهو يحسب أنه ابنه، وكان وُلِدَ على فراشه. فعلى القول الأول، يكون في معنى قوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ قولان: أحدهما: ليس من أهل دينك. والثاني: ليس من أهلك الذين وعدت نجاتهم. وعلى القول الآخر: الكلام على ظاهره، والأول أصح، لموافقة ظاهر القرآن، واجتماع الأكثرين عليه، وهو أولى من رمي زوجة نبي بفاحشة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ﴾ رفع منون «غير صالح» برفع الراء، وفيه قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى السؤال فيه، فالمعنى: سؤلك إياي فيه عمل غير صالح، قاله ابن عباس، وقتادة، وهذا ظاهر، لأنه قد تقدم السؤال فيه في قوله: «رب إن ابني من أهلي»، فرجعت الكناية إليه. والثاني: أنه يرجع إلى المسؤول فيه. وفي هذا المعنى قولان: أحدهما: أنه لغير رثدة، قاله الحسن. والثاني: أن المعنى: إنه ذو عمل غير صالح، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: من قال: هو لغير رثدة، قال: المعنى: إن أصل ابنك الذي تظن أنه ابنك عملٌ غير صالح. ومن قال: إنه ذو عمل غير صالح، قال: حذف المضاف، وأقام العمل مقامه، كما تقول العرب: عبد الله إقبال وإدبار، أي: صاحب إقبال وإدبار. وقرأ الكسائي: «عَمِلٌ» بكسر الميم وفتح اللام «غير صالح» بفتح الراء، يشير إلى أنه مشرك.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «فلا تسألن» بفتح اللام، وتشديد النون، غير أن نافعاً، وابن عامر، كسرا النون، وفتحها ابن كثير، وحذفوا الياء في الوصل والوقف. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي، بسكون اللام وتخفيف النون، غير أن أبا عمرو، وأبا جعفر، أثبتا الياء في الوصل، وحذفوها في الوقف، ووقف عليها يعقوب بالياء، والباقون يحذفونها في الحالين. قال أبو علي: من كسر النون، فقد عدَّى السؤال إلى مفعولين، أحدهما: اسم المتكلم، والآخر: الاسم الموصول، وحذفت النون المتصلة بياء المتكلم

(١) يقال: ولد لغير رثدة، أي: لغير نكاح صحيح.

(٢) قال ابن كثير ٤٤٨/٢: وقد نص غير واحد من الأئمة على تخطئة من ذهب في تفسير هذا إلى أنه ليس بابنه، وإنما كان ابن ذنية، ويحكى القول بأنه ليس بابنه وإنما كان ابن امرأته من مجاهد، والحسن، وعبيد بن عمير، وأبي جعفر الباقر، وابن جريج.

(٣) قال ابن كثير ٤٤٨/٢: وكذا روي عن مجاهد أيضاً، وعكرمة، والضحاك، وميمون بن مهران، وثابت بن الحجاج، وهو اختيار أبي جعفر ابن جرير الطبري، وهو الصواب الذي لا شك فيه.

لاجتماع النونات. وأما إثبات الياء في الوصل فهو الأصل، وحذفها أخف، والكسرة تدل عليها، وتعلم أن المفعول مراد في المعنى. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنه نسبته إليه، وليس منه. والثاني: في إدخاله إياه في جملة أهله الذين وعده نجاتهم. والثالث: سؤاله في إنجاء كافر من العذاب.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَظَلُّكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن تكون من الجاهلين في سؤالك مَنْ ليس مِنْ حزبك. والثاني: من الجاهلين بوعدِي، لأنِّي وعدت بإنجاء المؤمنين. والثالث: من الجاهلين بنسبك، لأنه ليس من أهلِكَ.

﴿وَقِيلَ يٰجُودُ أَقْبِطْ يَسْكُرْ وَمَا بَرَكْتَ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أَمْرِ مَنِ مَلَكَ وَامُّمْ سَتَيْتُهُمْ ثُمَّ يَمْسَهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يٰجُودُ أَقْبِطْ﴾ قال ابن عباس: يريد: من السفينة إلى الأرض ﴿يَسْكُرْ﴾ أي: بسلامة.

قوله تعالى: ﴿وَبَرَكْتَ عَلَيْكَ﴾ قال المفسرون: البركات عليه: أنه صار أباً للبشر جميعاً، لأن جميع الخلق من نسله. ﴿وَعَلَىٰ أَمْرِ مَنِ مَلَكَ﴾ قال ابن عباس: يريد: من ولدك. قال ابن الأنباري: المعنى: من ذراري من معك، والمراد: المؤمنون من ذريته. ثم ذكر الكفار، فقال: ﴿وَأَمُّهُمْ﴾ أي: من الذرية أيضاً، والمعنى: وفيمن نصف لك أم، وفيمن نقص عليك أمره أم. ﴿سَتَيْتُهُمْ﴾ أي: في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمْسَهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة. قال محمد بن كعب القرظي: لم يبق مؤمن ولا مؤمنة في أصلاب الرجال وأرحام النساء يومئذٍ إلى أن تقوم الساعة إلا وقد دخل في ذلك السلام والبركات، ولم يبق كافر إلا دخل في ذلك المتاع والعذاب.

﴿يٰلَكَ مِنْ آثِهِ الْقَيْبُ رُوحِيَّ إِلَىٰكَ مَا كُنْتَ تَمْلِكُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْقَوَّيَّةَ لِلشَّانِقِ﴾ ﴿وَلَا عَاوِ أَخَانُمْ هُوَذَا قَالَ يَنْفَوْرُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ ﴿يَقُولُ لَا مَحَافِظَ عَلَيْنَا إِنْ أَجْرُكَ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي نَطْرُقُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿وَيَقُولُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُؤْبَهُوا إِلَيْهِ يَرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ يُمْطِرُ دَرَكًا وَيَزِيدُكُمْ قُوَّةً إِنْ تُؤْمِنُكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا جُحُومَكُمْ﴾ ﴿قَالُوا يَكْفُورُ مَا جَعَلْنَا يُبَيِّنُ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يٰلَكَ مِنْ آثِهِ الْقَيْبُ﴾ في المشار إليه بـ «تلك» قولان: أحدهما: قصة نوح. والثاني: آيات القرآن، والمعنى: تلك من أخبار ما غاب عنك وعن قومك. فإن قيل: كيف قال هاهنا: «تلك»، وفي مكان آخر «ذلك»؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، فقال: «تلك» إشارة إلى آيات القرآن، و «ذلك» إشارة إلى الخبر والحديث، وكلاهما معروف في اللغة الفصيحة، يقول الرجل: قد قدم فلان، فيقول سامع قوله: قد فرحت به، وقد سررت بها، فإذا ذكر، عنى القدوم، وإذا أنث، ذهب إلى القُدْمة.

قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ يعني القرآن. ﴿فَاصْبِرْ﴾ كما صبر نوح على أذى قومه: ﴿إِنَّ الْقَوَّيَّةَ﴾ أي: آخر الأمر بالظفر والتمكين ﴿لِلشَّانِقِ﴾ أي: لك ولقومك كما كان لمؤمني قوم نوح.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ أي: ما أنتم إلا كاذبون في إشراككم مع الله الأوثان. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [يونس: ١٧٢] إلى قوله: ﴿يَرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ يُمْطِرُ دَرَكًا﴾ وهذا أيضاً قد سبق تفسيره في سورة [الأنعام: ٦١]. والسبب في قوله لهم ذلك، أن الله تعالى حبس المطر عنهم ثلاث سنين، وأعقم أرحام نساءهم، فوعدهم إحياء بلادهم ويسط الرزق لهم إن آمنوا.

قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُكُمْ قُوَّةً إِنْ تُؤْمِنُكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الولد وولد الولد، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: يزدكم شدة إلى شدتكم، قاله مجاهد، وابن زيد. والثالث: خصباً إلى خصبكم، قاله الضحاك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا جُحُومَكُمْ﴾ قال مقاتل: لا تعرضوا عن التوحيد مشركين.

قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلْنَا يُبَيِّنُ﴾ أي: بحجة واضحة. ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا﴾ يعنون الأصنام. ﴿عَنْ قَوْلِكَ﴾ أي: بقولك، و «الباء» و «عن» يتعاقبان.

﴿إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْبُدُوا آلِهَتَنَا بِمِثْلِ مَا قَالُوا وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَاعْبُدُوا آتِي بِرِيعَةٍ مِمَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾ ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللَّهِ رَبِّي وَرَبَّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِعَاصِيَتِهَا﴾ ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ قَوْلُ﴾ أي: ما نقول في سبب مخالفتك إيانا إلا أن بعض أهلكنا أصابك بجنون لسبك إياها، فالذي تظهر من عييبها لما لحق عقلك من التغيير. قال ابن قتبية: يقال: عراني كذا، واعتراني: إذا ألم بي. ومنه قيل لمن أتاك يطلب نالتك: عار، ومنه قول النابغة:

أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي

عَلَى خَوْفٍ تُظَلُّ بِسِي الظُّلُونِ<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَشْهَدُ اللَّهَ...﴾ إلى آخر الآية. حرك ياء «إني» نافع. ومعنى الآية: إن كنتم تقولون: إن الآلهة عاقبتني لطعني عليها، فإني على يقين من عييبها والبراءة منها، وما أنا ذا أزيد في الطعن عليها، ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ أي: احتالوا أنتم وأوثانكم في ضري، ثم لا تمهلون. قال الزجاج: وهذا من أعظم آيات الرسل، أن يكون الرسول وحدة وأُمَّته متعاونة عليه، فيقول لهم: كيدوني، فلا يستطيع أحد منهم ضربه، وكذلك قال نوح لقومه: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ (يونس: ٧١). وقال محمد ﷺ: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾ (المرسلات: ٢٩).

قوله تعالى: ﴿إِلَّا هُوَ آجِدٌ بِأَمِينٍ﴾ قال أبو عبيدة: المعنى: أنها في قبضته وملكه وسلطانه. فإن قيل: لم خص الناصية؟ فالجواب: أن الناصية هي شعر مقدم الرأس، فإذا أخذت بها من شخص، فقد ملكت سائر بدنه، وذلك لك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال مجاهد: على الحق. وقال غيره: في الكلام إضمار، تقديره: إن ربي يدل على صراط مستقيم. فإن قيل: ما وجه المناسبة بين قوله: ﴿إِلَّا هُوَ آجِدٌ بِأَمِينٍ﴾ وبين كونه على صراط مستقيم؟ فنعته جوابان: أحدهما: أنه لما أخبر أنه أخذ بنواصي الخلق، كان معناه: أنهم لا يخرجون عن قبضته، فأخبر أنه على طريق لا يعدل عنه هارب، ولا يخفى عليه مستتر. والثاني: أن المعنى: أنه وإن كان قادراً عليهم، فهو لا يظلمهم، ولا يريد إلا العدل<sup>(٢)</sup>، ذكرهما ابن الأنباري.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُنْذِرُكُمْ بِهِ إِلَهُكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ إِلَهُكُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾ (٥٧)

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه فعل ماض، معناه: فإن أعرضوا. فعلى هذا، في الآية إضمار، تلخيصه: فإن أعرضوا فقل لهم قد أبلغتكم، هذا مذهب مقاتل في آخرين. والثاني: أنه خطاب للحاضرين، وتقديره: فإن تتوَلَّوْا، فاستقلوا الجمع بين تأمين متحركتين، فاقصر على إحدهما، وأسقط الأخرى، كما قال النابغة:

الْمَرْءُ يَهْوَى أَنْ يَمْعِي  
تَفْنَى بِشَاشْتُهُ وَيَبْ  
وَتَصَرَّفَ الْأَيَّامُ حَشْ

شَ وَطُولُ عَيْشٍ قَدْ يَضُرُّهُ  
قَى بَعْدَ حُلُوِّ الْعَيْشِ مُرُّهُ  
تَى مَا يَرَى شَيْئاً يُسْرُهُ

أراد: وتصرف الأيام، فأسقط إحدى التامين، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَمَّا تَعْلَمُونَ أَنَّ إِلَهُكُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: حفيظ على أعمال العباد حتى يجازيهم بها. والثاني: أن «على» بمعنى اللام، فالمعنى: لكل شيء حافظ، فهو يحفظني من أن تنالوني بسوء.

﴿وَلَكَّا جَاءَ أَمْرُنَا هُودًا وَقَالُوا مَعَهُ رَحْمَتُ رَبِّنَا وَنَحْنُ مِنْ عَذَابٍ خَفِيفٍ﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿وَلَكَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ فيه قولان: أحدهما: جاء عذابنا، قاله ابن عباس. والثاني: جاء أمرنا بهلاكهم.

قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ مِنْ عَذَابٍ خَفِيفٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: نجيتناهم من العذاب بنعمتنا. والثاني: نجيتناهم بأن هديناهم إلى الإيمان، وعصمتناهم من الكفر، روي القولان عن ابن عباس.

(١) «ديوانه» ٩٤ بشرح ابن السكيت، و«غريب القرآن» ٢٥٥، و«اللسان»: هري.

(٢) قال ابن كثير ٤٥٠/٢: وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة، ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به، وعلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، بل هي جماد لا تسمع ولا تبصر، ولا توالي ولا تعادي، وإنما يستحق إخلاص العبادة الله وحده لا شريك له، الذي بيده الملك والتصرف، وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه، فلا إلا إلا هو، ولا رب سواه.

(٣) الأبيات في «أمانى القاضي» ٩/٢، و«الوحشيات» ١٥٥، و«أمانى المرتضى» ٢٦٦/١، و«حماصة البحرى» ١٣٦، و«الخرزاة» ١/٥١٤.





قوله تعالى: ﴿رَأَيْتَ لِيَ سُلَيْمًا﴾ إن قال قائل: لم قال هاهنا: «وإننا» وقال في ﴿إِذْ هَمَّ﴾: «وإننا؟» فالجواب: أنهما لغتان من لغات قريش السبع التي نزل القرآن عليها. قال الفراء: من قال: «إننا» أخرج الحرف على أصله، لأن كناية المتكلمين «نا» فاجتمعت ثلاث نونات، نونا «إن» والنون المضمومة إلى الألف؛ ومن قال: «إننا» استثقل الجمع بين ثلاث نونان، وأسقط الثالثة، وأبقى الأولتين؛ وكذلك يقال: إني وإني، ولعلي ولعلني، وليتي وليتي، قال الله في اللغة العليا: ﴿لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ [غافر: ٣٦]، وقال الشاعر في اللغة الأخرى:

أرى ما تَرَيْنَ أو بخيلاً مخلداً<sup>(١)</sup> أرىني جواداً مات هزلاً لعلني  
وقال الله تعالى: ﴿يَلْبِسَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ٧٣]، وقال الشاعر:

كُنتِية جابر إذ قال ليبي أصادفه وأتلف بعض مالي<sup>(٢)</sup>  
فأما التريب، فهو الموقع للربة والتهمة. والرحمة يراد بها هاهنا: النبوة.

قوله تعالى: ﴿فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخِيرٍ﴾ التخيير: النقصان. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: فما تزيدونني غير بَصَارَةٍ في خسارتكم، قاله ابن عباس. وقال الفراء: المعنى: فما تزيدونني غير تخسير لكم، أي: كلما اعتذرتم عندي بعلر فهو يزيدكم تخسيراً. وقال ابن الأعرابي: غير تخسير لكم، لا لي. وقال بعضهم: المعنى: فما تزيدونني بما قلتكم إلا نسيتي لكم إلى الخسارة. والقول الثاني: فما تزيدونني غير الخسران إن رجعت إلى دينكم، وهذا معنى قول مقاتل. فإن قيل: فظاهر هذا أنه كان خاسراً، فزادوه خساراً، فقد أسلفنا الجواب في قوله: ﴿لَوْ حَرَجُوا فَيَكُرُّ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [التوبة: ٤٧].

قوله تعالى: ﴿كَذِبَ نَاقَةُ آلِهِ لَكُمْ آيَةً﴾ قد شرحناها في سورة [الأعراف: ٧٣].

قوله تعالى: ﴿تَتَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ﴾ أي: استمتعوا بحياتكم، وعبر عن الحياة بالتمتع، لأن الحي يكون متمتعاً بالحواش.

قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ قال المفسرون: لما عُقِرَتِ الناقة صَبَعَدَ فصليها إلى الجبل، ورغا ثلاث مرات، فقال صالح: لكل رغبة أجل يوم، ألا إن اليوم الأول تصبح وجوهكم مُضْمَرَّةً، واليوم الثاني مُخْمَرَّةً، واليوم الثالث مُسْوَدَّةً؛ فلما أصبحوا في اليوم الأول، إذا وجوههم مصفرة، فصاحوا وضجوا، ويكفوا، وعزفوا أنه العذاب، فلما أصبحوا في اليوم الثاني، إذا وجوههم محمرة، فضجوا، ويكفوا، فلما أصبحوا في اليوم الثالث، إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار، فصاحوا جميعاً: ألا قد حضركم العذاب؛ فتكفئوا وألقوا أنفسهم بالأرض، لا يدرون من أين يأتيهم العذاب، فلما أصبحوا في اليوم الرابع، أتهمهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة، فتقطعت قلوبهم في صدورهم. وقال مقاتل: عفروا لأنفسهم قبوراً، فلما ارتفعت الشمس من اليوم الرابع، ولم يأتيهم العذاب، ظنوا أن الله قد رحمهم، فخرجوا من قبورهم يدعوا بعضهم بعضاً، إذ نزل جبريل، فقام فوق المدينة فسد ضوء الشمس، فلما عاينوه، دخلوا قبورهم، فصاح بهم صيحة: موتوا، عليكم لعنة الله، فخرجت أرواحهم، وتزلزلت بيوتهم فوقعت على قبورهم.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ﴾ أي: العذاب «عَبْرٌ مَكْدُوبٌ» أي: غير كذب.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ خِزْيٍ يُؤَيِّدُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر «يؤيِّدُ» بكسر الميم. وقرأ الكسائي بفتحها مع الإضافة. قال مكي: من كسر الميم، أعرب وخفض، لإضافة الخزي إلى اليوم، ولم يتيه؛ ومن فتح، بنى اليوم على الفتح، لإضافته إلى غير متمكن، وهو «إذ». وقرأ ابن مسعود «ومن خزي» بالتثنية، «يؤيِّدُ» بفتح الميم. قال ابن الأثير: هذه الواو في قوله: «ومن خزي» معطوفة على محلوف، تقديره: نجيتاهم من العذاب ومن خزي يؤيِّد.

(١) البيت لحطاط بن يعفر، أخي الأسود بن يعفر، وهما أخوان من بني نهشل بن دارم، جاهليان، ويرى لحاتم الطائي، ولغمن بن أوس، وهو في «الشعر والشعراء» ٢٠٢، و«مجاز القرآن» ٥٥، و«الحماسة» ٢٥٤/٤، و«عيون الأخبار» ١٨١/٣، و«أمالي القاضي» ٩٢/٢، و«القرطبي» ١٧٧/٢، و«اللسان»، و«التاج»: أنن، و«الغزاة» ١٩٥/١.

(٢) البيت لزيد الخيل، وهو في «الكتاب» ٣٨٦/١، و«اللسان»: ليت، و«الغزاة» ٤٤٦/٢.

قال: ويجوز أن تكون دخلت لفعل مضمر، تأويله: نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا، ونجيناهم من خزي يومئذ. قال: وإنما قال: «وَأَخَذَ» لأن الصيحة محمولة على الصباح.

قوله تعالى: «أَلَا بُدًّا لَكُمْ لَمَّا أَتَيْنَا» اختلفوا في صرف «نمود» وترك إجرائه في خمسة مواضع: في [هود: ٦٨] «أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُدًّا لَكُمْ لَمَّا أَتَيْنَا» وفي [الفردان: ٣٨] «وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّيْنِ»، وفي [المنكبت: ٣٨] «وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ يُبَيِّنُ لَكُمْ»، وفي [النجم: ٦٨] «وَتَمُودًا لَمَّا أَتَيْنَا» (١). قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر بالتثنية في أربعة مواضع منها، وتركوا «أَلَا بُدًّا لَكُمْ لَمَّا أَتَيْنَا» فلم يصرفوه. وقرأ حمزة بترك صرف هذه الخمسة الأحرف، وصرفه الكسائي. واختلف عن عاصم، فروى حسين الجعفي عن أبي بكر عنه أنه أجرى الأربعة الأحرف مثل أبي عمرو؛ وروى يحيى بن آدم أنه أجرى ثلاثة، في [هود: ٦٨] «أَلَا إِنَّ ثَمُودَ»، وفي [الفردان: ٣٨] و [المنكبت: ٣٨]. وروى حفص عنه أنه لم يجز شيئاً منها مثل حمزة. واعلم أن ثموداً يراد به القبيلة تارة، ويراد به الحي تارة. فإذا أريد به القبيلة، لم يصرف، وإذا أريد به الحي، صرف. وما أخللنا به، فقد سبق تفسيره [الأحرف: ٧٣، والتبوية: ٧٠] إلى قوله: «وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا مِنْ رَبِّهِمْ». والرسول هاهنا: الملائكة. وفي عددهم ستة أقوال: أحدها: أنهم كانوا ثلاثة، جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبيرة. وقال مقاتل: جبريل، وميكائيل، وملك الموت. والثاني: أنهم كانوا اثني عشر، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: ثمانية، قاله محمد بن كعب. والرابع: تسعة، قاله الضحاك. والخامس: أحد عشر، قاله السدي. والسادس: أربعة، حكاه الماوردي. وفي هذه البشرية أربعة أقوال: أحدها: أنها البشرية بالولد، قاله الحسن، ومقاتل. والثاني: بهلاك قوم لوط، قاله قتادة. والثالث: بنبوته، قاله عكرمة. والرابع: بأن محمداً يخرج من صلبه، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: «قَالُوا سَلَامًا» قال ابن الأنباري: انتصب بالقول، لأنه حرف مقول، والسلام الثاني مرفوع بإضمار «عليكم». وقال الفراء: فيه وجهان: أحدهما: أنه أضمر «عليكم» كما قال الشاعر:

قُلْنَا السَّلَامَ فَأَنفَثَ مِنْ أَمِيرِهِمَا  
فَمَا كَانَ إِلَّا وَثَمُودًا بِالْحَوَاجِبِ (١)

والعرب تقول: التقتنا قتلنا: سلام سلام. والثاني: أن القوم سلموا، فقال حين أنكرهم هو: سلام، فمن أنتم؟ لإنكاره إياهم. وقرأ حمزة، والكسائي: «قال سلم»، وهو بمعنى سلام، كما قالوا: جَلَّ وحلال، وجرم وحرام؛ فعلى هذا، يكون معنى «سلم»: سلام عليكم. قال أبو علي: فيكون معنى القراءتين واحداً وإن اختلف اللفظان. وقال الزجاج من قرأ: «سلم» فالمعنى: أنثرنا سلم، أي: لا بأس علينا.

قوله تعالى: «فَمَا لَيْتَ» أي: ما أقام حتى جاء بعجل حنيد، لأنه ظنهم أضيافاً، وكانت الملائكة قد جاءت في صورة الغلمان الوضياء. وفي الحنيد ستة أقوال: أحدها: أنه النضيج، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه الذي يقطر ماؤه وذسمه وقد شوي، قاله شمر بن عطية. والثالث: أنه ما حفرت الأرض ثم غمته، وهو من فعل أهل البادية، معروف، وأصله: مجنوذ، فقيل: حنيد، كما قيل: طيخ للمطبوخ، وقيل للمقتول. هذا قول الفراء. والرابع: أنه المشوي، قاله أبو عبيدة. والخامس: المشوي بالحجارة المحماة، قاله مقاتل، وابن قتيبة. والسادس: السميطة، ذكره الزجاج، وقال: يقال: إنه المشوي فقط، ويقال: المشوي الذي يقطر، ويقال: المشوي بالحجارة.

«فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَسِيلُ إِلَيْهِمْ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَنْفُثْ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِنْ قَرِهَ لُوطُ» (٢)

قوله تعالى: «فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ» يعني الملائكة «لَا تَسِيلُ إِلَيْهِمْ» يعني العجل «نَكَرَهُمْ» أي: أنكرهم. قال أبو عبيدة: نكرهم وأنكرهم واستنكرهم، سواء، قال الأعشى:

فَأَنكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرْت

مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشُّبَّ وَالصَّلَمَا (٣)

(١) «اللسان»: وما.

(٢) قاله الأشعي الكبير يمين بن قيس من قصيدة يمدح بها هود بن علي الحنفي: «ديوانه» ١٠١، و«الطبري» ٣٨٨/١٥، و«مجاز القرآن» ٢٩٣/١، و«القرطبي» ٦٧/٩، و«شواهد الكشاف» ١٦٩، و«الصحاح»، و«اللسان»، و«التاج»: نكر.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي: أضمر في نفسه خوفاً. قال الفراء: وكانت سنة في زمانهم إذا ورد عليهم القوم فأتوهم بالطعام فلم يمسوه، ظنوا أنهم عدو أو لصوص، فهناك أوجس في نفسه خيفة، فראوا ذلك في وجهه، فقالوا: ﴿لَا تَخَفْ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِيَّاكَ قَوْمَ لُوطٍ﴾ قال الزجاج: أي: أرسلنا بالعذاب إليهم. قال ابن الأنباري: وإنما أضمر ذلك هاهنا، لقيام الدليل عليه بذكر الله تعالى له في سورة أخرى.

﴿وَأَرْسَلْنَا قَائِمَهُ فَضَحَّكَ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ دُونِهِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَتَرْتَلِبُ عَلَيَّ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا قَائِمَهُ﴾ واسمها سارة. واختلفوا أين كانت قائمة على ثلاثة أقوال: أحدها: وراء الستر تسمع كلامهم، قاله وهب. والثاني: كانت قائمة تخدمهم، قاله مجاهد، والسدي. والثالث: كانت قائمة تصلي، قاله محمد بن إسحاق. وفي قوله: ﴿فَضَحَّكَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن الضحك هاهنا بمعنى التعجب، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن معنى «ضحكت»: حاضت، قاله مجاهد، وعكرمة. قال ابن قتية: وهذا من قولهم: ضحكت الأرنب؛ إذا حاضت. فعلى هذا، يكون حيضها حينئذ تأكيداً للبشارة بالولد، لأن من لا تحيض لا تحمل. وقال الفراء: لم نسمع من ثقة أن معنى «ضحكت»: حاضت. قال ابن الأنباري: أنكر الفراء، وأبو عبيدة، وأبو عبيد، أن يكون «ضحكت» بمعنى حاضت، وعرفه غيرهم. قال الشاعر:

تَضَحَّكَ الضُّبُعُ لِقَتْلَى مُذْنِلٍ      وَتَرَى الذُّبَّ لَهَا يَسْتَهْلُ<sup>(١)</sup>

قال بعض أهل اللغة: معناه: تحيض. والثالث: أنه الضحك المعروف، وهو قول الأكثرين. وفي سبب ضحكها ستة أقوال: أحدها: أنها ضحكت من شدة خوف إبراهيم من أضيافه، وقالت: من ماذا يخاف إبراهيم، وإنما هم ثلاثة، وهو في أهله وغلماؤه؟! رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثاني: أنها ضحكت من بشارة الملكة لإبراهيم بالولد، وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً، وهب بن منبه؛ فعلى هذا، إنما ضحكت سروراً بالبشارة، ويكون في الآية تقديم وتأخير، المعنى: وأمراته قائمة فيشرنها فضحكت، وهو اختيار ابن قتية. والثالث: ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم، فله فتادة. والرابع: ضحكت من إمساك الأضياف عن الأكل، وقالت: عجبا لأضيافنا، نخدمهم بأنفسنا، وهم لا يأكلون طعامنا! قاله السدي. والخامس: ضحكت سروراً بالأمن، لأنها خافت كخوف إبراهيم، قاله الفراء. والسادس: أنها كانت قالت لإبراهيم: انضم إليك ابن أخيك لوطاً، فإنه سينزل العذاب بقومه، فلما جاءت الملكة بعذابهم، ضحكت سروراً بموافقتها للصواب، ذكره ابن الأنباري. قال المفسرون: قال جبريل لسارة: أبشري أيها الضاحكة بولد اسمه إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فبشروها أنها تلد إسحاق، وأنها تعيش إلى أن ترى ولد الولد. وفي معنى الورا قولان: أحدهما: أنه بمعنى «بعد»، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره مقاتل، وابن قتية. والثاني: أن الورا: ولد الولد، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الشعبي، واختاره أبو عبيدة. فإن قيل: كيف يكون يعقوب وراء إسحاق وهو ولده لصلبه، وإنما الورا: ولد الولد؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، فقال: المعنى: ومن وراء المنسوب إلى إسحاق يعقوب، لأنه قد كان الورا لإبراهيم من جهة إسحاق، فلو قال: ومن الورا يعقوب، لم يعلم هذا الورا منسوب إلى إسحاق، أم إلى إسماعيل؟ فأضيف إلى إسحاق لينكشف المعنى ويزول اللبس. قال: ويجوز أن ينسب ولد إبراهيم من غير إسحاق إلى سارة على جهة المجاز، فكان تأويل الآية: من الورا المنسوب إلى سارة، وإلى إبراهيم من جهة إسحاق، يعقوب. ومن حمل الورا على «بعد» لزم ظاهر العربية. واختلف القراء في «يعقوب»، فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «يعقوب» بالرفع. وقرأ ابن عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم: «يعقوب» بالنصب. قال الزجاج: وفي رفع «يعقوب»



(١) البيت غير منسوب في «مجاز القرآن» ٢٩٤/١، و«الطبري» ٤١٠/١٥.

على الكافرين؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه قد كان يجوز ذلك في شريعته، وكان جائزاً في صدر الإسلام حتى نسخ، قاله الحسن، والثاني: أنه عرض ذلك عليهم بشرط إسلامهم، قاله الزجاج، ويؤكد أنه عرضهن عليهم موقوف على عقد النكاح، فجاز أن يقف على شرط آخر.

قوله تعالى: ﴿مَنْ أَظْهَرَ لَكُمْ﴾ قل مقاتل: من أحل من إتيان الرجال.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيه قولان: أحدهما: اتقوا عقوبته. والثاني: اتقوا معصيته.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخْزُوا فِي سَبِيحٍ﴾ حرك ياء «ضيفي» أبو عمرو، ونافع. وفي معنى هذا الخزي ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الفضيحة، قاله ابن عباس. والثاني: الاستحياء، والمعنى: لا تفعلوا بأضيافي فعلاً يلزمني الاستحياء منه، لأن المضيف يلزمه الاستحياء من كل فعل يصل إلى ضيفه. والعرب تقول: قد خزي الرجل يخزي خزاية: إذا استحيى، قال الشاعر:

مِنْ السَّيْضِ لَا تَخْزَى إِذَا الرِّيحُ أَلْصَقَتْ      بِهَا مِرْطَهَا أَوْ زَائِلَ الْحَلِيِّ جِيَدَهَا

والثالث: أنه بمعنى الهلاك، لأن المعرة التي تقع بالمضيف في هذه الحال تلزمه هلكة، ذكرهما ابن الأنباري. قال ابن قتية: والضيف هاهنا: بمعنى الأضياف، والواحد يدل على الجميع، كما تقول: هؤلاء رسولي ووكيلي.

قوله تعالى: ﴿الَيْسَ يَنْكَرُ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ في المراد بالرشد قولان: أحدهما: المؤمن. والثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، روي عن ابن عباس. قال ابن الأنباري: يجوز أن يكون الرشد بمعنى المرشد، فيكون المعنى: أليس منكم مرشد يعظكم ويعرفكم قبيح ما تأتون؟ فيكون الرشد من صفة الفاعل، كالعليم، والشهيد. ويجوز أن يكون الرشد بمعنى المرشد، فيكون المعنى: أليس منكم رجل قد أسعده الله بما منحه من الرشاد يصرفكم عن إتيان هذه المعرة؟ فيجري رشد مفعول، كالكتاب الحكيم بمعنى المحكم.

قوله تعالى: ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ فيه قولان: أحدهما: مالنا فيهن حاجة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لسن لنا بأزواج فنستحقهن، قاله ابن إسحاق، وابن قتية.

قوله تعالى: ﴿وَالَيْكَ لَعْنَةُ مَا يُدْبَرُ﴾ قال عطاء: وإنك لتعلم أنا نريد الرجال، لا النساء.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْ يَكُنَّ قَوًّا﴾ أي: جماعة أقوى بهم عليكم. وقيل: أراد بالقوة البطش. ﴿أَوَّاهٌ لِّكَ رُكْنٌ شَكِيدٌ﴾ أي: انضم إلى عشيرة وشيعة تمنعني. وجواب «لو» محذوف على تقدير: لُحِلْتُ بينكم وبين المعصية. قال أبو عبيدة: قوله: «أوي» من قولهم: أويت إليك، فأنا أوي أويتاً، والمعنى: صرت إليك وانضمت. ومجاز الركن هاهنا: العشيرة العزيزة الكثيرة المنية، وأنشد:

يَا أوي إِلَى رُكْنٍ مِنَ الْأَرْكَانِ      فِي عَدُوِّ طَيْسٍ وَمَجْدٍ بَانِي<sup>(١)</sup>

والطَّيْس: الكثير، يقال: أتاناً لبن طيس، وشراب طيس، أي: كثير. واختلفوا أي وقت قال هذا لوط؟ فروي عن ابن عباس أن لوطاً كان قد أغلق بابه والملائكة معه في الدار، وهو ينظرهم ويناشدهم وراء الباب، وهم يعالجون الباب ويرومون تسور الجدار؛ فلما رأت الملائكة ما يلقي من الكرب، قالوا: يا لوط إنا رسل ربك، فافتح الباب ودعنا وإياهم؛ ففتحت الباب، فدخلوا، واستأذن جبريل ربه في عقوبتهم، فأذن له، فضرب بجناحه وجوههم فأعماهم، فانصرفوا يقولون: النجاء النجاء، فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض؛ وجعلوا يقولون: يا لوط، كما أنت حتى تصبح، يوعدهونه؛ فقال لهم لوط: متى موعد هلاكهم؟ قالوا: الصبح، قال: لو أهلكتموهم الآن، فقالوا: أليس الصبح ب قريب؟ وقال أبو صالح عن ابن عباس: إنهم لما تواعدوه، قال في نفسه: ينطلق هؤلاء القوم غداً من عندي، وأبقى مع هؤلاء فيهلكوني، فقال: لو أن لي بكم قوة. قلت: وإنما يتوجه هذا إذا قلنا إنه كان قبل علمه أنهم ملائكة. وقال قوم: إنه إنما قال هذا لما كسروا بابه وهجموا عليه. وقال آخرون: لما نهاهم عن أضيافه فأبوا قال

هذا. وفي الجملة، ما أراد بالركن نصر الله وعونه، لأنه لم يخل من ذلك، وإنما ذهب إلى العشيرة والأسرة. وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، وما بعث الله نبياً بعده إلا في ثروة من قومه»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ قال مقاتل: فيه إضمار، تقديره: لن يصلوا إليك بسوء، وذلك أنهم قالوا للوط: إنا نرى معك رجالاً سحروا أبصارنا، فستعلم غداً ما تلقى أنت وأهلك؛ فقال له جبريل: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾. قوله تعالى: ﴿فَأَنشَأَ بِأَهْلِكَ﴾ قرأ عاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «فأسر» بإثبات الهمز في اللفظ من أسريت. وقرأ ابن كثير، ونافع: «فأسر بأهلك» بغير همز من سريت، وهما لغتان. قال الزجاج: يقال: سريت، وأسريت: إذا سرت ليلاً، قال الشاعر:

سريت بهم حتى تكلّ مطيهم  
وقال النابغة:

أَسْرَتْ عَلَيْنَا مِنَ الْجَوَازِ سَارِيَةٌ تُزْجِي السَّمَالَ عَلَيْنَا جَامِدَ الْبَرِّ<sup>(٢)</sup>

وقد روه: سرت. فأما أهله، فقال مقاتل: هم امرأته وابنته، واسم ابنته: رُبْنَا وَزُغْرُنَا. وقال السدي: اسم الكبرى: رِيَّة، واسم الصغرى: عروبة، والمراد بأهله: ابتاه. فأما القِطْع، فهو بمعنى القطعة؛ يقال: مضى قطع من الليل، أي: قطعة. قال ابن عباس: يريد به: آخر الليل. وقال ابن قتيبة: «يقطع» أي: ببقية تبقى من آخره. وقال ابن الأنباري: ذكر القطع بمعنى القطعة مختص بالليل، ولا يقال: عندي قطع من الثوب، بمعنى: عندي قطعة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْقَؤُكُمْ أَحَدٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى: لا يتخلف منكم أحد، قاله أبو صالح عن ابن عباس، والثاني: أنه الالتفات المعروف، قاله مجاهد، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمْرًا لَّكَ﴾ قرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بنصب التاء. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن جهماز عن أبي جعفر برفع التاء. قال الزجاج: من قرأ بالنصب، فالمعنى: فأسر بأهلك إلا أمرأتك. ومن قرأ بالرفع، حملة على «ولا يلتفت منكم أحد إلا أمرأتك». وإنما أمروا بترك الالتفات لثلا يروا عظيم ما يتزل بهم من العذاب. قال ابن الأنباري: وعلى قراءة الرفع، يكون الاستثناء منقطعاً، معناه: لكن أمرأتك، فإنها تلتفت فيصيبها ما أصابهم؛ فإذا كان استثناء منقطعاً، كان التفاتها معصية لربها، لأنه ندب إلى ترك الالتفات. قال قتادة: ذكر لنا أنها كانت مع لوط حين خرج من القرية، فلما سمعت هدة العذاب، التفتت فقالت: واقوماه، فأصابها حجر فأهلكها، وهو قوله: ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ﴾ للعذاب ﴿الشَّعْبُ﴾.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ الشَّعْبُ يَرْجِي﴾ قال المفسرون: قالت الملائكة: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الشَّعْبُ﴾ فقال: أريد أعجل من ذلك، فقالوا له: ﴿الَّذِينَ الشَّعْبُ يَرْجِي﴾؟

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَاقِطًا وَأَنصَرَفْنَا عَلَيْهَا جِجَارَةً مِن سَبِيلِ مَنصُورٍ ﴿٨٢﴾ شُؤْمُهُ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَّا إِلَّا لِيلَةٌ يَبِيدُ ﴿٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أمر الله الملائكة بعذابهم. والثاني: أن الأمر بمعنى العذاب. والثالث: أنه بمعنى القضاء بعذابهم.

قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَاقِطًا﴾ الكناية تعود إلى المؤتفكات، وهي قرى قوم لوط، وقد ذكرناها في

(١) «الطبري» ٤١٩/١٥ - ٤٢٠، ورواه الترمذي ١٣٩/٢ وقال: حديث حسن، والحاكم ٥٦١/٢ وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ورواه البخاري ٢٩٧/٦ دون قوله: «وما بعث الله نبياً بعده إلا في ثروة من قومه».

(٢) «مجموعه» ٤ بشرح ابن السكيت، و«مجاز القرآن» ٢٩٥/١، و«مختار الشعر الجاهلي» ١٥٠/١، و«القرطبي» ٧٩/٩، و«اللسان»، و«التاج»: سرت. وأسرت: إذا أمطرت ليلاً، وقوله: «من الجوزاء سارية» كقولك: سقينا بنوه كذا، أي: أصابه المطر ليلاً، وتزجي: تسوق وتدفع على النور جامد البرد.



[إبراء: ٧٠]، ونحن نشير إلى قصة هلاكهم هاهنا. قال ابن عباس: أمر جبريل لوطاً بالخروج، وقال: أخرج وأخرج غنمك وبقرك، فقال: كيف لي بذلك وقد أغلقت أبواب المدينة؟ فبسط جناحه، فحمله وبيتته وماله من شيء، فأخرجهم من المدينة، وسأل جبريل ربّه، فقال: يا رب ولّني هلاك هؤلاء القوم، فأوحى الله إليه أن تولّ هلاكهم؛ فلما أن بدا الصبح، غدا عليهم جبريل فاحتملها على جناحه، ثم صعد بها حتى خرج الطير في الهواء لا يدري أين يذهب، ثم كفّأها عليهم، وسمعوا وَجِبَةً<sup>(١)</sup> شديدة، فالتفت امرأة لوط؛ فرماها جبريل بحجر فقتلها، ثم صعد حتى أشرف على الأرض، فجعل يُثَبِّعُهُمْ مُسَافِرَهُمْ وَزُعَاتِهِمْ وَمَنْ تَحَوَّلَ عَنْ الْقَرْيَةِ، فرماهم بالحجارة حتى قتلهم. وقال السدي: اقتلع جبريل الأرض من سبع أرضين، فاحتملها حتى بلغ بها إلى أهل السماء الدنيا، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم، ثم قلبها. وقال غيره: كانت خمس قرى، أعظمها سدوم، وكان القوم أربعة آلاف ألف. وقيل: كان في كل قرية مائة ألف مقاتل، فلما رفعها إلى السماء، لم يتكسر لهم إناء ولم يسقط حتى قلبها عليهم. وقيل: نجا من الخمس واحدة لم تكن تعمل مثل عملهم. وانفرد سعيد بن جبير، فقال: إن جبريل وميكائيل تولّيا قلبها.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرى. والثاني: إلى الأمة. وفي السُّجِّلِ سبعة أقوال: أحدها: أنها بالفارسية سَنَكْ وكلُّ، السنك: الحجر، والكل: الطين، هذا قول ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير. وقال مجاهد: أولها حجر، وآخرها طين. وقال الضحاك: يعني الأجر. قال ابن قتيبة: من ذهب إلى هذا القول، اعتبره بقوله: ﴿حِجَارَةً يَنْ لِيِّنَ﴾ [الذاريات: ٣٣] يعني الأجر. وحكى الفراء أنه طين قد طبخ حتى صار بمنزلة الأرحاء. والثاني: أنه بحر معلق في الهواء بين السماء والأرض، ومنه نزلت الحجارة، قاله عكرمة. والثالث: أن السجيل: اسم السماء الدنيا، فالمعنى: حجارة من السماء الدنيا، قاله ابن زيد. والرابع: أنه الشديد من الحجارة الصلب، قاله أبو عبيدة، وأنشد لابن مقبل:

[وَزَجَلَةً يَضْرِبُونَ الْبَيْضَ عَنْ عُرْضِ] ضرباً تواصت به الأبطال سَجِينًا<sup>(٢)</sup>

وردة هذا القول ابن قتيبة، فقال: هذا بالنون، وذاك باللام، وإنما هو في هذا البيت فعيل من سجت، أي: حبست، كأنه يثبت صاحبه. الخامس: أن قوله: «من سجيل» كقولك: من سيجل، أي: مما كُتِبَ لهم أن يعذبوا به، وهذا اختيار الزجاج. والسادس: أنه من أسجلته، أي: أرسلته، فكانها مرسلة عليهم. والسابع: أنه من أسجلت: إذا أعطيت، حكى القولين الزجاج. وفي قوله: ﴿تَنْشُرُورٌ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: يتبع بعضه بعضاً، قاله ابن عباس. والثاني: مصفوف، قاله عكرمة، وقناة. والثالث: نضد بعضه على بعض، لأنه طين جُمِعَ فجعل حجارة، قاله الريح بن أنس.

قوله تعالى: ﴿سَوْرَةً﴾ قال الزجاج: أي معلّمة، أخذ من السومة، وهي العلامة. وفي علامتها ستة أقوال: أحدها: بياض في حمرة، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال الحسن. والثاني: أنها كانت مختومة، فالحجر أبيض وفيه نقطة سوداء، أو أسود وفيه نقطة بيضاء، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنها المخططة بالسواد والحمرة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: عليها نضح من حمرة فيها خطوط حمر على هيئة الجزع، قاله عكرمة، وقناة. والخامس: أنها كانت معلّمة بعلامة يُعرف بها أنها ليست من ججارة الدنيا، قاله ابن جريج. والسادس: أنه كان على كل حجر منها اسم صاحبه، قاله الربيع. وحكي عن بعض من رأى تلك الحجارة أنه قال: كانت مثل رأس الإبل، ومثل مبارك الإبل، ومثل قبضة الرجل. وفي قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أن المعنى: جاءت من عند ربك، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: عند ربك معذرة، قاله أبو بكر الهذلي. والثالث: أن

(١) الوجبة: صوت الشيء يسقط فيسمع له كالهذّة.

(٢) «ديوانه» ٣٣٣، و«سجاز القرآن» ٢٩٦، و«الطبري» ١٥ / ٤٣٤، و«جمهرة أشعار العرب» ١٦٢، و«منتهى الطلب» ٤٤، و«المعاني الكبير» ٩٩١، و«اللسان»: سجن.

المعنى: هذا التسويم لزم هذه الحجارة عند الله إيداناً ببقا قدرته وشدة عذابه، قاله ابن الأنباري. والرابع: أن معنى قوله: «عند ربك»: في خزائنه التي لا يُتصوَّف في شيء منها إلا بإذنه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا نَلْبِئُكُمْ بِبَئِيرٍ﴾ في المراد بالظالمين هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراد بالظالمين هاهنا كفار قریش، خوَّفهم الله بها، قاله الأكثرون. والثاني: أنه عام في كل ظالم؛ قال قتادة: والله ما أجاز الله منها ظالماً بعد قوم لوط، فاتقوا الله وكونوا منه على حذر. والثالث: أنهم قوم لوط، فالمعنى: وما هي من الظالمين، أي: من قوم لوط ببعيد، والمعنى: لم تكن لتخطئهم، قاله الفراء.

﴿وَلَا مَدِينٌ آخَرُ شَعْبِيًّا قَالِ يَنْقُورُوا أَصِيدُوا اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْيَكْبَالَ وَالْيَزَانَ إِنَّي أَرْسَلْتُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنَّي لَأَنَافٍ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ يُحِيطُ ﴿٨٤﴾ وَتَقْوُوا أَوْفُوا الْيَكْبَالَ وَالْيَزَانَ بِالْوَيْسِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا مَدِينٌ﴾ قد ذكرناه في [الأعراف: ٨٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْيَكْبَالَ وَالْيَزَانَ﴾ أي: لا تطفئوا؛ وكانوا يطفئون مع كفرهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّي أَرْسَلْتُكُمْ بِخَيْرٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه رخص الأسعار، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد. والثاني: سعة المال، وهو مروى عن ابن عباس أيضاً، وبه قال قتادة، وابن زيد. وقال الفراء: أموالكم كثيرة، وأسعاركم رخيصة، فأي حاجة بكم إلى سوء الوزن والكيل؟

قوله تعالى: ﴿وَلَا مَدِينٌ﴾ أي: لا مدين أخرى، فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه غلاء السعر، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: القبط والجذب والغلاء. والثاني: العذاب في الدنيا، وهو الذي أصابهم، قاله مقاتل. والثالث: عذاب النار في الآخرة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا الْيَكْبَالَ وَالْيَزَانَ بِالْوَيْسِ﴾ أي: اتقوا ذلك بالعدل. والإيفاء: الإتمام. ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بنقص المكيال والميزان.

﴿يَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعَبُ أَمَلْنَاكَ تَأْمُرُنَا أَنْ تَنفِرَ مَا يَنْفِرُ مَا بَارَأْنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْكَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالِ يَنْقُورُوا أَصِيدُوا إِنْ كُنْتُمْ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّي وَوَعْدِي إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلَأَكُمْ مِنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِخْلَاصَ مَا اسْتَلَمْتُ وَمَا تَوَفَّيْتُ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَتَقْوُوا لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُبَيِّعَ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ مَنَاقِبَ أَوْ قَوْمٌ هُودٍ أَوْ قَوْمٌ صَالِحٌ وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَئِيرٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَفْهِرُوا نِيَّتَكُمْ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ إِنْ رَزَقَ رَبِّكُمْ رِزْقًا وَدُونَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا وَمَا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِيْنَا ضَلِيلًا وَلَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَعْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِمُرْشِرٍ ﴿٩١﴾ قَالِ يَنْقُورُوا أَصِيدُوا أَعَزَّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنَّكُمْ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَتَقْوُوا أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ إِلَى عَمَلٍ سَوَاءٍ تَعْمَلُونَ مِنْ يَأْتِيهِمْ عَذَابٌ مُخْتَرِفٌ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِلَى مَعَكُمْ رَيْثٌ ﴿٩٣﴾ وَلَكِنَّا جَاءَ أَمْرًا فَجِئْنَاكُمْ شُعْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ رَجِعُوا بَيْنَهُمْ وَنَحْنُ لَآخِذَاتُ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَمْسَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِينَ ﴿٩٤﴾ كَانُوا يَنْشُؤْنَ فِيهَا آلَ بَدَا لَمَلَيْنِ كَمَا بَدَتْ كُشُودٌ ﴿٩٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: ما أبقى الله لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن، خير من البخس، قاله ابن عباس. والثاني: رزق الله خير لكم، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال سفيان. والثالث: طاعة الله خير لكم، قاله مجاهد، والزجاج. والرابع: حفظكم من الله خير لكم، قاله قتادة. والخامس: رحمة الله خير لكم، قاله ابن زيد. والسادس: وصية الله خير لكم، قاله الربيع. والسابع: ثواب الله في الآخرة خير لكم، قاله مقاتل. والثامن: مراقبة الله خير لكم، ذكره الفراء. وقرأ الحسن البصري: «تقية الله خير لكم» بالناء.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ شرط الإيمان في كونه خيراً لهم، لأنهم إن كانوا مؤمنين بالله ﷻ، عرفوا صحة ما يقول. وفي قوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: ما أمرت بقتالكم وإكراهكم على الإيمان. والثاني: ما أمرت بمراقبتكم عند كيلكم لئلا تبخسوا. والثالث: ما أحفظكم من عذاب الله إن نالكم.

قوله تعالى: ﴿أَصْلَاكَ تَأْمُرُكَ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص: «أصلاتك» على التوحيد. وفي المراء بصلواته ثلاثة أقوال: أحدها: دينه، قاله عطاء. والثاني: قراءته، قاله الأعمش. والثالث: أنها الصلوات المعروفة. وكان شعيب كثير الصلاة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِكَ مَا تَحْتَكِبُ﴾ قال الفراء: معنى الآية: أصلواتك تأمرُك أن تترك ما يعبد آباؤنا، أو أن تترك أن تفعل في أموالنا ما نشاء؟ وفي معنى الكلام على قراءة من قرأ بالنون قولان: أحدهما: أن فعلهم في أموالهم هو البخس والتطفيف، قاله ابن عباس؛ فالمعنى: قد تراضينا فيما بيننا بذلك. والثاني: أنهم كانوا يقطعون الدراهم والدنانير، فنهاهم عن ذلك، قاله ابن زيد. وقال القرظي: عُذِّبُوا فِي قِطْعِهِمُ الدَّرَاهِمَ. قال ابن الأنباري: وقرأ الضحاك بن قيس الفهري «ما تشاء» بالتاء، ونسق «أن تفعل» على «أن تترك»، واستغنى عن الإضمار. قال سفيان الثوري: في معنى هذه القراءة أنه أمرهم بالزكاة فامتنعوا. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والضحاك، وابن أبي عبيدة: «أو أن تفعل في أموالنا ما تشاء» بالتاء فيهما؛ ومعنى هذه القراءة كمعنى قراءة الفهري. وفي قوله: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنهم قالوه استهزاء به، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والفراء. والثاني: أنهم قالوا له: إنك لأنت السفية الجاهل، فكفى بهذا عن ذلك، ذكره الزجاج. والثالث: أنهم سبوه بأنه ليس بحليم ولا رشيد، فأثنى الله ﷻ عليه فقال: بل إنك لأنت الحليم الرشيد، لا كما قال لك الكافرون، حكاه أبو سليمان الدمشقي عن أبي الحسن المصيصي. والرابع: أنهم اعترفوا له بالحلم والرشد حقيقة، وقالوا: أنت حليم رشيد، فلم تتهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟ حكاه الماوردي، وذهب إلى نحوه ابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ هَلًا يَنْتَهِي مِنْ رَبِّي﴾ قد تقدم تفسيره (هود: ٢٨ و ٦٣) وفي قوله: ﴿وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحلال؛ قال ابن عباس: وكان شعيب كثير المال. والثاني: النبوة. والثالث: العلم والمعرفة. قال الزجاج: وجواب الشرط هاهنا متروك، والمعنى: إن كنت على بينة من ربي، أتبع الضلال؟ فترك الجواب، لعلم المخاطبين بالمعنى، وقد مر مثل هذا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَّا مَا أَنْتُمْ عَنْهُ﴾ قال قتادة: لم أكن لأنهاكم عن أمر ثم ارتكبه. وقال الزجاج: ما أقصد بخلافكم القصد إلى ارتكابه.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ أي: ما أريد بما آمركم به إلا إصلاح أموركم بقدر طاقتي. وقدر طاقتي: إبلاغكم لا إجباركم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَرْجُو إِلَّا بِاللَّهِ﴾ فتح تاء «توفيق» أهل المدينة، وابن عامر. ومعنى الكلام: ما إصابني الحق في محاولة صلاحكم إلا بالله. ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: فوضت أمري، وذلك أنهم تواعدوه بقولهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشِيبُ﴾ [الأمراء: ٤٨٨]. ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: أرجع.

قوله تعالى: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾ حرك هذه الياء ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع. قال الزجاج: لا تكسبكم عداوتكم إياي أن تغدبوا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ يَنْصُرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم كانوا قريباً من مساكنهم. والثاني: أنهم كانوا حديثي عهد بعدذاب قوم لوط. قال الزجاج: كان إهلاك قوم لوط أقرب الإهلاكات التي عرفوها. قال ابن الأنباري: إنما وُحِدَ بعيداً، لأنه أزاله عن صفة القوم، وجعله نعتاً مكان محذوف، تقديره: وما قوم لوط منكم بمكان بعيد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَجُلًا رَجَسْتُ وَرُودُ﴾ قد سبق معنى الرحيم. فأما الودود: فقال ابن الأنباري: معناه: المحب لعباده، من قولهم: وودت الرجل أودّه وُدّاً وودّاً، ويقال: وودت الرجل ووداداً وودادة وودادة. وقال الخطابي: هو اسم مأخوذ من الود؛ وفيه وجهان: أحدهما: أن يكون فعولاً في محل مفعول، كما قيل: رجل هبوب، بمعنى مهيب، وفرس ركوب، بمعنى مركوب، فالله سبحانه مودود في قلوب أوليائه لما يتعرفونه من إحسانه إليهم. والوجه الآخر: أن

يكون بمعنى الواء، أي: أنه يؤدّ عباد الصالحين، بمعنى أنه يرضى عنهم بِقَبْلِ أعمالهم؛ ويكون معناه: أن يؤدّهم إلى خلقه، كقوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَكُمْ الزَّجْنَ وَدًا﴾ [مريم: ٩٦].

قوله تعالى: ﴿مَا نَقَعُ كَيْبًا مِمَّا نَقُولُ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: ما نفقه صحة كثير مما نقول، لأنهم كانوا يتدبّرون بغيره، ويجوز أن يكونوا لاستفقالهم ذلك كأنهم لا يفقهونه.

قوله تعالى: ﴿وَرِئًا لِّزَنكِ إِنَّا ضَعِيفًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: ضريراً؛ قال ابن عباس، وابن جبير، وقناة: كان أعمى. قال الزجاج: ويقال: إن حمير تسمى المكفوف: ضعيفاً. والثاني: ذليلاً، قاله الحسن، وأبو روق، ومقاتل. وزعم أبو روق أن الله لم يبعث نبياً أعمى، ولا نبياً به زمانة. والثالث: ضعيف البصر، قاله سفيان. والرابع: عاجزاً عن التصرف في المكاسب، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْتَنِي﴾ قال الزجاج: لولا عشيرتك لقتلتناك بالرجم، والرجم من سيئ القتلات، وكان رهطه من أهل ملتهم، فلذلك أظهروا الميل إليهم والإكرام لهم. وذكر بعضهم أن الرجم هاهنا بمعنى الشتم والأذى.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِمُزِينٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: بكریم. والثاني: بممتنع أن تقتلك. قوله تعالى: ﴿أَرْفِطِيْ أَعْرُ عَلَيْنَا مِنْ اللَّهِ﴾ وأسكن ياء «رهطي» أهل الكوفة، ويعقوب، والمعنى: أتراعون رهطي في، ولا تراعون الله في؟

قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمُ رِزْقًا﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، قاله الجمهور. قال الفراء: المعنى: رमितم بأمر الله وراء ظهوركم. قال الزجاج: والعرب تقول لكل من لا يعبا بأمر: قد جعل فلان هذا الأمر بظهر، قال الشاعر:

تَمِيمٌ بَنَ قَيْسٍ لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي  
وَالثَّانِي: أَنَّهَا كَنَاءَةٌ عَمَّا جَاءَ بِهِ شُعَيْبٌ، قَالَه مُجَاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَقِيٌّ بِمَا تَسْمَلُونَ حَبِطٌ﴾ أي: عالم بأعمالكم، فهو يجازيكم بها. وما بعد هذا قد سبق تفسيره إلى قوله: ﴿سَوَّيْتُ تَسْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥]. فإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ قَالَ هَاهُنَا «سَوْفَ» وَفِي سُورَةِ أُخْرَى «فَسَوْفَ»؟ [الأنعام: ١٣٥] فَالْجَوَابُ: أَنَّ كَلَامَ الْأَمْرَيْنِ حَسَنٌ عِنْدَ الْعَرَبِ، إِنْ أَدْخَلُوا الْفَاءَ، دَلُّوا عَلَى اتِّصَالِ مَا بَعْدَ الْكَلَامِ بِمَا قَبْلَهُ، وَإِنْ أَسْقَطُوا، بَيَّنَّا كَلَامَ الْأَوَّلِ عَلَى أَنَّهُ قَدْ تَمَّ، وَمَا بَعْدَهُ مُسْتَأْنَفٌ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَلْجُذْنَا هَؤُلَاءِ﴾ [البقرة: ٦٧]، وَالْمَعْنَى: فَقَالُوا: أَتَتَّخِذُنَا، بِالْفَاءِ، فَحَذَفَتِ الْفَاءُ لَتَمَامِ مَا قَبْلَهَا. قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ:

فَقَالَتْ يَمِينُ اللَّوِّ مَالِكُ حَبِلَةٌ  
خَرَجْتُ بِهَا أَنْشِي تَجْرُ وَرَاءَنَا

قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: أَرَادَ: فَخَرَجْتُ، فَاسْقَطَ الْفَاءَ لِتَمَامِ مَا قَبْلَهَا. وَيُرْوَى: فَقَمْتُ بِهَا أَمْشِي.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْزَقُونَا إِلَى مَعَكُم رِزْقًا﴾ قال ابن عباس: ارتقبوا العذاب، فإني أرتقب الثواب. قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْئَةَ﴾ قال المفسرون: صاح بهم جبريل فماتوا في أمكنتهم. قال محمد بن كعب: عَذَّبَ أَهْلَ مَدْيَنَ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ مِنَ الْعَذَابِ، أَخَذَتْهُمْ رَجْفَةٌ فِي دِيَارِهِمْ، حَتَّى خَافُوا أَنْ تَسْقُطَ عَلَيْهِمْ، فَخَرَجُوا مِنْهَا فَاصَابَهُمْ حَرٌّ شَدِيدٌ، فَبِعَثَ اللَّهُ الظُّلَّةَ، فَتَنَادَا: هَلُمَّ إِلَى الظِّلِّ؛ فَدَخَلُوا جَمِيعاً فِي الظُّلَّةِ، فَصَبِحَ بِهِمْ صَبِيحَةٌ وَاحِدَةٌ فَمَاتُوا كُلُّهُمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمْ تَعَذَّبْ أَمْتَانِ قَطُّ بِعَذَابٍ وَاحِدٍ، إِلَّا قَوْمَ شُعَيْبٍ وَصَالِحٍ، فَأَمَّا قَوْمُ صَالِحٍ، فَأَخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ مِنْ تَحْتِهِمْ، وَأَمَّا قَوْمُ شُعَيْبٍ، فَأَخَذَتْهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، نَشَأَتْ لَهُمْ سَحَابَةٌ كَهَيْئَةِ الظُّلَّةِ فِيهَا رِيحٌ بَعْدَ أَنْ أَمْتَنَتِ الرِّيحُ عَنْهُمْ، فَأَتَوْهَا يَسْتَظِلُّونَ تَحْتَهَا فَأَحْرَقَتْهُمْ.

(١) البيت تقدم ٢٤٧، وهو أيضاً في «الكامل» ٤٣٠، وقيل الأمازي، ٧٨، وأضداد ابن الأنباري ٢٥٦.

(٢) «ديوانه» ١٤، والمرط: إزار غزله علم، وإنما تجر مرطها ليخفى أثره وأثرها فلا يستدل عليهما، والمرحل: الموشى، وهو ضرب من البرود.

قوله تعالى: ﴿كَا بَدَتْ شَمُودُ﴾ أي: كما هلكت شمود. قال ابن قتيبة: يقال: بَعَدَ يَبْعُدُ: إذا كان بُعْده هلكة؛ وَيَبْعُدُ يَبْعُدُ: إذا نأى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ ثِينٍ ﴿١٦١﴾ إِنْ فِرْعَوْنُ وَمَلَأِيهِ فَابْعَثُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿١٦٢﴾﴾  
قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ قال الزجاج: بعلاماتنا التي تدل على صحة نبوته. ﴿وَسُلْطَانٍ ثِينٍ﴾ أي: حجة بيّنة.

قوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ وهو ما أمرهم به من عبادته واتخاذها إلهاً. ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ أي: مرشد إلى خير.

﴿يَبْدَأُ فَرَمُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرَدُ ﴿١٦٣﴾﴾  
قوله تعالى: ﴿يَبْدَأُ فَرَمُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ قال الزجاج: يقال: قَدَمْتُ القوم أقدامهم، قَدَمًا وقُدومًا: إذا تقدمتهم؛ والمعنى: يقدمهم إلى النار؛ ويدل عليه قوله: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ قال ابن عباس: أوردهم بمعنى أدخلهم. وقال قتادة: يمضي بين أيديهم حتى يهجم بهم على النار.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرَدُ﴾ قال المفسرون: الورد: الموضع الذي توده. وقال ابن الأنباري: الورد: مصدر معناه: الورد، تجعله العرب بمعنى الموضع المورود؛ فتلخص الحرف: ويتس المدخل المدخول النار.

﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرَدُ ﴿١٦٤﴾﴾  
قوله تعالى: ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرَدُ﴾. في هذه اللعنة قولان: أحدهما: أنها في الدنيا الغرق، وفي الآخرة عذاب النار، هذا قول الكلبي، ومقاتل. والثاني: أنها اللعنة في الدنيا من المؤمنين، وفي الآخرة من الملائكة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿يَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرَدُ﴾ قال ابن قتيبة: الرد: العطية؛ يقول: اللعنة بس العطية؛ يقال: رَفَدْتُهُ أُرْفِدُهُ: إذا أعطيته وأعته. والمرفود: المعطى.

﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِدٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٦٥﴾﴾  
قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ﴾ يعني ما تقدم من الخبر عن القرى المهلكة. ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ أي: نخبرك به. ﴿مِنْهَا قَائِدٌ وَحَصِيدٌ﴾ قال قتادة: القائم: ما يرى مكانه، والحصيد: لا يرى أثره. وقال ابن قتيبة: القائم: الظاهر العين، والحصيد: الذي قد أريد وحُصد. وقال الزجاج: القائم: ما بقيت حيطانه، والحصيد: الذي خُيف به وما قد أمحى أثره.

﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَنَا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا تَنْبِيئًا ﴿١٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ﴾ أي: بالعذاب والإهلاك. ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعاصي. ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ﴾ أي: فما نفعتهم ولا دفعت عنهم شيئاً ﴿لَنَا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بالهلاك. ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ يعني الآلهة ﴿غَيْرَ تَنْبِيئٍ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التخسير، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقاتدة، واختاره ابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنه الشر، قاله ابن زيد. والثالث: التدمير والإهلاك، قاله أبو عبيدة. فإن قيل: الآلهة جماد، فكيف قال: ﴿زادهم﴾؟ فنه جوابان: أحدهما: وما زادتهم عبادتها. والثاني: أنها في القيامة تكون عوناً عليهم فتزيدهم شراً.

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ ﴿١٦٧﴾﴾  
قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ أي: وكما ذكر من إهلاك الأمم وأخذهم بالعذاب أخذ ربك ﴿إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ وصف القرى بالظلم، والمراد أهلها. وقال ابن عباس: الظلم هاهنا: بمعنى الكفر.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْعَلُ لَكَ النَّاسَ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٦٨﴾ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا لِبِأَجَلٍ مُّتَدَوِّرٍ ﴿١٦٩﴾﴾  
قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ يعني ما ذكر من عذاب الأمم وأخذهم. والآية: العبرة والعظة. ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْشُوعٌ﴾

لَهُ الْثَلَاثُ ﴿١٠٨﴾ لَأَن الْخَلْقَ يُحْشَرُونَ فِيهِ، وَيَشْهَدُهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَأَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.. ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾ وروى زيد عن يعقوب، وأبو زيد عن المفضل: «وما يؤخره بالياء» والمعنى: وما تؤخر ذلك اليوم إلا لوقت معلوم لا يعلمه إلا الله. ﴿يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَيَنْهَرُ شَرِيحًا وَسَعِيدًا ﴿١٠٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي النَّارِ لَمْ يَكُنْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١١٠﴾ خَلِيلِيكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّنَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴿١١١﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي كَلْبَتِهِ خَلِيلِيكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّنَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاكَ غَيْرَ مَحْذُوفٍ ﴿١١٢﴾»

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي: «يوم يأتي» بياء في الوصل، وحذفوها في الوقف؛ غير أن ابن كثير كان يقف بالياء، ويصل بالياء. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة بغير ياء في الوصل والوقف. قال الزجاج: الذي يختاره النحويون «يوم يأتي» بإثبات الياء، والذي في المصحف وعليه أكثر القراءات بكسر التاء، وهذيل تستعمل حذف هذه الياءات كثيراً. وقد حكى الخليل، وسيبويه، أن العرب تقول: لا أدري، فتحذف الياء، وتجتزئ بالكسرة، ويزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال. وقال الفراء: كل ياء ساكنة وما قبلها مكسورة، أو واو ساكنة وما قبلها مضموم، فإن العرب تحذفها وتجتزئ بالكسرة من الياء، وبالصيغة من الواو، وأنشدني بعضهم:

كَفَّاكَ كَفًّا مَا تَلِيَقُ دِرْهَمًا

جُودًا وَأُخْرَى تُغْطِ بِالسَّيْفِ الدُّمًا

قال المفسرون: وقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي﴾ يعني: يأتي ذلك اليوم، لا تكلّم نفس إلا بإذن الله، فكل الخلائق ساكنون، إلا من أذن الله له في الكلام. وقيل: المراد بهذا الكلام الشفاعة.

قوله تعالى: ﴿فَيَنْهَرُ شَرِيحًا﴾ قال ابن عباس: منهم من كتبت عليه الشقاوة، ومنهم من كتبت له السعادة.

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الزفير كزفير الحمار في الصدر، وهو أول ما ينهق، والشهيق كشهيق الحمار في الحلق، وهو آخر ما يفرغ من نهيقه، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، ومقاتل، والفراء. وقال الزجاج: الزفير: شديد الأنين وقبحه، والشهيق: الأنين الشديد المرتفع جداً، وهما من أصوات المكروبين. وزعم أهل اللغة من الكوفيين والبصريين أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار في النهيق، والشهيق بمنزلة آخر صوته في النهيق. والثاني: أن الزفير في الحلق، والشهيق في الصدر، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال أبو العالية، والربيع بن أنس. وفي رواية أخرى عن ابن عباس: الزفير: الصوت الشديد، والشهيق: الصوت الضعيف. وقال ابن فارس: الشهيق ضد الزفير، لأن الشهيق ردُّ النَّفْسِ، والزفير إخراج النَّفْسِ. وقال غيره: الزفير: الشديد، مأخوذ من الزُّفْرِ، وهو الحَمَلُ على الظهر لشدة؛ والشهيق: النَّفْسُ الطويل الممتد، مأخوذ من قولهم: جبل شامق، أي: طويل. والثالث: أن الزفير زفير الحمار، والشهيق شهيق البغال، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿خَلِيلِيكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّنَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ المعروف فيه قولان: أحدهما: أنها السموات المعروفة عندنا، والأرض المعروفة؛ قال ابن قتيبة، وابن الأنباري: للعرب في معنى الأبد ألفاظ؛ تقول: لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار، وما دامت السموات والأرض، وما اختلفت الجرة والذيرة<sup>(١)</sup>، وما أطت الإبل<sup>(٢)</sup>، في أشباه لهذا كثيرة، ظناً منهم أن هذه الأشياء لا تتغير، فخطبهم الله بما يستعملون في كلامهم. والثاني: أنها سموات الجنة والنار وأرضهما.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ في الاستثناء المذكور في حق أهل النار سبعة أقوال: أحدها: أن الاستثناء في حق الموحدين الذين يخرجون بالشفاعة، قاله ابن عباس، والضحاك. والثاني: أنه استثناء لا يفعله، تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وعزيمتك على ضربه، ذكره الفراء، وهو معنى قول أبي صالح عن ابن عباس: «إلا ما شاء ربك» قال: فقد شاء أن يخلدوا فيها. قال الزجاج: وفائدة هذا، أنه لو شاء أن يرحمهم لرحمهم، ولكنه أعلمنا

(١) الجرة: ما يخرجه البحر من بطنه ليصفغه ثم يبتلع، والذيرة: كثرة اللبن وسيلانه، واختلافهما: أن الدرة تسفل إلى الرجلين، والجرة: تملو إلى الرأس.

(٢) يقال: أظلت الإبل تظط أطيطاً: أنت تعباً وحنيناً، أو رومة. وفي المثل: «لا أفعل ذلك ما أطت الإبل».

أنهم خالدون أبداً. والثالث: أن المعنى: خالدين فيها أبداً، غير أن الله تعالى يأمر النار فتأكلهم وتفتنيهم، ثم يجدد خلقهم، فيرجع الاستثناء إلى تلك الحال، قاله ابن مسعود. والرابع: أن «إلا» بمعنى «سوى»، تقول: لو كان معنا رجل إلا زيد، أي: سوى زيد؛ فالمعنى: خالدين فيها مقدار دوام السموات والأرض سوى ما شاء ربك من الخلود والزيادة، وهذا اختيار الفراء. قال ابن قتيبة: ومثله في الكلام أن تقول: لأشكّنك في هذه الدار حولاً إلا ما شئت؛ تريد: سوى ما شئت أن أزيدك. الخامس: أنهم إذا حُشروا ويُنعوا، فهم في شروط القيامة؛ فالاستثناء واقع في الخلود بمقدار موقفهم في الحساب، فالمعنى: خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا مقدار موقفهم للمحاسبة، ذكره الزجاج. وقال ابن كيسان: الاستثناء يعود إلى مكثهم في الدنيا والبرزخ والوقوف للحساب؛ قال ابن قتيبة: فالمعنى: خالدين في النار وخالدين في الجنة دوام السماء والأرض إلا ما شاء ربك من تعييرهم في الدنيا قبل ذلك، فكأنه جعل دوام السماء والأرض بمعنى الأبد على ما كانت العرب تستعمل، وإن كانتا قد تتغيران. واستثنى المشيئة من دوامهما، لأن أهل الجنة والنار قد كانوا في وقت من أوقات دوام السماء والأرض في الدنيا، لا في الجنة، ولا في النار. والسادس: أن الاستثناء وقع على أن لهم فيها زفيراً وشهيقاً، إلا ما شاء ربك من أنواع العذاب التي لم تُذكر؛ وكذلك لأهل الجنة نعيم مما ذكر، ولهم مما لم يُذكر ما شاء ربك، ذكره الزجاج أيضاً. والسابع: أن «إلا» بمعنى «كما»، ومنه قوله: ﴿وَلَا تَكِبُوا مَا تَكْتُمُ آبَاؤُكُمْ بَيْنَ أَيْسَاءٍ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]، ذكره الثعلبي. فاما الاستثناء في حق أهل الجنة، ففيه ستة أقوال: أحدها: أنه استثناء لا يفعله. والثاني: أن «إلا» بمعنى «سوى». والثالث: أنه يرجع إلى وقوفهم للحساب ولبشهم في القبور. والرابع: أنه بمعنى: إلا ما شاء أن يزيدهم من النعيم الذي لم يُذكر. والخامس: أن «إلا» كـ «ما»، وهذه الأقوال قد سبق شرحها. والسادس: أن الاستثناء يرجع إلى لبث من لبث في النار من الموحدين، ثم أدخل الجنة، قاله ابن عباس، والضحاك، ومقاتل. قال ابن قتيبة: فيكون الاستثناء من الخلود مُكث أهل الذنوب من المسلمين في النار، فكأنه قال: إلا ما شاء ربك من إخراج المذنبين إلى الجنة، وخالدين في الجنة إلا ما شاء ربك من إدخال المذنبين النار مدةً. واختلف القراء في «سعدوا» فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «سَعِدُوا» بفتح السين. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بضمها، وهما لغتان.

قوله تعالى: ﴿عَلَّاهُ عَزَّ وَجَدُّهُ﴾ نُصِبَ عطاء بما دل عليه الكلام، كأنه قال: أعطاهم النعيم عطاء. والمجدوذ: المقطوع؛ قال ابن قتيبة: يقال: جذذت، وجددت، وجذفت، وإذا قطعت.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَبْعَثُ حُكُلًا مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَبْعَثُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوُفُّوهُمْ نَصِيبُهُمْ عَذَابٌ مُثَوِّبٌ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ أي: فلا تك يا محمد في شك ﴿مِّمَّا يَبْعَثُ حُكُلًا﴾ المشركون من الأصنام، أنه باطل وضلال، إنما يقلدون آباءهم، ﴿وَإِنَّا لَمَوُفُّوهُمْ نَصِيبُهُمْ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما قدر لهم من خير وشر، قاله ابن عباس. والثاني: نصيبهم من الرزق، قاله أبو العالية. والثالث: نصيبهم من العذاب، قاله ابن زيد. وقال بعضهم: لا ينقصهم من عذاب آبائهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاتَّخِذْ فِيهِ ذِكْرًا وَكَوَلَّا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقِيتَ بَيْنَهُمْ وَأَنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعِيهِمْ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة ﴿فَاتَّخِذْ فِيهِ﴾ فمن مصدق به ومكذّب كما فعل قومك بالقرآن. قال المفسرون: وهذه تعزية للنبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس: يريد: إني أخرت أمتك إلى يوم القيامة، ولولا ذلك لعجلت عقاب من كذبك. وقال ابن قتيبة: لولا نظرة لهم إلى يوم الدين لَقُضِيَ بينهم في الدنيا. وقال ابن جرير: سبقت من ربك أنه لا يجعل على خلقه بالعذاب، لقضي بين المصدق منهم والمكذّب بإهلاك المكذّب وإنجاء المصدق<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعِيهِمْ﴾ أي: من القرآن ﴿مِرْيَةٍ﴾ أي: موقع للريب.

(١) نص ابن جرير في «التفسير»: ولولا كلمة سبقت يا محمد من ربك بأنه لا يجعل على خلقه بالعذاب، ولكن يتأنى حتى يبلغ الكتاب أجله ﴿لَقِيتَ بَيْنَهُمْ﴾ يقول: لقضي بين المكذّب منهم به والمصدق بإهلاك الله المكذّب به منهم، وإنجاءه المصدق به.

﴿وَإِنْ كُنَّا لَيُؤَيِّنَنَّكُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُمْ بِمَا يَمْشُونَ خَبِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَيُؤَيِّنَنَّكُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُمْ بِمَا يَمْشُونَ خَبِيرٌ﴾ يشير إلى جميع من قصّ قصته في هذه السورة. وقال مقاتل: يعني به كفار هذه الأمة. وقيل: المعنى: وإن كلاً لخلق أو بشر ﴿لَيُؤَيِّنَنَّكُمْ﴾. قرأ أبو عمرو، والكسائي ﴿وَإِنْ﴾ مشددة النون، «لما» خفيفة. واللام في «لما» لام التوكيد، دخلت على «ما» وهي خبر «إِنْ». واللام في «لَيُؤَيِّنَنَّكُمْ» اللام التي يُتخلّى بها القسم، والتقدير: والله ليؤيّنهم، ودخلت «ما» للفصل بين اللامين. قال مكي بن أبي طالب: وقيل: «ما» زائدة، لكن دخلت لتفصل بين اللامين اللّذين يتلقيان القسم، وكلاهما مفتوح، ففصل بـ «ما» بينهما. وقرأ ابن كثير ﴿وَإِنْ﴾ بالتخفيف، وكذلك «لما». قال سيبويه: حدثنا من نثق به أنه سمع من العرب من يقول: إِنْ عَمَرَا لمنطلق، فيخففون ﴿وَإِنْ﴾ ويعملونها، وأنشد:

وَرَجُوْا حَسَنَ النُّحْرِ

كَأَنْ تُذَيِّبَهُ حُفَّانٌ<sup>(١)</sup>

وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: ﴿وَإِنْ﴾ خفيفة، «لما» مشددة، والمعنى: وما كلاً إلا؛ وهذا كما تقول: سألتك لما فعلت، ولأ فعلت، ومثله قوله: ﴿إِنْ كُنَّا لَيُؤَيِّنَنَّكُمْ رَبُّكَ﴾ (الطارق: ٤). وقرأ حمزة، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿وَإِنْ﴾ بالتشديد، «لما» بالتشديد أيضاً. قال أبو علي: هذه قراءة مشككة، لأنه كما لا يحسن: إِنْ زِيداً إلا منطلق، كذلك لا يحسن تثقيب ﴿وَإِنْ﴾ وتثقيب «لما». وحكي عن الكسائي أنه قال: لا أعرف وجه التثقيب في «لما»، ولم يُبعد فيما قال. وقال مكي بن أبي طالب: الأصل فيها «لَمِنْ ما» ثم أدغمت النون في الميم، فاجتمعت ثلاث ميمات في اللفظ، فحذفت الميم المكسورة؛ والتقدير: وإِنْ كُنَّا لَمِنْ خَلَقَ لِيُؤَيِّنَنَّكُمْ. قال: وقيل: التقدير: «لَمَنْ ما» بفتح الميم في «مَنْ» فتكون «ما» زائدة، وتحذف إحدى الميمات لتكرير الميم في اللفظ؛ والتقدير: لَخَلَقَ لِيُؤَيِّنَنَّكُمْ، ومعنى الكلام: ليؤيّنهم جزاء أعمالهم.

﴿فَأَسْتَوِيَنَّكُمْ كَمَا أُمِرَتْ وَمَنْ تَابَ مَعَكُمْ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَوِيَنَّكُمْ كَمَا أُمِرَتْ﴾ قال ابن عيينة: استقم على القرآن. وقال ابن قتيبة: امض على ما أمرت به.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكُمْ﴾ قال ابن عباس: من تاب معك من الشرك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا تطغوا في القرآن، فتحلّوا وتحرموا ما لم آمركم به، قاله ابن عباس. والثاني: لا تعصوا ربكم ولا تخالفوه، قاله ابن زيد. والثالث: لا تخطلوا التوحيد بشك، قاله مقاتل.

﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَنَنَسِكُمْ أَثَرًا وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ روى عبد الوارث عن أبي عمرو: «تَرْكَبُوا» بفتح التاء وضم الكاف، وهي قراءة قتادة. وروى هارون عن أبي عمرو «تَرْكَبُوا» بفتح التاء وكسر الكاف. وروى محبوب عن أبي عمرو: «تَرْكَبُوا» بكسر التاء وفتح الكاف. وقرأ ابن أبي عبلة «تَرْكَبُوا» بضم التاء وفتح الكاف على ما لم يُسم فاعله. وفي المراد بهذا الركوب أربعة أقوال: أحدها: لا تميلوا إلى المشركين، قاله ابن عباس. والثاني: لا ترضوا أعمالهم، قاله أبو العالية. والثالث: لا تلحقوا بالمشركين، قاله قتادة. والرابع: لا تُداهنوا الظلمة، قاله السدي، وابن زيد. وفي قوله: ﴿فَنَنَسِكُمْ أَثَرًا﴾ وجهان: أحدهما: فنصيبكم النار، قاله ابن عباس. والثاني: فيتعدى إليكم ظلمهم كما تتعدى النار إلى إحراق ما جاورها، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: ليس لكم أعوان يمنعونكم من العذاب.

﴿وَأَقْبِرَ السَّكَنَةُ طَرْفَ النَّهَارِ وَذُلًّا مِنْ أَهْلِ إِنْ أَحْسَنْتَ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرُ لِلذَّاكِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبِرَ السَّكَنَةُ طَرْفَ النَّهَارِ وَذُلًّا مِنْ أَهْلِ إِنْ أَحْسَنْتَ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ﴾ أما سبب نزولها، فروى علقمة والأسود عن ابن مسعود أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إني أخذت امرأة في البستان فقبلتها، وضممتها إليّ، وباشرتها، وفعلت بها كل شيء، غير أنني لم أجامعها؛



فسكت النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقْرِصْ أَلْصَكْرَةَ لَكَرِّي الْكَبَارِ...﴾ الآية، فدعا الرجل فقراها عليه، فقال عمر: أهي له خاصة، أم للناس كافة؟ قال: «لا، بل للناس كافة»<sup>(١)</sup>. وفي رواية أخرى عن ابن مسعود: أن رجلاً أصاب من امرأة قبله، فأتى رسول الله، فذكر ذلك له، فنزلت هذه الآية، فقال الرجل: ألي هذه الآية؟ فقال: «لمن عمل بها من أمتي»<sup>(٢)</sup>. وقال معاذ بن جبل: كنت قاعداً عند رسول الله ﷺ، فجاء رجل، فقال: يا رسول الله، ما تقول في رجل أصاب من امرأة ما لا يحل له، فلم يدع شيئاً يصيبه الرجل من امرأته إلا أصابه منها، غير أنه لم يجامعها؟ فقال له النبي ﷺ: «توضاً وضوءاً حسناً، ثم قم فصل»، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فقال معاذ: أهي له خاصة، أم للمسلمين عامة؟ فقال: «بل هي للمسلمين عامة»<sup>(٣)</sup>. واختلفوا في اسم هذا الرجل، فقال أبو صالح عن ابن عباس: هو عمرو بن غزية الأنصاري، وفيه نزلت هذه الآية، كان يبيع التمر، فأتته امرأة تبتاع منه تمرأ، فأعجبته، فقال: إن في البيت تمرأ أجود من هذا، فانطلقني معي حتى أعطيك منه؛ فذكر نحو حديث معاذ<sup>(٤)</sup>. وقال مقاتل: هو أبو مقبل عامر بن قيس الأنصاري. وذكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب الحافظ أنه أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري<sup>(٥)</sup>. وذكر في الذي قال للنبي ﷺ: أله خاصة؟ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أبو اليسر صاحب القصة. والثاني: معاذ بن جبل. والثالث: عمر بن الخطاب. فاما التفسير، فقله: ﴿وَأَقْرِصْ أَلْصَكْرَةَ﴾ أي: أتم ركوعها وسجودها. فاما طرفا النهار، ففي الطرف الأول قولان: أحدهما: أنه صلاة الفجر، قاله الجمهور. والثاني: أنه الظهر، حكاه ابن جرير. وفي الطرف الثاني ثلاثة أقوال: أحدها: أنه صلاة المغرب، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: العصر، قاله قتادة. وعن الحسن كالقولين. والثالث: الظهر، والعصر، قاله مجاهد، والقرظي. وعن الضحاك كالأقوال الثلاثة.

قوله تعالى: ﴿رُؤُفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ وقرأ أبو جعفر، وشيبة: «رُؤُفًا» بضم اللام. قال أبو عبيدة: الرُؤف: الساعات، واحدها: رُؤفة، أي: ساعة ومترلة وقربة، ومنه سميت المزدلفة، قال العجاج:

نَاجٍ طَواهُ الْإِيْنُ مِمَّا أَوْجَفَا  
طَيِّبِ اللَّيَالِي رُؤُفًا فَرُؤُفَا  
سَمَاوَةِ الْهَلَالِ حَئِي أَخَقَرُؤُفَا<sup>(٦)</sup>

قال ابن قتيبة: ومنه يقال أزلفني كذا عندك، أي: أدناني؛ والمزالف: المنازل والترح، وكذلك الرُؤف. وفيها للمفسرين قولان: أحدهما: أنها صلاة العتمة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وعوف عن الحسن، وابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال ابن زيد. والثاني: أنها صلاة المغرب والعشاء، روي عن ابن عباس أيضاً، ورواه يونس عن الحسن، ومنصور عن مجاهد، وبه قال قتادة، ومقاتل، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَلْسَنَكَ يَذْهَبُ فِي السَّحَابِ﴾ في المراد بالحسنات قولان: أحدهما: أنها الصلوات الخمس، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وابن المسيب، ومسروق، ومجاهد، والقرظي، والضحاك، والمقاتلان: ابن سليمان،

(١) «الطبري» ٥١٦/١٥ من حلقة والأسود عن ابن مسعود، ورواه أحمد في «المسند» رقم (٤٢٥٠) و (٤٢٩٠)، ومسلم في «صحيحه» ٤/٢١١٦، وأبو داود في «سننه» رقم (٤٤٦٨)، والترمذي ١٣٩/٢.

(٢) «الطبري» ٥١٩/١٥، و«مسند أحمد» رقم (٣٦٥٣) و (٤٠٩٤)، ورواه البخاري ٢٦٨/٨ - ٢٦٩، ومسلم ٤/٢١١٥، والترمذي ١٣٩/٢، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) «الطبري» ٥٢٠/١٥ - ٥٢٢، ورواه الترمذي ١٣٩/٢ من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل، وقال: هذا حديث ليس إسناده بمتصل، عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ بن جبل، ومعاذ بن جبل مات في خلافة عمر، وقتل عمر وعبد الرحمن بن أبي ليلى غلام صغير ابن ست، وقد روى عن عمر ورأه، وروى شعبة هذا الحديث عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن النبي ﷺ مرسلاً، والحديث بمعنى الذي قبله.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٦٩/٨: وأما قصة ابن غزية، فأخرجها ابن منده من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَقْرِصْ أَلْصَكْرَةَ لَكَرِّي الْكَبَارِ﴾ قال: نزلت في عمرو بن غزية وكان يبيع التمر، فأتته امرأة تبتاع تمرأ فأعجبته... الحديث ١ هـ. والكلبي وأبو صالح: ضعيفان.

(٥) لقد فصل الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٦٨/٨، ٢٦٩ القول في اسم هذا الرجل، فأرجع إليه إن شئت.

(٦) «ديوانه» ٨٤/١، و«الطبري» ٧٧/١٢، و«اللسان: حقف، و«الكامل» للمبرد ١/١٢٩، ٨٣٤/٣. وسماوة الهلال: أعلاه. واحقوقف: يريد: اعوج، وإنما هو افموجل، من الحقف، والحقف: التقا من الرمل يعوج ويدق، يريد: طواه الأين كما طوت الليالي سماوة الهلال.

وابن حيان. والثاني: أنها سبحانه الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، رواه منصور عن مجاهد. والأول أصح، لأن الجمهور عليه، وفيه حديث مسند عن رسول الله ﷺ، رواه عثمان بن عفان عن رسول الله ﷺ أنه توضعاً، وقال: «من توضعاً وضوئي هذا، ثم صلى الظهر، عُفِّرَ له ما كان بينها وبين صلاة الصبح، ومن صلى العصر، عُفِّرَ له ما بينها وبين صلاة الظهر، ومن صلى المغرب، عُفِّرَ له ما بينها وبين صلاة العصر، ثم صلى العشاء، عُفِّرَ له ما بينها وبين صلاة المغرب، ثم لعله أن يبيت ليلته يتمرغ، ثم إن قام فتوضعاً وصلى الصبح، عُفِّرَ له ما بينه وبين صلاة العشاء، وهن الحسنات يلذهن السيئات»<sup>(١)</sup>. فأما السيئات المذكورة هاهنا، فقال المفسرون: هي الصغائر من الذنوب. وقد روى معاذ بن جبل، قال: قلت: يا رسول الله، أوصني؛ قال: «أتق الله حيثما كنت»، قال: قلت: زدني؛ قال: «أتبع السيئة الحسنة تمحها»، قلت: زدني؛ قال: «خالق الناس بخلق حسن»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ ذِكْرُ لِلذَّكْرَيْنِ﴾ في المشار إليه بـ «ذلك» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن. والثاني: إقام الصلاة. والثالث: جميع ما تقدم من الوصية بالاستقامة، والنهي عن الطغيان، وترك الميل إلى الظالمين، والقيام بالصلاة. وفي المراد بالذكر قولان: أحدهما: أنه بمعنى التوبة. والثاني: بمعنى العظة.

﴿وَأَسْبِرْ لَكَ اللَّهُ لَا يُخْبِعُ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَأَسْبِرْ﴾ فيما أمر بالصبر عليه قولان: أحدهما: لما يلقاه من أذى قومه. والثاني: الصلاة. وفي المراد بالمحسين ثلاثة أقوال: أحدهما: المصلون، قاله ابن عباس. والثاني: المخلصون، قاله مقاتل. والثالث: أنهم المحسنون في أعمالهم، قاله أبو سليمان.

﴿تَذَكَّرُوا أَنْ الْقُرْآنَ يُرْسَلُ وَأَنْتُمْ مِنَ الْمُبْذَرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُوا أَنْ الْقُرْآنَ﴾ قال ابن عباس، والفراء: المعنى: فلم يكن. وقال ابن قتبية: المعنى: فهلاً كان من القرون من قبلكم أولوا بقية. وروى ابن جهم عن أبي جعفر «أولوا بقية» بكسر الباء وسكون القاف وتخفيف الياء. وفي معنى «أولوا بقية» ثلاثة أقوال: أحدها: أولوا دين، قاله ابن عباس. قال ابن قتبية: يقال: قوم لهم بقية، وفيهم بقية: إذا كانت بهم مُسَكَّة وفيهم خير. والثاني: أولوا تمييز. والثالث: أولوا طاعة، ذكرهما الزجاج، وقال: إذا قلت: فلان فيه بقية، فمعناه: فيه فضل.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء منقطع، أي: لكن قليلاً ممن أنجينا منهم ممن نهى عن الفساد. قال مقاتل: لم يكن من القرون من ينهى عن المعاصي والشرك إلا قليلاً ممن أنجينا من العذاب مع الرسل.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَّبِعْ الْآذِينَ تَلْمِزُوا مَا أَتْرَفُوا فِيهِ﴾ أي: اتبعوا مع ظلمهم ما أتروا فيه مع استدامة نعيمهم، فلم يقبلوا ما ينقص من ترفهم. قال الفراء: آثروا اللذات على أمر الآخرة. قال: ويقال: اتبعوا ذنوبهم السيئة إلى النار.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرْآنَ بِظُلْمٍ وَأَعْلَاهَا مَصْلُوحٌ﴾<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرْآنَ بِظُلْمٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: بغير جرم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: بشرك، ذكره ابن جرير، وأبو سليمان. وفي قوله: ﴿وَأَعْلَاهَا مَصْلُوحٌ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها:

(١) «الطبري» ٥١٢/١٥، ورواه أحمد في «المسند» رقم (٥١٣) وفي آخره زيادة، «قالوا: هذه الحسنات، فما الباقيات يا عثمان؟ قال: «هن: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله» وخرجه الهيثمي في «المجمع» ٢٩٧/١ بنحو حديث أحمد، وهو حديث صحيح.

(٢) هذا الحديث أخرجه أحمد في «المسند» ٢٢٨/٥ عن معاذ بن جبل، وخرجه أيضاً ١٥٣/٥ عن أبي ذر الغفاري، وخرجه الترمذي ٢٠/٢ عن أبي ذر، ومعاذ، ولفظه عند الترمذي: «أتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» وقال: هذا حديث حسن صحيح. وفي بعض النسخ: حسن. ورواه الحاكم في «المستدرک» ٥٤/١ عن أبي ذر بلفظ الترمذي، ورواه عن معاذ بلفظ «فقال: يا رسول الله أوصني، قال: أعبد الله ولا تشرك به شيئاً، قال: يا رسول الله زدني، قال: إذا سألت فاسأل، قال: يا رسول الله زدني، قال: استقم، ولتحسن خلقك» وقال: صحيح الإسناد من رواية البصريين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقد روي عن النبي ﷺ أنه أوصى بهذه الوصية معاذاً وأباً ذر من وجه آخر.

ينتصف بعضهم من بعض، رواه قيس بن أبي حازم عن جرير. قال أبو جعفر الطبري: فيكون المعنى: لا يهلكهم إذا تناصفوا وإن كانوا مشركين، وإنما يهلكهم إذا تظالموا. والثاني: مصلحون لأعمالهم، متمسكون بالطاعة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: مؤمنون، قاله مقاتل.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَكَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأُمَمَلَانَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قال ابن عباس: لو شاء أن يجعلهم كلهم مسلمين لفعل. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم أهل الحق وأهل الباطل، رواه الضحاك عن ابن عباس؛ فيكون المعنى: إن هؤلاء يخالفون هؤلاء. والثاني: أنهم أهل الأهواء لا يزالون مختلفين، رواه عكرمة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ قال ابن عباس: هم أهل الحق. وقال الحسن: أهل رحمة الله لا يختلفون. قوله تعالى: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ في المشار إليه بذلك أربعة أقوال: أحدها: أنه يرجع إلى ما هم عليه. قال ابن عباس: خلقهم فريقين، فريقاً يُرحم فلا يختلف، وفريقاً لا يُرحم يختلف. والثاني: أنه يرجع إلى الشقاء والسعادة، قاله ابن عباس أيضاً، واختاره الزجاج، قال: لأن اختلافهم مؤديهم إلى سعادة وشقاوة. قال ابن جرير: واللام في قوله: «ولذلك» بمعنى «على». والثالث: أنه يرجع إلى الاختلاف، رواه مبارك عن الحسن. والرابع: أنه يرجع إلى الرحمة، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة؛ فعلى هذا يكون المعنى: ولرحمته خلق الذين لا يختلفون في دينهم.

قوله تعالى: ﴿وَكَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس: وجب قول ربك: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ من كفار الجنة، وكفار الناس. ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَثَبْتَ بِهِمْ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ﴾ قال الزجاج: «كلاً» منصوب بـ «نقص»، المعنى: كل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل نقص عليك. و «ما» منصوبة بدلاً من كل، المعنى: نقص عليك ما نثبت به فؤادك؛ ومعنى تثبيت الفؤاد تسكين القلب هاهنا، ليس للشك، ولكن كلما كان البرهان والدلالة أكثر، كان القلب أثبت.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾ في المشار إليه بـ «هذه» أربعة أقوال: أحدها: أنها السورة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو العالية، ورواه شيبان عن قتادة. والثاني: أنها الدنيا، فالمعنى: وجاءك في هذه الدنيا، رواه سعيد عن قتادة؛ وعن الحسن كالقولين. والثالث: أنها الأفاضيل المذكورة. والرابع: أنها هذه الآية بعينها، ذكر القولين ابن الأنباري. وفي المراد بالحق هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنها البيان. والثاني: صدق القصص والأنباء. والثالث: النبوة. فإن قيل: أليس قد جاءه الحق في كل القرآن، فلم خص هذه السورة؟ فالجواب أنا إن قلنا: إن الحق النبوة، فالإشارة بـ «هذه» إلى الدنيا، فيكون المعنى: وجاءك في هذه الدنيا النبوة، فيرتفع الإشكال. وإن قلنا: إنها السورة، فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أن المراد، بالحق البيان، وهذه السورة جمعت من تبين إهلاك الأمم، وشرح مآلهم، ما لم يجمع غيرها، فبان أثر التخصيص، وهذا مذهب بعض المفسرين. والثاني: أن بعض الحق أركد من بعض في ظهوره عندنا وخفائه علينا، ولهذا يقول الناس: فلان في الحق: إذا كان في الموت، وإن لم يكن قبله في باطل، ولكن لتعظيم ما هو فيه، فكان الحق المبين في هذه السورة أجلى من غيره، وهذا مذهب الزجاج. والثالث: أنه خص هذه السورة بذلك لبيان فضلها، وإن كان في غيرها حق أيضاً، فهو كقوله: ﴿وَالْفَصْلَةُ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقوله: ﴿يَجْزِيكَ وَيَكْفُلُ﴾ [البقرة: ٩٨]، وهذا مذهب ابن الأنباري. والرابع: أن المعنى: وجاءك في هذه السورة الحق مع ما جاءك من سائر السور، قاله ابن جرير الطبري.

قوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يتعظون إذا سمعوا هذه السورة وما نزل بالأمم فتلين قلوبهم.

﴿وَقُلْ لِلَّهِ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى سَكَاتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ۝٢١﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ۝٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ هذا تهديد ووعيد، والمعنى: اعملوا ما أنتم عاملون، فتعلمون عاقبة أمركم، ﴿وَأَنْظِرُوا﴾ ما يعدكم الشيطان ﴿إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ ما يعدنا ربنا.

### فصل

قال المفسرون: وهذه الآية اقتضت تركهم على أعمالهم، والافتناع بإنذارهم، وهي منسوخة بآية السيف. واعلم أنه إذا قلنا: إن المراد بالآية التهديد، لم يتوجه نسخ.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: علم ما غاب عن العباد فيهما. ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ قرأ نافع، وحفص عن عاصم ﴿يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ بضم الياء. وقرأ الباقون، وأبو بكر عن عاصم «يرجع» بفتح الياء، والمعنى: إن كل الأمور ترجع إليه في المعاد. ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ أي: وحده. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ أي: ثق به. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلٍ عَمَّا يَتَمَلَّوْنَ﴾ قرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم «تعملون» بالثاء. وقرأ الباقون بالياء. قال أبو علي: فمن قرأ بالياء، فالمعنى: قل لهم: وما ربك بغافل عما يعملون. ومن قرأ بالثاء، فالخطاب للنبي ﷺ ولجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، فهو أعم من الياء، وهذا وعيد، والمعنى: إنه يجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. قال كعب: خاتمة التوراة خاتمة «هود».



## سورة يوسف [عليه السلام]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الَّتِي﴾ ①

### فصل في نزولها

هي مكة بالإجماع. وفي سبب نزولها قولان: أما القول الأول، فروي عن سعد بن أبي وقاص قال: أنزل القرآن على رسول الله ﷺ، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا، فأنزل الله تعالى: ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الَّتِي﴾ ① إلى قوله: ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله، لو حدثتنا، فأنزل الله تعالى: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا تُتْلَاهُ ثِنْتَانِ﴾ ② (الزمر: ٢٣) كل ذلك يؤمرون بالقرآن. وقال عون بن عبد الله: ملأ أصحاب رسول الله ﷺ ملة، فقالوا: يا رسول الله حدثنا، فأنزل الله ﷻ: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا تُتْلَاهُ ثِنْتَانِ﴾ (الزمر: ٢٣)، ثم إنهم ملأوا ملة أخرى، فقالوا: يا رسول الله، فوق الحديث، ودون القرآن، يعنون القصص، فأنزل الله ﷻ: ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، فأراد الحديث، دلهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصص، فدلهم على أحسن القصص ③. والثاني: رواه الضحاك عن ابن عباس قال: سألت اليهود النبي ﷺ، فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف، فأنزل الله ﷻ: ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الَّتِي﴾ ④ إِنْ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴿وذلك أن التوراة بالعبرانية، والإنجيل بالسريانية، وأنتم قوم عرب، ولو أنزلته بغير العربية ما فهمتموه. وقد بينا تفسير أول هذه السورة في أول (يونس)، إلا أنه قد ذكر ابن الأنباري زيادة وجه في هذه السورة، فقال: لما لحق أصحاب رسول الله ﷺ ملأ وسامة، فقالوا له: حدثنا بما يزيل عنا هذا الملل، فقال: «تلك الأحاديث التي تقدرون الانتفاع بها وانصراف الملل، هي آيات الكتاب المبين». وفي معنى «المبين» خمسة أقوال: أحدها: البين حلاله وحرامه، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: المبين للحروف التي تسقط عن ألسن الأعاجم، رواه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل. والثالث: البين هداه ورشده، قاله قتادة. والرابع: المبين للحق من الباطل. الخامس: البين إعجازه فلا يعارض، ذكرهما الماوردي.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ⑤

قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ قد ذكرنا معنى القرآن واشتقاقه في سورة [النساء: ٨٢]. وقد اختلف الناس، هل في القرآن شيء بغير العربية، أم لا، فمذهب أصحابنا أنه ليس فيه شيء بغير العربية. وقال أبو عبيدة: من زعم أن في القرآن لساناً سوى العربية فقد أعظم على الله القول، واحتج بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] وروي عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة أن فيه من غير لسان العرب، مثل «سجيل» و«المشكاة» و«اليم» و«الطور» و«أباريق» و«إستبرق» وغير ذلك. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: قال أبو عبيد ⑥: وهؤلاء أعلم من أبي عبيدة،

(١) «الطبري» ٥٥٣/١٥، والحاكم في «المستدرک» ٣٤٥/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣/٤ وزاد نسبته إلى إسحاق بن راهويه، والبخاري، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

(٢) «الطبري» ٥٥٢/١٥، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣/٤ من طريق عون بن عبد الله عن ابن مسعود، فهو مرسل. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٥٥.

(٣) في الأصل: أبو عبيدة، وهو خطأ، لأن الكلام الآتي كلام أبي عبيد القاسم بن سلام يرد به على شيخه أبي عبيدة، وانظر «المعرب»: ٥ للجواليقي.

ولكنهم ذهبوا إلى مذهب، وذهب هو إلى غيره، وكلاهما مصيب إن شاء الله، وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال: أولئك على الأصل، ثم لفظت به العرب بالستها فعربته فصار عربياً بتعريبها إياه، فهي عربية في هذه الحالة، أعجمية الأصل، فهذا القول يصدق الفريقين جميعاً.

قوله تعالى: ﴿لَمَلَكُمْ تَقْوَلُوكَ﴾ ❶ قال ابن عباس: لكي تفهموا.

﴿تَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْقَنْيَلِ﴾ ❷

قوله تعالى: ﴿تَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ قد ذكرنا سبب نزولها في أول الكلام. وقد خُصت بسبب آخر، فروي عن سعيد بن جبيرة قال: اجتمع أصحاب محمد ﷺ إلى سلمان، فقالوا: حدثنا عن التوراة فإنها حسن ما فيها، فأنزل الله تعالى: ﴿تَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ يعني: قصص القرآن أحسن مما في التوراة. قال الزجاج: والمعنى نحن نبين لك أحسن البيان، والقاص: الذي يأتي بالقصة على حقيقتها. قال وقوله: ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: بوحينا إليك هذا القرآن.

قال العلماء: وإنما سميت قصة يوسف أحسن القصص، لأنها جمعت ذكر الأنبياء، والصالحين، والملائكة، والشياطين، والأنعام، وسير الملوك، والممالك، والتجار، والعلماء، والرجال، والنساء، وحيلهن، وذكر التوحيد، والفقه، والسر، وتعبير الرؤيا، والسياسة، والمعاشرة، وتدبير المعاش، والصبر على الأذى، والحلم، والعز، والحكم، إلى غير ذلك من العجائب.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُ فِي إِنْ﴾ قولان.

أحدهما: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ قال ابن عباس: من قبل نزول القرآن. ﴿لَمَنِ الْقَنْيَلِ﴾ عن علم خبر يوسف وما صنع به إخوته.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ ❶ قَالَ يَبْقَى لَا نَقْصُ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ❷ قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ في «إِذ» قولان.

أحدهما: أنها صلة للفعل المتقدم، والمعنى: نحن نقص عليك إذا قال يوسف. والثاني: أنها صلة لفعل مضمّر، تقديره: اذكر إذ قال يوسف، ذكرهما الزجاج، وابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر بفتح التاء، ووقفنا بالتاء، وافقهما ابن كثير في الوقف بالتاء، وقرأ الباقون بكسر التاء. فمن فتح التاء، أراد: يا أبتا، فحذف الألف كما تحذف الياء، بقيت الفتحة دالة على الألف، كما أن الكسرة تبقى دالة على الياء. ومن وقف على التاء، فلأن تاء التانيث تبدل منها الهاء في الوقف. وقرأ أبو جعفر أحد عشر، وتسعة عشر، بسكون العين فيهما. وفي ما رآه يوسف قولان: أحدهما: أنه رأى الشمس والقمر والكواكب، وهو قول الأكثرين. قال الفراء: وإنما قال: «رأيتهم» على جمع ما يعقل، لأن السجود فعل ما يعقل، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْهَبُوا سَكَتِكُمْ﴾ [النمل: ٢٨]. قال المفسرون: كانت الكواكب في التأويل إخوته، والشمس أمه، والقمر أباه، فلما قصّها على يعقوب أشفق من حسد إخوته. وقال السدي: الشمس أبوه، والقمر خالته، لأن أمه كانت قد ماتت. والثاني: أنه رأى أبويه وإخوته ساجدين له، فكفى عن ذكرهم، وهذا مروى عن ابن عباس، وكتادة. فأما تكرار قوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ فقال الزجاج: إنما كرره لما طال الكلام توكيداً. وفي سنن يوسف لما رأى هذا المنام ثلاثة أقوال: أحدها: سبع سنين. والثاني: اثنتا عشرة سنة. والثالث: سبع عشرة سنة. قال المفسرون: علم يعقوب أن إخوة يوسف يعلمون تأويل رؤياه، فقال: ﴿لَا تَقْصُ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾، قال ابن قتيبة: يحتالوا لك حيلة ويتناوكون. وقال غيره: اللام صلة، والمعنى: فيكيدوك. والعدو المبين: الظاهر العداوة.

﴿وَكَذَلِكَ يَجْهَلُكَ رَبُّكَ وَمَوْلَاكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُرِيهِ نَمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا هَٰذَا﴾ ❶ وَإِسْمُكَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ❷

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْهِيكَ رَبُّكَ﴾ قال الزجاج، وابن الأنباري: ومثل ما رأيتم من الرفعة والحال الجليلة، يختارك ربك ويصطفيك من بين إخوتك. وقد شرحنا في [الأنعام: ٨٧] معنى الاجتباء. وقال ابن عباس: يصطفيك بالنبوة.

قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ يَنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تعبير الرؤيا، قاله ابن عباس ومجاهد، وقتادة، فعلى هذا سمي تأويلاً لأنه بيان ما يؤول أمر المنام إليه. والثاني: أنه العلم والحكمة، قاله ابن زيد. والثالث: تأويل أحاديث الأنبياء والأمم والكتب، ذكره الزجاج. قال مقاتل: و «من» هاهنا صلة.

قوله تعالى: ﴿وَيُزِيدُكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بالنبوة، قاله ابن عباس. والثاني: بإعلاء الكلمة. والثالث: بأن أحوج إخوته إليه حتى أنعم عليهم، ذكرهما الماوردي. وفي «إِلَّا يَعْقُوبُ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ولده، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: يعقوب وامرأته وأولاده الأحد عشر، أتم عليهم نعمته بالسجود ليوسف، قاله مقاتل.

والثالث: أهله، قاله أبو عبيدة، واحتج بأنك إذا صغرت الآل، قلت: أهيل. قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا عَلَيَّ آيَاتُكَ مِنْ قَبْلُ إِزْهَيْمَ وَاتَّخَذَ﴾ قال عكرمة: فنعته على إبراهيم أن نجاه من النار، ونعته على إسحاق أن نجاه من الذبح.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ أي: عليم حيث يضع النبوة «حِكْمَةً» في تدبير خلقه.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ أي: في خير يوسف وقصة إخوته (آيات) أي: عبر لمنم سأل عنهم، فكل حال من أحواله آية. وقرأ ابن كثير «آية». قال المفسرون: وكان اليهود قد سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، فأخبرهم بها كما في التوراة، فعجبوا من ذلك. وفي وجه هذه الآيات خمسة أقوال.

أحدها: الدلالة على صدق محمد ﷺ حين أخبر أخبار قوم لم يشاهدهم، ولا نظر في الكتب. والثاني: ما أظهر الله في قصة يوسف من عواقب البغي عليه. والثالث: صدق رؤياه وصحة تأويله. والرابع: ضبط نفس وقهر شهوته حتى قام بحق الأمانة. والخامس: حدوث السرور بعد اليأس.

فإن قيل: لم خص السائلين، ولغيرهم فيها آيات أيضاً؟ فته جوابان.

أحدهما: أن المعنى: للسائلين وغيرهم، فاكتمى بذكر السائلين من غيرهم، كما اكتفى بذكر الحر من البرد في قوله: ﴿تَبَيَّنَ لَكُمْ الْحَرُّ﴾ [النحل: ٨١].

والثاني: أنه إذا كان للسائلين عن خبر يوسف آية، كان لغيرهم آية أيضاً، وإنما خص السائلين، لأن سؤالهم نتج الأعجوبة وكشف الخبر.

﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِذْ آتَانَا لِيُفِي سَكَلِ نُسَيْنِ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا﴾ يعني إخوة يوسف. «لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ» يعنون ابن يامين. وإنما قيل له: ابن يامين، لأن أمه ماتت نفساء. ويامين بمعنى الرجوع، وكان أخاه لأمه وأبيه. والباقون إخوته لآبيه دون أمه.

فأما العصبة، فقال الزجاج: هي في اللغة الجماعة الذين أمرهم واحد يتابع بعضهم بعضاً في الفعل، ويتعصب بعضهم لبعض.

وللمفسرين في العصبة ستة أقوال.

أحدها: أنها ما كان أكثر من عشرة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنها ما بين العشرة إلى الأربعين، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال قادة. والثالث: أنها ستة أو سبعة، قاله سعيد بن جبيرة والرابع: أنها من عشرة إلى خمسة عشر، قاله مجاهد. والخامس: الجماعة، قاله ابن زيد، وابن قتيبة، والزجاج. والسادس: عشرة، قاله مقاتل. وقال الفراء: العصبة عشرة فما زاد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ آتَانَا لِيُفِي سَكَلِ نُسَيْنِ﴾ فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: لفي خَطْلًا من رأيه، قاله ابن زيد. والثاني: في شَقَاءٍ، قاله مقاتل؛ والمراد به عناء الدنيا. والثالث: لفي ضلال عن طريق الصواب الذي يقتضي تعديل المحبة بيننا، لأن نفعا له أعمى. قال الزجاج: ولو نسبوه إلى الضلال في الدين كانوا كفارًا، إنما أرادوا: إنه قَدَّمَ ابنتين صغيرين علينا في المحبة ونحن جماعة نفعا أكثر.

﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (١١)

قوله تعالى: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ قال أبو علي: قرأ ابن كثير، ونافع، والكسائي: «مبينًا اقتلوا» بضم التنوين، لأن تحريكه يلزم لالتقاء الساكنين، فحركوه بالضم لِيَتَّبِعُوا الضمة الضمة، كما قالوا: «مَدَّ» و«ظَلَّمَات». وقرأ أبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، بكسر التنوين، فلم يتبعوا الضمة كما قالوا: «مَدَّ» و«ظَلَّمَات». قال المفسرون: وهذا قولهم بينهم: ﴿أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ قال الزجاج: نصب «أَرْضًا» على إسقاط «في»، وأفضى الفعل إليها؛ والمعنى: أو اطرحوه أرضاً يبعد بها عن أبيه. وقال غيره: أرضاً تأكله فيها السباع.

قوله تعالى: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ﴾ أي: يفرغ لكم من الشغل بيوسف. ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ أي: من بعد يوسف. ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: صالحين بالتوبة من بعد قتله، قاله ابن عباس. والثاني: يصلح حالكم عند أبيكم، قاله مقاتل. وفي قصتهم نكتة عجيبة، وهو أنهم عزموا على التوبة قبل الذنب، وكذلك المؤمن لا ينسى التوبة وإن كان مرتكباً للخطايا.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (١٢) قالوا يَتَّخِذُكَ مَا لَكَ لَا تَأْتِيَا عَلَ يُوسُفَ وَإِنَّا لَمَ نَتَصَحَّرُ (١٣) أَرْسَلَهُ مَعَا عَدَا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَمَ لَحِقُفُوتُونَ (١٤) قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٥) قَالُوا لَنْ أَكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَكَاغِيرُونَ (١٦)

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يهوذا، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال وهب بن منبه، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنه شمعون، قاله مجاهد. والثالث: روبيل، قاله قتادة، وابن إسحاق. فأما غيبة الجب، فقال أبو عبيدة: كل شيء غيَّبَ عنك شيئاً فهو غيبة، والجب: الرُكبة التي لم تطو. وقال الزجاج: الغيبة: كل ما غاب عنك، أو غيَّبَ شيئاً عنك، قال المنخل:

فإِن أَنَا يَوْمًا غَيَّبْتُ نَفْسِي غَيَابَتِي

فيسيروا يسيري في العشيرة والأهل

والجب: البشر التي لم تطو؛ سميت جباً من أجل أنها قُطعت قطعاً، ولم يحدث فيها غير القطع من طي وما أشبهه. وقال ابن عباس: ﴿فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ أي: في ظلماته. وقال الحسن: في قعره. وقرأ نافع: «غيابات الجب» فجعل كل منه غيبة. وروى خارجة عن نافع: «غيابات» بتشديد الياء. وقرأ الحسن، وقتادة، ومجاهد: «غِيبة الجب» بغير ألف مع إسكان الياء. وأين كان هذا الجب، فيه قولان: أحدهما: بأرض الأردن، قاله وهب. وقال مقاتل: هو بأرض الأردن على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب. والثاني: بيت المقدس، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ قال ابن عباس: يأخذه بعض من يسير. ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ أي: إن أضمرتم له ما تريدون. وأكثر القراء قروا «يلقظه» بالياء. وقرأ الحسن، وقتادة، وابن أبي عبله بالناء. قال الزجاج: وجميع النحويين يجيزون ذلك، لأن بعض السيارة سيارة، فكأنه قال: تلتقطه سيارة بعض السيارة. وقال ابن الأنباري: من قرأ بالناء، فقد أثَّ فعل بعض، وبعض مذكر، وإنما فعل ذلك حملاً على المعنى، إذ التأويل: تلتقطه السيارة، قال الشاعر:

رَأَتْ مَرَّ السُّنَيْنِ أَخَذَنُ مَنِي

كَمَا أَخَذَ السُّرَارُ مِنَ الْهَلَالِ (١٧)

أراد: رأت السنين، وقال الآخر:

طَلُوْا اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي

طَلُوْنَ طُلُوْلي وَطَلُوْنَ عَرْضِي (١٨)

(١١) البيت لجبر، «ديوانه» ٤٢٦، و«مجاز القرآن» ٩٨/١، و«الطبري» ٥٦٧/١٥، و«الكامل» للمبرد ٤٨٦، و«السرائر» آخر ليلة من الشهر يستمر فيها الهلال، أي: يختفي.

(١٢) البيت للمجاج في ملحق ديوانه ٨١، و«الكتاب» ١٩/١، و«مجاز القرآن» ٩٩/١، و«الطبري» ٨٧/٧، و«البيان والتبيين» ٦٠/٤، و«شواهد المغني» ٢٩٧، و«المغني» ٣٩٥/٣، و«الخرائفة» ١٦٨/٢.



أراد: الليالي أسرع، وقال جرير:

لَمَّا أَتَى خَبَرَ الرُّؤْيَى تَوَاضَعَتْ

أراد: تواضعت المدينة، وقال الآخر:

وتَشَرَّقَ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَدْعُهُ

أراد: كما شرقت القناة.

قال المفسرون: فلما عزم القوم على كيد يوسف، قال: لأبيه: (مالك لا تأمنّا قرأ الجماعة «تأمنّا» بفتح الميم وإدغام النون الأولى في الثانية والإشارة إلى إعراب النون المدغمة بالضم؛ قال مكي: لأن الأصل «تأمنّا» ثم أددعمت النون أوولى، وبقي الإشمام يدل على ضمه النون الأولى. والإشمام: هو ضم شفتيك من غير صوت يُسمع، فهو بعد الإدغام وقبل فتحه النون الثانية. وابن كيسان يسمي الإشمام الإشارة، ويسمى الرّوم إشماماً؛ والرّوم: صوت ضعيف يُسمع خفياً. وقرأ أبو جعفر «تأمنّا» بضم الميم. وقرأ ابن مقسم «تأمنّا» بنونين على الأصل، والمعنى: مالك لا تأمنّا على يوسف فترسله معنا، فإنه قد كبر ولا يعلم شيئاً من أمر المعاش ﴿وَرَأَى لَهُ لُتْصُحُونَ﴾ فيما أشرنا به عليك؛ «أزِيلُهُ مَعَنَا غَدًا» إلى الصحراء. وقال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير، وذلك أنهم قالوا له: أرسله معنا، فقال: إني لَيُخْرِئُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ، فقالوا: مالك لا تأمنّا.

قوله تعالى: ﴿يَرْتَعَ وَرَلَّعٌ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو «نرتع ونلعب» بالنون فيهما، والعين ساكنة؛ وافقهم زيد عن يعقوب في «نرتع» فحسب.

وفي معنى «نرتع» ثلاثة أقوال.

أحدها: نَلَّعَ، قاله الضحاك. والثاني: نَسَّعَ، قاله قتادة. والثالث: نَأْكَلُ، يقال: رتعت الإبل: إذا رعت، وأرتعتها: إذا تركتها ترعى. قال الشاعر:

وَخَبِيبٌ لِي إِذَا لَأَقَيْتُهُ

وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَخْمِي رَتَّعٌ<sup>(١)</sup>

أي: أكله، هذا قول ابن الأنباري، وابن قتيبة. وقرأ عاصم، وحزمة والكسائي: «يرتع ويلعب» بالياء فيهما وجزم العين والباء، يعنون «يوسف». وقرأ نافع: «نرتع» بكسر العين من «نرتع» من غير بلوغ إلى الياء. قال ابن قتيبة: ومعناها: نتحارس، ويرعى بعضنا بعضاً، أي يحفظ؛ ومنه يقال: رعاك الله، أي: حفظك. وقد رويت عن ابن كثير أيضاً «نرتعي» بإثبات ياء بعد العين في الوصل والوقف. وقرأ أنس، وأبو رجاء «نُرتِعَ» بنون مرفوعة وكسر التاء وسكون العين، و«نلعب» بالنون. قال أبو عبيدة: أي: نرتع إيلنا.

فأما قوله: ﴿وَرَلَّعٌ﴾ فقال ابن عباس: نلّهو.

فإن قيل: كيف لم ينكر عليهم يعقوب ذكر اللعب؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنهم لم يكونوا حيثلذ أنبياء، قاله أبو عمرو بن العلاء. والثاني: أنهم عَنَوْا مباح اللعب، قاله الماوردي.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَيُخْرِئُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ أي: يحزنني ذهابكم به، لأنه يفارقني فلا أراه. ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الْكَرْبُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحزمة: «الذئب» بالهمز في الثلاثة المواضع. وقرأ الكسائي، وأبو جعفر، وشيبة بغير همز. قال أبو علي: «الذئب» مهموز في الأصل. يقال: تذاءبَتِ الريح: إذا جاءت من كل جهة كما يأتي الذئب. وفي علة تخصيص الذئب بالذكر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه رأى في منامه أن الذئب شد

(١) «ديوانه» ٣٤٥، و«معجاز القرآن» ١٩٧/١، و«النقائص» ٩٦٩، و«الكتاب» ١٩/١، ٢٥، و«الكامل» للمبرد ٤٨٦، و«الطبري» ١٧/٢، و«الأضداد» ٢٩٦ لابن الأنباري، و«اللسان» و«التاج» سورة: و«الخرائج» ١٦٦/٢.

(٢) البيت للأعشى الكبير يميون بن قيس، ديوانه: ١٢٣، و«اللسان» شرق، ومعنى تشرق: تنقص، وصدر القناة: أعلاها.

(٣) البيت لسويد بن أبي كاهل اليشكري من قصيدة في «المفضليات» ١٩٠ - ٢٠٢، تعد ممن أغلى الشعر وأنفسه، وقد فضلها الأصمعي، وقال: كانت العرب تفضلها وتقدمها وتعدّها من حكمها، وكانت في الجاهلية تسميها البيّمة لما اشتملت عليه من الأمثال. وهو أيضاً في «الشعر والشعراء» ٣٨٤، و«الخرائج» ٥٤٧/٢، ورواية الشطر الأول فيها: «ويُخْرِئُنِي إِذَا لَأَقَيْتُهُ».

على يوسف، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن أرضهم كانت كثيرة الذئب، قاله مقاتل. والثالث: أنه خافهم عليه فكنى بذكر الذئب، قاله الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: غافلون في اللعب. والثاني: مشغولون برعيكم.

قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: جماعة نرى الذئب قد قصده ولا نرد عنه ﴿إِنَّا إِذَا كُنَّا لِلْغَيْرِ حَرُونَ﴾ أي: عاجزون. قال ابن الأنباري: ومن قرأ «عصبة» بالنصب، فتقديره: ونحن نجتمع عصبة.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾ في الكلام اختصار وإضمار، تقديره: فأرسله معهم فلما ذهبوا. ﴿وَأَجْمَعُوا﴾ أي: عزموا على أن يجعلوه في غيابة الجب.

### الإشارة إلى قصة ذهابهم

قال المفسرون: قالوا ليوسف: أما تشتاق أن تخرج معنا فتلعب وتتصيد؟ قال: بلى، قالوا: فسل أباك أن يرسلك معنا، قال: أفعل، فدخلوا بجماعتهم على يعقوب، فقالوا: يا أبانا إن يوسف قد أحب أن يخرج معنا، فقال: ما تقول يا بني؟ قال: نعم يا أبت، قد أرى من إخوتي اللين واللطف، فأنأ أحب أن تأذن لي، فأرسله معهم، فلما أضحروا، أظهروا له ما في أنفسهم من العداوة، وأغلظوا له القول، وجعل يلجأ إلى هذا، فيضربه، وإلى هذا، فيؤذيه، فلما فطن لما قد عزموا عليه، جعل ينادي: يا أبتاه، يا يعقوب، لو رأيت يوسف وما ينزل به من إخوته لأخزنتك ذلك وأبكاك، يا أبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك، وضيعوا وصيتك، وجعل يبكي بكاء شديداً. قال الضحاك عن ابن عباس: فأخذه روبيل فجلد به الأرض، ثم جثم على صدره وأراد قتله، فقال له يوسف: مهلاً يا أخي لا تقتلني، قال: يا ابن راحيل صاحب الأحلام، قل لرؤياك تخلصك من أيدينا، ولوى عنقه ليكرهها، فنادى يوسف: يا يهوذا اتق الله في، وخل بيني وبين من يريد قتلي، فأدركته له رحمة، فقال يهوذا: يا إخوتاه، ألا أدلكم على أمر هو خير لكم وأرفق به؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: تلقونه في هذا الجب فيلتقطه بعض السيارة، قالوا: نفعل؛ فانطلقوا به إلى الجب، فخلعوا قميصه، فقال: يا إخوتاه، لِمَ نزعتم قميصي؟ ردوه عليّ أستر به عورتى ويكون كفناً لي في مماتي؛ فأخرج الله له حجراً في البئر مرتفعاً من الماء، فاستقرت عليه قدماء. وقال السدي: علوا يدلونه في البئر، فيتعلق بشفير البئر؛ فربطوا يديه ونزعوا قميصه، فقال: يا إخوتاه، ردوا عليّ قميصي أتورى به، فقالوا: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً، فدلوه في البئر، حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت، فكان في البئر ماء فسقط فيه، ثم أوى إلى صخرة فيها فقام عليها؛ فلما ألقوه في الجب جعل يبكي، فنادوه، فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة، فمنعهم يهوذا، وكان يهوذا يأتيه بالطعام. وقال كعب: جمعوا يديه إلى عنقه ونزعوا قميصه، فبعث الله إليه ملكاً، فحلّ عنه وأخرج له حجراً من الماء، فقعده عليه؛ وكان يعقوب قد أدرج فميص إبراهيم الذي كساه الله إياه يوم ألقى في النار في قصبة، وجعلها في عنق يوسف، فألبسه إياه الملك حيثنذ، وأضاء له الجب. وقال الحسن: ألقى في الجب، فَعَذَّبَ ماؤه، فكان يغنيه عن الطعام والشراب؛ ودخل عليه جبريل، فأنس به، فلما أمسى، نهض جبريل ليذهب، فقال له يوسف: إنك إذا خرجت عني استوحشت، فقال: إذا رهبث شيئاً فقل: يا صريح المستصرخين، ويا غوث المستغيثين، ويا مفرج كرب المكروبين، قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفي عليك شيء من أمري. فلما قالها حفته الملائكة، فاستأنس في الجب ومكث فيه ثلاثة أيام، وكان إخوته يرفعون حول الجب. وقال محمد بن مسلم الطائفي: لما ألقى يوسف في الجب، قال: يا شاهداً غير غائب، ويا قريباً غير بعيد، ويا غالباً غير مغلوب، اجعل لي فرجاً بما أنا فيه؛ قال: فما بات فيه. وفي مقدار سنه حين ألقى في الجب أربعة أقوال.

أحدهما: اثنتا عشرة سنة، قاله الحسن. والثاني: ست سنين، قاله الضحاك. والثالث: سبع عشرة، قاله ابن السائب، وروي عن الحسن أيضاً. والرابع: ثمان عشرة.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فيه قولان.

أحدهما: أنه إلهام، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه وحي حقيقة. قال المفسرون: أوحى إليه لتخبرن إخوتك بأمرهم، أي: بما صنعوا بك وأنت عالي عليهم. وفي قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ قولان.

أحدهما: لا يشعرون أنك يوسف وقت إخبارك لهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل.

والثاني: لا يشعرون بالوحي، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد. فعلى الأولى يكون الكلام من صلة «للتبنيهم»؛ وعلى الثاني من صلة «وأوحينا إليه». قال حميد: قلت للحسن: أيحسد المؤمن المؤمن؟ قال: لا أبالك، مانسأك بني يعقوب؟.

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ۖ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ وَيَزَكِّنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَانْكَحْنَا الزَّوْجَ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ۖ﴾ وقرأ أبو هريرة، والحسن، وابن السميع، والأعمش: «عشاء» بضم العين.

قال المفسرون: جاؤوا وقت العتمة ليكونوا أجراً في الظلمة على الاعتذار بالكذب، فلما سمع صوتهم فزع، وقال: ما لكم يا بني، هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا، قال: فما أصابكم؟ وأين يوسف؟ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ﴾ وفيه ثلاثة أقوال.

أحدها: نتضل، قاله ابن عباس، وابن قتيبة، قال: والمعنى، يسابق بعضنا بعضاً في الرمي. والثاني: نشد، قاله السدي. والثالث: نتصيد، قاله مقاتل. فيكون المعنى على الأول: نستبق في الرمي لننظر أينما سبق سهماً؛ وعلى الثاني: نستبق على الأقدام؛ وعلى الثالث: للصيد.

قوله تعالى: ﴿وَزَكَّنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا﴾ أي: ثيابنا. ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ أي: بمصدق. وفي قوله: ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ قولان: أحدهما: أن المعنى: وإن كنا قد صدقنا، قاله ابن إسحاق. والثاني: لو كنا عندك من أهل الصدق لاتهمتنا في يوسف لمحبتك إياه، وظننت أنا قد كذبتك، قاله الزجاج.

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۚ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَوَسَّوْنَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قال اللغويون: معناه: بدم مكذوب فيه، والعرب تجعل المصدر في كثير من الكلام مفعولاً، فيقولون للكذب مكذوب، وللعقل معقول، وللجلد مجلود، قال الشاعر:

حَسَىٰ إِذَا لَمْ يَشْرُكُوا لِمِظَامِهِ  
لَحْمًا وَلَا لِسُؤَادِهِ مَفْخُولًا<sup>(١)</sup>

أراد: عقلاً. وقال الآخر:

قَدَ وَالَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بِقُدْرَةٍ

بُلُغَ الْعَزَاءِ وَأَذْرَكَ الْمَجْلُودَ

يريد: أذرك الجلد. ويقولون: ليس لفلان عقد رأي، ولا معقود رأي، ويقولون: هذا ماء سكب، يريدون: مسكوباً، وهذا شراب صب، يريدون: مصبوباً، وماء غور، يعنون: غائراً، ورجل صوم، يريدون: صائماً، وامرأة نوح، يريدون: نائحة؛ وهذا الكلام مجموع قول الفراء، والأخفش، والزجاج، وابن قتيبة في آخرين. قال ابن عباس: أخذوا جدياً فذبحوه، ثم غمسوا قميص يوسف في دمه، وأتوه به وليس فيه خرق، فقال: كذبتهم، لو كان أكله الذئب لخرق القميص. وقال قتادة: كان دم طيبة. وقرأ ابن أبي عبلة: «بدم كذباً» بالنصب. وقرأ ابن عباس، والحسن، وأبو العالية: «بدم كذب» بالدال غير معجمة، أي: بدم طري.

قوله تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ أي: زَيَّتْ ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ غير ما تصفون ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ قال الخليل: المعنى: فشاني

(١) البيت للرأسي النخعي من قصيدة له يمدح بها عبد الملك بن مروان ويشكو من السعاة، «ديوانه» ١٣٧، «وأساس البلاغة» عقل.

صبر جميل، والذي اعتقده صبر جميل. وقال الفراء: الصبر مرفوع، لأنه عزى نفسه وقال: ما هو إلا الصبر، ولو أمرهم بالصبر، لكان نصباً. وقال قطرب: المعنى: فصبري صبر جميل. وقرأ ابن مسعود، وأبي، وأبو المتوكل: «فصبراً جميلاً» بالنصب. قال الزجاج: والصبر الجميل، لا جزع فيه، ولا شكوى إلى الناس.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ السَّمِيعُ عَلَىٰ مَا يَصِفُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: على ما تصفون من الكذب. والثاني: على احتمال ما تصفون.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوٌ قَالَ يَبُشْشَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَمْكُرُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ أي: قوم يسIRON ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ قال الأخفش: أتت السيارة وذكر الوارد، لأن السيارة في المعنى للرجال. وقال الزجاج: الوارد: الذي يَرِدُ الماء ليستقي للقوم. وفي اسم هذا الوارد قولان: أحدهما: مالك بن دُعر بن يؤيب بن عيفا بن مين بن إبراهيم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: مجلت بن رعويل، قاله وهب بن منبه.

قوله تعالى: ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوٌ﴾ أي: أرسلها. قال الزجاج: يقال: أدليت الدلو: إذا أرسلتها لتملأها، ودلوها: إذا أخرجتها. ﴿قال يا بشراي﴾ قرأه ابن كثير، ونافع، وأبو عمر، وابن عامر: «يا بشراي» بفتح الياء وإثبات الألف. وروى ورش عن نافع «بشراي» و «محياي» [الأنعام: ١٦٢] و «مثواي» [يوسف: ٢٣] يسكون الياء. وقرأ عاصم، وحمة، والكسائي «يا بشري» بألف بغير ياء. وعاصم بفتح الراء، وحمة، والكسائي يميلانها. قال الزجاج: من قرأ «يا بشراي» فهذا النداء تنبيه للمخاطبين، لأن البشري لا تجيب ولا تعقل؛ فالمعنى: أبشروا، ويا أيها البشري هذا من أوانك، وكذلك إذا قلت: يا عجباه، فكأنك قلت: اعجبوا، ويا أيها العجب هذا من حينك؛ وقد شرحنا هذا المعنى [عمود: ٦٩ و ٧٤]. فاما قراءة من قرأ ﴿يَبُشْشَىٰ﴾ فيجوز أن يكون المعنى: يا من حضر، هذه بشري. ويجوز أن يكون المعنى: يا بشري هذا أوانك، على ما سبق بيانه من تنبيه الحاضرين. وذكر السدي أنه نادى بذلك أحدهم وكان اسمه بشري. وقال ابن الأنباري: يجوز فيه هذه الأقوال، ويجوز أن يكون اسم امرأة. وقرأ أبو رجاء، وابن أبي عبيدة: «يا بُشْرِي» بتشديد الياء وفتحها من غير ألف. قال ابن عباس: لما أدلى دَلْوُهُ؛ تعلق يوسف بالحبل فنظر إليه فإذا غلام أحسن ما يكون من الغلمان، فقال لأصحابه: البشري، فقالوا: ما وراءك؟ قال: هذا غلام في البئر، فأقبلوا يسألونه الشركة فيه، واستخرجوه من الجُبِّ، فقال بعضهم لبعض: اكتنموه عن أصحابكم لئلا يسألونكم الشركة فيه، فإن قالوا: ما هذا؟ فقولوا: استبضعناه أهل الماء لنبيعه لهم بمصر؛ فجاء إخوة يوسف فطلبوه فلم يجدوه في البئر، فنظروا، فإذا هم بالقوم ومعهم يوسف، فقالوا لهم: هذا غلام أبى منا، فقال مالك بن دعر: فأننا اشتريه منكم، فباعوه بعشرين درهماً وحلّة ونعلين، وأسره مالك بن دعر من أصحابه، وقال: استبضعناه أهل الماء لنبيعه لهم بمصر.

قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّهُ بِضَاعَةً﴾ قال الزجاج: «بضاعة» منصوب على الحال، كأنه قال: وأسره جاعليه بضاعة. وقال ابن قتية: أسروا في أنفسهم أنه بضاعة وتجارة. وفي الفاعلين لذلك قولان: أحدهما: أنهم وارده الجب، أسروا ابتياعه عن باقي أصحابهم، وتواصوا أنه بضاعة استبضعهم إياها أهل الماء؛ وقد ذكرنا هذا المعنى عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: أنهم إخوته، أسروا أمره، وباعوه، وقالوا: هو بضاعة لنا، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس أيضاً<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَمْكُرُ﴾ يعم الباعة والمشتريين.

﴿وَأَسَرُّهُ بِضَاعَةً يَتَجَرَّ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةً وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّهُ﴾ هذا حرف من حروف الأضداد، تقول: شريت الشيء، بمعنى بعته: وشريت، بمعنى

(١) قال ابن جرير الطبري ١٦٩/١٢، طبع الباقي الحلبي: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: وأسّر وارد القوم المدلي دلوه ومن معه من أصحابه من رفقة السيارة أمر يوسف أنهم اشتروه بخفيه منهم أن يستشركوهم، وقالوا لهم: هو بضاعة أبضعها معنا أهل الماء، وذلك أنه عقيب الخبر عنه، فلأن يكون ما وليه من الخبر خيراً عنه، أشبه من أن يكون خيراً ممن هو بالخبر عنه غير متصل.

اشترته. فإن كان بمعنى باعوه، ففيهم قولان: أحدهما: أنهم إخوانه، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنهم السيارة، ولم يبعه إخوانه، قاله الحسن، وقتادة. وإن كان بمعنى اشتروه، فإنهم السيارة.

قوله تعالى: ﴿يَتَمَنَّيَنَّ بَنِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحرام، قاله ابن عباس، والضحاك، وقتادة في آخرين. والثاني: أنه القليل، قاله عكرمة، والشعبي. قال ابن قتبية البخس: الخسيس الذي يُخس به البائع. والثالث: الناقص، وكانت الدراهم عشرين درهماً في العدد، وهي تنقص عن عشرين في الميزان، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿دَرَكَمٌ مَّعْدُودَةٌ﴾ قال الفراء: إنما قيل: «معدودة» لِيُسْتَدَلَّ بها على القلة. وقال ابن قتبية: أي: سيرة، سهل عددها لقلتها، فلو كانت كثيرة لثقل عددها. وقال ابن عباس: كانوا في ذلك الزمان لا يَزِنُونَ أقل من أربعين درهماً، وقيل: إنما لم يَزِنُوها لزهدهم فيه. وفي عدد تلك الدراهم خمسة أقوال: أحدها: عشرون درهماً، قاله ابن مسعود، وابن عباس في رواية، وعكرمة في رواية، ونوف الشامي، وهب بن منبه، والشعبي، وعطية، والسدي، ومقاتل في آخرين. والثاني: عشرون درهماً وحلّة، ونعلان، وروي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: اثنان وعشرون درهماً، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والرابع: أربعون درهماً، قاله عكرمة في رواية، وابن إسحاق. الخامس: ثلاثون درهماً، ونعلان، وحلّة، وكانوا قالوا له بالعبرانية: إما أن تُقَرَّلَ لنا بالعبودية، وإما أن نأخذك منهم فقتلك، قال: بل أقر لكم بالعبودية، ذكره إسحاق بن بشر عن بعض أشياخه. قال المفسرون: اقتسموا ثمنه، فاشتروا به نعالاً وخفافاً. وكان بعض الصالحين يقول: والله ما يوسف - وإن باعه أعداؤه - بأعجب منك في بيعك نفسك بشهوة ساعٍ من معاصيك.

قوله تعالى: ﴿وَكَاثُرًا فِيهِ مِنَ الْأَزْوَاجِ﴾ الزهد: قلة الرغبة في الشيء. وفي المشار إليه قولان: أحدهما: أنهم إخوانه، قاله ابن عباس؛ فعلى هذا، في هاء «فيه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى يوسف، لأنهم لم يعلموا مكانه من الله تعالى، قاله الضحاك، وابن جريج. والثاني: أنها ترجع إلى الثمن. وفي علّة زهدهم قولان: أحدهما: رداؤه. والثاني: أنهم قصدوا بُعد يوسف، لا الثمن. والثاني: أنهم السيارة الذين اشتروه. وفي علّة زهدهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ارتابوا لقلّة ثمنه. والثاني: أن إخوانه وصفوه عندهم بالخيانة والإباق. والثالث: لأنهم علموا أنه حر.

﴿وَقَالَ الْكَلْبُ اشْتَرِنِي مِنْ بَعْضِ لَمَرَأَتَيْهِ أَكْثَرِي مَثْوًى عَسَى أَنْ يَنْفَعَنِي أَوْ تَنْخِذُوا وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْكَلْبُ اشْتَرِنِي مِنْ بَعْضِ﴾ قال وهب: لما ذهبت به السيارة إلى مصر، وقفوه في سوقها يعرضونه للبيع، فتزايد الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكاً، وزنه ورقاً، وزنه حبراً، فاشتراه بذلك الثمن رجل يقال له: قطفير، وكان أمين فرعون وخازنه، وكان مؤمناً. وقال ابن عباس: إنما اشتراه قطفير من مالك بن ذعر بعشرين ديناراً، وزوجني نعل، وثوبين أبيضين، فلما رجع إلى منزله قال لامرأته: أكرمي مثواه. وقال قوم: اسمه أطفير. وفي اسم المرأة قولان: أحدهما: راعيل بنت راعيل، قاله ابن إسحاق. والثاني: أزيلخا بنت تملیخا، قاله مقاتل. قال ابن قتبية: ﴿أَكْثَرِي مَثْوًى﴾ يعني أكرمي منزله ومقامه عندك، من قولك: ثويت بالمكان: إذا أقمت به. وقال الزجاج: أحسنني إليه في طول مقامه عندنا. قال ابن مسعود: أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين تفرس في يوسف، فقال لامرأته: ﴿أَكْثَرِي مَثْوًى عَسَى أَنْ يَنْفَعَنِي﴾، وابنة شعيب حين قالت: ﴿يَا أَيُّهَا اسْتَجِرْهُ﴾ [القصر: ٢٢٦]، وأبو بكر حين استخلف عمر. وفي قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنِي﴾ قولان: أحدهما: يكفيني إذا بلغ أمورنا. والثاني: بالربح في ثمنه.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَنْخِذُوا وَلَدًا﴾ قال ابن عباس: تنبأه. وقال غيره: لم يكن لهما ولد، وكان العزيز لا يأتي النساء. قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ أي: وكما أنجبنا من إخوانه وأخرجنا من ظلمة الحب، مكناً له في الأرض، أي: ملكناه في أرض مصر فجعلناه على خزانها. ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ﴾ قال ابن الأنباري: إنما دخلت الواو في «ولنعلمه» لفعل مضمّر هو المجتلب للام، والمعنى: مكناً ليوسف في الأرض، واختصاصه بذلك لكي نعلمه من تأويل



الزجاج: المعنى: راودته عما أرادته مما يريد النساء من الرجال. ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ قرأ ابن كثير: «هَيْتُ لَكَ» بفتح الهاء وتسكين الياء وضم التاء. وقرأ نافع، وابن عامر: «هَيْتُ لَكَ» بكسر الهاء وتسكين الياء وفتح التاء، وهي مروية عن علي بن أبي طالب. وروى الخُلواني عن هشام عن ابن عامر مثله، إلا أنه همزه. قال أبو علي الفارسي: هو خطأ. وروي عن ابن عامر: «هَيْتُ لَكَ» بكسر الهاء وهمز الياء وضم التاء، وهي قراءة ابن عباس، وأبي الدرداء، وقتادة. قال الزجاج: هو من الهيئة، كأنها قالت: نهيات لك. وعن ابن محيصن، وطلحة بن مصرف مثل قراءة ابن عباس؛ إلا أنها بغير همز. وعن ابن محيصن بفتح الهاء وكسر التاء، وهي قراءة أبي رزين، وحמיד. وعن الوليد بن عتبة بكسر الهاء والتاء مع الهمز، وهي قراءة أبي العالية. وقرأ ابن خثيم مثله، إلا أنه لم يهمز. وعن الوليد بن مسلم عن نافع بكسر الهاء وفتح التاء مع الهمز. وقرأ ابن مسعود، وابن السميع، وابن يعمر، والجحدري: «هَيْتُ لَكَ» برفع الهاء والتاء وبياء مشددة مكسورة بعدها همزة ساكنة. وقرأ أبي بن كعب: «ها أنا لك». وقرأ الباقر بن فتح الهاء والتاء بغير همز. قال الزجاج: وهو أجود اللغات، وأكثرها في كلام العرب، ومعناها: هلم لك، أي: أقبل على ما أدعوك إليه، وقال الشاعر:

أَبْلُغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخَا الْمِرَاقِ إِذَا أَتَيْتَنَا<sup>(١)</sup>  
أَنَّ الْمِرَاقَ وَأَهْلَهُ عُنُقٌ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتَا

أي: فأقبل وتعال. وقال ابن قتيبة؛ يقال: هَيْتَ فلان لفلان: إذا دعاه وصاح به، قال الشاعر:

قَدْ رَابِنِي أَنَّ الْكَرِيَّ أَسْكَتَا  
لَوْ كَانَ مَعْنِيًّا بِهَا لَهَيْتَا<sup>(٢)</sup>

أي: صار ذا سكوت. واختلف العلماء في قوله: «هَيْتُ لَكَ» بأي لغة هي، على أربعة أقوال: أحدها: أنها عربية، قاله مجاهد. وقال ابن الأنباري: وقد قيل: إنها من كلام قريش، إلا أنها مما درس وقلَّ في أفواههم آخرًا، فأتى الله به، لأن أصله من كلامهم، وهذه الكلمة لا مصدر لها، ولا تصرف، ولا تثنية، ولا جمع، ولا تانيث، يقال: لاثنين: هيت لكما، وللجميع؛ هيت لكم، وللنسوة: هيت لَكُنَّ. والثاني: أنها بالسريانية، قاله الحسن. والثالث: بالهورانية، قاله عكرمة، والكسائي. وقال الفراء: يقال: إنها لغة لأهل حوران، سقطت إلى أهل مكة فتكلموا بها. والرابع: أنها بالقطبية، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ مَتَا ذَا اللَّهِ﴾ قال الزجاج: هو مصدر، والمعنى: أعود بالله أن أفعل هذا، يقال: عدت عيادًا ومعادًا ومعادة. ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ أي: إن العزيز صاحبي ﴿أَحْسَنَ تَوَاتُيًّا﴾، قال: ويجوز أن يكون ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ يعني الله ﷻ ﴿أَحْسَنَ تَوَاتُيًّا﴾ أي: تواتني في طول مقامي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَخْلُقُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: إن فعلت هذا فخته في أهله بعدما أكرمني فأنا ظالم. وقيل: الظالمون هاهنا: الزناة.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَدُوهَا وَلَوْ أَنَّ دَمًا بَرَّهَنَّ رَبِّي﴾ كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُتَّخِلِينَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَدُوهَا﴾ الهم بالشيء في كلام العرب: حديث المرء نفسه بمواقفته ما لم يواقع. فأما همّ أزيحها، فقال المفسرون: دعت إلى نفسها واستلقت له. واختلفوا في همّ بها على خمسة أقوال: أحدها: أنه كان من جنس همّها، فلولا أن الله تعالى عصمه لفعل، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن، وسعيد بن جبيرة، والضحاك، والسدي، وهو قول عامة المفسرين المتقدمين، واختاره من المتأخرين جماعة منهم ابن جرير، وابن الأنباري. وقال ابن قتيبة: لا يجوز في اللغة: هممت بفلان، وهم بي، وأنت تريد: اختلاف الهمين. واحتج من نصر هذا القول بأنه مذهب الأكثرين من السلف والعلماء الأكابر، ويدل عليه ما سنذكره من أمر البرهان الذي رآه. قالوا: ورجوعه عما هم به من ذلك خوفًا من الله تعالى يمحو عنه سبب الهيم، ويوجب له علو المنازل، ويدل على هذا الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ: أن

(١) البيتان في مجاز القرآن ١/٣٠٥، والطبري ١٢/١٧٩، والقرطبي ٩/١٦٤، والصحاح: واللسان، والتاج: هيت. وقوله: عنق، أي: مائلون إليك ومتطرون.

(٢) البيت غير منسوب في «غريب القرآن» ٢١٥، واللسان: هيت، والقرطبي ٩/١٦٥، والشرط الثاني في «الصحاح»: هيت. والكرّي: المستأجر.

ثلاثة خرجوا فلجؤوا إلى غار، فانطبقت عليهم صخرة، فقالوا: ليذكر كل واحد منكم أفضل علمه. فقال أحدهم: اللهم إنك تعلم أنه كانت لي بنت عم فراودتها عن نفسها فأبت إلا بمائة دينار، فلما أتيها بها وجلست منها مجلس الرجل من المرأة، أرعدت وقالت: إن هذا لعمل ما عملته قط، فممت عنها وأعطيتها المائة دينار، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا، فزال ثلث الحجر. والحديث معروف<sup>(١)</sup>، وقد ذكرته في «الحقائق»، فعلى هذا نقول: إنما همت، فترقت همتها إلى العزيمة، فصارت مصرّة على الزنى. فأما هو، فعارضه ما يعارض البشر من خطرات القلب، وحديث النفس، من غير عزم، فلم يلزمه هذا الهم ذنباً، فإن الرجل الصالح قد يخطر بقلبه وهو صائم شرب الماء البارد، فإذا لم يشرب لم يواخذ بما هجس في نفسه، وقد قال ﷺ: «عفي لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل»<sup>(٢)</sup> وقال ﷺ: «هلك المصرون»، وليس الإصرار إلا عزم القلب، فقد فرق بين حديث النفس وعزم القلب. وسئل سفيان الثوري: أيواخذ العبد بالهمة؟ فقال: إذا كانت عزمًا. ويؤيده الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: إذا هم عبدي بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإن عملها كتبها عليه سيئة»<sup>(٣)</sup>. واحتج القاضي أبو يعلى على أن همته لم تكن من جهة العزيمة، وإنما كانت من جهة دواعي الشهوة بقوله: «قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَجَعَ» وقوله: «كَذَلِكَ يُصَرِّفُ عَنْهُ الشَّوَّةَ وَالْفَحْشَاءَ» وكل ذلك إخبار ببراءة ساحته من العزيمة على المعصية. فإن قيل: فقد سوى القرآن بين الهمتين، فلم فرقتم؟ فالجواب: أن الاستواء وقع في بداية الهمة، ثم تركزت همتها إلى العزيمة، بدليل مرادتها واستلقاتها بين يديه، ولم تعدد همتها مقامها، بل نزلت عن رتبتها، وانحل معقودها، بدليل هربه منها، ويقول: «معاذ الله»، وعلى هذا تكون همته مجرد خاطر لم يخرج إلى العزم. ولا يصح ما يروى عن المفسرين أنه حلّ السراويل وقعد منها مقعد الرجل، فإنه لو كان هذا، دل على العزم، والأنبياء معصومون من العزم على الزنى. والقول الثاني: أنها همت به أن يفرشها، وهم بها، أي: تمناها أن تكون له زوجة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والقول الثالث: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها، فلما رأى البرهان، لم يقع منه الهم، فقدم جواب «لولا» عليها، كما يقال: قد كنت من الهالكين، لولا أن فلاناً خلّصك، لكنت من الهالكين، ومنه قول الشاعر:

فَلَا يَذْعُنِي قَوْمِي صَرِيحًا لِحُرَّةٍ لئن كنت مقتولاً وتسلم عامرٌ

أراد: لئن كنت مقتولاً وتسلم عامر، فلا يدعني قومي، فقدم الجواب. وإلى هذا القول ذهب قطرب، وأنكره قوم، منهم ابن الأنباري، وقالوا: تقديم جواب «لولا» عليها شاذ مستكره، لا يوجد في فصيح كلام العرب، فأما البيت المستشهد به فمن اضطراب الشعراء، لأن الشاعر يضيق الكلام به عند اهتمامه بتصحيح أجزاء شعره، فيضع الكلمة في غير موضعها، ويقدم ما حكمه التأخير، ويؤخر ما حكمه التقديم، ويعدل عن الاختيار إلى المستقيح للضرورة، قال الشاعر:

جَزَى رُبُّهُ عَنِّي عَدِيٌّ بَنَ حَايِمٍ بِتَرْكِي وَخِذْلَانِي جَزَاءَ مَوْثَرٍ

تقديره: جزى عني عدِيٌّ بن حاتم رُبُّه، فاضطر إلى تقديم الرب. وقال الآخر:

لَمَّا جَفَا إِخْوَانُهُ مُضْعَبًا أَدَّى بِذَاكَ الْبَيْعِ صَاعًا بِصَاعٍ

أراد: لما جفا مصعباً إخوانه، وأنشد الفراء:

طَلَبًا لَعُرْفِكَ يَا ابْنَ يَحْيَى بَغْدَنًا تَنَقَّطَتْ بِي دُونَكَ الْأَسْبَابُ

فزاد تاء على «تنقطعت» لا أصل لها ليصلح وزن شعره، وأنشد ثعلب:

(١) هو في «صحيح البخاري» ٣٤٠/٤ و ٣٦٩ و ١٢/٥ و ٣٦٧/٦، ومسلم ٢٠٩٩/٤، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ؓ.

(٢) رواه البخاري ١١٦/٥ و ٤٧٨/١١ ولفظه: «إن الله تجاوز لأمتي عما وسوس أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم به»، ورواه مسلم ١١٧/١ ولفظه: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تكلم به». ورواه أيضاً أصحاب السنن الأربعة، كلهم عن أبي هريرة ؓ.

(٣) رواه مسلم ١١٧/١.



إِنَّ شَكْلِي وَإِنْ شَكَّلَكَ شَيْئٌ

قَالَ زَيْمِي الْخَفْضُ وَانْعَمِي تَبَيَّضُضِي<sup>(١)</sup>

فزاد ضاداً لا أصل لها لتكمل أجزاء البيت، وقال الفرزدق:

هُمَا تَفْلَا فِي فِيٍّ مِنْ فَمَوْنِهِمَا

عَلَى النَّايِحِ الْعَاوِي أَشَدُّ لِحَامِيَا

فزاد وواو بعد الميم ليصلح شعره. ومثل هذه الأشياء لا يحمل عليها كتاب الله النازل بالفصاحة، لأنها من ضرورات الشعراء. والقول الرابع: أنه هم أن يضربها ويدفعها عن نفسه، فكان البرهان الذي رآه من ربه أن الله أوقع في نفسه أنه إن ضربها كان ضربه إياها حجة عليه، لأنها تقول: راودني فمئنته فضربني، ذكره ابن الأنباري. والقول الخامس: أنه هم بالفرار منها، حكاة الثعلبي، وهو قول مردول، أقتره أراد الفرار منها، فلما رأى البرهان، أقام عندها! قال بعض العلماء: كان هم يوسف خطيئة من الصغائر الجائزة على الأنبياء، وإنما ابتلاهم بذلك ليكونوا على خوف منه، وليعرفهم مواقع نعمته في الصفح عنهم، وليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء الرحمة. قال الحسن: إن الله تعالى لم يقصص عليكم ذنوب الأنبياء تعبيراً لهم، ولكن لئلا تقنطوا من رحمته. يعني الحسن: أن الحجة للأنبياء ألزم، فإذا قبل التوبة منهم، كان إلى قبولها منكم أسرع. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من أحد يلقى الله تعالى إلا وقد هم بخطيئة أو عملها، إلا يخشى بن زكريا، فإنه لم يهم ولم يعملها»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْ رَمَا بُرْهَانٌ رَبِّي﴾ جواب «لولا» محذوف. قال الزجاج: المعنى: لولا أن رأى برهان ربه لأمضى ما هم به. قال ابن الأنباري: لزنا، فلما رأى البرهان كان سبب انصراف الزنى عنه. وفي البرهان ستة أقوال: أحدها: أنه مثل له يعقوب. روى ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال: نُودِي: يا يوسف، أتزني فتكون مثل الطائر الذي تَفُفَ ريشه فذهب يطير فلم يستطع؟ فلم يعط على النداء شيئاً، فنودي الثانية، فلم يعط على النداء شيئاً، فتمثل له يعقوب فضرِبَ صدره، فقام، فخرجت شهوته من أنامله. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: رأى صورة أبيه يعقوب في وسط البيت عاصباً على أنامله، فادبر هارباً، وقال: وحَقُّك يا أبت لا أعود أبداً. وقال أبو صالح عن ابن عباس: رأى مثال يعقوب في الحائط عاصباً على شفتيه. وقال الحسن: مثل له جبريل في صورة يعقوب في سقف البيت عاصباً على إبهامه أو بعض أصابعه. وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، وابن سيرين، والضحاك في آخرين. وقال عكرمة: كل ولد يعقوب، قد ولد له اثنا عشر ولداً، إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر ولداً، فنقص بتلك الشهوة ولداً. والثاني: أنه جبريل عليه السلام. روى ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال: مثل له يعقوب فلم يزدجر، فنودي: أتزني فتكون مثل الطائر تنف ريشه! فلم يزدجر حتى ركضه جبريل في ظهره، فوثب. والثالث: أنها قامت إلى صنم في زاوية البيت فسترته بثوب، فقال لها يوسف: أي شيء تصنعين؟ قالت: أستحي من إلهي هذا أن يراني على هذه السراة، فقال: أتستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع، ولا أستحي من إلهي القائم على كل نفس بما كسبت؟ فهو البرهان الذي رأى، قاله علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين، والضحاك. والرابع: أن الله بعث إليه ملكاً، فكتب في وجه المرأة بالدم: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّكُمْ كَانْتُمْ حَشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾<sup>(٣)</sup> قاله الضحاك عن ابن عباس. وروي عن محمد بن كعب القرظي: أنه رأى هذه الآية مكتوبة بين عينيه، وفي رواية أخرى عنه، أنه رآها مكتوبة في الحائط. وروي مجاهد عن ابن عباس قال: بدت فيما بينهما كف ليس فيها عضد ولا معصم، وفيها مكتوب: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّكُمْ كَانْتُمْ حَشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾<sup>(٤)</sup> [الإسراء: ٣٢] فقام هارباً، وقامت، فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد، فلما قعد إذا بكف قد بدت فيما بينهما فيها مكتوب: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ فَيُذِئِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] فقام هارباً، فلما عاد، قال الله تعالى لجبريل: أدرك عبيد قبل أن يصيب الخطيئة، فانحط جبريل عاصباً على كفه أو أصبعه

(١) البيت في «مشكل القرآن» ٢٣٥، و«الطبري» ٢١٤/١، و«أمالى ابن السجري» ١٩٧/١، و«اللسان»: يبيض، خفض.

(٢) الحديث في «الطبري» ٣٧٧/٦، ٣٧٨ موقوفاً ومرفوعاً بالفاظ مختلفة، وأورده ابن كثير ٣٦١/١ من رواية ابن أبي حاتم مرفوعاً عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وموقوفاً، ووصف المرفوع بأنه غريب جداً، وقال بعد أن ذكر الموقوف: فهذا موقوف أصح إسناداً من المرفوع. وذكره السيوطي في «الدر» ٢/ ٢٢ مرفوعاً وموقوفاً أيضاً، وقال: وهو أقوى إسناداً من المرفوع.

وهو يقول: يا يوسف، أتعلم عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الأنبياء ١٩. وقال وهب بن منبه: ظهرت تلك الكف وعليها مكتوب بالعبرانية: ﴿أَمَتٌ هُوَ قَاهِرٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ يَمَّا كَسَبَتْ﴾ [الرمز: ٢٣] فانصرفا، فلما عادا رجعت وعليها مكتوب: ﴿وَلَنْ عَلَيْكُمْ حُكُومٌ﴾ ٢٠ ﴿كِرَامًا كَثِيرِينَ﴾ ٢١ [الأنظار: ١٠، ١١]، فانصرفا، فلما عادا عادت وعليها مكتوب: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ﴾ الآية، فعاد، فعادت الرابعة وعليها مكتوب: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، فولى يوسف هارباً. والخامس: أنه سيده العزيز دنا من الباب، رواه ابن إسحاق عن بعض أهل العلم. وقال ابن إسحاق: يقال: إن البرهان خيال سيده، رآه عند الباب فهرب. والسادس: أن البرهان أنه علم ما أحل الله مما حرم الله، فرأى تحريم الزنى، روي عن محمد بن كعب القرظي. قال ابن قتيبة: رأى حجة الله عليه، وهي البرهان، وهذا هو القول الصحيح، وما تقدمه فليس بشيء، وإنما هي أحاديث من أعمال القصاص، وقد أشرت إلى فسادها في كتاب «المغني في التفسير». وكيف يُظن بنبي الله كريم أنه يخوف ويرعب ويضطر إلى ترك هذه المعصية وهو مصر؟! هذا غاية القبح ٢٢.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كذلك أريناه البرهان ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّؤْمَ﴾ وهو خيانة صاحبه ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ ركوب الفاحشة. ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْغُلَامِينَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر بكسر اللام، والمعنى: إنه من عبادنا الذين أخلصوا دينهم. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي بفتح اللام، أرادوا: من الذين أخلصهم الله من الأسواء والفواحش. وبعض المفسرين يقول: السوء: الزنى، والفحشاء: المعاصي.

﴿وَأَسْبَقَ الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ فَأَلَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٢٣ قَالَ مِنْ رَدَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِيهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قُبُلِي فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ٢٤ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٢٥

قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَقَ الْبَابَ﴾ يعني يوسف والمرأة، تبادرا إلى الباب يجتهد كل واحد منهما أن يسبق صاحبه، وأراد يوسف أن يسبق ليفتح الباب ويخرج، وأرادت هي أن تسبق إمساك الباب لئلا يخرج، فأدركته فتعلقت بقميصه من خلف، فجدبته إليها، فقدت قميصه من دبر، أي: قطعت من خلفه، لأنه كان هو الهارب وهي الطالبة له. قال المفسرون: قطعت قميصه نصفين، فلما خرجا، ألقيا سيدهما، أي: صادفا زوجها عند الباب، فحضرها في ذلك الوقت كيد، فقالت سابقة بالقول مبرقة لنفسها من الأمر: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ قال ابن عباس: تريد الزنى ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ﴾ أي: ما جزاؤه إلا السجن ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ تعني الضرب بالسياط، فغضب يوسف حيثئذ وقال: ﴿هِيَ رَدَدْتَنِي﴾. وقال وهب بن منبه: قال له العزيز حيثئذ: أختنتي يا يوسف في أهلي، وغدرت بي، وغررتني بما كنت أرى من صلاحك؟ فقال حيثئذ: ﴿هِيَ رَدَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي﴾

قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِيهَا﴾ وذلك أنه لما تعارض قولاهما، احتاجا إلى شاهد يُعَلِّمُ به قول الصادق. وفي ذلك الشاهد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان صبياً في المهد، رواه عكرمة عن ابن عباس، وشهر بن حوشب عن أبي هريرة، وبه قال سعيد بن جبير، والضحاك، وهلال بن يساف في آخرين. والثاني: أنه كان من خاصة الملك، رواه ابن أبي مليكة عن ابن عباس. وقال أبو صالح عن ابن عباس: كان ابن عم لها، وكان رجلاً حكيماً، فقال: قد سمعنا الاشتداد والجلبة من وراء الباب، فإن كان شئ القميص من قدامه فأنت صادقة وهو كاذب، وإن كان من خلفه فهو صادق وأنت كاذبة. وقال بعضهم: كان ابن خالة المرأة. والثالث: أنه شئ القميص، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وفيه ضعف، لقوله: «من أهلها». فإن قيل: كيف وقعت شهادة الشاهد هاهنا معلقة بشرط، والشارط غير عالم بما يشرطه؟ فمتى جوابان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أن الشاهد شاهد بأمر قد علمه، فكانه سمع بعض كلام

(١) قال أبو جعفر بن جرير الطبري ١٢/١٩١: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر عن مِّمَّ يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه، لولا أن رأى يوسف برهان ربه، وذلك آية من آيات الله زجرته عن ركوب ما مِمَّ به يوسف من الفاحشة، وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب، وجائز أن تكون صورة الملك، وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنى، ولا حجة للعلل قاطعة بأي ذلك من أي، والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى، والإيمان به، وترك ما عدا ذلك إلى هاليم.

يوسف وأزليخا، فعلم، غير أنه أوقع في شهادته شرطاً ليلزم المخاطبين قبول شهادته من جهة العقل والتمييز، فكانه قال: هو الصادق عندي، فإن تدبرتم ما أشرطه لكم، عقلتُم قولي. ومثل هذا قول الحكماء: إن كان القدر حقاً، فالحرص باطل، وإن كان الموت يقيناً، فالطمأنينة إلى الدنيا حق. والجواب الثاني: أن الشاهد لم يقطع بالقول، ولم يعلم حقيقة ما جرى، وإنما قال ما قال على جهة إظهار ما يسع له من الرأي، فكان معنى قوله: «وشهد شاهد: أعلم ويؤمن». فقال: الذي عندي من الرأي أن نقيس القميص ليوقف على الخائن. فهذان الجوابان يدلان على أن المتكلم رجل. فإن قلنا: إنه صبي في المهد، كان دخول الشرط مصححاً لبراءة يوسف، لأن كلام مثله أعجوبة ومعجزة لا يبقى معها شك.

﴿فَلَمَّا رَأَى قَيْصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (٢٨)

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَيْصَهُ﴾ في هذا الرائي والقائل: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ قولان: أحدهما: أنه الزوج. والثاني: الشاهد. وفي هاء الكناية في قوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى تمزيق القميص، قاله مقاتل. والثاني: إلى قولها: ﴿بِمَا جَزَأَهُ مِنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾، فالمعنى: قولك هذا من كيدك، قاله الزجاج. والثالث: إلى السوء الذي دعت إليه، ذكره الماوردي. قال ابن عباس: «إن كيدكن» أي: عملكن «عظيم» تخلطن البريء والسقيم.

﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرَ لِذَنْبِكُ لِأَنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ (٢٩) ﴿وَقَالَ يَسُوهُ فِي الْمَدِينَةِ أَمْرًا تَزِيرُ تُرِيدُ فَنَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٣٠)

قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾ المعنى: يا يوسف أعرض. وفي القائل له هذا قولان: أحدهما: أنه ابن عمها وهو الشاهد، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الزوج، ذكره جماعة من المفسرين. قال ابن عباس: أعرض عن هذا الأمر فلا تذكره لأحد، واكتمه عليها. وروى الحلبي عن عبد الوارث: «يوسف أعرض عن هذا» بفتح الراء على الخبر. قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرَ لِذَنْبِكُ﴾ فيه قولان: أحدهما: استغفني زوجك لثلاثا يعاقبك، قاله ابن عباس. والثاني: توبي من ذنبك فإنك قد أثمت. وفي القائل لهذا قولان: أحدهما: ابن عمها. والثاني: الزوج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ يعني: من المذنبين. قال المفسرون: ثم شاع ذلك الحديث في مصر حتى تحدث بذلك النساء، وهو قوله: ﴿وَقَالَ يَسُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾، وفي عددهن قولان: أحدهما: أنهن كن أربعاً: امرأة ساقى الملك، وامرأة صاحب دواته، وامرأة خبازه، وامرأة صاحب سجنه، قاله ابن عباس. والثاني: أنهن خمس: امرأة الخباز، وامرأة الساقى، وامرأة السجان، وامرأة صاحب الدواة، وامرأة الآذن، قاله مقاتل. فأما العزيز، فهو بلغتهم الملك، والفتى بمعنى العبد. قال الزجاج: كانوا يسمون المملوك فتى. وإنما تكلم النسوة في حقها، طعناً فيها، وتحقيقاً لبراءة يوسف.

قوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أي: بلغ حبه شغاف قلبها. وفي الشغاف أربعة أقوال: أحدها: أنه جلد بين القلب والفرود، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أنه غلاف القلب، قاله أبو عبيدة. قال ابن قتيبة: ولم يرد الغلاف، إنما أراد القلب، يقال: شغفت فلاناً: إذا أصبت شغافه، كما يقال: كبذته: إذا أصبت كبده، وبطنته: إذا أصبت بطنه. والثالث: أنه حبة القلب وسويده. والرابع: أنه داء يكون في الجوف في الشراسيف، وأنشدوا:

وَقَدْ خَالَ هَمْ ذُنْ ذَلِكَ دَاخِلٌ دُخُولُ الشَّغَافِ تَبْتَغِيهِ الْأَصَابِعُ<sup>(١)</sup>

ذكر القولين الزجاج. وقال الأصمعي: الشغاف عند العرب: داء يكون تحت الشراسيف في الجانب الأيمن من البطن، والشراسيف: مقام رؤوس الأضلاع، واحدها: شرسوف. وقرأ عبد الله بن عمرو، وعلي بن الحسين، والحسن

(١) البيت للناطقة الذيباني، «ديوانه» ٧٩، ومجاز القرآن ١/٣٠٨، والطبري ١٢/١١٠، والأمازي لالقائي ١/٢٠٥، والسبعة ٤٨٩، والصالح، «اللسان»، «التاج»: شغف، «القرطبي» ٩/١٧٦، «الغزاة» ١/٤٢٩.

البصري، ومجاهد، وابن محيصن، وابن أبي عبيدة: «قد شعفها» بالعين. قال الفراء: كأنه ذهب بها كل مذهب، والشَّعَف: رؤوس الجبال.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَيْنَهَا فِي سَكَلِي ثَيْنٍ﴾ أي: عن طريق الرشد، لحبها إياه. والميين الظاهر. ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ رَجُلٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودْنَهُ عَنْ قَعْدِهِ فَاسْتَمَعَمَ وَلَكِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا مَأْمُورٌ لِّيَصْغَنَ وَلِيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ﴾ يعني: امرأة العزيز، ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه قولهن وعيبن لها، قاله ابن عباس، وقتادة، والسدي، وابن قتيبة. قال الزجاج: وإنما سمي هذا القول مكرًا، لأنها كانت أطلعتن على أمرها، واستكتمتن، فمكرن وأفشين سرها. والثاني: أنه مكر حقيقة، وإنما قلن ذلك مكرًا بها لترهين يوسف، قاله ابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾ قال الزجاج: أفعلت من العتاد، وكل ما اتخذته عُدَّةً لشيء فهو عتاد، والعتاد: الشيء الثابت اللازم. وقال ابن قتيبة: أعدت بمعنى أعدت. فأما المتكأ، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المجلس؛ فالمعنى: هيات لهن مجلسًا، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنه الوسائد اللاني يتكئن عليها، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال الزجاج: المتكأ: ما يُتَكأ عليه لطعام أو شراب أو حديث. والثالث: أنه الطعام، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة. قال ابن قتيبة: يقال: اتكأنا عند فلان: إذا طعمنا، قال جميل بن معمر:

فَطَلَلْنَا فِي نَعْمَةٍ وَأَتَكْنَا وَشَرَبْنَا الْحَلَالَ مِنْ قُلَيْلَةٍ<sup>(١)</sup>

والأصل في هذا أن من دَعَوْتَه ليطعم، أعدت له التَّكَاة للمقام والطمانية، فسمي الطعام متكأً على الاستعارة. قال الأزهري: إنما قيل للطعام: متكأ، لأن القوم إذا قعدوا على الطعام اتكؤوا، ونُهِيت هذه الأمة عن ذلك<sup>(٢)</sup>. وقرأ مجاهد «متكأ» بإسكان التاء خفيفة، وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الأُتْرُج، قاله ابن عباس، ومجاهد، ويحيى بن يعمر في آخرين، ومنه قول الشاعر:

لَتَشْرَبَ الْإِنَّمُ بِالضُّوَاعِ جَهَارًا وَتَرَى الْمُتَّكَ بَيْنَنَا مُسْتَعَارًا<sup>(٣)</sup>

يريد: الأُتْرُج. والثاني: أنه الطعام أيضاً، قاله عكرمة. والثالث: أنه كل شيء يُحَرَّجُ بالسكاكين، قاله الضحاك. والرابع: أنه الزُّمَارِدُ<sup>(٤)</sup>، روي عن الضحاك أيضاً. وقد روي عن جماعة أنهم فسروا المتكأ بما فسروا به المتك، فروي عن ابن جريج أنه قال: المتكأ: الأُتْرُج، وكل ما يُحَرَّجُ بالسكاكين. وعن الضحاك قال: المتكأ: كل ما يُحَرَّجُ بالسكاكين. وقرئ آخرون بين القراءتين، فقال مجاهد: من قرأ «متكأ» بالثقل، فهو الطعام، ومن قرأ بالتخفيف، فهو الأُتْرُج. قال ابن قتيبة: من قرأ «متكأ» فإنه يريد الأُتْرُج، ويقال: الزُّمَارِدُ. وأياً ما كان، فإني لا أحسبه سمي متكأً إلا بالقطع، كأنه مأخوذ من البَتْكَ، فأبدلت الميم منه باء، كما يقال: سَمَد رأسه وسَبَدَه، إذا استأصله، وشر لازم، ولازب، والميم تبدل من الباء كثيراً، لقرب مخرجيهما.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَتْ كُلَّ رَجُلٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ إنما فعلت ذلك، لأن الطعام الذي قدمت لهن يحتاج إلى السكاكين. وقيل: كان مقصودها افتضاحهن بتقطيع أيديهن كما فضحنها. قال وهب بن منبه: ناولت كل واحدة منهن أُتْرُجَةً وسكينًا، وقالت لهن: لا تقطعن ولا تأكلن حتى أعلمكن، ثم قالت ليوسف: ﴿اخرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾. قال الزجاج: إن شئت ضمنت التاء من قوله: «وقالت»، وإن شئت كسرت، والكسر الأصل لسكون التاء والخاء، ومن ضم التاء، فلثقل

(١) «ديوانه» ١٨٨، و«مشكل القرآن» ١٣٨، و«أساس البلاغة»: قلل، و«الأغاني» ٩٧/٧، و«القرطبي» ١٧٨/٩، و«شرح شواهد المعنى» ١٢٦.

(٢) روى البخاري في «صحيحه» عن أبي جحيفة وهب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أكل وأنا متكأ».

(٣) البيت غير منسوب في «القرطبي» ١٧٨/١٢، و«اللسان»: أنم، و«التاج»: متك.

(٤) الزمَّارِد: الرقاق الملفوف باللحم، وغيره، أو هو شيء يشبه الأُتْرُج. وفي «الطبري»: الزمَّارِد، بدل: الزمَّارِد.

الضمّة بعد الكسرة. ولم يمكنه أن لا يخرج، لأنه بمنزلة العبد لها. وذكر بعض أهل العلم أنها إنما قالت: «أخرج وأضمرت في نفسها «عليهن»، فأخبر الحق عما في النفس كأن اللسان قد نطق به، ومثله ﴿إِنَّمَا تَلَوْتُمُوهُ لَوْتُمُوهُ...﴾ الآية (الإنسان: ٢٩)، لم يقولوا ذلك، إنما أضمره، ويدل على صحة هذا أنها لو قالت له وهو شاب مستحسن: أخرج على نسوة من طبعهن الفتنة، ما فعل. وفي قوله: ﴿أَكْبَرْنَ﴾ قولان: أحدهما: أَعْظَمَتْهُ، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال قتادة، وابن زيد. والثاني: حَضَنَ، رواه الضحاك عن ابن عباس. وروى علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: حَضَنَ مِنَ الْفَرْحِ، قال: وفي ذلك يقول الشاعر:

نَأْتِي النِّسَاءَ لَدَى أَطْهَارِهِنَّ وَلَا نَأْتِي النِّسَاءَ إِذَا أَكْبَرْنَ إِكْبَارًا<sup>(١)</sup>

وقد روى هذا المعنى ليث عن مجاهد، واختاره ابن الأنباري، وردّه بعض اللغويين، فروي عن أبي عبيدة أنه قال: ليس في كلام العرب «أكبرن» بمعنى «حَضَنَ»، ولكن عسى أن يَكُنْ من شدة ما أعظمته حَضَنَ، وكذلك روي عن الزجاج أنه أنكره.

قوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: حَزَزْنَ أَيْدِيَهُنَّ، وكن يحسبن أنهن يقطعن طعاماً، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ حَتَّى أَلْقَيْنَهَا، قاله مجاهد، وقاتدة. والثالث: كَلَمْنَ الْأَكُفَّ وَأَبْنُ الْأَنَامِلِ، قاله وهب بن منبه.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ قرأ أبو عمرو «حاشا» بألف في الوصل في الموضعين، واتفقوا على حذف الألف في الوقف، وأبو عمرو جاء به على التمام والأصل، والباقون حذفوا. وهذه الكلمة تستعمل في موضعين: أحدهما: الاستثناء. والثاني: التبرئة من الشر. والأصل «حاشا» وهي مشتقة من قولك: كنت في حشا فلان، أي في ناحيته. والحشا: الناحية، وأنشدوا:

بِأَيِّ الْحَشَا أَمْسَى الْخَلِيْطُ الْمُبَايِنُ

أي: بأي النواحي، والمعنى: صار يوسف في حشاً من أن يكون بشراً، لفرط جماله. وقيل: صار في حشاً مما قرفته به امرأة العزيز. و قال ابن عباس، ومجاهد: «حاش لله» بمعنى: معاذ الله. قال الفراء: و «بشراً» منصوب، لأن الباء قد استعملت فيه، فلا يكاد أهل الحجاز ينطقون إلا بالباء، فلما حذفوها أجبوا أن يكون لها أثر فيما خرجت منه، فنصبوا على ذلك، وكذلك قوله: ﴿عَا هُتْ أَتَهْتُهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وأما أهل نجد فيتكلمون بالباء وبغير الباء، فإذا أسقطوها، رفعوا، وهو أقوى الوجهين في العربية. قال الزجاج: قوله: الرفع أقوى الوجهين، غلط، لأن كتاب الله أقوى اللغات، ولم يقرأ بالرفع أحد. وزعم الخليل، وسيبويه، وجميع النحويين القدماء أن «بشراً» منصوب، لأنه خبر «ما»، و «ما» بمنزلة «ليس». قلت: وقد قرأ أبو المتوكل، وأبو نهيك، وعكرمة، ومعاذ القارئ في آخرين: «ما هذا بشر» بالرفع. وقرأ أبي بن كعب، وأبو الجوزاء، وأبو السَّوَّار: «ما هذا بِشَرٌّ» بكسر الباء والشين مقصوراً منوناً. قال الفراء: أي: ما هذا بمشترى. وقرأ ابن مسعود: «بشراء» بالمد والهمز مخفوضاً منوناً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ﴾ قرأ أبي، وأبو رزين، وعكرمة، وأبو حيو، والجحدري: «ملك» بكسر اللام. قوله تعالى: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ قال المفسرون: لما ذهلت عقولهن فقطعن أيديهن، قالت لهن ذلك. فإن قيل: كيف أشارت إليه وهو حاضر بقولها: «فذلكن»؟ فعنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أنها أشارت بـ «ذلكن» إلى يوسف بعد انصرافه من المجلس. والثاني: أن في الكلام إضمار «هذا» تقديره: فهذا ذلكن. ومعنى «لمتني فيه» أي: في حبه. ثم أقوت عندهن، فقالت: ﴿وَلَقَدْ زَوَّيْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ. فَاسْتَصَمَّ﴾ أي: امتنع.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَكُونَا مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ قال الزجاج: القراءة الجيدة تخفيف «وليكونن» والوقف عليها بالألف، لأن النون الخفيفة تبدل منها في الوقف الألف، تقول: اضربن زيداً، وإذا وقفت قلت: اضربا. وقد قرئت «وليكونن» بتشديد

(١) البيت غير منسوب في «الطبري» ١٢/٢٥٥، و«القرطبي» ١٢/١٨٠، و«اللسان»: كبر.

النون، وأكرمها، لخلاف المصحف، لأن الشديدة لا يبدل منها شيء والصاغرون: المذلون.

﴿قَالَ رَبِّ النَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا صَرَفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنِ وَأَكُنْ مِنَ الْكَاهِنِينَ﴾ (٣٣) ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٤)

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ النَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ قال وهب بن منبه: لما قالت: «فلذلك الذي لمتني فيه» قلن: لا لوم عليك، قالت: فاطلبن إلى يوسف أن يسعفني بحاجتي، فقلن: يا يوسف افعل، فقالت: لئن لم يفعل لأخلدنه السجن، فعند ذلك قال: ﴿رَبِّ النَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾. وقرأ يعقوب: «السَّجْن» بفتح السين هاهنا فحسب. قال الزجاج: من كسر سين «السجن» فعلى اسم المكان، فيكون المعنى: نزول السجن أحب إلي من ركوب المعصية، ومن فتح، فعلى المصدر، المعنى: أن أسجن أحب إلي. ﴿وَإِلَّا صَرَفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ أي: إلّا تعصمني ﴿أَصْبُ إِلَيْنِ﴾ أي: أبل إليهن. يقال: صبا إلى اللهو يصبو صبواً وصَبُوءاً وصَبَاءً. إذا مال. وقال ابن الأنباري: ومعنى هذا الكلام: اللهم اصرف عني كيدهن، ولذلك قال: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾. قال: فإن قيل: إنما كادته امرأة العزيز وحدها، فكيف قال: «كيدهن»؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن العرب توقع الجمع على الواحد، فيقول قائلهم: خرجت إلى البصرة في السفن، وهو لم يخرج إلا في سفينة واحدة. والثاني: أن المكثي عنه امرأة العزيز والنسوة اللاتي عاضدنها على أمرها. والثالث: أنه عنى امرأة العزيز وغيرها من نساء العالمين اللاتي لهن مثل كيدها.

﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ فِي بَدْوٍ مَا رَأَا الْأَكْبَتَ لَيْسُجْنُهُ حَتَّى جِيءَ﴾ (٣٥)

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ فِي بَدْوٍ مَا رَأَا الْأَكْبَتَ﴾ في المراد بالآيات ثلاثة أقوال: أحدها: أنها شق القميص، وقضاء ابن عمها عليها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها قد القميص، وشهادة الشاهد، وقطع الأيدي، وإعظام النساء إياه، رواه مجاهد عن ابن عباس. والثالث: جَمَالَهُ وَعِفَّتُهُ، ذكره الماوردي. قال وهب بن منبه: فأشار النسوة عليها بسجنه رجاء أن يستهوينه حين يخلو لهن في السجن، وقلن: متى سجنته قطع ذلك عنك قالة الناس التي قد شاعت، ورأوا أنك تبغضينه، وبذلك السجن لك، فلما انصرفن عادت إلى مراودته فلم يزد إلا بعداً عنها، فلما يشتت، قالت لسيدها: إن هذا العبد قد فضحني، وقد أبغضت رؤيته، فائذن لي في سجنه، فأذن لها، فسجنته وأضرَّت به. وقال السدي: قالت: إما أن تأذن لي فأخرج وأعتذر بعذري، وإما أن تحبسه كما حبستني، فظهر للعزيز وأصحابه من الرأي حبس يوسف. قال الزجاج: كان العزيز أمر بالإعراض فقط، ثم تغير رأيه عن ذلك. قال ابن الأنباري: وفي معنى الآية قولان: أحدهما: «ثم بدا لهم» أي: ظهر لهم بالقول والرأي والفكر سجنه. والثاني: ثم بدا لهم في يوسف بداءة، فقالوا: والله لنسجنه، فاللام جواب يمين مضمرة. فأما الحين، فهو يقع على قصير الزمان وطويله. وفي المراد به هاهنا للمفسرين خمسة أقوال: أحدها: خمس سنين، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: سنة، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: سبع سنين، قاله عكرمة. والرابع: إلى انقطاع القالة، قاله عطاء. الخامس: أنه زمان غير محدود، ذكره الماوردي، وهذا هو الصحيح، لأنهم لم يعزموا على حبسه مدة معلومة، وإنما ذكر المفسرون قدر ما لبث.

﴿وَوَدَّعَلَّ مَعَهُ النَّجْنُ فَتَيَّانَ قَالَ أَمَدُهُمَا إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْعُرٍ خَمَرَ وَقَالَ الْآخَرُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَحْيَلٍ فَوَقَّ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنَهُ يَنْقُتَانِ بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرْنَاكَ مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٣٦)

قوله تعالى: ﴿وَوَدَّعَلَّ مَعَهُ النَّجْنُ فَتَيَّانَ﴾ قال الزجاج: فيه دليل على أنه خيس، وإن لم يُذكر ذلك. و «فتيان» جائز أن يكونا حَدَثَيْنِ أو شَيْخَيْنِ، لأنهم يسمون المملوك فتى. قال ابن الأنباري: إنما قال: «فتيان» لأنهما كانا مملوكين، والعرب تسمي المملوك فتى، شاباً كان أو شيخاً. قال المفسرون: عُمرُ ملك مصر فملَّوه، فدسُّوا إلى خبَّازه وصاحب شرايه أن يسَّماه، فبلغه ذلك فحبسهما، فكان يوسف قال لأهل السجن: إني أعبر الأحلام، فقال أحد الفتيين: هلم فلنجرّب هذا العبد العبراني. واختلفوا هل كانت رؤياهما صادقة، أم لا؟ على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها كانت كذباً، وإنما سألاه تجريباً، قاله ابن مسعود، والسدي. والثاني: أنها كانت صدقاً، قاله مجاهد، وابن إسحاق. والثالث: أن الذي صُلب منهما كان كاذباً، وكان الآخر صادقاً، قاله أبو مجلز.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ يعني الساقى ﴿إِنِّي أَرِنِي﴾ أي: في النوم ﴿أَعَصِرُ خَمْراً﴾ أي: عنباً. وفي تسمية العنب خمرأ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سماه باسم ما يؤول إليه، لأن المعنى لا يلتبس، كما يقال: فلان يطبخ الأجر ويعمل الدبس، وإنما يطبخ اللبن ويصنع التمر، وهذا قول أكثر المفسرين. قال ابن الأنباري: وإنما كان كذلك، لأن العرب توقع بالفرع ما هو واقع بالأصل، كقولهم: فلان يطبخ آجرأ. والثاني: أن الخمر في لغة أهل عُمان اسم للعنب، قاله الضحاك، والزجاج. قال ابن القاسم: وقد نطقت قريش بهذه اللغة وعرفتها. والثالث: أن المعنى: أعصر عنب خمر، وأصل خمر، وسبب خمر، فحذف المضاف، وخلفه المضاف إليه، كقوله: ﴿وَسَكِلَ الْقَرْيَةُ﴾ [يوسف: ٤٨]. قال أبو صالح عن ابن عباس: رأى يوسف ذات يوم الخبز والساقى مهمومين، فقال: ما شأنكما؟ قالوا: رأينا رؤيا، قال: قُصَّاهَا عَلَيَّ، قال الساقى: إني رأيت كاني دخلت كرمأ فنجيت ثلاثة عناقيد عنب، فعصرتهن في الكأس، ثم أتيت به الملك فشربه، وقال الخباز: رأيت أني خرجت من مطبخ الملك أحمل فوق رأسي ثلاث سلال من خبز، فوقع طير على أعلاهن فأكل منها، ﴿نَقِثًا بِنَارِيلِهِ﴾ أي: أخبرنا بتفسيره. وفي قوله: ﴿إِنَّا نُرَاكَ مِنَ الْثَمِينِ﴾ خمسة أقوال: أحدها: أنه كان يعود المرضى ويذاويهم ويعزي الحزين، رواه مجاهد عن ابن عباس. والثاني: إنا نراك محسناً إن أنبأتنا بتأويله، قاله ابن إسحاق. والثالث: إنا نراك من العالمين قد أحسنت العلم، قاله الفراء. قال ابن الأنباري: فعلى هذا يكون مفعول الإحسان محذوفاً، كما حذف في قوله: ﴿وَفِيهِ يَمِيزُونَ﴾ [يوسف: ٤٩] يعني العنب والسهم. وإنما علموا أنه عالم، لنشره العلم بينهم. والرابع: إنا نراك ممن يحسن التأويل، ذكره الزجاج. والخامس: إنا نراك محسناً إلى نفسك بلزومك طاعة الله، ذكره ابن الأنباري.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ٦٦ وَآتَيْنَاهُ مِلَّةَ مَا بَاءَؤْا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَكَ أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَفَلِ الْآثِينَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٦٧ يَصْدِرُكَ إِلَيْنَا مَأْثَرَاتٍ تُنْفَرُونَ حَيْرٌ أَرَأَيْتَ الْوَجَدُ الْقَهَّارُ ٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ﴾ في معنى الكلام قولان: أحدهما: لا يأتیکما طعام تُرْزَقَانِيهِ في اليقظة إلا أخبرتكما به قبل أن يصل إليكما، لأنه كان يخبر بما غاب كعيسى عليه السلام، وهو قول الحسن. والثاني: لا يأتیکما طعام تُرْزَقَانِيهِ في المنام إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتیکما في اليقظة، هذا قول السدي. قال ابن عباس: فقالا له: وكيف تعلم ذلك، ولست بساحر، ولا عراف، ولا صاحب نجوم؛ فقال: ﴿ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾. فإن قيل: هذا كله ليس بجواب سؤالهما، فأين جواب سؤالهما؟ فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أنه لما علم أن أحدهما مقتول، دعاهما إلى نصيبهما من الآخرة، قاله قتادة. والثاني: أنه عدل عن الجواب لما فيه من المكروه لأحدهما، قاله ابن جريج. والثالث: أنه ابتدأ بدعائهما إلى الإيمان بتوفيق الله. ﴿وَفَلِ الْآثِينَ﴾ يعني المؤمنين بأن دلهم على دينه. وقال ابن عباس: ذلك من فضل الله علينا أن جعلنا أنبياء ﴿وَفَلِ الْآثِينَ﴾ أن بعثنا إليهم، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ من أهل مصر ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ نعم الله فيؤخِّدونه.

قوله تعالى: ﴿مِمَّا كَانَتْ لَكَ أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ قال ابن عباس: يريد: أن الله عصمنا من الشرك. ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ أي: أتباعنا الإيمان بتوفيق الله. ﴿وَفَلِ الْآثِينَ﴾ يعني المؤمنين بأن دلهم على دينه. وقال ابن عباس: ذلك من فضل الله علينا أن جعلنا أنبياء ﴿وَفَلِ الْآثِينَ﴾ أن بعثنا إليهم، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ من أهل مصر ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ نعم الله فيؤخِّدونه.

قوله تعالى: ﴿مَأْثَرَاتٍ مُتَفَرِّقَاتٍ﴾ يعني: الأصنام من صغير وكبير ﴿حَيْرٌ﴾ أي: أعظم صفة في المدح ﴿أَرَأَيْتَ الْوَجَدُ الْقَهَّارُ﴾ يعني أنه أحق بالإلهية من الأصنام؟ فأما الواحد، فقال الخطابي: هو الفرد الذي لم يزل وحده، وقيل: هو المنقطع القرين، المعدم الشريك والنظير، وليس كسائر الأحاد من الأجسام المؤلفة، فإن كل شيء سواء يدعى واحداً من جهة، غير واحد من جهات، والواحد لا يشتى من لفظه، لا يقال: واحداً. والقهار: الذي قهر الجبابرة من عتاة خلقه بالعقوبة، وقهر الخلق كلهم بالموت. وقال غيره: القهار: الذي قهر كل شيء فذلَّه، فاستسلم وذلَّ له.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَبَّحْتُمُهَا أُثَرٌ وَإِبَاطُكُمْ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ يَصْحَجِي السَّجْنِ أَنَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ حَمْرًا وَأَنَا الْآخَرُ فَيَصْلُبُ فَتَأْكُلُ الظِّلُّ مِنْ رَأْسِهِ فَيَمُوتُ أَلَمْ تَرَ الْآيَةَ فِي سَنَفَتَيْنِ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ إنما جمع في الخطاب لهما، لأنه أراد جميع من شاركهما في شركهما. وقوله: ﴿من دونه﴾ أي: من دون الله ﴿إِلَّا أَسْمَاءَ﴾ يعني: الأرباب والآلهة، ولا يصح معاني تلك الأسماء للأصنام، فكانها أسماء فارغة، فكانهم يعبدون الأسماء لأنها لا تصح معانيها. ﴿مَا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: من حجة لعبادتها. ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أي: ما القضاء والأمر والنهي إلا له. ﴿ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ﴾ أي: المستقيم، يشير إلى التوحيد. ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يعلمون أنه لا يجوز عبادة غيره. والثاني: لا يعلمون ما للمطيعين من الثواب وللعاصين من العقاب.

قوله تعالى: ﴿أَنَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ حَمْرًا﴾ الرب هاهنا: السيد. قال ابن السائب: لما قص الساقى رؤياه على يوسف، قال له: ما أحسن ما رأيت! أما الأغصان الثلاثة، فثلاثة أيام، يبعث إليك الملك عند انقضائها، فيردك إلى عملك، فتعود كأحسن ما كنت فيه، وقال للخباز: بش ما رأيت، السلال الثلاث، ثلاثة أيام، ثم يبعث إليك الملك عند انقضائها، فيقتلك ويصلبك ويأكل الطير من رأسك، فقالا: ما رأينا شيئاً، فقال: ﴿فَيُقَى الْأَمْرُ الْآيَةَ فِي سَنَفَتَيْنِ﴾ أي: فرغ منه، وسيقع بكما، صدقتم أو كذبتما. فإن قيل: لم حتم على وقوع التأويل، وربما صدق تأويل الرؤيا وكذب؟ فنه جوابان: أحدهما: أنه حتم ذلك لوشي آتاه من الله، وسبيل المنام المكذوب فيه أن لا يقع تأويله، فلما قال: ﴿قَضِيَ الْأَمْرُ﴾ دل على أنه بوحى. والثاني: أنه لم يحتم، بدليل قوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ قال أصحاب هذا الجواب: معنى «قضى الأمر»: قطع الجواب الذي التمسناه من جهتي، ولم يعن أن الأمر واقع بكما. وقال أصحاب الجواب الأول: الظن هاهنا بمعنى العلم.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا أَذْكُرَنِي بِحَدِّكَ رَبِّكَ فَانْسِنَا أَلَمْ نَسْأَلْكَ فِي السَّجْنِ بِمَعْنَى سَبِّحَ ﴿٤٢﴾﴾ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ يعني الساقى. وفي هذا الظن قولان: أحدهما: أنه بمعنى العلم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الظن الذي يخالف اليقين، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿أَذْكُرَنِي بِحَدِّكَ رَبِّكَ﴾ أي: عند صاحبك، وهو الملك، وقل له: إن في السجن غلاماً حبس ظلماً. واسم الملك: الوليد بن الرِّيَّان.

قوله تعالى: ﴿فَانْسِنَا أَلَمْ نَسْأَلْكَ فِي السَّجْنِ بِمَعْنَى سَبِّحَ﴾ فيه قولان: أحدهما: فأنسى الشيطان الساقى ذكر يوسف لربه، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال ابن إسحاق. والثاني: فأنسى الشيطان يوسف ذكر ربه، وأمره بذكر الملك ابتغاء الفرج من عنده، قال مجاهد، ومقاتل، والزجاج، وهذا نسيان عمد، لا نسيان سهو، وعكسه القول الذي قبله.

قوله تعالى: ﴿فَلَيْتَ فِي السَّجْنِ بِمَعْنَى سَبِّحَ﴾ أي: غير ما كان قد لبث قبل ذلك، عقوبة له على تعلقه بمخلوق. وفي البضع تسعة أقوال: أحدها: ما بين السبع والتسع، روى ابن عباس أن أبا بكر لما ناحب<sup>(١)</sup> قريشاً عند نزول: ﴿الْعَرَبُ قُلَيْتَ أَرْوَمُ ﴿١﴾﴾ [الروم: ١، ٢]، قال له رسول الله ﷺ: «ألا احتطت، فإن البضع ما بين السبع إلى التسع»<sup>(٢)</sup>. والثاني: اثنا عشرة سنة، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: سبع سنين، قاله عكرمة. والرابع: أنه ما بين الخمس إلى السبع، قاله الحسن. والخامس: أنه ما بين الأربع إلى التسع، قاله مجاهد. والسادس: ما بين الثلاث إلى التسع، قاله الأصمعي، والزجاج. والسابع: أن البضع يكون بين الثلاث والتسع والعشر، قاله قتادة. والثامن: أنه ما دون العشرة، قاله الفراء، وقال الأخفش: البضع: من واحد إلى عشرة. والتاسع: أنه ما لم يبلغ العقد ولا نصفه، قاله أبو عبيدة. قال ابن قتيبة: يعني ما بين الواحد إلى الأربعة. وروى الأثرم عن أبي عبيدة: البضع: ما بين ثلاث

(١) ناحب: راهن، والمناجحة: المرافعة. قال الجمحي: وذلك قبل أن يكون تحريم ذلك (أي: الرهان).

(٢) «المستد» ١٦٨/٤ وإسناده صحيح، و«الطبري» ١٧/٢١، والترمذي ١٥٠/٢، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.



وخمس. وفي جملة ما لبث في السجن ثلاثة أقوال: أحدها: اثنتا عشرة سنة، قاله ابن عباس. والثاني: أربع عشرة، قاله الضحاك. والثالث: سبع سنين، قاله قتادة. قال مالك بن دينار: لما قال يوسف للساقى: «أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ»، قيل له: يا يوسف، أتخذت من دوني وكيلاً؟ لأطيلن حبسك، فبكى، وقال: يا رب، أنسى قلبي كثرة البلوى، فقلت كلمة، فويل لإخوتي.

﴿وَقَالَ آلَيْكَ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُ لِلرُّؤْيَا نَبِيرًا﴾ (٤٣)

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ آلَيْكَ﴾ يعني ملك مصر الأكبر ﴿إِنِّي أَرَى﴾ يعني في المنام، ولم يقل: رأيت، وهذا جائز في اللغة أن يقول القائل: أرى، بمعنى رأيت. قال وهب بن منبه: لما انقضت المدة التي وقتها الله تعالى ليوسف في حبسه، دخل عليه جبريل إلى السجن، فبشّر بالخروج وملك مصر ولقاء أبيه، فلما أمسى الملك من ليلته، رأى سبع بقرات سمان خرجن من البحر، في آثارهن سبع عجاف، فأقبلت العجاف على السمان، فأخذن بأذنابهن فأكلنهن إلى القرنين، ولم يزد في العجاف شيء، ورأى سبع سنبلات خضر وقد أقبل عليهن سبع يابسات فأكلنهن حتى أتين عليهن، ولم يزد في اليابسات شيء، فدعا أشرف قومه فقصصها عليهم، فقالوا: «أَصْنَعْتَ أَكْثَرَ». قال الزجاج: والعجاف: التي قد بلغت في الهزال الغاية. والملا: الذين يرجع إليهم في الأمور ويقتدى برأيهم، واللام في قوله: ﴿لِلرُّؤْيَا﴾ دخلت على المفعول للتبيين، المعنى: إن كنتم تعبرون. ثم بين باللام فقال: «الرؤيا». ومعنى عبرت الرؤيا وعبرتها: أخبرت بآخر ما يؤول إليه أمرها، واشتقاقه من عبر النهر، وهو شاطئ النهر، فتأويل عبرت النهر: بلغت إلى عبره، أي: إلى شطه، وهو آخر عرضه. وذكر ابن الأنباري في اللام قولين: أحدهما: أنها للتوكيد. والثاني: أنها أفادت معنى «إلى» والمعنى: إن كنتم توجهون العبارة إلى الرؤيا.

﴿قَالُوا أَصْنَعْتَ أَكْثَرَ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِكِلَابٍ﴾ (٤٤)

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَصْنَعْتَ أَكْثَرَ﴾ قال أبو عبيدة: واحدا ضغث، مكسورة، وهي ما لا تأويل له من الرؤيا تراه جماعات، تُجمع من الرؤيا كما يُجمع الحشيش، فيقال: ضغث، أي: ملء كف منه. وقال الكسائي: الأضغاث: الرؤيا المختلطة. وقال ابن قتيبة: «أضغاث أحلام» أي: أخلاط مثل أضغاث النبات يجمعها الرجل، فيكون فيها ضروب مختلفة. وقال الزجاج: الضغث في اللغة: الحزمة والباقة من الشيء، كالبقول وما أشبهه، فقالوا له: رؤياك أخلاط أضغاث، أي: حزم أخلاط، ليست برويا بيّنة، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِكِلَابٍ﴾ أي: ليس للرؤيا المختلة عندنا تأويل. وقال غيره: وما نحن بتأويل الأحلام الذي هذا وصفها بالعين. والأحلام جمع حلم، وهو ما يراه الإنسان في نومه مما يصح وما يبطل.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أَمْرِهِ أَنَا أَنْتُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ (٤٥) يُوشَعَ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلَّنَا لَمَلَهُمْ بَطَلُونُ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَلَاً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سَبُلِهِمْ لَعَلَّكُمْ تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَنَا إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِرُونَ ﴿٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ يعني الذي تخلص من القتل من الفتيين، وهو الساقى، ﴿وَادَّكَرَ﴾ أي: تذكر شأن يوسف وما وصّاه به. قال الزجاج: وأصل اذكر: اذكر، ولكن التاء أبدلت منها الدال، وأدغمت الدال في الدال. وقرأ الحسن: وادكر، بالذال المشددة. وقوله: ﴿بَعْدَ أَمْرِهِ﴾ أي بعد حين، وهو الزمان الذي لبث يوسف بعده في السجن، وقد سبق بيانه. وقرأ ابن عباس، والحسن «بعد أمة» أراد: بعد نسيان. فإن قيل: هذا يدل على أن الناسي في قوله: ﴿فَأَنسَنَاهُ أَتَقَطَّلُنْ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ هو الساقى، ولا شك أن من قال: إن الناسي يوسف يقول: لم ينس الساقى. فالجواب: أن من قال: إن يوسف نسي، يقول: معنى قوله: «وادكر» ذكر، كما تقول العرب: احتلب بمعنى حلب، واغندى بمعنى غدا، فلا يدل إذاً على نسيان سبقه. وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أنه قال: إنما لم يذكر الساقى خبر يوسف للملك حتى احتاج الملك إلى تأويل رؤياه، خوفاً من أن يكون ذكره ليوسف سبباً لذكره الذنب الذي من أجله حبس، ذكر هذا الجواب ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ أي: من جهة يوسف ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ أثبت الياء فيها وفي ﴿وَلَا تَقْرَءُونِ﴾ [يوسف: ٦٠] ﴿إِنْ تُنِيدُونِ﴾ [يوسف: ٩٤] يعقوب في الحالين، فخاطب الملك وحده بخطاب الجميع، تعظيماً، وقيل: خاطبه وخاطب أتباعه. وفي الكلام اختصار، المعنى: فأرسلوه فأتى يوسف فقال: يا يوسف يا أيها الصديق. والصديق: الكثير الصدق، كما يقال فستيق، وسكير، وقد سبق بيانه [النساء: ٦٩].

قوله تعالى: ﴿لَمَّا رُجِعَ إِلَى الْمَلِكِ﴾ يعني الملك وأصحابه والعلماء الذين جمعهم لتعبير رؤياه. وفي قوله: ﴿لَمَّا رُجِعَ يَمْلِكُونَ﴾ قولان: أحدهما: يعلمون تأويل رؤيا الملك. والثاني: يعلمون بمكانك فيكون سبب خلاصك. وذكر ابن الأنباري في تكرير «لعل» قولين: أحدهما: أن «لعل» الأولى متعلقة بالإفتاء، والثانية مبنية على الرجوع، وكلتاها بمعنى «كي». والثاني: أن الأولى بمعنى «عسى»، والثانية بمعنى «كي» فأعيدت لاختلاف المعنيين، وهذا هو الجواب عن قوله: ﴿لَمَّا رُجِعَ يَمْرُؤُهُ إِذَا أَنْشَبَ إِلَيْكَ أَهْلَهُمْ لَمَّا رُجِعُوا﴾ [يوسف: ٦٣]. قال المفسرون: كان سيده العزيز قد مات، واشتغلت عنه امرأته. وقال بعضهم: لم يكن العزيز قد مات، فقال يوسف للساقى: قل للملك: هذه سبع سنين مُخْصِبَات، ومن بعدهن سبع سنين شداد، إلا أن يُحْتَالَ لهن، فانطلق الرسول إلى الملك فأخبره، فقال له الملك: ارجع إليه فقل له: كيف يُصْنَع؟ فقال: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «دَابًّا» ساكنة الهمزة، إلا أن أبا عمرو كان إذا أدرج القراءة لم يهزمها. وروى حفص عن عاصم «دَابًّا» بفتح الهمزة. قال أبو علي الأكثر في «دَاب» الإسكان، ولعل الفتح لغة، ومعنى «دَابًّا» أي: زراعة متوالية على عادتكم، والمعنى: تزرعون داليتين. فتاب «دَاب» عن «داليتين». وقال الزجاج: المعنى: تدأبون دابًّا، ودل على تدأبون «تزرعون» والداب: الملازمة للشيء والعادة. فإن قيل: كيف حكم بعلم الغيب، فقال: «تزرعون» ولم يقل: إن شاء الله؟ فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أنه كان بروحي من الله ﷻ. والثاني: أنه بنى على علم ما علمه الله من التأويل الحق، فلم يشك. والثالث: أنه أضمر «إن شاء الله» كما أضمر إخوته في قولهم: ﴿وَنَبِيُّ أَهْلَانَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ [يوسف: ٦٥]، فأضمروا الاستثناء في نياتهم، لأنهم على غير ثقة مما وعدوا، ذكره ابن الأنباري. والرابع: أنه كالآمر لهم، فكانه قال: ازرعوا.

قوله تعالى: ﴿فَدَرَوْهُ فِي سُبُلِهِ﴾ فإنه أبقى له، وأبعد من الفساد. والشُّداد: المجذبات التي تشتد على الناس. ﴿يَا كُنْ﴾ أي: يُذهبن ما قدمت لهن في السنين المخصبات، فوصف السنين بالأكل، وإنما يؤكل فيها، كما يقال: ليل نائم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْسَبُونَ﴾ أي: تحرزون وتدخرون.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يَأْتِكُ النَّاسُ وَيَفِي بِعَمْرُونَ﴾ ﴿٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ﴾ إن قيل: لِمَ أشار إلى السنين وهي مؤنثة بـ «ذلك»؟ فعنه جوابان ذكرهما ابن القاسم: أحدهما: أن السبع مؤنثة، ولا علامة للتأنيث في لفظها، فأشبهت المذكر، كقوله: ﴿الْكَلْبُ مُنْطَرِفٌ يَوْءٌ﴾ [المزم: ١٨] فذكر منطراً لِمَا لم يكن في السماء علم التأنيث، قال الشاعر:

فَلَا مُزْنَةَ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا

وَلَا أَرْضٌ أَبْقَلَ إِنْقَالَهَا<sup>(١)</sup>

فذكر «أقبل» لما وصفنا. والثاني: أن «ذلك» إشارة إلى الجذب، وهذا قول مقاتل، والأول قول الكلبي. قال قتادة: زاده الله علم عام لم يسألوه عنه.

قوله تعالى: ﴿فِيهِ يَأْتِكُ النَّاسُ﴾ فيه قولان: أحدهما: يصيبهم الغيث، قاله ابن عباس. والثاني: يثابون بالخصب. ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «يعصرون» بالياء. وقرأ

(١) البيت من شعر عامر بن جوين الطائي في «سبويه» ٢٤٠/١، و«معاني القرآن» ١/١٢٧، و«الكامل» ١/٦٦٠، و«شرح شواهد المغني» ٣١٩، و«الخراسة» ١/٢١، ٢٢.

حمزة، والكسائي بالتاء، فوجَّها الخطاب إلى المستغنين. وفي قوله: «يعصرون» خمسة أقوال: أحدها: يعصرون العنب والزيت والشرات، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والجمهور. والثاني: «يعصرون» بمعنى يحتلبون، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وروى ابن الأنباري عن أبيه عن أحمد بن عبيد قال: تفسير «يعصرون» يحتلبون الألبان لِسَعَةِ خَيْرِهِمْ وَأَسَاعِ خَصْبِهِمْ، واحتج بقول الشاعر:

فَمَا عِصْمَةُ الْأَعْرَابِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ

طَعَامٌ وَلَا دَرٌّ مِنَ الْمَالِ يُفَصِّرُ

أي: يُحْلِب. والثالث: ينجون، وهو من العَصَر، والعَصَر: النجاء، والعُصْرَة: المنجاة. ويقال: فلان في عُصْرَة: إذا كان في حصن لا يُقَدَّر عليه، قال الشاعر:

صَادِيحًا يَسْتَنْفِثُ غَيْرَ مُفَاتٍ

وَلَقَدْ كَانَ عُصْرَةُ الْمَنْجُودِ<sup>(١)</sup>

أي: غيائًا للمغلوب المقهور، وقال عدي:

لَوْ يَغِيرُ الْمَاءُ حَلْقِي سَرِقَ

كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالماءِ اغْتِصَارِي<sup>(٢)</sup>

هذا قول أبي عبيدة. والرابع: يصيبون ما يحبون، روي عن أبي عبيدة أيضاً أنه قال: المعتصر: الذي يصيب الشيء ويأخذه، ومنه هذه الآية. ومنه قول ابن أحمر:

فَإِنَّمَا الْمَيْشُ بِرِيَانِهِ

وَأَنْتَ مِنْ أَقْنَانِيهِ مُفْتَصِّرُ

والخامس: يعطون ويفضلون لِسَعَةِ عَيْشِهِمْ، رواه ابن الأنباري عن بعض أهل اللغة. وقرأ سعيد بن جبير: «يُعَصْرُونَ» بضم الياء وفتح الصاد. وقال الزجاج: أراد: يُمَطَّرُونَ من قوله: ﴿وَأَرْزَأْنَا مِنَ الْمُؤْمِرَاتِ مَا جَاءَ﴾ [النبا: ١٤].

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاسٌ لَمْ يَنْصُرْهُ قَالَ أَوْ لَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ كَانُوا بِآيَاتِنَا أَفْقَارًا مِثْلُ الْقِطْرِ أَفَتَأْتُونَ الْبَاقِيَ أَذَرْتُمُوهُمْ فَتَرَاهُمْ يُسْأَلُونَ عَنْ نَجْوَاهُمْ إِذْ رَدُّوا عَلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْلَمُ أَلَمْ تَكُنْ لَكُمْ آيَاتُ الْبَاقِي﴾ [الأنعام: ١١٠]

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاسٌ لَمْ يَنْصُرْهُ﴾ قال المفسرون: لما رجع الساقى إلى الملك وأخبره بتأويل رؤياه، وقع في نفسه صفة ما قال، فقال: اتنوني بالذي عبر رؤياي، فجاءه الرسول، فقال: أجب الملك، فأبى أن يخرج حتى تبين براءته مما قُرف به، فقال: ﴿أَنْجِعْ لَكَ رَبِّكَ﴾ يعني الملك ﴿فَتَنَّهُ مَا بَالَ الْنَسْوَةِ﴾ وقرأ ابن أبي عبيدة: «النسوة» بضم النون، والمعنى: فاسأل الملك أن يتعرف ما شأن تلك النسوة وحالهن ليعلم صحة براءتي، وإنما أشفق أن يراه الملك بعين مشكوك في أمره أو متهم بفاحشة، وأحب أن يراه بعد استقرار براءته عنده. وظاهر قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي يَبَوِّذُنِي عَلَيْهِمْ﴾ أنه يعني الله تعالى، وحكى ابن جرير الطبري أنه أراد به سيده العزيز، والمعنى: أنه يعلم براءتي. وقد روي عن نبينا ﷺ أنه استحسّن حزم يوسف وصبره عن التسرع إلى الخروج، فقال ﷺ: «إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ [ابن الكريم] يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، لو لبث في السجن ما لبث يوسف، ثم جاءني الداعي لأجبت»<sup>(٣)</sup>. وفي ذكره للنسوة دون امرأة العزيز أربعة أقوال: أحدها: أنه خلطها بالنسوة، لحسن عشرة فيه وأدب، قاله الزجاج. والثاني: لأنها زوجة ملك، فصانها. والثالث: لأن النسوة شاهدات عليها له. والرابع: لأن في ذكره لها نوع تهمة، ذكر الأقوال الثلاثة الماوردي. قال المفسرون: فرجع الرسول إلى الملك برسالة يوسف، فدعا الملك النسوة وفيهن امرأة العزيز، فقال: ﴿مَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: ما شأنكن وقصتنكن ﴿إِذْ رَدُّنَّ يُوسُفَ﴾. فإن قيل: إنما راودته واحدة، فلم جمعهن؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه جمعهن في السؤال ليعلم عين المراودة. والثاني: أن أزليخا راودته على نفسه، وراوده باقي النسوة على القبول منها. والثالث: أنه

(١) البيت لأبي زيد الطائي من قصيدة يرثي بها اللجاء ابن أخته وكان من أحب الناس إليه، وهو في «الطبري» ٢٣٣/١٢، و«معجاز القرآن» ٣١٣/١، و«الانقباض» ٣٩٠، و«القرطبي» ٢٥٥/٩، و«اللسان»: مصر.

(٢) البيت لمعدي بن زيد، في «الكتاب» ٤٦٢/١، و«معجاز القرآن» ٣١٤/١، و«الجمهرة» ١٥٤/٢، و«اللسان»، و«التاج»: مصر، و«العيني» ٤٥٤/٤، و«شواهد المعنى» ٢٥٥، و«الخصلة» ٥٩٤/٣ و٥٩٤/٤، و٥٩٤.

(٣) «الترمذي» ١٣٩/٢ من حديث أبي هريرة، وقال: حديث حسن. ورواه البخاري ٢٧٧/٨، من أبي هريرة بهذا الصدد بلفظ: «لو لبث في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي». ورواه مسلم ١٣٣/١ و١٨٣٩/٤ بنحو حديث البخاري.

جمعهن في الخطاب، والمعنى لواحدة منهن، لأنه قد يقع على النوع وصف الجنس إذا أمن من اللبس، يدل عليه قول النبي ﷺ للنساء: «إِنَّكُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ»<sup>(١)</sup>، فجمعهن في الخطاب والمعنى لبعضهن، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَسَتْ لَوَى﴾ قال الزجاج: قرأ الحسن بتسكين الشين، ولا اختلاف بين النحويين أن الإسكان غير جائز، لأن الجمع بين ساكنين لا يجوز، ولا هو من كلام العرب. فأعلم النسوة الملك براءة يوسف من سوء، فقالت امرأة العزيز: ﴿الَّذِي كَفَّكَ الْحَقُّ﴾ أي: برز وتبين، واشتقاقه في اللغة من الحِصَّة، أي: بانت حصة الحق وجهته من حصة جهة الباطل. وقال ابن القاسم: «حصحص» بمعنى وضح وانكشف، تقول العرب: حصحص البعير في بروكه: إذا تمكن، وأثر في الأرض، وقرئ الحصى. وللمفسرين في ابتداء أزليخا بالإقرار قولان: أحدهما: أنها لما رأت النسوة قد برأته، قالت: لم يبق إلا أن يُقْبَلَ عليّ بالتقرير، فأقرت، قاله الفراء. والثاني: أنها أظهرت التوبة وحقت صدق يوسف، قاله الماوردي.

﴿ذَلِكَ يَعْلَمُ إِنْ كُنَّ حَقًّا﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَعْلَمُ إِنْ كُنَّ حَقًّا﴾ قال مقاتل: «ذلك» بمعنى هذا. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع وأشباهه، لقرب الخير من أصحابه، فصار كالمشاهد الذي يشار إليه بهذا، ولما كان متقضيًا، أمكن أن يشار إليه بذلك، ون المتقضي كالفائز. واختلفوا في القائل لهذا على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوسف، وهو من أغمض ما يأتي من الكلام أن تحكي عن شخص شيئاً ثم تصله بالحكاية عن آخر، ونظير هذا قوله: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَمُوجَّكَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ [الاعراف: ١١٠] هذا قول الملا: ﴿فَتَادَا تَأْتُرُونَ﴾ قول فرعون. ومثله: ﴿وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أُمْلَهُمْ أُولَئِكَ﴾ [النمل: ٣٤] هذا قول بلقيس: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ قول الله تعالى. ومثله: ﴿مَنْ يَبْعَثْكَ مِنْ مَرْقَدًا﴾ [يس: ٥٢] هذا قول الكفار، فقالت الملائكة: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ وإنما يجوز مثل هذا في الكلام، لظهور الدلالة على المعنى واختلفوا، أين قال يوسف هذا؟ على قولين: أحدهما: أنه لما رجع الساقى إلى يوسف فأخبره وهو في السجن بجواب امرأة العزيز والنسوة للملك، قال حينئذ: «ذلك ليعلم»، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال ابن جريج. والثاني: أنه قاله بعد حضوره مجلس الملك، رواه عطاء عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَعْلَمُ﴾ أي: ذلك الذي فعلت من ردِّي رسول الملك، ليعلم. واختلفوا في المشار إليه بقوله: «ليعلم» وقوله: ﴿لَمْ أَكُنْ﴾ على أربعة أقوال: أحدها: أنه العزيز، والمعنى: ليعلم العزيز أنني لم أخنه في امرأته ﴿بِالنِّسَاءِ﴾ أي: إذا غاب عني، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وقتادة، والجمهور. والثاني: أن المشار إليه بقوله: «ليعلم» الملك، والمشار إليه بقوله: «لم أخنه» العزيز، والمعنى: ليعلم الملك أنني لم أخن العزيز في أهله بالغيب، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أن المشار إليه بالشيئين، الملك، فالمعنى: ليعلم الملك أنني لم أخنه، يعني الملك أيضاً، بالغيب. وفي وجه خيانة الملك في ذلك قولان: أحدهما: لكون العزيز وزيره، فالمعنى: لم أخنه في امرأة وزيره، قاله ابن الأنباري. والثاني: لم أخنه في بنت أخته، وكانت أزليخا بنت أخت الملك، قاله أبو سليمان الدمشقي. والرابع: أن المشار إليه بقوله: «ليعلم» الله، فالمعنى: ليعلم الله أنني لم أخنه، روي عن مجاهد، قال ابن الأنباري: نَسَبَ العلم إلى الله في الظاهر، وهو في المعنى للمخلوقين، كقوله: ﴿حَقٌّ تَمَّزَ النَّجْهَدِينَ يَسْكُرُ﴾ [محمد: ٣١]. فإن قيل: إن كان يوسف قال هذا في مجلس الملك، فكيف قال: «ليعلم» ولم يقل: لتعلم، وهو يخاطبه؟ فالجواب: أنا إن قلنا: إنه كان حاضراً عند الملك، فإنما أثر الخطاب بالياء توقيراً للملك، كما يقول

(١) هذه قطعة من حديث طويل رواه البخاري ٣٤٥/١ من حديث أبي سعيد الخدري، بلفظ: «إني أرى أكثر أهل النار»، ومسلم ٨٦/١ من حديث عبد الله بن عمر، ولفظ مسلم بتمامه: «فيا معشر النساء تصلفن وأكثرن من الاستغفار، إني أرايتن أكثر أهل النار» فقالت امرأة منهن جزلة (ذات عقل وراي): وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدي لب متكبر» قالت: يا رسول الله! وما نقصان العقل والدين؟ قال: «أما نقصان العقل، فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهنا نقصان العقل، وتمتكت الليالي ما تصلي، وتغتر في رمضان، فهنا نقصان الدين».

الرجل للوزير: إن رأى الوزير أن يوقع في قصتي. وإن قلنا: إنه كان غائباً، فلا وجه لدخول التاء، وكذلك إن قلنا: إنه عنى العزيز، والعزيز غائب عن مجلس الملك حينئذ. والقول الثاني: أنه قول امرأة العزيز، فعلى هذا يتصل بما قبله، والمعنى: ليعلم يوسف أني لم أخنه في غيبته الآن بالكذب عليه. والثالث: أنه قول العزيز، والمعنى: ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب، فلم أغفل عن مجازاته على أمانته، حكى القولين الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ﴾ قال ابن عباس: لا يصوب عمل الزناة، وقال غيره: لا يرشد من خان أمانته ويفضحه في عاقبته.

﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٦﴾ وَقَالَ تِلْكَ آتُونِي بِهِ اسْتَخْلَفَنِي لَيْسَ لَنَا كَلِمَةٌ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٧﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَافِظٌ عَلَيْهَا ﴿٥٨﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ سَبِيلَ مَنْ هَدَىٰ فَهَبْ رَحْمَةً مِنَّا وَلَا تُصِيبُ رَحْمَتُنَا مَن شَاءَ وَلَا تَصِيبُ مَن لَّمْ يَلْحَظْ إِلَيْنَا ﴿٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ﴾ في القائل لهذا ثلاثة أقوال، وهي التي تقدمت في الآية قبلها. فالذين قالوا: هو يوسف، اختلفوا في سبب قوله لذلك على خمسة أقوال: أحدها: أنه لما قال: ﴿لَعَلَّمَنِي أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ غمزه جبريل، فقال: ولا حين هممت؟ فقال: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الأكثرون. والثاني: أن يوسف لما قال: «لم أخنه» ذكر أنه قد همّ بها فقال: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنه لما قال ذلك، خاف أن يكون قد زغى نفسه، فقال: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾، قاله الحسن. والرابع: أنه لما قاله، قال له الملك الذي معه: اذكر ما هممت به، فقال: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾، قاله قتادة. والخامس: أنه لما قاله، قالت امرأة العزيز: ولا يوم حللت سراويلك؟ فقال: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾، قاله السدي. والذين قالوا: هذا قول امرأة العزيز، فالمعنى: وما أبرئ نفسي أني كنت راودته. والذين قالوا: هو العزيز، فالمعنى: وما أبرئ نفسي من سوء الظن بيوسف، لأنه قد خطر لي.

قوله تعالى: ﴿لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ قرأ ابن عامر، وأهل الكوفة، ويعقوب إلا رويساً: «بالسوء إلا» بتحقيق الهمزتين. وقرأ أبو عمرو، وابن شبنوذ عن قبل بتحقيق الثانية وحذف الأولى. وروى نظيف عن قبل بتحقيق الأولى وقلب الثانية ياءً. وقرأ أبو جعفر، وورش، ورويس بتحقيق الأولى وتلحين الثانية بين بين، مثل: «السُّوءَ عَلَاً». وروى ابن فليح بتحقيق الثانية وقلب الأولى واءاً، وأدغمها في الواو التي قبلها، فتصير واءاً مكسورة مشددة قبل همزة «إلا».

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ قال ابن الأنباري: قال اللغويون: هذا استثناء منقطع، والمعنى: إلا أن رحمة ربي عليها المعتمد. قال أبو صالح عن ابن عباس: المعنى: إلا من عصم ربي. وقيل: «ما» بمعنى «من». قال الماوردي: ومن قال: هو قول امرأة العزيز، فالمعنى: إلا من رحم ربي في قهره لشهوته، أو في نزعها عنه. ومن قال: هو قول العزيز، فالمعنى: إلا من رحم ربي بأن يكفّيه سوء الظن، أو يثبتّه، فلا يعجل. قال ابن الأنباري: والقول بأن هذا قول يوسف، أصح، لوجهين: أحدهما: لأن العلماء عليه. والثاني: لأن المرأة كانت عابدة وثن، وما تضمنته الآية، أليق أن يكون قول يوسف من قول من لا يعرف الله ﷻ. وقال المفسرون: فلما تبين الملك عذر يوسف وعلم أمانته، قال: ﴿آتُونِي بِهِ اسْتَخْلَفَنِي لَيْسَ لَنَا كَلِمَةٌ﴾ أي: أجعله خالصاً لي، لا يشركني فيه أحد. فإن قيل: فقد رويتم في بعض ما مضى أن يوسف قال في مجلس الملك: «ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب»، فكيف قال الملك: «آتوني به» وهو حاضر عنده؟! فالجواب: أن أرباب هذا القول يقولون: أمر الملك بإحضاره ليقفده الأعمال في غير المجلس الذي استحضره فيه لتعبير الرؤيا. قال وهب: لما دخل يوسف على الملك، وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً، كان كلما كلمه بلسان، أجابه يوسف بذلك اللسان، فعجب الملك، وكان يوسف يومئذ ابن ثلاثين سنة، فقال: «إني أحب أن أسمع رؤياي منك شيئاً، فذكرها له، قال: فما ترى أيها الصديق؟ قال: أرى أن تزور زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة، وتجمع الطعام، فيأتيك الناس فيمتارون، وتجمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد، فقال الملك: ومن لي بهذا؟ فقال يوسف: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾. قال ابن عباس: ويريد بقوله: ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي: قد مكنتك في ملكي واتممتك فيه. وقال مقاتل: المكين: الوجه، والأمين: الحافظ.

قوله تعالى: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ أي: خزائن أرضك. وفي المراد بالخزائن قولان: أحدهما: خزائن الأموال، قاله الضحاك، والزجاج. والثاني: خزائن الطعام فحسب، قاله ابن السائب. قال الزجاج: وإنما سأل ذلك، لأن الأنبياء بُعثوا بالعدل، فعلم أنه لا أحد أقوم بذلك منه. وفي قوله: ﴿إِنِّي حَفِيطٌ عَلَيْهِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: حفيظ لِمَا وَلِّيتَنِي، عليم بالمعاجة متى تكون، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: حفيظ لما استودعني، عليم بهذه السنين، قاله الحسن. والثالث: حفيظ للحساب، عليم بالألسن، قاله السدي، وذلك أن الناس كانوا يَرُدُّونَ على الملك من كل ناحية فيتكلمون بلغات مختلفة. واختلفوا، هل ولَّاهُ الملك يومئذٍ، أم لا؟ على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ولَّاهُ بعد سنة، روى الضحاك عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رحم الله أخِي يوسف، لو لم يقل: اجعلني على خزائن الأرض، لاستعمله من ساعته، ولكنه أخر ذلك سنة». وذكر مقاتل أن النبي ﷺ قال: «لو أن يوسف قال إني حفيظ عليم إن شاء الله، لملك من وقته». قال مجاهد: أسلم الملك على يد يوسف. وقال أهل السَّيَر: أقام في بيت الملك سنة، فلما انصرفت، دعاه الملك، فتَوَّجه، وردَّاه بسيفه، وأمر له بسرير من ذهب، وضرب عليه كِلَّةٌ<sup>(١)</sup> من إستبرق، فجلس على السرير كالقمر، ودانت له الملوك، ولزم الملك بيته، وفَوَّضَ أمره إليه، وعزل قُطَيفير عما كان عليه، وجعل يوسف مكانه، ثم إن قُطَيفير هلك في تلك الليالي، فزَوَّجَ الملكُ يوسفَ بامرأة قُطَيفير، فلما دخل عليها، قال: أليس هذا خيراً مما تريد؟ فقالت: أيها الصَّدِيقُ لا تلمني، فإني كنت امرأة حسنة في مُلْكٍ ودنيا، وكان صاحبي لا يأتي النساء، فغلبتني نفسي، فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء، فولدت له ابنتين، إفرائيم، وميشا، واستوسق له ملك مصر. والقول الثاني: أنه ملكه بعد سنة ونصف، حكاه مقاتل عن ابن عباس. والثالث: أنه سلَّم إليه الأمر من وقته، قاله وهب، وابن السائب. فإن قيل: كيف قال يوسف: ﴿إِنِّي حَفِيطٌ عَلَيْهِ﴾ ولم يقل: إن شاء الله؟ فنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن ترك الاستثناء أوجب عقوبة بأن أخر تمليكه، على ما ذكرنا عن النبي ﷺ. والثاني: أنه أضمر الاستثناء، كما أضمره في قولهم: ﴿وَكَيْفَ أَهْلَكْنَا﴾. والثالث: أنه أراد أن حفظي وعلمي يزيدان على حفظ غيري وعلمه، فلم يحتج هذا إلى الاستثناء، لعدم الشك فيه، ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري. فإن قيل: كيف مدح نفسه بهذا القول، ومن شأن الأنبياء والصالحين التواضع؟ فالجواب: أنه لما خلا مدحُه لنفسه من بغي وتكبر، وكان مراده به الوصول إلى حق قيمه وعدل يحبيه وجور يطله، كان ذلك جميلاً جائزاً، وقد قال نبينا ﷺ: «أنا أكرم ولد آدم على ربه»<sup>(٢)</sup>، وقال علي بن أبي طالب ﷺ: «والله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت، أم بنهار». وقال ابن مسعود: لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لأتيته. فهذه الأشياء، خرجت مخرج الشكر لله، وتعريف المستفيد ما عند المفيد، ذكر هذا محمد بن القاسم. قال القاضي أبو يعلى: في قصة يوسف دلالة على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه، وأنه ليس من المحظور في قوله: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢].

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: اجعلني على خزائن الأرض، قال: قد فعلت، فحُذِفَ ذلك، لأن قوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ يدل عليه، والمعنى: ومثل ذلك الإنعام الذي أنعمنا عليه في دفع المكروه عنه، وتخليصه من السجن، وتقريبه من قلب الملك، أقدرناه على ما يريد في أرض مصر ﴿يَتَّبِعُوا مِنَّا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ قال ابن عباس: ينزل حيث أراد. وقرأ ابن كثير، والمفضل: «حيث نشاء» بالنون.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَصِيبُ رَحْمَتَنَا﴾ أي: نختص بنعمتنا من النبوة والنجاة ﴿مَنْ نَشَاءُ وَلَا نَشِيعُ أَجْرَ الْمُتَحِينِينَ﴾ يعني المؤمنين. يقال: إن يوسف باع أهل مصر الطعام بأموالهم، وحُلِيِّهم، ومواشيهم، وعقارهم، وعبيدهم، ثم بأولادهم، ثم برقابهم، ثم قال للملك: كيف ترى صنْعَ ربي؟ فقال الملك: إنما نحن لك تبع، قال: فإني أشهد الله وأشهدك أنني قد اعتقت أهل مصر ورددت عليهم أملاكهم. وكان يوسف لا يَشِيعُ في تلك الأيام، ويقول: إني أخاف أن أنسى الجائع.

(١) الكِلَّةُ: ستر رقيق يخط فيه البيت يتوقى فيه من البعوض.

(٢) رواه الترمذي في «جامعه» ٢٠١/٢ عن أنس بن مالك ﷺ بلفظ: «أنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر» وقال: هذا حديث حسن غريب، وهو جزء من حديث طويل. وفي سننه الحسين بن يزيد الكوفي. قال الحافظ ابن حجر في «التفريب»: لين الحديث.

﴿وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٥٧)

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ المعنى: ما نُعطي يوسف في الآخرة، خير مما أُعطيناه في الدنيا، وكذلك غيره من المؤمنين ممن سلك طريقه في الصبر.

﴿وَجَعَلَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ إِخْوَةَ يُوسُفَ﴾ روى الضحاك عن ابن عباس قال: لما فُؤِض الملك إلى يوسف أمر مصر، تَلَطَّف يوسف للناس، ولم يزل يدعوهم إلى الإسلام، فآمنوا به وأحبوه، فلما أصاب الناس القحط، نزل ذلك بأرض كنعان، فأرسل يعقوب ولده للميرة، وذاع أمر يوسف في الآفاق، وانتشر عدله ورحمته ورافته، فقال يعقوب: يا بني، إنه قد بلغني أن بمصر ملكاً صالحاً، فانطلقوا إليه وأقروا مني السلام، وانتسبوا له لعله يعرفكم، فانطلقوا فدخلوا عليه، فعرفهم وأنكروه، فقال: من أين أتيتم؟ قالوا: من أرض كنعان، ولنا شيخ يقال له: يعقوب، وهو يقرئك السلام، فبكى وعصر عينيه وقال: لعلمكم جواسيس جثتم تنظرون عورة بلدي، فقالوا: لا والله، ولكننا من كنعان، أصابنا الجهد، فأمرنا أبونا أن نأتيك، فقد بلغه عنك خير، قال: فكم أنتم؟ قالوا: أحد عشر أخاً، وكنا اثني عشر فأكل أحدنا الذئب، قال: فمن يعلم صدقكم؟ اتنوني بأخيكم الذي من أبيكم. وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: لما دخلوا عليه كلّموه بالعبرانية، فأمر الترجمان فكلمهم ليشبه عليهم، فقال للترجمان: قل لهم: أنتم عيون، بعثكم ملككم لتتظروا إلى أهل مصر فتخبرونه فيأتينا بالجنود، فقالوا: لا، ولكننا قوم لنا أب شيخ كبير، وكنا اثني عشر، فهلك منا واحد في الغنم، وقد خلقنا عند أبنينا أخاً له من أمه، فقال: إن كنتم صادقين، فخلّفوا عندي بعضكم رهناً، واتنوني بأخيكم، فحبس عنده شمعون. واختلّفوا بماذا عرفهم يوسف على قولين: أحدهما: أنه عرفهم برؤيتهم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه ما عرفهم حتى تعرّفوا إليه، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ قال مقاتل: لا يعرفونه. وفي علّة كونهم لم يعرفوه قولان: أحدهما: أنه جاؤوه مقدّرين أنه ملك كافر، فلم يتأملوا منه ما يزول به عنهم الشك. والثاني: أنهم عاينوا من زينة وحليته ما كان سبباً لإنكارهم. وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أنه كان لابساً ثياب حرير، وفي عنقه طوق من ذهب. فإن قيل: كيف يخفى من قد أعطي نصف الحسن، وكيف يشبهه بغيره؟ فالجواب: أنهم فارقوه طفلاً ورأوه كبيراً، والأحوال تتغير، وما توهّموا أنه ينال هذه المرتبة. وقال ابن قتيبة: معنى كونه أعطي نصف الحسن، أن الله جعل للحسن غاية وحدّاً، وجعله لمن شاء من خلقه، إما للملائكة، أو للحرور، فجعل ليوسف نصف ذلك الحسن، فكانه كان حُسنًا مقارباً لتلك الوجوه الحسنة، وليس كما يزعم الناس من أنه أُعطي هذا الحسن، وأُعطي الناس كلهم نصف الحسن.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتَقْنُونَ إِيَّاهُ لَكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ الْآ تَرَوْتَ أَنِّي أَرْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (٥٩) فَإِنَّ لَّكَ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونَهُ (٦٠)

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾ يقال: جهّزت القوم تجهيزاً: إذا هيأت لهم ما يصلحهم، وجهاز البيت: مناعه. قال المفسرون: حمل لكل رجل منهم بعيراً، وقال: ﴿الآ تَرَوْتَ أَنِّي أَرْفِي الْكَيْلَ﴾ أي: أنتم ولا أتبعه، ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ يعني: المضيفين، وذلك أنه أحسن ضيافتهم. ثم أوعدهم على ترك الإتيان بأخيهم، فقال: ﴿فَإِنَّ لَّكَ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه يعني به؛ فيما بعد، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنه منعه من الكيل في الحال، قاله وهب بن منبه.

﴿قَالُوا سَرَّوْهُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَنَقُولُكَ﴾ (٦١)

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَرَّوْهُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ أي: نطلبه منه، والمرادة: الاجتهاد في الطلب. وفي قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَقُولُكَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: وإنا لجأؤوك به، وضامنون لك المجيء به، هذا مذهب الكلبي. والثاني: أنه تأكيد، قاله الزجاج، فعلى هذا، يكون الفعل الذي ضمنوه عائداً إلى المرادة، فيصح معنى التوكيد. والثالث: وإنا لمديمون المطالبة به لأبينا، ومتابعون المشورة عليه بتوجيهه، وهذا غير المرادة، ذكره ابن الأنباري. فإن قيل: كيف جاز

ليوسف أن يطلب أخاه، وهو يعلم ما في ذلك من إدخال الحزن على أبيه؟ فعنه خمسة أجوبة: أحدها: أنه يجوز أن يكون ذلك بأمر من الله تعالى زيادة لبلاء يعقوب ليعظم ثوابه، وهذا الأظهر. والثاني: أنه طلبه لا ليحبسه، فلما عرفه قال: لا أفارقك يا يوسف، قال: لا يمكنني حبسك إلا أن أنسبك إلى أمر فظيع، قال: افعل ما بدا لك، قاله كعب. والثالث: أن يكون قصد تنبيه يعقوب بذلك على حال يوسف. والرابع: ليتضاعف سرور يعقوب برجوع ولديه. والخامس: ليعجل سرور أخيه باجتماعه به قبل إخوته. وكل هذه الأجوبة مدخولة، إلا الأول، فإنه الصحيح. ويدل عليه ما رويناه عن وهب بن منبه، قال: لما جمع الله بين يوسف ويعقوب، قال له يعقوب: بيني وبينك هذه المسافة القريبة، ولم تكتب إليّ تعرفني؟! فقال: إن جبريل أمرني أن لا أعرفك، فقال له: سل جبريل، فسأله، فقال: إن الله أمرني بذلك، فقال: سل ربك، فسأله، فقال: قل ليعقوب: خفت عليه الذنب، ولم تؤمّني؟.

﴿وَقَالَ لِفَتْنِهِ اجْعَلُوا يَسْمَنَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْفِقُونَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلَيْنَا أَنَّهُمْ لَمَلَهُمْ بِرَجُوتٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفَتْنِهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «لفتيته». وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «لِفَتْنِهِ». قال أبو علي: الفتية جمع فتى في العدد القليل، والفتيان في الكثير. والمعنى: قال لغلمانهم: ﴿اجْعَلُوا يَسْمَنَهُمْ﴾ وهي التي اشتروا بها الطعام ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾، والرحل: كل شيء يُعَدُّ للرحيل. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْفِقُونَ﴾ أي: ليعرفوها ﴿إِذَا انْقَلَبُوا﴾ أي: رجعوا ﴿إِلَيْنَا أَنَّهُمْ لَمَلَهُمْ بِرَجُوتٍ﴾ أي: لكي يرجعوا. وفي مقصوده بذلك خمسة أقوال: أحدها: أنه تخوف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى، فجعل دراهمهم في رحالهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه أراد أنهم إذا عرفوها، لم يستحلوا إمساكها حتى يردوها، قاله الضحاك. والثالث: أنه استقبح أخذ الثمن من والده وإخوته مع حاجتهم إليه، فردّه عليهم من حيث لا يعلمون سبب رده تكرماً وتفضلاً، ذكره ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي. والرابع: ليعلموا أن طلبه لتؤدبهم لم يكن طمعاً في أموالهم، ذكره الماوردي. والخامس: أنه أراهم كرمه وبرّه ليكون ادعى إلى عودهم.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَيْنَا أَنَّهُمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَنًا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَنَرِيكَ كَافِيًا ۝﴾ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَسْمَنُكُمْ عَلَيْهِ مِن قَبْلُ فَالَّذِي خَرَّ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَيْنَا أَنَّهُمْ﴾ قال المفسرون: لما عادوا إلى يعقوب، قالوا: يا أبانا، قَدِمْنَا على خير رجل، أنزلنا، وأكرمنا كرامة، لو كان رجلاً من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته. وفي قوله: ﴿مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ قولان قد تقدما في قوله: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَيْنَا أَنَّهُمْ﴾ [يوسف: ٦١]. فإن قلنا: إنه لم يكل لهم، فلفظ «منع» بَيِّن. وإن قلنا: إنه خوفهم منع الكيل، ففي المعنى قولان: أحدهما: حُكِمَ علينا بمنع الكيل بعد هذا الوقت، كما تقول للرجل: دخلت والله النار بما فعلت. والثاني: أن المعنى: يا أبانا يُمنع منا الكيل إن لم ترسله معنا، فتاب «منع» عن «يُمنع» بكفوله: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَا لَهُ أَكْثَرُ ۝﴾ [الهمزة: ٣] أي: يخلده وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَصْحَابُ الْأَنْبَاءِ﴾ [الاعراف: ٥٠]، ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰيُوسَىٰ﴾ [المائدة: ١١٦] أي: وإذ يقول، ذكرهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَنًا نَكْتَلْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «نكتل»

بالتون. وقرأ حمزة، والكسائي: «يكتل» بالياء. والمعنى: إن أرسلته معنا اكتلنا، وإلا فقد مُنِعنا الكيل.

قوله تعالى: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: لا أنتمك إلا كامني على يوسف، يريد أنه لم ينفعه ذلك الأمن إذ خانوه.

﴿فَاللَّهُ خَيْرَ حَفَظًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «حفظاً»، والمعنى: خير حفظاً

من حفظكم. وقرأ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم: «خَيْرٌ حَفَظًا» بالف. قال أبو علي: ونصبه على التمييز دون

الحال.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِسْمَتِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْيٌ هَٰذَا هُوَ بِيَسْمَعْنَا رُتِّتَ إِلَيْنَا وَيَمِيرُ أَهْلَنَا وَحَفَظَ أَخَانَا

وَزَادَ كَيْلَ بَيْتِ ذَلِكَ كَيْلَ يَسِيرٍ ۝﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْفِقُوا مَوْفِقًا مِنْ اللَّهِ لَأَتَانِي بِهِ إِلَّا أَنْ يَحْمِلَ بِكُمْ فَلَمَّا مَاتُوا

مَوْفِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۝﴾ وَقَالَ يَبْنَؤُ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ رِجِيدٍ وَادْخُلُوا مِنْ الْبُورِ شَتْرَقَهُ وَمَا أَفْضَىٰ عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ



شَيْءٌ إِلَّا إِلَهَ الْحُكْمِ إِلَّا إِلَهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ قَلْبُكَ الْمَرْجُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ يعني أوعية الطعام ﴿وَجِدُوا يَضَعُهُمْ﴾ التي حملوها ثمناً للطعام ﴿رُدَّتْ﴾. قال الزجاج: الأصل «رُودت»، فأدغمت الدال الأولى في الثانية، وبقيت الراء مضمومة. ومن قرأ بكسر الراء جعل كسرتها منقولة من الدال، كما فعل ذلك في: قيل، وبيع، ليدل على أن أصل الدال الكسر.

قوله تعالى: ﴿مَا نَبِيٌّ﴾ في «ما» قولان: أحدهما: أنها استفهام، المعنى: أي شيء نبغي وقد رُدَّت بضاعتنا إلينا؟ والثاني: أنها نافية، المعنى: ما نبغي شيئاً، أي: لسنا نطلب منك دراهم نرجع بها إليه، بل تكفينا هذه في الرجوع إليه، وأرادوا بذلك تطيب قلبه ليأذن لهم بالعود. وقرأ ابن مسعود، وابن عمر، والجحدري، وأبو حيوة: «ما نبغي» بالياء، على الخطاب ليعقوب.

قوله تعالى: ﴿وَيَزِيرُ أَهْلَنَا﴾ أي: نجلب لهم الطعام. قال ابن قتيبة: يقال: مار أهله يميزهم مِيراً، وهو مائر لأهله: إذا حمل إليهم أقواتهم من غير بلده.

قوله تعالى: ﴿وَنَحْفَظُ أَمْثَانَا﴾ فيه قولان: أحدهما: نحفظ أخانا بنيامين الذي ترسله معنا، قاله الأكثرون. والثاني: ونحفظ أخانا شمعون الذي أخذه رهينة عنده، قاله الضحاك عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَوَرَدَا كَيْلَ بَيْعٍ﴾ أي: وثر بيعير، يعنون بذلك نصيب أخيهما، لأن يوسف كان لا يعطي الواحد أكثر من جمل بيعير.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ذلك كيل سريع، لا حيس فيه، يعنون: إذا جاء معنا، عجل الملك لنا الكيل، قاله مقاتل. والثاني: ذلك كيل سهل على الذي نمضي إليه، قاله الزجاج. والثالث: ذلك الذي جئناك به كيل يسير لا يُغْنِنا، قاله الماوردي.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَوُفِّيَنَا مَوْتَنَا﴾ أي: تعطوني عهداً أثق به، والمعنى: حتى تحلفوا لي بالله ﴿لَتَأْتِيَ بَدءَ﴾ أي: لتَرُدَّنَّه إلي. قال ابن الأنباري: وهذه اللام جواب لمضمر، تلخيصه: وتقولوا: والله لتأتيني به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْ يَحْطَأَ بِكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن يهلك جميعكم، قاله مجاهد. والثاني: أن يُحال بينكم وبينه فلا تقدرون على الإتيان به، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا مَاتَهُ مَوْتُهُمْ﴾ أي: أعطوه العهد، وفيه قولان: أحدهما: أنهم حلفوا له بحق محمد ﷺ ومنزلته من ربه، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنهم حلفوا بالله تعالى<sup>(١)</sup>، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الشهيد. والثاني: كفيل بالوفاء، رُوي عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَجِدٍ﴾ قال المفسرون: لما تجهزوا للرحيل، قال لهم يعقوب: «لا تدخلوا» يعني مصر «من باب واحد». وفي المراد بهذا الباب قولان: أحدهما: أنه أراد باباً من أبواب مصر، وكان لمصر أربعة أبواب، قاله الجمهور. والثاني: أنه أراد الطرق لا الأبواب، قاله السدي، وروى نحوه أبو صالح عن ابن عباس. وفي ما أراد بذلك ثلاثة أقوال: أحدها: أنه خاف عليهم العين، وكانوا أولي جمال وقوة، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه خاف أن يُغتالوا لما ظهر لهم في أرض مصر من النهمة، قاله وهب بن منبه. والثالث: أنه أحب أن يلقوا يوسف في خلوة، قاله إبراهيم النخعي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: لن أدفع عنكم شيئاً قضاء الله، فإنه إن شاء أهلككم متفرقين، ومصدقه في الآية التي بعدها ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ وهي إرادته أن

(١) وهو الذي عليه أكثر المفسرين.

يكون دخولهم كذلك شفقة عليهم. قال الزجاج: «إلا حاجة» استثناء ليس من الأول، والمعنى: لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها. قال ابن عباس: «قضاها» أي: أبداها وتكلم بها.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَدُو عَلِيمًا عَلَيْنَهُ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: إنه حافظ لما علمناه، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وإنه لدو علم أن دخولهم من أبواب متفرقة لا يغني عنهم من الله شيئاً، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: وإنه لعامل بما علم، قاله قتادة. وقال ابن الأنباري: سمي العمل علماً، لأن العلم أول أسباب العمل. والرابع: وإنه لمتيقن لودعنا، قاله الضحاك. والخامس: وإنه لحافظ لوصيتنا، قاله ابن السائب. والسادس: وإنه لعالم بما علمناه أنه لا يصيب بني إلا ما قضاه الله، قاله مقاتل. والسابع: وإنه لدو علم لتعليمنا إياه، قاله الفراء.

﴿وَكُنَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ فَأُوتِيَ إِلَيْنَا أَكْأَهُ قَالَ إِنَّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ يعني إخوته ﴿أُوتِيَ إِلَيْنَا أَكْأَهُ﴾ يعني بنيامين، وكان أخاه لأبيه وأمه، قاله قتادة، وضمه إليه وأنزله معه. قال ابن قتيبة: يقال: أوتى فلاناً إليّ، بمد الالف، إذا ضمته إليك، وأوتيت إلى بني فلان، بقصر الالف: إذا لجأت إليهم. وفي قوله: ﴿قَالَ إِنَّي أَنَا أَخُوكَ﴾ قولان: أحدهما: أنهم لما دخلوا عليه حبسهم بالباب، وأدخل أخاه، فقال له: ما اسمك؟ فقال: بنيامين، قال: فما اسم أمك؟ قال: راحيل بنت لاوي، فوثب إليه فاعتنقه، فقال: «إني أنا أخوك»، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وكذلك قال ابن إسحاق: أخبره أنه يوسف. والثاني: أنه لم يعترف له بذلك، وإنما قال: أنا أخوك مكان أخيك الهالك، قاله وهب بن منبه. وقيل: إنه أجلسهم كل اثنين على مائدة، فبقي بنيامين وحيداً يبكي، وقال: لو كان أخي حياً لأجلستني معه، فضمه يوسف إليه، وقال: «إني أرى هذا وحيداً، فأجلسه معه على مائدته. فلما جاء الليل، نام كل اثنين على منام، فبقي وحيداً، فقال يوسف: هذا ينام معي. فلما خلا به، قال: هل لك أخ من أمك؟ قال: كان لي أخ من أمي فهلك، فقال: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ فقال: أيها الملك، ومن يجد أعماً مثلك؟ ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، فبكى يوسف، وقام إليه فاعتنقه، وقال: ﴿إِنَّي أَنَا أَخُوكَ﴾ يوسف ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ قال قتادة: لا تأس ولا تحزن، وقال الزجاج: لا تحزن ولا تستكبر. قال ابن الأنباري: «تبئس»: تفتعل، من البؤس، وهو الضر والشدة، أي: لا يلحقنك بؤس بالذي فعلوا.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم كانوا يعيرون يوسف وأخاه بعبادة جدهما أبي أيهما للأصنام، فقال: لا تبئس بما كانوا يعملون من التعبير لنا، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لا تحزن بما سيعملون بعد هذا الوقت حين يسرقونك، فتكون «كانوا» بمعنى «يكونون» قال الشاعر:

فَأَذْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدْعُ لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي الْقَصَائِدِ مَضْنَعًا

وقال آخر:

وَانْصَحْ جَوَائِبَ قَبِيرِهِ بِدَمَائِهَا فَلَقَدْ يَكُونُ أَخَا دَمٍ وَدَبَائِحِ

أراد: فقد كان، وهذا مذهب مقاتل. والثالث: لا تحزن بما عملوا من حسدنا، وحرصوا على صرف وجه أبنينا عنا، وإلى هذا المعنى ذهب ابن إسحاق.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَمَعَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿قَالُوا نَقِيدُ صَوَاعِ التَّمْلِكِ وَلَيْسَ جَاءَ بِهِ جَدُّ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ﴾ قال المفسرون: أوفى لهم الكيل، وحمل لـ «بنيامين» بغيراً باسمه كما حمل لهم، وجعل السقاية في رحل أخيه، وهي الصواع، فهما اسمان واقعان على شيء واحد، كالبز والحنطة، والمائدة والخوان. وقال بعضهم: الاسم الحقيقي: الصواع، والسقاية وصف، كما يقال: كوز، وإناء، فالاسم الخاص: الكوز. قال المفسرون: جعل يوسف ذلك الصاع مكيالاً لتلا يكال بغيره. وقيل: كال لإخوته بذلك، وإكراماً لهم. قالوا: ولما ارتحل إخوة يوسف وأمعنوا، أرسل الطلب في أثرهم، فأدركوا وحبسوا، ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ قال الزجاج: أعلم معلّم، يقال: أذنته بالشيء، فهو مؤذن به، أي: أعلمته، وأذنت: أكثرت الإعلام بالشيء، يعني: أنه إعلام بعد إعلام. ﴿إِنَّهَا

الْعَيْرُ يريد: أهل العير، فأنث لأنه جعلها للعير. قال الفراء: لا يقال: عير، إلا لأصحاب الإبل. وقال أبو عبيدة: العير: الإبل المرحولة المركوبة. وقال ابن قتيبة: العير: القوم على الإبل. فإن قيل: كيف جاز ليوسف أن يُسرق من لم يسرق؟ فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أن المعنى: إنكم لسارقون يوسف حين قطعتموه عن أبيه وطرحتوه في الحب، قاله الزجاج. والثاني: أن المنادي نادى وهو لا يعلم أن يوسف أمر بوضع السقاية في رحل أخيه، فكان غير كاذب في قوله، قاله ابن جرير. والثالث: أن المنادي نادى بالتسريق لهم بغير أمر يوسف. والرابع: أن المعنى: إنكم لسارقون فيما يظهر لمن لم يعلم حقيقة أخباركم، كقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْكَافِرُ﴾ (١) [الدخان: ٤٩] أي: عند نفسك، لا عندنا، وقول النبي ﷺ: «كذب إبراهيم ثلاث كذبات» (٢) أي: قال قولاً يشبه الكذب، وليس به.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا﴾ يعني: إخوة يوسف ﴿وَأَكْبَرُوا عَلَيْهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: على المؤذن وأصحابه. والثاني: أقبل المنادي ومن معه على إخوة يوسف بالدعوى. ﴿مَاذَا تَقُولُونَ﴾ ما الذي ضل عنكم؟ ﴿قَالُوا نَقُودُ صَوَاعَ الْمَلِكِ﴾ قال الزجاج: الصواع هو الصاع بعينه، وهو يذکر ويؤنث، وكذلك الصاع يذکر ويؤنث. وقد قرئ: «صياح» بياء، وقرئ: «صُوع» بغير معجمة، وقرئ: «صُوع» بغير غير معجمة مع فتح الصاد، وضمها، وقرأ أبو هريرة: «صاع الملك» وكل هذه لغات ترجع إلى معنى واحد، إلا أن الصوع، بالفتح المعجمة، مصدر صغت، وُصف الإناث به، لأنه كان مصوغاً من ذهب. واختلفوا في جنسه على خمسة أقوال: أحدها: أنه كان قدحاً من زبرجد. والثاني: أنه كان من نحاس، روي عن ابن عباس. والثالث: أنه كان شربة من فضة مرصعة بالجواهر، قاله عكرمة. والرابع: كان كأساً من ذهب، قاله ابن زيد. والخامس: كان من يسن (٣)، حكاه الزجاج. وفي صفته قولان: أحدهما: أنه كان مستطيلاً يشبه المكوك. والثاني: أنه كان يشبه الطاس.

قوله تعالى: ﴿وَلَمِنْ جَاةٍ يَوْمَ﴾ يعني الصواع ﴿جَمَلٌ بَيْرٌ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا يَوْمَ زَعِيدٌ﴾ أي: كفيل لمن ردّه بالجمل، يقوله المؤذن.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمْ بِهِ الْفُسَيْدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ رُئِيَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ يَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (٤)

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ قال الزجاج: «تالله» بمعنى: والله، إلا أن التاء لا يقسم بها إلا في الله ﷻ. ولا يجوز تالرحمن لأفعلن، ولا: تربي لأفعلن. والتاء تُبدل من الواو، كما قالوا في وراث: تراث، وقالوا: يثرون، وأصله: يوترون، من الوزن. قل ابن الأنباري: أبدلت التاء من الواو، كما أبدلت في التخمة والتراث والشجاء، وأصلهن من الوخمة والوراث والوجاء، لأنهن من الوخامة والوراث والوجه. ولا تقول العرب: تالرحمن، كما قال: تالله، لأن الاستعمال في الإقسام كثر بالله، ولم يكن بالرحمن، فجاءت التاء بدلاً من الواو في الموضع الذي يكثر استعماله.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ يعنون يوسف ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ الْفُسَيْدَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لنظلم أحداً أو نسرق. فإن قيل: كيف حلّفوا على علم قوم لا يعرفونهم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها: أنهم قالوا ذلك، لأنهم ردّوا الدراهم ولم يستحلّوها، فالمعنى: لقد علمتم أننا ردّدنا عليكم دراهمكم وهي أكثر من ثمن الصاع، فكيف نستحل صاعكم، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثاني: لأنهم لما دخلوا مصر كعموا (٥) أفواه إبلهم وحميرهم حتى لا تتناول شيئاً، وكان غيرهم لا يفعل ذلك، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أن أهل مصر كانوا قد عرفوهم أنهم لا يظلمون أحداً.

قوله تعالى: ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ المعنى: قال المنادي وأصحابه: فما جزاؤه. قال الأخفش: إن شئت رددت الكناية إلى السارق، وإن شئت رددتها إلى السرق.

(١) انظر حديث الشفاعة الطويل، البخاري ٣٠٠/٨، ومسلم ١٨٤/١. والكذبات الثلاث، قوله: ﴿نَقَالَ إِنِّي مُنْفِقٌ﴾ وقوله: ﴿بَلْ تَكْمَلُ كَيْفُتُمْ هَذَا﴾ وقوله في سارة زوجته: «أختي».

(٢) في «اللسان»: المس: النحاس.

(٣) كم البعير: شد فاه، وقيل: شد فاه في هياجه لئلا يعض أو يأكل، والكام: ما كمنه به.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ أي: في قولكم: ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾. ﴿قَالُوا﴾ يعني: إخوة يوسف ﴿جَزَاءُ مَنْ يُجَدِّ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاءُ﴾ أي: يُستعبد بذلك. قال ابن عباس: وهذه كانت سُنَّةَ آل يعقوب.

﴿بَدَأَ بِأَرْعَيْتِهِمْ قَبْلَ وَعَاةِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخَرَهَا مِنْ وَعَاةِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَذَبَ لِيُؤَسِّفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَتَهُ مَن تَشَاءُ وَتُوقُ كُلَّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بَدَأَ بِأَرْعَيْتِهِمْ﴾ قال المفسرون: انصرف بهم المؤذن إلى يوسف، وقال: لا بد من تفتيش أمتعتكم، ﴿بَدَأَ﴾ يوسف ﴿بِأَرْعَيْتِهِمْ قَبْلَ وَعَاةِ أَخِيهِ﴾ لإزالة التهمة، فلما وصل إلى وعاء أخيه، قال: ما أظن هذا أخذ شيئاً، فقالوا: والله لا نبرح حتى ننظر في رحله، فهو أطيب لنفسك. فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَخَرَهَا﴾ وفي هاء الكناية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى السرقة، قاله الفراء. والثاني: إلى السقاية، قاله الزجاج. والثالث: إلى الصواع على لغة من آثته، ذكره ابن الأنباري. قال المفسرون: فاقبلوا على بنيامين، وقالوا: أي شيء صنعت؟! فضحتنا وأزريت بأبيك الصديق، فقال: وضع هذا في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالك، وقد كان يوسف أخبر أخاه بما يريد أن يصنع به.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَبَ لِيُؤَسِّفَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: كذلك صنعنا له، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: احتلنا له، والكيد: الحيلة، قاله ابن قتيبة. والثالث: أردنا ليوسف، ذكره ابن القاسم. والرابع: دبرنا له بأن ألهمناه ما فعل بأخيه ليتوصل إلى حبسه. قال ابن الأنباري: لما دبر الله ليوسف ما دبر من ارتفاع المنزلة وكمال النعمة على غير ما ظن إخوته، شبه بالكيد من المخلوقين، لأنهم يسترون ما يكيدون به عمن يكيدونه.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ في الرماد بالدين هاهنا قولان: أحدهما: أنه السلطان، فالمعنى: في سلطان الملك، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه القضاء، فالمعنى: في قضاء الملك، لأن قضاء الملك أن من سرق إنما يُضرب ويُعْرَمُ، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وبينا أنه لو أجرى أخاه على حكم الملك ما أمكنه حبسه، لأن حكم الملك الغرم والضرب فحسب، فأجرى الله على السنة إخوته أن جزاء السارق الاسترقاق، فكان ذلك مما كاد الله ليوسف لطفاً حتى أظهره بمراده بمشيئة الله، فذلك معنى قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾. وقيل: إلا أن يشاء الله إظهار علّة يستحق بها أخاه.

قوله تعالى: ﴿تَرْفَعُ دَرَجَتَهُ مَن تَشَاءُ﴾ وقرأ يعقوب «يرفع درجات من يشاء» بالياء فيهما. وقرأ أهل الكوفة «درجات» بالتثنية، والمعنى: ترفع الدرجات بصنوف العطاء، وأنواع الكرامات، وأبواب العلوم، وقهر الهوى، والتوفيق للهدى، كما رفعنا يوسف. ﴿وَتُوقُ كُلَّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ أي: فوق كل ذي علم رفعه الله بالعلم من هو أعلم منه حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى، والكمال في العلم معدوم من غيره. وفي مقصود هذا الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: يوسف أعلم من إخوته، وفوقه من هو أعلم منه. والثاني: أنه نبّه على تعظيم العلم، وبين أنه أكثر من أن يحاط به. والثالث: أنه تعليم للعالم التواضع للثاني لمعجب.

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَحَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَاثِرَ وَأَلَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾ قَالُوا يَا أَرْعَايَا الْعَزِيزُ إِنْ لَكُ الْآبَاءُ شَيْئاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ قَالَ مَكَادَ اللَّهُ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنَا عَنْهُهُ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُوكَ ﴿٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا﴾ يعني: إخوة يوسف: ﴿إِنْ يَسْرِقْ﴾ يعنون بنيامين ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يعنون يوسف. قال المفسرون: عوقب يوسف ثلاث مرات، قال للساقى: ﴿أَذْكَرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ فلبث في السجن بضع سنين، وقال للعزير: ﴿يَسِّرْ لِي أَمَّ أُمِّي بِالْعَتِيبِ﴾، فقال له جبريل: ولا حين هممت؟ فقال: ﴿وَمَا أُرِيكَ نَفْسِي﴾، وقال لإخوته: ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾، فقالوا: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾. وفي ما عنوا بهذه السرقة سبعة أقوال: أحدها: أنه كان يسرق الطعام من مائدة أبيه في سني المجاعة، فيطعمه للمساكين، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: أنه سرق مكحلة لخالته، رواه أبو مالك عن ابن عباس. والثالث: أنه سرق صنماً لجدّه أبي أمه، فكسره وألقاه

في الطريق، فعبره إخوته بذلك، قاله سعيد بن جبير، وهب بن منبه، وقتادة. والرابع: أن عمة يوسف - وكانت أكبر ولد إسحاق - كانت تحضن يوسف تحبه حباً شديداً، فلما ترعرع، طلبه يعقوب، فقالت: ما أقدر أن يغيب عني، فقال: والله ما أنا بتاركه، فعمدت إلى منطقة إسحاق، فربطتها على يوسف تحت ثيابه، ثم قالت: لقد قعدت منطقة إسحاق، فانظروا من أخذها، فوجدوها مع يوسف، فأخبرت يعقوب بذلك، وقالت: والله إنه لي أصنع فيه ما شئت، فقال: أنت وذاك، فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت، فذاك الذي عبره به إخوته، رواه ابن أبي نجيع عن مجاهد. والخامس: أنه جاءه سائل يوماً، فسرق شيئاً، فأعطاه السائل، فعبره بذلك. وفي ذلك الشيء ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان بيضة، قاله مجاهد. والثاني: أنه شاة، قاله كعب. والثالث: دجاجة، قاله سفيان بن عيينة. والسادس: أن بني يعقوب كانوا على طعام، فنظر يوسف إلى عرق، فخبأه، فعبره بذلك، قاله عطية العوفي، وإدريس الأودي. قال ابن الأنباري: وليس في هذه الأفعال كلها ما يوجب السرقة، لكنها تشبه السرقة، فعبره إخوته بذلك عند الغضب. والسابع: أنهم كذبوا عليه فيما نسبوه إليه، قاله الحسن. وقرأ أبو رزين، وابن أبي عيلة: «فقد سرق» بضم السين وكسر الراء وتشديدها.

قوله تعالى: ﴿فَأَسْرَحَا يُوسُفَ فِي تَقْيِيدِهِ﴾ في هاء الكناية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الكلمة التي ذكرت بعد هذا، وهي قوله: ﴿أَنْتَرُ سَرَّ مَكَانًا﴾، روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنها ترجع إلى الكلمة التي قالوها في حقه، وهي قولهم: ﴿فَقَدْ سَرَكَ أَحَ لَمْ مِنْ قَبْلُ﴾، وهذا معنى قول أبي صالح عن ابن عباس، فعلى هذا يكون المعنى: أسرَّ جواب الكلمة فلم يجبهم عليها. والثالث: أنها ترجع إلى الحجة، المعنى: فأسر الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿أَنْتَرُ سَرَّ مَكَانًا﴾ فيه قولان: أحدهما: سرُّ صنعياً من يوسف لما قدمتم عليه من ظلم أخيكم وعقوق أبيكم، قاله ابن عباس. والثاني: سرُّ منزلة عند الله، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: تقولون، قاله مجاهد. والثاني: بما تكذبون، قاله قتادة. قال الزجاج: المعنى: والله أعلم أسرق أخ له، أم لا. وذكر بعض المفسرين أنه لما استخرج الصواع من رحل أخيه، نقر الصواع، ثم أدناه من أذنه، فقال: إن صواعي هذا يخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلاً، وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه، فقال بنيامين: أيها الملك، سل صواعك عن أخي، أحي هو؟ ففكره، ثم قال: هو حي، وسوف تراه، فقال: سل صواعك، من جعله في رحلي؟ ففكر، وقال: إن صواعي هذا غضبان، وهو يقول: كيف تسألني عن صاحبي وقد رأيت مع من كنت؟ فغضب روبييل، وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا، فإذا مسَّ أحدهم الآخر ذهب غضبه، فقال: والله أيها الملك لتتركنا، أو لأصيحنَّ صبيحة لا يبقى بمصر امرأة حامل إلا ألقت ما في بطنها، فقال يوسف لابنه: قم إلى جنب روبييل فامسه، ففعل الغلام، فذهب غضبه، فقال روبييل: ما هذا؟! إن في هذا البلد من ذرية يعقوب؟ قال يوسف: ومن يعقوب؟ فقال: أيها الملك، لا تذكر يعقوب، فإنه إسرائيل الله ابن ذبيح الله ابن خليل الله. فلما لم يجدوا إلى خلاص أخيهم سبيلاً، سأله أن يأخذ منهم بديلاً به، فذلك قوله: ﴿يَكُونُكَ الْكَسِيرُ إِنَّ لَهُ أبا شَيْعًا كَبِيرًا﴾ أي: في سنه، وقيل: في قدره، ﴿فَتَحَذَّ أَحَدُنَا مَكَانَهُ﴾ أي: تستعبده بدلاً عنه ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: فيما مضى. والثاني: إن فعلت. ﴿قَالَ مِمَّا أَتَى﴾ قد سبق تفسيره [يوسف: ٢٣]، والمعنى: أعوذ بالله أن ناخذ بريئاً بسيقم.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ حَكَمُوا خَيْبًا قَالَ كَيْبَرُهُمْ أَلَمْ تَسْلَمُوا أَنْ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا قَرُلْتُمْ بِبُيُوتِ اللَّهِ فَلَنْ أُنْجِيَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْتِيَ آيٌ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيُّكُمْ فَقُولُوا يَكُونُكَ إِلَيَّ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ﴾ أي: أيسوا. وفي هاء «منه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى يوسف، فالمعنى: يسوا من يوسف أن يخلّي سبيل أخيه. والثاني: إلى أخيه، فالمعنى: يسوا من أخيه.

قوله تعالى: ﴿حَكَمُوا خَيْبًا﴾ أي: اعتزلوا الناس ليس معهم غيرهم، يتناجون ويتناظرون ويتشاورون، يقال: قوم نجى، والجمع أنجى، قال الشاعر:

إِنِّي إِذَا مَا الْقَوْمُ كَانُوا أَنْجِيَنِي

وَأَضْطَرَيْتُ أَغْنَا قَهُمْ كَالْأَرْشِيَّةِ<sup>(١)</sup>  
وإنما وُحِدَ «نَجِيًّا» لأنه يجري مجرى المصدر الذي يكون للثنتين والجمع والمؤنث بلفظ واحد. وقال الزجاج: انفردوا متجاجين فيما يعملون في ذهابهم إلى أبيهم وليس معهم أخوهم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَيْفَ رُفِّمَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه كبيرهم في العقل، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه يهودا، ولم يكن أكبرهم سناً، وإنما كان أكبرهم سناً روبييل، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، ومقاتل. والثاني: أنه شمعون، قاله مجاهد. والثاني: أنه كبيرهم في السن وهو روبييل، قاله قتادة، والسدي.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكَلَّمُوا أَنَا أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوَافِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾ في حفظ أخيكهم وردّه إليه ﴿وَمَن قُتِلَ مَا فَرَطْتُمْ فِي يَوْمِئِذٍ﴾ قال الفراء: «ما» في موضع رفع، كأنه قال: ومن قبل هذا تفريطكم في يوسف، وإن شئت جعلتها نصباً، المعنى: ألم تعلموا هذا، وتعلموا من قبل تفريطكم في يوسف. وإن شئت جعلت «ما» صلة، كأنه قال: ومن قبل فرطتم في يوسف. قال الزجاج: وهذا أجود الوجوه، أن تكون «ما» لغواً.

قوله تعالى: ﴿فَلَنَ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ أي: لن أخرج من أرض مصر، يقال: برح الرجل برحاً: إذا تنحى عن موضعه. ﴿حَتَّى يَأْتِيَ لِي﴾ قال ابن عباس: حتى يبعث إلي أن أتيه، ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أو يحكم الله لي، فيردّ أخي عليّ. والثاني: يحكم الله لي بالسيف، فأحارب من حبس أخي. والثالث: يقضي في أمري شيئاً، ﴿وَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْحَكِيمِينَ﴾ أي: أعدلهم وأفضلهم.

قوله تعالى: ﴿إِنكَ ابْنُكَ سَرَّ﴾ وقرأ ابن عباس، والضحاك، وابن أبي سريج عن الكسائي: «سُرِّ» بضم السين وتشديد الراء وكسرها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾ فيه قولان: أحدهما: وما شهدنا عليه بالسرقة إلا بما علمنا، لأننا رأينا المسروق في رحله، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يؤخذ بسرقة إلا بما علمنا من دينك، قاله ابن زيد. وفي قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَقِيبَ حُفُوظِينَ﴾ ثمانية أقوال: أحدها: أن الغيب هو الليل، والمعنى: لم نعلم ما صنع بالليل، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وهذا يدل على أن التهمة وقعت به ليلاً. والثاني: ما كنا نعلم أن ابنك يسرق، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال عكرمة، وقاتدة، ومكحول. قال ابن قتيبة: فالمعنى: لم نعلم الغيب حين أعطيناك الموثق لنأتيتك به أنه يسرق فيؤخذ. والثالث: لم نستطع أن نحفظه فلا يسرق، رواه عبد الوهاب عن مجاهد. والرابع: لم نعلم أنه سرق للملك شيئاً، ولذلك حكمنا باسترقاق السارق، قاله ابن زيد. والخامس: أن المعنى: قد رأينا السرقة قد أخذت من رحله، ولا علم لنا بالغيب فلعلمهم سرّقه، قاله ابن إسحاق. والسادس: ما كنا لغيب ابنك حافظين، إنما نقدر على حفظه في محضره، فإذا غاب عنا، خفيت عنا أموره. والسابع: لو علمنا من الغيب أن هذه البلية تقع بابنك ما سافرنا به، ذكرهما ابن الأنباري. والثامن: لم نعلم أنك تُصَابُ به كما أصبت يوسف، ولو علمنا لم نذهب به، قاله ابن كيسان.

﴿وَمَقَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدُوقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَقَلِ الْقَرْيَةَ﴾ المعنى: قولوا لأبيكم: سل أهل القرية ﴿الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ يعنون مصر ﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ أي: وأهل العير، وكان قد صاحبهم قوم من الكنعانيين. قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون المعنى: وسل القرية والعير فإنها تعقل عنك لأنك نبي، والأنبياء قد تخاطبهم الأحجار والبهائم، فعلى هذا تسلم الآية من إضمار.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْ لَا تَصَبِرُ جِيلٌ عَنَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

(١) البيت لسحيم بن وثيل اليربوعي، كما في «اللسان»: نجا، وروايته فيه: «واضطرب القوم اضطراب الأرشية»، وهو غير منسوب في «شكل القرآن» ٢٢٠، «القرطبي» ٩/٢٤١. قال ابن بري: حكى القاضي الجرجاني عن الأصمعي وغيره: أنه يصف قوماً أتبعهم السير والسفر، فرقدوا على ركابتهم واضطربوا عليها، وشد بعضهم على ناقته حذار سقوطه من عليها. وقيل: إنما ضربه مثلاً لتزول الأمر المهم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ في الكلام اختصار، والمعنى: فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له ذلك، فقال لم هذا، وقد شراحناه في أول السورة [يوسف: ١٨]. واختلفوا لأي علة قال لهم هذا القول، على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ظن أن الذي تخلف منهم، إنما تخلف حيلة ومكرأ ليصدّتهم، قاله وهب بن منبه. والثاني: أن المعنى: سوّلت لكم أنفسكم أن خروجكم بأخيكم يجلب نفعا، فجزّ ضرراً، قاله ابن الأنباري. والثالث: سوّلت لكم أنه سرق، وما سرق. قوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ يعني: يوسف وبنيامين وأخاهما المقيم بمصر. وقال مقاتل: أقام بمصر يهوذا وشمعون، فأراد بقوله: ﴿أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾ يعني: الأربعة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ هَرُ الْقَلْبِ﴾ أي: بشدة حزني، وقيل: بمكانهم، ﴿الْكَلِمِ﴾ فيما حكى علي.  
﴿وَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفُ عَلَيَّ يُوسُفَ وَأَيُّضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤)

قوله تعالى: ﴿وَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عن ولده أن يطيل معهم الخطب، وانفرد بحزنه، وهيج عليه ذكر يوسف ﴿وَقَالَ يَأْسَفُ عَلَيَّ يُوسُفَ﴾ قال ابن عباس: يا طول حزني على يوسف. قال ابن قتيبة: الأسف: أشد الحسرة. قال سعيد بن جبير: لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم يُعط الأنبياء قبلهم: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِلَيْهِ رُجُوعٌ﴾ [البقرة: ١٥٦]، ولو أعطيها الأنبياء لأعطيها يعقوب؛ إذ يقول: ﴿يَأْسَفُ عَلَيَّ يُوسُفَ﴾. فإن قيل: هذا لفظ الشكوى، فأين الصبر؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه شكاً إلى الله تعالى، لا منه. والثاني: أنه أراد به الدعاء، فالمعنى: يا رب ارحم أسفي على يوسف. وذكر ابن الأنباري عن بعض اللغويين أنه قال: نداء يعقوب الأسف في اللفظ من المجاز الذي يُعنى به غير المظهر في اللفظ، وتلخيصه: يا إلهي ارحم أسفي، أو أنت راء أسفي، وهذا أسفي، فنادى الأسف في اللفظ، والمنادى في المعنى سواء، كما قال: ﴿يا حسرتنا﴾ والمعنى: يا هؤلاء تنبهوا على حسرتنا، قال: والحزن ونفور النفس من المكروه والبلاء لا عيب فيه ولا مأمّن إذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثّم ولم يشك إلا إلى ربه، فلما كان قوله: ﴿يا أسفي﴾ شكوى إلى ربه، كان غير ملوم. وقد روي عن الحسن أن أخاه مات، فجزع الحسن جزعاً شديداً، فعوتب في ذلك، فقال: ما وجدت الله عاب على يعقوب الحزن حيث قال: ﴿يا أسفي على يوسف﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ أي: انقلبت إلى حال البياض. وهل ذهب بصره، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه ذهب بصره، قاله مجاهد. والثاني: ضعف بصره لبياض تغشاه من كثرة البكاء، ذكره الماوردي. وقال مقاتل: لم يُبصر بعينه ست سنين. قال ابن عباس: وقوله: «من الحزن» أي: من البكاء، يريد أن عينيه ابيضتا لكثرة بكائه، فلما كان الحزن سبباً للبكاء، سمي البكاء حزناً. وقال ثابت البناني: دخل جبريل على يوسف، فقال: أيها الملك الكريم على ربه، هل لك علم بيعقوب؟ قال: نعم. قال: ما فعل، قال: ابيضت عيناه، قال: ما بلغ حزنه؟ قال: حزن سبعين ثكلى، قال: فهل له على ذلك من أجر؟ قال: أجر مائة شهيد. وقال الحسن البصري: ما فارق يعقوب الحزن ثمانين سنة، وما جفت عينه، وما أحد يومئذٍ أكرم على الله منه حين ذهب بصره.

قوله تعالى: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ الكظيم بمعنى الكاظم، وهو الممسك على حزنه فلا يظهره، قاله ابن قتيبة. وقد شرحنا هذا عند قوله: ﴿وَالْكَلِيمِ الْقَلِيلِ﴾ [إلى عمران: ١٣٤].

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحَزَنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦) بَيْنَهُ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّنُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَجْعِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَجْعِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧)

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: والله، وجواب هذا القسم «لا» المضمرة التي تأويلها: تالله لا تفتأ، فلما كان موضعها معلوماً خفف الكلام بسقوطها من ظاهره، كما تقول العرب: والله أقصدك أبداً، يعنون: لا أقصدك، قال امرؤ القيس:

فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّوْ أَبْرَحَ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي

يريد: لا أبرح، وقالت الخساء:

فَأَقْسَنْتُ أُسَىٰ عَلَىٰ هَالِكٍ

أرادت: لا أُسَى، وقال الآخر:

لَمْ يَشْعُرِ الثُّغْنُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدِّ

ثَالِهِ أُنْسَىٰ مُصِيبَتِي أَبَدًا

وقرأ أبو عمران، وابن محيصن، وأبو حيوة: «قالوا بالله» بالباء، وكذلك كل قَسَم في القرآن. وأما قوله: «نفثا» فقال المفسرون وأهل اللغة: معنى «نفثا» تزال، فمعنى الكلام: لا تزال تذكر يوسف، وأنشد أبو عبيدة:

فَمَا قَتَيْتُ خَيْلَ ثُؤُبٍ وَتَدْعِي

وأنشد ابن القاسم:

فَمَا قَتَيْتُ مِنَّا رِعَالًا كَانَتْهَا

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرْصًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الدَّنْف، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال ابن قتبية: يقال: أحرضه الحزن، أي: أدنفه. قال أبو عبيدة: الحرض: الذي قد أذابه الحزن أو الحب، وهي في موضع مخرّض. وأنشد:

إِنِّي امْرُؤٌ لَّجَّ بِي حُبٌّ فَأَحْرَضَنِي

أي: أذابني. وقال الزجاج: الحرض: الفاسد في جسمه، والمعنى: حتى تكون مدنفًا مريضًا. والثاني: أنه الذهاب العقل، قاله الضحاك عن ابن عباس. وقال ابن إسحاق: الفاسد العقل. قال الزجاج: وقد يكون الحرض: الفاسد في أخلاقه. والثالث: أنه الفاسد في جسمه وعقله، يقال: رجل حارص وحرض، فحارص يثني ويُجمع ويؤنث، وحرض لا يُجمع ولا يثني، لأنه مصدر، قاله الفراء. والرابع: أنه الهرم، قاله الحسن، وقتادة، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿أَو تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ يعنون: الموتى. فإن قيل: كيف حلفوا على شيء يجوز أن يتغير؟ فالجواب: أن في الكلام إضماراً، تقديره: إن هذا في تقديرنا وظننا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي﴾ قال ابن قتبية: البث: أشد الحزن، سمي بذلك، لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يثنه.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ المعنى: إني لا أشكو إليكم، وذلك لما عَفَوْهُ بما تقدم ذكره. وروى الحاكم أبو عبد الله في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كان ليعقوب أخ مؤاخ، فقال له ذات يوم: يا يعقوب، ما الذي أذهب بصرك؟ وما الذي قَوَّسَ ظهرك؟ قال: أمّا الذي أذهب بصري، فالبكاء على يوسف، وأما الذي قَوَّسَ ظهري، فالحزن على بنيامين، فأتاه جبريل، فقال: يا يعقوب إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أما تستحي أن تشكو إلى غيري؟ فقال: إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وحزني إلى الله، فقال جبريل: الله أعلم بما تشكو، ثم قال يعقوب: أي رب، أما ترحم الشيخ الكبير؟ أذهبت بصري، وقَوَّستَ ظهري، فاردد عليّ ريحاني أشمه شمة قبل الموت، ثم اصنع بي يا رب ما شئت، فأتاه جبريل، فقال: يا يعقوب، إن الله يقرأ عليك السلام ويقول: أبشر، فوعزتي لو كانا ميتين لنشترتهما لك، اصنع طعاماً للمساكين، فإن أحب عبادي إليّ المساكين، وتدرى لم أذهبتُ بصرك، وقَوَّستَ ظهرك، وصنع إخوة يوسف بيوسف ما صنعوا؟ لأنكم ذبحتم شاة، فأتاكم فلان المسكين وهو صائم، فلم تطعموه منها. فكان يعقوب بعد

(١) «ديوانه» ١٢٠.

(٢) البيت لأوس بن حجر التميمي: «ديوانه» ٥٨ وقد استشهد به أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ٣١٦/١، والطبري ٣٩/١٣، وشواهد الكشاف ١٦٨.

(٣) البيت لعبد الله بن عمر بن عبد الله العرجي في «مجاز القرآن» ٣١٧/١، والطبري ٤٢/١٣، والقريطي ٢٥٠/٩، والاشتقاق ٤٨، والسمط ٤٢٢، والصاحح، واللسان: حرض.



ذلك إذا أراد الغداء أمر منادياً فنادى: ألا من أراد الغداء من المساكين فليتنفد مع يعقوب، وإذا كان صائماً، أمر منادياً فنادى: من كان صائماً فليطمر مع يعقوب<sup>(١)</sup>. وقال وهب بن منبه: أوحى الله تعالى إلى يعقوب: أتدري لم عاقبتك وجبت عنك يوسف ثمانين سنة؟ قال: لا، قال: لأنك شويت عناقاً وقثرت على جارك وأكلت ولم تطعمه. وذكر بعضهم أن السبب في ذلك أن يعقوب ذبح عجل بقرة بين يديه، وهي تخور، فلم يرحمها. فإن قيل: كيف صبر يوسف عن أبيه بعد أن صار ملكاً؟ فقد ذكر المفسرون عنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه يجوز أن يكون ذلك عن أمر الله تعالى، وهو الأظهر. والثاني: لئلا يظن الملك بتعجيل استدعائه أهله، شدة فاقتهم. والثالث: أنه أحب بعد خروجه من السجن أن يدرج نفسه إلى كمال السرور. والصحيح أن ذلك كان عن أمر الله تعالى، ليرفع درجة يعقوب بالصبر على البلاء. وكان يوسف يلاقي من الحزن لأجل حزن أبيه عظيماً، ولا يقدر على دفع سبه.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأنا سنسجد له، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أعلم من سلامة يوسف ما لا تعلمون. قال ابن السائب: وذلك أن ملك الموت أتاه، فقال له يعقوب: هل قبضت روح ابني يوسف؟ قال: لا. والثالث: أعلم من رحمة الله وقدرته ما لا تعلمون، قاله عطاء. والرابع: أنه لما أخبره بنوه بسيرة العزيز، طمع أن يكون هو يوسف، قاله السدي، قال: ولذلك قال لهم: ﴿أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا﴾. وقال وهب بن منبه: لما قال له ملك الموت: ما قبضت روح يوسف، تباشر عند ذلك، ثم أصبح، فقال لبنيه: ﴿أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾. قال أبو عبيدة: «تحسسوا» أي: تخبروا والتجسسوا في المظان. فإن قيل: كيف قال: «من يوسف» والغالب أن يقال: تحسست عن كذا؟ فعنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أن المعنى: عن يوسف، ولكن نابت عنها «من» كما تقول العرب: حدثني فلان من فلان، يعنون عنه. والثاني: أن «من» أوثرت للتبعض، والمعنى: تحسسوا خبراً من أخبار يوسف.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَجْعِ اللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من رحمة الله، قاله ابن عباس، والضحاك. والثاني: من فرج الله، قاله ابن زيد. والثالث: من توسعة الله، حكاه ابن القاسم. قال الأصمعي: الروح: الاستراحة من غم القلب. وقال أهل المعاني: لا تياسوا من الروح الذي يأتي به الله، ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَجْعِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ لأن المؤمن يرجو الله في الشدائد.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَكُونُ الْغَزِيرُ مَسْئًا وَأَهْلُنَا الشَّرُّ وَحَسْبُ يَضَعُو مُرْجَحَتَهُ فَأَوْفَ لَنَا الْكَيْلَ وَصَدَقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَبِّرِينَ﴾ قال هل علمتم ما فعلتم يوسف وأخيه إذ أنتم جهلون ﴿١٨﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَكُنْ لَكَ يَوْسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُتَصَبِّرِينَ ﴿١٩﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخُدُوتِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ لَا تُنْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٢١﴾ أَذْهَبُوا بِمِيعَتِي هَذَا فَأَلْفَوْهُ عَلَى نَجْوَى أَبِي يَاقِينَ بِمِيعَةٍ وَأَتَوْهُ بِأَمْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: فخرجوا إلى مصر، فدخلوا على يوسف، ف ﴿قَالُوا يَكُونُ الْغَزِيرُ﴾ وكانوا يسمون ملكهم بذلك، ﴿مَسْئًا وَأَهْلُنَا الشَّرُّ﴾ يعنون الفقر والحاجة ﴿وَحَسْبُ يَضَعُو مُرْجَحَتَهُ﴾. وفي ماهية تلك البضاعة سبعة أقوال: أحدها: أنها كانت دراهم، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنها كانت متاعاً رقيقاً كالحبل والغرارة<sup>(٢)</sup>، رواه ابن أبي مليكة عن ابن عباس. والثالث: كانت أقطاً<sup>(٣)</sup>، قاله الحسن. والرابع: كنت

(١) الحاكم في «المستدرک» ٣٤٨/٢ وقال: هكذا في سماحي بخط يد حفص بن عمر بن الزبير، وأظن الزبير وهماً من الراوي، فإنه حفص بن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري ابن أخي أنس بن مالك، فإن كان كذلك فالحديث صحيح، وقد رواه إسحاق بن راهويه مراسلاً هـ. وذكره ابن كثير في «التفسير» ٤٨٨/٢ من رواية ابن أبي حاتم، وقال: وهذا حديث غريب فيه تكارة. وخرجه الهيثمي في «المجمع» ٤٠/٧، وقال: رواه الطبراني في «الصغير» والأوسط، عن شيخه محمد بن أحمد الباهلي البصري وهو ضعيف جداً. وأورده السيوطي في «الدرر» ٣٢/٤، وزاد نسبه لابن أبي الدنيا في كتاب «الفرج بعد الشدة»، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٢) الغرارة، بكسر النون: الجُوالق، واحدة الغرارة، وربما كان معرباً. (٣) الأقط: اللبن المجفف الذي لم يترع زيده.

نعلاً وأدمًا، رواه جوير عن الضحاك. والخامس: كانت سويق المفل<sup>(١)</sup>، روي عن الضحاك أيضاً. والسادس: حبة الخضرأ وصنوبر، قاله أبو صالح. والسابع: كانت صوفاً وشيثاً من سمن، قاله عبد الله بن الحارث. وفي المزجاة خمسة أقوال: أحدها: أنها القليلة. روى العوفي عن ابن عباس قال: دراهم غير طائلة، وبه قال مجاهد، وابن إسحاق، وابن قتيبة. قال الزجاج: تأويله في اللغة أن الترجية: الشيء الذي يدافع به، يقال: فلان يزجي العيش، أي: يدفع بالقليل ويكتفي به، فالمعنى: جئنا ببضاعة إنما ندافع بها ونتقوت، وليست مما يتسع به، قال الشاعر:

الزَاهِبُ الْمَاءَةُ الْهَجَانُ وَعَبْدَهَا

عُودًا تُزْجِي خَلْفَهَا أَطْفَالَهَا<sup>(٢)</sup>

أي: تدفع أطفالها. والثاني: أنها الرديئة، رواه الضحاك عن ابن عباس. قال أبو عبيدة: إنما قيل للرديئة: مزجاة، لأنها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن ينفقها، قال: وهي من الإزجاء، والإزجاء عند العرب: السُّوق والدفع، وأنشد:

لِيَبْنِكَ عَلَى يِلْحَانٍ ضَيْفٌ مُدْفَعٌ

وَأَزْمَلَةٌ تُزْجِي مَعَ اللَّئِيلِ أَزْمَلًا<sup>(٣)</sup>

أي: تسوقه. والثالث: الكاسدة، رواه الضحاك أيضاً عن ابن عباس. والرابع: الرثة، وهي المتاع الخلق، رواه ابن أبي مليكة عن ابن عباس. والخامس: الناقصة، رواه أبو حصين عن عكرمة.

قوله تعالى: ﴿فَأَوَّيْنَا لَكَ الْكَيْلَ﴾ أي: أتمه لنا ولا تنقصه لرداءة بضاعتنا.

قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَ عَلَيْنَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: تصدَّق علينا بما بين سعر الجياد والرديئة، قاله سعيد بن جبير، والسدي. قال ابن الأنباري: كان الذي سألوه من المسامحة يشبه التصدَّق، وليس به. والثاني: بردُ أخينا، قاله ابن جريج، قال: وذلك أنهم كانوا أنبياء، والصدقة لا تحل للأنبياء. والثالث: وتصدَّق علينا بالزيادة على حقنا، قاله ابن عيينة، وذهب إلى أن الصدقة قد كانت تحل للأنبياء قبل نبينا ﷺ، حكاه عنه أبو سليمان الدمشقي، وأبو الحسن الماوردي، وأبو يعلى بن الفراء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ أي: بالثواب. قال الضحاك: لم يقولوا: إن الله يجزيك إن تصدقت علينا، لأنهم لم يعلموا أنه مؤمن.

قوله تعالى: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَآ فَعَلْتُ يَٰيُوسُفُ وَأَخِيهِ﴾ في سبب قوله لهم هذا، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أخرج إليهم نسخة الكتاب الذي كتبه على أنفسهم ببيعه من مالك بن ذعر، وفي آخر الكتاب: «وكتب يهوذا» فلما قرؤوا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا: هذا كتاب كتبناه على أنفسنا عند بيع عبدٍ كان لنا، فقال يوسف عند ذلك: إنكم تستحقون العقوبة، وأمر بهم ليقتلوا، فقالوا: إن كنت فاعلاً، فاذهب بامتعتنا إلى يعقوب، ثم أقبل يهوذا على بعض إخوته، وقال: قد كان أبونا متصل الحزن لفقد واحد من ولده، فكيف به إذا أخبر بهلكتنا أجمعين؟ فرق يوسف عند ذلك وكشف لهم أمره، وقال لهم هذا القول، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم لما قالوا: ﴿مَسْنَا وَأَعْلَنَّا الْفُرْ﴾ أدركته الرحمة، فقال لهم هذا، قاله ابن إسحاق. والثالث: أن يعقوب كتب إليه كتاباً: إن رددت ولدي، وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابغ من ولذك، فيكى، وقال لهم هذا. وفي «هل» قولان: أحدهما: أنها استفهام لتعظيم القصة لا يراد به نفس الاستفهام. قال ابن الأنباري: والمعنى: ما أعظم ما ارتكبتم، وما أسمح ما آثرتهم من قطيعة الرحم وتضييع الحق، وهذا مثل قول العربي: أتدري من عصيت؟ هل تعرف من عاديت؟ لا يريد بذلك الاستفهام، ولكن يريد تفضيح الأمر، قال الشاعر:

أَتَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي

(١) السويق: طعام يتخذ من دقيق الشعير أو الحنطة المقلو، ويقال لسويق المقل: الحنّي، ولسويق النبق: القنّي، وقال أعرابي يصفه: هو عدة المسافرين وطعام المجلان، وبلغة المريض.

(٢) البيت للأعشى في «ديوانه» ٢٩ من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب، والهجان: جمع هجين، وهو الأبيض الكريم، يقال: إبل هجان، والعوة: الحديثات التناج، وزجي الشيء: دفعه برفق، يقول: إن الممدوح يهب المائة من الإبل وعبدها، تتبعها أطفالها تسعى خلفها.

(٣) البيت في «اللسان»: رمل، أنشده ابن بري شاهداً على أن الأرملة: المرأة التي لا زوج لها.

لم يرد الاستفهام، إنما أراد أن هذا غير مرجو عندهم. قال: ويجوز أن يكون المعنى: هل علمتم عقي ما فعلتم بيوسف وأخيه من تسليم الله لهما من المكروه؟ وهذه الآية تصديق قوله: ﴿لَتَنبَيِّنَهُنَّ لِأَنَّهُنَّ بَيِّنَاتٌ﴾. والثاني: أن «هل» بمعنى «قد» ذكره بعض أهل التفسير. فإن قيل: فالذي فعلوا بيوسف معلوم، فما الذي فعلوا بأخيه، وما سَعَوْا في حبسه ولا أرادوه؟ فالجواب من وجوه: أحدها: أنهم فرّقوا بينه وبين يوسف، فنَعَصُوا عيشه بذلك. والثاني: أنهم آذَوْه بعد فقد يوسف. والثالث: أنهم سَبَوْه لما قُذِف بسرقة الصاع. وفي قوله: ﴿إِذْ أُنْشِرَ جَاهِلُونَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: إذ أنتم صبيان، قاله ابن عباس. والثاني: ملذّبون، قاله مقاتل. والثالث: جاهلون بعقوق الأب، وقطع الرحم، وموافقة الهوى. والرابع: جاهلون بما يؤول إليه أمر يوسف، ذكرهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ لَأَن تَؤُسَّ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وابن محيصن: «إنك» على الخبر، وقراء آخرون بهمزيّنين محققين، وأدخل بعضهم بينها ألفاً<sup>(١)</sup>. واختلف المفسرون، هل عرفوه، أم شَبَّهوه؟ على قولين: أحدهما: أنهم شَبَّهوه بيوسف، قاله ابن عباس في رواية. والثاني: أنهم عرفوه، قاله ابن إسحاق. وفي سبب معرفتهم له ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تبسم، فشَبَّهوا ثناباه بثنايا يوسف، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنه كانت له علامة كالشامة في قرنه، وكان ليعقوب مثلها، ولإسحاق مثلها، وللسارة مثلها، فلما وضع التاج عن رأسه، عرفوه، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أنه كشف الحجاب، فعرفوه، قاله ابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾ قال ابن الأنباري: إنما أظهر الاسم، ولم يقل: أنا هو، تعظيماً لما وقع به من ظلم إخوته، فكانه قال: أنا المظلوم المستحل منه، المراد قتله، فكفى ظهور الاسم من هذه المعاني، ولهذا قال: ﴿وَهَذَا أَخِي﴾ وهم يعرفونه، وإنما قصد: وهذا المظلوم كظلمي.

قوله تعالى: ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ نَاثٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بخير الدنيا والآخرة. والثاني: بالجمع بعد الفرقة. والثالث: بالسلامة ثم بالكرامة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ قرأ ابن كثير في رواية قبل: «من يتقي ويصبر» بياء في الوصل والوقف، وقرأ الباقون بغير ياء في الحالين. وفي معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: من يتق الزنى ويصبر على البلاء. والثاني: من يتق الزنى ويصبر على العزبة. والثالث: من يتق الله ويصبر على المصائب، رويت هذه الأقوال عن ابن عباس. والرابع: يتق معصية الله ويصبر على السجن، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَأَن تَصْبِرَ أَجْرَ الْمُصْبِرِينَ﴾ أي: أجر من كان هذا حاله.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ نَاثٍ﴾ أي: اختارك وفضلك. وبماذا عنوا أنه فضلته فيه؟ أربعة أقوال: أحدها: بالملك، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: بالصبر، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: بالعلم والصفح عنا، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والرابع: بالعلم والعقل والحسن وسائر الفضائل التي أعطاه.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَطِيئِينَ﴾ قال ابن عباس: لمذنبين آثمين في أمرك. قال ابن الأنباري: ولهذا اختير «خاطئين» على «مخطئين»، وإن كان «أخطأ» على «السن» أكثر من «خطئ» يخطأ، لأن معنى خطئ يخطأ، فهو خاطئ: آثم، ومعنى أخطأ يخطئ، فهو مخطئ: ترك الصواب ولم يأثم، قال الشاعر:

عَبَاذُكَ يَخْطَاوْنَ وَأَنْتَ رَبُّ  
بِكُفِّكَ الْمَنَايَا وَالْحُثُومِ<sup>(٢)</sup>

أراد: يأثمون. قال ويجوز أن يكون أثر «خاطئين» على «مخطئين» لموافقة رؤوس الآيات، لأن «خاطئين» أشبه بما قبلها. وذكر الفراء في معنى «إن» قولين: أحدهما: وقد كنا خاطئين. والثاني: وما كنا إلا خاطئين.

(١) قال أبو جعفر ابن جرير الطبري ٥٥/١٢: والصواب من القراءة في ذلك عندنا، قراءة من قرأ بالاستفهام، لإجماع الجماعة من القوله عليه. وقال ابن كثير ٤٨٩/٢: والقراءة المشهورة هي الأولى، لأن الاستفهام يدل على الاستعظام، أي: أنهم تعجبوا من ذلك أنهم يترددون إليه من ستين وأكثر، وهم لا يعرفونه، وهو مع هذا يعرفهم ويكرم نفسه، فلها قالوا على سبيل الاستفهام: ﴿أَوَلَيْكَ لَأَن تَؤُسَّ﴾؟

(٢) البيت غير منسوب في «اللسان»: خطأ.

قوله تعالى: ﴿لَا تَتْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: لا أعيركم بعد اليوم بهذا أبداً. قال ابن الأنباري: إنما أشار إلى ذلك اليوم، لأنه أول أوقات العفو، وسبيل العافي في مثله أن لا يراجع عقوبة. وقال ثعلب: قد تَرَبَّ فلان على فلان: إذا عُدَّ عليه ذنوبه. وقال ابن قتيبة: لا تعير عليكم بعد هذا اليوم بما صنعتكم، وأصل التريب: الإفساد، يقال: تَرَبَّ علينا: إذا أفسد، وفي الحديث: «إِذَا زُنْتُ أُمَّةً أَحَدَكُمْ فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ، وَلَا يَتْرَبْ»<sup>(١)</sup> أي: لا يعيرها بالزنى. قال ابن عباس: جعلهم في جِلٍّ، وسأل الله المغفرة لهم. وقال السدي: لما عَرَفَهم نفسه، سألهم عن أبيه، فقالوا: ذهب عيناه، فأعطاهم قميصه، وقال: «أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا» وهذا القميص كان في قسبة من فضة معلقاً في عنق يوسف لما ألقي في الجب، وكان من الجنة، وقد سبق ذكره [يوسف: ١٨، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨].

قوله تعالى: ﴿يَأْتِ بِصِيرًا﴾ قال أبو عبيدة: يعود مبصراً. فإن قيل: من أين قطع على الغيب؟ فالجواب: أن ذلك كان بالوحي إليه، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزِلْ بِأَوَّلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال الكلبي كان أهله نحرأ من سبعين إنساناً.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُنِيدُونِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ أي: خرجت من مصر متوجهة إلى كنعان. وكان الذي حمل القميص يهوذا. قال السدي: قال يهوذا ليوسف: أنا الذي حملت القميص إلى يعقوب بدم كذب فأحزنه، وأنا الآن أحمل قميصك لأسره، فجمله، قال ابن عباس: فخرج حافياً حاسراً يعدو، ومعه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها.

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ لهم «أَبُورَافِم» يعني يعقوب لمن حضره من أهله وقرباته وولد ولده «إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ». ومعنى أجد: أشم، قال الشاعر:

وَلَيْسَ صَرِيرُ الثَّغَشِ مَا تَسْمَعُونَهُ  
وَلَيْسَ قَبِيحُ الْجَسَدِ مَا تَجِدُونَهُ

فإن قيل: كيف وجد يعقوب ريحه وهو بمصر، ولم يجد ريحه من الجب وبعد خروجه منه، والمسافة هناك أقرب؟ فتنه جوابان: أحدهما: أن الله تعالى أخفى أمر يوسف على يعقوب في بداية الأمر لتقع البلية التي يتكامل بها الأجر، وأوجده ريحه من المكان النازح عند تقضي البلاء ومجيء الفرج. والثاني: أن هذا القميص كان في قسبة من فضة معلقاً في عنق يوسف على ما سبق بيانه، فلما نشره فاحت روائح الجنان في الدنيا فاتصلت بيعقوب، فعلم أن الرائحة من جهة ذلك القميص. قال مجاهد: هبت ريح فضربت القميص، ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة، فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص، فمن ثم قال: «إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ». وقيل: إن ريح الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل البشير فأذن لها، فلذلك يستروح كل محزون إلى ريح الصبا، ويجد المكروبون لها رَوْحاً، وهي ريح لينة تأتي من ناحية المشرق، قال أبو صخر الهذلي:

إِذَا قُلْتُ هَذَا حِينَ أَشْلُو يَهْيِيْجُنِي  
نَسِيْمُ الصَّبَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ الْفَجْرُ<sup>(٢)</sup>

قال ابن عباس: وجد ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال ثمانين فرسخاً.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَن تُنِيدُونِ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: تُجْهَلُونَ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثاني: تَسْفُهُونَ، رواه عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس، وبه قال عطاء، وقتادة، ومجاهد في رواية. وقال في رواية أخرى: لولا أن تقولوا: ذهب عقلك. والثالث: تكذبون، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، والضحاك. والرابع: تَهْرَمُونَ، قاله الحسن، ومجاهد في رواية. قال ابن فارس: الْقَنَدُ: إنكار العقل من هرم.

(١) البخاري ٣١٠/٤، ومسلم ١٣٢٨/٣ من حديث أبي هريرة ؓ.

(٢) «شرح أشعار الهذليين» ٩٥٧.

والخامس: تعجزون، قاله ابن قتبية. وقال أبو عبيدة: تسفّهون وتعجزون وتلومون، وأنشد:

يَا صَاحِبِي دَعَا لَوْ مِي وَتَفْزِيدي  
فَلَيْسَ مَا قَاتَ مِنْ أَمْرِ بِمَرْدود<sup>(١)</sup>

قال ابن جرير: وأصل التفديد: الإفساد، وأقوال المفسرين تتقارب معانيها، وسمعت الشيخ أبا محمد بن الخشاب يقول: قوله: ﴿لَوْلَا أَنْ تُفْزِدُونِ﴾ فيه إضمار، تقديره: لأخبرتكم أنه حي.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ عَظِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ عَظِيمٍ﴾ قال ابن عباس: بنو بنيه خاطبوه بهذا، وكذلك قال السدي: هذا قول بني بني، لأن بنيه كانوا بمصر. وفي معنى هذا الضلال ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بمعنى الخطأ، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: أنه الجنون، قاله سعيد بن جبير. والثالث: الشقاء والعناء، قاله مقاتل، يريد بذلك شقاء الدنيا.

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بِصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قَالُوا يَا بَنِيَّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْفِرُ لَكَ ذُؤَبًا إِنَّا كُنَّا خَاطِلِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَفِرُّ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَفَّورُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يهودا، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال وهب بن منبه، والسدي، والجمهور. والثاني: أنه شمعون، قاله الضحاك. فإن قيل: ما الفرق بين قوله هاهنا: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ﴾ وقال في موضع: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ٨٩]؟ فالجواب: أنهما لغتان لقريش خاطبهم الله بهما جميعاً، فدخل «أن» لتوكيد مضي الفعل، وسقوطها للاعتماد على إيضاح الماضي بنفسه، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿أَلْفَهُ﴾ يعني القميص «عَلَى وَجْهِهِ» يعني يعقوب ﴿فَارْتَدَّ بِصِيرًا﴾، الارتداد: رجوع الشيء إلى حال قد كان عليها. قال ابن الأنباري: إنما قال: ارتد، ولم يقل: رُدُّ، لأن هذا من الأفعال المنسوبة إلى المفعولين، كقولهم: طالت النخلة، والله أطالها، وتحركت الشجرة، والله حركها. قال الضحاك: رجع إليه بصره بعد العمى، وقوته بعد الضعف، وشبابه بعد الهرم، وسروره بعد الحزن. وروى يحيى بن يمان عن سفیان قال: لما جاء البشير يعقوب، قال: على أي دين تركت يوسف؟ قال: على الإسلام، قال: الآن تمت النعمة.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فيه أقوال قد سبق ذكرها قبل هذا بقليل.

قوله تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَفِرُّ لَكَ ذُؤَبًا﴾ سألوه أن يستغفر لهم ما أتوا، لأنه نبي مجاب الدعوة. ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَفِرُّ لَكُمْ رَبِّي﴾ في سبب تأخيره لذلك ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أخرهم لانتظار الوقت الذي هو مِظَنَّةُ الإجابة، ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أخرهم إلى ليلة الجمعة، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. قال وهب: كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة. والثاني: إلى وقت السحر من ليلة الجمعة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال طاووس: فوافق ذلك ليلة عاشوراء. والثالث: إلى وقت السحر، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود، وابن عمر، وقتادة، والسدي، ومقاتل. قال الزجاج: إنما أراد الوقت الذي هو أخلق لإجابة الدعاء، لا أنه ضَرَّ عليهم بالاستغفار، وهذا أشبه بأخلاق الأنبياء ﷺ. والقول الثاني: أنه دفعهم عن التعجيل بالوعد. قال عطاء الخراساني: طلب الحوائج إلى الشباب أسهل منها عند الشيوخ، ألا ترى إلى قول يوسف: ﴿لَا تُزَيِّرْ عَلَيَّ الْيَوْمَ﴾ وإلى قول يعقوب: ﴿سَوْفَ أَسْتَفِرُّ لَكُمْ رَبِّي﴾. والثالث: أنه أخرهم ليسأل يوسف، فإن عفا عنهم، استغفر لهم، قاله الشعبي. وروي عن أنس بن مالك أنهم قالوا: يا أبانا إن عفا الله عنا، وإلا فلا قِوَّةَ عَيْنٍ لَنَا فِي الدُّنْيَا، فدعا يعقوب وأمن يوسف، فلم يُجِبْ فيهم عشرين سنة، ثم جاء جبريل فقال: إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك، وعفا ما صنعوا به، واعتقد موافقهم من بعد على النبوة. قال المفسرون: وكان يوسف قد بعث مع البشير إلى يعقوب جهازاً ومائتي

(١) البيت لهما بن شكيم المدوي في «مجاز القرآن» ٣١٨/١، والطبري ٥٩/١٣، والقرطبي ٢٦٠/٩.

(٢) «الطبري» ٦٥/١٣ عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «قد قال أخي يعقوب: سوف استغفر لكم ربي، يقول: حتى تأتي ليلة الجمعة». وسنده ضعيف، وقد أورده ابن كثير في «تفسيره» ٤٩٠/٢ وقال: وهذا غريب من هذا الوجه، وفي رفعه نظر، والله أعلم.

راحلة، وسأله أن يأتيه بأهله وولده. فلما ارتحل يعقوب ودنا من مصر، استأذن يوسف الملك الذي فوقه في تلقى يعقوب، فأذن له، وأمر الملا من أصحابه بالركوب معه، فخرج في أربعة آلاف من الجند، وخرج معهم أهل مصر. وقيل: إن الملك خرج معهم أيضاً. فلما التقى يعقوب ويوسف، بكيا جميعاً، فقال يوسف: يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك، أما علمت أن القيامة تجمعني وإياك؟ قال: أي بني، خشيت أن تسلب دينك فلا نجتمع. وقيل: إن يعقوب ابتداءً بالسلام، فقال: السلام عليك يا مذهب الأحزان.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاتَىٰ إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَمِينٌ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ يعني: يعقوب وولده. وفي هذا الدخول قولان: أحدهما: أنه دخول أرض مصر، ثم قال لهم: ﴿ادْخُلُوا مَعِيَ﴾ يعني البلد. والثاني: أنه دخول مصر، ثم قال لهم: ﴿ادْخُلُوا مَعِيَ﴾ أي: استوطنوها. وفي قوله: ﴿ءَاتَىٰ إِلَيْهِ أَبُوهُ﴾ قولان: أحدهما: أبوه وخالته، لأن أمه كانت قد ماتت، قاله ابن عباس والجمهور. والثاني: أبوه وأمّه، قاله الحسن، وابن إسحاق. وفي قوله: ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ ءَمِينٌ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، فالمعنى: سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله، إنه هو الغفور الرحيم، هذا قول ابن جريج. والثاني: أن الاستثناء يعود إلى الأمن. ثم فيه قولان: أحدهما: أنه لم يثق بانصراف الحوادث عنهم. والثاني: أن الناس كانوا فيما خلا يخافون ملوك مصر، فلا يدخلون إلا بجوارهم. والثالث: أنه يعود إلى دخول مصر، لأنه قال لهم هذا حين تلقاهم قبل دخولهم، على ما سبق بيانه. والرابع: أن «إن» بمعنى: «إذ» كقوله: ﴿إِن أَرَدْنَا نَصْنَعَكَ مِنَ التُّرَابِ ۚ﴾. قال ابن عباس: دخلوا مصر يومئذ وهم ثيف وسبعون من ذكر وأنثى. وقال ابن مسعود: دخلوا وهم ثلاثة وتسعون، وخرجوا مع موسى وهم مئاة ألف وسبعون ألفاً.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأَيُّهَا هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَعَلَ بِي بَيْنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْمُبِينُ ۖ﴾

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأَيُّهَا هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَعَلَ بِي بَيْنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْمُبِينُ ۖ﴾

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأَيُّهَا هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَعَلَ بِي بَيْنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْمُبِينُ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ في «أبويه» قولان قد تقدما في الآية التي قبلها. والعرش هاهنا: سرير المملكة، أجلس أبويه عليه ﴿وَرَفَعَهُمَا﴾ يعني: أبويه وإخوته. وفي هاء «له» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى يوسف، قاله الجمهور. قال أبو صالح عن ابن عباس: كان سجودهم كهنية الركوع كما يفعل الأعاجم. وقال الحسن: أمرهم الله بالسجود لتأويل الرؤيا. قال ابن الأنباري: سجدوا له على جهة التحية، لا على معنى العبادة، وكان أهل ذلك الدهر يحيي بعضهم بعضاً بالسجود والانحناء، فحضره رسول الله ﷺ، فروى أنس بن مالك قال: «قال رجل: يا رسول الله، أحدهما يلقى صديقه، أينحنى له؟ قال: لا»<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها ترجع إلى الله، فالمعنى: وخرُّوا لله سجداً، رواء عطاء، والضحاك عن ابن عباس، فيكون المعنى: أنهم سجدوا شكراً لله إذ جمع بينهم وبين يوسف.

قوله تعالى: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾ أي: تصديق ما رأيت، وكان قد رآهم في المنام يسجدون له، فأراه الله ذلك في اليقظة. واختلفوا فيما بين رؤياه وتأويلها على سبعة أقوال: أحدها: أربعون سنة، قاله سلمان الفارسي، وعبد الله بن شداد بن الهاد، ومقاتل. والثاني: اثنان وعشرون سنة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: ثمانون سنة، قاله الحسن، والفضيل بن عياض. والرابع: ست وثلاثون سنة، قاله سعيد بن جبير، وعكرمة، والسدي. والخامس: خمس وثلاثون سنة، قاله قتادة. والسادس: سبعون سنة، قاله عبد الله بن شوذب. والسابع: ثمانون سنة، قاله ابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ أي: إليّ. والبَدْوُ: البَسْطُ من الأرض. وقال ابن عباس: البدو: البادية، وكانوا أهل عمود وماشية.

(١) روى الترمذي في «جامعه» ٩٧/٢، وابن ماجه في «مسننه» ١٢٢٠/٢ عن أنس بن مالك ؓ قال: قال رجل: يا رسول الله، الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه، أينحنى له؟ قال: «لا» قال: أفيلزمه ويقبله؟ قال: «لا» قال: فيأخذه بيده ويصانحه؟ قال: «نعم». وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ تَرْجَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ أي: أفسد بيننا. قال أبو عبيدة: يقال: نزع بينهم ينزع، أي: أفسد وهيج، وبعضهم يكسر زاي ينزع. ﴿إِنَّ رَقِي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ أي: عالم بدقائق الأمور. وقد شرحنا معنى «اللطيف» في [الأنعام: ١٠٢]. فإن قيل: قد توالى على يوسف نعم خمسة، فما اقتصره على ذكر السجن، وهلاً ذكر الجُبِّ، وهو أصعب؟ فالجواب من وجوه: أحدها: أنه ترك ذكر الجُبِّ تكريماً، لئلا يذكر إخوته صنيعهم، وقد قال: ﴿لَا تُقْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾. والثاني: أنه خرج من الجُبِّ إلى الرق، ومن السجن إلى الملك، فكانت هذه النعمة أوفى. والثالث: أن طول لبثه في السجن كان عقوبة له، بخلاف الجُبِّ، فشكر الله على عفوهِ. قال العلماء بالسَّير: أقام يعقوب بعد قدومه مصر أربعاً وعشرين سنة. وقال بعضهم: سبع عشرة سنة في هنا عيش، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى يوسف أن يحمل إلى الشام حتى يدفنه عند أبيه إسحاق، ففعل به ذلك، وكان عمره مائة وسبعاً وأربعين سنة، ثم إن يوسف تاق إلى الجنة، وعلم أن الدنيا لا تدوم فتمنَّى الموت، قال ابن عباس، وقناة: ولم يتمنَّ الموت نبي قبله، فقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ يعني: ملك مصر ﴿وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ وقد سبق تفسيرها [يوسف: ٦]. وفي «مِنْ» قولان: أحدهما: أنها صلة، قاله مقاتل. والثاني: أنها للتبعض، لأنه لم يؤت كلَّ الملك، ولا كلَّ تأويل الأحاديث.

قوله تعالى: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قد شرحناه في [الأنعام: ٦]. ﴿أَنْتَ وَلِيِّي﴾ أي: الذي تلي أمري. ﴿تَوَفَّنِي سَلَامًا﴾ قال ابن عباس: يريد: لا تسلبني الإسلام حتى تتوفاني عليه. وكان ابن عقيل يقول: لم يتمنَّ يوسف الموت، وإنما سأل أن يموت على صفة، والمعنى: توفي إذا توفيتي مسلماً، قال الشيخ: وهذا الصحيح.

قوله تعالى: ﴿وَالْحَقِّي بِالصَّلَاحِ﴾ والمعنى: ألحني بدرجاتهم، وفيهم قولان: أحدهما: أنهم أهل الجنة، قاله عكرمة. والثاني: أباءه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، قاله الضحاك، قالوا: فلما احتضر يوسف، أوصى إلى يهوذا، ومات، فتشاحَّ الناس في دفنه، كلُّ يحبُّ أن يُدفن في محلَّته رجاء البركة، فاجتمعوا على دفنه في النيل ليمر الماء عليه ويصل إلى الجميع، فدفنوه في صندوق من رخام، فكان هنالك إلى أن حمله موسى حين خرج من مصر ودفنه بأرض كنعان. قال الحسن: مات يوسف وهو ابن مائة وعشرين سنة. وذكر مقاتل أنه مات بعد يعقوب بستين.

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ اتَّجَمَعُوا أَرْهَمَ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أي: ذلك الذي قصصنا عليك من أمر يوسف وإخوته من الأخبار التي كانت غائبة عنك، فأنزله الله عليك دليلاً على نبوتك. ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ أي: عند إخوة يوسف ﴿إِذْ اتَّجَمَعُوا أَرْهَمَ﴾ أي: عزموا على إلقاءه في الجب ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ ببوسف، وفي هذا احتجاج على صحة نبوة نبينا ﷺ، لأنه لم يشاهد تلك القصة، ولا كان يقرأ الكتاب، وقد أخبر عنها بهذا الكلام المعجز، فدلَّ على أنه أخبر بوحى.

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن الأنباري: إن قريشاً واليهود سألت رسول الله ﷺ عن قصة يوسف وإخوته، فشرحها شرحاً شافياً، وهو يؤمل أن يكون ذلك سبباً لإسلامهم، فخالفوا ظنه، فعزَّن رسول الله ﷺ، فعزاه الله تعالى بهذه الآية. قال الزجاج: ومعناها: وما أكثر الناس بمؤمنين ولو حرصت على أن تهديهم. ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على القرآن وتلاوته وهذا ابتك إياهم ﴿مِنْ أَجْرِ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لَهُمْ﴾ أي: ما هو إلا تذكرة لهم لما فيه صلاحهم ونجاتهم.

﴿وَكَايْنِ مِنْ آيَاتِهِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْشُونَ عَلَى الْمَاءِ وَهُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَايْنِ﴾ أي: وكم ﴿مِنْ آيَاتِهِ﴾ أي: علامة ودلالة تدلهم على توحيد الله، من أمر السموات والأرض، ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْمَاءِ﴾ أي: يتجاوزونها غير متفكرين ولا معتبرين.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المشركون، ثم في

معناها المتعلق بهم قولان: أحدهما: أنهم يؤمنون بأن الله خالقهم ورازقهم وهم يشركون به، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، والشعبي، وقتادة. والثاني: أنها نزلت في تلبية مشركي العرب، كانوا يقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنهم النصاري، يؤمنون بأنه خالقهم ورازقهم، ومع ذلك يشركون به، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنهم المنافقون، يؤمنون في الظاهر رثاء الناس، وهم في الباطن كافرون، قاله الحسن. فإن قيل: كيف وصف المشرك بالإيمان؟ فالجواب: أنه ليس المراد به حقيقة الإيمان، وإنما المعنى: أن أكثرهم، مع إظهارهم الإيمان بالستهم، مشركون.

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَنْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٠٧)

قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ قال ابن قتيبة: الغاشية: المججلة تغشاهم. وقال الزجاج: المعنى: يأتيهم ما يغمرهم من العذاب. والبعثة: الفجأة من حيث لم تتوقع.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عِلْمٌ بِصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَيَجْعَلُ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٠٨)

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ اللَّهِ﴾ المعنى: قل يا محمد للمشركين: هذه الدعوة التي أَدْعُو إليها، والطريقة التي أنا عليها، سبيلي، أي: سُنَّتِي ومنهاجي. والسبيل تذکر وتؤنث، وقد ذكرنا ذلك في [آل عمران: ١٩٥]. ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي: على يقين. قال ابن الأنباري: وكل مسلم لا يخلو من الدعاة إلى الله ﷻ، لأنه إذا تلا القرآن، فقد دعا إلى الله بما فيه. ويجوز أن يتم الكلام عند قوله: ﴿إِلَى اللَّهِ﴾، ثم ابتداء فقال: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْعَلُ اللَّهُ﴾ المعنى: وقل: سبحانه الله تنزيهاً له عما أشركوا.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَكَ الْأَخْيَرُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١٠٩)

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ هذا نزل من أجل قولهم: هَلَّا بعث الله ملكاً، فالمعنى: كيف تعجبوا من إرسالنا إياك، وسائر الرسل كانوا على مثل حالك «يوحى إليهم»؟ وقرأ حفص عن عاصم: «نوحى» بالنون. والمراد بالقرى: المداين. وقال الحسن: لم يبعث الله نبياً من أهل البادية، ولا من الجن، ولا من النساء، قال قتادة: لأن أهل القرى أعلم وأحلم من أهل العمود.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: المشركين المنكرين نبوتك ﴿فَيَنْظُرُوا﴾ إلى مصارع الأمم المكذبة فيعتبروا بذلك. ﴿وَلَكَ الْأَخْيَرُ﴾ يعني: الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الشرك. قال الفراء: أضيفت الدار إلى الآخرة، وهي الآخرة، لأن العرب قد تضيف الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظه، كقوله: ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٦] والحق: هو اليقين، وقولهم: أتيتك عام الأول، ويوم الخميس.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَّقُونَ﴾ قرأ أهل المدينة، وابن عامر، وحفص، والمفضل، ويعقوب: «تعتلون» بالياء، وقرأ الآخرون بالياء، والمعنى: أفلا يعقلون هذا فيؤمنوا.

﴿حَقٌّ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ كَذِبُوا جَاءَهُمْ نَعْرًا فَنُوحِي مَن نَّشَاءُ وَلَا يَرُدُّ بَأْسَنَا عَنْ الْقَوْمِ الْمُتَجَرِّينِ﴾ (١١٠)

قوله تعالى: ﴿حَقٌّ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ﴾ المعنى متعلق بالآية الأولى، فتقديره: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً، فدعوا قومهم، فكذبوهم، وصبروا وطال دعاؤهم وتكذيب قومهم حتى إذا استيأس الرسل، وفيه قولان: أحدهما: استيأسوا من تصديق قومهم، قاله ابن عباس. والثاني: من أن نعلب قومهم، قاله مجاهد. ﴿وَلَكُنَّا أَنْفُسَهُمْ كَذِبُوا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «كُذِّبُوا» مشددة الذال مضمومة الكاف، والمعنى: وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم، فيكون الظن هاهنا بمعنى اليقين، هذا قول الحسن، وعطاء، وقتادة. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «كُذِّبُوا» خفيفة، والمعنى: ظن قومهم أن الرسل قد كذبوا فيما وعدوا به من النصر، لأن الرسل لا يظنون ذلك. وقرأ أبو رزين، ومجاهد، والضحاك: «كُذِّبُوا» بفتح الكاف والذال خفيفة، والمعنى: ظن قومهم أيضاً أنهم قد كذبوا، قاله الزجاج.



قوله تعالى: ﴿جَاءَهُمْ نَصْرًا﴾ يعني: الرسل «فَنَنْجِي مَنْ نَشَاءُ» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «فَنَنْجِي» بنونين، الأولى مضمومة والثانية ساكنة والياء ساكنة. وقرأ ابن عامر، وأبو بكر، وحفص، جميعاً عن عاصم، ويعقوب: «فَنَنْجِي» مشددة الجيم مفتوحة الياء بنون واحدة، يعني: المؤمنين، نَجَّوْا عند نزول العذاب.

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي: في خبر يوسف وإخوته. وروى عبد الوارث كسر القاف، وهي قراءة قتادة، وأبي الجوزاء. ﴿عِبْرَةٌ﴾ أي: عظة ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: لذوي العقول السليمة، وذلك من وجهين: أحدهما: ما جرى ليوسف من إعزازه وتمليكه بعد استعباده، فإنَّ من فَعَلَ ذلك به، قادر على إعزاز محمد ﷺ وتعليه كلمته. والثاني: أن من تفكَّر، علم أن محمداً ﷺ مع كونه أمياً، لم يأت بهذه القصة على موافقة ما في التوراة مِنْ قِبَل نفسه، فاستدل بذلك على صحة نبوته.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ في المشار إليه قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله قتادة. والثاني: ما تقدم من القصص، قاله ابن إسحاق. فعلى القول الأول، يكون معنى قوله: ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: ولكن كان تصديقاً لما بين يديه من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ ﴿وَهُدًى﴾ بَيَاناً ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: يصدِّقون بما جاء به محمد ﷺ. وعلى القول الثاني: وتفصيل كل شيء من نبأ يوسف وإخوته<sup>(١)</sup>.



(١) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٤٩٨/٢: وتفصيل كل شيء من تحليل وتحريم، ومحجوب ومكروه، وغير ذلك من الأمر بالطاعات والواجبات والمستحبات، والنهي عن المحرمات، وما شاكلها من المكروهات، والإخبار عن الأمور الجليلة، وعن الغيوب المجملية والتفصيلية، والإخبار عن الرب تبارك وتعالى بالأسماء والصفات وتنزهه عن مماثلة المخلوقات، فلماذا كان هدياً ورحمة لقوم يؤمنون، تهتدي به قلوبهم من النفي إلى الرشد، ومن الضلال إلى السداد، ويتفنون به الرحمة من رب العباد، في هذه الحياة الدنيا ويوم المعاد، فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم في الدنيا والآخرة ويوم يفوز بالريح الميضية وجوههم الناضرة، ويرجع المسودة وجوههم بالصفقة الخاسرة.

(١) قال ابن جرير الطبري ٩٤/١٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَلَيْسَ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِتَرْتِيبٍ عَزِيزٌ ذَرِيرًا﴾، فهي مرفوعة بغير عمد نراها، كما قال رنا جل ثناؤه، ولا خبر بغير ذلك، ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواء. وقال ابن كثير ٤٩٩/٢ بعد أن ذكر قول إياس بن معاوية: السماء على الأرض مثل القبة، يعني بلا عمد، وكذا روي عن قتادة، وهذا هو اللائق بالسابق، والظاهر من قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَأَنزَلُ الْمَاءَ سَلَاطِينًا﴾، فعلى هذا يكون قوله: ﴿رُفُوفًا﴾ تأكيداً لنفي ذلك، أي: هي مرفوعة بغير عمد كما تزورها، وهذا هو الأكمل في القدرة.

وهو فناء الدنيا. ﴿يَذَرُ الْأَرْضَ﴾ أي: يصرفه بحكمته. ﴿يُفْضِلُ الْأَيَّاتِ﴾ أي: يبين الآيات التي تدل أنه قادر على البعث لكي توقنوا بذلك. وقرأ أبو رزين، وقتادة، والنخعي: «ندبر الأمر بفضل الآيات» بالنون فيها.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ اثْنَيْ عَشَرَ الْأَيْلَ النَّهَارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ قال ابن عباس: بسطها على الماء.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ قال الزجاج: أي جبلاً نوابت، يقال: رسا الشيء يرسو رسوًا، فهو راسي: إذا ثبت. و ﴿جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ اثْنَيْ عَشَرَ﴾ أي: نوعين. والزوج: الواحد الذي له قرين من جنسه. قال المفسرون: ويعني بالزوجين: الحلو والحامض، والعذب والملح، والأبيض والأسود.

قوله تعالى: ﴿يُنشِئُ الْأَيْلَ النَّهَارِ﴾ قد شرحناه في [الأعراف: ٥٤].

﴿وَفِي الْأَرْضِ قُلُوعٌ مُّتَبَرِّجَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَخَيْلٌ مُّتَنَوِّجَةٌ وَغَيْرُ مِثْلِهَا يُسَلَّى بِمَا وَجَدَ وَيُفْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قُلُوعٌ مُّتَبَرِّجَاتٌ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الأرض السبخة، والأرض العذبة، تنبت هذه، وهذه إلى جنبها لا تنبت، هذا قول ابن عباس، وأبي العالية، ومجاهد، والضحاك. والثاني: أنها القرى المتجاورات، قاله قتادة، وابن قتيبة، وهو يرجع إلى معنى الأول.

قوله تعالى: ﴿وَزُرُوعٌ وَخَيْلٌ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿وَزُرُوعٌ وَخَيْلٌ مُّتَنَوِّجَةٌ وَغَيْرُ مِثْلِهَا﴾ رفعاً في الكل. وقرأ نافع، وابن عامر، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان» خفضاً في الكل. قال أبو علي: من رفع، فالمعنى: وفي الأرض قطع متجاورات وجنّات، وفي الأرض زرع، ومن خفض حمله على الأعناب، فالمعنى: جنّات من أعناب، ومن زرع، ومن نخيل.

قوله تعالى: ﴿مِثْلِهَا﴾ «مِثْلُهَا وَغَيْرُ مِثْلِهَا» هذا من صفة النخيل. قال الزجاج: الصنوان: جمع صنو وصنوي، ومعناه: أن يكون الأصل واحداً وفيه التخلتان والثلاث والأربع. وكذلك قال المفسرون: الصنوان: النخل المجتمع وأصله واحد، وغير صنوان: المتفرق. وقرأ أبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، وابن جبير، وقتادة: «صنوان» بضم الصاد. قال الفراء: لغة أهل الحجاز «صنوان» بكسر الصاد، وتميم وقيس يضمون الصاد.

قوله تعالى: ﴿يُسَلَّى بِمَا وَجَدَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «تسقى» بالياء، «ونفضل» بالنون. وقرأ حمزة، والكسائي «تسقى» بالياء أيضاً، لكنهما أمالا القاف. وقرأ الحسن «ونفضل» بالياء. وقرأ عاصم، وابن عمر «يسقى» بالياء، «ونفضل» بالنون، وكلهم كسر الضاد. وروى الحلبي عن عبد الوارث ضم الياء من «يفضل» وفتح الضاد، «بعضها» برفع الضاد. وقال الفراء: من قرأ «تسقى» بالياء ذهب إلى تأنيث الزرع، والجنّات، والنخيل، ومن كسر ذهب إلى النبت، وذلك كله يسقى بماء واحد، وأكله مختلف حاوٍ وحلو، ففي هذا آية. قال المفسرون: الماء الواحد: ماء المطر، والأكل: الثمر، بعضه أكبر من بعض، وبعضه أفضل من بعض، وبعضه حامض وبعضه حلو، إلى غير ذلك، وفي هذا دليل على بطلان قول الطبايعين، لأنه لو كان حدوث الثمر على طبع الأرض والهواء، والماء، وجب أن يتفق ما يحدث لاتفاق ما أوجب الحدوث، فلما وقع الاختلاف، دلّ على مدبر قادر، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أنه لا تجوز العبادة إلا لمن يقدر على هذا.

﴿وَإِنْ تَجَبَّ قَوْمٌ فَتَجَبَّ أَوَدًا كَمَا تَرَنا لَنَا لَيْ خَلَقَ جَدِيدَ أَوَّلِيكَ أَوَّلِيكَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأَوَّلِيكَ الْأَعْلَلُ فِي أَغْنَاهُمْ وَأَوَّلِيكَ أَحْسَبَ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَجَبَّ قَوْمٌ فَتَجَبَّ أَوَدًا﴾ أي: من تكذيبهم وعبادتهم ما لا ينفع ولا يضر بعدما رأوا من تأثير قدرة الله عز وجل في خلق الأشياء، فإنكارهم البعث موضع عجب. وقيل: المعنى: وإن تعجب بما وقفت عليه من القطع المتجاورات وقدره ربك في ذلك، فعجب جحدهم البعث، لأنه قد بان لهم من خلق السموات والأرض ما يدل على أن البعث أسهل في القدرة.

قوله تعالى: ﴿أَوَدَا كُنَّا تَرَابًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «أَيَذَا كُنَّا تَرَابًا أَيَّنَا» جميعاً بالاستفهام، غير أن أبا عمرو يمدُّ الهمزة ثم يأتي بالياء ساكنة، وابن كثير يأتي بياء ساكنة بعد الهمزة من غير مدٍّ. وقرأ نافع «أَيَذَا» مثل أبي عمرو، واختلف عنه في المدِّ، وقرأ «إِنَّا لَفِي خَلْقٍ» مكسورة على الخبر. وقرأ عاصم، وحزمة «إِذَا كُنَّا» «إِنَّا» بهمزتين فيهما. وقرأ ابن عامر «إِذَا كُنَّا تَرَابًا» مكسورة الألف من غير استفهام، «إِنَّا» يهز ثم يمدُّ ثم يهز على وزن: عاعناً. وروي عن ابن عامر أيضاً «إِذَا» بهمزتين لا ألف بينهما. والأغلال جمع غُلٍّ، وفيها قولان: أحدهما: أنها أغلال يوم القيامة، قاله الأكثرون. والثاني: أنها الأعمال التي هي أغلال. قاله الزجاج.

﴿وَيَسْئَلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنْمَّا أَنْتَ مُذَرِّعٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝ اللَّهُ يَتْلُمَ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا يُبْرِئُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۝ عَنِ النَّبِيِّ وَالشَّهَدَةِ الْكَبِيرِ الْمَتَّعِلِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في كفار مكة، سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب، استهزاء منهم بذلك، قاله ابن عباس. والثاني: في مشركي العرب، قاله قتادة. والثالث: في النضر بن الحارث حين قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، قاله مقاتل. وفي السبيئة والحسنة قولان: أحدهما: بالعذاب قبل العافية، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: بالشر قبل الخير، قاله قتادة. فأما: ﴿الْمَثَلَتُ﴾ فقرأ الجمهور بفتح الميم. وقرأ عثمان، وأبو رزين، وأبو مجلز، وسعيد بن جبير، وقاتدة، والحسن، وابن أبي عتبة برفع الميم. ثم في معناها قولان: أحدهما: أنها العقوبات، قاله ابن عباس. وقال الزجاج: المعنى: قد تقدّم من العذاب ما هو مثله وما فيه نكال، لو أنهم انتعظوا. وقال ابن الأنباري: المثلة: العقبة التي تبقى في المعاقب شيئاً بتغيير بعض خلقه، من قولهم: مثل فلان بفلان، إذا شان خلقه بقطع أنفه أو أذنيه، أو سمل عينيه ونحو ذلك. والثاني: أن المثلات: الأمثال التي ضربها الله ﷻ لهم، قاله مجاهد، وأبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ قال ابن عباس: لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا، وإنه لشديد العقاب للمصيرين على الشرك. وقال مقاتل: لذو تجاوز عن شركهم في تأخير العذاب، وإنه لشديد العقاب إذا عذب.

### فصل

وذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، والمحققون على أنها محكمة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ «لولا» بمعنى هلاً، والآية التي طلبوها، مثل عصا موسى وناقة صالح. ولم يقنعوا<sup>(٢)</sup> بما رأوا، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَرِّعٌ﴾ أي: مخوف عذاب الله، وليس لك من الآيات شيء. وفي قوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ستة أقوال: أحدها: أن المراد بالهادي: الله ﷻ، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك، والنخعي، فيكون المعنى: إنما إليك الإنذار، والله الهادي. والثاني: أن الهادي: الداعي، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أن الهادي: النبي ﷺ، قاله الحسن، وعطاء، وقاتدة، وابن زيد، فالمعنى: ولكل قوم نبي ينذرهم. والرابع: أن الهادي: رسول الله ﷺ أيضاً، قاله عكرمة، وأبو الضحى، والمعنى: أنت منذر، وأنت هادٍ. والخامس: أن الهادي: العمل، قاله أبو العالية. والسادس: أن الهادي: القائد إلى الخير أو إلى الشر، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقد روى المفسرون من طرق ليس فيها ما يثبت

(١) وهو الصحيح، فإنه وإن كان معنى «الظلم» كما يتبادر من سياق الآية هو الشرك، ولكن لا يترتب على هذا التفسير قبول دعوى النسخ، ذلك أن الله ﷻ وصف نفسه في الآية بأنه «شديد العقاب» كما وصف نفسه بأنه «ذو مغفرة» ومعنى هذا أنه إنما يغفر لمن رجع عن الشرك، وأناب إلى الله، أما المصرون على الكفر، فإنه شديد العقاب لهم على كفرهم.

(٢) في نسخة: «يقنعوا».

عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية، وضع رسول الله ﷺ يده على صدره، فقال: «أنا المنذر»، وأوماً بيده إلى منكب علي، فقال: «أنت الهادي يا علي بك يهتدى من بعدي»<sup>(١)</sup>. قال المصنف: وهذا من موضوعات الرافضة. ثم إن الله تعالى أخبرهم عن قدرته، رداً على منكري البعث، فقال: «اللَّهُ يَكَلِّمُ مَا يَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ» أي: من علقه أو مضغة، أو زائد أو ناقص، أو ذكر أو أنثى، أو واحد أو اثنين أو أكثر، «وَمَا يَفْقِصُ الْأَرْحَامَ» أي: وما تنقص، «وَمَا تَزْدَادُ» وفيه أربعة أقوال: أحدها: ما تغيب: بالوضع لأقل من تسعة أشهر، وما تزداد: بالوضع لأكثر من تسعة أشهر، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبيرة، والضحاك، ومقاتل، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: وما تغيب: بالسقط الناقص، وما تزداد: بالولد التام، رواه العوفي عن ابن عباس، وعن الحسن كالقولين. والثالث: وما تغيب: بإراقة الدم في الحمل حتى يتضاءل الولد، وما تزداد: إذا أمسكت الدم فيعظم الولد، قاله مجاهد. والرابع: ما تغيب الأرحام: من ولدته من قبل، وما تزداد: من تلده من بعد، روي عن قتادة، والسدي.

قوله تعالى: «وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِإِحْدَادٍ» أي: بقدر. قال أبو عبيدة: هو يفعل من القدر. قال ابن عباس: عَلِمَ كُلُّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا.

قوله تعالى: «عَلِمَ الْقَبِيحَ وَالنَّهْيَةَ» قد شرحنا ذلك في [الأنعام: ٦]. و «الْكَبِيرَ» بمعنى: العظيم. ومعناه: يعود إلى كبر قدره واستحقاقه صفات العلو، فهو أكبر من كل كبير، لأن كل كبير يصغر بالإضافة إلى عظمته. ويقال: «الكبير» الذي كبر عن مشابهة المخلوقين. فأما «الْمُتَعَالَى» فقرأ ابن كثير «المتعالى» بياء في الوصل والوقف، وكذلك روى عبد الوارث عن أبي عمرو، وأثبتها في الوقف دون الوصل ابنُ شُبَّوْذٍ عن قُتَيْبِل، والباقون بغير ياء في الحالين. والمتعالى هو المنتزه عن صفات المخلوقين، قال الخطابي: وقد يكون بمعنى العالي فوق خلقه. وروي عن الحسن أنه قال: المتعالى عما يقول المشركون.

«سَوَاءٌ يَنْكَرُ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ. وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِإِلَيْهِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ»

قوله تعالى: «سَوَاءٌ يَنْكَرُ» قال ابن الأنباري: ناب «سواء» عن مُسْتَوٍ، والمعنى: مستوٍ منكم «مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ» أي: أخفاه وكنمه «وَمَنْ جَهَرَ بِهِ» أعلنه وأظهره، والمعنى: أن السر والجهر سواء عنده.

قوله تعالى: «وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِإِلَيْهِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ» فيه قولان: أحدهما: أن المستخفي: هو المستتر المتواري في ظلمة الليل، والسارب بالنهار: الظاهر المتصرف في حوائجه. يقال: سَرَبَ الْإِبِلُ تَسْرِبًا: إذا مضت في الأرض ظاهرة، وأنشدوا:

أرى كُلَّ قَوْمٍ قَارِبُوا قَيْدَ فَخْلِهِمْ  
أي: ذاهب. ومعنى الكلام: أن الظاهر والخفي عنده سواء، هذا قول الأكثرين. وروي العوفي عن ابن عباس: «وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ» قال: صاحب رية بالليل، فإذا خرج بالنهار، أرى الناس أنه بريء من الإثم. والثاني: أن المستخفي بالليل: الظاهر، والسارب بالنهار: المستتر، يقال: انسرب الوحش: إذا دخل في كنيابه، وهذا قول الأخفش، وذكره قطرب أيضاً، واحتج له ابن جرير بقولهم: خَفَيْتُ الشَّيْءَ: إذا أظهرته، ومنه «أَكْأَدُ أَخْفِيهَا» [طه: ١٥] بفتح الألف، أي: أظهرها، قال: وإنما قيل للمتواري: سارب، لأنه صار في السرب مستخفياً.

(١) ابن جرير الطبري ١٠٨/١٣ وفي سنده الحسن بن الحسين العوفي الكوفي، قال أبو حاتم: لم يكن بصديق عندهم، وقال ابن عدي: لا يشبه حديثه حديث الثقات، وقال ابن حبان: يأتي عن الأثبات بالملاقات، ويروي المقلوبات. وقد ساق الذهبي هذا الحديث في ترجمته، وعده من منكراته، ثم قال: رواه ابن جرير في «تفسيره» عن أحمد بن يحيى عن الحسن بن معاذ، ومعاذ نكرة فلفل الآية منه، وقال في ترجمة معاذ بن مسلم: مجهول وله عن عطاء بن السائب خبر باطل سقاه في الحسن بن الحسين. وذكره ابن كثير ٥٠٢/٢ من رواية ابن جرير وقال: وهذا الحديث فيه نكارة شديدة.

(٢) البيت من قصيدة في «المفضليات» ٢٠٨، و«منتهى الطلب» ٢٩٥، و«الحماسة» بشرح المرزوقي ٧٢٨، و«اللسان»: سرب. للأخفش بن شهاب بن شريق بن ثمامة بن أرقم بن عدي بن معاوية بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل، وهو فارس المصا، والمصا فرسه، وهو شاعر جاهلي قديم قبل الإسلام بدهر. وقوله: فهو سارب، أي: توجه للمرعى، يريد أن الناس أقاموا في موضع لا يجتزون على النقلة إلى غيره، ونحن أعزاء نذهب حيث شئنا لا يقدر أحد على منعتنا.

﴿لَمْ مَعِيتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿لَمْ مَعِيتُ﴾ في هاء «له» أربعة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى رسول الله ﷺ، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس. والثاني: إلى الملك من ملوك الدنيا، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثالث: إلى الإنسان، قاله الزجاج. والرابع: إلى الله تعالى، ذكره ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي. وفي المعقبات قولان: أحدهما: أنها الملائكة، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والحسن، وقتادة في آخرين. قال الزجاج: والمعنى: للإنسان ملائكة يعقبون، يأتي بعضهم يعقب بعض. وقال أكثر المفسرين: هم الحفظة، اثنان بالنهار واثنان بالليل، إذا مضى فريق، خلف بعده فريق، ويجتمعون عند صلاة المغرب والفجر<sup>(١)</sup>. وقال قوم، منهم ابن زيد: هذه الآية خاصة في رسول الله ﷺ، عزم عامر بن الطفيل وأريد بن قيس على قتله، فمنعه الله منهما، وأنزل هذه الآية. والقول الثاني: أن المعقبات حُرَّاس الملوك الذين يتعاقبون الحرس، وهذا مروى عن ابن عباس، وعكرمة. وقال الضحاك: هم السلاطين المشركون المحترسون من الله تعالى. وفي قوله: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ سبعة أقوال: أحدها: يحرسونه من أمر الله ولا يقدرون، هذا على قول من قال: هي في المشركين المحترسين من أمر الله. والثاني: أن المعنى: يحفظهم له من أمر الله، قاله ابن عباس، وابن جبير، فيكون تقدير الكلام: هذا الحفظ مما أمرهم الله به. والثالث: يحفظونه بأمر الله، قاله الحسن، ومجاهد، وعكرمة. قال اللخويون: والباء تقوم مقام «من»، وحروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض. والرابع: يحفظونه من الجن، قاله مجاهد، والنخعي. وقال كعب: لولا أن الله تعالى وكل بكم ملائكة يذَّبُون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعَوْرَاتِكُمْ، إِذَا لَتَخَطَّفَتْكُمْ الجن. وقال مجاهد: ما من عَنَبٍ إِلَّا وَمَلَكٌ مُوَكَّلٌ به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فإذا أَرَادَهُ شيء، قال: وراءك وراءك، إلا شيء قد قضى له أن يصيبه. وقال أبو مجلز: جاء رجل من مراد إلى علي عليه السلام، فقال: احترس، فإن ناساً من مراد يريدون قتلك، فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدَّر، فإذا جاء القدر خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وإن الأجل جُتِيَ حَصِينَةً. والخامس: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، والمعنى: له معقبات من أمر الله يحفظونه، قاله أبو صالح، والفراء. والسادس: يحفظونه لأمر الله فيه حتى يُسَلِّمُوهُ إِلَى مَا قَدَّرَ لَهُ، ذكره أبو سليمان الدمشقي، واستدل بما روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: يحفظونه من أمر الله، حتى إذا جاء القدر خَلَّوْا عَنْهُ. وقال عكرمة: يحفظونه لأمر الله. والسابع: يحفظون عليه الحسنات والسيئات، قاله ابن جريج. قال الأخفش: وإنما أَثَّتِ المعقبات لكثرة ذلك منها، نحو النسابة، والعلامة، ثم ذُكِرَ في قوله: «يحفظونه» لأن المعنى مذكَّر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ أَي: لا يسلبهم نِعَمَهُ ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ فيعملوا بمعاصيه. قال مقاتل: ويعني بذلك كفار مكة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه العذاب. والثاني: البلاء.

قوله تعالى: ﴿فَلَا مَرَدَ لَهُ﴾ أي: لا يرده شيء ولا تنفعه المعقبات. ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني: من دون الله ﴿وَمِنْ وَالٍ﴾ أي: من ولي يدفع عنهم العذاب والبلاء.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْآزِفَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنِشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْآزِفَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: خوفًا للمسافر وطمعًا للمقيم،

(١) روى البخاري ٢/٢٨، ومسلم ٤٣٩/١ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عيادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون». قال ابن كثير ٥٠٣/٢ أي: للبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل، وحرس بالنهار يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من غير أو شر، ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، فائتان من اليمين والشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه يحرسانه، واحد من ورائه، وآخر من قدامه. فهو بين أربعة أملاك بالنهار وأربعة آخرين بالليل بدلاً، حافظان وكاتبان.

قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال قتادة: فالمسافر خاف أذاه ومشقته والمقيم يرجو منفعة. والثاني: خوفاً من الصواعق وطمعاً في الغيث، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الحسن. والثالث: خوفاً للبلد الذي يخاف ضرر المطر وطمعاً لمن يرجو الانتفاع به، ذكره الزجاج. والرابع: خوفاً من العقاب وطمعاً في الثواب، ذكره الماوردي. وكان ابن الزبير إذا سمع صوت الرعد يقول: إن هذا وعيد شديد لأهل الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَرُئِيتُ السَّحَابَ الْقَتْلَ﴾ أي: ويخلق السحاب الثقال بالماء. قال الفراء: السحاب، وإن كان لفظه واحداً، فإنه جمع وأحدته سحابة، جعل نعتة على الجمع، كما قال: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَقَرِي خُضِرَ وَتَقَرَّرِي حَسَانُ﴾ [الرحمن: ٧٦] ولم يقل: أخضر، ولا حسن.

﴿وَرُئِيتُ الرَّعْدَ يَحْمَدُوهُ وَالْمَلَائِكَةَ يَنْ خِفْيُوهُ وَرُئِيتُ الصَّوْعَ قُبُيْبَ بِهَا مِنْ شَيْءٍ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرُئِيتُ الرَّعْدَ يَحْمَدُوهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه اسم الملك الذي يزجر السحاب، وصوته: تسبيحه، قاله مقاتل. والثاني: أنه الصوت المسموع. وإنما حُص الرعد بالتسبيح، لأنه من أعظم الأصوات. قال ابن الأنباري: وإخباره عن الصوت بالتسبيح مجاز، كما يقول القائل: قد غمَّني كلامك.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَنْ خِفْيُوهُ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله ﷻ، وهو الأظهر. قال ابن عباس: يخافون الله، وليس كخوف ابن آدم، لا يعرف أحدهم من على يمينه ومن على يساره، ولا يشغله عن عبادة الله شيء. والثاني: أنها ترجع إلى الرعد، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَرُئِيتُ الصَّوْعَ قُبُيْبَ بِهَا مِنْ شَيْءٍ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أريد بن قيس، وعامر بن الطفيل، أتيا إلى رسول الله ﷺ يريدان الفتك به، فقال: «اللهم اكفنيهما بما شئت»، فاما أريد فأرسل الله عليه صاعقة في يوم صائف صاح فأحرقت، وأما عامر فأصابته غدة فهلكت، فأنزل الله تعالى هذه الآية، هذا قول الأكثرين، منهم ابن جريج<sup>(١)</sup>، وأريد هو أخو ليث بن ربيعة لأمه. والثاني: أنها نزلت في رجل جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: حدثني يا محمد عن إلهك، أياقوت هو؟ أذهب هو؟ فنزلت على السائل صاعقة فأحرقت، ونزلت هذه الآية، قاله علي<sup>(٢)</sup>. قال مجاهد: وكان يهودياً. وقال أنس بن مالك: بعث رسول الله ﷺ إلى بعض فراعنة العرب يدعوه إلى الله تعالى، فقال للرسول: وما الله، أمين ذهب هو، أم من فضة، أم من نحاس؟ فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «ارجع إليه فادعه»، فرجع، فأعاد عليه الكلام، إلى أن رجع إليه ثالثة، فبينما هما يتراجعان الكلام، إذ بعث الله سحابة حبال رأسه، فعدت ووقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه، ونزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. والثالث: أنها في رجل أنكر القرآن وكذب رسول الله ﷺ فأرسل الله عليه صاعقة فأهلكته، ونزلت هذه الآية، قاله قتادة<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: يكذبون بعظمة الله، قاله ابن عباس. والثاني: يخاصمون في الله، حيث قال قائلهم: أهو من ذهب، أم من فضة؟ على ما تقدم بيانه.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: شديد الأخذ، قاله علي<sup>(٥)</sup>. والثاني: شديد المكر،

(١) «الطبري» ١٢٦/١٣ بنحوه، عن ابن جريج، والواحد في «أسباب النزول» ١٥٦، ١٥٧ عن ابن عباس في رواية أبي صالح وابن جريج وابن زيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٥٢/٤، وزاد نسبه لأبي الشيخ عن ابن جريج، وذكره ابن كثير ٥٠٦/٢ في رواية الطبراني مطولاً بنحوه، وفي سنده عبد العزيز بن عمران الزهري المدني، قال البخاري: لا يكتب حديثه، وقال النسائي وغيره: متروك.

(٢) «الطبري» ١٢٥/١٣.

(٣) «الطبري» ١٢٥/١٣، والواحد في «أسباب النزول» ١٥٦، وفي سنده علي بن أبي سارة الشيباني، قال أبو داود: تركوا حديثه، وقال البخاري: في حديثه نظر، وقال أبو حاتم: ضعيف، وذكره الهشمي في «المجمع» ٤٢/٧، وقال: رواه أبو يعلى، والبخاري في «الأوسط»، ورجال البزار رجال الصحيح غير ديلم بن غزوان وهو ثقة، وفي رجال أبي يعلى والطبراني علي بن أبي سارة وهو ضعيف.

(٤) «الطبري» ١٢٦/١٣، وأورده السيوطي في «الدر» ٥٢/٤ وزاد نسبه للخراطي.

شديد العداوة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: شديد العقوبة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وقال مجاهد في رواية عنه: شديد الانتقام. وقال أبو عبيدة: شديد العقوبة والمكر والنكال، وأنشد للأعشى:

فَرِحْتُ نَبْعَ يَهْتَرُ فِي غُصْنِ الْمَجْدِ      غَزِيرُ التُّدَى، شَدِيدُ الْمِحَالِ  
إِنْ يُعَاقِبْ يَكُنْ غَرَاماً وَإِنْ يُفْ      حِطَّ جَزِيلاً فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي<sup>(١)</sup>

وقال ابن قتيبة: شديد المكر واليد، وأصل المحال: الحيلة. والرابع: شديد القوة، قاله مجاهد. قال الزجاج: يقال: ما حُلَّتْ محالاً: إذا قاوت حتى تبيّن له أيكما الأشد، والمحل في اللغة: الشدة. والخامس: شديد الحقد، قاله الحسن البصري فيما سمعناه عنه مسنداً من طرق، وقد رواه عنه جماعة من المفسرين منهم ابن الأنباري، والنقاش، ولا يجوز هذا في صفات الله تعالى. قال النقاش: هذا قول مُتَكَرِّرٌ عند أهل الخبر والنظر في اللغة لا يجوز أن تكون هذه صفة من صفات الله ﷻ. والذي اختاره في هذا ما قاله عليّ ﷺ: شديد الأخذ، يعني: أنه إذا أخذ الكافر والظالم لم يفلته من عقوباته.

﴿لَمْ دَعَا لَكَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَيْتٍ كَفَىٰ إِلَىٰ آلِهَةٍ إِلْتِفَاقٌ وَمَا هُوَ بِبَالِيٍّ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي مَثَلٍ﴾

قوله تعالى: ﴿لَمْ دَعَا لَكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها كلمة التوحيد، وهي: لا إله إلا الله، قاله عليّ، وابن عباس، والجمهور، فالمعنى: له من خلقه الدعوة الحق، فأضيفت الدعوة إلى الحق، لاختلاف اللفظين. والثاني: أن الله ﷻ هو الحق، فمن دعاه دعا الحق، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني: الأصنام يدعونها آلهة. قال أبو عبيدة: المعنى: والذين يدعون غيره من دونه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ﴾ أي: لا يجيبونهم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا كَبَيْتٍ كَفَىٰ إِلَىٰ آلِهَةٍ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه العطشان يمدُّ يده إلى البئر ليرتفع الماء إليه وما هو ببالغته، قاله عليّ ﷺ، وعطاء. والثاني: أنه الرجل العطشان قد وضع كفيه في الماء وهو لا يرفعهما، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنه العطشان يرى خياله في الماء من بعيد، فهو يريد أن يتناوله فلا يقدر عليه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أنه الرجل يدعو الماء بلسانه ويشير إليه بيده فلا يأتيه أبداً، قاله مجاهد. والخامس: أنه الباسط كفيه ليقبض على الماء حتى يؤدّيه إلى فيه، لا يتم له ذلك، والعرب تقول: من طلب ما لا يجد فهو القابض على الماء، وأنشدوا:

وَأَنسِي وَإِيَّاكُمْ وَشَوْقاً إِلَيْكُمْ      كَقَابِضٍ مَاءٍ لَمْ تَسِفْهُ أَنَابِلُهُ<sup>(٢)</sup>  
أَي: لم تحمله، والشوق: الجمل، وقال آخر:  
فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا      مِنْ الْوُدِّ مِثْلَ الْقَابِضِ الْمَاءِ بِالْيَدِ<sup>(٣)</sup>  
هذا قول أبي عبيدة، وابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي مَثَلٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: وما دعاء الكافرين ربهم إلا في ضلال، لأن أصواتهم محجوبة عن الله، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: وما عبادة الكافرين الأصنام إلا في خسران وباطل، قاله مقاتل.

(١) «ديوانه» ٧، ٩، «ومجاز القرآن» ١/٣٢٥، «السمط» ٩٠٧، «القرطبي» ٩/٢٩٩، «اللسان» و«التاج»: محل. وقال ابن جرير بعد أن أورد البيت الأول: هكذا كان ينشده معمر بن المثنى فيما حدثت عن علي بن المغيرة عنه، وأما الرواية بعد فأنهم ينشدون:

فَرِحْتُ نَبْعَ يَهْتَرُ فِي غُصْنِ الْمَجْدِ      غَزِيرُ التُّدَى عَظِيمُ الْمِحَالِ  
وَفَرَّكَ مَعْمَرُ بْنُ مِثْثَانَ، وَزَعَمَ أَنَّهُ عَنْ بَنِي الْعُقْبَةَ وَالْمَكْرَ وَالنَّكَالِ.

(٢) البيت لضاحي بن الحارث البرجمي، «الطبري» ١٣/١٢٩، «ومجاز القرآن» ١/٣٢٧، «اللسان»: وسق، «الخزانة» ٤/٨٠.

(٣) البيت غير منسوب في «الطبري» ١٣/١٢٩، «ومجاز القرآن» ١/٣٢٧، «القرطبي» ٩/٣٠٠.





لِرَبِّهِمُ الْحَسَنُ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِرَبِّهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ تَابُوا فِي الْأَرْضِ حَيًّا وَمَثَلُ مَعْمٍ لَأَفْتَدَوْا بِهِمْ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَفِيهَا لَهُمُ الْعَذَابُ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني: المطر ﴿فَسَالَتِ الْأَرْضُ﴾ وهي جمع وادٍ، وهو كل منفرد بين جبلين مجتمع إليه ماء المطر فيسيل ﴿بِقَدَرِهَا﴾ أي: بمبلغ ما تحمل، فإن صغر الوادي، قل الماء، وإن هو اتسع، كثر. وقرأ الحسن، وابن جبير، وأبو العالية، وأيوب، وابن يعمر، وأبو حاتم عن يعقوب: «بقدرها» بإسكان الدال. وقوله: ﴿فَسَالَتِ الْأَرْضُ﴾ توسع في الكلام، والمعنى: سالت مياهها، فحذف المضاف، وكذلك قوله: «بقدرها» أي: بقدر مياهها. ﴿فَأَخْرَجَ الشَّيْءَ زَيْدًا زَبَدًا﴾ أي: عاليًا فوق الماء، فهذا مثل ضربه الله تعالى. ثم ضرب مثلاً آخر، فقال: ﴿رَبَّمَا يُرِيدُنَّ عَلَيْهِ فِي الْآثَارِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «توقدون عليه» بالناء. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم بالياء. قال أبو علي: من قرأ بالناء، فليما قبله من الخطاب، وهو قوله: «أفأخذتم»، ويجوز أن يكون خطاباً عامّاً للأكافة، ومن قرأ بالياء فلأن ذكر الغيبة قد تقدم في قوله: «أم جعلوا الله شركاء». ويعني بقوله: ﴿رَبَّمَا يُرِيدُنَّ عَلَيْهِ﴾ ما يدخل إلى النار فيذاب من الجواهر «آيَةً جَلِيلَةً» يعني: الذهب والفضة «أَوْ مَتَّعَ» يعني: الحديد والصفير والنحاس والرصاص تُتخذ منه الأواني والأشياء التي يُستفاد بها، «زَيْدٌ يَنْتَفِعُ بِهَا»، أي: له زبد إذا أذيب مثل زبد السيل، فهذا مثل آخر. وفيما ضرب له هذان المثالان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن، شبه نزوله من السماء بالماء، وشبه قلوب العباد بالأودية تحمل منه على قدر اليقين والشك، والعقل والجهل، فيستكن فيها، فينتفع المؤمن بما في قلبه كانهضاع الأرض التي يستقر فيها المطر، ولا ينتفع الكافر بالقرآن لمكان شكّه وكفره، فيكون ما حصل عنده من القرآن كالزبد وكخبث الحديد لا يُستفاد به. والثاني: أنه الحق والباطل، فالحق شبه بالماء الباقي الصافي، والباطل مشبه بالزبد الذاهب، فهو وإن علا على الماء فإنه سيمحى، كذلك الباطل، وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال، فإن الله سيطلبه. والثالث: أنه مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فمثل المؤمن واعتقاده وعمله كالماء المتتفع به، ومثل الكافر واعتقاده وعمله كالزبد.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما ذكر هذا، يضرب الله مثل الحق والباطل، وقال أبو عبيدة: كذلك يمثل الله الحق ويمثل الباطل. فأما الجفاء، فقال ابن قتيبة: هو ما رمى به الوادي إلى جنباته، يقال: أجفأت القدر بزبدتها: إذا ألقته عنها. قال ابن فارس: الجفاء: ما فناء السيل، ومنه اشتقاق الجفاء. وقال ابن الأنباري: «جفاء» أي: بالياً متفرقاً. قال ابن عباس: إذا مَسَّ الزبد لم يكن شيئاً. قوله تعالى: ﴿وَلَا مَا يَبْقَىٰ النَّاسُ﴾ من الماء والجواهر التي زال زبدتها ﴿فَيَبْقَىٰ فِي الْأَرْضِ﴾ فينتفع به ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يبقى الحق لأهله.

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ يعني: المؤمنين، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ يعني: الكفار. قال أبو عبيدة: استجبت لك واستجبتك سواء، وهو بمعنى: أجت. وفي الحسن ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الجنة، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنها الحياة والرزق، قاله مجاهد. والثالث: كل خير من الجنة فما دونها، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿لَأَفْتَدَوْا بِهِمْ﴾ أي: لجعلوه فداء أنفسهم من العذاب، ولا يُقبل منهم. وفي سوء الحساب ثلاثة أقوال: أحدها: أنها المناقشة بالأعمال، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس. وقال النخعي: هو أن يحاسب بذنبه كله، فلا يُغفر له منه شيء. والثاني: أن لا تُقبل منهم حسنة، ولا يتجاوز لهم عن سيئة. والثالث: أنه التوبيخ والتقريع عند الحساب.

﴿أَنَّهُ يَوْمَئِذٍ يُرَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَمَقٌ كَمَنْ هُوَ أَمْسَ﴾ إِنَّمَا يَذْكُرُ أَوَّلًا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ يَوْمَئِذٍ يُرَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَمَقٌ كَمَنْ هُوَ أَمْسَ﴾ قال ابن عباس: نزلت في حمزة، وأبي جهل. ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ﴾ أي: إنما يعط ذؤو العقول. والتذكُّر: الاتعاظ.

﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ﴾ (١٥) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾  
قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ في هذا العهد قولان: أحدهما: أنه ما عاهدكم عليه حين استخرجهم من ظهر آدم. والثاني: ما أمرهم به وفرضه عليهم. وفي الذي أمر الله به، ﴿يَخَافُونَ﴾، أن يوصل، ثلاثة أقوال قد نسبناها إلى قائلها في أول سورة [البقرة: ٢٧]، وقد ذكرنا سوء الحساب آنفاً.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدَّبَهُ رَبُّكَ يَلْمِزُكَ الْكَافِرَةُ أَفَلَيْكَ لَمَمٌ عَفَى الدَّارِ ﴿١٧﴾ جَنَّ عَنْهُ بَبُؤُهُمَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمُ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿١٨﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَدَقْتُمْ فَنِعَمَ عَفَى الدَّارِ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي: على ما أمروا به ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ أي: طلباً لرضاء ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أنتموها ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الأموال في طاعة الله. قال ابن عباس: يريد بالصلاة: الصلوات الخمس، وبالإففاق: الزكاة.  
قوله تعالى: ﴿يَدَّبُّهُمْ﴾ أي: يدفعون ﴿يَلْمِزُكَ الْكَافِرَةُ﴾. وفي المراد بهما خمسة أقوال: أحدها: يدفعون بالعمل الصالح الشر من العمل، قاله ابن عباس. والثاني: يدفعون بالمعروف المنكر، قاله سعيد بن جبير. والثالث: بالعبور الظلم، قاله جوير. والرابع: بالحلم السفه، كأنهم إذا سفه عليهم حُلموا، قاله ابن قتيبة. والخامس: بالتوبة الذنب، قاله ابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَيْكَ لَمَمٌ عَفَى الدَّارِ﴾ قال ابن عباس: يريد: عقابهم الجنة، أي: تصوير الجنة آخر أمرهم.  
قوله تعالى: ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ وقرأ ابن أبي عبله: «صلح» بضم اللام. ومعنى «صلح»: آمن، وذلك أن الله تعالى الحق بالمومن أهل المؤمنين إكراماً له، لتقر عينه بهم. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ قال ابن عباس: بالتحية من الله والشفعة والهدايا.

قوله تعالى: ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجاج: أضمر القول هاهنا، لأن في الكلام دليلاً عليه. وفي هذا السلام قولان: أحدهما: أنه التحية المعروفة، يدخل الملك فيسلم وينصرف. قال ابن الأنباري: وفي قول المسلم: سلام عليكم، قولان: أحدهما: أن السلام: الله ﷻ، والمعنى: الله عليكم، أي: على حفظكم. والثاني: أن المعنى: السلامة عليكم، فالسلام جمع سلامة. والثاني: أن معناه: إنما سلمكم الله تعالى من أهوال القيامة وشرها بصبركم في الدنيا. وفيما صبرا عليه خمسة أقوال: أحدها: أنه أمر الله، قاله سعيد بن جبير. والثاني: فضول الدنيا، قاله الحسن. والثالث: الدين. والرابع: الفقر، روي عن أبي عمران الجوني. والخامس: أنه فقد المحبوب، قاله ابن زيد.

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أَفَلَيْكَ لَمَمٌ عَفَى الدَّارِ ﴿٢٠﴾﴾  
قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ قد سبق تفسيره في سورة [البقرة: ٢٧]. وقال مقاتل: نزلت في كفار أهل الكتاب.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَيْكَ لَمَمٌ عَفَى الدَّارِ﴾ أي: عليهم.  
﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢١﴾﴾  
قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يوسع على من يشاء ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي: يضيق. ﴿وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال ابن عباس: يريد مشركي مكة، فرحوا بما نالوا من الدنيا فطغوا وكذبوا الرسل.

قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: بالقياس إليها ﴿إِلَّا مَتَاعٌ﴾ أي: كالشيء الذي يُتَمَتَّع به، ثم يفنى <sup>(١)</sup>.  
﴿يَسْأَلُونَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُعَلِّمُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾  
قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ نزلت في مشركي مكة حين طلبوا من رسول الله ﷺ مثل آيات الأنبياء.. ﴿قُلْ إِنَّكَ

(١) روى الإمام أحمد في «المسند» ٢٢٩/٤ عن المستورد أخي بني فهر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحداكم أصبغاً هذه في اليوم، فلينظر بم يرجع، وأشار إلى السبابة»، ورواه مسلم في «صحيحه» ٢١٩٣/٤.

اللَّهُ يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ» أي: يرثه عن الهدى كما ردكم بعدما أنزل من الآيات وحرّمكم الاستدلال بها، ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يرجع إلى الحق، وإنما يرجع إلى الحق من شاء الله رجوعه، فكانه قال: ويهدي من يشاء.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا تَدَبَّرَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا بدل من قوله: ﴿أَنَابَ﴾، والمعنى: يهدي الذين آمنوا، ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ في هذا الذكر قولان: أحدهما: أنه القرآن. والثاني: ذكر الله على الإطلاق. وفي معنى هذه الطمأنينة قولان: أحدهما: أنها الحب له والأنس به. والثاني: السكون إليه من غير شك، بخلاف الذين إذا ذُكر الله اشمأزت قلوبهم.

قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: «ألا» حرف تنبيه وابتداء، والمعنى: تطمئن القلوب التي هي قلوب المؤمنين، لأن الكافر غير مطمئن القلب.

قوله تعالى: ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: أنه اسم شجرة في الجنة. روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ «أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما طوبى؟ قال: شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»<sup>(١)</sup>، وقال أبو هريرة: طوبى: شجرة في الجنة، يقول الله ﷻ لها: تفتّحي لعبدي عما شاء، فتفتّحي له عن الخيل بسروجها ولجئها، وعن الإبل بأزمتها، وعما شاء من الكسوة»<sup>(٢)</sup>. وقال شهر بن حوشب: طوبى: شجرة في الجنة، كل شجر الجنة منها أغصانها، من وراء سور الجنة، وهذا مذهب عطية، وشمر بن عطية، ومغيث بن سفي، وأبي صالح. والثاني: أنه اسم الجنة بالحشية، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. قال المصنف: وقرأت على شيخنا أبي منصور عن سعيد بن مسجوح قال: طوبى: اسم الجنة بالهندية، ومن ذهب إلى أنه اسم الجنة عكرمة، وعن مجاهد كالكولين. والثالث: أن معنى طوبى لهم: فرح وثرة عين لهم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أن معناه: نعيم لهم، قاله عكرمة في رواية، وفي رواية أخرى عنه: نعيم ما لهم. الخامس: غبطة لهم، قاله سعيد بن جبيرة، والضحاك. والسادس: أن معناه: خير لهم، قاله النخعي في رواية، وفي أخرى عنه قال: الخير والكرامة اللذان أعطاهم الله. وروى معمر عن قتادة قال: يقول الرجل للرجل: طوبى لك، أي: أصبت خيراً، وهي كلمة عربية. والسابع: حسنى لهم، رواه سعيد عن قتادة عن الحسن. والثامن: أن المعنى: العيش الطيب لهم. و«طوبى» عند النحويين: فعلى من الطيب، هذا قول الزجاج. وقال ابن الأنباري: تأويلها: الحال المستطابة والحلة المستلذذة، وأصلها: «طَبِي» فصارت الياء وأوّل لسكونها وانضمام ما قبلها كما صارت في «مؤمن» والأصل فيه «مُؤَيِّن» لأنه مأخوذ من اليقين، فغلبت الضمة فيه الياء فجعلتها وأوّل.

قوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ مَا تَدَبَّرَ﴾ المآب: المرجع والمنقلب.

﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي آثَمَةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَّةٌ لَنْ يَكْفُرُوا بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ (٣٠)

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾ أي: كما أرسلنا الأنبياء قبلك.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ لما قال لكفار قريش: اسجدوا للرحمن، قالوا: وما الرحمن؟ فنزلت هذه الآية، وقيل لهم: إن الرحمن الذي أنكرتم هو ربي، هذا قول الضحاك عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنهم لما أرادوا كتاب الصلح يوم الحديبية، كتب عليّ ﷺ: بسم الله الرحمن

(١) «الطبري» ١٤٩/١٣، ورواه الإمام أحمد في «مسنده»، وابن حبان من حديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد، وخرجه السيوطي في «الدر» ٥٩/٤ وزاد نسبه لأبي يعلى، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والخطيب في «تاريخه».

(٢) «الطبري» ١٤٧/١٣ من حديث شهر بن حوشب عن أبي هريرة. وذكره ابن كثير في «التفسير» ٥١٣/٢، وأورده السيوطي في «الدر» ٥٩/٤ وزاد نسبه لعبد الرزاق، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) «أسباب النزول» للواحدي ١٥٧ بدون سند.

الرحيم، فقال سهيل بن عمرو: ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، قاله قتادة، وابن جريج، ومقاتل. والثالث: أن رسول الله ﷺ كان يوماً في الجحجر يدعو، وأبو جهل يستمع إليه وهو يقول: يا رحمن، فولى مذبراً إلى المشركين فقال: إن محمداً كان ينهانا عن عبادة الألهة وهو يدعو إليهن! فنزلت هذه الآية، ذكره علي بن أحمد النيسابوري.

قوله تعالى: ﴿وَالَيْهِ مَتَابٌ﴾ قال أبو عبيدة: هو مصدر بُت إليه.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّرَتْ بِهِ الْمَوْتُ بَلْ لَلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِصِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ۖ﴾ ولقد استهزئ رسول الله ﷺ بالذين كفروا ثم أخذهم فكيف كان عقابهم ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ سبب نزولها أن مشركي قريش قالوا للنبي ﷺ: لو وسَّعت لنا أودية مكة بالقرآن، وسيَّرت جبالها فاحترناها، وأحييت من مات منا، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال الزبير بن العوام: قالت قريش لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يسير عنا هذه الجبال ويفجر لنا الأرض أنهاراً فنزرع، أو يحيي لنا موتانا فنكلهم، أو يصير هذه الصخرة ذهباً فتغتينا عن رحلة الشتاء والصيف فقد كان للأنبياء آيات، فنزلت هذه الآية، ونزل قوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الاسراء: ٥٩]. ومعنى قوله: ﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾ أي: شققت فجعلت أنهاراً، ﴿أَوْ كُفِّرَتْ بِهِ الْمَوْتُ﴾ أي: أحيوا حتى كلّموا. واختلفوا في جواب «لو» على قولين: أحدهما: أنه محذوف. وفي تقدير الكلام قولان: أحدهما: أن تقديره: لكان هذا القرآن، ذكره الفراء، وابن قتيبة. قال قتادة: لو فعل هذا بقرآن غير قرآنكم لفعل بقرآنكم. والثاني: أن تقديره: لو كان هذا كله لما آمنوا. ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ نَزَّلْنَا إِلَهُنَّ النَّارَ﴾... إلى آخر الآية [الأنعام: ١١١]، قاله الزجاج. والثاني: أن جواب «لو» مقدّم، والمعنى: وهم يكفرون بالرحمن، ولو أنزلنا عليهم ما سألوا، ذكره الفراء أيضاً.

قوله تعالى: ﴿بَلْ لَلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ أي: لو شاء أن يؤمنوا لآمنوا، وإذا لم يشأ، لم ينفع ما اقترحوا من الآيات. ثم أكد ذلك بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِصِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أفلم يتبين، رواه العوفي عن ابن عباس، وروى عنه عكرمة أنه كان يقرأها كذلك، ويقول: أظن الكاتب كتبها وهو ناعس، وهذا قول مجاهد، وعكرمة، وأبي مالك، ومقاتل. والثاني: أفلم يعلم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقاتدة، وابن زيد. وقال ابن قتيبة: ويقال: هي لغة للتحع<sup>(٣)</sup> «يأس» بمعنى «يعلم»، قال الشاعر:

أَقُولُ لَهُمْ بِالسُّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونَ نِسِي

وإنما وقع اليأس في مكان العلم، لأن في علمك الشيء وتيقنك به يأسك من غيره. والثالث: أن المعنى: قد يشك الذين آمنوا أن يهدوا واحداً، ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً، قاله أبو العالية. والرابع: أفلم يأس الذين آمنوا أن يؤمن هؤلاء المشركون، قاله الكسائي. وقال الزجاج: المعنى عندي: أفلم يأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم لا يؤمنون، لأنه لو شاء لهدى الناس جميعاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم جميع الكفار، قاله ابن السائب. والثاني: كفار مكة، قاله مقاتل. فأما القارعة، فقال الزجاج: هي في اللغة: النازلة الشديدة تنزل بأمر عظيم. وفي المراد بها هاهنا قولان: أحدهما: أنها عذاب من السماء، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: السرايا والطلائع التي كان يُنفذها

(١) «أسباب النزول» للواحدي ١٥٧ بدون سند. وانظر ابن كثير ٥١٥/٢.

(٢) «الطبري» ١٥١/١٣ وسنده ضعيف، وأوده ابن كثير ٥١٥/٢ من رواية ابن أبي حاتم، وفي سنده بشر بن عمار، وعطية العوفي، وهما ضعيفان.

(٣) قال الطبري ١٥٣/١٣: «وذكر عن ابن الكلبي أن ذلك لغة لهم من النسخ يقال لهم: وقيل.

(٤) البيت لسحيم بن وثيل. البريعوي في «الطبري» ١٥٣/١٣، ومجاز القرآن ٣٣٢/١، والقرطبي ٣٢٠/٩، واللسان. و«التاج»: يش، و«شواهد

الكشاف» ٢٦٨، وانظر الاختلاف في موز البيت في «اللسان»، و«التاج»: يش. وزهد: فرس لعوف جد سحيم.

رسول الله ﷺ، قاله عكرمة. وفي قوله: ﴿أَوْ تَحُلْ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه رسول الله ﷺ، فالمعنى: أو تحل أنت يا محمد، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة. والثاني: أنها القارعة، قاله الحسن. وفي قوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: فتح مكة، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: القيامة، قاله الحسن.

﴿أَفَتَنَّى هُوَ قَائِدٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْلُغُهُمُ مِنَ الْقَوْلِ بِأَلٍ ذُوْنٍ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَتَنَّى هُوَ قَائِدٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ يعني: نفسه ﷻ. ومعنى القيام هاهنا: التولي لأمر خلقه، والتدبير لأرزقهم وأجالهم، وإحصاء أعمالهم للجزاء، والمعنى: أئمن هو مجازي كل نفس بما كسبت، يثيبها إذا أحسنت، ويأخذها بما جنت، كمن ليس بهذه الصفة من الأصنام؟ قال الفراء: فترك جوابه، لأن المعنى معلوم، وقد بيَّنه بعد هذا بقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ كأنه قيل: كشركائهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي: بما يستحقونه من الصفات وإضافة الأفعال إليهم إن كانوا شركاء لله كما يسمى الله بالخالق، والرازق، والمحيي، والمميت، ولو سمَّوهم بشيء من هذا لكدبوا.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ هذا استفهام منقطع مما قبله، والمعنى: فإن سمَّوهم بصفات الله، فقل لهم: اتنبئونه، أي: أخبرونه بشريك له في الأرض وهو لا يعلم لنفسه شريكاً، ولو كان لعلَّمه؟ قوله تعالى: ﴿أَمْ يَبْلُغُهُمُ مِنَ الْقَوْلِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أم بظن من القول، قاله مجاهد. والثاني: بباطل، قاله قتادة. والثالث: بكلام لا أصل له ولا حقيقة.

قوله تعالى: ﴿بَلْ ذُنُوبٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ قال ابن عباس: زين لهم الشيطان الكفر. قوله تعالى: ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «وَصُدُّوا» بفتح الصاد، ومثله في: «حم المؤمن» [غافر: ٢٧]. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «وَصُدُّوا» بالضم فيهما. فمن فتح، أراد: صَدُّوا المسلمين، إما عن الإيمان، أو عن البيت الحرام. ومن ضم، أراد صدهم الله عن سبيل الهدى.

﴿لَّمْ يَكُنِ الْفِتْنَةُ الدُّنْيَا وَلَكِنَّ الْآخِرَةَ أَشَقُّ وَمَا لَهُمُ مِنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ﴾ قوله تعالى: ﴿لَّمْ يَكُنِ الْفِتْنَةُ الدُّنْيَا﴾ وهو القتل، والأسر، والسقم، فهو لهم في الدنيا عذاب، وللمؤمنين كفارة، ﴿وَلَكِنَّ الْآخِرَةَ أَشَقُّ﴾ أي: أشد ﴿وَمَا لَهُمُ مِنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ﴾ أي: مانع يقيهم عذابه. ﴿تَنَزَّلُ الْجَنَّةُ أَلَىٰ وَعْدِ الْمُتَّقِينَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْثَلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾

قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْجَنَّةُ﴾ أي: صفتها أن الأنهار تجري من تحتها، هذا قول الجمهور. وقال ثعلب: خير المثل مُضَمَّر قبله، والمعنى: فيما نصف لكم مثل الجنة، وفيما نقضه عليكم خبر الجنة ﴿أَكْثَلُهَا دَائِمٌ﴾ قال الحسن: يريد أن ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا ﴿وَرِظْلُهَا﴾ لأنه لا يزول ولا تتسخه الشمس.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي: عاقبة أمرهم المصير إليها. ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْثَبُ بِفِرْعَوْنَ يَمَّا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُبَكِّرُ بَعْضُهُمْ قُلُوبًا أُرِيتُ أَنَّ عِبْدَ اللَّهِ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ إِلَهُو ادْعُوا إِلَىٰ مَنَاقِبِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْثَبُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم مسلمو اليهود، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: هم عبد الله بن سلام وأصحابه. والثاني: أنهم أصحاب رسول الله ﷺ. قاله قتادة. والثالث: مؤمنو أهل الكتابين من اليهود والنصارى، ذكره الماوردي. والذي أنزل إليه: القرآن، فرح به المسلمون وصدَّقوه، وفرح به مؤمنو أهل الكتاب، لأنه صلَّق ما عندهم. وقيل: إن عبد الله بن سلام ومن آمن معه من أهل الكتاب، ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكركه في التوراة، فلما نزل ذكركه فرحوا، وكفر المشركون به، فنزلت هذه الآية. فاما

الأحزاب، فهم الكفار الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ بالمعاداة، وفيهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم اليهود والنصارى، قاله قتادة. والثاني: أنهم اليهود والنصارى والمجوس، قاله ابن زيد. والثالث: بنو أمية وبنو المغيرة وآل أبي طلحة بن عبد المطلب، قاله مقاتل. والرابع: كفار قريش، ذكره الماوردي. وفي بعضه الذي أنكروه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ذكر الرحمن والبعث ومحمد ﷺ، قاله مقاتل. والثاني: أنهم عرفوا بعثة الرسول في كتبهم وأنكروا نبوته. والثالث: أنهم عرفوا صدقه، وأنكروا تصديقه، ذكرهما الماوردي.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْوَحْيِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلٍ وَلَا وَاقٍ﴾ (٧٧)

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: وكما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلغاتهم، أنزلنا عليك القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ قال ابن عباس: يريد ما فيه من الفرائض. وقال أبو عبيدة: ديناً عربياً.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: في صلاتك إلى بيت المقدس: ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْوَحْيِ﴾ أن قبلتك الكعبة، قاله ابن السائب. والثاني: في قبول ما دعوك إليه من ملة آبائك، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلٍ﴾ أي: ما لك من عذاب الله من قريب ينفك ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ يقيه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَحَقَّقْنَا لَهُمْ آيَاتِنَا وَذَرَيْنَا وَمَا كَانَ لِرُسُلِنَا أَنْ يَأْتِيَ بِكَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (٧٨)

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ...﴾ الآية، سبب نزولها أن اليهود عيروا رسول الله ﷺ بكثرة التزويج، وقالوا: لو كان نبياً كما يزعم، شغلته النبوة عن تزويج النساء، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. ومعنى الآية: أن الرسل قبلك كانوا بشراً لهم أزواج، يعني النساء، وذريته، يعني: الأولاد. ﴿وَمَا كَانَ لِرُسُلِنَا أَنْ يَأْتِيَ بِكَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بأمره، وهذا جواب للذين اقترحوا عليه الآيات.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لكل أجل من آجال الخلق كتاب عند الله، قاله الحسن. والثاني: أنه من المقدم والمؤخر، والمعنى: لكل كتاب ينزل من السماء أجل، قاله الضحاك والفراء. والثالث: لكل أجل قدره الله ﷻ، ولكل أمر قضاء، كتاب أثبت فيه، ولا تكون آية ولا غيرها إلا بأجل قد قضاء الله في كتاب، هذا معنى قول ابن جرير.

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٧٩)

قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم: «ويثبت» ساكنة التاء خفيفة الباء. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: «ويثبت» مشددة الباء مفتوحة التاء. قال أبو علي: المعنى: ويثبت، فاستغنى بتعدية الأول من الفعلين عن تعدية الثاني. واختلف المفسرون في المراد بالذي يمحو ويثبت على ثمانية أقوال: أحدها: أنه عام، في الرزق، والأجل، والسعادة. والشقاوة، وهذا مذهب عمر، وابن مسعود، وأبي وائل، والضحاك، وابن جريج. والثاني: أنه الناسخ والمنسوخ، فيمحو المنسوخ، ويثبت الناسخ، روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبيرة، وقاتدة، والقرظي، وابن زيد. وقال ابن قتيبة: «يمحو الله ما يشاء» أي: ينسخ من القرآن ما يشاء «ويثبت» أي: يبدعه ثابتاً لا ينسخه، وهو المحكم. والثالث: أنه يمحو ما يشاء، ويثبت، إلا الشقاوة والسعادة، والحياة والموت، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، ودليل هذا القول، ما روى مسلم في «صحيحه»<sup>(١)</sup> من حديث حذيفة بن أسيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مضت على النطفة خمس وأربعون ليلة، يقول الملك الموكل: أذكر أم أنثى؟ فيقضي الله تعالى، ويكتب الملك، فيقول: أشقي، أم سعيد؟ فيقضي الله، ويكتب الملك، فيقول: عمله وأجله؟ فيقضي الله، ويكتب الملك، ثم تطوى الصحيفة، فلا يزداد فيها ولا ينقص منها». والرابع: يمحو ما يشاء ويثبت، إلا الشقاوة والسعادة لا يغيران، قاله مجاهد. والخامس: يمحو من جاء أجله، ويثبت من لم يجر أجله، قاله الحسن. والسادس: يمحو من ذنوب عباده ما يشاء فيغفرها، ويثبت ما يشاء فلا يغفرها، روى عن سعيد بن جبيرة.

والسابع: يمحو ما يشاء بالتوبة، ويثبت مكانها حسنة، قاله عكرمة. والثامن: يمحو من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، ويثبت ما فيه ثواب وعقاب، قاله الضحاك، وأبو صالح. وقال ابن السائب: القول كله يكتب، حتى إذا كان في يوم الخميس، طُرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب، مثل قولك: أكلتُ، شريت، دخلت، خرجت، ونحوه، وهو صادق، ويثبت ما فيه الثواب والعقاب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال الزجاج: أصل الكتاب. قال المفسرون: وهو اللوح المحفوظ الذي أثبت فيه ما يكون ويحدث<sup>(٢)</sup>. وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى في ثلاث ساعات ييقن من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت»<sup>(٣)</sup>. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: هما كتابان، كتاب سوى أم الكتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب لا يغير منه شيء.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نُوَدُّهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نُوَدُّهُمْ﴾ أي: من العذاب وأنت حي ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن نريك ذلك، فليس عليك إلا أن تبلغ، ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ قال مقاتل: يعني الجزاء. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أن قوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ﴾ نسخ بآية السيف وفرض الجهاد، وبه قال قتادة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه ما يفتح الله على نبيه من الأرض، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والضحاك. قال مقاتل: «أولم يروا» يعني: كفار مكة «أنا نأتي الأرض» يعني: أرض مكة «ننقصها من أطرافها» يعني: ما حولها. والثاني: أنها القرية تخرب حتى تبقى الأبيات في ناحيتها، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والثالث: أنه نقص أهلها وبركتها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال الشعبي: نقص الأنفس والثمرات. والرابع: أنه ذهب فقهاؤها وخيار أهلها، رواه عطاء عن ابن عباس. والخامس: أنه موت أهلها، قاله مجاهد، وعطاء، وقاتادة<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ قال ابن قتيبة: لا يتعقبه أحد بتغيير ولا نقص. وقد شرحنا معنى سرعة الحساب في سورة [البقرة: ٢٠٢].

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَ عِلْمُهُ الْكُنُوزَ لَمَنْ عُقِيَ الذَّارِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كفار الأمم الخالية، مكروا بأنبيائهم يقصدون قتلهم، كما مكرت قريش برسول الله ﷺ ليقتلوه. ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ يعني: أن مكر الماكرين مخلوق له، ولا يضر إلا بإرادته؛ وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ وتسكين له. ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من خير وشر، ولا يقع ضرر إلا بإذنه. ﴿وسيعلم الكافر﴾

(١) قال أبو جعفر بن جرير الطبري ١٧٠/١٣: وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بتأويل الآية، وأشبهها بالصواب، القول الذي ذكرناه عن الحسن، ومجاهد، وذلك أن الله تعالى ذكره، توعد المشركين الذين سألوا رسول الله ﷺ للآيات بالعقوبة، وتهدم بها، وقال لهم: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِكَلِمَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَهْلِ كِتَابٍ﴾ يعلمهم بذلك أن لقضاه فيهم أجلاً ميثاقاً في كتاب، هم مؤخرون إلى وقت محي ذلك الأجل، ثم قال لهم: فإذا جاء ذلك الأجل، يحية الله بما شاء ممن قد نأى أجله وانقطع رزقه أو حان هلاكه، أو انتصاه من رفعة، أو هلاك مال، فيقضي ذلك في خلقه، فذلك محوه، ويثبت ما شاء ممن بقي أجله ورزقه وأكله، فيتركه على ما هو عليه فلا يمحوه.

(٢) قال ابن جرير الطبري ١٧١/١٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: وعنده أصل الكتاب وجملته، وذلك أنه تعالى ذكره، أخبر أنه يمحو ما يشاء، ويثبت ما يشاء، ثم عقب ذلك بقوله: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فكان بيناً أن معناه: وعنده أصل الميثاق منه والممحو، وجملته في كتاب لديه.

(٣) «الطبري» ١٧٠/١٣ وفي سنده زيادة بن محمد الأنصاري، قال البخاري والنسائي: منكر الحديث، وأورده السيوطي في «الدر» ٦٥/٤ وزاد نسيته لابن أبي حاتم، وابن مردويه، والطبراني.

(٤) قال ابن جرير الطبري ١٧٤/١٣: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ يظهر المسلمين من أصحاب محمد ﷺ عليها، وقهرهم أهلها، أفلا يعتبرون بذلك فيخافون ظهورهم على أرضهم وقهرهم إياهم، وذلك أن الله توعد الذين سألوا رسوله الآيات من مشركي قومه بقوله: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نُوَدُّهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ ثم ويخبرهم تعالى ذكره بسوء اعتبارهم بما يعمانون من فعل أهل بضرائهم من الكفار، وهم مع ذلك يسألون الآيات، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بقهر أهلها والغلبة عليها من أطرافها وجوانبها، وهم لا يعتبرون بما يرون من ذلك.



قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «وسيعلم الكافر». قال ابن عباس: يعني: أبا جهل. وقال الزجاج: الكافر هاهنا: اسم جنس. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «الكفار» على الجمع.

قوله تعالى: ﴿لَمَنْ عَقِيَ الدَّارَ﴾ أي: لمن الجنة آخر الأمر.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود والنصارى. والثاني: كفار قريش. ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: شاهداً ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بما أظهر من الآيات، وأبان من الدلالات على نبوتي.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: أنهم علماء اليهود والنصارى، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه عبد الله بن سلام، قاله الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وابن زيد، وابن السائب، ومقاتل. والثالث: أنهم قوم من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحق، منهم عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري، قاله قتادة. والرابع: أنه جبريل عليه السلام، قاله سعيد بن جبيرة. والخامس: أنه علي بن أبي طالب، قاله ابن الجني. والسادس: أنه بنوامين، قاله شمر. والسابع: أنه الله تعالى، روي عن الحسن، ومجاهد، واختاره الزجاج واحتج له بقراءة من قرأ: «وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» وبه قراءة ابن السميع، وابن أبي عبيدة، ومجاهد، وأبي حيوة. ورواية ابن أبي سريج عن الكسائي: «وَمَنْ» بكسر الميم «عِنْدَهُ» بكسر الدال «عِلْمٌ» بضم الميم وكسر اللام وفتح الميم «الكتاب» بالرفع. وقرأ الحسن «وَمَنْ» بكسر الميم «عِنْدَهُ» بكسر الدال «عِلْمٌ» بكسر العين وضم الميم «الكتاب» مضاف، كأنه قال: أنزل من علم الله تعالى.



## سورة إبراهيم

### [عليه السلام]

وهي مكية من غير خلاف علمناه بينهم، إلا ما روي عن ابن عباس، وقناة أنها قالا: سوى آيتين منها، وهما<sup>(١)</sup> قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نَفْسَ اللَّهِ كَفْرًا﴾ والتي بعدها [إبراهيم: ٢٨، ٢٩].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ كَيْتَبٌ أَرْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْمُرِيدِ ۝ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿الرَّ﴾ قد سبق بيانه [يونس: ١]. وقوله: ﴿كَيْتَبٌ﴾ قال الزجاج: المعنى: هذا كتاب، والكتاب: القرآن. وفي المراد بالظلمات والنور ثلاثة أقوال: أحدها: أن الظلمات: الكفر، والنور: الإيمان، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أن الظلمات: الضلالة، والنور: الهدى، قاله مجاهد، وقناة. والثالث: أن الظلمات: الشك، والنور: اليقين، ذكره الماوردي. وفي قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: بأمر ربهم، قاله مقاتل. والثاني: بتوفيق ربهم، قاله أبو سليمان. والثالث: أنه الإذن نفسه، فالمعنى: بما أذن لك من تعليمهم، قاله الزجاج، قال ثم بين ما الثور، فقال: ﴿إِلَّا صِرَاطَ الْمُرِيدِ الْحَمِيدِ﴾ قال ابن الأنباري: وهذا مثل قول العرب: جلست إلى زيد، إلى العاقل الفاضل، وإنما تعاد «إلى» بمعنى التعظيم للأمر، قال الشاعر:

إِذَا خَيْرْتُ رَجُلِي تَذَكَّرْتُ مَنْ لَهَا  
دَعَوْتُ النَّبِيَّ لَوْ أَنَّ نَفْسِي تُطِيعُنِي  
فَأَعَادُ دَعْوَتِي لِتَضْمِينِ الْأَمْرِ.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ﴾ قرا ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: «الحميد لله» على البدل. وقرا نافع، وابن عامر، وأبان، والمفضل: «الحميد لله» رفعاً على الاستئناف، وقد سبق بيان ألفاظ الآية.

﴿الَّذِينَ يَسْتَجِبُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي صُلٰلٍ يَبْعِلُونَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوِيٍّ ۝ لِيُخَبِّرَ لَكُمْ فَيُحْضِلَ اللَّهُ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۝ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَفِّرْهُمْ بِإِثْمِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ مَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُوكُمْ سَوَاءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُوكُمُ ابْنَاءَكُمْ وَيَسْتَعْبِدُونَ نِسَاءَكُمْ ۝ فِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَجِبُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا﴾ أي: يؤثرونها ﴿عَلَى الْآخِرَةِ﴾ قال ابن عباس: يأخذون ما تعجل لهم منها تهاوناً بأمر الآخرة.

قوله تعالى: ﴿يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ﴾ أي: يمنعون الناس من الدخول في دينه، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ قد شرحناه في [آل عمران: ٩٩].

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ فِي صُلٰلٍ﴾ أي: في ذهاب عن الحق [يعبد] من الصواب.

(١) في الأصل: وهي.

(٢) البيان لقيس لبي: «ديوانه» ٦٩، و«الأغاني» ٩/١٩٣، وتزيين «الأسواق» ٤٨.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا يَلْسَنَ قَوْلِهِ﴾ أي: بلغتهم. قال ابن الأنباري: ومعنى اللغة عند العرب: الكلام المنطوق به، وهو مأخوذ من قولهم: لَغَا الطائر يَلْغُو: إذا صَوَّت في الغلس. وقرأ أبو رجاء، وأبو المتوكل، والجمحري: ﴿إِلَّا يَلْسُنَ قَوْلِهِ﴾ برفع اللام والسين من غير ألف. وقرأ أبو الجزاء، وأبو عمران: ﴿يَلْسُنَ قَوْلِهِ﴾ بكسر اللام وسكون السين من غير ألف.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْكُ لَهُمْ﴾ أي: الذي أرسل به فيفهمونه عنه. وهذا نزل، لأن قريشاً قالوا: ما بال الكتب كلها أعجمية، وهذا عربي!

قوله تعالى: ﴿أَنْتَ أَخْرَجْتَ قَوْمَكَ﴾ قال الزجاج: «أن» مفسر، والمعنى قلنا له: أخرج قومك. وقد سبق بيان الظلمات والنور [البقرة: ٢٥٧]. وفي قوله: ﴿وَذَكَرَهُمْ بِإِسْمِ اللَّهِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نعم الله، رواه أبي بن كعب عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>، وبه قال مجاهد، وقتادة، وابن قتيبة. والثاني: أنها وقائع الله في الأمم قبلهم، قاله ابن زيد، وابن السائب، ومقاتل. والثالث: أنها أيام نعم الله عليهم وأيام يقموا ممن كفر من قوم نوح وعاد وثمود، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ يعني: التذكير: ﴿لَا يَنْتَبِهُ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على طاعة الله وعن معصيته: ﴿شَكُورٍ﴾ لأنعمه. والصَّابِر: الكثير الصبر، والشُّكُور: الكثير الشُّكر، وإنما خصص بالآيات، لانقضاء بها. وما بعد هذا مشروح في سورة [البقرة: ٤٩].

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُجُومُكَ لَيْنَ شَكْرَتِهِمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَكِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَلَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ لِقَائِهِ جِيدٌ ۝٨ أَنْتُمْ يَأْتِيكُمْ نَبَأُ الْذِّكْرِ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْلُهُ قَوْلُج وَعَادُ وَثَمُودُ وَالذِّكْرِ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِيعُوا أَمْرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَذْعَبُونَ لِقَابِ اللَّهِ يُعْذِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجُكُمْ لِكُلِّ أَعْلٍ شَسَعٍ قَالُوا إِنَّا أَشَدُّ إِلَّا بَشَرٌ نَقْلًا يُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّوكُمْ عَنْ مَا كَانَتْ بَعْدُ مَأْوَاكُمْ فَأَنْتُمْ تَأْتِيكُمْ بِطُلُوعِ شَمْسٍ ۝١٠ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِطُلُوعِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝١١ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلًا وَلَقَدْ رَٰوَيْنَا عَنْ مَا أَذْبَحْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝١٢ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ نَعُودَنَّ فِيهَا فَمَازَاجَ الْيَوْمِ مِنْهُمْ لَكُلِّكُمُ الظَّالِمِينَ ۝١٣ وَلَنَحْنُنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَكَانَ وَعِيدٌ ۝١٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُجُومُكَ﴾ مذكور في [الأعراف: ١٦٧]. وفي قوله: ﴿لَيْنَ شَكْرَتِهِمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لئن شكرتم نعمي لأزيدنكم من طاعتي، قاله الحسن. والثاني: لئن شكرتم إنعمي لأزيدنكم من فضلي، قاله الربيع. والثالث: لئن وُحِّدتموني لأزيدنكم خيراً في الدنيا، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿وَلَكِنْ كَفَرْتُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه كفر بالتوحيد. والثاني: كفران النعم.

قوله تعالى: ﴿لَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ لِقَائِهِ جِيدٌ﴾ أي: غني عن خلقه، محمود في أفعاله، لأنه إما مفضل بفعله، أو عادل.

قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ قال ابن الأنباري: أي: لا يحصي عددهم إلا هو، على أن الله تعالى أهلك أمماً من العرب وغيرها، فانقطعت أخبارهم، وعُفَّت آثارهم، فليس يعلمهم أحد إلا الله.

قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: أنهم عضوا أصابعهم غيظاً، قاله ابن مسعود، وابن زيد. وقال ابن قتيبة: «في» هاهنا بمعنى: «إلى»، ومعنى الكلام: عضوا عليها حقاً وغيظاً، كما قال الشاعر:

يَرُدُّونَ فِيهِ عَشْرَ الْحَسُودِ<sup>(٢)</sup>

يعني: أنهم يغيظون الحسود حتى يعضّ على أصابعه العشر، ونحوه قول الهذلي:

(١) «الطبري» ١٨٤/١٣، «المسنود» ١٢١/٥، وذكره ابن كثير من رواية أحمد ٥٢٣/٢، ثم قال: ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث محمد بن أبيان به، ورواه عبد الله ابنه أيضاً موقوفاً، وهو أشبه. وذكره السيوطي في «الدرة» ٧٠/٤، وزاد نسبته للنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٢) ذكره ابن قتيبة غير منسوب في «المعاني الكبير» ٨٣٤، و«غريب القرآن» ٢٣٠، وشرحه بقوله: يعني أصابع يديه العشر بعضها غيظاً عليهم وحقاً، وفي «تفسير القرطبي» ٣٤٦/٩.

قَدْ أَفْنَى أَنْفَالَهُ أَزْمُهُ

فَأَضْحَى يَعْضُ عَلَيَّ الْوُظِيفَا<sup>(١)</sup>

يقول: قد أكل أصابعه حتى أفناها بالعض، فأضحى يعض عليّ وظيف الذراع. والثاني: أنهم كانوا إذا جاءهم الرسول فقال: إني رسول، قالوا له: اسكت، وأشاروا بأصابعهم إلى أفواه أنفسهم، ردّاً عليه وتكديماً، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم لما سمعوا كتاب الله، عجزوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم، رواه العوفي عن ابن عباس. والرابع: أنهم وضعوا أيديهم على أفواه الرسل. ردّاً لقولهم، قاله الحسن. والخامس: أنهم كذبوهم بأفواههم، وردّوا عليهم قولهم، قاله مجاهد، وقتادة. والسادس: أنه مثّل، ومعناه: أنهم كفّوا عما أمروا بقبوله من الحق، ولم يؤمنوا به. يقال: ردّ فلان يده إلى فمه، أي أمسك فلم يُجب، قاله أبو عبيدة. والسابع: ردّوا ما لُزّ قبلوه لكان نعماً وأيادي من الله<sup>(٢)</sup>، فتكون الأيدي بمعنى: الأيادي، و«في» بمعنى: الباء، والمعنى: ردّوا الأيادي بأفواههم، ذكره الفراء، وقال: قد وجدنا من العرب من يجعل «في» موضع الباء، فيقول: أدلك الله بالجنة، يريد: في الجنة، وأنشدني بعضهم: وأرغب فيها عن لقيط ورهطه  
ولكنني عن سننيس لست أرغب<sup>(٣)</sup>

فقال: أرغب فيها، يعني: بتأله، يريد: أرغب بها، وسننيس: قبيلة.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنَّا كُنَّا بِمَا أَنْزَلْتُمْ بِهِ﴾ أي: على زعمكم أنكم أرسلتم، لا أنهم أقرؤا بإرسالهم. وباقي الآية قد سبق تفسيره (هود: ٦٢). ﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ هذا استفهام إنكار، والمعنى: لا شك في الله، أي: في توحيدهم ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ بالرسول والكتب ﴿لِيُفَيِّرَ لَكُمْ﴾ قال أبو عبيدة: «من» زائدة، كقوله: ﴿فَمَا يَنْكُرُ مِنْ لَوْ عَنْهُ حَيِّينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]، قال أبو ذؤيب:

جَزَيْتُكَ ضِغْفَ الْحَبِّ لَمَّا شَكَوْتِهِ

وما إن جزاك الضغف من أحد قبلي<sup>(٤)</sup>

أي: أحد. وقوله: ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو الموت، والمعنى: لا يعاجلكم بالعذاب. ﴿قَالُوا﴾ للرسول: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فاعترفوا لهم بذلك، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُمِثُّ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾ يعنون: بالنبوة والرسالة، ﴿وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: ليس ذلك من قِبل أنفسنا.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ هَدَيْنَا سُبُلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: بين لنا رشدنا. والثاني: عرفنا طريق التوكل. وإنما قصّ هذا وأمثاله على نبينا ﷺ ليقنّدي بمن قبله في الصبر وليعلم ما جرى لهم.

قوله تعالى: ﴿لَتَلْبِكَنَّ الْفَٰلِغِيلِينَ﴾ يعني: الكافرين بالرسول. وقوله: ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: بعد هلاكهم. ﴿ذَلِكَ﴾ الإسكان ﴿لِئِنْ خَافَ مَقَامِي﴾ قال ابن عباس: خاف مقامه بين يدي. قال الفراء: العرب قد تضيف أفعالها إلى أنفسها، وإلى ما أوقعته عليه، فتقول: قد ندمت على ضربي إياك، وندمت على ضربك، فهذا من ذاك، ومثله ﴿وَيَقْتُلُونَ رُءُوسَكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٢] أي: رزقي إياكم.

قوله تعالى: ﴿رَمَاهُ وَبِيدَ﴾ أثبت ياء «ويعدي» في الحالي يعقوب، وتابعه ورش في الرُّضَل. ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَكَلَّ كَلَّ جَنَارٍ غَيِّبٍ﴾ تَنَ وَرَأَيْهِ جَهَنَّمَ وَشَقَّ مِنْ مَّاءٍ صَكِيلٍ ﴿يَجْرَعُهُمْ وَلَا يَكَادُ يُمْسِكُهُمْ وَيَأْتِيهِ الْآثَرُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِحَيِّثٍ وَيَنْ وَرَأَيْهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾ يعني: استنصروا. وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وحמיד،

(١) البيت لصخر الغي، كما في «ديوان الهذليين» ٧٣/٢، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة ٨٣٤، و«غريب القرآن» ٢٣١. و«الأزم»: المعنى الشديد، و«الوظيف»: اللزاع. يقول: «قد أفنى أصابعه فهر بعض على مفصل بين الساعد والكف».

(٢) قال أبو جعفر الطبري: وأشبه هذه الأقوال عندي بالصواب في تأويل الآية، القول الذي ذكرناه عن عبد الله بن مسعود - أي القول الأول - أنهم ردوا أيديهم في أفواههم، فعضوا عليها غيظاً على الرسل، كما وصف الله ﷺ به إخوانهم من المنافقين فقال: ﴿وَإِذَا عَلَوْا عُمُورًا عَلَيْهِمُ الْأَنْبَايِلُ مِنَ النَّبِيِّ﴾، فهذا هو الكلام المعروف، والمعنى المفهوم من رد اليد إلى الفم.

(٣) «الطبري» ١٨٩/١٣، غير منسوب.

(٤) «مجاز القرآن» ٤٩/١، «ديوان الهذليين» ٣٥/١، و«شرح أشعار الهذليين» ٨٨/١.

وابن مُحَيِّصِن: «وَاسْتَفْتِحُوا» بكسر التاء على الأمر. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الرسل، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنهم الكفار، واستفتحهم: سؤالهم العذاب، كقولهم: «رَبَّنَا جَلِّ لَنَا قِطْعًا» [مَنْ: ١٦] وقولهم: «إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ...» الآية [الأنفال: ٣٢]، هذا قول ابن زيد.

قوله تعالى: «وَنَبَأَ كُلُّ بَنِيكَ خَيْرٌ» قال ابن السائب: خسر عند الدعاء، وقال مقاتل: خسر عند نزول العذاب، وقال أبو سليمان الدمشقي: يش من الإجابة. وقد شرحنا معنى الجبار والعنيد في [مرد: ٥٩].

قوله تعالى: «مَنْ وَرَاءَهُ» أي: قُدَّامَهُ وأمامه، يقال: الموت من ورائك، وأنشد:

أَتَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي  
وَالثَّانِي: أنها بمعنى: «بَعْدَ»، قال ابن الأنباري: «مَنْ وَرَاءَهُ» أي: من بعد يأسه، فدلَّ «خَابَ» على اليأس، فكُنِيَ عنه، وحملت «وراء» على معنى: «بَعْدَ» كما قال النابغة:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِبَةً  
أَرَادَ: ليس بَعْدَ الله مذهب. قال الزجاج: والوراء يكون بمعنى الخلف والقُدَّام، لأن ما بين يديك وما قُدَّامَكَ إذا تَوَارَى عَنْكَ فَقَدْ صَارَ وَرَاءَكَ، قال الشاعر:

أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَيْتُ مَنِيَّتِي  
لُزُومُ الْعَصَا تُحْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ<sup>(١)</sup>  
قال: وليس الوراء من الأضداد كما يقول بعض أهل اللغة. وسئل ثعلب: لم قيل: الوراء للأمام؟ فقال: الوراء: اسم لما توارى عن عينك، سواء أكان أمامك أو خلفك. وقال الفراء: إنما يجوز هذا في المواقيت من الأيام والليالي والدهر، تقول: وراءك برد شديد. وبين يديك برد شديد. ولا يجوز أن تقول للرجل وهو بين يديك: هو وراءك، ولا للرجل وراءك: هو بين يديك.

قوله تعالى: «وَيُسْقَى مِنَ الْمَاءِ صَدِيدٌ» قال عكرمة، ومجاهد، واللغويون: الصديد: القيح والدم، قاله قتادة، وهو ما يخرج من بين جلد الكافر ولحمه. وقال القرظي: هو غُسلُ أهل النار، وذلك ما يسيل من فروج الزناة. وقال ابن قتيبة: المعنى: يُسْقَى الصديد مكانَ الماء، قال: ويجوز أن يكون على التشبيه، أي: ما يُسْقَى ماءً كأنه صديد<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: «يَتَجَرَّعُهُ» والتجرج: تناول المشروب جرعة جرعة، لا في مرة واحدة، وذلك لشدة كراهته له، وإنما يُكره على شربه.

قوله تعالى: «وَلَا يَكَاذُ يَشْفَعُ» قال الزجاج: لا يقدر على ابتلاعه، تقول: ساغ لي الشيء، وأسغته، وروى أبو أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يُقَرَّبُ إِلَيْهِ فَيَكْرَهُهُ، فإِذَا أَذْنِي مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ وَوَقَعَتْ فِرْوَةٌ رَأْسَهُ، فإِذَا شَرِبَهُ قَطَعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دَبْرِهِ»<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: «وَيَأْتِيَهُمُ الْوُتُّ» أي: هم الموت وكربه وألمه «مِنْ كُلِّ مَكَانٍ» وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: من كل شعرة في جسده، رواه عطاء عن ابن عباس. وقال سفيان الثوري: من كل عِرْق. وقال ابن جريج: تتعلق نفسه عند

(١) البيت من كلمة لسوار بن المضرب في «الكامل» ٤٤٥، وهو في «مجاز القرآن» ٣٣٧/١، و«الطبري» ١/١٦، و«الجمهرة» ١/١٧٧، و ٤٩٥/٣، و«القرظي» ٣٥/١١، و«اللسان»، و«التاج»: «دوري».

(٢) «ديوانه» ١٢، و«مختار الشعر الجاهلي» ١٧٥ من قصيدة يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر ويمدحه.

(٣) البيت للبيد بن ربيعة العامري: «ديوانه» ١٧٠.

(٤) كذا الأصل، والذي في «غريب القرآن» لابن قتيبة ٢٣١: أي: يسقى ماءً كأنه صديد.

(٥) «الطبري» ١٩٦/١٣، و«المسند» ٢٦٥/٥، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ٥٢٦/٢، من رواية أحمد في «المسند» وقال: وهكذا رواه ابن جرير من حديث عبد الله بن المبارك، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث بقية بن الوليد عن صقر بن عمرو به. وذكره السيوطي في «الدر» ٧٢/٤ وزاد نسبته للترمذي، والنسائي، وابن أبي الدنيا في «صفة النار»، وأبي يعلى، وابن المنذر، والطبراني، وأبي نعيم في «الحلية» وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «اللبث والنشور».

حنجرته، فلا تخرج من فيه فتموت، ولا ترجع إلى مكانها فتجد راحة. والثاني: من كل جهة، من فوقه وتحتة، وعن يمينه وشماله، وخلفه وقُدَّامه، قاله ابن عباس أيضاً. والثالث: أنها البلايا التي تصيب الكفار في النار، سماها موتاً، قاله الأخفش.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ أي: موتاً تنقطع معه الحياة. ﴿وَيَوْمَ رَأَىٰ﴾ أي: من بعد هذا العذاب. قال ابن السائب: من بعد الصديد ﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾. وقال إبراهيم التيمي: بعد الخلود في النار. والغليظ: الشديد. ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ نَارٌ كَأَنَّهُمْ أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَٰلُ الْأَعْيَدُ﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ نَارٌ كَأَنَّهُمْ أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ قال الفراء: أضاف المثل إليهم، وإنما المثل للأعمال، فالمعنى: مثل أعمال الذين كفروا. ومثله: ﴿وَيَوْمَ الْيَقِينِ تَرَىٰ الْأَشْجَارَ كَذِبًا عَلَىٰ أَنَّهُمْ يُحْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٦٠]، أي: ترى وجوههم. وجعل العُصُوف تابعا لليوم في إعرابه، وإنما العُصُوف للريح، وذلك جائز على جهتين: إحداهما: أن العُصُوف، وإن كان للريح، فإن اليوم يوصف به، لأن الريح فيه تكون، فجاز أن تقول: يوم عاصف، كما تقول: يوم بارد، ويوم حار. والوجه الآخر: أن تريد: في يوم عاصف الريح، فتحذف الريح، لأنها قد ذُكرت في أول الكلام، كما قال الشاعر:

وَيُضْحِكُ عِرْفَانُ الدُّرُوعِ جُلُودَنَا

إِذَا كَانَ يَوْمُ مُظْلِمِ الشَّمْسِ كَاسِفٍ

يريد: كاسف الشمس. وروي عن سيبويه أنه قال: في هذه الآية إضمار، والمعنى: ومما نقص عليك مثل الذين كفروا، ثم ابتداء فقال: «أعمالهم كرماد». وقرأ النخعي، وابن يعمر، والجحدري: «في يوم عاصف» بغير تنوين اليوم. قال المفسرون: ومعنى الآية: أن كل ما يتقرب به المشركون يحبط لا ينتفعون به، كالرماد الذي سَفَتَهُ الريح فلا يُقدَّر على شيء منه، فهم لا يقدرُونَ مما كَسَبُوا في الدنيا على شيء في الآخرة، أي: لا يجدون ثوابه، ﴿ذَلِكَ هُوَ الصَّلَٰلُ الْأَعْيَدُ﴾ من النجاة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَئُودُكُمْ يَأْتِي غَدِيرٌ وَبَآءٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: ألم تُخَبِّرْ، قاله ابن السائب. والثاني: ألم تعلم، قاله مقاتل، وأبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ قال المفسرون: أي: لم يخلقهن عبثاً، وإنما خلقهن لأمر عظيم. ﴿إِنَّ يَئُودُكُمْ يَأْتِي غَدِيرٌ﴾ قال ابن عباس: يريد: يميتمكم يا معشر الكفار ويخلق قوماً غيركم خيراً منكم وأطوع، وهذا خطاب لأهل مكة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ أي: بممتنع متعذر.

﴿وَيَذَرُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الصَّمْعَتَوُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَاً فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَوُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّجِيصٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ لفظة لفظ الماضي، ومعناه المستقبل، والمعنى: خرجوا من قبورهم يوم البعث، واجتمع التابع والمتبوع، ﴿فَقَالَ الصَّمْعَتَوُا﴾ وهم الأنبايع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ وهم المتبوعون: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَاً﴾ قال الزجاج: هو جمع تابع، يقال: تابع وتبع، ومثل: غائب وغَيب، والمعنى: تبعناكم فيما دعوتمونا إليه.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَوُونَ عَنَّا﴾ أي: دافعون عنا ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾. قال القادة: ﴿لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ﴾ أي: لو أرشدنا في الدنيا لأرشدناكم، يريدون: أن الله أضلَّنَا فَدَعُونَاكُمْ إِلَى الضلال، ﴿سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا﴾ قال ابن زيد: إن أهل النار قال بعضهم لبعض: تعالوا نبكي ونضرع، فإنما أدرك أهل الجنة الجنة بيكاكهم وتضرعهم، فَبَكَرُوا وتضرعوا، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم، قالوا: تعالوا نصبر، فإنما أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر، فصبروا صبراً لم يُر مثله قط، فلم ينفعهم ذلك، فعندنا قالوا: ﴿سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّجِيصٍ﴾. وروى مالك بن أنس

عن زيد بن أسلم قال: جَزَعُوا مائة سنة، وصبروا مائة سنة. وقال مقاتل: جزعوا خمسمائة عام، وصبروا خمسمائة عام. وقد شرحنا معنى المحيص في سورة (النساء: ١٢١).

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَدَّعَاكُمْ فَأَلْفَنُكُمْ وَما كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُفْرِخِكُمْ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٢) وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالصَّالِحِينَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحَيِّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ قال المفسرون: يعني به إبليس، يعني به إبليس، ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: فرغ منه، فدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فحينئذ يجتمع أهل النار باللوم على إبليس، فيقوم فيما بينهم خطيباً ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ أي: وعدكم كَوْنُ هذا اليوم فصدقكم ﴿وَوَدَّعَاكُمْ﴾ أنه لا يكون ﴿فَأَلْفَنُكُمْ﴾ الوعد ﴿وَما كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: ما أظهرت لكم حجة على ما ادَّعيت. وقال بعضهم: ما كنت أملككم فأكرهكم ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾ وهذا من الاستثناء المنقطع، والمعنى: لكن دعوتكم ﴿فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ حيث أجبتموني من غير برهان، ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أي: بمغيثكم ﴿وَمَا أَنَا بِمُفْرِخِكُمْ﴾ أي: بمغيثي. قرأ حمزة «بمصريخي» فحرك الياء إلى الكسر، وحركها الباقون إلى الفتح. قال قطرب: هي لغة في بني يربوع؛ يعني: قراءة حمزة. قال اللغويون: يقال: استصرخني فلان فأصرخته، أي: استغاثني فأغثته. ﴿إِنِّي كَفَرْتُ﴾ اليوم بإشراككم إياي في الدنيا مع الله في الطاعة، ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: المشركين.

قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بأمر ربهم. وقوله: ﴿يُحَيِّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ قد ذكرناه في [يونس: ٤١]. ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٤) تَوَقَّعْتُ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَصْرِفُ اللَّهُ الْأَثَالَ لِلنَّاسِ لَمَّا هُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ قال المفسرون: ألم تر بعين قلبك فتعلم بإعلامي إياك كيف ضرب الله مثلاً. أي: بين شَبَهًا، ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ قال ابن عباس: هي شهادة أن لا إله إلا الله. ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ أي: طيبة الشجرة، فترك ذكر الشجرة اكتفاءً بدلالة الكلام عليه. وفي هذه الشجرة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها النخلة، وهو في «الصحيحين» من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>، وقد رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود، وأنس بن مالك، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك في آخرين. والثاني: أنها شجرة في الجنة، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس. والثالث: أنها المؤمن، وأصله الثابت أنه يعمل في الأرض ويبلغ عمله السماء. وقوله: ﴿تَوَقَّعْتُ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ فالمؤمن يذكر الله كل ساعة من النهار، رواه عطية عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ أي: في الأرض، ﴿وَفَرْعُهَا﴾ أعلاها عالي ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ أي: نحو السماء، وأكلها. ثمرها. وفي الحين هاهنا ستة أقوال: أحدها: أنه ثمانية أشهر، قاله علي بن أبي طالب. والثاني: ستة أشهر، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعكرمة، وقتادة. والثالث: أنه بكرة وعشية، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس. والرابع: أنه السنة، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال مجاهد، وابن زيد. والخامس: أنه شهران، قاله سعيد بن المسيب. والسادس: أنه عُذوة وعشية وكل ساعة، قاله ابن جرير. فمن قال: ثمانية أشهر، أشار إلى مدة حملها باطناً وظاهراً، ومن قال: ستة أشهر، فهي مدة حملها إلى حين صرامها، ومن قال: بكرة وعشية، أشار إلى الاجتناء منها، ومن قال: سنة، أشار إلى أنه لا تحمل في السنة إلا مرة، ومن قال: شهران، فهو مدة صلاحها. قال

(١) البخاري ١/ ١٣٠، ومسلم ٤/ ٢١٦٥، ولفظه عندهما: عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فعدوني ما هي؟» فوقع الناس في شجر البواقي، قال عبد الله: وقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: فقال: «هي النخلة». قال العلماء: شبه النخلة بالمسلم في كثرة خيرها ودوام ظلها وطيب ثمرها، ووجوده على الدوام، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يركل منه حتى يبيس، وبعد أن يبيس يتخذ منه منافع كثيرة، ومن خشبها وورقها وأغصانها، فيستعمل جذوها وحطباً وعصياً ومخاصر وحبالاً وأرواني وغير ذلك، ثم آخر شيء منها نواها، ويتنقع به علناً للإبل، ثم جمال نباتها وحسن هيئة ثمرها، فهي منافع كلها، وغير وجمال، كما أن المؤمن خير كله، من كثرة طاعاته ومكارم أخلاقه.

ابن المسيب: لا يكون في النخلة أكلها إلا شهرين. ومن قال: كل ساعة، أشار إلى أن ثمرتها تؤكل دائماً. قال قتادة: تؤكل ثمرتها في الشتاء والصيف. قال ابن جرير: الطلع في الشتاء من أكلها، والبلح والبسر والرطب والتمر في الصيف. فأما الحكمة في تمثيل الإيمان بالنخلة، فمن أوجه: أحدها: أنها شديدة الثبوت، فشبه ثبات الإيمان في قلب المؤمن بثباتها. والثاني: أنها شديدة الارتفاع، فشبه ارتفاع عمل المؤمن بارتفاع فروعها. والثالث: أن ثمرتها تأتي في كل حين، فشبه ما يكسب المؤمن من بركة الإيمان وثوابه في كل وقت بشمرتها المجتناة في كل حين على اختلاف صنوفها، فالمؤمن كلما قال: لا إله إلا الله، صعدت إلى السماء، ثم جاءه خيرها ومنفعتاها. والرابع: أنها أشبه الشجر بالإنسان، فإن كل شجرة يقطع رأسها تنشعب غصونها من جوانبها، إلا هي، إذا قطع رأسها ييست، ولأنه لا تحمل حتى تلتفح، ولأنها فضلة تربة آدم عليه السلام فيما يروى<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيِّفَةٍ كَتَجَرَةٍ خَيْفَةٍ اجْتَنَّتْ مِنْ قَوَى الْأَرْضِ مَأْلَهَا مِنْ قَرَارٍ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيْفَةٍ﴾ قال ابن عباس: هي الشُّرك. وقوله: ﴿كَتَجَرَةٍ خَيْفَةٍ﴾ فيها خمسة أقوال: أحدها: أنها الحنظلة، رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، وبه قال أنس، ومجاهد. والثاني: أنها الكافر، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وروى العوفي عنه أنه قال: الكافر لا يقبل عمله، ولا يصعد إلى الله تعالى، فليس له أصل في الأرض ثابت، ولا فرع في السماء. والثالث: أنها الكُشْوَى<sup>(٣)</sup> رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: أنه مثل، وليست بشجرة مخلوقة، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس. والخامس: أنها الثوم، روي عن ابن عباس أيضاً.

قوله تعالى: ﴿اجْتَنَّتْ﴾ قال ابن قتيبة: استوصلت وقطعت. قال الزجاج: ومعنى اجتنت الشيء في اللغة: أخذت جثته بكمالها. وفي قوله: ﴿مَأْلَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ قولان: أحدهما: ما لها من أصل، لم تضرب في الأرض عرقاً. والثاني: ما لها من ثبات. ومعنى تشبيه الكافر بهذه الشجرة أنه لا يصعد للكافر عمل صالح، ولا قول طيب، ولا لقوله أصل ثابت.

﴿يَنْبِئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّالِثِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿يَنْبِئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: يشتهم على الحق بالقول الثالث، وهو شهادة أن لا إله إلا الله. قوله تعالى: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الحياة الدنيا: زمان الحياة على وجه الأرض، والآخرة: زمان المساءلة في القبر، وإلى هذا المعنى ذهب البراء بن عازب، وفيه أحاديث بعضها<sup>(٤)</sup>. والثاني: أن الحياة الدنيا: زمن السؤال في القبر، والآخرة: السؤال في القيامة، وإلى هذا المعنى ذهب طاووس، وقاتادة. قال المفسرون: هذه الآية وردت في فتنة القبر، وسؤال الملكين، وتلقين الله تعالى للمؤمنين كلمة الحق عند السؤال، وتشبيته إياه على الحق. ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: المشركين، يضلهم عن هذه الكلمة، ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ من هداية المؤمن وإضلال الكافر.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نَمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۖ جَهَنَّمَ بَصُورَتْهَا وَيُنْفَخُ الْقَرَارُ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نَمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ في المشار إليهم سبعة أقوال: أحدها: أنهم الأنفجران من قريش: بنو أمية، وبنو المغيرة، روي عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب. والثاني: أنهم منافقو قريش، رواه أبو الطفيل عن علي. والثالث: بنو أمية، وبنو المغيرة، ورؤساء أهل بدر الذين ساقوا أهل بدر إلى بدر، رواه أبو صالح

(١) هو حديث ضعيف ولنقله: «أكرموا عهتكم النخلة، لأنها خلقت من فضلة طينة إبيكم آدم...» رواه أبو يعلى في «مسنده»، وابن أبي حاتم، والمقبلي في «الضعفاء»، وابن عدي في «الكامل»، وابن السني وأبو نعيم معاً في «الطب»، وابن مردويه من طريق مسروق بن سعيد التميمي عن الأوزاعي عن عروة بن ربيع عن علي مرفوعاً. ومسروق بن سعيد التميمي غمزه ابن حبان، وقال المقبلي: حديثه غير محفوظ ولا يعرف إلا به، وقال ابن حبان: عروة لم يدرك علياً، والحديث غريب، والتميمي مجهول.

(٢) «الطبري» ٢١٢/١٣، من حديث حماد بن سلمة عن شعيب بن الجحباب عن أنس بن مالك، وإسناده صحيح.

(٣) الكشوي: ثبت يتعلق بالأغصان ولا عرق له في الأرض.

(٤) انظر في «الطبري» ٢١٣/١٣ - ٢١٨، وابن كثير ٥٣١/٢ - ٥٣٨ الأحاديث الواردة في ذلك، عند تفسير هذه الآية.



عن ابن عباس. والروابع: أهل مكة، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والخامس: المشركون من أهل بدر، قاله مجاهد، وابن زيد. والسادس: أنهم الذين قُتلوا ببدر من كفار قريش، قاله سعيد بن جبير، وأبو مالك. والسابع: أنها عامة في جميع المشركين، قاله الحسن. قال المفسرون: وتبديلهم نعمة الله كفرًا، أن الله أنعم عليهم برسوله، وأسكنهم حرمه، فكفروا بالله وبرسوله، ودعوا قومهم إلى الكفر به، فذلك قوله: ﴿وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ أي: الهلاك. ثم فسر الدار بقوله: ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا﴾ أي يقامون حَرَّهَا: ﴿وَيْلٌ لِّلْقَارَرِ﴾ أي: بش المقر هي.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ (٢٦)

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ قد بيَّناه في سورة [البقرة: ٢٢]، واللام في «لِيُضِلُّوا» لام العاقبة، وقد سبق شرحها [يونس: ٨٨]، ومن قرأ «لِيُضِلُّوا» بضم الياء، أراد: لِيُضِلُّوا الناس عن دين الله.

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾ أي: في حياتكم الدنيا، وهذا وعيد لهم. قال ابن عباس: لو كان الكافر مريضاً لا ينাম، جائعاً لا يأكل ولا يشرب، لكان هذا نعيماً يتمتع به بالقياس إلى ما يصير إليه من العذاب، ولو كان المؤمن في أنعم عيش، لكان بؤساً عندما يصير إليه من نعيم الآخرة.

﴿قُلْ لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَهُمْ يُؤْتُونَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَعْجَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ۚ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۚ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفَطْلُونٌ ۚ كَفَّارٌ ۚ وَإِذْ قَالَ لِزَيْنَبِ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آيَةً وَاجْعَلْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَكَ الْأَصْنَامَ ۚ رَبِّ إِنِّي أَخْلَصْتُكَ لِكُلِّ كَيْفٍ مِنَ الْآيَاتِ فَمَنْ يَمُنَّ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافُورٌ رَحِيمٌ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أسكن ابن عامر، وحمة، والكسائي ياء «عبادي».

قوله تعالى: ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: قل لعبادي: أقيموا الصلاة وأنفقوا، يقيموا وينفقوا، فحذف الأمران، وترك الجوابان، قال الشاعر:

فأيُّ امرئٍ أنئت أيُّ امرئٍ

إذا قيلَ في الحَرْبِ من يُقدِّمُ

أراد: إذا قيل: من يُقدم تُقدِّمُ. ويجوز أن يكون المعنى: قل لعبادي أقيموا الصلاة، وأنفقوا، فصرف عن لفظ الأمر إلى لفظ الخبر. ويجوز أن يكون المعنى: قل لهم ليقيموا الصلاة، ولينفقوا، فحذف لام الأمر، لدلالة «قل» عليها. قال ابن قتيبة: والخلال مصدر خاللت فلاناً خللاً ومُخالَّةً، والاسم الخلَّة، وهي الصداقة.

قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ أي: ذلَّلها، تجري حيث تريدون، وتركبون فيها حيث تشاؤون. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ لتنتفعوا بهما وتستضيئوا بضوئهما. ﴿دَآئِبَيْنِ﴾ في إصلاح ما يصلحانه من النبات وغيره، لا يفتران. ومعنى الدؤوب: مرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه، راحة لأبدانكم، ﴿وَالنَّهَارَ﴾ لتنتفعوا بمعاشكم، ﴿وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ وفيه خمسة أقوال: أحدها: أن المعنى: من كل الذي سألتهموه، قاله الحسن، وعكرمة. والثاني: من كل ما سألتهموه، لو سألتهموه، قاله الفراء. والثالث: وآتاكم من كل شيء سألتهموه شيئاً، فأضمر الشيء، كقوله: ﴿وَأَرْسَلْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] أي، من كل شيء في زمانها شيئاً، قاله الأخفش. والرابع: من كل ما سألتهموه وما لم تسألوه، لأنكم لم تسألوا شمساً ولا قمرًا ولا كثيراً من النعم التي ابتدأكم بها، فاكفيتي بالأول من الثاني، كقوله: ﴿مَرْزِيلٌ يَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، قاله ابن الأنباري. والخامس: على قراءة ابن مسعود، وأبي رزين، والحسن، وعكرمة، وقناة، وأبان عن عاصم، وأبي حاتم عن يعقوب: من كل ما بالتونين من غير إضافة، فالمعنى: آتاكم من كل ما لم تسألوه، قاله قتادة، والضحاك.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ أي: إنعامه ﴿لَا تُحْصُوهَا﴾ لا تطبقوا الإتيان على جميعها بالعدِّ لكثرتها.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾ قال ابن عباس: يريد أبا جهل. وقال الزجاج: الإنسان اسم للجنس يُقصد به الكافر خاصة.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الْفَارُوقُ﴾ أي: الشاكر غير من أنعم عليه، والكفار: الجحود لنعم الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آيَةً﴾ قد سبق تفسيره في سورة [البقرة: ١٧٦].

قوله تعالى: ﴿وَأَجْنِبْنِي رِيءَ﴾ أي: جُنْبِي وإياهم، والمعنى: ثبّني على اجتناب عبادتها. ﴿رَبِّ إِنِّي أَسْأَلُكَ كَثِيرًا مِنْ الْآثَارِ﴾ يعني: الأصنام، وهي لا توصف بالإضلال ولا بالفعل، ولكنهم لما ضلّوا بسببها، كانت كأنها أضلّتهم. ﴿فَتَنِّيَعْنِي﴾ أي: على ديني التوحيد ﴿فَالْأَمْرُ مِنِّي﴾ أي: فهو على ملّتي، ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ومن عصاني ثم تاب فإنك غفور رحيم، قاله السدي. والثاني: ومن عصاني فيما دون الشرك، قاله مقاتل بن حيان. والثالث: ومن عصاني فكفر فإنك غفور رحيم أن تتوب عليه فتهديه إلى التوحيد، قاله مقاتل بن سليمان. وقال ابن الأنباري: يحتمل أن يكون دعا بهذا قبل أن يعلمه الله تعالى أنه لا يغفر الشرك كما استغفر لأبيه.

﴿وَرَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْنَا وَلَرَدِّقْهُمْ مِنْ أَفْئِدَتِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ في «مين» قولان: أحدهما: أنها للتبعيض، قاله الأخفش، والفراء. والثاني: أنها للتوكيد، والمعنى: أسكنت ذريتي، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ يعني: مكة، ولم يكن فيها حرث ولا ماء. عند ﴿بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ إنما سمي محرماً، لأنه يحرم استحلل حرماته والاستخفاف بحقه. فإن قيل: ما وجه قوله: ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ ولم يكن هناك بيت حيثلو، إنما بناه إبراهيم بعد ذلك بمدة؟ فالجواب من ثلاثة وجوه: أحدها: أن الله تعالى حرّم موضع البيت منذ خلق السموات والأرض، قاله ابن السائب. والثاني: عند بيتك الذي كان قبل أن يرفع أيام الطوفان. والثالث: عند بيتك الذي قد جرى في سابق علمك أنه يحدث هاهنا، ذكرهما ابن جرير. وكان أبو سليمان الدمشقي يقول: ظاهر الكلام يدل على أن هذا الدعاء إنما كان بعد أن بُني البيت وصارت مكة بلداً. والمفسرون على خلاف ما قال. وروى ابن أبي نجیح عن مجاهد أن إبراهيم خرج من الشام ومعه ابنه إسماعيل وأمه هاجر ومعه جبريل حتى قدم مكة وبها ناس يقال لهم: العماليق، خارجاً من مكة، والبيت يومئذ ربة حمراء، فقال إبراهيم لجبريل: أهاطنا أمرت أن أضعهما؟ قال: نعم؛ فأنزلهما في مكانٍ من الحجر، وأمر هاجر أن تتخذ فيه عريشاً، ثم قال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي الْآيَةَ. وفتح أهل الحجاز، وأبو عمرو ياء «إني أسكنت».

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ في متعلق هذه اللام قولان: أحدهما: أنها تتعلق بقوله: ﴿وَأَجْنِبْنِي رِيءَ﴾ أن تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ، فالمعنى: جنبهم الأصنام ليقيموا الصلاة، هذا قول مقاتل. والثاني: أنها تتعلق بقوله: ﴿أَسْكَنْتُ﴾، فالمعنى: أسكنتهم عند بيتك ليقيموا الصلاة، لأن البيت قبلة الصلوات، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ﴾ أي: قلوب جماعة من الناس. قال ابن الأنباري: وإنما عبر عن القلوب بالأفئدة، لقرب القلب من الفؤاد ومجاورته، قال امرؤ القيس:

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ أَصَابَ الْفُؤَادَ  
غَدَاةَ الرَّحِيلِ فَلَمْ أَنْتَصِرْ<sup>(١)</sup>

وقال آخر:

كَأَنَّ فُؤَادِي كَلَّمَا مَرَّ رَاكِبٌ  
جَنَاحُ غُرَابٍ رَامَ تَهَضُّاً إِلَى وَغْرِ

وقال آخر:

وإن فُؤَاداً قَادَنِي لِصَبَابَةٍ  
إِلَيْكَ عَلَى طَوْلِ الْهَوَى لَصَبُورٌ

يعنون بالفؤاد: القلب.

قوله تعالى: ﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس: تَجَنُّ إِلَيْهِمْ. وقال قتادة: تنزع إليهم. وقال الفراء: تريدهم، كما تقول: رأيت فلاناً يهوي نحوك، أي: يريذك. وقرأ بعضهم: «تهوى إليهم» بمعنى: تهواهم، كقوله: ﴿رَدِّفْ لَكُمْ﴾

(١) «ديوانه» ١٥٥. وقوله: رمتني سهم، أي نظرت إلي نظرة فلم انتصر، أي: لم يبلغ حبي من قلبها ما بلغ حبها من قلبي. وقال الطوسي: سهمها هاهنا: حبتها.

لأنهم: [٧٢]، أي: ردفكم. و «إلى» تأكيد للكلام. وقال ابن الأنباري: «تهوى إليهم»: تنحط إليهم وتنحدر. وفي معنى هذا الميل قولان: أحدهما: أنه الميل إلى الحج، قاله الأكثرون. والثاني: أنه حُبُّ سُكْنَى مَكَّة، رواه عطية عن ابن عباس. وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: لو كان إبراهيم قال: فاجعل أئمة الناس تهوي إليه، لحبَّه اليهود والنصارى، ولكنه قال: من الناس.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُخْفِي عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٧٣)

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: ما نخفي من الوجد بمفارقة إسماعيل، وما نعلن من الحب له. قال المفسرون: إنما قال هذا لما نزل إسماعيل الحرم، وأراد فراقه.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدَّلِيلُ﴾ (٧٤) رَبِّ اجْعَلْ لِي قُرْبَةً مِّنَ الْبِرِّ وَرَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ﴾ أي: بعد الكبر ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ قال ابن عباس: وُلد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين، وُوُلد له إسحاق وهو ابن مائة واثني عشرة سنة.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَائِي﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وهبيرة عن حفص عن عاصم: «وتقبل دعائي» بياء في الوصل. وقال البزي عن ابن كثير: يصل ويقف بياء. وقال قنبل عن ابن كثير: يُشِمُّ البياء في الوصل، ولا يشتمها، ويقف عليها بالالف. الباقون: «دعاء» بغير ياء في الحالين. قال أبو علي: الوقف والوصل بياء هو القياس، والإشمام جائز، لدلالة الكسرة على البياء.

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (٧٦)

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ قال ابن الأنباري: استغفر لأبويه وهما حيَّان، طمعاً في أن يُهْدِيَا إلى الإسلام. وقيل: أراد باليَّه: آدم، وحواء. وقرأ ابن مسعود، وأبي، والنخعي، والزهري: «ولولدي» يعني: إسماعيل وإسحاق، يدل عليه ذكرهما بل ذلك. وقرأ مجاهد: «ولولدي» على التوحيد. وقرأ عاصم الجحدري: «ولولدي» بضم الواو. وقرأ يحيى بن يعمر، والجوني: «ولولدي» بفتح الواو وكسر الدال على التوحيد. ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ أي: يظهر الجزاء على الأعمال. وقيل: معناه: يوم يقوم الناس للحساب، فاكثفي بذكر الحساب من ذكر الناس إذ كان المعنى مفهوماً.

﴿وَلَا تَحْصِبْ اللَّهَ عَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمَ تَنْقَضُ فِيهِ الْأَبْسَرُ﴾ (٧٧) مُهْطِعِينَ مُقْنِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْصِبْ اللَّهَ عَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ قال ابن عباس: هذا وعيد للظالم، وتعزية للمظلوم. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رزين، وقاتدة: «نؤخرهم» بالنون، أي: يؤخر جزاءهم ﴿لِيَوْمَ تَنْقَضُ فِيهِ الْأَبْسَرُ﴾ أي: تشخص أبصار الخلائق لظهور الأحوال فلا تغمض.

قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الإهطاع: النظر من غير أن يُظَرَّفَ الناظر، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والضحاك، وأبو الضُّحَى. والثاني: أنه الإسراع، قاله الحسن، وسعيد بن جبيرة، وقاتدة، وأبو عبيدة. وقال ابن قتيبة: يقال: أهطع البعير في سيره، واستهطع: إذا أسرع. وفي ما أسرعوا إليه قولان: أحدهما: إلى الداعي، قاله قتادة. والثاني: إلى النار، قاله مقاتل. والثالث: أن المُهْطِع: الذي لا يرفع رأسه، قاله ابن زيد. وفي قوله: ﴿مُقْنِي رُؤُوسِهِمْ﴾ قولان: أحدهما: رافعي رؤوسهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبيرة، وقاتدة، وأبو عبيدة، وأنشد أبو عبيدة:

أَنْبَغَضَ نَحْوِي رَأْسَهُ وَأَفْنَعَا كَأَنَّمَا أَبْصَرَ شَيْئاً أَظْمَعَا<sup>(١)</sup>

(١) البيت غير منسوب في «الطبري» ٢٣٨/١٣، و«الطبري» ٣٧٧/٩. وأنفخ رأسه: حركة كالمتمجب، وأفنع: رفعه، يقول: هُزَّ رأسه نحوي، ورفعته يائني كما يأمل شيئاً فيه مطمع له، وهو شاهد على أن الإفناع: هو الرفع.

وقال ابن قتيبة: المقنع رأسه: الذي رفعه وأقبل بطرفه على ما بين يديه. وقال الزجاج: رافعي رؤوسهم، ملتصقة بأعناقهم. و﴿مُهَيِّبَاتٌ مُّفْنِي زُوسِمَ﴾ نصبٌ على الحال، المعنى: ليوم تشخص فيه أبصارهم مهطعين. والثاني: ناكسي رؤوسهم، حكاه الماوردي عن المؤرج.

قوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي: لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر، فهي شاخصة. قال ابن قتيبة: والمعنى: أن نظرهم إلى شيء واحد. وقال الحسن: وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء، لا ينظر أحد إلى أحد.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَهُمْ هَوَاءً﴾ الأنفدة: مساكن القلوب. وفي معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: أن القلوب خرجت من مواضعها فصارت في الحناجر، رواه عطاء عن ابن عباس. وقال قتادة: خرجت من صدورهم فنشبت في حلوقهم، فأفندتهم هواءً ليس فيها شيء. والثاني: وأفندتهم ليس فيها شيء من الخير، فهي كالخزيرة، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: وأفندتهم منخرقة لا تعي شيئاً، قاله مرة بن شراحيل. وقال الزجاج: متخرقة لا تعي شيئاً من الخوف. والرابع: وأفندتهم جوف لا عقول لها، قاله أبو عبيدة، وأشد لحسان:

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا سُفْيَانَ عُنِي فَأَنْتَ مُجَوِّفٌ نَجِبٌ هَوَاءً<sup>(١)</sup>

فعلى هذا يكون المعنى: أن قلوبهم خلت عن العقول، لِمَا رَأَوْا مِنَ الْهَوْلِ. والعرب تسمي كل أجوف خاوٍ. هواء. قال ابن قتيبة: ويقال: أفندتهم منخرقة من الخوف والجبن.

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَهُ أَجَلِي قَرِيبٌ يُحِبُّ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعُ الرَّسُولَ أَوَّلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ﴾ أي: خوفهم ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ يعني به: يوم القيامة؛ وإنما خصه بذكر العذاب، وإن كان فيه ثواب، لأن الكلام خرج مخرج التهديد للمصاة. قال ابن عباس: يريد بالناس هاهنا: أهل مكة.

قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَهُ أَجَلِي قَرِيبٌ﴾ أي: أمهلنا مؤدَّ يسيرة. وقال مقاتل: سألوا الرجوع إلى الدنيا، لأن الخروج من الدنيا قريب. يعني: ﴿يُحِبُّ دَعْوَتَكَ﴾ التوحيد، فيقال لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: حلفتم في الدنيا أنكم لا تبغثون ولا تتنقلون من الدنيا إلى الآخرة.

﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْجِدٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّكَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْجِدٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: نزلتم في أماكنهم وقراهم، كالجحر ومدين، والقرى التي عذب أهلها. ومعنى «ظلموا أنفسهم» أي: ضرروها بالكفر والمعصية. ﴿وَبَيَّكَ لَكُمْ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو المتوكل الناجي «وَبَيَّيْن» بضم التاء. ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ يعني: كيف عذبناهم، يقول: فكان ينبغي لكم أن تتزجروا عن المخالفة اعتباراً بمساكنهم بعدما علمتم فعلنا بهم، ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ قال ابن عباس: يريد الأمثال التي في القرآن.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لَئِيْلًا وَمِنَ الْجِبَالِ﴾ ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ تَخَلَّفَ وَرَقْدَهُ رُسُلُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ في المشار إليهم أربعة أقوال: أحدها: أنه نمرود الذي حاك إبراهيم في ربه، قال: لا أنتهي حتى أنظر إلى السماء، فأمر بفرخي نسر فزبياً حتى سما واستعلجا، ثم أمر بتابوت فثقت، ثم جعل في وسطه خشبة، وجعل على رأس الخشبة لحماً شديد الحمرة، ثم جوعها وربط أرجلها بأوتار إلى قوائم التابوت. ودخل هو وصاحب له في التابوت وأغلق بابه، ثم أرسلهما، فجعلتا يريدان اللحم، فصعدا في السماء ما شاء الله، ثم قال لصاحبه: افتح وانظر ماذا ترى؟ ففتح، فقال: أرى الأرض كأنها الدخان، فقال له: أغلق، ثم صعد ما شاء الله،

(١) «ديوان» ٧، «ومجاز القرآن» ٣٤٤/١، «والطبري» ٢٤١/١٣، «والقرطبي» ٣٧٧/٩، «واللسان»، «والناج»؛ هوا، جوف. والمجوف: الخالي الجوف، يريد به الجبان، وكذلك النخب والهواء.

ثم قال: افتح فانظر، ففتح، فقال: ما أرى إلا السماء، وما نزداد منها إلا بُعداً، قال: فصوب خشبتك، فصوبها، فانقضت النور تريد اللحم، فسمعت الجبال هدتها، فكادت تزول عن مراتبها. هذا قول علي بن أبي طالب. وفي رواية عنه: كانت النور أربعة. وروى السدي عن أشياخه: أنه ما زال يصعد إلى أن رأى الأرض يحيط بها بحر، فكانها فلكة في ماء، ثم صعد حتى وقع في ظلمة، فلم ير ما فوقه ولم ير ما تحته، ففزع، فصوب اللحم، فانقضت النور، فلما نزل أخذ في بناء الصرح. وروي عن ابن عباس أنه بنى الصرح، ثم صعد منه مع النور، فلما لم يقدر على السماء، اتخذ حصناً، فأنى الله بنيانه من القواعد. وقال عكرمة: كان معه في التابوت غلام قد حمل القوس والشاب، فرمى بسهم فعاد إليه ملطخاً بالدم، فقال: كُفيت إله السماء، وذلك من دم سمكة في بحر معلق في الهواء، فلما هاله الارتفاع، قال لصاحبه: صوب الخشبة، فصوبها، فانحطت النور فظنت الجبال أنه أمر نزل من السماء فزال عن مواضعها. وقال غيره: لما رأت الجبال ذلك، ظنه أنه قيام الساعة، فكادت تزول، وإلى هذا المعنى ذهب سعيد بن جبير، وأبو مالك. والقول الثاني: أنه يختصر، وأن هذه القصة له جرت، وأن النور لما ارتفعت تطلب اللحم إلى حيث شاء الله، نودي: يا أيها الطاغية، أين تريد؟ ففرق، ثم سمع الصوت فوقه، فنزل، فلما رأت الجبال ذلك، ظنت أنه قيام الساعة فكادت تزول، وهذا قول مجاهد. والثالث: أن المشار إليهم الأمم المتقدمة. قال ابن عباس، وعكرمة: مكرمهم: شركهم. والرابع: أنهم الذين مكروا برسول الله ﷺ حين هموا بقتله وإخراجه. وفي قوله: ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه محفوظ عنده حتى يجازيهم به، قاله الحسن، وقادة. والثاني: وعند الله جزاء مكرمهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ﴾ وقرأ أبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي، وابن عباس، وعكرمة، وأبو العالية: ﴿وَلَنْ كَادَ مَكْرُهُمْ﴾ بالдал. ﴿لَيَرْزُقْنَهُ الْجِبَالُ﴾. وقرأ الأكثرون ﴿لَيَنْزُولُ﴾ بكسر اللام الأولى من ﴿لنزل﴾ وفتح الثانية. أراد: وما كان مكرمهم لنزول منه الجبال، أي: هو أضعف وأوهن، كذلك فسرهما الحسن البصري. وقرأ الكسائي ﴿لنزل﴾ بفتح اللام الأولى وضم الثانية، أراد: قد كادت الجبال تزول من مكرمهم، كذلك فسرهما ابن الأنباري. وفي المراد بالجبال قولان: أحدهما: أنها الجبال المعروفة، قاله الجمهور. والثاني: أنها ضربت مثلاً لأمر النبي ﷺ وثبوت دينه كثبوت الجبال الراسية، والمعنى: لو بلغ كيدهم إلى إزالة الجبال، لَمَا زال أمر الإسلام، قاله الزجاج. قال أبو علي: ويدل على صحة هذا قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ تَخَلُّفَ وَعْدِهِ رُسُلُهُ﴾ أي: فقد وعدك الظهور عليهم. قال ابن عباس: يريد بوعده: النصر والفتح وإظهار الدين. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي: منيع ﴿ذُو أَنْتِقَارٍ﴾ من الكافرين، وهو أن يجازيهم بالعقوبة على كفرهم.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ وروى أبان «يوم تبديل» بالنون وكسر الدال «الأرض» بالنصب «والسموات» بخفض التاء، ولا خلاف في نصب «غير». وفي معنى تبديل الأرض قولان: أحدهما: أنها تلك الأرض، وإنما يزداد فيها ويُنقص منها، وتذهب أكامها وجبالها وأوديتها وشجرها، وتُمدد مد الأديم، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس. وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ: «يوم تبدل الأرض غير الأرض، قال: بيسطها ويمدها مد الأديم»<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها تبدل بغيرها. ثم فيه أربعة أقوال: أحدها: أنها تبدل بأرض غيرها يبيض كالفضة لم يعمل عليها خطية،

(١) «الطبري» ٢٥٢/١٣، وفي سننه جهالة، وهو جزء من حديث الصور المشهور، وقد ذكره الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ١٤٦/٢ من رواية أبي القاسم الطبراني، وقال في آخره: ثم ذكره بطوله، ثم قال: هذا حديث مشهور، وهو غريب جداً، ولبعظه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة. وقد اختلف فيه، فمن من وثقه، ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة، كأحمد بن حنبل، وابن أبي حاتم، وعمر بن أبي الفلاس، ومنهم من قال فيه: هو متروك الحديث. وقال ابن عدي: أحاديث كلها فيها نظر، إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء. قلت (أي ابن كثير): وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة. وأما سياقه فغريب جداً. ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سائفاً واحداً فأذكر عليه بسبب ذلك. وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول: إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفاً قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث، والله أعلم.

رواه عمرو بن ميمون عن ابن مسعود، وعطاء عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: أنها تُبدّل ناراً، قاله أبي بن كعب. والثالث: أنها تُبدّل بأرض من فضة، قاله أنس بن مالك. والرابع: تُبدّل بخبزة بيضاء، فيأكل المؤمن من تحت قدميه، قاله أبو هريرة، وسعيد بن جبيرة، والقرظي؛ وقال غيرهم: يأكل منها أهل الإسلام حتى يُفرغ من حسابهم. فاما تبديل السموت، ففيه ستة أقوال: أحدها: أنها تُجعل من ذهب، قاله علي عليه السلام. والثاني: أنها تصير جناناً، قاله أبي بن كعب. والثالث: أن تبديلها: تكوير شمسها وتناثر نجومها، قاله ابن عباس. والرابع: أن تبديلها: اختلاف أحوالها، فمرة كالْمُهْل، ومرة تكون كاللّهان، قاله ابن الأنباري. والخامس: أن تبديلها أن تطوى كطَي السَّجَل للكتاب. والسادس: أن تنشق فلا تَظَلُّ، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَيَرْزُقُوا بِهِ الرَّجُلَ الْفَقِيرَ﴾ أي: خرجوا من القبور.

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۖ﴾ سَرَابِهِمْ مِنْ قِطْرَانٍ وَتَقَنَّى وَجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥١﴾ يَجْزِي اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: الكفار ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ يقال: قرنْتُ الشيءَ إلى الشيء: إذا وصلته به. وفي معنى «مُقَرَّنِينَ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم يُقرنون مع الشياطين، قاله ابن عباس. والثاني: أن أيديهم وأرجلهم قُرنت إلى رقابهم، قاله ابن زيد. والثالث: يُقرن بعضهم إلى بعض، قاله ابن قتبية. وفي الأصناف ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الأغلال، قاله ابن عباس، وابن زيد، وأبو عبيدة، وابن قتبية، والزجاج، وابن الأنباري. والثاني: القيود والأغلال، قاله قتادة. والثالث: القيود، قاله أبو سليمان الدمشقي. فاما السرايل، فقال أبو عبيدة: هي القُمص، واحدها سربال. وقال الزجاج: السربال: كل ما لبس. وفي القِطْرَانِ ثلاث لغات: فتح القاف وكسر الطاء، وفتح القاف مع تسكين الطاء، وكسر القاف مع تسكين الطاء. وفي معناه قولان: أحدهما: أنه النحاس المذاب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه قِطْرَانُ الإبل، قاله الحسن، وهو شيء يَتَحَلَّبُ من شجر تُهَنَّا به الإبل<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: وإنما جُعِلَ لَهُمُ الْقِطْرَانُ، لأنه يبالغ في اشتعال النار في الجلود، ولو أراد الله تعالى المبالغة في إحراقهم بغير ذلك لَقَدَّرَ، ولكنه حَلَّوْهُمَ ما يعرفون حقيقته. وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو مجلز، وعكرمة، وقتادة، وابن أبي عبيدة، وأبو حاتم عن يعقوب: «مِنْ قِطْرٍ» بكسر القاف وسكون الطاء والتنوين «أَنْ» بقطع الهمزة وفتحها ومدّها. والقِطْرُ: النحاس، وأن: قد انتهى حرّه.

قوله تعالى: ﴿وَتَقَنَّى وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ أي: تلعوها. واللام في «يَجْزِي» متعلقة بقوله: ﴿وَيَرْزُقُوا﴾

﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ لِيَأْتَنُوا رَبَّهُمْ أَوْ لِيَسْأَلُوا مِنْ رَبِّهِمْ أَوْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَيَذْكُرُوا الْأَنْبَاءَ﴾ ﴿٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ﴾ في المشار إليه قولان: أحدهما: أنه القرآن. والثاني: الإنذار. والبلاغ: الكفاية. قال مقاتل: والمراد بالناس: أهل مكة.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَسْأَلُوا مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أي: أنزل لِيَسْأَلُوا مِنْ رَبِّهِمْ، وليعملوا بما فيه من الحجج ﴿أَنَّ هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَيَذْكُرُوا﴾

أي: وليتعض ﴿أُولُوا الْأَنْبَاءِ﴾



## سورة الحجر

وهي مكية كلها من غير خلاف نعلمه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّيُّ يَلِكُ مَا يَلِكُ الْكِتَابِ وَرَقَانِ ثَمِينٍ﴾ (١)

قوله تعالى: ﴿الرَّيُّ يَلِكُ مَا يَلِكُ الْكِتَابِ﴾ قد سبق بيانه [يونس: ٤١].

قوله تعالى: ﴿وَرَقَانِ ثَمِينٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن القرآن هو الكتاب، جُمع له بين الاسمين. والثاني: أن الكتاب: هو التوراة والإنجيل، والقرآن: كتابنا. وقد ذكرنا في أول (يوسف) معنى المبين.

﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (٢)

قوله تعالى: ﴿رُبَمَا﴾ وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي «رُبَمَا» مشددة. وقرأ نافع، وعاصم، وعبد الوارث «رُبَمَا» بالتخفيف. قال الفراء: أسد وتميم يقولون: «رُبَمَا» بالتشديد، وأهل الحجاز وكثير من قيس يقولون: «رُبَمَا» بالتخفيف. وتيمم الزيات يقولون: «رُبَمَا» بفتح الراء. وقيل: إنما قرئت بالتخفيف، لما فيها من التضعيف، والحروف المضاعفة قد تحذف، نحو «إِنَّ» و«الْكُنْ» فإنهم قد خففوها. قال الزجاج: يقولون: رُبَّ رَجُلٍ جاءني، ورُبَّ رَجُلٍ جاءني، وأنشد:

أزهبر إن يشبب القذال فإنني  
هذا البيت لأبي كبير الهذلي<sup>(١)</sup>، وفي ديوانه:

رُبَّ هَيْضَلٍ مَرَسٍ لَقَفْتُ بِهَيْضَلٍ

رُبَّ هَيْضَلٍ لَجِبٍ لَقَفْتُ بِهَيْضَلٍ

والهَيْضَلُ: جمع هَيْضَلَةٍ، وهي الجماعة يُغزى بهم، يقول: لففتهم بأعدائهم في القتال. و «رُبَّ» كلمة موضوعة للتقليل، كما أن «كَمْ» للتكثير، وإنما زيدت «ما» مع «رُبَّ» ليلها الفعل، تقول: رُبَّ رجل جاءني، وربما جاءني زيد. وقال الأخفش: أدخل مع «رُبَّ» ما، ليتكلم بالفعل بعدها، وإن شئت جعلت «ما» بمنزلة «شيء»، فكأنك قلت: رُبَّ شيء، أي: رُبَّ وَدَّ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا. وقال أبو سليمان الدمشقي: «ما» هاهنا بمعنى «حين»، فالمعنى: رُبَّ حين يَوَدُّون فيه. واختلف المفسرون متى يقع هذا من الكفار، على قولين: أحدهما: أنه في الآخرة. ومتى يكون ذلك؟ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم مَنْ شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها؛ فسمع الله ما قالوا، فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا، فلما رأى ذلك الكفار، قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنُخرج كما أخرجوا، رواه أبو موسى الأشعري عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، وذهب إليه ابن عباس في رواية وأنس بن مالك، ومجاهد، وعطاء، وأبو العالية، وإبراهيم. والثاني: أنه ما يزال الله يرحم ويشق حتى يقول: من كان من المسلمين فليدخل الجنة، فذلك حين يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لو كانوا مسلمين، رواه مجاهد عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن

(١) ديوان الهذليين ٨٩/٢.

(٢) «الطبري» ٣/١٤، وفي سننه خالد بن نافع الأشعري، قال الذهبي في «الميزان»: ضعفه أبو زرعة والنسائي. وقال أبو حاتم: ليس بقوي يكتب حديثه، وقال أبو داود: متروك الحديث. قال الذهبي: وهذا تجاوز في الحد، فإن الرجل قد حدث عنه أحمد بن حنبل، ومسلم، فلا يستحق الترك. والحديث ذكره ابن كثير ٥٤٦/٢ عن الطبراني من حديث خالد بن نافع الأشعري. وأورده السيوطي في «الدرة» ٩٢/٤، وزاد نسبه لابن أبي عاصم في «السنن»، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث والنشور».

(٣) الطبري ٣/١٤.

الكفار إذا عاينوا القيامة، ودُّوا لو كانوا مسلمين، ذكره الزجاج. والرابع: أنه كلما رأى أهل الكفر حالاً من أحوال القيامة يعذب فيها الكافر ويسلم من مكروهها المؤمن، ودُّوا ذلك، ذكره ابن الأنباري. والقول الثاني: أنه في الدنيا، إذا عاينوا وتبين لهم الضلال من الهدى وعلّموا مصيرهم، ودُّوا ذلك، قاله الضحاك. فإن قيل: إذا قلت: إن «رب» للتقليل، وهذه الآية خارجة مخرج الوعيد، فإنما يناسب الوعيد تكثير ما يتواعد به؟ فعنه ثلاثة أجوبة ذكرها ابن الأنباري: أحدهن: أن «ربما» تقع على التقليل والتكثير، كما يقع الناهل على العطشان والريّان، والجؤن على الأسود والأبيض. والثاني: أن أحوال القيامة وما يقع بهم من الأحوال تكثر عليهم، فإذا عادت إليهم عقولهم، ودُّوا ذلك. والثالث: أن هذا الذي حُوفوا به، لو كان مما يؤدّ في حال واحدة من أحوال العذاب، أو كان الإنسان يخاف الندم إذا حصل فيه ولا يتيقّنه، لوجب عليه اجتنابه. فإن قيل: كيف جاء بعد «ربما» مستقبل، وسبيلها أن يأتي بعدها الماضي، تقول: ربما لقيت عبد الله؟ فالجواب: أن ما وعد الله حقّ، فمستقبله بمنزلة الماضي، يدل عليه قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰحُيَيُّ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٦] وقوله: ﴿وَكَاذِبٌ أَصْحَبُ الْمُنْكَ﴾ [الأعراف: ٤٤] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُرِيعُوا فَلَاقَتْ﴾ [سبا: ٥١]، على أن الكسائي والفراء حكيا عن العرب أنهم يقولون: ربما يندم فلان، قال الشاعر:

رُبَّمَا تَجَزَّعَ النَّفْسُ مِنَ الْأَمْرِ

﴿ذَرَّعُمْ يَأْكُلُوا﴾ [١]

قوله تعالى: ﴿ذَرَّعُمْ يَأْكُلُوا﴾ أي: دع الكفار يأخذوا حظوظهم في الدنيا، ﴿وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ﴾ أي: ويشغلهم ما يأملون في الدنيا عن أخذ حظهم من الإيمان والطاعة ﴿فَسَوْفَ يَقْلُبُونَ﴾ إذا وردوا القيامة وبأل ما صنعوا، وهذا وعيد وتهديد، وهذه الآية عند المفسرين منسوخة بآية السيف.

﴿وَمَا أَهْلُكُمَا مِنْ قَرِيْبٍ إِلَّا وَهَمًا يَكَاثُ مَعْلُومٌ﴾ [٢] مَا تَسْتَقِي مِنْ أَمْرٍ أَجَلًا وَمَا يَسْتَنْزِلُونَ [٣]

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلُكُمَا مِنْ قَرِيْبٍ إِلَّا وَهَمًا يَكَاثُ مَعْلُومٌ﴾ أي: ما عذبن من أهل قرية ﴿إِلَّا وَهَمًا يَكَاثُ مَعْلُومٌ﴾ أي أجل موقت لا يتقدم ولا يتأخر عنه. ﴿مَا تَسْتَقِي مِنْ أَمْرٍ أَجَلًا﴾ من صلة، والمعنى: ما تتقدم وقتها الذي قدر لها بلوغه، ولا تستأخر عنه. قال الفراء: إنما قال: «أجلها» لأن الأمة لفظها مؤنث، وإنما قال: «يستأخرون» إخراجاً له على معنى الرجال.

﴿وَقَالُوا يٰأَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْنَا الْكِتَابَ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [٤] لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ [٥] مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا تُنْظَرُونَ [٦]

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يٰأَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْنَا الْكِتَابَ﴾ قال مقاتل: نزلت في عبد الله بن أبي أمية، والنضر بن الحارث، ونوفل بن خويلد، والوليد بن المغيرة. قال ابن عباس: والذكر: القرآن. وإنما قالوا هذا استهزاء، لو أيقنوا أنه نزل عليه الذكر، ما قالوا: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾. قال أبو علي الفارسي: وجواب هذه الآية في سورة أخرى في قوله: ﴿مَا أَنتَ بِمَشْفِقٍ رَبِّكَ يَمْجُرُونَ﴾ [١] [القلم: ٢].

قوله تعالى: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا﴾ قال الفراء: «لو ما» و «لو لا» لغتان معناهما: هلاً، وكذلك قال أبو عبيدة: هما بمعنى واحد، وأنشد لابن مقبل:

لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَلَوْ مَا الدِّينُ عِنْهُكُمَا

بِبَغْضٍ مَا فِيكُمَا إِذْ عِنْهُمَا عَوْرِي [٢] قال المفسرون: إنما سألوا الملائكة ليشهدوا له بصدقه، وأن الله أرسله، فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «ما تنزل» بالتاء المفتوحة «الملائكة» بالرفع. وروى أبو بكر عن عاصم «ما تنزل» بضم التاء على ما لم يسم فاعله. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف «ما تنزل» بالنون والزاي مشددة «الملائكة» نصباً. وفي المراد بالحق أربعة أقوال: أحدها: أنه العذاب إن لم يؤمنوا، قاله الحسن. والثاني: الرسالة، قاله مجاهد. والثالث: قبض الأرواح عند الموت، قاله ابن السائب. والرابع: أنه القرآن، حكاه الماوردي.

(١) «ديوانه» ٧٦، و«الطبري» ١٤/١٦، و«مجاز القرآن» ١/٣٤٦، و«القرطبي» ١٠/٤، و«البحر» لأبي حيان ٥/٤٤٢، و«شواهد الكشاف» ١٢٦، و«اللسان»: بعض.



قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا﴾ يعني: المشركين ﴿إِذَا تُنْزِلُ الْفُتُورَ﴾ أي: عند نزول الملائكة إذا نزلت.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ من عادة الملوك إذا فعلوا شيئاً، قال أحدهم: نحن فعلنا، يريد نفسه وأتباعه، ثم صار هذا عادة للملك في خطابه، وإن انفرد بفعل الشيء، فخطبت العرب بما تعقل من كلامها. والذِّكر: القرآن، في قول جميع المفسرين. وفي هاء «له» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الذِّكر، قاله الأكثرون. قال قتادة: أنزل الله ثم حفظه، فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلاً، ولا ينقص منه حقاً. والثاني: أنها ترجع إلى النبي ﷺ، فالمعنى: ﴿وَإِنَّا لَحَافِظُونَ﴾ من الشياطين والأعداء، لقولهم: «إنك لمجنون»، هذا قول ابن السائب، ومقاتل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعني: رسلاً، فحُذِفَ المفعول، لدلالة الإرسال عليه. والشَّيْع: الفرق، وحكي عن الفراء أنه قال: الشيعة: الأئمة المتابعة بعضها بعضاً فيما يجتمعون عليه من أمر.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ هذا تعزية للنبي ﷺ، والمعنى: إن كل نبي قبلك كان مبتلى بقومه كما ابتليت.

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ في المشار إليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الشُّرك، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد. والثاني: أنه الاستهزاء، قاله قتادة. والثالث: التكذيب، قاله ابن جريج، والفراء. ومعنى الآية: كما سلكنا الكفر في قلوب شيع الأولين، نُدخل في قلوب هؤلاء التكذيب فلا يؤمنوا. ثم أخبر عن هؤلاء المشركين، فقال: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾. وفي المشار إليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الرسول. والثاني: القرآن. والثالث: العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: مضت سُنَّةُ الله في إهلاك المكذِّبين. والثاني: مضت سُنَّتُهُم بتكذيب الأنبياء.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَمْرُجُونَ﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَنْصُرُنَا بَلْ عَنْ قَوْمٍ مَسْحُورُونَ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ﴾ يعني: كفار مكة ﴿فَظَلُّوا فِيهِ يَمْرُجُونَ﴾ أي يصعدون، يقال: ظل يفعل كذا: إذا فعله بالنهار. وفي المشار إليهم بهذا الصعود قولان: أحدهما: أنهم الملائكة، قاله ابن عباس، والضحاك، فالمعنى: لو كشف عن أبصار هؤلاء فرأوا باباً مفتوحاً في السماء والملائكة تصعد فيه، لما آمنوا به. والثاني: أنهم المشركون، قاله الحسن، وقتادة، فيكون المعنى: لو وصلناهم إلى صعود السماء، لم يستشعروا إلا الكفر، لعنادهم.

قوله تعالى: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَنْصُرُنَا﴾ قرأ الأكثرون بتشديد الكاف. وقرأ ابن كثير، وعبد الوارث بتخفيفها. قال الفراء: معنى القراءتين مقارب، والمعنى: حُبْسَتْ، من قولهم: سَكَّرَتِ الرِّيح: إذا سكنت وركدت. وقال أبو عمرو بن العلاء: معنى «سُكِّرَتْ» بالتخفيف، مأخوذ من سُكَّرَ الشراب، يعني: أن الأبصار حارت، ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع بالرجل السكران من تغير العقل. قال ابن الأنباري: إذا كان هذا معنى التخفيف، فَسُكِّرَتْ، بالتشديد، يراد به وقوع هذا الأمر مرة بعد مرة. وقال أبو عبيد: «سُكِّرَتْ» بالتشديد، من السُّكُور التي تمنع الماء الجزية، فكان هذه الأبصار ممتنع من النظر كما يمنع السُّكْر الماء من الجري. وقال الزجاج: «سُكِّرَتْ» بالتشديد، فسروها: أغشيت، و«سُكِّرَتْ» بالتخفيف: تحيرت وسكنت عن أن تنظر، والعرب تقول: سَكَّرَتِ الرِّيحُ تُسَكِّرُ: إذا سكنت. وروى العوفي عن ابن عباس: «إنما سُكِّرَتْ أبصارنا» قال: أخذنا بأبصارنا وشبه علينا، وإنما سُجِّرْنَا. وقال مجاهد: «سُكِّرَتْ» سُدَّتْ بالسُّحْر، فيتمائل لأبصارنا غير ما ترى.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٩﴾ إِلَّا مِنْ أَسْفَلِ السَّمَاءِ فَنَافِثُهُمْ ذُخْرَانٌ

ثِينٌ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ في البروج ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بروج الشمس والقمر، أي: منازلهما، قاله ابن عباس، وأبو عبيدة في آخرين. قال ابن قتيبة: وأسمائها: الحَمَل، والثَّور، والجُوزاء، والسَّرطان، والأسد، والسُّنبل، والميزان، والعقرب، والقوس، والجَدِّي، والدلو، والحوت. والثاني: أنها قصور، روي عن ابن عباس أيضاً. وقال عطية: هي قصور في السماء فيها الجرس. وقال ابن قتيبة: أصل البروج: الحصون. والثالث: أنها الكواكب، قاله مجاهد، وقناة، ومقاتل. قال أبو صالح: هي النجوم العظام. قال قتادة: سُميت بروجاً، لظهورها.

قوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَاهَا﴾ أي: حسَّناها بالكواكب. وفي المراد بالناظرين قولان: أحدهما: أنهم المبصرون. والثاني: المعتبرون.

قوله تعالى: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ أي: حفظناها أن يصل إليها شيطان أو يعلم من أمرها شيئاً إلا استراقاً، ثم يتبعه الشهاب. والرجيم مشروح في (الامران: ٣٦). واختلف العلماء: هل كانت الشياطين تُرمى بالنجوم قبل مبعث نبينا ﷺ، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها لم تُرْمَ حتى بُعث ﷺ، وهذا المعنى مذكور في رواية سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. وقد أخرج في «الصحاحين» من حديث سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب<sup>(١)</sup>، وظاهر هذا الحديث أنها لم تكن قبل ذلك. قال الزجاج: ويدل على أنها إنما كانت بعد مولد رسول الله ﷺ أن شعراء العرب الذين يمثلون بالبرق والأشياء المسرعة، لم يوجد في أشعارها ذكر الكواكب المنقضة، فلما حدثت بعد مولد نبينا ﷺ، استعملت الشعراء ذكرها، فقال ذو الرُّمَّة:

كأَنَّهُ كوكبٌ في إثرِ عَفْرِيةٍ

مُسَوِّمٌ في سوادِ الليلِ مُنْقَضِبٌ<sup>(٢)</sup>

والثاني: أنه قد كان ذلك قبل نبينا ﷺ، فروى مسلم في «صحاحه» من حديث علي بن الحسين عن ابن عباس قال: بينا النبي ﷺ جالس في نفر من أصحابه، إذ رمي بنجم، فاستنار، فقال: «ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية؟» قالوا: كنا نقول: يموت عظيم، أو يولد عظيم، قال: «فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياة، ولكن ريثاً إذا قضى أمراً، سُبْحَ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، ثم سُبْحَ أَهْلِ السَّمَاءِ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء، ثم يستخبر أهل السماء السابعة حَمَلَةَ الْعَرْشِ: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، ثم يستخبر أهل كل سماءٍ أهل سماءٍ، حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، وتخطف الجن ويُرْمَوْنَ، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرِّفون فيه ويزيلون»<sup>(٣)</sup>. وروي عن ابن عباس أن الشياطين كانت لا تُحجب عن السموات، فلما وُلد عيسى، مُنعت من ثلاث سموات، فلما وُلد رسول الله ﷺ، مُنعت من السموات كلها. وقال الزهري: قد كان يرمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله، ولكنها غُلِظَتْ حين بُعث ﷺ، وهذا مذهب ابن قتيبة، قال: وعلى هذا وجدنا الشعر القديم، قال بشر بن أبي خازم، هو جاهلي:

(١) البخاري ٢١٠/٢ و ٥١٣/٨، ومسلم ٣٣١/١، ولقظه في البخاري بتمامه: «عن ابن عباس ﷺ قال: انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو ينخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك حين رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنًا عجبا يهدي إلى الرشد فأتنا به، ولن نشرك بربنا أحداً، فأنزل الله على نبيه ﷺ ﴿قُلْ أَدْعِيَ إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. ورواه الترمذي ١٦٧/٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأورده ابن كثير ١٦٢/٢ من رواية البيهقي في «دلائل النبوة».

(٢) «ديوانه» ٣٦ طبع المكتب الإسلامي، ومجاز القرآن ٩٥/٢، والكامل للمبرد ٨٣٣، و«الأمالي» للقالبي ٦٥/٣، و«اللسان» قضب، و«القرطبي» ٢٠٣/١٣. وقوله: في إثر عفرية: أي: شيطان، وقوله: مسوم، أي: معلم، من السومة، وهي العلامة. ومعنى الليث: كان النور كوكب مسوم مقضب في إثر عفرية في سواد الليل.

(٣) مسلم ١٧٥٠/٤ - ١٧٥١، وقد رواه المصنف بالمعنى، ورواه أحمد في «المسند» من حديث ابن عباس رقم (١٨٨٢، ١٨٨٣)، ولقظه المصنف قريب من لفظ أحمد.

وَالْعَيْرُ يَرْهَقُهَا الْعُبَارُ وَجَحَّشُهَا

وقال أوس بن حجر، وهو جاهلي:

فَانْقَضَ كَالدَّرِيِّ يَتَّبِعُهُ

يَنْقُضُ خَلْفَهُمَا انْقِضَاضَ الْكَوْكَبِ<sup>(١)</sup>

نَقَعَ يَشُورُ تَخَالُهُ طُنْبًا<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ اسْتَرْقَ النَّعَمَ﴾ أي: اختطف ما سمعه من كلام الملائكة. قال ابن فارس: استرق السمع: إذا سمع مستخفياً. ﴿فَاتَّبَعَهُ﴾ أي: لحقه ﴿شَهَابٌ مُبِينٌ﴾ قال ابن قتيبة: كوكب مضيء. وقيل: «مبين» بمعنى: ظاهر يراه أهل الأرض. وإنما يسترق الشيطان ما يكون من أخبار الأرض، فأما وحى الله ﷻ، فقد صانه عنهم. واختلفوا، هل يقتل الشهاب، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه يحرق ويخبل ولا يقتل، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنه يقتل، قاله الحسن. فعلى هذا القول، هل يقتل الشيطان قبل أن يخبر بما سمع، فيه قولان: أحدهما: أنه يقتل قبل ذلك، فعلى هذا، لا تصل أخبار السماء إلى غير الأنبياء. قال ابن عباس: ولذلك انقطعت الكهانة. والثاني: أنه يقتل بعد إلقائه ما سمع إلى غيره من الجن، ولذلك يعودون إلى الاستراق، ولو لم يصل، لقطعوا الاستراق.

﴿وَالْأَرْضُ مَدَدَتْهَا وَأَلْقَتْهَا فِيهَا رِيْسًا وَاتَّبَعَتْهَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مُوزَنٌ﴾ ﴿وَجَعَلْنَا لِكُلِّ فِيهَا مَعْيَشًا وَمَنْ لَمْ يَرْزُقْ﴾ ﴿وَأَلْبَسْنَا﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدَتْهَا﴾ أي: بسطناها على وجه الماء ﴿وَأَلْقَتْهَا فِيهَا رِيْسًا﴾ وهي الجبال الثوابت ﴿وَأَلْبَسْنَا فِيهَا﴾ في المشار إليها قولان: أحدهما: أنها الأرض، قاله الأثرون. والثاني: الجبال، قاله الفراء. وفي قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَرْزُقْ﴾ أي: من الموزون: أحدهما: أن الموزون: المعلوم، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبيرة، والضحاك. وقال مجاهد، وعكرمة في آخرين: الموزون: المقدور. فعلى هذا يكون المعنى: معلوم القدر كأنه قد وُزِنَ، لأن أهل الدنيا لما كانوا يعلمون قدر الشيء بوزنه، أخبر الله تعالى عن هذا أنه معلوم القدر عنده بأنه موزون. وقال الزجاج: المعنى: أنه جرى على وُزْنٍ من قدر الله تعالى، لا يجاوز ما قدره الله تعالى عليه، ولا يستطيع خلُقُ زيادة فيه ولا نقصاناً. والثاني: أنه عني به الشيء الذي يُوزَنُ كالذهب، والفضة، والرصاص، والحديد، والكحل، ونحو ذلك، وهذا المعنى مروي عن الحسن، وعكرمة، وابن زيد، وابن السائب، واختاره الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِكُلِّ فِيهَا مَعْيَشًا﴾ في المشار إليها قولان: أحدهما: أنها الأرض. والثاني: أنها الأشياء التي أنبتت. والمعاش جمع معيشة. والمعنى: جعلنا لكم فيها أرزاقاً تعيشون بها. وفي قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَرْزُقْ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنه الدواب والأنعام، رواه ابن أبي نجيع عن مجاهد. والثاني: الوحوش، رواه منصور عن مجاهد. وقال ابن قتيبة: الوحش، والطير، والسباع، وأشباه ذلك مما لا يرزقه ابن آدم. والثالث: العبيد والإماء، قاله الفراء. والرابع: العبيد، والأنعام، والدواب، قاله الزجاج. قال الفراء: و «مَنْ» في موضع نصب، فالمعنى: جعلنا لكم فيها المعاش، والعبيد، والإماء. ويقال: إنها في موضع خفض، فالمعنى: جعلنا لكم فيها معاش ولمن لستم له برازقين. وقال الزجاج: المعنى: جعلنا لكم الدواب، والعبيد، وكفيتهم مؤونة أرزاقها. فإن قيل: كيف قلتم: إن «مَنْ» هاهنا للوحوش والدواب، وإنما تكون لمن يعقل؟ فالجواب: أنه لما وُصِفَت الوحوش وغيرها بالمعاش الذي الغالب عليه أن يوصف به الناس، فيقال: للآدمي معاش، ولا يقال: للفارس معاش، جرت مجرى الناس، كما قال: ﴿يَكَايُنَا أَلَسْنَا بِأَعْدَاؤِكُمْ﴾ [النمل: ١٨]، وقال: ﴿أَلَيْسَ لِي سَيِّدٌ﴾ [يوسف: ٤]، وقال: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، وإن قلنا: أريد به العبيد، والوحوش، فإنه إذا اجتمع الناس وغيرهم، غلب الناس على غيرهم، لتفضيلة العقل والتمييز.

﴿وَمَنْ لَمْ يَرْزُقْ إِلَّا عِنْدَنَا خَرَائِفُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ ﴿١٩﴾

(١) «ديوانه» ٣٧، و «تأويل مشكل القرآن» ٣٣٣، و «المعاني الكبير» ٧٣٩/٢، و «الحيوان» ٢٧٩/٦. شبه الحمار والجحش بالكوكب المنقض في سرعة وبياضه، وقال الجاحظ في «الحيوان» ٢٧٩/٦: وقد طعنت الرواة في هذا الشعر الذي أضفتهم إلى بشر بن أبي خازم من قوله: «والعير يرهقها... البيت، فزعموا أنه ليس من عادتهم أن يصفوا عدو الحمار بانقضاض الكوكب، وقالوا: في شعر بشر مصنوع كثير مما قد احتملته كثير من الرواة على أنه من صحيح شعره.

(٢) «ديوانه» ٣، و «المعاني الكبير» ٧٣٨/٢، و «غريب القرآن» ٣٣٤، و «الحيوان» ٢٧٤/٦، و «اللسان»: درأ.

قوله تعالى: ﴿لَئِنْ مَن شَاءَ﴾ أي: وما من شيء ﴿إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِرُهُ﴾ وهذا الكلام عام في كل شيء. وذهب قوم من المفسرين إلى أن المراد به المطر خاصة، فالمعنى عندهم: وما من شيء من المطر إلا عندنا خزائنه، أي: في حكمنا وتدبيرنا، ﴿وَمَا نُنْزِلُهُ﴾ كل عام ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ لا يزيد ولا ينقص، فما من عام أكثر مطراً من عام، غير أن الله تعالى يصرفه إلى من يشاء، ويمتنعه من يشاء.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَافِحَ لَنُزِيلَنَّ عَنْهَا مَاءً فَتَشْقِيَنَّهُمْ وَكَمَا أَنتَشَرْتُمْ يَحْزَنِينَ﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُيِّتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَافِحَ﴾ وقرأ حمزة؛ وخلف: «الريح». وكان أبو عبيدة يذهب إلى أن «لوافح» بمعنى ملاقح، فسقطت الميم منه، قال الشاعر:

لِيُؤْنِكَ يَزِيدُ بَائِسٍ لِيَصْرَاعَةٍ وَأَشْعَثُ يَمْنَنُ طَوَّحْتُهُ الطَّوَائِحُ<sup>(١)</sup>

أراد: المطاوح، فحذف الميم، فمعنى الآية عنده: وأرسلنا الرياح ملقحة، فيكون هاهنا فاعل بمعنى مفعول، كما أتى فاعل بمعنى مفعول، كقوله: ﴿قُلُوْا دَافِيَ﴾ [الطارق: ٦] أي: مدفوق، و ﴿يَسْئِرُ زَائِبَةٌ﴾ [الحاقة: ٢١ والقارة: ٧] أي: مَرُضِيَّةٌ، وكقولهم: ليل نائم، أي: مَنُوم فيه، ويقولون: أبقل النبات، فهو باقل، أي: مُبْقِل. قال ابن قتيبة: يريد أبو عبيدة أنها تُلْقِحُ الشجر، وتُلْقِحُ السحاب كأنها تُتَجِّه. ولست أدري ما اضطره إلى هذا التفسير بهذا الاستكراه وهو يجد العرب تسمي الرياح لوافح، والريح لاقحاً، قال الطِّرِمَاح، وذكر بُزْدًا مَدَّهُ على أصحابه في الشمس يستظلُّون به:

قَلْبِي لَأَفْنَانُ الرِّيحِ حِ لَلَّاقِحٍ مِنْهَا وَحَائِلُ<sup>(٢)</sup>

فاللاقح: الجنوب، والحائل: الشمال، ويسمون الشمال أيضاً: عقيماً، والعقيم: التي لا تحمل، كما سُمِّوا الجنوب لاقحاً، قال كثير:

وَمَرٌّ بِسَفَسِ التَّرَابِ عَقِيمُهَا<sup>(٣)</sup>

يعني: الشمال. وإنما جعلوا الريح لاقحاً، أي: حاملاً، لأنها تحمل السحاب وتقلِّبه وتصرفه، ثم تحله فينزل، فهي على هذا حامل، ويدل على هذا قوله: ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا﴾ [الأعراف: ٥٧] أي: حملت. قال ابن الأنباري: شبه ما تحمله الريح من الماء وغيره، بالولد الذي تشتمل عليه الناقة، وكذلك يقولون: حرب لاقح، إما تشتمل عليه من الشر، فعلى قول أبي عبيدة، يكون معنى «لوافح»: أنها ملقحة لغيرها، وعلى قول ابن قتيبة: أنها لاقحة نفسها، وأكثر الأحاديث تدل على القول الأول<sup>(٤)</sup>. قال عبد الله بن مسعود: يبعث الله الرياح لتلقح السحاب، فتحمل الماء، فتجمله ثم تمر به، فيدثر كما تدثر اللقحة. وقال الضحاك: يبعث الله الرياح على السحاب فتلقحه فيمتلئ ماءً. قال النخعي: تُلْقِحُ السحاب ولا تُلْقِحُ الشجر. وقال الحسن في آخرين: تُلْقِحُ السحاب والشجر، يعنون أنها تُلْقِحُ السحاب حتى يُمَطِرَ والشجر حتى يُثْمِرَ<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ يعين السحاب ﴿مَاءً﴾ يعني المطر ﴿فَتَشْقِيَنَّهُمْ﴾ أي: جعلناه سُقْيَا لكم. قال الفراء: العرب مجتمعون على أن يقولوا: سقيت الرجل، فأنا أسقيه: إذا سقيته لِسْقَتِهِ، فإذا أجزوا للرجل نهراً

(١) البيت لنهشل بن حري على الأصح، شاعر مخضرم، وقد ينسب إلى غيره، وصوب البغدادى نسبة إلى نهشل. وهو في «الكتاب» ١/١٤٥، و«الطبري» ٢١/١٤، و«مجاز القرآن» ١/٣٩٩، و«الشتري» ١/١٤٥، و«اللسان»، و«التاج»: طبع. و«العيثي» ٤٤٣، و«شواهد الكشاف» ٦٥.

(٢) البيت للطرماح «غريب القرآن» ٢٣٦.

(٣) «غريب القرآن» ٢٣٧، و«اللسان»: سفق.

(٤) وقد روى ابن جرير الطبري ٢٢/١٤ حديثاً مرفوعاً من حديث عيسى بن ميمون عن أبي المهزوم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «الريح الجنوب من الجنة، وهي الريح اللواتح، وهي التي ذكر الله تعالى في كتابه، وفيها منافع للناس»، وسنده ضعيف.

(٥) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أن الرياح لوافح كما وصفها به جل ثناؤه وإن كانت قد تلقح السحاب والأشجار، فهي لاقحة ملقحة، ولقحها: حملها الماء، وإلقاحها السحاب والشجر: عملها فيه.

[قالوا: أسقيته وسقيته، وكذلك السُّقيا من الغيث، قالوا فيها: سقيت وأسقيت<sup>(١)</sup>]. وقال أبو عبيدة: كل ما كان من السماء، ففيه لغتان: أسقاه الله، وسقاه الله، قال لبيد:

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَسْجِدٍ وَأَسْقَى

فجاء باللغتين. وتقول: سقيت الرجل ماءً وشراباً من لبن وغيره، وليس فيه إلا لغة واحدة بغير ألف، إذا كان في الشُّفة؛ وإذا جعلت له شرباً، فهو: أسقيته، وأسقيت أرضه، وإبله، ولا يكون غير هذا، وكذلك إذا استسقيت له، كقول ذي الرمة:

وَقَفْتُ عَلَى رَسْمٍ لِمَيَّةَ نَأْتِي

وَأَسْقِيَةَ حَتَّى تَكَادَ أَبْنُ

فإذا وهبت له إهاباً ليجعله سقاءً، فقد أسقيته إياه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَشْتَرُ لَكُمْ﴾ يعني: الماء المُنَزَّل ﴿يُخَذَّرِينَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: بحافظين، أي: ليست خزائنه بأيديكم، قاله مقاتل. والثاني: بمانعين، قاله سفيان الثوري.

قوله تعالى: ﴿وَيَعْنُ الْوُثُونُ﴾ يعني: أنه الباقي بعد فناء الخلق.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا لَلْمُسْتَخْرِينَ ﴿١٥﴾ وَلَئِنْ رَبُّكَ هُوَ بِحَثْرَمٍ إِنَّهُمْ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾ يقال: استقدم الرجل، بمعنى: تقدم، واستأخر، بمعنى: تأخر. وفي سبب نزولها قولان: أحدهما: أن امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله ﷺ، فكان بعضهم يستقدم حتى يكون في أول الصف لثلاث يراها، ويتأخر بعضهم حتى يكون في آخر صف، فإذا ركع نظر من تحت إبطه، فنزلت هذه الآية، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن النبي ﷺ حَضَّ على الصف الأول، فازدحموا عليه، وقال قوم بيوتهم قاصية عن المدينة: لنبيعن دورنا، ولنشتري دوراً قريبة من المسجد حتى ندرِك الصف المتقدم، فنزلت هذه الآية؛ ومعناها: إنما تُجْزَوْنَ على النيات، فاطمأنوا وسكنوا، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وللمفسرين في معنى المستقدمين والمستأخرين ثمانية أقوال: أحدها: لتقدم في الصف الأول، والتأخر عنه، وهذا على القولين المذكورين في سبب نزولها، فعلى الأول: هو التقدم للثقوى، والتأخر للخيانة بالنظر، وعلى الثاني: هو التقدم لطلب الفضيلة، والتأخر للعذر. والثاني: أن المستقدمين: من مات، والمستأخرين: من هو حي لم يمِت، رواه القوفي عن ابن عباس، وتخصيف عن مجاهد، وبه قال عطاء، والضحاك، والقرظي. والثالث: أن المستقدمين: من خرج من الخلق وكان. والمستأخرين: الذين في أصلاب الرجال، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والرابع: أن المستقدمين: من مضى من الأمم، والمستأخرين: أمة محمد ﷺ، رواه ابن أبي نجيع عن مجاهد. والخامس: أن المستقدمين: المتقدمون في الخير، والمستأخرين: المبطون عنه، قاله الحسن، وقناة. والسادس: أن المستقدمين في صفوف القتال، والمستأخرين عنها، قاله الضحاك. والسابع: أن المستقدمين: من قُتل في الجهاد، والمستأخرين: من لم يُقتل، قاله القرظي. والثامن: أن المستقدمين: أول الخلق، والمستأخرين: آخر الخلق، قاله الشعبي.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ يَنْ حَمَلٍ مَسْتُورٍ ﴿١٧﴾ وَلَبَّائِنْ خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُورِ ﴿١٨﴾ وَلَئِنْ كُنَّا إِلَّا خَلْقًا بَشَرًا كَرِينَ صَلْصَلٍ يَنْ حَمَلٍ مَسْتُورٍ ﴿١٩﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾

(١) وفي هامش الأصل ما نصه: هنا سقط من الأصل، لأنه مكتوب بخط جديد، كان سقط منه ورقة، والحقت، ولعله غلط فأسقط ما بين «إلى» وهو الذي وضعناه بين معقنين.

(٢) «ديوانه» ٩٣، و«مجاز القرآن» ٣٥٠/١، و«نوار أبي زيد» ٢١٣، و«الشتري» ٢٣٥/٢، و«اللسان»، و«التاج»: سقى.

(٣) «ديوانه» طبع المكتب الإسلامي ٥٢، و«مجاز القرآن» ٣٥٠/١، و«نوار أبي زيد» ٢١٣، و«الطبري» ٢٢/١٤، و«التاج»: سقى.

(٤) «الطبري» ٢٦/١٤، وذكره ابن كثير من رواية ابن جرير الطبري ٥٤٩/٢، وقال: حديث غريب جداً، وفيه نكارة شديدة. وأورده السيوطي في «الدرر» ٩٦/٤، وزاد نسبته للطيب السبي، وسعيد بن منصور، وأحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه».

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يعني آدم ﴿مِنْ صَلَاحٍ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الطين اليابس الذي لم تُصَبَّه نار، فإذا نقرته صَلَّ، فسمعت له صلصلة، قاله ابن عباس، وقتادة، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. والثاني: أنه الطين المتنن، قاله مجاهد، والكسائي، وأبو عبيد. ويقال: صَلَّ اللحمُ: إذا تغيرت رائحته. والثالث: أنه طين خُلطَ برمل، فصار له صوت عند نقره، قاله الفراء. فأما الحمأ، فقال أبو عبيدة: هو جمع حَمَاءَ، وهو الطين المتغير. وقال ابن الأنباري: لا خلاف أن الحمأ: الطين الأسود المتغير الريح. وروى السدي عن أشياخه قال: بُلُّ التراب حتى صار طيناً، ثم تُرِكَ حتى أتنن وتغير. وفي المسنون أربعة أقوال: أحدها: المتنن أيضاً، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة في آخرين. قال ابن قتيبة: المسنون: المتغير الرائحة. والثاني: أنه الطين الرطب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنه المصبوب، قاله أبو عمرو بن العلاء، وأبو عبيد. والرابع: أنه المخكوك، ذكره ابن الأنباري، قال: فمن قال: المسنون: المتنن، قال: هو من قولهم: قد تَسَنَّى الشيء: إذا أتنن، ومنه قوله تعالى: ﴿كَمْ يَتَسَنَّوْنَ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وإنما قيل له: مسنون، لتقدم السنين عليه. ومن قال: الطين الرطب، قال: سمي مسنوناً، لأنه يسيل وينبسط، فيكون كالماء المسنون المصبوب. ومن قال: المصبوب، احتج بقول العرب: قد سنتت علي الماء: إذا صيبته. ويجوز أن يكون المصبوب على صورة ومثال، من قوله: رأيت سُنَّةَ وجهه، أي: صورة وجهه، قال الشاعر:

تُرِيكَ سُنَّةً وَجْهِهِ غَيْرَ مُقَرَّرَةٍ مَلَسَاءَ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلَا نَدَبٌ<sup>(١)</sup>

ومن قال: المخكوك، احتج بقول العرب: سنتت الحجر على الحجر: إذا حككته عليه. وسمي اليسن سُنَّةً، لأن الحديد يُحَكُّ عليه. قال: وإنما كُرِّرَتْ مِنْهُ لأن الأولى متعلقة بـ «خلقنا»، والثانية متعلقة بالصلصال، تقديره: ولقد خلقنا الإنسان من الصلصال الذي هو من حمأ مسنون.

قوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مسيخ الجن، كما أن القردة والخنازير مسيخ الإنس<sup>(٢)</sup>، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أنه أبو الجن، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وروى عنه الضحاك أنه قال: الجانُّ أبو الجن، وليسوا بشياطين، والشياطين ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس، والجن يموتون، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر. والثالث: أنه إبليس، قاله الحسن، وعطاء، وقتادة، ومقاتل. فإن قيل: ليس أبو الجن هو إبليس؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه هو، فيكون هذا القول هو الذي قبله. والثاني: أن الجانُّ أبو الجن، وإبليس أبو الشياطين، فبينهما إذاً فرق على ما ذكرنا عن ابن عباس. قال العلماء: وإنما سمي جاناً، لتواريه عن العيون.

قوله تعالى: ﴿مِنْ بَلَلٍ﴾ يعني: قبل خَلَقَ آدم: ﴿مِنْ نَّارِ الشَّوْمِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال ابن مسعود: من نار الريح الحارّة، وهي جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم<sup>(٤)</sup>. والشَّوْمُ في اللغة: الريح الحارّة وفيها نار، قال ابن السائب: وهي نار لا دخان لها.

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةَ كُلَّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ إِنَّهُ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِبْلِيسَ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾

(١) البيت لذي الرمة، «ديوانه» طبع المكتب الإسلامي ٨، و«القرطبي» ٢٢/١٠. والسنة: الصورة، والنذب: الأثر من الجراح والقراح. وقوله: غير مفرقة، أي: غير هجينة، عفيفة، كريمة. وخال: شامة.

(٢) روى أحمد في «المسند» رقم (٢٧٠٠) من حديث عبد الله بن مسعود ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لم يمسح شيئاً فيدع له نسلأ أو هائلة، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك»، وهو حديث صحيح. وروى مسلم في «صحيحه» ٢٠٥١/٤، ٢٠٥٢، عن عبد الله بن مسعود قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله القردة والخنازير، هي مما مسح؟ فقال النبي ﷺ: «إن الله ﷻ لم يهلك قوماً أو يعذب قوماً فيجعل لهم نسلأ، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك». وروى مسلم أيضاً ٢٠٥١/٤، من حديث ابن مسعود قال: ذكرت عند رسول الله ﷺ القردة - قال مسمر وأراء قال: والخنازير - من مسح، فقال ﷺ: «إن الله لم يجعل لمسح نسلأ ولا حقياً، وقد كان القردة والخنازير قبل ذلك» أي: قبل مسح بني إسرائيل، فدل ذلك على أنها ليست من المسح.

(٣) روى مسلم في «صحيحه» ٢٢٩٤/٤، عن عائشة ؓ قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق آدم مما وصف لكم».

(٤) روى البخاري ٢٢٨/٦، ومسلم ٢١٨٤/٤ عن أبي هريرة ؓ، ولفظ البخاري: أن النبي ﷺ قال: «فإنكم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم». قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: «فضلت عليهن بشعة وتسعين جزءاً كلهن مثل حرها».

قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتُهُ مِنْ صَلَاسٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَاتَّخِذْ مِنْهَا فَاكِهَةً ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِنْ يَأْوِي إِلَيْكَ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ يَأْوِي إِلَيْكَ الْوَقْتُ الْمَعْلُومُ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَىٰ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤١﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَرَّخْنَاهُ﴾ أي: عدلت صورته، وأتممت خلقته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ هذه الروح هي التي يحيا بها الإنسان، ولا نعلم ماهيتها، وإنما أضافها إليه، تشريفاً لآدم، وهذه إضافة ملك. وإنما سمي إجراء الروح فيه نفخاً، لأنها جرت في بدنه على مثل جري الريح فيه.

قوله تعالى: ﴿فَتَقَرَّرُوا﴾ أمر من الوقوع. وقوله: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ قال فيه سيبويه والخليل: هو توكيد بعد توكيد. وقال المبرد: «أجمعون» يدل على اجتماعهم في السجود، فالمعنى: سجدوا كلهم في حالة واحدة. قال ابن الأنباري: وهذا، لأن «كلاً» تدل على اجتماع القوم في الفعل، ولا تدل على اجتماعهم في الزمان. قال الزجاج: وقول سيبويه أجود، لأن «أجمعين» معرفة، ولا تكون حالاً.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾ قال المفسرون: معناه: يلعنك أهل السماء والأرض إلى يوم الحساب. قال ابن الأنباري: وإنما قال: ﴿إِنْ يَأْوِي إِلَيْكَ﴾ لأنه يوم له أول وليس له آخر، فجرى مجرى الأبد الذي لا يفنى، والمعنى: عليك اللعنة أبداً.

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَأْوِي إِلَيْكَ الْوَقْتُ الْمَعْلُومُ﴾ يعني: المعلوم بموت الخلائق فيه، فأراد أن يذيقه ألم الموت قبل أن يذيقه العذاب الدائم في جهنم.

قوله تعالى: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ مفعول التزيين محذوف، والمعنى: لأزينن لهم الباطل حتى يقعوا فيه. ﴿وَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ أي: ولأضلنهم. والمخلصون: الذين أخلصوا دينهم لله عن كل شائبة تناقض الإخلاص. وما أخللنا به من الكلمات هاهنا، فقد سبق تفسيرها في [الأعراف: ١٦] وغيرها.

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَىٰ مُسْتَقِيمٍ﴾ اختلفوا في معنى هذا الكلام على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يعني بقوله هذا: الإخلاص، فالمعنى: إن الإخلاص طريق إلي مستقيم، و«علي» بمعنى «إلي». والثاني: هذا طريق علي جوازه، لأنني بالمرصاد، فأجازيهم بأعمالهم؛ وهو خارج مخرج الوعيد، كما تقول للرجل تخاصمه: طريقك علي، فهو كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَارِعٌ﴾ [النجر: ١٤]. والثالث: هذا صراط علي استقامته، أي: أنا ضامن لاستقامته بالبيان والبرهان. وقرأ قتادة، ويعقوب: «هذا صراط علي» بكسر اللام ورفع الياء وتوניהا، أي: رفع.

﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَايِبِينَ﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٢﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ يَنْتَبِهُ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ عِبَادِي﴾ فيهم أربعة أقوال<sup>(١)</sup>: أحدها: أنهم المؤمنون. والثاني: المعصومون، رُوي عن قتادة. والثالث: المخلصون، قاله مقاتل. والرابع: المطيعون، قاله ابن جرير. فعلى هذه الأقوال، تكون الآية من العام الذي أريد به الخاص. وفي المراد بالسلطان قولان: أحدهما: أنه الحجة، قاله ابن جرير، فيكون المعنى: ليس لك حجة في إغوائهم. والثاني: أنه القهر والغلبة؛ إنما له أن يغتر ويزين، قاله أبو سليمان الدمشقي. ومثل سفيان بن عيينة عن هذه الآية، فقال: ليس لك عليهم سلطان أن تلقهم في ذنب يضيق عفوي عنه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يعني: الذين اتبعوه.

قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ وهي دركاتها بعضها فوق بعض، قال علي عليه السلام: أبواب جهنم ليست كأبوابكم هذه، ولكنها هكذا وهكذا وهكذا بعضها فوق بعض، ووصف الراوي عنه بيده وفتح أصابعه. قال ابن جرير: لها سبعة أبواب، أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. وقال الضحاك: هي سبعة

(١) وفي نسخة: فيه أربعة أقوال، ويكون الضمير عائداً على القول.

أدراك بعضها فوق بعض، فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذبون على قدر ذنوبهم ثم يُخْرَجُونَ، والثاني فيه النصارى، والثالث فيه اليهود، والرابع فيه الصابئون، والخامس فيه المجوس، والسادس فيه مشركو العرب، والسابع فيه المنافقون. قال ابن الأنباري: لما اتصل العذاب بالباب، وكان الباب مِنْ سببه، سمي باسمه للمجاورة، كتسميتهم الحدث غائطاً.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ يَنْتَهُمُ﴾ أي: من أتباع إبليس ﴿جُزْءٌ مَقْسُورٌ﴾ والجزء: بعض الشيء.  
﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ﴿إِنَّهُمْ فِيهَا لَا يُبْغَضُونَ﴾  
﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾  
﴿لَا يَسْتَهْزِئُ فِيهَا نَفْسٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ قد شرحنا في سورة [البقرة: ٢ و ٢٥] معنى التقوى والجنات. فأما العيون، فهي عيون الماء، والخمر، والسلسيل، والتنسيم، وغير ذلك مما ذُكر أنه من شراب الجنة.

قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ المعنى: يقال لهم: ادخلوها بسلام، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: بسلامة من النار. والثاني: بسلامة من كل آفة. والثالث: بتحية من الله. وفي قوله: ﴿وَأَمِينٌ﴾ أربعة أقوال: أحدها: آمين من عذاب الله. والثاني: من الخروج. والثالث: من الموت. والرابع: من الخوف والمرض.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ قد ذكرنا تفسيرها في سورة [الأعراف: ٤٣] فإن المفسرين ذكروا ما هناك ها هنا من تفسير وسبب نزول.

قوله تعالى: ﴿إِخْوَانًا﴾ منصوب على الحال، والمعنى: أنهم متوادون. فإن قيل: كيف نصب «إخواناً» على الحال، فأوجب ذلك أن التآخي وقع مع نزاع الغلِّ، وقد كان التآخي بينهم في الدنيا؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري: فقال: ما مضى من التآخي قد كان تشويه ضغائن وشحناء، وهذا التآخي بينهم الموجود عند نزاع الغلِّ هو تآخي المصافاة والإخلاص، ويجوز أن يتصب على المدح، المعنى: اذكر إخواناً. فأما السرر فجمع سرير، قال ابن عباس: على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدُّرُّ والياقوت، السرير مثل ما بين عدن إلى أيلة<sup>(١)</sup>، ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض، حيثما التفت رأى وجهاً يحبه يقابله.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَهْزِئُ فِيهَا نَفْسٌ﴾ أي: لا يصيهم في الجنة إعياء وتعَب.  
﴿ثُمَّ يَكُونُ عِبَادٌ لِّئَلَّا أَنَا الْقَوُّورُ الرَّحِيمُ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْمَكَّابُ الْأَلِيمُ ﴿وَنُفِثَتْ عَنْ مَنِيِّ إِبْرَاهِيمَ﴾ إِذْ دَعَاؤُهُ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَدُونَ ﴿قَالُوا لَا تَزُولَ إِيَّانَا بَشَرَكُ بِظُلْمٍ عَلِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَكُونُ عِبَادٌ لِّئَلَّا أَنَا الْقَوُّورُ الرَّحِيمُ﴾ سبب نزولها ما روى ابن المبارك بإسناد له عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: طلع علينا رسول الله من الباب الذي يدخل منه بنو شيبه، ونحن نضحك، فقال: «ألا أراكم تضحكون؟» ثم أدير، حتى إذا كان عند الحجر، رجع إلينا القهقري، فقال: «إني لما خرجت، جاء جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد، يقول الله تعالى: لم تقط عبادي؟ نبئ عبادي أنني أنا الغفور الرحيم<sup>(٢)</sup>». وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو بتحريك ياء «عبادي» وياء «أني أنا»، وأسكنها الباقون.

قوله تعالى: ﴿وَنُفِثَتْ عَنْ مَنِيِّ إِبْرَاهِيمَ﴾ قد شرحنا القصة في [هود: ٦٩] وبيننا هنالك معنى الضيف والسبب في خوفه منهم، وذكرنا معنى الوجل في [الأنفال: ٢].

قوله تعالى: ﴿يُنْفِثُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إنه يبلغ ويعلم.  
﴿قَالَ ابْتَرِثُونِي عَلَى أَنْ أُنْفِثَ الْكَبِيرَ ثُمَّ ابْتَرِثُونِي﴾ قَالُوا بَشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ

(١) أيلة: مدينة على شاطئ البحرين الفسطاط ومكة تعد من بلاد الشام.

(٢) «الطبري» ٣٩/١٤ وسنده ضعيف، وذكره ابن كثير في «التفسير» ٥٣/٢ من رواية ابن أبي حاتم مرسلاً، وأورده السيوطي في «الدر» ١٠٢/٤، وزاد نسبتاً لابن مردويه. وجاء في «صحيح مسلم» ٢١٠٩/٤ حديث بصدد هذه الآية دون سبب النزول، عن أبي هريرة عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجهنم أحد، ولو يعلم الكفار ما عند الله من الرحمة ما قط من جهة أحد».



رَحْمَةً رَبِّهِمْ إِلَّا السَّاعُونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَا لَوْ لُوطُ إِنَّا لَمَنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرَاتَهُ قَدَرْنَا إِنَّا لَنُؤْتِيهِمُ الْغَنَى ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ مَا لَوْ لُوطُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّشْكِرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ يَشْتَكُ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَمَكِيدُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَنسِرْ بِأَهْلِكَ يَفْطَحْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيُخْرِجْهُمْ وَلَا يَلْتَمِسْ مِنْكَ أَمْدًا وَمُضِيًّا حَيْثُ تَوْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَفَضَّلْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَشْرَعْتُمْنِي﴾ أي: بالولد ﴿عَلَّ أَنْ مَسَّقَى الْكِبَرَ﴾ أي: على حالة الكبر والهرم ﴿فَيَمَّ تَبَشِّرُونَ﴾ قرأ أبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «تُبَشِّرُونَ» بفتح النون. وقرأ نافع بكسر النون، ووافقه ابن كثير في كسرهما، لكنه شدها: وهذا استفهام تعجب، كأنه عجب من الولد على كبره. ﴿قَالُوا بَشِّرْكَ بِالْحَقِّ﴾ أي: بما قضى الله أنه كائن ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَاطِنِينَ﴾ يعني: الآيسين. ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة: «ومن يقنط» بفتح النون في جميع القرآن. وقرأ أبو عمرو، والكسائي: «يقنط» بكسر النون. وكلهم قرؤوا ﴿وَمَنْ يَنْقُطُ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨] بفتح النون. وروى خارجة عن أبي عمرو «ومن يقنط» بضم النون. قال الزجاج: يقال: قنط يقنط، وقنط يقنط، والقنوط بمعنى اليأس، ولم يكن إبراهيم قانطاً، ولكنه استبعد وجود الولد. ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: ما أمركم؟ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا﴾ أي: بالعباد. وقوله: ﴿إِلَّا مَا لَوْ لُوطُ﴾ استثناء ليس من الأول. فأما آل لوط، فهم أتباعه المؤمنون.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَنَجُّوهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «لمنجومهم» مشددة الجيم. وقرأ حمزة، السكاني «لمنجوم» خفيفة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمْرَاتَهُ﴾ المعنى: إنا لمنجومهم إلا أمراته ﴿قَدَرْنَا﴾ وروى أبو بكر عن عاصم: «قَدَرْنَا» بالتخفيف، والمعنى واحد، يقال: قَدَرْتُ وقَدَرْتُ، والمعنى: قضينا ﴿إِنَّا لَنُؤْتِيهِمُ الْغَنَى﴾ يعني: الباقيين في العذاب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّشْكِرُونَ﴾ يعني: لا أعرفكم، ﴿قَالُوا بَلْ يَشْتَكُ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يعنون: العذاب، كانوا يشكون في نزوله. ﴿وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالأمر الذي لا شك فيه من عذاب قومك.

قوله تعالى: ﴿وَأَنبِئْ أَهْلَهُمْ﴾ أي: من خلفهم ﴿وَأَمْسُوا حَيْثُ تَوْمَرُونَ﴾ أي: حيث يأمركم جبريل. وفي المكان الذي أوبروا بالمضي إليه قولان: أحدهما: أنه الشام، قاله ابن عباس. والثاني: قرية من قرى قوم لوط، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ أي: أوحينا إلي ذلك الأمر، أي: الأمر بهلاك قومه. قال الزجاج: فسر: ما الأمر بباقي الآية، والمعنى: وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين. فأما الدابر، فقد سبق تفسيره [الأنعام: ٤٥]، والمعنى: إن آخر من يبقى منكم يهلك وقت الصبح.

﴿وَمَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٧٨﴾ وَاقْرَأُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنِ ﴿٧٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ تَنْهَكْ عَنِ الْفُلُوكِ ﴿٨٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ وهم قوم لوط، واسمها سدوم، ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بأضياف لوط، طمعاً في ركوب الفاحشة، فقال لهم لوط: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ أي: بقصدكم إياهم بالسوء، يقال: فضحه يفضحه: إذا أبان من أمره ما يلزمه به العار. وقد أثبت يعقوب ياء «تفضحون»، «ولا تخزون» في الوصل والوقف.

قوله تعالى: ﴿أَوْلَمْ تَنْهَكْ عَنِ الْفُلُوكِ﴾ أي: عن ضيافة العالمين. قوله تعالى: ﴿بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ﴾ حرك ياء «بناتي» نافع، وأبو جعفر.

﴿لَمَعَزَكُنَّ لَيْسَ سَكْرَتُهُنَّ بِعَمَهُنَّ﴾ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُنَّ الْعَاصِمَةُ شَرْقِينَ ﴿٨٣﴾ فَجَمَعْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّنْ سِجَالٍ ﴿٨٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِنَّا لَنَسْبِلُ قُبُورِهِمْ إِذْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٦﴾

قوله تعالى: ﴿لَمَعَزَكُنَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: وحياتك يا محمد، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس. والثاني: لتعيشك، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الأخفش، وهو يرجع إلى معنى الأول. والثالث: أن معناه: وحققك على أمتك، تقول العرب: لَعَمْرُ الله لا أقوم، يعنون: وحق الله، ذكره ابن الأنباري. قال: وفي العنبر

ثلاث لغات: عَمْرٌ وَعُمَرُ وَعُمُرٌ، وهو عند العرب: البقاء. وحكى الزجاج أن الخليل وسيبويه وجميع أهل اللغة قالوا: العَمْرُ والعُمَرُ في معنى واحد، فإذا استعمل في القسم، فُتح لا غير، وإنما آثروا الفتح في القسم، لأن الفتح أخف عليهم، وهم يؤكدون القسم بـ «العَمري» و «العُمرك»، فلما كثر استعمالهم إياه، لزموا الأخف عليهم، قال: وقال النحويون: ارتفع «العُمرك» بالابتداء، والخبر محذوف، والمعنى: لَعَمْرُكَ قَسَمِي، ولَعَمْرُكَ ما أَقْسِمُ به، وحذف الخبر، لأن في الكلام دليلاً عليه. المعنى: أقسم ﴿إِنَّهُمْ لِنَارٍ مَّكْرَمُونَ﴾. وفي المراد بهذه السكرة قولان: أحدهما: أنها بمعنى الضلالة، قاله قتادة. والثاني: بمعنى الغفلة، قاله الأعمش. وقد شرحنا معنى العَمه في سورة [البقرة: ١٥]. وفي المشار إليهم بهذا قولان: أحدهما: أنهم قوم لوط، قاله الأكثرون. والثاني: قوم نينا ﷺ، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿تَأْتِيهِمُ النَّفِثَةُ﴾ يعني: صيحة العذاب وهي صيحة جبريل ﷺ. ﴿تُثْرِقُونَ﴾ قال الزجاج: يقال: ثُرقنا، فنحن مُثْرَقون: إذا صادفوا شروق الشمس، وهو طلوعها، كما يقال: أصبحنا: إذا صادفوا الصبح، يقال: ثُرقَت الشمس: إذا طلعت، وأُثْرقت: إذا أضاءت وصُفّت، هذا أكثر اللغة. وقد قيل: ثُرقَت وأُثْرقت في معنى واحد، إلا أن «مُثْرَقين» في معنى مصادفين لطلوع الشمس.

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَاقِيَةً﴾ قد فسرنا الآية في سورة [هود: ٨٢]. وفي المتوسمين أربعة أقوال: أحدها: أنهم المتفرسون، روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بَنُورَ اللَّهِ» ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّتَذَكَّرَ﴾<sup>(١)</sup> قال: المتفرسين، وبهذا قال مجاهد، وابن قتبية. قال ابن قتبية: يقال: توسمت في فلان الخير، أي: تبينته. وقال الزجاج: المتوسمون، في اللغة: النَّظَارُ الْمُتَبَيَّنُونَ في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء، يقال: توسمت في فلان كذا، أي: عرفت وسم ذلك فيه. وقال غيره: المتوسم: الناظر في السمة الدالة على الشيء. والثاني: المعتبرون، قاله قتادة. والثالث: الناظرون، قاله الضحاك. والرابع: المتفكرون، قاله ابن زيد، والفراء.

قوله تعالى: ﴿وَأَنبَأَ﴾ يعني: قرية قوم لوط ﴿لَيْسَ لِي بُعْدٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: لِبُطْرُقٍ واضح، رواه نهشل عن الضحاك عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والزجاج. وقال ابن زيد: لِبُطْرُقٍ متبين. والثاني: لِبُهْلَاكٍ. رواه أبو زؤق عن الضحاك عن ابن عباس، والمعنى: إنها بحال هلاكها لم تُعْمَر حتى الآن، فالاعتبار بها ممكن، وهي على طريق قريش إذا سافروا إلى الشام.

﴿وَلَمَّا كَانَ أَحَصَبُ الْأَيْكَةِ ظَلَّيْنِ﴾ ﴿وَلَمَّا كَانَ أَحَصَبُ الْأَيْكَةِ ظَلَّيْنِ﴾ ﴿وَلَمَّا كَانَ أَحَصَبُ الْأَيْكَةِ ظَلَّيْنِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا كَانَ أَحَصَبُ الْأَيْكَةِ ظَلَّيْنِ﴾ قال الزجاج: معنى «إِنْ» واللام: التوكيد، والأيك: الشجر الملتف، فالفصل بين واحده وجمعه، الهاء. فالمعنى: أصحاب الشجرة. قال المفسرون: هم قوم شعيب، كان مكانهم ذا شجر، فكدَّبوا شعيباً فأهلكوا بالحر كما بينا في سورة [هود: ٨٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَنبَأَ﴾ في المكنى عنهما قولان: أحدهما: أنهما الأيكة ومدينة قوم لوط، قاله الأكثرون. والثاني: لوط وشعيب، ذكره ابن الأنباري. وفي قوله: ﴿لَيْسَ لِي بُعْدٌ﴾ قولان: أحدهما: لبطريق ظاهر، قاله ابن عباس. قال ابن قتبية: وقيل للطريق: إمام، لأن المسافر يأتى به حتى يصير إلى الموضع الذي يريد. والثاني: لفي كتاب مستين، قاله السدي. قال ابن الأنباري: «وإنهما» يعني: لوطاً وشعيباً بطريق من الحق يؤتم به.

﴿وَلَمَّا كَانَ أَحَصَبُ الْأَيْكَةِ ظَلَّيْنِ﴾ ﴿وَلَمَّا كَانَ أَحَصَبُ الْأَيْكَةِ ظَلَّيْنِ﴾ ﴿وَلَمَّا كَانَ أَحَصَبُ الْأَيْكَةِ ظَلَّيْنِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا كَانَ أَحَصَبُ الْأَيْكَةِ ظَلَّيْنِ﴾ يعني بهم ثمود. قال ابن عباس: كانت منازلهم بالحجر بين المدينة والشام. وفي الحجر قولان: أحدهما: أنه اسم الوادي الذي كانوا به، قاله قتادة، والزجاج. والثاني: اسم

(١) «الطبري» ٤٦/١٤، ورواه الترمذي ١٤٠/٢ من حديث عمرو بن قيس الملائي عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وذكره ابن كثير في «التفسير» من رواية أبي أبي حاتم ٥٥٥/٢، وابن جرير، وأورد السيويني في «الدر» ١٠٣/٤ وزاد في نسخته للبخاري في «التاريخ»، وابن السني وأبي نعيم معاً في الطب، وابن مردويه، والخطيب. وانظر الكلام على هذا الحديث في «المقاصد الحسنة» ١٩، و«فيض القدير» ١٤٤/١.

مدينتهم، قاله الزهري، ومقاتل. قال المفسرون: والمراد بالمسلمين: صالح وحده، لأنه من كَذَبَ نبياً فقد كَذَبَ الْكُلَّ. والمراد بالآيات: الناقة، قال ابن عباس: كان فيها آيات: خروجها من الصخرة، ودنو نتاجها عند خروجها، وعظم خلقها فلم تشبهها ناقة، وكثرة لبنها حتى كان يكفيهم جميعاً، ﴿كَانُوا عَنْهَا مُنْمَكِينَ﴾ لم يشكروا فيها ولم يستدلوا بها.

﴿وَكَانُوا يَتَنَبَّؤُنَ مِنَ الْبَلَاءِ يُونَا﴾ ٨٢ ﴿فَأَخَذْتُمُ الْفَيْصَةَ مُصْبِينَ﴾ ٨٣ ﴿فَمَا أَفْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٨٤ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَأَصْبَحَ الْمَصْفَحُ الْجَبِيلُ﴾ ٨٥ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ ٨٦

قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يَتَنَبَّؤُنَ مِنَ الْبَلَاءِ يُونَا﴾ قد شرحناه في [الأمراء: ٧٤]. وفي قوله: ﴿يُونَا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: آمنين أن تقع عليهم. والثاني: آمنين من خرابها. والثالث: من عذاب الله ﷻ. وفي قوله: ﴿فَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قولان: أحدهما: ما كانوا يعملون من نحت الجبال. والثاني: ما كانوا يكسبون من الأموال والأنعام.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: للحق ولإظهار الحق، وهو ثواب المصدق وعقاب المكذب. ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ أي: وإن القيامة لآتية، فيجازى المشركون بأعمالهم، ﴿فَأَصْبَحَ الْمَصْفَحُ الْجَبِيلُ﴾ عنهم، وهو الإعراض الخالي من جنح وثخس. قال المفسرون: وهذا منسوخ بآية السيف. فأما: ﴿الْخَلَّاقُ﴾ فهو خالق كل شيء. و ﴿الْعَلِيمُ﴾ قد سبق شرحه [البقرة: ٢٩].

﴿وَلَقَدْ مَآئِكَ سَمَّا مِنَ الثَّانِي وَالْفَرَازَاتِ الْعَلِيمِ﴾ ٨٧ ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٨٨ ﴿وَلَقَدْ رَأَيْتَنَا أَتَى النَّبِيَّ يُرَى﴾ ٨٩

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَآئِكَ سَمَّا مِنَ الثَّانِي﴾ سبب نزولها أن سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد، فيها أنواع من البر والطيب والجواهر، فقال: المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله، فأنزل الله هذه الآية، وقال: أعطيتكم سبع آيات هي خير لكم من هذه السبع القوافل، ويدل على صحة هذا قوله: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ...﴾ الآية، قاله الحسين بن الفضل<sup>(١)</sup>. وفي المراد بالسبع المثاني أربعة أقوال: أحدها: أنها فاتحة الكتاب، قاله عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود في رواية، وابن عباس في رواية الأكثرين عنه، وأبو هريرة، والحسن، وسعيد بن جبيرة في رواية، ومجاهد في رواية، وعطاء، وقتادة في آخرين. فعلى هذا، إنما سُميت بالسبع، لأنها سبع آيات. وفي تسميتها بالمثاني سبعة أقوال: أحدها: لأن الله استثنى لامة محمد ﷺ، فلم يعطها أمة قبلهم، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: لأنها تُثنى في كل ركعة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال ابن الأنباري: والمعنى: آتيك السبع الآيات التي تُثنى في كل ركعة، وإنما دخلت «من» للتوكيد، كقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ مِنْ كَلِمَتِكَ﴾ [محمد: ١٥]. وقال ابن قتيبة: سمي «الحمد» مثاني، لأنها تُثنى في كل صلاة. والثالث: لأنها ما أُنشئ به على الله تعالى، لأن فيها حمد الله وتوحيده وذكر مملكته، ذكره الزجاج. والرابع: لأن فيها «الرحمن الرحيم» مرتين، ذكره أبو سليمان الدمشقي عن بعض اللغويين، وهذا على قول من يرى التسمية منها. والخامس: لأنها مقسومة بين الله تعالى وبين عبده، ويدل عليه حديث أبي هريرة «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي»<sup>(٢)</sup>. والسادس: لأنها نزلت مرتين، ذكره الحسين بن الفضل. والسابع: لأن كلماتها مثناة، مثل: الرحمن الرحيم، إياك إياك، الصراط صراط، عليهم عليهم، غير غير<sup>(٣)</sup>. ذكره بعض المفسرين. ومن أعظم فضائلها أن الله تعالى جعلها في

(١) الواحدي: ١٨٩.

(٢) وهو حديث قلمي رواه مسلم في «صحيحه» ٢٩٦/١، وهو بتمامه عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١ قال الله تعالى: حبيبي عبدي، وإذا قال: ﴿الْزَكَاةُ﴾ ٢ قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: ﴿مِلَّاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ٣ قال: مغفلي عبدي - (وقال مرة: فوض إلى عبدي) - فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ٤ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل، «أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» ٥ صِرَاطَ الَّذِيكَ أَنْشَأْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٦ قال: هذا لعبي ولعبي ما سأل.

(٣) لعله اعتبر تفسير «ولا الضالين» بمعنى: وغير الضالين، فكلمة «غير» مكررة بموجب ذلك.

حَبِيرٌ، والقرآن كله في حَبِيرٍ، وامتنَّ عليه بها كما امتنَّ عليه بالقرآن كله. والقول الثاني: أنها السبع الطُول، قاله ابن مسعود في رواية، وابن عباس في رواية، وسعيد بن جبير في رواية، ومجاهد في رواية، والضحاك. فالسبع الطُول هي: (البقرة)، و (آل عمران)، و (النساء)، و (المائدة)، و (الأنعام)، و (الأعراف)، وفي السابعة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها (يونس)، قاله سعيد بن جبير. والثاني: (براءة) قاله أبو مالك. والثالث: (الأنفال) و (براءة) جميعاً، رواه سفيان عن مسعر عن بعض أهل العلم. قال ابن قتيبة: وكانوا يرون (الأنفال) و (براءة) سورة واحدة، ولذلك لم يفصلوا بينهما. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: هي الطُول، ولا تُقَلَّها بالكسر، فعلى هذا، في تسميتها بالمثاني قولان: أحدهما: لأن الحدود والفرائض والأمثال تُثَبَّتُ فيها، قاله ابن عباس. والثاني: لأنها تجاوز المائة الأولى إلى المائة الثانية، ذكره الماوردي. والقول الثالث: أن السبع المثاني سبع معاني أنزلت في القرآن: أمر، ونهي، وبشارة، وإنذار، وضرب الأمثال، وتعداد النعم، وأخبار الأمم، قاله زياد بن أبي مريم. والقول الرابع: أن المثاني: القرآن كله، قاله طاووس، والضحاك، وأبو مالك، فعلى هذا، في تسمية القرآن بالمثاني أربعة أقوال: أحدها: لأن بعض الآيات يتلو بعضاً، فتشئ الآخرة على الأولى، ولها مقاطع تفصل الآية بعد الآية حتى تنقضي السورة، قاله أبو عبيدة. والثاني: أنه سمي بالمثاني لما يتردَّد فيه من الشاء على الله ﷻ. والثالث: لما يتردَّد فيه من ذكر الجنة، والنار، والشواب، والعقاب. والرابع: لأن الأفاضل، والأخبار، والمواعظ، والآداب، تُثَبَّتُ فيه، ذكرهن ابن الأنباري. وقال ابن قتيبة: قد يكون المثاني سور القرآن كله، قصارها وطوالها، وإنما سمي مثاني، لأن الأنبياء والقصص تُثَبَّتُ فيه، فعلى هذا القول، المراد بالسبع: سبعة أسباع القرآن، ويكون في الكلام إضمار، تقديره: وهي القرآن العظيم. فاما قوله: ﴿يَنْزِلُ الْمَثَانِي﴾ ففي «ين» قولان: أحدهما: أنها للتبعض، فيكون المعنى: آتينك سبعاً من جملة الآيات التي يُثَبَّتُ بها على الله تعالى، وآتينك القرآن. والثاني: أنها للصفة، فيكون السبع هي المثاني، ومنه قول: ﴿فَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ لِيُذَكِّرَ الْآخِرِينَ﴾ [الحج: ٣٠] لا أن بعضها رجس، ذكر الوجهين الزجاج، وقد ذكرنا عن ابن الأنباري قريباً من هذا المعنى.

قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ يعني: العظيم القدر، لأنه كلامُ الله تعالى، ووحيه. وفي المراد به هاهنا قولان: أحدهما: أنه جميع القرآن، قاله ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، والضحاك. والثاني: أنه الفاتحة أيضاً، قاله أبو هريرة، وقد روي في حديثاً في أول تفسير (الفاتحة). قال ابن الأنباري: فعلى القول الأول، يكون قد نُسِقَ الكلُّ على البعض، كما يقول العربي: رأيت جدار الدار والدار، وإنما يصلح هذا، لأن الزيادة التي في الثاني من كثرة العدد أشبه بها ما يغاير الأول، فجوز ذلك عطفه عليه. وعلى القول الثاني، تُثَبَّتُ الشيء على نفسه لما زيد عليه معنى المدح والثناء، كما قالوا: روي ذلك عن عمر، وابن الخطاب. يريدون بآبَن الخطاب: الفاضل العالم الرفيع المنزل، فلما دخلته زيادة، أشبه ما يغاير الأول؛ فُعْطِفَ عليه. ولما ذكر الله تعالى مِنِّه عليه بالقرآن، نهاء عن النظر إلى الدنيا ليستغني بما آتاه من القرآن عن الدنيا، فقال: ﴿لَا تَدْعُ عَيْنَكَ إِلَا مَا مَتَّعَا بِهِ ذَوَا عَيْنٍ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الدُّنْيَا دِينًا﴾ أي: أصنافاً من اليهود والمشركين، والمعنى: أنه نهاء عن الرغبة في الدنيا. وفي قوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ قولان: أحدهما: لا تحزن عليهم إن لم يؤمنوا. والثاني: لا تحزن بما أنعمت عليهم في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَأَنفِصْ جَانِبَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ألن جانبك لهم. وخفض الجناح: عبارة عن السكون وترك التصعب والإباء. قال ابن عباس: ارفق بهم ولا تغلظ عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْكَلِيمُ﴾ ﴿حُرِّكْ يَاءَ إِنِّي﴾ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع. وذكر بعض المفسرين أن معناها منسوخ بآية السيف.

﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ جَاءُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ ﴿فَرَبِّكَ لَنَسْتَلْهُنَّ أَجْمِينَ﴾ ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿قوله تعالى: ﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ في هذه الكاف قولان: أحدهما: أنها متعلقة بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبِيحًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أن المعنى: ولقد آتينك سبعاً من المثاني، كما أنزلنا الكتب على

المقتسمين، قاله مقاتل. والثاني: أن المعنى: ولقد شرفناك وكرمناك بالسبع المثاني، كما شرفناك وأكرمناك بالذي أنزلناه على المقتسمين من العذاب، والكاث بمعنى «يثل»، و«ما» بمعنى «الذي»، ذكره ابن الأنباري. والثاني: أنها متعلقة بقوله: ﴿إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ﴾، والمعنى: إني أنا النذير، أنذرتكم مثل الذي أنزل على المقتسمين من العذاب، وهذا معنى قول الفراء. فخرج في معنى «أنزلنا» قولان: أحدهما: أنزلنا الكتب، على قول مقاتل. والثاني: العذاب، على قول الفراء. وفي «المقتسمين» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود والنصارى، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد. فعلى هذا، في تسميتهم بالمقتسمين ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم آمنوا ببعض القرآن، وكفروا ببعضه، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: أنهم اقتسموا القرآن، فقال بعضهم: هذه السورة لي، وقال آخر: هذه السورة لي، استهزاء به، قاله عكرمة. والثالث: أنهم اقتسموا كتبهم، فأمن بعضهم ببعضها وكفر ببعضها، وآمن آخرون بما كفر به غيرهم، قاله مجاهد. والثاني: أنهم مشركو قريش، قاله قتادة، وابن السائب. فعلى هذا، في تسميتهم بالمقتسمين قولان: أحدهما: أن أقوالهم تقسمت في القرآن، فقال بعضهم: إنه سحر، وزعم بعضهم أنه كهانة، وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين، منهم الأسود بن عبد يغوث، والوليد بن المغيرة، وعدي بن قيس السهمي، والعاص بن وائل، والثاني: أنهم اقتسموا على عقاب مكة، قال ابن السائب: هم رهط من أهل مكة اقتسموا على عقاب مكة حين حضر الموسم، قال لهم الوليد بن المغيرة: انطلقوا فنفروا على عقاب مكة حيث يمر بكم أهل الموسم، فإذا سألوكم عنه، يعني: رسول الله ﷺ، فليقل بعضكم: كاهن، وبعضكم: ساحر، وبعضكم: شاعر، وبعضكم: غاي، فإذا انتهوا إلي صدقتكم، ومنهم حنظلة بن أبي سفيان، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل، والعاص بن هشام، وأبو قيس بن الوليد، وقيس بن الفاكه، وزهير بن أبي أمية، وهلال بن عبد الأسود، والسائب بن صيفي، والنضر بن الحارث، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الحجاج، وأممية بن خلف، وأوس بن المغيرة. والثالث: أنهم قوم صالح الذين تقاسموا بالله: ﴿لَتَبَيِّنَنَّ أَهْلَهُ﴾ [النمل: ٤٩]، فكفاه الله شرهم، قاله عبد الرحمن بن زيد. فعلى هذا، هو من القسم، لا من القسمة.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَمَعُوا الْقُرْآنَ عَيْنِينَ﴾ ﴿١١﴾ في المراد بالقرآن قولان: أحدهما: أنه كتابنا، وهو الأظهر، وعليه الجمهور. والثاني: أن المراد به: كتب المتقدمين قبلنا. وفي «عصين» قولان: أحدهما: أنه مأخوذ من الأعضاء. قال الكسائي، وأبو عبيدة: اقتسموا بالقرآن وجعلوه أعضاء. ثم في ما فعلوا فيه قولان: أحدهما: أنهم عضوه أعضاء، فأمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه. والمعضي: المفروق. والتعضية: تجزئة الذبيحة أعضاء. قال علي ﴿١٢﴾: لا تعضية في ميراث، أراد: تفريق ما يوجب تفريقه ضرراً على الورثة كالسيف ونحوه. وقال رؤية:

وَلَيْسَ ذِيْنُ النَّهْ بِالْمُعْضَى<sup>(١)</sup>

وهذا المعنى في رواية سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: أنهم عضوا القول فيه، أي: فرقوا، فقالوا: شعر، وقالوا: سحر، وقالوا كهانة، وقالوا: أساطير الأولين، وهذا المعنى في رواية ابن جريج عن مجاهد، وبه قال قتادة، وابن زيد. والثاني: أنه مأخوذ من العضو. والعضو، بلسان قريش: السحر، ويقولون للساحرة: عاضة. وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ لعن العاضة والمستعضة<sup>(٢)</sup>، فيكون المعنى جعلوه يحرأ، وهذا المعنى في رواية عكرمة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، والفراء.

قوله تعالى: ﴿فَرِيكَ لَتَتَلَوَّنَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَمَلُّونَ ﴿١٣﴾ هذا سؤال توبيخ، يُسألون عما عملوا في ما أمروا به من التوحيد والإيمان، فيقال لهم: لم عصيتم وتركتم الإيمان؟ فتظهر فضيحتهم عند تعدد الجواب. قال

(١) «ديوانه» ٨١ من أرجوزة له يمدح بها تيمناً وسباً ونفسه، مطلعها:

فَإِسْنَتِ أَرَوَى وَالْيَدِيَّونَ تَقْضَى

وهو في «مجاز القرآن» ٣٥٥/١، و«الطبري» ٦٥/١٤، و«اللسان»: عضا.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: رواه أبو يعلى، وابن عدي، من حديث ابن عباس، وفي إسناده زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام، وهما ضعيفان. وله شاهد عند عبد الرزاق من رواية عن ابن جريج عن عطاء. ١ هـ.

أبو العالية: يُسأل العبادُ كلُّهم يوم القيامة عن خَلَّتَيْن: عما كانوا يعبدون، وعما أجابوا المرسلين. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين قوله: ﴿فَوَيْلٌ لَّ الَّذِينَ لَا يُشْكِلُ عَنْ دِينِهِمْ إِنْ وَلَا جَاءَهُمُ الْقَوْلُ﴾ [الرحمن: ٣٩]؟ فنه جوابان: أحدهما: أنه لا يسألهم: هل علمتم كذا؟ لأنه أعلم، وإنما يقول: لم علمتم كذا؟ رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنهم يسألون في بعض مواطن القيامة، ولا يسألون في بعضها، رواه عكرمة عن ابن عباس.

﴿فَأَصْدَقَ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُتَكِبِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَقَ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فامض لما تؤمر، قاله ابن عباس. والثاني: أظهر أمرك، رواه ليث عن مجاهد. قال ابن قتبية: ﴿فَأَصْدَقَ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي: أظهر ذلك. وأصله: الفَرْقُ والفتح، يريد: اصدق الباطل بحقك. وقال الزجاج: أظهر بما تؤمر به، أخذ ذلك من الصديق، وهو الصبح، قال الشاعر:

كَأَنَّ بِيضَاضَ غُرَّتِهِ صَدِيعٌ

وقال الفراء: إنما لم يقل: بما تؤمر به، لأنه أراد: فاصدع بالأمر. وذكر ابن الأنباري أن «به» مضمرة، كما تقول: مررت بالذي مررت. والثالث: أن المراد به: الجهر بالقرآن في الصلاة، رواه ابن أبي نجیح عن مجاهد. قال موسى بن عبيدة: ما زال رسول الله ﷺ مستخفياً حتى نزلت هذه الآية، فخرج هو وأصحابه. وفي قوله: ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُتَكِبِينَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: اكفف عن حربهم. والثاني: لا تبال بهم، ولا تلتفت إلى لومهم على إظهار أمرك. والثالث: أعرض عن الاهتمام باستهزائهم. وأكثر المفسرين على أن هذا القدر من الآية منسوخ بآية السيف.

﴿إِنَّا كُنَّا كَالْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الزمر: ٢٥] الَّذِينَ يَمْجَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّا سَوَوْا بِمَلَكُوتِ اللَّهِ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الزمر: ٢٨] وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا كَالْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الزمر: ٢٥] المعنى: فاصدع بأمرى كما كفتك المستهزئين، وهم قوم كانوا يستهزئون به وبالقرآن. وفي عددهم قولان: أحدهما: أنهم كانوا خمسة: الوليد بن المغيرة، وأبو زمعة، والأسود بن عبد يغوث، والعاص بن وائل، والحارث بن قيس، قاله ابن عباس. واسم أبي زمعة: الأسود بن المطلب. وكذلك ذكرهم سعيد بن جبیر، إلا أنه قال مكان الحارث بن قيس: الحارث بن غبطة، قال الزهري: غبطة أمه، وقيس أبوه، فهو واحد. وإنما ذكرت ذلك، لثلاث يظن أنه غيره. وقد ذكرت في كتاب «التلقيح» من يُنسب إلى أمه من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وسميت آبائهم ليعرفوا إلى أي الأبوين تُسبوا. وفي رواية عن ابن عباس مكان الحارث بن قيس: عدي بن قيس. والثاني: أنهم كانوا سبعة، قاله الشعبي، وابن أبي بزة، وعدهم ابن أبي بزة، فقال: العاص بن وائل، والوليد بن المغيرة، والحارث بن عدي، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، وأصرم وبعكك ابنا عبد الحارث بن السباق. وكذلك عددهم مقاتل، إلا أن قال مكان الحارث بن عدي: الحارث بن قيس السهمي، وقال: أصرم وبعكك ابنا الحجاج بن السباق.

ذَكَرَ مَا أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِهِ وَكَفَى رَسُولَهُ ﷺ أَمْرَهُمْ

قال المفسرون: أتى جبريلُ رسولُ الله ﷺ، والمستهزئون يطوفون بالبيت، فمر الوليد بن المغيرة، فقال جبريل: يا محمد، كيف تجد هذا؟ فقال: «بش عبد الله»، قال: قد كفيت، وأوماً إلى ساق الوليد، فمر الوليد برجلٍ يريش نبلاً له، فتعلقت شظية من نبيلٍ بإزاره، فمنعه الكبرُ أن يطامن ليتزعمها، وجعلت تضرب ساقه، فمضت ومات. وقيل: تعلق سهم بثوبه فأصاب أكله قطعه، فمات. ومر العاص بن وائل، فقال جبريل: كيف تجد هذا يا محمد؟ فقال: «بش عبد الله»، فأشار إلى أخمص رجله، وقال: قد كفيت، فدخلت شوكة في أخمصه، فانتفخت رجله ومات. ومر الأسود بن المطلب، فقال: كيف تجد هذا؟ قال: «عبد سوء»، فأشار بيده إلى عينه، فعمي وهلك. وقيل: جعل ينطح برأسه الشجر ويضرب وجهه بالشوك، فاستغاث بغلامه، فقال: لا أرى أحداً يصنع بك هذا غير نفسك، فمات وهو يقول: قتلني ربُّ محمد. ومر الأسود بن عبد يغوث، فقال جبريل: كيف تجد هذا؟ فقال: «بش عبد الله»، فقال: قد كفيت، وأشار إلى بطنه، فسقى بطنه، فمات. وقيل: أصاب عينه شوك، فسالت حدقته. وقيل: خرج عن أهله فأصابه

السُّموم، فاسودَّ حتى عاد حبشياً، فلما أتى أهله لم يعرفوه، فأغلقوا دونه الأبواب حتى مات. ومرو به الحارث بن قيس، فقال: كيف تجد هذا؟ فقال: «عبد سوء»، فأومأ إلى رأسه، وقال: قد كُفيت، فانتفخ رأسه فمات، وقيل: أصابه العطش، فلم يزل يشرب الماء حتى انقذ بطنه. وأما أصرم وبعكك، فقال مقاتل: أخذت أحدهما الذبيلة<sup>(١)</sup> والآخر ذات الجنب، فماتاً جميعاً. قال عكرمة؛ هلك المستهزون قبل بدر. وقال ابن السائب: أهلكوا جميعاً في يوم ليلة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَرْنَا أَفْئِدَةً يَبِغِي صُدُورُكُمْ بِمَا يَقُولُونَ﴾<sup>(٢)</sup> فيه قولان: أحدهما: أنه التكذيب. والثاني: الاستهزاء. قوله تعالى: ﴿فَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: قل: سبحان الله وبحمده، قاله الضحاك. والثاني: فصل بأمرك، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ قولان: أحدهما: من المصلين. والثاني: من المتواضعين، روي عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الموت، قاله ابن عباس، ومجاهد، والجمهور. وسمي يقيناً، لأنه موقن به. وقال الزجاج: معنى الآية: أعبد ربك أبداً، ولو قيل: أعبد ربك، بغير توقيت، لجاز إذا عبد الإنسان مرة أن يكون مطيعاً، فلما قال: ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أمر بالإقامة على العبادة ما دام حياً<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه الحق الذي لا ريب فيه من نصرك على أعدائك، حكاه الماوردي.



(١) الذبيلة: داء يجتمع في الجوف.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٥٦٠/٢ عند تفسير هذه الآية: ويستدل بهذه الآية الكريمة، وهي قول: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾<sup>(١)</sup> على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتاً، فيصلي بحسب حاله، كما ثبت في «صحيح البخاري»، عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «صل قائماً، فإن لم تستطع لقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب». ويستدل بها على تغلطة من ذهب من الملاحنة إلى أن المراد باليقين المعرفة، فتمت وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم، وهذا كفر وضلال وجهل، فإن الأنبياء ﷺ كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله، وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة، وإنما المراد باليقين هاهنا الموت كما قدمناه، والله الحمد والمنة، والحمد لله على الهداية وعليه الاستعانة والتوكل، وهو المسؤول أن يتوفانا على أكمل الأحوال وأحسنها، فإنه جواد كريم.

## سورة النحل

### فصل في نزولها

روى مجاهد، وعطية، وابن أبي طلحة عن ابن عباس: أنها مكية، وكذلك روي عن الحسن، وعكرمة، وعطاء: أنها مكية [كلها]. وقال ابن عباس في رواية: إنه نزل منها بعد قتل حمزة: ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتَهُ لَمَّا يُمْثَلُ مَا عُوْثِرُ يَدُهُ﴾ [النحل: ١٧٦]، وقال في رواية: هي مكية إلا ثلاث آيات نزلن بالمدينة، وهي قوله: ﴿وَلَا تَشْعُرُوا بِمَهْدِ اللَّهِ فَتَمُنَّا بِذِلَالَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿يَسْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٥، ٩٧]. وقال الشعبي: كلها مكية إلا قوله: ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتَهُ﴾ إلى آخر الآيات [النحل: ١٧٦ - ١٧٨]. وقال قتادة: هي مكية إلا خمس آيات: ﴿وَلَا تَشْعُرُوا بِمَهْدِ اللَّهِ فَتَمُنَّا بِذِلَالَةٍ﴾ [النحل: ٩٥، ٩٦]، ومن قوله: ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتَهُ﴾ إلى آخرها [النحل: ١٧٦]. وقال ابن السائب: هي مكية إلا خمس آيات: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ الآية [النحل: ٤١]، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكَ لَمَّا يَمْشِي لِيَذَرَكَ لِيَذَرَكَ هَاجَرُوا﴾ الآية [النحل: ١١٠]، وقوله: ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتَهُ﴾ إلى آخرها [النحل: ١٧٦]. وقال مقاتل: مكية إلا سبع آيات، قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكَ لَمَّا يَمْشِي لِيَذَرَكَ هَاجَرُوا﴾ الآية [النحل: ١١٠]، وقوله: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ الآية [النحل: ١٠٦]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ الآية [النحل: ٤١]، وقوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً﴾ الآية [النحل: ١١٢]، وقوله: ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتَهُ﴾ إلى آخرها [النحل: ١٧٦]. قال جابر بن زيد: أنزل من أول النحل أربعون آية بمكة وبقيتها بالمدينة. وروى حماد عن علي بن زيد قال: كان يقل لسورة النحل: سورة النعم؛ يريد لكثرة تعدد النعم فيها.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَنَّهُ أَمْرٌ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَعَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْزِلُوا أَتَمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ اللَّهِ﴾ قرأ حمزة، والكسائي بالإمالة. سبب نزولها: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةِ﴾ [القدر: ١]، فقال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد اقتربت، فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء؛ قالوا: ما نرى شيئاً فأنزل الله تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١] فاشفقوا، وانتظروا قرب الساعة، فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به، فأنزل الله تعالى: ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ اللَّهِ﴾، فوثب رسول الله ﷺ، ورفع الناس رؤوسهم، فنزل: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فاطمأنوا، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. وفي قوله: ﴿أَنَّهُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أتى بمعنى: يأتي، كما يقال: أتاك الخير فابشر، أي: سيأتيك، قاله ابن قتيبة، وشاهد: ﴿وَنَافِلَةُ أَحَبُّ إِلَيْنَا﴾ [الأصناف: ٤٤]، ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَكُونُ﴾ [السامية: ١١٦] ونحو ذلك. والثاني: أتى بمعنى: قرب، قال الزجاج: أعلم الله تعالى أن ذلك في قربه بمنزلة ما قد أتى. والثالث: أن «أتى» للماضي والمعنى: أتى بعض عذاب الله، وهو: الجذب الذي نزل بهم، والجوع. ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فينزل بكم مستقبلاً كما نزل ماضياً، قاله ابن الأنباري. وفي المراد بـ «أمر الله» خمسة أقوال: أحدها: أنها الساعة، وقد يخرج على قول ابن عباس الذي قدمناه، وبه قال ابن قتيبة. والثاني: خروج رسول الله ﷺ، رواه الضحاك عن ابن عباس، يعني: أن خروجه من أمارات الساعة. وقال ابن الأنباري: أتى أمر الله من أشراف الساعة، فلا تستعجلوا قيام الساعة. والثالث: أنه الأحكام والفرائض، قاله الضحاك<sup>(٢)</sup>. والرابع: عذاب الله، ذكره ابن الأنباري. والخامس: وعيد المشركين، ذكره الماوردي.

(١) «أسباب النزول» للواحدي ١٥٩ بدون سند، ورواه بمعناه ابن جرير ٧٥/١٤ عن ابن جريج.

(٢) رد هذا القول ابن جرير في «تفسيره»، فقال: لا نعلم أحداً استعمل بالفرائض وبالشرايع قبل وجودها، بخلاف العذاب، فإنهم استعجلوه قبل كونه، استبعاداً وتكذيباً.



قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْتَعِظُوا﴾ أي: لا تطلبوه قبل حينه، ﴿سُبْحَنَهُ﴾ أي: تنزيه له وبراءة من السوء عما يشركون به من الأصنام.

قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «يُنْزِلُ» بإسكان النون وتخفيف الزاي. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عمر، وحزمة، والكسائي: «يُنْزِلُ» بالتشديد، وروى الكسائي عن أبي بكر عن عاصم: «تُنْزِلُ» بالناء مضمومة، وفتح الزاي مشددة. «المَلَائِكَةُ» رفع. قال ابن عباس: يريد بالملائكة جبريل عليه السلام وحده. وفي المراد بالروح ستة أقوال: أحدها: الروح، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه النبوة، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: أن المعنى: تنزل الملائكة بأمره، رواه العوفي عن ابن عباس. فعلى هذا يكون المعنى: أن أمر الله كله روح. قال [الزجاج]: الروح ما كان فيه من أمر الله حياة النفوس بالإرشاد. والرابع: أنه الرحمة. قاله الحسن، وقتادة. والخامس: أن أرواح الخلق: لا ينزل ملك إلا ومعه روح، قاله مجاهد. والسادس: أنه القرآن، قاله ابن زيد. فعلى هذا سماه روحاً، لأن الدين يحيا به، كما أن الروح تُحيي البدن. وقال بعضهم: الباء في قوله: ﴿يُنْزِلُ﴾ بمعنى: مع، فالتقدير: مع الروح، «مِنْ أَمْرِهِ» أي: بأمره، «عَلَّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» يعني: الأنبياء، «أَنْ أُنْذِرُوا» قال الزجاج: والمعنى: أنذروا أهل الكفر والمعاصي «أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا» أي: مروهم بتوحيدي، وقال غيره: أنذروا بأنه لا إله إلا أنا، أي: مروهم بالتوحيد مع تخويفهم إن لم يُبَرُّوا.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ قال المفسرون: أخذ أبي بن خلف عظماً رميمًا، فجعل يفتقه ويقول: يا محمد كيف يبعث الله هذا بعدما رُم؟ فنزلت فيه هذه الآية<sup>(١)</sup>. والخصيم: المخاصم، والمبين: الظاهر الخصومة. والمعنى: أنه مخلوق من نطفة، وهو مع ذلك يخاصم وينكر البعث، أفلا يستدل بأوله على آخره، وأن من قدر على إيجاده أولاً، يقدر على إعادته ثانياً؟! وفيه تنبيه على إنعام الله عليه حين نقله من حال ضعف النطفة إلى القوة التي أمكنه معها الخصام<sup>(٢)</sup>.

﴿وَالْأَنفُسَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَعُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ ﴿وَتَحْمِلُ أَرْوَاحَكُمْ إِنْ بَلَغَرُ تَكَوَّنُوا بِأَنفُسِكُمْ إِلَى إِنْ يَشِقُ الْإِنْسَانُ لَكُمْ رَبِّكُمْ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿وَالْأَنفُسَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ الأنعام: الإبل، والبقرة، والغنم.

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه ما استدفع به من أوبارها تتخذ ثياباً. وأخيه، وغير ذلك. روى العوفي عن ابن عباس أنه قال: يعني بالدفء: اللباس، وإلى هذا المعنى ذهب الأكثرون. والثاني: أنه نسلها. روى عكرمة عن ابن عباس: ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ قال: الدفء: نسل كل دابة، وذكر ابن السائب قال: يقال: الدفء أولادها، ومن لا يحمل من الصغار، وحكى ابن فارس اللغوي عن الأموي، قال الدفء عند العرب: نتاج الإبل وألبانها.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْعٌ﴾ أي: سوى الدفء من الجلود، والألبان، والنسل، والركوب، والعمل عليها، إلى غير ذلك، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني: من لحوم الأنعام.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ أي: زينة، ﴿حِينَ تُرْجَعُونَ﴾ أي: [حين] تردونها إلى مراحيها، وهو المكان الذي تاوي إليه، فترجع عظام الضروع والأنسنة، فيقال: هذا مال فلان، ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: ترسلونها بالغداة إلى مراعيها. فإن قيل: لم قدم الرواح وهو مؤخر؟ فالجواب: أنها في حال الرواح تكون أجمل، لأنها قد رعت، وامتلات ضروعها، وامتدت أسمنتها.

(١) ذكر ذلك ابن كثير في تفسير الآية: ٧٧ من سورة (يس) عن مجاهد، وعكرمة، وعروة بن الزبير، والسدي، وقتادة.

(٢) روى أحمد ٢١٠/٤، وابن ماجه رقم (٢٧٠٧) والحاكم عن بسر بن جعاش، قال: بصر رسول الله ﷺ في كفه، ثم قال: «يقول الله تعالى: ابن آدم! أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سويتك فعدلتك مشيت بين يديك وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: أتصدق، وأنى أؤان الصدقة!»

قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَوْقَالَكُمْ﴾ الإشارة بهذا إلى ما يطيق الحمل منها، والأقوال: جمع قمل، وهو متاع المسافر. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَلَدَكُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه عام في كل بلد يقصده المسافر، وهو قول الأكثرين. والثاني: أن المراد به: مكة، قاله عكرمة، والأول أصح، والمعنى: أنها تحمّلكم إلى كل بلد لو تكلفتم أنتم بلوغه لم تبلغوه ﴿إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾. وفي معنى «شِقِّ الأنفس» قولان: أحدهما: أنه المشقة، قاله الأكثرون. قال ابن قتيبة: يقال: نحن بشق من العيش، أي: بجهد؛ وفي حديث أم زرع: «وجلني في أهل عُتَيْمَةَ بِشِقِّ»<sup>(١)</sup>. والثاني: أن الشق: النصف، فكان الجهد ينقص من قوة الرجل ونفسه كأنه قد ذهب نصفه، ذكره الفراء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوْفٌ رَحِيمٌ﴾ أي: حين منّ عليكم بالنعمة التي فيها هذه المرافق.

﴿وَاللَّيْلَ وَالْيَوْمَ وَالْحَيَرَ لِرَبِّكُمَا وَزِينَةً وَمَخْلَقًا مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلَ﴾ أي: وخلق الخيل ﴿وَالْيَوْمَ وَالْحَيَرَ لِرَبِّكُمَا وَزِينَةً﴾ قال الزجاج: المعنى: وخلقها زينة.

### فصل

ويجوز أكل لحم الخيل، وإنما لم يُذكر في الآية، لأنه ليس هو المقصود، وإنما معظم المقصود بها: الركوب والزينة، وبهذا قال الشافعي. وقال أبو حنيفة، ومالك: لا تؤكل لحوم الخيل<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَخْلَقًا مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذكر قوم من المفسرين: أن المراد به عجائب المخلوقات في السموات والأرض التي لم يُطلع عليها، مثل ما يروى: أن لله ملكاً من صفته كذا، وتحت العرش نهر من صفته كذا. وقال قوم: هو ما أهد الله لأهل الجنة فيها، ولأهل النار. وقال أبو سليمان الدمشقي: في الناس من كره تفسير هذا الحرف. وقال الشعبي: هذا الحرف من أسرار القرآن.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَهْلَ عَذَابٍ ۖ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ ثَمِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup> يُثْمِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّيْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٥)</sup> وَسَعَرَ لَكُمْ آيَلَهُ وَالْأَنْهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالشُّجُرُومَ مَسَحَرَتْ بِأَمْرِ رَبِّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٦)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ القصد: استقامة الطريق، يقال: طريق قصد وقاصد: إذا قصد بك ما تريد.

قال الزجاج: المعنى: وعلى الله تبين الطريق المستقيم، والدعاء إليه بالحجج والبرهان.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾ قال أبو عبيدة: السبيل لفظه لفظ الواحد، وهو في موضع الجمع، فكأنه قال: ومن السبيل سبيل جائز. قال ابن الأنباري: لما ذكر السبيل، دلّ على السبل، فلذلك قال: ﴿وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾ كما دل الحداث على الحوادث في قول العبدى:

وَلَا يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ حَيٌّ فَهَلْ يَبْقَى عَلَيْهِنَ السَّلَامُ

أراد: فهل يبقى على الحوادث، والسَّلَام: الصخور، قال: ويجوز أن يكون إنما قال: ﴿وَمِنْهَا﴾، لأن السبيل ثوبت وتذكر، فالمعنى: من السبيل جائز. وقال ابن قتيبة: المعنى: ومن الطرق جائز لا يهتدون فيه، والجائر: العادل عن القصد، قال ابن عباس: ومنها جائر الأهواء المختلفة. وقال ابن المبارك: الأهواء والبعد.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني: المطر ﴿لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾ وهو ما تشربونه، ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ ذكر ابن الأنباري في معناه قولين: أحدهما: ومنه سقى شجر، وشرب شجر، فخلق المضاف إليه المضاف، كقوله: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ أَنْجِيلٌ﴾ [البقرة: ٩٣]. والثاني: أن المعنى: ومن جهة الماء شجر، ومن سقيه شجر، ومن ناحيته شجر، فحذف الأول، وخلفه الثاني، قال زهير:

(١) هو قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري في «صحيحه» ١٧٤/٢٠ يشرح العيني، ومسلم ١٨٩٦/٤ عن عائشة رضي الله عنها. وقوله: «بشق» قال أبو عبيد: هو بالفتح، والمحدثون يكسرونه، قال: وهو موضع، وقال ابن الأنباري: هو بالكسر والفتح، وهو موضع. وقال ابن أبي أوس وابن حبيب: يعني بشق: جبل قلعتهم وقلة غنهم، وشق الجبل: ناحيته، وتفسير ابن قتيبة الذي نقله المصنف عنه، رجحه القاضي عياض واختاره غيره.

(٢) والأحاديث الصحيحة تدل على جواز أكل لحوم الخيل.

[لَمَنِ الدِّيارُ بِقُنَّةِ الجِجْرَا] أُنُونَنَ مِنْ جَجَجَ وَمِنْ شَهْرٍ<sup>(١)</sup>  
 أي: من مَرَّ حجج. قال ابن قتيبة: والمراد بهذه الشجر: المرعى. وقال الزجاج: كل ما ثبت على الأرض فهو شجر، قال الشاعر يصف الخيل:

يَعْرِفُهَا اللَّحْمُ إِذَا عَزَّ الشَّجَرُ وَالخَيْلُ قِي إِطْعَامِهَا اللَّحْمَ صَرَزُ  
 يعني: أنهم يسقون الخيل اللبن إذا أجذبت الأرض. و «ثِيْمُونٌ» بمعنى: تَرَقُون، يقال: سامت الإبل فهي سائمة: إذا رعت، وإنما أخذ ذلك من السومة، وهي: العلامة، وتأويلها: أنها تؤثر في الأرض برعيها علامات.  
 قوله تعالى: «يَبُيْتُ لَكَ يَوْمَ الزَّيْعِ» وروى أبو بكر عن عاصم: «نبتت» بالنون. قال ابن عباس: يريد الحبوب، وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: «وَاللَّحْمُ مُسَخَّرَتٌ بِأَمْرِهِ» قال الأخفش: المعنى: وجعل النجوم مسخرات، فجاز إضمار فعل غير الأول، لأن هذا المضمر في المعنى مثل المظهر، وقد تفعل العرب أشد من هذا، قال الراجز:

تَسْمَعُ فِي أَجْوَافِهِنَّ صَرَكَا وَفِي الْيَدَيْنِ جُشَاءً وَيَدَدَا<sup>(٢)</sup>  
 المعنى: وترى في اليدين. والجُشَاءُ: اليبس. واليَدَدُ: السَّعة. وقال غيره: قوله تعالى: «مُسَخَّرَتٌ» حال مؤكدة، لأن تسخيرها قد عرف بقوله تعالى: «وَسَخَّرَ». وقرأ ابن عامر: والشمس والقمر والنجوم مسخرات، رفعاً كله، وروى حفص عن عاصم: بالنصب، كالجمهور، إلا قوله تعالى: «وَالنَّجْمُ مُسَخَّرَتٌ» فإنه رفعها.  
 «وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مِثْلًا لَوْنَهُ إِنْ فِي ذَلِكَ آيَةٌ لِقَوْمٍ يَذَكِّرُونَ» وهو الذي سَخَّرَ الْبَحْرَ يَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَنَسَخَّرُوا مِنْهُ حَيْةً تَلْسُوتُهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مُوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَمَّا لَكُمْ تَفَكَّرُونَ<sup>(٣)</sup> وَالْفَرْقُ فِي الْأَرْضِ رَوِيكَ أَنْ تَبِيدَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ<sup>(٤)</sup> وَلَمَّا لَكُمْ تَفَكَّرُونَ<sup>(٥)</sup>  
 قوله تعالى: «وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ» أي: وسخر ما ذرا لكم. وذرا بمعنى: خلق. و «سخر البحر» أي: ذلله للركوب والغوص فيه «يَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا» يعني: السمك «وَنَسَخَّرُوا مِنْهُ حَيْةً تَلْسُوتُهَا» يعني: الثور، واللؤلؤ، والمرجان، وفي هذا دلالة على أن حالاً لو حلف: لا يلبس حلياً، فليس لؤلؤاً، أنه يحنث، وقال أبو حنيفة: لا يحنث.

قوله تعالى: «وَتَرَى الْفَلَكَ» يعني: السفن. وفي معنى «مُوَاجِرَ» قولان: أحدهما: جوارى، قاله ابن عباس. قال اللغويون: يقال: مخرت السفينة مخرأً؛ إذا شقت الماء في جريانها. والثاني: المواقر، يعني: المملوءة، قاله الحسن. وفي قوله تعالى: «وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» قولان: أحدهما: بالركوب فيه للتجارة ابتغاء الرياح من فضل الله. والثاني: بما تستخرجون من حليته، وتصيدون من حيتانه. قال ابن الأنباري: وفي دخول الواو في قوله تعالى: «وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» وجهان: أحدهما: أنها معطوفة على لام محذوفة، تقديره: وترى الفلك مواجر فيه لتتبعوا بذلك ولتبتغوا. والثاني: أنها دخلت لفعل مضمر، تقديره: وفعل ذلك لكي تبتغوا.  
 قوله تعالى: «وَالْفَرْقُ فِي الْأَرْضِ رَوِيكَ» أي: نصب فيها جبلاً ثوابت «أَنْ تَبِيدَ» أي: لثلاً تميد، وقال الزجاج: كراهة أن تميد، يقال: ماد الرجل يميد مَيْدًا: إذا أدير به، وقال ابن قتيبة: الميد: الحركة والميل، يقال: فلان يميد في مشيته، أي: يتكفأ.

قوله تعالى: «وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ» قال الزجاج: المعنى: وجعل فيها سُبلاً، لأن معنى «ألقى»: «جعل»، فأما السبل، فهي الطرق. «وَلَمَّا لَكُمْ تَفَكَّرُونَ» أي: لكي تهتدوا إلى مقاصدكم.

قوله تعالى: «وَعَلَّامَتٌ» فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها معالم الطرق بالنهار، «وَالنَّجْمُ هُمْ يَهْتَدُونَ» بالليل، رواه

(١) تقدم البيت ٦٠٦.

(٢) أنشده الطبري ٩٠/١٤، ورواه فيه:

وفي اليدين حُشَاءً وَيَسُورَا

تسمع في أجوافهن صُرَا



قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ: يَعْنِي: المستكبرين: ﴿فَأَنذَرْتُهُمْ نَارَهُمُ﴾ على محمد ﷺ؟ قال الزجاج: «ماذا» بمعنى «ما الذي». و «أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ» مرفوعة على الجواب، كأنهم قالوا: الذي أنزل: أساطيرُ الأولين، أي: الذي تذكرون أنتم أنه منزل: أساطير الأولين. وقد شرحنا معنى الأساطير في [الأنعام: ٢٥]. قال مقاتل: الذين بعثهم الوليد بن المغيرة في طرق مكة يصيّدون الناس عن الإيمان، ويقول بعضهم: إن محمداً ساحر، ويقول بعضهم: شاعر، وقد شرحنا هذا المعنى في [الحجر: ٩٠] في ذكر المقتسمين.

قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾ هذه لام العاقبة، وقد شرحناها في غير موضع، والأوزار: الآثام، وإنما قال: كاملة، لأنه لم يُكْفَرْ منها شيء بما يُصيبهم من نكبة، أو بليّة، كما يُكْفَرُ عن المؤمن<sup>(١)</sup>، ﴿وَمِنَ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: أنهم أضلّوهم بغير دليل، وإنما حملوا من أوزار الأنبياء، لأنهم كانوا رؤساء يقتدى بهم في الضلالة، وقد ذكر ابن الأنباري في «مِنْ» وجهين: أحدهما: أنها للتبعض، فهم يحملون ما شَرَّوهم فيه، فأما ما رُكِبَ أولئك باختيارهم من غير تزيين هؤلاء، فلا يحملونه، فيصح معنى التبعض. والثاني: أن «مِنْ» مؤكدة، والمعنى: وأوزار الذين يضلّونهم. ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِينُونَ﴾ أي: بش ما حملوا على ظهورهم.

قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ قال المفسرون: يعني به النمرود بن كنعان، وذلك أنه بنى صرحاً طويلاً. واختلفوا في طوله، فقال ابن عباس: خمسة آلاف ذراع، وقال مقاتل: كان طوله فرسخين، قالوا: ورام أن يصعد إلى السماء ليقاتل أهلها بزعمه. ومعنى «المكر» هاهنا: التدبير الفاسد. وفي الهاء والميم من «قبلهم» قولان: أحدهما: أنها للمقتسمين على عقاب مكة، قاله ابن السائب. والثاني: لكفار مكة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَأَنفِ اللَّهُ بَيْنَهُمْ مَرَكَاتِ الْفَوَاحِشِ﴾ أي: من الأساس. قال المفسرون: أرسل الله ريحاً فألقت رأس الصرح في البحر، وخرّ عليهم الباقي. قال السدي: لما سقط الصرح، تَبَلَّثَتِ أَلْسُنُ النَّاسِ من الفزع، فتكلموا بثلاثة وسبعين لساناً، فلذلك سميت «بابل»، وإنما كان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية، وهذا قول مردود، لأن التَّبَلُّثَ يُوجِبُ الاختلاط والتكلم بشيء غير مستقيم، فأما أن يوجب إحداث لغة مضبوطة الحواشي، فباطل، وإنما اللغات تعليم من الله تعالى. فإن قيل: إذا كان الماكر واحداً، فكيف قال: «الذين» ولم يقل: «الذي»؟، فتنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه كان الماكر ملكاً له أتباع، فأدخلوا معه في الوصف. والثاني: أن العرب توقع الجمع على الواحد، فيقول قائلهم: خرجت إلى البصرة على البغال، وإنما خرج على بغل واحد. والثالث: أن «الذين» غير موقع على واحد معين، لكنه يراد به: قد مكر الجبارون الذين من قبلهم، فكان عاقبة مكرهم رجوع البلاء عليهم، ذكر هذه الأجوبة ابن الأنباري. قال: وذكر بعض العلماء: أنه إنما قال: «من فوقهم»، لينبه على أنهم كانوا تحته، إذ لو لم يقل ذلك، لاحتمل أنهم لم يكونوا تحته، لأن العرب تقول: سقط علينا البيت، وخرّ علينا الحانوث، وتداعت علينا الدار، وليسوا تحت ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأَنفِ اللَّهُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: من حيث ظنوا أنهم آمنون فيه. قال السدي: أخذوا من مأمَنهم. وروى عطية عن ابن عباس قال: خرّ عليهم عذاب من السماء. وعامة المفسرين على ما حكيناه من أنه بنيان سقط. وقال ابن قتية: هذا مثل، والمعنى: أهلكهم الله، كما هلك من هُمُوم مسكنه من أسفله، فخر عليه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْرُجُ عَنْهُمْ﴾ أي: يذلّهم بالعذاب. ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمره، والكسائي، «شركائي الذين» بهمزة وفتح الياء، وقال البزّي عن ابن كثير: «شركائي» مثل: هداي، والمعنى: أين شركائي على زعمكم؟ هلّا دفعوا عنكم! ﴿الَّذِينَ كُنتَ تَشْكُرُ فِيهِمْ﴾ أي: تخالفون المسلمين فتعبدونهم وهم يعبدون الله، وقرأ نافع: «تَشَاوُونَ» بكسر النون، أراد: تشاؤونني، فحذف النون الثانية، وأبقى الكسرة تدل عليها، والمعنى: كتمت تنازعوني فيهم، وتخالفون أمري لأجلهم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ أَوْفُوا أَوَّلَهُمْ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الملائكة، قاله ابن عباس. والثاني: الحفظة

(١) روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها».

من الملائكة، قاله مقاتل. والثالث: أنهم المؤمنون. فأما «الخزي» فقد شرحناه في مواضع [آل عمران: ١٩٢] و «السوء» هاهنا: العذاب.

﴿الَّذِينَ تَوْفَّعْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ خَلَائِفَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا لَنْ نَلْقَاكَ يَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ شَيْءٍ بَلَّ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ قَادَحُوا قُرْبَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَوْتَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوْفَّعْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ خَلَائِفَ أَنْفُسِهِمْ﴾ قال عكرمة: هؤلاء قوم كانوا بمكة أقرؤوا بالإسلام ولم يُهاجروا، فأخرجهم المشركون كرهاً إلى بدر، فقتل بعضهم. وقد شرحنا هذا في سورة [النساء: ٩٧].

قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نَلْقَاكَ﴾ قال ابن قتيبة: اتقادوا واستسلموا، والسلم: الاستسلام. قال المفسرون: وهذا عند الموت يتبرؤون من الشرك، وهو قولهم: ﴿يَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ شَيْءٍ﴾ وهو الشرك، فترد عليهم الملائكة فتقول: «بلى». وقيل: هذا ردُّ خزنة جهنم عليهم ﴿بَلَّ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الشرك والتكذيب. ثم يقال لهم: ادخلوا أبواب جهنم، وقد سبق تفسير ألفاظ الآية [النساء: ٩٧] و [الحجر: ٤٤].

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبَرٌ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٠﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يُجْزَى اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ تَوْفَّعْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُوكَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ روى أبو صالح عن ابن عباس أن مشركي قريش بعثوا ستة عشر رجلاً إلى عِقاب<sup>(١)</sup> مكة أيام الحج على طريق الناس، ففرَّقوهم على كل عَقَبَةٍ أربعة رجال، ليصدُّوا الناس عن رسول الله ﷺ وقالوا لهم: مَنْ أتاكم من الناس يسألكم عن محمد فليقلَّ بعضكم: شاعراً، ويغضُّكم: كاهنً، ويغضُّكم: مجنون، وألَّا تزوَّه ولا يراكم خيرٌ لكم، فإذا انتهوا إلينا، صدَّقناكم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فبعث إلى كل أربعة منهم أربعة من المسلمين، فيهم عبد الله بن مسعود، فأمرُوا أن يكذبوهم، فكان الناس إذا مروا على المشركين، فقالوا ما قالوا، ردَّ عليهم المسلمون، وقالوا: كذبوا، بل يدعو إلى الحق، ويأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر، ويدعو إلى الخير، فيقولون: وما هذا الخير الذي يدعو إليه؟ فيقولون: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا خَبَرٌ﴾ أي: أنزل خيراً، ثم فسر ذلك الخير فقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ قالوا: لا إله إلا الله، وأحسنوا العمل ﴿حَسَنَةٌ﴾ أي: كرامة من الله تعالى في الآخرة، وهي الجنة، وقيل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ في الدنيا وهي ما رزقهم من خيرها وطاعته فيها، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ يعني: الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ قولان: أحدهما: أنها الجنة، قاله الجمهور. قال ابن الأنباري: في الكلام محذوف، تقديره: ولنعم دار المتقين الآخرة، غير أنه لما ذُكرت أولاً، عرف معناها آخرًا، ويجوز أن يكون المعنى: ولنعم دار المتقين جناتٌ عَدْنٌ. والثاني: أنها الدنيا. قال الحسن: ولنعم دار المتقين الدنيا، لأنهم نالوا بالعمل فيها ثواب الآخرة.

قوله تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ﴾ قد شرحناه في [إبراهيم: ٤٧].

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوْفَّعْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ وقرأ حمزة «يتوفاهم» بياء مع الإمالأة. وفي معنى «طَيِّبِينَ» خمسة أقوال: أحدها: مؤمنين. والثاني: طاهرين من الشرك. والثالث: زاكاة أفعالهم وأقوالهم. والرابع: طيبة فائتهم، سهَّلُ خروج أرواحهم. والخامسة: طيبة أنفسهم بالموت، ثقة بالثواب.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُوكَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ يعني الملائكة «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ». وفي أي وقت يكون هذا [السلام]؟ فيه قولان: أحدهما: عند الموت. قال البراء بن عازب: يسلم عليه ملك الموت إذا دخل عليه. وقال القرطبي: ويقول له: الله ﷻ يقرأ عليك

(١) العقاب: جمع عَقَبَةٍ، وهي طريق في الجبل وهو.

السلام، ويشره بالجنة<sup>(١)</sup>. والثاني: عند دخول الجنة. قال مقاتل: هذا قول خزنة الجنة لهم في الآخرة، يقولون: سلام عليكم.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ فَأَمَّا لَهُمْ سِنَاءٌ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي «يأتيهم» بالياء، وهذا تهديد للمشركين، وقد شرحناه في [البقرة: ٢١٠] وآخر [الأنعام: ١٥٨]. وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ قولان: أحدهما: أمر الله فيهم، قاله ابن عباس. والثاني: العذاب في الدنيا، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يريد: كفار الأمم الماضية، كذبوا كما كذب هؤلاء. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بإهلاكهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالشرك، ﴿فَأَمَّا لَهُمْ سِنَاءٌ مَا عَمِلُوا﴾ أي: جزاؤها، قال ابن عباس: جزاء ما عملوا من الشرك، ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ قد بيناه في [الأنعام: ١٠]، والمعنى: أحاط بهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من العذاب.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ النَّبِيُّ﴾ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الزَّلَّاتِ فَسَبِّحْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَبِّحْهُمْ فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿٢٦﴾ إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدْيِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ يعني: كفار مكة ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: الأصنام، أي: لو شاء ما أشركنا ولا حرّمنا من دونه من شيء من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، والحرث، وذلك أنه لما نزل: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٠] قالوا هذا، على سبيل الاستهزاء، لا على سبيل الاعتقاد، وقيل: معنى كلامهم: لو لم يأمرنا بهذا وبوردة منا، لم نأته.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: من تكذيب الرسل وتحريم ما أحل الله، ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ النَّبِيُّ﴾ يعني: ليس عليهم إلا التبليغ، فاما الهداية، فهي إلى الله تعالى، وبين ذلك بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً﴾ أي: كما بعثناك في هؤلاء ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: وحده ﴿وَاجْتَنِبُوا الزَّلَّاتِ﴾ وهو الشيطان ﴿فَسَبِّحْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾ أي: أرشده ﴿وَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ أي: وجبت في سابق علم الله، فاعلم الله ﷻ أنه إنما بعث الرسل بالامر بالعبادة، وهو من وراء الإضلال والهداية، ﴿فَسَبِّحْهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: معتبرين بآثار الأمم المكذبة. ثم أكد أن من حقت عليه الضلالة لا يهتدي، فقال: ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدْيِهِمْ﴾ أي: [إن] تطلب هدايتهم بجهدك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر، «لا يهدي» برفع الياء وفتح الدال، والمعنى: من أضله، فلا هادي له، وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «يهدي» بفتح الياء وكسر الدال، ولم يختلفوا في «يُضِلُّ» أنها بضم الياء وكسر الضاد، وهذه القراءة تحتل معنيين، ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: لا يهدي من طبعه ضالاً، وخلقاً شقيّاً. والثاني: لا يهدي، أي: لا يهتدي من أضله، أي: مَنْ أضله الله لا يهتدي، فيكون معنى يهدي: يهتدي، تقول العرب: قد هُدي فلان الطريق، يريدون: اهتدى.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَتَّبِعُ اللَّهُ مَنْ يُبْغِ بِكَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ لِيُذِيقَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَيَسَلِّمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَدُوٍّ مَا ظَلَمُوا لَنُؤْتِيَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآخِرَةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾ سبب نزولها أن رجلاً من المسلمين كان له على رجل من المشركين

(١) رواه ابن جرير ١٤/١٠١، وخرجه السيوطي في «الدرة» ٤/١١٧ وزاد نسبة إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العلامة»، وأبي القاسم بن مند في كتاب «الأحوال»، والبيهقي في «شعب الإيمان».

ذَيْن، فَأَتَاهُ يَتَقَضَاهُ، فَكَانَ فِيهَا تَكَلَّمَ بِهِ: والذي أرجوه بعد الموت، فقال المشرك: وإنك لتزعم أنك تبعث بعد الموت؟! فأقسم بالله ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾، فنزلت هذه الآية، قاله أبو العالية. و ﴿جَمَعْتَ أَيْمَنَهُمْ﴾ مفسر في [المائدة: ٥٣]. وقوله: ﴿يَكِلَ﴾ رَدُّ عَلَيْهِمْ، قال الفراء: والمعنى: ﴿يَكِلَ﴾ لِيَعِثَّهُمْ ﴿وَعَدًا عَلَيْهِمْ حَقًّا﴾

قوله تعالى: ﴿يُؤَيِّنُ لَهُمُ الْوُجُوهَ الَّتِي يَخْتَلِفُونَ فِيهَا﴾ قال الزجاج: يجوز أن يكون متعلقاً بالبعث، فيكون المعنى: بلى يعيئهم فيبين لهم، ويجوز أن يكون متعلقاً بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ. وللمفسرين في قوله: ﴿يُؤَيِّنُ لَهُمُ﴾ قولان: أحدهما: أنهم جميع الناس، قاله قتادة. والثاني: أنهم المشركون، يبين لهم بالبعث ما خالفوا المؤمنين فيه.

قوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ كَاثِرٌ عَذِيبُهُمْ﴾ أي: فيما أقسموا عليه من نفي البعث. ثم أخبر بقدرته على البعث بقوله: ﴿إِنَّمَا تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنْ أَرَدْتَهُ أَنْ تَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿١٥﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وخمزة «فيكون» رفعاً، وكذلك في كل القرآن. وقرأ ابن عامر، والكسائي «فيكون» نصباً. قال مكي بن إبراهيم: من رفع، قطعه عما قبله، والمعنى: فهو يكون، ومن نصب، عطفه على «يقول»، وهذا مثل قوله: ﴿وَإِذَا قَعَزَ أَمْرًا فَأَنَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، وقد فسرناه في [البقرة: ١١٧]. فإن قيل: كيف سمي الشيء قبل وجوده شيئاً؟ فالجواب: أن الشيء وقع على المعلوم عند الله قبل الخلق، لأنه بمنزلة ما قد عُيِّنَ وشُوهِدَ.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في ستة من أصحاب رسول الله ﷺ، بلال، وعمار، وصهيب، وخباب بن الارت، وعائش وجبر موليّان لقريش، أخذهم أهل مكة فجعلوا يُعَذِّبُونَهُمْ، ليرُدُّوهم عن الإسلام، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في أبي جندل بن سهيل بن عمرو، قاله داود بن أبي هند. والثالث: أنهم جميع المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ، قاله قتادة. ومعنى «هاجروا» في الله، أي: في طلب رضاه وثوابه ﴿بِمَا بَدَّ مَا ظَلَمُوا﴾ بما نال المشركون منهم، ﴿لَنُؤَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَيَّامِ حَسَنَةً﴾ وفيها خمسة أقوال: أحدها: لتنزيههم المدينة، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والشعبي، وقتادة، فيكون المعنى: لَنُؤَيِّنَنَّ لَهُمْ دَارًا حَسَنَةً وَبَلَدًا حَسَنَةً. والثاني: لنزقهم في الدنيا الرزق الحسن، قاله مجاهد. والثالث: النصر على العدو، قاله الضحاك. والرابع: أنه ما بقي بعدهم من الثناء الحسن، وصار لأولادهم من الشرف، ذكره الماوردي، وقد روي معناه عن مجاهد، فروى عنه ابن أبي نجيع أنه قال: ﴿لَنُؤَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَيَّامِ حَسَنَةً﴾ قال: لسان صادق. والخامس: أن المعنى: لنحيثنَّ إليهم في الدنيا، قال بعض أهل المعاني: فتكون على هذه الأقوال «لنؤيئهم»، على سبيل الاستعارة، إلا على القول الأول.

قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الْآخِرَةَ أَكْبَرَ﴾ قال ابن عباس: يعني: الجنة، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: أهل مكة. ونقل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءً، قال: خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك الله في الدنيا، وما ذخرك في الآخرة أفضل، ثم يتلو هذه الآية<sup>(١)</sup>. ثم إن الله أثنى عليهم ومدحهم بالصبر فقال: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي: على دينهم، لم يتركوه لآذى نالهم، وهم في ذلك واثقون بربه.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ فَتَلَوْنَا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَقْلَمُونَ﴾ ﴿١٦﴾ وَالْيَسِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ قال المفسرون: لما أنكر مشركو قريش نبوة محمد ﷺ وقالوا: الله أعظم من أن يكن رسوله بشراً، فهلاً بعث إلينا ملكاً! فنزلت هذه الآية، والمعنى: أن الرسل كانوا مثلك آدميين، إلا أنهم يُوحَى إليهم. وقرأ حفص عن عاصم: «نوحى» بالنون وكسر الحاء. «فَتَلَوْنَا» يا معشر المشركين ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ وفيهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم أهل التوراة والإنجيل، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أهل التوراة، قاله



مجاهد. والثالث: أهل القرآن، قاله ابن زيد. والرابع: العلماء بأخبار من سلف، ذكره الماوردي. وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قولان: أحدهما: لا تعلمون أن الله تعالى بعث رسولاً من البشر. والثاني: لا تعلمون أن محمداً رسول الله، فعلى القول الأول، جائز أن يسأل مَنْ آمَنَ برسول الله وَمَنْ كَفَرَ، لأن أهل الكتاب والعلم بالسيرة متفقون على أن الأنبياء كلهم من البشر، وعلى الثاني إنما يسأل مَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وقد روي عن مجاهد ﴿فَسْتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ قال: عبد الله بن سلام، وعن قتادة، قال: سلمان الفارسي.

قوله تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ في هذه «الباء» قولان: أحدهما: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً أرسلناهم بالبينات. والزُّبُرُ: الكتب. وقد شرحنا هذا في (آل عمران: ٢١٨٤).

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ وهو القرآن بإجماع المفسرين ﴿وَالْحَقِّينَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [فيه] من حلال وحرام، ووعد ووعد ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ في ذلك فيعتبرون.

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْبِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيلِهِمْ مِمَّا هُمْ يُمْشِقُونَ (١٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ (١٧)

قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ قال المفسرون: أراد مشركي مكة. ومكرهم السيئات: شركهم وتكذيبهم، وسمي ذلك مكرًا، لأن المكر في اللغة: السعي بالفساد، وهذا استفهام إنكار، ومعناه: ينبغي أن لا يأمّنوا العقوبة، وكان مجاهد يقول: عنى بهذا الكلام نمرد بن كعبان.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيلِهِمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: في أسفارهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: في منامهم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: في ليلهم ونهارهم، قاله الضحاك، وابن جريج، ومقاتل. والرابع: أنه جميع ما يتقلبون فيه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: على تنقُص، قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك. قال ابن قتيبة: التَّخَوُّفُ: التنقُص، ومثله التخوُّن. يقال: تخوفته الدهور وتخوته: إذا نقصته وأخذت من ماله وجسمه. وقال الهيثم بن عدي: التخوُّفُ: التنقُص، بلغة أزد شنوءة. ثم في هذا التنقُص ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تنقُص من أعمالهم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أخذ واحد بعد واحد، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: تنقُص أموالهم وثمارهم حتى يهلكهم، قاله الزجاج. والثاني: أنه التخويف نفسه، ثم فيه قولان: أحدهما: يأخذهم على خوف أن يعاقب أو يتجاوز، قاله قتادة. والثاني: أنه يأخذ قرية لتخاف القرية الأخرى، قاله الضحاك. وقال الزجاج: يأخذهم بعد أن يخيفهم بأن يهلك قرية فتخاف التي تليها، فعلى هذا، خوْفهم قبل هلاكهم، فلم يتوبوا، فاستحقوا العذاب. قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ إذ لم يعجل بالعقوبة، وأمهل للتوبة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ نَفْسٍ يَنْفَخُ فِيهَا نَفْسًا وَلِللَّهِ عِزٌّ وَكَرَامٌ إِنَّ اللَّهَ يُسْجِدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَلِكُمْ وَكَالتَّحِيَّةِ وَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (١٨) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (١٩)

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «أولم يروا» بالياء، وقرأ حمزة، والكسائي: «تروا» بالفاء، واختلف عن عاصم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ لَهُ ظِلٌّ، مِنْ جَبَلٍ، أَوْ شَجَرٍ، أَوْ جَسَمٍ قَائِمٍ﴾ [يَنْفَخُ فِيهَا] قرأ الجماعة بالياء، وقرأ أبو عمرو، ويعقوب بالفاء ﴿وَاللَّهُ﴾ وهو جمع ظل، وإنما جمع وهو مضاف إلى واحد، لأنه واحد يُرَادُ به الكثرة، كقوله تعالى: ﴿لَسْتُمْ عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ١٣]. قال ابن قتيبة: ومعنى يتفياً ظلاله: يدور ويرجع من جانب إلى جانب، والفيء: الرجوع، ومنه قيل للظل بالعشي: فيء، لأنه فاء عن المغرب إلى المشرق. قال المفسرون: إذا طلعت الشمس وأنت متوجه إلى القبلة، كان الظل قد أمك، فإذا ارتفعت كان عن يمينك، فإذا كان بعد ذلك كان خلفك، وإذا دنت للغروب كان على يسارك، وإنما وُحِدَ اليمين، والمراد به: الجمع، إيجازاً في اللفظ كقوله

تعالى: ﴿وَرَوُّكَ الْقُرْآنَ﴾ [القمر: ٤٥]، ودلت «الشماثل» على أن المراد به الجميع، وقال القراء: إنما وحد اليمين، وجمع الشماثل، ولم يقل: الشمال، لأن كل ذلك جائر في اللغة، وأنشد:

السَّوَادُودُ وَتَنِيمُ فِي ذَرَى سَبِيلٍ  
قد عضّ أعناقهم جلدُ الجوايميس<sup>(١)</sup>  
ولم يقل: جلود، ومثله:

كُلُّوا فِي يَضْفِ بِطَنِيكُمْ تَعِينُوا  
فإن زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيضٌ<sup>(٢)</sup>  
وإنما جاز التوحيد، لأن أكثر الكلام يواجه به الواحد. وقال غيره: اليمين راجعة إلى لفظ ما، وهو واحد، والشماثل راجعة إلى المعنى.

قوله تعالى: ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ قال ابن قتيبة: مستسلمة، متقادة، وقد شرحنا هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكَلِّمُوا الْفُتُوْرَ وَالْأَسْمَالَ﴾ [الرمد: ١٥]. وفي قوله تعالى: ﴿وَهُزْ ذُرِّيْرَ﴾ قولان: أحدهما: والكفار صاغرون. والثاني: وهذه الأشياء داخرة مجبولة على الطاعة. قال الأخفش: إنما ذكر من ليس من الإنس، لأنه لما وصفهم بالطاعة أشبهوا الإنس في الفعل.

قوله تعالى: ﴿رَبِّكَ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ الآية. الساجدون على ضربين: أحدهما: من يعقل، فسجوده عبادة. والثاني: من لا يعقل، فسجوده بيان أثر الصنعة فيه، والخضوع الذي يدل على أنه مخلوق، هذا قول جماعة من العلماء، واحتجوا في ذلك بقول الشاعر:

يَجِيْشُ تَغِيْلُ الْبُلُقِ فِي حَجَرَاتِهِ  
تَرَى الْأَكْمَ فِيهِ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ<sup>(٣)</sup>

قال ابن قتيبة: حجراته، أي: جوانبه، يريد أن حوافر الخيل قد قلعت الأكم ووطئتها حتى خشعت وانخفضت. فأما الشمس والقمر والنجوم، فالحقها جماعة بمن يعقل، فقال أبو العالية: سجودها حقيقة، ما منها غارب إلا خر ساجدا بين يدي الله ﷻ، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، ويشهد لقول أبي العالية، حديث أبي ذر قال: كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد حين وجبت الشمس، فقال: «يا أبا ذر! تدري أين ذهب الشمس؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تلعب حتى تسجد بين يدي ربها ﷻ، فتستأذن في الرجوع، فيؤذن لها، فكانها قد قيل لها: ارجعي من حيث جئت، فترجع إلى مطلعها فذلك مستقرها، ثم قرأ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨]. أخرجه البخاري ومسلم<sup>(٤)</sup>. وأما النبات والشجر، فلا يخلو سجوده من أربعة أشياء: أحدها: أن يكون سجوداً لا تعلمه، وهذا إذا قلنا: إن الله يودعه فهماً. والثاني: أنه تغير ظلاله. والثالث: بيان الصنعة فيه. والرابع: الانقياد لما سخر له.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْكَةُ﴾ إنما أخرج الملائكة من الدواب، لخروجهم بالأجنحة عن صفة الدبيب. وفي قوله: ﴿وَمَنْ لَا يَسْكُرُهُ﴾ [يخافون ربهم من فوقهم ويقتلون ما يؤمرون] قولان: أحدهما: أنه من صفة الملائكة خاصة، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثاني: أنه عام في جميع المذكورات، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي قوله: ﴿وَمِنْ قَوِيْمَةٍ﴾ قولان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أنه ثناء على الله تعالى، وتعظيم لشأنه، وتلخيصه: يخافون ربهم عالياً رفيعاً عظيماً. والثاني: أنه حال، وتلخيصه: يخافون ربهم معظمين له عالمين بعظيم سلطانه.

(١) البيت في «الطبري» ١١٧/١٤، وهو في «معاني القرآن» للقراء ٣٠٨/١ لجريم من قصيدة في هجاء تيم بن قيس، من بكر بن وائل، وهو في «ديوانه» ٣٢٥.

(٢) تقدم البيت ٤٥ وهو غير منسوب في «سبويه» ١٥٨/١، و«الخرائقة» ٣٧٩/٣، و«الطبري» ٣٦١/١.

(٣) قائله زيد الخيل، وهو في «تأويل مشكل القرآن» ٣٢٢، و«الكامل» ٥٥١، و«المعاني الكبير» ٨٩٠، وأضداد ابن الأنباري، ٢٩٥، و«حماسة ابن الشجري» ١٩، و«مجموعة المعاني» ١٩٢، والباء في قوله بجيش، متعلقة ببيت سالف هو:

بني عامر هل تعرفون إذا غدا  
والبلق، جمع أبلق، وبلقاء: الفرس يرتفع تجميلها إلى الفخذين، والأكم، جمع إكام، وإكام، واحدة: أكمة، وهي تل يكون أشد ارتفاعاً مما حوله، دون الجبل، غليظ فيه حجارة. قال ابن قتيبة في «المعاني الكبير»: يقول: إذا ضلت البلق فيه مع شهرتها فلم تعرف، ففيها أخرى أن يفضل، يصف كثرة الجيش، ويريد أن الأكم قد خشعت من وقع الحوافر.

(٤) البخاري ٤١٦/٨، ومسلم ١٣٩/١.

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُوا لِلَّذِينَ آتَيْنَا بِآيَاتٍ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُكُمُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ وَلَكُمْ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الْكَوْنُ وَإِلَيْهِ تُقْبَلُونَ ۝﴾<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُوا لِلَّذِينَ آتَيْنَا بِآيَاتٍ﴾ سبب نزولها: أن رجلاً من المسلمين دعا الله في صلاته، ودعا الرحمن، فقال رجل من المشركين: ليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً، فما بال هذا يدعو ربين اثنين؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. قال الزجاج: ذكر الإثنين توكيد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهُكُمُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْكَوْنُ وَإِلَيْهِ تُقْبَلُونَ﴾ في المراد بالذين أربعة أقوال: أحدها: أنه الإخلاص، قاله مجاهد. والثاني: العبادة، قاله سعيد بن جبیر. والثالث: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقامة الحدود، والفرائض، قاله عكرمة. والرابع: الطاعة، قاله ابن قتيبة. وفي معنى «واصباً» أربعة أقوال: أحدها: دائماً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، والثوري، واللغويون. قال أبو الأسود الدؤلي:

لَا أَبْتَدِي الْحَمْدَ الْقَلِيلَ بَقَاؤُهُ يَوْمًا يَذْمُ الْبُذْهَرَ أَجْمَعَ وَاصِبًا<sup>(٢)</sup>

قال ابن قتيبة: معنى الكلام: أنه ليس من أحد يذم له ويطاع إلا انقطع ذلك عنه بزوال أو هلكة. غير الله ﷻ، فإن الطاعة تدوم له. والثاني: واجباً، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: خالصاً، قاله الربيع بن أنس. والرابع: وله الدين موصباً، أي: متعباً، لأن الحق ثقیل، وهو كما تقول العرب: هم ناصب، أي: منصّب، قال النابغة:

كَلِمَتِي لِيَهُمْ بِأَنْتُمْ نَاصِبٌ وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ بَطِيءُ الْكَوَاكِبِ<sup>(٣)</sup>

ذكره ابن الأباري. قال الزجاج: ويجوز أن يكون المعنى: له الدين، والطاعة، رضي العبد بما يؤمر به وسهل عليه، أو لم يسهل، فله الدين وإن كان فيه الوصب، والوصب: شدة التعب.

﴿وَمَا يَكْمُنُ فِي قَمَرٍ لَّيْنٍ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا مَنَّكَ اللَّهُ فَإِلَيْهِ تَعَبُّونَ ۝ تَعَالَى إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِقَ بَيْنَكُمْ يَوْمَ تَشْرِكُونَ ۝﴾<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكْمُنُ فِي قَمَرٍ لَّيْنٍ﴾ قال الزجاج: المعنى: ما حل بكم من نعمة، من صحة في جسم، أو سعة في رزق، أو متاع من مال وولد ﴿قَمَرٍ لَّيْنٍ﴾ وقرأ ابن أبي عبيد: ﴿قَمَرٍ لَّيْنٍ﴾ بتشديد النون.

قوله تعالى: ﴿تَعَالَى إِذَا مَنَّكَ اللَّهُ﴾ قال ابن عباس: يريد الأسقام، والأمراض، والحاجة. قوله تعالى: ﴿فَالَيْهِ تَعَبُّونَ﴾ قال الزجاج: «تجارون»: ترفعون أصواتكم إليه بالاستغاثة، يقال: جأرجأ جواراً، والأصوات مبنية على «فُعَالٍ» و«فُعِيلٍ»، فأما «فُعَالٌ» فنحو «الضُّرَّاحِ» و«الخَوَّارِ»، وأما «الفُعِيلُ» فنحو «العويل» و«الزَّئير»، والفُعَالُ أكثر.

قوله تعالى: ﴿إِذَا فَرِقَ بَيْنَكُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد أهل النفاق. قال ابن السائب: يعني الكفار.

قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ قال الزجاج: المعنى: ليكفروا بأننا أنعمنا عليهم، فجعلوا نعمتنا سبباً إلى الكفر، وهو كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ رَعُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لِيُحْسِلُوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ [يونس: ٨٨]، ويجوز أن يكون «ليكفروا»، أي: ليحسدوا نعمة الله في ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَتَسَوَّاهُمْ﴾ تهديد، ﴿فَتَسَوَّاهُمْ﴾ عاقبة أمرهم.

﴿وَيَعْمَلُونَ لِمَا لَا يَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهُمْ عَلَيْهِمْ كَثَرُ قَعُونَ ۝﴾<sup>(٥)</sup> وَيَعْمَلُونَ لِمَا يَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهُمْ عَلَيْهِمْ كَثَرُ قَعُونَ ۝ وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَكَّنُ مِنَ الْفَقْرِ مَنْ سَوَّىٰ مَا يَبْذُرُ بِدُونِ آبَائِهِمْ عَلَىٰ هُوْبٍ أَوْ يَدُسُّ فِي الْأَرْبَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝﴾<sup>(٦)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَيَعْمَلُونَ لِمَا لَا يَحْسَبُونَ﴾ يعني: الأوثان. وفي الذين لا يعلمون قولان: أحدهما: أنهم

(١) «مجاز القرآن» ٣٦١/١، و«الطبري» ١١٨/١٤، و«القرطبي» ١١٤/١٠.

(٢) «ديوانه» ٩، و«مختار الشعر الجاهلي» ١٥٩، و«مجاز القرآن» ١٨٤/٢، وقد فسر قوله: «ناصب» أي: ذو نصب، وبمعنى: منصب.

الجاعلون، وهم المشركون، والمعنى: لما لا يعلمون لها ضرراً ولا نفعاً؛ فمفعول العلم محذوف، وتقديره: ما قلنا، هذا قول مجاهد، وقادة. والثاني: أنها الأصنام التي لا تعلم شيئاً، وليس لها حس ولا معرفة، وإنما قال: يعلمون، لأنهم لما نحلوها الفهم، أجراها مجرى مَنْ يعقل على زعمهم، قاله جماعة من أهل المعاني. قال المفسرون: وهؤلاء مشركو العرب جعلوا لأوثانهم جزءاً من أموالهم، كالبحيرة والسائبة وغير ذلك مما شرحناه في [الأنعام: ١٣٩].

قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَأُنْتَبِذَنَّ﴾ رجع عن الإخبار عنهم إلى الخطاب لهم، وهذا سؤال توبيخ.

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنِينَ﴾ قال المفسرون: يعني: خزاعة وكنانة، زعموا أن الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَنَهُمْ﴾ أي: تنزه عما زعموا. ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ يعني: البنين. قال أبو سليمان: المعنى: ويتمنون لأنفسهم الذكور.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى﴾ أي: أخبر بأنه قد وُلد له بنت ﴿عَظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا﴾ قال الزجاج: أي: متغيراً تغير مغنم، يقال لكل من لقي مكروهاً: قد اسود وجهه غمّاً وحزناً.

قوله تعالى: ﴿رَوْحٌ كَرِيمٌ﴾ أي: يكظم شدة وجده، فلا يظهره، وقد شرحناه في سورة [يوسف: ٨٤].

قوله تعالى: ﴿يَرْزُقْنِي مِنَ الْقُرْآنِ﴾ قال المفسرون: وهذا صنيع مشركي العرب، كان أحدهم إذا ضرب امرأته المخاض، تورى إلى أن يعلم ما يولد له، فإن كان ذكراً، سر به، وإن كانت أنثى، لم يظهر أياماً يُدَبَّر كيف يصنع في أمرها، وهو قوله: ﴿إِنِّي كُنْتُ عَلَىٰ هُونٍ﴾ فإلهاء ترجع إلى ما في قوله: ﴿مَا يَبْتَغِي بَيْتِي﴾، والهون في كلام العرب: الهوان. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبيدة، والجاحدري: «على هوان»، والدس: إخفاء الشيء في الشيء، وكانوا يدفنون البنات وهي حية «ألا ساء ما يَحْكُمُونَ» إذ جعلوا لله البنات اللاتي محلنّ منهن هذا، ونسبهن إلى الولد، وجعلوا لأنفسهم البنين. ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْأَكْلُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي: صفة السوء من احتياجهن إلى الولد، وكرهتهن للإناث، خوف الفقر والعار. ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَكْبَرُ﴾ أي: الصفة العليا من تنزهه وبرأته من الولد.

﴿وَلَوْ يَرَىٰ إِذُ اللَّهُ النَّاسَ يُظْلِمُونَ نَارَ رَبِّكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّهِ وَلَٰكِنْ يُؤْخِرُهُمْ إِلَهُ أَجَلٍ مُّسَمًّى فإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِيرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقِيمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَىٰ إِذُ اللَّهُ النَّاسَ يُظْلِمُونَ﴾ أي: بشركهم ومعاصيهم، كلما وُجد شيء منهم أخذوا به ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهِمَا﴾ يعني: الأرض، وهذه كناية عن غير مذكور، غير أنه مفهوم، لأن الدواب إنما هي على الأرض. وفي قوله: ﴿مِنْ دَابَّهِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عنى جميع ما يدب على وجه الأرض، قاله ابن مسعود. قال قتادة: وقد فعل ذلك في زمن نوح عليه السلام، وقال السدي: المعنى: لأحط المطر فلم تبق دابة إلا هلكت، وإلى نحوه ذهب مقاتل. والثاني: أنه أراد من الناس خاصة، قاله ابن جريج. والثالث: من الإنس والجن، قاله ابن السائب، وهو اختيار الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ يُؤْخِرُهُمْ إِلَهُ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو منتهى آجالهم، وباقي الآية قد تقدم [الأعراف: ٣٤].

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْفُرُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنْ لَهُمُ اللَّسْتُ لَا جَرَمَ أَنْ هُمْ الْأَنَارُ وَآلَتُهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْفُرُونَ﴾ المعنى: ويحكمون له بما يكرهونه لأنفسهم، وهو البنات، ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ﴾ أي: تقول الكذب، وقرأ أبو العالية، والنخعي، وابن أبي عبيدة: «الكذب» بضم الكاف والذال. ثم فسر ذلك الكذب بقوله: ﴿أَنْ لَهُمُ اللَّسْتُ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها البنون، قاله مجاهد، وقادة، ومقاتل. والثاني: أنها الجزاء الحسن من الله تعالى، قاله الزجاج. والثالث: [أنها] الجنة، وذلك أنه لما وعد الله المؤمنين الجنة، قال المشركون: إن كان ما تقولونه حقاً، لندخلنّها قبلكم، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ قد شرحناها فيما مضى [مرء: ٢٢]. وقال الزجاج: «لا» ردّ لقولهم، والمعنى: ليس ذلك ما وصفوا «جرم» أن لهم النار، المعنى: جزم فعلهم، أي: كسب فعلهم هذا ﴿أَنْ لَهُمُ الْأَنَارُ وَآلَتُهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ وفيه أربعة أوجه، قرأ الأكثرون: «مُفْرَطُونَ» بسكون الفاء وتخفيف الراء وفتحها، وفي معناها قولان: أحدهما: مُفْرَطُونَ، قاله ابن عباس. وقال الفراء: منسيون في النار. والثاني: مُعْجَلُونَ، قاله ابن عباس أيضاً. وقال ابن قتبية: مُعْجَلُونَ إلى

النار. قال الزجاج: معنى «الفرط» في اللغة: المتقدم، فمعنى «مفرطون»: مقدّمون إلى النار، ومن فسرها «مُتْرَكُونَ» فهو كذلك [أيضاً]، أي: قد جعلوا مقدّمين إلى العذاب أبداً، متروكين فيه. وقرأ نافع، ومجيب<sup>(١)</sup> عن أبي عمرو، وقتيبة<sup>(٢)</sup> عن الكسائي «مُفْرَطُونَ» بسكون الفاء وكسر الراء وتخفيفها، قال الزجاج: ومعناها: أنهم أفرطوا في معصية الله. وقرأ أبو جعفر وابن أبي عبله «مُفْرَطُونَ» بفتح الفاء وتشديد الراء وكسرهما، قال الزجاج: ومعناها: أنهم فرطوا في الدنيا فلم يعملوا فيها للآخرة، وتصديق هذه القراءة «بَحْرَتِكَ عَلَى مَا قَرَطْتَ فِي جَنِّبِ اللَّهِ» [الزمر: ٥٦]. وروى الوليد بن مسلم عن ابن عامر «مُفْرَطُونَ» بفتح الفاء والراء وتشديدها، قال الزجاج: وتفسيرها كتفسير القراءة الأولى، فالمفرط والمفرط بمعنى واحد.

﴿ثُمَّ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَيْنَ كُفَّ أَلَيْسَ لَكُمُ الشَّيْطَانُ أَغْنَاهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا نَذِيرًا لِّأُولَئِكَ لِيُخَوِّفُوا فِي ذُنُوبِهِمْ وَلَهُمْ يَوْمَئِذٍ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: «ثُمَّ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ» قال المفسرون: هذه تعزية للنبي ﷺ «فَرَيْنَ كُفَّ أَلَيْسَ لَكُمُ الشَّيْطَانُ أَغْنَاهُمْ» الخبيثة حتى عصوا وكذبوا، «فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ» فيه قولان: أحدهما: أنه يوم القيامة، قاله ابن السائب، ومقاتل، كأنهما أرادا: فهو وليهم يوم تكون لهم النار. والثاني: أنه الدنيا، فالمعنى: فهو مواليهم في الدنيا «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» في الآخرة، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: «إِلَّا نَذِيرًا لِّأُولَئِكَ» يعني: الكفار «الَّذِينَ أَخْلَفُوا فِيهِ» أي: ما خالفوا فيه المؤمنين من التوحيد والبعث والجزاء، فالمعنى: أنزلناه بياناً لما وقع فيه الاختلاف.

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٤﴾ وَإِنَّ لَكُمُ فِي الْأَنْهَارِ لَآيَةً لِّمَن يُشِيرُ كَيْفَ يُبْطِلُوهُ مِنْ بَيْنِ قَوْمٍ وَدَرِ بَنَاتٍ خَالِصًا سَائِبًا لِلشَّيْطَانِ ﴿٦٥﴾ وَمِنْ نَّمْرُوتَ النَّجِيلِ وَالْأَخْطَبِ لَنَجِدُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَزُفًّا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦٦﴾﴾

قوله تعالى: «وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» يعني: المطر «فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» أي: بعد يبسها «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ» أي: يعتبرون.

قوله تعالى: «وَإِنَّ لَكُمُ فِي الْأَنْهَارِ لَآيَةً لِّمَن يُشِيرُ» قرأ أبو عمرو، وابن كثير، وحمزة، والكسائي: «نُسْقِيكُمْ» بضم النون، ومثله في [المؤمنين: ٢١]. وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «نُسْقِيكُمْ» بفتح النون فيهما. وقرأ أبو جعفر: «نُسْقِيكُمْ» ببناء مفتوحة، وكذلك في [المؤمنين: ٢١] وقد سبق بيان الأنعام. وذكرنا معنى «العبرة» في [آل عمران: ١٣]، والفرق بين «سقى» و«أسقى» في [الحجر: ٢٢]. فأما قوله: «بَيْنَ فِي بَطُونٍ» فقال الفراء: النعم والأنعام شيء واحد، وهما جمعان، فرجع التذكير إلى معنى «النعم» إذ كان يؤدي عن الأنعام، أنشدني بعضهم:

وَطَلَبَ الْبَنَاتِ الْفَقَاحَ وَيَرْزُ

فرجع إلى اللب، لأن اللب واللبان في معنى؛ قال: وقال الكسائي: أراد: نسقيكم مما في بطون ما ذكرنا، وهو صواب، أنشدني بعضهم:

مِثْلَ الْفُورِاخِ تُبْقِثُ حَوَاصِلُهُ

وقال المبرّد: هذا فاضٍ في القرآن، كقوله للشمس: «هَذَا كَيْفَ» [الأنعام: ٧٨] يعني: هذا الشيء الطالع، وكذلك «وَلِيَّ مَرْثَلَةٍ لِّيَوْمٍ يَهْدِيهِمْ» ثم قال: «فَلَمَّا جَاءَ سَلْبَنٌ» [النمل: ٣٥، ٣٦] ولم يقل: «جاءت» لأن المعنى: جاء الشيء الذي

(١) هو محمد بن الحسن بن هلال بن أبي زئب، فيروز، أبو جعفر، أو أبو الحسن، لقبه محبوب، حدث عنه أحمد بن حنبل، ومحمد بن سنان القزاز، وأخرج له البخاري، وقال ابن معين: لا بأس به.

(٢) هو أبو عبد الرحمن قتيبة بن مهراز الأذافاني (قرية من أصبهان) إمام مقرر صالح ثقة، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن الكسائي، روي عنه أنه قال: قرأت القرآن من أوله إلى آخره على الكسائي، وقرأ الكسائي القرآن من أوله إلى آخره علي، وقال: صحبت الكسائي إحدى وخمسين سنة، وشاركته في عامة أصحابه.

(٣) الرجز غير منسوب في «الطبري» ١٤/١٣١، و«اللسان»: كند.

(٤) «الطبري» ١٤/١٣٢، و«اللسان»: نعم.

ذكرنا، وقال أبو عبيدة: الهاء في «بطونه» للبعض، والمعنى: تُسقيكم مما في بطون البعض الذي له لبن، لأنه ليس لكل الأنعام لبن، وقال ابن قتيبة: ذهب بقوله: «مما في بطونه» إلى التَّعَم، والتَّعَم تَذَكَّر وتَوَثَّث، والقرث: ما في الكرش، والمعنى: أن اللبن كان طعاماً، فخلص من ذلك الطعام دم، وبقي منه قرث في الكرش، وخلص من ذلك الدم ﴿لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ أي: سهلاً في الشرب لا يشجى به شارب، ولا يَغْضُ. وقال بعضهم: سائغاً، أي: لا تعافه النفس وإن كان قد خرج من بين قرث ودم، وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: إذا استقر العَلَف في الكرش، طحنه، فصار أسفله قرثاً، وأعله دماً، وأوسطه لبناً، والكبد مسلطة على هذه الأصناف الثلاثة، فيجري الدم في العروق، واللبن في الضرع، ويبقى القرث في الكرش.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّجِيلِ وَالأَعْنَابِ﴾ تقدير الكلام: ولكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكرًا. والعرب تضمّر «ما» كقوله: ﴿وَلَبَّاءُ رَأَيْتُمْ﴾ [الإنسان: ٢٠] أي: ما تُم. والكنية في «منه» عائدة على «ما» المضمرة. وقال الأخفش: إنما لم يقل: منهما، لأنه أضمر الشيء، كأنه قال: ومنها شيء تتخذون منه سكرًا. وفي المراد بالسكر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الخمر، قاله ابن مسعود، وابن عمر، والحسن، وسعيد بن جبيرة، ومجاهد، وإبراهيم ابن أبي ليلى، والزجاج، وابن قتيبة. وروى عمرو بن سفيان عن ابن عباس قال: السكرُ: ما حرّم من ثمرتها، وقال هؤلاء المفسرون: وهذه الآية نزلت إذ كانت الخمرة مباحة، ثم نسخ [ذلك] بقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠] ومن ذكر أنها منسوخة، سعيد بن جبيرة، ومجاهد، والشعبي، والنخعي. والثاني: أن السكر: الخل، بلغة الحبشة، رواه العوفي عن ابن عباس. قال الضحاك: هو الخل، بلغة اليمن. والثالث: أن «السكر» الطَّعْم، يقال: هذا له سكر، أي: طعم، وأنشدوا:

جَعَلْتُ عَيْنَبَ الْأَنْمَرِ مِثْنَ سَكَّرَا<sup>(١)</sup>

قاله أبو عبيدة. فعلى هذين القولين، الآية محكمة. فأما الرزق الحسن، فهو ما أُجِلَّ منهما، كالتمر والعنب، والزبيب، والخل، ونحو ذلك.

﴿وَأَرْزَقْنَاهُ رَزْقًا إِلَى الْآخِرَةِ مِنْ غَيْرِ حِسَابٍ﴾ وفي قوله: ﴿وَمِمَّا يَرْضَوْنَ﴾ ثم كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْتَلْكَ سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا شَرَابٌ غَلِيظٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَرْزَقْنَاهُ رَزْقًا إِلَى الْآخِرَةِ﴾ في هذا الوحي قولان: أحدهما: أنه إلهام، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والضحاك، ومقاتل. والثاني: أنه أمر، رواه العوفي عن ابن عباس. وروى ابن مجاهد عن أبيه قال: أرسل إليها. والنحل: زبابير العسل، واحدها نحلة. و«يَرْضَوْنَ» يجعلونه عريشاً. وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم «يَرْضَوْنَ» بضم الراء، وهما لغتان، يقال: «يعرش» و«يعرشون» مثل «يعكف» و«يعكفون». ثم فيه قولان: أحدهما: ما يَرْضَوْنَ من الكروم، قاله ابن زيد. والثاني: أنها سقوف البيوت، قاله الفراء. وقال ابن قتيبة: كل شيء عَرِش، من كرم، أو نبات، أو سقف، فهو عَرِش، ومعروش. وقيل: المراد بـ «مما يَرْضَوْنَ»: مما يبنون لهم من الأماكن التي تلقى فيها العسل، ولولا التسخير، ما كانت تأوي إليها.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: من الثمرات، و«كل» هاهنا ليست على العموم، ومثله قوله: ﴿تَذَكَّرْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأحاف: ٢٥]. قال الزجاج: فهي تأكل الحامض، والمر، وما لا يوصف طعمه، فيحيل الله ﴿كُلِّي مِنْ ذَلِكَ عِسلاً﴾.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَلْكَ سُبُلَ رَبِّكَ السَّبِيلَ الطَّرِيقَ﴾ وهي التي يطلب فيها الرعي. و«الذَّلُّل» جمع ذلول. وفي الموصوف بها قولان: أحدهما: أنها السَّبِيل، فالمعنى: اسلكي السَّبِيلَ مُذَلَّلَةً لَكَ، فلا يتوَعَّر عليها مكان سلكته، وهذا قول مجاهد، واختيار الزجاج. والثاني: أنها النحل، فالمعنى: إنك مُذَلَّلَةٌ بالتسخير لبني آدم، وهذا قول قتادة، واختيار ابن قتيبة.

(١) «مجاز القرآن» ٣/١، «الطبري» ١٤/١٣٨، «القرطبي» ١٠/١٢٩، و«اللسان»، و«التاج»: سكر.

قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ مِنْ بَطْنِهَا شَرَابًا﴾ يعني: العسل: ﴿تَخْلُفُ الْوَلَدُ﴾ قال ابن عباس: منه أحمر، وأبيض، وأصفر. قال الزجاج: [يخرج] من بطونها، إلا أنها تلقيه من أفواهها، وإنما قال: من بطونها، لأن استحالة الأظفمة لا تكون إلا في البطن، فيخرج كالريق الدائم الذي يخرج من فم ابن آدم.

قوله تعالى: ﴿يَبْرِئُ شِفَاءً لِّثَنَيْنِ﴾ في هاء الكناية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى العسل، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود. واختلفوا، هل الشفاء الذي فيه يختص بمرض دون غيره، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه عام في كل مرض. قال ابن مسعود: العسل شفاء من كل داء. وقال قتادة: فيه شفاء للناس من الأدواء. وقد روى أبو سعيد الخدري قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال: «اسقه عسلاً» فسقاه، ثم أتى فقال: قد سقيته فلم يزد إلا استطلاقاً، قال: «اسقه، عسلاً»، فذكر الحديث... إلى أن قال: فَشَفِي، إما في الثالثة، وإما في الرابعة، فقال رسول الله ﷺ: «صدق الله، وكذب بطن أخيك» أخرجه البخاري، ومسلم<sup>(١)</sup>. ويعني بقوله: «صدق الله»: هذه الآية. والثاني: فيه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه، قاله السدي. والصحيح أن ذلك خرج مخرج الغالب. قال ابن الأنباري: الغالب على العسل أنه يعمل في الأدواء، ويدخل في الأدوية، فإذا لم يوافق أحاد المرضي، فقد وافق الأكثرين، هذا كقول العرب: الماء حياة كل شيء، وقد نرى من يقتله الماء، وإنما الكلام على الأغلب. والثاني: أن الهاء ترجع إلى الاعتبار. والشفاء: بمعنى الهدى، قاله الضحاك. والثالث: أنها ترجع إلى القرآن، قاله مجاهد.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَرْزُقُكُمْ وَاللَّهُ أَرْزَاكُمْ أَمْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ذَكِيرٌ ﴿٧١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ أي: أوجدكم ولم تكونوا شيئاً ﴿ثُمَّ يَرْزُقُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم، ﴿وَيَرْزُقُكُمْ تَنْ بَرُّهُ﴾ إلى أرزاقكم وهو أرزؤه، وأذوته، وهي حالة الهرم. وفي مقداره من السنين ثلاثة أقوال: أحدها: خمس وسبعون سنة، قاله علي بن أبي طالب. والثاني: تسعون سنة، قاله قتادة. والثالث: ثمانون سنة، قاله قطرب.

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ لَا يَمْلِكُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ قال الفراء: لكي لا يعقل من بعد عقله الأول شيئاً. وقال ابن قتيبة: أي: حتى لا يعلم بعد علمه بالأمور شيئاً، لشدة هرمه. وقال الزجاج: المعنى: أن منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرقاً، فيصير بعد أن كان عالماً جاهلاً، ليرىكم من قدرته، كما قيل على إمامته وإحيائه، أنه قادر على نقله من العلم إلى الجهل. وروى عطاء عن ابن عباس أنه قال: ليس هذا في المسلمين، المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله، وعقلاً، ومعرفة. وقال عكرمة: من قرأ القرآن، لم يرد إلى أرذل العمر.

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى الْبَعْضِ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِي كَفَرُوا بِرِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبُغِيتُمْ أَفَبُغِيتُمْ أَفَبُغِيتُمْ﴾

يَحْمَدُونَ ﴿٧٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى الْبَعْضِ فِي الرِّزْقِ﴾ يعني: فضل السادة على المماليك ﴿فَمَا الَّذِي كَفَرُوا﴾ يعني: السادة ﴿بِرِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ فعبثت «ما» عن «من» لأنه موضع إيهام، تقول: ما في الدار؟ فيقول المخاطب: رجلان أو ثلاثة، ومعنى الآية: أن المولى لا يرد على ما ملكت يمينه من ماله حتى يكون المولى والمملوك في المال سواء، وهو مثل ضربه الله تعالى للمشركين الذين جعلوا الأصنام شركاء له، والأصنام ملكاً له، يقول: إذا لم يكن عبيدكم معكم في الملك سواء، فكيف جعلون عبيدي معي سواء، وتعرضون لي ما تأنفون لأنفسكم منه؟! وروى العوفي عن ابن عباس، قال: لم يكونوا أشركوا عبيدهم في أموالهم ونسائهم، فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني؟ وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: نزلت في نصارى نجران حين قالوا: عيسى ابن الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿أَفَبُغِيتُمْ أَفَبُغِيتُمْ أَفَبُغِيتُمْ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم: «تَجِدُونَ» بالتاء. وفي هذه النسخة قولان: أحدهما: حُجَّتْ وهذا وجه. والثاني: فضله ورزقه.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَحْسِلَ لَكُمْ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الْكَثِيبِ أَقْبَالَطِلَ يُؤْمِنُونَ وَيُحْسِنُ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَسْتَدِينُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَحْزَنُوا لِلَّذِي الْأَنْشَاءُ إِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني النساء. وفي معنى «من أنفسكم» قولان: أحدهما: أنه خلق آدم، ثم خلق زوجته منه، قاله قتادة. والثاني: «من أنفسكم»، أي: من جنسكم من بني آدم، قاله ابن زيد. وفي الحفدة خمسة أقوال: أحدها: أنهم الأصهار، أختان الرجل على بناته، قاله ابن مسعود، وابن عباس في رواية، ومجاهد في رواية، وسعيد بن جبير، والنخعي، وأنشدوا من ذلك:

ولرأى نفسي طاعتني لأضبح  
لها حقد ومما يُعدُّ كثير  
ولكنها نفس علي أبيّة  
عيُرف لأصهار اللثام قنور<sup>(١)</sup>

والثاني: أنهم الخدم، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في رواية الحسن، وطاوس وعكرمة في رواية الضحاك، وهذا القول يحتمل وجهين: أحدهما: أنه يراد بالخدم: الأولاد، فيكون المعنى: أن الأولاد يخدمون. قال ابن قتيبة: الحفدة: الخدم والأعوان، فالمعنى: هم بنون، وهم خدم. وأصل الحفدة: مداركة الخطو والإسراع في المشي، وإنما يفعل الخدم هذا، ف قيل لهم: حفدة. ومنه يقال في دعاء الوتر: «وإليك نسعى ونحفد». والثاني: أن يراد بالخدم: المماليك، فيكون معنى الآية: وجعل لكم من أزواجكم بنين، وجعل لكم حفدة من غير الأزواج، ذكره ابن الأنباري. والثالث: أنهم بنو امرأة الرجل من غيره، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والرابع: [أنهم] ولد الولد، رواه مجاهد عن ابن عباس. والخامس: أنهم: كبار الأولاد، والبنون: صغارهم، قاله ابن السائب، ومقاتل. قال مقاتل: وكانوا في الجاهلية تخدمهم أولادهم. قال الزجاج: وحقيقة هذا الكلام أن الله تعالى جعل من الأزواج بنين، ومن يعاون على ما يحتاج إليه بسرعة وطاعة.

قوله تعالى: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الْكَثِيبِ﴾ قال ابن عباس: يريد: من أنواع الثمار والحبوب والحيوان.

قوله تعالى: ﴿أَقْبَالَطِلَ يُؤْمِنُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الأصنام، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الشريك والصاحبة والولد، فالمعنى: يصدّقون أن الله ذلك؟ قاله عطاء. والثالث: أنه الشيطان، أمرهم بتحريم البحيرة والسائبة، فصدّقوا. وفي المراد بـ «نعمة الله» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها التوحيد، قاله ابن عباس. والثاني: القرآن، والرسول. والثالث: الحلال الذي أحله الله لهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَدِينُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا﴾ وفي المشار إليه قولان: أحدهما: أنها الأصنام، قاله قتادة. والثاني: الملائكة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿مِنْ السَّمَوَاتِ﴾ يعني: المطر، ﴿وَمِنْ الْأَرْضِ﴾ النبات، والثمر.

قوله تعالى: ﴿شَيْئًا﴾ قال الأخفش: جعل «شيئاً» بدلاً من الرزق، والمعنى: لا يملكون رزقاً قليلاً ولا كثيراً، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: لا يقدرّون على شيء. قال الفراء: وإنما قال في أول الكلام: «يملك» وفي آخره: «يستطيعون»؛ لأن «ما» في مذهب: جمع لأهنتهم، فوحد «يملك» على لفظ «ما» وتوحيدها، وجمع في «يستطيعون» على المعنى، كقوله: ﴿وَيَتَمَّمْنَ تَنْ يَسْتَعِينُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٢].

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْزَنُوا لِلَّذِي الْأَنْشَاءُ﴾ أي: لا تشبهوه بخلقه، لأنه لا يُشبه شيئاً، ولا يُشبه شيء، فالمعنى: لا تجعلوا له شريكاً. وفي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: يعلم ضرب المثل، وأنتم لا تعلمون ذلك، قاله ابن السائب. والثاني: يعلم أنه ليس له شريك، وأنتم لا تعلمون أنه ليس له شريك، قاله مقاتل. والثالث: يعلم خطأ ما تضربون من الأمثال، وأنتم لا تعلمون صواب ذلك من خطئه. والرابع: يعلم ما كان



ويكون، وأنتم لا تعلمون قدر عظمتهم حين أشركتم به، ونسبتموه إلى العجز عن بعث خلقه.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُفْنِقُ بِهِ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِيَنَّ اللَّهُ إِلَيْنَا بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ذَرَجَتَيْنِ أَحَدَهُمَا آبُكُمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ أي: بَيَّنَّ شَبَهًا فِيهِ بَيَانُ الْمَقْصُودِ، وفيه قولان: أحدهما: أنه مَثَلٌ للمؤمن والكافر. فالذي ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ هو الكافر، لأنه لا خير عنده، وصاحب الرزق هو المؤمن، ابن لما عنده من الخير، هذا قول عباس، وقتادة. والثاني: أنه مَثَلٌ ضربه الله تعالى لنفسه وللأوثان، لأنه مالك كل شيء، وهي لا تملك شيئاً، هذا قول مجاهد، والسدي. وذكر في التفسير أن هذا المَثَلُ ضُربَ يقوم كانوا في زمن رسول الله ﷺ، وفيهم قولان: أحدهما: أن المملوك: أبو الجوار<sup>(١)</sup>، وصاحب الرزق الحسن: سيده هشام بن عمرو، رواه عكرمة عن ابن عباس. وقال مقاتل: المملوك: أبو الحواجر. والثاني: أن المملوك: أبو جهل بن هشام، وصاحب الرزق الحسن: أبو بكر الصديق ﷺ، قاله ابن جريج. فأما قوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِي﴾ ولم يقل: يستويان، لأن المراد: الجنس. وقال ابن الأنباري: لفظ ﴿مَنْ﴾ لفظ توحيد، ومعناها معنى الجمع، ولم يقع المَثَلُ بعبد معين، ومالك معين، لكن عُنيَ بهما جماعة عبيد، وقوم مالكون، فلما فارق من تأويل الجمع، جمع عائدها لذلك.

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: هو المستحق للحمد، لأنه المنعم، ولا نعمة للأصنام، يعني المشركين ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ أن الحمد لله. قال العلماء: وصف أكثرهم بذلك، والمراد: جميعهم.

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ذَرَجَتَيْنِ أَحَدَهُمَا آبُكُمُ﴾ قد فسرنا «الْبِكْمُ» في [البقرة: ١٨]. ومعنى ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: من الكلام، لأنه لا يفهم ولا يفهم عنه. ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يُثقل على وليه وقرباته. وفيمن أريد بهذا المَثَلُ أربعة أقوال: أحدها: أنه مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، فالكافر هو الأبكم، والذي يأمر بالعدل [هو] المؤمن، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في عثمان بن عفان، هو الذي يأمر بالعدل، وفي مولى له كان يكره الإسلام وينهى عثمان عن التَّفَقُّعِ في سبيل الله، وهو الأبكم، رواه إبراهيم بن يعلى بن مثنى عن ابن عباس. والثالث: أنه مثل ضربه الله تعالى لنفسه، وللوثن. فالوثن: هو الأبكم، والله تعالى: هو الأمر بالعدل، وهذا قول مجاهد، وقتادة، وابن السائب، ومقاتل. والرابع: أن المراد بالأبكم: أبي بن خلف، وبالذي يأمر بالعدل: حمزة. وعثمان بن عفان، وعثمان بن مظعون، قاله عطاء. فيخرج على هذه الأقوال في معنى «مولاه» قولان: أحدهما: أنه مولى حقيقة، إذا قلنا: إنه رجل من الناس. والثاني: أنه بمعنى الولي، إذا قلنا: إنه الصنم، فالمعنى: وهو يُثقل على وليه الذي يخدمه ويزينه. ويخرج في معنى «أينما تُوجَّه» قولان. إن قلنا: إنه رجل، فالمعنى: أينما يرسله. والتوجيه: الإرسال في وجه من الطريق. وإن قلنا: إنه الصنم، ففي معنى الكلام قولان: أحدهما: أينما يدعو، لا يجيبه، قاله مقاتل. والثاني: أينما تُوجَّه تأميله إِيَّاهُ ورجاه له، لا يأتيه ذلك بخير، فحذف التأميل، وخلفه الصنم، كقوله: ﴿هَذَا وَعَدَتُنَا عَلَى رُسُلِكِ﴾ [آل عمران: ١٩٤] أي: على السنة رسلك. وقرأ البزي عن ابن محيصن «أينما تُوجَّه» بالياء على الخطاب. فأما قوله: ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ فإن قلنا: هو رجل، فإنما كان كذلك، لأنه لا يفهم ما يقال له، ولا يفهم عنه، إما لكفره وجحوده، أو لبيكم به. وإن قلنا: إنه الصنم، فلكونه جماداً. ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾ أي: هذا الأبكم ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أي: ومن هو قادر على التكلم، ناطق بالحق.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أُنْشِرُ الْأَسَاوِ إِلَّا كَلَيْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قد ذكرناه في آخر [مرد: ١٢٣] وسبب نزول هذه الآية أن كفار مكة سألوا رسول الله ﷺ: متى الساعة؟ فنزلت هذه، قاله مقاتل. وقال ابن السائب: المراد بالغيب هاهنا: قيام الساعة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْشِرُ الْأَسَاوِ﴾ يعني: القيامة: ﴿إِلَّا كَلَيْحِ الْبَصَرِ﴾ واللمح: النظر بسرعة، والمعنى: إن القيامة

في سرعة قيامها وبعث الخلائق، كلمح العين، لأن الله تعالى يقول: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]. ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ قال مقاتل: بل هو أسرع. وقال الزجاج: ليس المراد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر، ولكنه يصف سرعة القدرة على الإتيان بها متى شاء.

﴿وَاللَّهُ أَقْرَبُكُمْ مِنْ بَطُونِ أَمْهَانِكُمْ لَا تَلْبُثُونَ فِيهَا وَلَكِنَّكُمْ أَتَّخَذْتُمْ لِكُلِّ قَرْيَةٍ ثَمَرًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَقْرَبُكُمْ مِنْ بَطُونِ أَمْهَانِكُمْ﴾ قرأ حمزة «إمهايتكم» بكسر الألف والميم، وقرأ الكسائي بكسر الألف وفتح الميم، والباقون بضم الألف وفتح الميم، وكذلك في [النور: ٦١] و [الزمر: ٦١] و [النجم: ٣٢]، ولا خلاف بينهم في الابتداء بضم الهمزة.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ لفظه لفظ الواحد، والمراد به الجميع، وقد بيّنا علة ذلك في أول [البقرة: ١٧]. ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾: جمع فؤاد. قال الزجاج: مثل: غراب وأغربة، ولم يجمع «فؤاد» على أكثر العدد، لم يقل فيه: «فئدان» مثل غراب وغريان. وقال أبو عبيدة: وإنما جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة قبل أن يخرجهم، غير أن العرب تقدّم وتؤخّر، وأنشد:

صَحْمٌ تَعَلَّقَ أَشْنَاقُ الدِّيَاتِ بِهِ      إِذَا الْمِؤُودُونَ أَمِرتْ فَوْقَهُ حَمَلًا<sup>(١)</sup>  
[الشَّنَقُ: ما بين الفريضتين]. والمِؤُودُونَ أعظم من الشَّنَقِ، فبدأ بالأقل قبل الأعظم. قال المفسرون: ومقصود الآية: أن الله تعالى أبان نعمه عليهم حيث أخرجهم جهلاً بالأشياء، وخلق لهم الآلات التي يتوصلون بها إلى العلم. ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ شَرِّ السَّمَكِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَكِ﴾ قال الزجاج: هو الهواء البعيد من الأرض.

قوله تعالى: ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: ما يمسكهن عند قبض أجنتهن وبسطها أن يقعن على الأرض إلا الله، قاله الأكثرون. والثاني: ما يمسكهن أن يرسلن الحجارة على شرار هذه الأمة، كما فُعلَ بغيرهم، إلا الله، قاله ابن السائب.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُدُودِ الْأَنْفَارِ بُيُوتًا فَتَسْكُنُونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامِكُمْ وَمِنْ أَسْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَثَمَنًا إِلَى حَبِيبٍ﴾ واللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكَنَاتًا وَجَعَلَ لَكُم مَزَاجَ نَقِيعِكُمُ الْحَرِّ وَمَزَاجَ نَقِيعِكُمُ الْبَرِّ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ لَكُمْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٨٢﴾ يَتَوَفَّوْنَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٨٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ أي: موضعاً تسكنون فيه، وهي المساكن المتخذة من الحجر والمدر تستر العورات والمحرّم<sup>(٢)</sup>. وذلك أن الله تعالى خلق الخشب والمدر والآلة التي بها يمكن بناء البيت وتسقيفه، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُدُودِ الْأَنْفَارِ بُيُوتًا﴾ وهي القباب والخيم المتخذة من الأدم ﴿فَتَسْكُنُونَهَا﴾ أي: يخفّ عليكم حملها ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو «ظعنكم» بفتح العين. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بتشكين العين، وهما لغتان، كالشعر والشعر، والنهر والنهر، والمعنى: إذا سافرتهم، ﴿وَيَوْمَ إِقَامِكُمْ﴾ أي: لا تثقل عليكم في الحالين. ﴿وَمِنْ أَسْوَافِهَا﴾ يعني: الضان ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ يعني: الإبل ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ يعني: المعز ﴿أَثْنَا﴾ قال الفراء: الأثاث: المتاع، لا واحد له، كما أن المتاع لا واحد له. والعرب تقول: جمع المتاع أمتعة، ولو جمعت الأثاث، لقلت: ثلاثة أثاث، وأث: مثل أعة وغث لا غير. وقال ابن قتيبة: الأثاث: متاع البيت من الفرش والأكسية. قال أبو زيد: واحد الأثاث: أثانة. وقال الزجاج: يقال: قد أثَّ يَأْثُ أَثًا: إذا صار ذا أثاث. وروي عن الخليل أنه قال: أصله من الكثرة واجتماع بعض المتاع إلى بعض، ومنه: شَرَّ أَثِيث. فاما قوله: ﴿وَمِمَّا﴾ فقليل: إنما جمع بينه

(١) البيت للأخطى: «ديوانه» ١٤٣، «ومجاز القرآن» ١/ ٣٦٤، «واللسان»: شق، وفيه: وصفه بتحمل الديات وما دون الديات، فيؤيدها ليصلح بين العشائر ويحقن الدماء. وانظر رد ابن قتيبة على تفسير أبي عبيدة للأشفاق في «اللسان».

(٢) حُرْمُ الرَّجُلِ: عياله ونسأوه وما يحمي.

وبين الأثاث، لاختلاف اللفظين. وفي قوله: ﴿إِلَّا حِينَ﴾ قولان: أحدهما: أنه الموت، والمعنى: يتنفعون به إلى حين الموت، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنه إلى حين البلى، فالمعنى: إلى أن يَبْلَى ذلك الشيء، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ أي: ما يقيكم حر الشمس، وفيه خمسة أقوال: أحدها: أنه ظلال الغمام، قاله ابن عباس. والثاني: ظلال البيوت، [قاله ابن السائب. والثالث: ظلال الشجر، قاله قتادة، والزجاج. والرابع: ظلال الشجر والجبال] <sup>(١)</sup>، قاله ابن قتيبة. والخامس: أنه كل شيء له ظل من حائط، وسقف، وشجر، وجبل، وغير ذلك، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ أي: ما يَكُنُّكُمْ من الحرِّ والبرد، وهي الغيران والأسراب. وواحد الأكنان «كِنٌّ» وكل شيء وقى شيئاً وستره فهو «كِنٌّ». ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَايِلَ﴾ وهي القميص «تَقِيكُمْ الْحَرَّ» ولم يقل: البرد، لأن ما وقى من الحر، وقى من البرد، وأنشد:

وَمَا أَذْرِي إِذَا يَمُنُّنْتُ أَرْضًا  
أُرِيدُ الْحَيْرَ اثْنَهُمَا يَلِينِي <sup>(٢)</sup>  
وقال الزجاج: إنما خص الحر، لأنهم كانوا في مكاناتهم أكثر معاناةً له من البرد، وهذا مذهب عطاء الخراساني.

قوله تعالى: ﴿وَسَرَّيِلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُنُكُمْ﴾ يريد الدروع التي يَتَّقُونَ بها شدة الطعن والضرب في الحرب. قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَنْتَهِ سَمْعُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: مثلما أنعم الله عليكم بهذه الأشياء، يتم نعمته عليكم في الدنيا ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ والخطاب لأهل مكة، وكان أكثرهم حينئذ كفاراً، ولو قيل: إنه خطاب للمسلمين، فالمعنى: لعلكم تدومون على الإسلام، وتقومون بحقه. وقرأ ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وأبو رجاء: «لعلكم تَسْلَمُونَ» بفتح التاء واللام، على معنى: لعلكم إذا لبستم الدروع تَسْلَمُونَ من الجراح في الحرب.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ وهذه عند المفسرين منسوخة بآية السيف. قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ وفي هذه النعمة قولان: أحدهما: أنها [المساكن] نعم الله ﷻ عليهم في الدنيا. وفي إنكارها ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم يقولون: هذه ورثناها [عن آبائنا]. روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: يَنِمُّ الله: المساكن، والأنعام، وسرايل الثياب، والحديد، يعرفه كفار قريش، ثم ينكرونها بأن يقولوا: هذا كان لأبائنا ورثناه عنهم، وهذا عن مجاهد. والثاني: أنهم يقولون: لولا فلان، لكان كذا، فهذا إنكارهم، قاله عون بن عبد الله. والثالث: يعرفون أن النعم من الله، ولكن يقولون: هذه بشفاعة ألهتنا، قاله ابن السائب، والقراء، وابن قتيبة. والثاني: أن المراد بالنعمة هاهنا: محمد ﷺ يعرفون أنه نبيٌّ ثم يكذبونه، وهذا مروى عن مجاهد، والسدي، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال الحسن: وجميعهم كفار، فذكر الأكثر، والمراد به الجميع. ﴿وَيَوْمَ يَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ <sup>(٣)</sup> وَإِنَّا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ <sup>(٤)</sup> وَإِنَّا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ قَالَتْ لَهُمْ أَلْقُوا إِلَهُكُمْ أَلْقُوا لَكُمْ لَكَذِبُونَ <sup>(٥)</sup> وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ الشَّاوِدَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ <sup>(٦)</sup> قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يعني: يوم القيامة، وشاهد كل أمةٍ نبيُّها يشهد عليها بتصديقها وتكذيبها، ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يُطلب منهم أن يرجعوا إلى ما أمر الله به، لأن الآخرة ليست بدار تكليف.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿الْعَذَابَ﴾ يعني: النار ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ لا ينجحون، ولا يمهلون. ﴿وَإِنَّا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ يعني: الأصنام التي جعلوها شركاء الله في

(١) ما بين المعقفين، مقط من نسخة الرباط، واستدركناه من نسخة مكتبة راغب باشا باسطنبول.

(٢) البيت للمصنف المدي، وقد تقدم ١٠٥، ٢١٨، وهو في «الطبري» ١٤/١٥٧، و«القرطبي» ١٠/١٦٠.

العبادة، وذلك أن الله يبعث كل معبود من دونه، فيقول المشركون: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا﴾ أي: نعبد من دونك. فإن قيل: فهذا معلوم عند الله تعالى، فما فائدة قولهم: «هؤلاء شركاؤنا؟» فتنه جوابان: أحدهما: أنهم لما كنتموا الشرك في قولهم: واللّه ما كنا مشركين، عاقبهم الله تعالى بإصمات السنتهم، وإنطاق جوارحهم، فقالوا عند معاينة آلهتهم: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا﴾ أي: قد أقررنا بعد الجحد، وصدقنا بعد الكذب، التماساً للرحمة، وفراراً من الغضب، وكان هذا القول منهم على وجه الاعتراف بالذنب، لا على وجه إعلام من لا يعلم. والثاني: أنهم لما عاينوا عظم غضب الله تعالى قالوا: هؤلاء شركاؤنا، تقدير أن يعود عليهم من هذا القول روح، وأن تلزم الأصنام إجرامهم، أو بعض ذنوبهم إذ كانوا يدعون لها العقل والتميز، فأجابتهم الأصنام بما حسم طمعهم.

قوله تعالى: ﴿فَالْتَمَزُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي: أجابوهم وقالوا لهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ قال الفراء: ردت عليهم آلهتهم قولهم. وقال أبو عبيدة: «فالتقوا»، أي: قالوا لهم. يقال: ألقىت إلى فلان كذا، أي: قلت له. قال العلماء: كذبوهم في عبادتهم إياهم، وذلك أن الأصنام كانت جماداً لا تعرف عابديها، فظهرت فضيحتهم يومئذ إذ عبدوا من لم يعلم بعبادتهم، وذلك كقوله: ﴿سَيَكْفُرُونَ بِبَادِعِهِمْ﴾ [مرم: ٨٣].

قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنَ إِلَى اللَّهِ يُؤْمِدُ النَّاسُ﴾ المعنى: أنهم استسلموا له. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم المشركون، قاله الأكثرون. ثم في معنى استسلامهم قولان: أحدهما: أنهم استسلموا [له] بالإقرار بتوحيده وربوبيته. والثاني: أنهم استسلموا لعذابه. والثاني: أنهم المشركون والأصنام كلهم. قال الكلبي<sup>(١)</sup>: والمعنى: أنهم استسلموا له متقادين لحكمه.

قوله تعالى: ﴿وَسَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: بطل قولهم أنها تشفع لهم. والثاني: ذهب عنهم ما زين لهم الشيطان أن الله شريكاً وولداً.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَذَنَّبُهُمْ عَذَابًا قَوْفَ الْمَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ وَمِنْ بَيْنَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٠٠﴾ وَبِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٠١﴾ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَرَزَقْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يَتْلُونَ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدًى وَرَحْمَةً وَنُزُلًا لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: منعوا الناس من طاعة الله والإيمان بمحمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿يَذَنَّبُهُمْ عَذَابًا قَوْفَ الْمَذَابِ﴾ إنما نكر العذاب [الأول]، لأنه نوع خاص لقوم بأعيانهم، وعرف العذاب الثاني، لأنه العذاب الذي يعذب به أكثر أهل النار، فكان في شهرته بمنزلة النار في قول القائل: نعوذ بالله من النار، وقد قيل: إنما زيدوا هذا العذاب على ما يستحقونه من عذابهم، بصدهم عن سبيل الله. وفي صفة هذا العذاب الذي زيدوا أربعة أقوال: أحدها: أنها عقارب كأمثال النخل الطوال، رواه مسروق عن ابن مسعود. والثاني: أنها حيات كأمثال الفيئة، وعقارب كأمثال البغال، رواه زر عن ابن مسعود. والثالث: أنها خمسة أنهار من صُفْرِ مَذَابٍ تسيل من تحت العرش يعذبون بها، ثلاثة على مقدار الليل، واثنان على مقدار النهار، قاله ابن عباس. والرابع: أنه الزمهرير، ذكره ابن الأنباري. قال الزجاج: يخرجون من حر النار إلى الزمهرير، فيتبادرون من شدة برده إلى النار.

قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم قومه، قاله ابن عباس. والثاني: أمته، قاله مقاتل. وتم الكلام هاهنا. ثم قال: ﴿وَرَزَقْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يَتْلُونَ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدًى وَرَحْمَةً وَنُزُلًا لِلْمُسْلِمِينَ﴾ فاما قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدًى وَرَحْمَةً وَنُزُلًا لِلْمُسْلِمِينَ﴾ فقال العلماء بالمعاني: يعني: لكل شيء من أمور الدين، إما بالنص عليه، أو بالإحالة على ما يوجب العلم، مثل بيان رسول الله ﷺ أو إجماع المسلمين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالنَّكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْتَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

مَا تَقُولُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَقَتْ غَزَلُهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْتُمْ لَا تَتَذَكَّرُونَ أَلَيْسَتْ لَكُمُ الْيَتَامَىٰ وَالْيَتَامَىٰ لِلْإِنْسَانِ أَوَّلُ حَقٍّ وَلَكِنْ يَسْرِضُونَ عَنْهُ وَالْيَتَامَىٰ لِلْإِنْسَانِ أَوَّلُ حَقٍّ وَلَكِنْ يَسْرِضُونَ عَنْهُ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُبَدِّلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْتَأْذِنَ عَنْكُمْ كَثْرَةُ قَوْمِكُمْ ﴿٩٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأُمُورِ الْمُتَدَلِّينَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه شهادة أن لا إله إلا الله، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه الحق، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه استواء السيرة والعلانية في العمل لله تعالى، قاله سفيان بن عيينة. والرابع: أنه القضاء بالحق، ذكره الماوردي. قال أبو سليمان: العدل في كلام العرب: الإنصاف، وأعظم الإنصاف: الاعتراف للمنعيم بنعمته. وفي المراد بالإحسان خمسة أقوال: أحدها: أنه أداء الفرائض، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: العفو، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: الإخلاص، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أن تعبد الله كأنك تراه، رواه عطاء عن ابن عباس. والخامس: أن تكون السيرة أحسن من العلانية، قاله سفيان بن عيينة. فأما قوله تعالى: ﴿وَلِيَأْتِي ذِي الشَّرَفِ﴾ فالمراد به: صلة الأرحام. وفي الفحشاء قولان: أحدهما: أنها الزنى، قاله ابن عباس. والثاني: المعاصي، قاله مقاتل. وفي ﴿الشُّكْرِ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنه الشرك، قاله مقاتل. والثاني: أنه ما لا يُعرف في شريعة ولا سُنَّة. والثالث: أنه ما وعد الله عليه النار، ذكرهما ابن السائب. والرابع: أن تكون علانية الإنسان أحسن من سريرته، قاله سفيان بن عيينة. فأما: ﴿الْبَيْنِ﴾ فقال ابن عباس: هو الظلم، وقد سبق شرحه في مواضع [البقرة: ١٧٣، والأعراف: ٣٣، رونس: ٢٣، ٩٠].

قوله تعالى: ﴿يُعْطِيكُمْ﴾ قال ابن عباس: يؤذّبكم، وقد ذكرنا معنى الوعظ في [سورة النساء: ٥٨]. و ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بمعنى: تتعظون. قال ابن مسعود: هذه الآية أجمع آية في القرآن لخير أو لشر. وقال الحسن: والله ما ترك العدل والإحسان شيئاً من طاعة [الله] إلا لجمعاء، ولا تركت الفحشاء والمنكر والبغى شيئاً من معصية الله إلا لجمعوه.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في حلف أهل الجاهلية، قاله مجاهد، وقناة. والثاني: أنها نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ. قال المفسرون: العهد الذي يجب الوفاء به، هو الذي يحسن فعله، فإذا عاهد العبد عليه، وجب الوفاء به، والوعد من العهد. ﴿وَلَا تَنفُضُوا الْأَيْتَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ أي: بعد تغليظها وتشديدها بالعزم والعقد على اليمين، بخلاف لغو اليمين، ووكدت الشيء توكيداً، لغة أهل الحجاز. فأما أهل نجد، فيقولون: أكدته تأكيداً. وقال الزجاج: يقال: وكدت الأمر، وأكدت، لغتان جيدتان، والأصل الواو، والهمزة بدل منها.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَيْلًا﴾ أي: بالوفاء، وذلك أن من حلف بالله، فكانه أكفل الله بالوفاء بما حلف عليه. وللمفسرين في معنى «كفياً» ثلاثة أقوال: أحدها: شهيداً، قاله سعيد بن جبير. والثاني: وكيلاً، قاله مجاهد. والثالث: حفيظاً مراعياً لعقدكم، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَقَتْ غَزَلُهَا﴾ قال مجاهد: هذا فعل نساء أهل نجد، تنقض إحداهن حبلاً، ثم تنفضه، ثم تخلطه بالصوف فتغزله. وقال مقاتل: هي امرأة من قريش تسمى «رَيْطَةَ» بنت عمرو بن كعب، كانت إذا غزلت، تنقضته. وقال ابن السائب: اسمها «رَائِطَةُ» وقال ابن الأنباري: اسمها «رَيْطَةُ» بنت عمرو المزيّة، ولقبها الجعراء، وهي من أهل مكة، وكانت معروفة عند المخاطبين، فعرفوها بوصفها، ول يكن لها نظير في فعلها ذلك، كانت متناهية الحمق، تغزل الغزل من القطن أو الصوف فتُحْكِمُهُ، ثم تأمر جاريته بتقطيعه. وقال بعضهم: كانت تغزل هي وجواريتها، ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن، فضربها الله مثلاً لناقضي العهد. و «نقضت»، بمعنى: تنقض، كقوله: ﴿وَنَاقِضَةٌ أَصْحَابُ الْحَيْثِ﴾ [الأعراف: ٤٣] بمعنى: وينادي. وفي المراد بالغزل قولان: أحدهما: أنه الغزل المعروف، سواء كان من قطن أو صوف أو شعر، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنه الخبل، قاله مجاهد. وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ قال قناة: من بعد إبرام، وقوله: ﴿أَنْتُمْ لَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: أنقضاً. قال ابن قتيبة: الإنكاث: ما نُقِضَ من غزل الشَّعْر وغيره.

وواحدتها: نَكُث. يقول: لا تؤكدوا على أنفسكم الإيمان والعهود، ثم تنقضوا ذلك وتحثوا فيه، فتكونوا كامراً غزلت ونسجت، ثم تنقض ذلك النسيج، فجعلته أنكاثاً.

قوله تعالى: ﴿لَتَنَزِّلُنَّكُمْ فِيهِ دَلَالًا بَيْنَكُمْ﴾ أي: دغلاً، ومكراً، وخديعة، وكل شيء دخله عيب، فهو مدخول، وفيه دَخْلٌ.

قوله تعالى: ﴿أَن فَكُوتَ أُمَّةٌ﴾ قال ابن قتيبة: لأن تكون أمة، ﴿وَمِنْ أُمَّةٍ﴾ أي: هي أغنى ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ وقال [الزجاج]: المعنى: بأن تكون أمة هي أكثر، يقال: ربا الشيء يربو: إذ كثر. قال ابن الأنباري: قال اللغويون: «أرى»: أزيد عدداً. قال مجاهد: كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعز، فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون أولئك، فنهوا عن ذلك. وقال الفراء: المعنى لا تغلبوا بقوم لقلتهم وكثرتكم، أو قللتكم وكثرتهم وقد غرروهم بالإيمان.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَلُوكُمُ اللَّهُ يُلُوكُ﴾ في هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الكثرة، قاله سعيد بن جبير، وابن السائب، ومقاتل، فيكون المعنى: إنما يخبركم الله بالكثرة، فإذا كان بين قومين عهد، فكثر أحدهما، فلا ينبغي أن يفسخ الذي بينه وبين الأقل. فإن قيل: إذا كثرت عن الكثرة، فهل قيل بها؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، بأن الكثرة ليس تأنيهاً حقيقياً، فحملت على معنى التذكير، كما حملت الصيحة على معنى الصياح. والثاني: أنها ترجع إلى العهد، فإنه دلالة الإيمان عليه، يجري مجرى المظهر، ذكره ابن الأنباري. والثالث: أنها ترجع إلى الأمر بالوفاء، ذكره بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قد فسرناه في آخر [مود: ١١٨].

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ صريح في تكذيب القدرة، حيث أضاف الإضلال والهداية إليه، وعلقهما بمشيئته.

﴿وَلَا تَنَجِدُوا أَيْنَ تَكُونُونَ دَلَالًا بَيْنَكُمْ فَزَلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثَوْبَتِهَا وَتَذَوُّوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكَرْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ولا تشعروا بعهد الله لنا قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿١٥﴾ ما عندكم ينفذ وما عند الله باقي ولتجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَجِدُوا أَيْنَ تَكُونُونَ دَلَالًا﴾ هذا استئناف للنهي عن إيمان الخديعة. ﴿فَزَلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثَوْبَتِهَا﴾ قال أبو عبيدة: هذا مثل يقال لكل مبتلي بعد عافية، أو ساقط في ورطة بعد سلامة: زلت به قدمه. قال مقاتل: ناقض العهد يزول في دينه كما تزول قدم الرجل بعد الاستقامة. قال المفسرون: وهذا نهى للذين بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام ونصرة الدين عن نقض العهد، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَتَذَوُّوا السُّوءَ﴾ يعني: العقوبة ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يريد أنهم إذا نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ، صدوا الناس عن الإسلام، فاستحقوا العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَلَكَرْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: في الآخرة. ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَشْعُرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَعَالَى قَلِيلًا﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: نزلت في رجلين اختصما إلى رسول الله ﷺ في أرض، يقال لأحدهما: «عبدان بن أشوع» وهو صاحب الأرض، وللآخر: «امرؤ القيس» وهو المدعى عليه، فهم امرؤ القيس أن يحلف، فأجره رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية. وذكر أبو بكر الخطيب أن اسم صاحب الأرض «ربيعة بن عبدان»، وقيل: «عبدان»، بفتح العين وباء معجمة باثنتين. ومعنى الآية: لا تنقضوا عهودكم، تطالبون بتنقضها عراضاً يسيراً من الدنيا، إن ما عند الله من الثواب على الوفاء هو خير لكم من العاجل. ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾ أي: ينفى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ في الآخرة ﴿بِأَيِّ﴾ وقف بالياء ابن كثير في رواية عنه، ولا خلاف في حذفها في الوصل. ﴿وَلَتَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «ولتجزين» بالياء. وقرأ ابن كثير، وعاصم: «ولتجزين» بالنون. ولم يختلفوا في ﴿وَلَتَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أنها بالنون، ومعنى هذه الآية: ولتجزين الذين صبروا على أمره أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون في الدنيا، ويتجاوز عن سيئاتهم.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٧﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن امرأ القيس المتقدم ذكره أقر بالحق الذي كان هم أن يحلف عليه، فنزلت فيه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾، وهو إقراره بالحق، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن ناساً من أهل التوراة، وأهل الإنجيل، وأهل الأوثان، جلسوا، فتفاضلوا، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح.

قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ اختلفوا أين تكون هذه الحياة الطيبة على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها في الدنيا، رواه العوفي عن ابن عباس. ثم فيها للمفسرين تسعة أقوال: أحدها: أنها القناعة، قاله علي عليه السلام، وابن عباس في رواية، والحسن في رواية، ووهب بن منبه. والثاني: أنها الرزق الحلال، رواه أبو مالك عن ابن عباس. وقال الضحاك: يأكل حلالاً ويلبس حلالاً. والثالث: أنها السعادة، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أنها الطاعة، قاله عكرمة. والخامس: أنها رزق يوم بيوم، قاله قتادة. والسادس: أنها الرزق الطيب، والعمل الصالح، قاله إسماعيل بن أبي خالد. والسابع: أنها حلاوة الطاعة، قاله أبو بكر الوراق. والثامن: العافية والكفاية. والتاسع: الرضى بالقضاء، ذكرهما الماوردي. والثاني: أنها في الآخرة، قاله الحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقاتدة، وابن زيد، وذلك إنما يكون في الجنة. والثالث: أنها في القبر، رواه أبو غسان عن شريك.

﴿إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ١٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَكَ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَنْ يَبْعَثَ رَبُّهُمْ بَشَرًا مِّثْلَ قَاتِلِهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكَ بِنَظَرِهِمْ أَتَلَوْنَ ١٩﴾ وَإِذَا سَأَلْتَهُمْ مَّنْعَاقُتَلُوهُمْ مِّن رَّبِّكَ إِنِّي أَخْلَفْتُكُمْ إِنِّي أَخْلَفْتُكُمْ إِنِّي أَخْلَفْتُكُمْ ٢٠﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ٢١﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: فإذا أردت القراءة فاستعد، ومثله ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْلُظْ أَوَّاهًا مُّحْدِثًا ٦٦﴾ وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتَهُمْ مَّنْعَاقُتَلُوهُمْ مِّن رَّبِّكَ إِنِّي أَخْلَفْتُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وقوله: ﴿إِذَا تَجِيءُكَ الرُّسُلُ فَاقْبَلْهُنَّ مِّن بَيْنِ يَدَيْكَ فَتَنَبَّأَهُنَّ بِمَا فِي بُطُونِهِنَّ أَلْبَتَاتٌ ١٢﴾. ومثله في الكلام: إذا أكلت، فقل: باسم الله، هذا قول عامة العلماء واللغويين. والثاني: أنه على ظاهره، وأن الاستعاذة بعد القراءة. روي عن أبي هريرة، وداود. والثالث: أنه من المقدم والمؤخر، فالمعنى: فإذا استعذت بالله فاقرا، قاله أبو حاتم السجستاني، والأول أصح.

### فصل

والاستعاذة عند القراءة سنة في الصلاة وغيرها. وفي صفتها عن أحمد روايتان: إحداهما: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم، رواها أبو بكر المروزي. والثانية: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم، رواها حنبل. وقد بينّا معنى «أعوذ» في أول الكتاب [ص: ٤٧]، وشرحتا اشتقاق الشيطان في [البقرة: ١٤]، والرجيم في [آل عمران: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَكَ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في المراد بالسلطان قولان: أحدهما: أنه التسلّط. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ليس له عليهم سلطان بحال، لأن الله صرف سلطانه عنهم بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ إِلَّا مَن أَتٰكَ مِنَ الْكَاثِبِينَ ١٨﴾ [الحجر: ٤٢]. والثاني: ليس له عليهم سلطان، لاستعاذتهم منه. والثالث: ليس له قدرة على أن يحملهم على ذنب لا يُغفر. والثاني: أنه الحجة. فالمعنى: ليس له حجة على ما يدعوهم إليه من المعاصي، قاله مجاهد. فأما قوله: ﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾ معناه: يطيعونه. وفي هاء الكناية في قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، قاله مجاهد، والضحاك. والثاني: أنها ترجع إلى الشيطان، فالمعنى: الذين هم من أجله مشركون بالله، وهذا كما يقال: صار فلان بك عالماً، أي: من أجلك، هذا قول ابن قتيبة. وقال ابن الأنباري: المعنى: والذين هم بإشراكهم إبليس في العبادة، مشركون بالله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ سبب نزولها أن الله تعالى كان ينزل الآية، فيعمل بها مدة، ثم ينسخها، فقال كفار قريش: والله ما محمد إلا يسخر من أصحابه، يأمرهم اليوم بأمر، ويأتيهم غداً بما هو أهون عليهم منه، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والمعنى: إذا نسخنا آية بآية، إما نسخ الحكم والتلاوة، أو نسخ الحكم مع بقاء التلاوة ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ بِمَا يُزِيلُ﴾ من ناسخ ومنسوخ، وتشديد وتخفيف، فهو عليم بالمصلحة في ذلك ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ أي: كاذب: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يعلمون أن الله أنزله. والثاني: لا يعلمون فائدة النسخ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾ يعني: القرآن ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾ يعني: جبريل. وقد شرحنا هذا الاسم في [البقرة: ٨٧].

قوله تعالى: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: من كلامه ﴿وَالْحَقُّ﴾ أي: بالأمر الصحيح ﴿لِيُثَبِّتَ الْذُرِّيَّةَ مَا نَشَاءُ﴾ بما فيه من الينبات فيزدادوا يقيناً.

﴿وَلَقَدْ قَالُوا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَكْرِيثٌ ثَبُوتٌ ۝١٠٤﴾ لأنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٠٥﴾ إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝١٠٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ يعني: قريشاً ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ أي: آدمي، وما هو من عند الله. وفيمن أرادوا بهذا البشر تسعة أقوال: أحدها: أنه كان لبني المغيرة غلام يقال له «يعيش» يقرأ التوراة، فقالوا: منه يتعلم محمد، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس. وقال عكرمة في رواية: كان هذا الغلام لبني عامر بن لؤي، وكان رومياً. والثاني: أنه فتي كان بمكة يسمى «بلعام» وكان نصرانياً أعجمياً، وكان رسول الله ﷺ يعلمه، فلما رأى المشركون دخوله إليه وخروجه، قالوا ذلك، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنه نزلت في كاتب كان يكتب لرسول الله ﷺ، فيملي عليه «سميع عليم» فيكتب هو «عزير حكيم» أو نحو هذا، فقال له رسول الله ﷺ: «أي ذلك كتبت فهو كذلك»، فافتن، وقال: إن محمداً يَكِلُ ذلك إليّ فأكتب ما شئت، روي عن سعيد بن المسيب<sup>(١)</sup>. والرابع: أنه غلام أعجمي لامرأة من قريش يقال له: «جابر»، وكان جابرياً يأتي رسول الله ﷺ فيتعلم منه، فقال المشركون: إنما يتعلم محمد من هذا، قاله سعيد بن جبير. والخامس: أنهم عَنُوا سلمان الفارسي، قاله الضحاك؛ وفيه بُعْدٌ من جهة أن سلمان أسلم بالمدينة، وهذه [الآية] مكية. والسادس: أنهم عَنُوا به رجلاً حداداً كان يقال له «نَحْس»<sup>(٢)</sup> النُصْراني، قاله ابن زيد. والسابع: أنهم عَنُوا به غلاماً لعامر بن الحضرمي، وكان يهودياً أعجمياً، واسمه «يسار»، ويكنى «أبا فُكَيْهَة»، قاله مقاتل. وقد روي عن سعيد بن جبير نحو هذا، إلا أنه لم يقل: إنه كان يهودياً. والثامن: أنهم عَنُوا غلاماً أعجمياً اسمه «عائش»، وكان مملوكاً لحويطب، وكان قد أسلم، قاله الفراء، والزجاج. والتاسع: أنهما رجلان، قال عبد الله بن مسلم الحضرمي: كان لنا عبدان من أهل عين التمر، يقال لأحدهما: «يسار» وللآخر «جبر» وكانا يصنعان السيوف بمكة، ويقرآن الإنجيل، فربما مرَّ بهما النبي ﷺ وهما يقرآن، فيقف يستمع، فقال المشركون: إنما يتعلم منهما. قال ابن الأنباري: فعلى هذا القول، يكون البشر واقعاً على اثنين، والبشر من أسماء الأجناس، يعبر عن اثنين، كما يعبر «أحد» عن الاثنين والجميع، والمذكر والمؤنث.

قوله تعالى: ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبِي﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «يُلْحِدُونَ» بضم الياء وكسر الحاء، وقرأ حمزة، والكسائي: «يُلْحِدُونَ» بفتح الياء والحاء. فأما القراءة الأولى، فقال ابن قتيبة: «يُلْحِدُونَ» أي: يميلون إليه<sup>(٣)</sup>، ويزعمون أنه يعلمه، وأصل الإلحاد الميل، وقال

(١) قال ابن كثير ٥٨٧/٢: قال الزهري عن سعيد بن المسيب: الذي قال ذلك من المشركين، رجل كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ فارتد بعد ذلك عن الإسلام، واقرى هذه المقالة قبحه الله.

(٢) كذا في نسخة الرباط بإهمال الحرف الأول، وفي نسخة واغب باشا الاسطنبولية: يحسن، والذي في «البحر الميحيط» ٥٣٦/٥: عنس. والله تعالى أعلم.

(٣) في الأصل: يؤمنون إليه، والتصحيح من «غريب القرآن» لابن قتيبة ٢٤٩.



الفراء: «يُلْجِدُونَ» بضم الياء: يعترضون، ومنه قوله: «وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُطْلَقْ» [الحج: ٢٥] أي: باعترض، و«يُلْجِدُونَ» بفتح الياء: يميلون. وقال الزجاج: يُلْجِدُونَ إليه، أي: يميلون القول فيه أنه أعجمي. قال ابن قتيبة: لا يكاد عوام الناس يفرقون بين العجمي والأعجمي، والعربي والأعرابي، فالأعجمي: الذي لا يُفصح وإن كان نازلاً بالبادية، والعجمي: منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً؛ والأعرابي: هو البدوي، والعربي: منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدوياً.

قوله تعالى: «وَهَذَا لِسَانٌ» يعني: القرآن، «عَرَفْتُ» قال الزجاج: أي: أن صاحبه يتكلم بالعربية.

قوله تعالى: «إِنَّمَا يَقْرَأُ الذِّكْرَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ» أي: الذين إذا رأوا الآيات التي لا يقدر عليها إلا الله، كذبوا بها، «وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» أي: أن الكذب نعت لازم لهم، وعادة من عاداتهم، وهذا رد عليهم إذ قالوا: «إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ» [النحل: ١٠١]. وهذه الآية من أبلغ الزجر عن الكذب، لأنه خص به من لا يؤمن.

«مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [١٠١] ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبُوا الْآخِرَةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ [١٠٢] أُولَئِكَ الَّذِينَ طَمَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَنَسِيَهمْ وَأَنْصَرَفَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَافِلُونَ [١٠٣] لَا جَزَاءَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَسِرُونَ [١٠٤] ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّنَا لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتُنَا ثُمَّ جَاءُوا مُصْرَبًا إِنَّ رَبَّنَا مِنْ بَعْدِهَا لَعَلَّوْا رَجِيمٌ [١٠٥] يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُجْدِلٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [١٠٦]

قوله تعالى: «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ» قال مقاتل: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي، ومقيس بن ضباب، وعبد الله بن أنس بن حنظل، وطعمة بن أبيرق، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وقيس بن الفاكه المخزومي. فأما قوله تعالى: «إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ» فاختلفوا فيمن نزل على أربعة أقوال: أحدها: أنه نزل في عمار بن ياسر، أخذه المشركون فعذبوه، فأعطاهم ما أرادوا بلسانه، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: أنه لما نزل قوله: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْكَلْبَكُ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ» إلى آخر الآيتين اللتين في [سورة النساء: ٩٦، ٩٧] كتب بها المسلمون الذين بالمدينة إلى من كان بمكة، فخرج ناس ممن أقر بالإسلام، فاتبعهم المشركون، فأدركوهم، فأكروهم حتى أعطوا الفتنه، فنزل «إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثالث: أنه نزل في عياش بن أبي ربيعة، كان قد هاجر فحلفت أمه ألا تستظل ولا تشبع من طعام حتى يرجع، فرجع إليها، فأكروه المشركون حتى أعطاهم بعض ما يريدون، قاله ابن سيرين. والرابع: أنه نزل في جبر، غلام ابن الحضرمي، كان يهودياً فأسلم، فضربه سيده حتى رجع إلى اليهودية، قاله مقاتل. وأما قوله: «وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا» فقال مقاتل: هم النفر المسمون في أول الآية. فأما التفسير، فاختلف النحاة في قوله: «مَنْ كَفَرُ» وقوله: «وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ» فقال الكوفيون: جوابهما جميعاً في قوله: «فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ»، فقال البصريون: بل قوله: «مَنْ كَفَرُ» مرفوع بالرد على «الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ». قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون خبر «مَنْ كَفَرُ» محذوفاً، لوضوح معناه، تقديره: من كفر بالله، فإله عليه غضبان.

قوله تعالى: «وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» أي: ساكن إليه راض به. «وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا» قال قتادة: من أتاه بإيثار واختيار. وقال ابن قتيبة: من فتح له صدره بالقبول. وقال أبو عبيدة: المعنى: من تابعت نفسه، وانبط إلى ذلك، يقال: ما ينشرح صدري بذلك، أي: ما يطيب. وجاء قوله: «فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ» على معنى الجميع، لأن «مَنْ» تقع على الجميع.

## فصل

الإكراه على كلمة الكفر يبيح النطق بها. وفي الإكراه المبيح لذلك عن أحمد روايتان: إحداهما: أنه يخاف على نفسه أو على بعض أعضائه التلف إن لم يفعل ما أمر به. والثانية: أن التخوف لا يكون إكراهاً حتى يتألم بعذاب. وإذا

ثبت جواز «التَّيَّة» فالأفضل ألا يفعل<sup>(١)</sup>، نص عليه أحمد، في أسير خُير بين القتل وشرب الخمر، فقال: إن صبر على القتل فله الشرف، وإن لم يصبر، فله الرخصة، فظاهر هذا، الجواز. وروى عنه الأثر أنه سئل عن التَّيَّة في شرب الخمر فقال: إنما التَّيَّة في القول. فظاهر هذا أنه لا يجوز له ذلك. فأما إذا أكره على الزنى، لم يجوز له الفعل، ولم يصح إكراهه، نص عليه أحمد. فإن أكره على الطلاق، لم يقع طلاقه، نص عليه أحمد، وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: يقع.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ في المشار إليه بذلك قولان: أحدهما: أنه الغضب والعذاب، قاله مقاتل. والثاني: أنه شرح الصدر للكفر. و«استحبوا» بمعنى: أحبوا الدنيا واختاروها على الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ أَنتَ أَهَى أَي: ويأن الله لا يريد هدايتهم. وما بعد هذا قد سبق شرحه [البقرة: ٧، والنساء: ١٥٥، والمائدة: ٦٧] إلى قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ففيه قولان: أحدهما: الغافلون عما يراد بهم، قاله ابن عباس. والثاني: عن الآخرة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ قد شرحناها في [هود: ٢٢].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكَ لَمِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا قُتِلُوا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت فيمن كان يُقتل بمكة من أصحاب رسول الله ﷺ، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: أن قوماً من المسلمين خرجوا للهجرة، فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة، فنزل فيهم ﴿وَيَنْ أَلَّيْنِ مَنْ يَقُولُ مَأْمَكُ يَأْتُو فَرَادًا أَوْزَى فِي اللَّهِ جَمَلٌ فَيَنْتَ أَلَّيْنِ كَذَابٍ اللَّهُ﴾ [المنكوب: ١٠]، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا، وأدركهم المشركون فقاتلهم حتى نجا من نجا، وقُتل من قتل، فنزل فيهم هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: أنها نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان الشيطان قد أزلّه حتى لحق بالكفار، فأمر به رسول الله ﷺ أن يُقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان بن عفان، فأجاره رسول الله ﷺ، وهذا مروى عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وفيه بُعد، لأن المشار إليه وإن كان [قد] عاد إلى الإسلام، فإن الهجرة انقطعت بالفتح. والرابع: أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة، وأبي جندل بن سهيل بن عمرو، وعبد الله بن أسيد الثقفي، قاله مقاتل. فأما قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا﴾ فقرأ الأكثرون: «فقتلوا» بضم الفاء وكسر التاء، على معنى: من بعد ما قتلهم المشركون عن دينهم. قال ابن عباس: فقتلوا بمعنى: عُذبوا. وقرأ عبد الله بن عامر: «فقتلوا» بفتح الفاء والتاء، على معنى: من بعد ما قتلوا الناس عن دين الله، يشير إلى من أسلم من المشركين. وقال أبو علي: من بعد ما قتلوا أنفسهم بإظهار ما أظهروا للتقية، لأن الرخصة لم تكن نزلت بعد.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَهَدُوا﴾ أي: قاتلوا مع رسول الله ﷺ ﴿وَمَكْرُوهًا﴾ على الدين والجهاد. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ في المكِّي عنها أربعة أقوال: أحدها: الفتنة، وهو مذهب مقاتل. والثاني: الفعلة التي فعلوها، قاله الزجاج. والثالث: المجاهدة، والمهاجرة، والصبر. والرابع: المهاجرة. ذكرهما واللذين قبلهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ قال الزجاج: هو منصوب على أحد شيئين، إما على معنى: إن ربك لغفور يوم تأتي، وإما على معنى: اذكر يوم تأتي. ومعنى ﴿تُجَدِّدُ عَنْ نَفْسِكَ﴾ أي: عنها. والمراد: أن كل إنسان يجادل عن نفسه. وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال لكعب الأحبار: يا كعب خوّفنا، فقال: إن لجهنم زفرة ما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا وقع جاثياً على ركبته، حتى إن إبراهيم خليل الرحمن ليدلي بالخلعة فيقول: يا رب أنا خليلك إبراهيم، لا أسألك إلا نفسي، وإن تصديق ذلك في كتاب الله ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَدِّدُ عَنْ نَفْسِكَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقد شرحنا معنى [الجدال] في [هود: ٣٢].

(١) قال الحافظ بن كثير: والأولى والأفضل أن يثبت المسلم على دينه ولو أفضى إلى قتله.

(٢) ذكره السيوطي في «الدرر» ١٣٣/٤ ونسبه إلى ابن المبارك، وابن أبي شيبة، وأحمد في «الزهد»، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن كعب الأحبار.

﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِسَانِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ في هذه القرية قولان: أحدهما: أنها مكة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والجمهور، وهو الصحيح. والثاني: أنها قرية أوسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز، فبعث الله عليهم الجوع حتى كانوا يأكلون ما يقعدون<sup>(١)</sup>، قاله الحسن. فأما ما يروى عن حفصة أنها قالت: هي المدينة، فذلك على سبيل التمثيل، لا على وجه التفسير، وبيانه: ما روى سليم بن عذر، قال: صدرنا من الحج مع حفصة، وعثمان محصور بالمدينة، فرأت راكبين فسالنهما عنه، فقالا: قُتِلَ، فقالت: والذي نفسي بيده إنها للقرية، تعني المدينة التي قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾، تعني حفصة: أنها كانت على قانون الاستقامة في أيام النبي ﷺ، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ عند قتل عثمان رضي الله عنه. ومعنى ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ أي: ذات أمْنٍ يأمن فيها أهلها أن يُغَارَ عليهم، ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾ أي: ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لخوف أو ضيق. وقد شرحنا معنى الرغد في [البقرة: ٣٥، ٥٨]. وقوله: ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: يجلب إليها من كل بلد، وذلك كله بدعوة إبراهيم عليه السلام، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ بتكذيبهم رسول الله ﷺ. وفي واحد الأنعم قولان: أحدهما: أن واحدا «نُعم» قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. والثاني: «نعمة» قاله الزجاج. قال ابن قتيبة: ليس قول من قال: هو جمع «نعمة» بشيء، لأن «فُعِلَّة» لا تجمع على «أفعل»، وإنما هو جمع «نُعم»، يقال: يوم نُعم، ويوم بُؤس، ويجمع «أنعماء» و«أبؤماء».

قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِسَانِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ وروى عبيد بن عجيل، وعبد الوارث عن أبي عمرو: «والخوف» بنصب الفاء. وأصل اللُّوق إنما هو بالفم، وهذا استعارة منه، وقد شرحنا هذا المعنى في [آل عمران: ١٠٦، ١٨٥]. وإنما ذكر اللباس هاهنا تجوُّزاً، لما يظهر عليهم من أثر الجوع والخوف، فهو كقوله: ﴿وَلَيْسَ النَّفْقَى﴾ [الأعراف: ٢٦] وذلك لما يظهر على المثقي من أثر النقوى. قال المفسرون: عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام المحترقة. فأما الخوف فهو خوفهم من رسول الله ﷺ ومن سراياه التي كان يبعثها حولهم. والكلام في هذه الآية خرج على القرية، والمراد أهلها، ولذلك قال: ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ يعني به: بتكذيبهم لرسول الله ﷺ وإخراجهم إياه وما هموا به من قتله.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ يعني أهل مكة «رَسُولٌ مِنْهُمْ» يعني: محمداً ﷺ، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه الجوع، قاله ابن عباس. والثاني: القتل بيد، قاله مجاهد. قال ابن السائب: «وَهُمْ ظَالِمُونَ» أي: كافرون.

﴿تَنَكَّلُوا وَمَا زَرَدَكُمْ اللَّهُ خَلَاكًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كَثْرَ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْسَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أُمِّلَ لِغَيْرِ اللَّهِ يَوْمَ تَمُنَّ أَمْطَرٌ عَزَّ بَكَاغٌ وَلَا عَاكِ فَاكَتْ اللَّهُ عَقُورٌ رَجِيءٌ ﴿١١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تَنَكَّلُوا وَمَا زَرَدَكُمْ اللَّهُ﴾ في المخاطبين بهذا قولان: أحدهما: أنهم المسلمون، وهو قول الجمهور. والثاني: أنهم أهل مكة المشركون، لما اشتدت مجاعتهم، كلَّم رؤسائهم رسول الله ﷺ فقالوا: إن كنت عاديّة الرجال، فما بال النساء والصبيان؟! فأذن رسول الله ﷺ للناس أن يحملوا الطعام إليهم، حكاة الثعلبي، وذكر نحوه القراء، وهذه الآية والتي تليها مفسرتان في [البقرة: ١٧٢، ١٧٣].

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذْبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَقَدْ تَقَرَّرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

(١) كذا الأصل: حتى كانوا يأكلون ما يقعدون ولعله يقصد: ما يقعدون عليه، كالجلود، وغيرها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾ قال ابن الأنباري: اللام في «لما» بمعنى من أجل، وتلخيص الكلام: ولا تقولوا: هذه الميتة حلال، وهذه البحيرة حرام، من أجل كذبكم، وإقدامكم على الوصف، والتغرُّص لما لا أصل له، فجرت اللام هاهنا مجراها في قوله: ﴿وَأَنْتُمْ يَحْيَىٰ أَتَقُولُ لِلَّذِي لَا حَرَمَ عَلَيْهِ وَالْغَيْرِ لَبِخِيلٍ﴾ و «ما» بمعنى المصدر، والكذب منصوب بـ «تصف»، والتلخيص: لا تقولوا لوصف المستكم الكذب. وقرأ ابن أبي عبله: «الْكُذْبُ»، قال ابن القاسم: هو نعت الألسنة، وهو جمع كذوب. قال المفسرون: والمعنى: أن تحليلكم وتحريمكم ليس له معنى إلا الكذب. والإشارة بقوله: ﴿هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ إلى ما كانوا يُحِلُّونَ ويَحْرُمُونَ، ﴿يَتَقَرَّبُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ وذلك أنهم كانوا ينسبون ذلك التحليل والتحريم إلى الله تعالى، ويقولون: هو أمرنا بهذا. وقوله: ﴿مَتَّعَ قَلِيلًا﴾ أي: متاعهم بهذا الذي فعلوه قليل.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَدِجُوا لَنَا النَّسْوةَ بِمَهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ﴾ يعني به ما ذكر في [الأنعام: ١٢٦] وهو قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كَلَّ ذِي ظُلْفَرٍ﴾، ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ﴾ بتحريمنا ما حرَّمنا عليهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالبغي والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَدِجُوا النَّسْوةَ بِمَهَلَةٍ﴾ قد شرحناه في سورة [النساء: ١٧]، وشرحنا في [البقرة: ١٦٠] التوبة والإصلاح، وذكرنا معنى قوله: ﴿مِنْ بَعْدِهَا﴾ آنفاً.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَكَانَ مِنْ الْمُتَكِرِينَ﴾ ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿وَمَا يَتَّبِعُهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ قال ابن الأنباري: هذا مثل قول العرب: فلان رحمة، وفلان علامة، ونسابة، ويقصدون بهذا التأنيث قصد التناهي في المعنى الذي يصفونه، والعرب قد توقع الأسماء المبهمة على الجماعة، وعلى الواحد، كقوله: ﴿فَتَأْتُهُ الْكَلْبُكَةُ﴾ [آل عمران: ٣٩]، وإنما ناداه جبريل وحده. وللمفسرين في المراد بالأئمة هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن الأئمة: الذي يعلم الخير، قاله ابن مسعود، والفراء، وابن قتيبة. والثاني: أنه المؤمن وحده في زمانه، روى هذا المعنى الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثالث: أنه الإمام الذي يُقْتَدَى به، قاله قتادة، ومقاتل، وأبو عبيد، وهو في معنى القول الأول. فأما القانت فقال ابن مسعود: هو المطيع. وقد شرحنا [الفقوت] في [البقرة: ١٦٦، ٢٣٨] وكذلك الحنيف [البقرة: ١٣٥].

قوله تعالى: ﴿وَرَزَّ بِكُ﴾ قال الزجاج: أصلها: لم يكن، وإنما حذف التون عند سبويه، لكثرة استعمال هذا الحرف، وذكر الجلة من البصريين أنها إنما احتملت الحذف، لأنه اجتمع فيها كثرة الاستعمال، وأنها عبارة عن كل ما يمضي من الأفعال وما يستأنف، وأنها قد أشبهت حروف اللين، وأنها تكون علامة كما تكون حروف اللين علامة، وأنها غنة تخرج من الأنف، فلذلك احتملت الحذف.

قوله تعالى: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ انتصب بدلاً من قوله: ﴿أُمَّةً قَانِتًا﴾ وقد ذكرنا واحد الأنعم آنفاً، وشرحنا معنى [الاجتباء] في [الأنعام: ٨٧]. قال مقاتل: والمراد بالصراط المستقيم هاهنا: الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ فيها ستة أقوال: أحدها: أنها الدُّكْرُ الحسن، قاله ابن عباس. والثاني: النبوة، قاله الحسن. والثالث: لسان صدق، قاله مجاهد. والرابع: اجتماع الجَلَلِ على ولايته، فكلهم يتولونه ويرضونه، قاله قتادة. والخامس: أنها الصلاة عليه مقرونة بالصلاة على محمد ﷺ، قاله مقاتل بن حيان. والسادس: الأولاد الأبرار على الكبر، حكاه الثعلبي. وباقي الآية مفسر في [البقرة: ١٣٠].

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَكِرِينَ﴾ ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ملته: دينه. وفيما أمر باتباعه من ذلك قولان: أحدهما: أنه

أمر باتباعه في جميع ملته، إلا ما أمر بتركه، وهذا هو الظاهر. [والثاني: اتباعه في التبرؤ من الأوثان، والتدين بالإسلام، قاله أبو جعفر الطبري<sup>(١)</sup>]. وفي هذه الآية دليل على جواز اتباع المفضول، لأن رسولنا أفضل الرسل، وإنما أمر باتباعه، لسبقه إلى القول بالحق.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ أي: إنما فرض تعظيمه وتحريمه، وقرأ الحسن، وأبو حيو: «إِنَّمَا جَعَلَ» بفتح الجيم والعين «السبت» بنصب التاء ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ والهاء ترجع إلى السبت. وفي معنى اختلافهم فيه قولان: أحدهما: أن موسى قال لهم: تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوماً، فاعبدوه في يوم الجمعة، ولا تعملوا فيه شيئاً من صنعكم، فأبوا أن يقبلوا ذلك، وقالوا: لا نبغى إلا اليوم الذي فرغ فيه من الخلق، وهو يوم السبت، فجعل ذلك عليهم، وشدد عليهم فيه، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: لما أمرهم موسى بيوم الجمعة، قالوا: نتفرغ يوم السبت، فإن الله لم يخلق فيه شيئاً، فقال: إنما أمرت بيوم الجمعة، فقال أجابهم: انتهوا إلى أمر نبيكم، فأبوا، فذلك اختلافهم، فلما رأى موسى حرصهم على السبت، أمرهم به، فاستحلوا فيه المعاصي. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: رأى موسى رجلاً يحمل قصباً يوم السبت، فضرب عنقه، وعكفت عليه الطير أربعين صباحاً. وذكر ابن قتيبة في «مختلف الحديث»: أن الله تعالى بعث موسى بالسبت، ونسخ السبت بالمسيح. والثاني: أن بعضهم استحلّه، وبعضهم حرّمه، قاله قتادة.

﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْخَسَنَةِ وَجَدِّلْهُمْ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا عَنِ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس: نزلت مع الآية التي بعدها، وسنذكر هناك السبب. فأما السبيل، فقال مقاتل: هو دين الإسلام. وفي المراد ﴿بِالْحُكْمِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها القرآن، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الفقه، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: النبوة، ذكره الزجاج. وفي: ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْخَسَنَةِ﴾ قولان: أحدهما: مواظب القرآن، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الأدب الجميل الذي يعرفونه، قاله الضحاك عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَجَدِّلْهُمْ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم أهل مكة، قاله أبو صالح. والثاني: أهل الكتاب، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: جادلهم بالقرآن. والثاني: بـ «لا أله إلا الله»، روي القولان عن ابن عباس. والثالث: جادلهم غير فظ ولا غليظ، وألّن لهم جانبك، قاله الزجاج. وقال بعض علماء التفسير: وهذا منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ المعنى: هو أعلم بالفريقين، فهو يأمرك فيهما بما فيه الصلاح.

﴿وَلَنْ عَاقِبَتُهُمْ مِّمَّا يَمْثِلُ مَا عُوقِبَتْ بِهِ وَلَنْ صَبْرُهُمْ لَهْوِ خَيْرٍ لِلصَّادِقِينَ﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي شَيْءٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٧٥﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْشَوْنَ ﴿١٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ عَاقِبَتُهُمْ مِّمَّا يَمْثِلُ مَا عُوقِبَتْ بِهِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رسول الله ﷺ أشرف على حمزة، فرآه صريعاً، فلم ير شيئاً كان أوجع لقلبه منه، فقال: «والله لأمثلن بسبعين منهم»، فنزل جبريل، والنبي ﷺ واقف، بقوله: ﴿وَلَنْ عَاقِبَتُهُ...﴾ إلى آخرها، فصبر رسول الله وكفر عن يمينه، قاله أبو هريرة<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عباس: رأى رسول الله ﷺ حمزة قد شق بطنه، وجُدعت أذناه، فقال: «لولا أن تحزن النساء؛ أو تكون سئة بعدي لتركته حتى يبعثه الله من بطون السباع والطير، ولأقتلن مكانه سبعين رجلاً منهم»، فنزل قوله: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ إلى

(١) ما بين المعقفين سقط من نسخة الرباط، واستدركناه من النسخة الاسطنبولية.

(٢) ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٥٩٢/٢ من طريق البزار، وقال: وهذا إسناد فيه ضعف، لأن صالحاً هو ابن بشير المري ضعيف عند الأئمة، وقال البخاري: هو منكر الحديث.

قوله: ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾. وروى الضحاك عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يومئذ: «لَيْسَ ظَفَرْتُ بِقَاتِلِ حِمْرَةَ لَأَمْلَأَنَّ بِهِ مِثْلَةَ تَتَحَدَّثُ بِهَا الْعَرَبُ»، وكانت هند وآخرون معها قد مثلوا به، فنزلت هذه الآية. والثاني: أنه أصيب من الأنصار يوم أحد أربعة وستون، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة، ومثلوا بقتلهم، فقالت الأنصار: لَيْسَ أَصَبْنَا مِنْهُمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، لتزيدن على عدتهم مرتين، فنزلت هذه الآية، قاله أبي بن كعب<sup>(١)</sup>. وروى أبو صالح عن ابن عباس أن المسلمين قالوا: لَيْسَ أَمَكُنَّا اللَّهَ مِنْهُمْ، لنمثلن بالأحياء فضلاً عن الأموات، فنزلت هذه الآية. يقول: إن كنتم فاعلين، فمثلوا بالأموات، كما مثلوا بأمواتكم. قال ابن الأنباري: وإنما سمي فعل المشركين معاقبة وهم ابتدؤوا بالمثلثة، ليزدوج اللفظان، فيخف على اللسان، كقوله: ﴿وَحَزَنًا سَيَتَوْ سَيَةً يَتْلَاهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

### فصل

واختلف العلماء، هل هذه [الآية] منسوخة، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها نزلت قبل (براءة) فأمر رسول الله ﷺ أن يقاتل من قاتله، ولا يبدأ بالقتال، ثم نسخ ذلك، وأمر بالجهاد، قاله ابن عباس والضحاك. فعلى هذا يكون المعنى: ﴿وَلَكِنْ صَبْرُكُمْ﴾ عن القتال، ثم نسخ هذا بقوله: ﴿فَاتَّقُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]. والثاني: أنها محكمة، وإنما نزلت فيمن ظلم ظلاماً، فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما ناله الظالم منه، قاله مجاهد، والشعبي، والنخعي، وابن سيرين، والثوري، وعلى هذا يكون المعنى: ولئن صبرتم عن المثلة، لا عن القتال. قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ أي: بتوقيفه ومعونته. وهذا أمر بالعزيمة. وفي قوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ قولان: أحدهما: على كفار مكة إن لم يسلموا، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: ولا تحزن على قتلى أحد، أنهم أفضوا إلى رحمة الله، ذكره علي بن أحمد النيسابوري.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾ قرأ الأكثرون نصب الضاد، وقرأ ابن كثير: «في ضَيْقٍ» بكسر الضاد هاهنا وفي [النمل: ٧٠]. قال الفراء: الضيق بفتح الضاد: ما ضاق عنه صدرك، والضيق: ما يكون في الذي يضيق ويتسع، مثل الدار والثوب وأشباه ذلك. وقال ابن قتيبة: الضَيْقُ: تخفيف ضَيْقٍ، مثل: هَيْنَ وَلَيْنَ، وهو، إذا كان على هذا التأويل: صفة، كأنه قال: لا تك في أمر ضَيْقٍ من مكرهم. قال: ويقال: مكان ضَيْقٍ وَضَيْقٍ، بمعنى واحد، كما يقال: زَطْلٌ وَوِظْلٌ، وهذا أعجب إليّ. فأما مكرهم المذكور هاهنا، فقال أبو صالح عن ابن عباس: فعلهم وعملهم. قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ ما نهاهم عنه، وأحسنوا فيما أمرهم به، بالعون والنصر.



(١) أورده السيوطي في «الدرة» ١٣٣/٤ وقال: أخرجه الترمذي وحسنه، وعبد الله في «زوائد المسند»، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الدلائل».

## سورة بني إسرائيل

### فصل في نزولها

هي مكة في قول الجماعة، إلا أن بعضهم يقول: فيها مدني، فروي عن ابن عباس أنه قال: هي مكة إلا ثمان آيات: من قوله: ﴿وَلَنْ كَاذِبًا يَفْتِنُوكَ﴾ إلى قوله: ﴿تَعْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥]، وهذا قول قتادة. وقال مقاتل: فيها من المدني: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠] وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ [الإسراء: ١٠٧] وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَمَعَ بَالِغَيْنِ﴾ [الإسراء: ٦٠] وقوله: ﴿وَلَنْ كَاذِبًا يَفْتِنُوكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] وقوله: ﴿وَلَنْ كَاذِبًا يَفْتِنُوكَ﴾ [الإسراء: ٧٦] وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُفَنِّنَاكَ﴾ والتي تليها [الإسراء: ٧٤، ٧٥].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا لَدُنْكَ حَوْلَهُ يُزَيِّرُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١)

قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه سئل عن تفسير: «سبحان الله»، فقال: «تنزيه لله عن كل سوء»، وقد ذكرنا هذا المعنى في [البقرة: ٣٢].

قال الزجاج: وأسرى: بمعنى: سبر عبده، يقال: أسريت وسريت: إذا سرت ليلاً. وقد جاءت اللغتان في القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْلٍ إِذَا يَسِرُّهُ﴾ [الفجر: ٤]. وفي معنى التسييح هاهنا قولان: أحدهما: أن العرب تسح عند الأمر المعجب، فكان الله تعالى عجب العباد مما أسدى إلى رسوله من النعمة. والثاني: أن يكون خرج مخرج الرد عليهم، لأنه لما حدثهم بالإسراء، كذبوه، فيكون المعنى: تنزه الله أن يتخذ رسولاً كذاباً. ولا خلاف أن المراد بعبد هاهنا: متعمد ﷺ. وفي قوله: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قولان. أحدهما: أنه أسري به من نفس المسجد، قاله الحسن، وقاتدة، ويسنده حديث مالك بن صعصعة، وهو في «الصحاحين» (١) «بينا أنا في الحطيم» وربما قال بعض الرواة: «في الحجر». والثاني: أنه أسري به من بيت أم هانئ (٢)، وهو قول أكثر المفسرين، فعلى هذا يعني بالمسجد الحرام: الحرم. والحرم كله مسجد، ذكره القاضي أبو يعلى وغيره. فاما «الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا» فهو بيت المقدس، وقيل له: الأقصى، لبعد المسافة بين المسجدين. ومعنى ﴿بَنَيْنَا حَوْلَهُ﴾: أن الله أجرى حوله الأنهار، وأنبث الثمار. وقيل: لأنه مقر الأنبياء، ومهبط الملائكة. واختلف العلماء، هل دخل بيت المقدس، أم لا، فروى أبو هريرة أنه دخل بيت المقدس، وصلى فيه بالأنبياء (٣)، ثم خرج به إلى السماء. وقال خذيفة بن اليمان: لم يدخل بيت المقدس ولم يصل فيه، ولا نزل عن البراق حتى عرج به. فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ وأنتم تقولون: صعد إلى السماء؟ فالجواب: أن الإسراء كان إلى هنالك، والمعراج كان من هنالك. وقيل: إن الحكمة في ذكر ذلك، أنه لو أخبر بصعوده إلى السماء في بدء الحديث، لاشتد إنكارهم، فلما أخبر ببيت المقدس، وبأن لهم صدقه فيما أخبرهم به من العلامات الصادقة، أخبر بمعراجة.

(١) البخاري ١٥٤/٧، ومسلم ١٥٠/١، وخرجه السيوطي في «الدرر» ١٤٠/٤ وزاد نسبه إلى أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن مردويه. وقوله: «وربما قال بعض الرواة: في الحجر» قال الحافظ ابن حجر: هو شك من قتادة كما بينه أحمد عن عفان عن تمام، ولفظه: «بينا أنا نائم في الحطيم، وربما قال قتادة: في الحجر».

(٢) حديث أم هانئ، رواه محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن السائب الكلي عن أبي صالح، والكلبي متروك بمرة ساقط، ورواه الطبراني في «الكبير» وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور. قال الهيثمي في «المجمع» ٧٦/١: متروك كذاب.

(٣) حديث أبي هريرة، رواه مسلم ١٥٧/١، وفي «مسند أحمد» ومسلم ١٤٥/١، من حديث أنس بن مالك قال: «فركبته حتى أتيت بيت المقدس» قال: «فركبته بالحقلة التي يربط به الأنبياء» قال: «ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين».

قوله تعالى: ﴿لِيُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ يعني: ما رأى، أي: تلك الليلة من العجائب التي أخبر بها الناس. ﴿إِنَّهُمْ هُوَ السَّبِيحُ﴾ لمقالة قريش، ﴿الْبَيْتُ﴾ بها. وقد ذكرنا في كتابنا المسمى بـ«الحدائق» أحاديث المعراج، وكرهنا الإطالة هاهنا.

﴿وَمَا آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً ۝١﴾ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُمْ كَانَتْ عَيْنًا شَكُورًا ﴿١﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ لما ذكر في الآية الأولى إكرام محمد ﷺ، ذكر في هذه كرامة موسى. و﴿الْكِتَابَ﴾: التوراة. ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: دللناهم به على الهدى. ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾ قرأ أبو عمرو: «يتخذوا» بالياء، والمعنى: هديناهم لثلاث يتخذوا. وقرأ الباقر بن النعمان، قال أبو علي: وهو على الانصراف إلى الخطاب بعد النفيّة، مثل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثم [قال]: ﴿إِنَّا كَ نَعْبُدُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكِيلاً﴾ قال مجاهد: شريكاً. وقال الزجاج: ربّاً. قال ابن الأنباري: وإنما قيل للرب: وكيل، لكفايته وقيامه بشأن عباده، من أجل أن الوكيل عند الناس قد علم أنه يقوم بشؤون أصحابه، وتفقد أمورهم، فكان الرب وكيلاً من هذه الجهة، لا على معنى ارتفاع منزلة الموكّل وانحطاط أمر الوكيل.

قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا﴾ قال مجاهد: هو نداء: يا ذرية من حملنا. قال ابن الأنباري: من قرأ: «أَلَّا تَتَّخِذُوا» بالياء، فإنه يقول: بعد الذرية مضمّر حذفت اعتماداً على دلالة ما سبق، تلخيصه: يا ذرية من حملنا مع نوح لا تتخذوا وكيلاً، ويجوز أن يستغني عن الإضمار بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانَتْ عَيْنًا شَكُورًا﴾ لأنه بمعنى: اشكروني كشكركه. ومن قرأ: «لا يتخذوا» بالياء، جع النداء متصلاً بالخطاب، و«الذرية» تنتصب بالنداء، ويجوز نصبها بالاتخاذ على أنها مفعول ثانٍ، تلخيص الكلام: أن لا يتخذوا ذرية من حملنا مع نوح وكيلاً. قال قتادة: الناس كلهم ذُرِّيَّةٌ مِنْ أَنْجَى اللَّهِ فِي تِلْكَ السَّفِينَةِ.

قال العلماء: ووجه الإنعام على الخلق بهذا القول، أنهم كانوا في صلب من نجا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانَتْ عَيْنًا شَكُورًا﴾ قال سلمان الفارسي: كان إذا أكل قال: «الحمد لله» وإذا شرب قال: «الحمد لله»<sup>(١)</sup>. وقال غيره: كان إذا لبس ثوباً قال: «الحمد لله» فسماه الله عبداً شكوراً.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَنُفَيْدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرْثِيَيْنِ وَلَنَعْلَنَّ ظُلُمًا كَبِيرًا ۝٢﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَشَّرْنَا عَلَىٰ غَيْبِكُمْ بِعَامِكَ لَمْ أُولَىٰ شَيْءٍ فَنَجَّسُوا خِلَلِ الْوَيْلِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٣ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَنزَلْنَا لَكُمْ وَالْيَدِ وَنَجَّسْنَا لَكُمْ أَكْثَرَ نَبِئًا ﴿٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أخبرناهم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: قضينا عليهم، رواه العوفي عن ابن عباس. وبه قال قتادة، فعلى الأول: تكون «إلى» على أصلها، ويكون الكتاب: التوراة، وعلى الثاني: تكون «إلى» بمعنى «على»، ويكون الكتاب: الذكر الأول.

قوله تعالى: ﴿لَنُفَيْدَنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: أرض مصر ﴿مَرْثِيَيْنِ﴾ بالمعاصي ومخالفة التوراة.

وفي مَنْ قتلوه من الأنبياء في الفساد الأول قولان. أحدهما: زكريا، قاله السدي عن أشياخه. والثاني: شعيا، قاله ابن إسحاق. فأما المقتول من الأنبياء في الفساد الثاني: فهو يحيى بن زكريا. قال مقاتل: كان بين الفسادَيْنِ مائتا سنة وعشر سنين. فأما السبب في قتلهم زكريا، فأنهم اتهموه بمرم، وقالوا: منه حملت، فهرب منهم، فانفتحت له شجرة فدخل فيها وبقي من رذاته هذب، فجاءهم الشيطان فدلّهم عليه، فقطعوا الشجرة بالمنشار وهو فيها. وأما السبب في قتلهم «شعيا»، فهو أنه قام فيهم برسالة مِنْ اللَّهِ ينهاهم عن المعاصي. وقيل: هو الذي هرب منهم فدخل في الشجرة

(١) ابن جرير ١٩/١٥، وخرجه السيوطي في «الدرر» ١٦٢/٤ وزاد نسبه إلى القريائي، وابن المنذر، وابن أبي جاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان». وروى الإمام أحمد في «المسند» ١٠٠/٣، ومسلم ٢٠٩٥/٤، والترمذي، والنسائي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَ اللَّهَ عَلَيْهَا».



حتى قطعوه بالمنشار، وأن زكريا مات حشف أنفه. وأما السبب في قتلهم يحيى بن زكريا، ففيه قولان. أحدهما: أن ملكهم أراد نكاح امرأة لا تحل له، فنهاه عنها يحيى. ثم فيها أربعة أقوال. أحدها: أنها ابنة أخيه، قاله ابن عباس. والثاني: ابنته، قاله عبد الله بن الزبير. والثالث: أنها امرأة أخيه، وكان ذلك لا يصلح عندهم، قاله الحسين بن علي عليه السلام. والرابع: ابنة امرأته، قاله السدي عن أشياخه، وذكر أن السبب في ذلك: أن ملك بني إسرائيل هوي بنت امرأته، فسأل يحيى عن نكاحها، فنهاه، فحنقت أمها عى يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها، وعمدت إلى ابنتها فزيتها وأرسلتها إلى الملك حين جلس على شرابه، وأمرتها أن تسقيه، وأن تعرض له، فإن أرادها على نفسها، أبت حتى يؤتى برأس يحيى بن زكريا في طست، ففعلت ذلك، فقال: ويحك سليمان غير هذا، فقالت: ما أريد إلا هذا، فأمر، فأُتي برأسه والرأس يتكلم ويقول: لا تحل لك، لا تحل لك. والقول الثاني: أن امرأة الملك رأت يحيى عليه السلام وكان قد أعطي حسناً وجمالاً، فأرادته على نفسه، فأبى، فقالت لابنتها: سلي أباك رأس يحيى، فأعطاها ما سألت، قاله الربيع بن أنس. قال العلماء بالسَّير: ما زال دم يحيى يغلي حتى قتل عليه من بني إسرائيل سبعون ألفاً، فسكن، وقيل: لم يسكن حتى جاء قاتله، فقال: أنا قتله، فقتل، فسكن.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اطَاعُوا﴾ أي: لتعظم عن الطاعة ولتبعث.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ أي: عقوبة أولى المرتين ﴿بَعَثْنَا﴾ أي: أرسلنا ﴿عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ وفيهم خمسة أقوال: أحدها: أنهم جالوت وجنوده، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: «بختنصر»<sup>(١)</sup>، قاله سعيد بن المسيب، واختاره الفراء، والزجاج. والثالث: العمالقة، وكانوا كفاراً، قاله الحسن. والرابع: سنحاريب<sup>(٢)</sup>، قاله سعيد بن جبير. والخامس: قوم من أهل فارس، قاله مجاهد. وقال ابن زيد: سلط [الله] عليهم سابور ذا الأكتاف<sup>(٣)</sup> من ملوك فارس.

قوله تعالى: ﴿أَوَّلُ بَابٍ شَدِيدٍ﴾ أي: ذوي عدد وقوة في القتال. وفي قوله: ﴿فَجَاسُوا خَلَلِ الدِّيَارِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: مشوا بين منازلهم، قاله ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال مجاهد: يتجسسون أخبارهم، ولم يكن قتال. وقال الزجاج: طافوا خلال الديار ينظرون هل بقي أحد لم يقتلوه؟ «والجوس»: طلب الشيء باستقصاء. والثاني: قتلهم بين بيوتهم، قاله الفراء، وأبو عبيدة. والثالث: عاثوا وأنفسدوا، يقال: جاسوا وحاسوا، فهم يجوسون ويحوسون إذا فعلوا ذلك، قاله ابن قتيبة.

فأما الخلال: فهي جمع خلل، وهو الانفراج بين الشيئين. وقرأ أبو رزين، والحسن، وابن جبير، وأبو المتوكّل: «خلل الديار» بفتح الخاء واللام من غير ألف. «وكانت وعداً مفعولاً» أي: لا بد من كونه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أظفرناكم بهم. والكرّة، معناها: الرجعة والدولة، وذلك حين قتل داود جالوت وعاد ملكهم إليهم. وحكى الفراء أن رجلاً دعا على «بختنصر»؛ فقتله الله، وعاد ملكهم إليهم. وقيل: غزوا ملك بابل فأخذوا ما كان في يده من المال والأسرى.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أي: أكثر عدداً وأنصاراً منهم. قال ابن قتيبة: التّفير والنافر واحد، كما يقال: قدير وقادر، وأصله: مَنْ يَتَفَرُّ مع الرجل من عشيرته وأهل بيته.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْئَلُوا زُجُوجَهُمْ وَيَدْخُلُوا السَّجْدَ كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَذَرُوا فِي الْيَأْسِ﴾ عَنِ رَبِّكَ أَنْ يَنْحَرَّكَ وَكَانَ عُدَّتُمْ عِدَّةً وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾ أي: وقلنا لكم إن أحسنتم فاطعمتم الله ﴿أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: عاقبة الطاعة لكم ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفساد والمعاصي ﴿فَلَهَا﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى: فإليها. والثاني: فعلية. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ

(١) هو ملك الكلدانين، أغار بحملاته على مصر وفتح القدس، وأحرقها وأجلى بني إسرائيل إلى بابل.

(٢) هو ملك آشور بن سنجر وخليفته، حمل على بلاد الكلدانين واليهودية وأرمينية.

(٣) لقب بذلك، لأنه أمر بفك أكتاف أسرى الحرب، حارب العرب أحلاف الروم.

**الْآخِرَةِ** جواب: «فإذا» محذوف، تقديره: فإذا جاء وعد عقوبة المرة الآخرة من إفسادكم، بعثناهم ليسوؤوا وجوهكم، وهذا الفساد الثاني، هو قتلهم يحيى بن زكريا، وقصدهم قتل «عيسى» فرفع، وسلط الله عليهم ملوك فارس والروم فقتلوهم وسبّوهم، فذلك قوله: **﴿لِيَسْأَوْا وُجُوهَكُمْ﴾**. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: **﴿لِيَسْأَوْا﴾**. بآلاء على الجمع والهمز بين الواوين، والإشارة إلى المبعوثين. وقرأ ابن عامر، وحزمة، وأبو بكر عن عاصم: **﴿لِيسْءِ﴾** وجوهكم على التوحيد؛ قال أبو علي: فيه وجهان. أحدهما: ليسوء الله ﷻ. والثاني: ليسوء البعث. وقرأ الكسائي: **﴿النسوة﴾** بالنون، وذلك راجع إلى الله تعالى. وفيمن بعث عليهم في المرة الثانية قولان: أحدهما: بختنصر، قاله مجاهد، وقتادة. وكثير من الرواة يأبى هذا القول، ويقولون: كان بين تخريب «بختنصر» بيت المقدس، وبين مولد يحيى بن زكريا زمان طويل. والثاني: أنطاخاوس الرومي، قاله مقاتل. ومعنى **﴿لِيَسْأَوْا وُجُوهَكُمْ﴾** أي: ليدخلوا عليكم الحزن بما يفعلون من قتلكم وسببكم، وخصت المساءة بالوجوه، والمراد: أصحاب الوجوه، لما يبدو عليها من أثر الحزن والكآبة.

قوله تعالى: **﴿وَلْيَدْخُلُوا السَّجْدَ﴾** يعني: بيت المقدس **﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾** في المرة الأولى **﴿وَلْيَسْأَوْا﴾** أي: ليدمروا ويخربوا. قال الزجاج: يقال لكل شيء ينكسر من الزجاج والحديد والذهب: يبر. ومعنى **﴿هَاعِلًا﴾** أي: ليدمروا في حال علوهم عليكم.

قوله تعالى: **﴿هَاعِلًا أَنْ يَزَعَكُمُ﴾** هذا مما وُعدوا به في التوراة. و«عسى» من الله واجبة، فرحمهم [الله] بعد انتقامه منهم، وعمر بلادهم، وأعاد نعمهم بعد سبعين سنة. **﴿وَأَنْ عُدْتُمْ﴾** إلى معصيتنا **﴿فَعَدَّا﴾** إلى عقوبتكم. قال المفسرون: ثم إنهم عادوا إلى المعصية، فبعث الله عليهم ملوكاً من ملوك فارس والروم. قال قتادة: ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم محمداً ﷺ، فهم في عذاب إلى يوم القيامة، فيعطون الجزية عن يد وهم صاغرون.

قوله تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾** فيه قولان: أحدهما: سجنًا، قاله ابن عباس، والضحاك، وقتادة. وقال مجاهد: يحصرون فيها. وقال أبو عبيدة، وابن قتبية: محبسًا، وقال الزجاج: «حصيرًا»: حبسًا، أخذ من قولك: حصرت الرجل، إذا حبسته، فهو محصور، وهذا حصيره، أي: محبسه، والحصير: المنسوج، سمي حصيرًا، لأنه حصرت طاقاته بعضها مع بعض، ويقال للجنب: حصير، لأن بعض الأضلاع محصور مع بعض. وقال ابن الأنباري: حصيرًا: بمعنى: حاصرة، فصرفت من حاصرة إلى حصير، كما صرف «مؤلم» إلى أليم. والثاني: فراشًا ومهادًا، قاله الحسن. قال أبو عبيدة: ويجوز أن تكون جهنم لهم مهادًا بمنزلة الحصير، والحصير: البساط الصغير.

**﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقْرَبُ وَيُنِيرُ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ الصَّلَاحَ أَنْ لَمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾** وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١١﴾

قوله تعالى: **﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقْرَبُ﴾** قال ابن الأنباري: «التي» وصف للجمع، والمعنى: يهدي إلى الخصال التي هي أقوم الخصال. قال المفسرون: وهي توحيد الله والإيمان به وبرسله والعمل بطاعته، **﴿وَيُنِيرُ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ الصَّلَاحَ أَنْ لَمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾** وهو الجنة، **﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾** أي: ويبشرهم بالعذاب لأعدائهم، وذلك أن المؤمنين كانوا في أدنى من المشركين، فعجل الله لهم البشري في الدنيا يعقاب الكافرين. **﴿وَيُعَذِّبُ الْإِنْسَانَ بِأَلْسِنِهِ دَعَاءَهُ بِأَلْسِنَةٍ غُولًا﴾**

قوله تعالى: **﴿وَيُعَذِّبُ الْإِنْسَانَ بِأَلْسِنَةٍ﴾** وذلك أن الإنسان يدعو في حال الضجر والغضب على نفسه وأهله بما لا يحب أن يستجاب له كما يدعو لنفسه بالخير. **﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ غُولًا﴾** يعجل بالدعاء بالشر عند الغضب والضجر فعجله بالدعاء بالخير. وفي المراد بالإنسان هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اسم جنس يراد به الناس، قاله الزجاج وغيره. والثاني: آدم، فاكتمنى بذكره من ذكر ولده، ذكره ابن الأنباري. والثالث: أنه النضر بن الحارث حين قال: **﴿فَأَنْطَرُ عَلَيْنَا﴾**

جَكَارَةً يَنْ أَلَسَّكَوْ ﴿الأنفال: ٢٢﴾، قاله مقاتل. وقال سلمان الفارسي: أول ما خلق الله من آدم رأسه، فجعل ينظر إلى جسده كيف يخلق، قال: فبقيت رجلاه، قال: يا رب عَجِّلْ، فذلك قوله: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾<sup>(١)</sup>.  
 ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَتَحَرَّوْا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رِّزْقِكُمْ وَلِتَسْمَعُوا كَلِمَةَ الشَّيْخِ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَتْنَةٌ فَمَقَصُّهَا تَفْصِيلًا ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ﴾ أي: علامتين يدلان على قدرة خالقهما. ﴿فَتَحَرَّوْا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن آية الليل: القمر، ومحوها: ما في بعض القمر من الاسوداد. وإلى هذا المعنى ذهب علي عليه السلام، وابن عباس في آخرين. والثاني: آية الليل محيت بالظلمة التي جعلت ملازمةً لليل، فنسب المحو إلى الظلمة إذ كانت تمحو الأنوار وتبطلها، ذكره ابن الأنباري. ويروى أن الشمس والقمر كانا في النور والضوء سواء، فأرسل الله جبريل فأمر جناحه على وجه القمر وطمس عنه الضوء.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ﴾ يعني: الشمس ﴿مُبْصِرَةً﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: منيرة، قاله قتادة.. قال ابن الأنباري: وإنما صلح وصف الآية بالإبصار على جهة المجاز، كما يقال: لعب الدهر ببني فلان. والثاني: أن معنى «مبصرة»: مبصرًا بها، قاله ابن قتيبة. والثالث: أن معنى «مبصرة» مُبْصِرَةٌ، فجرى «مُفْعِلٌ» مجرى «مُفْعَلٌ»، والمعنى: أنها تُبْصِرُ الناس، أي: تُرِيهم الأشياء، قاله ابن الأنباري. ومعاني الأقوال تتقارب.

قوله تعالى: ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رِّزْقِكُمْ﴾ أي: لتبصروا كيف تتصرفون في أعمالكم وتطلبون رزقكم بالنهار ﴿وَلِتَسْمَعُوا كَلِمَةَ الشَّيْخِ وَالْحِسَابِ﴾ بمحو آية الليل، ولولا ذلك، لم يعرف الليل من النهار، ولم يُتَيَّن العدد. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾ أي: ما يحتاج إليه، ﴿فَتْنَةٌ تَفْصِيلًا﴾ يثناه تبيينًا لا يلتبس معه بغيره.

﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِّرَبِّهِ أَزْمَنٌ مِّنْ عَهْدِهِ وَخَرُجْ لَوْ يَوْمَ الْآزِمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٢﴾﴾ أقرأ كُتِبَ كَلَّمَ بِتَفْصِيلِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَبِيبًا ﴿١٣﴾﴾  
 قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ﴾ وقرأ ابن أبي عبلة «وكل» برفع اللام. وقرأ ابن مسعود، وأبي، والحسن «الزمنة» طيرة، بياء ساكنة من غير ألف. وفي الطائر أربعة أقوال. أحدها: شقاوته وسعادته، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال مجاهد: ما من مولود يولد إلّا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي، أو سعيد. والثاني: عمله، قاله الفراء، وعن الحسن كالقولين. والثالث: أنه ما يصيبه، قاله خصيف. وقال أبو عبيدة: حظّه. قال ابن قتيبة: والمعنى فيما أرى - والله أعلم -: أن لكل امرئ حظًا من الخير والشر قد قضاه الله [عليه]، فهو لازم عنقه، والعرب تقول: لكل ما لزم الإنسان: قد لزم عنقه، وهذا لك عليّ وفي عنقي حتى أخرج منه، وإنما قيل للحظ من الخير والشر: «طائر» لقول العرب: جرى له الطائر بكذا من الخير، وجرى له الطائر بكذا من الشر، على طريق القال والطيرة، فحاطبهم الله بما يستعملون، وأعلمهم أن ذلك الأمر الذي يجعلونه بالطائر، هو الذي يلزمه أعناقهم. وقال الأزهري: الأصل في هذا أن الله تعالى لما خلق آدم، علم المطيع من ذريته، والعاصي، فكتب ما علمه منهم أجمعين، وقضى سعادة من علمه مطيعاً، وشقاوة من علمه عاصياً، فصار لكل منهم ما هو صائر إليه عند خلقه وإنشائه، فذلك قوله: ﴿الزَّيْنَةُ لَطِيفٌ فِي عَهْدِهِ﴾. والرابع: أنه ما يُطَيَّرُ من مثله من شيء عمله، وذكر العنق عبارة عن اللزوم له، كلزوم القلادة العنق من بين ما يلبس، هذا قول الزجاج. وقال ابن الأنباري: الأصل في تسميتهم العمل طائراً، أنهم كانوا يطيطّرون من بعض الأعمال.

قوله تعالى: ﴿وُخْرِجْ لَوْ﴾ قرأ أبو جعفر: «وُخْرِجْ» بياء مضمومة وفتح الراء. وقرأ يعقوب، وعبد الوارث: بالياء مفتوحة وضم الراء. وقرأ قتادة، وأبو المتوكل: «وُخْرِجْ» بياء مرفوعة وكسر الراء. وقرأ أبو الجوزاء، والأعرج: «وُخْرِجْ» بياء مفتوحة ورفع الراء، ﴿يَوْمَ الْآزِمَةِ كِتَابًا﴾ وقرأ ابن عباس، وعكرمة، والضحاك: «كتاب» بالرفع، ﴿يَلْقَاهُ﴾ وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر: «يُلْقَاهُ» بضم الياء وتشديد القاف. وأمال حمزة والكسائي القاف. قال

(١) ابن جرير الطبري ٤٨/١٥، عن سلمان الفارسي، ورواه أيضاً عن ابن عباس.

المفسرون: هذا كتابه الذي فيه ما عمل. وكان أبو السَّوَّارِ العَدَوِيُّ إذا قرأ هذه الآية قال: نشرتان وطية، أمّا ما حييت يا ابن آدم، فصحيفتك منشورة، فأُتِلَ فيها ما شئت، فإذا مُتُّ، طويت، ثم إذا بُعثت، نُشرت.

قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ وقرأ أبو جعفر: «اقرأ» بتخفيف الهمزة، وفيه إضمار، تقديره: فيقال له: اقرأ كتابك. قال الحسن: يقرؤه أمياً كان أو غير أمي، ولقد عدل عيك من جعلك حسب نفسك. وفي معنى ﴿حَيِّباً﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: محايباً. والثاني: شاهداً. والثالث: كافيّاً، والمعنى: أن الإنسان يفوّض إليه حسابه، ليعلم عدل الله بين العباد، ويرى وجوب حجة الله عليه، واستحقاقه العقوبة، ويعلم أنه إن دخل الجنة، فبفضل الله، لا بعمله، وإن دخل النار، فبذنبه. قال ابن الأنباري: وإنما قال: ﴿حَيِّباً﴾، والنفس مؤنثة، لأنه يعني بالنفس: الشخص، أو لأنه لا علامة للتأنيث في لفظ النفس، فشبهت بالسماء والأرض، قال تعالى: ﴿أَلَسْمَا مُنْفُطِرٌ يَوْمَ﴾ [الزمل: ١٨]، قال الشاعر:

[فَلَا مُرْئَةً وَدَقَّتْ وَذَقَهَا] ولا أرض أبقل إبقالها<sup>(١)</sup>

﴿مَنْ آتَاكَ فَإِنَّمَا يَتَذَرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ مَلَ فَإِنَّمَا يَصِلُ عَلَيْهَا وَلَا يُزِرُّ وَارِدَةً وَنَزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعْذِرِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ آتَاكَ فَإِنَّمَا يَتَذَرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: له ثواب اهتدائه، وعليه عقاب ضلاله.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُزِرُّ وَارِدَةً﴾ أي: نفس وازرة ﴿وَنَزْرَ أُخْرَى﴾ قال ابن عباس: إن الوليد بن المغيرة قال: أتبعوني وأنا أحمل أوزاركم، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا يُزِرُّ وَارِدَةً وَنَزْرَ أُخْرَى﴾، قال أبو عبيدة: والمعنى: ولا تأثم أئمة أئمة أخرى. قال الزجاج: يقال: وَزَرَ، فهو وَازِرٌ، وَزْرًا، وَوَزْرًا، وَوِزْرَةً، ومعناه: أئمة أئمة. وفي تأويل هذه الآية وجهان: أحدهما: أن الأئمة لا يؤخذ بذنب غيره. والثاني: أنه لا ينبغي أن يعمل الإنسان بالإثم، لأن غيره عَمِلَهُ، كما قال الكفار: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أَثَرٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]. ومعنى ﴿حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ أي: حتى نبيّن ما به نعدّب، وما من أجله نُدخل الجنة.

### فصل

قال القاضي أبو يعلى: في هذا دليل على أن معرفة الله لا تجب عقلاً، وإنما تجب بالشرع، وهو بعثة الرسل، وأنه لو مات الإنسان قبل ذلك، لم يقطع عليه بالنار. قال: وقيل معناه: أنه لا يعدّب في ما طريقه السمع إلا بقيام حجة السمع من جهة الرسول، ولهذا قالوا: لو أسلم بعض أهل الحرب في دار الحرب ولم يسمع بالصلاة والزكاة ونحوها، لم يلزمه قضاء شيء منها، لأنها لم تلزمه إلا بعد قيام حجة السمع، والأصل فيه قصة أهل قُبَاء حين استداروا إلى الكعبة ولم يستأنفوا، ولو أسلم في دار الإسلام ولم يعلم بفرض الصلاة، فالواجب عليه القضاء، لأنه قد رأى الناس يصلّون في المساجد بأذان وإقامة، وذلك دعاء إليها.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدْمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا بَيْنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَانَ رِجْكَ يَدْرِبُ يَدْرِبُهُ جَبْرًا بَصِيرًا

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾ في سبب إرادته لذلك قولان: أحدهما: ما سبق لهم في قضائه من الشقاء. والثاني: عنادهم الأنبياء وتكذيبهم إياهم.

قوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ قرأ الأكثرون: «أمرنا» مخففة، على وزن «فَعَلْنَا»، وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه من الأمر، وفي الكلام إضمار، تقديره: أمرنا مترفيها بالطاعة، ففسقوا، هذا مذهب سعيد بن جبيرة. قال الزجاج: ومثله في الكلام: أمرتك ففعلتني، فقد علم أن المعصية مخالفة الأمر. والثاني: «كثّرنا» يقال: أمرت الشيء وأمرته، أي: كثّرت، ومنه قولهم: مُهْرَةٌ مأمورة، أي: كثيرة التناج، يقال: أمر بنو فلان يأمرّون أمراً: إذا كثروا، هذا قول أبي عبيدة، وابن

(١) قاله عامر بن جوين: شاعر جاهلي، كان خليعاً فانكأ، وشريفاً وفياً، والبيت في «الكتاب» ٢٠٥/١، و«مجاز القرآن» ٦٧/٢، و«الطبري» ١٥٣/١٨، و«القرطبي» ٢٨٩/١٢، و«العيني» ٤٦٤/٢، و«شواهد المغني» ٣١٣، و«الخزانة» ٢١/١. والشاهد فيه حذف التاء من «أبقلت» لأن الأرض بمعنى المكان، فكانه قال: ولا مكان أبقل إبقالها، والمزنة: السحابة، والودق: المطر.

قتيبة. والثالث: أن معن «أمرنا»: أمرنا، يقال: أمرت الرجل، بمعنى: أمرته، والمعنى: سلطنا مترفها بالإمارة، ذكره ابن الأنباري. وروى خارجة عن نافع: «أمرنا» ممدودة، مثل «أمتنا»، وكذلك روى حماد بن سلمة عن ابن كثير، وهي قراءة ابن عباس، وأبي الدرداء، وأبي رزين، والحسن، والضحاك، ويعقوب. قال ابن قتيبة: وهي اللغة العالية المشهورة، ومعناه: كثُرنا، أيضاً. وروى ابن مجاهد أن أبا عمرو قرأ: «أمرنا» مشددة الميم، وهي رواية أبان عن عاصم، وهي قراءة أبي العالية، والنخعي، والجحدري. قال ابن قتيبة: المعنى: جعلناهم أمراء. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن يعمر: «أمرنا» بفتح الهمزة مكسورة الميم مخففة. فأما المترفون، فهم المتنعمون الذين قد أبطرتهم النعمة وسعة العيش، والمفسرون يقولون: هم الجبَّارون والمسَّطون والملوك، وإنما خص المترفين بالذكر، لأنهم الرؤساء، ومن عداهم تبع لهم.

قوله تعالى: ﴿فَسَقُوا إِلَيْهَا﴾ أي: تمردوا في كفرهم، لأن الفسق في الكفر: الخروج إلى أفحشه. وقد شرحنا معنى «الفسق» في [البقرة: ٢٦، ١٩٧].

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ عَلَيْنَا الْقَرْعُ﴾ قال مقاتل: وجب عليها العذاب. وقد ذكرنا معنى «التدمير» في [الأعراف: ١٣٧].  
قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ﴾ وهو جمع قُرُون. وقد ذكرنا اختلاف الناس فيه في [الأنعام: ٦١]، وشرحنا معنى «الخبير» و«البصير» في [البقرة: ٢٦]. قال مقاتل: وهذه الآية تخويف لأهل مكة.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْمَسَاجِدَ عَلَيْنَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [١٨] وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا [١٩]

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْمَسَاجِدَ﴾ يعني: من كان يريد بعمله الدنيا، فعبر بالنعى عن الاسم، ﴿عَلَيْنَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾ من عرض الدنيا، وقيل: من البسط والتضخيم، ﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾ فيه قولان: أحدهما: لمن نريد هلكته، قاله أبو إسحاق الفزاري. والثاني: لمن نريد أن نعجل له شيئاً، وفي هذا ذم لمن أراد بعمله الدنيا، وبيان أنه لا ينال مع ما يقصده منها إلا ما قُدِّرَ له، ثم يدخل النار في الآخرة. وقال ابن جرير: هذه الآية لمن لا يوقن بالمعاد. وق ذكرنا معنى «جهنم» في [البقرة: ٢٠٦]، ومعنى: «يصلها» في سورة [النساء: ١٠]، ومعنى «مذموماً مدحوراً» في [الأعراف: ١٨].

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾ يعني: الجنة. أي: عمل لها العمل الذي يصلح لها، وإنما قال: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ لأن الإيمان شرط في صحة الأعمال، ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ أي: مقبولاً. وشكر الله عز وجل لهم: ثوابه إياهم، وثناؤه عليهم.

﴿كُلًّا نُمِدُّ هُنُوًا وَمِنْهُ يَرْجَىٰ ۖ وَمِنْهُ يَخْشَوْنَ غَلًّا ۚ وَمَا كَانَ وَعْدُ رَبِّكَ مَبْهُوتًا ۚ﴾ [٢٠] أَفَلَا يَفْقَهُونَ ۚ ﴿٢١﴾ فَكَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ ۚ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۚ ﴿٢٢﴾ لَّا يَجْمَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّآءَرٌ فَقَدْ مَدَّوْا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هُنُوًا﴾ قال الزجاج: «كلاً» منصوب بـ«نمِدُّ»، «هؤلاء» بدل من «كل»، والمعنى: نمد هؤلاء وهؤلاء «وَمِنْهُ يَرْجَىٰ» قال المفسرون: كلاً تعطي من الدنيا، البرّ والفاجر، والعطاء هاهنا: الرزق، والمحظور: الممنوع، والمعنى: أن الرزق يعم المؤمن والكافر، والآخرة للمؤمنين خاصة. ﴿أَفَلَا يَفْقَهُونَ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وفيما فضلوا فيه قولان: أحدهما: الرزق، منهم مقل، ومنهم أكثر. والثاني: الرزق والعمل، فمنهم موقف لعمل صالح، ومنهم ممنوع من ذلك.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَجْمَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّآءَرٌ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والمعنى عام لجميع المكلفين. والمخذول: الذي لا ناصر له، والخذلان: ترك العون. قال مقاتل: نزلت حين دعوا رسول الله ﷺ إلى ملة أبياته.

﴿وَقَفَّيْ رَبِّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ وَالَّذِينَ يَحْسَبُونَ أَنَّمَا يَسْتَفْتُونَكَ عَنْكَ الْأَكْثَرُ أَكْثَرًا ۚ﴾ [٢٤] وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ ۚ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۚ ﴿٢٥﴾ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ ۚ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۚ ﴿٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْ رَبِّكَ﴾ روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: أمر ربك. ونقل عنه الضحاك أنه قال: إنما

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها  
أراد: قطعها محكماً لها.

فأما معنى «أف» ففيه خمسة أقوال: أحدها: أنه وسخ الظفر، قاله الخليل. والثاني: وسخ الأذن، قاله الأصمعي.

(٣) في القروطي ١/٢٤٣: وإف لك، بكسر الهمزة.

والثالث: قلامة الظفر، قاله ثعلب. والرابع: أن «الأف» الاحتقار والاستصغار، من «الأف» والأفب عند العرب: القلّة، ذكره ابن الأنباري. والخامس: أن «الأف» ما رفعت من الأرض من عود أو قصبه، حكاه ابن فارس اللغوي. وقرأت على شيخنا أبي منصور قال: معنى «الأف»: الثَّن، والتضجر، وأصلها: تفخك الشيء يسقط عليك من تراب ورماد، وللمكان تريد إمالة الأذى عنه، فقلت لكل مستقل. قال المصنف: وأما قولهم: «أف»، فقد جعلها قوم بمعنى «أف»، فروي عن أبي عبيد أنه قال: أصل «الأف» و«الثف»: الوسخ على الأصابع إذا فتلته. وحكى ابن الأنباري فرقا، فقال: قال اللغويون: أصل «الأف» في اللغة: وسخ الأذن، و«الثف»: وسخ الأظفار، فاستعملتها العرب فيما يكره ويستقذر ويضجر منه. وحكى الزجاج فرقا آخر، فقال: قد قيل: إن «أف»: وسخ الأظفار، و«الثف»: الشيء الحقيق، نحو وسخ الأذن، أو الشظية تؤخذ من الأرض، ومعنى «أف»: الثَّن، ومعنى الآية: لا تقل لهما كلاماً تبرم فيه بهما إذا كبراً وأستا، فينبغي أن تتولى من خدمتهما مثل الذي توليا من القيام بشأنك وخدمتك، «وَلَا تَهْرُمَا» أي: لا تكلمهما صَاحِباً في وجوههما. وقال عطاء بن أبي رباح: لا تنفض يدك عليهما، يقال: نَهَرْتُهُ أَنْهَرُهُ نَهْراً، وانتَهَرْتُهُ انتِهْراً، بمعنى واحد. وقال ابن فارس: نهَرْتُ الرَّجُلَ وانتَهَرْتُهُ، مثل: زجرته. قال المفسرون: وإنما نهى عن أذاهما في الكبر، وإن كان منياً عنه على كل حالة، لأن حالة الكبر يظهر فيها منهما ما يُفسجِر ويؤذي، وتكثر خدمتهما.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي: ليُنَا لطيفاً أحسن ما تجد. وقال سعيد بن المسيّب: قول العبد المذنب للسيد اللفظ.

قوله تعالى: ﴿وَأَخِفْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أي: ألن لهما جانبك متذلاً لهما من رحمتك إياهما. وخفَضَ الجَنَاحُ قد شرحناه في [العبر: ٨٨]. قال عطاء: جناحك: يداك، فلا ترفعهما على والديك والجمهور يضمنون الذال من «الذل». وقرأ أبو رزين، والحسن، وسعيد بن جبير، وقادة، وعاصم الجحدري، وابن أبي عبلة: بكسر الذال. قال الفراء: الذل: أن تتذلل لهما، من الذل، والذل: أن تتذلل ولست بذليل في الخدمة، والذل والذلة: مصدر الذليل، والذل، بالكسر: مصدر الذلول، مثل الدابة والأرض. قال ابن الأنباري: من قرأ «الذل»، بكسر الذال، جعله بمعنى الذل، بضم الذال، والذي عليه كبراء أهل اللغة أن الذل من الرجل: الذليل، والذل من الدابة: الذلول.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَا صَغِيرًا﴾ أي: مثل رحمتهم إياي في صغري حتى رباني. وقد ذهب قوم إلى أن هذا الدعاء المطلق نسخ منه الدعاء لأهل الشرك بقوله: ﴿مَا كُنَّا لِلنَّبِيِّ وَالْزِينَةِ مَأْسُورًا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، ومقاتل. قال المصنف: ولا أرى هذا نسخاً عند الفقهاء، لأنه عام دخله التخصيص، وقد ذكر قريباً مما قلته ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَشَدُّ بِمَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي: بما تُضمرون من البُرِّ والعقوق، فمن بدلت منه بادرة وهو لا يُضمِر العقوق، غفر له ذلك، وهو قوله: ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ أي: طائعين لله، [وقيل: بآزين، وقيل: توابين،] «إِنَّكُمْ كُنَّا لِلْزِينَةِ عَقُورًا»، في الآواب عشرة أقوال: أحدها: أنه المسلم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنه التواب، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك، وأبو عبيدة. وقال ابن قتيبة: هو التائب مرة بعد مرة. وقال الزجاج: هو التواب المُقْبِلُ عن جميع ما نهى الله عنه، يقال: قد آب يؤوب أوباً، إذا رجع. والثالث: أنه المستجيب، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والرابع: أنه المطيع لله تعالى، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والخامس: أنه الذي يذكر ذنبه في الخلاء، فيستغفر الله منه، قاله عبيد بن عمير. والسادس: أنه المُقْبِلُ إلى الله تعالى بقلبه وعمله، قاله الحسن. والسابع: المصلي، قاله قتادة. والثامن: هو الذي يصلي بين المغرب والعشاء، قاله ابن المنكدر. والتاسع: الذي يصلي صلاة الضحى، قاله عون العقيلي. والعاشر: أنه الذي يُذِنُ سراً ويتوب سراً، قاله السدي.

﴿وَمَا تَذَكَّرُ أَتَىٰ بِمَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي: بما تُضمرون من البُرِّ والعقوق، فمن بدلت منه بادرة وهو لا يُضمِر العقوق، غفر له ذلك، وهو قوله: ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ أي: طائعين لله، [وقيل: بآزين، وقيل: توابين،] «إِنَّكُمْ كُنَّا لِلْزِينَةِ عَقُورًا»، في الآواب عشرة أقوال: أحدها: أنه المسلم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنه التواب، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك، وأبو عبيدة. وقال ابن قتيبة: هو التائب مرة بعد مرة. وقال الزجاج: هو التواب المُقْبِلُ عن جميع ما نهى الله عنه، يقال: قد آب يؤوب أوباً، إذا رجع. والثالث: أنه المستجيب، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والرابع: أنه المطيع لله تعالى، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والخامس: أنه الذي يذكر ذنبه في الخلاء، فيستغفر الله منه، قاله عبيد بن عمير. والسادس: أنه المُقْبِلُ إلى الله تعالى بقلبه وعمله، قاله الحسن. والسابع: المصلي، قاله قتادة. والثامن: هو الذي يصلي بين المغرب والعشاء، قاله ابن المنكدر. والتاسع: الذي يصلي صلاة الضحى، قاله عون العقيلي. والعاشر: أنه الذي يُذِنُ سراً ويتوب سراً، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدَ الْفَرِيقِ خَفِيٌّ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه قرابة الرجل من قبل أبيه وأمه، قاله ابن عباس، والحسن، فعلى هذا في حقهم ثلاثة أقوال. أحدها: أن المراد به: يرثهم وصيتهم. والثاني: النفقة الواجبة لهم وقت الحاجة. والثالث: الوصية لهم عند الوفاة. والثاني: أنهم قرابة الرسول، قاله علي بن الحسين عليه السلام، والسدي. فعلى هذا، يكون حقهم: إعطاؤهم من الخمس، ويكون الخطاب للوفاة.

قوله تعالى: ﴿وَالْيَسِيرِينَ وَالَّذِينَ فِي السَّبِيلِ﴾ قال القاضي أبو يعلى: يجوز أن يكون المراد: الصدقات الواجبة، يعني: الزكاة، ويجوز أن يكون الحق الذي يلزمه إعطاؤه عند الضرورة إليه. وقيل: حق المسكين، من الصدقة، وابن السبيل، من الضيافة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَذَرُكَ تَزْيِيرًا﴾ في التفسير قولان: أحدهما: أنه إنفاق المال في غير حق، قاله ابن مسعود<sup>(١)</sup>، وابن عباس<sup>(٢)</sup>. وقال مجاهد: لو أنفق الرجل ماله كله في حق، ما كان مبذراً، ولو أنفق مئداً في غير حق، كان مبذراً. قال الزجاج: التبذير: النفقة في غير طاعة الله، وكانت الجاهلية تنحر الإبل وتبذر الأموال تطلب بذلك الفخر والشُّمعة، فأمر الله ﷻ بالنفقة في وجهها فيما يقرب منه. والثاني: أنه الإسراف المتكلف للمال، ذكره الماوردي. وقال أبو عبيدة: المبذر: هو المُسرف المُفسد العاث.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمَكِيدِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ لأنهم يوافقونهم فيما يدعونهم إليه، ويشاكلونهم في معصية الله، ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ أي: جاحداً لنعمته. وهذا يتضمن أن المسرف كفور للنعم.

قوله تعالى: ﴿وَرِثْنَا مَرَضَهُمْ﴾ في المشار إليهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم الذين تقدم ذكرهم من الأقارب والمساكين وأبناء السبيل، قاله الأكثرون، فعلى هذا في علّة هذا الإعراض قولان: أحدهما: الإصرار، قاله الجمهور. والثاني: خوف إنفاقهم ذلك في معصية الله، قاله ابن زيد. وعلى هذا في الرحمة قولان. أحدهما: الرزق، قاله الأكثرون. والثاني: أنه الصلاح والتوبة، هذا على قول ابن زيد. والثاني: أنهم المشركون، فالمعنى: وإما تعرضن عنهم لتكذيبهم، قاله سعيد بن جبير. فتحتمل إذا الرحمة وجهين: أحدهما: انتظار النصر عليهم. والثاني: الهداية لهم. والثالث: أنهم ناس من مؤمنة جاؤوا يستحملون رسول الله ﷺ، فقال: ﴿لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾، فبكروا، فنزلت هذه الآية، قاله عطاء الخراساني. والرابع: أنها نزلت في خيَّاب، وبلال، وعُمَار، ومُهَجَج، ونحوهم من الفقراء، كانوا يسألون رسول الله ﷺ فلا يجد ما يعطيهم، فيعرض عنهم ويسكت، قاله مقاتل. فعلى هذا القول والذي قبله تكون الرحمة بمعنى الرزق.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا نِّيَسُورًا﴾ قال أبو عبيدة: ليئناً هيئناً، وهو من البُسر. وللمفسرين فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه العدة الحسنة، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد. والثاني: أنه القول الجميل، مثل أن يقول: رزقنا الله وإياك، قاله ابن زيد؛ وهذا على ما تقدم من قوله. والثالث: أنه المداراة لهم باللسان، على قول من قال: هم المشركون، قاله أبو سليمان الدمشقي؛ وعلى هذا القول، تحتمل الآية النسخ.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ ﴿٣١﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَتَّىٰ تَمْلِكُوا عَلَيْهِمْ فَتَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ سبب نزولها: أن غلاماً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال، إن أمي تسألك كلنا وكذا، قال: ﴿ما هننا اليوم شيء﴾، قال: فتقول لك: احسنني قميصك، قال: فخلع قميصه فدفعه إليه، وجلس في البيت حاسراً، فنزلت هذه الآية، قاله ابن مسعود<sup>(٣)</sup>. وروى جابر بن عبد الله نحو هذا، فزاد فيه: فأذن بلال للصلاة،

(١) «الأدب المفرد» للخازني ٥٣٣/١، وابن جرير ٧٣/١٥، والحاكم ٣٦١/٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وخرجه السيوطي في «الدر» ١٧٧/٤ وزاد نسبته إلى الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٢) «الأدب المفرد» ٥٣٤/١، وابن جرير: ٧٣/١٥.

(٣) نسبة السيوطي في «الدر» ١٧٨/٤ لابن جرير، ولم نقف عليه.



وانتظروه فلم يخرج، فشغل قلوب الصحابة، فدخل عليه بعضهم، فأروه غريباناً، فنزلت هذه الآية، والمعنى: لا تمسك يدك عن البذل كل الإمساك حتى كأنها مقبوضة إلى عنقك، ﴿وَلَا تَسْطِطْ عَلَى كُلِّ الْبَسْطِ﴾ في الإعطاء والنفقة ﴿فَتَقَعَّدَ مَلُومًا﴾ تلوم نفسك ويلومك الناس، ﴿تَحْسُرًا﴾ قال ابن قتيبة: تَحْسُرُكَ العطية وتقطعك كما يَحْسُرُ السفر البعير فيبقى منقطعاً به. قال الزجاج: المحسور: الذي قد بلغ الغاية في التعب والإعياء، فالمعنى: فتقعد. وقد بلغت في الحمل على نفسك وحالك حتى صيرت بمنزلة من قد حَسَرَ. قال القاضي أبو يعلى: وهذا الخطاب أريد به غير رسول الله ﷺ، لأنه لم يكن يَدْحُرُ شيئاً لغد، وكان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه، وقد كان كثير من فضلاء الصحابة ينفقون جميع ما يملكون، فلم ينههم الله، لصحة يقينهم، وإنما نهى من يخيف عليه التحسر على ما خرج من يده، فأما من وثق بوعد الله تعالى، فهو غير مراد بالآية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يوسع على من يشاء ويضيّق، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُبَادِلُونَ أَخِيحًا بَبِيرًا﴾ حيث أجرى أرزاقهم على ما علم فيه صلاحهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُونُوا﴾ قد فسرناه في [الأنعام: ١٥١].

قوله تعالى: ﴿كَانَ خَطَاً كَبِيراً﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «خِطَاءً». مكسورة الخاء ساكنة الطاء مهموزة مقصورة. وقرأ ابن كثير، وعطاء: «خِطَاءً» مكسورة الخاء ممدودة مهموزة. وقرأ ابن عامر: «خَطَاً» بنصب الخاء والطاء وبالهزة من غير مد. وقرأ أبو رزين كذلك، إلا أنه مد، وقرأ الحسن، وقتادة: «خِطَاءً» بفتح الخاء وسكون الطاء مهموز مقصور. وقرأ الزهري، وحמיד بن قيس: «خِطَاً» بكسر الخاء وتنوين الطاء من غير همز ولا مد. قال الفراء: الخِطء: الإثم، وقد يكون في معنى «خَطْلًا» كما قالوا: «وَقَتَبٌ» و«قَتَبٌ» و«حِزْبٌ» و«حِزْبٌ» و«نَجَسٌ» و«نَجَسٌ»، والخِطء، والخِطاء، والخِطاء، ممدود: لغات. وقال أبو عبيدة: خِطِطْتُ وأَخْطَأْتُ، لغتان. وقال أبو علي: قراءة ابن كثير «خِطَاءً»، يجوز أن تكون مصدر «خاطأ» وإن لم يسمع «خاطأ» ولكن قد جاء ما يدل عليه، أنشد أبو عبيدة:

الْخِطْءُ وَالْخِطْءُ وَالْخِطْءُ

وقال الأخفش: خِطِئَ يَخْطِئُ بمعنى «أَذْنَبَ» وليس بمعنى «أَخْطَأَ»، لأن «أَخْطَأَ»: فيما لم يصنعه عمداً، تقول فيما أتيت عمداً: «خِطِئْتُ»، وفيما لم تعمده: «أَخْطَأْتُ». وقال ابن الأنباري: «الخِطء»: الإثم، يقال: قد خِطِئَ يَخْطِئُ: إذا أثم، وأَخْطَأَ يَخْطِئُ: إذا فارق الصواب. وقد شرحنا هذا في [يوسف: ٩١] عند قوله: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخِطِلِينَ﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ﴾<sup>(٢)</sup> إِنْ كَانَتْ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَنَ قُلْ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِرَبِّهِمْ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾<sup>(٣)</sup> إِنْ كَانَتْ مَضْرُوكًا ﴿

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو الجوزاء، والحسن: بالمد. قال أبو عبيدة: وقد يمد «الزنا» في كلام أهل نجد، قال الفرزدق:

أَبَا خَاضِرٍ مِّنْ يَزُنْ يُعْرِفُ زِنَاؤَهُ.  
وَمَنْ يَشْرِبِ الْخُرْطُومَ يُضْبِحُ مُسَكَّرًا<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً:  
أَخْضِبْتَ فَعَلَّكَ لِلزَّانِ وَلَمْ تَكُنْ  
يَوْمَ اللَّقَاءِ لَلْخُضْبِ الْأَبْطَالًا<sup>(٢)</sup>

وقال آخر:  
كَانَ الزَّانِ فَرِيضَةً الرَّجْمِ<sup>(٣)</sup>

(١) «مجاز القرآن» ٣٧٧/١، «الجمهرة» ٢٢٥/٣، «اللسان» و«التاج»: زني.

(٢) «مجاز القرآن» ٣٧٧/١.

(٣) البيت للناطقة الجمعد: «ديوانه» ٢٣٥ طبع المكتب الإسلامي، و«مجاز القرآن» ٣٧٨/١، و«أمالني المرتضى» ٢١٦/١، و«الإنصاف في مسائل الخلاف» ١٦٥، و«اللسان»: زني. وقوله: «كان الزنا فريضة الرجم» مقلوب، والأصل: كان الرجم فريضة الزنا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قد ذكرناه في [الأنعام: ١٥١].

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا﴾ قال الزجاج: الأجود إدغام الدال مع الجيم، والإظهار جيد بالغ، إلا أن الجيم من وسط اللسان، والدال من طرف اللسان، والإدغام جائز، لأن حروف وسط اللسان تقرب من حروف طرف اللسان. ووليّه: الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه، فإن لم يكن له ولي، فالسلطان وليّه. وللمفسرين في السلطان قولان: أحدهما: أنه الحجة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الوالي، والمعنى: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ ينصره ويُنصِفُه في حقّه، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يُشْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: «فلا يسرف» بالياء. وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي: بالتاء. وفي المشار إليه في الآية قولان: أحدهما: أنه وليّ المقتول. وفي المراد بإسرافه خمسة أقوال: أحدها: أن يقتل غير القاتل، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: أن يقتل اثنين بواحد، قاله سعيد بن جبیر. والثالث: أن يقتل أشرف من الذي قُتل، قاله ابن زيد. والرابع: أن يمتل، قاله قتادة. والخامس: أن يتولى هو قتل القاتل دون السلطان، ذكره الزجاج. والثاني: أن الإشارة إلى القاتل الأول، والمعنى: فلا يسرف القاتل بالقتل تعدياً وظلماً، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُشْرِكًا﴾ أي: مُعَانًا عليه. وفي هاء الكناية أربعة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الولي، فالمعنى: إنه كان منصوراً بتمكينه من القود، قاله قتادة، والجمهور. والثاني: أنها ترجع إلى المقتول، فالمعنى: إنه كان منصوراً بقتل قاتله، قاله مجاهد. والثالث: أنها ترجع إلى الدم، فالمعنى: إن دم المقتول كان منصوراً، أي: مطلوباً به. والرابع: أنها ترجع إلى القتل، ذكر القولين الفراء.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُمْ كَانُوا مُشْرِكًا ﴿٣٤﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَثَلًا ﴿٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ قد شرحناه في [الأنعام: ١٥٢].

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ وهو عام فيما بين العبد وبين ربه، وفيما بينه وبين الناس. قال الزجاج: كل ما أمر الله به وأنهى عنه فهو من العهد.

قوله تعالى: ﴿كَانَتْ مَثَلًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: مسؤولاً عنه.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ أي: أتموه ولا تبخسوا منه.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُوا بِالْقِسْطِ﴾ فيه خمس لغات: أحدها: «قسطاس»، بضم القاف وسين، وهذه قراءة ابن كثير، ونافع، وأبي عمرو، وابن عامر، وأبي بكر عن عاصم هاهنا وفي [الشعراء: ١٨٢]. والثانية: كذلك، إلا أن القاف مكسورة، وهذه قراءة حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم. قال الفراء: هما لفتان. والثالثة: «قصطاص»، بصادين. والرابعة: «قصطاس»، بصاد قبل الطاء وسين بعدها، وهاتان مرويتان عن حمزة. والخامسة: «قسطان»، بالنون. قرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي عن ابن دريد قال: القسطاس: الميزان، روميّ معرب، ويقال: «قسطاس» و«قسطاس».

قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ أي: ذلك الوفاء خير عند الله وأقرب إليه، «وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» أي: عاقبة في الجزاء.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ قال الفراء: أصل «تَقَفْتُ» من القيافة، وهي: تتبّع الأثر، وفيه لفتان: يَفًا يَفْقُو، وقاف يقوف، وأكثر القراء يجعلونها من «قفوت»، فيحرك الفاء إلى الواو ويجزم القاف كما تقول: لا تَدْعُ. وقرأ معاذ القارئ: «لا تَقْفُ»، مثل: تَقُلْ، والعرب تقول: قَفْتُ أثره، وقَفُوت، ومثله: عاث وعثا، وقَاعَ الجملُ الناقة، وقعاها: إذا ركبها. قال الزجاج: من قرأ بإسكان الفاء وضم القاف من: قاف يقوف، فكانه مقلوب من قفا يقفو، والمعنى واحد، تقول: قفوت الشيء أفقوه فقوا: إذا تبعت أثره. وقال ابن قتيبة: «لا تقف»، أي: لا تتبّع الظنون والحسن، وهو من القفاء مأخوذ، كأنك تقفو الأمور، أي: تكون في أقبائها وأواخرها تتبّعها، والقائف: الذي

يعرف الآثار ويتبعها، فكأنه مقلوب عن القافي. وللمفسرين في المراد به أربعة أقوال: أحدها: لا ترم أحدًا بما ليس لك به علم، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: لا تقل: رأيت، ولم تر، ولا سمعت، ولم تسمع. رواه عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثالث: لا تُشرك بالله شيئاً، رواه عطاء أيضاً عن ابن عباس. والرابع: لا تشهد بالزور، قاله محمد بن الحنفية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّعَى وَالْعَصَرَ وَالْفَوْادِ كُلُّ أُولَئِكَ﴾ قال الزجاج: إنما قال: ﴿كُلُّ﴾، ثم قال: ﴿كَانَ﴾، لأن كلاً في لفظ الواحد، وإنما قال: ﴿أُولَئِكَ﴾ لغير الناس، لأن كل جمع أشرت إليه من الناس وغيرهم من الموات، تشير إليه بلفظ: «أولئك» قال جرير:

دُمَ الْمَنَازِلُ بَعْدَ مَنَزِلَةِ الْوَيْ

والعَيْشُ بَعْدَ أَوْلَئِكَ الْإِيمَانِ<sup>(١)</sup>  
قال المفسرون: الإشارة إلى الجوارح المذكورة، يُسأل العبد يوم القيامة فيما إذا استعملها، وفي هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل، والاستماع إلى ما يحرّم، والعزم على ما لا يجوز.

﴿وَلَا تَشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾<sup>(٢)</sup> كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُومًا<sup>(٣)</sup> ذَلِكَ وَمَا أَرْحَمَ إِلَٰهَكَ رَبُّكَ مِنْ الْحِكْمَةِ وَلَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا مَآخَرًا فَلَنَلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ وقرأ الضحّاك، وابن يعمر: «مَرِحًا» بكسر الراء، قال الأخفش: والكسر أجود، لأن «مَرِحًا» اسم الفاعل؛ قال الزجاج: وكلاهما في الجودة سواء، غير أن المصدر أؤكد في الاستعمال، تقول: جاء زيد ركضاً، وجاء زيد راكضاً، ف«ركضاً» أؤكد في الاستعمال، لأنه يدل على تأكيد الفعل، وتأويل الآية: لا تمش في الأرض مختلاً فخوراً، والمرح: الأشر والبطر. وقال ابن فارس: المرح: شدة الفرح.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لن تقطعها إلى آخرها. والثاني: لن تنفذها وتنقبها. قال ابن عباس: لن تخرق الأرض يكبرك، ولن تبلغ الجبال طولاً بمعظمتك. قال ابن قتيبة: والمعنى: لا ينبغي للعاجز أن يتدخّل ويستكبر.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «سَيِّئُهُ» منوناً غير مضاف، على معنى: كان خطيئة، فعلى هذا يكون قوله: ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ إشارة إلى المنهي عنه من المذكور فقط. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «سَيِّئُهُ» مضافاً مذكراً، فتكون لفظة «كل» يُشار بها إلى سائر ما تقدم ذكره. وكان أبو عمرو لا يرى هذه القراءة. قال الزجاج: وهذا غلط من أبي عمرو، لأن في هذه الأفاصيص سَيِّئاً وحَسَناً، وذلك أن فيها الأمر ببرّ الوالدين، وإيتاء ذي القربى، والوفاء بالعهد، ونحو ذلك، فهذه القراءة أحسن من قراءة مَنْ نصب السَيِّئَةَ، وكذلك قال أبو عبيدة: تدبرت الآيات من قوله تعالى: ﴿وَقَفَىٰ رَبُّكَ...﴾ فوجدت فيها أموراً حسنة. وقال أبو علي: من قرأ «سَيِّئُهُ» رأى أن الكلام انقطع عند قوله: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، وأن قوله: ﴿وَلَا تَقَفْ﴾ لا حُسْنَ فيه<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَا أَرْحَمَ إِلَٰهَكَ رَبُّكَ﴾ يشير إلى ما تقدم من الفرائض والسنن، «مِنْ الْحِكْمَةِ»، أي: من الأمور المُحكَّمة والأدب الجامع لكل خير. وقد سبق معنى «المدحور» [الإعراف: ١٧٨].

﴿أَفَأَسْفَحُوكُمْ بِآلِيَيْنَ وَأَتَّخَذَ مِنَ الْإِنْسَانِ الْغُلَّامَ لَقَوْلِهِمْ قَوْلًا عَظِيمًا﴾<sup>(٦)</sup>  
قوله تعالى: ﴿أَفَأَسْفَحُوكُمْ بِآلِيَيْنَ﴾ قال مقاتل: نزلت في مشركي العرب الذين قالوا: الملائكة بنات الرحمن. وقال أبو عبيدة: ومعنى «أَفَأَسْفَحُوكُمْ»: اختصكم. وقال المفضل: أخلصكم. وقال الزجاج: اختار لكم صفوة الشيء. وهذا توبيخ للكفار، والمعنى: اختار لكم البنين دونه، وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه، فاخصكم بالأعلى وجعل نفسه الأدون؟!

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾<sup>(٧)</sup>

(١) ديبانه، ٥٥١، والقائض، ٢٥٦/١، والطبري، ٨٧/١٥، والقرطبي، ٢٦٠/١٠.

(٢) أي: ليس مبطوفاً على الحسن في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، بل هو نهي عن تتبع أثر ما لا تعلم، فيكون ابتداء كلام.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ معنى التصريف هاهنا: التبیین، وذلك أنه إنما يصرف القول ليبين. وقال ابن قتيبة: «صرفنا» بمعنى: وجهنا، وهو من قولك: صرفت إليك كذا، أي: عدلت به إليك، وشدد للتكثير، كما تقول: فتتخذا الأبواب.

قوله تعالى: ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «لِيَذْكُرُوا» مشدداً. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «لِيَذْكُرُوا» مخففاً، وكذلك قرؤوا في [الفرقان: ٥٠]. والتذكُر: الاتعاظ والتدبر. ﴿وَمَا يَذْكُرُهُمْ﴾ تصرفنا وتذكرنا ﴿إِلَّا نَقُورُهُ﴾ قال ابن عباس: يتفرون من الحق، ويتبعون الباطل.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَاجْتَبَأُوا إِلَٰهِي الْأَمْثَلُ سَبَّحْتَ وَتَعَلَّىٰ عَنَّا يَقُولُونَ لَوْلَا سُبْحٌ لَّكَ الْكَلْبُوتُ السَّجَّ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَنْسُجُ بَحْبُورِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَمَلًا غَفُورًا﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «يقولون» بالياء. وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: «يقولون» بالياء.

قوله تعالى: ﴿إِذَا لَاجْتَبَأُوا إِلَٰهِي الْأَمْثَلُ سَبَّحْتَ وَتَعَلَّىٰ﴾ فيه قولان. أحدهما: لا يتقربوا سبيلاً إلى ممانعته وإزالة ملكه، قاله الحسن، وسعيد بن جبيرة. والثاني: لا يتقربوا سبيلاً إلى رضا، لأنهم دونه، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَقُولُوتُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر، وحفص عن عاصم: «يقولون» بالياء. وقرأ حمزة، والكسائي: بالياء.

قوله تعالى: ﴿تَسْبِيحٌ لَّكَ الْكَلْبُوتُ السَّجَّ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «تسبح» بالياء. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «يسبح» بالياء. قال الفراء: وإنما حسنت «الياء» هاهنا، لأنه عدد قليل، وإذا قل العدد من المؤنث والمذكر، كانت الياء فيه أحسن من التاء، قال في المؤنث القليل: ﴿وَقَالَ يَسْؤُهُ﴾ [يوسف: ٣٠]، وقال في المذكر: ﴿إِذَا اسْتَلَخَ الْأَشْهُرُ الْقُرْصُ﴾ [التوبة: ٥٠]. قال العلماء: والمراد بهذا التسبيح: الدلالة على أنه الخالق القادر.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَنْسُجُ بَحْبُورِهِ﴾ «إن» بمعنى «فما». وهل هذا على إطلاقه، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه على إطلاقه، فكل شيء يسبحه حتى الثوب والطعام وصرير الباب، قاله إبراهيم النخعي. والثاني: أنه عام يراد به الخاص. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كل شيء في الروح، قاله الحسن، وقاتدة، والضحاك. والثاني: أنه كل ذي روح، وكل نام من شجر أو نبات؛ قال عكرمة: الشجرة تسبح، والأسطوانة لا تسبح. وجلس الحسن على طعام فقدموا الخوان، فقيل له: أيسبح هذا الخوان؟ فقال: قد كان يسبح مرة. والثالث: أنه كل شيء لم يغير عن حاله، فإذا تغير انقطع تسبيحه؛ روى خالد بن معدان عن المقدم بن معدي كرب قال: إن التراب ليسبح ما لم يبتل، فإذا ابتل ترك التسبيح، وإن الورقة تسبح ما دامت على الشجرة، فإذا سقطت تركت التسبيح، وإن الثوب ليسبح ما دام جديداً، فإذا توضع ترك التسبيح. فاما تسبيح الحيوان الناطق، فمعلوم، وتسبيح الحيوان غير الناطق، فجائز أن يكون بصوته، وجائز أن يكون بدلالته على صانعه. وفي تسبيح الجمادات ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تسبيح لا يعلمه إلا الله. والثاني: أنه خضوعه وخشوعه لله. والثالث: أنه دلالة على صانعه، فيوجب ذلك تسبيح مبصره. فإن قلنا: إنه تسبيح حقيقة، كان قوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لجميع الخلق؛ وإن قلنا: إنه دلالة على صانعه، كان الخطاب للكفار، لأنهم لا يستدلون، ولا يعتبرون. وقد شرحنا معنى «الحليم» و«الغفور» في [البقرة: ٢٢٥].

﴿وَلَقَدْ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَلَلًا إِنَّكَ لَا تُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْكُورًا﴾ ﴿وَمَحَلًّا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةٌ أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ﴿لَقَدْ ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ حَتْمًا وَلَوْ لَا عَلَّمَ أَذُنَهُمْ نَقُورًا﴾ ﴿مَنْ أَعْلَزَ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ يُخَرِّجُونَ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَعْلَمُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْخُورًا﴾ ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيحًا﴾ ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا عِظَمًا لِرَبِّنَا لَأُنْذِرْنَا لَوْ كُنَّا لَمُتُونًا فَلَمَّا جَدِيدًا﴾ ﴿قُلْ كُونُوا حِجَابَةً أَوْ حِيدًا﴾ ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْتُمُونَ فِي بُحُورِهِمْ سَتَقُولُونَ مَنْ يُعِظُّنَا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَكُنَا أَمْ لَنَا مَرْءٌ نُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ﴿إِلَيْكَ رُءُوسُهُمْ وَيَقُولُونَ مَنْ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِمْ وَتَقُولُونَ إِنْ لَيْسَ إِلَّا قَيْدُكَ﴾ ﴿٢٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الحجاب: هو الأكنة على قلوبهم، قاله قتادة. والثاني: أنه حجاب يستره فلا ترونه؛ وقيل: إنها نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن؛ قال الكلبي: وهم أبو سفيان، والنضر بن الحارث، وأبو جهل، وأم جميل امرأة أبي لهب، فحجب الله رسوله عن أبصارهم عند قراءة القرآن، فكانوا يأتونه ويمرؤون به، ولا يرونه. والثالث: أنه منع الله ﷻ إياهم عن أذاه، حكاه الزجاج. وفي معنى ﴿مَسْتُورًا﴾ قولان: أحدهما: أنه بمعنى ساتر؛ قال الزجاج: وهذا قول أهل اللغة. قال الأخفش: وقد يكون الفاعل في لفظ المفعول، كما تقول: إنك مشووم علينا، وميمون علينا، وإنما هو شائم ويامن، لأنه من «شائمهم» و«يمئهم». والثاني: أن المعنى: حجاباً مستوراً عنكم لا ترونه، ذكره الماوردي. وقال ابن الأنباري: إذا قيل: الحجاب: هو الطبع على قلوبهم، فهو مستور عن الأبصار، فيكون «مستوراً» باقياً على لفظه.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ قد شرحناه في [الأنعام: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا ذُكِّرْتُ بِرَبِّكَ فِي الْأَرْكَانِ وَحَدِّثُ﴾ يعني: قلت: لا إله إلا الله، وأنت تتلو القرآن ﴿وَلَوْ أَنَّا ذُكِّرْتُمْ﴾ قال أبو عبيدة: أي: على أعقابهم، ﴿تَتَوَلَّوْا﴾ وهو: جمع نافر، بمنزلة قاعد وقعود، وجالس وجُلوس. وقال الزجاج: تحتمل مذهبتين: أحدهما: المصدر، فيكون المعنى: ولوا نافرين نفوراً. والثاني: أن يكون «نفوراً» جمع نافر. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الشياطين، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم المشركون، وهذا مذهب ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَغْلَىٰ بِمَا يَسْتَمِعُونَ يَدَهُ﴾ قال المفسرون: أمر رسول الله ﷺ علياً عليه السلام أن يتخذ طعاماً ويدعو إليه أشراف قريش من المشركين، ففعل ذلك، ودخل عليهم رسول الله ﷺ فقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى التوحيد، وكانوا يستمعون ويقولون فيما بينهم: هو ساحر، هو مسحور، فنزلت هذه الآية: ﴿فَمَنْ أَغْلَىٰ بِمَا يَسْتَمِعُونَ يَدَهُ﴾، أي: يستمعونه، والباء زائدة. ﴿إِنَّ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ تُمَثَّلُ لَهُمْ فِي حُبْرَةٍ﴾ قال أبو عبيدة: هي مصدر من «تاجيت» واسم منها، فوصف القوم بها، والعرب تفعل ذلك، كقولهم: إنما هو عذاب، وأنتم غم، فجاءت في موضع «متناجين». وقال الزجاج: والمعنى: وإذا هم ذوو نجوى، وكانوا يستمعون من رسول الله ﷺ، ويقولون بينهم: هو ساحر، وهو مسحور، وما أشبه ذلك من القول.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ يعني: أولئك المشركون ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾ أي: ما تتبعون ﴿إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذي سحر فذهب بعقله، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: مخدوعاً مغروراً، قاله مجاهد. والثالث: له سحر، أي: رثة؛ وكل دابة أو طائر أو بشر يأكل فهو: مسحور ومسحر، لأن له سحراً، قال لبيد:

فإِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فَلَنُفَا

عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمَسْحَرِ<sup>(١)</sup>

وقال امرئ القيس:

أَرَانَا مُرَصَّدِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ

وَنُسْحَرُ بِالطَّلْعَامِ وَبِالشَّرَابِ<sup>(٢)</sup>

أي: نُغْلَى، لأن أهل السماء لا يأكلون، فأراد أن يكون ملكاً. فعلى هذا يكون المعنى: إن تتبعون إلا رجلاً له سحر، خلقه الله كخلقكم، وليس بملك، وهذا قول أبي عبيدة.

قال ابن قتيبة: والقول قول مجاهد، [أي: مخدوعاً]، لأن السحر حيلة وخديعة، ومعنى قول لبيد «المسحر»: المغلل، وقول امرئ القيس: «وَنُسْحَرُ» أي: نُغْلَى، وكأننا نُخْدَع، والناس يقولون: سحرني بكلامك، أي: خدعني، ويدل عليه قوله: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾، لأنهم لو أرادوا رجلاً ذا رثة، لم يكن في ذلك مثلاً ضربه، فلما أرادوا مخدوعاً - كأنه بالخديعة سحر - كان مثلاً ضربه، وكأنهم ذهبوا إلى أن قوماً يعلمونه ويخدعونه.

(١) «ديوانه» ٥٦، و«مجاز القرآن» ٣٨١/١، و«البيان والتبيين» ١٨٩/١، و«الحيوان» ٢٢٩/٥، و«الطبري» ٩٦/١٥، و«القرطبي» ٣٧٣/١٠، و«اللسان»: سحر.

(٢) «ديوانه» ٩٧، و«مجاز القرآن» ٣٨٢/١، و«البيان والتبيين» ١٨٩/١، و«الحيوان» ٢٢٩/٥، و«الطبري» ٩٦/١٥، و«أسالي المرتضى» ٥٧٧/١، و«اللسان»: سحر. وفي «الديوان»: «أَرَانَا مَوْضِعِينَ...» والإيضاح: ضرب من السير السريع.

قال المفسرون: ومعنى ﴿صَرَوْا لَكَ الْأَشْيَاءَ﴾ بَيَّنَّا لَكَ الْأَشْيَاءَ، حتى شبهوك بالساحر والشاعر والمجنون ﴿فَقِيلُوا﴾ عن الحق، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يجدون سبيلاً إلى تصحيح ما يعيبونك به. والثاني: لا يستطيعون سبيلاً إلى الهدى، لأننا طبعنا على قلوبهم. والثالث: لا يأتون سبيل الحق، لثقله عليهم؛ ومثله قولهم: لا أستطيع أن أنظر إلى فلان، يعنون: أنا مبغض له، فنظري إليه يقل، ذكرهن ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿إِذَا كُنَّا عِظَمًا﴾ قرأ ابن كثير: «أَيْدَا» بهمة ثم يأتي بياء ساكنة من غير مد، «أَيْدَا» مثله، وكذلك في كل القرآن. وكذلك روى قالون عن نافع، إلا أن نافعاً كان لا يستغهم في «أَيْدَا»، كان يجعل الثاني خبراً في كل القرآن، وكذلك مذهب الكسائي، غير أنه يهزم الأولى همزتين. وقرأ عاصم، وحمة بهمزتين في الحرفين جميعاً، وقرأ ابن عامر: «إِذَا كُنَّا» بغير استغهم بهمة واحدة «أَيْدَا» بهمزتين يمد بينهما مدة.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَاتًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه التراب، ولا واحد له، فهو بمنزلة اللُّقَاق والحُطَام، قاله الفراء، وهو مذهب مجاهد. والثاني: أنه العظام ما لم تتحطم، والرفات: الحُطَام، قاله أبو عبيدة. وقال الزجاج: الرفات: التراب. والرفات: كل شيء حُطِمَ وكُيِّر، و﴿حَلَقًا جَوِيدًا﴾ في معنى مجدداً.

قوله تعالى: ﴿أَوْ حَلَقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الموت، قاله ابن عمر، وابن عباس، والحسن، والأكثر. والثاني: أنه السماء والأرض والجبال، قاله مجاهد. والثالث: [أنه] ما يكبر في صدوركم، من كل ما استعظموه من خلق الله تعالى، قاله قتادة. فإن قيل: كيف قيل لهم: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَيِّدًا﴾ وهم لا يقدرون على ذلك؟ فتمت جوابان: أحدهما: إن قدرتم على تغيير حالاتكم، فكونوا حجارة أو أشد منها، فإننا نميتكم، وننفذ أحكامنا فيكم، ومثل هذا قولك للرجل: اصعد إلى السماء فإنني لاحقك. والثاني: تصوّروا أنفسكم حجارة أو أصلب منها، فإننا سنبيدكم، قال الأحوص:

إِذَا كُنْتَ عَزَاهَاً عَنِ اللَّيْلِهِ وَالصُّبِيِّ فَكُنْ حَجَرًا مِنْ يَاسِ الصُّخْرِ جَلَمًا<sup>(١)</sup>

معناه: فتصوّر نفسك حَجَرًا، وهؤلاء قوم اعترفوا أن الله خالقهم، وجعلوا البعث، فأعلموا أن الذي ابتدأ خلقهم هو الذي يحييهم.

قوله تعالى: ﴿نَسْتَعِينُونَ إِلَيْكَ رُدُّهُمْ﴾ قال قتادة: يحركونها تكذيباً واستهزاء. قال الفراء: يقال: أنغض رأسه: إذا حركه إلى فوق وإلى أسفل. وقال ابن قتيبة: المعنى: يحركونها، كما يحرك الآيس من الشيء والمُسْتَبْعَدُ [له] رأسه، يقال: نَغَضْتُ مِشِيَّ: إذا تحركت.

قوله تعالى: ﴿وَيُثْرَلُونَ مَقَّ هُوَ﴾ يعنون البعث ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ أي: هو قريب. ثم بين متى يكون فقال: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ يعني: من القبور بالنداء الذي يُسمِعكم، وهو النفخة الأخيرة ﴿فَسَتَجِيبُونَ﴾ أي: تجيبون. قال مقاتل: يقوم إسماعيل على صخرة بيت المقدس يدعو أهل القبور في قرن، فيقول: أيتها العظام البالية، وأيتها اللحوم المتمزقة، وأيتها الشعور المتفرقة، وأيتها العروق المتقطعة، اخرجوا إلي فصل القضاء لتُجزوا بأعمالكم، فيسمعون الصوت، فيستعجلون إليه. وفي معنى ﴿يَحْذَرُونَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: بأمره، قاله ابن عباس، وابن جريج، وابن زيد. والثاني: يخرجون من القبور وهم يقولون: سبحانك ويحمدك، قاله سعيد بن جبير. والثالث: أن معنى ﴿يَحْذَرُونَ﴾: بمعرفته، وطاعته، قاله قتادة: قال الزجاج: تستجيبون مُقَرِّين أنه خالقكم. والرابع: تجيبون بحمد الله لا بحمد أنفسكم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَيَنْظُرُونَ إِنْ لَيْسَ إِلَّا قِيلًا﴾ في هذا الظن قولان: أحدهما: أنه بمعنى اليقين. والثاني: أنه على أصله. وأين ينظرون أنهم لبثوا قليلاً؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بين النفختين، ومقداره أربعون سنة، ينقطع في ذلك

(١) البيت في «الأغاني» ١٥/١٠٠، و«طبقات ابن سلام» ٥٣٩، و«الشعر والشعراء» ٥٠١، و«زهر الآداب» ١/٣٥٠، و«مصابيح المشاق» ٦٢، ورجل مزهاة وعزهاة: وهو الذي لا يقرب النساء ويتقيض عنهن ويعرض، من زهر أو كبر، أو ألقه من الضعف والاستكانة لعبهن أو سطوتهن على الرجال، وصخرة جلمد: شديدة مجتمعة صلبة.

العذاب عنهم، فيرون لبثهم في زمان الراحة قليلاً، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: في الدنيا، لعلمهم بطول اللبث في الآخرة، قاله الحسن. والثالث: في القبور، قاله مقاتل. فعلى هذا إنما قصر اللبث في القبور عندهم، لأنهم خرجوا إلى ما هو أعظم عذاباً من عذاب القبور. وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية خطاب للمؤمنين، لأنهم يجيئون المنادي وهم يحمدون الله على إحسانه إليهم، ويستقلون مدة اللبث في القبور، لأنهم كانوا غير معذبين.

﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (٥٣)

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن المشركين كانوا يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بمكة، بالقول والفعل، فشكوا ذلك إلى رسو الله ﷺ، فنزلت هذه الآية. قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن رجلاً من الكفار شتم عمر بن الخطاب، فهم به عمر رضي الله عنه، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل؛ والمعنى: وقل لعبادي المؤمنين يقولوا الكلمة التي هي أحسن. واختلفوا فيمن تقال له هذه الكلمة على قولين: أحدهما: أنهم المشركون، قال الحسن: تقول له: يهديك الله، وما ذكرنا من سبب نزول هذه الآية يؤيد هذا القول. وذهب بعضهم إلى أنهم أمروا بهذه الآية بتحسين خطاب المشركين قبل الأمر بقتالهم، ثم نسخت هذه الآية بآية السيف. والثاني: أنهم المسلمون، قاله ابن جرير. والمعنى: وقل لعبادي يقول بعضهم لبعض التي هي أحسن من المحاوراة والمخاطبة. وقد روى مبارك عن الحسن قال: «التي هي أحسن» أن يقول له مثل قوله، ولكن يقول له: يرحمك الله، ويغفر الله لك. قال الأخفش: وقوله: ﴿يَقُولُوا﴾ مثل قوله: ﴿يُتَيْسَّرُ الْكَلَامُ﴾، وقد شرحنا ذلك في سورة إبراهيم: ٢١.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يفسد ما بينهم، والعدو المبين: الظاهر العداوة.

﴿زَكَرَ أَغْلَرُ بِكَرٍّ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمُكَ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبُكَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ (٥٤)

قوله تعالى: ﴿زَكَرَ أَغْلَرُ بِكَرٍّ﴾ فيمن خطوب بهذا قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: ﴿إِنْ يَشَأْ يَرْحَمُكَ﴾ فينجيك من أهل مكة، ﴿إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبُكَ﴾ فيسلطهم عليك، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: إن يشأ يرحمكم بالتوبة، أو يعذبكم بالإقامة على الذنوب، قاله الحسن. والثاني: أنهم المشركون. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: إن يشأ يرحمكم، فيهديكم للإيمان، أو إن يشأ يعذبكم، فيميتكم على الكفر، قاله مقاتل. والثاني: أنه لما نزل للفتح بالمشركين فقالوا: ﴿زَكَاةً أَوْ كَيْفَ عَنَّا الْمَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ (٥٥) [الدخان: ١٢] قال الله تعالى: ﴿زَكَرَ أَغْلَرُ بِكَرٍّ﴾ من الذي يؤمن، ومن [الذي] لا يؤمن، ﴿إِنْ يَشَأْ يَرْحَمُكَ﴾ فيكشف القحط عنكم ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبُكَ﴾ فيتركه عليكم، ذكره أبو سليمان الدمشقي. قال ابن الأنباري: و«أو» هاهنا دخلت لسعة الأمرين عند الله تعالى، وأنه لا يرد عنهما، فكانت ملحقة ب«أو» المبيحة في قولهم: جالس الحسن، أو ابن سيرين، يعنون: قد وسعنا لك الأمر.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: كفيلاً تؤخذ بهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: حافظاً ورباً، قاله الفراء. والثالث: كفيلاً بهدایتهم وقادراً على إصلاح قلوبهم، ذكره ابن الأنباري. وذهب بعض المفسرين إلى أن هذا منسوخ بآية السيف.

﴿وَرَبُّكَ أَغْلَرُ بِسَنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (٥٦)

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَغْلَرُ بِسَنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لأنه خالقهم، فهدى من شاء، وأضل من شاء، وكذلك فضل بعض النبيين على بعض، وذلك عن حكمة منه وعلم، فخلق آدم بيده، ورفع إدريس، وجعل الذرية لنوح، واتخذ إبراهيم خليلًا، وموسى كليماً، وجعل عيسى روحاً، وأعطى سليمان ملكاً جسيماً، ورفع محمداً ﷺ فوق السماوات، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. ويجوز أن يكون المفضلون أصحاب الكتب، لأنه ختم الكلام بقوله: ﴿وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾. وقد شرحنا معنى «الزبور» في سورة النساء: ١١٣.

﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِي فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (٥٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِكْرَامَ رَبِّهِمْ

الْوَسِيلَةَ إِلَيْهِمْ أَقْرَبَ وَرَبُّهُمْ رَحِيمٌ وَكَافُورٌ عَذَابُهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٨)

قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن نفراً من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن، فأسلم الجن والنفر من العرب لا يشعرون، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، روي عن ابن مسعود. والثاني: أن المشركين كانوا يعبدون الملائكة، ويقولون: هي تشفع لنا عند الله، فلما ابتلوا بالقحط سبع سنين، قيل لهم: «ادعوا الذين زعمتم»، قاله مقاتل، والمعنى: قل ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة، ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ له إلى غيركم.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَيْكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ في المشار إليهم به «أولئك» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الجن الذين أسلموا<sup>(١)</sup>. والثاني: الملائكة. وقد سبق بيان القولين. والثالث: أنهم المسيح، وعزير، والملائكة، والشمس، والقمر، قاله ابن عباس. وفي معنى «يدعون» قولان: أحدهما: يعبدون، أي: يدعونهم آلهة، وهذا قول الأكثرين. والثاني: أنه بمعنى يتضرعون إلى الله في طلب الوسيلة. وعلى هذا يكون قوله: «يدعون» راجعاً إلى «أولئك»، ويكون قوله: «يبتغون» تاماً للكلام. وعلى القول الأول: يكون «يدعون» راجعاً إلى المشركين، ويكون قوله: «يبتغون» وصفاً لـ «أولئك» مستأنفاً. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن: «تدعون» بالثاء. قال ابن الأنباري: فعلى هذا، الفعل مردود إلى قوله: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ﴾. ومن قرأ «يدعون» بالياء، قال العرب: تنصرف من الخطاب إلى القية إذا أمن اللئس. ومعنى «يدعون»: يدعونهم آلهة. وقد فسرنا معنى «الوسيلة» في [المائدة: ٣٥]. وفي قوله: ﴿أَنْتُمْ أَقْرَبُ﴾ قولان ذكرهما الزجاج: أحدهما: أن يكون «أيهم» مرفوعاً بالابتداء، وخبره «أقرب»، ويكون المعنى: يطلبون الوسيلة إلى ربهم، ينظرون أيهم أقرب إليه فيتوسلون إلى الله به. والثاني: أن يكون «أيهم أقرب» بدلاً من الواو في «يبتغون»، فيكون المعنى: يتبغي أيهم هو أقرب الوسيلة إلى الله، أي: يتقرب إليه بالعمل الصالح.

﴿وَلَنْ يَنْ قَرَّبَهُ إِلَّا مَنْ مَلَكَهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِسْمَةِ أَوْ مَعَيْتُهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْ قَرَّبَهُ إِلَّا مَنْ مَلَكَهَا﴾ «إن» بمعنى «ما»، والقرية الصالحة هلاكها بالموت، والعاصية بالعذاب، والكتاب: اللوح المحفوظ، والمسطور: المكتوب.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا نُوحًا نَافَاً مَبِينَةً فَعَلَّمُوهُنَّ بِهَا وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَحْوِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ سبب نزولها فيه قولان: أحدهما: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا<sup>(٢)</sup>، فقبل له: إن شئت أن تستاني بهم لعلنا نجتبي منهم، وإن شئت نؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من كان قبلهم، قال: «لا، بل أستاني بهم»، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثاني: قد ذكرناه عن الزبير في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١]، ومعنى الآية: وما مَنَعَنَا إرسال الآيات التي سألوها إلا تكذيب الأولين، يعني: أن هؤلاء سألوا الآيات التي استوجب بتكذيبها الأولون العذاب، فلم يرسلها لئلا يكذب بها هؤلاء، فيهلكوا<sup>(٤)</sup> كما هلك أولئك، وسنة الله في الأمم أنهم إذا سألوا الآيات ثم كذبوا بها عذبهم.

قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا نُوحًا نَافَاً مَبِينَةً﴾ قال ابن قتيبة: أي: بيّنة، يريد: مُبَصَّراً بها. قال ابن الأنباري: ويجوز أن

(١) روى البخاري ٣٠١/٨، ومسلم ٢٣٢٦/٤ من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله في قوله: ﴿أَفَلَيْكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ قال: كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء يدينهم. قال الحافظ ابن حجر: أي: استمر الإنس الذين كانوا يعبدون الجن على عبادة الجن، والجن لا يرشون بذلك لكونهم أسلموا، وهم الذين صاروا يبتغون إلى ربهم الوسيلة. وروى الطبري من وجه آخر عن ابن مسعود، فزاد فيه: والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم، وهذا هو المعتمد في تفسير هذه الآية. اهـ.

(٢) في الأصل: فيزرعون.

(٣) «مسند أحمد» ٩٦/٤ وإسناده صحيح، وفيه: «وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا» بدل «فيزرعوا». وذكره ابن كثير في «التفسير» ٤٧/٣، و«التاريخ» ٣/ ٥٢ وقال: وهكذا رواه النسائي عن جرير.

(٤) في الأصل: فيهلكون.



تكون مبصرة، ويصلح أن يكون المعنى: مُبْصِر مشاهدوها، فنسب إليها فعل غيرها تجوُّزاً، كما يقال: لا أرىك هاهنا، فأدخل حرف النهي على غير المنهي عنه، إذ المعنى: لا تحضر هاهنا، حتى إذا جئت لم أرك فيه. ومن قرأ: «مَبْصُرة» يفتح الميم والصاد، فمعناه: المبالغة في وصف الناقة بالتيان، كقولهم: «الولد مَجْنِبَة».

قوله تعالى: ﴿فَقُلُّوا حَبَّ﴾ قال ابن عباس: فجددوا بها. وقال الأخفش: بها كان ظلمهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تُزِيلُ بِالْأَيْدِي إِلَّا تَهْوِيًا﴾ أي: نخوف العباد ليثعظوا. وللمفسرين في المراد بهذه الآيات أربعة أقوال: أحدها: أنها الموت الذريع<sup>(٢)</sup>، قاله الحسن. والثاني: معجزات الرسل جعلها الله تعالى تخويفاً للمكذِّبين. والثالث: آيات الانتقام تخويفاً من المعاصي. والرابع: تقلُّب أحوال الإنسان من صَعَرٍ إلى شَبَابٍ، ثم إلى كهولة، ثم إلى مشيب، ليعتبر بتقلُّب أحواله فيخاف عاقبة أمره، ذكر هذه الأقوال الثلاثة الماوردي، ونسب القول الأخير منها إلى إمامنا أحمد رحمته الله.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا أَرْثِيَا إِلَهِكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحْمُهُمْ فَمَا يَكُونُ إِلَّا نَجْمًا كَبِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أحاط علمه بالناس، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الربيع بن أنس. وقال مقاتل: أحاط علمه بالناس، يعني: أهل مكة، أن يفتحها لرسوله ﷺ. والثاني: أحاطت قدرته بالناس، فهم في قبضته، قاله مجاهد. والثالث: حال بينك وبين الناس أن يقتلوك، لتبلغ رسالته، قاله الحسن، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَرْثِيَا إِلَهِكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ في هذه الرواية قولان: أحدهما: أنها رؤيا عين، وهي ما رأى ليلة أسري به من العجائب والآيات. روى عكرمة عن ابن عباس قال: هي رؤيا عين رآها ليلة أسري به، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن، وسعيد بن جبيرة، ومجاهد، وعكرمة، ومسروق، والتخفي، وقتادة، وأبو مالك، وأبو صالح، وابن جريج، وابن زيد في آخرين. فعلى هذا يكون معنى الفتنة: الاختبار، فإن قوماً آمنوا بما قال، وقوماً كفروا. قال ابن الأنباري: المختار في هذه الرؤية أن تكون يقظة، ولا فرق بين أن يقول القائل: رأيت فلاناً رؤية، ورأيت رؤيا، إلا أن الرؤية يقلُّ استعمالها في المنام، والرؤيا يكثر استعمالها في المنام، ويجوز كل واحد منهما في المعنيين. والثاني: أنها رؤيا منام<sup>(٣)</sup>. ثم فيها قولان: أحدهما: أن رسول الله ﷺ كان قد أرى أنه يدخل مكة، هو وأصحابه، وهو يومئذ بالمدينة، فعجل قبل الأجل، فردَّه المشركون، فقال أناس: قد ردَّ، وكان حذقنا أنه سيدخلها، فكان رجوعهم فتنتهم، رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. وهذا لا ينافي حديث المعراج، لأن هذا كان بالمدينة، والمعراج كان بمكة. قال أبو سليمان الدمشقي: وإنما ذكره ابن عباس على وجه الزيادة في الإخبار لنا أن المشركين بمكة افتتوا برؤيا عينه، والمنافقين بالمدينة افتتوا برؤيا نومه. والثاني: أنه أرى بني أمية على المنابر، فساء ذلك، فقليل له: إنها الدنيا يُعْطَرُونَهَا، فُسْرِيَّ عنه<sup>(٥)</sup>. فالفتنة هاهنا: البلاء، رواه علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب، وإن كان مثل هذا لا يصح، ولكن قد ذكره عامة

(١) وما روي من أنه ﷺ قال: «الولد ثمرة القلب، وإنه مجنبة ميخلة محرقة» فهو ضعيف، رواه أبو يعلى، والبخاري، قال الزين العراقي، وتبعه الهيثمي: وفيه عطية العوفي، وهو ضعيف.

(٢) الموت الذريع: أي: السريع القاشي، لا يكاد الناس يتدافعون.

(٣) روى البخاري ٣٠١/٨ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «وَمَا جَعَلْنَا أَرْثِيَا إِلَهِكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ» قال: هي رؤيا عين أراها رسول الله ﷺ ليلة أسري به. قال الحافظ ابن حجر ٣٠٢/٨: زاد سعيد بن منصور عن سفيان في آخر الحديث: وليست رؤيا منام. وقال أبو جعفر بن جرير الطبري ١١٣/١٥: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني به رؤيا رسول الله ﷺ ما أرى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس ليلة أسري به. قال: وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك، وإياه عني الله ﷻ بها. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وما جعلنا رؤياك التي أرىناك ليلة أسرينا بك من مكة إلى بيت المقدس، إلا فتنة للناس، يقول: إلا بلاء للناس الذين ارتدوا عن الإسلام لما أخبروا بالرؤيا التي رآها عليه الصلاة والسلام، وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا لسماعهم ذلك من رسول الله ﷺ تمادياً في فيهم، وكفراً إلى كفرهم.

(٤) والعوفي ضعيف. قال ابن كثير ٤٩/٣: وهو غريب ضعيف.

المفسرين. وروى ابن الأنباري أن سعيد بن المسيب قال: رأى رسول الله ﷺ قوماً على منابر، فسق ذلك عليه، وفيه نزل: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾، قال: ومعنى قوله: ﴿إِلَّا يَنْتَفَعُ النَّاسُ﴾: إلا بلاء للناس. قال ابن الأنباري: فمن ذهب إلى أن الشجرة رجال وأهم النبي ﷺ في منامه يصعدون على المنابر، احتج بأن الشجرة يكتن بها عن المرأة لتأنيها، وعن الجماعة لاجتماع أغصانها. قالوا: ووقعت اللعنة بهؤلاء الذين كنى عنهم بالشجرة. قال المفسرون: وفي الآية تقديم وتأخير، تقديره: وما جعلنا الرؤيا والشجرة إلا فتنه للناس. وفي هذه الشجرة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها شجرة الرُّقُوم، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومسروق، والنخعي، والجمهور. وقال مقاتل: لما ذكر الله تعالى شجرة الرُّقُوم، قال أبو جهل: يا معشر قريش إن محمداً يخوفكم بشجرة الرُّقُوم، ألستم تعلمون أن النار تحرق الشجر؟ ومحمد يزعم أن النار تنبت الشجر، فهل تدرون ما الرُّقُوم؟ فقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ: إن الرُّقُوم بلسان بَرَزٍ: التمر والرُّند، فقال أبو جهل: يا جارية أبغينا تمراً ورُنداً، فجاءته به، فقال لمن حوله: تَرَوْقُومًا من هذا الذي يخوفكم به محمد، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾. قال ابن قتيبة: كانت فتنتهم بالرؤيا قولهم: كيف يذهب إلى بيت المقدس، ويرجع في ليلة ١؟ وبالشجرة قولهم: كيف يكون في النار شجرة ١؟. وللعلماء في معنى «الملعونة» ثلاثة أقوال: أحدها: الملعونة، قاله ابن عباس. والثاني: الملعون أكلها؛ ذكره الزجاج وقال: إن لم يكن في القرآن لعننا ففيه لعن أكلها؛ قال: والعرب تقول لكل طعام مكروه وضار: ملعون؛ فاما قوله: ﴿فِي الْقُرْآنِ﴾ فالمعنى: التي ذكرت في القرآن، وهي مذكورة في قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الرُّقُومِ ﴿٣١﴾ طَعَامٌ الْأَشْيَرِ ﴿٣٢﴾﴾ [الدخان: ٤٣، ٤٤]. والثالث: أن معنى «الملعونة»: المُبْعَدَة عن منازل أهل الفضل، ذكره ابن الأنباري. والقول الثاني: أن الشجرة الملعونة هي التي تلتوي على الشجر، يعني: الكشوثي<sup>(٢)</sup>، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أن الشجرة كناية عن الرجال على ما ذكرنا عن سعيد بن المسيب.

قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُهُمْ﴾ قال ابن الأنباري: مفعول «يخوفهم» محذوف، تقديره: ونخوفهم العذاب، ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ أي: فما يزيدهم التخويف ﴿إِلَّا طُغْيَانًا﴾؛ وقد ذكرنا معنى الطغيان في [البقرة: ١٥]، وذكرنا هناك تفسير قوله: ﴿وَرَأَوْا فَلَمَّا لَأَتْكَوْا اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [البقرة: ٣٤].

﴿وَرَأَوْا فَلَمَّا لَأَتْكَوْا اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ فَلَمَّ مَسْجُودًا لِمَنْ خَلَقَ طِينًا﴾ ﴿٣١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَكِنَ أَخَّرْتَنِي إِلَيْ يَوْمِ الْفِتْنَةِ لَأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٣٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ مَنَ يَحْكُمُ بَيْنَهُ فَبَيْنَهُ جَهَنَّمَ جَبَلًا مَوْجُودًا﴾ ﴿٣٣﴾ وَاسْتَفْزَزَ مِنَّ الْأَشْجَلِ إِنَّهُمْ يَصُوتُونَ وَلَكِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ عَيْنٌ لِّئَلَّا تُنْفِكُوا عَنْ عَصَاكَ وَإِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿اسْجُدْ﴾ قرأه الكوفيون: بهزتين. وقرأه الباقون: بهزلة مطوَّلة؛ وهذا استفهام إنكار، يعني به: لم أكن لأفعل.

قوله تعالى: ﴿لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ قال الزجاج: «طيناً» منصوب على وجهين: أحدهما: التمييز، المعنى: لمن خلقت من طين. والثاني: على الحال، المعنى: أنشأته في حال كونه من طين. ولفظ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ﴾ جاء هاهنا بغير حرف عطف، لأن المعنى: قال أسجد لمن خلقت طيناً، وأرايتك، وهي في معنى: أخبرني، والكاف ذكرت في المخاطبة

(١) روى البخاري ٣٠٢/٨ من ابن عباس: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ قال: شجرة الرُّقُوم. قال الحافظ ابن حجر: وهذا هو الصحيح، وقرره ابن أبي حاتم من بضعة عشر نفساً من التابعين. وقال أبو جعفر بن جرير الطبري: وأولى القولين في ذلك عندنا قول من قال: حتى بها شجر الرُّقُوم، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك. ونصبت (الشجرة الملعونة) عطفاً بها على الرؤيا، فتأويل الكلام إذن: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك، والشجرة الملعونة في القرآن، إلا فتنه للناس، فكانت فتنهم في الرؤيا ما ذكرت من ارتدائه من ارتدائه وتبايدي أهل الشرك في شركهم حين أخبرهم رسول الله ﷺ بما أراه الله في مسيره إلى بيت المقدس ليلة أسري به، وكانت فتنهم في الشجرة الملعونة ما ذكرنا من قول أبي جهل والمشركين معه: يخبرنا محمد أن في النار شجرة نابتة، والنار تأكل للشجر، فكيف تنبت فيها؟!

(٢) قال الجوهري: الكشوث: نبت يعلق بأغصان الشجر، من غير أن يضرب بعرق في الأرض، قال الشاعر:

هوَ الْكَشُوثُ فَلَا أَضَلُّ وَلَا وَرَقٌ وَلَا تَسِيرُهُمْ وَلَا يَطْلُرُ وَلَا تَسِيرُ

توكيداً، والجواب محذوف، والمعنى: أخبرني عن هذا الذي كُرمت عليّ، لم كُرمته عليّ وقد خلقتني من نار وخلقته من طين؟ فحذف هذا، لأن في الكلام دليلاً عليه.

قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍ: «أَخَّرْتَنِي» بِيَاءٍ فِي الْوَصْلِ. وَوَقَّفَ ابْنُ كَثِيرٍ بِالْيَاءِ. وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ، وَعَاصِمٌ، وَحُمْزَةٌ، وَالْكَسَائِيُّ بِغَيْرِ يَاءٍ فِي وَصْلٍ وَلَا فِي وَقْفٍ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا تُحْسِنُ كِتَابَتَكَ ذَرْبُكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لأستولين عليهم، قاله ابن عباس، والفراء. والثاني: لأضلّهم، قاله ابن زيد. والثالث: لأستاصلهم؛ يقال: اختنك الجراد ما على الأرض؛ إذا أكله؛ واختنك فلان ما عند فلان من العلم؛ إذا استقصاه، فالمعنى: لأفودنهم كيف شئت، هذا قول ابن قتيبة. فإن قيل: من أين علِمَ الغيب. فقد أجبت عنه في سورة [النساء: ١١٩].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال ابن عباس: هم أولياء الله الذين عصمهم. قوله تعالى: ﴿قَالَ أَذَقْتُ﴾ هذا اللفظ يتضمن إنظاره؛ ﴿فَمَنْ يَذُقْكَ﴾، أي: تبع أمرك منهم، يعني: ذرية آدم. والموفور: الموفّر. قال ابن قتيبة: يقال: وفّرت ماله عليه، وفّرتّه، بالتخفيف والتشديد.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفِرُّهُ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ﴾ قال ابن قتيبة: استخفّ، ومنه تقول: استفّرني فلان. وفي المراد بصوته قولان: أحدهما: أنه كل دافع دعا إلى معصية الله، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الغناء والمزامير، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَكَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: صبح «بخیلك ورجلک» واحشهم عليهم بالإغراء؛ يقال: أجلب القوم وجلبوا؛ إذا صاحوا. وقال الزجاج: المعنى: اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكائيد؛ فعلى هذا تكون الباء زائدة. قال ابن قتيبة: والرجل: الرجالة؛ يقال: راجلٌ ورجلٌ، مثل تاجر وتجر، وصاحب وصحب. قال ابن عباس: كل خيل تسير في معصية الله، وكلّ رجل يسير في معصية الله<sup>(٢)</sup>. وقال قتادة: إن له خيلاً ورجلاً من الجن والإنس. وروى حفص عن عاصم: ﴿يَبْلُوكَ وَرَجُلُكَ﴾ بكسر الجيم، وهي قراءة ابن عباس، وأبي رزين، وأبي عبد الرحمن السلمي. قال أبو زيد: يقال: رجلٌ رجُلٌ، للراجل، ويقال: جاءنا حافياً رجلاً. وقرأ ابن السميع، والجحدري: «بخیلك ورجلک» برفع الراء وتشديد الجيم مفتوحة ويألف بعدها. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعكرمة: «ورجلک» بكسر الراء وتخفيف الجيم مع ألف.

قوله تعالى: ﴿وَشَارَكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنها ما كانوا يحرمونه من أنعامهم، رواه عطية عن ابن عباس. والثاني: الأموال التي أصيب من حرام، قاله مجاهد. والثالث: التي أنفقوها في معاصي الله، قاله الحسن. والرابع: ما كانوا يذبحون لألهتهم، قاله الضحاك. فأما مشاركته إياهم في الأولاد، ففيها أربعة أقوال: أحدها: أنهم أولاد الزنا، رواه عطية عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبيرة، ومجاهد، والضحاك. والثاني: المؤودة من أولادهم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنه تسمية أولادهم عبيداً لأوثانهم، كعبد شمس، وعبد العزى، وعبد مناف، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: ما حصّوا وهودّوا ونصّروا، وصيغوا من أولادهم غير صيغة الإسلام، قاله الحسن، وقاتدة.

قوله تعالى: ﴿وَعِدَهُمْ﴾ قد ذكرناه في قوله: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُنَبِّئُهُمْ...﴾ إلى آخر الآية [النساء: ١٢٠]. وهذه الآية لفظها لفظ الأمر، ومعناها التهديد، ومثلها في الكلام أن تقول للإنسان: اجهد جهدك فستري ما ينزل بك. قال الزجاج: إذا تقدم الأمر نهى عما يؤمر به، فمعناه التهديد والوعيد، تقول للرجل: لا تدخلن هذه الدار؛ فإذا حاول أن يدخلها قلت: ادخلها وأنت رجل، فلست تأمره بدخلها، ولكنك توعده وتهذبه، ومثله: ﴿اعْمَلُوا مَا تُنْتَهُمْ﴾ [تصلت: ٤٠]، وقد نهوا أن يعملوا بالمعاصي. وقال ابن الأنباري: هذا أمر معناه التهديد، تقديره: إن فعلت هذا عاقبتك وعذبناك، فنقل إلى لفظ الأمر عن الشرط، كقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

(١) أي: بغير ياء في الوصل والوقف.

(٢) في «الطبري» عن ابن عباس قوله: ﴿وَأَتَيْنَكَ عَلَيْهِمْ يَبْلُوكَ وَرَجُلُكَ﴾ قال: خيله: كل راكب في معصية الله؛ ورجله: كل راجل في معصية الله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَدَايَ آتَيْنِ لَكَ عَلَيْهِمْ شَاطِنًا﴾ قد شرحناه في [الحجر: ٤٢].

قوله تعالى: ﴿وَكُنْ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ قال الزجاج: كفى به وكيلًا لأوليائه يعصمهم من القبول من إبليس.

﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِلُ لَكُمْ الْفَلَاحَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّكُمْ كَأَنْتُمْ رَحِيمًا﴾ ﴿وَلَا مَسْكَمُ الْفُرَّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَا تَنْفَكُوا إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِهْتِنُ كَقَوْلِهِ﴾ ﴿أَفَأَنْتُمْ أَنْ تَخِيفَ بَعْضُ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عُذْرًا﴾ ﴿وَكَيْلًا﴾ ﴿أَمْ أَنْتُمْ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِبًا مِنْ الرِّيحِ فَيُفْزِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عُذْرًا يَوْمَ يَأْتِي﴾ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَلَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَفَعْنَاهُمْ مِنَ الْغَلِيظِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِلُ لَكُمْ الْفَلَاحَ﴾ أي: يسيرها. قال الزجاج: يقال: زجيت الشيء، أي: قدمته. (١)

قوله تعالى: ﴿لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: في طلب التجارة. وفي «من» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها زائدة. والثاني: أنها للتبعض. والثالث: أن المفعول محذوف، والتقدير: ليتبعوا من فضله الرزق والخير، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ كَأَنْتُمْ رَحِيمًا﴾ هذا الخطاب خاص للمؤمنين، ثم خاطب المشركين فقال: ﴿وَلَا مَسْكَمُ الْفُرَّ فِي الْبَحْرِ﴾ يعني: خوف الغرق «ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ» أي: يفضل من يدعو من الآلهة، إلا الله تعالى. ويقال: ضلَّ بمعنى غاب، يقال: ضلَّ الماء في اللبْنِ: إذا غاب، والمعنى: أنكم أخلصتم الدعاء [لله]، ونسيتم الأنداد. وقرأ مجاهد، وأبو المتوكل: «ضَلَّ مَنْ يَدْعُونَ» بالياء. «فَلَا تَنْفَكُوا إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ» عن الإيمان والإخلاص «وَكَانَ الْإِهْتِنُ» يعني الكافر «كَقَوْلِهِ» بنعمة ربِّه. «أَفَأَنْتُمْ أَنْ تَخِيفَ بَعْضُ الْبَرِّ» إذا خرجتم من البحر «رَبُّكُمْ» قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «نخسف بكم» «أو نرسل» «أن نعذبكم» «نفرسل» «نفترقكم» بالنون في الكل. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحَمْزَةُ، والكسائي، بالياء في الكل. ومعنى «يَخِيفَ بَعْضُ الْبَرِّ الْبَرِّ»، أي: نغيصكم ونذهبكم في ناحية البر، والمعنى: إن حكمي نافذ في البر نفوذه في البحر، «أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الحاصب: حجارة من السماء، قاله قتادة. والثاني: أنه الريح العاصف تحصب، قاله أبو عبيدة، وأُشْد للفرزدق:

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الرِّيحِ تَضْرِبُهُمْ بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ الْقُطَنِ مَشْهُورٍ (٢)

وقال ابن قتيبة: الحاصب: الريح، سميت بذلك لأنها تَحْصِبُ، أي: ترمي بالحصى، وهي الحصى الصغار. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: الحاصب: الريح التي فيها الحصى. وإنما قال في الريح: «حاصبًا» ولم يقل: «حاصبة» لأنه وصف لزم الريح ولم يكن لها مذكر تنتقل إليه في حال، فكان بمنزلة قولهم: «حائض» للمرأة، حين لم يُقَلَّ: رجل حائض. قال: وفيه جواب آخر، وهو أن نعت الريح عُرِي من علامة التأنيث، فأشبهت بذلك أسماء المذكر، كما قالوا: السماء أمطر، والأرض أنبت. والثالث: أن الحاصب: التراب الذي فيه حصباء، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ أي: مانعًا وناصرًا.

قوله تعالى: ﴿أَمْ أَنْتُمْ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ فِيهِ﴾ أي: في البحر «تَارَةً أُخْرَى» أي: مرَّةً أخرى، والجمع: تارات. «فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِبًا مِنَ الرِّيحِ» قال أبو عبيدة: هي التي تقصف كل شيء. قال ابن قتيبة: القاصف: [الريح التي] تقصف الشجر، أي: تكسره.

قوله تعالى: ﴿فَيُفْزِقْكُمْ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو جعفر، وشيبة، ورويس: «فترقكم» بالتاء، وسكون الغين، وتخفيف الزاء. وقرأ أبو الجوزاء، وأيوب: «فيغرقكم» بالياء، وفتح الغين، وتشديدها (٣). وقرأ أبو رجاء مثله، إلا أنه بالتاء، «بِمَا كَفَرْتُمْ»، أي: بكفركم حيث نجوتم في المرة الأولى، «ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عُذْرًا يَوْمَ يَأْتِي» قال ابن

(١) كذا الأصل، «قدمته» والذي في كتب اللغة والضمير «دفعته برفق»، وانظر ما ذكره المؤلف عند قوله تعالى: ﴿تَوَحَّشًا يَضْرِبُكُمْ تُرْمَةً﴾ ٧١٥.

(٢) «ديوانه» ٢٦٢، و«مجاز القرآن» ١/ ٣٨٥، و«الكامل» ٢/ ٧٧٢، و«الطبري» ١٥/ ١٢٤، و«القرطبي» ١٠/ ٢٩٢.

(٣) أي: تشديد الراء.

قتيبة: أي: من يتبع بدمائكم، أي: يطالبنا. قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: ربح العذاب أربع، اثنتان في البر، واثنتان في البحر، فاللثان في البر: الضَّرَصَر، والقِيم، واللثان في البحر: العاصف، والقاصف.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ أي: فضَّلناهم. قال أبو عبيدة: «وَكَرَّمْنَا» أشد مبالغة من «أَكْرَمْنَا». وللمفسرين فيما فضَّلوا به أحد عشر قولاً: أحدها: أنهم فضَّلوا على سائر الخلق غير طائفة من الملائكة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وتلك الموت، وأشباههم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. فعلى هذا يكون المراد: المؤمنين منهم، ويكون تفضيلهم بالإيمان. والثاني: أن سائر الحيوان يأكل بفيه، إلا ابن آدم فإنه يأكل بيده، رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس. وقال بعض المفسرين: المراد بهذا التفضيل: أكلهم بأيديهم، ونظافة ما يقتاتونه، إذ الجن يقتاتون العظام والرث. والثالث: فضَّلوا بالعقل، روي عن ابن عباس. والرابع: بالنطق والتميز، قاله الضحاك. والخامس: بتعديل القامة وامتدادها، قاله عطاء. والسادس: بأن جعل محمداً ﷺ منهم، قاله محمد بن كعب. والسابع: فضَّلوا بالمطاعم واللذات في الدنيا، قاله زيد بن أسلم. والثامن: بحسن الصورة، قاله يمان. والتاسع: بتسليطهم على غيرهم من الخلق، وتسخير سائر الخلق لهم، قاله محمد بن جرير. والعاشر: بالأمر والنهي، ذكره الماوردي. والحادي عشر: بأن جعلت اللحي للرجال، والدواب للنساء، ذكره الثعلبي. فإن قيل: كيف أطلق ذكر الكرامة على الكل، وفيهم الكافر المُهان؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه عامل الكل معاملة المكرَّم بالنعم الوافرة. والثاني: أنه لما كان فيهم من هو بهذه الصفة، أجرى الصفة على جماعتهم، كقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قوله تعالى: ﴿وَحَلَّلْنَا بِرَأْسِكَ الْإِبِلَ وَالْخِیلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾ (و) في ﴿وَالْبَحْرَ﴾ على أعواد يابسة، وهي: السفن. ﴿وَرَفَعْنَا فِي السَّمَاءِ ذِكْرَ إِبْرَاهِيمَ﴾ فيه قولان: أحدهما: الحلال. والثاني: المستطاب في الذوق.

قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه على لفظه، وأنهم لم يفضَّلوا على سائر المخلوقات. وقد ذكرنا عن ابن عباس أنهم فضَّلوا على سائر الخلق غير طائفة من الملائكة. وقال غيره: بل الملائكة أفضل. والثاني: أن معناه: وفضَّلناهم على جميع من خلقنا. والعرب تضع الأكثر والكثير في موضع الجمع، كقوله: ﴿يُلْقُونَ السَّيْفَ وَأَكْرَمُكُمْ كَبِيرُهُ﴾ [الشعراء: ٢٢٣]. وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المؤمن أكرم على الله ﷻ من الملائكة الذين عنده» <sup>(١)</sup>.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنثَىٰ بِإِسْمِهَا فَمَنْ أَرْوَىٰ كِتَابَ يُدْعِيهِ فَآؤُا إِلَيْكَ يَخْلَعُونَ حَتَّىٰ إِذَا يَخْلَعُونَ قَبْلَكَ وَمَنْ كَانَتْ فِي يَدَيْهِ أَمْنٌ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَمْنٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا﴾ قال الزجاج: هو منصوب على معنى: اذكر ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنثَىٰ بِإِسْمِهَا﴾ والمراد به: يوم القيامة. وقرأ الحسن البصري: «يوم يدعو» بالياء «كُلَّ» بالنصب. وقرأ أبو عمران الجوني: «يوم يدعى» بياء مرفوعة، وفتح العين، وبعدها ألف، «كُلَّ» بالرفع. وفي المراد بإمامهم أربعة أقوال: أحدها: أنه رئيسهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وروى عنه سعيد بن جبير أنه قال: إمام هدى، أو إمام ضلالة. والثاني: عملهم، رواه عطية عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وأبو العالية. والثالث: نبئهم، قاله أنس بن مالك، وسعيد بن جبير، وقناة، ومجاهد في رواية. والرابع: كتابهم، قاله عكرمة، ومجاهد في رواية. ثم فيه قولان: أحدهما: أنه كتابهم الذي فيه أعمالهم، قاله قناة، ومقاتل. والثاني: كتابهم الذي أنزل عليهم، قاله الضحاك، وابن زيد. فعلى القول الأول يقال: يا متبوعي موسى، يا متبوعي عيسى، يا متبوعي محمداً؛ ويقال: يا متبوعي رؤساء الضلالة. وعلى الثاني: يا من عمل كذا وكذا. وعلى الثالث: يا أمة موسى، يا أمة عيسى، يا أمة محمد. وعلى الرابع: يا أهل التوراة، يا أهل الإنجيل، يا أهل القرآن. أو يا صاحب الكتاب الذي فيه عمل كذا وكذا.

(١) عزاء الحافظ في «تخريج أحاديث الكشاف» ١٠٠ للبيهقي في «الشعب» من رواية حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة مرفوعاً. وأبو المهزم بتشديد الزاي المكسورة التميمي البصري، اسمه يزيد، وقيل: عبد الرحمن بن سفيان، قال الحافظ في «التقريب»: متروك. ورواه ابن ماجه ٢/ ١٣٠١، من طريق أبي المهزم عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «المؤمن أكرم على الله ﷻ من بعض ملائكته»، وهو ضعيف، لم ينعف أبي المهزم.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَاكَ بِقُرْآنٍ كَرِيمٍ﴾ معناه: يقرؤون حسنايتهم، لأنهم أخذوا كتبهم بأيمانهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْعَلُونَ فَيَلًا﴾ أي: لا يتقصون من ثوابهم بقدر القليل، وقد بيّناه في سورة (النساء: ٤٩).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ آيَاتٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: ﴿آيَاتٍ هِيَ فِي الْآخِرَةِ آيَاتٍ﴾ مفتوحتي الميم. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم بكسر الميمين. وقرأ أبو عمرو: ﴿في هذه أعمى﴾ بكسر الميم، «فهو في الآخرة أعمى» بفتحها. وفي المشار إليها بهذه قولان: أحدهما: أنها الدنيا، قاله مجاهد. ثم في معنى الكلام خمسة أقوال: أحدها: من كان في الدنيا أعمى عن معرفة قدرة الله في خلق الأشياء، فهو عمّا وُصف له في الآخرة أعمى، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: من كان في الدنيا أعمى بالكفر، فهو في الآخرة أعمى، لأنه في الدنيا يُقبلُ ثوبته، وفي الآخرة لا يُقبلُ، قاله الحسن. والثالث: من عمي عن آيات الله في الدنيا، فهو عن الذي فيب عنه من أمور الآخرة أشدَّ عمى. والرابع: من عمي عن نعم الله التي بينها في قوله: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزَيِّدُ لَكُمْ الْفَلَاحَ فِي الْبَحْرِ﴾ إلى قوله: ﴿تَفْصِيلًا﴾ فهو في الآخرة أعمى عن رشاده وصلاحه، ذكرهما ابن الأنباري. والخامس: من كان فيها أعمى عن المحبة، فهو في الآخرة أعمى عن الجنة، قاله أبو بكر الوراق. والثاني: أنها النعم. ثم في الكلام قولان. أحدهما: من كان أعمى عن النعم التي تُرى وتُشاهد، فهو في الآخرة التي لم تُر أعمى، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: من كان أعمى عن معرفة حق الله في هذه النعم المذكورة في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ ولم يؤدِّ شكرها، فهو فيما بينه وبين الله مما يُقرب به إليه أعمى ﴿وَأَسْكَلُ سَيْلًا﴾، قاله السدي. قال أبو علي الفارسي: ومعنى قوله: ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ أي: أشدَّ عمى، لأنه كان في الدنيا يمكنه الخروج عن حُمَا بالاستدلال، ولا سبيل له في الآخرة إلى الخروج من عماء. وقيل: معنى العمى في الآخرة: أنه لا يهتدي إلى طريق الثواب، وهذا كله من عمى القلب. فإن قيل: لم قال: ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ ولم يقل: أشدَّ عمى، لأن العمى خلقة بمنزلة الحُمرة، والمُزْرَقَة، والعرب تقول: ما أشدَّ سواد زيد، وما أبيض زرق عمرو، ولما يقولون: ما أسود زيداً، وما أزرق عمراً؟ فالجواب: أن المراد بهذا العمى عمى القلب، وذلك يتزايد ويحدث منه شيء بعد شيء، فيخاف الخلق اللزومة التي لا تزيد، نحو عمى العين، واليباض، والحمرة، ذكره ابن الأنباري.

﴿وَلَنْ كَادُوا لَيَتَّبِعُونَكَ عَنِ الْآيَةِ أَوْحِينَا إِلَيْكَ لِنُفِيقَ عَلَيْكَ عَذِيبٌ وَإِذَا لَا تَعْلَمُونَكَ خَيْلًا﴾ ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ تَبَشَّرْتَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَبْوَةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَلَنْ كَادُوا لَيَسْتَفِيقُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ يَخْرِجُونَكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَخْبِتُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سَنَّةٌ مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسِتِّنَا قَوْلًا ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ كَادُوا لَيَتَّبِعُونَكَ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن وقد نُقِيف أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: متعنا باللات سنة، وحرّم واديننا كما حرّمّت مكة، فأبى ذلك، فأقبلوا يُكثرون مسالتهم، وقالوا: إنا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم، فإن خشيت أن يقول العرب: أعطيتهم ما لم تعطنا، فقل: الله أمرني بذلك، فامسك رسول الله ﷺ [عنهم]، وداخلهم الطمع، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس. وروى عطية عن ابن عباس أنهم قالوا: أجلنا سنة، ثم نُسلم ونكسر أصنامنا، فهم أن يؤجلهم، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. والثاني: أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: لا نكف عنك إلا بأن تُؤم بالهتنا، ولو بأطراف أصابعك، فقال رسول الله ﷺ: «ما عليّ لو فعلت والله يعلم إني لأكاره»؟ فنزلت هذه الآية. قاله سعيد بن جبير، وهذا باطل لا يجوز أن يُظن برسول الله ﷺ، ولا ما ذكرنا عن عطية من أنه هم أن يُنظرهم سنة، وكل ذلك مُحال في حقه وفي حق الصحابة أنهم رَوَوْا عنه. والثالث: أن قريناً خلقوا برسول الله ليلة إلى الصباح يكلمونه ويفحّمونه، ويقولون: أنت سيدنا وابن سيدنا، وما زالوا به حتى كاد يقاربهم في بعض ما يريدون، ثم عصمه الله من ذلك، ونزلت هذه الآية، قاله قتادة. والرابع: أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: اطرد عنك سقّاط الناس، ومواليهم، وهؤلاء الذين راحتهم راحة الضأن، وذلك أنهم كانوا يلبسون الصوف، حتى نجاسك.

وَنَسِمْحَ حَنَكَ، فَهَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَسْتَدْعِي بِهِ إِسْلَامُهُمْ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ آيَاتُ، حِكَاةِ الزَّوْجِاجِ؛ قَالَ: وَمَعْنَى الْكَلَامِ: كَادُوا يَفْتَنُونَكَ، وَدَخَلَتْ «إِنْ» وَالْاِمَامَ لِلتَّوَكُّيدِ. قَالَ الْمَفْسُورُونَ: وَإِنَّمَا قَالَ: «لِيَفْتَنُونَكَ»، لِأَنَّهُ فِي إِعْطَائِهِمْ مَا سَأَلُوا مَخَالَفَةً لِحُكْمِ الْقُرْآنِ.

قوله تعالى: ﴿لَتَقَرَّبَنَّ إِلَىَّ أَيْ: لَتَخْتَلِقَنَّ عَلَيْنَا عَيْرًا﴾ وهو قولهم: قل الله أمرني بذلك، ﴿وَإِذَا﴾ لو فعلت ذلك ﴿لَا تَخْذُوكَ خَلِيلًا﴾ أي: وَالْوَكَّ وَصَافُوكَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَلِّغَنَّ﴾ على الحق، لِعِصْمَتِنَا لِيَاكَ ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِ﴾ أي: هَمِمْتَ وَقَارَبْتَ أَنْ تَمِيلَ إِلَى مَرَادِهِمْ ﴿شَيْئًا قَلِيلًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَذَلِكَ حِينَ سَكَتَ عَنْ جَوَابِهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِنَيْتِهِ. وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: الْفَعْلُ فِي الظَّاهِرِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَفِي الْبَاطِنِ لِلْمَشْرِكِينَ، وَتَقْدِيرُهُ: لَقَدْ كَادُوا يُرَكِّنُونَكَ إِلَيْهِمْ، وَيَنْسُبُونَ إِلَيْكَ مَا يَشْتَبَهُونَهُ مِمَّا تَكْرَهُهُ، فَانْسَبِ الْفَعْلَ إِلَى غَيْرِ فَاعِلِهِ عِنْدَ أَمْنِ اللَّبْسِ، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: كَدْتَ تَقْتُلُ نَفْسَكَ الْيَوْمَ، يَرِيدُ: كَدْتَ تَفْعَلُ فَعْلًا يَقْتُلُكَ غَيْرُكَ مِنْ أَجْلِهِ؛ فَهَذَا مِنَ الْمَجَازِ وَالِاتِّسَاعِ. وَشَبِيهَ بِهِذَا قَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَتَوَكَّنْ إِلَّا وَأَنْتَ سَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وَقَوْلُ الْقَاتِلِ: لَا أَرَيْتَكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

قوله تعالى: ﴿إِذَا لَأَذَقَنَّكَ﴾ المعنى: لو فعلت ذلك الشيء القليل ﴿لَأَذَقَنَّكَ ضِعْفَ الْحَبْرِ﴾ أي: ضِعْفَ عَذَابِ الْحَيَاةِ ﴿وَضِعْفَ﴾ عَذَابِ ﴿الْمَمَاتِ﴾، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ الشَّاعِرُ:

[نُبِئْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْقَدَتْ] وَاسْتَبَّ بِعَذَابِكَ يَا كَلْبُ الْمَجْلِسِ<sup>(١)</sup>

أَي: أَهْلُ الْمَجْلِسِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ضِعْفُ عَذَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعْصُومًا، وَلَكِنَّهُ تَخْوِيفٌ لِأَمَّتِهِ، ثَلَاثًا يَرْكُنُ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْمَشْرِكِينَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ فِي سَبَبِ نَزُولِهَا قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَسَدَتْهُ الْيَهُودُ عَلَى مَقَامِهِ بِالْمَدِينَةِ، وَكَرِهُوا قُرْبَهُ، فَأَتَوْهُ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ أَنْبِيَّ أَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالُوا: فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَذِهِ بَارِضُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّ أَرْضَ الْأَنْبِيَاءِ الشَّامَ، فَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَاتِّبِاعِ الشَّامَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَشْخَصَ عَنِ الْمَدِينَةِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنَمٍ: لَمَّا قَالَتْ لَهُ الْيَهُودُ هَذَا، صَدَّقَ مَا قَالُوا، وَغَزَا غَزْوَةَ تَبُوكَ لَا يَرِيدُ إِلَّا الشَّامَ، فَلَمَّا بَلَغَ تَبُوكَ، نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(٣)</sup>. وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ الْمَشْرِكُونَ أَهْلَ مَكَّةَ هَمُّوا بِإِخْرَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ بِالْخُرُوجِ، وَأَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ إِخْبَارًا عَمَّا هَمُّوا بِهِ، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَمَجَاهِدٌ. وَقَالَ قَتَادَةُ: هَمَّ أَهْلُ مَكَّةَ بِإِخْرَاجِهِ مِنْ مَكَّةَ، وَلَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ مَا نُظِرُوا، وَلَكِنَّ اللَّهَ كَفَّهُمْ عَنْ إِخْرَاجِهِ حَتَّى أَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ. وَقِيلَ: مَا لَبِثُوا بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ بَيِّنًا. فَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ، الْمِشَارُ إِلَيْهِمْ: الْيَهُودُ، وَالْأَرْضُ: الْمَدِينَةُ. وَعَلَى الثَّانِي: هُمُ الْمَشْرِكُونَ، وَالْأَرْضُ: مَكَّةَ. وَقَدْ ذَكَرْنَا مَعْنَى «الِاسْتَفْزَاةِ» آنَفًا [الإسراء: ٦٤]، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا: الْقَتْلُ، لِيُخْرِجُوهُ مِنَ الْأَرْضِ كُلِّهَا، رَوَى عَنْ الْحَسَنِ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خَلْفَكَ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ: «خَلْفَكَ». وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ، وَجَمِزَةُ، وَالْكَسَائِيُّ، وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ: «خِلَافَكَ». قَالَ الْأَخْفَشُ «خِلَافَكَ» فِي مَعْنَى خَلْفَكَ، وَالْمَعْنَى: لَا يَلْبُثُونَ بَعْدَ خُرُوجِكَ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أَيْ: لَوْ أَخْرَجُوكَ لَأَسْتَأْصَلْنَاكُمْ بَعْدَ خُرُوجِكَ بِقَلِيلٍ، وَقَدْ جَاوَزَاهُمْ اللَّهُ عَلَى مَا هَمُّوا

(١) الْبَيْتُ لِمُعَدِي بْنِ رَبِيعَةَ فِي «الْأَمَالِي» ٩٥/١، وَ«الْحِمَاة» ٩٢٩/٢، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: «نَبِئْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْقَدَتْ»: أَنَّهُ كَانَ لَا تَوَقُّدَ بِحَضْرَتِهِ نَارَ، لِعَظَمِ نَارِهِ وَعَظَمِهِ بِطَاعَتِهِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ أَرَادَ نَارَ الْحَرْبِ الَّتِي كَانَتْ تَارَتْ بَيْنَهُمْ بِقَتْلِ كَلْبٍ فَرَكَدَتْ أَحْقَابًا.

(٢) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «التَّحْقِيقِ» ٥٣/٣: وَهَذَا الْقَوْلُ ضَعِيفٌ، لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ، وَسَكَنِي الْمَدِينَةِ بَعْدَ ذَلِكَ.

(٣) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ خَبْرَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنَمٍ عَنْ الْبَيْهَقِيِّ: وَفِي هَذَا الْإِسْنَادِ نَظَرٌ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَخْرُجْ تَبُوكَ عَنْ قَوْلِ الْيَهُودِ، وَإِنَّمَا غَزَاهَا امْتِنَالًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ وَنَكِلُوا الْكَيْدَ﴾، وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُبَيِّنُوا الْحَرْبَ عَنْ يَدِهِمْ وَهُمْ سَاهُونَ﴾، وَغَزَاهَا لِيَقْتَضِيَ وَيَتَمَّ مِنْ قَتْلِ أَهْلِ مَوْتَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

به، فقتل صناديد المشركين بيد، وقتل من اليهود بني قريظة، وأجلى النضير. وقال ابن الأنباري: معنى الكلام: لا يَلْبَثُونَ على خلافك ومخالفتك، فسقط حرف الخفض. وقرأ أبو رزين، وأبو المتوكل: «خُلَافُكَ» بضم الخاء، وتشديد اللام، ورفع الفاء.

قوله تعالى: ﴿سُنَّةٌ مَّن قَدْ أَرْسَلْنَا﴾ قال الفراء: نصب السُّنة على العذاب المُضْمِر، أي: يعذبُونَ كَسُنَّتْنَا فيمن أَرْسَلْنَا. وقال الأخفش: المعنى: سَنَّا سُنَّةً. وقال الزجاج: انتصب بمعنى «لا يلبثون» وتأويله: إِنَّا سَنَّا هذه السُّنة فيمن أَرْسَلْنَا قبلك أنهم إذا أخرجوا نبيهم أو قتلوه، لم يلبث العذاب أن ينزل بهم.

﴿أَيُّرَ الصَّلَاةُ لِلدُّلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحْهُ بِحَمْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَن يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا (٨٠) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١)

قوله تعالى: ﴿أَيُّرَ الصَّلَاةُ﴾ أي: أَدْعَا ﴿لِلدُّلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أي: عند دُلُوكها. وذكر ابن الأنباري في «اللام» قولين: أحدهما: أنها بمعنى «في». والثاني: أنها مؤكدة، كقوله: ﴿رَوْقٌ لَّكُمْ﴾ [النمل: ٧٢]. وقال أبو عبيدة: دُلُوكها: من عند زوالها إلى أن تغيب. وقال الزجاج: مِثْلُهَا وقت الظهيرة دُلُوك، ومِثْلُهَا للغروب دُلُوك. وقال الأزهري: معنى «الدُّلُوك» في كلام العرب: الزوال، ولذلك قيل للشمس إذا زالت نصف النهار: دالكة، وإذا أفلت: دالكة، لأنها في الحالين زائلة. وللمفسرين في المراد بالدُّلُوك هاهنا قولان: أحدهما: أنه زوالها نصف النهار. روى جابر بن عبد الله قال: دعوت رسول الله ﷺ ومن شاء من أصحابه، فطعموا عندي، ثم خرجوا حين زالت الشمس، فخرج رسول الله ﷺ وقال: «اخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس»<sup>(١)</sup>؛ وهذا قول ابن عمر، وأبي برزة، وأبي هريرة، والحسن، والأزهري. قال الأزهري: لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس، فيكون المعنى: أقم الصلاة من وقت زوال الشمس إلى غسق الليل، فيدخل فيها الأولى، والعصر، وصلاتا غسق الليل، وهما العشاءان، ثم قال: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾، فهذه خمس صلوات. والثاني: أنه غروبها، قاله ابن مسعود<sup>(٢)</sup>، والنخعي، وابن زيد، وعن ابن عباس كالقولين. قال الفراء: ورأيت العرب تذهب في الدُّلُوك إلى غيبوبة الشمس، وهذا اختيار ابن قتيبة، قال: لأن العرب تقول: دَلَّكَ النجم: إذا غاب؛ قال ذو الرمة:

مَصَابِيحُ لَيْسَتْ بِاللَّوَاتِي تَقْزُدُهَُا نُجُومٌ وَلَا بِالْأَفَلَاتِ الدُّوَالِكِ<sup>(٣)</sup>

وتقول في الشمس: دلكت بِرَّاحٍ<sup>(٤)</sup>، يريدون: غربت، والناظر قد وضع كَفَّه على حاجبه ينظر إليها، قال الشاعر:

وَالشَّمْسُ قَدْ كَادَتْ تَكُونُ دَنَفًا أَذْغَعَهَا بِالرَّاحِ كَنِي تَرْخُلَفَا<sup>(٥)</sup>

فشبهها بالمریض [في] الدَّنَف، لأنها قد هُمَّتْ بالغروب كما قارب الدَّنَف الموت، وإنما ينظر إليها من تحت

(١) رواه الطبري: ١٣٧/١٥، عن ابن أبي ليلى عن رجل عن جابر بن عبد الله، ورواه أيضاً عن نُبَيْح العَنَزِي عن جابر بن عبد الله، ونُبَيْح العَنَزِي: مجهول.

(٢) رواه ابن جرير ١٣٤/١٥، والحاكم ٣٦٣/٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٥١/٧ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وخرجه السيوطي في «الدر» ١٩٥/٤ وزاد نسبه إلى عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن مردويه، من طرق عن ابن مسعود.

(٣) «ديوان» ٥١١ طبع المكتب الإسلامي، و«غريب القرآن» ٢٦٠، و«تفسير القرطبي» ٣٠٣/١٠، و«البحر المحيط» ٦٨/٦، و«اللسان»، و«التاج»: ذلك. مصابيح: يعني الإبل تصبح في مباركها، والأفلات: الغائبات، يقال: أفل النجم: إذا غاب، والدوالك: يقال: دلكت الشمس: إذا غابت أو دنت للمغيب.

(٤) برّاح، بفتح الباء: اسم للشمس، ومن كسر الباء، فإنه يعني أنه يضع الناظر كفه على حاجبه من شعاعها لينظر.

(٥) البيت للمعراج، «ديوانه» ٨٢، و«تهذيب الألفاظ» ٣٩٣، و«مجاز القرآن» ٣٨٨/١، و«غريب القرآن» ٢٦٠، و«الطبري» ١٣٧/١٥، و«تفسير القرطبي» ٣٠٣/١٠، و«الجمهرة» ٢١٨/٢، وفي «اللسان»: زحلف. يقال للشمس إذا مالت للمغيب، وزالت عن كبد السماء نصف النهار: قد ترخلفت.



الكف ليعلم كم بقي لها إلى أن تغيب، ويتوقى الشعاع بكفه. فعلى هذا، المراد بهذه الصلاة: المغرب. فأما غسق الليل، فظلامه. وفي المراد بالصلاة المتعلقة بغسق الليل ثلاثة أقوال: أحدها: العشاء، قاله ابن مسعود. والثاني: المغرب، قاله ابن عباس. قال القاضي أبو يعلى: فيحتمل أن يكون المراد بيان وقت المغرب، أنه من غروب الشمس إلى غسق الليل. والثالث: المغرب والعشاء، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ المعنى: وأقم قراءة الفجر. قال المفسرون: المراد به: صلاة الفجر. قال الزجاج: وفي هذا فائدة عظيمة تدل على أن الصلاة لا تكون إلا بقراءة، حين سميت الصلاة قرآناً. قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾، روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «تشهد ملائكة الليل، وملائكة النهار»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ قال ابن عباس: فَصَّلْ بالقرآن. قال مجاهد، وعلقمة، والأسود: التهجد بعد النوم. قال ابن قتيبة: تهجدت: سهرت، وهجدت: نمت. وقال ابن الأنباري: التهجد هاهنا بمعنى: التيقظ والسهر، واللغويون يقولون: هو من حروف الأضداد؛ يقال للنائم: هاجد ومتهجد، وكذلك للساهر، قال النابغة:

وَلَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَسْمَطَ رَاهِبٍ  
لَرَبَّانَا لِبَهْجَتِهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا  
عَبَدَ الْإِلَهَ صَرُورَةً مُتَهَجِّدٍ  
وَلَحَالَهُ رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرُشِّدِ<sup>(٢)</sup>

يعني بالمتهجد: الساهر، وقال ليبد:

قَالَ مَجْدُنَا فَقَدْ طَالَ الشَّرَى  
أَي: نَوْنُنا. وقال الأزهري: المتهجد: القائم إلى الصلاة من النوم. وقيل له: متهجد، لإلقائه الهجود عن نفسه، كما يقال: تَحْرُجُ وتَأْتُمُّ.

قوله تعالى: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ النافلة في اللغة: ما كان زائداً على الأصل. وفي معنى هذه الزيادة في حقه قولان: أحدهما: أنها زائدة فيما فُرض عليه، فيكون المعنى: فريضة عليك، وكان قد فرض عليه قيام الليل، هذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير. والثاني: أنها زائدة على الفرض، وليست فرضاً؛ فالمعنى: تطوعاً وفضيلة. قال أبو أمامة، والحسن، ومجاهد: إنما النافلة للنبي ﷺ خاصة. قال مجاهد: وذلك أنه قد غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فما زاد على فرضه فهو نافلة له وفضيلة، وهو لغيره كفارة<sup>(٣)</sup>. وذكر بعض أهل العلم؛ أن صلاة الليل كانت فرضاً عليه في الابتداء، ثم رُخِّصَ له في تركها، فصارت نافلة. وذكر ابن الأنباري في هذا قولين: أحدهما: يقارب ما قاله مجاهد، فقال: كان رسول الله ﷺ إذا تنفّل لا يقدر له أن يكون بذلك ماحياً للذنوب، لأنه قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر، وغيره إذا تنفّل كان راجياً، ومقدراً محو السيئات عنه بالتنفل، فالنافلة لرسول الله ﷺ زيادة على الحاجة، وهي لغيره

(١) «المسند» ٢٣٨/١٣، وابن ماجه ٢٢٠/١، والنسائي ٢٤١/١، «الترمذي» ١٤١/٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وروى الإمام أحمد في «المسند» ١٧٢/١٢، «والبخاري» ٣٠٢/٨، و«مسلم» ٤٥٠/١ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تفضل صلاة في الجميع على صلاة الرجل وحده غسماً وشرين درجة» قال: «فوجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر» قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾.

(٢) البيهقي في «ديوانه» ٣١، و«مختار الشعر الجاهلي» ١٨٦/١، وأضداد ابن الأنباري، ٥٢. والأشعث: الذي دب في رأسه الشيب، والضرورة: الذي لم يلبس مطلقاً، أو الذي لم يتزوج.

(٣) «ديوانه» ١٨٢، و«اللافتضاب» ١٨٤، و«الخزانة» ٢٨/٢، وأضداد ابن الأنباري، ٥١، وأضداد ابن السكيت، ١٩٤، وأضداد الحلبي، ٦٧٩، و«اللسان»: هجد، وسرى، وصلة البيت قبله:

وَتَجُودُ مِنْ ضَبَابَاتِ الْكَرَى  
عَاطِفُ الْخَمْرِ حَسْبُكَ الْمُتَبَيِّنُ  
والمجود: الذي يجهد من الناس وغيره، وقوله: عاطف النمرق؛ يريد عطف نمرقه وثناها فنام، وصدق المتبدل، أي: جلد قوي لا يغير عند ابتذاله نفسه ولا يسقط. قال ابن السدي في شرح البيتين: وصف نفسه بالجد في السفر، وكثرة السهر حتى يتأذى رفيقه بذلك، فيقول له: خلنا ننام ونسريح... قد قدرنا على ما نريد، ووصلنا إلى ما نحب، إن غفل عنا الدهر ولم يفسد علينا أمراً، فليمتجهج أنفسنا بطول السرى، ونمنع أعيننا للذي الكرى؟

(٤) «المسند» ٢٩١/٣، «الترمذي» ١٤٢/٢، وقال: حديث حسن صحيح، ونقله ابن كثير في «تفسيره» ٥٨/٣، وأقر تصحيح الترمذي إياه، وصححه أيضاً الشيخ أحمد شاكر. وفي مسند قابوس بن أبي عبيد الله الجعفي، ليه الحافظ في «التقريب».

مفتقر إليها، ومأمول بها دفع المكروه. والثاني: أن النافلة للنبي ﷺ وأمته، والمعنى: ومن الليل فتعبدوا به نافلة لكم، فخطب النبي ﷺ بخطاب أمته.

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ﴾ «عسى» من الله واجبة، ومعنى «يبعثك» يقيمك ﴿مَقَامًا تَحْسُرُونَ﴾ وهو الذي يحسده لأجله جميع أهل الموقف. وفيه قولان: أحدهما: أنه الشفاعة للناس يوم القيامة، قاله ابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وابن عمر، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبد الله، والحسن، وهي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد<sup>(١)</sup>. والثاني: يجلسه على العرش يوم القيامة. روى أبو وائل عن عبد الله أنه قرأ هذه الآية، وقال: يُقْعَد على العرش، وكذلك روى الضحاك عن ابن عباس، وليث عن مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَلَّيْنَاكَ أَنْ تَدْخُلَ مَدِينًا﴾ وقرأ الحسن، وعكرمة، والضحاك، وحميد بن قيس، وقتادة، وابن أبي عبيدة بفتح الميم في «مدخل» و«مخرج». قال الزجاج: المدخل، بضم الميم: مصدر أدخلته مدخلًا، ومن قال: مدخل صدق، فهو على أدخلته، فدخل مدخل صدق، وكذلك شرح «مخرج» مثله. وللمفسرين في المراد بهذا المدخل والمخرج أحد عشر قولاً: أحدها: أدخلني المدينة مدخل صدق، وأخرجني من مكة مخرج صدق. روى أبو ظبيان عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ بمكة، ثم أمر بالهجرة، فنزلت عليه هذه الآية. وإلى هذا المعنى ذهب الحسن في رواية سعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد. والثاني: أدخلني القبر مدخل صدق، وأخرجني منه مخرج صدق، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أدخلني المدينة، وأخرجني إلى مكة، يعني: لفتحها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أدخلني مكة مدخل صدق، وأخرجني منها مخرج صدق، فخرج منها آمناً من المشركين، ودخلها ظاهراً عليها يوم الفتح، قاله الضحاك. والخامس: أدخلني مدخل صدق الجنة، وأخرجني مخرج صدق من مكة إلى المدينة، رواه قتادة عن الحسن. والسادس: أدخلني في النبوة والرسالة، وأخرجني منها مخرج صدق، قاله مجاهد، يعني: أخرجني مما يجب عليّ فيها. والسابع: أدخلني في الإسلام، وأخرجني منه، قاله أبو صالح؛ يعني: من أداء ما وجب عليّ فيه إذا جاء الموت. والثامن: أدخلني في طاعتك، وأخرجني منها، أي: سالماً غير مقصّر في أدائها، قاله عطاء. والتاسع: أدخلني الفاز، وأخرجني منه، قاله محمد بن المنكدر. والعاشر: أدخلني في الدين، وأخرجني من الدنيا وأنا على الحق، ذكره الزجاج. والحادي عشر: أدخلني مكة، وأخرجني إلى حُثَيْن، ذكره أبو سليمان الدمشقي. وأما إضافة الصدق إلى المدخل والمخرج، فهو مدح لهما. وقد شرحنا هذا المعنى في سورة (يونس: ٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ أي: من عندك ﴿سُلْطَانًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التسلُّط على الكافرين بالسيف، وعلى المنافقين بإقامة الحدود، قاله الحسن. والثاني: أنه الحجّة البيّنة، قاله مجاهد. والثالث: التُّلك العزيز الذي يَفْهَر به العصاة، قاله قتادة. وقال ابن الأنباري: وقوله: ﴿تَهْمِيكًا﴾ يجوز أن يكون بمعنى مُنْصَرًّا، ويصلح أن يكون تأويله ناصراً.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَّقَ الْبَاطِلُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن الحق: الإسلام، والباطل: الشرك، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن الحق: القرآن، والباطل: الشيطان، قاله قتادة. والثالث: أن الحق: الجهاد، والباطل: الشرك، قاله ابن جريج. والرابع: الحق: عبادة الله، والباطل: عبادة الأصنام، قاله مقاتل. ومعنى «زَهَقَ»: بَطَلَ واضمحَلَّ. وكلُّ شيء هلك وبَطَلَ فقد زَهَقَ. وَزَهَقَتْ نفسه: تَلَفَتْ. وروى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ

(١) في «صحيح البخاري» عن ابن عمر قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثّاً، كل أمة تتبع نبيّها، تقول يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فلذلك يوم يمشي الله المقام المحمود. قال الحافظ ابن حجر في «تفريغ أحاديث الكشاف»: وفي الباب عن أنس عند البخاري في التوحيد، وعن ابن مسعود عند النسائي والحاكم، وله طريق آخر عند أحمد والحاكم مطوّل، وعن كعب بن مالك عند الحاكم، وأصله عند مسلم، وعن جابر عند أحمد والحاكم، واختلف في وصله وإرساله عن الزهري عن علي بن الحسين، وعن أبي سعيد عند الترمذي وابن ماجه، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند ابن مردويه.

دخل مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنهما ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً»<sup>(١)</sup>.  
فإن قيل: كيف قلت: «إن زهق» بمعنى بطل، والباطل موجود معمول عليه عند أهله؟ فالجواب: أن المراد من بطلانه وهلكته: وضوح عيبه، فيكون هالكاً عند المتدبر الناظر.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ ﴿٨٥﴾

قوله تعالى: «﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾» (من) هاهنا لبيان الجنس، فجميع القرآن شفاء. وفي هذا الشفاء ثلاثة أقوال: أحدها: شفاء من الضلال، لما فيه من الهدى. والثاني: شفاء من السقم، لما فيه من البركة. والثالث: شفاء من البيان للفرافض والأحكام. وفي «الرحمة» قولان: أحدهما: النعمة. والثاني: سبب الرحمة.

قوله تعالى: «﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾» يعني المشركين «﴿إِلَّا خَسَارًا﴾» لأنهم يكفرون به، ولا يستفعدون بمواعظه، فيزيد خسارهم.

﴿وَإِذَا أَمْسَأَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَمْرٌ مِّنْهُمَا بِمَا كَسَبَتْ يَدَايِهِ إِنَّهُ سَأَهُ الْقُلُّ كَأَن يَتَوَسَّأَ﴾ ﴿٨٦﴾ قُلْ كُلُّ مِمَّا فِى شَاكِرِيهِمْ وَمَن يَكْمُرْ بَيْنَ يَدَيْهِ

سَيِّئًا ﴿٨٦﴾

قوله تعالى: «﴿وَإِذَا أَمْسَأَ عَلَى الْإِنْسَانِ﴾» قال ابن عباس: الإنسان هاهنا: الكافر، والمراد به الوليد بن المغيرة. قال المفسرون: وهذا الإنعام: سعة الرزق، وكشف البلاء. «﴿وَمَن يَكْمُرْ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «ونأى» على وزن «نعى» يفتح النون والهمزة. وقرأ ابن عامر: «نأ» مثل «باع». وقرأ الكسائي، وخلف عن سليم عن حمزة: «ونأ» بإمالة النون والهمزة. وروى خلاد عن سليم: «نئ» يفتح النون، وكسر الهمزة؛ والمعنى: تباعد عن القيام بحقوق النعم، وقيل: تعظم وتكبر. «﴿وَإِذَا سَأَهُ الْقُلُّ﴾» أي: نزل به البلاء والفقر «﴿كَأَن يَتَوَسَّأَ﴾». أي: قنوطاً شديد اليأس، لا يرجو فضل الله.

قوله تعالى: «﴿قُلْ كُلُّ مِمَّا فِى شَاكِرِيهِمْ﴾» فيها ثلاثة أقوال: أحدها: على ناحيته، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير. قال الفراء: الشاكلة: الناحية، والجديلة، والطريقة، سمعت بعض العرب يقول: وعبد الملك إذ ذاك على جديلته، وابن الزبير على جديلته، يريد: على ناحيته. وقال أبو عبيدة: على ناحيته وخليقتة. وقال ابن قتيبة: على خليقتة وطبيعته، وهو من الشكل. يقال: لست على شكلي، ولا شاكلي. وقال الزجاج: على طريقتة، وعلى مذهبه. والثاني: على نيته؛ قاله الحسن، ومعاوية بن قرة. وقال الليث: الشاكلة من الأمور: ما وافق فاعله. والثالث: على دينه، قاله ابن زيد. وتحرير المعنى أن كل واحد يعمل على طريقتة التي تشاكل أخلاقه، فالكافر يعمل ما يشبه طريقتة من الإعراض عند النعم واليأس عند الشدة، والمؤمن يعمل ما يشبه طريقتة من الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء، والله يجازي الفريقين. وذكر أبو صالح عن ابن عباس: أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: «﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ الْغَنِيِّ﴾» [التوبة: ٢٥]، وليس بشيء.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَى الْرُوحِ قُلْ الْرُوحُ مِنِّي أَنبَأْتُ رَبِّي وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِذَا يَقُومُ﴾ ﴿٨٧﴾

قوله تعالى: «﴿وَنَزَّلْنَا عَلَى الْرُوحِ﴾» في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رسول الله ﷺ مر بناس من اليهود، فقالوا: سلوه عن الروح؟ فقال بعضهم: لا تسألوه، فيستقبلكم بما تكرهون. فأتاه نفر منهم، فقالوا: يا أبا القاسم: ما تقول في الروح؟ فسكت، ونزلت هذه الآية، قاله ابن مسعود<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن اليهود قالت لقريش: سلوا محمداً عن

(١) البخاري ٣٠٣/٨، ومسلم ١٤٠٨/٣، والترمذي ١٤٢/٢ من طرق عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود...

(٢) «المسنند» ٢٥٤/٥، والبخاري ٣٠٣/٨، ومسلم ٢١٥٢/٤، والترمذي ١٤٢/٢، وانظر ابن كثير ٦٠/٣ في الكلام على سبب نزول هذه الآية. وأخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن المنذر وابن حبان وصححه عن ابن عباس ﷺ قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل؟ فقال: سلوه عن الروح، فسألوه، فنزلت: «﴿وَنَزَّلْنَا عَلَى الْرُوحِ قُلْ الْرُوحُ مِنِّي أَنبَأْتُ رَبِّي وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِذَا يَقُومُ﴾» قالوا: أوتينا علماً كثيراً، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً، فأنزل الله تعالى: «﴿هَلْ نَرَاكَ الْكَافِرَ مَكَانًا﴾» [الحج: ٦٠] رَبِّي قَدِ الْبَتَّ بِكَ أَن تَنفَعَهُ كَيْدُ رَبِّي وَرَبِّي يَتْلِيهِ مَقَامًا ﴿٦٠﴾

ثلاث، فإن أخبركم عن اثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبي؛ سلوه عن فتية فُقدوا، وسلوه عن ذي القرنين، وسلوه عن الروح. فسألوه عنها، ففسّر لهم أمر الفتية في الكهف، وفسر لهم قصة ذي القرنين، وأمسك عن قصة الروح، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس. وفي المراد بالروح هاهنا ستة أقوال: أحدها: أنه الروح الذي يحيا به البدن، روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس. وقد اختلف الناس في ماهية الروح، ثم اختلفوا هل الروح النفس، أم هما شيان فلا يحتاج إلى ذكر اختلافهم لأنه لا برهان على شيء من ذلك وإنما هو شيء أخذوه عن الطب والفلاسفة؟ فأما السلف، فإنهم أمسكوا عن ذلك، لقوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾، فلما رأوا أن القوم سألوا عن الروح فلم يجابوا، والوحي ينزل، والرسول حي، علموا أن السكوت عما لم يُحفظ بحقيقة علمه أولى. والثاني: أن المراد بهذا الروح: ملك من الملائكة على خلقه هائلة، روي عن عليّ عليه السلام، وابن عباس، ومقاتل. والثالث: أن الروح: خلق من خلق الله ﷻ صورهم على صور بني آدم، رواه مجاهد عن ابن عباس. والرابع: أنه جبريل عليه السلام، قاله الحسن، وقادة. والخامس: أنه القرآن، روي عن الحسن أيضاً. والسادس: أنه عيسى ابن مريم، حكاه الماوردي. قال أبو سليمان الدمشقي: قد ذكر الله تعالى الروح في مواضع من القرآن، فغالب ظني أن الناقلين نقلوا تفسيره من موضعه إلى موضع لا يليق به، وظنوه مثله، وإنما هو الروح الذي يحيى به ابن آدم. وقوله: ﴿وَيَنْ أَمْرٌ رَبِّي﴾ أي: من علمه الذي منع أن يعرفه أحد.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ أَوَّلٍ إِلَّا نَحْيَاكَ﴾ في المخاطبين بهذا قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله الأكثرون. والثاني: أنهم جميع الخلق، علمهم قليل بالإضافة إلى علم الله عز وجل، ذكره الماوردي. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَزُتْ الْحِجَّةَ فَتَذَرُوكَ حَرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] فالجواب: أن ما أوتيته الناس من العلم، وإن كان كثيراً، فهو بالإضافة إلى علم الله قليل.

﴿وَلَكِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَ بِاللَّيْلِ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عِلْمًا وَكَيْلًا﴾ (٨٦) إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلًا كَانَ عَلَيْكَ كَثِيرًا (٨٧)

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَ بِاللَّيْلِ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ قال الزجاج: المعنى: لو شئنا لمحوناه من القلوب والكتب، حتى لا يوجد له أثر، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عِلْمًا وَكَيْلًا﴾ أي: لا تجد من يتوكل [علينا] في رد شيء منه، ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ هذا استثناء ليس من الأول، والمعنى: لكن الله رحمك فأثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين. وقال ابن الأنباري: المعنى: لكن رحمة من ربك تمنع من أن تُسلب القرآن، وكان المشركون قد خاطبوا نساءهم من المسلمين في الرجوع إلى دين آبائهم، فهدّهم الله ﷻ بسلب النعمة، فكان ظاهر الخطاب للرسول، ومعنى التهليل للامة. وقال أبو سليمان: ﴿ثم لا تجد لك به﴾ أي: بما نفعله بك، من إذهاب ما عندك «وكيلاً» يدفعنا عما نريد بك. وروي [عن] عبد الله بن مسعود أنه قال: يسرى على القرآن في ليلة واحدة، فيجئ جبريل من جوف الليل، فيذهب به من صدورهم ومن بيوتهم، فيصباحون لا يقرؤون آية، ولا يحسنونها<sup>(١)</sup>. ورد أبو سليمان الدمشقي صحة هذا الحديث بقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً»<sup>(٢)</sup>، وحديث ابن مسعود مروي من طريق جسان، فيحتمل أن يكون النبي ﷺ أراد بالعلم ما سوى القرآن، فإن العلم ما يزال ينقرض حتى يكون رفع القرآن آخر الأمر<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١٣/١٣ من رواية الطبراني عن عبد الله بن مسعود قال: «وليزعن القرآن من بين أظهركم، يسرى عليه ليلًا، فيلبس من أجواف الرجال فلا يبقى في الأرض منه شيء»، وقال الحافظ: وسنده صحيح، لكنه موقوف.

(٢) البخاري ١/١٧٤، ومسلم ٢٠٥٨/٤ من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب، ولفظه في البخاري: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأثروا بغير علم فضلوا وأضلوا».

(٣) روى ابن ماجه رقم (٤٠٤٩) بسند قوي عن حنيفة عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «فيدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صلة، ولْيَسْرِ على كتاب الله ﷻ في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير، والمجنون، يقولون: أمركنا بأمانتنا على هذه الكلمة: «لا إله إلا الله» فنحن نقولها»، فقال له صلة: ما تنفي عنهم «لا إله إلا الله» وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة، فأعرض عنه حنيفة، ثم ردما عليه ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حنيفة، ثم أنبل عليه في الثالثة، فقال: يا صلة، تنجيهم من النار، ثلاثاً. قال في «الزوائد»: إسناده صحيح.

﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعْتَ الْإِنْسُ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعْتَ الْإِنْسُ وَالْجِنَّ﴾ قال المفسرون: هذا تكذيب للنفسر بن الحارث حين قال: «لو شئنا قلنا مثل هذا». والميثل الذي طُلب منهم: كلام له نظم كنظم القرآن، في أعلى طبقات البلاغة. والظهير: المعين.

﴿وَلَقَدْ سَرَقْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَثُورًا ۝٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْزِلَ نَارٌ مِنَ الْأَرْضِ يَلْقُوهَا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَنَحْنُ فَتَنَجَرُ الْأَثَرُ جَلَلَهَا فَتَجِيرًا ۝٩١ أَوْ تَنْقُطَ السَّمَاءُ كَمَا زُغَمَتْ عَلَيْنَا مِثْلَ الْكَفِّ أَوْ تَأْتِيَ بَالَهُ وَالْمَلَائِكَةُ قِيلًا ۝٩٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَبِّكَ حَتَّى نُنْزِلَ عَلَيْكَ كِتَابًا مَقْرُونًا قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝٩٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَرَقْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ قد فسرناه في هذه السورة [الإسراء: ٤١]، والمعنى: من كل مثل من الأمثال التي يكون بها الاعتبار ﴿فَأَكْثَرُ النَّاسِ﴾ يعني أهل مكة ﴿إِلَّا كَثُورًا﴾ أي: جحوداً للحق وإنكاراً.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْزِلَ نَارٌ مِنَ الْأَرْضِ يَلْقُوهَا ۝٩٠﴾ سبب نزول هذه الآية وما يتبعها، أن رؤساء قريش، كعتبة، وشيبة، وأبي جهل، وعبد الله بن أبي أمية، والنضر بن الحارث في آخرين، اجتمعوا عند الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تعتدوا فيه، فبعثوا إليه: إن أشرف قومك قد اجتمعوا ليكلّموك، فجاءهم سريعاً، وكان حريضاً على رشدكم، فقالوا: يا محمد، إنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفّهت الأحلام، وفرت الجماعة، فإن كنت إنما جئت بهذا لتطلب مالاً، جعلنا لك من أموالنا ما تكون به أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا، سؤدناك علينا، وإن كان هذا الرئي الذي يأتيك قد غلب عليك، بدلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى تُبْرِثَ منه، أو نُعْذِرَ فيك. فقال رسول الله ﷺ: «إِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي [ما جئتكم به]، فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه»<sup>(١)</sup> عليّ، أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم». قالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل مِنّا ما عرضنا، فقد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيّق بلاداً ولا أشدّ عيشاً مِنّا، سل لنا ربك يُسِيرَ لنا هذه الجبال التي ضيّقت علينا، ويُجِرَ لنا أنهاراً، ويبعث من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب، فإنه كان شيخاً صدوقاً، فنسألهم عما تقول: أحق هو؟ فإن فعلت صدّقناك، فقال رسول الله ﷺ: «ما بهذا بُعثت، وقد أبغلتكم ما أرسلت به؟» قالوا: فسل ربك أن يبعث ملكاً يصدّقك، وسله أن يجعل لك جناناً، وكنوزاً، وقصوراً من ذهب وفضة تغنيك؛ قال: «ما أنا بالذي يسأل ربه هذا؟» قالوا: فأسقط<sup>(٢)</sup> السماء [علينا] كما زعمت بأن ربك إن شاء فعل؛ فقال: «ذلك إلى الله ﷻ»؛ فقال قائل منهم: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً، وقال عبد الله بن أبي أمية: لا أؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سلماً، وترقى فيه وأنا أنظر، وتأتي بنسخة منشورة معك، ونفر من الملائكة يشهدون لك، فانصرف رسول الله ﷺ حزينا لما رأى من مبادئهم إياه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ...﴾ الآيات، رواه عكرمة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَنْزِلَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «حتى تُفَجَّرَ بضم التاء، وفتح الفاء، وتشديد الجيم مع الكسرة. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «حتى تُفَجَّرَ بفتح التاء، وتسكين الفاء، وضم الجيم مع التخفيف. فمن ثقل، أراد كثرة الانفجار من البنبوع، ومن خفّف، فلان البنبوع واحد. فأما البنبوع: فهو عين ينبع الماء منها؛ قال أبو عبيدة: هو يقعول، من نبع الماء، أي: ظهر وفار.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ أي: بستان ﴿فَتَنْجِرَ الْأَثَرُ﴾ أي: تفتحها وتجريها ﴿جَلَلَهَا﴾ أي: وسط تلك الجنة. قوله تعالى: ﴿أَوْ تَنْقُطَ السَّمَاءُ﴾ وقرأ مجاهد، وأبو مجلز، وأبو رجاء، وحמיד، والجحدري: «أو تُسْقَطُ بفتح التاء، ورفع القاف «السما» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿كِسْفًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «كِسْفًا» بتسكين السين في جميع القرآن إلا

(١) في الأصل: تردوا. في الأصل: فسقط، والتصحيح من «الطبري»، و«ابن كثير»، و«الدرو».

(٢) في الأصل: تردوا.

في [الروم: ٤٨] فَإِنَّهُمْ حَرَكُوا السِّينَ. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم بتحريك السين في الموضعين، وفي باقي القرآن بالتسكين. وقرأ ابن عامر هاهنا بفتح السين، وفي باقي القرآن بتسكينها. قال الزجاج: من قرأ «كِسْفًا» بفتح السين، جعلها جمع كِسْفَةٍ، وهي: القطعة، ومن قرأ «كِسْفًا» بتسكين السين، فكانهم قالوا: أَسْقَطُهَا طَبَقًا عَلَيْنَا؛ واشتقاقه من كَسَفْتُ الشَّيْءَ: إِذَا غَطَّيْتَهُ، يعنون: أَسْقَطُهَا عَلَيْهَا قطعة واحدة. وقال ابن الأنباري: من سَكَنَ قال: تَأْوِيلُهُ: سَتْرًا وتغطية، من قولهم: قد انكسفت الشمس: إِذَا غَطَّاهَا مَا يَحُولُ بَيْنَ النَّاظِرِينَ إِلَيْهَا وَبَيْنَ أَنْوَارِهَا.

قوله تعالى: ﴿أَو تَأْتِي بَآلَهُ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال. أحدها: عياناً، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال قتادة، وابن جريج، ومقاتل. وقال أبو عبيدة: معناه. مقابلة، أي: معاينة، وأنشد للأعشى:

نُصَالِحُكُمْ حَتَّى تَبْؤُوا بِمَوَاسِلِهَا

كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسْرَتُهَا قَبِيلُهَا<sup>(١)</sup>

أي: قابِلَتُهَا. ويروي: وَجَّهْتُهَا [يعني يدل: يسرتها]. والثاني: كفيلاً أنك رسول الله، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء، قال: القبيل، والكفيل، والزعيم، سواء؛ تقول: قبلت، وكفلت وزعمت. والثالث: قبيلة قبيلة، كل قبيلة على جذتها، قاله الحسن، ومجاهد. فأما الزخرف، فالمراد به الذهب، وقد شرحنا أصل هذه الكلمة في [يونس: ٢٤]، و«ترقى»: بمعنى «تصعد»؛ يقال: رَقَيْتُ أَرَقَى رُقْيًا.

قوله تعالى: ﴿حَقِّ نَزَلَ عَلَيْنَا كِتَابٌ﴾ قال ابن عباس: كتاباً من رب العالمين إلى فلان يصبح عند كل واحد منا يقرؤه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ قرأ نافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «قل». وقرأ ابن كثير، وابن عامر: «قال»، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة والشام، ﴿قُلْ كُنْتُ إِلَّا بِشْرًا رَسُولًا﴾، أي: أن هذه الأشياء ليست في قوى بشر. فإن قيل: لِمَ اقتصَر على حكاية «قالوا» من غير إيضاح الرد؟ فالجواب: أنه لما خصهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ فلم يكن في وسعهم، عجزهم، فكانه يقول: قد أوضحت لكم بما سبق من الآيات ما يدل على نبوتي، ومن ذلك التحدي بمثل هذا القرآن، فأما عَنَتُكُمْ فليس في وسعي، ولأنهم الشوا عليه في هذه الأشياء، ولم يسألوه أن يسأل ربه، فرد قولهم بكونه بشراً، فكفى ذلك في الرد.

﴿وَمَا مَعَ آتَاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا بُعِثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ ﴿قُلْ كُنْتُ نَبِيًّا شَهِيدًا بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّي وَإِنِّي كُنْتُ نَبِيًّا شَهِيدًا بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّي وَإِنِّي كُنْتُ نَبِيًّا شَهِيدًا بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّي﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا مَعَ آتَاسَ أَن يُؤْمِنُوا﴾ قال ابن عباس: يريد أهل مكة. قال المفسرون: ومعنى الآية: وما منعهم من الإيمان ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ وهو البيان والإرشاد في القرآن ﴿إِلَّا أَن قَالُوا﴾ [أي: إلا] قولهم في التعجب والإنكار: ﴿بُعِثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا؟﴾ وفي الآية اختصار، تقديره: هلا بعث الله ملكاً رسولاً، فأجيبوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ أي: مستوطنين الأرض. ومعنى الطمأنينة: السكون؛ والمراد من الكلام أن رسول كل جنس ينبغي أن يكون منهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ كُنْتُ نَبِيًّا شَهِيدًا﴾ قد فسرناه في [الرعد: ٤٣] ﴿إِنِّي كُنْتُ نَبِيًّا شَهِيدًا بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّي﴾ قال مقاتل: حين اختص الله محمدًا بالرسالة.

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَمْ يَهْدِ لَهُمْ بَشَرٌ لَّا يَهْدِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَ وَجْهِهِمْ عَنَّا وَبَيْنَا وَسُورًا﴾ ﴿تَأْوِيلُهُمْ جَهَنَّمَ كَلِمًا حَتَّ زِدْنَاهُمْ سَمِيرًا﴾ ﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَوَلَا كُنَّا عَظَمَاءَ وَرَبُّنَا أَوَلَا لَمِيمُونَ﴾ ﴿خَلَقْنَا جِبَدًا﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَهْلًا لَا يَرَوْنَ فِيهِ قَابَ الْقَظِيلُونَ﴾ ﴿إِلَّا كَفَرُوا﴾ ﴿قُلْ لَوْ أَنَّم تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَسْتَكْبَرْتُ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَن قَتْلًا﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَمْ يَهْدِ لَهُمْ بَشَرٌ لَّا يَهْدِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَ وَجْهِهِمْ عَنَّا وَبَيْنَا وَسُورًا﴾ وأثبتها

(١) «الطبري» ١٥/١٦٢. وهو في ملحق «ديوان الأعشى» ٢٥٦ برواية «شواهد الكشاف» ٢٤٧، «واللسان»: قبل. وعجز البيت في «الإصلاح» ١٦٠، «فتح الباري» ٢٩٨/٨.

يعقوب في الوقف، وحذفها الأكثرون في الحاليتين. «من يهد الله» قال ابن عباس: من يرد الله هداً ﴿فَهُوَ أَلْمَهَتُو وَنَ يُضِلُّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ يهدونهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ رُجُومِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يمشيهم على وجوههم، وشاهده ما روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» من حديث أنس بن مالك أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «إن الذي أمشاه على رجله في الدنيا، قادر على أن يمشي به على وجهه يوم القيامة»<sup>(١)</sup>. والثاني: أن المعنى: ونحشرهم مسحوبين على وجوههم، قاله ابن عباس. والثالث: نحشرهم مسرعين مبادرين، فعبر بقوله: «على وجوههم» عن الإسراع، كما تقول العرب: قد مر القوم على وجوههم: إذا أسرعوا، قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿عَمِيًّا وَبِكْمًا وَصَمًّا﴾ فيه قولان: أحدهما: عمياً لا يرون شيئاً يَسْرُهُمْ، وبكماً لا ينطقون بحجة، وصماً لا يسمعون شيئاً يَسْرُهُمْ، قاله ابن عباس. وقال في رواية: عمياً عن النظر إلى ما جعل لأوليائه، وبكماً عن مخاطبة الله، وصماً عما مدح به أوليائه، وهذا قول الأكثرين. والثاني: أن هذا الحشر في بعض أحوال القيامة بعد الحشر الأول. قال مقاتل: هذا يكون حين يقال لهم: ﴿أَخْشَوْا فِيهَا﴾ [المؤمن: ١٠٨] فيصبرون عمياً بكماً صماً لا يرون ولا يسمعون ولا ينطقون بعد ذلك.

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ قال ابن عباس: أي: سكنت. قال المفسرون: وذلك أنها تأكلهم، فإذا لم تبق منهم شيئاً وصاروا فحماً ولم تجد شيئاً تأكله، سكنت، فيعادون خلقاً جديداً، فتعود لهم. وقال ابن قتيبة: يقال: خبت النار: إذا سكن لهبها. فاللهب يسكن، والجمر يعمل، فإن سكن اللهب، ولم يطقأ الجمر، قيل: خمدت تَحْمُدُ خُمُوداً، فإن طُفِئت ولم يبق منها شيء، قيل: خمدت تَهْمُدُ هُمُوداً. ومعنى ﴿وَيَذْنَهُمْ سَوَادًا﴾: ناراً تسعر، أي: تلهب. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [الإسراء: ٤٩] إلى قوله: ﴿قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: على أن يخلقهم مرة ثانية، وأراد به «مثلهم» إياهم، وذلك أن مثل الشيء مساو له، فجاز أن يعبر به عن نفس الشيء، يقال: مثلك لا يفعل هذا، أي: أنت، ومثله قوله: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنَمُ بِهِ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقد تم الكلام عند قوله: ﴿وَمِثْلَهُمْ﴾، ثم قال: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يعني: أجل البعث ﴿فَأَنَّا الظَّالِمُونَ لَا كُفْرًا﴾ أي: جحوداً بذلك الأجل.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ قال الزجاج: المعنى: لو تملكون أنتم، قال المتلمس:

وَلَوْ غَيْرُ أَخَوَالِي أَرَادُوا نَقِصَتِي نَصَبْتُ لَهُمْ قُوَّةَ الْعِرَانِينَ وَمِيسَمًا<sup>(٢)</sup>

المعنى: لو أراد غير أخوالي. وفي هذه الخزائن قولان: أحدهما: خزائن الأرزاق. والثاني: خزائن النعم، فيخرج في الرحمة قولان: أحدهما: الرزق. والثاني: النعمة. وتحرير الكلام: لو ملكتم ما يملكه الله ﷻ لأمسكنكم عن الإنفاق خشية الفاقة. ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ يعني: الكافر ﴿قَتُورًا﴾ أي: بخيلاً مُنْسِكًا، يقال: قَتَرٌ يَقْتَرُ، وقَتَرٌ يَقْتَرُ: إذا قَصَرَ في الإنفاق. وقال الماوردي: لو ملك أحد من المخلوقين من خزائن الله تعالى، لما جاد كجود الله تعالى، لأمرين: أحدهما: أنه لا بد أن يمسك منه لنفسه ومنفعته. والثاني: أنه يخاف الفقر، والله تعالى منزّه في جوده عن الحالين. ثم إن الله تعالى ذكر إنكار فرعون آيات موسى، تشبيهاً بحال هؤلاء المشركين، فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ شِعْرَ الْكَافِرِينَ﴾ وفيها قولان: أحدهما: أنها بمعنى المعجزات والدلالات، ثم اتفق جمهور المفسرين على سبع آيات منها، وهي: يده، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، واختفوا في الآيتين الأخريتين على ثمانية أقوال. أحدها: أنهما لسانه والبحر الذي فلق له، رواه العوفي عن ابن عباس؛ يعني بلسانه: أنه كان فيه عقدة فحلها الله تعالى له. والثاني: البحر والجبل الذي شق فوقهم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: السُّنُونُ ونقص الثمرات، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والشعبي، وعكرمة، وقتادة. وقال الحسن: السُّنُونُ ونقص الثمرات آية واحدة. والرابع: البحر والموت أرسل عليهم، قاله الحسن، ووهب. والخامس: الحَجَرُ والبحر، قاله سعيد بن جبير. والسادس: لسانه وإلقاء العصا مرتين عند فرعون، قاله الضحاك. والسابع: البحر والسُّنُونُ، قاله محمد بن كعب. والثامن: ذكره [محمد بن إسحاق عن] محمد بن كعب أيضاً،

فذكر السبع الآيات الأولى، إلا أنه جعل مكان يده البحر، وزاد الطمسة والحجر، يعني قوله: ﴿أَلَيْسَ عَلَيْنَا لِهَذَا عَذَابٌ أَجْدَرُ﴾ [يونس: ٨٨]. والثاني: أنها آيات الكتاب، روى أبو داود السجستاني من حديث صفوان بن عسال، أن يهودياً قال لصاحبه: تعال حتى نسأل هذا النبي، فقال الآخر لا تقل: إنه نبي، فإنه لو سمع ذلك، صارت له أربعة أعين؛ فأتياه، فسألاه عن تسع آيات يثبت، فقال: «لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تأكلوا الرِّبا، ولا تمشوا بالبريء إلى السلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تقذفوا المحصنات، ولا تقربوا من الرِّحف، وعليكم خاصة يهود ألا تغدوا في السبت»، قال: فقبِلَا يده، وقالوا: نشهد أنك نبي<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى إِسْحَاقَ يَسْتَشْئِرُ بِكَ يَسْحَبُ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَكُونُ مَسْحُورًا ﴿١٥٠﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنتَ بِهَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَاحِبٍ وَإِنَّكَ لَآتِيَانُكَ يُبْعَثُونَ ﴿١٥١﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٥٢﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُتُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَيِّفًا ﴿١٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَسْتَشْئِرُ بِكَ يَسْحَبُ﴾ قرأ الجمهور: «فاسأل» على معنى الأمر لرسول الله ﷺ. وإنما أمر أن يسأل من آمن منهم عما أخبر [به] عنهم، ليكون حجة على من لم يؤمن منهم. وقرأ ابن عباس: «فَسَأَلَ بني إسرائيل»، [على معنى] الخبر عن موسى أنه سأل فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل. ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾ أي: لأحسبك ﴿يَكُونُ مَسْحُورًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: مخدوعاً، قاله ابن عباس. والثاني: مسحوراً قد سُحِرَتْ، قاله ابن السائب. والثالث: ساحراً، فوضع مفعولاً في موضع فاعل، هذا مروى عن الفراء، وأبي عبيدة. فقال موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ قرأ الجمهور بفتح التاء. وقرأ علي ﷺ بضمها، وقال: والله ما علم عدو الله، ولكن موسى هو الذي علم، فبلغ ذلك ابن عباس، فاحتج بقوله تعالى: ﴿وَمَعَهُلُوا بِهَا وَأَنبَيَيْنَاهَا أَنفُسَهُمْ﴾ [النمل: ١٤]. واختار الكسائي وثعلب قراءة علي ﷺ وقد رويت عن ابن عباس، وأبي رزين، وسعيد بن جبير، وابن يعمر. واحتج من نصرها بأنه لما نَسَبَ موسى إلى أنه مسحور، أعلمه بصحة عقله بقوله: «لقد علمت»، والقراءة الأولى أصح، لاختيار الجمهور، ولأنه قد أبان موسى من المعجزات ما أوجب علم فرعون بصدقه، فلم يرد عليه إلا بالتعلل والمدافعة، فكانه قال: لقد علمت بالدليل والحجة ما أنزل هؤلاء. يعني الآيات. وقد شرحنا معنى «البصائر» في [الأعراف: ٢٠٣].

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾ قال أكثر المفسرين: الظن هاهنا بمعنى العلم، على خلاف ظن فرعون في موسى، وسوى بينهما بعضهم، فجعل الأول بمعنى العلم أيضاً. وفي الميثور ستة أقوال: أحدها: أنه الملعون، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثاني: المغلوب، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: الناقص العقل، رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس. والرابع: المُهْلَكُ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال أبو عبيدة، وابن قتبية. قال الزجاج: يقال: بُر الرجل، فهو ميثور: إذا هلك. والخامس: الهالك، قاله مجاهد. والسادس: الممنوع من الخير؛ تقول العرب: ما بُرِكَ عن هذا، أي: ما منعك، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يعني: فرعون أراد أن يستغفر بني إسرائيل من أرض مصر. وفي معنى «يستغفرهم» قولان: أحدهما: يستأصلهم، قاله ابن عباس. والثاني: يستخفهم حتى يخرجوا، قاله ابن قتبية. وقال الزجاج: جائز أن يكون استفزازهم إخراجهم منها بالقتل أو بالتنجية. قال العلماء: وفي هذه الآية تنبيه على نصرة رسول الله ﷺ، لأنه لما خرج موسى فطلبه فرعون، هلك فرعون وملك موسى، وكذلك أظهر الله نبيه بعد خروجه من مكة حتى رجع إليها ظاهراً عليها.

(١) كذا ذكر المؤلف الحديث من رواية أبي داود السجستاني عن صفوان بن عسال، ولم نره في «سنن أبي داود» عن صفوان، بل هو في «مسند أحمد» ٤/٢٣٩، و«سنن الترمذي» ٩٨/٢، والنسائي، وابن ماجه رقم (٣٧٠٥). ولفظه في الترمذي: فقبِلُوا يديه ورجليه، وقالوا: نشهد أنك نبي، قال: «فما منعكم أن تتبعوني؟» قالوا: إن داود ﷺ دعا ربه أن لا يزال من فريته نبي، وإنا نخاف إن تبعناك أن تقتلنا اليهود. وقال الترمذي في آخره: هذا حديث حسن صحيح. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٦٧/٣: وهو حديث مشكل، وعبد الله بن سلمة - أحد الرواة - في حفظه شيء، وقد تكلموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالمشتر الكلمات، فإنها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون، والله أعلم. اهـ. وأما الذي في «سنن أبي داود» فهو من حديث ابن عمر في قصة رقم (٢٦٤٧): فذُنونا - يعني من النبي ﷺ - فقبلنا يده، وجاء مختصراً برقم (٥٢٣٣)، وهو في «سنن أبي داود» أيضاً رقم (٥٢٢٥) من حديث زارع وكان في وفد عبد القيس قال: لما قدمنا المدينة، فجعلنا نتبادر من رواحلتنا فقبِل يد النبي ﷺ ورجله... الحديث.



قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا بَلَاءُ﴾ أي: من بعد هلاك فرعون ﴿لِيَخْلُقَ إِسْرَافِيلُ أَسْكُفًا لِّلْأَرْضِ﴾، وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: فلسطين والأردن، قاله ابن عباس. والثاني: أرض وراء الصَّين، قاله مقاتل. والثالث: أرض مصر والشام. قوله تعالى: ﴿هَٰذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ يعني: القيامة ﴿جِئْنَا بِكَ لَيْمًا﴾ أي: جيمعاً، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن قتبية. وقال الفراء: لفيماً، أي: من هاهنا ومن هاهنا. وقال الزجاج: اللفي: الجماعات من قبائل شتى. ﴿وَبَلِّغْ أَرْزَاقَهُ وَارْحَمْ نَزْلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿وَقَدْ كَانُوا فَرَّقَتُهُ لِقِرَافٍ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّهِ وَزَلَّكَ لَازِيكًا﴾ ﴿قُلْ ءَايَاتُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْإِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِنَّمَا يَسْتَلْ عَلَيْهِمْ حِجْرُونٌ لِّلْآذَانِ سَجْدًا﴾ ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْآذَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ ﴿١٠٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَبَلِّغْ أَرْزَاقَهُ﴾ الهاء كناية عن القرآن، والمعنى: أنزلنا القرآن بالأمر الثابت والَّذين المستقيم، فهو حقٌّ، ونزوله حق، وما تضمنه حق. وقال أبو سليمان الدمشقي: «وبالحق أنزلناه» أي: بالتوحيد، «وبالحق نزل» يعني: بالوعد والوعد، والأمر والنهي.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا فَرَّقَتُهُ﴾ قرأ علي عليه السلام، وسعد بن أبي وقاص، وأبي بن كعب، وابن مسعود، وابن عباس: وأبو رزين، ومجاهد، والشعبي، وقتادة، والأعرج، وأبو رجاء، وابن محيصن: «فرَّقناه» بالتشديد. وقرأ الجمهور بالتخفيف. فأما قراءة التخفيف، ففي معناها ثلاثة أقوال: أحدها: بيتاً حلاله وحرامه، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: فرقنا فيه بين الحق والباطل، [قاله الحسن]. والثالث: أحكمناه وفصلناه، كقوله تعالى: ﴿بَيْنَمَا يَفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]، قاله الفراء. وأما المشددة، فمعناها: أنه أنزل متفرقاً، ولم ينزل جملة واحدة. وقد بيتاً في أول كتابنا هذا مقدار المدة التي نزل فيها.

قوله تعالى: ﴿لِقِرَافٍ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّهِ﴾ قرأ أنس، والشعبي، والضحاك، وقتادة، وأبو رجاء، وأبان عن عاصم، وابن محيصن: بفتح الميم؛ والمعنى: على تودة وترسل ليتدبروا معناه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَايَاتُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ هذا تهديد لكفار [أهل] مكة، والهاء كناية عن القرآن. ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْإِلْمَ﴾ وفيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ناس من أهل الكتاب، قاله مجاهد. والثاني: أنهم الأنبياء عليه السلام، قاله ابن زيد. والثالث: طلاب الدِّين، كأبي ذر، وسلمان، وورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو، قاله الواحدي. وفي هاء الكناية في قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن، والمعنى: من قبل نزوله. والثاني: ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قاله ابن زيد. فعلى الأولى ﴿إِنَّمَا يَسْتَلْ عَلَيْهِمْ﴾ القرآن. وعلى قول ابن زيد ﴿إِنَّمَا يَسْتَلْ عَلَيْهِمْ﴾ ما أنزل إليهم من عند الله.

قوله تعالى: ﴿يَخِرُّونَ لِلْآذَانِ﴾ اللام هاهنا بمعنى «على». قال ابن عباس: قوله «لِلْآذَانِ» للوجوه. قال الزجاج: الذي يَخِرُّ وهو قائم، إنما يَخِرُّ لوجهه، والذَّقْن: مُجْتَمِعُ اللَّحْيَيْنِ، وهو عضو من أعضاء الوجه، فإذا ابتدأ يَخِرُّ، فأقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض الذَّقْن. وقال ابن الأنباري: أول ما يلقى الأرض من الذي يَخِرُّ قبل أن يصُوب وجهه ذقته، فلذلك قال: «لِلْآذَانِ». ويجوز أن يكون المعنى: يَخِرُّونَ للوجوه، فاكتمى بالذَّقْن من الوجه كما يُكتمى بالبعض من الكل، وبالنوع من الجنس.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا﴾ نَزَّهَا اللهُ تعالى عن تكذيب المكذِّبين بالقرآن، وقالوا: ﴿إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بإنزال القرآن وبعث محمد صلى الله عليه وسلم واللام دخلت للتوكيد. وهؤلاء قوم كانوا يسمعون أن الله باعث نبياً من العرب، ومُنَزِّل عليه كتاباً، فلما عاينوا ذلك، حمدوا الله تعالى على إنجاز الوعد، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْآذَانِ﴾ كرر القول ليدل على تكرار الفعل منهم. ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ أي: يزيدهم القرآن تواضعاً. وكان عبد الأعلى التيمي يقول: من أوتي من العلم ما لا يُكفي، لَخَلِيقٍ أَنْ لَا يَكُونَ أَوْتَى علماً يَنْفَعُهُ، لأن الله تعالى نعت العلماء فقال: «إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ...» إلى قوله: «يَكُونُونَ».

﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ إِنَّمَا تَدْعُوا إِلَهُ الْأَسْمَاءِ الْمُسَمَّوْنَ وَلَا تَهْتَفُ بِهَا رَابِعَةٌ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْلُقْ لَكُمْ شَرِيكَ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلِيٌّ مِنَ الدُّنْيَا وَكَرَّةً تَكْبَرًا﴾ ﴿١٠٦﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ...﴾ الآية. هذه الآية نزلت على سببين. نزل أولها إلى قوله: ﴿الْمُسَمَّوْنَ﴾

على سبب، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ تهجد ذات ليلة بمكة، فجعل يقول في سجوده: «يا رحمن، يا رحيم»، فقال المشركون: كان محمد يدعو إلهاً واحداً، فهو الآن يدعو إلهين اثنين: الله، والرحمن، ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون: مسيلم، فأنزل الله هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن رسول الله ﷺ كان يكتب في أول ما أوحى إليه: باسمك اللهم، حتى نزل: ﴿إِنَّكَ مِنْ شَيْئَيْنِ وَلَمْ يَسِرَّ إِلَهُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال مشركو العرب: هذا الرحيم نعرفه، فما الرحمن؟ فنزلت هذه الآية، قاله ميمون بن مهران. والثالث: أن أهل الكتاب قالوا لرسول الله ﷺ: إِنَّكَ لَتَقُولُ ذِكْرَ الرَّحْمَنِ وَقَدْ أَكْثَرَ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ هَذَا الْاسْمَ، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك. فأما قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ فنزل على سبب، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ كان يرفع صوته بالقرآن بمكة، فيسب المشركون القرآن ومن أتى به، فخفض رسول الله ﷺ صوته بعد ذلك حتى لم يسمع أصحابه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ أي بقرأتك، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ﴿وَلَا تُخَافُ يَهَا﴾ عن أصحابك، فلا يسمعون، قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن الأعرابي كان يجهر في التشهد ويرفع صوته، فنزلت هذه الآية، هذا قول عائشة. والثالث: أن رسول الله ﷺ كان يصلي بمكة عند الصفا، فجهر بالقرآن في صلاة الغداة، فقال أبو جهل: لا تفر على الله، فخفض النبي ﷺ صوته، فقال أبو جهل للمشركين: ألا ترون ما فعلت بأبن أبي كبشة؟! رددته عن قراءته، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. فأما التفسير، فقوله: ﴿فَلْيُأْذَعُوا اللَّهَ أَلِيَّ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ المعنى: إن شتمت فقولوا: يا الله، وإن شتمت فقولوا: يا رحمن، فإنهما يرجعان إلى واحد، ﴿أَلِيَّ مَا تَدْعُوا﴾ المعنى: أي أسماء الله تدعوا، قال الفراء: وما قد تكون صلة كقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نُونًا﴾ [المؤمنون: ٤٠]، وتكون في معنى: «أي» معادة لما اختلف لفظهما.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها الصلاة الشرعية. ثم في المراد بالكلام ستة أقوال: أحدها: لا تجهر بقرأتك، ولا تخافت بها، فكأنه نهي عن شدة الجهر بالقراءة، وشدة المخافتة، قاله ابن عباس. فعلى هذا في تسمية القراءة بالصلاة قولان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أن يكون المعنى: فلا تجهر بقراءة صلاتك. والثاني: أن القراءة بعض الصلاة، فنابت عنها، كما قيل لعيسى: كلمة الله، لأنه بالكلمة كان. والثاني: لا تصل وراءه للناس، ولا تدعها مخافة الناس، قاله ابن عباس أيضاً. والثالث: لا تجهر بالتشهد في صلاتك، روي عن عائشة في رواية، وبه قال ابن سيرين. والرابع: لا تجهر بفعل صلاتك ظاهراً، ولا تخافت بها شديد الاستتار، قاله عكرمة. والخامس: لا تحبس علانيتك، وتيسر سريرتها، قاله الحسن. والسادس: لا تجهر بصلاتك كلها، ولا تخافت بجميعها، فاجهر في صلاة الليل، وخافت في صلاة النهار، على ما أمرناك به، ذكره القاضي أبو يعلى. والقول الثاني: أن المراد بالصلاة: الدعاء، وهو قول عائشة، وأبي هريرة، ومجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَافُ يَهَا﴾ المخافتة: الإخفاء، يقال: صوت خفي. ﴿وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سُبُلًا﴾ أي: اسلك بين الجهر والمخافتة طريقاً. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: نُسخَتْ هذه الآية بقوله: ﴿وَالَّذِينَ رَزَقْنَاكَ مِنْ قَبْلِكَ قَلِيلًا وَمِنْ خِزْفَةٍ وَقَدْ عَلَّمْنَاهُ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال ابن السائب: نُسخَتْ بقوله: ﴿فَأَصْلَحْ وَمَا تَأْمُرُ﴾ [الحجر: ٩٤] وعلى التحقيق، وجود النسخ هاهنا بعيد.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وطلحة بن مصرف: «في الملك» بكسر الميم. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الَّذِينَ﴾ قال مجاهد: لم يحالف أحداً، ولم يبتغ نصر أحد؛ والمعنى: أنه لا يحتاج إلى موالة أحد لذلك يلحقه، فهو مستغن عن الولي والنصير. ﴿وَكَبُرَ تَكْبِيرًا﴾ أي: عظمه تعظيماً تاماً.



(١) أخرجه ابن جرير الطبري ١٥/١٨٢ عن مكحول أن النبي ﷺ كان يتعهد بمكة... إلخ، وهو مرسل.

(٢) «الطبري» ١٥/١٨٤، وأحمد في «المستند» ١/٢١٥، والبخاري ٨/٣٠٧، ومسلم.



قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْ أَقْرَبِهِمْ﴾ أي: إنها قول بالغم لا صحة لها، ولا دليل عليها، ﴿إِنْ يَقُولُوتَ﴾ أي: ما يقولون ﴿إِلَّا كَذِبًا﴾. ثم عاتبه على حُزْنِهِ لِقُوت ما كان يرجو من إسلامهم، فقال: ﴿فَلَمَّا كَبُخَ نَفْسُكَ﴾ وقرأ سعيد بن جبير، وأبو الجوزاء، وقَتَادَةُ: «بَاخَعَ نَفْسِكَ» بكسر السين، على الإضافة. قال المفسرون واللغويون: فلعلك مهلك نفسك، وقاتل نفسك، وأنشد أبو عبيدة لذي الرِّمَّة:

أَلَا أَيُّهَذَا الْبَاخِعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُ      لِشَيْءٍ نَحْتَهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ<sup>(١)</sup>

أي: نَحْتَهُ. فإن قيل: كيف قال: ﴿فَلَمَّا كَبُخَ﴾ والغالب عليها الشك، والله عالم بالأشياء قبل كونها؟ فالجواب: أنها ليست بشك، إنما هي مقدرة تقدير الاستفهام الذي يعني به التقرير، فالمعنى: هل أنت قاتل نفسك؟! لا ينبغي أن يطول أساك على إعراضهم، فإن من حَكَمْنَا عليه بالشُّقُورَة لا تجدي عليه الحسرة، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿عَلَى أَثَرِهِمْ﴾ أي: من بعد توليهم عنك ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمَرُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن ﴿أَسَفًا﴾ وفيه أربعة أقوال. أحدها: حَزَنًا، قاله ابن عباس، وابن قتيبة. والثاني: جَزَعًا، قاله مجاهد. والثالث: غَضَبًا، قاله قتادة. والرابع: نَدَمًا، قاله السدي. وقال أبو عبيدة: نَدَمًا وَتَلَهُفًا وَأَسَى. قال الزجاج: الأسف: المبالغة في الحزن، أو الغضب، يقال: قد أسف الرجل، فهو أسيف، قال الشاعر:

أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا      يَضُمُّ إِلَى كَشْحِهِ كَفًّا مُخَضَّبًا<sup>(٢)</sup>

وهذه الآية يشير بها إلى نهى رسول الله ﷺ عن كثرة الحرص على إيمان قومه لئلا يؤدي ذلك إلى هلاك نفسه بالأسف.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَن يَنْبَلُوهُمُ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(٣)</sup> وَإِنَّا لَجَعَلُونَهَا عَلَيْهَا حَبِيدًا جُرُزًا<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَن يَنْبَلُوهُمُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنهم الرجال، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: العلماء، رواه مجاهد عن ابن عباس. فعلى هذين القولين تكون «ما» في موضع «مَنْ» لأنها في موضع إبهام، قاله ابن الأنباري. والثالث: أنه ما عليها من شيء، قاله مجاهد. والرابع: النبات والشجر، قاله مقاتل. وقول مجاهد أمم، يدخل فيه النبات، والماء، والمعادن، وغير ذلك. فإن قيل: قد نرى بعض ما على الأرض سَمِجًا وليس بزينة. فالجواب: أنا إن قلنا: إن المراد [به] شيء مخصوص، فالمعنى: إنا جعلنا بعضها على الأرض زينة لها، فخرج مخرج العموم، ومعناه الخصوص. وإن قلنا: هم الرجال أو العلماء، فلعبادتهم أو لدلائتهم على خالقهم. وإن قلنا: النبات والشجر، فلأنه زينة لها تجري مجرى الكسوة والحلية. وإن قلنا: إنه عام في كل ما عليها، فلكونه دالًّا على خالقه، فكأنه زينة الأرض من هذه الجهة.

قوله تعالى: ﴿يَنْبَلُوهُمْ﴾ أي: لنختبر الخلق، والمعنى: لتعاملهم معاملة المبلى، قال ابن الأنباري: من قال: إن «ما على الأرض» يعني به النبات، قال: الهاء والميم ترجع إلى سكان الأرض المشاهدين للزينة، ومن قال: «ما على الأرض» الرجال، ردَّ الهاء والميم على «ما» لأنها بتأويل الجميع، ومعنى الآية: لنبلوهم فنرى أيُّهم أحسن عملًا، هذا، أم هذا. قال الحسن: أيُّهم أزهد في الدنيا. وقد ذكرنا في هذه الآية أربعة أقوال في سورة [هود: ٤٧]. ثم أعلم الخلق أنه يفني جميع ذلك، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَعَلُونَهَا عَلَيْهَا حَبِيدًا﴾ قال الزجاج: الصعيد: الطريق الذي لا نبات فيه. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: الصعيد: التراب، ووجه الأرض. فأما الجُرُزُ، فقال الفراء: أهل الحجاز يقولون: أرض جُرُزٌ، وجُرُزٌ. وأسد تقول: جَرَزَ، وجُرَزَ، وتميم تقول: أرض جُرُز، وجُرَزَ، بالتخفيف، وقال أبو عبيدة: الصعيد الجُرُزُ: الغليظ الذي لا يُنْبِتُ شيئًا. ويقال للسنَّة المُجْبِية: جُرُزٌ، ويسنون أجزاز، لجوديتها، وقلة مطرها، وأنشد:

(١) ديوانه طبع المكتب الإسلامي صفحة (٣٣٨)، و«الطبري» ١٥/١٩٤، و«مجاز القرآن» ١/٣٩٣، و«القرطبي» ١٠/٣٤٨، و«الصحاح» و«الراغب» و«الأساس» و«اللسان» و«التاج»: يبخ، و«فتح الباري» ٨/٣٠٨.

(٢) قاتله الأعمى الكبير ميمون بن قيس: «ديوانه» ١١٥، و«اللسان»: أسف. والأسيف: الحزين والغضبان ولا يكاد يسمن، لأن الحقد يأكله.

قَدْ جَرَّ قَرْيَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ الْأَجْرَارُ<sup>(١)</sup>

وقال الزجاج: الجز: الأرض التي لا ينبت فيها شيء، كأنها تأكل النبت أكلاً. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: الجز: [الأرض] التي لا يبقى بها نبات، تحرق كل نبات يكون بها. وقال المفسرون: وهذا يكون يوم القيامة، يجعل الله الأرض مستوية لا نبات فيها ولا ماء.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ ١٠ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رِزْقًا وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ١١ فَفَرَرْنَا عَلَيْهِمْ إِذْ ذَاكَ عَادُوا فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ١٢ ثُمَّ بَنَيْنَاهُمْ لُبًّا أَنْ لَمْ يَكُنْ لَنَا آئِدًا ١٣

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ نزلت على سبب قد ذكرناه عند قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥]. وقال ابن قتيبة: ومعنى «أم حسبت»: أحسبت. فأما «الكهف» فقال المفسرون: هو المغارة في الجبل، إلا أنه واسع، فإذا صغر، فهو غار. قال ابن الأنباري: قال اللغويون: الكهف بمنزلة الغار في الجبل. فأما الرقيم، ففيه ستة أقوال: أحدها: أنه لوح من رصاص كانت فيه أسماء الفتية مكتوبة ليعلم من اطلع عليهم يوماً من الدهر ما قصتهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال وهب بن منبه، وسعيد بن جبيرة في رواية، ومجاهد في رواية. وقال السدي: الرقيم: صخرة كُتِبَ فيها أسماء الفتية، وجُعِلَتْ في سُورِ المدينة. وقال مقاتل: الرقيم: كتاب كتبه رجلان صالحان، وكانا يكتمان إيمانهما من الملك الذي فُرِغَ منه الفتية، كتباً أمر الفتية في لوح من رصاص، ثم جعلاه في تابوت من نحاس، ثم جعلاه في البناء الذي سَدُّوا به باب الكهف، فقالا: لعل الله أن يُطْلِعَ على هؤلاء الفتية أحداً، فيعلمون أمرهم إذا قرؤوا الكتاب. وقال الفراء: كُتِبَ في اللوح أسماؤهم، وأنسابهم، ودينهم، ومن كانوا. قال أبو عبيدة، وابن قتيبة: الرقيم: الكتاب، وهو فعيل بمعنى مفعول، ومنه: كتاب مرقوم، أي: مكتوب. والثاني: أنه اسم القرية التي خرجوا منها، قاله كعب. والثالث: اسم الجبل، قاله الحسن، وعطية. والرابع: أن الرقيم: الدواء، بلسان الروم، قاله عكرمة ومجاهد في رواية. والخامس: اسم الكلب، قاله سعيد بن جبيرة. والسادس: اسم الوادي الذي فيه الكهف، قاله قتادة، والضحاك.

قوله تعالى: ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ قال المفسرون: معنى الكلام: أحسبت أنهم كانوا أعجب آياتنا؟! قد كان في آياتنا ما هو أعجب منهم، فإن خلق السموات والأرض وما بينهما أعجب من قصتهم. وقال ابن عباس: الذي آتيتك من الكتاب والسنة والعلم، أفضل من شأنهم.

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ﴾ قال الزجاج: معنى: أَوَى إليه: صاروا إليه، وجعلوه مأواهم. والفتية: جمع فتى، مثل غلام وغلمة، وصبي وصبية. و«فعلته» من أسماء الجمع، وليس ببناء يقاس عليه؛ لا يجوز غراب وغربة، ولا غني وغنية. وقال بعض المفسرين: الفتية: بمعنى الشبان. وقد ذكرنا عن القتيبي أن الفتى: بمعنى الكامل من الرجال، ويثناه في قوله تعالى: ﴿وَيُنْفِثُكُمْ نَفْثًا مَكِيدًا﴾ [النساء: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ آيَةً﴾ أي: من عندك ﴿رَحَةً﴾ أي: رزقاً ﴿وَهَيِّئْ لَنَا﴾ أي: أصلح لنا ﴿مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أي: أرشدنا إلى ما يقرئنا منك. والمعنى: هيئ لنا من أمرنا ما نصيب به الرشد. والرشد والرشد، والرشد: نقض الضلال.

### تلخيص قصة أصحاب الكهف

اختلف العلماء في بُدُو أمرهم، وسبب مصيرهم إلى الكهف، على ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم هربوا ليلاً من ملكهم حين دعاهم إلى عبادة الأصنام، فمروا براح له كلب، فتبعهم على دينهم، فأووا إلى الكهف يتعبدون، ورجل منهم يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة، إلى أن جاءهم يوماً فأخبرهم أنهم قد ذُكِرُوا، فبكوا وتعوذوا بالله من الفتنة،

فضرب الله تعالى على آذانهم، وأمر الملك فسد عليهم الكهف، وهو يظنهم أيقاظاً، وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم، وكلبهم قد غشيه ما غشيههم. ثم إن رجلين مؤمنين يكتمان إيمانهما كتباً أسماءهم وأنسابهم وخبرهم في لوح من رصاص، وجعلاه في تابوت من نحاس في البنيان، وقالوا: لعل الله يُطلع عليهم قوماً مؤمنين، فيعلمون خبرهم، هذا قول ابن عباس. وقال عبيد بن عمير: فقدم قومهم فطلبوهم، فعلم الله عليهم أمرهم، فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح: فلان وفلان أبناء ملوكنا فقتلناهم في شهر كذا، في سنة كذا، في مملكة فلان، ووضعوا اللوح في خزانة الملك، وقالوا: ليكونن لهذا شأن. والثاني: أن أحد الحواريين جاء إلى مدينة أصحاب الكهف، فأراد أن يدخلها، فقيل له: إن على بابها صنماً لا يدخلها أحد إلا سجد له، فكره أن يدخلها، فأتى حماماً قريباً من المدينة، فكان يعمل فيه بالأجر، وعلقه فتية من أهل المدينة، فجعل يخبرهم عن خبر السماء والأرض، وخبر الآخرة، فآمنوا به وصدّقوه، حتى جاء ابن الملك يوماً بامرأة، فدخل معها الحمام، فأنكر عليه الحواري ذلك، فسبه ودخل، فمات وماتت المرأة في الحمام، فأتى الملك، فقيل له: إن صاحب الحمام قتل ابنك، فالتبس فهرب، فقال: من كان يصحبه؟ فسُمي له الفتية، فالتبسوا فخرجوا من المدينة، فمروا على صاحب لهم في زرع، وهو على مثل أمرهم، فانطلق معهم ومعه كلب حتى آواهم الليل إلى الكهف، فدخلوه فقالوا: نبئت هاهنا، ثم نصبح إن شاء الله فترزون أيكم، فضرب الله على آذانهم فناموا؛ وخرج الملك، وأصحابه يتبعونهم، فوجدوهم قد دخلوا الكهف، فكلما أراد رجل أن يدخل [الكهف] أربع، فقال قائل للملك: أليس قلت: إن قدرت عليهم قتلثهم؟ قال: بلى، قال: فابن عليهم باب الكهف حتى يموتوا جوعاً وعطشاً، ففعل، هذا قول وهب بن منبه. والثالث: أنهم كانوا أبناء عظماء المدينة وأشراقيهم، خرجوا فاجتمعوا وراء المدينة على غير ميعاد، فقال رجل منهم، هو أسنهم: إني لأجد في نفسي شيئاً ما أظن أحداً يجده، فقالوا: ما تجد؟ قال: أجد في نفسي أن ربي رب السموات والأرض، فقاموا جميعاً فقالوا: ربنا رب السموات والأرض، فأجمعوا أن يدخلوا الكهف، فدخلوا، فلبثوا ما شاء الله، هذا قول مجاهد. وقال قتادة: كانوا أبناء ملوك الروم، فتفرّدوا بدينهم في الكهف، فضرب الله على آذانهم.

### فصل

فأما سبب بعث أصحاب الكهف من نومهم، فقال عكرمة: جاءت أمة مسلمة، وكان ملكهم مسلماً، فاختلّفوا في الروح والجسد، فقال قائل: يُبعث الروح والجسد. وقال قائل: يبعث الروح وحده، والجسد تأكله الأرض فلا يكون شيئاً، فسق اختلافهم على الملك، فانطلق فلبس المسوح، وقعد على الرماد، ودعا الله أن يبعث لهم آية تبين لهم، فبعث الله أصحاب الكهف. وقال وهب بن منبه: جاء راعٍ قد أدركه المطر إلى الكهف، فقال: لو فتحت هذا الكهف، وأدخلته غنمي من المطر، فلم يزل يعالجه حتى فتحه، ورد الله إليهم أرواحهم حين أصبحوا من الغد. وقال ابن السائب: احتاج صاحب الأرض التي فيها الكهف أن يبني حظيرة لغنمه، فهدم ذلك السد، فبنى به، فانفتح باب الكهف. وقال ابن إسحاق: ألقى الله في نفس رجل من أهل البلد أن يهدم ذلك البنيان فيبني به حظيرة لغنمه، فاستأجر عاملين ينزعان تلك الحجارة، فنزعاهما، وفتحا باب الكهف، فجلسوا فرحين، فسلم بعضهم على بعض لا يرون في وجوههم ولا أجسادهم شيئاً يكرهونه، إنما هم على هيئتهم حين رقدوا وهم يرون أن ملكهم في طلبهم، فصلّوا، وقالوا ليمليخا صاحب نفقتهم: انطلق فاستمع، ما نذكر به، وابتغ لنا طعاماً، فوضع ثيابه، وأخذ الثياب التي كان يتكر فيها، وخرج فرأى الحجارة قد نزعت عن باب الكهف، فعجب، ثم مرّ مستخفياً متخوفاً أن يراه أحد فيذهب به إلى الملك، فلما رأى باب المدينة رأى عليه علامة تكون لأهل الإيمان، فعجب، وخيّل إليه أنها ليست بالمدينة التي يعرف، ورأى ناساً لا يعرفهم، فجعل يتعجب ويقول: لعلّي نائم؛ فلما دخلها رأى قوماً يحلفون باسم عيسى، فقام مسنداً ظهره إلى جدار، وقال في نفسه: والله ما أدري ما هذا، عشية أمس لم يكن على [وجه] الأرض من يذكر عيسى إلا قُتل، واليوم أسمعهم يذكرونه، لعل هذه ليست المدينة التي أعرف، والله ما أعرف مدينة قرب مدينتنا، فقام كالحيران، وأخرج ورقاً

فأعطاه رجلاً وقال: بعني طعاماً، فنظر الرجل إلى نقشه فعجب، ثم ألقاه إلى آخر، فجعلوا يتطارحونه بينهم، ويتعجبون، ويتشاورون، وقالوا: إن هذا قد أصاب كنزاً، ففَرَّقَ منهم، وظنَّهم قد عرفوه، فقال: أمسكوا طعامكم فلا حاجة بي إليه، فقالوا له: من أنت يا فتى؟ والله لقد وجدت كنزاً وأنت تريد أن تخفيه، شاركنا فيه وإلا أتينا بك إلى السلطان فيقتلك، فلم يدر ما يقول، فطرحوا كسائه في عنقه وهو ييكي ويقول: فُرق بيني وبين إخوتي، يا ليتهم يعلمون ما لقيت، فأتوا به إلى رجلين كانا يدبران أمر المدينة، فقالوا: أين الكنز الذي وجدت؟ قال: ما وجدت كنزاً، ولكن هذه وِرقٌ آبائي، ونقش هذه المدينة وضربها، ولكن والله ما أدري ما شأني، ولا ما أقول لكم، قال مجاهد: وكان وِرق أصحاب الكهف مثل أخفاف الإبل، فقالوا: من أنت، وما اسم أبيك؟ فأخبرهم، فلم يجدوا من يعرفه، فقالوا له أحدهما: أظن أنك تسخر منّا وخزائن هذه البلدة بأيدينا، وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار؟! إني سأمر بك فتعذَّب عذاباً شديداً ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز، فقال يملixa: أنبئوني عن شيء أسألكم عنه، فإن فعلتم صدقتم، قالوا: سل، قال: ما فعل الملك دقيانوس؟ قالوا: لا نعرف اليوم على وجه الأرض ملكاً يسمى دقيانوس، وإنما هذا ملك كان منذ زمان طويل، وهلكت بعده قرون كثيرة، فقال: والله ما يصدقني أحد بما أقوله، لقد كُتبت فتية، وأكرهنا الملك على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، فهرينا منه عشية أمس فقمنا، فلما انتبهنا خرجتْ أشتري لأصحابي طعاماً، فإذا أنا كما ترون، فانطلقوا معي إلى الكهف أريكم أصحابي، فانطلقوا معه وسائر أهل المدينة، وكان أصحابه قد ظنوا لإبطائه عليهم أنه قد أخذ، فبينما هم يتخفون ذلك، إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل، فظنوا أنهم رُسل دقيانوس، فقاموا إلى الصلاة، وسلَّم بعضهم على بعض، فسبق يملixa إليهم وهو ييكي، فبكوا معه، وسأله عن شأنه، فأخبرهم خبره، وقصَّ عليهم النبأ كلَّه، فعرفوا أنهم كانوا نياماً بأمر الله تعالى، وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس، وتصديقاً للبعث؛ ونظر الناس في المسطور الذي فيه أسماؤهم وقصتهم، فعجبوا، وأرسلوا إلى ملكهم، فجاء، واعتنق القوم، ويكي، فقالوا له: نستودعك الله ونقرأ عليك السلام، حفظك الله، وحفظ ملكك، فبينما الملك قائم، رجعوا إلى مضاجعهم، وتوفَّى الله عزَّ وجلَّ أنفسهم، فأمر الملك أن يجعل لكل واحد من تابوت من ذهب، فلما أمسوا رأهم في المنام، فقالوا: إنا لم نُخلَقْ من ذهب وفضة، ولكن خُلِقنا من تراب، فاتركنا كما كُنَّا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله ﷻ منه، وحجبههم الله عز وجل حين خرجوا من عندهم بالرَّعب، فلم يقدر أحد أن يدخل عليهم، وأمر المَلِك فجُعل على باب الكهف مسجدٌ يصلُّ فيه، وجعل لهم عيداً عظيماً يؤتى كلَّ سنة. وقيل: إنه لما جاء يملixa ومعه الناس، قال: دعوني أدخل إلى أصحابي فأبشِّرهم، فإنهم إن رأوكم معي أَرعَبتموهم، فدخل فبشَّرهم، وقبض الله روحه وأرواحهم، فدخل الناس، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئاً، غير أنها لا أرواح فيها، فقال الملك: هذه آية بعثنا الله لكم.

قوله تعالى: ﴿فَفَرَّقْنَا عَنْكَ فِئَتَهُنَّ﴾ قال الزجاج: المعنى: أنماهم ومنعناهم السمع، لأن النائم إذا سمع انتبه. و﴿عَدَدًا﴾ منصوب على ضربين: أحدهما: على المصدر، المعنى: تُعدُّ عدداً. والثاني: أن يكون نعتاً للستين، المعنى: ستين ذات عدد، والفائدة في ذِكْرِ العدد في الشيء المعداد، تأكيد كثرة الشيء، لأنه إذا قلَّ فهم مقداره، وإذا كثر احتيج إلى أن يُعدَّ العدد الكثير. ﴿ثُمَّ بَشَّرْنَاهُمْ﴾ من نومهم، يقال لكلِّ مَنْ خرج من الموت إلى الحياة، أو من النوم إلى الانتباه، مبعوث، لأنه قد زال عنه ما كان يحبسُه عن التصرف والانبعث. وقيل: معنى ﴿بَشَّرْنَاهُمْ﴾: أنه لم يكن فيها شهور ولا أيام، إنما هي كاملة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿يَنْتَظِرُ أَوَّلَ الْفَرِيقِ﴾ قال المفسرون: أي: لنرى. وقال بعضهم: المعنى: لتعلموا أنتم. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران، والنخعي: «لِيُعلم» بضم الياء، على ما لم يُسمِّ فاعله «أيُّ الحزبين»، ويعني بالحزبين: المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف. ﴿أَخَصَّ لِمَا لَيْسَ﴾ أي: لنعلم أهؤلاء أحصى للأمد أو هؤلاء، فكأنه وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في الكهف بعد خروجهم من بينهم، فبعثهم الله ليبين ذلك ويظهر. قال قتادة: لم يكن للفريقين علم بلبثهم، لا لمؤمنيهم، ولا لكافرينهم. قال مقاتل: لما بُعثوا زال الشك وعُرفت حقيقة





مثل: «تَزَوَّرُ». وقرأ أبو الجوزاء، وأبو السماك: «تَزَوَّرُ» بفتح التاء والزاي وتشديد الواو المفتوحة خفيفة الراء، مثل: «تَكْوَرُ»، أي: تميل وتعدل. قال الزجاج: أصل «تزاور»: تنزاور، فأدغمت التاء في الزاي، و«تَقَرَّبُ» أي: تعدل عنهم وتتركهم، وقال ذو الرمة:

إِلَى طَلْعِنِ يَفْرِضُنْ أَجْوَارَ مُشْرِفٍ شِمَالاً وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْقَوَارِسُ<sup>(١)</sup>

يفرضن: يتركن. وأصل القرض: القطع والفرقة بين الأشياء، ومنه قولك: أقرضني درهماً، أي: أقطع لي من مالك درهماً. قال المفسرون: كان كهفهم بإزاء بنات نعش في أرض الروم، فكانت الشمس تميل عنهم طالعةً وغاربةً لا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرّها وتغير ألوانهم. ثم أخبر أنهم كانوا في متسع من الكهف ينالهم فيه برد الريح، ونسيم الهواء، فقال: «وَعَمَّ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ» قال أبو عبيدة: أي: [في] مُتَّسَعٍ، والجميع: فَجَوَاتٍ، وفجاء، بكسر الفاء. وقال الزجاج: إنما صُرِّفَ الشمس عنهم آيةً من الآيات، ولم يرض قول من قال: كان كهفهم بإزاء بنات نعش.

قوله تعالى: «ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ» يشير إلى ما صنعه بهم من اللطف في هدايتهم، وصرف أذى الشمس عنهم، والرعب الذي ألقى عليهم حتى لم يقدر الملك الظالم ولا غيره على أذاهم. «من آيات الله» أي: من دلائله على قدرته ولطفه. «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ» هذا بيان أنه هو الذي تولّى هداية القوم، ولولا ذلك لم يهتدوا. «وَتَقَبَّلْنَاهُمْ أَنْكَازًا» وَهُمْ رُقُودٌ وَتَقَبَّلْنَاهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَإِنَّ لَئِنْ مِنْهُمْ رَجُوعًا<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: «وَتَقَبَّلْنَاهُمْ أَنْكَازًا» أي: لو رأيتهم لحسبتهم أيقاظاً. قال الزجاج: الأيقاظ: المنتبهون، واحدهم: يَقِظٌ، وَيَقْظَانُ، والجميع: أيقاظ؛ والرقود: النيام. قال الفراء: واحد الأيقاظ: يَقْظٌ، وَيَقْظُ. قال ابن السائب: وإنما يُحْسَبُونَ أيقاظاً، لأن أعينهم مفتحة وهم نيام. وقيل: لتقبلهم يميناً وشمالاً. وذكر بعض أهل العلم: أن وجه الحكمة في فتح أعينهم، أنه لو دام ظنهم للذابت.

قوله تعالى: «وَتَقَبَّلْنَاهُمْ» وقرأ أبو رجاء: «وَتَقَبَّلْنَاهُمْ» بناءً مفتوحة، وسكون القاف، وتخفيف اللام المكسورة. وقرأ أبو الجوزاء، وعكرمة: «وَتَقَبَّلْنَاهُمْ» مثلها، إلا أنه بالنون. «ذَاتَ الْيَمِينِ» أي: على أيمنهم وعلى شمائلهم. قال ابن عباس: كانوا يُقْبَلُونَ في كل عام مرتين، ستة أشهر على هذا الجنب، وستة أشهر على هذا الجنب، لئلا تأكل الأرض لحومهم. وقال مجاهد: كانوا ثلاثمائة عام على شِقِّ واحد، ثم قُبِلُوا تسع سنين.

قوله تعالى: «وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ» أخبر أن الكلب كان على مثل حالهم في النوم، وهو في رأي العين متنبه. وفي الوصيد أربعة أقوال: أحدها: أنه الفناء فناء الكهف، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جببر، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والفراء. قال الفراء: يقال: الوصيد والأصيد لغتان، مثل الإكفاف والوكاف. وأرخت الكتاب وورخت، ووكدت الأمر وأكدت؛ وأهل الحجاز يقولون: الوصيد، وأهل نجد يقولون: الأصيد، وهو: الحظيرة والفناء. والثاني: أنه الباب، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال السدي. وقال ابن قتيبة: فيكون المعنى: وكلهم باسط ذراعيه بالباب، قال الشاعر:

بِأَرْضٍ قَضَاءٍ لَا يُسَدُّ وَصِيدُهَا عَلِيٍّ وَمَعْرُوفِي بِهَا غَيْرُ مُنْكَرٍ<sup>(٣)</sup>

والثالث: أنه الصعيد، وهو التراب، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جببر، ومجاهد في رواية عنهما. والرابع: أنه عتبة الباب، قاله عطاء. قال ابن قتيبة: وهذا أعجب إليّ، لأنهم يقولون: أوصد بابك، أي: أغلقه، ومنه قوله: «إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُؤَصَّدَةٌ» [الهمزة: ٤٨]، أي: مُطَبَّقَةٌ مُغْلَقَةٌ، وأصله أن تلتصق الباب بالعتبة إذا أغلقتة، ومما يوضح هذا أنك إذا جعلت الكلب بالفناء، كان خارجاً من الكهف، وإن جعلته بعتبة الباب،

(١) ديوانه طبع المكتب الإسلامي ٤٠٣، «مجاز القرآن» ٣٩٦/١، و«الطبري» ٢١١/١٥، ومشرف والفوارس: موضعان بنجد كما في «معجم ما استعجم».

(٢) البيت لمييد بن وهب العبسي، وهو في «غريب القرآن» ٢٦٥، و«البحر المحيط» ٩٣/٦، و«القرطبي» ٣٥١/١٠، ٣٧٣.

أمكن أن يكون داخل الكهف، والكهف وإن لم يكن له باب وعتبة، فإنما أراد أن الكلب موضع العتبة من البيت، فاستعير.

قوله تعالى: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [وقرأ الأعمش، وأبو حصين: «لَوْ أَطَّلَعْتَ» بضم الراء] ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ رهبة لهم ﴿وَلَمَّيْنْتَ﴾ قرأ عاصم، وابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «وَلَمَّيْنْتَ» خفيفة مهموزة. وقرأ ابن كثير، ونافع: «وَلَمَّيْنْتَ» مشددة مهموزة، ﴿رُضِبَا﴾ [أي]: فرعاً وخوفاً، وذلك أن الله تعالى منعهم بالوعب لئلا يدخل إليهم أحد. وقيل: إنهم طالت شعورهم وأظفارهم جداً، فلذلك كان الرائي لهم لو رآهم هرب مرعوباً، حكاة الزجاج.

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعَذِّبُكُمْ فِي مَلَبَتِهِمْ وَلَنْ تَنَالُوا أَهْلًا﴾ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أي: وكما فعلنا بهم ما ذكرنا، بعثناهم من تلك النومة ﴿لِيَتَسَاءَلُوا﴾ أي: ليكون بينهم تساؤل وتنازع واختلاف في مدة لبثهم، فيفيد تساؤلهم اعتبار المعتبرين بحالهم. ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ أي: كم مر علينا منذ دخلنا هذا الكهف؟ ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ﴾ وذلك أنهم دخلوا غُدوةً، وبعثهم الله في آخر النهار، فلذلك قالوا: «يوماً»، فلما رأوا الشمس قالوا: «أو بعض يوم» ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ قال ابن عباس: القائل لهذا يملixa رئيسهم، رد علم ذلك إلى الله تعالى. وقال في رواية أخرى: إنما قاله مكسلمينا، وهو أكبرهم. قال أبو سليمان: وهذا يوجب أن تكون نفوسهم قد حدثتهم أنهم قد لبثوا أكثر مما ذكروا. وقيل: إنما قالوا ذلك، لأنهم رأوا أظفارهم وأشعارهم قد طالت جداً.

قوله تعالى: ﴿فَبَعَثُوا أَحَدَكُمْ﴾ قال ابن الأنباري: إنما قال: «أحدكم»، ولم يقل: واحدكم، لئلا يلتبس البعض بالممدوح المعظم، فإن العرب تقول: رأيت أحد القوم، ولا يقولون: رأيت واحد القوم، إلا إذا أرادوا المعظم، فأراد بأحدهم: بعضهم، ولم يرد شريفهم.

قوله تعالى: ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾، قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم: «بِوَرِقِكُمْ» الراء مكسورة خفيفة. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم ساكنة الراء. وعن أبي عمرو: «بورقكم» مدغمة يُثْمِها شيئاً من الثقل؛ قال الزجاج: تصير كافاً خالصة. قال الفراء: الورق لغة أهل الحجاز، وتميم يقولون: الوراق، وبعض العرب يكسرون الواو، فيقولون: الوراق. قال ابن قتيبة: الوراق: الفضة، دراهم كانت أو غير دراهم، يدل ذلك على ذلك حديث عَرْفَجَةَ أَنَّهُ اتَّخَذَ أَنْفًا مِنْ وَرَقٍ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ يعنون التي خرجوا منها، واسمها دقوس، ويقال: هي اليوم طرسوس. قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ للمفسرين في معناه ستة أقوال: أحدها: أحل ذبيحة، قاله ابن عباس، وعطاء، وذلك أن عامة أهل بلدهم كانوا كفاراً، فكانوا يذبحون للطواغيت، وكان فيهم قوم يخفون إيمانهم. والثاني: أحل طعاماً، قاله سعيد بن جبيرة؛ قال الضحاك: وكانت أكثر أموالهم غصباً. وقال مجاهد: قالوا لصاحبهم: لا تتبغ طعاماً فيه ظلم ولا غصب. والثالث: أكثر، قاله عكرمة. والرابع: خير، أي: أجود، قاله قتادة. والخامس: أطيب، قاله ابن السائب، ومقاتل، والسادس: أرخص، قاله يمان بن رباب. قال ابن قتيبة: وأصل الزكاء: النماء والزيادة.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ أي: بما تأكلونه. ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أي: ليدقق النظر فيه، وليحتل لئلا يُطْلَع عليه. ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ﴾ أي: ولا يُخْبِرَنَّ أحداً بمكانكم. ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي: يطلعون ويُسرفوا عليكم، ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾

(١) رواه أبو داود في «سننه» رقم (٤٢٣٢)، والنسائي ١٦٣/٨، والترمذي في «جامعه» ٢٠٩/١ عن عرفجة بن سعد قال: أصيب أنفي يوم الكلاب في الجاهلية، فاتخذت أنفاً من ورق، فأتني علي، فأمرني رسول الله ﷺ أن أتخذ أنفاً من ذهب. قال الترمذي: هذا حديث حسن، وقد روي عن غير واحد من أهل العلم أنهم شقوا أسنانهم بالذهب، وفي هذا الحديث حجة لهم. اهـ.



وخروجها واحد، قاله الزجاج. والثاني: أن ظهور الواو في الجملة الثامنة<sup>(١)</sup> دلالة على أنها مرادة في الجملتين المتقدمتين، فأعلم بذكرها هاهنا أنها مرادة فيما قبل، وإنما حذفت تخفيفاً، ذكره أبو نصر في «شرح اللمع». والثالث: أن دخولها يدل على انقطاع القصة، وأن الكلام قد تمّ، ذكره الزجاج أيضاً، وهو قول مقاتل بن سليمان، فإن الواو تدل على تمام الكلام قبلها، واستئناف ما بعدها؛ قال الثعلبي: فهذه واو الحكم والتحقيق، كأن الله تعالى حكى اختلافهم، فتم الكلام عند قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةً﴾، ثم حكم أن ثامنهم كلبهم. وجاء في بعض التفسير أن المسلمين قالوا عند اختلاف النصارى: هم سبعة، فحقّق الله قول المسلمين. والرابع: أن العرب تعطف بالواو على السبعة، فيقولون: ستة، سبعة، وثمانية، لأن العقد عندهم سبعة، كقوله: ﴿الْمُتَّقِينَ الْكَلْبُ...﴾ إلى أن قال في الصفة الثامنة: ﴿وَالْكَاثِرُونَ عَنِ النَّارِ﴾ [التوبة: ١١٢]، وقوله في صفة الجنة: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ وفي صفة النار: ﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١-٧٣]، لأن أبواب النار سبعة، وأبواب الجنة ثمانية، ذكر هذا المعنى أبو إسحاق الثعلبي. وقد اختلف العلماء في عددهم على قولين: أحدهما: أنهم كانوا سبعة، قاله ابن عباس. والثاني: ثمانية، قاله ابن جريج، وابن إسحاق. وقال ابن الأنباري: وقيل: معنى قوله: ﴿وَتَأْتِيَهُمْ كَلْبٌ﴾: صاحب كلبهم، كما يقال: السخاء حاتم، والشعر زهير، أي: السخاء سخاء حاتم، والشعر شعر زهير. وأما أسماؤهم، فقال هُثَيْمٌ: مكسلمينا، ويمليخا، وطرينوس، وسدينوس، وسرينوس، وتواسس، ويرانوس، وفي التفسير خلاف في أسمائهم فلم أطل به. واختلفوا في كلبهم لمن كان على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان لراع مرّوا به فتبعهم الراعي والكلب، قاله ابن عباس. والثاني: أنه كان لهم يتصيدون عليه، قاله عبيد بن عمير. والثالث: أنهم مرّوا بكلب فتبعهم، فطردوه، فعاد، ففعلوا ذلك به مراراً، فقال لهم الكلب: ما تريدون مني؟! لا تخشوا جانبي أنا أحبّ أجابة الله، فناموا حتى أحرسكم، قاله كعب الأحبار. وفي اسم كلبهم أربعة أقوال: أحدها: قطمير، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: اسمه الرقيم، وقد ذكرناه عن سعيد بن جبيرة. والثالث: قطمور، قاله عبد الله بن كثير. والرابع: حُمران، قاله شعيب الجبائي. وفي صفته ثلاثة أقوال: أحدها: أحمر، حكاه الثوري. والثاني: أصفر، حكاه ابن إسحاق. والثالث: أحمر الرأس، أسود الظهر، أبيض البطن، أبلق الذنب، ذكره ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَتَمَّ يَعْتَذِرُونَ﴾ حرك الياء ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأسكنها الباقون.

قوله تعالى: ﴿مَا يَمْلَهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي: ما يعلم عددهم إلا قليل من الناس. قال عطاء: يعني بالقليل: أهل الكتاب. قال ابن عباس: أنا من ذلك القليل، هم سبعة، إن الله عدّهم حتى انتهى إلى السبعة.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُحَارِبْ فِيهِمْ إِلَّا رِفْءَ ظَهْرٍ﴾ قال ابن عباس، وقتادة: لا تُمارِ أحداً، حسبك ما قصصت عليك من أمرهم. وقال ابن زيد: لا تُمارِ في عدّتهم إلا مرءاً ظاهراً أن تقول لهم: ليس كما تقولون، ليس كما تعلمون: وقيل: «إلا مرءاً ظاهراً» بحجة واضحة، حكاه الماوردي. والمرء في اللغة: الجدل؛ يقال: ماري يُماري مُماراة ومِراء، أي: جادل. قال ابن الأنباري: معنى الآية: لا تجادل إلا جدال متيقّن عالم بحقيقة الخبر، إذ الله تعالى ألقي إليك ما لا يشوبه باطل. وتفسير المرء في اللغة: استخراج غضب المجادل، من قولهم: مرّيت الشاة: إذا استخرجت لبنها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ﴾ أي: في أصحاب الكهف، ﴿مِنْهُمْ﴾ قال ابن عباس: يعني: من أهل الكتاب. قال القراء: أتاه فريقان من النصارى، نسطوري، ويعقوبي، فسألهم النبي ﷺ عن عددهم، فنهى عن ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۖ ﴿٢١﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ سبب نزولها أن قريشاً سألو النبي ﷺ عن ذي القرنين، وعن الروح، وعن أصحاب الكهف، فقال: غداً أخبركم بذلك، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يوماً لتركه الاستثناء، فشئ ذلك عليه، ثم نزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. ومعنى الكلام: ولا تقولن لشيء: إني فاعل ذلك غداً، إلا أن تقول: إن شاء الله، فحذف القول.

(١) أي في قوله تعالى: ﴿وَتَأْتِيَهُمْ كَلْبٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِذَا دُكِّرَ عَلَيْكَ إِذَا قُبِيتٌ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: واذكر ربك بعد تقضي النسيان، كما تقول: اذكر لعبد الله - إذا صلى - حاجتك، أي: بعد انقضاء الصلاة. وللمفسرين في معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: إذا نسي الاستثناء ثم ذكرت، فقل: إن شاء الله، ولو كان بعد يوم أو شهر أو سنة، قاله سعيد بن جبير، والجمهور. والثاني: أن معنى «إذا نسي» إذا غضبت، قاله عكرمة، قال ابن الأنباري: وليس بعيد، لأن الغضب يُتبع النسيان. والثالث: إذا نسي الشيء فاذكر الله ليدذكرك إياه، حكاه الماوردي.

### فصل

وفائدة الاستثناء أن يخرج الحالف من الكذب إذا لم يفعل ما حلف عليه، كقوله في قصة موسى: ﴿سَجِدْ لِلَّهِ سَجْدَةً﴾ [الكهف: ١٧٠]، ولم يصبر، فسلم من الكذب لوجود الاستثناء في حقه. ولا تختلف الرواية عن أحمد أنه لا يصح الاستثناء في الطلاق والعناق، وأنه إذا قال: أنت طالق إن شاء الله، وأنت حر إن شاء الله، أن ذلك يقع، وهو قول مالك؛ وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يقع شيء من ذلك. وأما اليمين بالله تعالى؛ فإن الاستثناء فيها يصح، بخلاف الطلاق، وكذلك الاستثناء في كل ما يكفر، كالظهار، والنذر، لأن الطلاق والعناق لفظه لفظ إيقاع، وإذا علّق به المشيئة، علمنا وجودها، لوجود لفظ الإيقاع من جهته، بخلاف سائر الأيمان، لأنها ليست بموجبات للحكم، وإنما تتعلق بأفعال مستقبلية. وقد اختلف في الوقت الذي يصح فيه الاستثناء على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لا يصح الاستثناء إلا موصولاً بالكلام، وقد روي عن أحمد نحو هذا، وبه قال أكثر الفقهاء. والثاني: أنه يصح ما دام في المجلس، قاله الحسن وطاووس، وعن أحمد نحوه. والثالث: أنه لو استثنى بعد سنة، جاز، قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو العالية، وقال ابن جرير الطبري: الصواب للإنسان أن يستثنى ولو بعد حثه في يمينه، فيقول: إن شاء الله، ليخرج بذلك مما ألزمه الله في هذه الآية، فيسقط عنه الحرج، فاما الكفارة فلا تسقط عنه بحال، إلا أن يكون الاستثناء موصولاً بيمينه، ومن قال: له ثبأه ولو بعد سنة، أراد سقوط الحرج الذي يلزمه بترك الاستثناء دون الكفارة.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو: «يهديني ربّي» بياء في الوصل [دون] الوقف. وقرأ ابن كثير بياء في الحالين. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي بغير ياء في الحالين. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: عسى أن يعطيني ربّي من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرشد وأدّل من قصة أصحاب الكهف، ففعل الله له ذلك، وآتاه من علم غيوب المرسلين ما هو أوضح في الحجة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف، هذا قول الزجاج. والثاني: أن قريشاً لما سألت رسول الله ﷺ أن يخبرهم خبر أصحاب الكهف، قال: «غداً أخبركم» كما شرحنا في سبب نزول هذه الآية<sup>(١)</sup>، فقال الله تعالى له: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي﴾ أي: عسى أن يعرفني جواب مسألتكم قبل الوقت الذي حدّدته لكم، ويعجل لي من جهته الرشد، هذا قول ابن الأنباري.

﴿لَيْثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْثُوا لَمْ غَيَّبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَبَيَّرَ بِهِمْ وَأَسْجَعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «ثلاثمائة سنين» متوئناً. وقرأ حمزة، والكسائي: «ثلاثمائة سنين» مضافاً غير متوئن. قال أبو علي: العدد المضاف إلى الأحاد قد جاء مضافاً إلى الجميع، قال الشاعر:

وَمَا زَوَّدُونِي غَيْرَ سَخِي عِمَامَةٍ وَخَمْسِي مِنْهَا قَسِي وَزَائِفٌ<sup>(٢)</sup>

وفي هذا الكلام قولان: أحدهما: أنه حكاية عما قال الناس في حقهم، وليس بمقدار لبثهم، قاله ابن عباس، واستدل عليه فقال: لو كانوا لبثوا ذلك، لما قال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْثُوا﴾، وكذلك قال قتادة، وهذا قول أهل الكتاب.

(١) أورده ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٧١ من رواية محمد بن إسحاق مطولاً.

(٢) البيت لمزود كما في «المصاح» و«اللسان»: ماي، و«مجمع البيان» ١٥/ ١٤٤.

والثاني: أنه مقدار ما لبثوا، قاله عبيد بن عمير، ومجاهد، والضحاك، وابن زيد؛ والمعنى: لبثوا هذا القدر من يوم دخلوه إلى أن بعثهم الله وأطلع الخلق عليهم.

قوله تعالى: ﴿سِنِينَ﴾ قال الفراء، وأبو عبيدة، والكسائي، والزجاج: التقدير: سنين ثلاثمائة. وقال ابن قتيبة: المعنى: أنها لم تكن شهوراً ولا أياماً، وإنما كانت سنين. وقال أبو علي الفارسي: «سنين» بدل من قوله: «ثلاثمائة». قال الضحاك: نزلت: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ فقالوا: أياماً، أو شهوراً، أو سنين؟ فنزلت: «سنين» فلذلك قال: «سنين»، ولم يقل: سنة.

قوله تعالى: ﴿وَأَزَادُوا سِنِيًّا﴾ يعني: تسع سنين، فاستغنى عن ذكر السنين بما تقدّم من ذكرها. ثم أعلم أنه أعلم بقدر مدة لبثهم من أهل الكتاب المختلفين فيها، فقال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ قال ابن السائب: قالت نصارى نجران: أما الثلاثمائة، فقد عرفناها، وأما التسع، فلا علم لنا بها، فنزل قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ وقيل: إن أهل الكتاب قالوا: إن للفتية منذ دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلاثمائة وتسع سنين، فرد الله تعالى عليهم ذلك، وقال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ بعد أن قبض أرواحهم إلى يومكم هذا، لا يعلم ذلك غير الله. وقيل: إنما زاد التسع، لأنه تفاوت ما بين السنين الشمسية والسنين القمرية، حكاية الماوردي.

قوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ يَوْمَ تَأْتِي سَاعٌ مُمِيزَةٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه على مذهب التعجب، فالمعنى: ما أسمع الله به وأبصر، أي: هو عالم بقصة أصحاب الكهف وغيرهم، هذا قول الزجاج، وذكر أنه إجماع العلماء. والثاني: أنه في معنى الأمر، فالمعنى: أبصر يديين الله وأسمع، أي: بصر بهدى الله وسمع، فترجع الهاء إما على الهدى، وإما على الله ﷻ، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: ليس لأهل السموات والأرض من دون الله من ناصر، ﴿وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدٌ﴾ ولا يجوز أن يحكم حاكم بغير ما حكم به، وليس لأحد أن يحكم من ذات نفسه فيكون شريكاً لله ﷻ في حكمه. وقرأ ابن عامر: «ولا تشرك» جزماً بالفاء، والمعنى: لا تشرك أيها الإنسان.

﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ حِكْمٍ رُبَّكَ لَا مَبْدُلَ لِحُكْمِهِ وَلَنْ نَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِماً﴾ ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدُورِ وَالَّذِينَ يَرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِمْ غَرْبُ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَظْلَمْنَا قُلُوبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْبَانًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ﴾ في هذه التلاوة قولان: أحدهما: أنها بمعنى القراءة. والثاني: بمعنى الاتباع. فيكون المعنى على الأول: اقرأ القرآن، وعلى الثاني: اتبعه واعمل به. وقد شرحنا في [الأنعام: ١١٥] معنى ﴿لَا مَبْدُلَ لِحُكْمِهِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ نَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِماً﴾ قال مجاهد، والفراء: ملجأ. وقال الزجاج: مغذلاً عن أمره ونهيه. وقال غيرهم: موضعاً تميل إليه في الالتجاء.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ سبب نزولها أن المؤلف قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وذوهم، فقالوا: يا رسول الله: لو أنك جلست في صدر المجلس، ونحيت هؤلاء عتاً، - يعنون سلمان وأبا ذر - وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف - جلسنا إليك، وأخذنا عنك، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾، فقام رسول الله ﷺ يلتسمهم، حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله، قال: «الحمد لله الذي لم يمّتنني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمّتي، معكم المحيا ومعكم الممات» هذا قول سلمان الفارسي<sup>(١)</sup>. ومعنى قوله: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ أي: احبسها معهم على أداء الصلوات ﴿وَالْقُدُورِ وَالْقِيَمَةِ﴾. وقد فسرنا هذه الآية في [الأنعام: ٥٢] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِمْ غَرْبُ الدُّنْيَا﴾ أي: لا تصرف بصرك

(١) «الطبري» ٢٣٦/١٥، وأسباب النزول: للواحدى ١٧١، «القرطبي» ٣٩١/١٠، «الدور» ٢١٩/٤، وذكره ابن كثير في «التفسير» ٨١/٣ من رواية الطبراني، وقد تقدم الحديث بنحوه ٤٤٠ فارجع إليه.

إلى غيرهم من ذوي الغنى والشرف؛ وكان ﷺ حريصاً على إيمان الرؤساء ليؤمن أتباعهم، ولم يكن مريداً لزينة الدنيا قط، فأمر أن يجعل إقباله على فقراء المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعَنَّ مَنْ أَغْوَيْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ سبب نزولها أن أمية بن خلف الجمحي، دعا رسول الله ﷺ إلى طرد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكة، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وفي رواية أخرى عنه أنه قال: هو عيينة وأشباهه. ومعنى: «أغفلنا قلبه»: جعلناه غافلاً. وقرأ أبو مجلز: «من أغفلنا» بفتح اللام، ورفع باء القلب. «عن ذكْرنا»: عن التوحيد والقرآن والإسلام، «وَأَتَّبَعْهُ هَوًى» في الشرك. «وَكَاكَ أَمْرٌ قُرْطًا» فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه أفرط في قوله، لأنه قال: إِنَّا رُؤُوسُ مَضْرٍ، وإن نُسَلِّمَ يُسَلِّمُ النَّاسَ بَعْدَنَا، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: ضياعاً، قاله مجاهد. وقال أبو عبيدة: سَرَفًا وتضييعاً. والثالث: نَذْمًا، حكاه ابن قتيبة عن أبي عبيدة. والرابع: كان أمره التفريط، والتفريط: تقديم العجز، قاله الزجاج.

﴿وَقُلِ الْآخِذُ مِنْ رَبِّكَ قَمَنَ شَاءَ فَلْيُؤَيِّنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَيْفِسُّوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِقَسِّ السَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْآخِذُ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال الزجاج: «وقل الذي آتيتكم به، الحق من ربكم».

قوله تعالى: ﴿قَمَنَ شَاءَ فَلْيُؤَيِّنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فمن شاء الله فليؤمن، روي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه وعيد وإنذار، وليس بأمر، قاله الزجاج. والثالث: أن معناه: لا تنفعون الله بإيمانكم، ولا تضرونه بكفركم، قاله الماوردي. وقال بعضهم: هذا إظهار للغنى، لا إطلاق في الكفر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ أي: هيأنا، وأعدنا، وقد شرحناه في قوله: ﴿وَأَعْتَدْتُ لَكُمْ نَارًا﴾ [يوسف: ٣١]. فأما الظالمون، فقال المفسرون: هم الكافرون. وأما السُّرادق، فقال الزجاج: السُّرادق: كلُّ ما أحاط بشيء، نحو الشُّقَّة في المضرب، أو الحائط المشتمل على الشيء. وقال ابن قتيبة: السُّرادق: الحُجْرة التي تكون حول الفسطاط. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: السُّرادق فارسي معرَّب، وأصله بالفارسية سَرَادَارُ، وهو الدَّهْلِيْز، قال الفرزدق: تَمَنَّيْتُهِمْ حَتَّى إِذَا مَا لَقِيَتْهُمْ تَرَكْتُ لَهُمْ قَبْلَ الضَّرَابِ السُّرَادِقَا<sup>(٣)</sup>

وفي المراد بهذا السُّرادق قولان: أحدهما: أنه سُرادق من نار، قاله ابن عباس. روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لِسُرَادِقِ النَّارِ أَرْبَعَةُ جُذُرٍ كُنْتُ، كلُّ جدار منها مسيرة أربعين سنة»<sup>(٤)</sup>. وفي رواية أبي صالح عن ابن عباس، قال: السُّرادق: لسان من النار، يخرج من النار فيحيط بهم حتى يفرغ من حسابهم. والثاني: أنه دخان يحيط بالكفار يوم القيامة، وهو الظِّل ذو ثلاث شعب الذي ذكره الله تعالى في [المرسلات: ٣٠]، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَسْتَيْفِسُّوا﴾ أي: مما هم فيه من العذاب وشدة العطش «يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ» وفيه سبعة أقوال: أحدها: أنه ماء غليظ كدُرْدِي الزيت، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه كل شيء أذيب حتى انماع، قاله ابن مسعود. وقال أبو عبيدة، والزَّجَّاج: كل شيء أذبه من نحاس أو رصاص أو نحو ذلك، فهو مُهل. والثالث: قيقح ودم أسود كعكر الزيت، قاله مجاهد. والرابع: أنه الفضة والرصاص يذابان، روي عن مجاهد أيضاً. والخامس: أنه الذي انتهى حرُّه، قاله سعيد بن جبيرة. والسادس: [أنه] الصُّديد، ذكره ابن الأنباري. قال مُعَيْثُ بْنُ سُمَيٍّ: هذا الماء هو ما يسيل من عَرَقِ أَهْلِ الْمَوْقِفِ فِي الْآخِرَةِ وَيَكَاثُهُمْ، وما يجري منهم من دم وقيح، يسيل ذلك إلى وادٍ في جهنم، فتطبخه جهنم، فيكون أول ما يُثَاثُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ. والسابع: أنه الرماد الذي يُفْضُضُ عَنْ الْحُبْزَةِ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ التَّنُّورِ، حكاه ابن الأنباري.

(١) «أسباب النزول» ١٧٢، «القرطبي» ٣٩٢/١٠، «الدر» ٢٢٠/٤.

(٢) قال ابن جرير الطبري: عن ابن عباس: فمن شاء الله له الإيمان آمن، ومن شاء الله له الكفر كفر.

(٣) «ديوانه» ٥٨٦/٢، «المعرب» ٢٠٠.

(٤) رواه أحمد في «المسند» ٢٩/٣ من حديث دراج أبي السمح عن أبي الهيثم، ورواه الترمذي في «جامعه» ٨٢/٢، وابن جرير الطبري في «تفسيره» ١٥/٢٣٩ من حديث رشدين بن سعد عن دراج عن أبي الهيثم، ورشدين بن سعد ضعيف، ودراج عن أبي الهيثم ضعيف.





قوله تعالى: ﴿وَأَمْرٌ لِّمِثْلِكَ نَجْعَلُ﴾ روى عطاء عن ابن عباس، قال: هما ابنا ملك كان في بني إسرائيل توفي وتركهما، فاتخذ أحدهما الجنان والقصور، وكان الآخر زاهداً في الدنيا، فكان إذا عمل أخوه شيئاً من زينة الدنيا، أخذ مثل ذلك فقدّمه لآخرته، حتى نؤدّ ماله، فضر بهما الله ﷻ مثلاً للمؤمن والكافر الذي أبطرت النعمة. وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن المسلم لما احتاج، تعرّض لأخيه الكافر، فقال الكافر: أين ما ورثت عن أبيك؟ فقال: أنفقته في سبيل الله، فقال الكافر: لكنني ابتعت به جناناً وغنماً، وقرأ، والله لا أعطيتك شيئاً أبداً حتى تتبع ديني، ثم أخذ بيد المسلم فأدخله جنانه يطوف به فيها، ويرغبه في دينه. وقال مقاتل: اسم المؤمن يملئها، واسم الكافر قرطس، وقيل: قرطس، وقيل: هذا المثل [ضرب] لعينة بن حصن وأصحابه، ولسلمان وأصحابه.

قوله تعالى: ﴿وَمَقْنَعَاتُ الْيَتَامَى﴾ الحَفّ: الإحاطة بالشيء، ومنه قوله: ﴿حَافِيَتٌ مِّنْ حَوْلِ الْمُرَيْتِ﴾ [الزمر: ٧٥]. والمعنى: جعلنا النخل مُطِيفاً بها. وقوله: ﴿وَمَقْنَعَاتُ يَتِيمَا زُرْعًا﴾ إعلام أن عمارتهما كاملة.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا الْيَتِيمَ أَكَلَتْ أَكْلَهُ﴾ قال الفراء: أتنا، لأن «كلنا» ثنتان لا تُفرد واحدتهما، وأصله: «كُلٌّ»، كما تقول للثلاثة: «كُلٌّ»، فكان القضاء أن يكون للثنتين ما كان للجمع، وجاز توحيد على مذهب «كُلٌّ»، وتأنيسه جائز للتأنيث الذي ظهر في «كلنا»، وكذلك فاعل بـ«كلا» و«كلنا» و«كُلٌّ»، إذا أضفتهنَّ إلى معرفة وجاء الفعل بعدهن، فوحد واجمع، فمن التوحيد قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَهُمْ بَيْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَرْنًا﴾ [مريم: ٩٦]، ومن الجمع: ﴿وَكُلُّ أُنثَىٰ ذَاخِرَةٌ﴾ [النمل: ٨٧]، والعرب قد تفعل ذلك أيضاً في «أي» فيؤثنون ويدكرون، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي مَقَسٌّ يَأْتِي آرْضَ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]، ويجوز في الكلام «بأيت أرض»، وكذلك ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]، ويجوز في الكلام «في أيّت»، قال الشاعر:

بأي بلاء أم بأية نعمة      تقدّم قبلي مسلم والمهلب

قال ابن الأنباري: «كلنا» وإن كان واقعاً في المعنى على اثنتين، فإن لفظه لفظ واحدة مؤنثة، فغلب اللفظ، ولم يستعمل المعنى ثقة بمعرفة المخاطب به؛ ومن العرب من يؤثر المعنى على اللفظ، فيقول: «كلنا الجنتين أتتا أكْلَهُما»، ويقول آخرون: «كلنا الجنتين أتتا أكْلَهُ»، لأن «كلنا» تفيد معنى «كُلٌّ»، قال الشاعر:

وكلتاها قد خطّ لي في صحيفتي      فلا الموت أهواء ولا العيش أروح

يعني: وكلّهما قد خطّ لي، وقد قالت العرب: كلكم ذاهب، وكلكم ذاهبون. فوحدوا لَلْفِظ «كُلٌّ» وجمعوا لتأويلها. وقال الزجاج: لم يقل «أتتا»، لأن لفظ «كلنا» لفظ واحدة، والمعنى: كل واحدة منهما أتت أكْلَهُما ﴿وَكَلَّ تَطْلِيلًا﴾ أي: لم تنقص ﴿وَبَنِيَّ وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا﴾ فأعلمنا أن شربهما كان من ماء نهر، وهو من أغزر الشرب. وقال الفراء: إنما قال: «فَجَّرْنَا» بالتشديد، وهو نهر واحد، لأن النهر يمتد، فكان التفجّر فيه كله. قرأ أبو رزين، وأبو مجلز، وأبو العالية، وابن يعمر، وابن أبي عبلة: «وَفَجَّرْنَا» بالتخفيف. وقرأ أبو مجلز، وأبو المتوكل: «خللهم». وقرأ أبو العالية، وأبو عمران: «نَهْرًا» بسكون الهاء.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لِمِثْلِكَ نَجْعَلُ﴾ يعني: للأخ الكافر ﴿ثَمَرًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «وكان له ثمر»، «وأحيط بثمره» بضمّتين. وقرأ عاصم: «وكان له ثمر»، «وأحيط بثمره» بفتح التاء والميم فيهما. وقرأ أبو عمرو: «ثُمَر» و«بثمره» بضمّة واحدة وسكون الميم. قال الفراء: الثُمَر، بفتح الشاء والميم: المأكول، ويضمها: المال. وقال ابن الأنباري: الثُمَر، بالفتح: الجمع الأول، والثُمَر، بالضم: جمع الثُمَر، يقال: ثُمَر، وثُمَر، كما يقال: أسد، وأسُد، ويصلح أن يكون الثُمَر جمع الثُمار، كما يقال: جِمار وحمُر، وكتاب وكُتُب؛ فمن صَمَّ، قال: الثُمَر أعم، لأنها تحتل الثمار المأكولة، والأموال المجموعة. قال أبو علي الفارسي: وقراءة أبي عمرو: «ثُمَر» يجوز أن تكون جمع ثمار، ككتاب، وكُتُب، فتخفف، فيقال: كُتُب، ويجوز أن يكون «ثُمَر» جمع ثَمرة، كَبَدَنَة وبُذَن، وخَشَبَة، وخُشْب. ويجوز أن يكون «ثُمَر» واحداً، كعُنُق، وطُئْب. وقد ذكر المفسرون في قراءة من ضم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المال الكثير من صنوف الأموال، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الذهب، والفضة، قاله مجاهد. والثالث:

أنه جمع ثمرة، قال الزجاج: يقال: ثَمَرَة، وثَمَار، وثمر. فإن قيل: ما الفائدة في ذِكر الثَمَر بعد ذِكر الجَنَّتَيْنِ، وقد عُلِمَ أن صاحب الجنة لا يخلو من ثمر؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه لم يكن أصل الأرض ملكاً له، وإنما كانت له الثمار، قاله ابن عباس. والثاني: أن ذِكر الثَمَر دليل على كثرة ما يملك من الثمار في الجَنَّتَيْنِ وغيرهما، ذكره ابن الأنباري. والثالث: إنا قد ذكرنا أن المراد بالثمر الأموال من الأنواع، وذكرنا أنها الذهب، والفضة، وذلك يخالف الثمر المأكول؛ قال أبو علي الفارسي: من قال: هو الذهب، والوَرِق، وإنما قيل لذلك: ثَمَر على التفاضل، لأن الثمر نماء في ذي الثمر، وكونه هاهنا بالجنى أشبه من الذهب والفضة. ويقوي ذلك: ﴿وَلْيَحِيطْ بِشَرِّهِ فَمَا يَصْبَحُ بِذَلِكَ كَثِيرٌ عَلَى مَا أَفْقَى فِيهَا﴾، والإنفاق من الوَرِق، لا من الشجر.

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ﴾ يعني الكافر ﴿لِمَسْكِينٍ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ مُخَاوِرٌ﴾ أي: يراجعه الكلام ويجاوبه. وفيما تحاورا فيه قولان: أحدهما: أنه الإيمان والكفر. والثاني: طلب الدنيا، وطلب الآخرة. فأما «النفر» فهم الجماعة، ومثلهم: القوم والرهط، ولا واحد لهذه الألفاظ من لفظها. وقال ابن فارس اللغوي: «النفر: عدة رجال من ثلاثة إلى العشرة. وفيمن أراد بِنَفَره ثلاثة أقوال: أحدها: عبيده، قاله ابن عباس. والثاني: ولده، قاله مقاتل. والثالث: عشيرته ورهطه، قاله أبو سليمان.

قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ يعني: الكافر ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ بالكفر؛ وكان قد أخذ بيد أخيه فأدخله معه؛ ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ يَبْدَ هَٰذِهِ أَبَدًا﴾ أنكر فناء الدنيا، وفناء جنته، وأنكر البعث والجزاء بقوله: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ وهذا شك [منه] في البعث، ثم قال: ﴿وَلَكِنْ رُيدَتْ إِلَيَّ رَيْ﴾ أي: كما تزعم أنت. قال [ابن عباس]: يقول: إن كان البعث حقاً ﴿لَأَجِدَنَّ حَيًّا فِيهَا﴾ قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «خيراً منها»، وكذلك هي في مصاحف أهل البصرة والكوفة. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «خيراً منهما» بزيادة ميم على الشنية، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة والمدينة والشام. قال أبو علي: الأفراد أولى، لأنه أقرب إلى الجَنَّة المفردة في قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾، والشنية لا تمتنع، لتقدم ذِكر الجَنَّتَيْنِ.

قوله تعالى: ﴿مُتَقَلِّبًا﴾ أي: كما أعطاني هذا في الدنيا، سيعطيني في الآخرة أفضل منه.

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُخَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رِيحًا ۖ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُفْرِكُ رَبِّي أَمَّا ۖ لَإِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِنَّ سَعْيَنَا لَنَا أَلَّا نَقُولَ إِنَّكَ مَلَأَ مِنَّا مَالًا ۖ وَلَئِنَّا فَمَسَّنَا رَبٌّ ۖ نَحْنُ نَقُوتُهُ وَأَنَّا كَفَرْنَا ۚ إِنَّ رَبَّنَا يُؤَيِّدُ خَيْرًا مِّنْ جَبَرِكُمْ ۚ وَرَيْسَ عَلَيْهَا خُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَيِغَةً زَيْلًا ۚ أَوْ يُصْبِحُ مَاوًا غَوْرًا ۚ لَّان تَسْتَطِيعُ لَكُمْ طَلَبًا ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ﴾ يعني: المؤمن ﴿وَهُوَ مُخَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ يعني: خلق أباك آدم ﴿ثُمَّ مِنْ نَظْفٍ﴾ يعني: ما أنشئ هو منه، فلما شك في البعث كان كافراً.

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي، وقالون عن نافع: «لكن هو الله ربِّي»، بإسقاط الألف في الوصل، وإثباتها في الوقف. وقرأ نافع في رواية المُسَيَّبِي بإثبات الألف وصلًا ووقفًا. وأثبت الألف ابن عامر في الحالين. وقرأ أبو رجاء: «لكن» بإسكان النون خفيفة من غير ألف في الحالين. وقرأ ابن يعمر: «لكن» بتشديد النون من غير ألف في الحالين. وقرأ الحسن: «لكن أنا هو الله ربِّي» بإسكان نون «لكن» وإثبات «أنا». قال الفراء: فيها ثلاث لغات: لكنا، ولكن، ولكنه بالهاء، أنشدني أبو ثروان:

وترمينني بالظرف أي أنت مذنب وتغليبنني لكن إياك لا أقلي<sup>(١)</sup>

وقال أبو عبيدة: مجازه: لكن أنا هو الله ربِّي، ثم حذفت الألف الأولى، وأدغمت إحدى النونين في الأخرى فشُدَّت. قال الزجاج: وهذه الألف تُحذف في الوصل، وتثبت في الوقف، فأما من أثبتا في الوصل كما ثبت في الوقف، فهو على لغة من يقول: أنا قمْتُ، فأثبت الألف، قال الشاعر:

أَنَا سَيِّفُ الْعَظِيمَةِ فَاغْرُقُونِي

[خَمِيداً قَدْ تَذَرَيْتُ السَّنَامَا] (١)

وهذه القراءة جيدة، لأن الهمزة قد حذفت من «أنا»، فصار إثبات الألف عوضاً من الهمزة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ﴾ أي: وهلاً؛ ومعنى الكلام التوبيخ. قال الفراء: ﴿مَا سَكَهَ اللَّهُ﴾ في موضع رفع، إن شئت رفعته بإضمار هو، يريد: [هو] ما شاء الله؛ وإن شئت أضمرت فيه: ما شاء الله كان؛ وجاز طرح جواب الجزاء، كما جاز في قوله: ﴿إِنِ اسْتَكْمَلْتَ أَنْ تَبْلَغَ نَقَاً فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٤٣٥]، ليس له جواب، لأنه معروف. قال الزجاج: وقوله: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ الاختيار النصب بغير تنوين على النفي، كقوله: ﴿لَا رَبَّ إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [الكهف: ٢٦]، ويجوز: «لا قوة إلا بالله» على الرفع بالابتداء، والخبر «بالله»، المعنى: لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله تعالى، ولا يكون له إلا ما شاء الله.

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَىٰ﴾ قرأ ابن كثير: «إن ترني أنا» ويؤتيني خيراً» بياء في الوصل والوقف. وقرأ نافع، وأبو عمرو بياء في الوصل. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحزمة، بحذف الياء فيهما وصلاً ووقفاً. ﴿أَنَا أَقْلٌ﴾ وقرأ ابن أبي عبلة: «أنا أقل» برفع اللام. قال الفراء: «أنا» هاهنا عماد إن نصبت «أقل»، واسم إذا رفعت «أقل» (٢)، والقراءة بهما جائز.

قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ أي: في الآخرة، ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه العذاب، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والضحاك. وقال أبو صالح عن ابن عباس: ناراً من السماء (٣). والثاني: قضاء من الله يقضيه، قاله ابن زيد. والثالث: مراعي من السماء، واحدها: حسبانة، قاله أبو عبيدة، وابن قتبية. قال الثَّضَرُّ بن شُمَيْل: الحُسيبان: سهام يرمي بها الرجل في جوف قصبة تُنزع في القوس، ثم يرمي بعشرين منها دفعة، فعلى هذا القول يكون المعنى: ويرسل عليها مراعي من عذابه، إما حجارة أو برداً أو غيرهما مما يشاء من أنواع العذاب. والرابع: أن الحُسيبان: الحساب، كقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَمْدُدُ لِلْحَمِيزِ شَرْبًا مِمَّا يَمْدُدُ لِلْغَنَاءِ﴾ [الرحمن: ٢٥] أي: بحساب، فيكون المعنى: ويرسل عليها عذاب حساب ما كسبت يدها، هذا قول الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَتَصَيِّحُ صَمِيحًا زَلَّاقًا﴾ (٤) أو يُصَيِّحُ مَاؤَهَا غَوْرًا قال ابن قتبية: الصعيد: الأملس المستوي، والزَّلَّاق: الذي تَزَلُّ عنه الأقدام، والقُور: الغائر، فجعل المصدر صفة، يقال: ماء غَوْر، ومياه غَوْر، ولا يثنى، ولا يجمع، ولا يؤنث، كما يقال: رجل نَوْم، ورجل صَوْم، ورجل فُظُر، ورجل نَوْم، [ونساء نَوْم]، ونساء صَوْم. ويقال للنساء إذا نُحِنَ: نَوَّح، والمعنى: يذهب ماؤها غائراً في الأرض، أي: ذاهباً فيها. ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَكُمْ طَلَبًا﴾ فلا يبقى له أثر تطلبه به، ولا تناله الأيدي ولا الأزشبية. وقال ابن الأنباري: «غوراً» إذا غَوْر، فسقط المضاف، وخلفه المضاف إليه، والمراد بالطلب هاهنا: الوصول، فقام الطلب مقامه لأنه سببه. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو المتوكل: «غَوْرًا» برفع الغين والواو [الأولى] جميعاً، [وواو بعدها].

﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ فَأَنْبَحَ يَقْلَبُ كَتَبَهُ عَلَٰنَ مَا أَتَقَىٰ فِيهَا وَهِيَ خَالِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لَرَأْسِكَ رَبِّيَ لَعَلَّكَ ﴿٥﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَكَ فِتْنَةٌ يَصْرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً﴾ (٥) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ﴾ أي: أحاط الله العذاب بشمره، وقد سبق معنى الشمر. ﴿فَأَنْبَحَ يَقْلَبُ كَتَبَهُ﴾ أي: يضرب بيد على يد، وهذا فعل النادم، ﴿عَلَىٰ مَا أَتَقَىٰ فِيهَا﴾ أي: في جنته، وفي «ها هنا» بمعنى «على». ﴿وَهِيَ خَالِيَةٌ سَاقِطَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ والعروش: السقوف؛ والمعنى: أن حيطانها قائمة والسقوف قد تهدمت فصارت في قرارها، فصارت الحيطان كأنها على السقوف. ﴿وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لَرَأْسِكَ رَبِّيَ لَعَلَّكَ﴾ فأخبر الله تعالى أنه لما سلبه ما أنعم به عليه، وحقق ما أنذره [به] أخوه في الدنيا، ندم على شركه حين لا تنفعه الندامة. وقيل: إنما يقول هذا في

(١) «الطبري» ٢٤٧/١٥، «القرطبي» ٤٠٥/١٠، و«خزانة الأدب» ٣٩٠/٢.

(٢) وكذلك قال الطبري ٢٤٨/١٥.

(٣) في نسخة الرباط: نازل من السماء.

القيامة ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ يَمَنَةٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: «ولم تكن» بالناء. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «ولم يكن» بالياء. والفتحة. الجماعة ﴿يَصْرُوهُ﴾ أي: يمنونه من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وعاصم: «الولاية» بفتح الواو ﴿وَاللَّهُ الْحَقُّ﴾ خفضاً. وقرأ حمزة: «الولاية» بكسر الواو، والله الحق بكسر القاف أيضاً. وقرأ أبو عمرو بفتح الواو، ورفع «الحق»، ووافقه الكسائي في رفع القاف، لكنه كسر «الولاية»، قال الزجاج: معنى الولاية في [مثل] تلك الحال: تبين نصرة ولي الله. وقال غيره: هذا الكلام عائد إلى ما قبل قصة الرجلين. فأما من فتح واو «الولاية» فإنه أراد الموالاة والنصرة، ومن كسر، أراد السلطان والملك على ما شرحنا في آخر [الأنفال: ٧٢]. فعلى قراءة الفتح، في معنى الكلام قولان: أحدهما: أنهم يتولون الله تعالى في القيامة، ويؤمنون به، ويتبرؤون مما كانوا يعبدون، قاله ابن قتيبة. والثاني: هنالك يتولى الله أمر الخلائق، فينصر المؤمنين ويخذل الكافرين. وعلى قراءة الكسر، يكون المعنى: هنالك السلطان لله. قال أبو علي: من كسر قاف «الحق»، جعله من وصف الله ﷻ، ومن رفعه جعله صفة للولاية. فإن قيل: لم نعت الولاية وهي مؤنثة بالحق وهو مصدر؟ فنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أن تأنيثها ليس حقيقياً، فحملت على معنى النصر؛ والتقدير: هنالك النصر لله الحق، كما حملت الصبيحة على معنى الصباح في قوله: ﴿وَأَخَذَ الْأَبْنَاءُ ظُلُومًا الصَّبِيحَةَ﴾ (هود: ٦٧). والثاني: أن الحق مصدر يستوي في لفظه المذكر والمؤنث والاثنتان والجمع، فيقال: قولك حق، وكلمتك حق، وأقولكم حق. ويجوز ارتفاع الحق على المدح للولاية، وعلى المدح لله تعالى بإضمار «هو».

قوله تعالى: ﴿هُوَ خَيْرُ ثَوَابٍ﴾ أي: هو أفضل ثواباً ممن يرجى ثوابه، وهذا على تقدير أنه لو كان غيره يثيب لكان ثوابه أفضل.

قوله تعالى: ﴿وَعِزُّ عُقْبٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: «عُقْباً» مضمومة القاف. وقرأ عاصم، وحمزة: «عُقْباً» ساكنة القاف. قال أبو علي: ما كان [على] «عُقْلٍ» جاز تخفيفه، كالعُنُق، والظُنْب. قال أبو عبيدة: العُقْب، والعُقْب، والعُقْبى، والعاقبة، بمعنى، وهي الآخرة، والمعنى: عاقبة طاعة الله خير من عاقبة طاعة غيره.

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَّوَةُ الَّذِينَ كَانُوا أَنْزَلْنَاهُمْ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَفَ فِيهِمْ تَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ (١٩)

قوله تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَّوَةَ الَّذِينَ﴾ أي: في سرعة نفاذها وذهابها، وقيل: في تصرف أحوالها، إذ مع كل فرحة تَرُوح، وهذا مفسر في سورة يونس: ٢٤ إلى قوله: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾. قال الفراء: الهشيم: كل شيء كان رطباً فبيس. وقال الزجاج: الهشيم: النبات الجاف. وقال ابن قتيبة: الهشيم من النبات: المتفتت، وأصله من هشمت الشيء: إذا كسرت، ومنه سُمي الرجل هاشماً. و﴿تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ تنسفه. وقرأ أبي، وابن عباس، وابن أبي عبل: «تَذْرِيهِ» برفع التاء وكسر الراء بعدها ياء ساكنة وهاء مكسورة. وقرأ ابن مسعود كذلك، إلا أنه فتح التاء. والمقتدر: مُفْتَعِل، من قَدَرْتُ. قال المفسرون: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الإنشاء والإفناء ﴿مُقْتَدِرًا﴾

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (٢٠)

قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هذا رد على المشركين الذين كانوا يفتخرون بالأموال والأولاد، فأخبر الله تعالى أن ذلك مما يُتَزَيَّن به في الدنيا، [لا] مما ينفع في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ فيها خمسة أقوال: أحدها: أنها «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»؛ روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن عجزتم عن الليل أن تكابدوه، وعن العدو أن تجاهدوه، فلا تعجزوا عن قول «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فقلوها: فإنهن الباقيات الصالحات» (١)، وهذا قول

ابن عباس في رواية عطاء، وبه قال مجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك. وسئل عثمان بن عفان رضي الله عنه عن الباقيات الصالحات، فقال هذه الكلمات، وزاد فيها: «ولا حول ولا قوة إلا بالله»<sup>(١)</sup>. وقال سعيد بن المسيب، ومحمد بن كعب القرظي مثله سواء. والثاني: «أنها لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا قوة إلا بالله»، رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها الصلوات الخمس، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود، ومسروق، وإبراهيم. والرابع: الكلام الطيب، رواه العوفي عن ابن عباس. والخامس: هي جميع أعمال الحسنات، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿يُخَيِّرُ عِنْدَ رَبِّكَ تَوَاتُبًا﴾ أي: أفضل جزاء ﴿يُخَيِّرُ أَمَلًا﴾ أي: خير مما تؤملون، لأن آمالكم كواذب، وهذا أمل لا يكذب.

﴿يَوْمَ تُسِيرُ الْجِبَالُ وَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْتَهُمْ فَلَمْ يَعْرِضُوا عَنْ رَبِّكَ صَمًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾<sup>(٣)</sup> وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُدْعَاؤُنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَاوِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رُؤْيَاكَ أَهْدَا<sup>(٤)</sup> وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا<sup>(٥)</sup> مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَجِدًّا لِلْمُضِلِّينَ عَصَا<sup>(٦)</sup>﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُسِيرُ الْجِبَالُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «يوم تُسِيرُ» بالتاء «الجبال» رفعاً. وقرأ نافع، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «تُسِيرُ» بالنون «الجبال» نصباً. وقرأ ابن محيصن: «يوم تُسِيرُ» بفتح التاء وكسر السين وتسكين الياء «الجبال» بالرفع. قال الزجاج: «يوم» منصوب على معنى: اذكر، ويجوز أن يكون منصوباً على: والباقيات الصالحات خير يوم تُسِيرُ الجبال. قال ابن عباس: تُسِيرُ الجبال عن وجه الأرض، كما يُسِيرُ السحاب في الدنيا، ثم تكسر فتكون في الأرض كما خرجت منها.

قوله تعالى: ﴿وَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ وقرأ عمرو بن العاص، وابن السميع، وأبو العالية: «وتُرى الأرض بارزة» برفع التاء والضاد. وقرأ أبو رجاء العطاردي كذلك، إلا أنه فتح ضاد «الأرض». وفي معنى «بارزة» قولان: أحدهما: [ظاهرة] فليس عليها شيء من جبل أو شجر أو بناء، قاله الأكثرون. والثاني: بارزاً أهلها من بطنها، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْتَهُمْ﴾ يعني المؤمنين والكافرين ﴿لَمْ تَغَاوِرْ﴾ قال ابن قتيبة: أي: فلم تُخْلَفْ، يقال: غادرْتُ كذا: إذا خَلَفْتَهُ، ومنه سمي الغدير، لأنه ماء تُخْلَفُ السيول. وروى أبان: «فلم تغادر» بالتاء.

قوله تعالى: ﴿وَعَرَّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَمًّا﴾ إن قيل: هذا أمر مستقبل، فكيف عُبرَ [عنه] بالماضي؟ فالجواب: أن ما قد علم الله وقوعه، يجري مجرى المعاین، كقوله: ﴿وَأَذَانٌ أَمْسَكُ الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ٤٣]. وفي معنى قوله: ﴿صَمًّا﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنه بمعنى: جميعاً، كقوله: ﴿لَمْ أَتْرَأْ صَمًّا﴾ [طه: ٦٤]، قاله مقاتل. والثاني: أن المعنى: وعرضوا على ربك مصفوفين، هذا مذهب البصريين. والثالث: أن المعنى: وعرضوا على ربك صفوفاً، فتاب الواحد عن الجميع، كقوله: ﴿لَمْ نُخَمِّرْكُمْ لَوْلَا﴾ [الحج: ٥]. والرابع: أنه لم يَغِبْ عن الله منهم أحد، فكانوا كالصف الذي تسهل الإحاطة بجملته، ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري. وقد قيل: إن كل أمة وزمرة صف.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ فيه إضمار «فيقال لهم». وفي المخاطبين بهذا قولان: أحدهما: أنهم الكل. والثاني: الكفار، فيكون اللفظ عامّاً، والمعنى خاصّاً. وقوله: ﴿كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ مفسر في [الأنعام: ٩٤]. وقوله: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾ خطاب للكفار خاصة، والمعنى: زعمت في الدنيا ﴿أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ للبعث، والجزاء.

قوله تعالى: ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الكتاب الذي سيطر فيه ما تعمل الخلائق قبل وجودهم،

(١) أورده السيوطي في «الدرر» ٢٢٥/٤ من رواية أحمد، وابن جرير، وابن المنذر عن عثمان رضي الله عنه.

(٢) أورده السيوطي في «الدرر» ٢٢٥/٤ من رواية ابن مردويه عن علي رضي الله عنه.

قاله ابن عباس. والثاني: أنه الحساب، قاله ابن السائب. والثالث: كتاب الأعمال، قاله مقاتل. وقال ابن جرير: وضع كتاب أعمال العباد في أيديهم، فعلى هذا، الكتاب اسم جنس.

قوله تعالى: ﴿فَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ قال مجاهد: [هم] الكافرون. وذكر بعض أهل العلم أن كل مجرم ذكر في القرآن. فالمراد به: الكافر.

قوله تعالى: ﴿مُتَّقِينَ﴾ أي: خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ من الأعمال السيئة ﴿وَيَقُولُونَ يَوْمَئِذٍ﴾ هذا قول كل واقع في هلكة. وقد شرحنا هذا المعنى في قوله: ﴿يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٣١].

قوله تعالى: ﴿لَا يَتَذَكَّرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ هذا على ظاهره في صغير الأمور وكبيرها؛ وقد روى عكرمة عن ابن عباس، قال: الصغيرة: التبسم، والكبيرة: الفقهة. وقد يوثق أن المراد بذلك صفات الذنوب وكبائرها، وليس كذلك، إذ ليس الضحك والتبسم، مجزئهما من الذنوب، وإنما المراد أن التبسم من صفات الأفعال، والضحك فعل كبير، وقد روى الضحاك عن ابن عباس، قال: الصغيرة: التبسم والاستهزاء بالمؤمنين، والكبيرة: الفقهة بذلك؛ فعلى هذا يكون ذنباً من الذنوب لمقصود فاعله، لا لنفسه. ومعنى «أحصاها»: عدّها وأثبتها، والمعنى: وُجِدَتْ مُحْصَاةٌ. ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاشِرًا﴾ أي: مكتوباً مُثَبَّتاً في الكتاب، وقيل: رأوا جزاءه حاضراً. وقال أبو سليمان: الصحيح عند المحققين أن صفات المؤمنين الذين وعدوا العفو عنها إذا اجتنبوا الكبائر، إنما يعفى عنها في الآخرة بعد أن يراها صاحبها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَطَّيِّرُ رُكُّكَ أَمَلًا﴾ قال أبو سليمان: لا تنقص حسنات المؤمن، ولا يزداد في سيئات الكافر. وقيل: إن كان للكافر فعل خير، كعتق رقبة، وصدقة، خُفِّفَ عنه به من عذابه، وإن ظلمه مسلم، أخذ الله من المسلم، فصار الحق لله. ثم إن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يذكر هؤلاء المتكبرين عن مجالسة الفقراء قصة إبليس وما أورثه الكبر، فقال: ﴿وَلَا تَلْنَا﴾ أي: اذكر ذلك. وفي قوله: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ قولان: أحدهما: أنه من الجن حقيقة، لهذا النص؛ واحتج قائلوا هذا بأن له ذرية - وليس للملائكة ذرية - وأنه كَفَرَ، والملائكة رسل الله، فهم معصومون من الكفر. والثاني: أنه كان من الملائكة، وإنما قيل: «من الجن»، لأنه كان من قبيل من الملائكة يقال لهم: الجن، قاله ابن عباس؛ وقد شرحنا هذا في [البقرة: ٣٤].

قوله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: خرج عن طاعة ربه، تقول العرب: فسقت الرُّطبة من قشرها: إذا خرجت منه، قاله الفراء، وابن قتيبة. والثاني: أتاه الفسق لما أمر فعصى، فكان سبب فسقه عن أمر ربه، قال الزجاج: وهذا مذهب الخليل وسيبويه، وهو الحق عندنا. والثالث: ففسق عن ردّ أمر ربه، حكاه الزجاج عن قطرب.

قوله تعالى: ﴿أَفَنَنْتَعِدُكَ وَذُرِّيَّتَهُ أُولَئِكَ مِنْ دُونِي﴾ [أي]: توالونهم بالاستجابة لهم؟! قال الحسن، وقتادة: ذريته: أولاده، وهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم. قال مجاهد: ذريته: الشياطين، ومن ذريته زَلَّتْ بُرُصُ صاحب راية إبليس بكل سوق، وثبر، وهو صاحب المصائب، والأعور صاحب الرياء، وميسوط صاحب الأخبار يأتي بها فيطرحها على أفواه الناس، فلا يوجد لها أصل، وداسم صاحب الإنسان إذا دخل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله، فهو يأكل معه إذا أكل، قال بعض أهل العلم: إذا كانت خطيئة الإنسان في كبر فلا تُرْجَى، وإن كانت في شهوة فارجح، فإن معصية إبليس كانت بالكبر، ومعصية آدم بالشهوة.

قوله تعالى: ﴿يَتَسَاءَلُونَ لِلْفَلْأَيْنِ بَلَاءً﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بشس الاتخاذ للظالمين بدلاً. والثاني: بشس الشيطان. والثالث: بشس الشيطان والفرية، ذكرهن ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿مَا أَتَبَدَّلْتُمْ خَلْقَ الْأَشْمَكِينَ وَالْأَشْمَكِينَ﴾ وقرأ أبو جعفر، وشيبة: «ما أشهدناهم بالنون والألف». وفي المشار إليهم أربعة أقوال: أحدها: إبليس وذريته. والثاني: الملائكة. والثالث: جميع الكفار. والرابع: جميع الخلق؛ والمعنى: إني لم أشأورهم في خلقهن؛ وفي هذا بيان للغناء عن الأعوان، وإظهار كمال القدرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا خَلْقَ أَشْيِهِمْ﴾ أي: ما أشهدت بعضهم خلق بعض، ولا استعنت ببعضهم على إيجاد بعض.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ مُنْجِذَ الْمُضِلِّينَ﴾ [يعني: الشياطين] ﴿عَصَا﴾ أي: أنصاراً وأعواناً. والعَصْدُ يستعمل كثيراً في معنى العون، لأنه قِوَام [اليد]، قال الزجاج: والاعتصاد: التقوي وطلب المعونة، يقال: اعتصدت بفلان، أي: استعنت به. وفي ما نفى اتخاذهم عضداً فيه قولان: أحدهما: أنه الولايات، والمعنى: ما كنت لأولي المضلين، قاله مجاهد. والثاني: أنه خلق السموات والأرض، قاله مقاتل. وقرأ الحسن، والجمدري، وأبو جعفر: «وما كنت» بفتح التاء.

﴿يَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۖ ﴿٥٢﴾ وَرَكَاعًا مُّجْتَرِئِينَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُّوَافِقُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عِنَّا مَصْرَفًا ۖ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ وقرأ حمزة: «نقول» بالنون، يعني: يوم القيامة ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ أضاف الشركاء إليه على زعمهم، والمراد: نادوهم لدفع العذاب عنكم، أو الشفاعة لكم، ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي: زعمتموهم شركاء ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ أي: لم يجيبوهم، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم المشركون والشركاء. والثاني: أهل الهدى وأهل الضلالة. وفي معنى (مُؤَبِّقًا) ستة أقوال: أحدها: مَهْلِكًا، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك. وقال ابن قتيبة: مَهْلِكًا بينهم وبين ألهتهم في جهنم، ومنه يقال: أُوْبِقَتْ ذنوبه، [أي: أهلكته]. قال الزجاج: [المعنى]: جعلنا بينهم من العذاب ما يوبقهم، أي: يهلكهم، فالمُؤَبِّقُ<sup>(١)</sup>: المهلك، يقال: وَبِقَ، يَبِيقُ، وَيَابِقُ، وَيَقَا، وَوَبَقًا، وَوَبَقًا، فهو وَابِقٌ؛ وقال الفراء: جعلنا تواصلهم في الدنيا مُؤَبِّقًا، أي: مَهْلِكًا لهم في الآخرة، فالْبِيقُ، على هذا القول؛ بمعنى التواصل، كقوله تعالى: «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» [الأنعام: ١٩٤] على قراءة من ضم النون. والثاني: أن المُؤَبِّقَ: واد عميق يُفَرِّقُ به بين أهل الضلالة وأهل الهدى، قاله عبد الله بن عمرو. والثالث: أنه واد في جهنم، قاله أنس بن مالك، ومجاهد. والرابع: أن معنى المُؤَبِّقَ: العداوة، قاله الحسن. والخامس: أنه المَحْبِسُ، قاله الربيع بن أنس. والسادس: أنه المُؤَبِّدُ، قاله أبو عبيدة. قال ابن الأنباري: إن قيل: لم قال: «مُؤَبِّقًا» ولم يقل: «مُؤَبِّدًا»، بضم الميم، إذ كان معناه عذاباً مُؤَبِّقًا؟ فالجواب: أنه اسم موضوع لمَحْبِسٍ في النار، والأسماء لا تؤخذ بالقياس، فُيعلم أن «مُؤَبِّقًا»: مَفْعِلٌ، من أوبقه الله: إذا أهلكه، فتفتح الميم، كما تفتح في «مُؤَبِّد» و«مُؤَلَّد» و«مُخْتَد» إذا سقيت الشخص بهنً.

قوله تعالى: ﴿وَرَكَاعًا مُّجْتَرِئِينَ النَّارَ﴾ أي: عاينوها وهي تنفِيطُ حقاً عليهم. والمراد بالمجرمين: الكفار. ﴿فَظَنُّوا﴾ أي: أيقنوا ﴿أَنَّهُمْ مُّوَافِقُوهَا﴾ أي: داخلوها. ومعنى الواقعة: ملابسة الشيء بشدة ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عِنَّا مَصْرَفًا﴾ أي: مَخْلُودًا؛ والمَصْرَفُ: الموضع الذي يُصْرَفُ إليه، وذلك أنها أحاطت بهم من كل جانب، فلم يقدرُوا على الهَرَبِ. ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْئًا جَدَلًا ۖ ﴿٥٤﴾ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَسَيَفْهَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ فُبُلًا ۖ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ قد فسرناه في [ابن إسرائيل: ٤١].

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْئًا جَدَلًا﴾ فيمن نزلت قولان: أحدهما: أنه النَّفَرُ بن الحارث، وكان جداله في القرآن، قاله ابن عباس. والثاني: أبي بن خلف، وكان جداله في البعث حين أتى بعظم قد رَمَ، فقال: أيقدر الله على إعادة هذا؟ قاله ابن السائب. قال الزجاج: كل ما يعقل من الملائكة والجن يجادل، والإنسان أكثر هذه الأشياء جدلاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ قال المفسرون: يعني: أهل مكة ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ وهو: محمد ﷺ، والقرآن، والإسلام ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ﴾ وهو: أنهم إذا لم يؤمنوا عذبوا. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال:

(١) في الأصل: «فالموضع» بدلاً من كلمة «فالمؤبِق»، ولعله سهو من الناسخ.

أحدهما: ما منعهم من الإيمان إلا طلب أن تأتيهم سُنَّةُ الأولين، قاله الزجاج. والثاني: وما منع الشيطان الناس أن يؤمنوا إلا لَأَن تأتيهم سُنَّةُ الأولين، أي: منعهم رُشْدَهُمْ لكي يقع العذاب بهم، ذكره ابن الأنباري. والثالث: ما منعهم إلا أَنِّي قد قَدَّرْتُ عليهم العذاب. وهذه الآية فيمن قُتِلَ بيدر وأُخِذَ من المشركين، قاله الواحدي.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾ ذكر ابن الأنباري في «أو» [هاهنا] ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى الواو. والثاني: أنها لوقوع أحد الشيتين، إذ لا فائدة في بيانه. والثالث: أنها دخلت للتبعيض، أي: أن بعضهم يقع به هذا، وهذه الأقوال الثلاثة قد أسلفنا بيانها في قوله ﷻ: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩].

قوله تعالى: ﴿قُبُلًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «قُبُلًا» بكسر القاف وفتح الباء. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «قُبَلًا» بضم القاف والباء. وقد بيَّنا علَّةَ القراءتين في [الأنعام: ١١١]. وقرأ أبي بن كعب، وابن مسعود: «قُبَلًا» بوزن قَبِيل. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو المتوكل «قُبَلًا» بفتح القاف من غير ياء، قال ابن قتيبة: أراد استثنافاً. فإن قيل: إذا كان المراد بسُنَّةِ الأولين العذاب، فما فائدة التكرار بقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾؟ فالجواب: أن سُنَّةَ الأولين أفادت عذاباً مبهماً يمكن أن يتراخى وقته، وتختلف أنواعه، وإتيان العذاب قُبَلًا أفاد القتل يوم بدر. قال مقاتل: «سُنَّةُ الأولين»: عذاب الأمم السالفة؛ «أو يأتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبَلًا»، أي: عياناً قتلاً بالسيف يوم بدر.

﴿وَمَا تُرِيدُ الْكَرَسِيِّينَ إِلَّا مَبْنِيَيْنَ وَمُنْذِرِينَ وَمُجِدِّدِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَيْتِ لِتُدْحِثُوا بِهِ الْقُلُوبَ وَاتَّخَذُوا مَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ حُرُومًا ۖ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ مِّنْ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَمَعْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَلَنْ تَنفَعَهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ۗ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ذُو الرِّزْقِ ۖ لَوْ يُؤَاظِمُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَّهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا ۝٥٨﴾ وَتِلْكَ الْأَفْرَقُ افْتَكَنَتْهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَمَعْنَا لِكَلْبِهِمْ مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَمُجِدِّدِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَيْتِ﴾ قال ابن عباس: يريد: المستهزئين والمقتسمين وأتباعهم. وجدالهم بالباطل: أنهم ألزموه أن يأتي بالآيات على أمواتهم ﴿لِتُدْحِثُوا بِهِ الْقُلُوبَ﴾ أي: ليُبْطِلُوا ما جاء به محمد ﷺ. وقيل: جدالهم: قولهم: ﴿لَوْذَا كُنَّا عِظَمًا وَرِفْقًا﴾ [الإسراء: ٤٩]، ﴿لَوْذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠]، ونحو ذلك ليُبطِلُوا به ما جاء في القرآن من ذُكْرِ البعث والجزاء. قال أبو عبيدة: ومعنى «لِتُدْحِثُوا» لِيُزِيلُوا ويذهبوا، يقال: مكان دَخُض، أي: مَزَلَّ لا يثبت فيه قدم ولا حافر.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني القرآن ﴿وَمَا أُنذِرُوا﴾ أي: خُوفوا به من النار والقيامة ﴿حُرُومًا﴾ أي: مهزوماً به. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ قد شرحنا هذه الكلمة في [البقرة: ١١٤]. و﴿ذِكْرٌ﴾ بمعنى: وعظ. وآيات ربه: القرآن، وإعراضه عنها: تجاهته بها. ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: ما سلف من ذنوبه؛ وقد شرحنا ما بعد هذا في [الأنعام: ٢١] إلى قوله: ﴿لَنْ تَنفَعَهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ﴾ وهو: الإيمان والقرآن ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا﴾ هذا إخبار عن علمه فيهم.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ إذ لم يعاجلهم بالعقوبة. ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ للبعث والجزاء ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا﴾ قال الفراء: الموثل: المنجى، وهو الملجأ في المعنى، لأن المنجى ملجأ، والعرب تقول: إنه لَيُؤَاتِلُ إلى موضعه، أي: يذهب إلى موضعه، قال الشاعر:

لَا وَاءَ لَكَ نَفْسُكَ خَلِيَّتُهَا

يريد: لا نجت نفسك، وأنشد أبو عبيدة للأعشى:

وَقَدْ أَخَالِسُ رَبَّ الْبَيْتِ غَفْلَتُهُ

وَقَدْ يُحَازِرُ مِنِّي ثُمَّ مَا يَسِيلُ<sup>(٢)</sup>

أي: ما ينجو. وقال ابن قتيبة: المولجأ: الملجأ. يقال: وأل فلان إلى كذا: إذا لجأ. فإن قيل: ظاهر هذه الآية يقتضي أن تأخير العذاب عن الكفار برحمة الله، ومعلوم أنه لا نصيب لهم في رحمته. فعنه جوابان: أحدهما: [أن]

(١) البيت غير منسوب في «الطبري» ٢٦٩/١٥، و«القرطبي» ٨/١١، و«اللسان»: وأل.

(٢) ديوانه بشرح الدكتور محمد حسين ص ٥٩، و«الطبري» ٢٦٩/١٥، و«مجاز القرآن» ٤٠٨/١، و«القرطبي» ٨/١١.



الرحمة هاهنا بمعنى النعمة، ونعمة الله لا يخلو منها مؤمن ولا كافر. فأما الرحمة التي هي الغفران والرضى، فليس للكافر فيها نصيب. والثاني: أن رحمة الله محظورة على الكفار يوم القيامة، فأما في الدنيا، فإنهم ينالون منها العافية والرزق.

قوله تعالى: ﴿وَبَلَّغْنَا الْكُرُوءَ﴾ يريد: التي قصصنا عليك وذكرها، والمراد: أهلها، ولذلك قال: ﴿أَفَلَا تَكْتُمُهَا﴾ والمراد: قوم هود، وصالح، ولوط، وشعيب. قال الفراء: قوله: ﴿هَلَّا ظَلَمُوا﴾ معناه: بعدما ظلموا.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ﴾ قرأ الأكثرون بضم الميم وفتح اللام؛ قال الزجاج: وفيه وجهان: أحدهما: أن يكون مصدرًا، فيكون المعنى: وجعلنا لإهلاكهم. والثاني: أن يكون وقتًا، فالمعنى: لوقت هلاكهم. وقرأ أبو بكر عن عاصم بفتح الميم واللام، وهو مصدر مثل الهلاك. وقرأ حفص عن عاصم بفتح الميم وكسر اللام، ومعناه: لوقت إهلاكهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنَهُ لَا أَسْبَحُ حَتَّى أَتِلَّ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا بَيَّسَا حَوْرَهُمَا فَاغْتَذَّ سَيْلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿١٦﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْنُهُ إِنَّا غَدَاؤُنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿١٧﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَبِّئُكَ الْخَوْرَ وَمَا أُنَبِّئُكَ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَّ وَافْتَذَّ سَيْلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١٨﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِّئُكَ فَازْدَا عَلَاقًا وَهَرَا قَصَصًا ﴿١٩﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَالِيَهُ رَحِمَهُ بَيْنَ عَيْنَيْنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنَهُ...﴾ الآية، سبب خروج موسى ﷺ في هذا السفر، ما روى ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيئًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا، فَغَضِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَزِدْ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ؛ قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ فَكَيْفَ لِي بِهِ؟ قَالَ: تَأْخُذْ مَعَكَ حَوْرًا فَتَجْعَلْهُ فِي مَكْتَلٍ، فَحِيثَمَا فَقَدْتَ الْحَوْرَ فَهُوَ ثَمٌّ. فَاَنْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ، حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ، وَضَعَا رُؤُوسَهُمَا فَتَمَامًا، وَاضْطَرَبَ الْحَوْرَ فِي الْمَكْتَلِ فَخَرَجَ مِنْهُ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الْحَوْرِ جَزِيَّةَ الْمَاءِ، فَصَارَ عَلَيْهِ مِثْلُ الطَّاقِ» (١). فَلَمَّا اسْتَقْبَلَ نَسِيَّ صَاحِبِهِ أَنْ يَخْبِرَهُ بِالْحَوْرِ، فَاَنْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتَهُمَا، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: إِنَّا غَدَاؤُنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، قَالَ: وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، فَقَالَ فَتَاهُ: «أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ...» إِلَى قَوْلِهِ: «عَجَبًا»، قَالَ: فَكَانَ لِلْحَوْرِ سَرَبًا، وَلِمُوسَى وَلِفَتَاهُ عَجَبًا، فَقَالَ مُوسَى: «ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِّئُكَ فَازْدَا عَلَاقًا وَهَرَا قَصَصًا» قَالَ: رَجَعَا يَقْضِيَانِ أَثَارَهُمَا حَتَّى انْتَهِيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِذَا هُوَ مَسْجُورٌ بِشَوْبٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقَالَ الْخَضِرُ: وَأَنْتَ بَارِضُكَ السَّلَامَ (٢) مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ أَتَيْتُكَ لَتَعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا، قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا يَا مُوسَى، إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ لَا تَعْلَمُهُ عِلْمِيهِ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكُهُ لَا أَعْلَمُهُ؛ فَقَالَ مُوسَى: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا؛ فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: فَإِنْ أَتْبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَخْبِرْتُكَ مِنْهُ وَذَكَرْتُ؛ فَاَنْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ، فَفَرَّتْ سَفِينَةٌ فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ، فَغَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُ بِغَيْرِ نَوَلٍ (٣)؛ فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ لَمْ يَفْجَأْ إِلَّا وَالْخَضِرُ قَدْ قَلَعَ لَوْحًا مِنْ أَلْوَابِ السَّفِينَةِ بِالْقُدُومِ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ قَدْ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوَلٍ عَمَدَتْ إِلَى سَفِينَتِهِمْ «أَخْرَقْنَا لِلْفِرْقِ أَهْلَهُمَا...» إِلَى قَوْلِهِ: «عَجَبًا»؟ قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَتِ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نَسِيَانًا»، وَجَاءَ عَصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَفَقَّرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا عَلَّمَنِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعَصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ، ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ، إِذْ أَبْصَرَ الْخَضِرُ غُلَامًا يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ، فَاتَّخَذَ الْخَضِرُ رَأْسَهُ فَاقْتَلَعَهُ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: «أَفَلَا تَنْفَسُ رُوحَكَ؟» إِلَى قَوْلِهِ: «يُؤَيِّدُ أَنْ يَنْقُصَ» فَقَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ [هَكَذَا] (٤)،

(١) الطاق: حقد البناء، وجمعه: طيقان، وأطواق - وهو الأزج (بيت بيني طولاً، أو السقف) - وما عقد أهلاء من البناء وبقي ما تحته خالياً.

(٢) أي: من أين السلام في هذه الأرض التي لا يعرف فيها السلام. قال العلماء: «أَنْتَ» تأتي بمعنى: أين، ومتى، وحيث، وكيف.

(٣) أي: بغير أجر، والنول والنوال: المعطاء.

(٤) قوله: فقال الخضر بيده هكذا، أي: أشار بيده فأقامه، وهذا تعبير بالفعل عن القول، وهو شائع.

فأقامه، فقال موسى: قوم أتيناكم فلم يطعمونا، ولم يضيّفونا ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾! ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ...﴾ الآية. هذا حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم في «الصحيحين»<sup>(١)</sup>، وقد ذكرنا إسناده في كتاب «الحداثق» فأثرنا الاختصار هاهنا. فأما التفسير، فقوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَالَ مُوسَى﴾ المعنى: واذكر ذلك. وفي موسى قولان: أحدهما: أنه موسى بن عمران، قاله الأكثرون. ويدل عليه ما روي في «الصحيحين» من حديث سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يزعم أن موسى بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر، قال: كذب عدو الله<sup>(٢)</sup>، أخبرني أبي بن كعب... فذكر الحديث الذي قدمناه آنفًا<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه موسى بن ميثا، قاله ابن إسحاق، وليس بشيء، للحديث الصحيح الذي ذكرناه. فأما فتاه فهو يوشع بن نون من غير خلاف. وإنما سمي فتاه، لأنه كان يلازمه، ويأخذ عنه العلم، ويخدمه. ومعنى ﴿لَا أَبْرَحُ﴾: لا أزال. وليس المراد به: لا أزول، لأنه إذا لم يُزَلْ لم يقطع أرضاً، فهو مثل قولك: ما برحت أناظر عبد الله، أي: ما زلت، قال الشاعر:

إذا أنت لم تبرح تؤذي أمانةً وتحملُ أخرى أفرحتك الودائع<sup>(٤)</sup>

أي: أثقلتك، والمعنى: لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، أي: ملتقاهما، وهو الموضع الذي وعده الله بلقاء الخضر فيه، قال قتادة: بحر فارس، وبحر الروم، فبحر الروم نحو المغرب، وبحر فارس نحو المشرق. وفي اسم البلد الذي بمجمع البحرين قولان: أحدهما: إفريقية، قاله أبي بن كعب. والثاني: طنجة، قاله محمد بن كعب القرظي.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أُنْفِىْ حُفْبًا﴾ وقرأ أبو رزين، والحسن، وأبو مجلز، وقتادة، والجحدري، وابن يعمر: «حُفْبًا» بإسكان الكاف. قال ابن قتيبة: الحُفْبُ: الدَّهْرُ، والجُفْبُ: السُّنُونُ، واحداثها حِفْبَةٌ، ويقال: حُفْبٌ وحُفْبٌ، كما يقال: قُلٌّ وقُلٌّ، وهَزْؤٌ وهَزْؤٌ، وكُفْؤٌ وكُفْؤٌ، وأَكْلٌ وأَكْلٌ، وسُخْتُ وسُخْتُ، ورُغْبٌ ورُغْبٌ، ونُكْرٌ ونُكْرٌ، وأُذُنٌ وأُذُنٌ، وسُخْقٌ وسُخْقٌ، وبُعْدٌ وبُعْدٌ، وشُغْلٌ وشُغْلٌ، وثُلْثٌ وثُلْثٌ، وغُذْرٌ وغُذْرٌ، ونُذْرٌ ونُذْرٌ، وغُمْرٌ وغُمْرٌ. وللمفسرين في المراد بالحُفْبِ هاهنا ثمانية أقوال: أحدها: أنه الدَّهْرُ، قاله ابن عباس. والثاني: ثمانون سنة، قاله عبد الله بن عمرو، وأبو هريرة. والثالث: سبعون ألف سنة، قاله الحسن. والرابع: سبعون سنة، قاله مجاهد. والخامس: سبعة عشر ألف سنة، قاله مقاتل بن حيان. والسادس: أنه ثمانون ألف سنة. كل يوم ألف سنة من عدد الدنيا. والسابع: أنه سنة بلغة قيس، ذكرهما الفراء. والثامن: الحُفْبُ عند العرب وقت غير محدود، قاله أبو عبيدة. ومعنى الكلام: لا أزال أسير، ولو احتجت أن أسير حُفْبًا.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾ يعني: موسى وفتاه «بَجَمَعَ بَيْنَهُمَا» يعني: البحرين «نَسِيَا حُوتَهُمَا» وكانا قد تزودا حوتاً مالحاً في زَبِيلٍ<sup>(٥)</sup> فكانا يصيبان منه عند الغداء والعشاء، فلما انتهيا إلى الصخرة على ساحل البحر وضع فتاه المكتل، فأصاب الحوت بللُ البحر. وقيل: توضع يوشع من عين الحياة فانتضخ على الحوت الماء، فعاش، فتحرك في المكتل، فانسرب في البحر، وقد كان قيل لموسى: تزود حوتاً مالحاً، فإذا فقدته وجدت الرجل. وكان موسى حين ذهب الحوت في البحر قد مضى لحاجة، فعزم فتاه أن يخبره بما جرى فنسي. وإنما قيل: «نسيا حوتيهما» توسعاً في الكلام، لأنهما جميعاً تزوداه، كما يقال: نسي القوم زادهم، وإنما نسيه أحدهم. قال الفراء: ومثله قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الذُّلُوزُ وَالْمَرَمَاتُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وإنما يخرج ذلك من الملح، لا من العذب. وقيل: نسي يوشع أن يحمل الحوت، ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء، فلذلك أضيف النسيان إليهما.

(١) البخاري ١٥٣/١ و٣٠٨/٨ و٣١٠/٤، ومسلم ١٨٤٧/٤، ورواه الترمذي ١٤٣/٧ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) قوله: كذب عدو الله، قال العلماء: هو على وجه الإغلاظ والزجر عن مثل قوله، لا أنه يعتقد أنه عدو الله حقيقة، إنما قاله مبالغة في إنكار قوله: لمخالفته قول رسول الله ﷺ، وكان ذلك في حال غضب ابن عباس، لشدة إنكاره، وحال الغضب تطلق الألفاظ ولا تتراد بها حقائقها.

(٣) البخاري ٣١٠/٨، ومسلم ١٨٤٧/٤.

(٤) البيت لبهس العلوي في «اللسان»: فرح.

(٥) الزَبِيلُ: القَفَّةُ، والجمع: زَبِيلٌ ومثله الزَبِيلُ، والزَبِيلُ، والجمع: زنايل.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ أي: مسلماً ومذهباً. قال ابن عباس: جعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا يس حتى يكون صخرة. وقال قتادة: جعل لا يسلك طريقاً إلا صار الماء جامداً. وقد ذكرنا في حديث أبي بن كعب أن الماء صار مثل الطاق على الحوت.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءُوا﴾ ذلك المكان الذي ذهب فيه الحوت، أصابهما ما يصيب المسافر من النَّصب، فدعا موسى بالطعام، فقال: ﴿لَنَا غَدَاةٌ﴾ وهو الطعام الذي يؤكل بالغداة. والنَّصب: الإعياء. وهذا يدل على إباحة إظهار مثل هذا القول عندما يلحق الإنسان من الأذى والتعب، ولا يكون ذلك شكوى. ﴿قَالَ﴾ يوشع لموسى: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ أي: حين نزلنا هناك ﴿فَلَمَّا نَبِثَ الْحَوْتُ﴾ فيه قولان: أحدهما: نسيث أن أخبرك خبر الحوت. والثاني: نسيث حمل الحوت.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكُنِيهٖ﴾ قرأ الكسائي: «أنسانيه» بإمالة السين [مع كسر الهاء]. وقرأ ابن كثير: «أنسانيه» بإثبات ياء في الوصل بعد الهاء. وروى حفص عن عاصم: «أنسانيه إلا» بضم الهاء [في الوصل].

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ الهاء في السبيل ترجع إلى الحوت. وفي التَّخَذَ قولان. أحدهما: أنه الحوت، ثم في المخبر عنه قولان: أحدهما: أنه الله ﷻ، ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: فاتخذ سبيله في البحر يُري عجباً، ويُحدث عجباً. والثاني: أنه لما قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾، قال: اعجبوا لذلك عجباً، وتنبهوا لهذه الآية. والثالث: أن إخبار الله تعالى انقطع عند قوله: «في البحر» فقال موسى: عجباً، لما شوهد من الحوت. ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري. والثاني: [أن] المُخْبِر عن الحوت يوشع، وصف لموسى ما فعل الحوت. والقول الثاني: أن المتخذ موسى، اتخذ سبيل الحوت في البحر عجباً، فدخل في المكان الذي مرَّ فيه الحوت، فرأى الخضر. وروى عطية عن ابن عباس قال: رجع موسى إلى الصخرة فوجد الحوت، فجعل الحوت يضرب في البحر، ويتبعه موسى، حتى انتهى به إلى جزيرة من جزائر البحر، فلقي الخضر.

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ يعني: موسى ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ أي: ذلك الذي نطلب من العلامة الدالة على مطلوبنا، قرأ ابن كثير: «تبغي» بياء في الوصل والوقف. وقرأ نافع، وأبو عمرو، والكسائي، بياء في الوصل. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، بحذف الياء في الحالين.

قوله تعالى: ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا﴾ قال الزجاج: أي: رجعا في الطريق الذي سلكاه، يقصَّان الأثر، والقَصَص: اتَّباع الأثر.

قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ يعني: الخضر. وفي اسمه أربعة أقوال: أحدها: اليسع، قاله وهب، ومقاتل. والثاني: الخضر بن عاميا. والثالث: أرميا بن حلفيا، ذكرهما ابن المنادي. والرابع: بليا بن ملكان، ذكره علي بن أحمد النيسابوري. فاما تسميته بالخضر، ففيه قولان: أحدهما: أنه جلس في فروة بيضاء فاخضرت، رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. والفروة: الأرض اليابسة. والثاني: أنه كان إذا جلس اخضر ما حوله، قاله عكرمة. وقال مجاهد: كان إذا صلى اخضر ما حوله. وهل كان الخضر نبياً، أم لا؟ فيه قولان، ذكرهما أبو بكر بن الأنباري، وقال: كثير من الناس يذهب إلى أنه كان نبياً<sup>(٢)</sup>، وبعضهم يقول: كان عبداً صالحاً. واختلف العلماء هل هو باقي إلى يومنا هذا، على قولين حكاهما الماوردي، وكان الحسن يذهب إلى أنه مات، وكذلك كان ابن المنادي من أصحابنا

(١) روى الإمام أحمد في «المسند» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ في الخضر قال: «إنما سمي خضراً، لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من تحته خضراء» وجاء في «صحيح البخاري» ٣٠٩/٦ عن همام عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إنما سمي الخضر، لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء». قال ابن كثير: والمراد بالفروة هاهنا: الحشيش اليابس، وهو الهشيم من النبات.

(٢) قال ابن كثير ٩٩/٣ عند قوله تعالى على لسان الخضر ﷺ: ﴿وَمَا كُنَّا عَنْهُ غَافِلِينَ﴾ وما فعلته من أمري، لكني أمرت به، ووقفت عليه، وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر ﷺ، مع ما تقدم من قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا عَلَيْهِ تَسْمِيَةٌ مِّنْ عِندِ رَبِّهِ وَكَانَ مِن لَّدُنَّا عَلَمًا﴾. وقال الآلوسي في «روح المعاني» ٢٩٣/١٥: الجمهور على أنه نبي.



بشبهه وأنكر عليه ما فعل بقوله: ﴿أَلَمْ نَقُلْ لِّلْعِزِّ أَلْهَلْهَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «لَتُغْرِقَ» بالتاء «أَلْهَلْهَا» بالنصب. وقرأ حمزة، والكسائي: «لَيَغْرِقَ» بالياء «أَلْهَلْهَا» برفع اللام. ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْسًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: منكر، قاله مجاهد. وقال الزجاج: عظيماً من المنكر. والثاني: عجباً، قاله قتادة. وابن قتيبة. والثالث: داهية، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿لَا تُؤَاخِذُنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ في هذا النسيان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه على حقيقته، وأنه نسي، روى ابن عباس عن رسول الله ﷺ: «أن الأولى كانت نسياناً من موسى»<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه لم ينس، ولكنه من معاريض الكلام، قاله أبي بن كعب، وابن عباس. والثالث: أنه بمعنى التَّرك. فالمعنى: لا تؤاخذني بما تركته مما عاهدتك عليه، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُهِنِّي﴾ قال الفراء: لا تُعجلني. وقال أبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج: لا تُغشني. قال أبو زيد: يقال: أوهقته عسراً: إذا كلفته ذلك. قال الزجاج: والمعنى: عاملني باليسر، لا بالعسر. قوله تعالى: ﴿فَأَسْلَفْنَا﴾ يعني: موسى والخضر. قال الماوردي: يحتمل أن يوشع تأخر عنهما، لأن الإخبار عن اثنين، ويحتمل أن يكون معهما ولم يذكر لأنه تَبِعَ لموسى، فاقصر على حكم المتبوع.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَبَّىٰ غُلَامٌ﴾ اختلفوا في هذا الغلام هل كان بالغاً، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه لم يكن بالغاً، قاله ابن عباس، ومجاهد، والأكثرون. والثاني: أنه كان شاباً قد قبض على لحيته، حكاه الماوردي عن ابن عباس أيضاً، واحتج بأن غير البالغ لم يَجِرْ عليه قلم، فلم يستحق القتل. وقد يُسَمَّى الرجلُ غلاماً، قالت ليلي الأخيلية تملح الحجاج:

[شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْمُضَالِ الَّذِي بِهَا] غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقِنَاءَ سَقَاهَا<sup>(٢)</sup>

وفي صفة قتله له ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اقتلع رأسه، وقد ذكرناه في حديث أبي. والثاني: كسر عنقه، قاله ابن عباس. والثالث: أضجعه وذبحه بالسكين، قاله سعيد بن جبيرة.

قوله تعالى: ﴿أَمَلْتُ نَفْسًا رَّكِيَةً﴾ قرأ الكوفيون، وابن عامر: «زَكِيَّة» بغير ألف، والياء مشددة. وقرأ الباقون بالألف من غير تشديد. قال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد، وهما بمنزلة القامية، والقسيّة. وللمفسرين فيها ستة أقوال: أحدها: أنها الثابتة، روي عن ابن عباس أنه قال: الزكية: الثابتة، [وبه] قال الضحاك. والثاني: أنها المسلمة، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنها الزكية التي لم تبلغ الخطايا، قاله سعيد بن جبيرة. والرابع: أنها الزكية النامية، قاله قتادة. وقال ابن الأنباري: القومية في تركيبها. والخامس: أن الزكية: المطهرة، قاله أبو عبيدة. والسادس: أن الزكية: البريئة التي لم يظهر ما يوجب قتلها، قاله الزجاج. وقد فُرق بعضهم بين الزاكية، والزكِيَّة، فروي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: الزاكية: التي لم تَلْذَبْ قَطُّ، والزكية: التي أذْنِبَتْ ثم تابَتْ. وروي عن أبي عبيدة أنه قال: الزاكية في البدن، والزكية في الدين.

قوله تعالى: ﴿يَغْيُرُ فَنِينَ﴾ أي: بغير قتل نفس ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «نُكْرًا» خفيفة في كل القرآن، إلا قوله: ﴿إِلَّا شَيْءٌ نُّكْرٌ﴾ [النمر: ٦١]، وخفف ابن كثير أيضاً: «إلى شيء نُكْر». وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «نُكْرًا» «إلى شيء نُكْر» مثقل. والمخفف إنما هو من المثقل، كالعُنُق، والعُنُق، والنُّكْر، والنُّكْر، قال الزجاج: والمعنى: لقد آتيت شيئاً نُكْرًا. ويجوز أن يكون معناه: جئت بشيء نكر، فلما حذف الباء، أفضى الفعل فنصب نُكْرًا، و«نُكْرًا» أقل منكرًا من قوله: «إمراً» لأن تغريق مَنْ في السفينة كان عنده أنكر من قتل نفس واحدة.

(١) هذه قطعة من الحديث الطويل الذي تقدم سابقاً في ٨٥٩ - ٨٦٠.

(٢) الأغاني طبع الدار ٢٤٨/١١، والقرطبي ٢١/١١، والبحر المحيط ١٥٠/٦، و«روح المعاني» ٣١٠/١٥، وقوله:

إِذَا نَزَلَ الْحَجَّاجُ أَرْضاً مِّنْ بَنِي تَبَّعٍ أَقْسَمَى دَائِهَا فَنَفَاهَا.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ﴾. إن قيل: لم ذكر «لك» هاهنا، واختزله من الموضع الذي قبله؟ فالجواب: أن إثباته للتوكيد، واختزله لوضوح المعنى، وكلاهما معروف عند الفصحاء. تقول العرب: قد قلت لك: اتق الله. وقد قلت لك: يا فلان اتق الله، وأنشد ثعلب.

قد كنتَ حَزَرْتُكَ آلَ الْمُضْطَلِّقِ  
وقلتُ: يا هَذَا أَطْعَمَنِي وَأَنْطَلِقُ  
فقوله: يا هذا، توكيد لا يختل الكلام بسقوطه. وسمعت الشيخ أبا محمد الخشاب يقول: وقره في الأول، فلم يواجه بكاف الخطاب، فلما خالف في الثاني، واجهه بها.

قوله تعالى: ﴿إِنْ سَأَلْتَهُ عَن شَيْءٍ﴾ أي: سؤال توبيخ وإنكار ﴿بَعْدَهَا﴾ أي: بعد هذه المسألة ﴿فَلَا تُصِجْنِي﴾ وقرأ كذلك معاذ القارئ، وأبو نهيك، وأبو المتوكل، والأعرج، إلا أنهم شدّدوا النون. قال الزجاج: ومعناه: إن طلبت صحتك فلا تتابعني على ذلك. وقرأ أبي بن كعب، وابن أبي عبله، ويعقوب: ﴿فَلَا تُصِجْنِي﴾ بفتح التاء من غير ألف. وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، والأعمش كذلك، إلا أنهم شدّدوا النون. وقرأ أبو رجاء، وأبو عثمان النهدي، والنخعي، والجحدري: ﴿تُصِجْنِي﴾ بضم التاء، وكسر الحاء، وسكون الصاد والباء. قال الزجاج: فيهما وجهان: أحدهما: لا تتابعني في شيء ألتسمه منك. يقال: قد أصحب المهر: إذا انقاد. والثاني: لا تصحني علماً من علمك. ﴿فَدَلَّكَ مِن لَّدُنِّي﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: ﴿مِن لَّدُنِّي﴾ مثقل. وقرأ نافع: ﴿مِن لَّدُنِّي﴾ بضم الدال مع تخفيف النون. وروى أبو بكر عن عاصم: ﴿مِن لَّدُنِّي﴾ بفتح اللام مع تسكين الدال. وفي رواية أخرى عن عاصم: ﴿لَّدُنِّي﴾ بضم اللام وتسكين الدال. قال الزجاج: وأجودها تشديد النون، لأن أصل «لذن» الإسكان، فإذا أضفتها إلى نفسك زدت نوناً، ليسلم سكون النون الأولى، تقول: من لدن زيد، فتسكن النون ثم تضيف إلى نفسك، فتقول: من لدنّي، كما تقول: عن زيد وعني. فأما إسكان دال «لذنّي» فإنهم أسكنوها، كما تقول في عَصُد: عَصُد، فيحذفون الضم. قال ابن عباس: يريد: إنك قد أعذرت فيما بيني وبينك، يعني: أنك قد أخبرتني أنني لا أستطيع معك صبراً.

قوله تعالى: ﴿فَأَنطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها أنطاكية، قاله ابن عباس. والثاني: الأبلّة، قاله ابن سيرين. والثالث: باجروان، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَسْتَقْلَمَ أَهْلُهَا﴾ أي سألهم الضيافة ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيَّفُوهُمْ﴾ روى المفضل عن عاصم: «يُضَيَّفُوهُمْ» بضم الياء الأولى وكسر الضاد وتخفيف الياء الثانية. وقرأ أبو الجوزاء كذلك، إلا أنه فتح الياء [الأولى] وقرأ الباقون: «يُضَيَّفُوهُمْ» بفتح الضاد وتشديد الياء الثانية وكسرها. قال أبو عبيدة: ومعنى يضيّفوهما: ينزلوهما منزل الأضياف، يقال: ضيفت أنا، وأضافني الذي يُنزلني. وقال الزجاج: يقال: ضيف الرجل: إذا نزلت عليه، وأضفته: إذا أنزلته وقرّيته. وقال ابن قتيبة: [يقال]: ضيفت الرجل: إذا أنزلته منزلة الأضياف، ومنه هذه الآية، وأضفته: أنزلته، وضيّفته: نزلت عليه. وروى أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال: «كانوا أهل قرية لثاماً»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَرَجَا فِيهَا جَذَارًا﴾ أي: حائطاً. قال ابن فارس: وجمعه جُذُر، والجذُر: أصل الحائط. ومنه حديث الزبير: «ثم دع الماء يرجع إلى الجذُر»<sup>(٢)</sup>، والجيدر: القصير.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَمْلِكُ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو رجاء: «ينقاص» بآلف ممدودة، وضاد معجمة؛ وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، وأبو عثمان النهدي: «ينقاص» بآلف ومدة وضاد غير معجمة، وكله بلا تشديد. قال الزجاج: فمعنى: ينقص: يسقط بسرعة، وينقص - غير معجمة: ينشق طولاً، يقال: انقاصت سيّته: إذا انشقت. قال ابن مقسم: انقاصت سيّته، وانقاضت - بالصاد، والضاد - على معنى واحد. فإن قيل: كيف نسبت الإرادة إلى ما لا يعقل؟ فالجواب: أن هذا على وجه المجاز تشبيهاً بمن يعقل، ويريد: لأن هيئته في التهويل للوقوع قد ظهرت كما يظهر

(١) رواه مسلم ١٨٥٢/٤ بلفظ «حتى إذا أتيا أهل قرية لثاماً» وهو قطعة من حديث طويل.

(٢) في البخاري ٢٢٧/٥: «اسق يا زبير ثم اجس حتى يبلغ الجذر» وهو في «النسائي» ١٣٩/٨، وهو جزء من حديث طويل.

من أفعال المريدين القاصدين، فوصف بالإرادة إذ كانت الصورتان واحدة، وقد أضافت العرب الأفعال إلى ما لا يعقل تجوُّزاً، قال الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَصْفُ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، والغضب لا يسكت، وإنما يسكت صاحبه، وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١]، وأنشدوا من ذلك:

إِنْ دَفَعْنَا يَلْفَ شَمْلِي بِجُمْلٍ      لَزَمَانَ يَهُمُّ بِالْإِخْسَانِ<sup>(١)</sup>  
وقال آخر:

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَنْزَ أَبِي بَرَاءٍ      وَيَرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلِ<sup>(٢)</sup>  
وقال آخر:

ضَحَكُوا وَالدَّهْرُ عَنْهُمْ سَاكِتٌ      نِمَ أَبْكَاهُمْ دَمَاءُ لَمَّا نَطَقُوا  
وقال آخر:

يَشْكُو إِلَيَّ جَمْلِي طَوْلَ السُّرَى      [صَبْرًا جَمِيلًا فَكَلَنَّا مُبْتَلَى]<sup>(٣)</sup>  
وهذا كثير في أشعارهم.

قوله تعالى: ﴿فَأَنكَمَتْ﴾ أي: سواه، لأنه وجده مائلاً. وفي كيفية ما فعل قولان: أحدهما: أنه دفعه بيده فقام. والثاني: هلمه ثم قعد بينه، روي القولان عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «لَتَّخَذْتَ» بكسر الخاء، غير أن أبا عمرو كان يدغم الذال، وابن كثير يظهرها. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «لَا تَتَّخَذْتَ» وكلهم أدغوا، إلا حفصاً عن عاصم، فإنه لم يدغم مثل ابن كثير. قال الزجاج: يقال: تَخَذَ يَتَّخِذُ في معنى: اتَّخَذَ يَتَّخِذُ. وإنما قال له هذا، لأنهم لم يضيفوها.

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ يعني: الخضر ﴿هَذَا﴾ يعني: الإنكار عَلَيَّ ﴿فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ أي: هو المَفْرُقُ بيننا. قال الزجاج: المعنى: هذا فِرَاقُ بَيْنَا، أي: فراق اتصالنا، وكرر «بين» توكيداً، ومثله في الكلام: أخزى الله الكاذب مني ومنك. وقرأ أبو رزين، وابن السميع، وأبو العالية، وابن أبي عبيدة: «هذا فِرَاقُ» بالتثنية «بيني وبينك» بنصب النون.

قال ابن عباس: كان قول موسى في السفينة والغلام، لرأيه، وكان قوله في الجدار، لنفسه، لطلب شيء من الدنيا ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أُبْيَها وَكَانَ رَبُّهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ ﴿وَأَمَّا الْفُلُّ فَكَانَ آوَاهُ مَوْئِينَ فَخَشِينَا أَنْ يَرْعَها طُفَيْنَا وَكُفِّرَا﴾ ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا كُنَّا عَنْ ذَلِكَ تَأْوِيلًا مَا لَمْ نَسْمَعْ عَلَيْهِ صَرًا﴾

﴿كَانَتْ لِمَسْكِينٍ﴾ في المراد بمسكتهم قولان: أحدهما: أنهم كانوا ضعفاء في أكسابهم. والثاني: في أبدانهم. وقال كعب: كانت عشرة إخوة، خمسة زمنى، وخمسة يعملون في البحر.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْدَتْ أَنْ أُبْيَها﴾ أي: أجعلها ذات عيب، يعني بخرقها، ﴿وَكَانَ رَبُّهُم﴾ فيه قولان: أحدهما: أمامهم، قاله ابن عباس، وقتادة، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. وقرأ أبي بن كعب، وابن مسعود: «وكان أمامهم مَلِكٌ». والثاني: خلفهم؛ قال الزجاج: وهو أجود الوجهين. فيجوز أن يكون رجوعهم في طريقهم كان عليه، ولم يعلموا بخبره، فأعلم الله تعالى الخضر خبره.

(١) البيت غير منسوب في «تأويل مشكل القرآن» ١٠٠، و«الطبري» ٢٨٩/١٥، و«القرطبي» ٢٦/١١، و«أمالى المرتضى» ٥٥/٤، و«الصناعتين» ٢١٤، و«اللسان» و«التاج»: دهر، وقد نسب الألويسي في «روح المعاني» ٦/١٦ إلى حسان بن ثابت ولم نجده في ديوانه.

(٢) البيت في «تأويل مشكل القرآن» ١٠٠، و«مجاز القرآن» ٤١٠/١، ونسبه محققه للحارثي، و«الطبري» ٢٨٩/١٥، و«الصناعتين» ٢١٢، و«اللسان»: رود، و«القرطبي» ٢٦/١١، ونسبه الزمخشري في «الكشاف» ٣٩٨/٢ للراعي.

(٣) الرجز غير منسوب في «مجاز القرآن» ٣٠٣/١، و«تأويل مشكل القرآن» ٧٩، و«الطبري» ٢٨٩/١٥، و«القرطبي» ١٥٢/٩، و«اللسان» و«التاج»: شكاً.

قوله تعالى: ﴿يَأْخُذْ كُلُّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ أي: كل سفينة صالحة. وفي قراءة أبيّ [بن كعب]: «كُلُّ سَفِينَةٍ صَحِيحَةٍ». قال الخضر: إنما خرجتها، لأن الملك إذا رآها منخرقة تركها ورقعها أهلها فانتفعوا بها.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْفُلُّ﴾ روي عن ابن عباس أنه كان يقرأ: «وأما الغلام فكان كافراً». وروى أبيّ بن كعب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً، ولو عاش لأرقت أبويه طغياناً وكفراً»<sup>(١)</sup>. قال الربيع بن أنس: كان الغلام على الطريق لا يمر به أحد إلا قتله أو غصبه، فیدعو ذلك عليه وعلى أبويه. وقال ابن السائب: كان الغلام لصاً، فإذا جاء من يطلبه حلف أبواه أنه لم يفعل.

قوله تعالى: ﴿فَنَحْنُ بَيْنَهُمَا﴾ في القائل لهذا قولان: أحدهما: الله عز وجل. ثم في معنى الخشية المضافة إليه قولان: أحدهما: أنها بمعنى: العلم. قال الفراء: معناه: فعلنا. وقال ابن عتيق: المعنى: فعلنا فعل الخاشي. والثاني: الكراهة، قاله الأخفش، والزجاج. والثاني: أنه الخضر، فتكون الخشية بمعنى الخوف للأمر المتوهم، قاله ابن الأنباري. وقد استدلل بعضهم على أنه من كلام الخضر بقوله: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾. قال الزجاج: المعنى: فأراد الله، لأن لفظ الخبر عن الله تعالى هكذا أكثر من أن يحصى. ومعنى ﴿يُبْدِلُهُمَا﴾: يحملهما على الزهق، وهو الجهل. قال أبو عبيدة: «يُبْدِلُهُمَا»: يغييها. قال سعيد بن جبیر: خشينا أن يحملهما حبه على أن يدخلنا في دينه. وقال الزجاج: فرحا به حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فرضي امرؤ بقضاء الله<sup>(٢)</sup>، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره، خير له من قضائه فيما يحب.

قوله تعالى: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: «أَنْ يُبْدِلَهُمَا» بالتخفيف. وقرأ نافع، وأبو عمرو بالتشديد.

قوله تعالى: ﴿حَبَرَكُنْ مِنْ رَكْوَةٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ديناً، قاله ابن عباس. والثاني: عملاً، قاله مقاتل. والثالث: صلاحاً، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «رُحْمًا» ساكنة الحاء، وقرأ ابن عامر: «رُحْمًا» مثقلة. وعن أبي عمرو كالفراءتين. وقرأ ابن عباس، وابن جبیر، وأبو رجاء: «رُحْمًا» بفتح الراء، وكسر الحاء. وفي معنى الكلام قولان. أحدهما: أوصل للرحم وأبّر للوالدين، قاله ابن عباس، وقتادة. وقال الزجاج: أقرب عطفاً، وأمس بالقربة. ومعنى الرُحْم والرُّحْم في اللغة: العطف والرحمة، قال الشاعر:

وكيف بظلم جاريةٍ ومنها اللين والرُّحْم<sup>(٣)</sup>

والثاني: أقرب أن يُرْحَمَ به، قاله الفراء. وفيما بُدِّلَ به قولان: أحدهما: جارية، قاله الأكثرون. وروى عطاء عن ابن عباس، قال: أبدلها به جارية ولدت سبعين نبياً. والثاني: غلام مسلم، قاله ابن جريج.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْبَلَدُ فَأَنَّ الْفُلَيْنِ يَسْتَمِينَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ يعني: القرية المذكورة في قوله: ﴿أَيُّهَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾، قال مقاتل: واسمها: أصرم، وصريم.

قوله تعالى: ﴿رَكَاتٍ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان ذهباً وفضة، رواه أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>. وقال الحسن، وعكرمة، وقتادة: كان مالا. والثاني: أنه كان لوحاً من ذهب، فيه مكتوب: عجباً لمن أيقن بالقدر ثم هو يُنْصَب، عجباً لمن أيقن بالنار كيف يضحك، عجباً لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، عجباً لمن يوقن بالرزق كيف يتعب، عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها،

(١) رواء مسلم في «صحيحه» ٢٠٥٠/٤، وأبو داود في «سننه» (٤٧٠٥)، والترمذي في «جامعه» ١٤٤/٢، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٣٧/٤ وزاد نسبه لعبد الله بن أحمد في «زوائد المستند»، وابن مردويه.

(٢) في «الطبري»، وابن كثير عن قتادة: فليرض امرؤ بقضاء الله.

(٣) البيت غير منسوب في «مجاز القرآن» ٤١٣/١، و«الطبري» ٣٧/١١، و«اللسان» و«التاج»: رحم.

(٤) رواء الترمذي: ١٤٤/٢ من حديث مكحول عن أم الدرداء عن أبي الدرداء، ورواه الحاكم أيضاً عن أبي الدرداء.



أنا الله الذي لا إله إلا أنا، محمد عبدي ورسولي؛ وفي الشق الآخر: أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقته للخير وأجرته على يديه، والويل لمن خلقته للشر وأجرته على يديه، رواه عطاء عن ابن عباس. قال ابن الأنباري: فسُمي كثرًا من جهة الذهب، وجعل اسمه هو المغلب. والثالث: كنز علم، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال مجاهد: صُحِف فيها عِلْم، وبه قال سعيد بن جبير، والسدي. قال ابن الأنباري: فيكون المعنى على هذا القول: كان تحته مثل الكنز، لأنه يُتَعَجَّل من نفعه أفضل مما يُنال من الأموال. قال الزجاج: والمعروف في اللغة: أن الكنز إذا أُفرد، فمعناه: المال المدفون المدخر، فإذا لم يكن المال، قيل: عنده كنز علم، وله كنز فهم، والكنز هاهنا بالمال أشبه، وجائز أن يكون الكنز كان مالا، مكتوب فيه علم، على ما روي، فهو مال وعِلْم عظيم.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ قال ابن عباس: حُفِظا بصلاح أبيهما، ولم يذكر منهما صلاحاً. وقال جعفر بن محمد: كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء. وقال مقاتل: كان أبوهما ذا أمانة.

قوله تعالى: ﴿فَارَادَ رَبُّكَ﴾ قال ابن الأنباري: لما كان قوله: «فأردت» و«أردنا» كل واحد منهما يصلح أن يكون خبراً عن الله ﷻ، وعن الخضر، أتبعهما بما يحصر الإرادة عليه، ويزيلها عن غيره، ويكشف البُغية من اللفظتين الأوليين. وإنما قال: «فأردت» «فأردنا» «فأراد ربك»، لأن العرب تؤثر اختلاف الكلام على اتِّفَاقه مع تساوي المعاني، لأنه أعذب على الألسن، وأحسن موقعاً في الأسماع، فيقول الرجل: قال لي فلان كذا، وأنبأني بما كان، وخبرني بما نال. فاما «الأشد» فقد سبق ذكره في مواضع [الأنعام: ١٥٢، يونس: ٢٢، والإسراء: ٢٤] ولو أن الخضر لم يُقِم الحائط لَنُقِص وأخذ ذلك الكنز قبل بلوغهما.

قوله تعالى: ﴿رَحِمَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: رحمهما الله بذلك. ﴿وَمَا قُلْتُ عَنْ أَمْرِ﴾ قال قتادة: كان عبداً مأموراً<sup>(١)</sup>.

فأما قوله: ﴿قَطَعُ﴾ فإن «استطاع» و«اسطاع» بمعنى واحد.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْيَتَيْنِ قُلْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُمَا فِي الْقُرْآنِ وَإِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْهُمَا فِي الْقُرْآنِ وَإِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْهُمَا فِي الْقُرْآنِ وَإِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْهُمَا فِي الْقُرْآنِ﴾<sup>(٢)</sup> قال ابن عباس: حَرَجَ إِذَا بَلَغَ مَقَرَّبَ الشَّمْسِ وَيَدَّهَا قَرُبُ فِي حَتَبٍ حَتَمَ وَجَدَّ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا بِنَا الْقَرْيَتَيْنِ إِنَّمَا أَنْ نَعَذِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ نَجْزِيَهُمْ حُسْنًا<sup>(٣)</sup> قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا<sup>(٤)</sup> وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ لَمْ يَسْأَلْ لَمْ يَنْ أَمْرًا يُسْرًا<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْيَتَيْنِ﴾ قد ذكرنا سبب نزولها عند قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾<sup>(٦)</sup> [الإسراء: ٨٥]. واختلفوا في اسم ذي القرنين على أربعة أقوال: أحدها: عبد الله، قاله علي بن عباس، وروي عن ابن عباس أنه عبد الله بن الضحاك. والثاني: الإسكندر، قاله وهب. والثالث: عيَّاش، قاله محمد بن علي بن الحسين. والرابع: الصعب بن جابر بن القلمس، ذكره ابن أبي خيثمة. وفي علّة تسميته بذوي القرنين عشرة أقوال: أحدها: أنه دعا قومه إلى الله تعالى، فضربوه على قرنه فهلك، فغير زماناً، ثم بعثه الله، فدعاهم إلى الله فضربوه على قرنه الآخر فهلك، فذائك قرناه، قاله علي بن عباس. والثاني: أنه سمي بذوي القرنين، لأنه سار إلى مغرب الشمس وإلى مطلعها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس. والرابع: لأنه رأى في المنام كأنه امتد من السماء إلى الأرض وأخذ بقرني الشمس، فقَصَّ ذلك على قومه، فسُمي بذوي القرنين. والخامس: لأنه مَلَكُ الروم وفارس. والسادس: لأنه كان في رأسه شبه القرنين، رويت هذه الأقوال الأربعة عن وهب بن منبه. والسابع: لأنه كانت له غديرتان من شعر، قاله الحسن. قال ابن الأنباري: والعرب تسمي الضفيرتين من الشعر غديرتين، وجميرتين، وقرنين؛ قال: ومن قال: سمي بذلك لأنه ملك فارس والروم، قال: لأنهما عاليان على جانبيين من الأرض يقال لهما: قرنان. والثامن: لأنه كان كريم الطرفين من أهل بيت ذوي شرف. والتاسع: لأنه انقرض في زمانه قرنان من الناس، وهو حي. والعاشر: لأنه سلك الظلمة والنور، ذكر هذه الأقوال الثلاثة أبو إسحاق الثعلبي. واختلفوا هل كان

(١) وهذا يدل على أنه كان نبياً، وأن ما صدر منه كان بوحي من الله ﷻ. قال الطبري: وما فعلت يا موسى جميع الذي رأيته فعلته، عن رأيي ومن تلقاه نفسي، وإنما فعلته عن أمر الله إلهي به.

(٢) انظر القول الثاني في الصفحة (٨٢٩).



[الحاقة: ٥١] ﴿وَبَيْنَ الْقَيْمَةِ﴾ [البينة: ٥] ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ [النحل: ٣٠] قال أبو علي الفارسي: المعنى: فله جزءا الخلائط الحسنی، لأن الإيمان والعمل الصالح خلال. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف، ويعقوب: «جزاء» بالنصب والتنوين؛ قال الزجاج: وهو مصدر منصوب على الحال، المعنى: فله الحسنی مَجْزِيًّا بها جزءا. وقال ابن الأنباري: وقد يكون الجزء غير الحسنی إذا تأوّل الجزء بأنه الثواب؛ والحسنی: الحسننة المكتسبة في الدنيا، فيكون المعنى: فله ثواب ما قدّم من الحسنات.

قوله تعالى: ﴿وَسَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرًا يَمُرُّ﴾ أي: نقول له قولاً جميلاً.

﴿ثُمَّ أُنْجِ سَيِّئًا﴾ ٨٩ ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوِيٍّ لَّزٍ يَجْعَلُ لَهُمْ يَمِينًا وَبُيُوتًا يَنْتَرُكُهَا﴾ ٩٠ ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ ٩١

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أُنْجِ سَيِّئًا﴾ ٨٩ ﴿أي: طريقاً آخر يوصله إلى المشرق. قال قتادة: مضى يفتح المدائن ويجمع الكنوز ويقتل الرجال إلا من آمن حتى أتى مطلع الشمس فأصاب قوماً في أسرابٍ عراء، ليس لهم طعام إلا ما أحرقت الشمس إذا طلعت، فإذا توسطت السماء خرجوا من أسرابهم في طلب معاشهم مما أحرقت الشمس. وبلغنا أنهم كانوا في مكان لا يثبت عليه بنيان، فيقال: إنهم الزنج. قال الحسن: كانوا إذا غربت الشمس خرجوا يترافعون كما يترافى الوحش. وقرأ الحسن، ومجاهد، وأبو مجلز، وأبو رجاء، وابن محيصن: «مَطْلَعُ الشمس» بفتح اللام. قال ابن الأنباري: ولا خلاف بين أهل العربية في أن المَطْلِع، والمَطْلَع كلاهما يعني بهما المكان الذي تطلع منه الشمس. ويقولون: ما كان على قَعْلٍ يُفْعَل، فالمصدر واسم الموضع يأتيان على المَفْعَل، كقولهم: المَذْخَل، للدخول، والموضع الذي يَدْخُل منه، إلا أحد عشر حرفاً جاءت مكسورة إذا أريد بها المواضع، وهي: المَطْلِع، والمَسْكِن، والمَنْشِك، والمَشْرِق، والمَغْرِب، والمسجد، والمنبت، والمَجْزِر، والمَفْرَق، والمسْفُط، والمَهْلِل، الموضع الذي تضع فيه الناقة؛ وخمسة من هؤلاء الأحد عشر حرفاً شُع فيهن الكسر والفتح: المَطْلِع، والمَطْلَع. والمَنْشِك، والمَنْسَك. والمَجْزِر، والمَجْزَر. والمَسْكِن، والمَسْكَن. والمنبت، والمنبت؛ فقرأ الحسن على الأصل من احتمال المَفْعَل الوجهين الموصوفين [بفتح العين وكسرهما]، وقراءة العامة على اختيار العرب وما كثر على ألسنتها، وخصت المَوْضِع بالكسر، وآثرت المصدر بالفتح. قال أبو عمرو: المَطْلِع، بالكسر: الموضع الذي تطلع فيه؛ والمَطْلَع، بالفتح: الطَّلوع؛ قال ابن الأنباري: هذا هو الأصل، ثم إن العرب تسع فتجعل الاسم نائباً عن المصدر، فيقروون: «حَتَّىٰ مَطْلِعَ الْفَجْرِ» [القدر: ٥] بالكسر وهم يعنون الطَّلوع؛ ويقرأ من قرأ «مَطْلِعَ الشَّمْسِ» بالفتح على أنه موضع بمنزلة المدخل الذي هو اسم للموضع الذي يدخل منه.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها. والثاني: أنبع سبباً كما أنبع سبباً. والثالث: كما وجد أولئك عند مغرب الشمس وحكم فيهم، كذلك وجد هؤلاء عند مطلعها وحكم فيهم. والرابع: أن المعنى: كذلك أمرهم كما قصصنا عليك؛ ثم استأنف فقال: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ أي: بما عنده ومعه من الجيوش والعدد. وحكى أبو سليمان الدمشقي: «بما لديه» أي: بما عند مطلع الشمس. وقد سبق معنى الخُبْر [الكهف: ٦٨].

﴿ثُمَّ أُنْجِ سَيِّئًا﴾ ٩١ ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ ٩٢ ﴿قَالُوا يَدَنَا الْقَرْيَتَانِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُؤَيَّدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ جَعَلَ لَكَ حَرَمًا عَلَيْنَا أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ سَدًّا﴾ ٩٣ ﴿قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَمِينُونِي بِقَوْلِي أَجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ ٩٤ ﴿مَأْثُورٌ ذِكْرَ الْحَبِيبِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَيْنَا بَيْنَ السَّدَّيْنِ قَالَ أَنْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ مَأْثُورٌ أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ ٩٥ ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُمْ نَجًّا﴾ ٩٦ ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي إِذَا جَاءَهُ وَعَدَ رَبِّي جَعَلَهُ دَكًّا وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ ٩٧

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أُنْجِ سَيِّئًا﴾ ٩١ ﴿أي: طريقاً ثالثاً بين المشرق والمغرب﴾ ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ قال وهب بن منبه: هما جبلان منيفان في السماء، من ورائهما البحر، ومن أمامهما البلدان، وهما بمنقطع أرض الترك مما يلي بلاد أرمينية. وروى عطاء الخراساني عن ابن عباس قال: الجبلان من قِلِّ أرمينية وأذربيجان. واختلف القراء في «السَّدَّيْنِ»

فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم بفتح السين. وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، وحمزة، والكسائي بضمها. وهل المعنى واحد، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه واحد. قال ابن الأعرابي: كل ما قابلك فسداً ما وراءه، فهو سداً، وسداً، نحو: الضعف، والضعف، والفقر والفقر. قال الكسائي، وثعلب: السد والسد لغتان بمعنى واحد، وهذا مذهب الزجاج. والثاني: أنهما يختلفان. وفي الفرق بينهما قولان: أحدهما: أن ما هو من فعل الله تعالى فهو مضموم، وما هو من فعل آدميين فهو مفتوح، قاله ابن عباس، وعكرمة، وأبو عبيدة. قال الفراء: وعلى هذا رأيت المشيخة وأهل العلم من النحويين. والثاني: أن السد، بفتح السين: الحاجز بين الشيتين، والسد، بضمها: الغشاوة في العين، قاله أبو عمرو بن العلاء.

قوله تعالى: ﴿يَجِدُ مِنْ ذُنُوبِهِمْ﴾ يعني: أمام السدين ﴿قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «يَفْقَهُونَ قَوْلًا» بفتح الياء، أي: لا يكادون يفهمونه. قال ابن الأنباري: قال اللغويون: معناه أنهم يفهمون بعد إبطاء، وهو كقوله: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْقَهُونَ﴾ [البقرة: ٧١]. قال المفسرون: وإنما كانوا كذلك لأنهم لا يعرفون غير لغتهم. وقرأ حمزة، والكسائي: «يَفْقَهُونَ» بضم الياء، أراد: يُفْهِمُونَ غيرهم. وقيل: كلّم ذا القرنين عنهم مترجمون ترجموا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُجَ وَيَأْجُجَ﴾ هما: اسمان أعجميان، وقد همزهما عاصم. قال الليث: الهمز لغة رديئة. قال ابن عباس: يأجوج رجل، ومأجوج رجل، وهما ابنا يافث بن نوح ﷺ، يأجوج ومأجوج عشرة أجزاء، وولد آدم كلهم جزء، وهم شبر وشبران وثلاثة أشبار. وقال عليّ ﷺ: منهم من طوله شبر، ومنهم من هو مُفْطَر في الطول، ولهم من الشعر ما يواريه من الحرّ والبرد. وقال الضحاك: هم جبل من الثرك. وقال السدي: الثرك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت تغير، فجاء ذو القرنين فضرب السد، فبقيت خارجه. وروى شقيق عن حذيفة، قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج، فقال: «يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة ألف» أمة، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر بين يديه من ضلّبه كلّ قد حمل السلاح؛ قلت: يا رسول الله، صِفْهُمْ لَنَا، قال: «هم ثلاثة أصناف، صنف منهم أمثال الأرز؛ قلت: يا رسول الله: وما الأرز؟ قال: شجر بالشام، طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء؛ وصنف منهم عرضه وطوله سواء، عشرون ومائة ذراع، وهؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه، ويلتحف بالأخرى ولا يمزون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدّمهم بالشام، وساقّتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يُنْذِرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ في هذا الفساد أربعة أقوال: أحدها: أنهم كانوا يفعلون فعل قوم لوط، قاله وهب بن منبه. والثاني: أنهم كانوا يأكلون الناس، قاله سعيد بن عبد العزيز. والثالث: يُخْرِجون إلى الأرض الذين شَكَّوْا منهم أيام الربيع، فلا يدعون شيئاً أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه إلى أرضهم، قاله ابن السائب. والرابع: كانوا يقتلون الناس، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «خَرْجًا» بغير ألف. وقرأ حمزة، والكسائي: «خراجاً» بألف. وهل بينهما فرق؟ فيه قولان: أحدهما: أنهما لغتان بمعنى واحد، قاله أبو عبيدة، والليث. والثاني: أن الخَرْج: ما تبرعت به، والخراج: ما لزمك أدائه، قاله أبو عمرو بن العلاء. قال المفسرون: المعنى: هل نُخرج إليك من أموالنا شيئاً كالجعل لك؟

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَكِّنِّي﴾ وقرأ ابن كثير: «مَكِّنِّي» بنونين، وكذلك هي في مصاحف مكة. قال الزجاج: من قرأ: «مَكِّنِّي» بالتشديد، أدم النون في النون لاجتماع النونين. ومن قرأ: «مَكِّنِّي» أظهر النونين، لأنهما من كلمتين،

(١) أورده السيوطي في «الدرر» ٤/ ٢٥٠ من رواية ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عدي، وابن عساكر، وابن النجار عن حذيفة ﷺ.

الأولى من الفعل، والثانية تدخل مع الاسم المضمر. وفي الذي أراد بتمكينه منه قولان: أحدهما: أنه العِلْمُ بالله؛ وطلب ثوابه. والثاني: ما ملك من الدنيا. والمعنى: الذي أعطاني الله خير مما تبذلون لي.

قوله تعالى: ﴿فَأَعِثُّوْهُ يَتُوبَ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الرجال، قاله مجاهد، ومقاتل. والثاني: الآلة، قاله ابن السائب. فأما الرُّذْمُ، فهو: الحاجز؛ قال الزجاج: والرُّذْمُ في اللغة أكبر من السدِّ، لأن الرُّذْمَ: ما جعل بعضه على بعض، يقال: ثوب مُرْذَمٌ: إذا كان قد رُقِعَ رقعة فوق رقعة.

قوله تعالى: ﴿وَأُوْثِيَ ذِكْرُ الْحَيِّدِ﴾ قرأ الجمهور: «ردماً آتوني» أي: أعطوني. وروى أبو بكر عن عاصم: «ردم آيتوني» بكسر التنوين، أي: جيئوني بها. قال ابن عباس: أحملوها إليّ. وقال مقاتل: أعطوني. وقال الفراء: المعنى: إيتوني بها، فلما أُلقيت الياء زيدت ألف. فأما الزُّبرُ، فهي: القِطْعُ، وأحدثها: زُبْرَةٌ؛ والمعنى: فأتوه بها فيناه، ﴿حَقٌّ إِنْ سَأَلْتَهُ﴾ وروى أبان «إذا سؤى» بتشديد الواو من غير ألف. قال الفراء: ساوى وسؤى سواء. واختلف القُرَّاء في ﴿الصَّدْفَيْنِ﴾ فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «الصَّدْفَيْنِ» بضم الصاد والذال، وهي: لغة حمير. وروى أبو بكر والمفضل عن عاصم: «الصَّدْفَيْنِ» بضم الصاد وتسكين الدال. وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف، بفتح الصاد والذال جميعاً، وهي لغة تميم، واختارها ثعلب. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، وابن يعمر: «الصَّدْفَيْنِ» بفتح الصاد ورفع الدال. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران، والزهري، والجحدري برفع الصاد وفتح الدال. قال ابن الأنباري: ويقال: صُدْفٌ، على مثال نُحْرٌ، وكل هذه لغات في الكلمة. قال أبو عبيدة: الصَّدْفَانِ: جَنَبَا الجبل. قال الأزهري: يقال لجانبَي الجبل: صَدْفَانِ، إذا تحاذيا، لتصادفهما، أي: لتتلاقهما. قال المفسرون: حشا ما بين الجبلين بالحديد، ونسج بين طبقات الحديد الحطب والفحم، ووضع عليها المنافخ، ثم ﴿قَالَ أَتَشْعُرُونَ﴾ فنفعوا ﴿حَقٌّ إِنْ جَلَلْتُ﴾ يعني: الحديد، وقيل: الهاء ترجع إلى ما بين الصدفين ﴿قَالَ﴾ أي: كالنار، لأن الحديد إذا أحمر بالفحم والمنافخ صار كالنار، ﴿قَالَ مَا أَتُوقِعُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: «آتوني» ممدودة، والمعنى: أعطوني. وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: «إيتوني» مقصورة؛ والمعنى: جيئوني به أفرغه عليه. وفي القِطْر أربعة أقوال: أحدها: أنه النحاس، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقادة، والفراء، والزجاج. والثاني: أنه الحديد الذائب، قاله أبو عبيدة. والثالث: الصُّفْر المَذَاب، قاله مقاتل. والرابع: الرصاص، حكاه ابن الأنباري. قال المفسرون: أذاب القِطْر ثم صبَّه عليه، فاختلط والتصق بعضه ببعض حتى صار جبلاً صلباً من حديد وقِطْر. قال قتادة: فهو كالبرد المحبر، طريقة سوداء وطريقة حمراء.

قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا﴾ أصله: فما «استطاعوا» فلما كانت التاء والطاء من مخرج واحد أحسوا التخفيف فحذفوا. قال ابن الأنباري: إنما تقول العرب: استطاع، تخفيفاً، كما قالوا: سوف يقوم، وسيقوم، فاستقروا الفاء.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يَّظْهَرُوهُ﴾ أي: يعلوه؛ يقال: ظهر فلان فوق البيت: إذا علاه، والمعنى: ما قدروا أن يعلوه لارتفاعه وإملاسه ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ من أسفله، لشدته وصلابته. وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن يأجوج ومأجوج ليحفرن السدَّ كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غداً، فيعودون إليه، فيرونه كاشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله ﷻ أن يبعثهم على الناس، حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غداً إن شاء الله، ويستثنى، فيعودون إليه وهو كهيبته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس» وذكر باقي الحديث<sup>(١)</sup>؛ وقد ذكرت هذا الحديث بطوله وأشباهه في كتاب «الحداثق» فكرهت التطويل هاهنا.

(١) رواء الإمام أحمد في «سننه» عن أبي هريرة ﷺ، وتتمة الحديث: «فيحشرون الماء، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فتزج وعليها كهية الدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نفعاً (دود يكون في أنوف الإبل والغنم) في رقاهاهم فيقتلهم بها، قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكراً من لحومهم ودمائهم»، ورواه الترمذي في «جامعه» ١٤٤/٢ وقال: هذا حديث حسن غريب، وإنما نعرفه من هذا الوجه مثل هذا، ورواه ابن ماجه في «سننه» رقم (٤٠٨٠) قال في =

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِن رَّبِّي﴾ لما فرغ ذو القرنين من بنيانه قال هذا. وفيما أشار إليه قولان: أحدهما: أنه الرُّدْم، قاله مقاتل؛ قال: فالمعنى: هذا نعمة من ربي على المسلمين لثلا يخرجوا إليهم. والثاني: أنه التمكين الذي أدرك به عمل السد، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ فيه قولان: أحدهما: القيامة. والثاني: وعده لخروج يأجوج ومأجوج.

قوله تعالى: ﴿جَعَلَكُمْ دَسَكًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «دكًا» متوناً غير مهموز ولا ممدود. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «دكاء» ممدودة مهموزة بلا تنوين. وقد شرحنا معنى الكلمة في [الأعراف: ١٤٣].

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ أي: بالثواب والعقاب.

﴿وَرَكْنَا بَعْضُهُمْ يَمِينُ يَمُوجٍ فِي بَعْضٍ وَفُتِحَ فِي الْأَشْوَءِ فَتَمَتَّتْ جَمًّا ١٧٠ وَعَرَصْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَسًا ١٧١ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَلَاظٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ١٧٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَكْنَا بَعْضُهُمْ يَمِينُ يَمُوجٍ فِي بَعْضٍ﴾ في المشار إليهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم يأجوج ومأجوج. ثم في المراد بيومئذ قولان. أحدهما: أنه يوم انقضى أمر السد، تركوا يموج بعضهم في بعض من ورائه مختلطين لكثرتهم؛ وقيل: ماجوا متعجبين من السد. والثاني: أنه يوم يخرجون من السد تركوا يموج بعضهم في بعض. والثاني: أنهم الكفار. والثالث: أنهم جميع الخلائق: الجن والإنس يموجون حيارى. فعلى هذين القولين، المراد باليوم المذكور يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَ فِي الْأَشْوَءِ﴾ هذه نفخة البعث. وقد شرحنا معنى «الصور» في [الأنعام: ٧٣].

قوله تعالى: ﴿وَعَرَصْنَا جَهَنَّمَ﴾ أي: أظهرناها لهم حتى شاهدوها.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ يعني: أعين قلوبهم ﴿فِي غَلَاظٍ﴾ أي: في غفلة ﴿عَن ذِكْرِي﴾ أي: عن توحيدي والإيمان بي وكتابي ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ هذا لعداوتهم وعنادهم وكراهتهم ما يُنْذَرُونَ به، كما تقول لمن يكره قولك: ما تقدر أن تسمع كلامي.

﴿أَنصَبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَخَذُوا عِبَادِي مِن دُونِ آلِهَاتٍ إِنَّا أَنفَعْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نَزْلًا ١٧٣﴾

قوله تعالى: ﴿أَنصَبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أفضّل المشركون ﴿أَن يَتَخَذُوا عِبَادِي﴾ في هؤلاء العباد ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الشياطين، قاله ابن عباس. والثاني: الأصنام، قاله مقاتل. والثالث: الملائكة والمسيح وعزير وسائر المعبودات من دونه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِ﴾ فتح هذه الباء نافع، وأبو عمرو. وجواب الاستفهام في هذه الآية محذوف، وفي تقديره قولان: أحدهما: أنفسبوا أن يتخذوهم أولياء، كلا بل هم أعداء لهم يتبرؤون منهم. والثاني: أن يتخذوهم أولياء ولا أغضب ولا أعاقبهم. وروى أبان عن عاصم، وزيد عن يعقوب: «أَفْحَسَبُ» بتسكين السين وضم الباء، وهي قراءة علي عليه السلام، وابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وابن عمر، وابن محيصن؛ ومعناها: أفكيفهم أن يتخذوهم أولياء؟ فاما النزول فيه قولان: أحدهما: أنه ما يهبط للضيف والعسكر، قاله ابن قتيبة. والثاني: أنه المنزل، قاله الزجاج.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِ أَعْمَالًا ١٧٤ الَّذِينَ سَعَوْا فِي لَعْنَةِ اللَّهِ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّحْسِنُونَ شُعًا ١٧٥ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكِيدُونَ رِيهًا وَلِيَأْكُلُوا ثَمَرَهُمْ فَلَمْ يُبْقِمْ لَهُمْ بَرْءَ الْقِيَمَةِ وَكَانَ ذَلِكَ جَزَاءُ جَهَنَّمَ بَمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي رُسُلًا ١٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِ أَعْمَالًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم القسيسون والرهبان، قاله علي عليه السلام، والضحاك. والثاني: اليهود والنصارى، قاله سعد بن أبي وقاص.

= «الزوائد» عنه: إسناده صحيح، ورجاله ثقات. وروى البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها نزعاً يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها، فقالت زينب: فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبيث». وانظر «صحيح مسلم» ٢٢٥٤/٤ وما ذكر فيه من فتنة يأجوج ومأجوج.

قوله تعالى: ﴿أَعْمَلًا﴾ منصوب على التمييز، لأنه لما قال: «بِالْآخِرِينَ» كان ذلك مبهماً لا يدل على ما خسروه، فينبئ ذلك في أي نوع وقع.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ سَكَتَ سَمْعُهُمْ﴾ أي: بطل عملهم واجتهادهم في الدنيا، وهم يظنون أنهم محسنون بأفعالهم، فرؤسأؤهم يعلمون الصحيح، ويؤثرون الباطل لبقاء رئاستهم، وأتباعهم مقلدون بغير دليل. ﴿أُولَئِكَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ جحدوا دلائل توحيده، وكفروا بالبعث والجزاء، وذلك أنهم بكفروهم برسول الله ﷺ والقرآن، صاروا كافرين بهذه الأشياء ﴿خَطَبْتُ أَعْمَانَهُمْ﴾ أي: بطل اجتهدهم، لأنه خلا عن الإيمان ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنَّهُمْ﴾ وقرأ ابن مسعود، والجحدري: «فلا يُقيم» بالياء. وفي معناه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إنما يثقل الميزان بالطاعة، وإنما توزن الحسنات والسيئات، والكافر لا طاعة له. والثاني: أن المعنى: لا تُقيم لهم قدرًا. قال ابن الأعرابي في تفسير هذه الآية: يقال: ما لفلان عندنا وزن، أي: قدر، لخسسته. فالمعنى: أنهم لا يُعتدُّ بهم، ولا يكون لهم عند الله قدر ولا منزلة. وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «يؤتى بالرجل الطويل الأكل والشروب فلا يزن جناح بموضة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنَّهُمْ﴾»<sup>(١)</sup>. والثالث: أنه قال: «فلا تقيم لهم» لأن الوزن عليهم لا لهم؛ ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ﴾ أي: الأمر ذلك الذي ذكرت من بطلان عملهم وخسرة قدرهم، ثم ابتداء فقال: ﴿جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمَ﴾، وقيل: المعنى: ذلك التصغير لهم، وجزاؤهم جهنم، فأضمرت واو الحال.

قوله تعالى: ﴿يَا كَفَرُوا﴾ أي: بكفروهم واتخاذهم ﴿ءَايَاتِي﴾ التي أنزلتها ﴿وَرَبِّيَ هُزُوا﴾ أي: مهزوءاً به. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾<sup>(٢)</sup> خَلِيلِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ قال ابن الأنباري: كانت لهم في علم الله قبل أن يُخلَقُوا. وروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «جَنَاتُ الْفِرْدَوْسِ أَرْبَع، ثَنَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ حَلِيتُهُمَا وَأَنْبِيتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَثَنَتَانِ مِنْ فُضَّةٍ حَلِيتُهُمَا وَأَنْبِيتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَلَيْسَ بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِءَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»<sup>(٣)</sup>. وروى عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، الفردوس أعلاها، ومنها تفجر أنهار الجنة، فإذا سألتهم الله تعالى فاسألوهم الفردوس»<sup>(٤)</sup>. قال أبو أمامة: الفردوس سرّة الجنة. قال مجاهد: الفردوس: البستان بالرومية. وقال كعب، والضحاك: «جَنَاتُ الْفِرْدَوْسِ»: جَنَاتُ الْأَعْنَابِ. قال الكلبي، والفراء: الفردوس: البستان الذي فيه الكرم. وقال المبرد: الفردوس فيما سمعت من كلام العرب: الشجر الملتف، والأغلب عليه العنب. وقال ثعلب: كل بستان يحوط عليه فهو فردوس، قال عبد الله بن رواحة:

فِي جَنَاتِ الْفِرْدَوْسِ لَيْسَ يَخَافُو

نَ خَسْرَوْجاً عَنْهَا وَلَا تَحْوِيلَا

وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: قال الزجاج: الفردوس أصله رومي أعرب، وهو البستان، كذلك جاء في التفسير، وقد قيل: الفردوس تعرفه العرب، وتسمي الموضع الذي فيه كرم: فردوساً. وقال أهل اللغة: الفردوس

(١) ذكره الحافظ في «الفتح» ٣٢٤/٨ من رواية ابن مردويه عن أبي هريرة ﷺ بلفظ «الطويل العظيم الأكل والشروب». وأورده السيوطي في «الدرر» ٤/ ٢٥٤ من رواية ابن عدي، والبيهقي في «شعب الإيمان»، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيُؤْتَيْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْعَظِيمِ الطَّوِيلُ الْأَكُولُ الشَّرُوبُ، فَلَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَنَاحَ بِمَوْضِعَةٍ، اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنَّهُمْ﴾». ورواه البخاري ٣٤٢/٨، ومسلم ٢١٤٧/٤ عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لِيَّانِي الرَّجُلَ الْعَظِيمَ السَّمِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بِمَوْضِعَةٍ» وقال: «اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنَّهُمْ﴾».

(٢) لفظه في البخاري ٤٧٩/٨، ومسلم ١٦٣/١ من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «جَنَاتُ مَنْ فُضَّةٍ، أَنْبِيتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَاتُ مَنْ ذَهَبٍ، أَنْبِيتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِءَاءُ الْكِبَرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ». قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وفي رواية الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني في أول هذا الحديث: «جَنَاتُ الْفِرْدَوْسِ أَرْبَع، ثَنَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ... إلخ».

(٣) أخرجه أحمد في «المسنند»، والترمذي ٧٦/٢، وأورده السيوطي في «الدرر» وزاد نسبته لابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن جرير، والحاكم، والبيهقي في «البعث»، وابن مردويه. ورواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة بلفظ: «إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ الْجَنَّةَ، فَاسْأَلُوهُمُ الْفِرْدَوْسَ، لِأَنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ، وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَمَنْ تَجَرَّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ».

مذَّكَّر، وإنما أنت في قوله تعالى: ﴿يَرْثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١١] لأنه عنى به الجنة. وقال الزجاج: وقيل: الفردوس: الأودية التي تنبت ضرورياً من النبات، وقيل: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية، قال: والفردوس أيضاً بالسريانية كذا لفظه: فردوس، قال: ولم نجد في أشعار العرب إلا في شعر حسان، وحقيقته أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين، لأنه عند أهل كل لغة كذلك، وببيت حسان:

فَإِنَّ ثَوَابَ اللّٰهِ كُلُّ مُوَحِّدٍ      جَنَّاتٍ مِنَ الْفِرْدَوْسِ فِيهَا يُخَلَّدُ<sup>(١)</sup>

وقال ابن الكلبي بإسناده: الفردوس: البستان بلغة الروم، وقال الفراء: وهو عربي أيضاً، والعرب تسمي البستان الذي فيه الكرم فردوساً. وقال السدي: الفردوس أصله بالنبطية «فرداسا». وقال عبد الله بن الحارث: الفردوس: الأعتاب. وقد شرحنا معنى قوله: ﴿نُزُلًا أَنْفًا<sup>(٢)</sup>».

قوله تعالى: ﴿لَا يَخْتَوْنَ عَنْهَا جُلُودًا﴾ قال الزجاج: لا يريدون عنها تحوُّلاً، يقال: قد حال من مكانه جَوْلًا، كما قالوا في المصادر: صَغُرَ صَغَرًا، وَعَظُمَ عِظْمًا، وعادني حُبُّها عَوْدًا؛ قال: وقد قيل أيضاً: إن الجَوْلَ: الجيلة، فيكون المعنى: لا يحتالون مَنَزَلًا غيرها. فإن قيل: قد علم أن الجنة كثيرة الخير، فما وجه مدحها بأنهم لا يبتغون عنها جَوْلًا؟ فالجواب: أن الإنسان قد يجد في الدار الأنيقة معنى لا يوافقه، فيحب أن ينتقل إلى دار أخرى، وقد يمل، والجنة على خلاف ذلك.

﴿قُلْ لَوْ كَانُ الْبَحْرُ مِثْلًا لِكُلِّبَرِّي لَتَنَدَّ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَتِي رَبِّي وَلَوْ جِثَا بِرَيْلِهِ مَدَدًا<sup>(٣)</sup>﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانُ الْبَحْرُ مِثْلًا لِكُلِّبَرِّي﴾ سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا أُولَئِكَ يَنْفَكُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] قالت اليهود: كيف وقد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. ومعنى الآية: لو كان ماء البحر مداداً يُكْتَبُ به. قال مجاهد: [والمعنى]: لو كان البحر مداداً للقلم، والقلم يكتب. وقال ابن الأنباري: سمي المداد مداداً لإمداده الكاتب، وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء. وقرأ الحسن، والأعمش: «مداداً لكللمات ربِّي» بغير ألف.

قوله تعالى: ﴿قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَتِي رَبِّي﴾، قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: «تنفد» بالثاء. وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي: «ينفد» بالياء. قال أبو علي: التانيث أحسن، لأن المُسْنَدَ إليه الفعلُ مؤنث، والتذكير حسن، لأن التانيث ليس بحقيقي، وإنما لم تنفد كلمات الله، لأن كلامه صفة من صفات ذاته، ولا يتطرق على صفاته النفاد، ﴿وَلَوْ جِثَا بِرَيْلِهِ﴾ أي: بمثل البحر «مَدَدًا» أي: زيادة؛ والمدد: كل شيء زاد في شيء. فإن قيل: لم قال في أول الآية: «مداداً» وفي آخرها: «مداداً» وكلاهما بمعنى واحد، واشتقاقهما غير مختلف؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال: لما كان الثاني آخر آية، وأواخر الآيات هاهنا أنت على الفعل، والفعل، كقوله: ﴿نُزُلًا﴾ «هُزُوءًا» «جَوْلًا» كان قوله: «مَدَدًا» أشبه بهؤلاء الألفاظ من المداد، واتفاق المقاطع عند أواخر الآي، وانقضاء الأبيات، وتام السجع والنثر، أخف على اللسان، وأحلى موقعاً في الأسماع، فاختلقت اللفظتان لهذه [العلة]. وقد قرأ ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبو رجا، وقتادة، وابن محيصن: «ولو جثنا بمثله مداداً» فحملوها على الأولى، ولم ينظروا إلى المقاطع. وقراءة الأولين آتية حجة، وأوضح منهاجاً.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا<sup>(٤)</sup>﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ قال ابن عباس: علم الله تعالى رسوله التواضع لثلاث يزهى على خلقه، فأمره أن يُبَيِّنَ على نفسه بأنه آدمي كغيره، إلا أنه أكرم بالوحي.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ سبب نزولها أن جندب بن زهير الغامدي<sup>(٥)</sup> قال لرسول الله ﷺ: إني أعمل

(١) «ديوانه» ١٥٠، «والبحر» ١٦٨/٦، «وروح المعاني» ٤٧/١٦، «واللسان» و«التاج»: فردس.

(٢) قد مر تفسيره.

(٣) في الأصل «والقرطبي»: «العامري» وما أثبتاه من «الإصابة»، وأسباب النزول للواحدي، وكتب التفسير.



العمل [لله تعالى] فإذا اطلع عليه سرّني، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب، ولا يقبل ما روئي فيه» فنزلت فيه هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. وقال طاووس: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أحب الجهاد [في سبيل الله] وأحب أن يرى مكاني، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وقال مجاهد: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني أتصدق، وأصل الرحم، ولا أصنع ذلك إلا لله تعالى، فيذكر ذلك مني وأحمد عليه فيسرّني ذلك وأعجب به، فسكت رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. وفي قوله: «فَنَ كَانَ يَرْجُوا» قولان: أحدهما: يخاف، قاله ابن قتيبة. والثاني: يأمل، وهو اختيار الزجاج. وقال ابن الأنباري: المعنى: فمن كان يرجو لقاء ثواب ربه. قال المفسرون: وذلك يوم البعث والجزاء. «فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا» لا يرائي به «وَلَا يَتَرَكْ بِيَادِهِ رِيَّةً أَحَدًا» قال سعيد بن جبير: لا يرائي. قال معاوية بن أبي سفيان: هذه آخر آية نزلت من القرآن<sup>(٤)</sup>.



(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» عن ابن عباس ١٧٢ بدون سند.

(٢) وكذلك ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٧٢ عن طاووس بدون سند. وقد ذكره الطبري في «تفسيره» ٤٠/١٦ من حديث معمر عن عبد الكريم الجزري عن طاووس مرسلًا، وذكره ابن كثير في «التفسير» ١٠٨/٣ من رواية ابن أبي حاتم عن طاووس مرسلًا بنحوه، وأورده السيوطي في «الدر» ٤/ ٢٥٥ كذلك عن طاووس مرسلًا، وزاد نسبه لعبد الرزاق، وابن أبي الدنيا في «الإخلاص»، والطبراني، والحاكم. وقال السيوطي في آخره: وأخرجه الحاكم وصححه، والبيهقي، موصولًا عن طاووس عن ابن عباس.

(٣) الواحدي ١٧٢ عن مجاهد بدون سند.

(٤) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ١١٠/٣: وهذا أثر مشكوك، فإن هذه الآية، آخر سورة (الكهف) و(الكهف) كلها مكة، ولعل معاوية أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها، بل هي مثبتة محكمة، فاشتبه ذلك على بعض الرواة، فروى بالمعنى على ما فهمه، والله أعلم.

## سورة مريم

وهي مكية بإجماعهم من غير خلاف علمناه. وقال مقاتل: هي مكية غير سجدها، فإنها مدنية. وقال هبة الله المفسر: هي مكية غير آيتين منها، قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَإِثْمِهِمْ خَلْفٌ﴾ والتي تليها [مريم: ٥٩، ٦٠].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كَهَيِّصَ ۝ ذُكِّرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُ زَكِرًا ۝ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ يَدَّاهُ يَحْفَا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ آمْرًا مُعَاقَرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝ يَرَبِّیْ وَرِیْثٌ مِنْ آلِ یَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿كَهَيِّصَ ۝﴾ قرأ ابن كثير: «كهيص ذُكِّر» بفتح الهاء والياء وتبيين الدال التي في هجاء «صاد». وقرأ أبو عمرو: «كهيص» بكسر الهاء وفتح الياء ويدغم الدال في الدال، وكان نافع يلفظ بالهاء والياء بين الكسر والفتح، ولا يدغم الدال التي في هجاء «صاد» في الدال من «ذُكِّر». وقرأ أبو بكر عن عاصم، والكسائي، بكسر الهاء والياء، إلا أن الكسائي لا يبين الدال، وعاصم يُبينها. وقرأ ابن عامر، وحزمة، بفتح الهاء وكسر الياء ويدغمان. وقرأ أبي بن كعب: «كهيص» برفع الهاء وفتح الياء. وقد ذكرنا في أول «البقرة» ما يشتمل على بيان هذا الجنس. وقد خصص المفسرون هذه الحروف المذكورة هاهنا بأربعة أقوال: أحدها: أنها حروف من أسماء الله تعالى، قاله الأكثرون. ثم اختلف هؤلاء في الكاف من أي اسم هو، على أربعة أقوال: أحدها: أنه من اسم الله الكبير. والثاني: من الكريم. والثالث: من الكافي، روى هذه الأقوال الثلاثة سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والرابع: أنه من الملك، قاله محمد بن كعب. فأما الهاء، فكلهم قالوا: هي من اسمه الهادي إلا القرظي فإنه قال: من اسمه الله. وأما الياء، ففيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها من حكيم. والثاني: من رحيم. والثالث: من أمين، روى هذه الأقوال الثلاثة سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. فأما العين، ففيها أربعة أقوال: أحدها: أنها من عليم. والثاني: من عالم. والثالث: من عزيز، رواها أيضاً سعيد [بن جبيرة] عن ابن عباس. والرابع: أنها من عدل، قاله الضحاك. وأما الصاد، ففيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها من صادق. والثاني من صدوق، رواها سعيد [بن جبيرة] أيضاً عن ابن عباس. والثالث: من الصمد، قاله محمد بن كعب. والقول الثاني: أن «كهيص» قَسَمَ أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وروى عن علي عليه السلام أنه قال: هو اسم من أسماء الله تعالى. وروى عنه أنه كان يقول: [يا] كهيص اغفر لي. قال الزجاج: والقَسَمَ بهذا والدعاء لا يدل على أنه اسم واحد، لأن الداعي إذا علم أن الدعاء بهذه الحروف يدل على صفات الله فدعا بها، فكأنه قال: يا كافي، يا هادي، يا عالم، يا صادق، وإذا أقسم بها، فكأنه قال: والكافي الهادي العالم الصادق، وأسكنت هذه الحروف لأنها حروف تهج، النية فيها الوقف. والثالث: أنه اسم للسورة، قاله الحسن، ومجاهد. والرابع: اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة. فإن قيل: لم قالوا: هايا، ولم يقولوا في الكاف: كا، وفي العين: عا، وفي الصاد: صا، لتتفق المباني كما اتفقت العلل؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، فقال: حروف المعجم التسعة والعشرون تجري مجرى الرسالة والخطبة، فيستقبحون فيها اتفاق الألفاظ واستواء الأوزان، كما يستقبحون ذلك في خطبهم ورسائلهم، فيغيرون بعض الكلم ليختلف الوزن وتتغير المباني، فيكون ذلك أعذب على الألسن وأحلى في الأسماع.

قوله تعالى: ﴿ذُكِّرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ قال الزجاج: الذُكْر مرفوع بالمضمر، المعنى: هذا الذي نتلو عليك ذُكْر رحمة ربك عبده. قال الفراء: وفي الكلام تقديم وتأخير؛ المعنى: ذُكْر ربك عبده بالرحمة، و«زكريا» في موضع نصب. قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ النداء هاهنا بمعنى الدعاء. وفي علة إخفائه لذلك ثلاثة أقوال: أحدها: ليبعد عن

الرياء، قاله ابن جريج. والثاني: لثلا يقول الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يسأل الولد على الكبر، قاله مقاتل. والثالث: لثلا يعاديه بنو عمه، ويظنوا أنه كره أن يلوا مكانه بعده، ذكره أبو سليمان الدمشقي. وهذه القصة تدل على أن المستحب إسرار الدعاء، ومنه الحديث: «إنكم لا تدعون أصم»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: «قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ أَنْفُي وَإِنِّي مَرِيدٌ مِنَ الْفِرَاءِ وَغَيْرِهِ: وَهَنَ العظم، وَرِهَن، بفتح الهاء وكسرهما؛ والمستقبل على الحالين كليهما: يَهِن. وأراد أن قُوَّة عظامه قد ذهبت لكبره؛ وإنما خصَّ العظم، لأنه الأصل في التركيب. وقال قتادة: شكا ذهاب أضراسه.

قوله تعالى: «وَأَشْتَلَّ الْأُرْسُ سَكِينًا» يعني: انتشر الشيب فيه، كما ينتشر شعاع النار في الحطب، وهذا من أحسن الاستعارات. «وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ» أي: بدعائي إياك «رَبِّ شَيْئًا» أي: لم أكن أتعب بالدعاء ثم أخيب، لأنك قد عودتني الإجابة؛ يقال: شقي فلان بكذا: إذا تعب بسببه، ولم ينل مراده.

قوله تعالى: «وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْتِ» يعني: الذين يلونه في النسب، وهم بنو العم والعصبة «مِنْ وَرَثَتِي» أي: من بعد موتي، وفي ما خافهم عليه قولان: أحدهما: أنه خاف أن يَرثوه، قاله ابن عباس. فإن اعترض عليه معترض، فقال: كيف يجوز لثني أن يَنْفَسَ على قراباته بالحقوق المفروضة لهم بعد موته؟ فغنه جوابان. أحدهما: أنه لما كان نبياً، والنبي لا يورث، خاف أن يرثوا ماله فيأخذوا ما لا يجوز لهم. والثاني: أنه غلب عليه طبع النشر، فأحب أن يتولَّى ماله ولده، ذكرهما ابن الأباري. قلت: ويبان هذا أنه لا بد أن يتولَّى ماله وإن لم يكن ميراثاً، فأحب أن يتولاه ولده. والقول الثاني: أنه خاف تضييعهم للذين ونبذهم إِيَّاهُ، ذكره جماعة من المفسرين. وقرأ عثمان، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمرو، وابن جبير، ومجاهد، وابن أبي شريح عن الكسائي: «خَفْتُ» بفتح الخاء وتشديد الفاء على معنى «قُلْتُ»؛ فعلى هذا يكون إنما خاف على علمه ونبوته ألا يورثا فيموت العلم. وأسكن ابن شهاب الزهري ياء «الموالي».

قوله تعالى: «مِنْ وَرَثَتِي» أسكن الجمهور هذه الياء، وفتحها ابن كثير في رواية قبل. وروى عنه شبل: «ورائي» مثل «عصائي».

قوله تعالى: «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ» أي: من عندك «وَلِيًّا» أي: ولداً صالحاً يتولاني.

قوله تعالى: «يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة: «يَرِثُنِي وَيَرِثْ» برفعهما. وقرأ أبو عمرو، والكسائي: «يَرِثُنِي وَيَرِثْ» بالجزم فيهما. قال أبو عبيدة: من قرأ بالرفع، فهو على الصفة للولي؛ فالمعنى: هب لي ولياً وارثاً، ومن جزم، فعلى الشرط والجزاء، كقولك: إن وهبته لي ورثني. وفي المراد بهذا الميراث أربعة أقوال: أحدها: يرثني مالي، ويرث من آل يعقوب النبوة، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال أبو صالح. والثاني: يرثني العلم، ويرث من آل يعقوب المُلْكُ، فأجابه الله تعالى إلى وراثة العلم دون المُلْكِ، وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً. والثالث: يرثني نبوتي وعلمي، ويرث من آل يعقوب النبوة أيضاً، قاله الحسن. والرابع: يرثني النبوة، ويرث من آل يعقوب الأخلاق، قاله عطاء. قال مجاهد: كان زكريا من ذرية يعقوب، وزعم الكلبي أن آل يعقوب كانوا أخواله، وأنه ليس بييعقوب أبي يوسف. وقال مقاتل: هو يعقوب بن ماثان، وكان يعقوب هذا وعمران - أبو مريم - أخوين. والصحيح: أنه لم يرد ميراث المال لوجوه: أحدها: أنه قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة»<sup>(٢)</sup>. والثاني: [أنه] لا يجوز أن يتأسف نبي الله على مصير ماله بعد موته إذا

(١) هو جزء من حديث رواه البخاري في «صحيحه» ٩٤/٦، ومسلم ٢٠٧٦/٤ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ولفظه في البخاري: «يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنه معكم، إنه سميع قريب». ومعنى «اربعوا على أنفسكم»: ارفقوا بأنفسكم، واخفصوا أصواتكم، فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان ليعلم من يخاطبه لسمعه، وأنتم تدعون الله تعالى، وليس هو بأصم ولا غائب، بل هو سميع قريب.

(٢) رواه البخاري ٤/١٢، ومسلم ١٣٧٩/٣، بلفظ: «لا نورث ما تركناه صدقة». ورواه الترمذي باللفظ الذي ذكره المؤلف: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وصل إلى وارثه المستحق له شرعاً. والثالث: أنه لم يكن ذا مال. وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ «أَنْ زَكَرِيَّا كَانَ نَجَاراً»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَجَعَلْنَا رَبَّ زَيْبًا﴾ قال اللغويون: أي: مرضياً، فُضِرَ عن مفعول إلى فَعِيل، كما قالوا: مقتول وقتيل.

﴿يَزْكُرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَيِّئًا ۝٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ تَكْفُرُ ۝٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿يَزْكُرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ في الكلام إضمار، تقديره: فاستجاب الله له فقال: «يا زكريا إنا نبشرك». وقرا حمزة: «نُبَشِّرُكَ» بالتخفيف. وقد شرحنا هذا في (آل عمران: ٢٣٩).

قوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَيِّئًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لم يُسَمَّ يحيى قبله، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وقتادة، وابن زيد، والأكثر. فإن اعترض معترض، فقال: ما وجه المذحة باسم لم يُسَمَّ به أحد قبله، ونرى كثيراً من الأسماء لم يُسَبَّحْ إليها؟ فالجواب: أن وجه الفضيلة أن الله تعالى تولى تسميته، ولم يكل ذلك إلى أبويه، فسماه باسم لم يُسَبَّحْ إليه. والثاني: لم تلد العواقر مثله ولداً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. فعلى هذا يكون المعنى: لم نجعل له نظيراً. والثالث: لم نجعل له من قبل مثلاً وشيهاً، قاله مجاهد. فعلى هذا يكون عدم الشبه من حيث أنه لم يعص ولم يهمل بمعصية. وما بعد هذا مفسر في (آل عمران: ٢٣٩) إلى قوله: ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾. وفي معنى «كانت» قولان: أحدهما: أنه توكيد للكلام، فالمعنى: وهي عاقرة، كقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ (آل عمران: ١١٠) أي: أنتم. والثاني: أنها كانت منذ كانت عاقراً، لم يحدث ذلك بها، ذكرهما ابن الأنباري، واختار الأول.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «عَتِيًّا» و«بُكِيًّا» (مریم: ٥٨) و«ضَلِيًّا» (مریم: ٧٠) بضم أوائلها. وقرأ حمزة، والكسائي، بكسر أوائلها، وافقهما حفص عن عاصم، إلا في قوله: «بُكِيًّا» فإنه ضم أوله. وقرأ ابن عباس، ومجاهد: «عُتِيًّا» بالسین. قال مجاهد: «عَتِيًّا» هو قُحُولُ العظم. وقال ابن قتبية: أي: يُسّاً؛ يقال: عَتَا وَعَسَا بمعنى واحد. قال الزجاج: كل شيء انتهى، فقد عَتَا يَعْتُو عَتِيًّا، وَعَتَوَا، وَعُسُوا، وَعُتِيًّا.

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر كما قيل لك من هبة الولد على الكبر ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾ أي: خَلَقَ يحيى عليّ سهل. وقرأ معاذ القارئ، وعاصم الجحدري: «هَيْنٍ» بإسكان الياء. ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: أوجدتك. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «خَلَقْنَاكَ». وقرأ حمزة، والكسائي: «خَلَقْنَاكَ» بالنون والالف. ﴿وَلَوْ تَكْفُرُ﴾ المعنى: فخلق الولد، كخلقك. وما بعد هذا مفسر في (آل عمران: ٢٣٩)، إلى قوله: ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ قال الزجاج: «سَوِيًّا» منصوب على الحال، والمعنى: تُنَمُّعُ عن الكلام وأنت سَوِيٌّ. قال ابن قتبية: أي: سليماً غير أخرس. قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ وهذا في صبيحة الليلة التي حملت فيها امرأته ﴿مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ أي: من مصلاه، وقد ذكرناه في (آل عمران: ٢٣٩).

قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه كتب إليهم في كتاب، قاله ابن عباس. والثاني: أوماً برأسه ويديه، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿أَنْ سَبِّحُوا﴾ أي: صلوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قد شرحناه في (آل عمران: ٢٣٩)، والمعنى: أنه كان يخرج إلى قومه فيأمرهم بالصلاة بُكْرَةً وَعَشِيًّا، فلما حملت امرأته أمرهم بالصلاة إشارة.

(١) رواه أحمد في «المسند» رقم (٧٩٣٤)، ومسلم في «المسند» رقم (١٨٤٧/٤)، وابن ماجه رقم (٢١٥٠).

﴿يَبْتَغِيْ خُذِ الصَّكْبَ يَقُوْءُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيْئًا ۝١٦ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَتْ تَقِيًّا ۝١٧ وَبَرًّا بِوَالَدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ۝١٨ وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝١٩﴾

قوله تعالى: ﴿يَبْتَغِيْ﴾ قال الزجاج: المعنى: فوهبنا له يحيى، وقلنا له: يا يحيى ﴿خُذِ الصَّكْبَ﴾ يعني: التوراة، وكان مأموراً بالتمسك بها. وقال ابن الأنباري: المعنى: اقبل كُتُبَ الله كُلُّهَا إيماناً بها واستعمالاً لأحكامها. وقد شرحنا في [البقرة: ٦٣] معنى قوله: ﴿يَقُوْءُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الفهم، قاله مجاهد. والثاني: اللب، قاله الحسن، وعكرمة. والثالث: العلم، قاله ابن السائب، والرابع: حفظ التوراة وعلمها، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقد زدنا هذا شرحاً في سورة [يوسف: ٢٣]. وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: من قرأ القرآن [من] قبل أن يحتلم، فهو ممن أوتي الحكم صبيّاً. فاما قوله: ﴿صَبِيْئًا﴾ ففي سنّه يوم أوتي الحكم قولان: أحدهما: أنه سبع سنين، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. والثاني: ثلاث سنين، قاله قتادة، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾ قال الزجاج: أي: وأتيناه حناناً. وقال ابن الأنباري: المعنى: وجعلناه حناناً لأهل زمانه. وفي الحنان ستة أقوال: أحدها: أنه الرحمة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعكرمة، وقاتدة، والضحاك، والفراء، وأبو عبيدة: وأنشد:

تَحَنُّنٌ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكِ

قال: وعامة ما يُستعمل في المنطق على لفظ الاثنين، قال طرفة:

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقِيْ بَعْضُنَا

قال ابن قتيبة: ومنه يقال: تحنن عليّ، وأصله من حنين الناقة على ولدها. وقال ابن الأنباري: لم يختلف اللغويون أن الحنان: الرحمة، والمعنى: فعلنا ذلك رحمةً لأبويه، وتركيةً له. والثاني: أنه التعطف من ربّه عليه، قاله مجاهد. والثالث: أنه اللين، قاله سعيد بن جبيرة. والرابع: البركة، وروي عن ابن جبيرة أيضاً. والخامس: المحبة، قاله عكرمة، وابن زيد. والسادس: التعظيم، قاله عطاء بن أبي رباح. وفي قوله: ﴿وَزَكَاةً﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنها العمل الصالح، قاله الضحاك، وقاتدة. والثاني: أن معنى الزكاة: الصدقة، فالتقدير: إن الله تعالى جعله صدقة تصدق بها على أبويه، قاله ابن السائب. والثالث: أن الزكاة: التطهير، قاله الزجاج. والرابع: أن الزكاة: الزيادة، فالمعنى: وأتيناه زيادة في الخير على ما وُصف وذُكر، قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَتْ تَقِيًّا﴾ قال ابن عباس: جعلته يتقني، ولا يعدل بي غيري.

قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالَدَيْهِ﴾ أي: وجعلناه براً بوالديه، والبرُّ بمعنى: البار؛ والمعنى: لطيفاً بهما، محسناً إليهما.

والقصي بمعنى: العاصي. وقد شرحنا معنى الجبار في [هود: ٥٩].

قوله تعالى: ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه السلام المعروف من الله تعالى. قال عطاء: سلام عليه ونبي في هذه الأيام؛ وهذا اختيار أبي سليمان. والثاني: أنه بمعنى: السلامة، قاله ابن السائب. فإن قيل: كيف خصّ التسليم عليه بالأيام، وقد يجوز أن يولد ليلاً ويموت ليلاً؟ فالجواب: أن المراد باليوم الجين والوقت، على ما بينا في قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [البائدة: ٣]. قال ابن عباس: وسلام عليه حين وُلِدَ. وقال الحسن البصري: التقى يحيى وعيسى، فقال يحيى لعيسى: أنت خير مني، فقال عيسى ليحيى: بل أنت خير مني، سلّم الله عليك، وأنا سلّمْتُ على

(١) أورده السيوطي في «الدرر» ٤/ ٢٦٠ من رواية أبي نعيم، وابن مردويه، والديلمي عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾

(٢) البيت للحطّية، «ديوانه» ٢٢٢، و«الكامل» ٣٤٨، و«مجاز القرآن» ٣/ ٢، و«القرطبي» ٨٨/ ١١، و«الطبري» ٣٨/ ١٦، و«البحر المحيط» ١٧٧/ ٦، و«اللسان» و«التاج»: حنن.

(٣) «ديوانه» ٢٠٨، و«مجاز القرآن» ٣/ ٢، و«الكتاب» ١٤٦، و«الكامل» ٣٤٨، و«الطبري» ٣٨/ ١٦، و«الجمهرة» ٤٤٩/ ٣، و«الشتنمري» ١٧٤/ ١، و«القرطبي» ٨٧/ ١١، و«البحر المحيط» ١٧٧/ ٦، و«اللسان» و«التاج»: حنن.

نفسى. وقال سعيد بن جبير مثله، إلا أنه قال: أثنى الله عليك، وأنا أثبت على نفسى. وقال سفيان بن عيينة: أوحش ما يكون الإنسان في ثلاثة مواطن، يوم يولد فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يُبعث فيرى نفسه في محشر لم يره، فخص الله تعالى يحيى فيها بالكرامة والسلامة في المواطن الثلاثة.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ ١٦ ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ ١٧ ﴿قَالَتْ إِنَّيَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ ١٨ ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ ١٩ ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسْسَنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ ٢٠ ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ ٢١

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ يعني: القرآن ﴿مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ﴾ قال أبو عبيدة: تنحّت واعتزلت ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ مما يلي المشرق، وهو عند العرب خير من الغربي.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ﴾ يعني: أهلها ﴿حِجَابًا﴾ أي: ستراً وحاجزاً وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ضربت ستراً، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن الشمس أظلمتها، فلم يرها أحد منهم، وذلك مما سترها الله به، ولرؤي هذا المعنى عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنها اتخذت حجاباً من الجدران، قاله السدي عن أشياخه. وفي سبب انفرادها عنهم قولان: أحدهما: [أنها] انفردت لتظهر من الحيض وتمتشط، قاله ابن عباس. والثاني: لتفلي رأسها، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ وهو جبريل في قول الجمهور. وقال ابن الأنباري: صاحب روحنا، وهو جبريل. والروح بمعنى: الرُّوح والفرح، ثم تضم الراء لتحقيق مذهب الاسم، وإبطال طريق المصدر، ويجوز أن يُراد بالروح هاهنا: الوحي وجبريل صاحب الوحي. وفي وقت مجيئه إليها ثلاثة أقوال: أحدها: وهي تغتسل. والثاني: بعد فراغها، ولبسها الثياب. والثالث: بعد دخولها بيتها. وقد قيل: المراد بالروح هاهنا: [الروح] الذي خلق منه عيسى، حكاه الزجاج، والماوردي، وهو مضمون كلام أبي بن كعب فيما سنذكره عند قوله: ﴿فَعَمَلَتْهُ﴾. قال ابن الأنباري: وفيه بُعد، لقوله: ﴿تَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾، والمعنى: تصوّر لها في صورة البَشَر التام الخلق. وقال ابن عباس: جاءها في صورة شاب أبيض الوجه جعد ققط حين طرّ شارب. وقرأ أبو نهيك: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ بفتح الراء، من الرُّوح.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّيَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ ١٨ ﴿المعنى: إن كنت تتقي الله، فستنتهي بشعؤني منك، هذا هو القول عند المحققين. وحكي عن ابن عباس أنه كان في زمانها رجل اسمه تقي، وكان فاجراً، فظنه إياه، ذكره ابن الأنباري، والماوردي. وفي قراءة عليّ ؑ، وابن مسعود، وأبي رجاء: «إلا أن تكون تقيّاً».

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ أي: فلا تخافي ﴿إِلَيْهِبَ لَكَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «لأهب لك» بالهمز. وقرأ أبو عمرو، وورش عن نافع: «ليهب لك» بغير همز. قال الزجاج: من قرأ «ليهب» فالمعنى: أرسلني ليهب، ومن قرأ «لأهب» فالمعنى: أرسلت إليك لأهب لك. وقال ابن الأنباري: المعنى: أرسلني يقول لك: أرسلت رسولي إليك لأهب لك.

قوله تعالى: ﴿غُلَامًا زَكِيًّا﴾ ٢٠ أي: طاهراً من الذنوب. والبيغي: الفاجرة الزانية. قال ابن الأنباري: وإنما لم يقل: «بغيّة» لأنه وصف يغلب على النساء، فقلّما تقول العرب: رجل بغي، فيجري مجرى حائض، وعافر. وقال غيره: إنما لم يقل: «بغيّة» لأنه مصروف عن وجهه، فهو «فعل» بمعنى: «فاعل». ومعنى الآية: ليس لي زوج، ولستُ بزانية، وإنما يكون الولد من هاتين الجهتين. ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ قد شرحناه في قصة زكريا، والمعنى: أنه يسير عليّ أن أهب لك غلاماً من غير أب. ﴿وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ أي: دلالة على قدرتنا كونه من غير أب. قال ابن الأنباري: إنما دخلت الواو في قوله: ﴿وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ لأنها عاطفة لما بعدها على كلام مضمّر محذوف، تقديره: قال ربك خلقه عليّ هين لننتفعك به، ولنجعلك عبرة.

قوله تعالى: ﴿وَرَجَعْنَا نَسِيًا﴾ أي: لمن تبعه وآمن به ﴿وَكُنَّا أَثَرًا مَّقْصِيًا﴾ أي: وكان خلقه أمراً محكوماً به، مفروغاً عنه، سابقاً في علم الله تعالى كونه.

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ ١٣ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جَنَاحِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثْ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًا مَنِيًّا ١٤ فَأَدْبَاهَا مِنْ قَبْلِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَمَلَ رَبِّي بِكَ تَحْنُكَ سَرِيًّا ١٥ وَهَرَضَ إِلَيْكَ بِجَنَاحِ النَّخْلَةِ شَلَقَظَ عَلَيْكَ رَطْبًا جِيًّا ١٦ فَكُلْ وَاشْرَبْ وَفَرَى عَيْنًا فَلَمَّا تَرَى مِنَ الْبَشَرِ لَحْدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ١٧

قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ يعني: عيسى. وفي كيفية حملها له قولان: أحدهما: أن جبريل نفخ في جيب درعها، فاستمر بها حملها، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. قال السدي: نفخ في جيب درعها وكان مشقوقاً من قدامها، فدخلت النفخة في صدرها فحملت من وقتها. والثاني: الذي خاطبها هو الذي حملته، ودخل من فيها، قاله أبي بن كعب. وفي مقدار حملها سبعة أقوال. أحدها: أنها حين حملت وضعت، قاله ابن عباس، والمعنى: أنه ما طال حملها، وليس المراد أنها وضعت في الحال، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾، وهذا يدل على أن بين الحمل والوضع وقتاً يحتمل الانتباز به. والثاني: أنها حملته تسع ساعات، ووضعت من يومها، قاله الحسن. والثالث: تسعة أشهر، قاله سعيد بن جبيرة. وابن السائب<sup>(١)</sup>. والرابع: ثلاث ساعات، حملته في ساعة، وصوّر في ساعة، ووضعت في ساعة، قاله مقاتل بن سليمان. والخامس: ثمانية أشهر، فعاش، ولم يعش مولود قط لثمانية أشهر، فكان في هذا آية، حكاه الزجاج. والسادس: في ستة أشهر، حكاه الماوردي. والسابع: في ساعة واحدة، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾ يعني بالخلل ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ أي: بعيداً. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبله: «قاصياً». قال ابن إسحاق: مشت ستة أميال. قال الفراء: القصي والقاصي بمعنى واحد. وقال غير الفراء: القصي والقاصي بمنزلة الشهيد والشاهد. وإنما بُدلت، فراراً من قومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج.

قوله تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾ وقرأ عكرمة، وإبراهيم النخعي، وعاصم الجحدري: «المخاض» بكسر الميم. قال الفراء: المعنى: فجاء بها المخاض، فلما ألفت الباء، جُعِلَتْ في الفعل ألفاً، ومثله: ﴿إِنَّا غَدَاكُمْ﴾ [الكهف: ٦٢] أي: بغدائنا، ومثله: ﴿هَؤُلَاءِ زَيْرٌ لِلزَّيْرِ﴾ [الكهف: ٩٦] أي: بزير الحديد. قال أبو عبيدة: أفعلها من جاءت هي، وأجاءها غيرها. وقال ابن قتيبة: المعنى: جاء بها، وألجأها، وهو من حيث يقال: جاءت بي الحاجة إليك، وأجاءتني الحاجة إليك، والمخاض: الحمل. وقال غيره: المخاض: وجع الولادة. ﴿إِنِّي جِنَاحِ النَّخْلَةِ﴾ وهو ساق النخلة، وكانت نخلة يابسة في الصحراء، ليس لها رأس ولا سعف. ﴿قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِثْ قَبْلَ هَذَا﴾ اليوم، أو هذا الأمر. وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي، وخلف، وحفص: «مِثْ» بكسر الميم. وفي سبب قولها هذا قولان: أحدهما: أنها قالت حياءً من الناس. والثاني: لتلا يأثموا بقذفها.

قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ نَسِيًا مَنِيًّا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، بكسر النون، وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: «نَسِيًا» بفتح النون. قال الفراء: وأصحاب عبد الله يقرؤون: «نَسِيًا» بفتح النون، وسائر العرب بكسرها، وهما لغتان، مثل الجسر والجسر، والوتر والوتر، والفتح أحب إليّ. قال أبو علي الفارسي: الكسر على اللغتين. وقال ابن الأنباري: من كسر النون قال: النسي: اسم لما يُنسى، بمنزلة البغض اسم لما يُبغض، والسب اسم لما يُسب. والنسي بفتح النون: اسم لما يُنسى أيضاً على أنه مصدر ناب عن الاسم، كما يقال: الرجل ذُفِنَ، وذُفِنَ. فالمكسور: هو الوصف الصحيح، والمفتوح: مصدر سُدَّ مسد الوصف. ويمكن أن يكون النسي والنسي اسمين لمعنى، كما يقال: الرطل والرطل. وللمفسرين في قوله تعالى: ﴿نَسِيًا مَنِيًّا﴾ خمسة أقوال: أحدها: يا ليتني لم أكن شيئاً، قاله الضحاك عن ابن عباس، وبه قال عطاء، وابن زيد. والثاني: «وكننت نسياً منسياً» أي: دم حيضة ملقاة، قاله مجاهد، وسعيد بن جبيرة، وعكرمة. قال الفراء: النسي: ما تلقى المرأة من خرق

اعتلالها. وقال ابن الأنباري: هي خرق الحيض تلقىها المرأة فلا تطلبها ولا تذكرها. والثالث: [أنه من] السقط، قاله أبو العالية، والربيع. والرابع: أن المعنى: يا ليتني لا يُدري من أنا، قاله قتادة. والخامس: أنه الشيء التافه يرتحل عنه القوم، فيهنون عليهم فلا يرجعون إليه، قاله ابن السائب. وقال أبو عبيدة: الزنسي، والمنسي: ما ينسى من أداة وعصا. يعني أنه ينسى في المنزل، فلا يرجع إليه لاحترار صاحبه إياه. وقال الكسائي: معنى الآية: ليتني كنت ما إذا ذكر لم يُطلب.

قوله تعالى: ﴿فَأَدْنَيْهَا مِنْ نَحْبِهَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «مَنْ تحتها» بفتح الميم، والتاء. وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «مِنْ تحتها» بكسر الميم، والتاء. فمن قرأ بكسر الميم، ففيه وجهان: أحدهما: ناداها الملك من تحت النخلة. وقيل: كانت على نَشْر، فناداها الملك أسفل منها. والثاني: ناداها عيسى لما خرج من بطنها. قال ابن عباس: كلُّ ما رفعت إليه طرفك، فهو فوقك، وكلُّ ما خفضت إليه طرفك، فهو تحتك. ومن قرأ بفتح الميم، ففيه الوجهان المذكوران. وكان الفراء يقول: ما خاطبها إلا الملك على القراءتين جميعاً.

قوله تعالى: ﴿فَدَجَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فِيهِ قَوْلَانِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه النهر الصغير، قاله جمهور المفسرين، واللغويون، قال أبو صالح، وابن جريج: هو الجدول بالسريانية. والثاني: أنه عيسى كان سرياً من الرجال، قاله الحسن، وعكرمة، [وابن زيد]. قال ابن الأنباري: وقد رجح الحسن عن هذا القول إلى القول الأول، ولو كان وصفاً لعيسى، كان غلاماً سرياً أو سويماً من الغلمان، وقُلماً تقول العرب: رأيت عندك نبيلاً، حتى يقولوا: رجلاً نبيلاً. فإن قيل: كيف ناسب تسليتها أن قيل: لا تحزني. فهذا نهر يجري؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنها حزنت لجذب مكانها الذي ولدت فيه، وعدم الطعام والشراب والماء الذي تنطهر به، فقيل: لا تحزني قد أجرينا لك نهراً، وأطلعنا لك رطباً، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها حزنت لما جرى عليها من ولادة ولد عن غير زوج، فأجرى الله تعالى لها نهراً، فجاءها من الأردن، وأخرج لها الرطب من الشجرة اليابسة، فكان ذلك آية تدل على قدرة الله تعالى في إيجاد عيسى، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَهَزَجَ إِلَيْكَ﴾ الهزُّ: التحريك. والباء في قوله تعالى: ﴿يَجْمَعُ أَلْتَخْلُ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها زائدة مؤكدة، كقوله تعالى: ﴿تَلْمِذَذٌ يَسْبِي إِلَى أَسْكَرٍ﴾ [الحج: ١٥] قال الفراء: فليمدد سبياً. والعرب تقول: هزّه، وهز به، وخذ الخطام، وخذ بالخطام، وتعلّق زيداً، وتعلّق به. وقال أبو عبيدة: هي مؤكدة، كقول الشاعر:

نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرْجِ<sup>(١)</sup>

والثاني: أنها دخلت على الجذع لتلصقه بالهز، فهي مفيدة للإصاق، قاله ابن الأنباري. قوله تعالى: ﴿سُقُوطٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «تَسَاقُطٌ» بالتاء مشددة السين. وقرأ حمزة، وعبد الوارث: «تَسَاقُطٌ» بالتاء مفتوحة مخففة السين. وقرأ حفص عن عاصم: «تَسَاقُطٌ» بضم التاء وكسر القاف مخففة السين. وقرأ يعقوب، وأبو زيد عن المفضل: «يَسَاقُطٌ» بالياء مفتوحة وتشديد السين وفتح القاف. فهذه القراءات المشاهير. وقرأ أبي بن كعب، وأبو حية: «تَسْقُطٌ» بفتح التاء وسكون السين ورفع القاف. وقرأ عبد الله بن عمرو، وعائشة، والحسن: «يَسَاقُطٌ» بآلف وتخفيف السين ورفع الياء وكسر القاف. وقرأ الضحاك، وعمرو بن دينار: «يُسْقِطُ» برفع الياء وكسر القاف مع سكون السين وعدم الألف. وقرأ عاصم الجحدري، وأبو عمران الجوني مثله، إلا أنه بالتاء. وقرأ معاذ القارئ، وابن يعمر مثله، إلا أنه بالنون. وقرأ أبو رزين العقيلي، وابن أبي عبة: «يَسْقُطُ» بالياء مفتوحة مع سكون السين ورفع القاف. وقرأ أبو السماك العدوي، وابن حزام: «تَسَاقُطٌ» بتاءين مفتوحين وبآلف. وقال الزجاج: من قرأ «يَسَاقُطٌ» فالمعنى: يتساقط، فادغمت التاء في السين. ومن قرأ «تَسَاقُطٌ»، فكذلك أيضاً، وأنت لأن لفظ النخلة يؤنث. ومن قرأ «تَسَاقُطٌ» بالتاء والتخفيف، فإنه حذف من «تَسَاقُطٌ» اجتماع

(١) هذا الشطر من الرجز لراجز من بني جملة، وهو في «الاقطصاب» ٤٥٨، و«شواهد المغني» ١١٤٠، و«الخزانة» ١٥٩/٤.



النامين. ومن قرأ «يُساقط» ذهب إلى معنى: يُساقط الجذع عليك. ومن قرأ «تُساقط» بالنون، فالمعنى: نحن تُساقط عليك، فنجعله لك آية، والنحويون يقولون: إن «رطباً» منصوب على التمييز إذا قلت: يَسَاقُطُ أو يتساقط، المعنى: يتساقط الجذع رطباً. وإذا قلت: تَسَاقُطُ بالياء، فالمعنى: تتساقط النخلة رطباً.

قوله تعالى: ﴿حِينَئِذٍ﴾ قال الفراء: الحِينِي: المجْتِي، وقال ابن الأنباري: هو الطري، والأصل: مجنؤ، صُرف من مفعول إلى فعيل، كما يقال: قديد، وطبيخ. وقال غيره: هو الطري بغباره: ولم يكن لتلك النخلة رأس، فأنبته الله تعالى، فلما وضعت يدها عليها، سقط الرطب رطباً. وكان السلف يستحبون للنساء الرطب من أجل مريم عليها السلام.

قوله تعالى: ﴿فَلْيُكَلِّمْ﴾ أي: من الرطب ﴿وَأَشْرَبِي﴾ من النهر ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ بولادة عيسى عليه السلام. قال الزجاج: يقال: قررت به عيناً أقر، بفتح القاف في المستقبل، وقررت في المكان أقر، بكسر القاف، و«عيناً»: منصوب على التمييز. وروى ابن الأنباري عن الأصمعي أنه قال: معنى «وقري عيناً»، وتبرد دمعتك، لأن دمعة الفرح باردة، ودمعة الحزن حارة. واشتقاق «قري» من القُرور، وهو الماء البارد. وقال لنا أحمد بن يحيى: تفسير «قري عيناً» بلغت غاية أملك حتى تقر عينك من الاستشراف إلى غيره، واحتج بقول عمرو بن كلثوم:

بِیَوْمِ كَرِيهَةٍ ضَرِباً وَطَعْناً  
أَقْرَبَهُ مَوَالِيكَ الْعِیُونَا<sup>(١)</sup>

أي: ظفروا وبلغوا منتهى أمنيتهن، فقرت عينهم من تطلع إلى غيره.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَيْنَ﴾ وقرأ ابن عباس، وأبو مجلز، وابن السميع، والضحاك، وأبو العالية، وعاصم الجحدري: «تَرَيْنَ» بهزمة مكسورة من غير ياء. أي: إن رأيت من البشر أحداً فقولِي؛ وفيه إضمار تقديره: فسألك عن أمر ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ فيه قولان: أحدهما: صمتاً، قاله ابن عباس، وأنس بن مالك، والضحاك؛ وكذلك قرأ أبي كعب، وأنس بن مالك، وأبو رزين العقيلي: «صمتاً» مكان قوله: «صوماً». وقرأ ابن عباس: صياماً<sup>(٢)</sup>. والثاني: صوماً عن الطعام والشراب والكلام، قاله قتادة. وقال ابن زيد: كان المجتهد من بني إسرائيل يصوم عن الكلام كما يصوم عن الطعام، إلا من ذكر الله ﷻ. قال السدي: فأذن لها أن تتكلم بهذا القدر ثم تسكت. قال ابن مسعود: أئبرث بالصمت، لأنها لم تكن لها حجة عند الناس، فأمرت بالكف عن الكلام ليكفيها الكلام ولها مما يُبرئ به ساحتها. وقيل: كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الإنسان. قال ابن الأنباري: الصوم في لغة العرب على أربعة معانٍ، يقال: صوم لترك الطعام والشراب، وصوم للصمت، وصوم لضرب من الشجر، وصوم لذرق النعام. واختلف العلماء في مقدار سن مريم يوم ولادتها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ولدت وهي بنت خمس عشرة سنة، قاله وهب بن منبه. والثاني: بنت اثنتي عشرة سنة، قاله زيد بن أسلم. والثالث: بنت ثلاث عشرة سنة، قاله مقاتل.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلَةً﴾ قَالَوا يَمْرُؤُهَا لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٧٧﴾ يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوهُ أَمراً سَوَو وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَيْنَا ﴿٧٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْهَدْيِ صَبِيًّا ﴿٧٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٨٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالْحَقِّ وَالْحَقَّ كَذَبْتُ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٨١﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلَةً﴾ قال ابن عباس في رواية أبي صالح: أنتهم به بعد أربعين يوماً حين طهرت من نفاسها. وقال في رواية الضحاك: انطلق قومها يطلبونها، فلما رأتهم حملت عيسى فتلقتهن به، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلَةً﴾. فإن قيل: «أتت به» ينفي عن «تحمله» فلا فائدة للتكرير. فالجواب: أنه لما ظهرت منه آيات، جاز أن يتوهم السامع «فأتت به» أن يكون ساعياً على قدميه، فيكون سعيه آية كمنطقه، فقطع ذلك التوهم، وأعلم أنه كسائر الأطفال، وهذا مثل قول العرب: نظرت إلى فلان بعيني، فنقوا بذلك نظر العطف، والرحمة، وأثبتوا [أنه] نظر عين. وقال ابن السائب: لما دخلت على قومها بكوا، وكانوا قوماً صالحين؛ و﴿قَالُوا يَمْرُؤُهَا لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ وفيه ثلاثة أقوال:

(١) «مختار الشعر الجاهلي» ٣٦٢/٢، «اللسان»: قرر.

(٢) وفي النسخة الإستانبولية: وقرأ ابن مسعود: «وصياماً»، والذي في «البحر المحيط» و«روح المعاني»: وقرأ زيد بن علي «صياماً».

أحدهما: شيئاً عظيماً، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. قال الفراء: الفرّي: العظيم، والعرب تقول: تركته يفري الفرّي، إذا عمل فأجاد العمل فَفَضَّلَ الناس، قيل هذا فيه، قال النبي ﷺ: «فما رأيت عبقرياً يفري فرّياً عمراً»<sup>(١)</sup>. والثاني: عَجَباً فافقاً، قاله أبو عبيدة. والثالث: شيئاً مصنوعاً، ومنه يقال: فريت الكذب، وافتريته، قاله الزبيدي.

قوله تعالى: ﴿يَتَاخَتُّ هَٰؤُلَاءُ﴾ في المراد بهارون هذا خمسة أقوال: أحدها: أنه أخ لها من أمها، وكان من أمثل فتى في بني إسرائيل، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال الضحاك: كان من أبيها وأمها. والثاني: أنها كانت من بني هارون، قاله الضحاك عن ابن عباس. وقال السدي: كانت من بني هارون أخي موسى ﷺ، فنسبت إليه، لأنها من ولده. والثالث: أنه رجل صالح كان في بني إسرائيل، فشبهوها به في الصلاح، وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً، وقتادة، ويدل عليه ما روى المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران، فقالوا: ألسنم تقروون: ﴿يَتَاخَتُّ هَٰؤُلَاءُ﴾ وقد علمتم ما كان بين موسى وعيسى؟ فلم أدر ما أجيبهم، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «إلا أخبرتهم أنهم كانوا يسئون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»<sup>(٢)</sup>. والرابع: أن قوم هارون كان فيهم فُسَّاق وزُنَّاء، فنسبوا إليهم، قاله سعيد بن جبيرة. والخامس: أنه رجل من فُسَّاق بني إسرائيل شَبَّهوها به، قاله وهب بن منبه. فعلى هذا يخرج في معنى «الأخت» قولان: أحدهما: أنها الأخت حقيقة. والثاني: المشابهة، لا المناسبة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُرِيدُ مِنَ آيَةِ إِلَّا مِنْ أَكْثَرِ مِنْ أُخْتَيْهَا﴾ [الزخرف: ٤٨].

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوْلَوْحَ﴾ يعنون: عمران ﴿أَمَرًا سَوًّا﴾ أي: زانياً ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ﴾ حنة ﴿بَيْتًا﴾ أي: زانية، فمن أين لك هذا الولد؟

قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ﴾، أي: أومات ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى عيسى فتكلّم. وقيل المعنى: أشارت إليه أن كلّمه. وكان عيسى قد كلّمها حين أنت قومها، وقال: يا أمّاه ابشري فلإني عبد الله ومسيحه، فلما أشارت أن كلّمه، تعجّبوا من ذلك، و﴿قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ﴾ وفيها<sup>(٣)</sup> أربعة أقوال: أحدها: أنها زائدة، فالمعنى: كيف نكلّم صبيّاً في المهد؟ والثاني: أنها في معنى: وقع، وحدث. والثالث: أنها في معنى الشرط والجزاء، فالمعنى: من يكن في المهد صبيّاً، فكيف نكلّمه؟ حكاهما الزجاج، واختار الأخير منها؛ قال ابن الأنباري: وهذا كما تقول: كيف أعظم من كان لا يقبل موعظتي؟ أي: من يكن لا يقبل، والماضي يكون بمعنى المستقبل في الجزاء. والرابع: أن «كان» بمعنى: صار، قاله قطرب. وفي المراد بالمهد قولان: أحدهما: جنّزها، قاله نوّف، وقتادة، والكلبي، والثاني: سرير الصبي المعروف، حكاه الكلبي أيضاً. قال السدي: فلما سمع عيسى كلامهم، لم يزد على أن ترك الرضّاع، وأقبل عليهم بوجهه، فقال: إني عبد الله. قال المفسرون: إنما قدّم ذكر العبودية، ليُبَيَّنَّ قول من ادّعى فيه الربوبية. وفي قوله: ﴿مَا أَتَيْنِي﴾ الْكِتَابُ أسكن هذه الياه حمزة. وفي معنى الآية قولان. أحدهما: أنه آتاه الكتاب وهو في بطن أمه، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقيل: علم التوراة والإنجيل وهو في بطن أمه. والثاني: قضى أن يؤتيني الكتاب، قاله عكرمة. وفي «الكتاب» قولان: أحدهما: أنه التوراة. والثاني: الإنجيل.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي يَتِيمًا﴾ هذا وما بعده إخبار عما قضى الله له وحكم له به ومنحه إياه مما سيظهر ويكون. وقيل: المعنى: يؤتيني الكتاب ويجعلني نبياً إذا بلغت؛ فحلّ الماضي محلّ المستقبل، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُوحَيُّسَى﴾ [المائدة: ١١٦]. وفي وقت تكليمه لهم قولان: أحدهما: أنه كلّمهم بعد أربعين يوماً. والثاني: في يومه. وهو مبني على ما ذكرنا من الزمان الذي غابت عنهم فيه مريم.

(١) البخاري ٣٦٧/٧، ومسلم ١٨٦٢/٤، ومعناه: لم أر سيداً يعمل عمله ويقطع قطعه.

(٢) وعلى هامش نسخة الرباط: أخرجه مسلم في «صحيحه» ومن طريقه البخاري في «شرح السنة» في كتاب الاستئذان في باب التسمية باسم النبي ﷺ اهـ. وهو في مسلم في كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم ويان ما يستحب من الأسماء (١٨٦٥/٣) بمعناه، ورواه أحمد في «المسند» ٤/ ٢٥٢، ولفظه قريب من رواية المصنف، ورواه الترمذي في «التفسير» (١٤٤/٢)، وأورده السيوطي في الدرر الصغرى زاد نسبه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل».

(٣) أي: لفظة «كان».

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنِي مَبَارَكًا إِنَّنِي مَا كُنْتُ﴾ روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ في هذه الآية قال: «نفاعاً حيثما توجهت»<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: معلماً للخير. وفي المراد «بالزكاة» قولان: أحدهما: زكاة الأموال، قاله ابن السائب. والثاني: الطهارة، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿يَبْرَأُ يَوْلَايَ﴾ قال ابن عباس: لما قال هذا، ولم يقل: «بوالدي» علموا أنه ولد من غير بشر. قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ أي: متعظماً «شَقِيحًا» عاصياً لربه ﴿وَأَسْلَمَ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ﴾ قال المفسرون: السلامة علي من الله يوم وُلِدْتُ حتى لم يضرنني شيطان. وقد سبق تفسير الآية (مريم: ١٥). فإن قيل: لم ذكر هاهنا «السلام» بألف ولام، وذكره في قصة يحيى بلا ألف ولام؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه لما جرى ذكر السلام قبل هذا الموضع بغير ألف ولام، كان الأحسن أن يرد ثانية بألف ولام، هذا قول الزجاج. وقد اعترض على هذا القول، فقيل: كيف يجوز أن يعطف هذا وهو قول عيسى، على الأول وهو قول الله ﷻ؟ وقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال: عيسى إنما يتعلم من ربه، فيجوز أن يكون سمع قول الله في يحيى، فبنى عليه وألصقه بنفسه، ويجوز أن يكون الله ﷻ عَرَفَ السلام الثاني لأنه أتى بعد سلام قد ذكره، وأجراه عليه غير قاصد به اتباع اللفظ المحكي، لأن المتكلم، له أن يغير بعض الكلام الذي يحكيه، فيقول: قال عبد الله: أنا رجل منصف، يريد: قال لي عبد الله: أنت رجل منصف. والجواب الثاني: أن سلاماً والسلام لغتان بمعنى واحد، ذكره ابن الأنباري.

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٢٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا فَضَّحْتُمْ أَفْرًا فَإِنَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٢٥) وَلَئِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاقْبُدُّوهْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٢٦)

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ قال الزجاج: أي، ذلك الذي قال: إني عبد الله، هو ابن مريم، لا ما تقول النصراني: أنه ابن الله، وأنه إله.

قوله تعالى: ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وحزمة، والكسائي: «قول الحق» برفع اللام. وقرأ عاصم، وابن عامر، ويعقوب: بنصب اللام. قال الزجاج: من رفع «قول الحق» فالمعنى: هو قول الحق، يعني هذا الكلام؛ ومن نصب، فالمعنى: أقول قول الحق. وذكر ابن الأنباري في الآية وجهين: أحدهما: أنه لما وُصف بالكلمة جاز أن يُنعت بالقول. والثاني: أن في الكلام إضماراً، تقديره: ذلك نبا عيسى، ذلك النبا قول الحق.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يشكون. قال قتادة: ائتمرت اليهود فيه والنصارى، فزعم اليهود أنه ساحر، وزعم النصارى أنه ابن الله وثالث ثلاثة. قرأ أبو مجلز، ومعاذ القارئ، وابن يعمر، وأبو رجاء: «تمترون» بالتاء.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾ قال الزجاج: المعنى: أن يتخذ ولداً. «ومن» مؤكدة تدل على نفي الواحد والجماعة، لأن للقاتل أن يقول: ما اتخذت فرساً، يريد: اتخذت أكثر من ذلك، وله أن يقول: ما اتخذت فرسين ولا أكثر، يريد: اتخذت فرساً واحداً؛ فإذا قال: ما اتخذت من فرس، فقد دلل على نفي الواحد والجميع.

قوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ وقرأ أبو عمران الجوني، وابن أبي عبة: «فيكون» بالنصب، وقد ذكرنا وجهه في (البقرة: ١١٧).

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «وَأَنَّ اللَّهَ» بنصب الألف. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «وَأَنَّ اللَّهَ» بكسر الألف. وهذا من قول عيسى؛ فمن فتح، عطفه على قوله: ﴿وَأَوْسَيْنِي بِالْقَوْلِ وَالزُّكْرِ﴾ وبأن الله ربي؛ ومن كسر، ففيه وجهان: أحدهما: أن يكون معطوفاً على قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ والثاني: أن يكون مستأنفاً.

﴿فَأَخْلَفَ الْأَحْرَابَ مِنْ بَنِيهِمْ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢٧) أَتَمَّعَ يَوْمَ وَأَبْصَرَ يَوْمَ يَا تَوَنَّا لَكِنِ الْقَلِيلُ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٨) وَأَبْذَرَهُ يَوْمَ لَمَسْرَةً إِذْ قُتِيَ الْأَمْرُ وَمِمَّنْ فِي غَفْلَةٍ وَمِمَّنْ لَا يَوْمُونَ (٢٩) إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٣٠)

(١) في «الطبري» وابن كثير: عن مجاهد: نفاعاً. وقال السيوطي في «الدر» ٢٧٠/٤: أخرج الإسماعيلي في «معجمه» وأبو نعيم في «الحلية» وابن لال في «مكارم الأخلاق»، وابن مردويه، وابن النجار في «تاريخه» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قول عيسى ﷺ: وجعلني مباركاً أينما كنت، قال: جعلني نفاعاً للناس أين توجهت».

قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ قال المفسرون: «من» زائدة، والمعنى: اختلفوا بينهم. وقال ابن الأنباري: لما تمسك المؤمنون بالحق، كان اختلاف الأحزاب بين المؤمنين مقصوداً عليهم. وفي الأحزاب قولان: أحدهما: أنهم اليهود والنصارى، فكانت اليهود تقول: إنه لغير رُشد<sup>(١)</sup>، والنصارى تدعي فيه ما لا يليق به. والثاني: أنهم فرق النصارى، قال بعضهم: هو الله، وقال بعضهم: ابن الله، وقال بعضهم: ثالث ثلاثة.

قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بقولهم في المسيح ﴿مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: من حضورهم ذلك اليوم للجزاء. قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأُبَصِّرْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن لفظه لفظ الأمر، ومعناه الخير؛ فالمعنى: ما أسمعه وأبصرهم يوم القيامة، سمعوا وأبصروا حين لم يفهمهم ذلك لأنهم شاهدوا من أمر الله ما لا يحتاجون معه إلى نظر وفكر فعلموا الهدى وأطاعوا، هذا قول الأكثرين. والثاني: أسمع بحدثهم اليوم، وأبصر كيف يصنع بهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾، قاله أبو العالية.

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الْكَافِرِينَ﴾ يعني: المشركين والكفار ﴿الْيَوْمَ﴾ يعني: في الدنيا ﴿فِي سَكَلٍ ثُنَيْنِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرَهُمْ﴾ أي: خوف كثر مكنة ﴿يَوْمَ الْمُنْصَرَةِ﴾ يعني: يوم القيامة يتحسر المسيء إذ لم يُحسِّن، والمقصر إذ لم يَزِدْ من الخير. وموجبات الحسرة يوم القيامة كثيرة، فمن ذلك ما روى أبو سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، قيل: يا أهل الجنة، فيشربون<sup>(٢)</sup> وينظرون، وقيل: يا أهل النار، فيشربون وينظرون، فيجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيقال لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: هذا الموت، فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت؛ ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ لَقَسَتْهُ إِذْ فُتِيَ الْأَثَرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. قال المفسرون: فهذه هي الحسرة إذا ذُبح الموت، فلو مات أحد فرحاً مات أهل الجنة، ولو مات أحد حزناً مات أهل النار. ومن موجبات الحسرة، ما روى عدي بن حاتم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يؤتى يوم القيامة بناس إلى الجنة، حتى إذا دَنَوْا منها واستنشقوا ريحها ونظروا إلى قصورها، نودوا: أن اصرفوهم عنها، لا نصب لهم فيها، فيرجعون بحسرة ما رَجَعُ الْأَوَّلُونَ بمثلها، فيقولون: يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تُرِينَا ما أرينا كان أهون علينا؛ قال: ذلك أردت بكم، هبتم الناس ولم تهابوني، وأجلستم الناس ولم تُجلوني، تركتم للناس ولم تتركوا لي، فالיום أذيقكم العذاب مع ما حرمتكم من الثواب<sup>(٤)</sup>. ومن موجبات الحسرة ما روي عن ابن مسعود قال: ليس من نفس يوم القيامة إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة، وبيت في النار، ثم يقال: يعني لهؤلاء: لو عملتم، ولأهل الجنة: لولا أن من الله عليكم. ومن موجبات الحسرة: قطع الرجاء عند إطباق النار على أهلها.

قوله تعالى: ﴿إِذْ فُتِيَ الْأَثَرُ﴾ قال ابن الأنباري: «قضي» في اللغة بمعنى: أُنقِضَ وأُحْكِمَ، وإنما سمي الحاكم قاضياً، لإتقانه وإحكامه ما ينفذ. وفي الآية اختصار، والمعنى: إذ قضي الأمر الذي فيه هلاكهم. وللمفسرين في الأمر قولان: أحدهما: أنه ذبح الموت، قاله ابن جريج، والسدي. والثاني: أن المعنى: قضي العذاب لهم، قاله مقاتل. قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ أي: هم في الدنيا في غفلة عما يصنع بهم ذلك اليوم ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بما يكون في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ﴾ أي: نُمِيت سَكَنَهَا فَنَرِثُهَا ﴿وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَوْنَ﴾ بعد الموت. فإن قيل: ما

(١) يقال: هذا ولد رُشد؛ إذا كان لكناح صحيح، ويقال في ضده: ولد زنية.

(٢) يشربون: يرفعون رؤوسهم إلى المنادي.

(٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» ٩/٣، وَابْنُ خَالٍ ٣٢٥/٨، وَمُسْلِمٌ ٢١٨٨/٤، وَالتِّرْمِذِيُّ ١٤٤/٢ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَأَبُوهُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٢٧١/٤ وَزَادَ نَسْبَهُ لِسَعِيدِ بْنِ مَسْرُورٍ، وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ، وَالتَّنَائِي، وَأَبُو يَحْيَى، وَابْنُ الْمُنْذَرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ جَبَانَ، وَابْنُ مَرْوَيْهِ.

(٤) ذَكَرَهُ الْحَافِظُ الْمُنْذَرِيُّ فِي «الْتَرغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» بَابِ التَّرْهيبِ مِنَ الرِّبَا مِنْ رِوَايَةِ الطَّبْرَانِيِّ فِي «الْكَبِيرِ» وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

الفائدة في «نحن» وقد كفت عنها «إنا»؟ فالجواب: أنه لما جاز في قول المعظم: «إنا نفعل» أن يوهم أن أتباعه فعلوا، أبانت «نحن» بأن الفعل مضاف إليه حقيقة. فإن قيل: فلم قال: «ومن عليها» وهو يرث الأديمين وغيرهم؟ فالجواب: أن «من» تختص أهل التمييز، وغير المميزين يدخلون في معنى الأرض ويجرون مجراها، ذكر الجوابين عن السؤالين ابن الأنباري.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صَادِقًا نَبِيًّا﴾ ١١٠ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّبِعْ لِمَ تَقْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ١١١ يَتَّبِعْ إِلَى قَدِّ جَاءَنِي مِنَ الْعُلَهِ مَا لَمْ يَأْتِكْ فَأَتَّبِعْ أَهْلَكَ مِرَاطًا سَوِيًّا ١١٢ يَتَّبِعْ إِلَى أَهْلِكَ أَنْ يَسْأَلَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتُكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ١١٣ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَكْفُرُونَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَكْرِمَنَّكَ وَأَهْمُرَنِي مِثْلًا ١١٤ قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَقِّيًّا ١١٥ وَأَعَزَّلْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ١١٦ فَلَمَّا أَتَتْكُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُمُ الْإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ١١٧ وَمِنْ تَحْمِيْنَا وَجَعَلْنَا لَهُمُ إِبْرَاهِيمَ صَدِيقًا عَلِيًّا ١١٨

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: اذكر لقومك قصته. وقد سبق معنى الصديق (في النساء: ٦٩).

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ أي: لا يدفع عنك ضرًا.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعُلَهِ مَا لَمْ يَأْتِكْ وَالْمَعْرِفَةُ﴾ «مَا لَمْ يَأْتِكْ»

قوله تعالى: ﴿لَا تَقْبُدُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: لا تطلع فيما يأمر به من الكفر والمعاصي. وقد شرحنا معنى «كان» آنفًا.

و«عصيًا» أي: عاصيًا، فهو «فعل» بمعنى «فاعل».

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَهْلُكَ أَنْ يَسْأَلَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ قال مقاتل: في الآخرة؛ وقال غيره: في الدنيا، ﴿فَتُكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ أي: قريبًا في عذاب الله، فجرت المقارنة مجرى الموالاة. وقيل: إنما طمع إبراهيم في إيمان أبيه، لأنه حين خرج من النار قال له: نِعْمَ إِلَهِهُ إِلَهِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ، فحينئذ أقبل يعظه، فأجابه أبوه: ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَكْفُرُونَ﴾ أي: أترك عبادتها أنت؟ ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ﴾ عن عيبتها وشتمها ﴿لَأَكْرِمَنَّكَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: بالشم والقول، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: بالحجارة حتى تتباعد عني، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَأَهْمُرَنِي مِثْلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أهجرتني طويلًا، رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والفرء، والأكثرون. قال ابن قتبية: أهجرتني حينًا طويلًا، ومنه يقال: تَمَلَّيتُ حَبِييبًا. والثاني: اجتنبتني سالمًا قبل أن تصيبك عقوبي، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والضحاك؛ فعلى هذا يكون من قولهم: فلان ملئ بكذا وكذا: إذا كان مضطلمًا به، فالمعنى: أهجرتني وعرضك وافر، وأنت سليم من أذائي، قاله ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ﴾ أي: سلمت من أن أصيبك بمكرهه، وذلك أنه لم يؤمر بقتاله على كفره، ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: سأسال الله لك توبة تنال بها مغفرته. والثاني: أنه وعده الاستغفار وهو لا يعلم أن ذلك محظور في حق المصيرين على الكفر، ذكرهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي حَقِّيًّا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لطيفًا، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال ابن زيد، والزجاج. والثاني: رحيماً، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: بارًا عودني منه الإجابة إذا دعوته، قاله ابن قتبية.

قوله تعالى: ﴿وَأَعَزَّلْتُكُمْ﴾ أي: وأنتعني عنكم، ﴿وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأصنام. وفي معنى «تَدْعُونَ» قولان: أحدهما: تَعْبُدُونَ. والثاني: أن المعنى: وما تدعونه ربًّا، ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ أي: وأعبده ﴿عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ أي: أرجو أن لا أشقى بعبادته كما شقيتم بعبادة الأصنام، لأنها لا تنفعهم ولا تُجيب دعاءهم ﴿فَلَمَّا أَتَتْكُمْ﴾ قال المفسرون: هاجر عنهم إلى أرض الشام، فوهب الله له إسحاق ويعقوب، فأنس الله وحشته عن فراق قومه بأولاد كرام. قال أبو سليمان: وإنما وهب له إسحاق ويعقوب بعد إسماعيل.

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا﴾ أي: وكلًا من هذين. وقال مقاتل: «وَكُلًّا» يعني: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَعَيْنَا لَهُمْ رَحْمَةً﴾ قال المفسرون: المال والولد والعلم والعمل، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ قال ابن قتيبة: أي: ذكرنا حسناً في الناس مرتفعاً، فجميع أهل الأديان يتولون إبراهيم وذريته ويثنون عليهم، فوضع اللسان مكان القول، لأن القول يكون باللسان<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَذَكَّرَ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥١ وَنَذَرْنَاهُ مِنَ الْجَبِّ الطُّورِ الْآخِثِ وَقَرْنَاهُ إِحْيَا ٥٢ وَوَعَيْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا إِخَاءَهُ هَارُونَ نَبِيًّا ٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والمفضل عن عاصم: «مُخْلَصًا» بكسر اللام. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم بفتح اللام. قال الزجاج: المُخْلَص، بكسر اللام: الذي وُحِّدَ الله، وجعل نفسه خالصة في طاعة الله غير ذنسية، والمُخْلَص، بفتح اللام: الذي أخلصه الله، وجعله مختاراً خالصاً من الدُّنس.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ قال ابن الأنباري: إنما أعاد «كان» لتفخيم شأن النبي المذكور.

قوله تعالى: ﴿وَنَذَرْنَاهُ مِنَ الْجَبِّ الطُّورِ﴾ أي: من ناحية الطور، وهو جبل بين مصر ومدين اسمه زبير. قال ابن الأنباري: [إنما] خاطب الله العرب بما يستعملون في لغتهم، ومن كلامهم: عن يمين القيلة وشمالها، يعنون: مما يلي يمين المستقبل لها وشماله، فنقلوا الوصف إلى ذلك اتساعاً عند انكشاف المعنى، لأن الوادي لا يَدُّ لَهُ فيكون له يمين. وقال المفسرون: جاء النداء عن يمين موسى، فلماذا قال: «الأيمن»، ولم يرد به يمين الجبل.

قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَاهُ إِحْيَا﴾ قال ابن الأنباري: معناه: مناجياً، فعبر «فَعِيل» عن «مُفَاعِل» كما قالوا: فلان خليطي وعشيري: يعنون: مخالطي ومُعاشري. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: «وَقَرْنَاهُ» قال: حتى سمع صريف القلم حين كتب له في الألواح.

قوله تعالى: ﴿وَوَعَيْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ أي: من نعمتنا عليه إذا أجابنا دعاءه حين سأل أن نجعل معه أخاه وزيراً له.

﴿وَأَذَكَّرَ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥٢ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ٥٣ وَأَذَكَّرَ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٥٤ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ هذا عام فيما بينه وبين الله، وفيما بينه وبين الناس. وقال مجاهد: لم يعد ربه بوعد قط إلا وفى له به. فإن قيل: كيف خُصَّ بصدق الوعد إسماعيل، وليس في الأنبياء من ليس كذلك؟ فالجواب: أن إسماعيل عانى [في الوفاء] بالوعد ما لم يعاناه غيره من الأنبياء، فأثني عليه بذلك. وذكر المفسرون: أنه كان بينه وبين رجل ميعاد، فأقام ينتظره مدة فيها لهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أقام حوْلاً، قاله ابن عباس. والثاني: اثنين وعشرين يوماً، قاله الرقاشي. والثالث: ثلاث أيام، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ إلى قومه، وهم جُرْهُم. ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾ قال مقاتل: يعني: قومه. وقال الزجاج: أهله: جميع أئمة. فأما الصلاة والزكاة، فهما العبادتان المعروفتان.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٥﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه في السماء الرابعة، روى البخاري ومسلم في «الصحاحين» من حديث مالك بن صعصعة عن رسول الله ﷺ في حديث المعراج: أنه رأى إدريس في السماء الرابعة<sup>(٢)</sup>، وبهذا قال أبو سعيد الخدري، ومجاهد، وأبو العالية. والثاني: أنه في السما السادسة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك<sup>(٣)</sup>. والثالث: أنه في الجنة، قاله زيد بن أسلم، وهذا يرجع إلى الأول، لأنه قد روي أن

(١) في عبارة الأصل هنا تقديم وتأخير، وهذا نصها: [﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ﴾ أي: ذكرنا حسناً في الناس مرتفعاً، فجميع أهل الأديان يتولون إبراهيم وذريته ويثنون عليهم، قال ابن قتيبة: فوضع اللسان مكان القول، لأن القول يكون باللسان. أمّا وابن قتيبة لم يقل سوى هذه العبارة: «أي: ذكرنا حسناً في الناس مرتفعاً»، فقدّمنا جملة «قال ابن قتيبة» على قوله، حتى تستقيم العبارة.

(٢) البخاري ٢١٧/٦، ومسلم ١٥٠/١.

(٣) وعلى هامش نسخة الرباط بخط مغربي: أخرج الحاكم في «المستدرک» - وقال الذهبي: إسناده مظلم لا تقوم به حجة - عن الحسن بن سمره أنه قال: كان نبي الله إدريس أبيض طويلاً، ضخم البطن، عريض الصدر، قليل شعر الجسد، كثير شعر الرأس، وكانت إحدى عينيه أعظم من

الجنة في السماء الرابعة. والرابع: أنه في السماء السابعة، حكاه أبو سليمان الدمشقي<sup>(١)</sup>. وفي سبب صعوده إلى السماء ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان يصعد له من العمل مثلاً ما يصعد لجميع بني آدم؛ فأجبه ملك الموت، فاستأذن الله في خلته، فأذن له، فهبط إليه في صورة آدمي، وكان يصحبه، فلما عرفه، قال: إني أسألك حاجة، قال: ما هي؟ قال: تليقني الموت، فلعلني أعلم ما شدته فأكون له أشد استعداداً؛ فأوحى الله إليه أن اقض روحه ساعة ثم أزميله، ففعل، ثم قال: كيف رأيت؟ قال: كان أشد مما بلغني عنه، وإني أحب أن تريني النار، قال: فحمله، فأراه إياها؛ قال: إني أحب أن تريني الجنة، فأراه إياها، فلما دخلها وطاف فيها، قال له ملك الموت: اخرج، فقال: والله لا أخرج حتى يكون الله تعالى يُخرجني؛ فبعث الله ملكاً فحكم بينهما، فقال: ما تقول يا ملك الموت؟ فقص عليه ما جرى؛ فقال: ما تقول يا إدريس؟ قال: إن الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقد دُفنته، وقال: ﴿وَلَنْ يَنْزِلَ إِلَّا بِرِذَائِهِ﴾ [مريم: ٧١]، وقد وردتها، وقال لأهل الجنة: ﴿وَمَا لَهُمْ حِينَئِذٍ بِمُحَمَّدٍ﴾ [الحجر: ٤٨]، فوالله لا أخرج حتى يكون الله يُخرجني؛ فسمع هاتفاً من فوقه يقول: بإذني دخل، وبأمرني فعل، فخل سبيله؛ هذا معنى ما رواه زيد بن أسلم مرفوعاً إلى النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>. فإن سأل سائل فقال: من أين لإدريس هذه الآيات، وهي في كتابنا؟ فقد ذكر ابن الأباري عن بعض العلماء، قال: كان الله تعالى قد أعلم إدريس بما ذكر في القرآن من وجوب الورد؛ وامتناع الخروج من الجنة، وغير ذلك، فقال ما قاله بعلم. والثاني: أن ملكاً من الملائكة استأذن ربه أن يهبط إلى إدريس، فأذن له، فلما عرفه إدريس، قال: هل بينك وبين ملك الموت قرابة؟ قال: ذاك أخي من الملائكة، قال: هل تستطيع أن تنفني عند ملك الموت؟ قال: سأكلّمه فيك، فيرفق بك، اركب بين جناحي، فركب إدريس، فصعد به إلى السماء، فلقى ملك الموت، فقال: إن لي إليك حاجة، قال: أعلم ما حاجتك، تكلمني في إدريس وقد محي اسمه من الصحيفة ولم يبق من أجله إلا نصف طرفه عين؟ فمات إدريس بين جناحي الملك، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. وقال أبو صالح عن ابن عباس: فقبض ملك الموت روح إدريس في السماء السادسة. والثالث: أن إدريس مشى يوماً في الشمس، فأصابه وهجها، فقال: اللهم خفف ثقلها عمن يحملها، يعني به الملك الموكّل بالشمس، فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرّها ما لا يعرف، فسأل الله ﷻ عن ذلك، فقال: إن عبيدي إدريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرّها، فأجبتّه، فقال: يا رب اجمع بيني وبينه، واجعل بيننا خلّة، فأذن له، فأناها، فكان مما قال له إدريس: اشفع لي إلى ملك الموت ليؤخّر أجلي، فقال: إن الله لا يؤخّر نفساً إذا جاء أجلها، ولكن أكلمه فيك، فما كان مستطيعاً أن يفعل بأحد من بني آدم فعل بك، ثم حمله الملك على جناحه، فرفعه إلى السماء، فوضعه عند مطلع الشمس، ثم أتى ملك الموت فقال: إن لي إليك حاجة صديق لي من بني آدم تشفع بي إليك لتؤخّر أجله، قال: ليس ذاك إليّ، ولكن إن أحببت أعلمته متى يموت، فنظر في ديوانه، فقال: إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبداً، ولا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس، فقال: إني أتيتك وتركتك هناك، قال: انطلق، فما أراك تجده إلا ميتاً، فوالله ما بقي من أجله شيء، فرجع الملك فرأه ميتاً. وهذا المعنى مروى عن ابن عباس وكعب في آخرين<sup>(٤)</sup>. فهذا القول والذي قبله يدلان على أنه ميت، والقول الأول يدل على أنه حي.

﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ آمَنُوا اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن دُونِهِ مَدَامَ وَرَمَنَ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن دُونِهِ إِدْرِيسَ وَإِسْمَاعِيلَ وَهَارُونَ وَهَارُونَ هَدَيْنَا وَجِبْرِيلَ إِنَّا نُنَزِّلُ عَلَيْهِم مَّا يَتْلُوهُنَّ حُرُوفًا سُبْحَاتًا ۖ وَكِتَابًا ۝ ٥٨ ۝ خَلَقَ مِنْ بَيْنِهِمْ خَلْفَ أَصَاغِرَ الْكَلْبَةِ وَآتَبَعُوا الْأَشْهُوتَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَا ۝ ٥٩ ۝ إِلَّا مَنْ تَابَ

الأخرى، وكان في صدره نكتة بيضاء من غير برص، فلما رأى الله من أهل الأرض ما رأى من جورهم واعتدائهم في أمر الله، رفعه إلى السماء السادسة [فهو] حيث يقول: ﴿وَنُفِثَتْ مَكَائِيلُ﴾، فهذا يدل على فرض صحته أنه رفع حياً، والله أعلم أتى ذلك كان. اهـ. والحديث في «المستدرک» ٥٤٩/٢.

(١) والقول الأول هو الصحيح.

(٢) ذكر السيوطي في «الدرر» ٢٧٤/٤ بهذا المعنى خبراً طويلاً، من رواية ابن المنذر عن عمر مولى غفرة يرفع الحديث إلى النبي ﷺ، والله أعلم بصحته.

(٣) ذكره السيوطي في «الدرر» ٢٧٤/٤ من رواية ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٤) قال ابن كثير بعد أن ذكر نحوه: هذا من أخبار كعب من الإسرائيليات، وفي بعضه نكارة، والله أعلم.

وَأَمَّا وَعِلٌّ صَلَاحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ فِيهَا ﴿٦٠﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ وَالْغَيْبِ إِنَّكَ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ فِيهَا زَوْجُهُمْ فِيهَا بَكْرَةٌ وَعِشْيَاءٌ ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِآيَاتٍ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ شَهِيدًا ﴿٦٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَنظُرُونَ سِوَاَ اللَّهِ ﴿٦٥﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّارِ﴾ يعني الذين ذكرهم من الأنبياء في هذه السورة ﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾ يعني إدريس ﴿وَمِنْ حَمَلَتَا نُوحَ﴾ يعني إبراهيم، لأنه من ولد سام بن نوح ﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يريد: إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ يَسْحَاقَ﴾ يعني: ومن ذرية إسرائيل، وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى.  
قوله تعالى: ﴿وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَن آرَشَدْنَا﴾ أي: واصطفينا.

قوله تعالى: ﴿خَرُوجًا مُّجْزَأً﴾ قال الزجاج: «سُجْدًا» حال مقدرة، المعنى: خروا مقدّرين السجود، لأن الإنسان في حال خروعه لا يكون ساجدًا، ف«سُجْدًا» منصوب على الحال، وهو جمع ساجد ﴿وَرَبِّكَ﴾ معطوف عليه، وهو: جمع بك، فقد بين الله تعالى أن الأنبياء كانوا إذا سمعوا آيات الله سجدوا ويكفّون من خشية الله.

قوله تعالى: ﴿خَفَضَ مِنْ بَيْنِهِمْ خَلْفٌ﴾ قد شرحناه في [الأعراف: ١٦٩]. وفي المراد بهذا الخلف ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: اليهود والنصارى، قاله السدي. والثالث: أنهم من هذه الأمة، يأتون عند ذهاب صالح أمة محمد ﷺ يتبارزون بالزنا، يئز بعضهم على بعض في الأزقة زناة، قاله مجاهد، وقناة.

قوله تعالى: ﴿أَتَسَاءَلُونَ أَصْنَافَهُ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين العقيلي، والحسن البصري: «الصلوات» على الجمع. وفي المراد بإضاعتهم إياها قولان: أحدهما: أنهم أخروها عن وقتها، قاله ابن مسعود، والنخعي، وعمر بن عبد العزيز، والقاسم بن مخيمرة. والثاني: تركوها، قاله القرظي، واختاره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا الشُّهُوتَ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: وذلك مثل استماع الغناء، وشرب الخمر، والزنا، واللهو، وما شاكل ذلك مما يقطع عن أداء فرائض الله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ ليس معنى هذا اللقاء مجرد الرؤية، وإنما المراد به الاجتماع والملابسة مع الرؤية. وفي المراد بهذا الغي ستة أقوال: أحدها: أنه واد في جهنم، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وبه قال كعب. والثاني: أنه نهر في جهنم، قاله ابن مسعود. والثالث: أنه الخسران، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أنه العذاب، قاله مجاهد. والخامس: أنه الشر، قاله ابن زيد، وابن السائب. والسادس: أن المعنى: فسوف يلقون مجازاة الغي، كقوله: ﴿يَلْقَوْنَ آثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] أي: مجازاة الآثام، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ فيه قولان: أحدهما: تاب من الشرك، وآمن بمحمد ﷺ، قاله مقاتل. والثاني: تاب من التقصير في الصلاة، وآمن من اليهود والنصارى.

قوله تعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ﴾ وقرأ أبو رزين العقيلي، والضحاك، وابن يعمر، وابن أبي عبيدة: «جنات» برفع التاء. وقرأ الحسن البصري، والشعبي، وابن السميع: «جنة عدن» على التوحيد مع رفع التاء. وقرأ أبو مجلز، وأبو المتوكل الناجي: «جنة عدن» على التوحيد مع نصب التاء. وقوله: ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ وَالْغَيْبِ﴾ أي: وعدهم بها، ولم يروها، فهي غائبة عنهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ فيه قولان: أحدهما: آتياً، قال ابن قتيبة: وهو «مفعول» في معنى «فاعل»، وهو قليل أن يأتي الفاعل على لفظ المفعول به. وقال الفراء: إنما لم يقل: آتياً، لأن كل ما أتاك، فانت تأتية؛ ألا ترى أنك تقول: أتيت على خمسين سنة، وأنت عليّ خمسون سنة؟ والثاني: مبلوغاً إليه، قاله ابن الأنباري. وقال ابن جريج: «وعده» هاهنا: موعوده، وهو الجنة، و«مأْتِيًا»: يأتيه أولياؤه.

(١) ذكره السيوطي في «الدرر» ٢٧٨/٤ من رواية ابن مردويه عن طريق نهشل عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي ﷺ.



قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه التخالف عند شرب الخمر، قاله مقاتل. والثاني: ما يلغى من الكلام ويؤثم فيه، قاله الزجاج. وقال ابن الأنباري: اللغو في العربية: الفاسد المطروح.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا سَكَنًا﴾ قال أبو عبيدة: السلام ليس من اللغو، والعرب تستثني الشيء بعد الشيء وليس منه، وذلك أنها تضمير فيه، فالمعنى: إلا أنهم يسمعون فيها سلاماً. وقال ابن الأنباري: استثنى السلام من غير جنسه، وفي ذلك تأكيد للمعنى المقصود، لأنهم إذا لم يسمعوا من اللغو إلا السلام، فليس يسمعون لغواً البتة، وكذلك قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ لِقَاءَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧]، إذا لم يخرج من عداوتهم لي غير رب العالمين، فكأنهم عدو. وفي معنى هذا السلام قولان: أحدهما: أنه تسليم الملائكة عليهم، قاله مقاتل. والثاني: أنهم لا يسمعون إلا ما يسلمهم، ولا يسمعون ما يؤثمهم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قال المفسرون: ليس في الجنة بكرة ولا عشيّة، ولكنهم يؤتون برزقهم - على مقدار ما كانوا يعرفون - في الغداة والعشي. قال الحسن: كانت العرب لا تعرف شيئاً من العيش أفضل من الغداء والعشاء، فذكر الله لهم ذلك. وقال قتادة: كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء أعجب به، فأخبر الله أن لهم في الجنة رزقهم بكرة وعشيّاً على قدر ذلك الوقت، وليس ثمّ ليل ولا نهار، وإنما هو ضوء ونور. وروى الوليد بن مسلم، قال: سألت زهير بن محمد عن قوله تعالى: ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ فقال: ليس في الجنة ليل ولا نهار، هم في نور أبداً، ولهم مقدار الليل والنهار، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحُجُب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب.

قوله تعالى: ﴿عَلَيْكَ الْمَقْعَةُ﴾ الإشارة إلى قوله: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾

قوله تعالى: ﴿تُورِثُ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، والشعبي، وقاتدة، وابن أبي عبيدة: بفتح الواو وتشديد الراء. قال المفسرون: ومعنى «تورث»: تعطي المساكن التي كانت لأهل النار - لو آمنوا - للمؤمنين. ويجوز أن يكون معنى «تورث»: تعطي، فيكون كالميراث لهم من جهة أنها تملك مستأنف. وقد شرحنا هذا في [الأعراف: ٤٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ وقرأ ابن السميع، وابن يعمر: «وما يَنْزِلُ» بياء مفتوحة. وفي سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ قال: «يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا»، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن الملك أبطأ على رسول الله ﷺ ثم أتاه، فقال: لعلي أبطأ، قال: «قد فعلت»، قال: وما لي لا أفعل، وأنتم لا تسوكون، ولا تقصون أظفاركم، ولا تنقون براجمكم، فنزلت الآية، قاله مجاهد. قال ابن الأنباري: البراجم عند العرب: الفصوص التي في فصول ظهور الأصابع، تبدو إذا جُمعت، وتغصص إذا بُسِطت. والرواجب: ما بين البراجم، بين كل برجمتين راجبة. والثالث: أن جبريل احتبس عن النبي ﷺ حين سأله [قومه] عن قصة أصحاب الكهف، وذو القرنين، والروح، فلم يدر ما يجيبهم، ورجا أن يأتيه جبريل بجواب، فأبطأ عليه، فشق على رسول الله ﷺ مشقة شديدة، فلما نزل جبريل قال له: «أبطأت عليّ - حتى ساء ظني، واشتقت إليك»، فقال جبريل: «إني كنت أشوق، ولكنني عبدٌ مأمور، إذا بُعثت نزلتُ، وإذا حُبِسْتُ احتبسْتُ، فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة، وقاتدة، والضحاك<sup>(٢)</sup>». وفي سبب احتباس جبريل عن رسول الله ﷺ قولان: أحدهما: لامتناع أصحابه من كمال النظافة، كما ذكرنا في حديث مجاهد. والثاني: لأنهم سألوه عن قصة أصحاب الكهف، فقال: «غداً أخبركم»، ولم يقل: إن شاء الله؛ وقد سبق هذا في سورة [الكهف: ٢٤]. وفي مقدار احتباسه عنه خمسة أقوال: أحدها: خمسة عشر يوماً؛ وقد ذكرناه في [الكهف] عن ابن عباس. والثاني: أربعون يوماً، قاله عكرمة، ومقاتل. والثالث: اثنتا عشرة ليلة،

(١) رواه أحمد في [المسند] رقم (٢٠٤٣)، والبخاري ٣٢٦/٨، والترمذي ١٤٥/٢، وذكره السيوطي في [الدرر] ٧٨/٤ وزاد نسبه لمسلم، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والحاكم، والبيهقي في [الدلائل] عن ابن عباس، وعند أحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم زيادة في آخر الحديث: «فكان ذلك الجواب لمحمد ﷺ ولم نجد الحديث في [صحيح مسلم] كما قال السيوطي.

(٢) «أسباب النزول» للواحدي ١٧٣، وذكره ابن كثير ١٣٠/٣ مختصراً من رواية ابن أبي حاتم عن عكرمة، وقال: هو غريب.

قاله مجاهد. والرابع: ثلاثة أيام، حكاه مقاتل. والخامس: خمسة وعشرون يوماً، حكاه الثعلبي. وقيل: إن سورة (الضحى) نزلت في هذا السبب. والمفسرون على أن قوله: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ قول جبريل. وحكى الماوردي: أنه قول أهل الجنة إذا دخلوها، فالمعنى: ما ننزل هذه الجنان إلا بأمر الله. وقيل: ما ننزل موضعاً من الجنة إلا بأمر الله. وفي قوله: ﴿وَمَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ قولان: أحدهما: ما بين أيدينا: الآخرة، وما خلفنا: الدنيا، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وقتادة، ومقاتل. والثاني: ما بين أيدينا: ما مضى من الدنيا، وما خلفنا: من الآخرة، فهو عكس الأول، قاله مجاهد. وقال الأخفش: ما بين أيدينا، قبل أن نُخلَق، وما خلفنا: بعد الفناء. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا بَيْنَ يَدَيْكَ ذَلِكُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: ما بين الدنيا والآخرة، قاله سعيد بن جبير. والثاني: ما بين النفتين، قاله مجاهد، وعكرمة، وأبو العالية. والثالث: حين كَوْنُنَا، قاله الأخفش. قال ابن الأنباري: وإنما وُحِدَ ذلك، والإشارة إلى شيئين، أحدهما: «ما بين أيدينا» والثاني: «ما خلفنا»، لأن العرب توقع ذلك على الاثنين والجمع.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رُبُّكَ تَوْبِيًّا﴾ النسيء، بمعنى الناسي. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: ما كان تاركاً لك منذ أبداً الوحي عنك، قاله ابن عباس. وقال مقاتل: ما نسيك عند انقطاع الوحي عنك. والثاني: أنه عالم بما كان ويكون، لا ينسى شيئاً، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْهُ﴾ أي: وُحِدَهُ، لأن عبادته بالشرك ليست عبادة، ﴿وَأَعْبُدْهُ لِيَتَذَكَّرَ﴾ أي: اصبر على توحيده؛ وقيل: على أمره ونهيه.

قوله تعالى: ﴿قَدْ تَعْلَمُ لَوْ سَأَلْتَ أَتْرُجُ حَيًّا﴾ روى هارون عن أبي عمرو أنه كان يُدغم «هل تعلم»، وجهه أن سيبويه يجيز إدغام اللام في التاء والتاء والذال والزاي والسين والصاد والطاء، لأن آخر مخرج من اللام قريب من مخارجهن. قال أبو عبيدة: إذا كان بعد «هل» تاء، ففيه لغتان، بعضهم يُبين لام «هل»، وبعضهم يدغمها. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: مثلاً وشبهاً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة. والثاني: هل تعلم أحداً يسمى «الله» غيره، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: هل تعلم أحداً يستحق أن يقال له: خالق وقادر، إلا هو، قاله الزجاج.

﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ أَلَمْ نَأْتِكَ لَسَوْفَ تُخْرِجُنَا﴾ ١٧٠ ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَكَانَ يَكُ شَيْئًا ١٧١ فَوَدَّكَ لَتَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثًّا ١٧٢ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَنتَظَرُ عَلَى الرَّحْمَنِ عِثًّا ١٧٣ ثُمَّ لَنَعْنِ أَقْلَمَ وَالَّذِينَ هُمْ أَقْلَمَ يَوْمَ جِثًّا ١٧٤﴾ وَلَمْ يَنْسَأْ إِلَّا وَابْرَهُمَا كَانَهُ عَلَى رُبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ١٧٥ ثُمَّ تَتَّبِعِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَتُزَكَّرُ الْقَالِيلِيكَ يَوْمَ جِثًّا ١٧٦

قوله تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ سبب نزولها أن أبي بن خلف أخذ عظماً بالياً، فجعل يفتنه بيده ويذريه في الريح ويقول: زعم لكم محمد أن الله يبعثنا بعد أن نكون مثل هذا العظم البالي، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وروى عطاء عن ابن عباس: أنه الوليد بن المغيرة.

قوله تعالى: ﴿لَسَوْفَ تُخْرِجُنَا﴾ إن قيل: ظاهره ظاهر سؤال، فأين جوابه؟ فعنه ثلاثة أجوبة ذكرها ابن الأنباري: أحدها: أن ظاهر الكلام استفهام، ومعناه معنى جحد وإنكار، تلخيصه: لستُ مبعوثاً بعد الموت. والثاني: أنه لما استفهم بهذا الكلام عن البعث، أجابه الله ﷻ بقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ﴾، فهو مشتمل على معنى: نعم، وأنت مبعوث. والثالث: أن جواب سؤال هذا الكافر في [يس: ١٧٨] عند قوله تعالى: ﴿وَمَزَّيَّنًا لَنَا تَلَكَ﴾، ولا يُنكر بُعْدَ الجواب، لأن القرآن كله بمنزلة الرسالة الواحدة، والسورتان مكيتان.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: بفتح الذال مشددة الكاف. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر: «يَذْكُرُ» ساكنة الذال خفيفة. وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل الناجي: «أَوَلَا يَنْذُرُ الْإِنْسَانُ» بياء وتاء. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن: «يَذْكُرُ» بياء من غير تاء ساكنة

(١) «أسباب النزول» للواحدي ١٧٣ من الكلي.

الذال مخففة مرفوعة الکاف، والمعنى: **أَوَلَا يَتَذَكَّرُ هَذَا الْجَاهِدُ أَوَّلَ خَلْقِهِ**، فيستبدل بالابتداء على الإعادة؟ ﴿تَوَرَّكَ لَحْشَرُهُمْ﴾ يعني: المكلَّبين بالبعث ﴿وَالْقَيْطِينَ﴾ أي: مع الشياطين، وذلك أن كل كافر يُحْشَرُ مع شيطانه في سلسلة، ﴿فَهُوَ لَنُخْصِرَنَّكَ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ قال مقاتل: أي: في جهنم، وذلك أن حول الشيء يجوز أن يكون داخله، تقول: جلس القوم حول البيت: إذا جلسوا داخله مطيفين به. وقيل: يجنون حولها قبل أن يدخلوها. فأما قوله: ﴿جَنَّتَا﴾ فقال الزجاج: هو جمع جاثٍ، مثل قاعدٍ وقعودٍ، وهو منصوب على الحال، والأصل ضم الجيم، وجاء كسرهما إتباعاً لكسرة الثاء. وللمفسرين في معناه خمسة أقوال: أحدها: قعوداً، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: جماعات جماعات، روي عن ابن عباس أيضاً. فعلى هذا هو جمع جثوة<sup>(١)</sup> وهي المجموع من التراب والحجارة. والثالث: جنّتاً على الرُّكْب، قاله الحسن، ومجاهد، والزجاج. والرابع: قياماً، قاله أبو مالك. والخامس: قياماً على رُكْبِهِم، قاله السدي، وذلك لضيق المكان بهم.

قوله تعالى: ﴿لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَي: لنأخذن من كل فرقة وأمة وأهل دين ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ أي: أعظمهم له معصية، والمعنى: أنه يُبدَأُ بتعذيب الأعتى فالأعتى، وبالأكابر جُرمًا، والرؤوس القادة في الشر. قال الزجاج: وفي رفع «أَيُّهُمْ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه على الاستئناف، ولم تعمل: «لَنَنْزِعَنَّ» شيئاً، هذا قول يونس. والثاني: أنه على معنى الذي يقال لهم: أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا؟ قاله الخليل، واختاره الزجاج، وقال: التأويل: لنزعه الذي من أجل عُنُوهُ يقال: أَيُّ هَؤُلَاءِ أَشَدُّ عِتِيًّا؟ وأنشد:

وَلَقَدْ أَتَيْتُ عَنِ الْفَتَاةِ بِمَنْزِلٍ  
فَأَبَيْتُ لَا حَرْجَ وَلَا مَحْرُومَ<sup>(٢)</sup>

المعنى: أتيت بمنزلة الذي يقال له: لا هو حرج ولا محروم. والثالث: أن «أَيُّهُمْ» منية على الضم، لأنها خالفت أخواتها، فالمعنى: أَيُّهُمْ هو أفضل. وبيان خلافها لأخواتها أنك تقول: اضرب أَيُّهُمْ أفضل، ولا يَحْسُنُ، اضرب مَنْ أَفْضَلُ، حتى تقول: مَنْ هو أفضل، ولا يَحْسُنُ: كُلُّ ما أطيب، حتى تقول: ما هو أطيب، ولأخذ ما أفضل، حتى تقول: الذي هو أفضل، فلما خالفت «ما» و«مَنْ» والذي بُنِيَ على الضم، قاله سيويه.

قوله تعالى: ﴿هُمْ أُولَٰئِكَ بِمَا عَصَيُوا﴾ يعني: أن الأولَى بها صِلِيًّا الذين هم أَشَدُّ عِتِيًّا، فَيُبْتَدَأُ بهم قبل أتباعهم. و«صِلِيًّا»: منصوب على التفسير، يقال: صَلِيَ النار يصلاها: إذا دخها وقاسى حَرَّها.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْزِلَ إِلَّا وَارِدًا﴾ في الكلام إضمار تقديره: وما منكم أحد إلا وهو واردها. وفيمن غني بهذا الخطاب قولان: أحدهما: أنه عام في حق المؤمن والكافر، هذا قول الأكثرين. وروي عن ابن عباس أنه قال: هذه الآية للكفار. وأكثر الروايات عنه كالقول الأول. قال ابن الأنباري: ووجه هذا أنه لما قال: «لَنُخْصِرَنَّكُمْ»، وقال: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ كان التقدير: وإن منهم، فأبدلت الكاف من الهاء، كما فعل في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُ جَزَاءً﴾ [الإنسان: ٢٢] المعنى: كان لهم، لأنه مردود على قوله: ﴿وَسَقَّيْنَاهُمْ مِنْهُمْ﴾ [الإنسان: ٢١]، وقال الشاعر:

سَقَّيْتُ مَزَارَ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحْتُ  
عَاسِرًا عَلَيَّ طَلَابُكَ ابْنَةً مَحْرُومَ<sup>(٣)</sup>

أراد: طلابها. وفي هذا ورود خمسة أقوال: أحدها: أنه الدخول. روى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الورود: الدخول لا يبقى بَرٌّ ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، حتى إن النار - أو قال: لجهنم - ضجيجاً من بردهم»<sup>(٤)</sup>. وروي عن ابن عباس أنه سأله نافع بن الأزرق عن هذه الآية، فقال:

(١) مظلة الجيم.

(٢) البيت في «القرطبي» ١٣٣/١١، و«روح المعاني» ١١٠/١٦ وروايته فيهما: ولقد أتيت من الفتاة، ولفظه في نسخة الرباط:

ولقد أتيت على الفتاة بمنزل  
فأتيت لا حرج ولا محروم

المعنى: أتيت... إلخ.

(٣) البيت تقدم ٣٩٣.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» عن جابر بن عبد الله، قال الحافظ ابن كثير: غريب ولم يخرجوه، وذكر السيوطي في «الدرة» ٢٨٠/٤ وزاد نسبه لعبد بن حميد، والحكيم الترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث».

له: «أَنَا أَنَا وَأَنْتَ فَسَدَخْلُهَا، فَانْظُرْ أَيُخْرِجَنَا اللَّهُ ﷻ مِنْهَا، أَمْ لَا؟ فَاحْتَجْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨] ويقول تَعَالَى: ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَرُودُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. وكان عبد الله بن رواحة يبكي ويقول: أنبت أني وارد، ولم أنبأ أني صادر. وحكى الحسن البصري: أن رجلاً قال لأخيه: يا أخي هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم؛ قال: فهل أتاك أنك خارج منها؟ قال: لا؛ قال: ففيم الضحك؟! وقال خالد بن معدان: إذا دخل أهل الجنة الجنة، قالوا: ألم يعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال لهم: بلى، ولكن مررتم بها وهي خامدة. ومن ذهب إلى أنه الدخول: الحسن في رواية، وأبو مالك. وقد اعترض على أرباب هذا القول بأشياء. فقال الزجاج: العرب تقول: وردت بلد كذا، ووردت ماء كذا: إذا أشرفوا عليه وإن لم يدخلوا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَاءَ مَلَكٍ﴾ [القصر: ٣٣]، والحجة القاطعة في هذا القول قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ مَتَى مَبْعَدُونَ﴾ ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَبِيبَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢]، وقال زهير:

قَلَمًا وَرَدَّ الْمَاءَ رُزْقًا جَمَامُهُ وَصَعْنٌ عَصِيٍّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ<sup>(١)</sup>

أي: لما بلغن الماء قمن عليه. قلت: وقد أجاب بعضهم عن هذه الحجج، فقال: أما الآية الأولى، فإن موسى لما أقام حتى استقى الماء وسقى الغنم، كان بلبشه ومباشرته كأنه دخل؛ وأما الآية الأخرى: فإنها تضمنت الإخبار عن أهل الجنة حين كونهم فيها، وحينئذ لا يسمعون حسيها. وقد رويتنا أنفاً عن خالد بن معدان أنهم يمرّون بها، ولا يعلمون. والثاني: أن الورود: الممر عليها، قاله عبد الله بن مسعود، وقتادة. وقال ابن مسعود: يرد الناس النار، ثم يصدرون عنها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس<sup>(٢)</sup> [ثم كالراكب في رحله]، ثم كشذ الرحل، ثم كمشية<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن ورودها: حضورها، قاله عبيد بن عمير. والرابع: أن ورود المسلمين: المرور على الجسر، وورود المشركين: دخولها. قاله ابن زيد. والخامس: أن ورود المؤمن إليها: ما يصيبه من الحى في الدنيا، روى عثمان بن الأسود عن مجاهد أنه قال: الحى حظ كل مؤمن من النار، ثم قرأ: ﴿وَلَنْ يَنْكَرُوا إِلَّا وَأَرْدُهَا﴾ فعلى هذا من حُم من المسلمين، فقد وردها.

قوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَى رَيْكٍ﴾ يعني: الورود ﴿حَتَّى﴾ والحثم: إيجاب القضاء، والقطع بالأمر. والمقضي: الذي قضاه الله تعالى، والمعنى: إنه حتم ذلك وقضاه على الخلق.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ وقرأ ابن عباس، وأبو مجلز، وابن يعمر، وابن أبي ليلى، وعاصم الجحدري: «ثُمَّ» بفتح التاء. وقرأ الكسائي، ويعقوب: «تَنْجِي» مخففة. وقرأت عائشة، وأبو بحرية، [وأبو الجوزاء الربيعي: «ثُمَّ يُنْجِي» بياء مرفوعة قبل النون خفيفة الجيم مكسورة. وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز، وابن السميع، وأبو رجاء: «تَنْجِي» بحاء غير معجمة مشددة. وهذه الآية يحتج بها القائلون بدخول جميع الخلق، لأن النجاة: تخلص الواقع في الشيء، ويؤكد قوله تعالى: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا﴾ ولم يقل: ونُدخلهم؛ وإنما يقال: نذر ونترك لمن قد حصل في مكانه. ومن قال: إن الورود للكفار خاصة، قال: معنى هذا الكلام: نخرج المتقين من جملة من يدخل النار. والمراد بالمتقين: الذين اتقوا الشرك، وبالظالمين: الكفار. وقد سبق معنى قوله تعالى: ﴿يُنْجِي﴾ [مریم: ٦٨].

﴿وَإِذَا تَلَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] ﴿وَأَسَنُ نَبِيًّا﴾ [الأنبياء: ١٠٢] ﴿وَأَسَنُ نَبِيًّا﴾ [الأنبياء: ١٠٣] ﴿وَأَسَنُ نَبِيًّا﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ﴿وَأَسَنُ نَبِيًّا﴾ [الأنبياء: ١٠٥] ﴿وَأَسَنُ نَبِيًّا﴾ [الأنبياء: ١٠٦] ﴿وَأَسَنُ نَبِيًّا﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ﴿وَأَسَنُ نَبِيًّا﴾ [الأنبياء: ١٠٨] ﴿وَأَسَنُ نَبِيًّا﴾ [الأنبياء: ١٠٩] ﴿وَأَسَنُ نَبِيًّا﴾ [الأنبياء: ١١٠] ﴿وَأَسَنُ نَبِيًّا﴾ [الأنبياء: ١١١] ﴿وَأَسَنُ نَبِيًّا﴾ [الأنبياء: ١١٢] ﴿وَأَسَنُ نَبِيًّا﴾ [الأنبياء: ١١٣] ﴿وَأَسَنُ نَبِيًّا﴾ [الأنبياء: ١١٤] ﴿وَأَسَنُ نَبِيًّا﴾ [الأنبياء: ١١٥] ﴿وَأَسَنُ نَبِيًّا﴾ [الأنبياء: ١١٦] ﴿وَأَسَنُ نَبِيًّا﴾ [الأنبياء: ١١٧] ﴿وَأَسَنُ نَبِيًّا﴾ [الأنبياء: ١١٨] ﴿وَأَسَنُ نَبِيًّا﴾ [الأنبياء: ١١٩] ﴿وَأَسَنُ نَبِيًّا﴾ [الأنبياء: ١٢٠]

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَلَّ عَلَيْهِمْ﴾ يعني المشركين ﴿يُنْجِي﴾ يعني: القرآن ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: مشركي قريش ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: لفقراء المؤمنين ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر، وحفص عن عاصم [مقاماً] بفتح الميم وقرأ ابن كثير بضم الميم. قال أبو علي الفارسي: المقام: اسم المثوى، إن فُتحت الميم أو ضُمَّت.

قوله تعالى: ﴿وَأَسَنُ نَبِيًّا﴾ والندي والنادي: مجلس القوم ومجتمعهم. وقال الفراء: الندي والنادي، لغتان.

(١) شرح ديوان زهير ١٣، والقرطبي ١١/١٣٧، واللسان: «النّاج»: روق.

(٢) أي: كعدو الفرس.

(٣)

وقد روي مرفوعاً وموقوفاً.

ومعنى الكلام: نحن خير، أم أنتم؟ فافتخروا عليهم بالمساكن والمجالس، فأجابهم الله تعالى فقال: ﴿وَرَكَّ أَعْلَانَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ﴾ وقد بينا معنى القرن في [الأنعام: ٦] وشرحنا الأثاث في [النحل: ٨٠]. فأما قوله تعالى: ﴿وَرِيًّا﴾ فقرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «ورياً» بهمة بين الراء والياء في وزن: «رعيًا»؛ قال الزجاج: ومعناها: منظرًا من «رأيت». وقرأ نافع، وابن عامر: «ريًّا» بياء مشددة من غير همز، قال الزجاج: لها تفسيران: أحدهما: أنها بمعنى الأولى. والثاني: أنها من الرِّيِّ، فالمعنى: منظرهم مرتوٍ من النعمة، كأن النعيم بيّن فيهم. وقرأ ابن عباس، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن أبي سريج عن الكسائي: «زِيًّا» بالزاي المعجمة مع تشديد الياء من غير همز. قال الزجاج: ومعناها: حسن هيئتهم.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِنَّمَا الْمَذَابُ رِجَالُ النَّاسِ فَسَقَطُوا مِنْ حَوَاشٍ مُتَّكِنًا وَاضْمَعَتْ جُنْدًا ۖ وَبَزَّيْدُ اللَّهِ إِلَيْكَ أَهْتَدَوْا هُدًى وَابْتَلَيْتُ الضَّالِّينَ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ذُلًّا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ أي: في الكفر والعمى عن التوحيد ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ قال ابن الزجاجة: وهذا لفظ أمر، ومعناه الخبر، والمعنى: أن الله تعالى جعل جزاء ضلّالته أن يتركه فيها. قال ابن الأنباري: خاطب الله العرب بلسانها، وهي تقصد التوكيد للخبر بذكر الأمر، يقول أحدهم: إن زارنا عبد الله فلنكرمه، يقصد التوكيد، ويثبته على أني ألزم نفسي إكرامه؛ ويجوز أن تكون اللام لام الدعاء على معنى: قل يا محمد: مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَاللَّهُمَّ مَدِّ لَهُ فِي النَّعْمِ مَدًّا<sup>(١)</sup>. قال المفسرون: ومعنى مَدَّ اللَّهُ تعالى له: إمهاله في العي. ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا﴾ يعني الذين مَدَّهُمْ فِي الضَّلَالَةِ. وإنما أخبر عن الجماعة، لأن لفظ «مَنْ» يصلح للجماعة. ثم ذكر ما يوعدون فقال: ﴿إِنَّمَا الْمَذَابُ﴾ يعني: القتل، والأسر ﴿وَرِجَالُ النَّاسِ﴾ يعني: القيامة وما وعدوا فيها من الخلود في النار ﴿فَسَقَطُوا مِنْ حَوَاشٍ مُتَّكِنًا﴾ في الآخرة، أهم، أم المؤمنون؟ لأن مكان هؤلاء الجنة، ومكان هؤلاء النار، ﴿وَيَعْلَمُونَ بِالنَّصْرِ وَالْقِتْلِ مِنْ أَضْعَفُ جُنْدًا﴾ جندهم، أم جند رسول الله ﷺ. وهذا ردٌ عليهم في قولهم: ﴿إِنِّي الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَوِيًّا﴾

قوله تعالى: ﴿وَبَزَّيْدُ اللَّهِ إِلَيْكَ أَهْتَدَوْا هُدًى﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: يزيد الله الذين اهتدوا بالتوحيد إيمانًا. والثاني: يزيدهم بصيرة في دينهم. والثالث: يزيدهم بزيادة الوحي إيمانًا، فكلما نزلت سورة زاد إيمانهم. والرابع: يزيدهم إيمانًا بالناسخ والمنسوخ. والخامس: يزيد الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ. قال الزجاج: المعنى: إن الله تعالى يجعل جزاءهم أن يزيدهم يقينًا، كما جعل جزاء الكافر أن يمدّه في ضلّالته. قوله تعالى: ﴿وَابْتَلَيْتُ الضَّالِّينَ﴾ قد ذكرناها في سورة [الكهف: ٤٦].

قوله تعالى: ﴿وَبَزَّيْدُ اللَّهِ إِلَيْكَ أَهْتَدَوْا هُدًى﴾ والمعنى: وخير ردًا للثواب على عاملها، فليست كأعمال الكفار التي خسروها فطلت.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا ۖ أَلَمَلَعَ لِنِيبٍ أَوْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۖ﴾ كَلَّا سَكَتُ مَنَ يَقُولُ وَنَسَىٰ لِمَنَ الْعَذَابُ مَدًّا ۖ وَرَدُّهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: ما روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث مسروق عن حَبَّابٍ [بن الأَرث] قال: كنت رجلاً قِيْتُ [أي: حدادًا] وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أنقاضه، فقال: [لا] والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت، ثم تَبِعْتُ. قال: فلاني إذا مِتُّ ثم بُعِثْتُ جِئْتُني ولي ثُمَّ مَالٌ وَلَدٌ، فأعطيتك، فنزلت فيه هذه الآية، إلى قوله تعالى: ﴿كَذَرَدًا<sup>(٢)</sup>﴾. والثاني: أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، وهذا مروي عن الحسن. والمفسرون على الأول.

قوله تعالى: ﴿لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وعاصم، وابن عامر: بفتح الواو. وقرأ حمزة، والكسائي: بضم الواو. وقال الفراء: وهما لغتان، كالعدم، وليس يجمع، وقيس تجعل الولد جمعًا،

(١) في النسخة الاستبوية: فاللهم مد له في العمر مدًا.

(٢) «البخاري» ٢٢٦/٨، و«مسلم» ٢١٥٣/٤، ورواه أحمد في «المستد» ١١٠/٥، و«الترمذي» ١٤٥/٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

والولد، بفتح الواو، واحداً. وأين زعم هذا الكافر أن يؤتى المال والولد؟ فيه قولان: أحدهما: أنه أراد في الجنة على زعمكم. والثاني: في الدنيا. قال ابن الأنباري: وتقدير الآية: أرايته مصيباً؟

قوله تعالى: ﴿الْمَلْعَ اللَّيْبَ﴾ قال ابن عباس في رواية: أعلم ما غاب عنه حتى يعلم أفي الجنة هو، أم لا؟ وقال في رواية أخرى: أنظر في اللوح المحفوظ؟

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَذْتُ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أم قال: لا إله إلا الله، فأرحمه بها؟ قاله ابن عباس. والثاني: أم قدم عملاً صالحاً، فهو يرحوه؟ قاله قتادة. والثالث: أم عهد إليه أنه يدخله الجنة؟ قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر على ما قال من أنه يؤتى المال والولد. ويجوز أن يكون معنى «كَلَّا» أي: إنه لم يطلع الغيب، ولم يتخذ عند الله عهداً. ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ أي: سنأمر الحفظة بإثبات قوله عليه لنجاسته به، ﴿وَنُنْذِرُ لِمَن أَلْمَذَابِ مَذَابًا﴾ أي: نجعل بعض العذاب على إثر بعض. وقرأ أبو العالية الرياحي، وأبو رجاء العطاردي: «سيكتب» ويرثه» بياء مفتوحة.

قوله تعالى: ﴿وَنُرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ فيه قولان: أحدهما: نرثه ما يقول أنه له في الجنة، فنجعله لغيره من المسلمين، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء. والثاني: نرث ما عنده من المال، والولد، يهلكنا إياه، وإبطال ملكه، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال قتادة. قال الزجاج: المعنى: سنسلبه المال والولد، ونجعله لغيره.

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّهَا قَوْمًا﴾ أي: لا مال ولا ولد.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبُوا مِنَ دُوبِ اللَّهِ إِلَهَةً يَكُونُوا لَهَا عِزًّا﴾ ٨١ ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِبِائِدَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ٨٢ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَكَّا﴾ ٨٣ ﴿فَلَا تَجْعَلْ عَلَيْهِمْ إِيمَانًا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ ٨٤

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبُوا مِنَ دُوبِ اللَّهِ إِلَهَةً﴾ يعني: المشركين عابدي الأصنام ﴿يَكُونُوا لَهَا عِزًّا﴾ قال الفراء: ليكونوا لهم شفعاء في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما قدرُوا، ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ يعني الأصنام بجحد عبادة المشركين، كقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا إِلَّا يَجِدُونَكَ﴾ [التقصير: ٦٣] لأنها كانت جماداً لا تعقل العبادة، ﴿وَيَكُونُونَ﴾ يعني: الأصنام ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يعني: المشركين ﴿ضِدًّا﴾ أي: أعواناً عليهم في القيامة، يكذبونهم ويلعنونهم.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ قال الزجاج: في معنى هذا الإرسال وجهان: أحدهما: خلينا بين الشياطين وبين الكافرين فلم نعصمهم من القبول منهم. والثاني: وهو المختار: سلطناهم عليهم، وقبضناهم لهم بكفرهم. ﴿تَؤْزُهُمْ أَكَّا﴾ أي: تزعجهم إزعاجاً حتى يركبوا المعاصي. وقال الفراء: ترعجهم إلى المعاصي، وتغريهم بها. قال ابن فارس: يقال: أزه على كذا: إذا أغراه به، وأزث القدر: غلث.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تعجل بطلب عذابهم. وزعم بعضهم أن هذا منسوخ بآية السيف، وليس بصحيح. ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ في هذا المعداد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أنفاسهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال طاووس، ومقاتل. والثاني: الأيام، والليالي، والشهور، والسنون، والساعات، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنها أعمالهم، قاله قطرب.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ﴾ ٨٥ ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَبًّا﴾ ٨٦ ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ٨٧

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ قال بعضهم: هذا متعلق بقوله: «ويكونون عليهم ضداً»، يوم نحشر المتقين، وقال بعضهم: تقديره: اذكر لهم يوم نحشر المتقين، وهم الذين اتقوا الله بطاعته واجتناب معصيته. وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «يوم يحشر» بياء مفتوحة ورفع الشين «وَيَسُوقُ» بياء مفتوحة ورفع السين. وقرأ أبي بن كعب، والحسن البصري، ومعاذ القارئ، وأبو المتوكل الناجي: «يوم يُحْشَرُ» بياء مرفوعة وفتح الشين «المتقون» رفعاً «وَيَسُوقُ»

بألف وياء مرفوعة «المجرمون» بالواو على الرفع. والوفد: جمع وافد، مثل: ركب، وزاكب، وضخب، وصاحب. قال ابن عباس، وعكرمة، والفراء: الوفد: الركبان. قال ابن الأنباري: الركبان عند العرب: ركب الإبل. وفي زمان هذا الحشر قولان: أحدهما: أنه من قبورهم إلى الرحمن، قاله علي بن أبي طالب. والثاني: أنه بعد الحساب، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ الْمَجْرِمِينَ﴾ يعني: الكافرين ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾ قال ابن عباس، وأبو هريرة، والحسن: عطاشاً. قال أبو عبيدة: الورد: مصدر الوزود. وقال ابن قتيبة: الورد: جماعة يردون الماء، يعني: أنهم عطاش، لأنه لا يرد الماء إلا العطشان. وقال ابن الأنباري: معنى قوله: ﴿وَرِثًا﴾: واردين. قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ﴾ أي: لا يشفعون، ولا يُشْفَعُ لهم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ قال الزجاج: جائز أن يكون «مَن» في موضع رفع على البدل من الواو والنون، فيكون المعنى: لا يملك الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً؛ وجائز أن يكون في موضع نصب على استثناء ليس من الأول، فالمعنى: لا يملك الشفاعة المجرمون، ثم قال: «إلا» على معنى «لكن» ﴿مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ فإنه يملك الشفاعة. والعهد هاهنا: توحيد الله والإيمان به. وقال ابن الأنباري: تفسير العهد في اللغة: مقدمة أمر يُعْلَمُ ويُحْفَظُ، من قولك: عهدت فلاناً في المكان، أي: عرفته، وشهدته.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ٨٨ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ ٨٩ ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرُنَّ بِهِ وَتَسْأَلُ الْأَرْضُ نَجْرًا لِّجِبَالٍ هَذَا﴾ ٩٠ ﴿أَن دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ ٩١ ﴿وَمَا يَكُنِيَ لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ٩٢ ﴿إِن كُلٌّ مِّنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا عِندَ الرَّحْمَنِ عِدًّا﴾ ٩٣ ﴿لَقَدْ أُنْصِتُمْ لَّعَهْدِهِمْ عِنْدَ﴾ ٩٤ ﴿وَكُلُّهُمْ عِندَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ ٩٥

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ٨٨ يعني: اليهود، والنصارى، ومن زعم من المشركين أن الملائكة بنات الله ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ ٨٩ أي: شيئاً عظيماً من الكفر. قال أبو عبيدة: الإذ، والتكر: الأمر المتناهي العظم.

قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرُنَّ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، وأبو بكر عن عاصم: «تكاد» بالناء. وقرأ نافع، والكسائي: «يكاد»، بالياء. وقرأ جميعاً: «ينفطرن» بالياء والناء مشددة الطاء، وافقهما ابن كثير، وحفص عن عاصم في «ينفطرن»، وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «ينفطرن» بالنون. وقرأ حمزة، وابن عامر في (مريم) مثل أبي عمرو، وفي [عسق: ٥] مثل ابن كثير. ومعنى: «ينفطرن منه»: يقاربن الانشقاق من قولكم. قال ابن قتيبة: وقوله تعالى: ﴿هَذَا﴾ أي: سقوطاً.

قوله تعالى: ﴿أَن دَعَا﴾ قال الفراء: من أن دعوا، ولأن دعوا. وقال أبو عبيدة: معناه: أن جعلوا، وليس هو من دعاء الصوت، وأنشد:

أَلَا رَبُّ مَنْ تَدْعُو نَصِيحاً وَإِنْ تَغِيبُ تَجِدُهُ بِغَيْبٍ غَيْرِ مُنْتَصِحِ الصَّنِ

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُنِيَ لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ٩٢ أي: ما يصلح له، ولا يليق به اتخاذ الولد، لأن الولد يقتضي مجانسة، وكل متخذ ولد يتخذ من جنسه، والله تعالى منزّه عن أن يجانس شيئاً، أو يجانسه، فمحال في حقه اتخاذ الولد، ﴿إِن كُلٌّ﴾ أي: ما كل ﴿مِّنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا عِندَ الرَّحْمَنِ﴾ يوم القيامة ﴿عِدًّا﴾ ذليلاً خاضعاً. والمعنى: أن عيسى وعزيراً والملائكة عبيد له. قال القاضي أبو يعلى: وفي هذا دلالة على أن الوالد إذا اشترى ولده، لم يبق ملكه عليه، وإنما يعتق بنفس الشراء، لأن الله تعالى نفى البتة لأجل العبودية، فدل على أنه لا يجتمع بنوة وورق.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أُنْصِتُمْ﴾ أي: علم عددهم ﴿وَعَدَهُمْ مَّذَا﴾ فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم مع كثرتهم ﴿وَكُلُّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ ٩٥ بلا مال، ولا نصير يمنعه. فإن قيل: لأية علّة وحّد في «الرحمن» و«آتيه» وجمع في العائد في

«أحصاهم»، و«عدهم». فالجواب: أن لكل لفظ توحيد، وتأويل جمع، فالتوحيد محمول على اللفظ، والجمع مصروف إلى التأويل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ١١﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِئَلَّيْسَ بِهِ التَّنْقِيزَ وَنُذِيرُ بِهِ قَوْمًا ١٢﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ يُخَشِيتُهُمْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّطْبُوعٍ ١٣﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ قال ابن عباس: نزلت في علي عليه السلام، وقال معناه: يحبهم، ويحببهم إلى المؤمنين. قال قتادة: يجعل لهم وداً في قلوب المؤمنين. ومن هذا حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحب الله عبداً قال: يا جبريل، إني أحب فلاناً فأحبوه، فينادي جبريل في السموات: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيلقى حبه على أهل الأرض فيحبه»، وذكر في البغض مثل ذلك<sup>(١)</sup>. وقال هرم بن حيان: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله ﷻ، إلا أقبل الله ﷻ بقلوب أهل الإيمان إليه، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم.

قوله تعالى: ﴿فَأَنصَرَفْ كَيْسَرَ إِلَىٰ أَبِيهِ وَآلِهِ﴾ يعني: القرآن. قال ابن قتيبة: أي، سهلناه، وأنزلناه بلغتك. واللذ، جمع ألد، وهو الحميم الجليل.

قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن دُونِكَ﴾ هذا تخويف لكفار مكة ﴿هَلْ يُخَشِيتُهُمْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّطْبُوعٍ﴾ أي: هل ترى، يقال: هل أحسست صاحبك، أي: هل رأيته؟ والركز: الصوت الخفي؛ وقال ابن قتيبة: الصوت الذي لا يفهم، وقال أبو صالح: حركة، [والله تعالى أعلم].



(١) «البخاري» ٢٢٠/٦ و ٣٨٦/١٠، وليس فيه ذكر البغض مثل ذلك، ورواه «مسلم» ٢٠٣٠/٤، ولفظه عنده بتمامه: «إن الله إذا أحب عبداً، دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً، فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض الله عبداً، دعا جبريل، فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض».



## سورة طه

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طه﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿١﴾ إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى ﴿٢﴾ تَزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْفُلَى ﴿٣﴾ أَلَمْ تَرَ عَلَى الْفُرُشِ كَسْرَتِي ﴿٤﴾ لَمْ يَأْمُرْ بِالْقُرْآنِ وَفِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٥﴾ وَإِنْ يُجَاهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَنَحْنُ أَهْلُ الْغَيْبِ ﴿٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٧﴾

وهي مكية كلها بإجماعهم. وفي سبب نزول (طه) ثلاثة أقوال. أحدها: أن رسول الله ﷺ كان يراوح بين قدميه، يقوم على رجل، حتى نزلت هذه الآية، قاله [علي] (١). والثاني: أن رسول الله ﷺ لما نزل عليه القرآن صلى هو وأصحابه فأطال القيام، فقالت قريش: ما أنزل الله هذا القرآن على محمد إلا ليشقى، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك (٢). والثالث: أن أبا جهل، والنضر بن الحارث، والمطعم بن عدي، قالوا لرسول الله ﷺ: إنك لتشقى بترك ديننا، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل (٣). وفي «طه» قراءات. قرأ ابن كثير، وابن عامر: «طه» بفتح الطاء والهاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: بكسر الطاء والهاء. وقرأ نافع: «طه» بين الفتح والكسر، وهو إلى الفتح أقرب؛ كذلك قال خلف عن المسيبي. وقرأ أبو عمرو: بفتح الطاء وكسر الهاء، وروى عنه عباس مثل حمزة. وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين العقيلي، وسعيد بن المسيب، وأبو العالية: بكسر الطاء وفتح الهاء. وقرأ الحسن: «طه» بفتح الطاء وسكون الهاء. وقرأ الضحاك، ومورق: «طه» بكسر الطاء وسكون الهاء. واختلفوا في معناها على أربعة أقوال: أحدها: أن معناها: يا رجل، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة؛ واختلف هؤلاء بأي لغة هي، على أربعة أقوال: أحدها: بالنبطية، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير في رواية، والضحاك. والثاني: بلسان عك، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: بالسريانية، قاله عكرمة في رواية، وسعيد بن جبير في رواية، وقتادة. والرابع: بالحشية، قاله عكرمة في رواية. قال ابن الأنباري: ولغة قريش وافقت هذه اللغة في المعنى. والثاني: أنها حروف من أسماء. ثم فيها قولان: أحدهما: أنها من أسماء الله تعالى. ثم فيها قولان: أحدهما: أن الطاء من اللطيف، والهاء من الهادي، قاله ابن مسعود، وأبو العالية، والثاني: أن الطاء افتتاح اسمه «طاهر» و«طبيب» والهاء افتتاح اسمه «هادي» قاله سعيد بن جبير. والقول الثاني: أنها من غير أسماء الله تعالى. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الطاء من طابة، وهي مدينة رسول الله ﷺ، والهاء من مكة، حكاه أبو سليمان الدمشقي. والثاني: أن الطاء: طرب أهل الجنة، والهاء: هوان أهل النار. والثالث: أن الطاء في حساب الجمل تسعة، والهاء خمسة، فتكون أربعة عشر. فالمعنى: يا أيها البدر ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، حكى القولين الثعلبي. والثالث: أنه قَسَمَ أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وقد شرحنا معنى كونه اسماً في فاتحة (مريم). وقال القرطبي: أقسم الله بظوله وهديته؛ وهذا القول قريب المعنى من الذي قبله. والرابع: أن معناه: طأ الأرض بقدميك، قاله مقاتل بن حيان (٤). ومعنى قوله ﴿لَتَشْقَى﴾: لتعب وتبلغ من الجهد ما قد بلغت، وذلك أنه اجتهد في العبادة وبالغ، حتى إنه كان يراوح بين قدميه لطول القيام، فأمر بالتخفيف.

(١) ذكره السيوطي في «الدرة» ٢٨٨/٤ من رواية البزار عن علي.

(٢) «أسباب النزول» للواحدي ١٧٤، وذكره السيوطي في «الدرة» ٢٨٩/٤ من رواية ابن أبي حاتم عن الضحاك.

(٣) «أسباب النزول» للواحدي ١٧٤.

(٤) قال أبو جعفر بن جرير الطبري: والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه، قول من قال: معناه: يا رجل، لأنها كلمة معروفة في عك فيما بلغني، وأن معناها فيهم: يا رجل.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَذَكَّرْ﴾ قال الأخفش: هو بدل من قوله: «لتشقى»، ما أنزلناه إلا تذكرة، أي: عظة.

قوله تعالى: ﴿تَزِيلًا﴾ قال الزجاج: المعنى: أنزلناه تنزيلاً، و﴿أَنْتَ﴾ جمع العُلَيَّا، تقول: سماء عُلَيَّا، وسموات عُلَيَّا، مثل الكُبَرَى، والكُبَر. فأما «الثرى» فهو التراب الندي، والمفسرون يقولون: أراد الثرى الذي تحت الأرض السابعة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَهِزَ بِالْقَوْلِ﴾ أي: ترفع صوتك ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ والمعنى: لا تجهد نفسك برفع الصوت، فإن الله يعلم السر. وفي المراد به السر وأخفى: خمسة أقوال: أحدها: أن السر: ما أسره الإنسان في نفسه، وأخفى: ما لم يكن بعدد وسيكون، رواه جماعة عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثاني: أن السر: ما حدثت به نفسك، وأخفى: ما لم تلتف به، قاله سعيد بن جبير. والثالث: أن السر: العمل الذي يُبَيِّرُهُ الإنسان من الناس، وأخفى منه: الوسوسة، قاله مجاهد. والرابع: أن معنى الكلام: يعلم إسرار عباده، وقد أخفى سره عنهم فلا يُعْلَم، قاله زيد بن أسلم، وابنه. والخامس: يعلم ما أسره الإنسان إلى غيره، وما أخفاه في نفسه، قاله الفراء.

﴿وَكَلَّ أَنْتَكَ حَيْثُ مُوسَى﴾ (١) إِذْ رَمَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (٢) فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ بِمُوسَى (٣) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَانْخَلْعْ ثِيَابَكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَرَى (٤) وَإِنَّا أَنْخَرْنَاكَ فَأَنْتُمْ قَائِلُونَ يَا يُوشَعَ (٥) إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (٦) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا يُصَدِّكَ عَنْهَا مَنْ لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (٧)

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّ أَنْتَكَ حَيْثُ مُوسَى﴾ (١) هذا استفهام تقرير، ومعناه: قد أتاك. قال ابن الأنباري: وهذا معروف عند اللغويين أن ثاني «هل» معبرة عن «قد»، فقد قال رسول الله ﷺ وهو أفصح العرب: «اللهم هل بلغت؟» (١)، يريد: قد بلغت. قال وهب بن منبه: استأذن موسى شعبياً ﷺ في الرجوع إلى والدته، فأذن له، فخرج بأهله، فؤله في الطريق في ليلة شتية، ففدح فلم يُور الزناد، فبينما هو في مزاولة ذلك، أبصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق؛ وقد ذكرنا هذا الحديث بطوله في كتاب «الحداثق» فكرهنا إطالة التفسير بالقصص، لأن غرضنا الاختصار على التفسير ليسهل حفظه (٢). قال المفسرون: رأى نوراً، ولكن أخبر بما كان في ظن موسى. ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾ يعني: امرأته ﴿امْكُثُوا﴾ أي: أقيموا مكانكم. وقرأ حمزة: ﴿لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ بضم الهاء هاهنا وفي [القصص: ٢٩]. ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ قال الفراء: إني وجدت، يقال: هل آنستُ أحداً، أي: وجدت؟ وقال ابن قتيبة: «آنستُ» بمعنى أبصرت. فأما القَبَس، فقال الزجاج: هو ما أخذته من النار في رأس عود أو في رأس فتيلة.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْ آجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ قال الفراء: أراد: هادياً، فذكره بلفظ المصدر. قال ابن الأنباري: يجوز أن تكون: «على» هاهنا بمعنى «عند»، وبمعنى «مع»، وذكر أهل التفسير أنه كان قد ضلَّ الطريق، فلمعلم أن النار لا تخلو من مُوقِد. وحكى الزجاج: أنه ضل عن الماء، فرجا أن يجد من يهديه الطريق أو يدلّه على الماء.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنهَا﴾ يعني: النار ﴿نُودِيَ بِمُوسَى﴾ (٣) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ (٤) إنما كرّر الكناية، لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإزالة الشبهة، ومثله ﴿وَأَنَا أَنذِرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٩]. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: «أَنِّي» بفتح الألف والياء. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «إِنِّي» بكسر الألف، إلا أن نافعاً فتح الياء. قال الزجاج: من قرأ: «أَنِّي أنا» بالفتح، فالمعنى: نودي [بأنِّي أنا ربك، ومن قرأ بالكسر، فالمعنى: نودي] يا موسى، فقال الله: إِنِّي أَنَا رَبُّكَ.

(١) روى البخاري في «صحيحه» ٤٥٨/٣ عن ابن عباس ؓ أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال: «يا أيها الناس أي يوم هذا؟» قالوا: يوم حرام، قال: «فأي بلد هذا؟» قالوا: بلد حرام، قال: «فأي شهر هذا؟» قالوا: شهر حرام، قال: «فإن مءامكم وأمواكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا»، فأعادها مراراً، ثم رفع رأسه فقال: «اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت»، قال ابن عباس ؓ: فوالذي نفسي بيده، إنها لوصيته إلى أمته، «فليبلغ الشاهد الغائب لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»، ورواه أحمد في «المسند» ومسلم بلفظ آخر.

(٢) ذكره بطوله السيوطي في «الدرر» ٤/ ٢٩٠ من رواية أحمد في «الزهدة»، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن وهب بن منبه.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَ تَمَائِكٌ﴾ في سبب أمره بخلعهما قولان: أحدهما: أنهما كانا من جلد حمار ميت، رواه ابن مسعود عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وبه قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وعكرمة. والثاني: أنهما كان من جلد بقرة دُكِيَتْ، ولكنه أمر بخلعهما لياشر تراب الأرض المقدسة، فتناله بركتها، قاله الحسن، وسعيد بن جبيرة، ومجاهد، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِالْأَوَّلِ الْمُقَدِّينِ﴾ فيه قولان قد ذكرناهما في [المائدة: ٢١] عند قوله: ﴿الْأَوَّلَى الْمُقَدَّمَةَ﴾ قوله تعالى: ﴿طَوًى﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «طوى وأنا» غير مُجْزَأَةٍ<sup>(٢)</sup>. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «طوى» مُجْزَأَةً<sup>(٣)</sup>؛ وكلهم ضم الطاء. وقرأ الحسن، وأبو حيوة: «طوى» بكسر الطاء مع التنوين. وقرأ علي بن نصر عن أبي عمرو: «طوى» بكسر الطاء من غير تنوين. قال الزجاج: في «طوى» أربعة أوجه: طوى، بضم أوله من غير تنوين وتنوين. فمن ثَوْنَه، فهو اسم للوادي. وهو مذكّر سمي بمذكّر على فَعَلٍ نحو حَظَمٍ وضَرَدٍ، ومن لم يثَوْنَه ترك صرفه من جهتين: إحداهما: أن يكون معدولاً عن طوى، فيصير مثل «عَمَرَ» المعدول عن عامر، فلا ينصرف كما لا ينصرف «عَمَرَ». والجهة الثانية: أن يكون اسماً للبقعة، كقوله: ﴿فِي الْبَقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ [القصاص: ٣٠]، وإذا كُثِرَ ثَوْنٌ فهو مثل مِعى. والمعنى: المقدّس مرّة بعد مرّة، كما قال عدي بن زيد:

أَعَاذِلْ، إِنَّ اللَّوْمَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ  
عَلَيَّ طَوًى مِنْ غَيْكِ الْمُتَرَدِّدِ<sup>(٤)</sup>

أي: اللوم المكرّر عليّ؛ ومن لم يثَوْنَ جعله اسماً للبقعة. [وللمفسرين في معنى «طوى» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اسم الوادي، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أن معنى «طوى»: طأ الوادي، رواه عكرمة عن ابن عباس، وعن مجاهد كالقولين. والثالث: أنه قدّس مرتين، قاله الحسن، وقتادة.]

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا أَنْتَزَكٌ﴾ أي: اصطفيك. وقرأ حمزة، والمفضل: «وَأَنَا» بالنون المشددة «اخترناك» بالالف. ﴿فَأَسْمِعْ لِمَا يُرَى﴾ أي: للذي يوحى. قال ابن الأنباري: الاستماع هاهنا محمول على الإنصات، المعنى: فأنصت لوحيي، والوحي هاهنا قوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ أي: وحّدي، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِإِكْرَامِي﴾ فيه قولان: أحدهما: أقم الصلاة متى ذكرت أن عليك صلاة، سواء كنت في وقتها أو لم تكن، هذا قول الأكثرين. وروى أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها، لا كفار لها غير ذلك، وقرأ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِإِكْرَامِي﴾»<sup>(٥)</sup>. والثاني: أقم الصلاة لتذكّرني فيها، قاله مجاهد. وقيل: إن الكلام مردود على قوله: ﴿فَأَسْمِعْ﴾، فيكون المعنى: فاستمع لما يوحى، واستمع للذكرى. وقرأ ابن مسعود: وأبي بن كعب، وابن السميع: «وأقم الصلاة للتذكّر» بلامين وتشديد الذال.

قوله تعالى: ﴿أَكَادُ أَفْئِيًا﴾ أكثر القراء على ضم الألف. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أكاد أخفيها من نفسي، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبيرة، ومجاهد في آخرين. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، ومحمد بن عليّ: أكاد أخفيها من نفسي، قال الفراء: المعنى: فكيف أظهركم عليها؟ قال المبرد: وهذا على عادة العرب، فإنهم يقولون إذا بالغوا في كتمان الشيء: كتمته حتى من نفسي، أي: لم أطلع عليه أحداً. والثاني: أن الكلام تم عند قوله: «أكاد»، وبعده مضمّر تقديره: أكاد أتّي بها، والابتداء: أخفيها، قال ضايع البرجمي:

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكُذْتُ وَلَيْسَنِي  
تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي خَلَائِلُهُ<sup>(٦)</sup>

أراد: كذت أفعل. والثالث: أن معنى «أكاد»: أريد، قال الشاعر:

(١) أخرجه الترمذي ٢٠٦/١ وقال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث حميد الأعرج، وحميد هو ابن علي الأعرج الكوفي، منكر الحديث، وذكره الطبري ١٤٤/١٦ وقال: في إسناده نظر يجب التثبت فيه.

(٢) أي: غير مصروقة.

(٣) «الطبري» ١٤٥/١٦، و«مجاز القرآن» ١٦/٢، و«اللسان»: طوى، و«التاج»: ثنى.

(٤) رواه البخاري في كتاب «مرايت الصلاة»، باب من نسي صلاة فليصل، ورواه مسلم ٤٧٧/١، وأبو داود رقم (٤٤٢).

(٥) «الطبري» ١٥٢/١٦، و«القرطبي» ١٨٣/١١، و«البحر» ٢٣٣/٦.

كَادَتْ وَكَذَتْ وَتِلْكَ خَيْرُ إِزَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ لَهْوِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى <sup>(١)</sup>

معناه: أرادت وأردت، ذكرهما ابن الأنباري. فإن قيل: فما فائدة هذا الإخفاء الشديد؟ فالجواب: أنه للتحذير والتخويف، ومن لم يعلم متى يهجم عليه عدوه كان أشد حذراً. وقرأ سعيد بن جبير، وعروة بن الزبير، وأبو رجاء العطاردي، وحמיד بن قيس: «أخفيها» بفتح الألف. قال الزجاج: ومعناه: أكاد أظهرها، قال امرؤ القيس:

فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لَا تَخْفُوهُ وَإِنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لَا نَقْعُدُ <sup>(٢)</sup>

أي: إن تدفنوا الداء لا تظهره. قال: وهذه القراءة آيّن في المعنى، لأن معنى: «أكاد أظهرها»: قد أخفيها وكادت أظهرها. «يُخْرِئُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا سَعَى» أي: بما تعمل. «والتجزي» متعلق بقوله: «إن الساعة آتية» لتجزي، ويجوز أن يكون على «أقم الصلاة للذكرى» لتجزي.

قوله تعالى: «فَلَا يَسْأَلُكَ عَنْهَا» أي: عن الإيمان بها «مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا» أي: من لا يؤمن بكونها؛ والخطاب للنبي ﷺ خطاب لجميع أمته، «وَأَتَى هُوَ» أي: مُراد وخالف أمر الله ﷻ، «فَرَدَى» أي: فتهلك؛ قال الزجاج: يقال: رَدَى يَرْدَى: إذا هلك.

﴿وَمَا تِلْكَ يَبِينُكَ يَمْشُونَ﴾ <sup>(٣)</sup> قَالَ فِي عَصَايَ أَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَفْشَى بِهَا عَلَيَّ عَنِي وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى ﴿٤﴾ قَالَ أَلَيْهَا يَمْشُونَ ﴿٥﴾ فَأَلْفَنَهَا فَإِذَا فِي حَيَّةٍ سَعَى ﴿٦﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُبِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٧﴾ وَأَضْمُكُمْ إِلَيْكَ إِنْ جَاءَكَ مَخْرَجٌ يَبِينُكَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ أَلَيْهَا أُخْرَى ﴿٨﴾ لِزَيْلِكَ مِنْ بَيْنِنَا الْكَبْرَى ﴿٩﴾

قوله تعالى: «وَمَا تِلْكَ يَبِينُكَ» قال الزجاج: «تلك» اسم مبهم يجري مجرى «التي»، والمعنى: ما التي يبينك؟

قوله تعالى: «أَوَكَّؤُا عَلَيْهَا» التوكؤ: التحامل على الشيء «وَأَفْشَى بِهَا» قال الفراء: أضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقه فترعاه غنمي: قال الزجاج: واشتقاقه من أتى أحيل الشيء إلى الهشاشة والإمكان. والمأرب: الحاجات، واحدها: مأربة، ومأربة. وورث: «مأرب» بإمالة الهمزة. فإن قيل: ما الفائدة في سؤال الله تعالى له: «وما تلك يبينك» وهو يعلم؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن لفظه لفظ الاستفهام، ومجره مجرى السؤال، ليجيب المخاطب بالإقرار به، فثبت عليه الحجة باعترافه فلا يمكنه الجحد، ومثله في الكلام أن تقول لمن تخاطبه وعندك ماء: ما هذا؟ فيقول: ماء، فتضع عليه شيئاً من الصبغ، فإن قال: لم يزل هكذا، قلت له: ألست قد اعترفت بأنه ماء؟ فثبت عليه الحجة، هذا قول الزجاج. فعلى هذا تكون الفائدة أنه قرّر موسى أنها عصا لما أراد أن يريه من قدرته في انقلابها حيّة، فوقع المُعْجِزُ بها بعد التثبيت في أمرها. والثاني: أنه لما أطلع الله تعالى على ما في قلب موسى من الهيبة والإجلال حين التكليم، أراد أن يوانسه ويخفف عنه يثقل ما كان فيه من الخوف، فأجرى هذا الكلام للاستئناس، حكاه أبو سليمان الدمشقي. فإن قيل: قد كان يكفي في الجواب أن يقول: «هي عصاي»، فما الفائدة في قوله: «أَوَكَّؤُا عَلَيْهَا» إلى آخر الكلام، وإنما يُشرح هذا لمن لا يعلم فوائدها؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه أجاب بقوله: «هي عصاي»، فقيل له: ما تصنع بها؟ فذكر باقي الكلام جواباً عن سؤال ثانٍ، قاله ابن عباس، وهب. والثاني: أنه إنما أظهر فوائدها، ويبيّن حاجته إليها، خوفاً [من] أن يأمره بإلقائها كالنعلين، قاله سعيد بن جبير. والثالث: أنه يبيّن منافعتها لئلا يكون عابثاً بحملها، قاله الماوردي. فإن قيل: فلم اقتصر على ذكر بعض منافعتها ولم يُطل الشرح؟ فعنه [ثلاثة] أجوبة: أحدها: أنه كره أن يشتغل عن كلام الله بتعداد منافعتها. والثاني: استغنى بعلم الله فيها عن كثرة التعداد. والثالث: أنه اقتصر على اللازم دون العارض. وقيل: كانت تضيء له بالليل، وتدفع عنه الهوام، وتثمر له إذا اشتهى الثمار <sup>(٤)</sup>. وفي جنسها

(١) البيت غير منسوب في «الطبري» ١٥١/١٦، و«القرطبي» ١٨٤/١١، و«اللسان» و«التاج»: كود.

(٢) البيت لامرئ القيس، «ديوانه» ١٨٦، و«الطبري» ١٥٠/١٦، و«مجاز القرآن» ١٧/٢، و«القرطبي» ١٨٢/١١، و«اللسان» و«التاج»: خفا. وقوله: لا تُخْفِيهِ، بفتح النون: أي: لا تظهره، وكذا قرئ قوله تعالى: «أَكَاذُ لُفْيِي» أي: أظهرها.

(٣) قال ابن كثير في «تفسيره» ١٤٥/٣: وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المأرب التي أبهت، فقيل كانت تضيء بالليل، وتحرس له الغنم إذا نام، =

قولان: أحدهما: أنها كانت من آس الجنة. قاله ابن عباس. والثاني: [أنها] كانت من عوسج. فإن قيل: المآرب جمع، فكيف قال: «أخرى» ولم يقل: «أخر»؟ فالجواب: أن المآرب في معنى جماعة، فكأنه قال: جماعة من الحاجات أخرى، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَيْهَا يَكُونُونَ﴾ قال المفسرون: ألقاها، ظناً منه أنه قد أمر برفضها، فسمع حساً فالتفت فإذا هي كأعظم ثعبان تمر بالصخرة العظيمة فتبتلعها، فهرب منها. وفي وجه الفائدة في إظهار هذه الآية ليلة المخاطبة قولان: أحدهما: لثلا يخاف منها إذا ألقاها بين يدي فرعون. والثاني: ليريه أن الذي أبعثك إليه دون ما أريتك، فكما ذللت لك الأعظم وهو الحية، أدلت لك الأدنى. ثم إن الله تعالى أمره بأخذها وهي على حالها حيّة، فوضع يده عليها فمادت عصاً، فذلك قوله: ﴿سَمِعْتُمْهَا سِرْبَهَا الْأَوَّلَ﴾ قال الفراء: طريقته، يقول: تردّها عصى كما كانت. قال الزجاج: «وسيرتها» منصوبة على إسقاط الخافض وإفضاء الفعل إليها، المعنى: سئبدها إلى سيرتها. فإن قيل: إنما كانت العصا واحدة، وكان إلقاؤها مرّة، فما وجه اختلاف الأخبار عنها، فإنه يقول في [الأعراف: ١٠٧]: ﴿فَإِذَا هِيَ تُعْبَأُ مُبِينٌ﴾، وهانها: «حية»، وفي مكان آخر: ﴿كَأَنَّهُمَا جَذٌّ﴾ [النمل: ٢٠]، والجأن ليست بالعظيمة، والثعبان أعظم الحيات؟ فالجواب: أن صفتها بالجان عبارة عن ابتداء حالها، وبالثعبان إخبار عن انتهاء حالها، والحية اسم يقع على الصغير والكبير والذكر والأنثى. وقال الزجاج: خَلَقَهَا خَلَقَ الثَّعْبَانِ الْعَظِيمِ، واهتزازها وحركتها وخِفَّتُهَا كاهتزاز الجأن وخِفَّتِهِ. قوله تعالى: ﴿وَأَسْمَمُ بِذَلِكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ قال الفراء: الجناح من أسفل العَضُدِ إلى الإبط. وقال أبو عبيدة: الجناح ناحية الجنب، وأنشد:

أَسْمَمُهُ لِلصُّنْدُرِ وَالْجَنَاحِ<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ بَيْضَةً مِنْ فَرْجِ سَوْءٍ﴾ أي: من غير برص «آيَةُ أُخْرَى» أي: دلالة على صدق سوى العصا. قال الزجاج: ونصب «آية» على معنى: آيتناك آية، أو نؤتيك [آية].

قوله تعالى: ﴿إِلَيْكَ مِنْ أَعْيُنِنَا الْكَبْرَى﴾. إن قيل: لِمَ لم يقل: «الكبر» فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه كقولهم: «مَتَارِبُ أُخْرَى» وقد شرحناه، هذا قول الفراء. والثاني: أن فيه إضمار تقديره: لنريك من آياتنا الآية الكبرى. وقال أبو عبيدة: فيه تقديم وتأخير، تقديره: لنريك الكبرى من آياتنا. والثالث: إنما كان ذلك لوفاق رأس الآي، حكى القولين الثعلبي.

﴿أَهَبْتُ لِي فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ قَالَ رَبِّي اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿وَيَزَيِّرْ لِي أَمْرِي﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿يَقْهَرُوا قَوْلِي﴾ ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ هَؤُلَاءِ أَيْ: أَشَدُّ بِهِمْ أَزْرِي ﴿وَأَشْفِكْ فِي أَمْرِي﴾ كَيْ سَحَبَكَ كَيْبَرًا ﴿وَتَذَكَّرْهُ كَيْبَرًا﴾ إِنَّكَ كُنْتَ يَتِيمًا بِعِيرًا ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ أي: جاوز الحد في العصيان.

قوله تعالى: ﴿اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ قال المفسرون: ضاق موسى صدرًا بما كلف من مقاومة فرعون وجنوده، فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه للحق حتى لا يخاف فرعون وجنوده. ومعنى قوله: ﴿وَيَزَيِّرْ لِي أَمْرِي﴾: ﴿سَهَّلْ عَلَيَّ مَا بَعَثْتَنِي لَهُ. وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ قال ابن قتيبة: كانت فيه رُتْة<sup>(٢)</sup>. قال المفسرون: كان فرعون قد وضع موسى في حجره وهو صغير، فجر<sup>(٣)</sup> لحية فرعون بيده، فهم يقتله، فقالت له آسية: إنه لا يعقل، وسأريك بيان ذلك، قدّم إليه جمرتين ولؤلؤتين، فإن اجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل، فأخذ موسى جمره فوضعها في فيه فأحرقت لسانه وصار فيه عقدة،

= ويفرّسها فتصير شجرة تظله، وغير ذلك من الأمور المخارقة للعادة، والظاهر أنها لم تكن كذلك، ولو كانت كذلك لما استنكر موسى صبروتها ثعباناً، فما كان يفر منها هارباً، ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية، وكذلك قول بعضهم: إنها كانت لأدم ﷺ، وقول الآخر: إنها هي الدابة التي تخرج قبل يوم القيامة.

(١) الرجز غير منسوب في: «الطبري» ١٦/١٥٧، و«مجاز القرآن» ٢/١٨، و«القرطبي» ١١/١٩١.

(٢) الرُتْة، بالغم: عجلة في الكلام، وقِيلَ أَنَاة، وقيل: هو أن يقلب اللام ياء.

(٣) في الأصل: فمد، وسنأتي بعد قليل «جر».

فسأل خَلْطًا ليفهموا كلامه<sup>(١)</sup>. وأما الوزير، فقال ابن قتيبة: أصل الوِزارة من الوِزْر وهو الجمل، كان الوزير قد حمل عن السلطان الثقل. وقال الزجاج: اشتقاقه من الوِزْر، والوَزْر: الجبل الذي يُعْتَصَم به لِيُنْجى من الهلكة. وكذلك وزير الخليفة، معناه: الذي يعتمد عليه في أموره ويلتجئ إلى رأيه. ونصب «هارون» من جهتين: إحداهما: أن تكون «اجعل» تتعدى إلى مفعولين، فيكون المعنى: اجعل هارون أخي وزيري، فيتصب «وزيراً» على أنه مفعول ثانٍ. ويجوز أن يكون «هارون» بدلاً من قوله: «وزيراً»، فيكون المعنى: اجعل لي وزيراً من أهلي، [ثم] أبدل هارون من وزير؛ والأول أجود. قال الماوردي: وإنما سأل الله تعالى أن يجعل له وزيراً، لأنه لم يرد أن يكون مقصوراً على الوزارة حتى يكون شريكاً في النبوة، ولولا ذلك لجاز أن يستوزر من غير مسألة. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بفتح ياء «أخي».

قوله تعالى: ﴿أَشَدُّ بِهِ آزَرِي﴾ قال الفراء: هذا دعاء من موسى، والمعنى: أشدُّ به يا ربُّ أزري، وأشركه يا ربُّ في أمري. وقرأ ابن عامر: «أشدد» بالالف مقطوعة مفتوحة، «وأشركه» بضم الألف، وكذلك يبتدئ بالالفين. قال أبو علي: هذه القراءة على الجواب والمجازاة، والوجه الدعاء دون الإخبار، لأن ما قبله دعاء، ولأن الإشارك في النبوة لا يكون إلا من الله ﷻ. قال ابن قتيبة: والأزْر: الظهر، يقال: آزرت فلاناً على الأمر، أي: قوّيته عليه وكنت له فيه ظهراً.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْرِكُمْ فِي آثَرِي﴾ أي: في النبوة معي ﴿كَيْ نَسْجَدَ﴾ أي: نصلي لك ﴿وَنَذْكُرَكَ﴾ بالسنتنا حامدين لك على ما أوليتنا من نِعَمِكَ ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِمَا نَعْمِكَ﴾ أي: عالماً إذ خصصتنا بهذه النعم.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتُمْ سُؤْلَكُمْ بِشُؤْنٍ﴾ ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَى﴾ ﴿أَنْ أَتَوْنِي فِي الْكَافِرِينَ فَاتَّقُونِي﴾ ﴿فِي الْآيَةِ قَلِيلٍ آيَمٌ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَذْرٌ لِي وَعَذْرٌ لَمْ وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلَوْ أَنَّهُ لَكُنْتَ تُفْقَرُ لَنُفِيتُ عَنْكَ إِلَّا إِلَهُ إِلَهُكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَوَقَّلْنَا فَتًى فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّا فَتُورًا فَلَمَّا فَتِنَا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ بِشُؤْنٍ﴾ ﴿وَأَمَلْنَاكَ لِقَايَ﴾ ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَكُفْرُكَ يُكَافَى وَلَا يُنَا فِي ذِكْرِي﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتُمْ سُؤْلَكُمْ﴾ قال ابن قتيبة: وهو: «فعل» من «سألت»، أي: أعطيت ما سألت.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ﴾ أي: أنعمنا عليك ﴿مَرَّةً أُخْرَى﴾ قبل هذه المنة. ثم بين متى كانت بقوله: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَلَمْ يَأْمُرْ﴾ أي: الهمتها ما يلهم مما كان سبباً لنجاتك، ثم فسر ذلك بقوله: ﴿أَنْ أَتَوْنِي فِي الْكَافِرِينَ﴾ وقذف الشيء: الرمي به. فإن قيل: ما فائدة قوله: «ما يوحى» وقد علم ذلك؟ فقد ذكر عنه ابن الأنباري جوابين: أحدهما: أن المعنى: أوحينا إليها الشيء الذي يجوز أن يوحى إليها، إذ ليس كل الأمور يصلح وحيه إليها، لأنها ليست بنبي، وذلك أنها ألهمت. والثاني: أن «ما يوحى» أفاد توكيداً، كقوله: ﴿فَنَنْهَاهَا مَا غَشَى﴾ [النجم: ٥٤].

قوله تعالى: ﴿فَلْيَقْبِ إِلَيْمُ﴾ قال ابن الأنباري: ظاهر هذا الأمر، ومعناه معنى الخبر، تأويله: يلقبه [اليئم]، ويجوز أن يكون البحر مأموراً بآله ركبها الله تعالى فيه، فسمع وعقل، كما فعل ذلك بالحجارة والأشجار. فاما الساحل، فهو: شط البحر. ﴿يَأْخُذُهُ عَذْرٌ لِي وَعَذْرٌ لَمْ﴾ يعني: فرعون. قال المفسرون: اتخذت أمه تابوتاً وجعلت فيه قطناً محلوجاً، ووضعت فيه موسى وأحكمت بالقار شقوق التابوت، ثم ألقت في النيل، وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون، فبينما هو جالس على رأس البركة مع امرأته آسية، إذا بالتابوت، فأمر الغلمان والجواري بأخذه، فلما فتحوه رأوا صبياً من أصبح الناس وجهاً؛ فلما رآه فرعون أحبه حباً شديداً، فذلك قوله: ﴿وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي﴾، [قال أبو عبيدة: ومعنى «القَيْثُ عَلَيْكَ» أي: جعلت لك مَحَبَّةً مِنِّي]. قال ابن عباس: أحبه وحبه إلى خلقه، فلا يلقاه أحد إلا أحبه من مؤمن وكافر. وقال قتادة: كانت في عينه ملاحه، فما رآه أحد إلا حبه.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُ لَكُنْتَ تُفْقَرُ لَنُفِيتُ عَنْكَ إِلَّا إِلَهُكَ﴾ وقرأ أبو جعفر: «وَلَوْ أَنَّهُ لَكُنْتَ تُفْقَرُ لَنُفِيتُ عَنْكَ إِلَّا إِلَهُكَ»

(١) وقد استجاب الله له ذلك في قوله: ﴿قَدْ أُوتِيتُمْ سُؤْلَكُمْ بِشُؤْنٍ﴾.

محبتى وإرادتى. قال أبو عبيدة: على ما أريد وأجب. قال ابن الأنباري: هو من قول العرب: غُذِيَ فلان على عيني، أي: على المحبة مَنِي. وقال غيره: لَتَرَبَّى وتغذى بمرأى مني، يقال: صنع الرجل جاريته، إذا ربَّاهَا؛ وصنع فرسه: إذا داوم على علفه ومراعاه، والمعنى: ولتَصْنَعْ على عيني، قلَّربنا مشي أختك وقولها: ﴿هَلْ أَذْكَرُ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ لأن هذا كان من أسباب تربيته على ما أراد الله ﷻ. فأما أخته، فقال مقاتل: اسمها مريم. قال الفراء: وإنما اقتصر على ذكر المشي، ولم يذكر أنها مشت حتى دخلت على آل فرعون فدلَّتهم على الظفر<sup>(١)</sup>، لأن العرب تجتزئ بحذف كثير من الكلام، وبقليله، إذا كان المعنى معروفاً، ومثله قوله: ﴿أَنَا أَنشَأَكُم بِأَرْبَابِهِ قَارِئِينَ﴾ [يوسف: ٤٥]، ولم يقل: فأرسل حتى دخل على يوسف. قال المفسرون: سبب مشي أخته أن أمه قالت لها: قُصِّيه، فأتبعت موسى على أثر الماء، فلما التقطه آل فرعون جعل لا يقبل ثدي امرأة، فقالت لهم أخته: ﴿هَلْ أَذْكَرُ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ أي: يُرْضِعُهُ ويضمه إليه، فقبل لها: ومن هي؟ فقالت: أمي، قالوا: وهل لها لبن؟ قالت: لبن أخي هارون، وكان هارون أسنُّ من موسى بثلاث سنين، فأرسلوها، فجاءت بالأم فقبل ثديها، فذلك قوله: ﴿وَرَحِمْتَكَ إِلَهُ أُمِّكَ﴾ أي: رددناك إليها ﴿كَفَّرَ عَيْنَهُ بِكَ وَبِرَبِّكَ﴾. ﴿وَقُلْتُ نَفْسًا﴾ يعني: القبطي الذي وكزه فقصى عليه، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ﴿فَنَجَّكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ وكان مغموماً مخافة أن يُقتل به، فنجاه الله بأن هرب إلى مَدْيَنَ، ﴿وَفَتَّكَ فُتًوًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: اخترناك اختياراً، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أخلصناك إخلاصاً، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثالث: ابتليناك ابتلاءً، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة. وقال الفراء: ابتليناك بغم القتل ابتلاءً. وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: الفتون: وقوعه في محنة بعد محنة خلَّصه الله منها، أولها أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم لقاؤه في البحر، ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم جرَّه لحية فرعون حتى همَّ بقتله، ثم تناوله الجمرة بدل الذرة، ثم قتله القبطي، ثم خروجه إلى مَدْيَنَ خائفاً؛ وكان ابن عباس يقصُّ هذه القصص على سعيد بن جبيرة، ويقول له عند كل ثلاثة: وهذا من الفُتون يا ابن جبيرة؛ فعلى هذا يكون «فُتْنَاكَ» خلَّصناك من تلك المعجّن كما يَفْتِنُ الذهب بالنار فيخلص من كل خبث. والفتون: مصدر.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَلْتَمِسْنِي﴾ تقدير الكلام: فخرجت إلى أهل مدين. ومدين: بلد شعيب، وكان عى ثمان مراحل من مصر، فهرب إليه موسى. وقيل: مدين: اسم رجل، وقد سبق هذا [الأعراف: ٤٨٦]. وفي قدر لبشه هناك قولان: أحدهما: عشر سنين؛ قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: ثمان وعشرون سنة، عشر منهنَّ مهر امرأته، وثمان عشرة أقام حتى وُلد له، قاله وهب.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَهُ عَلَى قَدَرٍ﴾ أي: جئت لميمات قدرته لمجيئك قبل خَلْقِكَ، وكان ذلك على رأس أربعين سنة، وهو الوقت الذي يوحى فيه إلى الأنبياء، هذا قول الأكثرين. وقال الفراء: «على قَدَرٍ» أي: على ما أراد الله به من تكليمه. قوله تعالى: ﴿وَأَمْلَقْنَاهُ لَيْفَى﴾ ① أي: اصطفينك واختصصتك، والاصطناع: اتخاذ الصنيعة، وهو الخير تسديه إلى إنسان. وقال ابن عباس: اصطفيتك لرسالتى ووحىي ﴿أَذْهَبَ أَتَّ وَأَحْلَوْلَ بِأَيَّتِي﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها العصا واليد. وقد يُذكر الاثنان بلفظ الجمع. والثاني: العصا واليد وحلُّ العقدة التي ما زال فرعون وقومه يعرفونها، ذكرهما ابن الأنباري. والثالث: الآيات التسع. والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِيَا﴾ قال ابن قتيبة: لا تَضَعُفا ولا تَفْتَرَا؛ يقال: ونى بني في الأمر؛ وفيه لغة أخرى: ونى، يونى. وفي المراد بالذكر هاهنا قولان: أحدهما: أنه الرسالة إلى فرعون. والثاني: أنه القيام بالفرائض والتسبيح والتلهيل.

﴿أَذْهَبَا إِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ② قَوْلَا لَمْ قَوْلَا إِنَّا لَمَلَمٌ يَذْكُرُ أَوْ يَحْشَى ③ قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُقْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّعِنَ ④ قَالَ لَا نَخَافَا إِنَّا مَعَكُمْ أَسْعَى رَأَى ⑤ فَأَيُّهَا قَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَغْلِبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَآئِرٍ مِنْ دُونِكَ وَأَلْشَمْنَا عَلَى مَنِ اتَّبَعَ أَلْمَنَّا ⑥ إِنَّا قَدْ أَوْحَىٰ إِنَّا أَنْ الْمَدَابِ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَقَوْلَ ⑦

(١) الظفر: الماطقة على ولد غيرها المرعضة له في الناس وغيرهم للذكر والأنثى.

قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَكَ فِرْعَوْنَ﴾ فائدة تكرار الأمر بالذهاب، التوكيد. وقد فسرنا قوله: ﴿إِنَّهُ طَفَنَ﴾ [طه: ٢٤].

قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ وقرأ أبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: «لَيْنَا» بإسكان الياء، أي: لطيفاً رفيقاً. وللمفسرين فيه خمسة أقوال: أحدها: قولاً له: قل: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له»، رواه خالد بن معدان عن معاذ، والضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنه قوله: ﴿هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَىَ ۖ وَهَيْدِكَ إِلَ رَبِّكَ فَتَنْشَى ۖ﴾ [الزاعات]، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثالث: كُنْيَاهُ، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال السدي. فاما اسمه، فقد ذكرناه في [البقرة: ٤٩]. وفي كنيته أربعة أقوال: أحدها: أبو مُرَّة، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أبو مصعب، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والثالث: أبو العباس. والرابع: أبو الوليد، حكاهما الثعلبي. والقول الرابع: قولاً له: إِنْ لَكَ رَبًّا، وَإِنْ لَكَ مَعَادًا، وَإِنْ بَيْنَ يَدَيْكَ جَنَّةٌ وَنَارًا، قاله الحسن. والخامس: أَنْ الْقَوْلَ اللَّيِّنَ: أَنْ مُوسَى أَنَاهُ، فقال له: تَوْمَنُ بِمَا جِئْتُ بِهِ وَتَعْبِدُ رَبَّ الْعَالَمِينَ، عَلَى أَنْ لَكَ شَبَابُكَ فَلَا تَهْرَمَ، وَتَكُونُ مَلِكًا لَا يُنْزَعُ مِنْكَ حَتَّى تَمُوتَ، فَإِذَا مِتَّ دَخَلْتَ الْجَنَّةَ، فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ؛ فَلَمَّا جَاءَ هَامَانَ، أَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ مُوسَى، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَرَى أَنْ لَكَ رَأْيًا، أَنْتَ رَبُّ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مَرْبُوبًا؟ فَقَلْبُهُ عَنْ رَأْيِهِ، قَالَ السَّيِّدِي. وَحَكِي عَنْ يَحْيَى بْنِ مَعَاذٍ أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَالَ: إِلَهِي هَذَا رَفَقَكَ بِمَنْ يَقُولُ: أَنَا إِلَهٌ، فَكَيْفَ رَفَقَكَ بِمَنْ يَقُولُ: أَنْتَ إِلَهٌ.

قوله تعالى: ﴿لَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ يَخْشَى﴾ قال الزجاج: «لَعَلَّ» في اللغة: تَرْجُ وَطَمَعَ، تقول: لَعَلِّي أَصِيرَ إِلَى خَيْرٍ، فَخَاطَبَ اللَّهُ ﷻ الْعِبَادَ بِمَا يَعْقِلُونَ. وَالْمَعْنَى عِنْدَ سَيِّبِهِ: أَذْهَبَا عَلَى رَجَائِكُمَا وَطَمَعِكُمَا. وَالْعِلْمُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ وَرَاءِ مَا يَكُونُ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَتَذَكَّرُ وَلَا يَخْشَى، إِلَّا أَنْ الْحُجَّةُ إِنَّمَا تَجِبُ عَلَيْهِ بِالْآيَةِ وَالْبِرْهَانِ، وَإِنَّمَا تُبْعَثُ الرُّسُلُ وَهِيَ لَا تَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا تَدْرِي أَتَقْبَلُ مِنْهَا، أَمْ لَا، وَهَمَّ يَرْجُونَ وَيَطْمَعُونَ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ، وَمَعْنَى «لَعَلَّ» مَتَّصِرٌ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَعَلَى تَصَوُّرِ ذَلِكَ تَقُومُ الْحُجَّةُ. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَمَذْهَبُ الْفَرَاءِ فِي هَذَا: كَيْ يَتَذَكَّرُ. وَرَوَى خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ عَنْ مَعَاذٍ قَالَ: وَاللَّهِ مَا كَانَ فِرْعَوْنُ لِيُخْرِجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَتَذَكَّرَ أَوْ يَخْشَى، لِهَذِهِ الْآيَةِ، وَإِنَّهُ تَذَكَّرَ وَخَشِيَ لَمَّا أَدْرَكَهُ الْغُرُقُ. وَقَالَ كَعْبٌ: وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ كَعْبٌ، إِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ: فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا، وَسَاقِطِي قَلْبِهِ فَلَا يُؤْمِنُ. قَالَ الْمَفْسُورُونَ: كَانَ هَارُونَ يَوْمَئِذٍ غَائِبًا بِمِصْرَ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى هَارُونَ أَنْ يَتَلَقَّى مُوسَى، فَتَلَقَّاهُ عَلَى مَرَحَلَةٍ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنِي أَنْ أَتِيَ فِرْعَوْنَ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَجْعَلَكَ مَعِيَ؛ فَعَلَى هَذَا يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ حِينَ التَّقْيَا قَالَا: رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْقَائِلُ لِلذَّكَاءِ مُوسَى وَحْدَهُ؛ وَأَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِالثَّنِيَةِ لَمَّا ضَمَّ إِلَيْهِ هَارُونَ، فَإِنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَوَقَّعَ الثَّنِيَةَ عَلَى الْوَاحِدِ، فَتَقُولُ: يَا زَيْدُ قَوْمًا، يَا حَرَسِي أَضْرَبَا عَقْبَهُ.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يَفْرَطَ عَلَيْنَا﴾ وقرأ عبد الله بن عمرو، وابن السميع، وابن يعمر، وأبو العالية: «أَنْ يُفْرَطَ» برفع الياء وكسر الراء. وقرأ عكرمة، وإبراهيم النخعي: «أَنْ يَفْرَطَ» بفتح الياء والراء. وقرأ أبو رجاء العطاردي، وابن محيصن: «أَنْ يُفْرَطَ» برفع الياء وفتح الراء. قال الزجاج: المعنى، أَنْ يِيَادَرَ بِعَقُوبَتِنَا، يُقَالُ: قَدْ فَرَطَ مِنْهُ أَمْرٌ، أَيْ: قَدْ بَدَّرَ؛ وَقَدْ أَفْرَطَ فِي الشَّيْءِ: إِذَا اشْتَغَلَ فِيهِ؛ وَفَرَطَ فِي الشَّيْءِ: إِذَا قَصُرَ؛ وَمَعْنَاهُ كُلُّهُ: التَّقَدُّمُ فِي الشَّيْءِ، لِأَنَّ الْفَرَطَ فِي اللُّغَةِ: الْمَتَقَدِّمُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَنْ يَفْلَتَنَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: يَسْتَعْصِي، قَالَ مِقَاتِلُ. وَالثَّانِي: يَجَاوِزُ الْحَدَّ فِي الْإِسَاءَةِ إِلَيْنَا. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: نَخَافُ أَنْ يَعْجَلَ عَلَيْنَا قَبْلَ أَنْ نَبْلُغَهُ كَلَامَكَ وَأَمْرَكَ.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أَيْ: بِالنَّصْرَةِ وَالْعَوْنِ «أَتَيْتُ» أَقْوَالُكُمْ «وَأَرَأَيْتُمْ» أَفْعَالُكُمْ. قَالَ الْكَلْبِيُّ: أَسْمِعْ جَوَابَهُ لَكُمْ، وَأَرَى مَا يَفْعَلُ بِكُمْ.

(١) رواه أحمد في «المستند» ٣١٣/٤، والبخاري ٤١٤/١١، ومسلم ١٧٩٢/٤ من حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، وله روايات أخرى بأطول منه في «الصحيحين» من حديث سهل، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي سعيد الخدري وغيرهم، والفرط والفاطرد: هو الذي يتقدم الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء. فمعنى فرطكم على الحوض: سابقكم إليه كالمهين له.



قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: خلّ عنهم ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ وكان يستعملهم في الأعمال الشاقة، ﴿قَدْ جَحَنَكَ بِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ قال ابن عباس: هي العصا. قال مقاتل: أظهر اليد في مقام، والعصا في مقام.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْلَمَ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ قال مقاتل: على مَنْ آمَن بالله. قال الزجاج: وليس يعني به التحية، وإنما معناه: أن مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، سَلِمَ من عذاب الله وسخطه، والدليل على أنه ليس بسلام، أنه ليس بابتداء لقاء وخطاب.

قوله تعالى: ﴿عَلَى مَنْ كَذَّبَ﴾ أي: بما جئنا به وأعرض عنه.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَتُوسَّى ٥١﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ٥٢﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ٥٣﴾ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٤﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَرَسَّالَكُمُ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ٥٥﴾ كُلًّا وَارِعًا لَنَفْسِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ٥٦﴾ مِنَّا خَلَقْنَكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا﴾ في الكلام محذوف معناه معلوم، وتقديره: فأتياه فأذيا الرسالة. قال الزجاج: وإنما لم يقل: فأتياه، لأن في الكلام دليلاً على ذلك، لأن قوله: «فمن ربكما» يدل على أنهما أتياه وقالاه.

قوله تعالى: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أعطى كل شيء صورته، فخلق كل جنس من الحيوان على غير صورة جنسه، فصوره ابن آدم لا كصورة البهائم، وصوره البعير لا كصورة الفرس، وروى هذا المعنى الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبير. والثاني: أعطى كل ذكر زوجته، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال السدي، فيكون المعنى: أعطى كل حيوان ما يشاكله. والثالث: أعطى كل شيء ما يضلّجه، قاله قتادة. وفي قوله: ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: هدى كيف يأتي الذكور الأنثى، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال ابن جبير. والثاني: هدى للمنكح والمطعم والمسكن، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: هدى كل شيء إلى معيشتة، قاله مجاهد. وقرأ عمر بن الخطاب، وابن عباس، والأعمش، وابن السميع، ونصير عن الكسائي: «أعطى كل شيء خَلْقَهُ بفتح اللام. فإن قيل: ما وجه الاحتجاج على فرعون من هذا؟ فالجواب: أنه قد ثبت وجود خلق وهداية، فلا بد من خالقي وهادي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ٥١﴾ اختلفوا فيما سأل عنه من حال القرون الأولى على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سأل عن أخبارها وأحاديثها، ولم يكن له بذلك علم، إذ التوراة إنما نزلت عليه بعد هلاك فرعون، فقال: ﴿عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾، هذا مذهب مقاتل. وقال غيره: أراد: إني رسول، وأخبار الأمم علم غيب، فلا علم لي بالغيب. والثاني: أن مراده من السؤال عنها: لم عُبِدَت الأصنام، ولم لم يُعْبَدِ اللَّهُ إِنْ كَانَ الْحَقُّ مَا وَصَفْتُ؟! والثالث: أن مراده: ما لها لا تُعْبَد ولا تُحَاسَب ولا تُجَازَى؟ فقال: عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ، أي: عَلَّمَ أَعْمَالَهَا. وقيل: الهاء في «عَلَّمَهَا» كناية عن القيامة، لأنه سأل عن بعث الأمم، فأجابه بذلك. وقوله: ﴿فِي كِتَابٍ﴾ أراد: اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ وقرأ عبد الله بن عمرو<sup>(١)</sup>، وعاصم الجحدري، وقاتة، وابن محيصن: «لا يُضِلُّ» بضم الياء وكسر الضاد، أي: لا يضيئه. وقرأ أبو المتوكّل، وابن السميع: «لا يُضِلُّ» بضم الياء وفتح الضاد. وفي هذه الآية تأكيد للجزاء على الأعمال، والمعنى: لا يخطئ ربي ولا ينسى ما كان من أمرهم حتى يجازيهم بأعمالهم. وقيل: أراد: لم يجعل ذلك في كتاب لأنه يضل وينسى.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «مهاداً». وقرأ عاصم، وحمة، والكسائي: «مهداً» بغير ألف. والمهاد: الفراش، والمهد: الفرش. ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ﴾ أي: أدخل لأجلكم في الأرض طرقاً تسلكونها، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني: المطر. وهذا آخر الإخبار عن موسى. ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ أي: أصنافاً مختلفة في الألوان والطعوم، كل صنف

منها زوج. و«شتى» لا واحد له من لفظه. «كُوا» أي: مما أخرجنا لكم من الشمار «وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمْ» يقال: رعى الماشية، يراعها: إذا سرحها في المرعى. ومعنى هذا الأمر: التذكير بالتعم، «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ» أي: ليعبرني في اختلاف الألوان والطعوم «لِأُولِي الْأَلْبَانِ» قال الفراء: لدوي العقول، يقال للرجل: إنه لدو نُهَيْة: إذا كان ذا عقل. قال الزجاج: واحد النُهْي: نُهْيَةٌ، يقال: فلان ذو نُهْيَةٍ، أي: ذو عقل ينتهي به عن المقايح، ويدخل به في المحاسن؛ قال: وقال بعض أهل اللغة: ذو النُهْيَةِ: الذي يُنتهى إلى رأيه وعقله، وهذا حسن أيضاً.

قوله تعالى: «وَبَيْنَا خَلَقْتُمُ» يعني: الأرض المذكورة في قوله: «جَعَلْنَا لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا». والإشارة بقوله: «خلقناكم» إلى آدم، والبشر كلهم منه. «وَبَيْنَا يُبْدِيكُمْ» بعد الموت «وَبَيْنَا تُفْرِحُكُمْ تَارَةً» أي: مرة «أُخْرَى» بعد البعث، يعني كما أخرجناكم منها أولاً عند خلق آدم من الأرض.

«وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ أَيْنِيتَا كُلَّمَا فَكَّذَبَ وَأَنَّ ٥١ قَالَ آفَيْنَا يُفْرِحُنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسُحْرِهِ يَسْمُومُونَ ٥٢ فَلَنَأَيِّنَاكَ بِسُحْرِ مِثْلِهِ فَلَجَمَلُ بَيْنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلِفُهُ عَنْ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوًى ٥٣ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ شُحًى ٥٤ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَنَّى ٥٥ قَالَ لَهُمُ مُوسَى وَبَيْنَكُمْ لَا تَقْعُرُوا عَلَى اللَّهِ كَيْدًا فَيَسْجُوكُمْ بِذَلِكِ وَقَدْ خَابَ مِنْ أَفْرَقٍ ٥٦ فَتَنَزَّلُوا أَنْفُسَهُمْ يَنْتَهَرُوا وَاتَّبَعُوا الْكَيْدَ ٥٧ قَالُوا إِنْ هَؤُلَاءِ لَسَاحِرُونَ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسُحْرِهِمَا وَيَذْهَبَ بِطَرِيقِكُمُ النَّارُ ٥٨ فَاجْعَلْكُمْ كَيْدَهُمْ ثُمَّ أَتَيْنَا صَفًا وَقَدْ أَقْلَعَ الْيَوْمَ مِنَ اسْتَعْلَى ٥٩»

قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا» يعني: فرعون «دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ أَيْنِيتَا كُلَّمَا فَكَّذَبَ» يعني: التسع الآيات، ولم ير كل آية لله، لأنها لا تُحصى، «وَلَكَّذَبَ» أي: نسب الآيات إلى الكذب، وقال: هذا سُحْر «وَأَنَّ ٥١» أن يؤمن «قَالَ آفَيْنَا يُفْرِحُنَا مِنْ أَرْضِنَا» يعني: مصر «بِسُحْرِهِ» أي: تريد أن تغلب على ديارنا بسحرك فتملكها وتخرجنا منها «فَلَنَأَيِّنَاكَ بِسُحْرِ مِثْلِهِ» أي: فلنقابلك ما جئت به من السحر بمثله «وَبَيْنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا» أي: اضرب بيننا وبينك أجلاً وميقاناً «لَا تُخْلِفُهُ» أي: لا نجاوزه «وَمَنْ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا» وقيل: المعنى: اجعل بيننا وبينك موعداً مكاناً تنوعد لحضورنا ذلك المكان، ولا يقع منا خلاف في حضوره. «سَوًى ٥٣» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي بكسر السين. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحزمة، وخلف، ويعقوب: «سَوًى» بضمها. وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل، وابن أبي عبلة: «مكاناً سَوَاءً» بالمد والهمز والنصب والتثنية وفتح السين. وقرأ ابن مسعود مثله، إلا أنه كسر السين. قال أبو عبيدة: هو اسم للمكان النصف فيما بين الفريقين، والمعنى: مكاناً تستوي مسافته على الفريقين، فتكون مسافة كل فريق إليه كمسافة الفريق الآخر. «قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ» قرأ الجمهور برفع الميم. وقرأ الحسن، ومجاهد، [وقتادة]، وابن أبي عبلة، وبهيرة عن حفص بنص الميم. وفي هذا اليوم أربعة أقوال: أحدها: يوم عيد لهم، رواه أبو صالح عن ابن عباس، والسدي عن أشياخه، وبه قال مجاهد، وقتادة، وابن زيد. والثاني: يوم عاشوراء، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثالث: يوم التيروز، ووافق ذلك يوم السبت أول يوم من السنة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: يوم سوق لهم، قاله سعيد بن جبير. وأما رفع اليوم، فقال البصريون: التقدير: وقت موعدهم يوم الزينة، فتاب الموعد عن الوقت، وارتفع به ما كان يرتفع بالوقت إذا ظهر. فأما نصبه، فقال الزجاج: المعنى: موعدهم يقع يوم الزينة، «وَأَنَّ يُحْشَرَ النَّاسُ شُحًى ٥٤» موضع «أَنَّ» رفع، المعنى: موعدهم حشر الناس «شُحًى» أي: إذا رأيت الناس قد حُشِرُوا شُحًى. ويجوز أن تكون «أَنَّ» في موضع خفض عطفًا على الزينة، المعنى: موعدهم يوم الزينة ويوم حشر الناس شُحًى. وقرأ ابن مسعود، وابن يعمر، وعاصم الجحدري: «وَأَنْ تُحْشَرَ» بقاء مفتوحة ورفع الشين ونصب «الناس». وعن ابن مسعود، والنخعي: «وَأَنْ يُحْشَرَ» بالياء المفتوحة ورفع الشين ونصب «الناس». قال المفسرون: أراد بالناس: أهل مصر، وبالضحي: ضحى اليوم، وإنما علَّقه بالضحي، ليتكامل ضوء الشمس واجتماع الناس، فيكون أبلغ في الحجة وأبعد من الرية. «فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُمْ» أي: مكروه وحيلته «ثُمَّ أَنَّى ٥٥» أي: حضر الموعد. «قَالَ لَهُمُ مُوسَى ٥٦» أي: للاستععداد ما يلقي به موسى، «وَقَدْ ذَكَرْنَا عَدَّتَهُمْ فِي [الأمراء: ١١٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على «الزكمكم الله ويلا» ويجوز أن يكون على النداء، كقوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ مِّنْ بَيْنِنَا مَنِ مَّزِيدًا﴾ [يس: ٥٢].

قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَأُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ قال ابن عباس: لا تشركوا معه أحداً.

قوله تعالى: ﴿فَيَسْحَرُكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «فَيَسْحَرُكُمْ» بفتح الياء، من «سحت». وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «فَيُسْحَرُكُمْ» بضم الياء، من «أسحت». قال الفراء: وسحت أكثر، وهو الاستصصال، والعرب تقول: سحت الله، وأسحته، قال الفرزدق:

وَعَصُفُ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدْعُ  
مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجْلَفًا<sup>(١)</sup>

هكذا أنشد البيت الفراء، والزجاج. ورواه أبو عبيدة: «إِلَّا مُسْحَتٌ أَوْ مُجْلَفٌ» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿فَنَنْتَعِزُّهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ يعني: السحرة تناظروا فيما بينهم في أمر موسى، وتشاوروا ﴿وَأَسْرُوا النَّجْرَيْنِ﴾ أي: أخفوا كلامهم من فرعون وقومه. وقيل: من موسى وهارون. وقيل: «أسرؤا» هاهنا بمعنى «أظهروا». وفي ذلك الكلام الذي جرى بينهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قالوا: إن كان هذا ساحراً، فإننا سنغلبه، وإن يكن من السماء كما زعمتم، فله أمره، قاله قتادة. والثاني: أنهم لما سمعوا كلام موسى قالوا: ما هذا بقول ساحر، ولكن هذا كلام الرب الأعلى، فعرفوا الحق، ثم نظروا إلى فرعون وسلطانه، وإلى موسى وعصاه، فنكسوا على رؤوسهم، وقالوا إن هذان لساحران، قاله الضحاك، ومقاتل. والثالث: أنهم ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰذَيْنِ لَسَاحِرَيْنِ...﴾ الآيات، قاله السدي. واختلف القراء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَيْنِ لَسَاحِرَيْنِ﴾ فقرأ أبو عمرو ابن العلاء: «إِنَّ هَٰذَيْنِ» على إعمال «إِنَّ» وقال: إني لأستحيي من الله أن أقرأ «إِنَّ هَٰذَانِ». وقرأ ابن كثير: «إِنَّ» خفيفة «هَٰذَانِ» بتشديد النون. وقرأ عاصم في رواية حفص: «إِنَّ» خفيفة «هَٰذَانِ» خفيفة أيضاً. وقرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «إِنَّ» بالتشديد «هَٰذَانِ» بآلف ونون خفيفة. فأما قراءة أبي عمرو، فاحتجاجة في مخالفة المصحف بما روي عن عثمان وعائشة، أن هذا من غلط الكاتب على ما حكيناه في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ الْفَأْكَرِينَ﴾<sup>(٢)</sup> في سورة [النساء: ١٦٢]. وأما قراءة عاصم، فمعناها: ما هذان إلا ساحران، كقوله تعالى: ﴿وَرَأَىٰ ظَنَنُكَ لَيْنَ الْكَذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦] أي: ما ظننك إلا من الكاذبين، وأنشدوا في ذلك:

نَكَلْتُكَ أَتُكُّ إِنْ قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا  
حَلَّتْ عَلَيْهِ عُقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ

أي: ما قتلت إلا مسلماً. قال الزجاج: ويشهد لهذه القراءة، ما روي عن أبي بن كعب أنه قرأ: «ما هذان إلا ساحران»، وروي عنه: «إِنَّ هَٰذَانِ إِلَّا ساحران»، ورويت عن الخليل: «إِنَّ هَٰذَانِ» بالتخفيف، والإجماع على أنه لم يكن أحد أعلم بالنحو من الخليل. فأما قراءة الأكثرين بتشديد «إِنَّ» وإثبات الألف في قوله: «هَٰذَانِ» فروى عطاء عن ابن عباس أنه قال: هي لغة بلحارث بن كعب. وقال ابن الأنباري: هي لغة لبني الحارث بن كعب، وافقتها لغة قريش. قال الزجاج: وحكى أبو عبيدة عن أبي الخطاب، وهو رأس من رؤوس الرواة: أنها لغة لكثانة، يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد، يقولون: أتاني الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، وأنشدوا:

فَأَطْرَقَ إِظْرَاقُ الشُّجَاعِ وَلَوْ رَأَىٰ  
مَسَاغًا لِنَابِءِ الشُّجَاعِ لَصَمَمًا<sup>(٣)</sup>

(١) «ديوانه» ٥٥٦، و«الطبري» ١٧٨/١٦، و«مجاز القرآن» ٢١/٢، و«شرح المفصليات» ٣٩٦، و«الجمهرة» ١٠٧/٢، و«اللسان» و«الناج»: جلف، سحت، و«القرطبي» ٢١٥/١١، و«الغزاة» ٣٤٧/٢، ويروى «إِلَّا مسحت أو مجلف» كما في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة. ومن رواه كذلك، جعل معنى «لم يدع»: لم يتعارف، أو يقر، أو يستقر، ومن رواه «إِلَّا مسحتاً» جعل «لم يدع» بمعنى: لم يترك، لم يبق، ورفع قوله: «أو مجلف» بإضمار، كأنه قال: أو هو مجلف. ومال مسحوت، ومسحت: مُدَقَّبٌ به، مهلك. والمجلف: الذي بقيت منه بقية. يريد: لم يترك إلا شيئاً متناصلاً هالِكاً، أو شيئاً بقيت منه بقية.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد زعم قوم أن قراءة من قرأ: ﴿إِنَّ هَٰذَيْنِ لَسَاحِرَيْنِ﴾ لحن، وأن عثمان رضي الله عنه قال: إن في المصحف لحنًا يستقيمه العرب بألسنتها، وهذا خبر باطل لا يصح من وجوه. انظر الجزء (٢٥٢/٢ - ٢٥٣) من هذا التفسير، فإنك تجد في التعليق على هذا الخبر كلاماً طويلاً، لشيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ السخاوي، والطبري، وغيرهم، في رد ما نسب إلى عثمان رضي الله عنه.

(٣) البيت للمتلسم، وهو في «الطبري» ١٨٠/١٦، و«القرطبي» ٢١٧/١١، و«اللسان»: صمم، ومعنى: أطرق: سكت فلم يتكلم وأرضى عينيه ينظر إلى =

وَيَقُولُ شَيْبٌ قَدْ عَلَا  
لَكَ وَقَدْ كُفِّرَتْ فَقُلْتُ إِنَّهُ<sup>(١)</sup>

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى لَا تَنْفَعُ هَلْ أَغْدُونَ يَزْمًا وَأَمْرِي مُجْمَعٌ <sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَنَ﴾ قال ابن عباس: فاز من غلب.

أي: إنه قد كان كما تظن.

(٢) البيت في «معاني القرآن» للقراء ٤٧٣/١ غير منسوب، وهو في «الطبري» ١٨٣/١٦، و«القرطبي» ٢٢١/١١، و«اللسان»: جمع.

﴿بَلِ الْقَوْلِ﴾ قال ابن الأنباري: دخلت «بل» لمعنى: جحد في الآية الأولى، لأن الآية الأولى إذا تَوَلَّمَتْ وَجَدَتْ مشتملة على: إما أن تلقي، وإما أن لا تلقي.

قوله تعالى: ﴿وَرِصِيَّتُهُمْ﴾ قرأ الحسن، وأبو رجاء العطاردي، وأبو عمران الجوني، وأبو الجوزاء: «وَعَصِيَّتُهُمْ» برفع العين.

قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾ وقرأ أبو رزين العقيلي، وأبو عبد الرحمن السُّلَمي، والحسن، وقتادة، والزهري، وابن أبي عبيدة: «تُخَيَّلُ» بالثاء، «إليه» أي: إلى موسى. يقال: تُخَيَّلُ إليه: إذا شُبِّهَ له. وقد استدلل قوم بهذه الآية على أن السحر ليس بشيء. وقال: إنما خُيِّلَ إلى موسى، فالجواب: أنا لا ننكر أن يكون ما رآه موسى تخيلاً، وليس بحقيقة، فإنه من الجائز أن يكونوا تركوا الزئبق في سلوخ الحيات حتى جرت، وليس ذلك بحيات. فأما السحر، فإنه يؤثر، وهو أنواع. وقد سحر رسول الله ﷺ حتى أثر فيه<sup>(١)</sup>.

(١) فقد روى البخاري في «صحيحه» ١٩٢/١٠، ومسلم في «صحيحه» ١٧١٩/٤ عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسول الله ﷺ من يهود بني زريق يقال له: ليبد بن الأعصم، قالت: حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم - أو ذات ليلة - دعا رسول الله ﷺ، ثم دعا، ثم دعا، ثم قال: «يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيتني فيه؟ جاني رجلاً، فقمداً أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما رجع الرجل؟ قال: مطبوع (أي: مسحور) قال: من طبه؟ قال: ليبد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر، قال: «وإن هو؟ قال: في بئر ذروان»، قالت: فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه - ثم قال: «يا عائشة والله لكان ما دعا نفاعه الحناء، ولكن نخلها رؤوس الشياطين، قالت: فقلت: يا رسول الله أفلا أحرقه؟ قال: لا، أما أنا فقد عفاني الله، وكرهت أن أثير على الناس شراً، فأمرت بها فدفنت». وفي رواية للبخاري ١٩٩/١٠: «حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن» يدل «حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله»، وهي موضحة ومبيّنة لما قبلها. وحديث السحر هذا، رواه أحمد في «المسند»، والنسائي، وابن سعد، والحاكم، وعبد بن حديد، وابن مردويه، والبيهقي في «دلائل النبوة»، وغيرهم. وقال الإمام ابن القيم في «بدائع الفوائد» بما حاصله: وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث، متلقن بالقبول بينهم، لا يختلفون في صحته، وقد أنكره كثير من أهل الكلام، وقابلوه بالكذب، وقولهم هذا مسرود عند أهل العلم، وقد اتفق أصحاب «الصحيحين» على تصحيحه، ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة، والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنة والحديث والتاريخ، والفقهاء، وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله ﷺ وأيامه من المتكلمين. ثم قال ابن القيم: وقد دل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ سِحْرِ أَنْ تُنَلِّسَ فِي أَلْقَانِهِ﴾ وحديث عائشة (المقدم ذكره) على تأثير السحر، وأن له حقيقة، وقد أنكر ذلك طائفة من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم، وقالوا: إنه لا تأثير للسحر البتة، وإنما ذلك تخيل لأعين الناظرين لا حقيقة له سوى ذلك، وهذا خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة، والسلف، واتفق عليه الفقهاء، وأهل التفسير والحديث...

ثم قال: والسحر الذي أصابه ﷺ كان مرضاً من الأمراض عارضاً - أصابه في بدنه - شفاء الله منه، ولا نقص في ذلك ولا عيب بوجه ما، فإن المرض يجوز على الأنبياء. اهـ.

قال الإمام النووي في «شرح مسلم» ١٧٤/١٤: قال المازري رحمه الله: مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات حقيقة السحر، وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة، خلافاً لمن أنكره ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله في كتابه، وذكر أنه مما يُعَلَّم، وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يُكْفَر به، وأنه يفرق بين المرم وزوجه، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له، وهذا الحديث أيضاً مصرح بإثباته، وأنه أشياء دفنت وأخرجت، وهذا كله يطل ما قالوه، فإحالة كونه من الحقائق محال - ثم قال -: وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر، فزعم أنه يحط منصب النبوة، ويشكك فيها، وأن تجوز به يمنع الثقة، وهذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل، لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ، والمعجزة شاهدة بذلك، وتجوز ما قام الدليل بخلافه باطل، فاما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يمت بسببها، ولا كان مفضلاً من أجلها، وهو مما يعرض للبشر، فقير بعيد أن يخيل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له.

قال النووي: قال القاضي عياض: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبيّنة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه، لا على عقله وقلبه واعتقاده، ويكون معنى قوله في الحديث: «حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن» - ويروى «يخيل إليه» - أي: يظهر له من نشاطه ومقدم عادته القدرة عليهن، فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهم ولم يتمكن من ذلك كما يعتري المسحور، وكل ما جاء من الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء لم يفعله، ونحوه، فمحمول على التخيل بالبصر، لا لخلل تطرق إلى العقل، وليس في ذلك ما يدخل لبساً على الرسالة ولا طعناً لأهل الفضالة، والله أعلم. اهـ.

وقد نقل نحو كلام الإمام النووي الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» شرح صحيح البخاري ١٨٨/١٠، ثم قال عند قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَأْوِيهِمْ﴾ ١٩١/١٠: هذه الآية عمدة من زعم أن السحر إنما هو تخيل، ولا حجة له بها، لأن هذه الآية وردت في قصة سحرة فرعون، وكان سحرهم كذلك (أي تخيلاً) ولا يلزم منه أن جميع أنواع السحر تخيل. اهـ.

وقال الحافظ أيضاً في «الفتح» ١٩٣/١٠: ووقع في مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد: فقالت أخت ليبد بن الأعصم: إن يكن نبياً فسيُخبر، ولا فيضله هذا السحر حتى يذهب عقله. قال الحافظ: فوقع الشق الأول كما في الحديث الصحيح، (وهو أنه أخبر)، قال: واستدل ابن القصار =

ولعن العاضهة<sup>(١)</sup>، وهي الساحرة.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْجَسَ فِي قَلْبِهِ خِيفَةً مُّؤَيَّدٌ﴾ قال ابن قتيبة: أضمر في نفسه خوفاً. وقال الزجاج: أصلها «خِوفاً» ولكن الواو قبلت ياءً لانكسار ما قبلها. وفي خوفه قولان: أحدهما: أنه خوف الطبع البشري. والثاني: أنه لما رأى سحرهم من جنس ما أراهم في العصا، خاف أن يلتبس على الناس أمره، ولا يؤمنوا، فقيل له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى﴾ عليهم بِالْقُفْرِ وَالْعَبَةِ. وهذا أصبح من الأول.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى مَا فِي بَيْتِكَ﴾ يعني: العصا ﴿تَلْقَفُ﴾ وقرأ ابن عامر: «تَلْقَفُ ما» برفع الفاء وتشديد القاف. وروى حفص عن عاصم: «تلقف» خفيفة. وكان ابن كثير يشدد التاء من «تلقف» يريد: «تلقف». وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وسعيد بن جبير، وأبو رجاء: «تلقم» بالميم. وقد شرحناها في [الأعراف: ١١٧]، ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سَاحِرٍ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «كيد سحر». وقرأ الباقر: «كيد ساحر» بألف، والمعنى: إن الذي صنعوا كيد ساحر، أي: عمل ساحر. وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «إنما صنعوا كيداً بنصب الدال». ﴿وَلَا يُلْقِ الْكَاثِرُ﴾ قال ابن عباس: لا يسعد حيثما كان. وقيل: لا يفوز. وروى جندب بن عبد الله البجلي أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أخذتم الساحر فاقطعوه، ثم قرأ ﴿وَلَا يُلْقِ الْكَاثِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ قال: لا يأمن حيث وجد»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَأَمَّنْتَ لَمْ﴾ قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، وورش عن نافع: «أمتمت له» على لفظ الخبر. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «أمتمت له» بهزمة ممدودة. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «أمتمت له» بهزتين الثانية ممدودة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَكَيْدٌ﴾ قال ابن عباس: يريد معلّمكم. قال الكسائي: الصبي بالحجاز إذا جاء من عند معلّمه، قال: جئت من عند كبير.

بأن الذي أصابه من السحر كان من جنس المرض بقوله ﷺ في الحديث: «لما أنا فقد شفاني الله». وقال الحافظ: ولم ينقل عنه ﷺ في خبر من الأخبار أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أعبر به. اهـ.

فقد تبين مما سبق من كلام العلماء أن السحر له حقيقة، وإلا لما أمر الله تعالى بالاستعاذة منه في سورة (الفلق) بقوله: ﴿وَيَوْمَ سَكَبَ أَتَدْنِي فِي السَّحَرِ﴾ وهي السواحر اللاتي يسحرن ويغثن في القدر كما قال المفرون، وأنه مرض تسلط على جسده كجبة الأمراض، وقد مرض رسول الله ﷺ مرضاً شديداً حتى أغمي عليه، وكان يقول - كما «الصحيجين» -: «إني أروك كما يروك رجلان منك»، وقد ابتلي في قومه، وقاسى صنوفاً من الأذى. فإن احتج أحد على منع السحر بقوله تعالى لرسول ﷺ: ﴿وَأَنَّهُ يَمْشِيكَ بَيْنَ الْكَاثِرِينَ﴾ فنه جوابان كما قال المصنف ابن الجوزي رحمه الله، أحدهما: أنه عصمه من القتل والأسر وتلف الجملة، فأما عوارض الأذى، فلا تمنع عصمة الجملة. والثاني: أن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ يَمْشِيكَ بَيْنَ الْكَاثِرِينَ﴾ من أواخر ما نزل بالمدينة. وقد سحر وأوذى قبل نزول هذه الآية. وإن احتج آخر بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْكَاثِرُونَ لَا يَسْمُوكَ إِلَّا بِسَمِّكَ﴾ فذلك مقالة الظالمين، ومرادهم: من سحر حتى جن وأصبح زائل العقل لا يعقل ما يقول، فإن المسحور الذي لا يتبع، هو الذي فسده عقله بحيث لا يدري ما يقول، فهو المجنون - والمسلمون لا يقولون بمقالة الظالمين المفترين - فأما من أصيب في بطنه بمرض من الأمراض يصاب به الناس، فإنه لا يمنع ذلك من اتباعه، وقولهم: سحر الأنبياء يتنافى مع حماية الله لهم، مردود، فإنه سبحانه وتعالى كما يحميهم ويصونهم يبتليهم ويختبرهم، فيزيدهم تلك رقة في درجاتهم، ونبل كرامتهم. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُلْقِ الْكَاثِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ مناه: لا يسعد الساحر حيث كان، ولا يفوز، وليس معنى «لا يُلْقِ»: لا يستطيع السحر، بل إذا سحر فلا يُلْقِ، ولا يأمن حيث وجد، فلذلك عدم فلاحه. هذا ما عليه جمهور المسلمين، من المفسرين والمحدثين، والفقهاء المحققين، وهو أنه عليه الصلاة والسلام، سحر وأثر في جسده، ولم يؤثر في عقله، وذلك لا يقدح في مقام النبوة والرسالة.

ومن الناس من يحاول أن يرد بعض النصوص الصحيحة - لتصور فهمه - ظناً منه أنه بذلك لا يدع مجالاً للطعن في رسالة النبي ﷺ، ولكن العلماء المحققين تلقوا هذه النصوص بالقبول، ويؤثروا وجه الحق فيها بعد علم ودراية، وتمحيص وتحقيق، فعلى المسلم أن يرجع في تفسير النصوص إلى أربابها، والمحققين من أصحابها، مخافة أن تولّ به القدم، والله تعالى تكفل بحفظ شريعته، ورسالة نبيه، فقال في كتابه: ﴿إِنَّا هُوَ زَكَاةُ الْاُكْرَرِ وَرَأَى لَمْ يَكُونُوا﴾ وقضى لهنّ الدين أناساً قال في حقهم رسول الله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوّه، يفتنون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»، والله تعالى ولي التوفيق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

(١) تقدم ٧٦٧ عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ لَكُمُ الَّذِينَ يَشِينُ﴾ قول المصنف: وفي الحديث أن رسول الله ﷺ «لعن العاضهة والمستضهة»، وهو حديث ضعيف. قال الحافظ ابن حجر في «تفريج الكشاف» ٩٤: رواه أبو يعلى، وابن عدي من حديث ابن عباس، وفي إسناده زعمة بن صالح عن سلمة بن هرام، وهما ضعيفان، وله شاهد عند عبد الرزاق من رواية عن ابن جريج عن عطاء. اهـ كلام ابن حجر. ومعنى العاضهة والمستضهة: الساحرة والمستحسرة.

(٢) ذكره ابن كثير ١٥٨/٣ من رواية ابن أبي حاتم عن جندب بن عبد الله البجلي، وقال: وقد روى أصله الترمذي موقوفاً ومرفوعاً.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْلَيْنَاكَ فِي جُدِّعَ النَّخْلِ﴾ «في» بمعنى «على»، ومثله: ﴿أَمْ لَمْ سَأَلْ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ [الطور: ٣٨].  
 ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا﴾ أيها السحرة ﴿إِنَّمَا أَفْعَدُ صَدَاقًا لَّكُمْ﴾ «وَأَيُّوعَ» أي: أدوم، أنا على إيمانكم، أو رب موسى على تركهم الإيمان به؟ ﴿فَالَوْ أَن تَوَفَّيْتَهُ﴾ أي: لن نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ﴾ يعنون اليد والعصا. فإن قيل: لم نسبوا الآيات إلى أنفسهم بقولهم: «جاءنا» وإنما جاءت عامة لهم ولغيرهم. فالجواب: أنهم لما كانوا بآبواب السحر ومذاهب الاحتيال أعرف من غيرهم، وقد علموا أن ما جاء به موسى ليس بسحر، كان ذلك في حق غيرهم أتيين وأوضح، وكانوا هم لمعرفته أخص. وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي فَطَرْنَا﴾ وجهان ذكرهما الفراء، والزجاج: أحدهما: أن المعنى: لن نؤثرك على ما جاءنا من البيئات، وعلى الذي فطرنا. والثاني: أنه قسم، تقديره: وحق الذي فطرنا.

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَاقِظِينَ مَا آتَىٰ قَائِمِينَ﴾ أي: فاصنع ما أنت صانع. وأصل القضاء: عمل بإحكام ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ قال الفراء: «إنما» حرف واحد، فلهذا نصب: «الحياة الدنيا». ولو قرأ قارئ برفع «الحياة» لجاز، على أن يجعل «ما» في مذهب «الذي»، كقولك: إن الذي تقضي هذه الحياة الدنيا. وقرأ ابن أبي عبلة، وأبو المتوكل: «إنما تقضي» بضم التاء على ما لم يسَّم فاعله، «الحياة» برفع التاء. قال المفسرون: والمعنى: إنما سلطانك وملكك في هذه الدنيا، لا في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿يَقْرِئُونَ﴾ يعنون الشرك ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ﴾ أي: والذي أكرهتنا عليه، أي: ويغفر لنا إكراهك إيانا على السحر. فإن قيل: كيف قالوا: أكرهتنا، وقد قالوا: «إن لنا لأجراً»، وفي هذا دليل على أنهم فعلوا السحر غير مكرهين؟ فتنه أربعة أجوبة: أحدها: أن فرعون كان يكره الناس على تعلم السحر، قاله ابن عباس. قال ابن الأنباري: كان يطالب بعض أهل مملكته بأن يعلموا أولادهم السحر وهم لذلك كارهون، وذلك لشغفه بالسحر، ولما خامر قلبه من خوف موسى، فالإكراه على السحر، هو الإكراه على تعلمه في أول الأمر. والثاني: أن السحرة لما شاهدوا موسى بعد قولهم ﴿إِنَّا لَنَآجِرُونَ﴾ ورأوا ذكره الله تعالى وسلوكه منهاج المتقين، جزعوا من ملاقاته بالسحر، وحذروا أن يظهر عليهم فيطلع على ضعف صناعتهم، فتفسد معيشتهم، فلم يقنع فرعون منهم إلا بمعارضة موسى، فكان هذا هو الإكراه على السحر. والثالث: أنهم خافوا أن يغلبوا في ذلك الجمع، فيفقد ذلك في صنعتهم عند الملوك والسُّوق<sup>(١)</sup>، وأكرههم فرعون على فعل السحر. والرابع: أن فرعون أكرههم على مفارقة أوطانهم، وكان سبب ذلك السحر، ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿رَأَاهُ حَيًّا﴾ أي: خير منك ثواباً إذا أطيع ﴿وَأَيُّوعَ﴾ عقاباً إذا عصي، وهذا جواب قوله: ﴿إِنَّمَا أَفْعَدُ صَدَاقًا لَّكُمْ﴾؛ وهذا آخر الإخبار عن السحرة.

﴿إِنَّمَا مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۖ﴾ (٧٦) وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْتًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الَّتِي كَانَتْ عَمَلُهُمْ فِيهَا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْجَوْنَ عَذَابَ اللَّهِ ۖ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ يعني: مشركاً ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياة تنفعه. [أنشد ابن الأنباري في مثل هذا المعنى قوله:

أَلَا مَن لِنَفْسٍ لَا تَمُوتُ فَيَنْقُضِي شَقَاَهَا وَلَا تَحْيَا حَيَاةً لَهَا طَعْمُ<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ قال ابن عباس: قد أدَّى الفرائض، ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا﴾ يعني: درجات الجنة، وبعضها أعلى من بعض. والعلی، جمع العليا، وهو تأنيث الأعلى. قال ابن الأنباري: وإنما قال: «فأولئك»، لأن «مَن» تقع بلفظ التوحيد على تأويل الجمع. فإذا غلب لفظها، وُحِدَ الراجح إليها، وإذا بُيِّنَ تأويلها، جُمِعَ المصروف إليها.

(١) السُّوق: جمع سوقة، وهم بمنزلة الرعية التي توسعها الملوك، ومن لم يكن ذا سلطان.

(٢) ما بين المتقين زيادة من النسخة الإستانبولية، والبيت في «القرطبي» ٢٢٧/١١. «واللسان»: طعم.

قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ﴾ يعني الثواب ﴿جَزَاءً مِّن تَزَكَّى﴾ أي: تطهر من الكفر والمعاصي.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ يَبْسُ لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ٧٧﴾ فَأَتَيْنَاهُمُ فِرْعَوْنَ بِحُجْرٍ مِّنَ الْيَمِّ مَاءٍ غَشِيَهُمْ ٧٨ وَأَصْلَ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَٰؤُلَاءِ ٧٩ يَبْنِي إِسْرَافِيلُ قَدْ أَفْجَيْتَكُم مِّنْ مَّوَدِّكُمْ وَوَعْدَنَّاكُمْ جَنَابَ الطُّورِ الْآيَمْنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوىَ ٨٠ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْلُقُوا يَدَيْهِ فَيَحْلِلَ عَلَيْكُمْ عَصِيْبٌ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ عَصِيْبٌ فَقَدْ هَوَىٰ ٨١ وَإِلَىٰ لِفْطَارٍ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أُنْتَذَرَ ٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ﴾ أي: سِرَّ بهم ليلاً من أرض مصر ﴿فَأَضْرِبْ لَّهُمْ طَرِيقًا﴾ أي: اجعل لهم طريقاً ﴿فِي الْبَحْرِ يَبْسًا﴾ قرأ أبو المتوكل، والحسن، والنخعي، «يَبْسًا» بإسكان الباء. وقرأ الشعبي، وأبو رجاء، وابن السميع: «يابساً» بآلف. قال أبو عبيدة: اليبس، متحرك الحروف، بمعنى اليابس، يقال: شاة يبس، أي: يابسة ليس لها لبن. وقال ابن قتيبة: يقال لليابس: ييس، وييس.

قوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ﴾ قرأ الأمثرون بآلف. وقرأ أبان، وحمة عن عاصم: «لا تخف». قال الزجاج: من قرأ «لا تخاف»، فالمعنى: لست تخاف، ومن قرأ «لا تخف»، فهو نهي عن الخوف. قال الفراء: قرأ حمزة: «لا تخف» بالجزم، ورفع «ولا تخشى» على الاستئناف، كقوله تعالى: ﴿يُولَدُكُمْ الْأَذْيَارُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١] استأنف بهم، فهذا مثله، ولو نوى حمزة بقوله: «ولا تخش» الجزم وإن كانت فيه الياء، كان صواباً. قال ابن قتيبة: ومعنى ﴿دَرَكًا﴾ لاحقاً. قال المفسرون: قال أصحاب موسى: هذا فرعون قد أدركننا، وهذا البحر بين أيدينا، فأنزل الله على موسى ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا﴾ أي: من فرعون ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ غرقاً في البحر.

قوله تعالى: ﴿فَأَتَيْنَاهُمُ فِرْعَوْنَ﴾ قال ابن قتيبة: لحقهم. وروى هارون عن أبي عمرو: «فأتبعهم» بالتشديد. وقال الزجاج: تبع الرجل الشيء، وأتبعه، بمعنى واحد. ومن قرأ بالتشديد، ففيه دليل على أنه أتبعهم ومعه الجنود. ومن قرأ «فأتبعهم»، فمعناه: ألحق جنوده بهم، وجائز أن يكون معهم على هذا اللفظ، وجائز أن لا يكون، إلا أنه قد كان معهم. ﴿فَفَشَّيْهِمْ مِّنَ الْيَمِّ مَاءً غَشِيَهُمْ﴾ أي: فغشيهم من ماء البحر ما غرقهم. وقال ابن الأنباري: ويعني بقوله: «ما غشيهم» البعض الذي غشيهم، لأنه لم يغشهم كل ماؤه. وقرأ ابن مسعود، وعكرمة، وأبو رجاء، والأعمش: «فغشاهم من اليم ما غشاهم» بآلف فيهما مع تشديد الشين وحذف الياء.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ﴾ أي: دعاهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَٰؤُلَاءِ﴾ أي: [ما] أرشدهم حين أوردتهم موارد الهلكة. وهذا تكذيب له في قوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّسَدِ﴾ [غافر: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿وَوَعَدْنَاهُ جَنَابَ الطُّورِ الْآيَمْنَ﴾ لأخذ التوراة. وقد ذكرنا في [سرم: ٥٢] معنى: «الآيمن»، وذكرنا في [البقرة: ٥٧] «المن والسلى».

[قوله تعالى: ﴿كُلُوا﴾ أي: وقلنا لهم: كلوا].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَأُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا تبطروا في نعمي [فتظلموا]. والثاني: لا تجحدوا نعمي فتكونوا طاغين. والثالث: لا تدخروا منه لأكثر من يوم وليلة.

قوله تعالى: ﴿فَيَحْلِلْ عَلَيْكُمْ عَصِيْبٌ﴾ أي: فنجب لكم عقوبي. والجمهور قرؤوا «فيحل» بكسر الحاء ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ﴾ بكسر اللام. وقرأ الكسائي: «فيحل» بضم الحاء «ومن يحلل» بضم اللام. قال الفراء: والكسر أحب إلي، لأن الضم من الحلول، ومعناه: الوقوع، ويحل بالكسر، يجب، وجاء التفسير بالوجوب، لا بالوقوع.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ أي: هلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ لِفْطَارٍ﴾ الغفار: الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد أخرى، فكلما تكررت ذنوبهم تكررت مغفرته، وأصل الغفر: الستر، وبه سمي [زبجر] الثوب: غفراً، لأنه يستر سداً. فالغفار: الستار للذنوب عباده، المسبل عليهم ثوب عطفه.

قوله تعالى: ﴿لِمَن تَابَ﴾ قال ابن عباس: لمن تاب من الشرك ﴿وآمَنَ﴾ أي: وعُد الله وصدَّته، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾



أدّى الفرائض. وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفْتَدَيْنَا﴾ ثمانية أقوال: أحدها: علم أن لعمله هذا ثواباً، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لم يشكك، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: علم أن ذلك توفيق من الله [له]، رواه عطاء عن ابن عباس. والرابع: لزم السنة والجماعة، قاله سعيد بن جبيرة. والخامس: استقام، قاله الضحاك. والسادس: لزم الإسلام حتى يموت عليه، قاله قتادة. والسابع: اهتدى كيف يعمل، قاله زيد بن أسلم. والثامن: اهتدى إلى ولاية بيت النبي ﷺ، قاله ثابت البناني.

﴿وَمَا أَصْعَلَكُ عَنْ قَوْمِكَ يَمْوِسِي﴾ ٨٣ ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءَ عَلَى أَثَرِي وَعَصَيْتُ إِلَيْكَ رَبِّي لِتَرْضَى﴾ ٨٤ ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلُّكَ السَّامِرِيُّ﴾ ٨٥ ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقُولُونَ لَمْ يَمِدْكُم رُبُّكُمْ وَعَدَّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْمَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُمْ مُؤَيَّدِي﴾ ٨٦ ﴿قَالُوا مَا أَتَيْنَاكَ بِمَعْبُودَةٍ وَلَا نَمُوتُ وَأَكَلْنَا الْقُرُوءَ فَتَدَفَّتْهَا مَكَذَلِكُ الْفَى السَّامِرِيُّ﴾ ٨٧ ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِمْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِنَّهُ مُوسَى فَنَاسِي﴾ ٨٨ ﴿أَفَلَا يَرْجِعُ إِلَى مَنْ يَنْهَى عَنْ أَعْمَالِهِمْ لَمْ يَرْجِعْ وَلَا يُنْقِضْ﴾ ٨٩

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصْعَلَكُ عَنْ قَوْمِكَ يَمْوِسِي﴾ ٨٣ قال المفسرون: لما نجى الله تعالى بني إسرائيل وأغرق فرعون، قالوا: يا موسى، لو أتيتنا بكتاب من عند الله، فيه الحلال والحرام والفرائض، فأوحى الله [إليه يبعده] أنه ينزل عليه ذلك في الموضع الذي كلمه فيه، فاختار سبعين، فذهبوا معه إلى الطور لأخذ التوراة، فجعل موسى من بينهم شوقاً إلى ربه، وأمرهم بلحاظه، فقال الله تعالى له: ما الذي حملك على العجلة عن قومك، ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءَ﴾ أي: هؤلاء ﴿عَلَى أَثَرِي﴾، وقرأ أبو رزين العقيلي، وعاصم الجحدري: «على إثري» بكسر الهمزة وسكون الشاء. وقرأ عكرمة، وأبو المتوكل، وابن يعمر، برفع الهمزة وسكون الشاء. وقرأ أبو رجاء، وأبو العالية: بفتح الهمزة وسكون الشاء. والمعنى: هم بالقرب مني يأتون بعدي ﴿وَعَصَيْتُ إِلَيْكَ رَبِّي لِتَرْضَى﴾ أي: لتزداد رضى، ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ قال الزجاج: ألقيناهم في فتنة ومحنة، واختبرناهم.

قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِكَ﴾ أي: من بعد انطلاقتك من بينهم ﴿وَأَضَلُّكَ السَّامِرِيُّ﴾ أي: كان سبباً لإضلالهم. وقرأ معاذ القارئ، وأبو المتوكل، وعاصم الجحدري، وابن السميع: «وأضلهم» برفع اللام. وقد شرحنا في [البقرة: ٥٢] سبب اتخاذ السامري العجل، وشرحنا في [الأعراف: ١٥٠] معنى قوله تعالى: ﴿غَضِبْنَا أَسِفًا﴾

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَمِدْكُم رُبُّكُمْ وَعَدَّا حَسَنًا﴾ أي: صدقاً، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: إعطاء التوراة. والثاني: قوله: ﴿لَنْ أَقْنِمُ الْعَاكِفُ﴾ إلى قوله: ﴿لَا كُفْرًا عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ...﴾ الآية. [المائدة: ١٣]، وقوله: ﴿وَلَوْ لَفَنَّا لِمَنْ تَابَ﴾ [طه: ٨٢]. والثالث: النصر والظفر.

قوله تعالى: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْمَهْدُ﴾ أي: مدة مفارقتي إياكم ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أن تصنعوا صنيعاً يكون سبباً لغضب ربكم ﴿فَأَخْلَقْتُمْ مُؤَيَّدِي﴾ أي: عهدي، وكانوا قد عاهدوه أنه إن فكهم الله من ملكة آل فرعون، أن يعبدوا الله ولا يشركوا به، ويسيما الصلاة، وينصروا الله ورسله. ﴿قَالُوا مَا أَتَيْنَاكَ بِمَعْبُودَةٍ وَلَا نَمُوتُ وَأَكَلْنَا الْقُرُوءَ فَتَدَفَّتْهَا مَكَذَلِكُ الْفَى السَّامِرِيُّ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: بكسر الميم، وقرأ نافع، وعاصم: بفتح الميم. وقرأ حمزة، والكسائي: بضم الميم. قال أبو علي: وهذه لغات. وقال الزجاج: المُلْكُ، بالضم: السلطان والقدرة. والمُلْكُ، بالكسر: ما حوته اليد. والمُلْكُ، بالفتح: المصدر، يقال: ملكت الشيء أملكه ملكاً. وللمفسرين في معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: ما كنا نملك الذي اتُّخذ منه العجل، ولكنها كانت زينة آل فرعون، فقدناها، قاله ابن عباس. والثاني: بطاقتنا، قاله قتادة، والسدي. والثالث: لم نملك أنفسنا عند الوقوع في البلية، قاله ابن زيد. والرابع: لم يملك مؤمنونا سفهاءنا، ذكره الماوردي. فيخرج فيمن قال هذا لموسى قولان: أحدهما: أنهم الذين لم يعبدوا العجل. والثاني: عابده.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّا جُمَلًا أَوْرَاكًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «جُمَلْنَا» بضم الحاء وتشديد الميم. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «حملنا» خفيفة. والأوزار: الأثقال. والمراد بها: حلي آل فرعون الذي كانوا استعاروه منهم قبل خروجهم من مصر. فمن قرأ «جُمَلْنَا» بالتشديد،

فالمعنى: حَمَلْنَا [ها] موسى، أَمَرْنَا باستعارتها من آل فرعون، ﴿فَقَذَّفْنَاهَا﴾ أي: طرحناها في الحفيرة. وقد ذكرنا سبب قذفهم إياها في سورة البقرة: ٥٢.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَتَى النَّارِغَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه ألقى حلياً كما ألقوا. والثاني: ألقى ما كان معه من تراب حافر فرس جبريل. وقد سبق شرح القصة في البقرة: ٥٢، وذكرنا في [الأعراف: ١٤٨] معنى قوله تعالى: ﴿عَجَلًا جَسَدًا لَّهُ خَوَارٌ﴾

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ﴾ هذا قول السامري ومن وافقه من الذين افْتَنُوا.

قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾ في المشار إليه بالنسيان قولان: أحدهما: أنه موسى. ثم في المعنى ثلاثة أقوال: أحدها: هذا إلهكم وإله موسى فنسي موسى أن يخبركم أن هذا إلهه، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: فنسي موسى الطريق إلى ربه، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: فنسي موسى إلهه عندهم، وخالفه في طريق آخر، قال قتادة. والثاني: أنه السامري، والمعنى: فنسي السامري إيمانه وإسلامه، قاله ابن عباس. وقال مكحول: فنسي، أي: فترك السامري ما كان عليه من الدين. وقيل: فنسي أن العجل لا يرجع إليهم قولاً، ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً. فعلى هذا القول، يكون قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾ من إخبار الله ﷻ عن السامري. وعلى ما قبله، فيمن قاله قولان: أحدهما: أنه السامري. والثاني: بنو إسرائيل.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ﴾ قال الزجاج: المعنى: أفلا يرون أنه لا يرجع ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقْوِمْ لَنَا بُعْدًا وَمَا نُنَاجِيهِمْ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّي﴾ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن يأتي موسى ﴿يَقْوِمْ لَنَا بُعْدًا وَمَا نُنَاجِيهِمْ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّي﴾ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن يأتي موسى ﴿يَقْوِمْ لَنَا بُعْدًا وَمَا نُنَاجِيهِمْ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّي﴾ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن يأتي موسى ﴿يَقْوِمْ لَنَا بُعْدًا وَمَا نُنَاجِيهِمْ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّي﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن يأتي موسى ﴿يَقْوِمْ لَنَا بُعْدًا وَمَا نُنَاجِيهِمْ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّي﴾ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن يأتي موسى ﴿يَقْوِمْ لَنَا بُعْدًا وَمَا نُنَاجِيهِمْ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّي﴾ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن يأتي موسى ﴿يَقْوِمْ لَنَا بُعْدًا وَمَا نُنَاجِيهِمْ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّي﴾ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن يأتي موسى ﴿يَقْوِمْ لَنَا بُعْدًا وَمَا نُنَاجِيهِمْ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّي﴾ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن يأتي موسى ﴿يَقْوِمْ لَنَا بُعْدًا وَمَا نُنَاجِيهِمْ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّي﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَسَّيْتُمْ أَمْرِي﴾ وهو قوله في وصيته إياه: ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحَ﴾ قال المفسرون: ثم أخذ برأس أخيه ولحيته غضباً منه عليه. وهذا وإن لم يذكر هاهنا، فقد ذكر في [الأعراف: ١٥٠] فأكثفي بذلك، وقد شرحنا هناك معنى [يا ابن أم] واختلاف القراء فيها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْأَوْنَ﴾ أي: بشعر رأسي. وهذا الغضب كان لله ﷻ، لأنه وقع في نفسه أن هارون عصى الله بترك أتباع موسى.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ أي: إن فارقتهم وابتعتك ﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: باتباعي إياك ومن معي من المؤمنين. والثاني: بقنالي لبعضهم بعض. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ قولان: أحدهما: لم ترقب قولي لك: ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحَ﴾. والثاني: لم تنتظر أمري فيهم.

﴿قَالَ فَمَا خُلْبُكَ يَنْبِرُ﴾ ﴿قَالَ بَمُرَّتِ سَا لَمْ يَبْرُأْ بِوَيْهِ فَبَعَثْتُ فَبَعَثَ مِنْ أَمْرِ الرُّسُولِ فَجَذَّفْنَاهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ ﴿قَالَ قَادِمٌ فَإِنَّكَ لَكِ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مَسَاسَ وَلَكِ مَوْعِدًا أَنْ تُخْلَفَنَ وَنَظَرْنَا إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ مَا كُنَّا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْبِفَنَّهُ فِي الْيَوْمِ نَسْفًا﴾ ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَسَعَ كُلَّ شَيْءٍ عَلَيْنَا﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يٰمُوسَىٰ﴾ أي: ما أمرك وشأنك الذي دعاك إلى ما صنعت؟ قال ابن الأنباري: وبعض اللغويين يقول: الخطب مشتق من الخطاب. المعنى: ما أمرك الذي تخاطب فيه؟ واختلفوا في اسم السامري على قولين: أحدهما: موسى أيضاً، قاله وهب بن منبه، وقال: كان ابن عم موسى بن عمران. والثاني: ميخا، قاله ابن السائب. وهل كان من بني إسرائيل، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: لم يكن منهم، قاله ابن عباس. والثاني: كان من عظمائهم، وكان من قبيلة تسمى «سامرة»، قاله قتادة. وفي بلدة قولان: أحدهما: كرمان، قاله سعيد بن جبير. والثاني: باجرما، قاله وهب.

قوله تعالى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «تَبَصَّرُوا»، بالتاء. فعلى قراءة الجمهور أشار إلى بني إسرائيل، وعلى هذه القراءة خاطب الجميع. قال أبو عبيدة: علمت ما لم تعلموا. قال: وقوم يقولون: بصرت، وأبصرت سواء، بمنزلة أسرعت، وسرعت. وقال الزجاج: يقال: بصر الرجل يبصر: إذا صار عليمًا بالشيء، وأبصر يبصر: إذا نظر. قال المفسرون: فقال له موسى: وما ذاك؟ قال: رأيت جبريل على فرس، فألقي في نفسي: أن أقبض من أثرها «فَقَبَضْتُ قَبْضَةً»، وقرأ أبي بن كعب، والحسن، ومعاذ القارئ: «قبضة» بالصاد. وقال الفراء: والقبض بالكف كلها، والقبضة - بالصاد - بأطراف الأصابع. قال ابن قتيبة: ومثل هذا: الخضم بالقم كله، والقضم بأطراف الأسنان، والنضج أكثر من النضج، والرجز: العذاب، والرجس: التنن، والهلاس في البدن، والسلاس في العقل، والغلط في الكلام، والغلت في الحساب، والخصر: الذي يجد البرد، والخرص: الذي يجد البرد، والجوع، والنار الخامدة: التي قد سكن لهبها ولم يطفأ جمرها، والهامة: التي طفئت فذهبت البتة، والشكد: العطاء ابتداءً، فإن كان جزءاً فهو شكد، والمائح: الذي يدخل فيملاً الدلو، والماتح: الذي يترعها.

قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهَا﴾ أي: ففقدناها في العجل. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: «فنبذناها» بالإدغام «وَكَذَلِكَ» أي: وكما حدثك «سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي» أي: زينت لي «قَالَ» موسى «أَتَمَنَّى» أي: من بيننا «فَأَمَّا لَكَ فِي الْحَيَاةِ» أي: ما دمت حياً «أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ» أي: لا أمس ولا أمس، فصار السامري يهيم في البرية مع الوحش والسباع، لا يمس أحداً، ولا يمتسه أحد، عاقبه الله بذلك، وألهمه أن يقول: «لا مساس»، وكان إذا لقي أحداً يقول: لا مساس، أي: لا تقربني، ولا تمسني، وصار ذلك عقوبة لولده، حتى إن بقاياهم اليوم، فيما ذكر أهل التفسير، بأرض الشام يقولون ذلك. وحكي أنه إن مس واحد من غيرهم واحداً منهم، أخذتهما الحمى في الحال.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّكَ مَوْعِدًا﴾ أي: لعذابك يوم القيامة «أَنَّ عَذَابَ» أي: لن يتأخر عنك. ومن كسر لام «تخلف» أراد: لن تغيب عنه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ إِذْ يُلَهِكَ﴾ يعني: العجل «الَّذِي ظَلَمْتَ» قال ابن عباس: معناه: أقمت عليه. وقال الفراء: معنى «ظلمت»: فعلته نهراً. وقرأ أبي بن كعب، وأبو الجوزاء، وابن يعمر: «ظلمت» برفع الظاء. وقرأ ابن مسعود، وأبو رجا، والأعمش، وابن أبي عبيدة: «ظلمت» بكسر الظاء. وقال الزجاج: «ظلمت» و«ظلمت» بفتح الظاء، وكسرهما، فمن فتح، فالأصل فيه: «ظلمت» ولكن اللام حذفت لثقل التضعيف والكسر، وبقيت الظاء على فتحها، ومن قرأ: «ظلمت» بالكسر، حوّل كسرة اللام على الظاء. ومعنى «عَاكِفًا» مقيماً، «لَتُحْرِقَنَّهُ» قرأ الجمهور: «لنحرقه» بضم النون وفتح الحاء وتشديد الراء، وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو رزين، وابن يعمر: «لَتُحْرِقَنَّهُ» بفتح النون وسكون الحاء وفتح الراء مخففة. وقرأ أبو هريرة، والحسن، وقتادة: «لَتُحْرِقَنَّهُ» برفع النون وإسكان الحاء وكسر الراء مخففة. قال الزجاج: إذا شدد، فالمعنى: نحرقه مرة بعد مرة. وتأويل «لنحرقه»: لنبردنه، يقال: حرقت أحرق وأحرق: إذا بردت الشيء. والنسف: التدزية. وجاء في التفسير: أن موسى أخذ العجل فذبحه، فسال منه دم، لأنه كان قد صار لحماً ودماً، ثم أحرقه بالنار، ثم ذراه في البحر، ثم أخبرهم موسى عن إلههم، فقال: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هو الذي يستحق العبادة، لا العجل، «وَيَسِعُ كُلَّ شَيْءٍ لِّطَاءٍ» أي: وسع علمه كل شيء.

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ ﴿٩٩﴾ مِّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَالِيَةً

فِيهِ وَسَاءَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ جَزَاءٌ ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَخْفَتُونَ يَتَنَبَّهْنَ إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَشْتَهِمُ طَرِيقَةً إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ أي: كما قصصنا عليك يا محمد من نبأ موسى وقومه، نقص عليك ﴿مِنْ آيَاتِهِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ أي: من أخبار من مضى، والذكر هاهنا: القرآن ﴿مَنْ أَغْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن، ولم يعمل بما فيه ﴿فَأَنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ وقرأ عكرمة، وأبو المتوكل، وحاصم الجحدري: ﴿يُحْمَلُ﴾ برفع الياء وفتح الحاء وتشديد الميم، ﴿وَزُرْقًا﴾ أي: إنماء ﴿خَلِيلِينَ فِيهِ﴾ أي: في عذاب ذلك الوزر ﴿وَسَاءَ لَكُمْ﴾ قال الزجاج: المعنى: وساء الوزر لهم يوم القيامة ﴿حَمَلًا﴾، و﴿حَمَلًا﴾ منصوب على التمييز.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ قرأ أبو عمرو: «ننفخ» بالنون، وقرأ الباقون من السبعة: «ينفخ» بالياء، على ما لم يسم فاعله. وقرأ أبو عمران الجوني: «يوم ينفخ» بياء مفتوحة ورفع الفاء، وقد سبق بيانه. ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو الجوزاء، وطلحة بن مصرف: «ويحشر» بياء مفتوحة ورفع الشين. وقرأ ابن مسعود، والحسن، وأبو عمران: «ويحشر» بياء مرفوعة وفتح الشين «المجرمون» بالواو. قال المفسرون: والمراد بالمجرمين: المشركون. ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ وفيه قولان: أحدهما: غمياً، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال ابن قتيبة: بيض العيون من الغمى، قد ذهب السواد، والناظر. والثاني: زُرْقُ العيون من شدة العطش، قاله الزهري. والمراد: أنه يشوه خلقهم بسواد الوجوه، وزرق العيون.

قوله تعالى: ﴿يَتَخَفَتُونَ يَتَنَبَّهْنَ﴾ أي: يسار بعضهم بعضاً ﴿إِنْ لَيْسَتْ﴾ أي: ما لبثت إلا عشر ليال. وهذا على طريق التقليل، لا على وجه التحديد. وفي مرادهم بمكان هذا اللبث قولان: أحدهما: القبور. ثم فيه قولان: أحدهما: أنهم عَنُوا طول ما لبثوا فيها، روى أبو صالح عن ابن عباس: إن لبثت بعد الموت إلا عشرًا. والثاني: ما بين الفختين، وهو أربعون سنة، فإنه يخفف عنهم العذاب حيثئذ، فيستقلون مدة لبثهم. لهول ما يعانون، حكاه علي بن أحمد النيسابوري. والقول الثاني: أنهم عَنُوا لبثهم في الدنيا، قاله الحسن، وقاتدة.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ أَشْتَهِمُ طَرِيقَةً﴾ أي: أعقلهم، وأعدلهم قولاً ﴿إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا يَوْمًا﴾ فنسي القوم مقدار لبثهم لهول ما عانوا.

﴿وَنَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِصْمًا وَلَا آتِنَا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا سَمْعَ إِلَّا هَسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ آذَنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَوَّى لَهُمْ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَتْلُو مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ الْأَوْجُهُ لِلْيَقِينِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَتَّبِعْ مِنَ الْغَايِبَاتِ وَمَنْ مَثُوثٌ فَلَا يُبَاقُ ظُلْمًا وَلَا هُمْصًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَلَّى اللَّهُ الْكَلِمَ الْهَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ سبب نزولها أن رجالاً من ثقيف أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد! كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ قال المفسرون: النسف: التلزية. والمعنى: يصيرها رمالاً تسيل سيلاً، ثم يصيرها كالصوف المنفوش، تطيرها الرياح فتستأصلها ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ أي: يدع أماكنها من الأرض إذا نسفها ﴿قَاعًا﴾ قال ابن قتيبة: القاع من الأرض: المستوي الذي يعلوه الماء، والصفصاف: المستوي أيضاً، يريد: أنه لا نبت فيها.

قوله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِصْمًا وَلَا آتِنَا﴾ ﴿١٠٧﴾ في ذلك ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراد بالوعج: الأودية، وبالأمت: الروابي، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وكذلك قال مجاهد: العوج: الانخفاض، والأمت، الارتفاع، وهذا مذهب الحسن. وقال ابن قتيبة: الأمت: التكب. والثاني: أن العوج: التمل، والأمت: الأثر مثل الشراك، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أن العوج: الصدع، والأمت، الأكمة.

(١) ذكره السيوطي في «الدرر» ٣٧/٤ من رواية ابن المنذر عن ابن جريج قال: قالت قريش: يا محمد كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة؟ فنزلت: ﴿وَنَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَعْنَ﴾ قال الفراء: أي: يَبْعُونَ صَوْتَ الدَّاعِي لِلْحَشْرِ، لَا عَوَجَ لَهُمْ عَنْ دَعَاة: لَا يَقْدِرُونَ أَنْ لَا يَتَّبِعُوا.

قوله تعالى: ﴿وَرَحِمَتِي الْأَشْرَارُ﴾ أي: سكنت وخفيت ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَسَا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: وطفه الأقدام، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد في رواية، واختاره الفراء، والزجاج. والثاني: تحريك الشفاه بغير نطق، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثالث: الكلام الخفي، روي عن مجاهد. وقال أبو عبيدة: الصوت الخفي.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ﴾ يعني: لا تنفع أحداً ﴿إِلَّا مَنْ أُوذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ أي: إلا شفاعته من أُوذِنَ له الرحمن، أي: أُوذِنَ أَنْ يُشْفَعَ لَهُ، ﴿وَرَفَعِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ أي: ورضي للمشفوع فيه قولاً، وهو الذي كان في الدنيا من أجل: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾. ﴿يَوْمَ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ الكناية راجعة إلى الذين يتبعون الداعي. وقد شرحنا هذه الآية في سورة [البقرة: ٢٥٥]. وفي هاء «به» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، قاله مقاتل. والثاني: إلى ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَرَعَيْتِ الْيَتِيمَ﴾ قال الزجاج: «عَنَتُ» في اللغة: خضعت، يقال: عنا يعنوا: إذا خضع، ومنه قيل: أخذت البلاد عنوةً: إذا أخذت غلبةً، وأخذت بخضوع من أهلها. والمفسرون على أن هذا في يوم القيامة، إلا ما روي عن طلق بن حبيب: هو وضع الجبهة والأنف والكفين والرُكبتين وأطراف القدمين على الأرض للسجود. وقد شرحنا في آية الكرسي معنى ﴿أَلَيْسَ الْيَوْمَ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ قال ابن عباس: خَسِرَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَمَلِكُ مِنَ الظَّالِمِينَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ «مِنْ» هاهنا للجنس. وإنما شرط الإيمان، لأن غير المؤمن لا يُقْبَلُ عمله، ولا يكون صالحاً، ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ أي: فهو لا يخاف. وقرأ ابن كثير: «فَلَا يَخَفُ» على النهي.

قوله تعالى: ﴿ظُلْمًا وَلَا هُمْسًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لا يخاف أن يُظْلَمَ فَيُزَادَ فِي سَيِّئَاتِهِ، ولا أن يُهْضَمَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: لا يخاف أن يُظْلَمَ فَيُزَادَ مِنْ ذَنْبٍ غَيْرِهِ، ولا أن يُهْضَمَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، قاله قتادة. والثالث: أن لا يخاف أن يؤاخذ بما لم يعمل، ولا ينتقص من عمله الصالح، قاله الضحاك. والرابع: لا يخاف أن لا يُجْزَى بعمله، ولا أن يُنْقَصَ مِنْ حَقِّهِ، قاله ابن زيد. قال اللغويون: الهضم: النقص، تقول العرب: هضمْتُ لك من حَقِّي، أي: حَقَّظْتُ، ومنه: فلان هضم الكُشْحَيْنِ، أي: ضامر الجنبين، ويقال: هذا شيء يهضم الطعام، أي: ينقص ثقله. وفرق بعض المفسرين بين الظلم والهضم، فقال: الظلم: منع الحق كله، والهضم: منع البعض، وإن كان ظُلماً أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَرْسَلْنَاهُ﴾ أي: وكما بَيَّنَّا في هذه السورة، أنزلناه، أي: أنزلنا هذا الكتاب ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ أي: بَيَّنَّا فيه ضروب الوعيد. قال قتادة: يعني: وقائعه في الأمم المكذبة.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: ليكون سبباً لانتقائهم الشرك بالاتعاظ بمن قبلهم ﴿أَمْ يُحَدِّثُ لَكُمْ﴾ أي: يجدد لهم القرآن، وقيل: الوعيد ﴿ذِكْرًا﴾ أي: اعتباراً، فيذكروا به عقاب الأمم، فيعتبروا. وقرأ ابن مسعود، وعاصم الجحدري: «أَوْ نُحَدِّثُ» بنون مرفوعة.

قوله تعالى: ﴿تَتَكَلَّفُ اللَّهُ﴾ أي: جَلَّ عَنْ إلحاد الملحدين وقول المشركين في صفاته، ﴿أَلَمَلِكُ﴾ الذي بيده كل شيء، ﴿أَلْحَقُّ﴾ وقد ذكرناه في [يونس: ٣٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ بِالْفَرِزَانِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن جبريل كان يأتي النبي ﷺ بالسورة والآي فيتلوها عليه، فلا يفرغ جبريل من آخرها حتى يتكلم رسول الله ﷺ بأولها مخافة أن ينساها، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن رجلاً لطم امرأته، فجاءت إلى رسول الله ﷺ تطلب القصاص، فجعل

(١) قال السيوطي في «الدرر»: ٣٠٩/٤: أخرج ابن مردويه عن ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ بِالْفَرِزَانِ بَيْنَ قَبْلِ أَنْ يَخْفَى إِلَيْكَ رَحِيمَتِي﴾ يقول: لا تجعل حتى ينبت لك.

رسول الله ﷺ بينهما القصاص، فنزلت هذه الآية، فوقف رسول الله ﷺ حتى نزل قوله تعالى: ﴿الْجَبَالُ فَتُؤَثَّرُ عَلَى الْإِسْكَاءِ﴾ [النساء: ٣٤]، قاله الحسن البصري<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْقَعَ إِلَيْكَ وَخَبْرٌ﴾ وقرأ ابن مسعود، والحسن، ويعقوب: «تَقْضِي» بالنون وكسر الضاد وفتح الياء (وَحْيٌ) تنصب الياء. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبريل من تلاوته تخاف نسيانه<sup>(٢)</sup>، هذا على القول الأول. والثاني: لا تُقرئ أصحابك حتى نبين لك معانيه، قاله مجاهد، وقتادة. والثالث: لا تسأل إنزاله قبل أن يأتك الوحي، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: زِدْنِي قرآنًا<sup>(٣)</sup>، قاله مقاتل. والثاني: فهمًا. والثالث: حفظًا، ذكرهما الثعلبي.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَقُولَ لَهُ عَزْمًا﴾ ١٥. وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١٦﴾ فَقُلْنَا يَبَادِمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِزْقِكَ فَلَا يُخْرِجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَقُ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوْا لِلَّذِي الشَّيْطَانُ قَالَ يَبَادِمُ هَلْ أَذْكَ عَلَى هَجْرَةِ النَّارِ وَمَلَكَ لَا يَبْلَى ﴿٢٠﴾ فَأَكْثَرَا مَتْنًا بَدَتْ لَنَا سَوَاءُهُمَا وَلَقِيفَا يَحْمِلَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رَوْحٍ لَكُنَّ وَصْفٌ مَادَمَ رَبُّهُ فَقَوِيَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَعْنَتَهُ رَبُّهُ فَاتَّبَعَ وَهْدَى ﴿٢٢﴾ قَالَ أَمِطَا مِنْهُمَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ وَصِيي فَإِنَّ لَهُ مَبِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْنِ يَتَذَكَّرْ لَعَلَّهُ يَذَّكَّرُ أَلَّا يَخْلُفَ وَأَنَّى ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ﴾ أي: أمرناه وأوصيناه أن لا يأكل من الشجرة ﴿وَمِنْ قَبْلِ﴾ أي: من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الإيمان بي، وهم الذين ذكرهم في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ﴾، والمعنى: أنهم إن نقضوا العهد، فإن آدم قد عاهدنا إليه ﴿فَقَسِيَّ﴾ وفي هذا النسيان قولان: أحدهما: أنه التَّرك، قاله ابن عباس، ومجاهد، والمعنى: ترك ما أمر به. والثاني: أنه من النسيان الذي يخالف الذِّكْر، حكاه الماوردي. وقرأ معاذ القارئي، وعاصم الجحدري، وابن السميع: «فَقَسِيَّ» برفع النون وتشديد السين.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ العَزْمُ في اللغة: توطيئ النفس على الفعل. وفي المعنى أربعة أقوال: أحدها: لم نجد له حفظًا، رواه العوفي عن ابن عباس، والمعنى: لم يحفظ ما أمر به. والثاني: صبرًا، قاله قتادة، ومقاتل، والمعنى: لم يصبر عسا نُهي عنه. والثالث: حزمًا، قاله ابن السائب. قال ابن الأنباري: وهذا لا يُخرج آدم من أولي العزم، وإنما لم يكن له عزم في الأكل فحسب. والرابع: عزمًا في العود إلى التَّوب، ذكره الماوردي. وما بعد هذا قد تقدم تفسيره [البقرة: ٣٤] إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ قال المفسرون: المراد به نَصَب الدُّنْيَا وتبعها من تكلف الحرث والزرع والعجن والخَبْز وغير ذلك. قال سعيد بن جبيرة: أبطأ إلى آدم ثور أحمر، فكان يعتمل عليه ويمسح العرق عن جبينه، فذلك شقاؤه. قال العلماء: والمعنى: فتشقيًا؛ وإنما لم يقل: فتشقيًا، لوجهين: أحدهما: أن آدم هو المخاطب، فاكتفى به. ومثله: ﴿مَنْ أَلْبَيْنَ وَنَى الْإِنْسَانُ يَبِيدُ﴾ [ق: ٤٧]، قاله الفراء. والثاني: أنه لما كان آدم هو الكاسب، كان التعب في حَقِّه أكثر، ذكره الماوردي.

(١) «الطبري» ٥٨/٥، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٠٩/٤ وزاد نسيته إلى القرياني، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٢) قال ابن كثير ١٦٧/٣: ونُقل: ﴿وَلَا تَمَلَّ بِالْفَرْقَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْقَعَ إِلَيْكَ وَخَبْرٌ﴾ كقوله تعالى في سورة: (لا أقسم بيوم القيامة): ﴿لَا تَقْرَأُ بِهِ إِسْمًا وَلَا تُمْلِكُ بِهِ حِكْمَةً وَهِيَ كِتَابٌ لَا يُحِيطُ بِشَيْءٍ وَلَا تَشْفَقُ بِهِ﴾. قال: ونُقلت في «المصحيح» عن ابن عباس ؓ أن رسول الله ﷺ كان يعالج من الوحي شدة، فكان مما يحرّك به لسانه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، يعني أنه ؓ، كان إذا جاءه جبريل بالوحي، كلما قال جبريل آية قالها معه من شدة حرصه على حفظ القرآن، فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه لتلايش عليه، فقال: ﴿لَا تَقْرَأُ بِهِ إِسْمًا وَلَا تُمْلِكُ بِهِ حِكْمَةً وَهِيَ كِتَابٌ لَا يُحِيطُ بِشَيْءٍ وَلَا تَشْفَقُ بِهِ﴾. أي: أن نجعله في صدرك، ثم نقرأه على الناس من غير أن تنسى منه شيئًا، ثم قال: وقال في هذه الآية: ﴿وَلَا تَمَلَّ بِالْفَرْقَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْقَعَ إِلَيْكَ وَخَبْرٌ﴾. أي: بل أنصت، فإذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقراءه بعده.

(٣) قال ابن كثير ١٦٧/٣: قال ابن عيينة رحمه الله: ولم يزل ﷺ في زيادة حتى توفاه الله ﷻ. وقال الألوسي في «روح المعاني»: واستدل بالآية على فضل العلم حيث أمر ﷺ بطلب زيادته.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ ﴿١٢٧﴾ قرأ أبي بن كعب: «لا تُجَاع ولا تُعْرَى» بالتاء المضمومة والالف. «وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ» قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمره، والكسائي، وحفص عن عاصم: «وَأَنَّكَ» مفتوحة الألف. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: «وَأَنَّكَ» بكسر الألف. قال أبو علي: من فتح، حملة على أن لك أن لا تجوع، وأن لك أن لا تظما، ومن كسر، استأنف.

قوله تعالى: ﴿لَا تَظْمَأُ فِيهَا﴾ أي: لا تعطش. يقال: ظمى الرجل ظمًا، فهو ظمآن، أي: عطشان. ومعنى ﴿وَلَا تَضْحَكُ﴾ لا تبرز للشمس فيصيبك حرها، لأنه ليس في الجنة شمس.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْغَايَةِ﴾ أي: على شجرة من أكل منها لم يمُتْ ﴿وَمَلَايَ لَا يَبُلُّ﴾ جديده ولا يفنى. وما بعد هذا مفسر في [الأعراف: ٢٢]. وفي قوله تعالى: ﴿فَنُوحِيَ﴾ قولان: أحدهما: ضل طريق الخلود حيث أراد من قبل المعصية. والثاني: فسد عليه عيشه، لأن معنى الغي: الفساد. قال ابن الأنباري: وقد غلط بعض المفسرين، فقال: معنى «غوى»: أكثر مما أكل من الشجرة حتى بشم، كما يقال: غوى الفصيل: إذا أكثر من لبن أمه فبشم فكاد يهلك، وهذا خطأ من وجهين: أحدهما: أنه لا يقال من البشم: غَوَى يَغْوِي، وإنما يقال: غَوَى يَغْوِي. والثاني: أن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذُكِّرُوا بِالشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] يدل على أنهما لم يكثرَا، ولم تتأخر عنهما العقوبة حتى يصلَا إلى الإكثار. قال ابن قتيبة: فنحن نقول في حق آدم: عصى وغوى كما قال الله ﷻ، ولا نقول: آدم عاصٍ وغارٍ، كما تقول لرجل قطع ثوبه وخاطه: قد قطعه وخاطه، ولا نقول: هذا خياط، حتى يكون معاوداً لذلك الفعل، معروفاً به.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْعَلْهُ رَبًّا﴾ قد بينا الاجتناء في [النعام: ٨٧] ﴿فَنَابَ عَلَيْهِ وَهْدَى﴾ أي: هداه للتوبة. ﴿قَالَ أَهْبِطَا﴾ في المشار إليهما قولان: أحدهما: آدم وإبليس، قاله مقاتل. والثاني: آدم وحواء، قاله أبو سليمان الدمشقي. ومعنى قوله تعالى: ﴿بِمَكْرٍ يُتَمَيِّزُ عَنْكَ﴾ آدم وذريته، وإبليس وذريته، والحية أيضاً<sup>(١)</sup>؛ وقد شرحنا هذا في [البقرة: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَتَّبِعْ هَذَا﴾ أي: رسولي وكتابي ﴿فَلَا يَفْضِلُ وَلَا يَشْقَى﴾ قال ابن عباس: من قرأ القرآن واتَّبِع ما فيه، هداه الله من الضلالة، ووقاه سوء الحساب، ولقد ضمن الله لمن اتَّبِع القرآن أن لا يَفْضِلُ في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ قال عطاء: عن موعظتي. وقال ابن السائب: عن القرآن ولم يؤمن به ولم يتبعه. قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكُمْ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ قال أبو عبيدة: معناه: معيشة ضيقة، والضنك يوصف به الأنثى والذكر بغير هاء، وكل عيش أو مكان أو منزل ضيق، فهو ضنك، وأنشد:

وإن نزلوا بضضنك فأنزل<sup>(٢)</sup>

وقال الزجاج: الضنك أصله في اللغة: الضيق والشدة. وللمفسرين في المراد بهذه المعيشة خمسة أقوال: أحدها: أنها عذاب القبر، روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتدرون ما المعيشة الضنك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون ثقيلاً ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة<sup>(٣)</sup>». وممن ذهب إلى أنه عذاب القبر ابن مسعود، وأبو سعيد الخدري، والسدي. والثاني: أنه ضغطة القبر حتى تختلف أضلاعه فيه، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: شدة عيشه في النار، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال

(١) انظر التعليق الذي في الصفحة ٥٦.

(٢) هذا جزء من عجز بيت لمترة بن عمرو بن شداد العسبي، وهو في مجاز القرآن ٣٢/٢، و«الطبري» ٢٢٥/١٦، و«القرطبي» ٢٥٨/١١، ومختار الشعر الجاهلي ٣٨٨/١، والبيت بتمامه:

إن يُلْحَقُوا أَكْرَزَ وإن يُنْزَلُوا بِضَضْنِكَ أَنزَلْ  
وفي «اللسان» مادة «ضنك»: الضنك: الضيق من كل شيء، الذكر والأنثى فيه سواء، ومعيشة ضنك: ضيقة، وفي التنزيل: ﴿إِنَّ لَكُمْ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾، أي: غير حلال.

(٣) «الطبري» ٢٢٨/١٢، وأسباب النزول للواحدي ١٧٤، وأوردته السيوطي في «الدر» ٣١١/٤، وهو حديث ضعيف، وذكره ابن كثير ١٦٩/٣ وقال: رفعه منكر جداً.

الحسن، وقتادة، وابن زيد. قال ابن السائب: وتلك المعيشة من الضريع والزقوم. والرابع: أن المعيشة الضنك: كسب الحرام، روى الضحاك عن ابن عباس قال: المعيشة الضنك: أن تضيق عيه أبواب الخير فلا يهتدي لشيء منها، وله معيشة حرام يركض فيها. قال الضحاك: فهذه المعيشة هي الكسب الخيث، وبه قال عكرمة. والخامس: أن المعيشة الضنك: المال الذي لا يَتَّقِي اللَّهَ صاحبه فيه، رواه العوفي عن ابن عباس. فخرج في مكان المعيشة ثلاثة أقوال: أحدها: القبر. والثاني: الدنيا. والثالث: جهنم. وفي قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «أعمى» ﴿لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى﴾ بفتح الميمين. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم بكسرهما. وقرأ نافع بين الكسر والفتح. ثم في هذا العمى للمفسرين قولان: أحدهما: أعمى البصر، روى أبو صالح عن ابن عباس قال: إذا أخرج من القبر خرج بصيراً، فإذا سيق إلى المحشر عمي. والثاني: أعمى عن الحجة، قاله مجاهد، وأبو صالح. قال الزجاج: معناه: فلا حجة له يهتدي بها، لأنه ليس للناس على الله حجة بعد الرسل.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر كذلك كما ترى ﴿أَنْتَكَ أَتَيْنَا نَسِيحَتَا﴾ أي: فتركناها ولم تؤمن بها؛ وكما تركناها في الدنيا تترك اليوم في النار. ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: وكما ذكرنا ﴿نَجْزِي مَنْ أَشْرَكَ﴾ أي: أشرك، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشدُّ﴾ من عذاب الدنيا ومن عذاب القبر ﴿وَأَنَّى﴾ لأنه يدوم.

﴿أَلَمْ يَجِدْكُمْ مِمَّنْ هَلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّعْنَ﴾ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ النَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَمَلَكٌ تَرْضَىٰ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكُمْ﴾ أي: أفلم يبين لكفار مكة إذا نظروا آثار من أهلكتنا من الأمم؛ وكانت قريش تتجر وتري مساكن عاد وثمود وفيها علامات الهلاك، فذلك قوله تعالى: ﴿يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِكُمْ﴾. وروى زيد عن يعقوب: «أفلم تهدي بالنون».

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ في تأخير العذاب عن هؤلاء الكفار إلى يوم القيامة، وقيل: إلى يوم بدر، وقيل: إلى انقضاء آجالهم ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾ أي: لكان العذاب لازماً، أي: لازماً لهم. والزام: مصدر. وصف به العذاب. قال الفراء وابن قتيبة: في هذه الآية تقديم وتأخير، والمعنى: ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لازماً. قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أمر الله تعالى نبيه بالصبر على ما يسمع من أذاهم إلى أن يحكم الله فيهم، ثم حكم فيهم بالقتل، ونسخ بآية السيف إطلاق الصبر.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: صلِّ له بالحمد له والثناء عليه ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: يريد الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني: العصر ﴿وَمِنْ آنَاءِ النَّيْلِ﴾ الآناء: الساعات، وقد بيناها في (ال عمران: ١١٣)، ﴿فَسَبِّحْ﴾ أي: فصلِّ. وفي المراد بهذه الصلاة أربعة أقوال: أحدها: المغرب والعشاء، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: جوف الليل، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: العشاء، قاله مجاهد، وابن زيد. والرابع: أول الليل وأوسطه وآخره، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ المعنى: وسبِّح أطراف النهار. قال الفراء: إنما هما طَرَفَانِ، فخرجا مخرج الجمع، كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَوَلَّوْا إِلَى اللَّهِ فَدَّ صَفَتْ فَلَوْ كُنَّا﴾ [التحریم: ٤]. وللمفسرين في المراد بهذه الصلاة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الظهر، قاله قتادة؛ فعلى هذا، إنما قيل لصلاة الظهر: أطراف النهار، لأن وقتها عند الزوال، فهو طَرَفُ النَّصْفِ الأول وطرف النَّصْفِ الثاني. والثاني: أنها صلاة المغرب وصلاة الصبح، قاله ابن زيد؛ وهذا على أن الفجر في ابتداء الطَّرف الأول، والمغرب في انتهاء الطَّرف الثاني. والثالث: أنها الفجر والظهر والعصر؛ فعلى هذا يكون الفجر من الطرف الأول، والظهر والعصر من الطرف الثاني، حكاه الفراء.

قوله تعالى: ﴿لَمَلَكٌ تَرْضَىٰ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم: «ترضى» بفتح التاء. وقرأ الكسائي، وأبو بكر عن عاصم بضمها. فمن فتح، فالمعنى: لملك ترضى ثواب الله الذي يعطيك. ومن ضمها، ففيه وجهان: أحدهما: لملك ترضى بما تُعطى. والثاني: لعل الله أن يرضاك.



﴿وَلَا تَمُدَّدْ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ حَرِّ وَأَبْقَى ۖ﴾ وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطِرْ عَلَيْهَا لَا تَشْتَكَ رِزْقًا نَحْنُ رِزْقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّدْ عَيْنَكَ﴾ سبب نزولها، ما روى أبو رافع مولى رسول الله ﷺ، قال: نزل ضيف برسول الله ﷺ، فدعاني فأرسلني إلى رجل من اليهود يبيع طعاماً، فقال: قل له: إن رسول الله ﷺ يقول: «يعني كذا وكذا من الدقيق، أو أسلفني إلى هلال رجب»، فأتيت فقلت له ذلك، فقال اليهودي: والله لا أبيع ولا أسلفه إلا برهن، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «والله لو باعني أو أسلفني لقضيت»، وإني لأمين في السماء أمين في الأرض، انهب بدرهمي الحديد إليه، فنزلت هذه الآية تعزية له عن الدنيا<sup>(١)</sup>. قال أبي بن كعب: من لم يتعزَّ بعزاء الله تقطعت نفسه حشرات على الدنيا. وقد مضى تفسير هذه الآية في آخر [الحجر: ١٨٨].

قوله تعالى: ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وقرأ ابن مسعود، والحسن، والزهري، ويعقوب: «زَهْرَة» بفتح الهاء. قال الزجاج: وهو منصوب بمعنى «متعنا»، لأن معنى «متعنا»: جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة، ﴿لِيَفْتَنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لنجعل ذلك فتنة لهم. وقال ابن قتيبة: لنختبرهم. قال المفسرون: زهرة الدنيا: بهجتها وغضارتها وما يروق الناظر منها عند رؤيته، وهو من زهرة النبات وحسنه.

قوله تعالى: ﴿وَرِزْقَ رَبِّكَ حَرِّ وَأَبْقَى﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه ثوابه في الآخرة. والثاني: القناعة. قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ﴾ قال المفسرون: المراد بأهلك: قومه ومن كان على دينه، ويدخل في هذا أهل بيته. قوله تعالى: ﴿وَاصْطِرْ عَلَيْهَا لَا تَشْتَكَ رِزْقًا﴾ أي: لا تكلفك رزقاً لنفسك ولا لخلقنا، إنما نأمرك بالعبادة ورزقك علينا، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ أي: وحسن العاقبة لأهل التقوى. وكان بكر بن عبد الله المزني إذا أصاب أهله خصاصة قال: قوموا فصلوا، ثم يقول: بهذا أمر الله تعالى ورسوله، ويتلو هذه الآية.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ أَوْلَمِ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۖ﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتِجَ إِلَيْنِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُخْزَى ۖ قُلْ كُلُّ مُرْتَضٍ فَرَضُوا فَنُتِجَ مِنْ أَصْحَابِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ يعني: المشركين ﴿لَوْلَا﴾ أي: هلا ﴿يَأْتِينَا﴾ محمد ﴿بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي: كآيات الأنبياء، نحو الناقة والعصا، ﴿أَوْلَمِ تَأْتِيهِمْ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «تأتهم» بالثاء. وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «يأتهم» بالياء.

قوله تعالى: ﴿بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ أي: أولم يأتهم في القرآن بيان ما في الكتب من أخبار الأمم التي أهلكناها لما سألوا الآيات ثم كفروا بها، فما يؤمنهم أن تكون حالهم في سؤال الآيات كحال أولئك؟! ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ يعني: مشركي مكة ﴿بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾ في الهاء قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الكتاب، قاله مقاتل. والثاني: إلى الرسول، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿لَقَالُوا﴾ يوم القيامة: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا﴾ أي: هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ يدعونا إلى طاعتك ﴿فَنُتِجَ إِلَيْنِكَ﴾ أي: نعمل بمقتضاها ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ﴾ بالعذاب ﴿وَنُخْزَى﴾ في جهنم. وقرأ ابن عباس، وابن السميع، وأبو حاتم عن يعقوب: «نُذِّلَّ» و«نُخْزَى» برفع النون فيهما، وفتح الدال. ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿كُلُّ﴾ منا ومنكم ﴿مُرْتَضٍ﴾ أي: نحن نترى بكم العذاب في الدنيا، وأنتم تترى بكون الدوائر ﴿فَرَضُوا﴾ أي: فانتظروا ﴿فَنُتِجَ مِنْ أَصْحَابِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ أي: الذين المستقيم ﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾ من الضلالة، أنحن، أم أنتم؟ وقيل: هذه منسوخة بآية السيف، وليس بشيء.



(١) «الطبري» ٢٣٥/١٦، وأورده السيوطي في «الدر» ٣١٢/٤ وزاد نسبه لابن أبي شيبة، وابن راهويه، والبخاري، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والخراطي في «مكارم الأخلاق»، وأبي نعيم في «المعرفة» عن أبي رافع.

## سورة الأنبياء

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ❶ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ❷  
 لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النُّجُومُ الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّيْحَرَ وَتُسْمِعُونَ ❸ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ  
 فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ❹ بَلْ قَالُوا أَضَلَّتْ أَعْيُنُنَا أَمْ لَنَا نَجْمٌ هُوَ ذُو شَأْنٍ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَنْزِلُونَ  
 ❺ مَا ءَامَنَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ قُرْبَى أَهْلِكْنَاهَا أَفَهُمْ يَعْمُونَ ❻ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَتْلُوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ  
 لَا تَعْلَمُونَ ❼ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ❽ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ❾  
 الشَّرِيفِينَ ❿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ❻

وهي مكية بإجماعهم من غير خلاف تعلمه.

قوله ﴿اقْتَرَبَ﴾: اقْتَرَبَ: من القُرب، يقال: قَرُبَ الشيء، واقترب. وهذه الآية نزلت في كفار مكة. وقال  
 الزجاج: اقترب للناس وقت حسابهم. وقيل: اللام في قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ بمعنى «مِنْ». والمراد بالحساب: محاسبة الله  
 لهم على أعمالهم. وفي معنى قُرْبَى قولان: أحدهما: أنه آتٍ، وكلُّ آتٍ قَرِيبٌ. والثاني: لأن الزمان - لكثرة ما مضى  
 وقلة ما بقي - قَرِيبٌ.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ فِي غَفْلَةٍ﴾ أي: عما يفعل الله بهم ذلك اليوم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عن التأهب له. وقيل: «اقترب للناس» عام،  
 والغفلة والإعراض خاص في الكفار، بدلالة قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾، وفي هذا الذِّكْر ثلاثة  
 أقوال: أحدها: أنه القرآن، قاله ابن عباس: فعلى هذا تكون الإشارة بقوله: ﴿مُحَدَّثٍ﴾ إلى إنزاله له، لأنه أنزل شيئاً بعد  
 شيء. والثاني: أنه ذِكْر من الأذكار، وليس بالقرآن، حكاه أبو سليمان الدمشقي. وقال النقاش: هو ذِكْر من رسول الله،  
 وليس بالقرآن. والثالث: أنه رسول الله، بدليل قوله في سياق الآية: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾، قاله الحسن بن الفضل.  
 قوله تعالى: ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ قال ابن عباس: يستمعون القرآن مستهزئين.

قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ أي: غافلة عما يُراد بهم. قال الزجاج: المعنى: إلا استمعوه لاعبين لاهية  
 قلوبهم؛ ويجوز أن يكون منصوباً بقوله: «يلعبون». وقرأ عكرمة، وسعيد بن جبير، وابن أبي عبله: «لاهيّة» بالرفع.  
 قوله تعالى: ﴿وَأَسْرَأُ النُّجُومُ﴾ أي: تناجوا فيما بينهم، يعني المشركين. ثم بيّن من هم فقال: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾  
 أي: أشركوا بالله. «والذين» في موضع رفع على البدل من الضمير في «وأسرؤا». ثم بيّن سرهم الذي تناجوا به  
 فقال: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ أي: آدمي، فليس بملك؛ وهذا إنكار لنبوته. وبعضهم يقول: «أسرؤا» هاهنا  
 بمعنى: أظهروا، لأنه من الأضداد.

قوله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ السَّيْحَرَ﴾ أي: أفتقبلون السحر ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه يسخر؟! يعنون أن متابعة محمد ﷺ  
 متابعة السحر. ﴿قُلْ رَبِّي﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «قل ربّي». وقرأ حمزة،  
 والكسائي، وحفص عن عاصم: «قال ربّي»، وكذلك هي في مصاحب الكوفيين، وهذا على الخبر عن النبي ﷺ أنه  
 قال: يعلم القول، أي: لا يخفى عليه شيء يقال في السماء والأرض، فهو عالم بما أسررتهم. ﴿بَلْ قَالُوا﴾، قال  
 الفراء: رَدٌّ بـ «بل» على معنى تكذيبهم، وإن لم يظهر قبله الكلام بجحودهم، لأن معناه الإخبار عن الجاحدين، وأعلم أن  
 المشركين كانوا قد تحيروا في أمر رسول الله ﷺ، فاختلفت أقوالهم فيه، فبعضهم يقول: هذا الذي يأتي به يسخر،  
 وبعضهم يقول: أضغاث أحلام، وهي الأشياء المختلطة تُرى في المنام؛ وقد شرحناها في [يوسف: ٤٤]، وبعضهم

يقول: افتراء، أي: اختلقه، وبعضهم يقول: هو شاعر فليأتنا بآية كالتاقة والعصا، فاقترحوا الآيات التي لا إسهال بعدها.

قوله تعالى: ﴿هَآءَاتَتْ قَبْلَهُمْ﴾ يعني: مشركي مكة ﴿هَٰؤُلَاءِ قَرِيبٌ﴾ وصف القرية، والمراد أهلها، والمعنى: أن الأمم التي أهلكت بتكذيب الآيات، لم يؤمنوا بالآيات لما أنتمهم، فكيف يؤمن هؤلاء؟! وهذه إشارة إلى أن الآية لا تكون سبباً للإيمان، إلا أن يشاء الله.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِسَالًا﴾ هذا جواب قولهم: ﴿هَلْ عَلَّمْنَا إِلَّا بِشَرِّ مِثْلِكُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿فَوَيْحٌ لِلَّذِينَ﴾ قرأ الأكثرون: «ويحي» بالياء. وروى حفص عن عاصم: «فويحي» بالنون. وقد شرحنا هذه الآية في (النحل: ٤٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ يعني الرسل ﴿جَسَدًا﴾ قال الفراء: لم يقل: أجساداً، لأنه اسم الجنس. قال مجاهد: وما جعلناهم جسداً ليس فيهم روح. قال ابن قتيبة: ما جعلنا الأنبياء قبله أجساداً لا تأكل الطعام ولا تموت فنجعله كذلك. قال المبرد: وثعلب جميعاً: العرب إذا جاءت بين الكلام بجحدين، كان الكلام إخباراً، فمعنى الآية: إنما جعلناهم جسداً ليأكلوا الطعام. قال قتادة: المعنى: وما جعلناهم جسداً إلا ليأكلوا الطعام.

قوله تعالى: ﴿فَمَا جَعَلْنَاهُمْ أَوْعَدَ﴾ يعني: الأنبياء أنجزنا وعدهم الذي وعدناهم بإنجائهم وإهلاك مكذبيهم ﴿فَمَا جَعَلْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾ وهم الذين صدقوهم ﴿وَأَمَّا لَكُنَّا الشَّرِيفِينَ﴾ يعني: أهل الشرف؛ وهذا تخويف لأهل مكة. ثم ذكر مثله عليهم بالقرآن فقال: ﴿إِنَّمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: فيه شرفكم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: فيه وينكم، قاله الحسن، يعني: فيه ما تحتاجون إليه من أمر دينكم. والثالث: فيه تذكرة لكم لما تلقونه من رجة أو عذاب، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَ نَفْلَاتٍ﴾ ما فضلكم به على غيركم.

﴿وَكَمْ قَصَصْنَا مِنْ قَبْلِهِ كَانَتْ طَائِفَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ﴿ثَلَاثَ أَجْسَادٍ بَاسْتًا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُشُونَ﴾ ﴿لَا تَرْكُشُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِكُمْ﴾ ﴿لَكُمُ شَتْرُونَ﴾ ﴿قَالُوا يَبْرَأْنَا إِنْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَمِيمًا خَبِيرِينَ﴾

ثم عوّفهم فقال: ﴿وَكَمْ قَصَصْنَا﴾ قال المفسرون واللغويون: معناه: وكم أهلكنا، وأصل القصص: الكسر. وقوله: ﴿كَانَتْ طَائِفَةً﴾، أي: كافرة، والمراد: أهلها ﴿ثَلَاثَ أَجْسَادٍ بَاسْتًا﴾ أي: رأوا عذابنا بحاسة البصر ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُشُونَ﴾ أي: يغدون، وأصل الركش: تحريك الرجلين؛ يقال: ركشفت الفرس: إذا أغذيت به تحريك رجله فعدا.

قوله تعالى: ﴿لَا تَرْكُشُوا﴾ قال المفسرون: هذا قول الملائكة لهم: ﴿وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾، أي: إلى نعمكم التي أنرفتكم، وهذا توبيخ لهم. وفي قوله: ﴿لَكُمُ شَتْرُونَ﴾ قولان: أحدهما: تُسألون من دنياكم شيئاً، استهزاء بهم، قاله قتادة. والثاني: تُسألون عن قتل نبيكم، قاله ابن السائب. فلما أيقنوا بالعذاب ﴿قَالُوا يَبْرَأْنَا إِنْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بكفرنا، وقيل: بتكذيب نبينا. ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾، أي: ما زالت تلك الكلمة التي هي ﴿قَالُوا يَبْرَأْنَا إِنْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ قولهم يُردّدونها ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَمِيمًا﴾ بالعذاب، وقيل: بالسيوف ﴿خَبِيرِينَ﴾، أي: ميتين كخمود النار إذا طُوِّشَتْ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِيَعْبُدُنَا﴾ ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَنْزِعَ لَكُمْ لَآخِذَةً مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا نَعْلَمُونَ﴾ ﴿بَلْ نَقُولُ لِلْمَلَأِ عَلَى الْبَيْتِ قِدَمْتُمْ فَإِذَا هُوَ رَاقٍ﴾ ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ بِمَا نَعْمُونَ﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَبَيْنَهُمَا شَيْءٌ إِلَّا بِرِضَا رَبِّهِ وَلَا يَتُحَرِّصُونَ﴾ ﴿يُسَبِّحُونَ الْبَلَّ وَالنَّهَارَ لَا يَفْثُونَ﴾ ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا كُنَّا نَفْعَلُ مِنَ الْبَرِّ هُمْ يَنْسَوْنَ﴾ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا وَسَبَّحَ اللَّهُ رَبَّ الْمَرْوِيِّ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُنْشَوْنَ﴾ ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا كُنَّا نَفْعَلُ مِنَ الْبَرِّ هُمْ يَنْسَوْنَ﴾ ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِنْ قَبْلِ بَلِّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ لِقَاءَ قَوْمٍ مَعْرُضُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِيَعْبُدُنَا﴾ أي: لم نخلق ذلك عبثاً، إنما خلقناها دلالة على قدرتنا ووحدانيتنا ليعتبر الناس بخلقه، فيعلموا أن العبادة لا تصلح إلا لخالقه، لنجازي أوليائنا، ونعذب أعدائنا.

قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًَا﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن المشركين لما قالوا: الملائكة بنات الله والآلهة بناته، نزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن نصارى نجران قالوا: إن عيسى ابن الله، فنزلت هذه الآية. قاله مقاتل. وفي المراد باللهو ثلاثة أقوال: أحدها: الولد، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال السدي. قال الزجاج: المعنى: لو أردنا أن نتخذ ولداً لهو نلّه به. والثاني: المرأة، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة. والثالث: اللعب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿لَا تَخْذَنْهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ قال ابن جريج: لا نتخذنا نساءً أو ولداً من أهل السماء، لا من أهل الأرض. قال ابن قتيبة: وأصل اللهو: الجماع، فكُنّي عنه باللهو، كما كُنّي عنه بالسُرّ، والمعنى: لو فعلنا ذلك لا نتخذناه من عندنا، لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده، لا عند غيره. وفي قوله: ﴿إِنْ كُنَّا فَعَلَيْنَا﴾ قولان: أحدهما: أن «إن» بمعنى «ما»، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة. والثاني: أنها بمعنى الشرط. قال الزجاج: والمعنى: إن كنا فعل ذلك، ولنا ممن يفعله، قال: والقول الأول قول المفسرين، والثاني قول النحويين، وهم يستجيدون القول الأول أيضاً، لأن «إن» تكون في موضع النفي، إلا أن أكثر ما تأتي مع اللام، تقول: إن كنت لصالحاً، معناه: ما كنت إلا صالحاً.

قوله تعالى: ﴿بَلْ﴾ أي: دع ذاك الذي قالوا، فإنه باطل ﴿نَقِذُ يَمْلِكُ﴾ أي: نسلط الحق وهو القرآن ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾ وهو كذبهم ﴿فَيَدْمَغُهُمْ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يكسره، وأصل هذا إصابة الدماغ بالضرب، وهو مقتل ﴿فَإِذَا هُوَ رَاهِقٌ﴾ أي: زائل ذاهب. قال المفسرون: والمعنى: إنا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يضمحل، ﴿وَلَكُمْ الْأَوَّلُ وَمَا تَوَعَّدُونَ﴾ أي: من وصفكم الله بما لا يجوز ﴿وَلَمْ يَنْ مِنَ السَّعِيرِينَ وَالْأَرْضِينَ﴾ يعني: هم عبيده ومُلْكُهُ ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ يعني: الملائكة. وفي قوله: ﴿وَلَا يَسْتَعِيرُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لا يرجعون، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: لا ينقطعون، قاله مجاهد. وقال ابن قتيبة: لا يعيون، والحير: المنقطع الواقف إعياء وكلالاً. والثالث: لا يملّون، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿لَا يَقْتُرُونَ﴾ قال قتادة: لا يسأمون. وسئل كعب: أما يشغلهم شأن؟ أما تشغلهم حاجة؟ فقال للسائل: يا ابن أخي، جعل لهم التسييح كما جعل لكم النفس، ألسنت تاكل وتشرب وتقوم وتجلس وتجيء وتذهب وتكلم وأنت تنفس؟! فكذاك جعل لهم التسييح. ثم إن الله تعالى عاد إلى توبيخ المشركين فقال: ﴿أَرَأَيْتُمْ أَفْعَدُوا إِلَهُهِنَّ مِنَ الْأَرْضِ﴾ لأن أصنامهم من الأرض هي، سواء كانت من ذهب أو فضة أو خشب أو حجارة ﴿هُنَّ﴾ يعني: الآلهة ﴿يُسْتَعِيرُونَ﴾ أي: يُحْيُونَ الموتى. وقرأ الحسن: «يَنْشُرُونَ» بفتح الياء وضم الشين. وهذا استفهام بمعنى المجحد، والمعنى: ما اتخذوا آلهة تنشر ميتاً. ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا﴾ يعني: السماء والأرض ﴿إِلَٰهَةٌ﴾ يعني: معبودين ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ قال الفراء: سوى الله. وقال الزجاج: غير الله.

قوله تعالى: ﴿لَنَسَنَّا﴾ أي: لخربنا وبطلنا وهلك من فيهما، لوجود التمانع بين الآلهة، فلا يجري أمر العالم على النظام، لأن كل أمر صدر عن اثنين فصاعداً لم يسلم من الخلاف.

قوله تعالى: ﴿لَا يَنْتَلِ عَنَّا يَقُولُ﴾ أي: عما يخكم في عباده من هدي وإضلال، وإعزاز وإذلال، لأنه المالك للخلق، والخلق يسألون عن أعمالهم؛ لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم. ولما أبطل ﴿لَنَّا﴾ أن يكون إله سواه من حيث العقل بقوله: ﴿لَنَسَنَّا﴾، أبطل ذلك من حيث الأمر فقال: ﴿أَرَأَيْتُمْ أَفْعَدُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهُةً﴾ وهذا استفهام إنكار وتوبيخ ﴿فَلْ هَاثُوا يُكْفَنُكُمْ﴾ على ما تقولون، ﴿هَذَا يَكُفُّ مَنْ مَعِيَ﴾ يعني: القرآن خير من معي على ديني ممن يتبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ﴿وَوَكُفُّ مَنْ قَبْلِي﴾ يعني: الكتب المنزلة، والمعنى: هذا القرآن، وهذه الكتب التي أنزلت قبله، فانظروا هل في واحد منها أن الله أمر باتخاذ إله سواه؟ فبطل بهذا البيان جواز اتخاذ معبود غيره من حيث الأمر به. قال الزجاج: قيل لهم: هاتوا برهانكم بأن رسولاً من الرسل أخبر أمته بأن لهم إلهاً غير الله!

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْذَرُكُمْ﴾ يعني: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله ابن عباس. والثاني: التوحيد، قاله مقاتل ﴿فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن التفكر والتأمل وما يجب عليهم من الإيمان.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ وقالوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا مُبْجَنًا بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْتَفِيقُونَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ يَأْمُرُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٦﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَنْشَعُونَ إِلَّا لِئِنْ أَرْسَلْنَا بِهِمْ مِنْ خَشْيَةٍ مُتَفِيقُونَ ﴿٢٧﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنْتِ إِلَهٌ مِنْ دُونِي فَلْنَنْجِيهِمْ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ يَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوْحَىٰ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «إلا نوحى» بالنون؛ والباقون بالياء. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ في القائلين لهذا قولان: أحدهما: أنهم مشركو قريش، قاله ابن عباس. وقال ابن إسحاق: القائل لهذا النضر بن الحارث. والثاني: أنهم اليهود، قالوا: إن الله صاهر الجن فكانت منهم الملائكة، قاله قتادة. فعلى القولين، المراد بالولد: الملائكة، وكذلك المراد بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾، والمعنى: بل عباد أكرمهم الله واصطفاهم، ﴿لَا يَسْتَفِيقُونَ بِالْقَوْلِ﴾، أي: لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به. وقال ابن قتية: لا يقولون حتى يقول، ثم يقولون عنه، ولا يعملون حتى يأمرهم.

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ما قدموا من الأعمال ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما هم عاملون، ﴿وَلَا يَنْشَعُونَ﴾ يوم القيامة، وقيل: لا يستغفرون في الدنيا ﴿إِلَّا لِئِنْ أَرْسَلْنَا﴾ أي: لمن رضي عنه، ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِمْ مِنْهُ﴾ فأضيف المصدر إلى المفعول، ﴿مُسْتَفِيقُونَ﴾ أي: خائفون. وقال الحسن: يرتعدون. ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ أي: من الملائكة. قال الضحاك في آخرين: هذه خاصة لإبليس، لم يذع أحد من الملائكة إلى عبادة نفسه سواء؛ قال أبو سليمان الدمشقي: وهذا قول من قال: إنه من الملائكة، فإن إبليس قال ذلك للملائكة الذين هبطوا معه إلى الأرض، ومن قال: إنه ليس من الملائكة<sup>(١)</sup>، قال: هذا على وجه التهديد، وما قال أحد من الملائكة ذلك.

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ يَمْسُدَ بِهِمْ فَيَجَاوِبُوا سُبُلًا لَكُمْ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْعًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣١﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أولم يعلموا. وقرأ ابن كثير: «ألم ير الذين كفروا» بغير واو بين الألف واللام، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة، ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ قال أبو عبيدة: السموات جمع، والأرض واحدة، فخرجت صفة لفظ الجمع على لفظ صفة الواحد والعرب تفعل هذا إذا أشركوا بين جمع وبين واحد؛ والرتق مصدر يوصف به الواحد والاثان والجمع والمذكر والمؤنث سواء، ومعنى الرتق: الذي ليس فيه ثقب. قال الزجاج: المعنى: كانتا ذاتي رتق، فجعلهما ذات فتق، وإنما لم يقل: «رتقتين» لأن الرتق مصدر. وللمفسرين في المراد به ثلاثة أقوال: أحدها: أن السموات كانت رتقاً لا تمطر، وكانت الأرض رتقاً لا تثبت، ففتق هذه بالمطر، وهذه بالنبات، رواه عبد الله بن دينار عن ابن عباس، وبه قال عطاء، وعكرمة، ومجاهد في رواية، والضحاك في آخرين. والثاني: أن السموات ولأرض كانتا ملتصقتين، ففتقهما الله تعالى، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة. والثالث: أنه فتق من الأرض ست أرضين فصارت سبعاً، ومن السماء ست سموات فصارت سبعاً، رواه السدي عن أشياخه، وابن أبي نجيع عن مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ وقرأ معاذ القارئ، وابن أبي عبيدة، وحמיד بن قيس: «كل شيء حيًّا» بالنصب. وفي هذا الماء قولان: أحدهما: أنه الماء المعروف، والمعنى: جعلنا الماء سبباً لحياة كل حي، قاله الأكثرون. والثاني: أنه الطُفَّة، قاله أبو العالية.

(١) قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُلْ لِلْمَلَائِكَةِ أَسْمَاءً لَمْ يَمْسُحْهَا إِلَّا إِبْلِيسُ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «كما في صحيح مسلم»:- دخلت الملائكة من نور، وخلق الجن من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم، وقال الحسن البصري: لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم أصل البشر.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ قد فسرناه في [النمل: ١٥].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أي: في الرواسي ﴿وَجِبَالًا﴾، قال أبو عبيدة: هي المسالك. قال الزجاج: الفجج جمع فج، وهو كل منخرق بين جبلين، ومعنى ﴿سُبُلًا﴾ طرقا. قال ابن عباس: جعلنا من الجبال طرقا كي تهتدوا إلى مقاصدكم في الأسفار. قال المفسرون: وقوله: ﴿سُبُلًا﴾ تفسير للفجج، ويبان أن تلك الفجج نافذة مسلوكة، فقد يكون الفجج غير نافذ. ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا﴾ أي: هي للأرض كالسقف. وفي معنى ﴿مَحْفُوظًا﴾ قولان: أحدهما: بالنجوم من الشياطين، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: محفوظا من الوقوع إلا بإذن الله، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَقَمًّا﴾ يعني: كفار مكة ﴿عَنَّا نَبَيًّا﴾ أي: شمسها وقمرها ونجومها، قال الفراء: وقرأ مجاهد: ﴿عن آيتها﴾ فوَحَّدَهُ، فجعل السماء بما فيها آية؛ وكلُّ صواب.

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ﴾ يعني: الطوالح ﴿فِي فَلَكٍ﴾ قال ابن قتيبة: الفلك: مدار النجوم الذي يضمها، وسَمَاءُ فَلَكًا، لاستدارته. ومنه قيل: فَلَكَةُ المِعْزَل، وقد فَلَكَ ثَدْيُ المرأة. قال أبو سليمان: وقيل: إن الفلك - كهية الساقية من ماء - مستديرة دون السماء وتحت الأرض، فالأرض وسطها، والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار يجرون في الفلك، وليس الفلك يُديرها. ومعنى ﴿يَسْبَحُونَ﴾: يَجْرُونَ. قال الفراء: لما كانت السباحة من أفعال الآدميين، ذُكِرَتْ بالنون، كقوله: ﴿رَأَيْتُمْ لِي سَجِيذَةً﴾ [يوسف: ٤٤]، لأن السجود من أفعال الآدميين.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِيَشْرَ مِنَ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنَّ مَتَّ فَهْمُ الْخَالِدُونَ﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَدُكُمْ وَالْآخِرُ وَالثَّوِيَّةُ وَآلِئِنَّا مُرْجِعُونَ﴾ ﴿وَإِذَا رَأَوْا إِلَهِينَ كُفَرُوا﴾ ﴿إِلَّا هُزُوا أَهَذَا إِلَهِ رَبِّكُمْ﴾ ﴿يَذْكُرُ إِلَهُنَّكُمْ﴾ ﴿وَمَنْ يَذْكُرِ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِيَشْرَ مِنَ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ سبب نزولها أن ناسا قالوا: إن محمدا لا يموت، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ومعنى الآية: ما خلدنا قبلك أحدا من بني آدم؛ والخلد: البقاء الدائم. ﴿أَفَإِنَّ مَتَّ فَهْمُ الْخَالِدُونَ﴾ يعني: مشركي مكة، لأنهم قالوا: ﴿نَرَىٰ بِرَبِّكَ الْكَذِبَ﴾ [الطور: ٢٣٠].

قوله تعالى: ﴿وَبَلَدُكُمْ وَالْآخِرُ وَالْآخِرُ﴾ قال ابن زيد: نخبركم بما تحبون لننظر كيف شكركم، وبما تكرهون لننظر كيف صبركم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا يَرْجِعُونَ﴾ [قرأ ابن عامر: «ترجعون» بناء مفتوحة. وروى ابن عباس عن أبي عمرو: «يرجعون» بياء مضمومة. وقرأ الباقون بناء مضمومة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا إِلَهِينَ كُفَرُوا﴾ قال ابن عباس: يعني المستهزئين، وقال السدي: نزلت في أبي جهل، مر به رسول الله، فضحك وقال: هذا نبي بني عبد مناف. وإن معنى «ملا» ومعنى ﴿هُزُوا﴾ مهزوءا به ﴿أَهَذَا إِلَهِ يَذْكُرُ إِلَهُنَّكُمْ﴾ أي: يعيب أصنامكم، وفيه إضمار «يقولون»، ﴿وَمَنْ يَذْكُرِ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ﴾ وذلك أنهم قالوا: ما نعرف الرحمن، فكفروا بالرحمن.

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ﴿وَتَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمْ أَنْتَارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُصْرَفُونَ﴾ ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَشْرَةٌ فَيَقْتُلُوهَا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ دَفْعًا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَأُ بِرُسُلِي مِنْ قَبْلِكَ فَكَافَأَ بِالَّذِينَ سَخَّرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ وقرأ أبو رزين العقيلي، ومجاهد، والضحاك: «خُلِقَ الْإِنْسَانُ» بفتح الخاء واللام ونصب النون. وهذه الآية نزلت حين استعجلت قريش بالعذاب. وفي المراد بالإنسان هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: النضر بن الحارث، وهو الذي قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْخَلْقُ مِنْ عَيْلَةٍ...﴾ الآية [الأنفال: ٢٢]، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: آدم عليه السلام، قاله سعيد بن جبيرة، والسدي في آخرين. والثالث: أنه اسم جنس، قاله علي بن أحمد النيسابوري؛ فعلى هذا يدخل النضر بن الحارث وغيره في هذا وإن كانت الآية نزلت فيه. فأما من قال: أريد به آدم، ففي معنى الكلام قولان: أحدهما: أنه خُلِقَ عجولا، قاله الأكثرون. فعلى هذا

يقول: لما طُبع آدم على هذا المعنى، وُجد في أولاده، وأورثهم العَجَل. والثاني: خُلِقَ بِعَجَل، استعجل بخلقه قبل غروب الشمس من يوم الجمعة، وهو آخر الأيام الستة، قاله مجاهد. فأما من قال: هو اسم جنس، ففي معنى الكلام قولان: أحدهما: خُلِقَ عَجُولاً؛ قال الزجاج: خوطبت العرب بما تعقل، والعرب تقول للذي يكثُر منه اللعب: إنما خُلِقْتَ من لعب، يريدون المبالغة في وصفه بذلك. والثاني: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، والمعنى: خُلِقَتِ العجلة في الإنسان، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي﴾ فيه قولان: أحدهما: ما أصاب الأمم المتقدمة؛ والمعنى: إنكم تسافرون فترون آثار الهلاك في الماضين، قاله ابن السائب. والثاني: أنها القتل ببدء، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾ أثبت الباء في الحاليين يعقوب.

قوله تعالى: ﴿وَوَدَّعِدُواكَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ يعنون: القيامة. ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جوابه محذوف، والمعنى: لو علموا صدق الوعد ما استعجلوا، ﴿حِينَ لَا يَكْفُرُونَ﴾ أي: لا يدفعون ﴿وَمَنْ يُجَاهِدْ﴾ إذا دخلوا ﴿وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ لإحاطتها بهم ﴿وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾ أي: يُمْنَعُونَ مما نزل بهم، ﴿فَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ يعني: الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَتُجَنَّبُهُمْ﴾ تحيرهم؛ وقد شرحنا هذا عند قوله: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ دَفْعًا﴾ أي: صرفها عنهم، ولا هم يُمْتَلُونَ لتوبة أو معذرة. ثم عزى نبيه، فقال: ﴿وَلَقَدْ اسْتَوْزَىٰ رُسُلِي مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: كما فعل بك قومك ﴿فَتَعَالَىٰ﴾ أي: نزل ﴿وَالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾ أي: من الرسل ﴿كَأَنَّهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يعني: العذاب الذي كانوا استهزؤا به.

﴿قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِأَيْلٍ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (١) أَرَأَيْتُمْ مَا لِلَّهِ تَسْمِعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ يَنْصَحُونَ (٢) بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَوَعَدْنَاهُمْ حَقًّا طَالَمَا عَلَيْهِمُ الْعُقُورُ أَفَلَا يَرْجِعُونَ أَفَأَنْتَ الْأَوَّلُ تَنْقُصُهَا مِنْ أَمْزَانِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ (٣) قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ (٤) وَلَكِنْ مَسَّنَاهُمْ نَفْخَةً مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَنْوَلُّنَا إِنَّا كُنَّا عَلَيْهِمْ (٥)

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ﴾ المعنى: قل لهؤلاء المستعجلين بالعذاب: من يحفظكم من بأس الرحمن إن أراد إزاله بكم؟ وهذا استفهام إنكار، أي: لا أحد يفعل ذلك، ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: عن كلامه ومواعظه ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يفكرون ولا يعتبرون. ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا لِلَّهِ تَسْمِعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ فيه تقديم وتأخير، وتقديره: أم لهم آلهة من دُوننا تمنعهم؟ وهانذا تم الكلام، ثم وصف آلهتهم بالضعف، فقال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾ والمعنى: من لا يقدر على نصر نفسه عما يُراد به، فكيف ينصر غيره؟ ١٩.

قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الكفار، وهو قول ابن عباس، والثاني: أنهم الأصنام، قاله قتادة. وفي معنى ﴿يُصْحَبُونَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: يُجَارُونَ، رواه العوفي عن ابن عباس. قال ابن قتيبة: والمعنى: لا يجيرهم من أحد، لأن المجير صاحب لجاره. والثاني: يُمْنَعُونَ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: يُنصرون، قاله مجاهد. والرابع: لا يُصْحَبُونَ بخير، قاله قتادة. ثم بيّن اغترابهم بالإمهال، فقال: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَوَعَدْنَاهُمْ حَقًّا طَالَمَا عَلَيْهِمُ الْعُقُورُ﴾ فاعتروا بذلك، ﴿أَفَلَا يَرْجِعُونَ أَفَأَنْتَ الْأَوَّلُ تَنْقُصُهَا مِنْ أَمْزَانِهَا﴾ قد شرحناه في [الرعد: ٤١]، ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ أي: مع هذه الحال، وهو نقص الأوض، والمعنى: ليسوا بغالبين، ولكنهم المغلوبون. ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ﴾ أي: أخوفكم ﴿وَالْوَحْيِ﴾ أي: بالقرآن، والمعنى: إنني ما جنّ به من تلقاء نفسي، إنما أُوْرث فبُغْت، ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ وقرأ ابن عامر: «ولا يُسْمَعُ» بالتاء مضمومة «الصُّمُّ» نصيباً. وقرأ ابن يعمر، والجنس: «ولا يُسْمَعُ» بضم الياء وفتح الميم «الصُّمُّ» بضم الميم. شبه الكفار بالصُّم الذين لا يسمعون نداء مناديه؛ ووجه التشبيه أن هؤلاء لم ينتفعوا بما سمعوا، كالصُّم لا يفيدهم صوت مناديه. ﴿لَكِنْ مَسَّنَاهُمْ نَفْخَةً﴾ أي: أصابتهم «نَفْخَةً» قال ابن عباس: طرف. وقال الزجاج: المراد أدنى شيء من العذاب، ﴿لَيَقُولُنَّ يَنْوَلُّنَا﴾ والويل ينادي به كل من وقع فيهلكة.

﴿وَنَسَخَ الْوُحْيَ الْفَسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُطْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِنْكُمْ مَنْ كَفَرَ مِنْ خَدَائِكَ إِنَّمَا يَكُنْ بِهَا وَكُنْ يَنْتَ حَسْبُكَ (٦)﴾

قوله تعالى: ﴿وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ قال الزجاج: المعنى: ونضع الموازين ذوات القسط، والقسط: العدل، وهو مصدر يوصف به، يقال: ميزان قسط، وميزانان قسط، وموازين قسط. قال الفراء: القسط من صفة الموازين وإن كان موحدًا، كما تقول: أنتم عدل، وأنتم رضى. وقوله: ﴿يُؤَيِّرُ الْقَبْلَ﴾ وفي يوم القيامة سواء. وقد ذكرنا الكلام في الميزان في أول [الأعراف: ٨]. فلن قيل: إذا كان الميزان واحدًا، فما المعنى بذكر الموازين؟ فالجواب: أنه لما كانت أعمال الخلائق توزن وزنة بعد وزنة، سميت موازين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ أي: لا ينقص محسن من إحسانه، ولا يزداد مسيء على إساءته ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: وزن حبة. وقرأ نافع: ﴿مِثْقَالَ﴾ برفع اللام. قال الزجاج: ونصب «مِثْقَالَ» على معنى: وإن كان العمل مِثْقَالَ حبة. وقال أبو علي الفارسي: وإن كان المِثْقَالَةُ مِثْقَالَ حبة، لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾. قال: ومن رفع، أسند الفعل إلى المِثْقَالِ، كما أسند في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا يَهَاجِرْ﴾ أي: جنتا بها. وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وحמיד: «أَيْنَمَا» ممدودة، أي: جازيتا بها. قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على وجهين: أحدهما: التمييز. والثاني: الحال. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذَكَرْنَا لِلنَّبِيِّينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ أَلْسِنَةٍ سَفِيحُونَ ﴿٥٩﴾ وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَمْ تَكُونُوا ﴿٦٠﴾﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التوراة التي فرق بها بين الحلال والحرام، قاله مجاهد، وقتادة، والثاني: البرهان الذي فرق به بين حق موسى وباطل فرعون، قاله ابن زيد. والثالث: النصر والنجاة لموسى، وإهلاك فرعون، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَضِيَاءً﴾ روى عكرمة عن ابن عباس أنه كان يرى الواو زائدة؛ قال الزجاج: وكذلك قال بعض النحويين أن المعنى: الفرقان ضياء، وعند البصريين: أن الواو لا تُزاد ولا تأتي إلا بمعنى العطف، فهي هاهنا مثل قوله تعالى: ﴿فِيهَا هَذَى وَوُورٌ﴾ [المانعة: ٤٤]. قال المفسرون: والمعنى هم استضاءوا بالتوراة حتى اهتدوا بها في دينهم. ومعنى قوله تعالى: ﴿وَذَكَرْنَا لِلنَّبِيِّينَ﴾ أنهم يذكرونه ويعملون بما فيه. ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: يخافونه ولم يروه، قاله الجمهور. والثاني: يخشون هذابه ولم يروه، قاله مقاتل. والثالث: يخافونه من حيث لا يراهم أحد، قاله الزجاج. والرابع: يخافونه إذا غابوا عن أعين الناس كخوفهم إذا كانوا بين الناس، قاله أبو سليمان الدمشقي. ثم عاد إلى ذكر القرآن، فقال: ﴿وَهَذَا﴾ يعني: القرآن ﴿وَكُنَّا﴾ لمن تذكّر به، وعظة لمن اتعظ ﴿مُبَارَكٌ﴾ أي: كثير الخير ﴿أَفَأَنْتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمْ تَكُونُوا﴾ أي: جاحدون؟! وهذا استفهام توبيخ.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِينَ ﴿٦١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ الْقَصَائِدُ اللَّهُ أَنْتَ لَمَّا عَلَيْكُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى مِثْلِ هَذَا وَإِبراهيمُ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٣﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٦٤﴾ قَالَ بَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ الشَّمْسِ وَالْأَرْضِ أَلَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٦٥﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿٦٦﴾ فَبَجَلْهُمْ جُذَاءً إِلَّا كَبِيرًا ثُمَّ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ أي: هُده. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: من قبل بلوغه، قاله أبو صالح عن ابن عباس، والثاني: آتيته ذلك في العلم السابق، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: من قبل موسى وهارون، قاله الضحاك. وقد أشرنا إلى قصة إبراهيم في [الأنعام: ٧٥].

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِينَ﴾ أي: علمنا أنه موضع لإتياء الرشد. ثم بين متى أتاه فقال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ الْقَصَائِدُ﴾ يعني: الأصنام. والتمثال: اسم للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله تعالى، وأصله من مثلت الشيء بالشيء: إذا شَبَّهْتَهُ بِهِ. وقوله: ﴿اللَّهُ أَنْتَ لَمَّا عَلَيْكُونَ﴾ أي: على عبادتها ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أي: مقيمون، فأجابوه أنهم رأوا آباءهم يعبدونها فافتدوا بهم، فأجابهم بأنهم فيما فعلوا وآباءهم في ضلال مبين، ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٦٤﴾﴾ يعنون: أجاد أنت، أم لاعب!؟



قوله تعالى: ﴿لَا كَيْدَ أَتَسْكُرُ﴾ الكيد: احتيال الكائد في ضرر المكيد. والمفسرون يقولون: لا كيدنها بالكسر ﴿بَعْدَ أَنْ تُولُوا﴾ أي: تذهبوا عنها، وكان لهم عيد في كل سنة يخرجون إليه ولا يخلفون بالمدينة أحداً، فقالوا لإبراهيم: لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا، فخرج معهم، فلما كان ببعض الطريق، قال: إني سقيم، وألقى نفسه، وقال سراً منهم: ﴿وَقَالُوا لَا كَيْدَ أَتَسْكُرُ﴾، فسمعه رجل منهم، فأفشاه عليه، فرجع إلى بيت الأصنام، وكانت - فيما ذكره مقاتل بن سليمان - اثنين وسبعين صنماً من ذهب وفضة ونحاس وحديد وخشب، فكسرها، ثم وضع الفأس في عنق الصنم الكبير، فذلك قوله: ﴿فَجَازَاهُمْ جُذَاءً﴾ قرأ الأكثرون: «جُذَاءً» بضم الجيم. وقرأ أبو بكر الصديق، وابن مسعود، وأبو رزين، وقتادة، وابن محيصن، والأعمش، والكسائي: «جُذَاءً» بكسر الجيم. وقرأ أبو رجا العطاردي، وأيوب السخنياني، وعاصم الجحدري: «جُذَاءً» بفتح الجيم. وقرأ الضحاك، وابن يعمر: «جُذَاءً» بفتح الجيم من غير ألف. وقرأ معاذ القارئ، وأبو حيوة، وابن وثاب: «جُذَاءً» بضم الجيم من غير ألف. قال أبو عبيدة: أي: مستأصلين، قال جرير:

بَنِي الْمَهْلَبِ جَذَّ اللَّهُ ذَابِرَهُمْ  
أَمْسَوْا رَمَاداً فَلَا أَصْلَ وَلَا طَرَفَ<sup>(١)</sup>

أي: لم يبقَ منهم شيء، ولفظ «جُذَاءً» يقع على الواحد والاثنين والجميع من المذكر والمؤنث. وقال ابن قتيبة: «جُذَاءً» أي: فُتَاتاً، وكلُّ شيء كسرته فقد جُذِّذَتْ، ومنه قيل للسويق: الجذيد. وقرأ الكسائي: «جُذَاءً» بكسر الجيم على أنه جمع جذيد، مثل ثَقِيلٍ وثِقَالٍ، وَخَفِيفٍ وَخِفَافٍ. والجذيد بمعنى: المجذوذ، وهو المكسور. ﴿إِلَّا كَبِيرًا ثُمَّ﴾ أي: كسر الأصنام إلا أكبرها. قال الزجاج: جائز أن يكون أكبرها في ذاته، وجائز أن يكون أكبرها عندهم في تعظيمهم إياه، ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾، في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الصنم. ثم فيه قولان. أحدهما: لعلهم يرجعون إليه فيشاهدونه، هذا قول مقاتل. والثاني: لعلهم يرجعون إليه بالتهمة، حكاة أبو سليمان الدمشقي. والثاني: أنها ترجع إلى إبراهيم. والمعنى: لعلهم يرجعون إلى دين إبراهيم بوجوب الحجة عليهم، قاله الزجاج.

﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿قَالُوا فَأَنَّى يُؤْتَى الْفِتْرَةَ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٦١﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٧١﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٨١﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٩١﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿قَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿١٠٠﴾

فلما رجعوا من عيدهم ونظروا إلى آلهتهم ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿١٨﴾ أي: قد فعل ما لم يكن له فعله، فقال الذي سمع إبراهيم يقول: «لَا كَيْدَ أَصْنَامُكُمْ»: «سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ» قال الفراء: أي: يعيهم؛ تقول للرجل: لئن ذكرتني لتندم، تريد: بسوء.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا فَأَنَّى يُؤْتَى الْفِتْرَةَ﴾ ﴿٢٠﴾ أي: بمرأى منهم، لا تأثروا به خفية. قال أبو عبيدة: تقول العرب إذا أظهر الأمر وشهر: كان ذلك على أعين الناس.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٢١﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يشهدون أنه قال لآلهتنا ما قال، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة. والثاني: يشهدون أنه فعل ذلك، قاله السدي. والثالث: يشهدون عقابه وما يصنع به، قاله محمد بن إسحاق. قال المفسرون: فانطلقوا به إلى نمرود، فقال له: ﴿أَأَتِيهِمُ الْغُيُوبُ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿قَالَ بَلْ نَعْلَمُ كَيْفَهُمْ هَذَا﴾ غضب أن تُعبد معه الصغار، فكسرها، ﴿نَسْتَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطُوقُونَ﴾ من فعله بهم؟ وهذا إلزام للمحنة عليهم بأنهم جماد لا يقدر على النطق. واختلف العلماء في وجه هذا القول من إبراهيم عليه السلام على قولين: أحدهما: أنه وإن كان في صورة الكذب، إلا أن المراد به التنبيه على أن من لا قدرة له، لا يصلح أن يكون إلهاً، ومثله قول الملكين لداود: ﴿إِنَّ هَذَا نَجَسٌ﴾ ولم يكن أخاه ﴿لَمْ يَسْجُدْ وَضَعُ يَدَهُ﴾

وَلَيْ تَجِدَ ﴿٢٣﴾، ولم يكن له شيء، فجري هذا مجرى التنبيه لداود على ما فعل، وأنه هو المراد بالفعل والمثل المضروب؛ ويثل هذا لا تسميه العرب كذباً. والثاني: أنه من معارض الكلام؛ فروي عن الكسائي أنه [كان] يقف عند قوله تعالى: ﴿بَلْ تَكْتُمُ الْكُفْرَ﴾ ويقول معناه: فعله من فعله، ثم يبتدئ: ﴿كَيْفُمْ هَذَا﴾. قال الفراء: وقرأ بعضهم: «بل فعله» بتشديد اللام، يريد: فعله كبيرهم هذا. وقال ابن قتيبة: هذا من المعارض، ومعناه: إن كانوا ينطقون، فقد فعله كبيرهم، وكذلك قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] أي: ساسقم، ومثله ﴿إِنَّكَ نَاسٌ﴾ [الزمر: ٣٠] أي: ستموت، وقوله: ﴿لَا تَوَاضَعُنِي النَّسَابُ﴾ [الكهف: ١٧٤] قال ابن عباس: لم ينس، ولكنه من معارض الكلام، والمعنى: لا تواضعني بنسائي، ومن هذا قصة الخصمين ﴿إِذْ شَرَوْا الْيَحْرَابَ﴾ [يونس: ٢١]، ومثله ﴿وَلَيْلًا أَوْ يَبَاكُم لَقَىٰ هُكًى﴾ [سبا: ٢٤]، والعرب تستعمل التعريض في كلامها كثيراً، فتبلغ إرادتها بوجه هو أطف من الكشف وأحسن من التصريح. وروي أن قوماً من الأعراب خرجوا يمتارون، فلما صدروا، خالف رجل في بعض الليل إلى عكم صاحبه، فأخذ منه بزاً وجعله في عكمه، فلما أراد الرحلة وقاما يتعامكان، رأى عكمه يشول، وعكم صاحبه يثقل، فأنشأ يقول:

عكم تغشى بعض أعكام القوم  
لَمْ أَرِ عَكْمًا سَارِقًا قَبْلَ الْيَوْمِ

فخون صاحبه بوجه هو أطف من التصريح. قال ابن الأنباري: كلام إبراهيم كان صدقاً عند البحث، ومعنى قول النبي ﷺ: «كذب إبراهيم ثلاث كذبات»<sup>(١)</sup>: قال قولاً يشبه الكذب في الظاهر، وليس بكذب. قال المصنف: وقد ذهب جماعة من العلماء إلى هذا الوجه، وأنه من المعارض، والمعارض لا تدم، خصوصاً إذا احتج إليها، روى عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في المعارض لمنذوحة عن الكذب»<sup>(٢)</sup> وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما يسرني أن لي بما أعلم من معارض القول يثل أهلي ومالي، وقال النخعي: لهم كلام يتكلمون به إذا خشوا من شيء يدرؤون به عن أنفسهم. وقال ابن سيرين: الكلام أوسع من أن يكذب ظريف، وقد قال رسول الله ﷺ لعجوز: «إن الجنة لا تدخلها المearض»<sup>(٣)</sup>، أراد قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَشْأَنُكُمْ إِنَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٥]، وروي عنه ﷺ أنه كان يمازح بلالاً، فيقول: «ما أخت خالك منك؟»، وقال لامرأة: «مَنْ زَوْجُكَ؟» فسئته له، فقال: «الذي

(١) رواء البخاري ٢٧٧/٦، ومسلم ١٨٤٠/٤، ولفظه عند مسلم تمامه: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم النبي قط إلا ثلاث - كذبات، لنتين في ذلك الله، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ تَكْتُمُ الْكُفْرَ﴾، ورواه في شأن سارة، فإنه قدم أرض جبار ومعها سارة وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبره أنك اغتني فذاك اغتني في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيبي وغيرك، فلما دخل أرضه رأها بعض أهل الجبار، أثناء فقال له: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك، فأرسل إليها فأتي بها، فقام إبراهيم ﷺ إلى الصلاة، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن يسط يده إليها، فقبضت يده قبضة شديدة، فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك، ففعلت، فعاد، فقبضت أيد من القبضتين الأولين، فقال: ادعي الله أن يطلق يدي، فلك الله أن لا أضرك، ففعلت وأطلقت يده، وهذا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما اجتيتي شيطان ولم تأتني بستان، فأخرجها من أرضي، وأعطها هاجر. قال: فأقبلت تمشي، فلما رأها إبراهيم ﷺ انصرف، فقال لها: مهيم؟ قالت: خير، كف الله يد الفاجر، وأخذم خادماً قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٨٠/٦: وفي الحديث مشروعية أخوة الإسلام، وإباحة المعارض، والرخصة في الانقياد للظالم والغاصب، وقبول صلة الملك الظالم، وقبول هدية المشرك، وإجابة الدعاء بإخلاص التبة، وكفاية الرب لمن أخلص في الدعاء بعمله الصالح. اهـ.

(٢) رواء البخاري في «الأدب المفرد» ٣٣٤/٢ من طريق قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: سمعت عمران بن حصين إلى البصرة، فما أتى علينا يوم إلا أنشدنا فيه الشعر، وقال: إن في معارض الكلام لمنذوحة عن الكذب. قال الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة»: قال البيهقي: رواء داود بن الزريقان عن عمران بن حصين مرفوعاً، قال: والموقوف هو الصحيح، وكذا هو المرفوع ابن عدي. قال البيهقي: وروي من وجه آخر ضعيف - يعني جداً - مرفوعاً. ثم قال: وبالجملته فقد حسن العراقي هذا الحديث، ورد على الصناني حكمه عليه بالوضع. اهـ. والمعارض: ما يحدث عن الكذب، والمنذوحة: السعة.

(٣) رواء عبد بن حميد عن الحسن مرسلاً، ورواه الترمذي في «المنازل» عن عبد بن حميد عن الحسن أيضاً، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ١٥٨ عن الحسن، وزاد نسبه لابن المنذر، والبيهقي في «البت»، وأورده أيضاً من رواية البيهقي في «الشعب»، والطبراني في «الأوسط» عن عائشة رضي الله عنها.

في عينيه بياض<sup>(١)</sup>، وقال لرجل: «إنا حاملوك على ولد ناقة<sup>(٢)</sup>»، وقال له العباس: ما ترجو لأبي طالب؟ فقال: «كل خير أرجوه من ربي»، وكان أبو بكر حين خرج من الغار مع رسول الله ﷺ إذا سأل أحد: من هذا بين يديك؟ يقول: هاد يهديني. وكانت امرأة ابن رواحة قد رآته مع جارية له، فقالت له: وعلى فراشي أيضاً؟ فجمد، فقالت له: فاقرا القرآن، فقال:

وفينا رسول الله يتلو كتابه  
يبيح جفافي جنبه عن فراشه  
إذا انشئت مشهور من الضبح طالع  
إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

فقال: آمنت بالله، وكذبت بصري، فأتى رسول الله ﷺ، فأخبره، فضحك وأعجبه ما صنع. وعرض شريح ناقة لبيعها فقال له المشتري: كيف لبنها؟ قال: احلب في أي إناء شئت، قال: كيف الرطاء؟ قال: افرش ونم، قال: كيف نجاؤها<sup>(٣)</sup>؟ قال: إذا رأيته في الإبل عرفت مكانها، علق سوطك وبرز، قال: كيف قوتها؟ قال: احمل على الحائط ما شئت، [فاستصرها] فلم ير شيئاً مما وصف، فرجع إليه، فقال: لم أر فيها شيئاً مما وصفتها به، قال: ما كذبتك، قال: ألقني، قال: نعم، وخرج شريح من عند زياد وهو مريض، فقيل له: كيف وجدت الأمير؟ قال: تركته يأمر وينهى، فقيل له: ما معنى يأمر وينهى؟ قال: يأمر بالوصية، وينهى عن النوح. وأخذ محمد بن يوسف حجراً المدري فقال: العن علياً، فقال: إن الأمير أمرني أن العن علياً محمد بن يوسف، فالعنوه، لعنه الله. وأمر بعض الأمراء صمصمة بن صوحان بلعن علي، فقال: لعن الله من لعن الله ولعن علي، ثم قال: إن [هذا] الأمير قد أبى إلا أن العن علياً، فالعنوه، لعنه الله. وامتنحت الخوارج رجلاً من الشيعة، فجعل يقول: أنا من علي ومن عثمان بريء. وخطب رجل امرأة وتحتة أخرى، فقالوا: لا تزوجك حتى تطلق امرأتك، فقال: اشهدوا أنني قد طلقت ثلاثاً، فزوجوه، فأقام مع المرأة الأولى، فادعوا أنه قد طلق، فقال: أما تعلمون أنه كان تحتني فلانة فطلقتها، ثم فلانة فطلقتها، ثم فلانة فطلقتها؟ قالوا: بلى، قال: فقد طلقت ثلاثاً. وحكي أن رجلاً عثر به الطائف ليلة، فقال له: من أنت؟ فقال:

أنا ابن الذي لا يُنزل الدهر قدره  
تري الناس أفواجاً إلى ضوء ناره  
وان نزلت يوماً فسوف تعود  
فمنهم قيام حولها وقعود

فظن الطائف أنه ابن بعض الأشراف بالبصرة، فلما أصبح سأل عنه، فإذا هو ابن باقلاني. ومثل هذا كثير. **«فَرَحَمُوا إِلَهَ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ»** (١٧) ثُمَّ لَكُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْفَعُونَ (١٨) **فَكَانَ أَتَمْتَبِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّهُمْ** (١٩) **أَبَى لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** (٢٠) قوله تعالى: **«فَرَحَمُوا إِلَهَ أَنْفُسِهِمْ»** فيه قولان: أحدهما: رجع بعضهم إلى بعض. والثاني: رجع كل منهم إلى نفسه متفكراً.

قوله تعالى: **«فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ»** فيه خمسة أقوال: أحدها: حين عبدتم من لا يتكلم، قاله ابن عباس. والثاني: حين تتركون آلهتكم وحدها، وتذهبون، قاله وهب بن منبه. والثالث: في عبادة هذه الأصاغر مع هذا الكبير، روي عن وهب أيضاً. والرابع: لإبراهيم حين أتهموه والفاة في يد كبير الأصنام، قاله ابن إسحاق، ومقاتل. والخامس: أنتم ظالمون لإبراهيم حين سألتموه، وهذه أصنامكم حاضرة، فأسألوها، ذكره ابن جرير.

قوله تعالى: **«ثُمَّ لَكُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ»** وقرأ أبو رزين العقيلي، وابن أبي عبله، وأبو حيو: **«نَكِسُوا»** برفع النون وكسر الكاف مشددة. وقرأ سعيد بن جبير، وابن يعمر، وعاصم الجحدري: **«نَكِسُوا»** بفتح النون والكاف مخففة. قال أبو عبيدة: **«نَكِسُوا»** قُلبوا، تقول: نكست فلاناً على رأسه: إذا قهرته وعلوته. ثم في المراد بهذا الانقلاب ثلاثة

(١) ذكره ملا علي القاري في «شرح الشامل» للترمذي من رواية ابن أبي حاتم وغيره من حديث عبد الله بن سهم النهري.

(٢) رواه الترمذي في «الشامل» عن أنس بن مالك ﷺ أن رجلاً استحمل رسول الله ﷺ، فقال: «إني حاملك على ولد الناقة» فقال: يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة؟ فقال: «وهل ولد الإبل إلا النوق؟».

(٣) الشجاء: السرعة في السير.

أقوال: أحدها: أدركتهم حيرة، فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾، قاله قتادة. والثاني: رجعوا إلى أول ما كانوا يعرفونها به من أنها لا تنطق، قاله ابن قتيبة. والثالث: انقلبوا على إبراهيم يحتجون عليه بعد أن أقروا له ولاموا أنفسهم في تهمة، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ إضمار «قالوا»، وفي هذا إقرار منهم بعجز ما يعبدونه عن النطق، فحينئذ توجهت لإبراهيم الحجة، فقال موبخاً لهم: ﴿أَنْتُمْ تَدْعُونَ إِلَهًا مَا لَا يَفْعَلُكُمْ﴾ أي: لا يرزقكم ولا يعطيكم شيئاً ﴿وَلَا يَنْزِلُكُمْ﴾ إذا لم تعبدوه، وفي هذا حث لهم على عبادة من يملك النفع والضرر، ﴿أَنْتُمْ لَكُمْ﴾ قال الزجاج: معناه: التثنية لكم؛ فلما ألزمهم الحجة غضبوا، فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ﴾. وذكر في التفسير أن نمرود استشارهم، بأي عذاب أعذبه، فقال رجل: حرّقه، فحسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَبْنَؤُ كُونِي بَرًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَبَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَعَدْنَا لَدَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكَلَّمَا جَمَلَنَا صَلَاحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ فَذُلَ الْخَبَرَاتِ وَلَقَدْ آتَيْنَا الزَّكَاةَ وَكَلَّمَا لَنَا عِبْدِينَ ﴿٧٣﴾ قوله تعالى: ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ أي: بتحريقه، لأنه يعيها ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ أي: ناصريها.

### الإشارة إلى القصة

ذكر أهل التفسير أنهم حسبوا إبراهيم ﷺ في بيت ثم بنوا له خيراً طول جداره ستون ذراعاً إلى سفح جبل منيف، ونادى منادي الملك: أيها الناس احتطبوا لإبراهيم، ولا يتخلفن عن ذلك صغير ولا كبير، فمن تخلف ألقي في تلك النار، ففعلوا ذلك أربعين ليلة، حتى إن كانت المرأة لتقول: إن ظفرت بكذا لأحتطب لنار إبراهيم، حتى إذا كاد الحطب يساوي رأس الجدار سدوا أبواب الخير وقذفوا فيه النار، فارتفع لهبها، حتى إن كان الطائر ليمر بها فيحترق من شدة حرها، ثم بنوا بنياناً شامخاً، وبنوا فوقه منجيقاً، ثم رفعوا إبراهيم على رأس البنيان، فرفع إبراهيم رأسه إلى السماء، فقال: اللهم أنت الواحد في السماء، وأنا الواحد في الأرض، ليس في الأرض أحد يعبدك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل؛ فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا إبراهيم يُحرق فيك، فائذن لنا في نصرته؛ فقال: أنا أعلم به، وإن دعاكم فأغيثوه؛ فقفوه في النار وهو ابن ست عشرة سنة، وقيل: ست وعشرين، فقال: ﴿حسبي الله ونعم الوكيل﴾<sup>(١)</sup>. فاستقبله جبريل، فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال جبريل: فسل ربك، فقال: ﴿حسبي من سؤالي علمه بحالي﴾<sup>(٢)</sup>، فقال الله ﷻ: ﴿يَبْنَؤُ كُونِي بَرًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، فلم تبق نار على وجهه الأرض يومئذ إلا طفت وطئت أنها غثيت. وزعم السدي أن جبريل هو الذي ناداه. وقال ابن عباس: لو لم يُنَجِّ بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها. قال السدي: فأخذت الملائكة بضبعي<sup>(٣)</sup> إبراهيم فأجلسوه على الأرض، فإذا عين من ماء عذب، وورد أحمر، ونرجس. قال كعب ووهب: فما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه، وأقام في ذلك الموضع سبعة أيام، وقال غيرهما: أربعين أو خمسين يوماً، فنزل جبريل بقميص من الجنة وطفسة من الجنة، فألبسه القميص، وأجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدثه. وإن أزر أتى نمرود فقال: ائذن لي أن أخرج عظام إبراهيم فأدفنها، فانطلق نمرود ومعه الناس، فأمر بالحائط فُنقب، فإذا إبراهيم في روضة تهتز وثيابه تندى، وعليه القميص وتحت الطنفسة والملك إلى جنبه، فتأدها نمرود: يا إبراهيم، إن إلهك الذي بلغت قدرته هذا لكبير، هل تستطيع أن تخرج؟ قال: نعم، فقام إبراهيم يمشي

(١) روى البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا كَفَّارٌ﴾ ﴿١﴾ وَكَانُوا حَسْبًا لِلَّهِ وَنَعَمَ الْوَكِيلُ. وفي رواية للبخاري عن ابن عباس ﷺ قال: كان آخر قول إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل.

(٢) حديث: ﴿حسبي من سؤالي علمه بحالي﴾ رواه ابن جرير مختصراً، وفي سنده جهالة، وذكره المجولوني في «كشف الخفاء» من رواية البهقي عن كعب الأحبار، ورواه كثير من المفسرين عن أبي بن كعب موقفاً، ولعله من الإسراييات، ولا أصل له في المرفوع، وقال ابن عراق في «فتاوى الشريعة» ١/ ٢٥٠: قال ابن تيمية: موضوع اهـ. وهذا الخبر لا يصح، لأنه يشير إلى ترك الدعاء، مع أن الدعاء عبادة، وقد جاءت الآيات والأحاديث بالأمر به، والحض عليه.

(٣) الضَّيْع، يسكنون الباء: العضد.

حتى خرج، فقال: من الذي رأيته معك؟ قال: ملك أرسله إليّ ربّي ليؤنّسي، فقال نمروذ: إني مقرب لإلهك قرباناً لما رأيته من قدرته، فقال: إذن لا يقبل الله منك ما كنت على دينك، فقال: يا إبراهيم، لا أستطيع ترك ملكي، ولكن سوف أذبح له، فذبح القربان وكفّ عن إبراهيم. قال المفسرون: ومعنى ﴿كُنِيَ بَرَكًا﴾ أي: ذات برد ﴿وَسَلَامًا﴾ أي: سلامة. ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ وهو التحريق بالنار ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ﴾ وهو أن الله تعالى سلط البعوض عليهم حتى أكل لحومهم وشرب دماءهم، ودخلت واحدة في دماغ نمروذ حتى أهلكته، والمعنى: أنهم كادوه بسوء، فانقلب السوء عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَفَقَّيْنَاهُ﴾ أي: من نمروذ وكيدته ﴿وَلُوطًا﴾ وهو ابن أخي إبراهيم، وهو لوط بن هاران بن تارح، وكان قد آمن به، فهاجرا من أرض العراق إلى الشام. وكانت سارة مع إبراهيم في قول وهب. وقال السدي: إنما هي ابنة ملك حرّان، لقيها إبراهيم فتزوجها على أن لا يغيرها، وكانت قد طعنت على قومها في دينهم. فأما قوله تعالى: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾، ففيها قولان: أحدهما: أنها أرض الشام، وهذا قول الأكثرين. وبركتها: أن الله عزّ وجل بعث أكثر الأنبياء منها، وأكثر فيها الخصب والثمار والأنهار. والثاني: أنها مكة، رواه العوفي عن ابن عباس. والاول أصح.

قوله تعالى: ﴿وَرَحِمْنَا لُوطًا﴾ يعني: إبراهيم ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾، وفي معنى النافلة قولان: أحدهما: أنها بمعنى الزيادة، والمراد بها: يعقوب خاصة، فكانه سال واحداً، فأعطي اثنين، وهذا مذهب ابن عباس، وقادة، وابن زيد، والفراء. والثاني: أن النافلة بمعنى العطية، والمراد بها: إسحاق ويعقوب، وهذا مذهب مجاهد، وعطاء.

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ يعني: إبراهيم وإسحاق ويعقوب. قال أبو عبيدة: «كلّ» يقع خبره على لفظ الواحد، لأن لفظه لفظ الواحد، ويقع خبره على لفظ الجميع، لأن معناه معنى الجميع.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً﴾ أي: رؤوساً يُقتدى بهم في الخير ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يَدْعُونَ الناس إلى ديننا بأمرنا إياهم بذلك ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ قال ابن عباس: شرائع النبوة. وقال مقاتل: الأعمال الصالحة، ﴿وَالِإِنَّمَا الْمَسْلُوكُ﴾ قال الزجاج: حذف الهاء من «إقامة الصلاة» قليل في اللغة، تقول: أقام إقامة، والحذف جائز، لأن الإضافة عوض من الهاء.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَرَحِمْنَاهُ مِنْ الْقُرْبَىٰ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْمُنْكَرَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَءٍ فَسِيقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ قال الزجاج: انتصب «لوط» بفعل مضمر، لأن قبله فعلاً، فالمعنى: وأوحينا إليهم وآتيناه لوطاً. وذكر بعض النحويين: أنه منصوب على «واذكر لوطاً»، وهذا جائز، لأن ذكر إبراهيم قد جرى، فحمل لوط على معنى: واذكر. قال المفسرون: لما هاجر لوط مع إبراهيم، نزل إبراهيم أرض فلسطين، ونزل لوط بالمؤتفة على مسيرة يوم وليلة أو نحو ذلك من إبراهيم، فبعث الله نبياً. فأما «الحكم» ففيه قولان: أحدهما: أنه النبوة، قاله ابن عباس. والثاني: الفهم والعقل، قاله مقاتل. وقد ذكرنا فيه أقوالاً في سورة (يوسف: ٢٢). وأما «القرية» هاهنا، فهي سدوم، والمراد أهلها، والخبائث: أفعالهم المنكرة، فمنها إتيان الذكور وقطع السبيل، إلى غير ذلك مما قد ذكره الله ﷻ عنهم في مواضع [هود: ٧٨، والحجر: ٦٩].

قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ أي: بانجائه من بينهم.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَءٍ فَأَفْرِقْنَاهُمْ أَجْمِينَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا﴾ المعنى: واذكر نوحاً، وكذلك ما يأتيك من ذكر الأنبياء ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ أي: دعا على قومه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل إبراهيم ولوط. فأما الكرب العظيم، فقال ابن عباس: هو الغرق وتكذيب قومه. قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: منعناه منهم أن يصلوا إليه بسوء. وقيل: «من» بمعنى «على».

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُنَّا لَهَا آيَاتِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْيِيَكُمْ مِنْ ظَمْئِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَسَلَّمْنَا الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي أَمْرَهُ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانَ الشَّيَاطِينُ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه كان عبداً، قاله ابن مسعود، ومسروق، وشريح. والثاني: كان زرعاً، قاله قتادة. ﴿إِذْ نَفَثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: رَعَتْ لِبَلًا، يقال: نَفَثَتِ الْغَنَمُ بِاللَّيْلِ، وهي إِبِلُ نَفَثَ وَنَفَاشَ وَنَفَاشَ، والواحد: نَافِشٌ، وَسَرَحَتْ وَسَرَبَتْ بالنهار. قال قتادة: النَّفْثُ بِاللَّيْلِ، وَالْهَمَلُ بِالنَّهَارِ. وقال ابن السكيت: النَّفْثُ: أن تَتَشَرَّ الغنم بالليل ترعى بلا راعٍ.

### الإشارة إلى القصة

ذكر أهل التفسير أن رجلين كانا على عهد داود عليه السلام، أحدهما صاحب حرث، والآخر صاحب غنم، فتفلتت الغنم فوقعت في الحرث فلم تُبَيَّن منه شيئاً، فاخصموا إلى داود، فقال لصاحب الحرث: لك رقاب الغنم، فقال سليمان: أو غير ذلك؟ قال: ما هو؟ قال: ينطلق أصحاب الحرث بالغنم فيصيرون من ألبانها ومنافعها، ويُقْبِل أصحاب الغنم على الكرم، حتى إذا كان كليلة نفثت فيه الغنم، دفع هؤلاء إلى هؤلاء غنمهم، ودفع هؤلاء إلى هؤلاء كرمهم، فقال داود: قد أصبغت القضاء، ثم حكم بذلك، فذلك قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ وفي المِشَار إليهم قولان: أحدهما: داود وسليمان، فذكرهما بلفظ الجمع، لأن الاثنين جمع، هذا قول الفراء. والثاني: أنهم داود وسليمان والخصوم، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وابن أبي عبيدة: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمَا﴾ على التثنية. ومعنى «شاهدين»: أنه لم يَنْبِ عَنَّا من أمرهم شيء. «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ» يعني: القضية والحكومة. وإنما كُنِيَ عنها، لأنه قد سبق ما يدل عليها من دُكْرِ الْحُكْمِ، ﴿وَكُلًّا﴾ منهما ﴿وَأَيُّنَا حُكْمًا﴾ وقد سبق بيانه. قال الحسن: لولا هذه الآية لرأيت أن القضاة قد هلكوا، ولكنه أثنى على سليمان لصوابه، وعذَّر داود باجتهاده.

### فصل

قال أبو سليمان الدمشقي: كان قضاء داود وسليمان جميعاً من طريق الاجتهاد، ولم يكن نصّاً، إذ لو كان نصّاً ما اختلفا. قال القاضي أبو يعلى: وقد اختلف الناس في الغنم إذا نفثت ليلاً في زرع رجل فأفسدته، فمذهب أصحابنا أن عليه الضمان، وهو قول الشافعي، وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا ضمان عليه ليلاً ونهاراً، إلا أن يكون صاحبها هو الذي أرسلها، فظاهر الآية يدل على قول أصحابنا، لأن داود حكم بالضمان، وشرع مَنْ قَبْلُنَا شَرَعَ لَنَا ما لم يُثَبِّت نَسْخُهُ. فإن قيل: فقد ثبت نسخ هذا الحكم، لأن داود حكم بدفع الغنم إلى صاحب الحرث، وحكم سليمان له بأولادها وأصوافها، ولا خلاف أنه لا يجب على من نفثت غنمه في حرث رجل شيء من ذلك؛ قيل: الآية تضمنت أحكاماً، منها وجوب الضمان وكيفيته، فالنسخ حصل على كيفيته، ولم يحصل على أصله، فوجب التعلق به، وقد روى حرام بن محيصة عن أبيه: أن ناقةً للبراء دخلت حائط رجل فأفسدت، فقاضى رسول الله ﷺ على أهل الأموال حفظها بالنهار، وعلى أهل المواشي حفظها بالليل<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ تقدير الكلام: وسَخَرْنَا الجبال يسبحن مع داود. قال أبو هريرة: كان إذا سَبَّح أجابته الجبال والطير بالسبح والدُّكْرُ، وقال غيره: كان إذا وجد فترةً، أمر الجبال فسبحت حتى يشتاق هو فيسبح. قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي: لذلك. قال الزجاج: المعنى: وكُنَّا نقدر على ما نريده.

(١) رواه أحمد في «المسنَد» ٢/٢٩٥، وأبو داود في «سننه» رقم (٣٥٦٩ - ٣٥٧٠)، وابن ماجه في «سننه» رقم (٢٣٣٢). قال ابن كثير: وقد علل هذا الحديث، قال: وقد بسطنا الكلام عليه في كتاب «الأحكام»، وبالله التوفيق.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبِئْسَ أَكْرَمٍ﴾ في المراد باللبوس قولان: أحدهما: الدروع، كانت قبل ذلك صفائح، وكان داود أول من صنع هذه الحلق وسرد، قاله قتادة. والثاني: أن اللبوس: السلاح كله من درع إلى رمح، قاله أبو عبيدة. وقرأ أبو المتوكّل، وابن السميع: «لبوس» بضم اللام.

قوله تعالى: ﴿لِيُخَصِّنْكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «لِيُخَصِّنْكُمْ» بالياء. وقرأ ابن عامر، وحفص عن عاصم: «لِيُخَصِّنْكُمْ» بالتاء. وروى أبو بكر عن عاصم: «لِيُخَصِّنْكُمْ» بالنون خفيفة. وقرأ أبو الدرداء، وأبو عمران الجوني، وأبو حيو: «لِيُخَصِّنْكُمْ» بتاء مرفوعة وفتح الحاء وتشديد الصاد. وقرأ ابن مسعود، وأبو الجوزاء، وحميد بن قيس: «لِيُخَصِّنْكُمْ» بتاء مفتوحة مع فتح الحاء وتشديد الصاد مع ضمها. وقرأ أبو وزن العقيلي، وأبو المتوكّل، ومجاهد: «لِيُخَصِّنْكُمْ» بنون مرفوعة وفتح الحاء وكسر الصاد مع تشديدها. وقرأ معاذ القارئ، وعكرمة، وابن يعمر، وعاصم الجحدري، وابن السميع: «لِيُخَصِّنْكُمْ» بياء مرفوعة وسكون الحاء وكسر الصاد مشددة النون. فمن قرأ بالياء، ففيه أربعة أوجه. قال أبو علي الفارسي: أن يكون الفاعل اسم الله، لتقدم معناه، ويجوز أن يكون اللباس، لأن اللبوس بمعنى اللباس من حيث كان ضرباً منه، ويجوز أن يكون داود، ويجوز أن يكون التعليم، وقد دل عليه «علمناه». ومن قرأ بالتاء، حملة على المعنى، لأنه الدرع. ومن قرأ بالنون، فلتقدم قوله: «وعلمناه». ومعنى «لِيُخَصِّنْكُمْ»: لِيُخَرِّجَكُمْ وتمنعكم ﴿يَنْ بَأْسَكُمْ﴾ يعني: الحرب.

قوله تعالى: ﴿وَلِيُكَلِّمَ الْكَافِرَ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو عمران الجوني، وأبو حيو الحضرمي: «الرَّيَّاحُ» بآلف مع رفع الحاء. وقرأ الحسن، وأبو المتوكّل، وأبو الجوزاء: بالآلف ونصب الحاء، والمعنى: وسخرنا لسليمان الريح «كأصق» أي: شديدة الهبوب «تَجْرِي بِأَمْرِي» يعني: بأمر سليمان ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي أرض الشام، وقد مرّ بيان بركتها في هذه السورة (الأنبياء: ٧٢)؛ والمعنى: أنها كانت تسير به إلى حيث شاء، ثم تعود به إلى منزله بالشام.

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ علمنا أن ما نعطى سليمان يدعوه إلى الخضوع لربه. قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يُوْفِّقُ لَكُم﴾ قال أبو عبيدة: «مَن» تقع على الواحد والاثنين والجمع من المذكر والمؤنث. قال المفسرون: كانوا يغيثون في البحر، فيستخرجون الجواهر، «وَيَسْخَرُونَ عَسَاكِرَ دُونِ ذَلِكَ» قال الزجاج: معناه: سوى ذلك، ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ أن يفسدوا ما عملوا. وقال غيره: أن يخرجوا عن أمره.

﴿وَالْوَيْلُ لِمَن كَانَ عَلَى سَبِيلِ الْعَصْرَةِ وَأَن تَأْتِي الْعَصْرُ وَأَن تَأْتِي الْعَصْرُ وَأَن تَأْتِي الْعَصْرُ﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُم فَكُفَفْنَا مَا يَدِيهِ مِنْ سَبْرِ وَأَنبَتْنَا أَشْجَارَهُمْ وَفَلَّحْنَاهُمْ مَّهِرَ رَحْمَةٍ مِنَّا وَعَزَّيْنَا لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَلَا تَسْجُدْ لِشَيْءٍ وَلَا لِلْبَشَرِ وَلَا لِلْأَنْدَادِ كُلٍّ مِنَ الْقَدِيدِينَ﴾ ﴿وَأَعْلَنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْوَيْلُ لِمَن كَانَ عَلَى سَبِيلِ الْعَصْرَةِ﴾ أي: دعا ربه ﴿أَيُّ﴾ وقرأ أبو عمران الجوني: «إني» بكسر الهمزة، ﴿سَبِّ الْعَصْرِ﴾ وقرأ حمزة: «مَسْنِي» بتسكين الياء، أي: أصابني الجهد، ﴿وَأَن تَأْتِي الْعَصْرُ﴾ أي: أكثرهم رحمة، وهذا تعريض منه بسؤال الرحمة إذ أتى عليه بأنه الأرحم وسكت.

### الإشارة إلى قصته

ذكر أهل التفسير أن أيوب عليه السلام كان أغنى أهل زمانه، وكان كثير الإحسان. فقال إبليس: يا رب سلطني على ماله وولده - وكان له ثلاثة عشر ولداً - فإن فعلت رأيت كيف يطيعني ويعصيك، فقيل له: قد سلطتك على ماله وولده، فرجع إبليس فجمع شياطينه ومردته، فبعث بعضهم إلى دوابه ورعاته، فاحتلوا حتى قذفوها في البحر، وجاء إبليس في صورة قيثمة، فقال: يا أيوب أراك تصلي وقد أقبلت ريح عاصف فاحتملت دوابك ورعاتها حتى قذفتها في البحر؟ فلم يرد عليه شيئاً حتى فرغ من صلاته، ثم قال: الحمد لله الذي رزقني ثم قبله مني، فانصرف خائياً، ثم أرسل بعض الشياطين إلى جنانه وزروعه، فأحرقوها، وجاء فأخبره، فقال مثل ذلك، فأرسل بعض الشياطين فزلزلوا

منازل أيوب وفيها ولده وخدمه، فأهلكوهم، وجاء فأخبره، فحمد الله، وقال لإبليس وهو يظنه قِيَمه في ماله: لو كان فيك خير لقبضك معهم، فأنصرف خائباً، فقيل له: كيف رأيت عبدي أيوب؟ قال: يا ربِّ سلّطني على جسده فسوف ترى، قيل له: قد سلّطتك على جسده، فجاء فنفخ في إبهام قدميه، فاشتعل فيه مثل النار، ولم يكن في زمانه أكثر بكاء منه خوفاً من الله تعالى، فلما نزل به البلاء لم يبك مخافة الجزع، وبقي لسأله للذكر، وقلبه للمعرفة والشكر، وكان يرى أمعاءه وعروقه وعظامه، وكان مرضه أنه خرج في جميع جسده ثآليل الغنم، ووقعت به حكة لا يملكها، فحك بأظفارها حتى سقطت، ثم بالمسوح، ثم بالحجارة، فأتت جسده وتقطّع، وأخرجته أهل القرية فجعلوا له عريشاً على كُناسة، ورفضه الخلق سوى زوجته، واسمها رحمة بنت إفرائيم بن يوسف بن يعقوب، فكانت تختلف إليه بما يصلحه<sup>(١)</sup>. وروى أبو بكر القرشي عن الليث بن سعد، قال: كان ملك يظلم الناس، فكلّمه في ذلك جماعة من الأنبياء، وسكت عنه أيوب لأجل خيل كانت له في سلطانه، فأوحى الله إليه: تركت كلامه من أجل خيلك؟! لأطيلن بلاءك<sup>(٢)</sup>. واختلفوا في مدة لبثه في البلاء على أربعة أقوال: أحدها: ثماني عشرة سنة، رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>، والثاني: سبع سنين، قاله ابن عباس، وكعب، ويحيى بن أبي كثير. والثالث: سبع سنين وأشهر، قاله الحسن. والرابع: ثلاث سنين، قاله وهب، وفي سبب سؤاله العافية ستة أقوال: أحدها: [أنه] اشتهى إداماً، فلم تُصبه امرأته حتى باعت قرناً من شعرها، فلما علم ذلك، قال: ﴿سَقَى الْكُفْرُ﴾، رواه الضحاك عن ابن عباس، والثاني: أن الله تعالى أنساه الدعاء مع كثرة ذكره الله، فلما انتهى أجل البلاء، يسّر له الدعاء، فاستجاب له، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أن نفرأ من بني إسرائيل نعرأوا به، فقال بعضهم لبعض: ما أصابه هذا إلا بذنب عظيم، فعند ذلك قال: ﴿سَقَى الْكُفْرُ﴾، قاله نوف البكالي. وقال عبد الله بن حبيب بن عمير: كان له أخوان، فأتياه يوماً فوجداً ريحاً، فقالا: لو كان الله علم منه خيراً ما بلغ به كل هذا، فما سمع شيئاً أشد عليه من ذلك، فقال: اللهم إن كنت تعلم أنني لم أبت ليلة شيعان وأنا أعلم مكان جائع فصّدقني، فصّدق وهما يسمعان، ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أنني لم ألبس قميصاً وأنا أعلم مكان عارٍ فصّدقني، فصّدق وهما يسمعان، فخرّ ساجداً، ثم قال: اللهم لا أرفع رأسي حتى تكشف ما بي، فكشف الله ﷻ ما به. والرابع: أن إبليس جاء إلى زوجته بسخلة، فقال: ليذبح أيوب هذه لي وقد برأ، فجاءت فأخبرته، فقال: إن شفاني الله لأجلدك مائة جلدة، أمرتني أن أذبح لغير الله؟! ثم طردها عنه، فذهبت، فلما رأى أنه لا طعام له ولا شراب ولا صديق، خرّ ساجداً وقال: ﴿سَقَى الْكُفْرُ﴾، قاله الحسن. والخامس: أن الله تعالى أوحى إليه وهو في عفوان شبابه: إني مبتليك، قال: يا رب، وأين يكون قلبي؟ قال: عندي، فصب عليه من البلاء ما سمعته، حتى إذا بلغ البلاء منتهاه، أوحى إليه أني معافيك، قال: يا رب، وأين يكون قلبي؟ قال: عندك، قال: ﴿سَقَى الْكُفْرُ﴾، قاله إبراهيم بن شيان القرميسي فيما حدّثنا به عنه. والسادس: أن الوحي انقطع عنه أربعين يوماً، فخاف هجران ربّه، فقال: ﴿سَقَى الْكُفْرُ﴾، ذكره الماوردي، فإن قيل: أين الصبر، وهذا لفظ الشكوى؟ فالجواب: أن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، وإنما المذموم الشكوى إلى الخلق<sup>(٤)</sup>، ألم تسمع قول يعقوب: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحَرْقَ إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. قال سفيان بن عيينة: وكذلك من شكّا إلى الناس، وهو في شكواه راضٍ بقضاء الله، لم يكن ذلك جزءاً، ألم تسمع قول رسول الله ﷺ لجبريل في مرضه: «أجلدني مغموماً وأجلدني مكروباً»، وقوله: «بل أنا وأرأساه»<sup>(٥)</sup>.

- (١) روى هذا الخبر وهب بن منبه في قصة طويلة ساقها ابن جرير الطبري في «التفسير» ٦٥/١٧. قال ابن كثير ١٨٨/٣: وقد روي عن وهب بن منبه في غيره قصة طويلة ساقها ابن جرير، وابن أبي حاتم بالسند عنه، وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين، وفيها غرابة.
- (٢) ذكر نحو هذا الخبر السيوطي في «الدرر» ٤/٣٢٧. من رواية ابن عساكر عن أبي إدريس الخولاني، ولعله من الإسرائيليات.
- (٣) ذكره ابن كثير ١٨٨/٣ من رواية ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك وقال: رفع هذا الحديث غريب جداً.
- (٤) من المتفق عليه أن أيوب ﷺ كان غاية في الصبر، وبه يضرب المثل في ذلك، وقد ابتلي في ماله وولده وجسده، فصرير والتجأ إلى الله تعالى، فذلك قول الله فيه: ﴿وَأَنبِئْ إِذْ فَاءَى رَبُّكَ أَلِي سَقَى الْكُفْرُ وَلَتَ أَرْجِمُكَ الرَّجِيمَ﴾ فكشف الله تعالى ما به.
- (٥) رواه البخاري في «صحيحه» ١٠/١٠٥ من حديث عائشة رضي الله عنها، وهو جزء من حديث طويل.



قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَهُ أَهْلَهُ﴾ يعني: أولاده ﴿وَمَثَلُهُمْ تَمَهَّرَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن الله تعالى أحيا له أهله بأعيانهم، وآتاه مثلهم معهم في الدنيا، قاله ابن مسعود والحسن، وقتادة. وروى أبو صالح عن ابن عباس: كانت امرأته ولدت له سبعة بنين وسبع بنات، فمُثِّرُوا له، وولدت له امرأته سبعة بنين وسبع بنات. والثاني: أنهم كانوا قد غُيِّبُوا عنه ولم يموتوا، فآتاه إياهم في الدنيا ومثلهم معهم في الآخرة، رواه هشام عن الحسن، والثالث: آتاه الله أجور أهله في الآخرة، وآتاه مثلهم في الدنيا، قاله نوف، ومجاهد. والرابع: آتاه أهله ومثلهم معهم في الآخرة، حكاه الزجاج.

قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِنِّي عَيْنًا﴾ أي: فعلنا ذلك به رحمةً مِنِّي عندنا، ﴿وَذِكْرًا﴾ أي: عظة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال محمد بن كعب: من أصابه بلاء فليذكر ما أصاب أيوب، فليقل: إنه قد أصاب من هو خيرٌ مِنِّي.

قوله تعالى: ﴿وَكَا الْكَفَلُ﴾ اختلفوا هل كان نبيًا، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه لم يكن نبيًا، ولكنه كان عبدًا صالحًا، قاله أبو موسى الأشعري، ومجاهد. ثم اختلف أرباب هذا القول في علته تسميته بذى الكفل على ثلاثة أقوال: أحدها: أن رجلاً كان يصلي كل يوم مائة صلاة فتوفي، فكفل بصلاته، فسمي: ذا الكفل، قاله أبو موسى الأشعري. والثاني: أنه تكفل للنبي بقومه أن يكفيه أمرهم وقيامه ويقضي بينهم بالعدل، ففعل، فسمي: ذا الكفل، قاله مجاهد. والثالث: أن ملكاً قُتل في يوم ثلاثمائة نبي، وفرَّ منه مائة نبي، فكفلهم ذو الكفل، يطعمهم ويسقيهم حتى أفلتوا، فسمي: ذا الكفل، قاله ابن السائب. والقول الثاني: أنه كان نبيًا، قاله الحسن، وعطاء<sup>(١)</sup>. قال عطاء: أوحى الله تعالى [إلى] نبي من الأنبياء: إني أريد قبض روحك، فأعرض ملكك على بني إسرائيل، فمن تكفل لك بأنه يصلي الليل لا يفتتر، ويصوم النهار لا يقطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع مُلكك إليه، ففعل ذلك، فقام شاب فقال: أنا أتكفل لك بهذا، فتكفل به، فوفى، فشكر الله له ذلك، وبثَّاه، وسمي: ذا الكفل. وقد ذكر الثعلبي حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ في الكفل: «أنه كان رجلاً لا ينزع عن ذنب، وأنه خلا بامرأة ليفجر بها، فبكت، وقالت: ما فعلت هذا قط، فقام عنها تائباً، ومات من ليلته، فأصبح مكتوباً على بابه: قد غفر الله للكفل؟» والحديث معروف<sup>(٢)</sup>، وقد ذكرته في «الحقائق»، فجعله الثعلبي أحد الوجوه في بيان ذي الكفل، وهذا غلط، لأن ذلك اسمه الكفل، والمذكور في القرآن يقال له: ذو الكفل، ولأن الكفل مات في ليلته التي تاب فيها، فلم يمض عليه زمان طويل يعالج فيه الصبر عن الخطايا. وإذا قلنا: إنه نبي، فإن الأنبياء معصومون عن مثل هذا الحال. وذكرت هذا لشيخنا أبي الفضل بن ناصر رحمه الله تعالى، فوافقني، وقال: ليس هذا بذلك.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ مِّنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: على طاعة الله وترك معصيته، ﴿وَأَذَلَّنَهُمْ فِي رَحْمَتِي﴾ في هذه الرحمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الجنة، قاله ابن عباس. والثاني: النبوة، قاله مقاتل. والثالث: النعمة والمواولة، حكاه أبو سليمان الدمشقي.

﴿وَكَا الْتُونُ إِذْ ذَهَبَ مُنْضِبًا فَقُلْنَا لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَجَّهْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ شَفَعَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَا الْتُونُ﴾ يعني: يونس بن متى. والتون: السمكة؛ أضيف إليها لابتلاعها إياه. قوله تعالى: ﴿إِذْ ذَهَبَ مُنْضِبًا﴾ قال ابن قتية: المُغَاصِبَةُ: مُفَاعَلَةٌ، وأكثر المُفَاعَلَةُ من اثنين، كالمناظرة والمجادلة والمخاصمة، وربما تكون من واحد، كقولك: سافرت، وشارفت الأمر، وهي هاهنا من هذا الباب. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعاصم الجحدري، وابن السميع: «مُغْصَبًا» بإسكان الغين وفتح الضاد من غير ألف. واختلفوا في مغاصبته لمن كانت؟ على قولين: أحدهما: أنه غضب على قومه، قاله ابن عباس، والضحاك. وفي سبب غضبه عليهم ثلاثة أقوال: أحدها: أن الله تعالى أوحى إلى نبي يقال له: شعيا: أن ات فلاتاً الملك، فقل له: بيعت نبيًا أميناً إلى

(١) قال ابن كثير ٣/ ١٩٠: وأما ذو الكفل، فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي.

(٢) رواه أحمد في «المسند» من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. قال الحافظ ابن كثير ٣/ ١٩١: وهذا الحديث لم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة، وإسناده غريب.

بني إسرائيل، وكان قد غزا بني إسرائيل ملك، وسبى منهم الكثير، فأراد النبي والملك أن يبعثا يونس إلى ذلك الملك ليكلّمه حتى يرسلهم، فقال يونس لشعيا: هل أمرك الله بإخراجي؟ قال: لا، قال: فهل سماني لك؟ قال: لا، قال: فهانئاً غيري من الأنبياء، فألحقوا عليه، فخرج مغاضباً للنبي والملك ولقومه، هذا مروى عن ابن عباس؛ وقد زدناه شرحاً في (يونس: ٩٨). والثاني: أنه عاني من قومه أمراً صعباً من الأذى والتكذيب، فخرج عنهم قبل أن يؤمنوا ضجراً، وما ظنُّ أن هذا الفعل يوجب عليه ما جرى من العقوبة، ذكره ابن الأنباري، وقد روي عن وهب بن منبه، قال: لما حُملت عليه أثقال النبوة، ضاق بها ذراً ولم يصبر، فقتلها من يده وخرج هارباً<sup>(١)</sup>. والثالث: أنه لما أوعدهم العذاب، فتابوا ورفّع عنهم، قيل له: ارجع إليهم، فقال: كيف أرجع فيجدوني كاذباً؟ فانصرف مغاضباً لقومه، عاتياً على ربه. وقد ذكرنا هذا في [يونس: ٩٨]. والثاني: أنه خرج مغاضباً لرّبه، قاله الحسن، وسعيد بن جبيرة، والشعبي، وعروة. وقال أبو بكر النقاش: المعنى: مغاضباً من أجل ربه، وإنما غضب لأجل تمردهم وعصيانهم. وقال ابن قتية: كان مغيظاً عليهم لطول ما عاناه من تكذيبهم، مشتتاً أن ينزل العذاب بهم، فعاقبه الله على كراهيته العفو عن قومه.

قوله تعالى: ﴿فَنَظَرْنَا أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ وقرأ يعقوب: ﴿فَقَدَّرَ بِضَمِّ الْيَاءِ وَتَشْدِيدِ الدَّالِّ وَفَتْحِهَا. وَقَرَأَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ، وَأَبُو الْجَوْزَاءِ، وَابْنُ أَبِي لَيْلَى: ﴿فَقَدَّرَ بِيَاءٍ مَرْفُوعَةٍ مَعَ سُكُونِ الْقَافِ وَتَخْفِيفِ الدَّالِّ وَفَتْحِهَا. وَقَرَأَ أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ: ﴿فَقَدَّرَ بِيَاءٍ مَفْتُوحَةٍ وَسُكُونِ الْقَافِ وَكَسْرِ الدَّالِّ خَفِيفَةٍ. وَقَرَأَ الزُّهْرِيُّ، وَابْنُ يَعْمَرَ، وَحَمِيدُ بْنُ قَيْسٍ: ﴿فَقَدَّرَ بِتَوْنٍ مَرْفُوعَةٍ وَفَتْحِ الْقَافِ وَكَسْرِ الدَّالِّ وَتَشْدِيدِهَا. ثُمَّ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ أَحَدُهَا: أَنْ لَنْ نَقْضِيَ عَلَيْهِ بِالْعُقُوبَةِ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ. قَالَ الْفَرَّاءُ: مَعْنَى الْآيَةِ: فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ مَا قَدَرْنَا مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَالْعَرَبُ يَقُولُ: قَدَّرَ، بِمَعْنَى: قَدَّرَ، قَالَ أَبُو صَخْرٍ:

وَلَا عَائِدًا ذَاكَ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى  
تَبَارَكَتْ مَا تَقْدِيرُ يَكُنْ وَلَكَ الشُّكْرُ<sup>(٢)</sup>

أراد: ما تقدر، وهذا مذهب الزجاج. والثاني: فظن أن لن نصيق عليه، قاله عطاء. قال ابن قتية: يقال: فلان مُقَدَّرٌ عليه، ومَقْدَرٌ عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدَّرَ عَلَيْهِ يَذْقُهُ﴾ [القمر: ١٦] أي: ضَيَّقَ عليه فيه. قال النقاش: والمعنى: فظن أن لن يضيق عليه الخروج، فكأنه ظن أن الله قد وسّع له، إن شاء أن يقيم، وإن شاء أن يخرج، ولم يؤدّن له في الخروج. والثالث: أن المعنى: فظن أنه يعجز ربه، فلا يقدر عليه، رَوَاهُ عَوْفٌ عَنِ الْحَسَنِ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ، وَسُلَيْمَانُ التِّيمِيُّ: الْمَعْنَى: أَفْظَنَّا أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ؛ فَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَكُونُ اسْتِفْهَاماً قَدْ حُدِّثَ اللَّهُ؛ وَهَذَا الْوَجْهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْقُدْرَةِ، وَلَا يَتَصَوَّرُ إِلَّا مَعَ تَقْدِيرِ اسْتِفْهَامٍ، وَلَا أَحْلَمَ لَهُ وَجْهاً إِلَّا أَنْ يَكُونَ اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارٌ، تَقْدِيرُهُ: مَا ظَنُّ عَجْزَنَا، فَأَيْنَ يَهْرَبُ مَنْهَا؟

قوله تعالى: ﴿فَكَادَ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، وظلمة الليل، قاله سعيد بن جبيرة، وقَتَادَةُ، وَالْأَكْثَرُونَ. وَالثَّانِي: أَنْ حَوْتًا جَاءَ فَايْتَلَعَ الْحَوْتَ الَّذِي هُوَ فِي بَطْنِهِ، فَنَادَى فِي ظِلْمَةِ حَوْتَ، ثُمَّ فِي ظِلْمَةِ حَوْتَ، ثُمَّ فِي ظِلْمَةِ الْبَحْرِ، قَالَ سَالِمُ بْنُ أَبِي الْجَعْدِ. وَالثَّالِثُ: أَنَّهَا ظِلْمَةُ الْمَاءِ، وَظِلْمَةُ مَعَى السَّمَكَةِ، وَظِلْمَةُ بَطْنِهَا، قَالَ ابْنُ السَّائِبِ. وَقَدْ رَوَى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ، كَلِمَةُ أَخِي يُونُسَ: فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»<sup>(٣)</sup>. قَالَ الْحَسَنُ: وَهَذَا اعْتِرَافٌ [مِنْ] يُونُسَ بِذَنْبِهِ وَتَوْبَةٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ.

(١) لعله من الإسرائيليات التي نقلها وهب بن منبه، وقد تقدم أمثال ذلك.

(٢) «شرح أشعار الهذليين» ٩٥٨/٢، و«القرطبي» ١١/٣٣٢.

(٣) رَوَاهُ بِهَذَا اللفظ ابْنُ السَّيِّئِ عَنْ أَبِي يَعْلَى، وَفِي سَنَدِهِ عَمْرُو بْنُ الْحَصِينِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ جَدًّا، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، بِلفظ «دعوة ذي النون، إذ دعا ربه وهو في بطن الحوت»: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ أي: أجبناه ﴿وَوَعَيْنَا يَنْ الْقَوْمَ﴾ أي: من الظلمات ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ إذا دعونا. وروى أبو بكر عن عاصم أنه قرأ: ﴿فُجِّيَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بنون واحدة مشددة الجيم؛ قال الزجاج: وهذا لحن لا وجه له، وقال أبو علي الفارسي: غلط الراوي عن عاصم، ويدل على هذا إسكانه الياء من ﴿فُجِّي﴾ ونصب ﴿المؤمنين﴾، ولو كان على ما لم يُسم فاعله ما سكن الياء وُلِّفَ ﴿المؤمنين﴾.

﴿وَرَكِبْنَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ٨٩ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ فَوَجَّهْهُمْ لِرَبِّهِمْ كَمَا أَنْتَ بِخَبْرِهِمْ فِي الْخَيْرَاتِ وَوَدَّعُونَكَ رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعُونَ﴾ ٩٠ ﴿وَالَّذِي أَخْبَصْتَ فَرْجَهَا فَفَتَحْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ ٩١ ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ ٩٢ ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَجُوعٌ﴾ ٩٣ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ فَمَنْ كَفَرَآ لِسَعِيدِهِ وَإِنَّا لَهُمْ كَاشِعُونَ﴾ ٩٤

قوله تعالى: ﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: وحيداً بلا ولد ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ أي: أفضل من بقي حياً بعد ميت. قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ رَجْعًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أصلحت للولد بعد أن كانت عقيماً، قاله ابن عباس، وسعيد بن جببر، وقتادة. والثاني: أنه كان في لسانها طول، وهو: البذاء، فأصلحت، قاله عطاء. وقال السدي: كانت سليطة فكف عنه لسانها. والثالث: أنه كان خلُقها سيئاً، قاله محمد بن كعب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْجَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أي: يبادرون في طاعة الله. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: زكريا، وإمراته، ويحيى. والثاني: جميع الأنبياء المذكورون في هذه السورة. قوله تعالى: ﴿وَوَدَّعُونَكَ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن محيصن: «ويدعوننا» بنون واحدة.

قوله تعالى: ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي: رغباً فيما عندنا، ورهباً منا. وقرأ الأعمش: «رُغْبًا وَرُهْبًا» بضم الراءين وجزم الغين والهاء، وهما لغتان مثل النخل، والنخل، والسقم، والسقم، أي: متواضعين.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَخْبَصْتَ فَرْجَهَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه مخرج الولد، والمعنى: منعت مما لا يحل. وإنما وُصِفَتْ بالعفاف لأنها قُذِفَتْ بالزنا. والثاني: أنه جيب درعها. ومعنى الفرج في اللغة: كل فرجة بين شيئين، وموضع جيب درع المرأة مشقوق، فهو يسمى فرجاً. وهذا أبلغ في الثناء عليها، لأنها إذا منعت جيب درعها، فهي لنفسها أمنع.

قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا فِيهَا﴾ أي: أمرنا جبريل، ففتح في درعها، فأجرنا فيها روح عيسى كما تجري الرياح بالنفخ. وأضاف الروح إليه إضافة الملك، للتشريف والتخصيص ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً﴾ قال الزجاج: لما كان شأنها واحداً، كانت الآية فيهما آية واحدة، وهي ولادة من غير فعل. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عتبة: «آيتين» على التثنية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ قال ابن عباس: المراد بالآمة هاهنا: المدين. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم أمة محمد ﷺ، وهو معنى قول مقاتل. والثاني: أنهم الأنبياء ﷺ، قاله أبو سليمان الدمشقي. ثم ذكر أهل الكتاب، فذمهم بالاختلاف، فقال تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: اختلفوا في الدين، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ فَمَنْ كَفَرَآ لِسَعِيدِهِ وَإِنَّا لَهُمْ كَاشِعُونَ﴾ ٩٤. لا نجد ما عمل، قاله ابن قتيبة، والمعنى: أنه يقبل منه، ويثاب عليه ﴿وَأَنَا لَهُمْ كَاشِعُونَ﴾ ٩٤، ذلك، نأمر الحفظة أن يكتبوه لنجاسته به.

﴿وَرَكِبْنَا عَلَى فَرْجِهِ أَمَلَكْنَاهُ إِنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ٩٥ ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ ٩٦ ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْعَدُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ٩٧ ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ ٩٨ ﴿لَوْ كَانَتْ هَذِهِ آيَةً آلِهَةً مَا وَدَّعُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٩٩ ﴿لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ ١٠٠

(١) قال ابن كثير: والأظهر من السياق الأول.

قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ عَلَىٰ قَرَبَيْهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «وحرام» بألف. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «وَحَرَّمَ» بكسر الحاء من غير ألف، وهما لغتان. يقال: حَرَّمَ حَرَمًا وحرام. وقرأ معاذ القارئ، وأبو المتوكل، وأبو عمران الجوني: «حَرَّمَ» بفتح الحاء وسكون الراء من غير ألف والميم مرفوعة منوثة. وقرأ سعيد بن جبير: «وَحَرَّمَ» بفتح الحاء وسكن الراء وفتح الميم من غير تنوين ولا ألف. وقرأ أبو الجوزاء، وعكرمة، والضحاك: «وَحَرَّمَ» بفتح الحاء والميم وكسر الراء من غير تنوين ولا ألف. وقرأ سعيد بن المسيب، وأبو مجلز، وأبو رجاء: «وَحَرَّمَ» بفتح الحاء وضم الراء ونصب الميم من غير ألف. وفي معنى قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ﴾ قولان: أحدهما: واجب، قاله ابن عباس، وأنشدوا في معناه:

فإن حَرَامًا لا أَرَى الدُّفَرَ بِأَكْبَرًا  
عَلَى شَجْوِهِ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى عَمْرُو<sup>(١)</sup>

أي: واجب. والثاني: أنه بمعنى العزم، قاله سعيد بن جبير. وقال عطاء: حتم من الله. والمراد بالقرية: أهلها. ثم في معنى الآية أربعة أقوال: أحدها: واجب على قرية أهلكتها أنهم لا يتوبون، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: واجب عليها أنها إذا أهلكت لا ترجع إلى دنياها، هذا قول قتادة؛ وقد روي عن ابن عباس نحوه. والثالث: أن «لا» زائدة؛ والمعنى: حرام على قرية مهلكة أنهم يرجعون إلى الدنيا، قاله ابن جريج، وابن قتيبة في آخرين. والرابع: أن الكلام متعلق بما قبله، لأنه لما قال: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدٍ﴾ أعلمنا أنه قد حَرَّمَ قبول أعمال الكفار؛ فمعنى الآية: وحرام على قرية أهلكتها أن يُتَقَبَّلَ منهم عمل، لأنهم لا يتوبون، هذا قول الزجاج. فإن قيل: كيف يصح أن يحرم على الإنسان ما ليس من فعله، ورجوعهم بعد الموت ليس إليهم؟ فالجواب: أن المعنى: مُنَعُوا من ذلك، كما يُمنع الإنسان من الحرام وإن قدر عليه، فكان التشبيه بالتحريم للحالتين من حيث المنع.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾<sup>(٢)</sup> وقرأ ابن عامر: «فُتِّحَتْ» بالتشديد، والمعنى: فُتِحَ الردم عنهم ﴿وَهُمْ بَيْنَ كَيْدٍ﴾ قال ابن قتيبة: من كل نثر من الأرض وأكمة ﴿يَسْلُوتُ﴾ من السلان: وهو مقاربة الخطر مع الإسراع، كمشي الذئب إذا بادر، والفسلان مثله. وقال الزجاج: الحَدَبُ: كل أكمة، وَيَسْلُوتُ: يُسْرِعُونَ. وقرأ أبو رجاء الطاردي، وعاصم الجحدري: «يَسْلُونُ» بضم السين. وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه إشارة إلى يأجوج ومأجوج، قاله الجمهور؛ والثاني: إلى جميع الناس؛ فالمعنى: وهم يُحْشَرُونَ إلى الموقف، قاله مجاهد. والأول أصح. فإن قيل: أين جواب «حتى»؟ ففيه قولان: أحدهما: أنه قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ والواء في قوله تعالى: «واقرب» زائدة، قاله الفراء. قال: ومثله ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ١٧٣]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَشْكَا وَتَكَلَّمَ لِلنَّاسِ﴾ [الصافات: ١٠٣، ١٠٤]، المعنى: نادينا. وقال عبد الله بن مسعود: الساعة من الناس بعد يأجوج ومأجوج، كالحامل المتئم، لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولدها ليلاً أو نهاراً. والثاني: أنه قول محذوف في قوله: ﴿يَهَابُهَا﴾، فالمعنى: حتى إذا فُتِحَتْ يأجوج ومأجوج واقرب الوعد، قالوا: يا ويلنا. قال الزجاج: هذا قول البصريين. فأما ﴿الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ فهو القيامة.

(١) البيت لعبد الرحمن بن جمانة البحاري الجاهلي، كما في «اللسان»: حرم، وهو في «غريب القرآن» ٢٨٨، ونسب للخنساء في «تفسير القرطبي» ٣٤٠/١١، «والبحر المحيط» ٣٣٩/٦، و«فروع المغاني» ٨٤/١٧، وفيها جميعاً: ..... بكيت على صخر، ولا يوجد البيت في «ديوانها».

(٢) تقدم الكلام على يأجوج ومأجوج في سورة (الكهف: ٩٤). قال ابن كثير: وهم من سلالة آدم ﷺ، بل هم من نسل نوح أيضاً من أولاد يافث، أي أبي الترك، والترك شُرَفة منهم تُركوا من وراء السد الذي بناه ذو القرنين، قال: وقد حكى النووي في «فتح مسلم» عن بعض الناس أن يأجوج ومأجوج خلقوا من مني خرج من آدم فاغتلط بالتراب فخلقوا من ذلك، فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم، وليسوا من حواء، قال: وهذا قول غريب جداً، ثم لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل، ولا يجوز الاعتماد هاهنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب، لما عندهم من الأحاديث المفتعلة، والله أعلم. وهم إذا خرجوا من السد يعيشون في الأرض فساداً، ويهلكون الحرث والنسل، وقد ورد ذكر خروجهم في أحاديث متعددة من السنة النبوية، انظر «تفسير ابن كثير» ١٩٥/٣ - ١٩٧.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ في «هي» أربعة أقوال: أحدها: أن «هي» كناية عن الأبصار، والأبصار تفسير لها، كقول الشاعر:

لَعَنَرُوا أَبْيَهَا لَا تَقُولُ ظَلَمِينَنِي  
فذكر الظمينة، وقد كنى عنها في «لعنروا أيها». والثاني: أن «هي» [ضمير فصل، و] <sup>(١)</sup> عماد، ويصلح في موضعها «هو»، ومثله قوله: ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾ [النمل: ٢٩]، وقوله: ﴿فَلَيْسَ لَنَا نَمَى الْأَشْجَرِ﴾ [الحج: ٤٦]، وأنشدوا:

بَشُوبٍ وَدِينَارٍ وَشَاةٍ وَدَرَاهِمٍ  
فهل هو مرفوع بما هاهنا رأس <sup>(٢)</sup>  
ذكرهما الفراء. والثالث: أن يكون تمام الكلام عند قوله: «هي» على معنى: فإذا هي بارزة واقفة، يعني: من قريبها، كأنها آتية حاضرة، ثم ابتداء فقال: ﴿شَخْصَةً﴾، ذكره الشلبي. والرابع: أن «هي» كناية عن القصة، والمعنى: القصة أن أبصارهم شاخصة في ذلك اليوم، ذكره علي بن أحمد النيسابوري. قال المفسرون: تشخص أبصار الكفار من هول يوم القيامة، ويقولون: ﴿بَلَّوْنَا قَدْ كُنَّا﴾ أي: في الدنيا ﴿فِي عَقْلَةٍ يَنْ هَذَا﴾ أي: عن هذا ﴿بَلَّ كُنَّا ظَلِيلِينَ﴾ أنفسنا بكفرنا ومعاصينا. ثم خاطب أهل مكة فقال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأصنام ﴿حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو العالية، وعمر بن عبد العزيز: «حَظَب» بالطاء. وقرأ ابن عباس، وعائشة، وابن السميع: «حَضَب» بالضاد المعجمة المفتوحة. وقرأ عروة، وعكرمة، وابن يعمر، وابن أبي عبيدة: «حَضَبُ جَهَنَّمَ» بإسكان الضاد المعجمة. وقرأ أبو المتوكل، وأبو حيو، ومعاذ القارئ: «حَضَب» بكسر الحاء مع تسكين الضاد المعجمة. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، وابن محيصن: «حَضَب» بفتح الحاء وبضاد غير معجمة ساكنة. قال الزجاج: من قرأ «حَضَبُ جَهَنَّمَ» فمعناه: كل ما يرمى به فيها، ومن قرأ «حَطَب» فمعناه: ما تُوقَدُ به، ومن قرأ بالضاد المعجمة، فمعناه: ما تهيج به النار وتذكي به. قال ابن قتيبة: الحَضَب: ما ألقي فيها، وأصله من الحَضْبَاء، وهو: الحصى، يقال: حَصَبْتُ فلاناً: إذا رميته، حَضْباً، بتسكين الصاد، وما رُمِيَ به فهو حَضَب، بفتح الصاد.

قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ﴾ يعني: العابدين والمُعْبُودِينَ ﴿لَهَا دَرَوَاتُ﴾ أي: داخلون. ﴿لَوْ كَانَتْ هَذِهِ﴾ يعني: الأصنام ﴿أَلِهَةً﴾ على الحقيقة ﴿مَّا رَدَّوْهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إشارة إلى الأصنام، والمعنى: لو كانوا آلهة ما دخلوا النار. والثاني: أنه إشارة إلى عابديها، فالمعنى: لو كانت الأصنام آلهة، منعت عابديها دخول النار. والثالث: أنه إشارة إلى الآلهة وعابديها، بدليل قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني: العابد والمعبود.

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَوَجٌ﴾ قد شرحنا معنى الزفير في [هود: ١٠٦]. وفي علّة كونهم لا يسمعون ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوضع في مسامعهم مسامير من نار، ثم يُغْدَقُونَ فِي تَوَابِيْتٍ مِنْ نَارٍ مَقْفَلَةٌ عَلَيْهِمْ، رواه أبو أمامة عن رسول الله ﷺ في حديث طويل. وقال ابن مسعود: إذا بقي في النار مَنْ يَخْلُدُ فِيهَا جُعِلُوا فِي تَوَابِيْتٍ مِنْ نَارٍ، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى، فلا يسمعون شيئاً، ولا يرى أحدهم أن في النار أحداً يعذب غيره <sup>(٣)</sup>. والثاني: أن السماع أُنْس، والله لا يحب أن يؤنسهم، قاله عون بن عمارة. والثالث: إنما لم يسمعوا لشدة غلبان جهنم، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَقُّ أُولَٰئِكَ عَنَّا مُبْعَدُونَ﴾ لا يَسْمَعُونَ حَيْثُ سَبَقَتْ وَمِنْ مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ وَلِلَّذِينَ اتَّخَذُوا هَذَا يَوْمَكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ يَوْمَ تَقْرَى السَّكَّةُ كُلِّي السَّجِّلِ لِلْكَتِّبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُبِيدُهُمْ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الْعَمَلُونَ﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاءً لِقَوْمٍ عَصِيَيْنَ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

(١) البيت غير منسوب في «الطبري» ٩٢/١٧، و«البحر» ٣٤٠/٦، و«القرطبي» ٣٤٢/١١، و«روح المعاني» ٨٥/١٧.

(٢) ما بين المعقفين، زيادة من «روح المعاني».

(٣) البيت غير منسوب في «معاني القرآن» للفراء ٥٢/١، و«الطبري» ٩٣/١٧، و«البحر» ٣٤٠/٦، و«روح المعاني» ٨٥/١٧.

(٤) «الطبري» ٩٥/١٧، وذكره السيوطي في «الدرر» وزاد نسبت لمعد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن أبي الدنيا في «صفة النار»، والطبراني، والبيهقي في «البعث» من عبد الله بن مسعود.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَ إِلَٰهِي سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾: سبب نزولها أنه لما نزلت ﴿إِنَّا نَحْنُ قَوْمٌ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾، حَصَّبَ جَهَنَّمَ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى قَرِيشٍ، وقالوا: شتم آلهتنا، فجاء ابن الزبير، فقال: ما لكم؟ قالوا: شتم آلهتنا، قال: وما قال؟ فأخبروه، فقال: ادعوه لي، فلما دعى رسول الله ﷺ، قال: يا محمد، هذا شيء لآلهتنا خاصة، أو لكل من عبد من دون الله؟ قال: «لا، بل لكل من عبد من دون الله»، فقال ابن الزبير: خُصِّصَتْ وَرَبُّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ، أَلَسَتْ تَزْعُمُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ عِبَادَ صَالِحِينَ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ صَالِحٍ، وَأَنَّ عَزِيرًا عَبْدُ صَالِحٍ، فَهَذِهِ بَنُو مَلِيحٍ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ، وَهَذِهِ النَّصَارَى تَعْبُدُ عِيسَى، وَهَذِهِ الْيَهُودُ تَعْبُدُ عَزِيرًا، فَضَحَّ أَهْلُ مَكَّةَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ<sup>(١)</sup>. وقال الحسين بن الفضل: إنما أراد بقوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ الأصنام دون غيرها، لأنه لو أراد الملائكة والناس، لقال: «وَمَنْ»، وقيل: «إِنَّ» بمعنى: «إِلَّا»، فتقديره: إلا الذين سبقت لهم مِنَّا الْحُسْنَى، وهي قراءة ابن مسعود، وأبي نهيك، فأثبتهما قراء: «إِلَّا الَّذِينَ». وروى عن علي بن أبي طالب أنه قرأ هذه الآية، فقال: أنا منهم، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن<sup>(٢)</sup>. وفي المراد «بالحسنى» قولان: أحدهما: الجنة، قاله ابن عباس، وعكرمة. والثاني: السعادة، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَنَّا﴾ أي: عن جهنم، وقد تقدم ذكرها ﴿بَعْدُونَ﴾، والبعد: طول المسافة، والحسيس: الصوت تسمعه من الشيء إذا مرَّ قريباً منك. قال ابن عباس: لا يسمع أهل الجنة حسيس أهل النار إذا نزلوا منازلهم من الجنة.

قوله تعالى: ﴿لَا يُخْزِنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ وقرأ أبو رزين، وقتادة، وابن أبي عبلة، وابن محيصن، وأبو جعفر الشيزري عن الكسائي: «لَا يُخْزِنُهُمْ» بضم الياء وكسر الزاي. وفي الفزع الأكبر أربعة أقوال: أحدها: أنه النفخة الأخيرة، رواه العوفي عن ابن عباس؛ وبهذه النفخة يقوم الناس من قبورهم، ويدل على صحة هذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَنُلْقِيهِمُ النَّارَ الْكَلْبَ﴾. والثاني: أنه إطباق النار على أهلها، رواه سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثالث: أنه ذبح الموت بين الجنة والنار، وهو مروى عن ابن عباس أيضاً، وبه قال ابن جريج. والرابع: أنه حين يؤمر بالعبد إلى النار، قاله الحسن البصري. وفي مكان تلقى الملائكة لهم قولان: أحدهما: إذا قاموا من قبورهم، قاله مقاتل. والثاني: على أبواب الجنة، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ﴾ فيه إضمار: «يقولون» هذا يومكم ﴿الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فيه الجنة.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَطْوِي السَّحَابَ﴾<sup>(٣)</sup> وقرأ أبو العالية، وابن أبي عبلة، وأبو جعفر: «تَطْوِي» بياء مضمومة «السَّحَابُ» بالرفع؛ وذلك بمحو رسومها، وتكدير نجومها، وتكوير شمسها، ﴿كَلَّيَ السَّجِّلِ لِلْكَتِّبِ﴾ قرأ الجمهور: «السَّجِّلِ» بكسر السين والجميم وتشديد اللام. وقرأ الحسن، وأبو المتوكّل، وأبو الجوزاء، ومحبيب عن أبي عمرو: «السَّجِّلِ» بكسر السين وإسكان الجيم خفيفة. وقرأ أبو السماك كذلك، إلا أنه فتح الجيم.

قوله تعالى: «الكتاب» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «الكتاب». وقرأ حمزة، والكسائي وحفص عن عاصم: «الكتب» على الجمع. وفي السجل أربعة أقوال: أحدها: أنه ملك، قاله علي بن أبي طالب، وابن عمر، والسدي. والثاني: أنه كاتب كان لرسول الله ﷺ، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن السجل

(١) «أسباب النزول» للواحدي (١٧٥)، والطبري (٩٧/١٧)، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٣٨/٤، وزاد نسيه لأبي داود في «تاسخه»، وابن المنذر، وابن مردويه، والطبراني من وجه آخر عن ابن عباس. قال ابن كثير: وهذا الذي قاله ابن الزبير خطأ كبير، لأن الآية إنما نزلت خطاباً لأهل مكة في عبادتهم الأصنام التي هي جماد لا تعقل، ليكون ذلك تقييماً وتوبيخاً لمابديها، ولهذا قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ قَوْمٌ مِّنْ دُونِ اللَّهِ حَصَّبَ جَهَنَّمَ﴾ فكيف يورد على هذا المسح والعزير وتوحيدها ممن له عمل صالح ولم يرض بعبادة من عبده؟ وقد أسلم ابن الزبير بعد ذلك، واعتذر عما كان يهاجي به المسلمين أولاً.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» من رواية ابن أبي حاتم، وابن عدي، وابن مردويه عن النعمان بن بشير.

(٣) روى البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَرْضِينَ، وَتَكُونُ السَّمَاوَاتُ بَيْمَةً».

(٤) رواء الطبري (١٧/١٠٠)، ورواه أبو داود، والنسائي، وغيرهما، قال ابن كثير ٣/٢٠٠ لا يصح، وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه، وإن كان =

بمعنى: الرجل، روى أبو الجوزاء عن ابن عباس، قال: السجل، هو الرجل. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: وقد قيل: «السجل» بلغة الحبشة: الرجل. والرابع: أنه الصحيفة. رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والفراء، وابن قتيبة<sup>(١)</sup>. وقرأت على شيخنا أبي منصور، قال: قال أبو بكر، يعني - ابن دريد -: السجل: الكتاب، والله أعلم؛ ولا ألقت إلى قولهم: إنه فارسي معرب، والمعنى: كما يطوى السجل على ما فيه من كتاب. و«اللام» بمعنى «على». وقال بعض العلماء: المراد بالكتاب: المكتوب، فلما كان المكتوب ينطوي بانطواء الصحيفة، جعل السجل كأنه يطوي الكتاب. ثم استأنف، فقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ الخلق هاهنا مصدر، وليس بمعنى المخلوق. وفي معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: كما بدأناهم في بطون أمهاتهم خفأة غراً غراً، كذلك نعيدهم يوم القيامة؛ روى عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يحشر الناس يوم القيامة عراً خفأة غراً غراً، كذلك نعيدهم يوم قرأ: كما بدأنا أول خلق نعيدهم»<sup>(٢)</sup>؛ وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد. والثاني: أن المعنى: إنا نُهلك كل شيء كما كان أول مرة، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أن السماء تمطر أربعين يوماً كمني الرجال، فينبئون بالمطر في قبورهم، كما ينبئون في بطون أمهاتهم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أن المعنى: قُدرتْنا على الإعادة قُدرتْنا على الابتداء، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَّا﴾ قال الزجاج: هو منصوب على المصدر، لأن قوله تعالى: «نعيدهم» بمعنى: وعدنا هذا وغداً، ﴿إِنَّا كَا فَاعِلِينَ﴾ أي: قادرين على فعل ما نشاء. وقال غيره: إنا كنا فاعلين ما وعدنا.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن الزبور جميع الكتب المنزلة من السماء، والذكر: أم الكتاب الذي عند الله، قاله سعيد بن جبیر في رواية، ومجاهد، وابن زيد، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية ابن جبیر، فإنه قال: الزبور: التوراة والإنجيل والقرآن، والذكر: الذي في السماء. والثاني: أن الزبور: الكتب، والذكر: التوراة، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أن الزبور: القرآن، والذكر: التوراة والإنجيل، قاله سعيد بن جبیر في رواية. والرابع: أن الزبور: زبور داود، والذكر: ذكر موسى، قاله الشعبي. وفي الأرض المذكورة هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنها أرض الجنة، رواه سعيد بن جبیر عن ابن عباس، وبه قال الأكثرون. والثاني: أرض الدنيا، وهو منقول عن ابن عباس أيضاً. والثالث: الأرض المقدسة، قاله ابن السائب. وفي قوله تعالى: ﴿وَرِثَهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أمة محمد ﷺ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وفي رواية: ثرت أمة محمد أرض الدنيا بالفتوح. والثاني: بنو إسرائيل، قاله ابن السائب. والثالث: أنه عام في كل صالح، قاله بعض فقهاء المفسرين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ يعني: القرآن ﴿لَبَلَاغًا﴾ أي: لكفاية؛ والمعنى: أن من اتبع القرآن وعمل به، كان القرآن بلاغة إلى الجنة. وقوله تعالى: ﴿لَتَوَرَّ عِبَادِي﴾ قال كعب: هم أمة محمد ﷺ الذين يصلون الصلوات الخمس ويصومون شهر رمضان.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> قال ابن عباس: هذا عام للبرِّ والفاجر، فمن آمن به تمت

= في «سنن أبي داود»، منهم شيخنا الحافظ المزي، قال: وقد تصدى ابن جرير للإتيان على هذا الحديث، ورده أتم ردّه، وقال: لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل، وكتاب النبي ﷺ معروفون، وليس فيهم أحد اسمه السجل، قال: وصدق رحمه الله في ذلك، وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث، قال: والصحيح عن ابن عباس أن السجل هي الصحيفة.

(١) وهو الصواب، كما ذكر ابن كثير.

(٢) رواه البخاري ٢٧٥/٦، ومسلم ٢١٩٤/٤، ولفظه عند مسلم: عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً يبرعظة فقال: «يا أيها الناس إنكم تمشرون إلى الله خفأة مرة غراً غراً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا﴾». وفي «الصحيحين» عن حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة خفأة مرة غراً غراً، قلت: يا رسول الله: النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض».

(٣) روى مسلم في «صحيحه» ٢٠٠٧/٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: يا رسول الله ادع على المشركين، قال: «إني لم أبعث لمانئاً، وإنما بعث ورحمة».

له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن كفر به صُرفت عنه العقوبة إلى الموت والقيامة<sup>(١)</sup>. وقال ابن زيد: هو رحمة لمن آمن به خاصة.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُرِيكُمُ إِلَهُكُمْ إِلَهُكُمْ وَاحِدٌ قَدْ أَنتُمْ شُرَكَاءُ فِي مَا يُعْذَرُونَ﴾ (١٠٨) ﴿إِنَّ تَوَلَّوْا فَقَدْ مَدَّتْكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنَّ أَزِيدَ أَقْرَبُ أَمْ يَبِيدُ مَا يُعْذَرُونَ﴾ (١٠٩) ﴿إِنَّكُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ الْقَوْلَ مِنِّي وَالْقَوْلُ مِنِّي لَكُم مَّا تَكْفُرُونَ﴾ (١١٠) ﴿وَإِنَّ أَزِيدَ لَكُم مَّا تَكْفُرُونَ﴾ (١١١) ﴿قُلْ رَبِّ أَعْمَرَ بِمَلِكٍ وَلَقَدْ رَزَقْنَاهُ الرِّزْقَ السَّمِيعَ عَلَىٰ مَا يَصِفُونَ﴾ (١١٢).

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنتُمْ شُرَكَاءُ﴾ قال ابن عباس: فهل أنتم مخلصون له العبادة؟ قال أهل المعاني: هذا استفهام بمعنى الأمر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا ولم يؤمنوا ﴿قَدْ مَدَّتْكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ في معنى الكلام قولان: أحدهما: نابذتكم وعاديتكم وأعلمتكم ذلك، فصرت أنا وأنتم على سواءٍ قد استوتينا في العلم بذلك، وهذا من الكلام المختصر، قاله ابن قتية. والثاني: أعلمتكم بالوحي إلي لتستروا في الإيمان به، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَزِيدَ﴾ أي: وما أدري ﴿أَقْرَبُ أَمْ يَبِيدُ مَا يُعْذَرُونَ﴾ بنزول العذاب بكم. ﴿إِنَّكُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ الْقَوْلَ مِنِّي وَالْقَوْلُ مِنِّي لَكُم مَّا تَكْفُرُونَ﴾ (١١٠) [يس: ٤٨]، و﴿مَّا تَكْفُرُونَ﴾ إصرارهم أن العذاب لا يكون.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١١١) في هاء «لَعَلَّه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى ما آذنتهم به، قاله الزجاج. والثاني: إلى العذاب؛ فالمعنى: لعل تأخير العذاب عنكم فتنة، قاله ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي. ومعنى الفتنة هاهنا: الاختبار، ﴿وَمَلَأَ لَكُم مَّا يَصِفُونَ﴾ أي: تستمعون إلى انقضاء آجالكم. ﴿قُلْ رَبِّ أَعْمَرَ﴾ وروى حفص عن عاصم: «قال ربّ أَعْمَرَ» قرأ أبو جعفر: «ربّ أحكم» بضم الباء. وروى زيد عن يعقوب: «ربّي» بفتح الباء «أَحْكَمُ» بقطع الهمزة وفتح الكاف ورفع الميم. ومعنى «أَعْمَرَ بِمَلِكٍ» أي بعذاب كفار قومي الذي نزوله حق، فحكم عليهم بالقتل في يوم بدر وفيما بعده من الأيام؛ والمعنى على هذا: افصل بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق. ومعنى «عَلَىٰ مَا يَصِفُونَ» أي: من كذبكم وباطلكم<sup>(٢)</sup>. وقرأ ابن عامر، والمفضل عن عاصم: «يصفون» بالياء. فإن قيل: فهل يجوز على الله أن يحكم بغير الحق؟ فالجواب: أن المعنى: احكم بحكمك الحق، كأنه استعجل النصر عليهم.



= روى الدارمي ٩/١ عن أبي صالح مرسلاً قال: كان النبي ﷺ يناديهم يقول: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهذبة وقد وصله الحاكم ٣٥/١ عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه، ووافقه الذهبي.

(١) ذكر ابن كثير ٢٠٢/٣ من رواية الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكْفُرُونَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْمُتَكِبِينَ﴾ (١٠٨) قال: من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يتبعه عوفي مما كان يتلي به سائر الأمم من الخسف والمسخ والقذف.

(٢) قال ابن جرير الطبري ١٠٩/١٧: وقوله تعالى: ﴿وَرَبَّنَا أَلْمِثْنَاهُ عَلَىٰ مَا يَصِفُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: وقل يا محمد: وربنا الذي يرحم عباده ويجمعهم بنعمته، الذي أستمعته عليكم فيما تقولون وتصفون من قولكم لي فيما أتيتكم به من عند الله: «عَلَّ مَدَّ إِلَّا بَشَرٌ مِّنْكُمْ أَتَاوُكُمُ الْيَحْرَ وَأَنْتُمْ تَصِفُونَ» وقولكم: «بَلْ أَتَيْنَاهُ بِمَوْسَاهٍ» وفي كذبكم على الله جل ثناؤه، وقيلكم: «أَتَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا»، فإنه حين عليه تغيير ذلك، وفصل ما بيني وبينكم بتعجيل العقوبة لكم على ما تصفون من ذلك.



## سورة الحج

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كَذَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن قَوْلُهُ فَأَتَاهُمُ الْيُسْلُفُ وَتَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾

### فصل في نزولها

روى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية كلها، غير آيتين نزلتا بالمدينة: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَبْعُدُ اللَّهُ عَن حَرْفٍ﴾، والتي تليها [الحج: ١٢، ١٣]. وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنها مدنية إلا أربع آيات نزلت بمكة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ...﴾ إلى آخر الأربع [الحج: ٥٣ - ٥٧]. وقال عطاء بن يسار: نزلت بمكة إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة: ﴿هَذَانِ حَصَنَانِ﴾ [الحج: ٢٠ - ٢٢]. وقال أبو سليمان الدمشقي: أولها مدني إلى قوله تعالى: ﴿وَيُنِيرُ الْمُحْشِينَ﴾ [الحج: ٢٨] وسائرهما مكي. وقال الثعلبي: هي مكية غير ست آيات نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿هَذَانِ حَصَنَانِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿الْمُفِيدِ﴾ [الحج: ٢٠ - ٢٥]. وقال هبة الله بن سلامة: هي من أعاجيب سور القرآن، لأن فيها مكيًا، ومدنيًا، وحضريًا، وسفريًا، وحربيًا، وسلميًا، وليليًا، ونهاريًا، وناسخًا، ومنسوخًا؛ فأما المكي، فمن رأس الثلاثين منها إلى آخرها. وأما المدني، فمن رأس خمس وعشرين إلى رأس ثلاثين. وأما الليلي، فمن أولها إلى آخر خمس آيات. وأما النهاري، فمن رأس خمس [آيات] إلى رأس تسع. وأما السفري، فمن رأس تسع إلى اثني عشرة. وأما الحضري، فإلى رأس العشرين [منها]، نسب إلى المدينة، لقرب مدته.

قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ أي: اخذوا عقابه ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ الزلزلة: الحركة على الحالة الهائلة. وفي وقت هذه الزلزلة قولان: أحدهما: أنها يوم القيامة بعد النشور. روى عمران بن حصين عن رسول الله ﷺ أنه قرأ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ وقال: تدرون أي يوم ذلك؟ فإنه يوم ينادي الرَّبُّ ﷻ آدم ﷺ: ابعد بعثًا إلى النار، فذكر الحديث<sup>(١)</sup>. وروى أبو سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى يوم القيامة لآدم: قم، فابعد بعث النار، فيقول: يا رب، وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، فحيثما يشيب المولود، وتضع كل ذات حمل حملها، وقرأ الآية<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عباس: زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ: قِيَامُهَا، يعني أنها تُقَارِبُ قِيَامَ السَّاعَةِ، وتكون معها. وقال الحسن، والسدي: هذه الزلزلة تكون يوم القيامة<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنها تكون في الدنيا قبل القيامة، وهي من أشراط الساعة، قاله علقمة، والشعبي، وابن جريج. وروى أبو العالية عن أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قال: ست آيات قبل القيامة، بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فينما هم كذلك إذ تآثرت النجوم، فينما هم كذلك

(١) رواه أحمد في «المسند» ٤/٤٣٢، والترمذي ١٤٦/٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه الطبري ١٧/١١١، وأورده السيوطي في «الدر» ٤/٤٣٣، وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه من طرق عن الحسن وغيره عن عمران بن حصين ﷺ.

(٢) رواه أحمد في «المسند»، والبخاري ٨/٣٣٥، ومسلم ١/٢٠١ وله بقية عنهما، ورواه الطبري ١٧/١١٢، وأورده السيوطي في «الدر» ٤/٣٤٤، وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٣) واختار ذلك ابن جرير الطبري وغيره، واحتجوا على ذلك بأحاديث، انظر تفسير ابن كثير ٣/٢٠٤ - ٢٠٥ عند تفسير هذه الآية، فقد ذكر الأحاديث التي تدل على أن الزلزلة تكون يوم القيامة في العرصات بعد القيام من القبور.

إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحركت، واضطربت، ففزع الجن إلى الإنس، والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب، والطيور، والوحش، فماج بعضهم في بعض، فقالت الجن للإنس: نحن تأتيكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحور، فإذا هي نار تأجج، فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض إلى الأرض السابعة، والسماء إلى السماء السابعة، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الرياح فماتوا<sup>(١)</sup>. وقال مقاتل: هذه الزلزلة قبل النفخة الأولى، وذلك أن منادياً ينادي من السماء: يا أيها الناس أتى أمر الله، فيفزعون فزعاً شديداً فيشيب الصغير، وتضع الحوامل.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَظِيماً﴾ أي: لا يوصف لعظمه.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَزُلُّ زُلُفُهَا﴾ يعني الزلزلة ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ فيه قولان: أحدهما: تسلو عن ولدها، وتركه، قاله ابن قتية. والثاني: تُشَقِّل عنه، قاله قطرب، ومنه قول ابن رواحة:

ويذهل الخليل عن خليله

وقرأ أبو عمران الجوني، وابن أبي عبة: ﴿تذهل﴾ برفع التاء وكسر الهاء «كل» بنصب اللام. قال الأخفش: وإنما قال: «مرضعة»، لأنه أراد - والله أعلم - الفعل، ولو أراد الصفة فيما نرى، لقال: «مرضع». قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير نظام، وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام، وهذا يدل على أن الزلزلة تكون في الدنيا، لأن بعد البعث لا تكون حبل.

قوله تعالى: ﴿وَرَى الَّذِينَ سُكَّرُوا﴾ وقرأ عكرمة، والضحاك، وابن يعمر، «وثرى» بضم التاء ومعنى «بيكارى»: من شدة الخوف ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَّرٍ﴾ من الشراب، والمعنى: ترى الناس كأنهم سكارى من ذهول عقولهم، لشدة ما يمر بهم، يضطربون اضطراب السكاران من الشراب. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «سُكَّرَى» وما هم بِسُكَّرَى» وهي قراءة ابن مسعود. قال الفراء: وهو وجه جيد، لأنه بمنزلة الهلكي والجرحى. وقرأ عكرمة، والضحاك، وابن السميع: «سكارى وما هم بسكارى» بفتح السين والراء وإثبات الألف، ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فيه دليل على أن سكرهم من خوف عذابه.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي آيَاتِهِ﴾ قال المفسرون: نزلت في النضر بن الحارث<sup>(٢)</sup>. وفيما جادل فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان كلما نزل شيء من القرآن كذب به، قاله ابن عباس. والثاني: أنه زعم أن الملائكة بنات الله، قاله مقاتل. والثالث: أنه قال: لا يقدر الله على إحياء الموتى، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿يَغْيِرْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إنما يقوله بإغواء الشيطان، لا يعلم ﴿وَيَتَّبِعْ﴾ ما يسؤل له ﴿كُلُّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ وقد ذكرنا معنى «المريد» في سورة النساء: [١١٧].

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ﴾ «كُتِبَ» بمعنى: قضى والهاء في «عليه» وفي «تولاه» كناية عن الشيطان. ومعنى الآية: قضى على الشيطان أنه يضل من أتبعه. وقرأ أبو عمران الجوني: «كُتِبَ» بفتح الكاف «أنه» بفتح الهمزة «فإنه» بكسر الهمزة. وقرأ أبو مجلز، وأبو العالية، وابن أبي ليلى، والضحاك، وابن يعمر: «إنه» بكسر الهمزة. وقد يثا معنى «السعير» في سورة النساء: [١٠].

﴿يَكَاذِبُ النَّاسُ إِذَا كُتِرَ فِي رَبِّهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا خَلَقْتَنَاهُ مِن تَرْابٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لَّيْسَ لَكُمْ وَبَعْدُ فِي الْأَنْبَاءِ مَا نَشَاءُ إِنَّ أَجَلَ سُوءِ ثُمَّ تُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَبَعْدُ مِنْ بَنَوْكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرْدُ إِلَى أَرْذَلِ الْمُسْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَائِلَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَكْبَتْ مِن كُلِّ رِجٍّ يَهْبِجُ ۚ ذَٰلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ هُوَ الْفَتَىٰ وَاتَّخِذِ الْمَوْتَ وَآلِهَ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ قَدِيرٌ ۖ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ۖ﴾

(١) روى ابن جرير الطبري ٣٠/٦٣ عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾، وفي سننه الحسين بن واقد. قال الحافظ في «التقريب»: ثقة له أوهام، وذكره ابن كثير ٤/٤٧٥ من رواية ابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٢) «أسباب النزول» للسيوطي ١٥٠ من رواية ابن أبي حاتم، والدر ٤/٣٤٤.

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ﴾ يعني: أهل مكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَيْتِ﴾ أي: في شك من القيامة ﴿فَلَنَّا خَلَقْتُمْكَ مِّنْ تَرَبُّبٍ﴾ يعني: خَلَقَ آدَمَ ﴿ثُمَّ مِّنْ تُطْفَئَةٍ﴾ يعني: خَلَقَ وَلَدَهُ، والمعنى: إِنْ شَكَّكُمْ فِي بَعْثِكُمْ فَتَدَبَّرُوا أَمْرَ خَلْقِكُمْ وَابْتِدَائِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَجِدُونَ فِي الْقُدْرَةِ فَرْقًا بَيْنَ الْإِبْتِدَاءِ وَالْإِعَادَةِ. فأما النطفة، فهي المني. والعلة: دم عبيط جامد. وقيل: سميت علة لرطوبتها وتعلقها بما تمرُّ به، فإذا جفَّتْ فليست علة. والمضغة: لحمه صغيرة. قال ابن قتيبة: وسميت بذلك، لأنها بقدر ما يُمضغ، كما قيل: غرفة لقدر ما يُغرف.

قوله تعالى: ﴿مُخَلَّفٌ وَغَيْرُ مُخَلَّفَةٍ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أن المخلَّقة: ما خُلِقَ سَوِيًّا، وغير المخلَّقة: ما ألقته الأرحام من النطف، وهو دم قبل أن يكون خَلْقًا، قاله ابن مسعود. والثاني: أن المخلَّقة: ما أكمل خَلْقَهُ بنفخ الروح فيه<sup>(١)</sup>، وهو الذي يولد حيًّا لتام، وغير المخلَّقة: ما سقط غير حيٍّ لم يكمل خَلْقَهُ بنفخ الروح فيه، هذا معنى قول ابن عباس. والثالث: أن المخلَّقة: المصوَّرة، وغير المخلَّقة: غير مصوَّرة، قاله الحسن. والرابع: أن المخلَّقة وغير المخلَّقة: السقط، تارة يسقط نطفة وعلة، وتارة قد صُوِّرَ بعضه، وتارة قد صُوِّرَ كُلُّهُ، قاله السدي. والخامس: أن المخلَّقة: التامة، وغير المخلَّقة: السقط، قاله الفراء. وابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿لَنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: خلقناكم لنبيِّن لكم ما تأتون وما تدرُونَ. والثاني: لنبيِّن لكم في القرآن بُدُوَ خَلْقِكُمْ، وتنقُلَ أحوالكم. والثالث: لنبيِّن لكم كمال حكمتنا وقدرتنا في تغليب أحوال خلقكم. والرابع: لنبيِّن لكم أن البعث حق. وقرأ أبو عمران الجوني، وابن أبي عبة: ﴿لَنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ بالياء.

قوله تعالى: ﴿وَنُفِثَ فِي الْأَشْوَارِ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء: ﴿وَيُقَرَّرُ﴾ بياء مرفوعة وفتح القاف ورفع الراء. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو إسحاق السبيعي: ﴿وَيُقَرَّرُ﴾ بياء مرفوعة ويكسر القاف ونصب الراء. والذي يُقَرَّرُ في الأرحام، هو الذي لا يكون سقطاً، ﴿إِنَّ أَجَلَ نَسْتَى﴾ وهو أجل الولادة ﴿ثُمَّ تُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ قال أبو عبيدة: هو في موضع «أطفال»، والعرب قد تضع لفظ الواحد في معنى الجميع، قال الله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤] أي: ظهرء، وأنشد:

فَنَقُلْنَا اسْلِمُوا إِنَّا أَحْوَكُم  
فَدَبَّرْتُ مِنَ الْإِخْنِ الصَّدُورُ<sup>(٢)</sup>  
وأنشد أيضاً:

فِي خَلْقِكُمْ عَظَمٌ وَقَدْ شَجِينَا<sup>(٣)</sup>

وقال غيره: إنما قال: «طفلاً» فوجد، لأن الميم في قوله تعالى: ﴿تُخْرِجُكُمْ﴾ قد دُلَّتْ على الجميع، فلم يحتج إلى أن يقول: أطفالاً.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَسْأَلُوا﴾ فيه إضمار، تقديره: ثم نَعْمَرُكُمْ لتبلغوا أشدكم، وقد سبق معنى «الأشد» [الأنعام: ١٥٣]، ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يَتُوفَّ﴾ من قبل بلوغ الأشد ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ وقد شرحناه في [النحل: ٧٠] ثم إن الله تعالى دلَّهم على إحيائه الموتى بإحيائه الأرض، فقال تعالى: ﴿وَنَرَى الْأَرْضَ كَافَّةً﴾ قال ابن قتيبة: أي: ميتة يابسة، ومثله: همدت النار: إذا طفت فذهبت.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَرْزَا عَنْهَا آلَمَةً﴾ يعني: المطر ﴿أَمَرَّتْ﴾ أي: تحركت للنبات، وذلك أنها ترتفع عن النبات

(١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إِنْ أَحَدُكُمْ يَجْمَعُ خَلْقَهُ فِي بطن أمه أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلَّةٌ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مِغْفَةٌ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَرْسِلُ الْمَلَكُ لِيَنْفِخَ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتِبَ رُزْقُهُ، وَاجِلُهُ، وَصَمْلُهُ، وَشَقِي أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، إِنْ أَحَدُكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا أَفْرَاقٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنْ أَحَدُكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا أَفْرَاقٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» متفق عليه، واللفظ لمسلم.

(٢) البيت للعباس بن مرداس، وهو في «مجاز القرآن» ٧٩/١، ٤٤/٢، والأغاني ٦٢/١٣، والإصابة رقم (٤٥١١)، والاستيعاب ١٠١/٣، والخواتم ٧٣/١، والشعر ١٠١/٢.

(٣) تقدم ٢٩٩، فانظره هناك.

إذا ظهر، فهو معنى قوله تعالى: ﴿رَبَّتْ﴾ أي: ارتفعت وزادت. وقال الميرد: أراد: اهترأ نباتها وربا، فحذف المضاف. قال الفراء: وقرأ أبو جعفر المدني: «وربات» بهجمة مفتوحة بعد الباء. فإن كان ذهب إلى الرئية التي يحرس القوم، أي: أنه يرتفع، وإلا، فهو غلط.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا مِنْ كُلِّ نَوْعٍ بَهِيجٍ﴾ قال ابن قتيبة: من كل جنس حسن يبهج، أي: يسر، وهو فاعيل في معنى فاعل.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ قال الزجاج: المعنى: الأمر ذلك كما وصف لكم. والأجود أن يكون موضع «ذلك» رفعاً، ويجوز أن يكون نصباً على معنى: فعل الله ذلك بأنه هو الحق.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ أي: ولتعلموا أن الساعة ﴿مَأْتِيَةٌ﴾

[illegible]

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ﴾ قد سبق بيانه. وهذا مما نزل في النضر أيضاً. والهدى: البيان والبرهان.  
قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ العطف: الجانب. وعطفه الرجل: جانباه عن يمين وشمال، وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان ويلويه عند إعراضه عن المشي. قال الزجاج: «ثاني» منصوب على الحال، ومعناه: التوتين، معناه: ثانياً عطفه. وجاء في التفسير: أن معناه: لاوياً عنقه، وهذا يوصف به المتكبر، والمعنى: ومن الناس من يجادل بغير علم متكبراً.

قوله تعالى: ﴿يُنْذِرُ﴾ أي: ليصير أمره إلى الضلال، فكأنه وإن لم يقدر أنه يضل، فإن أمره يصير إلى ذلك، ﴿لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا حِزْبًا﴾ وهو ما أصابه يوم بدر، وذلك أنه قُتل. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [يونس: ٧٠] إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَنْ يَبْعِدُ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ حَرْفٍ﴾ وفي سبب نزول هذه الآية قولان: أحدهما: أن ناساً من العرب كانوا يأتون رسول الله ﷺ، فيقولون: نحن على دينك، فإن أصابوا معيشة، وَتَبَجَّتْ خِيْلُهُمْ، وَوَلَدَتْ نَسَاؤُهُمُ الْغُلَمَانَ اطمأنوا وقالوا: هذا دين حق، وإن لم يَجِرِ الأمر على ذلك قالوا: هذا دين سوء، فيقبلون عن دينهم، فنزلت هذه الآية، هذا معنى قول ابن عباس<sup>(١)</sup>، وبه قال الأكثرون. والثاني: أن رجلاً من اليهود أسلم فذهب بصره وماله وولده، فنشأ بالإسلام، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: أقلني فقال: «إن الإسلام لا يقال». فقال: إني لم أصب في ديني هذا خيراً، أذهب بصري ومالي وولدي، فقال: «يا يهودي: إن الإسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والفضة والذهب»، فنزلت هذه الآية، رواه عطية عن أبي سعيد الخدري<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَنْ يَبْذُفْهُ اللَّهُ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ لِمَا نَزَّلَ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أَلْقَاهُ عَلَى رُجُومِهِ خَيْرٌ لِّلْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿١٦﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٧﴾ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ لِلْمَلَكِ الْعَشِيرِ ﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حَرْوٍ﴾ قال مجاهد، وقتادة: «على شك»، قال أبو عبيدة: كل شاكٍ في شيء فهو على حرف لا يثبت ولا يدوم. ويبان هذا أن القائم على حرف الشيء غير متمكّن منه، فشبه به الشاك، لأنه قَلِقٌ في دينه على غير ثبات، ويوضحه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَصَابَ حَرْؤٌ أَيْ: رخاءٌ وعافية ﴿أَطْمَأَنَّ بِذِهِ﴾ على عبادة الله ﴿وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ﴾ اختبار بجذب وقلة مال ﴿انْقَلَبَ عَلَىٰ رُجُومٍ﴾ أي: رجع عن دينه إلى الكفر. والمعنى: انصرف إلى وجهه الذي توجه منه، وهو الكفر<sup>(٣)</sup>، ﴿غَيْرِ الدُّنْيَا﴾ حيث لم يظفر بما أراد منها، ﴿وَوَخَسِرَ﴾ الأجرة؛ بارتداده عن الدين. وقرأ أبو رزين

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ٣٣٦/٨، وَ«الطَّبَرِيُّ» ١٧/١٢٢، وَذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدِّرَ» ٤/٣٤٦ وَزَادَ نِسْبَتَهُ لِأَبْنِ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنِ مَرْدُودِيَةٍ.

(٢) «أسباب النزول» للواحدي ١٧٦ عن عطية عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٤٦/٤ عن ابن مردويه عن طريق عطية عن أبي سعيد الخدري.

(۳) قال ابن كثير ۲/۲۰۹: وقال عبد الرحمن بن يزيد بن أسلم: هو المنافق إن صلحت له دنياه، أقام على العبادة، وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت، =

العقيلي، وأبو مجلز، ومجاهد، وطلحة بن مصرف، وابن أبي عبيدة، وزيد عن يعقوب: «خاير الدنيا» بألف قبل السين، وينصب الراء «والآخرة» بخفض التاء. «يَدْعُو» هذا المرتد، أي: يعبد «مَا لَا يَصُرُّ» إن لم يعبد «وَلَا يَفْعَمُ» إن أطاعه «ذَلِكَ» الذي فعل «هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ» عن الحق «يَدْعُو لَمَنْ صَرُّهُ» قال بعضهم: اللام صلة، والمعنى: يدعو مَنْ صره. وحكى الزجاج عن البصريين والكوفيين أن اللام معناها التأخير، والمعنى: يدعو مَنْ لَصَرُّهُ «أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ»، قال: وشرح هذا أن اللام لليمين والتوكيد، فحُفِّها أن تكون أول الكلام، فقدِّمت لتجعل في حَقِّها، قال السدي: صره في الآخرة بعبادته إياه أقرب من نفعه. فإن قيل: فهل للنفع من عبادة الصنم وجه؟ فالجواب: أنه لا نفع من قِبَلِهِ أصلاً، غير أنه جاء على لغة العرب، وهم يقولون في الشيء الذي لا يكون: هذا بعيد.

قوله تعالى: «لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلِيُّكَ الْعَشِيرُ» قال ابن قتيبة: المولى: الولي، والعشير: الصاحب، والخليل. «مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ» وَكَذَلِكَ أَنْزَلَهُ عَلَيْكَ يَتَّبِعُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرِينَ أَفْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: «مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» قال مقاتل: نزلت في نفر من أسد، وغطفان، قالوا: إنا نخاف أن لا يُنْصَرَ محمدٌ، فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود<sup>(١)</sup> وإلى نحو هذا ذهب أبو حمزة الثمالي، والسدي. وحكى أبو سليمان الدمشقي أن الإشارة بهذه الآية إلى الذين انصرفوا عن الإسلام، لأن أرزاقهم ما اتَّسَعَتْ، وقد شرحنا القصة في قوله تعالى: «وَيَنْزِلُ السَّمَاءُ مِنَ يَدَيْهِ اللَّهُ عَلَى حَرْقٍ». وفي هاء «ينصره» قولان: أحدهما: أنها ترجع على «مَنْ»، والنصر: بمنع الرزق، هذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء، وبه قال مجاهد. قال أبو عبيدة: وقف علينا سائل من بني بكر، فقال: مَنْ يَنْصُرُنِي نصره الله، أي: من يعطيني أعطاه الله، ويقال: نصر المطر أرض كذا، أي: جادها، وأحياها، قال الراعي:

إذا أفسر الشهر الحرام فودعي بلاد تميم وأنشوري أرض عابر<sup>(٢)</sup>

لإذا أفسر الشهر الحرام فودعي

والثاني: أنها ترجع إلى رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>، فالمعنى: من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً، رواه التميمي عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>، وبه قال عطاء، وقادة. قال ابن قتيبة: وهذه كناية عن غير مذكور، وكان قوم من المسلمين لشدة حقنهم على المشركين يستبطنون ما وعد الله رسوله من النصر، وآخرون من المشركين، يريدون اتباعه، ويخشون أن لا يتم أمره، فقال هذه الآية للفریقین. ثم في معنى [هذا] النصر قولان: أحدهما: أنه الغلبة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنه الرزق، حكاه أبو سليمان الدمشقي.

= انقلب، فلا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه، فإن أصابه فتنة أو شدة أو اختيار أو ضيق، ترك دينه ورجع إلى الكفر اه. نموذ بالله من ذلك.

(١) ذكره الطبري ١٢٨/١٧ بدون سند.

(٢) «مجاز القرآن» ٤٦/٢، و«الجمهرة» ٣٥٩/٢، و«اللسان» و«التاج»: نصر.

(٣) قال ابن جرير الطبري ١٢٨/١٧: وأولى ذلك بالصواب عندي في تأويل ذلك، قول من قال: الهاء من وَكَّرَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ ودينه، وذلك أن الله تعالى وَكَّرَهُ، ذكر قومًا يعبدونه على حرف، وأنهم يطمنون بالدين إن أصابوا خيراً في عبادتهم إياه، وأنهم يرتدون عن دينهم لشدة تعصبهم فيها، ثم أتبع ذلك هذه الآية، فمعلوم أنه إنما أتبعه إياها توبيخاً لهم على ارتدادهم عن الدين، أو على شكهم فيه نفاقهم، استبطاء منهم السعة في العيش، أو السبوغ في الرزق، وإذا كان الواجب أن يكون ذلك عقيب الخبر عن نفاقهم، فمعنى الكلام إذن إذ كان ذلك كذلك: من كان يحسب أن لن يرزق الله محمداً ﷺ وأمه في الدنيا، فيوسع عليهم من فضله فيها، ويرزقهم في الآخرة من شئ عطايا وكرامته، استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم، فليمدد يده إلى سماء فوقه، إما سقف بيت، أو غيره مما يعلق به السب من فوقه، ثم يختنق إذا غناظ من بعض ما قضى الله فاستعجل انكشاف ذلك عنه، فليظن هل يذهب كيد - اختناقه كذلك - ما يغيظ، فإن لم يذهب ذلك غيظه حتى يأتي الله بالفرج من عنده فيذهب، فكذلك استعجاله نصر الله محمداً ودينه، لن يؤخر ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته، ولا يجعل قبل حينه. اه.

(٤) رواه الطبري ٢٢٦/١٧. وقال ابن كثير بعد أن نقل كلام ابن عباس هذا ووجهه: وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى، وأبلغ في التهكم، فإن المعنى: من كان يظن أن الله ليس بناصر محمداً وكتابه ودينه، فليذهب فليقتل نفسه إن كان ذلك غائظه، فإن الله ناصره لا محالة، قال الله تعالى: «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَلَآكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَآيْقِينُ» الآية. ولهذا قال: «فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبُ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ» يعني: من شأن محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ في المراد بالسما قولان: أحدهما: سقف بيته، والمعنى: فليشد حبلاً في سقف بيته، فليختنق به ﴿ثُمَّ لَيَقَطْعَ﴾ الحبل ليموت مختنقاً، هذا قول الأكثرين. ومعنى الآية: ليصور هذا الأمر في نفسه لا بأنه يفعله، لأنه إذا اختنق لا يمكنه النظر والعلم. والثاني: أنها السماء المعروفة، والمعنى: فليقطع الوحي عن رسول الله ﷺ إن قدر، قال ابن زيد<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَيَقَطْعَ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن عامر: «ثم ليقطع» [الحج: ٢٩] بكسر اللام. زاد ابن عامر «وليوطفوا» [الحج: ٢٩] وليطوفوا [الحج: ٢٩] بكسر اللام أيضاً. وكسر ابن كثير لام «ثم ليقضوا» فحسب. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: بسكون هذه اللامات، وكذلك في كل القرآن إذا كان قبلها واو أو فاء [أو] ثم، قال الفراء: من سكن فقد خفف، وكل لام أمر وصلت بواو أو فاء، فأكثر كلام العرب تسكينها، وقد كسرهما بعضهم. قال أبو علي: الأصل الكسر، لأنك إذا ابتدأت قلت: ليقم زيد.

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَدْرِيْنَ كَيْدُكَ﴾ قال ابن قتيبة: المعنى: هل تذهبن حيلته غيظه، والمعنى: ليجهد جهده. قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: ومثل ذلك الذي تقدم من آيات القرآن ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ يعني: القرآن. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَتَّبِعُهُ أَيُّ﴾ يقضي ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بينهم بإدخال المؤمنين الجنة، والآخرين النار ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أعمالهم ﴿شَهِيدٌ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنَ الْأَرْضِ وَالشَّجَرُ وَالْحُمْرُ وَالْجِبَالُ وَالْأَنْبَاءُ وَالْأَنْبَاءُ وَكثيرٌ مِّنَ الْأَنْبَاءِ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [٣٨] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنَ الْأَرْضِ وَالشَّجَرُ وَالْحُمْرُ وَالْجِبَالُ وَالْأَنْبَاءُ وَالْأَنْبَاءُ﴾ أي: ألم تعلم. وقد بيّنّا في سورة [النحل: ٤٩] معنى السجود في حق من يعقل، ومن لا يعقل.

قوله تعالى: ﴿وَكثيرٌ مِّنَ الْأَنْبَاءِ﴾ يعني: الموحدين الذين يسجدون لله. وفي قوله تعالى: ﴿وَكثيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ قولان: أحدهما: أنهم الكفار، وهم يسجدون، وسجودهم سجود ظلمهم، قاله مقاتل. والثاني: أنهم لا يسجدون؛ والمعنى: وكثير من الناس أبى السجود، فحق عليه العذاب، لتركه السجود، هذا قول الفراء. قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ أي: من يُشْفِقِ الله فما له من مُسْجِدٍ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ في خلقه من الكرامة والإهانة<sup>(٢)</sup>.

﴿كَذَلِكَ خَصَّصْنَا فِي نَبِيِّنَا مَا نَزَّلْنَا فِي نَبِيِّنَا﴾ كَفَرُوا فَنُفِطَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْغَيْمُ ﴿٣٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٤٠﴾ وَلَمْ يَمْلِكْ مِنْ حَرِّهِ ﴿٤١﴾ كَلِمًا أَرَادُوا أَن يَخْرِقُوا بِهَا مِنْ عَمْرِ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُقُوا ﴿٤٢﴾ الْحَرِيقِ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ خَصَّصْنَا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في النفر الذين تبارزوا للقتال يوم بدر، حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة، هذا قول أبي ذر<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنها نزلت في أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله، وأقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحق بالله، آمنا بمحمد، وآمنا بنبيكم فيما أنزل الله من كتاب، وأنتم تعرفون نبينا، ثم كفرتم به حسداً، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(٤)</sup>، وقائدة. والثالث: أنها في جميع المؤمنين، والكفار، وإلى هذا المعنى ذهب

(١) الطبري ١٧/١٢٦، و«الدر» ٤/٣٤٧.

(٢) قال ابن كثير: أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن عبد الله أنه قيل له: إن هاتين رجلًا يتكلم في المشية، فقال له علي: يا عبد الله خلقك الله كما يشاء، أو كما شئت؟ قال: بل كما شاء، قال: فيمرضك إذا شاء، أو إذا شئت؟ قال: بل إذا شاء، قال: فيشفيك إذا شاء، أو إذا شئت؟ قال: بل إذا شاء، قال: فيهلكك حيث شئت، أو حيث شاء؟ قال: بل حيث يشاء، قال: والله لو قلت غير ذلك لغربت الذي في جيبك بالسيف.

(٣) البخاري ٨/٣٣٧، و«الطبري» ١٧/١٣١، وذكره السيوطي في «الدر» ٤/٣٤٨ وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل».

(٤) «الطبري» ١٧/١٣٢، وذكره السيوطي في «الدر» ٤/٣٤٨ وزاد نسبه لابن مردويه.

الحسن، وعطاء، ومجاهد<sup>(١)</sup>. والزواج: أنها نزلت في اختصام الجنة والنار، فقالت النار: خلقتني الله لعقوبته، وقالت الجنة: خلقتني الله لرحمته، قاله عكرمة<sup>(٢)</sup>. فأما قوله تعالى: ﴿مَذَانٌ﴾ وقرأ ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وابن كثير: «هاذان» بتشديد النون «خصمان»، فمعناه: جمعان، وليسا برجلين، ولهذا قال تعالى: ﴿أَخْصَصُوا﴾ ولم يقل: اختصما؛ على أنه قرأ ابن مسعود، وابن أبي عبيدة: «اختصما». وفي خصوصتهم ثلاثة أقوال: أحدها: في دين ربهم، وهذا على القولين الأولين. والثاني: في البعث، قاله مجاهد. والثالث: أنه خصام مفاخرة، على قول عكرمة. قوله تعالى: ﴿فَطَمَعْتُمْ مِمَّنْ ثَبَاتٌ﴾ أي: سؤيت وجعلت لباساً. قال ابن عباس: قُمص من نار. وقال سعيد بن جبير: المراد بالنار هاهنا: النحاس. فأما «الحميم» فهو الماء الحارُّ ﴿يُضْهِرُّ بِهِ﴾ قال الفراء: يذاب به، يقال: صهرت الشحم بالنار. قال المفسرون: يذاب بالماء الحارُّ ﴿مَا فِي بَطُونِهِمْ﴾ من شحم أو معى حتى يخرج من أديارهم، وتنضج الجلود فتساقط من حره، ﴿وَكُم مَّقْبَحٌ﴾ قال الضحاك: هي المطارق. وقال الحسن: إن النار ترميهم بلهبها، حتى إذا كانوا في أعلاها، ضُربوا بمقامع فهُوُوا فيها سبعين خريفاً، فإذا انتهوا إلى أسفلها، ضربهم زفير لهبها، فلا يستقرون ساعة. قال مقاتل: إذا جاشت جهنم، ألقتهم في أعلاها، فيريدون الخروج، فتتلقاهم خزنة جهنم بالمقامع، فيضربونهم، فيهوي أحدهم من تلك الضربة إلى قعرها. وقال غيره: إذا دفعتهم النار، ظنوا أنها ستدفعهم خارجاً منها، فتعيدهم الزبانية بمقامع الحديد.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُكُونُ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤُا وَكَأْسُهُمْ فِيهَا حَمِيرٌ﴾ ﴿٣٣﴾ وَهَذَا إِلَى الْكَلْبِ مِنْ الْقَوْلِ وَهَذَا إِلَى صِرَاطِ الْقَيْدِ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلُؤُا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «ولولؤ» بالخفض. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: «ولولؤا» بالنصب. قال أبو علي: من خفض، فالمعنى: يحلّون أساور من ذهب ومن لولؤ؛ ومن نصب قال: ويحلّون لولؤا<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا﴾ أي: أرشدوا في الدنيا ﴿إِلَى الْكَلْبِ مِنْ الْقَوْلِ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه «لا إله إلا الله، والحمد لله» قاله ابن عباس. وزاد ابن زيد: «والله أكبر». والثاني: القرآن، قاله السدي. والثالث: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حكاه المارودي. فأما «صِرَاطِ الْقَيْدِ» فقال ابن عباس هو طريق الإسلام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالسَّجْدِ الْحَكِيمِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنَافِ فِيهِ وَالْيَاوَنَ يُرِيدُ فِيهِ بِالْحَكَمِ يُظْلِمُ نَفْسَهُ مِنَ عَذَابِ الْبَرِّ﴾ ﴿٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: يمنعون الناس من الدخول في الإسلام. قال الزجاج: ولفظ «يصدون» لفظ مستقبل عطف به على لفظ الماضي، لأن معنى «الذين كفروا»: الذين هم كافرون، فكانه قال: إن الكافرين والصادقين، فأما خبر «إن» فمحذوف، فيكون المعنى: إن الذين هذه صفتهم هلكوا. وفي «المسجد الحرام» قولان: أحدهما: جميع الحرم. روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: كانوا يرون الحرم كله مسجداً. والثاني: نفس المسجد، حكاه المارودي.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾ هذا وقف التمام. وفي معناه قولان: أحدهما: جعلناه للناس كلهم، لم نخص به بعضهم دون بعض، هذا على أنه جميع الحرم. والثاني: جعلناه قبله لصلاتهم، ومنسكاً لحجهم، وهذا على أنه نفس المسجد. وقرأ إبراهيم النخعي، وابن أبي عبيدة، وحفص عن عاصم: «سواء» بالنصب، فيترجعه الوقف على «سواء»، وقد وقف بعض القراء كذلك. قال أبو علي الفارسي: أبدل العاكف والبادي من الناس من حيث كانا كالشامل لهم، فصار المعنى: الذي جعلناه للعاكف والبادي سواء. فأما العاكف: فهو المقيم، والبادي: الذي يأتيه من غير أهله، وهذا من قولهم: بدا القوم: إذا خرجوا من الحضر إلى الصحراء، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «البادي» بالياء، غير أن

(٢) «الطبري» ١٣٢/١٧.

(١) «الطبري» ١٣٢/١٧.

(٣) روى مسلم في «صحيحه» ٢١٩/١ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت خليلي رضي الله عنه يقول: «بلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء».

ابن كثير وقف بباء، وأبو عمرو بغير ياء. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي، والمسيبي عن نافع بغير ياء في الحاليتين. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أن العاكف والبادي يستويان في سكنى مكة والنزول بها، فليس أحدهما أحق بالمزول من الآخر، غير أن لا يُخْرَج أحدٌ من بيته، هذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة؛ وإلى نحو هذا ذهب أبو حنيفة وأحمد؛ ومذهب هؤلاء أن كراء دور مكة وبيعها حرام، هذا على أن المسجد: الحرم كله. والثاني: أنهما يستويان في تفضيله وحرمة وإقامة المناسك به، هذا قول الحسن، ومجاهد. و[منهم] من أجاز بيع دور مكة، وإليه يذهب الشافعي، وعلى هذا يجوز أن يراد بالمسجد الحرم، ويجوز أن يراد نفس المسجد.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْدْ فِيهِ بِالْحُكْمِ﴾ الإلحاد في اللغة: العدول عن القصد، والباء زائدة، كقوله تعالى: ﴿تَلَقُّهُمُ الْغُلَامُ﴾ [المؤمنون: ٢٠] وأنشدوا:

يَوَادُّ يَمَانٍ يُنْبِئُ الشُّكَّ صَدْرُهُ  
المعنى: وأسفله ينبئ المرخ؛ وقال آخر:  
مَنْ الْحَرَائِرَ لَا رِبَاثَ أَخْمِرَةَ  
وقال آخر:

نَحْنُ بَنُو جَفْدَةِ أَرْبَابِ الْفُلَجِ  
نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرْجِ<sup>(١)</sup>

هذا قول جمهور اللغويين. قال ابن قتيبة: والباء قد تزداد في الكلام، كهذه الآية، وكقوله تعالى: ﴿أَتَرَأَى بِأَيْدِي رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] ﴿وَرُفِئَ إِلَيْكَ بِمِجَنِّ الْخَلَقِ﴾ [مریم: ٢٤] ﴿وَبِأَيْدِيكَ الْمَقْتُولُ﴾ [القلم: ٦] ﴿تَلَقُّوهُمُ إِلَى يَدَيْهِمْ بِالْكَوْدَةِ﴾ [المتحنة: ١] ﴿عَيْنَا يَتَرَبَّعُ﴾ [الإنسان: ٦] أي: يشربها؛ وقد تزداد «من»، كقوله تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ [الناريات: ٥٧]، وتزداد «اللام» كقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِأَرْبَابِهِمْ يَرْجُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، والكاف، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، و«عن»، كقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور: ٦٣]، و«إن»، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨]، و«إن» الخفيفة، كقوله تعالى: ﴿فِيمَا إِنْ تَكُنَّكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، و«ما»، كقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصِغُنَّ نَلِيلِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، و«الواو»، كقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ لَيْلِينَ﴾ [الصافات: ١٠٣، ١٠٤]، وفي المراد بهذا الإلحاد خمسة أقوال: أحدها: أنه الظلم، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال مجاهد: هو عمل سيئة؛ فعلى هذا تدخل فيه جميع المعاصي، وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: لا تحتكروا الطعام بمكة، فإن احتكار الطعام بمكة إحداد بظلم<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه الشرك، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة. والثالث: الشرك والقتل، قاله عطاء. والرابع: أنه استحلال محظورات الإحرام، وهذا المعنى محكي عن عطاء أيضاً. والخامس: استحلال الحرام تعمدًا، قاله ابن جريج. فإن قيل: هل يؤاخذ الإنسان إن أراد الظلم بمكة، ولم يفعلها؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه إذا هم بذلك في الحرم خاصة، عوقب، هذا مذهب ابن مسعود، فإنه قال: لو أن رجلاً هم بخطيئة، لم تكتب عليه ما لم يعملها، ولو أن رجلاً هم بقتل مؤمن عند البيت، وهو ب «عَدَنٍ أَيْنٍ»، أذاقه الله في الدنيا من عذاب أليم. وقال الضحاك: إن الرجل ليهم بالخطيئة بمكة وهو بأرض أخرى، فتكتب عليه ولم يعملها. وقال مجاهد: تضاعف السيئات بمكة، كما تضاعف الحسنات. وسئل الإمام أحمد: هل تكتب السيئة

(١) البيت للأحول الشكري واسمه يعلى، وهو في «مجاز القرآن» ٤٨/٢، و«الطبري» ٧٢/١٦ و١٣٨/١٧، و«الجمهرة» ٤٥/١، ٤١٤/٣، و«اللسان»: شت، شب، و«الانقصاب» ص ٥٧، و«القرطبي» ٣٦/١٢. والثث: ضرب من الشجر، والمرخ: شجر كثير الوري سريع، والشهان: نبت يشبه الثمام، أو ضرب من المضاء، والشاهد في البيت زيادة الباء في كلمة «المرخ».

(٢) هو في «مجاز القرآن» ٤/١، و«الجمهرة» ٤١٤/٣، و«الصحاح»، و«اللسان»، و«التاج»: سور، و«القرطبي» ١٥٨/١، و«شواهد المغني» ١١٦ و«الخرائفة» ٦٦٨/٣.

(٣) البيت لراجز من بني جملة، وهو في «مجاز القرآن» ٥٦/٢، و«الانقصاب» ص ٤٥٨، و«شواهد المغني» ص ١١٤، و«الخرائفة» ١٥٩/٤.

(٤) ذكره السيوطي في «الدر» ٣٥١/٤ من رواية سعيد بن منصور، والبخاري في «تاريخه»، وابن المنذر عن عمر رضي الله عنه موقوفاً بلفظ: «احتكار الطعام بمكة إحداد بظلم».



أكثر من واحدة؟ فقال: لا، إلا بمكة لتعظيم البلد. وأحمد على هذا يرى فضيلة المجاورة بها؛ وقد جاور جابر بن عبد الله، وكان ابن عمر يقيم بها. والثاني: أن معنى: «ومن يرد» من يعمل. قال أبو سليمان الدمشقي: هذا قول سائر من حفظنا عنه.

﴿وَلَوْ بَرَأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرَفَ فِي شَيْءٍ وَطَهَّرَ بَيْتَ الْإِسْلَامِ وَالْقَابِلِينَ وَالرُّكُوعَ الشُّجُورَ ۖ وَأَوْدَنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۖ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَثَارِ مَقَلَّتِهِمْ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَاكْتُبُوا مِنْهَا وَلَكُمْ مِنَ الْبَايَسِ الْقَفِيرَ ۖ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوُّوْا إِلَيْنَا مَرْجِعًا ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَرَأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ﴾ قال ابن عباس: جعلنا. وقال مقاتل: دللناه عليه. وقال ثعلب: وإنما أدخل اللام، على أن «بؤانا» في معنى: جعلنا، فيكون بمعنى «رَدَفْ لَكُمْ» [النمل: ٧٢] أي: ردفكم. وقد شرحنا كيفية بناء البيت في [البقرة: ١٢٩].

قوله تعالى: ﴿أَنْ لَا تُشْرَفَ فِي شَيْءٍ﴾ المعنى: وأوحينا إليه ذلك<sup>(١)</sup> ﴿وَطَهَّرَ بَيْتَ﴾ حَرَكَ هذه الباء، نافع وحفص عن عاصم. وقد شرحنا الآية في [البقرة: ١٢٥]. وفي المراد بـ «القائمين» قولان: أحدهما: القائمون في الصلاة، قاله عطاء والجمهور. والثاني: المقيمون بمكة، حكى عن قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْدَنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ قال المفسرون: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت، أمره الله تعالى أن يؤذن في الناس بالحج، فقال إبراهيم: يا رب، وما يبلغ صوتي؟ قال: أَدْنُ، وعليَّ البلاغ، فعلا على جبل أبي قبيس، وقال: يا أيها الناس! إن ربكم قد بنى بيتاً، فحجُّوه، فاسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء ممن سبق في علم الله أن يحج، فأجابوه: لبيك اللهم لبيك<sup>(٢)</sup>. والأذان بمعنى النداء والإعلام، والمأمور بهذا الأذان، إبراهيم في قول الجمهور، إلا ما روي عن الحسن أنه قال: المأمور به محمد ﷺ. والناس هاهنا: اسم يعم جميع بني آدم عند الجمهور، إلا ما روى العوفي عن ابن عباس أنه قال: عنى بالناس أهل القبله. واعلم أن من أتى البيت الذي دعا إليه إبراهيم، فكانه قد أتى إبراهيم، لأنه أجاب نداءه. وواحد الرجال هاهنا: راجل، مثل صاحب، وصحاب، والمعنى: يأتوك مشاة. وقد روي أن إبراهيم وإسماعيل حجاً ماشيين، وحج الحسن بن علي خمساً وعشرين حجة ماشياً من المدينة إلى مكة، والتجائب تُقَاد معه. وحج الإمام أحمد ماشياً مرتين أو ثلاثاً<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي: ركبناً على ضَمَرٍ من طول السفر. قال الفراء: «ويأتين» فعل للنوق. وقال الزجاج: «يأتين» على معنى الإبل. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عتبة: «يأتون» بالواو.

قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي: طريق بعيد. وقد ذكرنا تفسير الفجج عند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾ [الأنبياء: ٣١].

قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ أي: ليحضرُوا ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: التجارة، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: منافع الآخرة، قاله سعيد بن المسيب، والزجاج في آخرين. والثالث: منافع الدارين جميعاً، قاله مجاهد. وهو أصح، لأنه لا يكون القصد للتجارة خاصة، وإنما الأصل قصد الحج، والتجارة تبع. وفي الأيام المعلومات ستة أقوال: أحدها: أنها أيام العشر<sup>(٤)</sup>، رواه مجاهد عن ابن عمر، وسعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال

(١) قال ابن كثير: هذا فيه تفرع وتوبيخ لمن عبد غير الله وأشرك به من قريش في البقعة التي أسست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له.

(٢) قال ابن كثير: هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وغير واحد من السلف، والله أعلم، قال: وأوردها ابن جرير وابن أبي حاتم مطولة. اهـ.

(٣) من المتفق عليه أن الحج جائز ركباً ومشياً، وقد اختلف في الأفضل منهما، فقال بعضهم: المشي أفضل، وقال جمهور الفقهاء: الركوب أفضل، اقتداء بالنبي ﷺ، ولأنه أعون على القيام بوظائف مناسك الحج، فمن هنا تعلم أن من حج بالطائرة مثلاً، ووجد الراحة، وقام بالمناسك كاملة، أفضل ممن ذهب إلى الحج ماشياً وحصل له مشقة، فضعف، أو لم يستطع القيام بالمناسك على الوجه الكامل.

(٤) أي عشر ذي الحجة، وقد قال رسول الله ﷺ في فضلها: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام» (يعني عشر ذي الحجة) قالوا: =

الحسن، وعطاء، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والشافعي. والثاني: تسعة أيام من العشر، قاله أبو موسى الأشعري. والثالث: يوم الأضحي وثلاثة أيام بعده، رواه نافع عن ابن عمر، ومقسم عن ابن عباس. والرابع: أنها أيام التشريق، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال عطاء الخراساني، والنخعي، والضحاك. والخامس: أنها خمسة أيام، أولها يوم التروية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والسادس: ثلاثة أيام، أولها يوم عرفة، قاله مالك بن أنس. وقيل: إنما قال: «معلومات»، ليحرص على علمها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها. قال الزجاج: والذكر هاهنا يدل على التسمية على ما يُنحر، لقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنَّا يَهَيِّجُهُمُ الْفِتْنَةُ﴾؛ قال القاضي أبو يعلى: ويحتمل أن يكون الذكر المذكور هاهنا: هو الذكر على الهدايا الواجبة، كالدُم الواجب لأجل التمتع والقران، ويحتمل أن يكون الذكر المفعول عند رمي الجمار وتكبير التشريق، لأن الآية عامة في ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنهَا﴾ يعني: الأنعام التي تُنحر؛ وهذا أمر إباحة. وكان أهل الجاهلية لا يستحلون أكل ذبائحهم، فأعلم الله ﷻ أن ذلك جائز، غير أن هذا إنما يكون في الهدى المتطوع به، فأما دم التمتع والقران، فعندنا<sup>(١)</sup> أنه يجوز أن يأكل منه، وقال الشافعي: لا يجوز<sup>(٢)</sup>، وقد روى عطاء عن ابن عباس أنه قال: من كل الهدى يؤكل، إلا ما كان من فداء أو جزاء أو نذر<sup>(٣)</sup>. فأما «البائس» فهو ذو البؤس، وهو شدة الفقر.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: حلق الرأس، وأخذ الشارب، ونشف الإبط، وحلق العانة، وقص الأظفار، والأخذ من العارضين، ورمي الجمار، والوقوف بعرفة، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: مناسك الحج، رواه عكرمة عن ابن عباس، وهو قول ابن عمر. والثالث: حلق الرأس، قاله مجاهد. والرابع: الشعر والظفر، قاله عكرمة. والقول الأول أصح، لأن التفت: الوسخ، والقذارة: من طول الشعر والأظفار والشعث. وقضاؤه: نقضه، وإذهابه. والحاج مغتبر شعث لم يذهن، ولم يستحد، فإذا قضى نسكه، وخرج من إحرامه بالخلق، والقلم، وقص الأظفار، ولبس الثياب، ونحو ذلك، فهذا قضاء تفته. قال الزجاج: وأهل اللغة لا يعرفون التفت إلا من التفسير، وكأنه الخروج من الإحرام إلى الإحلال.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَبْشُرُوا ثَوَابَهُمْ﴾ وروى أبو بكر عن عاصم: «وليبشروا» بتشكين اللام وتشديد الفاء. قال ابن عباس: هو نحر ما نذروا من البُدن. وقال غيره: ما نذروا من أعمال البر في أيام الحج، فإن الإنسان ربما نذر أن يتصدق إن رزقه الله رؤية الكعبة، وقد يكون عليه نذور مطلقة، فالأفضل أن يؤتيها بمكة.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَكُونُوا مِنَ الْبَاقِينَ﴾ هذا هو الطواف الواجب، لأنه أمر به بعد الذبح، والذبح إنما يكون في يوم النحر، فدل على أنه الطواف المفروض. وفي تسمية البيت عتيقاً أربعة أقوال: أحدها: لأن الله تعالى أعتقه من الجابرة. روى عبد الله بن الزبير، عن رسول الله ﷺ قال: «إنما سمي الله البيت العتيق، لأن الله أعتقه من الجابرة، فلم يظهر عليه جبار قط»<sup>(٤)</sup>. وهذا قول مجاهد، وقتادة. والثاني: أن معنى العتيق: القديم، قاله الحسن، وابن زيد.

١ - يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء» رواه البخاري في صحيحه ٣٨٢/٢، وأبو داود رقم (٢٤٣٨) واللفظ له.

(١) أي: معاشر الحنابلة.

(٢) وكذلك قال الإمام النووي في «الروضة» ١٩١/٣ طبع المكتب الإسلامي، لأنه دم واجب، ولكن الحنابلة - كما ذكر المصنف - أجازوا أن يأكل من هدي التمتع والقران، وهو قول الحنفية بناءً على أصلهم أن دم التمتع والقران، دم نسك، لا دم جبران. وقد صح أن أزواج النبي ﷺ تمتن معه في حجة الوداع، وأدخلت عائشة ﷺ الحج على العمرة حين حاضت فصار قارئة، ثم ذبح ﷺ عنهن البقر فأكلن من لحمها، وثبت أيضاً أنه عليه الصلاة والسلام أمر من كل بدنة بيضة فجعلت في قدر فأكل ﷺ هو وعلي بن أبي طالب ﷺ من لحمها، وشربا من مرقها. قال الشوكاني في «نيل الأوطار» ١٩٢/٥: والظاهر أنه يجوز الأكل من الهدى من غير فرق بين ما كان منه تطوعاً وما كان فرضاً، لمعوم قوله تعالى: ﴿تَسْلُوا مِنْهَا﴾ ولم يفصل.

(٣) في البخاري تعليقاً عن ابن عمر ﷺ: لا يؤكل من جزاء الصيد والنذر، ويؤكل مما سوى ذلك، قال الحافظ ابن حجر: ووصله ابن أبي شيبة بمعناه.

(٤) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب، ثم رواه من وجه آخر عن الزهري مرسلًا. قال ابن كثير: وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن سهل المحاربي =

والثالث: لأنه لم يملك قط، قاله مجاهد في رواية، وسفيان بن عيينة.. والرابع: لأنه اعتق من الغرق زمان الطوفان، قاله ابن السائب. وقد تكلمنا في هذه السورة في «البعضا» و«ليوفوا» و«ليطوفوا».

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآثِمُ إِلَّا مَا يَتَلَّ عَلَيْكُمْ فَلَا تُحْسِنُوا إِلَيْهِمْ مِنْ أَلْفَاظٍ وَأَنْتُمْ بِأَعْيُنِكُمْ رَوَيْتُمْ﴾ (٢٥) ﴿حَفَاةً لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ السَّمَاوَاتُ فَتَخَفَتْهُ الْعُكْبُرُ أَوْ تَهَوَّى بِدُخَانٍ سَجِيٍّ﴾ (٢٦) ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (٢٧) ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ يَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ (٢٨)

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك، يعني: ما ذكر من أعمال الحج ﴿وَمَنْ يُعِظْ حُرْمَتَ اللَّهِ﴾ فيجتنب ما حرم الله عليه في الإحرام تعظيماً لأمر الله. قال الليث: الحرمة: ما لا يحل انتهاكه. وقال الزجاج: الحرمة: ما وجب القيام به، وحرمة التفريط فيه.

قوله تعالى: ﴿فَهُوَ﴾ يعني: التعظيم ﴿خَيْرٌ لَّهُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ﴾ في الآخرة ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآثِمُ﴾ وقد سبق بيانه (المائدة: ٤١) ﴿إِلَّا مَا يَتَلَّ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه، يعني [به]: ما ذكر في (المائدة: ٣) من المنخقة وغيرها. وقيل: وأحلت لكم الأنعام في حال إحرامكم، إلا ما يتلى عليكم في الصيد، فإنه حرام.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُحْسِنُوا إِلَيْهِمْ﴾ أي: دعوه جانباً، قال الزجاج: و«من» هاهنا، لتخليص جنس من أجناس، المعنى: فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن. وقد شرحنا معنى الرجس في (المائدة: ٤٩). وفي المراد بقول الزور أربعة أقوال: أحدها: شهادة الزور، قاله ابن مسعود. والثاني: الكذب، قاله مجاهد. والثالث: الشرك، قاله أبو مالك. والرابع: أنه قول المشركين في الأنعام: هذا حلال، وهذا حرام، قاله الزجاج، قال: وقوله تعالى: ﴿حَفَاةً لِلَّهِ﴾ منصوب على الحال، وتأويله: مسلمين لا يُسَبِّحُونَ إلى دين غير الإسلام. ثم ضرب الله مثلاً للمشرك، فقال: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿سَجِيٍّ﴾، والسحيق: البعيد. واختلفوا في قراءة «فتخطفه» فقرأ الجمهور: «فتخطفه» بسكون الخاء غير تشديد الطاء. وقرأ نافع: بتشديد الطاء. وقرأ أبو المتوكل، ومعاذ القاري: بفتح التاء والحاء وتشديد الطاء ونصب الفاء. وقرأ أبو رزين، وأبو الجوزاء، وأبو عمران (الجوني): بكسر التاء والحاء وتشديد الطاء ورفع الفاء. وقرأ الحسن، والأعمش: بفتح التاء وكسر الخاء وتشديد الطاء ورفع الفاء. وكلهم فتح الطاء. وفي المراد بهذا المثل قولان: أحدهما: أنه شبه المشرك بالله في بعده عن الهدى وهلاكه، بالذي يَخْرُجُ من السماء، قاله قتادة. والثاني: أنه شبه حال المشرك في أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا دفع ضر يوم القيامة، بحال الهادي من السماء، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك الذي ذكرناه ﴿وَمَنْ يُعِظْ شَعِيرَ اللَّهِ﴾ قد شرحنا معنى الشعائر في (البقرة: ١٥٨). وفي المراد بها هاهنا قولان: أحدهما: أنها البدن. وتعظيمها: استحسانها، واستسمانها ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ قبل أن يُسَبِّحَهَا صاحبها هدياً، أو يشعرها ويوجبها، فإذا فعل ذلك لم يكن له من منافعها شيء، روى هذا المعنى مقسم عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، والضحاك. وقال عطاء بن أبي رباح: لكم في هذه الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدايا إذا احتجتم إلى شيء من ذلك أو اضطررتم إلى شرب ألبانها ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ وهو أن تُحَسَّرَ. والثاني: أن الشعائر: المناسك ومشاهد مكة، والمعنى: لكم فيها منافع بالتجارة إلى أجل مسمى، وهو الخروج من مكة، رواه أبو رزين عن ابن عباس. وقيل: لكم فيها منافع من الأجر والثواب في قضاء المناسك إلى أجل مسمى، وهو انقضاء أيام الحج.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا﴾ يعني الأفعال المذكورة، من اجتناب الرجس وقول الزور، وتعظيم الشعائر. وقال الفراء: «فإنها» يعني الفعل «بِن تَقْوَى الْقُلُوبِ»، وإنما أضاف التقوى إلى القلوب، لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَحِلُّهَا﴾ أي: حيث يحل نحرها ﴿إِلَّا الْبَيْتِ﴾ يعني: عند البيت، والمراد به: الحرم كله، لأننا

عن عبد الله بن صالح به، وقال: إن كان صحيحاً. وذكره السيوطي في «الدرر» ٣٥٧/٤، وزاد نسبة للبخاري في «تاريخه»، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

نعلم أنها لا تذبح عند البيت، ولا في المسجد، هذا على القول الأول؛ وعلى الثاني، يكون المعنى: ثم مَجَّلَ الناس من إحرامهم إلى البيت، وهو أن يطوفوا به بعد قضاء المناسك.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْعَمٍ الْأَنْثَرِ فَلِلَّهِكَ إِلَهُ وَجَدَ فَلَهُ اسْتَلُوا وَيَشِيرَ الْمُتَحِينَ ٢٦﴾ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُيَسِّرِينَ لِلْعُسْرَةِ وَمَا رَزَقْتَهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وبعض أصحاب أبي عمرو بكسر السين، وقرأ الباقر بفتحها. فمن فتح أراد المصدر، من نَسَكَ يَنْسُكُ، ومن كسر أراد مكان النَسَك كالمجلس والمطعم. ومعنى الآية: لكل جماعة مؤمنة من الأمم السالفة جعلنا ذبح القرابين ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْعَمٍ الْأَنْثَرِ﴾، وإنما خص ببيعة الأنعام، لأنها المشروعة في القرب. والمراد من الآية: أن الذبائح ليست من خصائص هذه الأمة، وأن التسمية عليها كانت مشروعة قبل هذه الأمة.

قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِكَ إِلَهُ وَجَدَ﴾ أي: لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم سواء ﴿فَلَهُ اسْتَلُوا﴾ أي: انقادوا واخضعوا. وقد ذكرنا معنى الإخبات في [مود: ٢٣] وكذلك ألفاظ الآية التي تلي هذه.

﴿وَالَّذِينَ جَعَلْنَا لَكَ مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ لَكَ فِيهَا خَيْرٌ فَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَّعْتُ جُوفَهَا فَكَلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٢٨﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقُلُوبُ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكَ لِشُكْرٍ اللَّهُ عَلَىٰ مَا هَدَيْكَ وَيَشِيرَ الْمُتَحِينَ ٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ﴾ وقرأ الحسن، وابن يعمر برفع الدال. قال الفراء: يقال: بُذِنَ وَيُذْنُ، والتخفيف أجود وأكثر، لأن كل جمع كان واحده على «فَعْلَةٍ» ثم صُمَّ أول جمعه، خُفِّفَ، مثل أَكَمَةٍ وَأَكْمٍ، وَأَجَمَةٍ وَأَجْمٍ، وَخَشَبَةٍ وَخُشْبٍ. وقال الزجاج: «الْبُذْنُ» منصوبة بفعل مُضمر يفسره الذي ظهر، والمعنى: وجعلنا البُذْنَ؛ وإن شئت رفعتها على الاستئناف، والنصب أحسن؛ ويقال: بُذْنٌ وَيُذْنٌ وَبُذْنَةٌ، مثل قولك: ثَمَرٌ وَثَمَرٌ وَثَمَرَةٌ؛ وإنما سُمِّيَتْ بُذْنَةً، لأنها تُبْذَنُ، أي: تسمن. وللمفسرين في البُذْن قولان: أحدهما: أنها الإبل والبقر، قاله عطاء. والثاني: الإبل خاصة، حكاها الزجاج، وقال: الأول قول أكثر فقهاء الأمصار. قال القاضي أبو يعلى: البذنة: اسم يختص الإبل في اللغة، والبقرة تقوم مقامها في الحكم، لأن النبي ﷺ جعل البذنة عن سبعة والبقرة عن سبعة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا لَكَ مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ﴾ أي: جعلنا لكم فيها عبادة لله، من سَوَّقِها إلى البيت، وتقليدها، وإشعارها، ونحرها، والإطعام منها، ﴿لَكَ فِيهَا خَيْرٌ﴾ وهو النفع في الدنيا والأجر في الآخرة، ﴿فَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ أي: على نحرها، ﴿صَوَافَّ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة: «صَوَافٍ» بالنون. وقرأ الحسن، وأبو مجلز، وأبو العالية، والضحاك، وابن يعمر: «صَوَافِي» بالياء. قال الزجاج: «صَوَافٍ» منصوبة على الحال، ولكنها لا تنوِّن لأنها لا تنصرف؛ أي: قد صَفَّتْ قوائمه، والمعنى: اذكروا اسم الله عليها في حال نحرها، والبعر يُنَحَّر قائماً، وهذه الآية تدل على ذلك. ومن قرأ: «صَوَافٍ» فالصافن: التي تقوم على ثلاث، والبعر إذا أرادوا نحره، تُعَقَّل إحدى يديه، فهو الصافن، والجميع: صوافن. هذا ومن قرأ: «صَوَافِي» بالياء وبالفتح بغير تنوين، فتفسيره: خواص، أي: خالصة لله لا تشركوا به في التسمية على نحرها أحداً. ﴿فَإِذَا وَجَّعْتُ جُوفَهَا﴾ أي: إذا سقطت إلى الأرض، يقال: وَجَّعَ الحائط وَجْجَةً، إذا سقط. وَوَجَّعَ القلب وَجْجاً: إذا تحرك من فزع. واعلم أن نحرها قياماً سُنَّةً، والمراد بوقوعها على جنوبها: موتها، والأمر بالأكل منها أمر إباحة، وهذا في الأضاحي.

قوله تعالى: ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ وقرأ الحسن: «وَالْمُعْتَرَّ» بكسر الراء خفيفة. وفيهما ستة أقوال: أحدها: أن القانع: الذي يَسَال، والمعتَر: الذي يَتَعَرَّض ولا يَسَال، رواه بكر بن عبد الله عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير،

(١) روى مسلم في (صحيحه) ٩٥٥/٢ عن جابر رضي الله عنه قال: نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البذنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة. وفي رواية لأحمد، والترمذي، وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ فنحضر الأضحية، فذبحنا البقرة عن سبعة، والبعر عن عشرة. قال الشوكاني في «نيل الأوطار» ١٨٥/٥: ويشهد له ما في «الصحيحين» من حديث رافع بن خديج أنه ﷺ قسم فعدل عشرين من الغنم يعبر.

واختاره الفراء. والثاني: أن القانع: المتعفف، والمعتر: السائل، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والنخعي. وعن الحسن كالقولين. والثالث: أن القانع: المستغني بما أعطيته وهو في بيته، والمعتر: الذي يتعرض لك ويُلِمُّ بك ولا يسأل، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال مجاهد: القانع: جارك الذي يقنع بما أعطيته، والمعتر: الذي يتعرض ولا يسأل، وهذا مذهب القرظي. فعلى هذا يكون معنى القانع: أن يقنع بما أعطي. ومن قال: هو المتعفف، قال: هو القانع بما عنده. والرابع: القانع: أهل مكة، والمعتر: الذي يعتز بهم من غير أهل مكة، رواه خفيف عن مجاهد. والخامس: القانع الجار وإن كان غنياً، والمعتر: الذي يعتز بك، رواه ليث عن مجاهد. والسادس: القانع: المسكين السائل، والمعتر: الصديق الزائر، قاله زيد بن أسلم. قال ابن قتيبة: يقال: قَنَعَ يَقْنَعُ قُنوعاً: إذا سأل، وقَنَعَ يَقْنَعُ قَنَاعَةً: إذا رضي، ويقال في المعتر: اعترني واعتراني وعَرَاني. وقال الزجاج: مذهب أهل اللغة أن القانع: السائل، يقال: قَنَعَ يَقْنَعُ قُنوعاً: إذا سأل، فهو قانع، قال الشماخ:

لَمَّا لَ الْمَرْءُ يُضْلِحُهُ فَيُغْنِيهِ  
مَفَاوِرُهُ أَعْفُفٌ مِنَ الْقُسُوفِ<sup>(١)</sup>  
أي: من السؤال؛ ويقال: قَنَعَ قَنَاعَةً: إذا رضي، فهو قَنِع، والمعتر والمعترى واحد.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ما وصفنا من نحرها قائمة ﴿سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ نعمة منا عليكم لتتمكنوا من نحرها على الوجه المسنون ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: لكي تشكروا. قوله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا﴾ وقرأ عاصم الجحدري، وابن عمر، وابن أبي عبيدة، ويعقوب: «لَنْ تَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا» بالتاء، ولكن تَنَالَ التَّقْوَى مِنْكُمْ» بالتاء أيضاً. سبب نزولها أن المشركين كانوا إذا ذبحوا استقبلوا الكعبة بالدماء ينضحون بها نحو الكعبة، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. قال المفسرون: ومعنى الآية: لن تُرفع إلى الله لحومها ولا دماؤها، وإنما يُرفع إليه التقوى؛ وهو ما أُريد به وجهه منكم. فمن قرأ «تَنَالَه التقوى» بالتاء، فإنه أنت للفظ التقوى. ومن قرأ: «يَنَاله» بالياء، فلان التقوى والتقى واحد. والإشارة بهذه الآية إلى أنه لا يقبل اللحوم والدماء إذا لم تكن صادرة عن تقوى الله، وإنما يقبل ما يتقونه به، وهذا تنبيه على امتناع قبول الأعمال إذا عريت عن نية صحيحة.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا﴾ قد سبق تفسيره [الحج: ٣٧]، ﴿لَتُكْفِرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَكُمُ﴾ أي: على ما بين لكم وأرشدكم إلى معالم دينه ومناسك حجّه، وذلك أن يقول: الله أكبر على ما هدانا. ﴿وَيَنَزِّلُ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال ابن عباس: يعني: الموحدين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَثِيرٍ﴾ (١٧) ﴿أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُنْتَهِوْنَ أَنْهُمْ ظَلَمُوا وَلَٰنَ اللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِ لَقَدِيرٌ﴾ (١٨) ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَأَسَافُوكَ الرَّكَّةَ وَامَنُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ الْآمِنُ﴾ (١٩)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «يدفع» «ولولا دفع الله» بغير ألف، وهذا على مصدر «دفع». وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «إن الله يدافع» بالف «ولولا دفع» بغير ألف، وهذا على مصدر «دافع»، والمعنى: يدفع عن الذين آمنوا غائلة المشركين بمنعهم منهم ونصرهم عليهم. قال الزجاج: والمعنى: إذا فعلتم هذا وخالفتم الجاهلية فيما يفعلونه من نحرهم وإشراكهم، فإن الله يدفع عن حزب. وال «خَوَّان» فقال من الخيانة، والمعنى: أن من ذكر غير اسم الله، وتقرب إلى الأصنام بذيبحته، فهو خَوَّان.

قوله تعالى: ﴿أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُنْتَهِوْنَ أَنْهُمْ ظَلَمُوا﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «أُوذِنَ» بفتح الألف. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو بكر، وحفص عن عاصم: «أُوذِنَ» بضمها.

(١) «مجاز القرآن» ٥١/٢، «الطبري» ١٦٨/١٧، «الطبري» ٦٤/١٢، «اللسان»: قنع.

(٢) ذكره السيوطي في «الدرر» ٣٣٣/٤ من رواية ابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿لَّذِينَ يَقْتُلُونَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: بكسر التاء. وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: بفتحها. قال ابن عباس: كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فيقول لهم: «اصبروا، فإني لم أؤمر بالقتال» حتى هاجر رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية، وهي أول آية أنزلت في القتال<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: هم ناس خرجوا من مكة مهاجرين، فأدركهم كفار قريش، فأذن لهم في قتالهم. قال الزجاج: معنى الآية: أذن للذين يقاتلون أن يقاتلوا. «يَأْتَهُمْ ظُلُمًا» أي: بسبب ما ظلموا. ثم وعدهم النصر بقوله: «إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِ لَلْقَدِيرُ» ولا يجوز أن تقرأ بفتح «إِنَّ» هذه من غير خلاف بين أهل اللغة، لأن «إِنَّ» إذ كانت معها اللام، لم تفتح أبداً. وقوله: «إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَمَىٰ اللَّهُ» معناها: أخرجوا للتوحيدهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾ قد فسرناه في البقرة: (٢٥).

قوله تعالى: ﴿لَهُدًى﴾ قرأ ابن كثير، ونافع: «لَهُدًى» خفيفة، والباقون بتشديد الدال. فأما الصوامع، ففيها قولان: أحدهما: أنها صوامع الرهبان، قاله ابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد، وابن زيد. والثاني: أنها صوامع الصابئين، قاله قتادة، وابن قتيبة. فأما البيع، فهي جمع بيعة، وهي بيع النصارى. وفي المراد بالصلوات قولان: أحدهما: مواضع الصلوات. ثم فيها قولان: أحدهما: أنها كنائس اليهود، قاله قتادة، والضحاك، وقرأت على شيخنا أبي منصور اللخوي، قال: قوله: ﴿وَصَلَّاتُ﴾ هي كنائس اليهود، وهي بالعبرانية «صلوتا». والثاني: أنها مساجد الصابئين، قاله أبو العالية. والقول الثاني: أنها الصلوات حقيقة، والمعنى: لولا دفع الله عن المسلمين بالمجاهدين، لانقطعت الصلوات في المساجد، قاله ابن زيد. فأما المساجد، فقال ابن عباس: هي مساجد المسلمين. وقال الزجاج: معنى الآية: لولا دفع بعض الناس ببعض لهدمت في زمن موسى الكنايس، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن محمد المساجد. وفي قوله: ﴿يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: أن الكناية ترجع إلى جميع الأماكن المذكورات، قاله الضحاك. والثاني: إلى المساجد خاصة، لأن جميع المواضع المذكورة، الغالب فيها الشرك، قاله أبو سليمان اللثمقي.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَسْمُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَشْرُوهُ﴾ أي: من ينصر دينه وشرعه.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ قال الزجاج: هذه صفة ناصريه. قال المفسرون: التمكن في الأرض: نصرتهم على عدوهم، والمعروف: لا إله إلا الله، والمنكر: الشرك. قال الأكثرون: وهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ. وقال القرطبي: هم الولاة.

قوله تعالى: ﴿وَرَبِّهِ عَنِ الْأُمُورِ﴾ أي: إليه مرجعها، لأن كل ملك يتظل سوى ملكه.

﴿وَإِنْ يَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبْتَ قَلْبَهُمْ قَوْمٌ تُج وَعَادٌ وَتَمُودٌ ۝ وَهُمْ لِرَبِّهِمْ قَوْمٌ لُوطٌ ۝ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَمِنْ غَاوِيَةٍ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيُرَىٰ الْمَعْنَىٰ وَمَنْ قَسَىٰ قَلْبُهُ قَسَىٰ قَلْبُهُ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ أَخَذْتَهُمْ﴾ أي: بالعذاب «فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ» أثبت الياء في «نكير» يعقوب [في الحالين]، ووافقه ورش في إثباتها في الوصل، والمعنى: كيف [أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب بالإهلاك]؟ والمعنى: [إن] أنكرت عليهم أبلغ إنكار، وهذا استفهام معناه التقرير.

قوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ قرأ أبو عمرو: «أَهْلَكْنَاهَا» بالتاء، والباقون: «أَهْلَكْنَاهَا» بالنون.

قوله تعالى: ﴿يُرَىٰ مَعْنَىٰ مَعْنَىٰ﴾ قرأ ابن كثير، [وعاصم]، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «ويشعر» مهموز. وروى ورش عن نافع بغير همزة، والمتعنى: أوكم بشر معطلة، أي: متبركة «وَقَصِيْرٌ مَّشِيْدٌ» فيه قولان: أحدهما: مجصص، قاله ابن عباس، وعكرمة. قاله الزجاج: أصل الشيد: الجص والنورة، وكل ما بني بهما

(١) «أسباب النزول» للواحدي صفحة ١٧٧ بدون سند، وذكره كثير من المفسرين مكرراً بدون سند. وذكره ابن كثير في «اللبابة والنهاية» ١٦٤/٣ في بيعة العقبة الثانية من رواية ابن إسحاق عن عبد الله بن كعب بن مالك.

أو بأحدهما فهو مشيد. والثاني: طويل، قاله الضحاك، ومقاتل. وفي الكلام إضمار، تقديره: وقصر مشيد معطل أيضاً ليس فيه ساكن.

﴿أَنْتَ لَا تَمُرُّ بِالْأَرْضِ فَتَكُونَ لَمْ تَلَوْثْ يَقُولُونَ بِهَا أَوْ مَاذَا يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَمُرُّ بِالْأَرْضِ وَلَكِنْ تَمُرُّ بِالْقُلُوبِ أَلَمْ يَكُنْ فِي السَّيْرِ بِهَا وَتَسْتَعْجِلُ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿١٧﴾ وَكَأَنَّ مِنْ قَرِيبٍ أَمَلَتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْتَ لَا تَمُرُّ بِالْأَرْضِ فَتَكُونَ لَمْ تَلَوْثْ يَقُولُونَ بِهَا﴾ قال المفسرون: أفلم يسر قومك في أرض اليمن والشام ﴿فَتَكُونَ لَمْ تَلَوْثْ يَقُولُونَ بِهَا﴾ إذا نظروا آثار من هلك ﴿أَوْ مَاذَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبار الأمم المكذبة ﴿فَأَنَّهَا لَا تَمُرُّ بِالْأَرْضِ﴾ قال الفراء: الهاء في قوله: ﴿فَأَنَّهَا﴾ عباد، والمعنى: أن أبصارهم لم تعم، وإنما عميت قلوبهم. وأما قوله: ﴿أَلَمْ يَكُنْ فِي السَّيْرِ بِهَا وَتَسْتَعْجِلُ بِالْعَذَابِ﴾ فهو توكيد، لأن القلب لا يكون إلا في الصدر. ومثله: ﴿وَلَا عَشْرَةَ كَامِلَةً﴾ [البقرة: ١٩٦]، ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٢٨]، ﴿يَقُولُ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

قوله تعالى: ﴿وَتَسْتَعْجِلُ بِالْعَذَابِ﴾ قال مقاتل: نزلت في النضر بن الحارث القرشي. وقال غيره: هو قولهم له: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ [الملك: ٢٥] ونحوه من استعجالهم، ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ في إنزال العذاب بهم في الدنيا، فأنزله بهم يوم بدر، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: من أيام الآخرة ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ من أيام الدنيا. قرأ عاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «تَعُدُّونَ» بالياء. وقرأ ابن كثير، وحزمة، والكسائي: «يَعُدُّونَ» بالياء. فإن قيل: كيف انصرف الكلام من ذكر العذاب إلى قوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾؟ فعنه جوابان. أحدهما: أنهم استعجلوا العذاب في الدنيا، فقليل لهم: لن يخلف الله وعده في إنزال العذاب بكم في الدنيا، وإن يوماً من أيام عذابكم في الآخرة كألف سنة من سني الدنيا، فكيف تستعجلون بالعذاب؟! فقد تضمنت الآية وعدهم بعذاب الدنيا والآخرة، هذا قول الفراء. والثاني: وإن يوماً عند الله وألف سنة سواء في قدرته على عذابهم، فلا فرق بين وقوع ما يستعجلونه وبين تأخيرها في القدرة، إلا أن الله تفضل عليهم بالإمهال، هذا قول الزجاج.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُدْعَى إِلَيَّ الْفَلْسَفَةُ وَمِثْلُكُمْ تَقْبَلُونَ تَغْفِرَ وَرَبِّكَ كَرِيمٌ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي مَعِينِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَبِّكَ كَرِيمٌ﴾ يعني به [الرزق] الحسن في الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي مَعِينِنَا﴾ أي: عملوا في إبطالها ﴿مُعْجِزِينَ﴾ قرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «مُعْجِزِينَ» بغير ألف. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «مُعَاجِزِينَ» بآلف. قال الزجاج: «مُعَاجِزِينَ» أي: طائفتهم أنهم يُعْجِزُونَا، لأنهم ظنوا أنهم لا يعثون وأنه لا جنة ولا نار. قال: وقيل في التفسير: مُعَاجِزِينَ: معاذين، وليس هو بخارج عن القول الأول، و«مُعْجِزِينَ» تأويلها: أنهم كانوا يعجزون من أتبع النبي ﷺ ويضطربون عنه.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّاهُ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُجْعِلُ اللَّهُ آيَاتِهِ عَلَى عَيْنِهِمْ ﴿٢١﴾ لِيَجْزِلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَشَنَاءَ لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَاسٍ ﴿٢٢﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٣﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾ الآية. قال المفسرون: سبب نزولها أن رسول الله ﷺ لما نزلت عليه سورة (النجم) قرأها حتى بلغ قوله: ﴿أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ﴾ وَنَزَّاهُ الْبَاقِيَةَ الْآخِرَةَ ﴿٢٤﴾﴾ فالتقى الشيطان على لسانه: تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتهن لترجي؛ فلما سمعت قریش بذلك فرحوا، فاتاه جبريل، فقال: ماذا صنعت؟ تلوث على الناس ما لم آت بك به عن الله، فحزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً، فنزلت هذه الآية تطيباً لقلبه، وإعلاماً له أن

الأنبياء قد جرى لهم مثل هذا. قال العلماء المحققون: وهذا لا يصح<sup>(١)</sup>، لأن رسول الله ﷺ معصوم عن مثل هذا، ولو صح، كان المعنى أن بعض شياطين الإنس قال تلك الكلمات، فإنهم كانوا إذا تلا لغطوا، كما قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْقَوَا يُدْهِمُ﴾ [ص: ٢٦]. قال: وفي معنى «تمنى» قولان: أحدهما: تلا، قاله الأكثرون<sup>(٢)</sup>، وأندوه:

تَمْنَى كِتَابَ اللّٰهِ أَوَّلَ لَيْلٍ وَأَخْرَهَ لَأَقْصَى حِمَامِ الْمَقَادِيرِ<sup>(٣)</sup>  
وقال آخر:

تَمْنَى كِتَابَ اللّٰهِ آخِرَ لَيْلٍ تَمْنَى دَاوُدَ الزُّبُورَ عَلَى رِشْلِ<sup>(٤)</sup>

والثاني: أنه من الأمنية، وذلك أن رسول الله ﷺ تمنى يوماً أن لا يأتيه من الله شيء ينفر عنه به قومه، فالقى الشيطان على لسانه لما كان قد تمناه، قاله محمد بن كعب القرظي<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَسْخُ اللَّهُ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ﴾ أي: يُطْلعه ويُذْهبه ﴿ثُمَّ يَحْكُمُ اللَّهُ إِلَيْنَا﴾ قال مقاتل: يُحْكِمُهَا مِنَ الْبَاطِلِ.

قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُ اللَّامَ مُتَعَلِّقَةً بِقَوْلِهِ: «الْقَى الشَّيْطَانُ» وَالْفِتْنَةُ هَاهُنَا بِمَعْنَى الْبَلِيَّةِ وَالْمَحْنَةِ. وَالْمَرْضُ: الشَّكُّ وَالنَّفَاقُ. «وَالْقَائِيَةُ قَوْلُهُمْ» يعني: الجافية عن الإيمان. ثم أعلمه أنهم ظالمون وأنهم في شقاق دائم، والشقاق: غاية العداوة. قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ أُوتُوا الْوَحْيَ﴾ وهو التوحيد والقرآن، وهم المؤمنون. وقال السدي: التصديق بنسخ الله.

(١) قال ابن كثير ٢٢٩/٣: قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرائق، ولكنها من طرق مرسلّة، ولم أرها مستندة من وجه صحيح، والله أعلم، وسرد ابن كثير بعض الروايات في هذه القصة، ثم قال في آخرها: وكلها مرسلات، ومقطعات والله أعلم. اهـ. والحق أن روايات هذه القصة معلّة بالإرسال والضعف والجهالة، وليس فيها رواية صحيحة تصلح للاحتجاج، بل فيها ما لا يليق بمقام النبوة والرسالة، وذكر في معظمها أن الشيطان تكلم على لسان رسول الله ﷺ بما فيه مدح لأصنام المشركين بهذه الجملة الباطلة: «تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن ليرتجى» وكيف يكون مثل ذلك مع العصمة المضمونة من الله تعالى لرسوله ﷺ؟ وذلك مما يدل على عدم صحة مثل هذه الروايات سنداً ومتناً. ومن تكلم من العلماء على هذه القصة وبين بطلانها بكلام طويل، القاضي أبي بكر ابن العربي، والقاضي عياض، والشوكاني، والألوسي، وغيرهم.

(٢) قال الإمام ابن القيم في «إغاثة اللهاة» ٩٣/١ في فصل الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن - بعد أن عدّد وجوهاً -: ومنها أن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه ما أرسل من رسول ولا نبي، إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، ثم قال: والسلف كلهم على أن المعنى: إلا إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته، ثم قال: فإذا كان هذا فعلمه مع الرسل ﷺ، فكيف بغيرهم؟ ولهذا يغلط القارئ تارة، ويغلط عليه القراءة، ويشوشها عليه، فيخطئ عليه لسانه، أو يشوش عليه ذهنه وقلبه، فإذا حضر عند القراءة، لم يعد منه القارئ هذا أو هذا، وربما جمعها له، فكان من أهم الأمور الاستعاذة بالله تعالى منه. اهـ. وقال الإمام ابن جرير الطبري في «التفسير» ١٧/١٩٠ بعد ما ذكر عن الضحاك أن معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَسُخُ﴾: التلاوة والقراءة: وهذا القول أشبه بتأويل الكلام، بدلالة قوله تعالى: ﴿يَسْخُ اللَّهُ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يَحْكُمُ اللَّهُ إِلَيْنَا﴾ على ذلك، لأن الآية التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها لا شك أنها آيات تنزيله، فمعلوم أن الذي ألقى فيه الشيطان، هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه، فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله وقرأ، أو حدث وتكلم، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه، أو في حديثه الذي حدث وتكلم ﴿يَسْخُ اللَّهُ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ﴾، يقول تعالى: يُذْهِبُ اللَّهُ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ وَيَبْطِلُهُ. اهـ.

فهذا هو المعنى المراد من الآية الكريمة، وليس فيها إلا أن الشيطان يلقي عند تلاوة النبي ﷺ للقرآن ما يفتن به الذين في قلوبهم مرض، ولكن أعداء الإسلام ما فتتوا دائماً يفسدون في هذا الدين ما ليس منه، وما لم يقله رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام، فيذكرون ما لا يليق بمنصب النبوة ومقام الرسالة، كما فعلوا في كثير من الآيات الواردة في غير نبينا محمد ﷺ، كيوسف، وأيوب، وداود، وسليمان، فيذكرون في تفسيرها من الإسرافيات التي لا يجوز نسبتها لأحد الناس، فضلاً عن نبي مرسل، أو رسول مقدم، فليتبه المسلمون لذلك، وليأخذوا التفسير من العلماء المحققين حتى لا يروا الأنبياء والمرسلين فيما هم منه معصومون.

(٤) «مجاز القرآن» ٥٤/٢، «واللسان»، «والتاج»: مني.

(٣) «مجاز القرآن» ٥٤/٢، «واللسان»، «والتاج»: مني.

(٥) هذه الرواية من جملة الروايات التي تكلم عليها العلماء المحققون، وبينوا بطلانها، وأنه لا يجوز نسبتها إلى أحد الناس، فضلاً عن رسول الله ﷺ المعصوم. وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي: تأملوا فتح الله أخلاق النظر عنكم إلى قول الرواة - الذين هم بجهلهم أعداء على الإسلام أكثر ممن صرح بعداوتهم - إن النبي ﷺ لما جلس مع قريش تمنى أن لا ينزل عليه من الوحي، فكيف يجوز لمن معه أدنى مسكة أن يخطر بباله أن النبي ﷺ أثر وصل قومه على وصل ربه، وأراد أن لا يقطع أنسه بما ينزل عليه من عند ربه من الوحي الذي كان حياة جسده وقلبه، وأُس وحشته، وغاية أمنيته، وكان رسول الله ﷺ أجود الناس، فإذا جاءه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة، أن يؤثر على هذا مجالسته للأعداء؟!



قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ الْكَافِرُ﴾ إشارة إلى نسخ ما يلقي الشيطان؛ فالمعنى: ليعلموا أن نسخ ذلك وإبطاله حق من الله ﴿فَرِيضُوا﴾ بالنسخ ﴿فَتَحَّتْ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تخضع وتذل. ثم بين بباقي الآية أن هذا الإيمان والإخبات إنما هو بلطف الله وهدايته.

قوله تعالى: ﴿فِي رِزْقِهِ يَنْتَهِ﴾ أي: في شك. وفي هاء «منه» أربعة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى قوله: تلك الغرانيق العلى<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها ترجع إلى سجوده في سورة (النجم). والقولان عن سعيد بن جبير، فيكون المعنى: إنهم يقولون: ما باله ذكر كهتنا ثم رجع عن ذكرها؟ والثالث: أنها ترجع إلى القرآن، قاله ابن جريج. والرابع: أنها ترجع إلى الذين، حكاه الثعلبي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّلَاطَةُ﴾ وفيها قولان: أحدهما: القيامة تأتي من تقوم عليه من المشركين، قاله الحسن. والثاني: ساعة موتهم، ذكره الواحدي.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يوم بدر، روي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي. والثاني: أنه يوم القيامة، قاله عكرمة، والضحاك. وأصل العقم في الولادة، يقال: امرأة عقيم لا تلد، ورجل عقيم لا يولد له، وأنشدوا:

عُقِمَ النِّسَاءُ فَلَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ  
إِنَّ النِّسَاءَ بِمَثَلِ عُقْمِ<sup>(٣)</sup>

وسميت الريح العقيم بهذا الاسم، لأنها لا تأتي بالسحاب الممطر، فقيل لهذا اليوم: عقيم، لأنه لم يأت بخير. فعلى قول من قال: هو يوم بدر، في تسميته بالعقيم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لم يكن فيه للكفار بركة ولا خير، قاله الضحاك. والثاني: لأنهم لم ينظروا فيه إلى الليل، بل قتلوا قبل المساء، قاله ابن جريج. والثالث: لأنه لا مثل له في عظم أمره، لقتال الملائكة فيه، قاله يحيى بن سلام. وعلى قول من قال: هو يوم القيامة، في تسميته بذلك قولان: أحدهما: لأنه لا ليلة له، قاله عكرمة. والثاني: لأنه لا يأتي المشركين بخير ولا فرج، ذكره بعض المفسرين.

﴿الْمَلَأَ يَوْمَئِذٍ لَّهُمْ بَيْتَهُمْ فَكَالَيْتَ مَأْمُرًا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُمْ خَزَائِرُ الرَّزْقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيَدْخُلْنَهُمْ مِنْ خَلَاةٍ رِزْوَنَةٍ وَلَوْلَا اللَّهُ لَمَكِيدٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿الْمَلَأَ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿لَّهُمْ﴾ من غير منازع ولا مدع ﴿بَيْتَهُمْ﴾ أي: بين المسلمين والمشركين؛ وحكمه بينهم بما ذكره في تمام الآية وما بعدها. ثم ذكر فضل المهاجرين فقال: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: من مكة إلى المدينة. وفي الرزق الحسن قولان: أحدهما: أنه الحلال، قاله ابن عباس. والثاني: رزق الجنة، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ وقرأ ابن عامر: «قُتِلُوا» بالتشديد. قوله تعالى: ﴿لَيَدْخُلْنَهُمْ مِنْ خَلَاةٍ﴾ [وقرأ نافع بفتح الميم] «رِزْوَنَةٍ» يعني: الجنة. والمدخل يجوز أن يكون مصدراً، فيكون المعنى: ليدخلنهم إدخالاً يكرمون به فيرضونه؛ ويجوز أن يكون بمعنى المكان. و«مدخلا» بفتح الميم على تقدير: فيدخلون مدخلا. ﴿وَلَوْلَا اللَّهُ لَمَكِيدٌ حَلِيمٌ﴾ ببيتهم ﴿حَلِيمٌ﴾ عنهم. ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: ثم بقي عليه لينصرته الله ﴿لَيَدْخُلْنَهُمْ مِنْ خَلَاةٍ رِزْوَنَةٍ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

(١) مضى الكلام على قصة الغرانيق قبل قليل، وأنها باطلة.

(٢) قال ابن جرير الطبري ١٩٢/١٧: وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هي كناية من ذكر القرآن الذي أحكم الله آياته، وذلك أن ذلك من ذكر قوله: ﴿وَيَسْمَعُ الْوَيْلَ أَوَّلًا أَمَلَةً إِنَّهُ الْكَافِرُ يَنْتَهِ﴾ أقرب منه من ذكر قوله: ﴿يَسْمَعُ اللَّهُ مَا يَلْقَى الْكَافِرُونَ﴾ والهاء من قوله: «إنه» من ذكر القرآن، فالحاق الهاء في قوله: ﴿فِي رِزْقِهِ يَنْتَهِ﴾ بالهاء من قوله: ﴿إِنَّهُ الْكَافِرُ يَنْتَهِ﴾ أولى من إلحاقها بهاء التي في قوله: ﴿فَمَا يَلْقَى الْكَافِرُونَ﴾ مع بعد ما بينهما. اهـ.

(٣) «اللسان»، و«التاج»: عقم.

يُؤَلِّجُ النَّارَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ يَأْتِيكَ اللَّهُ فُجْأَةً مِمَّا يَكْتُمُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَتَىكَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ قال الزجاج: المعنى: الأمر ذلك، أي: الأمر ما قصصنا عليكم ﴿وَمِمَّا يَكْتُمُونَ﴾ أي: ما عاقب يكتلي ما عاقب يبدء والعقوبة: الجزاء؛ والأول ليس بعقوبة، ولكنه سمي عقوبة، لاستواء الفعلين في جنس المكروه، كقوله: ﴿وَيَكْرَهُنَّ سِتْرَةً سِتْرَةً﴾ [الشورى: ٤٠] لما كانت المجازاة إساءة بالمفعول به سميت سِتْرَةً، ومثله: ﴿اللَّهُ يَسْتَوِيهِ يَوْمَ﴾ [البقرة: ١٥٠]، قاله الحسن. ومعنى الآية: من قاتل المشركين كما قاتلوه ﴿ثُمَّ بَقِيَ عَلَيْهِ﴾ أي: ظلم بإخراجه عن منزله. وزعم مقاتل أن سبب نزول هذه الآية أن مشركي مكة لقوا المسلمين لليلة بقيت من المحرم، فقاتلوه، فناداهم المسلمون أن لا يقاتلوه في الشهر الحرام، فأبوا إلا القتال، فقتل المسلمون، ونصرهم الله على المشركين، ووقع في نفوس المسلمين من القتال في الشهر الحرام، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ لَعَنُوهُ﴾ عنهم ﴿عَفْوُوهُ﴾ لقتالهم في الحرام.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك النصر ﴿يَأْتِيكَ اللَّهُ﴾ القادر على ما يشاء. فمن قدرته أنه ﴿يُؤَلِّجُ النَّارَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لدعاء المؤمنين ﴿بَصِيرٌ﴾ بهم حيث جعل فيهم الإيمان والتقوى، ﴿ذَلِكَ﴾ الذي فعل من نصر المؤمنين ﴿يَأْتِيكَ اللَّهُ هُوَ الْفَتْحُ﴾ أي: هو الإله الحق ﴿وَأَتَىكَ مَا يَكْتُمُونَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «يدعون» بالياء. وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بالياء، والمعنى: وأن ما يعبدون ﴿مِمَّنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَخْضِبُ الْأَرْضَ فَتُخْضِرُهُ بِكَ اللَّهُ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿٦٣﴾ لَمْ يَأْتِ فِي السَّكُونِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّمَا لَهُوَ الْغَوْثُ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني: المطر ﴿فَتُخْضِبُ الْأَرْضَ فَتُخْضِرُهُ﴾ بالنبات. وحكى الزجاج عن الخليل أنه قال: معنى الكلام التنبيه، كأنه قال: أسمع، أنزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا. وقال ثعلب: معنى الآية عند الفراء خبر، كأنه قال: اعلم أن الله ينزل من السماء ماء فتصبح، ولو كان استفعالاً والفاء شرطاً لنصبه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ أي: باستخراج النبات من الأرض رزقاً لعباده ﴿خَبِيرٌ﴾ بما في قلوبهم عند تأخير المطر. وقد سبق معنى الغني الحميد في [البقرة: ٢٦٧].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَأَلْفَلَكَ بَحْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَكَرِيمٌ﴾ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ ثُمَّ يُجْعِلُكُمْ إِنَّمَا الْإِنْسَانُ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ يريد البهائم التي تُركب ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ قال الزجاج: كراهة أن تقع. وقال غيره: لثلا تقع ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَكَرِيمٌ﴾ فيما سخر لهم وفيما حبس عنهم من وقوع السماء عليهم. ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ بعد أن كنتم نطفاً ميتة ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ﴾ عند آجالكم ﴿ثُمَّ يُجْعِلُكُمْ﴾ للبعث والحساب ﴿إِنَّمَا الْإِنْسَانُ﴾ يعني: المشرك ﴿لَكَفُورٌ﴾ لنعم الله إذ لم يوحد.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُبْدِعَنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَمَّا هُدًى فَتُتَقَبَّلُ﴾ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَكْبَرُ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ قد سبق بيانه في هذه السورة [الحج: ٣٤] ﴿فَلَا يُبْدِعَنَّكَ فِي الْأَمْرِ﴾ أي: في الذبائح<sup>(٢)</sup>، وذلك أن كفار قريش وخزاعة خاصصوا رسول الله ﷺ في أمر الذبيحة، فقالوا: كيف تأكلون ما قتلتم ولا

(١) ذكره السيوطي في «الدرر» ٣٦٩/٤ من رواية ابن أبي حاتم عن مقاتل.

(٢) قال ابن جرير الطبري ١٧/١٩٩: يقول تعالى ذكره: فلا يذبحنك هؤلاء المشركون بالله يا محمد في ذبعتك ومنسكك بقولهم: أناكلون ما قتلتم، ولا تأكلون الميتة التي قتلها الله؟ فإنك أولى بالحق منهم، لأنك محق وهم مبطلون.

تأكلون ما قتله الله<sup>(١)</sup>؟ يعنون: الميتة. فإن قيل: إذا كانوا هم المنازعين له، فكيف قيل: «فلا يَنَازِعَنَّكَ في الأمر»؟ فقد أجاب عنه الزجاج، فقال: المراد: النهي له عن منازعتهم، فالمعنى: لا تنازعهم، كما تقول للرجل: لا يخاصمك فلان في هذا أبداً، وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون إلا من اثنين، لأن المجادلة والمخاصمة لا تتم إلا باثنين، فإذا قلت: لا يجادلئك فلان، فهو بمنزلة: لا تجادلته، ولا يجوز هذا في قولك: لا يضربك فلان وأنت تريد: لا تضربه، [ولكن] لو قلت: لا يضاربك فلان، لكان كقولك: لا تضاربن، ويدل على هذا الجواب قوله: «وإن جَدَلوكَ»

قوله تعالى: «وَأَنذِرْ إِلَىٰ رَبِّكَ» أي: إلى دينه والإيمان به<sup>(٢)</sup>. و«جادلوك» بمعنى: خاصموك في أمر الذبائح، «فَقُلْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنَّا تَمَلُّونَ» من التكذيب، فهو يجازيكم به. «اللَّهُ يَخْلُقُكُمْ يَتَّبِعُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أي: يقضي بينكم «فَمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» من الدين، أي: تذهبون إلى خلاف ما ذهب إليه المؤمنون؛ وهذا أدب حسن علمه الله عباده ليردوا به من جادل على سبيل التعنت، ولا يجيبوه، ولا يناظروه.

### فصل

قال أكثر المفسرين: هذا نزل قبل الأمر بالقتال، ثم نسخ بآية السيف. وقال بعضهم: هذا نزل في حق المنافقين، كانت تظهر من أقوالهم وأفعالهم فلتات تدل على شركهم، ثم يجادلون على ذلك، فوكل أمرهم إلى الله تعالى، فالآية على هذا محكمة.

قوله تعالى: «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» هذا استفهام يراد به التقرير؛ والمعنى: قد علمت ذلك، «إِنَّ ذَلِكَ» يعني ما يجري في السموات والأرض «فِي كِتَابٍ» يعني: اللوح المحفوظ<sup>(٣)</sup>، «إِنَّ ذَلِكَ» أي: علم الله بجميع ذلك «عَلَىٰ أَنَّهُ يُبَيِّنُ» سهل لا يتعذر عليه العلم به.

«وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَرْزُقْ بِهِ سُلْطَنًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ» وَإِذَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ مَّائِنَاتُ بَيِّنَاتٍ مَّعْرِفٌ فِي ذُكُورِ الْأَنْبِيَاءِ كَذَرُوا الشُّكْرَ بكَادُونَ يَسْطُورُونَ وَالَّذِينَ بَيَّنَّتْ عَلَيْهِمْ مَّائِنَاتُ قُلْ أَفَأَنْتُمْ تَسْتَرْشِدُونَ قُلْ لَكُمْ أَلْوَاهُ وَعَدَهَا اللَّهُ الْأَنْبِيَاءُ كَذَرُوا وَفَسَّ السُّورُ<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: «وَيَعْبُدُونَ» يعني: كفار مكة «مَا لَمْ يَرْزُقْ بِهِ سُلْطَنًا» أي: حجة «وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ» أنه آله، «وَمَا لِلظَّالِمِينَ» يعني: المشركين «وَمِن نَّصِيرٍ» أي: مانع من العذاب. «وَإِذَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ مَّائِنَاتُ» يعني القرآن؛ والمنكر هاهنا بمعنى الإنكار، فالمعنى: أثر الإنكار من الكراهة، وتعبس الوجوه، معروف عندهم. «بِكَادُونَ يَسْطُورُونَ» أي: يبطشون ويوقعون بمن يتلو عليهم القرآن من شدة الغيظ، يقال: سطا عليه، وسطا به: إذا تناوله بالعنف والشدة. «قُلْ لَّهُمْ يَا مُحَمَّد: أَفَأَنْتُمْ تَسْتَرْشِدُونَ قُلْ لَكُمْ أَلْوَاهُ» أي: بأشد عليكم وأكره إليكم من سماع القرآن، ثم ذكر ذلك فقال: «الْوَاهُ» أي: هو النار.

«يَكَايِبُهَا النَّاسُ شَرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَجِيعُوا لَهُ» إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْأَلُهمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِئُوهُ إِنَّهُم مَّكْفَلُونَ وَالظُّلُومُ<sup>(٥)</sup> مَا كَذَرُوا اللَّهَ حَقَّ كَذْرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ<sup>(٦)</sup>

قوله تعالى: «يَكَايِبُهَا النَّاسُ شَرِبَ مَثَلٌ» قال الأخفش: إن قيل: أين المثل؟ فالجواب: أنه ليس هاهنا مثل، وإنما

(١) رواه الطبري بنحوه ١٦/٨، ١٧، وذكره السيوطي في «الدر» ٤٢/٣، في سورة [الأنعام: ١٢٢] عند قوله تعالى: «وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا رَزَقَ بِغَيْرِ اسْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ رَزَقُوا فَاسْتَفِئُوا» الآية. وقد تقدم نحو ذلك ٤٦٥.

(٢) قال ابن جرير الطبري ١٧/١٩٩: يقول تعالى ذكره: وادع يا محمد منازعك من المشركين بالله في نسكك وذبحك إلى اتباع أمر ربك في ذلك بالأكل إلا ما ذبحوه بعد اتباعك، وبعد التصديق بما جنتهم به من عند الله، وتجنبوا الذبح للآلهة والأوثان، وتبرؤوا منها، إنك لعل طريق مستقيم، غير زائل من محبة الحق والصواب في نسكك الذي جعله لك ولأمك ربك، وهم الضلال من قصد السبيل، لمخالفتهم أمر الله في ذبائحهم ومطاعهم وعبادتهم الآلهة.

(٣) روى مسلم في «صحيحه» ٤/٢٠٤ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» قال: - وعرشه على الماء.

(١) قال ابن جرير الطبري ٢٠٣/١٧: والصواب من القول في ذلك عندنا، ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه: وعجز الطالب، وهو الآلهة، أن تستفد من الذباب ما سلبها إياه، وهو الطيب وما أشبهه، والمطلوب: الذباب.

قال: وإنما قلت: هذا القول أولى بتأويل ذلك، لأن ذلك في سياق الخبر عن الآلهة والذباب، فإن يكون ذلك خبراً عما هو به متصل، أشبه من أن يكون خبراً عما هو عنه منقطع، وإنما أخبر جل ثلثه عن الآلهة بما أخبر به عنها في هذه الآية من ضعفها ومهانتها، تقرعها بمنزلة ذلك عبيدتها من مشركي قريش، يقول تعالى ذكره: كيف يُجِعلُ لي مثل في العبادة، ويشرك فيها معي ما لا قدرة له على خلق ذباب، وإن أخذ له الذباب فسلبه شيئاً عليه، لم يقدر أن يمتنع منه ولا يتنصر، وأنا الخالق ما في السموات والأرض، ومالكٌ جميع ذلك، والمحيي من أودت، والمميت ما أودت ومن أودت؟! إن فاعل ذلك لا شك أنه في غاية الجهل.

## فصل

لم يختلف أهل العلم في السجدة الأولى من (الحج) واختلفوا في هذه السجدة الأخيرة؛ فروي عن عمر، وابن عمر، وعمار، وأبي الدرداء، وأبي موسى، وابن عباس، أنهم قالوا: في (الحج) سجدتان، وقالوا: فضلت هذه السورة على غيرها بسجدتين، وبهذا قال أصحابنا، وهو مذهب الشافعي رحمه الله. وروي عن ابن عباس أنه قال: في (الحج) سجدة، وبهذا قال الحسن، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبيرة، وإبراهيم، وجابر بن زيد، وأبو حنيفة وأصحابه، ومالك؛ ويدل على الأول ما روى عقبه بن عامر، قال: قلت: يا رسول الله أفى (الحج) سجدتان؟ قال: نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما<sup>(١)</sup>.

## فصل

اختلف العلماء في عدد سجود القرآن، فروي عن أحمد روايتان، إحداهما: أنها أربع عشرة سجدة. وبه قال الشافعي. والثانية: أنها خمس عشرة، فزاد سجدة [ص: ٢٤]. وقال أبو حنيفة: هي أربع عشرة، فأخرج التي في آخر (الحج) وأبدل منها سجدة [ص: ٢٤].

## فصل

وسجود التلاوة سُنة، وقال أبو حنيفة: واجب. ولا يصح سجود التلاوة إلا بتكبيرة الإحرام والسلام، خلافاً لأصحاب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي. ولا يجزئ الركوع عن سجود التلاوة، وقال أبو حنيفة: يجزئ. ولا يسجد المستمع إذا لم يسجد التالي، نص عليه أحمد رحمه الله. وتكره قراءة السجدة في صلاة الإخفات، خلافاً للشافعي. قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ في هذا الجهاد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه فعل جميع الطاعات، هذا قول الأكثرين. والثاني: أنه جهاد الكفار، قاله الضحاك. والثالث: أنه جهاد النفس والهوى، قاله عبد الله بن المبارك. فأما حتى الجهاد، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الجد في المجاهدة، واستيفاء الإمكان فيها. والثاني: أنه إخلاص النية لله تعالى. والثالث: أنه فعل ما فيه وفاء لحق الله تعالى.

## فصل

وقد زعم قوم أن هذه الآية منسوخة، واختلفوا في ناسخها على قولين: أحدهما: قوله: ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْمَةً﴾ [البقرة: ٢٨٦]. والثاني: قوله: ﴿تَأْتُوا اللَّهَ مَا اسْتَقْتَضَى﴾ [التغابن: ١٦]. وقال آخرون: بل هي مُحْكَمَةٌ، ويؤكد القولان الأولان في تفسير حق الجهاد، وهو الأصح، لأن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها.

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَحَبُّنَاكُمْ﴾ أي: اختاركم واصطفاكم لدينه. والخرج: الضيق، فما من شيء وقع الإنسان فيه إلا وجد له في الشرع مخرجاً بتوبة أو كفارة أو انتقال إلى رخصة ونحو ذلك. وروي عن ابن عباس أنه قال: الحرج: ما كان على بني إسرائيل من الإصر والشدائد، وضعه الله عن هذه الأمة.

قوله تعالى: ﴿يَمَلَأْكُمْ﴾ قال الفراء: المعنى: وسع عليكم كملة أبيكم، فإذا أقيمت الكاف نصبت، ويجوز النصب على معنى الأمر بها، لأن أول الكلام أمر وهو قوله: ﴿اتَّكُمُوا وَأَسْجُدُوا﴾ والزموا ملأ أبيكم. فإن قيل: هذا

(١) رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، من حديث عبد الله بن لهيعة به، وقال الترمذي: ليس بقوي. قال ابن كثير: وفي هذا نظر، فإن ابن لهيعة قد صرح فيه بالسماع، وأكثر ما تقدموا عليه تدليس، ثم قال ابن كثير: وقد رواه أبو داود في «المراسيل» عن خالد بن معدان رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين»، ثم قال أبو داود: وقد أسند هذا، يعني من غير هذا الوجه، ولا يصح. قال ابن كثير: وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي: حدثني ابن أبي داود، حدثنا يزيد بن عبد الله، حدثنا الوليد، حدثنا أبو عمرو، حدثنا حفص بن غياث، حدثني نافع، قال: حدثني أبو الجهم أن عمر سجد سجدتين في الحج وهو بالجابية، وقال: إن هذه فضلت بسجدتين، قال: وروي أبو داود، وابن ماجه، من حديث الحارث بن سميد العنقي عن عبد الله بن مثنى عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن منها ثلاث في المفصل وفي سورة الحج سجدتان، قال ابن كثير: فهذه شواهد يشد بعضها بعضاً.

الخطاب للمسلمين، وليس إبراهيم أباً لكلّهم. فالجواب: أنه إن كان خطاباً عاماً للمسلمين، فهو كالآب لهم، لأن حرمة وحقه عليهم كحق الوالد، وإن كان خطاباً للعرب خاصة، فإبراهيم أبو العرب قاطبة، هذا قول المفسرين. والذي يقع لي أن الخطاب لرسول الله ﷺ، لأن إبراهيم أبوه، وأمة رسول الله ﷺ داخله فيما خوطب به رسول الله.

قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّكُمُ النَّبِيِّينَ﴾ في المشار إليه قولان: أحدهما: أنه الله ﷻ، قاله ابن عباس، ومجاهد، والجمهور؛ فعلى هذا في قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قولان: أحدهما: من قبل إنزال القرآن سمّاكم بهذا في الكتب التي أنزلها. والثاني: «مِنْ قَبْلُ» أي: في أم الكتاب، وقوله: ﴿وَرَبِّي هَذَا﴾ أي: في القرآن. والثاني: أنه إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿وَرَبِّي دُرِّيَّتًا أَنَّهُ مُسْلِمٌ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]؛ فالمعنى: من قبل هذا الوقت، وذلك في زمان إبراهيم عليه السلام، وفي هذا الوقت حين قال: ﴿وَرَبِّي دُرِّيَّتًا أَنَّهُ مُسْلِمٌ لَكَ﴾، هذا قول ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿يَكُونُ الرَّسُولُ﴾ المعنى: اجتباكم وسمّاكم ليكون الرسول، يعني محمداً ﷺ ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَكُمْ﴾ وقد شرحنا هذا المعنى في [البقرة: ١٤٣] إلى قوله: ﴿وَأَتَوْنَا أَلْرَّكَزَةَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَعْصِمُوا بِاللَّهِ﴾ قال ابن عباس: سلّوه أن يعصمكم من كل ما يُسخط ويُكره. وقال الحسن: تمسكوا بدين الله<sup>(١)</sup>. وما بعد هذا مشروح في [الأنفال: ٤٠].



(١). قال ابن كثير: ﴿وَأَعْصِمُوا بِاللَّهِ﴾ أي: اعتصموا بالله، وتوكلوا عليه، وتأيدوا به، ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: حافظكم، وناصركم، ومظفركم على أعدائكم، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَبِّي أَكْثَرُ﴾ يعني: نعم الولي ونعم الناصر من الأعداء. وقال ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَبِّي أَكْثَرُ﴾: فنعم الولي الله لمن فعل ذلك منكم، فأتاهم الصلاة، وأتى الزكاة، وجاهد في سبيل الله حق جهاده، واعتصم به، ونعم النصير، يقول: ونعم الناصر هو له على من بغاه بسوء.

## سورة المؤمنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِمَآ أَمَرُوا فَلَمَّحُوا بَاطِنَ الْبَصَرِ ۝٥ وَلَا عَلَىٰ أَفْئِدَتِهِمْ أَلٌّ وَلَا خَبَرٌ ۝٦ وَلَا يَمْنَنَ فِتْنَتُهُمْ عَلَيْهِمْ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ إِذَا خَلَا بِمَوْلًى وَهُوَ عَلَىٰ آلِهَا بِغِيظٍ وَلَا يَدْرِي بِغِيظِهِمْ لَا يَنْصَرِفُ ۝٨ إِلَّا بِإِذْنِهِمْ ۝٩ وَالَّذِينَ هُمْ إِذَا خَلَا بِمَوْلًى وَهُوَ عَلَىٰ آلِهَا بِغِيظٍ وَلَا يَدْرِي بِغِيظِهِمْ لَا يَنْصَرِفُ ۝٩ إِلَّا بِإِذْنِهِمْ ۝٩ وَالَّذِينَ هُمْ إِذَا خَلَا بِمَوْلًى وَهُوَ عَلَىٰ آلِهَا بِغِيظٍ وَلَا يَدْرِي بِغِيظِهِمْ لَا يَنْصَرِفُ ۝٩ إِلَّا بِإِذْنِهِمْ ۝٩﴾

سورة المؤمنون مكية في قول الجميع.

روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لقد أنزلت علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾» إلى عشر آيات، رواه الحاكم أبو عبد الله في «صحيحه»<sup>(١)</sup>. وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى حاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وغرس غرسها بيده فقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقال لها: طوبى لك منزل الملوك»<sup>(٢)</sup>. قال الفراء: «قد» هاهنا يجوز أن تكون تأكيداً لفلاح المؤمنين، ويجوز أن تكون تقريباً للماضي من الحال، لأن «قد» تقرب الماضي من الحال حتى تلحقه بحكمه، ألا تراهم يقولون: قد قامت الصلاة، قبل حال قيامها، فيكون معنى الآية: إن الفلاح قد حصل لهم وإنهم عليه في الحال. وقرأ أبي بن كعب، وعكرمة، وعاصم الجحدري، وطلحة بن مصرف: «قد أفلح» بضم الألف وكسر اللام وفتح الحاء، على ما لم يسم فاعله. قال الزجاج: ومعنى الآية: قد نال المؤمنون البقاء الدائم في الخير. ومن قرأ: «قد أفلح» بضم الألف، كان معناه قد أصبحوا إلى الفلاح. وأصل الخشوع في اللغة: الخضوع والتواضع. وفي المراد بالخشوع في الصلاة أربعة أقوال: أحدها: أنه النظر إلى موضع السجود. روى أبو هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى رفع بصره إلى السماء، فنزلت: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ فنكس رأسه<sup>(٣)</sup>. وإلى هذا المعنى ذهب مسلم بن يسار، وقناة، والثاني: أنه ترك الالتفات في الصلاة، وأن ثلثين كنتك للرجل المسلم، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والثالث: أنه السكون في الصلاة، قاله مجاهد، وإبراهيم، والزهري. والرابع: أنه الخوف، قاله الحسن. وفي المراد باللغو هاهنا خمسة أقوال: أحدها: الشك، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الباطل، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: المعاصي، قاله الحسن. والرابع: الكذب، قاله السدي. والخامس: الشتم والأذى الذي كانوا يسمعون من الكفار، قاله مقاتل. قال الزجاج: وألغو: كل لعب ولهو، وكل معصية فهي مطرحة مُلغاة. فالمعنى: شغلهم الجِدُّ فيما أمرهم الله به عن اللغو.

(١) هو جزء من حديث طويل رواه الحاكم ٣٩٢/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: سئل عبد الرزاق (أحد الرواة) عن شيخه ذا وهو يونس بن سليم فقال: أظنه لا شيء، والحديث رواه أحمد في «المستدرك» والترمذي في «التفسير» ١٤٦/٢، والنسائي، وهو ضعيف، لأن في سننه عندهم، يونس بن سليم، هو مجهول. وقد ذكر هذا الحديث السيوطي في «الدرر» ٢/٥ وزاد نسبتة لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والعقيلي، والبيهقي في «الدلائل»، والفياء في «المختارة» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) ذكره ابن كثير ٢٣٨/٣ من رواية البزار عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً، قال ابن كثير: ثم قال البزار: لا نعلم أحداً رفعه إلا عدي بن الفضل، وليس هو بالحافظ، وهو شيخ متقدم الموت.

(٣) رواه الحاكم ٣٩٣/٢ وقال: هذا حديث صحيح لولا خلاف فيه على محمد (يعني محمد بن سيرين) فقد قيل عنه مرسلًا، ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي فقال: الصحيح أنه مرسل، ورواه ابن جرير الطبري ٢/١٨ عن محمد بن سيرين وعطاء بن أبي رباح مرسلًا.

قوله تعالى: ﴿لِلرَّكَوَّةِ قَبِيلُونَ﴾ أي: مؤذون، فعبر عن التأدية بالفعل، لأنه فعل.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ قال الفراء: «على» بمعنى «من». وقال الزجاج: المعنى: أنهم يلامون في إطلاق ما حُظر عليهم وأمروا بحفظه، إلا على أزواجهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ فإنهم لا يلامون<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَتَىٰ﴾ أي: طلب ﴿رَوْكَةً﴾ أي: سوى الأزواج والمملوكات ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعَادُونَ﴾ يعني الجائرين الظالمين، لأنهم قد تجاوزوا إلى ما لا يحل، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ﴾ قرأ ابن كثير: «لأمانتهم» وهو اسم جنس، والمعنى: للأمانات التي ائتمنوا عليها، فتارة تكون الأمانة بين العبد وبين ربه، وتارة تكون بينه وبين جنسه، فعليه مراعاة الكل. وكذلك العهد. ومعنى ﴿رَعُونَهُ﴾: حافظون. قال الزجاج: وأصل الرعي في اللغة: القيام على إصلاح ما يتولاه الراعي من كل شيء.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «صلواتهم» على الجمع. وقرأ حمزة، والكسائي: «صلاتهم» على التوحيد، وهو اسم جنس. والمحافظة على الصلوات: أداؤها في أوقاتها.

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ذكر السدي عن أشياخه أن الله تعالى يرفع للكفار الجنة، فينظرون إلى بيوتهم فيها لو أنهم أطاعوا، ثم تقسم بين المؤمنين فيرونهم، فذلك قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. وقد شرحنا هذا في [الأعراف: ٤٣] عند قوله: ﴿أُورِثُوهُمْ﴾، وشرحنا معنى الفردوس في [الكهف: ١٠٧].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ صَلَافٍ مِنْ طِينٍ﴾ ٧ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ ٨ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ ٩ ﴿ثُمَّ إِنَّا رَعَيْنَاهُ أَشْجُونًا﴾ ١٠ ﴿ثُمَّ إِنَّا رَعَيْنَاهُ أَشْجُونًا﴾ ١١ ﴿ثُمَّ إِنَّا رَعَيْنَاهُ أَشْجُونًا﴾ ١٢

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه آدم عليه السلام. وإنما قيل: «من سلاله» لأنه استل من كل الأرض، هذا مذهب سلمان الفارسي، وابن عباس في رواية، وقناة. والثاني: أنه ابن آدم، والسلالة: النطفة استل من الطين، والطين: آدم عليه السلام، قاله أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: والسلالة: فُعالة، وهي القليل مما يُنسل، وكل مبنئ على «فُعالة» يراد به القليل، من ذلك: الفضالة، والنخاله، والقُلامة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ يعني: ابن آدم ﴿نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ وهو الرِّجَم ﴿مَكِينٍ﴾ أي: حريز، قد هُيئ لاستقراره فيه. وقد شرحنا في سورة [الحج: ٥] معنى النطفة والعلقة والمُضْغَة.

قوله تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ على الجمع. وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ» على التوحيد.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ وهذه الحالة السابعة. قال علي عليه السلام: لا تكون مؤودة حتى تمر على التارات السبع. وفي محل هذا الإنشاء قولان: أحدهما: أنه بطن الأم. ثم في صفة الإنشاء قولان: أحدهما: أنه نفخ الروح فيه، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال أبو العالية، والشعبي، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك في آخرين. والثاني: أنه جعله ذكراً أو أنثى، قاله الحسن. والقول الثاني: أنه عد خروجه من بطن أمه. ثم في صفة هذا الإنشاء أربعة أقوال: أحدها: أن ابتداء ذلك الإنشاء أنه استهل، ثم دُل على الثدي، وعُلِم كيف ييسط رجله إلى أن قعد، إلى أن قام على رجله، إلى أن مشى، إلى أن طعم، إلى أن بلغ الحُلُم، إلى أن تغلب في البلاد، رواه العوفي عن ابن

(١) قال ابن كثير ٢٣٩/٣: وقد استدلل الإمام الشافعي رحمه الله ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ أَزْوَاجَهُمْ﴾ أو ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ قَرِ مَلُوكَاتٍ. قال: فهذا الصنيع خارج عن القسمين، وقد قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَتَىٰ رَوْكَةً﴾ أي: «فَمَنْ أَتَىٰ رَوْكَةً».

(٢) قال ابن جرير الطبري ٨/١٨: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ولقد خلقنا ابن آدم من سلاله آدم، وهي صفة مائه، وآدم هو الطين، لأنه خلق منه.



عباس.. والثاني: أنه استواء الشباب، قاله ابن عمر، ومجاهد. والثالث: أنه خروج الأسنان والشعر، قاله الضحاك، فقيل له: أليس يؤكد وعلى رأسه الشعر؟ فقال: وأين العانة والإبط؟ والرابع: أنه إعطاء العقل والفهم، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ أي: استحق التعظيم والثناء. وقد شرحنا معنى «تبارك» في [الأعراف: ٥٤]، ﴿أَحْسَنُ الْمَخْلُوقِينَ﴾ أي: المصورين والمقدرين. والخلق في اللغة: التقدير. وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية وعنده عمر، إلى قوله تعالى: ﴿خَلَقْنَا آخَرَ﴾، فقال عمر: فتبارك الله أحسن الخالقين. فقال رسول الله ﷺ: «لقد خُتِمَتْ بما تكلمت به يا ابن الخطاب»<sup>(١)</sup>. فإن قيل: كيف الجمع بين قوله: ﴿أَحْسَنُ الْمَخْلُوقِينَ﴾ وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرَ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٢٣]؟ فالجواب: أن الخلق يكون بمعنى الإيجاد، ولا موجد سوى الله، ويكون بمعنى التقدير، كقول زهير:

[وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ] وَغَدَا  
خُضُّ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي<sup>(٢)</sup>

فهذا المراد هاهنا، أن بني آدم قد يصورون ويقدرون ويصنعون الشيء، فالله خير المصورين والمقدرين. وقال الأخفش: الخالقون هاهنا هم الصانعون، فالله خير الخالقين.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُكْرِ بِدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد ما ذكر من تمام الخلق ﴿لَنُتَبِّحَنَّ﴾ عند انقضاء آجالكم. وقرأ أبو رزين العقيلي، وعكرمة، وابن أبي عبيدة: «لما توت» بألف. قال الفراء: والعرب تقول لمن لم يمِت: إنك مائت عن قليل، وميت، ولا يقولون للميت الذي قد مات: هذا مائت، إنما يقال في الاستقبال فقط، وكذلك يقال: هذا سيد قومه اليوم، فإذا أخبرت أنه يسودهم عن قليل، قلت: هذا سائد قومه عن قليل، وكذلك هذا شريف القوم، وهذا شارف عن قليل، وهذا الباب كله في العربية على ما وصفت لك.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا قَوْكُمُ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا فِي الْأَرْضِ رَوْحًا عَلَى نَعَالِهِمْ لَقَادَرُونَ ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتَيْنِ مِن نَّجِيلٍ وَأَعْتَبْنَا لَكُمْ فِيهَا فَوْكَةً كَثِيرَةً وَمِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ وَسَجَّرْنَا خُرَجٌ مِن طُورٍ سَيْنَاءَ تَبْنُتُ بِاللَّهْنِ وَصَيْغِ الْإَكْلِينَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا قَوْكُمُ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ يعني: السموات السبع، قال الزجاج: كل واحدة طريقة. وقال ابن تينة: إنما سميت «طرائق» بالتطارق، لأن بعضها فوق بعض، يقال: طارقت الشيء: إذا جعلت بعضها فوق بعض. قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما غفلنا عنهم إذ بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب. والثاني: ما كنا تاركين لهم بغير رزق، فأنزلنا المطر. والثالث: لم ننفل عن حفظهم من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ يعلمه الله، وقال مقاتل: بقدر ما يكفيهم للمعيشة<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَسَجَّرْنَا﴾ هي معطوفة على قوله: ﴿جَنَّتَيْنِ﴾. وقرأ أبو مجلز، وابن يعمر، وإبراهيم النخعي: «وشجرة» بالرفع. والمراد بهذه الشجرة: شجرة الزيتون. فإن قيل: لماذا خص هذه الشجرة من بين الشجر؟ فالجواب من أربعة أوجه: أحدها: لكثرة انتفاعهم بها، فذكروهم من نعيمها ما يعرفون، وكذلك خص النخيل والأعناب في الآية الأولى، لأنهما كانا جُل ثمار الحجاز وما والاها، وكانت النخيل لأهل المدينة، والأعناب لأهل الطائف.

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ٦/٥ من رواية ابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن صالح أبي الخليل قال: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن مَّثَلَكٍ رَّيِّنٍ﴾ إلى قوله: ﴿أَنشَأْنَا خَلْقًا آخَرَ﴾ قال عمر: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْمَخْلُوقِينَ﴾ والذي نفسي بيده إنها ختمت بالذي تكلمت يا عمر.

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في «شرح ديوان زهير» ٩٤، و«مختار الشعر الجاهلي» ٢٦٥/١، و«الطبري» ١١/١٨، و«القرطبي» ١١٠/١٢، و«اللسان» و«التاج»: خلق.

(٣) قال ابن كثير: يذكر تعالى نعمته على عبده التي لا تعد ولا تحصى، في إزاله القطر من السماء بقدر، أي: بحسب الحاجة، لا كثير فيفسد الأرض والمعران، ولا قليلاً فلا يكفي الزروع والثمار، بل بقدر الحاجة إليه والسقي والشرب والانتفاع به، حتى أن الأرض التي تحتاج ماء كثيراً لزروعها، ولا تحتمل دمتها إزال المطر عليها، يسوق إليها الماء من بلاد أخرى، ثم قال: فسبحان اللطيف الخبير الرحيم الغفور. وقال ابن جرير الطبري في تمام الآية: ﴿رَوْحًا عَلَى نَعَالِهِمْ لَقَادَرُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: وإنا على الماء الذي أسكناء في الأرض لقادرون أن نذهب به فتهلكوا أيها الناس عطشاً وتغرب أرضوكم فلا تبت زرعاً ولا غرساً، وتهلك مواشيكم، يقول: فمن نعمتي عليكم تركي ذلك لكم في الأرض جارية.

والثاني: لأنهم لا يكادون يتعاهدونها بالسقي، وهي تُخرج الثمرة التي يكون منها الدهن. والثالث: أنها تثبت بالماء الذي هو ضد النار، وفي ثمرتها حياة للنار ومادة لها. والرابع: لأن أول زيتونة نبتت بذلك المكان فيما زعم مقاتل. قوله تعالى: ﴿طُورِ سِينَاءَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «طور سيناء» مكسورة السين. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، مفتوحة السين، وكلهم مذهباً. قال الفراء: العرب تقول: سَيْنَاء، بفتح السين في جميع اللغات، إلا بني كنانة، فإنهم يكسرون السين. قال أبو علي: ولا تنصرف هذه الكلمة، لأنها جُعِلَتْ اسماً لبقعة أو أرض، وكذلك «سينين»، ولو جُعِلَتْ اسماً للمكان أو للمنزل أو نحو ذلك من الأسماء المذكرة لَصُرَتْ، لأنك كنت قد سميت مذكرةً بمذكر. والطور: الجبل. وفي معنى «سَيْنَاء» خمسة أقوال: أحدها: أنه بمعنى الحسن، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال الضحاك: «الطور»: الجبل بالسرانية، و«سَيْنَاء»: الحسن بالنيطة. وقال عطاء: يريد: الجبل الحسن. والثاني: أنه المبارك، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنه اسم حجارة بعينها، أضيف الجبل إليها لوجودها عنده، قاله مجاهد. والرابع: أن طور سيناء: الجبل المشجر، قاله ابن السائب. والخامس: أن سيناء: اسم المكان الذي به هذا الجبل، قاله الزجاج؛ قال الواحدي: وهو أصح الأقوال؛ قال ابن زيد: وهذا هو الجبل الذي نودي منه موسى، وهو بين مصر وأيلة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تَنَبَّأَ بِالذَّهْنِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «تَنَبَّأَ» برفع التاء وكسر الباء. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: بفتح التاء وضم الباء. قال الفراء: وهما لغتان: نَبَتَتْ، وَأَنْبَتَتْ، وكذلك قال الزجاج: يقال: نبت الشجر وأنبت في معنى واحد، قال زهير:

رَأَيْتُ قَوِيَّ الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِيبًا لَهُمْ حَتَّى إِذَا أَنْبَتَ الْبَقْلُ<sup>(٢)</sup>

قال: ومعنى «تَنَبَّأَ بِالذَّهْنِ»: تنبت ومعها دهن، كما تقول: جاءني زيد بالسيف، أي: جاءني ومعه السيف. وقال أبو عبيدة: معنى الآية: تنبت الدهن، والباء زائدة، كقوله: ﴿وَمَنْ يَرْدْ فِيهِ بِالْحَكِيمِ يُطْلَقْ﴾ [الحج: ٢٥] وقد بيئنا هذا المعنى هناك.

قوله تعالى: ﴿وَصَبَّغْ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن عمر، وإبراهيم النخعي، والأعمش: «صَبَّغًا» بالنصب. وقرأ ابن السميع: «وَصَبَّغًا» بآلف مع الخفض. قال ابن قتيبة: الصَّبْغُ يَفْلُ الصَّبَاغ، كما يقال: دَبَّغَ وَدَبَّغَ، وَلَبَّسَ وَلَبَّاس. قال المفسرون: والمراد بالصَّبْغ هاهنا: الزيت، لأنه يُلَوَّنُ الْخَبْرَ إِذَا خُمِسَ فِيهِ، والمراد أنه إدام يُصَبَّغُ بِهِ.

﴿وَرَأَى لَكُمُ فِي آيَاتِنَا لَئِيمَةً تَشْفِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِكُمْ وَلَكُمُ فِيهَا مَنَافِعٌ كَثِيرَةٌ وَفِيهَا تَأْكُلُونَ﴾ [١١] وَفِيهَا وَكَلِ الْفَالِكِ تَحْمِلُونَ [١٢]

قوله تعالى: ﴿وَرَأَى لَكُمُ فِي آيَاتِنَا لَئِيمَةً تَشْفِيكُمْ﴾ وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «تَشْفِيكُمْ» بفتح النون. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بضمها. وقد شرحنا هذا في [النحل: ٦٦] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمُ فِيهَا مَنَافِعٌ كَثِيرَةٌ﴾ يعني: في ظهورها وألبانها وأولادها وأصوافها وأشعارها ﴿وَفِيهَا تَأْكُلُونَ﴾ من لحومها وأولادها والكسب عليها.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى﴾ يعني: الإبل خاصة ﴿وَعَلَى الْفَالِكِ تَحْمِلُونَ﴾ فالإبل تحمل في البر، والسفن تحمل في البحر. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِذْ يَقُولُ أَتُعِيدُونَ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [١٣] فَقَالَ الْكَلْبُ الَّذِي كَذَّبُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ [١٤] إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يَدْعُو حِجَّةً فَتَرْصَدُوا يَوْمَ حَتَّى جِئَ [١٥] قَالَ رَبِّ انصَبْ يَمَّا كَذَّبُونَ [١٦] فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفَالِكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَّيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَهْلُهَا

(١) قال ابن جرير الطبري ١٤/١٨: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن سيناء اسم أضيف إليه الطور، يعرف به، كما قيل: جبلا طبع، فأضيفا إلى طبع، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال: مناه: جبل مبارك، أو كما قال من قال: مناه: حسن، لكان الطور منوئاً، وكان قوله: «سيناء» من نعت، على أن سيناء بمعنى: مبارك وحسن غير معروف في كلام العرب فيجعل ذلك من نعت الجبل، ولكن القول في ذلك إن شاء الله كما قال ابن عباس من أنه جبل عرف بذلك، وأنه الجبل الذي نودي منه موسى ﷺ، وهو مع ذلك مبارك، لا أن معنى سيناء معنى مبارك.

(٢) البيت في [شرح ديوان زهير بن أبي سلمى] ١١١، و«مختار الشعر الجاهلي» ٢٣٩/١، و«الطبري» ١٤/١٨، و«القرطبي» ١٢/١١٦، و«اللسان»، و«التاج»: نبت.

وَقَارِ الشُّرُفَ فَاسْلُفَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَجْجَيْنِ آتَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَحْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٧٧﴾ فَإِنَّا اسْتَوَيْنَا أَنْتَ وَمَعَكَ عَلَى الْفَلَكِ فَقُلْ تَقَدَّرَ إِلَيَّ الْوَلَّى بَيْنَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٧٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَرْزُقْنِي مِثْلَ مَا بَارَكْتَ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمَرْزُقِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٨٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا مَآخِرِينَ ﴿٨١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَصْلُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِفَالِهِ الْآخِرَةِ وَآزَقْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٨٣﴾ وَلَكِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَلَوْتُمْ ﴿٨٤﴾ أَتَيْدُكُمْ أَكْثَرَ إِنْكَارًا وَمِمَّا وَكُنْتُمْ تُزَايِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَبَعَلْنَا أَمْكَرَ تَخْرُجُونَ ﴿٨٦﴾ هِيَكَاتَ هِيَكَاتٍ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٨٧﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٨٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَيْلٌ أَتْرَقَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٩٠﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَدِيمَهُ ﴿٩١﴾ فَآخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُسَّةً يُعْذَرُ بَعْدَهَا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٢﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا مَآخِرِينَ ﴿٩٣﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أَثَرِهِمْ أَهْلًا وَمَا يَسْتَفْخِرُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَاءً جَاءَهُمْ أَنْهُمْ رُسُلُهُمْ كَذَّبُوهُ فَأْتَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا لَكَ قَوْمِهِ﴾ قال المفسرون: هذا تعزية لرسول الله ﷺ بذكر هذا الرسول الصابر ليناسي به في صبره، وليعلم أن الرسل قبله قد كُذِّبوا.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يعلوكم بالفضيلة، فيصير متبوعاً، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن لا يُعْبَدَ شيء سواه ﴿لَأَرْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ تبليغ عنه أمره، لم يرسل بشراً ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الذي يدعوننا إليه نوح من التوحيد ﴿فِي مَا بَيْنَنَا وَالْأَوَّلِينَ﴾. فاما الجنة فمعناها: الجنون. وفي قوله: ﴿حَقٌّ جِينٌ﴾ قولان: أحدهما: أنه الموت، فتقديره: انتظروا موته. والثاني: أنه وقت منكر.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾ وقرأ عكرمة، وابن محيصن: ﴿قَالَ رَبُّ﴾ بضم الباء، وفي القصة الأخرى [المؤمنون: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿يَمَّا كَذَّبُون﴾ وقرأ يعقوب: «كذَّبوني» بياء، وفي القصة التي تليها أيضاً: «فاتقوني» [المؤمنون: ٥٢] «أَنْ يَخْضَرُونِي» [المؤمنون: ٩٨] «رَبِّ أَرْجِعُونِي» [المؤمنون: ٩٩] «وَلَا تَكْلُمُونِي» [المؤمنون: ١٠٨] أثبتهم في الحالين يعقوب، والمعنى: انصُرني بتكذيبهم، أي: انصُرني بإهلاكهم جزاء لهم بتكذيبهم. ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ قد شرحناه في [مود: ٢٧] إلى قوله: ﴿فَاسْلُفَ فِيهَا﴾ أي: أدخل في سفيتك ﴿مِنْ كُلِّ زَجْجَيْنِ آتَيْنِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «من كل» بكسر اللام من غير تنوين. وقرأ حفص عن عاصم: «من كل» بالتنوين. قال أبو علي: قراءة الجمهور إضافة «كل» إلى «زوجين»، وقراءة حفص تزول إلى زوجين، لأن المعنى: من كل الأزواج زوجين.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْزُقْنِي مِثْلًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «مِثْلًا» بضم الميم. وروى أبو بكر عن عاصم فتحها. والمُنْزَلُ، بفتح الميم: اسم لكل ما نزل به، والمُنْزَلُ، بضمها: المصدر بمعنى الإنزال؛ تقول: أنزلته إنزالاً ومُنْزَلاً. وفي الوقت الذي قال فيه نوح ذاك قولان: أحدهما: عند نزوله في السفينة. والثاني: عند نزوله من السفينة.

قوله تعالى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ أي: في قصة نوح وقومه ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ أي: لمختبرين إياهم بإرسال نوح إليهم. ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا مَآخِرِينَ﴾ يعني عاداً ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ وهو هود، هذا قول الأكثرين؛ وقال أبو سلمان الدمشقي: هم ثمود، والرسول صالح. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿أَتَيْدُكُمْ أَكْثَرَ﴾ قال الزجاج: موضع «أنكم» نصب على معنى: أَيْدُكُمْ [أنكم] مخرجون إذا مِثْمُ، فلما طال الكلام أعيد دُخِرَ «أَنْ» كقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَرُسُلُهُمْ فَآتَاكَ لَمْ تَأْكُرْ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٦٣].

قوله تعالى: ﴿هِيَكَاتَ هِيَكَاتٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «هِيَكَاتَ هِيَكَاتٍ» بفتح التاء فيهما في الوصل، وإسكانها في الوقف. وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز، وهارون عن أبي عمرو: «هِيَكَاتًا هِيَكَاتًا» بالنصب والتنوين. وقرأ ابن مسعود، وعاصم الجحدري، وأبو حيوة

الحضرمي، وابن السميع: «هيئات هيئات» بالرفع والتنوين. وقرأ أبو العالية، وقتادة: «هيئات هيئات» بالخفض والتنوين. وقرأ أبو جعفر: «هيئات هيئات» بالخفض من غير تنوين، وكان يقف بالهاء. وقرأ أبو المتوكل الناجي، وسعيد بن جبير، وعكرمة: «هيئات هيئات» بالرفع من غير تنوين، وقرأ معاذ القارئي، وابن يعمر، وأبو رجاء، وخارجة عن أبي عمرو: «هيئات هيئات» بإسكان التاء فيها. وفي «هيئات» عشر لغات قد ذكرنا منها سبعة عن القراء، والثامنة: «إيهات»، والتاسعة: «إيهان» بالنون، والعاشر: «إيهاء» بغير نون، ذكرهن ابن القاسم؛ وأشد الأحوص في الجمع بين لغتين منهن:

تَذَكَّرُ أَيَّاماً مَضَيْنَ مِنَ الصُّبَا

وَهِيَّاتٍ هِيَّاتاً إِلَيْكَ رَجَوْعُهَا<sup>(١)</sup>

قال الزجاج: فأما الفتح، فالوقوف فيه بالهاء، تقول: «هيها» إذا فتحت ووقفت بعد الفتح، فإذا كسرت ووقفت على التاء كنت ممن ينون في الوصل، أو كنت ممن لا ينون، وتأويل «هيئات»: البعد لما توعدون. وإذا قلت: «هيئات ما قلت»، فمعناه: بعيد ما قلت. وإذا قلت: «هيئات لما قلت»، فمعناه: البعد لما قلت. ويقال: «أيهات» في معنى «هيئات»، وأنشدوا:

وَأَيَّهَاتٍ أَيَّهَاتِ الْعَقِيْقُ وَمَنْ بُو

وَأَيَّهَاتٍ وَصَلٌ بِالْعَقِيْقِ تُوَاصله<sup>(٢)</sup>

قال أبو عمرو بن العلاء: إذا وقفت على «هيئات» فقل: «هيها». وقال الفراء: الكسائي يختار الوقف بالهاء، وأنا أختار التاء.

قوله تعالى: ﴿لِمَا تُوْعَدُونَ﴾ قرأ ابن مسعود، وابن أبي عيلة: «ما تُوْعَدُونَ» بغير لام. قال المفسرون: استبعد القوم بعثهم بعد الموت إغفلاً منهم للتفكير في بدو أمرهم وقُدرة الله على إيجادهم، وأرادوا بهذا الاستبعاد أنه لا يكون أبداً، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ يعنون: ما الحياة إلا ما نحن فيه، وليس بعد الموت حياة. فإن قيل: كيف قالوا: ﴿تَمُوتُ وَحَيَاتُ﴾ وهم لا يقرؤون بالبعث؟ فعنه ثلاثة أجوبة ذكرها الزجاج: أحدها: نموت ويحيى أولادنا، فكأنهم قالوا: يموت قوم ويحيى قوم. والثاني: نحيا ونموت، لأن الواو للجمع، لا للترتيب. والثالث: ابتداءنا موت في أصل الخلقة، ثم نحيا، ثم نموت.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ﴾ يعنون الرسول. وقد سبق تفسير ما بعد هذا [مود: ٧، النحل: ٣٨] إلى قوله: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ قال الزجاج: معنا: عن قليل، و«ما» زائدة بمعنى التوكيد.

قوله تعالى: ﴿يُصْبِحُنَّ نَكْرِينَ﴾ أي: على كفرهم، ﴿فَلَاخِذُتُمْ النَّصِيحَةَ بِالْحَقِّ﴾ أي: باستحقاقهم العذاب بكفرهم. قال المفسرون: صاح بهم جبريل صيحة رجفت لها الأرض من تحتهم، فصاروا لشدة غثاء. قال أبو عبيدة: الغثاء: ما أشبه الزبد وما ارتفع على السيل. ونحو ذلك مما لا يُنتفع به في شيء. وقال ابن قتيبة: المعنى: فجعلناهم هلكى كالغثاء، وهو ما علا السيل من الزبد والقَمْش<sup>(٣)</sup>، لأنه يذهب ويتفرق. وقال الزجاج: الغثاء: الهالك والبالى من ورق الشجر الذي إذا جرى السيل رأيت مخالطاً زَبْدَهُ. وما بعد هذا قد سبق شرحه [المعجم: ٥] إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: «تتري كلماً» منونة والوقف بالالف. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي: بلا تنوين، والوقف عند نافع وابن عامر بالف. وروى هبيرة، وحفص عن عاصم، أنه يقف بالياء؛ قال أبو علي: يعني بقوله: يقف بالياء، أي: بالياء مُمالة. قال الفراء: أكثر العرب على ترك التنوين، ومنهم من نون. قال ابن قتيبة: والمعنى: تتابع بفترة بين كل رسولين، وهو من التواتر، والأصل: وَتَرَى، فَقُلِبَتِ الْوَاوُ تَاءً كما قلبوها في التَّقْوَى والتخمة. وحكى الزجاج عن الأصمعي أنه قال: معنى: واتَّارَ الخبر: اتَّبَعْتُ بعضه بعضاً، وبين الخبرين هَيْئَةٌ. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: ومما تضعه العامة غير موضعه قولهم: تواترت كُتُبِي إليك، يعنون: اتصلت من غير انقطاع، فيضعون التواتر في موضع الاتصال، وذلك غلط، إنما التواتر مجيء الشيء ثم انقطاعه ثم مجيئه، وهو

(١) «القرطبي» ١٢/١٢٢، وفيه: ... وأيهات نيل بالمعنى نواصله.

(٢) «القرطبي» ١٢/١٢٢، وفيه: ... وأيهات نيل بالمعنى نواصله.

(٣) القَمْش: الرديء من كل شيء، وما كان على وجه الأرض من فئات الأشياء، ويقال لزائدة الناس: قماش.

التفاعل من الوتر، وهو الفرد، يقال: واطرث الخبر، أثبتت بعضه بعضاً، وبين الخبرين هُتَيْه، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ أصلها «وترى» من الموازنة، فأبدلت التاء من الواو، ومعناها: متقطعة متفاوتة، لأن بين كل نبيين دهرًا طويلاً. وقال أبو هريرة: لا بأس بقضاء رمضان تترى، أي: متطعاً. فإذا قيل: واطر فلان كتبه، فالمعنى: تابعها، وبين كل كتابين فترة.

قوله تعالى: ﴿فَأَتَيْنَا بِهِمْ بِضُلَيْمٍ﴾ أي: أهلكنا الأسمم بعضهم في إثر بعض ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ قال أبو عبيدة: أي: يتمثل بهم في الشر، ولا يقال في الخير: جعلته حديثاً.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ١٥﴾ إِنْ رَأَوْكَ وَعَلَيْنَا فَاتَّقُوا ١٦﴾ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ١٧﴾ فَقَالُوا أَتُؤْتُونَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ١٨﴾ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدَّةٌ ١٩﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَتَيْنَا بِهِمْ بِضُلَيْمٍ﴾ أي: عن الإيمان بالله وعبادته ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: قاهرين للناس بالبغي والتجاوز عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدَّةٌ﴾ أي: مطيعون. قال أبو عبيدة: كل من دان لملك فهو عابده له.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَمْ نُكَتِّبْ لَهُ مِنْ قَبْلُ ٢١﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأَخَاهُ آيَةً وَآتَيْنَاهُمَا الْإِنجِيلَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ قُرْآنًا وَوَعَدْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْإِنجِيلَ ٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ﴾ يعني: التوراة، أعطيتها جملة واحدة بعد غرق فرعون ﴿لَمْ نُكَتِّبْ﴾ يعني: بني إسرائيل، والمعنى: لكي يهتدوا.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأَخَاهُ آيَةً﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبيدة: «آيتين» على التنثنية، وهذا كقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً﴾ [الأنبياء: ٩١]، وقد سبق شرحه.

قوله تعالى: ﴿وَوَاتَيْنَاهُمَا يَأْقَازَ﴾ أي: جعلناهما يأويان ﴿إِلَىٰ رِبْوَةٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحزمة،

والكسائي: «ربوة» بضم الراء. وقرأ عاصم، وابن عامر: بفتحها. وقد شرحنا معنى الربوة في [البقرة: ٢٦٥]، «ذَاتَ قُرَارٍ» أي: مستوية يستقر عليها ساكنوها، والمعنى: ذات موضع قرار. وقال الزجاج: أي: ذات مستقر ﴿وَوَعِيدٍ﴾ وهو الماء

الجاري من العيون. وقال ابن قتيبة: «ذات قرار» أي: يستقر بها للعمارة، «ووعيد» هو الماء الظاهر، ويقال: هو مفعول

من العين، كأن أصله مغيون، كما يقال: ثوب مخيط، ويُر مكييل. واختلف المفسرون في موضع هذه الربوة الموصوفة

على أربعة أقوال: أحدها: أنها دمشق، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال عبد الله بن سلام، وسعيد بن المسيب.

والثاني: أنها بيت المقدس، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال قتادة. وعن الحسن كالقولين. والثالث: أنها الرملة من

أرض فلسطين، قاله أبو هريرة. والرابع: مصر، قاله وهب بن منبه، وابن زيد، وابن السائب<sup>(٢)</sup>. فأما السبب الذي

لأجله أوتيا إلى الربوة، فقال أبو صالح عن ابن عباس: فُرت مريم بابنها عيسى من ملكهم، ثم رجعت إلى أهلها بعد

اثني عشرة سنة. قال وهب بن منبه: وكان الملك أراد قتل عيسى.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ٢٣﴾ إِنْ يَسْأَلُكُمْ عَنِ السَّاعَةِ ٢٤﴾ قَالُوا ٢٥﴾ فَتَقَطَّعُوا أَرْحَهُمْ بِأَنَّهُمْ فِيهَا حَبِيبٌ ٢٦﴾ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ ٢٧﴾ فَذَرْنَهُمْ فِي غَرَضَتِهِمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا ٢٨﴾

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقاتدة في آخرين: يعني بالرسول هاهنا محمداً ﷺ

قال ابن كثير ٢٤٦/٣: يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله عيسى ابن مريم ﷺ أنه جعلها آية للناس، أي: حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء،

فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى. اهـ.

(٢) قال الطبري: وأولى الأقوال بتأويل ذلك أنها مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر، وليس كذلك صفة الرملة، لأن الرملة لا ماء بها معين، والله تعالى

يؤمره وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار ومعين. وقال ابن كثير عن القول الرابع الذي قاله وهب بن منبه: وهو بعيد جداً. ثم قال: وأقرب الأقوال في

ذلك ما رواه الموهبي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَوَاتَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رِبْوَةٍ بِآيَاتِنَا فَاتَّقُوا ١٦﴾ قال: المعين: الماء الجاري، وهو النهر الذي قال الله

تعالى: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا رِبْوَتَكَ رِجًّا وَبَعَثْنَا فِي هَذِهِ نُسُورًا﴾ وكذا قال الضحاك وقاتدة ﴿إِنْ يَرَوْكَ فَاتَّقُوا ١٦﴾ قال: رِبْوَةٍ: هو بيت المقدس، فهذا - والله أعلم - هو الأظهر، لأنه

المذكور في الآية الأخرى، والقرآن يفسر بعضه بعضاً، وهذا أولى ما يفسر به، ثم الأحاديث الصحيحة، ثم الآثار.

وحده، وهو مذهب العرب في مخاطبة الواحد خطاب الجميع، ويتضمن هذا أن الرسل جميعاً كذا أمروا، وإلى هذا المعنى ذهب ابن قتبية، والزجاج<sup>(١)</sup>، والمراد بالطيبات: الحلال. قال عمرو بن شرحبيل: كان عيسى ﷺ يأكل من غَزَلِ أمه<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ هَذِهِ أَنتُمْ مُنْكَرُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «وَأَنْ» بالفتح وتشديد النون. وافق ابنُ عامر في فتح الألف، لكنه سَكَنَ النون. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «وَأَنَّ» بكسر الألف وتشديد النون. قال الفراء: من فتح، عطف على قوله: ﴿إِنِّي يَمَّا تَمَلُّونَ عَلَيْهِمْ﴾ وبأنَّ هذه أَنتُمْ، فموضعها خفض لأنها مردودة على «ما»؛ وإن شئت كانت منصوبة بفعل مضمر، كأنك قلت: واعلموا هذا؛ ومن كسر استأنف. قال أبو علي الفارسي: وأما ابن عامر، فإنه خفف النون المشددة، وإذا خُفِّتْ تعلق بها ما يتعلق بالمشددة. وقد شرحنا معنى الآية والتي بعدها في [الأنبياء: ٩٢] إلى قوله: ﴿زُبُرًا﴾ وقرأ ابن عباس، وأبو عمران الجوني: ﴿زُبُرًا﴾ برفع الزاي وفتح الباء. وقرأ أبو الجوزاء، وابن السميع: ﴿زُبُرًا﴾ برفع الزاي وإسكان الباء. قال الزجاج: من قرأ ﴿زُبُرًا﴾ بضم الباء، فتأويله: جعلوا دينهم كُتُبًا مختلفة، جمع زُبُور. ومن قرأ ﴿زُبُرًا﴾ بفتح الباء، أراد قطعاً.

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ حِزْبٍ يَمَّا لَدَيْهِمْ فَرِشُونَ﴾ أي: بما عندهم من الدين الذي ابتدعوه مُتَعَبِّونَ، يرون أنهم على الحق. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم أهل الكتاب، قاله مجاهد. والثاني: أنهم أهل الكتاب ومشركو العرب، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿فَذَرْنِي فَرْدِي﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب: «في غمراتهم» على الجمع. قال الزجاج: في غماتهم وخيرتهم، «حَقٌّ حِينَ» أي: إلى حين يأتيهم ما وعدوا به من العذاب. قال مقاتل: يعني كفار مكة.

### فصل

وهل هذه الآية منسوخة، أم لا؟ فيها قولان: أحدهما: أنها منسوخة بآية السيف. والثاني: أن معناها التهديد، فهي محكمة.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي حَسِبُوكُمُ أَبْنَاءَ اللَّهِ فَأَنْتُمْ كَرِهْتُمُوهُ﴾ وقرأ عكرمة، وأبو الجوزاء: «يُؤْمِدُهُم» بالياء المرفوعة وكسر الميم. وقرأ أبو عمران الجوني: «تَمُدُّهُمْ» بنون مفتوحة ورفع الميم. قال الزجاج: المعنى: أيحسبون أن الذي نمدهم به «من تَالِي وَبَيْنَ» مجازاة لهم؟ إنما هو استدراج، «تُكْرِجُكُمْ فِي الْفِتَنِ» أي: نساخ لهم به في الخيرات. وقرأ ابن عباس، وعكرمة، وأيوب السخيتاني: «يُسَارِعُ» بياء مرفوعة وكسر الراء. وقرأ معاذ القارئ، وأبو المتوكل مثله، إلا أنهما فتحا الراء. وقرأ أبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري، وابن السميع: «يُسْرِعُ» بياء مرفوعة وسكون السين ونصب الراء من غير ألف.

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مُنْكَرُونَ﴾ أي: لا يعلمون أن ذلك استدراج لهم.

(١) ذكر الطبري أن المراد بقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مُنْكَرُونَ﴾ عيسى ابن مريم ﷺ، كما تقول في الكلام للرجل الواحد: كُفُوا عنا أذاكم، وكما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ أَكْثَرُ﴾ والمراد رجل واحد. وقال القرطبي: قال بعض العلماء: والخطاب في هذه الآية للنبي ﷺ وأنه أقامه مقام الرسل، وقال: قال الزجاج: هذه مخاطبة للنبي ﷺ، ودل الجمع على أن الرسل كلهم كذا أمروا، أي: كلوا من الحلال. وقال ابن كثير: يأمر تعالى عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالأكل من الحلال، والقيام بالصالح من الأعمال، فدل هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح، فقام الأنبياء ﷺ بهذا أتم القيام، وجمعوا بين كل خير قولاً وعملاً، ودلالة ونصحاء، فجزاهم الله عن العباد خيراً، قال: وقال الحسن البصري في قوله: ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مُنْكَرُونَ﴾ قال: أما والله ما أمركم بأصغركم ولا أحمركم، ولا حلوكم ولا حاضركم، ولكن قال: انتهوا إلى الحلال منه.

(٢) وفي «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة مرفوعاً: دعا بعث الله نبياً إلا وهي الغنم قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم، وأنا كنت أرحأها على قراريط لأهل مكة. وفي «الصحيح» أيضاً أن داود ﷺ كان يأكل من كسب يده. وفي «صحيح مسلم» ٧٠٣/٢ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مُنْكَرُونَ﴾» وقال: ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مُنْكَرُونَ﴾» الآية، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فإني يستجاب لذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يَوَدُّونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْمَغْفِرَاتِ وَهُمْ لَهَا شَاقِقُونَ ﴿٦١﴾﴾  
ثم ذكر المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ وقد شحرننا هذا المعنى في قوله: ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَّقُونَ﴾ (١) [الأنبياء: ٢٨].

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا﴾ وقرأ عاصم الجحدري: «يأتون ما أتوا» بقصر همزة «أتوا». وسألت عائشة رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقالت: يا رسول الله، أحم الذين يذنبون وهم مشفقون؟ فقال: «لا، بل هم الذين يصلون وهم مشفقون، ويصومون وهم مشفقون، ويتصدقون وهم مشفقون أن لا يتقبل منهم» (٢). قال الزجاج: فمعنى «يؤتون» يعطون ما أعطوا وهم يخافون أن لا يتقبل منهم، «أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ» أي: لأنهم يوقنون أنهم يرجعون. ومعنى «يأتون»: يعملون الخيرات وقلوبهم خائفة أن يكونوا مع اجتهداهم مقصرين، «أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْمَغْفِرَاتِ» وقرأ أبو المتوكل، وابن السميع: «يسرعون» برفع الياء وإسكان السين وكسر الراء من غير ألف. قال الزجاج: يقال: أسرع في أمرت في معنى واحد، إلا أن «أسرعت» أبلغ من «أسرعت»، «وَهُمْ لَهَا شَاقِقُونَ» أي: من أجلها، وهذا كما تقول: أنا أكرم فلاناً لك، أي: من أجلك. وقال بعض أهل العلم: الوجه المذكور هاهنا واقع على مضمّر.

﴿وَلَا تَكُنْ فِتْنَةً إِلَّا وَسْمَةً وَلَدَيْكَ كِتَابٌ يَلْقَىٰ وَهَرُ لَا يَطْلُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَرْقٍ مِنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عِلَلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا يُخَفِّرُوا إِلَيْكَ الْيَوْمَ يُكْفَرُ يَتَا لَا تُصْرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنَالُ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آفَاقِكُمْ تَنْكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُتَّكِفِينَ يَوْمَ سُورَةٍ تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْكَ كِتَابٌ﴾ يعني: اللوح المحفوظ ﴿يَلْقَىٰ وَهَرُ لَا يَطْلُونَ﴾ قد أثبت فيه أعمال الخلق، فهو ينطق بما يعملون ﴿وَهَرُ لَا يَطْلُونَ﴾ أي: لا يتقصون من ثواب أعمالهم. ثم عاد إلى الكفار، فقال: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَرْقٍ مِنْ هَذَا﴾ قال مقاتل: في غفلة عن الإيمان بالقرآن. وقال ابن جرير: في عمى عن هذا القرآن. قال الزجاج: يجوز أن يكون إشارة إلى ما وصف من أعمال البر في قوله: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْمَغْفِرَاتِ﴾، فيكون المعنى: بل قلوب هؤلاء في عماية من هذا؛ ويجوز أن يكون إشارة إلى الكتاب، فيكون المعنى: بل قلوبهم في غمرة من الكتاب الذي ينطق بالحق وأعمالهم مخصّصة فيه. فخرج في المشار إليه بـ «هذا» ثلاثة أقوال: أحدها: القرآن. والثاني: أعمال البر. والثالث: اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أعمال سيئة دون الشوك، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: خطايا من دون ذلك الحق، قاله مجاهد. وقال ابن جرير: من دون أعمال المؤمنين وأهل التقوى والخشية. والثالث: أعمال غير الأعمال التي ذكروا بها سيعملونها، قاله الزجاج. والرابع: أعمال - من قبل الحين الذي قدر الله تعالى أنه يعذبهم عند مجيئه - من المعاصي، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿هُم لَهَا عِلَلُونَ﴾ إخبار بما سيعملونه من أعمالهم الخبيثة التي كُتبت عليهم لا بدّ لهم من عملها (٣).

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِهِمْ﴾ أي: أغنياءهم ورؤساءهم، والإشارة إلى قريش. وفي المراد «بالعذاب» قولان: أحدهما: ضرب السيوف يوم بدر، قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك. والثاني: الجوع الذي غلبوا به سبع سنين، قاله ابن السائب. و «يَجْتَرُونَ» بمعنى: يصيحون. ﴿لَا يُخَفِّرُوا إِلَيْكَ الْيَوْمَ يُكْفَرُ يَتَا لَا تُصْرُونَ﴾ أي: لا تستغيثوا من العذاب ﴿إِنَّا كُنَّا بِكُمْ لَاحِظِينَ﴾

(١) قال ابن كثير ٣/٣٤٨: أي: هم مع إيمانهم وإيمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله، خائفون منه، وجلون من مكروه بهم، كما قال الحسن البصري: إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأما.

(٢) رواه أحمد في «المستند»، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وذكره السيوطي في «الدر» ١١/٥ وزاد نسبه للقرطبي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي الدنيا في «فتن الخائفين»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» من عائشة.

(٣) قال ابن كثير: أي: قد كُتبت عليهم الأعمال السيئة لا بد أن يعملوها قبل موتهم لا محالة لتحق عليهم كلمة العذاب. اهـ.

**فُتْرُونَ** أي: لا تمنعون من عذابنا. **﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنْذِرُ عَلَيْكُمْ﴾** يعني: القرآن **﴿تَكُنُّرَ عَلَاقِيكُمْ نَكُونُونَ﴾** أي: ترجعون وتتأخرون عن الإيمان بها، **﴿مُنْكَرِينَ﴾** منصوب على الحال. وقوله: **﴿بِهِ﴾** الكناية عن البيت الحرام، وهي كناية عن غير مذكور؛ والمعنى: إنكم تستكبرون وتفخرون بالبيت والحرم، لأنكم فيه مع خوف سائر الناس في مواطنهم. تقولون: نحن أهل الحرم فلا نخاف أحداً، ونحن أهل بيت الله وولائه، هذا مذهب ابن عباس وغيره. قال الزجاج: ويجوز أن تكون الهاء في **﴿بِهِ﴾** للكتاب، فيكون المعنى: تُحَدِّثْ لَكُمْ تلاوته عليكم استكباراً.

قوله تعالى: **﴿سَمَرًا﴾** قال أبو عبيدة: معناه: تَهْجُرُونَ سَمَاراً، والسامر بمعنى السَّامَر، بمنزلة طفل في موضع أطفال، وهو من سَمَرَ الليل. وقال ابن قتيبة: «سامراً» أي: متحدثين ليلاً، والسمر: حديث الليل. وقرأ أبي بن كعب، وأبو العالية، وابن محيصن: «سَمَرًا» بضم السين وتشديد الميم وفتحها، جمع سامر. وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري: «سَمَارًا» برفع السين وتشديد الميم وألف بعدها.

قوله تعالى: **﴿تَهْجُرُونَ﴾** قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحَمْزَةُ، والكسائي: «تَهْجُرُونَ» بفتح التاء وضم الجيم. وفي معناها أربعة أقوال: أحدها: تهجرون ذُكْرَ الله والحق، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: تهجرون كتاب الله تعالى ونبيه ﷺ، قاله الحسن. والثالث: تهجرون البيت، قاله أبو صالح. وقال سعيد بن جبير: كانت قريش تُسَمِّرُ حول البيت، وتفخر به ولا تطوف به. والرابع: تقولون هُجْراً من القول، وهو اللغو والهذيان، قاله ابن قتيبة. قال الفراء: يقال: قد هَجَرَ الرجل في منامه: إذا هذى، والمعنى: إنكم تقولون في رسول الله ﷺ ما ليس فيه وما لا يَصْرُهُ. وقرأ ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن محيصن، ونافع: «تَهْجُرُونَ» بضم التاء وكسر الجيم. قال ابن قتيبة: وهذا من الهُجْر، وهو السُّبُّ والإفحاش من المنطق<sup>(١)</sup>، يريد سبهم للنبي ﷺ ومن أتبعه. وقرأ أبو العالية، وعكرمة، وعاصم الجحدري، وأبو نهيك: «تَهْجُرُونَ» بتشديد الجيم ورفع التاء؛ قال ابن الأنباري: ومعناها معنى قراءة ابن عباس.

**﴿أَفَلَمْ يَذْكُرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾** أَمْ لَمْ يَرَوْهُا رَسُولُهُمْ فَهُمْ لَمْ يُنْكِرُوا<sup>(٢)</sup> أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جَنَّةً بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَكَسَبُوا بِتَلَوْنِ كُذُوبًا<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: **﴿أَفَلَمْ يَذْكُرُوا الْقَوْلَ﴾** يعني: القرآن، فيعرفوا ما فيه من الدلالات والعبير على صدق رسولهم **﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾** المعنى: ليس قد أرسل الأنبياء إلى أممهم كما أرسل محمد ﷺ؟! **﴿أَمْ لَمْ يَرَوْهُا رَسُولُهُمْ﴾** هذا توبيخ لهم، لأنهم عرفوا نسبه وصدقه وأمانته صغيراً وكبيراً ثم أعرضوا عنه. والجَنَّةُ: الجنون، **﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾** يعني القرآن.

**﴿وَلَوْ أَنِجَ الْحَقُّ أَفْرَادَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾** بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ<sup>(٤)</sup> أَمْ تَتْلُوهُمْ حَرُماً فَخَرَجَ مِنْكُمْ خَيْرٌ مِنْ خَيْرِ الزَّوْجَيْنِ<sup>(٥)</sup> وَلَئِنْ لَتَعْرَبُنَّ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ<sup>(٦)</sup> وَإِنَّ إِلَيْنَا لَیَرْجِعُنَّ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبِّرُنَّ<sup>(٧)</sup>

قوله تعالى: **﴿وَلَوْ أَنِجَ الْحَقُّ أَفْرَادَهُمْ﴾** في المراد بالحق قولان: أحدهما: أنه الله ﷻ، قاله مجاهد، وابن جريج، والسدي في آخرين. والثاني: أنه القرآن، ذكره الفراء، والزجاج. فعلى القول الأول يكون المعنى: لو جعل الله لنفسه شريكاً كما يحبون. وعلى الثاني: لو نزل القرآن بما يحبون من جعل شريك لله **﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾** بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ<sup>(٨)</sup> أي: بما فيه شرفهم وفخرهم، وهو القرآن **﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾** أي: قد تولوا عما جاءهم من شرف الدنيا والآخرة. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء: «بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ» بضم الذاء وتشديد الميم. **﴿أَمْ تَتْلُوهُمْ حَرُماً﴾** عما جفتهم به **﴿حَرُماً﴾** قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: «خَرَجاً» بغير ألف [فخرج] بألف. وقرأ ابن عامر: «خَرَجاً فخرج» بغير ألف في الحرفين. وقرأ حمزة، والكسائي: «خراجاً» بألف [فخرج] بألف في الحرفين. ومعنى «خراجاً»: أجراً ومالاً، **﴿فَخَرَجَ مِنْكُمْ خَيْرٌ﴾** أي: فما يعطيك

(١) في «غريب القرآن»: وهو السب والإفحاش من المنطق.



رُبُّكَ مِنْ أَجْرِهِ وَثَوَابِهِ ﴿حَبِيرٌ وَمَوْ حَبِيرٌ الزَّيْفِ﴾ أَي: أَفْضَلُ مِنْ أَعْطَى؛ وَهَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّجْوِيزِ لَهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلَهُمْ أَجْرًا، لَا أَنَّهُ قَدْ سَأَلَهُمْ. وَالتَّائِبُ: الْعَادِلُ؛ يُقَالُ: نَكَبَ عَنِ الطَّرِيقِ، أَي: عَدَلَ عَنْهُ.

﴿وَلَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَلَى الصِّرَاطِ لِلْكَافِرِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ مُرٍّ لَلَّجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكْبَرُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَصْزَعُونَ ﴿٧٦﴾ حَقٌّ لَنَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا فَا عَذَابٌ شَدِيدٌ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسُونَ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ مُرٍّ﴾ قال ابن عباس: الضَّرُّ هَاهُنَا: الْجُوعُ الَّذِي نَزَلَ بِأَهْلِ مَكَّةَ حِينَ دَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اعْنِي عَلَى قَرِيشَ بِسَنِينَ كَسَيْنِي يَوْسُفُ»<sup>(١)</sup>، فَجَاءَ أَبُو سَفْيَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَشَكَا إِلَيْهِ الضَّرَّ، وَأَنَّهُمْ قَدْ أَكَلُوا الْقَيْدَ<sup>(٢)</sup> وَالْعِظَامَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ الْوَعْدِ، وَهُوَ الْعَذَابُ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿حَقٌّ لَنَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا فَا عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ الْجُوعُ الَّذِي أَصَابَهُمْ، قَالَهُ مِقَاتِلٌ. وَالثَّالِثُ: بَابٌ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ، حَكَاهُ الْمَاورِدِي.

قوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسُونَ﴾ وَقَرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيُّ، وَأَبُو الْمُتَوَكِّلُ، وَأَبُو نَهْيَكٌ، وَمَعَاذُ الْقَارِئِ: «مُبْسُونَ» بِفَتْحِ اللَّامِ. وَقَدْ شَرَحْنَا مَعْنَى الْمُبْسِ فِي [الأنعام: ٤٥].

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَكَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى خَشْرَتَهُ﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا يَسْئَلُ مَا قَالِ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَوَدَا مِنَّا وَكُنَّا نُرَاكُمَا عِظَامًا أَوْ لَا تَسْمَعُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعدَا نَحْنُ وَوَكَايَاكَ هَذَا مِنْ قَبْلِ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيزُ الْأَوَّلُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾

قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: يَرِيدُ أَنَّهُمْ لَا يَشْكُرُونَ أَصْلًا.

قوله تعالى: ﴿ذَكَرَكَ فِي الْآخِرَةِ﴾ أَي: خَلَقَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أَي: هُوَ الَّذِي جَعَلَهُمَا مُخْتَلِفَيْنِ يَتَعَاقَبَانِ وَيَخْتَلِفَانِ فِي السَّوَادِ وَالْبَيَاضِ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ مَا تَرَوْنَ مِنْ صُنْعِهِ؟ وَمَا بَعْدَ هَذَا ظَاهِرٌ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ﴾ أَي: قُلْ لِأَهْلِ مَكَّةَ الْمَكْتُوبِينَ بِالْبُعْثِ: لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا؟ مِنَ الْخَلْقِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ بِحَالِهَا، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو: «لِلَّهِ» بِغَيْرِ أَلِفٍ هَاهُنَا، وَفِي اللَّذَيْنِ بَعْدَهَا بِأَلِفٍ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: «لِلَّهِ» فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ. وَقَرَأَهُ أَبُو عَمْرٍو عَلَى الْقِيَاسِ. قَالَ الزَّجَاجُ: وَمَنْ قَرَأَ: «سَيَقُولُونَ لِلَّهِ» فَهُوَ جَوَابُ السُّؤَالِ، وَمَنْ قَرَأَ «لِلَّهِ» فَجَدِيدٌ أَيْضًا، لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: مَنْ صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ؟ فَقِيلَ: لِزَيْدٍ، جَازٍ، لِأَنَّ مَعْنَى «مَنْ صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ؟»: لِمَنْ هِيَ؟ وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ: مَنْ قَرَأَ «لِلَّهِ» فِي الْمَوَاضِعِ الْآخَرِينَ، فَقَدْ أَجَابَ عَلَى الْمَعْنَى دُونَ مَا يَقْتَضِيهِ اللَّفْظُ. وَقَرَأَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ، وَأَبُو الْمُتَوَكِّلُ، وَأَبُو الْجَوَازِ: «سَيَقُولُونَ لِلَّهِ» «لِلَّهِ» «لِلَّهِ» بِأَلِفٍ فِيهِمْ كُلُّهُمْ. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْأَهْوَاوِيُّ: وَهُوَ فِي مَصَاحِفِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ بِأَلِفٍ فِيهِمْ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فَتَعْلَمُونَ أَنَّ مِنْ قَدَرٍ عَلَى خَلْقِ ذَلِكَ ابْتِدَاءً، أَقْدَرُ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ؟!

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَكَاتِ السَّامِيَةِ وَرَبُّ الْفَلَاحِ الْغَاطِيَةِ﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ مَوْلَاكُمْ مَلَكُوتُكُمْ كُلِّ نَفْسٍ وَمَوْ يَجِبُ وَلَا يَكْفَارُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتُمْ مُتَمَكِّنِينَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: تَتَّقُونَ عِبَادَةَ غَيْرِهِ. وَالثَّانِي: تَخْشَوْنَ عَذَابَهُ. فَأَمَّا الْمَلَكُوتُ، فَقَدْ

شَرَحْنَاهُ فِي [الأنعام: ٧٥].

(١) رَوَاهُ الْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النُّزُولِ» ١٧٩، وَذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَجَاتِ» ١٢/٥، وَأَصْلُهُ فِي «الصَّحِيحِينَ» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا عَلَى قَرِيشَ حِينَ اسْتَعْمَلُوا قَتَالَ: «اللَّهُمَّ اعْنِي عَلَيْهِمْ بِسَنِينَ كَسَجَ يَوْسُفُ».

(٢) قَالَ فِي «اللِّسَانِ»: الْقَيْدُ: السِّيرُ الَّذِي يَقْدُ مِنَ الْجِلْدِ، وَذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّهُمْ أَكَلُوا الْمَلْهُوزَ، وَهُوَ الْوَبَرُ وَالْمَدَمُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُجِرْ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ أي: يمنع [من] السوء من شاء، ولا يمنع منه من أراد بسوء، يقال: أجزت فلاناً: أي: حميته، وأجزت عليه: أي: حميت عنه.

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّى تُشْرِكُونَ﴾ قال ابن قتيبة: أتى تُخَذِّعُونَ وتُضَرِّفُونَ عن هذا؟  
﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٩٠) مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنَ الْإِلَهِ إِذَا لَدَّعَبَ كُلُّ لَدٍّ يَمًا خَلَقَ وَلَمْ يَلَمْ بِمَعْشَرِهِمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (٩١) عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّلَ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ أي: بالتوحيد والقرآن ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما يُضَيِّفُونَ إلى الله من الولد والشريك: ثم نفاهما عنه بما بعد هذا إلى قوله: ﴿إِذَا لَدَّعَبَ كُلُّ لَدٍّ يَمًا خَلَقَ﴾ أي: لا نفرد بخلقه ولم يرص أن يُضَافَ خَلَقَهُ وإنعامه إلى غيره، ولمنع الإله الآخر عن الاستيلاء على ما خَلَقَ ﴿وَلَمْ يَلَمْ بِمَعْشَرِهِمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي: غلب بعضهم بعضاً.

قوله تعالى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «عالم» بالخفض. وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «عالم» بالرفع. قال الأخفش: الجر أجود، ليكون الكلام من وجه واحد، والرفع، على أن يكون خبر ابتداء محذوف، ويقوّيه أن الكلام الأول قد انقطع.

﴿قُلْ رَبِّ إِنَّمَا رُزِّقْتُ مَا يَوْعُدُونَ﴾ (٩٣) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الْغَالِيِينَ (٩٤) وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تَرْيَا مَا نَدْعُهُمْ لَقَادِرُونَ (٩٥) أَدْعُ إِلَٰهِي مِنْ أَحْسَنِ السَّيِّئَةِ مَنَ أَقْلَمَ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِي (٩٨)

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا رُزِّقْتُ﴾ وقرأ أبو عمران الجوني، والضحاك: «تركتني» بالهمز بين الراء والنون من غير ياء. والمعنى: إن أرئتني ما يوعدون من القتل والعذاب، فاجعلني خارجاً عنهم ولا تُهلكني بهلاكهم؛ فأراه الله تعالى ما وعدهم بيدر وغيرها، ونجّاه ومن معه.

قوله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَٰهِي مِنْ أَحْسَنِ السَّيِّئَةِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: ادفع إساءة المسيء بالصفح، قاله الحسن. والثاني: ادفع الفحش بالسلام، قاله عطاء، والضحاك. والثالث: ادفع الشرك بالتوحيد، قاله ابن السائب. والرابع: ادفع المنكر بالموعظة، حكاه الماوردي. وذكر بعض المفسرين أن هذا منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿مَنْ أَقْلَمَ بِمَا يَصِفُونَ﴾ أي: بما يقولون من الشرك والتكذيب؛ والمعنى: إِنَّا نَجَازِيهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ. ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ﴾ أي: ألجأ وامتنع ﴿بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ قال ابن قتيبة: هو تَحْسُهَا وَطَعْنُهَا، ومنه قيل للعائب: هَمَزَةٌ، كأنه يطعن وتَحْسُ إذا عاب. وقال ابن فارس: هَمَزٌ كَالْعَضْرِ، يقال: هَمَزْتُ الشَّيْءَ فِي كَيْفٍ، ومنه الهمز في الكلام، لأنه كأنه يضغظ الحرف، وقال غيره: الهمز في اللغة: الدَّفْعُ، وَهَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ: دَفْعُهُمْ بِالْإِغْوَاءِ إِلَى الْمَعَاصِي.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يَحْضُرُونِي﴾ أي: أن يشهدون؛ والمعنى: أن يصيبوني بسوء، لأن الشيطان لا يحضر ابن آدم إلا بسوء. ثم أخبر أن هؤلاء الكفار المنكرين للبعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند الموت بالآية التي تلي هذه، وقيل: هذا السؤال منهم للملائكة الذين يقبضون أرواحهم. فإن قيل: كيف قال: «ارجعون» وهو يريد: «ارجعني»؟، فالجواب: أن هذا اللفظ تعرفه العرب للعظيم الشأن، وذلك أنه يخبر عن نفسه [فيه] بما تخبر به الجماعة، كقوله: ﴿إِنَّا عَمَّا نُمِّي وَنُثِّي﴾ (٩٢)، فجاء خطابه كإخباره عن نفسه، هذا قول الزجاج.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِنَّ يَوْمَ يُخْرَجُونَ (١٠٠) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ (١٠١) مَن تَلَّكَ مَوْزِنًا فَإِلَيْكَ هُمْ الْمُنْقَلِبُونَ (١٠٢) وَرَبِّكَ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَيْرًا أَنْفُسُهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلَفَّحَ وَجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤)

قوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ قال ابن عباس: فيما مضى من عمري؛ وقال مقاتل: فيما تركت من العمل الصالح.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يرجع إلى الدنيا ﴿إِنَّهَا﴾ يعني: مسأله الرجعة ﴿كَلِمَةً هُوَ قَائِلُهَا﴾ أي: هو كلام لا

فائدة له فيه ﴿وَبَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [بَرَزَخُ] قال ابن قتيبة: البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة، وكل شيء بين شيئين فهو برزخ. وقال الزجاج: البرزخ في اللغة: الحاجز، وهو هاهنا: ما بين موت الميت وبعثه.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ في هذه النفخة قولان: أحدهما: أنها النفخة الأولى، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: أنها الثانية، رواه عطاء عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: لا أنساب بينهم يومئذ يتفاخرون بها أو يتقاطعون بها، لأن الأنساب لا تنقطع يومئذ، إنما يُرْفَعُ التواصل والتفاخر بها. وفي قوله: ﴿وَلَا يَسْأَلُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لا يتساءلون بالأنساب أن يترك بعضهم لبعض حقّه. والثاني: لا يسأل بعضهم بعضاً عن شأنه، لاشتغال كل واحد بنفسه. والثالث: لا يسأل بعضهم بعضاً من أي قبيل أنت، كما تفعل العرب لتعرف النسب فتعرف قدر الرجل. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [الأعراف: ٨] إلى قوله: ﴿تَلَفَّحَ وَجُوهَهُمْ كَالنَّارِ﴾ قال الزجاج: تلفح وتنفح بمعنى واحد، إلا أن التلفح أعظم تأثيراً، والكالـح: الذي قد تشمّرت شفته عن أسنانه، نحز ما ترى [من] رؤوس الغنم إذا برزت الأسنان وتشمّرت الشفاه. وقال ابن مسعود: قد بدت أسنانهم وتقلّصت شفاههم كالرأس المشيط بالنار. وروى أبو عبد الله الحاكم في «صحيحه» من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال في هذه الآية: «تشويه النار فتقلّص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرّته» (١).

﴿أَلَمْ تَكُنْ مَآبِنِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ كَذُكُّوتٍ﴾ ﴿١٠٦﴾ قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْتَنَا يٰقُوتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٧﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٨﴾ قَالُوا أَخْرِجُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَا ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فَرِيقَ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٠﴾ فَاعْتَدْتُمُ سِجْرًا حَتَّىٰ أَتَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١١﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٢﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ﴾ المعنى: ويقال لهم: ألم تكن ﴿مَآبِنِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: القرآن. ﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْتَنَا يٰقُوتُنَا﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «يٰقُوتُنَا» بكسر الشين من غير ألف، وقرأ عمرو ابن العاص، وأبو رزين العقيلي، وأبو رجاء العطاردي كذلك، إلا أنه بفتح الشين. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، والأعمش، وحزمة، والكسائي: «يٰشَقَاوُنَا» بآلف مع فتح الشين والقاف؛ وعن الحسن، وقتادة كذلك، إلا أن الشين مكسورة. قال المفسرون: أقرّ القوم بأن ما كتُب عليهم من الشقاء منهم الهدى.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ أي: من النار. قال ابن عباس: طلبوا الرجوع إلى الدنيا ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ أي: إلى الكفر والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿أَخْشَرُوا﴾ قال الزجاج: تباعدوا تباعد سخط، يقال: خَسَأْتُ الكلب أَخْشَوْهُ: إذا زجرته ليتباعد.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْلُمُونَا﴾ أي: في رفع العذاب عنكم. قال عبد الله بن عمرو: إن أهل جهنم يدعون مالكا أربعين عاماً، فلا يجيبهم، ثم يقول: ﴿إِنِّكُمُ تَكْلُمُونَ﴾ [الزخرف: ١٧]، ثم ينادون ربهم ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ فيدعهم مثل عمر الدنيا، ثم يقول: ﴿إِنِّكُمُ تَكْلُمُونَ﴾ ثم ينادون ربهم ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ فيدعهم مثل عمر الدنيا، ثم يردّ عليهم ﴿أَخْشَرُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَا﴾ فما ينسب القوم بعد ذلك بكلمة إن كان، إلا الزفير والشهيق. ثم بيّن الذي لأجله أخسأهم بقوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: «أَنَّهُ» بفتح الهمزة ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾ قال ابن عباس: يريد المهاجرين.

(١) زيادة من «اللسان».

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» ٣٩٥/٢ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وهو من رواية أبي السمع دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال الحافظ في «التقريب» عن دراج أبي السمع: صدوق في حديثه، عن أبي الهيثم ضعيف. والحديث رواه أحمد في «المستدرک»، والترمذي وقال: حسن غريب. وذكره السيوطي في «الدرر» ١٦/٥ وزاد نسبة لعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في «صفة النار»، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الحلية».

قوله تعالى: ﴿فَلَقَدْ تَوَدَّوْا﴾ قال الزجاج: الأجود إدغام الذال في التاء لقرب المخرجين، وإن شئت أظهرت، لأن الذال من كلمة والتاء من كلمة، وبين الذال والتاء في المخرج شيء من التباعد.

قوله تعالى: ﴿يُخْرِتُ﴾ قرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وأبو حاتم عن يعقوب: «سُخِرَتْ» بضم السين هاهنا وفي (ص: ٢٣)، تابعهم المفضل في (ص: ٢٢). وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: بكسر السين في السورتين. ولم يختلف في ضم السين في الحرف الذي في [الزخرف: ٣٢]. واختار الفراء الضم، والزجاج الكسر. وهل هما بمعنى؟ فيه قولان: أحدهما: أنهما لفتان ومعناهما واحد، قاله الخليل، وسيبويه، ومثله قول العرب، بحر نُجِّيٍّ وليُجِّيٍّ، وكوكبٌ دُرِّيٌّ ودُرِّيٌّ. والثاني: أن الكسر بمعنى الهمز، والضم بمعنى: السُخرة والاستعباد، قاله أبو عبيدة. وحكاة الفراء، وهو مروي عن الحسن، وقناة. قال أبو علي: قراءة من كسر أرجح من قراءة من ضم، لأنه من الهزه، والأكثر في الهزه كسر السين. قال مقاتل: كان رؤوس كفار قريش كأبي جهل وعقبة [والوليد] قد اتخذوا فقراء أصحاب رسول الله ﷺ كعَمَّار وبلال وخَبَّاب وصهيب سُخِرَتْ يستهزئون بهم ويضحكون منهم.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى أَتَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ أي: أنساكم الاشتغال بالاستهزاء بهم ذكري، فنسب الفعل إلى المؤمنين وإن لم يفعلوه، لأنهم كانوا السبب في وجوده، كقوله: ﴿إِنِّي أَتَيْنَا أَشْلَكَنَ كَيْدًا مِنَ الْكَاثِبِينَ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَّوْا﴾ أي: على أذاكم واستهزائكم ﴿أَنَّهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «أَنَّهُمْ» بفتح الألف. وقرأ حمزة، والكسائي: «إِنَّهُمْ» بكسرها. فمن فتح «أَنَّهُمْ» فالمعنى: جزيتهم بصيرهم الفوز، ومن كسر «إِنَّهُمْ»، استأنف.

﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدُوِّ يَسِين﴾ ﴿قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ قَتَلِ الْعَادِينَ﴾ ﴿قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَوْبَرِ﴾ ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ﴾ قرأ نافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «قال كم لبستم» وهذا سؤال الله تعالى للكافرين. وفي وقته قولان: أحدهما: أنه يسألهم يوم البعث. والثاني: بعد حصولهم في النار. وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: «قل كم لبستم» وفيها قولان: أحدهما: أنه خطاب لكل واحد منهم، والمعنى: قل يا أيها الكافر. والثاني: أن المعنى: قولوا، فأخرجه مخرج الأمر للواحد، والمراد الجماعة، لأن المعنى مفهوم. وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي يدغمون ثاء «لبستم»، والباقيون لا يدغمونها؛ فمن أدغم، فلتقارب مخرج الثاء والتاء، ومن لم يدغم، فلتباين المخرجين. وفي المراد بالأرض قولان. أحدهما: أنها القبور، والثاني: الدنيا. فاحترق القوم ما لبثوا لما عاينوا من الأهوال والعذاب فقالوا: ﴿لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ﴾ قال الفراء: والمعنى: لا ندري كم لبثنا. وفي المراد بالعادين قولان: أحدهما: الملائكة، قاله مجاهد. والثاني: الحُساب، قاله قتادة. وقرأ الحسن، والزهري، وأبو عمران الجوني، وابن يعمر: «العادين» بتخفيف الدال.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «قال إن لبستم». وقرأ حمزة، والكسائي: «قل إن لبستم» على معنى: قل أيها السائل عن لبثهم. وزعموا أن في مصحف أهل الكوفة «قل» في الموضعين، فقراهما حمزة، والكسائي على ما في مصاحفهم، أي: ما لبستم في الأرض ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لأن مكثهم في الأرض وإن طال، فإنه مُتَنَاءٍ، ومكثهم في النار لا يتناهى. وفي قوله: ﴿وَأَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قولان: أحدهما: لو علمتم قدر لبثكم في الأرض. والثاني: لو علمتم أنكم إلى الله ترجعون، فعملتم لذلك.

قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾ أي: أفظنتم ﴿أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ أي: للعبث؛ والعبث في اللغة: اللعب، وقيل: هو الفعل لا لغرض صحيح، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم: «لا تُرْجَعُونَ» بضم التاء. وقرأ حمزة، والكسائي بفتحها. ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ عما يصفه به الجاهلون من الشُّرك والولد، ﴿الْمَلِكُ﴾ قال الخطابي: هو التام

المُلْك الجامع لأصناف المملوكات. وأما المالك: فهو الخالص المُلْك. وقد ذكرنا معنى «الحق» في (يونس: ٣٢).  
 قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَرْثِ الْكَرِيمُ﴾ والكريم في صفة الجماد بمعنى: الحسن. وقرأ ابن محيصن: «الكرِيمُ» برفع الميم، يعني الله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿لَا بُرْهَانَ لَكَ بِهِ﴾ أي: لا حُجَّة له به ولا دليل؛ وقال بعضهم: معناه: فلا برهان له به.  
 قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ أي: جزاؤه عند ربه<sup>(١)</sup>.



(١) قال ابن جرير الطبري في تفسير تمام السورة: ﴿إِنَّهُ لَا يُقْلَعُ الْكَافِرُونَ﴾ يقول: إنه لا ينجح أهل الكفر بالله عنده، ولا يدركون الخلود والبقاء في النعيم، ﴿وَقُلْ نَبِيُّ أَوْفَرَ وَأَكْبَرُ وَلَمْ يَكُنْ الْكَافِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقل يا محمد: رب استر عليّ ذنوبي بعفوك عنها، وارحمني بقبول توبتك وتركك عقابي على ما اجترمت، وأنت خير الراحمين، يقول: وقل: أنت يا رب خير من رحم ذا ذنب، قبل توبته، ولم يعاقبه على ذنبه. اهـ.

## سورة النور

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَّغْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَبَيِّنُ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي قَابِلِدُوا كُلَّ دَجْرٍ مِنْهَا يَأْتِيَةً جُلُودًا وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَلَيْهِمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لَا يَكْفِيهِ إِلَّا زَانِيَةٌ أَوْ شَرِيكَةٌ وَالزَّانِيَةُ لَا يَكْفِيهَا إِلَّا ذَا نِيٍّ أَوْ شَرِيكَةٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٣) وهي مدنية كلها بإجماعهم.

روى أبو عبد الله الحاكم في «صحيحه» من حديث عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَا تُنْزِلُوهُنَّ الْغُرَفَ وَلَا تَعْلُمُوهُنَّ الْكِتَابَةَ، وَعَلِمُوهُنَّ الْمَغْزَلَ» (١) وسورة النور» (٢)، يعني: النساء.

قوله تعالى: ﴿سُورَةُ﴾ قرأ الجمهور بالرفع. وقرأ أبو رزین العقيلي، وابن أبي عبلة، ومحبوب عن أبي عمرو: «سورة» بالنصب. قال أبو عبلة: من رفع، فعلى الابتداء. وقال الزجاج: هذا قبيح، لأنها نكرة، و﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾ صفة لها، وإنما الرفع على إضمار: هذه سورة، والنصب على وجهين، أحدهما على معنى: أنزلنا سورة، وعلى معنى: أنزل سورة.

قوله تعالى: ﴿وَفَرَّغْنَاهَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو بالتشديد. وقرأ ابن مسعود، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، وعكرمة، والضحاك، والزهري، ونافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وابن يعمر، والأعمش، وابن أبي عبلة بالتخفيف. قال الزجاج: من قرأ بالتشديد، فعلى وجهين: أحدهما: على معنى التكثير، أي: إننا فرضنا فيها فروضاً، والثاني: على معنى: بيّنا وفصلنا ما فيها من الحلال والحرام؛ ومن قرأ بالتخفيف، فمعناه: ألزمتكم العمل بما فُرض فيها. وقال غيره: مَنْ شَدَّدَ، أَرَادَ: فَضَّلْنَا فَرَاغَهَا، وَمَنْ خَفَّفَ، فَمَعْنَاهُ: فَرَضْنَا مَا فِيهَا.

قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ القراءة المشهورة بالرفع. وقرأ أبو رزین العقيلي، وأبو الجوزاء، وابن أبي عبلة، وعيسى بن عمر: «الزانية» بالنصب. واختار الخليل وسيبويه الرفع اختيار الأكثرين. قال الزجاج: والرفع أقوى في العربية، لأن معناه: من زنى فاجلدوه، فتأويله الابتداء، ويجوز النصب على معنى: اجلدوا الزانية. فأما الجلد، فهو ضرب الجلد؛ يقال: جلدته: إذا ضربت جلده، كما يقال: بطنه: إذا ضربت بطنه. قال المفسرون: ومعنى الآية: الزانية والزاني إذا كانا حرين بالغين بكرين، ﴿قَابِلِدُوا كُلَّ دَجْرٍ مِنْهَا يَأْتِيَةً جُلُودًا﴾.

(١) في الأصل: وعلموهن الغزل، والتصحيح من «المستدرک» للحاكم الذي نقل عنه المؤلف.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» ٣٩٦/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: قلت: بل موضوع، وأكثه عبد الوهاب بن الضحاك، قال أبو حاتم: كذاب. وهذا الخبر رواه أيضاً ابن حبان في «صحيحه»، وفي سننه محمد بن إبراهيم الشامي، وهو منكر الحديث ومن الوضاهين، وقد ذكر المصنف هذا الحديث في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» وقال: لا يصح، محمد بن إبراهيم الشامي كان يضع الحديث، وقد ألف العلامة المحدث شمس الحق العظيم آبادي رسالة سماها «عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان» طبعها المكتب الإسلامي، ذكر فيها مؤلفها أن القول المحقق جواز تعليم الكتابة للنسوان، وذكر أحاديث عدم الجواز، منها حديث الحاكم، وابن حبان، اللذين تقدم ذكرهما، وغيرهما، ونقل أقوال العلماء فيها، ثم قال: وأحاديث النهي عن الكتابة كلها من الأباطيل والموضوعات، ولم يصحح العلماء واحداً منها، ما عدا الحاكم أباً عبد الله، وتساهله في التصحيح معروف، وتصحيحه متعقب عليه، ولا يؤخذ كلامه في التصحيح إلا إذا وافق الحفاظ الآخرون في تصحيحه، ثم قال: وخلاصة الكلام أنه لا ريب في جواز تعليم الكتابة للنساء البالغات المشتبهات بواسطة النساء الأخريات، أو بواسطة محارمهن، أما البنات غير البالغات وغير المشتبهات فيتعلمن ممن شئن. ومن أراد الزيادة في ذلك، فليرجع إلى رسالة «عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان»، فإن المؤلف وفي الموضوع حقه فيها.

## فصل

قال شيخنا علي بن عبيد الله: هذه الآية تقتضي وجوب الجَلْد على البكر والثيب. وقد روي عن رسول الله ﷺ في حق البكر زيادة على الجَلْد بتفريب عام، وفي حق الثيب زيادة على الجَلْد بالرجم بالحجارة. فروى عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «البكر بالبكر جلد مائة وتفريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة»<sup>(١)</sup>. ومن قال بوجوب الثقي في حق البكر أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن عمر، ومن بعدهم عطاء، وطاووس، وسفيان، ومالك، وابن أبي ليلى، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، ومن قال بالجمع بين الجَلْد والرجم في حق الثيب علي بن أبي طالب، والحسن البصري، والحسن بن صالح، وأحمد، وإسحاق. قال: وذهب قوم من العلماء إلى أن المراد بالجَلْد المذكور في هذه الآية: البكر، فأما الثيب، فلا يجب عليه الجَلْد، وإنما يجب الِرجم، روي عن عمر، وبه قال النخعي، والزهرى، والأوزاعي، والثوري، وأبو حنيفة، ومالك، وروي عن أحمد رواية مثل قول هؤلاء.

قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْكُمْ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رزين، والضحاك، وابن يعمر، والأعمش: «يَأْخُذْكُمْ» بالياء، ﴿يَسِّرَ رَافَةً﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «رَافَةً» بإسكان الهمزة. وقرأ أبو المتوكل، ومجاهد، وأبو عمران الجوني، وابن كثير: بفتح الهمزة وقصرها على وزن رَفَعَةٍ. وقرأ سعيد بن جبير، والضحاك، وأبو رجاء العطاردي: «رَافَةً» مثل سَامة وكَابة. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: لا تأخذكم بهما رافة، فتخففوا الضرب، ولكن أوجعهما، قاله سعيد بن المسيب، والحسن، والزهرى، وقتادة. والثاني: لا تأخذكم بهما رافة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها، قاله مجاهد، والشعبي، وابن زيد في آخرين.

## فصل

اختلف العلماء في شدة الضرب في الحدود، فقال الحسن البصري: ضرب الزنى أشد من القذف، والقذف أشد من الشُّرب، ويضرب الشارب أشد من ضرب التعزير، وعلى هذا مذهب أصحابنا. وقال أبو حنيفة: التعزير أشد الضرب، وضرب الزنى أشد من ضرب الشارب، وضرب الشارب أشد من ضرب القذف. وقال مالك: الضرب في الحدود كلها سواء غير مبرح.

(١) رواه أحمد في «المستند» ١٣/٥، ومسلم ١٣١٦/٣، وأبو داود رقم (٤٤١٥)، والترمذي، والتسائي، وابن ماجه، كلهم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، ونقله عند مسلم: عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «خلوا عني، خلوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة وثقي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم». قال ابن كثير: وللعلماء فيه تفصيل ونزاع، فإن الزاني لا يخلو، إما أن يكون بكراً، وهو الذي لم يتزوج، أو محصناً، وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حرٌ بالغ عاقل، فأما إذا كان بكراً لم يتزوج، فإن حده مائة جلدة، كما في الآية، ويزاد على ذلك أن يفرغ عاماً عن بلده عند جمهور العلماء، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله، فإن عنده أن التفريب إلى رأي الإمام، إن شاء غرب، وإن شاء لم يفرغ، وحجة الجمهور في ذلك ما ثبت في «الصحيحين» عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني في الأعرابيين اللذين أتيا رسول الله ﷺ، فقال أحدهما: يا رسول الله، إن ابني هذا كان سعيفاً (يعني أجيراً) على هذا، فزني بامرأته، فافتدت ابنتي منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم، فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتفريب عام، وأن على امرأة هذا الِرجم، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأقفين بينكما بكتاب الله تعالى، الوليدة والقمع رد عليك، وعلى ابنتك مائة جلدة وتفريب عام، واغد يا أنيس (الرجل من أسلم) إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها» ففدا عليها فاعترفت فرجمها، قال: وفي هذا دلالة على تفريب الزاني مع جلد مائة إذا كان بكراً لم يتزوج.

وقال ابن كثير أيضاً: وأما إذا كان محصناً وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حرٌ بالغ عاقل، فإنه يرجم، وذلك للأحاديث الواردة في «الصحيحين» وغيرهما في الِرجم، ثم قال: وقد أمر رسول الله ﷺ برجم هذه المرأة وهي زوجة الرجل الذي استأجر الأجير لما زنت مع الأجير، قال: ورجم رسول الله ﷺ ماعزاً، والخامدية، وكل هؤلاء لم ينقل عن رسول الله ﷺ أنه جلدتهم قبل الِرجم، وإنما وردت الأحاديث الصحيحة المتعاضدة المتعددة الطرق والألفاظ بالاعتصار على رجمهم، وليس فيها ذكر الجَلْد، ولهذا كان هذا مذهب جمهور العلماء، وإليه ذهب أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، رحمهم الله. وذهب الإمام أحمد رحمه الله إلى أنه يجب أن يجمع على الزاني المحصن بين الجَلْد للآية، والِرجم للسنّة، كما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لما أتى بسراجة وكانت قد زنت وهي محصنة، فجلدها يوم الخميس، ورجمها يوم الجمعة، فقال: جلدها بكتاب الله، ورجمها بسنة رسول الله ﷺ. قال الإمام النووي في «شرح مسلم» ١١/١٨٩: وقال جماهير العلماء: الواجب الِرجم وحده، ثم قال: قالوا: وحديث الجمع بين الجَلْد والِرجم وهو حديث عبادة المتقدم منسوخ، فإنه كان أول الأمر. اهـ.

## فصل

فأما ما يُضْرَب من الأعضاء، فنقل الميموني عن أحمد في جلد الزاني، قال: يجرد، ويعطى كل عضو حقه، ولا يضرب وجهه ولا رأسه. ونقل يعقوب بن بختان<sup>(١)</sup>: لا يُضْرَب الرأس ولا الوجه ولا المذاكير، وهو قول أبي حنيفة. وقال مالك: لا يُضْرَب إلا في الظهر. وقال الشافعي: يُتَّقَى الفرج والوجه.

قوله تعالى: ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾ فيه قولان. أحدهما: في حكمه، قاله ابن عباس. والثاني: في طاعة الله، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الزجاج: القراءة بإسكان اللام، ويجوز كسرهما. والمراد بعدايبهما ضربهما. وفي المراد بالطائفة هاهنا خمسة أقوال: أحدها: الرجل فما فوقه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. وقال النخعي: الواحد طائفة. والثاني: الاثنان فصاعداً، قاله سعيد بن جبير، وعطاء، وعن عكرمة كالقولين. قال الزجاج: والقول الأول على غير ما عند أهل اللغة، لأن الطائفة في معنى جماعة، وأقل الجماعة اثنان. والثالث: ثلاثة فصاعداً، قاله الزهري. والرابع: أربعة، قاله ابن زيد. والخامس: عشرة، قاله الحسن البصري.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا نُبَيِّحُ لَهَا زَانِيَ﴾ قال عبد الله بن عمرو: كانت امرأة تسافح، وتشتترط للذي يتزوجها أن تكفيه النفقة فأراد رجل من المسلمين أن يتزوجها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وقال عكرمة: نزلت في بغايا، كُنْ بِمَكَّةَ، ومنهن تسع صواحب رايات، وكانت بيوتهن تسمى في الجاهلية: المواخير، ولا يدخل عليهن إلا زانٍ من أهل القبيلة، أو مشرك من أهل الأوثان، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. قال المفسرون: ومعنى الآية: الزاني من المسلمين لا يتزوج من أولئك البغايا إلا زانية ﴿أَوْ شَرِكَةً﴾ لأنهن كذلك كن ﴿وَالزَّانِيَةُ﴾ منهن ﴿لَا يَبِيحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾<sup>(٤)</sup>، ومذهب أصحابنا أنه إذا زنى بامرأة، لم يجز له أن يتزوجها إلا بعد التوبة منهما<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ ذَٰلِكَ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء: «وَحَرَّمَ الله ذَٰلِكَ» بزيادة اسم الله ﷻ مع فتح حروف «حَرَّمَ». وقرأ زيد بن علي: «وَحَرَّمَ ذَٰلِكَ» بفتح الحاء وضم الزاء مخففة. ثم فيه قولان. أحدهما: أنه نكاح الزواني، قاله مقاتل. والثاني: الزنا، قاله الفراء.

﴿وَالَّذِينَ يَزْنُونَ يَزْنُونَ تَحْتِ مَنَاسِكٍ﴾ ثم ﴿لََّ يَأْتُوا بِزَانِيَةٍ شَهِلَةٍ فَلْيَلْزِمُوا شَتَيْنَ جَلْدَةٍ وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(٦)</sup> إلا الذين تأبوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَسْلَمُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْنُونَ يَزْنُونَ تَحْتِ مَنَاسِكٍ﴾ شرائط الإحصان في الزنى الموجب للرجم عندنا أربعة: البلوغ، والحرية، والعقل، والوطء في نكاح صحيح. فأما الإسلام، فليس بشرط في الإحصان، خلافاً لأبي حنيفة، ومالك. وأما شرائط إحصان القذف فأربع: الحرية، والإسلام، والبعث، وأن يكون المقدوف ممن يجامع مثله. ومعنى الآية: يرمون المحصنات بالزنا، فاكتمى بذكره المتقدم عن إعادته. ﴿ثُمَّ لََّ يَأْتُوا﴾ على ما رمَوْهُنَّ به ﴿بِزَانِيَةٍ شَهِلَةٍ﴾ عدول يشهدون أنهم رأوهن يفعلن ذلك ﴿فَلْيَلْزِمُوا﴾ يعني القاذفين.

(١) هو يعقوب بن إسحاق بن بختان، أبو يوسف، سجع من الإمام أحمد، ترجمته في «طبقات الختابة» ١/ ٤١٥.

(٢) رواه أحمد في «المستد»، والنسائي، والطبري، والحاكم وصححه، وذكره السيوطي في «الدر» ١٦/٥ وزاد نسيته لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه»، وأبي داود في «تساخه».

(٣) ذكره بخرو الطبري عن ابن عباس.

(٤) قال ابن جرير الطبري ٧٥/١٨: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: حتى بالنكاح في هذا الموضع: الوطء، وأن الآية نزلت في البغايا المشتركات ذوات الرايات، وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك، وأن الزاني من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان، فمعلوم إذا كان ذلك كذلك، أنه لم يُنْعَ بالآية أن الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات، ولا يتكح إلا بزانية أو مشركة، وإذا كان ذلك كذلك، فبين أن معنى الآية: الزاني لا يزني إلا بزانية لا تستحل الزنا، أو بمشركة تستحلها. اهـ.

(٥) قال ابن كثير: ومن هاهنا ذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إلى أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المرأة البغي ما دامت كذلك حتى تستتاب، فإن تاب، صح العقد عليها، وإلا فلا، وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح حتى يتوب توبة صحيحة، لقوله تعالى: ﴿وَيَحَرِّمُ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾. اهـ.



### فصل

وقد أفادت هذه الآية أنَّ على القاذف إذا لم يُقم البيّنة الحدَّ وردَّ الشهادة وثبوتُ الفُسق. واختلفوا هل يُحكم بفسقه وردَّ شهادته بنفس القذف، أم بالحدِّ؟ فعلى قول أصحابنا: إنه يُحكم بفسقه وردَّ شهادته إذا لم يُقم البيّنة، وهو قول الشافعي. وقال أبو حنيفة، ومالك: لا يُحكم بفسقه، وتقبل شهادته ما لم يُقم الحدَّ عليه.

### فصل

والتعريض بالقذف - كقوله لمن يخاصمه: ما أنت بزبان، ولا أمك زانية - يوجب الحدَّ في المشهور من مذهبننا. وقال أبو حنيفة: لا يوجب الحدَّ. وحدَّ العبد في القذف نصف حدِّ الحرِّ، وهو أربعون، قاله الجماعة، إلا الأوزاعي فإنه قال: ثمانون. فأما قاذف المجنون، فقال الجماعة: لا يُحدُّ. وقال الليث: يُحدُّ. فأما الصبي، فإن كان مثله يجامع أو كانت صبيّة مثله يجامع، فعلى القاذف الحدَّ. وقال مالك: يُحدُّ قاذف الصبيّة التي يجامع مثله، ولا يُحدُّ قاذف الصبي. وقال أبو حنيفة، والشافعي: لا يُحدُّ قاذفهما. فإن قذف رجل جماعة بكلمة واحدة، فعلى حدِّ واحد، وإن أفرد كلَّ واحد بكلمة، فعليه لكل واحد حدٌّ، وهو قول الشعبي، وابن أبي ليلى؛ وقال أبو حنيفة وأصحابه: عليه حدٌّ واحد، سواء قذفهم بكلمة أو بكلمات.

### فصل

وحدُّ القذف حقٌّ لآدمي، يصح أن يبرئ منه، ويعفو عنه. وقال أبو حنيفة: هو حقٌّ لله. وعندنا [أنه] لا يستوفى إلا بمطالبة المقدوف، وهو قول الأكثرين. وقال ابن أبي ليلى: يحده الإمام وإن لم يطالب المقدوف. قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ أي: من القذف ﴿وَكَلِمَاتُ﴾ قال ابن عباس: أظهروا التوبة؛ وقال غيره: لم يعودوا إلى قذف المُخَصَّنات. وفي هذا الاستثناء قولان: أحدهما: أنه نسخ حدَّ القذف وإسقاط الشهادة معاً، وهذا قول عكرمة، والشعبي، وطائوس، ومجاهد، والقاسم بن محمد، والزهري، والشافعي، وأحمد. والثاني: أنه يعود إلى الفسق فقط، وأما الشهادة، فلا تُقبل أبداً، قاله الحسن، وشريح، وإبراهيم، وقتادة. فعلى هذا القول انقطع الكلام عند قوله: «أبداً»؛ وعلى القول الأول وقع الاستثناء على جميع الكلام، وهذا أصح، لأن المتكلم بالفاحشة لا يكون أعظم جرماً من راكبها، فإذا قُبِلَت شهادة المقدوف بعد ثبوته، فالرامي أيسر جرماً، وليس القاذف بأشدَّ جرماً من الكافر، فإنه إذا أسلم قُبِلَت شهادته<sup>(١)</sup>.

﴿وَالَّذِينَ يَزِينُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَكُنَّ لَهُمْ نِسَاءً إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُنَّ وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ وَالْمُؤْمِنَةُ الَّتِي كَفَرَتْ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ وَيَذَرُونَ عَنْهُ الْمَذَابَ إِنْ تَشَهِدَ أَنْفُسُهُنَّ بِشَهَادَتِ اللَّهِ وَإِنَّ لِمَنِ الْكَذِبُ ﴿٨﴾ وَالْمُؤْمِنَةُ الَّتِي كَفَرَتْ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٩﴾ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُ شَهَادَةً وَرَحْمَتُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزِينُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ سبب نزولها أن هلال بن أمية وجد عند أهله رجلاً، فرأى بعينه وسمع بأذنه، فلم يُهنجه حتى أصبح، فغدا على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله: إني جئت أهلي، فوجدت عندها رجلاً، فرأيت بعيني وسمعت بأذني، ففكره رسول الله ﷺ، ما جاء به، واشتد عليه، فقال سعد بن عباد: الآن يضرب رسول الله ﷺ هلالاً ويُبطِل شهادته، فقال هلال: والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجاً، فوالله إن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه [إذ] نزل عليه الوحي، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وفي حديث آخر أن الرجل الذي قذفها به

(١) قال ابن كثير: واختلف العلماء في هذا الاستثناء، هل يعود إلى الجملة الأخيرة فقط، فترفع التوبة الفسق فقط، ويبقى مردود الشهادة دائماً وإن تاب، أو يعود إلى الجملتين الثانية والثالثة؟ وأما الجدل فقد ذهب وانقضى سواء تاب أو أصر ولا حكم له بعد ذلك بلا خلاف. قال: فذهب الإمام أحمد، ومالك، والشافعي إلى أنه إذا تاب قُبِلَت شهادته، وارتفع عنه حكم الفسق، ونص عليه سعيد بن المسيب سيد التابعين وجماعة من السلف أيضاً. وقال الإمام أبو حنيفة: إنما يعود الاستثناء إلى الجملة الأخيرة فقط، فيرتفع الفسق بالتوبة، ويبقى مردود الشهادة أبداً، قال: ومن ذهب إليه من السلف، القاضي شريح، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، ومكحول، وعبد الرحمن بن زيد بن جابر. وقال الشعبي والضحاك: لا تقبل شهادته وإن تاب، إلا أن يعترف على نفسه أنه قد قال البهتان، فيحتجّ بتقبل شهادته، والله أعلم. اهـ.

(٢) رواه أحمد في «المسند»، وهو في «الطبري» ٨٢/١٨، ٨٣، وأسباب النزول للواحي ١٨٠. قال ابن كثير: ورواه أبو داود عن الحسن بن علي بن -

شريك بن سحماء، وأن رسول الله ﷺ قال لهلال حين قذفها: «اتنني بأربعة شهداء، وإلا فحدّ في ظهرك»، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، فتُسخ حكم الجلد في حق الزوج القاذف.

### فصل في بيان حكم الآية

إذا قذف الرجل زوجته بالزنا، لزمه الحدّ، وله التخلّص منه بإقامة البينة، أو باللّعان، فإن أقام البينة لزمها الحدّ، وإن لاعنها، فقد حقّق عليها الزنا، ولها التخلّص منه باللّعان؛ فإن نكل الزوج عن اللعان، فعليه حدّ القذف، وإن نكلت الزوجة، لم تحدّ، وحُبست حتى يُلاعِن أو تُقَرَّ بالزنا في إحدى الروايتين، وفي الأخرى: يُخلّى سبيلها. وقال أبو حنيفة: لا يُحدّ واحد منهما، ويُحبس حتى يُلاعِن. وقام مالك، والشافعي: يجب الحدّ على الناكل منهما.

### فصل

ولا تصح الملاعة إلا بحضرة الحاكم. فإن كانت المرأة خفّرة، بعث الحاكم من يُلاعِن بينهما. وصفة اللعان أن يبدأ الزوج فيقول: أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا، أربع مرات، ثم يقول في الخامسة: ولعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ثم تقول الزوجة أربع مرات: أشهد بالله لقد كذب فيما رماني به من الزنا، ثم تقول: وغضب الله عليها إن كان من الصادقين. والسنة أن يتلاعنا قياماً، ويقال للزوج إذا بلغ اللعنة: اتق الله فإنها المؤجبة، وعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وكذلك يقال للزوجة إذا بلغت إلى الغضب. فإن كان بينهما ولد، اقتصر نفيه عن الأب إلى ذكره في اللعان، فيزيد في الشهادة: وما هذا الولد ولدي، وتزيد هي: وإن [هذا] الولد ولده.

### فصل

واختلف الفقهاء في الزوجين اللذين يجري بينهما اللعان، فالمشهور عن أحمد كل زوج صح قذفه صح لعانه، فيدخل تحت هذا المسلم والكافر والحر والعبد، وكذلك المرأة، وهذا قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يجوز اللعان بين الحر والأمة، ولا بين العبد والحرّة، ولا بين الذميين، أو إذا كان أحدهما ذمياً؛ ونقل حرب عن أحمد نحو هذا، والمذهب هو الأول. ولا تختلف الرواية عن أحمد أن فرقة اللعان لا تقع بلعان الزوج وحده. واختلف هل تقع بلعانهما من غير فرقة الحاكم على روايتين. وتحريم اللعان مؤبد، فإن أكذب الملاحن نفسه لم تحلّ له زوجته أيضاً، وبه قال عمر، وعلي، وابن مسعود؛ وعن أحمد روايتان، أصحهما: هذا، والثانية: يجتمعان بعد التكذيب، وهو قول أبي حنيفة.

قوله تعالى: ﴿وَلَرَّ يَكُنْ لَّمَّ شُهَدَاؤُا إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ وقرأ أبو المتوكل. وابن يعمر، والنخعي: «تكن» بالتاء.

قوله تعالى: ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «أربع» بفتح العين. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: برفع العين. قال الزجاج: من رفع «أربع»، فالمعنى: فشهادة أحدهم التي تدرأ حدّ القذف أربع؛ ومن نصب، فالمعنى: فعليهم أن يشهد أحدهم أربع.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَيْسَةُ﴾ قرأ حفص عن عاصم: «والخامسة» نصباً، حملاً على نصب «أربع شهادات».

قوله تعالى: ﴿أَنْ لَّمْ يَنْتَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ قرأ نافع، ويعقوب، والمفضل: «أن لعنة الله» و«أن غضب الله» بتخفيف النون فيهما وسكونهما ورفع الهاء من «لعنة» والباء من «غضب» إلا أن نافعاً كسر الضاد من «غضب» وفتح الباء.

قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُهَا عَنِ﴾ أي: ويدفع عنها «الكتاب» وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: [أنه] الحدّ. والثاني: الحبس. ذكرهما ابن جرير. والثالث: العار.

= يزيد بن هارون به مختصراً، ثم قال: ولهذا الحديث شواهد كثيرة في الصحاح وغيرها من وجوه كثيرة، وذكر منها الحديث الذي ذكره المصنف بعد هذا. والحديث ذكره السيوطي في «الدر» ٢١/٥ وزاد نسبه لعبد الرزاق، والطائلي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس.

(١) البخاري ٣٤١/٨، والترمذي ١٤٨/٢، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٢/٥ وزاد نسبه لابن ماجه.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ أي: ستره ونعمته. قال الزجاج: وجواب «لولا» هاهنا، متروك؛ والمعنى: لولا ذلك لنال الكاذب منكم عذاب عظيم. وقال غيره: لولا فضل الله لبين الكاذب من الزوجين فأقيم عليه الحد، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ يعود على من رجع عن المعاصي بالرحمة ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما فرض من الحدود<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكُم لِّكَرَّ لِكُلِّ آتَمِرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ أَنْفُسَهُمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ لَوْلَا جَاءَهُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ فَأُولَئِكَ فَاتْرَكُوا يَوْمَئِذٍ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفْسَحْتُمْ يَدَيْكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤﴾ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَاتِلُوا الَّذِينَ جَاءُوا بِإِفْكِكُمْ مَا قَاتِلُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي الْفَصْحَةِ الْكَلِمَةَ الْكُبْرَى ﴿٥﴾ يَمْطَحُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَقُولُوا لِلنَّاسِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا إِنَّكُمْ تَقُودُونَ لَعْنَةُ اللَّهِ لِّلَّذِينَ الَّذِينَ جَاءُوا بِإِفْكِكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَوَّاقٌ لِّرِجْمٍ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ أجمع المفسرون؛ أن هذه الآية وما يتعلق بها بعدها نزلت في قصة عائشة. وفي حديث الإفك أن هذه الآية إلى عشر آيات نزلت في قصة عائشة. وقد ذكرنا حديث الإفك في كتاب «الحدائق» وفي كتاب «المغني في التفسير» فلم نطل بذكره، لأن غرضنا اختصار هذا الكتاب ليُحفظ<sup>(٢)</sup>. فأما الإفك، فهو الكذب، والعُصبة: الجماعة. ومعنى قوله: ﴿يَنْكُرُ﴾ أي: من المؤمنين. وروى عروة عن عائشة أنها قالت: هم أربعة: حسان بن ثابت، وعبد الله بن أبيّ [بن سلول]، ومسطح بن أثانة، وحمنة بنت جحش، وكذلك عدّهم مقاتل<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾ قال المفسرون: هذا خطاب لعائشة وصفوان بن المعطل، وقيل: لرسول الله ﷺ وأبي بكر وعائشة؛ والمعنى: إنكم تؤجرون فيه<sup>(٤)</sup>، ﴿لِكُلِّ آتَمِرٍ مِنْهُمْ﴾ يعني: من العُصبة الكاذبة ﴿مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ أي: جزاء ما اجترح من الذنب على قدر خوضه فيه، ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ قرأ ابن عباس، وأبو رزين، وعكرمة، ومجاهد، وابن أبي عبيدة، والحسن، ومحبوب عن أبي عمرو، ويعقوب: «كُتِبَ» بضم الكاف. قال الكسائي: وهما لغتان. وقال ابن قتيبة: كِبْرُ الشيء: مُعْظَمُهُ<sup>(٥)</sup>، ومنه هذه الآية. قال قيس بن الخطيم يذكر امرأة:

(١) قال ابن جرير الطبري ٨٦/١٨: يقول تعالى ذكره: ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم، وأنه عَوَّدَ على خلقه بلطفه وظلّه، حكيم في تدبيره إياهم وسياسة لهم، لعاجلكم بالمقوبة على معاصيكم، وفضح أهل الذنوب منكم بذنوبهم، ولكنه ستر عليكم ذنوبكم، وترك فضيحتكم بها عاجلاً، رحمةً منه بكم، وتفضلاً عليكم، فاشكروا نعمه، وانتهوا عن التقدّم عما نهى ناهكم من معاصيه، وترك الجواب في ذلك اكتفاءً بمعرفة السامع المراد منه. اهـ.

(٢) حلتب الإفك مشهور، رواه أحمد في «المستد»، والبخاري ومسلم في «صحيحيهما»، والترمذي، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن عائشة ؓ، وهو حديث طويل، وهذه الآيات العشر نزلت في شأن عائشة ؓ حين رامها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله ﷻ لها ولبنيه ؓ فأنزله تعالى براءتها في القرآن صيانة لعرض الرسول ﷺ، وكان الذين جاؤوا بالإفك عصابة، يعني ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة، والذي تحمل معظم ذلك الإثم والإفك منهم، هو الذي بدأ بالخوض فيه، وهو عبد الله بن أبيّ بن سلول رأس المنافقين، فإنه كان يجمعه ويستوثقه ويلبسه ويشيعه، حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين، فتكلموا به، ووجوه آخرون منهم، وفي الأمر كذلك قريباً من شهر وعائشة ؓ تقول: ﴿قَصَبٌ رَجُلٌ وَاللَّهُ السَّمْعَانُ عَلَى مَا يَصْنَعُونَ﴾ حتى نزل القرآن ببراءتها، فقال رسول الله ﷺ لعائشة: «أبشري فقد أنزل الله براءتك» وكانت السيدة عائشة الصديقة تقول: «والله ما كنت أظن أن الله أنزل في شأنِي حياً يئلى، ولئشاني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يئلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها». وقد روى قصة الإفك مطولة الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٣٤٢/٨ - ٣٧٥، وابن كثير في «التفسير» ٢٦٨/٣، وغيرهما.

(٣) وفي «صحيح البخاري» ٣٤٣/٨ عن عروة عن عائشة ؓ: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾، قالت: عبد الله بن أبيّ بن سلول. اهـ. وهو الذي بدأ بالخوض فيه، وأذاعه وأشاعه، فله عذاب عظيم على ذلك.

(٤) قال ابن كثير: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾، أي: يا آل أبي بكر، بل هو خير لكم، أي: في الدنيا والآخرة، لسان صدق في الدنيا، ورفعة منازل في الآخرة، وإظهار شرف لهم باعتناء الله تعالى بمعايشة أم المؤمنين ؓ حيث أنزل الله براءتها في القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولهذا لما دخل عليها ابن عباس ؓ وعنها وهي في سياق الموت قال لها: أبشري فإنك زوجة رسول الله ﷺ، وكان يحبك ولم يتزوج بكَراً غيرك، ونزلت براءتك من السماء. اهـ.

(٥) نقل في «اللسان» هذا القول عن ابن السكيت، وفي «غريب القرآن»: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ أي: عَظْمُهُ.

تَسَامُ عَنْ كِبَرِ شَأْنِهَا فَإِذَا قَامَتْ رُوَيْدًا تَكَادُ تَنْفَرُ<sup>(١)</sup>

وفي المتوَلَّى لذلك قولان: أحدهما: أنه عبد الله بن أبي، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وعروة عن عائشة، وبه قال مجاهد، والسدي، ومقاتل. قال المفسرون: هو الذي أشاع الحديث، فله عذاب عظيم بالنار. وقال الضحاك: هو الذي بدأ بذلك. والثاني: أنه حسان<sup>(٢)</sup>؛ روى الشعبي أن عائشة قالت: ما سمعت أحسن من شعر حسان، وما تملث به إلا رجوت له الجنة؛ فقيل: يا أم المؤمنين، أليس الله يقول: ﴿وَالَّذِي قَوْلُكُمْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ لَمْ يَكُنْ عَذَابُ عَظِيمٍ﴾؟ فقالت: أليس قد ذهب بصره؟ وروى عنها مسروق أنها قالت: وأي عذاب أشد من العجبى، ولعل الله أن يجعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره، تعني: حسان بن ثابت. ثم إن الله عز وجل أنكر على الخائضين في الإفك بقوله: ﴿وَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ أي: هلا إذ سمعتم أيئها العُصبة الكاذبة فذفت عائشة ﴿طَرَأَ الْفِتْنَةُ﴾ من العُصبة الكاذبة، وهم حسان ومسطح و﴿الْمُؤَيَّنَتُ﴾ وهي: حمنة بنت جحش ﴿بِالْفِتْنَةِ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: بأثماتهم. والثاني: بأخواتهم. والثالث: بأهل دينهم، لأن المؤمنين كنفس واحدة، ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ أي: كذب بَيِّن. وجاء في التفسير أن أبا أيوب الأنصاري قالت له أمه: ألا تسمع ما يقول الناس في أمر عائشة؟! فقال: هذا إفك مبين، أكنيت يا أمه فاعلته؟ قالت: معاذ الله، قال: فعائشة والله خير منك؛ فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا جَبَّارٌ﴾ أي: هلا جاءت العُصبة الكاذبة على قذهم [عائشة] ﴿بِأَرْبَعٍ شَهْلَةٍ﴾ وقرأ الضحاك، وعاصم الجحدري: «بأربعة» منونة؛ والمعنى: يشهدون بأنهم عاينوا ما رموها به ﴿فَإِذَا كَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأَنْتَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: في حكمه ﴿هُمْ الْكَافِرُونَ﴾. ثم ذكر القاذفين فقال: ﴿وَلَا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ أي: لولا ما من الله به عليكم، ﴿لَسَكَّرَ﴾ أي: لأصابكم ﴿فِي مَا أَنْفَرْتُمْ﴾ أي: أخذتم وخضتم ﴿فِيهِ﴾ من الكذب والقذف ﴿عَذَابُ عَظِيمٍ﴾ في الدنيا والآخرة<sup>(٤)</sup>. ثم ذكر الوقت الذي لولا فضله لأصابهم فيه العذاب فقال: ﴿إِذْ تَلْقَوْنَهُ﴾ وكان الرجل منهم يلقي الرجل فيقول: بلغني كذا، فيتلقاه بعضهم من بعض. وقرأ عمر بن الخطاب: ﴿إِذْ تَلْقَوْنَهُ﴾ بناءً واحدة خفيفة مرفوعة وإسكان اللام وقاف منقوطة بنقطتين مرفوعة خفيفة؛ وقرأ معاوية، وابن السميع مثله، إلا أنهما فتحا التاء والقاف. وقرأ ابن مسعود: ﴿تَلْقَوْنَهُ﴾ بناءً من مفتوحتين مع نصب اللام وتشديد القاف. وقرأ أبي بن كعب، وعائشة، ومجاهد، وأبو حيو: ﴿تَلْقَوْنَهُ﴾ بناءً واحدة خفيفة مفتوحة وكسر اللام ورفع القاف. وقال الزجاج: ﴿تَلْقَوْنَهُ﴾: يلقيه بعضهم إلى بعض وتَلْقَوْنَهُ ومعناه: إذ تُسرعون بالكذب، يقال: وَلَقَى يَلْقَى: إذا أسرع في الكذب وغيره، قال الشاعر:

جاءت بِوَعْنَسٍ مِنَ الشَّامِ تَلْقَى<sup>(٥)</sup>

أي: تُسرِع. وقال ابن قتيبة: ﴿تَلْقَوْنَهُ﴾ أي: تَقْبَلُونَهُ، ومن قرأ: ﴿تَلْقَوْنَهُ﴾ أخذه من الوَلَق، وهو الكذب.

(١) ديوانه ١٧، و«مختار الشعر الجاهلي» ٥٦٤/٢، و«تخریب القرآن» ٣٠١، و«اللسان» و«التاج»: كبر، قال يعقوب: معناه: تبتنى، وقيل: معناه: تنقص من وقته خصرها.

(٢) قال ابن جرير الطبري ٨٩/١٨: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: الذي تولى كبره من عصبة الإفك، كان عبد الله بن أبي، وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالشعر، أن الذي بدأ بذكر الإفك وكان يجمع أهله ويحدثهم، عبد الله بن أبي بن سلول، وفعله ذلك على ما وصفت، كان تولى كبر ذلك الأمر. اهـ. وقال ابن كثير ٣/٢٧٧: والأكثرون على أن المراد بذلك إنما هو عبد الله بن أبي بن سلول قبحه الله تعالى ولعنه، وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث، وقال ذلك مجاهد وغير واحد. اهـ.

(٣) قال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ أي: كذب ظاهر على أم المؤمنين ﷺ، فإن الذي وقع لم يكن ريبة، وذلك أن منجي أم المؤمنين رابكة جهره على راحلة صفوان بن المطلب في وقت الظهيرة والجيش بكماله يشاهدون ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم، ولو كان هذا الأمر فيه ريبة، لم يكن هذا جهره، ولا كانتا يقدمان على مثل ذلك على رؤوس الأشهاد، بل كان هذا يكون لو قدر خفية مستورا، فتبين أن ما جاء به أهل الإفك مما رَمَوْا به أم المؤمنين، هو الكذب البحت، والقول الزور، والرهونة الفاحشة الفاجرة، والصفة الخاسرة. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: وهذا فيمن عنده إيمان يقبل الله بسببه التوبة، كمسطح، وحمنة بنت جحش، فأما من خاض فيه من المنافقين كعبد الله بن أبي بن سلول وأضرابه، فليس أولئك مرادين في هذه الآية، لأنه ليس عندهم من الإيمان والعمل الصالح ما يعادل هذا ولا ما يعارضه، وهكذا شأن ما يرد من الوعيد على فعل معين، يكون مطلقاً مشروطاً بعدم التوبة أو ما يقابله من عمل صالح يوازنه أو يرجح عليه. اهـ.

(٥) الرجز في «الطبري» ٩٨/١٨، و«القرطبي» ٢٠٤/١٢، و«اللسان»: ولق.

قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا بِأَفْوَاحِكُمْ مَا يُشِ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: من غير أن تعلموا أنه حق ﴿وَتَحْسِبُونَهُ﴾ يعني: ذلك القذف ﴿مَيْتًا﴾ أي: سهلاً لا إثم فيه ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الوزر<sup>(١)</sup>. ثم زاد عليهم في الإنكار فقال: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا﴾ أي: ما يحل وما ينبغي لنا ﴿أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ﴾ وهو يحتمل التنزيه والتعجب. وروى عائشة أن امرأة أبي أيوب الأنصاري قالت له: ألم تسمع ما يتحدث الناس؟ فقال: فما يكون لنا أن نتكلم بهذا... الآية، فنزلت الآية. وقد روينا آنفاً أن أمه ذكرت له ذلك، فنزلت الآية المتقدمة. وروى عن سعيد بن جبير أن سعد بن معاذ لما سمع ذلك قال: سبحانك هذا بهتان عظيم، ف قيل للناس: هلا قلتم كما قال سعد؟!

قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ﴾ أي: ينهاكم الله ﴿أَنْ تَعُدُّوا لِبِئْسَةٍ﴾ أي: إلى مثله ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لأن من شرط الإيمان ترك قذف المحصنة. ﴿وَيُنذِرُكُمُ اللَّهُ الْأَلْبَتَّ﴾ في الأمر والنهي. ثم هدد القاذفين بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ أي: يحبون أن يفسدوا القذف بالفاحشة، وهي الزنى ﴿فِي الْأَيَّامِ﴾ أي: في الأيام يعني: الجلد ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ عذاب النار. وروى عمرة عن عائشة قالت: لما نزل عذري قام رسول الله ﷺ على المنبر، فذكر ذلك، وتلا القرآن، فلما نزل أمر برجلين وامرأة، فضربوا حدهم<sup>(٢)</sup>. وروى أبو صالح عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ جلد عبد الله بن أبي، ومسطح بن أثانة، وحسان بن ثابت، وخمسة بنت جحش<sup>(٣)</sup>، فأما الثلاثة فتابوا، وأما عبد الله فمات مناقفاً، وبعض العلماء ينكر صحة هذا، ويقول: لم يضرب أحداً.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ شر ما خُصتم فيه وما يتضمن من سخط الله ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك<sup>(٤)</sup>، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ جوابه محذوف، تقديره: لعاقبكم فيما قلتم لعائشة. قال ابن عباس: يريد: مسطحا، وحسان، وخمسة. ﴿يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالنَّكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ لَدُنْهَا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: تزيينه لكم قذف عائشة. وقد سبق شرح «خطوات الشيطان» وبيان «الفحشاء والمنكر» [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

قوله تعالى: ﴿مَا زَكَا مِنْكُمْ﴾ وقرأ الحسن، ومجاهد، وقتادة: «ما زكى» بتشديد الكاف. وفيمن خوطب بهذا قولان: أحدهما: أنه عام في الخلق. والثاني: أنه خاص للمتكلمين في الإفك. ثم في معناه أربعة أقوال: أحدها: ما اهتدى، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: ما أسلم، قاله ابن زيد. والثالث: ما صلح، قاله مقاتل. والرابع: ما طهر، قاله ابن قتية.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ أي: يطهر من يشاء من الإثم بالتوبة والغفران؛ فالمعنى: وقد شئت أن أتوب عليكم، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ علم ما في نفوسكم من التوبة والتدابة. ﴿وَلَا يَأْتَلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعْيُ أَنْ يَرْتَدُوا أُولَى الْأَرْفَاقِ وَالْمُسْكِينُ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْمَلُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا يَعْبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلُ﴾ وقرأ الحسن، وأبو العالية، وأبو جعفر، وابن أبي عبله: «ولا يأتل» بهمزة مفتوحة بين التاء واللام وتشديد اللام على وزن يَتَعَلَّ. قال المفسرون: سبب نزولها أن أبا بكر الصديق كان ينفق على مسطح لقربته وفقره، فلما خاض في أمر عائشة قال أبو بكر: والله لا أنفق عليه [شيئاً] أبداً، فنزلت هذه الآية<sup>(٥)</sup>.

(١) وفي «الصحيحين»: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب».

(٢) رواه أحمد، وأصحاب السنن الأربعة. (٣) رواه أبو داود في «سننه» رقم (٤٤٧٥).

(٤) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: والله يعلم كذب الذين جاؤوا بالإفك من صدقهم، وأنتم أيها الناس لا تعلمون ذلك، لأنكم لا تعلمون الغيب، وإنما يعلم ذلك عالم الغيب، يقول: فلا ترووا ما لا علم لكم به من الإفك على أهل الإيمان بالله، ولا سيما على جلال رسول الله ﷺ فهلكوا. اهـ.

(٥) روى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت عندما نزلت الآيات العشر في براءتها: فلما أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر رضي الله عنه: وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقربته وفقره، والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾



لَرَّجِدُوا فِيهَا آهَكَا فَلَآ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿لَرَّجِدُوا فِيهَا آهَكَا فَلَآ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ ذكر أهل التفسير أن سبب نزولها أن امرأة من الأنصار جاءت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، فلا يزال يدخل علي رجل من أهلي، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>؛ فقال أبو بكر بعد نزولها: يا رسول الله، أفرأيت الخانات والمساكن التي ليس فيها ساكن، فنزل قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ...﴾ الآية<sup>(٢)</sup>. ومعنى قوله: ﴿لَرَّجِدُوا فِيهَا غَيْرَ يُؤْذَنُ لَكُمْ﴾ أي: بيوتاً ليست لكم. واختلف القراء في باء البيوت، فقرأ بعضهم بضمها، وبعضهم بكسرهما. وقد بينا ذلك في [البقرة: ١٨٩].

قوله تعالى: ﴿حَتَّى قَسَتْ آلَيْهُمَا﴾ قال الفراء: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: حتى تسلموا وتشتأنسوا. قال الزجاج: «وتشتأنسوا» في اللغة، بمعنى تستأذنوا، وكذلك هو في التفسير، والاستئذان: الاستعلام، تقول: أذنت بكذا، أي: أعلمته، وأنت منه كذا، أي: علمت منه، ومثله: ﴿فَإِن مَّأْتُمْ بِهِمْ يُقَالُ﴾ [النساء: ٦] أي: علمتم. فمعنى الآية: حتى تستعلموا، يريد أهلها أن تدخلوا، أم لا؟ قال المفسرون: وصفة الاستعلام أن تقول: السلام عليكم، أأدخل؟ ولا يجوز أن تدخل بيت غيرك إلا بالاستئذان، لهذه الآية، ﴿ذَلِكَ حَيْثُ لَكُمْ﴾ من أن تدخلوا بغير إذن ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ أن الاستئذان خير فتأخذون به، قال عطاء: قلت لابن عباس: أستاذن على أمي وأختي ونحن في بيت واحد؟ قال: أيسرك أن ترى منهن عورة؟ قلت: لا، قال: فاستأذن.

قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّرَّجِدُوا فِيهَا آهَكَا﴾ أي: إن وجدتموها خالية ﴿فَلَآ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ أي: إن ردوكم فلا تقفوا على أبوابهم وتلازموا، ﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ يعني: الرجوع خير لكم وأفضل ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ من الدخول بإذن وغير إذن ﴿عَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

### فصل

وهل هذه الآية منسوخة، أم لا؟ فيها قولان: أحدهما: أن حكمها عام في جميع البيوت، ثم نسخت منها البيوت التي ليس لها أهل يُستأذنون بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾، هذا مروى عن الحسن، وعكرمة. والثاني: أن الآيتين محكمتان، فالاستئذان شرط في الأولى إذا كان للدار أهل، والثانية وردت في بيوت لا ساكن لها، والإذن لا يتصور من غير إذن، فإذا بطل الاستئذان، لم تكن البيوت الخالية داخلة في الأولى، وهذا أصح.

قوله تعالى: ﴿أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ فيها خمسة أقوال: أحدها: أنها الخانات والبيوت المنيئة للسابلة ليأوا إليها، ويؤووا أمتعتهم، قاله قتادة. والثاني: أنها البيوت الخربة، والمتاع: قضاء الحاجة فيها من الغائط والبول، قاله عطاء. والثالث: أنها بيوت مكة، قاله محمد بن الحنفية. والرابع: حوانيت التجار التي بالأسواق، قاله ابن زيد. والخامس: أنها جميع البيوت التي لا ساكن لها، لأن الاستئذان إنما جعل لأجل الساكن، قاله ابن جريج. فيخرج في معنى «المتاع» ثلاثة أقوال: أحدها: الأمتعة التي تباع وتشترى. والثاني: إلقاء الأذى من الغائط والبول. والثالث: الانتفاع بالبيوت لاتقاء الحر والبرد.

(١) «الطبري» ١٨/ ١١١، وأسباب النزول للواحدي ١٨٦، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٨/٥ وزاد نسبه للفريابي.

(٢) ذكره الوحدي في «أسباب النزول» ١٦٨ بدون سند.

(٣) قال ابن كثير: هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين، وذلك في الاستئذان، أمرهم أن لا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا، أي: يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده، قال: وينبغي أن يستأذن ثلاث مرات، فإن أذن له، وإلا انصرف، كما ثبت في «الصحیح» أن أبا موسى حين استأذن على عمر ثلاثاً فلم يؤذنه لعائض، ثم قال عمر: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس يستأذن؟ إذئذ له، فطلبوه فوجدوه قد ذهب، فلما جاء بعد ذلك قال: ما أرجعك؟ قال: إني استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليصرف».

﴿قُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ مِمَّا ضَعُفْنَ مِنْ أَنْصُرِهِنَّ وَتَحْفَظُوا فُرُوجَهُنَّ ذَلِكَ أَكْثَرُ لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (١) وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ مِمَّا ضَعُفْنَ مِنْ أَنْصُرِهِنَّ وَتَحْفَظُوا فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُجُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ آبَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعَاتِ غَيْرِ أُولَى الْأَرْزَاقِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْنِ السَّائِةِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَيْدِيهِنَّ يُعَلِّمَنَّ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُؤَنِّتُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الذُّخْرُ لَكُمْ نُفْلِيحُكُمْ ﴿٢﴾

قوله تعالى: ﴿قُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ مِمَّا ضَعُفْنَ مِنْ أَنْصُرِهِنَّ﴾ في «من» قولان: أحدهما: أنها صلة. والثاني: أنها أصل، لأنهم لم يؤمروا بالغض مطلقاً، وإنما أمروا بالغض عما لا يحل. وفي قوله: ﴿وَتَحْفَظُوا فُرُوجَهُنَّ﴾ قولان: أحدهما: عما لا يحل لهم، قاله الجمهور. والثاني: عن أن تُرى، فهو أمر لهم بالاستتار، قاله أبو العالية، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الغض وحفظ الفروج ﴿أَكْثَرُ لَكُمْ﴾ أي: خير وأفضل ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ في الأبصار والفروج (١). ثم أمر النساء بما أمر به الرجال.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ أي: لا يظهرونها لغير محرم. وزينتهن على ضربين. خفية كالسوارين والقرطين والذملج والقلائد ونحو ذلك، وظاهرة وهي المشار إليها بقوله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وفيه سبعة أقوال: أحدها: أنها الثياب، رواه أبو الأحوص عن ابن مسعود؛ وفي لفظ آخر قال: هو الرداء. والثاني: أنها الكف والخاتم والوجه. والثالث: الكحل والخاتم، رواهما سعيد بن جبير عن ابن عباس. والرابع: القلبان، وهما السواران والخاتم والكحل، قاله المسور بن مخرمة. والخامس: الكحل والخاتم والخضاب، قاله مجاهد. والسادس: الخاتم والسوار، قاله الحسن. والسابع: الوجه والكفان، قاله الضحاك. قال القاضي أبو يعلى: والقول الأول أشبه (٢)، وقد نص عليه أحمد، فقال: الزينة الظاهرة: الثياب، وكل شيء منها عورة حتى الظفر (٣)، ويفيد هذا تحريم النظر إلى شيء من الأجنبية لغير عذر، فإن كان لعذر مثل أن يريد أن يتزوجها أو يشهد عليها، فإنه ينظر في الحالين إلى وجهها خاصة؛ فأما النظر إليها لغير عذر، فلا يجوز لا لشهوة ولا لغيرها، وسواء في ذلك الوجه والكفان وغيرهما من البدن. فإن قيل: فلم لا تبطل الصلاة بكشف وجهها؟! فالجواب: أن في تغطيته مشقة، فمُفي عنه.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ وهي جمع خمار، وهو ما تغطي به المرأة رأسها، والمعنى: ولْيُلْقِينَ مَقَانِعَهُنَّ ﴿عَلَى جُجُوبِهِنَّ﴾ ليسترنن بذلك شعورهن وقرطهن وأعناقهن. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وإبراهيم النخعي، والأعمش: ﴿على جُيُوبِهِنَّ﴾ بكسر الجيم، ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ يعني: الخفية، وقد سبق بيانها ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ قال ابن عباس: لا يَضَعْنَ الجلباب والخمار إلا لأزواجهن.

(١) قال ابن كثير: هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يفضوا من أبصارهم عما حُرِّم عليهم، فلا ينظروا إلا ما أباح لهم النظر إليه، وأن يخفضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعاً، كما روى مسلم في «صحيحه» عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة، فأمرني أن أصرف بصري. وروى أبو داود عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاني: ما علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليس لك الآخرة». وفي «الصحيح» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لإياكم والجلوس على الطرقات» قالوا: يا رسول الله لا بد لنا من مجالسنا نتحدث فيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أبيتم فأعطوا الطريق حقه» قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «فرض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر».

(٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك الوجه والكفان، يدخل في ذلك - إذا كان كذلك -: الكحل، والخاتم، والسوار، والخضاب.

(٣) وقال غيره من الأئمة: الوجه والكفان ليسا بعورة، فيجوز للمرأة أن تظهرهما، وهذا مقيد بما إذا لم يكن على الوجه والكفين شيء من الزينة، أما ما يضعه النساء في زماننا من الأصباغ على وجوههن وأكفهن بقصد التجميل، ويظهرن به أمام الرجال في الطرقات، فلا شك في تحريمه عند جميع الأئمة. ثم الوجه والكفان وإن لم يكونا عورة عند بقية الأئمة، فليس معنى ذلك أنه يجب كشفهما عندهم، أو أنه سنة وسترهما بدعة، بل معناه أنه يجوز كشفهما، وذلك إذا امتن الفتنة. ثم إن سترهما مشروع وهو الأحسن والأكمل، وخاصة في مثل زماننا، فلنا نرى ذلك المجتمع المهذب الذي يصفي لقوله تعالى: ﴿قُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ مِمَّا ضَعُفْنَ مِنْ أَنْصُرِهِنَّ وَتَحْفَظُوا فُرُوجَهُنَّ﴾ والكثير من الناس لا يدرك معنى قوله صلى الله عليه وسلم لجريير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه عندما سأله عن نظر الفجأة: «أصرف بصرك وقوله لاني صلى الله عليه وسلم: «ما علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليس لك الآخرة» والاحتياط في مثل هذا الأمر أفضل، صوناً للنساء، وحفظاً لعفافهن، وأن يستغفن خير لهن.



قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكْبَهُنَّ﴾ يعني: المُسلمات. قال أحمد: لا يَحِلُّ للمسلمة أن تكشف رأسها عند نساء أهل الذمة<sup>(١)</sup>، واليهودية والنصرانية لا تقبلان المسلمة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ قال أصحابنا: المراد به: الإمام دون العبد. وقال أحاب الشافعي: يدخل فيه العبد، فيجوز للمرأة عندهم أن تظهر لملوكها ما تظهر لمحارمها، لأن مذهب الشافعي أنه مَحْرَمٌ لها، وعندنا أنه ليس بمحرم، ولا يجوز أن ينظر إلى غير وجهها وكفها، وقد نص أحمد على أنه لا يجوز أن ينظر إلى شعر مولاته. قال القاضي أبو يعلى: وإنما ذكر الإمام في الآية، لأنه قد يظن الظان أنه لا يجوز أن تبدي زيتها للإمام، لأن الذين تقدم ذكرهم أحرار، فلما ذكر الإمام زال الإشكال.

قوله تعالى: ﴿أَوْ الثَّيِّبَاتِ﴾ وهم الذين يتبعون القوم ويكونون معهم لإرفاقهم إياهم، أو لأنهم نَشَأُوا فيهم. وللمفسرين في هذا التابع ستة أقوال: أحدها: أنه الأحمق الذي لا تشبهه المرأة ولا يغار عليه الرجل، قاله قتادة، وكذلك قال مجاهد: هو الأبله الذي يريد الطعام ولا يريد النساء. والثاني: أنه العتيد، قاله عكرمة. والثالث: المختث كان يتبع الرجل يخدمه بطعامه، ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن<sup>(٢)</sup>، قاله الحسن. والرابع: أنه الشيخ القاني. والخامس: أنه الخادم، قاله ابن السائب. والسادس: أنه الذي لا يكثر بالنساء، إما لِكِبَرٍ أو لهرم أو لصغر، ذكره ابن المنادي من أصحابنا. قال الزجاج: «غَيْرِ» صفة للتابعين. وفيه دليل على أن قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ معناه: «غَيْرِ أُولَى الْأَرْزَاقِ مِنَ الرِّجَالِ» والمعنى: ولا يبدن زينتهن لمماليكهن، ولا لثبائعهن، إلا أن يكونوا غير أولي الأربة، والأربة: الحاجة، ومعناه: غير ذوي الحاجات إلى النساء.

قوله تعالى: ﴿أَوْ الْطِفْلِ﴾ قال ابن قتيبة: يريد الأطفال، بدليل قوله: ﴿لَا يَظْهَرُونَ عَلَى عَوَاتِرِ النِّسَاءِ﴾ أي: لم يعرفوها<sup>(٣)</sup>. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي: بإحدى الرجلين على الأخرى ليضرب الخلخال الخلخال فيعلم أن عليها خلخالين<sup>(٤)</sup>.

(١) قال ابن كثير: يعني تظهر بزيتها أيضاً للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة لثلاث تصفهن لرجالهن، وذلك وإن كان محذوراً في جميع النساء، إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد، فإنهن لا يمتنعن من ذلك مانع، فأما المسلمة فإنها تعلم أن ذلك حرام فتتجرح عنه، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا تبشر المرأة المرأة لتمتاع أزواجها كأنه ينظر إليها» أخرجه في «الصحيحين» عن عبد الله بن مسعود.

(٢) وفي الصحيح من حديث الزهري عن عائشة ؓ أن مختثاً كان يدخل على أهل رسول الله ﷺ، وكانوا يملأونه من غير أولي الأربة، فدخل النبي ﷺ وهو ينعت امرأة، يقول: إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع، وإذا أدبرت أدبرت بثمان، فقال رسول الله ﷺ: «ألا أرى هذا يعلم ما هاتنا لا يدخلن عليكم» فأخرجه، فكان بالبليداء يدخل كل يوم جمعة ليستطعم. وروى الإمام أحمد في «المستند» عن أم سلمة أنها قالت: دخل عليها رسول الله ﷺ وعندها مختث، وعندها عبد الله بن أبي أمية - يعني أخاه - والمختث يقول: يا عبد الله إن فتح الله عليكم الطائف غداً، فعليك بابنة خيلان لأنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، قال: فسمعه رسول الله ﷺ، فقال لأم سلمة: «لا يدخلن هذا عليك»، وهو في «الصحيحين» من حديث هشام بن عروة. ورواه أحمد بنحوه عن عائشة ؓ، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أرى هذا يعلم ما هاتنا، لا يدخلن عليكم هذا» فحجبه، ورواه مسلم، وأبو داود، والنسائي عن أم سلمة ؓ.

(٣) قال ابن كثير: يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهم الرخيم، وتعطفهن في المشية، وحركاتهن وسكناتهن، فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك، فلا بأس بدخوله، فأما إذا كان مراهماً أو قريباً منه بحيث يعرف ذلك ويدبره، ويفرق بين الشوهاء والحسنة، فلا يمكن من الدخول على النساء، وقد ثبت في «الصحيحين» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يا أيها المدخل على النساء» قيل: يا رسول الله، أفرأيت الحموم؟ قال: «الحموم الموت».

(٤) قال ابن كثير: كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت لا يعلم صوتها، فبريت برجلها الأرض فيسمع الرجال طينته، فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك، وكذلك إذا كان شيء من زيتنها مستوراً فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي، دخل في هذا النهي، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ إلى آخره، ومن ذلك أنها تنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها فيشم الرجال طيبها، قال: وقد روى الترمذي عن أبي موسى الأشعري ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: «كل حين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا» يعني زانية، قال: وفي الباب عن أبي هريرة، وهذا حديث حسن صحيح، رواه أبو داود، والنسائي من حديث ثابت بن عمار به. وقال: ومن ذلك أيضاً أنهم يثيبن عن المشي في وسط الطريق لما فيه من التبرج. اهـ. وقال ابن كثير في تمة الآية: وقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى الْآلَةِ﴾ وقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ إِلَى الْآلَةِ﴾ ففعلوا ما أمرهم به من هذه الصفات الجميلة، والأخلاق الجليلة، وارتكوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الذميمة، فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى عنه، والله تعالى هو المستعان. اهـ.

﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ بِمَا يُأْتِيهِمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ بِمَا يُأْتِيهِمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ بِمَا يُأْتِيهِمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾<sup>(١)</sup> وَلَيْسَ تَقْبَلُ لَهُمْ شَهِادَةٌ فِي الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ بِمَا يُأْتِيهِمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ بِمَا يُأْتِيهِمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ بِمَا يُأْتِيهِمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ بِمَا يُأْتِيهِمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ وهم الذين لا أرواح لهم من الرجال والنساء، يقال: رجل أيم وامرأة أيم، ورجل أرمل وامرأة أرمل، ورجل يكر وامرأة يكر: إذا لم يتزوجا، وامرأة ثيب ورجل ثيب: إذا كانا قد تزوجا، ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ بِمَا يُأْتِيهِمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ أي: من عبيدكم، يقال: عبَد وعباد وعبيد، كما يقال: كَلَب وكِلَاب وكَلِيب. وقرأ الحسن، ومعاذ القارئ: «من عبيدكم». قال المفسرون: والمراد بالآية النيب<sup>(٢)</sup>. ومعنى الصلاح هاهنا: الإيمان. والمراد بالعباد: (المملوكون، فالمعنى: زوجوا المؤمنين من عبيدكم وولادكم. ثم رجع إلى الأحرار فقال: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فأخبرهم أن النكاح سبب لنفي الفقر<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ تَقْبَلُ لَهُمْ شَهِادَةٌ فِي الْبَيِّنَاتِ﴾ أي: وليطلب الحق عن الزنى والحرام من لا يجد ما ينكح به من صدق ونفقة. وقد روى ابن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما معشر الشباب عليكم بالبلاء، فمن لم يجد فعلية بالصيام فإنه له وجاء»<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ بِمَا يُأْتِيهِمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ أي: يطلبون المكاتب من العبيد والإماء على أنفسهم، ﴿فَكَافَرُوا بِهِمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه مندوب إليه، قاله الجمهور. والثاني: أنه واجب، قاله عطاء، وعمرو بن دينار. وذكر المفسرون: أنها نزلت في غلام لحويطب بن عبد العزى يقال له: صبيح، سأل مولاه الكتابة فأبى عليه، فنزلت هذه الآية، فكانت حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: إن علمتم لهم مالا، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعطاء، والضحاك. والثاني: إن علمتم لهم حيلة، يعني: الكسب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: إن علمتم فيهم ديناً، قاله الحسن. والرابع: إن علمتم أنهم يريدون بذلك الخير، قاله سعيد بن جبيرة. والخامس: إن أقاموا الصلاة، قاله عبيدة السلماني. والسادس: إن علمتم لهم صدقاً ووفاء، قاله إبراهيم.

قوله تعالى: ﴿وَعَاثَرْتُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَيْنَاكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه خطاب للأغنياء الذين تجب عليهم الزكاة، أمروا أن يعطوا المكاتبين من سهم الرقاب، روى عطاء عن ابن عباس في هذه الآية قال: هو سهم الرقاب يُعطى منه المكاتبون. والثاني: أنه خطاب للسادة، أمروا أن يعطوا مكاتبهم من كتابتهم شيئاً. قال أحمد والشافعي: الإيتاء واجب، وقدره أحمد بربع مال الكتابة. وقال الشافعي: ليس بمقدور. وقال أبو حنيفة ومالك: لا يجب الإيتاء. وقد روى عن عمر بن الخطاب أنه كاتب غلاماً له يقال له: أبو أمية، فجاءه بنجمه حين حل؛

(١) قال ابن كثير: اشتملت هذه الآيات الكريمات الحبيبة، على جمل من الأحكام المحكمة، والأوامر المبرمة، بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ بِمَا يُأْتِيهِمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ آخره، هذا أمر التزويج، وقد ذهب طائفة من العلماء إلى وجوبه على كل من قدر عليه، واحتجوا بظاهر قوله عليه الصلاة والسلام: «ما معشر الشباب من استطاع منكم البائة فليتزوج، فإنه أحسن للبصر وأحصن للفرج»، ومن لم يستطع فعلية بالصوم فإنه له وجاء» أخرجه في «المصحيحين» من حديث ابن مسعود. وقد جاء في «السنن» من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال: «تزوجوا الولود، تناسلوا فإني مياؤ بكم الأم يوم القيامة». اهـ.

(٢) روى الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه بسند حسن من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة حق على الله عونهم: المكاتب الذي يريد الأذى، والمجاهد الذي يريد العلاف، والمجاهد في سبيل الله».

وروى ابن جرير الطبري عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: التمسوا الفنى في النكاح، يقول الله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾. وقال الطبري في تمام الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ بِمَا يُأْتِيهِمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ يقول جل ثناؤه: والله واسع الفضل، جواد بعطائه، فزوجوا إماءكم، فإن الله واسع يوسع عليكم من فضله إن كانوا فقراء، عليم، يقول: هو ذو علم بالفقر منهم والغنى، لا يخفى عليه حال خلقه في شيء، وتديبرهم. اهـ.

(٣) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود ؓ بلفظ: «ما معشر الشباب من استطاع منكم البائة فليتزوج فإنه أحسن للبصر وأحصن للفرج»، فمن لم يستطع فعلية بالصوم فإنه له وجاء.

(٤) الواحد في «أسباب النزول» ١٨٦، وذكره السيوطي في «الدر» ٤٥/٥ من رواية ابن السكن في «معركة الصحابة».

فقال: اذهب يا أبا أمية فاستعن به في مكاتبك، قال: يا أمير المؤمنين لو أحرثته حتى يكون في آخر النجوم، فقال: يا أبا أمية: إني أخاف أن لا أدرك ذلك، ثم قرأ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْوَسْطَى﴾<sup>(١)</sup>، قال عكرمة: وكان ذلك أول نجم أدي في الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْإِفْكِ﴾ روى مسلم في «صحيحه» من حديث أبي سفيان عن جابر، قال: كان عبد الله بن أبي يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئاً، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. قال المفسرون: وكان له جارتان، مُعَاذَةُ ومُسَيِّكَةُ، فكان يكرههما على الزنا، ويأخذ منهما الضريبة، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية، يؤاجرون إماءهم، فلما جاء الإسلام قالت مُعَاذَةُ لمسيكة: إن هذا الأمر الذي نحن فيه إن كان خيراً فقد استكثرنا منه، وإن كان شراً فقد آن لنا أن ندعه، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. وزعم مقاتل أنها نزلت في ست جوارٍ كُنَّ لعبد الله بن أبي، مُعَاذَةُ، ومُسَيِّكَةُ، وأميمة، وقُتَيْلَةُ، وعمره، وأروى. فأما الفتيات، فهن الإماء. والبغاء: الزنا. والتحصن: التعفف. واختلفوا في معنى ﴿إِنْ أَرَدَ نَحْنُ﴾ على أربعة أقوال: أحدها: أن الكلام ورد على سبب، وهو الذي ذكرناه، فخرج النهي عن صفة السبب، وإن لم يكن شرطاً فيه. والثاني: إنه إنما شرط إرادة التحصن، لأن الإكراه لا يتصور إلا عند إرادة التحصن، فأما إذا لم ترد المرأة التحصن، فإنها تبغي بالطبع. والثالث: أن «إِنْ» بمعنى «إِذَا»، ومثله: ﴿وَذَرُوا مَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ إِنْ كُنْتُمْ مُقْتَضِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨] ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]. والرابع: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: ﴿وَأَلْكَرُوا الْأَيْمَنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَلْكَرُواكُمْ﴾ ﴿إِنْ أَرَدَ نَحْنُ﴾ ولا تُكْرِهُوا فتياتكم على البغاء ﴿لَتَنْفَعُوا عَرْضَ الْمَرْءِ الدُّنْيَا﴾ وهو كسبهن وبيع أولادهن ﴿وَمَنْ يَكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ لَهُمْ إِنْ كُنَّ هُنَّ عَفُورٌ﴾ للمكْرَهَاتِ ﴿زَيْدٌ﴾ وقرأ ابن عباس، وأبو عمران الجوني، وجعفر بن محمد: «من بعد إكراههن لهن غفور رحيم».

قوله تعالى: ﴿مَا يَكُنَّ مُبَيِّنَاتٍ﴾ قرأ ابن عامر، وأهل الكوفة غير أبي بكر، وأبان: «مبيِّنات» بكسر الياء في الموضعين في هذه السورة [النور: ٤٣، ٤٦]، وآخر سورة [الطلاق: ١١].

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ﴾ أي: شيئاً من حالهم بحالكم أيها المكذبون، وهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحق المكذبين قبلهم.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي كَلْهَمَةِ الزَّجَاةِ كَأَنَّا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَنَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيه قولان: أحدهما: هادي أهل السموات والأرض، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال أنس بن مالك، وبيان هذا أن النور في اللغة: الضياء، وهو الذي تصل به الأبصار إلى مبصراتها، فورد النور مضافاً إلى الله تعالى، لأنه هو الذي يهدي المؤمنين ويبين لهم ما يهتدون به، والخلائق بنوره يهتدون<sup>(٥)</sup>. والثاني: مدبر السموات والأرض، قاله مجاهد، والزجاج. وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل، وابن السميع: «اللَّهُ نُورٌ» بفتح النون والواو وتشديدها ونصب الراء «السموات» بالخفض «والأرض» بالنصب.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ في هاء الكناية أربعة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الله ﷻ، قال ابن عباس: مَثَلُ هَذَا فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ. والثاني: أنها ترجع إلى المؤمن، فتقديره: مَثَلُ نُورِ الْمُؤْمِنِ، قاله أبي بن كعب. وكان أبي وابن

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ٤٦/٥ من رواية عبد الرزاق، وابن أبي حاتم، والبيهقي.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٧، والسيوطي في «الدر» ٤٦/٥، وزاد نسبه لابن أبي شيبة، وسعيد بن منصور، والبخاري، والدارقطني، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، من طريق أبي سفيان، عن جابر ﷺ.

(٣) هكذا ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٧ بدون سند، وذكره السيوطي في «الدر» ٤٦/٥ ونسبه لسعيد بن منصور، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير عن عكرمة.

(٤) وفي «الصحيحين» عن ابن عباس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يقول: «اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن... الحديث».

مسعود يقرآن: «مثل نُورٍ مَنْ آمَنَ بِهِ». والثالث: أنها ترجع إلى محمد ﷺ، قاله كعب. والرابع: أنها ترجع إلى القرآن، قاله سفيان. فأما المشكاة، ففيها ثلاثة أقوال: أحدها أنها في موضع الفتيلة من القنديل الذي هو كالأنبوب، والمصباح: الضوء، قاله ابن عباس. والثاني: أنها القنديل، والمصباح: الفتيلة، قاله مجاهد. والثالث: أنها الكوة التي لا منفذ لها، والمصباح: السراج، قاله كعب، وكذلك قال الفراء: المشكاة: الكوة التي ليست بنافذة. وقال ابن قتيبة: المشكاة: الكوة بلسان الحبشة. وقال الزجاج: هي من كلام العرب<sup>(١)</sup>، والمصباح: السراج. وإنما ذكر الزُّجاجة، لأن النُّور في الزُّجاجة أشد ضوءاً منه في غيره. وقرأ أبو رجاء العطاردي، وابن أبي عبلة: «في زُّجاجة الزُّجاجة» بفتح الزاي فيهما. وقرأ معاذ القارئ، وعاصم الجحدري، وابن يعمر: بكسر الزاي فيهما. قال بعض أهل المعاني: معنى الآية: كَتَلْ مصباح في مشكاة، فهو من المقلوب. فأما الدُّرِّيُّ، فقرأ أبو عمرو، والكسائي، وأبان عن عاصم «دُرِّيٌّ» بكسر الدال وتخفيف الياء ممدوداً مهموزاً. قال ابن قتيبة: المعنى على هذا: إنه من الكواكب الدُّراري، وهي اللاتي يَدْرُنَ عليك، أي: يطلعن. وقال الزجاج: هو مأخوذ من درأ يدرأ: إذا اندفع منقضاً فتضاعف نوره، يقال: تدارأ الرجلان: إذا تدافعا. وروى المفضل عن عاصم كسر الدال وتشديد الياء من غير همز ولا مد، وهي قراءة عبد الله بن عمر، والزهرري. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «دُرِّيٌّ» بضم الدال وكسر الراء وتشديد الياء من غير مد ولا همز، وقرأ عثمان بن عفان، وابن عباس، وعاصم، الجحدري: «دُرِّيٌّ» بفتح الدال وكسر الراء ممدوداً مهموزاً. وقرأ أبي ابن كعب، وسعيد بن جبيرة، وعكرمة، وقتادة، وابن يعمر: بفتح الدال وكسر الراء مهموزاً مدً ولا همز. وقرأ ابن مسعود، وسعيد بن جبيرة، وعكرمة، وقتادة، وابن يعمر: بفتح الدال وكسر الراء مهموزاً مقصوراً. قال الزجاج: الدُّرِّيُّ: منسوب إلى أنه كالدر في صفاته وحسنه. وقال الكسائي: الدُّرِّيُّ: الذي يشبه الدر، والدُّرِّيُّ: جارٍ، والدُّرِّيُّ: يلتصق، وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم، والوليد بن عتبة عن ابن عامر: بضم الدال وتخفيف الياء مع إثبات الهمزة والمد، قال الزجاج: فالنحويون أجمعون لا يعرفون الوجه في هذا؛ وقال الفراء: ليس هذا بجائز في العربية، لأنه ليس في الكلام «فُعِيل» إلا أعجمي، مثل مُرَيْق، وما أشبهه. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي: المُرَيْق: العُضْفَرُ، أعجمي معرَّب، وليس في كلامهم اسم على زنة فُعِيل. قال أبو علي: وقد حكى سيبويه عن أبي الخطاب: كوكب دُرِّيٌّ: من الصفات، ومن الأسماء: المُرَيْق: العُضْفَرُ.

قوله تعالى: «تَوَقَّدَ» قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بالتاء المفتوحة وتشديد القاف ونصب الدال، يريدان المصباح، لأنه هو الذي يوقد. وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «يُوقَّدُ» بالياء مضمومة مع ضم الدال، يريدون المصباح أيضاً. وقرأ حمزة والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «تَوَقَّدَ» بضم التاء والدال، يريدون الزجاجة، قال الزجاج: والمقصود: مصباح الزجاجة، فحذف المضاف.

قوله تعالى: «بَيْنَ شَجَرَةٍ» أي: من زيت شجرة، فحذف المضاف، يدلُّك على ذلك قوله: «يَكَادُ زَيْتُهَا يُنَوِّجُ»؛ والمراد بالشجرة هاهنا: شجرة الزيتون، وَبَرَكَّتْهَا من وجوه، فإنها تجمع الأُذْمَ والدَّهْنَ والوَقُودَ، فيوقد بحطب الزيتون، وَيُغَسَّلُ برماده الإبريسم، وَيُسْتَخْرَجُ دهنه أسهل استخراج، ويورق غصنه من أوله إلى آخره. وإنما حُصِّتْ بالذكر هاهنا دون غيرها، لأن دهنها أصفى وأضوأ.

قوله تعالى: «لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بين الشجر، فهي خضراء ناعمة لا تصيبها

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك مثل ضربة الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به، فقال: مثل نور الله الذي أثار به لعباده سبيل الرشاد الذي أنزله إليهم فأمنوا به وصدقوا بما فيه، في قلوب المؤمنين، مثل إشكاة، وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، وذلك هو نظير الكوة التي في الحيطان التي لا منفذ لها، وإنما جعل ذلك العمود مشكاة، لأنه غير نافذ، وهو أجوف مفتوح الأعلى، فهو كالقوة التي في الحائط التي لا تنفذ، ثم قال: «بَيْنَ شَجَرَةٍ» وهو السراج، وجعل السراج وهو المصباح مثلاً لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات، ثم قال: «الْيَصْنَعُ فِي كَيْتَابٍ» يعني أن السراج الذي في المشكاة: في القنديل، وهو الزجاجة، وذلك مثل القرآن، يقول: القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أثار الله قلبه في صدره، ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله والشك فيه، واستنارته بنور القرآن، واستضاءته بآيات ربه المبينات ومواعظه فيها، بالكوكب الدري، فقال «أَلَيْسَ» وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه «كَلَّا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ». اهـ.



﴿ فِي يَوْمٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ ﴾ ﴿يَسَّالُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُخَيِّرُ وَلَا يُبَيِّعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَيَذَكِّرُ الشُّكْرَ وَالْإِلَهَ الْكَرِيمَ يَوْمَ تَقْلُبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۖ﴾ ﴿يَجْزِيهِمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٧٨)

**قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ﴾** قال الزجاج: «في» من صلة قوله: «كمشكاة»، فالمعنى: كمشكاة في بيوت؛ ويجوز أن تكون متصلة بقوله: «يسبح له فيها» فتكون فيها تكريراً على التوكيد؛ والمعنى: يسبح لله رجال في بيوت. فإن قيل: المشكاة إنما تكون في بيت واحد، فكيف قال: «في بيوت»؟ فغنه جواباً: أحدهما: أنه من الخطاب المتلون الذي يفتح بالتوحيد ويختتم بالجمع، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا مَلَكَتُ الرَّسُلُ﴾ [الطلاق: ٢١]. والثاني: أنه راجع إلى كل واحد من البيوت، فالمعنى: في كل بيت مشكاة. وللمفسرين في المراد بالبيوت هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنها المساجد، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: بيوت أزواج رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، قاله مجاهد. والثالث: بيت المقدس، قاله الحسن<sup>(٢)</sup>. فأما ﴿أُذِنَ﴾ فمعناه: أُمِر. وفي معنى ﴿أَنْ تَرْفَعَ﴾ قولان: أحدهما: أن تعظم، قاله الحسن، والضحاك. والثاني: أن تثبت، قاله مجاهد، وقطادة. وفي قوله: ﴿وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ﴾ قولان: أحدهما: توحيده؛ رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: يثلي فيها كتابه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

**قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ﴾** قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ونافع، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «يُسَبِّحُ» بكسر الباء، وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بفتحها. وقرأ معاذ القارئ، وأبو حيو: «يُسَبِّحُ» بقاء مرفوعة وكسر الباء ورفع الحاء. وفي قوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا﴾ قولان: أحدهما: أنه الصلاة. ثم في صلاة الغدو قولان: أحدهما: أنها صلاة الفجر، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: صلاة الضحى، روى ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال: إن صلاة الضحى لفي كتاب الله، وما يغوص عليها إلا غواص، ثم قرأ ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾. وفي صلاة الآصال قولان: أحدهما: أنها صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، قاله ابن السائب. والثاني: صلاة العصر، قاله أبو سليمان الدمشقي. والقول الثاني: أنه التسيح المعروف، ذكره بعض المفسرين.

**قوله تعالى: ﴿يَسَّالُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾** أي: لا تشغلهم ﴿يَحْتَرُ وَلَا يُبَيِّعُ﴾<sup>(٣)</sup> قال ابن السائب: الشُّجَار: الجلابون، والباعة: المقيمون. وقال الواقيدي: التجارة هاهنا بمعنى الشراء. وفي المراد يذكر الله ثلاثة أقوال: أحدها: الصلاة المكتوبة، قاله ابن عباس، وعطاء. وروى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة، فأغلقت حوانيتهم ودخلوا المسجد، فقال ابن عمر: فيهم نزلت ﴿يَسَّالُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَحْتَرُ وَلَا يُبَيِّعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ والثاني: عن القيام بحق الله، قاله قطادة. والثالث: عن ذكر الله باللسان، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

**قوله تعالى: ﴿وَيَذَكِّرُ الشُّكْرَ﴾** أي: أداؤها لوقتها وإتمامها. فإن قيل: إذا كان المراد يذكر الله الصلاة، فما معنى إعادتها؟ فالجواب: أنه يبين أنهم يقيمونها بأدائها في وقتها.

**قوله تعالى: ﴿تَقْلُبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾** في معناه ثلاثة أقوال: أحدها: أن من كان قلبه مؤمناً بالبعث والنشور، ازداد بصيرة برؤية ما وعده؛ ومن كان قلبه على غير ذلك، رأى ما يوقن معه بأمر القيامة، قاله الزجاج.

(١) وهذا أيضاً تأويل، فإن المقصود من البيوت هنا: المساجد.

(٢) والقول الأول هو الصواب. قال ابن كثير: لما ضرب الله تعالى مثل قلب المؤمن وما فيه من الهدى والعلم بالمصباح في الزجاجة الصافية المتوقد من زيت طيب، وذلك كالقنديل، مثلاً، ذكر محلها وهي المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله تعالى من الأرض، وهي بيوت التي يُعبد فيها ويُؤخذ، فقال تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ﴾ أي: أمر الله تعالى بتعظيمها وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأنفال التي لا تليق فيها. اهـ. وقد ورد في فضل بناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطهيرها وأحاديث كثيرة، منها ما أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بنى مسجداً يفتني به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة» وروى ابن ماجه في «سننه» بسند صحيح عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من بنى مسجداً كمحفص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتاً في الجنة»، والأحاديث في ذلك كثيرة.

(٣) قال ابن كثير: يقول تعالى: لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها وملأه يبعها وريحها عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم، والذين يعلمون أن الذي عنده هو خير لهم وأنهم مما بأيديهم، لأن ما عندهم ينفد وما عند الله باقي، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا تُلْهِيمُ غَيْرُهُ وَلَا يُبَيِّعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ الشُّكْرَ وَالْإِلَهَ الْكَرِيمَ﴾ أي: يقدمون طاعة ورامده ومحبته على مرادهم ومحتبهم. اهـ.

والثاني: أن القلوب تتقلب بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك، والأبصار تتقلب، تنظر من أين يؤتون كتبهم، أين قبل اليمين، أم من قبل الشمال؟ وأي ناحية يؤخذ بهم، ذات اليمين، أم ذات الشمال؟ قاله ابن جرير. والثالث: تتقلب القلوب فتبلغ إلى الحناجر، وتتقلب الأبصار إلى الزرق بعد الكحل والعمى بعد النظر.

قوله تعالى: ﴿يَجْزِيهِمْ﴾ المعنى: يسبحون الله ليجزيهم ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ أي: ليجزيهم بحساناتهم. فاما مساوئهم فلا يجزيهم بها ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ما لم يستحقوه بأعمالهم ﴿وَاللَّهُ يَزِدُّكَ مِنْ بَشَاءٍ يَغَيِّرُ حِسَابَ﴾ قد شرحناه في لآل عمران: ٢٧.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَغْنَاهُمْ كَرِيمٌ يَمَسُّهُ الْظُّلُمَانُ مَاءً حَرًّا إِذَا جَاءَهُ لَوْ يَجِدُهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ قَوْلَهُ حِسَابُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أو كطلعت في بحر لئني يشئه موج من فوقه موج من فوقه. صاب طلعت بعضا فوق بعض إذا أخرج يكد لويكدها ون لا يجعل الله لهما قولا قالا لم من نور ﴿١٥﴾

ثم ضرب الله مثلا للكفار فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَغْنَاهُمْ كَرِيمٌ﴾ قال ابن قتيبة: السراب: ما رأيته من الشمس كالماء نصف النهار، والال: ما رأيته في أول النهار وآخره، وهو يرفع كل شيء، والقيعة والقاع واحد. وقرأ أبي بن كعب، وعاصم الجحدري، وابن السميع: «بقيعات». وقال الزجاج: القيعه جمع قاع، مثل جار وجيرة، والقيعة والقاع: ما انبسط من الأرض ولم يكن فيه نبات، فالذي يسير فيه يرى كأن فيه ماء يجري، وذلك هو السراب، والال مثل السراب، إلا أنه يرتفع وقت الضحى - كالماء - بين السماء والأرض يحسبه الظمان - وهو الشديد العطش - ماء، حتى إذا جاء إلى موضع السراب رأى أرضاً لا ماء فيها، فأعلم الله أن الكافر الذي يظن أن عمله قد نفعه عند الله - كظن الذي يظن السراب ماء - وعمله قد حبط.

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ أي: قديم على الله ﴿قَوْلَهُ حِسَابُ﴾ أي: جازاه بعمله؛ وهذا في الظاهر خبر عن الظمان، والمراد به الخير عن الكافر.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ مفسر في [البقرة: ٢٠٢].

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَطُلُوتٍ﴾ في هذا المثل قولان: أحدهما: أنه لعمل الكافر، قاله الجمهور، واختاره الزجاج. والثاني: أنه مثل لقلب الكافر في أنه لا يتقبل ولا يتصبر، قاله الفراء. فاما اللجئي، فهو العظيم اللجة، وهو العميق ﴿يَشْأَهُ﴾ أي: يعلو ذلك البحر ﴿مَوْجٍ مِنْ قَوْفِهِ﴾ أي: من فوق الموج موج، والمعنى: يتبع الموج موج، حتى كان بعضه فوق بعض، ﴿مِنْ قَوْفِهِ﴾ أي: من فوق ذلك الموج ﴿صَابُ﴾. ثم ابتدا فقال: ﴿طُلُوتُ﴾ يعني: ظلمة البحر، وظلمة الموج [الأول، وظلمة الموج] الذي فوق الموج، وظلمة السحاب. وقرأ ابن كثير، وابن محيصن: «سحاب ظلمات» مضافاً ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُ﴾ يعني: إذا أخرجها مخرج، ﴿لَوْ يَكْدُ بِهَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه لم يرها، قاله الحسن، واختاره الزجاج. قال: لأن في دون هذه الظلمات لا يرى الكف؛ وكذلك قال ابن الأنباري: معناه: لم يرها البتة، لأنه قد قام الدليل عند وصف تكاثف الظلمات على أن الرؤية معدومة، فبان بهذا الكلام أن «يكد» زائدة للتوكيد، بمنزلة «ما» في قوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْرِحُنَّ لَنُيُومٍ﴾ [المؤمنون: ٤٠]. والثاني: أنه لم يرها إلا بعد الجهد، قاله المبرّد. قال الفراء: وهذا كما تقول: ما كدت أبلغ إليك، وقد بلغت، قال الفراء: وهذا وجه العربية.

### فصل

فاما وجه المثل، فقال المفسرون: لما ضرب الله للمؤمن مثلاً بالتور، ضرب<sup>(١)</sup> للكافر هذا المثل بالظلمات؛ والمعنى: أن الكافر في حيرة لا يهتدي لرشد. وقيل: الظلمات: ظلمة الشرك وظلمة المعاصي. وقال بعضهم: ضرب الظلمات مثلاً لعمله، والبحر اللجئي لقلبه، والموج لما يغشى قلبه من الشرك والجهل والحيرة، والسحاب للزئيم والختم على قلبه، فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّا يَجِدِ اللَّهَ لَمْ يُؤْرَكْ﴾ فيه قولان. أحدهما: ديناً وإيماناً، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: هداية، قاله الزجاج.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّاتٌ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَلِلَّهِ الْكَسِيبُ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قد تقدم تفسيره [البقرة: ٣٠].

قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرِ﴾ أي: وتسبح له الطير ﴿صَفَّاتٌ﴾ أي: باسطات أجنحتها في الهواء. وإنما خصص الطير بالذكر، لأنها تكون بين السماء والأرض إذا طارت، فهي خارجة عن جملة مَنْ في السموات والأرض.

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ﴾ أي: من الجملة التي ذكرها ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ قال المفسرون: الصلاة، لبني آدم، والتسبيح، لغيرهم من المخلوق. وفي المشار إليه بقوله: ﴿قَدْ عَلِمَ﴾ قولان. أحدهما: أنه الله تعالى، والمعنى: قد علم الله صلاة المصلي وتسبيحه، قاله الزجاج. والثاني: أنه المصلي والمُسَبِّح. ثم فيه قولان: أحدهما: قد علم المصلي والمُسَبِّح صلاة نفسه وتسبيحه، أي: قد عرف ما كلف من ذلك. والثاني: قد علم المصلي صلاة الله وتسبيحه، أي: علم أن ذلك لله تعالى وحده. وقرأ قتادة، وعاصم الجحدري، وابن يعمر: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ برفع العين وكسر اللام «صلاته وتسبيحه» بالرفع فيها.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يُعَلِّمُهُمْ رُكْعًا فَغَزَىٰ الْوَدَّكَ يَخْرُجُ مِنْ خَلْقِهِ وَيُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُحِيطُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبَ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يَقُلُّ اللَّهُ الْيَلَّ وَالنَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِي سَحَابًا﴾ أي: يسوقه ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يضم بعضه إلى بعض، فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة. والسحاب لفظه لفظ الواحد، ومعناه الجمع، فلهذا قال: ﴿يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يُعَلِّمُهُمْ رُكْعًا﴾ أي: يجعل بعض السحاب فوق بعض ﴿فَغَزَىٰ الْوَدَّكَ﴾ وهو المطر. قال الليث: الودق: المطر كله شديده وهيته.

قوله تعالى: ﴿مِنْ خَلْقِهِ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد، والضحاك: ﴿مَنْ خَلَقَهُ﴾. والخلال: جمع خلل، مثل: جبال وجبل. ﴿وَيُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ مفعول الإنزال محذوف، تقديره: وينزل من السماء من جبال فيها من بَرَدٍ بَرْدًا، فاستغنى عن ذكر المفعول للدلالة عليه. «وَمِنْ» الأولى، لابتداء الغاية، لأن ابتداء الإنزال من السماء، والثانية: للتبويض، لأن الذي ينزله الله بعض تلك الجبال، والثالثة، لتبيين الجنس، لأن جنس تلك [الجبال] جنس البرد؛ قال المفسرون: وهي جبال في السماء مخلوقة من برد. وقال الزجاج: معنى الكلام: وينزل من السماء من جبال برد فيها، كما تقول: هذا خاتم في يدي من حديد، المعنى: هذا خاتم حديد في يدي.

قوله تعالى: ﴿فَيُحِيطُ بِهِ﴾ أي: بالبرد ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ فيضربه في زرعه وثمره. والسنا: الضوء، ﴿يَذْهَبُ﴾ وقرأ مجاهد، وأبو جعفر: ﴿يُذْهِبُ﴾ بضم الياء وكسر الهاء. ﴿يَقُلُّ اللَّهُ الْيَلَّ وَالنَّهَارُ﴾ أي: يأتي بهذا، ويذهب بهذا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التقلب ﴿لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ أي: دلالة لأهل البصائر والمقول على وحدانية الله وقدرته.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: «والله خالiqu كل دابة من ماء» وفي الماء قولان: أحدهما: أن الماء أصل كل دابة. والثاني: أنه التطفة، والمراد به: جميع الحيوان المشاهد في الدنيا. وإنما قال: «فمنهم» تغليبا لما يعقل. وإنما لم يذكر الذي يمشي على أكثر من أربع، لأنه في رأي العين كالذي يمشي على أربع، وقيل: لأنه يعتمد في المشي على أربع. وإنما سئى السائر على بطنه ماشياً، لأن كل سائر مستمر يقال له: ماشٍ وإن لم يكن حيواناً، حتى إنه يقال: قد مشى هذا الأمر، هذا قول الزجاج. وقال أبو عبيدة: إنما هذا على سبيل التشبيه بالماشي، لأن المشي لا يكون على البطن، إنما يكون لمن له قوائم، فإذا خلطوا ماله قوائم بما لا قوائم له، جاز ذلك، كما يقولون: أكلت خبزاً ولبناً، ولا يقال: أكلت لبناً.



﴿أَنذَرْنَا أَيْدِيَّيْهِ مُبَشِّرَ اللَّهِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١١) وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَآطَعْنَا أَمْرًا وَتَوَلَّى فَرْقٌ بَيْنَهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ لِيَأْخُذُوا بِحَبْلٍ مَعَهُ يَكْفُرُونَ لَهُمْ وَتَوَلَّى فَرْقٌ بَيْنَهُمْ مَعْصِيَةُ اللَّهِ وَالْحَقِّ وَآخَرُ أَتَابُوا لَمْ يَخَافُوا أَنْ يُخَافُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ رَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٤﴾ وَمَنْ يَطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَارُونَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ قال المفسرون: نزلت في رجل من المنافقين يقال له: بشر كان بينه وبين يهودي حكومة، فدعا اليهودي المنافق إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهما، فقال المنافق لليهودي: إن محمداً يَجِيفُ علينا، ولكن بيني وبينك كعب بن الأشرف، فنزلت هذه الآية (١).

قوله تعالى: ﴿تَوَلَّى فَرْقٌ بَيْنَهُمْ﴾ يعني المنافقين ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: من بعد قولهم: آمَنَّا ﴿وَمَا أُولَئِكَ﴾ يعني: الْمُعْرِضِينَ عن حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٢) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ ﴿أَي:﴾ إلى كتابه ﴿وَرَسُولِهِ﴾ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴿الرسول﴾ ﴿إِذَا فَرْقٌ بَيْنَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ومعنى الكلام: أنهم كانوا يُعْرِضُونَ عن حُكْمِ الرسول عليهم. لعلهم أنه يحكم بالحق؛ وإن كان الحق لهم على غيرهم، أسرعوا إلى حكمه مذعنين، لثقتهم أنه يحكم بالحق. قال الزجاج: والإذعان في اللغة: الإسراع مع الطاعة، تقول: قد أذعن لي، أي: قد طاعني لما كنتُ ألتسمه منه.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي قُلُوبِهِمْ مَرُّنٌ﴾ أي: كُفِرَ ﴿أَي: أَتَابُوا﴾ أي: شَكُّوا في القرآن؟ وهذا استفهام ذم وتوبيخ، والمعنى: إنهم كذلك، وإنما ذكره بلفظ الاستفهام ليكون أبلغ في ذمهم، كما قال جرير في المدح:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا [وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ يُطَوِّنَ رَاحًا] (٢)

أي: أنتم كذلك. فاما الحَيْفُ، فهو: المَيْلُ في الحكم؛ يقال: حَافٌ في قَضِيَّتِهِ، أي: جَارٌ، ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: لا يُظْلِمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَدًا، بل هم الظالمون لأنفسهم بالكفر، والإعراض عن حُكْمِ الرسول. ثم نعت المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الفراء: ليس هذا بخبر ماضٍ، وإنما المعنى: إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دعوا أن يقولوا سمعنا. وقرأ الحسن، وأبو الجوزاء: «إنما كان قول المؤمنين» بضم اللام. وقرأ أبو جعفر، وعاصم الجحدري، وابن أبي [اليلی]: «لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ» برفع الياء وفتح الكاف. وقال المفسرون والمعنى: سمعنا قول رسول الله ﷺ وأطعنا أمره، وإن كان ذلك فيما يكرهونه.

قوله تعالى: ﴿وَيَخَشَى اللَّهَ﴾ أي: فيما مضى من ذنوبه ﴿وَيَتَّقِيهِ﴾ فيما بعد أن يعصيه. وقر ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وورش عن نافع: «وَيَتَّقِيهِ» موصولة بياء. وروى قالون عن نافع: «وَيَتَّقِيهِ فَأُولَئِكَ» بكسر الهاء لا يبلغ بها الياء. وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «وَيَتَّقِيهِ» جزمًا.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٦) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكُمْ مَآخِذُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَإِن طُيِّلُوا تَعْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْأَمِينُ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ قال المفسرون: لما نزل في هؤلاء المنافقين ما نزل من بيان كراهتهم لحكم الله، قالوا للنبي ﷺ: والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا، فكيف لا نرضى حكمك؟! فنزلت هذه الآية (٣). وقد بيَّنا معنى ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [المائدة: ٥٣]، ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾ من أموالهم وديارهم، وقيل: ليخرجن إلى الجهاد ﴿قُلْ لَا تُقْسِمُوا﴾ هذا تمام الكلام؛ ثم قال: ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ قال الزجاج: المعنى: أمثل من قَسَمِكُم الذي لا تصدقون فيه طاعةً معروفة. قال ابن قتبية: وبعض النحويين يقول: الضمير فيها: لتكون منكم طاعة معروفة، أي: صحيحة لا نفاق فيها.

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٨ سبباً لنزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾... والتي بدلها بدون سند.

(٢) ديوانه ٩٨، ومجاز القرآن ١١٨/٢، والقرطبي ٢٩٤/١٢.

(٣) ذكره بنحو مختصراً السيوطي في «النور» ٥٤/٥ من رواية ابن مردويه عن ابن عباس ؓ.

قوله تعالى: ﴿كَانَ تَوَلَّوْا﴾ هذا خطاب لهم، والمعنى: فإن تولَّوْا، فحذف إحدى التاءين. ومعنى التولي: الإعراض عن طاعة الله ورسوله، ﴿فَلَمَّا طَوَّيْ﴾ يعني: الرسول ﴿مَّا جُلَّ﴾ من التبليغ ﴿وَمَلَكَكُمْ مَا جُمِيعَةً﴾ من الطاعة؛ وذكر بعض المفسرين أن هذا منسوخ بآية السيف، وليس بصحيح.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ﴾ يعني: رسول الله ﷺ ﴿تَهْتَدُوا﴾، وكان بعض السلف يقول: من أَمَرَ السُّنَّةَ على نفسه قولاً وفعلًا، نطق بالحكمة، ومن أَمَرَ الهوى على نفسه قولاً وفعلًا، نطق بالبدعة، لقوله: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَرَكُوا الْفَيْحَ الَّذِي كَانُوا يَلْعَنُونَ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الْأَزْكِيَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَيُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَيُعْطِيَهُمُ الْفَتْحَ أَيْضًا لَمْ يَدْعُوهُمْ أَنْ يَبْذُوبُوا لَنَا بِشُرْكُوتٍ فِي شَيْءٍ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَتِمُّوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَابْتَغُوا الْرِزْقَ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَرَكُوا﴾ روى أبو عبد الله الحاكم في «صحيحه» من حديث أبي بن كعب قال: لما قُبِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الْمَدِينَةَ وَأَوَاهِمُ الْأَنْصَارِ، رَمَتْهُمُ الْعَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، كَانُوا لَا يَبِيتُونَ إِلَّا فِي السِّلَاحِ، وَلَا يَصْبَحُونَ إِلَّا فِي أَمْنِهِمْ، فَقَالُوا: أَنْتَرُونَ أَنَا نَعِيشَ حَتَّى نَبْنِي أَمْنَيْنِ مُطْمَئِنِّينَ لَا نَخَافُ إِلَّا اللَّهَ ﷻ؟! فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(١)</sup>. قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: لَمَّا أَظْهَرَ اللَّهُ ﷻ رَسُولَهُ عَلَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَضَعُوا السِّلَاحَ وَأَمْنُوا، ثُمَّ قَبِضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ، فَكَانُوا أَمْنَيْنِ كَذَلِكَ فِي إِمَارَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، حَتَّى وَقَعُوا فِيمَا وَقَعُوا فِيهِ وَكَفَرُوا بِالنِّعْمَةِ، فَأَدْخَلَ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِمُ الْخَوْفَ، فَخَيَّرُوا، فَخَيَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مَا بِهِمْ<sup>(٢)</sup>. وَرَوَى أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ هَذَا الْوَعْدَ وَعَدَهُ اللَّهُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ. وَزَعَمَ مُقَاتِلُ أَنْ كَفَارَ مَكَّةَ لَمَّا صَلُّوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ عَنِ الْعُمْرَةِ عَامَ الْحَدِيدِيَّةِ، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَتَحَ عَلَيْنَا مَكَّةَ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ أي: لِيَجْعَلَهُمْ يَخْلَفُونَ مِنْ قَبْلِهِمْ، والمعنى: لِيُورِثَهُمْ أَرْضَ الْكُفَّارِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، فَيَجْعَلَهُمْ مُلُوكَهَا وَسَاسَتَهَا وَسُكَّانَهَا. وَعَلَى قَوْلِ مُقَاتِلٍ: الْمَرَادُ بِالْأَرْضِ مَكَّةَ.

قوله تعالى: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الْأَزْكِيَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ: «كَمَا اسْتَخْلَفَ» بِضَمِّ التَّاءِ وَكسْر اللام؛ يعني: بني إسرائيل، وذلك أنه لما هلكَتِ الْجَبَابِرَةُ بِمِصْرَ، أَوْرَثَهُمُ اللَّهُ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ.

قوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ وَهُوَ الْإِسْلَامُ، وَتَمَكِينُهُ: إِظْهَارُهُ عَلَى كُلِّ دِينٍ، ﴿وَيُعْطِيَهُمُ الْفَتْحَ﴾ وَأَبَانٌ، وَيَقْبُوبُ: «وَيُؤَيِّدُهُمْ» بِسُكُونِ الْبَاءِ وَتَخْفِيفِ الدَّالِّ ﴿فَيُزِيلُ عَنْهُمْ خَوْفَهُمْ أَنَّهُمْ لَأَنْهَمُ كَانُوا مَظْلُومِينَ مَقْهُورِينَ<sup>(٣)</sup>﴾ «يَسْبُذُونِي» هَذَا اسْتِثْنَاءُ كَلَامٍ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بِهَذِهِ النِّعْمِ، أَي: مَنْ جَحَدَ حَقَّهَا. قَالَ الْمَفْسُورُونَ: وَأَوَّلُ مَنْ كَفَرَ بِهَذِهِ النِّعْمِ قَتْلَةُ عُثْمَانَ.

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» ٤٠١/١ قال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وذكره السيوطي في «الدرر» ٥٥/٥، وزاد نسبه لابن المنذر، والطبراني في «الأوسط»، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل»، والضياء في «المختارة» عن أبي بن كعب ﷺ.

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٨، وذكره السيوطي في «الدرر» ٥٥/٥ عن عبد بن حديد، وابن أبي حاتم.

(٣) قال ابن كثير: هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه، بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي: أئمة الناس، والولاية عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم البلاد، وليدلتهم من بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً فيهم، وقد فعله تبارك وتعالى، وله الحمد والمنة، فإنه ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وغير البحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكاملها، وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر وإسكندرية، وهو المقوقس، وملك عُثْمَانُ، والتجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد أصحمة رحمه الله وأكرمه. ثم لما مات رسول الله ﷺ، واختار له ما عنده من الكرامة، قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق، فلمْ شعث ما وهى بعد موته ﷺ، وأخذ جزيرة العرب ومهلها، وبعث جيوش الإسلام إلى بلاد فارس صبيحة خالد بن الوليد ﷺ، ففتحوا طرفاً منها وقتلوا خلقاً من أهلها، وجيشاً آخر صبيحة أبي عبيدة ﷺ ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام، وثالثاً صبيحة عمرو بن العاص ﷺ إلى بلاد مصر، ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومخاليقهما من أراضي حوران وما والاها، وتوفاه الله ﷻ، واختار له ما عنده من الكرامة، وَرَّعَى عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَنَّ أَلْهَمَ الصُّدِّيقِ أَنَّ يَسْتَخْلِفَ عَمْرَ الْفَارُوقِ، فقام بالأمر بعده قياماً تاماً، لم يَزِدْ الْفَلَكَ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى مِثْلِهِ فِي قُوَّةِ سَيَرَتِهِ وَكَمَالِ عَدْلِهِ، وَتَمَّ فِي أَيَّامِهِ فَتْحُ الْبِلَادِ الشَّامِيَةِ بِكَمَالِهَا وَدِيَارِ مِصْرَ إِلَى آخِرِهَا وَأَكْثَرُ أَقْلِيمِ فَارْسَ، وَكُسِرَ كِسْرَى وَأَهَانَتْ غَايَةُ الْهَوَانِ، وَتَهَقَّرَ إِلَى أَقْصَى مَمْلَكَتِهِ، وَقَصُرَ قَيْصَرُ وَانْتَزَعَ يَدَهُ عَنْ بِلَادِ الشَّامِ، وَانْتَحَدَرَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَأَنْقَضَ أَمْوَالُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ وَوَعَدَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ أَمَّ سَلَامٍ وَأَزْكَى صَلَاةٍ. ثُمَّ لَمَّا كَانَتِ الدَّوْلَةُ الْعُثْمَانِيَّةُ (دَوْلَةُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ ﷺ) امْتَدَّتْ الْمَمَالِكُ الْإِسْلَامِيَّةُ إِلَى أَقْصَى مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، فَفَتَحَتْ بِلَادَ الْمَغْرِبِ إِلَى أَقْصَى مَا هُنَاكَ =

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا شِعْركَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا أَلَمٌ وَلَكِنَّهُمُ الْعَصِيدُ ۝٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قرأ ابن عامر، وحمزة عن عاصم: «لَا يَحْسَبَنَّ» بالياء وفتح السين. وقرأ

الباقون: بالياء وكسر السين.

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ يَسْتَفْتِكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَوْ يُلْقُوا أَعْلَمُ بِكُمْ لَكَ تِلْكَ مُرُوءٌ مِنْ قَبْلِ مَلَكَةِ الْعَمْرِ وَبَيْنَ تَقَعُونَ بِأَكْبَرُ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ مَلَكَةِ الْوَسَاءِ تِلْكَ عَوْرَتُكُمْ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُكُمْ عَلَيْكُمْ بَضْعُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٨﴾ وَلَوْ بَلَغَ الْأَقْلَامُ بِكُمْ الْعِلْمَ فَلْيَسْتَفْتُوا كَمَا اسْتَفْتَدَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ الْوَسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ بَكْلًا فُلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعُوا يَدَيْهِنَّ عَلَى مَتْنِعَتِ رِبْسِهِمْ وَأَنْ يَسْتَفْتُوا خَيْرَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتِكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رسول الله ﷺ وبه غلاماً من الأنصار يقال له: مُذَلِّج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه، فدخل فرأى عمر على حالة كره عمر رؤيته عليها، فقال: يا رسول الله، وددت لو أن الله أمرنا ونهانا في حال الاستئذان، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن أسماء بنت مرثد<sup>(٢)</sup> كان لها غلام، فدخل عليها في وقت كرهته، فأنت رسول الله ﷺ، فقالت: إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حالة نكرها، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل<sup>(٣)</sup>. ومعنى الآية: ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم؛ وفيهم قولان. أحدهما: أنه أراد الذكور دون الإناث، قاله ابن عمر. والثاني: الذكور والإناث، رواه أبو حصين عن أبي عبد الرحمن<sup>(٤)</sup>. ومعنى الكلام: ليستأذنكم ممالككم في الدخول عليكم. قال القاضي أبو يعلى: والأظهر أن يكون المراد: المعيد الصغار والإماء الصغار، لأن العبد البالغ بمنزلة الحر البالغ في تحريم النظر إلى مولاته، فكيف يضاف إلى الصبيان الذين هم غير مكلفين؟!

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَوْ يُلْقُوا أَعْلَمُ﴾ وقرأ عبد الوارث: «الْحُلُمُ» بإسكان اللام ﴿يُنْكِرُ﴾ أي: من أحراركم من الرجال والنساء ﴿تِلْكَ مُرُوءٌ﴾ أي: ثلاثة أوقات؛ ثم بيّنها فقال: ﴿مِنْ قَبْلِ مَلَكَةِ الْعَمْرِ﴾ وذلك لأن الإنسان قد يبيت غريباً، أو على حالة لا يحب أن يُطْلَعَ عليه فيها ﴿وَبَيْنَ تَقَعُونَ بِأَكْبَرُ مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾ أي: القائلة ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَلَكَةِ الْوَسَاءِ﴾ حين يأوي الرجل إلى زوجته، ﴿تِلْكَ عَوْرَتُكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «ثلاث عورات» برفع التاء من «ثلاث»، والمعنى: هذه الأوقات هي ثلاث عورات، لأن الإنسان يضع فيها ثيابه، فربما بدت عورته. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «ثلاث عورات» بنصب التاء؛ قال أبو علي: وجعلوه بدلاً من قوله: «ثلاث مرآت» والأوقات ليست عورات، ولكن المعنى: أنها أوقات ثلاث عورت، فلما حذف المضاف أعرب [بإعراب المحذوف]. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وسعيد بن جبير، والأعمش: «عَوْرَات» بفتح الواو، ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: المؤمنين الأحرار ﴿وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني: الخدم والغلمان ﴿جُنَاحٌ﴾ أي: حرج ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ أي: بعد مضي هذه

= الأندلس وقبرص وبلاد القيروان وتلاذ سبعة مما يلي البحر المحيط، ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين، وقتل كسرى ربه ملكه بالكلية، وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز، وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جداً، وخلب الله ملكهم الأعظم خاقان، ووجي للجراج من المشرق والمغرب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن، ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسبيل ملك أمي ما زوي لي منها» قال ابن كثير: فما نحن ننقلب فيما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، فسأل الله الإيمان به ورسوله، والقيام بشكره على الوجه الذي يرضيه عنا. اهـ.

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٩ عن ابن عباس بدون سند.

(٢) في الأصل: أسماء بنت مرثد، وما أثبتناه من «الإصابة» وبعض كتب التفسير.

(٣) وكذلك ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٩ عن مقاتل بدون سند، وخرجه بخرو السيوطي في «الدرة» ٥٥/٥ من رواية ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: «عني به الذكور والإناث، لأن الله عم بقوله: ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ جميع أملاك إيماننا، ولم يخص منهم ذكراً ولا أنثى، فذلك على جميع من غمه ظاهر التنزيل. اهـ.

الأوقات في أن لا يستأذنوا، فرفع الحرج عن الفريقين، ﴿طَوُّفُوتٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: هم طوافون عليكم ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي: يطوف بعضهم وهم الممالك على بعض وهم الأحرار.

### فصل

وأكثر علماء المفسرين على أن هذه الآية محكمة، وممن روي عنه ذلك ابن عباس، والقاسم بن محمد، وجابر بن زيد، والشعبي. وحكي عن سعيد بن المسيب أنها منسوخة بقوله: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾؛ والأول أصح، لأن معنى هذه الآية: وإذا بلغ الأطفال منكم، أو من الأحرار الحلم، فليستأذنوا، أي: في جميع الأوقات في الدخول عليكم ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كما استأذن الأحرار الكبار، الذين هم قبلهم في الوجود، وهم الذين أمروا بالاستئذان على كل حال؛ فالبالغ يستأذن في كل وقت، والطفل والمملوك يستأذنان في العورات الثلاث. قوله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ قال ابن قتيبة: يعني: العَجَزُ، واحداها: قاعدٌ، ويقال: إنما قيل لها: قاعدٌ، لنعوذها عن الحيض والولد، وقد تقعد عن الحيض والولد ويثقلها يرجو النكاح، ولا أراها سميت قاعداً إلا بالنعوذ، لأنها إذا أسنّت عجزت عن التصرف وكثرة الحركة، وأطالت القعود، فقيل لها: «قاعد» بلا هاء، ليدل حذف الهاء على أنه قعود كثير، كما قالوا: «امرأة جاملة»، ليدلوا بحذف الهاء على أنه حمل خجل، وقالوا في غير ذلك: قاعدة في بيتها، وحاملة على ظهرها.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يَبْتَغِيَ غِلَابَهُنَّ﴾ أي: عند الرجال؛ ويعني بالثياب: الجلباب والرداء والقناع الذي فوق الخمار، هذا المراد بالثياب، لا جميع الثياب، ﴿فَرَّجَ مَتَاعَهُنَّ رِيحَهُ﴾ أي: من غير أن يُرَدْنَ بوضع الجلباب أن<sup>(١)</sup> ترى زينةهن، والتبرج: إظهار المرأة محاسنها، ﴿وَأَنْ يَسْتَمِيعَنَ﴾ فلا يَصْغُرَنَّ تلك الثياب ﴿عَنْ لَهْرِهِنَّ﴾، قال ابن قتيبة: والعرب تقول: امرأة واضعٌ إذا كبرت فوضعت الخمار، ولا يكون هذا إلا في الهرمة. قال القاضي أبو يعلى: وفي هذه الآية دلالة على أنه يُباح [للعجوز] كشف وجهها ويديها بين يدي الرجال، وأما شعرها، فيحرم النظر إليه كشعر الشابة.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَنفُسِ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ غَنَائِهِمْ أَوْ مَا فِي بَيْوتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَلَا تَأْكُلُوا مِنْهُمَا خَبَاءً وَلَا تَمْنُوا فِيهِمْ فَكَيْفَ يُكَلِّمُ اللَّهُ شَعْرَةً مِنْ فِجْءٍ أَوْ نَسْتَكُفُّ عَنْهُ بِقَوْلٍ كَلِمَةٍ أَوْ نَقُودُهُمْ بِقَوْلٍ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ أَنَّ تَأْكُلُوا مِنْهُمَا خَبَاءً وَلَا تَمْنُوا فِيهِمْ فَكَيْفَ يُكَلِّمُ اللَّهُ شَعْرَةً مِنْ فِجْءٍ أَوْ نَسْتَكُفُّ عَنْهُ بِقَوْلٍ كَلِمَةٍ أَوْ نَقُودُهُمْ بِقَوْلٍ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ٢٩] تحرج المسلمون عن مواكلة المرضى والزمنى والغني والغرج، وقالوا: الطعام أفضل الأموال، وقد نهى الله تعالى عن أكل المال بالباطل، والأعمى لا يُبصر موضع الطعام الطيب، والمريض لا يستوفي الطعام، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن ناساً كانوا إذا خرجوا مع رسول الله ﷺ، وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والأعرج والمريض وعند أقاربهم، وكانوا يأمرهم أن يأكلوا مما في بيوتهم إذا احتاجوا، فكانوا يتقون أن يأكلوا منها، ويقولون: نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن المسيب<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن العرجان والمُيمان كانوا يمتنعون عن مواكلة الأصحاء، لأن الناس يتقَلَّبُونَهُمْ، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبير، والضحاك<sup>(٤)</sup>. والرابع: أن قوماً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا إذا لم يكن عندهم ما يُطعمون المريض والزَّمين، ذهبوا به إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم وبعض من سُمِّيَ الله ﷻ في هذه الآية، فكان أهل الزَّمانة

(١) في الأصل: أي.

(٢) «الطبري» ١٨/١٦٨، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٩ عن ابن عباس بدون سند. وخرجه السيوطي في «الدر» ٥/٥٨ من رواية ابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي عن ابن عباس.

(٣) «أسباب النزول» للواحدي ١٩٠، وذكره السيوطي بنحوه في «الدر» ٥/٥٨ من رواية عبد بن حميد.

(٤) ذكره بنحوه الطبري ١٨/١٦٨ عن الضحاك، وهو عند الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٩ بدون سند.

يتحرّجون من أكل ذلك الطعام لأنه أطعمهم غير مالكة، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد<sup>(١)</sup>. والخامس: أنها نزلت في إسقاط الجهاد عن أهل الرّمانة المذكورين في الآية، قاله الحسن، وابن زيد. فعلى القول الأول يكون معنى الآية: ليس عليكم في الأعمى حرج أن تأكلوا معه، ولا في الأعرج، وتكون «على» بمعنى «في»، ذكره ابن جرير. وكذلك يخرج [معنى الآية] على كل قول بما يليق به. وقد كان جماعة من المفسرين يذهبون إلى أن آخر الكلام «ولا على المريض حرج» وأن ما بعده مستأنف لا تعلّق له به، وهو يقوّي قول الحسن، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بيوت الأولاد. والثاني: البيوت التي يسكنونها وهم فيها عيال غيرهم، فيكون الخطاب لأهل الرجل وولده وخادمه ومن يشتمل عليه منزله، ونسبها إليهم لأنهم سكّانها. والثالث: أنها بيوتهم، والمراد أكْلهم من مال عيالهم وأزواجهم، لأن بيت المرأة كبيت الرجل. وإنما أباح الأكل من بيوت القربات المذكورين، لجريان العادة ببذل طعامهم لهم؛ فإن كان الطعام وراء جُرْزٍ، لم يجز هتك الحرز.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْهُ مَفَاحِشُهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الوكيل، لا بأس أن يأكل اليسير، وهو معنى قول ابن عباس. وقرأها سعيد بن جبير، وأبو العالية: «مَلَكْتُمْ» بضم الميم وتشديد اللام مع كسرهما على ما لم يسمّ فاعله، وفسّرها سعيد فقال: يعني القهرمان الذي بيده المفاتيح. وقرأ أنس بن مالك، وقتادة، وابن يعمر: «مَفَاحِشُهُ» بكسر الميم على التوحيد. والثاني: بيت الإنسان الذي يملكه، وهو معنى قول قتادة. والثالث: بيوت العبيد، قاله الضحاك.

قوله تعالى: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه في الحارث بن عمرو، خرج مع رسول الله ﷺ غزياً، وخلف مالك بن زيد على أهله، فلما رجع وجده مجهوداً، فقال: تحرّجت أن أكل من طعامك بغير إذنك، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وكان الحسن وقتادة يريان الأكل من طعام الصديق بغير استئذان جائزاً.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً﴾ في سبب نزول هذه [الآية] ثلاثة أقوال: أحدها: أن حياً من بني كنانة يقال لهم: بنو ليث كانوا يتحرّجون أن يأكل الرجل الطعام وحده؛ فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح إلى الرواح، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة والضحاك<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن قوماً من الأنصار كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم، فنزلت هذه الآية، ورخص لهم أن يأكلوا جميعاً أو أشتاتاً، قاله عكرمة<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن المسلمين كانوا يتحرّجون من مؤاكلة أهل الضّرّ خوفاً من أن يستأثروا عليهم، ومن الاجتماع على الطعام، لا اختلاف الناس في مأكَلهم وزيادة بعضهم على بعض؛ فوسّع عليهم، وقيل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً﴾ أي: مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتاً﴾ أي: متفرّقين، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بيوت أنفسكم، فسلموا على أهاليكم وعيالكم، قاله جابر بن عبد الله، وطاووس، وقتادة. والثاني: أنها المساجد، فسلموا على من فيها، قاله ابن عباس. والثالث: بيوت الغير؛ فالمعنى: إذ دخلتم بيوت غيركم فسلموا عليهم، قاله الحسن<sup>(٥)</sup>.

(١) «الطبري» ١٦٩/١٨، وهو عند الواحدي في «أسباب النزول» بدون سند، وذكره السيوطي في «الدر» بنحو ٨٥/٥.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» ٥٨/٥ من رواية التلمي عن ابن عباس ؓ.

(٣) «أسباب النزول» للواحدي عن قتادة والضحاك بدون سند، وذكره الطبري عن قتادة، والسيوطي في «الدر» من رواية عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) «الطبري» ١٧٢/١٨، و«أسباب النزول» للواحدي ١٩٠، وذكره السيوطي في «الدر» ٥٨/٥ وزاد نسبه لابن المنذر.

(٥) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: فإذا دخلتم بيوتاً من بيوت المسلمين، فليسلم بعضهم على بعض، قال: وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب، لأن الله جل ثناؤه قال: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً﴾ ولم يخص من ذلك بيتاً دون بيت، وقال: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ يعني: بعضهم على بعض، فكان معلوماً إذ لم يخص ذلك على بعض البيوت دون بعض، أنه معني به جميعها، مساجدها وغير مساجدها. اهـ.



قوله تعالى: ﴿قَدْ يَكْمُمُ مَا أَنْشَرُ عَلَيْكَ﴾ أي: ما في أنفسكم، وما تنطوي عليه ضمائركم من الإيمان والنفاق؛ وهذا تنبيه على الجزاء على ذلك<sup>(١)</sup>.



والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان، كما ثبت في «الصححين» وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه امرنا فهو رد» أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول ﷺ باطناً وظاهراً ﴿إِنْ تُبَيِّبَهُمْ يُقَتَّلُ﴾ أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿وَإِنْ يُبَيِّبَهُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ أي: في الدنيا يقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك. اهـ.

وقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه مسلم في «صحيحه» ١٧٩٠/٤: «عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلني ومثلكم كمثال رجل أوقد ناراً، فجعل الجاهل والفراس يهمن فيها وهو يلتهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم من النار وأنتم تغفلون من يدي».

(١) قال ابن جرير الطبري: ﴿قَدْ يَكْمُمُ مَا أَنْشَرُ عَلَيْكَ﴾ من طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم من ذلك. ثم قال ابن جرير في تسمية السورة: ﴿وَيُزَيِّرُ يَرْشِقُونَ﴾ يقول: ويوم يرجع إلى الله الذين يخالفون أمره ﴿يُزَيِّرُهُمْ﴾ يقول: فيخبرهم حينئذ ﴿وَمَا عَمِلُوا﴾ في الدنيا ثم يجازيهم على ما أسلفوا فيها من خلافهم على ربهم ﴿وَأَكْثَرُ بِحَسْبِ قَوْمٍ غَيْرٌ﴾ يقول: والله ذو علم بكل شيء عملتموه أنتم وهم وغيركم، وغير ذلك من الأمور، لا يخفى عليه شيء، بل هو محيط بذلك كله، وهو موثّق كل عامل منكم أجر عمله يوم ترجعون إليه. اهـ.

## سورة الفرقان

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝۱﴾ الَّذِي لَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ يَسْجُدُ وَلَكُلَا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رَعَاهُ فَتَعْدِيرًا ۝۲﴾ وَتَقْدِيرًا مِنْ دُونِهِ إِلَهَةٌ لَا يَخْلُقُونَهَا شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ۝۳﴾

قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة في آخرين: هي مكية. وحكي عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا: إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، وهي قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَتُوبُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إلى قوله: ﴿عَقُورًا رَجِيًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ﴾ قد شرحناه في [الأعراف: ٥٤]. والفرقان: القرآن، سمي فرقاناً، لأنه فُرق به بين الحق والباطل. والمراد بعبد: محمد ﷺ، فيه قولان: أحدهما: أنه كناية عن عبده، قاله الجمهور. والثاني: عن القرآن، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ يعني الجن والإنس ﴿نَذِيرًا﴾ [أي]: مخوفاً من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ رَعَاهُ فَتَعْدِيرًا﴾ فيه ثلاث أقوال. أحدها: سؤاه وهيأه لما يصلح له، فلا خلل فيه ولا تفاوت. والثاني: قَدَّر له ما يصلحه ويُقيمه. والثالث: قَدَّر له تقديرًا من الأجل والرزق. ثم ذكر ما صنعه المشركون، فقال: ﴿وَتَقْدِيرًا مِنْ دُونِهِ إِلَهَةٌ﴾ يعني: الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَهَا شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: وهي مخلوقة ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ أي: دفع ضرر، ولا جر نفع، لأنها جماد لا قدرة لها، ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾ أي: لا تملك أن تُميت أحداً، ولأن تحيي أحداً، ولا أن تبعث أحداً من الأموات؛ والمعنى: كيف يعبدون ما هذه صفته، ويتركون عبادة مَنْ يقدر على ذلك كله؟

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَآخِرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۝۴﴾ وَقَالُوا اسْتَطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَبِئْسَ تَمَثُلَ عَلَيْهِ بُكَرَةٌ وَأَصِيلًا ۝۵﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ الْغَيْبَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّكُمْ كَانَتْ عَقُورًا رَجِيًا ۝۶﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: مشركي فريش؛ وقال مقاتل: هو قول النضر بن الحارث من بني عبد الدار ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: ما هذا، يعنون القرآن ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ أي: كذب ﴿افْتَرَاهُ﴾ أي: اختلقه من تلقاء نفسه ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَآخِرُونَ﴾ قال مجاهد: يعنون اليهود؛ وقال مقاتل: أشاروا إلى عداس مولى حويطب، ويسار غلام عامر بن الحضرمي، وجبر مولى لعامر أيضاً، وكان الثلاثة من أهل الكتاب.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ قال الزجاج: المعنى: فقد جاؤوا بظلم وزور، فلما سقطت الباء، أفضى الفعل فنصب، والزور: الكذب. ﴿وَقَالُوا اسْتَطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ المعنى: وقالوا: الذي جاء به أساطير الأولين؛ وقد بينّا ذلك في [الأنعام: ٢٥]. قال المفسرون: والذي قال هذا هو النضر بن الحارث. ومعنى ﴿أَكْتَتَبَهَا﴾ أمر أن تُكتب له. وقرأ ابن مسعود، وإبراهيم النخعي، وطلحة بن مصرف: «أَكْتَتَبَهَا» برفع التاء الأولى وكسر الثانية، والابتداء على قراءتهم برفع الهمزة، ﴿فَبِئْسَ تَمَثُلَ عَلَيْهِ﴾ أي: تُقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها، لأنه لم يكن كاتباً، ﴿بُكَرَةٌ وَأَصِيلًا﴾ أي: عُدة وعشياً. ﴿قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: ﴿أَنْزَلَهُ﴾ يعني: القرآن ﴿الَّذِي يَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ أي: لا يخفى عليه شيء ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.



﴿قَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَتَشَبَّهِ فِي الْأَنْبِيَاءِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ۖ أَأَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَرًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَشْغُورًا ۖ أَنْظِرْ كَيْفَ مَرَبُّوْا لَكَ الْأَمْتَلُ فَصَلُّوا فَلَا يَسْتَفِيدُونَ سَيِّئًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا﴾ يعني المشركين ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ أنكروا أن يكون الرسول بشراً يأكل الطعام ويمشي في الطُّرُق كما يمشي سائر الناس يطلب المعيشة؛ والمعنى: أنه ليس بملك ولا ملك، لأن الملافة لا تأكل، والملوك لا تبدل في الأسواق، فعجبوا أن يكون مساوياً للبشر لا يتميز عليهم بشيء؛ وإنما جعله الله بشراً ليكون مجانساً للذين أرسل إليهم، ولم يجعله ملكاً يمتنع من المشي في الأسواق، لأن ذلك من فعل الجبابرة، ولأنه أمر بدعائهم، فاحتاج أن يمشي بينهم.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ وذلك أنهم قالوا له: سل ربك أن يعث معك ملكاً يصدقك ويجعل لك جناتاً وقصوراً وكنوزاً، فذلك قوله: ﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَرًا﴾ أي: ينزل إليه كنز من السماء ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أي: بستان يأكل من ثماره. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «يأكل منها» بالياء، يعنون النبي ﷺ. وقرأ حمزة، والكسائي: «ناكل» بالنون، قال أبو علي: المعنى: يكون له علينا مزية في الفضل بأكلنا من جنته. وبقي الآية مفسر في [بني إسرائيل: ٤٧].

قوله تعالى: ﴿أَنْظِرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ مَرَبُّوْا لَكَ الْأَمْتَلُ﴾ حين مثلك بالمسحور، وبالكاهن والمجنون والشاعر ﴿فَصَلُّوا﴾ بهذا عن الهدى ﴿فَلَا يَسْتَفِيدُونَ سَيِّئًا﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يستطيعون مخرجاً من الأمثال التي ضربوها، قاله مجاهد، والمعنى أنهم كذبوا ولم يجدوا على قولهم حجة وبرهاناً. وقال الفراء: لا يستطيعون في أمرك حيلة. والثاني: سيلاً إلى الطاعة، قاله السدي.

﴿يَبَارِكُ الَّذِي مَنَ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ جَرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَجَعَلَ لَكَ قُصُورًا ۖ بَيْنَ كَذِبًا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَوِيرًا ۝﴾ إذا رأته من تكاين يبيروا سموا لها قنيطاً وزفيراً ۝ ولذا ألقوا منها مكانا ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا ۝ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجَدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ۝﴾

ثم أخبر أنه لو شاء لأعطاها خيراً مما قالوا في الدنيا، وهو قوله: ﴿خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ يعني: لو شئت لأعطيتك في الدنيا خيراً مما قالوا، لأنه قد شاء أن يعطيه ذلك في الآخرة. ﴿وَجَعَلَ لَكَ قُصُورًا﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «ويجعل لك قصوراً» برفع اللام. وقرأ أبو عمرو، ونافع، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «ويجعل» بجزم اللام. فمن قرأ بالجزم، كان المعنى: إن يشأ يجعل لك جنات ويجعل [لك] قصوراً. ومن رفع، فعلى الاستثاف [المعنى]: ويجعل لك قصوراً في الآخرة. وقد سبق معنى ﴿أَعْتَدْنَا﴾ [النساء: ٣٧] ومعنى ﴿السَّعِيرِ﴾ [النساء: ١٠].

قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ تَكَايٍ يَبِيرُ﴾ قال السدي عن أشياخه: من مسيرة مائة عام. فإن قيل: السعير مذكر، فكيف قال: «إذا رأته»؟ فالجواب: أنه أراد بالسعير النار.

قوله تعالى: ﴿يَسْمُرُ لَهَا قَنِيْطًا﴾ فيه قولان: أحدهما: غليان تغيط، قاله الزجاج. قال المفسرون: والمعنى أنها تغيط عليهم، فيسمعون صوت تغيطها وزفيرها كالغضببان إذا غلا صدره من الغيط. والثاني: يسمعون فيها تغيط المعذبين وزفيرهم، حكاه ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَلِذَا أَلْقَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝﴾ قال المفسرون: تضيق عليهم كما يضيق الزجج<sup>(١)</sup> على الرمح، وهم قد قرنوا مع الشياطين والثبور: الهلكة. وقرأ عاصم الجحدري، وابن السميع: «ثبورا» بفتح الشاء.



أي: تركوا الإيمان بالقرآن والاتعاض به ﴿وَكَاذِبًا قَوْمًا بُورًا﴾ قال ابن عباس: هَلَكِي. قوال في زوايه أخرى، البُور: [في] لغة أزد عُمان: الفاسد. قال ابن قتبية: هو من بَارَ يُبُور: إذا هلك ويظَل، يقال: بار الطعام: إذا كَسَد، وبارت الآثِم: إذا لم يُرَغَب فيها، وكان رسول الله ﷺ يتعوذ من بُورِ الآثِم، قال: وقال أبو عبيدة: يقال: رجل بُورٌ، وقوم بُور، لا يُجَمَع ولا يُثَنَّى، واحتج بقول الشاعر:

يَا رَمُوكَ الْمَلِيكَ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورٌ<sup>(١)</sup>

وقد سمعنا بـ [رجل بائر] ورأيانهم ربما جمعوا «فاعلاً» على «فعل»، نحو عائِل وعُوذ، وشارِف وشُرِف. قال المفسرون: فيقال للكفار حينئذٍ ﴿فَقَدْ كَذَّبَكُمْ﴾ أي: فقد كَذَّبكم المعبودون في قولكم: إنهم آلهة. وقرأ سعيد بن جبير، ومجاهد، ومعاذ القاري، وابن شنيذ عن قتيل: «بما يقولون» بالياء؛ والمعنى: كَذَّبوكم بقولهم: ﴿سَبَّحْتَكَ مَا كَانَ يَلْبَنِي لَهَا...﴾ الآية؛ هذا قول الأكثرين. وقال ابن زيد: الخطاب للمؤمنين؛ فالمعنى: فقد كَذَّبكم المشركون بما تقولون: إن محمداً رسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ قرأ الأكثرون بالياء. وفيه وجهان: أحدهما: فما يستطيع المعبودون صرفاً للعذاب عنكم ولا نصراً لكم. والثاني: فما يستطيع الكفار صرفاً لعذاب الله عنهم ولا نصراً لأنفسهم. وقرأ حفص عن عاصم: «تستطيعون» بالتاء؛ والخطاب للكفار. وحكى ابن قتبية عن يونس البصري أنه قال: الصَّرْف: الحيلة من قولهم: إنه ليتصرف.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ يَنْصِبْكُمْ﴾ أي: بالشُّرك ﴿يَذِقُهُ﴾ في الآخرة. وقرأ عاصم الجحدري، والضحاك، وأبو الجوزاء [وقتادة]: «يذقه» بالياء ﴿عَذَابًا كَبِيرًا﴾ أي: شديداً. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قال الزجاج: في الآية محذوف، تقديره: وما أرسلنا قبلك رُسلًا من المرسلين، فحذفت «رسلاً» لأن قوله: ﴿وَمِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ يدل عليها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا إِنَّمَا لِيَآكُلُوا الطَّعَامَ وَيَشْرَبُوا فِي الْأَنْسَاءِ﴾ أي: إنهم كانوا على مثل حالك، فكيف تكون يدعاً منهم؟ فإن قيل: لم كُسرَت «إنهم» هاهنا، وفتحت في قوله: ﴿أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ﴾ [براءة: ٥٤] فقد بيَّنا هنالك غِلَّةً فتح تلك؛ فأما كسر هذه، فذكر ابن الأنباري فيه وجهين: أحدهما: أن تكون فيها واو حال مضمرة، فكسرت بعدها «إن» للاستئناف، فيكون التقدير: إلا وإنهم لياكلون الطعام، فأضمرت الواو هاهنا كما أضمرت في قوله: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]، والتأويل: أو وهم قائلون. والثاني: أن تكون كُسرَت لإضمار «مَنْ» قبلها، فيكون التقدير: وما أرسلنا قبلك مِنَ المرسلين إلا مَنْ إنهم لياكلون، قال الشاعر:

فَظَلُّوا وَمِنْهُمْ دَمْعُهُ سَابِقٌ لَهُ وَأَخَرُ يَشْنِي دَمْعَةَ الْعَيْنِ بِالْمَهْمَلِ<sup>(٢)</sup>

أراد: مَنْ دَمَعَهُ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَكُمْ سِتْرًا فَتَنَّا﴾ الفتنة: الابتلاء والاختبار. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنه افتتان الفقير بالفتي، يقول: لو شاء لجعلني غنياً، والأعمى بالبصير، والسقيم بالصحيح، قاله الحسن. والثاني: ابتلاء الشريف بالوضيع، والعربي بالمولى، فإذا أراد الشريف أن يُسلم فرأى الوضيع قد سبقه بالإسلام أنف فأقام على كفره، قاله ابن السائب. والثالث: أن المستهزئين من قريش كانوا إذا رأوا فقراء المؤمنين، قالوا: انظروا إلى أتباع محمد من موالينا وُذُلنا، قاله مقاتل. فعلى الأول: يكون الخطاب بقوله: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ لأهل البلاء. وعلى الثاني: للرؤساء، فيكون المعنى: أنصبرون على سبق الموالي والأتباع. وعلى الثالث: للفقراء؛

(١) البيت لعبد الله بن الزُّبَيْرِ السَّهْمِي قاله حين أسلم عند فتح مكة، وهو في «مجاز القرآن» ٧٣/٢، و«غريب القرآن» ٣١١، و«الطبري» ١٨/١٩١، و«القرطبي» ١١/١٣، و«اللسان» و«التاج»: بور.

(٢) المهمل: التوعدة والسكتة، والبيت لذى الرمة وهو في «معاني القرآن» ٣٨٤، وروايته في «ديوانه» طبع المكتب الإسلامي من ٥٧٠: فظَلُّوا وَمِنْهُمْ دَمْعُهُ غَالِبٌ لَهُ وَأَخَرُ يَشْنِي غُبْرَةَ السَّيْنِ بِالْمَهْمَلِ

فالمعنى: أتصبرون على أذى الكفار واستهزائهم، والمعنى: قد علمتم ما وُعد الصابرون، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يصبر وبمن يجزع<sup>(١)</sup>.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَكُةَ لَا يَشْعُرُونَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حُبْرًا مَّحْجُورًا﴾ ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ نَبْهَةً نَّشُورًا﴾ ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي: لا يخافون البعث ﴿لَوْلَا﴾ أي: هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُةُ﴾ فكانوا رُسلًا إلينا وأخبرونا بصدقك، ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فيخبرنا أنك رسول، ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: تكبروا حين سألوا هذه الآيات ﴿وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ قال الزجاج: العتو في اللغة: مجاوزة القدر في الظلم.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَكُةَ﴾ فيه قولان: أحدهما: عند الموت. والثاني: يوم القيامة. قال الزجاج: وانتصب اليوم على معنى: لا بشرى للمجرمين يوم يرون الملائكة، و«يومئذ» مؤكد لـ «يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَكُةَ»؛ والمعنى أنهم يُمتنعون البشري في ذلك اليوم؛ ويجوز أن يكون «يوم» منصوباً على معنى: اذكر يوم يرون الملائكة، ثم أخبر فقال: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾، والمجرمون هاهنا: الكفار.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ حُبْرًا مَّحْجُورًا﴾ قرأ قتادة، والضحاك، ومعاذ القارئ: «حُجْرًا» بضم الحاء. قال الزجاج: وأصل الحجر في اللغة: ما حجرت عليه، أي: منعت من أن يُوصل إليه، ومنه حَجَر القضاة على الأيتام. وفي القائلين لهذا قولان: أحدهما: أنهم الملائكة يقولون للكفار: حُجْرًا محجوراً، أي: حراماً محرماً. وفيما حَرَموه عليهم قولان: أحدهما: البشري، فالمعنى: حرام محرّم أن تكون لكم البشري، قاله الضحاك؛ والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أن تدخلوا الجنة، قاله مجاهد. والثاني: أنه قول المشركين إذا عابوا العذاب، ومعناه الاستعانة من الملائكة، روي عن مجاهد أيضاً. وقال ابن فارس: كان الرجل إذا لقي مَنْ يخافه في الشهر الحرام، قال: حُجْرًا، أي: حرام عليك أذاي، فإذا رأى المشركون الملائكة يوم القيامة، قالوا: حُجْرًا محجوراً، يظنون أنه ينفعهم كما كان ينفعهم في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا﴾ قال ابن قتيبة: أي: قَصَدْنَا وَعَمَدْنَا، والأصل أَنَّ من أراد القدوم إلى موضع عَمَدَ له وقصده.

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ [أي] من أعمال الخير ﴿فَجَعَلْنَاهُ نَبْهَةً﴾ لأن العمل لا يُقَبَّل مع الشُّرك<sup>(٢)</sup>. وفي الهباء خمسة أقوال: أحدها: أنه ما رأيته يتطاير في الشمس التي تدخل من الكوة مثل الغبار، قاله عليّ رضي الله عنه، والحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، واللغويون؛ والمعنى أَنَّ الله أحبط أعمالهم حتى صارت بمنزلة الهباء. والثاني: أنه الماء المُهراق، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنه ما تنسفه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر، رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس. والرابع: أنه الشر الذي يطير من النار إذا أضرمت، فإذا وقع لم يكن شيئاً، رواه عطية عن ابن عباس. والخامس: أنه ما يسطع من حوافر الدواب، قاله مقاتل. والمتشور: المتفرق.

قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ أفضل منزلاً من المشركين ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾

(١) قال ابن كثير: يقول الله: لو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي فلا يخالفون لفعلت، ولكني قد أردت أن أبلي العباد بهم وأبليكم بهم، وفي «صحيح مسلم» عن عياض بن حمار عن رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: إني مبتليكم ومبتلي بك». وفي «المستند» عن رسول الله ﷺ: «لو شئت لأجري الله معي جبال الذهب والفضة». وفي «الصحيح» أنه عليه أفضل الصلاة والسلام خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو عبداً رسولاً، فاختار أن يكون عبداً رسولاً. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: أخبر الله تعالى أنه لا يحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شيء، وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله، فكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرشدة فهو باطل، فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معاً فتكون أبعد من القبول حيثئلاً. اهـ.

قال الزجاج: المَقِيلُ المُقام وقت القائلة، وهو النوم نصف النهار. وقال الأزهري: القيلولة عند العرب: الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحرّ وإن لم يكن مع ذلك نوم. وقال ابن مسعود، وابن عباس: لا يتتصف النهار من يوم القيامة حتى يَبِيلَ أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.

﴿وَيَوْمَ تَفْقَهُوا الصَّخَرَةَ وَالْعِصَمَ رُوِيَ الْمَلَكُةُ نَزِيلًا ﴿٦٥﴾ الثَّلَاثُ يَوْمَهُدِ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَذِيبًا ﴿٦٦﴾ وَيَوْمَ يَمْشِي الْأَطْلَامُ عَلَى بَنِيهِمْ يَقُولُ يَبْنَؤُنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴿٦٧﴾ يُنَادِي يَتِيمَ لَوْ أَتَيْدُ فَلَانْتَ حَلِيلًا ﴿٦٨﴾ لَقَدْ أَهْلَكْتَنِي مِنَ الْإِكْرِمِ يَهْدُ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشْقَىٰ أَنفُسُهُمُ وَيَدْعُمُونَ النَّفْسَ الَّتِي نَزَّلَا بِهَا﴾ ﴿١٠﴾ هذا معطوف على قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾، وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «تَشْقَىٰ» بالتشديد، فأدغموا التاء في الشين، لأن الأصل: تتشقق. قال الفراء: المعنى: تتشقق السماء عن الغمام، وتنزل فيه الملائكة، و«على» و«عن» و«الباء» في هذا الموضع بمعنى واحد، لأن العرب تقول: رميت عن القوس، وبالقوس، وعلى القوس؛ والمعنى واحد. وقال أبو علي الفارسي: المعنى: تتشقق السماء وعليها غمام، كما تقول: ركب الأمير بسلاحه، وخرج بشيابه، وإنما تتشقق السماء لنزول الملائكة. قال ابن عباس: تتشقق السماء عن الغمام، وهو الغيم الأبيض، وتنزل الملائكة في الغمام. وقال مقاتل: المراد بالسماء: السموات، تتشقق عن الغمام، وهو غمام أبيض كهيئة الضباب، فتنزل الملائكة عند انشقاقها. وقرأ ابن كثير: «وَنُزِّلُ» بنونين، الأولى مضمومة، والثانية ساكنة، واللام مضمومة، و«الملائكة» نصباً. وقرأ عاصم الجحدري، وأبو عمران الجوني: «وَنُزِّلُ» بنون واحدة مفتوحة ونصب الزاي وتشديدها وفتح اللام ونصب «الملائكة». وقرأ ابن يعمر: «وَنُزِّلُ» بفتح النون واللام والزاي والتخفيف «الملائكة» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَمِيزُ الْخَيْرَ لِلرَّحْمَنِ﴾ قال الزجاج: المعنى: المُلْكُ الذي هو المُلْكُ حقاً للرحمن<sup>(١)</sup>. فاما العسير، فهو الصعب الشديد يشتد على الكفار، ويهون على المؤمنين فيكون كمقدار صلاة مكتوبة.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْزِزُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن أَبِي بن خَلْفٍ كان يحضر [عند] رسول الله ﷺ ويجالسه من غير أن يؤمن به، فزجره عُقْبَةُ بن أَبِي مُعَيْطٍ عن ذلك، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن عُقْبَةَ دعا قومًا فيهم رسول الله ﷺ لطعام فأكلوا، وأبى رسول الله ﷺ أن يأكل، وقال: «لا أكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»، فشهد بذلك عقبة، فبلغ ذلك أَبِي بن خَلْفٍ، وكان خليلًا له، فقال: صبروت يا عقبة؟ فقال: لا والله، ولكنه أبى أن يأكل حتى قلت ذلك، وليس من نفسي، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن عُقْبَةَ كان خليلًا لَأُمَيَّةَ بن خَلْفٍ، فأسلم عُقْبَةَ، فقال أُمَيَّة: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمداً، فكفر وارتدَّ لرضى أُمَيَّة، فنزلت هذه الآية، قاله الشعبي<sup>(٤)</sup>. فأما الظالم [المذكور] هاهنا، فهو الكافر، وفيه قولان: أحدهما: أنه أَبِي بن خَلْفٍ، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: عُقْبَةُ بن أَبِي مُعَيْطٍ، قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة. قال عطاء: يأكل يديه حتى تذهب إلى المرفقين، ثم تبتنان، فلا يزال هكذا كلما نبتت يده أكلها ندامة على ما فعل.

قوله تعالى: ﴿يَلْتَمِزْ أَلْفَضْتُ﴾ الأكَثَرُونَ يَسْكُنُونَ «يا ليتني»، وأبو عمرو يحركها؛ قال أبو علي: والأصل التحريك، لأنها بإزاء الكاف التي للخطاب، إلا أن حرف اللين تكره فيه الحركة، ولذلك أسكن من أسكن؛ والمعنى: ليتني اتبعته فاتخذت معه طريقاً إلى الهدى.

(١) وفي «الصحیح»: «أن الله تعالى يطوي السموات بيمينه، ويأخذ الأرضين بيده الأخرى، ثم يقول: أنا الملك، أنا الديان، أين ملوك الأرض، أين الجبارون، أين المتكبرون».

(٢) «الطبري» ٨/١٩، وأسباب النزول، للواحدي ١٩١، وذكره السيوطي في «الدر» ٦٨/٥ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٣) «الطبري»، وذكره السيوطي في «الدر» ٦٩/٥ وزاد نسبه للقرطبي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٤) «الطبري» ٨/١٩، و«أسباب النزول» للواحدي ١٩١.

قوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا لَهُ أَنْجِدْ فَلاَئِكَ﴾ في المشار إليه أربعة أقوال: أحدها: أنه عنى أبي بن خلف، قاله ابن عباس. والثاني: عقبة بن أبي معيط، قاله أبو مالك. والثالث: الشيطان، قاله مجاهد. والرابع: أمية بن خلف، قاله السدي. فإن قيل: إنما يكنى من يخاف المبادأة أو يحتاج إلى المداجاة، فما وجه الكناية؟ فالجواب: أنه أراد بالظالم: كل ظالم، وأراد بفلان: كل من أطيع في معصية الله وأرضي بسخط الله، وإن كانت الآية نزلت في شخص، قاله ابن قتيبة. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخْلَيْنَا عَنْكَ الْكِبْرَ﴾ أي: صرفني عن القرآن والإيمان به ﴿بَعْدَ إِذْ جَعَلْتَنِي﴾ مع الرسول، وهاهنا تم الكلام. ثم قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ النَّبِيُّ لِلْإِنْسَانِ﴾ يعني: الكافر ﴿مَعْدُلاً﴾ يتبرأ [منه] في الآخرة. ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ يعني محمداً ﷺ، وهذا عند كثير من العلماء أنه يقوله يوم القيامة؛ فالمعنى: ويقول الرسول يومئذ. وذهب آخرون، منهم مقاتل، إلى أن الرسول قال ذلك شاكياً من قومه إلى الله تعالى حين كذبوه<sup>(١)</sup>. وقرأ ابن كثير، ونافع، [وأبو عمرو]: «إِنْ قَوْمِي اتَّخَذُوا» بتحريك الباء؛ وأسكنها عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي. وفي المراد بقوله: ﴿مَهْجُورًا﴾ قولان: أحدهما: متروكاً لا يلتفتون إليه ولا يؤمنون به، وهذا معنى قول ابن عباس، ومقاتل. والثاني: هَجَرُوا فيه، أي: جعلوه كالهذيان، ومنه يقال: فلان يَهْجُرُ في منامه، أي: يَهْذِي، قاله ابن قتيبة. وقال الزجاج: الهُجْر: عَمَّا لَا يُتَفَعُّ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ. قال المفسرون: فعزاه الله ﷻ، فقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ أي: كما جعلنا لك أعداء من مشركي قومك، جعلنا لكل نبيٍّ عدوًّا من كفار قومه؛ والمعنى: لا يَكْبُرُونَ هذا عليك، فلك بالأنبياء أسوة، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ يمنعك من عدوك. قال الزجاج: والباء في قوله: ﴿بِرَبِّكَ﴾ زائدة؛ فالمعنى: كفى ربك هادياً ونصيراً.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَفَعْنَاهُ نَازِلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِسَبْإٍ إِلَّا يَجْنُلُكَ وَالْحَقُّ وَسَمْنٌ سَبِيرًا﴾ ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ جُحُومِهِمْ إِنْ جَهَنَّمَ أَكْثَرُ لَكَ شَرٌّ مَّا كُنَّا وَنَسُوا حَاقًّا﴾ قوله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ أي: كما أنزل التوراة والإنجيل والزبور، قال الله ﷻ: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: أنزلناه كذلك متفرقاً، لأن معنى ما قالوا: لِمَ نُزِّلَ عَلَيْهِ مَتَفَرِّقًا؟ فقيل: إنما أنزلناه كذلك ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أي: لِنُقَوِّي بِهِ قَلْبَكَ فَتَزِدَادَ بَصِيرَةً، وذلك أنه كان يأتيه الوحي في كل أمر وحادثة، فكان أقوى لقلبه وأنور لبصيرته وأبعد لاستيحاشه، ﴿وَرَفَعْنَاهُ نَازِلًا﴾ أي: أنزلناه على الترتيل، وهو التمثُّث الذي يُضَادُّ الْعَجَلَةَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ يعني المشركين ﴿بِسَبْإٍ﴾ يضربونه لك في مخاصمتك وإبطال أمرك ﴿إِلَّا يَجْنُلُكَ وَالْحَقُّ﴾ أي: بالذي هو الحق لتَرُدَّ به كيدهم ﴿وَسَمْنٌ سَبِيرًا﴾ من مثْلهم؛ والتفسير: البيان والكشف. قال مقاتل: ثم أخبر بمستقرهم في الآخرة، فقال: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ جُحُومِهِمْ﴾ وذلك أن كفار مكة قالوا: إن محمداً وأصحابه شر خلق الله، فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿أَكْثَرُ لَكَ شَرٌّ مَّا كُنَّا وَنَسُوا حَاقًّا﴾ أي: منزلاً ومصيراً ﴿وَأَسْأَلَ سَبِيلًا﴾ ديناً وطريقاً من المؤمنين. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ هَارُونَ نَصِيرًا﴾ ﴿فَقُلْنَا أَنْعَمْنَا إِلَيْكَ الْيَوْمَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَفُتِنَهُمْ فَنَسُوا حَاقًّا﴾ ﴿وَقَدْ نَجَّيْنَا لَكَ كَذِبُوا الرَّسُولَ أَفَرَقْنَهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ مَآبَةً وَأَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿وَعَادًا وَنُوحًا وَآلَهُمْ أَكْثَرُ لَكَ كِبِيرًا﴾ ﴿وَكُلًّا ضَرَفْنَا لَهُ الْأَتْقَالَ وَكُلًّا نَبَّيْنَا نَبِيرًا﴾

(١) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن رسوله ونبيه محمد ﷺ أنه قال: ﴿يَعَذَّبُ إِذْ قُمِيَ اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ وذلك أن المشركين كانوا لا يسمعون للقرآن ولا يسمعون، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ يَغِي...﴾ الآية [فصلت: ٢٦]، فكانوا إذا تلى عليهم القرآن أكثروا اللغو والكلام في غيره حتى لا يسمعون، فهذا من هجرانه، وترك الإيمان به وترك تصديقه، من هجرانه، وترك تثيره وتفهمه، من هجرانه، وترك العمل به وامتناع أوامره واجتناب زواجره، من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره، من هجرانه. قال: ففسال الله الكريم المتان، القادر على ما يشاء، أن يخلصنا مما يسخطه، ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه والقيام بمقتضاه أثناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يحبه ويرضاه إنه كريم وهاب. اهـ.

قوله تعالى: ﴿أَنْذَرْنَا إِلَى الْفَتْورِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾. إن قيل: إنما عاينوا الآيات بعد [وجود] الرسالة، فكيف يقع التكذيب منهم قبل وجود الآيات؟ فالجواب: أنهم كانوا مكذّبين أنبياء الله وكُتِبَ المتقدمة، ومن كَذَّبَ نبيّاً فقد كَذَّبَ سائر الأنبياء، ولهذا قال: ﴿وَقَدْ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾، وقال الزجاج: يجوز أن يكون المراد به نوح وحده، وقد ذُكِرَ بلفظ الجنس، كما يقال: فلان يركب الدواب، وإن لم يركب إلا دابة واحدة؛ وقد شرحنا هذا في [مود: ٥٩] عند قوله: ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُمْ﴾. وقد سبق معنى التدمير [الأعراف: ١٣٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابَ الرِّثَى﴾ في الرُّس ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بشر كانت تسمى الرُّس، قاله ابن عباس في رواية العوفي. وقال في رواية عكرمة: هي بشر بأذربيجان. وزعم ابن السائب أنها بشر دون اليمامة. وقال السدي: بشر بأنطاكية. والثاني: أن الرُّس قرية من قرى اليمامة، قاله قتادة. والثالث: أنها المَعْدِن، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. وفي تسميتها بالرُّس قولان: أحدهما: أنهم رَسُوا نبيهم في البشر، قاله عكرمة. قال الزجاج: رَسُوهُ، أي: دَسُوهُ فيها. والثاني: أن كل رَكِيَّة لم تطو فهي رَسٌ، قاله ابن قتيبة. واختلفوا في أصحاب الرُّس على خمسة أقوال: أحدها: أنهم قوم كانوا يعبدون شجرة، فبعث الله تعالى إليهم نبيّاً من ولد يهوذا بن يعقوب، فحضروا له بشرّاً والقوه فيها، فهلكوا، قاله علي بن أبي حمزة. والثاني: أنهم قوم كان لهم نبي يقال له: حنظلة بن صفوان، فقتلوا نبيهم فأهلكهم الله، قاله سعيد بن جبيرة. والثالث: أنهم كانوا أهل بشر يتزلون عليها، وكانت لهم مواشي، وكانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله إليهم شعبياً، فتمادوا في طغيانهم، فانهارت البثر، فحُصِفَ بهم وبمنازلهم، قاله وهب بن منبه. والرابع: أنهم الذين قتلوا حبيباً التجار، قتلوه في بشر لهم، وهو الذي قال: ﴿يَنْفَعُوا أَتَيْمُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠]، قاله السدي. والخامس: أنهم قوم قتلوا نبيهم وأكلوه، وأول من عمل السحر نساؤهم، قاله ابن السائب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَقُرُونًا﴾ المعنى: وأهلكنا قرونًا ﴿بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ أي: بين عاد وأصحاب الرُّس. وقد سبق بيان القُرُون [الأنعام: ٦]. وفي هذه القصص تهديد لقريش.

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا شَرَبًا لَهُ الْأَنْثَلُ﴾ أي: أعدنا إليه بالموعظة وإقامة الحُجَّة ﴿وَكَلَّا تَبَرًا﴾ قال الزجاج: التَّبِير: التدمير، وكل شيء كسره وفتته فقد تَبَّرته، وكُسارته: التبر، ومن هذا قيل لمكسور الزجاج: التبر، وكذلك تبر الذهب.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا عَلَى الْقُرَيْهِ أَلْحَى أُنْطِرَتْ مَطَرُ السَّوَاءِ أَكَلْتُمْ يَكُونُوا يَكُونُهُمْ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ ثُورًا ﴿١٠﴾ وَلَا رَأَوْهُ إِلَّا يَنْخَدُونَ ﴿١١﴾ إِلَّا هَرُونَ أَمَّا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿١٢﴾ إِنَّ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَمْلِكُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنَ أَضَلَّ سَبِيلًا ﴿١٣﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَةً أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿١٤﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَفْقَهُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ يعني كفار مكة ﴿عَلَى الْقُرَيْهِ أَلْحَى أُنْطِرَتْ مَطَرُ السَّوَاءِ﴾ يعني قرية قوم لوط التي رُميت بالحجارة ﴿أَكَلْتُمْ يَكُونُوا يَكُونُهُمْ﴾ في أسفارهم فيعتبروا؟! ثم أخبر بالذي جرّأهم على التكذيب، فقال: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ ثُورًا﴾ أي: لا يخافون بعثاً، هذا قول المفسرين. وقال الزجاج: الذي عليه أهل اللغة أن الرجاء ليس بمعنى الخوف، وإنما المعنى: بل كانوا لا يرجون ثواب عمل الخير، فركبوا المعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا رَأَوْهُ إِلَّا يَنْخَدُونَ﴾ أي: ما يتخذونك ﴿إِلَّا هَرُونَ﴾ أي: مهزوءاً به. ثم ذكر ما يقولون من الاستهزاء: ﴿أَمَّا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿١٢﴾ إِنَّ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ أي: ليصرفنا عن عبادة آلِهَتِنَا ﴿لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ أي: على عبادتها؛ قال الله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَمْلِكُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ في الآخرة ﴿مَنَ أَضَلَّ﴾ أي: من أخطأ طريقاً عن الهدى، أهم، أم المؤمنون. ثم عَجِبَ نبيهم حين عبدوا ما دعاهم إليه الهوى، فقال: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَةً﴾ قال ابن عباس: كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر. وقال قتادة: هو الكافر لا يهوى شيئاً إلا ركب. وقال ابن قتيبة: المعنى: يتَّبِعُ هواه ويدع الحق، فهو له كالإله.

(١) واختار ابن جرير الطبري أن المراد بأصحاب الرس هم أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة البروج، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ أي: حفيظا يحفظه من أتباع هواه. وزعم الكلبي أن هذه الآية منسوخة بآية القتال.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ يعني أهل مكة؛ والمراد: يسمعون سماع طالب الإنهام ﴿أَوْ يَقُولُونَ﴾ ما يعاينون من الحُجج والأعلام ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْثَمِ﴾ وفي وجه تشبيههم بالأنعام قولان: أحدهما: أن الأنعام تسمع الصوت ولا تفقه القول. والثاني: أنه ليس لها هُم إلا المأكَل والمشرب.

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ لأن البهائم تهتدي لمراعيا وتنفذ لأربابها وتقبل على المحسن إليها، وهم على خلاف ذلك.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ شُؤْرًا ۝ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَدَئَ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ۝ لِنُخْرِجَ بِهِ بَلَدَةً حَيَاتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسٍ كَثِيرًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ يَلْذُكُوا فَأَيُّ أَكْثَرُ الْأَنْبَاءِ إِلَّا كُفُورًا ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَظَنَّاتُ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ لَبَدِيرًا ۝ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَحَدِّثْهُمْ بِهِ جَهَادًا كَثِيرًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ﴾ أي: إلى فعل ربك. وقال الزجاج: معناه: ألم تعلم، فهو من رؤية القلب، ويجوز أن يكون من رؤية العين؛ فالمعنى: ألم تر إلى الظل كيف مَدَّ رُبُّكَ؟ والظلُّ من وقت طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي: ثابتاً دائماً لا يزول ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ فالشمس دليل على الظل، فلولا الشمس ما عُرف أنه شيء، كما أنه لولا النور ما عُرفت الظلمة، فكل الأشياء تُعرف بأضدادها.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا﴾ يعني: الظل ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ وفيه قولان: أحدهما: سريعاً، قاله ابن عباس. والثاني: خفياً، قاله مجاهد. وفي وقت قبض الظل قولان: أحدهما: عند طلوع الشمس يُقبض الظل وتُجمع أجزاءه المنسطة بتسليط الشمس عليه حتى تنسخه شيئاً فشيئاً. والثاني: عند غروب الشمس تُقبض أجزاء الظل بعد غروبها، ويخلف كل جزء منه جزءاً من الظلام.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي: ساتراً بظلمته، لأن ظلمته تغشى الأشخاص وتُشتمل عليها اشتمال اللباس على لابسِه ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: راحة، ومنه يوم السبت، لأن الخلق اجتمع يوم الجمعة، وكان الفراغ منه في يوم السبت، فقل لبني إسرائيل: استريحوا في هذا اليوم ولا تعملوا فيه شيئاً، فسمي يوم السبت، أي: يوم الراحة<sup>(١)</sup>، وأصل السبت: التَّخَمُّدُ، ومن تَمَدَّد استراح. وقال ابن الأنباري: أصل السبت: القَطْع؛ فالمعنى: وجعلنا النوم قَطْعاً لأعمالكم.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ شُؤْرًا﴾ فيه قولان: أحدهما: تنتشرون فيه لابتغاء الرزق، قاله ابن عباس. والثاني: تُنشر الرُّوح بالقبضة كما تُنشر بالبعث، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ قد شرحناه في [الأعراف: ٥٧] إلى قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ يعني: المطر. قال الأزهرى: الطَّهُّورُ في اللغة: الطاهر المَطْهُر. والطَّهُّور ما يُطَهَّر به، كالرَّضْوَة الذي يُتَوَضَّأُ به، والفَطُّور الذي يُفْطَر عليه.

قوله تعالى: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ بَلَدَةً حَيَاتًا﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو جعفر: «مَيَاتًا» بالتشديد. قال الزجاج: لفظ البلدة مؤنث، وإنما قيل: «مَيَاتًا» لأن معنى البلدة والبلد سواء. وقال غيره: إنما قال: «مَيَاتًا»، لأنه أراد بالبلدة المكان. وقد سبق معنى صفة البلدة بالموت [الأعراف: ٥٧]، ومعنى: ﴿وَنُسْقِيَهُ﴾ [الحجر: ٢٤]. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، والضحاك، والأعمش، وابن أبي عبله: «وَنُسْقِيَهُ» بفتح النون. فأما الأناسي، فقال الزجاج: هو جمع

(١) الذي في «صحيح مسلم» ٤/٢١٤٩: «خلق التربة يوم السبت... الحليث. وقال الحافظ المناوي في شرحه لهذا الحديث: وفيه ردُّ زعم اليهود أنه ابتداء في خلق العالم يوم الأحد، وفرغ يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، قالوا: ونحن نستريح كما استراح الرب، وهذا من غباوتهم وجهلهم، إذ التعب لا يتصور إلا على حادث، ﴿إِنَّا قَوْلًا لِّرَبٍّ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ يَكُونُ﴾...»



إنسي، مثل كرسني وكراسي، ويجوز أن يكون جمع إنسان، وتكون الباء بدلاً من النون، الأصل: أناسين مثل سراحين<sup>(١)</sup>. وقرأ أبو مجلز، والضحاك، وأبو العالية، وعاصم الجحدري: «وأناسي» بتخفيف الياء.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَرْجَتْهُ﴾ يعني المطر ﴿يَنْهَمُ﴾ مرة لهذه البلدة، ومرة لهذه ﴿يَذْكُرُوا﴾ أي: ليتذكروا في نعم الله عليهم فيحمده. وقرأ حمزة، والكسائي: «لِيَذْكُرُوا» خفيفة الذال. قال أبو علي: يَذْكُرُ في معنى يَنْدُرُ، «فَأَنْ أَكْثَرَ الْتَائِبِينَ إِلَّا كُنُوزًا» وهم الذين يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، كفروا بنعمة الله<sup>(٢)</sup>. «وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ تَذِكْرًا» المعنى: إنا بعثناك إلى جميع القرى لعظم كرامتك، «فَلَا تُلَاحِظُ الْكَافِرِينَ»، وذلك أن كفار مكة دَعَوْهُ إلى دين آبائهم، «وَحَنَظَهُمْ يَدِ» أي بالقرآن ﴿جَهَنَّمَ كَبِيرًا﴾ أي: تامةً شديداً.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا يَمِلُحٌ أُلْجُاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجَهْرًا مَحْجُورًا﴾ ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ رَسَدُونَ مِنْ دُوبِ اللَّهِ مَا لَا يَفْعَهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ» قال الزجاج: أي: خلّى بينهما؛ تقول: مرجت الدابة وأمرجتها: إذا خلّيتها ترعى، ومنه الحديث: «مَرَجَتْ عهودهم وأماناتهم»<sup>(٣)</sup> أي: اختلطت. قال المفسرون: والمعنى أنه أرسلهما في مجاريهما، فما يلتقيان، ولا يختلط المِلْحُ بالعذب، ولا العذب بالمِلْح، وهو قوله: «هَذَا» يعني: أحد البحرين «عَذْبٌ» أي: طيب؛ يقال: عَذْبُ الماء يَغْدُبُ عُذْبِيَّةً، فهو عَذْبٌ. قال الزجاج: والفُرَاتُ صفة للعذب، وهو أشد الماء عُذْبِيَّةً، والأُلْجُاجُ صفة للملح، وهو: المرُّ الشديد المرارة. وقال ابن قتيبة: هو أشد الماء ملوحة، وقيل: هو الذي يُخالطه مرارة، ويقال: ماءٌ يَمِلُحٌ، ولا يقال: مالح، والبرزخ: الحاجز. وفي هذا الحاجز قولان: أحدهما: أنه مانع من قدرة الله تعالى، قاله الأكثرون. قال الزجاج: فهما في مرأى العين مختلطان، وفي قدرة الله منفصلان لا يختلط أحدهما بالآخر. قال أبو سليمان الدمشقي: ورأيت عند عبّادان من سواد البصرة الماء العذب يتحدّر في دجلة نحو البحر، ويأتي المَدُّ من البحر، فيلتقيان، فلا يختلط أحد المائين بالآخر، يرى ماء البحر إلى الخضرة الشديدة، وماء دجلة إلى الحمرة الخفيفة، فيأتي المستقي فيغرف من ماء دجلة عذبا لا يخالطه شيء، وإلى جانبه ماء البحر في مكان واحد. والثاني: أن الحاجز: الأرض واليَس، وهو قول الحسن؛ والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿رَجَجَرًا مَحْجُورًا﴾ قال الفراء: أي: حراماً محرماً أن يغلب أحدهما صاحبه.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ أي: من الطُفَّةِ بَشَرًا، أي: إنساناً ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ أي: ذا نسب وصهر. قال علي عليه السلام: النسب: ما لا يحل نكاحه، والصهر: ما يحل نكاحه. وقال الضحاك: النسب سبع، وهو قوله: «حَرَمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ...» إلى قوله: «وَبَنَاتُ الْأَخِي»، والصهر خمس، وهو قوله: «وَأَهْلُ بَيْتِكُمُ الْيَتَى أَرْزَقْتُمْ...» إلى قوله: «مِنْ أُمَّلِكُمْ» [النساء: ٢٣]. وقال طاووس: الرّضاعة من الصّهر. وقال ابن قتيبة: «نَسَبًا» أي: قرابة النسب، «وصِهْرًا» أي: قرابة النكاح. وكل شيء من قِبَل الزوج، مثل الأب والأخ، فهم الأحماء، واحدهم حمأ، مثل: قفأ، وحمو مثل أبو، وحمّ مهموز ساكن الميم، وحمّ مثل أب. وحمّة المرأة: أم زوجها، لا لغة فيها غير هذه وكل شيء من قِبَل المرأة، فهم الأختان. والصهر يجمع ذلك كله. وحكى ابن فارس عن الخليل، أنه قال: لا يقال لأهل بيت الرجل إلا أختان، ولأهل بيت المرأة إلا أصهار. ومن العرب من يجعلهم

(١) سراحين جمع سرحان، وهو الذئب.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوماً على أثر سماء أصابتهم من الليل: «أتدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بالله كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب».

(٣) هو جزء من حديث طويل، أخرجه أبو داود في «سننه» رقم (٤٣٤٢)، وابن ماجه في «سننه» رقم (٣٩٥٧)، والحاكم في «مستدرکه» ٤/٤٣٥ وصححه، ووافقه الذهبي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك أن يأتي زمان يفرل فيه الناس هربلة، ويبلى حثالة من الناس قد مَرَجَتْ عهودهم وأماناتهم (أي فسدت) واختلطوا فكانوا هكذا» - وشبك بين أصابعه - قالوا: فكيف تأمرنا يا سول الله، قال: «تأخّلون ما تمّرفون، وتذعنون ما تتكرون، وتقبلون على أمر غاضتكم، وتذعنون أمر عاتكم».

أصهاراً كلهم. والضمير: إذابة الشيء. وذكر الماوردي أن المناكح سُميت صهراً، لاختلاط الناس بها كما يختلط الشيء إذا صهر.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيراً﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: مُعيناً للشيطان على ربه، لأن عبادته للأصنام معاونة للشيطان. والثاني: مُعيناً للمشركين على أن لا يؤحدوا الله تعالى. والثالث: مُعيناً على أولياء ربه. والرابع: وكان الكافر على ربه هيناً ذليلاً، من قولك: ظَهَرْتُ بفلان، إذا جعلته وراءك ظهره ولم تلتفت إليه. قالوا: والمراد بالكافر هاهنا أبو جهل.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٥٦) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَهًا رَبًّا سَبِيحًا (٥٧) وَقَوْلَ عَلَىٰ النَّبِيِّ أَلَيْسَ لَ يَمُوتُ وَيَسْتَحْيِي وَيَمْدِدُ وَيُكَفِّرُ بِهِ يَنْفُخُ بِنُفُوسِهِ خَيْرًا (٥٨) أَلَيْسَ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي يَوْمٍ أَتَىٰ ثُمَّ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْفَرَسِ الرَّحْمَنُ فَتَنَلَّ بِهِ خَيْرًا (٥٩) وَلَقَدْ قِيلَ لَهُمْ أَتَسُبُّوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ ثَوْرًا (٦٠)

قوله تعالى: ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على القرآن وتبليغ الوحي ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ وهذا توكيد لصدقه، لأنه لو سألهم شيئاً من أموالهم لأنهموه، ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ﴾ معناه: لكن من شاء ﴿أَنْ يَتَّخِذَ إِلَهًا رَبًّا سَبِيحًا﴾ بإنفاق ماله في مرضاته، فَعَلَّ ذلك، فكانه قال: لا أسألكم لنفسي. وقد سبق تفسير الكلمات التي تلي هذه (إك عمران: ١٥٩، البقرة: ٣٠، الأعراف: ٥٤) إلى قوله: ﴿فَتَنَلَّ بِهِ خَيْرًا﴾، و«به» بمعنى: «عنه» قال [عَلَقَمَةُ بْنُ عَبْدِة]:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَلْيَنْصِي  
بَصِيرٌ بِأَذْوَاءِ النِّسَاءِ طَلِيْبٌ<sup>(١)</sup>

وفي هام «به» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الله ﷻ. والثاني: إلى اسمه الرحمن، لأنهم قالوا: لا نعرف الرحمن. والثالث: إلى ما ذكر من خلق السموات والأرض وغير ذلك. وفي «الخير» أربعة أقوال: أحدها: أنه جبريل، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الله ﷻ، والمعنى: سلني فانا الخير، قاله مجاهد. والثالث: [أنه] القرآن، قاله شمر. والرابع: مُسلمة أهل الكتاب، قاله أبو سليمان، وهذا يخرج على قولهم: لا نعرف الرحمن، فقيل: سَلُوا مُسلمة أهل الكتاب، فإن الله تعالى خاطب موسى في التوراة باسمه الرحمن، فعلى هذا، الخطاب للنبي ﷺ والمراد سواء.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني كفار مكة ﴿أَسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ قال المفسرون: إنهم قالوا: لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، فأنكروا أن يكون من أسماء الله تعالى، ﴿أَنَسْجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: «يَأْمُرُنَا» بالياء، أي: لِمَا يَأْمُرُنَا به محمد، وهذا استفهام إنكار، ومعناه: لا نسجد للرحمن الذي تأمرنا بالسجود له، ﴿وَزَادَهُمْ﴾ ذكر الرحمن ﴿ثَوْرًا﴾ أي: تباعدوا عن الإيمان.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَلْيَنْزِلْ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَنْزِلَ (٦٢)

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ قد شرحناه في [الحجر: ١٦]. والمراد بالسراج: الشمس. وقرأ حمزة، والكسائي: «سُرْجًا» بضم السين والراء وإسقاط الألف. قال الزجاج: أراد: الشمس والكواكب العظام؛ ويجوز «سُرْجًا» بتسكين الراء، مثل رُشَل ورُشَل. قال الماوردي: لما اقترن بضوء الشمس وهج حرها، جعلها لأجل الحرارة سراجاً، ولما عدم ذلك في القمر جعله نوراً.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَلْيَنْزِلْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن كل واحد منهما يخالف الآخر في اللون، فهذا أبيض، وهذا أسود، روى هذا المعنى الضحاك عن ابن عباس، وابن أبي نجيع عن مجاهد، وبه قال قتادة. والثاني: أن كل واحد منهما يَخْلُفُ صاحبه، رواه عمرو بن قيس الملائي عن مجاهد، وبه قال ابن زيد وأهل اللغة، وأنشدوا قول زهير:

(١) «ديوانه» ١١، و«مشكل القرآن» ٤٢٧، و«القرطبي» ٦٣/١٣، و«آداب الكاتب» ٥٠٥، و«الأقواء» جمع طاء.

بِهَا الْحَسِينُ وَالْأَرَامُ يَمْشِي مِثْلَ خَلْفَةٍ . . . وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضُنَّ مِنْ كُلِّ مَجْتَمِعٍ<sup>(١)</sup>

أي: إذا ذهبت طائفة جاءت طائفة<sup>(٢)</sup>. قوله تعالى: ﴿لَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَرَّ﴾ أي: يتعظ ويعتبر باختلافهما. وقرا حمزة: «يَذْكُرُ» خفيفة الدال مضمومة الكاف، وهي في معنى: يتذكر، «وَأَرَادَ» شكر الله تعالى فيهما.

﴿وَعِذَّ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ بِشَرِّهِ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾<sup>(٣)</sup> وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا<sup>(٤)</sup> وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ مَذَابِكُمْ كَانَ غَرَامًا<sup>(٥)</sup> إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا<sup>(٦)</sup> وَالَّذِينَ إِذَا أَتَقَوْا كَمْ يَسْتَرْفِعُوا وَكَمْ يَقُولُوا لَوْ أَنَّ بَيْنَ ذَلِكَ قَوْمًا<sup>(٧)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَعِذَّ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ بِشَرِّهِ﴾ وقرا علي، وأبو عبد الرحمن السلمي، وابن السميع: «يُسْتَوْشَن» برفع الياء وفتح الميم والشين وبالتشديد. وقال ابن قتيبة: إنما نسبهم إليه لاصطفائه إياهم، كقوله: ﴿تَأْتِيهِ الْغَمَامُ﴾ [الأعراف: ٧٣] ومعنى «قَوْمًا»: مشياً رويداً<sup>(٨)</sup>. ومنه يقال: أخبث حبيبك هوناً ما<sup>(٩)</sup>. وقال مجاهد: يمشون بالوقار والسكينة. ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ أي: سداداً. وقال الحسن: لا يجهلون على أحد، وإن جهل عليهم حلّموا<sup>(١٠)</sup>. وقال مقاتل بن حيان: «قَالُوا سَلَامًا» أي: قولاً يَسْلَمُونَ فيه من الإثم. وهذه الآية محكمة عند الأكثرين. وزعم قوم أن المراد بها أنهم يقولون للكفار: ليس بيننا وبينكم غير السلام، ثم نُسِخت بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ﴾ قال الزجاج: كل من أدركه الليل فقد بات، نام أو لم ينم؛ يقال: بات فلان قللاً، إنما الميت إدراك الليل.

قوله تعالى: ﴿كَانَ غَرَامًا﴾ فيه خمسة أقوال متقاربات معانيها: أحدها: دائماً، رواه أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ<sup>(١١)</sup>. والثاني: موجعاً، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: مُلِحّاً، قاله ابن السائب؛ وقال ابن جريج: لا يفارق. والرابع: هلاكاً، قاله أبو عبيدة: والخامس: أن الغرام في اللغة: أشد العذاب، قال الشاعر:

وَيَوْمَ النَّسَارِ وَوَمَ الْجِفَا  
رَكَائَا عَذَابًا وَكَائَا غَرَامًا<sup>(١٢)</sup>

قاله الزجاج:

قوله تعالى: ﴿سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمَوْجِئَ الْإِقَامَةِ﴾ أي: بشئ موضع الاستقرار وموضع الإقامة هي.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَتَقَوْا كَمْ يَسْتَرْفِعُوا وَكَمْ يَقُولُوا لَوْ أَنَّ بَيْنَ ذَلِكَ قَوْمًا﴾ وقرا ابن كثير، وأبو عمرو: «يَقْتَرُوا» مفتوحة الياء مكسورة

(١) «شرح ديوان زهير» ٥، «فروغيب القرآن» ٣١٤، «ومجاز القرآن» ٨٠/٢، «والطبري» ٣٢/١٩، «والقرطبي» ٦٥/١٣، «ومختار الشعر الجاهلي» ١/٢٢٨، «واللسان» «والتاج»: خلف. واليمين: جمع أعين وعيناء. بقر الوحش، سميت بذلك لسعة أعينها. والأرام: جمع رَم، وهو الظبي المغالض البياض. وجلفه: يخلّف بعضها بعضاً. والأطلال: جمع الغلاء، وهو الولد من ذوات الظلف. والمجتم: المريض.

(٢) قال ابن كثير: أي: جعلهما يتعاقبان توقياً لعبادة عباده له ﷺ، فمن فاته عمل في الليل استدركه في النهار، ومن فاته عمل في النهار استدركه في الليل، وقد جاء في الحديث الصحيح: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ وَجَلَّ يَسُطُ بِهِ بِاللَّيْلِ لِيُتَوَّعَ بِهِ النَّهَارُ، وَيَسُطُ بِهِ بِالنَّهَارِ لِيُتَوَّعَ بِهِ اللَّيْلُ». اهـ.

(٣) قال ابن كثير: وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصبّحاً ورياءً، فقد كان سيد ولد آدم ﷺ إذا مشى كأنما ينحط من سبب، وكأنما الأرض تطوى له. قال: وقد كره بعض السلف المشي بتصفّح وتصنع، قال: وإنما المراد بالهون هنا: السكينة والوقار، كما قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَلَا تَأْتُوهَا وَأَتَمُّ تَسْمُؤَنَ، وَاتَّقُوا وَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، فَمَا أَحْرَكْتُمْ مِنْهَا فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتُوا» اهـ، والحديث متفق عليه.

(٤) هو من كلام علي بن أبي طالب ﷺ كما في «الأدب المفرد» للبخاري: «أحب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون يثيك يوماً ما، وأبغض بغيثك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما» ولم يثبت في المرفوع، وإضافة «ما» إلى الهون نقيض التقليل، والمعنى: أحب حبيبك حباً مقتصد لا إفراط فيه، أي: لا تسرف في الحب والبغض، فحسب أن يصير الحبيب بغضاً، والبغض حبيباً، فلا تكن مسرفاً في الحب فتندم، ولا في البغض فتأسف.

(٥) روى الإمام أحمد في «المسند» ٤٤٥/٥ عن النعمان بن مقرن قال: قال رسول الله ﷺ «سب رجل رجلاً عنده، قال: فجعل الرجل المسبوب يقول: عليك السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا إِنْ مَلَكَ بِبَيْنِكُمَا بَلَدٌ مِنْكُمْ، كُلَّمَا شَتَمَكَ هَذَا قَالَ لَهُ: بَلْ أَنْتَ أَهَقُ مِنْهُ، وَإِذَا قَالَ لَهُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، قَالَ: لَا، بَلْ لَكَ، أَنْتَ أَهَقُ مِنْهُ»، قال ابن كثير: وإسناده حسن.

(٦) ذكره السيوطي في «الدر» ٧٧/٥ من رواية عبد بن حميد عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٧) البيت لبشر بن أبي خازم كما في «مجاز القرآن» ٨٠/٢، «والطبري» ٣٦/١٩، «والبحر» ٥١٣/٦، «فروغيب المعاني» ٤١/١٩، «واللسان»، «والتاج»: غرم. ونسبه في «اللسان» للطرماح.

التاء. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «يَقْتُورُوا» بفتح الياء وضم التاء. وقرأ نافع، وابن عامر: «يُقْتُورُوا» بضم الياء وكسر التاء. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: أن الإسراف: مجاوزة الحد في النفقة، والإقتار: التقصير عما لا بُدَّ منه، ويدل على هذا قول عمر بن الخطاب: كفى بالمرء سرفاً أن يأكل كل ما اشتبهى. والثاني: [أَنَّ] الإسراف: الإنفاق في معصية الله وإن قلَّ، والإقتار: منع حق الله تعالى، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن جريج في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ﴾ يعني الإنفاق ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: بين الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا﴾ أي: عدلاً؛ قال ثعلب: القوام، بفتح القاف: الاستقامة والعدل، وبكسرهما: ما يدوم عليه الأمر ويستقر<sup>(١)</sup>.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهْكًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود، قال: سألت رسول الله ﷺ أيُّ الذُّنْبِ أعظم؟ قال: «أَنْ تَجْعَلَ لِهَذَا نِدَاءً وَهُوَ خَلْقُكَ»، قلتُ: ثم أي؟ قال: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، قلتُ: ثم أي؟ قال: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»، فأنزل الله تعالى تصديقها ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا... آخَرَ﴾ الآية<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا، ثم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لِمَا عَمِلْنَا كفارة، فنزلت هذه الآية، إلى قوله: ﴿غَفُورًا رَحِيمًا﴾، أخرجه مسلم من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن وحشياً أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد أتيتك مستجيراً فأجرتني حتى أسمع كلام الله، فقال رسول الله ﷺ: «قد كنت أحب أن أراك على غير جوار، فأما إذا أتيتني مستجيراً فأنت في جوارى حتى تسمع كلام الله»، قال: فإني أشركت بالله وقتلت النفس التي حرم الله وزني، فهل يقبل الله مني توبة؟ فصمت رسول الله ﷺ حتى نزلت هذه الآية، فتلاها عليه، فقال: أرى شرطاً، فعلي لا أعمل صالحاً، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله، فنزلت ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فدعاه فتلاها عليه، فقال: ولعلي ممن لا يشاء [الله]، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله، فنزلت: ﴿يَبْكُوا الَّذِينَ آتَوْا أُسْرًا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ الآية [الزمر: ٥٣]، فقال: نعم، الآن لا أرى شرطاً، فأسلم، رواه عطاء عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>؛ وهذا وحشي هو قاتل حمزة؛ وفي هذا الحديث المذكور عنه نظر، وهو بعيد الصحة، والمحفوظ في إسلامه غير هذا، وأنه قدِمَ مع رسل الطوائف فأسلم من غير اشتراط<sup>(٥)</sup>. وقوله: ﴿يَدْعُونَ﴾ معناه: يُغْبِطُونَ. وقد سبق بيان قتل النفس بالحق في [الأنعام: ١٥١].

قوله تعالى: ﴿يَلْقَىٰ أَثَامًا﴾ وقرأ سعيد بن جبير، وأبو المتوكل: «يَلْقَىٰ» برفع الياء وفتح اللام وتشديد القاف مفتوحة. قال ابن عباس: يَلْقَىٰ جزاء. وقال مجاهد، وعكرمة: هو وادٍ في جهنم. وقال ابن قتية: يَلْقَىٰ عقوبة، وأنشد:

[جَزَىٰ اللَّهُ ابْنَ عَزْرَةَ حَيْثُ أَمْسَىٰ غُفُوقًا] وَالْمُفُوقُ لَهُ أَثَامٌ<sup>(٦)</sup>

قال الزجاج: وقوله: ﴿يَلْقَىٰ أَثَامًا﴾ جزماً على الجزاء. قال أبو عمرو الشيباني: يقال: قد لقي أثام ذلك، أي: جزاء ذلك، وسيبويه والخليل يذهبان إلى أن معناه: يلقى جزاء الأثام. قال سيبويه: وإنما جزم ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾ لأن مضاعفة العذاب لثبوت الأثام، فلذلك جزمت، كما قال الشاعر:

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع: ما جاوز الحد الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه، والإقتار: ما قصر عما أمر الله به، والقوام بين ذلك، قال: وإنما قلنا: إن ذلك كذلك، لأن الم صرف والمقتر كذلك، ولو كان الإسراف والإقتار في النفقة مرغصاً فيهما، ما كانا مذمومين، ولا كان الم صرف ولا المقتر مذموماً، لأن ما أذن الله في فعله، فغير مستحق فاعله الذم. اهـ.

(٢) رواه البخاري ٣٧٨/٨، ومسلم ٩٠/١.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان ١١٣/١، ورواه البخاري ٤٢٢/٨ سبباً لنزول قوله تعالى: ﴿قُلْ يَبْكُوا الَّذِينَ آتَوْا أُسْرًا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ...﴾ [الزمر: ٥٣].

(٤) هكذا ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٩٣.

(٥) انظر البخاري بشرح «الفتح» ٢٨٤/٧.

(٦) البيت لبهاء بن قيس الكناني، كما في «غريب القرآن» ٣١٥، و«مجاز القرآن» ٨١/٢، و«الطبري» ٤٠/١٩، و«اللسان» أثم، ونسبه إلى شافع الليثي.

مَتَى تَأْتِنَا تُلِمُمْ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدُ حَظَبًا جَزَلًا وَنَارًا تَاجَّجًا<sup>(١)</sup>  
 لأن الإتيان هو الإلمام، فجزم «تُلِمُّمٌ» لأنه بمعنى «تأتي». وقرأ الحسن: «يُضَعَفُ»، وهو جيد بالغ؛ تقول: ضاعفت الشيء وضَعَفْتُهُ. وقرأ عاصم: «يُضَاعَفُ» بالرفع على تفسير «يَلْتَقِ أُنَامًا» كأن قائلًا قال: ما لُقي الأنام؟ فقيل: يُضَاعَفُ للأنام العذاب. وقرأ أبو المتوكل، وقتادة، وأبو حيرة: «يُضَعَفُ» برفع الياء وسكون الضاد وفتح العين خفيفة من غير ألف. وقرأ أبو حصين الأسدي، والعمرى عن أبي جعفر مثله، إلا أن العين مكسورة، و«العذاب» بالنصب.  
 قوله تعالى: ﴿وَيُخَلِّدُ﴾ وقرأ أبو حيرة، وقتادة، والأعمش: «ويُخَلِّدُ» برفع الياء وسكون الخاء وفتح اللام مخففة. وقرأ عاصم الجحدري، وابن يعمر، وأبو المتوكل مثله، إلا أنهم شددوا اللام.

### فصل

وللعلماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية قولان: أحدهما: أنها منسوخة؛ وفي ناسخها ثلاثة أقوال. أحدها: أنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣]، قاله ابن عباس. وكان يقول: هذه مكية، والتي في «النساء» مدنية. والثاني: أنها نسخت بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ...﴾ الآية [النساء: ٤٨]. والثالث: أن الأولى نسخت بالثانية، وهي قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾. والقول الثاني: أنها محكمة؛ والخلود إنما كان لانضمام الشرك إلى القتل والزنا. وفساد القول الأول ظاهر، لأن القتل لا يوجب تخليدًا عند الأكثرين؛ وقد بيّناه في سورة [النساء: ٩٣]، والشرك لا يُغْفَرُ إذا مات المشرك عليه، والاستثناء ليس بنسخ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ قال ابن عباس: قرأنا على عهد رسول الله سنتين: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ثم نزلت ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ فما رأيت رسول الله ﷺ فرح بشيء فرحه بها، وبـ ﴿إِنَّا مَعَنَا لَكَ قَتْلًا نَبِيًّا﴾<sup>(٢)</sup> [الفتح: ١].

قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْعُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ اختلفوا في كيفية هذا التبديل وفي زمان كونه، فقال ابن عباس: يبذل الله شركهم إيمانًا، وقتلهم إسماعًا، وزناهم إحصانًا؛ وهذا يدل على أنه يكون في الدنيا، وممن ذهب إلى هذا المعنى سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد. والثاني: أن هذا يكون في الآخرة، قاله سلمان بن عبد الله، وسعيد بن المسيب، وعلي بن الحسين. وقال عمرو بن ميمون: يبذل الله سيئات المؤمنين إذا غفرها له حسنات، حتى إن العبد يتمنى أن تكون سيئاته أكثر مما هي. وعن الحسن كالقولين. وروي عن الحسن أنه قال: ودَّ قوم يوم القيامة أنهم كانوا في الدنيا استكثروا من الذنوب؛ فقيل: من هم؟ قال: هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْعُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾، ويؤكد هذا القول حديث أبي ذر عن النبي ﷺ: «يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، فتعرض عليه صغار ذنوبه، وتنحى عنه كبارها، فيقال: عملت يوم كذا، وكذا صغار ذنوبه، وهو مُشْفِقٌ من الكبار، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة»، أخرجه مسلم في «صحيحه»<sup>(٣)</sup>.

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَبُذَّبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾

(١) البيت غير منسوب في «القرطبي» ٧٧/١٣، و«مجمع البيان» ١٩/١٢٢، و«البحر» ٦/٥١٥، و«روح المعاني» ٤٤/١٩.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» ٧٩/٥ من رواية ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس ﷺ. وقال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٨٤: رواه الطبراني من رواية علي بن زيد عن يوسف بن مهران، وقد وثق، وفيها ضعف، وبقية رجاله ثقات. وقد جاء في صحيح البخاري ٤٤٨/٨ أن رسول الله ﷺ قال عندما نزلت سورة [الفتح]: «لقد أنزلت علي الليلة سورة لم أحب إلّا مما طلعت عليه الشمس» ثم قرأ ﴿إِنَّا مَعَنَا لَكَ قَتْلًا نَبِيًّا﴾، ورواه أحمد في «المستد» والترمذي، والنسائي من طرق عن مالك رحمه الله.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» ١٧٧/١ ولغظه بشماه عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة، وآخر أهل النار خروجًا منها، رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، وكذا، وعملت يوم كذا وكذا، وكذا كذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها هاهنا» فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه. ورواه الطبري ٤٧/١٩، وذكره السيوطي في «الدر» ٧٩/٥، وزاد نسبه لأحمد، وهناد، والترمذي، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي ذر ﷺ.

وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخَوِّرُوا عَلَيْهَا سُوءًا وَعَمِيقًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَنْزِلِكَ قُرْآنًا مَعْرُوبًا وَاجْعَلْنَا لِلنَّبِيِّينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَاتَلَ﴾ ظاهر هذه التوبة أنها عن الذنوب المذكورة. وقال ابن عباس: يعني: ممن لم يقتل ولم يزن، ﴿وَعَصِلَ صَلَبًا﴾ فإني قد قُدمتهم وفضلتهم على من قاتل نبي واستحل محارمي.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يُؤْثِرُ عَلَى اللَّهِ مَثَلًا﴾ قال ابن الأنباري: معناه: من أراد التوبة وقصد حقيقتها، فينبغي له أن يُريد الله بها ولا يخلط بها ما يُفسدها؛ وهذا كما يقول الرجل: من تجر فإنه يتجر في البرء. ومن تآطى فإنه يناظر في النحو، أي: من أراد ذلك، فينبغي أن يقصد هذا الفن؛ قال: ويجوز أن يكون معنى [هذه] الآية: ومن تاب وعمل صالحاً، فإن ثوابه جزاءه يعظمان له عند ربّه الذي أراد بتوبته، فلما كان قوله: ﴿فَإِنَّهُ يُؤْثِرُ عَلَى اللَّهِ مَثَلًا﴾ يؤدي عن هذا المعنى، كفى منه، وهذا كما يقول الرجل للرجل: إذا تكلمت فاعلم أنك تكلم الوزير، أي: تكلم من يعرف كلامك ويجازيك، ومثله قوله تعالى: ﴿لَهُ كَانَ كَبَرٌ عَلَيْكَ تَقَابَى وَتَكْبَرَى بِكَابِئِ اللَّهِ فَكُلَّ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ﴾ [يونس: ٧١]، أي: فإني أتوكل على من يتصرني ولا يُسلمني. وقال قوم: معنى الآية: فإنه يرجع إلى الله مرجعاً يقبله منه.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: أنه الضم؛ روى الضحاك عن ابن عباس أن الزور صنم كان للمشركين. والثاني: أنه القباء، قاله محمد بن الحنفية، ومكحول؛ وروى ليث عن مجاهد قال: لا يسمعون الغناء. والثالث: الشُّرك، قاله الضحاك، وأبو مالك. والرابع: لعب كان لهم في الجاهلية، قاله عكرمة. والخامس: الكذب، قاله قتادة، وابن جريج. والسادس: شهادة الزور، قاله علي بن أبي طلحة. والسابع: أعياد المشركين، قاله الربيع بن أنس. والثامن: مجالس الخنا، قاله عمرو بن قيس<sup>(١)</sup>. وفي المراد بالبلغو هاتنا خمسة أقوال: أحدها: المعاصي، قاله الحسن. والثاني: أذى المشركين إياهم، قاله مجاهد. والثالث: الباطل، قاله قتادة. والرابع: الشُّرك، قاله الضحاك. والخامس: إذا ذكروا النكاح كنوا عنه، قاله مجاهد. وقال محمد بن علي: إذا ذكروا الفروج كنوا عنها.

قوله تعالى: ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مَرُّوا حُلُمَاء، قاله ابن السائب. والثاني: مَرُّوا مُعْرِضِينَ عنه، قاله مقاتل. والثالث: أن المعنى: إذا مَرُّوا بالبلغو جاوزوه، قاله الفراء<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخَوِّرُوا عَلَيْهَا سُوءًا وَعَمِيقًا﴾ قال ابن قتيبة: لم يتغافلوا عنها كأنهم ضُمُّ لم يسمعوها، عَمِيَ لم يروها. وقال غيره من أهل اللغة: لم يشبوا على حالتهم الأولى كأنهم لم يسمعوها ولم يروا، وإن لم يكونوا خَرُّوا حقيقة؛ تقول العرب: شتمت فلاناً فقام ييكى، وقعد يندب، وأقبل يعتذر، وظلّ يتحير، وإن لم يكن قام ولا قعد.

قوله تعالى: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَنْزِلِكَ وَدُرِّيَّاتًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «وَدُرِّيَّاتًا» على الجمع. وقرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «وَدُرِّيَّاتًا» على التوحيد، «قُرْآنًا مَعْرُوبًا» وقرأ ابن

(١) قال ابن جرير الطبري: وأصل الزور: تحسين الشيء وصفه بخلاف صفته حتى يخل إلى من يسمعه أو يراه أنه خلاف ما هو به، والشرك قد يدخل في ذلك، لأنه محسن لاهله حتى قد ظنوا أنه حق، وهو باطل، ويدخل فيه الغناء، لأنه أيضاً مما يحسنه ترجيح الصوت حتى يستحلي سامعه سماعه، والكذب أيضاً قد يدخل فيه لتحسين صاحبه إياه حتى يظن صاحبه أنه حق، فكل ذلك مما يدخل في معنى الزور. قال: فإذا كان ذلك كذلك، فأولى الأقوال بالصواب في تأويله أن يقال: والذين لا يشهدون شيئاً من الباطل، لا شركاً، ولا غناء، ولا كذباً، ولا غيره، وكل ما لزمه اسم الزور، لأن الله حُمِّي وصفه إياهم أنهم لا يشهدون الزور، فلا ينبغي أن يخص من ذلك شيء إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل. اهـ. وقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِكَبِيرِ الْكِبَايَةِ ثَلَاثًا، قُلْنَا: بلى يا رسول الله، قال: الشُّرك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: «ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إن الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم بأنهم إذا مروا بالبلغو مروا كراماً، والبلغو في كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل، أو ما يستقبح، فسب الإنسان الإنسان بالباطل الذي لا حقيقة له، من اللغو، ويذكر النكاح بصريح اسمه مما يستقبح في بعض الأماكن، فهو من اللغو، وكذلك تعظيم المشركين لهم من الباطل الذي لا حقيقة لما عظموه على نحو ما عظموه، وسماع الغناء مما هو مستقبح في أهل الدين، فكل ذلك يدخل في معنى اللغو، فلا وجه - إذا كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو - أن يقال: غُني به بعض ذلك دون بعض، إذ لم يكن لمخصوص ذلك دلالة من خبر أو عقل. اهـ.

مسعود، وأبو حيو: «فُرَاتٌ أَغِيثٌ» يعنون: من يعمل بطاعتك فتقر به أعيننا في الدنيا والآخرة. وسئل الحسن عن قوله: «فُرَّةٌ أَعِينُ» في الدنيا، أم في الآخرة؟ قال: لا، بل في الدنيا، وأي شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وولده يطيعون الله، والله ما طلب القوم إلا أن يطاع الله فتقر أعينهم. قال الفراء: إنما قال: «فُرَّةٌ» لأنها فعل، والفعل لا يكاد يُجمع، ألا ترى إلى قوله: «وَأَدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا» [الفرقان: ١٤] فلم يجمعه؛ والفُرَّة مصدر، تقول: فَرَّتْ عنه فُرَّة، ولو قيل: فُرَّة عين أو فُرَات أعين كان صواباً. وقال غيره: أصل الفُرَّة من البرد، لأن العرب تتأذى بالحر، وتستروح إلى البرد.

قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا لِلنَّبِيِّ إِمَامًا» فيه قولان: أحدهما: جعلنا أئمة يقتدى بنا، قاله ابن عباس. وقال غيره: هذا من الواحد الذي يراد به الجمع، كقوله: «إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [الشعراء: ١٦]، وقوله: «وَأَنَّهُمْ عِندَ رَبِّ» [الشعراء: ٧٧]. والثاني: جعلنا مؤتمين بالمؤمنين مقتدين بهم، قاله مجاهد؛ فعلى هذا يكون الكلام من المقلوب، فيكون المعنى: واجعل المؤمنين لنا إماماً<sup>(١)</sup>.

﴿أَوَلَيْكَ يَجْعَلُ الْفَرْقَةَ بِمَا سَبَّحُوا وَيَلْقَوْنَ فِيهَا قَبِيَّةً وَسَلَامًا﴾ (٧٥) خَلَّيْلِكَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَسْبُغُوا بِكَ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَانًا ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: «أَوَلَيْكَ يَجْعَلُ الْفَرْقَةَ» قال ابن عباس: يعني الجنة. وقال غيره: الغرفة: كل بناء عالٍ مرتفع، والمراد غرف الجنة، وهي من التبرجد والذر والياقوت، «بِمَا سَبَّحُوا» على دينهم وعلى أذى المشركين.

قوله تعالى: «وَيَلْقَوْنَ فِيهَا» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «وَيَلْقَوْنَ» بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف. وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «وَيَلْقَوْنَ» بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف، «قَبِيَّةً وَسَلَامًا» قال ابن عباس: يُحْيِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالسَّلَام، ويرسل إليهم الرَّبُّ ﷻ بِالسَّلَام. وقال مقاتل: «تحية» يعني السلام، «وسلاماً» أي: سلم الله لهم أمرهم وتجاوز عنهم<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: «قُلْ مَا يَسْبُغُوا بِكَ رَبِّي» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما يصنع بكم! قاله ابن عباس. والثاني: أي وزن يكون لكم عنده؛ تقول: ما عباث بفلان، أي: ما كان له عندي وزن ولا قدر، قاله الزجاج. والثالث: ما يعبا بعبادكم، قاله ابن قتيبة. وفي قوله: «لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ» أربعة أقوال: أحدها: لولا إيمانكم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: لولا عبادتكم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: لولا دعاؤه إياكم لتعبده، قاله مجاهد؛ والمراد نفع الخلق، لأن الله تعالى غير محتاج. والرابع: لولا توحيدكم، حكاه الزجاج. وعلى قول الأكثرين ليس في الآية إضمار؛ وقال ابن قتيبة: فيها إضمار تقديره: ما يعبا بعبادكم لولا ما تدعونه من الشريك والولد، ويوضح ذلك [قوله]: «سَوْفَ يَكُونُ لِزَانًا» يعني: العذاب، ومثله قول الشاعر:

مَنْ شَاءَ ذَلَّى السُّفْسَفَ فِي هُوَّةٍ  
صَنَعَكَ وَلَكِنْ مَنْ لَهْ بِالْمَصِيفِ<sup>(٣)</sup>

أي: بالخروج من المضيق. وهل هذا خطاب للمؤمنين، أو للكفار؟ فيه قولان. فاما قوله تعالى: «فَقَدْ كَذَّبْتُمْ» فهو خطاب لأهل مكة حين كذبوا رسول الله ﷺ، «سَوْفَ يَكُونُ» يعني: تكذيبكم «لِزَانًا» أي: عذاباً لازماً [لكم]؛ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قتلهم يوم بدر فقتلوا يومئذ، واتصل بهم عذاب الآخرة لازماً لهم، وهذا مذهب ابن مسعود، وأبي بن كعب، ومجاهد في آخرين. والثاني: أنه الموت، قاله ابن عباس. والثالث: أن اللزام: القتال، قاله ابن زيد.

(١) قال ابن كثير: وقال غيره: جعلنا هداة مهتدين دعاة إلى الخير، فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم، وأن يكون هدايتهم متصلة إلى هيرهم بالنفع، وذلك أكثر نواباً وأحسن مآباً. اهـ. وقد ثبت في (صحيح مسلم) عن أبي هريرة رضى الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ قُطِعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَلَاحٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يَنْفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».

(٢) قال ابن كثير: أولئك يبينون فيها بالتحية والإكرام، ويلقون التوقير والاحترام، فلهذا السلام وعليهم السلام، فإن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَّحْتُمْ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ».

(٣) مشكل القرآن: ٢٣٩، واللسان: ٥، وفيه: «رواية الشطر الأول فيهما: مَنْ شَاءَ يَذَلِّي النَّفْسَ فِي هُوَّةٍ».

## سورة الشعراء

وهي مكية كلها، إلا أربع آيات منها نزلت بالمدينة، من قوله: ﴿وَالشَّعْرَاءَ يَلْعَبُهُمُ الْقَارُونُ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] إلى آخرها، قاله ابن عباس، وقادة.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طس﴾ ١ تلك آيات الكتاب المبين ٢ لعلك تتقون ٣ إن شأنا لنزلنا عليهم من السماء ماء ففلت أعتقهم لما خصيهم ٤ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين ٥ فقد كانوا ينقلبون على أعقابهم ٦ أولئك أولئك إلى الأرض كراة ٧ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ٨ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ٩

قوله تعالى: ﴿طس﴾ ١ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «طسم» بفتح الطاء وإدغام النون من هجاء «سين» عند الميم. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبان، والمفضل: «طسم» و«طيس» بإمالة الطاء فيهما. وأظهر النون من هجاء «سين» عند الميم حمزة هاهنا وفي (القصص). وفي معنى «طسم» أربعة أقوال: أحدها: أنها حروف من كلمات، ثم فيها ثلاثة أقوال: أحدها: [ما] رواه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لما نزلت «طسم» قال رسول الله ﷺ: «الطاء: طور سيناء، والسين: الاسكندرية، والميم: مكة»<sup>(١)</sup>. والثاني: [أن] الطاء: طيبة، وسين: بيت المقدس، وميم: مكة، [رواه الضحاك عن ابن عباس]. والثالث: الطاء: شجرة طوبى، والسين: سدره المنتهى، والميم: محمد ﷺ، قاله جعفر الصادق. والثاني: أنه قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله تعالى، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقد بينا كيف يكون مثل هذا من أسماء الله تعالى في فاتحة مريم. وقال القرطبي: أقسم الله بطلوه وسنائه ومملكه. والثالث: أنه اسم للسورة قاله مجاهد. والرابع: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة، وأبو روق<sup>(٢)</sup>. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [المائدة: ١٥، الكهف: ٦٦] إلى قوله: ﴿أَلَا يَكْفُرُوا مُؤْمِنِينَ﴾ والمعنى: لعلك قاتل نفسك لتركههم الإيمان. ثم أخبر أنه لو أراد أن ينزل عليهم ما يضطربهم إلى الإيمان لفعل، فقال: ﴿إِنْ شَأْنَا لَنَنْزِلَنَّ﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو المتوكل: ﴿إِنْ شَأْنَا يَنْزِلَنَّ﴾ بالياء فيهما، ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ أَسْمَاءَ مَا فَلَكَ أَتَيْنَهُمْ لَمَّا خَصِيَهُمْ﴾ جعل الفعل أولاً للأعناق، ثم جعل «خاضعين» للرجال، لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون. وقيل: لنا وصف الأعناق بالخضوع، وهو من صفات بني آدم، أخرج الفعل مخرج آدميين كما بينا في قوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتَهُمْ فِي سَجْدَةٍ﴾ [يوسف: ٤]، وهذا اختيار أبي عبيدة. وقال الزجاج: قوله: «فَطَلَّتْ» معناه: فَتَقَطَّلَ، لأن الجزء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل، كقولك: إن تأتي أكرمك، معناه: أكرمك؛ وإنما قال: «خاضعين» لأن خضوع الأعناق هو خضوع أصحابها، وذلك أن الخضوع لما لم يكن إلا بخضوع الأعناق، جاز أن يخبر عن المضاف إليه، كما قال الشاعر:

رَأَتْ مَرَّ السَّيْرِ أَخْذُنَ وَبُنِي كَمَا أَخَذَ السَّرَّازُ مِنَ الْهِلَالِ<sup>(٣)</sup>

(١) لم يذكر المفسرون أن معنى هذه الحروف ورد في المرفوع، إلا ما ذكر الطبرسي من علماء الإمامية الشيعية في تفسيره «مجمع البيان» حيث قال: وروي عن ابن الحنفية عن علي عليه السلام عن النبي ﷺ ... فذكره من غير سند، فعمل المصنف نقل هذا المعنى عنه أو ممن نقل عنه. وقد نقل القرطبي هذا المعنى من كلام عبد الله بن محمد بن عقيل، ولم يذكره مرفوعاً، وذكر السيوطي في «الدرر» ٨٢/٥ عن محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى: ﴿طس﴾ ١ قال: الطاء من ذي الطول، والسين من القدوس، والميم من الرحمن، وكذلك ذكر الألوسي في «تفسيره» ٥٢/١٩.

(٢) قال ابن كثير عن الحروف التي في أوائل السور: وقال آخرون: بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضة بطله، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، قال: وقد حكى هذا المذهب الرازي في «تفسيره» عن المبرد وجمع من المحققين، قال: وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا، وقرره الزمخشري في «كشافه» ونصره أتم نصر، قال: وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكا له من ابن تيمية. اهـ.

(٣) البيت لجبر، «ديوانه» ٤٢٦، و«مجاز القرآن» ٨٣/٢، و«الطبري» ٦٢/١٩، و«اللسان»: خضع. و«السرار»: الليلة يخفى فيها الهلال آخر الشهر.



فلما كانت السَّنُون لا تكون إلا بَمَرٍّ، أخبر عن السنين، وإن كان أضاف إليها المرور. قال: وجاء في التفسير أنه يعني بالأعناق كبراءهم ورؤسائهم. وجاء في اللغة أن أعناقهم جماعاتهم؛ يقال: جاءني عُقٌّ من الناس، أي: جماعة. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [الأنبياء: ٢٤] إلى قوله: ﴿أَرْسَلْنَا بِرُؤُسِهِمُ إِلَى الْأَرْضِ﴾ يعني المكذِّبين بالبعث ﴿كَرَّاهِينَ فِيهَا﴾ بعد أن لم يكن فيها نبات ﴿مِنْ كُلِّ رَجْعٍ كَثِيرٍ﴾ قال ابن قتيبة: من كل جنس حسن. وقال الزجاج: الزوج: النوع، والكريم: المحمود.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ تدل على وحدانية الله وقدرته ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: ما كان أكثرهم يؤمن في علم الله، ﴿وَلَا رَيْكَ هُوَ الْمُغَيِّرُ﴾ المتقم من أعدائه ﴿الْكَبِيرِ﴾ بأوليائه.

﴿وَلَا تَدْعُ رَجُلًا أَنْ يَنْصَرِفَ أَتَى الْقَوْمَ الْفَظِيلِينَ ﴿١٦﴾ قَوْمٌ فُضِّلُوا لَا يَتُفَوَّنَ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٨﴾ وَيَحْبِقُوا صَدْرِي ﴿١٩﴾ وَلَا يُطِيقُوا لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَمُومًا ﴿٢٠﴾ وَلَكِنْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَعْلُو أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٢١﴾ قَالَ لَا قَادِمَ عَلَيْنَا وَإِلَيْنَا إِنَّا مُسْتَعْمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْصَرَفَتْ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ السَّامِيِّينَ ﴿٢٣﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٤﴾ قَالَ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلْنَا بِعَمْرٍو سَيْنًا ﴿٢٥﴾ وَفَعَلْتَ قَعْلًاكَ الْكَبِيرَ ﴿٢٦﴾ قَالَ لَعَلَّهَا إِذَا رَأَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ فَفَزَعَنَّا مِنْكُمْ لَنَا خِفَتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُفْرَسِينَ ﴿٢٨﴾ وَبَكَى نِسَاءُ نَهْشًا عَلَى أَنْ عَدَّتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ نَازِلَهُ﴾ المعنى: وإنا نزلنا هذه القصة على قومك.  
قوله تعالى: ﴿أَنْ يَكْذِبُوا﴾ ياء ﴿يَكْذِبُونَ﴾ محذوفة، ومثلها ﴿أَنْ يَفْتُلُوا﴾ [الشعراء: ١٤] ﴿سَهَبِينَ﴾ [الشعراء: ٦٢] ﴿هَوَّارِينَ﴾ [الشعراء: ٧٨] ﴿يَتَمِيمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٩] ﴿فَهَوَّارٍ مَّتَدِينَ﴾ [الشعراء: ٨٠] ﴿ثُمَّ يَحْيِيَنَّ﴾ [الشعراء: ٨١] ﴿كَلْبُونَ﴾ [الشعراء: ١١٧] ﴿وَأَطِيعِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٨] فهذه ثمان آيات أثبتن في الحالين يعقوب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيَعِزُّ مَدْرِي﴾ أي بتكذيبهم إياي ﴿وَلَا يَطْلُقُ إِسَاقِي﴾ للعقدة التي كانت بلسانه. وقرأ يعقوب: ﴿وَيُضَيِّقُ﴾ ولا يَنْطَلِقُ بنصب القاف فيهما، ﴿فَأَرْسِلْ لَكَ كُتُوبًا﴾ المعنى: ليُعِينِي، فحذف، لأن في الكلام دليلاً عليه. ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ﴾ وهو القتل الذي وكزه ففُضِيَ عليه؛ والمعنى: ولهم عليّ دعوى ذَنْبٍ ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِي﴾ به. ﴿فَاللَّاتُ﴾ وهو ردع وزجر عن الإقامة على هذا الظن؛ والمعنى: لن يقتلوك لأنّي لا أسلّطهم عليك، ﴿فَأَذْهَبَ﴾ يعني: أنت وأخوك ﴿يَا بَنِيَّ﴾ وهي: ما أعطاهما من المعجزة ﴿إِنِّي﴾ يعني نفسه ﷺ ﴿مَعَكُمْ﴾ فأجراهما مجرى الجماعة ﴿مُسْتَمْعِنُونَ﴾ نسمع ما تقولان وما يجيبونكما به.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْمَلَكِينَ﴾ قال ابن قتيبة: الرسول يكون بمعنى الجميع، كقوله: ﴿هَؤُلَاءِ شَيْعَى﴾ [الحجر: ٦٨] وقوله: ﴿ثُمَّ نُخَيِّمُكُمْ بِطَفَلًا﴾ [الحج: ٥]. وقال الزجاج: المعنى: إِنَّا رسالَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أي: ذوو رسالة ربِّ العالمين، قال الشاعر:

لَقَدْ كَذَّبَ الْوَاثُونَ مَا بُحْتُ عَنْهُمْ  
أَي: برساله.

قوله تعالى: ﴿أَن أُرْسِلَ﴾ المعنى: بأن أرسل ﴿مَكَايَ يُتْرَكِلَ﴾ أي: أطلقهم من الاستعباد، فأتياء فبلغاه الرسالة، ف  
﴿قَالَ أَلَمْ تُرْكِكُنَا وَلَيْدًا﴾ أي: صبيًا صغيراً ﴿وَلَيْسَتْ فِينَا مِنْ عُرُقِكُمْ سَيِّئٌ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: ثماني عشرة سنة،  
قاله ابن عباس. والثاني: أربعون سنة، قاله ابن السائب. والثالث: ثلاثون سنة، قاله مقاتل، والمعنى: فجازيننا على  
أن ربيتناك أن كفرت نعمتنا، وقتلت منا نفساً، وهو قوله: ﴿وَقَتَلْتَ فَعَلَّكَ﴾ وهي قتل النفس. قال الفراء: وإنما نُصِبَتْ  
الفاء، لأنها مرة واحدة، ولو أُريد بها مثل الجلسة والمشية جاز كسرهما. وفي قوله: ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قولان:  
أحدهما: من الكافرين لنعمتي، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعطاء، والضحاك، وابن زيد. والثاني: من  
الكافرين بالهلك، كنبت معنا على ديننا الذي تعيب، قاله الحسن، والسدي. فعلى الأول: وأنت من الكافرين الآن.

(١) عبارة ابن الجزري في كتاب «النشر في القراءات العشر» ٢/ ٣٢٣: «أثبت الباء في جميعها يعقوب في الحاليين».

(٢) البيت لكثير عزة، وهو في «مجاز القرآن» ٨٤/٢، و«غريب القرآن» ٣١٦، و«الطبري» ٦٥/١٩، و«القرطبي» ٩٣/١٣، و«اللسان» و«التاج»: رسل.

وعلى الثاني: وكنت. وفي قوله: ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: من الجاهلين، قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة. وقال بعض المفسرين: المعنى: إني كنت جاهلاً لم يأتيني من الله شيء. والثاني: من الخاطئين؛ والمعنى: إني قتلت النفس خطأ، قاله ابن زيد. والثالث: من الناسين؛ ومثله: ﴿إِنْ تَوَلَّيْ إِيَّاهُ فَتَكُنْ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ (البقرة: ١٢٨٢)، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿فَنَزَرْتُ مِنْكُمْ﴾ أي: ذهبت من بينكم ﴿وَأَنَا خِفْتُكُمْ﴾ على نفسي إلى مَدِينٍ، وقرأ عاصم الجحدري، والضحاك، وابن عمر: ﴿لَمَّا بِكسر اللام وتخفيف الميم، ﴿وَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ وفيه قولان: أحدهما: النبوة، قاله ابن السائب. والثاني: العلم والفهم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ يَسْتَفْتِي عَنْكَ﴾ يعني التربة ﴿إِنْ عُدَّتْ بَيْنَ إِيْرَئِيلَ﴾ أي: اتخذتهم عبيداً؛ يقال: عُدْتُ فلاناً وأعبدته واستعبدته: إذا اتخذته عبداً<sup>(١)</sup>. وفي «أن» وجهان: أحدهما: أن تكون في موضع رفع على البدل من «يُسْتَفْتَى». والثاني: أن تكون في موضع نصب بتنزع الخافض، تقديره: لأن عُدْتُ، أو لتعبيدك. واختلف العلماء في تفسير الآية، ففسرها قوم على الإنكار، وقوم على الإقرار. فمن فسرها على الإنكار قال معنى الكلام: أو تلك نعمة؟ على طريق الاستفهام، ومثله ﴿هَكَذَا رَبِّي﴾ (الأنعام: ٧٦)، وقوله: ﴿هُمْ الْفَاسِقُونَ﴾ (الأنبياء: ١٣٤)، وأنشدوا:

لَمْ أَنْسَ يَوْمَ الرَّحِيلِ وَقَفْتُهَا      وَجَفْنَهَا مِنْ دُمُوعِهَا شَرِقُ<sup>(٢)</sup>  
وَقَوْلُهَا وَالرَّكَّابُ سَائِرَةٌ      تَتْرَكُنَا هَكَذَا وَتَنْطَلِقُ

وهذا قول جماعة منهم. ثم لهم في معنى الكلام وجهه أربعة أقوال: أحدها: أن فرعون أخذ أموال بني إسرائيل واستعبدهم وأنفق على موسى منها، فأبطل موسى النعمة لأنها أموال بني إسرائيل، قاله الحسن. والثاني: أن المعنى: إنك لو كنت لا تقتل أبناء بني إسرائيل لكفني أهلي، وكانت أمي تستغني عن قلبي في اليم، فكانك تمن علي بما كان بلاؤك سبباً له، وهذا قول المبرّد، والزجاج، والأزهري. والثالث: أن المعنى: تمن علي بإحسانك إليّ خاصة، وتنسى إساعتك بتعبيدك بني إسرائيل؟ قاله مقاتل. والرابع: أن المعنى: كيف تمن علي بالتربة وقد استعبدت قومي؟ ومن أمين قومه فقد ذلّ، فقد خبط إحسانك إليّ بتعبيدك قومي، حكاه الثعلبي. فأما من فسرها على الإقرار، فإنه قال: علّمها موسى نعمة حيث ربّاه ولم يقتله ولا استعبده. فالمعنى: هي لعمرى نعمة إذ ربّيتني ولم تستعبدني كاستعبادك بني إسرائيل، ف «أن» تدل على المحذوف، ومثله في الكلام - أن تضرب بعض عبيدك وتترك الآخر، فيقول المترك -: هذه نعمة عليّ أن ضربت فلاناً وتركنتي، ثم تحذف «وتركتني» لأن المعنى معروف، هذا قول الفراء.

﴿قَالَ رِزْقُونَ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٧) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رِزْقُونَ رَبِّ مَا يَأْتِيَكُمُ الْآيَاتُ ﴿٤٠﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْكُمْ لَكُنْزًا ﴿٤١﴾ قَالَ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ ﴿٤٢﴾ قوله تعالى: ﴿قَالَ رِزْقُونَ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٧) ﴿سأله عن ماهية مَنْ لا ماهية له، فأجابه بما يدل عليه من مصنوعات﴾<sup>(٣)</sup>. وفي قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ قولان: أحدهما: أنه خلق السموات والأرض. والثاني: إن كنتم موقنين

(١) قال ابن كثير في قوله: ﴿وَأَنْتَ يَسْتَفْتِي عَنْكَ﴾ لَمَّا عُدَّتْ بَيْنَ إِيْرَئِيلَ ﴿٣٧﴾ أي: وما أحسنت إليّ وربيتني مقابل ما أسأت إلى بني إسرائيل فجعلتهم عبيداً وخضعاً تصرفهم في أعمالك ومشاق رحيتك، أقيمت إحسانك إلى رجل واحد فتمم بما أسأت إلى مجموعهم؟ أي: ليس ما ذكرته شيئاً بالنسبة إلى ما فعلت بهم. اهـ.

(٢) البطر الأول من هذا البيت زيادة من النسخة الامتروية، وأثبت البيت بشامه من القرطبي.

(٣) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن كفر فرعون وتمرد طغيانه وجحوده في قوله: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وذلك أنه كان يقول لقومه: ﴿مَا يَنْتَظِرُكُمْ مِنَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ ﴿فَأَنصَحْكَ قَوْمَهُ فَأَتَابُوا﴾ وكانوا يجهلون الصانع جلا وهلا، ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون، فلما قال له موسى: ﴿إِنْ رَسُولُكَ يَأْتِيَكُمُ الْآيَاتُ﴾ قال له فرعون: ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين فيري؟ قال ابن كثير: هكذا فسره علماء السلف وأمة الخلف حتى قال السدي: هذه الآية كقول تعالى: ﴿قَالَ كَذَبْتَ كَذِبًا يَكُونُ﴾ ﴿قَالَ رَبُّكَ الَّذِي أُتِلَ كُلُّ نَفْسٍ عَنَتُهُ ثُمَّ هَذَى﴾ (٤٠) قال: ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم هذا سؤال من الماهية، فقد غلط، فإنه لم يكن مقراً بالصانع حتى يسأل من الماهية، بل كان جاحلاً بالكلية فيما يظهر وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه، فعند ذلك قال موسى لما سأله من رب العالمين: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: خالق جميع ذلك ومالكه والمتصرف فيه -

أن ما تعابونه كما تعابونه، فكذاك<sup>(١)</sup>، فأيقنوا أن<sup>(٢)</sup> رب العالمين رب السموات والأرض. ﴿قَالَ﴾ يعني: فرعون ﴿لَيْتَ حَرَلَهُ﴾ من أشراف قومه ﴿أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ معجبا لهم. فلان قيل: فأين جوابهم؟ فالجواب: أنه أراد: ألا تستمعون قول موسى؟ فرد موسى، لأنه المراد بالجواب، ثم زاد في البيان بقوله: ﴿رَبِّكُمْ رَبِّ مَاءِ بَيْتِكُمْ الْآزَلِينَ﴾، فأعرض فرعون عن جوابه ونسبه إلى الجنون، فلم يخجل موسى بقول فرعون، واشتغل بتأكيد الحجّة، فـ ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ مَثَلًا﴾ أي: إن كنتم ذوي عقول، لم يخف عليكم ما أقول.

﴿قَالَ لَيْتَ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرَ لِمَعْنَتِكَ مِنَ السَّمْعِينَ﴾ ١٥ ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ ١٦ ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ ١٧ ﴿فَأَتَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ شِجَارٌ تُؤَمِّرُ﴾ ١٨ ﴿وَمِنْ يَمِ يَمُ فَإِذَا هِيَ شِجَارَةٌ لِلنَّطِيرِ﴾ ١٩ ﴿قَالَ لِلشَّعْرِاءِ حَرَلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ ٢٠ ﴿يُرِيدُ أَنْ يُنْفِخَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ وَيَعْرِدَ قَرَارًا فَتَأْتِمُرُ﴾ ٢١ ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ مِنَّا هَٰؤُلَاءِ حَشْرًا وَيَأْتِيكَ بِهِ كَسْبًا﴾ ٢٢ ﴿يَسْأَلُكَ سِجَّارَتُ عَلِيِّ بْنِ الْأَرْبَعِ لِيُحْيِيَ بَرْقَ مَلَكُوتِهِ﴾ ٢٣ ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُّجْتَمِعُونَ﴾ ٢٤ ﴿لَمَّا نَفَعَ الشَّعْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْفَالِقِينَ﴾ ٢٥ ﴿لَمَّا جَاءَ الشَّعْرَةَ قَالُوا لِيَرْعَوْهُ إِنْ لَنَا لَأَجْرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْفَالِقِينَ﴾ ٢٦ ﴿قَالَ نَمَّ وَلَكُمْ إِذَا لَيْتَ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ٢٧ ﴿قَالَ لَمَّ مَوْسَىٰ الْقَوْمَ مَا أَنْتُمْ مُّثْقَلُونَ﴾ ٢٨ ﴿فَالْقَوْمَ جَاءَهُمْ وَصَيْبُهُمْ وَقَالُوا بِعَرَّةٍ فَرَعُونَ إِنْ شَاءَ النَّحْنُ الْفَالِقُونَ﴾ ٢٩ ﴿فَأَتَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَلَاثٌ مَّاءٍ بِأُفُوكُونَ﴾ ٣٠ ﴿فَأَتَىٰ الشَّعْرَةَ سَجِيدًا﴾ ٣١ ﴿قَالُوا مَاذَا رَبِّ الْفَالِقِينَ﴾ ٣٢ ﴿رَبِّ مَوْسَىٰ وَفَرْعُونَ﴾ ٣٣

قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بأمر ظاهر تعرف به صدقي أنسجني؟! وما بعد هذا مفسر في الأعراف: ١٠٧ إلى قوله: ﴿فَجِئَ الشَّعْرَةَ لِيُحْيِيَ بَرْقَ مَلَكُوتِهِ﴾ وهو يوم الزينة، وكان عيداً لهم، ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ﴾ يعني أهل مصر. وذهب ابن زيد إلى أن اجتماعهم كان بالاسكندرية.

قوله تعالى: ﴿لَمَّا نَفَعَ الشَّعْرَةَ﴾ قال الأكثرون: أرادوا سحرة فرعون؛ فالمعنى: لعلنا نتبعهم على أمرهم. وقال بعضهم: أرادوا موسى وهارون، وإنما قالوا ذلك استهزاء. قال ابن جرير: «ولعل» هاهنا بمعنى «كي». وقوله<sup>(٣)</sup>: ﴿بِعَرَّةٍ فَرَعُونَ﴾ أي: بعظمته<sup>(٤)</sup>.

﴿قَالَ مَا مَشَرُ لَمْ يَلَمْ قَبْلَ أَنْ آدَدَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ الْبَحْرَ فَلَسَوْتُمْ تَتَّقُونَ لِأَقِطَةَ لَيْلَيْكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ لِأَمْرِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٣٤ ﴿قَالُوا لَا خَيْرَ إِلَّا لَكَ رَبَّنَا مُقَلِّبُونَ﴾ ٣٥ ﴿إِنَّا نَطْعُ أَنْ يَفْعَلُ لَنَا رَبَّنَا حَلِيلَيْنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٣٦

قوله تعالى: ﴿فَلَسَوْتُمْ تَتَّقُونَ﴾ قال الزجاج: اللام دخلت للتوكيد.

قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ﴾ أي: لا ضرر. قال ابن قتيبة: هو من ضارّه يَصُورُهُ وَيُضِيرُهُ؛ بمعنى: ضرّه. والمعنى: لا ضرر علينا فيما يتلانا في الدنيا، لأننا نقبل إلى ربنا في الآخرة مؤملين غفرانه.

قوله تعالى: ﴿أَنْ كُنَّا﴾ أي: لأن كنا ﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بآيات موسى في هذه الحال.

﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَىٰ مَوْسَىٰ أَنْ أَسْرَ بِمَاءِ الْإِذْرِ مُشْبَعُونَ﴾ ٣٧ ﴿فَأَرْسَلَ فَرَعُونَ فِي الْمَتَانِ حَشِيرَ﴾ ٣٨ ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلَةٌ﴾ ٣٩ ﴿وَأَنَّهُمْ لَفَاقِطُونَ﴾ ٤٠ ﴿وَلَمَّا تَجَسَّعَ حَرَلَهُ﴾ ٤١ ﴿فَلَمَّحَتْهُمْ مِنْ جَنَّتٍ وَيُؤَيِّرُ﴾ ٤٢ ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَارٍ كَثِيرٍ﴾ ٤٣ ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثَهَا بَنِي إِسْرٰٓءِيلَ﴾ ٤٤

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مُشْبَعُونَ﴾ أي: يتبعكم فرعون وقومه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ﴾ المعنى: وقال فرعون إن هؤلاء، يعني بني إسرائيل ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾ قال ابن قتيبة: أي: طائفة. قال الزجاج: والشردمة في كلام العرب: القليل. قال المفسرون: وكانوا ستمائة ألف، وإنما استقلّهم بالإضافة إلى جنده، وكان جنده لا يحصى.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ لَفَاقِطُونَ﴾ تقول: غاظني الشيء، إذا أغضبك. قال ابن جرير: وذكر أن غيظهم كان لقتل

= وإله لا شريك له، هو الذي خلق الأشياء كلها، العالم العلوي وما فيه من الكواكب الثابتة والسيارات النيرات، والعالم السفلي وما فيه من بحار وقفار وجبال وأشجار وحيوانات ونبات وثمار، وما بين ذلك من الهواء والطير، وما يحتوي عليه الجو، الجميع عبيد له خاضعون ذليلون ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ أي: إن كانت لكم قلوب موفقة، وأبصار نافذة. اهـ.

(١) في نسخة الرباط: «أن ما تعابونه كما يعابونه فكذاك»، وفي النسخة الإسطنبولية: «أن ما تعابونه فكذاك» والتصحيح من «الطبري».

(٢) في الأصل: أنه.

(٣) في الأصل: كقول.

(٤) أقسموا بعزة فرعون، وهي من إيمان الجاهلية.

الملائكة من قَتَلَتْ من أبكارهم. قال: ويحتمل أن غيظهم لذهابهم بالعواري التي استعاروها من حُلِيِّهم، ويحتمل أن يكون لفراقهم إياهم وخروجهم من أرضهم على كُرِه منهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجِيعُ حَذِرُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «حذرون» بغير الف. وقرأ الباقون: «حاذرون» بالف. وهل بينهما فرق؟ فيه قولان: أحدهما: أن الحاذر: المستعد، والحذر: المتيقظ. وجاء في التفسير أن معنى حاذرين: مُؤدُون، أي: دُور أداة، وهي السلاح، لأنها أداة الحرب. والثاني: أنهما لغتان معناهما واحد؛ قال أبو عبيدة: يقال: رجل حَذِرٌ وحَذَرٌ وحاذِرٌ. والمقام الكريم: المنزل الحسن. وفي قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ قولان. أحدهما: كذلك أفعل بمن عصاني، قاله ابن السائب. والثاني: الأمر كذلك، أي: كما وصفنا، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وذلك أن الله تعالى رُدَّهم إلى مصر بعد غرق فرعون، وأعطاهم ما كان لفرعون وقومه من المساكن والأموال. وقال ابن جرير الطبري: إنما جعل ديار آل فرعون مُلكاً لبني إسرائيل ولم يَرُدَّهم إليها لكنه جعل مساكنهم الشام.

﴿فَاتَّبَعُوهُمْ ثَمَرِيكَ﴾ ﴿٥٧﴾ فَلَمَّا تَرَا الْجَمَانِ قَالَ أَحْصَيْتُمْ مُوسَى إِنَّا لَنَذْكُرَنَّ ﴿٥٨﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٥٩﴾ فَأَوْحَيْتَ إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِصَاحِكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٠﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَ الْآخِرِينَ ﴿٦١﴾ وَأَجْبَنَّا مُوسَى وَنَ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٢﴾ ثُمَّ أَهْرَفْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٥﴾ قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ قال ابن قتيبة: لحقوهم ﴿ثَمَرِيكَ﴾ أي: حين شَرَقَت الشمس، أي: طلعت، يقال: أَشْرَقْنَا: دخلنا في الشروق، كما يقال: أَمْسِنَا وأصبحنا. وقرأ الحسن، وأيوب السُّخْتِيَانِي: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ بالتشديد.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَا الْجَمَانِ﴾ وقرأ أبو رجاء، والنخعي، والأعمش: «تَرَاى» بكسر الراء وفتح الهمزة، أي: تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ أي: سيدلني على طريق النجاة. قوله تعالى: ﴿فَانْفَلَقَ﴾ فيه إضمار «فَضْرَبَ فانفلق»، أي: انشق الماء اثني عشر طريقاً ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ أي: كل جزء انفرد منه. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعاصم الجحدري: «كُلُّ فِرْقٍ» باللام، «كَالطَّوْدِ» وهو الجبل.

قوله تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَ الْآخِرِينَ﴾ ﴿٦١﴾ أي: قرَّبنا الآخرين من الغرق، وهم أصحاب فرعون. وقال أبو عبيدة: «أزْلَفْنَا» أي: جمعنا. قال الزجاج: وكلا القولين حسن، لأن جمعهم تقرب بعضهم من بعض، وأصل الزَّلْفَى في كلام العرب: الْفُرْبَى. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو رجاء، والضحاك، وابن يعمر: «أَزْلَفْنَا» بقاف، وكذلك قرأوا: «وَأَزْلَفْتَ الْجَنَّةَ» [الشعراء: ٩٠] بقاف [أيضاً].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ يعني: في إهلاك فرعون وقومه عبرة لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لم يكن أكثر أهل مصر مؤمنين، إنما آمنت آسية، وخيريل<sup>(١)</sup> مؤمن آل فرعون، وفَتَةُ الماشطة، ومريم - امرأة دَلَّت موسى على عظام يوسف -، هذا قول مقاتل. وما أخللنا به من تفسير كلمات في قصة موسى، فقد سبق بيانها، وكذلك ما يُقَدِّد ذكره في مكان، فهو إما أن يكون قد سبق، وإما أن يكون ظاهراً، فتنبه لهذا.

﴿وَأَنزَلَ عَلَيْهِمْ تَبَاً إِزْهِيماً﴾ ﴿٦٦﴾ إِذْ قَالَ لِأَيُّهِمْ وَقَرِيهُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَظِيمِينَ ﴿٦٨﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ أَوْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَضُرُّوكم أَوْ يَنْفَعُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا لَا وَجْدَ ءَابَاءَكُمُ الَّذِي كَذَّبَ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٢﴾ أَنتُمْ وَمَا كُنْتُمْ أَتْلَهُنَّ ﴿٧٣﴾ فَلَيْسَ عَذُوبِي إِلَّا رِبِّ الْمَلَكِينَ ﴿٧٤﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهوَ يَجْعَلُنِي ﴿٧٥﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْمِئِنُّ وَيَسْئَلُنِي ﴿٧٦﴾ وَلَئِنْ مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴿٧٧﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَ﴾ والمعنى: هل يسمعون دعاءكم. وقرأ سعيد بن جبير، وابن يعمر، وعاصم

(١) قال الألوسي في «روح المعاني» ٥٧/٢٤: واسمه، قيل: شمعان، بشين معجمة، وقيل: خيريل، بخاء معجمة مكسورة وراء مهملة ساكنة، وقيل: حزيل، بحاء مهملة وزاي معجمة، وقيل: حبيب.

الجحدري: «هل يُسمعونكم» بضم الياء وكسر الميم، «إِذْ تَدْعُونَهُ» قال الزجاج: إن شئت بيّنت الذال، وإن شئت أدمغتها في التاء وهو أجد في العربية، لقرب الذال من التاء.

قوله تعالى: «أَوْ يَفْقَرُوكُمْ» أي: إن عبدتموهم «أَوْ يَفْقَرُونَ» إن لم تعبدوهم؟ فأخبروا عن تقليد آبائهم.

قوله تعالى: «فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ» فيه وجهان: أحدهما: أن لفظه لفظ الواحد والمراد به الجميع؛ فالمعنى: فإنهم أعداء لي. والثاني: فإن كلَّ معبود لكم عدو لي. فإن قيل: ما وجه وصف الجهاد بالعداوة؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أن معناه: فإنهم عدو لي يوم القيامة إن عبدتهم. والثاني: أنه من المقلوب؛ والمعنى: فإنني عدو لهم، لأن مَنْ عاديتك عاداك، قاله ابن قتيبة<sup>(١)</sup>. وفي قوله: «إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ» قولان: أحدهما: أنه استثناء من الجنس، لأنه عليم أنهم كانوا يعبدون الله مع الكهنة، قاله ابن زيد. والثاني: أنه من غير الجنس؛ والمعنى: لكن رب العالمين [ليس كذلك]<sup>(٢)</sup>، قاله أكثر النحويين.

قوله تعالى: «وَالَّذِي خَلَقَ فَهوَ يُدَبِّرُ» أي: إلى الرشد، لا ما تبعدون، «وَالَّذِي هُوَ يُطَيِّرُ وَيَسْفِئُ» أي: هو رازقي الطعام والشراب<sup>(٣)</sup>. فإن قيل: لم قال: «مرضت»، ولم يقل: «أمرضني»؟ فالجواب: أنه أراد الشفاء على ربه فأضاف إليه الخير المحض، لأنه لو قال: «أمرضني» لعدَّ قومه ذلك عيباً، فاستعمل حُسن الأدب؛ ونظيره قصة الخضر حين قال في العيب: «تَأَرَّدْتُ» [الكهف: ٤٧٩]، وفي الخير المحض: «فَأَرَادَ رَبُّكَ» [الكهف: ٤٨٢]. فإن قيل: فهذا يرده قوله: «وَالَّذِي يُبْسِئُ». فالجواب: أن القوم كانوا لا يُنكرون الموت، وإنما يجعلون له سبباً سوى تقدير الله ﷻ، فأضافه إبراهيم إلى الله ﷻ، وقوله: «تُسَرِّحُونِي» يعني للبعث، [وهو]<sup>(٤)</sup> أمر لا يُقرُّون به، وإنما قاله استدلالاً عليهم؛ والمعنى: أن ما وافقتموني عليه موجب لإصحاح قلبي فيما خالفتموني فيه.

قوله تعالى: «وَالَّذِي أَسْمَعَ أَنْ يَتَغَيَّرَ لِي خَطِيبَتِي» يعني: ما يجري على مثلي من الزلل، والمفسرون يقولون: إنما عنى الكلمات الثلاث التي ذكرناها في [الأنبياء: ٦٣]، «يَوْمَ الْوَيْعِ» يعني: يوم الحشر والحساب؛ وهذا احتجاج على قومه أنه لا تصلح الإلهية إلا لمن قُتل هذه الأفعال.

«رَبِّ حَبِّ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّ وَالصَّالِحِينَ» [٨٢] وأَجْمَلَ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ [٨٣] وَلَمَّا عَلِمَ مِنْ رَدِّهِ جَنَّةَ النَّعِيمِ [٨٤] وَأَغْفَرَ لِأَيِّ اللَّهِ كَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ [٨٥] وَلَا تُخَيِّرُ يَوْمَ يَمُوتُونَ [٨٦] يَوْمَ لَا يَفْعَلُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ [٨٧] إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [٨٨]

قوله تعالى: «حَبِّ لِي حُكْمًا» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: النبوة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: اللَّبَّ<sup>(٥)</sup>، قاله عكرمة. والثالث: الفهم والعلم، قاله مقاتل. وقد بيَّنا قوله: «وَالْحَقِّ وَالصَّالِحِينَ» في سورة يوسف: [١٠١]، وبيَّنا معنى «لِسَانَ صِدْقٍ» في [إبراهيم: ٥٠] والمراد بالآخرين: الذين يأتون بعده إلى يوم القيامة.

قوله تعالى: «وَأَغْفِرُ لَأَيِّ» قال الحسن: بلغني أن أمه كانت مسلمة على دينه، فلذلك لم يذكرها. فإن قيل: فقد قال: «وَأَغْفِرُ لِي وَلِلَّذِينَ» [إبراهيم: ٤١]. قيل أكثر الذُّكر إنما جرى لأبيه، فيجوز أن يسأل الغفران لأُمَّه وهي مؤمنة، فأما أبوه فلا شك في كفره. وقد بيَّنا سبب استغفاره لأبيه في [إبراهيم: ١١٣]، وذكرنا معنى الخزفي في [آل عمران: ١٩٢].

قوله تعالى: «يَوْمَ يَمُوتُونَ» يعني: الخلائق.

قوله تعالى: «إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» [٨٨] فيه ستة أقوال: أحدها: سليم من الشُّرك، قاله الحسن، وابن زيد. والثاني: سليم من الشُّك، قاله مجاهد. والثالث: سليم، أي: صحيح، وهو قلب المؤمن، لأن قلب الكافر والمنافق مريض، قاله سعيد بن المسيب. والرابع: أن السَّليم في اللغة: اللديغ، فالمعنى: كاللديغ من خوف الله تعالى، قاله

(١) قال ابن كثير: أي: إن كانت هذه الأصنام شيئاً، ولها تأثير، فتخلص إليَّ بالمساءة، فإنني عدو لها لا أبالي بها ولا أفكر فيها. اهـ.

(٢) زيادة من «روح المعاني».

(٣) قال ابن كثير: أي: هو خالقي ورازقي بما سخر ويُسّر من الأسباب السماوية والأرضية، فساق الزمن، وأنزل الماء وأحيا به الأرض وأخرج به من كل الثمرات رزقاً للعباد. وأنزل الماء علناً ولا يُلقي به مما خلق أنعاماً وأناسٍ كثيراً. اهـ.

(٤) زيادة ليست في الأصل.

(٥) أي: العقل.

الجديد. والخامس: سليم من آفات المال والبنين، قاله الحسين بن الفضل. والسادس: سليم من البدعة، مُطْمَئِنٌّ على السُّنة، حكاها الثعلبي.

﴿وَأَرْزَقَهُ الْجَنَّةَ النَّارِيَّةَ﴾ (١٥) وَرَزَيْتَ الْجَنَّةَ النَّارِيَّةَ (١٦) وَقِيلَ لَمْ يَنْزِلْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (١٧) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَمْنَعُكُمْ أَوْ يَنْصَرِفُكُمْ (١٨) فَتَكْبَرُوا فِيهَا وَمَ الْفَائِدَ (١٩) وَحُدُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٢٠) قَالُوا وَمَنْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٢١) تَأَلَّوْا لَنَا صَبْرًا لِيُثْبِتَ (٢٢) إِذْ سَأَلْتُمْ رَبَّ الْمَلِئِكِينَ (٢٣) وَمَا أَسْلَمْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٢٤) فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ (٢٥) وَلَا صَدِيقٍ حَسْبَ (٢٦) قُلُوا أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٨) وَلَوْلَا ذَلِكَ لَفُتِ الْفِرَاقُ الرَّجُوعُ (٢٩)﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَرْزَقَهُ الْجَنَّةَ النَّارِيَّةَ﴾ (١٥) أي: قُرْبَتْ إِلَيْهِمْ حَتَّى نَظَرُوا إِلَيْهَا، ﴿وَرَزَيْتَ الْجَنَّةَ﴾ أي: أَظْهَرْتَ ﴿النَّارِيَّةَ﴾ وهم الضَّالُّونَ، ﴿وَقِيلَ لَمْ يَنْزِلْ﴾ على وجه التوبيخ ﴿إِنْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (١٧) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَمْنَعُكُمْ، أي: يَمْنَعُكُمْ مِنَ الْعَذَابِ، أَوْ يَمْتَنِعُونَ مِنْهُ.

قوله تعالى: ﴿فَتَكْبَرُوا﴾ قال السدي: هم المشركين. قال ابن قتيبة: أَلْفَوْا عَلَى رُؤُوسِهِمْ، وَأَصْلُ الْحَرْفِ «كَبُوا» مِنْ قَوْلِكَ: كَبَيْتُ الْإِنْسَانَ، فَأَبْدَلُ مِنَ الْبَاءِ الْوَسْطَى كَأَفَاءَ، اسْتِثْقَالًا لِاجْتِمَاعِ ثَلَاثِ بَاءَاتٍ، كَمَا قَالُوا: «كُتِّمُوا» مِنْ «الْكُتْمَةِ»، وَالْأَصْلُ: «كُتْمُوا». وَقَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَاهُ: طُرِحَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَحَقِيقَةُ ذَلِكَ فِي اللُّغَةِ تَكْرِيرُ الْإِنْكَابِ، كَانَهُ إِذَا أَلْقَى يَنْكَبُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ حَتَّى يَسْتَقِرَّ فِيهَا. وَفِي الْخَاوِصِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: الْمَشْرُكُونَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: الشَّيَاطِينُ، قَالَ قَتَادَةُ، وَمَقَاتِلُ. وَالثَّالِثُ: الْأَلَهَةُ، قَالَ السَّيِّدِي. ﴿وَحُدُودُ إِبْلِيسَ﴾ أَتْبَاعُهُ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ. ﴿قَالُوا وَمَنْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ (٢٠) يَعْنِي: هُمْ وَالْهَتَمُ، ﴿تَأَلَّوْا لَنَا كُتًّا﴾ قَالَ الْفَرَّاءُ: لَقَدْ كُتَّا. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: مَا كُتَّا إِلَّا فِي ضَلَالٍ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ سَأَلْتُمْ﴾ أي: نَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ، ﴿وَمَا أَسْلَمْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ (٢٤) فِيهِمْ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: الشَّيَاطِينُ. وَالثَّانِي: أَوْلَاهُمُ الَّذِينَ اقْتَدَوْا بِهِمْ، قَالَ عِكْرِمَةُ: إِبْلِيسُ وَابْنُ آدَمَ الْقَاتِلُ.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ﴾ (٢٥) هَذَا قَوْلُهُمْ إِذَا شَفَعَ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ. وَرَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ يَقُولُ فِي الْجَنَّةِ: مَا فَعَلَ صَدِيقِي فَلَان؟ وَصَدِيقُهُ فِي الْجَحِيمِ، يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: أَخْرَجُوا لَهُ صَدِيقُهُ إِلَى الْجَنَّةِ، يَقُولُ مَنْ بَقِيَ [فِي النَّارِ]: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَسِيمٍ؟» (١). وَالْحَمِيمُ: الْقَرِيبُ الَّذِي تَوَدُّهُ وَيُؤَدُّكَ وَالْمَعْنَى: مَا لَنَا مِنْ ذِي قَرَابَةٍ يُهَيِّئُهُ أَمْرَنَا، ﴿قُلُوا أَنْ لَنَا كَرَّةٌ﴾ (٢٦) أَي: رَجْعَةٌ إِلَى الدُّنْيَا ﴿فَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لِتَحُلَّ لَنَا الشَّفَاعَةُ كَمَا حَلَّتْ لِلْمُؤْمِنِينَ.

﴿كَتَبَتْ قَوْمٌ نَبَأَ الْفَرِيقَيْنِ﴾ (٣٠) إِذْ قَالَ لَمْ نُؤْمَرْ نُبْحُ إِلَّا نَنْفُوزَ (٣١) إِلَى لَكُمْ رَسُولٌ أَيْنَ (٣٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (٣٣) قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَتَبَتْ قَوْمٌ نَبَأَ﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: الْقَوْمُ مَذْكُورُونَ؛ وَالْمَعْنَى: كَتَبَتْ جَمَاعَةٌ قَوْمِ نُوحٍ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَمْ نُؤْمَرْ نُبْحُ﴾ كَانَتْ الْأَخَوَةُ مِنْ جِهَةِ النَّسَبِ بَيْنَهُمْ، لَا مِنْ جِهَةِ الدِّينِ. ﴿إِلَّا نَنْفُوزَ﴾ عَذَابُ اللَّهِ بِتَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ، ﴿إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَيْنَ﴾ (٣٢) عَلَى الرِّسَالَةِ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ رَيْكُمُ (٣٣). ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ (٣٤) أَي: عَلَى الدَّعَاءِ إِلَى التَّوْحِيدِ.

﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَنَا وَتَكْفُرُ الْآرْذَلُونَ﴾ (٣٥) قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٦) إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (٣٧) وَمَا أَنَا بِمُكَلِّمِ الْمُؤْمِنِينَ (٣٨) إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٣٩) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ نَبْشُجُ نَكُفَرُونَ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (٤٠)﴾

(١) هَذَا الْحَدِيثُ ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ مِنَ الْإِمَامِيَّةِ الشَّيعَةِ فِي تَفْسِيرِ «مَجْمَعِ الْبَيَانِ» وَلَمْ يَعْزُ لِحَدٍّ، بَلْ قَالَ: وَفِي الْخَبَرِ الْمَأْثُورِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ... فَذَكَرَهُ، وَاسْتَدْرَكْنَا الزِّيَادَةَ الَّتِي بَيْنَ الْقَوْمَيْنِ مِنْهُ، وَلَعَلَّ الْمَصْنَفَ رَحِمَهُ اللَّهُ نَقَلَ عَنِ الطَّبْرِيِّ أَوْ مِنْ نَقْلِهِ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ ذَكَرَهُ الْقَوَاطِي فِي تَفْسِيرِهِ» عَنْ جَابِرٍ وَلَمْ يَعْزُ لِحَدٍّ، وَلَمْ نَرَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: هَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ عَنْ عِبْدِهِ وَرَسُولِهِ نُوحٍ ﷺ، وَهُوَ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَا عِيلَتْ الْأَصْنَامُ وَالْأَنْدَادُ، فَبَعَثَ اللَّهُ نَاكِيًا عَنْ ذَلِكَ وَمَحْلَرًا مِنْ وَبِيلِ عِقَابِهِ، فَكَذَبَهُ قَوْمُهُ فَاسْتَمَرُّوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْفِعَالِ الْخَبِيثَةِ فِي عِبَادَتِهِمْ أَصْنَامَهُمْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، وَنَزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَكْذِيبُهُمْ لِهَ مَنَزَلَةٍ تَكْذِيبُهُمْ جَمِيعَ الرُّسُلِ، فَلِهَذَا قَالَ: ﴿كَتَبَتْ قَوْمٌ نَبَأَ الْفَرِيقَيْنِ﴾ (٣٠) إِذْ قَالَ لَمْ نُؤْمَرْ نُبْحُ إِلَّا نَنْفُوزَ (٣١) أَي: لَا تَخَافُونَ اللَّهَ فِي عِبَادَتِكُمْ غَيْرِهِ؟ ﴿إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَيْنَ﴾ (٣٢) أَي: إِنِّي رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، آمِينَ فِيمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَلَا أَزِيدُ فِيهَا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهَا.



﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوُصَّيْتَ أَمْ لَمْ تُنْكِرْ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ ۖ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ۚ وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ ۝١٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝١٣٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِدٌ الرَّحِيمُ ۝١٣٨ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ۝١٣٩ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ۝١٤٠ إِنْ لَكُمْ رِشْوَةٌ أَيْنَ ۝١٤١ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝١٤٢ وَمَا اسْتَأْذَنَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ۚ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي: «خُلُقٌ» بفتح الخاء وتسكين اللام؛ قال ابن قتيبة: أرادوا اختلاقهم وكذبهم، يقال: خُلِفْتُ الحديث اختلقته، أي: افتعلته، قال الفراء: والعرب تقول للخرافات: أحاديث الخُلُق. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحزمة، [وخلف، ونافع]: «خُلِقُ الأولين» بضم الخاء واللام. وقرأ ابن عباس، وعكرمة، وعاصم الجحدري: «خُلِقٌ» برفع الخاء وتسكين اللام؛ والمعنى: عادتهم وشأنهم. قال قتادة: قالوا [له]: هكذا كان الناس يعيشون ما عاشوا، ثم يموتون، ولا بعث لهم ولا حساب.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ ۝١٣٦﴾ أي: على ما نفعله في الدنيا.

﴿أَتَذْكُرُونَ فِي مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۝١٣٧﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ۝١٣٨ وَزِدْنِي وَفَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ۝١٣٩ وَتَنَجُّونَ مِنْ أَجْيَالٍ يُؤَيَّسُ قَرْيَتُهَا ۝١٤٠ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝١٤١ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الشَّرِيفِينَ ۝١٤٢﴾ الَّذِينَ يَقْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۝١٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَذْكُرُونَ فِي مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۝١٣٧﴾ أي: فيما أعطاكم الله في الدنيا «مُؤْمِنِينَ» من الموت والعذاب.

قوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ الطَّلَعُ: الشمر. وفي الهضيم سبعة أقوال. أحدها: أنه الذي قد أُنِعَ وبلغ، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه الذي يهشم تهشماً، قاله مجاهد. والثالث: أنه الذي ليس له نوى، قاله الحسن. والرابع: أنه المذنب من الرطب، قاله سعيد بن جبیر. والخامس: اللين، قاله قتادة، والفراء. والسادس: أنه الخمل الكثير الذي يركب بعضه بعضاً، قاله الضحاك. والسابع: أنه الطَّلَع قبل أن ينشئ عنه [القشر] وينفتح، يريد أنه منضَّم مُكْتَبَرٌ، ومنه قيل: رجل أَهْضَمُ الكُشْحَيْنِ، إذا كان مُنْضَمَّهما، قاله ابن قتيبة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَتَنَجُّونَ مِنْ أَجْيَالٍ يُؤَيَّسُ قَرْيَتُهَا ۝١٣٩﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «قَرْهَيْنَ». وقرأ الباقون: «قَارِهَيْنَ» بالفتح. قال ابن قتيبة: «قَرْهَيْنَ»: أَشْرَيْنَ بَطْرَيْنِ، ويقال: الهاء فيه مبدلة من حاء، أي: قَرْجَيْنِ، و«الفَرْحُ» قد يكون السور، وقد يكون الأشر، ومنه قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصاص: ٧٦] أي: الأشرين، ومن قرأ: «قَارِهَيْنَ» فهي لغة أخرى، يقال: قَرَّةٌ وقَارَةٌ، كما يقال: قَرِحٌ وقَارِحٌ، ويقال: «قَارِهَيْنَ» أي: حاذِقَيْنِ؛ قال عكرمة: حاذِقَيْنِ بنحيتها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الشَّرِيفِينَ ۝١٤٢﴾ قال ابن عباس: يعني: المشركين. وقال مقاتل: هم التسعة الذي عرفوا الناقة.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ السَّحَرِينَ ۝١٤٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝١٤٤﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ نَاقَةُ لَنَا يُرْتَبُ وَلَكُنَّ يَوْمَ تَمْلِكُ ۝١٤٥ وَلَا تَسْمَعُوا لِهَيْمٍ قِيلَاطُكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ۝١٤٦﴾ فَمَقْرُوعًا فَأَصْبَحُوا نَدِيبِينَ ۝١٤٧﴾ فَخَلَدَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝١٤٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِدٌ الرَّحِيمُ ۝١٤٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ۝١٥٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٥١﴾ إِنْ لَكُمْ رِشْوَةٌ أَيْنَ ۝١٥٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝١٥٣﴾ وَمَا اسْتَأْذَنَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ السَّحَرِينَ﴾ قال الزجاج: أي: ممن له سحر، والسحر: الرثة، والمعنى: أنت شر مثلنا. وجائز أن يكون من المفعلين من السحر؛ والمعنى: ممن قد سحر مرة بعد مرة<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا يُرْتَبُ﴾ أي: حظ من الماء. قال ابن عباس: لها شرب معروف لا تحضره معها، ولكم شرب

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: الهضيم: هو المتكسر من لينة ورطوبته، وذلك من قولهم: هضم فلان حقه: إذا انتقصه وتعبه، فكذلك الهضم في الطلع، إنما هو التقصص منه، من رطوبته ولينه، إما بمس الأيدي، وإما بركوب بعضه بعضاً، وأصله مفعول صرف إلى فاعل. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أن معناه: إنما أنت من المخلوقين الذين يعللون بالطعام والشراب مثلنا، ولست رباً ولا ملكاً فطليحك وتعلم أنك صادق فيما تقول، قال: والسحر: المنقل من السحرة، وهو الذي له سحرة. اهـ.



لا تحضر معكم، فكانت إذا كان يومهم حضروا الماء فاقتسموه، وإذا كان يومها شرب الماء كله. وقال قتادة: كانت إذا كان يوم شربها، شربت ماءهم أول النهار، وسقتهم اللبن آخر النهار. وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن أبي عبله: «لها شرب» بضم الشين.

قوله تعالى: ﴿فَأَنصَبُوا نَدِيمًا﴾ قال ابن عباس: ندموا حين رأوا العذاب على عقربها، وعذابهم كان بالصيحة. ﴿أَنَّا نَوْنُ الذِّكْرَانِ مِنَ الْمَلَكَيْنِ﴾ ﴿وَنَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رِئُوسًا مِنْ أَرْزَاقِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ ﴿قَالُوا لَيْنَ لَّزَنَتَهُ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ ﴿قَالَ إِنِّي لَمَلِكٌ مِنْ الْقَالِينَ﴾ ﴿رَبِّ يَحْيَىٰ وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿إِلَّا عَجْرًا فِي الْفَيَافِي﴾ ﴿ثُمَّ ذَرَأْنَا الْآخَرِينَ﴾ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا شَدِيدًا﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَلَيْكَ رُكُودُ الْمَرِيضِ الرَّجِيمِ﴾

قوله تعالى: ﴿أَنَّا نَوْنُ الذِّكْرَانِ﴾ وهو جمع ذكر ﴿وَالْمَلَكَيْنِ﴾ أي: من بني آدم، ﴿وَنَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رِئُوسًا مِنْ أَرْزَاقِكُمْ﴾ [قال الزجاج: وقرأ ابن مسعود: «ما أصلح لكم رِئُوسًا من أزواجكم»] يعني به الفروج. وقال مجاهد: تركتم أقبال النساء إلى أديار الرجال.

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي: ظالمون معتدون. ﴿قَالُوا لَيْنَ لَّزَنَتَهُ يَلُوطُ﴾ أي: لمن لم تسكت عن نهينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ من بلدنا. ﴿قَالَ إِنِّي لَمَلِكٌ﴾ يعني: إتيان الرجال ﴿وَالْقَالِينَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: من المبييضين، يقال: قَلَيْتُ الرجل: إذا أبيضته.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ يَحْيَىٰ وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: من عقوبة عملهم، ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ وقد ذكرناهم في [هود: ٨٠]، ﴿إِلَّا عَجْرًا﴾ يعني: امرأته ﴿وَالْفَيَافِي﴾ أي: الباقين في العذاب. ﴿ثُمَّ ذَرَأْنَا الْآخَرِينَ﴾ أهلكتناهم بالحسف والحصب، وهو قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ يعني الحجارة.

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الَّذِينَ أُرْسِلُوا﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا﴾ ﴿أَنفَلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِي إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْمَالَيْنِ﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الَّذِينَ أُرْسِلُوا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «أصحابُ لَيْكَةٍ هاهنا، وفي [ص: ١٣] بغير همز والتاء مفتوحة؛ وقرأ الباقون: «الْأَيْكَةِ» بالهمز فيهما والألف. وقد سبق هذا الحرف [الحجر: ٧٨]. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ إن قيل: لم يقل: أخوهم، كما قال في [الأعراف: ٨٥]؟ فالجواب: أن شعيباً لم يكن من نسل أصحاب الأيكة، فلذلك لم يقل: أخوهم، وإنما أرسل إليهم بعد أن أرسل إلى مدين، وهو من نسل مدين، فلذلك قال هناك: أخوهم، هذا قول مقاتل بن سليمان. وقد ذكرنا في سورة [هود: ٩٤] عن محمد بن كعب القرظي، أن أهل مدين عذبوا بعذاب الظلَّة، فإن كانوا غير أصحاب الأيكة كما زعم مقاتل، فقد تساؤروا في العذاب، وإن كان أصحاب مدين هم أصحاب الأيكة<sup>(١)</sup>، وهو مذهب ابن جرير الطبري كان حذف ذكر الأخ تخفيفاً، والله أعلم.

﴿أَوْرَا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ ﴿وَرَوْا بِالْقِطَاسِ أَلَسْتُمْ﴾ ﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْرُوا فِي الْأَرْزَاقِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأُولَىٰ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ أي: من الناقصين للكَيْل، يقال: أخسرت الكَيْل والوزن: إذا نقصته. وقد ذكرنا القسطاس في [بني إسرائيل: ٣٥].

(١) قال ابن كثير: هؤلاء - يعني أصحاب الأيكة - هم أهل مدين على الصحيح، وكان نبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل هاهنا: أخوهم شعيب، لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة، وقيل: شجر ملتفت كالنخلة، كانوا يعبدونها، فلها لما قال: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الَّذِينَ أُرْسِلُوا﴾ لم يقل: أخوهم شعيب، إنما قال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ فقطع نسب الأخوة بينهم للمعنى الذي نسبوا إليه وإن كان أخاهم نسباً. قال: ومن الناس من لم يظن لهذه النكتة فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين، فزعم أن شعيباً عليه السلام به إلى أثنين، ومنهم من قال: ثلاث أمم. اهـ.

فأهل مدين، وأصحاب الرس، وأصحاب الأيكة، هم قوم شعيب، وما ذكر في بعض الأحاديث أن أصحاب الأيكة وقوم مدين اثنتان بعث الله إليهما شعيباً، قال ابن كثير: هو غريب، وفي رفعه نظر، والأشبه أن يكون موقوفاً، والصحيح أنهم أمة واحدة وصفوا في كل مقام بشيء، ولهذا وعظ هؤلاء، وأمر بوفاء المكيال والميزان كما في قصة مدين سواء بسواء، فدل على أنهم أمة واحدة. اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ﴾ أي: خلق الجيلة. وقيل: المعنى: واذكروا ما نزل بالجيلة ﴿الْأَوَّلِينَ﴾. وقرأ الحسن، وأبو مجلز، وأبو رجاء، وابن عمر، وابن أبي عبة: «والجيلة» برفع الجيم والباء جميعاً مشددة اللام. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والضحاك، وعاصم الجحدري: بكسر الجيم وتسكين الباء وتخفيف اللام. قال ابن قتيبة: الجيلة: الخلق، يقال: جيل فلان على كذا، أي: خلق، قال الشاعر:

وَالْمَوْتُ أَعْظَمُ حَدَثٍ مِمَّا يَمُرُّ عَلَى الْجِيلَةِ<sup>(١)</sup>

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَخَّرِينَ﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطَّلُكَ لَئِنْ الْكَذِبِينَ ﴿١٨٥﴾ فَاسْأَلْ عَنَّا كِسْفًا مِّنَ النَّارِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٦﴾ قَالَ رَجَعَ عَلَّمٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٧﴾ فَكَذَّبُوا فَخَذَّهْمُ عَذَابٌ يُّورِ الثَّلَاةَ إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابَ يُّورٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٨﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٨٩﴾ وَلَئِنْ رَأَيْتَ لَكُمْ تَارُكَ الْمُرِيزِ الرَّجِيمِ ﴿١٩٠﴾

قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلْ عَنَّا كِسْفًا﴾<sup>(٢)</sup> قال ابن قتيبة: أي قطعة ﴿مِنَ النَّارِ﴾، و«كسفت» جمع «كسفة» [كما] يقال: قطع وقطعة.

قوله تعالى: ﴿رَجَعَ عَلَّمٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: من نقصان الكيل والميزان؛ والمعنى: إنه يجازيكم إن شاء، وليس عذابكم بيدي، ﴿فَكَذَّبُوا فَخَذَّهْمُ عَذَابٌ يُّورِ الثَّلَاةَ﴾ قال المفسرون: بعث الله عليه حرّاً شديداً، فاخذ بأنفاسهم، فخرجوا من الليوت هرباً إلى البرية، فبعث الله عليهم صحابة أظلتهم من الشمس، فوجدوا لها برداً، ونادى بعضهم بعضاً: حتى إذا اجتمعوا تحتها، أرسل الله عليهم ناراً، فكان ذلك من أعظم العذاب. والثلاثة: الصحابة التي أظلتهم.

﴿وَلَوْ لَازِلٌ رَبِّ النَّارِ﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٨٦﴾ عَلَ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٨٧﴾ بِلِسَانٍ عَرَفْتَ مُبِينٍ ﴿١٨٨﴾ وَلَوْ لَازِلٌ رَبِّ النَّارِ لَازِلٌ يَكُنْ لَّكُمْ نَارٌ أَنْ يَسْأَلَ عَمَلَكُمْ يَوْمَ الْوَسْطِ ﴿١٨٩﴾ وَلَوْ تَرَأَيْتَ لَكُمْ تَارُكَ الْمُرِيزِ الرَّجِيمِ ﴿١٩٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَازِلٌ رَبِّ النَّارِ﴾ يعني القرآن «الروح الأمين» بالرفع. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «نزل به» خفيفاً «الروح الأمين» بالرفع. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «نزل» مشددة الزاي «الروح الأمين» بالنصب. والمراد بالروح الأمين: جبريل، وهو أمين على وحي الله تعالى إلى أنبيائه، ﴿عَلَّ قَلْبَكَ﴾ قال الزجاج: معناه: نزل عليك فوعاه قلبك، فثبت، فلا تنساه أبداً.

قوله تعالى: ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ أي: ممن أنذر بآيات الله المكذِّبين، ﴿بِلِسَانٍ عَرَفْتَ مُبِينٍ﴾ قال ابن عباس: بلسان قریش ليفهموا ما فيه.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَازِلٌ رَبِّ النَّارِ﴾ وقرأ الأعمش: «لُزِلَ» بتسكين الباء. وفي هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن؛ والمعنى: وإن ذكر القرآن وخبره، هذا قول الأكثرين<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنها تعود إلى رسول الله ﷺ، قاله مقاتل. والرُّيز: الكُتب.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَازِلٌ رَبِّ النَّارِ لَازِلٌ يَكُنْ لَّكُمْ نَارٌ أَنْ يَسْأَلَ عَمَلَكُمْ يَوْمَ الْوَسْطِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: «وَلَوْ لَازِلٌ رَبِّ النَّارِ» بالنصب. وقرأ ابن عامر، وابن أبي عبة: «تكن» بالشاء «آية» بالرفع. وقرأ أبو عمران الجوني، وقتادة: «تكن» بالشاء «آية» بالنصب قال الزجاج: إذا قلت: «يكن» بالياء، فلاختيار نصب «آية» ويكون «أن» اسم كان، ويكون «آية» خبر كان، المعنى: أو لم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل أن النبي ﷺ حق، وأن نبوته حق؟ «آية» أي: علامة موضحة، لأن العلماء الذين آمنوا من بني إسرائيل وجدوا ذكر النبي ﷺ مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل. ومن قرأ «أو لم تكن» بالشاء «آية» جعل «آية» هي الاسم، «وأن يعلمه» خبر «تكن». ويجوز أيضاً «أو

(١) البيت غير منسوب في «غريب القرآن» ٣٢٠، و«مجمع البيان» ١٧٨/١٩، «القرطبي» ١٢/١٣ وفيه «فيما» بدل «ما».

(٢) قال ابن جرير الطبري ١٦١/١٥: اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿كِسْفًا﴾ فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة يسكون السين، وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين ﴿كِسْفًا﴾ بفتح السين، ثم قال: وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأ يسكون السين، لأن الذين سألو رسول الله ﷺ ذلك، لم يقصدوا في مسألتهم إياه ذلك أن يكون بحذ معلوم من القطع، إنما سألو أن يسقط عليهم السماء قطعاً، وبذلك جاء التأويل أيضاً عن أهل التأويل. اهـ.

(٣) وهو الصواب.

لم تكن: بالثناء آيةً بالنصب، كقوله: ﴿ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٣] وقرأ الشعبي، والضحاك، وعاصم الجحدري: «أَنْ تُفْلِمَهُ» بالثناء. قال ابن عباس: بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد ﷺ فقالوا: إن هذا لزمأنه، وإننا لنجد في التوراة صفته، فكان ذلك آية لهم على صدقه (١).

قوله تعالى: ﴿عَلَى بَيْضِ الْأَعْيَيْنِ﴾ قال الزجاج: هو جمع أعجم، والأشئ عجماء، والأعجم: الذي لا يفصح، وكذلك الأعجمي، فاما المعجمي: فالذي من جنس العجم، أنصح أو لم يفصح.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لو قرأه عليهم أعجمي لقالوا: لا نفقه هذا، فلم يؤمنوا.

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُتَكِبِينَ﴾ (١) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ بَرَأَ الْمَلَكُ الْأَمِيرَ (٢) فَأَيُّهُمْ بَقِيَّةٌ وَمَنْ لَا يَشْعُرُكَ (٣) يَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (٤) أَفَعَدَّيْنَا لِلْمُتَكِبِينَ (٥) أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٦) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٧) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنٍ إِلَّا لَهَا مُنْذَرُونَ (٩) وَكَذَّبُوا وَمَا كُنَّا عَنْ آلِيلِهِمْ (١٠)

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ قد شرحناه في [الحجر: ١٧]. والمجرمون هاهنا: المشركون.

قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ قال الفراء: المعنى: كي لا يؤمنوا. فاما العذاب الاليم، فهو عند الموت.

﴿يَقُولُوا﴾ عند نزول العذاب ﴿هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ أي: موحرون لنؤمن ونصدق. قال مقاتل: فلما أوعدهم رسول الله ﷺ بالعذاب، قالوا: فمتى هو؟ تكذيباً به (٢)، فقال الله تعالى: ﴿أَفَعَدَّيْنَا لِلْمُتَكِبِينَ﴾ (٣).

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ (٤) قال عكرمة: عُمر الدنيا.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (٥) أي: من العذاب. ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنٍ﴾ بالعذاب في الدنيا ﴿إِلَّا لَهَا مُنْذَرُونَ﴾ يعني: رسلاً تنذرهم العذاب. ﴿وَكَذَّبُوا﴾ أي: موعظة وتذكيراً.

﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ (٦) وَمَا يَلْبِغِي لَكُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٧) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُونَ (٨)

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ (٦) سبب نزولها أن قريشاً قالت: إنما تجيء بالقرآن الشياطين فتلقيه على

[لسان] محمد، فزلت هذه الآية، قاله مقاتل (٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَلْبِغِي لَكُمْ﴾ أي: أن ينزلوا بالقرآن ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أن يأتوا به من السماء، لأنهم قد جيل بينهم

وبين السمع بالعتائكة والشُّبُه. ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ أي: عن الاستماع للوحي من السماء ﴿لَمَعَزُونَ﴾ فكيف ينزلون به؟! وقال عطاء: عن سماع القرآن لمحجوبون، لأنهم يُرْجَمون بالنجوم.

﴿فَلَا تَبْغِ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُكَذِبِينَ﴾ (١١) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (١٢) وَخُفِضَ جَنَاحَكَ لِمَنِ ابْتِغَاكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) إِنْ عَصَاكَ فَقُلْ إِنْ إِلَهِيَ إِلَّا رَبُّنَا وَسَخَّرْنَا لَكُمُ الْمَاءَ فَاخْتَلَسْتُمْ مِنْهُ حَتَّىٰ تَبْغُوا الْكُنُوزَ وَمَنْ يَكْفُلُكُمْ فِي الْغَلَامَةِ (١٤) إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ بِذُنُوبِكُمْ (١٥)

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَبْغِ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ قال ابن عباس: يحذر به غيره، يقول: أنت أكرم الخلق علي، ولو

اتخذت من دوني إلهاً لعذبك.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (١١) روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال: قام رسول الله ﷺ حين

أنزل الله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (١١) فقال: «يا مغشّر قريش: اشقروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني

(١) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: أو لم يكن لهؤلاء المعرضين عما يأتيك يا محمد من ذكر ربك دالة على أنك رسول رب العالمين، أن يعلم حقيقة ذلك وصحته علماء بني إسرائيل. وقال ابن كثير: أو ليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك، أن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها، والفراد: المدلول منهم الذين يعترفون بما في أيديهم من صفة محمد ﷺ وبعثته وأمته، كما أخبر بذلك من آمن منهم، كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي عن أدركه منهم ومن شاكلهم، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْفُورًا عِنْدَهُمْ فِي الْكُرْبَىٰ ذُلًّا وَمِلًّا...﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧] اهـ.

(٢) في [مجمع البيان] للطبرسي: «تكذيباً له» ولعل المصنف رحمه الله نقل قول قتادة هذا من الطبرسي، أو ممن نقل عنه الطبرسي.

(٣) وهو كذلك في [مجمع البيان] للطبرسي.

عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد سلبني ما شئت ما أغني عنك من الله شيئاً»<sup>(١)</sup>. وفي بعض الألفاظ: «سلوني من مالي ما شئتم»<sup>(٢)</sup>. وفي لفظ: «غير أن لكم رجماً سألها ببلالها»<sup>(٣)</sup>. ومعنى قوله: «عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»: رهطك الأدين. «وَإِنَّ عَصَاكَ» يعني: العشرة «فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ» من الكفر. «وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ»<sup>(٤)</sup>: أي: ثق به وفوض أمرك إليه، فهو عزيز في نعمته، رحيم لم يجعل بالعقوبة. وقرأ نافع، وابن عامر: «فَتَوَكَّلْ» بالفاء، وكذلك [هوا] في مصاحف أهل المدينة والشام. «الَّذِي بَرِّكَ بَيْنَ نَفْسٍ وَقَوْمٍ»<sup>(٥)</sup> فيه ثلاثة أقوال: أحدها: حين تقوم إلى الصلاة، قاله ابن عباس، ومقاتل، والثاني: حين تقوم من مقامك، قاله أبو الجوزاء. والثالث: حين تخلو، قاله الحسن.

قوله تعالى: «وَتَقَبَّلْكَ»<sup>(٦)</sup> أي: ونرى تقبلبك «فِي السَّجْدِ» وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: وتقبلبك في أصلاب الأنبياء حتى أخرجك، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: وتقبلبك في الركوع والسجود والقيام مع المصلين في الجماعة؛ والمعنى: يراك وحدك ويراك في الجماعة، وهذا قول الأكثرين منهم قتادة. والثالث: وتصرفك في ذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين، قاله الحسن<sup>(٧)</sup>.

﴿هَلْ أَتَيْتُمُكَ عَلَىٰ مَن نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ تَنَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَنَاثٍ أُثِيرَ ﴿يَلْقَوْنَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾

قوله تعالى: «هَلْ أَتَيْتُمُكَ عَلَىٰ مَن نَزَّلَ الْكِتَابَ»<sup>(٨)</sup> هذا رد عليهم حين قالوا: إنما يأتيه بالقرآن الشياطين. فأما الأناث فهو الكذاب، والأناثيم: الفاجر، قال قتادة: وهم الكهنة.

قوله تعالى: «يَلْقَوْنَ السَّمْعَ» أي: يلقون ما سمعوه من السماء إلى الكهنة. وفي قوله: «وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ» قولان: أحدهما: أنهم الشياطين. والثاني: الكهنة.

﴿وَالشُّعْرَةَ يَبْلُغُهَا الْقَارُونَ﴾ أَرَزَرُ أَنَّهُمْ فِي كَيْلٍ وَأَوَّ يَهْجُونَ ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ وَأَنْصَرُوا بِلَدِّهِمْ مَا ظَلَمُوا وَمِنْهُمْ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَغْنَىٰ مُقَلِّبِي نَفْسٍ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: «وَالشُّعْرَةَ يَبْلُغُهَا الْقَارُونَ»<sup>(٩)</sup> وقرأ نافع: «يَتَّبِعُهُمْ» بسكون التاء، والوجهان حسنان، يقال: تَبِعْتُ وأَتَبِعْتُ، مثل حَفَرْتُ واحْتَفَرْتُ. وروى العوفي عن ابن عباس، قال: كان رجلاً على عهد رسول الله ﷺ قد تهاجيا، فكان مع كل واحد منهما غُوة من قومه، فقال الله: «وَالشُّعْرَةَ يَبْلُغُهَا الْقَارُونَ»<sup>(١٠)</sup>. وفي رواية أخرى عن ابن عباس، قال: هم شعراء المشركين. قال مقاتل: منهم عبد الله بن الزُّبَيْرِ، وأبو سفيان بن حرب، وهيرة بن أبي وهب المخزومي في آخرين، قالوا: نحن نقول مثل قول محمد، وقالوا الشعر، فاجتمع إليهم غُوة من قومهم يستمعون أشعارهم ويُرَوِّونَ عنهم<sup>(١١)</sup>. وفي الفاويز ثلاثة أقوال: أحدها: الشياطين، قاله مجاهد، وقاتدة. والثاني: السفهاء، قاله الضحاك. والثالث: المشركون، قاله ابن زيد.

(١) رواه البخاري ٣٨٦/٨، ومسلم ١/١٩٢، والطبري ١٩/١١٩، وذكره السيوطي في «الدر» ٩٥/٥ وزاد نسبه لأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» وفي «الدلائل».

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» بهذا اللفظ ١/١٩٢.

(٣) رواه مسلم أيضاً بهذا اللفظ ١/١٩٢، قال الإمام النووي في «شرح مسلم» ٨٠/٣: «بلالها» ضبطناه بفتح الباء الثانية وكسرهما، وهما وجهان مشهوران ذكرهما جماعات من العلماء، وقال: قال القاضي عياض: رويناه بالكسر، قال: ورأيت للخطابي أنه بالفتح، وقال صاحب «المطالع»: رويناه بكسر الباء وفتحها، من بَلَّه يَبْلُغُه، والبلال الماء. ومعنى الحديث: سألها، شبهت قطعة الرحم بالحرارة، ووصلها بإطافء الحرارة ببرودة، قال: ومنه: بَلُّوا أرحامكم، أي: صلبوها. اهـ.

(٤) زيادة من «القرطبي».

(٥) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بتأويله، قول من قال: تأويله: ويرى تقبلبك مع الساجدين في صلاتهم معك، حين تقوم معهم وترجع وتسجد، لأن ذلك هو الظاهر من معناه، ثم قال: فتأويل الكلام إذن: وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك، ويرى تقبلبك في الموتين بك فيها بين قيام وركوع وسجود وجُلوس. ثم قال في تلمة الآية: وقوله: «إِنَّهُ هُوَ الْكَيْفِيُّ الْكَلِيمُ» يقول تعالى ذكره: إن ربك هو السميع تلاتون يا محمد وذكرك في صلاتك ما تلو وذكر، العليم بما تعمل فيها ويعمل فيها من تقبلبك فيها معك مؤتماً بك، يقول: فزل فيها القرآن، وأقم حدودها، فإِنَّكَ بِمَرَأَىٰ مِنْ رَبِّكَ وَسَمِعَ. اهـ.

(٦) الطبري ١٩/١٢٧، وذكره السيوطي في «الدر» ٩٩/٥ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٧) ذكر قول مقاتل هذا الطبرسي في «مجمع البيان». وعبد الله بن الزمري أسلم بعد ذلك، وكذلك أبو سفيان.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿١٥﴾﴾ هذا مثل بمن يهيم في الأودية؛ والمعنى أنهم يأخذون في كل فن من لغو وكذب وغير ذلك؛ فيمدحون بباطل ويذمون بباطل، ويقولون: فعلنا، ولم يفعلوا<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال ابن عباس: لما نزل ذم الشعراء، جاء كعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت، فقالوا: يا رسول الله، أنزل الله هذا وهو يعلم أنا شعراء، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. قال المفسرون: وهذا الاستثناء لشعراء المسلمين الذين مدحوا رسول الله ﷺ وذموا من هجاه<sup>(٣)</sup>، ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي: لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ولم يجعلوا الشعر همهم. وقال ابن زيد: وذكروا الله في شعرهم. وقيل: المراد بالذكر: الشعر في طاعة الله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنصَرُوا﴾ أي: من المشركين ﴿مِنْ بَدَىٰ مَا ظَلَمُوا﴾ لأن المشركين بدؤوا بالهجاء. ثم أوعد شعراء المشركين، فقال: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا وهجوا رسول الله ﷺ والمؤمنين ﴿أَيُّ مَثَلٍ يُنْقَلِبُونَ﴾<sup>(٤)</sup> قال الزجاج: «أي» منصوبة بقوله: «ينقلبون» لا بقوله: «سيعلم»، لأن «أيًا» وسائر أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها. ومعنى الكلام: إنهم ينقلبون إلى نار يخلدون فيها. وقرأ ابن مسعود، ومجاهد عن ابن عباس، وأبو المتوكل، وأبو رجاء: «أَيُّ مَثَلٍ يُنْقَلِبُونَ» بناءً من مفتوحتين وبقافين على كل واحدة منهما نعتان وتشديد اللام فيهما. وقرأ أبي بن كعب، وابن عباس، وأبو العالية، وأبو مجلز، وأبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: «أَيُّ مَثَلٍ يُنْقَلِبُونَ» بالفاء فيهما وبنونين ساكنين ويتاءين. وكان شريح يقول: سيعلم الظالمون حظ من نقصوا، إن الظالم ينتظر العقاب، وإن المظلوم ينتظر النصر.



- (١) قال ابن كثير: قال الحسن البصري: قد والله رأينا أوديتهم التي يخوضون فيها، مرة في شتية فلان، ومرة في مديحة فلان. قال: قال قتادة: الشاعر يمدح قومًا بباطل، ويذم قومًا بباطل. اهـ.
- (٢) قال ابن كثير: هذه السورة مكية، فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات في شعراء الأنصار؟! وفي ذلك نظر، ولم يتقدم - أي في سبب النزول - إلا مراسلات لا يعتمد عليها، والله أعلم. اهـ.
- (٣) قال ابن كثير: ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم حتى يدخل فيه من كان متلبسًا من شعراء الجاهلية بدم الإسلام وأهله ثم تاب وأناب ورجع وأقلع وعمل صالحًا وذكر الله كثيرًا في مقابلة ما تقدم من الكلام السيئ - فإن الحسنات يذهبن السيئات - وامتنح الإسلام وأهله في مقابلة ما كان يذمه، كما قال عبد الله بن الزبير حين أسلم:

وَاتَّبَعْتُ مَا فُتِقْتُ إِذْ أَنَا بِبُورِ

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنِّ لَسَانِي

يَوْمَ وَمِنْ مَالٍ مِثْلِهِ مَشْبُورِ

إِذَا جَارِيَ الشَّيْطَانُ فِي سِنِّ الْغِي

قال: وكذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب كان من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ وهو ابن عمه، وأكثرهم له هجاء، فلما أسلم لم يكن أحد أحب إليه من رسول الله ﷺ، وكان يمدح رسول الله ﷺ بعدما كان يهجو، ويتولاه بعدما كان قد عاداه، ثم قال ابن كثير: ولهذا قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَوَلَّوْا أَلْفُسَهُمْ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ قيل: معناه: ذكروا الله كثيرًا في كلامهم، وقيل: في شعرهم، قال: وكلاهما صحيح مكثر لما سبق. اهـ.

- (٤) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يقول تعالى ذكره: وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله من أهل مكة ﴿أَيُّ مَثَلٍ يُنْقَلِبُونَ﴾ يقول: أي مرجع يرجعون إليه، وأي معاذ يعمدون إليه بعد مماتهم، فإنهم يصيرون إلى نار لا يطفأ سعيها، ولا يسكن لهبها. اهـ. وقال ابن كثير: والصحيح أن هذه الآية عامة في كل ظالم. اهـ. وفي «صحيح مسلم» عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة».

## سورة النمل

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَّ تِلْكَ ءَايَتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ تُبِينِ ﴿١﴾ هَذِي وَبَشِّرِ الْمُنِيعِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ رَبَّنَا لَمْ أَغْنَاهُمْ فِتْنَتَا لَمْ أَغْنَاهُمْ فِتْنَتَا لَمْ يَصْمُحُوا ﴿٤﴾ لَوْلَيْكَ الَّذِينَ لَمْ يَسُوهُ الْمَكَايِبُ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَلَئِنَّ لَكُلَّ الْقُرْآنَاتِ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ مَا كُنْتُ بِكَ بِشِيرًا وَخَيْرٌ أَوْ مَا يَكُنُّكُمْ بِشِيرًا قَبِيلٌ لَكُلِّ قَبِيلَةٍ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا قُوًى أَنَّ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَنَحْنُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿طَسَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قسم أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وفي رواية أخرى عنه، قال: هو اسم الله الأعظم. والثاني: اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة. والثالث: الطاء من اللطيف، والسين من السميع، حكاه الثعلبي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَكِتَابِ تُبِينِ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو عمران، وابن أبي عبة: «وكتاب مبين» بالرفع فيهما.

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ﴾ أي: بشرى بما فيه من الثواب للمصدقين<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَمْ أَغْنَاهُمْ﴾ أي: حبيتنا إليهم قبيح فعلهم. وقد بينا حقيقة التزيين والعَمَّة في [البقرة: ١٥، ٢١٢]. وسوء العذاب: شديد.

قوله تعالى: ﴿هَمُّ الْأَخْسَرُونَ﴾ لأنهم خسروا أنفسهم وأهلهم وصاروا إلى النار.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنَّ لَكُلَّ الْقُرْآنَاتِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يُلْقَى عليك فتتلقاه أنت، أي: تأخذه. ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى﴾ المعنى: اذكر إذ قال موسى.

قوله تعالى: ﴿بِشِيرٍ قَبِيلٍ﴾ قرأ عاصم، وحزمة، والكسائي، ويعقوب إلا زيدا؛ «بشهاب» بالتثنية. وقرأ الباقون على الإضافة غير متوَّان. قال الزجاج: من نَوَّن الشهاب، جعل القيس من صفة الشهاب، وكل أبيض ذي نور، فهو شهاب. فاما من أضاف، فقال الفراء: هذا مما يضاف إلى نفسه إذا اختلفت الأسماء، كقوله: ﴿وَلَمَّا نَزَّلْنَا الْآخِرَةَ﴾ [يوسف: ١٠٩]. قال ابن قتيبة: الشَّهَابُ: النار، والقَبَسُ: النار تُقْبَسُ، يقال: قَبَسْتُ النار قَبْسًا، واسم ما قَبَسْتُ: قَبَسٌ.

قوله تعالى: ﴿تَصْطَلُونَ﴾ أي: تستدفئون، وكان الزمان شتاء.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ أي: جاء موسى النار، وإنما كان نوراً فاعتقده ناراً، ﴿قُوًى أَنَّ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: قُدِّسَ مَنْ فِي النَّارِ، وهو الله ﷻ، قاله ابن عباس، والحسن، والمعنى: قُدِّسَ مَنْ نَادَاهُ مِنَ النَّارِ، لا أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَحُلُّ فِي شَيْءٍ. والثاني: أن «مَنْ» زائدة؛ والمعنى: بوركت النار، قاله مجاهد. والثالث: أن المعنى: بُورِكَ عَلَى مَنْ فِي النَّارِ، أو فِيمَنْ فِي النَّارِ، قال الفراء: والعرب تقول: باركه الله، وبارك عليه، وبارك فيه، بمعنى واحد، والتقدير: بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ، وهو موسى، فحذف المضاف. وهذه تحية من الله تعالى لموسى بالبركة، كما حيى إبراهيم بالبركة على السنة الملائكة حين دخلوا عليه، فقالوا: ﴿رَحِمَ اللَّهُ وَرَكَّبَهُ عَلَيْكَ أَهْلَ الْآيَةِ﴾ [عود: ١٣]. فخرج في قوله: ﴿بُورِكَ﴾ قولان: أحدهما: قُدِّسَ. والثاني: من البركة. وفي قوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ثلاثة

(١) انظر التلخيص الذي في أول سورة (الشعراء) وما قاله العلماء عن الحروف التي في أوائل السور.

(٢) قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿هَذِي وَبَشِّرِ الْمُنِيعِينَ﴾: إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به وأتبعه وصَدَّقَهُ وحمل بما فيه وأقام الصلاة المكتوبة وأتى الزكاة المفروضة وأيقن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال غيرها وشرها والجنة والنار. اهـ.

أقوالهم أحدهما: الملائكة، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: موسى والملائكة، قاله محمد بن كعب. والثالث: موسى؛ فالمعنى: بُوركَ فيمن يطلبها، وهو قريب منها.

﴿يَتُوبُ إِلَهُهُ﴾ أي: الله العزيز الحكيم ﴿وَأَلَّىٰ عَصَاهُ لَنَا نَارًا حَزْزًا كَأَنَّهُ جَانٌّ وَلَمَّا مُدِيَا وَرَقَّتْ يَتُوبُ﴾ لا تخف إني لا يخاف لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَدَسًا قَالِي فَتَوَلَّىٰ رَبِّي﴾ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ فَخَرَجَ يَدًّا مِّنْ جَيْبِكَ مَوْءِي فِي يَدَيْكَ إِلَيْنَا وَفَرَّقُوا إِلَيْنَا كَأَنَّا قَوْمٌ نَفِيقُونَ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا حَمِرُوا فَأُولَٰئِكَ هُمُ السَّيِّئُونَ﴾ وَجَعَلُوا يَدَاهُمَا عَلَىٰ عَيْنَيْهِمَا وَاسْتَفْتَيْنَاهَا أَنفُسَهُمْ فَالْتَمَسُوا عَظْمًا فَظَنُّوا أَنَّهُ عَصَا آلِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ حَكِيمًا ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا حَمِرُوا فَأُولَٰئِكَ هُمُ السَّيِّئُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ أَتَىٰ اللَّهَ﴾ الهاء عماد في قول أهل اللغة؛ وعلى قول السدي: هي كناية عن المنادي، لأن موسى قال: مَنْ هذا الذي يناديني؟ فقيل: ﴿إِنَّهُ أَتَىٰ اللَّهَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّىٰ عَصَاهُ﴾ في الآية محذوف، تقديره: فالتقاهما فصارت حية، ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا حَزْزًا كَأَنَّهُ جَانٌّ﴾ قال الفراء: الجان: الحية التي ليست بالعظيمة ولا بالصغيرة.

قوله تعالى: ﴿وَرَقَّتْ يَدَايَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لم يلتفت، قاله قتادة. والثاني: لم يرجع، قاله ابن قتيبة، والزجاج. قال ابن قتيبة: وأهل النظر يرون أنه مأخوذ من العقب.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ أي: لا يخافون عندي. وقيل: المراد: في الموضع الذي يوحى إليهم فيه، فكانه يُهَيَّأ على أن من آمنه الله بالنبوة من عذابه لا ينبغي أن يخاف من حية. وفي قوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه استثناء صحيح، قاله الحسن، وقاتلة، ومقاتل، والمعنى: إلا من ظلم منهم فإنه يخاف. قال ابن قتيبة: علم الله تعالى أن موسى مُسْتَشْفِعٌ خِيفَةً مِنْ ذَنْبِهِ فِي الرَّجُلِ الَّذِي وَكَّزَهُ، فقال: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا﴾ أي: توبة وندمًا، فإنه يخاف، وإني غفور رحيم. والثاني: أنه استثناء منقطع، والمعنى: لكن من ظلم فإنه يخاف، قاله ابن السائب، والزجاج<sup>(١)</sup>. وقال الفراء: «مَنْ» مستثناة من الذين تُرْكُوا في الكلام، كأنه قال: لا يخاف لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ، إنما الخوف على غيرهم، إلا من ظلم، فتكون «مَنْ» مستثناة. وقال ابن جرير: في الآية محذوف، تقديره: إلا من ظلم، فمن ظلم ثم بَدَّلْ حُسْنًا. والثالث: أن «إِلَّا» بمعنى الواو، فهو كقوله: ﴿يَتَلَا بِكُنُوزٍ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُمَةً إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٥٠]، حكاه الفراء عن بعض النحويين، ولم يرضه. وقرأ أبي بن كعب، وسعيد بن جبيرة، والضحاك، وعاصم الجحلزي، وابن يعمر: «إِلَّا مَنْ ظَلَمَ» بفتح الهمزة وتخفيف اللام. وللمفسرين في المراد بالظلم هاهنا قولان: أحدهما: المعاصي. والثاني: الشرك. ومعنى «حُسْنًا»: توبة وندمًا. وقرأ ابن مسعود، والضحاك، وأبو رجاء، والأعمش، وابن السميع، وعبد الوارث عن أبي عمرو: «حُسْنًا» بفتح الحاء والسين. ﴿ثُمَّ دَسَّسُوهُ﴾ أي: بعد إساءة. وقيل: الإشارة بهذا إلى أن موسى وإن كان [قد] ظلم نفسه بقتل القبطي، فإن الله يغفر له، لأنه ندم على ذلك وتاب.

قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ الْجَيْبُ حيث جِيبَ من القميص، أي: قُطِع. قال ابن جرير: إنما أمر بإدخاله يده في جيبه، لأنه كان عليه حِثْلٌ يَذْرَعُهُ مِنْ صُوفٍ لَيْسَ لَهَا كُفٌّ. والسُّوء: التبرص.

قوله تعالى: ﴿فِي يَدَيْهِ مِصْرَافٌ﴾ قال الزجاج: «في» مِنْ صِلَةٍ قَوْلُهُ: «وَأَلَّىٰ عَصَاهُ» وَأَدْخَلَ يَدَكَ، فالتأويل أظهر هاتين الآيتين في تسع آيات. و«في» بمعنى «مِنْ» فتأويله: مِنْ تِسْعِ آيَاتٍ؛ تقول: خذ لي عشرًا من الإبل فيها فحلان، أي: منها فحلان. وقد شرحنا الآيات في [بني إسرائيل: ١٠١].

(١) قال ابن كثير: هذا استثناء منقطع، وفيه بشارة عظيمة للبشر، وذلك أن من كان على عمل سيء، ثم أقطع عنه ورجع وتاب وأناب، فإن الله يتوب عليه، كما قال تعالى: ﴿لِيَلْزَمَ لَكُمْ تَابُكُمْ وَرَأَىٰ وَجْهَكَ فَتَوَلَّىٰ وَرَبَّهُ رَبَّنَا بِذُنُوبِنَا إِنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [طه: ٨٢] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَلَذَّذْ مِنْ شَرِّهِمْ أَوْ يَكْلَمْ قَسَمٌ﴾.. [النساء: ١١٠] والآيات في هذا كثيرة جدًا. اهـ.

(٢) قال ابن كثير عن الآيات التسع: وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعمي: هي: يده، وعصاه، والسنين، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ثم قال: وهذا القول ظاهر جلبي حسن قوي. اهـ. وقد ذكر الله في هذه الآيات آيتين من تسع آيات، وهما العصا واليد، وَبَيْنَ الآيات الباقيات في سورة [الأعراف: ١٣٣] وفصلها.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا رَمَزَ وَقْوَةً﴾ أي: مُرْسِلاً إلى فرعون وقومه، فحذف ذلك لأنه معروف. ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مَبِينَةً﴾ أي: بَيِّنَةٌ واضحة، وهو كقوله: ﴿وَمَا آتَيْنَا مُوسَى الْآفَاقَةَ مَبِينَةً﴾ [الإسراء: ٥٩] وقد شرحناه.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا هَذَا﴾ أي: هذا الذي نراه عياناً ﴿يَحْيَى ثِيَابٌ﴾. ﴿وَمَعْدُوا بِهَا﴾ أي: أنكروها ﴿وَأَسْبَقَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ أنها من عند الله، ﴿عَلَّمْنَا﴾ أي: شركاً ﴿وَعَلَّمُوا﴾ أي: تكبراً. قال الزجاج: المعنى: وجحدوا بها ظُلماً وعُلُوّاً، أي: ترفعاً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى وهم يعلمون أنها من عند الله.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَ لِمَسَدٍ إِلَى فَضْلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ يَبْكَوُ الْغَوِيِّينَ ۝ وَرَبِّكَ سُبْحَانَكَ دَاوُدُ وَقَالَ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عِلْماً مَطْلَقَ الطَّيْرِ وَأَوْتِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْبَهِيمُ ۝ وَخَيْرٌ لِمُسْلِمِينَ جُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَتَأْتِيهَا الْقُرْآنُ أَذْهَلًا سَنَكُنَّكُمْ لَا يَحْصِيكُمْ سَعْيُهُمْ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ نَبَسَرْنَا جَانِحًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْفِعْ أَنْ أَشْكُرَ بِفَضْلِكَ إِلَهِ أَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَازِقٌ وَأَنْتَ عَلِيمُ سِرِّهِمْ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً﴾ قال المفسرون: علماً بالقضاء وبكلام الطير والدواب وتسيح الجبال ﴿وَقَالَ لِمَسَدٍ إِلَى فَضْلِكَ﴾ بالنبوة والكتاب وإلانة الحديد وتسخير الشياطين والجن والإنس ﴿عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ يَبْكَوُ الْغَوِيِّينَ﴾ قال مقاتل: كان داود أشد تعبدًا من سليمان، وكان سليمان أعظم ملكًا منه وأظن.

قوله تعالى: ﴿وَرَبِّكَ سُبْحَانَكَ دَاوُدُ﴾ أي: ورث نبوته وعلمه ومملكه، وكان لداود تسعة عشر ذكراً، فخص سليمان بذلك، ولو كانت وراثته مال لكان جميع أولاده فيها سواء.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ﴾ يعني سليمان لبني إسرائيل ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عِلْماً مَطْلَقَ الطَّيْرِ﴾ قرأ أبي بن كعب: «علَّمْنَا» بفتح العين واللام. قال القراء: «مَطْلَقُ الطَّيْرِ»: كلام الطير كالمناطق إذا فهم، قال الشاعر:

عَجِبْتُ لَهَا أَنَّى يَكُونُ غِنَاؤُهَا      فَصَبِحاً وَلَمْ تَفْعَرْ بِمَنْطِقِهَا فَمَا<sup>(١)</sup>

ومعنى الآية: فهمنا ما تقول الطير. قال قتادة: والنمل من الطير. ﴿وَأَوْتِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قال الزجاج: أي: من كل شيء يجوز أن يوتاه الأنبياء والناس. وقال مقاتل: أعطينا الملك والنبوة والكتاب والرياح ومناطق الطير، وسخرت لنا الجن والشياطين. وروى جعفر بن محمد عن أبيه، قال: أعطي سليمان ملك مشارق الأرض ومغاربها، فملك سبعمائة سنة وستة أشهر، وملك أهل الدنيا كلهم من الجن والإنس والشياطين والدواب والطير والسباع، وأعطي علم كل شيء ومنطق كل شيء، وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة، فذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً مَطْلَقَ الطَّيْرِ وَأَوْتِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ يعني: الذي أعطينا ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْبَهِيمُ﴾ أي: الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا. ﴿وَمِنْ خَيْرٍ لِمُسْلِمِينَ جُودُهُ﴾ أي: جمع له كل صنف من جنده على حدة، وهذا كان في مسير له، ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ قال مجاهد: يُحْبَسُ أَوْلَهُمْ عَلَى آخَرِهِمْ. قال ابن قتيبة: وأصل الوزع: الكف والمنع. يقال: وزعت الرجل، أي كففته، ووزع الجيش: الذي يكفهم عن التفرق، ويرد من شد منهم.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ﴾ أي: أشرفوا ﴿عَلَى وَادِ النَّمْلِ﴾ وفي موضعه قولان: أحدهما: أنه بالظائف، قاله كعب. والثاني: بالشأم، قاله قتادة<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمَلَةٌ﴾ وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري، وطلحة بن مصرف: «نَمْلَةٌ» بضم الميم؛ أي: صاحبت بصوت، فلما كان ذلك الصوت مفهوماً عبر عنه بالقول؛ ولما نطق النمل كما ينطق بنو آدم، أجري

(١) البيت لحمد بن ثور، وهو في «اللسان» و«التاج»؛ فقرأ: ويعني بالمناطق بكاءها.

(٢) ذكر هذا المعنى الطبرسي في «مجمع البيان» عن الواحدي، من طريق محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه، وذكره السيوطي أيضاً في «الدرر» ١٠٣/٥ ونسبه للحاكم ثم قال: قال الذهبي: هذا باطل.

(٣) قال ابن كثير: ومن قال من المفسرين: إن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره وإن هذه النملة كانت ذات جناحين كاللذباب أو غير ذلك من الأقاويل فلا حاصل لها.



مجري الآدميين، فقيل: ﴿ادْخُلُوا﴾، وألهم الله تلك النملة معرفة سليمان مُعْجِزاً له، وقد ألهم الله النمل كثيراً من مصالحها تزيد به على الحيوانات، فمن ذلك أنها تكسر كل حبة تدخرها قطعتين لئلا تثبت، إلا الكُزْبَرَة فإنها تكسرها أربع قطع، لأنها تثبت إذ كُسرت قطعتين، فسبحان من ألهمها هذا! وفي صفة تلك النملة قولان: أحدهما: أنها كانت كهية النعجة، قال نوف الشامي<sup>(١)</sup>: كان النمل في زمن سليمان بن داود كأمثال الذئب. والثاني: كانت نملة صغيرة. ﴿ادْخُلُوا سَكَنَكُمْ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل، وعاصم الحذري: «مَسْكَنَكُمْ» على التوحيد.

قوله تعالى: ﴿لَا يَخْطِمَنَّكُمْ﴾ الحظم الكسر. وقرأ أبي بن كعب، وأبو رجاء: «لَيَخْطِمَنَّكُمْ» بغير ألف بعد اللام. وقرأ ابن مسعود: «لَا يَخْطِمَنَّكُمْ» بفتح الياء وسكون الحاء وتخفيف الطاء وسكون الميم وحذف النون. وقرأ عمرو بن العاص، وأبان: «يَخْطِمَنَّكُمْ» بفتح الياء وسكون الحاء والنون ساكنة أيضاً والطاء خفيفة. وقرأ أبو المتوكل، وأبو مجلز: «لَا يَخْطِمَنَّكُمْ» بفتح الياء وكسر الحاء وتشديد الطاء والنون جميعاً. وقرأ ابن السميع، وابن يعمر، وعاصم الجحدري: «يُخْطِمَنَّكُمْ» برفع الياء وسكون الحاء وتخفيف الطاء وتشديد النون. والخطم: الكسر، والخطام: ما تحطم. قال مقاتل: سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال. وفي قوله: ﴿وَقَرَّ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قولان: أحدهما: وأصحاب سليمان لم يشعروا كلام النملة، قاله ابن عباس. والثاني: وأصحاب سليمان لا يشعرون بمكانكم، لأنها علمت أنه ملك لا يغي فيه، وأنهم لو علموا بالنمل ما توطؤوهم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكًا﴾ قال الزجاج: «ضاحكاً» منصوب، حال مؤكدة، لأن «تبسم» بمعنى «ضحك». قال المفسرون: تبسم تعجباً ممّا قالت، وقيل: من ثنائها عليه. وقال بعض العلماء: هذه الآية من عجائب القرآن، لأنها بلفظة «يا» نادى «أيها» نبهت «النمل» عيّنت «ادخلوا» أمرت «مساكنكم» نصّت «لا يحطمنكم» حذّرت «سليمان» خصّت «وجنوده» عمّت «وهم لا يشعرون» عذرت.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ ارْزُقْنِي﴾ قال ابن قتيبة: ألهمني، أصل الإيزاج: الإغراء بالشئ، يقال: أوزعته بكذا، أي: أغريته به، وهو موزع بكذا، ومولع بكذا. وقال الزجاج. تأويله في اللغة: كُفِّنِي عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك؛ والمعنى: كُفِّنِي عما يباعد منك، ﴿وَلَا أَتَمَلَّ﴾ أي: وألهمني أن أعمل ﴿مُسْلِمًا رَضِيًّا﴾ قال المفسرون: إنما شكر الله ﴿لأنّ﴾ لأن الريح أبليت إليه صورتها ففهم ذلك.

﴿وَتَقَفَّذَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدَّهْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاسِيَيْنِ﴾ ١٠ ﴿لَأَعْلَبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَأْتِيَنَّكَ أَوْ لَيَأْتِيَنَّكَ بِسُلْطَانٍ ثَبِينٍ﴾ ١١ ﴿فَكَانَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَفَعَلْتَ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ. وَجِئْتَنِي مِنْ سِمْيَ وَبَلَّيَ بَقِيَّةً﴾ ١٢ ﴿إِنِّي وَبَدْتُ أَمْرًا تَلِيكَهُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَمَا عَرِضَ عَلَيْكَ﴾ ١٣ ﴿وَبَدَّتْهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنْ اتِّبَاعِهِمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ١٤ ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْغَنَةَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُرَوِّونَ﴾ ١٥ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ١٦

قوله تعالى: ﴿وَتَقَفَّذَ الطَّيْرَ﴾ التفقذ: طلب ما غاب عنك؛ والمعنى أنه طلب ما فقد من الطير؛ والطير اسم جامع للجنس، وكانت الطير تصحب سليمان في سفره تُظِلُّه بأجنحتها ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدَّهْدَ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، والكسائي: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدَّهْدَ﴾ بفتح الياء. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة بالسكون، والمعنى: ما للهدهد [لا أراه]؟ تقول العرب: ما لي أراك كئيباً، أي: ما لك؟ فهذا من المقلوب الذي معناه معلوم. قال المفسرون: لما فصل سليمان عن وادي النمل، وقع في قفر من الأرض، فعضش الجيش فسألوه الماء، وكان الهدهد يدلّه على الماء، فإذا قال له: ها هنا الماء، شققت الشياطين الصخر وفجرت العيون قبل أن يضربوا أبنتهم، وكان الهدهد يرى الماء في الأرض كما يرى الماء في الزجاج، فطلبه يومئذ فلم يجده. وقال بعضهم: إنما طلبه لأن الطير كانت تُظِلُّهم من الشمس، فأخلّ الهدهد بمكانه، فطلعت الشمس عليهم من الخلل.

(١) هو نوف بن فضالة الحبيري البجلي، إمام أهل دمشق في عصره، من رجال الحديث، ورد ذكره في «الصححين»، وكان راوياً للقصص، وهو ابن زوجة كعب الأحبار، توفي سنة ٩٥ هـ.

قوله تعالى: ﴿أَمْ كَانُ﴾ قال الزجاج: معناه: بل كان.

قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْيَدَانِ شَيْئًا﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: نتف ريشه، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: نتفه وتشميسه، قاله عبد الله بن شداد. والثالث: شد رجله وتشميسه، قاله الضحاك. والرابع: أن يطليه بالقطران ويشمسّه، قاله مقاتل بن حيان. والخامس: أن يودعه القفص. والسادس: أن يفرّق بينه وبين إلفه، حكاهما الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَبِئْتِي﴾ وقرأ ابن كثير: ﴿لَبِئْتِي﴾ بنونين، وكذلك هي في مصاحفهم. فأما السلطان، فهو الحجة، وقيل: العذر. وجاء في التفسير أن سليمان لما نزل في بعض مسيره، قال الهدهد: إنه قد اشتغل بالنزول فارتفع أنا إلى السماء فأنظر إلى طول الدنيا وعرضها، فارتفع فرأى بستاناً لبقيس، فمال إلى الخصرة فوقع فيه، فإذا هو بهدهد قد لقيه، فقال: من أين أقبلت؟ قال: من الشام مع صاحبي سليمان، فمن أين أنت؟ قال: من هذه البلاد، وملكها امرأة يقال لها: بلقيس، فهل أنت مُنطلق معي حتى ترى مُلكها؟ قال: أخاف أن يتفقّدني سليمان وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء، قال: إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة، فانطلق معه، فنظر إلى بلقيس وملكها، ﴿فَكَتَّ غَيْرَ بِبَيِّنٍ﴾ قرأ الجمهور بضم الكاف، وقرأ عاصم بفتحها، وقرأ ابن مسعود: ﴿فَتَمَكَّتْ﴾ بزيادة تاء، والمعنى: لم يلبث إلا يسيراً حتى جاء، فقال سليمان: ما الذي أبطأ بك؟ ﴿فَقَالَ أَطَعْتُ بِمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ﴾ أي: علمت شيئاً من جميع جهاته مما لم تعلم [به] ﴿وَرَيْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿سَبَاً﴾ نصباً غير مصروف، وقرأ الباقون خفضاً مؤنثاً. وجاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أن سبأ رجل من العرب<sup>(١)</sup>. وقال قتادة: هي أرض باليمن يقال لها: مأرب. وقال أبو الحسن الأخفش: إن شئت صرفت «سبأ» فجعلته اسم أبيهم، أو اسم الحي، وإن شئت لم تصرف فجعلته اسم القبيلة، أو اسم الأرض. قال الزجاج: وقد ذكر قوم من النحويين أنه اسم رجل. وقال آخرون: الاسم إذا لم يُذكر ما هو لم يُصرف؛ وكلا القولين خطأ، لأن الأسماء حقها الصرف، وإذا لم يُعلم هل الاسم للمذكر أم للمؤنث، فحقه الصرف حتى يُعلم أنه لا يتصرف، لأن أصل الأسماء الصرف. وقول الذين قالوا، هو اسم رجل: غلط، لأن سبأ هي مدينة تُعرف بمأرب من اليمن، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، فمن لم يصرفه جعله اسم مدينة، ومن صرفه فلائله اسم البلد، فيكون مذكراً سمي بمذكّر.

قوله تعالى: ﴿يَبْرَأَ يَبِينَ﴾ أي: يخبر صادق، ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ يعني بلقيس ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ قال الزجاج: معناه: من كل شيء يعطاه الملوك ويؤتاه الناس. والعرش: سرير الملك. قال قتادة: كان عرشها من ذهب، قوائمه من جوهر مكلّل باللؤلؤ، وكان أحد أبريها من الجن، وكان مؤخّر أحد قدميها مثل خافر الدابة. وقال مجاهد: كان قدماها كحافر الحمار. وقال ابن السائب: لم يكن يقدميها شيء، إنما وقع الجن فيها عند سليمان بهذا القول، فلما جعل لها الصرح بان له كلبهم. قال مقاتل: كان ارتفاع عرشها ثمانين ذراعاً في عرض ثمانين، وكانت أُنحى من الجن. قال ابن جرير: وإنما صار هذا الخبر عُذراً للهدهد، لأن سليمان كان لا يرى لأحد في الأرض مملكة سواه، وكان مع ذلك يحبّ الجهاد، فلما دلّه الهدهد على مملكة لغيره، وعلى قوم كُفّره يجاهدهم، صار ذلك عُذراً له.

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ قرأ الأكثر: ﴿أَلَا﴾ بالتشديد. قال الزجاج: والمعنى: وزين لهم الشيطان ألا يسجدوا، أي: فصلّهم ثلاثاً يسجدوا. وقرأ ابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، والزهري، وقاتادة، وأبو العالية، وحמיד الأخرج، والأعمش، وابن أبي عبيدة، والكسائي: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ مخففة، على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا، فيكون في الكلام إضمار «هؤلاء» ويكتفى منها بـ «يا»، ويكون الوقت «ألا يا» والابتداء «اسجدوا»، قال الفراء: فعلى هذه القراءة هي سجدة، وعلى قراءة من شدّد لا يتبغى لها أن تكون سجدة. وقال أبو عبيدة: هذا أمر من الله مستأنف، يعني: ألا يا أيها الناس اسجدوا. وقرأ ابن مسعود، وأبي: «هَلَّا يسجدوا» يهاؤ.

(١) روى الترمذي في «مسننه» ١٥٤/٢ عن فروة بن مسيك المرادي قال: قال رجل: يا رسول الله! وما سبأ، أرض أو امرأة؟ قال: «ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب... الحديث». قال الترمذي: هذا حديث غريب حسن. ورواه الطبري ٧٦/٢٢. وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» في ترجمة فروة بن مسيك عن هذا الحديث: وأخرجه ابن سعد، وأبو داود، والترمذي، وابن السكن مطوّلاً ومختصراً.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْغَبَ فِي السَّحَابِ وَالْأَرْضِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: المُسْتَرِّ فِيهِمَا، وهو من خَبَأَتِ الشَّيْءَ: إِذَا أَخْفَيْتَهُ، ويقال: خَبَأَ السَّمَوَاتِ: المَطَرُ، وَخَبَأَ الْأَرْضِ: النِّبَاتُ. وقال الزجاج: كل ما خَبَأَتْهُ فَهُوَ خَبْءٌ، فَالْخَبْءُ: كُلُّ مَا غَابَ؛ فَالْمَعْنَى: يَعْلَمُ الْغَيْبَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ. وقال ابن جرير: «فِي» بِمَعْنَى «مِنْ»، فَتَقْدِيرُهُ: يُخْرِجُ الْخَبْءَ مِنَ السَّمَوَاتِ.

قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُ مَا تَحْتُونَ وَمَا قِيلُونَ﴾ قرأ حفص [عن] عاصم، والكسائي بالتاء فيهما. وقرأ الباقون بالياء. قال ابن زيد: من قوله: ﴿أَحْطَتْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿الطَّيْرُ﴾ كلام الهمد. وقرأ الضحاك، وابن محيصن: «الْعَظِيمُ» بِرَفْعِ الْمِيمِ. ﴿قَالَ سَتَرْتُ أُصَدِّقْتُ أَمْ كُنْتُ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ أَذْهَبَ بِكَتَبِي هَكَذَا فَأَلْفَيْهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿قَالَ يَأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّهُ اتَّيَ إِلَيْنَا كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿١٥﴾ إِنَّهُ مِنْ شَيْئِنَ وَإِلَهُهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١٦﴾ أَلَا تَتْلُوا عَلَِّ وَأَتُوبُ شَلِيلِينَ﴾ ﴿١٧﴾ فَلَمَّا فَرَعَ الْهَدَدُ مِنْ كَلَامِهِ ﴿قَالَ سَتَرْتُ﴾ فِيمَا أَخْبَرْتَنَا بِهِ ﴿أُصَدِّقْتُ﴾ فِيمَا قُلْتُ ﴿أَمْ كُنْتُ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ وَإِنَّمَا شَكَّ فِي خَبْرِهِ، لِأَنَّهُ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ لغيره فِي الْأَرْضِ سُلْطَانٌ. ثُمَّ كَتَبَ كِتَابًا وَخَتَمَهُ بِخَاتَمِهِ وَدَفَعَهُ إِلَى الْهَدَدِ وَقَالَ: ﴿أَذْهَبَ بِكَتَبِي هَكَذَا فَأَلْفَيْهِ إِلَيْهِمْ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَالْكَسَائِيُّ: «فَأَلْفَيْهِ» مُوصُولَةٌ بِيَاءٍ. وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو، وَعَاصِمٌ، وَأَبُو جَعْفَرٍ، وَحَمَزَةُ: «فَأَلْفَيْهِ» بِسُكُونِ الْهَاءِ، وَرَوَى قَالُونَ عَنْ نَافِعٍ كَسَرَ الْهَاءِ مِنْ غَيْرِ إِشْبَاعٍ؛ وَيَعْنِي إِلَى أَهْلِ سَبَأٍ، ﴿ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَعْرَضَ. وَالثَّانِي: انْصَرَفَ، ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ أَي: مَاذَا يَرُدُّونَ مِنَ الْجَوَابِ. فَإِنْ قِيلَ: إِذَا تَوَلَّى عَنْهُمْ فَكَيْفَ يَعْلَمُ جَوَابَهُمْ؟ فَعَنَهُ جَوَابَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمَعْنَى: ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ مُسْتَتِرًا مِنْ حَيْثُ لَا يَرُونَكَ، فَانْظُرْ مَاذَا يَرُدُّونَ مِنَ الْجَوَابِ، وَهَذَا قَوْلٌ وَهَبُ بْنُ مِنْهٍ. وَالثَّانِي: أَنَّ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا، فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ، وَهَذَا مَذْهَبُ ابْنِ زَيْدٍ. قَالَ قَتَادَةُ: أَنَا هَذَا الْهَدَدُ وَهِيَ نَائِمَةٌ فَالْقَى الْكِتَابَ عَلَى نَحْرِهَا فَقَرَأَتْهُ وَأَخْبَرَتْ قَوْمَهَا. وَقَالَ مِقَاتِلٌ: حَمَلَهُ فِي مَنْقَارِهِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَأْسِ الْمَرَأَةِ، فَزَفَرَتْ سَاعَةً وَالتَّاسِ يَنْظُرُونَ، فَزَفَعَتْ رَأْسَهَا فَالْقَى الْكِتَابَ فِي جَيْبِهَا، فَلَمَّا رَأَتْ الْخَاتَمَ أَرْعَدَتْ وَخَضَعَتْ وَخَضَعَ مَنْ مَعَهَا مِنَ الْجُنُودِ. وَاخْتَلَفُوا لِأَيِّ عِلَّةٍ سَمَّاهُ كَرِيمًا عَلَى سَبْعَةِ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: لِأَنَّهُ كَانَ مَخْتُومًا، رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: لِأَنَّهُا ظَنَّتْهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ، رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا. وَالثَّالِثُ: أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهَا: «كَرِيمٌ»: حَسَنٌ مَا فِيهِ، قَالَه قَتَادَةُ، وَالزَّجَّاجُ. وَالرَّابِعُ: لِكَرَمِ صَاحِبِهِ، فَإِنَّهُ كَانَ مَلِكًا، ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ. وَالْخَامِسُ: لِأَنَّهُ كَانَ مَهِيْبًا، ذَكَرَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّمَشَقِيُّ. وَالسَّادِسُ: لِتَسْخِيرِ الْهَدَدِ لِحَمَلِهِ، حَكَاهُ الْمَاورِدِيُّ. وَالسَّابِعُ: لِأَنَّهُا رَأَتْ فِي صَدْرِهِ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، حَكَاهُ الثَّعْلَبِيُّ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ شَيْئِنَ﴾ أَي: إِنَّ الْكِتَابَ مِنْ عِنْدِهِ ﴿وَإِلَهُهُ﴾ أَي: وَإِنَّ الْمَكْتُوبَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿١٥﴾ أَلَا تَتْلُوا عَلَِّ أَي: لَا تَتَكَبَّرُوا. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «تَتْلُوا» بِغَيْنٍ مَعْجَمَةٌ «وَأَتُوبُ شَلِيلِينَ» أَي: مُنْقَادِينَ طَائِعِينَ. ثُمَّ اسْتَشَارَتْ قَوْمَهَا، فـ ﴿قَالَ يَأَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ يَعْنِي الْأَشْرَافَ، وَكَانُوا ثَلَاثِمِائَةً وَثَلَاثَةَ عَشَرَ قَائِدًا، كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ مَعَهَا مِائَةُ أَلْفٍ قِيلَ<sup>(١)</sup>، مَعَ كُلِّ قَبِيلٍ مِائَةُ أَلْفٍ. وَقِيلَ: كَانَتْ جُنُودُهَا أَلْفُ أَلْفٍ وَمِائَتِي أَلْفٍ.

﴿قَالَ يَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَتُنَبِّئُونَ فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَائِلًا أَنَّهُ حَتَّى تَنْهَدُونَ﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوَّلُوا قَوْلًا وَأَوَّلُوا بَلَدًا شَدِيدًا وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَأْمُرُ ﴿١٦﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا مَكَلُوا فَرَكَةً أَقْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِيهَا أُولَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِقَةٌ يَوْمَ يَرْجِعُ الْرَّسُولُونَ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَتُنَبِّئُونَ فِي أَمْرِي﴾ أَي: يَبْنُونَا لِي مَا أَفْعَلُ، وَأَشِيرُوا عَلَيَّ. قَالَ الْفَرَّاءُ: جَعَلَتْ الْمَشُورَةَ فُتْيَا، وَذَلِكَ جَائِزٌ لِسَعَةِ اللُّغَةِ.

قوله تعالى: ﴿مَا كُنْتُ قَائِلًا أَنَّهُ﴾ أَي: فَاعْلَمْهُ ﴿حَتَّى تَنْهَدُونَ﴾ أَي: تَخْضَعُونَ؛ وَالْمَعْنَى: إِلَّا بِحَضْرِكُمْ

(١) القِيلُ، بفتح فسكون: ملك من ملوك جَمَيْرٍ دُونَ الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ، وَجَمْعُهُ أَقْوَالٌ، وَأَقْبَالٌ.

ومشورتكم. ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم أرادوا القُوَّةَ في الأبدان. والثاني: كثرة العدد والبأس والشجاعة في الحرب. وفيما أرادوا بذلك القول قولان: أحدهما: تفويض الأمر إلى رأيها. والثاني: تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم. ثم قالوا: ﴿وَالْأَثَرُ إِلَيْهِ﴾ أي: في القتال وتركه. ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ قال الزجاج: المعنى: إذا دخلوها عتوة عن قتال وغلبة.

قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوا﴾ أي: خربوها ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ أي: أهانوا أشرفها ليستقيم لهم الأمر. ومعنى الكلام: أنها حلّرتهم مسير سليمان إليهم ودخلوه بلادها.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه من تصديق الله تعالى لقولها، قاله الزجاج. والثاني: من تمام كلامها؛ والمعنى: وكذلك يفعل سليمان وأصحابه إذا دخلوا بلادنا، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾ قال ابن عباس: إنما أُرْسِلْتُ الهدية لتعلم أنه إن كان نبياً لم يرد الدنيا، وإن كان ملكاً فسيرضى بالخحل، وأنها بعثت ثلاث لبنات من ذهب في كل لينة مائة رطل؛ وياقوتة حمراء طولها شبر مثقوبة، وثلاثين وصيفاً وثلاثين وصيفة، والبستهم لباساً واحداً حتى لا يعرف الذكر من الأنثى، ثم كتبت إليه: إني قد بعثت إليك بهديّة فاقبلها، وبعثت إليك بياقوتة طولها شبر، فأدخل فيها خيطاً واختم على طرفي الخيط بخاتمك، وقد بعثت إليك ثلاثين وصيفاً وثلاثين وصيفة، فميز بين الجوّاري والغلمان؛ فجاء أمير الشياطين فأخبره بما بعثت إليه، فقال له: انطلق فافرش على طريق القوم من باب مجلسي ثمانية أميال في ثمانية أميال [لبنات] من الذهب؛ فانطلق، فبعث الشياطين، فقطعوا اللّين من الجبال وطلّوه بالذهب وفرشوه، ونصبوا في الطريق أساطين البياقوت الأحمر، فلما جاء الرُّسل، قال بعضهم لبعض: كيف تدخلون على هذا الرجل ثلاث لبنات، وعنده ما رأيتم؟ فقال رئيسهم: إنما نحن رُسل، فدخلوا عليه، فوضعوا اللّين بين يديه، فقال: أئتمّدوني بماء؟ ثم دعا ذرّة<sup>(١)</sup> فربط فيها خيطاً وأدخلها في ثقب البياقوتة حتى خرجت من طرفها الآخر<sup>(٢)</sup>، ثم جمع بين طرفي الخيط فختم عليه ودفعها إليهم، ثم ميز بين الغلمان والجوّاري، هذا كلّهُ مرويٌّ عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. وقال مجاهد: جعلت لباس الغلمان للجوّاري ولباس الجوّاري للغلمان، فميزهم ولم يقبل هديّتها. وفي عدد الوصائف والوصفاء خمسة أقوال: أحدها: ثلاثون وصيفاً وثلاثون وصيفة، وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: خمسمائة غلام وخمسمائة جارية، قاله وهب. والثالث: مائتا غلام ومائتا جارية، قاله مجاهد. والرابع: عشرة غلمان وعشر جوار، قاله ابن السائب. والخامس: مائة وصيف ومائة وصيفة، قاله مقاتل. وفي ما يميزهم به ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أمرهم بالوضوء، فبدأ الغلام من مرفقه إلى كفه، وبدأت الجارية من كفّها إلى مرفقها، فميزهم بذلك، قاله سعيد بن جبيرة. والثاني: أن الغلمان بدؤوا بغسل ظهور السّواعد قبل بطونها، والجوّاري على عكس ذلك، قاله قتادة. والثالث: أن الغلام اغترف بيده، والجارية أفرغت على يدها، قاله السدي. وجاء في التفسير أنها أمرت الجوّاري أن يكلمن سليمان بكلام الرجال، وأمرت الرجال أن يكلموه كلام النساء، وأرسلت قدحاً تسأله أن يملأها ماءً ليس من [ماء] السماء ولا من ماء الأرض، فأجرى الخيل وملاء من عرقها<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَتَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ﴾ أي: بقَبُول أم برد. قال ابن جرير: وأصل «بِم» بـ، وإنما أسقطت الألف لأن العرب إذا كانت «ما» بمعنى «أي» ثم وصلوها بحرف خافض، أسقطوا ألفها، تفرقاً بين الاستفهام والخبر، كقوله: ﴿مَنْ يَسْأَلُنْهُ﴾؟ [النبا: ١] ﴿قَالُوا يَمُوتُ كُتْمٌ؟﴾ [النساء: ٩٧]، وربما أثبتوا فيها الألف كما قال الشاعر:

(١) الذرّة: صغار التمل، واحده ذرّة.

(٢) وفي بعض التفاسير: فجاءت الأرض فأخلت شجرة في فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر.

(٣) قال ابن كثير: والله أعلم أكان ذلك، أم لا، وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات، والظاهر أن سليمان ﷺ لم ينظر إلى ما جاؤوا به بالكلية، ولا اعتنى به، بل أعرض عنه.

(٤) قال الألويسي من مثل هذه الأخبار: وكل ذلك أخبار لا يدرى صحتها ولا كذبها، ولعل في بعضها ما يميل القلب إلى القول بكذبه، والله أعلم.

عَلَى مَا قَامَ يَشْتُمُنَا لَنِيمَ ﴿١﴾ كَخَنزِيرٍ تَمَرُّغٌ فِي رَمَادٍ ﴿٢﴾  
 ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أَيُّدُونِي يَسَالُو فَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا مَنَّتُمْ بِهِ إِنَّهُ يَكُونُ مُقْتَرَحُونَ﴾ ﴿٣﴾ أُنِجْ إِلَيْنِمْ فَلَنَأَيِسَهُمْ بِمُشُورٍ لَا  
 يَكُنْ لَهُمْ بِهَا وَلَكِنَّهُمْ مِنْهَا أُولَاءُ ﴿٤﴾ وَمَنْ مَضَى مِنْهُمْ ﴿٥﴾ قَالَ يَأْتِيَنَّكَ الْمَلَأُ إِلَيْكُمْ بِأَيِّ بَرِيَّةٍ ﴿٦﴾ قَالَ عَفِيتُ مِنْ لَيْلِي أَنَا  
 عَلَيْكَ بِهِ قَدْ أَنْتَ مِنْ مَقَالِكَ وَلَئِنْ عَلَيَّ لَقَوْلِي أَمِينٌ ﴿٧﴾ قَالَ أَلَيْسَ عِنْدَ عِلْمٍ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا عَلَيْكَ بِدَلِيلٍ قَدْ رَأَيْتُكَ طَرَفَكَ فَلَمَّا رَدَّاهُ  
 مُتَتَبِرًا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِي رَبِّي يُبَلِّغُ مَا نَفُكْتُ أَمْ أَكْفَرُ وَمَنْ شَكَرْنَا بِشُكْرٍ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٨﴾  
 قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ﴾ قال الزجاج: لما جاء رسولها، ويجوز: فلما جاء برؤها.

قوله تعالى: ﴿أَيُّدُونِي يَسَالُو﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «أَتُمْلُونِي» بنونين وياء في الوصل. وروى  
 المسيبي عن نافع: «أَتُمْلُونِي» بنون واحدة خفيفة وياء في الوصل والوقف. وقرأ عاصم، وابن عامر،  
 والكسائي: «أَتُمْلُونِي» بغير ياء في الوصل والوقف. وقرأ حمزة: «أَتُمْلُونِي بمال» بنون واحدة مشددة ووقف على الياء.  
 قوله تعالى: ﴿فَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «فما آتان  
 الله» بكسر النون من غير ياء. وقرأ أبو عمرو، ونافع، وحفص عن عاصم: «آتَانِي» بفتح الياء. وكلهم فتحوا التاء غير  
 الكسائي، فإنه أمالها من «آتاني الله»، وأمال حمزة: «أنا آتيك به» أشم النون شيئاً من الكسر، والمعنى: فما آتاني الله،  
 أي: من النبوة والملك ﴿خَيْرٌ مِمَّا مَنَّتُمْ﴾ من المال ﴿بَلْ أَنْتَ بِمُشُورٍ مُقْتَرَحُونَ﴾ يعني إذا أهدى بعضكم إلى بعض فرح،  
 فأنا أنا فلا، ثم قال للرسول: ﴿أُنِجْ إِلَيْنِمْ فَلَنَأَيِسَهُمْ بِمُشُورٍ لَا يَكُنْ لَهُمْ بِهَا وَلَكِنَّهُمْ مِنْهَا أُولَاءُ﴾ يعني بلدتهم.  
 فلما رجعت رسلها إليها بالخبر، قالت: قد علمت أنه ليس بملك وما لنا به طاقة، فبعثت إليه: إني قادمة عليك بملوك  
 قومي لأنظر ما تدعو إليه، ثم أمرت بعرشها فجعل وراء سبعة أبواب، ووكّلت به حرساً يحفظونه، وشخصت إلى  
 سليمان في اثني عشر ألف ملك، تحت يدي كل ملك منهم ألوف. وكان سليمان مهيباً لا يثندا بشيء حتى يسأل عنه،  
 فجلس يوماً على سرير ملكه فرأى رهجاً قريباً منه، فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس قد نزلت بهذا المكان، وكان قدر  
 فرسخ، وقد كان بلغه أنها احتاطت على عرشها قبل خروجها، ف ﴿قَالَ يَأْتِيَنَّكَ الْمَلَأُ إِلَيْكُمْ بِأَيِّ بَرِيَّةٍ﴾، وفي سبب طلبه له  
 خمسة أقوال: أحدها: ليعلم صدق الهدد، قاله ابن عباس. والثاني: ليجعل ذلك دليلاً على صدق نبوته، لأنها خلفته  
 في دارها واحتاطت عليه، فوجدته قد تقدّمها، قاله وهب بن منبه<sup>(١)</sup>. والثالث: ليجتبر عقلها وفطنتها، أتعرفه أم تنكره،  
 قاله سعيد بن جبيرة. والرابع: لأن صفته أعجبته، فخشي أن تُسلم فيحرم عليه مالها، فأراد أخذه قبل ذلك، قاله قتادة.  
 والخامس: ليربها قدرة الله تعالى وعظم سلطانه، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ عَفِيتُ مِنْ لَيْلِي﴾ قال أبو عبيدة: العفريت من كل جنّ أو إنس: الفائق المبالغ الرئيس. وقال ابن  
 قتيبة: العفريت: الشديد الوثيق. وقال الزجاج: العفريت: النافذ في الأمر، المبالغ فيه مع حُبّ ودهاء. وقرأ أبي بن  
 كعب، والضحاك، وأبو العالية، وابن يعمر، وعاصم الجحدري: «قال عفريت» بفتح العين وكسر الراء. وروى ابن  
 أبي شريح عن الكسائي: «عَفْرِتٌ» بفتح الياء وتخفيفها؛ وروي عنه أيضاً تشديدها وتنوين الهاء على التانيث. وقرأ ابن  
 مسعود، وابن السميع: «عَفْرَاةٌ» بكسر العين وفتح الراء وبألف من غير ياء.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنْتَ مِنْ مَقَالِكَ﴾ أي: من مجلسك؛ ومثله ﴿فِي مَقَارِ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١]. وكان سليمان  
 يجلس للقضاء بين الناس من وقت الفجر إلى طلوع الشمس، وقيل: إلى نصف النهار. ﴿وَلَئِنْ عَلَيَّ لَقَوْلِي﴾ أي: على حملة  
 ﴿لَقَوْلِي﴾. وفي قوله: ﴿أَمِينٌ﴾ قولان: أحدهما: أمين على ما فيه من الجوهر والدّر وغير ذلك، قاله ابن السائب.  
 والثاني: أمين لا آتيك بغيره بدلاً منه، قاله ابن زيد. قال سليمان: أريد أسرع من ذلك. ﴿قَالَ أَلَيْسَ عِنْدَ عِلْمٍ مِنَ الْكِتَابِ﴾  
 وهل هو إنسي أم ملك؟ فيه قولان: أحدهما: إنسي، قاله ابن عباس، والضحاك، وأبو صالح. ثم فيه أربعة أقوال:  
 أحدها: أنه رجل من بني إسرائيل، واسمه أصف بن برخيا، قاله مقاتل. قال ابن عباس: دعا أصف - وكان أصف يقوم

(١) البيت لحسان بن ثابت، «ديوانه» ١٤٣، والطبري ١٩/١٥٦، والقرطبي ١٣/٢٠٠.

(٢) وهذا هو أولى الأقوال بالصواب كما قال ابن جرير الطبري.

على رأس سليمان بالسيف - فبعث الله الملائكة فحملوا السريـر تحت الأرض يَحْمِلُونَ الأرضَ خَدًّا، حتى انخرقت الأرض بالسريـر بين يدي سليمان. والثاني: أنه سليمان عليه السلام، وإنما قال له رجل: أنا أتيتك به قبل أن يـرتد إليك طـرُفك، فقال: هات، قال: أنت النبيُّ ابن النبيِّ، فإن دعوتُ الله جادك، فدعا الله فجاءه، قاله محمد بن المـكـندر. والثالث: أنه الخضر، قاله ابن لهيعة<sup>(١)</sup>. والرابع: أنه عابد خرج يومئذٍ من جزيرة في البحر فوجد سليمان فدعا فأُتِيَ بالعرش، قاله ابن زيد. والقول الثاني: أنه من الملائكة. ثم فيه قولان: أحدهما: أنه جبريل عليه السلام. والثاني: ملك من الملائكة أيد الله به سليمان، حكاهما الثعلبي. وفي الجلم الذي عنده من الكتاب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اسم الله الأعظم، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقادة، والجمهور. والثاني: أنه عِلْمُ كتاب سليمان إلى بلقيس. والثالث: أنه عِلْمُ ما كتب الله لبني آدم، وهذا على أنه ملك، حكى القولين الماوردي. وفي قوله: ﴿قُلْ لَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: قبل أن يأتيتك أقصى ما تنظر إليه، قاله سعيد بن جبـير. والثاني: قبل أن ينتهي طرفك إذا مددته إلى مداه، قاله وهب. والثالث: قبل أن يـرتد طرفك حسيـراً إذا أدمت النظر، قاله مجاهد. والرابع: بمقدار ما تفتح عينك ثم تطرف، قاله الزجاج. قال مجاهد: دعا فقال: يا ذا الجلال والإكرام. وقال ابن السائب: إنما قال: يا حيُّ يا قيـوم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى﴾ في الكلام محذوف، تقديره: فدعا الله [فأتى] به، فلما رآه، يعني: سليمان مُسْتَعِزّاً عِندَهُ أَي: ثابِتاً بين يديه ﴿قَالَ هَذَا﴾ يعني: التمكن من حصول المراد.

قوله تعالى: ﴿أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أشكر على السريـر إذ أتيت به، أم أكفر إذا رأيته من هو دوني في الدنيا أعلم مني، قاله ابن عباس. والثاني: أشكر ذلك من فضل الله عليّ، أم أكفر نعمته بترك الشكر له، قاله ابن جرير.

﴿قَالَ تَكْرَرُوا لَهَا عَرْشَهَا أَنْ تَنْظُرَ أَتَنْتَبِئُ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِيَا الْغَمْلَ مِنْ قِبَلِهَا وَكَأَنَّ سُلَيْمَانَ﴾ ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تُشَدُّ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَفَّتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُثَمَّرٌ مِنْ قَوْمٍ لَيْسَ لَهُمْ قِيَاسٌ وَلَهُمْ جَنُودٌ يُحِبُّونَ﴾ ﴿وَأَسْلَمَتْ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ تَكْرَرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ قال المفسرون: خافت الشياطين أن يتزوج سليمان بلقيس فتفشي إليه أسرار الجن، لأن أمها كانت جنية، فلا يفتكون من تسخير سليمان وذريته بعده، فأسأوا الشاء عليها وقالوا: إن في عقلها شيئاً، وإن رجلها كحافر الحمار، فأراد سليمان [أن] يختبر عقلها بتكبير عرشها، وينظر إلى قدميها ببناء الصرح. قال ابن قتيبة: ومعنى «تكرروا» غيروا، يقال: تكمرت الشيء فتتكر، أي: غيرته فتغير. وللمفسرين في كيفية تغييره ستة أقوال: أحدها: أنه زيد فيه ونقص منه، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنهم جعلوا صفائح الذهب التي كانت عليه مكان صفائح الفضة، وصفائح الفضة مكان صفائح الذهب، والياقوت مكان الزبرجد، والذُّرُّ مكان اللؤلؤ، وقائمتي الزبرجد مكان قائمتي الياقوت، قاله ابن عباس أيضاً. والثالث: أنهم نزعوا ما عليه من فصوصه وجواهره، روي عن ابن عباس أيضاً. والرابع: أنهم جعلوا ما كان منه أحمر أخضر، وما كان أخضر أحمر، قاله مجاهد. والخامس: أنهم جعلوا أسفله أعلاه، ومُقدِّمه مؤخِّره، وزادوا فيه، ونقصوا منه، قاله قتادة. والسادس: أنهم جعلوا فيه تماثيل السمك، قاله أبو صالح. وفي قوله: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ قولان: أحدهما: أنها لما رآته جعلت تعرف وتذكر، ثم قالت في نفسها: من أين يخلص إلى ذلك وهو في سبعة آيات والحرس حوله؟ ثم قالت: كأنه هو، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال قتادة: شبهته بعـرشها. وقال السدي: وجدت فيه ما تعرفه فلم تتذكر، ووجدت فيه ما تتكره فلم تثبت، فلذلك قالت: كأنه هو. والثاني: أنها عرفته، ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا [عليها]، فلو أنهم قالوا: هذا عرشك، لقلت: نعم، قاله مقاتل. قال المفسرون: فقيل لها: فإنه عرشك، فما أغنى عنك إغلاق الأبواب؟ وفي قوله: ﴿وَأُوتِيَا

(١) قال ابن كثير عن هذا القول: وهو غريب جداً.

أَلَيْسَ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قول سليمان، قاله مجاهد. ثم في معناه قولان: أحدهما: وأوتينا العلم بالله وقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة. والثاني: أوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائفة من قبل مجيئها وكُنَّا مُسْلِمِينَ لله. والقول الثاني: أنه من قول بلقيس، فإنها لما رأت عرشها، قالت: قد عرفتُ هذه الآية، وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة، تعني أمر الهدد والرُّسُل التي بُعثت من قبل هذه الآية، وكُنَّا مُسْلِمِينَ متقايدين لأمره قبل أن نجيء. والثالث: أنه من قول قوم سليمان، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَصَدَقَ مَا كَانَتْ تُنَادِي بِنُونِ اللَّهِ﴾ قال الفراء: معنى الكلام: هي عاقلة، إنما صدَّها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر، وكان عادة من دين آبائها، والمعنى: وصدَّها أن تعبد الله ما كانت تعبد، قال: وقد قيل: صدَّها سليمان، أي: منعها ما كانت تعبد. قال الزجاج: المعنى: صدَّها عن الإيمان العادة التي كانت عليها، لأنها نشأت ولم تعرف إلا قوماً يعبدون الشمس، ويبن عبادتها بقوله: ﴿إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ وقرأ سعيد بن جبيرة وابن أبي عبله: «أنها كانت» بفتح الهمزة.

قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ قال المفسرون: أمر الشياطين فبنوا له صرحاً كهيئة السطح من زجاج. وفي سبب أمره بذلك ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أراد أن يريها ملكاً هو أعزُّ من ملكها، قاله وهب بن منبه. والثاني: أنه أراد أن ينظر إلى قدمها من غير أن يسألها كشفها، لأنه قيل له: إن رجلها كحافر الحمار، فأمر أن يُهَيَّأَ لها بيت من قوارير فوق الماء، ووضع سرير سليمان في صدر البيت، هذا قول محمد بن كعب القرظي. والثالث: أنه فعل ذلك ليختبرها كما اختبرته بالوصائف، والوصفاء، ذكره ابن جرير. فأما الصَّرح، فقال ابن قتبية: هو القصر، وجمعه: صُروح، ومنه قول الهذلي:

[على طَرَفِي كَنَحْوِ الرُّكَا] بِ [تَخَسَّبُ أَعْلَامُهُنَّ الصُّرُوحَا] (١)

قال: ويقال: الصَّرحُ بلاطٌ أُتِخذَ لها من قوارير، وجُعل تحتها ماءٌ وسَمَك. قال مجاهد: كانت بركة من ماء ضرب عليها سليمان قوارير. وقال مقاتل: كان قصراً من قوارير بني على الماء وتحت السَّمَك.

قوله تعالى: ﴿حَبِطَتْ لُجَّةٌ﴾ وهي: معظم الماء. ﴿وَكُنْتُ عَنْ سَاقِهَا﴾ لدخول الماء، فناداها سليمان ﴿إِنَّكَ مَرْجُومَةٌ﴾ أي: مملَّسٌ ﴿بَيْنَ قَوَارِيرٍ﴾ أي: من زجاج؛ فعلمتُ حينئذٍ أن ملكك سليمان من الله تعالى، فـ ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ أي: بعبادة غيرك (٢). وقيل: ظننتُ في سليمان أنه يريد تغريقها في الماء، فلما علمت أنه صرح ممرَّد قالت: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ الظَّنِّ، وأسلمتُ مع سليمان، ثم تزوجها سليمان. وقيل: إنه رَدَّها إلى مملكتها وكان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام، وأنها ولدت منه. وقيل: إنه زَوَّجها ببعض الملوك ولم يتزوجها هو (٣).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَنَاثَهُمْ صَالِحًا أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٤) قَالَ يَنْفَوِرَ لِمَ سَتَمَجِلُونَ بِالسَّيْفَةِ قَبْلَ الْحَسَةِ لَوْلَا سَتَمَجِلُونَ اللَّهَ لَمَلَحَكُمْ ثَرْسُوتُ (٥) قَالُوا أَكَلْنَا مِنْكَ وَبِمَنْ مَلَكَ قَالَ طَعْنَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ فَتَنُونَ (٦) قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾ أي: مؤمن وكافر ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه قولهم: ﴿أَتَمَلَّوْا أَنْكَ صَالِحًا ثُمَّ رَسَلْنَا مِنْ رَبِّهِ...﴾ الآيات [الأعراف: ٧٥-٨٠]. والثاني: أنه قول كل فريق منهم: الحقُّ معي.

قوله تعالى: ﴿لِمَ سَتَمَجِلُونَ بِالسَّيْفَةِ﴾ وذلك حين قالوا: إن كان ما آتينا به حقاً فأتينا بالعذاب. وفي السيئة

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، وهو في «ديوان الهذليين» ١٣٦/١، و«غريب القرآن» ٣٢٥، و«اللسان» و«التاج»: صرح.

(٢) قال ابن كثير في «التفسير»: والغرض أن سليمان عليه السلام اتخذ قصراً عظيماً متيناً من زجاج لهذه الملكة ليربها عظمة سلطانه وتمكَّته، فلما رأت ما أتاه الله وجلالة ما هو فيه، وتبصَّرت في أمره، انقادت لأمر الله تعالى، وعرفت أنه نبي كريم، وملك عظيم، وأسلمت لله تعالى وقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ أي: بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها للشمس من دون الله ﴿وَكُنْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ مِنْ رَبِّ الْكَافِرِينَ﴾ أي: متابعة لدين سليمان في عبادة الله وحده لا شريك له الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً. اهـ.

(٣) قال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٢٤/٢ بعد أن ذكر القولين: والأول أشهر وأظهر. وقال الألوسي في «روح المعاني» ١٨٩/١٩: والمشهور أنه تزوجها، وإليه ذهب جماعة من أهل الأخبار.

والحسنة قولان: أحدهما: أن السيئة: العذاب، والحسنة: الرحمة، قال مجاهد. والثاني: [أن] السيئة: البلاء، والحسنة: العافية، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا﴾ أي: هلاً ﴿سَتَقْبِرُونَ اللَّهَ﴾ من الشرك ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تُرْمَوْنَ﴾ فلا تعذبون. ﴿قَالُوا الْمَلِئْنَا﴾ قال ابن قتيبة: المعنى: تطيرنا وتشاءمنا ﴿بِهِ﴾، فأدغمت التاء في الطاء، وأثبتت الألف، ليسلم السكون لِمَا بعدها. وقال الزجاج: الأصل: تطيرنا، فأدغمت التاء في الطاء، واجتلبت الألف لسكون الطاء، فإذا ابتدأت قلت: أطيرنا، وإذا وصلت لم تذكر الألف وتسقط لأنها ألف وصل، [وإنما] تطيروا به، لأنهم قحطوا وجاعوا، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿مَلِكُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾، وقد شرحنا هذا المعنى في [الأعراف: ١٣١]. وفي قوله: ﴿تَقْتُلُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تختبرون بالخير والشر، قاله ابن عباس. والثاني: تصرفون عن دينكم، قاله الحسن. والثالث: يبتلون بالطاعة والمعصية، قاله قتادة.

﴿وَكَاكَ فِي اللَّيْلِ﴾ ﴿يَسْمَعُ رَهْطٌ يُقِيدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ ﴿قَالُوا تَنَاسَوْا بِاللَّهِ لَنُنَبِّئَنَّكُمْ وَأَهْلَهُمْ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَمَنْ لَا يَتْمَرُكَ﴾ ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمِينَ﴾ ﴿فَبَلَكَ يَبُوءُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ وَأَجْبَحْنَا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَاكَ فِي اللَّيْلِ﴾ وهي الجحر التي نزلها صالح ﴿يَسْمَعُ رَهْطٌ يُقِيدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يريد: في أرض الجحر، وفسادهم: كفرهم ومعاصيهم، وكانوا يسفكون الدماء ويبيون على الأموال والفروج، وهم الذين عملوا في قتل الناقة. وروي عن سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح قالا: كان فسادهم كسر الدراهم والدنانير، ﴿قَالُوا﴾ فيما بينهم ﴿تَنَاسَوْا بِاللَّهِ﴾ أي: احلفوا بالله ﴿لَنُنَبِّئَنَّكُمْ﴾ أي: لننقلن صالحاً ﴿وَأَهْلَهُمْ﴾ ليلاً ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿لَنُبَيِّنَنَّكُمْ﴾ وأهله ثم لنقولن، بالتاء فيهما. وقرأ مجاهد، وأبو رجاء، وحמיד بن قيس: ﴿لَنُبَيِّنَنَّكُمْ﴾ بياء وتاء مرفوعتين ثم لنقولن بياء مفتوحة وقاف مرفوعة وواو ساكنة ولام مرفوعة ﴿لِوَلِيِّهِ﴾ أي: لولي دمه إن سألنا عنه ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ أي: ما حضرنا ﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ قرأ الأكثرون بضم الميم وفتح اللام، والمهلك يجوز أن يكون مصدراً بمعنى الإهلاك، ويجوز أن يكون الموضع. وروى أبو بكر، وأبان عن عاصم: بفتح الميم واللام، يريد الهلاك؛ يقال: هلك يهلك مهلكاً. وروى عنه حفص، والمفضل: بفتح الميم وكسر اللام، وهو اسم المكان، على معنى: ما شهدنا موضع هلاكهم؛ فهذا كان مكرهم، فجازاهم الله عليه فأهلكهم. وفي صفة إهلاكهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم أتوا دار صالح شاهرين سيوفهم، فرمتهن الملائكة بالحجارة فقتلتهن، [قاله ابن عباس]. والثاني: رماهم الله بصخرة فقتلتهن، قاله قتادة. والثالث: أنهم دخلوا غاراً ينتظرون مجيء صالح، فبعث الله صخرة سدت باب الغار، قاله ابن زيد. والرابع: أنهم نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضاً ليأتوا دار صالح، فجثم عليهم الجبل فأهلكهم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ بفتح الألف. وقرأ الباقون بكسرها. فمن كسر استأنف، ومن فتح، فقال أبو علي: فيه وجهان: أحدهما: أن يكون بدلاً من ﴿عَقِيبَةُ مَكْرِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>. والثاني: أن يكون محمولاً على مبتدأ مضمرة، كأنه قال: هو أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ.

قوله تعالى: ﴿فَبَلَكَ يَبُوءُهُمْ خَاوِيَةً﴾ قال الزجاج: هي منصوبة على الحال؛ المعنى: فانظر إلى بيوتهم خاوية. ﴿وَلَوْلَا إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَئُوكُمُ مِنَ الْفِتْنَةِ وَأَنْتُمْ مُبْمَرُونَ﴾ ﴿لَيْسَ لَكُمُ الْكَيْدُ مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ يَنْ دُونَ الْيُسْرَىٰ أَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَّجَاهِلُونَ﴾ ﴿مَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَلْعَنُونَ﴾ ﴿فَأَجْبَحْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ فَعَزَّزْنَاهَا مِنَ الْغُلِيِّينَ﴾ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ النَّاسِذِينَ﴾ ﴿٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا بُرَئُوكُمُ مِنَ الْفِتْنَةِ وَأَنْتُمْ مُبْمَرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: وأنتم تعلمون أنها فاحشة. والثاني: وبعضكم يبصر بعضاً.

(١) في الأصل: عاقبة أمرهم.



قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِخُلُوكٍ﴾ قال ابن عباس: تجهلون القيامة وعاقبة العاصيان.

قوله تعالى: ﴿قَدَرْنَا مَا قَدَرْتُمْ﴾ أي: جعلناها بتقديرنا وقضائنا عليها من الباقيين في العذاب. وقرأ أبو بكر عن

عاصم: ﴿قَدَرْنَا مَا قَدَرْتُمْ﴾ وهي في معنى المشددة. وبأبي القصة قد تقدم تفسيره [مرء: ١٧].

﴿قُلْ لِمَنْدُ اللَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ (٥٩) ﴿أَمْ خَلْقُ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَأَزَلُّ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُثْبِتُوا شَجَرَهَا أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ اللَّهُ بِلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْلَمُونَ﴾ (٦٠) ﴿أَمْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسٍ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ اللَّهُ بِلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦١)

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْدُ اللَّهِ﴾ هذا خطاب لرسول الله ﷺ، أمر أن يحمّد الله على هلاك الأمم الكافرة، وقيل: على جميع نعمه، ﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ فيهم أربعة أقوال: أحدها: الرسل، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وروى عنه عكرمة، قال: اصطفى إبراهيم بالخلّة، وموسى بالكلام، ومحمد بالروية<sup>(١)</sup>. والثاني: أنهم أصحاب محمد ﷺ، رواه أبو مالك عن ابن عباس، وبه قال السدي. والثالث: أنهم الذين وحّدوه وآمنوا به، رواه عطاء عن ابن عباس. والرابع: أنه محمد ﷺ، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ قال أبو عبيدة: مجازة: أو ما يشركون<sup>(٢)</sup>، وهذا خطاب للمشركين؛ والمعنى: الله خير لمن عبده، أم الأصنام لعبادها؟ ومعنى الكلام: أنه لما قصّ عليهم قصص الأمم الخالية، أخبرهم أنه نجّى عابديه، ولم تُفني الأصنام عنهم.

قوله تعالى: ﴿أَمْ خَلْقُ السَّمَكِ﴾ تقديره: أمّا يشركون خبير، ﴿أَمْ خَلْقُ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَأَزَلُّ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾؟ فأما الحدائق، فقال ابن قتيبة: هي البساتين، واحدها: حديقة، سميت بذلك لأنه يُحْدَق عليها، أي: يُحْظَر، والبهجة: الحسن.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُثْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ أي: ما ينبغي لكم ذلك [لأنكم] لا تقدرّون عليه. ثم قال مستفهماً مُتَّكِرًا عليهم: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ اللَّهُ﴾ أي: ليس معه إله ﴿بَلْ هُمْ﴾ يعني: كفار مكة ﴿قَوْمٌ يَعْلَمُونَ﴾ وقد شرحناه في فاتحة (الأنعام). ﴿أَمْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ أي: مُسْتَقَرًّا لا تُعيد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾ أي: فيما بينها ﴿أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسٍ﴾ أي: جبلاً ثوابت ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ أي: مانعاً من قدرته بين العذب والمِلْح أن يختلطاً، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قَدَر عَظَمَةِ اللَّهِ.

﴿أَمْ يُحِيبُ الْمُنْظَرُ إِنْ دَعَا وَيَكْفِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَمْ خَلْقِ الْأَرْضِ أَوَّلَهُ مَعَهُ فَلَئِنْ مَا تَدْكُرُونَ﴾ (٦٢) ﴿أَمْ يَهْدِيكُمْ

(١) رواه ابن جرير ٤٨/٢٧ عن عكرمة عن ابن عباس، وذكره السيوطي في "الدرر" ٢٣٠/٢ وزاد نسبه للطبراني في "السنن" عن ابن عباس. وهذا رأي ابن عباس، وقد روى مسلم في "صحيحه" ١٥٨/١ عن ابن عباس قال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ قال: رأى جبريل ﷺ له ستماعة جناح، وروى مسلم ١٥٨/١ عن أبي هريرة: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ﴾ قال: رأى جبريل. قال ابن كثير: وكان ابن عباس ﷺ يثبت الرؤية ليلة الإسراء، ويستشهد بهذه الآية، وتابعه جماعة من السلف والخلف، وقد خالفه جماعات من الصحابة والتابعين وغيرهم، قال ابن كثير: وقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية ﴿وَلَقَدْ رَآهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ﴾ عند يَدَيْهِ النَّصْفِ. قال: قال رسول الله ﷺ: فرأيت جبريل وله ستماعة جناح... الحديث، ثم قال: وهذا إسناده جيد قوي. اهـ. وروى الإمام مسلم في "صحيحه" ١٥٩/١ عن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما من؟ قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئاً فجلست فقلت: يا أم المؤمنين انظريني ولا تعجلي، ألم يقل الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ الْإِنْسَانُ لَبِيقًا﴾ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ﴾؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خُلِقَ عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظيم خلفة ما بين السماء إلى الأرض، فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾؟ أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يَكُنَّ لَهُ إِلَّا وَجْهًا أَوْ يَدَانِ أَوْ رِجْلَانِ﴾؟ قال: نعم، قال رسول الله ﷺ: كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَيْكُم مِّنْ ذِكْرِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ فَا تَقْرَأُوا فَا تَحْكُمُوا بِهِ﴾. ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً بما يكون في غيب فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿قُلْ لَا يَكُنْ مَن فِي السَّمَكِ وَنَحْوِهِ مِنَ الْأَنْفُسِ الَّتِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وانظر «فتح الباري» شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر المصنفاني ٤٦٦/٨، ٤٦٩.

(٢) كذا الأصل، وفي «مجاز القرآن» ٩٥/٢: ﴿اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ مجازة: أم ما تشركون، أي: أم الذي تشركون به، فأدغمت اليم في اليم فقلّت.

فِي ظُلُمَاتٍ لَّيْلٍ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ أَنْعَلُ اللَّهُ عَنْهُمْ يَسْكُوتُونَ ﴿١٣﴾ أَمْ يَدْعُوا لِلْحَلْقِ نَدْرَ  
 يُعِيدُهُمْ وَمَنْ يَرْثُكَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ مَا كُنَّا بِرَبِّنَاكُمْ أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ لَا يَمْلِكُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 الْقِتَابَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿١٥﴾ بَلْ أَكْذَبَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ فِيهَا عَمَوُونَ ﴿١٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَمَاءً دُونَ آبِنَا لَنُعْجِزُكَ ﴿١٧﴾ لَقَدْ جِئْنَا مِنْكَ خُفًّ وَمَا نُنَاقِشُ بِكَ إِن كَانَ هَذَا إِلَّا أُسْتَعِزُّ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨﴾ قُلْ يَسِيرُوا فِي  
 الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلَالٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٢٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ  
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢١﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدٌّ لَكُمْ بَشَرِ الْأَوَّلَى فَاصْتَبِرُوا ﴿٢٢﴾ وَلَكُمْ فِي اللَّهِ لَدُوٌّ فَضْلِي عَلَى الْكَافِرِينَ لَكِنْ أَصْغَرُكُمْ لَا يَمْكُرُونَ  
 ﴿٢٣﴾ وَلَوْ أَنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُفِكَرُ مِنْهُمْ وَمَا يَمْشُرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ وهو: المكروب المجهد؛ ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ يعني الضر<sup>(١)</sup> ﴿وَيَهْدِيكُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: يهلك قرناً وينشئ آخرين<sup>(٢)</sup>، و﴿لَذَكَّرُونَ﴾ بمعنى تتغلبون. وقرأ أبو عمرو بالياء، والباقون بالتاء. ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ﴾ أي: يُرشدكم إلى مقاصدكم إذا سافرتُم ﴿فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ وقد بيَّناها في [الأنعام: ٦٣، ٩٧] وشرحنا ما يليها من الكلمات فيما مضى [الأعراف: ٥٧ يونس: ٤] إلى قوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يعني مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿إِنَّا نَسْخَرُهُمْ﴾ أي: متى يبعثون بعد موتهم.

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَذْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «بَلْ أَذْرَكَ» قال مجاهد: «بَلْ» بمعنى «أم» والمعنى: لم يُذْرِكْ عَلَيْهِمْ، وقال الفراء: المعنى: هل أدرك عَلَيْهِمْ عِلْمُ الْآخِرَةِ؟ فعلى هذا يكون المعنى: إنهم لا يقفون في الدنيا على حقيقة العِلْمِ بِالْآخِرَةِ. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «بَلْ إِذَا ذَرَكْتَ» على معنى: بل تدارك، أي: تابع وتلاحق، فأدغمت التاء في الدال. ثم في معناها قولان: أحدهما: بل تكامل عَلَيْهِمْ يوم القيامة لأنهم مبعوثون، قاله الزجاج. وقال ابن عباس: ما جهلوه في الدنيا، عِلِمُوهُ فِي الْآخِرَةِ. والثاني: بل تدارك ظَنُّهُمْ وَحُدُسُهُمْ فِي الْحُكْمِ عَلَى الْآخِرَةِ، فتارة يقولون: إنها كائنة، وتارة يقولون: لا تكون، قاله ابن قتيبة. وروى أبو بكر عن عاصم: «بَلْ أَذْرَكَ» على وزن افعل من أدركت.

قوله تعالى: ﴿بَلِّغْهُمْ فِي سَلَكِ مَيْتَابٍ﴾ أي: بل هم اليوم في شك من القيامة ﴿بَلِّغْهُمْ مِنْهَا حَثْرًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: من علمها. وما بعد هذا قد سبق بيانه [التعل: ١٢٧، المؤمنون: ٣٥، ٨٢] إلى قوله: ﴿مَنْ هَذَا أَلْعَدُوَّ﴾ يعنون: العذاب الذي تعدنا. ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَوْفٌ لَكُمْ﴾ قال ابن عباس: قُرْبٌ لكم. وقال ابن قتيبة: تَبْعُكم، واللام زائدة، كأنه قال: رَوْفُكم. وفي ما تبعهم مما استعملوه قولان: أحدهما: يوم بدر. والثاني: عذاب القبر.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَكَّبْنَاهُ نَاقَتَيْنِ دُونِ الْبَاقِرِ إِنَّهُمْ لَهِيَ كَفَّارُونَ﴾ قال مقاتل: على أهل مكة حين لا يعجل عليهم بالعذاب.  
قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَكَّبْنَاهُ نَاقَتَيْنِ دُونِ الْبَاقِرِ إِنَّهُمْ لَهِيَ كَفَّارُونَ﴾ أي: ما تخفيه ﴿وَمَا يَمْشُونَ﴾ بالسنتهم من عداوتك وخلافك، والمعنى أنه يجازيهم عليه: ﴿وَمَا يَمْشُونَ﴾ أي: وما من جملة غائبة، ﴿إِلَّا يَكْتُوبُ﴾ يعني اللوح المحفوظ، والمعنى: إن علم ما يستعملونه من العذاب بين عند الله وإن غاب عن الكلى.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَأْتِيكِ بِرَبِّكِ إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿١٠﴾ وَإِنَّكَ لَكُدَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْبِضُ

(۱) قال ابن كثير: يَنْبَغُ تعالى أنه هو المدعو عند الشفاعة، المرجو عند النوازل، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ سَمْعَكَ الشَّرُّ فِي الْبَحْرِ سَمِعَ مَنْ تَدْعُوهُ إِلَّا أَتَانَا﴾ وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَوْ أَنَّ سَمْعَكَ الشَّرُّ لَوَجَّهِ تَعَذَّرْنَا﴾ وهكذا قال هاهنا: ﴿أَنْتُمْ حُيِّبُ الْمُضْطَرِّ إِلَّا بِهَذَا﴾ أي: من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف عن المضطرين سواه؟

(٢) قال ابن كثير: أي أمة بعد أمة وجيلاً بعد جيل وقوماً بعد قوم، ولو شاء لأوجدتهم كلهم في وقت واحد ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض، بل لو شاء لخلقهم كلهم أجمعين كما خلق آدم من تراب، ولو شاء أن يجعلهم بعضهم من ذرية بعض ولكن لا يبعث أحداً حتى تكون وفاة الجميع في وقت واحد، لكانت تطبيق عنهم الأرض وتضييق عليهم معاشهم وأكسابهم ويقتصر بعضهم ببعض، ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة، ثم يكثرهم غاية الكثرة ويلدأهم في الأرض ويجعلهم قروناً بعد قرون وأماماً بعد أمم حتى ينقضي الأجل وتفرغ البرية، كما قدر ذلك تبارك وتعالى وكما أحصاهم وعدهم عدداً، ثم يقيم القيامة ويوفي كل حامل حمله إذا بلغ الكتاب أجله، ولهذا قال: **﴿إِنَّ جَيْدَ الْمُنْظَرِ لَكَ وَمَا يَكُونُ أَشْرُهُ وَيَجْمَعُ خَلْقَهُ الْأَرْضِ أَوَّلَهُ ثُمَّ آخِرَهُ﴾** أي: يقدر على ذلك، أو إله مع الله بعد هذا، وقد علم أن الله هو المتفرد بفعل ذلك وحده لا شريك له ١٩٤ هـ.

يَنْهَى عَنْكَ عَلَى اللَّهِ أَنْ تَكُونَ مِنَ الَّذِينَ (١٥) إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْقَوْلَ وَلَا تَشْعُرُ أَهْلَ الدُّعَا إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (١٦) وَمَا أَنْتَ بِهَدَى السُّبُلِ عَنْ صَلَاتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (١٧) وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (١٨)

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْفَعُ عَلَى بَنَى إِسْرَائِيلَ﴾ وذلك أن أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزاباً يطعن بعضهم على بعض، فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه، فلو أخذوا به لسلموا. ﴿إِنَّ زَيْدَ لَكُمْ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ يعني بين بني إسرائيل ﴿يُحْكِمُهُمْ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: ﴿يُحْكِمُهُمْ﴾ بكسر الحاء وفتح الكاف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْقَوْلَ﴾ قال المفسرون: هذا مثل ضربه الله للكفار فشبههم بالموتى.

قوله تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُ أَهْلَ الدُّعَا﴾ وقرأ ابن كثير: ﴿لَا يَسْمَعُ الصُّمُّ﴾ بفتح ميم ﴿يَسْمَعُ﴾، وضم ميم ﴿الصُّمُّ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَيْدًا لَكُم مِّنْ دُونِ﴾ أي: أن الصُّم إذا أدبروا عنك ثم ناديتهم لم يسمعون، فكذلك الكافر. ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَدَى السُّبُلِ﴾ أي: [ما أنت] برشيد من أعماء الله عن الهدى، ﴿إِنْ تَسْمَعُ﴾ إسماع إفهام ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ وقع بمعنى «وجب». وفي المراد بالقول ثلاثة أقوال: أحدها: العذاب، قاله ابن عباس. والثاني: الغضب، قاله قتادة. والثالث: الحجة، قاله ابن قتيبة. ومتى ذلك؟ فيه قولان: أحدهما: إذا لم يأمروا بمعروف، ولم ينهوا عن منكر، قاله ابن عمر، وأبو سعيد الخدري. والثاني: إذا لم يُرج صلاحهم، حكاه أبو سليمان الدمشقي، وهو معنى قول أبي العالية. والإشارة بقوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ إلى الكفار الذين تخرج الدابة عليهم. وللمفسرين في صفة الدابة أربعة أقوال: أحدها: أنها ذات وبر وریش، رواه حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ. وقال ابن عباس: ذات زغب وریش لها أربع قوائم. والثاني: أن رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن إيل<sup>(١)</sup>، وصدورها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخالصتها خاصرة هرة، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً، رواه ابن جريج عن أبي الزبير. والثالث: أن وجهها وجه رجل، وسائر خلقها كخلق الطير، قاله وهب. والرابع: أن لها أربع قوائم وزغباً وریشاً وجناحين، قاله مقاتل. وفي المكان الذي تخرج منه خمسة أقوال: أحدها: من الصفا. روى حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ [أنه] قال: «بينما همسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون، تضطرب الأرض تحتهم، وينشق الصفا ممناً يلي المسمى، وتخرج الدابة من الصفا، أول ما يبدو منها رأسها، ملئمة ذات وبر وریش، لن يدركها طالب، ولن يفوتها هارب»<sup>(٢)</sup>. وفي حديث آخر عن النبي ﷺ أنه قال: «طولها ستون ذراعاً»<sup>(٣)</sup>، وكذلك قال ابن مسعود: تخرج من الصفا. وقال ابن عمر: تخرج من صدع في الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها. وقال عبد الله بن عمر: تخرج الدابة فيمس رأسها السحاب ورجلاها في الأرض ما خرجتا. والثاني: أنها تخرج من شُعْب أجباد، روي عن النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>، وعن ابن عمر مثله. والثالث: تخرج من بعض أودية تهامة، قاله ابن عباس. والرابع: من بحر سدوم، قاله وهب بن منبه. والخامس: أنها تخرج بتهامة بين الصفا والمروة، حكاه الزجاج. وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «تخرج الدابة معها خاتم سليمان، وعصا موسى، فتجلبو وجه المؤمن بالمصا وتحطم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل البيت ليجتمعون، فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر»<sup>(٥)</sup>. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «تسم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه: مؤمن، وتسم الكافر

(١) «الطبري» ١٥/٢٠، قال ابن كثير: ورواه ابن جرير من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعاً، وأن ذلك في زمن عيسى ابن مريم وهو يطوف بالبيت، ثم قال: وإسناده لا يصح.

(٢) بكسر الهمزة وضمها: ذكر الأرواح.

(٣) هو الحديث الذي تقدم من رواية ابن جرير الطبري الذي قال فيه ابن كثير: إسناده لا يصح.

(٤) ذكره الطبرسي في «مجمع البيان» عن حذيفة مرفوعاً ولم يذكر من رواه، والله أعلم.

(٥) ذكره السيوطي في «الدر» ١١٧/٥ من رواية ابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن أبي هريرة.

(٦) روى الطبري: ١٥/٢٠ وفي سننه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. ورواه الترمذي ١٥٠/٢ وحسنه، وذكره السيوطي في «الدر» ١١٦/٥ وزاد نسبه لأحمد، وأبي داود الطيالسي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن أبي هريرة.

بين عينيه وتكتب بين عينيه: كافر<sup>(١)</sup>، وتصرخ ثلاث صرخات يسميها من بين الخافقين<sup>(٢)</sup>، وقال حذيفة بن أسيد: إن للدابة ثلاث خرجات، خرجة في بعض البوادي ثم تنكتم، وخرجة في بعض القرى ثم تنكتم، فبينما الناس عند أشرف المساجد - يعني المسجد الحرام - إذ ارتفعت الأرض، فانطلق الناس هرباً، فلا يفوتونها، حتى إنها لتأتي الرجل وهو يصلي، فتقول: أنتعوذ بالصلاة، والله ما كنت من أهل الصلاة، فتخطمته، وتجلو وجه المؤمن<sup>(٣)</sup>. وقال عبد الله بن عمرو: إنها تنكث في وجه الكافر نكتة سوداء فتفسو في وجهه فيسود وجهه، وتنكث في وجه المؤمن نكتة بيضاء فتفسو في وجهه حتى يبيض وجهه، فيعرف الناس المؤمن والكافر، ولكأني بها قد خرجت في عقب ركب من الحاج<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تَكْلِمُهُمْ﴾ قرأ الأكثرون بتشديد اللام، فهو من الكلام. وفيما تكلمهم به ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، قاله قتادة، والثاني: تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام، قاله السدي. والثالث: تقول: هذا مؤمن، وهذا كافر، حكاه الماوردي. وقرأ ابن أبي عبله، والجاحلي: بتسكين الكاف وكسر اللام [وفتح التاء]، فهو [من] التكم؛ قال ثعلب: والمعنى: تجرحهم. وسئل ابن عباس عن القراءتين، فقال: كل ذلك والله فعله، تكلم المؤمن، وتكلم الفاجر والكافر، أي: تجرحه.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ النَّاسَ﴾ قرأ عاصم، وحزمة، والكسائي بفتح الهمزة، وكسرهما الباقون؛ فمن فتح أراد: تكلمهم بأن الناس، وهكذا قرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «تكلمهم بأن الناس» بزيادة باء مع فتح الهمزة؛ ومن كسر، فلأن معنى «تكلمهم»: تقول لهم: إن الناس، والكلام قول.

﴿وَلَمَّا رَفَعَ الْقَوْلَ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَاثِرُونَ بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ وَيَوْمَ نَخْتَرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ نَوْماً يَمَنُّ بِكُذِّبِ آيَاتِنَا فَهُمْ يُوزِنُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِمَا عَلَّمَا أَنَا كُنْتُمْ تَصَلُّونَ ﴿١٨﴾ وَرَفَعَ الْقَوْلَ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَبْقَوْنَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلَ لُوطٍ لِّشِكْوَىٰ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبِيناً لِّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْتَرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ نَوْماً﴾ الفوج: الجماعة من الناس كالزمرة، والمراد به: الرؤساء والمتبعون في الكفر، خشروا وأقيمت الحجة عليهم. وقد سبق معنى ﴿يُوزِنُونَ﴾ [التمل: ١٧]. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو﴾ إلى موقف الحساب ﴿قَالَ﴾ الله تعالى لهم: ﴿أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي﴾! هذا استفهام إنكار عليهم ووعيد لهم، ﴿وَلَمْ تُحِطُوا بِمَا عَلَّمَا﴾ فيه قولان. أحدهما: لم تعرفوها حتى معرفتها. والثاني: لم تحيطوا علماً ببطلتانها. والمعنى: إنكم لم تفكروا في صحتها، ﴿أَنَّا كُنْتُمْ تَصَلُّونَ﴾ في الدنيا فيما أمرتكم به ونهيتمكم عنه<sup>١٩</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ الْقَوْلَ عَلَيْهِمْ﴾ قد شرحناه آنفاً [التمل: ١٨] ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ أي: بما أشركوا ﴿فَهُمْ لَا يَبْقَوْنَ﴾ بحجة عن أنفسهم. ثم احتج عليهم بالآية التي تلي هذه. ومعنى قوله: ﴿وَالنَّهَارَ مُبِيناً﴾ أي: يبيّن فيه لابتغاء الرزق.

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَرَىٰ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ لَمَّا مَن سَخَا اللَّهُ وَكُلُّ أُنُوفٍ ذَخِيرٌ ﴿٢١﴾ وَرَى الْجِبَالُ تَحْسَبُ جَاوِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الْإِنشَاءَ الْفَنَّىٰ كُلُّ شَيْءٍ يَلْمُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا يَتَنَّمَىٰ وَمَن فَرَجَ يَوْمَئِذٍ مَّامُونٌ ﴿٢٣﴾ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَرُفِعَتْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ قال ابن عباس: هذه النفخة الأولى.

(١) ذكره الطبرسي في «مجمع البيان» من رواية حذيفة مرفوعاً بهذا اللفظ، ولم ينسبه لأحد، ورواه الطبري من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعاً بلفظ: نيم الناس: مؤمن، وكافر، أما المؤمن فترك وجهه كأنه كوكب دؤبي، وتكتب بين عينيه: مؤمن، وأما الكافر فنكتت بين عينيه نكتة سوداء: كافر، وإسناده لا يصح، كما قال ابن كثير.

(٢) ذكره السيوطي في «الدرر» ١١٧/٥ من رواية ابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٣) رواه الطبري ١٤/٢٠ من طريقين عن حذيفة بن أسيد مرفوعاً، ورواه أبو داود الطيالسي مرفوعاً من حديث حذيفة بن أسيد، وذكره السيوطي في «الدرر» ١١٦/٥ من حديث حذيفة بن أسيد مرفوعاً، وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث».

(٤) رواه الطبري ١٥/٢٠ بمعناه عن عبد الله بن عمر مرفوعاً وروى الفقرة الأخيرة منه، وهي قوله: «ولكأني بها قد خرجت في عقب ركب من الحاج» عن عبد الله بن عمرو، وذكره السيوطي في «الدرر» بمعناه ١١٥/٥ من رواية عبد بن حميد عن عبد الله بن عمرو.

قوله تعالى: ﴿فَنَزَعْنَاهُ مَن فِي السَّمُوتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [قال المفسرون: المعنى: فيفزع مَنْ في السموات ومن في الأرض]، والمراد أنهم ماتوا، بلغ بهم الفزع إلى الموت. وفي قوله: ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الشهداء، قاله أبو هريرة، وابن عباس، وسعيد بن جبير. والثاني: جبريل وميكائيل وإسرافيل ومَلَك الموت، ثم إن الله تعالى يميّتهم بعد ذلك، قاله مقاتل. والثالث: أنهم الذين في الجنة من الحور وغيرهن، وكذلك مَنْ في النار، لأنهم خلّقوا للبقاء، ذكره أبو إسحاق ابن شاقلا من أصحابنا<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ﴾ أي: من الأحياء الذين ماتوا ثم أحيوا «آتَوْهُ» وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: «آتَوْهُ» بفتح التاء مقصورة، أي: يأتون الله يوم القيامة «ذَخِيرَةً» قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: صاغرين. قال أبو عبيدة: «كُلٌّ» لفظه لفظ الواحد، ومعناه يقع على الجميع، فهذه الآية في موضع جمع.

قوله تعالى: ﴿وَرَزَى الْجِبَالَ﴾ قال ابن قتيبة: هذا يكون إذا نفخ في الصور، تُجَمَعُ الجبال وتُسَيَّر، فهي لكثرتها تُحَسَبُ «جَايِدَةً» أي: واقفة «وَمِنْ تَمَرٍ» أي: تسير سير السحاب، وكذلك كلُّ جيش عظيم يحسبه الناظر من بعيد واقفاً وهو يسير، لكثرته، قال الجعديّ يصف جيشاً:

بِأَرْعَافٍ وَمِثْلِ الطُّورِ تُحَسَّبُ أَنَّهُمْ  
وَتُوثُ لِحَاجٍ وَالرُّكَّابُ تُهْمَلُجُ<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على المصدر، لأن قوله: ﴿وَرَزَى الْجِبَالَ تَحْسَبًا جَايِدَةً﴾ دليل على الصنعة، فكانه قال: صنع الله ذلك صنعا، ويجوز الرفع على معنى: ذلك صنْعُ الله. فأما الإقناع، فهو في اللغة: إحكام الشيء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا تَحْمِلُونَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «يفعلون» بالياء. وقرأ نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي بالياء.

قوله تعالى: ﴿مِن جَاءَ بِالْمَسْئَةِ﴾ قد شرحنا الحسنة والسيئة في آخر [الأنعام: ١٦٠].

قوله تعالى: ﴿فَلَهُ خَيْرٌ نِّبَاً﴾ فيه قولان: أحدهما: فله خير منها يصل إليه، وهو الثواب، قاله ابن عباس، والحسن، وعكرمة. والثاني: فله أفضل منها، لأنه يأتي بحسنة فيعطى عشر أمثالها، قاله زيد بن أسلم.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ بَيْنَ فَرْجٍ يَوْمِيذٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «مِنْ فَرْجٍ يَوْمِيذٍ» مضافاً. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «مِنْ فَرْجٍ» بالتثنية «يَوْمِيذٍ» بفتح الميم. وقال الفراء: الإضافة أعجب إليّ في العربية، لأنه فزع معلوم، ألا ترى إلى قوله: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْجُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] فصيّرهُ معرفة، فإذا أضفت مكان المعرفة كان أحب إليّ. واختار أبو عبيدة قراءة التثنية وقال: هي أعمُّ التأويلين، فيكون الأمن من جميع فزع ذلك اليوم. قال أبو علي الفارسي: إذا نَوَّنَ جاز أن يُعْنَى به فَرْجٌ واحدٌ، وجاز أن يُعْنَى به الكثرة، لأنه مصدر، والمصادر تدل على الكثرة وإن كانت مفردة الألفاظ، كقوله: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْمَنِيْرِ﴾ [لقمان: ١٩]، وكذلك إذا أُضِيفَ جاز أن يُعْنَى به فَرْجٌ واحدٌ، وجاز أن يُعْنَى به الكثرة؛ وعلى هذا القول، القراءتان سواء، فإن أريد به الكثرة، فهو شامل لكل فزع يكون يوم القيامة، وإن أريد به الواحد، فهو المشار إليه بقوله: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْجُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]. وقال ابن السائب: إذا أطبقت النَّارُ على أهلها فَرَعُوا فَرْعَةً لم يفزعوا مثلها، وأهل الجنة آمنون من ذلك الفزع.

قوله تعالى: ﴿وَمِن جَاءَ بِالْكَفْرِ﴾ قال المفسرون: هي الشُّرْكُ «فَكَّبَتْ وَجْهَهُمْ» يقال: كَبَبْتُ الرجل: إذا ألقيته لوجهه؛ وتقول لهم خَزَنَةُ جهنم: «هَلْ تُحْزِنُونَ» إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» أي: إِلَّا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا من الشُّرْكِ.

﴿إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَصِدَّ رَبِّكَ هَكَذَا بِلَدَّةِ اللَّهِ حَرَمَهَا وَلَكِنَّ كُلَّ مَنْ مَرَّ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ السَّالِمِينَ﴾ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنِ

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شاقلا البزار الحنبلي المتوفى (٣٦٩ هـ) ترجمته في «طبقات الحنابلة» لابن أبي عيسى ١٢٨/٢.

(٢) البيت للناطقة الجمعدية. وهو في «مشكل القرآن» ٥، و«الطبري» ٢٠/٢١، و«مجمع البيان» ٢٥٧/٢٠، و«القرطبي» ١٣/٢٤٢، و«البحر» ١٠٠/٧.

أَهْتَدَىٰ فَمَنَّا يَتَّبِعِي لِقَائِهِ وَمَنْ سَلَ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلْ لِّمَنَّا بِهِ مَبْرُكٌ مَّا يَلِيهِ فَنَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾  
 قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرٌ﴾ المعنى: قل للمشركين: إِنَّمَا أَمْرٌ ﴿أَنْ أَعْبُدَ رَبَّكَ هَٰذِهِ الْبَلَدُ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «التي حَرَّمَهَا»، وهي مكة، وتحريمها: تعظيم حرمتها بالمنع من القتل فيها والسبي والكف عن صيدها وشجرها<sup>(١)</sup>، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لِّشَيْءٍ﴾ لأنه خالفه ومالكه، ﴿وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: من المخلصين لله بالتوحيد، ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ عليكم ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَمَنَّا يَتَّبِعِي لِقَائِهِ﴾ أي: فله ثواب اهتدائه ﴿وَمَنْ سَلَ﴾ أي: أخطأ [طريق] الهدى ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ أي: ليس عليّ إلا البلاغ؛ وذكر المفسرون أن هذا منسوخ بآية السيف. ﴿وَقُلْ لِّمَنَّا بِهِ﴾ أي: قل لمن سَلَ: الحمد لله الذي وَقَفْنَا لِقَائِهِ مَا أَمْتَعْتُمْ مِنْهُ ﴿مَبْرُكٌ مَّا يَلِيهِ﴾. ومتى يريهم؟ فيه قولان: أحدهما: في الدنيا. ثم فيها<sup>(٢)</sup> ثلاثة أقوال: أحدها: أن منها الدخان وانشقاق القمر، وقد أراهم ذلك، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: سيتركهم آياته [فتعرفونها]<sup>(٣)</sup> في السماء، وفي أنفسكم، وفي الرزق، قاله مجاهد. والثالث: القتل بيد، قاله مقاتل. والثاني: سيتركهم آياته في الآخرة فتعرفونها على ما قال في الدنيا، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup> وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «تعملون» بالياء، على معنى: قل لهم. وقرأ الباقون بالياء، على أنه وعيد لهم بالجزاء على أعمالهم.



(١) قال ابن كثير: وقوله: ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أي: الذي إنما صارت حراماً شرعاً وقدراً بتحريمه لها، كما ثبت في «الصحيحين» عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إِنَّ هَٰذَا بِلَدٌ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحَرَمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يَمْعُدُ شَوْكُهُ، وَلَا يَنْفَرُ صَيْدُهُ، وَلَا يَنْتَقِطُ لِقَطْعِهِ إِلَّا مِنْ حَرْفِهَا، وَلَا يَخْتَلِي خِلَافَهَا...» الحديث بتمامه. اهـ. وهو في «البيخاري» ٤٢/٤، و«مسلم» ٩٨٦/٢. ومعنى «لا يعمد»: لا يقطع، وقوله: «ولا يختل خِلَافَهَا» الخلل: الرطب من النبات، واختلاؤه: قطعه واحتشاشه.

(٢) أي: الآيات. (٣) زيادة من الطبري.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: يقول تعالى ذِكْرَهُ: وما ربك يا محمد بغافل عما يعمل هؤلاء المشركون، ولكن لهم أجل هم بالغزو، فإذا بلغوه فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، قال: يقول تعالى ذِكْرَهُ لَنَبِيِّهِ ﷺ: فلا يحزنك تكذيبهم إياك، فإني من وراء إهلاكهم، وإني لهم بالمرصاد، فأيقن لنفسك بالنصر، ولعدوك بالذل والخزي. اهـ.

## سورة القصص

وهي مكية كلها غير آية منها، وهي قوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ [القصص: ٨٥] فإنها نزلت عليه وهو بالجحفة في وقت خروجه للهجرة، هذا قول ابن عباس. وروي عن الحسن، وعطاء، وعكرمة: أنها مكية كلها. وزعم مقاتل: أن فيها من المدني ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ كُتِبَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [٥٢] إلى قوله: ﴿لَا يَنْتَهِى الْجَاهِلُونَ﴾ [القصص: ٥٥]. وفيها آية ليست بمكية ولا مدنية وهي قوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ [القصص: ٨٥] نزلت بالجحفة.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَّ ١﴾ يَلَهُ كَيْتُ الْكِتَابِ الْبَيْنِ ١ تَتْلُوا عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ مَوْسَى وَفَرَعُونَ ١ الْحَقِّ لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١ إِنْ فَرَعُونَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَكَمَلْ أَهْلُهَا شَيْئًا يَسْتَحِفُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي بَنَاتَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُتَفِيدِينَ ١ وَرُئِدَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَى الْبَنَاتِ أَنْتَضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَبَعَثَهُمْ آيَةً وَبَعَثَهُمُ الذُّرِّيَّةَ ١ وَلَمَّا كُنْ فِي الْأَرْضِ وَرَى وَفَرَعُونَ وَهَمَّ أَنْ يَنْزِعَهُمْ مِنْهُمْ ثَاكِوًا بِمَدَنِيَّةٍ ١

قوله تعالى: ﴿طَسَّ ١﴾ قد سبق تفسيره [الشعراء].

قوله تعالى: ﴿إِنْ فَرَعُونَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: طغى وتجبر في أرض مصر ﴿وَكَمَلْ أَهْلُهَا شَيْئًا﴾ أي: فرقا وأصنافا في خدمته ﴿يَسْتَحِفُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ وهم بنو إسرائيل، واستضعافه إياهم: استعبادهم، ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُتَفِيدِينَ﴾ بالقتل والعمل بالمعاصي. ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ وقرأ أبو رزين، والزهري، وابن محيصن، وابن أبي عبله: ﴿يُذَبِّحُ﴾ بفتح الياء وسكون الذال خفيفة.

قوله تعالى: ﴿وَرُئِدَ أَنْ تَنْزَلَ﴾ أي: تنجم ﴿عَلَى الْبَنَاتِ أَنْتَضِعُوا﴾ وهم بنو إسرائيل، ﴿وَبَعَثَهُمْ آيَةً﴾ يقنطى بهم في الخير، وقال قتادة: ولاء وملوكا ﴿وَبَعَثَهُمُ الذُّرِّيَّةَ﴾ لملك فرعون بعد عرقه. قوله تعالى: ﴿وَرَى وَفَرَعُونَ وَهَمَّ أَنْ يَنْزِعَهُمْ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: ﴿وَرَى﴾ بياء مفتوحة وإمالة الألف التي بعد الراء «فرعون وهامان وجنودهما» بالرفع. ومعنى الآية: أنهم أخبروا أن هلاكهم على يدي رجل من بني إسرائيل، فكانوا على وجل منهم، فأراهم الله ما كانوا يخذرون.

﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَهُكَ إِرْمُوزًا أَنْ أَرْضِيَهُ إِذَا خَفِيَ عَلَيْهِ كَيْلُيْهِ فِي آيَةٍ وَلَا تَخَافِي إِذَا رَدُّهُ إِلَيْكَ وَمَا طُورُكَ مِنَ التَّوْرَةِ ٧﴾ قَالَتْ لَهُمْ مَالَ فَرَعُونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنْ فَرَعُونَ وَهَمَّ أَنْ يَنْزِعَهُمْ كَانُوا خَاطِئِينَ ٨ وَقَالَ أَمْرًا فَرَعُونَ قُرْتُ مَيَّ لِي وَلَكَّ لَا تَقْتُلُوهُ عَنِّي أَنْ يَفْتَنَّا أَوْ تَشْجِدَهُ وَلَكَّ وَمَنْ لَا يَشْعُرُكَ ٩

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَهُكَ إِرْمُوزًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إلهام، قاله ابن عباس. والثاني: أن جبريل أتاهما بذلك، قاله مقاتل. والثالث: أنه كان رؤيا منام، حكاه الماوردي. قال مقاتل: واسم أم موسى «يوخابد».

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَرْضِيَهُ﴾ قال المفسرون: كانت امرأة من القوابل مصافية لأم موسى، فلما وضعته تولت أمرها ثم خرجت فراها بغض العيون فجاؤا ليدخلوا على أم موسى، فقالت أخته: يا أمها هذا الحرس بالباب، قلت موسى في خرقه ووضعه في التَّنُور. وهو مُشْجَرٌ، فدخلوا ثم خرجوا، فقالت لأخته: أين الصبي، قالت: لا أدري، فسمعت بكاءه من التَّنُور فاطلعت وقد جعل الله عليه النَّارَ بَرْدًا وسلاماً<sup>(١)</sup>، فأرضعته بعد ولادته ثلاثة أشهر، وقيل: أربعة أشهر، فلما

(١) هذه القصة ذكرها بعض المفسرين مصدرة بكلمة «روي»، ولم يذكروا من خرجها ولا عن رويت عنه، ولعلها من الإسرائيليات، والله أعلم.

خافت عليه صنعت له التابوت<sup>(١)</sup>. وفي قوله: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ قولان: أحدهما: إذا خِفْتَ عليه القتل، قاله مقاتل. والثاني: إذا خِفْتَ [عليه] أن يصبح أو يبكي فيسمع صوته، قاله: ابن السائب. وفي قوله: ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ قولان: أحدهما: أن يفرق، قاله ابن السائب. والثاني: أن يضيع، قاله مقاتل<sup>(٢)</sup>. وقال الأصمعي: قلت لأعرابية: ما أفصحك! فقالت: أوبعد هذه الآية فصاحة وهي قوله: ﴿وَأَوْحَيَا إِلَهُ أَرْمُوتَ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتَ عَلَيْهِ فَكَأَلَيْهِ فِي أَلْيَرٍ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَاوَدُوكَ إِيَّائِي وَجَاعِلُوكَ بَيْنَ الْأَرْمَلَيْنِ﴾ جمع فيها بين أمرين ونهيين وخبرين ويشارتين!<sup>١٩</sup>

قوله تعالى: ﴿فَالْتَفَتُوا إِلَىٰ رُفُوعٍ﴾ الالتقاط: إصابة الشيء من غير طلب. والمراد بآل فرعون: الذين تولوا أخذ التابوت من البحر. وفي الذين التقطوه ثلاثة أقوال: أحدها: جوارى امرأة فرعون، قاله السدي. والثاني: ابنة فرعون، قاله محمد بن قيس. والثالث: أعوان فرعون، قاله ابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ أي: ليصير بهم الأمر إلى ذلك، لا أنهم أخذوه لهذا، وهذه اللام تسمى لام العاقبة، وقد شرحناها في [يونس: ٢٨٨]. وللمفسرين في معنى الكلام قولان: أحدهما: ليكون لهم عدوًّا في دينهم وحرزًا لِمَا يصنعه بهم. والثاني: عدوًّا لرجالهم وحرزًا على نساءهم، فقتل الرجال بالفرق، واستعبد النساء. ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ رُفُوعَ﴾ وهي آسية بنت مزاحم، وكانت من بني إسرائيل تزوجها فرعون: ﴿فَرَأَتْهُ عَيْنٌ﴾ قال الزجاج: رفع ﴿فَرَأَتْهُ عَيْنٌ﴾ على إضمار (هو). قال المفسرون: كان فرعون لا يولد له إلا البنات، فقالت: ﴿عَيْنٌ أَمْ يَنْفَعُنَا﴾ فنصيب منه خيراً ﴿أَوْ نَنْجِدُمْ لَدَيْكَ﴾، ﴿وَمِمَّنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لا يشعرون أنه عدو لهم، قاله مجاهد. والثاني: أن هلاكهم على يديه، قاله قتادة. والثالث: لا يشعر بنو إسرائيل أن التقطناه، قاله محمد بن قيس. والرابع: لا يشعرون أنني أفعل ما أريد لا ما يريدون، قاله محمد ابن إسحاق<sup>(٣)</sup>.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَرْمُوتَ قَرِيحًا﴾ كَادَتْ لَتَبْدَى بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِئَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيْهِ فَصَرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٦﴾ وَحَمَلْنَا عَلَيْهِ الْكَرَاحَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ بَيْتٍ يَكْفُلُوهُمْ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَعِيرٌ ﴿١٧﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكَافِرِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَرْمُوتَ قَرِيحًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقاتدة، والضحاك. والثاني: أصبح فؤادها قَرِيحاً، رواه الضحاك عن ابن عباس، وهي قراءة أبي رزين، وأبي العالية، والضحاك، وقاتدة، وعاصم الجحدري، فإنهم قرؤوا: «قَرِيحاً» بزاي معجمة. والثالث: فارغاً من وجينا بنسيانه، قاله الحسن، وابن زيد. والرابع: فارغاً من الحزن، لِعِلْمِهَا أَنَّهُ لَمْ يَمُتْ، قاله أبو عبيدة. قال ابن قتبية: وهذا من أعجب التفسير، كيف يكون كذلك والله يقول: ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾؟! وهل يُرَبِّطُ إِلَّا على قلب الجازع المحزون!<sup>١٩</sup>

قوله تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتَبْدَى بِهِ﴾ في هذه الهاء قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى موسى. ومتى أرادت هذا؟ فيه ثلاثة أقوال. أحدها: أنه حين فارقه؛ روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس [أنه] قال: كادت تقول: يا بُيَّاه. قال قتادة: وذلك من شدة وجدها. والثاني: حين حَمَلَتْ لِرَضَاعِهِ ثم كادت تقول: هو ابني، قاله السدي. والثالث: أنه لما كَبُرَ وَسَمِعَتِ النَّاسَ يَقُولُونَ: موسى بن فرعون، كادت تقول: لا بل هو ابني، قاله ابن السائب. والقول الثاني: أنها ترجع إلى الوحي؛ والمعنى: إن كادت لَتَبْدَى بالوحي، حكاه ابن جرير.

(١) والفته في اليم - أي البحر - وهو النيل. قال ابن جرير الطبري: وأولى قول قيل في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر أرم موسى أن ترضعه، فإذا خافت عليه من عدو الله فرعون وجنده، أن تلقى في اليم، وجاز أن تكون خافتهم عليه بعد أشهر من ولادها إياه، وأني ذلك كان، فقد فعلت ما أوحى الله إليها فيه، ولا خبر قامت به حجة، ولا نظرة في العقل لبیان أي ذلك كان من أي، فأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال جل ثناؤه. قال: واليم الذي أمرت أن تلقى فيه هو النيل. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ يقول: لا تخافي على ولدك من فرعون وجنده أن يقتلوه، ولا تحزني لفراقه.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: معنى ذلك: وفرعون وآله لا يشعرون بما هو كائن من هلاكهم على يديه.



قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَن رَّبَّكَ عَلَّ قَلْبَهَا﴾ قال الزجاج: المعنى: لولا ربطنا على قلبها، والربط: إلهام الصبر وتشديد القلب وتقويته.

قوله تعالى: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أي: من المصدقين بوعد الله. ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيْهِ﴾ قال ابن عباس: قضى أثره وأظليته هل تسمعين له ذكراً، [أي]: أحي هو، أو قد أكلته الدواب؟ ونسيت الذي وعدنا الله فيه. وقال وهب: إنما قالت لأختها: قصيها، لأنها سمعت أن فرعون قد أصاب صبيّاً في نابوت. قال مقاتل: واسم أختها: مريم. قال ابن قتيبة: ومعنى «قُصِّيْهِ»: قُصِّيْ أثره واتبعه «قُصِّرَتْ بِهِ عَنْ جُثْيٍ» أي: عن بُغْدٍ منها عنه وإعراض، لئلا يظنوا، والمجانبة من هذا. وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز: «عَنْ جَنَابٍ» بفتح الجيم والنون وبالف بعدها. وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «عَنْ جَنَابٍ» بفتح الجيم وكسر النون وبينهما ألف. وقرأ قتادة، وأبو العالية، وعاصم الجحدري: «عَنْ جَنَابٍ» بفتح الجيم واسكان النون من غير ألف.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: وهم لا يشعرون أنه عدو لهم، قاله مجاهد. والثاني: لا يشعرون أنها أخته، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْنَا الْفَرَاحَ﴾ وهي جمع مُزْهِج «بَيْنَ بَيْلٍ» أي: من قبل أن تُرَدَّه على أمه، وهذا تحريم منع، لا تحريم شرع. قال المفسرون: بقي ثمانية أيام ولياليهن، كلما أتى بمُزْهِج لم يقبل ثديها، فأمهم ذلك واشتد عليهم «فَقَالَتْ» لهم أختها: «هَلْ أَدْرَكُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِي يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ» فقالوا لها: نعم، مَنْ تلك؟ فقالت: أمي، قالوا: وهل لها لبن؟ قالت: لبن هارون. فلما جاءت قبل ثديها. وقيل: إنها لما قالت: ﴿وَقَدْ لَمْ تَصْبِرْ﴾ قالوا: لعليّ تعرفين أهله، قالت: لا، ولكني إنما قلت: وهم للملك ناصحون.

قوله تعالى: ﴿وَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾ قد شرحناه في (طه: ٤٠).

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا كَرِهَ اللَّهُ لَدُنَّ وَلَدَهَا﴾ وهذا علم عيان ومشاهدة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله وعدنا أن يرده إليها.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ مَآئِدَتُهُ حُكْمًا وَطَمَأَنَّ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿وَوَحَّلَ الْمَوْلَىٰ عَلَىٰ بَيْنَ عَقْلِهِ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَتْ أَلْفَىٰ مِنْ شِيعَتِهِ عَلَىٰ أَلْفَىٰ مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوْسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَلَىٰ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّثَبِّلٌ لِّنُفْسَيْكَ﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَسْتُ عَلَىٰ لَدُنِّي أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ قد فسرنا هذه الآية في سورة [يوسف: ٢٢]، وكلام المفسرين في لفظ الآيتين متقارب، إلا أنهم فرّقوا بين بلوغ الأشد وبين الاستواء؛ فأما بلوغ الأشد، فقد سلف بيانه [الأنعام: ١٥٢]. وفي مدة الاستواء لهم قولان: أحدهما: أنه أربعون سنة، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد. والثاني: ستون سنة، ذكره ابن جرير. قال المفسرون: مكث عند أمه حتى فطمته، ثم ردّه إليهم، فنشأ في حجر فرعون وأمراته واتخذاه ولداً.

قوله تعالى: ﴿وَوَحَّلَ الْمَوْلَىٰ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها مصر. والثاني: مدينة بالقرب من مصر. قال السدي: ركب فرعون يوماً وليس عنده موسى، فلما جاء موسى ركب في إثره فأدركه المقيّل في تلك المدينة. وقال غيره: لما توهم فرعون في موسى أنه عدوّه أمر بإخراجه من مدينته، فلم يدخل إلا بعد أن كبر، فدخلها يوماً «عَلَىٰ بَيْنَ عَقْلِهِ مِنْ أَهْلِهَا» وفي ذلك الوقت أربعة أقوال: أحدها: أنه كان يوم عيد لهم، وكانوا قد اشتغلوا فيه بلهوهم، قاله عليّ رضي الله عنه. والثاني: أنه دخل نصف النهار، رواه جماعة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبيرة. والثالث: بين المغرب والعشاء، قاله وهب بن منبه. والرابع: أنهم لما أخرجوه لم يدخل عليهم حتى كبر، فدخل على حين غفلة عن ذكره، لأنه قد نسي أمره، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ أي: من أصحابه من بني إسرائيل ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أي: من أعدائه من القبط، والعدو يذكّر للواحد وللجمع. قال الزجاج: وإنما قيل في الغائب: «هذا» و«هذا»، على جهة الحكاية للحضرة؛

والمعنى: أنه إذا نظر إليهما الناظر قال: هذا مِنْ شيعته، وهذا مِنْ عَدُوِّهِ. قال المفسرون: وإنَّ القبطي كان قد سَحَر الإسرائيلي أن يحمل حطباً إلى مطبخ فرعون ﴿فَاسْتَنْصَرَهُ﴾ أي: فاستنصره، ﴿فَوَكَزَهُ﴾ قال الزجاج: الوَكَزُ: أن يضربه بجميع كَفِّهِ<sup>(١)</sup>. وقال ابن قتيبة: «فوكزه» أي: لكَّزَهُ، يقال: وَكَزْتُهُ وَلَكَزْتُهُ وَلَهَزْتُهُ، إذا دَفَعْتُهُ، ﴿فَنَقَضَ عَلَيْهِ﴾ أي: قتله؛ وكلُّ شيء فرغت منه فقد قضيت وقضيت عليه. وللمفسرين فيما وكزه به قولان: أحدهما: كَفِّهِ، قاله مجاهد. والثاني: عَصَلِهِ، قاله قتادة.. فلَمَّا مات القبطي ندم موسى لأنه لم يرد قتله، و﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَلَيَّ الشَّيْطَانِ﴾ أي: هو الذي هَيَّجَ غَضَبِي حتى ضربتُ هذا، ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ لِابْنِ آدَمَ﴾ ﴿ثُمَّ يَلِ﴾ له ﴿ثُمَّ يَلِ﴾ عداوته. ثم استغفر في ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ أي: بقتل هذا، ولا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يؤمَّرَ. ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ ﴿فَلَنْ أَكُونُ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾. قال ابن عباس: عوناً للكافرين. وهذا يدلُّ على أن الإسرائيلي الذي آمانه موسى كان كافراً.

﴿فَأَسْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّى فَلَمَّا آلَى اسْتَنْصَرَ بِالْأَنْثَىٰ يَتَخَوَّمُهُ فَأَلَّ لَمْ يُوَسِّعْ إِلَهُ لَقَوِيَ ثُمَيْنٌ ۝﴾ ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبَاشِرَ بِالْأُورَىٰ هُوَ عَدُوٌّ لَهَا قَالِ يَتَوَسَّعُ أَتَرِيدُ أَنْ تَقْتُلِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَنْثَىٰ إِنْ تَرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونِ جَنَاحًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَرِيدُ أَنْ تَكُونِ مِنَ النَّاصِيغِينَ ۝﴾ ﴿وَبَدَأَ رَجُلٌ مِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَتَوَسَّعُ قَالَ يَتَوَسَّعُ إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتِيُرُونَ بِكَ لِتَقْتُلُوهُ فَأَخْرَجَ إِلَىٰ لَكَ مِنَ النَّاصِيغِينَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَسْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ وهي التي قتل بها القبطي ﴿خَائِفاً﴾ على نفسه ﴿يَتَرَقَّى﴾ أي: ينتظر سوءاً يتاله منهم ويخاف أن يقتل به ﴿فَلَمَّا آلَى اسْتَنْصَرَ بِالْأَنْثَىٰ﴾ وهو الإسرائيلي ﴿يَتَخَوَّمُهُ﴾ أي: يستغيث به على قبطي آخر أراد أن يسحره أيضاً ﴿قَالَ لَمْ يُوَسَّعْ﴾ في هاء التثنية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القبطي. والثاني: إلى الإسرائيلي، وهو أصح. فعلى الأول يكون المعنى: ﴿إِنَّهُ لَقَوِيَ﴾ بتسخيرك وظلمك. وعلى الثاني فيه قولان: أحدهما: أن يكون الغوي بمعنى المغوي، كالإيم والوجيع بمعنى المؤلم والموجع؛ والمعنى: إنك لمُضِلٌّ حين قتلت بالأمس رجلاً بسببك، وتذعنوني اليوم إلى آخر. والثاني: أن يكون الغوي بمعنى الغاوي؛ والمعنى: إنك غاوي في قتالك من لا تطبق دفع شره عنك.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبَاشِرَ بِالْأُورَىٰ هُوَ عَدُوٌّ لَهَا﴾ أي: بالقبطي ﴿قَالَ يَتَوَسَّعُ﴾ هذا قول الإسرائيلي من غير خلاف علمناه بين المفسرين؛ قالوا: لَمَّا رَأَى الإسرائيلي غضب موسى عليه حين قال [هـ]: ﴿إِنَّهُ لَقَوِيَ ثُمَيْنٌ﴾ ورأه قد هم أن يَبَاشِرَ بالفرعوني، ظنَّ أنه يريد به فخاف على نفسه في ﴿قَالَ يَتَوَسَّعُ أَتَرِيدُ أَنْ تَقْتُلِي﴾ وكان قوم فرعون لم يعلموا من قاتِلِ القبطي، إلا أنهم اتَّزوا إلى فرعون فقالوا: إن بني إسرائيل قتلوا رجلاً مِنَّا فخذ لنا بحقنا، فقال: ابغوني قاتله ومن يشهد عليه لأخذ لكم حَقَّكُمْ، فبينما هم يطوفون ولا يدرون من القاتل، وقعت هذه الخصومة بين الإسرائيلي والقبطي في اليوم الثاني، فلَمَّا قال الإسرائيلي لموسى: ﴿أَتَرِيدُ أَنْ تَقْتُلِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَنْثَىٰ﴾ انطلق القبطي إلى فرعون فأخبره أن موسى هو الذي قتل الرجل، فأمر بقتل موسى، فلم يزل بذلك رجل من شيعه موسى فاتاه فأخبره، فذلك قوله: ﴿وَبَدَأَ رَجُلٌ مِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَتَوَسَّعُ﴾ فأمَّا الجِّبَارُ، فقال السدي: هو القتال، وقد شرحناه في [مرد: ٥٩]، وأقصى المدينة: آخرها وأبعدها، ويسمى، بمعنى يسرع. قال ابن عباس: وهذا الرجل هو مؤمن آل فرعون، وسيأتي الخلاف في اسمه في سورة [المومن: ٢٨]. فأمَّا الملا، فهم الوجوه من الناس والأشراف. وفي قوله: ﴿يَأْتِيُرُونَ بِكَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: يتشاورون فيك ليقتلوك، قاله أبو عبيدة. والثاني: يهتُمون بك، قاله ابن قتيبة. والثالث: يأمر بعضهم بعضاً بقتلك، قاله الزجاج.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّى قَالَ رَبِّ إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝﴾ ﴿وَلَمَّا نَزَّاهُ فَلَقَاهُ وَتَمَكَّنَ مِنْهُ فَبُذِلَ ۝﴾ ﴿وَلَمَّا رَدَّ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَقَىٰ حَتَّىٰ يُضِيرَ الرِّجَاءَ وَأُولَا شَيْخٍ كَبِيرٍ ۝﴾ ﴿سَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝﴾ ﴿فَلَمَّا تَرَىٰ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِغْيَا قَالَتْ إِنَّكَ ابْنُ يَتْمُوكَ يُجْرِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُمْ وَقَعَ عَلَيْهِ الْقَصْفُ قَالَا لَا تَخَفْ جَئْتُمَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيَنَّكَ اسْتِغْيَا إِنَّكَ حَرٌّ مِنْ اسْتِغْيَرْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝﴾ قَالَ إِنَّهُ أَرِيدُ أَنْ أُكْرِمَكَ

(١). كذا الأصل، والذي في «اللبان» عن الزجاج: الوَكَزُ: أن يضرب بجمع كَفِّهِ، وهو كذلك في كتب اللغة.

إِخَذَى ابْنَهُ هَتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي كَتْنِي جِجَجَ فَإِنْ أَتَمَسْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَتَّقِيَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَنِي وَيَسَّاتُكُ أَيْمًا الْأَجَلَيْنِ فَتَعَيَّتْ فَلَا تُدْرِكُ عَلَى اللَّهِ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿هَجَرَ بَنِي﴾ أي: من مصر ﴿عَائِلًا﴾ وقد مضى تفسيره [القصة: ١٨].

قوله تعالى: ﴿بَنِي مِنَ الْقَوْرِ الْقَالِيلِينَ﴾ يعني المشركين أهل مصر. ﴿وَلَنَا قَوْمَةٌ يَقْتَلُهُمْ وَيَقْتُلُونَ﴾ قال ابن قتية: أي: تجاه مَدْيَنَ ونحوها، وأصله: اللقاء، وزيدت فيه التاء، قال الشاعر:

[أَتَلْتُ خَيْرَكَ هَلْ تَأْتِي مَوَاعِدُهُ]  
فَالْيَوْمَ قَصَّرَ عَنْ يَلْقَائِكَ الْأَمَلُ<sup>(١)</sup>

أي: عن لقائك. قال المفسرون: خرج خائفًا بغير زاد ولا ظهر<sup>(٢)</sup>، وكان بين مصر ومَدْيَنَ مسيرة ثمانية أيام، ولم يكن له بالطريق علم، فـ ﴿قَالَ عَمَّن رَجُلٍ أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ النَّبِيلِ﴾ أي: فضده. قال ابن عباس: لم يكن له علم بالطريق إلا أحسن ظنه بربه. وقال السدي: بعث الله له ملكًا فدلّه، قالوا: ولم يكن له في طريقه طعام إلا ورق الشجر، فورد ماء مَدْيَنَ وخضرة البقل تتراعى في بطنه من الهزال؛ والأئمة: الجماعة، وهم الرعاة، ﴿يَسْتَوُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي: من سوى الأئمة ﴿أَمْرًا تَيْنِي﴾ وهما ابنتا شعيب؛ قال مقاتل: واسم الكبرى: صبوراً<sup>(٣)</sup> والصغرى: عبراً ﴿تُدَوِّلَانِ﴾ قال ابن قتية: أي: تكفان غنمهما، فحذف الغنم اختصاراً. قال المفسرون: وإنما فعلتا ذلك ليُفرِّغ الناس وتخلو لهما البئر، قال موسى: ﴿مَا خَطْبُكُمَا؟﴾ أي: ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿قَالَا لَا شَيْءَ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو الجوزاء، وابن يعمر، وابن السميع: ﴿لَا نَسْقِي﴾ برفع النون ﴿حَتَّى يُشِيرَ الرَّجُلُ الْيَمَنَ﴾ وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر: ﴿يُضَلُّوهُ﴾ بفتح الياء وضم الدال، أي: حتى يرجع الرعاء. وقرأ الباقون: ﴿يُضِلُّوهُ﴾ بضم الياء وكسر الدال، أرادوا: حتى يَرُدُّ الرعاء غنمهم عن الماء. والرعاء: جمع راع، كما يقال: صاحب وصحاب. وقرأ عكرمة، وسعيد بن جبير، وابن يعمر، وعاصم الجحدري: ﴿الرَّعَاءُ﴾ بضم الراء، والمعنى: نحن امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال ﴿وَأَبْرَأَا شَيْخَ كَبِيرٍ﴾ لا يُقْدِرُ أَنْ يَسْقِيَ مَا شِئْتَهُ مِنَ الْكَبِيرِ؛ فلذلك اِخْتَجَجْنَا نحن إلى أن نسقي، وكان على تلك البئر صخرة عظيمة، فإذا فرغ الرعاء مِنْ سَقِيهِمْ أعادوا الصخرة، فتأتي المرأتان إلى فضول حياض الرعاء فتسقيان غنمهما. ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ موسى. وفي صفة ما صنع قولان: أحدهما: أنه ذهب إلى بئر أخرى عليها صخرة لا يقتلعها إلا جماعة من الناس، فاقطلعها وسقى لهما، قاله عمر بن الخطاب<sup>(٤)</sup>، وشريح. والثاني: أنه زاحم القوم على الماء، وسقى لهما، قاله ابن إسحاق، والمعنى: سقى غنمهما لأجلهما. ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾ أي: انصرف ﴿إِلَى الْوَيْلِيِّ﴾ وهو ظل شجرة ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا عَلِمْتُ الْإِلَهَ بَعَثْتُ فِي هَذِهِ رُسُلًا مِنْ أَمْثَلِي يَقُولُونَ هَذَا نَجْمُ الْوَيْلِيِّ فَإِذَا هُوَ طَائِفُ الْأَنْبِيَاءِ وَأُولَئِكَ أُمَّةٌ مَعْنِي﴾ وحكى ابن جرير أنه أسمع المرأتين هذا الكلام تعريضاً أن تَقْلَعُهَا. ﴿لَمَّا تَوَلَّى﴾ المعنى: فلما شرب غنمهما رَجَعَتَا إِلَى أَبِيهِمَا فأخبرتا خبر موسى، فبعث إحداهما تدعو موسى. وفيها قولان: أحدهما: الصغرى. والثاني: الكبرى. فجاءته ﴿تَشِيَّ عَلَى أَسْتَيْمِيَّاتٍ﴾ قد سترت وجهها بِكُمِّ ذِعْهَا. وفي سبب استحيايتها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان من صفتها الحياء، فهي تمشي مشي مَنْ لم يعتد الخروج والدخول. والثاني: لأنها ذهت لتكافئه، وكان الأجل عندنا أن تدعوه من غير مكافأة. والثالث: لأنها رسول أبيها.

(١) البيت للراعي النعري، وهو في «غريب القرآن» ٣٣١، و«الصالح» و«اللسان» و«التاج»: لقي.

(٢) الظُّهْر: الدابة التي يُرَكَّبُ ظهرها من جمل ونحوه.

(٣) في الألوسي: صفوراء، وقيل: صفوريا. وفي «الكشاف» اسم الكبرى: صفراء، واسم الصغرى: صفيراء، والله أعلم بذلك، ولا يتعلق بمعرفة اسمهما حكم شرعي.

(٤) قال السيوطي في «الدرر» ١٢٤/٥: أخرج الفريابي، وابن أبي شيبة في «المصنف» وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن موسى ﷺ لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون، فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر، ولا يطبق رقعها إلا عشرة رجال، فإذا هو بامرأتين، قال: ما خطبكما، فحدثتا، فأثى الصخرة فرقعها وحده، ثم استقى، فلم يسق إلا دلوًا واحدًا حتى رويت الغنم... الحديث بطوله، وقد ذكره ابن كثير في «تفسيره» من رواية ابن أبي شيبة مختصراً هكذا، وقال: إسناده صحيح.

(٥) قال ابن كثير: قال ابن عباس: سار موسى من مصر إلى مدين ليس له طعام إلا البقل وورق الشجر، وكان حافياً، فما وصل إلى مدين حتى سقطت نعل قدميه، وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه وإن بطنه لاصق بظهره من الجوع، وإن خضرة البقل لثرى من داخل جوفه، وإنه لمحتاج إلى شئ نعمة.

قوله تعالى: ﴿يَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ قال المفسرون: لما سمع موسى هذا القول كرهه وأراد أن لا يتبعها، فلم يجد بُدًّا للجهد الذي به من أتباعها، فتبعها، فكانت الريح تضرب ثوبها فصفب بعض جسدها، فناداها: يا أمة الله، كوني خلفي وذليني الطريق<sup>(١)</sup> ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ أي: جاء موسى شعباً ﴿وَوَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصُ﴾ أي: أخبره بأمره من حين ولد والسبب الذي أخرجه من أرضه ﴿قَالَ لَا تَخَفْ بَنَاتُكَ مِنَ الْقَوِيِّ الْقَلِيلِينَ﴾ أي: لا سلطان لفرعون بأرضنا ولنا في مملكته. ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ وهي الكبرى: ﴿يَتَأْتِي اسْتَعِجْرُهُ﴾ أي: اتَّخَذَهُ أَجِيرًا ﴿إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَعِجْرِكَ الْقَوِيِّ الْأَكْبَرِ﴾ أي: خير من استعملت على عملك من قَوِيٍّ على عملك وأدَّى الأمانة؛ وإنما سمَّته قَوِيًّا، لرفعه الحجر عن رأس البئر، وقيل: لأنه استقى بدلو لا يَقْلُهَا إلا العدد الكثير من الرجال، وسمَّته أميناً، لأنه أمرها أن تمشي خلفه. وقال السدي: قال لها شعب: قد رأيت قُوَّتَهُ، فما يُدْرِيكَ بأمانته؟ فحذَّته. قال المفسرون: فرغب فيه شعب، فقال له: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُلْكَمَكَ﴾ أي: أزوجهك ﴿إِذْ هُوَ مَتَّيٌّ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي جِجَعًا﴾ قال الفراء: تأجرني وتأجرني، بضم الجيم وكسرهما، لغتان. قال الزجاج: والمعنى: تكون أجيراً لي ثمانين سنين ﴿فَإِنْ أَتَمَسْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ أي: فذلك تفضل منك، وليس بواجب عليك.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ أي: في العشر ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: في حُسْنِ الصُّحْبَةِ والوفاء بما قلت. ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ أي: ذلك الذي وصفت وشرطت عليّ فلك، وما شرطت لي من تزويج إحداهما فلي، فالأمر كذلك بيننا. وتم الكلام هاهنا. ثم قال: ﴿إِنَّمَا الْأَجَلَيْنِ﴾ يعني: الثماني والعشر. قال أبو عبيدة: «ما» زائدة.

قوله تعالى: ﴿فَعَيَّبْتُ﴾ أي: أتممت<sup>(٢)</sup> ﴿فَلَا تُدْرِكُ عَلَىَّ﴾ أي: لا سبيل عليّ؛ والمعنى: لا تعدد عليّ بأن تُلْزِمَنِي أكثر منه ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ قال الزجاج: أي: والله شاهدنا على ما عقد بعضنا على بعض. واختلف العلماء في هذا الرجل الذي استأجر موسى على أربعة أقوال: أحدها: أنه شُعَيْبُ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، وعلى هذا أكثر أهل<sup>(٣)</sup> التفسير، وفيه أثر عن النبي ﷺ يدل عليه<sup>(٤)</sup>، وبه قال وهب، ومقاتل. والثاني: أنه صاحب مَذْيَن، واسمه يثرى، قاله ابن عباس. والثالث: رجل من قوم شعيب، قاله الحسن. والرابع: أنه يثرون ابن أخي شعيب، رواه عمر بن مرة عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، وبه قال ابن السائب<sup>(٥)</sup>. واختلفوا في التي تزوجه موسى من الابنتين على قولين: أحدهما: الصغرى، روي عن ابن عباس. والثاني: الكبرى، قاله مقاتل. وفي اسم التي تزوجه ثلاثة أقوال: أحدها: صفوريا، حكاه أبو عمران الجوني. والثاني: صفورة، قاله شعيب الجبائي. والثالث: صبورا، قاله مقاتل.

(١) قال السيوطي في تمة الحديث الذي تقدم من رواية القرطبي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن عمر بن الخطاب ﷺ: «فرجعت المرأتان إلى أبيهما، فحدثتا، وتولَّى موسى ﷺ إلى الظل فقال: ﴿زَيْبُ إِيَّيْنَا لَزَنَةٌ إِنَّكَ مِنْ خَيْرِ قَوِيٍّ﴾ قال: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ تَتَبَعْنِي عَلَىٰ اسْتَعِجْرِكَ﴾ واضعة ثوبها على وجهها ليست يسلف من الناس خُرَاجَةٌ ولا جَعَةٌ، ﴿قَالَتْ إِنَّكَ أَيُّ تَعْمَلُكَ يَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فقام معها موسى ﷺ، فقال: امشي خلفي وانمتي لي الطريق فإني أكره أن تصيب الريح ثيابك نصف جسدك... إلخ. وذكره ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم مختصراً إلى قوله: خُرَاجَةٌ ولا جَعَةٌ، وقال: هذا إسناد صحيح. وقال: قال الجوهرى: السلف من الرجال: الجسور، ومن النساء: الجريئة السليطة، ومن النوق: الشديدة. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: هذا وقد دل الدليل على أن موسى ﷺ إنما فعل أكمل الأجلين وأتمهما، قال: وقال البخاري: عن سعيد بن جبير قال: سألت يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضى موسى؟ فقلت: لا أدري حتى أقدم على خبر العرب فأسأله، فقدمت على ابن عباس ﷺ فسأله، فقال: قضى أكثرهما وأطيهما، إن رسول الله إذا قال فعل. اهـ.

(٣) زيادة ليست في الأصل.

(٤) من رواية ابن أبي حاتم عن عتية بن المنذر، وسنده ضعيف.

(٥) قال ابن كثير: وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل من هو على أقوال: أحدها: أنه شعيب النبي ﷺ الذي أرسل إلى أهل مدين، وهذا هو المشهور عند كثير من العلماء. قال: وقال آخرون: بل كان ابن أخي شعيب، وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب، قال: وقال آخرون: كان شعيب قبل زمان موسى ﷺ بحدّة طويلة، لأنه قال لقومه: ﴿زَكَاةً أَوْ كُفْرًا تَنْصَحُنَّكُمْ بِيَعِيٍّ﴾ وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل ﷺ بنص القرآن، وقد علم أنه كان بين الخليل وموسى ﷺ مدة طويلة تزيد على أربعين سنة كما ذكره غير واحد، قال: وما قيل: إن شعيباً عاش مدة طويلة، إنما هو - والله أعلم - احتراز من هذا الإشكال، ثم من المَقْوَى لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن هاهنا، وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى، لم يصح إسناده، قال: ثم من الموجود في كتب بني إسرائيل أن هذا الرجل اسمه يثرون، والله أعلم. اهـ.

﴿لَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُورٌ مِنْ شَرِيطٍ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَكُونَتْ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ وَأَنْ أَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنَّرُ كَأَنَّمَا جَاءَهُ وَكَأَنَّمَا يُرِيمُ يَقْبَعُ يَكُونُ أَقْبَلُ وَلَا تَخَفْ فَلَكَ مِنَ الْأَمْرِ عَمَلٌ ۚ بَلَدَّكَ فِي حَبِيكَ فَفَرَّجَ يَصْرَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّقَبِ فَلَذِيكَ بَرَعَتَانِ مِنْ رَبِّكَ إِنْ رَوَّعَكَ وَمَلَإِيَهُ لِيُنْهَمُ كَأَنَّمَا قَوْمًا فَنِيْقِيكَ ﴿١٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَلْغَاكَ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٣﴾ وَأَخَى هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ سَنُنْذِرُ عَصَاكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّدِنَا أَنْتَا وَمِى أَنْتَكُمَا الْقَتِيلُونَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ روى ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه سئل: أي الأجلين قضى موسى، قال: «أوفاهما وأطيهما»<sup>(١)</sup>. قال مجاهد: مكث بعد قضاء الأجل عندهم عشراً آخر<sup>(٢)</sup>. وقال وهب بن منبه: أقام عندهم بعد أن أدخل عليه امرأته سنين<sup>(٣)</sup>، وقد سبق تفسير هذه الآية [ط: ١٠] إلى قوله: ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: «جَذْوَةٌ» بكسر الجيم. وقرأ عاصم بفتحها. وقرأ حمزة، وخلف، والوليد عن ابن عامر بضمها، وكلها لغات. قال ابن عباس: الجذوة: قطعة حطب فيها نار، وقال أبو عبيدة: قطعة غليظة من الحطب ليس فيها لهب، وهي مثل الجذمة من أصل الشجرة، قال ابن مقل:   
بِائْتِ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا

جَزَلُ الْجَذَا غَيْرَ حَوَارٍ وَلَا دَعِيرٍ<sup>(٤)</sup>

والدعير: الذي قد نخر، ومنه رجل داعر، أي: فاسد.

قوله تعالى: ﴿نُورٌ مِنْ شَرِيطٍ الْوَادِ﴾ وهو: جانبه ﴿الْأَيْمَنِ﴾ وهو الذي عن يمين موسى ﴿فِي الْبُقْعَةِ﴾ وهي القطعة من الأرض ﴿الْمُبَارَكَةِ﴾ بتكليم الله موسى فيها ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ أي: من ناحيتها، وفي تلك الشجرة قولان: أحدهما: [أنها] شجرة العنَّاب، قاله ابن عباس. والثاني: عوسجة، قاله قتادة، وابن السائب، ومقاتل. وما بعد هذا قد سبق بيانه [النمل: ١٠] إلى قوله: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْأَمْرِ عَمَلٌ﴾ أي: من أن ينالك مكروه.

قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ يَدْخُلُ فِي أَذْخِلَهَا﴾، ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ قد فسرنا الجناح في [ط: ٢٢] إلا أن بعض المفسرين خالف بين تفسير اللفظين، فشرحناه. وقال ابن زيد: جناحه: الذراع والعُضد والكف. وقال الزجاج: الجناح هاهنا: العضد، ويقال للبد كلفها: جناح. وحكى ابن الأنباري عن الفراء أنه قال: الجناح هاهنا: العصا. قال ابن الأنباري: الجناح للإنسان مشبهً بالجناح للطائر، ففي حال تشبه العرب رجلي الإنسان بجناحي الطائر، فيقولون: قد مضى فلان طائراً في جناحيه، يعنون ساعياً على قدميه، وفي حال يجعلون العضد منه بمنزلة جناحي الطائر، كقوله: ﴿وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِنْ جَنَاحَكَ﴾، وفي حال يجعلون العصا بمنزلة الجناح، لأن الإنسان يدفع بها عن نفسه كدفع الطائر عن نفسه بجناحه، كقوله: ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّقَبِ﴾، وإنما يوقع الجناح على هذه الأشياء تشبيهاً واستعارة، كما يقال: قد قُصَّ جناح الإنسان، وقد قُطعت يده ورجله: إذا وقعت به جائحة أبطلت تصرفه؛ ويقول الرجل للرجل: أنت يدي ورجلي، أي: أنت مَنْ به أَصِلُ إلى محايي، قال جرير:

سَأَشْكُرُ أَنْ رَدَدْتَ إِلَيَّ رِيْشِي وَأَنْبَتَ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي<sup>(٥)</sup>

(١) روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل: أي الأجلين قضى موسى؟ فقال: قضى أكثرهما وأطيهما، إن رسول الله إذا قال فعل. وذكره السيوطي في «الدرر» ١٢٦/٥ وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة في «المصنف» وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس رضي الله عنه. قال ابن كثير: وقد يستفاد هذا أيضاً من الآية الكريمة حيث قال تعالى: ﴿لَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ أي: الأكمل منهما، والله أعلم.

(٢) قال ابن كثير: وهذا القول لم أره لغيره، وقد حكاه عنه ابن أبي حاتم، وابن جرير، فالح أعلم. وذكره السيوطي في «الدرر» ١٢٧/٥، وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) في النسخة الاستنبولية: ستين.

(٤) البيت في «مجاز القرآن» ١٠٣، و«الطبري» ٧٠/٢٠، و«مجمع البيان» ٢٨٤/١٠، و«القرطبي» ٢٨١/١٣، و«اللسان» و«التاج»: دعر. والجذا جمع جذوة.

(٥) «ديوانه» ٩٨.

وقالت امرأة من العرب ترثي زوجها الآخر:

يا عصمتي في النّائبات ويا  
لا ضنّت وجهاً كنت ضائنه  
رُكني [الأغرّ] ويا يدي اليمنى  
أبدأ ووجهك في الشرى يَبلى

فأما الرُّهْب، فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «مِنَ الرُّهْب» بفتح الراء والهاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «من الرُّهْب» بضم الراء وسكون الهاء. وقرأ حفص [وأبان] عن عاصم: «من الرُّهْب» بفتح الراء وسكون الهاء [وهي قراءة ابن مسعود، وابن السميع]. وقرأ أبي بن كعب، والحسن، وقتادة: بضم الراء والهاء. قال الزجاج: الرُّهْب، والرُّهْب بمعنى واحد، مثل الرُّشد، والرُّشد. وقال أبو عبيدة: الرُّهْب والرُّهْبَة بمعنى الخوف والفرق. وقال ابن الأنباري: الرُّهْب، والرُّهْب، والرُّهْب، مثل الشُّغل، والشُّغل، والشُّغل، والشُّغل، والبُخل، والبُخل، وتلك لغات ترجع إلى معنى الخوف والفرق. وللمفسرين في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لما هرب من الحيّة أمره الله أن يَضُمَّ إليه جناحه ليذهب عنه الفزع. قال ابن عباس: المعنى: اضمم يدك إلى صدرك من الخوف ولا خوف عليك. وقال مجاهد: كلُّ مَنْ فزع فَضَمَّ جناحه إليه ذهب عنه الفزع. والثاني: أنه لما هاله بياض يده وشعاعها، أمر أن يُدْخِلَهَا في جيبه، فعادت إلى حالتها الأولى. والثالث: أن معنى الكلام: سَكَنَ رَوْعَكَ، وثَبَّتْ جَأَشَكَ. قال أبو علي: ليس يراد به الضَّمُّ بين الشيتين، إنما أمر بالعزم [على ما أمر به] والجد فيه، ومثله: اشدد حيازيمك للموت.

قوله تعالى: ﴿فَذَانِك﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «فَذَانِك» بالتحديد. وقرأ الباقون: «فَذَانِك» بالتخفيف. قال الزجاج: التشديد تشنية «ذلك»، والتخفيف تشنية «ذاك»، فجعل اللام في «ذلك» بدلاً من تشديد النون في «فَذَانِك»، ﴿وَذَانِك﴾ أي: بيانان اثنان. قال المفسرون: «فَذَانِك» يعني العصا واليد، حُجَّتَانِ من الله لموسى على صِدْقِهِ، ﴿وَذَانِك﴾ أي: أرسلنا بهاتين الآيتين إلى فرعون<sup>(١)</sup>. وقد سبق تفسير ما بعد هذا [الشعراء: ١٤] إلى قوله: ﴿فَوَاقَصَ بِقِي لِسَاكاً﴾ أي: أحسن بياناً، لأن موسى كان في لسانه أثر الجمرة التي تناولها، ﴿فَأَرْسِلَهُ مَعِيَ رِدْءاً﴾ قرأ الأكثرون: «رِدْءاً» بسكون الدال وبعدها همزة. وقرأ أبو جعفر: «رِدَا» بفتح الدال وألف بعدها من غير تنوين ولا همز؛ وقرأ نافع كذلك إلا أنه نُون. وقال الزجاج: الرِّدْء: العون، يقال: ردأته أردؤه رِدْءاً: إذا أعنته.

قوله تعالى: ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ قرأ عاصم، وحمزة: «يُصَدِّقُنِي» بضم القاف. وقرأ الباقون بسكون القاف. قال الزجاج: من جزم «يُصَدِّقُنِي» فعلى جواب المسألة: أَرْسِلَهُ يُصَدِّقُنِي؛ ومن رفع، فالمعنى: رِدْءاً مُصَدِّقاً لي. وأكثر المفسرين على أنه أشار بقوله: «يُصَدِّقُنِي» إلى هارون؛ وقال مقاتل بن سليمان: لكي يُصَدِّقُنِي فرعون.

قوله تعالى: ﴿سَكَنُ عَصَدِكَ بِأَيْحِكَ﴾ قال الزجاج: المعنى: سَعْنِكَ بأَيْحِكَ، ولفظ العَصْد على جهة المثل، لأن اليد قوامها عَصْدُهَا، وكل مُعِين فهو عَصْد، ﴿وَجَعَلَ لَكُمَا سُلْطَاناً﴾ أي: حُجَّةً بَيِّنَةً. وقيل للزيت: السَّليط، لأنه يُسْتَضَاءُ به؛ والسُّلْطَان: آتِيَن الحُجَج.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ أي: بقتل ولا أذى. وفي قوله: ﴿فَذَانِك﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: تمتنعان منهم بآياتنا وحُجَجنا فلا يَصِلُونَ إلَيْكُمَا. والثاني: أنه متعلق بما بعده، فالمعنى: بآياتنا أنتما وَمَنْ أَتَّبِعْكُمَا الغالبون، أي: تَغْلِبُونَ بآياتنا. والثالث: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديره: ونجعل لكما سُلْطَاناً بآياتنا فلا يَصِلُونَ إلَيْكُمَا.

﴿لَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا يَنْتَنِي قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّثَقَرٌ وَمَا سَكَنًا مِنْكُمَا﴾ [مَائِكَا الْأَوَّلِينَ] ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّيَ أَهْلَمَ بِمَنْ جَاءَهُ بِالْهُدَى مِنْ عِندِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿١٧﴾  
قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّثَقَرٌ﴾ أي: ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر افترشته من قِبَل نفسك ولم تُبَيِّنْ به

(١) قال ابن كثير: قوله تعالى: ﴿فَذَانِك﴾ يعني إلقاء العصا وجعلها حية تسعى، وإدخاله يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، دليلان قاطعان واضحيان على قدرة الفاعل المخترار وصحة نبوة من جرى هذا الخارق على يديه، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ وَرَبَّكُمْ﴾ أي: وقومه من الرؤساء والكبراء والأبواب، ﴿يَوْمَ تَكُونُ الْقُبُورُ﴾ أي: خارجين عن طاعة الله مخالفين لأمره ودينه. اهـ.

﴿وَمَا سَكَنَّا بِهَذَا﴾ الذي تدعوننا إليه ﴿بِهَذَا فِي مَابَيْنَا الْأَوَّلِينَ﴾، ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ﴾ وقرأ ابن كثير: «قال موسى» بلا واو، وكذلك هي في مصاحفهم ﴿يَمَنْ جَاءَهُ الْهُدَى﴾ أي: هو أعلم بالحق منّا، ﴿وَمَنْ تَكُنْ لَمْ عَقِبَهُ النَّارُ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، [والمفضل]: «يكون» بالياء، والباقون بالتاء.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ إِنِّي آتِيهَا الْكَلَّا مَا خَلِيتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ عَزِيزٍ فَأَوْفِدْ لِي يَهْدِنِي عَلَى الْبَلَدِ فَأَتِمَّ بِلِي صَرِيحًا لَكَ أَلَيْسَ إِلَهُهُمُ وَمَا لِي لَأُظَنَّهُ مِنْ الْكَلْبِينَ ١٧﴾ وَأَسْتَغْذِرُ هُوَ وَخُشُودُهُ فِي الْأَرْضِ يَكْفُرُ الْحَقُّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِنَّا لَا يُرْجَعُونَ ١٨﴾ فَأَعَزَّنَا فِي خُشُودِهِ فَجِئْنَاهُمْ فِي الْيَسْرِ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ الظَّالِمِينَ ١٩﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَكْفُرُونَ إِلَهُ الْكَاذِبِ ٢٠﴾ وَيَوْمَ الْيُسُودِ لَا يُصْرُونَ ٢١﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَلِيلِهِ أَلَدْنَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْيُسُودِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُورِينَ ٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَوْفِدْ لِي يَهْدِنِي عَلَى الْبَلَدِ﴾ قال ابن قتيبة: المعنى: اصنع لي الأجر ﴿فَأَتِمَّ بِلِي صَرِيحًا﴾ أي: قصراً عالياً. وقال الزجاج: الصُّرْح: كلُّ بناءٍ متَّسعٍ مرتفع. وجاء في التفسير أنه لما أمر هامان - وهو وزيره - ببناء الصُّرْح، جمع العمال والفعلة حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع، فرفعه وشيَّده حتى ارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بستان أحد قط، فلما تمَّ ارتقى فرعون فوقه، وأمر بشيَّابة فرمى بها نحو السماء، فردَّت وهي متلخخة بالدم، فقال: قد قتلت إله موسى<sup>(١)</sup>، فبعث الله تعالى جبريل فضربه بجناحه<sup>(٢)</sup> فقطعه ثلاث قطع، فوقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل، ووقعت قطعة أخرى في البحر، وأخرى في المغرب<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَكَ أَلَيْسَ إِلَهُهُمُ وَمَا لِي لَأُظَنَّهُ﴾ يعني موسى ﴿مِنْ الْكَلْبِينَ﴾ في أدعائه إلهاً غيري. وقال ابن جرير: المعنى: أطلق موسى كاذباً في أدعائه أن في السماء رباً أرسله. ﴿وَأَسْتَغْذِرُ هُوَ وَخُشُودُهُ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني أرض مصر ﴿يَكْفُرُ الْحَقُّ﴾ أي: بالباطل والظلم ﴿وَوَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِنَّا لَا يُرْجَعُونَ﴾ بالبعث للجزاء. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ برفع الياء؛ وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي: بفتحها.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً﴾ أي: في الدنيا ﴿آيَةً﴾ أي: قادة في الكفر يأتهم بهم العتاة ﴿يَكْفُرُونَ إِلَهُ الْكَاذِبِ﴾ لأن من أطاعهم دخلها؛ و﴿يُصْرُونَ﴾ بمعنى: يُعْتَمُونَ من العذاب. وما بعد هذا مفسر في [مرد: ٦٠، ٢٩].

قوله تعالى: ﴿يَمَنْ الْيُسُودِ﴾ أي: من المبعدين الملعونين؛ قال أبو زيد: يقال: قَبِحَ الله فلاناً، أي: أبعده من كل خير. وقال ابن جريج: معنى الآية: وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة لعنة أخرى، ثم استقبل الكلام، فقال: هم من المقبورين<sup>(٤)</sup>.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بِصِكْرٍ لِّلنَّاسِ وَمُذَى وَرَحْمَةٍ لِّمَنْ هَدَيْنَاهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٢٣﴾ وَمَا كُنْتَ بِحَايِبِ الْقُرُونِ إِذْ فَصَّلْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ٢٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْمُرُورُ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيهِمْ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَنَلَّوْا عَلَيْهِمْ مَا كُنَّا مَرْتَابِلِينَ ٢٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِحَايِبِ الْقُرُونِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمْنَا مِنْ رَبِّكَ إِشْرَارَ قَوْمًا مَا أَتْنَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٢٦﴾ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿بِصِكْرٍ لِّلنَّاسِ﴾ أي: ليصروا به ويهتدوا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِحَايِبِ الْقُرُونِ﴾ قال الزجاج: أي: وما كنت بجانب الجبل الغربي. قوله تعالى: ﴿إِذْ فَصَّلْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ أي: أحكمتنا الأمر معه بإرساله إلى فرعون وقومه ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾

(١) ذكر هذا الخبر بنحوه القرطبي في «تفسيره»، ولم يعزه لأحد، وذكره الطبري مختصراً عن السدي، وكذلك السيوطي من رواية ابن أبي حاتم عن السدي.

(٢) أي: غضب الصرح بجناحه.

(٣) قال القرطبي بعد أن ذكره: والله أعلم بصحة ذلك.

(٤) قال ابن كثير: أي: وضع الله لعنتهم ولعنة ملوكهم فرعون على ألسنة المؤمنين من عباده المؤمنين لرسوله، كما أنهم في الدنيا ملعونون على ألسنة الأنبياء وأتباعهم، كذلك ﴿وَيَوْمَ الْيُسُودِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُورِينَ﴾.





والثاني: موسى وهارون، قاله مجاهد؛ فعلى هذا هو من قول اليهود لهما في ابتداء الرسالة. والثالث: محمد وعيسى<sup>(١)</sup>، قاله قتادة؛ فعلى هذا هو من قول اليهود الذين لم يؤمنوا بنبينا. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «سُحْرَان» وفيه ثلاثة أقوال. أحدها: التوراة والفرقان، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: الإنجيل والقرآن، قاله قتادة. والثالث: التوراة والإنجيل، قاله أبو مجلز، وإسماعيل ابن أبي خالد. ومعنى الكلام: كلُّ سحر منهما يقوّي الآخر، فنُسبَ التظاهر إلى السخرين توسّعاً في الكلام، «وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَذِبٍ» يعنون ما تقدّم ذكره على اختلاف الأقوال، فقال الله لنبيه «قُلْ» لكفّار مكة «فَأَنزَلْنَا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا» أي: من التوراة والقرآن، «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» أنهما ساحران. «إِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ» أي: فإن لم يأتوا بمثل التوراة والقرآن، «فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُشْرِكُونَ بِآلِهَتِكَ» أي: أن ما ركبه من الكفر لم يحملهم عليه حجة، وإنما أتوا فيه الهوى «وَمَنْ أَضَلُّ» أي: ولا أحد أضل «وَمَنْ أَتَعَبُ» أي: من الكفر هُذًى» أي: بغير رشاد ولا بيان جاء «وَرَبُّكَ اللَّهُ». «وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقُرْآنَ» وقرأ الحسن، وأبو المتوكل، وابن عمر: «وَصَلَّنَا» بتخفيف الصاد. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم قريش، قاله الأكثرون، منهم مجاهد. والثاني: اليهود، قاله رفاعة القرظي. والمعنى: أنزلنا القرآن يتبع بعضه بعضاً، ويُخبر عن الأمم الخالية كيف عُذِّبُوا لَعَلَّهُمْ يَتَعَلَّظُونَ. «الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ» وفيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم مؤمنو أهل الكتاب، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: مسلمو أهل الإنجيل، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن أربعين من أصحاب النجاشي قَدِمُوا على رسول الله ﷺ فشهدوا معه أحداً، فنزلت فيهم هذه الآية<sup>(٢)</sup>. والثالث: مسلمو اليهود، كعبد الله بن سلام وغيره، قاله السدي.

قوله تعالى: «مِنْ قَبْلِهِ» أي: من قبل القرآن «هُمْ يَدْعُونَ» في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى محمد ﷺ، لأن ذكره كان مكتوباً [عندهم] في كتبهم، فآمنوا به، والثاني: إلى القرآن. قوله تعالى: «وَلَقَدْ يَكَلَّمَ تِلْكَ الْبَنَاتُ عَالِيَهُنَّ» يعني القرآن «قَالُوا آمَنَّا بِهِ»، «إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ» أي: من قبل نزول القرآن «مُسْلِمِينَ» أي: مُخْلِصِينَ لله مصدّقين بمحمد، وذلك لأن ذكره كان في كتبهم فآمنوا به «أَوَّلَتْكَ يَدُكَ» أي: في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم مؤمنو أهل الكتاب، وهذا قول الجمهور، وهو الظاهر<sup>(٣)</sup>، وفيما صبروا عليه قولان: أحدهما: أنهم صبروا على الكتاب الأول، وصبروا على اتّباعهم محمداً، قاله قتادة، وابن زيد. والثاني أنهم صبروا على الإيمان بمحمد قبل أن يُنَبِّئَ، ثم على اتّباعه حين بُعِثَ، قاله الضحاك. والقول الثاني: أنهم قوم من المشركين أسلموا، فكان قومهم يؤذونهم، فصبروا على الأذى، قاله مجاهد.

قوله تعالى: «وَيَذَرُونَهُ بِالْأَيْمَانِ السَّيِّئَةِ» في أقوال قد شرحناها في [الرعد: ٢٢].

قوله تعالى: «وَلَقَدْ سَمِعُوا اللَّفْظَ» في ثلاثة أقوال: أحدهما: الأذى والسب، قاله مجاهد. والثاني: الشرك، قاله الضحاك. والثالث: أنهم قوم من اليهود آمنوا، فكانوا يسمعون ما غيّر اليهود من صفة رسول الله ﷺ فيكفرون ذلك ويُغَرِّضُونَ عنه، قاله ابن زيد. وهل هذا منسوخ، أم لا؟ فيه قولان. وفي قوله: «وَقَالُوا لَنَا آيَاتُنَا وَلَكُمْ آيَاتُنَا وَلَكُمُ الْأَمَلُ» قولان: أحدهما: لنا ديننا ولكم دينكم. والثاني: لنا حِلْمُنَا ولكم سَهْوُكُمْ. «سَلِّمْ عَلَيْكُمْ» قال الزجاج: لم يريدوا التحية، وإنما أرادوا: بيننا وبينكم المُتَارَكَة، وهذا قبل أن يؤمّر المسلمون بالقتال. وذكر المفسرون أن هذا منسوخ بآية السيف. وفي قوله: «لَا يَنْتَهِى الْجَاهِلِينَ» ثلاثة أقوال: أحدها: لا نبتغي دين الجاهلين. والثاني: لا نطلب مجاورتهم. والثالث: لا نريد أن نكون جُهَلَاءً.

(١) قال ابن كثير: وهذا فيه بُعْد، لأن عيسى لم يجر له ذكر هاهنا، والله أعلم. اهـ.

(٢) قال السيوطي في «أسباب النزول» ٢١٠: رواه الطبراني في «الأوسط» بسند فيه من لا يُعرف عن ابن عباس ﷺ.

(٣) عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به وأتبعه وصدّقه، فله أجران، وعبد مملوك أدّى حق الله تعالى وحق سيده، فله أجران، ورجل كانت له إمة فغلبها فأحسن غذاها، ثم أتبعها فأحسن أدبها، ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران» مضاف عليه، واللفظ لمسلم. وذكره السيوطي في «الدرر» ١٣٣/٥، وزاد نسبته لأحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن مردويه، والبيهقي.





قال المفسرون: خفيت عليهم الحُجج، وسُميت أنباء، لأنها أخبار يُخبر بها. قال ابن قتيبة: والمعنى: عُمُوا عنها - من شدة الهول - فلم يُحيوا، والانباء هاهنا: الحُجج.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يسأل بعضهم بعضاً عن الحُجّة، قاله الضحاك. والثاني: أن المعنى: سكتوا فلا يتساءلون في تلك الساعة، قاله الفراء. والثالث: لا يسأل بعضهم بعضاً أن يحمل عنه شيئاً من ذنوبه، حكاه الماوردي. ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ من الشُّرك ﴿وَأَمَّنْ﴾ أي: صدّق بتوحيد الله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أدى الفرائض ﴿فَسَوْفَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ و«عسى» من الله واجب.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا تَكُونُ سُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ﴿وَعَرَفَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ روى العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ قال: كانوا يجعلون لألهتهم خير أموالهم في الجاهلية. وقال مقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة حين قال: ﴿لَوْلَا زُجْلٌ هَذَا الْفَرْدَانُ عَلَى زَجَلٍ بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزعر: ٣١) والمعنى أنه لا تُبْعَثُ الرسل باختيارهم. قال الزجاج: والوقف الجيد على قوله: «ويختار» وتكون «ما» نفعياً؛ والمعنى: ليس لهم أن يختاروا على الله؛ ويجوز أن تكون «ما» بمعنى «الذي»، فيكون المعنى: ويختار الذي لهم فيه الخيرة ممّا يتعبدون به ويدعونه إليه (٧٥)؛ قال الفراء: والعرب تقول لما تختاره: أعطني الخيرة والخيرة والحيرة، قال ثعلب: كلها لغات.

قوله تعالى: ﴿مَا تَكُونُ سُدُورُهُمْ﴾ أي: ما تُخفي من الكفر والعداوة ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بالاستهم.

قوله تعالى: ﴿لَهُ الْخَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ [أي]: يَحْمَدُهُ أولياؤه في الدنيا وَيَحْمَدُونَهُ في الجنة ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ وهو الفصل بين الخلائق. والسرمد: الدائم.

﴿قُلْ أَتَدْعُونَ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَآ تَسْمَعُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿قُلْ أَتَدْعُونَ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِظُلٍّ أَوْ تَكُونُ فِيهِ أَفْلا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ وَمِنْ دَحْيَاهِ جَعَلَ لِكُلِّ الْيَلِّ وَالنَّهَارِ لِنَشْكُرًا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِمَلَكُهُ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ وَزَعَمْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٨٠﴾

قوله تعالى: ﴿أَفْلا تَسْمَعُونَ﴾ أي: سماع فهم وقبول فتستدلوا بذلك على وحدانية الله تعالى؟ ومعنى ﴿تَشْكُرُونَ فِيهِ﴾: تستريحون من الحركة والنصب ﴿أَفْلا تُبْصِرُونَ﴾ ما أنتم عليه من الخطأ والضلالة؟ ثم أخبر أن الليل والنهار رحمة منه. وقوله: ﴿لِنَشْكُرًا فِيهِ﴾ يعني في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: لتلتبسوا من رزقه بالمعاش في النهار ﴿وَلِمَلَكُهُ تَشْكُرُونَ﴾ الذي أنعم عليكم بهما.

قوله تعالى: ﴿وَزَعَمْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: أخرجنا من كل أمة رسولها الذي يشهد عليها بالتبليغ ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي: حجتكم على ما كنتم تعبدون من دوني ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ أي: علموا أنه لا إله إلا هو ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: بطل في الآخرة ﴿مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ في الدنيا من الشركاء.

﴿إِنَّ قَدَرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ بَقِيَ عَلَيْهِمْ وَمَآيَتَهُ مِنَ الْكُفْرِ مَا إِنْ مَنَاحَهُمُ لَنُحْوَ بِالْمُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ ﴿٨١﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا آتَاكَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُنْفِقِينَ﴾ ﴿٨٢﴾

(١) ذكره السيوطي في «أسباب النزول» ١٩٣ من رواية ابن المنذر عن قتادة، والله أعلم.

(٢) قال ابن كثير: وقد اختر ابن جرير أن «ما» هاهنا بمعنى الذي، تقديره: ويختار الذي لهم فيه خيرة، قال: وقد احتج بهذا السلك طائفة المعتزلة على وجوب مراعاة الأصلح، ثم قال ابن كثير: والصحيح أنها نافية كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره أيضاً، فإن المقام في بيان انفراد تعالى بالخلق والتقدير والاختيار، وأنه لا نظير له في ذلك، ولهذا قال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: من الأصنام والأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئاً. اهـ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَرْنَكَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: من عشيرته؛ وفي نسبه إلى موسى ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان ابن عمه، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال عبد الله بن الحارث، وإبراهيم، وابن جريج. والثاني: ابن خالته، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أنه كان عمّ موسى، قاله ابن إسحاق<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: «قارون» اسم أعجمي لا ينصرف، ولو كان «فاعولاً» من العربية من «قرنت الشيء» لانصرف.

قوله تعالى: ﴿فَبَقِيَ عَلَيْهِمْ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه جعل لِيَنْفِي جُفْلًا على أن تقذف موسى بنفسها، ففعلت، فاستحلفها موسى على ما قالت، فأخبرته بقصتها، فكان هذا بغية، قاله ابن عباس. والثاني: أنه بغى بالكفر بالله تعالى، قاله الضحاك. والثالث: بالكبر، قاله قتادة. والرابع: أنه زاد في طول ثيابه شبراً، قاله عطاء الخراساني، وشهر بن حوشب. والخامس: أنه كان يخدم فرعون فتعدى على بني إسرائيل وظلمهم، حكاه الماوردي. وفي المراد بمفاته قوله: أحدهما: أنها مفاتيح الخزائن التي تفتح بها الأبواب، قاله مجاهد، وقاتدة. وروى الأعمش عن خيشمة قال: كانت مفاتيح قارون وقر ستين بغلاً، وكانت من جلود، كل مفتاح مثل الأصبع. والثاني: أنها خزائنه، قاله السدي، وأبو صالح، والضحاك. قال الزجاج: وهذا الأشبه أن تكون مفاته خزائن ماله؛ وإلى نحو هذا ذهب ابن قتية. قال أبو صالح: كانت خزائنه تُحمل على أربعين بغلاً.

قوله تعالى: ﴿لَتَنَزَّلَنَّ بِالْعَصْبَةِ﴾ أي: تُثقلهم وتُميلهم. ومعنى الكلام: لَتَنَزَّلَنَّ الْعَصْبَةُ، فلَمَّا دخلت الباء في «العصبة» انفتحت التاء، كما تقول: هذا يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ، وهذا يَذْهَبُ الْأَبْصَارَ، وهذا اختيار الفراء، وابن قتية، والزجاج في آخرين. وقال بعضهم: هذا من المقلوب، وتقديره: ما إن العصبة لَتَنَزَّلَنَّ بمفاته، كما يقال: إنها لَتَنَزَّلَنَّ بها عجيزتها، أي: هي تنوء بعجيزتها، وأنشدوا:

فَدَيْتُ بِنَفْسِي نَفْسِي وَمَالِي وَمَا أَلَوْكَ إِلَّا مَا أُطِيتُ<sup>(٢)</sup>

أي: فديت بنفسي وبمالي نفسه، وهذا اختيار أبي عبيدة، والأخفش. وقد بينا معنى العصبة في سورة (يوسف: ٨)، وفي [المراد بها] هاهنا] ستة أقوال: أحدها: أربعون رجلاً، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: ما بين الثلاثة إلى العشرة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: خمسة عشر، قاله مجاهد. والرابع: فوق العشرة إلى الأربعين، قاله قتادة. والخامس: سبعون رجلاً، قاله أبو صالح. والسادس: ما بين الخمسة عشر إلى الأربعين، حكاه الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ في القائل له قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون من قومه، قاله السدي. والثاني: أنه قول موسى له، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ قال ابن قتية: المعنى: لا تأخر، ولا تبطر، قال الشاعر:

ولست بِمُفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنِي وَلَا جِزَازٍ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَحَوِّلِ<sup>(٣)</sup>

أي: لست بأشير، فأما السرور، فليس بمكروه. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ وقرأ أبو رجاء، وأبو حيوة، وعاصم الجحدري، وابن أبي عبيدة: «الفارجين» [بألف].

قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا فِيمَا آتَيْنَاكَ اللَّهُ﴾ أي: اطلب فيما أعطاك الله من الأموال. وقرأ أبو المتوكل، وابن السمين: «وأتين» بتشديد التاء وكسر الباء بعدها وعين ساكنة غير معجمة ﴿الْآخِرَةِ﴾ وهي: الجنة؛ وذلك يكون بإيفاقه في رضى الله تعالى وشكر المؤمنين به ﴿وَلَا تَسْكُنْ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن يعمل في الدنيا للأخرة، قاله ابن عباس، ومجاهد، والجمهور. والثاني: أن يقدم الفضل ويُمسك ما يُغنيه، قاله الحسن. والثالث: أن يستغني بالحلال عن الحرام، قاله قتادة. وفي معنى: ﴿وَأَتَيْنَا كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ثلاثة أقوال حكاه

(١) قال ابن كثير: قال ابن جريج: وأكثر أهل العلم على أنه كان ابن عمه، والله أعلم.

(٢) البيت في «مجاز القرآن» ٧٩/٢، و«الطبري» ١٠٨/٢٠.

(٣) البيت للذهبي بن عَشْرَم المَذْرُوعِي، وهو في «غريب القرآن» ٣٣٥، و«البحر المحيط» ١٣٢/٧، و«القرطبي» ٣١٣/١٣، و«الكامل» ١٢٤٨/٣، و«عيون

الأخبار» ١٣٦/٢ و٢٨١، و«حاشية البحري» ١٢٠، و«حاشية ابن الشجري» ١٣٧.

الماوردي: أحدها: أعط فضل مالك كما زادك على قدر حاجتك. والثاني: أحسن فيما افترض عليك كما أحسن في إنعامه إليك. والثالث: أحسن في طلب الحلال كما أحسن إليك في الإحلال<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ فتعمل فيها بالمعاصي.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندَكَ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ تَدْ أَعْلَمُ مِنْ قُلُوبِهِ مِنَ الْقُرْآنِ مَنْ مَوْ أُنْشِدَ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمًّا وَلَا يُنْتَفِلُ عَنْ دُؤْبِهِمْ الْمُتَعَبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ﴾ يعني المال يعني المال<sup>(٣)</sup> فيه خمسة أقوال: أحدها: على علم عندي بصناعة الذهب، رواه أبو صالح عن ابن عباس قال الزجاج: وهذا لا أصل له، لأن الكيمياء باطل لا حقيقة له. والثاني: برضى الله عني، قاله ابن زيد<sup>(٤)</sup>. والثالث: على خير عِلْمَ الله عندي، قاله مقاتل. والرابع: إنما أعطيت لفضل علمي، قاله الفراء. قال الزجاج: ادعى أنه أعطاني المال لعلمه بالتوارة. والخامس: على علم عندي بوجود المكاسب، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ تَدْ أَعْلَمُ مِنْ قُلُوبِهِ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ في الدنيا حتى كتبوا رسلهم ﴿مَنْ مَوْ أُنْشِدَ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمًّا﴾ للأموال. وفي قوله: ﴿وَلَا يُنْتَفِلُ عَنْ دُؤْبِهِمْ الْمُتَعَبُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لا يسألون ليعلم ذلك يوم قيلهم وإن سئلوا سؤال توبخ، قاله الحسن. والثاني: أن الملائكة تعرفهم بسيماهم فلا تسألهم عن ذنوبهم، قاله مجاهد. والثالث: يدخلون النار بغير حساب، قاله قتادة. وقال السدي: يعذبون ولا يسألون عن ذنوبهم.

﴿فَتَرَجَّ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَبِيتَ لَنَا يَوْمَ مَا أُولَىٰ فَتَنَبَّهْ إِنَّهُمْ لَكُذَّبٌ عَلَىٰ عَظِيمٍ﴾<sup>(٥)</sup> وَكَأَلِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَلَكُمُ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَتَوَلَّىٰ صَليحًا وَلَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الْكَافِرُونَ<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَتَرَجَّ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ قال الحسن: في ثياب حمر وصفر، وقال عكرمة: في ثياب مُعَصْفَرَة. وقال وهب بن منبه: خرج على بغلة شبيه عليها سرج أحمر من أزجوان، ومعه أربعة آلاف مقاتل، وثلاثمائة وصيفة عليهن الحلبي والزينة على بغال بيض. قال الزجاج: الأزجوان في اللغة: صبح أحمر.

قوله تعالى: ﴿لَكُذَّبٌ عَلَىٰ﴾ أي: لئلا نصيب وافر من الدنيا. [وقوله]: ﴿وَكَأَلِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ قال ابن عباس: يعني الأبحار من بني إسرائيل، وقال مقاتل: الذين أوتوا العلم بما وعد الله في الآخرة قالوا للذين تمنوا ما أوتي [قارون]: ﴿وَلَكُمُ ثَوَابُ اللَّهِ﴾ أي: ما عنده من الجزاء ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ﴾ مما أعطى قارون<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُلْقِنَهَا﴾ قال أبو عبيدة: لا يوقف لها ويؤزقها. وقرأ أبي بن كعب، وابن أبي عمير: «ولا يلقاها» بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف. وفي المشار إليها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الأعمال الصالحة، قاله مقاتل. والثاني: أنها الجنة، والمعنى: لا يعطاها في الآخرة إلا الصابرون على أمر الله، قاله ابن السائب. والثالث: أنها الكلمة التي قالوها، وهي قولهم: ﴿ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾، قاله الفراء<sup>(٨)</sup>.

(١) قال ابن جرير الطبري: وأحسن في الدنيا اتفاق مالك الذي آتاه الله في وجهه وشئله، كما أحسن الله إليك فوسع عليك منه ووسط لك فيها. وقال ابن كثير: أي: أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك.

(٢) قال ابن كثير: وقد أجاد في تفسير هذه الآية الإمام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، فإنه قال في قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندَكَ﴾ قال: لولا رضى الله عني ومعرفته بقضائي، ما أعطاني هذا المال، وقرأ ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ تَدْ أَعْلَمُ مِنْ قُلُوبِهِ مِنَ الْقُرْآنِ مَنْ مَوْ أُنْشِدَ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمًّا﴾ الآية، قال: وهكذا يقول من قل علمه إذا رأى من توسع له عليه، فلو أن يمينك ذلك لكنا أعطى. وقال ابن جرير الطبري: ولو كان الله يوقل الأموال بين يديه لفضل فيه وغير عنده، ولرباه عنه، لم يكن يهلك من أهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالاً، لأن من كان الله عنه راضياً، فمحال يهلك الله وهو عنه راض، وإنما يهلك من كان عليه ساعطاً. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: أي جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة غير مما ترون، قال: كما جاء في الحديث الصحيح: «يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، افترروا إن شئتم: ﴿كَلَّا قَلَمًا لَّمَّا أَتَيْنَا بِكُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ يَتَدَارَىٰ بِنَا غَوَا يَمْتَذِرُ﴾<sup>(٩)</sup> اهـ.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَلَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ يقول: ولا يلقاها، أي: لا يوقف لقل هذه الكلمة، وهي قوله: ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَتَوَلَّىٰ صَليحًا وَلَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾.

﴿تَسْتَفْتَانِيهِ وَيَدَارِيهِ الْأَرْضَ فَمَا ضَعَاكَ لَمْ يَنْفَرِ بِمَضْرُوبٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنْ التَّمَنِّيَةِ﴾ (١) وَأَصْبَحَ اللَّيْلَ قَمَرًا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَافُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَكَانَ لَنَا يَبْلُغُ الْكَثُورَةَ (٢)

قوله تعالى: ﴿تَسْتَفْتَانِيهِ وَيَدَارِيهِ الْأَرْضَ﴾ (١) لما أمر قارونَ البغييُّ بقذف موسى على ما سبق شرحه [القصاص: ٤٧٦] غضب موسى فدعا عليه، فأوحى الله تعالى إليه: إِنِّي قَدْ أَمَرْتُ الْأَرْضَ أَنْ تُطِيعَكَ فَمُرْهَا؛ فقال موسى: يَا أَرْضُ خُذِيهِ، فَأَخَذَتْهُ حَتَّى غَشِيَتْ سَرِيرَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَاشِدَهُ بِالرَّحْمِ، فَقَالَ: خُذِيهِ، فَأَخَذَتْهُ حَتَّى غَشِيَتْ قَدَمَيْهِ؛ فَمَا زَالَ يَقُولُ: خُذِيهِ، حَتَّى غَشِيَتْهُ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: يَا مُوسَى مَا أَفْطَكُ، وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَوْ اسْتَغَاثَ بِي لِأَعْتَه (٢). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَخَسِفَتْ بِهِ الْأَرْضُ إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى. وَقَالَ سُمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ: إِنَّهُ يُخَسَفُ بِهِ كُلُّ يَوْمٍ قَامَةً، فَيَبْلُغُ بِهِ الْأَرْضُ السُّفْلَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٣). وَقَالَ مُقَاتِلٌ: فَلَمَّا هَلَكَ قَارُونُ قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ: إِنَّمَا أَهْلَكَهُ مُوسَى لِأَخَذَ مَالَهُ وَدَارَهُ، فَخَسَفَ اللَّهُ بِدَارِهِ وَمَالِهِ بَعْدَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

قوله تعالى: ﴿يَعْصُرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَيَّ﴾ يَمْنَعُونَهُ مِنْ اللَّهِ ﴿وَمَا كَانَتْ مِنَ التَّمَنِّيَةِ﴾ أَيَّ: مِنْ الْمَمْتَنِّينَ مِمَّا نَزَلَ بِهِ. ثُمَّ أَعْلَمَنَا أَنَّ الْمَمْتَنِّينَ مَكَانَهُ نَدَمُوا عَلَى ذَلِكَ التَّمَنِّيِ بِالْآيَةِ الَّتِي تَلِيَ هَذِهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ الْكَثُرُونَ عَلَى ضَمِّ النِّجَاءِ وَكَسْرِ السِّينِ. وَقَرَأَ يَعْقُوبُ، وَالْوَلِيدُ عَنْ ابْنِ عَامِرٍ، وَجُفْضُ، وَأَبَانُ عَنْ حَاصِمٍ: بِفَتْحِ النِّجَاءِ وَالسِّينِ. فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَيْكَ﴾ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَعْنَاهُ: أَلَمْ تَرَ، وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالْكَسَائِيُّ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: ﴿وَيْكَ لَمَنْ﴾ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ تَقْرِيبُ: كَقَوْلِ الرَّجُلِ: أَمَّا تَرَى إِلَى صَنْعِ اللَّهِ وَإِحْسَانِهِ، أَتَشْدُنِي بَعْضُهُمْ:

وَيْكَ أَنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُخْ  
بَبٌ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعْشَى عَيْشَ ضُرٍّ

وقال ابن الأنباري: فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيْكَ أَنَّهُ﴾ ثَلَاثَةُ أَوْجِهٍ. إِنْ شَتَّ قُلْتَ: ﴿وَيْكَ﴾ حَرْفٌ، وَأَنَّهُ حَرْفٌ؛ وَالْمَعْنَى: أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ، وَالِدَلِيلِ عَلَى هَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

سَأَلْتَانِي الطَّلَاقَ أَنْ رَأَيْتَانِي  
وَيْكَ أَنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُخْ

وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ «وَيْكَ» حَرْفًا، وَأَنَّهُ حَرْفًا. وَالْمَعْنَى: وَبَيْكَ أَعْلَمْتُ أَنَّهُ، فَحَذَفْتُ اللَّامَ، كَمَا قَالُوا: قَمِ لَا أَبَاكَ، يَرِيدُونَ: لَا أَبَاكَ، وَأَنْشَدُوا:

أَبَاكَ نَزَتْ الَّتِي لَا بَدَّ أُنِي  
مُلَاقِي لَا أَبَاكَ تُحَوِّفُنِي (٤)

أَرَادَ: لَا أَبَاكَ، فَحَذَفَ اللَّامَ. وَالثَّلَاثُ: أَنْ يَكُونَ «وَيْ» حَرْفًا، وَكَأَنَّهُ حَرْفًا، فَيَكُونُ مَعْنَى «وَيْ» التَّعَجُّبُ، كَمَا تَقُولُ: وَيٍّ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، وَيَكُونُ مَعْنَى «كَأَنَّهُ»: أَظُنُّهُ وَأَعْلَمُهُ، كَمَا تَقُولُ فِي الْكَلَامِ: كَأَنَّكَ بِالْفَرَجِ قَدْ أَقْبَلْتَ؛ فَمَعْنَاهُ: أَظُنُّ الْفَرَجَ مُقْبِلًا. وَإِنَّمَا وَضَعُوا الْيَاءَ بِالْكَافِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيْكَأَنَّهُ﴾ لِأَنَّ الْكَلَامَ بَيْنَهُمَا كَثُرَ، كَمَا جَعَلُوا «يَتَوَزَّمُ» فِي

عَلَيْكَ. قَالَ: وَالْيَاءُ وَالْأَلِفُ كِتَابَةً مِنَ الْكَلِمَةِ وَيُقَالُ: ﴿إِلَّا الْكَلِمَةُ﴾ يَعْنِي ذَلِكَ: الْيَاءُ عَصْرًا عَنْ طَلَبِ زَيْتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَقْرَبُ مَا هُنَا اللَّهُ مِنْ

(١) وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» ٢٨١/٦ عَنْ هَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجْرُ إِزَارَهُ مِنَ الْغِيَلَةِ، عَصْفِيَّةً، فَهَوَّ بِتَجَلُّجٍ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» ١٦٥٩/٥ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَخَفَّرُ، يَمْشِي فِي بَرْدِهِ قَدْ أَصْغَبَتْهُ لَيْلٌ، فَخَسَفَتْ بِهِ الْأَرْضُ فَجَعَلَ يَهْوِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَتَحَنَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ».

(٢) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ بِنَحْوِهِ ١١٧/٢٠ وَفِي سَنَدِهِ رَجُلٌ مَجْهُولٌ، وَذَكَرَ تَحْوِيَهُ السُّبُوطِيُّ فِي «الدُّرَرِ» بِمُطَوَّلٍ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الْوَزَّاقِ وَلَيْسَ ابْنُ حَاتِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، وَمُخْتَصَرٌ مِنْ رِوَايَةِ أَحْمَدَ فِي «الزُّجَجِ» عَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَارِي، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٣) ذَكَرَهُ السُّبُوطِيُّ فِي «الذُّرَرِ» ١٣٨/٥ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ قَتَادَةَ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ جَوْرِ فِي «الْفَتْحِ»: «رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «الطَّلُوعِ» مِنْ طَرِيقِ سَيْدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: فَكُنْ لِمَنْ يَكُونُ مِنْ طَرِيقِهِ».

(٤) الْبَيْتَانِ لَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نَقِيلِ الْفَرَسِيِّ، وَهَمَا فِي «مَجَازِ الْقُرْآنِ» ١١٢/٢، وَالتَّبْرِيُّ ١٢٠/٢٠، وَالتَّرْطُفِيُّ ٣١٨/١٣، وَاسْمُهُ «وَسِيمُوه» ٤٥٩/١، وَالْبَيْتُ الثَّانِي فِي «مَشْكَلِ الْقُرْآنِ» ٤٥٨، وَفِي «الصَّنَاحِ» وَ«اللسان» وَ«التَّاجِ»: زَيْدًا، وَنَسَبَتْ فِيهَا لَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو، أَوْ لَنَسَبِهِ مِنَ الْحِجَاجِ.

(٥) الْبَيْتُ لِأَبِي حَلِيَةَ التَّمِيمِيِّ، وَهُوَ فِي «الصَّنَاحِ» وَ«اللسان» وَ«التَّاجِ»: أَيْ يَمْشِي لَمَسًا فِي الْأَرْضِ، وَفِي «الطَّلُوعِ» ١١٢/٢.

المصحف حرفاً واحداً، وهما حرفان [طه: ١٩٤]. وكان جماعة منهم يعقوب، يقفون على «وَيْلَكَ» في الحرفين، ويتدوون «آن» وأنته في الموضوعين. وذكر الزجاج عن الخليل أنه قال: «وَيْ» مفصولة من «كَأَنَّ»، وذلك أن القوم تنذمو فقالوا: «وَيْ» متندمين على ما سلف منهم، وكلُّ مَنْ نذِمَ فاعلهم ندامته قال: وَيْ. وحكى ابن قتيبة عن بعض العلماء أنه قال: معنى «ويكأن»: رحمة لك، بلغة جُمَيْر<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَوْ لَا أَن مِّنَ اللَّهِ عَلِيًّا﴾ أي: بالرحمة والمعافة والإيمان ﴿لَمْ يَكُنْ يَتَأَمَّرُ﴾.

﴿يَتَأَمَّرُ الْأَخْرَجُ يَحْمِلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْمُؤَيَّدُ لِلْمُؤَيَّدِينَ﴾ مَن جَاءَهُ بِالْمَسْنُونِ فَلَهُ حَبِيرٌ مِنْهَا وَمَن جَاءَهُ بِالْمَسْنُونِ فَلَا يَجْزِيكَ إِلَيْكَ عَمَلُكَ السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٨٩﴾

قوله تعالى: ﴿يَتَأَمَّرُ الْأَخْرَجُ﴾ يعني الجنة ﴿يَحْمِلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ وفيه خمسة أقوال: أحدها: أنه البغي، قاله سعيد بن جبير. والثاني: الشرف والعز، قاله الحسن. والثالث: الظلم، قاله الضحاك. والرابع: الشرك، قاله يحيى بن سلام. والخامس: الاستكبار عن الإيمان، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ فيه قولان: أحدهما: العمل بالمعاصي، قاله عكرمة. والثاني: الدُّعَاءُ إلى غير عبادة الله قاله ابن السائب<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤَيَّدُ لِلْمُؤَيَّدِينَ﴾ أي: العاقبة المحمودة لهم.

قوله تعالى: ﴿مَن جَاءَهُ بِالْمَسْنُونِ﴾ قد فسرناه في سورة [النمل: ٢٨٩].

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَجْزِيكَ إِلَيْكَ عَمَلُكَ السَّيِّئَاتِ﴾ يريد الذين أشركوا ﴿إِلَّا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي: إلا جزاء عملهم من الشرك، وجزاؤه الثَّار.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأَاهُ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّهِ أَطْلَمُ مَن جَاءَهُ بِالْهَدَىٰ وَمَن هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٩٠﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ مِّلَّتِكَ اللَّهُ بِمَدِّ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٩١﴾ وَلَا تَتَّبِعْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ مَن دَخَلَ بَيْتَهُ فَكُفِّرَ إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُرِّيَّةٌ مِّن دُونِهَا فَكُلٌّ مِّنَ الْفِتْرِ وَلِئِلَٰهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٩٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ قال مقاتل: خرج رسول الله ﷺ من الغار ليلاً، فمضى من وجهه إلى المدينة فسار في غير الطريق مخافة الظلم؛ فلما أَمِنَ رجع إلى الطريق فنزل الجُحْفَةَ بين مكة والمدينة، فعرف الطريق إلى مكة، فاشتاق إليها، وذكر مولده، فأتاه جبريل فقال: أنت شاق إلى بلدك ومولدك؟ قال: نعم؛ قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأَاهُ إِلَى مَعَادٍ﴾، فنزلت هذه الآية بالجُحْفَةِ<sup>(٣)</sup>. وفي معنى ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: فرض عليك العمل بالقرآن، قاله عطاء بن أبي رباح، وابن قتيبة. والثاني: أعطاك القرآن، قاله

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، أن معناه: ألم تر، ألم تعلم، ثم قال: وإذا كان ذلك هو الصواب، فتأويل الكلام: وأصبح الذين تمثروا مكان قارون وموضع من الدنيا بالأسس، يقولون لما عابوا ما أحل الله به من نعمته: ألم تر يا هذا أن الله يسطر الرزق لمن يشاء من عباده فيؤتس عليه لا لفضل منزلته عنده ولا لكرامته عليه، كما كان يسطر من ذلك لقارون، لا لفضله ولا لكرامته عليه ﴿وَيَذَرُونَ﴾ يقول: ويضيئ على من يشاء من خلقه ذلك ويقر عليه لا لهوانه ولا لسخيوط عمله. اهـ. وقد ضعف ابن جرير قول من قال: معناه: «ويك أعلم أن»، وقال ابن كثير: والظاهر أنه قوي، ولا يشكل على ذلك إلا كتابتها في المصاحف مصلة «ويكأن» وقال: والكتابة أمر وضعي اصطلاحى، والمرجع إلى اللفظ العربي، والله أعلم. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: يخبر تعالى أن الدار الآخرة وتعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول، جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علواً في الأرض، أي: ترعفاً على خلق الله وتماظماً عليهم وتجبُّراً بهم، ولا فساداً فيهم. اهـ. وروى ابن جرير الطبري عن علي رضي الله عنه قال: إن الرجل ليعجبه من شرك نعله أن يكون أجود من شرك صاحبه، فيدخل في قوله: ﴿يَتَأَمَّرُ الْأَخْرَجُ يَحْمِلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْمُؤَيَّدُ لِلْمُؤَيَّدِينَ﴾. اهـ. قال ابن كثير: وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتواضع على غيره، فإن ذلك مضموم، كما ثبت في «الصحيح» من النبي ﷺ أنه قال: «إنه أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَإِنِ احْبَبَ ذَلِكَ لِمَجْدِ التَّجَلُّلِ، فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ، فَقَدْ ثَبِتَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَحِبُّ أَنْ يَكُونَ رِدَائِي حَسَنًا، وَنَعْلِي حَسَنًا، أَفَمِنَ الْكِبَرِ ذَلِكَ؟» قَالَ: «لَا، إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ».

(٣) ذكر ذلك القرطبي في «تفسيره» عن مقاتل أيضاً، وخرجه السيوطي في «الدرر» ١٣٩/٥ من رواية ابن أبي حاتم عن الضحاك بنحوه. وقال ابن كثير بعد أن أورد رواية ابن أبي حاتم عن الضحاك: وهذا من كلام الضحاك يقتضي أن هذه الآية مدنية وإن كان مجموع السورة مكياً، والله أعلم. اهـ.



مجاهد. والثالث: أنزل عليك القرآن، قاله مقاتل، والفراء، وأبو عبيدة: وفي قوله: ﴿لَرَأَدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ أربعة أقوال: أحدها: إلى مكة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في رواية، والضحاك. قال ابن قتيبة: مَعَادُ الرَّجُل: بلده، لأنه يتصرف في البلاد ويصير في الأرض<sup>(١)</sup> ثم يعود إلى بلده. والثاني: إلى معادك من الجنة، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وبه قال الحسن، والزهري. فإن اعترض على هذا فقيل: الرُّدُّ يقتضي أنه قد كان فيما رُدُّ إليه؛ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه لما كان أبوه آدم في الجنة ثم أخرج، كان كأنَّ ولده أخرج منها، فإذا دخلها فكانه أعيد. والثاني: أنه دخلها ليلة المعراج، فإذا دخلها يوم القيامة كان ردًّا إليها، ذكرهما ابن جرير. والثالث: أن العرب تقول: رجع الأمر إلى كذا، وإن لم يكن له كُنْز فيه قط، وأنشدوا:

[وَمَا السَّيْرُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَرْبِهِ] يَحُورُ رَمَادًا بَغْدًا إِذْ هُوَ سَاطِعٌ<sup>(٣)</sup>

وقد شرحنا هذا في قوله: ﴿وَرَأَى اللَّهُ تَرْجِعَ الْأُمُورَ﴾ [البقرة: ٢١٠]. والثالث: لَرَأَدُكَ إِلَى الموت، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال أبو سعيد الخدري<sup>(٤)</sup>. والرابع: لَرَأَدُكَ إِلَى القيامة بالبعث، قاله الحسن، والزهري، ومجاهد في رواية، والزجاج<sup>(٥)</sup>. ثم ابتداء كلاماً يرُدُّ به على الكفار حين نسبوا النبي ﷺ إلى الضلال، فقال: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى﴾؛ والمعنى: قد علم أنني جئت بالهدى، وأنكم في ضلال مبين. ثم ذكَّره نَعَمَهُ، فقال: ﴿وَمَا كُنْتُ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أي: أن تكون نبياً وأن يوحى إليك القرآن ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ قال الفراء: هذا استثناء منقطع، والمعنى: إلا أن ربك رجحك فأنزله عليك ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَاهِرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: عوناً لهم على دينهم، وذلك أنهم دَعَوْهُ إلى دين أبياته فأمر بالاحتراز منهم؛ والخطاب بهذا وأمثاله له، والمراد أهل دينه لئلا يظاهروا الكفار ولا يوافقوهم. قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: إلا ما أريد به وجهه، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الثوري. والثاني: إلا هو، قاله الضحاك، وأبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ أي: الفصل بين الخلائق في الآخرة دون غيره ﴿وَالَّذِينَ يُتَعَمَّنُونَ﴾ في الآخرة<sup>(٦)</sup>.



(١) زيادة من «مشكل القرآن».

(٢) رواه الطبري: ١٢٤/٢٠ وفي سنده ضعف.

(٣) البيت للبيد بن ربيعة العامري، وهو في «ديوانه» ١٦٩، و«البحر» ٤٤٤/٨، و«اللسان» و«التاج»: حور.

(٤) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال: لرادك إلى عاتك من الموت، أو إلى عاتك حيث وُلِدْتَ. اهـ.

(٥) قال ابن كثير: وجه الجمع بين هذه الأقوال، أن ابن عباس فسر ذلك تارة برجوعه إلى مكة، وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمانة على اقتراب أجل النبي ﷺ، كما فسر ابن عباس سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلى آخر السورة: أنه أجل رسول الله ﷺ نعمي إليه، وكان ذلك بحضرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ووافقه عمر على ذلك وقال: لا أعلم منها غير الذي تعلم، ولهذا فسر ابن عباس تارة أخرى قوله: ﴿لَرَأَدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ بالموت، وتارة بيوم القيامة الذي هو بعد الموت، وتارة بالجنة التي هي جزاء ومصيره على أداء رسالة الله وإبلاغها إلى الثقلين: الإنس والجن، ولأنه أكمل خلق الله، وأفصح خلق الله، وأشرف خلق الله على الإطلاق. اهـ.

(٦) قال ابن جرير الطبري: واليه تردون من بعد مماتكم فيقضي بينكم بالعدل فيجازي مؤمنكم جزاءهم، وكفاركم ما وعدهم. اهـ.



قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَسِبَ﴾ أي: أَيْحَسَبَ ﴿الَّذِينَ يَمْلِكُونَ الشَّيَاطِينَ﴾ يعني الشُّرك ﴿أَن يَسِفُونَا﴾ أي: يَفُوتُونَا وَيُغْزِبُونَا ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: بشس ما حكموا لأنفسهم حين ظنُّوا ذلك. قال ابن عباس: عنى بهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل، والعامس بن هشام، وغيرهم.

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿وَمَنْ جَهَدَ فَإِنَّا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ قد شرحناه في آخر (الكهف) ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ يعني الأجل المضروب للبعث؛ والمعنى: فليعمل لذلك اليوم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يعمل. ﴿وَمَنْ جَهَدَ فَإِنَّا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: إن ثوابه إليه يرجع.

قوله تعالى: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي: لَنَبْطِلَنَّهَا حتى تصير بمنزلة ما لم يُعمل ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: بأحسن أعمالهم، وهو الطاعة، ولا نجزيهم بمساوئ أعمالهم.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَنْتَ بِنَظَرٍ﴾ ﴿وَمَا كُنْتَ تَسْمَعُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز: وعاصم الجحدري: «إحساناً» بالف. وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء: «حسناً» بفتح الحاء والسين. روى أبو عثمان التهذي عن سعد بن أبي وقاص، قال: في أنزلت هذه الآية، كنت رجلاً بَرًّا بأبي، فلما أسلمتُ قالت: يا سعدا ما هذا الدين الذي قد أحدثت، لتدعن دينك هذا أو لا أكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال: يا قاتل أمه، قلت: لا تفعلني يا أمه، إني لا أدع ديني هذا لشيء، قال: فمكثت يوماً وليله لا تاكل، فأصبحت قد جهدت، ثم مكثت يوماً آخر وليله لا تاكل، فلما رأيت ذلك قلت: تعلمين والله يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء، فكلني، وإن شئت لا تاكلني، فلما رأت ذلك أكلت، فأنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. وقيل: لأنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة، وقد جرى له مع أمه نحو هذا<sup>(٢)</sup>. وذكر بعض المفسرين أن هذه الآية، والتي في [لقمان: ١٥] وفي [الأحقاف: ١٥] نزلت في قصة سعد<sup>(٣)</sup>. قال الزجاج: مَنْ قرأ: «حسناً» فمعناه: ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يَحْسُن، ومن قرأ: «إحساناً» فمعناه: ووصينا الإنسان أن يُحْسِن إلى والديه، وكان «حسناً» أعم في اليز. ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ﴾ قال أبو عبيدة: مجاز هذا الكلام المختصر الذي فيه ضمير، والمعنى: وقلنا له: وإن جاهدك.

قوله تعالى: ﴿لِتُشْرِكَ بِي﴾ معناه: لتشرك بي شريكاً لا تعلمه لي وليس لأحد بذلك علم، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾.

قوله تعالى: ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ أي: في رُتبة الصَّالِحِينَ في الجنة. وقال مقاتل: «في» بمعنى «مع».

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَمَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَذَّابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَهُ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿٨﴾

قال: ولهذا قال هاتنا: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٩﴾ أي: الذين صدقوا في دعوى الإيمان ممن هو كاذب في قوله ودعوا. والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة. اهـ.

(١) رَوَاهُ بِهَذَا السِّيَاقِ الْوَاحِدِي فِي «أَسْبَابِ النُّزُولِ» ١٩٥ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي عِثْمَانَ التَّهْذِي عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ، وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ، وَذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي سُورَةِ (لُقْمَانَ) مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيِّ، وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ وَانْقِطَاعٌ، وَأَوْرَدَهُ السَّيُوطِيُّ فِي (الدَّرَرِ) ١٦٥/٥ فِي سُورَةِ (لُقْمَانَ) زِيَادَ نَسْبَتِهِ لِأَبِي يَعْلَى، وَابْنُ مَرْدُوَيْهِ، وَابْنُ حَسَّارٍ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ هُنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ (التَّكْوِينِ) ١٥٠/٢ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ قَالَ: أُنْزِلَتْ فِي أَرْبَعِ آيَاتٍ، فَذَكَرَ قِصَّتَهُ، وَقَالَتْ أُمُّ سَعْدٍ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْبِرِّ، وَاللَّهُ لَا أَطْعَمُ لِعَامِماً، وَلَا أَشْرَبَ شَرَاباً حَتَّى أَمُوتَ أَوْ تُكْفَرُ، قَالَ: فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَطْعَمُوهَا شَجَرُوا فَاغَا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي...﴾ الْآيَةُ. وَمَعْنَى: شَجَرُوا فَاغَا: فَتَحَوْهُ، وَهَذَا الْحَدِيثُ قَالَ عَنْ التِّرْمِذِيِّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَرَوَاهُ بَنُو أَحْمَدَ، وَمُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتَّيَاهِي.

(٢) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «تَخْرِيجِ الْكَشَافِ» ٤٧: ذَكَرَ الْقِصَّةَ بِطَوْلِهَا الْعَلَمِيُّ بِدُونِ سَنَدٍ، وَالوَاحِدِيُّ عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ، وَالطَّبْرِيُّ عَنِ السَّيِّدِ.

(٣) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «تَخْرِيجِ الْكَشَافِ» ١٢٧: ذَكَرَهُ الرَّاهِدِيُّ، وَالتَّعَلُّبِيُّ، وَالرَّوَادِيُّ هَكَذَا بِغَيْرِ سَنَدٍ، وَالْقِصَّةُ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ بِغَيْرِ هَذَا السِّيَاقِ. اهـ. يَتَنَبَّهُ بِهَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي تَقَدَّمَ: أُنْزِلَتْ فِي أَرْبَعِ آيَاتٍ...

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ النَّاسِ مَن يُقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ اختفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في المؤمنين الذين أخرجهم المشركون إلى بدر فارتدوا، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: نزلت في قوم كانوا يؤمنون بالسنتهم، فإذا أصابهم بلاء من الله أو مصيبة في أنفسهم وأموالهم افتتوا، قاله مجاهد<sup>(٢)</sup>. والثالث: نزلت في ناس من المنافقين بمكة، كانوا يؤمنون، فإذا أودوا وأصابهم بلاء من المشركين رجعوا إلى الشرك، قاله الضحاك<sup>(٣)</sup>. والرابع: أنها نزلت في عيَّاش بن أبي ربيعة، كان أسلم، فخاف على نفسه من أهله وقومه، فخرج من مكة هارباً إلى المدينة، وذلك قبل قدوم رسول الله ﷺ إلى المدينة، فجزعت أمه فقالت لأخويه أبي جهل والحارث ابني هشام - وهما أخواه لأمه -: والله لا أوي بيتاً ولا أكل طعاماً ولا أشرب شراباً حتى تأتياي به، فخرجا في طلبه فظفرا به، فلم يزالا به حتى تابعهما وجاءا به إليها، فقيدته، وقالت: والله لا أحلك من وثاقك حتى تكفر بمحمد، ثم أقبلت تجلبد بالسياط وتعذبه حتى كفر بمحمد ﷺ جَزَعاً من الضَرْب، فنزلت [فيه] هذه الآية، ثم هاجر بَعْدُ وحَسُنَ إسلامه، هذا قول ابن السائب، ومقاتل. وفي رواية عن مقاتل أنهما جلداه في الطريق مائتي جلدة، فنبأ من دين محمد، فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَرَادَىٰ فِي اللَّهِ﴾ أي: ناله أذى أو عذاب بسبب إيمانه ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ أي: ما يصيبه من عذابهم في الدنيا ﴿كَذَّابَ اللَّهِ﴾ في الآخرة، وإنما ينبغي للمؤمن أن يصبر على الأذى في الله تعالى لِمَا يَرْجُو من ثوابه<sup>(٥)</sup> ﴿وَلَكِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ يعني دولة للمؤمنين ﴿يَقُولُونَ﴾ يعني المنافقين للمؤمنين ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ على دينكم، فكذبهم الله ﷻ وقال: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ من الإيمان والنفاق. وقد فسرنا الآية التي تلي هذه في أول السورة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِن خَطَايَهُمْ مِن قَوْلَةٍ كَذِبٍ إِنَّمَا لَكُمُ الذُّلُّ وَمَا لَكُم بِالْعِزَّةِ﴾

قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ يعنون: ديننا. قال مجاهد: هذا قول كفار قريش لمن آمن من أهل مكة، قالوا لهم: لا بُعَثَ نحن ولا أنتم فأتبعونا، فإن كان عليكم شيء فهو علينا.

قوله تعالى: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ﴾ قال الزجاج: هو أمر في تأويل الشرط والجزاء، يعني: إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم. وقال الأخفش: كأنهم أمروا أنفسهم بذلك. وقرأ الحسن: ﴿وَلْنَحْمِلْ﴾ بكسر اللام. قال ابن قتيبة: الواو زائدة، والمعنى: لنحمل خطاياكم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا لَكُمُ الذُّلُّ﴾ أي: فيما ضمنوا من حمل خطاياهم.

قوله تعالى: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ﴾ أي: أوزار أنفسهم ﴿وَأَقْبَلْنَا مَعَ أَقْبَالِهِمْ﴾ أي: أوزاراً مع أوزارهم، وهي أوزار الذين أضلُّوهم، وهذا كقوله: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ أَوْزَارُ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥] ﴿وَلْيَسْتَأْذِنُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ سؤال توبيع وتقرير ﴿مَعًا كَانُوا يَقْتُلُونَ﴾ من الكذب على الله ﷻ، وقال مقاتل: عن قولهم: نحن الكفلاء بكل بُعْثَة تصيبكم من الله ﷻ.

(١) ذكره الواحدي بدون سند ١٩٦، وهو في «الطبري» بأطول منه ١٣٣/٢٠ عن عكرمة عن ابن عباس مستنداً، وذكره السيوطي في «أسباب النزول» بنحو رواية الطبري ٢٠٥/٢، وزاد نسبة لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن ابن عباس.

(٢) «الطبري» ١٣٢/٢٠، وذكره السيوطي في «الدور» ١٤٢/٥، وزاد نسبة للقرطبي، وابن أبي شبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) «الطبري» ١٣٢/٢٠.

(٤) قال المحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ٤٧: ذكر القصة بطولها العلبي بدون سند، والواحدي عن ابن الكلبي، ورواها الطبري عن طريق أسباط عن السدي بتغيير يسير ولم يسم الحارث، فقال: ومعه رجل من بني عامر.

(٥) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن صفات قوم من المكذبين الذين يَدْعُونَ الإيمان بالسنتهم ولم يثبت في قلوبهم، بأنهم إذا جاءتهم محنة وفتنة في الدنيا، اعتقدوا أن هذا من نعمة الله تعالى بهم، فارتدوا عن الإسلام، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ النَّاسِ مَن يُقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أَرَادَىٰ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَذَّابَ اللَّهِ﴾ ثم قال: قال ابن عباس: يعني فتنة أن يرتد عن دينه إذا أودى في الله، وكلما قال غيره من علماء السلف. اهـ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَمِيلَتٌ عَامًا فَآخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ١﴾ فَأَنبَأَتْهُ وَأَصْحَبَ الشَّيْئَةَ وَجَعَلْنَاهَا دَاجِيَةً لِلْمَلَائِكَةِ ٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ في هذه القصة تسلية للنبي ﷺ حيث أعلم أن الأنبياء قد ابتلوا قبله، وفيها وعيد شديد لمن أقام على الشرك، فإنهم وإن أمهلوا، فقد أمهل قوم نوح أكثر ثم أخذوا.

قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَمِيلَتٌ عَامًا﴾ اختلفوا في عمر نوح على خمسة أقوال: أحدها: بُعث بعد أربعين سنة، وعاش في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم، وعاش بعد الطوفان ستين سنة، رواه يوسف بن مهزبان عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد ذلك سبعين عاماً، فكان مبلغ عُمره ألف سنة وعشرين سنة، قاله كعب الأحبار. والثالث: أنه بُعث وهو ابن خمسين وثلاثمائة، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمائة، قاله عون بن أبي شداد<sup>(٢)</sup>. والرابع: أنه لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلاثمائة سنة، [ودعاهم ثلاثمائة سنة]<sup>(٣)</sup> ولبث بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، قاله قتادة<sup>(٤)</sup>. وقال وهب بن منبه: بُعث لخمسين سنة. والخامس: أن هذه الآية بيّنت مقدار عُمره كلّ، حكاه الماوردي<sup>(٥)</sup>. فإن قيل: ما فائدة قوله: ﴿إِلَّا حَمِيلَتٌ عَامًا﴾، فهلاً قال: تسعمائة وخمسين؟ فالجواب: أن المراد به تكثير العدد، ويذكر الألف أفخم في اللفظ، وأعظم للعدد. قال الزجاج: تأويل الاستثناء في كلام العرب: التوكيد، تقول: جاءني إختوك إلا زيدا، فتؤكد أن الجماعة جاؤا، وتنقص زيدا. واستثناء نصف الشيء قبيح جداً لا تتكلم به العرب، وإنما تتكلم بالاستثناء كما تتكلم بالنقصان، تقول: عندي درهم ينقص قيراطاً، فلو قلت: ينقص نصفه، كان الأولى أن تقول: عندي نصف درهم، ولم يأت الاستثناء في كلام العرب إلا قليل من كثير.

قوله تعالى: ﴿فَآخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: الموت، روت عائشة عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿فَآخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ قال: «الموت»<sup>(٦)</sup>. والثاني: المطر، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبيرة، وقاتدة. قال ابن قتيبة: هو المطر الشديد. والثالث: الغرق، قاله الضحاك. قال الزجاج: الطوفان من كل شيء: ما كان كثيراً مطيافاً بالجماعة كلها، فالغرق الذي يشتمل على المدن الكثيرة: طوفان، وكذلك القتل الذريع، والموت الجارف: طوفان.

قوله تعالى: ﴿وَعُمُّ عَلِيلُونَ﴾ قال ابن عباس: كافرون.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا دَاجِيَةً﴾ يعني السفينة، قال قتادة: أبقاها الله آية للناس بأعلى الجودي. قال أبو سليمان الدمشقي: وجاز أن يكون أراد: الفعلة التي فعلها بهم من الغرق «دَاجِيَةً»، أي عبرة ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ [بعدهم].

﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا قَالُوا لِقَوْمِهِمْ أَتَقُولُوا اللَّهُ وَأَتَقُولُ دَلِيلُكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَقْلُمُونَ ٣﴾ إِنَّمَا تَقْدُومُ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَقًا وَتَخْلِفُونَ إِفْكًا إِنَّكَ الْذِينَ تَقْدُومُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رَيْقًا فَلَا تَبْغُوا عِندَ اللَّهِ الزَّكَاةَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٤﴾ وَإِن كَذَّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أَمْرٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَّ الرَّسُولُ إِلَّا الْبَلْغُ الْأَمِيرُ ٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا قَالُوا لِقَوْمِهِمْ﴾ قال الزجاج: هو معطوف على نوح، والمعنى: أرسلنا إبراهيم.

قوله تعالى: ﴿دَلِيلُكُمْ﴾ يعني عبادة الله «خَيْرٌ لَّكُمْ» من عبادة الأوثان، ﴿إِن كُنتُمْ تَقْلُمُونَ﴾ ما هو خير لكم

(١) قال السيوطي في «الدور» ١٤٣/٥: أخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وضححه، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث الله نوحاً وهو ابن أربعين سنة، ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس ونشوا.

(٢) قال ابن كثير من هذا القول: غريب رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير.

(٣) زيادة من «تفسير ابن كثير».

(٤) قال ابن كثير: وهذا قول غريب، وظاهر السياق من الآية أنه مكث في قومه يدعوهم إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاماً.

(٥) قال ابن كثير: وقول ابن عباس أقرب، والله أعلم اهـ. يريد به القول الأول هنا.

(٦) رواه الطبري: ٥١/١٣، وفي سننه المنهال بن خليفة العجلي، وهو ضعيف، وفيه الحجاج بن أوطاة، وهو صدوق كثير الخطأ والتدليس، والحديث ذكره ابن كثير ٢٤٠/٢ من رواية ابن مردويه بنحوه، وقال عنه: حديث غريب. اهـ.

مما هو شر لكم، والمعنى: ولكنكم لا تعلمون. ﴿إِنَّمَا تَقْبَلُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ قال الفراء: «إنما» في هذا الموضع حرف واحد، وليست على معنى «الذي»، وقوله: ﴿وَتَقْلَقُونَ إِنْكَافًا﴾ مردود على «إنما»، كقولك: إنما تفعلون كذا، وإنما تفعلون كذا. وقال مقاتل: الأوثان: الأصنام. قال ابن قتيبة: واحدها وثن، وهو ما كان من حجارة أو حصص.

قوله تعالى: ﴿وَتَقْلَقُونَ إِنْكَافًا﴾ وقرأ ابن السميع، وأبو المتوكل: «وتتخلقون» بزيادة تاء. ثم فيه قولان: أحدهما: تتخلقون كذباً في زعمكم أنها آلهة. والثاني: تصنعون الأصنام<sup>(١)</sup>، والمعنى: تعبدون أصناماً أنتم تصنعونها. ثم بين عجزهم بقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ أي: لا يقدرون على أن يرزقوكم ﴿فَاسْتَعِزُّوا بِعِنْدِ اللَّهِ الرَّزَّاقِ﴾ أي: فاطلبوا من الله، فإنه القادر على ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا هَذَا تَهْدِيدٌ لِقَرِيشٍ﴾ فقد كذب أسد بن قبيك<sup>(٢)</sup>، والمعنى: فأهلكوا. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله يبشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ وما أشد يمجيز في الأرض ولا في السموات وما لكم من دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاقِبَةِ اللَّهِ وَلَسَابِقِهِ أُولَئِكَ يَهْجَأُ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ [قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «يَرَوْنَ»] بالياء وقرأ حمزة، والكسائي: بالياء. [وعن عاصم كالقراءتين]. وعنى بالكلام كفار مكة ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ أي: كيف يخلقهم ابتداء من نقطة، ثم من علقه، ثم من مضغة إلى أن يتم الخلق ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: ثم هو يعيده في الآخرة عند البعث. وقال أبو عبيدة: مجازة: أو لم يروا كيف استأنف الله الخلق الأول ثم يعيده. وفيه لفتان: أبداً وأعاد، وكان مُبدئاً ومُعِيداً، وبدأ وعاد، وكان بادئاً وعائداً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعني الخلق الأول والخلق الثاني. قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: انظروا إلى المخلوقات التي في الأرض، وابحثوا عنها هل تجدون لها خالقاً غير الله، فإذا علموا أنه لا خالق لهم سواه، لزمتهم الحجة في الإعادة، وهو قوله: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُبْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ أي: ثم الله ينشئهم عند البعث نشأة أخرى. وأكثر القراء قروا: «النشأة» بتسكين الشين وترك المد. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «النشأة» بالمد.

قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه في الآخرة بعد إنشائهم. والثاني: أنه في الدنيا. ثم فيه خمسة أقوال حكاهما الماوردي: أحدها: يعذب من يشاء بالحرص، ويرحم من يشاء بالقلعة. والثاني: يعذب بسوء الخلق ويرحم بحسن الخلق. والثالث: يعذب بمتابعة البدعة، ويرحم بملزمة السنة. والرابع: يعذب بالانقطاع إلى الدنيا، ويرحم بالإعراض عنها. والخامس: يعذب من يشاء بغيض الناس له، ويرحم من يشاء بحب الناس له.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَقُولُونَ﴾ أي: تُرذلون. ﴿وَمَا أَشَدُّ يَمْجِيزُ فِي الْآخِرَةِ﴾ فيه قولان حكاهما الزجاج: أحدهما: وما أنتم بمعجزين في الأرض، ولا أهل السماء بمعجزين في السماء. والثاني: وما أنتم بمعجزين في الأرض، ولا لو كنتم في السماء. وقال قطرب: هذا كقولك: ما يفوتني فلان لا هاهنا ولا بالبصرة، أي: ولا بالبصرة لو صار إليها. قال مقاتل: والخطاب لكفار مكة؛ والمعنى: لا تسبقون الله حتى يجزيكم بأعمالكم السيئة. ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي: قريب ينفكم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنعكم من الله.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاقِبَةِ اللَّهِ وَلَسَابِقِهِ﴾ أي: بالقرآن والبعث ﴿أُولَئِكَ يَهْجَأُ مِنْ رَحْمَتِي﴾ في الرحمة قولان: أحدهما: الجنة، قاله مقاتل. والثاني: العفو والمغفرة، قاله أبو سليمان. قال ابن جرير: وذلك في الآخرة عند رؤية العذاب.

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك قول من قال: معناه: وتصنعون كذباً.

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَجَبَهُ اللَّهُ مِنْ تَحْتِ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ١٥ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ بَعْضٌ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ أَشْعَافٍ ١٦﴾

ثم عاد الكلام إلى قصة إبراهيم، وهو قوله: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ أي: حين دعاهم إلى الله ونهاهم عن الأصنام ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ وهذا بيان لسفه أحلامهم حين قابلوا احتجاجه عليهم بهذا. قوله تعالى: ﴿فَأَجَبَهُ اللَّهُ﴾ المعنى: فحرقوه فأنجاه الله ﴿مِنْ تَحْتِ النَّارِ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ يشير إلى إنجائه إبراهيم.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ﴾ يعني إبراهيم ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ» بالرفع والإضافة. قال الزجاج: «مَوَدَّة» مرفوعة بإضمار «هي»، كأنه قال: تلك مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ، أي: ألفتكم واجتماعكم على الأصنام مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ؛ والمعنى: إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ هَذِهِ الْأَوْثَانَ لِتَتَوَاتُوا بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. ويجوز أن تكون «ما» بمعنى الذي. وقرأ ابن عباس، وسعيد بن المسيب، وعكرمة، وابن أبي عمير: «مَوَدَّة» بالرفع ﴿بَيْنِكُمْ﴾ بالنصب. وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ» قال أبو علي: المعنى: اتَّخَذْتُمْ الْأَصْنَامَ لِلْمَوَدَّةِ، وبَيْنِكُمْ» نصب على الظرف، والعامل فيه المودة. وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: «مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ» بنصب «مَوَدَّة» مع الإضافة، وهذا على الاتساع في جعل الظرف اسماً لما أضيف إليه. قال المفسرون: معنى الكلام: إِنَّمَا اتَّخَذْتُمُوهَا لِتَتَّصِلَ الْمَوَدَّةُ بَيْنَكُمْ وَاللِّفَاءُ وَالاجْتِمَاعُ عِنْدَهَا، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهَا لَا تَنْصُرُ وَلَا تَنْفَعُ، ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ أي: يتبرأ القادة من الاتباع ﴿وَلْيَكُنْ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ يلعن الاتباع القادة لأنهم زُتُوا لهم الكفر.

﴿فَقَامَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَيْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١٧ وَوَعَدْنَا لَهُ إِنْسِحَاقَ وَيَقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ الشُّبُهَةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ جِبْرًا فِي الدُّنْيَا وَآلَهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنْ الْقَالِيلِينَ ١٨ وَلَوْ كُنَّا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّا نَعْبُدُ إِلَهُكُمْ فَأْتُواكُم مَكِيدَتُنَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ آلِهِ مِنْهُ الشُّبُهَةُ ١٩ أَلَيْسَ لَكُمُ النَّارُ الْوَحِيدَةُ ٢٠ تَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي تَكَايِبِكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابٍ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ٢١ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَقَامَ لَهُ لُوطٌ﴾ أي: صدق بإبراهيم ﴿وَقَالَ﴾ يعني إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَيْ رَبِّي﴾ فيه قولان: أحدهما: إلى رضا ربي. والثاني: إلى حيث أمرني ربي، فهاجر من سواد العراق إلى الشام وهجر قومه المشركين. ﴿وَوَعَدْنَا لَهُ إِنْسِحَاقَ﴾ بعد إسماعيل ﴿وَيَقُوبَ﴾ من إسحاق ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ الشُّبُهَةَ وَالْكِتَابَ﴾ وذلك أن الله تعالى لم يبعث نبياً بعد إبراهيم إلّا مِنْ صُلْبِهِ ﴿وَوَدَّعَيْنَاهُ جِبْرًا فِي الدُّنْيَا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: الذُّكْرُ الْحَسَنُ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: الشَّاءُ الْحَسَنُ وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: العَاقِبَةُ وَالْعَمَلُ الْحَسَنُ وَالشَّاءُ، فَلَسْتُ تَلْقَى أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْجَلَلِ إِلَّا يَتَوَلَّاهُ، قاله قتادة، والرابع: أنه أرى مكانه من الجنة، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنْ الْقَالِيلِينَ﴾ قد سبق بيانه [البقرة: ١٣٠] قال ابن جرير: له هناك جزاء الصالحين غير منقوص من الآخرة بما أعطى في الدنيا من الأجر. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الأمراء: ٨٠] إلى قوله: ﴿وَتَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم كانوا يعترضون مَنْ مَرَّ بِهِمْ لَعْمَلِهِمُ الْخِيثِ، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم كانوا إذا جلسوا في مجالسهم يرمون ابن السبيل بالحجارة، فيقطعون سبيل المسافرين، قاله مقاتل. والثالث: أنه قطع النسل للعدول عن النساء إلى الرجال، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي تَكَايِبِكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ قال ابن قتيبة: النادي: المجلس، والمُنْكَرُ يجمع الفواحش من القول والفعل. وللمفسرين في المراد بهذا الْمُنْكَرَ أربعة أقوال: أحدها: أنهم كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم، فذلك المنكر، روته أم هانئ بنت أبي طالب عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. وقال عكرمة، والسدي: كانوا يَحْذِفُونَ كُلَّ

(١) رواه أحمد في «المستدرك» ٣٤١/٦، و«الطبري» ١٤٥/٢٠، والترمذي ١٥٠/٢ وحسنه، وأورده السيوطي في «الدر» ١٤٤/٥، وزاد نسبه للفريابي، =

مَنْ مَرَّ بِهِمْ. والثاني: لَثَّ القميص على اليد، وجُرَّ الإزار، وحُلُّ الأزار، والحذف والرمي بالبندق، ولعب الحمام، والصَّفير، في خصال أخر رواها ميمون بن مهران عن ابن عباس. والثالث: أنه الضُّراط، رواه عروة عن عائشة، وكذلك فسره القاسم بن محمد. والرابع: أنه إتيان الرجال في مجالسهم، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد<sup>(١)</sup>. وهذه الآية [تدل] على أنه لا ينبغي للمجتمعين أن يتعاشروا إلا على ما يقرب من الله ﷻ، ولا ينبغي أن يجتمعوا على الهزء واللعب<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي﴾ أي: بتصديق قولي في العذاب.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلًا مِنْهُمْ بِالْبَشَرِ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ١٧ قَالَ إِنَّ فِيهَا لَوْطًا قَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ مِنْ فِيهَا فَتَنْجِيْنَهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ كَانَتْ مِنَ النَّارِ ١٨ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلًا لَوْطًا مِنْهُمْ وَمَعَاكُ بِهِمْ ذَرَبًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانِكَ كَانَتْ مِنَ الْقَرِيِّ ١٩ إِنَّا مُزِيلُونَ عَنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ يَحْزَنًا مِنْ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ ٢٠ وَلَقَدْ رُكِّنَا إِلَيْهَا زَيْتَةً يَقْوِي بِمَقِيلُونَ ٢١

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ يعنون قرية لوط.

قوله تعالى: ﴿تَنْجِيْنَهُ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «لَتَنْجِيْنَهُ» وإِنَّا مُنْجِيُكَ بتشديد الحرفين، وخُفِّفَ حمزة، والكسائي. وروى أبو بكر عن عاصم «لَتَنْجِيْنَهُ» مشددة، وإِنَّا مُنْجِيُكَ مخففة ساكنة النون. وقد سبق شرح ما أخللنا بذكره (هود: ٧٧) إلى قوله: ﴿إِنَّا مُزِيلُونَ عَنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ يَحْزَنًا﴾ وهو الحَضْب والخسف.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رُكِّنَا إِلَيْهَا﴾ في المكني عنها قولان: أحدهما: أنها الفُعْلَةُ التي فعل بهم؛ فعلى هذا في الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الحجارة التي أدركت أوائل هذه الأمة، قاله قتادة. والثاني: الماء الأسود على وجه الأرض، قاله مجاهد. والثالث: الخبر عما صُنع بهم. والثاني: أنها القرية؛ فعلى هذا في المراد بالآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها آثار منازلهم الحَرَبِ، قاله ابن عباس. والثاني: أن الآية في قريبهم إلى الآن أن أساسها أعلاها وسقفها أسفلها، حكاه أبو سليمان الدمشقي. والثالث: أن المعنى: تركناها آية، تقول: إن في السماء آية، تريد أنها هي الآية، قاله الفراء.

﴿وَلَمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ قَالُوا لَا تَنْصُرُونَنَا اللَّهُ يَكُونُ أَلْوَنًا عَلَى الْبُيُوتِ وَلَهُ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ وَمَنْ يَرْجُ الْآخِرَ لَا تَمْنُوا فِي الْأَرْضِ مُقْسِدِينَ ٢٢ فَكَذَّبُوهُ فَاتَّخَذْتُمْ إِلَٰهَكُمْ قُلُوبَكُمْ وَفَأَنصَبُوا فِي دَارِهِمْ حَبِيبِينَ ٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَرْجُوا الْآخِرَ﴾ قال المفسرون: اخشوا البعث الذي فيه جزاء الأعمال.

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاجِدِهِمْ وَزُكِرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَهْلُهُمْ فَصَدَّ عَنْ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُتَّبِعِينَ ٢٤ وَقَدْ بَرَزُوا وَمَنْعَتُهُمْ وَقَدْ جَاءَهُمْ ثَمُودُ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِطِينَ ٢٥ تَكَلَّا أَخَذُوا بِأَيْدِيهِمْ فَيَنْهَبُونَ مِنْ ثَرْسَاتِهِمْ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنُ أَخَذَ الْفَيْحِيَّةَ وَمِنْهُمْ مَنُ حَفَّكَ بِهِنَّ الْأَرْضِ وَمِنْهُمْ مَنُ آغْرَقَ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا﴾ قال الزجاج: المعنى: وأهلكتنا عاداً وثموداً، لأن قبل هذا ﴿فَاتَّخَذْتُمْ إِلَٰهَكُمْ قُلُوبَكُمْ﴾

١ - وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن أبي الدنيا في كتاب «السمت»، وابن المنذر، والشاشي في «مسنده»، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وابن حبان، عن أم هانئ بنت أبي طالب ؓ. وفي «المسنده» والتزملي «يُحْذَفُونَ»، بالخاء المعجمة، وكذلك هو في «الدرر»، وفي الأصل «يُحْذَفُونَ» بالخاء المعجمة، والحذف يستعمل في الرمي والضرب معاً، والخلف - بالخاء المعجمة - رميك حصاة أو نواة تأخذها بين سبائك وترمي بها، أو تتخذ مَخَذَةً من خشب ثم ترمي بها الحصاة بين إبهامك والسبابة، وقد نهى رسول الله ﷺ عن الخلف - بالخاء المعجمة - وقال عنه: «إنه لا يقتل الصيد، ولا يترك الملو، وإنه يفتك العين ويكر السر» متفق عليه.

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: وتحذفون في مجالسكم المأزاة بكم، وتسفرون منهم، لما ذكرنا من الرواية بذلك عن رسول الله ﷺ. اهـ. يريد به حديث أم هانئ.

(٢) في النسخة الاستنبولية: ولا ينبغي أن يجتمعوا على الهزل واللعب.



قوله تعالى: ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِينَهُمْ﴾ أي: ظهر لكم يا أهل مكة من منازلهم بالجحاز اليمن آية في هلاكهم، ﴿وَكَاثُرًا مُتَبَيِّرِينَ﴾ قال الفراء: أي: ذوي بصائر. وقال الزجاج: أتوا ما أتوه وقد تبين لهم أن عاقبته عذابهم. وقال غيره: كانوا عند أنفسهم مستبصرين، يظنون أنهم على حق.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا لِيُفَوْتُوا اللَّهَ أَنْ يَفْعَلَ بِهِمْ مَا يَرِيدُ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾ أي: عاقبتنا بتكذيبه ﴿فَإِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ يعني قوم لوط ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الْعِصْيَةُ﴾ يعني ثمودًا وقوم شعيب ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ يعني قارون وأصحابه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ يعني قوم نوح وفرعون ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ فيعذبهم على غير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالإقامة على المعاصي.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْفَكِينِ أَخَذَتْ يَتِيمًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْفَكِينِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١) إِنَّ اللَّهَ يَسْلُمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني الأصنام يتخذها المشركون أولياء يرجون نفعها ونصرها، فمثلهم في ضعف احتيالهم ﴿كَمَثَلِ الْفَكِينِ أَخَذَتْ يَتِيمًا﴾ (١) قال ثعلب: والعنكبوت أنثى، وقد يذكرها بعض العرب، قال الشاعر:

[على مَطَالِهِمْ مِنْهُمْ بُيُوتٌ] كَأَنَّ الْعَنْكَبُوتَ هُوَ ابْنَتَاهَا (٢)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْلُمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: هو عالم بما عبده من دونه، لا يخفى عليه ذلك؛ والمعنى أنه يجازيهم على كفرهم. ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ﴾ يعني أمثال القرآن التي شبه بها أحوال الكفار؛ وقيل: «تلك» بمعنى «هذه»، و«الْعَالِمُونَ»: الذين يعقلون عن الله ﷻ.

﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) أَتَىٰ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٢﴾ ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: للحق، ولإظهار الحق.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ في المراد بالصلاة قولان: أحدهما: أنها الصلاة المعروفة، قاله الأكثرون. وروى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ لَمْ تَنْهَ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، لَمْ يَزِدْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا بَعْدًا» (٣). والثاني: أنَّ المراد بالصلاة: القرآن، قاله ابن عمر؛ ويدل على هذا قوله: ﴿وَلَا يَجْهَرُ بِصَلَاتِهِ﴾ [الإسراء: ١١٠]. وقد شرحنا معنى الفحشاء والمنكر فيما سبق [البقرة: ١٦٨، النحل: ٩٠]. وفي معنى هذه الآية

(١) قال ابن كثير: هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخافهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ووزقهم ويتسكون بهم في الشداد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهه، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتسكن ببيت العنكبوت، فإنه لا يجدي عنه شيئاً، فلو علموا هذا الحال لما اتَّخَلَفُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ، وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه هو مع ذلك بحسن العمل في اتباع الشرع، فإنه يتمسك بالبررة الوقت لا انقسام لها لقوتها وثباتها. اهـ.

(٢) البيت غير منسوب في «مجمع البيان» ٣٦٣/٢٠، و«البحر المحيط» ١٥٢/٧، و«روح البيان» ١٤٠/٢٠، و«اللسان» و«التاج»: عنكب. قال في «التاج»: هناك: جبل.

(٣) هذا الحديث رواه الطبراني، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طريق ليث بن أبي سليم عن عطاء عن ابن عباس مرفوعاً، وهو حديث ضعيف، من أجل ليث بن أبي سليم، وقد أخرجه الطبري من رواية ابن عباس موقوفاً عليه، ومن رواية ابن مسعود موقوفاً عليه أيضاً، وهو الصواب. قال ابن كثير: والأصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وقتادة، والأعمش، وغيرهم. اهـ. فالحديث إذن ضعيف السند في المرفوع. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض فتاويه: هذا الحديث ليس بثابت عن النبي ﷺ، لكن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كما ذكر الله في كتابه، وبكل حال فالصلاة لا تهد صاحبها بعداً، بل الذي يصلي غير من الذي لا يصلي وأقرب إلى الله من أن كان فاسقاً. اهـ. فكانه ما يشير إلى تضعيف عتته أيضاً. وقد ثبت أن رسول الله ﷺ لما قيل له: إن فلاناً يصلي الليل كله، فإذا أصبح سرق، فقال: «استهنا ما تقول» أو قال: «استمتعه صلاته» رواه أحمد، والبخاري، وابن حبان، وغيرهم، وسنده صحيح. يريد عليه الصلاة والسلام أن الصلاة إذا كانت على الوجه الأكمل، تنهى صاحبها عن الفحشاء، ولا تهد بعداً، بل تهد قريباً منه.

للعلماء ثلاثة أقوال: أحدها: أن الإنسان إذا أدّى الصلاة كما ينبغي وتدبّر ما يتلو فيها، نهته عن الفحشاء والمنكر، هذا مقتضاها وموجبها. والثاني: أنها تنهاه ما دام فيها. والثالث: أن المعنى: ينبغي أن تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر.

قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: وَلَذِكْرُ اللَّهِ إِيَّاكُمْ أَكْبَرُ من ذِكْرِكُمْ إِيَّاهُ، رواه ابن عمر عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وبه قال ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد في آخرين. والثاني: وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَفْضَلُ من كل شيء سواه، وهذا مذهب أبي الدرداء، وسلمان، وقادة. والثالث: وَلَذِكْرُ اللَّهِ في الصلاة أَكْبَرُ ممَّا نهاك عنه من الفحشاء والمنكر، قاله عبد الله بن عون. والرابع: وَلَذِكْرُ اللَّهِ الْعَبْدَ - ما كان في صلاته - أَكْبَرُ من ذِكْرِ الْعَبْدِ لِلَّهِ، قاله ابن قتية.

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَلَهُنَّ وَلَهُمْ وَجَدٌ وَهُمْ لَمْ يَسْلَمُوا﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ في التي هي أحسن ثلاثة أقوال: أحدها: أنها لا إله إلا الله، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنها الكُفُّ عنهم إذا بدلوا الجزية، فإن أبوا قوتلوا، قاله مجاهد. والثالث: أنها القرآن والدُّعاء إلى الله بالآيات والحُجج.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ وهم الذين نصبوا الحرب وأبوا أن يؤدّوا الجزية، فجادلوا هؤلاء بالسيف حتى يُسلموا أو يُعطوا الجزية ﴿وَقُولُوا﴾ لِمَنْ أَدَّى الجزية منهم إذا أخبركم بشيء ممَّا في كتبهم ﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية]. وقد روى أبو هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم» ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية]<sup>(٣)</sup>.

### فصل

واختلف في نسخ هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها نسخت بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ صَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] قاله قتادة، والكلبي. والثاني: أنها ثابتة الحكم، وهو مذهب ابن زيد.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup> وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَقُصُّ مِنْهُ نَبَأَ إِذَا لَا تَرَى لَهُ السَّلَاطِينَ<sup>(٢)</sup> بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْشِئُ فِي سُذُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْوَحْيَ وَمَا يُجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: وكما أنزلنا الكتاب عليهم ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ١٤٦/٥ من رواية ابن السني، وابن مرفويه، والعليني عن ابن عمر رضي الله عنهما، وذكر الطبري هذا المعنى في «التفسير» من قول ابن عباس. قال ابن كثير: وقد روي هذا من غير وجه عن ابن عباس، وروي أيضاً عن ابن مسعود، وأبي الدرداء، وسلمان الفارسي، وغيرهم، واختاره ابن جرير. اهـ.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ١٢٩/٨. قال ابن كثير: إذا أخبروا بما لا تعلم صدقه ولا كذبه، فهنا لا تقدم على تكذيبه، لأنه قد يكون حقاً، ولا تصديقه، فلمل أنه يكون باطلاً، ولكن نؤمن به إيماناً جملاً معلقاً على شرط، وهو أن يكون منزلاً، لا مبدلاً ولا مؤولاً. وقال أيضاً: ثم ليُعلم أن أكثر ما يتحدثون به غالبه كذب وبهتان، لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل، وما أقل الصدق فيه، ثم ما أقل فائدة كثير منه لو كان صحيحاً. اهـ. وقال ابن كثير: قال البخاري عن ابن عباس: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتبكم الذي أنزل إليكم على رسول الله ﷺ أحدث تقرؤونه محققاً لم يُسب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب يُلَوُّوا ويُغَيِّروا ويكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم من مسألتهم؟ لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم. وقال ابن كثير أيضاً: قال البخاري: وقال أبو البعان: أخبرنا شبيب عن الزهري، أخبرني حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رجلاً من قرشي بالمدينة وذكر كتب الأحبار فقال: إن كان من أصدق هؤلاء المحذّثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبول عليه الكذب، قال ابن كثير: معناه: أنه يقع منه الكذب لفة من غير قصد، لأنه يحدث عن صحف هو يحسن بها الظن، وفيها أشياء موضوعة، ومكذوبة، لأنهم لم يكن في ملتهم حفاظ متقنون كهذه الأمة العظيمة، ومع ذلك وقرب العهد وضعت أحاديث كثيرة في هذه الأمة لا يعلمها إلا الله ﷻ، ومن منحه الله تعالى علماً بذلك كلِّ بسببه، وله الحمد والمنة. اهـ.





ابن قتيبة: ومعنى الآية: كم من دابة لا ترفع شيئاً لغد، قال ابن عيينة: ليس شيء يخبأ إلا الإنسان والفأرة والنملة. قال المفسرون: وقوله: ﴿أَلَمْ يَرْزُقْهَا﴾ أي: حيثما توجهت ﴿وَلْيَاكُم﴾ أي: ويرزقكم إن هاجرتم إلى المدينة ﴿وَوَعَدَ الْكَافِرِينَ﴾ لقولكم: لا نجد ما نتفق بالمدينة ﴿الْمَكِيدِ﴾ بما في قلوبكم.

﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَصَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنَّ يَوْمَئِذٍ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿اللَّهُ يَسِطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ زَلَّ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاتَّخِذُوا الْأَرْضَ بِدُونِ مَوَاقِفِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ﴾ يعني كفار مكة، وكانوا يؤثرون بأنه الخالق والرازق؛ وإنما أمره أن يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إقرارهم، لأن ذلك يلزمهم الحجة فيوجب عليهم التوحيد ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ توحيد الله مع إقرارهم بأنه الخالق. والمراد بالأكثر: الجميع.

﴿وَمَا هِيَ الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَو كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿فَإِذَا رَجَعُوا فِي الدُّنْيَا دَعَاؤُا اللَّهِ تَوَاصِيَةً لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِنْ هُمْ يُشْكِرُونَ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿يَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلَيَسْتَعْمِلُوا فُسُوقَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ والمعنى: وما الحياة في هذه الدنيا إلا غرور ينقضي عن قليل ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ يعني الجنة ﴿لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ قال أبو عبيدة: اللام في ﴿لَهِيَ﴾ زائدة للتوكيد، والحيوان والحياة واحد؛ والمعنى: لهي دار الحياة التي لا موت فيها، ولا تنغيص يشوبها كما يشوب الحياة في الدنيا ﴿لَو كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو علموا لرغبوا عن الفاني في الباقي، ولكنهم لا يعلمون.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَجَعُوا فِي الدُّنْيَا﴾ يعني المشركين ﴿دَعَاؤُا اللَّهِ تَوَاصِيَةً لَهُ الَّذِينَ﴾ أي: أفردوه بالدعاء. قال مقاتل: والذين بمعنى التوحيد؛ والمعنى أنهم لا يدعون من يدعوهم شريكاً له ﴿فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ﴾ أي: خلصهم من أهوال البحر، وأفضوا ﴿إِلَى الْبَرِّ إِنْ هُمْ يُشْكِرُونَ﴾ في البر، وهذا إخبار عن عنادهم. ﴿يَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ هذه لام الأمر، ومعناه التهديد والوعيد كقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [نصت: ٤٠]؛ والمعنى: ليحصدوا نعمة الله في إنجائه إياهم ﴿وَلَيَسْتَعْمِلُوا﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي بإسكان اللام على معنى الأمر؛ والمعنى: ليعتدوا بباقي أعمارهم ﴿فُسُوقَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم. وقرأ الباقون بكسر اللام في ﴿لَيَسْتَعْمِلُوا﴾، فجعلوا اللامين بمعنى «كي»، فتقديره: لكي يكفروا، ولكي يستعملوا، فيكون معنى الكلام: إذا هم يشكرون ليكفروا وليستعملوا، أي: لا فائدة لهم في الإشراك إلا الكفر والتمتع بما يتمتعون به في العاجلة من غير نصيب لهم في الآخرة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّأْمُونًا وَسَخَطْنَا النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ أَيَّا بَلَّيْلَ يَوْمِئِذٍ وَيَعْمَهُ اللَّهُ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني كفار مكة ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّأْمُونًا﴾ يعني مكة؛ وقد شرحنا هذا المعنى في [القصر: ٥٧] ﴿وَسَخَطْنَا النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ أي: أن العرب ينسب بعضهم بعضاً وأهل مكة آمنون ﴿أَيَّا بَلَّيْلَ﴾ وفيه ثلاثة

أقوال: أحدها: الشرك، قاله قتادة. والثاني: الأصنام، قاله ابن السائب. والثالث: الشيطان، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وعاصم الجحدري: ﴿تَوْمِئِذٍ وَيُنْعِمُهُ اللَّهُ تَكْفُرُونَ﴾ بالثاء فيهما.

رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان المدينة، فجعل يلتقط من النحر، ويأكل، فقال لي: يا ابن عمر مالك لا تأكل؟ قلت: لا أشتهي يا رسول الله، قال: «لكني أشتهي، وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاماً، ولم أجده، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر، فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبؤون رزقي ستهم ويضعف اليقين؟» قال: فوالله ما برحنا ولا رما حتى نزلت: ﴿وَكَيْفَ يَن دَاكِرُ لَا تَحِيلَ رَزَقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُكُمْ وَلَكُمْ وَفَوَ الْكَافِرِينَ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات، ألا وإني لا أكثر ميثاراً ولا درهماً، ولا أدرع رزقاً لغد». قال ابن كثير: وهذا حديث غريب، وأبو المطوف الجزري ضعيف اه، يعني أحد رجال السند، وهو الجراح بن منهل الجزري.

قوله تعالى: ﴿وَيَقَعُوا فِي يَدَيْهِمْ﴾ يعني: محمداً والإسلام؛ وقيل: بإنعام الله عليهم حين أطعمهم وأمنهم ﴿يَكْفُرُونَ﴾؛  
 ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ اتَّخَذَ عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ أي: زعم أن له شريكاً وأنه أمر بالفواحش ﴿أَنْزَلَ كَذَبٌ يَالْحَيُّ لَا يَأْخُذُ﴾ يعني  
 محمداً والقرآن ﴿الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَاثِبِينَ﴾ ١٩ وهذا استفهام بمعنى التقرير كقول جرير: *يا أبا عبد الله*  
*ألسنهم خير من ركب المطايا*  
 [واندى العالمين بطون راح] ٢٠

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ أي: قاتلوا أعداءنا لأجلنا ﴿لَنَجْزِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة؛  
 وقيل: لنزيدنهم هداية ﴿وَلَا يُلَاحِظُ إِلَهُكَ الْغَائِبِينَ﴾ بالنصرة والعون. قال ابن عباس: يريد بالمُخْسِنِينَ: الموحدين؛ وقال  
 غيره: يريد المجاهدين. وقال ابن المبارك: من اعتاضت عليه مسألة، فليسأل أهل الثغور عنها، لقوله: ﴿لَنَجْزِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

١٩ - قوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَاثِبِينَ﴾ أي: الذين كفروا بالله ورسوله وأهل بيته وأمرهم بالفسق والمنكر.

٢٠ - قوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَاثِبِينَ﴾ أي: الذين كفروا بالله ورسوله وأهل بيته وأمرهم بالفسق والمنكر.



قوله تعالى: ﴿وَيَقَعُوا فِي يَدَيْهِمْ﴾ يعني: محمداً والإسلام؛ وقيل: بإنعام الله عليهم حين أطعمهم وأمنهم ﴿يَكْفُرُونَ﴾؛  
 ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ اتَّخَذَ عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ أي: زعم أن له شريكاً وأنه أمر بالفواحش ﴿أَنْزَلَ كَذَبٌ يَالْحَيُّ لَا يَأْخُذُ﴾ يعني  
 محمداً والقرآن ﴿الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَاثِبِينَ﴾ ١٩ وهذا استفهام بمعنى التقرير كقول جرير: *يا أبا عبد الله*  
*ألسنهم خير من ركب المطايا*  
 [واندى العالمين بطون راح] ٢٠

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ أي: قاتلوا أعداءنا لأجلنا ﴿لَنَجْزِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة؛  
 وقيل: لنزيدنهم هداية ﴿وَلَا يُلَاحِظُ إِلَهُكَ الْغَائِبِينَ﴾ بالنصرة والعون. قال ابن عباس: يريد بالمُخْسِنِينَ: الموحدين؛ وقال  
 غيره: يريد المجاهدين. وقال ابن المبارك: من اعتاضت عليه مسألة، فليسأل أهل الثغور عنها، لقوله: ﴿لَنَجْزِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

١٩ - قوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَاثِبِينَ﴾ أي: الذين كفروا بالله ورسوله وأهل بيته وأمرهم بالفسق والمنكر.

٢٠ - قوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَاثِبِينَ﴾ أي: الذين كفروا بالله ورسوله وأهل بيته وأمرهم بالفسق والمنكر.

قوله تعالى: ﴿وَيَقَعُوا فِي يَدَيْهِمْ﴾ يعني: محمداً والإسلام؛ وقيل: بإنعام الله عليهم حين أطعمهم وأمنهم ﴿يَكْفُرُونَ﴾؛  
 ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ اتَّخَذَ عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ أي: زعم أن له شريكاً وأنه أمر بالفواحش ﴿أَنْزَلَ كَذَبٌ يَالْحَيُّ لَا يَأْخُذُ﴾ يعني  
 محمداً والقرآن ﴿الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَاثِبِينَ﴾ ١٩ وهذا استفهام بمعنى التقرير كقول جرير: *يا أبا عبد الله*  
*ألسنهم خير من ركب المطايا*  
 [واندى العالمين بطون راح] ٢٠

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ أي: قاتلوا أعداءنا لأجلنا ﴿لَنَجْزِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة؛

وقيل: لنزيدنهم هداية ﴿وَلَا يُلَاحِظُ إِلَهُكَ الْغَائِبِينَ﴾ بالنصرة والعون. قال ابن عباس: يريد بالمُخْسِنِينَ: الموحدين؛ وقال

غيره: يريد المجاهدين. وقال ابن المبارك: من اعتاضت عليه مسألة، فليسأل أهل الثغور عنها، لقوله: ﴿لَنَجْزِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

١٩ - قوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَاثِبِينَ﴾ أي: الذين كفروا بالله ورسوله وأهل بيته وأمرهم بالفسق والمنكر.

٢٠ - قوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَاثِبِينَ﴾ أي: الذين كفروا بالله ورسوله وأهل بيته وأمرهم بالفسق والمنكر.

قوله تعالى: ﴿وَيَقَعُوا فِي يَدَيْهِمْ﴾ يعني: محمداً والإسلام؛ وقيل: بإنعام الله عليهم حين أطعمهم وأمنهم ﴿يَكْفُرُونَ﴾؛

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ اتَّخَذَ عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ أي: زعم أن له شريكاً وأنه أمر بالفواحش ﴿أَنْزَلَ كَذَبٌ يَالْحَيُّ لَا يَأْخُذُ﴾ يعني

محمداً والقرآن ﴿الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَاثِبِينَ﴾ ١٩ وهذا استفهام بمعنى التقرير كقول جرير: *يا أبا عبد الله*  
*ألسنهم خير من ركب المطايا*  
 [واندى العالمين بطون راح] ٢٠

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ أي: قاتلوا أعداءنا لأجلنا ﴿لَنَجْزِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة؛

وقيل: لنزيدنهم هداية ﴿وَلَا يُلَاحِظُ إِلَهُكَ الْغَائِبِينَ﴾ بالنصرة والعون. قال ابن عباس: يريد بالمُخْسِنِينَ: الموحدين؛ وقال

غيره: يريد المجاهدين. وقال ابن المبارك: من اعتاضت عليه مسألة، فليسأل أهل الثغور عنها، لقوله: ﴿لَنَجْزِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

١٩ - قوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَاثِبِينَ﴾ أي: الذين كفروا بالله ورسوله وأهل بيته وأمرهم بالفسق والمنكر.

٢٠ - قوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَاثِبِينَ﴾ أي: الذين كفروا بالله ورسوله وأهل بيته وأمرهم بالفسق والمنكر.

## سورة الروم

### وهي مَكِّيَّة كُلُّهَا بِإِجْمَاعِهِمْ

#### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّزِ الرَّحِيمِ

﴿الْعَلَّ ١ غَلَبَ الرُّومُ ٢﴾ فِي آدَقَ الْأَرْضِ وَمِمَّنْ بَعْدَ عَلَيْهِمْ سَيِّئَاتُ ٣ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْسَحُ الْمَوْتُونَ ٤ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْكَافِرُ الرَّحِيمُ ٥﴾

قوله تعالى: ﴿غَلَبَ الرُّومُ ١﴾ ذكر أهل التفسير في سبب نزولها أنه كان بين فارس والروم حرب فغلبت فارس الروم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه، فشق ذلك عليهم، وفرح المشركون بذلك، لأن فارس لم يكن لهم كتاب وكانوا يجحدون البعث ويعبدون الأصنام، والروم أصحاب كتاب، فقال المشركون لأصحاب رسول الله ﷺ: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم، فإن قاتلتمونا لنظَهَرَنَّ عليكم، فنزلت هذه الآية. فخرج بها أبو بكر الصديق إلى المشركين، فقالوا: هذا كلام صاحبك، فقال: الله أنزل هذا، فقالوا لأبي بكر: نراهنك على أن الروم لا تغلب فارس، فقال أبو بكر: البضغ ما بين الثلاث إلى التسع، فقالوا: الوسط من ذلك ست، فوضعوا الرهان، وذلك قبل أن يُحرِّمَ الرهان، فرجع أبو بكر إلى أصحابه فأخبرهم، فلاموه وقالوا: هَلَّا أَقْرَبْتَهَا كَمَا أَقْرَبَهَا اللهُ! لو شاء أن يقول. ستاً، لقال! فلَمَّا كانت سنة ست، لم تظهر الروم على فارس، فأخفوا الرهان، فلَمَّا كانت سنة سبع ظهرت الروم على فارس<sup>(١)</sup>. وروى ابن عباس قال: لَمَّا نزلت: ﴿الْعَلَّ ١ غَلَبَ الرُّومُ ٢﴾ ناحب<sup>(٢)</sup> أبو بكر قريشاً، فقال له رسول الله ﷺ: «أَلَا احْتَطَّتْ، فَإِنَّ الْبَضْعَ مَا بَيْنَ السَّعِ (٣) وَالتَّسَعِ»<sup>(٤)</sup>. وذكر بعضهم أنهم ضربوا الأجل خمس سنين<sup>(٥)</sup>، وقال بعضهم: ثلاث سنين، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الْبَضْعُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى التَّسَعِ»، فخرج أبو بكر فقال لهم: أزيدكم في الخطر وأُنْذِرْ في الأجل إلى تسع سنين، ففعلوا، فقهرهم أبو بكر، وأخذ رهانهم<sup>(٦)</sup>. وفي الذي تَوَلَّى وضع الرهان من المشركين قولان: أحدهما: أبي بن خلف، قاله قتادة والثاني: أبو سفيان بن حرب، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿فِي آدَقَ الْأَرْضِ﴾ وقرأ أبي بن كعب، والضحاك، وأبو رجاء، وابن السميع: «في أداني الأرض» بألف مفتوحة الدال؛ أي: أقرب الأرض أرض الروم إلى فارس. قال ابن عباس: وهي طرف الشام. وفي اسم هذا المكان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الجزيرة، وهي أقرب أرض الروم إلى فارس، قاله مجاهد. والثاني، أذْرَعَاتُ وَكُشْكُر<sup>(٧)</sup>، قاله عكرمة. والثالث: الأردن وفلسطين، قاله السدي.

(١) ذكره بنحوه الترمذي في التفسير ١٥٠/٢ عن نيار بن مكرم، والطبري ١٧/٢١ عن عكرمة، وذكره البيهقي والخازن، وأورده السيوطي في «الدرة» ٥/ ١٥١ وعزاه إلى الترمذي، وزاد نسبه للدارقطني في «الأفراد»، والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الدلائل»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن نيار بن مكرم الأسلمي.

(٢) المناحية: المخاطرة والمراعة.

(٣) كذا الأصل: «فإن البضغ ما بين السبع والتسع» والذي في «الطبري»، و«الترمذي»: «فإن البضغ ما بين الثلاث إلى التسع».

(٤) ذكره بنحوه الطبري ١٧/٢١، و«الترمذي» ١٥٠/٢، عن ابن عباس ﷺ. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، من حديث الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس. ورواه الطبري عن عبيد الله بن عمرو من قوله، والله أعلم.

(٥) ذكر ذلك الطبري ١٦/٢١. (٦) ذكره بنحوه الطبري ١٨/٢١.

(٧) قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان»: كُشْكُرٌ: معناه: عامل الزرع، وهي كورة واسعة تنسب إليها الفرائج الكسكورية، لأنها تكثر بها جداً، وقال: قصبها اليوم «واسطه» القصبه التي بين الكوفة والبصرة، وكانت قصبها قبل أن يَمْضِرَ الْحَنْجَاجَ وَاسْطاً. خسرو سابور. قال: وسميت كسكرك بكسكرك بن ظمورث الملك الذي هو أصل الفرس، وقال آخرون: معنى كسكرك: بلد الشعير، بلغة أهل هراة.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ﴾ يعني الروم ﴿نَزَّ بِمَدِّ عَيْنَيْهِ﴾ وقرأ أبو الدرداء، وأبو رجاء، وعكرمة، والأعشى: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بتسكين اللام؛ أي: من بعد غلبة فارس إياهم. والعَلَبُ والغَلَبَةُ لغتان، ﴿كَتَيْلُونَ﴾ فارس ﴿فِي يَضْعَ مِينَةٍ﴾ في اليَضْع تسعة أقال قد ذكرناها في [يوسف: ٤٢] قال المفسرون: وهي هاهنا سبع سنين، وهذا من علم الغيب الذي يدل على أن القرآن حق، ﴿وَاللَّهُ الْأَشْرَمُ مِنْ قَبْلِ وَهْنٍ بَدَأَ﴾ أي: من قبل أن تغلب الروم ومن بعد ما غلبت؛ والمعنى أن غلبة الغالب وخذلان المغلوب، بأمر الله وقضائه ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ يعني يوم غلبت الروم فارس ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿يَقْتَرِحُ اللَّهُ﴾ للروم. وكان التقاء الفريقين في السنة السابعة من غلبة فارس إياهم، فغلبتهم الروم، وجاء جبريل يُخبر بنصر الروم على فارس، فوافق ذلك يوم بدر، وقيل: يوم الحديبية.

﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْغَيْبِ وَاللَّهُ مَعَهُ﴾ ﴿أَوَّلَمْ يَتَذَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَاذِبُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ أي: وعد الله ذلك وعداً ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ أن الروم يظهرهم على فارس ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ يعني كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله لا يخلف وعده في ذلك. ثم وصف كفار مكة، فقال: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْغَيْبِ﴾ قال عكرمة: هي المعاش. وقال الضحاك: يعلمون ببيان قصورها وتشريق أنهارها. وقال الحسن: يعلمون متى زرعهم و[متى] حصادهم، ولقد بلغ والله من علم أحدهم بالدنيا أنه ينثر الدرهم بظفروه فيخبرك بوزنه ولا يحسن يصلي.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ مَرَّ عَيْنُونَ﴾ لأنهم لا يؤمنون بها. قال الزجاج: ويؤكِّمهم ثانية يجري مجرى التوكيد، كما تقول: زيد هو عالم، وهو أوكد من قولك: زيد عالم.

قوله تعالى: ﴿أَوَّلَمْ يَتَذَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ قال الزجاج: معناه: أو لم يتفكروا فيعلموا، فحذف [فيعلموا] لأن في الكلام دليلاً [عليه]. ومعنى ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: إلّا للحق، أي: لإقامة الحق ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو وقت الجزاء ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَاذِبُونَ﴾ المعنى: لكافرون بقاء ربهم، فقدّمت الباء، لأنها متصلة بـ [كافرون]، وما اتصل بخبر [إن] جاز أن يقدم قبل اللام، ولا يجوز أن تدخل اللام بعد مضي الخبر من غير خلاف بين النحويين، لا يجوز أن تقول: إن زيدا كافراً لباش، لأن اللام حقها أن تدخل على الابتداء أو الخبر، أو بين الابتداء والخبر، لأنها تؤكد الجملة. وقال مقاتل في قوله: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: للسموات والأرض أجل ينتهيان إليه، وهو يوم القيامة، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ يعني كفار مكة ﴿بِلِقَائِ رَبِّهِمْ﴾ أي: البعث ﴿لَكَاذِبُونَ﴾

﴿أَوَّلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ قُوَّةً وَأَنزَلْنَا الْأَرْضَ وَعَصَرْنَا أَسْفَلَ وَمَا عَصَرُوا وَمَا تَنَزَّلُ رُسُلُهُمْ إِلَّا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَتْ اللَّهُ يُظْلِمُهُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرًا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أُكْتِرُوا السَّوْآتِ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَّلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أو لم يسافروا فينظروا مصارع الأمم قبلهم كيف أهلكتهم بتكذيبهم فيعتبروا.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْأَرْضَ﴾ أي: قلبوها للزراعة، ومنه قيل للبقرة: مشيرة. وقرأ أبي بن كعب، ومعاذ القارئ، وأبو حية: ﴿وَأَنزَلُوا الْأَرْضَ﴾ بمد الهمزة وفتح الثاء مرفوعة الراء، ﴿وَعَصَرْنَا أَسْفَلَ وَمَا عَصَرُوا﴾ أي: أكثر من عمارة أهل مكة، لطول أعمار أولئك وشدة قوتهم ﴿وَمَا تَنَزَّلُ رُسُلُهُمْ إِلَّا بَيِّنَاتٍ﴾ أي: بالبدلالات ﴿مَّا كَانَتْ اللَّهُ يُظْلِمُهُمْ﴾ بتعذيبهم على غير ذنب ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرًا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر والتكذيب؛ ودل هذا على أنهم لم يؤمنوا فأهلكوا. ثم أخبر عن عاقبتهم فقال: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أُكْتِرُوا السَّوْآتِ﴾ يعني الخلّة السيئة؛ وفيها قولان: أحدهما: أنه العذاب، قاله الحسن. والثاني: جهنم، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿أَن كَذَّبُوا﴾ قال الفراء: معناه: لأن كذبوا فلما أُلقيت اللام كان نصباً. وقال الزجاج: لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم. وقيل: السَّوْآتِ مصدر بمنزلة الإساءة؛ فالمعنى: ثم كان التكذيب آخر أمرهم، أي: ماتوا على



ذلك، كأن الله تعالى جازاهم على إساءتهم أن طبع على قلوبهم حتى ماتوا على التكذيب عقوبة لهم. وقال مكي بن أبي طالب النحوي: «عاقبة» اسم كان، و«السَّوَى» خبرها، و«أن كذبوا» مفعول من أجله؛ ويجوز أن يكون «السَّوَى» مفعولة بـ «أسأوا»، و«أن كذبوا» خبر كان؛ ومن نصب «عاقبة» جعلها خبر «كان»، و«السَّوَى» اسمها، ويجوز أن يكون «أن كذبوا» اسمها. وقرأ الأعمش: «أسأوا السَّوء» برفع «السَّوء».

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَذَّوِّذُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعَذِّبُ﴾ أي: يخلقهم أولاً، ثم يعيدهم بعد الموت أحياء كما كانوا، ﴿ثُمَّ لَئِيَّ تَرْجَعُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «تَرْجَعُونَ» بالتاء؛ فعلى هذا يكون الكلام عائداً من الخبر إلى الخطاب. وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: بالياء، لأن المتقدم ذكره غيبة، والمراد بذكر الرجوع: الجزاء على الأعمال، والخلق بمعنى المخلوقين، وإنما قال: «يُعَذِّبُهُ» على لفظ الخلق.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ١٢ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ ١٣ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفَخُونَ﴾ ١٤ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ فِي رُوضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ ١٥ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ ١٦

قوله تعالى: ﴿يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ قد شرحنا الإبلas في [الأنعام: ٤٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ﴾ أي: [من] أولئاهم التي عبدوها ﴿شُفَعَاءُ﴾ في القيامة ﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ يتبرؤون منها وتبرأ منهم.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ﴾ وذلك بعد الحساب ينصرف قوم إلى الجنة، وقوم إلى النار.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رُوضَةٍ﴾ الروضة: المكان المخضر من الأرض؛ وإنما خص الروضة، لأنها كانت أعجب الأشياء إلى العرب؛ قال أبو عبيدة: ليس شيء عند العرب أحسن من الرياض المُعْشِبَةِ ولا أطيب ريحاً، قال الأعشى:

مَا رَوْضَةٌ مِّنْ رِّيَاضِ الْحَزَنِ مُعْشِبَةٌ      خَضِرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَاطِلٌ  
يُزْمَأُ بِأَطْيَبِ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةٍ      وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ ذَا الْأَصْلُ ١٧

قال المفسرون: والمراد بالروضة: رياض الجنة. وفي معنى «يُحْبَرُونَ» أربعة أقوال: أحدها: يُكْرَمُونَ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: يُنْعَمُونَ، قاله مجاهد، وقتادة. قال الزجاج: والخبرة في اللغة: كل نعمة حسنة. والثالث: يفرحون، قاله السدي. وقال ابن قتبية: «يُحْبَرُونَ»: يُسْرُونَ، والخبرة: السرور. والرابع: أن الخبر: السماع في الجنة، فإذا أخذ أهل الجنة في السماع، لم تبق شجرة إلا وُدَّت، قاله يحيى بن أبي كثير. وسئل يحيى بن معاذ: أي الأصوات أحسن؟ فقال: مزامير أنس، في مقاصير قدس، بالحن تحميد، في رياض تمجيد ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ﴾ ١٨ [القم: ٥٥].

قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ أي: هم حاضرون العذاب أبداً لا يخفف عنهم.

﴿فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ ١٩ ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعِندَ نَجْوَى الْمُظْهِرِينَ﴾ ٢٠ ﴿يُخْرِجُ الْغَيَّ الْيَتَّى وَيُخْرِجُ الْيَتَّى مِنَ الْغَيِّ وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ بِدَمْرٍ مِنْهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْغُيُوتَ﴾ ٢١

ثم ذكر ما تذكرك به الجنة ويُتباع به من النار فقال: ﴿فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ قال المفسرون: المعنى: فصلوا لله حين تُمسون، أي: حين تدخلون في المساء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ أي: تدخلون في الصباح، و﴿تُظْهِرُونَ﴾ تدخلون في الظهيرة، وهي وقت الزوال، و﴿وَسَبِّحْهُ عَشِيًّا﴾ أي: وسبحوه عشياً. وهذه الآية قد جمعت الصلوات الخمس، فقله: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ يعني [به] صلاة المغرب والعشاء، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ يعني به صلاة الفجر، و﴿وَسَبِّحْهُ﴾ العصر، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ الظهر.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: يَحْمَدُهُ أهل السموات وأهل الأرض ويصلون له.

قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ فيه أقوال قد ذكرناها في [الكهف: ٢٧].

قوله تعالى: ﴿وَتُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يجعلها مُنْبِثَةً بعد أن كانت لا تُنْبِثُ، وتلك حياتها ﴿وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «تُخْرِجُونَ» بضم التاء، وفتحها حمزة والكسائي؛ والمراد: تخرجون يوم القيامة من الأرض، أي: كما أحيا الأرض بالنبات يُحييكم بالبعث.

﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَرَعَىٰ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٦﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَخْلَفَ الْأَسْبَابَ وَالزَّيْلَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمَعْلُومِينَ﴾ ﴿١٧﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَاشِكُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَيَّافُؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٨﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ حَوًّا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَشَرًا يَلْعَلُ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٩﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْءٌ لَّمْ يَكُنْ فِيهِ حَيَاةٌ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢١﴾ صَبَّ لَكُمْ مِنْهَا مَنَاسِكَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فِي مَا رَزَقْتُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَعْمَلُونَهُمْ كَقِيَمَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ﴾ أي: من دلائل قدرته ﴿أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ يعني آدم، لأنه أصل البشر ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ من لحم ودم، يعني ذريتكم ﴿تَنْتَشِرُونَ﴾ أي: تنبسطون في الأرض.

قوله تعالى: ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يعني بذلك آدم، خلق حواء من ضلعه، وهو معنى قول قتادة. والثاني: أن المعنى: جعل لكم آدميات مثلكم، ولم يجعلهن من غير جنسكم، قاله الكلبي. قوله تعالى: ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ أي: لتأووا إلى الأزواج ﴿وَعَمَلٌ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ وذلك أن الزوجين يتوادان ويتراحمان من غير رجم بينهما ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الذي ذكره من صنعه ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ في قدرة الله وعظمته.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْلَفَ الْأَسْبَابَ﴾ يعني اللغات من العربية والعجمية وغير ذلك ﴿وَالزَّيْلَ﴾ لأنَّ الخلق بين أسود وأبيض وأحمر، وهم ولد رجل واحد وامرأة واحدة. وقيل: المراد باختلاف الأسنة: اختلاف النعمات والأصوات، حتى إنه لا يشبه صوت أخوين من أب وأم، والمراد باختلاف الألوان: اختلاف الصور، فلا تشبه صورتان مع التشاكل ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمَعْلُومِينَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، [والكسائي]، وأبو بكر عن عاصم: «لِلْمَعْلُومِينَ» بفتح اللام. وقرأ حفص عن عاصم: «لِلْمَعْلُومِينَ» بكسر اللام.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَاشِكُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: نومكم. قال أبو عبيدة. المنام من مصادر النوم، بمنزلة قام يقوم قياماً ومقاماً، وقال يقول مقالاً. قال المفسرون: وتقدير الآية: منامكم بالليل ﴿وَأَيَّافُؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهو طلب الرزق بالنهار ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ سماع اعتبار [وتذكراً] وتذنب. ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ قال اللغويون: إنما حذف «أَنْ» لدلالة الكلام عليه، وأنشدوا:

وما السَّفَرُ إلا تارتان فتارة

ومعناه: فتارة أموت فيها، وقال طرفة:

ألا أيْهَذَا الزَّاجِرِي أَخْضَرَ الوَعْيَ

أموت وأخرى ابتغى العيش أكدح<sup>(١)</sup>

[وأن أشهد اللذات هل أنت مُخْلِدي]<sup>(٢)</sup>

أراد: أن أحضر. وقد شرحنا معنى الخوف والطمع في رؤية البرق في سورة [الرعد: ١٢].

(١) البيت لتميم بن مقبل، وقد سبق تخريجه ٢٨٨، وهو أيضاً في «الطبري» ٣٣/٢١، و«البحر» ١٦٧/٧، و«روح المعاني» ٢٩/٢١، و«اللسان والتاج»: كدح.

(٢) البيت لطرفة بن عبد البركي من معلقته، وهو في «الطبري» ٣٣/٢١، و«روح المعاني» ٢٩/٢١، و«مختار الشعر الجاهلي» ٣١٧/١.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُومَ السَّجْدَةَ وَالْأَرْضَ﴾ أي: تدوما قائمتين ﴿بِأَمْرِهِ﴾، ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً﴾ وهي نفخة إسرائيلي الأخيرة في الصور بأمر الله ﷻ ﴿مِنْ الْأَرْضِ﴾ أي: من قبوركم ﴿إِذَا أَنتَرْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ منها. وما بعد هذا قد سبق بيانه [البقرة: ١١٦، المكيوت: ١٩] إلى قوله: ﴿وَهُوَ أَقْوَرُّ عَيْنًا﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أن الإعادة أهون عليه من البداية، وكلُّ هَيْنٍ عليه، قاله مجاهد، وأبو العالية. والثاني: أن «أهون» بمعنى «هين»، فالمعنى: وهو هين عليه، وقد يوضع «أفعل» في موضع «فاعل»، ومثله قولهم في الأذان: الله أكبر، أي: الله كبير، قال الفرزدق:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا  
وقال معن بن أوس المزني:

لَعَنَ رُكَّ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَأَوْجِلُ  
أي: وإني لَوَجِل، وقال غيره:

أَصْبَحْتُ أَمْنُحُكَ الصُّدُودَ وَإِنِّي  
وأشدوا أيضاً:

تَمَنَّى رَجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أُمْتُ  
أي: بواحد، هذا قول أبي عبيدة، وهو مروى عن الحسن، وقتادة. ولقد قرأ أبي بن كعب، وأبو عمران

الجوني، وجعفر بن محمد: «وهو هين عليه». والثالث: أنه خاطب العباد بما يعقلون، فأعلمهم أنه يجب أن يكون عندهم البعث أسهل من الابتداء في تقديرهم وحكمهم، فمن قدر على الإنشاء كان البعث أهون عليه، هذا اختيار الفراء، والمبرد، والزجاج، وهو قول مقاتل. وعلى هذه الأقوال الثلاثة تكون الهاء في «عليه» عائدة إلى الله تعالى. والرابع: أن الهاء تعود على المخلوق، لأنه خلقه نطفة ثم علقه ثم مضغه، ويوم القيامة يقول له كن فيكون، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو اختيار قطرب.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ قال المفسرون: أي: له الصفة العليا ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهي أنه لا إله غيره. قوله تعالى: ﴿صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا﴾ سبب نزولها أن أهل الجاهلية كانوا يثبون ويقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبير، ومقاتل<sup>(٥)</sup>. ومعنى الآية: بين لكم أيها المشركون شبهاً، وذلك الشبه «بَيْنَ أَنْفُسِكُمْ»، ثم بيّنه فقال: ﴿صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا بَيْنَ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أي: من عبيدكم «بَيْنَ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ» من المال والأهل والعبيد، أي: هل يشارككم عبيدكم في أموالكم «فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ» أي: أنتم وشركاؤكم من عبيدكم سواء «تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ» أي: كما تخافون أمثالكم من الأحرار، وأقرباءكم كالآباء والأبناء؟ قال ابن عباس: تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً؟ وقال غيره: تخافونهم أن يقاسموكم أموالكم كما يفعل الشركاء والمعنى: هل يرضى أحدهم أن يكون عبده شريكه في ماله وأهله حتى يساويه في التصرف في ذلك، فهو يخاف أن ينفرد في ماله بأمر يتصرف فيه كما يخاف غيره من الشركاء الأحرار؟ فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم، فلم عدلتم بي من خلقي من هو مملوك لي؟ ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما بيّنا هذا المثل «نَقُصِّلُ

(١) «ديوانه» ٧١٤، و«مجاز القرآن» ١٢١/٢ و«الطبري» ٣٧/٢١، و«الكامل» ٦٩٧.

(٢) البيت في «الطبري» ٣٧/٢١، و«الحامسة البصرية» ١٤٢، و«الكامل» ٦٩٦، و«الآداب» ٣٩٩. قال الشيخ أحمد محمد شاعر في تعليقه على «آداب الآداب»: «وتنلوا بالغين المعجزة في الروايات كلها، وحكى التبريزي أن في رواية: «تعدوا بالعين المهمل» اهـ.

(٣) البيت للأحرص، وهو في «مجاز القرآن» ١٢١/٢، و«القرطبي» ٢١/١٤، و«الخرائفة» ٢٤٨/١، و«الكتاب» ١٩٠/١، و«السطح» ٢٥٩. وكان الشطر الثاني من البيت في الأصل: «قسم إليك مع الصلوة لأميل». قال الشنتمري في «الكتاب» في تعليقه على البيت: الشاهد فيه نصب قوله: «قسماً» ونصبه على المصدر المؤكد لما قبله من الكلام الدال على القسم، لأنه لما قال: «إني لأمنحك الصلوة، وإني إليك لأميل» علم أنه محقق مقسم، فقال: «قسماً» مؤكداً لذلك. اهـ.

(٤) البيت في «مجاز القرآن» ١٦/٢، و«الطبري» ٣٧/٢١، و«القرطبي» ٢١/١٤، و«التاج»: وحد.

(٥) ذكره ابن كثير من رواية أبي القاسم الطبراني عن ابن عباس ؓ، وفي سننه ضعف، وأورده السيوطي في «الدر» ١٥٥/٥ وزاد نسبه لابن مردويه عن ابن عباس ؓ.

الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يُعَذِّبُونَ عَنْ اللَّهِ عَنْ أَلْفَيْهِمْ أَتَى اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٣٠﴾ ثم يبين أنهم إنما اتبعوا الهوى في إشرacهم، فقال: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا بالله ﴿أَفْوَاهَهُمْ بِمَا فِي أَمْنِهِمْ﴾ وهذا يدل على أنهم إنما أشركوا بإضلال الله إليهم ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ أي: مانعين من عذاب الله.

﴿فَأَنذَرْتُهُمْ لَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِئْتًا مِنْ أَلْفٍ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿فَأَنذَرْتُهُمْ لَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِئْتًا مِنْ أَلْفٍ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿فَأَنذَرْتُهُمْ لَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِئْتًا مِنْ أَلْفٍ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿فَأَنذَرْتُهُمْ لَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِئْتًا مِنْ أَلْفٍ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿فَأَنذَرْتُهُمْ لَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِئْتًا مِنْ أَلْفٍ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿فَأَنذَرْتُهُمْ لَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِئْتًا مِنْ أَلْفٍ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿فَأَنذَرْتُهُمْ لَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِئْتًا مِنْ أَلْفٍ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿فَأَنذَرْتُهُمْ لَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِئْتًا مِنْ أَلْفٍ﴾ ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُهُمْ لَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِئْتًا مِنْ أَلْفٍ﴾ قال مقاتل: أخلص دينك الإسلام ﴿لِلَّذِينَ﴾ أي: للتوحيد. وقال أبو سليمان الدمشقي: استقم بدينك نحو الجهة التي وجهك الله إليها. وقال غيره: سدّد عملك. والوجه: ما يتوجّه إليه، وعمل الإنسان ودينه: ما يتوجّه إليه لتسديده وإقامته.

قوله تعالى: ﴿حَنِيفًا﴾ قال الزجاج: الحنيف: الذي يميل إلى الشيء ولا يرجع عنه، كالحنف في الرجل، وهو ميلها إلى خارجها خلقه، لا يقدر الأحنف أن يردّ حنفته. وقوله: ﴿فَطَرَتْ﴾ أي: منسوبة، بمعنى: أتبع فطرة الله، لأن معنى ﴿فَأَمَّا وَجْهَكَ﴾: أتبع الدين القيم، وأتبع فطرة الله، أي: دين الله. والفطرة: الخلقة التي خلق الله عليها البشر. وكذلك قوله ﴿كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ﴾<sup>(١)</sup>، أي: على الإيمان بالله. وقال مجاهد في قوله: ﴿فَطَرَتْ﴾ أي: فطر الله الناس عليهما، والذي أشار إليه الزجاج أصح، وإليه ذهب ابن قتيبة، فقال: فرق ما بيننا وبين أهل القدر في هذا الحديث، أن الفطرة عندهم: الإسلام، والفطرة عندنا: الإقرار بالله والمعرفة به، لا الإسلام، ومعنى الفطرة: ابتداء الخلقة، والكل أقروا حين قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢] ولست واجداً أحداً إلا وهو مقرّ بأنّه لا صانعاً ومدبراً وإن عبد شيئاً دونه وسماه بغير اسمه؛ فمعنى الحديث: إن كل مولود في العالم على ذلك العهد وذلك الإقرار الأول، وهو الفطرة، ثم يهود اليهود أبناءهم، أي: يعلمونهم ذلك، وليس الإقرار الأول ممّا يقع به حكم ولا ثواب؛ وقد ذكر نحو هذا أبو بكر الأثرم، واستدل عليه بأن الناس أجمعوا على أنه لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم، ثم أجمعوا على أن اليهودي إذا مات له ولد صغير ورثه، وكذلك النصراني والمجوسي، ولو كان معنى الفطرة الإسلام، ما ورثه إلا المسلمون، ولا دُفن إلا معهم؛ وإنما أراد بقوله ﴿كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ﴾ أي: على تلك البداية التي أقروا له فيها بالوحدانية حين أخذهم من صلب آدم، فمنهم من جحد ذلك بعد إقراره<sup>(٢)</sup>. ومثل هذا الحديث حديث عياض بن حمار عن النبي ﷺ قال: ﴿قَالَ اللَّهُ ﷻ: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي﴾

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ١٩٧/٣ من أبي هريرة ؓ، ولفظه بتمامه: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدها»، وذكره السيوطي في «الجامع الصغير» بلفظ: «كل مولود يولد على الفطرة، حتى يمرب عنه لسانه، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، وعزاه لأبي يعلى في «مسنده»، والطبراني في «الكبير» والبيهقي في «السنن» عن الأسود بن سريح. ورواه البخاري ١٧٦/٣، ومسلم ٢٠٤٧/٤ من أبي هريرة ؓ بلفظ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول أبو هريرة: واقروا إن شئتم: ﴿فَطَرَتْ﴾ أي: فطر الله الناس عليهما لا يبدل خلق الله». الآية. وأوردته السيوطي في «الدرر» بهذا اللفظ ١٥٥/٥، وزاد نسبه، لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي هريرة ؓ.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١٩٧/٣: وقد اختلف السلف في المراد بالفطرة في هذا الحديث على أقوال كثيرة، ثم قال: وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة: الإسلام، قال: قال ابن عبد البر: وهو المعروف عند عامة السلف، وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى: ﴿فَطَرَتْ﴾ أي: فطر الله الناس عليهما أن تكونوا على الفطرة، واحتجوا بقول أبي هريرة في آخر حديث الباب: اقروا إن شئتم: ﴿فَطَرَتْ﴾ أي: فطر الله الناس عليهما، وبحديث عياض بن حمار عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: ﴿إني خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالهم الشياطين عن دينهم... الحديث، وقد رواه غيره فزاد فيه «حنفاء مسلمين» ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعالى: ﴿فَطَرَتْ﴾ أي: فطر الله الناس عليهما، لأنها إضافة مدح، وقد أمر نبيه بلزومها، فلمل أنها الإسلام. وقال الحافظ: وقد قال أحمد: من مات أبواه =

حفاء»<sup>(١)</sup>، وذلك أنه لم يدعهم يوم الميثاق إلا إلى حرف واحد، فأجابوه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَدْبِرُ لِحَاقِي أَفَلَا﴾ لفظه لفظ النفي، ومعناه النهي؛ والتقدير: لا تبدلوا خلق الله. وفيه قولان: أحدهما: أنه خصاء البهائم، قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه. والثاني: دين الله، قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، والنخعي في آخرين. وعن ابن عباس وعكرمة كالكولين.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْبَرُءُ الْقَبِيرُ﴾ يعني التوحيد المستقيم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ يعني كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد الله.

قوله تعالى: ﴿ثُبِّينَ إِلَيْهِ﴾ قال الزجاج: زعم جميع النحويين أن معنى هذا: فأقيموا وجوهكم منيبين، لأن مخاطبة النبي ﷺ تدخل معه فيها الأمة. ومعنى «ثيبين»: راجعين إليه في كل أمر، فلا يخرجون عن شيء من أمره. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [البقرة: ٣، الأنعام: ١٥٩] إلى قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ شُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ ثُبِّينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه القحط، والرحمة: المطر. والثاني: أنه البلاء، والرحمة: العافية، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ وهم المشركون. والمعنى: إن الكل يلتجئون إليه في شدائدهم، ولا يلتفت المشركون حيثنوا إلى أوثانهم.

قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَلَيْتَهُمْ﴾ قد شرحناه في آخر [النكوت: ٦٧]، وقوله: ﴿فَتَقَمَّرُوا﴾ خطاب لهم بعد الإخبار عنهم. قوله تعالى: ﴿أَمْ أَرْزَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: على هؤلاء المشركين ﴿سُلْطَانًا﴾ أي: حُجَّةً وكتاباً من السماء ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ أي: يأمرهم بالشرك؟! وهذا استفهام إنكار، معناه: ليس الأمر كذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾ قال مقاتل: يعني كفار مكة ﴿رَحْمَةً﴾ وهي المطر. والسيئة: الجوع والقحط. وقال ابن قتيبة: الرحمة: النعمة، والسيئة: المصيبة. قال المفسرون: وهذا الفرح المذكور هاهنا، هو فرح البطر الذي لا شكر فيه، والقنوط: اليأس من فضل الله، وهو خلاف وصف المؤمن، فإنه يشكر عند النعمة، ويرجو عند الشدة؛ وقد شرحناه في [لبن إسرائيل: ٢٦] إلى قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ يعني إعطاء الحق ﴿حُزْرًا﴾ أي: أفضل من الإمساك ﴿لَلَّذِينَ يُرِيدُونَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أي: يطلبون بأعمالهم ثواب الله.

﴿وَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ رِزْقٍ لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ مِمَّا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ ذِكْوَرٍ يُرِيدُونَ وَمَنْ أَرْزَلْنَاهُمْ﴾ الآية أربعة أقوال: أحدها: أن الربا هاهنا: أن يهدي الرجل للرجل الشيء يقصد أن يثيبه عليه أكثر من ذلك، هذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وطاوس، [والضحاك]، وقتادة، والقرظي. قال الضحاك: فهذا ليس فيه أجر ولا وزر. وقال قتادة: ذلك الذي لا يقبله الله ولا يجزي به، وليس فيه وزر. والثاني: أنه الربا المحرم، قاله الحسن البصري. والثالث: أن الرجل يُعطي قرابته المال ليصير به غنياً، لا يقصد بذلك ثواب الله تعالى، قاله إبراهيم النخعي. والرابع: أنه الرجل يُعطي من يخدمه لأجل خدمته، لا لأجل الله تعالى، قاله الشعبي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ رِزْقٍ لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ وقرأ نافع، ويعقوب: [«لَتَرْبُوا»] بالتاء وسكون الواو، أي: [في] اجتلاب أموال الناس، واجتذابها ﴿فَلَا يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ مِمَّا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ أي: لا يزكرو ولا يضاعف، لأنكم قصدتم زيادة

وهما كافرين حكم بإسلامه، واستدل بحديث الباب، فدل على أنه فسر الفطرة بالإسلام، قال: وحكى محمد بن نصر أن آخر قول أبي أحمد، أن المراد بالفطرة: الإسلام، ثم قال: وقال ابن القيم: سبب اختلاف العلماء في معنى الفطرة في هذا الحديث، أن القدرية كان يحتجون به على أن الكفر والمعصية ليسا بقضاء الله، بل مما ابتدأ الناس إحداه، فحاول جماعة من العلماء مخالفتهم بتأويل الفطرة على غير معنى الإسلام، ولا حاجة لذلك، لأن الآثار المنقولة عن السلف تدل على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلا الإسلام، ولا يلزم من حملها على ذلك موافقة لمذهب القدرية، لأن قوله: «فأبوا يهودانه... إلخ»، محمول على أن ذلك يقع بتقدير الله تعالى، ومن ثم احتج عليهم مالك بقوله في آخر الحديث: «الله أعلم بما كانوا عاملين». اهـ.

(١) هو جزء من حديث طويل رواه مسلم في «صحيحه» ٢١٩٧/٤ عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبة: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جعلتم مما علمني يومي هذا: كل مال نحلته عبداً، حلال (أي: قال الله: كل مال... إلخ) وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهن عن دينهم وحرمتم عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عزهم وعجبهم، إلا بقايا من أهل الكتاب (المراد بهم: الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل)، وقال: إنما بعثتك لأتليك وأبلي بك... الحديث».



قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرِينَ﴾ تبشّر بالمطر ﴿وَلِيَذِكرَ بَيْنَ رَحْمَتِهِ﴾ وهو الغيث والخصب ﴿وَلِتَجْزِيَ الْفُلُكَ﴾ في البحر بتلك الرياح ﴿يَأْتِيهِ﴾ ﴿وَلِتَنْفُثُوا﴾ بالتجارة في البحر ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهو الرزق؛ وكلّ هذا بالرياح.

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ بِالنِّسْبَةِ﴾ أي: بالدلالات على صدقهم ﴿فَأَنْتُمْ مِنَ الَّذِينَ أُجْرُومُوا﴾ أي: عذبنا الذين كذبوهم ﴿وَكُنْتُمْ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ أي: واجباً هو أوجه على نفسه ﴿نَصَرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إنجاؤهم مع الرسل من عذاب المكذّبين.

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا يَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَعْلَمُ كَيْفَ تَقَرَّى الْوَدْقُ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ﴿وَلَنْ كَاوُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُزَلَّ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِمْ لَمَلِيحَةٍ﴾ ﴿فَأَنْظُرْ إِلَى مَا نُكَرِ رَحِمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُنْعَى الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّ لَنَا رِيحًا قَرَارَةً مُصْفًى لَطَلَّوْا مِنْ بَعْدِهِمْ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿فَاللَّهُ لَا تَسْبِيحَ وَلَا شَيْعَ الصُّدْرِ الدُّعَاءِ إِذَا كَلَّمَا مَلَكَيْنِ﴾ ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَدَى الْمَنَى عَنْ صَلَاتِهِمْ إِنْ شِئْتَ إِلَّا مَنْ يَزُومُ بِإِيَابِنَا فَهُمْ مُسْتَلِيمُونَ﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْعَةً يَخْلِغُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُفَسِّرُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيْشَأَ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُورُوا إِلَهُمَ وَالْإِنْسَانُ لَقَدْ لَبِثُ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَاسِ فَهَكَذَا يَوْمَ الْبَاسِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذَرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يُرْسِلَ الرِّيحَ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو رجا، والنخعي، وطلحة بن مصرف، والأعمش: ﴿يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ بغير ألف.

قوله تعالى: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ أي: تُزعجه ﴿يَبْسُطُهُ﴾ الله ﴿فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ إن شاء بسطه مسيرة يوم أو يومين أو أقل أو أكثر ﴿وَيَعْلَمُ كَيْفَ﴾ أي: قطعاً متفرقة. والأكثرون فتحوا سين ﴿كَيْفًا﴾؛ وقرأ أبو رزين، وقتادة، وابن عامر، وأبو جعفر، وابن أبي عبيدة، بتسكينها؛ قال أبو علي: يمكن أن يكون مثل مبدرة ويذكر، فيكون معنى القراءتين واحداً ﴿وَقَرَّى الْوَدْقُ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وأبو العالية: ﴿مِنْ خِلَالِهِ﴾؛ وقد شرحناه في [النور: ٤٣] ﴿فَاللَّهُ أَصَابَ بِهِ﴾ أي: بالودق؛ ومعنى ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون بالمطر، ﴿وَلَنْ كَاوُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُزَلَّ عَلَيْهِمْ﴾ المطر ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وفي هذا التكرير ثلاثة أقوال: أحدها: أنه للتأكيد، كقوله: ﴿سَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠]، قاله الأخفش في آخرين. والثاني: أن «قَبْلُ» الأولى للتنزيل، والثانية للمطر، قاله قطرب. قال ابن الأنباري: والمعنى: مِنْ قَبْلِ نزول المطر، مِنْ قَبْلِ المطر، وهذا مثلما يقول القائل: أتيتك من قبل أن تتكلم، من قبل أن تطمن في مجلسك، فلا تُنكر الإعادة، لاختلاف الشئين. والثالث: أن الهاء في قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ ترجع إلى الهدي وإن لم يتقدم له ذِكْرٌ، فيكون المعنى: كانوا يفتنون من قبل نزول المطر، من قبل الهدي، فلما جاء الهدي والإسلام زال القنوط، ذكره ابن الأنباري عن أبي عمر الثوري وأبي جعفر بن قادم. والمبلسون: الآيسون. وقد سبق الكلام في هذا [الأنعام: ٤٤]. ﴿فَأَنْظُرْ إِلَى مَا نُكَرِ رَحِمَتِ اللَّهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «إلى أثر». وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «إلى آثار» على الجمع. والمراد بالرحمة هاهنا: المطر، وأثرها: النبت؛ والمعنى: انظر إلى حسن تأثيره في الأرض ﴿كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ﴾ أي: كيف يجعلها تثبت بعد أن لم يكن فيها نبت. وقرأ عثمان بن عفان، وأبو رجا، وأبو عمرو الجوني، وسليمان التيمي: «كيف تُحيي» بناء مرفوعة مكسورة الياء «الأرض» بفتح الضاد.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لَنَا رِيحًا قَرَارَةً مُصْفًى﴾ [أي: ريحاً] باردة مُصْفًى، والريح إذا أتت على لفظ الواحد أريد بها العذاب، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول عند هبوب الريح: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً» <sup>(١)</sup> ﴿قَرَارَةً مُصْفًى﴾ يعني

(١) قال الإمام النووي في «الأذكار»: وروى الإمام الشافعي رحمه الله في كتابه «الأم» بإسناده عن ابن عباس ؓ قال: ما هبَّت الريح إلا جئت النبي ﷺ على ركبتيه وقال: «اللهم اجعلها رحمة، ولا تجعلها عذاباً، اللهم اجعلها رياحاً، ولا تجعلها ريحاً». وقال الشيخ محمد بن حلان الصديقي الشافعي في كتابه «الفتوحات الربانية على الأذكار النورية» في هذا الحديث: قال الحافظ: (أي ابن حجر) بعد تخريج: هنا حديث حسن. أخرجه الصديقي في «المعرفة»، قال: وشيخ الشافعي ما عرفه، وكنت أظنه ابن يحيى، لكن لم يذكره في الرواة عن الملا بن راشد، والملاء موقوف، قال الحافظ: لابن عباس حديث آخر، ثم أخرج من طريق الطبراني في كتاب «الدعاء» أيضاً عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا حاجت الريح استقبلها وجهاً على ركبتيه وقال: «اللهم اجعلها... إلخ» فذكر الحديث مثله إلى قوله: «فريحاً» وزاد: «اللهم إني أسألك من خير هذه الريح، وخير ما يُرسل به، وأعوذ بك -

النبت، والهاء عائدة إلى الأثر. قال الزجاج؛ المعنى: فرأوا النبت قد اصفرّ وجفّ ﴿أَطْلُوا مِنْ بَدْوٍ يَكْفُرُونَ﴾ ومعناه: كَيْظَلُّنَّ، لأن معنى الكلام الشرط والجزاء، فهم يستبشرون بالغيث، ويكفرون إذا انقطع عنهم الغيث وجفّ النبت. وقال غيره: المراد برحمة الله: المطر. وظلّوا بمعنى صاروا ﴿من بعده﴾ أي: من بعد اصفرار النبت يجحدون ما سلف من النعمة. وما بعد هذا مفسّر في سورة [النمل: ٨٠، ٨١] إلى قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ وقد ذكرنا الكلام فيه في [الأفان: ٦٦]، قال المفسرون: المعنى: خلقكم من ماء ذي ضعف، وهو المنيّ ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَدْوٍ ضَعْفٍ﴾ يعني ضعف الطفولة قوّة الشباب، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَدْوٍ قوّة الشباب ضعف الكبر، وشيئة، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: من ضعف وقوّة وشباب وشيئة ﴿وَهُوَ الْغَلِيظُ﴾ بتدبير خلقه ﴿الْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ قال الزجاج: الساعة في القرآن على معنى الساعة التي تقوم فيها القيامة، فلذلك لم تُعرف أيّ ساعة هي.

قوله تعالى: ﴿يُؤَسِّرُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: يَحْلِفُ المشركون ﴿مَا لَيْسُوا﴾ في القبور ﴿عَبْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ﴾ كانوا يُؤَفِّكُونَ قال ابن قتيبة: يقال: أَيْفَكَ الرجل: إذا حُلِدَ به عن الصدق، فالمعنى أنهم قد كذّبوا في هذا الوقت كما كذّبوا في الدنيا. وقال غيره: أراد الله تعالى أن يفضحهم يوم القيامة بين المؤمنين، فحلّفوا على شيء يبين للمؤمنين كذبهم فيه، ويستدلّون على كذبهم في الدنيا. ثم ذكر إنكار المؤمنين عليهم بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا إِلَهُمَ وَالْإِنْسَانُ﴾ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم الملائكة. والثاني: المؤمنون.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَاقِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن فيه تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله والإيمان بالله، قاله ابن جريج في جماعة من المفسرين. والثاني: أنه على نظمه. ثم في معناه قولان: أحدهما: لقد لَبِثْتُ في عِلْمِ الله، قاله الفراء. والثاني: لقد لَبِثْتُ في خَبَرِ الكتاب، قاله ابن قتيبة. قوله تعالى: ﴿فَهَكَذَا يَوْمَ الْبَاقِ﴾ أي: اليوم الذي كنتم تُنْكِرُونَهُ ﴿وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ في الدنيا أنه يكون. ﴿فَيَوْمَذِي لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَذْرُؤُهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿لَا تَنْفَعُ﴾ بالثاء. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي. بالياء، لأن التانيث غير حقيقي. قال ابن عباس: لا يُقْبَلُ من الذين أشركوا عُذْر ولا توبة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْبَقُونَ﴾ أي: لا يُطْلَبُ منهم العتي والرجوع في الآخرة. ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَكِنْ جَنَّاهُمْ بِبَابِهِمْ يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْتَطِلُونَ ﴿٥٦﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ فَاسْتَبْرِإْنِ وَرَدَّ اللَّهُ حَقَّ وَلَا يَسْخَفَنَّكَ الَّذِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٥٨﴾﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ جَنَّاهُمْ بِبَابِهِمْ﴾ أي: كعصا موسى وبه ﴿يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ﴾ أي: ما أنتم يا محمد وأصحابك ﴿إِلَّا مُبْتَطِلُونَ﴾ أي: أصحاب أباطيل، وهذا بيان لعنادهم. ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما طبع على قلوبهم حتى لا يصدقون الآيات ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد الله؛ فالسبب في امتناع الكفار من التوحيد، الطَّبْعُ على قلوبهم.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبْرِإْنِ وَرَدَّ اللَّهُ﴾ بنصرك وإظهارك على عدوك ﴿حَقَّ﴾. ﴿وَلَا يَسْخَفَنَّكَ﴾ وقرأ يعقوب إلا روحاً وزيداً: ﴿يَسْخَفَنَّكَ﴾ بسكون النون. قال الزجاج: لا يَسْتَفْرَنُكَ عن دينك ﴿الَّذِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: هم ضلال شاكّون. وقال غيره: لا يُؤَرِّثُونَ بالبعث والجزاء<sup>(١)</sup>. وزعم بعض المفسرين أن هذه الآية منسوخة.



= من شرها وما تُرسل به قال الحافظ: أخرجه مسند في (مسند الكبير)، وفي سنن جبر بن عبد الله، وهو ضعيف، وجده حبيب الله - بالتصغير - ابن عباس، وفي نسخة من (المسند): حسين بن قيس أبو علي المرجي، وهو ضعيف أيضاً، وقد اعتضد بالمناجعة. اهـ. والحدّث في (مسند الشافعي) (٤٧) وفيه ابن أبي يحيى، وهو إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي الذي يروي عن العلاء بن راشد، منهم.

(١) قال ابن كثير: ﴿فَاسْتَبْرِإْنِ وَرَدَّ اللَّهُ حَقَّ﴾ أي: اصبر على مخالفتهم وعنادهم، فإن الله تعالى منجز لك ما وعده من نصره إياك عليهم، وجعله العاقبة لك ولعن اتبعك في الدنيا والآخرة ﴿وَلَا يَسْخَفَنَّكَ الَّذِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: بل اثبت على ما بعثك الله به، فإنه الحق الذي لا مرية فيه، ولا تعدل عنه، وليس فيما سواه هدى يُتَّبَع، بل الحق كله منحصر فيه. اهـ.



## سورة لقمان

وهي مكية في قول الأكثرين. وروى عن عطاء أنه قال: هي مكية سوى آيتين منها نزلنا بالمدينة، وهما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ والتي بعدها [لقمان: ٢٧، ٢٨]؛ وروى عن الحسن أنه قال: إلا آية نزلت بالمدينة، وهي قوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [لقمان: ٤٤]، لأن الصلاة والزكاة مدينتان<sup>(١)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ يَكُنْ الْأَكْثَرُ عَلَى الْأَقْصَى ۚ﴾ ١ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ٢ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٣ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٤﴾ ٥ وَنَاثِرٍ مِّنْ بَشَرٍ لَّهُوَ الْحَكِيمُ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَتَّبِعِ عَلَيْهِ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٦ وَإِذَا نَقَلَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَافَةٌ فَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ ٧ وَإِنْ أَلْبَسْنَا لَهُمُ الْبُيُوتَ فَسَاءَ لِلْظَّالِمِينَ ٨ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ ٩ خَالِدِينَ فِيهَا وَهُوَ الْقَرِيرُ الْكَاسِمُ ١٠ خَلَقَ السَّمَوَاتِ سِتْرًا يَتَّبِعُ عِبْرَتُهَا وَالْقَمَرِ فِي الْأَرْضِ رَوْنًا أَنْ يَنْبِيذَ بِكُمْ رِيشًا فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ ثَلَجٍ ١١ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ١٢ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ١٣ وَلَوْ قَالَ لَقَمْتُ لِأَيُّوهُ وَهُوَ يُعْطَاهُ يَنْبَغِي لَا شَرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٤﴾

قوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ وقرأ حمزة وحده: «ورحمة» بالرفع. قال الزجاج: القراءة بالنصب على الحال؛ والمعنى تلك آيات الكتاب في حال الهداية والرحمة؛ ويجوز الرفع على إضمار «هو هدى ورحمة» وعلى معنى: «تلك هدى ورحمة». وقد سبق تفسير مفتتح هذه السورة [البقرة: ١ - ٥] إلى قوله: ﴿وَمَنْ الْتَأْتِي مَنْ يَشْرِي لَّهُوَ الْحَكِيمُ﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في رجل اشترى جارية مغنية<sup>(٢)</sup>. وقال مجاهد: نزلت في شراء القيان والمغنيات<sup>(٣)</sup>. وقال ابن السائب ومقاتل: نزلت في النضر بن الحارث، وذلك أنه كان تاجراً إلى فارس، فكان يشتري أخبار الأعاجم فيحدث بها قريشاً ويقول لهم: إن محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الأكاسرة، فيستملحون حديثه ويتروكون استماع القرآن، فنزلت فيه هذه الآية<sup>(٤)</sup>. وفي المراد بلهو الحديث أربعة أقوال: أحدها: [أنه] الغناء. كان ابن مسعود يقول: هو الغناء والذي لا إله إلا هو، يُرَدُّها ثلاث مرات<sup>(٥)</sup>؛ وبهذا قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبيرة، وعكرمة، وقتادة. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: اللهو: الطبل<sup>(٦)</sup>. والثاني: أنه ما ألهى عن الله، قاله الحسن، وعنه مثل القول الأول. والثالث: أنه الشُّرك، قاله الضحاك. والرابع: الباطل، قاله عطاء<sup>(٧)</sup>. وفي معنى «يشترى» قولان: أحدهما: يشتري بماله؛ وحديث النضر

(١) من المعلوم أن الصلاة فرضت بمكة ليلة الإسراء، كما في «صحيح البخاري» وغيره، والزكاة فرضت بالمدينة، فلعل القائل بذلك يريد أن يجابها بما تحقق بالمدينة، أو أنها فرضت ليلة الإسراء ركعتين ركعتين إلا المغرب، ثم زيدت بعد الهجرة، إلا الصحيح، فكان ذلك تمام فرضيتها.

(٢) «الطبري» ٦٣/٢١ من رواية العوفي عن ابن عباس بمعناه، وذكره السيوطي في «الدر» ١٥٩/٥، وزاد نسبه للقرطبي، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٣) «الطبري» ٦٢/٢١ عن مجاهد بمعناه، وذكره السيوطي في «الدر» ١٦٠/٥، وزاد نسبه لأدم، والبيهقي في «سننه» عن مجاهد.

(٤) «أسباب النزول» للواحدي ١٩٧ عن الكلبي ومقاتل بدون سند.

(٥) «الطبري» ٦١/٢١، وذكره السيوطي في «الدر» ١٥٩/٥ مختصراً، وزاد نسبه لابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر، والحاكم وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٦) «الطبري» ٦٣/٢١ عن مجاهد.

(٧) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: عنى به كل ما كان من الحديث ملهياً عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه، أو رسوله، لأن الله تعالى عَمُّ بقوله: (لهو الحديث) ولم يخص بعضاً دون بعض، فذلك على جموعه، حتى يأتي ما يدل على خصوصه، والغناء والشرك من ذلك. اهـ.

يعضده. والثاني: يختار ويستحب، قاله قتادة، ومطر<sup>(١)</sup>. وإنما قيل لهذه الأشياء: لهُو الحديث، لأنها تُلهي عن دُخْرِ الله.

قوله تعالى: «لِيُضِلَّ» المعنى: ليصير أمره إلى الضلال. وقد بيَّنَّا هذا الحرف في [الحج: ٢٩]. وقرأ أبو رزين، والحسن، وطلحة بن مصرف، والأعمش، وأبو جعفر: «لِيُضِلَّ» بضم الياء، والمعنى: لِيُضِلَّ غيره، وإذا أَضَلَّ غيره فقد ضَلَّ هو أيضاً.

قوله تعالى: «وَيَتَّخِذَهَا» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «وَيَتَّخِذَهَا» برفع الذال. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بنصب الذال. قال أبو علي: من نصب عطف على «لِيُضِلَّ» «وَيَتَّخِذَهَا» ومن رفع عطفه على «من يشتري» «ويتخذ». وفي المشار إليه بقوله: «وَيَتَّخِذَهَا» قولان: أحدهما: أنها الآيات. والثاني: السبيل. وما بعد هذا مفسر في مواضع قد تقدَّمت [الإسراء: ٤٦، الأنعام: ٢٥، البقرة: ٢٥، الرعد: ٢، النحل: ١٥، الشعراء: ٧]، إلى قوله: «وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْنَنَ الْحِكْمَةَ» وفيها قولان: أحدهما: الفهم والعقل، قاله الأكثرون. والثاني: النبوة. وقد اختلف في نبوته على قولين: أحدهما: أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً، قاله سعيد بن المسيب، ومجاهد، وقاتدة. والثاني: أنه كان نبياً، قاله الشعبي، وعكرمة، والسدي. هكذا حكاه عنهم الواحدي، ولا يعرف، إلا أن هذا ممَّا تفرَّد به عكرمة؛ والقول الأول أصح<sup>(٢)</sup>. وفي صناعته ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان خياطاً، قاله سعيد بن المسيب. والثاني: راعياً، قاله ابن زيد. والثالث: نجاراً، قاله خالد الريمي. فاما صفته، فقال ابن عباس: كان عبداً حبشياً. وقال سعيد بن المسيب: كان لقمان أسود من سودان مصر. وقال مجاهد: كان غليظ الشفتين مشقَّق القدمين، وكان قاضياً على بني إسرائيل.

قوله تعالى: «إِنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ» المعنى: وقلنا له: أن اشكر الله [على] ما أعطاك من الحكمة «وَمَنْ يَنْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ» أي: إنما يفعل لنفسه «وَمَنْ كَفَرَ» النعمة، فإن الله لغني عن عبادة خلقه.

«وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَلَلَتْ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ وَفَضَّلَهُ فِي عَمَلَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى الصَّبِيرِ ﴿٧﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّقِ سَبِيلَ مَنْ آتَاكَ إِلَى شُرَكَائِي مَوْعِدًا فَإِنْ مَضَى فَاتَّقِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٨﴾ بَيِّنْ إِنْهَا إِنْ تَكُ شِقَاقَ حَبْرٍ مِّنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَكِينِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَبِاسِطٌ ذَوِي عَرْشٍ أَعْلَى الْفَلَاقِ وَأَمَّا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الشُّكْرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَسْأَلُكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ الْأَمْرِ ﴿٩﴾

قوله تعالى: «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ» قال مقاتل: نزلت في سعد بن أبي وقاص، وقد شرحنا ذلك في [المنكوت: ٨].

قوله تعالى: «حَلَلَتْ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ» وقرأ الضحاك، وعاصم الجحدري: «وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ» بفتح الهاء فيهما. قال الزجاج: أي: ضغفًا على ضغف. والمعنى: لزمها بحملها إياه أن تضعف مرَّةً بعد مرَّة. وموضع «أَنْ» نصب به «وصينا»؛ المعنى: ووصينا الإنسان أن أشكر لي ولوالديك، أي: وصينا به بشكرنا وشكر والديه.

قوله تعالى: «وَفَضَّلَهُ فِي عَمَلَيْنِ» أي: فطامه يقع في انقضاء عامين. وقرأ إبراهيم النخعي، وأبو عمران، والأعمش: «وَفَضَّلَهُ» بفتح الفاء. وقرأ أبي بن كعب، والحسن، وأبو رجاء، وطلحة بن مصرف، وعاصم

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى التأويلين عندي بالصواب تأويل من قال: معناه: الشراء الذي هو بالثمن، وذلك أن ذلك هو أظهر معنيته، قال: فإن قال قائل: وكيف يشتري لهُو الحديث؟ قيل: يشتري ذات لهُو الحديث، أو ذا لهُو الحديث، فيكون مشترياً لهُو الحديث. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: اختلف السلف في لقمان، هل كان نبياً، أو عبداً صالحاً من غير نبوة؟ على قولين: الأكثرون على الثاني (يعني أنه لم يكن نبياً) ثم ذكر بعض الآثار، منها ما هو مصرح فيه بنفي كونه نبياً، ومنها ما هو مشعر بذلك، وفي بعضها ما يشعر أنه كان عبداً قد مَّسَّ الرق، فقال: وكونه عبداً قد مَّسَّ الرق يتنافي كونه نبياً، لأن الرسل كانت تبث في أحساب قومها، قال: ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبياً، قال: وإنما ينقل كونه نبياً من عكرمة إن صح السند إليه، قال: فإنه رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم من حديث وكيع عن إسرائيل عن جابر عن عكرمة، قال: كان لقمان نبياً، قال: وجابر هذا، هو ابن يزيد الجمعي، وهو ضعيف، والله أعلم. ثم قال ابن كثير: والذي رواه سعيد بن أبي هريرة عن قتادة في قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْنَنَ الْحِكْمَةَ» أي: الفقه في الإسلام، ولم يكن نبياً، ولم يوح إليه. اهـ، فهذا يدل على أنه كان عبداً صالحاً، ولم يكن نبياً.

الجحدري، وقناة؛ «وَقَضَلُهُ» بفتح الفاء وسكون الصاد من غير ألف. والمراد: التنبيه على مشقة الولادة بالرضاع بعد الحمل.

قوله تعالى: ﴿رَبِّانِ جَهْدَكَ﴾ قد فسرنا ذلك في سورة [العنكبوت: ٨] إلى قوله: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ قال الزجاج: أي: مُصَاحِبًا معروفًا، تقول صاحبه مُصَاحِبًا ومُصَاحِبَةً؛ والمعروف: ما يُستحسن من الأفعال.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيْنَا﴾ أي: مَنْ رَجَعَ إِلَيْنَا؛ وأهل التفسير يقولون: هذه الآية نزلت في سعد، وهو المخاطب بها. وفي المراد بمن أناب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أبو بكر الصديق، قيل لسعد: اتَّبِعْ سَبِيلَهُ فِي الْإِيمَانِ، هذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء<sup>(١)</sup>. وقال ابن إسحاق: أسلم على يدي أبي بكر [الصديق]: عثمان بن عفان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف. والثاني: أنه رسول الله ﷺ، قاله ابن السائب. والثالث: مَنْ سلك طريق محمد وأصحابه، ذكره الثعلبي<sup>(٢)</sup>. ثم رجع إلى الخبر عن لقمان فقال: ﴿يَبْنِي﴾. وقال ابن جرير: وجه اعتراض هذه الآيات بين الخيرين عن وصية لقمان أن هذا مما أوصى به لقمان ابنه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِنْ تَكُ يَشْقَالُ حَبَّةٌ﴾ وقرأ نافع وحده: «وَيُقَالُ حَبَّةٌ» برفع اللام. وفي سبب قول لقمان لابنه هذا قولان: أحدهما: أن ابن لقمان قال لأبيه: أرايت لو كانت حبة في قعر البحر أكان الله يعلمها؟ فأجابه بهذه الآية، قاله السدي. والثاني: أنه قال: يا أبت إن عملك الخطيئة حيث لا يراني أحد، كيف يعلمها الله؟ فأجابه بهذا، قاله مقاتل. قال الزجاج: من قرأ برفع المثقال مع تأنيث «تَكُ» فلا تُقَالُ حَبَّةٌ من خردل؛ راجع إلى معنى: خردلة، فهي بمنزلة: إِنْ تَكُ حَبَّةٌ من خردل؛ ومن قرأ: «مَثْقَالُ حَبَّةٍ» فعلى معنى: إِنْ تَكُ حَبَّةٌ سَأَلْتَنِي عَنْهَا إِنْ تَكُ مَثْقَالُ حَبَّةٍ. وعلى معنى: إِنْ قَعَلَهُ الْإِنْسَانُ وَإِنْ صَغُرَتْ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ. وقد يَبْنِيَّ معنى «وَيُقَالُ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ» في [الأنبياء: ٤٧].

قوله تعالى: ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾ قال قتادة: في جبل. وقال السدي: هي الصخرة التي تحت الأرض السابعة، ليست في السموات ولا في الأرض<sup>(٣)</sup>. وفي قوله: ﴿يَأْتِي بِهَا اللَّهُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: يعلمها الله، قاله أبو مالك. والثاني: يُظْهِرُهَا، قاله ابن قتيبة. والثالث: يأت بها الله في الآخرة للجزاء عليها. «إِنَّ اللَّهَ لَكَلِيفٌ» قال الزجاج: لطيف باستخراجها «خَيْرٌ» بمكانها. وهذا مثل لأعمال العباد. والمراد أن الله تعالى يأتي بأعمالهم يوم القيامة، مَنْ يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْرِعْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ أي: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأذى. وباقى الآية مفسر في [آل عمران: ١٨٦].

﴿وَلَا تُصَيِّرْ خَذْلَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُنْ فِي الْآخِرَةِ مَرَدًّا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ وَأَقْبِدْ فِي شَتَاكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَيِّرْ خَذْلَكَ لِلنَّاسِ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: «تُصَيِّرُ» بتشديد العين من غير ألف. وقرأ نافع، [وأبو عمرو]، وحزمة، والكسائي: بألف من غير تشديد. قال الفراء: هما لغتان، ومغناهما: الإعراض عن الكبر. وقرأ أبي بن كعب، وأبو رجاء، وابن السمين، وعاصم الجحدري: «وَلَا تُصَيِّرُ» بإسكان الصاد وتخفيف العين من غير ألف. وقال الزجاج: معناه: لا تُعْرِضْ عن الناس تكبراً؛ يقال: أصاب البعير صَعَرٌ إذا أصابه داء يُلَوِي منه عُثْقُهُ. وقال ابن عباس: هو الذي إذا سُلِمَ عليه لوى عُثْقُهُ كالمستكبر. وقال

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٩.

(٢) قال الألوسي في «روح المعاني»: والظاهر هو المصوم. وقال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَأَتَيْنَا سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيْنَا﴾ يقول: واسلك طريق من تاب من شركه ورجع إلى الإسلام، واتبع محمداً ﷺ. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله: ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾ أنها صخرة تحت الأرضين السبع، قال: وذكره السدي بإسناده ذلك المطروق عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة إن صح ذلك، ويروى هذا عن عطية الموفى وأبي مالك والثوري واليهما ابن عمر، وغيرهم، وهذا - والله أعلم - كأنه متلقى من الإسرائيليات التي لا تصلح ولا تكذب، والظاهر - والله أعلم - أن المراد أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة، فإن الله سيظهرها بلطف علمه. اهـ.

أبو العالية: ليكن الغني والفقير عندك في العلم سواء. وقال مجاهد: هو الرجل يكون بينه وبين أخيه الجنة<sup>(١)</sup>، فيراه فيعرض عنه. وباقى الآية بعضه مفسر في [ابن إسرائيل: ٣٧] وبعضه في سورة [النساء: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبِصْ فِي مَتْنِكَ﴾ أي: ليكن مشبك قصداً، لا تخيلاً ولا إسراعاً. قال عطاء: امش بالوقار والسكينة.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبِصْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ أي: انقص منه. قال الزجاج: ومنه قولهم: غضضت بصري، وفلان يغص من فلان، أي: يقصر به. ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ قرأ أبو المتوكل، وابن أبي عبيدة: «أَنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ» بفتح الهمزة. ومعنى «أنكر»: أقبح؛ تقول: أتاننا فلان بوجه منكر، أي: قبيح. وقال المبرد: تأويله: أن الجهر بالصوت ليس بمحمود، وأنه داخل في باب الصوت المنكر. وقال ابن قتيبة: عَرَفَهُ قُبْحُ رَفْعِ الْأَصْوَاتِ فِي الْمَخَاطَبَةِ وَالْمُلَاحَاةِ<sup>(٢)</sup> بقبح أصوات الحمير، لأنها عالية. قال ابن زيد: لو كان رفع الصوت خيراً، ما جعله الله للحمير. وقال سفيان الثوري: صياح كل شيء تسبيح لله ﷻ، إلا الحمار، فإنه ينهق بلا فائدة. فإن قيل: كيف قال: «لَأَصَوْتُ» ولم يقل: «لأصوات الحمير»؟ فالجواب: أن لكل جنس صوتاً، فكانه قال: إن أنكر أصوات الأجناس صوت هذا الجنس.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ ﴿٣٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا رَدَدْنَا عَلَيْهِ مَكِيدَاتًا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أوسع وأكمل ﴿نِعَمَهُ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «نِعْمَتُهُ»، أرادوا جميع ما أنعم به. وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «نِعْمَتُهُ» على التوحيد. قال الزجاج: هو ما أعطاهم من توحيده. وروى الضحاك عن ابن عباس، قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة؟ فقال: «أما ما ظهر: فالإسلام، وما سوى الله من خلقك، وما أفضل عليك من الرزق. وأما ما بطن: فستر مساوي عملك، ولم يفضحك»<sup>(٣)</sup>. وقال الضحاك: الباطنة: المعرفة، والظاهرة: حسن الصورة، وامتداد القامة، وتسوية الأعضاء.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ﴾ هو متروك الجواب، تقديره: أفستبونه؟

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ رَحِمَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ عَمِينَ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عِيقَةُ الْأُمُورِ﴾ ﴿٣٩﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِنَّهُمْ مَرْحَمَةٌ فَنَنْسَاهُمْ يَوْمَ الْعِلَاقِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٠﴾ نَعِمْتُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ غَلِيظٍ ﴿٤١﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ أَنَّكَ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَتٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ رَحِمَهُ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو العالية، وقطادة: «وَمَنْ يُسْلِمُ» بفتح السين وتشديد اللام. وذكر المفسرون أن قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾ منسوخ بآية السيف، ولا يصح، لأنه تسلية عن الحزن، وذلك لا يتنافى الأمر بالقتال. وما بعد هذا قد تقدم تفسير ألفاظه في مواضع [أمود: ٤٨، النبوت: ٦١، البقرة: ٢٦٧] إلى قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّكَ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَتٌ﴾ وفي سبب نزولها قولان: أحدهما: أن أحبار اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: أرايت قول الله ﷻ: ﴿وَمَا أَوْثَقُ مِنَ الْعِلَاقِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الاسراء: ٨٥]، إيانا يريد، أم قومك؟ فقال: «كَلَّا»،

(١) قال في «تاج العروس»: «أجن»: الجنة بالكسر لغة في الإجنة، وقد أنكرها الأصمعي والفراء وابن الفرج، وفي «الصحيح»: ولا تقل: جنة، قال الزبيدي: قلت: والحق أنها لغة قليلة. اهـ. والإجنة: الحقد.

(٢) الملاحاة: المخاضة والمنازعة.

(٣) ذكره السيوطي في «الدرر» ١٦٧/٥ من رواية البيهقي في «شعب الإيمان» عن عطاء عن ابن عباس بمعناه، ومن رواية ابن مردويه، والبيهقي، والدليمي، وابن النجار عن ابن عباس، والله أعلم. وذكره الطبري في تفسيره عن ابن عباس من قوله، أنه قرأها ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ وفسرها بالإسلام، وذكر البغوي والخازن نحو هذا المعنى موقوفاً على ابن عباس. وقال الآلوسي في «روح المعاني» بعد أن ذكر هذين الحديثين مرفوعين: فإن صح ما ذكر، غير جازم بهما، والله أعلم.

فقالوا: ألسنت تلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها نبيان كل شيء؟ فقال: «إنها في علم الله قليل»، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن المشركين قالوا في القرآن: إنما هو كلام [يوشك أن] ينقذ وينقطع، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة<sup>(٢)</sup>. ومعنى الآية: لو كانت شجر الأرض أقلاماً، وكان البحر ومعه سبعة أبحر مِدَاداً - وفي الكلام محذوف تقديره: فكتب بهذه الأقلام وهذه البحور كلمات الله - لتكسرت الأقلام ونفذت البحور، ولم تنفذ كلمات الله، أي: لم تنقطع<sup>(٣)</sup>. فاما قوله: «وَالْبَحْرُ» فقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «وَالْبَحْرُ» بالرفع، ونصبه أبو عمرو. وقال الزجاج: من قرأ: «وَالْبَحْرُ» بالنصب، فهو عطف على «ما»؛ المعنى: ولو أن ما في الأرض، ولو أن البحر؛ والرفع حسن على معنى: والبحر هذه حاله. قال البيهقي: ومعنى «يَمُدُّ مِنْ يَمِينِهِ»: يزيد فيه؛ يقال: مَدُّ قِزْزِكَ، أي: زِدْ في ماها، وكذلك قال ابن قتيبة: «يَمُدُّ» من المِداد، لا من الإمداد، يقال: مَدَدْتُ دَوَاتِي بِالْمِدادِ، وأمددته بالمال والرجال.

﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَفْتَبٌ وَجَدُّهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (١) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُخْلِقُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُخْلِقُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَلِكُ الْكَبِيرُ (٣) أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْصَرِتُ إِلَى لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٤) وَلَئِنْ غَيْبْنَا مَوْجَ الْكَافِلِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ قُلْنَا نَحْنُهُمْ إِلَى الْيَمِّ فَيَنْهَضُ مُنْقَضِدٌ وَمَا يَحِصُّ بِعَاقِبَتِنَا إِلَّا كُلُّ خَشَّارٍ كَفُورٍ (٥)

قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَفْتَبٌ وَجَدُّهُ﴾ سبب نزولها أن أبي بن خلف في آخرين من قريش قالوا للنبي ﷺ: إن الله خلقنا أطواراً: نطفة، علقه، مضغة، عظاماً، لحماً، ثم تزعم أننا بُعِثَ خلقاً جديداً جميعاً في ساعة واحدة؟! فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup> ومعناها: ما خلقكم أيها الناس جميعاً في القدرة إلا كخلق نفس واحدة، ولا يَعْثُبُكُمْ جميعاً في القدرة إلا كبعث نفس واحدة، قاله مقاتل. وما بعد هذا قد تقدم تفسيره (آل عمران: ٢٧، الرعد: ٢، الحج: ٦٢) إلى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْصَرِتُ إِلَى لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِنَا﴾ من ينعمه جريان الفلك ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِنَا﴾ أي: لِيُرِيَكُمْ من صنعته عجائبه في البحر، وابتغاء الرزق ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ قال مقاتل: أي: لكل صبور على أمر الله ﴿شَكُورٍ﴾ في نعمه.

قوله تعالى: ﴿لَئِنْ غَيْبْنَا﴾ يعني الكفار؛ وقال بعضهم: هو عام في الكفار والمسلمين ﴿مَوْجَ الْكَافِلِ﴾ قال ابن قتيبة: وهي جمع ظلة، يراد أن بعضه فوق بعض، فله سواد من كثرت.

(١) «الطبري» ٨١/٢١ وفي سننه رجل مجهول، وذكره ابن كثير من رواية ابن إسحاق عن محمد بن أبي حمزة، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، ومحمد بن أبي حمزة، عن شيخ لعبد الرزاق، مجهول، كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب». قال ابن كثير: وهذا يقتضي أن هذه الآية مدنية، لا مكية، والمشهور أنها مكية، والله أعلم. اهـ. والحدث أورده السيوطي في «الدر» ١٦٧/٥، وزاد نسبه لابن أبي حاتم.

(٢) «الطبري» ٨١/٢١، وأورده السيوطي في «الدر» ١٦٨/٥ وزاد نسبه لعبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العظمة»، وأبي نصر السجزي في «الإبانة» عن قتادة.

(٣) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن عظمته وكبريائه وجلاله وأسمائه الحسنى وصفاته العلى وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها كما قال سيد البشر وخاتم الرسل: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَدٌ وَالْبَحْرُ يَدْفَعُ مِنْ يَمِينِهِ وَسَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِذَتْ كَيْفَ يَقُولُ: أَي: ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلاماً، وجعل البحر مِدَاداً، وأمد سبعة أبحر معه فكتب بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله، لتكسرت الأقلام ونفذ ماء البحر ولو جاء أمثاله مِدَاداً، قال: وإنما ذكرت السبعة على وجه المبالغة، ولم يرد الحصر، ولا أن ثم سبعة أبحر موجودة محيطاً بالعالم كما يقوله من تلقاه من الإسرافيين التي لا تصدق ولا تكذب، بل كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ الْبَحْرَ مِدَادًا لَكُنْتُ رَبِّي لَقَدْ أَهْرَ قُلْ أَنْ تَنْفَدَ كَيْفَ رَبِّي وَلَوْ جِثَا يَبْتُلُوهُ مَدًا﴾ (٥)، فليس المراد بقوله: «بمثله» آخر فقط، بل بمثله ثم بمثله ثم بمثله جراً، لأنه لا حصر لآيات الله وكلماته. اهـ.

(٤) قال الألوسي في «روح المعاني» ٩١/٢١: ومن مقاتل أن كفار قريش قالوا: إن الله خلقنا أطواراً: نطفة، علقه، مضغة، لحماً، فكيف يبعثنا خلقاً جديداً في ساعة واحدة؟! فنزلت، قال: وذكر النقاش أنها نزلت في أبي بن خلف، وأبي الأسود، ونبية ومنه ابني الحجاج، وذكر في سبب نزولها فيهم نحو ما ذكر، ثم قال الألوسي: وعلى كون سبب النزول ذلك قيل: المعنى أنه تعالى سمع بقولهم ذلك، بصير بما يفسرونه، وهو كما ترى. اهـ. وذكر مثل هذا القول الطبرسي في «مجمع البيان» عن مقاتل، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ وقد سبق شرح هذا [يونس: ٢٢]؛ والمعنى أنهم لا يذكرون أصنامهم في شداقدهم إنما يذكرون الله وحده. وجاء في الحديث أن عكرمة بن أبي جهل لما هرب يوم الفتح من رسول الله ﷺ ركب البحر فأصابتهم ريح عاصف، فقال أهل السفينة: أخْلِصُوا، فإن ألهتكم لا تُنْجِي عنكم شيئاً هاهنا، فقال عكرمة: ما هذا الذي تقولون؟ فقالوا: هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله، فقال: هذا إله محمد الذي كان يدعونإ إليه، لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص ما ينجيني في البر غيره، ارجعوا بنا، فرجع فأسلم<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَبَيْنَهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مؤمن، قاله الحسن. والثاني: مقتصد في قوله، وهو كافر، قاله مجاهد. يعني أنه يعترف بأن الله وحده القادر على إنجائه وإن كان مضميراً للشرك. والثالث: أنه العادل في الوفاء بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد، قاله مقاتل. فأما «الخَنَار» فقال الحسن: هو الغدَار. قال ابن قتيبة: الخَنَرُ: أقيج الغَدَر وأشدُّه.

﴿يَكَلِّمُ النَّاسَ أَنْفُسًا رِيكُمُ﴾ وكُفِّسُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرِكُكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَمْرُكُكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُودُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرَكِّبُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿يَكَلِّمُ النَّاسَ أَنْفُسًا رِيكُمُ﴾ قال المفسرون: هذا خطاب لكفار مكة. وقوله: ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ أي: لا يقضي عنه شيئاً من جنايته ومظالمه. قال مقاتل: وهذا يعني به الكفار. وقد شرحنا هذا في [البقرة: ٤٨]. قال الزجاج: وقوله: ﴿هُوَ جَانٍ﴾ جاءت في المصاحف بغير ياء، والأصل «جَازِي» بضمه وتوين. وذكر سيويه والخليل أن الاختيار في الوقف هو «جَازِي» بغير ياء، هكذا وقف الفصحاء من العرب ليعلموا أن هذه الياء تسقط في الوصل. وزعم يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقف بياء، ولكن الاختيار أتباع المصحف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ بزيئتها عن الإسلام والتزود للأخرة ﴿وَلَا يَمْرُكُكُمْ بِاللَّهِ﴾ أي: بحلمه وإمهاله ﴿الْغَرُودُ﴾ يعني: الشيطان، وهو الذي من شأنه أن يغرر. قال الزجاج: «الغَرُور» على وزن القُعود، وقُعود من أسماء المبالغة، يقال: فلان أكُول: إذا كان كثير الأكل، وضُروب: إذا كان كبير الضُرب، فقيل للشيطان: غَرُور، لأنه يغرر كثيراً. وقال ابن قتيبة: الغَرُور بفتح الغين: الشيطان، وبضمها: الباطل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ سبب نزولها أن رجلاً من أهل البادية جاء إلى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي حُبلى، فأخبرني ماذا تُلِد؟ وبلدنا مُجْلِب، فأخبرني متى يَنزِل الغيث؟ وقد علمت متى وُلِدَتْ، فأخبرني متى أموت، فتزلت هذه الآية، قاله مجاهد<sup>(٢)</sup>. ومعنى الآية: «إن الله ﷻ عنده عِلْمُ السَّاعَةِ» متى تقوم، لا يعلم سواه ذلك ﴿يُنْزِلُ الْغَيْثَ﴾ وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر: «وَيُنْزِلُ» بالتشديد، فلا يعلم أحد متى يَنزِل الغيث، ألبتة أم نهاراً ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ لا يعلم سواه ما فيها، أذكراً أم أنثى، أبيض أم أسود ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ أخيراً أم شراً ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ أي: بأي مكان<sup>(٣)</sup>. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وابن أبي عبيدة: «بأيّة أرض» بقاء

(١) قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» في ترجمة عكرمة: وقد أخرج قصة سجيّة موصولة، الدارقطني، والحاكم، وابن مردويه من طريق أسباط بن نصر عن السدي عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: .... فذكرها. اهـ.

(٢) «الطبري» ٨٧/٢١، وأورده السيوطي في «الدرر» ١٦٩/٥، وزاد نسبة للرباعي، وابن أبي حاتم عن مجاهد، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٩٩ بدون سند، وكذلك البغوي في «التفسير» وغيره.

(٣) قال ابن كثير: هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها، فلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل، ولا ملك مقرب ﴿لَا يَكُنَّ لِرَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن يشاء الله من خلقه، وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى، أو شقيّاً أو سعيداً، علم الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه، وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وأخرها ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ في بلد أو غيره من أي بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك، قال: وهذه شبيهة بقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ سَائِرَ الْكَلْبِ لَا يَلْمِزُهَا إِلَّا هُوَ﴾ الآية. ثم قال: وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس: مفاتيح الغيب، قال: فروى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿إِنَّ﴾

مكسورة. والمعنى: ليس أحد يعلم [أين] مضجعه من الأرض حتى يموت، أفني برُّ أو بحر أو سهل أو جبل. وقال أبو عبيدة: [يقال]: بأي أرض كنت، وبأية أرض كنت، لغتان. قال الفراء: من قال: بأي أرض، اجتزا بتأنيث الأرض من أن يظهر في «أي» تأنيثاً آخر. قال ابن عباس: هذه الخمس لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي [مرسل] مصطفى. قال الزجاج: فمن ادّعى أنه يعلم شيئاً من هذه كفر بالقرآن لأنه خالفه<sup>(١)</sup>.



= الله عِنْدَهُ هَلْ السَّاعَةِ وَيَرْزُقُ الْكَلْبَ وَيَسْكُرُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّا نَأْتِي نَفْسُ بِأَيِّ أَرْضٍ تَأْتِي إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٥﴾  
قال: ورواه البخاري. اهـ.

(٢) قال الألوسي في تكملة الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ مبالغ في العلم، فلا يعزب عن علمه سبحانه شيء من الأشياء، ﴿خَبِيرٌ﴾ يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها، قال: فالجمع بين الوصفين للإشارة إلى التسوية بين علم الظاهر والباطن عنده ﷻ. اهـ.

## سورة السجدة

وتسمى سورة المضاجع، وهي مكية بإجماعهم

وقال الكلبي: فيها من المدني ثلاث آيات، أولها قوله: ﴿أَتَمَنَّا كَانَ مَوْثِقًا...﴾ [السجدة: ١٨] وقال مقاتل: فيها آية مدنية، وهي قوله: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ...﴾ الآية [السجدة: ١٦]. وقال غيرهما: فيها خمس آيات مدنيات، أولها ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ...﴾ [السجدة: ١٦].<sup>(١)</sup>

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ لَا رَبَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْمَلَكِينَ﴾ ① أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُفِثَ بِهِ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِشِدَارَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ② اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ③﴾

قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ الْكِتَابَ لَا رَبَّ فِيهِ﴾ قال مقاتل: المعنى: لا شك فيه أنه تنزيل ﴿مِنْ رَبِّ الْمَلَكِينَ﴾. ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بل يقولون، يعني المشركين ﴿أَفَنُفِثَ بِهِ﴾ محمد من تلقاء نفسه، ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِشِدَارَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعني العرب الذين أدركوا رسول الله ﷺ لم يأتهم نذير من قبل محمد ﷺ. وما بعده قد سبق تفسيره [الأعراف: ٥٤] إلى قوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يعني الكفار؛ يقول: ليس لكم من دون عذابه من وليٍّ، أي: قريب يمتنعكم فيرد عذابه عنكم ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يشفع لكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتؤمنوا.

﴿يَذَرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ بِمِقْدَارِهِ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ④﴾ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغُيُوبِ ⑤ وَاللَّهُدَى الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ⑥ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ⑦ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ⑧ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِ رَبِّهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ⑨﴾

قوله تعالى: ﴿يَذَرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ في معنى الآية قولان: أحدهما: يقضي القضاء من السماء فينزله مع الملائكة إلى الأرض ﴿ثُمَّ يَرْجِعُ﴾ الملك ﴿إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ﴾ من أيام الدنيا، فيكون الملك قد قطع في يوم واحد من أيام الدنيا في نزوله وصعوده مسافة ألف سنة من مسيرة آدمي. والثاني: يذبر أمر الدنيا مدة أيام الدنيا، فينزّل القضاء والقدر من السماء إلى الأرض ﴿ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ﴾ أي: يعود إليه الأمر والتدبير حين ينقطع أمر الأمراء وأحكام الحكام وينفرد الله تعالى بالأمر ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ بِمِقْدَارِهِ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وذلك في [يوم] القيامة، لأن كل يوم من أيام الآخرة كآلف سنة. وقال مجاهد: يقضي أمر ألف سنة في يوم واحد، ثم يلقيه إلى الملائكة، فإذا مضت قضى لآلف سنة أخرى، ثم كذلك أبداً. وللمفسرين في المراد بالأمر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الوحي، قاله السدي. والثاني: القضاء، قاله مقاتل. والثالث: أمر الدنيا. و«يعرج» بمعنى يصعد. قال الزجاج: يقال: عَرَجْتُ فِي السَّلْمِ أَعْرُجُ، وَعَرَجَ الرَّجُلُ يَعْرُجُ: إذا صار أعرج. وقرأ معاذ القارئ، وابن السميع، وابن أبي عبيدة: «ثُمَّ يُعْرَجُ إِلَيْهِ» بياء مرفوعة وفتح الراء. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء: «يُعْرَجُ» بياء مفتوحة وكسر الراء. وقرأ أبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: «ثُمَّ تُعْرَجُ» بياء مفتوحة ورفع الراء.

(١) روى البخاري في «صحيحه» في كتاب الجمعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة ﴿الَّذِي نَزَّلَ﴾ [السجدة: ١] ﴿وَعَلَى أَنَّهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٦]، ورواه مسلم أيضاً.

(٢) قال في «المصباح»: عرج في شيء عرجاً من باب تعب: إذا كان من علة لازمة، فهو أعرج، والأنثى عرجاء، فإن كان من علة غير لازمة، بل من شيء أصابه حتى غمز في شيء، قيل: عَرَجَ يُعْرَجُ، من باب قتل، فهو عارج.



قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: جعله حسناً. والثاني: أحكم كل شيء، روى عن ابن عباس، وبالأول قال قتادة، وبالثاني: قال مجاهد. والثالث: أحسنه، لم يتعلمه من أحد، كما يقال: فلان يُحسِن كذا: إذا عليمه، قاله السدي، ومقاتل. والرابع: أن المعنى: ألهم خَلَقَهُ كُلَّ ما يحتاجون إليه، كأنه أعلمهم كل ذلك وأحسنهم، قاله الفراء. والخامس: أحسن إلى كل شيء خَلَقَهُ، حكاه الماوردي. وفي قوله: «خَلَقَهُ» قراءتان: قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «خَلَقَهُ» ساكنة اللام. وقرأ الباقون بتحريك اللام. وقال الزجاج: فتحها على الفعل الماضي، وتسكينها على البدل، فيكون المعنى: أحسن خَلَقَ كُلَّ شيء خَلَقَهُ. وقال أبو عبيدة: المعنى: أحسن خَلَقَ كُلَّ شيء، والعرب تفعل مثل هذا، يقدمون ويؤخرون.

قوله تعالى: ﴿وَبِأَنَّا خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ يعني آدم، ﴿ثُمَّ جَعَلْهُ نَسْلًا﴾ أي: ذريته وولده؛ وقد سبق شرح الآية [المؤمنون: ١٢]. ثم رجع إلى آدم فقال: ﴿ثُمَّ سَوَّيْنَاهُ وَفَنَعْنَا فِيهِ مِنْ رُحْمٍ﴾ وقد سبق بيان ذلك [الحجر: ٢٩]. ثم عاد إلى ذريته فقال: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ الْأَسْبَاطَ وَالْأَنْصَارَ﴾ أي: بعد كونكم نطفاً.

﴿وَقَالُوا لَوْدَا صَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ لَوْدَا لَنَى خَلَقَ جَلِيلٌ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿قُلْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ الْوَدَّ وَالْوَدَّ وَكُلَّ يَوْمٍ تَدْعُو لِي بِرَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُتَجَرِّفُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَاتَّجَعْنَا نَعْمَلْ صَلِيلًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ يعني منكري البعث ﴿لَوْدَا صَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ وقرأ علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين، وجعفر بن محمد، وأبو رجاء، وأبو مجلز، وحמיד، وطلحة: «صَلَّلْنَا» بضاد معجمة مفتوحة وكسر اللام الأولى. قال الفراء: صَلَّلْنَا وَصَلَّلْنَا لغتان، والمعنى: إذا صارت عظامنا ولحومنا تراباً كالأرض؛ تقول: صَلَّ الماء في اللّين، وصل الشيء في الشيء: إذا أخفاه وغلب عليه. وقرأ أبو نهيك، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة: «صَلَّلْنَا» [بضم] الضاد المعجمة وتشديد اللام الأولى وكسرها. وقرأ الحسن، وقاتدة، ومعاذ القارئ: «صَلَّلْنَا» بضاد غير معجمة مفتوحة، وذكر لها الزجاج معنيين: أحدهما: أَنْتَنَّا وَتَغَيَّرْنَا وَتَغَيَّرَتْ صُورُنَا؛ يقال: صَلَّ اللحم وأصل: إذا أنتن وتغير. والثاني: صرنا من جنس الصلّة، وهي الأرض اليابسة.

قوله تعالى: ﴿لَوْدَا لَنَى خَلَقَ جَلِيلٌ﴾؟ هذا استفهام إنكار. قوله تعالى: ﴿الَّذِي وَكَّلَ بِكُمْ﴾ أي: بقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَيَّ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ يوم الجزاء. ثم أخبر عن حالهم في القيامة فقال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُتَجَرِّفُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ أي: مطأطئوها حياةً وندماً، ﴿رَبَّنَا﴾ فيه إضمار «يقولون ربنا» ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ أي: عَلِمْنَا صِحَّةَ مَا كُنَّا بِهِ مَكْذُوبِينَ «فَاتَّجَعْنَا» إلى الدنيا؛ وجواب «لو» متروك، تقديره: لو رأيت حالهم لرأيت ما يُعتبر به، ولشاهدت العجب.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ أي: وجب وسبق؛ والقول هو قوله لإبليس ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ يَمَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿[س: ٨٥]﴾.

قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: من كفار الفريقين. ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ قال مقاتل: إذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة: فذوقوا العذاب. وقال غيره: إذا اضطربوا فيها قيل لهم: ذوقوا بما نسيتم، أي: بما تركتم العمل للقاء يومكم هذا، ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ أي: تركناكم من الرحمة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا﴾ أي: وُعِظُوا بِهَا ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ أي: سقطوا على وجوههم ساجدين. وقيل: المعنى: إِنَّمَا يُؤْمِنُ بفرائضنا من الصلوات الخمس الذين إذا ذُكِّرُوا بِهَا بالأذان والإقامة خَرُّوا سُجَّدًا.

قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ اختلفوا فيمن نزلت وفي الصلاة التي تتجافى لها جنوبهم على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في المتهجدين بالليل؛ روى معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ في قوله: «تتجافى جنوبهم» قال: «قيام العبد من الليل»<sup>(١)</sup>. وفي لفظ آخر أنه قال لمعاذ: «إن شئت أثباتك بأبواب الخير»، قال: قلت: أجل يا رسول الله، قال: «الصَّومُ جُنَّةٌ، والصدقة تكفر الخطيئة، وقيام الرجل في جوف الليل يبتغي وجه الله»، ثم قرأ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾<sup>(٢)</sup>. وكذلك قال الحسن، ومجاهد، وعطاء، وأبو العالية، وقتادة، وابن زيد أنها في قيام الليل. وقد روى العوفي عن ابن عباس قال: تتجافى جنوبهم لذكر الله، كلما استيقظوا ذكروا الله، إما في الصلاة، وإما في قيام، أو في قعود، أو على جنوبهم، فهم لا يزالون يذكرون الله ﷻ. والثاني: أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يصلُّون ما بين المغرب والعشاء، قاله أنس بن مالك. والثالث: أنها نزلت في صلاة العشاء [كان أصحاب رسول الله ﷺ لا ينامون حتى يصلُّوها، قاله ابن عباس. والرابع: أنها صلاة العشاء والصبح في جماعة، قاله أبو الدرداء، والضحاك. ومعنى «تتجافى»: ترتفع. والمضاجع جمع مضجع، وهو الموضع الذي يُضطجع عليه. ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عذابه ﴿وَكَلِمًا﴾ في رحمته [وثوابه] ﴿وَمِمَّا زَكَّاهُمْ يَتُفَتِّحُونَ﴾ في الواجب والتطوع. ﴿فَلَا تَمَلَّمْ قَسَّ مَا أَخْفَى لَهُمْ﴾ وأسكن ياء «أخفي» حمزة، ويعقوب. قال الزجاج: في هذا دليل على أن المراد بالآية التي قبلها: الصلاة في جوف الليل، لأنه عمل يستسرُّ الإنسان به، فجعل لفظ ما يُجَازَى به «أخفي» لهم، فإذا فتحت ياء «أخفي»، فعلى تأويل الفعل الماضي، وإذا أسكتها، فالمعنى: ما أخفي أنا لهم، إخبار عن الله تعالى؛ وكذلك قال الحسن البصري: أخفي لهم، بالتحفية خفية، وبالعلانية علانية. وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله ﷻ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَمَلَّمْ قَسَّ مَا أَخْفَى لَهُمْ﴾»<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ وقرأ أبو الدرداء، وأبو هريرة، وأبو عبد الرحمن السلمي، والشعبي، وقتادة: «من قُرَاتٍ أَعْيُنٍ» [بألف] على الجمع.

(١) رواه أحمد في «المستد» ٢٢٢/٥ من حديث حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل ﷺ، وفي سنده ضعف. قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: رواية شهر بن حوشب عن معاذ مرسله بقتاً. وكذلك رواه الطبري ١٠٣/٢١، وأورده السيوطي في «الدر» ١٧٥/٥ وزاد فيه لابن مردويه عن معاذ ﷺ. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣١: رواه أحمد، وابن أبي شبة، وإسحاق، والحاكم من رواية أبي وائل عن معاذ في أثناء حديث مرفوع قال: «وصلاة الرجل في جوف الليل» ثم قرأ «تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ». اهـ. يريد به الرواية التي بعد هذه، وأبو وائل لم يثبت سماعه من معاذ.

(٢) هو جزء من حديث طويل، رواه بهذا اللفظ الحاكم في «المستدرک» ٤١٣/٢ من حديث حبيب بن أبي ثابت والحكم بن خثية، عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل ﷺ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم»: وميمون بن أبي شبيب لم يسمع من معاذ. والحديث رواه الطبري ١٠٢/٢١ مختصراً كما ساقه المؤلف عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ، ورواه مطولاً بنحو رواية الحاكم أحمد في «المستد» ٢٣١/٥، والترمذي في «جامعه» ٨٦/٢، وابن ماجه في «سننه» رقم (٣٩٧٣) من رواية معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ بن جبل ﷺ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وهذا الحديث هو الحديث التاسع والعشرون من «الأربعين النووية» وقد قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في شرحه لهذا الحديث في كتابه «جامع العلوم والحكم»: وفيما قاله الترمذي رحمه الله نظر من وجهين، أحدهما: أنه لم يثبت سماع أبي وائل من معاذ وإن كان قد أدركه بالسُّنْ، والثاني: أنه قد رواه حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر بن حوشب عن معاذ، خرجه الإمام أحمد مختصراً - يريد به الحديث الذي قبل هذا - ثم قال: قال الدارقطني: «وهو أخيه بالصواب، لأن الحديث معروف من رواية شهر على اختلاف عليه فيه، قلت - أي الحافظ ابن رجب الحنبلي -: رواية شهر عن معاذ مرسله بقتاً، وشهر مختلف في توثيقه وتضعيفه، قال: وقد خرجه الإمام أحمد من رواية شهر عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ، وخرجه الإمام أحمد أيضاً من رواية عروة بن الزُّهَّال، أو الزُّهَّال بن عروة، وميمون بن أبي شبيب، كلاهما عن معاذ، ولم يسمع عروة ولا ميمون من معاذ، قال: وله طرق أخرى عن معاذ كلها ضعيفة، والحديث ذكره السيوطي في «الدر» ١٧٥/٥ وزاد نسبه لابن نصر في كتاب الصلاة، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن معاذ بن جبل ﷺ. اهـ. وبعض فقرات الحديث شواهد، والله أعلم.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ٣٩٦/٨، ومسلم في «صحيحه» ٢١٧٤/٤، ورواه الترمذي ١٥١/٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه ابن جرير الطبري في «التفسير» ١٠٥/٢١، وذكره السيوطي في «الدر» ١٧٦/٥ وزاد نسبه، لابن أبي شبة، وأحمد زهنا كلاًهما في «الزُّهَّاد»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن الأباري عن أبي هريرة ﷺ.

﴿أَفَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (١) أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيَهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ دُفُّوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ﴿٣﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَأَعْلَمَهُم بِرَيْحِهِمْ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن الوليد بن عقبة بن أبي مُطيط قال لعلي بن أبي طالب: أنا أحد منك سنناً، وأبسط منك لساناً، وأملأ للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت فإنما أنت فاسق، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، فعنى بالمؤمن علياً، وبالفاسق الوليد، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال عطاء بن يسار، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل، قاله شريك.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ قال الزجاج: المعنى: لا يستوي المؤمنون والكافرون<sup>(٢)</sup>؛ ويجوز أن يكون لاثنتين، لأن معنى الاثنتين جماعة؛ وقد شهد الله بهذا الكلام لعلي عليه السلام بالإيمان وأنه في الجنة، لقوله: ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ﴾. وقرأ ابن مسعود، وطلحة بن مصرف: «جنة المأوى» على التوحيد.

قوله تعالى: ﴿نُزُلًا﴾ وقرأ الحسن، والنخعي، والأعمش، وابن أبي عتبة: «نُزُلًا» بتسكين الزاي. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الحج: ٢٢] إلى قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَىٰ﴾ وفيه ستة أقوال: أحدها: أنه ما أصابهم يوم بدر، رواه مسروق عن ابن مسعود، وبه قال قتادة، والسدي. والثاني: سنون أخذوا بها، رواه أبو عبيدة عن ابن مسعود، وبه قال النخعي. وقال مقاتل: أخذوا بالجوع سبع سنين. والثالث: مصائب الدنيا، قاله أبي بن كعب، وابن عباس في رواية ابن أبي طلحة، وأبو العالية، والحسن، وقاتدة، والضحاك. والرابع: الحدود، رواه عكرمة عن ابن عباس. والخامس: عذاب القبر، قاله البراء. والسادس: القتل والجوع، قاله مجاهد<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ أي: قبل العذاب الأكبر؛ وفيه قولان: أحدهما: أنه عذاب يوم القيامة، قاله ابن مسعود. والثاني: أنه القتل بيد، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿لَأَعْلَمَهُم بِرَيْحِهِمْ﴾ قال أبو العالية: لعلمهم يتوبون. وقال ابن مسعود: لعلى من بقي منهم يتوب. وقال مقاتل: لكي يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ قد فسرناه في [الكهف: ٥٧].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ قال زيد بن ربيع<sup>(٤)</sup>: هم أصحاب القدر. وقال مقاتل: هم كفار مكة انتقم الله منهم بالقتل بيد، وضربت الملائكة وجوههم وأبوابهم، وعجل أرواحهم إلى النار.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي رَيْبٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (٥) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَدُّوكَ بِآيَاتِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِقِصَلِ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠٠، عن ابن عباس عليه السلام، وفي سنده ضعف. وقال السيوطي في «أسباب النزول» ١٧٤: وأخرج ابن عدي، والخطيب في «تاريخه» من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مثله، وذكره ابن جرير الطبري في «التفسير» ١٠٧/٢١ عن عطاء بن يسار بمثله، وفي سنده جهالة. وذكره السيوطي عن عطاء بن يسار، وزاد نسبة لابن إسحاق. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣١ بعد أن أخرجه من رواية ابن مردويه والواحدي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: وله طريق أخرى عند ابن مردويه من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. اهـ.

(٢) وكذلك قال أكثر المفسرين.

(٣) قال ابن جرير الطبري ١١٠/٢١: وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى أن يليقهموه دون العذاب الأكبر، والعذاب: هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إما شدة من مجاعة، أو قتل، أو مصائب يصابون بها، فكل ذلك من العذاب الأدنى، ولم يخص الله تعالى ذكره إذ وعدهم ذلك أن يعذبهم بنوع من ذلك دون نوع، وقد عليهم بكل ذلك في الدنيا، بالقتل، والجوع، والشدة، والمصائب في الأموال، فأوفى لهم بما وعدهم. اهـ. وقال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ قال ابن عباس: يعني بالعذاب الأدنى: مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتنا وما يخل بأهلها مما يتلى الله به جهاد ليتوبوا إليه. اهـ.

(٤) كذا الأصل، والذي في «الطبري»، و«البحر»: «يزيد بن ربيع».

أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ بَيْنَ الْفُتُورَيْنِ يَمْشُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا الْأَرْضَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُبْرِ فَخَرُجْ بِهِ زَبْعًا تَأْكُلْ مِنْهُ أَمْثَلَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٦٧﴾ وَتَوَلَّوْا عَنْ هَذَا فَرَّغْتَ مِنْ هَذَا الْفَتْحِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٦٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانظُرْ إِلَيْهِمْ سَخَطُونَ ﴿٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَآبِنَا مُوسَى الْكَتَبَ﴾ يعني التوراة ﴿فَلَا تَكُنْ فِي رَيْبٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: فلا تكون في مرية من لقاء موسى ربّه، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. والثاني: من لقاء موسى ليلة الإسراء، قاله أبو العالية، ومجاهد، وقتادة، وابن السائب. والثالث: فلا تكن في شك من لقاء الأذى كما لقي موسى، قاله الحسن. والرابع: لا تكن في مرية من تلقّي موسى كتاب الله بالرضى والقبول، قاله السدي. قال الزجاج: وقد قيل: فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب، فتكون الهاء للكتاب. وقال أبو علي الفارسي: المعنى: من لقاء موسى الكتاب، فأضيف المصدر إلى ضمير الكتاب، وفي ذلك مدح له على امتثاله ما أمر به، وتنبية على الأخذ بمثل هذا الفعل. وفي قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هَدًى﴾ قولان: أحدهما: الكتاب، قاله الحسن. والثاني: موسى، قاله قتادة. ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿أَيَمَّةً﴾ أي: قادة في الخير ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يدعون الناس إلى طاعة الله ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ [قرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ بفتح اللام وتشديد الميم. وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿لَمَّا بكسر اللام خفيفة. وقرأ ابن مسعود: ﴿بِمَا﴾ بياء مكان اللام؛ والمراد: صبرهم] على دينهم وأذى عدوهم ﴿وَكُنَّا لَهُمْ يَاسِرِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ أنها من الله ﷻ، وفيهم قولان: أحدهما: أنهم الأنبياء. والثاني: أنهم قوم صالحون سوى الأنبياء. وفي هذا تنبيه لقريش أنكم إن أطعتم جعلتكم أئمة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يقضي وبحكم؛ وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الأنبياء وأممهم. والثاني: المؤمنون والمشركون. ثم خوّف كفار مكة بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: ﴿نَهْدُ﴾ بالنون. وقد سبق تفسيره في (طه: ١٢٨). ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا الْأَرْضَ﴾ يعني المطر والسيل ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُبْرِ﴾ وهي التي لا تُنبت - وقد ذكرناها في أول (الكهف: ٨) - فإذا جاء الماء أنبت فيها ما يأكل الناس والأنعام. ﴿وَتَوَلَّوْا عَنْ هَذَا فَرَّغْتَ مِنْ هَذَا الْفَتْحِ﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه ما فتح يوم بدر؛ روى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال: يوم بدر فُتِحَ للنبي ﷺ، فلم ينفع الذين كفروا إيمانهم بعد الموت. والثاني: أنه يوم القيامة، وهو يوم الحكم بالثواب والعقاب، قاله مجاهد. والثالث: أنه اليوم الذي يأتيهم فيه العذاب في الدنيا؛ قاله السدي. والرابع: فتح مكة، قاله ابن السائب، والفراء، وابن قتيبة<sup>(٢)</sup>؛ وقد اعترض على هذا القول، فقيل: كيف لا ينفع الكفار إيمانهم يوم الفتح، وقد أسلم جماعة منهم وقُبِلَ إسلامهم يومئذ؟! فنعته جوابان: أحدهما: لا ينفع مَنْ قُتِلَ من الكفار يومئذٍ إيمانهم بعد الموت؛ وقد ذكرناه عن ابن عباس. وقد ذكر أهل السيرة أنَّ خالداً دخل يوم الفتح من غير الطريق التي دخل منها رسول الله ﷺ، فلقيه صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو في آخرين فقاتلوه، فصاح خالد في أصحابه وقاتلهم، فقتل أربعة وعشرين من قريش، وأربعة من هذيل، وانهزموا، فلما ظهر رسول الله ﷺ قال: «الم أنه من القتال؟» فقيل: إن خالداً قاتل قاتل<sup>(٣)</sup>. والثاني: لا ينفع الكفار ما أعطوا من الأمان، لأن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَهْلَقَ

(١) رواه الطبري ١١٢/٢١ مطولاً من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس مرفوعاً، وذكره ابن كثير في «التفسير» ٤٦٣/٣ من رواية الطبراني به مرفوعاً، وأورده السيوطي في «الدر» ١٧٩/٥ وزاد نسبة للضياء في «المختارة» عن ابن عباس عن النبي ﷺ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: معناه: ويقولون: متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم؟ يعنون العذاب، يدل على أن ذلك معناه قوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾، ولا شك أن الكفار قد كان جعل الله لهم التوبة قبل فتح مكة ويعدّه، ولو كان معنى قوله: ﴿هَذَا هَذَا الْفَتْحُ﴾ على ما قاله من قال: يعني به فتح مكة، لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح مكة، ولا شك أن الله قد تاب على كثير من المشركين بعد فتح مكة، ونفهم بالإيمان به وبرسوله، فمعلوم بذلك صحة ما قلنا من التأويل وفساد ما خالفه. قال: وقوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾ يقول لنبية محمد ﷺ: قل لهم يا محمد: يوم الحكم ومجيء العذاب لا ينفع من كفر بالله وبيّاته إيمانهم الذي يُحدثونه في ذلك الوقت. وقال: وقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يقول: ولا هم يؤخّرون للتوبة والمراجعة. اهـ.

(٣) ذكره ابن هشام ٤٠٧/٢ عن ابن إسحاق بدون سند، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ٢٩٧/٤ من رواية الطبراني بنحوه.

بأنه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: يقال: آمنتُ فلاناً إيماناً، فعلى هذا يكون المعنى: لا يدفع هذا الأمانُ عنهم عذابَ الله. وهذا القول الذي قد دافعنا عنه ليس بالمختار، وإنما بيئنا وجهه لأنه قد قيل. وقد خرج بما ذكرناه في الفتح قولان: أحدهما: أنه الحكم والقضاء، وهو الذي نختاره. والثاني: فتح البلد. قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ﴾ أي: انتظر عذابهم ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ﴾ بك حوادث الدهر<sup>(٢)</sup>. قال المفسرون: وهذه الآية منسوخة بآية السيف.



(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ١٤٠٨/٣ بلفظ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أخلق بابه فهو آمن» وأخرجه ابن هشام في «السيرة» عن ابن إسحاق معضلاً، ولكن وصله ابن جرير الطبري، ورواه أبو داود عن ابن إسحاق بإسناد آخر له عن ابن عباس، وفي سننه رجل مجهول، وله عن أبي داود إسناد ثالث ورجاله ثقات، لكن لم يصرح فيه ابن إسحاق بالسماع، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/ ١٦٦ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) قال ابن كثير: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ﴾ أي: أعرض عن هؤلاء المشركين، وبلغ ما أنزل إليك من ربك، وانتظر فإن الله سينجز لك ما وعدك، وسينصرك على من خالفك، إنه لا يخلف الميعاد. وقوله: ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ﴾ أي: أنت منتظر وهم منتظرون، ويترصدون بكم الدوائر، وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء رسالة الله في نصرك وتأيدك، وسيجدون غيباً ما ينتظرون فيك وفي أصحابك من وبيل عقاب الله لهم وحلول عذابه بهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل. اهـ.

## سورة الأحزاب

### وهي مدنية ياجماعهم

#### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلَاحِظُوا الَّذِينَ يَنفَرُونَ إِلَيْكَ اللَّهُ كَانَتْ عَلَيْكُمْ حِكْمَةٌ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَكُونُوا مِمَّنْ يَلْعَنُ اللَّهُ لِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا ۚ﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ سبب نزولها أن أبا سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبا الأعور السلمي، قَدِمُوا على رسول الله ﷺ في المواعدة التي كانت بينهم، فنزلوا على عبد الله بن أبي، ومعتب بن قُشير، والجَدُّ بن قيس؛ فتكلموا فيما بينهم، وأتوا رسول الله ﷺ فدعوه إلى أمرهم وعرضوا عليه أشياء كرهها، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال مقاتل: سألوا رسول الله ﷺ أن يرفض ذكر اللات والعزى ويقول: إن لها شفاعة، فكَرِهَ ذلك، ونزلت [هذه] الآية<sup>(١)</sup>. وقال ابن جرير: ﴿وَلَا تُلَاحِظُوا الَّذِينَ يَنفَرُونَ﴾ الذين يقولون: اطرد عنا أتباعك من ضعفاء المسلمين، ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ فلا تقبل منهم رأياً. فإن قيل: ما الفائدة في أمر الله تعالى رسوله بالتقوى، وهو سيّد المتّقين؟ فَعَنَى ثلاثة أجوبة: أحدها: أن المراد بذلك استدامة ما هو عليه. والثاني: الإكثار مما هو فيه. والثالث: أنه خطاب ووجه به، والمراد أمته. قال المفسرون: وأراد بالكافرين في هذه الآية: أبا سفيان، وعكرمة، وأبا الأعور، وبالمناققين: عبد الله بن أبي، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وطُعْمَةُ بن أُبَيْرِق. وما بعد هذا قد سبق بيانه [للسامع] إلى قوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ وفي سبب نزولها قولان: أحدهما: أن المناققين كانوا يقولون: لمحمد قلبان، قلب معنا، وقلب مع أصحابه، فأكذبهم الله تعالى، ونزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنها نزلت في جميل بن مَعْمَرٍ الفهري - كذا نسبة جماعة من المفسرين. وقال الفراء: جميل بن أسد، ويكنى: أبا مَعْمَر. وقال مقاتل: أبو مَعْمَر بن أنس الفهري - وكان لبيباً حافظاً لِمَا سَمِعَ، فقالت قريش: ما حفظ هذه الأشياء إلا وله قلبان في جوفه، وكان يقول: إن لي قلبين أحقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، فلَمَّا كان يوم بدر وهُزِمَ المشركون وفيهم يومئذ جميل بن معمر، تلقَّاه أبو سفيان وهو معلق إحدى نعليه بيده، والأخرى في رجله، فقال له: ما حال الناس؟ فقال: انهزموا، قال: فما بالك إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك؟ قال: ما شعرتُ إلَّا أنهما في رجلتي، فعرفوا [يومئذ] أنه لو كان له قلبان لَمَّا نسي نعله في يده<sup>(٣)</sup>؛ وهذا قول جماعة من المفسرين. وقد قال الزهري في هذا قولاً عجيباً، قال: بلَغْنَا أن ذلك في زيد بن حارثة ضُرب له مثل يقول: ليس ابنُ رجل آخر ابنتك<sup>(٤)</sup>. قال الأخفش: ﴿مِنْ﴾ زائدة في قوله: ﴿مِنْ قَلْبَيْنِ﴾. قال الزجاج: أكذب الله ﷻ هذا الرجل الذي قال: لي

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠١ بغير سند، وقال الحافظ ابن حجر في «تفريج الكشاف» ١٣٢: هكذا ذكره الثعلبي والواحدي بغير سند.

(٢) «الطبري» ١١٨/٢٩، وفي سنده قابوس بن أبي طيبان، قال الحافظ أبو حجر عنه في «التقريب»: فيه لين. ورواه الترمذي في «جامعه» ١٥١/٢ وقال: حديث حسن، وفي سنده أيضاً قابوس بن أبي طيبان، ورواه الحاكم في «المستدرك» ٤١٥/٢، ووضحه، ولكن قال الذهبي في تعقيبه عليه: قلت: قابوس ضعيف. وأورد الحديث السيوطي في «الدر» ١٨٠/٥، وزاد نسبة لأحمد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والضياء في «المختارة» عن ابن عباس ﷺ.

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠١ بدون سند، وذكره الطبري ١١٨/٢٩، مختصراً عن ابن عباس أنها نزلت في رجل من قريش يسمى من قُحَيْبٍ، ذا القلبين، وذكر عن مجاهد أن رجلاً من بني فهر قال: إن في قلبي جوفين. الخ، وذكره السيوطي في «الدر» ١٨٠/٥، من رواية ابن أبي حاتم مختصراً عن السدي أنها نزلت في رجل من قريش من بني جمح يقال له: جميل بن معمر.

(٤) ذكره الطبري ١١٩/٢٩، عن الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري. وأورده السيوطي في «الدر» ١٨١/٥ من

قلبان، ثم قرر بهذا الكلام ما يقوله المشركون وغيرهم مما لا حقيقة له، فقال: ﴿وَمَا جَعَلْ أَوْلِيَّكُمْ إِلَهِي تَقْلَهُرُونَ مِنْهُنَّ أَهْلِيكُمْ﴾ فاعلم الله تعالى أن الزوجة لا تكون أمًا، وكانت الجاهلية تطلق بهذا الكلام، وهو أن يقول لها: أنت علي كظهير أمي، وكذلك قوله: ﴿وَمَا جَعَلْ أَوْلِيَّاءَكُمْ أَنْثَاءَكُمْ﴾ أي: ما جعل من تدعونه أبنًا - وليس بولد في الحقيقة - أبنًا ﴿وَلَكُمْ قُلُوبٌ وَأَفْئِدَةٌ﴾ أي: نسب من لا حقيقة لنسبه قول بالفم لا حقيقة تحته ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ أي: لا يجعل غير الابن أبنًا ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ أي: للسبيل المستقيم<sup>(١)</sup>. وذكر المفسرون أن قوله: ﴿وَمَا جَعَلْ أَوْلِيَّكُمْ إِلَهِي تَقْلَهُرُونَ مِنْهُنَّ﴾ نزلت في أوس بن الصامت وامرأته خولة بنت ثعلبة. ومعنى الكلام: ما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن كأمهاتكم في التحريم، إنما قولكم معصية، وفيه كفارة، وأزواجكم لكم حلال؛ وسنشرح هذا في سورة (المجادلة) إن شاء الله. وذكرنا أن قوله: ﴿وَمَا جَعَلْ أَوْلِيَّاءَكُمْ أَنْثَاءَكُمْ﴾ نزل في زيد بن حارثة، اعتقه رسول الله ﷺ وتبنّاه قبل الوحي، فلما تزوّج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش قال اليهود والمنافقون: تزوّج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَلِإَرْحَمِكُمْ فِي الَّذِينَ وَمَوْلَيْكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ <sup>(٣)</sup> **الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَفْسِهِمْ وَأَرْزُقَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** **بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا** <sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ قال ابن عمر: ما كنّا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزلت ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَقْسَطُ﴾ أي: أعدل، ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾ أي: إن لم تعرفوا آباءهم ﴿فَلِإَرْحَمِكُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم، فليقل أحدكم: يا أخي، ﴿وَمَوْلَيْكُمْ﴾ قال الزجاج: أي: بنو عمكم. ويجوز أن يكون «مواليكم» أوليائكم في الدين. ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فيما أخطأتم به قبل النّهي، قاله مجاهد؛ والثاني: في دعائكم من تدعونه إلى غير أبيه وأنتم ترونه كذلك، قاله قتادة. والثالث: فيما سهوتم فيه، قاله حبيب بن أبي ثابت. فعلى الأول يكون معنى قوله: ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: بعد النّهي. وعلى الثاني والثالث: ما تعمدت في دعاء الرجل إلى غير أبيه.

رواية عبد الرزاق، وابن جرير الطبري عن الزهري، وكذا قال مجاهد، وقاتة، وابن زيد: إنها نزلت في زيد بن حارثة ﷺ. قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك تكذيب من الله تعالى قول من قال: لرجل في جوفه قلبان يعقب بهما، على النحو الذي روي عن ابن عباس، وجاز أن يكون ذلك تكليفاً من الله لمن وصف رسول الله ﷺ بذلك، وأن يكون تكليفاً لمن سمى القرشي الذي ذكر أنه شقي ذا القلبين من ذئبه، وأي الأمرين كان، فهو نفي من الله عن خلقه من الرجال أن يكونوا بترك الصفة. اهـ.

(١) قال ابن كثير في هذه الآيات: ﴿جَعَلَ اللَّهُ لِرَبِّهِ بْنِ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ...﴾ إلى آخره: يقول تعالى موطناً قبل المقصود المعنوي أمراً معروفاً حياً، وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، ولا تصير زوجته التي يظاهر منها بقوله: أنت علي كظهير أمي أمّاً له، كذلك لا يصير الدعي ولداً للرجل إذا تبناه فدعا ابناً له، فقال: ﴿كَأَنَّ جَعَلَ اللَّهُ لِرَبِّهِ بْنِ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَنَا جَعَلَ أَوْلِيَّكُمْ إِلَهِي تَقْلَهُرُونَ مِنْهُنَّ أَهْلِيكُمْ﴾ قوله ﷺ: ﴿كَأَنَّ جَعَلَ اللَّهُ لِرَبِّهِ بْنِ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَنَا جَعَلَ أَوْلِيَّكُمْ إِلَهِي تَقْلَهُرُونَ مِنْهُنَّ أَهْلِيكُمْ﴾ هذا هو المقصود بالنفي، فإنها نزلت في شأن زيد بن حارثة ﷺ مولى النبي ﷺ، كان النبي ﷺ قد تبناه قبل النبوة فكان يقال له: زيد بن محمد، فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَوْلِيَّاءَكُمْ أَنْثَاءَكُمْ﴾ كما قال تعالى في أثناء السورة: ﴿كَأَنَّ جَعَلَ اللَّهُ لِرَبِّهِ بْنِ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَنَا جَعَلَ أَوْلِيَّكُمْ إِلَهِي تَقْلَهُرُونَ مِنْهُنَّ أَهْلِيكُمْ﴾ وقال هاهنا: ﴿وَلَكُمْ قُلُوبٌ وَأَفْئِدَةٌ﴾ يعني: تبنيكم لهم قول لا يقتضي أن يكون ابناً حقيقياً، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر، فما يمكن أن يكون له أبوان، كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ قال سعيد بن جبيرة: «يقول الحق» أي: العدل، وقال قتادة: «وهو يهدي السبيل» أي: الصراط المستقيم. اهـ.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠١ بدون سند، وذكره السيوطي في «الدرر» ١٨١/٥، من رواية الفريابي، وابن أبي شيبه، وابن المنذر، عن مجاهد ﷺ.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ٣٩٧/٨، ومسلم في ١٨٨٤/٤، وأخرجه الترمذي، والنسائي، من طرق، ورواه الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠١، وأوردته السيوطي في «الدرر» ١٨١/٥ وزاد نسبه لابن أبي شيبه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: أحق، فله أن يحكم فيهم بما يشاء، قال ابن عباس: إذا دعاهم إلى شيء، ودعتهم أنفسهم إلى شيء، كانت طاعته أولى من طاعة أنفسهم؛ وهذا صحيح، فإن أنفسهم تدعوهم إلى ما فيه هلاكهم، والرسول يدعوهم إلى ما فيه نجاتهم<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْزُقْنَهُمْ أَمْثَلَهُمْ﴾ أي: في تحريم نكاحهن على التأيد، ووجوب إجلالهن وتعظيمهن؛ ولا تجري عليهن أحكام الأمهات في كل شيء، إذ لو كان كذلك لَمَا جاز لأحد أن يتزوج بناتهن، ولَوُرُثْنَ المسلمين، ولجازت الخلوة بهن<sup>(٢)</sup>. وقد روى مسروق عن عائشة أن امرأة قالت: يا أمّاه، فقالت: لست لك بأُمّ، إنما أنا أُمّ رجالكم<sup>(٣)</sup>، فبان بهذا الحديث أن معنى الأمومة تحريم نكاحهن فقط. وقال مجاهد: ﴿وَأَرْزُقْنَهُمْ أَمْثَلَهُمْ﴾ وهو أب لهم. وما بعد هذا مفسر في آخر (الأنفال) إلى قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ والمعنى أن ذوي القربات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يَورَثُوا بالإيمان والهجرة كما كانوا يفعلون قبل النسخ<sup>(٤)</sup> ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا لَكُمْ أَوْلِيَاكُمْ مَعْرُوفًا﴾ [وهذا استثناء ليس من الأول، والمعنى: لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفاً] جائز، وذلك أن الله تعالى لَمَّا نسخ التوارث بالحلف والهجرة، أباح الوصية للمعاقدن، فلإنسان أن يوصي لمن يتولاه بما أحب من ثلثه. فالمعروف هاهنا: الوصية.

قوله تعالى: ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ يعني نسخ الميراث بالهجرة وردّه إلى ذوي الأرحام ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ أي: مكتوباً.

﴿وَرَدَّ أَخَذَنَا مِنَ الَّذِينَ يُتَّقُونَ رَبَّكَ﴾ يعني نسخ الميراث بالهجرة وردّه إلى ذوي الأرحام ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ أي: مكتوباً.

قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ أَخَذَنَا﴾ المعنى: واذكر إذا أخذنا ﴿مِنَ الَّذِينَ يُتَّقُونَ رَبَّكَ﴾ أي: عهدهم؛ وفيه قولان: أحدهما: أخذ ميثاق النبيين: أن يصدق بعضهم بعضاً، قاله قتادة. والثاني: أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته، ويصدق بعضهم بعضاً، وأن ينصحووا لقومهم، قاله مقاتل. وهذا الميثاق أخذ منهم حين أخرجوا من ظهر آدم كالدُّر. قال أبي بن كعب: لَمَّا أَخَذَ مِيثَاقَ الْخَلْقِ خَصَّ النَّبِيِّينَ بِمِيثَاقٍ آخَرَ<sup>(٥)</sup>. فإن قيل: لِمَ خَصَّ الْأَنْبِيَاءَ الْخَمْسَةَ بِالذِّكْرِ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ؟ فالجواب: أنه نَبَّهَ بِذَلِكَ عَلَى فَضْلِهِمْ، لأنهم أصحاب الكتب والشرائع؛ وقَدَّمَ نَبِيَّنا ﷺ بيانا لفضله عليهم.

(١) قال ابن كثير: قد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته ونصحه لهم، فجعله أولى بهم من أنفسهم، وحكمه فيهم كان مقبلاً على اختيارهم لأنفسهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُكَ حَقِّي بُكُورًا﴾ فيما شَكَرَ بِبَنِيهِمْ ثُمَّ لَا يَحْدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرْبًا مِمَّا كَفَيْتَ وَيَكْفُرُوا سَلَامًا ﴿١٠﴾ قال: وفي الصحيح: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين» قال: وفي «الصحيح» أيضاً أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله! أنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال ﷺ: «لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك» فقال: يا رسول الله! والله لانت أحب إليّ من كل شيء حتى من نفسي، فقال ﷺ: «الآن يا عمر» ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾. قال: وقال البخاري عند هذه الآية الكريمة: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فإنما مؤمن ترك ماله لغيره حصبه من كانوا، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فانا مولاه» اهـ.

(٢) قال ابن كثير: ﴿وَأَرْزُقْنَهُمْ أَمْثَلَهُمْ﴾ أي: في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع، وإن سعى بعض العلماء بناتهن: أخوات المؤمنين، كما هو منصوص الشافعي رضي الله عنه في «المختصر» وهو من باب إطلاق العبارة، لا لإثبات الحكم، ثم قال: وهل يقال لمعاوية وأمّاله: خال المؤمنين؟ فيه قولان للعلماء رضي الله عنه، ونصر الشافعي رضي الله عنه على أنه لا يقال ذلك، قال: وهل يقال لهن: أمهات المؤمنات فيدخل النساء في جمع المذكر السالم تغليباً؟ فيه قولان، صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لا يقال ذلك، وهذا أصح الوجهين في مذهب الشافعي رضي الله عنه. اهـ.

(٣) أورده السيوطي في «الدرر» ١٨٢/٥ بنحو من رواية ابن سعد، وابن المنذر، والبيهقي في «مسننه» عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) قال ابن كثير: أي القربات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار، قال: وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمواخاة التي كانت بينهم، كما قال ابن عباس وغيره: كان المهاجري يرث الأنصاري دون قرباته وفري رحمه للأخوة التي آخى بينهما رسول الله ﷺ، وكذا قال سعيد بن جبير وغير واحد من السلف والخلف. اهـ.

(٥) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن أولي العزم الخمسة (نوح، وإبراهيم، وموسى، وهيسى، ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين) وبقيّة الأنبياء: أنه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله تعالى، وإبلاغ رسالته، والتعاون والتناصر والاتفاق. اهـ.



قال قتادة: كان نبينا أول النبيين في الخلق<sup>(١)</sup>. وقوله: ﴿يَتَنَفَّسُ عَظِيمًا﴾ أي: شديداً على الوفاء بما حُمِّلوا. وذكر المفسرون أن ذلك العهد الشديد: اليمين بالله ﷻ. ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَنْ يَتَّبِعُكَ﴾ يقول: أخذنا ميثاقهم لكي نسأل الصادقين، وهم الأنبياء ﴿عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ في تبليغهم. ومعنى سؤال الأنبياء - وهو يعلم صدقهم - تكبكت مكذبيهم. وهاهنا تم الكلام. ثم أخبر بعد ذلك عما أعد للكافرين بالرسول.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُودٌ﴾ وهم الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ أيام الخندق.

### الإشارة إلى القصة

ذكر أهل العلم بالسيرة أن رسول الله ﷺ لما أجلى بني النضير، ساروا إلى خيبر، فخرج نفر من أشرفهم إلى مكة فألبوا قريشاً ودعّوهم إلى الخروج لقتاله، ثم خرجوا من عنده فاتوا غطفان وسُليم، ففارقوهم على مثل ذلك. وتجهزت قريش ومن تبعهم من العرب، فكانوا أربعة آلاف، وخرجوا يقودهم أبو سفيان، ووافتهم بنو سُليم بـ «مر الظهران»، وخرجت بنو أسد، وفزارة، وأشجع، وبنو مرة، فكان جميع من وافى الخندق من القبائل عشرة آلاف، وهم الأحزاب؛ فلما بلغ رسول الله ﷺ خروجهم من مكة، أخبر الناس خبرهم، وشاورهم، فأشار سلمان بالخندق، فأعجب ذلك المسلمين، وعسكر بهم رسول الله ﷺ إلى سفح «سُلْع»<sup>(٢)</sup>، وجعل سُلْعاً خلف ظهره؛ ودسّ أبو سفيان بن حرب حِيَّي ابن أخطب إلى بني قريظة يسألهم أن ينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ ويكونوا معهم عليه، فأجابوا، واشتد الخوف، وعظم البلاء، ثم جرت بينهم مناوشة وقتال، وحُصِر رسول الله ﷺ وأصحابه بضع عشرة ليلة حتى خلس إليهم الكَرْب، وكان نعيم بن مسعود الأشجعي قد أسلم، فمشى بين قريش وقريظة وغطفان فخلد بينهم، فاستوحش كل منهم من صاحبه، واعتلت قريظة بالسبت فقالوا: لا نقاتل فيه، وهبت ليلة السبت ريح شديدة، فقال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله لستم بدار مُقام، لقد هلك الخُفّ والحافر، وأجذب الجَنَاب<sup>(٣)</sup>، وأخلفتنا قريظة، ولقينا من الريح ما تُروْن، فارتجلوا فإني مرتجل؛ فأصبحت العساكر قد أَفْشَعَتْ كُلُّهَا<sup>(٤)</sup>. قال مجاهد: والريح التي أرسلت عليهم هي الصَّبا<sup>(٥)</sup>، حتى أكفأت قدورهم، ونزعت فساطيطهم. والجنود: الملائكة، ولم تقاتل يومئذ<sup>(٦)</sup>. وقيل: إن الملائكة جعلت تلقح أوتادهم وتطفئ نيرانهم وتكبر في جوانب عسكرهم، فاشتدت عليهم، فانهزموا من غير قتال.

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَزَلْ يَكُومُ﴾ وقرأ النخعي، والجدري، والجنوني، وابن السميع: «لَمْ يَزُوْهَا» بالياء «وَكَانَ اللَّهُ يَمَامًا مَمْلُوكًا بِصِيرًا» وقرأ أبو عمرو: «[يعملون]» بالياء.

(١) هذا الكلام ذكره بعضهم عن قتادة موقوفاً عليه، ورواه ابن جرير الطبري ١٢٥/٢١، من طريق سعيد بن بشير الأزدي عن قتادة مرسلاً قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث» وسعيد بن بشير الأزدي، ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»، والحديث ذكره ابن كثير ٤٦٩/٣، من رواية ابن أبي حاتم من حديث بشير بن سعيد قال: حدثني قتادة عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث، فبدأ بي قبلهم» ثم قال ابن كثير: وسعيد بن بشير فيه ضعف، قال: ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلاً، وهو الأشبه، قال: ورواه بعضهم عن قتادة موقوفاً، والله أعلم. وقال الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة»: حديث «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث» رواه أبو نعيم في «الدلائل»، وابن أبي حاتم في «تفسيره» وابن لال، ومن طريقه الديلمي، كلهم من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة به مرفوعاً. اهـ. وسعيد بن بشير ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر، وللحديث رواية أخرى من حديث ميسرة الفجر بلفظ: «كنت نبياً وأدم بين الروح والجسد» وهو صحيح الإسناد، أخرجه أحمد، والبخاري في «تاريخه» وأبو نعيم في «الحلية» والحاكم وصححه، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ولكن ليس معناه كما يترجم بعض الناس أن نبينا محمداً ﷺ كان موجوداً بلماته قبل آدم، وأن ذاته خلقت قبل الدوات، ومن يقول بذلك فإنما يعتمد على أحاديث غير صحيحة في هذا الموضوع.

(٢) قال في «معجم البلدان»: سُلْعٌ: جبل يسوق المدينة.

(٣) قال في «الصالحات»: الجَنَاب، بالفتح: اللثام، وما قُرِبَ من مَحَلِّه القوم، والجمع أخْبِيَّة.

(٤) أَفْشَعَ القَوْمُ وتَفْشَعُوا وتَفْشَعُوا: ذهبوا وافترقوا.

(٥) عن ابن عباس ؓ أن رسول الله ﷺ قال: تَمُصِرُ الصَّابِيا وَأَهْلُكُثْ هَاذَ بِالذُّبُورِ رواه أحمد، والبخاري، ومسلم. والصَّابِيا: الريح تهب من مطلع الشمس، والذُّبُور: الريح تهب من جهة المغرب، تقابل الصَّابِيا.

(٦) انظر تفسير ابن كثير ٤٧٠/٣، و«مسيره ابن هشام» ٢١٤/٢ و«البداية والنهاية» لابن كثير ٩٢/٤.

﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَدَتْ رَاحَتِ الْأَبْصَارِ وَكَلَبَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاقِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ١١﴾ وَلَئِنْ يَقُولُ الشَّكَّافُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ١٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ أي: من فوق الوادي ومن أسفله ﴿وَلَدَتْ رَاحَتِ الْأَبْصَارِ﴾ أي: مالت وعذلت، فلم تنظر إلى شيء إلا إلى عدوها مقيلاً من كل جانب ﴿وَكَلَبَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاقِرَ﴾ وهي جمع حَنْجَرَةٍ. والحَنْجَرَةُ: جوف الحُلْفُوم. قال قتادة: شَخَصَتْ عن مكانها، فلولا أَنَّهُ ضاق الحُلْفُوم عنها أن تَخْرُجَ لخَرَجَتْ. وقال غيره: المعنى أنهم جَبُنُوا وَجَزَعُ أَكْثَرِهِمْ؛ وسبيل الجبان إذا اشتدَّ خوفه أن تنتفخ رثته فيرتفع حينئذ القلب إلى الحَنْجَرَةِ، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس والفراء. وذهب ابن قتيبة إلى أن المعنى: كادت القلوب تَبْلُغَ الحُلُوق من الخوف وقال ابن الأباري: «كاد» لا يُضَمَّر ولا يُعْرَف معناه إذا لم يُتَنَقَّ به.

قوله تعالى: ﴿وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ قال الحسن: اختلفت ظنونهم، فظن المنافقون أن محمداً وأصحابه يستأصلون، وظن المؤمنون أنه يُنْصَر. قرأ ابن كثير، والكسائي، وحفص عن عاصم: «الظُّنُونَا» والرسولُ «الاحزاب: ٦٦» والسَّيْلَا «الاحزاب: ٦٧» بالفتح إذا وقفوا عليهن، ويطرحها في الوصل. وقال هيبه عن حفص عن عاصم: وصل أو وقف بالفتح. وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بالالف فيهن وصلًا ووقفًا. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: بغير الف في وصل ولا وقف. قال الزجاج: والذي عليه خُذَّاق النحويين والمُتَّبِعُونَ السُّنَّةَ من قُرَّائِهِمْ أن يقرؤوا: «الظُّنُونَا» ويقفون على الألف ولا يَصِلُونَ؛ وإنما فعلوا ذلك، لأن أواخر الآيات عندهم فواصل يُبَيِّنُونَ في آخرها الألف في الوقف.

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: عند ذلك ﴿ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: اخْتَبِرُوا بالقتال والحصر ليتبين المُخْلِص من المنافق ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ أي: أزعجوا وحُزِّكُوا بالخوف، فلم يوجدوا إلا صابرين. وقال الفراء: حُرِّكُوا إلى الفتنة تحريكاً، فَعَصَمُوا. قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ يَقُولُ الشَّكَّافُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الشُّرْك، قاله الحسن. والثاني: النفاق، قاله قتادة، ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ قال المفسرون: قالوا يومئذ: إن محمداً يَعِدُنَا أن نفتح مدائن كسرى وقيصر وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله! هذا والله الغرور. وزعم ابن السائب أن قاتل هذا معتب بن قُشَيْر.

﴿وَلَئِنْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَأْتِلُ الْيَرَبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَتَسْتَفِذُّ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِأَيْمُونَةٍ إِنْ رَأَوْا إِزَارًا ١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْطَارِهَا ثُمَّ سَبَّحُوا بِشَيْءٍ مِنَ الْفِتْنَةِ لَأَنكَرُوا وَمَا تَنَكَّرُوا بِهَا إِلَّا يُؤْمِرُونَ ١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْتُوا الْآيَاتِ الْأَكْبَرُ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَشْهُورًا ١٥﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذْ لَا تَتْلَعُونَ إِلَّا قِلِيلًا ١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَصِفُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحِثُّونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكُمْ وَكِالَةٌ ١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ يعني من المنافقين. وفي القائلين لهذا منهم قولان: أحدهما: عبد الله بن أبي أصحابه، قاله السدي. والثاني: بنو سالم من المنافقين، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِلُ الْيَرَبَ﴾ قال أبو عبيدة: يَثْرِب: اسم أرض، ومدينة النبي ﷺ في ناحية منها<sup>(١)</sup>. قوله تعالى: ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ وقرأ حفص عن عاصم: «لَا مُقَامَ» بضم الميم. قال الزجاج: من ضم الميم، فالمعنى: لا إقامة لكم؛ ومن فتحها، فالمعنى: لا مكان لكم تُقيمون فيه. وهؤلاء كانوا يَطْبُون المؤمنين عن النبي ﷺ. قوله تعالى: ﴿فَارْجِعُوا﴾ أي: إلى المدينة، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج بالمسلمين حتى عسكروا بـ«سَلْعٍ»، وجعلوا الخندق بينهم وبين القوم، فقال المنافقون للناس: ليس لكم هاهنا مقام، لكثرة العدو، وهذا قول الجمهور. وحكى

(١) قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان»: يَثْرِب: قال أبو القاسم الزجاجي: مدينة رسول الله ﷺ، وقال: وقال آخرون: بل يَثْرِب ناحية من مدينة النبي ﷺ. وقال ابن كثير في «الضمير» في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَأْتِلُ الْيَرَبَ﴾ يعني المدينة، كما جاء في «الصحاح»: «أريت دار هجرتك، أرض بين حرتين، فلحب وقلبي (وهي واحطاني) أنها هجرة، فلما هي يَثْرِب وفي لفظ «المدينة»، ثم قال: فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن البراء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمي المدينة يَثْرِب فليستغفر الله تعالى، إنما هي طابة، إنما هي طابة»، تفرد به الإمام أحمد، وفي إسناده ضعف، والله أعلم، قال: ويقال: إنما كان أصل تسميتها يَثْرِب برجل نزلها من العماليق يقال له: يَثْرِب. اهـ.

الماوردي قولين [آخرين]: أحدهما: لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا إلى دين مشركي العرب، قاله الحسن. والثاني: لا مقام لكم على القتال، فارجعوا إلى طلب الأمان، قاله الكلبي.

قوله تعالى: ﴿وَسَيَنْفِذُ نَفْيُكَ مِنْهُمْ الْيَوْمَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم بنو حارثة، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: بنو حارثة بن الحارث بن الخزرج. وقال السدي: إنما استأذنه رجلان من بني حارثة. والثاني: بنو حارثة، ويثو سلمة بن جيش، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَبُوتًا عَرَّةً﴾ قال ابن قتيبة: أي: خالية، فقد أمكن من أراد دخولها، وأصل العرة: ما ذهب عنه الستر والحفظ، فكان الرجال يسترّ وحفظ للبيوت، فإذا ذهبوا أغورت البيوت، تقول العرب: أغور منزلي: إذا ذهب يستره، أو سقط جداره، وأغور الفارس: إذا بان منه موضع خلل للضرب والطعن، يقول الله: ﴿وَمَا مِنْ بَرٍّ إِلَّا اللَّهُ يَحْفَظُهَا، ولكن يريدون الفرار. وقال الحسن، ومجاهد: قالوا: بيوتنا ضائعة نخشى عليها السراق. وقال قتادة: قالوا: بيوتنا ممّا يلي العدو، ولا نأمن على أهلنا، فكذبهم الله وأعلم أن قصدهم الفرار.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا﴾ يعني المدينة؛ والأقطار: النواحي والجوانب، واحدها: قُطر، ﴿ثُمَّ سِئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾ وقرأ علي بن أبي طالب عليه السلام، والضحاك، والزهري، وأبو عمران، وأبو جعفر، وشيبة: «ثم سئلوا» برفع السين وكسر الياء من غير همز. وقرأ أبي بن كعب، ومجاهد، وأبو الجوزاء: «ثم سئلوا» برفع السين ومدّ الواو بهمزة مكسورة بعدها. وقرأ الحسن، وأبو الأشهب: «ثم سئلوا» برفع السين وسكون الواو من غير مدّ ولا همز. وقرأ الأعمش، وعاصم الجحدري: «ثم سئلوا» بكسر السين ساكنة الياء من غير همز ولا واو. ومعنى: «سئلوا الفتنة»، أي: سئلوا فعلها؛ [والفتنة: الشرك، ﴿لَا تَوْحِيدَ﴾] قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «لَا تَوْحِيدَ» بالقصر، أي: لقصدوها، ولفعلوها. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «لَا تَوْحِيدَ» بالمد، أي: لأعطوها. قال ابن عباس في معنى الآية: لو أن الأحزاب دخلوا المدينة ثم أمرهم بالشرك لأشركوا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَيْعًا﴾ فيه قولان: أحدهما: وما احتبسوا عن الإجابة إلى الكفر إلا قليلاً، قاله قتادة. والثاني: وما تلبثوا بالمدينة بعد الإجابة إلا سيراً حتى يعذبوا، قاله السدي. وحكى أبو سليمان الدمشقي في الآية قولاً عجيباً، وهو أن الفتنة هاهنا: الحرب، والمعنى: ولو دخلت المدينة على أهلها من أقطارها، ثم سئل هؤلاء المنافقون الحرب لأتوها مباشرين، وما تلبثوا - يعني الجيوش الداخلة عليهم بها - إلا قليلاً حتى يُخرجهم منها؛ وإنما منعهم من القتال معك ما قد تداخلهم من الشك في دينك<sup>(١)</sup>؛ قال: وهذا المعنى حَفِظْتُهُ من كتاب الواقدي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَنْهُمْ أَلَمًا﴾ في وقت معاهدتهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ناس غابوا عن وقعة بدر، فلمّا علموا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة قالوا: لئن شهدنا قتالاً لَنُقَاتِلَنَّ، قاله قتادة. والثاني: أنهم أهل العقبة، وهم سبعون رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ على طاعة الله ونصرة رسوله، قاله مقاتل. والثالث: أنه لما نزل بالمسلمين يوم أحد ما نزل، غاهد الله معتب بن قُشير وثعلبة بن حاطب: لا نولّي دُبُرًا قطّ، فلمّا كان يوم الأحزاب نافقا، قاله الواقدي، واختاره أبو سليمان الدمشقي، وهو أليق ممّا قبله. وإذا كان الكلام في حق المنافقين، فكيف يُطْلَقُ القول على أهل العقبة كلّهم!

(١) روى ابن جرير الطبري عن قتادة أن الفتنة: الشرك، وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد أن الفتنة: الشرك، وكذلك قال البيهقي والخازن، وقال ابن كثير: الفتنة: هي الدخول في الكفر. وقال الشوكاني في «فتح القدير» الفتنة هنا: إما القتال في المعية كما قال الضحاك، أو الشرك بالله والرجعة إلى الكفر الذي يظنونهم ويظهرون خلافه كما قاله الحسن. وقال الألويسي في «روح المعاني»: الفتنة: أي القتال كما قال الضحاك، ثم قال: كأنه شبه الفتنة المطلوب اتباعهم فيها بأمر نفيس يطلب منهم بدله، ونزل إطاعتهم واتباعهم بمنزلة بدل ما سئلوه وإعطاه، ثم قال: والمراد: أنهم لو سألهم غيرك القتال وهم في أشد حال وأعظم لبال، لأسرعوا جداً، فضلاً عن التصلل باختلال بيوتهم مع سلامتها كما فعلوا الآن، قال: والحاصل أن طلبهم الإذن في الرجوع ليس لاختلال بيوتهم، بل لتفاهتهم وكراهتهم نصرتك. اهـ.

(٢) الواقدي: هو محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي المدني أبو عبد الله الواقدي، من أقدم المؤرخين في الإسلام ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث، قال الحافظ ابن حجر عنه في «التريب»: «متروك مع سعة علمه. له تصنيف كثيرة، منها «تفسير القرآن».

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْكُورًا﴾ أي: يُسألون عنه في الآخرة. ثم أخبر أن الفرار لا يزيد في آجالهم، فقال: ﴿قُلْ لَنْ يَفْعَلَكُمْ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَسْعَوْنَ﴾ بعد الفرار في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهو باقي آجالكم. ثم أخبر أن ما قدره عليهم لا يدفع، بقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: يجبركم ويمنعكم منه ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ وهو الإهلاك والهزيمة والبلاء ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحَةً﴾ وهي النصر والعافية والسلامة ﴿وَلَا يَحْدُثُونَ لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ شَيْئًا وَلَا نَصِيرًا﴾ أي: لا يجدون موالياً ولا ناصراً يمنعهم من مُراد الله فيهم.

﴿قَدْ بَلَغَ اللَّهُ الْمُتَوَفِّيَنَا مِنَ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلْمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٨﴾ أَيْحَةَ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ لِقَاؤُكُمْ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدْرُؤُا أَعْيُنَهُمْ كَالَّذِي يُغْنِي عَنْهُ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذُهِبَ لِقَاؤُكُمْ مَلْفُوكُمْ بِالْبَيْتِ جِدَاوُ أَيْحَةَ عَلَى الْخَبَرِ أُولَئِكَ لَمْ يُوَفُّوا فَاَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَسِيرُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَلَكِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوْنَ لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوا فِي الْأَخْزَابِ يَسْتَلُوتُ عَنْ أَنْبِيَائِهِمْ وَكَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَكَرِهَ اللَّهُ كِبِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَمَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ بَلَغَ اللَّهُ الْمُتَوَفِّيَنَا مِنَ الْقَائِلِينَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رجلاً انصرف من عند رسول الله ﷺ يوم الأحزاب، فوجد أخاه لأمه وأبيه وعنده شياء ونبيذ، فقال له: أنت هاهنا ورسول الله بين الرماح والسيوف؟! فقال: هلم إلي، لقد أحبط بك وبصاحبك؛ والذي يُخَلِّفُ به لا يستقبلها محمدٌ أبداً، فقال له: كذبت، والذي يُخَلِّفُ به، أما والله لأخبرن رسول الله ﷺ بأمرك، فذهب إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجده قد نزل جبريل بهذه الآية إلى قوله: ﴿يَسِيرًا﴾، هذا قول ابن زيد<sup>(١)</sup>. والثاني: أن عبد الله بن أبيي ومُعْتَب بن قُصَيْرِ والمُتَافِقِينَ الذين رجعوا من الخندق إلى المدينة، كانوا إذا جاءهم منافق قالوا له: ويحك اجلس فلا تخرج، ويكتبون بذلك إلى إخوانهم الذين في العسكر أن اتونا بالمدينة فإننا ننتظركم - يبطونهم عن القتال - وكانوا لا يأتون العسكر إلا أن لا يجدوا بداً، فيأتون العسكر ليرى الناس وجوههم، فإذا غُفِلَ عنهم عادوا إلى المدينة، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب<sup>(٢)</sup>. والمعوق: المشط؛ تقول: عاقني فلان، واعتاقني، وعوقني: إذا منعك عن الوجه الذي تريده. وكان المنافقون يعوقون عن رسول الله ﷺ نُضَارَهُ<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلْمْ إِلَيْنَا﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المنافق الذي قال لأخيه ما ذكرناه في قول ابن زيد. والثاني: أنهم اليهود دعوا إخوانهم من المنافقين إلى ترك القتال، قاله مقاتل. والثالث: أنهم المنافقون دعوا المسلمين إليهم عن رسول الله ﷺ، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾ أي: لا يحضرون القتال في سبيل الله ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ للرياء والشُّمعة من غير احتساب، ولو كان ذلك [القليل]<sup>(٤)</sup> لله لكان كثيراً.

قوله تعالى: ﴿أَيْحَةَ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال. المعنى: لا يأتون الحرب إلا تعذيراً<sup>(٥)</sup>، بخلاء عليكم. وللمفسرين فيما شحوا به أربعة أقوال: أحدها: أشحة بالخير، قاله مجاهد. والثاني: بالنفقة في سبيل

(١) ذكره الطبري ١٣٩/٢١، عن ابن زيد، وأورده السيوطي في «الدر» ١٨٨/٥، من رواية ابن أبي حاتم عن ابن زيد.

(٢) ذكره الألويسي في «تفسيره» مختصراً عن ابن السائب بدون سند.

(٣) قال الشوكاني في «فتح القدير»: قال الواحدي: قال المفسرون: هؤلاء قوم من المنافقين كانوا يبطون أنصار النبي ﷺ. اهـ. يقال: أنصار، ونضار، كما في «اللسان».

(٤) زيادة من «تفسير البغوي».

(٥) قال في «اللسان»: والتعذير في الأمر: التقصير فيه، وأعذر: قصر ولم يبلغ وهو يُرَى أنه مبالغ. وعذر الرجل فهو معذر: إذا اعتذر ولم يأت بعلو. وقوله ﷺ: ﴿يَكُونُ السُّوءُ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ هم الذين لا عذر لهم ولكن يتكفون عذراً، قال: قال الأزهري: ويكون المعذرون بمعنى المقصدين على مفغلين من التعذير وهو التقصير. اهـ. وقال ابن جرير الطبري: ﴿وَكُنْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾، قال: يقول تعالى ذكره للمؤمنين: ولو كانوا أيضاً فيكم ما نفعوكم، وما قاتلوا المشركين إلا قليلاً، يقول: إلا تعذيراً، لأنهم لا يقاتلون حسة ولا رجاء ثواب. اهـ.

الله. والثالث: بالغنيمة، روي عن قتادة. وقال الزجاج: بِالظَّفَر والغنيمة. والرابع: بالقتال معكم، حكاه المارودي<sup>(١)</sup>. ثم أخبر عن جُبنهم فقال: ﴿إِذَا جَاءَ لَقْوُكُمْ﴾ أي: إذا حضر القتال ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ دَوْرَ أُعْيُنِهِمْ كَأَنَّهُمْ يُفَتِنُونَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: كدوران عين الذي يُغشى عليه من الموت، وهو الذي دنا موته وغشيتُه أسبابه، فإنه يخاف ويذهل عقله ويشخص بصره فلا يَظُفِر، فكَذَلِكَ هؤلاء، لأنهم يخافون القتل. ﴿إِذَا ذَهَبَ لَقْوُكُمْ سَلَّوْكُمْ﴾ قال الفراء: أَدَوَكُمْ بالكلام في الأمن ﴿بِالْيَسَرِّ جِدَادٍ﴾ سليطة ذرية<sup>(٢)</sup>، والعرب تقول: صَلَّوْكُمْ، بالصاد، ولا يجوز في القراءة؛ وهذا قول الفراء. وقد قرأ بالصاد أبي بن كعب، وأبو الجوزاء، وأبو عمران الجوني، وابن أبي عبيدة في آخرين. وقال الزجاج: معنى «سَلَّوْكُمْ»: خاطبوكم أشدَّ مخاطبةً وأبلغها في الغنيمة، يقال: خطيبٌ مُسَلِّقٌ: إذا كان بليغاً في خطبته ﴿أَتَيْتَهُ عَلَى لَقِيرٍ﴾ أي: خاطبوكم وهم أشعثُ على المال والغنيمة. قال قتادة: إذا كان وقت قسمة الغنيمة، بسطوا الستهم فيكم، يقولون: أعطونا فلستم أحقَّ بها منّا؛ فأما عند البأس، فأجبن قوم وأخذله للحق، وأما عند الغنيمة، فأشعُ قوم. وفي المراد بالخير هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الغنيمة. والثاني: على المال أن يُنفقوه في سبيل الله تعالى. والثالث: على رسول الله ﷺ بظفروه.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَصُومُوا﴾ أي: هم وإن أظهروا الإيمان فليسوا بمؤمنين، لنفاقهم ﴿فَلَا حَسَبَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ قال مقاتل: أبطل جهادهم، لأنه لم يكن في إيمان ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى اللَّهِ يَبِيرًا﴾. ثم أخبر عنهم بما يدل على جُبنهم، فقال: ﴿يَحْسَبَنَّ الْأَعْرَابُ لَمْ يَكُفَرُوا﴾ أي: يحسب المنافقون من شدة خوفهم وجُبنهم أن الأحزاب بعد انهزامهم وذهابهم لم يذهبوا، ﴿وَكِنْ يَأْتِي الْأَعْرَابُ﴾ [أي: يرجعوا إليهم كَرَّةً ثانية للقتال ﴿يُؤْذُوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوا فِي الْأَعْرَابِ﴾ أي: يتمنوا لو كانوا في بادية الأعراب من خوفهم، ﴿يَتَشَلَّوْكَ عَنْ أَبْيَاسِكُمْ﴾ أي: ودوا لو أنهم بالبعد منكم يسألون عن أخباركم، فيقولون: ما فعل محمد وأصحابه، ليعرفوا حالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة، قرأاً وجُبناً؛ وقيل: بل يسألون شماتة بالمسلمين وفرحاً بنكباتهم ﴿وَكَلَّ كَاؤُوا فِيكُمْ﴾ أي: لو كانوا يشهدون القتال معكم ﴿مَتَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ فية قولان: أحدهما: إلا رمية بالحجارة، قاله ابن السائب. والثاني: إلا رياء من غير احتساب، قاله مقاتل. ثم عاب من تخلف بالمدينة بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: قدوة صالحة. والمعنى: لقد كان لكم به اقتداء لو اقتديتم به في الصبر [مع] كما صبر يوم أُحُد حتى كُتبت رِباعيته وشُجَّ جبينه وقُتلَ عُمُه، وأساكم مع ذلك بنفسه. وقرأ عاصم: «أسوة» بضم الألف؛ والباقون بكسر الألف؛ وهما لغتان. قال الفراء: أهل الحجاز وأشدُّ يقولون: «إسوة» بالكسر، وتميم وبعض قيس يقولون: «أسوة» بالضم. وخَصَّ الله تعالى بهذه الأسوة المؤمنين، فقال: ﴿لَكِنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ الْآخِرِ﴾ والمعنى أن الأسوة برسول الله إنما كانت لمن كان يرجو الله [واليوم الآخر]؛ وفيه قولان: أحدهما: يرجو ما عنده من الثواب والنعيم، قاله ابن عباس. والثاني: يخشى الله ويخشى البعث، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ اللَّهُ كِبَرًا﴾ أي: ذُكِرَ كثيراً، لأن ذاكر الله متَّبِع لأوامره، بخلاف الغافل عنه<sup>(٣)</sup>. ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب، فقال: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ وفي ذلك الوعد قولان: أحدهما: أنه قوله: ﴿أَمَّ حَبِشَتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَكِنَّا بِأَيْدِيكُمْ مِثْلَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ...﴾ الآية، [البقرة: ٢١٤] فلما عاينوا البلاء يومئذ قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، قاله ابن عباس، وقاتلة في آخرين. والثاني: أن رسول الله ﷺ وعدهم النصر والظهور على مدائن كسرى وقصور الجيرة، ذكره المارودي وغيره.

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله وصف هؤلاء المنافقين بالجبن والشح، ولم يخصهم وصفهم من معاني الشح بمعنى دون معنى، فهم كما وصفهم الله به أشعة على المؤمنين بالغنيمة، والخير، والشفقة في سبيل الله على أهل مسكنة المسلمين. اهـ.

(٢) أي: قاحشة. وفُزِبَ اللسان: حُدِّثَ.

(٣) قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأمسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأمسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه ﷻ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، قال: ولهذا قال تعالى للمؤمنين تَقَلَّبُوا وَتَضَرَّعُوا وَتَزَلَّزَلُوا وَاضْطَرُّوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، أي: هلا اقتديتم به وتأسستم بشأله؟! ولهذا قال تعالى: ﴿لَكِنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ الْآخِرِ وَذَكَرَ اللَّهُ كِبَرًا﴾. اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ يعني ما رآوه ﴿إِلَّا إِسْكَانًا﴾ بوعد الله ﴿وَسَلِيمًا﴾ لأمره.

﴿يَنَ الْمُؤْمِنِينَ يَجَالُ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَيَنْتَهُمْ مَن قَضَىٰ صَبْرَهُ وَنَتَهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بُدِيلًا ۖ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّا اللَّهُ كَانْ عَفُورًا رَّحِيمًا ۝﴾ وَذََّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لََّ يَسْأَلُوا عَذْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ۝ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُ مِن أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقَاتَلُوا وَفَرِيقًا ۝ وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِينَهُمْ وَأَنفُسَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَكُنْ لَّهُمْ تَحْتَهُمَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿يَنَ الْمُؤْمِنِينَ يَجَالُ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في أنس بن النضر، قاله أنس بن مالك. وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك قال: غاب عُمَيَّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالِ قَاتِلِهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَشْرِكِينَ، لِنِ اسْهَدَنِي اللَّهُ ﷻ قِتَالَ كَيْرِينَ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ<sup>(١)</sup>، فَلَمَّا كُنْ يَوْمَ أُحُدٍ انْكَشَفَ النَّاسُ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ: اَللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي الْمَشْرِكِينَ، وَأَعْتَدْتُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ<sup>(٣)</sup>؛ ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ، فَلَقِيَ سَعْدَ بْنَ مَعَاذٍ، فَقَالَ: أَيُّ سَعْدٍ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أَحَدٍ، وَهَآءُ لَرِيحِ الْجَنَّةِ<sup>(٤)</sup>. قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعْتُ؛ قَالَ: أَنَسُ: فَوُجِدْنَاهُ بَيْنَ الْقَتْلَى بِهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ جِرَاحَةً، مِنْ ضَرْبَةِ سَيْفٍ، وَطَعْنَةٍ بِرِمْحٍ، وَرُمِيَةٍ بِسَهْمٍ، قَدْ مَثَلُوا بِهِ؛ قَالَ: فَمَا عَرَفْنَاهُ حَتَّى عَرَفْتُهُ أَخِيَّ بَنِيَانَهُ<sup>(٥)</sup>؟ قَالَ أَنَسُ: فَكُنَّا نَقُولُ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿يَنَ الْمُؤْمِنِينَ يَجَالُ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ فِيهِ فِي أَصْحَابِهِ<sup>(٦)</sup>. وَالثَّانِي: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ. رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ سَبْرَةَ عَنْ عَلِيٍّ ﷺ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: حَدِّثْنَا عَنْ طَلْحَةَ، قَالَ: ذَاكَ أَمْرٌ نَزَلَتْ فِيهِ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَيَنْتَهُمْ مَن قَضَىٰ صَبْرَهُ﴾ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ<sup>(٧)</sup>. وَقَدْ جَعَلَ بَعْضُ الْمُقْسِرِينَ هَذَا الْقَدْرَ مِنَ الْآيَةِ فِي طَلْحَةَ، وَأَوَّلَهَا فِي أَنَسٍ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَمَعْنَى الْآيَةِ: وَقَوَّاهُ اللَّهُ بِمَا عَاهَدُوهُ عَلَيْهِ. وَفِي ذَلِكَ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ عَاهَدُوا لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالنَّصْرِ. وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا، فَعَاهَدُوا اللَّهَ أَنْ لَا يَتَّخِذُوا بَعْدَهَا. وَالثَّالِثُ: أَنَّهُمْ عَاهَدُوا أَنْ لَا يَفِرُوا. إِذَا لَاقُوا، فَصَدَّقُوا. وَالرَّابِعُ: أَنَّهُمْ عَاهَدُوا عَلَى الْبِأْسَاءِ وَالْفِرَاءِ وَحِينَ الْبِأْسِ.

قوله تعالى: ﴿فَيَنْتَهُمْ مَن قَضَىٰ صَبْرَهُ وَنَتَهُمْ مَن يَنْتَظِرُ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: فَمَنْهُمْ مَنْ مَاتَ، وَمَنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ الْمَوْتَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: فَمَنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ عَهْدَهُ قُتْلَ أَوْ عَاشَ. وَمَنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ أَنْ يَقْضِيَهُ بِقِتَالٍ أَوْ صَدَقَ لِقَاءُ

(١) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» ٧/٢٧٤: وَمَرَاهُ أَنْ يَبَالِغَ فِي الْقِتَالِ لَوْ زَهَقَتْ رُوحُهُ، قَالَ: وَقَالَ أَنَسُ فِي رِوَايَةٍ ثَابِتٍ: وَخَشِيَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا، أَيْ غَيْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْأَدَبِ مِنْهُ، وَالْخَوْفُ، لِئَلَّا يَعْزِضَ لَهُ عَارِضٌ فَلَا يَبْقَى بِمَا يَقُولُ، فَيُضَيَّرُ كَمَنْ وَعَدَ فَأَخْلَفَ. أَمَّا: وَلَقَدْ مَسَلُمَ الْفَرَاثِي: اللَّهُ مَا أَصْنَعُ، قَالَ الْإِمَامُ التَّوْرِيُّ فِي «شَرْحِ مُسْلِمٍ» وَكَوْنَهُ «مَا أَصْنَعُ» بَدَلًا مِنَ الضَّمِيرِ فِي «فَرَاثِي» أَيْ: لَيَّرِي اللَّهُ مَا أَصْنَعُ.

(٢) فِي الْبُخَارِيِّ ١٦/٦ «وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ» وَفِي: ٧/٢٧٤ «فَهَزَمَ النَّاسُ».

(٣) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» ١٨/٦: قَالَ الزَّيْنُ ابْنُ الْمُنِيرِ: مَنْ أَبْلَغَ الْكَلَامَ وَأَفْصَحَهُ قَوْلُ أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ فِي حَقِّ الْمُسْلِمِينَ: أَعْتَدْتُ إِلَيْكَ، وَفِي حَقِّ الْمَشْرِكِينَ: أَبْرَأُ إِلَيْكَ، فَأَشَارَ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَرْضَ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا مَعَ تَغَايُرِهِمَا فِي الْمَعْنَى.

(٤) وَهَآءُ لَرِيحِ الْجَنَّةِ، قَالَ الْإِمَامُ التَّوْرِيُّ: وَهَآءُ كَلِمَةٌ تَحْتَنُّ وَتَهْلُفُ. أَمَّا:

(٥) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: فِي رِوَايَةٍ ثَابِتٍ، فَقَالَتْ عَمَتِي الرَّبِيعُ بِنْتُ النَّضْرِ أخته: فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنِيَانِهِ، قَالَ: زَادَ النَّسَائِيُّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ: وَكَانَ حَسَنَ الْبَنَانِ، قَالَ: وَالبَنَانُ: الْأَصْبَحُ، وَقِيلَ: طَرَفُ الْأَصْبَحِ. أَمَّا:

(٦) الْبُخَارِيُّ ١٦/٦، وَمُسْلِمٌ ٣/١٥١٢، وَرِوَاةُ الْبُخَارِيِّ فِي «الْمَغَازِي» ٧/٢٧٤، وَلَمْ يَذْكُرْ سَبَبَ النَّزُولِ، وَرِوَاةُ أَبِي يَافِرٍ فِي «التَّضْيِيرِ» ٨/٣٩٨ مَقْتَصِرًا عَلَى سَبَبِ النَّزُولِ، وَرِوَاةُ التِّرْمِذِيِّ ٢/١٥١، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَرِوَاةُ أَبِي يَافِرٍ أَيْضًا أَحْمَدُ فِي «السُّنَنِ»، وَابْنُ جَرِيرٍ فِي «التَّضْيِيرِ» ٢١/١٤٧، وَذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٥/١٩٠، وَزَادَ نِسْبَتَهُ لِابْنِ سَعْدٍ، وَالنَّسَائِيِّ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنِ مَرْدُوَيْهِ، وَأَبِي نَعِيمٍ فِي «الْحَلِجَةِ»، وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الدَّلَالَةِ».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» ١٧/٦: وَفِي نَصَةِ أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ مِنْ الْفَوَائِدِ: جَوَازُ بُلْغِ النَّفْسِ فِي الْجِهَادِ، وَفَضْلُ الْوَفَاءِ بِالْمَعْدِ وَلَوْ شَقَّ عَلَى النَّفْسِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى إِهْلَاكِهَا، وَأَنْ طُلِبَ الشَّهَادَةُ فِي الْجِهَادِ لَا يَتَأَوَّلُ النَّهْيَ عَنِ الْإِلْقَاءِ إِلَى الْهَلَكَةِ، قَالَ: وَفِيهِ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِأَنَسِ بْنِ النَّضْرِ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ صِحَّةِ الْإِيمَانِ وَكَثْرَةِ التَّوْقِي وَالتَّوَرُّعِ وَقُوَّةِ الْيَقِينِ. أَمَّا:

(٧) أَوْرَدَهُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٥/١٩١ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الشَّيْخِ، وَابْنِ صَبَّاحٍ عَنْ عَلِيٍّ ﷺ. وَالْأَعْلَمُ: قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» ٢١/٣٩٧: ثَبِتَ عَنْ عَائِشَةَ ﷺ أَنَّ طَلْحَةَ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَنْتَ يَا طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ»، وَقَالَ: أُنْجِرْهُ ابْنَ مَاجِهِ، وَالْحَاكِمُ، أَمَّا: وَرِوَاةُ الطَّبْرِيِّ بِنَحْوِ ٢١/١٤٧.

قاله مجاهد والثالث فمنهم من قضى نذره الذي كان نذره، قاله أبو عبيدة، فيكون النُجْب على القول الأول: الأجل؛ وعلى الثاني: العهد؛ وعلى الثالث: الثُّبُور. وقال ابن قتبية: «قضى نجبه» أي: قُتِل، وأصل النُجْب: الثُّر، كان قوماً نذروا<sup>(١)</sup> أنهم إن لقوا العدو قاتلوه حتى يُقتلوا أو يُفتح الله عليهم، فقتلوا، فقيل: فلان قضى نجبه، أي: قُتِل، فاستعير النُجْب مكان الأجل، لأن الأجل وقع بالنُجْب، وكان النُجْب سبباً له، ومنه قيل للعطية: «مَن»، لأن من أعطى فقد مَن. قال ابن عباس: مَن قضى نجبه: حمزة بن عبد المطلب، وأنس بن النضر وأصحابه. وقال ابن إسحاق: «قُتِلَتْ مَن قَتَلَ قَتْلَهُ» من استشهد يوم بدر وأُحِد، «وَمَنْ مَن يَنْظُرُ» ما وعد الله من نصره، أو الشهادة على ما مضى عليه أصحابه «وَمَا جَدُّوا» أي: ما غيروا العهد الذي عاهدوا ربهم عليه كما غير المنافقون.

قوله تعالى: ﴿يَخِزِي اللَّهُ الْمُتَذِفِينَ بَيعْتَهُمْ﴾ وهم المؤمنون الذين صدقوا فيما عاهدوا [الله] عليه ﴿وَمَذَبَ الْمُتَفِيقِينَ﴾ بنقض العهد ﴿إِنْ سَكَا﴾ وهو أن يحيتهم على نفاقهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ في الدنيا، فيخرجهم من الإنفاق إلى الإيمان، فيغفر لهم. ﴿وَرِءَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني الأحزاب، صلَّهم ومنعهم عن الظفر بالمسلمين ﴿يَنْظِتُهُمْ﴾ أي: لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا ﴿أَوْ يَتَأَلَّوْا خِزًّا﴾ أي: لم يظفروا بالمسلمين، وكان ذلك عندهم خيراً، فخطبوا على استعمالهم ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ لِقَافًا﴾ بالرزق والملائكة<sup>(٢)</sup>، ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ أي: عاونوا الأحزاب، وهم بنو قريظة، وذلك أنهم نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد، وصاروا مع المشركين يداً واحدة.

### وهذه الإشارة إلى قصتهم

ذكر أهل العلم بالسيرة أن رسول الله ﷺ لما انصرف من الخندق وضع عنه اللأمة واغتسل، فتبلى له جبريل، فقال: ألا أراك وضعت اللأمة، وما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة؟ إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة فأني عاهد إليهم فمزّل بهم حصونهم<sup>(٣)</sup>؛ فدعا علياً فدفع لواءه إليه، وبعث بلالاً فنادى في الناس: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن لا تصلوا العصر إلا ببني قريظة<sup>(٤)</sup>، ثم سار إليهم فحاصروهم خمسة عشر يوماً أشد الحصار، وقيل عشرين ليلة<sup>(٥)</sup>، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: أُرِسل إلينا أبا ثابة بن عبد المنذر، فأرسله إليهم، فشاؤروه في أمرهم، فأشار إليهم بيده: إنه الذبح، ثم ندم فقال: جئت الله ورسوله، فانصرف فارتبط في المسجد حتى أنزل الله توبته<sup>(٦)</sup>، ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأمر بهم رسول الله محمد بن مسلمة، وكُتفوا، ونُحُوا ناحية، وجُعل النساء والدُّرّة ناحية. وكلّمت الأوس رسول الله ﷺ أن يهبهم لهم، وكانوا حلفاءهم، فجعل رسول الله ﷺ الحكم فيهم إلى سعد بن معاذ؛

(١) الذي في «تفسير القرآن»: وكان قوم نذروا.  
(٢) قال ابن كثير: وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ لِقَافًا﴾، أي: لم يحتاجوا إلى منازلهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم، بل كفى الله وحده، ونصر عبده، وأمر جنده، قال: ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول: «لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأمر جنده، وهزم الأحزاب وحده، فلا شيء بعده» أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: وفي «الصحاحين» عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم». قال ابن كثير: وفي قوله ﷺ: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ لِقَافًا﴾: إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش، وهكذا وقع بعدها، لم يهزم المشركون، بل غزاهم المسلمون في بلادهم، قال ابن كثير في تمة الآية: قوله تعالى: ﴿وَكَفَى اللَّهُ قَوْمًا خِزًّا﴾ أي: بعوله وقوته وقدم خائنين لم ينالوا خيراً، وأمر الله الإسلام وأمله، وصدق وعده، ونصر رسوله وعبده، فله الحمد والمآلة. اهـ.

(٣) ذكره بنحو ابن هشام في «السيرة» ٢٣٣/٧، وذكره ابن كثير في «البيان والنهاية» بنحوه ١١٦/٤ من رواية محمد بن إسحاق. وأمر جبريل للنبي ﷺ بالمسير ثابت في «الصحاح البخاري» ٣١٣/٧ من حديث عائشة رضي الله عنها. ورواه أحمد في «المستند» ٥٩/٦، ١٣١، ٢٤١، ٢٨٠ من حديث عائشة أيضاً.

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصحاحين» ٣١٣/٧، ومسلم ١٣٩١/٣ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه، ولفظ مسلم: نادى فينا رسول الله ﷺ يوم انصرف الأحزاب: «أَنْ لَا يَصَلُّوا أَحَدُ الظُّفَرِ إِلَّا فِي بَنِي قَرْيَظَةَ». الحديث.

(٥) الذي في «مسند أحمد» والطبري، وأخبره ابن هشام: أن رسول الله ﷺ حاصروهم خمساً وعشرين ليلة.

(٦) ذكر هذا الخبر بنحو الطبري في «التفسير»، وابن هشام في «السيرة» ٢٣٣/٢، وابن كثير في «التفسير» ٣٠٠/٢ من رواية الزهري مرسلًا، وانظر «البيان والنهاية» لابن كثير ١٢٤/٤.





أحدهما: أنه خيرهن بين الطلاق والمقام معه، هذا قول عائشة رضي الله عنها. والثاني: أنه خيرهن بين اختيار الدنيا فيفارقهن، أو اختيار الآخرة فيمسكنهن، ولم يغيرهن في الطلاق، قاله الحسن، وقتادة. وفي سبب تخييره إياهن ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سألته زيادة الثقة. والثاني: أنه آذنه بالغيرة. والقولان مشهوران في التفسير. والثالث: أنه لما خير بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة فاختار الآخرة، أمر بتخيير نسائه ليكون على مثل حاله، حكاه أبو القاسم الصيمري. والمراد بقوله: ﴿أَمْسِكْنَ﴾: ثمة الطلاق. والمراد بالسراح: الطلاق، وقد ذكرنا ذلك في [البقرة: ٢٣١]. والمراد بالدار الآخرة. الجنة. والمخينات: المؤثرات للآخرة. قال المفسرون: لما اختزنه أنابهن الله ﷻ ثلاثة أشياء: أحدها: التفضيل على سائر النساء بقوله: ﴿لَسَنَئُكَ أَكْهَرُ مِنَ النِّسَاءِ﴾، والثاني: أن جعلهن أمهات المؤمنين، والثالث: أن حظر عليه طلاقهن والاستبدال بهن بقوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدُ﴾ [الأحزاب: ٥٢]. وهل أبيع له بعد ذلك التزويج عليهن؟ فيه قولان سيأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكِ بِفِئَةٍ مُنِيئَةٍ﴾ أي: بمعصية ظاهرة. قال ابن عباس: يعني النشوز وسوء الخلق ﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ أي: يجعل عذاب جرمها في الآخرة كعذاب جرمين، كما أنها تؤتي أجرها على الطاعة مرتين. وإنما ضعف عقابهن، لأنهن يشاهدن من الزواجر الرادعة ما لا يشاهد غيرهن، فإذا لم يمتنعن استحققن تضعيف العذاب، ولأن في معصيتهن أذى لرسول الله ﷺ؛ وجرم من آذى رسول الله ﷺ أكبر من جرم غيره.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ أي: وكان عذابها على الله هيناً. ﴿وَمَنْ يَفْتَنُ﴾ أي: تطلع، ﴿وَرَأَيْنَا﴾ قد سبق بيانه [النساء: ٣٧]، والرزق الكريم: الحسن، وهو الجنة. ثم أظهر فضيلتهن على النساء بقوله: ﴿لَسَنَئُكَ أَكْهَرُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ قال الزجاج: لم يقل: كواحدة من النساء، لأن «أحداً» نفي عام للمذكر والمؤنث والواحد والجماعة. قال ابن عباس: يريد: ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات، أنتن أكرم علي، وثوابكن أعظم ﴿إِنْ أَتَيْتُنَّ﴾، فشرط عليهن التقوى بياناً أن فضيلتهن إنما تكون بالتقوى، لا بنفس اتصالهن برسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ أي: لا تليين بالكلام ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ أي: فُجور؛ والمعنى: لا تقلن قولاً يجد به منافق أو فاجر سبيلاً إلى موافقتك له؛ والمرأة مندوبة إذا خاطبت الأجانب إلى النبلظة في المقالة، لأن ذلك أبعد من الطمع في الرية. ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي: صحيحاً عفيفاً لا يطمع فاجراً<sup>(١)</sup>. ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ قرأ نافع، وعاصم إلا أبان، وهيرة، والثوليد بن مسلم عن ابن عامر: ﴿وَقَرْنَ﴾ بفتح القاف، وقرأ الباقون بكسرها. قال الفراء: من قرأ بالفتح، فهو من قَرَزَتْ في المكان، فحُفَّت، كما قال: ﴿ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طه: ٩٧]، ومن قرأ بالكسر، فهو من الوقار، يقال: قَرَزَ في منزلك. وقال ابن قتبية: من قرأ بالكسر، فهو من الوقار، يقال: وَقَرَّ في منزله يَقَرُّ وَقُوراً. ومن قرأ بنصب القاف جعله من القوار. وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل: ﴿وَأَقْرَنَ﴾ بإسكان القاف وبراءين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبله مثله، إلا أنهما كسرا الراء الأولى. قال المفسرون: ومعنى الآية: الأمر لهن بالتوقر والسكون في بيوتهن وأن لا يخرجن<sup>(٢)</sup>.

منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي ﷺ جالساً، حوله نساء، واجماً، ساكناً، قال: فقال: لأقولن شيئاً أصحك النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة (بريد زوجته) سألني النفقة، فقلت إلبها فوجات عنقها (طعنت عنقها) فضحك رسول الله ﷺ. وقال: فمن حولي كما ترى سألني النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده، فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده، ثم اعتزلن شهرًا، أو تسعاً وعشرين، ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْجِعْنَ فِيكُمْ أَبْوَابَهُنَّ﴾ قال: فبدأ بعائشة فقال: «يا عائشة إني أريد أن أمرض عليك امرأة أحب أن لا تمعلي: فيه حتى تستطيري أبويك» قالت: وما هو يا رسول الله، فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يا رسول الله استشير أبوي؟! بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نساءك بالذي قلت، قال: «لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يعمتها ولا معتها (أي: لم يبعثني مشدداً على الناس ولا طالباً زلتهم) ولكن بعثني معلماً ميسراً». ولقد أورد هذا الحديث السيوطي في «الدرر» ١٩٤/٥، وزاده نسبه لأحمد، والنسائي، وابن مردويه عن جابر رضي الله عنه. وانظر «صحيح مسلم» باب الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن ١١٥/٢ - ١١١٣.

(١) قال ابن كثير: ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم، أي: لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أي: الزمْنَ بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة، قال: ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه =

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْرُكْ﴾ قال أبو عبيدة: التبرج: أن يبرزن مجاسنهن. وقال الزجاج: التبرج: إظهار الزينة وما يستدعى به شهوة الرجل. وفي «الجملة الأولى» أربعة أقوال. أحدها: أنها كانت بين إدريس ونوح، وكانت ألف سنة، رواء عكرمة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها كانت على عهد إبراهيم عليه السلام، وهو قول عائشة رضي الله عنها. والثالث: بين نوح وآدم، قاله الحكم. والرابع: ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، قاله الشعبي<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: وإنما قيل: «الأولى»، لأن كل مقدم أول، وكل متقدم أولي، فتأويله: أنهم تقدموا أمة محمد صلى الله عليه وسلم. وفي صفة تبرج الجاهلية الأولى ستة أقوال. أحدها: أن المرأة كانت تخرج فتمشي بين الرجال، فهو التبرج، قاله مجاهد. والثاني: أنها مشية فيها تكسر وتفتج، قاله قتادة. والثالث: أنه التبختر، قاله ابن أبي نجيح. والرابع: أن المرأة منهن كانت تتخذ اللرع من اللؤلؤ فتلبسه ثم تمشي وسط الطريق ليس عليها غيره، وذلك في زمن إبراهيم عليه السلام، قاله الكلبي. والخامس: أنها كانت تُلقي الخمار عن رأسها ولا تشده، فيرى قُرطها وفلائدها، قاله مقاتل. والسادس: أنها كانت تلبس الثياب تبلغ المال، لا توراري جسدتها، حكاه الفراء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ وفيه للمفسرين خمسة أقوال: أحدها: الشرك، قاله الحسن. والثاني: الإثم، قاله السدي. والثالث: الشيطان، قاله ابن زيد. والرابع: الشك. والخامس: المعاصي، حكاهما الماوردي. قال الزجاج: الرِّجْس: كل مستفذر من مأكول أو عمل أو فاحشة. ونصب «أهل البيت» على وجهين: أحدهما: على معنى: أعني أهل البيت، والثاني: على النداء، فالمعنى: يا أهل البيت. وفي المراد بأهل البيت هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهن في بيته، رواء سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وابن السائب، ومقاتل. ويؤكد هذا القول أن ما قبله ويَعْنِيه متعلق بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعلى أرباب هذا القول اعتراض، وهو أن جمع المؤنث بالنون، فكيف قيل: «عنكم» ويظهركم؟ فالجواب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهن، فغلب المذكر. والثاني: أنه خاص في رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه وفاطمة والحسن والحسين، قاله أبو سعيد الخدري. وروي عن أنس وعائشة وأم سلمة نحو ذلك. والثالث: أنهم أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه<sup>(٣)</sup>، قاله الضحاك. وحكى الزجاج أنهم نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجال الذين هم آله؛ قال: واللغة تدل على أنها للنساء والرجال جميعاً، لقوله: «عنكم» بالميم، ولو كانت للنساء، لم يجر إلا «عنكن» ويظهركن.

- كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تمتنعوا إمام الله مساجد الله، ولنخرجن قبلاته» (تاركات للطيب والأدهان) وفي رواية: «ويبرهنن خير لهن». اهـ. ومن الحوائج الشرعية: الخروج للمح والمعة، وزيارة الوالدين، وعبادة المرضى، وغير ذلك.
- (١) رواء الطبري ٤/٢٢ عن عكرمة عن ابن عباس، وذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٣٩٩/٨ من رواية ابن أبي حاتم وقال: إسناده قوي. وأروده السيوطي في «الدر» ١٨٧/٥ وزاد نسبه لابن المنذر، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».
- (٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى نساء النبي أن يبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى، فيكون معنى ذلك: ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى التي قبل الإسلام. فإن قال قائل: أو في الإسلام جاهلية حتى يقال: عن بقوله (الجاهلية الأولى) التي قبل الإسلام؟ قيل: في أخلاق من أخلاق الجاهلية، ثم قال: وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم ونوح، وجائز أن يكون ما بين إدريس ونوح، فتكون الجاهلية الأخيرة ما بين عيسى ومحمد، قال: وإذا كان ذلك مما يحتمله ظاهر التنزيل، فالصواب أن يقال في ذلك كما قال الله، إنه نهى عن تبرج الجاهلية الأولى. اهـ.
- (٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ نص في دخول أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في أهل البيت هاهنا، لأنهن سب نزول هذه الآية، قال: وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً، إما وحده على قول، أو مع غيره على الصحيح، ثم قال: وقال عكرمة: من شاء ماعله أنها نزلت في شأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن كثير: فإن كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن؛ فصحيح، وإن أريد أنهن للمراد فقط دون غيرهن، ففي هذا نظر، فإنه قد روت أحاديث تدل على أن المراد أمم من ذلك. وسرد بعض تلك الأحاديث ثم قال: الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: «وَأَنْتُمْ كَرِهْتُمُوهُنَّ» ثم قال: ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته، فحقاً بهن، فقوايتهن أحق بهذه التسمية. اهـ. وفي «صحيح مسلم» ١٨٧٣/٤ من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لما بعده إلا أهلها الناس، فلما قلنا بشر يوشك أن يأتيهم رسول ربهم فاجيب، وأنت تارك لكرمك أن تأتيهم الهدى والنور، فغلبوا بكتاب الله واستمسكوا به» فبحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» فقال له حسين: ومن أهل بيتي يا زيد؟ أليس نساء من أهل بيتي؟ قال: نساء من أهل بيتي، ولكن أهل بيتي من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم.



والجمهور<sup>(١)</sup>. وذكر بعض المفسرين أن عبد الله بن جحش أخا زينب كره ذلك كما كرهته زينب، فلما نزلت الآية رضيها وسلمًا<sup>(٢)</sup>. قال مقاتل: والمراد بالمؤمن: عبد الله بن جحش، والمؤمنة: زينب بنت جحش. والثاني: أنها نزلت في أم كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعيط، وكانت أول امرأة هاجرت، فوهبت نفسها لرسول الله ﷺ، فقال: «قد قبلتك»، وزوجها زيد بن حارثة، فسخطت هي وأخوها، وقالوا: إنما أردنا رسول الله، فزوجها عبده! فنزلت هذه الآية، قاله ابن زيد<sup>(٣)</sup>. والأول عند المفسرين أصح.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَضَّلْنَا اللَّهَ رَسُولَهُ أُمَّرًا﴾ أي: حَكَمًا بذلك «أَنْ تَكُونَ» وقرأ أهل الكوفة: «أَنْ يَكُونَ» بالياء «لَكُمْ لِمَنْزِلَةٍ» وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء: «الْخَيْرَةَ» بإسكان الياء، فجمع في الكناية في قوله: «لهم»، لأن المراد جميع المؤمنين والمؤمنات، والخيرة: الاختيار، فأعلم الله ﷻ أنه لا اختيار على ما قضاه الله ورسوله. فلما زوجها رسول الله ﷺ زيداً مكثت عنده حيناً، ثم إن رسول الله ﷺ أتى منزل زيد فنظر إليها وكانت بيضاء جميلة من أتم نساء قريش، فوقع في قلبه، فقال: «سبحان مقلب القلوب»، وفطن زيد، فقال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها<sup>(٤)</sup>. وقال بعضهم: أتى رسول الله ﷺ منزل زيد، فرأى زينب، فقال: «سبحان مقلب القلوب»، فسمعت ذلك زينب، فلما جاء زيد ذكرت له ذلك، فعلم أنها قد وقعت في نفسه، فاتاه فقال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها<sup>(٥)</sup>. وقال ابن زيد: جاء رسول الله ﷺ إلى باب زيد - وعلى الباب ستر من شعر - فرفعت الريح الست، فرأى زينب، فلما وقعت في قلبه كرهت إلى الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله أريد فراقها، فقال له: «اتق الله»<sup>(٦)</sup>. وقال مقاتل: لما فطن زيد لتسبيح رسول الله ﷺ، قال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها، فإن فيها كبراً، فهي تعظم عليّ وتؤذي بلسانها، فقال له النبي ﷺ: «أمسك عليك زوجك واتق الله». ثم إن زيداً طلقها بعد ذلك، فانزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ لِلَّذِي أَوْفَّقَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ<sup>(٧)</sup> بِالْإِسْلَامِ وَأَنْصَحَتَ عَلَيْهِ بِالْعِثْرِ

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّى لِلَّهِ﴾ أي: في أمرها فلا تطلقها «وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ» أي: تُسرُّ وتُضمِر في قلبك «مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ» أي: مُظْهِرُهُ وفي أربعة أقوال: أحدها: حُبُّها، قاله ابن عباس. والثاني: عهد عهده الله إليه أنَّ زينب ستكون له زوجة، فلما أتى زيد يشكوها، قال له: «أمسك عليك زوجك واتق الله»، وأخفى في نفسه ما الله مبدية، قاله علي بن الحسين<sup>(٨)</sup>. والثالث: إشارته لطلاقها، قاله قتادة، وابن جريج، ومقاتل. والرابع: أن الذي أخفاه: إن طلقها زيد تزوجتها، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَتَخْفَى النَّاسَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه خشي اليهود أن يقولوا: تزوج محمد امرأة ابنه، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: أنه خشي لوم الناس أن يقولوا: أمر رجلاً بطلاق امرأته، ثم نكحها.

- (١) رواء الطبري ١١/٢٢ من رواية العوفي عن ابن عباس، وابن لهيعة عن ابن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه عن مجاهد وقتادة، وذكره السيوطي في «الدر» عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة.
- (٢) ذكره البغوي والخازن وغيرهما بدون سند.
- (٣) رواء الطبري ١٢/٢٢ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٠١/٥ من رواية ابن أبي حاتم عن ابن زيد. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣٤: رواء الثعلبي بهذا بغير سند.
- (٤) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: ذكره الثعلبي بدون سند. اهـ. وكذلك ذكر مثل هذا المعنى الخازن والبغوي وغيرهما بدون سند.
- (٥) وهذا أيضاً من المرسلات والمنقطعات التي ليس لها سند صحيح، وقد أورد مثلها السيوطي في «الدر» من طريق عبد بن حميد، وابن المنذر، عن عكرمة، ومن طريق ابن سعد والحاكم عن محمد بن يحيى بن حبان.
- (٦) رواء الطبري عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف.
- (٧) ذكره بنحو الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» عن الثعلبي بدون سند.
- (٨) رواء الطبري ١٣/٢٢ وفي سنده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. ورواه ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين، وفي سنده أيضاً علي بن زيد بن جدعان، ورواه ابن أبي حاتم أيضاً من طريق السدي، قال الحافظ ابن حجر عنه في «الفتح»: وهو أوضح سياقاً وأصح إسناداً إليه. اهـ. وقال الألويسي في «تفسيره» عن هذا المعنى: وإلى هذا ذهب أهل التحقيق من المفسرين، كالزهري، ويكر بن العلاء، والقشيري، والقاضي أبي بكر بن العربي، وغيرهم. اهـ. وقد رأيت كلام الحافظ ابن حجر قبل قليل، وهو قوله: والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته. اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَىٰ﴾ أي: أولى أن تخشى في كل الأحوال. وليس المراد أنه لم يخش الله في هذه الحال، ولكن لما كان لخشيته بالخلق نوع تعلق، قيل له: الله أحق أن تخشى منهم. قالت عائشة: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية، ولو كنتم شيئاً من الوحي لكنتم<sup>(١)</sup>.

### فصل

وقد ذهب بعض العلماء إلى تنزيه رسول الله ﷺ من حُبها وإيثاره طلاقها. وإن كان ذلك شائعاً في التفسير<sup>(٢)</sup>. قالوا: وإنما عوتب في هذه القصة على شيئين: أحدهما: أنه أخبر بأنها ستكون زوجة له، فقال لزيد: «أمسك عليك زوجك» فكنتم ما أخبره الله به من أمرها حياة من زيد أن يقول له: إن زوجتك ستكون امرأتي؛ وهذا يخرج على ما ذكرنا عن علي بن الحسين، وقد نصره الثعلبي، والواحدي. والثاني: أنه لما رأى اتصال الخصومة بين زيد وزينب، ظن أنهما لا يتفقان وأنه سيفارقها، وأضمر أنه إن طلقها تزوجها صيلةً لرحمها، وإشفاقاً عليها، لأنها كانت بنت عمته أيممة بنت عبد المطلب، فعاتبه الله على إضمار ذلك وإخفائه حين قال لزيد: «أمسك عليك زوجك»، وأراد منه أن يكون ظاهره وباطنه عند الناس سواء كما قيل له في قصة رجل أراد قتله: هلاً أومات إلينا بقتله؟ فقال: «ما ينبغي لنبئ أن تكون له خاتنة الأعين»<sup>(٣)</sup>، ذكر هذا القول القاضي أبو يعلى رحمه الله عليه.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَّ زَيْدٌ يَتَهَا وَطَرًا﴾ قال الزجاج: الوطر: كل حاجة لك فيها همّة، فإذا بلغها البالغ قيل: قد قضى وطره، وقال غيره: قضاء الوطر في اللغة: بلوغ متهته ما في النفس من الشيء، ثم صار عبارة عن الطلاق، لأن الرجل إنما يطلق امرأته إذا لم يبق له فيها حاجة. والمعنى: لما قضى زيد حاجته من نكاحها ﴿زَوَّجْتَهَا﴾، وإنما ذكر

(١) رواه الطبري بهذا اللفظ: ١٣/٢٢ من قول الحسن، ورواه أيضاً عن عائشة بلفظ: لو كنتم رسول الله ﷺ شيئاً مما أوحى إليه من كتاب الله لكنتم ﴿يَتَقَنَّى﴾ في تفصيلك ما الله بغيره ويخفى الناس والله أحق أن تَخْشَى. ورواه الترمذي: ١٥٣/٢ بنحوه وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأورده السيوطي في «الدرر» ٢٠٢/٥، وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عن عائشة. وروى مسلم في «صحيحه» ١٦٠/١ عن عائشة رضي الله عنها قالت: ولو كان محمد ﷺ كاتباً شيئاً مما أنزل عليه لكنتم هذه الآية: ﴿لَوْ تَقَوَّلَ لَدُنِّي أَقْسَمُ مَا عَلَيْكُمْ عَلَيْهِ﴾. قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية ﴿يَتَقَنَّى﴾ في تفصيلك ما الله بغيره ويخفى الناس والله أحق أن تَخْشَى. اهـ.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية ﴿يَتَقَنَّى﴾ في تفصيلك ما الله بغيره ويخفى الناس والله أحق أن تَخْشَى. ذكر ابن أبي حاتم والطبري هاهنا آثاراً عن بعض السلف رضي الله عنهم أجمعين أن تغرب عنها فصحاء لعدم صحتها فلا نوردها. اهـ. يريد بذلك أمثال «فوقعت في قلبه» و«سبحان مقلب القلوب».

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني ٤٠٣/٨ بعدما ذكر أن الآية نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة مختصراً كما في حديث البخاري، ثم ذكر حديثاً للبخاري في كتاب التوحيد أطول منه، وليس فيها ما تقدم من أنها وقعت في قلبه، وغير ذلك، قال: وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي فساقها ساقاً واضحاً حسناً، ولفظه: بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها أيممة بنت عبد المطلب حمة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجه زيد بن حارثة مولاه، فكرهت ذلك، ثم إنها رضى بما صنع رسول الله ﷺ، فزوجها إياه، ثم أعلم الله ﷻ نبيه ﷺ بعد أنهما من أزواجه، فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك زوجته وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا: تزوج امرأة ابنه وكان قد تبى زيدا. ثم قال ابن حجر: ووردت آثار أخرى أعرجها ابن أبي حاتم، والطبري، ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها، قال: والذي أورده هو المعتمد، ثم قال: والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها تستصير زوجته، قال: والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس: تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبتى بأمر لا يبلغ في الإبطال منه، وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابناً، قال: ووقع ذلك من إمام المسلمين، ليكون أدعى لقبولهم، قال: وإنما وقع الخط في تأويل متعلق الخشية، والله أعلم. وقال الآلوسي في «تفسيره»: وللقصص في هذه القصة كلام لا ينبغي أن يجعل في حيز القبول، منه ما أخرجه ابن سعد والحاكم من محمد بن يحيى بن حبان، ثم قال: وفي «شرح المواقف»: أن هذه القصة مما يجب صيانة النبي ﷺ عن مثله. اهـ. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وروى أحمد، ومسلم، والنسائي، من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب، قال رسول الله ﷺ لزيد: «اذكروا علي» قال: فانطلقت، قلت: يا زينب أبشري أرسل رسول الله ﷺ يذكرك، فقالت: ما أنا بصانعة - حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدنا، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ حتى دخل عليها بغير إذن. قال ابن حجر: وهذا أيضاً من أبلغ ما وقع في ذلك، وهو أن يكون الذي كان زوجها هو المخطب، لتلا يظن أحد أن ذلك وقع قهراً بغير رضا، قال: وفيه أيضاً اختيار ما كان عنده منها، هل بقي منه شيء، أم لا؟ وفيه استحباب فعل المرأة الاستخارة، ودعائها عند الخطبة قبل الإجابة، وأن من وكل أمره إلى الله ﷻ يسر الله له ما هو الأفضل له والأشجع دنياً وأخراً. اهـ.

(٣) رواه أبو داود في «سننه» رقم (٢٦٨٣) (٤٣٥٩) من حديث أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط بن نصر، قال: زعم السدي عن مصعب بن سعد عن سعد... فذكره، وذكره ابن كثير في «اللبابة والنهاية» ٢٩٨/٤ من رواية البيهقي من حديث أحمد بن المفضل به نحوه، ورواه النسائي في «المحاربة».

قضاء الزَّطَر هاهنا لِيُبَيِّنَ أن امرأة المتبني تجلُّ وإن وطئها، وهو قوله: ﴿لَكِنَّ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُتَّبِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَدْعِيَاهُمْ إِنْ أَقْتَضَا بِهِنَّ وَطْأً﴾؛ والمعنى: زوجناك زينب - وهي امرأة زيد الذي تبنيته - لكيلا يُظَنَّ أن امرأة المتبني لا يحل نكاحها. وروى مسلم في أفرادهِ من حديث أنس بن مالك قال: لَمَّا انقضت عدَّة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: «اذهب فادَّكُرْها علي»، قال زيد: فانطلقت، فلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمْتُ في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها، لأن رسول الله ﷺ ذكَّرها، فولَّيْتُهَا ظهري، ونَكَصْتُ على عَقبِي، وقلْتُ: يا زينب، أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربِّي، فقامت إلى مسجدِها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن<sup>(١)</sup>. وذكر أهل العلم أن من خصائص رسول الله ﷺ أنه أجيز له التزويج بغير مهرٍ لِيُخْلَصَ قُصْدُ زَوْجَاتِهِ لله دون العِوَض، وليُخَفَّفَ عنه، وأجيز له التزويج بغير وليٍّ، لأنه مقطوع بكفاهته، وكذلك هو مستغن في نكاحه عن الشهود. وكانت زينب تفاخر نساء النبي ﷺ وتقول: زَوَّجَكُنْ أَهْلُكُنْ، وزَوَّجَنِي اللهُ ﷻ<sup>(٢)</sup>.

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي ظَهَرَ مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ فَكْرًا مُقَدَّرًا ۚ وَمَا يَكُونُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ بِشَيْءٍ وَلَا خِصْمٌ لَهُ إِلَّا أَمْرٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ (١٨) ﴿لَا يَكُونُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ بِشَيْءٌ وَلَا خِصْمٌ لَهُ إِلَّا أَمْرٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ (١٩) ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَحَافِظَهُ﴾ (٢٠)

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ قال قتادة: فيما أحلَّ الله له من النساء.

قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ هي منصوبة على المصدر، لأن معنى «ما كان على النبي من حرج»: سنَّ الله سُنَّةً واسعة لا حَرَجَ فيها. والذين خَلَّوْا: هم النِّبِيُّونَ؛ فالمعنى: أن سُنَّةَ الله في التَّوَسُّعِ على محمد فيما فرض له، كسنته في الأنبياء الماضين. قال ابن السائب: هكذا سُنَّةُ الله في الأنبياء، كداود، فإنه كان له مائة امرأة، وسليمان كان له سبع مائة امرأة وثلاثمائة سُرِّيَّة<sup>(٣)</sup>، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ فَكْرًا مُقَدَّرًا﴾ أي: قضاءً مقضياً. وقال ابن قتيبة: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا﴾ معناه: لا حَرَجَ على أحد فيما لم يَحْرُمَ عليه. ثم أثنى الله على الأنبياء بقوله: ﴿الَّذِينَ يَكُونُونَ رِسَالَتَهُ اللَّهُ وَحُشُونَهُمْ وَلَا يَحْشُونَ لِمَا إِلَّا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا يخافون لائمة الناس وقولهم فيما أجلَّ لهم. وباقي الآية قد تقدم بيانه [النساء: ٦].

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ قال المفسرون: لَمَّا تزَوَّجَ رسول الله ﷺ زينب، قال الناس: إن محمداً قد تزَوَّجَ امرأة ابنه، فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>، والمعنى: ليس بآبٍ لزيد فتَحْرُمَ عليه زوجته ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ قال

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» ١٠٤٨/٢، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَالتَّسَانِي فِي «سُنَنِهِ»، وَأَوْرَدَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٢٠١/٥ وَزَادَ نَسْبَتَهُ لِابْنِ سَعْدٍ وَأَبِي يَمْلَى، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ، وَالتَّطَبَّاعِيُّ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ ٢٤٨/١٣ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: زَوَّجَكُنْ أَهْلِيكَ، وَزَوَّجَنِي اللهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ. وَذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٢٠١/٥ وَزَادَ نَسْبَتَهُ لِأَحْمَدَ، وَعَبْدَ بْنَ حَمِيدٍ، وَالتِّرْمِذِيَّ، وَابْنَ الْمُنْذِرِ، وَالحَاكِمَ، وَابْنَ مَرْدَوَيْهِ، وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ أَنَسٍ ﷺ.

(٣) كَلَّمَ الْأَصْلَ، وَالَّذِي فِي «مَجْمَعِ الْبَيَانِ لِلطَّبْرِيِّ»، وَالْخَازَنَ عَكْسَ مَا هَاهُنَا: وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ ثَلَاثُمِائَةِ امْرَأَةٍ، وَسَبْعُمِائَةِ سُرِّيَّةٍ. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» ٣٣١/٦: وَقَدْ حَكَى وَهْبُ بْنُ مَسْنَبٍ فِي «الْمَبْتَدَأِ» أَنَّهُ كَانَ لِسُلَيْمَانَ أَلْفُ امْرَأَةٍ، ثَلَاثُمِائَةِ مَبِيرَةٍ، وَسَبْعُمِائَةِ سُرِّيَّةٍ، قَالَ: وَنَحْنُ مِمَّا أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» مِنْ طَرِيقِ أَبِي مَعْشَرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّهُ كَانَ لِسُلَيْمَانَ أَلْفُ بَيْتٍ مِنْ قَوَارِيرَ عَلَى الْخَشَبِ، فِيهَا ثَلَاثُمِائَةُ صُرِيحَةٍ، وَسَبْعُمِائَةِ سُرِّيَّةٍ. اهـ.

(٤) وَالَّذِي فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» ٣٣٠/٦ فِي كِتَابِ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ هَارُودَ: لَا طَوْفَنَ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً تَحْمِلُ كُلُّ امْرَأَةٍ قَاوِسًا يَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنَّ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ، وَلَمْ تَحْمِلْ شَيْئًا إِلَّا وَاحِدَةً سَاقِطًا أَحَدَ شَقِيئَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: طَوَّافُ لَهَا لِحْدَاوُهَا فِي سَبِيلِ اللهِ. وَفِي بَعْضِ رَوَايَاتِ الْبُخَارِيِّ تَسْعِينَ، وَرَوَّجَهَا الْبُخَارِيُّ عَلَى سَبْعِينَ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: وَهَذَا مُسْلِمٌ سَبْعِينَ. وَأَخْرَجَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ وَالتَّسَانِيُّ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، قَالَ: مِائَةُ امْرَأَةٍ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو عَوَانَةَ مِنْ طَرِيقِ هِشَامٍ عَنْ ابْنِ سَبْرِينَ فَقَالَ: مِائَةُ امْرَأَةٍ، قَالَ: وَمِنْ طَرِيقِ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ عَنْ الْأَعْرَجِ: مِائَةُ امْرَأَةٍ أَوْ تِسْعَ وَتِسْعُونَ عَلَى الشُّكِّ. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: فَمَحْصُلُ الرِّوَايَاتِ سِتُونَ، وَسَبْعُونَ، وَتِسْعُونَ، وَمِائَةٌ، وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا أَنَّ السَّتِينَ كُنَّ حَرَارًا، وَمَا زَادَ عَلَيْهِنَ كُنَّ سُرَارِي، أَوْ بِالْعَكْسِ، وَأَمَّا السَّبْعُونَ، فَلِلْمِائَةِ، وَأَمَّا التَّسْعُونَ، فَكُنَّ دُونَ الْمِائَةِ وَفَوْقَ التَّسْعِينَ، فَمَنْ قَالَ: تِسْعُونَ أَلْفَى الْكُسْرَ، وَمَنْ قَالَ: مِائَةٌ، جَبَرَهُ، وَمَنْ ثَمَّ وَقَعَ التَّرَدُّدُ فِي رَوَايَةِ جَعْفَرٍ، قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُ بَعْضِ الشَّرَاحِ: لَيْسَ فِي ذِكْرِ الْقَلِيلِ نَفْيُ الْكَثِيرِ، وَهُوَ مِنْ مَفْهُومِ الْمَدَدِ، وَلَيْسَ بِحُجَّةٍ عِنْدَ الْجُمْهُورِ، فَلَيْسَ بِكَافٍ فِي هَذَا الْمَقَامِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَفْهُومَ الْمَدَدِ مَعْتَبَرٌ عِنْدَ كَثِيرِينَ، وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ.

(٤) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ١٥٢/٢ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

الزجاج: من نصبه، فالمعنى: ولكن كان رسول الله، وكان خاتم النبيين؛ ومن رفعه، فالمعنى: ولكن هو رسول الله؛ ومن قرأ: «خاتم» بكسر التاء، فمعناه: وختم النبيين؛ ومن فتحها، فالمعنى: آخر النبيين. قال ابن عباس: يريد: لو لم أختِم به النبيين، لجعلت له ولداً يكون بعده نبياً<sup>(١)</sup>.

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: «كَانَ كَأَنَّمَا أُخْبِرَ بِحَقِّكُمْ» نهي أن يقال بعد هذا: زيد ابن محمد، أي: لم يكن أباه وإن كان قد نبأه، فإنه ﷺ لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم، فإنه ﷺ ولد له: القاسم، والطيب، والطاهر، من خديجة ﷺ، فماتوا صغاراً، وولد له ﷺ إبراهيم من مارية القبطية، فمات أيضاً رضيعاً، وكان له ﷺ من خديجة أربع بنات: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وقاطمة، وهي الله تعالى عنهم أجمعين، فمات في حياته ﷺ ثلاث، وتأنثرت فاطمة ﷺ حتى أصيبت به ﷺ، ثم ماتت بعده لسة أشهر، قال: وقوله تعالى: «وَلَكِنْ رَّسُولَ اللَّهِ وَكَافَرَ الْكَيْفَ كَانَ اللَّهُ يَكْفِي قَوْمَهُ عَذَابًا» كقوله ﷺ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَيْثُ يَمُوتُ وَكَافَرَهُ» قال: فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده، فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأخرى، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كان رسول نبي، ولا يتمكس، قال: وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة ﷺ. اهـ. وذكر ابن كثير كثيراً من الأحاديث التي تدل على ختم النبوة والرسالة به ﷺ، منها ما أخرجه البخاري في «صحيحه» ٤/٤٠٨، ومسلم في «صحيحه» ٤/١٧٩١، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنْ مَثَلِي وَمِثْلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطْفِرُونَ بِهِ وَيَعْبُدُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّبَةَ؟ قَالَ: فَإِنَّا لِلَّيْنِ، وَفَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ» واللفظ للبخاري. ومنها ما رواه مسلم في «صحيحه» ١/٣٧١، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَمَاعَةَ الْكَلِمَةِ وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْفَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهْرًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلَتْ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخَتَمَ بِي لِلنَّبِيِّينَ»، ومنها ما رواه البخاري في «صحيحه» ٤/٤٠٤، ومسلم في «صحيحه» ٤/١٨٢٨، عن جبير بن مطعم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِن لِي أَسْمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْحَاشِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ» واللفظ لمسلم - والعاقب: الذي ليس بعده نبي - وغير ذلك من النصوص الكثيرة الدالة على ختم باب النبوة برسولنا ونبينا محمد ﷺ.

قال ابن كثير: والأحاديث في هذا كثيرة، فمن رحمة الله تعالى بالعباد: إرسال محمد ﷺ إليهم، ثم من تشریف لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له، قال: وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه، ورسوله ﷺ في السُّنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده، ليعلموا أن كل من ادَّعى هذا المقام بعده، فهو كذَّابٌ، أَفَّاكٌ، دَجَالٌ، ضَالٌّ، مُضِلٌّ، ولو تخرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والبيرنجيات، فكلها محال وضلال عند أولي الألباب، كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود الغنسي باليمن ومسيمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما علم كل ذي لب وفهم وحجج، أنها كاذبان ضالان، لعنهما الله، وكذلك كل مدَّعٍ لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال، فكل واحد من هؤلاء الكذَّابين يخلق الله تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها، هذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه، فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرون معروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق؛ أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره، ويكون في غاية الإنكاف والفجور في أقوالهم وأفعالهم، كما قال تعالى: «عَلَّ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَكُونُوا عَلَى نَذْرٍ الْفُتُونِ» تَنَزَّلَ عَلَى كُلِّ أَهْلٍ مُبِينٍ... الآية، قال: وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم في غاية البرِّ والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويفعلونه ويمأرون به وينهون عنه، مع ما يؤيدون به من الخوارق للمعادات، والأدلة الواضحات، والبراهين الباهرات، فصولات الله وسلامه عليهم دائماً مستمراً ما دامت الأرض والسموات. اهـ.

هذا وقد ظهر في هذا القرن (القرن الثالث عشر الهجري) دجال في «قاديان» إحدى بلاد باكستان يدَّعي النبوة، يسمى: ميرزا غلام أحمد (١٢٥٢ - ١٣٢٦ هـ) وأتباعه يسمون أنفسهم «الأحمدية» نسبة إلى دجال قاديان، وهم المعروفون عندنا بالقاديانيين، وهم يعتبرون ميرزا غلام أحمد القادياني إمام هذا الزمان، والمسيح الموعود، ويدَّعون أن النبوة لا تنقطع، وأن إمامهم من جملة الأنبياء، ويفسرون قوله تعالى: «وَكَاذِبُ الْكَيْفَ كَانَ اللَّهُ يَكْفِي قَوْمَهُ عَذَابًا» بأن طابعهم، وليس آخرهم، وأن كل نبي يظهر بعده ﷺ تكون نبؤته مطبوعاً عليها بخاتم تصديقه، مخالفين بذلك تفسير الصحابة والتابعين والمفسرين والمجتهدين والفقهاء والمحدثين وجمهور المسلمين من السلف والخلف، ويستشهدون بقول مسيحيهم المزعوم في كتاب «ملفوظات أحمدية» صفحة (٢٩٠): أن المزمز به أنه لا يمكن أن تصدق الآن نبوة أي نبي من الأنبياء إلا بخاتمته ﷺ ويقول مسيحيهم بناءً على ذلك مدَّعياً الرسالة في كتابه «التبليغ» صفحة (٤٣ - ٤٤): «أرسلني ربي لدعوة الخلق، وأتاني من آيات بيته لأدعو خلقه إلى دينه، فطوبى للذين يقبلونني ويذكرون الموت أو يطلبون الآيات وبعد رؤيتها يؤمنون» والحق أنه رسول من قبل دولة الانكليز، يدل على ذلك قوله في كتابه «ضرورة الإمام» صفحة (٣٨) في تفسير قوله تعالى: «لَيْسَ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ قَوْلِ الْإِنَّمِ وَتَكْبَرُ» المراد من أولي الأمر جسمانيات الملك (ملك بريطانيا) وروحانيات إمام الزمان (يعني نفسه) وإن الشخص الجسماني الذي لا يخالفنا في مقاصدنا، ويمكننا أن نحصلنا لنا منه الفائدة الدينية فهو يكون منا، ولذلك فصيحتي لجماعتي هي أن يعلِّموا ملك الانكليز من أولياء أمرهم ويطيعوهم بصلق القلب، لأن هؤلاء لا يخرجونا في مقاصدنا الدينية. اهـ. ويقول منير الحسني من أتباعه في دمشق في شرح كلامه هذا في كتابه «الجماعة الأحمدية والانكليز» صفحة (١٨): ومن هذا الكلام الواضح يفهم كل قارئ أن المسيح الموعود ﷺ (يريد دجال قاديان) بين حكماً من أحكام القرآن المجيد، وهو إطاعة غير المسلمين إذا منحوا الحرية الدينية سواء أكانوا انكليز أم غير انكليز، وبما أن الانكليز كانوا في وقته ﷺ هم الحاكمين، كانوا لا يتحرضون للدين، لذلك قال بوجوب طاعتهم. ويقول المسيح الكذاب مبيناً نعمة الانكليز عليه وعلى أتباعه في كتابه «بركات الخلافة» صفحة (٦٥): «إن إحسان للحكومة الانكليزية إلينا هو كبير ونحن نعيش براحة واطمئنان كبيرين، وتتم مقاصدنا، إن أعظم مقصد لنا هو إشاعة الدين (بين دجال قاديان) ولأجل تميم هذا المقصد نجد كل حرية، ويمكننا التبليغ في كل ركن من المملكة (الانكليزية) حيث نشاء، وإذا ذهبنا للتبليغ في الممالك الأخرى، فهناك أيضاً تساعدنا الحكومة البريطانية». اهـ كلام هذا الدجال، وهو واحد من الذين ظهروا، وسيظهر أمثاله، وذلك مصداق قول نبينا محمد ﷺ فيما رواه مسلم في «صحيحه» ٤/٢٢٤٠ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُوتَ دُجَالُونَ كَثِيرُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا ﴿١١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُسَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ يَنصُرُكُمْ وَنَافِلَتِ إِلَى الثَّوْرِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿١٣﴾ فَيَسْتَهْمُ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿١٤﴾﴾  
 قوله تعالى: ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا﴾ قال مجاهد: هو أن لا ينساه أبداً. وقال ابن السائب: يقال: «ذُكِّرَ كثيراً» بالصلوات الخمس. وقال مقاتل بن حيان: هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال. وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول ربكم: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ قال أبو عبيدة: الأصيل: ما بين العصر إلى الليل. وللمفسرين في هذا التسبيح قولان: أحدهما: أنه الصلاة، واتفق أرباب هذا القول على أن المراد بالتسبيح بكرة: صلاة الفجر. واختلفوا في صلاة الأصيل على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها صلاة العصر، قاله أبو العالية، وقتادة. والثاني: أنها الظهر والعصر والمغرب والعشاء. قاله ابن السائب. والثالث: أنها الظهر والعصر، قاله مقاتل. والقول الثاني: أنه التسبيح باللسان، وهو قول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله»، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ فِي صَلَاةِ اللَّهِ عَلَيْنَا خَمْسَةَ أَقْوَالٍ: أحدها: أنها رحمته، قاله الحسن. والثاني: مغفرته، قاله سعيد بن جبير. والثالث: ثناؤه، قاله أبو العالية. والرابع: كرامته، قاله سفيان. والخامس: بركته، قاله أبو عبيدة. وفي صلاة الملائكة قولان: أحدهما: أنها دعائهم، قاله أبو العالية. والثاني: استغفارهم، قاله مقاتل. وفي الظلمات والنور هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: الضلالة والهدى، قاله ابن زيد. والثاني: الإيمان والكفر، قاله مقاتل. والثالث: الجنة والنار، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَيَسْتَهْمُ﴾ الهاء والميم كناية عن المؤمنين. فأما الهاء في قوله: ﴿يَلْقَوْنَهُ﴾ ففيها قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله ﷻ. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: تحييتهم من الله يوم يلقونه سلام. وروى صهيب عن النبي ﷺ «أن الله يسلم على أهل الجنة». والثاني: تحييتهم من الملائكة يوم يلقون الله: سلام، قاله مقاتل. وقال أبو حمزة الثمالي: تسلم عليهم الملائكة يوم القيامة، وتبشرونهم حين يخرجون من قبورهم. والثالث: تحييتهم بينهم يوم يلقون ربهم: سلام، وهو أن يحيي بعضهم بعضاً بالسلام، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والقول الثاني: أن الهاء ترجع إلى ملك الموت، وقد سبق ذكركه في ذكر الملائكة. قال ابن مسعود: إذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال له: ربك يقرئك السلام<sup>(٢)</sup>. وقال البراء بن عازب: في قوله: ﴿فَيَسْتَهْمُ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ قال: ملك الموت، ليس مؤمناً

(١) رواه البخاري معلقاً ٤١٧/١٣، قال: وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ: قال الله تعالى: أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه. ورواه أحد في «المسند» عن أبي هريرة ﷺ، وابن ماجه في «سننه» رقم ٣٧٩٢ عن أبي هريرة ﷺ، ورواه ابن حبان في «صحيحه» وهو في «موارد الظن» للحافظ الهيثمي صفحة ٥٦٧، ورواه الحاكم في «المستدرک» ٤٩٦/١ عن أبي الدرداء ﷺ، وصححه، ووافقه الذهبي. والأحاديث في فضل الذكر كثيرة، منها ما رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم بسند صحيح عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أنبئكم بغير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «ذكر الله». ومنها ما رواه مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «سبق المفردون» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات». ومنها ما رواه البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت». وعن عبد الله بن بسر أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أنشئت به، قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله تعالى»، رواه الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي. وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «من قدم مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه، كانت عليه من الله تعالى بزة، ومن اضطلع مضطجماً لا يذكر الله تعالى فيه، كانت عليه من الله بزة» - أي: نفس وتبعة وحسرة - رواه أبو داود، وهو حديث صحيح. والآيات والأحاديث والآثار في البحث على ذكر الله تعالى كثيرة جداً، وفي هذه الآية الكريمة حث على الإكثار من ذلك، وقد صنف العلماء في الأذكار المتعلقة بآثار الليل والنهار مصنفات كثيرة، ومن أحسنها في ذلك كتاب «الأذكار» للإمام النووي رحمه الله، وقد اختصره شيخ الإسلام ابن تيمية وسماه بـ «الكلم الطيب» وطبعه المكتب الإسلامي طباعة جيدة محققة، ليكون في متناول أيدي الناس - وخاصة الشباب منهم - وليجدوا بذلك عوناً لهم على ذكر الله ﷻ.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» ٢٠٦/٥ من رواية المروزي في «الجنائز» وابن أبي الدنيا وأبي الشيخ عن عبد الله بن مسعود ﷺ.



يقبض روحه إلا سلم عليه<sup>(١)</sup>. فأما الأجر الكريم، فهو الحسن في الجنة<sup>(٢)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُنِيرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝ وَنَذِيرَ الْمُتَّقِينَ ۝ وَلَا تُلَاحِظْ السَّادِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝﴾  
قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ أي: على أمتك بالبلاغ ﴿وَمُنِيرًا﴾ بالجنة لمن صدقك ﴿وَنَذِيرًا﴾ أي: منذرًا بالثأر لمن كذبك<sup>(٣)</sup>، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى توحيده وطاعته ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي: بأمره، لا أنك فعلته من تلقاء نفسك ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ أي: أنت لمن اتبعك «سراجًا»، أي: كالسراج المضيء في الظلمة يهتدى به.

قوله تعالى: ﴿وَنَذِيرَ الْمُتَّقِينَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ وهو الجنة. قال جابر بن عبد الله: لَمَّا أُنْزِلَ قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾... الآية [الفتح] قال الصحابة: هنيئًا لك يا رسول الله، فما لنا؟ فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>.  
قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلَاحِظْ السَّادِقِينَ﴾ قد سبق في أول السورة.

قوله تعالى: ﴿وَدَعِ أَذْنَهُمْ﴾ قال العلماء: معناه: لا تجازهم عليه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في كفاية شرهم<sup>(٥)</sup>؛ وهذا منسوخ بآية السيف.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا نَكْخِشُ الْمُؤْمِنِينَ تَرُ طَلَقْتُمُوهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُمْ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ عَذْرٍ تَلْدُونَهَا فَيَقُولُونَ وَسَوَافُوهُمْ سِرَاجًا مُنِيرًا ۝﴾  
قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَكْخِشُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٦)</sup> قال الزجاج: معنى «نَكْخِشُ» تزوجتم. ومعنى «تَمْسُوهُمْ» تقربوهم. وقرأ حمزة، والكسائي: «تَمْسَاوَهُمْ» بالف.

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ٢٠٦/٥ من رواية ابن أبي شيبة في «المصنف»، وابن أبي الدنيا في «ذكر الموت»، وعبد بن حميد، وأبي يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿يَجِئُهُمْ يَوْمَ تُلْقَوْنَ سَكَنًا﴾ الظاهر أن المراد - والله أعلم - تحيتهم، أي من الله تعالى يوم يلقونه: سلام، أي: يسلم عليهم، كما قال عليه السلام: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّي رَسُولِي﴾، قال: وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَمَرَ كِبْرًا﴾ يعني الجنة وما فيه من المأكول والمشرب والملابس والمسكن والمناجى والملاذ والمناظر مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. اهـ.

(٣) روى أحمد في «المسند» والبخاري في «صحيحه» عن عطاء بن يسار رضي الله عنه، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف ببعض صفته في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُنِيرًا وَنَذِيرًا ۝﴾ وجزراً للأمين، أنت عبيدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سحاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعيناً عمياً، وأذاناً صماً، وقلوباً غفلتاً.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري عن عكرمة والحسن البصري قالا: لما نزلت ﴿يَقْتَرِ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَكْفَرُونَ بِذُنُوبِكُمْ وَأَنْ تَقْرَ﴾ قال رجال من المؤمنين: هنيئًا لك يا رسول الله قد حللنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل: ﴿يَقْتَرِ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ حَسَنًا...﴾ الآية، وأنزل في سورة (الأحزاب): ﴿وَنَذِيرَ الْمُتَّقِينَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا ۝﴾.

(٥) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يقول: وفوض إلى الله أمورك، وثق به، فإنه كافيك جميع من دونه حتى يأتك أمره وقضاؤه، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ يقول: وحسبك بالله تيمماً بأمورك، وحافظاً لك وكائناً. اهـ.

(٦) قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة، منها إطلاق النكاح على العقد وحده، وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها، وقد اختلفوا في النكاح، هل هو حقيقة في العقد وحده، أو في الوطء، أو فيهما؟ على ثلاثة أقوال، واستعمال القرآن إنما هو في العقد والوطء بعده، إلا في هذه الآية، فإنه استعمل في العقد وحده، لقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا نَكْخِشُ الْمُؤْمِنِينَ تَرُ طَلَقْتُمُوهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُمْ﴾ وفيها دلالة لإباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها، وقوله تعالى: ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ خرج مخرج الغالب، إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتابية في ذلك بالاتفاق. وقد استدل ابن عباس رضي الله عنه، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري، وعلي بن الحسين زين العابدين، وجماعة من السلف بهذه الآية على أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدمه نكاح، لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا نَكْخِشُ الْمُؤْمِنِينَ تَرُ طَلَقْتُمُوهُمْ﴾ فعقب النكاح بالطلاق، فدل على أنه لا يصح ولا يقع قبله، وهذا مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من السلف والخلف رحمهم الله تعالى، قال: وزهد مالك وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى إلى صحة الطلاق قبل النكاح فيما إذا قال: إن تزوجت فلانة فهي طالق، فعندهما متى تزوجها طلقته منه، واختلفا فيما إذا قال: كل امرأة أتزوجها فهي طالق، فقال مالك: لا تطلق حتى يمين المرأة، وقال أبو حنيفة رحمه الله: كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه. قال: فأما الجمهور، فاحتجوا على عدم وقوع الطلاق بهذه الآية، قال: وقد ورد الحديث بذلك عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك»، رواه أحمد وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب، قال: وهكذا روى ابن ماجه عن علي والمصور بن مغرمة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا طلاق قبل النكاح». اهـ.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدُوٍّ تَمْتَدُّنَهَا أَجْمَعُ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ الطَّلَاقُ قَبْلَ الْمَسِيَسِ وَالْخُلُوةُ فَلَا عِدَّةَ<sup>(١)</sup>؛ وَعِنْدَنَا<sup>(٢)</sup> أَنَّ الْخُلُوةَ تَوْجِبُ الْعِدَّةَ وَتَقَرَّرُ الصَّدَاقُ، خِلَافًا لِلشَّافِعِيِّ.

قوله تعالى: ﴿فَمَتَّوْنَهُنَّ﴾ المراد به من لم يُسَمَّ لها مهرًا، لقوله في [البقرة: ٢٣٦]: ﴿أَوْ تَقْرِضُوا لَهُنَّ قَرِيضَةً﴾ وقد بينَّا المتعة هنالك، وكان سعيد بن المسيَّب وقادة يقولان: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿قُضِيَ مَا قُضِيَ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

قوله تعالى: ﴿وَسَيَحْمِلُنَّ سَرَكَمَا جِيلًا﴾ أي: من غير إضرار. وقال قتادة: هو طلاقها طاهرًا من غير جماع. وقال القاضي أبو يعلى: الأظهر أن هذا التفسير ليس بطلاق، لأنه قد ذكر الطلاق، وإنما هو بيان أنه لا سبيل له عليها، وأن عليه تخليتها من يده وجبالة.

### فصل

واختلف العلماء فيمن قال: إن تزوجت فلانة فهي طالق، ثم تزوجها؛ فعندنا أنها لا تطلق، وهو قول ابن عباس، وعائشة، والشافعي، واستدل أصحابنا بهذه الآية، وأنه جعل الطلاق بعد النكاح. وقال سماك بن الفضل: النكاح عقد، والطلاق يخلُّها، فكيف يحلُّ عقدة لم تُعقد؟! فجعل بهذه الكلمة قاضيًا على «صنعاء». وقال أبو حنيفة: ينعقد الطلاق، فإذا وُجد النكاح وقع. وقال مالك: ينعقد ذلك في خصوص النساء، وهو إذا كان في امرأة بعينها، ولا ينعقد في عمومهن. فاما إذا قال: إن ملكك فلانة فهو حُرٌّ، ففيه عن أحمد روايتان.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ وَأَمَّا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَمِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَنَكَاتِ عَيْتِكَ وَنَكَاتِ خَلِكِكَ وَنَكَاتِ خَلِكِكَ النَّبِيِّ هَاجَرَنَ مَمْلُوكًا وَكَأَنَّهُ مُؤَمَّنَةٌ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥٠ تَرَى مِنْ نِسَاءِ يَتَنَ وَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ مَنْ نِسَاءٍ وَمَنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَذَقَ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَرَضِينَ بِمَا أَلَيْهِنَّ كُتِبَ اللَّهُ يَهْدِي مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ٥١ لَا يَحِلُّ لَكَ الْفَيْسَةُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بَيْنَ مَنْ أَزْوَاجَ وَلَوْ أَصْبَحْتَ حُسْبَنًا إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ﴾ ذكر الله تعالى أنواع الأنكحة التي أحلها له، فقال: ﴿أَزْوَاجَ النَّبِيِّ هَاجَرَنَ مَمْلُوكًا﴾ أي: مهورم، وهنَّ اللواتي تزوجتهنَّ بصدَّق. ﴿وَمِمَّا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ يعني الجواري ﴿وَمِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ أي: ردَّ عليك من الكفار، كصفية وجويرية، فإنه اعتقهما وتزوجهما ﴿وَنَكَاتِ عَيْتِكَ وَنَكَاتِ خَلِكِكَ﴾ يعني نساء قريش ﴿وَنَكَاتِ خَلِكِكَ وَنَكَاتِ خَلِكِكَ﴾ يعني نساء بني زُهرة<sup>(٣)</sup> ﴿النَّبِيِّ هَاجَرَنَ مَمْلُوكًا﴾ إلى المدينة. قال القاضي أبو يعلى: و[أظهار] هذا يدلُّ على أن من لم تهجر معه من النساء لم يحلَّ له نكاحها. وقالت أم هانئ: خطبني رسول الله ﷺ فاعتلثت إليه بعلد، ثم أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا أَلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ﴾ إلى قوله: ﴿النَّبِيِّ هَاجَرَنَ مَمْلُوكًا﴾، قالت: فلم أكن لأجلِّ له، لأنِّي لم أهاجر معه، كنتُ من الطَّلَاق<sup>(٤)</sup>؛ وهذا يدلُّ من مذهبي أنَّ تخصيصه بالمهاجرات قد أوجب حظر من لم تهجر. وذكر

(١) قال ابن كثير: هذا أمر مجمع عليه بين العلماء أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها، لا عدة عليها، فتتزوج في فورها من شاءت، ولا يستثنى من هذا إلا المتوفى عنها زوجها، فإنها تعدت منه أربعة أشهر وعشرًا وإن لم يكن دخل بها بالإجماع أيضًا. اهـ.

(٢) أي: معاشر الحائطة.

(٣) قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَنَكَاتِ عَيْتِكَ وَنَكَاتِ خَلِكِكَ وَنَكَاتِ خَلِكِكَ النَّبِيِّ هَاجَرَنَ مَمْلُوكًا﴾... الآية: هذا عدل وسط بين الإفراط والتفريط فإن النصارى لا يتزوجون المرأة إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد قضاة، واليهود يتزوج أحدحم بنت أخيه وبنت أخته، فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهم إفراط النصارى - فأباح بنت العم والعمة، وبنت الخال والخالة - وتحريم ما فرطت فيه اليهود من إباحة بنت الأخ والأخت، وهذا شنيع قطع. اهـ.

(٤) روى ابن جرير الطبري: ٢٠/٢٢ من طريق السدي عن أبي صالح عن أم هانئ رضي الله عنها، والسيدي وأبو صالح ضعيفان. ورواه الترمذي في «جامعه» ٢/ ١٥٣ به وقال: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث السدي، ورواه الحاكم في «المستدرک» ٢/ ٤٢٠، به، وصححه، ووافقه اللبني، والحديث أخرجه الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣٥ وقال: روى الترمذي، والحاكم، وابن أبي شيبه، وإسحاق، والطبري، والطبراني، وابن أبي حاتم، كلهم من رواية السدي عن أبي صالح عن أم هانئ، وأورده السيوطي في «الدرر» ٢٠٨/٥، وزاد نسبه لابن سعد، وعبد بن حميد، وابن مردويه، والبيهقي. قال ابن كثير: وقد روى ابن أبي حاتم من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح عن أم هانئ بنحوه.

يعض المفسرين: أن شرط الهجرة في التحليل منسوخ، ولم يذكر ناسخه، وحكى الماوردي في ذلك قولين: أحدهما: أن الهجرة شرط في إحلال النساء له على الإطلاق. والثاني: أنه شرط في إحلال قراباته المذكورات في الآية دون الأجنبيات.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَوَّجُوا بَنَاتَكُم بِأَرْوَاحِكُمْ﴾ أي: وأحللنا لك امرأة مؤمنة ﴿إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لَكَ﴾، ﴿إِنْ أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُسَوِّدَ﴾ أي: إن أثر نكاحها ﴿خَالَصَ لَكَ﴾ أي: خاصة. قال الزجاج: وإنما قال: ﴿إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾، ولم يقل: ﴿لَكَ﴾، لأنه لو قال: ﴿لَكَ﴾، جاز أن يُتَوَهَّم أن ذلك يجوز لغير رسول الله ﷺ كما جاز في بنات العمِّ وبنات العمَّات. و﴿خَالَصَ﴾ منصوب على الحال. وللمفسرين في معنى «خالصة» ثلاثة أقوال: أحدها: أن المرأة إذا وهبت له نفسها، لم يلزمه صداقها دون غيره من المؤمنين، قاله أنس بن مالك، وشعيب بن المسيب. والثاني: أن له أن ينكحها بلا ولي ولا مهر دون غيره، قاله قتادة. والثالث: خالصة لك أن تملك عقد نكاحها بلفظ الهبة دون المؤمنين، وهذا قول الشافعي وأحمد<sup>(١)</sup>. وفي المروءة التي وهبت له نفسها أقوال: أحدها: أم شريك. والثاني: خولة بنت حكيم. ولم يدخل بواحدة منهما. وذكروا أن ليلى بنت الخطوم وهبت نفسها له فلم يقبلها. قال ابن عباس: لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له<sup>(٢)</sup>. وقد حكى عن ابن عباس أن التي وهبت نفسها له ميمونة بنت الحارث، وعن الشعبي: أنها زينب بنت خزيمة. والاول: أصح<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: على المؤمنين غيرك ﴿فِي أَنْزِلِهِمْ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أن لا يجاوز الرجل أربع نسوة، قاله مجاهد. والثاني: أن لا يتزوج الرجل المرأة إلا بولي وشاهدين وصدائق، قاله قتادة. وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أي: وما أيحنا لهم من ملك اليمين مع الأربع الحرائر من غير عدد مجذور<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ هذا فيه تقديم، المعنى: أحللنا لك أزواجك، إلى قوله: ﴿خَالَصَ لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ «لكيلا يكون عليك حرج».

قوله تعالى: ﴿تَرَى مِنْ نِكَاحٍ مَبْهُوتٍ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: ﴿تَرْجِيْ﴾ مهموزاً، وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بغير همز. وسبب نزولها أنه لما نزلت آية التخيير المتقدمة، أشفق أن يُطْلَقْنَ، فقلن: يا نبي الله، اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت، ودعنا على حالنا، فنزلت هذه الآية، قاله

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿خَالَصَ لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال عكرمة: أي: لا تحل الموهوبة لغيرك، ولو أن امرأة وهبت نفسها لرجل، لم تحل له حتى يعطيها شيئاً، وكذا قال مجاهد والشعبي وغيرهما، أي: أنها إذا فوضت المرأة نفسها إلى رجل، فإنه متى دخل بها وجب عليه لها مهر مثلها، كما حكم به رسول الله ﷺ في تزويج بنت واشق لما فوضت، فحكم لها رسول الله ﷺ بصدق مثلها لما توفي عنها زوجها، قال: والموت والدخول سواء في تقرير المهر، وثبت مهر المثل في المفوضة لغير النبي ﷺ، فأما هو عليه الصلاة والسلام، فإنه لا يجب عليه للمفوضة شيء. ولو دخل بها، لأن له أن يتزوج بغير صداق ولا ولي ولا شهود، كما في قصة زينب بنت جحش، ولهذا قال قتادة في قوله: ﴿خَالَصَ لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: ليس لامرأة نهب نفسها لرجل بغير ولي ولا مهر، إلا للنبي ﷺ. اهـ.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/٢٢ من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٤٠٤/٨: وإسناده حسن، والمراد: أنه لم يدخل بواحدة ممن وهبت نفسها له، وإن كان مباحاً له، لأنه راجع إلى إرادته، لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُسَوِّدَ﴾.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٤٠٤/٨: ومنه (يعني الموهوبات) زينب بنت خزيمة، جاء عن الشعبي، وليس ثابت، وقال: وعند ابن أبي حاتم من طريق قتادة عن ابن عباس قال: التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، هي ميمونة بنت الحارث، قال: وهذا مقطوع، وقال: وأورده من وجه آخر مرسل، وإسناده ضعيف. اهـ. وقد ثبت أن بعض النساء وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ. وقد قال ابن كثير: اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ كثير، كما قال البخاري عن عائشة: قالت: كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ وأقول: أتعب المرأة نفسها؟! فلما أنزل الله تعالى: ﴿تَرَى مِنْ نِكَاحٍ مَبْهُوتٍ﴾ وثبت أن الله ﷻ لا يسارع في موافقة.

(٤) قال ابن كثير: وقوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: من حصوم في أربع نسوة حرائر وما شاوروا من الإمام، واشترط الولي والمهر والشهود عليهم، وهم الأمة، وقد رخصنا لك في ذلك فلم نوجب عليك شيئاً منه ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ وكذا الله ﷻ هَفُورًا رَكِبًا. اهـ.

أبو رزين<sup>(١)</sup>. وفي معنى الآية أربعة أقوال: أحدها: تطلق من تشاء من نسائك، وتُنميك من تشاء من نساك، قاله ابن عباس. والثاني: تترك نكاح من تشاء، وتُنكح من نساء أمتك من تشاء، قاله الحسن. والثالث: تغزل من شئت من أزواجك فلا تأتيها بغير طلاق، وتأتي من تشاء فلا تغزليها. قاله مجاهد. والرابع: تقبل من تشاء من المؤمنات اللواتي يَهَيِّنُ أنفسهنَّ، وتترك من تشاء، قاله الشعبي، وعكرمة. وأكثر العلماء على أن هذه الآية نزلت مبيحة لرسول الله ﷺ مصاحبة نساؤه كيف شاء من غير إيجاب القسمة عليه والتسوية بينهما، غير أنه كان يسوي بينهما<sup>(٢)</sup>. وقال الزهري: ما عَلِمْنَا رسول الله ﷺ أرجأ منهنَّ أحداً، ولقد أراهنَّ كلهنَّ حتى مات. وقال أبو رزين: أوى عائشة، وأم سلمة، وحفصة، وزينب، وكان قسمة من نفسه وماله فيهنَّ سواء. وأرجأ سودة، وجويرية، وصفية، وأم حبيبة، وميمونة، وكان يقسم لهنَّ ما شاء. وكان أراد فراقهنَّ فقلن: اقسم لنا ما شئت، ودعنا على حالنا. وقال قوم: إنما أرجأ سودة وحدها لأنها وهبت يومها لعائشة، فتوفي وهو يقسم لثمان.

قوله تعالى: ﴿وَتَقَرَّبْ﴾ أي: تضم، ﴿وَمَنْ أَبْنَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ أي: إذا أردت أن تُزوي إليك امرأة ممن عزلت من القسمة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ أي: لا مَلْ عَلَيْك بَلْوَم ولا عَثَب ﴿ذَلِكَ أَذَى أَنْ تَقَرَّبَ أَعْيُنُهُنَّ﴾ أي: ذلك التخيير الذي خيّرناك في صحبتهنَّ أقرب إلى رضاهنَّ. والمعنى: إنهنَّ إذا عَلِمْنَ أنَّ هذا أمر من الله، كان أطيب لأنفسهنَّ. وقرأ ابن محيصن، وأبو عمران الجوني: «أن تُقَرَّبَ بضم التاء وكسر القاف «أَعْيُنُهُنَّ» بنصب النون. «وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ» أي: بما أعطيتهن من تقرب وتأخير<sup>(٣)</sup> ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ من الميل إلى بعضهنَّ<sup>(٤)</sup>. والمعنى: إنما خيّرناك سهيلاً عليك.

قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ﴾ كلهنَّ قرأ: «لا يَحِلُّ» بالياء، غير أبي عمرو، فإنه قرأ بالياء؛ والتأنيث ليس بحقيقي، إنما هو تأنيث الجمع، فالقراءتان حستانان. وفي قوله: ﴿وَمَنْ أَبْنَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: من بعد نساك اللواتي خيرتهنَّ فاخترن الله ورسوله، قاله ابن عباس، والحسن، وقادة في آخرين، وهُنَّ السَّع، فصار [مقصوراً] عليهنَّ ممنوعاً من غيرهنَّ. وذكر أهل العلم أن طلاقه لحفصة وعزمه على طلاق سودة كان قبل التخيير<sup>(٥)</sup>. والثاني: من بعد الذي أحللتنا لك، فكانت الإباحة بعد نساؤه مقصورة على المذكور في قوله: ﴿إِنَّا أَسْلَمْنَاكَ لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ إلى قوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾؛ قاله أبي بن كعب، والضحاك. والثالث: لا تحلُّ لك النساء غير المسلمات كاليهوديات والنصرانيات والمشركات، وتحلُّ لك المسلمات، قاله مجاهد.

(١) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشف» ١٣٥: أخرجه ابن أبي شيبة من رواية رزين، قال: وهذا مرسل. اهـ. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠٥ بدون سند وقال: وقال قوم... إلخ.

(٢) قال ابن كثير: ولهذا ذهب طائفة من العلماء من الشافعية وغيرهم إلى أنه لم يكن القسم واجباً عليه ﷺ، واحتجوا بهذه الآية الكريمة، قال: وقال البخاري عن معاذ بن عائشة ؓ أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في اليوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَبْنَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ فقلت لها: ما كنت تقولين؟ فقلت: كنت أقول: إن كان ذلك إليّ فإني لا أريد يا رسول الله أن أوتر عليك أحداً. قال ابن كثير: فهذا الحديث عنها يدل على أن المراد من ذلك عدم وجود القسم، وحديثها الأول - يعني: «أرى ريك يسارع في هواك» - يقتضي أن الآية نزلت في الواهبات، قال: ومن هاهنا اختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهبات وفي النساء اللاتي عنده أنه مخير فيهنَّ، إن شاء قسم، وإن شاء لم يقسم، قال: وهذا الذي اختاره حسن جيد قري، وفيه جمع بين الأحاديث. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: أي: إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج في القسم، فإن شئت قسمت، وإن شئت لم تقسم، لا جناح عليك في أي ذلك فعلت، ثم مع هذا إن تقسم لهن اختياراً منك، لا أنه على سبيل الوجوب، فرحن بذلك واستبشرن به وحملن جميلك في ذلك، واعترفن بمثقتك عليهن في قسمك لهن وتسويتك بينهما، وإنصافك لهن، وذلك فيهن. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: أي: من الميل إلى بعضهن دون بعض ما لا يمكن دفعه. اهـ. وروى الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والدارمي بسند جيد عن عائشة ؓ أن النبي ﷺ كان يقسم بين نساؤه فيقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك». هذا بالنسبة له ﷺ، وقد قال رسول الله ﷺ بالنسبة لغيره فيما رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي بسند صحيح عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «إذا كانت عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما، جاء يوم القيامة وفيه ساقط».

(٥) قال ابن كثير: فأما قضية سودة، فهي «الصحيح» عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها: وهي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَيْتِهَا شُكْرًا أَوْ إِفْرَاقًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا سُلَماً...﴾ الآية، وأما قضية حفصة، فروى أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه» من طرق عن عمر أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها، قال: وهذا إسناد قوي. اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَّ سِوَاهُنَّ﴾<sup>(١)</sup>، قاله الضحاك. والثاني: أن تبدل بالمسلمات المشركات، قاله مجاهد في آخرين. والثالث: أن تعطى الرجل زوجته وتأخذ زوجته، وهذه كانت عادة للجاهلية، قاله أبو هريرة، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ يعني الإمام. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: إلا أن تملك بالسبي، فيحل لك وطؤها وإن كانت من غير الصنف الذي أحلته لك؛ وإلى هذا أوما أبي بن كعب في آخرين. والثاني: إلا أن تصيب يهودية أو نصرانية فتطأها بملك اليمين، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثالث: إلا أن تبدل أمك بأمة غيرك، قاله ابن زيد. قال أبو سليمان الدمشقي: وهذه الأقوال جائزة، إلا أننا لا نعلم أن رسول الله ﷺ نكح يهودية ولا نصرانية بتزويج ولا ملك يمين، ولقد سبى ربحانة القرظية فلم يذن منها حتى أسلمت.

### فصل

واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها منسوخة بقوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكُمْ أَنْزِلَ عَلَيْكَ﴾، وهذا مروى عن علي، وابن عباس، وعائشة، وأم سلمة، وعلي بن الحسين، والضحاك. وقالت عائشة: ما مات رسول الله ﷺ حتى أجل له النساء<sup>(٢)</sup>، قال أبو سليمان الدمشقي: يعني نساء جميع القبائل من المهاجرات وغير المهاجرات. والقول الثاني: أنها محكمة؛ ثم فيها قولان: أحدهما: أن الله تعالى أثنى نساءه حين اخترته بأن قصره عليهن، فلم يحل له غيرهن، ولم ينسخ هذا، قاله الحسن، وابن سيرين، وأبو أمامة بن سهل، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن المراد بالنساء هاهنا: الكافرات، ولم يجز له أن يتزوج كافرة، قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وجابر بن زيد.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبَاتٍ لَكُمْ إِنْ دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْصَرِفُوا وَلَا تَسْتَمْتِمُوا لِلْحَدِيثِ إِنْ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْغَيِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَا تَسْأَلُونَهُنَّ مِنْ رَبِّهِمْ فَإِنَّهُنَّ يَسْأَلْنَ لَكُمْ عَنْ فَعْلِكُمْ فِي الْبُيُوتِ وَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْهُنَّ أَنْ تُقْذَرُوا رِسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَنْزِلَ عَلَيْكُمْ بِقِيَمَةِ آيَاتِهِ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ...﴾ الآية<sup>(٤)</sup>. في سبب نزولها ستة أقوال: القول الأول: أخرجاه في «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب بنت جحش دعا القوم،

(١) قال ابن كثير: فيها من الزيادة عليهن إن طلق واحدة منهن واستبدل غيرها بها إلا ما ملكت يمينه. اهـ.

(٢) رواه أحمد في «المستد» والترمذي في «جامعه» والنسائي في «سننه» عن عائشة.

(٣) قال ابن كثير: ذكر غير واحد من العلماء كابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقادة، وابن زيد، وابن جرير، وغيرهم، أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ، ورضى عنهن على حسن صميمهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة لما خيرهن رسول الله ﷺ كما تقدم في الآية، فلما اخترن رسول الله ﷺ، كان جزاؤهن أن الله تعالى قصره عليهن، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن، أو يستبدل بهن أزواجاً غيرهن ولو أعجبه حسنهن، إلا الإمام والسراري. فلا حرج عليه فيهن، ثم إنه تعالى رفع عنه الحرج في ذلك ونسخ حكم هذه الآية، وأباح له الزواج، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج، لتكون البينة لرسول الله ﷺ عليهن، وذكر ابن كثير بعض الأدلة على ذلك، ثم قال: وذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ مِّنكُمْ يَتَزَوَّجْ مِنْهُنَّ فَلْيُؤْذِنْهُنَّ مِنِّي كَمَا أَمَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ الْمُبِينِ﴾ الآية، قال: فاجعلت هذه ناسخة للتي بعدها في التلاوة، كآيئة عدة الوفاة في (البقرة) الأولى ناسخة للتي بعدها، والله أعلم. قال: وقال آخرون: بل معنى الآية: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْغَنَىٰ﴾ الآية، أي: من بعد ما يكثر لك من صفة النساء اللاتي أحللت لك من نساءك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك وبنات العم والعمات والخال والخالات، والوابة، وما سوى ذلك من أصناف النساء، فلا يحل لك. وذكر بعض أقوال السلف في ذلك، ثم قال: واختار ابن جرير رحمه الله أن الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء، وفي النساء اللواتي في عصمته وكن نسماً، قال: وهذا الذي قاله جريد، ولعله مراد كثير من حكيمائه من السلف، فإن كثيراً منهم روي عنه هذا وهذا، ولا منافاة، والله أعلم. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: هذه آية الحجاب، وفيها أحكام وآداب شرعية، وهي مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب، كما ثبت ذلك في «الصحيحين» عنه أنه قال: وافقت ربي ﷺ في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخلفت من مقام إبراهيم مصلى، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَدْرُونَ﴾ الآية، قلت: يا رسول الله إن ناسكاً يدخل عليهن البر والفاجر، فلو حجبتهن، فأنزل الله آية الحجاب، وقلت لأزواج النبي ﷺ لما تمالأن عليه في الغيرة: ﴿مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكِحًا لَأَزِيدَنَّ مِنْ بَيِّنَاتِكُمْ﴾ فنزل كذلك. قال: وفي رواية لمسلم ذكر أسارى بدر، وهي قضية رابعة. اهـ.

فَقَطَعُوا ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ، فَأَخَذَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْمَقَامِ، فَلَمَّ يَقُومُوا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ وَقَامَ مِنَ الْقَوْمِ مَنْ قَامَ، وَقَعَدَ ثَلَاثَةً، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِدْخَلَ فَلِذَا الْقَوْمِ جُلُوسٌ، فَرَجَعَ، وَإِنَّهُمْ قَامُوا فَاذْطَلَقُوا، وَجِثْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُمْ قَدْ انْطَلَقُوا، فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ، وَذَهَبَتْ أَدْخَلَ فَالْقَى الْحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ<sup>(١)</sup>. **والثاني:** أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا يَتَحَيَّنُونَ طَعَامَ النَّبِيِّ ﷺ فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِ قَبْلَ الطَّعَامِ إِلَى أَنْ يَدْرُكَ<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ يَأْكُلُونَ وَلَا يَخْرُجُونَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَأَذَى بِهِمْ، فَتُرِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>. **والثالث:** أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنْ نِسَاءُكَ يَدْخُلْنَ عَلَيْكَ الْبُيُوتَ وَالْفَاجِرَ، فَلَوْ أَمَرْتَهُنَّ أَنْ يَخْتَجِينَ، فَتُرِلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ، كِلَاهُمَا عَنْ عُمَرَ<sup>(٤)</sup>. **والرابع:** أَنَّ عُمَرَ أَمَرَ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْحِجَابِ، فَقَالَتْ زَيْنَبُ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنَّكَ لَتَغَارُ عَلَيْنَا وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ فِي بَيْتِنَا؟ فَتُرِلَتْ الْآيَةُ، قَالَه ابْنُ مَسْعُودٍ<sup>(٥)</sup>. **والخامس:** أَنَّ عُمَرَ كَانَ يَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: احْجُبْ نِسَاءَكَ، فَلَا يَفْعَلْ، فَخَرَجَتْ مَسْوَدَةُ لَيْلَةً، فَقَالَ عُمَرُ: قَدْ عَرَفْنَاكَ يَا مَسْوَدَةُ - حَرَصًا عَلَى أَنْ يَنْزِلَ الْحِجَابُ - فَتُرِلَ الْحِجَابُ، رَوَاهُ عِكْرَمَةُ عَنْ عَائِشَةَ<sup>(٦)</sup>. **والسادس:** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَطْعَمُ مَعَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، فَأَصَابَتْ يَدُ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَ عَائِشَةَ، وَكَانَتْ مَعَهُمْ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ، فَتُرِلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ، قَالَه مُجَاهِدٌ<sup>(٧)</sup>.

**قوله تعالى:** ﴿إِلَّا أَبَ يُؤْذَنُ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ﴾ أَي: أَنْ تُدْعُوا إِلَيْهِ ﴿غَيْرَ تَلْبِيسٍ﴾ أَي: مُنْتَظَرِينَ ﴿إِنَّهُ﴾. قَالَ الزَّجَّاجُ: مَوْضِعٌ «أَنْ» نَصَبٌ؛ وَالْمَعْنَى: إِلَّا بَأَنْ يُؤْذَنُ لَكُمْ، أَوْ لِأَنْ يُؤْذَنَ، وَغَيْرُهُ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الْحَالِ؛ وَالْمَعْنَى: إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ غَيْرَ مُنْتَظَرِينَ. وَإِنَّمَا: نُفْصِلُهُ وَيُلَوِّغُهُ.

**قوله تعالى:** ﴿فَأَنْتَبِرُوا﴾ أَي: فَاخْرُجُوا.

**قوله تعالى:** ﴿وَلَا تُسْتَفْتَيْنِ بِالْأَمْرِ﴾ الْمَعْنَى: وَلَا تَدْخُلُوا مُسْتَأْنِسِينَ، أَي: طَالِبِي الْأَنْسِ لِحَدِيثٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَجْلِسُونَ بَعْدَ الْأَكْلِ فَيَتَحَدَّثُونَ طَوِيلًا، وَكَانَ ذَلِكَ يُؤْذِيهِ، وَيَسْتَحْيِي أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: قُومُوا، فَعَلَّمَهُمُ اللَّهُ الْأَدَبَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَفْتِي مِنَ الْغَيِّ﴾ أَي: لَا يَتْرُكُ أَنْ يَبَيِّنَ لَكُمْ مَا هُوَ الْحَقُّ ﴿وَلَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾ أَي: شَيْئًا يُسْتَمْتَعُ بِهِ وَيُسْتَفْتَى بِهِ مِنْ أَلَةِ الْمَنْزِلِ ﴿فَسَأَلْتُمُوهُنَّ مِنْ دُونِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ﴾ أَي: سَأَلْتُمُوهُنَّ إِيَّاهُنَّ الْمَتَاعَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَطْهَرُ ﴿لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ مِنَ الرِّبَا.

**قوله تعالى:** ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أَي: مَا كَانَ لَكُمْ إِذَا هُوَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَكَانَ مِنْ خُرُوفِ الزَّوَالِدِ. وَالْمَعْنَى: مَا لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴿وَلَا أَنْ تَنْكَبُوا أَرْجُلَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾.

- (١) البخاري ٤٠٦/٨، ٤٠٧، ومسلم ١٠٥٠/٢، ورواه ابن جرير الطبري بنحو ٢٧/٢٢، وأورد السيوطي في «الدر» ٢١٣/٥، وزاد نسبه لأحمد، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» من طرق عن أنس ﷺ.
- (٢) أي: إلى أن يفضح الطعام.
- (٣) ذكره البغوي في «تفسيره» عن ابن عباس بدون سند.
- (٤) البخاري ٤٠٦/٨، ومسلم ١٨٦٥/٤ وهو طرف من حديث أوله: «وافقت ربي في ثلاث...» وقد تقدم.
- (٥) «الطبري» ٤٠/٢٢ من طريق عطاء بن السائب، عن أبي وائل عن ابن مسعود، وذكره السيوطي في «الدر» ٢١٤/٥ من رواية ابن مردويه عن ابن مسعود ﷺ. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣٧: رَوَاهُ الثَّعْلَبِيُّ مِنْ رِوَايَةِ مُجَاهِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ.
- (٦) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ ٤٠/٢٢ من طريق عروة عن عائشة، قال ابن كثير: هكذا وقع في هذه الرواية، والمشهور أن هذا كان بعد نزول الحجاب، كما رَوَاهُ الإمام أحمد والبخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ﷺ قالت: خرجت سودة بغيرها ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يمر بها، فرأى عمر بن الخطاب فقال: يا سودة أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفات راجعة رسول الله ﷺ في بيتي ولأنه ليتشبهني يده يرق، فدخلت فقالت: يا رسول الله إني خرجت لبعث حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إلي، ثم رفع عنه وإن الرق في يده ما وضعه، فقال: فإنه قد أذن لك أن تخرجين لحاجتك، وقال ابن كثير: هذا لفظ البخاري. اهـ. وقال ابن كثير أيضاً: فقوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا زِينَةَ الْفَخْرِ﴾ حُظِرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْخُلُوا مَنَازِلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِغَيْرِ إِذْنٍ كَمَا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَدْخُلُونَ فِي بَيْتِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَابْتِدَاءَ الْإِسْلَامِ، حَتَّى خَارَ اللَّهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، فَأَمَرَهُمْ بِهَذَا، وَذَلِكَ مِنْ إِكْرَامِهِ تَعَالَى هَذِهِ الْأُمَّةَ، قَالَ: وَلِهَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِيَأْكُلَ الدُّخُولُ عَلَى النِّسَاءِ...» الْحَدِيثُ، قَالَ: ثُمَّ اسْتَسْنَى مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا أَبَ يُؤْذَنُ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ تَلْبِيسٍ﴾ أَي: قَالَ مُجَاهِدٌ وَتَفَادَى وَغَيْرُهُمَا، أَي: غَيْرَ مُتَحَيِّنِينَ نَفْسَهُ وَاسْتَوَادَهُ، أَي: لَا تَرْتَبُوا الطَّعَامَ إِذَا طَبَخَ حَتَّى إِذَا قَارَبَ الْاِسْتَوَادَ تَعَرَّضْتُمْ لِلدُّخُولِ. فَإِنَّ هَذَا عَصَا بِكِرْهِهِ. اللَّهُ وَيْلَهُ، قَالَ: وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ التَّطَبُّعِ، وَهُوَ الَّذِي تَسْمِيهِ الْعَرَبُ: «الضَّيْفَنَ». اهـ.
- (٧) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ ٢٩/٢٢ مِنْ مُجَاهِدٍ مَرْسَلًا، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «تَخْرِيجِ الْكَشَافِ» ١٣٦: رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالتَّبْرِيُّ مِنْ طَرِيقِ مُجَاهِدٍ مَرْسَلًا.



فقال: قولوا: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على [آل] إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك»<sup>(٢)</sup> على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على [آل] إبراهيم، إنك حميد مجيد، أخرجه البخاري ومسلم<sup>(٣)</sup>. ومعنى قوله «قد علمنا التسليم عليك»: ما يقال في التشهد: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته». وذهب ابن السائب إلى أن معنى التسليم: سلّموا لِمَا يأمركم به.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: في الذين طعنوا على رسول الله ﷺ حين اتخذ صفية بنت خيث، قاله ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثاني: نزلت في المصورين، قاله عكرمة<sup>(٥)</sup>. والثالث: في المشركين واليهود والنصارى، وصفوا الله بالولد وكذبوا رسوله وشجّوا وجهه وكسروا رباعيته وقالوا: مجنون شاعر ساحر كذاب<sup>(٦)</sup>. ومعنى أذى الله: وصفه بما هو منزّه عنه، وعصيان<sup>(٧)</sup>؛ ولعنهم في الدنيا: بالقتل والجلاء، وفي الآخرة: بالنار.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن عمر بن الخطاب رأى جارية متبرجة فضربها وكف ما رأى من زينتها، فذهبت إلى أهلها تشكو، فخرجوا إليه فآذوه، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس<sup>(٨)</sup>. والثاني: أنها نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهم، فيرون المرأة فيدنون منها فيخمزونها؛ وإنما كانوا يؤذون الإماء، غير أنه لم تكن الأمة تُعرّف من الحرة، فشكون ذلك إلى أزواجهن، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(٩)</sup>. والثالث: أنها نزلت فيمن تكلم في عائشة وصفوان بن المعطل بالإفك، قاله الضحاك<sup>(١٠)</sup>. والرابع: أن ناساً من المنافقين آذوا علي بن أبي طالب، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل<sup>(١١)</sup>. قال المفسرون: ومعنى الآية: يرمونهم بما ليس فيهم.

(١) ما بين المعنيين زيادة من «البخاري» و«مسلم» من حديث كعب بن عجرة.

(٢) في حديث كعب بن عجرة في البخاري ومسلم: «اللهم بارك».

(٣) البخاري ٤١٠/٨ ومسلم ٣٠٥/١، ولهذا الحديث صيغ أخرى بألفاظ مختلفة تراجع في محلها من كتب الحديث، انظر فتح الباري ١٢٨/١١ - ١٤٧. قال ابن كثير: والمقصود من هذه الآية - ﴿إِنَّ اللَّهَ وَلِلنَّبِيِّ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ - أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يحيي عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، قال: ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل المآلئين العلوي والسفلي جميعاً. اهـ. وقال ابن كثير أيضاً: ذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه يجب على المصلي أن يصلي على رسول الله ﷺ في التشهد الأخير، فإن تركه لم تصح صلاته، ثم قال: وقد روينا وجوب ذلك والأمر بالصلاة كما هو ظاهر الآية ومفسر بهذا الحديث عن جماعة من الصعابة، منهم: ابن مسعود، وأبو مسعود البصري، وجابر بن عبد الله، ومن التابعين: الشعبي، وأبو جعفر الباقر، ومقاتل بن حيان، قال: وإليه ذهب الشافعي، لا خلاف عنه في ذلك ولا بين أصحابه أيضاً، قال: وإليه ذهب الإمام أحمد أخيراً فيما حكاه عنه أبو زرعة الدمشقي، وبه قال إسحاق بن راهويه، والفقهاء الإمام محمد بن إبراهيم المعروف بابن المؤاز المالكي رحمهم الله، ثم قال: وللقول بوجوبه ظواهر الحديث والله أعلم. قال: وما يؤيد ذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن خزيمة وابن حبان في «صحيحهما» عن فضالة بن عبيد ﷺ قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته، لم يمجّد الله، ولم يصلي على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «جعل الله له أرواحاً» ثم دعا فقال له أو لغيره: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله ﷻ والثناء عليه، ثم ليصل على النبي، ثم ليدع بما شاء». اهـ.

(٤) رواه الطبري: ٤٥/٢٢ من رواية عطية العوفي عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر»: ٢٢٠/٥، وزاد نسبه لابن أبي حاتم عن ابن عباس ﷺ.

(٥) ذكره البغوي عن عكرمة بدون سند، وقال ابن كثير: قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ نزلت في المصورين. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن عكرمة قال: الذين يؤذون الله ورسوله هم أصحاب التصاوير.

(٦) ذكر هذا المعنى البغوي والخازن عن ابن عباس بدون سند، وذكره السيوطي في «الدر»: ٢٢٠/٥ من رواية ابن المنذر عن ابن جريج قال: آذوا الله فيما يدعون معه، وآذوا رسول الله ﷺ قالوا: إنه ساحر مجنون. قال ابن كثير: والظاهر أن الآية عامة في كل من آذاه بشيء، ومن آذاه فقد كذى الله، كما أن من أطاعه فقد أطاع الله. اهـ.

(٧) ومن إيذاء تعالى، ما جاء في «الصحيحين» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: يؤذني من آدم، يسب الدهر وأنا الدهر أتقلب ليله ونهاره ومعنى هذا أن الجاهلية كانوا يقولون: يا غيبة الدهر فعل بنا كذا وكذا، فيستنون أفعال الله تعالى إلى الدهر ويسبونه، وإنما الفاعل للذك هو الله ﷻ».

(٨) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠٧، ٢٠٨ عن عطاء عن ابن عباس بدون سند.

(٩) الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠٨ عن الضحاك والسدي والكلبي بدون سند.

(١٠) ذكره السيوطي في «الدر»: ٢٢٠/٥ من رواية ابن جرير عن ابن عباس قال: أنزلت في عبد الله بن أبي ناس مع قذفوا عائشة ﷺ.

(١١) الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠٨ عن مقاتل بدون سند، وكذلك البغوي.



﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْرِكُنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ أَذْفَىٰ أَنْ يُعْرِضْنَ فَلَا يُوْذَنُ وَكَانَ اللَّهُ عَظِيمًا ٥٩﴾ ﴿لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُتَفَقِّهُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَارِبُوكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ٦٠﴾ ﴿مَلْعُونَتٌ أَنتُمَا تَقْفُوا أُنْذِرُوا وَقُلُوا قَتِيلَا ٦١﴾ ﴿سُئِلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ خَلَا مِنْ قَبْلِ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ...﴾ الآية، سبب نزولها أن الفساق كانوا يوذون النساء إذا خرجن بالليل، فإذا رآوا المرأة عليها قناع تركوها وقالوا: هذه حرة، وإذا رآوها بغير قناع قالوا: أمة، فأذوها، فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(١)</sup>.  
قوله تعالى: ﴿يُدْرِكُنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ﴾<sup>(٢)</sup> قال ابن قتية: يلبسن الأذية. وقال غيره: يغطين رؤوسهن ووجوههن ليعلمن أنهم حرائر ﴿ذَلِكَ أَذْفَىٰ﴾ أي: أخرى وأقرب ﴿أَنْ يُعْرِضْنَ﴾ أنهم حرائر ﴿فَلَا يُوْذَنُ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُتَفَقِّهُونَ﴾ أي: عن نفاقهم ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ أي: فجور، وهم الزناة ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ بالكذب والباطل، يقولون: أتاكم العدو، وقتلت سراياكم وهزمت ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي: لنسلطنك عليهم بأن نأمرك بقتالهم. قال المفسرون: وقد أغري بهم، فقيل له: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣، التحريم: ٩]، وقال يوم الجمعة «أخرج يا فلان من المسجد فلانك منافق، قم يا فلان فلانك منافق»<sup>(٣)</sup> ﴿ثُمَّ لَا يُحَارِبُوكَ فِيهَا﴾ أي: في المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ حتى يهلكوا، ﴿مَلْعُونَتٌ﴾ منصوب على الحال؛ أي: لا يجاورونك إلا وهم ملعونون ﴿أَنْتُمَا تَقْفُوا﴾ أي: وُجِدوا وأدركوا ﴿أُنْذِرُوا وَقُلُوا قَتِيلَا﴾ معنى الكلام: الأمر، أي: هذا الحكم فيهم، ﴿سُئِلَ اللَّهُ﴾ أي: سئ في الذين ينافقون الأنبياء وُرجِفون بهم أن يفعل بهم هذا.

﴿يَسْأَلُ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِكُ لَمَلِ السَّاعَةِ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَمَنَّ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ٦٤ ﴿خَالِيَيْنَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ فِيهَا وَلَاحِقًا وَلَا مَفْجِرًا ٦٥﴾ يَوْمَ تَقُصُّ عَنْهُمْ فِتْنَتَهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيِّنَا اللَّهُ فَأَلَمْنَا اللَّهُ وَأَلَمْنَا الرُّسُلَا ٦٦ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ٦٧ رَبَّنَا آتِنَاهُمْ لِمَنِ كَانَتِ السَّادَاتُ وَالْعَبَادُ وَأَلَنَّهُمْ لَمَتَا كَبِيرَا ٦٨﴾  
قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾ قال عروة: الذي سأله عنها غثبة بن ربيعة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِكُ﴾ أي: أي شيء يُعلمك أمر الساعة ومتى تكون؟ والمعنى: أنت لا تعرف ذلك؛ ثم قال: ﴿لَمَلِ السَّاعَةِ تَكُونُ قَرِيبًا﴾. فإن قيل: هل قال: قرية؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه أراد الظرف، ولو أراد صفة الساعة بعينها، لقال: قرية، هذا قول أبي عبيدة. والثاني: أن المعنى راجع إلى البعث، أو إلى مجيء الساعة. والثالث: أن تأنيث الساعة غير حقيقي، ذكرهما الزجاج. وما بعد هذا قد سبق بيان ألفاظه [البقرة: ١٥٩، النساء: ١٠، الإسراء: ٤٧]. فاما قوله: ﴿وَأَلَمْنَا الرُّسُلَا﴾ فقال الزجاج: الاختيار الوقف باللف، لأن أواخر الآي وفواصلها تجري مجرى أواخر الآيات، وإنما خوطبوا بما يعقلونه من الكلام المؤلف ليدل بالوقف بزيادة الحرف أن الكلام قد تم؛ وقد أشرنا إلى هذا في قوله: ﴿الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: ٦١].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾ أي: أشرافنا وعظماءنا. قال مقاتل: هم المُظفِّعون في غزوة بدر. وكلهم قرأوا: «سادتنا» على التوحيد، غير ابن عامر، فإنه قرأ: «ساداتنا» على الجمع مع كسر التاء، ووافقه المفضل، ويعقوب، إلا أبا حاتم ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ أي: عن سبيل الهدى، ﴿رَبَّنَا آتِنَاهُمْ﴾ يعنون السادة ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ أي: ضعفي عذابنا، ﴿وَأَلَنَّهُمْ لَمَتَا كَبِيرَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «كثيراً» بالثاء. وقرأ عاصم، وابن عامر: «كبيراً» بالباء. وقال أبو علي: الكثرة أشبه بالجرار المتكررة من الكبر.

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ٢٢٢/٥ من رواية ابن أبي حاتم عن السدي. وذكره الواحدي في «أسياب النزول» ٢٠٨ من السدي بدون سند.

(٢) قال ابن كثير: يقول تعالى أمراً رسول الله ﷺ، أن يأمر النساء المؤمنات - خاصة أزواجه وبناته لشرفهن - بأن يدين عليهن من جلبابيهن، ليميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإماء، قال: والجلباب: هو الرداء فوق الخمار، قاله ابن مسعود، وعبيدة، وقناة، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وعطاء الخراساني، وغير واحد، وهو بمنزلة الإزار اليرم، وقال: قال الجوهري: الجلباب: الملحفة.

(٣) هو جزء من حديث طويل رواه الطبري ١٠/٨١، وابن أبي حاتم، والطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس، وفي سننه الحسين بن عمرو المتقري، وهو ضعيف.



قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الفرائض، عرضها الله على السموات والأرض والجبال، إن أدتها أثابها، وإن ضيعتها عذبها، فكرهت ذلك؛ وعرضها على آدم فقبلها بما فيها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>؛ وكذلك قال سعيد بن جبير: عُرِضَتِ الأمانة على آدم فقيل له: تأخذها بما فيها، إن أطعت غفرت لك، وإن عصيت عذبتك، فقال: قِيلْتُ، فما كان إلّا كما بين صلاة العصر إلى أن غربت الشمس حتى أصاب الذئب<sup>(٢)</sup>. وممن ذهب إلى أنها الفرائض قتادة، والضحاك، والجمهور. والثاني: أنها الأمانة التي ياتمن الناس بعضهم بعضاً عليها. روى السدي عن أشياخه أن آدم لما أراد الحج قال للسماء: احفظي ولدي بالأمانة، فأبت، وقال للأرض: فأبت، وقال للجبال: فأبت، فقال لقابيل، فقال: نعم، تذهب وتجيء وتجذ أهلك كما يسرك، فلما انطلق آدم قتل قابيل هابيل، فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه، فذلك حيث يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ إلى قوله: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ وهو ابن آدم، فما قام بها<sup>(٣)</sup>. وحكى ابن قتيبة عن بعض المفسرين أن آدم لما حضرته الوفاة قال: يا رب، من أستخلف من بعدي؟ فقيل له: اعرض خلافتك على جميع الخلق، فعرضها، فكل أباه غير ولده. وللمفسرين في المراد بقرض الأمانة على السموات والأرض قولان: أحدهما: أن الله تعالى ركب العقل في هذه الأعيان، وأفهمهم خطابها، وأنطقهم بالجواب حين عرضها عليهم، ولم يرد بقوله: «أَبَيِّنَ» المخالفة، ولكن أَبَيَّنَ لِلخَشْيَةِ والمخافة، لأن العرض كان تخييراً لا إلزاماً، وأشفقن بمعنى خفن منها أن لا يؤدبتهن فيلحقهن العقاب، هذا قول الأكثرين. والثاني: أن المراد بالآية: إِنَّا عَرَضْنَا الأمانة على أهل السموات وأهل الأرض وأهل الجبال من الملائكة، قاله الحسن، وفي المراد بالإنسان أربعة أقوال: أحدها: آدم في قول الجمهور. والثاني: قابيل في قول السدي. والثالث: الكافر والمنافق، قاله الحسن. والرابع: جميع الناس، قاله ثعلب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كَانْتَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ظَلُومًا لنفسه، غَرًّا بأمر ربه، قاله ابن عباس، والضحاك. والثاني: ظَلُومًا لنفسه، جَهُولًا بعاقبة أمره، قاله مجاهد. والثالث: ظَلُومًا بمعصية ربه، جَهُولًا بعقاب الأمانة، قاله ابن السائب. وذكر الزجاج في الآية وجهاً يخالف أكثر الأقوال، وذكر أنه موافق للتفسير فقال: إن الله تعالى اتهم بني آدم على ما افترضه عليهم من طاعته، واتهم السموات والأرض والجبال على طاعته والخضوع له، فأما السموات والأرض فقالتا: ﴿أَيْنَمَا طَأَمِينَا﴾ [فصلت: ١١]، وأعلمنا أن من الحجارة ما يهبط من خشية الله، وأن الشمس والقمر والنجوم والجبال والملائكة يسجدون لله، فعرفنا الله تعالى أن السموات والأرض لم تحتل الأمانة، لأنها أدتها، وأداؤها: طاعة الله وترك معصيته، وكل من خان الأمانة فقد احتملها، وكذلك كل من أثم فقد احتمل الإثم<sup>(٤)</sup>، وكذلك قال الحسن: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ أي: الكافر والمنافق حملاًها، أي: خانها ولم يُطيعها؛ فأما من أطاع، فلا يقال: كان ظَلُومًا جَهُولًا.

قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ قال ابن قتيبة: المعنى: عَرَضْنَا ذلك ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم الله، ويظهر إيمان المؤمنين فيتوب الله عليهم، أي: يعود عليهم بالرحمة والمغفرة إن وقع منهم تقصير في الطاعات<sup>(٥)</sup>.



(١) «الطبري» ٥٤/٢٢، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٢٤/٥، وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأثير في كتاب «الأضداد» عن ابن عباس.

(٢) «الطبري» ٥٤/٢٢ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٢٥/٥، وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأثير في كتاب «الأضداد»، والحاكم وصححه، عن ابن عباس.

(٣) روى هذا الخبر مطولاً الطبري ٥٦/٢٢، ٥٧ من رواية السدي في غير ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ.

(٤) قال الآلوسي عن قول الزجاج هذا: ولا يخفى بطله، ولم تر في المأثور ما يؤيده. اهـ.

(٥) قال الآلوسي في تمة الآية: «وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» أي: مبالغاً في المغفرة والرحمة حيث تاب على المؤمنين والمؤمنات وغفر لهم قرايتهم، وأثابهم بالفوز العظيم على طاعتهم، نسال الله تعالى أن يتوب علينا ويغفر لنا ويثيبنا بالفوز العظيم، إنه - جل جلاله وعم نواله - غفور رحيم. اهـ.

## سورة سبا

## وهي مكية بإجماعهم

وقال الضحاك، وابن السائب، ومقاتل: فيها آية مدنية، وهي قوله: ﴿وَرَبِّیَ الَّذِینَ أَوْثَرُوا الْعِلْمَ﴾ [سبا: ٦].

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِیْ لَمْ یَمَّا فِی السَّمَوَاتِ وَمَا فِی الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِی الْآخِرَةِ وَقَدْ لَكُمُ الْغَیْبُ ۝ یَعْلَمُ مَا بَلَیْجُ فِی الْأَرْضِ وَمَا یَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا یَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا یَرْجِعُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِیْمُ الْغَفُورُ ۝ وَقَالَ الَّذِینَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّی لَأَتَيْنَنَّكُمْ عَلَیْهِ الْغَیْبُ لَا یَعْرُبُ عَنْهُ مِقَالٌ ذَرُّهُ فِی السَّمَوَاتِ وَلَا فِی الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِی كِتَابٍ مُبِینٍ ۝ لَیَجْزِیَنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَمْ یُنْفِرُوا رِزْقًا كَرِیْمًا ۝ وَالَّذِینَ سَعَوْا فِی مَآئِنَا مُتَجِدِّینَ أُولَئِكَ لَمْ یَعْدَابْ مِنْ رِجْزِ رَبِّی ۝ وَرَبِّی الَّذِینَ أَوْثَرُوا الْعِلْمَ الَّذِیْ أَنْزَلَ إِلَیْكَ مِنْ رِزْقِكَ هُوَ الْحَقُّ وَیَهْدِیْ إِلَى صِرَاطٍ مُبَارَكٍ الْحَمْدُ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِیْ لَمْ یَمَّا فِی السَّمَوَاتِ وَمَا فِی الْأَرْضِ﴾ ملأها وخلفاء. ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِی الْآخِرَةِ﴾ یَحْمَدُهُ أولیاءه إذا دخلوا الجنة، فيقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِیْ صَدَقْنَا وَعَدَهُ﴾ [الزمر: ٧٤] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِیْ هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الاعراف: ٤٣] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِیْ أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [طاهر: ٣٤]. ﴿یَعْلَمُ مَا بَلَیْجُ فِی الْأَرْضِ﴾ من بذر أو مطر أو كثر أو غير ذلك ﴿وَمَا یَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من زرع ونبات وغير ذلك ﴿وَمَا یَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من مطر أو رزق أو ملك ﴿وَمَا یَرْجِعُ فِيهَا﴾ من ملك أو عمل أو دعاء. ﴿وَقَالَ الَّذِینَ كَفَرُوا﴾ یعنی مُكِبِرِی البعث ﴿لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ﴾ أي: لَا تَبْعَثْ.

قوله تعالى: ﴿عَلِیهِ الْغَیْبُ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: «عالم الغيب» بكسر الميم؛ وقرأ نافع، وابن عامر: برفعه. وقرأ حمزة، والكسائي: «عَلَام الغيب» بالكسر ولا م قبل الألف. قال أبو علي: من كسر، فعلى معنى: الحمد لله عالم الغيب؛ ومن رفع، جاز أن يكون «عالم الغيب» خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو عالم الغيب، ويجوز أن يكون ابتداءً، خبره ﴿لَا یَعْرُبُ عَنْهُ﴾؛ و«عَلَام» أبلغ من «عالم». وقرأ الكسائي وحده: «لَا یَعْرُبُ» بکر الزاي؛ وهما لغتان.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ وقرأ ابن السميع، والنخعي، والأعمش: «ولا أصغر من ذلك ولا أكبر» بالنصب فيهما.

قوله تعالى: ﴿لَیَجْزِیَنَّ الَّذِینَ آمَنُوا﴾ قال الزجاج: المعنى: بلى ورثي لتأنيثكم المُجَازاة. وقال ابن جرير: المعنى: أثبت مقال الذرة وأصغر منه في كتاب مبین، لَیَجْزِیَّ الَّذِینَ آمَنُوا، ولِثَرِّی الَّذِینَ أَوْثَرُوا الْعِلْمَ.

قوله تعالى: ﴿مِنْ رِجْزِ رَبِّی﴾ قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ويعقوب، [والمفضل]: «مِنْ رِجْزِ رَبِّی» رفعا؛

(١) قال ابن كثير: يخبر تعالى عن نفسه الكريمة أن له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة، لأنه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة، المالك لجميع ذلك، والحاكم في جميع ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ولهذا قال تعالى هاهنا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِیْ لَمْ یَمَّا فِی السَّمَوَاتِ وَمَا فِی الْأَرْضِ﴾ أي: الجميع ملكه وعبيده وتحت تصرفه وقهره، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ قال: ثم قال ﷺ: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ فهو المعبود أبداً، المحمود على طول المدة، قال: وقوله: ﴿وَقَدْ لَكُمُ الْغَیْبُ﴾ أي: في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره ﴿وَالْغَیْبُ﴾ الذي لا تخفى عليه خافية ولا يغيب عنه شيء. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لها من أمر الله تعالى ورسله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد، قال: فإحدها في سورة يونس ﷻ، وهي قوله تعالى: ﴿وَسَيُجِزُّكَ أَخْرَجُ قُلُوبُ قُلُوبٍ لَمْ يَرَوْا لِقَاءَ رَبِّكَ وَأَشْرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ﴾ والثانية هي: ﴿وَقَالَ الَّذِینَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّی لَأَتَيْنَنَّكُمْ﴾ والثالثة في سورة (التغابن) وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الَّذِینَ كَفَرُوا لَنْ يَسْتَوْفُوا قُلُوبَهُمْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّی لَأَتَيْنَنَّكُمْ بِمَا عَظَمْتُمْ وَكَانَ عَلَی اللَّهِ بَیِّنٌ ۝﴾ فقال تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّی لَأَتَيْنَنَّكُمْ﴾. اهـ.

والباقون بالخفض فيهما<sup>(١)</sup>. وفي ﴿الَّذِينَ أَرْتُوا أَلَيْسَ﴾ قولان: أحدهما: أنهم مؤمنوا أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأصحابه، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أصحاب محمد ﷺ، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ يعني القرآن ﴿مُرَّ الْحَقُّ﴾ قال الفراء: «هو» عماد، فلذلك انتصب الحق. وما أدخلنا به فقد سبق في مواضع [الحج: ٥١، ٥٢، البقرة: ١٣٠، ٢٦٧].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نُنَبِّئُكَ إِذَا تُرْفِتُ كُلَّ مُرَفَّتٍ لَكَ لَيْ خَلَقَ جَسَدِي﴾ ﴿أَفَرَأَيْتَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالْعُتْلَى الْبَعِيدِ﴾ ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ سَكَّةٍ الْأَرْضِ إِنْ نَشَاءُ نَغِثِفَ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِثْفًا مِنْ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُبِينٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهم منكرو البعث، قال بعضهم لبعض: ﴿هَلْ نُنَبِّئُكَ عَلَى رَبِّكَ يُنَبِّئُكَ﴾ أي: يقول لكم: إنكم ﴿إِذَا مُرِفَّتُ كُلَّ مُرَفَّتٍ﴾ أي: فُرِقت كل فريقة، والمُرِفَّتُ هاهنا مصدر بمعنى التمزيق ﴿إِنَّكُمْ لَبِى خَلَقَ جَسَدِي﴾ أي: يجدد خلقكم للبعث. ثم أجاب بعضهم فقالوا: ﴿أَفَرَأَيْتَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ حين زعم أنا نبئت؟ والفاء «أفترى» ألف استفهام، وهو استفهام تعجب وإنكار، ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ أي: جنون؟ فردَّ الله عليهم فقال: ﴿بَلِ﴾ أي: ليس الأمر كما تقولون من الافتراء والجنون، بل ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ وهم الذين يجحدون البعث ﴿فِي الْعَذَابِ﴾ إذا بُعثوا في الآخرة ﴿وَالْعُتْلَى الْبَعِيدِ﴾ من الحق في الدنيا<sup>(٢)</sup>. ثم وعظهم فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ سَكَّةٍ الْأَرْضِ﴾ وذلك أن الإنسان حيثما نظر رأى السماء والأرض قدامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله؛ فالمعنى أنهم أين كانوا فارضي وسمائي محيطه بهم؛ وأنا القادر عليهم، إن شئت خسفت بهم الأرض، وإن شئت أسقطت عليهم قطعة من السماء، ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ أي: فيما يرون من السماء والأرض ﴿لَآيَةٌ﴾ تدلُّ على قدرة الله تعالى على بعثهم والخسف بهم ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُبِينٍ﴾ أي: راجع إلى طاعة الله، متأمل لما يرى.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجْعَلُ أَوِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَنَّا لَهُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿أَن أَعْمَلَ سَفِهْتِ وَقَدَّرَ فِي السَّيِّئِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ وهو النبوة والزبور وتسخير الجبال والطير، إلى غير ذلك مما أنعم الله به عليه<sup>(٣)</sup> ﴿يَجْعَلُ أَوِي مَعَهُ﴾ وروى الحلبي عن عبد الوارث: «أووي» بضم الهمزة وتخفيف الواو. قال الزجاج: المعنى: وقلنا: يا جبال أووي معه، أي: رجعي معه. والمعنى: سبّحي معه ورجعي التسبيح. ومن قرأ: «أووي»، معناه: عودي في التسبيح معه كلما عاد. وقال ابن قتيبة: «أووي» أي: سبّحي، وأصل التأويب في السير، وهو أن يسير النهار كله، ويتزل ليلاً، فكانه أراد: أدأبي النهار [كله] بالتسبيح إلى الليل.

قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو العالية، وابن أبي عبله: «والطَّيْرُ» بالرفع. فأما قراءة النصب، فقال أبو عمرو بن العلاء: هو عطف على قوله: «ولقد آتينا داود مِنَّا فَضْلًا» «وَالطَّيْرَ» أي: وسخّرنا له الطَّيْرَ. قال الزجاج: ويجوز أن يكون نصبا على النداء، كأنه قال: دعونا الجبال والطَّيْرَ، فالطير معطوف على موضع الجبال، وكل منادى عند البصريين فهو في موضع نصب؛ قال: وأما الرفع، فمن جهتين، إحداهما: أن يكون نسقاً على ما في «أووي»، فالمعنى: يا جبال رجعي التسبيح معه أنت والطَّيْرُ والثانية<sup>(٤)</sup>: على النداء، المعنى: يا جبال ويا أيها

(١) أي هنا وفي سورة [الجاثية: ١١]، قال في [إتحاف فضلاء البشر: ٢١٩]: واختلف في «من رجز اليم» هنا [والجاثية]، فابن كثير، وحفص، وميقوت: برجز اليم فيها نعتاً لـ «عذاب»، وانهم ابن محيصن، والباقون: يخفضه فيها نعتاً لـ «رجز» وهو العذاب السعير. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: ليس الأمر كما زعموا، ولا كما ذهبوا إليه، بل محمد ﷺ هو الصادق البار الراشد الذي جاء بالحق، وهم الكلبة الجهلة الأغبياء ﴿فِي النَّبْلِ﴾ أي: الكفر المفضي بهم إلى عذاب الله تعالى ﴿وَالْعُتْلَى الْبَعِيدِ﴾ من الحق في الدنيا. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام مما أتاه من الفضل المبين، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن والجنود ذوي القدر والثروة، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذي كان إذا سبّح به تسبّح معه الجبال الراسيات الضم الشامخات، وتقف له الطيور السارحات، والغابات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات، قال: وفي [الصحيح] أن رسول الله ﷺ سمع صوت أبي موسى الأشعري ﷺ يقرأ من الليل، فوقف فاستمع لقراءته، ثم قال ﷺ: «لقد أوتي هذا زمراً من مزمار آل داود». اهـ.

(٤) في الأصل: والثاني.

الطير أويي [معه]. قال ابن عباس: كانت الطير تسبح معه إذا سبح، وكان إذا قرأ لم تبق دابة إلا استمعت لقراءته وبكت لبكائه. وقال وهب بن منبه: كان يقول للجبال: سبّحي، وللطير أجيبني، ثم يأخذ هو في تلاوة الزبور بين ذلك بصوته الحسن، فلا يرى الناس منظراً أحسن من ذلك، ولا يسمعون شيئاً أطيّب منه.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ أي: جعلناه لئناً. قال قتادة: سخر الله له الحديد بغير نار، فكان يسويه بيده، لا يدخله النار، ولا يضره بحديدة، وكان أول من صنع الدروع، وكانت قبل ذلك صفائح.

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَعْمَلَ﴾ قال الزجاج: معناه: وقفنا له: اعْمَلْ، ويكون في معنى «لأن يعمل» «سَخَّرْتُ» أي: دروياً سابغات، فذكر الصفة لأنها تدل على الموصوف. قال المفسرون: كان يأخذ الحديد بيده فيصير كأنه عجبن يعمل به ما يشاء، فيعمل الدرع في بعض يوم فيبيعه بمال كثير، فيأكل ويتصدق. والسابغات: الدروع الكوامل التي تغطي لابسها حتى تفضل عنه فيجرها على الأرض. «وَقَدَّرَ فِي السَّوْدِ» أي: اجعله على قدر الحاجة. قال ابن قتيبة: السرد: التسج، ومنه يقال لصانع الدروع: سراد وزراد، تبدل من السنين الزاي، كما يقال: سراط<sup>(١)</sup> وزراط. وقال الزجاج: السرد في اللغة: تقدّم الشيء إلى الشيء، تأتي به متسقا بعضه في إثر بعض متتابعاً. ومنه قولهم: سرّد فلان الحديث. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: عدّل المسمار في الحلقة ولا تصفره فيقلق، ولا تعظمه فتتفصم الحلقة، قاله مجاهد. والثاني: لا تجعل حلقة واسعة فلا تقي صاحبها، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْمَلُوا مَكِيلًا﴾ خطاب لداود وآله.

﴿وَلْيَسْكُنَ الرِّيحُ غُدُوهاَ شَهْرٌ وَرَوْحُهاَ شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ لِإِذْنِ رَبِّهِ وَفِي رِجِّهِمْ مِّنْ أَمْرٍ نَّؤُفُةٍ مِّنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ١٧ يَمْكُورُونَ لَهُ مَا يَشَكُّ مِنْ مُّخْتَبِئٍ وَتَنْزِيلٍ يَّجْعَلُونَ كَأُلُوفٍ وَقَدُّورٍ رَّاسِخَتٍ فَعْمَلُوا مَالِ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَدَّرَ لَهُ مِنْ يَمِينِهِ الرُّكْحَ الْكَبِيرَ ١٨ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَمُ عَنْ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَهُ فُلَمَّا حَرَّ تَيْتَتْ إِلَيْهِ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْقَبِيَ مَا لَكُنَا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْكُنَ الرِّيحُ﴾<sup>(٢)</sup> قرأ الأكثرون بنصب الرّيح على معنى: وسخرنا لسليمان الرّيح. وروى أبو بكر، والمفضل عن عاصم: «الرّيح» رفعاً، أي: له تسخير الرّيح. وقرأ أبو جعفر: «الرّياح» على الجمع. «غُدُوهاَ شَهْرٌ» قال قتادة: تغدو مسيرة شهر إلى نصف النهار، وتروح مسيرة شهر إلى آخر النهار، فهي تسير في اليوم الواحد مسيرة شهرين. قال الحسن: لما سَخَّلَتْ نبيّ الله سليمان الخيل عن الصلاة فعقرها<sup>(٣)</sup>، أبدله الله خيراً منها وأسرع وهي الرّيح، فكان يغدو من دمشق فيقبل باضطرّح وبينهما مسيرة شهر للمسرّع، ثم يروح من إصطخر فيبيت بكابل، وبينهما مسيرة شهر للمسرّع.

قوله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ قال الزجاج: القطر: النّحاس، وهو الصّفّر، أذيب مذ ذاك وكان قبل سليمان لا يذوب. قال المفسرون: أجرى الله لسليمان عين الصّفّر حتى صنع منها ما أراد من غير نار، كما ألين لداود الحديد بغير نار، فبقيت تجري ثلاثة أيام ولياليهنّ كجري الماء؛ وإنما يعمل الناس اليوم مما أعطى سليمان.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ﴾ المعنى: وسخرنا له من الجن «مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ لِإِذْنِ رَبِّهِ» أي: بأمره؛ سخرهم الله له، وأمرهم بطاعته؛ والكلام يدلّ على أنّ منهم من لم يسخر له «وَمِنَ رِجِّهِمْ» أي: يغدو «عَنْ أَمْرٍ» له بطاعة

(١) في الأصل: صراط، وما أنشأه من «هزب القرآن» ٣٥٤، و«البحر» ٧/ ٢٥٥، و«اللسان»: زراط.

(٢) قال ابن كثير: لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود، عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان عليهما الصلاة والسلام من تسخير الرّيح له تحمل بساطه، غُدُوهاَ شهر ورواحها شهر. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري في سورة [ص: ٢٣] عند قوله تعالى: ﴿فَلْيُقِمْ سَكَنًا يَشْرُقُ وَالْأَمْسَاءُ﴾: واختلف أهل التأويل في معنى مسح سليمان بسوق هذه الخيل الجياد وأعتاقها، فقال بعضهم: معنى ذلك: أنه عقرها وغرب أعتاقها، وقال آخرون: جعل يمسح أعرافها وعراقيها بيده حيناً لها، ونقل ذلك عن ابن عباس، ثم قال: وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية، لأن نبي الله ﷺ (يريد سليمان) لم يكن إن شاء الله ليعذب حيواناً بالعرق، ويهلك مالا من ماله بغير سبب سوى أن اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا فنب لها باشتغاله بالنظر إليها. اهـ. وسياقي ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى من سورة (ص).

سليمان: ﴿ثُمَّ مِنْ مَكَابٍ كَثِيرٍ﴾: وهل هذا في الدنيا، أم في الآخرة؟ فيه قولان: أحدهما: في الآخرة، قاله الضحاك. والثاني: في الدنيا، قاله مقاتل. وقيل: إنه كان مع سليمان ملك بيده سوط من نار، فمن زاغ من الجن ضربه الملك بذلك السوط. ﴿يَعْمَلُونَ لَكُمْ مَا يَشَاءُونَ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها المساجد، قاله مجاهد، وابن قتيبة. والثاني: القصور، قاله عطية. والثالث: المساجد والقصور، قاله قتادة. وأما التماثيل، فهي الصُّوَرُ؛ قال الحسن: ولم تكن يومئذ محرمة<sup>(١)</sup>، ثم فيها قولان: أحدهما: أنها كانت كالطَّوَارِيسِ والعُقَبَانِ والنُّسُورِ على كرسيه ودرجات سريره لكي يهابها من أراد الذُّنُوبَ منه، قاله الضحاك. والثاني: أنها كانت صُورُ النَّبِيِّينَ والملائكة لكي يراهم الناس مصورين، فيعبدوا مثل عبادتهم ويشبهوا بهم، قاله ابن السائب. وفي ما كانوا يعملونها منه قولان: أحدهما: من النُّحاس، قاله مجاهد. والثاني: من الرُّخَامِ والشَّيْبِ<sup>(٢)</sup>، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿يُحْفَافُ كَلْبُوكِبِ﴾ الحِفَافُ: جمع جفنة، وهي القصعة الكبيرة؛ والجَوَابِي: جمع جايبة، وهي الحوض الكبير يُجَبَى فيه الماء، أي: يُجمع. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «كالجوابي» بياء، إلا أن ابن كثير شئت الباء في الوصل والوقف، وأبو عمرو يثبتها في الوصل دون الوقف. قال الزجاج: وأكثر القراء على الوقف بغير ياء، وكان الأصل الوقف بالياء، إلا أن الكسرة تنوب عنها. قال المفسرون: كانوا يصنعون [له] القِضَاعَ كحياض الإبل، يجتمع على القصعة الواحدة ألف رجل يأكلون منها.

قوله تعالى: ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ أي: ثوابت؛ يقال: رسا يرسو: إذا ثبت. وفي علّة ثبوتها في مكانها قولان: أحدهما: أن أثنائها منها<sup>(٣)</sup>، قاله ابن عباس. والثاني: أنها لا تُثَرَّلُ لِعِظَمِهَا، قاله ابن قتيبة. قال المفسرون: وكانت القُدُورُ كالجبال لا تحرك من أماكنها، يأكل من القُدُر ألف رجل.

قوله تعالى: ﴿أَعْمَلُوا مَلَكًا دَاوُدَ شُكْرًا﴾ المعنى: وقلنا: اعملوا بطاعة الله شكراً له على ما آتاكم<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَّيْنَا عَلَى الْمَوْتِ﴾ يعني على سليمان. قال المفسرون: كانت الإنس تقول: إن الجن تعلم الغيب الذي يكون في غد، فوقف سليمان في محرابه يصلي متوكئاً على عصاه، فمكث كذلك حولاً والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة ولا تعلم بموته حتى أكلت الأرض<sup>(٥)</sup> عصا سليمان، فخرّ فعلموا بموته، وعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب<sup>(٦)</sup>. وقيل: إن سليمان سأل الله تعالى أن يعمي على الجن موته، فأخفاه الله عنهم حولاً. وفي سبب سؤاله قولان: أحدهما: لأن الجن كانوا يقولون للإنس: إِنَّا نَعْلَمُ الْغَيْبَ، فأراد تكذيبهم. والثاني: لأنه كان قد بقي من عمارة بيت المقدس بقية. فأما «دَابَّةُ الْأَرْضِ» فهي: الأَرَضَةُ. وقرأ أبو المتوكّل، وأبو الجوزاء، وعاصم الجحدري: «دَابَّةُ الْأَرْضِ» بفتح الراء. العَصَا: قال الزجاج: وإنما سُمِّيَتْ مِثْلَ سَاسَةٍ، لأنه يُنْسَأُ بها، أي: يُطْرَدُ وَيُرْجَرُ. قال الفراء: أهل الحجاز لا يهزمون المِثْلَ، وتميم وفصحاء قيس يهزمونها.

(١) قال الآلوسي: وإنما هي في شرعنا حرام، ولا فرق عتلتا بين أن تكون الصورة ذات ظل، وأن لا تكون كذلك. اهـ.

(٢) الشَّيْبُ والشَّيْبَةُ: ضرب من النحاس يلقى عليه دواء يصفى، سمي به، لأنه إذا فعل به ذلك أشبه الذهب بلونه.

(٣) الأثافي: الحجارة التي تُصَبُّ وتُجَمَلُ القُدُورُ عليها.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿أَعْمَلُوا مَلَكًا دَاوُدَ شُكْرًا﴾ يقول تعالى ذكره: وقلنا لهم: اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكراً له على ما أنعم عليكم من النعم التي عَصَمَكُمْ بها عن سائر خلقه، مع الشكر له على سائر نعمه التي عَصَمَكُمْ بها مع سائر خلقه. اهـ. وقال أبو عبد الرحمن السلمي: الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير تعمله لله شكر، وأفضل الشكر الحمد. وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال: الشكر: قوَى الله تعالى والعمل الصالح، قال ابن كثير: وهذا يقال لمن هو متّمسّ بالفعل، قال: وقد كان آل داود ﷺ كذلك قائمين بشكر الله تعالى قولاً وعملاً.

(٥) الأَرْضُ: جمع أَرَضَة، وهي دويبة تأكل الخشب.

(٦) قال ابن كثير: يذكر الله تعالى كيفية موت سليمان ﷺ، وكيف عمى الله موته على الجانِّ المسخرين له في الأعمال الشاقة، فإنه مكث متوكئاً على عصاه - وهي مِثْلَ سَاسَةٍ كما قال ابن عباس ﷺ، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وغير واحد - مدة طويلة نحواً من سنة، فلما أكلتها دابة الأرض وهي الأَرَضَةُ ضعفت وسقط إلى الأرض وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة، وتبينت الجن والإنس أيضاً أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوَقَّعون ويوهمون الناس ذلك. اهـ.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ أي: سقط ﴿يَتَنَبَّاهُ لِلْمُزْنَ﴾ أي: ظهرت، وانكشف للناس أنهم لا يعلمون الغيب، ولو علموا ﴿مَا لَيْسُوا فِي الْعَلَابِ الْتَمِينِ﴾ أي: ما عملوا مستغربين وهو ميت وهم يظنونونه حياً. وقيل: تبينت الجن، أي: علمت، لأنها كانت تتوهم باستراقها السمع أنها تعلم الغيب، فعلمت حيث لا خطأها في ظنّها. وروى رويس عن يعقوب: «تبينّت» برفع التاء والباء وكسر الياء.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ مَاءٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلٌّ مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَمْ بَلَدَةً طَيِّبَةً رَبُّهُمُ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْمَرِّ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِحَنَنَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِنْدٍ لَئِيْلٍ ۝١٦ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ ۝١٧ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمُ الْوَادِيَّ الْفَرَى الَّذِي بَرَكْنَا فِيهَا فَرًى ظَهَرَ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَبِيلًا فِيهَا لَيَالِي وَآيَاتٌ مَّا يَمِينُ ۝١٨ قَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَفَلَمَّا أَفْسَهُمْ جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَزَفَرْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝١٩ وَلَقَدْ سَدَدَ عَلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمَ فَتَحَهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا قَوْمًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠ وَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَنَّ مَنْ يُؤْتِي الْأَخْيَارَ وَمَنْ مَرَّ مِنْهَا فِي شَيْءٍ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَظِيطٌ ۝٢١﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ مَاءٌ﴾<sup>(١)</sup> قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «في مَسَاكِينِهِمْ». وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: «مَسْكِنِهِمْ» بفتح الكاف من غير ألف. وقرأ الكسائي، وخلف: «مَسْكِنِهِمْ» بكسر الكاف، وهي لغة. قال المفسرون: المراد بسبأ هاهنا: القبيلة التي هم من أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان؛ وقد ذكرنا في سورة [النمل: ٢٢] الخلاف في هذا، وأن قوماً يقولون: هو اسم بلد، وليس باسم رجل<sup>(٢)</sup>. وذكر الزجاج في هذا المكان أن مَنْ قَرَأَ: «لِسَبَأٍ» بالفتح وترك الضَّرف، جعله اسماً للقبيلة. ومن صرف وكسر ونون، جعله اسماً للحيّ واسماً لرجل؛ وكلّ جائز حسن. و﴿مَاءٌ﴾ رفع، اسم «كان»، و﴿جَنَّتَانِ﴾ رفع على نوعين: أحدهما: أنه بدل من «آية»، والثاني: على إضمار، كأنه لما قيل: «آية»، قيل: الآية جَنَّتَانِ.

### الإشارة إلى قصتهم

ذكر العلماء بالتفسير والسِّير أن بلقيس لما ملكت [قومها] جعل قومها يقتلون على ماء واديهم، فجعلت تنهاهم فلا يُطيعونها، فتركت مُلكها وانطلقت إلى قصرها فترثته، فلما كثر الشرُّ بينهم وندموا، أتوها فأرادوها على أن ترجع إلى مُلكها، فأبت: فقالوا: لَنَرْجِعَنَّ أَوْ لَنَقْتُلَنَّكَ، فقالت: إنكم لا تطيعونني وليست لكم عقول، فقالوا: فإِنَّا نطيعك، فجاءت إلى واديهم - وكانوا إذا مطّروا أتاه السيل من مسيرة أيام - فأمرت به، فسُدَّ ما بين الجبلين بمُسْتَاة<sup>(٣)</sup>، وحبسَت الماء من وراء السد، وجعلت له أبواباً بعضها فوق بعض، وبنت من دونه بركة وجعلت فيها اثني عشر مَخْرَجاً على عِدَّة أنهارهم، فكان الماء يخرج بينهم بالسوية، إلى أن كان من شأنها مع سليمان ما سبق ذكره [النمل: ٢٩-٤٤]، وبثوا بعدها على حالهم. وقيل: إنما بنوا ذلك البنيان لئلا يغشى السيل أموالهم فيهلكها، فكانوا يفتحون من أبواب السد ما يريدون، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه، وكانت لهم جَنَّتَانِ عن يمين واديهم وعن شماله، فأخصبت أرضهم، وكثرت فواكههم، وإن كانت المرأة لتُمرَّ بين الجنتين والمِكتَل على رأسها، فترجع وقد امتلأ من الثمر ولا تَمَسُّ يديها شيئاً منه، ولم يكن [يُرى] في بلدهم حَيَّة ولا عقرب ولا بعوضة ولا ذباب ولا يرغو، ويمرُّ الغريب ببلدتهم وفي ثيابه القمل، فيموت القمل لطيب هوائها. وقيل لهم: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَمْ بَلَدَةً طَيِّبَةً﴾ أي: هذه بلدة طيبة، أو

(١) قال ابن كثير: كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها، وكانت التابعة منهم، وبلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام من جملتهم، وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وحيثهم وأنشأ أرزاقهم ووزوعهم وثمارهم، وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى، ثم أعرضوا عما أمروا به، فغضبوا بإرسال السيل والفرق في البلاد أيدي سبأ، شذر منذر.

(٢) روى الترمذي في «سننه» ١٥٤/٢ عن فروة بن مسيك المرادي قال: قال رجل يا رسول الله، وما سبأ؟ أرض أو امرأة؟ قال: ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب... الحديث، ورواه أحمد والطبري وهو حديث حسن، وقد سبق تخريجه صفحة (١٠٤٤). وأورد السيوطي في «الدر» ٢٣١/٥ وزاد نسب لعبد بن حميد، والبخاري في «تاريخه»، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه.

(٣) قال في «المصباح» مادة «ستن»: «المُسْتَاة: حائط يُبنى في وجه الماء، ويسمى السد».



بلدتكم بلدة طيبة، ولم تكن سبخة<sup>(١)</sup> ولا فيها ما يؤذي ﴿وَرَبِّ غَفُورٌ﴾ أي: والله رب غفور، وكانت ثلاثة عشرة قرية، فبعث الله إليهم ثلاثة عشر نبيًا، فكذبوا الرُّسل، ولم يُقِرُّوا بنعم الله، فذلك قوله: ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ أي: عن الحق، وكذبوا أنبياءهم<sup>(٢)</sup> ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْغَمِّ﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أن الغم: الشديد، رواه علي بن أبي طالب عن ابن عباس. وقال ابن الأعرابي: الغم: السيل الذي لا يُطاق. والثاني: [أنه] اسم الوادي، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والضحاك، ومقاتل، والثالث: أنه المُسَنَّاة، قاله مجاهد، وأبو ميسرة، والفراء، وابن قتيبة. وقال أبو عبيدة: الغم: جمع غرمة، وهي: السُّكر والمُسَنَّاة. والرابع: أن الغم: الجُرَذ الذي نقب عليهم السُّكر، حكاه الزجاج. وفي صفة إرسال هذا السيل عليهم قولان: أحدهما: أن الله تعالى بَعَثَ على سيكرهم دابةً من الأرض فنقبت فيه نقبًا، فسال ذلك الماء إلى موضع غير الموضع الذي كانوا ينتفون به، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال قتادة والضحاك في آخرين: بعث الله عليهم جُرَذًا يسمَّى الخُلْد - والخُلْد: الفار الأعْمى - فنقبه من أسفله، فأغرق الله [به] جثاتهم، وخرب به أرضهم. والثاني: أنه أرسل عليهم ماءً أحمر، أرسله في السد فنسف وهدمه وحفر الوادي، ولم يكن الماء أحمر من السد، وإنما كان سيلاً أرسل عليهم، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَيَذَلُّهُمْ يَخْبِتُهُمْ﴾ يعني اللتين تطعمان الفواكه. ﴿جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْثَلٍ خَمْلٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمة، والكسائي: «أَكْلٍ» بالتثنية. وقرأ أبو عمرو: «أَكْلٍ» بالإضافة. وخفف الكاف ابن كثير ونافع، ونقلها الباقون. أمَّا الأكل، فهو الثمر. وفي المراء بالخمط ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الأراك، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والجمهور؛ فعلى هذا، أكله: ثمره؛ ويسمى ثمر الأراك: البرير. والثاني: أنه كل شجرة ذات شوك، قاله أبو عبيدة، والثالث: أنه كل نبت قد أخذ طعاماً من المرارة حتى لا يمكن أكله، قاله المبرد والزجاج. فعلى هذا القول، الخمط: اسم للمأكول، فيحسن على هذا قراءة من نَوَّن الأكل؛ وعلى ما قبله، هو اسم شجرة، والأكل ثمرها، فيحسن قراءة من أضاف. فأما الأثل، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الطَّرَفاء<sup>(٣)</sup>، قاله ابن عباس. والثاني: أنه السَّمَر<sup>(٤)</sup>، حكاه ابن جرير. والثالث: أنه شجر يشبه الطَّرَفاء إلا أنه أعظم منه.

قوله تعالى: ﴿وَتَقْوَىٰ مِّنْ يَدْرِ قَلِيلٍ﴾ فيه تقديم، وتقديره: وشيء قليل من سدر، وهو شجر التَّبَق<sup>(٥)</sup>. والمعنى أنه كان الخمط والأثل في جثتهم أكثر من السدر. قال قتادة: بينا شجرهم من خير الشجر، إذ صيره الله من شر الشجر<sup>(٦)</sup>. قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ﴾ أي: ذلك التبدل جزيناهاهم ﴿بِمَا كَفَرُوا وَكَانَ يُحْزَىٰ﴾. فإن قيل: قد يجازى المؤمن والكافر، فما معنى هذا التخصيص؟ فتنه جوابان: أحدهما: أن المؤمن يُجْزَى ولا يُجْزَى، فيقال في أفصح اللغة: جزى الله المؤمن، ولا يقال: جزاه، لأن «جزاه» بمعنى كافاه، فالكافر يُجْزَى بسبب مثله، مكافأة له، والمؤمن يُزَاد في الثواب ويُفَضَّل عليه، هذا قول الفراء. والثاني: أن الكافر ليست له حسنة تكفر ذنوبه، فهو يُجْزَى

(١) أرض سبخة: أي: ملحة.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ أي: عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم، وعدلوا إلى عبادة الشمس من دون الله، كما قال الهمدني لسليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿وَتَشْكَلُ مِنْ سَبَلٍ بَلَدٍ يَبِينُ﴾ إلى وَبَدَتْ أَمْرًا تَلِكُكُمْ وَأُرِيَتْ بَيْنَ كَلِّ قَوْمٍ وَكَانَ عَرْشُ عَظِيمٍ ﴿وَبَدَتْهَا وَفَرَّتْهَا يَسْتَلِدُّهُ الْبَقِيَّةُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَبِّهِمْ لَهُمْ الْقِيَمَةُ أَفَعَالَهُمْ صَدَقُوا عَنْ الْقَبِيلِ لَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾. اهـ.

(٣) قال في «القاموس» الطرفاء: شجر، وهي أربعة أصناف، منها الأثل، الواحدة طرفة أو طرفة، وقال في «الصحيح»: قال سيبويه: الطرفاء واحد وجميع. قال في «اللسان»: قال أبو حنيفة (يعني الذي توري): الطرفاء: من المعفاء، ومُذْبَذِبٌ مثل هذب الأثل، وليس له خشب، وإنما يخرج عجميًا سمحًا في السماء، وقد تحمض بها الإبل إذا لم تجد حشاً غيره.

(٤) قال في «المصباح»: السَّمَر، وزان رَجُل وسَمَرٌ: شجر الطلع، وهو نوع من البضاء، الواحدة سَمرة، وبها سُمِّيَ.

(٥) قال في «المصباح»: وإذا أطلق السدر في الغسل، فالمراد: الورق المطحون، والسدر نوعان: أحدهما ينبت في الأرياف فينتج بوقه في الغسل، وثمرته طيبة، والآخر ينبت في البر ولا ينتج بوقه في الغسل، وثمرته عَفِصَة، قال: وقد تقدم في حرف الزاي أن الزهرور ثمره تنبت في البر، وهي بهله الصفة، فيجوز أن يكون هو التَّبَق البري. اهـ.

(٦) قال ابن كثير: وقوله: ﴿وَتَقْوَىٰ مِّنْ يَدْرِ قَلِيلٍ﴾ قال: لما كان أجود هذه الأشجار المبدل هو السدر، قال: ﴿وَتَقْوَىٰ مِّنْ يَدْرِ قَلِيلٍ﴾ فهذا الذي صار أمر تَبَق الجنتين إليه بعد الفمار النضيجة، والمناظر الحسنة، والظلال العميقة، والأنهار الجارية، تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل، وذلك بسبب كفرهم بالله وتكذيبهم الحق، وعدولهم عنه إلى الباطل.

بجميع الذنوب، والمؤمن قد أحبطت حسناته سيئاته، هذا قول الزجاج. وقال طاووس: الكافر يُجازى ولا يُغفر له، والمؤمن لا يُناقش الحساب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ هذا معطوف على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسِمْ﴾؛ والمعنى: كان من قصصهم أننا جعلنا بينهم ﴿وَبَيْنَ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ وهي: قرى الشام؛ وقد سبق بيان معنى البركة فيها [الأنبياء: ٤٧١]، هذا قول الجمهور. وحكى ابن السائب أن الله تعالى لما أهلك جثثهم قالوا للرسل: قد عرفنا نعمة الله علينا، فلئن رد إلينا ما كنا عليه لتغيبنَّ عبادة شديدة، فردَّ عليهم النعمة، وجعل لهم قرى ظاهرة، فعادوا إلى الفساد وقالوا: باعد بين أسفارنا، فمَرَّقُوا.

قوله تعالى: ﴿فَرَى ظُهُورَهُ﴾ أي: متواصلة ينظر بعضها إلى بعض. ﴿وَوَقَدْنَا فِيهَا الشَّجَرَةَ﴾ فيقولان: أحدهما: أنهم كانوا يَنَدُونَ فيقولون في قرية، ويَرَوُّونَ فيبيتون في قرية، قاله المحسن، وقتادة. والثاني: أنه جعل ما بين القرية والقرية مقداراً واحداً، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿سِيرُوا فِيهَا﴾ والمعنى: وقلنا لهم: سيروا فيها ﴿لِيَأْتِيَ بِآيَاتٍ﴾ أي: ليلاً ونهاراً ﴿بِآيَاتٍ﴾ من مخاوف السفر من جوع أو عطش أو سُبْح أو تعب. وكانوا يسرون أربعة أشهر في أمان، فَبَطَرُوا النعمة وملَّوها كما ملَّ بنو إسرائيل المَنَ والسَّلوَى ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَوِّعْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «بَعْدَ» بتشديد المعين وكسرهما. وقرأ نافع، وعاصم، وحزمة: «بَاعِدْ» بآلف وكسر العين. وعن ابن عباس كالقراءتين. قال ابن عباس: إنهم قالوا: لو كانت جثثنا أبعد ممَّا هي، كان أجدر أن يُستهي جثثنا. قال أبو سليمان الدمشقي: لما دُكِرَتْهُمْ الرُّسُلُ يَعمُ الله، أنكروا أن يكون ما هم فيه نعمة، وسألوا الله أن يُبَاعِدَ بَيْنَ أسفارهم. وقرأ يعقوب: [«رَبَّنَا» برفع الباء] «بَاعِدْ» بفتح العين والدال، جعله فعلاً ماضياً على طريق الإخبار للناس بما أنزله الله ﷻ بهم. وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو عبد الرحمن [السلمي]، وأبو رجاء، وابن السميع، وابن أبي عبيدة: «بَعْدَ» برفع العين وتخفيفها وفتح الدال من غير ألف، على طريقة الشكاية إلى الله ﷻ. وقرأ عاصم الجحدري، وأبو عمران الجوني: «بُوعِدَ» برفع الباء ويواو ساكنة مع كسر العين.

قوله تعالى: ﴿وَوَقَدْنَا فِيهَا الشَّجَرَةَ﴾ فيه قولان: أحدهما: بالكسر وتكذيب الرُّسُل. والثاني: بقولهم: «بَعْدَ» بين أسفارنا. ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم يتحدثون بما فعل بهم ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْقَافٍ﴾ أي: فَرَقْنَاهُمْ في كل وجه من البلاد كلَّ التفريق، لأنَّ الله لما غرَّق مكانهم وأذهب جثثهم تبدَّدوا في البلاد، فصارت العرب تتمثل في الفُرقة بسبب<sup>(٢)</sup> ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: فيما قيل بهم ﴿لَايَتٍ﴾ أي: لَيَبْرَأَ ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن معاصي الله ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمه<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ «عليهم» بمعنى «فيهم»، وصدقه في ظنه أنه ظنَّ بهم أنهم يتبعونه إذ اغواهم، فوجدهم كذلك. وإنما قال: ﴿وَلَا ضَلَّاهُمْ وَلَا يَتَّبِعُهُمُ﴾ [النساء: ١١٩] بالظن، لا بالعلم، فمن قرأ: «صَدَّقَ» بتشديد الدال، فالمعنى: حقَّق ما ظنَّه فيهم بما فعل بهم؛ ومن قرأ بالتخفيف، فالمعنى: صَدَّقَ عليهم في ظنِّه بهم<sup>(٤)</sup>. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم أهل سبا. والثاني: سائر المطيعين لإبليس.

(١) قال السيوطي في «الدر» ٢٣٣/٥: وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن طاووس «وَقَدْ جَرَى إِلَى الْكَافِرِ» قال: هو المناقشة في الحساب، ومن نوقش الحساب عُذِبَ، وهو الكافر لا يغفر له.

(٢) قال ابن كثير: يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والغلبة والعيش الهنيء الرغيد والبلاد الرخيَّة، والأماكن الآمنة، والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها، بحيث أن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء، بل حيث نزل وجد ماء وثماراً، ويقيل في قرية ويبيت في أخرى بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: أي: جعلناهم حديثاً للناس، وسمرأ يتحدثون به من خبرهم، وكيف مكر الله بهم وفرَّق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء، تفرقوا في البلاد هائنا وهائنا، قال: ولهذا تقول العرب في القوم إذا تفرقوا: تفرقوا أيدي سبا، وأبادي سبا، وتفرقوا شذر ملر. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: إن في هذا الذي حلَّ بهؤلاء من النعمة والعلاب وتبديل النعمة وتحويل المعافاة عقوبة على ما ارتكبوها من الكفر والآثام، لعبارة ودلالة لكل عبيد صَبَّارٍ على المصائب، شكور على النعم. اهـ. وروى مسلم في «صحيحه» ٤/ ٢٩٥ عن صهيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «صَبَّارٌ لِّأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَصَابَتَهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ فَكَانَ خَيْراً لَهُ».

(٥) قال ابن كثير: لما ذكر الله تعالى قصة سبا وما كان من أمرهم في اتِّباعهم الهوى والشيطان، أخبر عنهم وعن أمثالهم ممن اتَّبَعَ إبليس والهوى وخالف =

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلَاطِينَ﴾ قد شرحناه في قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلَاطَنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]. قال الحسن: والله ما ضربهم بعضاً ولا قهرهم على شيء، إلا أنه دعاهم إلى الأمان والغرور.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي: ما كان تسلطنا إياه إلا لنعلم المؤمنين عن الشاكين. وقرأ الزهري: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ بياء مرفوعة على ما لم يسم فاعله. وقرأ ابن يعمر: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ بفتح الياء. وفي المراء يعلمه هاهنا ثلاثة أقوال قد شرحناها في أول (التكوير). ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الشك والإيمان ﴿حَفِيطٌ﴾، وقال ابن قتيبة: والحفيظ بمعنى الحافظ. قال الخطابي: وهو فعييل بمعنى فاعل، كالقدير، والعليم، فهو يحفظ السموات والأرض بما فيها لتبقى مدة بقائها، ويحفظ عباده من المهالك، ويحفظ عليهم أعمالهم، ويعلم نياتهم، ويحفظ أوليائهم عن واقعة الذنوب، ويحرسهم من مكاييد الشيطان.

﴿قُلْ ادْعُوا إِلَهِكُمْ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَثَقُلَ دَرَرٌ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أوتى له حق إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العزيز الحكيم ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا إِلَهِكُمْ زَعَمْتُمْ﴾ المعنى: قل للكفار: ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة ليتبعوا عليكم ينفع، أو يكشفوا عنكم بليّة. ثم أخبر عنه فقال: ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَثَقُلَ دَرَرٌ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: من خير وشر ونفع وضرر ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ﴾ لم يشاركونا في شيء من خلقهما، ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ أي: وما الله ﴿فِيهِمَا﴾ أي: من الآلهة ﴿مِنْ ظَهِيرٍ﴾ أي من معين على شيء. ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَتَتْهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: ﴿أُذِنَ لَهُ﴾ بفتح الالف. وقرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وخلف: ﴿أُذِنَ لَهُ﴾ برفع الالف. وعن عاصم كالفراءتين. أي: لا تنفع شفاعته ملك ولا نبي حتى يؤذن له في الشفاعة<sup>(١)</sup>، وقيل: حتى يؤذن له فيمن يشفع. وفي هذا رد عليهم حين قالوا: إن هذه الآلهة تشفع لنا. ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ قال ابن قتيبة: خُفَّت عنها الفزع. وقال الزجاج: معناه: كُثِفَ الفزع عن قلوبهم. وقرأ ابن عامر، ويعقوب، وأبان: ﴿فَرَعَ﴾ بفتح الفاء والزاي، والفعل لله ﷻ. وقرأ الحسن، وقتادة، وابن يعمر: ﴿فَرَعَ﴾ بالراء غير معجمة، وبالغين معجمة، وهو بمعنى الأول، لأنها فرغت من الفزع. وقال غيره: بل فرغت من الشك والشرك. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الملائكة. وقد دلّ الكلام على أنهم يفزعون لأمر يطرأ عليهم من أمر الله، ولم يذكره في الآية، لأن إخراج الفزع يدل على حصوله. وفي سبب فزعهم قولان: أحدهما: أنهم يفزعون لسماع كلام الله تعالى. روى عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجمر المسلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، فإذا جاءهم جبريل فرغ عن قلوبهم، فيقولون: يا جبريل: ماذا قال ربك؟ قال: فيقول: الحق، فينادون: الحق الحق»<sup>(٢)</sup>. وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا قضى الله عز وجل الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله»<sup>(٣)</sup>، كأنه سلسلة على صفوان<sup>(٤)</sup>، فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم، قالوا: للذي قال الحق»<sup>(٥)</sup> ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾<sup>(٦)</sup>. والثاني: أنهم يفزعون من قيام

الرشاد والهدى، فقال: ﴿وَلَقَدْ سَدَدَ عَلَيْهِمْ لُبُوسٌ عَزِيزٌ﴾ قال: قال ابن عباس ﷺ وغيره: هذه الآية كقوله تعالى إخباراً عن إبليس حين استع من السجود لأدم عليه الصلاة والسلام، ثم قال: ﴿أَرَأَيْتَ كَذَا آلَى كَفَرْتُمْ عَنْ لَبَنٍ أَعْرَجِي إِلَى يَمِينِهِ أَلَسْتُمْ لَأَسْتَبِيكُمْ دُرُودَةً إِلَّا قَلِيلًا﴾ وقال: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ وَخَلَّيْتُمْ عَنْ ثَمَلِهِمْ وَلَا تُحِذُوا عَنْهُمْ ذِكْرَهُمْ﴾<sup>(٧)</sup>، قال: والآيات في هذا كثيرة. اهـ.

(١) قال ابن كثير: ثبت في (الصحيحين) من غير وجه عن رسول الله ﷺ - وهو سيد ولد آدم وأكبر شقيق عند الله تعالى - أنه حين يقوم المقام المحمود يشفع في الخلق كلهم أن يأتي ربهم لفصل القضاء قال: «فاسجد له تعالى فيذني ما شاء أن يذمني، ويفتح عليّ بمحمد لا أحصيا الآن، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل سميع، وصل مطه، واشفع تشفع... الحديث بتمامه.

(٢) رواه أبو داود في مسنده رقم (٤٧٣٨)، وأورده السيوطي في (الدرر) ٣٦٦/٥، وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في (العلامة)، وابن مردويه، والبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٣) أي: تواضعاً وتواضعاً وانقياداً لحكمه.

(٤) أي: حجر أميس.

(٥) أي: للذي قال القول الحق، وهو الله سبحانه وتعالى.

(٦) رواه البخاري في (صحيحه) ٤١٤/٨ عن أبي هريرة ﷺ، ورواه عنه أيضاً أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وغيرهم.

الساعة. وفي السبب الذي ظنوه بذنوب الساعة ففزعوا، قولان: أحدهما: أنه لما كانت الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم، ثم بعث الله محمداً، أنزل الله جبريل بالوحي، فلما نزل ظنّت الملائكة أنه نزل بشيء من أمر الساعة، فصعقوا لذلك، فجعل جبريل يمرُّ بكل سماءٍ ويكشف عنهم الغُزَّ ويخبرهم أنه الوحي، قاله قتادة، ومقاتل، وابن السائب. وقيل: لما علموا بالإحياء إلى محمد ﷺ، فزعوا، ليعلمهم أن ظهوره من أشراف الساعة. والثاني: أن الملائكة المعقبات الذين يختلفون إلى أهل الأرض ويكتبون أعمالهم إذا أرسلهم الله تعالى فانحدروا، يُسمع لهم صوتٌ شديد، فيحسب الذين هم أسفل منهم من الملائكة أنه من أمر الساعة، فيخرون سُجداً، ويضعقون حتى يعلموا أنه ليس من أمر الساعة، وهذا كلُّما مرَّوا عليهم، رواه الضحاك عن ابن مسعود. والقول الثاني: أن الذي أُشير إليهم المشركون<sup>(١)</sup>؛ ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أن المعنى: حتى إذا كُشف الغُزَّ عن قلوب المشركين عند الموت - إقامة للحجة عليهم - قالت لهم الملائكة: ماذا قال ربكم في الدنيا؟ قالوا: الحق، فأقروا حين لم ينفعهم الإقرار، قاله الحسن، وابن زيد. والثاني: حتى إذا كُشف الغطاء عن قلوبهم يوم القيامة، قيل لهم: ماذا قال ربكم؟ قاله مجاهد.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَلِيُّكُمْ أَوْ يَبَايَعُكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ ثُبُورٍ﴾ ﴿قُلْ لَا تَسْتَوُونَ عَمَّا أَلْمَزْنَا وَلَا تَسْتَلُ عَمَّا تَمْلُونَ﴾ ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا وَاللَّيْلِ وَمَوَ الْفَاحِ الْكَلِيمُ﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمُ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني المطر، يعني النبات والشمس. وإنما أمر أن يسأل الكفار عن هذا، احتجاجاً عليهم بأن الذي يرزق هو المستحق للعبادة، وهم لا يثبتون رازقاً سواه، ولهذا قيل له: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ لأنهم لا يجيبون بغير هذا؛ وهاتنا تم الكلام. ثم أمره أن يقول لهم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَوْ يَبَايَعُكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ ثُبُورٍ﴾ مذهب المفسرين أن «أو» هاهنا بمعنى الواو. وقال أبو عبيدة: معنى الكلام: وأنا لعلّ هُدًى، وإنكم لفي ضلال مُبين<sup>(٢)</sup>. وقال الفراء: معنى «أو» عند المفسرين معنى الواو، وكذلك هو في المعنى، غير أن العربية على غير ذلك، لا تكون «أو» بمنزلة الواو، ولكنها تكون في الأمر المفروض، كما تقول: إن شئت فخذ درهماً أو اثنين، فله أن يأخذ واحداً أو اثنين، وليس له أن يأخذ ثلاثة، وإنما معنى الآية: وأنا لضالون أو مهتدون، وإنكم أيضاً لضالون أو مهتدون، وهو يعلم أن رسوله المهتدي، وأن غيره الضال، كما تقول للرجل تكذبه: والله إن أحداً لكاذب - وأنت تعنيه - فكذبته تكذيباً غير مكشوف؛ ويقول الرجل: والله لقد قديم فلان، فيقول له من يعلم كذبه: قل: إن شاء الله، فيكذبه بأحسن من تصريح التكذيب؛ ومن كلام العرب أن يقولوا: قاتله الله، ثم يستقبلونها، فيقول: قاتعه الله، ويقول بعضهم: كاتمه الله؛ ويقولون: جوعاً، دعاء على الرجل، ثم يستقبلونها فيقولون: جوداً، وبعضهم يقول: جوساً؛ ومن ذلك قولهم: ويحك وويسك، وإنما هي في معنى «ويلك» إلا أنها دونها.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا تَسْتَوُونَ عَمَّا أَلْمَزْنَا﴾ أي: لا تواخذون به ﴿وَلَا تَسْتَلُ عَمَّا تَمْلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب؛ والمعنى إظهار التبري منهم<sup>(٣)</sup>. وهذه الآية عند أكثر المفسرين منسوخة بآية السيف، ولا وجه لذلك.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا﴾ يعني عند البعث في الآخرة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ أي يقضي ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالعدل ﴿وَمَوَ الْفَاحِ﴾ القاضي ﴿الْكَلِيمُ﴾ بما يقضي ﴿قُلْ﴾ للكفار ﴿أَرَأَيْتُمُ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ أي: أعلموني من أي

(١) وقد اختار ابن جرير الطبري القول الأول، وهو أن الضمير عائد إلى الملائكة، وهم المشار إليهم، وقال ابن كثير: وهذا هو الحق الذي لا مزية فيه، لصحة الأحاديث فيه والآثار. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَوْ يَبَايَعُكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ ثُبُورٍ﴾ هذا من باب اللفظ والنشر، أي: واحد من الفريقين مبطل، والآخر محق، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال، بل واحد منا مصيب، ونحن قد أقمت البرهان على التوحيد، فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله تعالى. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: أي: لستم منا ولا نحن منكم، بل ندعوكم إلى الله تعالى وإلى توحيدهِ وإفراد العبادة له، فإن أجبتهم فأنتم منا ونحن منكم، وإن كذبتم فنحن برآء منكم وأنتم برآء منا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ كَذِبَكُمْ أَكْثَرُ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَكْثَرُ رَيْبُونَ وَيَا أَهْلَ بَرَقَةٍ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ اهـ.

وجه المحقّمون وهم لا يخلّقون ولا يرزقون؛ ﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبه؛ والمعنى: اوتدعوا عن هذا القول، وتنبهوا عن ضلالتكم، فليس الأمر على ما أنتم عليه<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨) ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٩) قُل لَّكُمْ يَمَادُ يَوْمَ لَا تَسْتَحْزِنُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغِيثُونَ﴾ (٢٠)

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: عاتمة لجميع الخلائق. وفي الكلام تقديم، تقديره: وما أرسلناك إِلَّا للناس كافّة. وقيل: معنى «كافة للناس»: تكفهم عمّا هم عليه من الكفر، والهاء فيه للمبالغة<sup>(٢)</sup>. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ يعنون العذاب الذي يعدّهم به في يوم القيامة؛ وإنما قالوا هذا، لأنهم يُنكرون البعث، ﴿قُل لَّكُمْ يَمَادُ يَوْمَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه يوم الموت عند النزع والسياق، قاله الضحاك. والثاني: يوم القيامة، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ رَزَقَنَا إِلَٰهُ الْفَالِثُونَ مَوْفُوتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَجْعَلُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ الْقَوْلَ الْقَوْلُ الَّذِينَ اسْتَضِيعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (٢١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضِيعُوا أَفَنَرَكُنَّ مِمَّنْ دَعَاكَ عَنِ الْمَلَائِكَةِ بَعْدَ إِذْ جَاءَكَ بِبَلِّ كُنْتُمْ تُجْرِمُونَ﴾ (٢٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضِيعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ لَّكُنَّ لِقَاءِ رَبِّهِمْ يَوْمَ يَنعِلُونَ أَفَأَمَّا أَتَادَا وَأَسْرُوا الْقَادِمَةَ لَبَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَحَلَاكَ الْغَافِلُونَ فِي أَغْنَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٣)

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني مشركي مكة ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعنون التوراة والإنجيل، وذلك أن مؤمني أهل الكتاب قالوا: إنّ صفة محمد في كتابنا، فكفر أهل مكة بكتابهم. ثم أخبر عن حالهم في القيامة فقال: ﴿وَلَوْ رَزَقَنَا إِلَٰهُ الْفَالِثُونَ﴾ يعني مشركي مكة ﴿مَوْفُوتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في الآخرة ﴿يَجْعَلُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ الْقَوْلَ الْقَوْلُ﴾ أي: يرّد بعضهم على بعض في الجدل واللوم. ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضِيعُوا﴾ وهم الاتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ وهم الأشراف والقادة: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: مصدّقين بتوحيد الله؛ والمعنى: أنتم منعتمونا عن الإيمان؛ فأجابهم المتبوعون فقالوا: ﴿أَفَنَرَكُنَّ مِمَّنْ دَعَاكَ عَنِ الْمَلَائِكَةِ﴾ أي: منعناكم عن الإيمان ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَكَ﴾ به الرسول؟ ﴿بَلْ كُنْتُمْ تُجْرِمُونَ﴾ بترك الإيمان - وفي هذا تنبيه الكفار على أن طاعة بعضهم لبعض في الدنيا تصير سبباً للعداوة في الآخرة - فردّ عليهم الاتباع فقالوا: ﴿بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: بل مكرّم بنا في الليل والنهار. قال الفراء: وهذا ممّا تتوسع فيه العرب لوضوح معناه، كما يقولون: ليله قائم، ونهاره صائم، فتضيف الفعل إلى غير الأدميين، والمعنى لهم. وقال الأخفش: وهذا كقوله: ﴿مِنْ قَوْمِكَ إِلَٰهٌ آخَرُكَ﴾ [محمد: ١٣]، قال جرير:

لَقَدْ لُمْنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السُّرَى  
وَرَمَتْ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمٍ<sup>(٣)</sup>  
وقرأ سعيد بن جبير، وأبو الجوزاء، وعاصم الجحدري: «بَلْ مَكْرَ» بفتح الكاف والراء «الليل والنهار» برفعهما. وقرأ ابن يعمر: «بَلْ مَكْرَ» بإسكان الكاف ورفع الراء وتوניהا «الليل والنهار» بنصبهما.

(١) قال ابن كثير في تنمة الآية: ﴿بَلْ قَوْلُ اللَّهِ﴾ أي: الواحد الأحد الذي لا شريك له، ﴿الْقَوْلُ الْكَبِيرُ﴾ أي: ذو العزة الذي قد قهر بها كل شيء، وغلبت كل شيء، الحكيم في أمثاله وأقواله وشرحه وقدره، تبارك وتعالى وتقدس عما يقولون علواً كبيراً، والله أعلم. اهـ.

(٢) وهو تأويل بعيد، وإن كان أصلها من الكف بمعنى المنع، والمراد هنا أن الله تعالى أرسله إلى جميع الخلائق من المكلّفين، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جِيئًا﴾ وقوله: ﴿بَلِّغْهُ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَمْلِكُوا لَكَ الْكَلِمَاتُ وَيُؤْمِنُوا بِآيَاتِهِ﴾ (١٠١)، وروى البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فليها رجل من أمّتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلّت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة». وفي «صحيح مسلم»: «وبعثت إلى كل أمة وأمر وأسود»، أي: إلى الجن والإنس. وهذا من جملة ما امتاز به نبينا محمد ﷺ. قال ابن عباس رضي الله عنه: إن الله فضل محمداً ﷺ على أهل السماء وعلى الأنبياء، قالوا: يا ابن عباس، فم فضلته على الأنبياء؟ قال: إن الله تعالى قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَرِينٍ﴾ وقال النبي ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ فأرسله الله تعالى إلى الجن والإنس.

(٣) «ديوانه» ٥٥٤، و«مجاز القرآن» ٢٧٩/١، و«الطبري» ٩٨/٢٢، و«مجمع البيان» ٢٢/٢١٠.





هذه، وتفسيرها ظاهر<sup>(١)</sup>. ثم أخبر أنهم لم يقولوا ذلك عن بيته، ولم يكذبوا محمداً عن يقين، ولم يأتهم قبله كتاب ولا نبي يخبرهم بفساد أمره، فقال: ﴿وَمَا آيَاتُنْهُمْ مِنْ كَثَرٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ قال قتادة: ما أنزل الله على العرب كتاباً قبل القرآن ولا بعث إليهم نبياً قبل محمد؛ وهذا محمول على الذين أنذرهم نبينا [محمد] ﷺ؛ وقد كان إسماعيل نذيراً للعرب. ثم أخبر عن عاقبة المكذبين قبلهم مخوفاً لهم، فقال: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني الأمم الكافرة، ﴿وَمَا بَلَغُوا مَقَارَ مَا آيَاتُنْهُمْ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما بلغ كفار مكة معشار ما آتينا الأمم التي كانت قبلهم من القوة والعمال وطول العمر، قاله الجمهور. والثاني: ما بلغ الذين من قبلهم معشار ما أعطينا هؤلاء من الحجة والبرهان. والثالث: ما بلغ الذين من قبلهم معشار شكر ما أعطيناهم، حكاهما الماوردي. والمعشار: العشر. والتكثير: اسم بمعنى الإنكار. قال الزجاج: والمعنى: فكيف كان تكيري؛ وإنما حذفت الياء، لأنه آخر آية.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيَكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتَى وُفِّرَتْ شُرُكُكُمْ مَا يَصْلِحُكُمْ مِنْ جُنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شيء شهيد ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَ الْفُجُورِ﴾ قل جأء الحق وما يبدئ الباطل وما يبيد ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ فَلَأَمَّا أَجِلٌ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُؤْمَرُ إِلَيَّ رَوَيْتُ إِنَّهُ سُبْحَنَ رَبِّيَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيَكُمْ﴾ أي: أكرم وأوصيك ﴿بِوَاحِدَةٍ﴾ وفيها ثلاثة أقوال. أحدها: أنها «لا إله إلا الله»، رواه ليث عن مجاهد. والثاني: طاعة الله، رواه ابن أبي نجيع عن مجاهد. والثالث: أنها قوله: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتَى وُفِّرَتْ شُرُكُكُمْ﴾، قاله قتادة. والمعنى: أن التي أعطاكم بها، قيامكم وتشميركم لطلب الحق، وليس بالقيام على الأقدام<sup>(٢)</sup>. والمراد بقوله: «متى» أي: يجتمع اثنان فيتناظران في أمر رسول الله ﷺ. والمراد بـ «فردى»: أن يتفكر الرجل وحده، ومعنى الكلام: ليتفكر الإنسان منكم وحده، ولْيُخْلُ بِغَيْرِهِ، وَلْيُنَظِرْ، وَلْيُسْتَشِيرْ، فَيَسْتَدِلَّ بِالمصنوعات على صانعها، ويصدق الرسول على أتباعه، ولْيُقِلَّ الرَّجُلُ لَصَاحِبِهِ: هَلُمَّ فَلْتَصَادِقْ هَلْ رَأَيْنَا بِهَذَا الرَّجُلِ جَنَّةً قَطُّ، أَوْ جَزَيْنَا عَلَيْهِ كَذِباً قَطُّ. وتم الكلام عند قوله: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا يَصْلِحُكُمْ مِنْ جُنَّةٍ﴾، وفيه اختصار تقديره: ثم تتفكروا لتعلموا صحة ما أمرتكم به وأن الرسول ليس بمجنون، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ في الآخرة<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾. والمعنى: ما أسألكم شيئاً؛ ومثله قول القائل: ما لي في هذا فقد وهبته لك، يريد: ليس لي فيه شيء<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ أي: يلقي الوحي إلى أنبيائه ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ وقرأ أبو رجاء: «عَلَّمَ» بنصب الميم. ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ وهو الإسلام والقرآن. وفي المراد بالباطل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الشيطان، لا يخلق أحداً ولا يبعثه، قاله قتادة<sup>(٥)</sup>. والثاني: أنه الأصنام، لا تبدئ خلقاً ولا تحيي، قاله الضحاك. وقال أبو سليمان: لا يتبدئ الصنم

(١) وهي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا نَحْنُ عَلَيْكَ لَدَيْنَا قَوْلًا مَا نَدَّ إِلَّا رَيْلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكَ عَنْكَ كَانِ يَبْدُ مَا نَدَّكُمْ وَقَالُوا مَا نَدَّ إِلَّا إِنَّكَ مَنُفَرِّقُهُمْ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَقَدْ لَنَا بِكَ مَتَمُ إِنْ نَدَّ إِلَّا بِحَرْشٍ شَيْئٍ﴾.

(٢) قال ابن كثير: يقول الله تبارك وتعالى: قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون: ﴿إِنَّمَا أَعْطِيَكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ أي: إنما أكرمكم بواحدة، وهي ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتَى وُفِّرَتْ شُرُكُكُمْ مَا يَصْلِحُكُمْ مِنْ جُنَّةٍ﴾ أي: تقوموا قياماً خالصاً لله من غير هوى ولا عصبية فيسأل بعضكم بعضاً: هل بمحمد من جنون؟ فيصحب بعضكم بعضاً.

(٣) روى البخاري في «صحيحه» ٤١٥/٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صعد النبي ﷺ الصفا ذات يوم فقال: «يا صباحاه» فاجتمعت إليه قريش، قالوا: مالك؟ قال: «أرايتم لو أخبرتكم أن العدو يصحبكم أو يمشيكم أما كنتم تصدقوني؟» قالوا: بلى، قال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لك الهذا جملتاً، فأنزل الله: ﴿كَذَّبَتْ بَنَاتُ أَبِي لَهَبٍ﴾.

(٤) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك المكذبين الرادين عليك ما آتيتهم به من عند ربك: ما أسألكم من أجل على إنفادكم عذاب الله وتخوفكم به بأسه، ونصيحتي لكم في أمري ليأكم بالإيمان بالله والعمل بطاعته، فهو لكم لا حاجة لي به، قال: وإنما معنى الكلام: قل لهم: إني لم أسألكم على ذلك جعلاً فتشبهوني وتظنوا أنني إنما هدوتكم إلى أتباعي لما لم آخذكم منكم. اهـ.

(٥) قال ابن كثير: وزعم قتادة والسدي أن المراد بالباطل هاتنا: إبليس، أي: إنه لا يخلق أحداً ولا يعيده ولا يقدر على ذلك، قال: وهذا وإن كان حقاً، ولكن ليس هو المراد هاتنا، والله أعلم. اهـ.



من عنده كلاماً فيجواب، ولا يرُدُّ ما جاء من الحق بحُجَّة. والثالث: أنه الباطل الذي يُضادُّ الحق؛ فالمعنى: ذهب الباطل بمجيء الحق، فلم يَبْقَ منه بَقِيَّةٌ يُقْبَلُ بها أو يُدِيرُ أو يُبَدِّئُ أو يعيد، ذكره جماعة من المفسرين.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ مَلَكَتْ لَنَا أَيْدٍ لَأَمْلَأَنَّ أَسَدِلَّ عَلَى نَفْسِي﴾ أي: إثم ضلالتني على نفسي، وذلك أن كُفَّار مَكَّةَ زعموا أنه قد ضَلَّ حين ترك دين آبائه ﴿وَلِنْ أَمْتَدَيْتَ فِيمَا يُرِجِي إِلَيْكَ رَجَتَ﴾ من الحكمة والبيان.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغْنَا فَلَا قُوَّةَ وَأُذِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ ﴿وَقَالُوا مَأْمَنَّا بِهِ﴾ وَأَنَّ لَكُمْ التَّنَافُسَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْعَنَبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ وَجَلَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا قُورِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُبِينٍ ﴿٥١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغْنَا﴾ في زمان هذا الفرع قولان: أحدهما: أنه حين البعث من القبور، قاله الأكثرون. والثاني: أنه عند ظهور العذاب في الدنيا، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة. وقال سعيد بن جبير: هو الجيش الذي يُخسف به بالبيداء، يبقى منهم رجل فيخبر الناس بما لَقُوا<sup>(١)</sup>، وهذا حديث مشروح في التفسير، وأن هذا الجيش يؤم البيت الحرام لتخريبه، فيُخسف بهم<sup>(٢)</sup>. وقال الضحاك وزيد بن أسلم: هذه الآية فيمن قُتل يوم بدر من المشركين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ المعنى: فلا قُوَّةَ لهم، أي: لا يُمكنهم أن يفوتونا ﴿وَأُذِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من مكانهم يوم بدر، قاله زيد بن أسلم. والثاني: من تحت أقدامهم بالخسف، قاله مقاتل. والثالث: من القبور، قاله ابن قتيبة. وأين كانوا، فهم من الله قريب.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ أي: حين عاينوا العذاب ﴿مَأْمَنَّا بِهِ﴾. في هاء الكناية أربعة أقوال: أحدها: أنها تعود إلى الله ﷻ، قاله مجاهد. والثاني: إلى البعث، قاله الحسن. والثالث: إلى الرسول، قاله قتادة، والرابع: إلى القرآن، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ لَكُمْ التَّنَافُسَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «التَّنَافُسُ» غير مهموز. وقرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي، والمفضل عن عاصم: بالهمز. قال الفراء: من همز جعله من «تَأَنَسَّتْ»، ومن لم يهمز، جعله من «نُسَّتْ»، وهما متقاربان؛ والمعنى: تناولت الشيء، بمنزلة: ذُت الشيء وذَامَتُهُ: إذا جَبَّتْ؛ وقد تناوش

(١) «الطبري» ١٠٧/٢٢.

(٢) ذكر الطبري عند تفسير هذه الآية ١٠٧/٢٢ حديثاً طويلاً عجيباً لا يصح، عن الجيش الذي يخسف به، ونصه بتمامه: حدثنا عصام بن رُوَادٍ بن الجراح، قال: ثنا أبي، قال: ثنا سفيان بن سعيد، قال: ثنا منصور بن المعتمر، عن ربعي بن جراح، قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ، وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، قال: فبينما هم كذلك، إذ خرج عليهم السفياث من الوادي اليابس في قُوْرِهِ ذلك حتر ينزل دمشق، فيبعث جيشين، جيشاً إلى المشرق، وجيشاً إلى المدينة، حتى ينزلوا بأرض «بابل» في المدينة الملعونة، والبقعة الخبيثة، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويَشْتَرُونَ بها أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام، فتخرج راية من الكوفة، فتحلق ذلك الجيش منها على الفتيين فيقتلونهم لا يُقِلَّتْ منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويخلف جيشه التالي بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام وليالها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء، بعث الله جبريل فيقول: يا جبرائيل اذهب فأبْذُرْهُمْ، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم، فذلك قوله في سورة (سبأ): ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغْنَا فَلَا قُوَّةَ...﴾ الآية، ولا ينفلت منهم إلا رجلان، أحدهما يشير، والآخر نذير، وهما من جهينة، فلذلك جاء القول: «وعند جهينة الخبر اليقين». اهـ. قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: وحكى ابن جرير عن بعضهم قال: إن المراد بذلك جيش يخسف بهم بين مكة والمدينة في أيام بني العباس ﷺ، قال: ثم أورد في ذلك حديثاً موهوماً بالكيفية (يريد هذا الحديث)، قال: ثم لم يَبْهَ على ذلك، هذا أمر عجيب غريب منه. اهـ. ولكن قال الطبري بعد هذه الرواية: حدثنا محمد بن خلف المسقلاني، قال: سألت رُوَادَ بن الجراح عن الحديث الذي حدث به عنه عن سفيان الثوري عن منصور عن ربعي عن حذيفة عن النبي ﷺ، عن قصة ذكرها في الفتن، قال: فقلت له: أخبرني عن هذا الحديث، سمعته من سفيان الثوري؟ قال: لا، قلت: فقرأته عليه؟ قال: لا، قلت: فقرأى عليه وأنت حاضر؟ قال: لا، قلت: فما قصته؟ فما خبره؟ قال: جامعي قوم فقالوا: معنا حديث عجيب، أو كلام هذا معناه، نقرأه وتسمعه، قلت لهم: هاتوه، فقرأوه عليّ ثم ذهبوا فحلُّوا به عني، أو كلام هذا معناه. اهـ. فهذا يدل على أن الطبري نفسه يراه غريباً.

وقد روى البخاري في «صحيحه» ٢٨٤/٤ حديث الجيش الذي يغرر الكعبة فيخسف به: عن عائشة ؓ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض (مكان معروف بين مكة والمدينة) يخسف بأولهم وآخرهم»؛ قلت: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: «يخسف بأولهم وآخرهم ثم يُعمِثون على نياتهم»، ولكن لا علاقة لهذا الحديث بتفسير هذه الآية، ولذلك قال ابن كثير: والصحيح أن المراد بذلك (أي بوقت الفرع): يوم القيامة، وهو الطامة العظمى. اهـ.

القَوْمُ في القتال: إذا تناول بعضهم بعضاً بالرَّماح، ولم يتدانوا كُلُّ التداني، وقد يجوز همز «التَّأَوُّش» وهي من «نُشْتُ» لانضمام الواو، مثل قوله: ﴿وَإِذَا أُرْسِلَ أُيُتَتْ﴾ [المرسلات: ١١]. وقال الزجاج: من همز «التَّأَوُّش» فلأنَّ واو التَّأَوُّش مضمومة، وكُلُّ واو مضمومة ضُمَّتْها لازمة، إن شئت أبدلت منها همزة، وإن شئت لم تبدل، نحو: أدور<sup>(١)</sup>. وقال ابن قتيبة: معنى الآية: وأتى لهم التَّأَوُّشُ لِمَا أرادوا بلوغه وإدراك ما طلبوا من التَّوْبَةِ ﴿مِنْ تَكَايُ بِبِيرٍ﴾ وهو الموضع الذي تُقْبَلُ فيه التَّوْبَةُ. وكذلك قال المفسرون: أتى لهم بتناول الإيمان والتوبة وقد تركوا ذلك في الدنيا والدنيا قد ذهبت؟!

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ في هاء الكناية أربعة أقوال قد تقدَّمت في قوله: ﴿هَآمَّا يَوْمَ﴾ [سبا: ٥٢]. ومعنى ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا من قبل معاينة أهوال الآخرة ﴿وَيَقْدِرُونَ بِالْقَيْبِ﴾ أي: يَرْمُونَ بِالظَّنِّ ﴿مِنْ تَكَايُ بِبِيرٍ﴾ وهو بعدهم عن العلم بما يقولون. وفي المراد بمقالتهم هذه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم يظنون أنهم يَرُدُّونَ إلى الدنيا، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه قولهم في الدنيا: لا بعث لنا ولا جنة ولا نار، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: أنه قولهم عن رسول الله ﷺ: هو ساحر، هو كاهن، هو شاعر، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أي: مُنِعَ هؤلاء الكفار مما يشتهون، وفيه ستة أقوال: أحدها: أنه الرجوع إلى الدنيا، قاله ابن عباس. والثاني: الأهل والمال والولد، قاله مجاهد. والثالث: الإيمان، قاله الحسن. والرابع: طاعة الله، قاله قتادة. والخامس: التَّوْبَةُ<sup>(٢)</sup>، قاله السدي. والسادس: حيل بين الجيش الذي خرج لتخريب الكعبة وبين ذلك بأن خُصِفَ بهم، قاله مقاتل<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَمَا قُوتِلَ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو عمران: ﴿كَمَا قُتِلَ﴾ بفتح الفاء والعين ﴿وَأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ قال الزجاج: أي: بمن كان مذهبه مذهبهم<sup>(٤)</sup>. قال المفسرون: والمعنى: كما قُتِلَ بِنُظْرَاتِهِمْ من الكفار من قبل هؤلاء، فإنهم حيل بينهم وبين ما يشتهون. وقال الضحاك: هم أصحاب الفيل حين أرادوا خراب الكعبة ﴿لِئَلَّاهُمْ كَأْتَرُوا فِي شَكِّ﴾ من البعث ونزول العذاب بهم ﴿شَيْئٍ﴾ أي: مُوَقِعٍ لِلرَّيْبِ وَالتَّهْمَةِ<sup>(٥)</sup>.



(١) قال في «الصحيح» مادة «دور»: الدار مؤنثة، وأدنى العدد: أثنان، فالحمزة فيه شُبُهَةٌ من واو مضمومة، ولك أن لا تهمز.

(٢) قال ابن كثير: وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله، قال: وقال مجاهد: ﴿وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من هذه الدنيا من مال وزهرة وأهل، قال: وروي نحوه عن ابن عمر، وابن عباس، والربيع بن أنس، قال: وهو قول البخاري وجماعة، ثم قال: والصحيح أنه لا منافاة بين القولين، فإنه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ما طلبوه في الآخرة ففتنوا منه. اهـ.

(٣) هنا التأويل متعلق بما ذكر في حديث الجيش الذي يخسف به عند قوله تعالى: ﴿يَلْزَمُ زَرْقٌ لَهْ فَرَعُوا فَلَا وَرُكَّ﴾ وقد علمت أنه لا يصح.

(٤) قال ابن كثير: أي: كما جرى للأمم الماضية المكذبة بالرسول لما جاءهم بأس الله تَمَنُّوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم. اهـ.

(٥) قال ابن كثير: أي: كانوا في الدنيا في شك وريبة، فلهم لم يُقْبَلْ منهم الإيمان عند معاينة العذاب، وقال: قال قتادة: ليحكم والشك والريبة، فإن من مات على شك بُعث عليه، ومن مات على يقين بعث عليه. اهـ.

## سورة فاطر

وتسمى سورة الملائكة، وهي مكية بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَتِلْكَ رُزْجٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: خالقهما مبتدأ على غير مثال. قال ابن عباس: ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى اختصم أعرابيَان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتهما، أي: ابتدأتهما<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا﴾ وروى الحلبي والقزاز عن عبد الوارث: «جاعِلٌ» بالرفع والتنوين «الملائكة» بالنصب «رُسُلًا» يرسلهم إلى الأنبياء وإلى ما شاء من الأمور «أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَتِلْكَ رُزْجٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ» فبعضهم له جناحان، وبعضهم [له] ثلاثة، وبعضهم له أربعة، و«يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ» فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه زاد في خلق الملائكة الأجنحة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: يزيد في الأجنحة ما يشاء، رواه عباد بن منصور عن الحسن، وبه قال مقاتل<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنه الخلق الحسن، رواه عوف عن الحسن. والرابع: أنه حُسن الصوت، قاله الزمهرى، وابن جريج. والخامس: الملاحاة في العينين، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ أي: من خير ورزق. وقيل: أراد بها المطر «فَلَا مُمْسِكَ لَهَا» وقرأ أبي بن كعب، وابن أبي عتبة: «فَلَا مُمْسِكٌ لَهُ». وفي الآية تنبيه على أنه لا إله إلا هو، إذ لا يستطيع أحد إمساك ما فتح وفتح ما أمسك<sup>(٣)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَلْهَوْا أَنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ وَإِنْ يَكْفُرُوا فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَلِلَّهِ اللَّهُ رُجْعُ الْأُمُورِ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْهَوَىٰ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۝ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ قال المفسرون: الخطاب لأهل مكة، «واذكروا» بمعنى «احفظوا»، ونعمة الله عليهم: إسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم. «هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ» وقرأ حمزة والكسائي: «غَيْرِ اللَّهِ» بخفض الراء؛ قال أبو علي: جعلناه صفة على اللفظ، وذلك حسن لإتباع الجر. وهذا استفهام تقرير وتوبيخ؛ والمعنى: لا خالق سواه «يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ» المطر «و» من «الْأَرْضِ» النبات. وما بعد هذا قد سبق بيانه في الانعام: ٩٥، آل عمران: ١٨٤، البقرة: ٢١٠، لقمان: ٣٣ إلى قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ﴾ أي: إنه يريد هلاككم «فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا» أي: أنزلوه من أنفسكم منزلة الأعداء، وتجنبوا طاعته «إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ» أي: شيعته إلى الكفر «لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ».

﴿أَفَنْزِلُ رَبِّي لِيُخَبِّرَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَصْنَعُونَ بَصِيرٌ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ خَفِيفٌ ۝﴾

(١) قال ابن كثير: وقال ابن عباس: «فاطر السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» أي: بديع السموات والأرض، قال: وقال الضحاك: كل شيء في القرآن «فاطر السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» فهو خالق السموات والأرض. اهـ.

(٢) وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن مسعود: قال: «لَقَدْ كَانَ مِنْ تِلْكَ رُزْجٍ كَثِيرٌ ۝» قال: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح.

(٣) قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ زَيْنٌ لَمْ يَسُوْهُ عَلَيْهِ﴾<sup>(١)</sup> اختلفوا فمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أبي جهل ومشركي مكة، قاله ابن عباس. والثاني: في أصحاب الأهواء والجلل التي خالفت الهدى، قاله سعيد بن جبير. والثالث: أنهم اليهود والنصارى والمجوس، قاله أبو قلابة<sup>(٢)</sup>. فإن قيل: أين جواب «أَمَّنْ زَيْنٌ له؟» فالجواب من وجهين ذكرهما الزجاج: أحدهما: أن الجواب محذوف؛ والمعنى: أَمَّنْ زَيْنٌ له سوء عمله كمن هداه الله؟ ويدل على هذا قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾. والثاني: أن المعنى: أَمَّنْ زَيْنٌ له سوء عمله فأضله الله ذهب نفسك عليهم حسرات؟! ويدل على هذا قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَنْهُمْ حَزِينٌ﴾. وقرأ أبو جعفر: «فلا تذهب» بضم التاء وكسر الهاء «نَفْسُكَ» بنصب السين. وقال ابن عباس: لا تَغْتَمُ ولا تُهْلِكَ نَفْسُكَ حَسْرَةً على تركهم الإيمان.

قوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّرَ صَبَابٌ﴾ أي: تُرْجعه من مكانه؛ وقال أبو عبيدة: تجمعه وتجيء به، و«سُبْقَانَهُ» بمعنى «نسوقه»؛ والعرب قد تضع «فَعَلْنَا» في موضع «فَعَلْ»، وأنشدوا:

إِنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا  
مِثْنِي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَقْنَا<sup>(٣)</sup>  
المعنى: يَطِيرُوا وَيَذْفُوا.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ الْكُفُّورُ﴾ وهو الحياة. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: كما أحيا الله الأرض بعد موتها يُحيي الموتى يوم البعث. روى أبو رزين العقيلي، قال: قلت: يا رسول الله: كيف يُحيي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ فقال: «هل مررت بوادي أهلك مَخْلًا، ثم مررت به يهترئ خَضِرًا؟» قلت: نعم، قال: «فكذلك يُحيي الله الموتى، وتلك آيته في خلقه»<sup>(٤)</sup>. والثاني: كما أحيا الله الأرض الميتة بالماء، كذلك يُحيي الله الموتى بالماء. قال ابن مسعود: يرسل الله تعالى ماء من تحت العرش كميئ الرجل، قال: فتنبت لُحْمَانَهُمْ وَجُسْمَانَهُمْ من ذلك الماء، كما تنبت الأرض من الثرى، ثم قرأ هذه الآية. وقد ذكرنا في [الأعراف: ٥٧] نحو هذا الشرح.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من كان يريد العزة بعبادة الأوثان ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾، قاله مجاهد. والثاني: من كان يريد العزة فليتمتع بطاعة الله، قاله قتادة. وقد روى أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ رَبِّكُمْ يَقُولُ كُلَّ يَوْمٍ: أَنَا الْعَزِيزُ، فَمَنْ أَرَادَ عِزَّ الدَّارَيْنِ فَلْيَطِيعِ الْعَزِيزَ»<sup>(٥)</sup>. والثالث: من كان يريد عِلْمَ الْعِزَّةِ لِمَنْ هِيَ، فإنها لله جميعاً، قاله الفراء<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو عبد الرحمن السلمي، والنخعي، والجحدري،

(١) قال السيوطي في «الدر» ٢٤٥/٥: أخرجه ابن جرير من طريق جوير عن الضحاك رحمه الله قال: أنزلت هذه الآية ﴿أَمَّنْ زَيْنٌ لَمْ يَسُوْهُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ سَكَا﴾ حيث قال النبي ﷺ: «اللهم أعز دينك بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل ابن هشام، فهدى الله عمر رحمه الله، وأضل أبا جهل، ففيهما أنزلت.

وقال في «أسباب النزول» ١٨٥: أخرجه جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية... فذكره بنحوه.

(٢) قال السيوطي في «الدر» ٢٤٥/٥: أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي قلابة أنه سئل عن هذه الآية ﴿أَمَّنْ زَيْنٌ لَمْ يَسُوْهُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ سَكَا﴾: أهم مَعَالَنَا هَؤُلَاءَ الَّذِينَ يَضُنُّونَ؟ قال: ليس هم، إِنَّ هَؤُلَاءَ ليس أحدهم يأتي شيئاً مما لا يحل له إلا قد عرف أن ذلك حرام عليه، إن أتى الزنى فهو حرام، أو قتل النفس فهو حرام، إنما أولئك أهل الملل اليهود والنصارى والمجوس... إلخ.

(٣) سبق تخريج البيت ٥٠٩، وهو أيضاً في «مجاز القرآن» ١٥٢/٢، و«اللسان» و«التاج»: أذن.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسنَد» ١١/٤ من حديث حماد بن سلمة قال: أنبأنا يعلى بن عطاء عن وكيع بن حشد عن عمه أبي رزين العقيلي. قال ابن كثير: ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به، ثم قال: ورواه أحمد أيضاً بسند آخر قال: حدثنا علي بن إسحاق، أنبأنا ابن المبارك، أنبا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن سليمان بن موسى، عن أبي رزين العقيلي... فذكره بنحوه. والحديث أورده السيوطي في «الدر» ٢٤٥/٥، وزاد نسبه للطبري، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي رزين العقيلي رحمه الله.

(٥) ذكره الطبرسي في «مجمع البيان» بدون سند.

(٦) قال ابن جرير الطبري: والذي هو أولى الأقوال بالصواب عندي قول من قال: من كان يريد العزة فبالله فليتمتع، فله العزة جميعاً دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان. وقال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي: من كان يحب أن يكون عزيزاً في الدنيا والآخرة، فليلتزم طاعة الله تعالى، فإنه يحصل له مقصوده، لأن الله تعالى مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعاً. اهـ.

والشيزري عن الكسائي: «يُضَعَدُ الْكَلَامُ الطَّيِّبُ» وهو توحيد وذكْره<sup>(١)</sup> «وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» قال علي بن المديني: «الْكَلِمُ الطَّيِّبُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، والعمل الصالح: أداء الفرائض واجتناب المحارم<sup>(٢)</sup>». وفي هاء الكناية في قوله: «يرفعه» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الكَلِمِ الطَّيِّبِ؛ فالمعنى: والعمل الصالح يرفع الكَلِمِ الطَّيِّبِ، قاله ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك. وكان الحسن يقول: يُغْرَضُ الْقَوْلُ عَلَى الْفِعْلِ، فإن وافق الْقَوْلُ الْفِعْلَ قُبِلَ، وإن خالف رُدَّ. والثاني: أنها ترجع إلى العمل الصالح، فالمعنى: والعمل الصالح، يرفعهُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ، فهو عكس القول الأول، وبه قال أبو صالح، وشهر بن حوشب. فإذا قلنا: إن الْكَلِمِ الطَّيِّبِ هو التوحيد، كانت فائدة هذا القول أنه لَا يُقْبَلُ عَمَلٌ صَالِحٌ إِلَّا مِنْ مُوَحِّدٍ. والثالث: أنها ترجع إلى الله ﷻ؛ فالمعنى: والعمل الصالح يرفعهُ الله إليه، أي: يُقْبَلُهُ، قاله قتادة.

قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّيَاطِينَ» قال أبو عبيدة: يمحرون: بمعنى: يكتسبون ويجترحون. ثم في المشار إليهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة، قاله أبو العالية. والثاني: أنهم أصحاب الرياء، قاله مجاهد، وشهر بن حوشب. والثالث: أنهم الذين يعملون الشَّيَاطِينَ، قاله قتادة، وابن السائب. والرابع: أنهم قاتلو الشُّرك، قاله مقاتل<sup>(٣)</sup>. وفي معنى «يَتَّبِعُونَ» قولان: أحدهما: يَتَّبِلُ، قاله ابن قتيبة. والثاني: يَتَّبِعُ، قاله الزجاج.

«وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُفٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» ﴿١﴾ وَمَا يَسْتَوِ الْأَبْهَرَانِ هَذَا عَذَبٌ فَارَتْ سَائِغٌ شَرَابِهِ وَهَذَا يُلَاحُظُ أَلْجَافٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَعَنًا طَرِبًا وَتَسْتَعْرِضُونَ حِلَّةً تَلْبَسُونَهَا وَزَى الْأَذَلَّ فِيهِ مَلَاخِرَ لِيَتَنَفَّسُوا مِنْ فَنَائِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رُكْنَكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ فِطْمِيرٍ ﴿٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَهُمْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَهُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ وَلَا يَنْتَفِكُمْ مِثْلَ خَيْرٍ ﴿٤﴾

قوله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ» يعني آدم «ثُمَّ مِنْ نُفُفٍ» يعني نسله «ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا» أي: أصنافًا، ذكورا وإناثًا، قال قتادة: زَوْجٌ بعضهم ببعض.

قوله تعالى: «وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ» أي: ما يطول عمر أحد «وَلَا يُنْقَضُ» وقرأ الحسن، ويعقوب: «يُنْقَضُ» بفتح الياء وضم القاف «وَمِنْ عُمرِهِ» في هذه الهاء قولان: أحدهما: أنها كناية عن آخر، فالمعنى: ولا يُنْقَضُ من عمر آخر؛ وهذا المعنى في رواية العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في آخرين<sup>(٤)</sup>. قال الفراء: وإنما كنى عنه كأنه الأول، لأن لفظ الثاني لو ظهر كان كالأول، كأنه قال: ولا يُنْقَضُ من عمر مُعَمَّرٍ، ومثله في الكلام: عندي درهم ونصفه؛ والمعنى: ونصف آخر. والثاني: أنها ترجع إلى المُعَمَّرِ المذكور؛ فالمعنى: ما يذهب من عمر هذا المُعَمَّرِ يوم أو ليلة إلا وذلك مكتوب؛ قال سعيد بن جبير: مكتوب في أول الكتاب: عمره كذا وكذا سنة، ثم يكتب أسفل من ذلك: ذهب يوم، ذهب يومان، ذهبت ثلاثة، إلى أن ينقطع عُمره؛ وهذا المعنى في رواية ابن جبير عن ابن عباس، وبه قال عكرمة

(١) قال ابن كثير: وقوله: «إِلَّا بِعِلْمِهِ» أي: بالذكور والتلاوة والدعاء، قاله غير واحد من السلف.

(٢) الذي في «الطبري»: عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: قوله: «إِلَّا بِعِلْمِهِ» أي: الْكَلَامُ الطَّيِّبُ يَرْفَعُهُ» قال: الْكَلَامُ الطَّيِّبُ: ذِكْرُ اللَّهِ، والعمل الصالح: أداء فرائضه، فمن ذكر الله سبحانه في أداء فرائضه، حمل عليه ذكر الله فصعد به إلى الله، ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه، رَدَّ كَلَامَهُ عَلَى عَمَلِهِ فَكَانَ أَوَّلَى بِهِ. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّيَاطِينَ» قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وشهر بن حوشب: هم المراءون بأعمالهم، يعني يمحرون بالناس، يوهمون أنهم في طاعة الله تعالى، وهم بغضاء إلى الله ﷻ، يراءون بأعمالهم «وَلَا يَكْفُرُكَ اللَّهُ إِلَّا قَلِيلًا» قال: وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هم المشركون، ثم قال ابن كثير: والصحيح أنها عامة، والمشركون داخلون بطريق الأولى، ولهذا قال تعالى: «لَكُمْ عَذَابٌ كَبِيرٌ وَتُكْفَرُونَ عَنْهُ» أي: يفسد ويضل ويظهر زيفهم عن قريب لأولي البصائر والنهي، فإنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلنات لسانه، وما أسر أحد سريرة إلا كساه الله تعالى رداءها، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، قال: فالمرآني لا يروج أمره ويستمر إلا على غيبي، أما المؤمنون المَعْرُوسُونَ، فلا يروج ذلك عليهم، بل ينكشف لهم عن قريب، قال: وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية. اهـ.

(٤) وهذا الذي اختاره ابن جرير الطبري، وقال عنه ابن كثير: وهو كما قال.

وأبو مالك في آخرين<sup>(١)</sup>. فاما الكتاب، فهو اللوح المحفوظ. وفي قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى كتابة الآجال. والثاني: إلى زيادة العمر وتقصانه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَيْنِ﴾ يعني العذب والمالح؛ وهذه الآية وما بعدها قد سبق بيانه [الفرقان: ٥٣، النحل: ١٤، آل عمران: ٢٧، الرعد: ٢٢] إلى قوله: ﴿مَا يَلِكُوكُم مِّنْ قَطْمِيرٍ﴾ قال ابن عباس: هو القشر الذي يكون على ظهر النواة.

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعْوَكُمْ﴾ لأنهم جماد ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾ بأن يخلق الله لهم أسماعاً ﴿مَا أَسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ أي: لم يكن عندهم إجابة ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ﴾ أي: يتبرؤون من عبادتكم ﴿وَلَا يَنْتَفِعُ﴾ يا محمد ﴿مِنْ حَبِيرٍ﴾ أي: عايم بالأشياء، يعني نفسه ﷺ؛ والمعنى أنه لا أخير منه عز جل بما أخبر أنه سيكون.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ إن يَتَأَذِّنْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَلَنْ تَنفَعُ مُمْسِكَةٌ مِنَ الْخَلْقِ إِلَّا خِلَافًا لَا يَنْفَعُ مُمْسِكٌ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُذَكِّرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَنَزَعُوا مِنَّا ذُرِّيَّتَهُمْ إِنَّهُمْ أَنَافِقٌ ﴿وَلَا الظَّالِمُتُّ وَلَا الْفَاسِقُ﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْآخِلَةُ وَلَا الْأَمْرُتُ إِنَّ اللَّهَ يُسَمِّعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿إِنَّ أَنْتَ مُرْسِلٌ﴾ إِنَّمَا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أَشْءٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ مُّسَلِّمَةٌ بِالْإِيمَانِ وَالْكِتَابِ النَّبِيِّ ﴿فَمَنْ أَخَذْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: المحتاجون إليه ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن عبادتكم ﴿الْحَمِيدُ﴾ عند خلقه بإحسانه إليهم<sup>(٢)</sup>. وما بعد هذا قد تقدم بيانه [إبراهيم: ١٩، الأنعام: ١٦٤] إلى قوله: ﴿وَلَنْ تَنفَعُ مُمْسِكَةٌ﴾ أي: نفس مُمْسِكَةٌ بِالذُّنُوبِ ﴿إِنَّ خِلَافَهَا﴾ الذي حملت من الخطايا ﴿لَا يَنْفَعُ مُمْسِكٌ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ الذي تدعوه ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ ذا قرابة<sup>(٣)</sup> ﴿إِنَّمَا تُذَكِّرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ أي: يخشونه ولم يرووه؛ والمعنى: إنما تنفع بإنذارك أهل الخشية، فكانك تنذرهم دون غيرهم لمكان اختصاصهم بالانتفاع، ﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾ أي: تطهر من الشرك والفواحش، وفعل الخير ﴿فَلَنَنَّا يَتَزَكَّى لِنَفِيهِ﴾ أي: فصلاحه لنفسه ﴿وَلِلَّهِ الْغَنِيُّ﴾ فيجزي بالأعمال، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ يعني المؤمن والمشرک، ﴿وَلَا الظَّالِمُتُّ﴾ يعني الشرك والضلالات ﴿وَلَا الْزُّرُّ﴾ الهدى والإيمان، ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ في قولان: أحدهما: ظل الليل وسُوم النهار، قاله عطاء. والثاني: الظلُّ: الجَنَّةُ، والحَرُورُ: النار، قاله مجاهد. قال الفراء: الحَرُورُ بمنزلة السُّوم، وهي الرياح الحارّة. والحَرُورُ تكون بالنَّهار وبالليل، والسُّومُ لا تكون إلا بالنَّهار. وقال أبو عبيدة: الحَرُورُ تكون بالنَّهار مع الشمس، وكان رؤية يقول: الحَرُورُ بالليل، والسُّومُ بالنَّهار.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْآخِلَةُ وَلَا الْأَمْرُتُ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أن الأحياء: المؤمنون، والأموات: الكفار. والثاني: أن الأحياء: العقلاء، والأموات: الجُهَّال. وفي «لا» المذكورة في هذه الآية قولان: أحدهما: أنها زائدة مؤكدة. والثاني: أنها نافية لاستواء أحد المذكورين مع الآخر. قال قتادة: هذه أمثال ضربها الله تعالى للمؤمن والكافر، يقول: كما لا تستوي هذه الأشياء، كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن<sup>(٤)</sup>. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسَمِّعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يفهم من يريد

(١) قال ابن كثير: وقال السائي عند تفسير هذه الآية الكريمة: حدثنا أحمد بن يحيى بن أبي زيد بن سليمان، قال: سمعت ابن وهب يقول: حدثني يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سُرَّه أن يسط له في رزقه ويُسَّأ له في أثره فليصل رحمه»، قال ابن كثير: وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود من حديث يونس بن يزيد الأيلي به. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: يغير تعالى بفتائه عما سواه، ويفاقار المخلوقات كلها إليه وتلذذها بين يديه، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: هم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو تعالى الغني عنهم بالنت، ولهذا قال ﷺ: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ أي: هو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله ويفكره ويشعره، ثم قال في تمة الآية: وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَتَأَذِّنْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: لو شاء لأذهبكم أيها الناس وأتى بقوم غيركم، وما هذا عليه يصعب ولا ممتنع، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي يوم القيامة.

(٣) وظل لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَلَنْ تَنفَعُ مُمْسِكَةٌ مِنَ الْخَلْقِ إِلَّا خِلَافًا لَا يَنْفَعُ مُمْسِكٌ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُذَكِّرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَنَزَعُوا مِنَّا ذُرِّيَّتَهُمْ إِنَّهُمْ أَنَافِقٌ ﴿وَلَا الظَّالِمُتُّ وَلَا الْفَاسِقُ﴾ وقال: ﴿يَوْمَ يَرَى الَّذِينَ يَنُوبُونَ﴾ رَأَوْهُ رَبُّهُ ﴿وَصَحِبَهُ﴾ رَأَوْهُ رَبُّهُ ﴿يَكُلُّ أَرَبًا ضَعُفًا مُّتَبَايِعِينَ﴾

(٤) قال ابن كثير: هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين وهم الأموات، بقوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ نِسِيتَ فَاتَّبَعْنَاهُ وَجَعَلْنَا كَمُورًا تَبْشِيرًا﴾

إفهامه ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُشِيعٍ ثَمَّ فِي الْقُبُورِ﴾<sup>(١)</sup> وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، والجحدري: «بِمُشِيعٍ ثَمَّ» على الإضافة؛ يعني الكفار، شبههم بالموتى، ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup> قال بعض المفسرين: نُسخ معناها بآية السيف<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَكِنْ مِنْ أَنْتُمْ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أي: ما من أمة إلا قد جاءها رسول<sup>(٤)</sup>. وما بعد هذا قد سبق بيانه لك صرمان: ١٨٤، الحج: ٤٤ إلى قوله: ﴿كَذَٰبٌ كَانَتْ تَكْبِيرُ﴾<sup>(٥)</sup> أثبت فيها الباء في الحالين يعقوب، وافقه في الوصل ورش.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرِيظٌ سَوْدٌ وَمِنَ النَّارِ الْكَأَسِ وَالْكَأَسِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يُخَشَى اللَّهُ مِن عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾<sup>(٦)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ﴾ أي: ومما خَلَقْنَا مِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ. قال ابن قتيبة: الْجُدَدُ: الْخُطُوطُ وَالطَّرَاقُ تَكُونُ فِي الْجِبَالِ، فَبَعْضُهَا بَيضٌ، وَبَعْضُهَا حُمْرٌ، وَبَعْضُهَا غَرِيبٌ سَوْدٌ، وَالْغَرِيبُ جَمْعُ غَرِيبٍ، وَهُوَ الشَّدِيدُ السَّوَادُ، يُقَالُ: أَسْوَدُ غَرِيبٍ، وَتَمَامُ الْكَلَامِ عِنْدَ قَوْلِهِ: «كَذَٰلِكَ»، يَقُولُ: مِنَ الْجِبَالِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ<sup>(٧)</sup>، ﴿وَمِنَ النَّارِ الْكَأَسِ وَالْكَأَسِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا كَذَٰلِكَ﴾ أي: كاختلاف الثمرات. قال الفراء: وفي الكلام تقديم وتأخير، تقديره: وسود غريب، لأنه يقال: أسود غريب، وقلما يقال: غريب أسود. وقال الزجاج: المعنى: ومن الجبال غريب أسود، وهي ذوات الصخر الأسود. وقال ابن دريد: الْغَرِيبُ: الْأَسْوَدُ، أَحْسَبُ أَنْ اشْتَقَّاهُ مِنَ الْغَرَابِ. وللمفسرين في المراد بالغريب ثلاثة أقوال: أحدها: الطرائق السود، قاله ابن عباس. والثاني: الأودية السود، قاله قتادة. والثالث: الجبال السود، قاله السدي. ثم ابتداء فقال: ﴿إِنَّمَا يُخَشَى اللَّهُ مِن عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ يعني العلماء بالله عز وجل. قال ابن عباس: يريد: إِنَّمَا يُخَافُنِي مِنَ خَلْقِي مَنْ عَلِمَ جَبْرُوتِي وَعِزَّتِي وَسُلْطَانِي<sup>(٨)</sup>. وقال مجاهد والشعبي: الْعَالِمُ مَنْ خَافَ اللَّهَ. وقال الربيع بن أنس: مَنْ لَمْ يُخَشِ اللَّهَ فَلَيْسَ بِعَالِمٍ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾<sup>(٩)</sup> لِيُفِيَّهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَرْبِّدَهُمْ مِنْ فَضْلِنَا إِنَّهُمْ غَفُورٌ شَكُورٌ<sup>(١٠)</sup> وَالَّذِينَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُعَذِّبًا لِّمَا يَكُونُ يَدِينُ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(١١)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ يعني قُرَّاء القرآن، فأثنى عليهم بقراءة القرآن؛ وكان مطرّف يقول: هذه آية القُرَّاء. وفي قوله: ﴿يَتْلُونَ﴾ قولان: أحدهما: يقرؤون. والثاني: يتبعون. قال أبو عبيدة: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ بمعنى ويقيمون، وهو إدامتها لمواقيتها وحدودها.

يد في الآتين كَمَنْ تَلَّى فِي الْكَلْبَةِ لَيْسَ بِخَافٍ يَتْلَى، وقال: ﴿يَتْلُونَ الْقُرْآنَ كَمَا تَلَّى الْأَنْبِيَاءُ وَالنَّبِيُّ هَلْ يَسْتَرْكَنُ تَلَا؟﴾ فالؤمن بصير سمع في نور، يمشي على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون، والكافر أعمى وأصم في ظلمات يمشي لا خروج له منها، بل هو يتي في غيّه وضلاله في الدنيا والآخرة حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسُّمُوم والحميم وظل من يحوم لا يابى ولا كرم. اهـ.

(١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُشِيعٍ ثَمَّ فِي الْقُبُورِ﴾ يقول تعالى ذكره: كما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله فيهدبهم به إلى سبيل الرشاد، فكذلك لا يقدر أن ينفع بمواعظ الله وبيان حججه من كان ميت القلب من إحياء عباده عن معرفة الله وفهم كتابه وتنزيله ورواحه حججه. اهـ.

(٢) قال ابن جرير: وقوله: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ما أنت إلا نذير تنذر هؤلاء المشركين بالله الذين طبع الله على قلوبهم، ولم يؤنسك ربك إليهم لا لتبلغهم رسالتك، ولم يكلفك من الأمر ما لا سبيل لك إليه، فأما اعتدائهم وقبولهم منك ما جتته به، فإن ذلك بيد الله لا بيدك ولا بيد فريك من الناس، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن هم لم يستجيبوا لك. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: أي: وما من أمة خلعت من بني آدم إلا وقد بعث الله تعالى إليهم النور، وأزاح عنهم الملل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وكما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصُّلُوحَ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كُنْتُمْ تُدْعَوْنَ إِلَيْهَا أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ مَعَهُمُ الْغَالِبُ﴾ الآية، قال: والآيات في هذا كثيرة. اهـ.

(٤) قال ابن جرير الطبري: ﴿كَذَٰبٌ كَانَتْ تَكْبِيرُ﴾: فانظر يا محمد كيف كان تغييري بهم، وحلول عقوبتي بهم.

(٥) في «غريب القرآن»: ألوانها.

(٦) قال ابن كثير: أي: إِنَّمَا يُخَافُهُ حَقَّ خَشْيَةِ الْعُلَمَاءُ الْعَارِفُونَ بِهِ، لَأنَّهُ كَلِمَا كَانَتْ الْمَعْرِفَةُ لِلْعَظِيمِ الْقَدِيرِ الْعَلِيمِ الْمَوْصُوفِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الْمَنْعُوتِ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، كَلِمَا كَانَتْ الْمَعْرِفَةُ بِهِ أَمَّ وَالْعِلْمُ بِهِ أَكْمَلَ، كَانَتْ الْخَشْيَةُ لَهُ أَعْظَمَ وَأَكْبَرَ. اهـ.

قوله تعالى: ﴿يَرْجُونَ عِذْرَةَ﴾ قال الفراء: هذا جواب قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾. قال المفسرون: والمعنى: يرجون بفعلهم هذا تجارة لن تفسد ولن تهلك ولن تكسب. ﴿لِيُفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ﴾ أي: جزاء أعمالهم ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قال ابن عباس: سوى الثواب ما لم ترعين ولم تسمع أذن. فأما الشكور، فقال الخطابي: هو الذي يشكر اليسير من الطاعة، فيثيب عليه الكثير من الثواب، ويُعطي الجزيل من النعمة، ويرضى باليسير من الشكر؛ ومعنى الشكر المضاف إليه: الرضى بيسير الطاعة من العبد، والقبول له، وإعظام الثواب عليه؛ وقد يحتمل أن يكون معنى الثناء على الله بالشكور ترغيب الخلق في الطاعة قلت أو كثرت، لئلا يستحلوا القليل من العمل، ولا يتركوا اليسير منه.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ جئت عند دخلوها يحكون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حريرا ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ في ﴿ثُمَّ﴾ وجهان: أحدهما: أنها بمعنى الواو، والثاني: أنها للترتيب. والمعنى: أنزلنا الكتب المتقدمة، ثم أَوْرَثْنَا الكتاب. ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم أمة محمد ﷺ، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم الأنبياء وأتباعهم، قاله الحسن. وفي الكتاب قولان: أحدهما: أنه اسم جنس، والمراد به الكتب التي أنزلها الله ﷻ، وهذا يخرج على القولين. فإن قلنا: الذين اصطفوا أمة محمد، فقد قال ابن عباس: إن الله أورث أمة محمد ﷺ كل كتاب أنزله. وقال ابن جرير الطبري: ومعنى ذلك: أورثهم الإيمان بالكتب كلها - وجميع الكتب تأمر باتباع القرآن - فهم مؤمنون بها عاملون بمقتضاها؛ واستدل على صحة هذا القول بأن الله تعالى قال في الآية التي قبل هذه: ﴿وَأَلْحِقْنَا آيَاتَنَا بِآيَاتِكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ﴾ واتباعه بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ فعلمتنا أنهم أمة محمد، إذ كان معنى الميراث: انتقال شيء من قوم إلى قوم، ولم تكن أمة على عهد نبينا انتقل إليهم كتاب من قوم كانوا قبلهم غير أئمتهم. فإن قلنا: هم الأنبياء وأتباعهم، كان المعنى: أورثنا كل كتاب أنزل على نبي ذلك النبي وأتباعه. والقول الثاني: أن المراد بالكتاب القرآن<sup>(١)</sup>. وفي معنى «أورثنا» قولان: أحدهما: أعطينا، لأن الميراث عطاء، قاله مجاهد. والثاني: أخزنا، ومنه الميراث، لأنه تأخر عن الميت؛ فالمعنى: أخزنا القرآن عن الأمم السالفة وأعطيناه هذه الأمة، إكراماً لها، ذكره بعض أهل المعاني.

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه صاحب الصغائر؛ روى عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ أنه قال: (سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له)<sup>(٢)</sup>. وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ في هذه الآية، قال: «كلهم في الجنة»<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه الذي مات على كبيرة ولم يتب منها، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أنه الكافر، رواه عمرو بن دينار عن ابن عباس، وقد رواه ابن عمر مرفوعاً إلى النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>. فعلى هذا يكون الاصطفاة لجملة من أنزل عليه الكتاب، كما قال: ﴿وَرَأَيْتُمُ لُكُورَ لَكُمْ وَلَقَوْلَكُمْ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي: لَشَرَفَ لكم، وكم من مُكْرَمَ لم يقبل الكرامة! والرابع: أنه المنافق، حكى عن الحسن<sup>(٥)</sup>. وقد روي عن الحسن أنه قال: الظالم: الذي ترجح

(١) قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ يقول تعالى: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب، الذين اصطفينا من عبادنا، وهم هذه الأمة. اهـ.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣٩: رواه سعيد بن منصور عن فرج بن فضالة عن أنس بن مالك عن عبد الله الحارثي عن سمع عمر، فذكره موقوفاً. وذكره السيوطي في «الدرر» من رواية سعيد بن منصور، وزاد نسبته لابن أبي شيبة، وابن المنذر، والبيهقي في «البعث» عن عمر بن الخطاب ﷺ موقوفاً، ولم يثبت في المرفوع.

(٣) رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ عنه بلفظ: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة» قال ابن كثير: هذا حديث غريب، وفي إسناده من لم يسم، ثم قال: ومعنى قوله: «بمنزلة واحدة» أي: في أنهم من هذه الأمة وأنهم من أهل الجنة وإن كان بينهم فرق في المنازل في الجنة. اهـ. والحديث قد رواه ابن جرير الطبري بنحو حديث أحمد، وللحديث شواهد يشد بعضها بعضاً. ورواه بنحو الترمذي وقال: هذا حديث غريب حسن، وقد أورده السيوطي في «الدرر» ٢٥١/٥ عن أبي سعيد الخدري ﷺ، وزاد نسبته للطيالسي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي.

(٤) ذكره السيوطي في «الدرر» ٢٥٢/٥ من رواية ابن مردويه عن عمر مرفوعاً، والله أعلم.

(٥) قال ابن كثير: والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة، وهو اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية، وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ من طرق يشد بعضها بعضاً. اهـ. يريد بذلك أمثال حديث أبي سعيد الخدري وغيره.



سَيِّئَاتِهِ عَلَى حَسَنَاتِهِ، وَالْمُقْتَصِد: الَّذِي قَدْ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ، وَالسَّابِق: مَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ. وَرَوَى عَنْ عُمَانَ بْنِ عَفَانَ أَنَّهُ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَالَ: سَابِقُنَا أَهْلَ جِهَادِنَا، وَمُقْتَصِدُنَا أَهْلَ حَضَرِنَا، وَظَالِمُنَا أَهْلَ بَدُونِنَا<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ﴾ وقرأ أبو المتوكل، والجحدري، وابن السميع: «سَبَاقٌ» مثل: «فَعَالٌ» و«بَالْعَبْرَاتِ» أي: بالأعمال الصالحة إلى الجنة، أو إلى الرَّحْمَةِ ﴿يُؤْذِنُ اللَّهُ﴾ أي: بإرادته وأمره ﴿وَالَّذِي هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ يعني إيراثهم الكتاب<sup>(٢)</sup>. ثم أخبر بشوايهم، فجمعهم في دخول الجنة فقال: «جَنَّتُمْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا»<sup>(٣)</sup> قرأ أبو عمرو وحده: «يَدْخُلُونَهَا» بضم الياء؛ وفتحها الباقون، وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: «وَلَوْ لَوْ» بالنصب. وروى أبو بكر عن عاصم أنه كان يهزم الواو الثانية ولا يهزم الأولى؛ وفي رواية أخرى أنه كان يهزم الأولى ولا يهزم الثانية. والآية مفسرة في سورة [الحج: ٢٣]. قال كعب: تحاكت مناكبهم ورب الكعبة، ثم أعطوا الفضل بأعمالهم.

﴿وَقَالُوا لَمَّا دَخَلْنَا الدَّارَ الَّتِي أَذْهَبَ عَنْهَا الْحَزَنُ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾<sup>(٤)</sup> الَّتِي لَمَّا دَارَ الْقَمَامَةُ مِنْ قَبْلِهِ لَا يَسْتَأْذِنُ فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّ فِيهَا الْقُرْبُ<sup>(٥)</sup> وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُحْيَتْ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ تَجْرَى كُلُّ كَفْرٍ ﴿وَهُمْ يَسْكُرُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخِيحًا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا بَتَدْكُرْ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَمَا كُنَّا نَذِيرُ فَلَذُقُوا نَمَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَسِيمٍ﴾<sup>(٦)</sup> إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ<sup>(٧)</sup> هُوَ الَّذِي جَعَلَ خَلْقَهُ فِي الْأَرْضِ مَن كَفَرَ مَعَهُ كَثِيرٌ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا مَرَدًّا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُ إِلَّا خَسَارًا<sup>(٨)</sup>

ثم أخبر عما يقولون عند دخولها، وهو قوله: «لَمَّا دَخَلْنَا الدَّارَ الَّتِي أَذْهَبَ عَنْهَا الْحَزَنُ» الْحَزَنُ وَالْحُزْنُ واحد، كَالْبَحْلِ وَالْبُحْلِ. وفي المراد بهذا الحزن خمسة أقوال: أحدها: أنه الحزن لطول المقام في المحشر. روى أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَمَّا السَّابِقُ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَأَمَّا الْمُقْتَصِدُ، فَيَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَأَمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ، فَإِنَّهُ حَزِينٌ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ»، فهو الحزن والغم، وذلك قوله تعالى: «وَقَالُوا لَمَّا دَخَلْنَا الدَّارَ الَّتِي أَذْهَبَ عَنْهَا الْحَزَنُ»<sup>(٩)</sup>. والثاني: أنه الجوع، رواه أبو الدرداء أيضاً عن رسول الله ﷺ، [ولا يصح]، وبه قال شمر بن عطية<sup>(١٠)</sup>. وفي لفظ عن شمر أنه قال: الحزن: هُمُ الْحُبْزُ<sup>(١١)</sup>، وكذلك روي عن سعيد بن جبيرة أنه قال: الحزن: هُمُ الْحُبْزُ فِي الدُّنْيَا. والثالث: أنه حزن النار، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس<sup>(١٢)</sup>. والرابع: حزنهم في الدنيا على ذُنُوبٍ سَلَفَتْ مِنْهُمْ، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(١٣)</sup>. والخامس: حزن الموت، قاله عطية<sup>(١٤)</sup>. والآية عامَّة في هذه الأقوال وغيرها<sup>(١٥)</sup>، ومن القبيح تخصيص هذا الحزن بالخبز وما يشبهه، وإنما حزنوا على ذُنُوبِهِمْ وما يوجب الخوف.

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ٢٥٢/٥ من رواية سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، ابن مردويه، عن عثمان بن عفان موقوفاً.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: «وَالَّذِي هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» يقول تعالى ذكره: شُبَّوْهُ هَذَا السَّابِقُ مِنْ سَبَقِهِ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ، هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ الَّذِي فَضَّلَ بِهِ مَنْ كَانَ مُقْتَصِرًا عَنْ مَزَلَّتِهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ مِنَ الْمُقْتَصِدِ وَالظَّالِمِ لِنَفْسِهِ. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: يخبر تعالى أن هؤلاء المصطفين من عباده الذين أوردوا الكتاب المنزل من رب العالمين يوم القيامة، ما واهم جنات عدن، أي: جنات الإقامة يدخلونها يوم معادهم وقدومهم على الله ﷻ ﴿يَدْخُلُونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَدٍ مِثْلُ نَجْمٍ وَكُلُّوا﴾ كما ثبت في «الصحيح» عن أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تَبْلُغُ الْحُلِيِّ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ» ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ولهذا كان محظوراً عليهم في الدنيا، فأباحه الله تعالى لهم في الآخرة، وثبت في «الصحيح» أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ لَبَسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ» وقال: «هِيَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ». اهـ.

(٤) رواه أحمد في «المسنَد»، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٥١/٥، وزاد نسبته للقرائبي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي عن أبي الدرداء ؓ.

(٥) لم تر الحزن بمعنى الجوع عن أبي الدرداء موقوفاً ولا موقوفاً عليه، وإنما ذكره السيوطي في «الدر» ٢٥٣/٥ من رواية ابن أبي حاتم عن شمر بن عطية من قوله.

(٦) ذكره الطبري ١٣٨/٢٢.

(٧) «الطبري» ١٣٨/٢٢، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٥٣/٥، وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن ابن عباس ؓ.

(٨) ذكره السيوطي في «الدر» ٢٥٣/٥ من رواية عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس ؓ.

(٩) «الطبري» ١٣٨/٢٢.

(١٠) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به، أنهم قالوا =



﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ لَهُمْ كُنُوزٌ كَثِيرَةٌ عَلَى يَدَيْهِمْ يَوْمَ يُبْعَثُونَ بَعْضًا مِنْهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ٤٠﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا وَلَكِنْ زَالَا إِنْ أَسْكَمْتُمَا مِنْ أَمْرِ بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّكُمْ كَأَنْتُمْ حِلْمٌ غَوْرًا ٤١﴾

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ﴾ المعنى: أخبروني عن الذين عبدتم من دون الله واتخذتموهم شركاء بزعيمكم، بأي شيء أوجبت لهم الشركة في العبادة؟ أبشروهم خلقه من الأرض، أم شاركوا خالق السموات في خلقها؟ ثم عاد إلى الكفار فقال: ﴿أَرَأَيْتُمْ كُنُوزَكُمُ﴾ يأمرهم بما يفعلون ﴿فَهُمْ عَلَى يَدَيْهِمْ يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ ١٩ ﴿قُرْآنُ ابْنِ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَحَمْزَةُ، وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ: «عَلَى بَيِّنَةٍ» عَلَى التَّوْحِيدِ. وَقُرْآنُ نَافِعٍ، وَابْنِ عَامِرٍ، وَالْكَسَائِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ: «بَيِّنَاتٌ» جَمْعًا. وَالْمُرَادُ: الْبَيَانُ بِأَنَّ مَعَ اللَّهِ شَرِيكَاً<sup>(١)</sup> ﴿بَلْ إِنْ يَدْعُوا الْقَلِيلُونَ﴾ يَعْنِي الْمَشْرِكِينَ يَدْعُو «بَعْضُهُمْ بَعْضًا» أَنَّ الْأَصْنَافَ تَشْفَعُ لَهُمْ، وَأَنَّهُ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عِقَابَ. وَقَالَ مَقَاتِلُ: مَا يَدْعُو الشَّيْطَانُ الْكُفَّارَ مِنْ شَفَاعَةِ الْأَلْهَةِ إِلَّا بِاطْلًا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا﴾ أي: يمنعهما من الزوال والذهاب والوُتُوع. قَالَ الْفَرَاءُ: «وَلَكِنْ» بِمَعْنَى «وَلَوْ»، وَإِنْ بِمَعْنَى «مَا»، فَالتَّقْدِيرُ: وَلَوْ زَالَتَا مَا أَسْكَمْتُمَا مِنْ أَحَدٍ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: لَمَّا قَالَتِ النَّصَارَى: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَقَالَتِ الْيَهُودُ: عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ، كَادَتِ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرُنَ وَالْجِبَالُ أَنْ تَزُولَ وَالْأَرْضُ أَنْ تَنْشَقَّ، فَامْسَكَهَا اللَّهُ ﷻ، وَأَمَّا وَحْدُ «الْأَرْضِ» مَعَ جَمْعِ «السَّمَوَاتِ»، لِأَنَّ الْأَرْضَ تَدُلُّ عَلَى الْأَرْضِينَ. ﴿وَلَكِنْ زَالَا﴾ تَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: زَوَالُهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَالثَّانِي: أَنْ يُقَالَ تَقْدِيرًا: وَإِنْ لَمْ تَزُولَا، وَهَذَا مَكَانٌ يَدُلُّ عَلَى الْقُدْرَةِ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ الْجَلْمَ فِيهِ، لِأَنَّهُ لَمَّا أَسْكَمْتُمَا عَنْ قَوْلِهِمْ: ﴿أَتَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨]، حَلَّمَ فَلَمْ يُعْجَلْ لَهُمُ الْعُقُوبَةُ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْتِهِمْ لَيْتَ جَلَّتُمْ نَذِيرٌ لِيَكُونُوا أَهْدَى مِنْ إِمْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا غُرُورًا ٤١﴾ ﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَعْيُنِنَا فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ يَحْدِلَ إِلَّا فِي سُنَّتِ اللَّهِ تَعَالَى ٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْتِهِمْ﴾ يعني كفار مكة حلفوا بالله قبل إرسال محمد ﷺ ﴿لَيْتَ جَلَّتُمْ نَذِيرٌ﴾ أي: رسول ﴿لِيَكُونُوا أَهْدَى﴾ أي: أضوَبَ وِينَا ﴿مِنْ إِمْدَى الْأُمَمِ﴾ يعني: اليهود والنصارى والصابئين ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ وهو محمد ﷺ ﴿مَا زَادَهُمْ﴾ مجيئه ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: تباعدوا عن الهدى، ﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: عتوا على الله وتكبروا عن الإيمان به<sup>(٣)</sup>. قَالَ الْأَخْفَشُ: نَصَبَ «اسْتَكْبَرُوا» عَلَى الْبِدَلِ مِنَ الْفُتُورِ. قَالَ الْفَرَاءُ: الْمَعْنَى: فَعَلُوا ذَلِكَ اسْتِكْبَارًا ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾، فَأَضْيَفَ الْمَكْرَ إِلَى السَّيِّئِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَلْعَنَ الْيَهُودَ ٤٢﴾ [الحاقة: ٥١]، وَتَصَدِيقُهُ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: «وَمَكْرًا سَيِّئًا»، وَالْهَمْزَةُ فِي «السَّيِّئِ» مَخْفُوضَةٌ، وَقَدْ جَزَمَهَا الْأَعْمَشُ وَحَمْزَةً، لَكثْرَةِ الْحَرَكَاتِ؛ قَالَ الزَّجَّاجُ: وَهَذَا عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ الْحُدَاقُ لَحْنٌ، إِنَّمَا يَجُوزُ فِي الشُّعْرِ اضْطِرَافًا. وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ: كَانَ الْأَعْمَشُ يَقِفُ عَلَى «مَكْرَ السَّيِّئِ» فَيَتَرَكُ الْحَرَكَةَ، وَهُوَ وَقَفَ حَسَنٌ تَامٌ، فَغَلِطَ الرَّائِي؛ فَرَوَى أَنَّهُ كَانَ يَحْذِفُ الْإِعْرَابَ فِي الْوَصْلِ،

(١) أي: الإتيان ببينة تدل بأن مع الله شريكاً، قال الألوسي: وهو ضرب من التَّهَكُّمِ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ: ﴿أَرَأَيْتُمْ كُنُوزَكُمُ﴾ هَهُمْ عَلَى يَدَيْهِمْ يَوْمَ يُبْعَثُونَ ١٩ يقول: أم أتينا هؤلاء المشركين كتاباً أنزلناه عليهم من السماء بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام هَهُمْ عَلَى يَدَيْهِمْ يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فهم على برهان مما أمرتهم فيه من الإشراك ١٩؟ وقال ابن كثير: وقوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ كُنُوزَكُمُ﴾ هَهُمْ عَلَى يَدَيْهِمْ يَوْمَ يُبْعَثُونَ ١٩؟ أي: أم أنزلنا عليهم كتاباً بما يقولونه من الشرك والكفر؟ ليس الأمر كذلك ﴿بَلْ إِنْ يَدْعُوا الْقَلِيلُونَ بَعْضًا مِنْهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وأراءهم وأمانيتهم التي تمنوها لأنفسهم، وهي غرور وباطل وزور. اهـ. وقال الألوسي: والمعنى أن حياة هؤلاء إما بالمقل، ولا عقل يحكم بصحة عبادة من لا يخلق جزءاً ما من الأرض دلالة شرك في السماء، وإما بالنقل، ولم نوت المشركين كتاباً فيه الأمر بعبادة هؤلاء. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض عن أمره وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا﴾ أي: أن تضطربا عن أماكنهما، كما قال ﷻ: ﴿وَمِنْهُنَّ الْكَتَكَةُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا لِيَذْبُوهَا﴾ وقال تعالى: ﴿وَرَبُّنَا يُبْعَثُ أَنْ تَقُمَ السَّكَّةُ وَالْأَرْضُ بِأَرْبَعٍ﴾ ﴿وَلَكِنْ زَالَا إِنْ أَسْكَمْتُمْ مِنْ لَوْنٍ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: لا يقدر على دوامهما وإبقائهما إلا هو، وهو مع ذلك حلیم غفور، أي: يرى عباده وهم يهترون به ويعصونه وهو يتعلم فيغفر ويغفر ولا يعجل، ويستأخرين ويغفر، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ كَأَنْتُمْ حِلْمٌ غَوْرٌ﴾. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: ﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: استكبروا عن أشباع آيات الله ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ أي: ومكروا بالناس في صلحهم ليأخذهم عن سبيل الله ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: وما يعمد وبالد ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم. اهـ.

فتابع حمزة الغالط، فقرأ في الإدراج بترك الحركة<sup>(١)</sup>. وللمفسرين في المراءب «مكر السَّيِّئ» قولان: أحدهما: أنه الشُّرك<sup>(٢)</sup>. قال ابن عباس: عاقبة الشُّرك لا تحُلُّ إلا بمن أشرك. والثاني: أنه المَكْر برسول الله ﷺ، حكاه الماوردي<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿إِلَّا سَأَتِ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: إلا أن ينزل العذاب بهم كما نزل بالأمم المكذبة قبلهم. ﴿فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ فِي الْعَذَابِ تَبْدِيلًا﴾ وإن تأخر ﴿وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ أي: لا يقدِّر أحد أن يحول العذاب عنهم إلى غيرهم.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَكِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتٌ قَلِيلًا ۝ وَلَوْ يَرَى الْإِنْسَانُ أَنَّهُ يُفَادِحُ اللَّهَ الْإِنْسَانَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَهُ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ ذَنْبِهِمْ وَلَكِنَّ يُوْخِرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَلَئِنِ جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا رُفُوءَ لَهُمْ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الْإِنْسَانُ أَنَّهُ يُفَادِحُ اللَّهَ الْإِنْسَانَ بِمَا كَسَبُوا﴾ هذا عام، وبعضهم يقول: أراد بالناس المشركين. والمعنى: لو واخذهم بأفعالهم لعجل لهم العقوبة<sup>(٤)</sup>. وقد شرحنا هذه الآية في [التحل: ٦١]. وما أخللنا به فقد سبق بيانه [يوسف: ١٠٩، الروم: ٩، الأعراف: ٣٤، التحل: ٦١].

قوله تعالى: ﴿فَلَا رُفُوءَ لَهُمْ ۝﴾ قال ابن جرير: بصيراً بمن يستحقُّ العقوبة ومن يستوجب الكرامة<sup>(٥)</sup>.



(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القراءة ما عليه قراء الأمصار من تحريك الهمزة فيه إلى الخفض، وغير جائز في القرآن أن يُقرأ بكل ما جاز في العربية، لأن القراءة إنما هي ما قرأت به الأئمة الماضية وجاء به السلف على النحو الذي أخذوا عن قبلهم. اهـ.

(٢) ذكره الطبري عن قتادة.

(٣) قال الألوسي: هو الخداع الذي يرومونه برسول الله ﷺ والكيد له.

(٤) قال ابن كثير: ولكن ينظرهم إلى يوم القيامة فيحاسبهم يومئذ، ويوفي كل عامل بحمله، فيجازي بالثواب أهل الطاعة، وبال عقاب أهل المعصية. اهـ.

(٥) ونص كلام ابن جرير بتمامه: وقوله: ﴿فَلَا رُفُوءَ لَهُمْ ۝﴾ قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: فإذا جاء أجل عقابهم، فإن الله كان بعباده بصيراً من الذي يستحق أن يعاقب منهم، ومن الذي يستوجب الكرامة، ومن الذي كان منهم في الدنيا له مطيعاً، ومن كان فيها به مشركاً، لا يخفى عليه أحد منهم، ولا يعزب عنه علم شيء من أمرهم. اهـ.

## سورة يس

وفيها قولان: أحدهما: أنها مَكِّيَّة، قاله ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة، والجمهور. وروي عن ابن عباس وقتادة أنهما قالوا: إنها مَكِّيَّة إلا آية منها، وهي قوله: ﴿وَلَا يَلْمِزُكَ اللَّهُ﴾ [يس: ٤٥]. والثاني: أنها مدنية، حكاه أبو سليمان الدمشقي، وقال: ليس بالمشهور.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يس ١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْكَرِيمِ ﴿٥﴾ لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ ؕ أَبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾

وفي قوله: ﴿يس ١﴾ خمسة أقوال: أحدها: أن معناها: يا إنسان، بالحبشية، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومقاتل. والثاني: أنها قَسَمَ أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أن معناها: يا محمد، قاله ابن الحنفية، والضحاك. والرابع: أن معناها: يا رجل، قاله الحسن. والخامس: اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة<sup>(١)</sup>. وقرأ الحسن، وأبو الجوزاء: «يَسَن» بفتح الياء وكسر النون. وقرأ أبو المتوكل، وأبو رجاء، ابن أبي عبلة: بفتح الياء والنون جميعاً. وقرأ أبو حصين الأسدي: بكسر الياء وإظهار النون. قال الزجاج: والذي عند أهل العربية أن هذا بمنزلة افتتاح السُّور، وبعض العرب يقول: «يَسَنَ والقرآن» بفتح النون، وهذا جائز في العربية لوجهين: أحدهما: أن «يس» اسم للسورة، فكأنه قال: ائْتِ يَسَ، وهو على وزن هابيل وقابيل لا ينصرف. والثاني: أنه فُتح لالتقاء الساكنين، والتسكين أجود، لأنه حرف هجاء.

قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ١﴾ هذا قَسَم، وقد سبق معنى «الحكيم» [البقرة: ٢٢]، قال الزجاج: وجوابه: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٢﴾؛ وأحسن ما جاء في العربية أن يكون «إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» خبر «إِنَّ»، ويكون قوله: ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٣﴾ خبراً ثانياً، فيكون المعنى: إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ويجوز أن يكون «على صِرَاطٍ» من صلة «المرسلين»، فيكون المعنى: إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ أُرْسِلُوا عَلَى طَرِيقَةٍ مُسْتَقِيمَةٍ.

قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلَ الْكَرِيمِ ٥﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «تنزيل» برفع اللام. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: «تنزيل» بنصب اللام. وعن عاصم كالتقراءتين. قال الزجاج: من قرأ بالنصب، فعلى المصدر، على معنى: نَزَلَ الله ذلك تنزيلاً، ومن قرأ بالرفع، فعلى معنى: الذي أُنْزِلَ إِلَيْكَ تنزيلُ العزيز. وقال الفراء: من نصب، أراد إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ تنزيلاً حَقّاً مُنْزَلاً، ويكون الرفع على الاستئناف، كقوله: ذلك تنزيلُ العزيز. وقرأ أبي بن كعب، وأبو رزين، وأبو العالية، والحسن، والمجدري: «تنزيل» بكسر اللام. وقال مقاتل: هذا القرآن تنزيلُ العزيز في ملكه، الرحيم بخلقِهِ.

قوله تعالى: ﴿لِيُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ ؕ أَبَاؤُهُمْ﴾ في «ما» قولان: أحدهما: أنها نفي، وهو قول قتادة والزجاج في الأكثرين. والثاني: أنها بمعنى «كما»، قاله مقاتل. وقيل: هي بمعنى «الذي». قوله تعالى: ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ أي: عن حُجج التوحيد وأدلة البعث.

(١) قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل سورة [البقرة]، وسورة [طه] وانظر التعليق الذي في أول سورة [العنكبوت]. وكلمة (يس) هنا من الحروف المقطعة أمثال (طه) وغيرها، وقد قال ابن جرير الطبري في تفسير كلمة (طه) بعدما ذكر في معناها عدة أقوال: والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه، قول من قال: معناه: يا رجل، وتأويل الكلام: يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشتق، ما أنزلنا عليك فتكلفك ما لا طاقة لك به من العمل. اهـ. وكلمة (يس) هنا معناها قريب من (طه) كأنه قال: يا رجل والقرآن الحكيم إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ بوحى الله ﷻ إلى عباده، يريد به محمداً ﷺ.

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٧) ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْعَامِهِمْ أَفْئَلًا فَهُمْ إِلَىٰ الْآفَاقِ يَنْتَبِهُونَ﴾ (٨) ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَبَاطًا وَلَهُمْ خَلْقُهُمْ سَكًا فَاغْتَبَيْتَهُمْ فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾ (٩) ﴿وَسَوَّاهُمْ عَلَيْهِمْ آلَتَهُمْ أَنْ تَرَىٰ شُرُودَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠) ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخِفَىٰ الزَّعَمَ بِالْغَيْبِ فَأَنذِرْ بِهِمُ الْيَوْمَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١١) ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (١٢)

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ فيه قولان: أحدهما: وجب العذاب. والثاني: سبق القول بكفرهم.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ يعني أهل مكة، وهذه إشارة إلى إرادة الله تعالى السابقة لكفرهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لما سبق من القدر بذلك. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْعَامِهِمْ أَفْئَلًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها مثل، وليس هناك غُلٌّ حقيقة، قاله أكثر المحققين، ثم لهم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها مثل لمنعهم عن كل خير، قاله قتادة. والثاني: لحبسهم عن الإنفاق في سبيل الله، بموانع كالأغلال، قاله الفراء، وابن قتيبة. والثالث: لمنعهم من الإيمان بالله، قاله أبو سليمان الدمشقي. والقول الثاني: أنها موانع حسية منعَت كما يمنع الغُلُّ؛ قال مقاتل بن سليمان: حلف أبو جهل لئن رأى النبي ﷺ يصلي لَيَذْمَعَنَّهُ، فجاهد وهو يصلي، فرفع حجراً فبَسَّتْ يَدَهُ والتصق الحجر بيده، فرجع إلى أصحابه فأخبرهم الخبر، فقام رجل منهم فأخذ الحجر، فلما دنا من رسول الله ﷺ طَمَسَ الله على بصره فلم يره، فرجع إلى أصحابه فلم يُبْصِرْهم حتى نادَوْه، فنزل في أبي جهل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْعَامِهِمْ أَفْئَلًا...﴾ الآية، ونزل في الآخر: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَبَاطًا﴾ (١١). والقول الثالث: أنه على حقيقته، إلا أنه وَصِفَ لِمَا سَيُزِيلُهُ الله تعالى بهم في النار، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَبَىٰ إِلَىٰ الْآفَاقِ﴾ قال الفراء: «فهي» كناية عن الإيمان، ولم تُذَكَّر، لأن الغُلَّ لا يكون إلا في اليمين والعنق جامعاً لهما، فاكْتَفَىٰ بذكر أحدهما عن صاحبه. وقال الزجاج: «هي» كناية عن الأيدي، ولم يذكرهما إيجازاً، لأن الغُلَّ يتضمن اليد والعنق، وأنشد:

وما أدري إذا يَمُنْتُ أرضاً أريدُ الحَينَرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي (٢)

وإنما قال: أَيُّهُمَا، لأنه قد علم أن الخير والشرَّ معروضان للإنسان. قال الفراء: والذَّقْنُ: أسفل اللِّخْيَيْنِ، والمُفْمَحُ: الغاصُّ بصره بعد رفع رأسه. قال أبو عبيدة: كُلُّ رَافِعٍ رَأْسَهُ فَهُوَ مُقَامِحٌ وَقَامِحٌ، والجمع: قِمَاحٌ، فإن فَعَلَ ذلك بإنسان فهو مُقْمَحٌ، ومنه هذه الآية. وقال ابن قتيبة: يقال: بَعِيرٌ قَامِحٌ، وإِبِلٌ قِمَاحٌ: إذا رَوَيْتَ من الماء فَمَقَمَحْتَ، قال الشاعر - وذكر سفينة -:

ونحنُ على جَوَانِبِهَا قُفُودٌ نَقُضُ الطَّرْفَ كَالِإِبِلِ السِّقَمَاحِ (٣)

وقال الأزهري: المراد أنَّ أَيْدِيَهُمْ لَمَّا غُلَّتْ عند أعناقهم، رَفَعَتْ الأغلال أَدْفَانَهُمْ ورؤوسهم، فهم مرفوعو الرؤوس برفع الأغلال إياها.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَبَاطًا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بفتح السين، والباقون: بضمها، وقد تكلمنا على الفَرْقِ [بينهما] في [الكهف: ٩٤]. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: منعناهم عن الإيمان بموانع، فهم لا يستطيعون الخروج عن الكفر. والثاني: حبسناهم عن أذى رسول الله ﷺ بالظلمة لما قصدوه بالأذى.

(١) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣٩، ١٤٠: رواه ابن إسحاق في «السيرة» في كلام طويل، قال: رواه أبو نعيم في «الدلائل» من طريق ابن إسحاق: حدثني محمد بن محمد بن سعيد، أو عكرمة عن ابن عباس، أن أبا جهل قال: «إني أعاهد الله لأجلسن غداً لمحمد بخرم ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه... فذكر نحوه إلى قوله: قد يست يداه على حجره حتى قلب الحجر بين يديه». وقد ذكر سبب النزول هذا مختصراً الطبري عن عكرمة قال: قال أبو جهل لئن رأيت محمداً لأفعلن ولأفعلن، فأنزلت: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْعَامِهِمْ أَفْئَلًا﴾ إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾ قال: فكانوا يقولون: هذا محمد، فيقول: أين هو؟ أين هو؟ لا يبصره. اهـ. وأصله في «البيخاري» ٥٥٧/٨ في سورة (أفرا) عند قوله تعالى: ﴿لَقَدْ لَرَّ لَهُمْ يَوْمَ تَشْأَلُ مِنْهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ ﴿فَبِئْسَ كُفُورًا عَالِفًا﴾ (١١) من عكرمة قال ابن عباس: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ النبي ﷺ فقال: لو فعله لأخذته الملائكة، وسأيت ذلك في محله من سورة (أفرا) إن شاء الله تعالى.

(٢) تقدم البيت ١٠٥ وتخريجه ٢١٨، وهو أيضاً في «معاني القرآن» ٣٣١، ومشكل القرآن ١٧٦، و«الطبري» ١٥١/٢٢.

(٣) البيت يُشِيرُ بن أبي خازم الأسدي، وهو في «مجاز القرآن» ١٥٧/٢، و«غريب القرآن» ٣٦٣، و«القرطبي» ٨/١٥، و«البحر المحيط» ٣٢٤/٧، و«روح المعاني» ١٩٧/٢٢، و«المصاح» و«اللسان»، و«التاج»: قمع.



قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «فَعَزَّزْنَا» بتشديد الزاي، قال ابن قتيبة: المعنى: قَوَّيْنَا وَشَدَّدْنَا، يقال: تعَزَّزَ لحمُ النَّاقَةِ: إذا صَلَّبَ. وقرأ أبو بكر، والمفضل عن عاصم: «فَعَزَّزْنَا» خفيفة، قال أبو علي: أراد: فَعَلَّيْنَا. قال مقاتل: واسم هذا الثالث شمعون، وكان من الحواريين، وهو وصي عيسى عليه السلام. قال وهب: وأوحى الله إلى شمعون يُخبره خبر الاثنين ويأمره بِنصرتهم، فانطلق يؤمُّهما. وذكر الفراء أن هذا الثالث كان قد أرسل قبلهما؛ قال: ونراه في التنزيل كأنه بعدهما، وإنما المعنى: فعَزَّزْنَا بالثالث الذي قبلهما، والمفسرون على أنه إنما أرسل لنصرتهم، ثُمَّ إِنَّ الثالث إنما يكون بعد ثاني، فأما إذا سبق الاثنين فهو أول، وإني لأتعجب من قول الفراء. واختلف المفسرون فيمن أرسل هؤلاء الرُّسل على قولين: أحدهما: أن الله تعالى أرسلهم، وهو ظاهر القرآن، وهو مروى عن ابن عباس، وكعب، وهب. والثاني: أن عيسى أرسلهم، وجاز أن يُضاف ذلك إلى الله تعالى لأنهم رسل رسول، قاله قتادة، وابن جريج<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ أي: ما لكم علينا فضل في شيء ﴿وَمَا أَتَيْنَاكَ مِنَ شَيْءٍ﴾ أي: لم يُنزل كتاباً ولم يُرسل رسولا. وما بعده ظاهر إلى قوله: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَّعْنَا بِكُمْ﴾ وذلك أن المطر حُسب عنهم، فقالوا: إنما أصابنا هذا من قبلكم ﴿لَئِنْ لَرُ تَتَّبَعُوا﴾ أي: تسكتوا عنا ﴿لَتَرْجُئُنَّكُمْ﴾ أي: لَتَنْتَقِلَنَّكُمْ. ﴿قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ﴾ أي: شُؤْمُكُمْ معكم بكفركم، لا بنا ﴿لَئِنْ دُكِّرْتُمْ﴾ قرأ ابن كثير: «لَئِنْ دُكِّرْتُمْ» بهمة واحدة بعدها ياء، وافقه أبو عمرو، إلا أنه كان يُمَدُّ. قال الأخفش: معناه: حيث دُكِّرْتُمْ، أي: وعُظِّمْتُمْ وَخُوفْتُمْ، وهذا استفهام جوابه محذوف، تقديره: أنن دُكِّرْتُمْ تطيُّرْتُمْ بنا؟ وقيل: أنن دُكِّرْتُمْ قلْتُمْ هذا القول؟ والمسرِّفون هاهنا: المشركون.

﴿وَجَاءَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ نَجْلٌ يَسْتَفْتِي قَالَ يَتَقَوُّوا أَنْبِئُوا الرُّسُلَ﴾ ١٥ ﴿أَنْبِئُوا مَنْ لَا يَسْتَكْبِرُ أَتَمَرًا وَهُمْ مُتَعَدُّونَ﴾ ١٦ ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ رُجُوعِي﴾ ١٧ ﴿أَلَتَجِدُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا إِنْ يُرِيدُ الرَّحْمَنُ يَضْرِبَ لَكَ نَحْنٌ عَنَى شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُؤْذُونَ﴾ ١٨ ﴿إِنِّي إِذَا لَأُفِي سَلَاطِي مُبِينٌ﴾ ١٩ ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ ٢٠ ﴿قِيلَ أَتَسْتَأْذِنُ الْبَشَرَةَ قَالَ بَلَىٰ إِنَّكَ أَنْتَ قَوِيٌّ بِقَدْرِي﴾ ٢١ ﴿يَا عَقْرُ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُشْكِرِينَ﴾ ٢٢ ﴿وَمَا أَزْنَاكَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنُودٍ أَسْمَلُ وَمَا كُنَّا مُزِلِينَ﴾ ٢٣ ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَالِدُونَ﴾ ٢٤

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ نَجْلٌ يَسْتَفْتِي﴾ واسمه حبيب النجار، وكان مجذوماً، وكان قد آمن بالرُّسل لما وردوا القرية، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب القرية، فلما بلغه أن قومه قد كذبوا الرُّسل وهُمُّوا بقتلهم، جاء يسعي، فقال ما قصه الله علينا إلى قوله: ﴿وَهُمْ مُتَعَدُّونَ﴾ يعني الرُّسل، فأخذه ورفعوه إلى الملك، فقال له الملك: أفأنت تتبهم؟ فقال: ﴿وَمَا لِي﴾ أسكن هذه البياض حمزة، وخلف، ويعقوب ﴿لَا أَعْبُدُ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي: وأي شيء لي إذا لم أعبد خالقي ﴿وَإِلَيْهِ رُجُوعِي﴾ عند البعث، فيجزىكم بكفركم؟! فإن قيل: لِمَ أضاف الفطرة إلى نفسه والبعث إليهم وهو يعلم أن الله قد فطرهم جميعاً كما يبعثهم جميعاً؟ فالجواب: أن إيجاد الله تعالى نعمه يوجب الشكر، والبعث في القيامة وعيدٌ يوجب الرجوع، فكانت إضافة النعمة إلى نفسه أظهر في الشكر، وإضافة البعث إلى الكافر أبلغ في الرجوع. ثم أنكر عبادة الأصنام بقوله: ﴿أَلَتَجِدُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾.

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّبِعْ عَنَى شَفَعَتُهُمْ﴾ يعني أنه لا شفاعة لهم فتُغْنِي، أثبت هاهنا البياض في الحالين يعقوب، وورش، والمعنى: لا يخلصوني من ذلك المكروه. ﴿إِنِّي إِذَا﴾ فتح هذه البياض نافع، وأبو عمرو.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ فتح هذه البياض أهل الحجاز وأبو عمرو. وفيمن خاطبهم بليمانه قولان: أحدهما: أنه خاطب قومه بذلك، قاله ابن مسعود. والثاني: أنه خاطب الرُّسل. ومعنى ﴿فَأَسْمَعُونَ﴾: أشهدوا لي بذلك، قاله الفراء. وقال أبو عبيدة: المعنى: فاسمعوا مِنِّي. وأثبت ياء «فاسمعوني» في الحالين يعقوب. قال ابن مسعود: لَمَّا

(١) قال ابن كثير: ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله ﷻ، لا من جهة المسيح عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتِّبِعُوا فَكُفُّوا فَعَزَّزْنَا بِآلِهِمْ فَقَالُوا إِنَّا إِلَهُكُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ١٩ إلى أن قالوا: ﴿يَا بَشَرُ إِنَّا إِلَهُكُمْ لَمُسْلِمُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْبَيِّنُ﴾ ٢٠ قال: ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام، والله تعالى أعلم، قال: ثم لو كانوا رسل المسيح، لما قالوا: ﴿مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾. اهـ.



خاطب قومه بذلك، ووطنوه بأرجلهم. وقال السدي: رمّوه بالحجارة، وهو يقول: اللهم اهد قومي.

قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ لَمَّا قُتِلُوهُ فَلَقِيَ اللَّهَ، قيل له: «ادْخُلِ الْجَنَّةَ»، فَلَمَّا دَخَلَهَا ﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾، وفي «ما» قولان: أحدهما: أنها مع «غفر» في موضع مصدر؛ والمعنى: بغفران الله لي. والثاني: أنها بمعنى «الذي»، فالمعنى: ليتهم يعلمون بالذي غفر لي [به] ربي فيؤمنون، فنصحهم حياً وميتاً. فَلَمَّا قُتِلُوهُ عَجَّلَ اللَّهُ لَهُمُ الْعَذَابَ، فذلك قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى قَوْمِهِ﴾ يعني قوم حبيب ﴿وَمِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد قتله ﴿مِنْ جُنُودِ تِيتَ السَّمَاوَاتِ﴾ يعني الملائكة، أي: لم ينتصر منهم بجند من السماء ﴿وَمَا كُنَّا﴾ نُنْزِلُهُمْ عَلَى الْأُمَمِ إِذَا أَهْلَكْنَاهُمْ. وقيل: المعنى: ما بعثنا إليهم بعده نبياً، ولا أنزلنا عليهم رسالة. ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ قال المفسرون: أخذ جبريل عليه السلام بعضاً من باب المدينة، ثم صاح بهم صيحة واحدة، فإذا هم ميتون لا يسمعون لهم جس، كالتار إذا طُففت، وهو قوله: ﴿فَإِنَّا هُمْ كَاخِذُونَ﴾ أي: ساكنون كهينة الرماد الخامد<sup>(١)</sup>.

﴿يَحْشَرُهُ عَلَى الْبَاسِ﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَرِهَ اللَّهُ لَنَا إِلَهُكُمْ مِنْ أَنْ يَرْجِعُوهُمْ﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدُنَّا مُحْضَرُونَ ﴿وَأَيُّكُمْ﴾ هُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبَيَّنَتْ أَمِينَتُهَا وَأَفْرَجَتْ مِنْهَا حَبَابُ فَيْتَةٍ يَأْكُلُونَ ﴿وَحَمَلْنَا فِيهَا جَنَّتَ مِنْ تَحْسِلٍ وَأَعْنَبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿سَجَدَ الَّذِينَ لَخَلْقِ الْأَرْضِ كُلِّهَا مِمَّا تُخْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَحْشَرُهُ عَلَى الْبَاسِ﴾ قال الفراء: المعنى: يا لها حسرة على العباد. وقال الزجاج: الحسرة أن يركب الإنسان من شدة الندم ما لا نهاية له حتى يبقى قلبه خبيراً. وفي المتحسر على العباد قولان: أحدهما: أنهم يتحسرون على أنفسهم، قاله مجاهد والزجاج: استهزأهم بالرسل كان حسرة عليهم في الآخرة. وقال أبو العالية: لَمَّا عَايَنُوا الْعَذَابَ، قالوا: يا حسرتنا على المرسلين، كيف لنا بهم الآن حتى نؤمن. والثاني: أنه تحسر الملائكة على العباد في تكذيبهم الرسل، قاله الضحاك. ثم خُوفٌ كُفَّارٌ مَكَّةَ فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ أي: ألم يعلموا ﴿كَرِهَ اللَّهُ لَنَا إِلَهُكُمْ مِنْ أَنْ يَرْجِعُوهُمْ﴾ فيعتبروا ويخافوا أن نعجل لهم الهلاك كما عجل لمن أهلك قبلهم ولم يرجعوا إلى الدنيا؟ قال الفراء: وألف ﴿أَنْتُمْ﴾ مفتوحة، لأن المعنى: ألم يروا أنهم إليهم لا يرجعون وقد كسرهما الحسن، كأنه لم يوقع الرؤية على «كم»، فلم يوقعها على «أن»، وإن استأنفتها كسرتها.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا﴾ وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة: «لَمَّا» بالتشديد، ﴿جَمِيعٌ لَدُنَّا مُحْضَرُونَ﴾ أي: إن الأمم يُحْضَرُونَ يوم القيامة، فيجازون بأعمالهم<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: من قرأ «لَمَّا» بالتخفيف، ف«ما» زائدة مؤكدة، والمعنى: وإن كُلُّ لَجَمِيعٍ، ومعناه: وما كُلُّ إِلَّا جَمِيعٌ لَدُنَّا مُحْضَرُونَ. ومن قرأ «لَمَّا» بالتشديد، فهو بمعنى «إِلَّا»، تقول: «سَأَلْتُكَ لَمَّا فَعَلْتَ» و«إِلَّا فَعَلْتَ». ﴿وَأَيُّكُمْ هُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبَيَّنَتْ﴾ وقرأ نافع: «الْمَيْتَةُ» بالتشديد، وهو الأصل، والتخفيف أكثر، وكلاهما جائز؛ و«آية» مرفوعة بالابتداء، وخبرها «لهم»، ويجوز أن يكون خبرها «الارض الميتة»؛ والمعنى: وعلامة تدلهم على التوحيد وأن الله يَبَيِّنُ الموتى أحياء: الأرض الميتة.

قوله تعالى: ﴿فَيْتَةٍ يَأْكُلُونَ﴾ يعني ما يُقَاتَلُ من الحبوب.

قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَا فِيهَا﴾ وقوله: ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا﴾ يعني في الأرض.

قوله تعالى: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ يعني النخيل، وهو في اللفظ مذكور. ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «عَمِلَتْهُ» بهاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «عَمِلَتْ» بغير هاء. والهاء مُثَبِّتَةٌ في مصاحف مكة والمدينة والشام والبصرة، ومحذوفة من مصاحف أهل الكوفة. قال الزجاج: موضع «ما» خفض؛ والمعنى: لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمِمَّا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ؛ ويجوز أن يكون «ما» نفيًا؛ المعنى: ولم تعمله

(١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿فَإِنَّا هُمْ كَاخِذُونَ﴾: فإذا هم هالكون.

(٢) قال ابن كثير: وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيامة بين يدي الله جل وعلا فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها، قال: ومعنى هذا قوله جل وعلا: ﴿وَلَوْ كُنَّا إِلَّا لَنَرِيَهُمْ مِنْكُمْ أَهْلُكُمْ﴾. اهـ.

أيديهم، وهذا على قراءة من أثبت الهاء، فإذا حذفت الهاء، فالاختيار أن تكون «ما» في موضع خفض، وتكون بمعنى «الذي»، فيحسن حذف الهاء؛ وكذلك ذكر المفسرون القولين، فمن قال بالأول، قال: لياكلوا ممّا عملت أيديهم، وهو الغرّوس والحرث التي تعبوا فيها، ومن قال بالثاني، قال: لياكلوا ما ليس من صنعم، ولكنه من فعل الحق ﷻ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ الله تعالى فيؤخّده؟ ثم نزه نفسه بقوله: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَنْزَجَ كُلَّهَا﴾ يعني الأجناس كلها ﴿وَمِمَّا تُثِثُ الْأَرْضَ﴾ من الفواكه والحبوب وغير ذلك ﴿وَمِنَ أَنْفُسِهِمْ﴾ وهم الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لَا يَمْلِكُونَ﴾ من دواب البر والبحر وغير ذلك ممّا لم يقفوا على علمه.

﴿وَأَيَّاهُ لَهُمْ أَيْلٌ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٨) وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ (٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَيْلٌ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (١٠)

قوله تعالى: ﴿وَأَيَّاهُ لَهُمْ أَيْلٌ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ أي: وعلامة لهم تدل على توحيدنا وقدرتنا الليل نسلخ منه النهار؛ قال الفراء: نرمي بالنهار عنه، و«منه» بمعنى «عنه». وقال أبو عبيدة: نُخْرِجُ مِنَ النَّهَارِ وَنَمِيزُهُ مِنْهُ فَتَجِيءُ الظُّلْمَةُ، قال الماوردي: وذلك أنّ النهار يتداخل في الهواء فيضيء، فإذا خرج منه الظلم. وقوله: ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ أي: داخلون في الظلام. ﴿وَالشَّمْسُ﴾ أي: وأية لهم الشمس ﴿تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: إلى موضع قرارها؛ روى أبو ذر قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ قال: «مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ»، وقال: «لَهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ بَيْنَ يَدَي رَبِّهَا، فَتَسْتَأْذِنُ فِي الطَّلُوعِ، فَيُؤَذِّنُ لَهَا»<sup>(١)</sup>. والثاني: أَنَّ مُسْتَقَرَّهَا مَغْرِبُهَا لَا تَجَاوِزُهُ وَلَا تَقْصُرُ عَنْهُ، قاله مجاهد. والثالث: لوقت واحد لا تعدّوه، قاله قتادة. وقال مقاتل: لوقت لها إلى يوم القيامة. والرابع: تسير في منازلها حتى تنتهي إلى مُسْتَقَرِّهَا الذي لا تجاوزه، ثم ترجع إلى أوّل منازلها، قاله ابن السائب. وقال ابن قتيبة: إلى مُسْتَقَرِّهَا، وَمُسْتَقَرُّهَا: أقصى منازلها في الغروب، [وذلك] لأنها لا تزال تتقدّم إلى أقصى مغاربها، ثم ترجع. وقرأ ابن مسعود، وعكرمة، وعلي بن الحسين، والشيزري<sup>(٢)</sup> عن الكسائي: «لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا» والمعنى أنها تجري أبداً، لا تثبت في مكان واحد.

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ٢١٤/٦ و٤١٦/٨ و١٣/٣٥٠، ومسلم ١٣٩/١، والترمذي ١٥٥/٢. قال: هذا حديث حسن صحيح، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٣٣/٥ وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العلامة»، وابن مردويه، والبيهقي في «الاسماء والصفات» عن أبي ذر. قال ابن كثير: في معنى قوله تعالى: «لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا» قولان: أحدهما: أن المراد مستقرها المكاني، وهو تحت العرش مما يلي الأرض من ذلك الجانب، وهي أينما كانت فهي تحت العرش هي وجميع المخلوقات، لأنه سقفها، والقول الثاني: أن المراد بمسقرها، هو منتهى سيرها، وهو يوم القيامة يطل سيرها وتسكن حركتها وتكوّر وينتهي هذا العالم إلى غايته، وهذا هو مستقرها الزماني. وقال الامام النووي في «شرح مسلم» ٢/١٩٥: وأما قوله ﷺ في الحديث الآخر في الشمس: «مستقرها تحت العرش فتخرّ ساجدة»: فهذا مما اختلف المفسرون فيه، فقال جماعة بظاهر الحديث، قال الواحدي: وعلى هذا القول، إذا غربت كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع من مغربها، وقال قتادة ومقاتل: معناه: تجري إلى وقت لها وأجل لا تسداه، قال الواحدي: وعلى هذا مسقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا، وهذا اختيار الزجاج، وقال الكلبي: تسير في منازلها حتى تنتهي إلى آخر مسقرها الذي لا تجاوزه ثم ترجع إلى أوّل منازلها، واختار ابن قتيبة هذا القول، والله أعلم. وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: قال الخطابي: يحتمل أن يكون المراد باستقرارها تحت العرش: أنها تستقر تحته استقراراً لا يحيط به نحن، ويحتمل أن يكون المعنى: أو علم ما سألته عن مستقرها تحت العرش في كتاب فيه ابتداء أمور العالم ونهايتها، فينقطع دوران الشمس وتستقر عند ذلك ويطل فعلها، وليس في سجدتها كل ليلة تحت العرش ما يعيق عن دورانها في سيرها. قلت (أي الحافظ ابن حجر): وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار: وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها، ومقابل الاستقرار السير الدائم المبرّر عنه الجري، والله أعلم. قال الامام النووي في «شرح مسلم»: وأما سجود الشمس، فهو بتعيين وإدراكه بخلق الله تعالى فيها، وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: قال ابن العربي: أنكر قوم سجودها، وهو صحيح ممكن، وتأوّل قوم على ما هي عليه من التسخير الدائم، قال ابن حجر: ويحتمل أن يكون المراد بالسجود سجود من هو موكل بها من الملائكة، أو تسجد بصورة الحال، فيكون عبارة عن الزيادة في الانقياد والخضوع في ذلك الحين. وقال ابن بطال: استئذان الشمس معناه أن يخلق فيها حياة بوجد القول عندها، لأن الله قادر على إحياء الجماد والموات، قال: وقال غيره: يحتمل أن يكون الاستئذان أسند إليها مجازاً، والمراد من هو موكل بها من الملائكة. اهـ.

(٢) هو عيسى بن سليمان أبو موسى الحجازي المعروف بالشيزري الحنفي، قال ابن الجزري في «طبقات القراء»: أخذ القراءة عرضاً وسماحاً عن الكسائي، وله عنه أفراد.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذُكِرَ من أمر الليل والنهار والشمس ﴿تَقْدِيرُ الْقَدِيرِ﴾ في ملكه ﴿الْقَلِيمِ﴾ بما يقدر.

قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «والقَمَرُ» بالرفع. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «والقَمَرُ» بالنصب. قال الزجاج: من قرأ بالنصب. فالمعنى: وقدّرنا القمر قدرناه منازل، ومن قرأ بالرفع، فالمعنى: وآية لهم القمر قدرناه، ويجوز أن يكون على الابتداء، وقدّرناه» الخبر<sup>(١)</sup>. قال المفسرون: ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً ينزلها من أول الشهر إلى آخره، وقد سُمّيناها في سورة [يونس: ٥]، فإذا صار إلى آخر منازلها، دُقَّ فعدا كالمرجون، وهو عود العذق الذي تركته الشماريخ<sup>(٢)</sup>، فإذا جفَّ وقُدِّم يشبه الهلال. قال ابن قتيبة: «والقديم» هاهنا: الذي قد أتى عليه حَوْلٌ، شُبِّهَ الْقَمَرُ أَخِيرَ لَيْلَةٍ يُطْلَعُ بِهِ. قال الزجاج: وتقدير «مُرجون»: فُعلون، من الانعراج. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، والضحاك، وعاصم الجحدري، وابن السميع: «كَالْمَرْجُونِ» بكسر العين.

قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهما إذا اجتمعا في السماء، كان أحدهما بين يدي الآخر، فلا يشتركان في المنازل، قاله ابن عباس. والثاني: لا يُشَبِّهُ ضَوْءُ أَحَدِهِمَا ضَوْءَ الْآخَرِ، قاله مجاهد. والثالث: لا يجتمع ضوء أحدهما مع الآخر، فإذا جاء سلطان أحدهما ذهب سلطان الآخر، قاله قتادة؛ فيكون وجه الحكمة في ذلك أنه لو اتصل الضوء، لم يُعرف الليل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَيْلٌ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو عمران، وعاصم الجحدري: «سَابِقُ» بالتثنية «النَّهَارُ» بالنصب، وفيه قولان: أحدهما: لا يَتَقَدَّمُ اللَّيْلُ قَبْلَ اسْتِكْمَالِ النَّهَارِ. والثاني: لا يأتي ليل بعد ليل من غير نهار فاصل بينهما. وباقي الآية مفسر في سورة [الأنبياء: ٤٣].

﴿وَمَا يَكُنْ لَهُمْ أَتَا حَلَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَائِكِ الْمَشْحُونِ﴾ ١١ ﴿وَلَقَدْ نَسْنَا نَفْقَتَهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُقَدَّرُونَ﴾ ١٢ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ ١٣ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ١٤ ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ١٥

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُنْ لَهُمْ أَتَا حَلَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قرأ نافع، وابن عامر: «ذُرِّيَّاتِهِمْ» على الجمع؛ وقرأ الباقون من السبعة: «ذُرِّيَّتُهُمْ» على التوحيد. قال المفسرون: أراد: في سفينة نوح، فنسب الذُرِّيَّةَ إلى المخاطبين، لأنهم من جنسهم، كأنه قال: ذُرِّيَّةُ النَّاسِ. وقال الفراء: أي: ذُرِّيَّةٌ مَنْ هُوَ مِنْهُمْ، فجعلها ذُرِّيَّةً لَهُمْ، وقد سبقته. وقال غيره: هو حَمَلُ الْأَنْبِيَاءِ فِي أَصْلَابِ الْأَبَاءِ حِينَ رَكِبُوا السَّفِينَةَ، ومنه قول العباس:

بَلْ نَظَفَتْ تَرْكَبُ السُّوفِينَ وَقَدْ

قال المفضل بن سلمة: الذُرِّيَّةُ: النُّسْلُ، لأنهم مَنْ ذَرَأَهُمُ اللَّهُ مِنْهُمْ، والذُرِّيَّةُ أيضاً: الآباء، لأن الذُرَّ وقع منهم، فهو من الأضداد، ومنه هذه الآية، وقد شرحنا هذا في قوله: ﴿ذُرِّيَّةٌ بِضَآئِهَا مِنْ بُنْيَانٍ﴾ [آل عمران: ٢٤]؛ والمشحون: المملوء.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَسْنَا نَفْقَتَهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: ومثل سفينة نوح، وهي السفن، روى هذا المعنى سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، وأبو مالك، وأبو صالح، والمراد بهذا ذُكِرَ مِنْتَهُ بَأَن خَلَقَ الْخَشَبَ الَّذِي تُعْمَلُ مِنْهُ السُّفُنُ. والثاني: أنها الإبل، خَلَقَهَا لَهُمْ لِلرُّكُوبِ فِي الْبَرِّ مِثْلَ السُّفُنِ الْمُرْكُوبَةِ فِي الْبَحْرِ، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وعن الحسن وقتادة كالقولين<sup>(٤)</sup>.

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا أنها قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى، فأيهما قرأ القارئ فمصيب.

(٢) الشماريخ: الشعب التي على العذق، واحدها شمرخ وشمرخ، وكل غصن له شعب فهي شماريخ، والشمراخ: الذي عليه بسر وأصله في العذق.

(٣) البيت للعباس بن عبد المطلب عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شعر يمدح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو في «اللسان» و«التاج»: نسر. قال ابن الأثير: يريد (أي بالنسر) الصنم الذي كان يعبد قوم نوح، على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وأشبه القولين بتأويل ذلك قول من قال: عني بذلك السفن، وذلك لدلالة قوله: ﴿وَلَقَدْ نَسْنَا نَفْقَتَهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾ على أن ذلك كذلك، وذلك أن الفرق معلوم أنه لا يكون إلا في الماء، ولا غرق في البر. اهـ. وقال ابن كثير: ويقوّي هذا المذهب في المعنى قوله جل وعلا:

﴿إِنَّا لَكَا مَنَا الْفَرَقَ مَحَلَّتْهُ لِيَالِيَةٍ﴾ ١١ ﴿يَسْتَلِمُ لَكُمْ لُكُورَهُ وَيَسْبِغُ أُنْفُكُمْ رِيحًا﴾ ١٢. اهـ.

قوله تعالى: ﴿فَلَا صَرِيحَ لَكُمْ﴾ أي: لا مُغيث ولا مُجبر ﴿وَلَا هُمْ يُقَدَّرُونَ﴾ أي: ينجون من الغرق، يقال: أنقذه واستنقذه، إذا خلّصه من المكروه، ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾ المعنى: إلا أن نرحمهم ونمنعهم إلى آجالهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ﴾ يعني الكُفَّار ﴿انْفِرُوا مَآ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: «ما بين أيديكم»: ما مضى من الذنوب، «وما خلفكم»: ما يأتي من الذنوب، قاله مجاهد. والثاني: «[ما بين أيديكم]»<sup>(١)</sup> ما تقدّم من عذاب الله للأمام، «وما خلفكم» من أمر الساعة، قاله قتادة. والثالث: «ما بين أيديكم» من الدنيا، «وما خلفكم» من عذاب الآخرة. قاله سفيان. والرابع: «ما بين أيديكم» من أمر الآخرة، «وما خلفكم» من أمر الدنيا فلا تَغْتَرُّوا بها، قاله ابن عباس والكلبي. ﴿لَمَّا لَكُمْ تَرْجُونَ﴾ أي: لتكونوا على رجاء الرحمة من الله. وجواب «إذا» محذوف، تقديره: إذا قيل لهم هذا، أعرضوا؛ ويدلّ على هذا المحذوف قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ تَبَآئِبٌ مِّنْ آيَاتِهِ﴾ أي: من دلالة تدلّ على صدق الرسول.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ﴾ أَنفِرُوا مَآ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَكَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَطْلَعُم مِّن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَلْعَمَهُ إِنْ أَتَتْهُ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿١٩﴾ فَلَا يَسْتَظِيلُونَ وَصِيَّةَ وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَهْلِيهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٠﴾ وَيُخَيِّمُونَ فِي الْمَوَدَّةِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِذْ يَنْهَى يَسْلُوكَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَوَلَّيْنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْجُئٍ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٢﴾ إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا لَا تَطْلُمُ نَفْسٌ سَبِيحًا وَلَا مَجْرُومًا إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ إِنْ أَسْكَبَ الْجَنَّةُ الْمِزَّةَ الْأَيَّامَ فِي شُغْلٍ فَكَيْفَ يُعْذَرُونَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ وَأَوَّلُ حَفْزٍ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرْبَابِ مُتَكَبِّرُونَ ﴿٢٦﴾ لَكُمْ فِيهَا نِكَاحٌ وَالْمَنَامَ مَا يَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَبِّهِمْ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنفِرُوا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: في اليهود، قاله الحسن. والثاني: في الزنادقة، قاله قتادة. والثالث: في مشركي قريش، قاله مقاتل؛ وذلك أن المؤمنين قالوا لكفار مكة: أنفقوا على المساكين النصيب الذي زعمتم أنه لله من الحرث والأنعام، فقالوا: ﴿أَطْلَعُم مِّن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَلْعَمَهُ﴾. وقال ابن السائب: كان العاص بن وائل إذا سأله مسكين، قال: اذهب إلى ربك فهو أولى بك مني، ويقول: قد منعه الله، أطمعه أنا؟!<sup>(٢)</sup> ومعنى الكلام أنهم قالوا: لو أراد الله أن يرزقهم لرزقهم، فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نُطْغِمُهُمْ؛ وهذا خطأ منهم، لأن الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضاً، ليلو الغني بالفقير فيما فرض له في ماله من الزكاة، والمؤمن لا يعترض على المشيئة، وإنما يوافق الأمر. وقيل: إنما قالوا هذا على سبيل الاستهزاء. وفي قوله: ﴿إِنْ أَتَتْهُ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ قولان: أحدهما: أنه من قول الكفار للمؤمنين، يعنون: إنكم في خطأ من أتباع محمد. والثاني: أنه من قول الله للكفار لما ردّوه من جواب المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ يعنون القيامة؛ والمعنى: متى إنجاز هذا الوعد ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؟ يعنون محمداً وأصحابه. ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ أي: ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ وهي النفخة الأولى. و«يَخِصِّمُونَ» بمعنى يختصمون، فأدغمت التاء في الصاد. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «يَخِصِّمُونَ» بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد. وروى عن أبي عمرو اختلاس حركة الخاء. وقرأ عاصم، وابن عامر، والكسائي: «يَخِصِّمُونَ» بفتح الياء وكسر الخاء. وعن عاصم كسر الياء والخاء. وقرأ نافع بسكون الخاء وتشديد الصاد. وقرأ حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد، أي: يَخِصِّمُ بعضهم بعضاً. وقرأ أبي بن كعب: «يختصمون» بزيادة تاء؛ والمعنى أن الساعة تأتيهم أغفل ما كانوا عنها وهم متشاغلون في متصرفاتهم وبيعهم وشرائهم، ﴿فَلَا يَسْتَظِيلُونَ وَصِيَّةَ﴾ قال مقاتل: أعجلوا عن الوصية فماتوا، ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَهْلِيهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لا يعودون من الأسواق إلى منازلهم؛ فهذا وصف ما يُلْقَوْنَ في النفخة الأولى. ثم ذكر ما يُلْقَوْنَ في النفخة الثانية

(١) زيادة ليست في الأصل.

(٢) ذكر هذا المعنى الخازن في «تفسيره»، ولم ينسب لابن السائب ولا غيره، بل قال: قيل: كان العاص بن وائل إذا سأله مسكين... إلخ، والله أعلم. قال الألويسي: وظاهر ما تقدم يقتضي أنها نزلت في كفار مكة، أمروا بالإفئاد مما رزقهم الله تعالى، وهو عام في الإطعام وغيره، فاجابوا بنفي الإطعام الذي لم يزالوا يفتخرون به، دلالة على نفي غيره بالطريق الأولى. اهـ.

فقال: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَعْدَالِ﴾ يعني القبور؛ ﴿إِلَّا رَيْبَهُمْ يَسِيرُونَ﴾ أي: يخرجون بسرعة<sup>(١)</sup>، وقد شرحنا هذا المعنى في سورة [الأنبياء: ٩٦]. ﴿قَالُوا يَوْمَئِذٍ مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾<sup>(٢)</sup> وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو رزين، والضحاك، وعاصم الجحدري: «من بعثنا» بكسر الميم والثاء وسكون العين. قال المفسرون: إنما قالوا هذا، لأن الله تعالى رفع عنهم العذاب فيما بين النفتختين. قال أبي بن كعب: ينامون نومة قبل البعث، فإذا بعثوا قالوا هذا.

قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ في قاتلي هذا الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قول المؤمنين، قاله مجاهد، وقتادة، وابن أبي ليلى. قال قتادة: أول الآية للكافرين، وآخرها للمؤمنين. والثاني: أنه قول الملائكة لهم، قاله الحسن. والثالث: أنه قول الكافرين، يقول بعضهم لبعض: هذا الذي أخبرتنا به المرسلون أننا نبعث ونجأزي، قاله ابن زيد<sup>(٣)</sup>. قال الزجاج: «من مرقدنا» هو وقف التمام، ويجوز أن يكون «هذا» من نعت «مرقدنا» على معنى: مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هذا الذي كُنَّا رَاقِدِينَ فيه؟ ويكون في قوله: «ما وعد الرحمن» أحد إضمارين، إما «هذا»، وإما «حق»، فيكون المعنى: حَقٌّ مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ<sup>(٤)</sup>. ثم ذكر النفخة الثانية، فقال: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾، وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْمُنَى الْيَوْمَ﴾ يعني في الآخرة ﴿فِي سُجُلٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «في سُجُلٍ» بإسكان الغين. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «في سُجُلٍ» بضم الشين والسين. وقرأ أبو هريرة، وأبو رجاء، وأيوب السخيتاني: «في سُجُلٍ» بفتح الشين والسين. وقرأ أبو مجلز، وأبو العالية، وعكرمة، والضحاك، والنخعي، وابن يعمر، والجحدري: «في سُجُلٍ» بفتح الشين وسكون الغين<sup>(٥)</sup>، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن سُجُلَهُم اقتضاها الضار، رواه شقيق عن ابن مسعود، ومجاهد عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن المسيب، وقتادة، والضحاك. والثاني: ضرب الأوتار، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٦)</sup>؛ وعن عكرمة كالتولين، ولا يثبت هذا القول. والثالث: النعمة، قاله مجاهد. وقال الحسن: سُجُلَهُم: نعيمهم عما فيه أهل النار من العذاب.

قوله تعالى: ﴿فَنُكَبِّرُهُمْ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو المتوكل، وقتادة، وأبو الجوزاء، والنخعي، وأبو جعفر: «فَنُكَبِّرُهُمْ». وهل بينهما فرق؟ فيه قولان: أحدهما: أن بينهما فرقا. فاما «فاكهون» ففيه أربعة

(١) روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفتختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أُبَيِّتُ، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أُبَيِّتُ، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أُبَيِّتُ، ثم يُنْزَلُ الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل» قال: «وليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو عَجَبُ الذنْبِ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة» متفق عليه، واللفظ لمسلم، ومعنى قول أبي هريرة: «أُبَيِّتُ»: امتنعت عن الجواب لأنني لا أدري ما هو الصواب. «وعجب الذنب» هو العظم الذي في أسفل الصلب، وهو رأس النخعص، ويقال له: «عجم» بالميم، وهو أول ما يخلق من آدمي، وهو الذي يبقى من الإنسان ليعاد تركيب الخلق عليه.

(٢) قال ابن كثير: يعنون قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها، فلما عاينوا ما كُتِبُوا به في محشرهم ﴿قَالُوا يَوْمَئِذٍ مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾؟ قال: وهذا لا ينبغي عذابهم في قبورهم، لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والقول الأول أشبه بظاهر التنزيل، وهو أن يكون من كلام المؤمنين، لأن الكفار في قيلهم: ﴿مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾؟ دليل على أنهم كانوا بمن بعثهم من مردنهم جهلاً، ولذلك من جهلهم استنبأوا، ومحال أن يكونوا استنبأوا ذلك إلا من غيرهم ممن خالفت صفته صفتهم في ذلك. اهـ. قال ابن كثير: وهذا أصح، وذلك كقوله تبارك وتعالى في (الصافات): ﴿قَالُوا يَوْمَئِذٍ مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا؟ دليل على ذلك. اهـ. وقال الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُخِيرُ الْمُشْرِكُونَ مَا إِنشَأُوا مِن سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْكَذَّبُونَ﴾ وقال الذين أَرَفُوا الْقَوْلَ الْأَوَّلَ قَدْ لَفِشْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّكَ يَوْمَ الْبَعْثِ فَهَكَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنْ كُنْتُمْ كَثُرَ لَا تَلْمِزُونَ﴾. اهـ.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وفي قوله: «هذا» وجهان، أحدهما: أن تكون إشارة إلى «ما» ويكون ذلك كلاماً مبتدأ بعد تنافي الخبر الأول بقوله: ﴿مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ فتكون «ما» حبيطة مرفوعة به «هذا»، ويكون معنى الكلام: هذا رُغْدُ الرَّحْمَنِ، وصدق المرسلون، والوجه الآخر: أن تكون من صفة المرقد، وتكون خفضاً رداً على المرقد، وعند تمام الخبر الأول، فيكون معنى الكلام: مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هذا؟ ثم يبتدأ الكلام فيقال: ما وعد الرحمن، بمعنى: بكم رُغْدُ الرَّحْمَنِ، فتكون «ما» حبيطة رفاعاً على هذا المعنى. اهـ.

(٥) قال ابن جرير الطبري: والصواب في ذلك عندي قراءته بضم الشين والسين، أو بضم الشين وسكون الغين، بأي ذلك قرأ القارئ فهو مصيب، لأن ذلك هو القراءة المعروفة في قراء الأمصار مع تقارب معنيهما، قال: وأما قراءته بفتح الشين والسين، فغير جائزة عندي، لإجماع الحجة من القراء على خلافها. اهـ.

(٦) قال ابن كثير: وقال ابن عباس رضي الله عنه في رواية عنه: ﴿فِي سُجُلٍ فَكَبِّرُهُمْ﴾ أي: بسماع الأوتار، قال: وقال أبو حاتم: لعله غلط من المستمع، وإنما هو اقتضاها الأوبكار. اهـ. والاقتضاها والاقتضاها بمعنى واحد.

أقوال: أحدهما: فَرَحُون، قاله ابن عباس. والثاني: مُعَجَّبُون، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: ناعمون، قاله أبو مالك، ومقاتل. والرابع: ذوو فاكهة، كما يقال: فلانٌ لابنٌ تايِرٌ، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. وأما «فَكِهُون» ففيه قولان: أحدهما: أن الفكه: الذي يتفكه، تقول العرب للرجل إذا كان يتفكه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس: إن فلاناً لفكه بكذا، ومنه يقال للمُزاح: فُكَاةٌ، قاله أبو عبيدة. والثاني: فَكِهِين بمعنى فَرَحِين، قاله أبو سليمان الدمشقي. والقول الثاني: أن فاكِهِين وفَكِهِين بمعنى واحد، كما يقال: حَافِرٌ وَخَلِيزٌ، قاله الفراء. وقال الزجاج: فاكِهُون وفَكِهُون بمعنى فَرَحِين. وقال أبو زيد: الفكه: الطيب النفس الضحوك، يقال: رجل فاكِه وفكه<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَأْتِكُمْ فِي ظُلُلٍ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «في ظُلُلٍ». قال الفراء: الظلال جمع ظِلٍّ، والظُّلُل جمع ظُلَّةٍ، وقد تكون الظلال جمع ظُلَّةٍ أيضاً، كما يقال: حُلَّةٌ وَحُلُلٌ؛ فإذا كثرت فهي الخلال والجلال والقلال. قال مقاتل: والظلال: أكنان القصور. قال أبو عبيدة: والمعنى أنهم لا يَضْحَوْنَ. فاما الأرائك، فقد بيَّناها في سورة [الكهف: ٣١].

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَأْ يَدْعُونَ﴾ قال ابن قتيبة: ما يَتَمَنُّونَ، ومنه يقول الناس: هو في خيرٍ ما ادَّعى، أي: ما تَمَنَّى، والعرب تقول: ادَّع ما شئت، أي: تَمَن ما شئت. وقال الزجاج: هو مأخوذ من الدَّعاء؛ والمعنى: كلُّ ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم. وقوله: «سَلِّمْ» بدل من «ما»؛ المعنى: لهم ما يتمنون سلام، أي: هذا مَثَلُ أهل الجنة أن يُسَلِّمَ الله عليهم<sup>(٢)</sup>. و«قَوْلًا» منصوب على معنى: سلام يقوله الله قولاً. قال أبو عبيدة: «سلام» رفع على «لهم»؛ فالمعنى: لهم فيها فاكهة ولهم فيها سلام. وقال الفراء: معنى الكلام: لهم ما يدعون مسلماً خالص، ونصب القول، كأنك قلت: قاله قولاً، وإن شئت جعلته نصباً من قوله: ولهم ما يدعون قولاً، كقولك: عِدَّةٌ من الله. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، والجدري: «سلاماً قولاً» نصبهما جميعاً.

﴿وَأَسْتَشْرُوا الْيَوْمَ إِلَهاً الشَّيْطَانُ﴾ ٥٩ ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ أَنْ لَا تُعْبَدُوا إِلَّا هُوَ لَكُمُ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ٦٠ ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ٦١ ﴿وَلَقَدْ أَسْلَمَ بِكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَفْقَهُونَ﴾ ٦٢ ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ٦٣ ﴿أَصْلَحُوا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ٦٤

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَشْرُوا الْيَوْمَ إِلَهاً الشَّيْطَانُ﴾ ٥٩ قال ابن قتيبة: أي: انقطعوا عن المؤمنين وتميزوا منهم، يقال: ميزت الشيء من الشيء: إذا عزلته عنه، فانماز وامتاز، وميزته فتميز. قال المفسرون: إذا اختلط الإنس والجن في الآخرة، قيل: ﴿وَأَسْتَشْرُوا الْيَوْمَ إِلَهاً الشَّيْطَانُ﴾، فيقال للمجرمين: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ أَنْ لَا تُعْبَدُوا إِلَّا هُوَ﴾؟ أي: ألم أمركم، أو أوصيكم؟ «وتعبدوا» بمعنى تطيعوا، والشيطان هو إبليس، زين لهم الشُّركَ فاطاعوه، ﴿إِنَّهُ لَكُمُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ظاهر العداوة، أخرج أبيكم من الجنة. ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي: «وَأَنْ أَعْبُدُونِي» بضم النون. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحمزة: «وَأَنْ أَعْبُدُونِي» بكسر النون؛ والمعنى: وحدوني «هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» يعني التوحيد. ﴿وَلَقَدْ أَسْلَمَ بِكُمْ جِبَلًا﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف: «جِبَلًا» بضم الجيم والباء وتخفيف اللام. وقرأ أبو عمرو، وابن عامر: «جِبَلًا» بضم الجيم وتسكين الباء مع تخفيف اللام. وقرأ نافع، وعاصم: «جِبَلًا» بكسر الجيم والباء مع تشديد اللام. وقرأ علي بن أبي طالب، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، والزهري، والأعمش: «جِبَلًا» بضم الجيم والباء مع تشديد اللام. وقرأ عبد الله بن عمرو، وابن السميع: «جِبَلًا» بكسر الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام. وقرأ سفيان بن جبیر، وأبو المتوكل، ومعاذ القارئ: «جِبَلًا» برفع الجيم وفتح الباء وتخفيف اللام. وقرأ أبو العالية: وابن عمر: «جِبَلًا» بكسر الجيم وفتح الباء وتخفيف اللام. وقرأ أبو عمران الجوني، وعمرو بن دينار: «جِبَلًا» مكسورة الجيم مفتوحة الباء وبألف. ومعنى الكلمة كيف تصرَّفت في هذه اللغات: الحَلَقُ والجماعة؛ فالمعنى: ولقد أضلَّ منكم

(١) قال ابن جرير: والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأ بالألف «فَكِهُون» لأن ذلك هو القراءة المعروفة. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: والذي هو أولى بالصواب على ما جاء به الخبر عن محمد بن كعب القرظي أن يكون «سَلِّمْ» خبراً لقوله: ﴿وَلَمْ تَأْ يَدْعُونَ﴾ فيكون معنى ذلك: ولهم فيها ما يدعون، وذلك هو سلام من الله عليهم. اهـ.

خَلَقًا كَثِيرًا ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾؟؛ فالمعنى: قد رأيتم آثار الهالكين قبلكم بطاعة الشيطان، أفلم تعلموا ذلك؟! وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رجاء، ومجاهد، وابن يعمر: «أفلم يكونوا يعقلون» بالياء فيها، فإذا أذنوا إلى جهنم قيل لهم: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها في الدنيا ﴿أَمَلُّوْهَا﴾ أي: قاسوا حرها.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ آلِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَنفُثُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَائِبِهِمْ فَمَا اسْتَفْهَمُوا مُنْذِرًا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمَرْهُ لَنُكَفِّرْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ آلِهِمْ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء: «يُخْتَمُ» بياء مضمومة وفتح التاء ﴿وَتُكَلِّمُنَا﴾ قرأ ابن مسعود: «وَلَتُكَلِّمُنَا» بزيادة لام مكسورة وفتح الميم وواو قبل اللام. وقرأ أبي بن كعب، وابن أبي عبلة: «لَتُكَلِّمُنَا» بلام مكسورة من غير واو قبلها وينصب الميم؛ وقرأوا جميعاً: «وَلَتُشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ» بلام مكسورة وينصب الدال. ومعنى «نَخْتِمُ»: نطبع عليها، وقيل: منعها من الكلام هو الختم عليها، وفي سبب ذلك أربعة أقوال: أحدها: أنهم لما قالوا: ﴿وَأَنفُثْنَا مَاءً كَمَا نُفْثُكَ﴾ «الأنعام: ٢٣» ختم الله على أفواههم ونطقت جوارحهم، قاله أبو موسى الأشمري. والثاني: ليعلموا أن أعضاءهم التي كانت أعواناً لهم على المعاصي صارت شهوداً [عليهم]. والثالث: ليعرفهم أهل الموقف، فيميزوا منهم بذلك. والرابع: لأن إقرار الجوارح أبلغ في الإقرار من نطق اللسان، ذكره الماوردي. فإن قيل: ما الحكمة في تسمية نطق اليد كلاماً ونطق الرجل شهادة؟ فالجواب: أن اليد كانت مباشرة والرجل حاضرة، وقول الحاضر على غيره شهادة بما رأى، وقول الفاعل على نفسه إقرار بما فعل.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ولو نشاء لأذهبنا أعينهم حتى لا يبدؤ لها شق ولا جفن. والمطموس: الذي لا يكون بين جفنيه شق، «فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ» أي: فتبادروا إلى الطريق ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ [أي]: فكيف يُبْصِرُونَ وقد أعمينا أعينهم؟! وقرأ أبو بكر الصديق، وعروة بن الزبير، وأبو رجاء: «فَاسْتَبَقُوا» بكسر الباء فأتى يُبْصِرُونَ بالتاء. وهذا تهديد لأهل مكة، وهو قول الأكثرين. والثاني: ولو نشاء لأصلبناهم وأعميناهم عن الهدى، فأتى يُبْصِرُونَ بالحق؟ رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: ولو نشاء لفقنا أعين ضلالتهم وأعميناهم عن غيهم وجوئنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى فابصروا رشدهم، فأتى يُبْصِرُونَ ولم أفعل ذلك بهم؟! روي عن جماعة منهم مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَائِبِهِمْ﴾ وروى أبو بكر عن عاصم: «على مكائباتهم»؛ وقد سبق بيان هذا (البقرة: ٦٥)، وفي المراد بقوله: «لَمَسَخْنَاهُمْ» أربعة أقوال: أحدها: لأهلكتناهم، قاله ابن عباس. والثاني: لأقعدناهم على أرجلهم، قاله الحسن، وقناة. والثالث: لجعلناهم حجارة، قاله أبو صالح، ومقاتل. والرابع: لجعلناهم قردة وخنازير لا أرواح فيها، قاله ابن السائب. وفي قوله: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: فما استطاعوا أن يتقدموا ولا أن يتأخروا، قاله قتادة. والثاني: فما استطاعوا مضياً عن العذاب، ولا رجوعاً إلى الخلقة الأولى بعد المسخ، قاله الضحاك. والثالث: مضياً من الدنيا ولا رجوعاً إليها، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمَرْهُ لَنُكَفِّرْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ قرأ حمزة: «نُنْكَسُهُ» مشددة مع ضم النون الأولى وفتح الثانية؛ والباقون: يفتح النون الأولى وتسكين الثانية من غير تشديد<sup>(١)</sup>؛ وعن عاصم كالقراءتين. ومعنى الكلام: من نُظِّلَ عمره نُنْكَسَ خَلْقُهُ، فنجعل مكان القوة الضعيف، وبدل الشباب الهرم، فنرده إلى أرذل العمر. ﴿أَفَلَا يَعْلَمُونَ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو: «أفلا تعلمون» بالتاء، والباقون بالياء. والمعنى: أفلا يعلمون أن مَنْ فعل هذا قادر على البعث؟!.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ ﴿يُنذِرُ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحْيِي الْقُلُوبَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٨﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ قال المفسرون: إن كفار مكة قالوا: إنَّ هذا القرآن شِعْر وإن محمداً شاعر،

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فإيهما قرأ القارئ فصيب غير أن التي عليها حامة قرأه الكوفيين أصعب إليّ، لأن التكيس من الله في الخلق إنما هو حال بعد حال، وشيء بعد شيء، فلذلك تأييد للتشديد. - اهـ.

فقال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ أي: ما يتسهّل له ذلك. قال المفسرون: ما كان يَتَرَنّ له بيت شعر، حتى إنه روي عنه ﷺ أنه تمثّل يوماً فقال:

«كَفَى بِالْإِسْلَامِ وَالشُّنَيْبِ لِلْمَرْوِ نَاهِيَاً»

فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنما قال الشاعر:

كَفَى الشُّنَيْبِ وَالْإِسْلَامِ لِلْمَرْوِ نَاهِيَاً<sup>(١)</sup>

أشهد أنك رسول الله، ما علمك الله الشعر، وما ينبغي لك<sup>(٢)</sup>. ودعا يوماً بجاس بن مرداس فقال: «أنت القائل: أَتَجْعَلُ نَهْيِي وَنَهْيَ الْعَبِيدِ دَ بَيْنَ الْأَفْرَعِ وَغَيْرَيْنَا؟»<sup>(٣)</sup>

فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي، لم يقل كذلك، فأنشده أبو بكر، فقال رسول الله ﷺ: «لَا يَضُرُّكَ بَأْيُهُمَا بَدَأْتَ» فقال أبو بكر: والله ما أنت بشاعر، ولا ينبغي لك الشعر<sup>(٤)</sup>. وتمثّل يوماً، فقال:

«وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْهُ بِالْأَخْبَارِ»<sup>(٥)</sup>

فقال أبو بكر: ليس هكذا يا رسول الله، فقال: «إِنِّي لَسْتُ بِشَاعِرٍ، وَلَا يَنْبَغِي لِي»<sup>(٦)</sup>. وإنما مُنِعَ من قول الشعر،

(١) البيت لسحيم عبد بني الحساس، وهو في «ديوانه» ١٦، و«مجمع البيان» ٣٧/٢٣، و«البحر المحيط» ٣٤٥/٧، و«القرطبي» ٥٢/١٥، و«اللسان»: نهى، وهو بتمامه:

عَمِيرَةٌ وَدُخَانٌ تَجَاهَزَتْ غَادِيَا كَفَى الشُّنَيْبِ وَالْإِسْلَامَ لِلْمَرْوِ نَاهِيَاً

(٢) ذكر هذا الحديث ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن البصري قال: إن رسول الله ﷺ كان يتمثّل بهذا البيت «كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً» فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله «كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً» قال أبو بكر أو عمر ﷺ: أشهد أنك رسول الله، يقول تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾. اهـ. وهذا الحديث مرسل، وفي سنده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. والحديث ذكره السيوطي في «الدر» ٢١٨/٥ من رواية ابن أبي حاتم، وزاد نسبة لابن سعد، والمرزباني في «معجم الشعراء» عن الحسن ﷺ مرسلًا أن النبي ﷺ كان يتمثّل بهذا البيت.

(٣) البيت لجاس بن مرداس، وهو في «البحر المحيط» ٣٤٥/٧، و«القرطبي» ٥٢/١٥، و«فروع المعاني» ٤٥/٢٣، و«اللسان» و«التاج»: نهى، وصوابه موزونًا:

أَتَجْعَلُ نَهْيِي وَنَهْيَ الْعَبِيدِ دَ بَيْنَ غَيْرَيْنَا وَالْأَفْرَعِ؟

(٤) ذكره ابن كثير في «التفسير» من رواية السهقي في «الدلائل»، وأورده السيوطي في «الدر» ٢١٨/٥ من رواية ابن سعد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد أن النبي ﷺ قال للجاس بن مرداس: «أرأيت قولك: أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأفراع وعيينة... إلخ، وفيه انقطاع، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، ويقال له: عبد الله بن ذكوان المدني، صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد كما قال الحافظ بن حجر في «التقريب».

(٥) البيت لطرفة بن العبد البكري، وهو في «مختار الشعر الجاهلي» ٣٢٣/١، و«مجمع البيان» ٤٥/٢٣، و«البحر المحيط» ٣٤٥/٧، و«القرطبي» ١٥/٢١، ونصه بتمامه:

سُبَيْدِي لَكَ الْإِيَامُ مَا كُنْتُ جَاهِلَا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ

(٦) رواه الإمام أحمد في «المسند» من حديث هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن عائشة ؓ، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا استراب الخبر تمثّل فيه بيت طرفة «ويأتيك بالأخبار من لم تزود»، وذكره السيوطي في «الدر» ٢١٨/٥ من رواية ابن أبي شيبة عن عائشة ؓ بهذا اللفظ. قال ابن كثير: وهكذا رواه النسائي في «اليوم والليلة» من طريق إبراهيم بن مهاجر عن الشعبي عنها، قال: ورواه الترمذي والنسائي أيضاً من حديث المقدم بن شريح بن هانئ عن أبيه عن عائشة ؓ كذلك، ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. اهـ. والحديث رواه الطبري في «التفسير» ٢٧/٢٣، من حديث سعيد بن أبي هريرة عن قتادة قال: قيل لعائشة ؓ: هل كان رسول الله ﷺ يتمثّل بشيء من الشعر؟ قالت: كان أبغض الحديث إليه، غير أنه كان يتمثّل ببنت أخي بني قيس، فيجعل آخره أوله، وأوله آخره، فقال له أبو بكر: إنه ليس هكذا، فقال نبي الله: «إني والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي» وذكره السيوطي في «الدر» ٢١٨/٥ بهذا اللفظ عن عائشة وزاد نسبة لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأورده أيضاً من رواية ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عباس ؓ قال: كان رسول الله ﷺ يتمثّل من الأشعار «ويأتيك بالأخبار من لم تزود». اهـ. قال ابن كثير: وثبت في الصحيح أنه ﷺ تمثّل يوم حفر الخندق بأبيات عبد الله بن رواحة ؓ، ولكن تبعاً لقول أصحابه ؓ، فإنهم كانوا يرتجزون وهم يحفرون فيقولون:

لَا هُمْ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَهْتَدُنَا وَلَا صُلَيْنَا  
فَأَنْزَلُنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا  
إِنْ الْأَلْسِ قَدْ بَغَفُوا عَلَيْنَا  
وَإِذَا أَرَادُوا قَتْلَنَا أَهْلَيْنَا

ويرفع صوته ﷺ بقوله: «أبينا» ويملأها... قال: وكذا ثبت أنه ﷺ قال يوم حنين وهو راكب البغلة يقدم بها في نحور العدو:

أَنَا الشُّنَيْبِيُّ لَا كَسَلِي أَنْسَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ



لئلا تدخل الشبهة على قوم فيما أتى به من القرآن فيقولون: قوي على ذلك بما في طبعه من الفطنة للشعر.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ إلا موعظة ﴿رُؤُوسَ ثَمِينٍ﴾ فيه الفرائض والسنن [والأحكام].

قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «لِيُنذِرَ» بالياء، يعنون القرآن. وقرأ نافع، وابن عامر، ويعقوب: «لِيُنذِرَ» بالتاء، يعنون النبي ﷺ، أي: لِيُنذِرَ يا محمد بما في القرآن. وقرأ أبو المتوكّل، وأبو الجوزاء، وابن السميع: «لِيُنذِرَ» بياء مرفوعة وفتح الذال والراء جميعاً.

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: حي القلب حي البصر، قاله قتادة. والثاني: من كان عاقلاً، قاله الضحاك. قال الزجاج: من كان يعقل ما يخاطب به، فإن الكافر كالميت في ترك النذير. والثالث: مهتدياً، قاله السدي وقال مقاتل: من كان مهتدياً في علم الله. والرابع: من كان مؤمناً، قاله يحيى بن سلام؛ وهذا على المعنى الذي قد سبق في قوله: ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يُشْرِكُونَ بِرَبِّهِمْ﴾ [فاطر: ١٨]، ويجوز أن يريد: إنما ينفع إنذارك من كان مؤمناً في علم الله.

قوله تعالى: ﴿وَيَحْيَى الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ معناه: يجب. وفي المراد بالقول قولان: أحدهما: أنه العذاب. والثاني: الحجة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا عَمَلَت آيَاتِنَا أَنْعَمَّا فُتِحَ لَهُمْ لَهَا سُبُكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لِمَنْ قَبْلُهَا رُكُوبُهُمْ وَمِنَّا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَكُنْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَسَارِجُ أَفْلاكٌ يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُصَرِّحُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفَهُمْ وَمَنْ كُنْ جُنْدٌ تُعْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُصِرُّونَ وَمَا يُغْتَابُونَ ﴿٧٦﴾﴾

ثم ذكرهم قدرته فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا عَمَلَت آيَاتِنَا أَنْعَمَّا﴾ قال ابن قتيبة: يجوز أن يكون المعنى: ممّا عملناه بقوتنا وقدرتنا، وفي اليد القدرة والقوة على العمل، فستعار اليد فتوضع موضعها، هذا مجاز للعرب يحتمله هذا الحرف، والله أعلم بما أراد. وقال غيره: ذكر الأيدي هاهنا يدل على انفراده بما خلق، والمعنى: لم يشاركنا أحد في إنشائنا؛ والواحد منا إذا قال: عملت هذا بيدي، دلّ ذلك على انفراده بعمله. وقال أبو سليمان الدمشقي: معنى الآية: ممّا أوجدناه بقدرتنا وقوتنا؛ وهذا إجماع أنه لم يرد هاهنا إلا ما ذكرنا.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَهَا سُبُكُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: ضابطون، قاله قتادة، ومقاتل. قال الزجاج: ومثله في الشعر:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا  
أصبحت رأس البعير إن فسرا<sup>(١)</sup>

أي: لا أضبط رأس البعير. والثاني: قادرون عليها بالتسخير لهم، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لِمَنْ قَبْلُهَا رُكُوبُهُمْ﴾ أي: سخرناها، فهي ذليلة لهم ﴿قَبْلُهَا رُكُوبُهُمْ﴾ قال ابن قتيبة: الرُّكُوب: ما يركبون، والحلوب: ما يخلبون. قال الفراء: ولو قرأ قارئ: «فمنها رُكُوبُهُمْ»، كان وجهاً، كما تقول: منها أكلهم وشربهم وركوبهم. وقد قرأ بضم الراء الحسن، وأبو العالية، والأعمش، وابن يعمر في آخرين. وقرأ أبي بن كعب، وعائشة: «رُكُوبُهُمْ» بفتح الراء والباء وزيادة تاء مرفوعة. قال المفسرون: يركبون من الأنعام الإبل، ويأكلون الغنم، ﴿وَكُنْ فِيهَا

لكن قالوا: هذا وقع اتفاقاً من غير قصد لوزن شعر، بل جرى على اللسان من غير قصد إليه، قال: وكذلك ما ثبت في «الصحيحين» عن جندب بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غار فكتب أصبعه، فقال ﷺ:

هَلْ أَنْتَ إِلَّا أَصْبَعُ دُمَيْيَتٍ      وفي سبيل الله ما لقيت

قال ابن كثير: وكل هذا لا ينافي كونه ﷺ ما علم شعراً ولا ينفي له، فإن الله تعالى إنما علمه القرآن العظيم ﴿لَا يَأْتِيهِ الْغَيْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْجُلٌ مِنْ حَكِيمٍ عَمِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ وليس هو بشعر كما زعمه طائفة من جهلة كفار قريش، ولا كهانة ولا مفتعل، ولا سحر يؤثر كما تنوعت فيه أقوال الضلال وآراء الجهال، قال: وقد كانت سميت ﷺ تأبي صناعة الشعر طبعاً وشعراً. ثم قال ابن كثير: على أن الشعر فيه ما هو مشروع، وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الإسلام، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة وأمثالهم وأضرابهم ﷺ أجمعين، ومنه ما فيه حكم ومواعظ وآداب كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية، ثم قال: وقد روى أبو داود، من حديث أبي بن كعب، وبريدة بن الخصيب، وعبد الله بن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن من البيان سحراً، وإن من الشعر جحماً». اهـ.

(١) البيت للربيع بن منيع الفزاري، وهو في «البحر المحيط» ٣٤٧/٧، و«روح المعاني» ٤٧/٢٣.

مَنْعَهُمْ مِنْ الْأَصْوَابِ وَالْأَوْبَارِ وَالْأَشْعَارِ وَالنَّسْلِ «وَسَارِبَةٍ» [من] البانها، «أَنَّا يَشْكُرُونَ» رَبِّ هَذِهِ النِّعَمِ فَيُوحِدُونَهُ! ثم ذكر جهلهم فقال: «وَأَعْبُدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُبْصِرُونَ» (٧٦) أي: لئلا تمنعهم من عذاب الله؛ ثم أخبر أن ذلك لا يكون بقوله: «لَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفَهُمْ» أي: لا تقدر الأصنام على منعهم من أمرٍ أرادته الله بهم «وَهُمْ» يعني الكفار «لَمْ» يعني الأصنام «جُنُدٌ تُفْعَرُونَ» وفيه أربعة أقوال. أحدها: جند في الدنيا محضرون في النار، قاله الحسن. والثاني: مُحَضَّرُونَ عند الحساب، قاله مجاهد. والثالث: المشركون جُنُدٌ للأصنام، يَغْضِبُونَ لها في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيراً ولا تدفع عنهم شراً، قاله قتادة<sup>(١)</sup>. وقال مقاتل: الكفار يَغْضِبُونَ للآلهة وَيَحْضَرُونَها في الدنيا. وقال الزجاج: هم للأصنام ينتصرون، وهي لا تستطيع نصرهم. والرابع: هم جُنُدٌ مُحَضَّرُونَ عند الأصنام يعبدونها، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: «فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ» يعني قول كفار مكة في تكذيبك «إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبْرُونَ» في ضمايرهم من تكذيبك «وَمَا يُخْلُونَ» بالسنتهم من ذلك؛ والمعنى: إنا نثبث ونجاذبهم.

«أَوَّلَ بَرٍّ إِلَّا نَسُوا أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ تُطْفَأُ فَإِذَا هُوَ خَصِيضٌ نِيدٌ» (٧٧) وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَدَعَى خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعَظْمَ وَهِيَ رَيْبٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَنَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْشَأْتُم مِّنْهُ تُوقُودًا (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِنْهُ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَتُحِبُّنَ الَّذِي يَبْدُوهُ مَلَكُوتٌ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)

قوله تعالى: «أَوَّلَ بَرٍّ إِلَّا نَسُوا أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ تُطْفَأُ» اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية والتي بعدها على خمسة أقوال: أحدها: أنه العاص بن وائل السهمي، أخذ عَظْماً من البطحاء ففقه بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أَيُحْيِي اللَّهُ هَذَا بعد ما أرى؟ فقال: نعم، يُحْيِيكَ اللَّهُ ثُمَّ يُحْيِيكَ ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ، فنزلت هذه الآيات، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه عبد الله بن أبي بن سلول، جرى له نحو هذه القصة، رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثالث: أنه أبو جهل بن هشام، وأن هذه القصة جرت له، رواه الضحاك عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والرابع: أنه أمية بن خلف، قاله الحسن<sup>(٥)</sup>. والخامس: أنه أبي بن خلف الجُمُحِي<sup>(٦)</sup>، وهذه القصة جرت له، قاله مجاهد، وقاتدة، والجمهور، وعليه المفسرون. ومعنى الكلام: التعجب من جهل هذا المخاصم في إنكاره البعث؛ والمعنى: ألا يعلم أنه مخلوق فيفكر في بده خلقه فيترك خصومته؟! وقيل: هذا تنبيه له على نعمة الله عليه حيث أنشأ من نقطة فصار مجادلاً. «وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا» في إنكار العث بالعظم البالي حين فقه بيده، وتعجب ممن يقول: إن الله يُحْيِي «وَدَعَى خَلْقَهُ» أي: نَبِيَّ خَلَقْنَا لَهُ،

(١) قال ابن جرير الطبري: وهذا الذي قاله قتادة أولى عندنا بالصواب في تأويل ذلك، لأن المشركين عند الحساب تباراً منهم الأصنام وما كانوا يعبدونه، فكيف يكونون لها جنداً حقيقياً؟! ولكهم في الدنيا لهم جند يَغْضِبُونَ لهم ويقاتلون دونهم، وقال ابن كثير: وهكذا قال الحسن البصري، وهذا القول حسن، وهو اختيار ابن جرير رحمه الله تعالى. اهـ.

(٢) رواه ابن جرير الطبري ٣٠/٢٣ من رواية سعيد بن جبيرة مرسلاً، ورواه ابن أبي حاتم من رواية سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الحاكم عن ابن عباس وصححه، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٦٩/٥، وزاد نسبة لابن المنذر، والإسماعيلي في «معجمه»، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث»، والذهبي في «المختار» عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه الطبري ٣١/٢٣ من رواية عطية العوفي عن ابن عباس، قال ابن كثير: وهذا منكر، لأن السورة مكية، وعبد الله بن أبي بن سلول إنما كان بالمدينة.

(٤) ذكره السيوطي في «الدر» ٢٧٠/٥ من رواية ابن مردويه عن ابن عباس. والله أعلم.

(٥) وهكذا ذكره الشوكاني في «فتح القدير» عن الحسن ولم يستند لأحد.

(٦) رواه الطبري ٣٠/٢٣ من مجاهد وقاتدة، والواحدي في «أسباب النزول» ٢٠٩ من طريق حصين عن أبي مالك، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٤٠: ورواه البيهقي في «الشعب» من طريق حصين عن أبي مالك. وأورده السيوطي في «الدر» ٢٦٩/٥ من رواية ابن مردويه عن ابن عباس، ومن رواية سعيد بن منصور، وابن المنذر، والبيهقي في «البعث» عن أبي مالك، ومن رواية عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد، ومن رواية عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة، ومن رواية ابن أبي حاتم عن السدي، ومن رواية ابن أبي حاتم عن حكيم. قال ابن كثير: وعلى كل تقدير، سواء كانت هذه الآيات نزلت في أبي بن خلف، أو العاص بن وائل، أو فيهما، فهي عامة في كل من أنكر البعث، قال: والألف واللام في قوله تعالى: «أَوَّلَ بَرٍّ إِلَّا نَسُوا أَنَا خَلَقْتَهُ» للجنس، يعم كل منكر للبعث. اهـ.

أي: تَرَكَ النَّظَرَ فِي خَلْقِ نَفْسِهِ إِذْ خَلَقَ مِنْ نُطْفَةٍ ﴿قَالَ مَنْ يُعْنِي الْعَظَمُ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ١٩ أي: بالية، يقال: رَمَّ الْعَظْمُ، إِذَا بَلِيَ، فَهُوَ رَمِيمٌ، لَأَنَّهُ مَعْدُولٌ عَنْ فَاعِلِهِ، وَكُلُّ مَعْدُولٍ عَنْ وَجْهِهِ وَوزنه فهو مصروف عن إعرابه، كقوله: ﴿وَمَا كَأَنَّ أَثْنِيكَ بِفَيْئِكَ﴾ [سرم: ٢٨]، فَاسْقَطَ الْهَاءَ لِأَنَّهُا مَصْرُوفَةٌ عَنْ «بَاغِيَةٍ»؛ ففاس هذا الكافر قُدْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِقُدْرَةِ الْخَلْقِ، فَانْكَرَ إِحْيَاءَ الْعَظْمِ الْبَالِي لِأَنَ ذَلِكَ لَيْسَ فِي مَقْدُورِ الْخَلْقِ. ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا﴾ أي: ابْتَدَأَ خَلْقَهَا ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ من الْإِبْتِدَاءِ وَالْإِعَادَةِ ﴿عَلِيمٌ﴾. ﴿الَّذِي جَمَعَ لَكَ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ قال ابن قتيبة: أَرَادَ الزُّنُودَ الَّتِي تُورِي بِهَا الْأَعْرَابُ مِنْ شَجَرِ الْمَرْخِ وَالْعَفَّارِ. فَإِنْ قِيلَ: لِمَ قَالَ: «الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ»، وَلَمْ يَقُلْ: الشَّجَرِ الْخَضِرُ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ الشَّجَرِ جَمْعٌ، هُوَ يُونُثٌ وَيَذْكَرُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَسَالُوا مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [الواقعة: ٥٣]، وَقَالَ: ﴿فَمَكَدًا أَشْرَ مِنْهُ فُؤَادُونَ﴾. ثُمَّ ذَكَرَ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، فَقَالَ: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ﴾ وَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَعَاصِمُ الْجَحْدَرِيُّ: «يَقْدِرُ» بِيَاءٍ مِنْ غَيْرِ الْفِ قَالَ: «عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ» ١٩؟ وَهَذَا اسْتِفْهَامُ تَقْرِيرٍ؛ وَالْمَعْنَى: مَنْ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ الْعَظِيمِ، قَدَرَ عَلَى هَذَا الْيَسِيرِ<sup>(١)</sup>. وَقَدْ فَسرْنَا مَعْنَى «أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ» فِي [بني إسرائيل: ٩٩]؛ ثُمَّ أَجَابَ هَذَا الْاسْتِفْهَامَ فَقَالَ: ﴿بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ يَخْلُقُ خَلْقًا بَعْدَ خَلْقٍ. وَقَرَأَ أَبِي بَنْ كَعْبٍ، وَالْحَسَنُ، وَعَاصِمُ الْجَحْدَرِيُّ: «وَهُوَ الْخَالِقُ» ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ. وَالْمَلَكُوتُ وَالْمُلْكُ وَاحِدٌ. وَبَاقِي السُّورَةِ قَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهُ<sup>(٢)</sup> [البقرة: ٣٢، ١١٧، الأنعام: ٧٥].



(١) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: يَقُولُ تَعَالَى مَثَبًا عَلَى قُوَّتِهِ الْعَظِيمَةِ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ بِمَا فِيهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ وَالنُّجُومِ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا فِيهَا مِنْ جِبَالٍ وَوُجُوهٍ وَوَقْفَارٍ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَمُرْشِدًا إِلَى اسْتِدْلَالِ عَلَى إِعَادَةِ الْأَجْسَادِ بِخَلْقِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْعَظِيمَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ وَقَالَ هَاجِزٌ: «أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ بَلَى» ١٩؟ أَي: مِثْلَ الْبَشَرِ فَيُعِيدُهُمْ كَمَا بَدَأَهُمْ؟ قَالَ: وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا يَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي هُوَ الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ؟﴾ وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَاجِزٌ: ﴿بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ ١٩. إِنَّمَا أَثَرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٩﴾. أَي: إِنَّمَا يَأْمُرُ بِالشَّيْءِ أَمْرًا وَاحِدًا لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَكَرُّرٍ وَتَأْكِيدٍ. اهـ.

(٢) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَسْبِحُنَ اللَّيْلُ بِحَمْدِ اللَّهِ الْمَلَكُوتُ كُلُّ شَيْءٍ رَايَهُ رُسُودًا﴾ ٢٠. أَي: تَتَزَيَّدُ وَتُقَدِّسُ وَتَبْتَهِرُ مِنَ السُّوءِ لِلْحَمْدِ الْقَيُّومِ الَّذِي يَبْدُو مَقَالِيدَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، وَلَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُ الْعِبَادَةُ يَوْمَ الْمَعَادِ فَيُجَازِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ، وَهُوَ الْعَادِلُ الْمُنْعِمُ الْمُتَقَبَّلُ. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: هذا هو المقسم عليه أنه تعالى لا إله إلا هو رب السموات والأرض وما بينهما، أي: من المخلوقات، ورب المشارق، أي: هو المالك المتصرف في الخلق تبخيره بما في من كواكب ثابت وسيارات تدور من المشرق وتغرب من المغرب، قال: واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلائلها عليه، وقد صرح بذلك في قوله ﷻ: ﴿أَنَّمْ يَرَى الْكَوْكَبَ اللَّتَرَبِ إِنَّا لَنَقُولُ﴾ وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿رَبِّ اللَّتَرَبِ رَبُّ اللَّتَرَبِ﴾ يعني في الشتاء والصيف للشمس والقمر. اهـ.





أزواجهم، المشركاء، قاله الحسن. والثالث: أشياعهم، قاله قتادة. والرابع: قُرتاؤهم من الشياطين الذين أضلّوهم، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿وَمَا كَانُوا بِعَيْنٍ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: الأصنام، قاله عكرمة، وقاتادة. والثاني: إبليس وحده. قاله مقاتل. والثالث: الشياطين، ذكره المارودي وغيره.

بقوله تعالى: ﴿فَأَعِدُّوا لَهُمْ أَيُّ دَلُومٍ عَلَى طَرِيقِهَا﴾ والمعنى: اذهبوا بهم إليها. قال الزجاج: يقال: هَدَيْتُ الرَّجُلَ: إِذَا دَلَّيْتَهُ، وَهَدَيْتُ الْعُرْسَ إِلَى زَوْجِهَا، وَأَهْدَيْتُ الْهَدِيَّةَ، إِذَا جَعَلْتَ الْعُرْسَ كَالْهَدِيَّةِ، قُلْتَ: أَهْدَيْتُهَا.

قوله تعالى: ﴿وَقَفُّوا﴾ أي: احبسوهم ﴿إِنَّمَا تَسْمُرُونَ﴾ وقرأ ابن السميع: «أَنَّهُمْ» بفتح الهمزة. قال المفسرون: لما سيقوا إلى النار حُسبوا عند الصراط، لأن السؤال هناك. وفي هذا السؤال ستة أقوال: أحدها: أَنَّهُمْ سَمِلُوا عَنْ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا. والثاني: عَنْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، روياً جميعاً عن ابن عباس. والثالث: عَنْ خَطَايَاهُمْ، قاله الضحاك. والرابع: سَأَلَهُمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ: ﴿أَلَمْ يَأْكُرُوا نَذِيرًا﴾ [المك: ٨] ونحو هذا، قاله مقاتل. والخامس: أَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ، ذكره ابن جرير. والسادس: أَنَّ سَوَالَهُمْ قَوْلَهُ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَأْمُرُونَ﴾ [١٩] [ذكره المارودي]. قال المفسرون: المعنى: مَا لَكُمْ لَا يَنْصُرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا؟ وهذا جواب أَبِي جَهْلٍ حِينَ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: ﴿عَمَّنْ جَمِيعُ شَعِيرٍ﴾ [الفر: ١٤٤]، فَقِيلَ لَهُمْ ذَلِكَ يَوْمَئِذٍ تَوْبِيخًا. وَالْمُسْتَسْلِمُ: الْمُتَقَادِّ الدَّلِيلُ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ مُتَقَادُونَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ.

﴿وَأَقْبَلْ بِشْءٌ عَلَى بَعْضٍ يَشْتَرُونَ﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿١٨﴾ قَالُوا بَلْ لَرَّ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ وَمَا كَانَ لَكَ عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانٍ بِلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ ﴿٢٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٢١﴾ فَأَعَزَّتْكُمْ إِنَّا كُنَّا غَوِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّمَا كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا نَرَاكَ إِلَّا عَائِلًا مَتَجَافٍ فَعِظْمُوكُمْ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الرُّسُلُ ﴿٢٦﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمَ ﴿٢٧﴾ وَمَا تَجْرُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْأَخْلَافِينَ ﴿٢٩﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَلُومٌ ﴿٣٠﴾ فَوَكَّدَ لَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٣١﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٣٢﴾ عَلَى مَرْزُوقَيْنِ ﴿٣٣﴾ ثَلَاثَ عَلَنِيَّاتٍ بِكُلِّ مَن مَّعِينٍ ﴿٣٤﴾ يَشْتَرُونَ لَدُنَّ لِلشَّيْطَانِ ﴿٣٥﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُدْرَكُونَ ﴿٣٦﴾ وَبَعْدَهُمْ قَبَرَاتُ الطَّرِيقِ ﴿٣٧﴾ كَانَتْهُمْ بِعَشْرٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلْ بِشْءٌ عَلَى بَعْضٍ﴾ فِيهِمْ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: الْإِنْسُ عَلَى الشَّيَاطِينِ. وَالثَّانِي: الْإِتْبَاعُ عَلَى الرُّسُلَاءِ ﴿يَشْتَرُونَ﴾ تَسَاكُنُ تَوْبِيخٍ وَتَأْنِيبٍ وَلَوْمْ، فَيَقُولُ الْإِتْبَاعُ لِلرُّسُلَاءِ: [لِمَ] غَرَرْتُمُونَا؟ وَيَقُولُ الرُّسُلَاءُ: لِمَ قِيلَ لَكُمْ مَنَّا؟ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿قَالُوا﴾ يَعْنِي الْإِتْبَاعُ لِلْمَتَّبِعِينَ ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾. وَفِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: كُنْتُمْ تَفْهَرُونَا بِقُدْرَتِكُمْ عَلَيْنَا، لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ أَعَزُّ مَنَّا، رَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: مِنْ قِبَلِ الدِّينِ فَتَضَلُّوْنَا عَنْهُ، قَالَهُ الضَّحَّاكُ. وَقَالَ الزَّجَاجُ: تَأْتُونَنَا مِنْ قِبَلِ الدِّينِ فَتُخَدَعُونَ بِأَقْوَى الْأَسْبَابِ. وَالثَّالِثُ: كُنْتُمْ تُؤْتُونَ مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ بِأَيْمَانِكُمْ، فَتَأْتُونَنَا مِنْ قِبَلِ الْإِيمَانِ الَّتِي تَخْلِفُونَهَا، حَكَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ النَّيْسَابُورِيُّ. فَيَقُولُ الْمَتَّبِعُونَ لَهُمْ: ﴿بَلْ لَرَّ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أَي: لِمَ تَكُونُونَ عَلَى حَقٍّ فَتُضَلُّكُمْ عَنْهُ، إِنَّمَا الْكُفْرُ مِنْ قِيلِكُمْ. ﴿وَمَا كَانَ لَكَ عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ الْقَهْرُ. وَالثَّانِي: الْحُجَّةُ. فَيَكُونُ الْمَعْنَى عَلَى الْأَوَّلِ: وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ قُوَّةٍ تَفْهَرُكُمْ بِهَا وَنُكْرَهُكُمْ عَلَى مُتَابَعَتِنَا، وَعَلَى الثَّانِي: لِمَ نَأْتِيكُمْ بِحُجَّةٍ عَلَى مَا دَعَوْنَاكُمْ إِلَيْهِ كَمَا أَتَى الرُّسُلَ.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾ أَي: فُوجِيتْ عَلَيْنَا كَلِمَةُ الْعَذَابِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿لَا تَذَكَّرُ جَهَنَّمَ﴾ [الاعراف: ١٨] ﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ الْعَذَابَ جَمِيعًا نَحْنُ وَأَنْتُمْ، ﴿فَأَعَزَّتْكُمْ﴾ أَي: أَضَلَّلْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بِدَعَائِكُمْ إِلَى مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا كُنَّا غَوِينَ﴾. ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ الْإِتْبَاعِ وَالْمَتَّبِعِينَ يَقُولُهُ: ﴿فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾، وَالْمُجْرِمُونَ هَاهُنَا: الْمُشْرِكُونَ، ﴿إِنَّمَا كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أَي: قُولُوا هَذِهِ الْكَلِمَةُ ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أَي: يَتَعَظَّمُونَ عَنْ قَوْلِهَا، ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا نَرَاكَ إِلَّا عَائِلًا مَتَجَافٍ﴾ الْمَعْنَى: أَتُنْزَرُ عِبَادَةُ الْهَيْئَةِ [لِشَاعِرٍ] أَي: لَا تُبَاعُ شَاعِرًا؟ يَعْنُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَزَادَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿بَلْ﴾ أَي: لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قَالُوا، بَلْ ﴿جَنَّةٌ بِالْحَقِّ﴾ وَهُوَ التَّوْحِيدُ وَالْقُرْآنُ، ﴿وَصَدَقَ الرُّسُلُ﴾ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ أَتَى بِمَا أَنْزَلَ بِهِ. ثُمَّ خَاطَبَ الْمُشْرِكِينَ بِمَا بَعْدَ هَذَا إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْأَخْلَافِينَ﴾ يَعْنِي الْمُؤَحِّدِينَ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَالْعَرَبُ تَقُولُ: إِنَّكُمْ لَذَاهِبُونَ إِلَّا زَيْدًا. وَفِي مَا اسْتَنَاهُمْ مِنْهُ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: مَنْ

الجزاء على الأعمال، فالمعنى: إنّا لا نؤاخذهم بسوء أعمالهم، بل نَغْفِرُ لهم، قاله ابن زيد. والثاني: من دون العذاب؛ فالمعنى: فإنهم لا يذوقون العذاب، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ لَمَ يَرْزُقْكَ مَلَكُومٌ﴾<sup>(١)</sup> فيه قولان: أحدهما: أنه الجنة، قاله قتادة. والثاني: أنه الرزق في الجنة، قاله السدي. فعلى هذا، في معنى «معلوم» قولان: أحدهما: أنه بمقدار القُدّة والعيشي، قاله ابن السائب. والثاني: أنهم حين يشتهونه يُؤْتَوْنَ به، قاله مقاتل. ثم بيّن الرزق فقال: ﴿فَرَزَكَ﴾ [وهي جمع فاكهة] وهي الثمار كلها، رَظَبَهَا ويابسها ﴿وَهُمْ مُكْرِمُونَ﴾ بما أعطاهم الله. وما بعد هذا قد تقدم تفسيره [الحجر: ٤٧] إلى قوله: ﴿يَلُكَّاتُ عَلَيْهِم بِكُلِّ فَيٍّ تَغِيْنُ﴾<sup>(٢)</sup> قال الضحاك: كلُّ كأس ذُكِرَتْ في القرآن، فإنما عُني بها الخمر، [قال أبو عبيدة: الكأس: الإناء بما فيه، والمعين: الماء الطاهر الجاري. قال الزجاج: الكأس: الإناء الذي فيه الخمر، ويقع الكأس على كل إناء مع شرايه، فإن كان فارغاً فليس بكأس. والمعين: الخمر تجري كما يجري الماء على وجه الأرض من العيون.

قوله تعالى: ﴿بَيْضَةً﴾ قال الحسن: خمر الجنة أشدُّ بياضاً من اللبن. قال أبو سليمان الدمشقي: ويدل على أنه أراد بالكأس الخمر، أنه قال: «ببضاء»، فأثت، ولو أراد الإناء على انفراده، أو الإناء والخمر، لقال: أبيض. وقال ابن جرير: إنما أراد بقوله: «ببضاء» الكأس، ولثانيتها الكأس أثت الببضاء.

قوله تعالى: ﴿أَذْرَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: لذينة، يقال: شراب لذاذ: إذا كان طيباً. وقال الزجاج: أي: ذات لذّة<sup>(٣)</sup>. ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: ليس فيها صداع، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: ليس فيها وجع بطن، [رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وابن زيد]. والثالث: ليس فيها صداع رأس، قاله قتادة. والرابع: ليس فيها أذى ولا مكروه، قاله سعيد بن جبيرة. والخامس: لا تفتال عقولهم، قاله السدي. وقال الزجاج: لا تفتال عقولهم فتذهب بها ولا يُصيبهم منها وجع. والسادس: ليس فيها إثم، حكاه ابن جرير. والسابع: ليس فيها شيء من هذه الآفات، لأن كلَّ مَنْ ناله شيء من هذه الآفات، قيل: قد غالته غَوْل، فالصواب أن يكون نفي الغَوْل عنها يعمُّ جميع هذه الأشياء، هذا اختيار ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُدْرِكُونَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي: بكسر الزاي هاهنا وفي [الواقعة: ١٩]. وفتح عاصم الزاي هاهنا، وكسرهما في [الواقعة: ١٩]. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: بفتح الزاي في السورتين. قال الفراء: فمن فتح، فالمعنى: لا تذهب عقولهم بشربها. يقال للسكران: تَزِف وتَمَزِف؛ [ومن]<sup>(٤)</sup> كسر، ففيه وجهان: أحدهما: لا يُؤَدُّون شرايبهم، أي: هو دائم أبداً. والثاني: لا يَسْكُرُونَ، قال الشاعر:

لَعَمْرِي لَيْسَ أَنْزَفْنُمُ أَوْ صَحَوْنُمُ  
لَيْسَ السُّدَامَى كُنْتُمْ آلَ أَبَجْرَا<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَبَرَاتُ النَّارِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم النساء قد قصرن طُرْفَهُنَّ على أزواجهن فلا يَنْظُرْنَ إلى غيرهم. وأصل القَصْر: الحبس، قال ابن زيد: إن المرأة منهم لَتَقُولُ لزوجها: وعِزَّة ربي ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلني زوجك وجعلك زوجي. والثاني: أنهم قد قَصَرْنَ طُرْفَ الأزواج عن غيرهم، لكمال حُسْنِهِمْ، سمعته من الشيخ أبي محمد ابن الخشاب النحوي. وفي العين ثلاثة أقوال: أحدها: حِسَانُ العُيُون، قاله مجاهد. والثاني: عِظَامُ الأَعْيُن، قاله السدي، وابن زيد. والثالث: كِبَارُ العُيُون حِسَانُهَا، وواحدتهنَّ عَيْنَاء، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿مَأْتِيَهُمْ بَيْضُ مَكْنُونٍ﴾<sup>(٦)</sup> في المراد بالبَيْض هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اللؤلؤ، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال أبو عبيدة. والثاني: بَيْضُ النِّعَام، قاله الحسن، وابن زيد، والزجاج. قال جماعة من

(١) قال ابن كثير: وقوله ﴿لَمَ يَرْزُقْكَ مَلَكُومٌ﴾ أي: طعمها طيب كلونها، قال: وطيب الطعم دليل على طيب الريح، بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك. اهـ.

(٢) زيادة ليست في الأصل.

(٣) البيت للأبيد الراحمي من بني ومجمل، كما في «مجاز القرآن» ١/١٦٩، و«الطبري» ٢٣/٥٥، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: نَزَف.



أهل اللغة: والعرب تُشَبِّه المرأةَ الحسناءَ في بياضها وحُسن لونها بِبَيْضَةِ النَّعْماءِ، وهو أحسن ألوان النساء، وهو أن تكون المرأة بيضاء مُشْرِبةً صَفْرَةً. والثالث: أنه البَيضُ حين يُقْشَرُ قبل أن تَمْسَهُ الأيدي، قاله السدي، وإلى هذا المعنى ذهب سعيد بن جبير، وقتادة، وابن جرير<sup>(١)</sup>. فأما المكنون، فهو المصون. فعلى القول الأول: هو مكنون في صدْفِهِ، وعلى الثاني: هو مكنون بَرِيش النَّعْماءِ، وعلى الثالث: هو مكنون بقرشه.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٥٦) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥٧﴾ يَقُولُ أَهْلَكَ لَيْنَ الْمَصْدِقِينَ ﴿٥٨﴾ أَلَمْ يَتَنَا وَكُنَّا تَرَاكِبًا وَعَظْمًا كَلِيدًا ﴿٥٩﴾ قَالَ هَلْ أُنتُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٦٠﴾ فَأَطْلَعَ قَرْنَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٦١﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرَوِّينَ ﴿٦٢﴾ وَلَوْلَا يَتَمَتُّ رَدِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦٣﴾ أَفَمَا تَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٦٤﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلُ وَمَا تَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٦٥﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ ﴿٦٦﴾ لِيُثِلَّ هَذَا قَلِيلًا مِنَ الْعَمَلِ ﴿٦٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ يعني أهل الجنة ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ عن أحوال كانت في الدنيا<sup>(٢)</sup>. ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ (٥٧) فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الصَّاحِبُ في الدنيا. والثاني: أنه الشريك، روى عن ابن عباس. والثالث: أنه الشيطان، قاله مجاهد. والرابع: أنه الأخ؛ قال مقاتل: وهما الأخوان المذكوران في سورة [الكهف: ٢٢] في قوله: ﴿وَأَنْتَرِبَ لَكُمْ فَتْكٌ يُخَيِّتُ﴾؛ والمعنى: كان لي صاحب أو أخ يُنَكِّرُ البعث، ﴿يَقُولُ أَهْلَكَ لَيْنَ الْمَصْدِقِينَ﴾ (٥٨) قال الزجاج: هي مخففة الصاد، من صدَّق يصدق فهو مصدَّق، ولا يجوز هاهنا تشديد الصاد. قال المفسرون: والمعنى: أَيْتُكَ لَيْنَ الْمَصْدِقِينَ بالبعث؟ وقرأ بكر بن عبد الرحمن القاضي عن حمزة: «الْمُصْدِقِينَ» بتشديد الصاد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا لَتَكُونُنَّ﴾ أي: مَجْرُيُونَ بأعمالنا؛ يقال: دَنَتْهُ بِمَا صَنَعَ، أي: جازيته. فأحبُّ المؤمنين أن يَرَى قَرِينَهُ الكافر، فقال لأهل الجنة: ﴿هَلْ أُنتُمْ مُظْلِمُونَ﴾ أي: هل تَحْبُونَ الاطلاع إلى النَّارِ لِتَعْلَمُوا أَيْنَ مَنْزِلَتُكُمْ من منزلة أهلها؟ وقرأ ابن عباس، والضحاك، وأبو عمران، وابن يعمر: «هل أنتم مُظْلِمُونَ» بآسكان الطاء وتخفيفها «فَأَطْلَعَ» بهمزة مرفوعة وسكون الطاء. وقرأ أبو رزين، وابن أبي عبيدة: «مُظْلِمُونَ» بكسر النون. قال ابن مسعود: اطلع ثم التفت إلى أصحابه فقال: لقد رأيتُ جماجم القوم تغلي؛ قال ابن عباس: وذلك أن في الجنة كُوى ينظر منها أهلها إلى النار.

قوله تعالى: ﴿قَرْنَاهُ﴾ يعني قَرِينَهُ الكافر ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ أي: في وسطها. وقيل: إنما سمي الوسط سَوَاءً، لاستواء المسافة منه إلى الجوانب. قال خُلَيْدُ الْقَضْرِي: والله لولا أَنَّ الله عَرَفَهُ إِثَاءً، ما عرفه، لقد تَغَيَّرَ جَنُودُهُ وَسَبِيحُهُ. فعند ذلك ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرَوِّينَ﴾ (٦٢) قال المفسرون: معناه: والله ما كِدْتَ إِلَّا تُهْلِكُنِي، يقال: أَرَدَيْتُ فَلَانًا، أي: أَهْلَكْتَهُ. ﴿وَلَوْلَا يَتَمَتُّ رَدِّي﴾ أي: إِنْجَامُهُ عَلَيَّ بالإسلام ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ معك في النَّارِ.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَا تَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ (٦٤) فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إذا دُبِحَ الموت<sup>(٣)</sup>، قال أهل الجنة: ﴿أَفَمَا تَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ (٦٤) إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلَ التي كانت في الدنيا ﴿وَمَا تَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾؟ فيقال لهم: لا؛ فعند ذلك قالوا: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَوْ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ﴾ (٦٦)، فيقول الله تعالى: ﴿لِيُثِلَّ هَذَا قَلِيلًا مِنَ الْعَمَلِ﴾ (٦٧)، قاله ابن السائب. وقيل: يقول ذلك للملائكة.

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: شُبِّهَتْ في بياضهن وأنهن لم يسهُنَّ قبل أزواجهنَّ إِنْسَ ولا جَانَّ بياضَ البَيضِ الذي هو داخل القشر، وذلك هو الجلدة الملبسة المَحْ قبل أن تَمْسَهُ يد أو شيء غيرها، وذلك لا شك هو المكنون، فأما القشرة العليا، فإن الطائر يسهُها، والأيدي تباشرها، والعش يلقاها، والعرب تقول لكل مصون: مكنون، ما كان ذلك الشيء، لولوا كان، أو بياضاً، أو متاعاً. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: يخبر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، أي: عن أحوالهم، وكيف كانوا في الدنيا، وماذا كانوا يعانون منها، وذلك من حديثهم على شرايهم واجتماعهم في تادمتهم ومعاشرتهم في مجالسهم وهم جلوس على الشَّرِّ والخدم بين أيديهم يَتَقَوْنَ ويعيشون بكل خير عظيم من مأكول ومشروب وملابس وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. اهـ.

(٣) قال في «اللسان»: أي: لونه وهيته.

(٤) روى البخاري في «صحيحه» ٣٢٥/٨، ومسلم في «صحيحه» ٢١٨٨/٤ عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «فُجَاءَ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَيْشٌ أَمْلَحُ، فيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشترطون (أي يرفعون رؤوسهم إلى النادى) وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشترطون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: فيؤمَّرُ بِهِ فَيُلْجَعُ، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلّوْهُ فلا موت، ويا أهل النار خلّوْهُ فلا موت، قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمِزُونَكَ بِمَا لَا يَصْلُحُ بِهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفَرَّغْنَاكَ فِي فَنِّهِمْ وَمَا يَفْقَهُونَ﴾ (٦٦) وأشار إليه إلى الدنيا، واللفظ لمسلم.

والثاني: أنه قول المؤمن لأصحابه، فقالوا له: إنك لا تموت، فقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَوْ الْقَوْرُ الْأَظْمِ﴾، قاله مقاتل. وقال أبو سليمان الدمشقي: إنما خاطب المؤمن أهل الجنة بهذا على طريق الفرح بدوام النعيم، لا على طريق الاستفهام، لأنه قد علم أنهم ليسوا بمتيّن، ولكن أعاد الكلام ليزداد بتكراره على سمعه سروراً. والثالث: أنه قول المؤمن لقربه الكافر على جهة التوبيخ بما كان يتكره، ذكره الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هَذَا﴾ يعني النعيم الذي ذكره في قوله: ﴿أُوتِيكَ لَمْ يَرْقُ مَلُومٌ﴾ [الصفات: ٤١] ﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَمَلُونَ﴾، وهذا ترغيب في طلب ثواب الله ﷻ بطاعته<sup>(١)</sup>.

﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّوْقِ﴾ [١] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [٢] ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [٣] ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [٤] ﴿فَأَنَّهُمْ لَأَكْوَئِرُ مِنْهَا مُقَابِلُونَ﴾ [٥] ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوَكًا مِّنْ حِمِيمٍ﴾ [٦] ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ لَأَوَّلُ الْجَحِيمِ﴾ [٧] ﴿إِنَّهُمْ أَكَلُوا مِنْهَا فَمَنْ هَآءِهِمْ صَالِينَ﴾ [٨] ﴿فَمَنْ عَلَى عَذَابٍ مُّهِينٍ﴾ [٩] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [١٠] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ ثَمُودَ﴾ [١١] ﴿فَاتَّخَذُوا كَيْفَ كَانَ عَصِيَّةَ الْمُتَكِبِينَ﴾ [١٢] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [١٣]

﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ﴾ يشير إلى ما وصف لأهل الجنة ﴿نُزْلاً﴾ قال ابن قتيبة: أي: رزقاً، ومنه: إقامة الأنزال، وأنزال الجنود: أرزأها. وقال الزجاج: النزل هاهنا: الرّيع<sup>(٢)</sup>، والفضل، يقال: هذا طعام له نزل ونُزل، بتسكين الزاي وضمها؛ والمعنى: أذلك خير في باب الأنزال التي تَنْقُوتُ ويمكن معها الإقامة، أم نُزل أهل النار؟ وهو قوله: ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّوْقِ﴾؟<sup>(٣)</sup>. واختلف العلماء هل هذه الشجرة في الدنيا، أم لا؟ فقال قطرب: هي شجرة مَرَّة تكون بأرض تهامة من أخبث الشجر. وقال غيره: الزَّوْقُ: ثمرة شجرة كريمة الطعم. وقيل: إنها لا تُعرف في شجر الدنيا، وإنما هي في النار، يكره أهل النار على تناولها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [٢] يعني للكافرين. وفي المراد بالفتنة ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لما ذكر أنها في النار، افتشوا وكذبوا، فقالوا: كيف يكون في النار شجرة، والنار تأكل الشجر؟ فنزلت هذه الآية، قاله قتادة<sup>(٤)</sup>. وقال السدي: فتنة لأبي جهل وأصحابه. والثاني: أن الفتنة بمعنى العذاب، قاله ابن قتيبة. والثالث: أن الفتنة بمعنى الاختيار، اختبروا بها فكذبوا، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [٣] أي: في قعر النار. قال الحسن: أصلُها في قعر النار، وأغصانها ترتفع إلى ذرّكاتها. ﴿طَلْعُهَا﴾ أي: ثمرها، وشُئِي طَلْعاً، لطلوعه ﴿كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾. فإن قيل: كيف شبهها بشيء لم يُشاهد؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه قد استقرّ في الفُوس بُح الشياطين - وإن لم تُشاهد - فجاز تشبيهها بما قد علم بُحها، قال امرؤ القيس:

أَيْقُضْ لِي وَالْمَشْرِفِي مُضَاجِي  
وَمَسْنُونَةُ زُرْقٍ كَأَنِّيَابِ أَغْوَالِ<sup>(٥)</sup>

قال الزجاج: هو لم ير الثول ولا أنيابها، ولكن التمثيل بما يُسْتَفْحَحُ أبلغ في باب المذكر أن يُمثّل بالشياطين، وفي باب المؤنث أن يشبّه بالثول. والثاني: أن بين مكة واليمن شجر يسمى: رؤوس الشياطين، فشبهها بها، قاله ابن السائب. والثالث: أنه أراد بالشياطين: حَيَات لها رؤوس ولها أعراف، فشبه طلعها برؤوس الحَيَات، ذكره

(١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿إِنَّمَا هَذَا قَلِيلٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [١٣] يقول تعالى ذكره: لمثل هذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين من الكرامة في الآخرة، فيلعب في الدنيا لأنفسهم العاملون ليدركوا ما أدرك هؤلاء بطاعة ربهم.

(٢) قال في «اللسان»: الرّيع: النماء والزيادة.

(٣) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: أهذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين الذين وصفت صفتهم من كرامتي في الجنة، ورزقتهم فيها من النعيم، خير، أو ما أعددت لأهل النار من الزَّوْقِ؟

(٤) روى ابن جرير الطبري عن قتادة قال: لما ذكر شجرة الزَّوْقِ افتتن القَلَمَةُ فقالوا: يتبكم صاحبكم هل أن في النار شجرة والنار تأكل الشجر؟ فأنزل الله ما تسمعون أنها شجرة تخرج في أصل الجحيم عُذِيَّتْ بالنار ومنها خلقت. وأورد السيوطي في «الدرر» ٢٧٧/٥، وزاد نسبة لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٥) «ديوانه» ٣٣، و«مختار الشعر الجاهلي» ٣٩/١، و«مجمع البيان» ٦٢/٢٣، و«روح المعاني» ٨٧/٢٣، و«اللسان»: غول.

الزجاج. قال الفراء: والعرب تسمي بعض الحيات شيطانا، وهو حية ذو عُرْف قبيح الوجه.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوا لَكُمْ وَسْوَسَاتِكُمْ وَإِنَّا بِكُم بِأَنبَاطٌ﴾ أي: من ثمرها ﴿فَاتَّبَعُوا لَكُمْ وَسْوَسَاتِكُمْ وَإِنَّا بِكُم بِأَنبَاطٌ﴾ وذلك أنهم يُكْرَهُونَ على أكلها حتى تمتلئ بطونهم<sup>(١)</sup>. ﴿ثُمَّ إِنَّ لَكُمْ فِيهَا لَمَسَكًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ قال ابن قتيبة: أي: لَخَلْطًا من الماء الحار يشربونه عليها. قال أبو عبيدة: تقول العرب: كل شيء خَلْطَته بغيره فهو مشوب. قال المفسرون: إذا أكلوا الرُّقُومَ ثم شربوا عليه الحميم، شاب الحميم الرُّقُومَ في بطونهم فصار شَوْبًا له. ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ﴾ أي: بعد أكل الرُّقُومَ وشرب الحميم ﴿لَأَنَّ لِّلْحَمِيمِ﴾ وذلك أن الحميم خارج من الحميم، فهم يوردونه كما تورد الإبل الماء، ثم يُرْدُونَهُ إلى الجحيم؛ ويدلُّ على هذا قوله: ﴿طُوبَىٰ لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الرحمن: ٤٤]. و﴿الْقَوْمَ﴾ بمعنى وجدوا. و﴿يَهْرُؤُونَ﴾ مشروح في [هود: ١٧٨]، والمعنى أنهم يتبعون آباءهم في سرعة<sup>(٢)</sup>. ﴿وَلَقَدْ حَكَّمْنَا قُلُوبَهُمْ﴾ أي: قَبْلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ ﴿أَكْثَرَ الْأَوَّلِينَ﴾ من الأمم الخالية.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ يعني الموحدين، فإنهم نجوا من العذاب. قال ابن جرير: وإنما حُسِّنَ الاستثناء، لأن المعنى: فانظر كيف أهلكنا المُتَدْرِينَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ.

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَيْسَ مِنَ الْمُجِيبِينَ﴾ وَنَحْنُ أَهْلُهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿وَمَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ مِزَاجًا بَاقِيَةً﴾ وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ نُوْحٍ فِي الْغَلِيظِ﴾ إِنْ كُنَّا كَذِبًا فَجَزَى الْمُتَحِينِينَ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾ ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا﴾ أي: دعانا. وفي دعائه قولان: أحدهما: أنه دعا مستنصرًا على قومه. والثاني: أن<sup>(٣)</sup> ينجيه من الغرق ﴿فَلَيْسَ مِنَ الْمُجِيبِينَ﴾ نحن؛ والمعنى: إنا أنجينا وأهلكنا قومه. وفي ﴿الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ قولان: أحدهما: [أنه] الفرق. والثاني: أذى قومه. ﴿وَمَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ مِزَاجًا بَاقِيَةً﴾ [وذلك] أن نسل [أهل] السفينة انقروا غير نسل ولده، فالناس كلهم من ولد نوح<sup>(٤)</sup>. ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ أي: تركنا عليه ذِكْرًا جميلًا ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ وهم الذين جاؤوا بعده إلى يوم القيامة. قال الزجاج: وذلك الذِّكْرُ الجميل قوله: ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ نُوْحٍ فِي الْغَلِيظِ﴾ وهم الذين جاؤوا من بعده؛ والمعنى: تركنا عليه أن يُصَلَّى عليه في الآخِرِينَ إلى يوم القيامة. ﴿إِنْ كُنَّا كَذِبًا فَجَزَى الْمُتَحِينِينَ﴾ قال مقاتل: جزاه الله بإحسانه الشَّاءَ الْحَسَنَ في العالمين.

﴿وَكَانَ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ إِذْ جَاءَهُ بِذِكْرِ الْغَيْبِ سُلَيْمًا ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ أَفَنُكَا إِلَهِتُكُمْ دُونَ اللَّهِ يُدْعُونَ ﴿فَمَا تَكُنْ لَهُمْ رَبًّا أَلْتَفِلْتُمْ﴾ فَتَنَزَّلُ النَّفْسُ مِنَ الْجُبُورِ ﴿فَقَالَ إِنِّي سَمِيعٌ﴾ فَنُتَوَلَّى عَنْهُ مُنِيبٌ ﴿فَرَأَى إِلَٰهَ الْهَيْمَنَةِ فَقَالَ لَا تَأْكُلُوا مِنَّا لَوْ لَا نَطْفُوهُ﴾ فَرَأَى عَلَيْهِمْ حَمْرًا يَالَتِيْنِ ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرُونَ﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْمِلُونَ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَحْمِلُونَ﴾ قَالُوا إِنَّمَا لَمْ يَلْمِزْهُمَا فَعَلُوهُ فِي الْحَمِيمِ ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِي ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الْغُلِيظِينَ﴾ فَتَشَرَّكَهُ بِعَلَمِهِ جَلِيلٍ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ أي: من أهل دينه ومِلَّته. والهاء في «شيعته» عائدة على نوح في قول الأكثرين؛ وقال ابن السائب: تعود إلى محمد ﷺ، واختاره الفراء<sup>(٥)</sup>. فإن قيل: كيف يكون من شيعته، وهو قبله؟

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوا لَكُمْ وَسْوَسَاتِكُمْ وَإِنَّا بِكُم بِأَنبَاطٌ﴾ ذكر تعالى أنهم يأكلون من هذه الشجرة التي لا أشبع منها، ولا أفتح من منظرها، مع ما هي عليه من سوء الطعم والريح والطبع، فإنهم ليضطرون إلى الأكل منها، لأنهم لا يجدون إلا إياها وما هو في معناها، ما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ إِلَّا رَيْبٌ وَرَيْبٌ﴾ [ي: ٧]. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَكُمْ فِيهَا لَمَسَكًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ يقول: إن هؤلاء المشركين الذين إذا قيل لهم: قولوا: لا إله إلا الله يستكبرون، وجدوا آباءهم ضلالاً عن قصد السبيل، غير سالكين محبة الحق ﴿ثُمَّ إِنَّ لَكُمْ فِيهَا لَمَسَكًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ يقول: هؤلاء يسعون بهم في طريقهم ليقضوا آثارهم وسئتهم. اهـ.

(٣) في الأصل: «أنه».

(٤) قال ابن كثير: لما ذكر تعالى عن أكثر الأولين أنهم ضلوا عن سبيل النجاة، شرع يبين ذلك مفصلاً فذكر نوحاً عليه الصلاة والسلام وما لقى من قومه من التكذيب، وأنه لم يؤمن منهم إلا القليل مع طول المدة، لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم، وكلما دعاهم ازدادوا نفرة فدعا ربه أني مغلوب فانتصر، فغضب الله تعالى لغضبهم عليهم، ولهذا قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَيْسَ مِنَ الْمُجِيبِينَ﴾ أي: فلنستمع المجيبون له، ﴿وَنَحْنُ أَهْلُهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ وهو التكذيب والأذى، ﴿وَمَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ مِزَاجًا بَاقِيَةً﴾. اهـ.

(٥) قال ابن جرير الطبري: وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك: وإن من شيعته محمد لإبراهيم، وقال: ذلك مثل قوله: ﴿وَكَانَ لَكُمْ فِيهَا لَمَسَكًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ بمعنى أنا حملنا ذرية من هم منه، فجعلنا ذرية لهم وقد سبقتهم. اهـ. وقال الألوسي: ﴿وَكَانَ مِنْ شِيعَتِهِ﴾ أي: ممن شايع نوحاً وتابعه في أصول =

فالجواب: أنه مثل قوله: ﴿حَلَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [يس: ٤١]، فجعلها ذُرِّيَّتَهُمْ وقد سبقتهم، وقد شرحنا هذا فيما مضى [يس: ٤١].  
قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: صدَّق الله وأَمَنَ به ﴿يَقْبَلُ سَلِيمًا﴾ من الشُّرك وكلِّ دَنَسٍ، وفيه أقوال ذكرناها في [الشراء: ٨٩].  
قوله تعالى: ﴿مَاذَا سُبُّونَ؟﴾ هذا استفهام توبيخ، كأنه ويخهم على عبادة غير الله. ﴿أَلَيْسَ؟﴾ أي: أَمَا يَكُونُ إِنْكَارًا وتَعْبُدُونَ آلِهَةً سِوَى اللَّهِ؟ ﴿فَمَا لَكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٥٧] إذا لَبِثْتُمُوهُ وقد عَبَدْتُمْ غيره؟ كأنه قال: فما ظَنُّكُمْ أن يصنع بكم؟ ﴿فَنَظَرْنَا نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ [٥٨] فيه قولان: أحدهما: [أنه] نظر في عِلْم النجوم، وكان القوم يتعاطون عِلْم النجوم، فعاملهم من حيث هم، وأراهم أَنِّي أعلم من ذلك تَعْلَمُونَ، لئلا يَتَكَبَّرُوا عليه ذلك. قال ابن المسيب: رأى نجمًا طالعًا، فقال: إِنِّي مريض غدًا. والثاني: أنه نظر إلى النجوم، لا في عِلْمها. فإن قيل: فما كان مقصوده؟ فالجواب: أنه كان لهم عيد، فأراد التخلف عنهم لِيَكِيدَ أصنامهم، فاغْتَلَّ بهذا القول.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ من معاريف الكلام. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: سَأْسَقُمُ، قاله الضحاك. قال ابن الأنباري: أَعْلَمَهُ اللهُ أَنَّهُ يَمْتَحِنُهُ بالسقم إذا طلع نجم يعرفه، فلما رأى النجم، عِلِمَ أنه سَيَسْقُمُ. والثاني: إِنِّي سقيم القلب عليكم إذ تكهنتم بنجوم لا تَصُرُّ ولا تَنفَعُ، ذكره ابن الأنباري. والثالث: أنه سَقِمَ لِعِلَّةٍ عرضت له، حكاه الماوردي. وذكر السدي أنه خرج معهم إلى يوم عيدهم، فلما كان ببعض الطريق، ألقى نفسه وقال: إِنِّي سقيم أشكتي رجلي<sup>(١)</sup>، ﴿فَنَزَلْنَا عَنْهُ مُتَيْنِ﴾ [٥٩] ﴿فَرَأَى إِلَهَ الْيَتِيمِ﴾ أي: مال إليها - وكانوا قد جعلوا بين يديها طعامًا لتبارك فيه على زعمهم - ﴿فَقَالَ﴾ إبراهيم استهزاء بها ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ؟﴾ وقوله: ﴿ضَرَبًا بِالْيَمِينِ﴾. في اليمين ثلاثة أقوال: أحدها: أنها اليد اليمنى، قاله الضحاك<sup>(٢)</sup>. والثاني: بالقُوَّة والقُدرة، قاله السدي، والفراء. والثالث: باليمين التي سبقت منه، وهي قوله: ﴿وَاللَّهُ لَاصْكِيذَنٌ مُّسْتَكْرَ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، حكاه الماوردي. قال الزجاج: «ضَرْبًا» مصدر؛ والمعنى: فمال على الأصنام يضرها ضَرْبًا باليمين؛ وإنما قال: «عليهم»، وهي أصنام، لأنهم جعلوها بمنزلة ما يُمَيِّزُ. ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزُوقُونَ﴾ [٦٠] قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: «يَزُوقُونَ» بفتح الياء وكسر الزاي وتشديد الفاء. وقرأ ابن حمزة، والمفضل عن عاصم: «يَزُوقُونَ» برفع الياء وكسر الزاي وتشديد الفاء. وقرأ ابن السميع، وأبو المتوكل، والضحاك: «يَزُوقُونَ» بفتح الياء وكسر الزاي وتخفيف الفاء. وقرأ ابن أبي عبيدة، وأبو نهيك: «يَزُوقُونَ» بفتح الياء وسكون الزاي وتخفيف الفاء<sup>(٣)</sup>. قال الزجاج: أعرب القراءات فتح الياء وتشديد الفاء، وأصله من زَفِيف التَّعام، وهو ابتداء عَذْوِ التَّعام، يقال: زَفَتِ التَّعامُ يَزِفُ، وأما ضم الياء، فمعناه: يصيرون إلى الرِّقِيف، وأنشدوا:

[تَمَنَّى حُصَيْنٌ أَنْ يَسُودَ جِذَاعُهُ] فاضحى حُصَيْنٌ قَدْ أَذَلَّ وَأَقْهَرَ<sup>(٤)</sup>

= الدين ﴿لَا يَزِيْرُ﴾ وإن اختلفت فروع شريعتيهما، أو ممن شايعة في التصلب في دين الله تعالى ومصاربة المكذبين، قال: ونقل هذا عن ابن عباس. قال: وذهب الفراء إلى أن ضمير «شيعته» لنبيينا محمد ﷺ، قال: والظاهر ما أشرنا إليه، وهو الروي عن ابن عباس ومجاهد وقناة والسدي، قال: وقلما يقال للمعتمد: هو شيعته للمتأخر. اهـ.

(١) قال ابن كثير: إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم، فإنه كان قد أرف خروجه إلى عيد لهم، فأحب أن يختلي بهم ليكرهها، فقال لهم كلاماً هو حق في نفس الأمر فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه ﴿فَنَزَلْنَا عَنْهُ مُتَيْنِ﴾ [٥٩] قال: قال قناة: والعرب تقول لمن تفكر: نظر في النجوم، يعني قناة أنه نظر إلى السماء متفكراً فيما يليهم به فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي: ضعيف، قال ابن كثير: فأما الحديث الذي رواه ابن جرير عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله تعالى، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذِبًا﴾ وقوله في سارة: «هي أختي» قال: فهو حديث مخرج في الصحاح والسنن من طرق، ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يُدْمُ فاعله، حاشا وكلأ ولئلا، وإنما أطلق الكذب على هذا تجوُّزاً، وإنما هو من الممارض لمقصد شرعي ديني، كما جاء في الحديث: [إن في المماريض لمدوحة عن الكذب]. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: وإنما ضربهم باليمين لأنها أشد وأنكى، ولهذا تركهم جذافاً إلا كبيراً لهم لعلمهم إليه يرجعون، كما تقدم في سورة [الأنبياء] عليهم الصلاة والسلام تفسير ذلك. اهـ. وقال الألوسي: ﴿فَرَأَى إِلَهَ الْيَتِيمِ﴾ أي: باليد اليمنى كما روي عن ابن عباس، قال: وتقيد الضرب باليمين، للدلالة على شدته وقوته، لأن اليمين أقوى الجارحين وأشدهما في الغالب، قال: وقوة الآلة تقتضي شدة الفعل وقوته. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه بفتح الياء وتشديد الفاء، لأن ذلك هو الصحيح المعروف من كلام العرب والذي عليه قراءة الفصحاء من القراء. اهـ.

(٤) البيت للمُعْتَمِل السُّعْدِي كما في «الطبري» ٧٤/٢٣، و«اللسان» و«التاج»: قهر، جذع، روي: قد أَوَّلَ وَأَقْهَرَ، مَبْنًى للمجهول.

أي: صار إلى القهر. وأما كسر الزاي مع تخفيف الفاء، فهو من: وَزَفَ يَزِفُ، بمعنى أسرع يُسرع، ولم يتعرفه الكسائي ولا الفراء، وعرفه غيرهما. قال المفسرون: بلغهم ما صنع إبراهيم، فأسرعوا، فلما انتهوا إليه، قال لهم محتجاً عليهم: ﴿أَتَبْكُونَ مَا تَنْجُونَ﴾ بأيديكم ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَمْلُونَ﴾ (١٢)، قال ابن جرير: في «ما» وجهان: أحدهما: أن تكون بمعنى المصدر، فيكون المعنى: والله خلقكم [وعملكم]. والثاني: أن تكون بمعنى «الذي»، فيكون المعنى: والله خلقكم [وخلق الذي تعملونه بأيديكم من الأصنام<sup>(١)</sup>]. وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة [للـه]. فلما لزمتهن الحجة ﴿قَالُوا إِنَّا لَمُبْكُونَ﴾ وقد شرحنا قصته في سورة [الأنبياء: ٥٢-٧٤]، وبيننا معنى الجحيم في [البقرة: ١١٩]، والكيد الذي أرادوا به: إحراقه. ومعنى قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾ أن إبراهيم عليهم السلام حيث سلمه الله من كيدهم وحل الهلاك بهم<sup>(٢)</sup>. ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ في هذا الذهاب قولان: أحدهما: أنه ذاهب حقيقة، وفي وقت قوله هذا قولان: أحدهما: أنه حين أراد هجرة قومه؛ فالمعنى: إني ذاهب إلى حيث أمرني ربي ﴿سَيِّدِينَ﴾ إلى حيث أمرني، وهو الشام، قاله الأكثرون. والثاني: حين ألقى في النار، قاله سليمان بن صرد؛ فعلى هذا، في المعنى قولان: أحدهما: ذاهب إلى الله بالموت، سيهدين إلى الجنة. والثاني: [ذاهب] إلى ما قضى [به] ربي، سيهدين إلى الخلاص من النار. والقول الثاني: إني ذاهب إلى ربي بقلبي وعملي ونيتي، قاله قتادة<sup>(٣)</sup>. فلما قُدم الأرض المقدسة، سأل ربه الولد فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣) أي: ولداً صالحاً من الصالحين، فاجتزأ بما ذكر عما ترك، ومثله: ﴿وَكُنَّا فِيهِ مِنَ الْإِبْرَاهِيمَ﴾ [يوسف: ٢٠]، فاستجاب له، وهو قوله: ﴿بَشَّرْتَهُ بِإِسْحَاقَ عِيسَى﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه إسحاق. والثاني: أنه إسماعيل. قال الزجاج: هذه الإشارة تدل على أنه مبشّر بآين ذكر، وأنه يبقى حتى يتهي في السن ويوصف بالعلم.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّنَى قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي السَّمَاءِ آتٍ أَذْهَبُكَ فَأَتْلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْعَادِينَ﴾ (١٤) فلما أسلمنا وتكلم للجبين (١٥) وتذنته أن يتأبرهه (١٦) قد صدقت الرأيا لما كذلك تجزي النحسين (١٧) إنك هذا لمؤ البتة الذين (١٨) ولقنته يلج عظيم (١٩) وتزكا عليه في الآخرين (٢٠) سلم على إبراهيم (٢١) كذلك تجزي النحسين (٢٢) إنك من عكوة المؤمنين (٢٣) وبشرتك يأتقن بينا من الصالحين (٢٤) وتزكا عليه وتك إسحق ومن ذريتهما تحين وعالم ليفيه مبدئ (٢٥)

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّنَى﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراد بالسعي هاهنا: العمل، قاله ابن عباس. والثاني: أنه المشي، والمعنى: مشى مع أبيه، قاله قتادة. قال ابن قتيبة: بلغ أن يتصرف معه ويؤمته. قال ابن السائب: كان ابن ثلاث عشرة سنة. والثالث: أن المراد بالسعي: العبادة، قاله ابن زيد؛ فعلى هذا، يكون قد بلغ.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَى فِي السَّمَاءِ آتٍ أَذْهَبُكَ﴾ أكثر العلماء على أنه لم ير أنه ذبحه في المنام، وإنما المعنى أنه أمر في المنام بذبحه، ويدل عليه قوله: ﴿أَقْبَلْ مَا تُوْمَرُ﴾. وذهب بعضهم إلى أنه رأى أنه يعالج ذبحه، ولم ير إراقة الدّم. قال قتادة: ورؤيا الأنبياء حق، إذا رأوا شيئاً، فعلوه. وذكر السدي عن أشياخه أنه لما بشر جبريل سارة بالولد، قال إبراهيم: هو إذاً لله ذبيح، فلما قرع من بينان البيت، أتى في المنام، فقيل له: أوف بنذرك<sup>(٤)</sup>. واختلفوا في الذبيح على قولين: أحدهما: [أنه] إسحاق، قاله عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وأبو هريرة، وأنس، وكعب الأحبار، وهب بن منبه، [ومسروق]، وعبيد بن عمير، والقاسم ابن أبي بزة، ومقاتل بن سليمان، واختاره ابن جرير. وهؤلاء يقولون: كانت هذه القصة بالشام. وقيل: طويت له

(١) قال ابن كثير: والأول أظهر، لما رواه البخاري في كتاب «أفعال العباد» عن علي بن المديني عن مروان بن معاوية عن أبي مالك عن ربيع بن جراح عن حليفه عليه السلام مرفوعاً قال: «إن الله تعالى يصنع كل صانع وصنعه» اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: يقول الله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي: فجعلنا قوم إبراهيم ﴿الْأَسْفَلِينَ﴾ يعني الأدنى حجة، وغلبنا إبراهيم عليهم بالحجة، وأقلناهم مما أرادوا به من الكيد. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ يقول: وقال إبراهيم لما أهله الله على قومه ونجاه من كيدهم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ يقول: إني مهاجر من بلدة قومي إلى الله، أي: إلى الأرض المقدسة، ومفارقتهم فمعتزلهم لعبادة الله. اهـ.

(٤) ذكر ذلك البهوي في «تفسيره» بدون سند والله أعلم.

الأرض حتى حمله إلى المَنَحَرِ بِنِجْنٍ في ساعة. والثاني: أنه إسماعيل، قاله ابن عمر، وعبد الله بن سلام، والحسن البصري، وسعيد بن المسيب، والشعبي، ومجاهد، ويوسف بن مهران، وأبو صالح، ومحمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن سابط<sup>(١)</sup>. واختلفت الرواية عن ابن عباس، فروى عنه عكرمة أنه إسحاق، وروى عنه عطاه، ومجاهد، والشعبي، وأبو الجوزاء، ويوسف بن مهران أنه إسماعيل، وروى عنه سعيد بن جبيرة كالقولين. وعن سعيد بن جبيرة، وعكرمة، والزهري، وقتادة، والسدي روايتان. وكذلك عن أحمد رحمته الله روايتان. ولكل قوم حجة ليس هذا موضعها، وأصحابنا ينضرون القول الأول<sup>(٢)</sup>.

### الإشارة إلى قصة الذَّبْحِ

ذكر أهل العلم بالسِّيرِ والتفسير أن إبراهيم لما أراد ذبح ولده، قال له: انطلق فنقرب قرباناً إلى الله رحمته الله، فأخذ بيدينا وخيلاً، ثم انطلق، حتى إذا ذهب بين الجبال، قال له الغلام: يا أبت أين قربانك؟ قال: يا بني إني رأيت في المنام أني أذبحك، فقال له: اشدّ رياطي حتى لا اضطرب، واكثف عني ثيابك حتى لا يتضح عليك من دمي فتراه أُمِّي فتحزن، وأشرع مَرَّ السَّكِينِ على حَلْقِي ليكون أهون للموت عليّ، فإذا أتيت أُمِّي فأقرأ عليها السلام مِنِّي؛ فأقبل عليه إبراهيم يقبله ويكي ويقول: يَنَمُّ العَوْنُ أنت يا بُنَيَّ على أمر الله رحمته الله، ثم [إنه] أَمَرَ السَّكِينِ على حَلْقِهِ فلم يَحْكُ شيئا<sup>(٣)</sup>. وقال مجاهد: لَمَّا أَمَرُهَا على حَلْقِهِ انقلبَتْ، فقال: مالك؟ قال: انقلبْتُ، قال: اطعْنْ بها طَعْنًا. وقال السدي: ضرب الله على حَلْقِهِ صفيحة من نحاس؛ وهذا لا يُحتاج إليه، بل منهها بالقُدرة أبلغ. قالوا: فلَمَّا طَعَنَ بها، نَبَتْ، وعَلِمَ الله منهما الصّدق في التسليم، فنودي: يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا، هذا فدأ ابنك؛ فنظر إبراهيم، فإذا جبريل معه كبش أملح.

قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرْجُو﴾ نَمَّ يَقُلْ له ذلك على وجه المؤامرة في أمر الله رحمته الله، ولكن أراد أن ينظر ما عنده من الرأْي. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «ماذا تُري» بضم التاء وكسر الراء؛ وفيها قولان: أحدهما: ماذا تُرْبِي من صبرك أو جَزَعك، قاله الفراء. والثاني: ماذا تُبَيِّن، قاله الزجاج؛ وقال غيره: ماذا تُشِير.

قوله تعالى: ﴿أَتَمَلَّ مَا تَزْمُرُ﴾ قال ابن عباس: افعل ما أوحى إليك من ذبحي ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ على البلاء.

- (١) قال الحافظ ابن حجر في ترجمته في «تقريب التهذيب»: عبد الرحمن بن سابط، ويقال: ابن عبد الله بن سابط، وهو الصحيح. اهـ.
- (٢) قال ابن كثير: قال الله تعالى: ﴿فَتَرْجُوهُ بِأَنَّكَ تَكُونُ أَحَدُ الْكَافِرِينَ﴾. وهذا الغلام هو إسماعيل رحمته الله، فإنه أول ولد بُشِّرَ به إبراهيم رحمته الله، وهو أكبر من إسحاق بائناً للمسلمين وأهل الكتاب، قال: بل في نص كتابهم أن إسماعيل رحمته الله ولد لإبراهيم رحمته الله ست وثمانون سنة، وولد إسحاق وعُمُرُ إبراهيم عليه الصلاة والسلام تسع وتسعون سنة، قال: وعندهم أن الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحده، وفي نسخة أخرى: «يُكْرَهُ» قال: فأقحموا هاهنا كذباً وبهتاناً إسحاق، قال: ولا يجوز هذا، لأنه مخالف لنص كتابهم، قال: وإنما أقحموا إسحاق لأنه أبوه، وإسماعيل أبو العرب، فحسدوهم فزادوا فلك، وحرّفوا «وحيدك» بمعنى «الذي ليس عندك غيره»، فإن إسماعيل كان ذُبح به وبأُمِّه إلى مكة، وهو تأويل وتخريف باطل، فإنه لا يقال: وحيدك إلا لمن ليس له غيره، قال: وأيضاً فإن أول ولده له معزة ما ليس لمن بعده من الأولاد، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار، قال: وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة رحمهم الله أيضاً. ثم قال: وليس ذلك في كتاب ولا سنّة، وما أضلّ ذلك تُلقَى إلا عن أخبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مُسَلِّماً من غير حجة، قال: وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بغلام حلیم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَتَرْجُوهُ لِأَنَّكَ تَكُونُ أَحَدُ الْكَافِرِينَ﴾ رحمته الله وقال: ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق غلوا: ﴿فَإِذَا يَبْتَغِيهِ يَكُونُ كَيْدِي﴾. وقال ابن كثير في قوله تعالى عن امرأة إبراهيم رحمته الله: ﴿تَبْتَغِيكَ بِأَنَّكَ تَكُونُ أَحَدُ الْكَافِرِينَ﴾ من سورة (هود: ٧١) أي: بولد لها يكون له ولد وعقب نسل، فإن يعقوب ولد إسحاق، قال: ومن هاهنا استدلل بهذه الآية على أن الذبيح إنما هو إسماعيل، وأنه يستع أن يكون هو إسحاق، لأنه وقعت البشارة به، وأنه سيولد له يعقوب، قال: فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده، ووجد الله حق لا خلف فيه؟ قال: فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه، قال: فتبين أن يكون هو إسماعيل. قال: وهذا من أحسن الاستدلال وأصحها وأبينه، والله الحمد. اهـ.

وقد قال الحافظ ابن قيم الجوزية في «الهدى النبوي»: إسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وأما القول بأنه إسحاق، فمردود بأكثر من عشرين وجهاً، ونقل عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا القول متلقى من أهل الكتاب مع أنه باطل في كتابهم، فإن فيه أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه يُكْرَهُ، وفي لفظ: «وحيد» وقد حرّفوا ذلك في التوراة التي بأيديهم. اهـ.

- (٣) ذكر نحو هذا المعنى البغوي والخازن عن ابن عباس بدون سند، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ أي: استسلمًا لأمر الله ﷻ فأطاعا ورغبيا. وقر علي، وابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، والأعمش، وابن أبي حبة: ﴿فَلَمَّا سَلِمَا﴾ بتشديد اللام من غير همز قبل السين؛ والمعنى: سَلِمَا لأمر الله ﷻ. وفي جواب قوله: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ قولان: أحدهما: أن جوابه: «وَوَدَّاهُ»، والواو زائدة، قاله الفراء. والثاني: أن الجواب محذوف لأن في الكلام دليلاً عليه؛ والمعنى: فلما فعل ذلك، سَعِدَ وأَجَزِلَ ثوابه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَتَلَوُا لَجِينَ﴾ قال ابن قتبية: أي: صَرَعَهُ على جبينه فصار أحد جبينيه على الأرض، وهما جبينان، والجهة بينهما، وهي ما أصاب الأرض في السجود، والناس لا يكادون يفرقون بين الجبين والجهة، فالجهة مسجد الرجل الذي يصيبه نَدْبُ السُّجُود، والجبينان يكتنفانها، من كل جانب جبين.

قوله تعالى: ﴿وَرَكَّعَتْ﴾ قال المفسرون: نودي من الجبل: ﴿أَنْ يَكْبُرِيَهُ ۖ﴾ ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ وفيه قولان: أحدهما: قد عَمِلْتَ ما أَمَرْتُ، وذلك أنه قصد الذَّبْحَ بما أمكنه، وطاوعه الابن بالتمكين مع الذَّبْح، إلا أن الله ﷻ صرف ذلك كما شاء، فصار كأنه قد ذَبَحَ وإن لم يتحقق الذَّبْح. والثاني: أنه رأى في المنام معالجة الذَّبْح، ولم ير إراقة الدَّم، فلما قُفِّلَ في البقعة ما رأى في المنام، قيل له: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو عمران، والجحدري: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ بتخفيف الدال، وهاتنا تم الكلام. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا كَذَّبُكَ﴾ أي: كما دَكَّرْنَا من العفو من ذبح ولده ﴿بَعَثَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>. ﴿إِن كُنَّا لَمَوَالِكُ آلِيكَ﴾ في ذلك قولان: أحدهما: النعمة البينة، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثاني: الاختبار العظيم، قاله ابن زيد، وابن قتبية. فعلى الأول، يكون قوله هذا إشارة إلى العفو عن الذَّبْح. وعلى الثاني، يكون إشارة إلى امتحانه بذبح ولده.

قوله تعالى: ﴿وَرَكَّعَتْ﴾ يعني: الذَّبْحُ ﴿بَذَحَ﴾ وهو بكسر الدال: اسم ما ذَبَحَ، ويفتح الدال: مصدر ذَبَحْتُ، قاله ابن قتبية. ومعنى الآية: خلصناه من الذَّبْحِ بأن جعلنا الذَّبْحَ فداءً له. وفي هذا الذَّبْحُ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان كبشاً أقرن قد رعى في الجنة قبل ذلك أربعين عاماً، قاله ابن عباس في رواية مجاهد، وقال في رواية سعيد بن جبير: هو الكبش الذي قرَّبه ابنُ آدم فتُبِّلَ منه، كان في الجنة حتى قُذِيَ به. والثاني: أن إبراهيم قُذِيَ ابنه بكبشين أبيضين أعينين أقرنين، رواه أبو الطفيل عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثالث: [أنه] ما قُذِيَ إلا بتيس من الأوزى<sup>(٣)</sup>، أميط عليه من نبيير، قاله الحسن<sup>(٤)</sup>. وفي معنى ﴿عَظِيمٍ﴾ أربعة أقوال: أحدها: لأنه كان قد رعى في الجنة، قاله ابن عباس، وابن جبير. والثاني: لأنه ذَبَحَ على دين إبراهيم وسُنَّته، قاله الحسن. والثالث: لأنه مُتَقَبَّلٌ، قاله مجاهد. وقال أبو سليمان الدمشقي: لما قرَّبه ابنُ آدم، رُفِعَ حيّاً، فرعى في الجنة، ثم جُعِلَ فداءً للذَّبْحِ، فقُبِّلَ مرتين. والرابع: لأنه عظيم الشخص والبركة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَرَكَّعَا عَلَيْهِ﴾ قد فسرناه في هذه السورة [الصلوات: ٧٨].

قوله تعالى: ﴿وَرَكَّعَتْ إِبْرَاهِيمَ﴾ من قال: إن إسحاق الذَّبِيحُ، قال: بُشِّرَ إبراهيمُ بنبوة إسحاق، وأُتِيَ إسحاق بصبره

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَّبُكَ بِمِثْلِهِ نَجِيبٍ﴾ أي: مكلنا نصرف عن أطاعنا المكاره والشداد، ونجعل لهم من أمرهم فرجاً ومخرجاً، كقوله تعالى: ﴿وَرَبَّنَّ إِنَّا أَلَّيْنَاكَ بِمِثْلِهِ نَجِيبٍ﴾ لا يَحْتَسِبُ مَنْ يَزُولُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ مَنُوعٌ إِنَّ اللَّهَ يَكْتُبُ أَمْرَهُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا. قال: وقد استدل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الأصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل، خلافاً لطائفة من المعتزلة، قال: والدلالة من هذه ظاهرة، لأن الله تعالى شرع لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده، ثم نسخه عنه وعصره إلى الفداء، قال: وإنما كان المقصود من شرعه أولاً، إثابة للخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك، قال: ولهذا قال تعالى: ﴿إِن كُنَّا لَمَوَالِكُ آلِيكَ﴾ أي: الاختبار الواضح الجلي حيث أمر ببلع ولده، فسارع إلى ذلك مستسلماً لأمر الله تعالى، متقاداً لطاعته، قال: ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَرَكَّعَا عَلَيْهِ﴾ اهـ.

(٢) (الذي في الطبري) وابن كثير من رواية أبي الطفيل عن علي عليه السلام قال: كبش أبيض أقرن أمين.

(٣) الأوزى: الرحول.

(٤) قال ابن كثير في «التاريخ» بعد أن ذكر نحوه من هذا: ثم غالب ما هاتنا من الآثار مأخوذة من الإسرائيليات، وفي القرآن كفاية مما جرى من الأمر العظيم والاختبار الباهر، وأنه قُذِيَ ببلع عظيم، قال: وقد ورد في الحديث أنه كان كبشاً. اهـ. وقال في «التفسير»: والصحيح الذي عليه الأكثر أن يذبح بكبش. اهـ. و«نبيير»: جبل بمكة.

النبوة، وهذا قول ابن عباس في رواية عكرمة، وبه قال قتادة، والسدي<sup>(١)</sup>. ومن قال: الذبيح إسماعيل، قال: بشر الله إبراهيم بولد يكون نبياً بعد هذه القصة، جزاء لطاعته وصبره، وهذا قول سعيد بن المسيب.

قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ عَلَيْهِ وَفَرَ إِسْحَاقُ﴾ يعني بكثرة ذريتهما، وهم الأسباط كلهم ﴿وَبَنِي دَاوُدَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ﴾ أي: مطيع لله ﴿وَعِيسَى﴾ وهو العاصي له. وقيل: المُحْسِنُ: المؤمن، والظالم: الكافر.

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَكَرِهْتُمُوهُ﴾ ١٥ ﴿وَفُتِنْتَهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُفْرِ الْعَظِيمِ﴾ ١٦ ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ ١٧ ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ﴾ ١٨ ﴿وَعَذَابُهُمَا الصَّعْدَةُ الْمُنْتَهَى﴾ ١٩ ﴿وَرَبَّكَ عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ ٢٠ ﴿سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَكَرِهْتُمُوهُ﴾ ٢١ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ٢٢ ﴿إِنَّمَا مِنْ عِبَادَاتِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٢٣ ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمُسْتَكِينُ﴾ ٢٤ ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ٢٥ ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ ٢٦ ﴿وَتَذَرُونَ أَسْمَنَ الْخَالِقِينَ﴾ ٢٧ ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ رَبُّ رَبِّكُمْ الْأَوَّلُ﴾ ٢٨ ﴿فَكَذَّبُوا بِآيَاتِهِمْ لَمْ يُحْشَرُوا﴾ ٢٩ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ٣٠ ﴿وَرَبُّكَ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ٣١ ﴿سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاقِينَ﴾ ٣٢ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ٣٣ ﴿إِنَّمَا مِنْ عِبَادَاتِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٣٤

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَكَرِهْتُمُوهُ﴾ ١٥: أي: أنعمنا عليهما بالنبوة. وفي ﴿الْكُفْرِ الْعَظِيمِ﴾ قولان: أحدهما: استبعاد فرعون وبلاؤه، وهو معنى قول قتادة. والثاني: الفرق، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: [أنه] يرجع إلى موسى وهارون وقومهما. والثاني: [أنه] يرجع إليهما فقط، فجميعاً، لأن العرب تذهب بالرئيس إلى الجمع، لجنوده وأتباعه، ذكرهما ابن جرير. وما بعد هذا قد تقدم بيانه [الأنبياء: ٤٨] إلى قوله: ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمُسْتَكِينُ﴾ ٢٤: فيه قولان: أحدهما: أنه نبي من أنبياء بني إسرائيل، قاله الأكثرون. والثاني: أنه إدريس، قاله ابن مسعود، وقاتدة، وكذلك كان يقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، وأبو عثمان النهدي: [وإن إدريس] مكان [إلباس].

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ٢٥: أي: ألا تخافون الله فتوحّدونه وتعبّدونه؟! ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بمعنى الرب، قاله ابن عباس، ومجاهد، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. وقال الضحاك: كان ابن عباس قد أعياه هذا الحرف، فبينما هو جالس، إذ مرّ أعرابي قد ضلّت ناقته وهو يقول: من وجد ناقة أنا بعلها؟ فتيحه الضبيان يصيحون به: يا زوج الناقة، يا زوج الناقة، فدعاه ابن عباس فقال: ويحك، ما عنيّ ببعليها؟ قال: أنا ربها، فقال ابن عباس: صدق الله ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾: رباً. وقال قتادة: هذه لغة يمانية. والثاني: أنه اسم صنم كان لهم، قاله الضحاك، وابن زيد. وحكى ابن جرير أنه به سُمّيَتْ «بعلبك». والثالث: أنها امرأة كانوا يعبدونها، حكاه محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ ٢٨: قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «الله ربكم» بالرفع. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف، ويعقوب: «الله» بالنصب.

قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوا بِآيَاتِهِمْ لَمْ يُحْشَرُوا﴾ ٢٩: التار، ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ٣٠: الذين لم يكذبوه، فإنهم لا يُحْشَرُونَ التار.

(١) قال ابن كثير في «التاريخ»: وقد قال بأنه إسحاق طائفة كثيرة من السلف وغيرهم، قال: وإنما أخذه - والله أعلم - من كتب الأخبار أو صحف أهل الكتاب، قال: وليس في ذلك حديث صحيح عن المصنوع حتى ترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز، قال: ولا يفهم هذا القرآن، بل المفهوم، بل المنطوق، بل النص عند التأمل على أنه إسماعيل، قال: وما أحسن ما استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل وليس بإسحاق من قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمَا بِإِسْحَاقَ بْنِ يَسَّى وَفَرَ إِسْحَاقُ﴾ قال: فكيف البشارة بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب ثم يؤمر بذبح إسحاق وهو صغير قيل أن يولد له؟ هذا لا يكون لأنه يناقض البشارة المظمنة، والله أعلم.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمُسْتَكِينُ﴾ يقول جل ثناؤه: لمرسل من المسلمين ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾؟ يقول حين قال لقومه من بني إسرائيل: ألا تتقون الله أيها القوم فتخافونه وتحذرون عقوبته على عبادتكم رباً غير الله وإلهاً سواه ﴿وَتَذَرُونَ أَسْمَنَ الْخَالِقِينَ﴾؟ يقول: وتدعون عبادة أحسن من قيل له خالق؟ ثم قال ابن جرير: وللبل في كلام العرب أوجه، يقولون لرب الشيء: هو بئله، يقال: هذا بعل هذه الدار، يعني ربها، ويقولون لزوج المرأة: بعلها، ويقولون لما كان من الغروس والزروع مستغنياً بماء السماء ولم يكن شيئاً: بعل. اهـ. وقال ابن كثير: وقوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ أي: أتعبدون صنماً ﴿وَتَذَرُونَ أَسْمَنَ الْخَالِقِينَ﴾ الله رَبُّكُمْ رَبُّ رَبِّكُمْ الْأَوَّلُ ٢٨: أي: هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.



## الإشارة إلى القصة

ذكر أهل العلم بالتفسير والسيرة أنه لما كثرت الأحداث بعد قبض حزقيل النبي ﷺ، وعُبدت الأوثان، بعث الله تعالى إليهم إلياس. قال ابن إسحاق: وهو إلياس بن تشبي بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران، فجعل يدعوهم فلا يسمعون منه، فدعا عليهم بحبس المطر، فجهدوا جهداً شديداً، واستخفى إلياس خوفاً منهم على نفسه. ثم إنه قال لهم يوماً: إنكم قد هلكتم جهداً، وهلك البهائم والشجر بخطاياكم، فاخرجوا بأصنامهم وادعوها، فإن استجابت لكم، فالأمر كما تقولون، وإن لم تفعل، علمتم أنكم على باطل فنزعتم عنه، ودعوت الله ففرج عنكم، فقالوا: أنصفت، فخرجوا بأصنامهم وأوثانهم، فدعوا فلم يستجب لهم، فعرفوا ضلالهم، فقالوا: ادع الله لنا، فدعا لهم، فأرسل المطر وعاشت بلادهم، فلم ينزعوا عما كانوا عليه، فدعا إلياس ربّه أن يقضه إليه ويربّحه منهم، فقيل له: اخرج يوم كذا إلى مكان كذا، فما جاءك من شيء فاركنه ولا تهبّه، فخرج، فأقبل قرس من نار، فوثب عليه، فانطلق به، وكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذّة المظعم والمشرب، فطار في الملائكة، فكان إنسياً ملكياً، أرضياً سماوياً<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «إلياسين» موصولة مكسورة الألف ساكنة اللام، فجعلوها كلمة واحدة؛ وقرأ الحسن مثلهم، إلا أنه فتح الهمزة. وقرأ نافع، وابن عامر، وعبد الوارث، ويعقوب إلا زيدا: «إل ياسين» مقطوعة، فجعلوها كلمتين. وفي قراءة البرصل قولان: أحدهما: أنه جُنع لهذا النبي وأُمَّته المؤمنين به، وكذلك يُجمع ما يُنسب إلى الشيء بلفظ الشيء، فتقول: رأيت المهالبة، تريد: بني المهلب، والمسامعة، تريد: بني مسمع. والثاني: أنه اسم النبي وحده، وهو اسم عبراني، والعجمي من الأسماء قد يُقتل به هكذا، [كما] تقول: ميكال وميكايل، ذكر القولين الفراء والزجاج. فأما قراءة من قرأ: «إل ياسين» مفصولة، ففيها قولان: أحدهما: أنهم آل هذا النبي المذكور، وهو يدخل فيهم، كقوله ﷺ: «اللهم صل على آل أبي أوفى»<sup>(٢)</sup>، فهو داخل فيهم، لأنه هو المراد بالدعاء. والثاني: أنهم آل محمد ﷺ، قاله الكلبي: وكان عبد الله بن مسعود يقرأ:

(١) ذكر نحو هذا المعنى مطولاً الطبري في «تفسيره» من رواية ابن إسحاق عن وهب بن منبه وغيره، وذكر نحوه ابن كثير في «التفسير» وقال في «التاريخ»: هكذا حكاه وهب بن منبه عن أهل الكتاب، والله أعلم بصحته. وقال في «التاريخ»: ففي هذا نظر، وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، بل الظاهر أن صحتها بعيدة، والله أعلم. اهـ.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ٢٨٦/٣، باب صلاة الإمام ودعائه لأصحاب الصلوة، وهو في «البخاري» أيضاً ١٤٥/١١ باب هل يصلى على غير النبي ﷺ، ورواه مسلم ٧٥٧/٢ ولفظه بتمامه عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «اللهم صل على آل أبي أوفى». قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٨٦/٣: قوله «على آل أبي أوفى» يريد أبا أوفى نفسه، لأن الآل يطلق على ذات الشيء، كقوله ﷺ في قصة أبي موسى (الأشعري): «لقد أوتي مزاراً من مزارير آل دلو» قال: واسم أبي أوفى: علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي، شهد هو وابنه عبد الله بيعة الرضوان تحت الشجرة، وعمر عبد الله إلى أن كان آخر من مات من الصحابة بالكوفة، وذلك سنة سبع وثمانين. قال ابن حجر: واستدل به (أي الحديث) على جواز الصلاة على غير الأنبياء، قال: وكرهه مالك والجمهور، قال: قال ابن التين: وهذا الحديث يعكّر عليه، قال: وقد قال جماعة من العلماء: يدعو أخذ الصدقة للمتصدق بهذا الدعاء، لهذا الحديث، قال: وأجاب الخطابي عنه قديماً بأن أصل الصلاة: الدعاء، إلا أنه يختلف بحسب المدعولة، فصلاة النبي ﷺ على أمته: دعاء لهم بالمغفرة، وصلاة أمته عليه: دعاء له بزيادة القربى والزلفى، ولذلك كان لا يليق بغيره. انتهى. قال: واستدل به على استحباب دعاء أخذ الزكاة لمعطياها، قال: وأوجه بعض أهل الظاهر، وحكاها الحنطلي وجهاً لبعض الشافعية، وتعبّ به لأنه لو كان واجباً لعلمه النبي ﷺ السعة، ولأن سائر ما يأخذه الإمام من الكفارات والديون وغيرها لا يجب عليه فيها الدعاء، فكذلك الزكاة، قال: وأما الآية (يريد قوله تعالى: ﴿وَعَدَ يَنْ أَرْكَبُ صَدَقَةَ شَهْرِهِمْ وَتَرْكِبُهَا وَمَلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنْ صَلَّوْكَ سَكَنَ لَمْ﴾) فيحتمل أن يكون الوجوب خاصاً به ﷺ لكون صلواته سكناً لهم، بخلاف غيره. اهـ.

هذا وقد اختلف العلماء في الصلاة على غير الأنبياء استقلالاً، فقال الإمام التوري في «شرح مسلم» ١٨٥/٧: قال أصحابنا: لا يصلى على غير الأنبياء إلا تبعاً، لأن الصلاة في لسان السلف مخصصة بالأنبياء صلاة الله وسلامه عليهم، قال: واختلف أصحابنا في النبي عن ذلك هل هو نهي تنزيه، أم محرم، أو مجرد أدب؟ على ثلاثة أوجه، الأصح الأشهر أنه مكروه، قال: واتفقوا على أنه يجوز أن يجعل غير الأنبياء تبعاً لهم في ذلك، فيقال: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته وأتباعه» لأن السلف لم يمنعوا منه، وقد أمرنا به في التشهد وغيره. اهـ.

وقال ابن حجر في «الفتح» ١٤٦/١١، في حكم الصلاة على الأنبياء من المؤمنين: اختلف فيه، فقيل: لا تجوز إلا على النبي ﷺ خاصة، وحكي عن مالك، قال: وقالت طائفة: لا تجوز مطلقاً استقلالاً، وتجوز تبعاً فيما ورد فيه النص أو الحق به، لقوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دَعْوَةَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعْوَةِ بَيْنَكُمْ بَيْنًا﴾ قال: ولأنه لما علمهم السلام قال: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» ولما علمهم الصلاة قصر ذلك عليه وعلى أهل بيته. قال: وهذا القول اختاره القرطبي في «المفهم» وأبو المعالي من الحنابلة، قال: وقالت طائفة: تجوز تبعاً مطلقاً، ولا تجوز استقلالاً، قال: وهذا قول =

«سلام على آذريسين» وقد بينّا مذهبه في أن إلياس هو إدريس. فإن قيل: كيف قال: «إدراسين» وإنما الواحد إدريس، والمجموع إدريسي، لا إدراش ولا إدراسي؟ فالجواب: أنه يجوز أن يكون لغة، كإبراهيم وإبراهيم، ومثله: قَدْزِي وَمِنْ نَضْرِ الْحَبِيبِينَ قَدْزِي<sup>(١)</sup>

وقرأ أبي بن كعب، وأبو نهيك: «سلام على ياسين» بحذف الهزة واللام<sup>(٢)</sup>.  
﴿وَلَا يُؤْمِنُ الْيَهُودُ﴾ إِذْ بَيَّنَّتْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعُونَ ﴿١٦١﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٦٢﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٦٣﴾ وَلَكِنْ كَثُرُونَّ عَلَيْهِمْ مُصِيبِينَ ﴿١٦٤﴾ وَاللَّيْلُ أَكَلًا تَقُولُونَ ﴿١٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ بَيَّنَّتْهُ﴾ إذا هاتنا لا يتعلق بما قبله، لأنه لم يُرْسَلْ إِذْ نُجِّي، ولكنه يتعلق بمحذوف، تقديره: واذكر يا محمد إذ نجيناه<sup>(٣)</sup>. وقد تقدم تفسير ما بعد هذا [الشعر: ١٧١] إلى قوله: ﴿وَلَكِنْ كَثُرُونَّ عَلَيْهِمْ مُصِيبِينَ﴾ هذا خطاب لأهل مكة، كانوا إذا ذهبوا إلى الشام وجازوا، مروا على قرى قوم لوط صباحاً ومساءً، ﴿أَكَلًا تَقُولُونَ﴾ فتعجبون؟

﴿وَلَا يُؤْمِنُ الْيَهُودُ﴾ إِذْ أَبَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٦٦﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٦٧﴾ فَالْفُكَةُ الْفُكُوتُ وَهُوَ مَيْمٌ ﴿١٦٨﴾ فَلَوْلَا أَنْتُمْ كَانِ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٦٩﴾ لَكِيتَ فِي بَطْنِهِ إِذْ يَرِيهِ يَمُوتُونَ ﴿١٧٠﴾ فَتَذَكَّرَ بِالْمَوْلَى وَهُوَ سَيِّدٌ ﴿١٧١﴾ وَأَبْنَتْهُ عَلَيْهِ شَجَرَةٌ مِّنْ يَطْلِينِ ﴿١٧٢﴾ وَرَسَلْتَهُ إِذْ يَأْتِي آلَ إِزْرَبِيلَ ﴿١٧٣﴾ فَاسْتَأْذَنَهُمْ إِلَى يَجْنِ ﴿١٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَبَى﴾ قال المبرد: تأويل «أبى»: تباعد؛ وقال أبو عبيدة: قزع؛ وقال الزجاج: هرب؛ وقال بعض أهل المعاني: خرج ولم يؤذن له، فكان بذلك كالهارب من مولاة. قال الزجاج: والفلك: السفينة، والمشحون: المملوء، وساهم بمعنى [قارع]، «مِنَ الْمُدْحَضِينَ» أي: المغلولين؛ قال ابن قتيبة: يقال: أذحض الله حجتَهُ، فَدَحَضَتْ، أي: أزالها [فزال]، وأصل الدحض: الزلزال.

### الإشارة إلى قصته

قد شرحنا بعض قصته في آخر (يونس) وفي [الأنبياء: ٨٦] على قدر ما تحتمله الآيات، ونحن نذكر هاهنا ما تحتمله. قال عبد الله بن مسعود: لما وعد يونس قومه بالعذاب بعد ثلاث، جأروا إلى الله ﷻ واستغفروا، فكف عنهم العذاب، فانطلق مغاضباً حتى انتهى إلى قوم في سفينة، فعرفوه فحملوه، فلما ركب السفينة وقفت، فقال: ما لسفيتكم؟ قالوا: لا ندري، قال: لكني أدري، فيها عبد أبى من ربّه، وإنها والله لا تسير حتى تُلْقَوْهُ، فقالوا: أما أنت يا نبي الله فوالله لا نُلْقِيكَ، قال: فاقترعوا، فمن قرع فلْيَقْعْ، فاقترعوا، فقرع يونس، فأبوا أن يُمَكِّنُوهُ مِنَ الْوُقُوعِ، فعادوا إلى

أبي حنيفة وجماة، قال: وقالت طائفة: تركه استقلالاً لا تبعاً، قال: وهي رواية عن أحمد، قال: وقال النووي: هو خلاف الأولى، قال: وقالت طائفة: تجوز مطلقاً، قال: وهو مقتضى صريح البخاري، فإنه صرّ بالآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَرَسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾، ثم علّق الحديث الدال على الجواز مطلقاً، وعطى بالحديث الدال على الجواز تبعاً، ثم قال الحافظ ابن حجر: وقال ابن القيم: المختار أن يصلّي على الأنبياء والملائكة وأزواج النبي ﷺ وآله وذوّته وأهل الطاعة على سبيل الإجمال، وتكره في غير الأنبياء لشخص مفرد بحيث يصير شعاراً، ولا سيما إذا ترك في حق مثله أو أفضل منه، كما يفعله الرافضة، فلو اتفق وقبح ذلك مفرداً في بعض الأحيان من غير أن يتخذ شعاراً، لم يكن به بأس، ولهذا لم يرد في حق غير من أمر النبي ﷺ يقول ذلك لهم وهم من أدّى زكاته إلا نادراً. اهـ.

(١) الرجز لحمد الأرقط كما في «الصحاح» و«اللسان»: قد، و«الطبري»: ١١٨/١٥.

(٢) قال الطبري: والصواب من القراءة في ذلك حتمنا قراءة من قرأه ﴿سَلَّمَ عَلَى الْيَهُودِ﴾ بكسر ألفها، على مثال «إدراسين» لأن الله تعالى ذكره إنما أخبر عن كل موضع ذكر فيه نبياً من أنبيائه صلوات الله عليهم في هذه السورة، بأن عليه سلاماً، لا على آله، فكذلك السلام في هذا الموضع، ينبغي أن يكون على إلياس، كسلامه على غيره من أنبيائه، لا على آله على نحو ما بينا من معنى ذلك، ثم قال: فإن ظن طان أن إلياسين غير إلياس، فإن فيما حكينا من احتجاج من احتج بأن إلياسين هو إلياس غش عن الزيادة فيه. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط ﷺ أنه بعث إلى قومه فكذبوه، فنجاه الله تعالى من بين أظهرهم هو وأهله إلا امرأته فأنها هلكت مع من هلك من قومها، فإن الله تعالى أهلّهم بأنواع من العقوبات وجعل محلّتهم من الأرض بحيرة منتنة قيحة المنظر والطعم والريح، وجعلها سبيل مقيم يمرّ بها المسافرين ليلاً ونهاراً، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَثُرُونَّ عَلَيْهِمْ مُصِيبِينَ﴾ ﴿وَاللَّيْلُ أَكَلًا تَقُولُونَ﴾ ﴿١٦٥﴾ اي: أنلا تعجبون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون أن للكافرين أمثالها ١٢٢.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وإن يونس لمرسل من المرسلين إلى أقوامهم إذ أبى إلى الفلك المشحون. اهـ.

الْقُرْعَة حَتَّى قَرَعَ يُونُس ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. وَقَالَ طَاوُوسُ: إِنَّ صَاحِبَ السَّفِينَةِ هُوَ الَّذِي قَالَ: إِنَّمَا يَمْنُهَا أَنْ تَسِيرَ أَنْ فَيَكُنْ رَجُلًا مَشْهُومًا، فَاقْتَرَعُوا لَتَلْقَى أَحَدَنَا، فَاقْتَرَعُوا، فَقَرَعَ يُونُس ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. قَالَ الْمَفْسُورُونَ: وَكُلَّ اللَّهُ بِهِ حَوْتًا، فَلَمَّا لَقِيَ نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ التَّقْمَةَ، وَأَمَرَ أَنْ لَا يَضُرَّهُ وَلَا يَكْلِمَهُ، وَسَارَتْ السَّفِينَةُ حَيْثُ نَزَلَ. وَمَعْنَى التَّقْمَةِ: ابْتَلَعَهُ. ﴿وَقَوْلاً يُونُسَ﴾ قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ: أَيُّ: مُنْزَبٌ، يُقَالُ: أَلَامَ الرَّجُلُ: إِذَا أُنِيَ ذَنْبًا يَلَامُ عَلَيْهِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

[تَعُدُّ مَعَاذِرًا لَا تُعْذَرُ فِيهَا] وَمَنْ يَخْذُلُ أَخَاهُ فَقَدْ أَلَامَا<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنْكَرَ كَانَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ﴾<sup>(٢)</sup> فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مِنَ الْمُصَلِّينَ، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبیر. والثاني: مِنَ الْعَابِدِينَ، قاله مجاهد، وهب بن منبه. والثالث: قول ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، قاله الحسن. وروى عمران الفَقَّان عن الحسن قال: والله ما كانت إلا صلاة أحدنا في بطن الحوت؛ فعلى هذا القول، يكون تسيخه في بطن الحوت. وجمهور العلماء على أنه أراد: لولا ما تقدم له قبل التقام الحوت إياه من التسيخ، ﴿لَئِنْ فِي بَطْنِهِ إِلَّا يَوْمَ يُنْعَزَلُ﴾<sup>(٣)</sup> قال قتادة: لصار بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة، ولكنه كان كثير الصلاة في الرخاء، فنجاه الله تعالى بذلك<sup>(٤)</sup>. وفي قدر مكثه في بطن الحوت خمسة أقوال: أحدها: أربعون يوماً، قاله أنس بن مالك، وكعب، وأبو مالك، وابن جريج، والسدي. والثاني: سبعة أيام، قاله سعيد بن جبیر، وعطاء. والثالث: ثلاثة أيام، قاله مجاهد، وقاتدة. والرابع: عشرون يوماً، قاله الضحاك. والخامس: بعض يوم، التقمه ضحى، ونبذ قبل غروب الشمس، قاله الشعبي<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلْنَاهُ﴾ قال ابن قتيبة: أَيُّ: الْفَيْئَاءَ ﴿وَالْعَرَّةَ﴾ وهي الأرض التي لا يتوارى فيها بشجر ولا غيره، وكأنه من عَرِيَ الشَّيْءُ.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْلاً سَقِرَ﴾ أَيُّ: مريض؛ قال ابن مسعود: كهيئة الفرخ الممعوط الذي ليس له ريش. وقال سعيد بن جبیر: أوحى الله تعالى إلى الحوت أن ألقه في البر، فألقاه لا شعر عليه ولا جلد ولا ظفر.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْنَتَا عَلَيْهِ شَجَرَتَا يَنْ يَطْفَيْنِ﴾<sup>(٦)</sup> قال ابن عباس: هو القرع، وقد قال أمية بن أبي الصلت قبل الإسلام: فَأَنْبَتَ يَطْفِيناً عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ

قال الزجاج: كل شجرة لا تنبت على ساق وإنما تمتد على وجه الأرض نحو القرع والبطيخ والحنظل، فهي يقطين، واشتقاقه من: قَطَنَ بالمكان: إذا أقام، فهذا الشجر ورقه كله على وجه الأرض، فلذلك قيل له: يقطين. قال ابن مسعود: كان يستظل بها ويصيب منها فيسب فبكي عليها، فأوحى الله إليه: أنبكي على شجرة أن ييسب، ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت أن تهلكهم؟! قال يزيد بن عبد الله بن قسيط: قَبِضَ [الله] له أروية من الوحش تروح عليه بكرة وعشياً فيشرب من لبنها حتى نبت لحمه. فإن قيل: ما الفائدة في إنبات شجرة اليقطين عليه دون غيرها؟ فالجواب: أنه خرج كالفرخ على ما وصفنا، وجلده قد ذاب، فأدنى شيء يمر به يؤذيه، وفي ورق اليقطين خاصية، وهو أنه إذا ترك على شيء، لم يقره ذباب، فأنبت الله لينطيه ورقها ويمنع الذباب ريحه أن يسقط عليه فيؤذيه<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى بَاقِ الْأَنْبِيَاءِ﴾ اختلّفوا، هل كانت رسالته قبل التقام الحوت إياه، أم بعد ذلك؟ على قولين: أحدهما: أنها كانت بعد نبذ الحوت إياه، على ما ذكرنا في [يونس: ٩٨]، وهو مروي عن ابن عباس. والثاني:

(١) البيت لام حمير بن سلمى الحنفي، وهو في «غريب القرآن» ٤٢٢، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: لوم.

(٢) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: ﴿فَلَوْلَا أَنْكَرَ﴾ يعني يونس ﴿كَانَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ﴾ من المصلين لله قبل البلاء الذي ابتلي به من العقوبة بالحبس في بطن الحوت ﴿لَئِنْ فِي بَطْنِهِ إِلَّا يَوْمَ يُنْعَزَلُ﴾ يقول: لبقى في بطنه إلى يوم القيامة يوم يبعث الله فيه خلقه محبوباً، ولكنه كان من الذاكرين الله قبل البلاء، فذكره الله في حال البلاء فألقاه ونجاه. اهـ.

(٣) قال ابن كثير، بعد أن ذكر هذه الأقوال: والله أعلم بمقدار ذلك. اهـ.

(٤) البيت في «الطبري» ١٠٣/٢٣، و«مجمع البيان» ٨٤/٢٣، و«البحر المحيط» ٣٧٥/٧.

(٥) قال ابن كثير: وذكر بعضهم في القرع فوائد: منها سرعة نياحه، وتظليل ورقه لكبره ونعمته، وأنه لا يقربها الذباب، وجودة تغذية لعمه، وأنه يؤكل نيئاً ومطبوخاً بلبه وقشره أيضاً، قال: وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يحب الألبان ويتبعه من حواشي الصفحة. اهـ.

أنها كانت قبل التقام الحوت له، وهو قول الأكثرين، منهم الحسن، ومجاهد، وهو الأصح. والمعنى: وكنا أرسلناه إلى مائة ألف، فلما خرج من بطن الحوت، أمر أن يرجع إلى قومه الذين أرسل إليهم<sup>(١)</sup>. وفي قوله: ﴿أَوْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى «بل» قاله ابن عباس، والفراء. والثاني: أنها بمعنى الواو، قاله ابن قتيبة. وقد قرأ أبي بن كعب، ومعاذ القارئ، وأبو المتوكل، وأبو عمران الجوني: «ويزيدون» من غير ألف. والثالث: أنها على أصلها، والمعنى: أو يزيدون في تقديرهم، إذا رآهم الرائي قال: هؤلاء مائة ألف. أو يزيدون. وفي زيادتهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم كانوا مائة ألف يزيدون عشرين ألفاً، رواه أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنهم كانوا مائة ألف وثلاثين ألفاً. والثالث: مائة ألف وبضعة وثلاثين ألفاً، رواه عن ابن عباس. والرابع: أنهم كانوا يزيدون سبعين ألفاً، قاله سعيد بن جبير، ونوف.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَوُوا﴾ في وقت إيمانهم قولان: أحدهما: عند معاينة العذاب. والثاني: حين أرسل إليهم يونس ﴿فَسْتَقْتُمْ﴾ إلى متى آجالهم.

﴿فَاسْتَقْتُمْ أَرْبَعَ أَلْفَ نَفْسٍ﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَكُوتَ إِنَّا وَمَنْ شَهِدُوا ﴿١﴾ أَلَا إِنَّمَا يَنْفَكُ عَنْ يَدَيْهِمْ لِقَوْلِهِ ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٥﴾ لَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ فَأَنَّا يَكِيدُكُمْ إِنَّكُمْ سَوِيفُونَ ﴿٧﴾ وَصَلَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ لِقَاءَ رَبِّهِمْ ﴿٨﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْمِحْنَةَ إِنَّمَا كُنْتُمْ مَحْضُرُونَ ﴿٩﴾ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١١﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ ﴿١٢﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاعِلِينَ ﴿١٣﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ سَالٍ مَحْمُودٌ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقْتُمْ﴾ أي: سل أهل مكة سؤال توبيخ وتقرير، لأنهم زعموا أن الملائكة بنات الله. ﴿وَمَنْ شَهِدُوا﴾ أي: حاضرون. ﴿أَلَا إِنَّمَا يَنْفَكُ عَنْ يَدَيْهِمْ﴾ أي: كذبهم ﴿لِقَوْلِهِ﴾ حين زعموا أن الملائكة بناته.

قوله تعالى: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ﴾ قال الفراء: هذا استفهام فيه توبيخ لهم، وقد تطرح ألف الاستفهام من التوبيخ، ومثله: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبُكُمْ﴾ [الاحقاف: ٢٠]، وأذهبتهم يستفهم بها ولا يستفهم، ومعناها واحد. وقرأ أبو هريرة، وابن المسيب، والزهري، وابن جهماز عن نافع، وأبو جعفر، وشيبة: «وانهم لكاذبون اضطفي» بالوصل غير مهموز ولا ممدود؛ قال أبو علي: وهو على [وجه] الخبر، كأنه قال: اضطفي البنات على البنين كما يقولون، كقوله: ﴿ذَقَّ إِنَّكَ أَتَى النَّارَ كَذِبًا﴾ [الدخان: ٤٩].

قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ﴿١﴾ الله بالبنات ولأنفسكم بالبنين؟ ﴿٢﴾ ﴿لَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٣﴾ أي: حجة [بيّنة] على ما تقولون، ﴿فَأَنَّا يَكِيدُكُمْ﴾ الذي فيه حجتكم. ﴿وَصَلَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ لِقَاءَ رَبِّهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قالوا: هو إبليس أخوان، رواه العوفي عن ابن عباس؛ قال الماوردي: وهو قول الزنادقة والذين يقولون: الخير من الله، والشر من إبليس. والثاني: أن كفار قريش قالوا: الملائكة بنات الله، والجنة صنف من الملائكة يقال لهم: الجنة، قاله مجاهد. والثالث: أن اليهود قالت: إن الله تعالى تزوج إلى الجن فخرجت من بينهم الملائكة، قاله قتادة، وابن السائب. فخرج في معنى الجنة قولان: أحدهما: أنهم الملائكة. والثاني: الجن. فعلى الأول، يكون معنى قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْمِحْنَةَ﴾ أي: عَلِمْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: إن هؤلاء المشركين ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ النار. وعلى الثاني، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْمِحْنَةَ﴾ أي: إن الجن أنفسهم لَمُحْضَرُونَ الحساب<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ يعني الموحدين. وفيما استثنوا منه قولان: أحدهما: أنهم استثنوا من حضور النار، قاله مقاتل. والثاني: مما يصف أولئك، وهو معنى قول ابن السائب.

(١) قال ابن كثير: قلت: ولا مانع أن يكون الذين أرسل إليهم أولاً، أمر بالقرء إليهم بعد خروجه من الحوت فصدقوه كلهم. اهـ.

(٢) رواه ابن جرير الطبري ١٠٤/٢٣، والترمذي ١٥٥/٢ وقال: حديث غريب، وذكره السيوطي في «الدر» ٢١٩/٥، وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: إنهم لمحضرون العذاب، لأن سائر الآيات التي ذكر فيها الاحضار في هذه السورة إنما عُتِيَ به الاحضار في العذاب، فكذلك في هذا الموضع. اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَّا تَذَكَّرْ﴾ يعني المشركين ﴿وَمَا تَذَكَّرْ عَلَيْهِ﴾ أي: على ما تعبدون ﴿يَفْتِنِينَ﴾ أي: بمُضِلِّينَ أحداً، ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَنِيمِ﴾ أي: مَنْ سبق له في عِلْمِ الله أنه يدخل النار.

﴿وَمَا يَنْفَعُ إِلَّا لَمْ يَكُنْ مَعْلُومٌ﴾ ﴿وَمَا لَنْفَعُ الصَّافُونَ﴾ ﴿وَمَا لَنْفَعُ النَّاسِحُونَ﴾ ﴿وَمَا كَانُوا يَقُولُونَ﴾ ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَيْفَاتُنَا لِعِبَادَاتِ الْفَرِثِيِّينَ﴾ ﴿إِنَّهُمْ لَكُمُ الْمَصْرُورُونَ﴾ ﴿وَلَنْ جُنْدًا لَّهُمُ الْقَتِيلُونَ﴾ ﴿فَوَلَّوْهُمْ حَتَّى جِئَ﴾ ﴿وَأَبْصَرْتُمْ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ﴾ ﴿أَفَعَدَّيْنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمَذْذَرِينَ﴾ ﴿وَوَلَّوْهُمْ حَتَّى جِئَ﴾ ﴿وَأَبْصَرْتُمْ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ﴾ ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿وَلَحْمَدٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٨٢﴾

ثم أخبر عن الملائكة بقوله: ﴿وَمَا يَنْفَعُ﴾ والمعنى: ما مِنَّا مَلَكَ ﴿إِلَّا لَمْ يَكُنْ مَعْلُومٌ﴾ أي: مكان في السموات مخصوص بعبد الله فيه، ﴿وَمَا لَنْفَعُ الصَّافُونَ﴾ قال قتادة: صفوف في السماء. وقال السدي: هو الصلاة. وقال ابن السائب: صفوفهم في السماء كصفوف أهل الدنيا في الأرض<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنْفَعُ النَّاسِحُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: المَصْلُون. والثاني: المنزهون لله ﷻ عن السوء. وكان عمر بن الخطاب إذا أقيمت الصلاة أقبل على الناس بوجهه وقال: يا أيها الناس استوتوا، فإنما يريد الله بكم هَذي الملائكة، وإنا لنَحْنُ الصَّافُونَ، وإنا لنَحْنُ المُسَبِّحُونَ. ثم عاد إلى الإخبار عن المشركين، فقال: ﴿وَمَا كَانُوا يَقُولُونَ﴾ ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا﴾ أي: كتاباً إلَّام في ﴿يَقُولُونَ﴾ لام توكيد؛ والمعنى: وقد كان كفار قريش يقولون قبل بعثة النبي ﷺ: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا﴾ أي: كتاباً ﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: مثل كتب الأولين، وهم اليهود والنصارى، ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿أَي: لَأَخْلَصْنَا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ ﷻ﴾. ﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ فيه اختصار، تقديره: فلَمَّا آتَاهُمْ مَا طَلَبُوا، كفروا به، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم، وهذا تهديد لهم. ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَيْفَاتُنَا﴾ أي: تقدَّم وَعَدْنَا لِلْمُرْسَلِينَ بنصرهم. والكلمة قوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]، ﴿إِنَّهُمْ لَكُمُ الْمَصْرُورُونَ﴾ ﴿بِالْحُجَّةِ﴾ يعني حزبنا المؤمنين ﴿لَهُمُ الْقَتِيلُونَ﴾ بِالْحُجَّةِ أيضاً وَالظَّفَر. ﴿فَوَلَّوْهُمْ حَتَّى جِئَ﴾ أي: أعرض عن كفار مكة ﴿حَتَّى جِئَ﴾ أي: حتى تنقضي مدَّة إِمهالهم. وقال مجاهد: حتى نأمرَكَ بالقتال؛ فعلى هذا، الآية مُحْكَمَة. وقال في رواية: حتى الموت؛ وكذلك قال قتادة. وقال ابن زيد: حتى القيامة؛ فعل هذا، يتطرق نسخها. وقال مقاتل بن حيان: نسخها آية القتال.

قوله تعالى: ﴿وَأَبْصَرْتُمْ﴾ أي: انظر إليهم إذا نزل العذاب. قال مقاتل بن سليمان: هو العذاب ببدر؛ وقيل: أبصر حالهم بقلبك ﴿فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ﴾ ما أنكروا، وكانوا يستعجلون بالعذاب تكديماً به، فقيل: ﴿أَفَعَدَّيْنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ يعني العذاب. وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران، والجحدري، وابن يعمر: ﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ برفع النون وكسر الزاي وتشديدها ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾ أي: بفنائهم وناحيتهم. والساحة: فناء الدار. قال الفراء: العرب تكتفي بالساحة والعقوة من القوم، فيقولون: نزل بك العذاب ويساحتك. قال الزجاج: فكان عذاب هؤلاء القتل ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمَذْذَرِينَ﴾ أي: بُسَس صَبَاحُ الَّذِينَ أَتَدْرُوا العذاب<sup>(٢)</sup>. ثم كرَّر ما تقدم توكيداً لوعده بالعذاب، فقال: ﴿وَوَلَّوْهُمْ حَتَّى جِئَ﴾ الآيةتين. ثم نَرَّه نفسه عن قولهم بقوله: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ قال مقاتل: يعني عِزَّةً مَنْ يتعزَّر من ملوك الدنيا.

قوله تعالى: ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: من اتِّخَاذِ النساء والأولاد. ﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ فيه وجهان: أحدهما: تسليمة عليهم إكراماً لهم. والثاني: إخباره بسلامتهم. ﴿وَلَحْمَدٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على هلاك المُشْرِكِينَ ونُصْرَةِ الأنبياء والمرسلين<sup>(٣)</sup>.

(١) روى مسلم في «صحيحه» ٣٧١/١ عن حذيفة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «فعلنا على الناس ثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء».

(٢) قال ابن كثير: ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمَذْذَرِينَ﴾ أي: فبئس ما يصبحون، أي: بئس الصباح صباحهم، قال: ولهذا ثبت في «الصحيحين» عن أنس بن مالك ؓ قال: صَبَحَ رسول الله ﷺ خير، فلما خرجوا بفؤوسهم ومساحيهم وروأوا الجيش رجعوا وهم يقولون: محمد والله، محمد والخميس، فقال النبي ﷺ: «الله أكبر خربت خير، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين». اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: ﴿وَلَحْمَدٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول تعالى ذِكْره: والحمد لله ربَّ العالمين الجني والإنس خالصاً دون ما سواه، لأن كل نعمة لعباده، فمنه، فالحمد له خالص لا شريك له، كما لا شريك له في نعمته عنهم، بل كلُّها من يِّلِّه ومن عنده. اهـ.

## سورة ص

ويقال لها: سورة داود، وهي مكية [كُلُّهَا] بإجماعهم

فأما سبب نزول أولها، فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن قريشاً شكَّوا رسول الله ﷺ إلى أبي طالب، فقال: يا ابن أخي، ما تريد من قومك؟ فقال: «يا عم، إنما أريد منهم كلمة تذلُّ لهم بها العرب وتؤدي إليهم الجزية بها المعجم»، قال: كلمة؟ قال: «كلمة واحدة»، قال: ما هي؟ قال: «لا إله إلا الله»، فقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ فنزلت فيهم: ﴿ص وَالْقُرْآنِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا آتِئَاتٌ﴾<sup>(١)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾<sup>(٢)</sup> بِلِ اللّٰهِ كَرُّوا فِي عِزِّ وَشِقَاقٍ<sup>(٣)</sup> كَرَّ أَهْلَكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ بَيْنَ قَرْنٍ مَّادُوا وَلَآتٍ بَيْنَ مَنَاسٍ<sup>(٤)</sup>

واختلفوا في معنى «ص» على سبعة أقوال: أحدها: أنه قَسَمَ أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه بمعنى: صدَّق محمد، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: صدَّق الله، قاله الضحاك. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: معناه: صادق فيما وعد. وقال الزجاج: معناه: الصادق الله تعالى. والرابع: أنه اسم من أسماء القرآن، أقسم الله به، قاله قتادة. والخامس: أنه اسم حية رأسها تحت العرش وذنبها تحت الأرض السفلى، حكاه أبو سليمان الدمشقي، وقال: أظنه من عكرمة. والسادس: أنه بمعنى: حادث القرآن، أي: انظر فيه، قاله الحسن، وهذا على قراءة من كسروا، منهم ابن عباس، [والحسن]، وابن أبي عبيدة. قال ابن جرير: فيكون المعنى: صادِّ بِعَمَلِكَ الْقُرْآنِ<sup>(٥)</sup>، أي: عارضه. وقيل: عارضه على عملك<sup>(٦)</sup>، فانظر أين هو [منه]. والسابع: أنه بمعنى: صادَّ محمد قلوب الخلق واستمالها حتى آمنوا به وأحبوه، حكاه الثعلبي<sup>(٧)</sup>، وهذا على قراءة من فتح، وهي قراءة أبي رجاء، وأبي الجوزاء، وحמיד، ومحبوب عن أبي عمرو. قال الزجاج: والقراءة «صاد» بتسكين الدال، لأنها من حروف التهجِّي. وقد قرئت بالفتح وبالكسر؛ فمن فتحها، فعلى ضربين: أحدهما: لالتقاء الساكنين. والثاني: على معنى: أثل «صاد»، ويكون [صاد] اسماً للسورة لا ينصرف؛ ومن كسر، فعلى ضربين: أحدهما: لالتقاء الساكنين أيضاً. والثاني: على معنى: صاد القرآن بعملك، من قولك: صَادَى يُصَادِي: إذا قَاتَلَ وعادَلَ، يقال: صَادَيْتُهُ: إذا قَاتَلْتُهُ<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾ في المراد بالذِّكْر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الشُّرف، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، والسدي. والثاني: البيان، قاله قتادة. والثالث: التذكير، قاله الضحاك<sup>(٩)</sup>. فإن قيل: أين جواب القسم بقوله: ﴿ص وَالْقُرْآنِ﴾

(١) رواه أحمد، والترمذي ١٥٥/٢ عن ابن عباس، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم في مستدركه ٤٢٢/٢ وصححه، ووافقه الذهبي. ورواه الطبري ١٢٥/٢٣، والواحدي: ٢٠٩، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٩٥/٥، وزاد نسبه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس.

(٢) في الأصل: صاد بعملك القرآن، ولعله سهو من الناسخ، وقد كتب على الصواب بعد قليل، وما أثبتاه من «الطبري» وكتب التفسير «واللسان»: صدي. (٣) تقدم الكلام على الحروف التي في أوائل السور في التعليق الذي في أول سورة (العنكبوت) وغيرها بما أغنى عن إعادته هاهنا، وقد تكلم المصنف على ذلك في أول سورة (البقرة).

(٤) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القراءة في ذلك عندنا السكون في كل ذلك، لأن ذلك القراءة التي جاءت بها قراء الأمصار مستغنية فيهم، وأنها حروف هجاء لأسماء المسنجات، فيُتَرَتَّبُ إعراب الأسماء والأدوات والأمورات، فيُكَلِّمُ بهنَّ مسالكهنَّ، فتأويلها إذ كانت كذلك تأويل نظائرها التي قد تقدم بيانها فيما مضى: اهـ.

(٥) رجح الطبري القول الثالث، وهو أنه بمعنى التذكير، قال: لأن الله تعالى أتبع ذلك قوله: ﴿بِلِ اللّٰهِ كَرُّوا فِي عِزِّ وَشِقَاقٍ﴾ فكان معلوماً بذلك أنه إنما أعبر عن القرآن أنه أنزله ذكراً لعباده فذكرهم به، وأن الكفار من الإيمان به في حجة وشقاق. اهـ. وقال ابن كثير: إن في هذا القرآن لذكرى لمن يتذكَّرْ وهبرة لمن يعيِّر، وإنما لم يتطع به الكافرون، لأنهم ﴿بِلِ عِزِّ﴾ أي: استكبار عنه وحمية ﴿وَشِقَاقٍ﴾ أي: ومخالفة له ومعاندة ومفارقة. اهـ.

وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ فَعِنْدَهُ خَمْسَةُ أَجُوبَةٍ: أَحَدُهَا: أَنَّ «صَ» جَوَابُ لِقَوْلِهِ: «وَالْقُرْآنَ»، فـ «صَ» فِي مَعْنَاهَا، كَقَوْلِكَ: وَجِبَ وَالله، نَزَلَ وَالله، حَقُّ وَالله، قَالَ الْفَرَاء، وَتَعْلِب. وَالثَّانِي: أَنَّ جَوَابَ «صَ» قَوْلُهُ: ﴿كُرِّهْنَا لَكُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ يَوْمَ قَرْيَةٍ﴾، وَمَعْنَاهُ: لَكُمْ، فَلَمَّا طَالَ الْكَلَامُ، خُلِفَ اللَّامُ، وَمِثْلُهُ: ﴿وَالثَّانِي وَثَمَنُهَا ①﴾ ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [الشعر: ١ و٢]، فَإِنَّ الْمَعْنَى: لَقَدْ أَفْلَحَ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمَّا اعْتَرَضَ بَيْنَهُمَا كَلَامٌ، تَبَعَ قَوْلُهُ: «قَدْ أَفْلَحَ»، حِكَاةَ الْفَرَاء، وَتَعْلِب أَيْضاً. وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ قَوْلُهُ: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ أُمُوتًا﴾ [ص: ١٤]، حِكَاةَ الْأَخْفَش. وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَافُ أَهْلَ النَّارِ ②﴾ [ص: ١٤]، قَالَ الْكَسَائِيُّ، وَقَالَ الْفَرَاء: لَا نَجِدُهُ مُسْتَقِيمًا فِي الْعَرَبِيَّةِ، لِتَأْخُرَهُ جَدًّا عَنْ قَوْلِهِ: «وَالْقُرْآنَ». وَالخَامِسُ: أَنَّ جَوَابَهُ مُحذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ مَا الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ الْكُفَّارُ، وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَحذُوفِ قَوْلُهُ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَيُفَاقِقُونَ ③﴾، ذَكَرَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَفْسَرِينَ، وَإِلَى نَحْوِهِ ذَهَبَ قَتَادَةُ ④. وَالْوَجْهُ: الْحَمِيَّةُ وَالتَّكْبِيرُ عَنِ الْحَقِّ. وَقَرَأَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَأَبُو رَزِينٍ، وَابْنُ يَعْمَرَ، وَعَاصِمُ الْجَحْدَرِيُّ، وَمُحِبُّوبٌ عَنْ أَبِي عَمْرٍو: «فِي غِرَّةٍ» بِغَيْنٍ مُعْجَمَةٍ وَرَاءَ غَيْرِ مُعْجَمَةٍ. وَالشَّقَاقُ: الْخِلَافُ وَالْعِدَاوَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ الْكَلِمَتَيْنِ مُشْرُوحًا [البقرة: ١٣٨، ٢٠٦]. ثُمَّ خَوْفُهُمْ يَقُولُهُ: ﴿كُرِّهْنَا لَكُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ يَوْمَ قَرْيَةٍ﴾ يَعْنِي الْأُسْمَ الْخَالِيَةَ «قَتَادًا» عِنْدَ وَقُوعِ الْهَلَاكِ بِهِمْ. وَفِي هَذَا النَّدَاءِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ الدُّعَاءُ. وَالثَّانِي: الْإِسْتِنَاةُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجِيءُ نَاسٍ﴾ وَقَرَأَ الضَّحَّاكُ، وَأَبُو الْمُتَوَكَّلِ، وَعَاصِمُ الْجَحْدَرِيُّ، وَابْنُ يَعْمَرَ: «وَلَا تَجِيءُ» بِفَتْحِ التَّاءِ وَرَفْعِ التَّوْنِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَيْسَ حِينَ يَرُوهُ فِرَارٌ. وَقَالَ عَطَاءٌ: فِي لُغَةِ أَهْلِ الْيَمَنِ «لَا تَجِيءُ» بِمَعْنَى «لَيْسَ». وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مَنْبِهٍ: هِيَ بِالسَّرْيَانِيَّةِ. وَقَالَ الْفَرَاء: «لَا تَجِيءُ» بِمَعْنَى «لَيْسَ»، وَالْمَعْنَى: لَيْسَ بِحِينَ فِرَارٍ. وَمَنْ الْقَرَاءُ مَنْ يَخْفَضُ «لَا تَجِيءُ»، وَالْوَجْهُ النَّصْبُ، لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى «لَيْسَ»، أَنْشَدَنِي الْمُفَضَّلُ:

تَذَكَّرْتُ حُبَّ لَيْلَى لَا تَجِيءُ وَأَضْحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ الْقَرِينَا ⑤

قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: كَانَ الْفَرَاءُ وَالْكَسَائِيُّ وَالْخَلِيلُ وَسِيبُوهُ وَالْأَخْفَشُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ التَّاءَ فِي قَوْلِهِ: «وَلَا تَجِيءُ» مُنْقَطِعَةٌ مِنْ «حِينَ»، قَالَ: وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الْوَقْفُ عِنْدِي عَلَى هَذَا الْحَرْفِ «وَلَا»، وَالْإِبْتِدَاءُ «تَجِيءُ» ثَلَاثَ حُجَجٍ: إِحْدَاهَا: أَنَّ تَفْسِيرَ ابْنِ عَبَّاسٍ يَشْهَدُ لَهَا، لِأَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ حِينَ يَرُوهُ فِرَارٌ؛ فَقَدْ عَلِمَ أَنَّ «لَيْسَ» هِيَ أُخْتُ «لَا» وَفِي مَعْنَاهُ. وَالثَّانِيَةُ: أَنَّا لَا نَجِدُ فِي شَيْءٍ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ «وَلَا تَجِيءُ»، إِنَّمَا الْمَعْرُوفَةُ «لَا». وَالثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذِهِ التَّاءَ، إِنَّمَا وَجَدْنَاهَا تَلْحَقُ بِ«حِينَ» وَمَعَ «الْآنَ» وَمَعَ «أَوَّانَ»، فَيَقُولُونَ: كَانَ هَذَا تَحِينٌ كَانَ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ: «تَأَوَّانَ»، وَيُقَالُ: أَذْهَبَ تَلَّانَ، وَمِنَ قَوْلِ أَبِي وَجْزَةَ السَّعْدِيِّ:

الْعَاطِفُونَ تَجِيءُونَ مَا مِنْ عَاطِفٍ وَالْمُطْعِمُونَ زَمَانٌ مَا مِنْ مُطْعِمٍ ⑥

وَذَكَرَ ابْنُ قُتَيْبَةَ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ أَنَّ مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ: «الْعَاطِفُونَ» بِالْهَاءِ، ثُمَّ تَبَدَّى: «حِينَ» مَا مِنْ عَاطِفٍ؛ قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَهَذَا غَلَطٌ، لِأَنَّ الْهَاءَ إِنَّمَا تُفَعَّمُ عَلَى التَّوْنِ فِي مَوَاضِعِ الْقَطْعِ وَالسُّكُونِ، فَأَمَّا مَعَ الْإِتِّصَالِ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مُوْجُودٍ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ التِّيَّاسُ بَوْرِي: النُّحَوِيُّونَ يَقُولُونَ فِي قَوْلِهِ: «وَلَا تَجِيءُ» هِيَ «لَا» زِيدَتْ فِيهَا التَّاءُ، كَمَا قَالُوا: تَمَّ وَتَمَّتْ، وَوَبَّ وَوَبَّتْ، وَأَصْلُهَا هَاءٌ وَصَلَتْ بِ«لَا»، فَقَالُوا: «لَا»، فَلَمَّا وَصَلَتْهَا، جَعَلُوهَا تَاءً؛ وَالْوَقْفُ عَلَيْهَا بِالتَّاءِ عِنْدَ الزَّجَاجِ، وَأَبُو عَلِيٍّ، وَعِنْدَ الْكَسَائِيِّ بِالْهَاءِ، وَعِنْدَ أَبِي عُبَيْدَةَ الْوَقْفُ عَلَى «لَا» ⑦. فَأَمَّا الْمَنَاصُ، فَهُوَ الْفِرَارُ. قَالَ الْفَرَاءُ: التَّوَصُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: التَّأَخُّرُ وَالْتَوَصُّ: التَّخَدُّمُ، قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ:

(١) وهو الذي رجحه الطبري في «تفسيره».

(٢) البيت في «الطبري» ١٢٢/٢٣، و«مجمع البيان» ٩٥/٢٣، و«القرطبي» ١٤٧/١٥.

(٣) البيت في «مشكل القرآن» ٤٠٤، و«الطبري» ١٢٣/٢٣، و«اللسان» و«التاج»: حين.

(٤) قال ابن كثير: وهذه الكلمة وهي «لَا تَجِيءُ» هي «لَا» التي للفتي زيدت معها التاء كما تزداد في «ثم» فيقولون: «ثمنت» و«وبت» فيقولون: «وبت» - وهي مفصولة (بمعنى كلمة «لَا») والوقف عليها، قال: «وهم من حكى عن المصنف الإمام فيما ذكره ابن جرير أنها متصلة بـ «حين» «لَا تَجِيءُ مناص» قال: والمشهور الأول، قال: ثم قرأ الجمهور بنصب «حين» تقديره: وليس حين حين مناص. اهـ.

أَمِنْ ذِكْرِ سَلَمَى إِذْ نَأَتْكَ تَنُوصُ فَتَقْصُرُ عَنْهَا عَظُوءٌ وَتَبُوصُ<sup>(١)</sup>

وقال أبو عبيدة: التناص، مصدر ناص يتوص، وهو المنجى والفوز.

﴿وَيَعْبَرُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُذِيرٌ مِنْهُمْ﴾ وَقَالَ الْكُفَرُونَ هَذَا سَجَرٌ كَذَّابٌ ﴿١﴾ أَجْمَلَ الْآلِهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَكُنْءٌ حُجَابٌ ﴿٢﴾ وَأَنْطَلَقَ الْكَلَّا مِنْهُمْ أَنْ أَمَشُوا وَأَسِيرُوا عَلَى الْهَيْكَلِ إِنَّ هَذَا لَكُنْءٌ يُرَادُ ﴿٣﴾ مَا يَمَعًا يَهْدَا فِي السِّلَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَنْطَلَقُ ﴿٤﴾ أَمْرٌ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ يَتِينًا بَلْ لَمْ يَشَأْ بَلْ لَمْ يَدْعُوا عَذَابَ ﴿٥﴾ أَمْرٌ عِنْدَهُ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٦﴾ أَمْرٌ لَهُمْ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿٧﴾ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَعْبَرُوا﴾ يعني الكفار ﴿أَنْ جَاءَهُمْ مُذِيرٌ مِنْهُمْ﴾ يعني رسولاً من أنفسهم يُنذِرُهُم النَّارَ. ﴿أَجْمَلَ الْآلِهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ لانه دعاهم إلى الله وحده وأبطل عبادة آلهتهم؛ وهذا قولهم لما اجتمعوا عند أبي طالب، وجاء رسول الله ﷺ فقال: «أعطوني كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم، وهي «لا إله إلا الله»، فقاموا يقولون: «أَجْمَلَ الْآلِهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا»، ونزلت هذه الآية فيهم<sup>(٢)</sup>. ﴿إِنَّ هَذَا﴾ [الذي] يقول محمد من أن الآلهة إله واحد ﴿لَكُنْءٌ حُجَابٌ﴾ أي: لأمْرٌ عَجَبٌ. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو العالية، وابن يعمر، وابن السميع: «عُجَابٌ» بتشديد الجيم. قال اللغويون: العُجَاب والعُجَاب والعجيب بمعنى واحد، كما تقول: كَبِيرٌ وَكِبَارٌ وَكُبَارٌ، وَكَرِيمٌ وَكِرَامٌ وَكُرَامٌ، وَطَوِيلٌ وَطَوَالٌ وَطَوَّالٌ؛ وأنشد الفراء:

جَاؤُوا بِصَيْدٍ عَجَبٍ مِنَ الْعَجَبِ أَزِيرِقِ الْعَيْنَيْنِ طَوَالِ الذَّنْبِ<sup>(٣)</sup>

قال قتادة: عجب المشركون أن دُعي الله وَخَذَهُ، وقالوا: أَيْسَمَعُ لِحَاجَاتِنَا جَمِيعاً إِلَهٌ وَاحِدٌ؟

قوله تعالى: ﴿وَأَنْطَلَقَ الْكَلَّا مِنْهُمْ﴾ قال المفسرون: لما اجتمع أشراف قريش عند أبي طالب وشكوا إليه رسول الله ﷺ على ما سبق بيانه، نفروا من قول: «لا إله إلا الله»، وخرجوا من عند أبي طالب، فذلك قوله: ﴿وَأَنْطَلَقَ الْكَلَّا مِنْهُمْ﴾. والانطلاق: الذَّهَابُ بسهولة، ومنه طَلَاةُ الرَّجُلِ. والملا: أشراف قريش. فخرجوا يقول بعضهم لبعض: «أَمَشُوا». و﴿أَنْ﴾ بمعنى «أي»؛ فالمعنى: أي: امشوا. قال الزجاج: ويجوز أن يكون المعنى: انطلقوا بأن امشوا، أي: انطلقوا بهذا القول. وقال بعضهم: المعنى: انطلقوا يقولون: امشوا إلى أبي طالب فاشكوا إليه ابن أخيه، ﴿وَأَسِيرُوا عَلَى الْهَيْكَلِ﴾ أي: اثبتوا على عبادتها ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي نراه من زيادة أصحاب محمد ﴿لَكُنْءٌ يُرَادُ﴾ أي: لأمْرٌ يُرَادُ بِتَأ. ﴿مَا يَمَعًا يَهْدَا﴾ الذي جاء به محمد من التوحيد ﴿فِي السِّلَةِ الْآخِرَةِ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: النصرانية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وإبراهيم بن المهاجر عن مجاهد، وبه قال محمد بن كعب القرظي، ومقاتل. والثاني: أنها ملة قريش، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال قتادة. والثالث: اليهودية والنصرانية، قاله الفراء، والزجاج؛ والمعنى أن اليهود أشركت بعزير، والنصارى قالت: ثالث ثلاثة، فلهذا أُنْكِرَتِ التَّوْحِيدَ. ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي جاء به محمد ﷺ ﴿إِلَّا أَنْطَلَقُ﴾ أي: كذب. ﴿أَمْرٌ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ يعنون القرآن. «عليه» يعنون رسول الله ﷺ، ﴿وَيَتِينًا﴾ أي: كيف خُصَّ بهذا دوننا وليس بأعلانا نسباً ولا أعظمنا شرفاً؟ قال الله تعالى: ﴿بَلْ لَمْ يَشَأْ بَلْ لَمْ يَدْعُوا تَنْ ذِكْرِي﴾ أي: من القرآن والمعنى أنهم ليسوا على يقين مما يقولون، إنما هم شاؤون ﴿بَلْ لَمْ يَشَأْ﴾ قال مقاتل: «لَمَّا» بمعنى «لم» كقوله: ﴿وَلَمَّا يَخْلُ الْإِنْسُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]. وقال غيره: هذا تهديد لهم؛ والمعنى أنه لو نزل بهم العذاب، علموا أن ما قاله محمد حق. وأثبت ياء «عَذَابٍ» في الحالين يعقوب. قال الزجاج: ولما دَلَّ قولهم: ﴿أَمْرٌ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ على حسدهم له، أعلم الله ﷻ أن المُلْكَ والرَّسَالَةَ إِلَيْهِ، فقال: ﴿أَمْرٌ عِنْدَهُ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ ١٩ قال المفسرون: ومعنى الآية: أبأيديهم مفاتيح النِّبوة فيضعونها حيث

(١) «ديوانه» ١٧٧، و«غريب القرآن» ٣٧٦، و«الطبري» ١٢٠/٢٣، و«مختار الشعر الجاهلي» ١٢٧/١، و«المصاح» و«اللسان» و«التاج»: بوض.

(٢) تقدم تخريج الحديث في أول السورة حيث ذكر المصنف هناك سبب نزول هذه الآيات من أول السورة إلى هنا، وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٤١: «روى الترمذي والنسائي وابن حبان وأحمد وإسحاق وأبو يعلى والطبري وابن أبي حاتم وغيرهم، من طريق يحيى بن عمار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ؓ قال: مرض أبو طالب فجاهته قريش وجاء النبي ﷺ... الحديث.

(٣) البيت في «مجمع البيان» ٩٤/٢٣.



شاؤوا؟ والمعنى: ليست بأيديهم، ولا مُلْكُ السموات والأرض لهم، فإن ادَّعَوْا شيئاً من ذلك ﴿فَلْيَرْتَوُوا فِي الْآسِيبِ﴾ قال سعيد بن جبيرة: أي: في أبواب السماء. وقال الزجاج: فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء.

قوله تعالى: ﴿جُنْدٌ﴾ أي: هُمُ جُنْدٌ. والجُنْدُ: الأتباع، فكانه قال: هُمُ أتباعٌ مقلدون ليس فيهم عالمٌ راشد. و﴿مَّا﴾ زائدة، و﴿مُنَالِكُ﴾ إشارة إلى بدر. والأحزاب: جميع مَنْ تَقَلَّمَهُم من الكفار الذين تحرَّبووا على الأنبياء. قال قتادة: أخبر الله نبيّه وهو بمكة أنه سيَهْزِمُ جُنْدَ المشركين، فجاء تأويلها يوم بدر.

﴿كَذَّبَ قَلْبُهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُرُّ الْأَوْتَادِ ۖ وَثَمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٌ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ۖ﴾ [١٣] إن كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ ۖ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ قَلْبُهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ﴾ (١) قال أبو عبيدة: قَوْمٌ من العرب يؤثنون «القوم»، وقوم يذكرون، فإن احْتَجَّ عليهم بهذه الآية، قالوا: وقع المعنى على العشيرة، واحتجوا بقوله: ﴿لَا إِنَّمَا تَذَكَّرُ﴾ [عس: ١١]، قالوا: والمُضْمَرُ مذكَّر.

قوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُرُّ الْأَوْتَادِ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أنه كان يعذَّبُ الناس بأربعة أوتاد يشدُّهم فيها، ثُمَّ يرفع صخرة فتلقى على الإنسان فتشُدُّه، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وكذلك قال الحسن، ومجاهد: كان يعذَّبُ الناس بأوتاد يؤتدُّها في أيديهم وأرجلهم. والثاني: أنه ذو البناء المُحْكَم، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الضحاک، والقرظي، واختاره ابن قتيبة، قال: والعرب تقول: هُمُ في عزٍّ ثابت الأوتاد، ومُلْكٌ ثابت الأوتاد، يريدون أنه دائم شديد، وأصل هذا، أن البيت [من بيوتهم] يثبت بأوتاد، قال الأسود بن يَغْفَر:

وَلَقَدْ عَنُوتُ فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ      فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ (٢)

والثالث: أن المراد بالأوتاد: الجنود، رواه عطية عن ابن عباس، وذلك أنهم كانوا يشدُّون مُلْكَه وَيُقَوُّون أمره كما يقوِّي التوتد الشيء. والرابع: أنه كان يبني متاراً يذبح عليها الناس. والخامس: أنه كان له أربع أسطوانات، فيأخذ الرَّجُلُ فيمُدُّ كُلَّ قَائِمَةٍ إِلَى أسطوانة فيعذِّبُه، روي القولان عن سعيد بن جبيرة. والسادس: أنه كانت له أوتاد وأرسان وملاعب يُلْقَبُ له عليها، قاله عطاء، وقاتدة (٣). ولَمَّا ذَكَرَ المَكْذِبِينَ، قال: ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ فأعلمنا أن مشركي قريش من هؤلاء، وقد عذِّبوا وأهلكوا، ﴿فَحَقَّ عِقَابُ﴾ (٤)، أثبت الياء في الحاليين يعقوب. ﴿وَمَا يَنْظُرُ﴾ أي: وما ينتظر ﴿هَؤُلَاءِ﴾ يعني كفار مكة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ وفيها قولان: أحدهما: أنها النفخة الأولى، قاله مقاتل. والثاني: النفخة الأخيرة، قاله ابن السائب (٥). وفي الفَوَاقِ قراءتان: قرأ حمزة، وخلف، والكسائي: بضم الفاء. وقرأ الباقون:

(١) قلل ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء القرون الماضية وما حلَّ بهم من العذاب والتكال والنقمات في مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال: وقد تقدمت قصصهم مبسطة في أماكن متعددة. اهـ.

(٢) البيت في «غريب القرآن» ٣٧٧، و«البحر المحيط» ٣٨٦/٧، و«القرطبي» ١١٥/١٥، و«المفصليات» ٢١٧. ومعنى «عَنُوتُ»: أقاموا، يقال: عَنِينَا بمكان كذا وكذا.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عَنِي بذلك الأوتاد، إما لتعذيب الناس، وإما لَلْقَبِ كَانَ يُلْقَبُ له بها، وذلك أن ذلك هو المعروف من معنى الأوتاد (وتمود. وقوم لوط) فود ذكرنا أخبار كلِّ هؤلاء فيما مضى قبل من كتابنا هذا، قال: ﴿وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ يعني: وأصحاب النيفضة. اهـ.

(٤) في الأصل: فكيف كان عقاب، ولعل المصنف رحمه الله اشتبهت عليه هذه الآية بآية سورة [الرعد: ٣٢]. قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ يقول تعالى ذِكْرُه: هؤلاء الجماعات المجتمعة والأحزاب المتحزبة على معاصي الله والكفر به، الذين منهم يا محمد مشركو قومك، وهم مسلوكون بهم سبيلهم ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ يقول: ما كل هؤلاء الأمم إلا كذب رسل الله ﴿فَحَقَّ عِقَابُ﴾ يقول: فوجب عليهم عقاب الله إياهم. اهـ. وقال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ أي: كانوا أكثر منكم، وأشدَّ قوة، وأكثر أموالاً وأولاداً، فما دفع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لَمَّا جاء أمر ربك، قال: ولهذا قال ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ﴾ ﴿١٥﴾ فجعل علَّةً إهلاكهم هو تكذيبهم بالرسل، فليحذر المخاطبون من ذلك أشدَّ الحذر. اهـ.

(٥) قال ابن كثير: وهذه الصيحة، هي نفخة الفزع التي يأمر الله تعالى إسرائييل أن يطولها فلا يبقى أحد من أهل السموات والأرض إلا فزع، إلا من استثنى الله ﷻ. اهـ.

بفتحها. وهل بينهما فرق، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنهما لغتان بمعنى واحد، وهو معنى قول الفراء، وابن قتيبة، والزجاج. قال الفراء: والمعنى: ما لها من راحة ولا إفاقة، وأصله من الإفاقة في الرضاع إذا ارتضعت البهيمة أمها ثم تركتها حتى تنزل شيئاً من اللبن، فتلك الإفاقة. وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «العبادة قُلُورُ فُوقٍ نَاقَةٍ»<sup>(١)</sup>. ومن يفتح الفاء، فهي لغة جيدة عالية. وقال ابن قتيبة: الفُوق والفُوق واحد، وهو أن تُحَلَبِ النَّاقَةُ وتُتَرَكُ ساعة حتى تُنْزَلَ شيئاً من اللبن، ثم تُحَلَبِ، فما بين الحَلْبَيْنِ فُوق، فاستعير الفُوق في موضع المكث والانتظار. وقال الزجاج: الفُوق: ما بين حَلْبَتِي النَّاقَةِ، وهو مشتق من الرُّجُوع، لأنه يَعُودُ اللَّبَنُ إلى الضَّرْعِ بين الحَلْبَتَيْنِ، يقال: أفاق من مرضه، أي: رَجَعَ إلى الصُّحَّةِ. والثاني: أن مَنْ فتحها، أراد: ما لها من راحة، ومن ضمَّها، أراد: فُوق النَّاقَةِ، قاله أبو عبيدة. وللمفسرين في معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: ما لها من رجعة، ثم فيه قولان: أحدهما: مالها من ترداد، قاله ابن عباس، والمعنى أن تلك الصيحة لا تُكَرَّرُ. والثاني: ما لها من رجوع إلى الدنيا، قاله الحسن، وقتادة، والمعنى أنهم لا يعودون بعدوا إلى الدنيا. قاله الحسن، وقتادة، والمعنى أنهم لا يعودون بعدوا إلى الدنيا. والثاني: ما لهم منها من إفاقة، بل تُهْلِكُهم، قاله ابن زيد. والثالث: مالها من قُتُور ولا انقطاع، قاله ابن جرير. والرابع: ما لها من راحة، حكاية جماعة من المفسرين.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا لَكَ فَلْتَنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (١) أَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرَ عِدَّتَكَ كَاوَدَ ذَا الْأَيْمِ إِنَّهُ أَوَّلُ ﴿٢﴾ إِنَّا سَخَرْنَا لِهَاجِلٍ مَعَهُ يَمِينًا وَالنَّارِ وَالْإِشْرَاقِ ﴿٣﴾ وَالطَّيْرِ تَحْشُرُهُ كُلُّ لَهْمٍ أَوَّلُ ﴿٤﴾ وَكَذَبْنَا مُلْكَهُمْ وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْفُطُوحِ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا لَكَ فَلْتَنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ في سبب قولهم هذا قولان: أحدهما: أنه لما ذُكِرَ لهم ما في الجنة، قالوا هذا، قاله سعيد بن جبير، والسدي. والثاني: أنه لما نزل قوله: ﴿فَلْتَنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾... الآية (الناقة: ١٩ - ٢٧)، قالت قريش: زعمت يا محمد أننا نؤتي كتبنا بشمائلنا؟ فعجل لنا قُلْتَنَا، يقولون ذلك تكديباً له، قاله أبو العالية، ومقاتل<sup>(٢)</sup>. وفي المراد بالقُلْت أربعة أقوال: أحدها: أنه الصحيفة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال الفراء: القُلْت في كلام العرب: الصُّكَّ، وقال أبو عبيدة: القُلْت: الكتاب، والقُطُوط: الكتب بالجواز، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: أن القُلْت: الحساب، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه القضاء، قاله عطاء الخراساني، والمعنى أنهم لما وُعِدوا بالقضاء بينهم، سألوا ذلك. والرابع: أنه النصيب، قاله سعيد بن جبير<sup>(٣)</sup>. [قال الزجاج: القُلْت: النصيب، وأصله: الصحيفة يُكْتَبُ لِلْإِنْسَانِ<sup>(٤)</sup> فيها شيء يُصَلُّ إليه، واشتقاقه من قَطَطْتُ، أي: قَطَعْتُ، فالنصيب: هو القطعة من الشيء. ثم في هذا القول للمفسرين قولان: أحدهما: أنهم سألوه نصيبهم من الجنة، قاله سعيد بن جبير. والثاني: سألوه نصيبهم من العذاب، قاله قتادة. وعلى جميع الأقوال، إنما سألوا ذلك استهزاءً، لتكذيبهم بالقيامة. ﴿أَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي: من تكذيبهم وأذاهم؛ وفي هذا قولان: أحدهما: أنه أَمِر بالصبر، سلوكاً لطريق أولي العزم، وهذا مُحْكَم. والثاني: أنه منسوخ بآية السيف فيما زعم الكلبي.

(١) هذا الحديث ذكره الحافظ السيوطي في «الجامع الصغير» من رواية البيهقي في «شعب الإيمان» عن أنس بن مالك رضي الله عنه بلفظ: «العبادة قُلُورُ فُوقٍ نَاقَةٍ» ولم يتكلم عليه الحافظ المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير بشيء، بل قال: ورواه عنه النعماني بلا سند. اهـ.

(٢) ذكر هذين القولين الطبرسي في مجمع البيان كما هما هنا بدون سند، وكذلك ذكر هذا المعنى البيهقي والخازن بدون سند.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن القوم سألوا ربهم تعجيل حكايتهم بظوظهم من الخير أو الشر الذي وعد الله عباده أن يؤتوهما في الآخرة قبل يوم القيامة في الدنيا، استهزاءً بوعيد الله، قال: وإنما قلنا: إن ذلك كذلك، لأن القُلْت هو ما وصفت من الكتب بالجواز والحظوظ، وقد أخبر الله عن هؤلاء الفسركين أنهم سألوه تعجيل ذلك لهم، ثم أتبع ذلك قوله لبيبة: ﴿أَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ فكان معلوماً بذلك أن سألهم ما سألوا النبي ﷺ، لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم، لم يكن بالذي يتبع الأمر بالصبر عليه، ولكن لما كان ذلك استهزاءً وكان فيه لزوم لرسول الله ﷺ، أدى، أمره الله بالصبر عليه منهم حتى يأتيه قضاؤه فيهم، ولما لم يكن في قوله: ﴿عَجَلْنَا لَكَ فَلْتَنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ بيان أي القُطُوط إرادتهم، لم يكن لنا توجيه ذلك إلى أنه معني به القُطُوط ببعض معاني الخير أو الشر، فلذلك قلنا: إن منالهم كانت بما ذكرت من حظوظهم من الخير والشر. اهـ.

(٤) في الأصل: الإنسان.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾ في وجه المناسبة بين قوله: «اصبر» وبين قوله: «واذكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ» قولان أحدهما: أنه أُمِرَ أن يتقوى على الصَّبر بِذِكْرِ قُوَّةِ دَاوُدَ على العبادة والطاعة. والثاني: أن المعنى: عَرَّفَهُم أن الأنبياء ﷺ مع طاعتهم - كانوا خائفين مِنِّي، هذا دَاوُدُ مع قُوَّتِهِ على العبادة، لم يزل بأكياً مستغفراً، فكيف حالُّهم مع أفعالهم؟! فاما قوله: ﴿فَاذْكُرْ﴾ فقال ابن عباس: هي القُوَّةُ في العبادة. وفي «الصححين» من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ الصَّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ»<sup>(١)</sup>. وفي الأَوَابِ أقوال قد ذكرناها في (بني إسرائيل: ٢٥). ﴿لَمَّا سَخَّرْنَا لِبَالِجَالٍ مَعَهُ يُسَيِّحْنَ﴾. قد ذكرنا تسييح الجبال معه في (الأنبياء: ٧٩)، وذكرنا معنى العَشِيِّ في مواضع مما تقدم (آل عمران: ٤١)، الانعام: ٥٣، وذكرنا معنى الإِشْرَاقِ في (الحجر: ٧٣) عند قوله: ﴿ثُمَّ يَكُونُ﴾. قال الزجاج: الإِشْرَاقُ: طُلُوعُ الشَّمْسِ [وإضاءتها]. وروي عن ابن عباس أنه قال: طَلَبْتُ صَلَاةَ الضُّحَى، فلم أجدها إلا في هذا الآية. وقد ذكرنا عنه أن صلاة الضُّحَى مذكورة في (النور: ٣٦) في قوله: ﴿بِالضُّحَى وَالْأَصَالِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ﴾ وقرأ عكرمة، وأبو الجوزاء، والضحاك، وابن أبي عبيدة: «وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ» بالرفع فيهما، أي: مجموعة إليه، تَسْبَحُ الله معه ﴿كُلُّ لَهْجَةٍ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى دَاوُدَ، أي: كُلُّ لَدَاوُدَ ﴿وَأَوَّلُ﴾ أي: وَجَّاعٌ إلى طاعته وأمره، والمعنى: كُلُّ لَهْجَةٍ مُطِيعٌ بِالتَّسْبِيحِ معه، هذا قول الجمهور. والثاني: [أنها] ترجع إلى الله تعالى، فالمعنى: كُلُّ مَسْبُوحٍ لله، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَا مُلْكَهُ﴾ أي: قُوَّتِيَّاهُ. وفي ما شُدَّ به مُلْكُهُ قولان: أحدهما: أنه الحَرَسُ والجنود؛ قال ابن عباس: كان يحرسه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل. والثاني: أنه هَيِّئَ أَلْفَيْتَ لَهْ فِي قُلُوبِ النَّاسِ؛ وهذا المعنى مروي عن ابن عباس أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَا أَلْكَمَةَ﴾ وفيها أربعة أقوال: أحدها: أنها الفَهْمُ، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد. والثاني: الصَّوَابُ، قاله مجاهد. والثالث: السُّنَّةُ، قاله قتادة. والرابع: النُّبُوَّةُ، قاله السدي. وفي فصل الخطاب أربعة أقوال: أحدها: عِلْمُ الْقَضَاءِ وَالْعَدْلِ، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: بَيَانُ الْكَلَامِ، روي عن ابن عباس أيضاً. وذكر الماوردي أنه البيان الكافي في كل غرض مقصود. والثالث: قوله «أما بعد»، وهو أول من تكلم بها، قاله أبو موسى الأشعري، والشعبي. والرابع: تكليف المدعى البيِّنة، والمدعى عليه اليمين، قاله شريح، وقاتدة؛ وهو قول حسن، لأن الخصومة إنما تُفْصَلُ بهذا.

﴿وَمَلَّ أَنْتَكَ نَبُوَّ الْحَصَمِ إِذْ سَرَوْا الْحَرْبَ﴾ (١) إِذْ سَكَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَمَرَّجَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ حَصَمَانِ بَيْنَ بَعْضِنَا عَلَى بَعْضٍ فَانْكَرَ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُطِيعُوا وَاهِدًا إِلَى سَوَاءٍ الصَّرِيحِ (٢) إِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَمْ يَسَعْ رِيشُوكُمْ وَهَجَّةٌ وَلَيْ هَجَّةٌ وَاجِدَةٌ فَقَالَ أَكْوَلِيْنِيَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِيمِكَ إِنَّكَ يَلْعَابُوكَ كَأَنَّ كَيْدَ بَيْنَ لَلْمَلَكَةِ لَبِئْسَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقِيلَ لَهُمْ وَعَلَى دَاوُدَ أَنْتُمْ فَتَنَّهُ فَاسْتَقَرَّ رِيْءُهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٤) فَفَتَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَكَاِبِ (٥) يَذْكُرُ إِذَا جَعَلْتَكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَانْكَرَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَعْزِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ تُبْأَلَى يَوْمَ الْحِسَابِ (٦)

قوله تعالى: ﴿وَمَلَّ أَنْتَكَ نَبُوَّ الْحَصَمِ﴾ قال أبو سليمان: المعنى: قد أتاك فاستمع له نقضص عليك. واختلف العلماء في السبب الذي امتحن لأجله دَاوُدَ ﷺ بما امتحن به على خمسة أقوال: أحدها: أنه قال: يا رب قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذَّكْرِ ما لو وِذْتُ أَنَّكَ أعطيتني مثله، فقال الله تعالى: إني ابتليتهم بما لم أبتليكَ به، فإن شئت ابتليكَ بمثل ما ابتليتهم به وأعطيتكَ كما أعطيتهم؟ قال: نعم، فبينما هو في محرابه إذ وقعت عليه حمامة، فأراد أن يأخذها فطارَتْ، فذهب ليأخذها، فرأى امرأة تغتسل، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال السدي<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه ما

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ١٤/٣، ومسلم ٨١٦/٢ باختلاف يسير في الفاظه، والحديث رواه أيضاً أبو داود، والنسائي، وابن ماجه وغيرهم.

(٢) رواه الطبري من رواية العوفي عن ابن عباس ١٤٦/٢٣ والعوفي ضعيف، ورواه عن السدي بنحو ١٤٧/٢٣.

زال يجتهد في العبادة حتى برز له قرناؤه من الملائكة وكانوا يصلون معه ويسعدونه بالبكاء، فلما استأنس بهم، قال: أخبروني بأي شيء أنتم موكلون؟ قالوا: ما نكتب عليك ذنباً، بل نكتب صالح عملك ونثبتك ونوفقك ونصرف عنك الشؤم، فقال في نفسه: ليت شعري، كيف أكون لو خلّوني ونفسي؛ وتمنى أن يخلّى بينه وبين نفسه ليتعلم كيف يكون، فأمر الله تعالى قرنائه أن يعتزلوه ليتعلم أنه لا غناء به عن الله ﷻ، فلما فقدهم، جد واجتهد ضعفت عبادته إلى أن ظن أنه قد غلب نفسه، فأراد الله تعالى أن يعرفه ضعفه، فأرسل إليه طائراً من طيور الجنة، فسقط في محرابه، فقطع صلاته ومدّ يده إليه، فتنحى عن مكانه، فأتبعه بصره، فإذا امرأة أوريا، هذا قول وهب بن منبه<sup>(١)</sup>. والثالث: أنه تذاكر هو وبني إسرائيل، فقالوا: هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنباً؟ فأضمر داود في نفسه أنه سيطبق ذلك، فلما كان يوم عبادته، أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد وأكب على قراءة الزبور، فإذا حمامة من ذهب، فاهوى إليها فطارت، فتبعها فرأى المرأة، رواه مطر عن الحسن<sup>(٢)</sup>. والرابع: أنه قال لبني إسرائيل حين ملك: والله لأغلبن بينكم، ولم يستن، فابتلي، رواه قتادة عن الحسن. والخامس: أنه أعجبه كثرة عمله، فابتلي، قاله أبو بكر الوراق<sup>(٣)</sup>.

### الإشارة إلى قصة ابتلائه

قد ذكرنا عن وهب أنه قال: كانت الحمامة من طيور الجنة. وقال السدي: تصوّر له الشيطان في صورة حمامة. قال المفسرون: إنه لما تبع الحمامة، رأى امرأة في بستان على شطّ بركة لها تغتسل، وقيل: بل على سطح لها، فعجب من حسنها، فحانت منها التفاتة فرأت ظلّه، فنقضت شعرها، فغطى بدنّها، فزاده ذلك إعجاباً بها، فسأل عنها، فقيل: هذه امرأة أوريا، وزوجها في غزاة، فكتب داود إلى أمير ذلك الجيش أن ابعث أوريا إلى موضع كذا وكذا، وقدمه قبل التابوت، وكان من قدم على التابوت لا يحلّ له أن يرجع حتى يفتّح عليه أو يستشهد، ففعل ذلك، ففتّح عليه، فكتب إلى داود يخبره، فكتب إليه أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا، ففتّح له، فكتب إليه أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا، فقتل في المرأة الثالثة، فلما انقضت عدّة المرأة تزوّجها داود، فهي أم سليمان، فلما دخل بها لم<sup>(٤)</sup> يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله ﷻ ملكين في صورة إنسيين، وقيل: لم يأتهم الملكان حتى جاء منها سليمان وشبّ، ثم أتياه فوجدها في محراب عبادته، فمتعهما الحرس من الدخول إليه، فتسوروا المحراب عليه؛ وعلى هذا الذي ذكرناه من القصة أكثر المفسرين<sup>(٥)</sup>، وقد روى نحوه العوفي عن ابن عباس، وروي عن الحسن، وكتادة، والسدي، ومقاتل في آخرين. وذكر جماعة من المفسرين أن داود لما نظر إلى المرأة، سأل عنها، وبعث زوجها إلى الغزاة مرة بعد مرة إلى أن قُتل، فتزوّجها؛ وروي مثلاً [هذا] عن ابن عباس، ووهب، والحسن في جماعة. قال المصنّف: وهذا لا يصح من طريق النقل، ولا يجوز من حيث المعنى، لأن الأنبياء منزّهون عنه. وقد اختلف المحققون في ذنبه الذي عُوتب عليه على أربعة أقوال: أحدها: أنه لما هوىها، قال لزوجها: تحوّل لي عنها، فعُوتب على ذلك. وقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما زاد داود على أن قال لصاحب المرأة: أكفّلينيها وتحوّل لي عنها؛ ونحو ذلك روي عن ابن مسعود<sup>(٦)</sup>. وقد حكى أبو سليمان

(١) ذكر الطبري ١٤٩/٢٣ بسند فيه جهالة من رواية ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه، والله أعلم.

(٢) رواء الطبري ١٤٨/٢٣ من رواية مطر عن الحسن، ومطر هو ابن طهمان الوراق، أبو رجاء، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: صدوق كثير الخطأ.

(٣) قال ابن كثير عن تفسير هذه الآية: قد ذكر المفسرون هاتنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتّباعه، قال: ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده، لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ﷺ، وي زيد وإن كان من الصالحين، لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة، قال: فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يؤدّ علمها إلى الله ﷻ، فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضاً. اهـ. وخبر يزيد الرقاشي، ذكره بطوله الطبري في «تفسيره» من رواية ابن لهيعة عن أبي صخر عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك ﷺ، وهو خبر لا يصح سنده كما قال الحافظ ابن كثير.

(٤) في الأصل: فلم.

(٥) وقد رأيت قول ابن كثير قبل قليل: قد ذكر المفسرون هاتنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتّباعه.

(٦) «الطبري» ١٤٤/٢٣، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٠٣/٥ من رواية عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، ومن رواية ابن جرير عن ابن مسعود.

الدمشقي أنه بعث إلى أوريا فأقدمه من غزاته، فأدناه وأكرمه جدًّا، إلى أن قال له يوماً: أنزل لي عن امرأتك؛ وانظر أي امرأة شئت في بني إسرائيل أزوجهكها، أو أي أمة شئت أبتاعها لك، فقال: لا أريد بامرأتي بديلاً؛ فلما لم يُجبه إلى ما سأله، أمره أن يرجع إلى غزاته. والثاني: أنه تمنى تلك المرأة حلالاً، وحدث نفسه بذلك، فاتفق غزو أوريا وهلاكه من غير أن يسعى في سبب قتله ولا في تعريضه للهلاك، فلما بلغه قتله، لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جُنْدِه، ثم تزوج امرأته، فعُوتِبَ على ذلك. وذُنُوبُ الأنبياء ﷺ وإن صغرَتْ، فهي عظيمةٌ عند الله ﷻ. والثالث: أنه لما وقع بصره عليها، أشبع النَّظَرَ إليها حتى عَلِقَتْ بقلبه<sup>(١)</sup>. والرابع: أن أوريا كان قد خطب تلك المرأة، فخطبها داود مع علمه بأن أوريا قد خطبها، فتزوجها، فاغتم أوريا، وعاتب الله تعالى داود إذ لم يتركها لخطبها الأول؛ واختار القاضي أبو يعلى هذا القول، واستدل عليه بقوله: ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ﴾، قال: فدلَّ هذا على أن الكلام إنما كان بينهما في الخطبة، ولم يكن قد تقدَّم تزوج الآخر، فعُوتِبَ داود ﷺ لثنيْنِ ينبغي للأنبياء النَّزْهَ عنهما، أحدهما: خطبته على خطبته غيره، والثاني: إظهار الجِزْص على التزويج مع كثرة نسائه، ولم يعتقد ذلك معصية، فعاتبه الله تعالى عليها؛ قال: فأما ما روي أنه نظر إلى المرأة فهويها وقدم زوجه للقتل، فإنه وجه لا يجوز على الأنبياء، لأن الأنبياء لا يأتون المعاصي مع العلم بها<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: إنما قال: «الْخُصْمُ» بلفظ الواحد، وقال: «تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ» بلفظ الجماعة، لأن قولك: خصم، يَصْلُحُ للواحد والاثنين والجماعة والذكر والأنثى، تقول: هذا خصم، وهي خصم، وهما خصم، وهم خصم؛ وإنما يصلح لجميع ذلك لأنه مصدر، تقول: حَصَمْتُهُ أَحْصَمُهُ خَصْماً. والمحراب هاهنا كالغرفة، قال الشاعر:

رَيْةٌ مِخْرَابٍ إِذَا جِئْتُهَا      لَمْ أَلْقَهَا أَوْ أَرْتَقِي سُلَّمًا<sup>(٣)</sup>

و«تسوروا» يدل على علو. قال المفسرون: كانا ملكين، وقيل: هما جبريل وميكائيل ﷺ، أتياه لينبئاه على التوبة. وإنما قال: «تسوروا» وهما اثنان، لأن معنى الجمع ضم شيء إلى شيء، والاثنتان فما فوقهما جماعة.

قوله تعالى: ﴿إِذْ سَأَلُوا عَلَى دَاوُدَ﴾ قال الفراء: يجوز أن يكون معنى «تسوروا»: دَخَلُوا، فيكون تكراراً؛ ويجوز أن تكون «إذ» بمعنى «لما»، فيكون المعنى: إذ تسوروا المحراب لما دَخَلُوا، ولما تسوروا إذ دخلوا.

قوله تعالى: ﴿فَفَرَعَ بَيْنَهُمْ﴾ وذلك أنهما أتيا على غير صفة مجيء الخصوم، وفي غير وقت الحكومة، ودخلا تسوراً من غير إذن<sup>(٤)</sup>. وقال أبو الأحوص: دَخَلَا عليه وكلُّ واحد منهما آخذ برأس صاحبه. و«خَصَمَانِ» مرفوع بإضمار «تَحَنُّنٌ»، قال ابن الأنباري: [المعنى]: نحن كخصمين، ومثل خصمين، فسقطت الكاف، وقام الخصمان مقامهما، كما تقول العرب: عبد الله القمر حسناً، وهم يريدون: ومثل القمر، قالت هند بنت عتبة ترثي أباهما وعمَّها:

(١) وكذلك يترى من مثل هذا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما قال المصنف قبل قليل.

(٢) قال القاضي عياض في «الشفا»: وأما قصة داود ﷺ، فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطره الإخباريون على أهل الكتاب الذين يلقوا وغُيِّرُوا، ونقله بعض المفسرين، قال: ولم ينص الله على شيء من ذلك، ولا ورد في حديث صحيح، قال: والذي نص الله عليه قوله: ﴿وَكُلُّ دَاوُدَ أَنَا فَتَنْتُ فَأَسْتَفَرُّ بِكَ رَأْسًا وَرَأْسًا﴾ وقوله فيه: ﴿أَوَّلُ﴾، فمعنى (فتناه): أي: اختبرناه، و(أَوَّلُ) قال قتادة: مطيع، قال: وهذا التفسير أولى، قال: قال ابن عباس وابن مسعود: ما زاد على أن قال للرجل: أنزل لي عن امرأتك وأكفنيها، فعاتبه الله على ذلك وبهيه عليه، وأكره عليه شغله بالدنيا، ثم قال: وإلى نفي ما أضيف في الأخبار إلى داود من ذلك ذهب أحمد بن نصر، وأبو تمام وغيرهما من المحققين، قال: قال الداودي: ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت، ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم. اهـ. وقال الخازن في «تفسيره»: اعلم أن من خصه الله بنبوته، وأكرمه برسالته، وشرفه على كثير من خلقه، واتممه على وحيه، وجعله واسطة بينه وبين خلقه، لا يليق أن ينسب إليه ما لو نسب إلى أحد الناس لاستكف أن يحدث به عنه، فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأئمة ذلك. اهـ. قال الخازن: وقال الإمام فخر الدين الرازي: حاصل القصة يرجع إلى أمرين: إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق، وإلى الطمع في زوجته، قال: وكلاهما منكر عظيم، فلا يليق بمقاتل أن يظن بداود ﷺ هنا. اهـ. وقال القاضي الفيضائي: وما قيل: أنه أرسل أوريا إلى الجهاد مراراً، وأمر أن يقتل فتزوجها (بمعنى امرأتها)، هراء واقتراء. اهـ.

(٣) البيت لرواح اليمن: وهو في «مجاز القرآن» ١٤٤/٢، و«الأغاني» ٢٣٧/٦، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: حوب. وقد سبق البيت صفحة ١٩١.

(٤) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿فَفَرَعَ بَيْنَهُمْ﴾ إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه وهو أشرف مكان في داره، وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم، فلم يشعر إلا بشخصين، قد تسورا عليه المحراب، أي: احتاطا به يسألانه عن شأنهما. اهـ.

مَنْ حَسَّ لِي الْأَخَوَيْنِ كَالـ  
أَسْقَيْنِ فِي عَيْلٍ يَجِيدُ الـ  
صَقْرَيْنِ لَا يَتَذَلَّلَا  
رَمَكَيْنِ خَطِيئَيْنِ فِي

مُضْنَيْنِ أَوْ مَنْ رَأَى مَا  
قَدَّمَ عَنْ غُرُومِ مَا  
لَا يُبَاحُ حِمَامُ مَا  
كَبِدَ السَّمَاءِ تَرَاهُمَا<sup>(١)</sup>

أرادت: ومثل أسدين، ومثل صقرين، فأسقطت مثلاً وأقامت الذي بعده مقامه، ثم صرف الله ﷻ النون والألف في «بتضناً» إلى «نحن» المضمر، كما تقول العرب: نحن قوم شرف أبونا، ونحن قوم شرف أبوهم، والمعنى واحد. والحق ما هنا: العدل. «وَلَا تُشْطِطُ» أي: لا تجز، يقال: شط وأشط: إذا جار. وقرأ ابن أبي عبله: «وَلَا تُشْطِطُ» بفتح التاء وضم الطاء. قال الفراء: وبعض العرب يقول: شَطَطْتُ عَلَيَّ فِي السَّوْمِ، وأكثر الكلام «أشططت» بالألف، وشَطَطْتُ الدَّارُ: تباعدت.

قوله تعالى: «وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» أي: إلى قصد الطريق<sup>(٢)</sup>؛ والمعنى: أحملنا على الحق. فقال داود: تَكَلَّمَا، فقال أحدهما: «إِنْ كَانَ مِنْهُ أَحَدٌ» قال ابن الأنباري: المعنى: قال أحد الخصمين اللذين شبه الملكان بهما: إن هذا أخي، فأضمر القول لوضوح معناه «لَمْ يَسَّعْ رَيْعُونَ نَجَّةً» قال الزجاج: كُني عن المرأة بالنجعة. وقال غيره: العرب تشبه النساء بالنعاج، وتورِّي عنها بالشاء والبقرة. قال ابن قتيبة: ورى عن ذكر النساء بذكر النعاج، كما قال عترة: يَا شَاءَ مَا قَنَصَ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ حَرُمْتُ عَلَيَّ وَلَيْسَتْهَا لَمْ تَحْرُمُ<sup>(٣)</sup> يعرض بجارية، يقول: أي صيد أنت لمن حل له أن يصيدك! فأما أنا، فإن حرمة الجوار قد حرمتك علي. وإنما ذَكَرَ الْمَلِكُ هَذَا الْعَدَدَ لِأَنَّهُ عَدَدُ نِسَاءِ دَاوُدَ.

قوله تعالى: «وَلَيْ نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ» فتح الياء حفص عن عاصم، وأسكنها الباقون. «فَقَالَ أَكْثَلِيَا» قال ابن قتيبة: أي: ضمها إلي واجعلني كافئها. وقال الزجاج: انزل أنت عنها واجعلني أنا أكثفها. قوله تعالى: «وَعَزَّيْنِ فِي الْحُطَابِ» أي: غلبني في القول. وقرأ عمر بن الخطاب، وأبو رزين [العقيلي]، والضحاك، وابن يعمري، وابن أبي عبله: «وعازني» بآلف، أي: غلبني. قال ابن مسعود، وابن عباس في قوله «وَعَزَّيْنِ فِي الْحُطَابِ»: ما زاد علي أن قال: انزل لي عنها. وروى العوفي عن ابن عباس قال: إن دعوت ودعا كان أكثر، وإن بَطَشْتُ وَيَطَشُ كَانَ أَشَدَّ مِنِّي. فإن قيل: كيف قال الملكان هذا، وليس شيء منه موجوداً عندهما؟ قال الجواب: أن العلماء قالوا: إنما هذا على سبيل المثل والتشبيه بقصة داود، وتقدير كلامهما: ما تقول إن جاءك خصمان فقللا كذا وكذا؟ وكان داود لا يرى أن عليه تبعاً فيما فعل، فنبهه الله بالملكين. وقال ابن قتيبة: هذا مثل ضربه الله [له] ونبيه على خطيئته. وقد ذكرنا آنفاً أن المعنى: نحن كحُضَمَيْنِ.

قوله تعالى: «قَالَ» يعني داود «لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسْأَلِ قَوْمِكَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ» قال الفراء: أي: بسؤاله نعتجتك، فإذا ألقى الهاء من السؤال، أضفت الفعل إلى النجعة، وبمثل: «لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ» [فصلت: ٤٩]، أي: من دعائه بالخير، فلما ألقى الهاء، أضاف الفعل إلى الخير، وألقى من الخير الباء، وأنشدوا: قَلَسْتُ مُنْظَمًا مَا دُمْتُ حَيًّا عَلَى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الْأَمِيرِ<sup>(٤)</sup> أي: بتسليم على الأمير.

(١) الأبيات في «شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام» ١٣٠، و«الأغاني» «ثقافة» ٢١٢/٤. حُسَّ، من باب نصر، كَأَحْسَ، وأصل «راهما»: وأما، فحُفَّت في الهمزة.

(٢) أي: بحيث لا تميل من الحق أصلاً.

(٣) البيت من معلقته، وهو في «ديوانه» ١٥٢، و«مشكل القرآن» ٢٠٦، و«العمدة» ٢٨١/١، و«مختار الشعر الجاهلي» ٣٧٨/١، و«شرح شواهد المتن» ٢٥٢.

(٤) البيت غير منسوب في «معاني القرآن» ١٠٠، وانظر خبر الأعرابي قائل البيت لعم بن زائدة في «بحر الأدب» ٢٩٣/٣.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَاسِجًا﴾ أي: لِيَضُمَّهَا إِلَى نَعَاجِهِ. قال ابن قتيبة: المعنى: بسؤال نعتك مضمومة إلى نعاجه، فاختصر. قال: ويقال «إلى» بمعنى «مع». فإن قيل: كيف حكم داود قبل أن يسمع كلام الآخر؟ فالجواب: أن الخصم الآخر اعترف، فحكم عليه باعترافه، وحذف ذكر الاعتراف اكتفاء بفهم السامع، والعرب تقول: امرئك بالتجارة فكسبت الأموال، أي: فاتجرت فكسبت، ويؤدّل عليه قول السدي: إن داود قال للخصم الآخر: ما تقول؟ قال: نعم، أريد أن أخذها منه فأكمل بها نعاجي وهو كاره، قال: إذا لا ندعك، وإن رُمْتُ هذا ضربنا منك هذا - ويشير إلى أنفه وجهته - فقال: أنت يا داود أحق أن يضرب هذا منك حيث لك تسع وتسعون امرأة، ولم يكن لأوريا إلا واحدة، فنظر داود فلم ير أحداً، فعرف ما وقع فيه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ كَيْدَ بَنِي الْفُلْطَةِ﴾ يعني الشركاء، واحدهم: فُلطي، وهو المُخَالِط في المال وإنما قال هذا، لأنه ظنهما شريكين، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: فإنهم لا يظلمون أحداً، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ «ما» زائدة، والمعنى: وقليل هم، وقيل: المعنى: هم قليل، يعني الصالحين الذين لا يظلمون.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ دَاوُدُ﴾ أي: أيقن وعلم ﴿أَنَّمَا فَتَنَّا﴾ فيه قولان: أحدهما: اختبارناه. والثاني: ابتليناه بما جرى له من نظره إلى المرأة وافتتنه بها<sup>(١)</sup>. وقرأ عمر بن الخطاب: «أَنَّمَا فَتَنَّا» بتشديد التاء والنون جميعاً. وقرأ أنس بن مالك، وأبو رزين، والجسن، وقتادة، وعلي بن نصر عن أبي عمرو: «أَنَّمَا فَتَنَّا» بتخفيف التاء والنون جميعاً، يعني المَلَكِين، قال أبو علي الفارسي: يريد: صَمَدًا له. وفي سبب علمه وتبينه على ذلك ثلاثة أقوال: أحدها: أن المَلَكِين أفصحوا له بذلك، على ما ذكرناه عن السدي. والثاني: إنهما عَجَزَا وهما يقولان: قضى الرجل على نفسه، فعلم أنه غني بذلك، قاله وهب. والثالث: أنه لما حكم بينهما، نظر أحدهما إلى صاحبه وضحك، ثم صعدا إلى السماء وهو ينظر، فعلم أن الله تعالى ابتلاه بذلك، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْقَرَ رَبِّي﴾ قال المفسرون: لما فطن داود بذنبه خَرَّ رَاكِعًا، قال ابن عباس: أي: ساجداً، وعبر عن السجود بالركوع، لأنهما بمعنى الانحناء. وقال بعضهم: المعنى: فخر بعد أن كان راکعاً.

## فصل

واختلف العلماء هل هذه من عزائم السجود؟ على قولين: أحدهما: ليست من عزائم السجود، قاله الشافعي. والثاني: أنها من عزائم السجود، قاله أبو حنيفة. وعن أحمد روايتان<sup>(٢)</sup>. قال المفسرون: فبقي في سجوده أربعين ليلة، لا يرفع رأسه إلا لوقت صلاة مكتوبة أو حاجة لا بُدَّ منها، ولا يأكل ولا يشرب، فأكلت الأرض من جبينه، وَبَيَّتَ العُشْبُ من دموعه، ويقول في سجوده: رَبِّ داود، زَلَّ داود زَلَّةً أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ. قال مجاهد: نبت البقل من دموعه حتى غطى رأسه، ثم نادى: رَبِّ قَرِّحِ الجبين وَجَمَدْتَ العينُ وداود لم يَرْجِعْ إليه في خطيئته شيء، فنودي: أجاج فتظلم، أم مريض فتشقى، أم مظلوم فيتضر لك؟ فَتَحَبَّ نَحِيًّا هاج كل شيء بَتَّ، فعند ذلك غفر له<sup>(٣)</sup>. وقال ثابت البناني: اتخذ داود سبع حشائاً من شَعَرٍ وحشاهنَّ من الرَّمَادِ، ثم بكى حتى أنفذها دموعاً، ولم يشرب شرباً إلا ممزوجاً بدموع عينيه<sup>(٤)</sup>. وقال وهب بن منبه: نودي: يا داود ارفع رأسك فإننا قد غَفَرْنَا لَكَ، فرفع رأسه وقد زَمِنَ

(١) تقدم القول في مثل هذا لا يليق بالأنبياء ﷺ، والصواب هو القول الأول وهو أنه بمعنى اختبارناه.

(٢) قال ابن كثير: اختلف الأئمة في سجدة (ص) هل هي من عزائم السجود؟ على قولين، الجديد من مذهب الشافعي ﷺ: أنها ليست من عزائم السجود، بل هي سجدة شكر، قال: والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد من حديث أيوب عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ أنه قال في السجدة في (ص): ليست من عزائم السجود، وقد رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها، قال: ورواه البخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي في «تفسيره» من حديث أيوب به، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) ذكر هذا المعنى السيوطي في «الدر» ٣٠٣/٥ من رواية أحمد وعبد بن حميد عن يونس بن خباب ﷺ، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: يونس بن خباب الأسدي الكوفي: صدوق يخطئ ورمي بالرفض. اهـ.

(٤) ذكره السيوطي من رواية أحمد عن ثابت البناني، والله أعلم.





قوله تعالى: ﴿يَمَّ كَتَبَ﴾ يعني به سليمان<sup>(١)</sup>. وفي الأواب أقوال قد تقلعت في [بني إسرائيل: ٢٥] أَلْيَقُهَا بهذا المكان أنه رَجَّاعٌ بالثبوت إلى الله تعالى ممَّا يقع منه من السَّهْو والغفلة.

قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ﴾ وهو ما بعد الزَّوال ﴿الْمَنُونَتِ﴾ وهي الخيل. وفي معنى الصَّافنات قولان: أحدهما: أنها القائمة على ثلاث قوائم، وقد أقامت الأخرى على طرف الحافر من يد أو رجل؛ وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد، وابن زيد، واختاره الزجاج، وقال: هذا أكثر قيام الخيل إذا وقفت كأنها تراوح بين قوائمه، قال الشاعر:

أَلِفَ الصُّفُونِ فَمَا يَزَالُ كَأَنَّهُ  
مِمَّا يَقْرُمُ عَلَى الثَّلَاثِ كَسِيرًا<sup>(٢)</sup>

والثاني: أنها القائمة، سواء كانت على ثلاث أو غير ثلاث، قال الفراء: على هذا رأيت العرب، وأشعارهم تُدُلُّ على أنه القيام خاصة. وقال ابن قتيبة: الصافن في كلام العرب: الواقف من الخيل وغيرها، ومنه قوله ﷺ: «مَنْ سَرَّه أَنْ يَقْرُمَ لَهُ الرِّجَالُ صُفُونًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(٣)</sup>، أي: يُدِيمُونَ القيام له<sup>(٤)</sup>. فأما الجيادُ، فهي السَّراعُ في الجزي. وفي سبب عرضها عليه أربعة أقوال: أحدها: أنه عَرَضَهَا لأنه أراد جهاد عدو له، قاله علي بن أبي طالب ﷺ. والثاني: أنها كانت من دواب البحر. قال الحسن: بلغني أنها كانت خيلاً خرجت من البحر لها أجنحة. وقال إبراهيم التيمي: كانت عشرين فرساً ذات أجنحة. وقال ابن زيد: أخرجتها له الشياطين من البحر. والثالث: أنه ورَّثها من أبيه داود ﷺ، فَعَرِضَتْ عليه، قاله وهب بن منبه، ومقاتل. والرابع: أنه غزا جيشاً، فظفر به وغنمها، فدعا بها فَعَرِضَتْ عليه، قاله ابن السائب. وفي عددها أربعة أقوال: أحدها: ثلاثة عشر ألفاً، قاله وهب. والثاني: عشرون ألفاً، قاله سعيد بن مسروق. والثالث: ألف فرس، قاله ابن السائب، ومقاتل. والرابع: عشرون فرساً، وقد ذكرناه عن إبراهيم التيمي<sup>(٥)</sup>. قال المفسرون: ولم تزل تُعَرِّضُ عليه إلى أن غابت الشمس، ففاته صلاة العصر، وكان مهيباً لا يبتدئ أحد بشيء، فلم يذْكُرْوه، ونسي هو، فلما غابت الشمسُ ذكر الصلاة، ﴿فَقَالَ إِنَّي أَحْبَبْتُ﴾ فتح الياء<sup>(٦)</sup> أهل الحجاز وأبو عمرو ﴿حُبَّ الْخَيْرِ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه المال، قاله سعيد بن جبيرة، والضحاك. والثاني: حُبُّ الخيل، قاله قتادة والسدي. والقولان يرجعان إلى معنى واحد، لأنه أراد بالخير الخيل، وهي مال. وقال الفراء: العرب تسمي الخيل: الخير. قال الزجاج: وقد سَمَّى رسولُ الله ﷺ زَيْدَ الخيل: زَيْدُ الخير<sup>(٧)</sup>، ومعنى «أَحْبَبْتُ»: أَثَرْتُ حُبَّ الْخَيْرِ على ذِكْرِ رَبِّي؛ وكذلك قال غير الزجاج: «عن» بمعنى «على». وقال بعضهم: يحتمل المعنى: فَشَعَّلَنِي عَنْ ذِكْرِ رَبِّي. وقال أبو عبيدة: ومعنى [الكلام]: أَحْبَبْتُ حُبًّا، ثم أضاف الحُبَّ إلى الخير. وقال ابن قتيبة: سَمَّى الْخَيْلَ خَيْرًا، لِمَا فِيهَا مِنْ

(١) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: ﴿وَوَسَّيْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ ابنه ولداً ﴿يَمَّ كَتَبَ﴾ يقول: نعم العبد سليمان ﴿إِنَّهُ أَرَادَ﴾ يقول: إنه رجَّاع إلى طاعة الله، تواب إليه مما يكرهه منه، وقيل: إنه عَنِي به أنه كثير الذكر لله والطاعة. اهـ. وقال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً أنه وهب لداود سليمان، أي نبياً، كما قال ﷺ: ﴿وَوَسَّيْنَا سُلَيْمَانَ دَاوُدَ﴾ أي في النبوة، وإلا فقد كان له بنون غيره، فإنه قد كان عنده مائة امرأة حرائر. اهـ.

(٢) البيت في مجمع البيان ١١١/٢٣، والبحر المحيط ٣٨٨/٧، والقرطبي ١٩٣/١٥، وروح المعاني ١٧٢/٢٣، واللسان والتاج صفح.

(٣) لم نره بهذا اللفظ، ورواه الترمذي ١٠٠/٢ من حديث معاوية بن أبي سفيان ﷺ بلفظ: «مَنْ سَرَّه أَنْ يَمْتَلِكَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» وقال: هذا حديث حسن، قال: وفي الباب عن أبي أمامة، ورواه أبو داود رقم (٥٢٢٩). من حديث معاوية بلفظ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمْتَلِكَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» ورواه أحمد في المسند ٩١/٤ بلفظ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمْتَلِكَ لَهُ عِبَادَ اللَّهِ قِيَامًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، وهو حديث صحيح.

(٤) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ الْمَنُونَتِ لِيَاذُ﴾ أي: إذ عرض على سليمان عليه الصلاة والسلام في حال ملكته وسلطانه الخيل الصافنات، قال: قال مجاهد: وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الزابغة، قال: والجياد: السراع، قال: وكذا قال غير واحد من السلف. اهـ.

(٥) ذكر القول الرابع الطبري ١٥٤/٢٣ من إبراهيم التيمي، وذكره السيوطي في الدرر ٣٠٩/٥، وزاد نسبة للربيعي، وعبد بن سعيد، وابن أبي حاتم عن إبراهيم التيمي ﷺ.

(٦) يعني الياء من كلمة «إني».

(٧) قال الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة زيد الخيل: وفد في سنة تسع، وسماه النبي ﷺ: زيد الخير، قال: وروى ابن شاهين من طريق بشير مولى بني هاشم عن الأعشى عن أبي وائل عن عبد الله قال: كنا عند النبي ﷺ، فأقبل راكب حتى أتانا، فقال: يا رسول الله إني أتيتك من مسيرة تسع أسالك عن خصلتين، فقال: «ما اسمك؟» قال: أنا زيد الخيل، قال: «بلى أنت زيد الخير، سل» قال: أسالك عن علامة الله ليعين يرشد، وعلامته ليعين لا يره. الحديث. قال ابن حجر: وأخرج ابن عدي في ترجمة بشير (يعني بشير مولى بني هاشم) وضعفه. اهـ. وكان زيد الخيل شاعراً خطيباً شجاعاً كريماً، يكنى أبا مكثف ﷺ.

الخَيْر. والمفسرون على أن المراد بذكر ربه: صلاة العصر، قاله علي، وابن مسعود، وقادة في آخرين. وقال الزجاج: لا أدري هل كانت صلاة العصر مفروضة، أم لا! إلا أن اعتراضه الخيل شغلَه عن وقت كان يذكر الله فيه ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ قال المصنف: وأهل اللغة يقولون: يعني الشمس، ولم يخبر لها ذكر، ولا أحسبهم أعطوا في هذا الفكر حقه، لأن في الآية دليلاً على الشمس، وهو قوله: «بالعشي» ومعناه: غرض عليه بعد زوال الشمس حتى توارت الشمس بالحجاب، ولا يجوز الإضمار إلا أن يجري ذكر، أو دليل ذكر فيكون بمنزلة الذكر؛ وأما الحجاب، فهو ما يحجبها عن الأبصار<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿رُؤُوسًا عَلَيَّ﴾ قال المفسرون: لما شغل الخيل عليه عن الصلاة، فصلّاها بعد خروج وقتها، اغتم وغضب، وقال: ﴿رُؤُوسًا عَلَيَّ﴾، يعني: أعيذوا الخيل عليّ ﴿تَلَفُّقٌ﴾ قال ابن قتيبة: أي: أقبل ﴿مَسَّكًا﴾ قال الأخفش: أي: يمسح مسحاً. فأما السُّوق، فجمع ساق، مثل دُور ودار. وهمز السُّوق ابن كثير، قال أبو علي: وغير الهمز أحسن منه. وقرأ أبو عمران الجوني، وابن محيصن: «بالسُّوق» مثل الرُّوس. وفي المراد بالمسح هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ضربها بالسيف. روى أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿تَلَفُّقٌ مَسَّكًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ قال: «بالسيف»<sup>(٢)</sup>. وروى مجاهد عن ابن عباس قال: مسح أعناقها وسوقها بالسيف. وقال الحسن، وقادة، وابن السائب: قطع أعناقها وسوقها، وهذا اختيار السدي، ومقاتل، والفراء، وأبي عبيدة، والزجاج، وابن قتيبة، وأبي سليمان الدمشقي، والجمهور<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيها حباً لها، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال مجاهد: مسحها بيده، وهذا اختيار ابن جرير<sup>(٤)</sup>، والقاضي أبي يعلى. والثالث: أنه كوى سوقها وأعناقها وحبسها في سبيل الله تعالى، حكاه الثعلبي. والمفسرون على القول الأول، وقد اعترضوا [على] القول الثاني، وقالوا: أي مناسبة بين شغلها إياه عن الصلاة وبين مسح أعرافها حباً لها؟! ولا أعلم قوله: «حباً لها» ثبت عن ابن عباس. وحملوا قول مجاهد «مسحها بيده» أي: تولّى ضرب أعناقها. فإن قيل: فالقول الأول يفسد بأنه لا ذنب للحيوان، فكيف وجه العقوبة إليه وقصد التشقي بقتله، وهذا يشبه فعل الجتارين، لا فعل الأنبياء؟ فالجواب: أنه لم يكن ليفعل ذلك إلا وقد أبيع له، وجائز أن يُباح له ما يُمنع منه في شرعنا، على أنه إذا ذبحها كانت قرباناً، وأكل

(١) قال ابن كثير: وقوله تبارك وتعالى: ﴿تَكَالَىٰ إِلَىٰ جَنَاحَيْهِ لِكَيْ يَنَظُرَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر، ثم قال ابن كثير: والذي يقطع به أنه لم يتركها عمداً، بل نسياناً، كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب، قال: وذلك ثابت في «الصحاحين» من غير وجه، قال: من ذلك حديث جابر ﷺ قال: جاء عمر ﷺ يوم الخندق بعدما غربت الشمس، فجعل يسب كفار قريش ويقول: يا رسول الله، والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب، فقال رسول الله ﷺ: «والله ما صليتها» فقال: قمنا إلى بطحان، فتوضأ نبي الله ﷺ للصلاة، وتوضأنا لها، فصلّى العصر بعدما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب. اهـ.

(٢) ذكره السيوطي في «الدرر» ٣٠٩/٥ من رواية الطبراني في «الأوسط»، والإسماعيلي في «معجمه»، وابن عرويه عن أبي بن كعب ﷺ. قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩٩/٨: رواه الطبراني في «الأوسط» وليه سعيد بن بشير، وثقه شعبة وغيره، وضعفه ابن معين وغيره، قال: وبقيته رجاله ثقات. اهـ. وقد ضعف سعيد بن بشير الحافظ ابن حجر في «التقريب».

(٣) قال البقوي في «تفسيره»: ﴿تَلَفُّقٌ مَسَّكًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ فجعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف، قال: هذا قول ابن عباس، والحسن، وقادة، ومقاتل، وأكثر المفسرين، قال: وكان ذلك مباحاً له، لأن نبي الله ﷺ لم يكن يقدم على محرم، ولم يكن يتوب عن ذنب بذنوب آخر. اهـ. وقال ابن كثير: قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا، ولا سيما إذا كان غضباً لله تعالى، بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة، قال: ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عوفه الله ﷻ ما هو خير منها، وهو الريح التي تجري بأمره رضاء حيث أصاب، فغوها شهر ورواحها شهر، قال: فهذا أسرع وخير من الخيل. اهـ. وقال الشوكاني في «فتح القدير» عن هذا القول: وهذا أولى بسياق الكلام، فإنه ذكر أنه أترها على ذكر ربه حتى فاتته صلاة العصر، ثم أمرهم بردها عليه ليعاقب نفسه بإفساد ما ألهمه من ذلك، وما صله عن عبادة ربه، وشغله عن القيام بما فرضه الله عليه. اهـ. وقال آخرون غير هذا، منهم: الإمام أبو جعفر ابن جرير الطبري، وسيأتي في التعليق الذي بعد هذا، والله أعلم.

(٤) قال ابن جرير الطبري ١٥٦/٢٣: حدثني علي قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية عن علي (يعني ابن أبي طلحة) عن ابن عباس قوله: ﴿تَلَفُّقٌ مَسَّكًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ يقول: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيها حباً لها، قال الطبري: وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس، أشبه بتأويل الآية، لأن نبي الله ﷺ لم يكن إن شاء الله ليعذب حيواناً بالعقوبة (يعني ضرب أعناقها وعراقيها بالسيف) وبذلك مالا من ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها. اهـ.

لحمها جائز، فما وقع تفريط. قال وهب بن منبه: لما ضرب سوقها وأعانها، شكر الله تعالى له ذلك، فسخر له الريح مكانها، وهي أحسن في المنظر، وأسرع في السير، وأعجب في الأخدوة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَتَلْنَا شَيْطَانًا﴾ أي: ابتليناه وامتنحناه بسلب ملكه ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ﴾ أي: على سريره ﴿جَسَدًا﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه شيطان، قاله ابن عباس، والجمهور. وفي اسم ذلك الشيطان ثلاثة أقوال. أحدها: صخر، رواه العوفي عن ابن عباس. وذكر العلماء أنه كان شيطاناً مريداً لم يسخر لسليمان. والثاني: آصف، قاله مجاهد، إلا أنه ليس بالمؤمن الذي عنده الاسم الأعظم، إلا أن بعض ناقلي التفسير حكى أنه آصف الذي عنده علم من الكتاب، وأنه لما قُتِلَ سليمان سقط الخاتم من يده فلم يثبت، فقال آصف: أنا أقوم مقامك إلى أن يتوب الله عليك، فقام في مقامه، وسار بالسيرة الجميلة، وهذا لا يصح، ولا ذكره من يوثق به. والثالث: حقيق، قاله السدي؛ والمعنى: أجلسنا على كرسيه في ملكه شيطاناً. ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أي: رجع. وفيما رجع إليه قولان: أحدهما: تاب من ذنبيه، قاله قتادة. والثاني: رجع إلى ملكه، قاله الضحاك. وفي سبب ابتلاء سليمان بهذا خمسة أقوال: أحدها: أنه كانت له امرأة يقال لها: جرادة، وكان بين بعض أهلها وبين قوم خصومة، ففضى بينهم بالحق، إلا أنه ود أن الحق كان لأهلها، فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحداً، وأوحى الله تعالى إليه أنه سيصيبك بلاء، فكان لا يدري آياته من السماء، أو من الأرض، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: أن زوجته جرادة كانت أثر النساء عنده، فقالت له يوماً: إن أخي بينه وبين فلان خصومة، وإني أحب أن تقضي له، فقال: نعم، ولم يفعل، فابتلي لأجل ما قال، قاله السدي. والثالث: أن زوجته جرادة كان قد سبها في غزاة له، وكانت بنت ملك فأسلمت، وكانت تبكي عنده بالليل والنهار، فسألها عن حالها، فقالت: أذكر أبي وما كنت فيه، فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا صورته في داري فأتسلّى بها، [ففعل]. فكانت إذا خرج سليمان، تسجد له هي وولادتها [أربعين صباحاً، فلما علم سليمان، كسر تلك الصورة، وعاقب المرأة وولادتها] ثم تضرع إلى الله تعالى مستغفراً مما كان في داره، فسلب الشيطان على خاتمه، [هذا قول وهب بن منبه. والرابع: أنه احتجب عن الناس ثلاثة أيام، فأوحى الله تعالى إليه: يا سليمان، احتجب<sup>(١)</sup> عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر في أمور عبادي ولم تتصف مظلوماً من ظالم؟ فسلب الشيطان على خاتمه]، قاله سعيد بن المسيب. والخامس: أنه قارب امرأة من نساءه في الحيض أو غيره، قاله الحسن<sup>(٢)</sup>. والقول الثاني: أن المراد بالجسد الذي ألقى على كرسيه: أنه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين، فقال بعضهم لبعض: إن عاش له ولد، لم ننفك من البلاء، فسيئلاً أن تقتل ولده أو تحمله، فعلم بذلك سليمان، فأمر السحاب فحمله، وعدا ابنه في السحاب خوفاً من الشياطين، فعاتبه الله تعالى على تخوفه من الشياطين، ومات الولد، فألقى على كرسيه ميتاً جسداً، قاله الشعبي. والمفسرون على القول الأول<sup>(٣)</sup>. ونحن نذكر قصة ابتلائه على قول الجمهور.

(١) في الأصل: احتجب.

(٢) قال ابن كثير بعد أن ذكر بعض هذه الروايات في سبب ابتلاء سليمان ﷺ: وهذه كلها من الإسرائيليات، ثم ذكر أن من أنكرها ما رواه ابن أبي حاتم من رواية المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وسرد الرواية بطولها بنحو القول الأول الذي ذكره المؤلف هنا في سبب ابتلاء سليمان ﷺ، ولكن بأطول منه. وقال الحافظ ابن حجر في إخراج أحاديث الكشف ١٤٣: وأما ما يحكى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان ﷺ، قاله أعلم بصحة، ثم قال: ورؤي النسائي من رواية المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وإسناده قوي، وكذلك قال الحافظ السيوطي في «الدر» ٣١٠/٥: وأخرج النسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم بسند قوي عن ابن عباس ﷺ قال: أراد سليمان ﷺ أن يدخل الخلافة فأعلم لجرادة خاتمه، وكانت جرادة امرأته، وكانت أحب نساءه إليه. وسرد القصة بطولها. قال ابن كثير بعد أن سرد هذه القول بطوله من رواية ابن أبي حاتم: إسناده إلى ابن عباس قوي، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس ﷺ - إن صح عنه - من أهل الكتاب، قال: وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام، فالظاهر أنهم يكذبون عليه، قال: ولهذا كان في هذا السياق منكرات، من أشدها ذكر النساء، فإن المشهور من مجاهد وغير واحد من أمة السلف أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان، بل عصمه الله ﷻ منه تشريفاً وتكريماً لنبيه ﷺ، قال: وقد رهبت هذه القصة مطولة من جماعة من السلف، كسعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم، وجماعة آخرين، قال: وكلها متلفة من قصص أهل الكتاب، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. اهـ.

(٣) يريد به القول الأول الذي ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ قال: وفي قولان. أحدهما: أنه شيطان، قاله ابن عباس والجمهور.

### الإشارة إلى ذلك

اختلف العلماء في كيفية ذهاب خاتم سليمان على قولين: أحدهما: أنه كان جالساً على شاطئ البحر، فوقع منه في البحر، قاله عليّ عليه السلام. والثاني: أن شياطيناً أخذه، وفي كيفية ذلك أربعة أقوال: أحدها: أنه دخل ذات يوم الحمام ووضع الخاتم تحت فراشه، فجاء الشيطان فأخذه وألقاه في البحر، وجعل الشيطان يقول: أنا نبي الله، قاله سعيد بن المسيّب. والثاني: أن سليمان قال للشيطان: كيف تَفْتِنُون النَّاسَ؟ قال: أرني خاتمك أَخْبِرْكَ، فأعطاه إياه، فنبذه في البحر، فذهب مُلْكُ سليمان، وقعد الشيطان على كرسيه، قاله مجاهد. والثالث: أنه دخل الحمام، ووضع خاتمته عند أوثق نساءه في نفسه، فأتاها الشيطان فتمثل لها في صورة سليمان وأخذ الخاتم منها، فلَمَّا خرج سليمان، طلبه منها، فقالت: قد دفعته إليك، فهرب سليمان، وجاء الشيطان فجلس على مُلكه، قاله سعيد بن جبیر. والرابع: أنه دخل الحمام، وأعطى الشيطان خاتمته فألقاه الشيطان في البحر، فذهب مُلْكُ سليمان، وألقي على الشيطان شَيْئُهُ، قاله قتادة. فأَمَّا قِصَّةُ الشيطان، فذكر أكثر المفسرين أنه لَمَّا أخذ الخاتم رمى به في البحر، وألقي عليه شَيْئُهُ سليمان، فجلس على كرسِيه، وتحكَّم في سُلْطانه. وقال السدي: لم يُلقِه في البحر حتى فر من مكان سليمان. وهل كان يأتي [نساء] سليمان؟ فيه قولان: أحدهما: أنه لم يُقَدِّر عليهنَّ، قاله الحسن، وكتادة. والثاني: أنه كان يأتيهنَّ في زمن الحيف، فأَنكَرَنَّهُ، قاله سعيد بن المسيّب، والأول أصح<sup>(١)</sup>. قالوا: وكان يقضي بقضايا فاسدة، ويحكم بما لا يجوز، فأنكره بنو إسرائيل، فقال بعضهم لبعض: إِمَّا أَنْ تكونوا قد هَلَكْتُمْ أَنْتُمْ، وإِمَّا أَنْ يكون مَلِكُكُمْ قد هَلَكَ، فاذْهَبُوا إِلَى نِسَائِهِ فَاسْأَلُوهُنَّ، فذهَبُوا، فَقُلْنَا: إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ أَكْثَرْنَا ذَلِكَ، فلم يزل على حاله إلى أن انقضى زمن البلاء. وفي كَيْفِيَّةِ بَعْدِ الشيطان عن مكان سليمان أربعة أقوال: أحدها: أن سليمان وجد خاتمته فتختم به، ثم جاء فأخذ بناصية الشيطان، قاله سعيد بن المسيّب. والثاني: أن سليمان لَمَّا رَجَعَ إلى مُلكه وجاءته الرِّيحَ والطَّيرَ والشَّيَاطِينُ، فرَّ الشيطان حتى دخل البحر، قاله مجاهد. والثالث: أنه لَمَّا مضى أربعون يوماً، طار الشيطان من مجلسه، قاله وهب. والرابع: أن بني إسرائيل لَمَّا أنكروه، أثروا فأحرقوا به، ثم نَشَرُوا التُّورَةَ فحرقوها، فطار من بين أيديهم حتى ذهب إلى البحر، فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه حوت، قاله السدي. وفي قدر مكث الشيطان قولان: أحدهما: أربعون يوماً، قاله الأكثرون. والثاني: أربعة عشر يوماً، حكاه الثعلبي. وأما قصة سليمان عليه السلام، فإنه لما سلب خاتمته، ذهب ملكه، فانطلق هارباً في الأرض. قال مجاهد: كان يَسْتَظْهِمُ فلا يَظْهَرُ، فيقول: لو هَرَفْتُمُونِي أعطيتموني، أنا سليمان، فيطردونه، حتى أعطته امرأة حوتاً، فوجد خاتمته في بطن الحوت. وقال سعيد بن جبیر: انطلق سليمان حتى أتى ساحل البحر، فوجد صيادين قد صادوا سمكاً كثيراً وقد أنتن عليهم بعضه، فأتاهم يَسْتَظْهِمُ، فقالوا: اذهب إلى تلك الحيتان فخذ منها، فقال: لا، أعطيتموني من هذا، فأبوا عليه، فقال: أعطيتموني فإني سليمان، فوثب إليه رجلٌ منهم فضربه بالعصا غَضَباً لسليمان، فأتى تلك الحيتان فأخذ منها شيئاً، فشَقَّ بطن حوت، فإذا هو بالخاتم. وقال الحسن: ذُكِرَ لي أنه لم يُؤْوَ أَحَدٌ من الناس، ولم يُعْرِفْ أَرَبَعِينَ لَيْلَةً، وكان يأوي إلى امرأة مسكينة، فبينا هو يوماً على شَطِّ نهر، وجد سمكة، فأتى بها المرأة فشَقَّتْهَا فإذا بالخاتم. وقال الضحاك: اشترى سمكة من امرأة فشَقَّ بطنها فوجد خاتمته. وفي المدة التي سلب فيها الملك قولان: أحدهما: أربعون ليلة، كما ذكرنا عن الحسن. والثاني: خمسون ليلة، قاله سعيد بن جبیر. قال المفسرون: فلَمَّا جعل الخاتم في يده، ردَّ الله عليه بهاءً ومُلْكَةً، فأظْلَمَتِ الطَّيْرُ، وأقبل لا يستقبله جني ولا طائر ولا حجر ولا شجر إلَّا سجد له، حتى انتهى إلى منزله. قال السدي: ثم أرسل إلى الشيطان، فجاء به، فأمر به فجعل في صندوق من حديد، ثم أطبق عليه وأقل، وختم عليه بخاتمته، ثم أمر به فألقي في البحر، فهو فيه إلى أن تقوم الساعة. وقال وهب: جاب<sup>(٢)</sup> صخرةً فأدخله فيها، ثم أوثقها بالحديد والرصاص، ثم قذفه في البحر.

(١) وقد رأيت قبل قليل كيف قال ابن كثير: فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان، بل عصمهن الله تعالى منه تشريعاً وتكريماً لنبيه عليه السلام، قال: وقد رويت هذه القصة عن جماعة من السلف، ثم قال: وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب، والله أعلم بالصواب. اهـ.

(٢) جاب: قطع.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لِي مَلَكًا لَا يُبَشِّرِي لِأَحَدٍ مِنْ بَنِيَّ﴾ فتح الياء<sup>(١)</sup> نافع، وأبو عمرو. وفيه قولان: أحدهما: لا يكون لأحد بعدي، قاله مقاتل، وأبو عبيدة. وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ جَفْرِيَّ مِنَ الْجِنِّ تَقَلَّتْ عَلَيَّ الْبَارِحَةُ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلَاتِي، فَأَمَكَّنَنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَأَخَذَتْهُ، فَأَرَدَتْ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَاوِيَةِ مِنْ سُورِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ: ﴿وَمَنْ لِي مَلَكًا لَا يُبَشِّرِي لِأَحَدٍ مِنْ بَنِيَّ﴾، فَرَدَدْتُهُ خَاسِئًا»<sup>(٢)</sup>. والثاني: لا ينبغي لأحد أن يسلبه مني في حياتي، كما فعل الشيطان الذي جلس على كرسيه، قاله الحسن، وقتادة<sup>(٣)</sup>. وإنما طلب هذا الملك، ليعلم أنه قد عُفِرَ له، ويعرف منزلته بإجابة دعوته، قاله الضحاك. ولم يكن في ملكه حين دعا بهذا الرِّيح ولا الشياطين ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾<sup>(٤)</sup> وقرأ أبو الجوزاء، وأبو جعفر، وأبو المتوكل: «الرِّيحَ» على الجمع.

قوله تعالى: ﴿رُجَّةٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مُطِيعَةٌ، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والضحاك. والثاني: أنها الطِّيعَةُ، قاله مجاهد. والثالث: اللَّيْثَةُ، مأخوذ من الرِّخَاوَةِ، قاله اللُّغَوِيُّونَ. فإن قيل: كيف وصفها بهذا بعد أن وصفها في سورة [الأنبياء: ٨١] بأنها عاصفة؟ فالجواب: أن المفسرين قالوا: كان يأمر العاصف تارة ويأمر الرِّخَاءَ أخرى. وقال ابن قتيبة: كأنها كانت تشدُّ إذا أراد، وتلين إذا أراد.

قوله تعالى: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي: حيث قصد وأراد. قال الأصمعي: تقول العرب: أصاب فلان الصَّوَابَ فأخطأ الجواب، أي: أراد الصَّوَابَ.

قوله تعالى: ﴿وَالْقَيْلِينَ﴾ أي: وسَخَرْنَا لَهُ الشَّيَاطِينَ ﴿كُلُّ بَنَاءٍ﴾ يبنون له ما يشاء ﴿وَعَرَّاسٍ﴾ يغوصون له في البحار فيستخرجون الدرَّ<sup>(٥)</sup>، ﴿وَوَاحِشٍ﴾ أي: وسَخَرْنَا لَهُ آخَرِينَ، وهم مَرَدَّةُ الشَّيَاطِينَ، سَخَرَهُمْ لَهُ حَتَّى قَرَنَهُمْ فِي الْأَصْفَادِ لِكُفْرِهِمْ. قال مقاتل: أَوْقَعَهُمْ فِي الْحَدِيدِ. وقد شرحنا معنى ﴿مُفَرِّقِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ في سورة نبي الله إبراهيم ﷺ [إبراهيم: ٤٩]: ﴿هَذَا عَلَاقَتَاكَ﴾ المعنى: قُلْنَا لَهُ: هَذَا عَطَاؤُنَا. وفي المشار إليه قولان: أحدهما: أنه جميع ما أعطي، ﴿فَأَسْنَنَ أَوْ أَشْرَكَ﴾ أي: أَعْطَى مَنْ شِئْتَ مِنَ الْمَالِ، وَامْتَنَعَ مَنْ شِئْتَ. والمَنْ: الإحسان إلى من لا يطلب ثوابه. والثاني: أنه إشارة

(١) أي: ياء بعدي.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ٦/٣٢٩، ٨/٤٢٠، ومسلم: ١/٣٨٤، والحديث ذكره السيوطي في «الدر» ٥/٣١٣، وزاد نسبت لعبد بن حميد، والنسائي، والحكيم الترمذي في «تواضع الأصول»، وابن مردويه عن أبي هريرة ﷺ. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وقوله: «تَقَلَّتْ عَلَيَّ» أي: تَمَرَّضَ لِي فَلْتٌ، أي: بَغَتْ، وقوله: «الْبَارِحَةُ» أي: اللَّيْلَةُ الْخَالِيَةُ الْوَالَتَةُ، قال: والْبَارِحُ: الزَّائِلُ، قال: ويقال من بعد الزوال إلى آخر النهار: الْبَارِحَةُ، قال: وقوله: «فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ» أي: قوله: ﴿وَمَنْ لِي مَلَكًا لَا يُبَشِّرِي لِأَحَدٍ مِنْ بَنِيَّ﴾ قال: وفي هذا إشارة إلى أنه ﷺ كان يقدر على ذلك، إلا أنه تركه رعاية لسليمان ﷺ، قال: ويحتمل أن تكون خصوصية سليمان استخدام الجن في جميع ما يريد لا في هذا القدر فقط، قال: واستدل الخطاب بهذا الحديث على أن أصحاب سليمان كانوا يرون الجن في أشكالهم وهيئتهم حال تصرفهم، قال: وأما قوله: ﴿إِنَّكُمْ رَيْنَكُمْ هُوَ وَهَيْبَتُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ فالمراد: الأكثر الأغلب من أحوال بني آدم، قال: وتَعَقَّبَ بَأَن نَفِي رُؤْيَا الْإِنْسَانِ لِلْجِنِّ عَلَى هَيْبَتِهِمْ لَيْسَ بِقَاطِعٍ مِنَ الْآيَةِ، بل ظاهرها أنه ممكن، فإن نفي رؤيتنا إياهم مقيد بحال رؤيتهم لنا، قال: ولا ينفي إمكان رؤيتنا لهم في غير تلك الحالة، قال: ويحتمل العموم، وهو الذي فهمه أكثر العلماء، حتى قال الشافعي: من زعم أنه يرى الجن، أبطلنا شهادته، واستدل بهذه الآية. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: قوله: ﴿قَالَ رَبِّي أَفَرِّي لِي وَمَنْ لِي مَلَكًا لَا يُبَشِّرِي لِأَحَدٍ مِنْ بَنِيَّ﴾ يقول تعالى ذكره: قال سليمان واثماً إلى ربه: رب استر عليّ ذنبي الذي أنشئت بيني وبينك فلا تعافيني به ﴿وَمَنْ لِي مَلَكًا لَا يُبَشِّرِي لِأَحَدٍ مِنْ بَنِيَّ﴾ لا يسلبني أحد كما سلبني قبل هذه الشيطان. اهـ. وقال ابن كثير: قال بعضهم: معناه: لا ينبغي لأحد من بعدي، أي: لا يصلح لأحد أن يسلبني بعدي، كما كان من قضيّة الجسد الذي أُلقي على كرسية، لا أنه يحجر على مَنْ بعده من الناس، قال: والصحيح أنه سأل من الله تعالى ملكاً لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله، قال: وهذا هو ظاهر السياق من الآية، وبذلك وردت الأحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله ﷺ. اهـ.

(٤) قال ابن جرير الطبري: فاستجيبا له دعاءه فأعطيناه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فسخرنا له الريح.

(٥) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَالْقَيْلِينَ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَرَّاسٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وسَخَرْنَا لَهُ الشَّيَاطِينَ فسلَّطناه عليها مكان ما ابتليناه بالذي ألقينا على كرسية منها، يستعملها فيما شاء من أعماله، من بِنَاءٍ وَغَوَاضٍ، فَالْبِنَاءُ منها يصنعون محاروب وتماثيل، والغَاضُ يستخرجون له الخَلِي من البحار، وآخرون ينحتون له جفائاً ودوراً، والمرتدة في الأغلال مَقْرُونُونَ. اهـ. وقال ابن كثير: وقوله جل جلاله: ﴿وَالْقَيْلِينَ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَرَّاسٍ﴾ أي: منهم من هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محاروب وتماثيل وجفان كالجواب وقدر رسايات إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر، قال: وطائفة غواصون في البحار يستخرجون ما فيها من اللآلئ والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها. اهـ.

إلى الشياطين المسحَّرين له؛ فالمعنى: فامتنن على مَنْ شئت بإطلاقه، وأَمْسِك مَنْ شئت منهم. وقد روي معنى القولين عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿يَتَرَحَّبُ﴾ قال الحسن: لا تَبْعَة عليك في الدنيا ولا في الآخرة. وقال سعيد بن جبير: ليس عليك حساب يوم القيامة. وقيل: في الكلام تقليد وتأخير، تقديره: هذا عطاؤنا بغير حساب فامتنن أو أَمْسِك<sup>(١)</sup>. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [سبا: ٣٧، الرعد: ٢٩، الأنبياء: ٨٣]<sup>(٢)</sup> إلى قوله: ﴿مَسَى السَّيْلُ﴾ وذلك أن الشيطان سَلَط عليه، فأضاف ما أصابه إليه.

قوله تعالى: ﴿يُشْرِبُ﴾ قرأ الأكثرون بضم النون وسكون الصاد؛ وقرأ الحسن، وابن أبي عبيدة، وابن السنيّفع، والجاحدري، ويعقوب: بفتحهما. وهل بينهما فرق؟ فيه قولان: أحدهما: أنهما سواء. قال الفراء: هما كالرُشد والرُّشد، والعُدْم والعُدْم، والحُزْن والحُزْن، وكذلك قال ابن قتيبة، والوجاج. قال المفسرون: والمراد بالنصب: الضُّر الذي أصابه. والثاني: أن النُّصب بتسكين الصاد: الشر، وتحريكها: الإعياء؛ قاله أبو عبيدة. وقرأت عائشة، ومجاهد، وأبو عمران، وأبو جعفر، وشيبة، وأبو عمارة عن حفص: «بُصِب» بضم النون والصاد جميعاً. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو الجوزاء، وهيرة عن حفص: «بُنْصِب» بفتح النون وسكون الصاد<sup>(٣)</sup>. وفي المراد بالعذاب قولان: أحدهما: أنه العذاب الذي أصاب جسده. والثاني: أنه أخذ ماله وولده.

قوله تعالى: ﴿رَكَّضَ﴾ أي: اضرب الأرض ﴿بِرِجْلِكَ﴾<sup>(٤)</sup>، ومنه: رَكَضْتُ الفرس<sup>(٥)</sup>. فَرَكَضَ فنبعث عَيْنُ ماء، فذلك قوله ﷺ: ﴿هَذَا مَسْئَلُ بَارِدٍ وَتَرَابٍ﴾. قال ابن قتيبة: الْمُغْتَسَلُ: الماء، وهو الغسل أيضاً. قال الحسن: رَكَضَ بـرجله فنبعث عَيْنٌ [فاغْتَسَلَ منها، ثم مشى نحواً من أربعين ذراعاً، ثم رَكَضَ بـرجله فنبعث عَيْنٌ] فَشَرِبَ منها؛ وعلى هذا جمهور العلماء أنه رَكَضَ ركضتين فنبعث له عينان، فاغْتَسَلَ من واحدة، وشرب من الأخرى.

قوله تعالى: ﴿وَعَذَّبْنَاكَ﴾ كان قد حَلَفَ لئن شفاء الله لَيَجْلِدَنَّ زوجته مائة جلدة<sup>(٦)</sup>. وفي سبب هذه اليمين ثلاثة أقوال: أحدها: أن إبليس جلس في طريق زوجه أيوب كأنه طيب، فقالت له: يا عبد الله: إن هاهنا إنساناً مهتلياً، فهل لك أن تداويه؟ قال: نعم، إن شاء شفيته، على أن يقول إذا برأ: أنت شفيتني، فجاءت فأخبرته، فقال: ذاك الشيطان، لله عليّ إن شفاني أن أجلبدك مائة جلدة، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس<sup>(٧)</sup>. والثاني: أن إبليس لقيها

(١) قال ابن جرير الطبري: أخبر تعالى أنه سخر له ما لم يسخر لأحد من بني آدم، وذلك تسخير له الريح والشياطين قال: ثم قال عز وكبر: هذا الذي أعطيتك من الملك وتسخيرنا ما سخرنا لك، عطاؤنا، ووهبنا لك ما سألتنا أن نهبه من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك، ثم قال: والله لا يحاسب على ما أعطى من ذلك الملك والسلطان. اهـ. وقال ابن كثير: وقوله ﷺ: ﴿مَكَانًا مَسَاكًا مَسَاكًا أَوْ أَتَيْتَ بِتَرَحَّبٍ﴾<sup>(١)</sup> أي: هذا الذي أعطيتك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا، فأعطى من شئت وأحرم من شئت، لا حساب عليك مهما فعلت، فهو جائز لك، احكم بما شئت فهو صواب. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى وكبر لئيه سمع ﷺ: ﴿وَلَا تَرْحَبْ﴾ أيضاً يا محمد ﷺ: ﴿جَنَّتْ لِرَبِّكَ إِذْ تَأْكُلُ رُثْبًا﴾ مستقيماً به فيما نزل به من البلاء يا رب ﷺ: ﴿مَسَى السَّيْلُ﴾. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القراءة في ذلك حديثنا ما عليه قراءة الأمصار، وذلك الضم في النون والسكون في الصاد. اهـ.

(٤) قال القاسمي: أي: استجبتنا له وقتلنا: اركض بـرجلك، أي: اعد بها وامن قد برئت وشفيت من مرضك وقوي جسمك وصبحت بذلك ﴿رَكَضَ بِرِجْلِكَ﴾ مَكَانًا مَسَاكًا بَارِدًا رَكَضَ: أي: ماء فغسل به وتشرب منه، قال: والإشارة إلى عين أو نهر أو نحوهما. وقال الطبري: فاغْتَسَلَ وشرب، ففرجنا عنه ما كان فيه من البلاء، ووهبنا له أهله من زوجة وولد ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ له ﴿وَوَكَّرْنَا﴾ يقول: وتذكيراً لأولي المقول ليعتبروا بها فيعتظوا. اهـ.

(٥) في «الصحيح» و«اللسان»: وَرَكَضْتُ الفرس بـرجلي: إذا استعنته ليعتد، ثم كثر حتى قيل: رَكَضَ الفرس: إذا غدا، وليس بالأصل، والصواب: رَكَضَ الفرس، على ما لم يمت فاعله، فهو مَرَكُوضٌ.

(٦) قال ابن كثير: وقوله: ﴿وَعَذَّبْنَاكَ بِرِجْلِكَ فَنَشَأَ ثَرْبٌ وَلَا تَحْتَبُ﴾ وذلك أن أيوب عليه الصلاة والسلام كان قد غضب على زوجته ووجد عليها في أمر فعلته - قيل: باعت ضفيريها بغير فاطمته إياه - فلأمها على ذلك وحلف إن شفاء الله تعالى ليسرنها مائة جلدة، وقيل لغير ذلك من الأسباب، فلما شفاء الله ﷺ وعافاه، ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب. فأنشأ الله ﷺ أن يأخذ ضنناً وهو الشمراخ فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقد يؤت يمينه ويخرج من حنّته ذوفى ينزله، قال: وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى وأتاه إليه. اهـ.

(٧) ذكره السيوطي في «الدرر» ٣١٦/٥ من رواية أحمد في «الزهدة»، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن ابن عباس ﷺ.

فقال: إني أنا الذي فعلت بأبواب ما به، وأنا إله الأرض، وما أخذته منه فهو بيدي، فانطلقني أريك، فمشى بها غير بعيد، ثم سحر بصرها، فأراها وادياً عميقاً فيه أهلها وولدها ومألها، فأتت أيوب فأخبرته، فقال: ذاك الشيطان، ويحك كيف وعى قوله ستملك؟ والله لئن شغاني الله ﷻ لأجلدَنَّكَ مائة، قاله وهب بن منبه. والثالث: أن إبليس جاء إلى زوجته بسخلة، فقال: ليذبح لي هذه وقد برأ، فأخبرته، فحلفت لأجلدَنَّها، وقد ذكرنا هذا القول في سورة (الأنبياء: ٨٣) عن الحسن. فأما الضُّعْث، فقال الفراء: هو كُلُّ ما جمعته من شيءٍ ومثل الحُزْمَةِ الرُّطْبَةِ، قال: وما قام على سباق واستطال ثم جمعته، فهو ضُعْث. وقال ابن قتيبة: هو الحُزْمَةُ من الخلال والعيدان. قال الزجاج: هو الحُزْمَةُ من الحشيش والزُّيْحان وما أشبهه. قال المفسرون: جزي الله زوجته بحسن صبرها أن آفاه في ضربها فسهل الأمر، فجمع لها مائة عود، وقيل: مائة سنبل، وقيل: كانت أسلاً<sup>(١)</sup>، وقيل: من الإذخر<sup>(٢)</sup>، وقيل: كانت شماريح، فضربها بها ضربة واحدة ولم يخث في يمينه. وهل ذلك خاص له، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه عام، وبه قال ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، [وابن أبي ليلى]. والثاني: أنه خاص لأبوب، قاله مجاهد.

### فصل

وقد اختلف الفقهاء فيمن حلف أن يضرب عبده عشرة أسواط فجمعها كلها وضربه بها ضربة واحدة، فقال مالك، والليث بن سعد: لا يبرأ، وبه قال أصحابنا. وقال أبو حنيفة والشافعي: إذا أصابه في الضربة الواحدة كل واحد منها، فقد برأ، واحتجوا بمعموم قصة أيوب عليه الصلاة والسلام.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ مُسِرًّا﴾ أي: على البلاء الذي ابتليناه به<sup>(٣)</sup>.

﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (٤) إِنَّا اخْتَصَمْنَا بِحَالَمَةَ وَكَرَى الدَّارِ (٥) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْآخِرِ (٦) وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْآخِرِينَ (٧) هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ ثَوَابٍ (٨) جَنَّاتٍ عَدْنٍ مِّنْهُنَّ لَمْ يَكُن فِيهَا تُعُودٌ مِّنْ قَبْلِهِمْ كَثِيرَةٌ وَتَرْتَبُ (٩) وَعِندَهُمْ نُفُوسٌ الْكَافِرِينَ أَزْوَاجٌ (١٠) هَذَا مَا وَعَدُونَا وَإِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَمْ يَنفَدِ (١١)

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا﴾ وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وحמיד، وابن محيصن، وابن كثير: «عبدنا»، إشارة إلى إبراهيم، وجعلوا إسحاق ويعقوب عطفاً عليه، لأنه الأصل وهما ولداه، والمعنى: اذكر صبرهم، وإبراهيم ألقي في النار، وإسحاق أضجع للذبح<sup>(٤)</sup>، ويعقوب صبر على ذهاب بصره وابتلي بفقد ولده؛ ولم يذكر إسماعيل معهم، لأنه لم يبتلى كما ابتلوا<sup>(٥)</sup>. ﴿أُولَى الْأَيْدِي﴾ يعني القوة في الطاعة ﴿وَالْأَبْصَارِ﴾ البصائر في الدين والعلم. قال ابن جرير: وذكر الأيدي مثل، وذلك لأن باليد البطش، وبالبطش تُعرف قُوَّةُ القوي، فلذلك قيل للقوي: ذو يدي؛ وعنى بالبصر: بصر القلب، وبه تُنال معرفة الأشياء. وقرأ ابن مسعود، والأعمش، وابن أبي عبيدة: «أُولَى الْأَيْدِ» بغير ياء في الحاليين. قال الفراء: ولها وجهان: أحدهما: أن يكون القارئ لهذا أراد الأيدي، فحذف الياء، وهو صواب، مثل الجوار والمناد. والثاني: أن يكون من القُوَّة والتأييد، من قوله: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا اخْتَصَمْنَا﴾ أي: اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين، فأفردناهم بمفردة من خصال الخير؛ ثم أبان

(١) قال في «المصباح»: الأسل: شجر، ويقال: كل شجر له شوك طويل فتشوكه أسل.

(٢) قال في «المصباح»: الإذخر: بكسر الهمزة والفاء: نبات معروف ذكي الريح، وإذا جفأ أبيض.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ مُسِرًّا﴾ يقول: إنا وجدنا أيوب مسيراً على البلاء، لا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله والدخول في معصية ﴿وَمِنَ الْأَيْدِي﴾ يقول: إنه إلى طاعة الله مقل، وإلى رضا رجاء. اهـ.

(٤) هذا على رأي من قال بأن الذبح هو إسحاق، وبذلك قال المصنف، وقد رجح ذلك الطبري، وقد تقدم أن الصواب في ذلك أن الذبح إسماعيل، لا إسحاق، وعليه الجمهور.

(٥) قال ابن كثير: يقول تبارك وتعالى مخبراً عن فضائل عباده المرسلين وأنبياؤه العارفين ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (٦) يعني بذلك العمل الصالح والعلم النافع، والقرّة في العبادة والبصيرة النافذة. اهـ.

عنها بقوله: ﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾. وفي المراد بالدار هاهنا قولان: أحدهما: الآخرة. والثاني: الجنة. وفي الذكرى قولان: أحدهما: أنها من الذِّكْر، فعلى هذا يكون المعنى: أخلصناهم بذكر الآخرة، فليس لهم ذكر غيرها، قاله مجاهد، وعطاء، والسدي. وكان الفضيل بن عياض رحمه الله عليه يقول: هو الخوف الدائم في القلب. والثاني: أنها التذكير، فالمعنى أنهم يذكرون الناس إلى الآخرة وإلى عبادة الله تعالى، قاله قتادة. وقرأ نافع: «بخالصة ذكرى الدار»، فأضاف «خالصة» إلى «ذكرى الدار» قال أبو علي: تحتل قراءة من نون وجهين: أحدهما: أن تكون «ذكرى» بدلاً من «خالصة»، والتقدير: أخلصناهم بذكر الدار، والثاني: أن يكون المعنى: أخلصناهم بأن يذكروا الدار بالتأهب للآخرة والزهد في الدنيا. ومن أضاف، فالمعنى: أخلصناهم بإخلاصهم ذكرى الدار بالخوف منها. وقال ابن زيد: أخلصناهم بأفضل ما فيه الجنة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عِنْدَ رَبِّكَ أَجْرٌ كَثِيرٌ﴾ أي: من الذين اتخذهم الله صفوة فصفاهم من الأدناس ﴿الْأَخْيَارِ﴾ الذين اختارهم. ﴿وَأَذْكُرْهُمْ فِي السَّجَّةِ﴾ أي: أذكرهم بفضلهم وصبرهم لئسلك طريقهم. واليسع نبي، واسمه أعجمي معرب، وقد ذكرناه في [الأنعام: ٨٥]، وشرحنا في سورة [الأنبياء: ٨٥] قصة ذي الكفل، وتكلمنا في [البقرة: ١٢٥] في اسم إسماعيل، وزعم مقاتل أن إسماعيل هذا ليس بابن إبراهيم.

قوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ أي: شرف وثناء جميل يذكرون به أبداً ﴿وَلَهُ لَشَتَّى لَحَنٌ مِّنْ ذِكْرٍ﴾ أي: حسن مرجع يرجعون إليه في الآخرة. ثم بين ذلك المرجع، فقال: ﴿جَنَّتْ عَنَّا مَفْجَعَةٌ لِّمَنَ الْأَكْبَرِ﴾ قال الفراء: إنما رفعت «الأبواب» لأن المعنى: مفتحة لهم أبوابها، والعرب تجعل الألف واللام خلفاً من الإضافة، فيقولون: مرتت على رجل حسن العين، قبيح الأنف، والمعنى: حسنة عينه، قبيح أنفه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِّلْبَنِيِّ مِنَ الدَّارِ الْآخِرَةِ﴾ [التازعات: ٣٩] والمعنى: مأواه. وقال الزجاج: المعنى: مفتحة لهم الأبواب منها، فالألف واللام للتعريف، لا للبدل. قال ابن جرير: والفائدة في ذكر تفتيح الأبواب، أن الله ﷻ أخبر عنها أن أبوابها تفتح لهم بغير فتح سكاها لها بيد، ولكن بالأمر، قال الحسن: هي أبواب تكلم، فتكلم: انفتحت، انغلق.

قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ قِيعَرٌ أَكْرَبُ﴾ قد مضى بيانه في [الصافات: ٤٨]. قال الزجاج: والأترب: اللواتي أسنانهن واحدة ومن في غاية الشباب والحسن.

قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا نُوعِدُكُمْ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير بالياء. والباقون بالتاء.

قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي السَّابَّ﴾ اللام بمعنى «في». والثقاد: الانقطاع. قال السدي: كلما أخذ من رزق الجنة شيء، عاد مثله.

﴿هَذَا ذِكْرٌ لِّلْكَافِرِينَ لَنَرَّ مَقَابَ﴾ جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَ إِلَيْهِ الْمَهَادِ ﴿١٥﴾ هَذَا قَوْلُهُمْ حَيِّرٌ وَعَسَاقٌ ﴿١٦﴾ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَرْجُ ﴿١٧﴾ هَذَا قَوْلٌ مَّقْنَعٌ مِّمَّكُمْ لَا مَرَجَ بَيْنَهُمْ صَلَواتُ النَّارِ ﴿١٨﴾ قَالُوا بَلْ أَنشَرَ لَمْ مَرَجًا بِكُمْ أَنشَرَ قَدْ مَشَوْا لَنَا يَلَسَ الْقَرَارُ ﴿١٩﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّ عَلَيْنَا عَسَاقٌ فِي النَّارِ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِيَالًا كَمَا نَعُدُّ مِنْ الْأَشْرَارِ ﴿٢١﴾ أَفَعَدَّتْهُمْ سِغْرًا أَمْ رَأَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَجَامٍ أَهْلِ النَّارِ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَإِنِّي أَنَا الْوَحِيدُ الْفَاهُءُ ﴿٢٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْفَقِيرُ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿هَذَا﴾ المعنى: هذا الذي ذكرناه ﴿وَلِكِ لِّلْكَافِرِينَ﴾ يعني للكافرين. ﴿لَنَرَّ مَقَابَ﴾<sup>(٣)</sup>، ثم بين ذلك

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك على قراءة من قرأه بالتثنية أن يقال: معناه: إنا أخلصناهم بخالصة هي ذكرى الدار الآخرة، فسلموا لها في الدنيا فأطاعوا الله وراقبوه. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: أي: هذا الذي ذكرنا من صفة الجنة، هي التي وعدنا لعباده المطيعين الذين يصيرون إليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿هَذَا﴾ الذي وصفت لهؤلاء المتقين، قال: ثم استأنف جل وعز الخبر عن الكافرين به الذين طقوا عليه ويقولوا فقال: ﴿وَلِكِ لِّلْكَافِرِينَ﴾ وهم الذين تمردوا على ربهم فقتلوا أمره مع إحسانه إليهم ﴿لَنَرَّ مَقَابَ﴾، يقول: لشر مرجع ومصير يصيرون إليه في الآخرة بعد خروجهم من الدنيا. اهـ.



بقوله: ﴿جَهَنَّمَ﴾ والجهاد: الفراش. ﴿هَذَا فَلْيَذُقُوهُ﴾ قال الفراء: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: هذا حميمٌ وعَسَاقٌ فَلْيَذُقُوهُ؛ وإن شئتَ جعلتَ الحميم مستأنفاً، كأنك قلتَ: هذا فَلْيَذُقُوهُ، ثم قلتَ: منه حميمٌ، ومنه عَسَاقٌ، كقول الشاعر:

حَتَّى إِذَا مَا أَضَاءَ الصُّبْحُ فِي عَالَسٍ  
وَعُودِزَ الْبَقْلِ مَلُويٍّ وَمَخْضُودٍ<sup>(١)</sup>  
فأما الحميم، فهو الماء الحارّ. وأما العَسَاق، ففيه لغتان، قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص: بالتشديد، وكذلك في (عم يشاءون: ٢٥)، تابعهم المفضل في ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، وقرأ الباقر بالتخفيف. وفي العَسَاق أربعة أقوال: أحدها: الزمهرير، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال مجاهد: العَسَاق لا يستطيعون أن يذوقوه من برده. والثاني: أنه ما يجري من صديد أهل النار، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال عطية، وقتادة، وابن زيد. والثالث: أن العَسَاق: عَيْنٌ فِي جَهَنَّمَ يَسِيلُ إِلَيْهَا حُمَةٌ كُلُّ ذَاتِ حُمَةٍ مِنْ حَيٍّ أَوْ عَرَبٍ أَوْ غَيْرِهَا، فَيَسْتَنْقِعُ، فَيُوتِي بِالْأَدَمِيِّ فَيُغَمَسُ فِيهَا غَمَسَةً، فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام، وَيَجُرُّ لَحْمَهُ جَرَّ الرَّجُلِ ثَوْبَهُ، قاله كعب. والرابع: أنه ما يسيل من دموعهم، قاله السدي. قال أبو عبدة: العَسَاق: ما سال، يقال: عَسَقَتِ العين والجرح. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي عن ابن قتيبة قال: لم يكن أبو عبدة [يذهب] إلى أن في القرآن شيئاً من غير لغة العرب، وكان يقول: هو اتفاق يقع بين اللغتين، وكان [غيره] يزعم أن العَسَاق: البارد المُنْتِن بلسان الترك. وقيل: فَعَالٌ، من عَسَقَ يَغْسِقُ؛ فعلى هذا يكون عربياً. وقيل في معناه: إنه الشديد البرد، يخرق من برده. وقيل: هو ما يسيل من جلود أهل النار من الصديد<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ﴾ قرأ أبو عمرو، والمفضل: «وأخرَجَ» بضم الهمزة من غير مدٍّ، فجعلما لأجل نعتهم بالأزواج، وهي جمع. وقرأ الباقر بفتح الألف ومدّه على التوحيد، واحتجوا بأن العرب تنعت الاسم إذا كان فعلاً بالقليل والكثير؛ قال الفراء: تقول: عذاب فلانٍ ضروبٌ شتى، وضربان مختلفان؛ وإن شئتَ جعلتَ الأزواج نعتاً للحميم والفَسَاق والأخر، فهنّ ثلاثة، والأشبه أن تجعله صفة لواحد. وقال الزجاج: من قرأ «وأخرَجَ» بالمدّ، فالمعنى: وعذاب آخر «من شكَّيهِ» أي: مثلي الأول. ومن قرأ: «وأخرَجَ»، فالمعنى: وأنواعٌ آخر، لأن قوله: ﴿أَزْوَاجٌ﴾ بمعنى أنواع. وقال ابن قتيبة: «وَأَخْرَجَ مِنْ شَكَّيهِ» أي: مِنْ نَحْوِهِ، «أَزْوَاجٌ» أي: أصناف. وقال ابن جرير: «مِنْ شَكَّيهِ» أي: مِنْ نَحْوِ الْحَمِيمِ. قال ابن مسعود في قوله: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْ شَكَّيهِ﴾: هو الزمهرير. وقال الحسن: لما ذكر الله تعالى العذاب الذي يكون في الدنيا، قال: «وَأَخْرَجَ مِنْ شَكَّيهِ» أي: وآخر لم ير في الدنيا<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿هَذَا قَوْلَ الرِّبَّانِيَةِ لِلْقَادَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي الْكُفْرِ إِذَا جَاؤَهُمْ بِالْأَنْبِيَاءِ. وقيل: بل هو قول الملائكة لأهل النار كلما جاؤهم بأمة بعد أمة<sup>(٤)</sup>. والفوج: الجماعة من الناس، وجمعه: أفواج. والمُتَقَدِّمُ: الداخل في الشيء رمياً بنفسه. قال ابن السائب: إنهم يُضْرَبُونَ بِالْمَقَامِعِ، فَيُلْقَوْنَ أَنْفُسَهُمْ فِي النَّارِ وَيَبْنُونَ فِيهَا خَوْفاً مِنْ تِلْكَ الْمَقَامِعِ. فلما قالت الملائكة ذلك لأهل النار، قالوا: ﴿لَا مَرَجَ لِيهِمْ﴾، فاتصل الكلام بأنه قول واحد، وإنما الأول من قول الملائكة، والثاني من قول أهل النار؛ وقد بيّنا مثلاً هذا في قوله: ﴿لِيَلْمَنَ أَنِّي لَمْ أَكُنْهُ بِالْقَبْرِ﴾ (يوسف: ٥٢). والمَرْحَبُ والرَّحْبُ: السَّعَةُ. والمعنى: لا أَسْعَتَ بِهِمْ مَسَاكِنُهُمْ. قال أبو عبدة: تقول العرب للرجل: لا مَرْحَباً [بك] أي: لا رَحْبَتْ عَلَيْكَ الْأَرْضُ. وقال ابن قتيبة: معنى قولهم: «مَرْحَباً وَأَهْلَاءُ» أي: آتَيْتَ رُحْباً، أي: سَعَةً، وَأَهْلَاءُ، أي: آتَيْتَ

(١) البيت من شواهد الفراء، وهو في معاني القرآن: ١٩٣، و«الطبري»: ١٧٦/٢٣، والغلس: ظلام آخر الليل. والملوي: الياض النابل.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو ما يسيل من صديدهم، قال: لأن ذلك هو الأغلب من معنى السُّوق، وإن كان الآخر وجه صحيح. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: وقال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْ شَكَّيهِ أَنْتَ﴾، ألوان من العذاب، قال: وقال غيره: كالزمهرير والسموم وشراب الحميم وأكل الرُّوم والصمود والهوى، إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة المتفردة، قال: والجميع مما يعذبون به ويهانون بسببه. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: وقوله ﷻ: ﴿هَذَا قَوْلُ ثَمَرَةٍ مِنْكُمْ لَا رَحْبَ لِيَهُمْ سَأَلُوا أَتَى﴾ هذا إخبار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا كَلَّتْ أَتَى لَكُنْتُ أَتَيْتُ﴾ يعني بدل السلام يتلاعنون ويتكافون ويكفر بعضهم ببعض.

أَهْلًا لَا غُرَبَاءَ، فائِسٌ وَلَا تَسْتَوْحِشْ، وَسَهْلًا، أَي: أُنِيتَ سَهْلًا لَا حَزْنًَا، وَهُوَ فِي مَذْهَبِ الدُّعَاءِ، كَمَا تَقُولُ: لَقِيتَ خَيْرًا. قَالَ الزَّجَاجُ: «وَمَرْحَبًا» مُصَوَّبٌ بِقَوْلِهِ: رَحِبْتَ بِلَاذِكْ مَرْحَبًا، وَصَادَفْتَ مَرْحَبًا، فَأُدْخِلْتَ «لَا» عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ سَالُوا النَّارَ﴾ أَي: دَاخِلُوهَا كَمَا دَخَلْنَاهَا، وَمُقَاسُونَ حَرْمَهَا. فَاجَابَهُم الْقَوْمُ، ذُ «قَالُوا بِرَأْسِهِ لَا مَرْحَبًا بِكَ أَنْتَ فَلَمْ تَسْتَوْحِشْ». إِنْ قُلْنَا: إِنْ هَذَا قَوْلُ الْأَتْبَاعِ لِلرُّسَاءِ، فَالْمَعْنَى: أَنْتُمْ زَيْتُمْ لَنَا الْكَفْرَ؛ [وَإِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ قَوْلُ الْأُمَّةِ الْمَتَاخِرَةِ لِلْأُمَّةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَالْمَعْنَى: أَنْتُمْ شَرَعْتُمْ لَنَا الْكَفْرَ] وَبَدَأْتُمْ بِهِ قَبْلَنَا، فَدَخَلْتُمُ النَّارَ قَبْلَنَا ﴿فَلَسَ الْفَكَرُ﴾ أَي: بِشِ الْمُسْتَقَرِّ وَالْمَنْزِلِ. «قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا؟» أَي: مَنْ سَنَّهُ وَشَرَعَهُ ﴿فَرَدُّهُ هَذَاكَ ضَعْفًا فِي النَّارِ﴾ وَقَدْ شَرَحْنَاهُ فِي [الْأَمْرَاتِ: ٢٨]. وَفِي الْقَاتِلِينَ لِهَذَا قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ قَوْلُ جَمِيعِ أَهْلِ النَّارِ، قَالَهُ ابْنُ السَّائِبِ. وَالثَّانِي: قَوْلُ الْأَتْبَاعِ. قَالَهُ مَقَاتِلٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا﴾ يَعْنِي أَهْلَ النَّارِ «مَا لَنَا لَا نَرَى بِيَاكُ كَمَا نَقْدُمُ مِنَ النَّارِ؟» قَالَ الْمَفْسُورُونَ: إِذَا دَخَلُوا النَّارَ، نَظَرُوا فَلَمْ يَرَوْا مَنْ كَانَ يَخَالِفُهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَقُولُونَ ذَلِكَ. قَالَ مُجَاهِدٌ: يَقُولُ أَبُو جَهْلٍ فِي النَّارِ: أَيْنَ صَهِيبُ، أَيْنَ عَمَّارُ، أَيْنَ خَبَابُ، أَيْنَ بِلَالُ؟

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَقَدْ نَهَيْتُمْ سِخْرِيًّا﴾ قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو، وَحُمَزَةٌ، وَالْكَسَايُ: «مِنْ الْأَشْرَارِ اتَّخَذْنَاهُمْ» بِالْوَصْلِ عَلَى الْخَبَرِ؛ أَي: [إِنَّا] اتَّخَذْنَاهُمْ، وَهَؤُلَاءِ يَتَدَبَّرُونَ بِكسرِ الْهَمْزَةِ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِقَطْعِ الْأَلْفِ وَفَتْحِهَا عَلَى مَعْنَى الْاسْتِفْهَامِ، وَهَؤُلَاءِ يَتَدَبَّرُونَ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى التَّعَجُّبِ وَالتَّوْبِيخِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يُوَيِّخُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى مَا صَنَعُوا بِالْمُؤْمِنِينَ. وَ«سِخْرِيًّا» يُقْرَأُ بِضَمِّ السِّينِ وَكسرها. وَقَدْ شَرَحْنَاهَا فِي آخِرِ سُورَةِ [الْمُؤْمِنِينَ: ١١٠] «أَمْ رَأَيْتُ لَهُمْ أَلْبَصَرًا؟» أَي: وَهُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ وَلَا نَرَاهُمْ؟ وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: «أَمْ» هَاهُنَا بِمَعْنَى «بَلْ».

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ﴾ قَالَ الزَّجَاجُ: [أَي]: إِنْ الَّذِي وَصَفْنَاهُ عَنْهُمْ لَحَقٌّ. ثُمَّ بَيَّنَّ مَا هُوَ، فَقَالَ: هُوَ «تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ»<sup>(١)</sup> وَقَرَأَ أَبُو الْجَوَّاءِ، وَأَبُو الشَّعْثَاءِ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ: «تَخَاصُّمُ» بَرْفَعِ الصَّادَ وَفَتْحِ الْمِيمِ، وَكسِرِ اللَّامِ مِنْ «أَهْلِ» وَقَرَأَ أَبُو مَجْلَزٍ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَأَبُو الْمُتَوَكِّلِ، وَابْنُ السَّمِيعِ: «تَخَاصُّمُ أَهْلِ» بِفَتْحِ الصَّادِ وَالْمِيمِ وَرَفْعِ اللَّامِ.

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> أَنْتُمْ عَنْهُ مُتَرَدِّونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّيْلِ الْآفِكِ إِذْ يَخْشَعُونَ ﴿٧٩﴾ إِنْ يُؤْمِنُ إِلَيَّ إِلَّا أَنَا أَنَا نَذِيرٌ تُبِينُ ﴿٨٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَنَرًا تَيْنَ طِينِ ﴿٨١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمُ سَجِدِينَ ﴿٨٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَسْجُودًا ﴿٨٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٨٤﴾ قَالَ إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْغَالِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ نَبْتِ خَلْقِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتُمْ مِنْ طِينِ ﴿٨٦﴾ قَالَ فَخَرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٨٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٨٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٨٩﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٩٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٩١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُعْرِضَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَصِينَ ﴿٩٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٩٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ يَتَّبِعُكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ ثَوَابٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٩٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ وَلَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴿٩٨﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> النَّبَأُ: الْخَبَرُ. وَفِي الْمَشَارِ إِلَى قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ الْقُرْآنُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْجُمْهُورُ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ الْبَيْعُ بَعْدَ الْمَوْتِ، قَالَهُ قَتَادَةُ<sup>(٣)</sup>، «أَنْتُمْ عَنْهُ مُتَرَدِّونَ»<sup>(٤)</sup> أَي: لَا تَتَفَكَّرُونَ فِيهِ فَتَعْلَمُونَ صِدْقِي فِي بُرْهَانِي، وَأَنْ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنْ قِصَصِ الْمَاضِينَ لَمْ أَغْلَمْهُ إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ. وَبَدَلَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ: «مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّيْلِ الْآفِكِ» يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ ﴿إِذْ يَخْشَعُونَ﴾ فِي شَأْنِ آدَمَ حِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]؛ وَالْمَعْنَى: إِنِّي مَا عَلِمْتُ هَذَا إِلَّا بِوَحْيٍ، ﴿إِنْ يُؤْمِنُ إِلَيَّ﴾ أَي: مَا يُوْحِي إِلَيَّ ﴿إِلَّا أَنَا أَنَا نَذِيرٌ﴾

(١) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ﴾<sup>(١)</sup> أَي: إِنْ هَذَا الَّذِي أَخْبَرْنَاكَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ مِنْ تَخَاصُّمِ أَهْلِ النَّارِ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، وَلَعِنْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، لَحَقٌّ لَا مَرِيَةَ فِيهِ وَلَا شَكَّ. اهـ.

(٢) قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ: يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لَنَبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ: «قُلْ» يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ الْمَكِّيِّينَ فِيمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ الْقَاتِلِينَ لَكَ فِيهِ: إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ «هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ» يَقُولُ: هَذَا الْقُرْآنُ خَبَرٌ عَظِيمٌ. اهـ.



قوله تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ (١٨) قرأ عاصم إلا حسنون عن هبيرة، وحمزة، وخلف، وزيد عن يعقوب: «فالْحَقُّ» بالرفع في الأول ونصب الثاني، وهذا مروى عن ابن عباس، ومجاهد؛ قال ابن عباس في معناه: فأنا الحق وأقول الحق؛ وقال غيره: خبر الحق محذوف، تقديره: الحق مئني. وقرأ محبوب عن أبي عمرو بالرفع فيهما؛ قال الزجاج: من رفعهما جميعاً، كان المعنى: فأنا الحق والحق أقول. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: بالنصب فيهما. قال الفراء: وهو على معنى قولك: حقاً لا يتنك، ووجود الألف واللام وطرحهما سواء، وهو بمنزلة قولك: حمداً لله. وقال مكّي بن أبي طالب: انتصب الحق الأول على الإغراء، أي: أتبعوا الحق، واسمعوا والزمو الحق. وقيل: هو نصب على القسم، كما تقول: الله لأفعلن، فتنصب حين حذف الجار، لأن تقديره: فبالحق؛ فأما الحق الثاني، فيجوز أن يكون الأول، وكرره تأكيداً، ويجوز أن يكون منصوباً بـ «أقول» كأنه قال: وأقول الحق. وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وأبو رجاء، ومعاذ القارئ، [والأعمش]: «فالْحَقُّ» بكسر القاف «والْحَقُّ» بنصبها. وقرأ أبو عمران [الجوني] بكسر القافين جميعاً. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو نهيك: «فالْحَقُّ» بالنصب «والْحَقُّ» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ أي: من نفسك وذريتك. ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ ثَمَرٍ﴾ أي: على تبليغ الوحي ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾ أي: لم أتكلف إتيانكم من قبل نفسي، إنما أمرت أن أتيتكم، ولم أقل القرآن من تلقاء نفسي، إنما أوحى إليّ (١). ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هو، يعني القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي: موعظة ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾. ﴿وَلَتَلْمِزَنَّ﴾ يا معاشر الكفار ﴿تِبَاطُ﴾ أي: خبر صدق القرآن ﴿بِمَدَّ جِبِينٍ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: بعد الموت. والثاني: يوم القيامة (٢)، روى عن ابن عباس، وبالأول يقول قتادة، وبالثاني يقول عكرمة. والثالث: يوم بدر، قاله السدي، ومقاتل. وقال ابن السائب: من بقي إلى أن ظهر أمر رسول الله ﷺ علم ذلك، ومن مات علمه بعد الموت. وذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولا وجه لذلك.



(١) قال ابن كثير: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾ أي: وما أزيد على ما أرسلني الله تعالى به ولا أبغى زيادة عليه، بل ما أمرت به أقيته، لا أزيد عليه ولا أنقص منه، وإنما أبغى بذلك وجه الله ﷻ والدار الآخرة، قال: قال سفيان الثوري عن الأعمش ومنصور عن أبي الضمى عن مسروق قال: أتينا عبد الله بن مسعود ﷺ فقال: يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله ﷻ قال لبيكم ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ ثَمَرٍ﴾ وقرأنا ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾ (١٨) قال: أخرجه من حديث الأعمش به. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: ولا منافاة بين القولين، فإن من مات فقد دخل في حكم القيامة، قال: وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَتَلْمِزَنَّ﴾ ﴿تِبَاطُ بِمَدَّ جِبِينٍ﴾ (١٨) قال الحسن: يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين. اهـ.

## سورة الزمر

### وتسمى سورة الغَرْف

### فصل في نزولها

روى العوفي وابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مكِّيَّة، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وجابر بن زيد. وروي عن ابن عباس أنه قال: فيها آيتان نزلتا بالمدينة: قوله: ﴿اللَّهُ زَلَّ الْحَدِيثَ﴾ [الزمر: ٢٣] قوله: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ [الزمر: ٥٣]. وقال مقاتل: فيها من المدني ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا...﴾ الآية [الزمر: ٥٣]، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ [الزمر: ١٠]. وفي رواية أخرى عنه قال: فيها آيتان مدينتان ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ [الزمر: ٥٣] وقوله: ﴿يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾<sup>(١)</sup> [الزمر: ١٠]. وقال بعض السلف: فيها ثلاث آيات مدينت ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْشُرْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣ - ٥٥].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣) لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَمْطَلْنَا بِمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤) قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ قال الزجاج: الكتاب هاهنا القرآن، ورفع «تنزيل» من وجهين: أحدهما: الابتداء، ويكون الخير «بِإِنْشَاءِ اللَّهِ»، فالمعنى: نزل من عند الله. والثاني: على إضمار: هذا تنزيل الكتاب؛ و«مُخْلِصًا» منصوب على الحال؛ فالمعنى: فاعبد الله موحدًا لا تشرك به شيئاً.

قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ يعني: الخالص من الشرك، وما سواه ليس بدين الله الذي أمر به؛ [وقيل: المعنى: لا يستحق الدِّينَ الخالصَ إلا الله. ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني آلهة، ويدخل في هؤلاء اليهود حين قالوا: ﴿عِزُّ رَبِّنَا أَكْبَرُ﴾ والنصارى لقولهم: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] وجميع عبَاد الأصنام، ويدلُّ عليه قوله بعد ذلك: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الزمر: ٤].

قوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ أي: يقولون ما نعبدهم ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ أي: إِلَّا لِيَشْفَعُوا لَنَا إِلَى اللَّهِ. والزُّلْفَى: القُرْبَى، وهو اسم أقيم مقام المصدر، فكانه قال: إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ تَقْرِيبًا. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين أهل الأديان فيما كانوا يختلفون فيه من أمر الدين. وذهب قوم إلى أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولا وجه لذلك. قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ أي: لا يُرشد مَنْ سبق عليه القضاء بجرمان الهداية<sup>(٢)</sup>. ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [أي]: على ما يزعم باتخاذها آلهة، وهذا إخبار عمن سبق عليه القضاء بجرمان الهداية<sup>(٣)</sup>. قال مقاتل: أي: من الملائكة<sup>(٤)</sup>.

(١) قال في «إتحاف فضلاء البشر»: وافقوا على حلف الباء من ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إِلَّا ما انفرد به أبو العلاء عن رويس من إثباتها وقفًا، فخالف سائر الناس كما مر في المرسوم.

(٢) قال ابن كثير: وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ أي: لا يرشد إلى الهداية من قصد الكذب والافتراء على الله تعالى وقلبه كافر بآياته وحججه وبراهينه. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَمْطَلْنَا بِمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: لكان الأمر على خلاف ما يزعمون، قال: وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه، بل هو محال، قال: وإنما قصد تهجيلهم فيما ادعوه وزعموه، كما قال ﴿لَوْ أَرَادَ أَنْ نَنْشُرَ لَأَوَدَعْنَا فِي لُطْفٍ إِنَّ كُنَّا نَفِيضِينَ﴾ ﴿قُلْ لَكُمْ إِلَهُي وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ قال: كل هذا من باب الشرط، قال: ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لمقصد المتكلم. اهـ.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْحَقَّ يَكُونُ أَيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَالْقَمَرُ كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَنِيُّ﴾ (١)

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْحَقَّ﴾ [أي]: لم يخلقهما لغير شيء. ﴿يَكُونُ أَيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ قال أبو عبيدة: يُدْخِلُ هذا على هذا. قال ابن تينية: وأصل التَّكْوِينُ: اللَّفْظُ، ومنه كَوَّرَ العِمَامَةَ. وقال غيره: التَّكْوِينُ: طَرْحُ الشيء بعضه على بعض. ﴿وَسَخَّرَ الْقَمَرُ وَالْقَمَرُ﴾ أي: ذلَّلهما للسَّير على ما أراد ﴿كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى الأجل الذي وقَّت الله للدُّنيا. وقد شرحنا معنى العزيز في [البقرة: ١٢٩] ومعنى الغفار في [طه: ٤٨].

﴿خَلَقَ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْثَمَةِ نَسَبًا أَرْوَاحَ بِخَلْقِكُمْ فِي بَطُونِ أَهْنَكُمُ خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِ فِي ظُلُمَاتٍ فَلَكُمْ اللَّهُ رَيْكُمُ لَهُ الْمَلَكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّعِزُّوا﴾ (٢)

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ﴾ يعني آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي: قَبْلَ خَلْقِكُمْ جعل منها زوجها، لأنَّ حَوَاءَ خُلِقَتْ قَبْلَ الذَّرِيَّةِ، ومثله في الكلام أن تقول: قد أعطيتك اليوم شيئاً، ثُمَّ الذي أعطيتك أمس أكثر؛ هذا اختيار الفراء. وقال غيره: ثم أخبركم أنه خلق منها زوجها ﴿وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْثَمَةِ﴾ أي: خَلَقَ ﴿نَسَبًا أَرْوَاحَ﴾، وقد بيَّناها في سورة [الناس: ١٤٣]. ﴿خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِ﴾ أي: نَفْطًا ثُمَّ عَلَقًا ثُمَّ مَضْغًا ثُمَّ عَظْماً ثُمَّ لَحْماً ثُمَّ أَنَبْتَ الشَّعْرَ، إلى غير ذلك من تَقْلِبِ الأحوال إلى إخراج الأطفال، هذا قول الجمهور. وقال ابن زيد: خَلَقًا فِي الْبُطُونِ مِنْ بَعْدِ خَلْقِكُمْ فِي ظَهْرِ آدَمَ.

قوله تعالى: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ لَّئِي﴾ ظُلْمَةُ الْبَطْنِ، وَظُلْمَةُ الرَّجِمِ، وَظُلْمَةُ الْمَشِيمَةِ (٣)، قاله الجمهور، وابن زيد معهم. وقال أبو عبيدة: إنها ظُلْمَةُ صُلْبِ الْآبِ، وَظُلْمَةُ بَطْنِ الْمَرَأَةِ، وَظُلْمَةُ الرَّجِمِ.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّعِزُّوا﴾ أي: من أين تُضَرِّفُونَ عن طريق الْحَقِّ بعد هذا البيان؟! ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَى عَنَكُمُ وَلَا يَرْضَى لِيِبَادُوا الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِنْ رَيْتُمْ مَرِجَمَكُمْ فَبَيْتُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٤)

﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَى عَنَكُمُ﴾ أي: عن إيمانكم وعبادتكم ﴿وَلَا يَرْضَى لِيِبَادُوا الْكُفْرَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يَرْضاه للمؤمنين، قاله ابن عباس. والثاني: لا يرضاه لأحد وإن وقع بإرادته، وفُرقَ بين الإرادة والرضا، وقد أشرنا إلى هذا في [البقرة: ٢٠٥] عند قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾. ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي: يرضى ذلك الشكر لكم (٥)، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما في القلوب.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِسْمَةً مِنِّي نَسَىٰ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّئَلَّا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (٦)

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: في عتبة بن ربيعة، قاله عطاء. والثاني: في أبي حذيفة بن المغيرة، قاله مقاتل (٧). والضُّرُّ: البلاء والشدة. ﴿مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ أي: راجعاً إليه من شركه. ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ﴾ أي: أعطاه وملَّكه ﴿نِسْمَةً مِنِّي﴾ بعد البلاء الذي أصابه، كَالصَّحَّةِ بعد المرض، والوَيْسِ بعد الفقر ﴿نَسَىٰ﴾ أي: ترك ما كان يدعو إليه، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: نسي الدُّعاء الذي كان يتضرع به إلى الله تعالى. والثاني: نسي الضُّرَّ الذي [كان] يدعو [الله] إلى كُشْفِهِ. والثالث: نسي الله الذي [كان] يتضرع إليه. قال الزجاج: وقد تَدُلُّ «ما» على الله ﷻ، كقوله: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا عَبَدُ﴾ (٨) [الكافرون: ٢٣]. وقال الفراء: تَرَكَ ما كان يدعو إليه. وقد سبق معنى الأنداد [البقرة: ٢٢] ومعنى ﴿يُحِيلَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٩].

(١) المشيمة وزان كريمة: غشاء ولد الإنسان، وقال ابن الأعرابي: يقال لما يكون فيه الوليد: المشيمة والكيس والغلاف.  
(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ يقول: وإن تومنوا بربكم وتطيعوه يرضى شكركم له، وذلك هو إيمانهم به وطاعتهم إياه، فكنى عن الشكر ولم يُدْكَرْ، وإنما ذُكِرَ الفعل الدال عليه، وذلك نظير قوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَبَلُوا لَكُمْ فَاغْتَبَوْا قَرَادَهُمْ يُبْسَكُ﴾ بمعنى: فزادهم قول الناس لهم ذلك إيماناً. اهـ.  
(٣) ذكر سبب النزول هذا؛ البغوي والخازن بدون سند.

قوله تعالى: ﴿قَدْ تَمَنَّعَ بِكَرِّكَ﴾ لفظه لفظ الأمر ومعناه التهديد، ومثله: ﴿فَتَسْتَوْفَوْنَ قَتْلَكُمْ﴾ [النحل: ٥٥].  
 ﴿أَمَنْ هُوَ قَتَيْتَ عَائَةَ أَيْلَ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ قَدْ هَلَ بِسِتْوَى الَّذِينَ يَبْكُونَ وَالَّذِينَ لَا يَبْكُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ قل يعباد الذين آمنوا ألقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله وسيعه إِنَّمَا يَوَدُّ الصَّابِرُونَ لِعِزِّهِمْ يَغْتَرِ حِسَابُ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿أَمَنْ هُوَ قَتَيْتَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وحمزة، وأبو جعفر، والمفضل عن عاصم، وزيد عن يعقوب: «أَمَنْ» بالتخفيف، وقرأ الباقون: بالتشديد. فأما المشددة، فمعناها: أهذا الذي ذكرنا خير، أَمَنْ هو قانت؟ والأصل في «أَمَنْ»: أَم مَنْ، فأدغمت الميم في الميم. وأما المخففة، ففي تقديرها ثلاثة أوجه: أحدها: أنها بمعنى النداء. قال الفراء: فسرها الذين قروا بها فقالوا: يا مَنْ هو قانت، وهو وجه حسن، والعرب تدعو بالالف كما تدعو بياء، فيقولون: يا زيد أَقْبِل، و: أَزِيد أَقْبِل، فيكون المعنى: أنه ذكر الناسي الكافر، ثم قص قصة الصالح بالنداء، كما تقول: فلان لا يصوم ولا يصلي، فيا مَنْ يضرهم أبشروا. والثاني: أن تقديرها: أَمَنْ هو قانت كمن ليس بقانت؟ والثالث: أَمَنْ هو قانت كمن جعل له أندادا؟ وقد ذكرنا معنى القنوت في [البقرة: ١١٦] ومعنى «عائَةَ أَيْلَ» في [آل عمران: ١١٣].

قوله تعالى: ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ يعني في الصلاة<sup>(١)</sup>. وفيمن نزلت فيه هذه الآية خمسة أقوال: أحدها: أنه أبو بكر الصديق، رواه عطاء عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: عثمان بن عفان، قاله ابن عمر<sup>(٣)</sup>. والثالث: عمار بن ياسر، قاله مقاتل<sup>(٤)</sup>. والرابع: ابن مسعود، وعمار، وصهيب، وأبو ذر، قاله ابن السائب<sup>(٥)</sup>. والخامس: أنه رسول الله ﷺ، حكاه يحيى بن سلام<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ أي: عذاب الآخرة. وقد قرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وابن عباس، وعروة، وسعيد بن جبيرة، وأبو رجاء، وأبو عمران: «يَحْذَرُ عَذَابَ الْآخِرَةِ» بزيادة «عذاب». «وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ» فيها قولان: أحدهما: أنها المغفرة، قاله ابن السائب. والثاني: الجنة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿قَدْ هَلَ بِسِتْوَى الَّذِينَ يَبْكُونَ﴾ أن ما وعد الله من الثواب والعقاب حقٌ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَبْكُونَ؟﴾ وباقي الآية قد تقدم في [الرمذ: ١٩]<sup>(٧)</sup>، وكذلك قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ قد تقدم في [النمل: ٣٠]. وفي قوله: ﴿وَأَرْضَ اللَّهِ وَرِيعَةً﴾ قولان: أحدهما: أنه حث لهم على الهجرة من مكة إلى حيث يأمنون. والثاني: أنها أرض الجنة رغبهم فيها. «إِنَّمَا يَوَدُّ الصَّابِرُونَ» الذين صبروا لأجل الله تعالى على ما نالهم «يَغْتَرِ حِسَابُ» أي: يُعْطُونَ عَطَاءً كَثِيرًا أَوْسَعُ مَنْ أَنْ يُحْسَبَ وَأَعْظَمُ مَنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ، لا على قدر أعمالهم.

(١) قال ابن كثير: يقول ﷺ: أَمَنْ هله صفته كمن أشرك بالله وجعل له أندادا؟ لا يسترون عند الله، كما قال تعالى: ﴿يَسْتَوُونَ سَوَاءٌ مِّنْ أَعْمَلِكُمْ إِنَّمَا تَسْمُوهُمْ أَكْبَرُ أَتَى اللَّهُ الْكَلْبَ وَكَانَ اللَّهُ أَعْلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ عِندَهُ﴾ وقال تبارك وتعالى هاهنا: ﴿أَمَنْ هُوَ قَتَيْتَ عَائَةَ أَيْلَ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ أي: في حال سجوده وفي حال قيامه، ولهذا استدل بهذه الآية من ذهب إلى أن القنوت هو الخشوع في الصلاة، ليس هو القيام وحده كما ذهب إليه آخرون. اهـ.

(٢) الواحدي في أسباب النزول، والبغوي في «الظهير» بدون سند.

(٣) قال السيوطي في «الدرر»: ٣٢٣/٥: أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية»، وابن عساکر عن ابن عمر ﷺ: أنه تلا هذه الآية: ﴿أَمَنْ هُوَ قَتَيْتَ عَائَةَ أَيْلَ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ...﴾ الآية، قال: ذاك عثمان بن عفان، وفي لفظ: نزلت في عثمان بن عفان. وذكر سبب النزول هذا الواحدي والبغوي والحاظون عن ابن عمر بدون سند.

(٤) الواحدي في «أسباب النزول» عن مقاتل بدون سند، وقال السيوطي في «الدرر»: ٣٢٣/٥: أخرج ابن سعد في «طبقاته»، وابن مردويه عن ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿أَمَنْ هُوَ قَتَيْتَ عَائَةَ أَيْلَ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ قال: نزلت في عمار بن ياسر.

(٥) قال السيوطي في «الدرر»: ٣٢٣/٥: أخرج جوير عن ابن عباس ﷺ: قال: نزلت هذه الآية في ابن مسعود، وعمار، وسالم مولى حليفته ﷺ. وذكر البغوي عن الكلبي بدون سند أنها نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان. وذكر الألوسي عن مقاتل بدون سند أن الراد بن هو قانت: عمار وصهيب وابن مسعود وأبو ذر.

(٦) ذكره الألوسي عن يحيى بن سلام بدون سند. والآية عامة في كل من اتصف بما تقدم.

(٧) قال ابن كثير: أي: هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل له أندادا يفضل عن سبيله ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ أي: إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل، والله أعلم. اهـ.





قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ قال ابن عباس: سبق في علم الله أنه في النار. فإن قيل: كيف اجتمع في هذه الآية استفهامان بلا جواب؟ قيل: أما الفراء، فإنه يقول: هذا مما يُراد به استفهام واحد، فسبق الاستفهام إلى غير موضعه فرد إلى موضعه الذي هو له، فيكون المعنى: أفأنت تثقذ من في النار من حقت عليه كلمة العذاب؟ ومثله: ﴿أَيَذَكِّرُ الْكَافِرَ إِذَا مِتَّ وَكَفَتِ نَرَاكُمُ عَذَابَكُمُ أَفَرَأَيْتُمْ أَفَرَأَيْتُمْ أَفَرَأَيْتُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٥] فرد «أَنْتُمْ» مرتين، والمعنى: أَيْعَذِّبُكُمْ أَنْتُمْ مَخْرُجُونَ إِذَا مِتُّمْ؟ ومثله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ ثم قال: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٨] فرد «تَحْسَبَنَّ» مرتين، والمعنى: لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ. وقال الزجاج: يجوز أن يكون في الكلام محذوف، تقديره: أفمن حَقَّ عليه كلمة العذاب فيخلص منه أو ينجو، أفأنت تنقذه؟ قال المفسرون: أفأنت تخلصه مما قُدِّرَ له فتجعله مؤمناً؟ والمعنى: ما تقدر على ذلك. قال عطاء: يريد بهذه الآية أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان.

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَفْرَأُوا﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو جعفر: «لَكِنَّ» بتشديد النون [وفتحها]. قال الزجاج: والعُرْف: هي المنازل الرفيعة في الجنة، «بَيْنَ فَرْعَيْهَا عُرْفٌ» أي: منازل أرفع منها. «وَعَدَ اللَّهُ» منصوب على المصدر؛ فالمعنى: وعدهم الله غرقاً وعداً. ومن قرأ: «وَعَدَ اللَّهُ» بالرفع؛ فالمعنى: ذلك وَعْدُ اللَّهِ. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَبُوعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَكُونُ مُصَفًى ثُمَّ يُجَمِّلُهُ حُطَاءً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ قال الشعبي: كلُّ ما في الأرض فمن السماء ينزل «سَلَكَهُ يَنَبُوعٌ» قال ابن قتيبة: أي: أدخله فجعله ينابيع، أي: عُيُونًا تَنْبُعُ، «ثُمَّ يَهِيجُ» أي: يَنْبَسُ. قال الأصمعي: يقال للنبت إذا تَمَّ جفافه: قد هَاجَ يَهِيجُ هَيْجًا. فأما الحُطَام، فقال أبو عبيدة: هو ما يَنْبَسُ فَتَحَاتُ مِنَ النَّبَاتِ، ومثله الرُّفَات. قال مقاتل: هذا مَثَلٌ ضُربَ للدُّنْيَا، بينما ترى النبات أخضر، إذ تَغَيَّرَ فَيَسِبُ ثُمَّ هَلَكَ، وكذلك الدُّنْيَا وزينتها. وقال غيره: هذا البيان للدلالة على قدرة الله ﷻ.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْمَائِيلَ فَهَوَّى عَلَى قُورَيْشٍ مِنْ رَبِّهِمْ قَوْلًا لَلنَّبِيِّ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي سَلَاطِينٍ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ﴾ قال الزجاج: جوابه متروك، لأن الكلام دالٌّ عليه، تقديره: أفمن شَرَحَ الله صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فلم يَهْتَدِ؟ ويُدلُّ على هذا قوله: ﴿قَوْلًا لَلنَّبِيِّ قُلُوبُهُمْ﴾؛ وقد روى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية، فقلنا: يا رسول الله وما هذا الشرح؟ فذكر حديثاً قد ذكرناه في قوله: ﴿فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِإِسْمَائِيلَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

قوله تعالى: ﴿فَهَوَّى عَلَى قُورَيْشٍ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: اليقين، قاله ابن عباس. والثاني: كتاب الله يأخذ به ويتبهي إليه، قال قتادة. والثالث: البيان، قاله ابن السائب. والرابع: الهدى، قاله مقاتل. وفيمن نزلت هذه الآية؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أبي بكر الصديق وأبي بن خلف، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: في علي وحزمة

(١) في الأصل: الدلالة.

(٢) قال ابن كثير في تمة الآية: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون إلى أن الدنيا هكذا تكون خضرة نضرة حسناء، ثم تعود جهوراً شوهاء، قال: والشاب يموت شيخاً هرمًا كبيراً ضعيفاً، وبعد ذلك كله الموت، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير، قال: وكثيراً ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء وينبت به زروعاً وثماراً ثم يكون بعد ذلك حطاماً.

(٣) انظر ٤٦٦، والحديث بشامه: روى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِإِسْمَائِيلَ﴾ فقيل له: يا رسول الله، وما هذا الشرح؟ قال: «نور يقذفه الله في القلب فيفتح القلب» قالوا: فهل لذلك من أمار؟ قال: «نعم» قيل: وما هي؟ قال: «الإجابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله». رواه الطبري من طريقين عن عبد الله بن مسعود، وكلاهما ضعيف، وذكره ابن كثير في «التفسير» مرسلًا ومتصلًا، وقال: فهذه طرق لهذا الحديث مرسله ومتصلة يشد بعضها بعضاً، وقد قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: رواه الثعلبي والحاكم والبيهقي في «الشعب» من حديث ابن مسعود، وفيه أبو فروة الراوي، فيه كلام، ثم ذكر أنه رواه الحكيم الترمذي في «نوارد الأصول» وفي سننه رجل ضعيف. اهـ.

وأبي لهب وولده، قاله عطاء. والثالث: في رسول الله ﷺ وفي أبي جهل، قاله مقاتل<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ لَّيْقِيَّةٌ قُلُوبُهُمْ بَيْنَ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قد بينّا معنى القساوة في [البقرة: ٧٤]. فإن قيل: كيف يقسو القلب من ذكر الله ﷻ؟ فالجواب: أنه كلما تليّ عليهم ذكر الله الذي يكذبون به، قَسَتْ قُلُوبُهُمْ عن الإيمان به. وذهب مقاتل في آخرين إلى أن «بَيْنَ» هاهنا بمعنى «عَنْ»، قال الفراء: كما تقول: أَتَيْتُ عَنْ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ، وَمِنْ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ؛ وَإِنَّمَا قَسَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، لأنهم جعلوه كذباً فأقْسَى قُلُوبُهُمْ؛ ومن قال: قَسَتْ قُلُوبُهُمْ عَنْهُ، أراد: أَعْرَضَتْ عَنْهُ. [وقد] قَرَأَ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَابْنُ أَبِي عُبَيْلَةَ، وَأَبُو عِمْرَانَ: «قُلُوبُهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» مكان قوله: «مِنْ».

﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَنْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن؛ وقد ذكرنا سبب نزولها في أول (يوسف)<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن بَعْضَهُ يُشَبِّهُ بَعْضًا فِي الْآيِ وَالْحُرُوفِ، فالآية تشبه الآية، والكلمة تشبه الكلمة، والحَرْفُ يُشَبِّهُ الْحَرْفَ. والثاني: أن بَعْضَهُ يَصْدُقُ بَعْضًا، فليس فيه اختلاف ولا تناقض. وإنما قيل له: ﴿مَثَانٍ﴾ لأنه كُرِّرَتْ فِيهِ الْقَصَصُ وَالْفَرَائِضُ وَالْحُدُودُ وَالنُّوَابِ وَالْعِقَابُ. فإن قيل: ما الحكمة في تكرار القصص، والواحدة قد كانت تكفي؟ فالجواب: أن وفود العرب كانت تَرُدُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَقْرَهُنَّ الْمُسْلِمُونَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ كَافِيًا لَهُمْ، وَكَانَ يَتِمُّ إِلَى الْقِبَالِ الْمَضْرُوقَةِ بِالسُّورِ الْمُخْتَلَفَةِ، فَلَوْ لَمْ تَكُنِ الْأَنْبَاءُ وَالْقَصَصُ مَثَانًا مَكْرُورَةً، لَوَقَعَتْ قِصَّةُ مُوسَى إِلَى قَوْمٍ، وَقِصَّةُ عِيسَى إِلَى قَوْمٍ، وَقِصَّةُ نُوحٍ إِلَى قَوْمٍ، فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُشِيرَ هَذِهِ الْقَصَصُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَيُلْقِيَهَا إِلَى كُلِّ سَمْعٍ. فأمّا فائدة تكرار الكلام من جنس واحد، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَكَلَّمُوا فِي آيَاتِهِ إِلَّا بِمَا نَزَّلَ فِي الْكِتَابِ﴾ [الرحمن،] وقوله: ﴿لَا أَقْبِدُ مَا مَنَعُوا﴾ [الكافرون،] وقوله: ﴿إِنَّكَ قَائِلٌ﴾ [القيامة: ٣٤، ٣٥] ﴿وَمَا أَذْرِيكَ مَا يَوْمَ الْآزِنِ﴾ [الانقطار: ١٧، ١٨] فنسذكرها في سورة (الرحمن) ﷻ.

قوله تعالى: ﴿تَنْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: تَأْخُذُهُمْ قَشَعِرَةٌ، وَهُوَ تَغْيِيرُ يَحْدُثُ فِي جِلْدِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْوَجَلِ. وروى العباس بن عبد المطلب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِذَا اقْشَعَرَ جِلْدُ الْعَبْدِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، تَحَاثَّتْ قُلُوبُهُ كَمَا يَتَحَاثُّ عَنِ الشَّجَرَةِ الْهَابِيسَةِ وَرُفْعُهَا»<sup>(٣)</sup>. وفي معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: تَنْشَعُرُ مِنْ وَعِيدِهِ، وَتَلِينُ عِنْدَ وَغْدِهِ، قاله السدي. والثاني: تَنْشَعُرُ مِنَ الْخَوْفِ، وَتَلِينُ مِنَ الرَّجَاءِ. والثالث: تَنْشَعُرُ الْجُلُودُ لِإِعْظَامِهِ، وَتَلِينُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ، ذكرهما الماوردي. وقال بعض أهل المعاني: مفعول الذِّكْرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ محذوف، لأنه معلوم؛ والمعنى: تَطْلَعُ قُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ الْجَنَّةِ وَالنُّوَابِ. قال قتادة: هَذَا نَعَتْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، تَنْشَعُرُ جُلُودُهُمْ [وَتَلِينُ قُلُوبُهُمْ]، وَلَمْ يَنْتَعِمْ بِذَهَابِ عُقُولِهِمْ وَالْغَشْيَانِ عَلَيْهِمْ، إِنَّمَا هَذَا فِي أَهْلِ الْبَدْعِ، وَهَذَا مِنَ الشَّيْطَانِ. وقد روى أبو حازم، قال: مَرَّ ابْنُ عُمَرَ بِرَجُلٍ سَاقِطٍ مِنَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَقَالَ: مَا شَأْنُهُ؟ فَقَالُوا: إِنَّهُ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ يُصْبِيهِ هَذَا، قَالَ: إِنَّا لَنَخْشَى اللَّهَ ﷻ، وَمَا نَسْقُطُ. وقال عامر بن عبد الله بن الزبير: جِئْتُ أَبِي، فَقَالَ لِي: أَيْنَ كُنْتَ؟ فَقُلْتُ: وَجَدْتُ قَوْمًا، مَا رَأَيْتُ خَيْرًا مِنْهُمْ قَطُّ، يَذْكُرُونَ اللَّهَ ﷻ فَيُرْعَدُ وَاحِدُهُمْ حَتَّى يُغْشَى عَلَيْهِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﷻ، فَقَعْدَتْ مَعَهُمْ، فَقَالَ: لَا تَقْعُدْ مَعَهُمْ بَعْدَهَا [أَبْدًا]، قَالَ: فَأَرَانِي كَأَنِّي لَمْ يَأْخُذْ ذَلِكَ مِنِّي، فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتْلُو الْقُرْآنَ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَتْلَوَانِ الْقُرْآنَ فَلَا يُصْبِيهِمْ هَذَا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، أَفَتَرَى أَنَّهُمْ أَخْشَى اللَّهَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟ قَالَ: فَرَأَيْتَ ذَلِكَ كَذَلِكَ. وقال عكرمة: سَمِعْتُ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ: هَلْ كَانَ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْخَوْفِ؟ قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْهُمْ كَانُوا

(١) ذكر سبب النزول هذا الخازن بدون سند، والله أعلم. (٢) انظر ٦٧٩.

(٣) ذكره السيوطي في «الدر» ٣٢٦/٥ من رواية الحكيم الترمذي في «نوافذ الأصول» عن العباس بن عبد المطلب ﷺ، وقد ذكره في «الجامع الصغير» أيضاً من رواية سمويه في «فوائده»، والطبراني في «الكبير»، قال الحافظ المنائي في «فيض القدير شرح الجامع الصغير»: وكذا رواه البزار والبيهقي في «الشعب» عن العباس بن عبد المطلب، قال: قال المنطري والعراف: سنده ضعيف، قال: وبينه البهيمي فقال: فيه أم كلثوم بنت العباس ﷺ، لم أرفها، وبقي رجاله ثقات.

يكون. وقال عبد الله بن عروة بن الزبير: قلت لجَدَّتِي أسماء بنت أبي بكر، كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله تعالى، تَذْمَعُ أَعْيُنُهُمْ وَتَقْشَعُرُ جُلُودُهُمْ. فقلت لها: إن ناساً اليوم إذا قرئ عليهم القرآن، خَرَّ أَحَدُهُمْ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وكان جَوَابَ يُرْعَدُ عند الذِّكْرِ، فقال له إبراهيم النخعي: إن كنت تملكه، فما أبالي أن لا اعتد بك، وإن كنت لا تملكه، فقد خالفت مَنْ كان قبلك<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾ في المشار إليه قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله مقاتل. والثاني: أنه ما يَنْزِلُ بالمؤمنين عند تلاوة القرآن من اقشعرار الجلود عند الوعيد، ولينها عند الوعد، قاله ابن الأنباري.

﴿أَفَنُتَى بِوَجْهِهِ سَوَاءٌ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُرُّوا مَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ١٥ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَّخَذُوا الْعَذَابَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ١٦ فَاذْأَقَهُمُ اللَّهُ الْحَزْنَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِلكَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ١٧ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ١٨ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِجَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ١٩

قوله تعالى: ﴿أَفَنُتَى بِوَجْهِهِ سَوَاءٌ الْعَذَابُ﴾ أي: شِدَّتُهُ. قال الزجاج: جوابه محذوف، تقديره: كَمْ يَدْخُلُ الجنة؟ وجاء في التفسير أن الكافر يلقى في النار مغلولاً، ولا يتهيأ له أن يتقيها إلا بوجهه. ثم أخبر عنا يقول الحَزْنَ للكفار بقوله: ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ يعني الكافرين ﴿ذُرُّوا مَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: جزاء كُنتُمْ تَكْفُرُونَ.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: من قبل كفار مكة ﴿فَاتَّخَذُوا الْعَذَابَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: وهم آمنون غافلون عن العذاب، ﴿فَاذْأَقَهُمُ اللَّهُ الْحَزْنَ﴾ يعني الهوان والعذاب، ﴿وَلِلكَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ مما أصابهم في الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، ولكنهم لا يعلمون ذلك. ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ أي: وَصَفْنَا لَهُمْ ﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: من كل شبه يشبه أحوالهم.

قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ قال الزجاج: «عربياً» منصوب على الحال، المعنى: ضربنا للناس في هذا القرآن في حال عربيته وبيانه، فذكر «قُرْآنًا» توكيداً، كما تقول: جاءني زيد رجلاً صالحاً، وجاءني عمرو إنساناً عاقلاً، فذكر رجلاً وإنساناً توكيداً.

قوله تعالى: ﴿غَيْرَ ذِي عِجَجٍ﴾ روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: غير مخلوق. وقال غيره: مستقيم غير مختلف<sup>(٢)</sup>.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ذِكْرًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّكُونَ وَذِكْرًا لِمَنْ سَلِمَ لِرَبِّهِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا الْخَسِدُ لِلَّهِ يَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٢٠ إِنَّكَ بِحَيْثُ وَابِعُهُمْ خَيْرٌ ٢١ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ثم بيَّنه فقال: ﴿ذِكْرًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّكُونَ﴾ قال ابن قتبية: أي: مختلفون، يَتَنَازَعُونَ وَيَتَشَاخُثُونَ فِيهِ، يقال: رَجُلٌ شَكِيسٌ. وقال البيهقي: الشكيس من الرجال: الضيق المخلوق. قال المفسرون: وهذا مثل

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ يَلْبِثُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف ﴿ثُمَّ يَلْبِثُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لما يرجون ويؤملون من رحمة ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الفجار من وجوه. أحدها: أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات، وسماع أولئك نغمت الآيات من أصوات القينات. والثاني: أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خرواً سُجُوداً وَبُكْيًا بَادِبٍ وَخَشْيَةً وَرَجَاءً وَمَحَبَةً وَفَهْمٌ وَعِلْمٌ، كما قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَرُفِعَ قُلُوبُهُمْ إِذَا تَلَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢٠﴾ أَلَيْسَ لِيُشْرِكَ الْكَوْكَبُورُ رَبَّهُمْ وَرَبُّهُمْ يَفْقَهُونَ ٢١ أَلَيْسَ لَهُمُ الْمَوْزُونُ حَتَّى لَمْ يَكُنْ عِنْدَ رَبِّهِمْ مَوْزُونَةً وَرَبُّهُمْ كَرِيمٌ ٢٢﴾ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْهًا ٢٣﴾ أي: لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها، بل متصين إليها فاهمين بصيرين بمعانيها، فلها إنما يعملون بها ويسجدون عنها عن بصيرة، لا عن جهل ومتابعة لغيرهم. والثالث: أنهم يلزمون الأدب عند سماعها، كما كان الصحابة ﷺ عند سماعهم كلام الله تعالى، من تلاوة رسول الله ﷺ تقشعر جلودهم ثم تلبث مع قلوبهم إلى ذكر الله، لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلمون ما ليس فيهم، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك، ولهذا فازوا بالمدح من الرب الأعلى في الدنيا والآخرة. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: أي: هو قرآن بلسان عربي مبين لا امواج فيه ولا انحراف ولا لبس، بل هو بيان ووضوح وبرهان، قال: وإنما جعله الله تعالى كذلك، وأنزله بذلك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: يحذرون ما فيه من الوعيد، ويعملون بما فيه من الوعد. اهـ.

ضربه الله للمؤمن والكافر، فإن الكافر يعبدُ آلهةً شتى، فمثله بعيدٌ يملكه جماعة يتنافسون في خدمته، ولا يقدر أن يبلغ رضاهم أجمعين؛ والمؤمن يعبدُ الله وحده، فمثله بعيدٌ لرجل واحد، قد عِلِمَ مقاصده وعَرِفَ الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاكس الخلطاء فيه، فذلك قوله: «سَلَامًا لِرَجُلٍ» قرأ ابن كثير، وأبو عمرو إلا عبد الوارث في غير رواية القزّاز، وأبان عن عاصم: «ورجلاً سالماً» بالفتح وكسر اللام وبالتنوين والتثنية فيهما؛ والمعنى: ورجلاً خالصاً لرجلٍ قد سَلِمَ له من غير مُنازع. ورواه عبد الوارث إلا القزّاز كذلك، إلا أنه رفع الهمزة، فقال: «ورجلاً سَلِمَ لِرَجُلٍ» وقرأ ابن أبي عبيدة: «سَلِمَ لِرَجُلٍ» بكسر السين ورفع الميم. وقرأ الباقون: «ورجلاً سَلَمًا» يفتح السين واللام [وبالتنوين فيهما والتثنية]. والسَلَمُ، يفتح السين واللام، معناه الصُّلح، والسَلَمُ، بكسر السين مثله. قال الزجاج: من قرأ: «سَلَمًا» وسَلَمًا» فهما مصدران وُصِفَ بهما، فالمعنى: ورجلاً ذا سَلَمٍ لرجلٍ وذا سَلَمٍ لرجلٍ، فالمعنى: ذا سَلَمٍ؛ والسَلَمُ: الصُّلح، والسَلَمُ، بكسر السين مثله. وقال ابن قتيبة: [من قرأ]: «سَلَمًا لِرَجُلٍ» أراد: سَلِمَ إليه فهو سَلِمٌ له. وقال أبو عبيدة: السَلَمُ والسَلَمُ الصُّلح<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ هذا استفهام معناه الإنكار، أي: لا يستويان، لأن الخالص لِمَالِكٍ واحدٍ يَسْتَحِقُّ من معونته وإحسانه ما لا يستحقُّه صاحب الشركاء المتشاكسين. وقيل: لا يستويان في باب الراحة، لأن هذا قد عرف الطريق إلى رضا ماله، وذاك متحير بين الشركاء. قال ثعلب: وإنما قال: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ ولم يَقُلْ: مَثَلَيْنِ، لأنهما جميعاً ضَرِبَا مَثَلًا واحداً، ومثله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَ مَرْيَمَ وَرَأْسُهَا مَاءً﴾ [المؤمنون: ٥٠]، ولم يَقُلْ: آيتين، لأن شأنهما واحد. وتم الكلام هاهنا، ثم قال: ﴿أَلَمْ نَدِّ لَهُ﴾ أي: له الحمد دون غيره من المعبودين ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ والمراد بالأكثر الكل. ثم أخبر نبيه بما بعد هذا الكلام أنه يموت، وأن الذين يكذبونه يموتون، وأنهم يجتمعون للخصومة عند الله ﷻ، المُحِقُّ والمُبْطِلُ، والمظلوم والظالم. وقال ابن عمر: نزلت هذه الآية وما ندرى ما تفسيرها، وما نرى أنها نزلت إلّا فينا وفي أهل الكتابين، حتى قُتِلَ عثمان، فعرُفَتْ أنها فينا نزلت. وفي لفظ آخر: حتى وقعت الفتنة بين علي ومعاوية<sup>(٢)</sup>.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثَلًا لِّلْكَافِرِينَ﴾ وَالَّذِي جَاءَهُ بِالْبَيِّنَاتِ وَصَدَّقَ بِهَا أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿لَمَّا مَا يَأْمُرُكَ إِعْدُ لَهُمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ يُكْفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ بأن دعا له ولداً وشريكاً ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُ﴾ وهو التوحيد والقرآن ﴿الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثَلًا لِّلْكَافِرِينَ﴾ أي: مقامٌ للنجاحدين؟! وهذا استفهام بمعنى التقرير، يعني: إنه كذلك.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَهُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه رسول الله ﷺ، قاله علي بن أبي طالب، وابن عباس، وقتادة، وابن زيد. ثم في الصِّدْقِ الذي جاء به قولان: أحدهما: أنه «لا إله إلا الله»، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال [سعيد] بن جبیر. والثاني: [أنه] القرآن، قاله قتادة. [وفي الذي صَدَّقَ به ثلاثة أقوال. أحدها: أنه رسول الله ﷺ أيضاً، هو جاء بالصدق، وهو صدق به، قاله ابن عباس، والشعبي. والثاني: أنه أبو بكر، قاله علي بن

(١) في «فتح الباري» ٨/٢٢٢: وعن أبي عبيدة: «ورجلاً سالماً»، الرجل سالم وسَلِمَ واحد، وهو من الصلح. فعلى هذا التفسير، السَلَمُ: مصدر أريد به اسم الفاعل.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَشَاءُ وَيُحِبُّ وَيُحِبُّ﴾ هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق ﷺ عند موت الرسول ﷺ حتى تحقّق الناس موته مع قوله ﷺ: «وَمَا مَثَلُ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَكُنَّ نَجَاتٍ أَوْ قِيلَ أَتَذْكُرُونَ عَلَى أَهْقِيكُمْ وَنَ يَغْلِبُ عَلَى عَيْنِيهِ قَالَن يَبْرَأُ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَبْرَأُ اللَّهُ الشَّيْءَ» قال: ومعنى هذه الآية: إنكم ستفوتون من هذه الدار لا محالة وستجتمعون عند الله تعالى في الدار الآخرة وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله ﷻ فيفصل بينكم ويفتح بالحق وهو الفتح العليم، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذّبين، قال: ثم إن هذه الآية وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة، فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا، فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة. اهـ.

أبي طالب. والثالث: أنهم المؤمنون، قاله قتادة، والضحاك، وابن زيد. والقول الثاني: [أن] الذي جاء بالصدق: أهل القرآن، وهو الصدق الذي يُجيئون به يوم القيامة، وقد أدوا حَقَّه، فهم الذين صدَّقوا به قاله مجاهد. والثالث: أن الذي جاء بالصدق الأنبياء، قاله الربيع، فعلى هذا، يكون الذي صدَّق به: المؤمنون. والرابع: أن الذي جاء بالصدق: جبريل، وصدق به: محمد، قاله السدي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: الذين اتَّقَوْا الشَّركَ<sup>(٢)</sup>؛ وإنما قيل: «هُم»، لأن معنى «الذي» معنى الجمع، كذلك قال اللغويون، وأنشد أبو عبيدة، والزجاج:

فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ حَاسِتٌ بِفُلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ، كُلُّ الْقَوْمِ، يَا أُمَّ خَالِدٍ<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ المعنى: أعطاهم ما شاؤوا ليُكَفِّرَ عنهم ﴿أَسْأَلُكَ عَمَلُوكَ﴾، أي: لِيَسْتُرَ ذلك بالمغفرة ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ بمحاسن أعمالهم، لا بمساوئها.

﴿الَّذِينَ يَكْفِي اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُبِلٍ﴾ الَّذِينَ اللَّهُ يَمَيِّرُ بَيْنَ أَيْقَامِهِمْ ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِي قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَكْفِي اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ ذكر المفسرون أن مشركي مكة قالوا: يا محمد، ما تزال تذكر آلهتنا وتعيبها، فأتيت أن تصيبك بسوء، فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>. والمراد بعبيده هاهنا: محمد ﷺ. وقرأ حمزة، والكسائي: «عِبَادَةُ» على الجمع، وهم الأنبياء، لأن الأمم قصدتهم بالسوء؛ فالمعنى أنه كما كفى الأنبياء قبلك، يكفيك. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وأبو عمران الجوني: «يكافي» مثبته الياء «عَبْدِي» بكسر الدال والهاء من غير ألف. وقرأ أبي بن كعب، وأبو العالية، وأبو الجوزاء، والشعبي مثله، إلا أنهم أثبتوا الألف في «عِبَادِهِ». وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو جعفر، وشيبة، والأعمش: «يكافي» بالتنوين، «عِبَادَةُ» على الجمع. وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء العطاردي: «يكافي» بياء مرفوعة قبل الكاف وباء ساكنة بعد الفاء «عِبَادَةُ» على الجمع. ﴿وَيُخَوِّفُكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: بالذين يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ، وهم الأصنام. ثُمَّ أَعْلَمَ بِمَا بَعْدَ هَذَا أَنَّ الْإِضْلَالَ وَالْهَدَايَةَ إِلَيْهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ مُنْتَقِمٌ مِمَّنْ عَصَاهُ. ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ مَعَ عِبَادَتِهِمْ، يَقُولُونَ أَنَّهُ الْخَالِقُ. ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُخْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُ كَشْفَ ضُرٍّ وَلَا جَلْبَ خَيْرٍ. وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «كَاشَفَاتُ ضُرِّيهِ» و«مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِي» منوئاً. والباقون: «كَاشَفَاتُ ضُرِّيهِ» و«مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِي» على الإضافة.

﴿قُلْ يَتَقَوَّمُوا عَلَى أَعْمَالِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَمْلِكُونَ﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَمَنْ آفَكَذَكَ فَلْيَنْفِسْهُ وَمَنْ سَلَ قَائِلًا يُضِلُّ عَلَيْهِهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَقَوَّمُوا عَلَى أَعْمَالِكُمْ﴾ ذكر بعض المفسرين أنها الآية التي تليها نُسخَتْ بِأَيَّةِ السِّيفِ. قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يعني القرآن ﴿لِلنَّاسِ﴾ أي: لجميع الخلق ﴿وَالْحَقِّ﴾ ليس فيه باطل. وتمايم الآية مفسر في آخر [يونس: ٤١٠٨]، وذكروا أنه منسوخ بأية السيف.

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره عنى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ كل من دعا إلى توحيد الله وتصدق رسول الله ﷺ، والعمل بما أتبع به رسول الله ﷺ من بين رسول الله وأتباعه والمؤمنين به، وأن يقال: الصديق هو القرآن وشهادة أن لا إله إلا الله، والمصدق به: المؤمنون بالقرآن من جميع خلق الله كاتباً من كان من نبي الله وأتباعه. اهـ.

(٢) قال ابن جرير: وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين هذه صفتهم، هم الذين اتَّقَوْا الله بتوحيده والبراءة من الأوثان والأنداد، وأداء فرائضه واجتناب معاصيه فحافوا عقابه. اهـ.

(٣) البيت للأشهب بن ربيعة، وهو في «الكتاب» ٩٦/١، و«مجاز القرآن» ١٩٠/٢، و«مشكل القرآن» ٢٨١، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: فُلج.

(٤) قال الحافظ السيوطي في «الدرر» ٣٢٨/٥: أخرج عبد الرزاق، وابن المنذر عن قتادة قال: قال لي رجل: قالوا للنبي ﷺ: لتكفرن عن شتم آلهتنا أو لنامرئها لتتخيلك، فنزلت: ﴿وَيُخَوِّفُكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾.





﴿وَأَسْلِمُوا لَكُمْ﴾ أي: أخلصوا له التوحيد. و﴿تُنْصَرُونَ﴾ بمعنى تُمنعون. ﴿وَأَسْلِمُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ قد بيناه في قوله: ﴿يَأْخُذُوا بِأَحْسِنًا﴾ [المراتب: ١٤٥].

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَةٍ عَلَىٰ مَا فَرَّقْتُ فِي حَسْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ النَّاصِرِينَ﴾ (٥٦) أو تَقُولَ لَوْ أَنَّكَ اللَّهُ هَدَيْتَنِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أو تَقُولَ جِبْنَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّكَ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْشَرِينَ (٥٨) بَلَىٰ قَدْ جَاءَكَ نَصِيحَةٌ فَكَذَّبَتْ بِهَا وَاسْتَكْبَرَتْ وَكَانَتْ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩)

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ قال المبرد: المعنى: بايدوا قَبْلَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ، وَحَذَرًا مِنْ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ. وقال الزجاج: خوف أن تصيروا إلى حال تقولون فيها هذا القول ومعنى ﴿بِحَسْرَةٍ﴾ يا ندامتا ويا حزنا. والنحسر: الاغتمام على ما فات. والألف في «يا حسرتا» هي [ياء] المتكلم، والمعنى: يا حسرتي<sup>(١)</sup>، على الإضافة. قال الفراء: والعرب تحوّل الياء إلى الألف في كل كلام معناه الاستغاثة ويخرج على لفظ الدعاء، وربما أدخلت العرب الهاء بعد هذه الألف، فيخفصونها مرّةً، ويرفعونها أخرى. وقرأ الحسن، وأبو العالية، وأبو عمران، وأبو الجوزاء: «يا حسرتي» بكسر التاء، على الإضافة إلى النفس. وقرأ معاذ القارئ، وأبو جعفر: «يا حسرتاي»، بألف بعد التاء وياء مفتوحة. قال الزجاج: وزعم الفراء أنه يجوز «يا حسرتاة» على كذا «فتح الهاء»، و«يا حسرتاة» بالضم والكسر، والنحويون أجمعون لا يجيزون أن تُثَبِّتَ هذه الهاء مع الوصل.

قوله تعالى: ﴿فِي حَسْبِ اللَّهِ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: في طاعة الله تعالى، قاله الحسن. والثاني: في حق الله، قاله سعيد بن جبير. والثالث: في أمر الله، قاله مجاهد، والزجاج. والرابع: في ذُكْر الله، قاله عكرمة، والضحاك. والخامس: في قُرْب الله؛ روي عن الفراء أنه قال: الجَنَبُ: القُرْب، أي: في قُرْب الله وجواره؛ يقال: فلان يعيش في جنب فلان، أي: في قُرْبِهِ وجواره؛ فعلى هذا يكون المعنى: [على] ما فَرَّقْتُ في طلب قُرْب الله تعالى، وهو الجنة. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ النَّاصِرِينَ﴾ أي: وما كنتُ إلّا من المستهزئين بالقرآن وبالمؤمنين في الدنيا. ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّكَ اللَّهُ هَدَيْتَنِي﴾ أي: أرشدني إلى دينه ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ الشُّرْك؛ فيقال لهذا القائل: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَكَ نَصِيحَةٌ﴾. قال الزجاج: «وبلى» جواب النفي، وليس في الكلام لفظ النفي، غير أن معنى «لو أن الله هداني»: ما هُديتُ، فقيل: «بلى قد جاءتك آياتي». وروى ابن أبي سريج [عن الكسائي]: «جاءتك»، «فكذبت»، «واستكبرت»، و«كنت»، بكسر التاء فيهن، مخاطبةً للنفس. ومعنى «استكبرت»: تكبرت عن الإيمان بها.

﴿وَيَوْمَ الْيَقِينِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَوْتٌ لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٥٩) وَيَجِيءُ اللَّهُ الَّذِينَ أَتَقُوا بِمَقَالِهِمْ لَا يَنْصَرِفُونَ إِلَّا بِأُذُنٍ حَسِيرَةٍ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْيَقِينِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ فزعموا أن له ولداً وشريكاً ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾. وقال الحسن: هم الذين يقولون: إن شئنا فعلنا، وإن شئنا لم نفعل. وباقى الآية قد ذكرناه آنفاً [الزمر: ٣٢].

قوله تعالى: ﴿وَيَجِيءُ اللَّهُ الَّذِينَ أَتَقُوا بِمَقَالِهِمْ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «بمفازاتهم». قال الفراء: وهو كما قد تقول: قد تبين أمر القوم وأمورهم، وارتفع الصوت والأصوات، والمعنى واحد. وفيها للمفسرين ثلاثة أقوال. أحدها: بفضائلهم، قاله السدي. والثاني: بأعمالهم، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثالث: بفوزهم من النار. قال المبرد: المَفَازة: مَقْتَلَةٌ من الفوز، وإن جُمع فحسن، كتولك: السعادة والسعادات، والمعنى: ينجيهم الله بفوزهم، أي: بنجاتهم من النار وفوزهم بالجنة.

= منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت وكانت مثل زيد البحر، قال: ولا يصح حمل هذه الآية على غير توبة، لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه، وسرد بعض الأحاديث المتعلقة بهذه الآية التي تدل على سعة رحمة الله وفضله، ثم قال: وهذه الأحاديث كلها دالة على أن المراد أنه يغفر جميع الذنوب مع التوبة، قال: ولا يقتضيه عيب من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت، فإن باب الرحمة واسع، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْخُزُوعُ كُلُّ الْيَوْمِ عَنِّيَابًا﴾ وقال ﴿وَمَنْ يَمَلْ شَوْءًا أَوْ يَنْكَمْ نَسُفْهُ نَسْفًا يَسْخِطِ اللَّهُ بِجُودِ اللَّهِ عَنَّا كَيْفَ﴾. ثم ذكر عدة أحاديث في نفي القنوط، واعتقاد أن الله تعالى غفور رحيم لمن تاب إليه وأتاب.

(١) في الأصل: «يا حسرتا».



﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: مفاتيحها وخزائنها، لأن مالك المفاتيح مالك الخزان، واحدها: إقليد، وجمع على غير واحد، كما قالوا: مذاكير جمع ذكر، ويقال: هو فارسي معرب. لو قرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي: الإقليد: المفتاح، فارسي معرب، قال الرازي:

لَمْ يُؤْذِهَا الدِّيكُ بِصَوْتِ تَخْرِيدٍ وَلَمْ تُعَالِجْ عُلُقًا بِأَقْلِيدٍ<sup>(١)</sup>

والأقليد: لغة في الإقليد، والجمع: مقاليد. وللمفسرين في المقاليد قولان: أحدهما: المفاتيح، قاله ابن عباس. والثاني: الخزان، قاله الضحاك. وقال الزجاج: تفسيره أن كل شيء في السموات والأرض، فهو خالقه وفتح بابه. قال المفسرون: مفاتيح السموات: المطر، ومفاتيح الأرض: النبات.

﴿قُلْ أَقْتَرُ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْمُجَاهِلُونَ ۝ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝

قوله تعالى: ﴿أَقْتَرُ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ﴾ قرأ نافع، وابن عامر: «تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ» مخففة، غير أن نافعاً فتح الياء، ولم يفتحها ابن عامر. وقرأ ابن كثير: «تَأْمُرُونِي» بتشديد النون وفتح الياء، وقرأ الباقون بسكون الياء. وذلك حين دعوته إلى دين آبائه ﴿أَيُّهَا الْمُجَاهِلُونَ﴾ أي: فيما تأمرون.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فيه تقديم وتأخير، تقديره: ولقد أوحى إليك لئن أشركت لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ، وكذلك أوحى إلى الذين مِنْ قَبْلِكَ. قال أبو عبيدة: ومجازها مجاز الأمرين اللَّذِينَ يُخْبِرُ عَنْ أَحَدِهِمَا وَيُكْفِ عَنْ الْآخَرِ، قال ابن عباس: هذا أدب من الله تعالى لنبيه ﷺ وتهديد لغيره، لأن الله ﷻ قد عصمه من الشرك. وقال غيره: إنما خاطبه بذلك، ليعرف مَنْ دونه أن الشرك يُحِطُ الأعمال المتقدمة كلها ولو وقع من نبي. وقرأ أبو عمران، وابن السميع، ويعقوب: «لَتَحْبَطَنَّ» بالنون، «عَمَلُكَ» بالنصب. ﴿بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ﴾ أي: وَحْذُ.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَعَمَّا يُشْرِكُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ سبب نزولها أن رجلاً من أهل الكتاب أتى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم، بلغك أن الله تعالى يَحْمِلُ الْخَلَائِقَ عَلَى إصْبَعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَى إصْبَعٍ وَالشَّجَرِ عَلَى إصْبَعٍ وَالْثَرَى عَلَى إصْبَعٍ؟! فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، قاله ابن مسعود<sup>(٢)</sup>. [وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحيحين» نحوه عن ابن مسعود<sup>(٣)</sup>. وقد فسرنا أول هذه الآية في «الإنعام» ٩١] قال ابن عباس: هذه الآية في الكفار، فأما مَنْ آمَنَ بالله على كل شيء قدير، فقد قَدَرَ الله حَقَّ قَدْرِهِ. ثم ذكر عظمته بقوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ﴾ وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثم يقول: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟»<sup>(٤)</sup>؛ وأخرجنا من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يَطْوِي اللَّهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثم يأخذُهُنَّ بِيده اليمنى، ثم يقول: أَنَا

(١) الرجز في «المعرب» للجواليقي ٢٠.

(٢) روى سبب النزول هذا بهذا اللفظ الواحد في «أسباب النزول» ٢١٢ عن عبد الله بن مسعود ﷺ، وهو في «الصحيحين» دون سبب النزول.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ٤٢٣/٨، ومسلم ٢١٤٨/٤ عن عبد الله بن مسعود ﷺ، ورواه الطبري ٢٧/٢٤، والحديث أورده السيوطي في «الدر»، وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، والنسائي، وابن المنذر، والدارقطني في «الأسماء والصفات» عن عبد الله بن مسعود ﷺ. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» في قوله: «حتى بدت نواجذه»؛ وليس ذلك متافياً للحديث الآخر أن ضحكه كان تبساً كما سيأتي في تفسير سورة (الأحقاف). اهـ.

(٤) رواه البخاري في «صحيحه» ٤٢٣/٨، ومسلم ٢١٤٨/٤، ورواه الطبري ٢٧/٢٤، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٣٥/٥، وزاد نسبه لابن المنذر، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن ماجه، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي هريرة ﷺ.

المَلِك، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟<sup>(١)</sup> قال ابن عباس: الأَرْضُ والسَّمَاوَاتُ كُلُّهَا بَيْمِينُهُ. وقال سعيد بن جبيرة: السَّمَاوَاتُ قُبْصَةٌ والأَرْضُ قُبْصَةٌ.<sup>(٢)</sup>

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَوَّقَ مَنْ فِي السَّمَكَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ نُفُخًا ثَلَاثًا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتْ الْجَنَّةُ بِالْإِنِّيِّينَ وَالشَّجَلَةُ وَهِيَ يُنْفِثُ بَيْنَهُمُ الْبَاقِيَ وَهُمْ لَا يَخْلَعُونَ ﴿٦٨﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ أَكْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَنُوحٍ فِي الْاُثْرَىٰ مُصَوِّقًا﴾ وقرأ ابن السميع، وابن يعمر، والجحدري: «فُصِّقًا» بضم الصاد ﴿وَمِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْاَرْضِ﴾ أي: ماتوا من الفزع وثبَّة الصوت. وقد بينَّا هذه الآية والخلاف في الذين استثنوا في سورة [النمل: ١٧]. ﴿ثُمَّ نُوحٍ فِيهِ اُثْرَىٰ﴾ وهي نفخة البعث ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ يعني الخلائق ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ اُثْرُهُمْ﴾.<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْأَرْضَ بُيُوتًا﴾ أي: أضاءت. والمراد بالأرض: عَرَصات القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَرُيِّنَ الْكِتَابُ﴾ فيه قولان: أحدهما: كتاب الأعمال، قاله قتادة، ومقاتل. والثاني: الحساب، قاله السدي. وفي الشهداء قولان: أحدهما: أنهم الذين يَشْهَدُونَ على الناس بأعمالهم، قاله الجمهور. ثم فيهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم الْمُرْسَلُونَ من الأنبياء. والثاني: أمة محمد يَشْهَدُونَ للرسل بتبليغ الرسالة وتكذيب الأمم إياهم، رواها عن ابن عباس رضي الله عنه. والثالث: الْحَفَظَةُ، قاله عطاء. والرابع: النَّبِيُّونَ والملائكة وأمة محمد ﷺ والجوارح، قاله ابن زيد. والثاني: أنهم الشهداء الذين قُتِلُوا في سبيل الله، قاله قتادة؛ والأول أصح. ﴿وَوُيِّنَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي: جزاء عملها ﴿وَمَوْعُظَةً مِّنَ رَبِّكَ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: لا يحتاج إلى كاتب ولا شاهد.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۚ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُولُونَ عَلَيْكُمْ بَابُ رَبِّكُمْ وَيُذَكِّرُكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حُفَّتْ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٦﴾ قِيلَ انْزِلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَمَنْ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٧﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۚ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لِطَبَعْتُمْ فَاذْكُلُوا خَالِدِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَرَى الْمَلَائِكَةُ حَالِيكَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَفُيِّئَتْ لَهُمُ الْخُلُقُ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ قال أبو عبيدة: الزمر: جماعات في تفرقة بعضهم على إثر بعض، واحدها: زمرة.<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنْكُمْ﴾ أي: من أنفسكم. و﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ هي قوله: ﴿لَأَنزِلَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨].

قوله تعالى: ﴿نُحِثُّ أَبْنَاءَهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «نُحِثُّ» و«نُحِثُّ» مشددين؛ وقرأ

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ٣٣٤/١٣ مختصراً، ورواه مسلم ٢١٤٨/٤ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واللفظ له، وتمام الحديث عنده: «ثم يطوي الأرضين بشمله ثم يقول: «أنا الملك، أين الجبارون، أين المتكبرون».

(٢) قال ابن كثير: وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة، قال: والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكيف ولا تحريف. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: يقول تبارك وتعالى مخبراً عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة، فقلوه تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخًا وَاحِدًا﴾. قال: هذه النفخة هي الثانية، وهي نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، كما جاء مصرحاً مفسراً في حديث الصور المشهور، قال: ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفخه القبريم الذي كان أولاً، وهو الباقي آخراً بالديمومة والبقاء، ويقول: ﴿لَيْسَ الْكُلُّ الْيَوْمَ﴾ ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول: ﴿يَوْمَ﴾ الزَّيْلُ الْقَتْلُ﴾ أنا الذي كنت وجدي وقد قهرت كل شيء، وحسكت بالفناء على كل شيء، قال: ثم يجيب أول من يجيب إسرائيل ويأمر، أن ينفخ في الصور أخرى، وهي النفخة الثالثة نفخة البعث، قال ﷺ: ﴿ثُمَّ يُنْفِخُ فِيهِ السُّورُ ثَلَاثًا مَرَّةً يَمُوتُ بِهَا كُلُّ شَيْءٍ يَحْيَى﴾ أي: أحياء بعدما كانوا عظاماً ورفاتاً صاروا أحياء ينظرون إلى أمهال يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا هُمْ بِلِقَائِهِ﴾ اهـ.

[illegible]

عاصم، وحمرة، والكسائي: بالتخفيف. وفي هذه الروا ثلاثة أقوال<sup>(١)</sup>: أحدها: أنها زائدة، روي عن جماعة من اللغويين منهم الفراء. والثاني: أنها واو الحال؛ فالمعنى: جاؤوها وقد فُتحت أبوابها، فدخلت الواو لبيان أن الأبواب كانت مفتحة قبل مجيئهم، وحذفت من قصة أهل النار لبيان أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم، ووجه الحكمة في ذلك من ثلاثة أوجه: أحدها: أن أهل الجنة جاؤوها وقد فُتحت أبوابها ليستعجلوا السرور والفرح إذا رأوا الأبواب مفتحة، وأهل النار يأتونها وأبوابها مغلقة ليكون أشدَّ لحرها، ذكره أبو إسحاق ابن شافلا من أصحابنا<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن الوقوف على الباب المغلق نوعٌ ذلٌّ، فصين أهل الجنة عنه، وجعل في حق أهل النار، ذكره لي بعض مشايخنا. والثالث: أنه لو وَجَدَ أهل الجنة بابها مغلقةً لأثّر انتظار فتحه في كمال الكرم، ومن كمال الكرم غلّق باب النار إلى حين مجيء أهلها، لأن الكريم يعجل المثوبة، ويؤخر العقوبة، وقد قال ﷺ: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧] قال المصنف: هذا وجهٌ خطر لي. والقول الثالث: أن الواو زيدت، لأن أبواب الجنة ثمانية، وأبواب النار سبعة، والعرب تعطف في العدد بالواو على ما فوق السبعة على ما ذكرناه في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَاتَّخَذَتْهُمْ كُتُبًا﴾ [الكهف: ٢٢]، حكى هذا القول والذي قبله الثعلبي. واختلف العلماء أين جواب هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أن الجواب محذوف، قاله أبو عبيدة، والمبرّد، والزجاج في آخرين. وفي تقدير هذا المحذوف قولان. أحدهما: أن تقديره: ﴿حَقَّقَ إِذَا جَاءَهُمَا...﴾ إلى آخر الآية... سَعِدُوا، قاله المبرّد. والثاني: ﴿حَقَّقَ إِذَا جَاءَهُمَا...﴾ إلى قوله: ﴿فَادْخُلُوهَا حَالِينَ...﴾ دخلوها، وإنما حُذِفَ، لأن في الكلام دليلاً عليه، وهذا اختيار الزجاج. والقول الثاني: أن الجواب: قال لهم خزنتها، والواو زائدة، ذكره الأخفش، قال: ومثله في الشعر:

فإذا وذلك يا كُتُبِيَّةَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا كَلِمَةً حَالِمٍ بِحَيَالٍ<sup>(٣)</sup>

أي: فإذا ذلك. والثالث: الجواب: حتى إذا جاؤوها فُتحت أبوابها، والواو زائدة، حكاه الزجاج عن قوم من أهل اللغة. وفي قوله: ﴿يُنَبِّئُ﴾ خمسة أقوال: أحدها: أنهم إذا انتهوا إلى باب الجنة وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان، فيسربون من إحدهما، فلا يبقى في بطونهم أدنى ولا قذى إلا خرج، ويفسّلون من الأخرى، فلا تغيّر جلودهم ولا تتغيّر أشعارهم أبداً، حتى إذا انتهوا إلى باب الجنة قال لهم عند ذلك خزنتها: ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ يُنَبِّئُ﴾، رواه عاصم بن ضمرة عن علي ﷺ<sup>(٤)</sup>، وقد ذكرنا في [الأعراف: ٤٤] نحوه عن ابن عباس. والثاني: طاب لكم المقام، قاله ابن عباس. والثالث: طيبت بطاعة الله، قاله مجاهد. والرابع: أنهم طيّبوا قبل دخول الجنة بالمغفرة، واقتص من بعضهم لبعض، فلما هُذِبوا قالت لهم الخزنة: طيبتهم، قاله قتادة. والخامس: كنتم طيبين في الدنيا، قاله الزجاج. فلما دخلوها قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدُهُ﴾ بالجنة ﴿وَأَوْفَىٰ بَعْدَهُ﴾ أي أرض الجنة ﴿نَبِّئُ مِنْ أَلْجَنَّةِ حَيْثُ كُنَّا﴾ أي: نتخذ فيها من المنازل ما نشاء. وحكى أبو سليمان الدمشقي أن أمة محمد ﷺ يدخلون الجنة قبل الأمم، فينزلون منها حيث شاؤوا، ثم تنزل الأمم بعدهم فيها، فلذلك قالوا: ﴿نَبِّئُ مِنْ أَلْجَنَّةِ حَيْثُ كُنَّا﴾؛ يقول الله ﷻ: ﴿يَنبِئُ أَمْرَ الْمُتَحَلِّينَ﴾ أي: ينمّ ثواب المتطهرين في الدنيا الجنة. قوله تعالى: ﴿وَرَى الْمَلَائِكَةُ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ أي: مخلوقين به، يقال: حَفَّ القوم بفلان: إذا أخذوا به؛

(١) وفي الواو في قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئُ عَنْهُمْ أَبَوَيْهَا وَقَالَ لِنُفْسِكَ مَتَىٰ يَكُونُ لَكَ﴾.

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شافلا البزار الحنبلي، جليل القدر، كثير الرواية، حسن الكلام في الأصول والفروع، توفي رحمه الله سنة (٣٦٩ هـ).

(٣) البيت لتعيم بن مقبل، «ديوانه» ٢٥٩ من قصيدة مطلعها:

سَابِلٌ بِحُجْبَةٍ دَارِمٍ الْأَطْلَالِ

وهو في الطبري ٣٦/٢٤، «المصاح» و«اللسان» و«التاج»: لسم. ورواية البيت في الديوان: «إِلَّا كَلِمَةً... وَالْخَلْمَةُ: المَرَّةُ من «خَلَمَ»: إذا رأى شيئاً في المنام، وقال ابن بري: قوله: «فإذا وذلك» مبتدأ، والواو زائدة، كذا ذكره الأخفش، «ولم يكن» خبره.

(٤) «الطبري» ٣٥/٢٤. وذكره السيوطي في «الدرر» ٣٤٢/٥، وزاد نسبته لابن المبارك في «الزهدة»، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وابن راهويه، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»، والبيهقي في «البعث»، والضياء في «المختارة» عن علي ﷺ.

ودخلت «مِنْ» للتوكيد، كقولك: ما جاءني من أحد. ﴿يَسْبَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ قال السدي، ومقاتل: بأمر ربهم. وقال بعضهم: يُسَبِّحُونَ بالحمد له حيث دخل الموحدون الجنة. وقال ابن جرير: التَّسْبِيحُ هاهنا بمعنى الصَّلَاة. قوله تعالى: ﴿وَقُفُّوا يَنْتَهُم﴾ أي: بين الخلائق ﴿وَالْحَيَّ﴾ أي: بالعدل ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا قول أهل الجنة شُكْرًا لله تعالى على إنعامه. قال المفسرون: ابتداء الله ذِكْرَ الْخَلْقِ بِالْحَمْدِ فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١] وختم<sup>(١)</sup> غاية الأمر - وهو استقرار الفريقين في منازلهم - بالحمد لله بهذه الآية، فنبّه على تحميده في بداية كُلِّ أَمْرٍ وخاتمته.



## سورة المؤمن

قال أبو سليمان الدمشقي: ويقال لها: سورة الطُّؤْلُ<sup>(١)</sup>. وهي مَكِّيَّة، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة. وحكي عن ابن عباس وقتادة أن فيها آيتين نزلتا بالمدينة: قوله: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ والتي بعدها [المؤمن: ٣٥، ٣٦]. قال الزجاج: وذكر أَنَّ الحواميم كُلَّهَا نزلت بمكة. قال ابن قتيبة: يقال: إن «حَم» اسم من أسماء الله أُضيفت هذه السُورة إليه، كأنه قيل: سُورَةُ الله، لِشَرَفِهَا وَفَضْلِهَا، فقيل: آل حَامِيم، وإن كان القرآن كُلُّهُ سُورَةَ الله، وإن هذا كما يقال: يَتُّ الله، وَحَزَمُ الله، وَنَاقَةُ الله، قال الكميت:

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمٍ آيَةً  
وَقَدْ تُجْعَلُ «حَم» اسماً للسورة، ويدخل الإعراب ولا يُضَرَفُ، ومن قال هذا في الجميع: الحواميم، كما يقال: «طَس» والطواسين. وقال محمد بن القاسم الأنباري: العرب تقول: وقع في الحواميم، وفي آل حَمِيم، أنشد أبو عبيدة:

حَلَفْتُ بِالسَّبْعِ اللّٰوَاتِي طُلُوْتُ  
وَبِمَثَانٍ تُنَيِّثُ فَكُرَّرْتُ  
وبالحواميم اللّٰوَاتِي سُبَعْتُ  
وَبِمَثْنَيْنِ بَغْدَهَا قَدْ أُنْمِثْتُ  
وَبِالطّٰوَايِسِ اللّٰوَاتِي تُلُثْتُ  
[وبالمفضل اللّٰوَاتِي فُضِّلْتُ]<sup>(٣)</sup>

فمن قال: وقع في آل حَامِيم، جعل حَامِيم اسماً لِكُلِّهِنَّ؛ ومن قال: وقع في الحواميم، جعل «حَم» كأنه حرف واحد بمنزلة قابيل وهابيل. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: من الخطأ أن تقول: قرأت الحواميم، وليس من كلام العرب، والصَّوابُ أن تقول: قرأت آل حَامِيم. وفي حديث ابن مسعود «إذا وقعت في آل حَم»<sup>(٤)</sup> وقعت في روضات ديثات<sup>(٥)</sup>، وقال الكميت:

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمٍ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَم﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْكَافِرِ ﴿٢﴾

وفي ﴿حَم﴾ أربعة أقوال: أحدها: قَسَمَ أَقْسَمَ الله به وهو من أسمائه ﷻ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. قال أبو سليمان: وقد قيل: إن جواب القَسَمِ قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجَادِلُونَ﴾ [المؤمن: ١٠]. والثاني: أنها حروف من أسماء الله ﷻ، ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن «الر» و«حَم» و«نُون» حروف الرحمن، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أن الحاء مفتاح اسمه «حميد»، والميم مفتاح اسمه «مجيد»، قاله أبو العالية. والثالث: أن الحاء مفتاح كل اسم لله ابتداءه حاء، مثل «حكيم»، و«حليم»، و«حي»، والميم مفتاح كل اسم له، ابتداءه ميم مثل «ملك»، و«متكبر» و«مجيد»، حكاه أبو سليمان الدمشقي. وروي نحوه عن عطاء الخراساني. والثالث: أن معنى «حَم» قَضِي ما

(١) ويقال لها أيضاً: سورة غافر.

(٢) البيت في «الكتاب» ٣٠/٢، و«مجاز القرآن» ١٩٣/٢، و«غريب القرآن» ٣٦، و«الطبري» ٤٠/٢٤، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: عرب.

(٣) «مجاز القرآن» ٧/١ والزيادة بين المعقفين منه.

(٤) كذا في الأصول وكتب التفسير، وفي «النهاية» و«اللسان» و«التاج»: «قرأت آل حَامِيم» بدل «وقعت في آل حَامِيم».

(٥) قال السيوطي في «الدرر» ٣٤٤/٥: أخرج أبو عبيد، ومحمد بن نصر، وابن المنذر عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: إذا وقعت في الحواميم وقت في روضات أنثى فيهن.

هو كائن، رواه أبو صالح عن ابن عباس. ورُوي عن الضحاك والكسائي مثل هذا كأنهما أرادا<sup>(١)</sup> الإشارة إلى حُم، بضم الحاء وتشديد الميم. قال الزجاج: وقد قيل في «حَم»: حُم الأمر. والرابع: أن «حَم» اسم من أسماء القرآن، قال قتادة. وقرأ ابن كثير: «حَم» بفتح الحاء؛ وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي: بكسرهما؛ واختلف عن الباقي. قال الزجاج: أما الميم، فساكنة في قراءة القراء كلهم إلا عيسى بن عمر، فإنه فتحها؛ وفتحها على ضريبن. أحدهما: أن يجعل «حَم» اسماً للسورة، فينصبه ولا ينوئه، لأنه على لفظ الأسماء الأعجمية نحو هابيل وقابيل. والثاني: على معنى: اتل حَم؛ والأجود أن يكون فتح لالتقاء الساكنين حيث جعله اسماً للسورة، ويكون حكاية حروف الهجاء<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ أي: هذا تنزيل الكتاب. والتَّوْبُ: جمع تَوْبَةٍ، وجائز أن يكون مصدرًا من تاب يَتُوب تَوْبًا. والَطُّولُ: الفضل. قال أبو عبيدة: يقال: فلان ذو طُول على قومه، أي: ذو فَضْل. وقال ابن قتيبة: يقال: طُلُّ عليٍّ يرحمك الله، أي: تَفَضُّل. قال الخطابي: ذو: حرف النسبة، والنسبة في كلامهم على ثلاثة أوجه. بالياء، كقولهم: أسدي، وبكري، والثاني: على الجمع، كقولهم: المهالبة، والمسامعة، والأزارقة، والثالث: بـ «ذِي» و«ذات»، كقولهم: رجل مال، أي: ذو مال، وكبش صاف، أي: ذو صوف، وناقة ضامر، أي: ذات ضمر؛ فقوله: ذو الطُّول، معناه: أهل الطُّول والفضل.

﴿مَا يَجْدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَنْزِلُ تَعْلِيمٌ فِي الْيَدِ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَخَذَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿مَا يَجْدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: ما يُخاصم فيها بالكذب لها ودفعها بالباطل ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وبإني الآية في (آل عمران: ١٩٦)؛ والمعنى: إن عاقبة أمرهم إلى العذاب كماقية مَنْ قَبْلَهُمْ.

قوله تعالى: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: ليقتلوه، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: ليحبسوه ويعلبوه، ويقال للأسير: أخبذ، حكاة ابن قتيبة. قال الأخفش: وإنما قال: «ليأخذوه» فجمع على الكل، لأن الكل مذكر ومعناه معنى الجماعة. وما بعد هذا مفسر في [الكهف: ٥٦] إلى قوله: ﴿فَأَخَذْتَهُمْ﴾ أي: عاقبتهم وأهلكتهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ استفهام تقرير لعقوبتهم الواقعة بهم. ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل الذي حَقَّ على الأمم المكذبة ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب، وهي قوله: ﴿لَأَنذَكَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨] على الذين كفروا من قومك. وقرأ نافع، وابن عامر: ﴿حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾، ﴿أَنَّهُمْ﴾ قال الأخفش: لأنهم أو بأنهم ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ عِبَادِكَ فَاغْفِرْ لَهُمْ وَذَرْنِ الْيَهُودَ إِنَّكَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَقِهِمُ السَّيْفَ وَمَنْ تَقِ السَّيْفَ يَوْمَئِذٍ فَذَرْتَهُمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفُرُؤُ الْعَظِيمُ ۝﴾

ثم أخبر بفضل المؤمنين فقال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ وهم أربعة أملاك، فإذا كان يوم القيامة جعلوا ثمانية ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ قال وهب بن منبه: حَوْلُ العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به، ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة ليس فيهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبحه الآخر. وقال غيره: الذين حول العرش هم الكروبيون وهم سادة الملائكة. وقد ذكرنا في السورة المتقدمة معنى قوله: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥].

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا﴾ أي يقولون: رَبَّنَا ﴿وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ قال الزجاج: هو منصوب على التمييز. وقال غيره: المعنى: وَسِعَتْ رَحْمَتُكَ وَعِلْمُكَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من الشُّرك ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ وهو

(١) في الأصل: أراد.

(٢) قال ابن جرير الطبري: والقول في ذلك عندي نظير القول في أخواتها، قال: وقد بينا ذلك في قوله: ﴿آلَ﴾ ففي ذلك تفياء عن إعادته في هذا الموضع، إذ كان القول في ﴿حَم﴾ وجميع ما جاء في القرآن على هذا الوجه، أعني حروف التهجى قولاً واحداً، اهـ.

دين الإسلام. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿وَرِيقَهُمُ السَّيِّئَاتِ﴾ قال قتادة: يعني العذاب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ ١٥ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَمَتَيْنَا اثْنَتَيْنِ فَقَاتِلْنَا يُدْعَوْنَا فَنَدُورُ قَالَ إِنْ خُرُوجٌ مِنْ سَبِيلٍ ١٦ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَلِنْ يَشْرِكْ بِهِ تَقُولُوا فَمَا لِلشَّيْءِ الْغَلِيِّ الْكَبِيرِ ١٧

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ قال المفسرون: لما رَأَوْا أعمالهم وأدخلوا النارَ مَقْتُوا أَنْفُسَهُمْ لِسُوءِ فِعْلِهِمْ، فناداهم مُنَادٍ: لَمَقْتُ اللَّهُ لِمَا كُمْ فِي الدُّنْيَا ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ. ثم أخبر عما يقولون في النار بقوله: ﴿رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَمَتَيْنَا اثْنَتَيْنِ﴾ وهذا مثل قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا فَلَمَّا بَلَغْتُمْ ثَمَّ بُيُوتَكُمْ ثُمَّ يُصْبِحُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وقد فسّرناه هناك.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ إِنْ خُرُوجٌ﴾ أي: من النار إلى الدنيا لنعمل بالطاعة ﴿فِي سَبِيلِ﴾؟ وفي الكلام اختصار، تقديره: فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك؛ وقيل لهم: ﴿ذَلِكُمْ﴾ يعني العذاب الذي نزل بهم ﴿وَأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ أي: إذا قيل لا إله إلا الله أنكروا، وإن جعل له شريكاً أنتم، ﴿فَالْحَكُّ لِلَّهِ﴾ فهو الذي حكم على المشركين بالنار. وقد بيّنا في سورة [البقرة: ٢٥٥] معنى العليّ، وفي [الرعد: ٩] معنى الكبير.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُرْسِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ ١٨ قَادَعُوا اللَّهَ غُلُوبًا لَهُ الَّذِينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ١٩ رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْزِلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٢٠ يَوْمَ هُمْ كَبِيرُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ مِنْهُ لَئِنْ شَاءَ الْيَوْمَ لَنُؤْتِيَنَّهُمُ الْغَنَاءَ ٢١ الْيَوْمَ نُخْرِجُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ٢٢

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: مصنوعاته التي تَدُلُّ على وَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ. وَالرِّزْقُ هَاهُنَا: المطر، سُمِّيَ رِزْقًا، لأنه سبب الأرزاق. و﴿يَتَذَكَّرُ﴾ بمعنى يَتَعَطَّ، و﴿يُنِيبُ﴾ بمعنى يَرْجِعُ إِلَى الطَّاعَةِ. ثم أمر المؤمنين بتوحيده فقال: ﴿قَادَعُوا اللَّهَ غُلُوبًا لَهُ الَّذِينَ﴾ أي: موحدين.

قوله تعالى: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾ قال ابن عباس: يعني رافع السموات. وحكى الماوردي عن بعض المفسرين قال: معناه: عظيم الصفات.

قوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ أي: خالقه ومالكه.

قوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه القرآن. والثاني: النبوة. والقولان مرويان عن ابن عباس. وبالأول قال ابن زيد، والثاني قال السدي. والثالث: الوحي، قاله قتادة. وإنما سُمِّيَ القرآن والوحي روحاً، لأن قِوَامَ الَّذِينَ بِهِ، كما أن قِوَامَ الْبَدَنِ بِالرُّوحِ. والرابع: جبريل، قاله الضحاك. والخامس: الرَّحْمَةُ، حكاه إبراهيم الحربي.

قوله تعالى: ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مِنْ قَضَائِهِ، قاله ابن عباس. والثاني: بِأَمْرِهِ، قاله مقاتل. والثالث: مِنْ قَوْلِهِ، ذكره الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يعني الأنبياء. ﴿لِيُنْزِلَ﴾ في المشار إليه قولان: أحدهما: أنه الله ﷻ. والثاني: النبي الذي يوحى إليه. والمراد ب﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: وأثبت ياء «الثلاثي» في الحاليين ابن كثير ويعقوب، وأبو جعفر وافقهما في الوصل؛ والباقيون بغير ياء في الحاليين، وفي سبب تسميته بذلك خمسة أقوال: أحدها: أنه يلتقي فيه أهل السماء والأرض، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس. والثاني: يلتقي فيه الأولون والآخرون، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: [يلتقي] فيه الخلق والخالق، قاله قتادة ومقاتل. والرابع: يلتقي المظلوم والظالم، قاله ميمون بن مهران. والخامس: يلتقي المرء بعمله، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ كَبِيرُونَ﴾ أي: ظاهرون من قبورهم ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ﴾. فإن قيل: فهل يَخْفَى عليه منهم اليوم شيء؟ فالجواب: أن لا، غير أن معنى الكلام التهديد بالجزاء؛ وللمفسرين فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا

يُخْفَى عَلَيْهِ مَتَا عَمِلُوا شَيْءً، قاله ابن عباس. والثاني: لا يَسْتَرُونَ منه بجبل ولا مَدَر، قاله قتادة. والثالث: أن المعنى: أَوْرَظَهُمْ جميعاً، لأنه لا يُخْفَى عليه منهم شيء، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ أَمْلَاكَ الْيَوْمَ﴾ اتفقوا على أن هذا يقوله الله ﷻ بعد فَنَاءِ الخلاق. واختلفوا في وقت قوله له على قولين: أحدهما: [أنه] يقوله عند فَنَاءِ الخلاق إذا لم يبق مجيب، فيَرُدُّ هو على نفسه فيقول: ﴿إِلَهُ الْوَجْدِ الْفَهَّارِ﴾، قاله الأكثرون. والثاني: أنه يقوله يوم القيامة. وفيمن يُجيبه حينئذ قولان: أحدهما: أنه يُجيب نفسه وقد سَكَتَ الخلاق لقوله، قاله عطاء. والثاني: أن الخلاق كُلُّهُمْ يُجيبونه فيقولون: ﴿إِلَهُ الْوَجْدِ الْفَهَّارِ﴾ قاله ابن جريج.

﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٌ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِسْرٍ وَلَا لِلصَّالِحِينَ يُطَاعُ ۝ يَسْلَمُ حَآيَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَقِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يوم القيامة، قاله الجمهور. قال ابن قتيبة: وسميت القيامة بذلك لقربها، يقال: أَرِزْتُ شَخْصًا فُلَانًا، أي: قَرُبَ. والثاني: أنه يوم حُضُورِ المُنِيَّةِ، قاله قطرب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ وذلك أنها ترتقي إلى الحناجر فلا تَخْرُجُ ولا تَعُودُ، هذا على القول الأول وعلى الثاني: القلوب هي النفوس تبلغ الحناجر عند حضور المُنِيَّةِ؛ قال الزجاج: و﴿كَظِيمٌ﴾ منصوب على الحال، والحال محمولة على المعنى؛ لأن القلوب لا يقال لها: كاظمين، وإنما الكاظمون أصحاب القلوب؛ فالمعنى: إذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كَظْمِهِمْ. قال المفسرون: «كاظمين» أي: مغموين ممتلئين خوفاً وحزنًا، والكاظم: المُسْكِمُ للشيء على ما فيه؛ وقد أشرنا إلى هذا عند قوله: ﴿وَالْكُظَيْبُ الْأَمْتَدُ﴾ (ال عمران: ١٣٤). ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ﴾ يعني الكافرين ﴿وَمِنْ حِسْرٍ﴾ أي: قريب ينفعهم ﴿وَلَا سَفِيعٌ يُطَاعُ﴾ فيهم فتَقَبَّلَ شفاعته. ﴿يَسْلَمُ حَآيَةَ الْأَعْيُنِ﴾ قال ابن قتيبة: الخائنة والخيانة واحد. وللمفسرين فيها أربعة أقوال: أحدها: أنه الرجل يكون في القوم فتمرُّ به المرأة فيُريهم أنه يُغْضُ بصره، فإذا رأى منهم غفلةً لَحَظَ إليها، فإن خاف أن يَظُنُّوا له غَضُّ بصره، قاله ابن عباس. والثاني: أنه نظر العين إلى ما نُهي عنه، قاله مجاهد. والثالث: الغمز بالعين، قاله الضحاك والسدي. قال قتادة: هو الغمز بالعين فيما لا يُجِبُّه الله ولا يرضاه. والرابع: النظرة بعد النظرة، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما تُضْمِرُهُ من الفعل أن لو قَدَّرْتَ على ما نَظَرْتَ إليه، قاله ابن عباس. والثاني: الوسوسة، قاله السدي. والثالث: ما يُبْرِهُ القلب من أمانة أو خيانة، حكاه الماوردي<sup>(٢)</sup>.

﴿وَاللَّهُ يَقْنِى بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْنِصُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ رِقَةً وَأَنَّا فِي الْأَرْضِ فَلَّاحُكُمْ اللَّهُ يَدْعُوهُمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ رَاقٍ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاكْفَرُوا فَأَعَزَّهُمُ اللَّهُ إِنَّهُمْ قَوْمٌ شَدِيدُوا الْعِقَابِ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۝ إِلَهِ رَفِيعٍ وَهَنَدَنَ وَتَنَزَّلَتْ فَعَالُوا سَجِرٌ كَنَابٌ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكُمْ وَاسْتَخْبُوا بُنَاتَهُنَّ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْنِى بِالْحَقِّ﴾ أي: يحكم به فيجزي بالحسنة والسُّيئة ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ من الآلهة. وقرأ نافع، وابن عامر: «تَدْعُونَ» بالياء، على معنى: قُلْ لهم: ﴿لَا يَقْنِصُونَ بِشَيْءٍ﴾ أي: لا يَحْكُمُونَ بشيء ولا يُجَارُونَ به؛ وقد نَبَّه الله ﷻ بهذا على أنه حَقٌّ، لأنه إنما يأمر ويقضي من كان حيًّا، وأيد ذلك بِذِكْرِ السَّمْعِ والبصر، لأنهما إِنَّمَا يَشْتَانُ لحقٍّ، قاله أبو سليمان الدمشقي. وما بعد هذا قد تقدم بعضه [يوسف: ١٠٩] وبعضه ظاهر إلى قوله: ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ رِقَةً﴾

(١) قال ابن كثير: يوم الأَرْزَقِ: اسم من أسماء يوم القيامة، قال: وسميت بذلك لاقترابها، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ الْأَرْزَقِ﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَافِيَةٌ ۝ وقال قتادة: «أَقْرَبَ النَّاسَ وَأَشَدَّ الْفَقْرَ» وقال جل وعلا: «أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْنَا حَسَابُهُمْ» وقال: «اللَّهُ أَعَزُّ أَفْعَلُ فَلَا فَتَنَةَ لَهُ» وقال جل جلاله: ﴿تَنَزَّلَتْ رُؤُوسُهُمْ إِلَى الْأَرْضِ كَغُيَا...﴾ الآية. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿يَسْلَمُ حَآيَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ يخبر ﷻ عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء جليها وحقيها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها، ليحزن الناس علمه فيهم فيستحيوا من الله تعالى حق الحياء، ويتقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، فإنه يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة، ويعلم ما تطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر. اهـ.



مِنْهُمْ قُوَّةٌ ﴿٢٦﴾ وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: «أَشَدُّ مِنْكُمْ» بالكاف، وكذلك هو في مصاحفهم، وهو على الانصراف من الغيبة إلى الخطاب، «وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ» أي: من عذاب الله «بِإِنِّ رَاقٍ» بقي العذاب عنهم. ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك العذاب الذي نزل بهم «بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ...» إلى آخر الآية. ثم ذكر قصة موسى وفرعون ليعتبروا. وأراد بقوله: «أَقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكُمْ» أعيدها القتل عليهم كما كان أولاً، قاله ابن عباس. وقال قتادة: كان فرعون قد كَفَّ عن قتل الولدان، فلما بَعَثَ الله موسى، أعاد عليهم القتل ليصُدَّهم بذلك عن متابعة موسى.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أي: إنه يَذْهَبُ باطلاً وَيَحِقُّ بِهِمْ مَا يَرِيدُهُ اللَّهُ ﷻ.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي وَلَيْدِيَ الرَّبِّ إِني أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ مُوسَى إِني عُدْتُ لِرَبِّ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بَيُّوتِ الْحِسَابِ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٩﴾ يَقْوِيْ لَكُمْ أَلَمُكَ الْيَوْمَ ظُهُرِيْنَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَضُرُّكَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَكَ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَقْوِيْ لَكُمْ إِني أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ بَيُّوتِ الْكَذَّابِ ﴿٣١﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَهُمُومٌ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣٢﴾ وَيَقْوِيْ لَكُمْ إِني أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ تُنَادِيْ مَدِينٌ مَّا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِيٍّ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ قَدْ زُلْزِمَتْ فِي سَكِّهِ وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ حَقٌّ إِذَا هَلَاكَ قُلْتُ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٥﴾

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ وإنما قال هذا، لأنه كان في خاصة فرعون مَنْ يَمْنَعُهُ مِنْ قَتْلِهِ خوفاً من الهلاك ﴿وَلَيْدِيَ الرَّبِّ﴾ الذي يزعم أنه أرسله فلم يمنعه من القتل ﴿إني أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ أي: عبادتكم إني أرى ﴿أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «وَأَنْ» بغير ألف. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «أو» أن» بآلف قبل الواو، على معنى: إن لم يبدل دينكم أوقع الفساد، وإلا أن نافعا وأبا عمرو قرأ: «يُظْهِرُ» بضم الياء «الفساد» بالنصب. وقرأ الباقون: «يُظْهِرُ» بفتح الياء «الفساد» بالرفع، والمعنى: يظهر الفساد بتغيير أحكامنا، فجعل ذلك فساداً بزعمه؛ وقيل: يقتل أبناءكم كما تفعلون بهم. فلما قال فرعون هذا، استعاذ موسى بربه فقال: ﴿إني عُدْتُ لِرَبِّ رَبِّكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وابن عامر: «عُدْتُ» مبيئة الدال، وأدغمها أبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وأبو جعفر، وخلف ﴿وَمِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ أي: متعظم عن الإيمان ففسد فرعون قتل موسى، فقال حينئذٍ ﴿رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ...﴾ وفي الآل هاهنا قولان: أحدهما: [أنه] بمعنى الأهل والنسب؛ قال السدي ومقاتل: كان ابن عم فرعون، وهو المراد بقوله: ﴿رَبِّكَ يُضِلُّ مَنْ أَفْضَا أَلَدَيْهِ يَمُنْ﴾ [القصص: ٢٠]. والثاني: أنه بمعنى القبيلة والعشيرة؛ قال قتادة ومقاتل: كان قبطياً. وقال قوم: كان إسرائيلياً، وإنما المعنى: قال رجل مؤمن بكنتم إيمانه من آل فرعون؛ وفي اسمه خمسة أقوال: أحدها: حزيل، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: حبيب، قاله كعب. والثالث: سمعون، بالسین المهملة، قاله شعيب الجبائي. والرابع: جبريل<sup>(١)</sup>. والخامس: شمعان. بالشين المعجمة، روي عن ابن إسحاق، وكذلك حكى الزجاج «شمعان» بالشين، وذكره ابن ماکولا بالشين المعجمة أيضاً. والأكثر على أنه آمن بموسى لما جاء. وقال الحسن: كان مؤمناً قبل مجيء موسى<sup>(٢)</sup>، وكذلك امرأة فرعون. قال مقاتل: كنتم إيماناً من فرعون مائة سنة.

قوله تعالى: «أَقْتُلُوا رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ» أي: لأن يقول ﴿رَبِّيَ اللَّهُ﴾ وهذا استفهام إنكار «وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» أي: بما يدل على صدقه، «وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ» أي: لا يضركم ذلك «وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي

(١) في الأصل: جبرك، والتصحيح من كتب الضعيف.

(٢) قال ابن كثير: المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطياً من آل فرعون، قال: قال السدي: كان ابن عم فرعون، قال: ويقال: إنه الذي نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام، قال: واختاره ابن جرير وود قول من ذهب إلى أنه كان إسرائيلياً، لأن فرعون انقلع لكلامه واستمعه وكث عن قتل موسى ﷺ، قال: ولو كان إسرائيلياً لأوشك أن يعاجل بالمقوبة لأنه منهم.

يَعِدُّكُمْ» من العذاب.. وفي «بعض» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى «كُلِّ»، قاله أبو عبيدة، وأنشد للبيد:

تَرَاكَ أَنْكِسَةً إِذَا لَمْ أَرْضَها  
أَوْ يَغْتَلِثُ بَغْضَ النُّفُوسِ حِمَاها<sup>(١)</sup>

أراد: كُلُّ النُّفُوسِ. والثاني: أنها صِلَةٌ؛ والمعنى: يُصِيبُكُم الذي يَعِدُّكُمْ، حُكِيَ عن الليث. والثالث: أنها على أصلها، ثم في ذلك قولان: أحدهما: أنه وعدهم النجاة إن آمنوا، والهلاك إن كفروا، فدخل ذُكْرُ البعض لأنهم على أحد الحالين. والثاني: أنه وعدهم على كفرهم الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة، فصار هلاكهم في الدنيا بعض الوعد، ذكرهما الماوردي. قال الزجاج: هذا باب من النظر يذهب فيه المُناظِر إلى إلزام الحُجَّة بأيسر ما في الأمر، وليس في هذا نفي إصابة الكلِّ، ومثله قول الشاعر:

قَدْ يُنْذِرُكَ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ  
وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْمُسْتَعْجِلِ الرُّلُّ<sup>(٢)</sup>

ولما ذكر البعض ليجب الكلِّ، لأن البعض من الكلِّ، ولكن القائل إذا قال: أقل ما يكون للمُتَأَنِّي إدراك بعض الحاجة، وأقل ما يكون للمستعجل الرُّلُّ، فقد أبان فَضْلَ المُتَأَنِّي على المستعجل بما لا يُقَدِّرُ الخصم أن يدفعه، فكان المؤمن قال لهم: أَقَلُّ ما يكون في صدقه أن يُصِيبَكُم بعض الذي يَعِدُّكُمْ، وفي بعض ذلك هلاككم؛ قال: وأما بيت لبيد، فإنه أراد ببعض النفوس: نَفْسَهُ وحدها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْقَاسِيَ﴾ أي: لا يوفق للصواب ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه المشرك، قاله قتادة. والثاني: أنه السَّفَاكُ للدم، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿ظَلِّهِمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: عالين في أرض مصر ﴿فَمَنْ يَصُدُّكُمْ﴾ أي: من يَمْنَعُنَا ﴿وَمَنْ يَأْتِي اللَّهَ﴾ أي: من عذابه؛ والمعنى: لا تتعرضوا للعذاب بالتكذيب وقتل النبي؛ فقال فرعون عند ذلك: ﴿مَا أُرِيكُمْ﴾ من الرأي والنصيحة ﴿إِلَّا مَا أَرَى﴾ لنفسي ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ﴾ أي: أدعوكم إلا إلى طريق الهدى في تكذيب موسى والإيمان به، وهذا يدلُّ على أنه انقطع عن جواب المؤمنين. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَّخِذُ الْكُفْرَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَتَوَفَّوْنَ﴾ أي: يَتَوَفَّوْنَ يَوْمَ يَوْمِ حَزْبٍ حَزْبٍ؛ والمعنى: أخاف أن تُقيموا على كفركم فينزل بكم من العذاب مثل ما نزل بالأمم المكذبة رسلاً<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ النَّارِ﴾ قرأ عاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «النَّارِ» بغير ياء. وأثبت الباء في الوصل والوقف ابن كثير، ويعقوب، وافقهم أبو جعفر في الوصل. وقرأ أبو بكر الصديق، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وابن جبر، وأبو العالية، والضحاك: «النَّارِ» بتشديد الدال. قال الزجاج: أما إثبات الباء فهو الأصل، وحذفها حسن جميل، لأن الكسرة تدلُّ على الياء، وهو رأس آية، وأواخر هذه الآيات على الدال، ومن قرأ بالتشديد فهو من قولهم: نَدَّ فلان، ونَدَّ البعير: إذا هرب على وجهه، ويدل على هذا قوله: ﴿يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ﴾ وقوله: ﴿يَوْمَ يَرَى الَّذِينَ يَنْفِرُوا مِنْكُمْ﴾ [ص: ٣٤]؛ قال أبو علي: معنى الكلام: إني أخاف عليكم عذاب يوم النَّدِّ. قال الضحاك: إذا سمع الناس زفير جهنم وشهيقها نلوا فراراً منها في الأرض، فلا يتوجهون قطراً من أقطار الأرض إلا رأوا ملائكة، فيرجعون من حيث جاؤوا. وقال غيره: يُؤَمَّرُ بهم إلى النار فيَقْرُونَ ولا عاصم لهم. فأما قراءة التخفيف، فهي من النداء، وفيها للمفسرين أربعة أقوال: أحدها: أنه عند نفخة الفزع ينادي الناس بعضهم بعضاً، روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «يَأْمُرُ اللَّهُ ﷻ إسرئيلَ بالنَّفْخَةِ الأولى فيقول: انْفُخْ نفخة الفزع، فيفزع أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، فتفسير

(١) البيت للبيد بن ربيعة العامري من معلقته، وهو في «ديوانه» ٣١٣، و«مجاز القرآن» ٢/ ٢٠٥، و«شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» ٥٧٣، و«مختار الشعر الجاهلي» ٢/ ٣٩٤، و«اللسان» بعض.

(٢) البيت للقطامي، وهو في «البحر المحيط» ٧/ ٤٦١.

(٣) قال ابن كثير: هذا إخبار من الله ﷻ عن هذا الرجل الصالح مؤمن آل فرعون أنه حُدِّرَ قومه بأس الله تعالى في الدنيا والآخرة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَوَفَّوْنَ﴾ أي: الذين كذبوا رسل الله في قديم الدهر، كفروا بنوح وهاد وثمود والذين من بعدهم من الأمم المكذبة كيف جل بهم بأس الله وما رقه عنهم راد، ولا صدق عنهم صاد ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ﴾ أي: إنما أهلكهم الله تعالى بنفوسهم وتكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره فانفذ فيهم فقره، ثم قال: ﴿وَيَتَوَفَّوْنَ﴾ أي: تَوَفَّوْنَ يَوْمَ يَوْمِ حَزْبٍ حَزْبٍ ﴿يَوْمَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي: يعني يوم القيامة. اهـ.

الجبال، وتُخرج الأرض، وتُدمل المراضع، وتضع الحوامل، ويولّي الناس مُذْهِبِينَ ينادي بعضهم بعضاً [وهو قوله: «يَوْمَ التَّنَادِ»<sup>(١)</sup>]. والثاني: أنه نداء أهل الجنة والنار بعضهم بعضاً كما ذكر في [الأعراف: ٤٤، ٥٠]، وهذا قول قتادة. والثالث: أنه قولهم: يا حشرتنا! يا ويلتنا، قاله ابن جريج. والرابع: أنه ينادي فيه كل أناس بإمامهم بسعادة السعداء وشقاوة الأشقياء.

قوله تعالى: «يَوْمَ تُولَدُونَ مُذْهِبِينَ» فيه قولان: أحدهما: هرباً من النار. والثاني: أنه انصرفهم إلى النار.

قوله تعالى: «مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ» أي: من مانع.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ» وهو يوسف بن يعقوب، ويقال: إنه ليس به، وليس بشيء.

قوله تعالى: «مِنْ قَبْلُ» أي: مِنْ قَبْلِ موسى «بِالْبَيِّنَاتِ» وهي الدلالات على التوحيد، كقوله: «عَذَابُكَ تُنْفِرُونَ حَيْرٌ...» الآية [يوسف: ٣٩]، وقال ابن السائب: البيّنات: تعبير الرؤيا وشقّ القميص، وقيل: بل بعثه الله تعالى بعد موت ملك مصر إلى القبط.

قوله تعالى: «فَإِذَا زُلْزِلَتْ فِي سَكَنٍ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ» أي: من عبادة الله وحده «حَقَّ إِذَا هَلَكَ» أي: مات «فَلَنْتُمْ أَنْ يَبْسُكَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا» أي: إنكم أقمتهم على كفرهم وظننتم أن الله لا يجدد لإيجاب الحجة عليكم «كَذَلِكَ» أي: ومثل هذا الضلال «يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ» أي: مُشْرِكٌ «مُرْتَابٌ» أي: شاكٌّ في التوحيد وصدق الرُّسُل<sup>(٢)</sup>.

«الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْعًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْلُعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ ٥٥» وَقَالَ رِقْرِقٌ يُنْهَضُونَ آتَيْنِي مَرَّةً لَعَلِّي أَتْلُعَ الْأَسْبَبَ ﴿٥٦﴾ أَتَسْبَبُ السَّمَوَاتِ فَأَطْلُعَ إِلَيْهِ لَوْ أَنَّ مَوْحِينَ وَلَوْ لَأَطْلُعُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِيَزْعُمَنَّ سَوْءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٥٧﴾

قوله تعالى: «الَّذِينَ يُجَادِلُونَ» قال الزجاج: هذا تفسير المسرف المرتاب، والمعنى هُم الذين يجادلون في آيات الله. قال المفسرون: يجادلون في إبطالها والتكذيب بها بغير سلطان، أي: بغير حُجَّة أَتَاهُمْ من الله. «كَبُرَ مَقْعًا» أي: كَبُرَ جَدَاهُمْ مَقْعًا عند الله وعند الذين ءَامَنُوا، والمعنى: يَمَقُتْهُمْ الله وَيَمَقُتْهُمْ المؤمنون بذلك الجدل. «كَذَلِكَ» أي: كما طَلَعَ الله على قلوبهم حتى كَذَّبُوا وجادلوا بالباطل، يَطْلُعُ «عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ» عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وتوحيده. وقد سبق بيان معنى الجبار في [هود: ٥٩]. وقرأ أبو عمرو: «على كل قلب» بالتونين، وغيره من القراء السبعة يُضَيِّفُهُ. وقال أبو علي: المعنى: يَطْلُعُ على جملة القلب من المتكبر. واختار قراءة الإضافة الزجاج، قال: لأن المتكبر هو الإنسان، لا القلب. فإن قيل: لو كانت هذه القراءة أصوب لتقدم القلب على الكل؟ فالجواب: أن هذا جائز عند العرب، قال الفراء: تقدم هذا وتأخره واحد، سمعت بعض العرب يقول: هو يَرُجِّلُ شعره يوم كل جمعة، يريد: كل

(١) هذا جزء من حديث الصور الطويل، وقد ذكره الحافظ ابن كثير في «تفسيره» - عند قوله تعالى: «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي السُّورِ» من سورة [الأنعام: ٧٣] - بطوله من رواية الحافظ أبي القاسم الطبراني في كتابه «المطولات» ثم نقل عن الطبراني قوله عقب الحديث: هذا حديث مشهور، وهو غريب جداً، ولبعظه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة، وقد اختلف فيه، فممن من وثقه، ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة، كأحمد بن حنبل، وأبي حاتم الرازي، وعمر بن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه: هو متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر، إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء، قال ابن كثير: قلت: وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجهه كثيرة قد أوردتها في جزء على حدة، وأما سياقه فغريب جداً، ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقاً واحداً فأفكر عليه بسبب ذلك، ثم قال ابن كثير: وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول: إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفاً قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث، فإله أعلم. اهـ. والحديث أورده السيوطي في «الدرر» ٣٣٩/٥ - ٣٤٢ بطوله، وزاد نسبه لعبد بن حميد، وعلي بن سعيد في كتاب «الطاعة والمعصية»، وأبي يعلى، وأبي الحسن الطائفي في «المطولات»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي موسى المديني في «المطولات»، وأبي الشيخ في «العظمة»، والبيهقي في «البعث والنشور» عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تبارك وتعالى: «وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْيُونُسَ» يعني أهل مصر قد بعث الله فيهم رسولاً من قبل موسى عليه الصلاة والسلام، وهو يوسف عليه الصلاة والسلام، كان عزيز أهل مصر وكان رسولاً يدعو إلى الله تعالى أمته بالقسط، فما أطاعوه تلك الطاعة إلا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي، ولهذا قال تعالى: «فَإِذَا زُلْزِلَتْ فِي سَكَنٍ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَقَّ إِذَا هَلَكَ فَلَنْتُمْ أَنْ يَبْسُكَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا» أي: يستم فقلتم طامعين: «أَنْ يَبْسُكَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا» وذلك لكفرهم وتكذيبهم «كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ» أي: كجالكم هذا يكون حال من يشله الله لإسرافه في أفعاله وارتباب قلبه.

يوم الجمعة، والمعنى واحد. وقد قرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «على قلب كل متكبر» بتقديم القلب. قال المفسرون: فلما وعظ المؤمنُ فرعونَ وزجره عن قتل موسى، قال فرعونُ لوزيره: «يَهْتَكُنْ آيَنِي صَرِيحًا» وقد ذكرناه في [القصاص: ٣٨].

قوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾ قال ابن عباس وقتادة: يعني أبوابها. وقال أبو صالح: طرقها. وقال غيره: المعنى: لعلِّي أبلغُ الطرقَ من سماءٍ إلى سماءٍ. وقال الزجاج: لعلِّي أبلغُ ما يؤدُّني إلى السموات. وما بعد هذا مفسَّر في [القصاص: ٣٨] <sup>(١)</sup> إلى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: ويثُلُ ما وصفنا ﴿زَيْنَ لِيَزَعُونَهُ سَوْهَ عَلَيْهِ وَصَدَّ﴾ عن سبيل الهدى. قرأ عاصم، وحزمة والكسائي: «وَصَدَّ» بضم الصاد، والباقون بفتحها، ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ في إبطال آيات موسى ﴿إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ أي: في بطلان وخسران.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتْلُو آيَاتِهِمْ لِقَوْمِهِمْ سَبِيلَ الرِّسَالِ﴾ يَقُولُ إِنَّمَا هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي مَنَعَ وَإِنَّ الْآخِرَةَ مِنْ دَارِ الْفَكَرِ ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا يَنْفَلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْفَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

ثم عاد الكلام إلى نصيحة المؤمن لقومه، وهو قوله: ﴿اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرِّسَالِ﴾ أي: طريق الهدى، ﴿يَقُولُ إِنَّمَا هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي مَنَعَ﴾ يعني الحياة في هذه الدار متاع يُتَمَتَّعُ بها أياماً ثم تنقطع ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ مِنْ دَارِ الْفَكَرِ﴾ التي لا زوال لها <sup>(٢)</sup>. ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الشُّرك، ومثلها جهنم، قاله الأكثرون. والثاني: المعاصي، ومثلها: العقوبة بمقدارها، قاله أبو سليمان الدمشقي. فعلى الأول، العمل الصالح: التوحيد، وعلى الثاني هو [على] الإطلاق.

قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «يَدْخُلُونَ» بضم الياء. وقرأ نافع، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: بالفتح، وعن عاصم كالقراءتين. وفي قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قولان: أحدهما: أنهم لا تَبَعَةٌ عليهم فيما يُغْفَلُونَ في الجنة، قاله مقاتل. والثاني: أنه يُصَبُّ عليهم الرُّزْقُ صَبًّا بغير تقدير، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿وَيَقُولُ مَا يَدْعُوكُمْ إِلَى الْحَبْوَةِ وَيَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾ تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ بِهِ عِلْمٌ وَلَأَنَّا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْفَرِيزِ الْقَمَرِ ﴿لَا جَرَمَ إِنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ فَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَقْرَبُ أَمْرَةٍ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَعِيدٌ بَالِيسَادٍ ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَبِيحَاتٍ مَا مَكْرُهَاً وَحَقَّ بِقَالِ فِرْعَوْنَ سَوْهَ الْمَذَابِ﴾ أَنَاذُ يَمْشُونَ عَلَيْهَا حُذُوًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ مَا يَدْعُوكُمْ﴾ أي: مآلكم، كما تقول: مالي أراك حزينا، معناه: مالك، ومعنى الآية: أخبروني كيف هذه الحال، أدعوكم ﴿إِلَى الْحَبْوَةِ﴾ من النار بالإيمان، ﴿وَيَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾ أي: إلى الشُّرك الذي يوجب النَّارَ! ثم فسَّر الدُّعْوَتَيْنِ بما بعد هذا. ومعنى ﴿لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: لا أعلم هذا الذي ادَّعَاهُ شريكاً له. وقد سبق بيان ما بعد هذا [البقرة: ١٢٠، ط: ٨٢] إلى قوله: ﴿لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ﴾ وفيه قولان: أحدهما: ليس له استجابة دعوة، قاله السدي. والثاني: ليس له شفاعة، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: مَرَّجْنَاهُ والمعنى أنه يجازينا بأعمالنا. وفي المُسْرِفِينَ قولان قد ذكرناهما عند قوله: ﴿مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

(١) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن فرعون وعنه وتمرده وإفترائه في تكذيبه موسى عليه الصلاة والسلام أنه أمر وزيره هامان أن يبنى له صرحاً - وهو القصر العالي المنيف الشاهق - وكان اتخاذه من الأجر المضروب من الطين المشوي، كما قال تعالى: ﴿فَأَنزِلْنَا فِي يَهْتَكُنْ عَلَى الْخَلْقِ فَأَكْبَلْ فِي صَرِيحٍ﴾.

(٢) قال ابن كثير: يقول المؤمن لقومه ممن تمرد وطنى وأثر الحياة الدنيا ونسي الجبار الأعلى فقال لهم: ﴿يَتَذَكَّرُ أَلَيْمِينَ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرِّسَالِ﴾ لا كما كذب فرعون في قوله: ﴿وَمَا أَتَيْتُكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّسَالِ﴾ ثم زهدهم في الدنيا التي قد آثروها على الأخرى وصدنهم عن التصديق برسول الله موسى عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿يَقُولُ إِنَّمَا هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي مَنَعَ﴾ أي: قليلة زائلة فانية، عن قريب تذهب وتضمحل ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ مِنْ دَارِ الْفَكَرِ﴾ أي: الدار التي لا زوال لها ولا انتقال منها ولا ظن عنها إلى غيرها، بل، إما نعيم، وإما جحيم. اهـ.

قوله تعالى: ﴿فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني، وأبو جاء: ﴿فَسْتَذَكِّرُونَ﴾ بفتح الذال وتخفيفها وتشديد الكاف وفتحها؛ وقرأ أبي بن كعب، وأيوب السخيتاني: بفتح الذال والكاف وتشديدهما جميعاً. أي: إذا نزل العذاب بكم، ما أقول لكم في الدنيا من النصيحة؟ ﴿وَأَنْتُمْ أَتَيْتُمُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: أرثته<sup>(١)</sup>، وذلك أنهم تواعدوه لمخالفتي دينهم ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعَمَادِ﴾ أي: بأوليائه وأعدائه. ثم خرج المؤمن عنهم، فطلبوه فلم يقدروا عليه، ونجا مع موسى لما عبر البحر، فذلك قوله: ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا﴾ أي: ما أرادوا به من الشر ﴿وَكَافٍ بِآلِ فِرْعَوْنَ﴾ لما لجوا في البحر ﴿سُوءَ الْعَمَالِ﴾ قال المفسرون: هو الفرق<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى النَّارِ عَذَابٌ وَخِيشٌ﴾<sup>(٣)</sup> قال ابن مسعود وابن عباس: إن أرواح آل فرعون في أجواف طير سود يُعرضون على النار كل يوم مرتين فيقال: يا آل فرعون هذه داركم. وروى ابن جرير قال: حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير، قال: حدثنا حماد بن محمد البلخي قال: سمعت الأوزاعي، وسأله رجل، فقال: رأينا طيوراً<sup>(٤)</sup> تخرج من البحر فتأخذ ناحية الغرب بيضاً، فزجاً فزجاً، لا يعلم عددها إلا الله، فإذا كان العشي رجع مثلها سوداً، قال: وقطشت إلى ذلك؟ قال: نعم، قال: إن تلك الطير في حواصلها أرواح آل فرعون يُعرضون على النار غدواً وعشيّاً، فترجع إلى وكورها وقد احترقت ريشها وصارت سواده، فينبئ عليها من الليل ريشا بيض، وتتناثر السود، ثم تغدو ويعرضون<sup>(٥)</sup>.

(١) قال ابن جرير: يقول تعالى يذكر مخرجاً عن قبل المؤمن من آل فرعون لفرعون وقومه: فستذكرون أيها القوم - إذا عاينتم عقاب الله قد حل بكم، ولقيتم ما لقيتموه - صدق ما أقول، وحقيقة ما أخبركم به من أن المسرفين هم أصحاب النار، ثم قال: وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ أَتَيْتُمُ إِلَى اللَّهِ﴾ يقول: وأسلم أمري إلى الله وأجمله إليه وأتوكل عليه فإنه الكافي من توكل عليه. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَأُوا سُبْحَانَ اللَّهِ بِمَا هُمْ فِيهِ شَافِعُونَ﴾ وهو الفرق في اليوم ثم النقلة منه إلى الجحيم، فإن أرواحهم تعرض على النار صباحاً ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار، ولهذا قال: ﴿يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ أي: أشدَّ الماء، وأعظمه نكالاً.

(٣) قال ابن كثير: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى النَّارِ عَذَابٌ وَخِيشٌ﴾ ولكن هنا سؤال، وهو أنه لا شك أن هذه الآية مكية، وقد استدلوا بها على عذاب القبر في البرزخ، وقد قال الإمام أحمد: ثنا هاشم - هو ابن القاسم أبو النصر - ثنا إسحاق بن سعيد - هو ابن عمرو بن سعيد بن العاصي - ثنا سعيد - يعني أباه - عن عائشة ؓ أن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة ؓ إليها شيئاً من المعروف إلا قالت لها اليهودية: وقاك الله عذاب القبر، قالت عائشة ؓ: فدخل رسول الله ﷺ عليّ فقلت: يا رسول الله هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة؟ قال ﷺ: «لا»، من زعم ذلك؟ قالت: هذه اليهودية لا أضنع معها شيئاً من المعروف إلا قالت: وقاك الله عذاب القبر، قال ﷺ: «كلمت يهودية، وهم على الله أكذب، لا عذاب دون يوم القيامة» ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث، فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملاً بثوبه محمراً عيناه وهو ينادي بأعلى صوته: «القبر قطع الليل المظلم»، أيها الناس لو تعلمون ما أعلم بكمين كثيراً وضحككم قليلاً، أيها الناس استعملوا بالله من عذاب القبر، فإن عذاب القبر حق» قال: وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم، ولم يخرجها، قال: وروى أحمد ومسلم: ثنا يزيد، ثنا سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة ؓ قالت: قالت لها: وقاك الله من عذاب القبر، فأنكرت عائشة ؓ ذلك، فلما رأت النبي ﷺ قالت له، فقال ﷺ: «لا»، قالت عائشة ؓ: ثم قال أن رسول الله ﷺ بعد ذلك: «وانه أوحى إلي أنكم تفتنون في قبوركم» قال: وهذا أيضاً على شرطهما. قال: فيقال: فبما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ؟ قال: والجواب أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدواً وعشيّاً في البرزخ، وليس فيها دلالة على اتصال نالهم بأجسادها في القبور، إذ قد يكون ذلك مختصاً بالروح، فاما حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه بسببه، فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث المرضية الآتي ذكرها. قال: وقد يقال: إن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار في البرزخ، ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بنبذ، قال: وما يدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد: ثنا عثمان بن عمر، ثنا يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة ؓ أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها امرأة من اليهود وهي تقول: أشعرت أنكم تفتنون في قبوركم؟ فارتاع رسول الله ﷺ وقال: «إنما يفتن يهود» قالت عائشة ؓ: فليتنا ليالي، ثم قال رسول الله ﷺ: «أشعرت أنه أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور؟» وقالت عائشة ؓ: فكان رسول الله ﷺ بعد يستدعي من عذاب القبر، قال: وهكذا رواه مسلم عن هارون بن سعيد، وحرملة، كلاهما عن ابن وهب، عن يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري به. قال: وقد يقال: إن هذه الآية دلت على عذاب الأرواح في البرزخ، قال: ولا يلزم من ذلك أن يتصل في الأجساد في قبورها، فلما أوحى إلى النبي ﷺ في ذلك بخصومه، استعاذ منه، والله سبحانه وتعالى أعلم. قال: وقد روى البخاري من حديث شعبة عن أشعث عن ابن أبي الشعثان عن أبيه عن مسروق عن عائشة ؓ أن يهودية دخلت عليها فقالت: نعوذ بالله من عذاب القبر، فسألت عائشة ؓ رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال ﷺ: «نعم عذاب القبر حق» قالت عائشة ؓ: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر. قال ابن كثير: فهذا يدل على أنه بادر ﷺ إلى تصديق اليهودية في هذا الخبر، وقرء عليه، قال: وفي الأخبار المتقدمة أنه أنكر ذلك حتى جاءه الوحي، قال: فلعلهما قضيتان، والله سبحانه أعلم، قال: وأحاديث عذاب القبر كثيرة جداً.

(٤) في الأصل: «طير» والتصويب من «الطيري».

(٥) في الأصل: «طير» والتصويب من «الطيري».

على النار غدوًا وعشيًا، لثم ترجع إلى وكورها<sup>(١)</sup>، فذلك دأبها<sup>(٢)</sup> في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قال الله ﷻ: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾. وقد روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ أَحَدَكُمْ إِذْ مَاتَ حُرِّضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْقَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ [أَهْلِ] الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ [أَهْلِ] النَّارِ»، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة<sup>(٣)</sup>. وهذه الآية تدل على عذاب القبر، لأنه بين ما لهم في الآخرة فقال: ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ أَدْخِلُوا﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، [وأبو عمرو]، وأبو بكر وأبان عن عاصم: «الساعة اذخلوا» بالضم وضم الخاء على معنى الأمر لهم بالدخول، والابتداء على قراءة هؤلاء بضم الالف. وقرأ الباقون: بالقطع مع كسر الخاء على جهة الأمر للملائكة بإدخالهم، وهؤلاء يبتدئون بفتح الالف.

﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ يَقُولُ الْمُضْمَرُونَ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ بَعَثًا فَمَهْلُ أَشَدَّ مُثْقَلُونَ عَنَّا نَقِيبًا وَمِنَ النَّارِ﴾<sup>(٤)</sup> قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْوَسَاوِ<sup>(٥)</sup> وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَتِهِمْ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُحْذِفُ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ<sup>(٦)</sup> قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَتُوا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ<sup>(٧)</sup> إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ<sup>(٨)</sup> يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعُونَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ<sup>(٩)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ﴾ المعنى: واذكر لقومك يا محمد إذ يختصمون، يعني أهل النار، والآية مفسرة في [سورة] إبراهيم: ٢١، والذين استكبروا هم القادة. ومعنى ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ أي: نحن وأنتم، ﴿إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْوَسَاوِ﴾ أي: قضى هذا علينا وعليكم<sup>(٥)</sup>. ومعنى قول الخزنة لهم: ﴿فَادْعُوا﴾ أي: نحن لا ندعو لكم ﴿وَمَا دَعَتُوا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أي: إن ذلك يبطل ولا ينفع<sup>(٦)</sup>. ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن ذلك بإثبات حُججهم. والثاني: بإهلاك عدوهم. والثالث: بأن العاقبة تكون لهم. وفصل الخطاب: أن نصرهم حاصل لا بد منه، فتارة يكون بإعلاء أمرهم كما أعطى داود وسليمان من المُلْك ما قهرا به كل كافر، وأظهر محمداً ﷺ على مكذبيه، وتارة يكون بالانتقام من مكذبيهم بإنجاء الرسل وإهلاك أعدائهم، كما فعل بنوح وقومه وموسى وقومه، وتارة يكون بالانتقام من مكذبيهم بعد وفاة الرسل، كسليطه يختصر على قُتلة يحيى بن زكريا. وأما نصرهم يوم يقوم الأشهاد، فإن الله منجيهم من العذاب، وواحد الأشهاد شاهد، كما أن واحد الأصحاب صاحب. وفي الأشهاد ثلاثة أقوال: أحدها: الملائكة، شهداء الأنبياء بالإبلاغ وعلى الأمم بالكذب، قاله مجاهد، والسدي. قال مقاتل: وهم الحفظة من الملائكة. والثاني: الملائكة والأنبياء، قاله قتادة. والثالث: أنهم أربعة: الأنبياء والملائكة والمؤمنون والجوارح، قاله ابن زيد<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «تَنْفَعُ» بالثاء، والباقون بالياء؛ لأن المعذرة والاعتذار بمعنى. ﴿الظَّالِمِينَ مَعُونَتُهُمْ﴾ أي: لا يُقْبَلُ منهم إن اعتذروا ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ أي: البُعد من الرَّحمة. وقد بينا في [الرد: ٢٥] أن «لهم» بمعنى «عليهم»، و«سوء الدار»: النار.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهَارُونَ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾<sup>(١٠)</sup> هَذَى وَذَكَرَى لِأَوَّلَى الْآلِيبِ<sup>(١١)</sup> فَاصْبِرْ إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَاسْتَقْوِرْ لِدُنْيَاكَ وَسَجِّحْ بِحَدِّ رَبِّكَ بِالْعَمَلِ وَالْإِحْسَانِ<sup>(١٢)</sup> إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ وَيَتَّبِعُونَ سُلْطَانَهُمْ إِنَّهُمْ فِي

(٢) في الأصل: «دأبهم» والتصويب من «الطبري».

(١) زيادة من «الطبري».

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ١٩٣/٣، وَمُسْلِمٌ ٢١٩٩/٤.

(٣) زيادة من «البخاري» ومسلم.

(٥) قال ابن جرير الطبري ﴿إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْوَسَاوِ﴾ بفصل قضائه، فاسكن أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فلا نحن مما نحن فيه من البلاء خارجون، ولا هم مما فيه من النعم متقلون. اهـ.

(٦) قال ابن جرير: وقوله: ﴿وَمَا دَعَاؤُهُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾، لأنه دعاء لا يفهم ولا يستجاب لهم، بل يقال لهم: اخصوا فيها ولا تكلمون. اهـ. وقال ابن كثير: ﴿وَمَا دَعَاؤُهُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾، إلا في ذهاب لا يقبل ولا يستجاب. اهـ.

(٧) قال ابن كثير: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ أي: يوم القيامة تكون النصرة أعظم وأكبر وأجل. اهـ.



الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴿١﴾ فِيهِ قَوْلَان: أحدهما: عن توحيدِي، والثاني: عن دعائي ومسالتي ﴿سَيَذَخُلُونَ جَهَنَّمَ﴾ (١) قرا ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم، وعباس بن الفضل (٢) عن أبي عمرو: «سَيَذَخُلُونَ» [بضم الياء]، والباقون بفتحها. والذآخر: الضآغر. وما بعد هذا قد سبق في مواضع متفرقة [يونس: ٦٧، القصص: ٧٣، الأنعام: ٩٥، النمل: ٦١، الأعراف: ٥٤، الحج: ٢٩] إلى قوله: ﴿وَلْيَبْتَغُوا جَلَا سَمًى﴾ وهو أجل الحياة إلى الموت ﴿وَلَمَّا لَكُم مَقُولَاتُ﴾ توحيد الله وقدرته.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَمْجِدُونَ فِي مَائِنَةِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يُصْرَفُونَ﴾ (٢) الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِنَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا مَقُوتًا يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ إِذْ الْأَغْطَلُ فِي أَتْنَتِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٤﴾ فِي اللَّغْيِبِ ثَمَّ فِي النَّارِ يَسْجَرُونَ ﴿٥﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا هَلْ عَلَّمْنَا نَحْنُكَ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٨﴾ أَذْهَبُوا أَتَوَيْتُمْ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فِيهَا فَلَمَسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ كَمَا كُنَّا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْلَمُ أَوْ تَوَقَّيْتُكَ فَإِنَّا يَرْجِعُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُجِئَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْبَاطِلُونَ ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْثَمَ لِرَكْبُوا مِنْهَا وَمِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَسَلُّوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُلُوبِكُمْ وَعَلَيْهَا وَكَلِ الْأَغْطَلِ تَحْمَلُونَ ﴿١٣﴾ وَتُرِيكُمْ آيَاتِنَا فَاتَى مَائِنَةِ اللَّهِ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا أَكْثَرَ قُوَّةً وَأَنَارُوا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَغَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِيَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿١٧﴾ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِنِعْمَتِهِ إِسْتِغْنَاءٌ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَكَ اللَّهُ أَلًى قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿١٨﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَمْجِدُونَ فِي مَائِنَةِ اللَّهِ﴾ يعني القرآن، يقولون: ليس من عند الله، ﴿أَنَّهُمْ يُصْرَفُونَ﴾ أي: كيف صُرِفُوا عن الحق إلى الباطل؟! وفيهم قولان: أحدهما: أنهم المشركون، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم القدرية، ذكره جماعة من المفسرين. وكان ابن سيرين يقول: إن لم تكن نزلت في القدرية فلا أدري فيمن نزلت (٣). وقرا ابن مسعود، وابن عباس، وأبو رزين، وأبو مجلز، والضحاك، وابن عمر، وابن أبي عبله: «والسلاسل يسحبون» بفتح اللام والياء. وقال ابن عباس: إذا سحبوها كان أشد عليهم.

قوله تعالى: ﴿يَسْجَرُونَ﴾. قال مجاهد: توقد بهم النار فصاروا وقودها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾ مفسر في [الأعراف: ١٩٠]. وفي قوله: ﴿لَمْ تَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ قولان: أحدهما: أنهم أرادوا أن الأصنام لم تكن شيئاً، لأنها لم تكن تُضر ولا تنفع، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنهم قالوه على وجه الجحود، قاله أبو سليمان الدمشقي، «كَذَلِكَ» أي: كما أضل الله هؤلاء هؤلاء يُضِلُّ الْكَافِرِينَ. «ذَلِكُمْ» العذاب الذي نزل بكم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: بالباطل ﴿وَمِمَّا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ وقد شرحنا المَرَحَ في [ابنِ إسرائيل: ٣٧]. وما بعد هذا قد تقدم بتمامه [النمل: ٢٩، يونس: ١٠٩، النساء: ١٦٤] إلى قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وذلك لأنهم كانوا يقترحون عليه الآيات ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وهو قضاؤه بين الأنبياء وأمهم، و﴿الْبَاطِلُونَ﴾: أصحاب الباطل.

إليه من سأل فأكثر سؤاله، وما من أبغض عباده إليه من لم يسأله، وليس أحد كذلك غيرك يا رب، رواه ابن أبي حاتم، قال: وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

الله يَنْفَضِبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَه  
وَيَسْأَلُ أَدَمَ حِينَ يُسْأَلُ بِفَضْطِهِ

(١) وروى الإمام أحمد في [المسند: ٢٧١/٤] عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلدَّاهِ هُوَ الْعِبَادَةِ» ثم قرا: «أَتَشْكُرُ لِمَنْ تَشْكُرُ لَكَ إِذْ أَلَيْتَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَذَخُلُونَ جَهَنَّمَ ذَلِكُمْ» ورواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهو كما قال. والحديث ذكره السيوطي في [الدرة: ٣٥٥/٥]، وزاد نسبة لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، والبخاري في [الأدب المفرد] وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن حبان، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبي نعيم في [الحلية]، والبيهقي في [شعب الإيمان] عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) قال ابن الجوزي في [طبقات القراء]: العباس بن الفضل بن عمرو بن عبيد بن الفضل بن حنظلة أبو الفضل الواقفي الأنصاري البصري، قاضي الموصل، أستاذ حافق ثقة، قال الحافظ أبو الملاء: وكان من أكابر أصحاب أبي عمرو في القراءة.

(٣) [الطبري: ٨٣/٢٤] من رواية سفيان عن داود بن أبي هند عن محمد بن سيرين.



قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُورِهِمْ﴾ أي: حوائجكم في البلاد<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّى ءَايَتُ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ استفهام توبيخ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ في «ما» قولان: أحدهما: أنها للنفي. والثاني: [أنها] للاستفهام، ذكرهما ابن جرير<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: [أنهم] الأمم المكذبة، قاله الجمهور؛ ثم في معنى الكلام قولان. أحدهما: أنهم قالوا: نحن أعلم منهم لن نُبْعَثَ ولن نُحَاسَبَ، قاله مجاهد. والثاني: فرحوا بما كان عندهم أنه عِلْمٌ<sup>(٤)</sup>، قاله السدي. والقول الثاني: أنهم الرُّسل؛ والمعنى: فرح الرُّسل لما هلك المكذبون ونَجَوْا بما عندهم من العلم بالله إذ جاء تصديقُه، حكاه أبو سليمان وغيره.

قوله تعالى: ﴿وَصَافٍ بِهِمْ﴾ يعني بالمكذِّبين العذاب الذي كانوا به يستهزؤون<sup>(٥)</sup>. والبأس: العذاب. ومعنى ﴿سُئِلَ اللَّهُ﴾: أنه سئل هذه السُّنة في الأمم، أي: أن إيمانهم لا ينفعهم إذا رأوا العذاب، ﴿وَحَسِرَ هُمُوكَ الْكَافِرُونَ﴾. فإن قيل: كأنهم لم يكونوا خاسرين قبل ذلك؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن «خسر» بمعنى «هلك»، قاله ابن عباس. والثاني: أنه إنما بين لهم عُسرَاتهم عند نزول العذاب، قاله الزجاج.



(١) قال ابن جرير: وقوله: ﴿وَلَا تَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُورِهِمْ﴾ يقول: وتلبغوا بالعمولة على بعضها - وذلك الإبل - حاجة في صدوركم لم تكونوا بالفيها لولا هي إلا بشق لأشس، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَتَقُولُ نَفْسُكَ إِنَّا بَكْرٌ لَّ تَكُونُوا بَيْنِي إِلَى يَشِيقِ الْآخِرِينَ﴾. اهـ.

(٢) قال ابن جرير: يقول: فأي حجاج الله التي يريكم أيها الناس في السماء والأرض تنكرون صحتها فتكذبون من أجل فسادها توحيد الله وتدعون من دونه إلهاً. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسول في قديم الدهر وماذا حلَّ بهم من العذاب الشديد مع شدة قواهم وما أثروا في الأرض وجمعوا من الأموال، قال: فما أغنى عنهم ذلك شيئاً، ولا ردَّ عنهم ذرةً من بأس الله، قال: وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات، والحجج القاطعات، والبراهين الدامغات، لم يلتفتوا إليهم ولا أقبلوا عليهم، واستغفروا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل.

(٤) الذي في «الطبري» وابن كثير: عن السدي: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بهيالهم.

(٥) قال ابن كثير: ﴿وَصَافٍ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي يكذبون ويستبدلون وقوعه. ثم قال في تلمة الآية: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَهُ﴾ أي: عاينوا وقوع العذاب بهم ﴿فَالَمَّا بَأْسًا يَأْتِيهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: وحذوا الله، وكفروا بالطاغوت، ولكن حيث لا تُقال العثرات ولا تنفع المعبرة، قال: وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق: ﴿مَا كُنْتُ أَتْلُو إِلَّا الْقُرْآنَ مَا كُنْتُ بِهِ بَرًّا بِرَبِّكَ إِنَّا مِنَ السَّالِفِينَ﴾ قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْتُ نُوْحًا أَنْ يَرٰىٰ إِلَى الْكٰفِرِيْنَ اْلْعٰقِبَةَ﴾ أي: فلم يقبل الله منه، لأنه قد استجاب لنيي موسى عليه الصلاة والسلام دعاءه عليه حين قال: ﴿وَأَشْهَدُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ قَلْبًا يُؤْمِنُ حَتَّىٰ يُرٰىٰ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ قال: وهكذا قال تعالى هاهنا: ﴿فَلَمَّا بَأْسًا يَأْتِيهِمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَهُ﴾ أي: هذا حكم الله في جميع من تاب عند معاناة العذاب أنه لا يقبل، قال: ولهذا جاء في الحديث: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغ» أي: فإذا فرغ وبلغت الروح الحجرية وعاین الملك، فلا توبة حينئذ، قال: ولهذا قال تعالى: ﴿وَحَسِرَ هُمُوكَ الْكَافِرُونَ﴾. اهـ.

## سورة السجدة

مَكِّيَّة [كُلُّهَا] يَاجْمَاعُهُمْ، وَيُقَالُ لَهَا: سَجْدَةُ الْمُؤْمِنِ، وَيُقَالُ لَهَا: الْمَصَابِيحُ<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الْعَظِيمِ

﴿حَمْدٌ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كُنْتُ فُضِّلْتُ عَلَيْكُمْ فَرَأَيْتُمْ فَرَائِيًا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝ وَقَالُوا فُلُونَا فِي أَكْثَرِنَا نَدْمُونَ ۝ إِلَيْهِ رُفِعَ آدَانَا وَفَرُّ وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ جَبَابٌ فَأَعْمَلَ إِنَّا عَمِلُونَ ۝ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۝ وَرَبُّ الْمُشْرِكِينَ ۝ الَّذِينَ لَا يُؤْذُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ﴾ قال الفراء: يجوز أن يرتفع «تَنزِيلٌ» بـ ﴿حَمْدٌ﴾، ويجوز أن يرتفع بإضمار «هذا». وقال الزجاج: «تَنزِيلٌ» مبتدأ، وخبره، ﴿كُنْتُ فُضِّلْتُ عَلَيْكُمْ﴾، هذا مذهب البصريين. و﴿فَرَائِيًا﴾ منصوب على الحال، المعنى: يَبْتَثُّ أَبَاثُهُ فِي حَالِ جَمْعِهِ، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لِمَنْ يَعْلَمُ.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعني أهل مكة ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ تكبراً عنه، ﴿وَقَالُوا فُلُونَا فِي أَكْثَرِنَا﴾ أي: في أغلبية فلا نفقه قولك. وقد سبق بيان «الأكثرة» وال«وَقَرُّ» في [الأنعام: ٢٥]. ومعنى الكلام: إِنَّا فِي تَرْكِ الْقَبُولِ مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَفْهَمُ، ﴿وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ جَبَابٌ﴾ أي: حاجزٌ في التَّحَلُّفِ وَالذِّينِ. قال الأخفش: «ومن» هاهنا للتوكيد. قوله تعالى: ﴿فَأَعْمَلَ﴾ فيه قولان: أحدهما: اعمل في إبطال أمرنا إنا عاملون على إبطال أمرك. والثاني: اعمل على دينك إنا عاملون على ديننا. ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُِّثْلُكُمْ﴾ أي: لولا الوحي لَمَّا دَعَوْتُكُمْ. ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ أي: تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ، وَاسْتَغْفِرُوهُ مِنَ الشَّرِكِ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْذُونَ الزَّكَاةَ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: لا يشهدون أن «لا إله إلا الله»، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، والمعنى: لا يظهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد. والثاني: لا يؤمنون بالزكاة ولا يُقَرِّونَ بها، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: لا يزكُّون أعمالهم، قاله مجاهد، والرابع: لا يتصدقون، ولا يُنفِقُونَ فِي الطَّاعَاتِ، قاله الضحاك، ومقاتل. والخامس: لا يُعْطُونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، قال ابن السائب: كانوا يُحْجِبُونَ وَيَعْتَمِرُونَ وَلَا يُزَكُّونَ<sup>(٣)</sup>.

(١) ويقال لها: فُضِّلْتُ.

(٢) قال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المكلِّين المشركين: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ﴾، لا كما تعبدونه من الأصنام والأنداد والأرباب المتفرقين، إنما الله إله واحد، ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ أي: اخلصوا له العبادة على منوال ما أمركم به على ألسنة الرسل ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ أي: لسالف الذنوب، ثم قال: ﴿وَرَبُّ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: دمار لهم وملاك عليهم.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا: معناه: لا يؤدون زكاة أموالهم، قال: وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة، وأن في قوله: ﴿وَرَبُّمُ الْآخِرَةِ ثُمَّ كَيْفَ يَرَىٰ﴾ دليلاً على أن ذلك كذلك، لأن الكفار الذين عُذُّوا بهذه الآية كانوا لا يشهدون أن لا إله إلا الله، فلو كان قوله: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْذُونَ الزَّكَاةَ﴾ مراد به الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله، لم يكن لقوله: ﴿وَرَبُّمُ الْآخِرَةِ ثُمَّ كَيْفَ يَرَىٰ﴾ معنى، لأنه معلوم أن من لا يشهد أن لا إله إلا الله لا يؤمن بالآخرة، قال: وفي اتباع الله قوله: ﴿وَرَبُّمُ الْآخِرَةِ ثُمَّ كَيْفَ يَرَىٰ﴾ قوله: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْذُونَ الزَّكَاةَ﴾ ما ينشأ عن الزكاة في هذا الموضع معني بها زكاة الأموال. وقال ابن كثير: ﴿وَرَبُّمُ الْآخِرَةِ ثُمَّ كَيْفَ يَرَىٰ﴾ لا يُؤْذُونَ الزَّكَاةَ قال قتادة: الذين يمنعون زكاة أموالهم، قال: وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين، واختاره ابن جرير، قال: وفيه نظر، لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة على ما ذكره غير واحد، قال: وهذه الآية مكية، اللهم إلا أن يقال: لا يبعد أن يكون أصل الصدقة والزكاة كان مأموراً به في ابتداء البعثة، ف قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا تَأْكُلُوا حَتَّىٰ يَصِيرَ حَبَنَاسٍ﴾ قال: فأما الزكاة ذات النُصُبِ والمقادير، فإنما بُيِّنَ أمرها بالمدينة، قال: ويكون هذا جمعاً بين القولين، كما أن أصل الصلاة كان واجباً قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة، فلما كانت ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف، فرض الله تعالى على رسوله ﷺ الصلوات الخمس، وفُضِّلَ شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك شيئاً فشيئاً، والله أعلم. اهـ.

قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مَنُوتٍ﴾ أي: غير مقطوع ولا منقوص.

﴿قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ مَنُوتٌ يَّالْأَيُّهَا خَلْقَ الْأَرْضِ فِي يَوْمَيْنِ وَتَحْمِلُونَ لَهُمْ أَثْقَالًا ذَلِكَ رَبُّ الْكَافِرِينَ﴾ ① وَحَلَّ فِيهَا رَوْسٌ مِنْ قَوْفِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ ② ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَنْفِيَا طَوْقًا أَوْ كَرِهِيَا فَالْتَا أَنْفَا طَائِفِينَ ③ فَفَضَّلْنَهُمْ سَبْعَ سَعَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ④

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ قال ابن عباس: في يوم الأحد والاثنين، وبه قال عبد الله بن سلام، والسدي، والأكثرون. وقال مقاتل: في يوم الثلاثاء والأربعاء. وقد أخرج مسلم في أفرادهِ من حديث أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فقال: «خَلَقَ اللهُ ﷻ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ الْجِبَالَ فِيهَا يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ فِيهَا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ الثُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدُّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ»، وهذا الحديث يخالف ما تقدّم، وهو أصحّ ①.

قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُونَ لَهُمْ أَثْقَالًا﴾ قد شرحناه في [البقرة: ٢٧] و﴿ذَلِكَ﴾ الذي فعل ما ذكر ﴿رَبُّ الْكَافِرِينَ﴾. ﴿وَحَلَّ فِيهَا رَوْسٌ﴾ أي: جبلاً ثوابت من فوق الأرض، ﴿وَبَرَكَ فِيهَا﴾ بالأشجار والثمار والحبوب والأنهار، وقيل: البركة فيها: أن ينمي فيها الزرع، فتخرج الحبة حبات، والنواة نخله ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ قال أبو عبيدة: هي جمع قوت، وهي الأرزاق وما يحتاج إليه. وللمفسرين في هذا التقدير خمسة أقوال: أحدها: أنه شَقَّقَ الأنهار وغرس الأشجار، قاله ابن عباس. والثاني: أنه قسم أرزاق العباد والبهائم، قاله الحسن. والثالث: أقواتها من المطر، قاله مجاهد. والرابع: قَدَّرَ لكل بلدة ما لم يجعله في الأخرى كما أن ثياب اليمن لا تصلح إلا بـ «اليمن» والهروية بـ «هراة»، ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة، قاله عكرمة، والضحاك. والخامس: قَدَّرَ البَرُّ لاهل قُطْرِ، والثَمَرُ لاهل قُطْرِ، والدُّزَّةُ لاهل قُطْرِ، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أي: في ثمة أربعة أيام. قال الأخفش: ومثله [أن] تقول: تزوجت أمس امرأة، واليوم ثنتين، وإحدهما التي تزوجتها أمس. قال المفسرون: يعني: الثلاثاء والأربعاء، وهما مع الأحد والاثنين أربعة أيام.

قوله تعالى: ﴿سَوَاءً﴾ قرأ أبو جعفر: «سواء» بالرفع. وقرأ يعقوب، وعبد الوارث: «سواء» بالجر. وقرأ الباقر من العشرة بالنصب. قال الزجاج: من قرأ بالخفض، جعل «سواء» من صفة الأيام؛ فالمعنى: في أربعة أيام مستويات تأتت؛ ومن نصب، فعلى المصدر؛ فالمعنى: استوت سواء واستواء؛ ومن رفع، فعلى معنى: هي سواء. وفي قوله: ﴿لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ وَجِهَانِ﴾ أحدهما: للسائلين القوت، لأن كُلاًّ يطلب القوت ويسأله. والثاني: لمن يسأل: في كم خلقت الأرض؟ يقال: خلقت في أربعة أيام سواء، لا زيادة ولا نقصان.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ قد شرحناه في [البقرة: ٢٩] ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه لما خلق

(١) ولفظ الحديث بنصامه عند مسلم ٢١٤٩/٤: من أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «خَلَقَ اللهُ ﷻ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ الثُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدُّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ أَمَّ الْعَصْرِ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ». وهذا الحديث من أفراد مسلم كما ذكر المؤلف رحمه الله، وقد رواه الإمام أحمد في «المستدرك» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وكذلك رواه النسائي في «التفسير» وابن أبي حاتم، وابن مردويه. وقال الحافظ ابن كثير عن هذا الحديث في «التفسير»، بعد ما أورده: وهذا الحديث من غرائب «صحيح مسلم» وقد تكلم عليه علي بن المديني والبخاري وغير واحد من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب الأحبار، وأن أبا هريرة سمعه من كعب الأحبار، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعاً، وقد حذر ذلك البيهقي. اهـ. والحديث سند صحيح، ومن صححه الشوكاني في «فتح القدير»، وإنما تكلم عليه بعض العلماء من جهة منته، ورأوا أنه معارض للقرآن، والذي صحح الحديث سنداً ومتناً رأى أنه لا تعارض بينه وبين نص القرآن، فإن القرآن ذكر أن الله تعالى خلق السموات والأرض جميعاً في ستة أيام، وخلق الأرض وحدها في يومين، والحديث بين أن الله خلق ما في الأرض في سبعة أيام، ويحتمل أن تكون هذه الأيام السبعة، غير الأيام الستة التي ذكرها الله في خلق السموات والأرض، ويحتمل لا تعارض، وإنما الحديث فصل كيفية الخلق على الأرض وحدها، والله تعالى أعلم.



قوله تعالى: ﴿فِي آيَاتِهِ حِكْمَاتٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «نَحْسَاتٍ» بإسكان الحاء؛ وقرأ الباقون: بكسرهما. قال الزجاج: من كسر الحاء، فواحدُهن «نَحْسٌ»، ومن أسكنها، فواحدُهن «نَحْسٌ»؛ والمعنى: مشؤمات<sup>(١)</sup>. وفي أول هذه الآيات ثلاثة أقوال: أحدها: غداة يوم الأحد، قاله السدي. والثاني: يوم الجمعة، قاله الربيع بن أنس. والثالث: يوم الأربعاء، قاله يحيى بن سلام. والخزني: الهوان.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا نُوُودٌ فَهُدًى﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يثينا لهم، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبيرة. وقال قتادة: يثينا لهم سبيل الخير والشر. والثاني: دَعَوْنَاهُمْ، قاله مجاهد. والثالث: دَلَلْنَاهُمْ عَلَى مَذْهَبِ الْخَيْرِ، قاله الفراء. قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبُوا أَمْرِي﴾ أي: اختاروا الكفر على الإيمان، ﴿فَأَعَدَّتْهُمْ صِغْفُورُ الْمَذَابِ الْمُنُونِ﴾ أي: ذي الهوان، وهو الذي يُبْهِمُهُمْ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ١٩ ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمَا نَسِيَهُمْ وَاصْبَرْتُمْ وُجُوهَكُمْ يَوْمَ كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢٠ ﴿وَقَالُوا لَیْجُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٢١ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَشْعُرُونَ أَنَّ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا بُحُورُكُمْ وَلَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ كِبَرَكُمْ وَلَا يَكْفُرُ الْوَدَّيْنِ﴾ ٢٢ ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِنْ يَسْتَعِزُّوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَصِينَ﴾ ٢٣ ﴿وَقَفَّضْنَا لَهُمْ قُرْآنَهُ فَزَيَّنَّا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ عَلِمْتَ مِنَ الْقَبْلِ مِنَ الْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ ٢٤

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾ وقرأ نافع: «نَحْشَرُ» بالنون «أعداء» بالنصب.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُخْبَسُ أَوْلَاهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ لِيَتَلَحَّقُوا. ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمَا﴾ يعني النار التي حُشِرُوا إِلَيْهَا ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَاصْبَرْتُمْ وُجُوهَهُمْ﴾، وفي المراد بالجلود ثلاثة أقوال: أحدها: الأيدي والأرجل. والثاني: الفروج، روى عن ابن عباس. والثالث: أنه الجلود نفسها، حكاه الماوردي. وقد أخرج مسلم في أفرادهِ من حديث أنس بن مالك قال: كنّا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هل تدرون ممّ أضحك؟» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «من مخاطبة العبد ربّه، يقول: يا رب ألم تُجْزِنِي مِنَ الظُّلُمِ؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أُجْزِي عَليّ إِلَّا شَهِدًا مِنِّي، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتِبِينَ شَهِوداً، قال: فيخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فيقال لأركانِهِ<sup>(٣)</sup>: أنْطَقِي، قال: فنَنْطَقُ بِأَعْمَالِهِ، قال: ثُمَّ يُعْخَلَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، فيقول: بُعْدًا لَكُمْ وَسُخْفًا، فعَنْكُمْ كُنْتُ أَنَاخِلُ<sup>(٤)</sup>».

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: ممّا نطق. وهاتنا تم الكلام. وما بعده ليس من جواب الجلود.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَشْعُرُونَ أَنَّ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ﴾ روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث ابن مسعود قال: كنْتُ مستترّاً بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر، قرشيٌّ وخثانيٌّ ثقفِيّان، أو ثقفِيٌّ وخثانيٌّ قرشيّان،

البرد جنداً، كقوله تعالى: ﴿يُوبِيعُ سَرْمَرٌ كَيْدَهُ﴾ أي: باردة شديدة، وكانت ذات صوت مزعج، قال: ومنه سمي النهر المشهور ببلاد المشرق «مصرصراً» لقوة صوت جريهِ. اهـ.

(١) وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قوله: ﴿فِي آيَاتِهِ حِكْمَاتٌ﴾ قال: أيام متتابعات أنزل الله فيهن العذاب، قال ابن جرير: وقال آخرون: عنى بذلك المشاييم، قال: وقال آخرون: معنى ذلك: أيام ذات شر، وقال آخرون: النحسات: الشداد. ثم قال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هي بها: أيام مشاييم ذات نحوس، لأن ذلك هو المعروف من معنى النحس في كلام العرب. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: وقال الثوري: دعوتاهم ﴿فَاسْتَجَبُوا أَمْرِي عَلَى الْكَذِبِ﴾ أي: بصرناهم، ويثينا لهم، ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام فخالفوه وكذبوه. وعقروا ناقة الله تعالى التي جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم ﴿فَأَعَدَّتْهُمْ صِغْفُورُ الْمَذَابِ الْمُنُونِ﴾ أي: بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلاً وهواناً وعذاباً ونكالاً ﴿يَوْمَ كَانُوا يَكْبُرُونَ﴾ أي: من التكذيب والجحود ﴿وَنَبِّئَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: من بين أظهرهم لم يمسهم سوء، ولا نالهم من ذلك ضرر، بل نجاهم الله تعالى مع نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام بإيمانهم وتقواهم لله ﷻ. اهـ.

(٣) أي: جوارحه.

(٤) أي: أدافع وأجادل. والحدث في «صحيح مسلم» ٤/ ٢٢٨٠ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ورواه النسائي وغيره.



[illegible]

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لما دخلوا النار ﴿رَبَّنَا آتِنَا الَّذِي نُسَلِّتُ بِهِ﴾ وقرأ ابن عمر، وأبو بكر عن عاصم: ﴿وَأُزْنًا﴾ يسكون الزاء. قال المفسرون: يغنون إيليس وقابيل، لأنهما سنا المعصية، ﴿يَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَفْقَامِنَا يَتَكَوَّمُ عَنْهُ﴾ أي: في الدرك الأسفل، وهو أشد عذاباً من غيره. ثم ذكر المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [أي: وحده] ﴿ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: استقاموا على التوحيد، قاله أبو بكر الصديق، ومجاهد، والثاني: على طاعة الله وأداء فرائضه، قاله ابن عباس، والحسن، وقطادة. والثالث: على الإخلاص والعمل إلى الموت، قاله أبو العالية، والسدي<sup>(١)</sup>. وروى عطاء عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق، وذلك أن المشركين قالوا: ربُّنا الله، والملائكة بناته، وهؤلاء شفاعونا عند الله، فلم يستقيموا، وقالت اليهود: ربُّنا الله، وعزيرُ ابنه، ومحمد ليس بنبي، فلم يستقيموا، وقالت النصارى: ربُّنا الله، والمسيح ابنه، ومحمد ليس بنبي، فلم يستقيموا، وقال أبو بكر: ربُّنا الله وحده، ومحمد عبده ورسوله، فاستقام<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَحْزَنُوا﴾ أي: بأن لا تخافوا. وفي وقت نزولها عليهم قولان: أحدهما: عند الموت، قاله ابن عباس، ومجاهد؛ فعلى هذا في معنى «لا تخافوا» قولان: أحدهما: لا تخافوا الموت، ولا تحزنوا على أولادكم، قاله مجاهد. والثاني: لا تخافوا ما أمامكم، ولا تحزنوا على ما خلفكم، قاله عكرمة، والسدي. والقول الثاني: تنزل عليهم إذا قاموا من القبور، قاله قتادة؛ فيكون معنى «لا تخافوا»: أنهم يبشرونهم بزوال الخوف والحزن يوم القيامة<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تَحْنُ أُولَئِكَ﴾ قال المفسرون: هذا قول الملائكة لهم، والمعنى: نحن [الذين] كنا ننزلكم في الدنيا، لأن الملائكة تنزل المؤمنين وتحبهم لما ترى من أعمالهم المرفوعة إلى السماء، ﴿وَيَا آخِرَةَ﴾ أي: ونحن معكم في الآخرة لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة. وقال السدي: هم الحفظة على ابن آدم، فلذلك قالوا: ﴿تَحْنُ أُولَئِكَ﴾ في الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَيَا آخِرَةَ؛ وقيل: هم الملائكة الذين يأتون لقبض الأرواح<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ أي: في الجنة. ﴿نُزُلًا﴾ قال الزجاج: معناه: أبشروا بالجنة تنزلونها [نُزُلًا]. وقال الأخفش: لكم فيها ما تشتهي أنفسكم أنزلناه نُزُلًا.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٠﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوةٌ كَأَنَّكَ وَكُلُّ جَيْمٍ ﴿١٦١﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿١٦٢﴾ وَمَا يَرْغَبُكَ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَمْسُوكَ بِالْأَيْدِي إِذْ هُمْ يُسْمِعُونَ الْكَلِمَةَ ﴿١٦٣﴾﴾

(١) روى مسلم في «صحيحه» ١/٦٥ عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «قل: آمنت بالله ثم استقم» والحديث ذكره السيوطي في «الدرر» ٥/٣٦٣، وزاد نسبه لأحمد، وعبد بن حميد، والدارمي، والبخاري في «تاريخه»، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان.

(٢) ذكر سبب النزول هذا الواحد في «أسباب النزول» ٢١٣ من رواية عطاء عن ابن عباس بدون سند.

(٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿تَزَكَّيْكُمْ اللَّهُ﴾ قال مجاهد والسدي وزيد بن أسلم وابنه: يعني عند الموت قائلين: **أَلَا تَحْشَاشٌ** قال مجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم: أي: مما تقدمون عليه من أمر الآخرة **وَلَا تَحْزَنُوا** على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو قريب، فإننا نخلفكم فيه **وَأَنْتُمْ بِالْمَوْلَىٰ أَلَىٰ كَثَرٍ** فيشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير، قال: وهذا كما جاء في حديث البراء **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: **«إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَقُولُ لِرُوحِ الْمُؤْمِنِ: أَخْرِجِي أَبْنَىٰ الرُّوحِ الطَّيِّبَةِ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ كَتَمْتِ تَعْمِيْنَهُ، أَخْرِجِي إِلَىٰ زَوْجٍ وَبِحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضِيْبَانٍ»** اهـ.

(٤) قال ابن كثير: وقوله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أي: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أوليكم، أي: قرناكم في الحياة الدنيا نسفدكم ونهلككم ونهضكم بآمر الله، وكذلك تكون معكم في الآخرة، تؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند الضخّة في الصور، وتؤنسكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُنَّ أَنْفُسُكُمْ﴾ أي: في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهي النفوس ويقر به العيون ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَكْرَهُنَّ﴾ أي: مهما طلبتم وجئتم وضرب بين أيديكم كما اخترتم.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ فيمن أريد بهذا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المؤذنون. روى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نزلت في المؤذنين»<sup>(١)</sup>، وهذا قول عائشة، ومجاهد، وعكرمة. والثاني: أنه رسول الله ﷺ دعا إلى شهادة أن لا إله إلا الله، قاله ابن عباس، والسدي، وابن زيد. والثالث: أنه المؤمن أجاب الله إلى ما دعاه، ودعا الناس إلى ذلك ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ في إجابته، قاله الحسن. وفي قوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ثلاثة أقوال. أحدها: صلى ركعتين بعد الأذان، وهو قول عائشة، ومجاهد، وروى إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ قال: الأذان ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ قال: الصلاة بين الأذان والإقامة. والثاني: أدى الفرائض وقام لله بالحقوق، قاله عطاء. والثالث: صام وصلى، قاله عكرمة<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ لَكُمُ السَّيِّئَةُ وَلَا الْحَسَنَةُ﴾ قال الزجاج: «لا» زائدة مؤكدة؛ والمعنى: ولا تستوي [الحسنة] والسيئة. وللمفسرين فيها ثلاثة أقوال. أحدها: أن الحسنة: الإيمان، والسيئة: الشرك، قاله ابن عباس. والثاني: الجلم والفحش، قاله الضحاك. والثالث: الثُّمُور والصِّبر، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّذِي فِي أَحْسَنَ﴾ وذلك كدفع الغضب بالصبر، والإساءة بالعفو، فإذا فعلت ذلك صار الذي بينك وبينه عداوة كالصديق القريب. وقال عطاء: هو السلام على من تعاديه إذا لقيته. قال المفسرون: وهذه الآية منسوخة بآية السف<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا مَنْ يُلْقِي هَذِهِ الْقُرْآنَ﴾ وهي دفع السيئة بالحسنة ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على كظم الغيظ ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا مَنْ يُلْقِي هَذِهِ الْقُرْآنَ﴾ من الخير. وقال السدي: «إلا ذو جَدٍّ». وقال قتادة: الحظ العظيم: الجنة؛ فالمعنى: ما يُلْقِيهَا إِلَّا مَنْ وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَرْفَعُكَ مِنَ السَّيِّئَاتِ نَحْوَ﴾ قد فسرناه في [الاعراف: ٢٠٠]<sup>(٥)</sup>.

(١) الذي في كتب التفسير وأسباب النزول عن عائشة ومجاهد وعكرمة موقوفاً عليهم أن هذه الآية نزلت في المؤذنين، وقد قال السيوطي في «الدرة» ٥/ ٣٦٤: أخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما أرى هذه الآية نزلت إلا في المؤذنين ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾. اهـ. ولم نر رواية جابر بن عبد الله التي ذكرها المؤلف في المرفوع، والله أعلم. وقد قال ابن كثير في «التفسير»: والمصحح أن الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم، قال: فأما حال نزول هذه الآية، فإنه لم يكن الأذان مشروعاً بالكلية، لأنها مكية، والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة حين أراه عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري رضي الله عنه في منامه فقصه على رسول الله ﷺ فأمره أن يلقيه على بلال رضي الله عنه فإنه أندى صوتاً كما هو مقرر في موضعه. ثم قال ابن كثير: فالمصحح إذن أنها عامة، كما قال عبد الرزاق عن يعمر عن الحسن البصري أنه تلا هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ وعمل صالِحاً في إجابته وقال إنني من المسلمين، هذا خليفة الله. اهـ.

وقال الشوكاني في تفسيره «فتح القدير»: ويجب أن هذا بأن الآية مكية، والأذان إنما شرع بالمدينة، والأولى حمل الآية على العموم كما يقتضيه اللفظ، ويدخل فيها من كان سبباً لنزولها دخولاً أولياً، فكل من جمع بين دعاء العباد إلى ما شرعه الله، وعمل عملاً صالحاً، وهو نادية ما فرضه الله عليه مع اجتناب ما حرمه عليه، وكان من المسلمين ديناً لا من غيرهم، فلا شيء أحسن منه ولا أوضح من طريقته، ولا أكثر ثواباً من عمله. اهـ.

وقال الخازن في «تفسيره»: وقيل: إن كل من دعا إلى الله تعالى بطريق من الطرق فهو داخل في هذه الآية، قال: والدعوة إلى الله مراتب، الأولى: دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والثانية: دعوة العلماء، والثالثة: دعوة المجاهدين في سبيل الله، والرابعة: دعوة المؤمنين إلى الصلاة، قال: فهم أيضاً دعاء إلى الله تعالى وإلى طاعته.

(٢) والمصحح أنها عامة في كل ذلك.

(٣) قال ابن جرير: وقوله: ﴿وَمَا يَرْفَعُكَ مِنَ السَّيِّئَاتِ نَحْوَ﴾ يقول تعالى ذكره: افعل هذا الذي أمرك به يا محمد، من دفع سيئة السيء إليك بإحسانك الذي أمرك به إليه، فيصير السيء إليك الذي بينك وبينه عداوة، كأنه من ملاحظته إياك ويؤثر لك، ولي لك من بني أعمامك، قريب النسب بك، قال: والحميم: هو القريب. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي: وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك، فإنه يشق على النفوس، ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا مَنْ يُلْقِي هَذِهِ الْقُرْآنَ﴾ أي: ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة، قال: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم. اهـ.

(٥) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَرْفَعُكَ مِنَ السَّيِّئَاتِ نَحْوَ﴾ أي: إن شيطان الإنس ربما يتخذه بالإحسان إليه، فأما شيطان الجن، فإنه لا حيلة فيه إنما وسوس إلا الاستعاذة بخاله الذي سلطه عليك، فإذا استعملت بالله والتجأت إليه، كُفَّ عنك ورؤك كيد، قال: وقد كان رسول الله ﷺ إذا



﴿وَمِن مَّا يَكْتُمُونَ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَفِيٌّ﴾ [أي: تكبروا عن التوحيد والعبادة] ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني الملائكة ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ أي: يصلون. ويسامون بمعنى يملئون. وفي موضع السجدة قولان: أحدهما: أنه عند قوله: «يسامون»، قاله ابن عباس، ومسروق، وقتادة، واختاره القاضي أبو يعلى، لأنه تمام الكلام. والثاني: [أنه] عند قوله: «إن كنتم إياه تعبدون»<sup>(١)</sup>، روي عن أصحاب عبد الله، والحسن، وأبي عبد الرحمن.

قوله تعالى: ﴿وَمِن مَّا يَكْتُمُونَ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَفِيٌّ﴾ قال قتادة: غبراء متهشمة. قال الأزهري: إذا نيست الأرض ولم تنظر، قيل: خشعت.

قوله تعالى: ﴿أَهْمَزَّتْ﴾ أي: تحركت بالنبات ﴿وَرَبَّتْ﴾ أي: علث، لأن النبات إذا أراد أن يظهر ارتفعت له الأرض؛ وقد سبق بيان هذا [الحج: ٥].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ فِي مَائِنَا لَا يَحْتَوْنَ عَلَيْنَا أَفَنُيْلَقُ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي مَائِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [١٠٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكَيْدٌ عَزِيزٌ﴾ [١٠٤] لَا يَأْتِيهِ الْبَلُغُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْجَلُ مِنْ حَيْكِهِ مَجِيدٌ﴾ [١٠٥]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ فِي مَائِنَا﴾ قال مقاتل: نزلت في أبي جهل<sup>(٢)</sup>. وقد شرحنا معنى الإلحاد في [النحل: ١٠٣]؛ وفي المراد به هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أنه وضع الكلام على غير موضعه، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه المكاء والصفير عند تلاوة القرآن، قاله مجاهد. والثالث: أنه التكذيب بالآيات، قاله قتادة. والرابع: أنه المعاندة، قاله السدي. والخامس: أنه المثل عن الإيمان بالآيات، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿لَا يَحْتَوْنَ عَلَيْنَا﴾ هذا وعبد الجراء ﴿أَفَنُيْلَقُ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي مَائِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وهذا عام. غير أن المفسرين ذكروا فيمن أريد به سبعة أقوال: أحدها: أنه أبو جهل وأبو بكر الصديق، رواه الضحاك عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثاني: أبو جهل وعمار بن ياسر، قاله عكرمة<sup>(٤)</sup>. والثالث: أبو جهل ورسول الله ﷺ، قاله ابن السائب،

قام إلى الصلاة يقول: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه»، قال: وقد قلنا أن هذا المقام لا نظير له في القرآن إلا في سورة (الأعراف) عند قوله تعالى: ﴿عَذَابٌ رَّكْبٌ بِالْأَيْدِي وَأَعْرَاضٍ فِي الْمُهْلِ﴾ [١٠٣] وَأَنَا بَرْقَأْتُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ ذَنْبٌ قَاتِلٌ وَأَنَا لَمْ سَمِعُ عَيْدٌ﴾ [١٠٤] وفي سورة (المؤمنين) عند قوله: ﴿وَأَتَتْ بِحَدِيثِ كُرْبٍ أَفَتَنْفَعُ الْكُفْرَ بَلَاءٌ بِمَا يُوعَدُونَ﴾ [١٠٥] وَقُلْ رَبِّ أَعْرِضْ عَنْ هَذِهِ إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١٠٦] وأعوذ بك رب من أن يصيبني﴾ [١٠٧]. اهـ.

(١) يريد بذلك الآية التي قبل قوله: ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِن مَّا يَكْتُمُونَ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَفِيٌّ﴾ لا تستجيب للفتن ولا للفتن واستجودوا لله الذي خلقهم إن كنتم إياه تعبدون﴾ [١٠٣] وقد حذفها المؤلف ولم يفسرها لوضوح معناها. قال القرطبي في [تفسيره]: هذه الآية آية سجدة بلا خلاف، واختلفوا في موضع السجود منها، فقال مالك: موضعه ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ لأنه متصل بالامر، وكان علي وابن مسعود وغيرهم يسجدون عند قوله: «تعبدون»، وقال ابن وهب والشافعي: موضعه ﴿وَمَنْ لَا يَشْكُرْ﴾ لأنه تمام الكلام وغاية العبادة والامتثال، وبه قال أبو حنيفة، وكان ابن عباس يسجد عند قوله: «يسامون»، وقال ابن عمر: اسجدوا بالآخرة منهما، وكذلك يروى عن مسروق وأبي عبد الرحمن السلمي وإبراهيم النخعي وأبي صالح ويحيى بن وثاب، وطلحة وزيد اليامين (نسبة إلى يامة بطن من همدان) والحسن وابن سيرين، وكان أبو وائل وقتادة ويكر بن عبد الله يسجدون عند قوله: «يسامون» قال ابن العربي: والامر قريب. اهـ. وقال الخازن في [تفسيره]: فصل: وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة، وفي موضع السجود فيها قولان للعلماء، وهما وجهان لأصحاب الشافعي، أحدهما: أنه عند قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ وهو قول ابن مسعود والحسن، وحكاها الرافعي عن أبي حنيفة وأحمد، لأن ذكر السجدة قبله، والثاني وهو الأصح عند أصحاب الشافعي وكذلك نقله الرافعي: أنه عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَا يَشْكُرْ﴾ وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة، وحكاها الزمخشري عن أبي حنيفة، لأن عنده يتم الكلام. اهـ.

- (٢) ذكر ذلك البيهقي عن مقاتل بدون سند.
- (٣) قال السيوطي في [الدرر] ٣٦٦/٥ أخرج ابن مردويه عن ابن عباس ؓ في قوله: ﴿أَفَنُيْلَقُ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي مَائِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال: أبو جهل بن هشام، ﴿أَمْ مَن يَأْتِي مَائِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال: أبو بكر الصديق ؓ.
- (٤) قال السيوطي في [الدرر] ٣٦٦/٥ أخرج ابن عساكر عن عكرمة ؓ في قوله: ﴿أَفَنُيْلَقُ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي مَائِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل.

ومقاتل. والرابع: أبو جهل وعثمان بن عفان، حكاه الثعلبي. والخامس: أبو جهل وحزمة، حكاه الواحدي. والسادس: أبو جهل وعمر بن الخطاب. والسابع: الكافر والمؤمن، حكاهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا مَا شِئْتُمْ﴾ قال الزجاج: لفظه لفظ الأمر، ومعناه الوعيد والتهديد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ يعني القرآن، ثم أخذ في وصف الذِّكْر؛ وَتَرَكَ جواب «إِنَّ»، وفي جوابها هاهنا قولان: [أحدهما]: أنه «أَوَّلُكَ يَتَذَكَّرُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ»، ذكره الفراء. والثاني: أنه متروك، وفي تقديره قولان: أحدهما: إن الذين كفروا بالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ كفروا به. والثاني: إن الذين كفروا يجازون بكفرهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ لَكُنْتُ عَزِيزٌ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: مَنَعَ من الشيطان لا يجد إليه سبيلاً، قاله السدي. والثاني: كريم على الله، قاله ابن السائب. والثالث: مَنَعَ من الباطل، قاله مقاتل. والرابع: يمتنع على الناس أن يقولوا بطله، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: التكذيب، قاله سعيد بن جبيرة. والثاني: الشيطان. والثالث: التبديل، روي عن مجاهد. قال قتادة: لا يستطيع إبليس أن ينقص منه حقاً، ولا يزيده فيه باطلاً. وقال مجاهد: لا يدخل فيه ما ليس منه. وفي قوله: ﴿يُرَى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفَةٍ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: بين يَدَيْ تزييه، وبعد نزوله. والثاني: أنه ليس قَبْلَهُ كتاب يُبَيِّنُهُ، ولا يَأْتِي بعده كتاب يُبَيِّنُهُ. والثالث: لا يَأْتِيه الباطل في إخباره عما تقدّم، ولا في إخباره عما تأخر.

﴿ثُمَّ يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَعْفُورٌ وَدُوٌّ عِقَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٤﴾ وَلَوْ جَعَلْتَهُ قُرْآنًا عَجَبًا لَقَالُوا لَوْلَا نُفِصَتْ آيَاتُهُ عَجَبِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَبُشْرَى وَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُتَذَكَّرُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه قد قيل فيمن أُرْسِلَ قَبْلَكَ: ساحر وكاهن ومجنون، وكُذِّبُوا كما كُذِّبَتْ، هذا قول الحسن، وفتادة، والجمهور. والثاني: ما تُخْبِرُ إِلَّا بما أَخْبَرُ الأنبياء قَبْلَكَ من أن الله غفور، وأنه ذو عقاب، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْتَهُ﴾ يعني الكتاب الذي أنزل عليه ﴿قُرْآنًا عَجَبًا﴾ أي: بغير لغة العرب ﴿لَقَالُوا لَوْلَا نُفِصَتْ آيَاتُهُ﴾ أي: هَلَّا بَيَّنَّتْ آيَاتُهُ بالعربية حتى نفهمه؟ ﴿عَجَبِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عمر، وحفص عن عاصم: «عَجَمِي» [بهزئة] ممدودة. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «العجمي» بهمزة، والمعنى: أكتاب عجمي ونبي عربي؟ وهذا استفهام إنكار؛ أي: لو كان كذلك لكان أشد لتكذيبهم. ﴿قُلْ هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَبُشْرَى﴾ للشكوك والأوجاع. والوَقْرُ: الصُّمُّ؛ فهم في ترك القبول بمنزلة مَنْ في أذنه صمم. ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ أي: ذو عَمًى. قال قتادة: صَبُّوا عن القرآن وَعَمُّوا عنه ﴿أُولَئِكَ يُتَذَكَّرُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: إنهم لا يسمعون ولا يفهمون كالذي يُأْذِي من بعيد.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاتْلُكْ فِيهِ وَتُؤَلَّاهُ كَلِمَةً سَبَّحْتَ مِنْ رَبِّكَ لَقَوْى بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٦﴾ مِّنْ عِلٍّ صَالِحًا وَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِمَهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَالِمٍ لِّلنَّبِيِّ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ هذه تسلية لرسول الله ﷺ؛ والمعنى: كما آمن بكتابك قومٌ وكُذِّبَ به قومٌ، فكذلك كتاب موسى، ﴿وَتُؤَلَّاهُ كَلِمَةً سَبَّحْتَ مِنْ رَبِّكَ﴾ في تأخير العذاب إلى أجل مسمى وهو القيامة ﴿لَقَوْى بَيْنَهُمْ﴾ بالعذاب الواقع بالمكذِّبين ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ﴾ من صدقك وكتابك، ﴿مُرِيبٍ﴾ أي: شوق لهم الرِّبَّة.

﴿إِنَّهُ يَرُدُّ عَلَماً السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ تَمَرَاتٍ مِنْ أَكْثَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُبَادُّهُمْ أِنْ شُرَكَآؤُا قَالُوا مَآذِكُمْ مَا مِنَّا مِنْ شَيْءٍ ﴿٤٨﴾ وَصَلَّ عَلَهِمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيِّنَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرُدُّ عَلَماً السَّاعَةِ﴾ سبب نزولها أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: أَخْبِرْنَا عن الساعة إن كنتَ رسولا كما

تزعج، قاله مقاتل<sup>(١)</sup>، ومعنى الآية: لا يَتَلَمَّ قيامها إلا هو، فإذا شُئِلَ عنها فَعَلِمَها مردوداً إليه. «وَمَا تُخْرِجُ مِنْ ثَمَرَةٍ» قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «من ثمرة». وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «من ثمرات» على الجمع «مِنْ أَكْمَامِهَا» أي: أوعيتها. قال ابن قتيبة: أي: من المواضع التي كانت فيها مستورة، وغلاف كل شيء؛ كُتْمُه، وإنما قيل: كُتْمُ القميص، من هذا. قال الزجاج: الأكمام: ما غُطِّيَ، وكلُّ شجرة تُخْرِجُ ما هو مُكْتَمٌ فهي ذات أكمام، وأكمام النخلة: ما غُطِّيَ جُفَارُها من السَّعْفِ والليف والجذع، وكلُّ ما أخرجته النخلة فهو ذو أكمام، فالظلمة كُتْمُها قشرها، ومن هذا قيل للقلنسوة: كُتْمٌ، لأنها تُغْطِّي الراس، ومن هذا كُتْمُ القميص، لأنها يَغْطِّيَانِ اليدين<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: «وَرَبِّكَ يَكِيدُكُمْ» أي: ينادي الله تعالى المشركين «أَنْ تَشْرَكَآءِ» الذين كنتم تزعمون «قَالُوا مَا ذُنُوبُنَا» قال الفراء، وابن قتيبة: أعلمناك، وقال مقاتل: أسمعناك «مَا بَيْنَا وَبَيْنَكَ شَيْءٌ» فيه قولان: أحدهما: أنه من قول المشركين؛ والمعنى: ما بيننا وبينك شئ، فينبغون يومئذٍ مما كانوا يقولون، هذا قول مقاتل. والثاني: [أنه] من قول الآلهة التي كانت تُعبد؛ والمعنى: ما بيننا وبينك شئ، قاله الفراء، وابن قتيبة.

قوله تعالى: «وَمَنْ أَعْبَدُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فَقُلُوا لَهُمْ سُبْحَانَ اللَّهِ بِمَا قَالُوا، إِنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ» أي: بطل عنهم في الآخرة «مَنْ كَانُوا يَدْعُونَ» أي: يعبدون في الدنيا، «وَلَعَنَّا» أي: ألقوا «مَا لَكُمْ مِنْ نَجِيٍّ» وقد شرحنا المحيص في سورة [النساء: ١٢١].

«لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَسْأَلْ عَنْهُ قَوْمًا» وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرْبٍ مَسَّاهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَىٰ فَلْيُنَبِّئْنِي أَيُّكُمْ كَفَرُوا يَوْمَ عَمَلُوا وَلَيَذَّابُنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَلَئِذَا أُنْفِثَ الْبَرْقُ وَرَأَوْا الْمَحْشَىٰ وَرَأَوْا الْمَلَكَيْنِ الْمَخْبِيِّينِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِنْهُ فَوْفَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى: «لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ» قال المفسرون: المراد به الكافر؛ فالمعنى: لا يَمَلُّ الكافر «مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ» أي: من دعائه بالخير، وهو المال والعافية. «وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ» وهو الفقر والشدة؛ والمعنى: إذا اختبر بذلك بشس من رَوْحِ الله، وقَطُّ من رحمته. وقال أبو عبيدة: اليؤوس، قُومٌ من يأس<sup>(٣)</sup>، والقُوط، قُومٌ من قُطط.

قوله تعالى: «وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا» أي: خيراً وعافية وغبناً، «لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي» أي: هذا واجب لي بعملتي وأنا محقوق به، ثم يشك في البعث فيقول: «وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً» أي: لست على يقين من البعث «وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَىٰ» يعني الجنة، أي: كما أعطاني في الدنيا يعطيني في الآخرة «لَيُنَبِّئُنِي أَيُّكُمْ كَفَرُوا» أي: لنُخَبِّرَنَّهُمْ بمسائير أعمالهم. وما بعده قد سبق [إبراهيم: ١٧، الإسراء: ٨٣] إلى قوله تعالى: «وَنَكَا بِجَنَابَيْهِ» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «ونأى» مثل «نعى». وقرأ ابن عامر: «وناء» مفتوحة النون ممدودة والهمزة بعد الألف. وقرأ حمزة: «نشى» مكسورة النون والهمزة<sup>(٤)</sup>. «فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ» قال الفراء، وابن قتيبة: معنى العريض: الكثير، وإن وصفته بالطول أو بالعرض جاز في الكلام. «قُلْ» يا محمد لأهل مكة «أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ» القرآن «مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِنْهُ فَوْفَ فِي شِقَاقٍ» أي: خلاف للحق «بَعِيدٍ» عنه؟ وهو اسم؛ والمعنى: فلا أحد أضل منكم. وقال ابن

(١) قال الشوكاني في «فتح القدير»: وقد روي أن المشركين قالوا: يا محمد إن كنت نبياً فخبرنا متى تقوم الساعة؟ فنزلت. وقد تقدم في سورة [الأعراف: ١٨٧] عند قوله تعالى: «يَتَذَكَّرُ فِي السَّاعَةِ لَأَنَّ مُرْسِيهَا إِلَىٰ عَذَابٍ لَا يَجِيءُ إِلَّا مَنْ هُوَ» قولان في سبب نزولها: أحدهما: أن قوماً من اليهود قالوا: يا محمد أخبرنا متى الساعة؟ فنزلت، والثاني: أن قريشاً قالت: يا محمد بيننا وبينك قرابة فبين لنا متى الساعة؟ فنزلت، وقد قال ابن جرير الطبري هناك: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قوماً سألوا رسول الله ﷺ عن الساعة؛ فأنزل الله هذه الآية، وجاز أن يكون كانوا من قريش، وجاز أن يكون كانوا من اليهود، ولا خير بذلك عندنا يجوز قطع القول على أي ذلك كان. اهـ.

(٢) عبارة «اللسان»: وقال الزجاج في قوله: «ذات الأكمام» قال: عنى بالأكمام ما غُطِّيَ...

(٣) في الأصل: اليد، والتصويب من «اللسان».

(٤) في «معجم القرآن»: «يؤوس» فعول من يست؛ وفي «اللسان»: قال سيبويه: يَؤُسُ يَؤُسُ وبأس يَؤُسُ لغتان ثم يروى منهما لغة.

(٥) سبق ذكره القراءات في قوله تعالى: «وَلَئِذَا أُنْفِثَ الْبَرْقُ وَرَأَوْا الْمَحْشَىٰ وَرَأَوْا الْمَلَكَيْنِ الْمَخْبِيِّينِ» في سورة [الإسراء: ٨٣].

جرير: معنى الآية: [ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ، اسْتَمْتُمْ فِي شِقَاقِي لِلْحَقِّ وَبُعِدَ عَنِ الصَّوَابِ]! فجعل مكان هذا باقي الآية.

﴿سُرِّيهِمْ مَا بَيْنَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَقٌّ يَبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْلَمَ يَكْفِي بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١) **آلَا** إِنَّهُمْ فِي رِيثَتِهِ يَنْ لِقَاءَ رَبِّهِمْ **آلَا** إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخْبِتٌ ﴿٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ مَا بَيْنَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: في الأفاق: فتح أقطار الأرض، وفي أنفسهم: فتح مكة، قاله الحسن، ومجاهد، والسدي. والثاني: أنها في الأفاق: وقائع الله في الأمم الخالية، وفي أنفسهم: يوم بدر، قاله قتادة، ومقاتل. والثالث: أنها في الأفاق: إمساك القطر عن الأرض كلها، وفي أنفسهم: البلايا التي تكون في أجسادهم، قاله ابن جريج. والرابع: أنها في الأفاق: آيات السماء كالشمس والقمر والنجوم، وفي أنفسهم: حوادث الأرض، قاله ابن زيد. وحكي عن ابن زيد أن التي في أنفسهم: سبيل الغائط والبول، فإن الإنسان يأكل ويشرب من مكان واحد، ويخرج من مكانين. والخامس: أنها في الأفاق: آثار من مضى قبلهم من المكذبين، وفي أنفسهم: كونهم خُلِقُوا نَظْفًا ثُمَّ عَلِقُوا ثُمَّ مَضَعُوا ثُمَّ عَظَّمُوا إِلَى أَنْ نُقِلُوا إِلَى الْعَقْلِ وَالتَّمْيِيزِ، قاله الزجاج (١).

قوله تعالى: ﴿حَقٌّ يَبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن. والثاني: إلى جميع ما دعاهم إليه الرسول. وقال ابن جرير: معنى الآية: حتى يعلموا حقيقة ما أنزلنا على محمد وأوحينا إليه من الوعد له بأننا مظهرو دينه على الأديان كلها. ﴿أَوْلَمَ يَكْفِي بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: أَوْلَمَ يَكْفِي بِهِ أَنَّهُ شَاهِدٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؟ قال الزجاج: المعنى: أَوْلَمَ يَكْفِيهِمْ شَهَادَةُ رَبِّكَ؟ ومعنى الكفاية هاهنا: أنه قد بين لهم ما فيه كفاية في الدلالة على توحيدِهِ وتثبيت رسلِهِ (٢).



(١) قال ابن كثير: ﴿سُرِّيهِمْ مَا بَيْنَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: سنظهر لهم دلائلنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله على رسول الله ﷺ بدلائل خارجية في الأفاق من الفتحاح وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان، قال مجاهد والحسن والسدي: ودلائل في أنفسهم، قالوا: وقعة بدر وفتح مكة ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم، نصر الله فيها محمداً ﷺ وصحبه، وخذل فيها الباطل وحزبه، ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاق والهيئات العجيبة كما هو مبسوط في علم التشريح الذال على حكمة الصانع تبارك وتعالى، وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة من حسن وقبح وغير ذلك، وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله وقوته وحيله وحلزه أن يجرزها ولا يتعداها. اهـ.

(٢) قال ابن كثير في تمة الآية: وقوله تعالى: ﴿آلَا إِنَّهُمْ فِي رِيثَتِهِ يَنْ لِقَاءَ رَبِّهِمْ﴾ أي: في شك من قيام الساعة، ولهذا لا يتفكرون فيه ولا يعملون له ولا يحذرون منه، بل هو عندهم هدر لا يعيرون به، وهو كائن لا محالة، وواقع لا ريب في، قال: ثم قال تعالى مقررًا أنه على كل شيء قدير، ويكل شيء محيط، وإقامة الساعة لديه يسير سهل عليه تبارك وتعالى: ﴿آلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخْبِتٌ﴾ أي: المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته وتحت طغي علمه، وهو المتصرف فيها كلها بحكمه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا إله إلا هو. اهـ.

## سورة حم عسق

## واسمها سورة الشورى

وهي مكِّيَّة، رواه العوفي وغيره عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والجمهور. وحكي عن ابن عباس وقتادة قالا: «لَا أَرَبَ آيَاتٍ نَزَلْنَ بِالْمَدِينَةِ، أَوَّلُهَا: ﴿قُلْ لَا أَشْكُرُكُمْ عَلَيْكُمْ أَجْرًا﴾ [الشورى: ٢٣]. وقال مقاتل: فيها من المدني قول: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكَ الْآيَاتِ الْمُنْتَرَا﴾ [الشورى: ٢٣] إلى قوله: ﴿يُنَادِي السُّدُورِ﴾ [الشورى: ٢٤] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَصَاءُ﴾ [الشورى: ٣٩] إلى قوله: ﴿فَإِنْ سَبِيلُ﴾ [الشورى: ٤١].

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ۝ عَسَقٌ ۝ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾ لَمْ يَأْتِ فِي السُّورَةِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السُّكُوتُ يَنْتَفِرُونَ مِنْ تَوَقُّعِهِ ۝ وَالْمَلَكُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿حَمْدٌ ۝﴾ قد سبق تفسيره [المؤمن].

قوله تعالى: ﴿عَسَقٌ ۝﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قَسَمَ أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه حروف من أسماء؛ ثم فيه خمسة أقوال: أحدها: أن العين عِلْمُ الله، والسين سناؤه، والقاف قُدرته، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن. والثاني: أن العين فيها عذاب، والسين فيها مسخ، والقاف فيها قذف، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس. والثالث: أن الحاء من حرب، والميم من تحويل مُلك، والعين من عدو مقهور، والسين استئصال بيسنَّ كسني يوسف، والقاف من قُدرة الله في ملوك الأرض، قاله عطاء. والرابع: أن العين من عالم، والسين من قُدوس، والقاف من قاهر، قاله [سعيد] بن جبيرة. والخامس: أن العين من العزيز، والسين من السلام، والقاف من القادر، قاله السدي. والثالث: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه كما أوحيت ﴿حَمْدٌ عَسَقٌ﴾ إلى كل نبي، كذلك نوحها إليك، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: كذلك نوحى إليك أخبار الغيب كما أوحينا إلى مَنْ قَبْلَكَ، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أن ﴿حَمْدٌ عَسَقٌ﴾ نزلت في أمر العذاب، فقيل: كذلك نُوحِي إِلَيْكَ أن العذاب نازل بمن كَذَّبَكَ كما أوحينا ذلك إلى مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، قاله مقاتل. والرابع: أن المعنى: هكذا نوحى إليك، قاله ابن جرير. وقرأ ابن كثير: ﴿يُوحَى﴾ بضم الياء وفتح الحاء. كأنه إذا قيل: من يوحى؟ قيل: الله. وروى أبان عن عاصم: ﴿نُوحَى﴾ بالنون وكسر الحاء. ﴿تَكَادُ السُّكُوتُ يَنْتَفِرُونَ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحزمة: «تَكَادُ» بالتاء «يَنْتَفِرُونَ» بياء وتاء مفتوحة وفتح الطاء وتشديدها. وقرأ نافع، والكسائي: «يَكَادُ» بالياء «يَنْتَفِرُونَ» مثل قراءة ابن كثير. وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «تَكَادُ» بالتاء «يَنْتَفِرُونَ» بالنون وكسر الطاء وتخفيفها، أي: يَتَشَقَّقْنَ «يَنْتَفِرُونَ» أي: من فوق الأرضين من عَظَمَةِ الرحمن؛ وقيل: من قول المشركين: ﴿أَتَعْبُدُ اللَّهَ وَلَدًا﴾. ونظيرها [التي] في [مرم: ٩٠]. ﴿وَالْمَلَكُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ قال بعضهم: يصلون بأمر ربهم؛ وقال بعضهم: ينزهونه عما لا يجوز في صفته، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه أراد المؤمنين، قاله قتادة، والسدي. والثاني: أنهم كانوا يستغفرون للمؤمنين، فلما ابتلي هاروت

(١) قال الشوكاني في تفسيره «فتح القدير»: واختلوا في ﴿حَمْدٌ ۝ عَسَقٌ ۝﴾ فقيل: معناها: حُمْدٌ، أي: قضي، وقيل: إن «ح» حمله، و«م» مجده، و«ع» علمه، و«س» سناؤه، و«ق» قدرته، أقسم الله بها، وقيل غير ذلك منها هو متكلف متعسف لم يدل عليه دليل، ولا جاءت به حجة ولا شبهة حجة، قال: وقد ذكرنا قبل هذا ما روي في ذلك ما لا أصل له. اهـ. وقد تقدم الكلام على أوائل الحروف في (المنكيات) وغيرها بما فيه كفاية.

وماروت استغفروا لِمَن في الأرض. ومعنى استغفارهم: سؤالهم الرزق لهم، قاله ابن السائب. وقد زعم قوم منهم مقاتل أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]، وليس بشيء، لأنهم إنما يستغفرون للمؤمنين دون الكفار، فلفظ هذه الآية عام، ومعناها خاص، ويدل على التخصيص قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]، لأن الكافر لا يستحق أن يستغفر له.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني كفار مكة اتَّخَذُوا آلَهُ فَعَبَدُوا مِنْ دُونِهِ؛ ﴿اللَّهُ حَافِظٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: حافظ لأعمالهم ليجازيهم بها ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي: لم نوكلك بهم فتوخذ بهم. وهذه الآية عند جمهور المفسرين منسوخة بآية السيف، ولا يصح.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ قَرِيبٌ فِي الْجَنَّةِ وَقَرِيبٌ فِي النَّارِ﴾ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنَ الْبَيْنَةِ مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿أَيُّ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَالَهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: ومثل ما ذكرنا ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ ليهيئوا ما فيه ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ يعني مكة، والمراد: أهلها<sup>(١)</sup>، ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ أي: وتنذرهم يوم الجمع، وهو يوم القيامة، يجمع الله فيه الأولين والآخرين، وأهل السموات والأرضين ﴿لَا رَبَّ فِيهِ﴾ أي: لا شك في هذا الجمع أنه كان، ثم بعد الجمع يتفرقون، وهو قوله: ﴿قَرِيبٌ فِي الْجَنَّةِ وَقَرِيبٌ فِي النَّارِ﴾. ثم ذكر سبب افتراقهم فقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: على دين واحد، كقوله: ﴿لَجَعَلَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٢٥] ﴿وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنَ الْبَيْنَةِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: في دينه ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ وهم الكافرون ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يدفع عنهم العذاب ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنعهم منه. ﴿أَيُّ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: بل اتخذ الكافرون من دون الله ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ يعني آلهة يتولونهم ﴿قَالَهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ أي: ولي أوليائه، فليأخذوه ولياً دون الآلهة؛ وقال ابن عباس: وليك يا محمد وولي من أتبعك.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ فَحُكِّمُوا إِلَيْهِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ أَعْمَلُوا صَالِحًا أَمْ لَا أَلَيْسَ فِيهِمْ يَوْمَئِذٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يُنْفِكُونَ عَنْ عَهْدِهِمْ وَتَعْتَدِ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ أَعْمَلُوا صَالِحًا أَمْ لَا أَلَيْسَ فِيهِمْ يَوْمَئِذٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يُنْفِكُونَ عَنْ عَهْدِهِمْ وَتَعْتَدِ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ أَعْمَلُوا صَالِحًا أَمْ لَا أَلَيْسَ فِيهِمْ يَوْمَئِذٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يُنْفِكُونَ عَنْ عَهْدِهِمْ وَتَعْتَدِ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ الْفَاسِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: من أمر الدين؛ وقيل: بل هو عام ﴿فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ فيه قولان. أحدهما: علمه عند الله. والثاني: هو يحكم فيه. قال مقاتل: وذلك أن أهل مكة كفر بعضهم بالقرآن، وأمن بعضهم، فقال الله: أنا الذي أحكم فيه. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ أَعْمَلُوا صَالِحًا أَمْ لَا أَلَيْسَ فِيهِمْ يَوْمَئِذٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يُنْفِكُونَ عَنْ عَهْدِهِمْ وَتَعْتَدِ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ الْفَاسِقِينَ﴾ قد سبق بيانه [الأنعام: ٤١٤]، ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ دُونِ آلِهَتِكُمْ﴾ أي: من مثل خَلْقِكُمْ ﴿أَزْوَاجًا﴾ نساء، ﴿وَمِنَ الْأَنْثَىٰ﴾ أصنافاً ذكوراً، وإناثاً، والمعنى أنه خلق لكم الذكر، والأنثى من الحيوان كله، ﴿يَذَرُوكُمْ﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: يخلقكم، قاله السدي. والثاني: يُعِيشُكُمْ، قاله مقاتل. والثالث: يكثركم، قاله الفراء. و[في قوله] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ قولان: أحدهما: أنها على أصلها، قاله الأكثرون. فعلى هذا في هاء الكناية

(١) قال ابن كثير: يقول تعالى: وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي: واضحاً جلياً بيناً ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ وهي مكة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: من سائر البلاد شرقاً وغرباً، قال: وصيت مكة أم القرى لأنها أشرف من سائر البلاد، لألمة كثيرة مذكورة في مواضعها، قال: ومن أوجز ذلك وأدله ما قاله الإمام أحمد: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري، حدثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن قال: إن عبد الله بن عبد بن الحمر الزهري أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو واقف بالجزيرة في سوق مكة: فوالله إنك لن تجد أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت قال ابن كثير: هكذا رواية الترمذي، والنسائي، وابن ماجه من حديث الزهري به، وقال الترمذي: حسن صحيح.

ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى بطون الإناث وقد تقدم ذكر الأزواج، قاله زيد بن أسلم. فعلى هذا يكون المعنى: يخلقكم في بطون النساء، وإلى نحو هذا ذهب ابن قتيبة، فقال: يخلقكم في الرِّجَم أو في الزوج<sup>(١)</sup>، وقال ابن جرير: يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم، ويعيشكم فيما جعل لكم من الأنعام. والثاني: أنها ترجع إلى الأرض، قاله ابن زيد؛ فعلى هذا يكون المعنى: يذركم فيما خلق من السموات والأرض. والثالث: أنها ترجع إلى الجبل المذكور؛ ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: يعيشكم فيما جعل من الأنعام، قاله مقاتل. والثاني: يخلقكم في هذا الوجه الذي ذكر من جبل الأزواج، قاله الواحدي. والقول الثاني: أن «فيه» بمعنى «به»؛ والمعنى: يكثركم بما جعل لكم، قاله الفراء، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿أَتَيْسَ كَيْفَ لَيْدِ شَيْءٍ﴾ قال ابن قتيبة: أي: ليس كهُوَ شَيْءٌ، والعرب تقيم الجبل مقام النفس، فتقول: مثلي لا يقال له هذا، أي: أنا لا يقال لي هذا. وقال الزجاج: الكاف مؤكدة، والمعنى: ليس مثله شيء. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الزمر: ٦٣، الرعد: ٢٦]. إلى قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ﴾ أي: بين وأوضح ﴿فِي الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تحليل الحلال وتحريم الحرام، قاله قتادة. والثاني: تحريم الأخوات والأهوات، قاله الحكم. والثالث: التوحيد وترك الشرك.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: من القرآن وشرائع الإسلام، قال الزجاج: المعنى: إليك وشريع الذي أوحينا إليك وشريع لكم ما وصَّى به إبراهيم وموسى وعيسى<sup>(٢)</sup>. وقوله: ﴿أَنْ أَتَّبِعُوا الَّذِينَ﴾ تفسير قوله: ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾، وجائز أن يكون تفسيرا لـ ﴿مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ ولقوله: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ ولقوله: ﴿وَمَا وَصَّيْنَا﴾<sup>(٣)</sup> به إِبْرَاهِيمَ وَنُوحَ وَعِيسَى، فيكون المعنى: شرع لكم ولِمَن قبلكم إقامة الدين وترك الفُرقة، وشرع الاجتماع على اتباع الرُّسل. وقال مقاتل: ﴿أَنْ أَتَّبِعُوا الَّذِينَ﴾ يعني التوحيد ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا فِيهِ﴾ أي: لا تختلفوا ﴿كَبَرَّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: عظم على مشركي مكة ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ يا محمد من التوحيد.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ﴾ أي: يصطفي من عباده لإيِّدته ﴿مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي﴾ إلى دينه ﴿مَنْ يُنِيبُ﴾ أي: يرجع إلى طاعته. ثم ذكر افتراقهم بعد أن أوصاهم بترك الفُرقة، فقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ يعني أهل الكتاب ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من بعد كثرة علمهم للبيِّن. والثاني: من بعد أن علموا أن الفُرقة ضلال. والثالث: من بعد ما جاءهم القرآن، بنياً منهم على محمد ﷺ. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ في تأخير المكذِّبين من هذه الأمة إلى يوم القيامة، ﴿لَفُتِحَ بَيِّنَاتٌ﴾ بإنزال العذاب على المكذِّبين ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿يُؤْخَرُونَ بِعَذَابِهِمْ﴾ أي: من بعد أنبئائهم ﴿لَنْ يَسَلَكَ إِلَهُهُ﴾ أي: من محمد ﷺ.

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾ واستنم كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تُلَاحِظْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كُتُبٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حِجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ جَهَنَّمَ دَاجِئَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ غَشِيٌّ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾ قال الفراء: المعنى: فإلى ذلك، تقول: دعوت إلى فلان، ودعوت لفلان، و(ذلك)، بمعنى «هذا»؛ وللمفسرين فيه قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله ابن السائب. والثاني: أنه التوحيد، قاله مقاتل<sup>(٤)</sup>.

(١) قال القرطبي: أو في الزوج، أي: يخلقكم في بطون الإناث. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: يقول تعالى لهذه الأمة: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فذكر أول الرسل بعد آدم ﷺ، وهو نوح ﷺ، وآخرهم وهو محمد ﷺ، ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهو إبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم؛ وهذه الآية انضمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية (الأحزاب) عليهم في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ أَلَكُمُ الَّذِينَ يَنفَرُوا مِنْكُمْ فَرِجٌ لِلَّذِينَ يُنْفَرُونَ مِنْكُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الآية، قال: والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُفِذَ إِلَيْنَا أَمْرًا لَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَاعْبُدْهُ﴾ وفي الحديث: نحن معشر الأنبياء أولاد غلات ديننا واحد أي: القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم وتمامهم؛ فتقوله جل جلاله: ﴿وَلِكُلِّ جَمْعًا مِنْكُمْ بَرَكَةٌ مِنْهُمْ﴾. اهـ.

(٣) في الأصل: «ما وصَّى».

(٤) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذمراً: فإلى ذلك الدين الذي شرع لكم، ووصَّى به نوحاً، وأوحاه إليك يا محمد، فادع عبادة الله، واستقم على -

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِغْ أُمَّهَآئُكُمْ﴾ يعني أهل الكتاب، لأنهم دعوه إلى دينهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَمِزْتُ لَأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ قال بعض النحويين: المعنى: أميزت كي أعديل. وقال غيره: المعنى: أميزت بالعدل. وتقع «أميزت» على «أن»، وعلى «كي»، وعلى «اللام»؛ يقال: أميزت أن أعديل، وكي أعديل، ولا عدل. ثم في ما أمر أن يعديل فيه قولان: أحدهما: في الأحكام إذا تراعفوا إليه. والثاني: في تبليغ الرسالة.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ رُبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ أي: هو إلهنا وإن اختلفنا، فهو يجازينا بأعمالنا، فذلك قوله: ﴿لَنَا أَعْمَلُنَا﴾ أي: جزاؤها. ﴿لَا حِيَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ قال مجاهد: لا خصومة بيننا وبينكم.

### فصل

وفي هذه الآية قولان: أحدهما: أنها اقتضت الاختصار على الإنذار، وذلك قبل القتال، ثم نزلت آية السيف فسختها، قاله الأكثرون. والثاني: أن معناها: إن الكلام - بعد ظهور الحجج والبراهين - قد سقط بيننا، فعلى هذا هي مُحْكَمَةٌ، حكاه شيخنا علي بن عبيد الله عن طائفة من المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ فِي آلِهِ﴾ أي: يُخَاصِمُونَ في دينه، قال قتادة: هم اليهود، قالوا: كتابنا قبل كتابكم، وثبتنا قبل نبيكم، فنحن خير منكم. وعلى قول مجاهد: هم المشركون، طمعوا أن تعود الجاهلية.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ بَدَأَ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ﴾ أي: من بعد إجابة الناس إلى الإسلام؛ ﴿فَجَنَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أي: خصومتهم باطللة.

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْبَيِّنَاتِ وَمَا يُدْرِيكَ لَمَلَّ السَّاعَةَ فَرِحَ ۝٧ يَسْتَعِجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ بِهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَ فِي السَّاعَةِ لَكُلِّ بَشِيرٍ ۝٨ اللَّهُ لَطِيفٌ بِمَا يَكُونُ مِنْ يُقَالُ وَهُوَ الْقَوْفُ الْقَوِيُّ ۝٩ مَنْ كَانَتْ يَرْيَدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُمْ فِي حَرْثِهِ وَنَ كَانَتْ يَرْيَدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُفِذْ فِيهَا وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ يعني القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: لم ينزله لغير شيء، ﴿وَالْبَيِّنَاتِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه العدل، قاله ابن عباس، وقاتدة، والجمهور. والثاني: أنه الذي يوزن به، حكى عن مجاهد. ومعنى إنزاله: إلهام الخلق أن يعملوا به، وأمر الله ﷻ إياهم بالإنصاف، وسُمِّيَ الْعَدْلُ ميزاناً، لأن الميزان آلة الإنصاف والتسوية بين الخلق. وتمام الآية مشروح في [الأحزاب: ٢١٣].

قوله تعالى: ﴿يَسْتَعِجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ لأنهم لا يخافون ما فيها، إذ لم يؤمنوا بكونها، فهم يطلبون قيامها استبعاداً واستهزاء، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون ﴿بِهَا﴾ لأنهم يعلمون أنهم مُحَاسِبُونَ ومَجْزِيُّونَ، ولا يدرون ما يكون منهم، ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ أي: أنها كائنة لا محالة. ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَ فِي السَّاعَةِ﴾ أي: يخاصمون في كونها ﴿لِكُلِّ بَشِيرٍ﴾ حين لم يتفكروا، فعملوا قدرة الله على إقامتها. ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِمَا يَكُونُ﴾ قد شرحنا معنى [اسمه] «اللطيف» في [الأنعام: ١٠٣]. وفي عباده ما هنا قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون. والثاني: أنه عام في الكل. ولطفه بالفاجر: أنه لا يهلكه. ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يوسع له الرزق.

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ يَرْيَدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: عمل الآخرة، يقال: فلان يحرت للندى، أي: يعمل لها ويجمع المال؛ فالمعنى: من أراد بعمله الآخرة ﴿نَزِدْ لَهُمْ فِي حَرْثِهِ﴾ أي: نُضَاعِفْ لَهُ الحسنات. قال

المعمل به، ولا تزعج عنه، وأثبت عليه كما أمرك ربك بالاستقامة. اهـ.

وقال ابن كثير: اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلة كل منها مفصلة عن التي قبلها، حُكِمَ برأسها، قال: قالوا: ولا نظير لها سوى آية الكرسي، فإنها أيضاً عشرة فصول كهذه، قال: وقوله: ﴿وَقَدْ لَبِثْتُ أَزْوَاجًا﴾ أي: فالذي أوحينا إليك من الدين الذي وُضِعَ به جميع المسلمين فلك أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولي العزم وغيرهم فادع الناس إليه، قال: وقوله ﷻ: ﴿وَأَسْقِمْمْ كَسَا كُرْسِيَّ﴾ أي: واسقم أنت ومن أتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله ﷻ. اهـ.



المفسرون: من أراد العمل لله بما يرضيه، أعانه الله على عبادته، ومن أراد الدنيا مؤثراً لها على الآخرة لأنه غير مؤمن بالآخرة، يؤته منها، وهو الذي قسم له، ﴿وَمَا لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ حِسْبٍ﴾ (١) لأنه كافر بها لم يعمل لها (٢).

## فصل

اتفق العلماء على أن أول هذه الآية إلى «حرثه» مُحْكَم، واختلفوا في باقيها على قولين: أحدهما: [أنه] منسوخ بقوله: ﴿عَجَبًا لَكُمْ فِيهَا مَا فَشَأَ لِمَنْ تُرِيدُ﴾ (الإسراء: ١٨)، وهذا قول جماعة منهم مقاتل. والثاني: أن الآيتين مُحْكَمَتَانِ متفقَتان في المعنى، لأنه لم يقل في هذه الآية: نؤته مُرادَه، فعُلِمَ أنه إنما يؤتيه الله ما أراد، وهذا موافق لقوله: ﴿لِمَنْ تُرِيدُ﴾، ويحقّق هذا أن لفظ الآيتين لفظ الخبر ومعناهما معنى الخبر، وذلك لا يدخله النسخ، وهذا مذهب جماعة منهم قتادة (٣).

﴿أَمْ لَكُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُتِحَ يَدَيُنَا وَالْأَعْلَى لَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) قَرَأَ الْقُلُوبُ مَشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رُوحَاتِ الْجَنَاتِ لَمْ يَأْتِ عَنْهُمْ عَذَابٌ غَيْرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَصْلُ الْكَبِيرُ (٢) ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قَدْ لَا أَتْلُوكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْقَوْدَةُ فِي الْقُرْآنِ وَمَنْ يَتَرَفَّ حَسَنَةً زِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣) أَمْ يَقُولُونَ أَتَنَزَّلُ عَلَى الْغُرِّ إِنَّ اللَّهَ يَجْتَنِي عَلَى الْغُرِّ وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْبَيِّنَاتِ وَهُوَ الْحَقُّ يَكْتُمُهَا إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤)

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ شُرَكَاءُ﴾ يعني كفار مكة؛ والمعنى: أَلَهُمْ آلِهَةٌ ﴿شَرَعُوا﴾ أي: ابتدعوا ﴿لَهُمْ﴾ دِينًا لم يأذن به الله (١)؟ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ وهي: القضاء السابق بأن الجزاء يكون في القيامة ﴿لَفُتِحَ يَدَيُنَا﴾ في الدنيا بنزول العذاب على المكذّبين. والظالمون في هذه الآية والتي تليها: يراد بهم المشركون. والإشفاق: الخوف. والذي كَسَبُوا: هو الكفر والتكذيب، ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ يعني جزاءه. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ يعني: ما تقدم ذكره من الجنّات ﴿الَّذِي يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: «ذلك» بمعنى: هذا الذي أخبركم به بشي يسّر الله بها عباده. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمره، والكسائي: «يُسِّرُ» بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين.

قوله تعالى: ﴿قَدْ لَا أَتْلُوكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ في سبب نزول هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أن المشركين كانوا يؤذون رسول الله ﷺ بمكة، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس (٢). والثاني: أنه لما قَدِمَ المدينة كانت ثنوبه نوابٍ وليس في يده سعة، فقال الأنصار: إن هذا الرجل قد هداكم الله به، وليس في يده سعة، فاجتمعوا له من أموالكم ما لا يضركم، ففعلوا ثم أتوه به، فنزلت هذه الآية، وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً (٣). والثالث: أن المشركين اجتمعوا في مجمع لهم، فقال بعضهم لبعض: أترؤن محمداً يسأل على ما يتعاطاه أجراً، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة (٤). والهاء في «عليه» كناية عما جاء به من الهدى. وفي الاستثناء هاهنا قولان: أحدهما: أنه من الجنس، فعلى هذا يكون سائلاً

(١) قال ابن كثير: أي: ومن كان إنما سعيه ليحصل له شيء من الدنيا، وليس له إلى الآخرة همّ البتة بالكليّة، حرمه الله الآخرة، والدنيا إن شاء أعطاه منها، وإن لم يشأ لم يحصل لها هذه، وفاز الساعي بهذه النية بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة، قال: والدليل على هذا أن هذه الآية هاهنا مقلّدة بالآية التي في «سجدة» وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْجَنَّةَ سَعْيًا لَمْ يَأْتِ إِلَّا بِهَا مَا فَشَأَ لِمَنْ تُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَنْ لَمْ يَزَلْ يَكْفُرْ بِآيَاتِنَا﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ لَشَدِيدٍ (١) كَلَّا لِيُذْهِبَنَّهُ ظُلُومُهُ وَكَهَازْلُهُ مِنَ الْعَمَلِ وَمَا كَانَ عَمَلَهُ رَبِّكَ مُنْتِزِعًا عَنْكُمْ (٢) كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكُمْ مَقَالِدَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣) (الإسراء: ١٨).

(٢) قال ابن كثير: وقوله جل وعلا: ﴿أَمْ لَكُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ أي: هم لا يسمعون ما شرع الله لك من الدين القديم، بل يسمعون ما شرع لهم شياعيتهم من الجن والإنس، من تحريم ما حرّموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل أكل الميتة والدم والقمار، إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والمبادات الباطلة والأموال الفاسدة. اهـ.

(٣) قال السيوطي في «الدرر»: ٦/١: أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: نزلت هذه الآية بمكة، وكان المشركون يؤفرون رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ لَهُمْ مَا يَشَاءُ﴾ يعني على ما أَدْعَوْكُمْ إِلَيْهِ ﴿أَجْرًا﴾ عوضاً من الدنيا ﴿إِلَّا الْقَوْدَةُ﴾ (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠) (١٠١) (١٠٢) (١٠٣) (١٠٤) (١٠٥) (١٠٦) (١٠٧) (١٠٨) (١٠٩) (١١٠) (١١١) (١١٢) (١١٣) (١١٤) (١١٥) (١١٦) (١١٧) (١١٨) (١١٩) (١٢٠) (١٢١) (١٢٢) (١٢٣) (١٢٤) (١٢٥) (١٢٦) (١٢٧) (١٢٨) (١٢٩) (١٣٠) (١٣١) (١٣٢) (١٣٣) (١٣٤) (١٣٥) (١٣٦) (١٣٧) (١٣٨) (١٣٩) (١٤٠) (١٤١) (١٤٢) (١٤٣) (١٤٤) (١٤٥) (١٤٦) (١٤٧) (١٤٨) (١٤٩) (١٥٠) (١٥١) (١٥٢) (١٥٣) (١٥٤) (١٥٥) (١٥٦) (١٥٧) (١٥٨) (١٥٩) (١٦٠) (١٦١) (١٦٢) (١٦٣) (١٦٤) (١٦٥) (١٦٦) (١٦٧) (١٦٨) (١٦٩) (١٧٠) (١٧١) (١٧٢) (١٧٣) (١٧٤) (١٧٥) (١٧٦) (١٧٧) (١٧٨) (١٧٩) (١٨٠) (١٨١) (١٨٢) (١٨٣) (١٨٤) (١٨٥) (١٨٦) (١٨٧) (١٨٨) (١٨٩) (١٩٠) (١٩١) (١٩٢) (١٩٣) (١٩٤) (١٩٥) (١٩٦) (١٩٧) (١٩٨) (١٩٩) (٢٠٠) (٢٠١) (٢٠٢) (٢٠٣) (٢٠٤) (٢٠٥) (٢٠٦) (٢٠٧) (٢٠٨) (٢٠٩) (٢١٠) (٢١١) (٢١٢) (٢١٣) (٢١٤) (٢١٥) (٢١٦) (٢١٧) (٢١٨) (٢١٩) (٢٢٠) (٢٢١) (٢٢٢) (٢٢٣) (٢٢٤) (٢٢٥) (٢٢٦) (٢٢٧) (٢٢٨) (٢٢٩) (٢٣٠) (٢٣١) (٢٣٢) (٢٣٣) (٢٣٤) (٢٣٥) (٢٣٦) (٢٣٧) (٢٣٨) (٢٣٩) (٢٤٠) (٢٤١) (٢٤٢) (٢٤٣) (٢٤٤) (٢٤٥) (٢٤٦) (٢٤٧) (٢٤٨) (٢٤٩) (٢٥٠) (٢٥١) (٢٥٢) (٢٥٣) (٢٥٤) (٢٥٥) (٢٥٦) (٢٥٧) (٢٥٨) (٢٥٩) (٢٦٠) (٢٦١) (٢٦٢) (٢٦٣) (٢٦٤) (٢٦٥) (٢٦٦) (٢٦٧) (٢٦٨) (٢٦٩) (٢٧٠) (٢٧١) (٢٧٢) (٢٧٣) (٢٧٤) (٢٧٥) (٢٧٦) (٢٧٧) (٢٧٨) (٢٧٩) (٢٨٠) (٢٨١) (٢٨٢) (٢٨٣) (٢٨٤) (٢٨٥) (٢٨٦) (٢٨٧) (٢٨٨) (٢٨٩) (٢٩٠) (٢٩١) (٢٩٢) (٢٩٣) (٢٩٤) (٢٩٥) (٢٩٦) (٢٩٧) (٢٩٨) (٢٩٩) (٣٠٠) (٣٠١) (٣٠٢) (٣٠٣) (٣٠٤) (٣٠٥) (٣٠٦) (٣٠٧) (٣٠٨) (٣٠٩) (٣١٠) (٣١١) (٣١٢) (٣١٣) (٣١٤) (٣١٥) (٣١٦) (٣١٧) (٣١٨) (٣١٩) (٣٢٠) (٣٢١) (٣٢٢) (٣٢٣) (٣٢٤) (٣٢٥) (٣٢٦) (٣٢٧) (٣٢٨) (٣٢٩) (٣٣٠) (٣٣١) (٣٣٢) (٣٣٣) (٣٣٤) (٣٣٥) (٣٣٦) (٣٣٧) (٣٣٨) (٣٣٩) (٣٤٠) (٣٤١) (٣٤٢) (٣٤٣) (٣٤٤) (٣٤٥) (٣٤٦) (٣٤٧) (٣٤٨) (٣٤٩) (٣٥٠) (٣٥١) (٣٥٢) (٣٥٣) (٣٥٤) (٣٥٥) (٣٥٦) (٣٥٧) (٣٥٨) (٣٥٩) (٣٦٠) (٣٦١) (٣٦٢) (٣٦٣) (٣٦٤) (٣٦٥) (٣٦٦) (٣٦٧) (٣٦٨) (٣٦٩) (٣٧٠) (٣٧١) (٣٧٢) (٣٧٣) (٣٧٤) (٣٧٥) (٣٧٦) (٣٧٧) (٣٧٨) (٣٧٩) (٣٨٠) (٣٨١) (٣٨٢) (٣٨٣) (٣٨٤) (٣٨٥) (٣٨٦) (٣٨٧) (٣٨٨) (٣٨٩) (٣٩٠) (٣٩١) (٣٩٢) (٣٩٣) (٣٩٤) (٣٩٥) (٣٩٦) (٣٩٧) (٣٩٨) (٣٩٩) (٤٠٠) (٤٠١) (٤٠٢) (٤٠٣) (٤٠٤) (٤٠٥) (٤٠٦) (٤٠٧) (٤٠٨) (٤٠٩) (٤١٠) (٤١١) (٤١٢) (٤١٣) (٤١٤) (٤١٥) (٤١٦) (٤١٧) (٤١٨) (٤١٩) (٤٢٠) (٤٢١) (٤٢٢) (٤٢٣) (٤٢٤) (٤٢٥) (٤٢٦) (٤٢٧) (٤٢٨) (٤٢٩) (٤٣٠) (٤٣١) (٤٣٢) (٤٣٣) (٤٣٤) (٤٣٥) (٤٣٦) (٤٣٧) (٤٣٨) (٤٣٩) (٤٤٠) (٤٤١) (٤٤٢) (٤٤٣) (٤٤٤) (٤٤٥) (٤٤٦) (٤٤٧) (٤٤٨) (٤٤٩) (٤٥٠) (٤٥١) (٤٥٢) (٤٥٣) (٤٥٤) (٤٥٥) (٤٥٦) (٤٥٧) (٤٥٨) (٤٥٩) (٤٦٠) (٤٦١) (٤٦٢) (٤٦٣) (٤٦٤) (٤٦٥) (٤٦٦) (٤٦٧) (٤٦٨) (٤٦٩) (٤٧٠) (٤٧١) (٤٧٢) (٤٧٣) (٤٧٤) (٤٧٥) (٤٧٦) (٤٧٧) (٤٧٨) (٤٧٩) (٤٨٠) (٤٨١) (٤٨٢) (٤٨٣) (٤٨٤) (٤٨٥) (٤٨٦) (٤٨٧) (٤٨٨) (٤٨٩) (٤٩٠) (٤٩١) (٤٩٢) (٤٩٣) (٤٩٤) (٤٩٥) (٤٩٦) (٤٩٧) (٤٩٨) (٤٩٩) (٥٠٠) (٥٠١) (٥٠٢) (٥٠٣) (٥٠٤) (٥٠٥) (٥٠٦) (٥٠٧) (٥٠٨) (٥٠٩) (٥١٠) (٥١١) (٥١٢) (٥١٣) (٥١٤) (٥١٥) (٥١٦) (٥١٧) (٥١٨) (٥١٩) (٥٢٠) (٥٢١) (٥٢٢) (٥٢٣) (٥٢٤) (٥٢٥) (٥٢٦) (٥٢٧) (٥٢٨) (٥٢٩) (٥٣٠) (٥٣١) (٥٣٢) (٥٣٣) (٥٣٤) (٥٣٥) (٥٣٦) (٥٣٧) (٥٣٨) (٥٣٩) (٥٤٠) (٥٤١) (٥٤٢) (٥٤٣) (٥٤٤) (٥٤٥) (٥٤٦) (٥٤٧) (٥٤٨) (٥٤٩) (٥٥٠) (٥٥١) (٥٥٢) (٥٥٣) (٥٥٤) (٥٥٥) (٥٥٦) (٥٥٧) (٥٥٨) (٥٥٩) (٥٦٠) (٥٦١) (٥٦٢) (٥٦٣) (٥٦٤) (٥٦٥) (٥٦٦) (٥٦٧) (٥٦٨) (٥٦٩) (٥٧٠) (٥٧١) (٥٧٢) (٥٧٣) (٥٧٤) (٥٧٥) (٥٧٦) (٥٧٧) (٥٧٨) (٥٧٩) (٥٨٠) (٥٨١) (٥٨٢) (٥٨٣) (٥٨٤) (٥٨٥) (٥٨٦) (٥٨٧) (٥٨٨) (٥٨٩) (٥٩٠) (٥٩١) (٥٩٢) (٥٩٣) (٥٩٤) (٥٩٥) (٥٩٦) (٥٩٧) (٥٩٨) (٥٩٩) (٦٠٠) (٦٠١) (٦٠٢) (٦٠٣) (٦٠٤) (٦٠٥) (٦٠٦) (٦٠٧) (٦٠٨) (٦٠٩) (٦١٠) (٦١١) (٦١٢) (٦١٣) (٦١٤) (٦١٥) (٦١٦) (٦١٧) (٦١٨) (٦١٩) (٦٢٠) (٦٢١) (٦٢٢) (٦٢٣) (٦٢٤) (٦٢٥) (٦٢٦) (٦٢٧) (٦٢٨) (٦٢٩) (٦٣٠) (٦٣١) (٦٣٢) (٦٣٣) (٦٣٤) (٦٣٥) (٦٣٦) (٦٣٧) (٦٣٨) (٦٣٩) (٦٤٠) (٦٤١) (٦٤٢) (٦٤٣) (٦٤٤) (٦٤٥) (٦٤٦) (٦٤٧) (٦٤٨) (٦٤٩) (٦٥٠) (٦٥١) (٦٥٢) (٦٥٣) (٦٥٤) (٦٥٥) (٦٥٦) (٦٥٧) (٦٥٨) (٦٥٩) (٦٦٠) (٦٦١) (٦٦٢) (٦٦٣) (٦٦٤) (٦٦٥) (٦٦٦) (٦٦٧) (٦٦٨) (٦٦٩) (٦٧٠) (٦٧١) (٦٧٢) (٦٧٣) (٦٧٤) (٦٧٥) (٦٧٦) (٦٧٧) (٦٧٨) (٦٧٩) (٦٨٠) (٦٨١) (٦٨٢) (٦٨٣) (٦٨٤) (٦٨٥) (٦٨٦) (٦٨٧) (٦٨٨) (٦٨٩) (٦٩٠) (٦٩١) (٦٩٢) (٦٩٣) (٦٩٤) (٦٩٥) (٦٩٦) (٦٩٧) (٦٩٨) (٦٩٩) (٧٠٠) (٧٠١) (٧٠٢) (٧٠٣) (٧٠٤) (٧٠٥) (٧٠٦) (٧٠٧) (٧٠٨) (٧٠٩) (٧١٠) (٧١١) (٧١٢) (٧١٣) (٧١٤) (٧١٥) (٧١٦) (٧١٧) (٧١٨) (٧١٩) (٧٢٠) (٧٢١) (٧٢٢) (٧٢٣) (٧٢٤) (٧٢٥) (٧٢٦) (٧٢٧) (٧٢٨) (٧٢٩) (٧٣٠) (٧٣١) (٧٣٢) (٧٣٣) (٧٣٤) (٧٣٥) (٧٣٦) (٧٣٧) (٧٣٨) (٧٣٩) (٧٤٠) (٧٤١) (٧٤٢) (٧٤٣) (٧٤٤) (٧٤٥) (٧٤٦) (٧٤٧) (٧٤٨) (٧٤٩) (٧٥٠) (٧٥١) (٧٥٢) (٧٥٣) (٧٥٤) (٧٥٥) (٧٥٦) (٧٥٧) (٧٥٨) (٧٥٩) (٧٦٠) (٧٦١) (٧٦٢) (٧٦٣) (٧٦٤) (٧٦٥) (٧٦٦) (٧٦٧) (٧٦٨) (٧٦٩) (٧٧٠) (٧٧١) (٧٧٢) (٧٧٣) (٧٧٤) (٧٧٥) (٧٧٦) (٧٧٧) (٧٧٨) (٧٧٩) (٧٨٠) (٧٨١) (٧٨٢) (٧٨٣) (٧٨٤) (٧٨٥) (٧٨٦) (٧٨٧) (٧٨٨) (٧٨٩) (٧٩٠) (٧٩١) (٧٩٢) (٧٩٣) (٧٩٤) (٧٩٥) (٧٩٦) (٧٩٧) (٧٩٨) (٧٩٩) (٨٠٠) (٨٠١) (٨٠٢) (٨٠٣) (٨٠٤) (٨٠٥) (٨٠٦) (٨٠٧) (٨٠٨) (٨٠٩) (٨١٠) (٨١١) (٨١٢) (٨١٣) (٨١٤) (٨١٥) (٨١٦) (٨١٧) (٨١٨) (٨١٩) (٨٢٠) (٨٢١) (٨٢٢) (٨٢٣) (٨٢٤) (٨٢٥) (٨٢٦) (٨٢٧) (٨٢٨) (٨٢٩) (٨٣٠) (٨٣١) (٨٣٢) (٨٣٣) (٨٣٤) (٨٣٥) (٨٣٦) (٨٣٧) (٨٣٨) (٨٣٩) (٨٤٠) (٨٤١) (٨٤٢) (٨٤٣) (٨٤٤) (٨٤٥) (٨٤٦) (٨٤٧) (٨٤٨) (٨٤٩) (٨٥٠) (٨٥١) (٨٥٢) (٨٥٣) (٨٥٤) (٨٥٥) (٨٥٦) (٨٥٧) (٨٥٨) (٨٥٩) (٨٦٠) (٨٦١) (٨٦٢) (٨٦٣) (٨٦٤) (٨٦٥) (٨٦٦) (٨٦٧) (٨٦٨) (٨٦٩) (٨٧٠) (٨٧١) (٨٧٢) (٨٧٣) (٨٧٤) (٨٧٥) (٨٧٦) (٨٧٧) (٨٧٨) (٨٧٩) (٨٨٠) (٨٨١) (٨٨٢) (٨٨٣) (٨٨٤) (٨٨٥) (٨٨٦) (٨٨٧) (٨٨٨) (٨٨٩) (٨٩٠) (٨٩١) (٨٩٢) (٨٩٣) (٨٩٤) (٨٩٥) (٨٩٦) (٨٩٧) (٨٩٨) (٨٩٩) (٩٠٠) (٩٠١) (٩٠٢) (٩٠٣) (٩٠٤) (٩٠٥) (٩٠٦) (٩٠٧) (٩٠٨) (٩٠٩) (٩١٠) (٩١١) (٩١٢) (٩١٣) (٩١٤) (٩١٥) (٩١٦) (٩١٧) (٩١٨) (٩١٩) (٩٢٠) (٩٢١) (٩٢٢) (٩٢٣) (٩٢٤) (٩٢٥) (٩٢٦) (٩٢٧) (٩٢٨) (٩٢٩) (٩٣٠) (٩٣١) (٩٣٢) (٩٣٣) (٩٣٤) (٩٣٥) (٩٣٦) (٩٣٧) (٩٣٨) (٩٣٩) (٩٤٠) (٩٤١) (٩٤٢) (٩٤٣) (٩٤٤) (٩٤٥) (٩٤٦) (٩٤٧) (٩٤٨) (٩٤٩) (٩٥٠) (٩٥١) (٩٥٢) (٩٥٣) (٩٥٤) (٩٥٥) (٩٥٦) (٩٥٧) (٩٥٨) (٩٥٩) (٩٦٠) (٩٦١) (٩٦٢) (٩٦٣) (٩٦٤) (٩٦٥) (٩٦٦) (٩٦٧) (٩٦٨) (٩٦٩) (٩٧٠) (٩٧١) (٩٧٢) (٩٧٣) (٩٧٤) (٩٧٥) (٩٧٦) (٩٧٧) (٩٧٨) (٩٧٩) (٩٨٠) (٩٨١) (٩٨٢) (٩٨٣) (٩٨٤) (٩٨٥) (٩٨٦) (٩٨٧) (٩٨٨) (٩٨٩) (٩٩٠) (٩٩١) (٩٩٢) (٩٩٣) (٩٩٤) (٩٩٥) (٩٩٦) (٩٩٧) (٩٩٨) (٩٩٩) (١٠٠٠) (١٠٠١) (١٠٠٢) (١٠٠٣) (١٠٠٤) (١٠٠٥) (١٠٠٦) (١٠٠٧) (١٠٠٨) (١٠٠٩) (١٠١٠) (١٠١١) (١٠١٢) (١٠١٣) (١٠١٤) (١٠١٥) (١٠١٦) (١٠١٧) (١٠١٨) (١٠١٩) (١٠٢٠) (١٠٢١) (١٠٢٢) (١٠٢٣) (١٠٢٤) (١٠٢٥) (١٠٢٦) (١٠٢٧) (١٠٢٨) (١٠٢٩) (١٠٣٠) (١٠٣١) (١٠٣٢) (١٠٣٣) (١٠٣٤) (١٠٣٥) (١٠٣٦) (١٠٣٧) (١٠٣٨) (١٠٣٩) (١٠٤٠) (١٠٤١) (١٠٤٢) (١٠٤٣) (١٠٤٤) (١٠٤٥) (١٠٤٦) (١٠٤٧) (١٠٤٨) (١٠٤٩) (١٠٥٠) (١٠٥١) (١٠٥٢) (١٠٥٣) (١٠٥٤) (١٠٥٥) (١٠٥٦) (١٠٥٧) (١٠٥٨) (١٠٥٩) (١٠٦٠) (١٠٦١) (١٠٦٢) (١٠٦٣) (١٠٦٤) (١٠٦٥) (١٠٦٦) (١٠٦٧) (١٠٦٨) (١٠٦٩) (١٠٧٠) (١٠٧١) (١٠٧٢) (١٠٧٣) (١٠٧٤) (١٠٧٥) (١٠٧٦) (١٠٧٧) (١٠٧٨) (١٠٧٩) (١٠٨٠) (١٠٨١) (١٠٨٢) (١٠٨٣) (١٠٨٤) (١٠٨٥) (١٠٨٦) (١٠٨٧) (١٠٨٨) (١٠٨٩) (١٠٩٠) (١٠٩١) (١٠٩٢) (١٠٩٣) (١٠٩٤) (١٠٩٥) (١٠٩٦) (١٠٩٧) (١٠٩٨) (١٠٩٩) (١١٠٠) (١١٠١) (١١٠٢) (١١٠٣) (١١٠٤) (١١٠٥) (١١٠٦) (١١٠٧) (١١٠٨) (١١٠٩) (١١١٠) (١١١١) (١١١٢) (١١١٣) (١١١٤) (١١١٥) (١١١٦) (١١١٧) (١١١٨) (١١١٩) (١١٢٠) (١١٢١) (١١٢٢) (١١٢٣) (١١٢٤) (١١٢٥) (١١٢٦) (١١٢٧) (١١٢٨) (١١٢٩) (١١٣٠) (١١٣١) (١١٣٢) (١١٣٣) (١١٣٤) (١١٣٥) (١١٣٦) (١١٣٧) (١١٣٨) (١١٣٩) (١١٤٠) (١١٤١) (١١٤٢) (١١٤٣) (١١٤٤) (١١٤٥) (١١٤٦) (١١٤٧) (١١٤٨) (١١٤٩) (١١٥٠) (١١٥١) (١١٥٢) (١١٥٣) (١١٥٤) (١١٥٥) (١١٥٦) (١١٥٧) (١١٥٨) (١١٥٩) (١١٦٠) (١١٦١) (١١٦٢) (١١٦٣) (١١٦٤) (١١٦٥) (١١٦٦) (١١٦٧) (١١٦٨) (١١٦٩) (١١٧٠) (١١٧١) (١١٧٢) (١١٧٣) (١١٧٤) (١١٧٥) (١١٧٦) (١١٧٧) (١١٧٨) (١١٧٩) (١١٨٠) (١١٨١) (١١٨٢) (١١٨٣) (١١٨٤) (١١٨٥) (١١٨٦) (١١٨٧) (١١٨٨) (١١٨٩) (١١٩٠) (١١٩١) (١١٩٢) (١١٩٣) (١١٩٤) (١١٩٥) (١١٩٦) (١١٩٧) (١١٩٨) (١١٩٩) (١٢٠٠) (١٢٠١) (١٢٠٢) (١٢٠٣) (١٢٠٤) (١٢٠٥) (١٢٠٦) (١٢٠٧) (١٢٠٨) (١٢٠٩) (١٢١٠) (١٢١١) (١٢١٢) (١٢١٣) (١٢١٤) (١٢١٥) (١٢١٦) (١٢١٧) (١٢١٨) (١٢١٩) (١٢٢٠) (١٢٢١) (١٢٢٢) (١٢٢٣) (١٢٢٤) (١٢٢٥) (١٢٢٦) (١٢٢٧) (١٢٢٨) (١٢٢٩) (١٢٣٠) (١٢٣١) (١٢٣٢) (١٢٣٣) (١٢٣٤) (١٢٣٥) (١٢٣٦) (١٢٣٧) (١٢٣٨) (١٢٣٩) (١٢٤٠) (١٢٤١) (١٢٤٢) (١٢٤٣) (١٢٤٤) (١٢٤٥) (١٢٤٦) (١٢٤٧) (١٢٤٨) (١٢٤٩) (١

أجراً. وقد أشار ابن عباس في رواية الضحاك إلى هذا المعنى، ثم قال: نُسخت هذه بقوله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجَرٍ فَهَوَ لَكُمْ...﴾ الآية [سبا: ٤٧]، وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل. والثاني: أنه استثناء من غير الأول، لأن الأنبياء لا يسألون على تبليغهم أجراً؛ وإنما المعنى: لكنني أذكركم المؤدة في القرى، وقد روى هذا المعنى جماعة عن ابن عباس، منهم العوفي، وهذا اختيار المحققين، وهو الصحيح، فلا يتوجه النسخ أصلاً<sup>(١)</sup>. وفي المراد بالقرى خمسة أقوال: أحدها: أن معنى الكلام: إلا أن تؤدوني لقرابتي منكم، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد في الأكثرين، قاله ابن عباس: ولم يكن بطلن من بطون قريش إلا ولرسول الله ﷺ فيهم قرابة. والثاني: [لا أن] تؤدوا قرابتي، قاله علي بن الحسين، وسعيد بن جبير، والسدي. ثم في المراد بقرابته قولان: أحدهما: علي وفاطمة وولدها، وقد روه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنهم الذين تحرم عليهم الصدقة ويُقسَم فيهم الخمس، وهم بنو هاشم وبنو المطلب. والثالث: أن المعنى: إلا أن تؤدوا إلى الله تعالى فيما يقرّبكم إليه من العمل الصالح، قاله الحسن، وقتادة. والرابع: إلا أن تؤدوني، كما تؤفون قرابتكم، قاله ابن زيد. والخامس: إلا أن تؤدوا قرابتكم وتصلوا أرحامكم، حكاه الماوردي. والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْتَسِبْ حَسَنَةً نَّزَلْنَا بِهَا حَسَنَةً﴾ أي: نضاعفها بالواحدة عشراً فصاعداً. وقرأ ابن السميع، وابن عمر، والجلدي: ﴿يَزِدُّ لَهُ بِالْيَاءِ﴾. [إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ] للذنوب، ﴿مَكْرُورٌ﴾ للقليل حتى يضاعفه. ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: بل يقول كفار مكة ﴿أَنَّهُمْ عَلَى اللَّهِ كَذِبٌ﴾ حين زعم أن القرآن من عند الله! ﴿إِنْ يَشَاءُ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: يختم على قلبك فينسك القرآن، قاله قتادة. والثاني: يربط على قلبك بالصبر على أذاهم فلا يشق عليك قولهم: إنك مفتي، قاله مقاتل، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿يَمَسُّهُ اللَّهُ الْبَاطِلُ﴾ قال الفراء: ليس بمردود على ﴿يَخْتِمُ﴾ فيكون جزءاً، وإنما هو مستأنف، ومثله مما حذفت منه الواو، ﴿وَيَبِغِ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾ [الإسراء: ٤١]. وقال الكسائي: فيه تقديم وتأخير. تقديره: والله يمحو الباطل. وقال الزجاج: الوقف عليها «ويمحو» بواو وألف؛ والمعنى: والله يمحو الباطل على كل حال، غير أنها كتبت في المصاحف بغير واو، لأن الواو تسقط في اللفظ لالتقاء الساكنين، فكتبت على الوصل، ولفظ الواو ثابت؛ والمعنى: ويمحو الله الشر ويحق الحق بما أنزله من كتابه على لسان نبيه ﷺ.

﴿وَمَنْ أَلَّيَ يَقْبَلِ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْمَلْ عَنِ الصَّيَّاتِ وَيَتَّقُمْ مَا فَعَلُونَ﴾ [١٥] وَتَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ [١٦] وَلَوْ سَئَطَ اللَّهُ آزِقُوكَ لَعَادُوا لَعَفَا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُزِيلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَ عِبَادَهُ وَيُبَيِّنَ بَيِّنَاتٍ [١٧]

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَلَّيَ يَقْبَلِ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ قد ذكرناه في [إبراء: ١٠٤].

قوله تعالى: ﴿وَيَتَّقُمْ مَا فَعَلُونَ﴾ أي: من خير وشر. قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بالتاء، وقرأ الباقون: بالياء، على الإخبار عن المشركين والتهديد لهم. ويستجيب بمعنى يُجيب. وفيه قولان. أحدهما: أن الفعل

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بظاهر التزيل قول من قال: معنا: قل لا أسألكم عليه أجراً بما مشر قريش، إلا أن تؤفوني في قرابتي منكم وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم. اهـ. وقال ابن كثير: وقوله ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ لَئِنْ إِلَّا التَّوْبَةَ فِي الشَّرِّ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش: لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تعطونه، وإنما أطلب منكم أن تكفوا شرككم مني، وتؤفوني أبلغ رسالات ربي، إن لم تصروني فلا تؤفوني بما بيني وبينكم من القرابة. اهـ.

(٢) قال السيوطي في [الدرر: ٧/٦]: أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه بسند ضعيف من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ لَئِنْ إِلَّا التَّوْبَةَ فِي الشَّرِّ﴾ قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت موتهم؟ قال: «علي وفاطمة وولدها» وقد ذكره الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» وقال: في سند حسين الأشقر ضعيف ساقط، قال: وقد عارضه ما هو أولى منه، ففي البخاري من رواية غاروس عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية، فقال سعيد بن جبير: قرى آل محمد ﷺ فقال ابن عباس: «عجلت»، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة... الحديث. قال ابن كثير: ولا نكر الوصلة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فغراً وحسباً ونسباً، ولا سيما إذا كانوا متبينين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجليلة كما كان عليه سلفهم كآل عباس وبنو، وعلي وأهل بيته وفزيته، ﷺ أجمعين. اهـ.

فيه الله، والمعنى: فيجيبهم إذا سألوه؛ وقد روى قتادة عن أبي إبراهيم اللخمي<sup>(١)</sup>، «وَسَيَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا» قال: يُشَفِّعُونَ في إخوانهم، «وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» قال: يُشَفِّعُونَ في إخوان إخوانهم. والثاني: أنه للمؤمنين؛ فالمعنى: يجيئونهم. والأول أصح.

قوله تعالى: «وَلَوْ كَسَبَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِيَاكُوهُ» قال خُباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية، وذلك أنا نَظَرْنَا إلى أموال بني قريظة والنضير فتمتئناها، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. ومعنى الآية: لو أوسع الله الرزق لعباده لبطروا وعصوا وبغى بعضهم على بعض، «وَلَكِنْ يُزِيلُ بَقْدَرُ مَا يَشَاءُ» أي: ينزل أمره بتقدير ما يشاء مما يصلح أمورهم ولا يطغيهم «إِنَّهُ يَبْأُوهُ خَيْرٌ مِنْهُمْ» فمنهم من لا يصلحه إلا الغنى، ومنهم من لا يصلحه إلا الفقر<sup>(٣)</sup>.

«وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْقَيْتَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ»<sup>(٤)</sup> وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّكَاكِتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَ فِيهِمَا مِنْ دَأْبٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ<sup>(٥)</sup> وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِنْ مُجِيبِكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ تُؤْيِكُمْ وَيَعْمَلُونَ عَنْ كَيْفِهِ<sup>(٦)</sup> وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْقَيْتَ» يعني المطر وقت الحاجة «مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا» أي: يشعوا، وذلك أذى لهم إلى شكر منزلته «وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ» في الرحمة هاهنا قولان: أحدهما: المطر، قاله مقاتل: والثاني: الشمس بعد المطر، حكاه أبو سليمان الدمشقي. وقد ذكرنا «الولي» في سورة [النساء: ٤٥] و«الحميد» في [البقرة: ٢٦٧].

قوله تعالى: «وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِنْ مُجِيبِكُمْ» وهو ما يلحق المؤمن من مكروه «فِيمَا كُنْتُمْ تُؤْيِكُمْ» من المعاصي. وقرأ نافع، وابن عامر: «بِمَا كُنْتُمْ أَيْدِيكُمْ» بغير فاء، وكذلك [أي] في مصاحف أهل المدينة والشام، «وَيَعْمَلُونَ عَنْ كَيْفِهِ» من السَّيِّئَاتِ فلا يعاقب بها. وقيل لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم؟ قال: إنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم، وقرأ هذه الآية.

قوله تعالى: «وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ» إن أراد الله عقوبتكم، وهذا يدخل فيه الكفار والعصاة كلهم. «وَمِنْ آيَاتِهِ الْمَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَاقِ»<sup>(٨)</sup> إِنْ يَشَاءْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ بَاقٍ شَاكِرٍ<sup>(٩)</sup> أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبْنَ وَيَتَّعْنَ عَنْ كَثِيرٍ<sup>(١٠)</sup> وَيَلْهَمُ الَّذِينَ يَحْدِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ حِسَابٍ<sup>(١١)</sup> مَا أَوْفَيْتُمْ مِنْ قَوْلِهِ فَتَنَعُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رُبِّهِمْ يُرْجَوْنَ<sup>(١٢)</sup>.

قوله تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ الْمَوَارِ فِي الْبَحْرِ» والمراد بالجوار: السفن. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «الجواري» بياء في الوصل، إلا أن ابن كثير يقف أيضاً بياء، وأبو عمرو بغير ياء، ويعقوب يوافق ابن كثير، والباقون بغير ياء في الوصل والوقف؛ قال أبو علي: والقياس ما ذهب إليه ابن كثير، ومن حذف، فقد كثر حذف مثل هذا في كلامهم. «كَالْأَعْلَاقِ» قال ابن قتيبة: كالجبال، واحدها: عَلم. وروي عن الخليل بن أحمد أنه قال: كل شيء مرتفع - عند العرب - فهو عَلم.

قوله تعالى: «إِنْ يَشَاءْ يُسْكِنِ الرِّيحَ» التي تُجْرِيهَا «فَيَظْلَلْنَ» يعني الجواري «رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ» أي: سواكن على ظهر البحر [لا يجرين]. «أَوْ يُوقِفَهُنَّ» أي: يُهْلِكُهُنَّ وَيُغْرِقُهُنَّ، والمراد أهل السفن، ولذلك قال: «بِمَا كَسَبْنَ» أي: من

(١) كلها الأصل، والذي في «الطبري»: إبراهيم اللخمي.

(٢) ذكر سبب النزول هذا من خباب بن الأرت بهذا اللفظ الواحد في «أسباب النزول» ٢١٣ بدون سند، وكذلك ذكره البغوي والخازن في «تفسيريهما» عن خباب رضي الله عنه بدون سند. وروى الطبري في «تفسيره» من رواية عمرو بن حريث وغيره قال: إنما نزلت في أهل المشقة. وقال السيوطي في «الدرر» ٨/٦: أخرج ابن المنذر، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، والطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «شعب الإيمان» بسند صحيح عن أبي هانئ الغولاني قال: سمعت عمرو بن حريث وغيره يقولون: إنما أنزلت هذه الآية في أهل المشقة: «وَلَوْ كَسَبَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِيَاكُوهُ لَبَطَرُوا وَعَصَوْا وَبَغَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ» قال: إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب المشقة: «وَلَوْ كَسَبَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِيَاكُوهُ لَبَطَرُوا فِي الْأَرْضِ» وذلك أنهم قالوا: «لَوْ كُنَّا كُنَّا»، فتمنوا الدنيا. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: أي: ولكن يوزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم، وهو أعلم بذلك، فينبغي من يستحق الغنى، ويفقر من يستحق الفقر. اهـ.

الذُّنُوبِ ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ من ذنوبهم، فينجيهم من الهلاك. ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُخَيَّلُونَ﴾ قرأ نافع، وابن عامر: ﴿وَيَعْلَمُ﴾ بالرفع على الاستئناف وقطعه من الأول؛ وقرأ الباقون بالنصب. قال الفراء: هو مردود على الجزم، إلا أنه ضرف، والجزم إذا ضرف عنه معطوفه نُصب. وللمفسرين في معنى الآية قولان: أحدهما: ويعلم الذين يخاصمون في آيات الله حين يؤخذون بالفرق أنه لا ملجأ لهم. والثاني: أنهم يعلمون بعد البعث أنه لا مهرب لهم من العذاب.

قوله تعالى: ﴿مَا أَرْبَحُ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ما أعطيت من الدنيا فهو متاع تتمتعون به، ثم يزول سريعاً، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ لا للكافرين، لأنه إنما أعد لهم في الآخرة العذاب.

﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (١) ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَمَانًا وَمِمَّا كَرِهُوا لِرَبِّهِمْ فَلَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ﴾ (٢) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن مَّالٍ لَّنْ سَبِيلٌ﴾ (٣) ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ هُمُ ظَالِمُوا لِنَفْسِهِمْ﴾ (٤) ﴿وَلَكِن صَبَرٌ وَعَفْوٌ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزِّ الْأَكْمَرِ﴾ (٥)

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: «كبير الإثم» على التوحيد من غير ألف، والباقون بألف. وقد شرحنا الكبائر في سورة [النساء: ٣١] (١). وفي المراد بالفواحش هاهنا قولان: أحدهما: الزنا. والثاني: موجبات الحدود.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أي: يغفون عنهم ظلمهم طلباً لثواب الله تعالى (٢). ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أي: أجابوه فيما دعاهم إليه. ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَمَانًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: يتشاورون فيه [بينهم]. وقال الزجاج: المعنى أنهم لا ينفردون برأي حتى يجمعوا عليه (٣).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (٤) اختلَفوا في [هذا] البُغْي على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بُغْي الكفار على المسلمين. قال عطاء: هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبعثوا عليهم، ثم مكَّنهم الله منهم فانتصروا. وقال زيد بن أسلم: كان أصحاب رسول الله ﷺ فرقتين بمكة، فرقة كانت تُؤدِّي فتَعفو عن المشركين، وفرقة كانت تُؤدِّي فتنتصر، فأثنى الله ﷻ عليهم جميعاً، فقال في الذين لم ينتصروا: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، وقال في المنتصرين: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (٥) أي: من المشركين. وقال ابن زيد: ذكر المهاجرين، وكانوا صنفين، صنفاً عفواً، وصنفاً انتصر، فقال: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، فبدأ بهم، وقال في المنتصرين: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (٦) أي: من المشركين؛ وقال: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿يَغْفِرُونَ﴾ وهم الأنصار؛ ثم ذكر الصنف الثالث فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (٧) من المشركين. والثاني: أنه بُغْي المسلمين على المسلمين خاصة. والثالث: أنه عام في جميع البغاة، سواء كانوا مسلمين أو كافرين.

## فصل

واختلف في هذه الآية علماء الناسخ والمنسوخ، فذهب بعض القائلين بأنها في المشركين إلى أنها منسوخة بآية السيف، فكانهم يشيرون إلى أنها أثبتت الانتصار بعد بُغْي المشركين، فلما جاز لنا أن نبداهم بالقتال، دلَّ على أنها منسوخة. وللقائلين بأنها في المسلمين قولان: أحدهما: أنها منسوخة بقوله: ﴿وَلَكِن صَبَرٌ وَعَفْوٌ﴾ [الشورى: ٤٣] فكانها بُهِت على مدح المنتصر، ثم أعلمنا أن الصبر والغفران أمدح، فبان وجه النسخ. والثاني: أنها محكمة، لأن الصبر

(١) انظر ٢٧٥.

(٢) قال ابن كثير: أي: سجيئهم تقتضي الصفح والمغفرة للناس، ليس سجيئهم الانتقام من الناس.

(٣) قال ابن كثير: أي: لا يبرمون أمراً حتى يتشاوروا فيه ليتساعدوا بأرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَشَاوِرُهُم مِّن شَيْءٍ إِلَّا هُمْ يَخِشَوْنَ اللَّهَ وَنُوحُوا إِلَيْهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]. والآية، قال: ولهذا كان ﷺ يتشاورهم في الحروب ونحوها لطيب بذلك قلوبهم، قال: وهكذا لما حضرت عمر بن الخطاب رضي الله عنه الفداء حين عُلمن جعل الأمر بعده شورى في ستة نفر، وهم: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، فاجتمع رأي الصحابة كلهم ﷺ على تقديم عثمان عليهم، ﷺ. اهـ.

والغفران فضيلة، والانتصار مباح، فعلى هذا تكون محكمة، [وهو الأصح]. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية - وظاهرها مدح المنتصر - وبين آيات الحث على العفو؟ فنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه انتصار المسلمين من الكافرين، وتلك رتبة الجهاد كما ذكرنا عن عطاء. والثاني: أن المنتصر لم يخرج عن فعل أبيح له، وإن كان للعفو أفضل، ومن لم يخرج من الشرع بفعله، حسن مدحه. قال ابن زيد: جعل الله المؤمنين صنفين، صنف يعفو، فبدا بذكره، وصنف يتصر. والثالث: أنه إذا بنى على المؤمن فاسق، فلائ له اجترأ الفساق عليه، وليس للمؤمن أن يذلل نفسه، فينبغي له أن يكسر شوكة العصاة لتكون العزة لأهل الدين. قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون للمؤمنين أن يذللوا أنفسهم فيجترأ عليهم الفساق، فإذا قلدروا عفوًا. وقال القاضي أبو يعلى: هذه الآية محمولة على من تعدى وأصر على ذلك، وآيات العفو محمولة على أن يكون الجاني نادماً.

قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا سَيِّئًا يَبْلُغُونَ﴾ قال مجاهد والسدي: هو جواب القبيح، إذا قال له كلمة أجابه بمثلها من غير أن يعتدي. وقال مقاتل: هذا في القصاص في الجراحات والدماء. ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ فلم يقتص ﴿وَمَنْ أَعْلَفَ﴾ فلم يفرج عن الله إثم لا يثبت القليلين. يعني من بدأ بالظلم. وإنما سمي المجازاة سيئة، لما بيئنا عند قوله: ﴿فَمَنْ أَعْلَفَ﴾ عليكم فاعفوا عنهم. [البقرة: ١٧٩]. قال الحسن: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقيم من كان أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا. ﴿وَمَنْ أَعْلَفَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: بعد ظلم الظالم إياه، والمصدر هاهنا مضاف إلى المفعول، ونظيره: ﴿وَمَنْ دَعَا الْخَيْرَ﴾ [نصفت: ٤٩] و﴿سُؤَالُ تَهْلِكَ﴾<sup>(١)</sup> [ص: ٢٤]، ﴿فَأُولَئِكَ﴾ يعني المنتصرين ﴿مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أي: من طريق إلى لزوم ولا حد، ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَنْظُرُونَ النَّاسَ﴾ أي: يبتدئون بالظلم ﴿وَيَنْبَغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: يعملون فيها بالمعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ سَبَّ﴾ فلم ينتصر ﴿وَعَفَا إِنَّ ذَلِكَ﴾ الصبر والتجاوز ﴿لَمِنْ عَزِّ الْأُمُورِ﴾ وقد شرحناه في آل عمران: ١٨٢.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَزَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾<sup>(٢)</sup> وَزَنَّهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهِمَا خَشِيعَتَيْنِ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَشِيعَتَيْنِ خَيْرٌ لَنَا مِنْهُمَا وَآهْلُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ<sup>(٣)</sup> وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُصَرِّفُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ﴾ أي: من أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه. ﴿وَزَى الظَّالِمِينَ﴾ يعني المشركين ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ في الآخرة يسألون الرجعة إلى الدنيا ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾؟ ﴿وَزَنَّهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهِمَا﴾ أي: على النار ﴿خَشِيعَتَيْنِ﴾ أي: خاضعتين متواضعتين ﴿مِنْ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ﴾ وفيه أربعة أقوال. أحدها: من طرف ذليل، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. وقال الأخفش: ينظرون من عين ضعيفة. وقال غيره: ﴿مِنْ﴾ بمعنى «الباء». والثاني: يسارقون النظر، قاله قتادة، والسدي. والثالث: ينظرون ببعض العين، قاله أبو عبيدة. والرابع: أنهم ينظرون إلى النار بقلوبهم، لأنهم قد حشروا غنياً، فلم يروها بأعينهم، حكاها الفراء، والزجاج. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الأنعام: ١٢، مود: ٣٩] إلى قوله: ﴿يُصَرِّفُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: يمنعونهم من عذاب الله.

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ أي: استجبوا لربكم ﴿إِنْ يَأْتِ يَوْمَ لَا مَرَدٍّ لَهُ مِنْكُمْ اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ مُلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾<sup>(٥)</sup> فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْكَفْلُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَسَبَهُ عِثًّا وَلَنْ تُصْبِتَهُمْ سَيِّئَةُ مَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ<sup>(٦)</sup> اللَّهُ مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْسَانًا ذَكَرَهُ يَمْنَحُ لِمَنْ يَشَاءُ الْدُّكُورَ<sup>(٧)</sup> أَوْ يُرْجِيهِمْ دُكْرًا أُنْثَىٰ وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ<sup>(٨)</sup>

قوله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ أي: اجيبوه، فقد دعاكم برسوله ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِ يَوْمٌ﴾ وهو يوم القيامة ﴿لَا مَرَدٍّ لَهُ مِنْكُمْ﴾ أي: لا يقدر أحد على رده ودفعه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ مُلْجَأٍ﴾ تلجؤون إليه، ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ قال مجاهد:

من ناصر ينضركم. وقال غيره: من فُدرة على تغيير ما نزل بكم<sup>(١)</sup>. ﴿فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن الإجابة ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ لحفظ أعمالهم ﴿إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَدُ﴾ أي: ما عليك إلا أن تبلغهم. وهذا عند المفسرين منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿وَلَا إِيَّاكَ إِذَا أَقْنَا الْإِنْسَانَ مِمَّا رَحِمَهُ رَبِّي﴾ قال المفسرون: المراد به: الكافر؛ والرحمة: الغنى والصحة والمطر ونحو ذلك، والسببية: المرض والفقر والقحط [ونحو ذلك]. والإنسان هاهنا: اسم جنس، فلذلك قال: ﴿وَلَا تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بما سلف من مخالفتهم ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ بما سلف من النعم. ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ﴾ أي: له التصرف فيها بما يريد، ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا﴾ يعني البنات ليس فيه ذكر، كما وهب للوط عليه السلام، فلم يولد له إلا البنات ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَرَ﴾ يعني البنين ليس معهم أنثى، كما وهب لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فلم يولد له إلا الذكور. ﴿أَوْ بَرُوجُهُمْ﴾ يعني الإناث والذكور. قال الزجاج: ومعنى «بُرُوجُهُمْ»: يقرنهم. وكل شيئين يقرن أحدهما بالآخر، فهما زوجان، ويقال لكل واحد منهما: زوج، تقول: عندي زوجان من الخفاف، يعني اثنين. وفي معنى الكلام للمفسرين قولان: أحدهما: أنه وضع المرأة غلاماً ثم جارية ثم غلاماً ثم جارية، قاله مجاهد والجمهور. والثاني: [أنه] وضع المرأة جاريةً وغلاماً توأمين، قاله ابن الحنفية. قالوا: وذلك كما جمع لمحمد ﷺ، فإنه وهب له بنين وبنات، ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً﴾ لا يولد له، كيحیی بن زكريا عليه السلام. وهذه الأقسام موجودة في سائر الناس، وإنما ذكروا الأنبياء تمثيلاً.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا رَجَاءً أَوْ مِن ذَرِّيٍّ يَحِبُّ أَوْ رِيسَلٍ رَّسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُحْمًا مِّنْ أَمْرًا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنَّ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِيَمِينِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّكَ لَنبِيٌّ مُّصَدِّقٌ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ﴿إِن يَرِيسَلُ اللَّهُ إِلَيْنَا لَمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ ﴿٥١﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا رَجَاءً﴾ قال المفسرون: سبب نزولها أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنتظر إليه إن كنت نبياً صادقاً كما كلمه موسى ونظر إليه؟ فقال لهم: «لم ينتظر موسى إلى الله»، ونزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. والمراد بالوحي هاهنا: الوحي في المنام. ﴿أَوْ مِن ذَرِّيٍّ يَحِبُّ﴾ كما كلم موسى<sup>(٣)</sup>. ﴿أَوْ رِيسَلٍ﴾ قرأ نافع وابن عامر: «يُورِيسَلُ» بالرفع «فَيُوحِي» بسكون الياء. وقرأ الباقون: «يُورِيسَلُ» بنصب اللام «فَيُوحِي» بتحريك الياء، والمعنى: «أو يرسل رسولاً» كجبرائيل «فَيُوحِي» ذلك الرسول إلى المرسل إليه «بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ». قال مكي بن أبي طالب: من قرأ «أو يرسل» بالنصب، عطفه على معنى قوله: «إِلَّا رَجَاءً» لأنه بمعنى: «إِلَّا أَنْ يُوْحِي». ومن قرأ بالرفع، فعلى الإبتداء، كأنه قال: أو هو يرسل. قال القاضي أبو يعلى: وهذه الآية محمولة على أنه لا يكلم بشراً إلا من وراء حجاب في دار الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: وكما أوحينا إلى الرُّسُل ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، وقيل: الواو عطف على أول السورة، فالمعنى: كذلك نوحى إليك وإلى الذين من قبلك. ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُحْمًا مِّنْ أَمْرًا﴾ قال ابن عباس: هو القرآن. وقال

(١) قال ابن كثير: لما ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة من الأحوال والأمور العظام الهائلة، حذر منه، وأمر بالاستعداد له فقال: ﴿أَسْتَجِيبُ لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَنَّكُمْ لَمْ مَّرَّةً لَمْ يَكُنْ أَقْبَرُ﴾ أي: إذا أمر بكونه، فإنه كلمح البصر يكون وليس له دافع ولا مانع، قال: وقوله ﷺ: «مَا لَكُمْ مِّنْ تَلَكُّمٍ يَتَوَلَّى وَكَمَا لَكُمْ مِّنْ تَلَكُّمٍ يَتَوَلَّى» أي: ليس لكم حصن تحصنون فيه، ولا مكان يستتركم وتتكفرون فيه فتفنيون عن بصره تبارك وتعالى، بل هو محيط بكم يعلمه وبصره وقدرته فلا ملجأ منه إلا إليه ﴿يُؤْتِلُ الْإِنْسَانُ يَتَوَلَّى أَن لَّا تَكُنْ﴾ ﴿لَّا لَا تَكُنْ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَتَوَلَّى لِّلنَّاسِ﴾ ﴿٥١﴾. اهـ.

(٢) ذكر سبب النزول هذا الواحد في «أسباب النزول» ٢١٤ بدون سند، وكذلك ذكره البغوي والخازن وغيرهما بدون سند. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: حديث أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنتظر إليه، فإننا لن نؤمن لك حتى تعمل ذلك، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا رَجَاءً﴾ لم أجده. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله ﷻ، وهو أنه تبارك وتعالى تارة يلقف في رُوح النبي ﷺ شيئاً لا يمتارى فيه أنه من الله ﷻ، كما جاء في «صحيح ابن حبان» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوحِي أَنْ نَفْسًا لَّنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رُزْقَهَا وَاجْعَلَهَا قَاتِلًا وَأَجْعَلُوا فِي الطَّلَبِ» قال: وقوله تعالى: ﴿أَوْ مِن ذَرِّيٍّ يَحِبُّ﴾ كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام فإنه سأل الروية بعد التكلم فمعجب عنها. ثم قال: وقوله ﷺ: ﴿أَوْ رِيسَلٍ رَّسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ كما ينزل جبريل عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

مقاتل: وَحياً بأمرنا<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾ وذلك أنه لم يكن يعرف القرآن قبل الوحي ﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بمعنى الدعوة إلى الإيمان، قاله أبو العالية. والثاني: أن المراد به شرائع الإيمان ومعالمه، وهي كلها إيمان؛ وقد سُمِّي الصلاة إيماناً بقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِسْمَكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٣]، هذا اختيار ابن قتيبة، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة. والثالث: أنه ما كان يعرف الإيمان حين كان في المهد وإذ كان طفلاً قبل البلوغ، حكاه الواحدي. والقول ما اختاره ابن قتيبة، وابن خزيمة، وقد اشتهر في الحديث عنه ﷺ أنه كان قبل النبوة يوحد الله، وَيُفَضُّ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَيَحُجُّ وَيَعْتَمِر، وَيَتَّبِعُ شَرِيعَةَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ. قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: من زعم أن النبي ﷺ كان على دين قومه، فهو قول سوء، ليس كان لا يأكل ما ذُبِحَ على النُّسب؟ وقال ابن قتيبة: قد جاء في الحديث أنه كان على دين قومه أربعين سنة. ومعناه: أن العرب لم يزالوا على بقايا من دين إسماعيل، من ذلك حُجُّ البيت، والختان، وإيقاع الطلاق إذا كان ثلاثاً، وأن للزوج الرجعة في الواحدة والاثنتين، ودية النفس مائة من الإبل، والغسل من الجنابة، وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والصُّهر. وكان عليه الصلاة والسلام على ما كانوا عليه من الإيمان بالله والعمل بشرائعهم في الختان والغسل والحج، وكان لا يقرب الأوثان، ويعيها. وكان لا يعرف شرائع الله التي شرعها لعباده على لسانه، فذلك قوله: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾ [يعني القرآن] ﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ يعني شرائع الإيمان؛ ولم يُرد الإيمان الذي هو الإقرار بالله، لأن آباءه الذين ماتوا على الشرك كانوا يؤمنون بالله ويحجُّون له [البيت] مع شركهم. قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ جَلَلَتَهُ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن. والثاني: إلى الإيمان. ﴿تُورَا﴾ أي: ضياءً ودليلاً على التوحيد ﴿تَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ﴾ [من عبادنا] إلى دين الحق<sup>(٢)</sup>. ﴿وَلِلَّهِ تَهْدِي﴾ أي: لتدعو ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الإسلام<sup>(٣)</sup>.



(١) في الأصل: هو وحياً بأمرنا.

(٢) قال البغوي في تفسيره: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي﴾ قبل الوحي ﴿مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ يعني شرائع الإيمان ومعالمه، قال: وقال محمد بن خزيمة: الإيمان في هذا الموضع: الصلاة، ودليله قوله ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِسْمَكُمْ﴾ قال: وأهل الأصول على أن الأنبياء ﷺ كانوا مؤمنين قبل الوحي، وكان النبي ﷺ يعبد الله قبل الوحي على دين إبراهيم ولم يتبين له شرائع دينه. اهـ.

وقال ابن كثير: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أي: على التفصيل الذي شرع لك في القرآن. اهـ. وقال الشوكاني في تفسيره «فتح القدير»: ذكر سبحانه صفة رسوله قبل أن يوحى إليه، فقال: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾ أي: أي شيء هو؟ لأنه ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وذلك أدخل في الإعجاز وأدلى على صحة نبوته، قال: ومعنى ﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أنه كان ﷺ لا يعرف تفاصيل الشرائع ولا يهتدي إلى معالمها، قال: وخص الإيمان، لأنه رأسها وأساسها، قال: وقيل: أراد بالإيمان هنا: الصلاة، قال بهذا جماعة من أهل العلم، منهم إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة، قال واحتج بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِسْمَكُمْ﴾ يعني الصلاة، فسمّاها إيماناً، قال: وذهب جماعة إلى أن الله سبحانه لم يبعث نبياً إلا وقد كان مؤمناً به، وقالوا: معنى الآية: ما كنت تدري قبل الوحي كيف تقرأ القرآن، ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ﴾ أي: يا محمد ﴿تَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الحق القويم، ثم قال في تلمة الآية: ثم فسره بقوله تعالى: ﴿صِرَاطُ اللَّهِ﴾ أي: شرعه الذي أمر به الله ﴿وَالَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي الْأَشْيَاءِ﴾ أي: وبهما ومالكهما والمتصرف فيهما والحاكم الذي لا معقب لحكمه ﴿إِلَّا إِلَهُ تَعَالَى الْأَشْيَاءِ﴾ أي: ترجع الأمور فيفسلها ويحكم فيها، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً. اهـ.

## سورة الزخرف

### وهي مكية بإجماعهم

وقال مقاتل: هي مكية، إلا آية، وهي <sup>(١)</sup> قوله: ﴿وَمَثَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ [الزخرف: ٤٥].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّمَا فِي أَرْكِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَّ حَكِيمٌ ۝ أَنْتَضِرُ عَنْكُمْ الزَّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ۝ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ فَاهْلِكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَعْنَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْغَلِيْبُ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿حَمْدٌ﴾ قد تقدم بيانه [المؤمن]. ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ قسم بالقرآن. ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ قال سعيد بن جبير: أنزلناه. وما بعد هذا قد تقدم بيانه [النساء: ٨٢، يوسف: ٢] إلى قوله: ﴿وَإِنَّمَا﴾ يعني القرآن ﴿فِي أَرْكِ الْكِتَابِ﴾ قال الزجاج: أي: في أصل الكتاب، وأصل كل شيء: أمه، والقرآن مُنْبَتٌّ عند الله ﷻ في اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿لَدَيْنَا﴾ أي: عندنا ﴿لَعَلَّ﴾ أي: ربيع. وفي معنى الحكيم قولان: أحدهما: مُخَكَّم، أي: ممنوع من الباطل، قاله مقاتل. والثاني: حاكم لأهل الإيمان بالجنة ولأهل الكفر بالنار، ذكره أبو سليمان الدمشقي، والمعنى: إن كُذِّبتم به يا أهل مكة فإنه عندنا شريف عظيم المَحَلُّ.

قوله تعالى: ﴿أَنْتَضِرُ عَنْكُمْ الزَّكْرَ صَفْحًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: نُؤْمِسُكُمْ عَنْكُمْ فلا نذكركم صفحاً، أي: إعراضاً، يقال: صَفَحْتُ عَنْ فلان: إذا عرضت عنه، والأصل في ذلك أن تؤليه صَفْحَةً عَنَّا، قال كثير يصف امرأة: صَفُوحاً فَمَا تُلْقَاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ

أي: مُعْرِضَةً بوجهها، يقال: صَرَبْتُ عَنْ فلان كذا: إذا أمسكته وأضربت عنه. ﴿أَنْ كُنْتُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «أَنْ كُنْتُمْ» بالنصب <sup>(٣)</sup>، أي: لأن كنتم قوماً مسرفين. وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي: «إِنْ كُنْتُمْ» بكسر الهمزة. قال الزجاج: وهذا على معنى الاستقبال، أي: إن تكونوا مسرفين نُضْرِبُ عَنْكُمْ الذُّكْرَ. وفي المراد بالذُّكْر قولان: أحدهما: أنه ذُكْرُ الْعَذَابِ، فالمعنى: أفتُؤْمِسُكُمْ عَنْ عَذَابِكُمْ وتتركونكم على كفركم؟ وهذا معنى قول ابن عباس، ومجاهد، والسدي. والثاني: أنه القرآن، فالمعنى: أفتُؤْمِسُكُمْ عَنْ أَنْزَالِ الْقُرْآنِ مِنْ أَجْلِ أَنْكُمْ لَا تُوْمِنُونَ بِهِ؟ وهو معنى قول قتادة، وابن زيد. وقال قتادة: «مُسْرِفِينَ» بمعنى مشركين. ثم أعلم نبيه أنني قد بعثت رُسُلًا فَكُذِّبُوا فَاهْلِكْتُ الْمَكْذِبِينَ بِالآيَاتِ التي تلي هذه.

قوله تعالى: ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ أي: من قريش ﴿بَطْشًا﴾ أي: قُوَّةٌ ﴿وَمَعْنَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سبق وصف عقابهم فيما أنزل عليك. وقيل: سبق تشبيه حال أولئك بهؤلاء في التكذيب، فستقع المشابهة بينهم في الإهلاك. ثم أخبر عن جهلهم حين أقروا بأنه خالق السموات والأرض ثم عدوا غيره بالآية التي تلي هذه؛ ثم التي تليها مفسرة في [طه: ٥٣] إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: لكي تهتدوا في أسفاركم إلى مقاصدكم.

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ۝ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ

(١) في الأصل: وهو.

(٢) «غريب القرآن» ٣٩٥، «واللسان» و«التاج»: صفح. وفي «غريب القرآن» و«التاج»: «إلا بخيلة» بدل «بخيلة».

(٣) أي: بفتح الهمزة.



الْفَالِكِ وَالْأَنْعَمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١١﴾ لَيْسَتُوا عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَكُمْ مُقْرِنِينَ ﴿١٢﴾ وَلَوْلَا إِلَهُ رَبَّنَا لَسْتَلُوفُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَرَّلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ﴾ قال ابن عباس: يريد أنه ليس كما أنزل على قوم نوح بغير قدر فأغرقهم، بل هو يقدر ليكون نافعاً. ومعنى «أنشأنا» آحيينا.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُكَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وابن عامر: «تُخْرِجُونَ» بفتح التاء. وضم الراء؛ والباقون بضم التاء وفتح الراء. وما بعد هذا قد سبق (يس: ٣٦، ٤٢) إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَتُوا عَلَى ظَهْرِهِ﴾ قال أبو عبيدة: هاء التذكير لـ «ما». ﴿ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةً رَبِّكُمْ﴾ إذ سخر لكم ذلك المركب في البر والبحر، ﴿وَمَا كُنَّا لَكُمْ مُقْرِنِينَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: أي: مطيقين، قال ابن قتيبة: يقال: أنا مُقَرَّنٌ لك، أي: مطيق لك، ويقال: هو من قولهم: أنا قِرْنٌ لفلان: إذا كنت مثله في الشدة، فإن قلت: أنا قِرْنٌ لفلان - بفتح القاف - فمعناه: أن تكون مثله بالسَّخَرِ. وقال أبو عبيدة: «مُقَرِّنِينَ» أي: ضابطين، يقال: فلان مُقَرَّنٌ لفلان، أي: ضابط له.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِلَهُ رَبَّنَا لَسْتَلُوفُونَ﴾ ﴿١٣﴾ أي: راجعون في الآخرة<sup>(١)</sup>.

﴿وَجَعَلُوا لَكُمْ مِنْ عِبَادِهِ جُزْأً إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ ﴿١٤﴾ أَوْ أَخَذَ مِنْهَا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٥﴾ وَلَئِنْ يُبَيَّرْ أَحَدُهُمْ بِمَا صَرَّبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٦﴾ أَوْ مَن يَنْشَأُ فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَكُمْ مِنْ عِبَادِهِ جُزْأً﴾ أنا الجعل هاهنا، فمعناه: الحكم بالشيء، وهم الذين زعموا أن الملائكة بنات الله؛ والمعنى: جعلوا له نصيباً من الولد، قال الزجاج: وأنشدني بعض أهل اللغة بيتاً يدل على أن معنى «جزء» معنى الإناث - ولا أدري البيت قديم أو مصنوع -:

إِنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ، يَوْمًا، فَلَا عَجَبٌ  
أَي: أَنْتَ، وَلَدْتَ أُنْثَى<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ يعني الكافر ﴿لَكَفُورٌ﴾ أي: جحود لنعيم الله ﷻ ﴿مُبِينٌ﴾ أي: ظاهر الكفر. ثم أنكر عليهم فقال: ﴿أَوْ أَخَذَ مِنْهَا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ وهذا استفهام توبيخ وإنكار ﴿وَأَصْفَنَكُمْ﴾ أي: أخلصكم ﴿بِالْبَنِينَ﴾. ﴿وَلَئِنْ يُبَيَّرْ أَحَدُهُمْ بِمَا صَرَّبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ أي: بما جعل لله شبهاً، وذلك أن ولد كل شيء شبهه وجنسه. والآية مفسرة في النحل: ١٥٨.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن يَنْشَأُ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص: «يَنْشَأُ» بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين؛ وقرأ الباقيون: بفتح الياء وسكون النون. قال المبرد: تقديره: أو يجعلون من ينشأ ﴿فِي الْحَيَاةِ﴾ قال أبو عبيدة: الحلية: الحلي. قال المفسرون: والمراد بذلك: البنات، فإنهن زبيّن في الحلي. والخصام بمعنى المخاصمة، ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ حجة. قال قتادة: قلما تتكلم امرأة بحجةها إلا تكلمت بالحجة عليها. وقال بعضهم: هي الأصنام.

﴿وَجَعَلُوا الْفَالِكَةَ الَّتِي هُمُ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنِشَاءً أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَكَنًا شَهِدَتْهُمْ وَشَتَّوْنَ﴾ ﴿١٨﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَعْزَمُونَ ﴿١٩﴾ أَمْ مَا يَنْتَظِرُونَ كَكُنَّا مِنْ قَبْلِهِمْ يَوْمَ مُسْتَكِينِينَ ﴿٢٠﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى آثَرِهِ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوعًا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى آثَرِهِ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ نَالُوا أَكْثَرَ حَشْرًا بِأَهْدَىٰ مِنْمَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٣﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٤﴾

(١) روى مسلم في «صحيحه» عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر، كبر ثلاثاً، ثم قال: «سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَكُمْ مُقْرِنِينَ وَلَوْلَا إِلَهُ رَبَّنَا لَسْتَلُوفُونَ» ﴿١٣﴾ اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم مَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، واطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللهم أنت صاحب السفر والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من غفائ السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل، وإذا رجع قالهم، وزاد فيهن «أيون تالوين، عابدون، لربنا حامدون».

(٢) البيت غير منسوب في «غريب القرآن» ٣٩٦، و«القرطبي» ٦٩/١٦، و«البحر المحیط» ٨/٨، و«اللسان» و«التاج»: جزأ.

(٣) قال في «غريب القرآن» نقلًا عن الزجاج: فمعنى «إن أجزاء» أي: أنت، أي: أنت بآثي.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا اللَّاتِلِكِ الْكَافَّةَ﴾ قال الزجاج: الجعل هاهنا بمعنى القول والحكم على الشيء، تقول: قد جعلت زيدا أعلم الناس، أي: قد وصفته بذلك وحكمت به. قال المفسرون: وجعلهم الملائكة إبنائاً قولهم: هُنَّ بناتُ الله.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، ويعقوب، وأبان عن عاصم، والشيذري عن الكسائي: «عِنْدَ الرحمن» بنون من غير ألف، وقرأ الباقون: «عِبَادُ الرحمن»، ومعنى هذه القراءة: جعلوا له من عباده بنات<sup>(١)</sup> والقراءة الأولى موافقة لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ٢٠٦]، وإذا كانوا في السماء كان أبعد للعلم بحالهم. «أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ» قرأ نافع، والمفضل عن عاصم: «أَشْهَدُوا» بهمزيين، الأولى مفتوحة والثانية مضمومة. وروى المسيبي عن نافع: «أَوْشَدُوا» ممدودة من أشهدت، والباقون لا يمدون. «أَشْهَدُوا» من شَهِدْتُ، أي: أَخْبَرُوهُ فَعَرَفُوا أَنَّهُمْ إِنَّا؟ وهذا توبيخ لهم إذ قالوا فيما يُعَلَّمُ بالمشاهدة من غير مشاهدة. «سَنَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ» على الملائكة أنها بناتُ الله. وقال مقاتل: لما قال الله ﷻ: «أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ»، سُئِلُوا عن ذلك قالوا: [لا]، فقال النبي ﷺ: «فما يُدْرِيكُمْ أَنَّهُ إِنَّا؟» فقالوا: سمعنا من آبائنا، ونحن نَشْهَدُ أَنَّهُمْ لم يكذبوا، فقال الله: «سَنَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَرُسُلَهُمْ» عنها في الآخرة<sup>(٢)</sup>. وقرأ أبو رزين، ومجاهد: «سَنَكْتُبُ» بنون مفتوحة «شهادتهم» بنصب التاء، ووافقهم ابن أبي عبله في «سَنَكْتُبُ» وقرأ: «شهاداتهم» بآلف.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ في المكني عنهم قولان. أحدهما: أنهم الملائكة، قاله قتادة، ومقاتل في آخرين. والثاني: الأوثان، قاله مجاهد. وإنما عَنَّا بهذا أنه لو لم يَرْضَ عبادتنا لها لعجل لعقوبتنا، فردَّ عليهم قولهم بقوله: ﴿تَنَا لَهُمْ يَدَاكَ مِنْ عَلَيَّ﴾. وبعض المفسرين يقول: إنما أشار بقوله: «ما لهم بذلك مِنْ عِلْمٍ» إلى أذعائهم أَنَّ الملائكة إِنَّا؟ قال: ولم يتعرض لقولهم<sup>(٣)</sup>: «لو شاء الرحمن ما عَبَدْنَاهُمْ»<sup>(٤)</sup> لأنه قول صحيح؛ والذي اعتمدنا عليه أصح، لأن هذه الآية كقوله: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْرَسْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وقوله: ﴿أَنظِمْنَ مِنْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ أَلْمَسُوهُ﴾ [يس: ٤٧] وقد كشفنا عن هذا المعنى هنالك. ويخْرُصُونَ بمعنى: يكذبون. وإنما كُذِّبَهم، لأنهم اعتقدوا أنه رضي منهم الكفر ديناً. «أَمْ أَلَيْسَ كُنْتُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ» أي: مِنْ قَبْلِ هذا القرآن، أي: بآن يعبدوا غير الله «فَهُمْ بِهِ سَمَسْتُمْ» ياخذون بما فيه<sup>(٥)</sup>. «بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ مِثْلِ هَذَا» أي: على شئ وملة ودين «وَلَنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ هُتُونَ» فجعَلُوا أنفسهم مهتدين بمجرد تقليد الآباء من غير حُجَّة<sup>(٦)</sup>؛ ثم أخبر أن غيرهم قد قال هذا القول، فقال: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: وكما قالوا قال مُثَرَفُ الرُّمَى مِنْ قَبْلِهِمْ، «وَلَنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُفْتَدُونَ» بهم. «قُلْ أَرَأَيْتُمْ جِئْتُكُمْ» وقرأ ابن عامر، وحفص عن عاصم: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ جِئْتُكُمْ» [بآلف]. قال أبو علي: فاعل «قال» التذير، المعنى: فقال لهم التذير. وقرأ أبو جعفر: «أَرَأَيْتُمْ جِئْتُكُمْ» بآلف ونون «وَأَمَّا هَؤُلَاءِ» أي: بأصوب وأرشد. قال الزجاج: ومعنى الكلام: قُلْ: أَتُبْعُونَ ما وجدتم عليه آباءكم وإن جئتم بأهدى منه؟ وفي هذه الآية إبطال القول بالتقليد. قال مقاتل: فردُّوا على النبي ﷺ فقالوا: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾؛ ثم رجع إلى الأمم الخالية، فقال: «فَأَنقَضْنَا بِهِنَّ» الآية<sup>(٧)</sup>.

(١) في الأصل: عن عباده بنات.

(٢) ذكر هذا الحديث البغوي في «تفسيره» عن الكلبي ومقاتل بدون سند، وهو مقطوع. وذكره الخازن أيضاً من غير سند، ولم يعزَّه لأحد.

(٣) في الأصل: بقولهم.

(٤) في الأصل: لو شاء الله ما عبَدْنَاهُمْ، ولفظ الآية كما أثبتناه.

(٥) قال ابن كثير: يقول تعالى منكراً على المشركين في عبادتهم غير الله بلا برهان ولا دليل ولا حجة: «أَمْ أَلَيْسَ كُنْتُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ» أي: من قبل شركهم «فَهُمْ بِهِ سَمَسْتُمْ» أي فيما هم فيه، أي: ليس الأمر كذلك، كقوله ﷻ: «أَمْ أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ يَكْفُرُونَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» [٢٠٦] أي: لم يكن ذلك. اهـ.

(٦) قال ابن كثير: أي: ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد بأنهم كانوا على أمّة، قال: والمراد بها الدين هاهنا وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ أَتَذْكُرُونَ﴾، قال: وقولهم: «وَلَنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ هُتُونَ» أي: وراهم «مُتَّبِعُونَ» قال: دعوى منهم بلا دليل. اهـ.

(٧) قال ابن كثير: بين جل وهلا أن مقالة هؤلاء قد سبقهم إليها أشباههم ونظراؤهم من الأمم السالفة المكذبة للزمل تشابهت قلوبهم فقالوا مثل مقالته: «كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَلْبٌ أَوْ أَهْمُؤُةٌ» [٢٠٦] أَوَّاهُوا بِدَلٍّ هُمْ هُمْ فَكَارَهُوا [٢٠٧] قال: وهكذا قال هاهنا: «وَكَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَلْبٌ أَوْ أَهْمُؤُةٌ» [٢٠٦] قال: ثم قال ﷻ: «قُلْ: يَا مُحَمَّدُ لَهُوْلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: «أَرَأَيْتُمْ جِئْتُكُمْ بِمَا أَهْمُؤُةٌ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ» أي: ولو علموا وتيقنوا صحة ما جئتهم به لما اتقادوا لذلك، لسوء فطرتهم - جَفَنُوا بِأَمْنِهِمْ وَجَدْنَاهُمْ عَلَىٰ مِثْلِ هَذَا قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ»



قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: بالغنى والفقر. والثاني: بالحرية والرق ﴿يَسْتَجِدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحَىٰ﴾ وقرأ ابن السميع، وابن محيصن: «سُخْرِيًّا» بكسر السين. ثم فيه قولان: أحدهما: يستخدم الأغنياء الفقراء بأموالهم، فَيَلْتَمِمْ قِوَامَ الْعَالَمِ، وهذا على القول الأول. والثاني: ليملك بعضهم بعضاً بالأموال فيتخلدونها عبيداً، وهذا على الثاني<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَرَحَّتْ رَيْكُ﴾ فيها قولان: أحدهما: الثبوة خير من أموالهم التي يجمعونها، قاله ابن عباس. والثاني: الجنة خير مما يجمعون في الدنيا، قاله السدي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ فيه قولان: أحدهما: لولا أن يجتمعوا على الكفر، قاله ابن عباس. والثاني: على إثارة الدنيا على الدين، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ لِيُوقِعَهُمْ سَفْكَاً مِّنْ فَضْلِهِ﴾ لهوان الدنيا عندنا. قال الفراء: إن شئت جعلت اللام في «ليُوقِعَهُمْ» مكروية، كقوله: ﴿يَعْتَلُونَكَ عَنِ الْكَافِرِ وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وإن شئت جعلتها بمعنى «على»، كأنه قال: جعلنا لهم على بيوتهم، نقول للرجل: جعلت لك لقومك الأعطية، أي: جعلتها من أجلك لهم. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «سَفْكَاً» على التوحيد. وقرأ الباقون: «سَفْكَاً» بضم السين والقاف جميعاً. قال الزجاج: والسَفْكَ واحد يدلُّ على الجمع؛ فالمعنى: جعلنا لبيت كل واحد منهم سَفْكَاً من فَضْلة «وَمَتَّاعٍ» وهي الدَّرَجُ والمعنى: وجعلنا معارج من فَضْلة، وكذلك «وَلِيُوقِعَهُمْ أَمْرًا» أي: من فَضْلة «وَمَتَّاعٍ» أي: من فَضْلة.

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يَغْلُونَ، يقال: ظَهَرْتُ على البيت: إذا غُلُوْتُ سطحه.

قوله تعالى: ﴿وَزُخْرُفًا﴾ وهو الذهب؛ والمعنى: ويجعل لهم مع ذلك ذهباً وغنى ﴿وَإِن كُفَّٰلُ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا﴾ المعنى: لَمَتَّاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وما زائدة وقرأ عاصم، وحمزة: «لَمَّا» بالتشديد، فجعله بمعنى «إلا»؛ والمعنى: إن ذلك يُمتَّع به قليلاً ثم يزول ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ خاصة لهم<sup>(٣)</sup>.

﴿وَمَن يَشَأْ عَنِ زَكٰرِ الرَّحْمٰنِ نُفَيْضُ لَمْ سَٰعِلٰتِكُمْ فَاٰوِ لَمْ فَرِيۡنَ﴾ ﴿وَاللّٰهُمَّ لِيَسُدُّوۡنَا عَنِ السَّيۡلِ وَيَحۡصِرُوۡا اٰتَمَ مُهۡتَدُوۡنَ﴾ ﴿حَتّٰىۤ اِذَا جَآءَنَا قَالِ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيۡنَ يَدۡبُرُ السُّرۡۡۤمَ اِنَّا لَمِّنۡ دُونِ السُّرۡۡۤمِ اَنۡفٰكُۙ وَكُنۡ يَتَفَعَّلُۙ الْيَوْمَ اِذۡ ظَلَمۡنَاۤ اَكۡثَرُ فِىۤ الْمَذَٰبِ سٰغُوۡنَ﴾ ﴿اَفَاَنۡتَ تَشۡۢمِيعُ السُّمۡرَ اَوْ تَهۡدٰى السُّمۡۤى وَمَنۡ كَاٰتَ فِىۤ سَاۤكِلٰى مُبۡدِبٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَشَأْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يُعْرِضُ، قاله الضحاك عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والفراء، والزجاج. والثاني: يَتَمَّ، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال عطاء، وابن زيد. والثالث: أنه البَصَرُ الضعيف، حكاه الماوردي. وقال أبو عبيدة: تُظَلِّمُ عينه عنه. وقال الفراء: من قرأ: «يَفْشُ»، فمعناه: يُعْرِضُ، ومن نصب الشين،

(١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿هَٰؤُلَاءِ سَوَآءٌ يَّتَّبِعُهُمُ الْبَأْسُ﴾ يقول تعالى ذكروه: بل نحن نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلقنا، فنجعل من شئنا رسولا، ومن أردنا صديقا، ونشغل من أردنا خليلا، كما قسمنا بينهم معيشتهم التي يعيشون بها في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات، فجعلنا بعضهم فيها أرغف من بعض درجة، بل جعلنا هذا غنياً، وهذا فقيراً، وهذا ملكاً، وهذا مملوكاً ﴿يَسْتَجِدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحَىٰ﴾.

وقال ابن كثير: قال الله ﷻ مبيناً أنه قد فاءت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والمقولات والفهوم وغير ذلك من القرى الظاهرة والباطنة فقال: ﴿هَٰؤُلَاءِ سَوَآءٌ يَّتَّبِعُهُمُ الْبَأْسُ﴾ الآية، قال: وقوله جئت عظمت: ﴿يَسْتَجِدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحَىٰ﴾ قيل: معناه: ليسخر بعضهم بعضاً في الأعمال، لاجتراح هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، قاله السدي وغيره، وقال قتادة والضحاك: ليملك بعضهم بعضاً.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَرَحَّتْ رَيْكُ سَرَّ وَنَا يَجْمَعُونَ﴾ يقول تعالى ذكروه: ورحمة ربك يا محمد بإدخالهم الجنة خير لهم مما يجمعون من الأموال في الدنيا. اهـ. وقال ابن كثير: أي: ورحمة الله خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَإِن كُفَّٰلُ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا﴾ يقول تعالى ذكروه: وما كل هذه الأشياء التي ذكرت، من السقف من الفضة والمعارج والأبواب والسرور من الفضة والزخرف، إلا متاع يستمتع به أهل الدنيا في الدنيا ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يقول تعالى ذكروه: وَزَيْن الدار الآخرة وبهاؤها عند ربك للمتقين - الذين اتقوا الله يخافوا عقابه، فجذبوا في طاعته وحذروا معاصيه - خاصة، دون غيرهم من خلق الله. اهـ. وفي «الصحيحين» عن حذيفة بن اليمان ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافهما، فإنها لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة». وروي الترمذي عن سهل بن سعد ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تسايي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.



من النضر. قال ابن عباس: ذلك يوم بدر. وذهب بعض المفسرين إلى أن قوله: ﴿فَإِنَّمَا نَذَعْنِي بِكَ﴾ منسوخ بآية السيف، ولا وجه [له].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ﴾ يعني القرآن ﴿لَذَكَّرْنَا لَكَ﴾ أي: شَرَفْنَا لَكَ بما أعطاك الله ﴿وَلَقَدْ﴾ في قومه ثلاثة أقوال: أحدها: العرب قاطبة. والثاني: قريش. والثالث: جميع من آمن به. وقد روى الضحاك عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا سئل: لِمَنْ هذا الأمرُ من بعدك؟ لم يُخبر بشيء، حتى نزلت هذه الآية، فكان بعد ذلك إذا سئل قال: «لقريش»<sup>(١)</sup> وهذا يُدلُّ على أن النبي ﷺ فهم من هذا أنه يُلِي على المسلمين بحُكم النبوة وشرف القرآن، وأن قومه يخلفونه من بعده في الولاية لشرف القرآن الذي أنزل على رجلٍ منهم. ومذهب مجاهد أن القوم هاهنا: العرب، والقرآن شَرَفَ لهم إذ أنزل بلغتهم. قال ابن قتيبة: إنما وُضِعَ الذِّكْرُ موضعَ الشَّرَفِ، لأن الشَّرِيفَ يُذَكَّر. وفي قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: عن شكر ما أعطيتكم من ذلك. والثاني: عما لزمكم فيه من الحقوق.

﴿وَتَكَلَّمَ مِّنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلٍ أَعْجَلَنَا مِنْ دُونِ الْأَمْرِ﴾ ١٥ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَحْضَكُونَ ١٧ وَمَا يُرِيدُهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَأَعْلَمَنَّ بِرَحْمَتِ رَبِّهِمْ ١٨ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَكَاهِنُونَ ١٩ فَلَمَّا كَفَتْهُمْ عَنْهُ الْعَذَابُ إِذَا هُمْ يَنْكُشُونَ ٢٠ وَكَذَلِكَ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْفَعِي الْإِنْسَ لِي مَلِكُ مِصْرَ وَعِزُّهُ الْأَنْهَارُ خَيْرٌ مِنِّي حَتَّىٰ أَفْلَا يَتُوبُونَ ٢١ أَوْ آتَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٢٢ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقَرَّرِينَ ٢٣ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ٢٤ فَلَمَّا أَسْقَمُوا اتَّخَفْنَا مَهْمَهُمْ فَافْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ٢٥ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَكَلَّمَ مِّنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلٍ﴾ إن قيل: كيف يسأل الرُّسل وقد ماتوا قبله؛ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه لما أسري به جُمع له الأنبياء فصلَّى بهم، ثم قال [له] جبريل: سَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ... الآية<sup>(٢)</sup>. فقال: لا أسأل، قد اكتَفَيْتُ، رواه عطاء عن ابن عباس، وهذا قول سعيد بن جبيرة، والزهري، وابن زيد؛ قالوا: جُمع له الرُّسل ليلة أسري به، فلقيهم، وأمر أن يسألهم، فما شك ولا سأل. والثاني: أن المراد [أسأل] مؤمني أهل الكتاب [من] الذين أرسلت إليهم الأنبياء، روي عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي في آخرين. قال ابن الأنباري: والمعنى: سَلْ أَتْبَاعَ مَنْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ، كما تقول: السخاء حاتم، أي: سخاء حاتم، والشعر زهير، أي: شعر زهير. وعند المفسرين أنه لم يسأل على القولين. وقال الزجاج: هذا سؤال تقرير، فإذا سأل جميع الأمم، لم يأتوا بأن في كتبهم: أن اعبدوا غيري. والثالث: [أن] المراد بخطاب النبي ﷺ: خطابُ أمته، فيكون المعنى: سَلُّوا، قاله الزجاج<sup>(٣)</sup>. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَحْضَكُونَ﴾ استهزاء بها وتكذيباً. ﴿وَمَا يُرِيدُهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ يعني ما ترادف عليهم من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والظنفس، فكانت كُلُّ آيَةٍ أَكْبَرُ مِنَ الَّتِي قَبْلُهَا، وهي العذاب المذكور في قوله: ﴿وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾، فكانت عذاباً لهم، ومعجزات لموسى ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾ في خطابهم له بهذا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أرادوا: يا أيها العالم، وكان

(١) ذكره البغوي من رواية الضحاك عن ابن عباس بدون سند، وكذلك ذكره البغوي عن ابن عباس بدون سند. قال السيوطي في «الدر» ١٨/٦: أخرج ابن عدي، وابن مردويه عن علي وابن عباس قالا: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل بمكة، ويهديهم الظهور، فإذا قالوا: لمن الملك بعدك؟ أمسك فلم يجبه بشيء، لأنه لم يؤمر في ذلك بشيء، حتى نزلت: ﴿وَلَقَدْ لَذَكَّرْنَا لَكَ﴾ ١٥ فكان بعد ذلك إذا سئل، قال: «لقريش» فلا يجيبه، حتى قبلته الانتصار على ذلك. وروى البخاري في «صحيحه» عن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا الأمر في قريش لا يهديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما ألقوا الذين». قال ابن كثير: ومعناه: أنه شرف لهم من حيث أنه أنزل بلغتهم، فهم أنهم الناس له، فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به وأعلمهم بمقتضاه، قال: وهكذا كان خيارهم وصفتهم من المخلص من المهاجرين السابقين الأولين ومن شابههم وتأبيه. اهـ.

(٢) وهذا تفسير للآية، ولفظها: ﴿وَتَكَلَّمَ مِّنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلٍ﴾. (٣) رجح القول الثاني ابن جرير الطبري في «تفسيره».

الساحر فيهم عظيماً، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم قالوه على جهة الاستهزاء، قاله الحسن. والثالث: أنهم خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمُهَيِّدُونَ﴾ أي: مؤمنون بك. فدعا موسى، فكشف عنهم، فلم يؤمنوا. وقد ذكرنا ما تركناه هاهنا في [الأعراف: ١٣٥].

قوله تعالى: ﴿يَجْرِي مِنْ تَحْتِهِ﴾ أي: من تحت قصوري<sup>(١)</sup> ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ عظمتي وشدة ملكي؟ ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾ قال أبو عبيدة: أراد: بل أنا خير. وحكى الزجاج عن سيبويه والخليل أنهما قالوا: عطف «أنا» بـ «أَمْ» على «أَفَلَا تُبْصِرُونَ» [فكانه قال: أفلا تبصرون] أم أنتم بصراء؟ لأنهم إذا قالوا: أنت خير منه، فقد صاروا عنده بصراء. قال الزجاج: والمهين: القليل؛ يقال: شيء مهين، أي: قليل. وقال مقاتل: «مهين» بمعنى ذليل ضعيف<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ أشار إلى عقدة لسانه التي كانت به ثم أذهبها الله عنه، فكانه عيّر بشيء قد كان وزال، ويدل على زواله قوله تعالى: ﴿قَدْ أُوتِيَ سُؤْلُكَ يَقُولُ﴾ [طه: ٣٦]، وكان في سؤاله: ﴿رَأْسُكَ عُقْدَةٌ مِنْ لِسَانِي﴾ [طه: ٢٧]. وقال بعض العلماء: ولا يكاد يبين الحجة ولا يأتي ببيان يفهم<sup>(٣)</sup>. ﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلا «أَلْقَى عَلَيْهِ آسَافُورَةً مِنْ ذَهَبٍ» وقرأ حفص عن عاصم: «آسُورَةً» بغير ألف. قال الفراء: واحد الآسورة: إسوار، وقد تكون الآسورة جمع آسورة، كما يقال في جمع الأسقية: الأساق، وفي جمع الأكرع: الأكارع، وقال الزجاج: يصلح أن تكون الآسورة جمع الجمع تقول: آسورة وآسورة، كما تقول: أقوال وأقاول، ويجوز أن تكون جمع إسوار، وإنما صرفت آسورة، لأنك ضمنت الهاء إلى آساور، فصار اسماً واحداً، وصار له مثال في الواحد، نحو «علانية». قال المفسرون: إنما قال فرعون هذا، لأنهم كانوا إذا سؤدوا الرجل منهم سؤروه يسوار. ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الذَّلِيلُ﴾ مَقْرَبٌ في قولان: أحدهما: متابعين، قاله قتادة. والثاني: يمشون معه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ﴾ قال الفراء: استفرّهم؛ وقال غيره: استحَفَّ أحلامهم وحملهم على خفة الجلم بكينه وغروره ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾ في تكذيب موسى. ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ قال ابن عباس: أغضبونا. قال ابن قتيبة: الأسف: الغضب، يقال: أيسفت أسفاً، أي: غضبت<sup>(٤)</sup>. ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سُلَافًا﴾ أي: قوماً تقدموا. وقرأها أبو هريرة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وحמיד الأعرج: «سُلَافًا» بضم السين وفتح اللام، كان واحده سُلْفَةً من الناس، مثل القطعة، يقال: تقدمت سُلْفَةٌ من الناس، أي: قطعة منهم. وقرأ حمزة، والكسائي: «سُلَافًا» بضم السين واللام، وهو جمع «سَلَف»، كما قالوا: حَسْبٌ وحُسْبٌ، وقَمَرٌ وقُمَرٌ، ويقال: هو جمع «سَلِيف»، وكلُّه من التقدّم. وقال الزجاج: «السَلِيف» جمع قد مضى؛ والمعنى: جعلناهم سُلَافاً متقدمين ليحفظ بهم الآخرون.

قوله تعالى: ﴿وَوَكَدَّا﴾ أي: عيرة [وعطة].

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ ﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَوْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُوَ

(١) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن فرعون وتمردته وعنته وكفره وعناده أنه جمع قومه فنادى فيهم متبجحاً مفتخراً بملك مصر وتصرفه فيها ﴿الَّذِينَ لِيْ مَلِكٌ وَهُمْ يَبْتَغُونَ﴾ وكذا ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ تَبَتَّ﴾.

(٢) قال ابن كثير: يعني فرعون - لعنه الله - بملك أنه خير من موسى عليه الصلاة والسلام، قال: وقد كذب في قوله هذا كذباً يتناً واضحاً، فعليه لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة، قال: ويعني بقوله: «مهين» كما قال سفيان: حقير، وقال قتادة والسدي: يعني ضعيف، قال: وقال ابن جرير: يعني لا ملك له ولا سلطان ولا مال. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ افتراء أيضاً (يعني من فرعون لعنه الله) فإنه وإن كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة، فقد سأل الله ﷻ أن يحلَّ عقدة من لسانه ليفقهوا قوله، قال: وقد استجاب الله تبارك وتعالى له ذلك في قوله: ﴿قَدْ أُوتِيَ سُؤْلُكَ يَقُولُ﴾ قال: ويتقدير أن يكون قد بقي شيء لم يسأل إزالته كما قاله الحسن البصري، وإنما سأل زوال ما يحصل معه الإيلاج والإفهام، قال: فالأشياء الخلقية التي ليست من فعل العبد لا يعاب بها ولا يذمُّ عليها، قال: وفرعون وإن كان يفهم وله عقل، فهو يدرى هذا، وإنما أراد الترويج على رعيته، فإنهم كانوا جهلة أغبياء. اهـ.

(٤) قال ابن جرير الطبري: قال ابن زيد في قوله: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ قال: أغضبونا ﴿انْتَفَعْنَا مِنْهُنَّ﴾ يقول: انتقمنا منهم بما جل العذاب الذي عجلناه لهم، فأغرقتهم جنيهاً في البحر. اهـ.

قَوْمٌ حَاصِرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَذَابُنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكَ مَلَكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُمْ لَوَلَّيُوا لِسَانَكَ فَلَا تَنفَعُ بِهَا وَالْيَهُودُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَمُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُرْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَالْطَّيِّبِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاتَّخَذَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوِيلًا لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ آلِيَسَ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا صُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ أكثر المفسرين على أن هذه الآية نزلت في مجادلة ابن الزبيري رسول الله ﷺ حين نزل قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية [الأنبياء: ٩٨] وقد شرحنا القصة في سورة [الأنبياء: ١٠١] <sup>(١)</sup>. والمشركون هم الذين ضربوا عيسى مثلاً لآلهتهم وشبهوه بها، لأن تلك الآية إنما تضمنت ذكر الأصنام، لأنها عُدَّتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فالزموه عيسى، وضربوه مثلاً لأصنامهم، لأنه معبود النصارى. والمراد بقومه المشركون. فأما ﴿يَعْبُدُونَ﴾ فقرأ ابن عامر، ونافع، والكسائي: بضم الصاد، وكسرهما الباقون؛ قال الزجاج: ومعناها جميعاً: يَضُجُّون، ويجوز أن يكون معنى المضمومة: يُغْرِضُونَ. وقال أبو عبيدة: من كسر الصاد، فمجازها: يَضُجُّون، ومن ضمها، فمجازها: يَغْدِلُونَ.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَلَيْسَ خَيْرَ آثَرٍ هُوَ﴾ المعنى: ليست خيراً منه، فإن كان في النار لأنه عُدِّدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فقد رضي أن تكون آلهتنا بمنزلته. ﴿مَا صَرَّوْهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ أي: ما ذكروا عيسى إلا ليجادلوك به، لأنهم قد علموا أن المراد بـ «حَصْبِ جَهَنَّمَ» ما اتخذوه من الموات <sup>(٢)</sup> ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَبِيرُونَ﴾ أي: أصحاب خصومات <sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا﴾ أي: آية وعبرة ﴿لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ يعرفون به قدرة الله على ما يريد، إذ خلقه من غير أب. ثم خاطب كفار مكة، فقال: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكَ مَلَكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ لَجَعَلْنَا بدلاً منكم ﴿مَلَكَةً﴾؛ ثم في معنى «يَخْلُفُونَ» ثلاثة أقوال: أحدها: يخلف بعضهم بعضاً، قاله ابن عباس. والثاني: يخلفونكم ليكونوا بدلاً منكم، قاله مجاهد. والثالث: يخلفون الرُّسُلَ فيكونون رسلاً إليكم بدلاً منهم، حكاه الماوردي. والقول الثاني: أن المعنى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكَ مَلَكَةً﴾ أي: قَلَبْنَا الْخَلْقَةَ فَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ مَلَكَةً يَخْلُفُونَ مَنْ ذَهَبَ مِنْكُمْ، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَوَلَّيُوا لِسَانَكَ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: [أنها] تُرْجِعُ إِلَى عِيسَى ﷺ. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: نزول عيسى من أشراط الساعة يُعَلِّمُ به قُرْبَهَا، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي. والثاني: أن إحياء عيسى الموتى دليل على الساعة وبعث الموتى، قاله ابن إسحاق. والقول الثاني: أنها تُرْجِعُ إِلَى الْقُرْآنِ، قاله الحسن، وسعيد بن جبيرة. وقرأ الجمهور: «لَعَلَّمْ» بكسر العين وتسكين اللام؛ وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، وقتادة، وحמיד، وابن محيصن: بفتحهما <sup>(٤)</sup>. قال ابن قتيبة: من قرأ بكسر العين، فالمعنى أنه يُعَلِّمُ به قُرْبُ السَّاعَةِ، ومن فتح العين واللام، فإنه بمعنى العلامة والدليل <sup>(٥)</sup>.

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ١٧٥، ٢١٤، وذكره البغوي بدون سند قال: قال ابن عباس وأكثَرُ المفسرين: إن الآية نزلت في مجادلة عبد الله بن الزبيري مع النبي ﷺ في شأن عيسى ﷺ لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، وكذلك ذكره الخازن بدون سند، وقد ذكر المفسرون ذلك في سورة [الأنبياء: ١٠١]، وانظر ٩٤٥ من كتابنا هذا.

(٢) عبارة البغوي والخازن: وقد علموا أن المراد من قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ هؤلاء الأصنام.

(٣) روى الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن جرير الطبري عن أبي أمامة ﷺ بسند صحيح قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿مَا صَرَّوْهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَبِيرُونَ.

(٤) في الأصل: بفتحها، والتصويب من كتب التفسير.

(٥) قال ابن كثير: تقدم تفسير ابن إسحاق أن المراد من ذلك ما بعث به عيسى عليه الصلاة والسلام من إحياء الموتى وإبراء الأكهم والأبرص وغير ذلك من الأسقام، قال: وفي هذا نظر، قال: وأبعد منه ما حكاه قتادة عن الحسن البصري وسعيد بن جبيرة أن الضمير في «وإنه» عائد على القرآن، قال: بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام، فإن السياق في ذكره، قال: ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَيَنْزِلُ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ قَدْ مَثَلُوا أَيُّ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿وَيَوْمَ الْأَوْتَى يَكُونُ عَلَيْهِمْ حُكْيُبًا﴾ قال: ويؤيد هذا المعنى القراءة =



قوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَزَكَّىٰ﴾ أي: فلا تشكَّنْ فيها ﴿وَالَّذِينَ﴾ على التوحيد ﴿هَذَا﴾ الذي أنا عليه ﴿يَرْبُطُ تَسْتَقِيمَ﴾. ﴿وَلَكِنَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ قد شرحنا هذا في [البقرة: ٨٧]. ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ وفيها قولان: أحدهما: النبوة، قاله عطاء، والسدي. والثاني: الإنجيل، قاله مقاتل. ﴿وَلَا يَنْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَحْلِلُونَ يَوْمَ﴾ [أي: من أمر دينكم؛ وقال مجاهد: ﴿بَعْضَ الَّذِي تَحْلِلُونَ يَوْمَ﴾ من تبديل التوراة؛ وقال ابن جرير: من أحكام التوراة. وقد ذهب قوم إلى أن البعض هاهنا بمعنى الكل. وقد شرحنا ذلك في [لحم المؤمن: ٢٨]؛ قال الزجاج: والصحيح أن البعض لا يكون في معنى الكل، وإنما بين لهم عيسى بعض الذي اختلفوا فيه مما احتاجوا إليه؛ وقد قال ابن جرير: كان بينهم اختلاف في أمر دينهم ودنياهم، فبين لهم أمر دينهم فقط. وما بعد هذا قد سبق بيانه [النساء: ١٧٥، مريم: ٢٧] إلى قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ يعني كفار مكة.

﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿يَمِيدُ لَا حَوْلَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ وَلَا أَنتَ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿أَنحَلُّوا الْجَنَّةَ أَنتَ وَأَزْوَاجُكَ تُحَرَّرُونَ﴾ ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِيفَاتٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابُ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتَ فِيهَا خَالِدٌ﴾ ﴿وَلِلَّهِ الْغَنَّةُ الَّتِي أَوْفَرْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ﴾ أي: في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: في القيامة ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ لأن الخلَّة إذا كانت في الكفر والمعصية صارت عداوة يوم القيامة؛ وقال مقاتل: نزلت في أمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ يعني الموحدين<sup>(١)</sup>. فإذا وقع الخوف يوم القيامة نادى مناد ﴿يَمِيدُ لَا حَوْلَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ وَلَا أَنتَ تَحْزَنُونَ﴾، فيرفع الخلائق رؤوسهم، فيقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾، فينكس الكفار رؤوسهم<sup>(٢)</sup>. قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «يا عبادي» بآيات الباء في الحاليين وإسكانها، وحذفها في الحاليين ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وحفص، والمفضل عن عاصم، وخلف. وفي أزواجه قولان: أحدهما: زوجاتهم. والثاني: قرناؤهم. وقد سبق معنى ﴿تُحَرَّرُونَ﴾ [الروم: ١٥].

قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِيفَاتٍ﴾ قال الزجاج: واحدا صَحْفَةً، وهي القُضْعَةُ. والأكواب، واحدها: كُوبٌ، وهو إناء مستدير لا غُرَّةَ له؛ قال الفراء: الكُوبُ [الكوز]<sup>(٣)</sup> المستدير الرأس الذي لا أذن له، وقال عدي: مُتَّكِئاً تَضَفُّقُ أَبْوَابُهُ يَسْتَعِي عَلَيْهِ الْعَبْدُ بِالْكُوبِ<sup>(٤)</sup>

وقال ابن قتيبة: الأكواب: الأباريق التي لا غُرَى لها. وقال شيخنا أبو منصور اللغوي: وإنما كانت بغير غُرَى ليَشْرَبَ الشارب من أين شاء، لأن العُرَّة تَرُدُّ الشارب من بعض الجهات.

قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ﴾ وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «تشتهيه» بزيادة هاء. وحذف الهاء كإثباتها في المعنى.

قوله تعالى: ﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ يقال: لَذِذْتُ الشيء، واستلذذته، والمعنى: ما من شيء اشتتهه نفس أو استلذته

= الأخرى ﴿وَلَهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ أي: أمانة ودليل على وقوع الساعة، قال: قال مجاهد: ﴿وَلَهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ أي: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم ﷺ قبل يوم القيامة، قال: هكذا روي عن أبي هريرة، وابن عباس، وأبي العالية، وأبي مالك، وعكرمة، والحسن، وقاعدة، والضحاك، وغيرهم، قال: وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى ابن مريم ﷺ قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقيماً. اهـ.

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ أي: كل صداقة وصحابة لغير الله، فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة، إلا ما كان لله، فإنه دائم بدمائه، قال: وهذا كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿إِنَّا أَتَقَدَّرُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلَانَا أَزْوَاجٌ مَزْوَاجٌ﴾ في الحَيَّةِ الذُّبَابُ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي النَّارِ وَمَا تَنْتَظِرُونَ. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿يَمِيدُ لَا حَوْلَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ وَلَا أَنتَ تَحْزَنُونَ﴾ وفي هذا الكلام محذوف استغني بدلالة ما ذكر عليه، قال: ومعنى الكلام: الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، فإنهم يقال لهم: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم من عقابي، فإني قد أمنتكم منه برضاي عنكم، ولا أتم تحزنون على فراق الدنيا، فإن الذي قدمت عليه خير لكم مما فارقتموه منها. اهـ.

(٣) زيادة من «اللسان».

(٤) البيت لعدي بن زيد، وهو في «مجاز القرآن» ٢٠٦/٢، و«القرطبي» ١١٤/١٦، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: كُوبٌ.

عين إلا وهو في الجنة، وقد جمع الله تعالى جميع نعيم الجنة في هذين الوصفين، فإنه ما من نعمة إلا وهي نصيب النفس أو العين، وتمام النعيم الخلود، لأنه لو انقطع لم تطب. ﴿وَلَا يَكُنَّ﴾ يعني التي ذكرها في قوله: ﴿أَتَحُلُّوا الْجَنَّةَ﴾ ﴿الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾ قد شرحنا هذا في [الأعراف: ٤٣] عند قوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾.

﴿إِنَّ الْمُنَجَّرِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ لا يُقَرَّرُ عَنْهُمْ رَهْمٌ فِيهِ سَلْسُونٌ ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُمْ﴾ ولكن كانوا هم الظالمين ﴿وَكَاذِبًا يَكْتُمُونَ﴾ لِقَوْلِ رَبِّكَ قَالَ إِنَّكَ تُكْذِبُكَ ﴿لَقَدْ جِئْتَنَا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَذِبُونَ﴾ أم أَرَمُوا أَمْراً فَنَأْتِيَا مَبْرُومُونَ ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلزَّحْنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْمَكِيدِينَ﴾ شُبْحَنَ رَبِّيَ أَلَسْمَاكَتِ وَالْأَرْضِ رَبِّيَ أَلَسْمَاكَتِ ﴿فَذَرَهُمْ يَبْغُضُوا وَيَلْبِغُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْمَعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَجَّرِينَ﴾ يعني الكافرين، ﴿لَا يُقَرَّرُ﴾ أي: لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ رَهْمٌ فِيهِ، يعني في العذاب ﴿سَلْسُونٌ﴾ قال ابن قتيبة: آيسون من رحمة الله. وقد شرحنا هذا في [الأنعام: ٤٤] ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُمْ﴾ أي: ما عذبناهم على غير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم بما جَنَوْا عليها. قال الزجاج: والبصريون يقولون: «هم» هاهنا فصل، كذلك يسمونها، ويسمونها الكوفيون: العباد.

قوله تعالى: ﴿وَكَاذِبًا يَكْتُمُونَ﴾ وقرأ علي بن أبي طالب عليه السلام، وابن مسعود، وابن عمر: [يا مال] بغير كاف مع كسر اللام. قال الزجاج: وهذا يسميه النحويون: [الترخيم]، ولكني أكرهها لمخالفة المصحف. قال المفسرون: يَدْعُونَ مَالِكًا خَاوَنَ النَّارِ فيقولون: ﴿لَيْتَنِي عَلَيَّا رَبُّكَ﴾ [أي: لِيُثْنِيًا<sup>(١)</sup>] والمعنى: أنهم توسلوا به ليسأل الله تعالى لهم الموت فيستريحوا من العذاب؛ فيسكت عن جوابهم ثلثة، فيها أربعة أقوال: أحدها: أربعون عاماً، قاله عبد الله بن عمرو، ومقاتل. والثاني: ثلاثون سنة، قاله أنس. والثالث: ألف سنة، قاله ابن عباس. والرابع: مائة سنة، قاله كعب. وفي سكوته عن جوابهم هذه المدة قولان: أحدهما: أنه سكت حتى أوحى الله إليه أن أجبه، قاله مقاتل. والثاني: لأن بُعد ما بين النداء والجواب أخزى لهم وأذل. قال الماوردي: فَرَّدَ عَلَيْهِم مَالِكٌ فقال: ﴿إِنَّكَ تُكْذِبُكَ﴾ أي: مقيمون في العذاب. ﴿لَقَدْ جِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْتَّوْحِيدِ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد: كُلُّكُمْ ﴿كَذِبُونَ﴾ لما جاء به محمد ﷺ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَمْ أَرَمُوا أَمْراً﴾ في «أَمْ» قولان: أحدهما: أنها للاستفهام. والثاني: بمعنى «بل». والإبرام: الإحكام. وفي هذا الأمر ثلاثة أقوال: أحدها: المَكْرُ برسول الله ﷺ ليقثلوه أو يُخْرِجوه حين اجتمعوا في دار الندوة؛ وقد سبق بيان القصة [الأنفال: ٣٠]، قاله الأكثرون. والثاني: أنه إحكام أمرهم في تكذيبهم، قاله قتادة. والثالث: أنه: إبرام أمرهم يُنجيهم من العذاب، قاله الفراء. ﴿إِنَّا مَبْرُومُونَ﴾ أي: مُخْبِرُونَ أَمْراً في مجازاتهم. ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ هو ما يسرونه من غيرهم ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ ما يتاجون به بينهم ﴿بَلَى﴾ والمعنى: إِنَّا نَسْمَعُ ذَلِكَ ﴿وَرُسُلُنَا﴾ يعني [من] الحَفَظَةِ ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾. ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلزَّحْنِ وَلَدٌ﴾ في «إِنْ» قولان: أحدهما: أنها بمعنى الشرط؛ والمعنى: إن كان له ولد في قولكم وعلى زعمكم<sup>(٣)</sup>، فعلى هذا في قوله: ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْمَكِيدِينَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: فانا أول الجاحدين، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وفي رواية أخرى عن ابن عباس: أن أعرابيين اختصما إليه، فقال أحدهما: إن هذا كانت لي في يده أرض، فبديتها، فقال ابن عباس: الله أكبر، فانا أول العابدين الجاحدين أن الله ولدأ. والثاني: فانا أول من عَدَّ الله مخالفاً لقولكم، هذا قول مجاهد. وقال الزجاج: معناه: إن كنتم تزعمون للرحمن ولدأ، فانا أول الموحدين.

(١) في الأصل: يمينتا، والتصويب من كتب الضمير.

(٢) قال ابن كثير: ﴿لَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِقَى كَذِبُونَ﴾ أي: ولكن كانت سجاياكم لا تقبله، ولا تُقْبَلُ عليه، وإنما تنقاد للباطل وتعظمه وتصد عن الحق وتبأه، ويتغص أمه، فغروهوا على أنفسكم بالملامة واندموا حيث لا تنفكم الندامة. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنْ كَانَ لِلزَّحْنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْمَكِيدِينَ﴾ أي: لو فرض هذا لعبدته على ذلك لأنني عبد من عبيده مطيع لجميع ما يأمرني به، ليس عندي استكبار ولا إياة عن عبادته، فلو فرض هذا لكان هذا، ولكن هذا ممنوع في حق تعالى، قال: والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضاً، كما قال ﷺ ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَن يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ وَلَا يَخْتَارُ﴾ وَلَا لِمَنْ شَاءَ مَا يَشَاءُ مِنْهُ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١﴾. اهـ.

والثالث: فأننا أول الأنفين لله مما قُلتم، قاله ابن السائب، وأبو عبيدة. قال ابن قتيبة: يقال: عَيْدْتُ من كذا، أَعْبَدْتُ عَبْدًا، فأننا عَيْدٌ وَعَابِدٌ، قال الفرزدق:

[أولئك قَوْمٌ إِنْ هَجَوْنِي هَجَوْتُهُمْ]

أي: آتَفْتُ. وأنشد أبو عبيدة:

وَأَغْبَدُ أَنْ أُسَبِّهُمُ بِقَوْمِي وَأَوْثَرُ دَارِمًا وَيَنْزِي رَزَاحَ

والرابع: أن معنى الآية: كما أَنِّي لَسْتُ أول عابِدٍ لله، فكذلك ليس له ولد؛ وهذا كما تقول: إِنْ كُنْتُ كَاتِبًا فأننا حاسبٌ، أي: لَسْتُ كَاتِبًا وَلَا أَنَا حَاسِبٌ؛ حكى هذا القول الواحدي عن سفيان بن عيينة. والقول الثاني: أَنَّ «إِنْ» بمعنى «مَا»، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد؛ فيكون المعنى: مَا كَانَ لِلرَّحْمَنِ [ولد]، فأننا أولٌ من عَبَدَ الله على يقين أَنَّهُ لَا وَلَدَ لَهُ. وقال أبو عبيدة: الفاء على [هذا القول] بمعنى الواو<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿نَذَرْنَهُمْ﴾ يعني كفار مكة ﴿يَحْزَنُونَ﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَنُونَ﴾ في دنياهم ﴿حَتَّى يُلَاقُوا﴾ قرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن محيصن، وأبو جعفر: ﴿حَتَّى يَلْقُوا﴾ بفتح الياء والقاف وسكون اللام من غير ألف. والمراد: يلاقوا [يوم] القيامة وهذه الآية [عند الجمهور] منسوخة بآية السيف.

﴿وَمَنْ أَلَّيْ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَمَنْ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٢٨) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثْلٌ مِمَّنْ تَتَعَبَّى وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٩﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَسْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ يَقُولُ اللَّهُ فَاَنْ يَخْلُقُونَ ﴿٣١﴾ وَيَقِيلُ يَرْبِّ إِنَّا هَذَا قَوْمٌ لَا يَدْعُونَ ﴿٣٢﴾ فَاصْبِرْ لَهُمْ رِجْلًا مِمَّنْ سَفَوَتْ يَلْعَنُونَ ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَلَّيْ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ قال مجاهد، وقتادة: يُعْبَدُ فِي السَّمَاءِ وَيُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ. وقال الزجاج: هو الموحد في السماء وفي الأرض. وقرأ عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وابن عباس، وابن السميع، وابن يعمر<sup>(٣)</sup>، والجحدري: «في السماء الله وفي الأرض الله» بألف ولام من غير تنوين ولا همز فيهما. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الأعراف: ٥٤، لقمان: ٢٤]<sup>(٤)</sup> إلى قوله: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ﴾ سبب نزولها أن النضر بن الحارث ونفراً معه قالوا: إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقًّا، فنحن نتولى الملائكة، فهم أحق بالشفاعة من محمد؛ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل<sup>(٥)</sup>. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: أَنَّهُ أَرَادَ بِالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ: أَكْثَهُمْ، ثُمَّ اسْتَنَى عِيسَى وَعَزِيرَ وَالْمَلَائِكَةَ، فَقَالَ: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ وهو أَن يَشْهَدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿وَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم، وهذا مذهب الأكثرين، منهم قتادة. والثاني: أَن الْمُرَادَ بِالَّذِينَ يَدْعُونَ: عِيسَى وَعَزِيرَ وَالْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ عِبَدَهُمُ الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ لَا يَمْلِكُ هَؤُلَاءِ الشَّفَاعَةَ لِأَحَدٍ ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ﴾ أي: [إِلَّا] لِمَنْ شَهِدَ ﴿بِالْحَقِّ﴾ وهي كلمة الإخلاص ﴿وَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ أَنَّ اللَّهَ ﷻ خَلَقَ عِيسَى وَعَزِيرَ وَالْمَلَائِكَةَ، وهذا مذهب قوم، منهم مجاهد. وفي الآية دليل على أَن شرط جميع الشهادات أَن يكون الشاهد عالمًا بما يَشْهَدُ بِهِ.

قوله تعالى: ﴿وَيَقِيلُ يَرْبِّ إِنَّا هَذَا قَوْمٌ لَا يَدْعُونَ﴾ قال قتادة: هذا نبئكم يشكو قومه إلى ربِّه. وقال ابن عباس: شكاً إلى الله تخلف

(١) البيت في مجاز القرآن ٢/٢٠١، وفريب القرآن ٤٠١، والبحر المحيط ٢٨/٨، والقرطبي ١٦/١٢٠، «المصاح» و«اللسان» و«التاج»: عبد.

(٢) قال ابن جبري الطبري: أولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معنى «إِنْ» الشرط الذي يقتضي الجزاء.

(٣) في النسخة الاستبوابية: «وأبو الجوزاء» بدل «وإبن يعمر».

(٤) قال ابن كثير: وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَلَّيْ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ أي: هو إله من في السماء، وإله من في الأرض، يعبداه أهلها وكلهم خاضعون له أذلاء بين يديه، وهو الحكيم المليم، قال: وهذه الآية كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَلَّيْ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَمَنْ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٢٨) أي: هو المدعو الله في السموات والأرض، ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثْلٌ مِمَّنْ تَتَعَبَّى وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: هو خالقهما ومالكهما والمتصرف فيهما بلا مدافعة ولا معانعة، فسبحانه وتعالى عن الولد، وتبارك، أي: استقر له السلامة من العيوب والنقائص، لأنه الرب العلي العظيم المالك للأشياء الذي بيده أَرْزَةُ الْأُمُورِ نَقْضًا وَإِبْرَامًا، ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: لا يجليها لوقتها إلا هو ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: فيجازي كُلًّا بعمله، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ. اهـ.

(٥) ذكر سبب النزول هذا الخازن في «تفسيره» بدون سند، ولم يعزه لأحد، بل قال: قيل: سبب نزولها أن النضر بن الحارث ونفراً معه قالوا: ... إلخ.

قومه عن الإيمان. قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو عمرو: «وَقِيلَ» بتصب اللام؛ وفيها ثلاثة أوجه: أحدها: أنه أضمر معها قولاً، كأنه قال: وقال قِيلَ، وشكا شكواه إلى ربِّه. والثاني: أنه عطف على قوله: «أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ يَرْفَعُهُمْ وَقِيلَ» فالمعنى: ونسمع قِيلَ، ذكر القولين الفراء، والأخفش. والثالث: أنه منصوب على معنى: وعنده عِلْمُ الساعة وَيَعْلَمُ قِيلَ، لأن معنى «وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ»: يَعْلَمُ الساعة وَيَعْلَمُ قِيلَ، هذا اختيار الزجاج. وقرأ عاصم، وحزمة: «وَقِيلَ» بكسر اللام والهاء حتى تبلغ إلى الياء؛ والمعنى: وعنده عِلْمُ الساعة وَعِلْمُ قِيلَ. وقرأ أبو هريرة، وأبو رزين، وسعيد بن جبير، وأبو رجاء، والجحدري، وقتادة، وحמיד: برفع اللام؛ والمعنى: ونداؤه هذه الكلمة: يا رب؛ ذكر عِلَّةُ الخفض والرفع الفراء والزجاج.

قوله تعالى: «فَاصْبِرْ لَهُمْ» أي: فأعرض عنهم «وَقُلْ سَلَامٌ» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: قُلْ خيراً بدلاً من شرهم، قاله السدي. والثاني: ازْدُدْ [عليهم] معروفاً، قاله مقاتل. والثالث: قُلْ ما تَسَلَّم به من شرهم، حكاه الماوردي. «فَسَوْفَ يَكْفُرُونَ» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يَعْلَمُونَ عاقبة كفرهم. والثاني: أنك صادق. والثالث: حلول العذاب بهم، وهذا تهديد لهم: «فَسَوْفَ يَكْفُرُونَ»<sup>(١)</sup>. وقرأ نافع، وابن عامر: «تَعْلَمُونَ» بالتاء. ومن قرأ بالياء، فعلى الأمر للنبي ﷺ بأن يخاطبهم بهذا، قاله مقاتل؛ فنسخت آيةُ السيف الإعراض والسلام.



(١) قال ابن كثير: «فَسَوْفَ يَكْفُرُونَ» هذا تهديد من الله تعالى لهم. قال: ولهذا أحلَّ بهم بأسه الذي لا يرد، وأعلى دينه وكلمته، قال: وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً، وانتشر الإسلام في المشارق والمغارب، والله أعلم.

## سورة الدخان

وهي مكِّيَّة كلها باجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ۝ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ۝ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا يَنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝ إِنْ كُنْتُمْ تُوقِنُونَ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۝ رَبُّكُمْ وَأَبَاكُمْ ۝ الْأَوَّلِينَ ۝ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝﴾

قوله ﴿حَمْدٌ ۝ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ۝﴾ قد تقدم بيانه [المؤمن، والزخرف]، وجواب القسم ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾، والهاء كناية عن الكتاب، وهو القرآن ﴿فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ وفيها قولان: أحدهما: أنها ليلة القدر، وهو قول الأكثرين. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: أنزل القرآن من عند الرحمن ليلة القدر جملة واحدة، فوضع في السماء الدنيا، ثم أنزل نجوماً. وقال مقاتل: نزل القرآن كله في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا. والثاني: أنها ليلة النصف من شعبان، قاله عكرمة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ أي: مخوفين عقابنا<sup>(٢)</sup>. ﴿فِيهَا﴾ أي: في تلك الليلة ﴿يُفْرَقُ كُلُّ﴾ أي: يُفَصَّلُ<sup>(٣)</sup>. وقرأ أبو المتوكل، وأبو نهيك، ومعاذ القاري: ﴿يُفْرَقُ﴾ بفتح الياء وكسر الراء «كُلٌّ» ينصب اللام ﴿أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي: مُحْكَمٍ. قال ابن عباس: يُكْتَبُ من أُمِّ الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال، حتى الحاج، وإنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى. وعلى ما روي عن عكرمة أن ذلك في ليلة النصف من شعبان، والرواية عنه بذلك مضطربة قد خولف الراوي لها، فروي عن عكرمة أنه قال: في ليلة القدر، وعلى هذا المفسرون<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَمْرًا يَنْ عِنْدِنَا﴾ قال الأخفش: «أمرًا» و«رحمة» منصوبان على الحال، المعنى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ آمْرِينَ أمرًا وراحمين رحمة. قال الزجاج: ويجوز أن يكون منصوباً بـ ﴿يُفْرَقُ﴾ بمنزلة يُفْرَقُ قَرْقًا، لأن «أمرًا» بمعنى «قَرْقًا». قال الفراء: ويجوز أن تُنْصَبَ الرحمة بوقوع «مرسيلين» عليها، فتكون الرحمة هي النبي ﷺ. وقال مقاتل: «مرسيلين» بمعنى منزّلين هذا القرآن، أنزلناه رحمةً لِمَنْ آمَنَ به. وقال غيره: ﴿أَمْرًا يَنْ عِنْدِنَا﴾ أي: إِنَّا نَأْمُرُ بِنَسْخِ مَا يُنْسَخُ من

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: عنى بها ليلة القدر. وقال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن القرآن العظيم أنه أنزله في ليلة مباركة، وهي ليلة القدر، كما قال ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝﴾ وكان ذلك في شهر رمضان، كما قال تبارك وتعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ۝ أَتَتْهُ أُسْرُهُ ۝ فِيهِ أُنْزِلَتْ آيَاتُهُ ۝ وَفِيهِ أُنْزِلَتْ آيَاتُهُ ۝﴾، ثم قال: ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان - كما روي عن عكرمة - فقد أبعد النجمة، فإن نص القرآن أنها في رمضان.

(٢) قال ابن كثير: وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ أي: معلّمين الناس ما يشعرونهم شرعاً لتقوم حجة الله على عباده.

(٣) قال ابن كثير: وقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝﴾ أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون إلى آخرها، قال: وهكذا روي عن ابن عمر، ومجاهد، وأبي مالك، والضحك، وغير واحد من السلف. اهـ. وكذلك ذكر غيره من المفسرين أن الضمير في قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝﴾ يعود على الليلة المباركة التي نزل فيها القرآن، وهي ليلة القدر، وهو الحق الذي لا معدل عنه، ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان، فحجته في ذلك بعض الآثار الضعيفة التي لا تقوم بها حجة، ومن ذلك تعلم خطأ الدعاء الذي يقرؤه بعض الناس في ليلة النصف من شعبان: «... إلهي بالتجلي الأعظم في ليلة النصف من شهر شعبان المكرّم التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويرسم...» فإن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، هي ليلة القدر المقصودة في هذه السورة، وليست ليلة النصف من شعبان.

(٤) قال ابن كثير: والحديث الذي رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري: أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس قال: إن رسول الله ﷺ قال: «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل لينكح ويولد له وقد أخرج اسمه في الموتى» قال: فهو حديث مرسل، ومثله لا يعارض به النصوص. اهـ.

اللوح<sup>(١)</sup> ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ الأنبياء، ﴿رَحْمَةً﴾ متا بَخْلَقْنَا ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «رب» بالرفع. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «رب» بكسر الباء. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿يَلْمُهُمْ﴾ يعني الكفار ﴿فِي سُلُوكِهِمْ﴾ مما جئناهم به ﴿يَلْمُوكَ﴾ يهزؤون به.

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ يَفْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ أَنَّ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّوْا بَحْثُونُ﴾ ﴿إِنَّا كَايِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ يَوْمَ تَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْذِرُونَ ﴿١٠﴾

﴿فَارْتَقِبْ﴾ أي: فانتظر ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ اختلفوا في هذا الدخان وقته على ثلاثة أقوال: أحدها: [أنه] دخان يجيء قبل قيام الساعة، فروى عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الدخان يجيء فيأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام»<sup>(٢)</sup>. وروى عبد الله بن أبي مليكة قال: غدوت على ابن عباس ذات يوم، فقال: ما نمك الليلة حتى أصبحت. قلت: لم؟ قال: طلع الكوكب ذو الذئب، فخشيت أن يطرق الدخان<sup>(٣)</sup>، وهذا المعنى مروى عن علي، وابن عمر، وأبي هريرة، والجسن. والثاني: أن قريشاً أصابهم جوع، فكانوا يرون بينهم وبين السماء دخاناً من الجوع؛ فروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث مسروق، قال: كنا عند عبد الله، فدخل علينا رجل، فقال: جئتكم من المسجد وتركتم رجلاً يقول في هذه [الآية] ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾: يغشاهم يوم القيامة دخان يأخذ بأنفاسهم حتى يصيبهم منه كهيئة الزكام؛ فقال عبد الله: من علم علماً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، إنما كان [هذا] لأن قريشاً لما استعصت على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد، حتى أكلوا العظام والميتة، وجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فقالوا: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَايِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾، فكشف عنهم، ثم عادوا إلى الكفر، فأخذوا يوم بدر، فذلك قوله: ﴿يَوْمَ تَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ﴾<sup>(٤)</sup>، وإلى نحو هذا ذهب مجاهد، وأبو العالية، والضحاك، وابن السائب، ومقاتل. والثالث: أنه يوم فتح مكة لما حُجبت السماء بالغبرة، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿هَذَا عَذَابٌ﴾ أي: يقولون: هذا عذاب. ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ﴾ فيه قولان: أحدهما: الجوع. والثاني: الدخان ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ بمحمد ﷺ والقرآن. أي: من أين لهم التذکر والانتعاض بعد نزول هذا

(١) عبارة الطبرسي في «مجمع البيان» والشوكاني في «فتح القدير»: «إنما نأمر ببيان ذلك ونسخه من اللوح المحفوظ».

(٢) ذكر الطبري نحوه عن عبد الله بن مسعود موقوفاً عليه من رواية أبي الضحى عن مسروق قال: كنا عند عبد الله بن مسعود جالوساً وهو مضطجع بيننا، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن إن قاصاً عند أبواب كندة يقص ويزعج أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام... إلخ.

(٣) «الطبري» ١١٣/٢٥، قال ابن كثير: وهكذا روى ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن عمر عن سفيان عن عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس... فذكره، قال: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس... حبر الأمة وترجمان القرآن، قال: وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين... أجمعين، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والنحasan وغيرهما التي أوردوها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ أي: بين واضح يراه كل أحد، قال: وعلى ما فسر به ابن مسعود... (أي في الحديث الذي بعد هذا من رواية البخاري ومسلم عن مسروق) إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد. اهـ.

قال الشوكاني في «فتح القدير»: قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح (يريد بذلك سند رواية ابن أبي حاتم)، وكذا صححه السيوطي، ولكن ليس فيه أنه سبب نزول الآية، قال: وقد عرفنا أنه لا منافاة بين كون هذه الآية نازلة في الدخان الذي كان يترأى لقريش من الجوع، وبين كون الدخان من آيات الساعة وعلاماتها وأشراطها، فقد وردت أحاديث صحاح وحسان وضعاف بذلك، وليس فيها أنه سبب نزول الآية، فلا حاجة بنا إلى التطويل بذكرها، والواجب التمسك بما ثبت في «الصحيحين» وغيرهما أن دخان قريش عند الجهد والجوع هو سبب النزول، قال: وبهذا تعرف اندفاع ترجيح من رجح أنه الدخان الذي هو من أشراط الساعة، كإبن كثير في «تفسيره» وغيره، قال: وهكذا يندفع قول من قال: إنه الدخان الكائن يوم فتح مكة، متمسكاً بما أخرجه ابن سعد عن أبي هريرة قال: كان يوم فتح مكة دخان، وهو قول الله: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾، قال: فإن هذا لا يعارض ما في «الصحيحين» على تقدير صحة إسناده، مع احتمال أن يكون أبو هريرة... ظن من وقوع ذلك الدخان يوم الفتح أنه المراد بالآية، قال: ولهذا لم يصح بأنه سبب نزولها. اهـ.

(٤) ذكره البخاري باللفاظ مختلفة: ٣٩٤/٨، ٤٢٠، ٤٤٠، ورواه مسلم أيضاً، وذكره السيوطي في «الدرر» ٢٨/٦، وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وأحمد، وعبد بن حميد، وأبي نعيم والبيهقي معاً في «الدلائل».

البلاء، ﴿و﴾ حالهم أنه ﴿قد جاءهم رسول مبين﴾ أي: ظاهر الصدق؟! ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ أي: أعرضوا ولم يقبلوا قوله ﴿وَقَالُوا لَمَكًا مَّحْنُونٌ﴾ أي: هو معلّم يعلمه بشر مجنون بادعائه النبوة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ أي: زماناً يسيراً. وفي العذاب قولان: أحدهما: الضر الذي نزل بهم كُشف بالخصب، هذا على قول ابن مسعود قال مقاتل: كشفه إلى يوم بدر. والثاني: أنه الدخان؛ قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلِيمٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: إلى الشرك، قاله ابن مسعود. والثاني: إلى عذاب الله؛ قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبُطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ وقرأ الحسن، وابن يعمر، وأبو عمران: «يَوْمَ نُبْطِشُ» بفتح وفتح الطاء «الْبَطْشَةُ» بالرفع. قال الزجاج: المعنى: واذكر يومَ نَبْطِش، ولا يجوز أن يكون منصوباً بقوله: «منتقمون»، لأن ما بعد «إِنَّا» لا يجوز أن يعمل فيما قبلها. وفي هذا اليوم قولان: أحدهما: يوم بدر، قاله ابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو هريرة، وأبو العالية، ومجاهد، والضحاك. والثاني: يوم القيامة، قاله ابن عباس، والحسن. والبطلش: الأخذ بقوة.

﴿وَلَقَدْ مَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ عَبْدِ اللَّهِ إِنْ لَكُمُ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٨﴾ وَأَنْ لَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِنْ أَرَادَ أَنْ يُبْعَثَ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكَ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿١٠﴾ قَدْ عَلِمْنَا أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿١١﴾ فَآتَيْنَا مُوسَى الْيَدَ الْيُمْنَىٰ ﴿١٢﴾ وَآتَيْنَا الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿١٣﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا﴾ أي: ابتلينا ﴿قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبل قومك ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بإرسال موسى إليهم ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ وهو موسى بن عمران. وفي معنى «كريم» ثلاثة أقوال: أحدها: حسن الخلق، قاله مقاتل. والثاني: كريم على ربه، قاله الفراء. والثالث: شريف وسيط النسب، قاله أبو سليمان.

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَذُوا﴾ أي: بأن أذوا ﴿إِلَىٰ عَبْدِ اللَّهِ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أذوا إلي ما أَدْعُوكُم إليه من الحق باتباعي، روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس. فعلى هذا ينتصب «عبد الله» بالنداء. قال الزجاج: ويكون المعنى: أن أذوا إلي ما أَمْرُكُمْ به يا عبد الله. والثاني: أرسلوا معي بني إسرائيل، قاله مجاهد، وقاتدة، والمعنى: أطلقوهم من تسخيركم، وسلموهم إلي. ﴿وَأَنْ لَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا تقفروا عليه، قاله ابن عباس. والثاني: لا تعتوا عليه<sup>(١)</sup>، قاله قتادة. والثالث: لا تعظموا عليه، قاله ابن جريج ﴿إِنِّي مَلَكٌ مُّبِينٌ﴾ أي: بحجة تدل على صدقي. فلما قال هذا تواعدوه بالقتل فقال: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكَ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿١٠﴾﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه رجم القول، قاله ابن عباس؛ فيكون المعنى: أن يقولوا: شاعر أو مجنون. والثاني: القتل، قاله السدي. ﴿وَإِنْ لَّرَّجُومًا لِّي قَاتِلُونَ ﴿١١﴾﴾ أي: فأتركوني لا معي ولا علي، فكفروا ولم يؤمنوا، ﴿قَدْ عَلِمْنَا أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ من فتح «أَنْ»، فالمعنى: بأن هؤلاء؛ ومن كسر، فالمعنى: قال: إن هؤلاء، وإن بعد القول مكسورة. وقال المفسرون: المجرمون هاهنا: المشركون. فأجاب الله دعاءه، وقال: ﴿فَأَنزَلْنَا يُدْخِلُ لَكُمْ الْيَمَّ﴾ يعني بالمؤمنين ﴿إِنَّكُمْ مُّشْبُوعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وقومه؛ فأعلمهم أنهم يتبعونهم، وأنه سيكون سبباً لغرقهم. ﴿وَأَنزَلْنَا الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ أي: ساكناً على حاله بعد أن انفرد لك، ولا تأمره أن يرجع كما كان حتى يدخله فرعون وجنوده. والرهُو: مشي في سكون. قال قتادة: لما قطع موسى البحر، عطف يضرب البحر بعصاه ليلتهم، وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده، فليل [له]: ﴿وَأَنزَلْنَا الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ أي كما هو - طريقاً يابساً<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾ أخبره الله بغيرتهم ليظلمن قلبه في ترك البحر على حاله. ﴿كَذَلِكَ﴾ أي:

(١) كذا الأصل: «لا تترا» بتامين، والذي في الطبري عن قتادة: «لا تبغوا».

(٢) قال ابن كثير: وقوله ﴿وَأَنزَلْنَا الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ يعني جند مُّغْرَقُونَ ﴿١١﴾ ذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاوز هو وبني إسرائيل البحر أراد موسى أن يضربه بعصاه حتى يعود كما كان ليصير حلاًلاً بينهم وبين فرعون فلا يصل إليهم، فأمره الله تعالى أن يتركه على حاله ساكناً، ويشره بأنهم جند مغرقون فيه؛ وأنه لا يخاف دحراً ولا يخشى. اهـ.

بعد غرقهم ﴿مِنْ جَنَّتِي﴾ وقد فسرنا الآية في [الشعراء: ٥٧]. فأما «النعمة» فهو العيش اللين الرغد. وما بعد هذا قد سبق بيانه [يس: ٥٥] إلى قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ يعني بني إسرائيل. ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ﴾ أي: على آل فرعون؛ وفي معناه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه على الحقيقة؛ روى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فَمَا مِنْ مُسْلِمٍ إِلَّا وَلَهُ فِي السَّمَاءِ بَابَانِ، بَابٌ يَصْعَدُ فِيهِ عَمَلُهُ، وَبَابٌ يَنْزِلُ مِنْهُ رِزْقُهُ، فَإِذَا مَاتَ بَكِيََا عَلَيْهِ» وتلا ﷺ هذه الآية <sup>(١)</sup>. وقال علي عليه السلام: إن المؤمن إذا مات بكى عليه مُصَلِّاهُ مِنَ الْأَرْضِ وَمُصْعِدُ عَمَلِهِ مِنَ السَّمَاءِ <sup>(٢)</sup>، وإن آل فرعون لم يكن لهم في الأرض مُصَلِّيٌ وَلَا فِي السَّمَاءِ مُصْعِدُ عَمَلٍ، فقال الله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾، وإلى نحو هذا ذهب ابن عباس، والضحاك، ومقاتل. وقال ابن عباس: الحُمرَةُ التي في السماء: بكاؤُها. وقال مجاهد: ما مات مؤمن إلا بكى عليه السماء والأرض أربعين صباحاً، فقليل له: أو تبكي؟ قال: وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالكروك والسجود؟ وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسيحه وتكبيره فيها دَوِيَّ كَدَوِيَّ النَّحْلِ <sup>(٣)</sup>! والثاني: أن المراد: أهل السماء وأهل الأرض، قاله الحسن، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَصْنَعَ لَكُمُ الْأَنْزَالَ﴾ [محمد: ٤]، أي: أهل الحرب. والثالث: أن العرب تقول إذا أرادت تعظيم مهلك عظيم: أَظْلَمَتِ الشَّمْسُ لَهُ، وَكَسَفَتِ الْقَمَرَ لِفَقْدِهِ، وَيَكْنَى الرِّيحَ وَالْبَرْقَ وَالسَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، يَرِيدُونَ الْمَبَالِغَةَ فِي وَصْفِ الْمَصِيبَةِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِكَذِبٍ مِنْهُمْ، لِأَنَّهُمْ جَمِيعاً مُتَوَاطِئُونَ عَلَيْهِ، وَالسَّامِعُ لَهُ يَعْرِفُ مَذْهَبَ الْقَائِلِ فِيهِ؛ وَيُثَبِّتُهُمْ فِي قَوْلِهِمْ: أَظْلَمَتِ الشَّمْسُ: كَادَتْ تُظْلِمُ، وَكَسَفَتِ الْقَمَرَ: كَادَ يُكَسِفُ، وَمَعْنَى «كَادَ»: هَمٌّ أَنْ يَفْعَلَ وَلَمْ يَفْعَلْ؛ قَالَ ابْنُ مَقْرُوفٍ يَرِثِي رَجُلًا:

الرَّيْحُ تَبْكِي شَجْوَهُ وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ فِي غَمَامَةٍ  
وقال الآخر:

الشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ - تُجُومُ اللَّيْلُ وَالْقَمَرُ <sup>(٥)</sup>

أراد: الشمس طالعة تبكي عليه، وليست مع طلوعها كاسفة النجوم والقمر، لأنها مُظْلِمَةٌ، وَإِنَّمَا تُكْشِفُ بَضُوئَهَا، فَتُجُومُ اللَّيْلُ بَادِيَةً بِالنَّهَارِ، فَيَكُونُ مَعْنَى الْكَلَامِ: إِنَّ اللَّهَ لَمَّا أَهْلَكَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ لَمْ يَبْكِ عَلَيْهِمْ بِالْكَافِ، وَلَمْ يَجْزَعْ جَاذِعٌ، وَلَمْ يَوْجِدْ لَهُمْ قُدَّةً، هَذَا كُلُّهُ كَلَامُ ابْنِ قَتِيبة.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَا بِكَ بِإِسْرَافٍ مِنَ الْمَذَابِ الْغُلِيِّينَ﴾ <sup>(١٥)</sup> مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الشَّرِيفِينَ <sup>(١٦)</sup> وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْكَلْبِيِّينَ <sup>(١٧)</sup> وَهَاتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ لِقَوْمٍ يُدْعُونَ <sup>(١٨)</sup> إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأَوَّلُ وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَرِينَ <sup>(١٩)</sup> فَأَتَوْا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ <sup>(٢٠)</sup> أَهْمَ حَيْثُ أَمْ قَوْمٌ تُبْعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ <sup>(٢١)</sup> وَمَا عَلَّمْنَا السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِيَجِيبَ <sup>(٢٢)</sup> مَا عَلَّمْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَصْغَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ <sup>(٢٣)</sup> إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامِ يَقِشُّهُمُ أَجْمَعِينَ <sup>(٢٤)</sup> يَوْمَ لَا يَنْفَعِي مَوْتَ عَنْ مَوْتٍ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ <sup>(٢٥)</sup> إِلَّا مَنْ رَجِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ <sup>(٢٦)</sup>

قوله تعالى: ﴿مِنْ الْمَذَابِ الْغُلِيِّينَ﴾ يعني قتل الأبناء واستخدام النساء والتعب في أعمال فرعون، ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا﴾ أي: جباراً. ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ﴾ عليمه الله فيهم على عالمي زمانهم، ﴿وَهَاتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾ كأنفراق البحر، وظليل الغمام، وإنزال المن والسُّلَى، إلى غير ذلك ﴿مَا فِيهِ بَلَاءٌ لِقَوْمٍ يُدْعُونَ﴾ أي: نعمة ظاهرة. ثم رجع إلى ذم كفر مكة، فقال: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأَوَّلُ﴾ يعني التي تكون في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَرِينَ﴾

(١) رواه الترمذي في «استه» ١٥٨/٢ من حديث موسى بن عبيدة عن يزيد بن أبان الرُّقَاشِي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وموسى بن عبيدة، ويزيد بن أبان الرُّقَاشِي يَضَعَانِ فِي الْحَدِيثِ. والحديث ذكره السيوطي في «الدر» ٣٠/٦، وزاد نسبه لابن أبي الدنيا في «ذكر الموت»، وأبي يعلى، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الحلية»، والخطيب عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» ٣١/٦ من رواية ابن المبارك، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر من طريق السَّيِّبِ بْنِ رَافِعٍ عَنْ عَلِي رضي الله عنه.

(٣) أورده السيوطي في «الدر» ٣٠/٦ من رواية عبد بن حميد، وأبي الشيخ في «العظمة» عن مجاهد بنحوه.

(٤) البيت ليزيد بن مَقْرُوفٍ الْجُمَيْرِيِّ، وهو في «مشكل القرآن» ١٢٨، و«الإعانة» للأبياري ٤٢٤، و«الأغاني» ١٨/١٨٧.

(٥) البيت لجبرير يريثي عمر بن عبد العزيز، «ديوانه» ٣٠٤، و«مشكل القرآن» ١٢٨، و«الصالحات»، و«اللسان»، و«التاج»: بكى. ورواية البيت في «الديوان»:

فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ  
تَبْكِي عَلَيْكَ تُجُومُ اللَّيْلُ وَالْقَمَرُ



أي: بمبعوثين، ﴿فَأَتُوا بِآلِهَاتِهِمْ﴾ أي: ابغضوهم لنا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في البعث. وهذا جهل منهم من وجهين: أحدهما: أنهم قد رأوا من الآيات ما يكفي في الدلالة؛ فليس لهم أن ينتظروا. والثاني: أن الإعادة للجزاء؛ وذلك في الآخرة، لا في الدنيا. ثم خوفهم عذاب الأمم قبلهم، فقال: ﴿أَفَمَنْ خُذَ﴾ أي: أشد وأقوى ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾؟! أي: ليسوا خيراً منهم. روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أدري تبعاً، نبي، أو غير نبي»<sup>(١)</sup>. وقالت عائشة: لا تسبوا تبعاً فإنه كان رجلاً صالحاً، ألا ترى أن الله تعالى دَمَّ قومه ولم يذمه<sup>(٢)</sup>. وقال وهب: أسلم تبع ولم يسلم قومه، فلذلك ذكر قومه ولم يذكر. وذكر بعض المفسرين أنه كان بعد النار، فأسلم ودعا قومه - وهم جُمَيْر - إلى الإسلام، فكذبوه. فامتا تسميته بـ «تبع» فقال أبو عبيدة: كل ملك من ملوك اليمن كان يسمى: تبعاً، لأنه يتبع صاحبه، فموضع «تبع» في الجاهلية موضع الخليفة في الإسلام، وقال مقاتل: إنما سمي تبعاً لكثرة أتباعه، واسمه: مَلَكِيَكْرِب<sup>(٣)</sup>. إنما ذكر قوم تبع، لأنهم كانوا أقرب في الهلاك إلى كفار مكة من غيرهم. وما بعد هذا قد تقدم [الأنبياء: ١٦، الحجر: ٨٥] إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامِ﴾ وهو يوم يُفْصِلُ الله ﷻ بين العباد ﴿بِيعْتُهُمْ﴾ أي: ميعادهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ يأتيه الأولون والآخرون. ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً﴾ فيه قولان: أحدهما: لا ينفع قريب قريباً، قاله مقاتل. وقال ابن قتيبة: لا يغني ولي عن وليه بالقرابة أو غيرها. والثاني: لا ينفع ابن عم ابن عمه، قاله أبو عبيدة. ﴿وَلَا هُمْ يُصْرَتُونَ﴾ أي، لا يمنعون من عذاب الله، ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ وهم المؤمنون، فإنه يشفع بعضهم في بعض.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُورِ﴾ طَعَامُ الْأَيُّمِ ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ كَغَلِي الْحَبِيرِ ﴿خَذُوهُ فَأَعْيَتُوهُ﴾ خَذُوهُ فَأَعْيَتُوهُ لَكَ سَوَاءُ الْحَبِيرِ ﴿ثُمَّ صُبُّوا رَأْسَهُ مِنْ عَذَابِ الْحَبِيرِ﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكْفَرُونَ﴾ إِنَّ النَّفْثِينَ فِي مَقَادِيرِ آيِينَ ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ نِكَحَةٍ غَيْرَ مُبْتَغِيٍّ ﴿لَا يُدْرِكُ فِيهَا الْمَوْتُ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ وَوَعَدْنَاهُمْ عَذَابَ الْحَبِيرِ ﴿فَلَمَّا كُنَ رَبُّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ فَإِنَّمَا يَنْتَرِكُ لَعَلَّكُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُورِ﴾ قد ذكرناها في [المنافات: ٦٢]. و«الأيام»: الفاجر؛ وقال مقاتل: هو أبو جهل. وقد ذكرنا معنى «المهل» في [الكهف: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «يغلي» بالياء؛ والباقون: بالتاء. فمن قرأ [تغلي] بالتاء، فلتأنيث الشجرة؛ ومن قرأ بالياء، حملة على الطعام. قال أبو علي الفارسي: ولا يجوز أن يُحْمَلَ الْغَلْيُ عَلَى الْمُهْلِ. لأن المهل ذكر للتشبيه في الذؤب، وإنما يغلي ما شُبَّه به ﴿كَغَلِي الْحَبِيرِ﴾ وهو الماء الحار إذا اشتدَّ غَلْيَانُهُ.

قوله تعالى: ﴿خَذُوهُ﴾ أي: يقال للزبانية: خذوه ﴿فَاعْيَتُوهُ﴾ وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، ويعقوب: بضم التاء؛ وكسرهما الباقيون؛ قال ابن قتيبة: ومعناه: قُودوه بالعُنْف، يقال: جيء بفلان يُعْتَلُّ إلى السلطان، و﴿سَوَاءُ الْحَبِيرِ﴾: وسط النار. قال مقاتل: الآيات في أبي جهل يضربه الملك من خزان جهنم على رأسه بمقعدة من حديد فتشعب عن دماغه، فيجري دماغه على جسده، ثم يصبُّ الملك في الثقب ماءً حميماً قد انتهى حره، فيقع في بطنه، ثم يقول [له] الملك: ﴿ذُقْ﴾ العذاب ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ هذا توبيخ له بذلك؛ وكان أبو جهل يقول: أنا أعزُّ قريش وأكرمها. وقرأ الكسائي: ﴿ذُقْ أَنْتَ﴾ بفتح الهمزة؛ والباقيون: بكسرها. قال أبو علي: من كسرهما، فالمعنى: أنت

(١) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: ١٤٨: رواه الثعلبي من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة، قال: والمعروف بهذا الإسناد: «ما أدري العيني هو، أم لا؟ وما أدري أعزير نبي، أم لا؟» أخرجه أبو داود، والحاكم، لكن قال: «فوق القرنين» بدل «عزير» قال: قال الدارقطني: تفرد به عبد الرزاق، وغيره أرسله. اهـ.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» ٤٥٠/٢ عن عائشة رضي الله عنها، ووافقه الذهبي. قال ابن كثير: وكأنه - والله أعلم - كان كافراً ثم أسلم وتابع دين الكليم على يدي من كان من أخبار اليهود في ذلك الزمان على الحق قبل بعثة المسيح ﷺ، وحج البيت في زمن الجرهميين وكساء الملاء والوصلات من الحرير والحبر ونحوه سنة آلاف بدنة، وعظمه وأكرمه ثم عاد إلى اليمن. اهـ.

(٣) الذي في «القرطبي»: وقال الكلي: تبع: هو أبو كرب أسعد بن ملكيكرِب.

العزیز فی زعمک، ومن فتح، فالمعنى: بأنك. فإن قيل: كيف سُمي بالعزیز وليس به؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها: أنه قيل ذلك استهزاء به، قاله سعيد بن جبیر، ومقاتل. والثاني: أنت العزیز [الكريم] عند نفسك، قاله قتادة. والثالث: أنت العزیز في قومك، الكريم على أهلک، حکاه الماوردي. ويقول الخزّان لأهل النار: ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَفْتَوُونَ﴾ (٥٨) أي: تشكون في كونه. ثم ذكر مستقرّ المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ النَّفَّاثِينَ فِي مَقَابِرِ آيِينَ﴾ (٥٩) قرأ نافع، وابن عامر: «في مقام» بضم الميم، والباقون: بفتحها. قال الفراء: المقام، بفتح الميم: المكان، وبضمها: الإقامة.

قوله تعالى: ﴿آيِينَ﴾ أي: آمينوا فيه الغيّر والحوادث. وقد ذكرنا «الجَنَاتِ» في [البقرة: ٣٥] و«ذُكْرَنَا» معنى «التيون» ومعنى «مقابلين» في [الحجر: ٤٥، ٤٧] وذكرنا «السُّدُسَ والإِسْتِيقَ» في [الكهف: ٣١].

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر كما وصفنا «وَوَجَّعْنَاهُمْ بِحُورِ عِينٍ» قال المفسرون: المعنى: قرّناهم بهنّ، وليس من عقد التزويج. قال أبو عبيدة: المعنى: جعلنا ذكور أهل الجنة أزواجاً «بِحُورِ عِينٍ» من النساء، تقول للرجل: زوّج هذه النعل الفرد بالنعل الفرد، أي: اجعلهما زوجاً، والمعنى: جعلناهم اثنين اثنين. وقال يونس: العرب لا تقول: تزوّج بها، إنما يقولون: تزوّجها. ومعنى «وَوَجَّعْنَاهُمْ بِحُورِ عِينٍ»: قرّناهم. وقال ابن قتيبة: يقال: زوّجته امرأة، وزوّجته بامرأة. وقال أبو علي الفارسي: والتزويج على ما قال يونس، وهو قوله تعالى: ﴿وَوَجَّعْنَاهُمْ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وما قال: زوّجناك بها. فأما الحور، فقال مجاهد: الحور: النساء النقيات البياض. وقال الفراء: الحوراء: البيضاء من الإبل؛ قال: وفي «الحور العين» لغتان: حور عين، وجير عين، وأنشد:

أزمانَ عينا سرور المسير وحوراء عينا من الجين الجير

وقال أبو عبيدة: الحوراء: الشديدة بياض العين، الشديدة سواد سوادها. وقد بيّنا معنى «العين» في [الصفات: ٤٨].

قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فُكْهَةٍ آمِينَ﴾ (٦٠) فيه قولان: أحدهما: آمين من انقطاعها في بعض الأزمنة. والثاني: آمين من الشحم والأسقام والآفات.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا النَّفْثَةَ الْأُولَى﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى «سوى»، فتقدير الكلام: لا يذوقون في الجنة الموت سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا؛ ومثله: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِمَّنْ دَعَبُوا آلَهُمْ فَمَا كَانَ بَيْنَ آلِهِمْ وَآلِهِمْ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]، وقوله: ﴿حُلِيِّكُمْ فِيهَا مَا كَانَتْ أَمْوَالُكُمْ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا مَنَّا رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] أي: سوى ما شاء لهم ربك من الزيادة على مقدار الدنيا، هذا قول الفراء، والزجاج. والثاني: أن السعداء حين يموتون يصيرون إلى الروح والريحان وأسباب من الجنة يزورون منازلهم منها، وإذ ماتوا في الدنيا، فكانهم ماتوا في الجنة، لاتصالهم بأسبابها، ومشاهدتهم إياها، قاله ابن قتيبة. والثالث: أن «إلا» بمعنى «بند»، كما ذكرنا في أحد الوجوه في قوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]، وهذا قول ابن جرير (١).

قوله تعالى: ﴿فَضَلَّ يَنْ رَبِّكَ﴾ أي: فعل الله ذلك بهم فضلاً منه (٢). ﴿فَأَنَّا يَسْتَرْفِتُهُ﴾ أي: سهلناه، والكناية عن القرآن «يَسْلُكُ» أي: بلغه العرب «لَمَلَهُمْ يَنْتَكِرُونَ» أي: لكي يتعظروا فيؤمنوا، «فَأَنَّا يَسْتَرْفِتُهُ» أي: انتظر بهم العذاب «إِنَّهُمْ مُرْتَضِينَ» هلاكك (٣)، وهذه عند أكثر المفسرين منسوخة بآية السيف، وليس بصحيح.



(١) قال ابن كثير: وقوله «لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَ الْأُولَى» هذا استثناء يؤكد النفي، فإنه استثناء منقطع، ومعناه: أنهم لا يذوقون فيها الموت أبداً، كما ثبت في «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى بالموت في صورة كيش أملح فيوقف بين الجنة والنار، ثم يلحق ثم يقال: يا أهل الجنة خلوه فلا موت، ويا أهل النار خلوه فلا موت».

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله «وَوَجَّعْنَاهُمْ عَذَابَ الْكَبِيرِ فَضَلَّ يَنْ رَبِّكَ» يقول تعالى ذكره: ووقى هؤلاء المتقين ربهم يومئذ عذاب النار، تفضلاً يا محمد من ربك عليهم، وإحسانه من إليهم بذلك، ولم يعاقبهم بجرم سلف منهم في الدنيا، قال: ولولا تفضله عليهم بصفحة لهم من العقوبة لهم على ما سلف منهم من ذلك، لم يهزم عذاب الجحيم، ولكن كان ينالهم ويصيبهم ألمه ومكرهه. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: ثم لما كان مع هذا الوضوح والبيان من الناس من كفر وخالف وعاند، قال الله تعالى لرسوله ﷺ مُسْتَلِياً له وواعداً له بالنصر ومتوعداً لمن كذب بالمعطي والهالك «فَأَنَّا يَسْتَرْفِتُهُ» أي: انتظر «إِنَّهُمْ مُرْتَضِينَ» أي: فيعملون لمن تكون النصر والظفر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة، فإنها لك وإلّا غارتك من النبيين والمرسلين ومن أتبعك من المؤمنين. اهـ.



عاصم: «أليم» بالرفع على نعت العذاب. وقرأ الباقون: بالكسر على نعت الرجز. والرجز بمعنى العذاب، وقد شرحناه في [الأعراف: ١٣٤].

قوله تعالى: ﴿جَمِيعًا مِّثَّهُ﴾ أي: ذلك التسخير منه لا من غيره، فهو من فضله. وقرأ عبد الله بن عمرو، وابن عباس، وأبو مجلز، وابن السميع، وابن محيصن، والجحدري: «جميعاً مِثَّهُ» بفتح النون وتشديدها وتاء منصوبة منوثة. وقرأ سعيد بن جبير: «مِثَّهُ» بفتح الميم ورفع النون والهاء مشددة النون.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١) مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَن أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ تُرْجَعُونَ (٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ وَوَعَدْنَاهُمْ إِنَّا لَكَنَّا بَنِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٣) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٤) إِنَّهُمْ لَنَبَغْتُوْا عَلَيْكَ مِن اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّا لَنَظُنُّهُمْ بِمَعْصِيَتِهِمْ هَٰؤُلَاءِ وَكَانَ إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَرَبُّكُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٥) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا الشَّرَّ أَنَّكُمُ اللَّهُ كَالَّذِينَ ظَنُّوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ لَّهُمْ مَّا يَحْكُمُونَ (٦) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَلْقَوْنَ فِيهَا رِجْزَيْنِ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٧)

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا...﴾ [الآية] في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أنهم نزلوا في غزاة بني المصطلق على بئر يقال لها: المريسيع، فأرسل عبد الله بن أبي غلامه ليستقي الماء، فأبطأ عليه، فلما أتاه قال له: ما حبسك؟ قال: غلام عمر، ما ترك أحداً يستقي حتى ملا قُرب النبي ﷺ وقُرب أبي بكر، وملا لملواه، فقال عبد الله: ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل: سَمْنُ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ، فبلغ قوله عمر، فاشتمل سيفه يريد التوجه إليه، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: [أنها] لما نزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال يهودي بالمدينة يقال له فنحاص: احتاج ربُّ محمد، فلما سمع بذلك عمر، اشتمل [على] سيفه وخرج في طلبه، فنزل جبريل ﷺ بهذه الآية، فبعث النبي ﷺ في طلب عمر، فلما جاء، قال: «يا عمر، ضَعْ سَيْفَكَ» وتلا عليه الآية، رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثالث: أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل مكة كانوا في أذى شديد من المشركين قبل أن يؤمروا بالقتال، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، قاله القرطبي، والسدي<sup>(٣)</sup>. والرابع: أن رجلاً من كفار قريش شتم عمر بن الخطاب، فهمَّ عمر أن يبطش به، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل<sup>(٤)</sup>. ومعنى الآية: قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا: اغْفِرُوا، ولكن شبه بالشرط، والجزاء، كقوله: ﴿قُلْ لِّمَنَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يُبَشِّرُوا السَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: ٣١]، وقد مضى بيان هذا. وقوله: ﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ أي: لا يخافون وقائع الله في الأمم الخالية، لأنهم لا يؤمنون به، فلا يخافون عقابه. وقيل: لا يذرون أنعم الله عليهم، أم لا. وقد سبق بيان معنى «أيام الله» في سورة [إبراهيم: ٥].

## فصل

وجمهور المفسرين على أن هذه الآية منسوخة، لأنها تضمنت الأمر بالإعراض عن المشركين. واختلفوا في ناسخها على ثلاثة أقوال: أحدها: [أنه] قوله: ﴿فَأَقْضُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٥)</sup> [التوبة: ٥]، رواه معمر عن قتادة. والثاني: أنه قوله في [الأنفال: ٥٧]: ﴿إِنَّمَا تَنفِقُ فِي الْحَرْبِ﴾، وقوله في [براءة: ٣٦]: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾، رواه سعيد عن قتادة.

(١) ذكر سبب النزول هذا الألويسي بدون سند. قال: قيل: إن النبي ﷺ وأصحابه نزلوا في غزوة بني المصطلق... إلخ.

(٢) الراحدي في «أسباب النزول» ٢١٥.

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» عن القرطبي والسدي بدون سند، وقال: ثم نسخها آية القتال. وكذلك ذكره الخازن بدون سند، ولم يميز لأحد.

(٤) ذكره البغوي عن ابن عباس ومقاتل بدون سند، وكذلك ذكره الخازن بدون سند.

(٥) في الأصل: «أَقْضُوا الْمُشْرِكِينَ» بدون فاء.

والثالث: [أنه] قوله: ﴿أُوْدُنَ الَّذِينَ يَسْتَلُوكَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمُوا﴾ [الحج: ٢٩]، قاله أبو صالح.

قوله تعالى: ﴿يَجْزِي قَوْمًا﴾ وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي: «لِيَجْزِي» بالنون «قوماً» يعني الكفار، فكانه قال: لا تكافئوهم أنتم لنكافئهم نحن. وما بعد هذا قد سبق [الإسراء: ٧] إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة «وَالْزُكْرَ» وهو الفهم في الكتاب، ﴿وَوَعَدْنَاهُمْ مِنَ الْغَيْبِ﴾ يعني المَنَ والسَّلَوى «وَوَعَدْنَاهُمْ عَلَى الْمَلَكَيْنِ» أي: عالمي زمانهم. ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ يَنْتَهِ مِنَ الْأَمْرِ﴾ فيه قولان: أحدهما: بيان الحلال والحرام، قاله السدي. والثاني: العلم بمبعث النبي ﷺ وشواهد نبوته، ذكره الماوردي. وما بعد هذا قد تقدم بيانه [آل عمران: ١٩] إلى قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ سبب نزولها أن رؤساء قريش دعوا رسول الله ﷺ إلى ملة آبائه، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. فأما قوله: ﴿عَلَى شَرِيعَةٍ﴾ فقال ابن قتيبة: [أي] على ملة ومذهب، ومنه يقال: شَرَعَ فلان في كذا: إذا أخذ فيه، ومنه «مَشَارِعُ الماء» وهي الفُرُض التي شرع فيها الوارد<sup>(٢)</sup>. قال المفسرون: ثم جعلناك بعد موسى على طريقة من الأمر، أي: من الدين «فَاتَّبَعَهَا»<sup>(٣)</sup>. و﴿الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ﴾ كفار قريش. «إِنَّهُمْ كَانُوا يُفْتَنُوا بِكُمْ» أي: لن يذفَعوا عنك عذاب الله إن اتَّبَعْتَهُمْ، «وَأَنَّ الْفَالِغِينَ» يعني المشركين<sup>(٤)</sup>. «رَأَاهُ وَكَانَ الْتَوَيْتُ» الشرك. والآية التي بعدها [مفسرة] في آخر [الأعراف: ٢٠٣]. «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ» سبب نزولها أن كفار مكة قالوا للمؤمنين: إِنَّا نُعْطِي فِي الْآخِرَةِ مثلما تُعْطُونَ مِنَ الْأَجْرِ، قاله مقاتل<sup>(٥)</sup>. والاستفهام هاهنا استفهام إنكار. و«اجترحوا» بمعنى اكتسبوا. «سَوَاءٌ تَعْبَهُمْ وَمِمَّا تُعْمَلُ» قرأ حزمة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وزيد عن يعقوب: «سواء» نصباً؛ وقرأ الباقون: بالرفع. فمن رفع، فعلى الابتداء؛ ومن نصب، جعله مفعولاً ثانياً، على تقدير: أن نجعل محباهم ومماتهم سواء؛ والمعنى: إن هؤلاء يَحْيُونَ مؤمنين ويموتون مؤمنين، وهؤلاء يَحْيُونَ كافرين ويموتون كافرين؛ وشأن ما هم في الحال والمآل «سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» أي: بشئ ما يقضون<sup>(٦)</sup>. ثم ذكر بالآية التي تلي هذه أنه خلق السموات والأرض بالحق، أي: للحق والجزاء بالعدل، لئلا يظن الكافر أنه لا يُجْزَى بكفره.

﴿أَوَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَهُوَ أَسَلُّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَمَّ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عَشْرَةَ فَمَنْ يَدْيُو مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٧)</sup> وَقَالُوا مَا مِنْ إِلَّا حَيَاتُنَا الَّتِي نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُبْدِيكَ إِلَّا الْفُتُورُ وَمَا لَمْ يَذْكُرْ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُوَ إِلَّا يَكْذُوبٌ ﴿٨﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْنَا مَائِدَاتُ الْيَتِيمِ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوا بِعَائِلَتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩﴾ قُلِ اللَّهُ يُحِبُّكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَحْيِيكُمْ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِثُ السَّيْلُوتَ ﴿١١﴾ وَرَوَى كُلُّ مَثَرٍ جَانِبًا كُلِّ مَثَرٍ نَدْعُو إِلَى كَيْفِيَّتِهَا

(١) قال البغوي: وذلك أنهم كانوا يقولون له: ارجع إلى دين آبائك فإنهم كانوا أفضل منك، فقال الله جل ذكره: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُفْتَنُوا بِكُمْ» أي: فتنوا بكم، وكذلك قال الخازن. قال القرطبي: «وَلَا تُنْجِ أُمُورُهُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» قال ابن عباس: نزلت لما دعه قريش إلى دين آبائه. وقال الألوسي: «وَلَا تُنْجِ أُمُورُهُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» أي: آراء الجاهل التابعة للشهوات، قال: والمراد بهم ما يعم كل ضال، وقيل: هم جهال قريظة والتفسير، وقيل: رؤساء قريش كانوا يقولون له ﷺ: ارجع إلى دين آبائك.

(٢) قال في «اللسان»: شَرَعَ الوارد شَرَعًا وشُرُوعًا: تناول الماء بفيه.

(٣) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره لنبينا محمد ﷺ: «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ» يا محمد من بعد الذي آتينا بني إسرائيل الذين وصفنا لك صفته «عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ» على طريقة ومناهج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسالتنا «فَاتَّبَعَهَا» يقول: فاتتج تلك الشريعة التي جعلناها لك «وَلَا تُنْجِ أُمُورُهُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» يقول: ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون بالله الذين لا يعرفون الحق من الباطل فتعمل به فتهلك إن عملت به. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: «وَأَنَّ الْفَالِغِينَ يَسْتَهْمُونَ أَرْبَاقَهُمْ» أي: وما تفني عنهم ولا ينهم لبعضهم بعضاً، لأنهم لا يزيدونهم إلا خساراً ودماراً وهلاكاً. اهـ.

(٥) قال البغوي والخازن: نزلت في نفر من مشركي مكة قالوا للمؤمنين: لئن كان ما تقولون حقاً لفضلنا عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا. وقال الألوسي: والآية وإن كانت في الكفار على ما نقل عن «البحر»، وهو ظاهر ما روي عن الكلبي من أن عتبة وشيبة والوليد بن عتبة قالوا لعلي كرم الله تعالى وجهه، وحزمة، وحمزة، والمؤمنين: والله ما أنتم على شيء، ولئن كان ما تقولون حقاً لحالنا أفضل من حالكم في الآخرة كما هو أفضل في الدنيا، فنزلت الآية: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ» إلخ، قال: وهي متضمنة للرد عليهم على جميع أرجحها، كما يعرف بأدنى تلميح يستنبط منها تبين حال المؤمنين الماصي والمؤمن الطائع. اهـ.

(٦) قال ابن جرير الطبري: وقوله: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ» يقول تعالى ذكره: أم ظن الذين اجتروا السيئات من الأعمال في الدنيا وكذبوا رسول الله وخالفوا أمر ربهم وعبدوا غيره، أن نجعلهم في الآخرة كالذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا الصالحات فاطاعوا الله وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة؟ كلاً ما كان الله ليفعل ذلك، لقد ميز بين الفريقين، فجعل حزب الإيمان في الجنة، وحزب الكفر في السعير. اهـ.

الْيَوْمَ نُحْزِنُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يُنِيطُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ هُوَ الْغَفُورُ الْثَمِيمُ ﴿٢٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ عَلَيْهِمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ قَوْلًا يُحْزِنُ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نُحْزِنُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قد شرحناه في [الفرقان: ٤٣]. وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في الحارث بن قيس السهمي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَهُكَ عَلَىٰ طَيْرٍ﴾ أي: على علمه السابق فيه أنه لا يهتدي<sup>(٢)</sup> ﴿وَحَمَّ عَلَىٰ سَبِيلِهِ﴾ أي: طبع عليه فلم يسمع الهدى ﴿وَرَىٰ﴾ على ﴿قلبه﴾ فلم يَقُولِ الهدى. وقد ذكرنا الفشاة والختم في [البقرة: ٧]. ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ ١٩ أي: مَنْ يَهْدِيهِ إِذَا هُوَ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فَتَعَرَّفُوا قُدْرَتَهُ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ<sup>(٣)</sup>. وما بعد [هذا] مفسر في سورة [المؤمن: ٢٧] ٢٧ ﴿إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَرَىٰ بِحُكْمٍ إِلَّا الْأَقْرَبُ﴾ أي: اختلاف الليل والنهار ﴿وَمَا لَكُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ما قالوه عن علم، إنما قالوه شاكين فيه. ومن أجل هذا قال نبينا عليه الصلاة والسلام: ﴿لَا تَسُبُّوا الْفُقَرَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْفَقِيرُ﴾<sup>(٤)</sup>، أي: هو الذي يُهْلِكُكُمْ، لا ما توهمونه من مرور الزمان. وما بعد هذا ظاهر، وقد تقدم بيانه [البقرة: ٢٨، الشورى: ٧] إلى قوله: ﴿يَحْشُرُ الْجِبِلَّاتِ﴾ يعني المكذبين الكافرين أصحاب الأباطيل والمعنى: يظهر خسرائهم يومئذ. ﴿وَرَىٰ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ قال الفراء: ترى أهل كل دين ﴿جَانِبَهُ﴾ قال الزجاج: أي: جالسة على الركب، يقال: قد جثا فلان جُثُوًّا: إذا جلس على ركبته، ومثله: جذا يَجْذُو. والجذو أشد استيفازاً من الجُثُو، لأن الجذو: أن يجلس صاحبه على أطراف أصابعه. قال ابن قتيبة: والمعنى أنها غير مطمئنة.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ أُنثَىٰ تَدْعُو إِلَىٰ كَيْفِيَّهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كتابها الذي فيه حسناتها وسيئاتها، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه حسابها<sup>(٥)</sup>، قاله الشعبي، والفراء، وابن قتيبة. والثالث: كتابها الذي أنزل على رسوله، حكاه الماوردي. ويقال لهم: ﴿الْيَوْمَ نُحْزِنُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كتاب الأعمال الذي تكتبه الحفظة، قاله ابن السائب. والثاني: اللوح المحفوظ، قاله مقاتل: والثالث: القرآن، والمعنى أنهم يقرؤونه فيدلُّهم ويذكِّرهم، فكانه يُنِيطُ عليهم، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم، أي: بكتبتها وإثباتها. وأكثر المفسرين على أن هذا الاستنساخ، من اللوح المحفوظ، تَسْتَنْسِخُ الملائكة كُلَّ عام ما يكون من أعمال بني آدم، فيجدون ذلك موافقاً ما يعملونه. قالوا: والاستنساخ لا يكون إلا مِنْ أَصْلٍ. قال الفراء: يرفع الملكان العمل كله،

(١) ذكر سبب النزول هذا القرطبي بدون سند، قال: قال مقاتل: نزلت في الحارث بن قيس السهمي أحد المستهزئين، لأنه كان يعبد ما تنوء نفسه. اهـ. وقال الألويسي: والآية نزلت على ما روي عن مقاتل في الحارث بن قيس السهمي، كان لا يهوى شيئاً إلا ركبها، قال: وحكمها عام، قال: وفيها من دُمَّ اتباع هوى النفس ما فيها. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَهُكَ عَلَىٰ طَيْرٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وخذله من محجة الطريق وسبيل الرشاد في سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتدي ولو جاءته كل آية. اهـ.

(٣) قال ابن جرير: وقوله: ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ ١٩ يقول تعالى ذكره: فمن يوقه لإصابة الحق وإبصار محجة الرشاد بعد إضلال الله إياه ١٩ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أيها الناس فتعلموا أن من قبل الله به ما وصفنا، فلن يهتدي أبداً، ولن يجد لنفسه ولياً مرشداً ١٩. اهـ.

(٤) في الأصل: «المؤمن».

(٥) رواه بهذا اللفظ مسلم في «صحيحه» ١٧٦٣/٤ عن أبي هريرة ؓ. قال الامام النووي في «شرح مسلم»: أي لا تسبوا فاعل النوازل، فإنكم إذا سبتم فاعلها وقع السب على الله تعالى، لأنه هو فاعلها ومزتلها، قال: وأما الدهر الذي هو الزمان، فلا فعل له، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى، قال: ومعنى «فإن الله هو الدهر» أي: فاعل النوازل والحوائث وخالق الكائنات، والله أعلم. اهـ. وقال ابن كثير: قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله ﷺ: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»: كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة، قالوا: يا خيبة الدهر، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر، ويسبونه، قال: وإنما فاعلها هو الله تعالى، فكانهم إنما سبوا الله ﷻ لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلذلك نهي عن سب الدهر بهذا الاختيار، لأن الله تعالى هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال. قال ابن كثير: هذا أحسن ما قيل في تفسيره، وهو المراد، والله أعلم. اهـ. وللحديث ألفاظ أخرى، منها ما رواه أحمد في «المستند» والبخاري ومسلم في «صحيحهما» وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: يؤذني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، اقتلب ليلة ونهاره».

(٦) في الأصل: «حسناتها» والتصويب من «غريب القرآن».

فَبَيَّنْتُ اللَّهُ مِنْهُ مَا فِيهِ ثَوَابٌ أَوْ عِقَابٌ، وَيَطْرَحُ مِنْهُ اللَّغْوُ. وقال الزجاج: نستسخ ما تكتبه الحَفَظَةُ، ويثبت عند الله ﷻ. قوله تعالى: ﴿فِي رَحْمَةٍ﴾ قال مقاتل: في جَنَّتِهِ.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ نَكُنْ بِآيَاتِي﴾ فيه إضمار، تقديره: فيقال لهم ألم تكن آياتي، يعني آيات القرآن ﴿نُتِلَّ عَلَيْكَ قَائِلًا﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِبِينَ﴾؟ قال ابن عباس: كافرين.

﴿وَإِنَّا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُحْسِنِينَ﴾ ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمُ الْمَبِيتُ لَمَّا جَاءُوا بِهِمْ يُسْتَخِرُونَ﴾ ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكَ كَمَا نَنْسِفُ لَيْلَةَ يَوْمِكُمُ هَذَا وَمَا وَكُنْتُمْ أَتَّارًا وَمَا لَكُم مِّن تَعْمِينَ﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَفْضَلُكُمْ مَا كُنْتُمْ اللَّهُ هُزُورًا وَعَرَّضْتُمْ الْخَبِيرَةَ الدُّنْيَا قَالِيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ﴿وَلِلَّهِ الْمَعْدُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَّةُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ أي: كائن ﴿وَالسَّاعَةُ﴾ قرأ حمزة: «والساعة» بالنصب ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ أي: كائنة بلا شك ﴿قُلْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾ أي: أنكرتموها ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: ما نعلم ذلك إلا ظناً وحذساً، ولا نَسْتَقِينُ كونها. وما بعد هذا قد تقدم [الزمر: ٤٨] إلى قوله: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكَ﴾ أي: نترككم في النار ﴿كَأَن لَّيْسَتْ لَيْلَةُ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: كما تركتم الإيمان والعمل للقاء هذا اليوم<sup>(١)</sup>. ﴿ذَلِكَ﴾ الذي فعلنا بكم ﴿بِأَنَّهُمْ أَفْضَلُكُمْ مَا كُنْتُمْ اللَّهُ هُزُورًا﴾ أي: مهزوماً بها ﴿وَعَرَّضْتُمْ الْخَبِيرَةَ الدُّنْيَا﴾ حتى قلتم: إنه لا بعث ولا حساب ﴿قَالِيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿لَا يُخْرَجُونَ﴾ بفتح الياء وضم الراء. وقرأ الباقون: ﴿لَا يُخْرَجُونَ﴾ بضم الياء وفتح الراء ﴿مِنْهَا﴾ أي: من النار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يطلب منهم أن يرجعوا إلى طاعة الله ﷻ، لأنه ليس بحين توبة ولا اعتذار.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَّةُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: السلطان، قاله مجاهد. والثاني: الشرف، قاله ابن زيد. والثالث: العظمة، قاله يحيى بن سلام، والزجاج<sup>(٢)</sup>.



(١) ثبت في «صحيح مسلم» ٢٢٧٩/٤ عن أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة: «ألم أكرنك وأسؤذك؟» (أي أجعلك سيداً على غيرك) وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأدرك ترأس (أي تكون رئيس القوم) وترين؟ (أي: تأخذ المرباع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذونه من الغنمة، أي أخذت ربع أموالهم. ومعناه: ألم أجعلك رئيساً مطاعاً؟) فيقول: بلى، قال: فيقول: أَلَمْ أَفْطَنْتْ أَتُكْ مَلَانِي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتي (أي: أنعمك الرحمة كما امتنعت من طاعتي).

(٢) قال ابن كثير: ﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَّةُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: قال مجاهد: يعني السلطان، أي: هو العظيم المسجود الذي كل شيء خاضع لديه فقير إليه، قال: وقد ورد في الحديث الصحيح: «يقول الله تعالى: العظمة إزار، والكبرياء رداء، فمن نازعني واحداً منهما أسكتته ناري». ثم قال في تمة الآية: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي الذي لا يقالب ولا يمانع ﴿الْعَزِيزُ﴾ في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره تعالى وتقدس لا إله إلا هو. اهـ.

## سورة الأحقاب

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَم﴾ نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْغَزِيرِ لَظْفِيرِ ﴿١﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلِكُلِّ مُسْمًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُتُوا مُعْجِزُونَ ﴿٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادُوا مَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَمْ يَشْرِكْ فِي السَّمَوَاتِ أَتَتَوَلَّى يَكْتَسِبُ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَتَنَزَّلُ مِنْ عِلَافٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣﴾

### فصل في نزولها

روى العوفي وابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مكيّة، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والجمهور. وروي عن ابن عباس وقتادة أنهما قالوا: فيها آية مدنيّة، وهي قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الأحقاب: ١٠]. وقال مقاتل: نزلت بمكة غير آيتين: قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الأحقاب: ١٠] وقوله: ﴿قَاصِرٌ كَمَا صَبَرُ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاب: ٣٥] نزلتا بالمدينة. وقد تقدم تفسير فاتحتها [المومن، الحجر: ٨٥] إلى قوله: ﴿وَلِكُلِّ مُسْمًى﴾ وهو أجل فناء السموات والأرض، وهو يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ مفسّر في [فاطر: ٤٠] إلى قوله: ﴿أَتَتَوَلَّى يَكْتَسِبُ﴾، وفي الآية اختصار، تقديره: فإن ادّعوا أن شيئاً من المخلوقات صنعته ألهتهم، فقل لهم: إيتوني بكتاب ﴿إِنْ قِيلَ هَذَا﴾ أي: من قَبْلِ القرآن فيه برهان ما تدعون من أن الأصنام شركاء الله، ﴿أَوْ أَتَنَزَّلُ مِنْ عِلَافٍ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الشيء يشبهه مستخرجه، قاله الحسن. والثاني: بَقِيَّةٌ مِنْ عِلْمٍ تُوَثَّرُ عَنْ الْأَوَّلِينَ، قاله ابن قتيبة، وإلى نحوه ذهب الفراء، وأبو عبيدة. والثالث: علامة مِنْ عِلْمٍ، قاله الزجاج<sup>(١)</sup>. وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وأيوب السخيتاني، ويقعوب: «أَثَرُهُ» بفتح الثاء، مثل شجرة. ثم ذكروا في معناها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحُطُّ، قاله ابن عباس؛ وقال: هو حُطُّ كانت العرب تحُطُّ في الأرض، قال أبو بكر بن عيَّاش: الحُطُّ هو العيافة. والثاني: أو عِلْمٌ تَأْتِرُونَهُ عَنْ غَيْرِكُمْ، قاله مجاهد. والثالث: خاصّةٌ مِنْ عِلْمٍ، قاله قتادة. وقرأ أبي بن كعب، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، وقتادة، والضحاك، وابن يعمر: «أَثَرُهُ» بسكون الثاء من غير ألف بوزن نظَرُهُ<sup>(٢)</sup>. وقال الفراء: قرئت «أَثَرُهُ» و«أَثَرُهُ»، وهي لغات، ومعنى الكل: بَقِيَّةٌ مِنْ عِلْمٍ، ويقال: أو شيء مأثور من كتب الأولين، فمن قرأ «أَثَرُهُ» فكانه أراد مثل قوله: «الْحُطُّطَةُ» [الصافات: ١٠] و«الرُّجُفَةُ» [الأعراف: ٧٨]. وقال البيهقي: الأثارة: البَقِيَّةُ؛ والأَثَرَةُ، مصدر أَثَرَهُ يَأْثُرُهُ، أي: يذكّره ويرويه، ومنه: حديث مأثور.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْيَكِينِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَوِلُونَ﴾ ﴿٤﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٥﴾ وَإِذَا نَزَلَ عَصَائِمُ مَا نَشَأُ يُنْشِتُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَزَّلَهُ قُلُوبُ إِنْ أَفْقَرْتُمْ فَلَا تَحْكُمُونَ لِي مِنْ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَهْلُهُ بِمَا يُفْعَلُونَ فِيهِ كُنْ بِهِ شَيْئاً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَوَرُ الرَّجِيمُ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ﴾ يعني الأصنام<sup>(٣)</sup> ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَوِلُونَ﴾ لأنها جماد لا تسمع، فإذا قامت

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: الأثارة: البقية من علم، قال: لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب. اهـ.

(٢) قال ابن جرير: والقراءة التي لا أستجيز غيرها «أَوْ أَتَنَزَّلُ مِنْ عِلَافٍ» بالألف، لإجماع قراء الأمصار عليها. اهـ.

(٣) وأول الآية: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْيَكِينِ﴾. قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: رأيي عبد أضل من عبد يدعو من دون الله ألهة «لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْيَكِينِ» يقول: لا يجيب دعاءه أبداً، لأنها حجر أو خشب أو نحو ذلك.



القيامة صارت الآلهة أعداء لعابديها في الدنيا<sup>(١)</sup>. ثم ذكر [بما] بعد هذا أنهم يسمون القرآن سحراً وأن محمداً افتراه.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي: لا تقدرون على أن تردوا عني عذابه، أي: كيف أفترى من أجلكم وأنتم لا تقدرون على دفع عذابه عني؟ ﴿هُوَ أَهْلُكُمْ بِمَا تُفْعَلُونَ فِيهِ﴾ أي: بما تقولون في القرآن وتخوضون فيه من التكذيب والقول بأنه سحر ﴿كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أن القرآن جاء من عند الله ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ في تأخير العذاب عنكم. وقال الزجاج: إنما ذكر هاهنا الغفران والرحمة ليُعلمهم أن من أتى ما أتيتُم ثم تاب فإن الله تعالى غفور له رحيم به.

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا آدَرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا يَكُنْ إِنْ أُنِيعَ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ كُفْرُكُمْ بِهِ وَسَهَدٌ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ فَقَامَنَ وَاسْتَكْبَرُوا لَكَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي: ما أنا بأول رسول<sup>(٢)</sup>. والبذع والبديع من كل شيء: المبتدأ ﴿وَمَا آدَرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا يَكُنْ﴾ وقرأ ابن يعمر، وابن أبي عيلة: «ما يُفْعَلُ» بفتح الياء، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه أراد بذلك ما يكون في الدنيا. ثم فيه قولان: أحدهما: [أنه] لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ، رأى في المنام أنه هاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء، فقصها على أصحابه، فاستبشروا بذلك لما يلقون من أذى المشركين. ثم إنهم مكثوا بُرهة لا يرون ذلك، فقالوا: يا رسول الله متى تُهاجر إلى الأرض التي رأيت؟ فسكت رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا آدَرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا يَكُنْ﴾، يعني لا أدري، أخرجُ إلى الموضع الذي رأيته في منامي أم لا؟ ثم قال: «إنما هو شيء رأيته في منامي، وما «أُنِيعَ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ»، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> وكذلك قال عطية: ما أدري هل يتركتي بمكة أو يخرجني منها. والثاني: ما أدري هل أخرجُ كما أخرج الأنبياء قبلي، أو أقتل كما قُتلوا، ولا أدري ما يُفْعَلُ بكم، أتعذبون أم تؤخرون؟ أتعذبون أم تُكذَّبون؟ قاله الحسن. والقول الثاني: أنه أراد ما يكون في الآخرة<sup>(٤)</sup>. روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية، نزل بعدها ﴿يَتَّبِعْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] وقال: ﴿لِنُذِلَّ الْمُتُوبِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ جَنَّاتٍ...﴾. الآية [الفتح: ٥] فأعلم ما يُفْعَلُ به وبالمؤمنين<sup>(٥)</sup>. وقيل: إن المشركين فرحوا عند نزول هذه الآية وقالوا: ما أمزنا وأمرُ محمد إلا واحد، ولولا أنه ابتدع ما يقوله لأخبره الذي بعثه بما يفعل به، فنزل قوله: ﴿يَتَّبِعْ لَكَ اللَّهُ...﴾ الآية [الفتح: ٢]، فقال الصحابة: هنيئاً لك يا رسول الله، فماداً يُفْعَلُ بنا؟ فنزلت: ﴿لِنُذِلَّ الْمُتُوبِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ جَنَّاتٍ...﴾ الآية [الفتح: ٥]؛ وممن ذهب إلى هذا القول أنس، وعكرمة، وقتادة، وروى عن الحسن ذلك.

(١) قال ابن جرير: وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ إِلَّا شَاكِرَةً لِذُنُوبِكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وألهمتهم التي يدعونهم من دعائهم ليأهم في غفلة، لأنها لا تسمع ولا تنطق ولا تعقل، قال: وإنما عني بوصفها بالغفلة تعميلها بالإنسان السامي عما يقال له، إذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيئاً، كما لا يفهم الغافل عن الشيء ما غفل عنه، قال: وإنما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم وقبح اختيارهم في عبادتهم من لا يعقل شيئاً ولا يفهم، وتركهم عبادة من جميع ما بهم من نعمته، ومن به استغاثتهم عندما يتزل بهم من الجوائح والمصائب. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: أي لست بأول رسول طرق العالم، بل قد جاءت الرسل من قبلي، فما أنا بالأمر الذي لا نظره حتى تستكبروني وتستبعدوني بعثتي إليكم، فإنه قد أرسل الله جل وعلا قبلي جميع الأنبياء إلى الأمم. اهـ.

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٥ هكذا بدون سند عن أبي صالح عن ابن عباس. وكذلك ذكره البغوي والخازن عن ابن عباس بدون سند، والله أعلم.

(٤) قال ابن كثير: قال أبو بكر الهذلي عن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿وَمَا آدَرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا يَكُنْ﴾ قال: أما في الآخرة، فمعاذ الله، وقد علم أنه في الجنة، ولكن قال: لا أدري ما يفعل بي ولا يكم في الدنيا، أخرجُ كما أخرج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من قبلي؟ أم أقتل كما قتلت الأنبياء من قبلي؟ ولا أدري أبيضف بكم أو ترمؤن بالحجارة؟ قال: وهذا القول هو الذي عول عليه ابن جرير الطبري، وإنه لا يجوز غيره، قال: ولا شك أن هذا هو اللائق به ﷺ، فإنه بالنسبة إلى الآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن أتبعه، وأما في الدنيا، فلم يدرك ما كان يؤول إليه أمره وأمر مشركي قريش إلى ماذا، أيؤمنون، أم يكفرون فيعذبون فيستأصلون بكفرهم؟ اهـ.

(٥) رواه بنحو مختصراً الطبري ٧/٢٦، وذكره السيوطي في «الدرر» ٣٨/٦ بنحوه، وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٦) في الأصل: فنزلت.

(٧) هكذا ذكره البغوي والخازن بدون سند، وذكره بنحو مختصراً أحمد في «المستند» والبخاري ومسلم عن أنس بن مالك.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنذَرْتُ إِنْ كَانِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يعني القرآن ﴿وَكُفِّرْتُ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه عبد الله بن سلام، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد. والثاني: أنه موسى بن عمران ؑ، قاله الشعبي، ومسروق. فعلى القول الأول يكون ذلك المثل صلة، فيكون المعنى: وشهد شاهد من بني إسرائيل عليه، أي: على أنه من عند الله، ﴿قَامَنَّ﴾ الشاهد، وهو ابن سلام ﴿وَأَسْتَغْفِرُكُمْ﴾ يا معشر اليهود. وعلى الثاني يكون المعنى: وشهد موسى على التوراة التي هي مثل القرآن أنها من عند الله، كما شهد محمد على القرآن أنه كلام الله، ﴿قَامَنَّ﴾ من آمن بموسى والتوراة ﴿وَأَسْتَغْفِرُكُمْ﴾ أنتم يا معشر العرب أن تؤمنوا بمحمد والقرآن. فإن قيل: أين جواب «إن»؟ قيل: هو مضمَّر؛ وفي تقديره ستة أقوال: أحدها: أن جوابه: فَمَنْ أَضَلُّ مِنْكُمْ، قاله الحسن. والثاني: أن تقدير الكلام: وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن، أنؤمنون؟ قاله الزجاج. والثالث: أن تقديره: أنؤمنون عقوبة الله؟ قاله أبو علي الفارسي. والرابع: أن تقديره: أفما تهلكون؟ ذكره الماوردي. والخامس: من المَجْهُوِّ مَنَّا ومنكم ومن المَبْطِل؟ ذكره الثعلبي. والسادس: أن تقديره: أليس قد ظَلَمْتُمْ؟ ويدلُّ على هذا المحذوف قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، ذكره الواحدي.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِمْ فَسَيَفْزِلُونَ هَذَا إِنْكَارٌ قَدِيدٌ﴾ ومن قبله: ﴿كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحِمَةً﴾ وهذا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانِ عَرَبِيٍّ يُنْذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُنَشِّئُ لِلْمُخْسِنِينَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا فَلَا حُوفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿أُولَئِكَ أَحَبُّ إِلَيْنَا لِمَنْ لَمْ يَأْتِ بِآيَةٍ﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَوَضْعُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنًا قَالَ رَبِّ ارْجِعْنِي أَفَ أَشْكُرُ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَقَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنَا أَعْمَلُ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دِينِي لِأَنِّي بُنْتُ لَكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ تَتَّقُلْ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَحْسَنِ الْجُنَّةِ وَعَدَ الْيَمْدُ الَّذِينَ كَانُوا يَوعُدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الآية، في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن الكفار قالوا: لو كان دين محمد خيراً ما سبقنا إليه اليهود، فنزلت هذه الآية، قاله مسروق. والثاني: أن امرأة ضعيفة البصر أسلمت، وكان الأشراف من قريش يهزؤون بها ويقولون: والله لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هذه إليه، فنزلت هذه الآية، قاله أبو الزناد. والثالث: أن أبا ذر الغفاري أسلم واستجاب به قومه إلى الإسلام، فقالت قريش: لو كان خيراً ما سبقونا إليه، فنزلت هذه الآية، قاله أبو المتوكل. والرابع: أنه لما اهدت مُرَيْتُهُ وَجْهِيَّتُهُ وأسلمت، قالت أَسَدٌ وَعُظْفَان: لو كان خيراً ما سبقنا إليه رعاء الشاء، يعنون مُرَيْتَهُ وَجْهِيَّتَهُ، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب. والخامس: أن اليهود قالوا: لو كاد دين محمد خيراً ما سبقتمونا إليه، لأنه لا عِلْمَ لَكُمْ بذلك، ولو كان حقاً لدخلنا فيه، ذكره أبو سليمان الدمشقي وقال: [هو قول من يقول: إن الآية نزلت بالمدينة؛ ومن قال: هي مكية، قال:] هو قول المشركين. فقد خرج في «الذين كفروا» قولان: أحدهما: أنهم المشركون. والثاني: اليهود. وقوله: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾ أي: لو كان دين محمد خيراً ﴿مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾. فمن قال: هم المشركون، قال: أرادوا: إِنَّا أَعَزُّ وَأَفْضَلُ؛ ومن قال: هم اليهود، [قال:] أرادوا: لَأَنَا أَعْلَمُ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِمْ﴾ أي: بالقرآن ﴿فَسَيَفْزِلُونَ هَذَا إِنْكَارٌ قَدِيدٌ﴾ أي: كذب متقدم، يعنون أساطير الأولين. ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ﴾ أي: مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ التَّوْرَةُ. وفي الكلام محذوف، تقديره: فَلَمْ يَهْتَدُوا، لأن المشركين لم يهتدوا بالتوراة. ﴿إِمَامًا﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال ﴿وَرَحِمَةً﴾ عطف عليه ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ﴾ المعنى: مُصَدِّقٌ لِلتَّوْرَةِ ﴿لِسَانِ عَرَبِيٍّ﴾ منصوب على الحال؛ المعنى: مُصَدِّقٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ عَرَبِيًّا؛ وذكر «لساناً» توكيداً، كما تقول: جاءني زيد رجلاً صالحاً، تريد: جاءني زيد صالحاً.

قوله تعالى: ﴿يُنْذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قرأ عاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «يُنْذِرُ» بالياء. وقرأ تافع، وابن عامر، ويعقوب: «يُنْذِرُ» بالثاء. وعن ابن كثير كالفراءتين. «والذين ظلموا» المشركون ﴿وَيُنْشِئُ﴾ أي: وهو يُشْرى ﴿لِلْمُخْسِنِينَ﴾ وهم الموحِّدون يبيِّشهم بالجنة. وما بعد هذا قد تقدم تفسيره [فصلت: ٣٠] إلى قوله: ﴿يُرَادُّهُ حُسْنًا﴾ وقرأ

عاصم، وحمزة، والكسائي: «إحساناً» بآلف. «حَمَلَتْهُ أُمُّ كُرْهًا» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «كُرْهًا» بفتح الكاف؛ وقرأ الباقون: بضمها. قال الفراء: والنحويون يستحبون الضم هاهنا، ويكرهون الفتح، للعللة التي بيّناها عند قوله: «وَمَوْ كُرْهًا لَكُمْ» [البقرة: ٢١٦]. قال الزجاج: والمعنى: حملته على مشقة «وَوَصَّيْتَهُ» على مشقة<sup>(١)</sup>. «وَوَصَّيْتَهُ كُرْهًا» أي: فطامه. وقرأ يعقوب: «وَوَصَّيْتَهُ» بفتح الفاء وسكون الصاد من غير ألف «لَتَلَوْنُ شَرًّا»<sup>(٢)</sup>. قال ابن عباس: «وَوَصَّيْتَهُ كُرْهًا» يريد به شدة الطلق. واعلم أن هذه المدة قد رث لأقل الحنل وأكثر الرضاع؛ فأما الأشد، ففيه أقوال قد تقدمت؛ واختار الزجاج أنه بلغ ثلاث وثلاثين سنة، لأنه وقت كمال الإنسان في بدنه وقوته واستحكام شأنه وتمييزه<sup>(٣)</sup>. وقال ابن قتيبة: أشد الرجل غير أشد اليتيم، لأن أشد الرجل: الاكتحال والحنكة وأن يشتد رأيه وعقله، وذلك ثلاثون سنة، ويقال: ثمان وثلاثون سنة، وأشد الغلام: أن يشتد خلقه ويتناهى نباته<sup>(٤)</sup>. وقد ذكرنا بيان الأشد في [الأنعام: ١٥٣] وفي [يوسف: ٢٢] وهذا تحقيقه. واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: [أنها] نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك أنه صحب رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام في تجارة، فنزلوا منزلاً فيه سيذرة، ففقد رسول الله ﷺ في ظلها، ومضى أبو بكر إلى راهب هناك يسأله عن الدين، فقال [له]: مَنْ الرَّجُلُ الَّذِي فِي ظِلِّ السِّدْرَةِ؟ فقال: ذاك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، فقال: هذا والله نبي، وما استظل تحتها أحد بعد عيسى إلا محمد نبي الله، فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق، فكان لا يفارق رسول الله ﷺ في أسفاره وحضره، فلما نبي رسول الله ﷺ - وهو ابن أربعين سنة - وأبو بكر ابن ثمان وثلاثين سنة - صدق رسول الله ﷺ، فلما بلغ أربعين سنة قال: رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي، رواه عطاء عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>، وبه قال الأكثرون؛ قالوا: فلما بلغ أبو بكر أربعين سنة، دعا الله ﷻ بما ذكره في هذه الآية، فأجابه الله، فأسلم والداه وأولاده ذكورهم وإنائهم، ولم يجتمع ذلك لغيره من الصحابة. والقول الثاني: أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص، وقد شرحنا قصته في سورة [المنكبوت: ٢٨]، وهذا مذهب الضحاك، والسدي<sup>(٦)</sup>. والثالث: أها نزلت على العموم، قاله الحسن. وقد شرحنا في سورة [النمل: ١٩] معنى قوله: «أَوْزَعْنِي».

قوله تعالى: «وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ» قال ابن عباس: أجابه الله - يعني أبا بكر - فأعتق تسعة من المؤمنين كانوا يُعَذِّبون في الله ﷻ، ولم يُرَدَّ شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه، واستجاب له في دُرَيْتِهِ فَأَمْنُوا، «إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ» أي: رَجَعْتُ إِلَى كُلِّ مَا تُحِبُّ<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: «أَوَلَيْكَ الَّذِينَ تَتَّبِعُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «يَتَّقِبُلُ» و«تَتَجَاوَزُ» بالياء المضمومة فيهما. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف: «تَتَّقِبُلُ» و«تَتَجَاوَزُ» بالتون فيهما. وقرأ أبو المتوكّل، وأبو رجاء، وأبو عمران الجوني: «يَتَّقِبُلُ» و«تَتَجَاوَزُ» بياء

(١) قال ابن كثير: «حَمَلَتْهُ أُمُّ كُرْهًا» أي: قاست بسببه في حال حمل مشقة وتعباً من رحم وغشيان وثقل وكرب، إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة «وَوَصَّيْتَهُ كُرْهًا» أي: بمشقة أيضاً من الطلق وشدة. اهـ.

(٢) «وَوَصَّيْتَهُ لَتَلَوْنُ شَرًّا» قال ابن كثير: وقد استدلل علي ﷺ بهذه الآية مع التي في لقمان «وَوَصَّيْتَهُ فِي عَالِيَيْنِ» وقوله تبارك وتعالى: «وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ يَقُولُ كَافِرِينَ كَذِبًا يُكَذِّبُونَ» على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، قال: وهو استنباط قوي صحيح، قال: ووافقه عليه عثمان رضي الله عنه وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم. اهـ.

(٣) «حَتَّىٰ يَكُنَّ أَشَدُّ» قال ابن كثير: أي: قوي وشب وارتمل «وَوَصَّيْتَهُ سَنَةً» أي: تناهى عقله وكمل فهمه وحلمه. اهـ.

(٤) في النسخة الاستبوية: بياضه، والذي في [اللسان] و[التاج]: ويتنهي شبابه.

(٥) هكذا ذكره الواحدي بتمامه في «أسباب النزول» ٢١٦ رواية عطاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه بدون سند. وقال السيوطي في «الدرر» ٤٠/٦: أخرج ابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه قال: نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه «وَوَصَّيْتَهُ الْإِنْسَانَ بِإِلَافَةِ حَسَنَةٍ» إلى قوله: «وَعَدَّ الْفَتْحَ إِلَى كَأَنَّهُ يُرَدُّ».

(٦) قال البغوي: قال السدي والضحاك: نزلت في سعد بن أبي وقاص، وقال الخازن: قيل: نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص.

(٧) قال ابن كثير: «إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَلَيْ مِنَ الْكُفْرَيْنِ» قال: وهذا فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة والإنابة إلى الله ﷻ ويعزم عليها. اهـ.

مفتوحة فيهما، يعني أهل هذا القول.. والأحسن بمعنى الحسن. ﴿فِي أَحْصَىٰ لِلنَّارِ﴾ أي: في جملة من يتجاوز عنهم، وهم أصحاب الجنة. وقيل: «في» بمعنى «مع». ﴿وَعَدَ الْوَيْدِيُّ﴾ قال الزجاج: هو منصوب، لأنه مصدر مؤكد لما قبله، لأن قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ تَقَبَّلُ عَنْهُمْ﴾ بمعنى الرعد، لأنه وعدهم القبول بقوله: ﴿وَعَدَ الْوَيْدِيُّ﴾، يؤكد ذلك قوله: ﴿الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ أي: على السنة الرُّسل في الدنيا<sup>(١)</sup>.

﴿وَالَّذِي قَالَ لِلرَّادِيَةِ أَوَّلَ لَكُمَا أَفِيدَانِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَيْتَ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهَذَا يَسْتَيْشَانِ اللَّهُ وَبِكَ مَا مِنْ لَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقَّ يَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَيْنِ وَالْإِنْدِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَيْرِينَ ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَنْتَعْتُمْ بِهَا قَالُوا بَلَىٰ فَرَرْنَا فَبِئْسَ الْهَوَىٰ يَمَا كُنْتُمْ تَسْكَرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَيَا كُنْتُمْ تَقْسُونَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِلرَّادِيَةِ أَوَّلَ لَكُمَا﴾ قرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «أف لكما» بالخفض من غير تنوين. وقرأ ابن كثير، وابن عامر: بفتح الفاء. وقرأ نافع، وحفص عن عاصم: «أف» بالخفض والتنوين. وقرأ ابن يعمر: «أف» بتشديد الفاء مرفوعة منوثة. وقرأ حميد، والجحدري: «أفأ» بتشديد الفاء وبالنصب والتنوين. وقرأ عمرو بن دينار: «أف» بتشديد الفاء وبالرفع من غير تنوين. وقرأ أبو المتوكل، [وعكرمة]، وأبو رجاء: «أف لكما» بإسكان الفاء خفيفة. وقرأ أبو العالية، وأبو عمران: «أفني» بتشديد الفاء وياء ساكنة مُمالة. وروي عن ابن عباس أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قُبِلَ إسلامه، كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام، وهو يأبى، وعلى هذا جمهور المفسرين. وقد روي عن عائشة أنها كانت تُنكر أن تكون الآية نزلت في عبد الرحمن، وتُخَلِّفُ على ذلك وتقول: لو شئتُ لسميتُ الذي نزلت فيه. قال الزجاج: وقول من قال: إنها نزلت في عبد الرحمن، باطل بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾، فاعلم الله أن هؤلاء لا يؤمنون، وعبد الرحمن مؤمن؛ والتفسير الصحيح أنها نزلت في الكافر العاق. وروي [عن] مجاهد أنها نزلت في عبد الله بن أبي بكر، وعن الحسن [أنها] نزلت في جماعة من كفار قريش قالوا ذلك لأبائهم<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ خَلِيَّ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِي﴾<sup>(٣)</sup> فيه قولان: أحدهما: مضت القرون فلم يرجع منهم أحد، قاله مقاتل. والثاني: مضت القرون مكذبة بهذا، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَيْشَانِ اللَّهُ﴾ أي: يدعوان الله له بالهدى، ويقولان له: ﴿وَبِكَ مَا مِنْ لَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقَّ يَقُولُ مَا هَذَا﴾ الذي تقولان ﴿إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ وقد سبق شرحها [الأنعام: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ يعني الكفار ﴿الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي: وجب عليهم قضاء الله أنهم من أهل النار ﴿فِي أَمْرٍ﴾ أي: مع أم. فذكر الله تعالى في الآيتين قُبِلَ هذه مَنْ بَرَّ والدَّيْهِ وَعَمِلَ بِوَصِيَّةِ اللَّهِ ﷻ، ثم ذكر مَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِالْوَصِيَّةِ وَلَمْ يُطِيعْ رَبَّهُ وَلَا والدَّيْهِ، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَيْرِينَ﴾ وقرأ ابن السميع، وأبو عمران: «أنهم» بفتح الهمزة. ثم قال: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي: منازل ومراتب بحسب ما اكتسبوه من إيمان وكفر، فيفاضل أهل الجنة في الكرامة، وأهل

(١) قال ابن كثير: قال الله ﷻ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ تَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَارَفُ عَنْهُمْ بَغْيًا أَوْ كِبَالًا﴾ أي: هؤلاء المتصفون بما ذكرنا، التائبون إلى الله، المنيبون إليه، المستدركون ما فات بالتوبة والاستغفار، هم الذين تقبَّل عنهم أحسن ما عملوا، وتجاوز عن سيئاتهم، فتغفر لهم الكثير من الزُّلُم، وتقبَّل منهم اليسير من العمل «في أصحاب الجنة» أي: هم في جملة أصحاب الجنة، قال: وهذا حكمهم عند الله كما وعد الله ﷻ من تاب إليه وأناب، ولهذا قال تعالى: ﴿وَعَدَ الْوَيْدِيُّ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِلرَّادِيَةِ أَوَّلَ لَكُمَا﴾: هذا عام في كل من قال هذا، قال: ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ﷺ، فقله ضعيف، لأن عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه، قال: وروي الموفى عن ابن عباس ﷺ أنها نزلت في ابن أبي بكر الصديق ﷺ، قال: وفي صفة هذا نظر، والله تعالى أعلم، قال: وقال ابن جرير عن مجاهد: نزلت في عبد الله بن أبي بكر ﷺ، قاله ابن جريج، وقال آخرون: عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ، وهذا أيضاً قول السدي، قال: وإنما هذا عام في كل من عاق والدَّيْهِ وكذب بالحق فقال للوالدِّ: أف لكما، عفيهما. اهـ.

(٣) وأول الآية: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِلرَّادِيَةِ أَوَّلَ لَكُمَا أَفِيدَانِي أَنْ أُخْرِجَ﴾ أي: أن أبعث ﴿وَعَدَ خَلِيَّ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِي﴾.

النار في العذاب ﴿وَلِيُوْثِقَهُمْ أَصْلَهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: «وَلِيُوْثِقَهُمْ» بالياء، وقرأ الباقون: بالنون؛ أي: جزاء أعمالهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ﴾ والمعنى: واذكر لهم يوم يعرض ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى أَثَرِ أَذْهَبْتُمْ﴾ أي: ويقال لهم: أذهبتم، قرأ ابن كثير: «أَذْهَبْتُمْ» بهجمة مطولة<sup>(١)</sup>. وقرأ [ابن عامر: «أأذهبتم» بهمزة تين. وقرأ نافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «أَذْهَبْتُمْ» على الخبر، وهو توبيخ لهم. قال الفراء والزجاج: [العرب] توثع بالالف ويغير الالف، فتقول: أَذْهَبْتُ وفعلت كذا؟! و: ذهبت فعلت؟! قال المفسرون: والمراد بطيئاتهم: ما كانوا فيه من اللذات مشتغلين بها عن الآخرة معرضين عن شكرها. ولما ويخهم الله بذلك، أثر النبي ﷺ وأصحابه والصالحون بعدهم اجتناب نعيم العيش ولذته ليتكامل أجرهم ولئلا يُلْهِبَهُمْ عن معادهم. وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على خَصْفَةٍ وبَعْضُهُ على التراب وتحت رأسه وسادة محشوة ليفاً، فقال: يا رسول الله: أنت نبي الله وصفوته، وكسرى وقيصر على سُرُر الذهب وفُرُش الديباج والحريز؟! فقال ﷺ: «يا عمر، إن أولئك قوم عُجِّلَتْ لهم طيئاتهم، وهي وشيكة الانقطاع، وإنَّا نُحَرِّثُ لَنَا طيئَتَنَا»<sup>(٢)</sup>. وروى جابر بن عبد الله قال: رأى عمر بن الخطاب لحماً معلقاً في يدي، فقال: ما هذا يا جابر؟ فقلت: اشتريت لحماً فاشتريته، فقال: أو كلتما اشتيتت اشتريت يا جابر؟! أما تخاف هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾<sup>(٣)</sup>. وروي عن عمر أنه قيل له: لو أمرت أن نصنع لك طعاماً ألين من هذا، فقال: إني سمعت الله عير أقواماً فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾.

قوله تعالى: ﴿تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تتكبرون عن عبادة الله والإيمان به.

﴿وَأَذْكُرْ لَنَا عَادَ إِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَهُمُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّى النَّدُّرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَتَّبِعُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّ لَنَا عَلَيْكَ عَذَابَ قَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ قالوا: أجبنا لئلا نكفركم عما نؤمركم بما نؤمركم إن كنتم من الصديقين ﴿قَالَ إِنَّمَا إِلَهُمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَنْتُمْ كَمَا أَنْشَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَتَكَبَّرُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَوا هَذَا عَارِضٌ مُتَّيِّرٌ لَّ هُوَ مَا اسْتَجَلْتُمْ بِهِ بَعْضٌ فَمَا عَذَابُ الْيَوْمِ﴾ ﴿تَذَمَّرَ كُلُّ قَوْمٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَانْسَبُوا لَهَا بَرِيَّةً إِلَّا مَسْكُوتُهُمْ كَذَلِكَ تَجْرَى الْقَوْمُ الْمُتَجَرِّينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ لَنَا عَادَ﴾ يعني هوداً. ﴿إِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَهُمُ بِالْأَحْقَافِ﴾ قال الخليل: الأحقاف: الرمال العظام. وقال ابن قتيبة: واحد الأحقاف: جُفَفٌ، وهو من الرَّمْل: ما أشرف من كُثبانهِ واستطال وانحنى. وقال ابن جرير: هو ما استطال من الرَّمْل ولم يبلغ أن يكون جبلاً. واختلفوا في المكان الذي سمي بهذا الاسم على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه جبل بالشام، قاله ابن عباس، والضحاك. والثاني: أنه واد، ذكره عطية. وقال مجاهد: هي أرض. وحكى ابن جرير أنه واد بين عُمان ومهرة. وقال ابن إسحاق: كانوا ينزلون ما بين عُمان وحَضْرَمَوْت، واليمن كله. والثالث: أن الأحقاف: رمال مشرفة على البحر بأرض يقال لها: الشَّحْر، قاله قتادة<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَّى النَّدُّرُ﴾ أي: قد مضت الرُّسُلُ مِنْ قَبْلِ هودٍ وَمِنْ بَعْدِهِ بإنذار أممها ﴿أَلَّا تَتَّبِعُوا إِلَّا اللَّهَ﴾؛ والمعنى: لم يُبْعَثْ رسولٌ قَبْلَ هودٍ ولا بعده إلا بالأمر بعبادة الله وحده. وهذا كلام اعترض بين إنذار هود وكلامه لقومه. ثم عاد إلى كلام هود فقال: ﴿إِنَّ لَنَا عَلَيْكَ عَذَابَ﴾.

قوله تعالى: ﴿لِئَلْفِكُمْ﴾ أي: لتصرفنا عن عبادة ألهتنا بالإفك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: هو يَعْلَمُ متى يأتاكم العذاب. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ يعني ما يوعدون في قوله: «بما نَعِدُّنَا» ﴿عَارِضًا﴾ أي: سحب يعرض من ناحية السماء. قال ابن قتيبة: العارض: السحاب. قال المفسرون: كان المطر

(١) قال في «إتحاف فضلاء البشر»: وقرأ ابن كثير والداودي عن هشام من طريق النهرواني ورويس بهمزة مفتحة فمسألة مع عدم الفصل.

(٢) روه الحاكم في «المستدرک» من حديث ابن عباس ﷺ وقال: صحيح على شرط مسلم، ورواه ابن ماجه في «سننه» بنحوه من حديث ابن عباس أيضاً بإسناد صحيح، وابن حبان في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك ﷺ بنحوه.

(٣) ذكره بنحوه البغوي والخازن من رواية جابر بن عبد الله عن عمر بدون سند.

(٤) قال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى أخبر أن عاداً أنذرهم أخوهم هوداً بالأحقاف، قال: والأحقاف ما وصفت من الرمال المستطيلة المشرفة. اهـ.

قد حُسِنَ عن عاد، فساق الله إليهم سحابة سوداء، فلما راوها فرحوا و﴿قَالُوا هَذَا عَارِشٌ لِّمُوسَى﴾، فقال لهم هود: ﴿يَلَّهْ مَا اسْتَجَلْتُمْ بِهِ﴾، ثم بين ما هو فقال: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فشأت الريح من تلك السحابة، ﴿تُدِيرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: تُهْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ مَرَّتَ بِهِ من الناس والدواب والأموال. قال عمرو بن ميمون: لقد كانت الريح تحتل القطعينة فترفعها حتى تُرى كأنها جرادة، ﴿فَأَسْبَحُوا﴾ يعني عاداً ﴿لَا يَرَى إِلَّا مَسْكَنَهُمْ﴾ قرا عاصم، وحزمة: ﴿لَا يَرَى﴾ برفع الياء إلا مساكينهم برفع النون. وقرأ علي، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، وقتادة، والجحدري: ﴿لَا تُرَى﴾ بناء مضمومة. وقرأ أبو عمران، وابن السميع: ﴿لَا تُرَى﴾ بناء مفتوحة إلا مسكنهم على التوحيد. وهذا لأن السكّان هلكوا، فقيل: أصبحوا. وقد غطتهم الريح بالرمل فلا يرون.

﴿وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيْمَا إِن مَكَنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمًا وَاتَّصَرَّا وَافْتَدَا فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمُهُمْ وَلَا أَتَّصَرُّهُمْ وَلَا أَفْتَدَتْهُمْ مِن شِقْوَةِ إِذْ كَانُوا يَجْعَدُونَ بِكَذِبِ اللَّهِ وَكَانَ يَوْمَ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿١٣١﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكَ مِنَ الْقُرَى وَصَرَفْنَا آلَافَهُمْ لَكُمُ يَرْجُونَ ﴿١٣٢﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ مَسَلُوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿١٣٣﴾

ثم خوف كفار مكة، فقال ﴿١٣١﴾: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيْمَا إِن مَكَنَّاكُمْ فِيهِ﴾ في «إِنْ» قولان: أحدهما: أنها بمعنى «لَمْ»، فتقديره: فيما لم نمكنكم فيه، قاله <sup>(١)</sup> ابن عباس، وابن قتيبة. وقال الفراء: هي بمنزلة «ما» في الجحد، فتقدير الكلام: في الذي لم نمكنكم فيه. والثاني: أنها زائدة؛ والمعنى: فيما مكناكم فيه، وحكاه ابن قتيبة أيضاً. ثم أخبر أنه جعل لهم آلات الفهم، فلم يتدبروا بها، ولم يتفكروا فيما يدلهم على التوحيد. قال المفسرون: والمراد بالافتدة: القلوب؛ وهذه الآلات لم ترد عنهم عذاب الله <sup>(٢)</sup>. ثم زاد كفار مكة في التخويف، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكَ مِنَ الْقُرَى﴾ كديار عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم من الأمم المهلكة ﴿وَصَرَفْنَا آلَافَهُمْ﴾ أي: بيتانها ﴿لَكُمُ﴾ يعني أهل القرى ﴿يَرْجُونَ﴾ عن كفرهم. وهانها محذوف، تقديره: فما رجعوا عن كفرهم. ﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلا ﴿نَصْرُهُمْ﴾ أي: منعه من عذاب الله ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾؟ يعني الأصنام التي تقربوا بعبادتها إلى الله على زعمهم؛ وهذا استفهام إنكار، معناه: لم ينصروهم ﴿بَلْ مَسَلُوا عَنْهُمْ﴾ أي: لم ينفعوهم عند نزول العذاب ﴿وَذَلِكَ﴾ يعني دعاءهم الآلهة ﴿إِفْكُهُمْ﴾ أي: كذبهم. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وابن يعمر، وأبو عمران: ﴿وَذَلِكَ أَفْكُهُمْ﴾ بفتح الهمزة وقصرها وفتح الفاء وتشديدها ونصب الكاف. وقرأ أبي بن كعب، وابن عباس، وأبو رزين، والشعبي، وأبو العالية، والجحدري: ﴿أَفْكُهُمْ﴾ بفتح الهمزة وقصرها ونصب الكاف والفاء [وتخفيفها]. قال ابن جرير: أي: أضلهم. وقال الزجاج: معناها: صرفهم عن الحق فجعلهم ضالاً. وقرأ ابن مسعود، وأبو المتوكل: ﴿أَفْكُهُمْ﴾ بفتح الهمزة ومدّها وكسر الفاء وتخفيفها ورفع الكاف، أي: مضلهم.

﴿رَادَّ صَرَفًا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الَّذِينَ يَسْتَمِرُّونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَصَرُوا قَالُوا أَنُؤْمِنُ فَمَا نَقُصُّ وَلَوْ أَنَّا قَوْمُهُمْ مُّذِرِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ قَالُوا يَنْقَرُونَ إِنَّا سَمِعْنَا كُتُبًا أَنزَلَ مِنْ بَعْدِ مَوْسَىٰ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَٰك طَرِيقٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿١٣٥﴾ يَنْقَرُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَدَاعِيَ الْيَوْمِ بِهِ يَقُولُ لَكُمْ مِّنْ دُونِكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٣٦﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي سَلَٰكٍ مُّبِينٍ ﴿١٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿رَادَّ صَرَفًا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الَّذِينَ يَسْتَمِرُّونَ الْقُرْآنَ﴾ ويخ الله ﷻ بهذه الآية كفار قريش بما آمنتم به الجحش. وفي سبب صرفهم إلى النبي ﷺ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم صرفوا إليه بسبب ما حدث من رجمهم بالشُّهب. روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد

(١) في الأصل: قال، والصواب من كتب التفسير.

(٢) قال ابن كثير: يقول تعالى: ولقد مكنا الأمم السالفة في الدنيا من الأموال والأولاد، وأعطيناكم منها ما لم تعلمكم مثله ولا قريباً منه، وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وافتدة ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمُهُمْ وَلَا أَتَّصَرُّهُمْ وَلَا أَفْتَدَتْهُمْ﴾ من شدة ما كانوا يفترون ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: وأحاط بهم العذاب واللكال الذي كانوا يكذبون به ويستبدون وقوعه، أي: فاحذروا أيها المخاطبون أن تكونوا مثلهم فيصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب في الدنيا والآخرة. اهـ.

جبل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشُّهُبُ، فرجعت الشياطين، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: جبل بيننا وبين خبر السماء. وأرسلت علينا الشُّهُبُ، قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها فانظروا ما هذا الأمر، فمرَّ النَّفَرُ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نحو نِهَامَةِ بالنبي ﷺ وهو بـ «نَخْلَةٍ»<sup>(١)</sup> وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تَسَمَّوْا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك رَجِعُوا إلى قومهم «فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الْكُرْبَىٰ﴾ [الحج: ١-٢] فأنزل الله على نبيه ﷺ «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِّمَّا تَحِبُّونَ لَئِنْ جَاءَ بِكُمْ مِنْ بَعْدِهِ لَلِغَيِّ شَكٌّ» [الحج: ١٧].

وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن، ولا رآهم، وإنما أتوه وهو بـ «نخلة» فسمعوا القرآن. والثاني: أنهم صُرفوا إليه لِيُنْذِرَهُمْ، وأمر أن يقرأ عليهم القرآن، هذا مذهب جماعة، منهم قتادة. وفي أفراد مسلم من حديث علقمة قال: قلت لعبد الله: من كان منكم مع النبي ﷺ ليلة الجن؟ فقال: ما كان منّا معه أحد، فقدناه ذات ليلة ونحن بمكة، فقلنا: اغتيل رسول الله ﷺ أو استُطير، فانطلقنا نطلبه في الشُّعَابِ، فلقيناه مُقْبِلًا من نحو جِراء، فقلنا: يا رسول الله، أين كنت؟ لقد أشفقنا عليك، وقلنا له: بِئْسَ اللَّيْلَةُ بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ حِينَ فَقَدْنَاكَ، فقال: «إِنَّهُ أَتَانِي دَاعِيُ الْجَنِّ، فَذَهَبْتُ أَقْرِئُهُمُ الْقُرْآنَ»، فذهب بنا، فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم<sup>(٢)</sup>. وقال قتادة: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي أُزِيْتُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَى الْجَنِّ، فَأَيْكُمْ يَتَّبِعُنِي؟» فاطرقوا، ثم استتبِعهم فاطرقوا، ثم استتبِعهم الثالثة فاطرقوا، فأتبعه عبد الله بن مسعود، فدخل نبيُّ الله ﷺ شِعْبًا يقال له: «شِعْبُ الْحَجُونِ»، وخطَّ على عبد الله خطًّا لِيُثَبِّتَهُ بِهِ، قال: فسمعت لَغَطًا شديدًا حتى خِفْتُ على نبيِّ الله ﷺ، فلما رَجَعَ قلت: يا نبي الله، ما اللَّغَطُ الَّذِي سَمِعْتُ؟ قال: «اجْتَمَعُوا إِلَيَّ فِي قَبِيلٍ كَانَ بَيْنَهُمْ، فَقَضَيْتُ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ»<sup>(٣)</sup>. والثالث: أنهم مَرُّوا به وهو يقرأ، فسمعوا القرآن. فذكر بعض المفسرين أنه لَمَّا يَسُ من أهل مكة أن يجيبوه، خرج إلى الطائف ليدعوهم إلى الإسلام. وقيل: ليلتمس نصرهم. وذلك بعد موت أبي طالب، فلَمَّا كَانَ بِيْطْنَ نخلة قام يقرأ القرآن في صلاة الفجر، فمرَّ به نفرٌ من أشرف جنِّ نصيبين، فاستمعوا القرآن. فعلى هذا القول والقول الأول، لم يعلم بحضورهم حتى أخبره الله تعالى؛ وعلى القول الثاني، عَلِمَ بهم حين جاءوا<sup>(٤)</sup>. وفي المكان الذي سمعوا فيه تلاوة النبي ﷺ قولان: أحدهما: الْحَجُونِ، وقد ذكرناه عن ابن مسعود، وبه قال قتادة. والثاني: بطن نخلة، وقد ذكرناه عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. وأما النَّفَرُ، فقال ابن قتيبة: يقال: إِنْ النَّفَرُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشْرَةِ. وللمفسرين في عدد هؤلاء النَّفَرِ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم كانوا سبعة، قاله ابن مسعود، وزيُّ بن حبيش، ومجاهد، ورواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: تسعة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: اثني عشر ألفًا، روي عن عكرمة، ولا يصح، لأن النَّفَرَ لَا يُطْلَقُ عَلَى الْكَثِيرِ.

قوله تعالى: «فَلَمَّا حَضَرُوهُ» أي: حضروا استماعه، و«فَمِنْهُمْ» يعني: فَمِنْهُمْ تِلَاوَتُهُ «وَلَمَّا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ» أي: محذرين عذاب الله ﷻ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا. وهل أنذروا قَوْمَهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْفُسِهِمْ، أم جعلهم رسول الله ﷺ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ؟

(١) موضع بين مكة والطائف، وهي التي ينسب إليها، «بطن نخلة» قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: ووقع في رواية مسلم «بنخل» بلا هاء، والصواب إثباتها. اهـ.

(٢) رواه البخاري ٢/٢١٠، ٨/٥١٣، ومسلم ١/٣٣١، والحديث أورده السيوطي في «الدر» ٦/٢٧٠، وزاد نسبه لأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، والنسائي، وابن المنذر، والحاكم، والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس.

(٣) رواه مسلم ١/٣٣٢، ورواية المصنف له عن مسلم بالمعنى. والحديث رواه أيضاً أحمد في «المستند» رقم (٤١٤٩). وأورده السيوطي في «الدر» وزاد نسبه لعبد بن حميد، والترمذي.

(٤) هذه الرواية مرسله، رواها ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٥) هذا الخبر من رواية ابن إسحاق عن يزيد بن رومان عن محمد بن كعب القرظي. قال ابن كثير بعد أن سرد كثيراً من الروايات حول هذا الموضوع: فهذه الطرق كلها تدل على أنه ﷺ ذهب إلى الجن قصداً، فثلا عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله ﷻ، وشرع الله تعالى لهم على لسانه ما هم محتاجون إليه في ذلك الوقت، قال: وقد يحتمل أن أول مرة سمعوه يقرأ القرآن لم يشعر بهم كما قاله ابن عباس، ثم بعد ذلك وفدوا إليه كما رواه ابن مسعود. قال: وأما ابن مسعود، فإنه لم يكن مع رسول الله ﷺ حال مخاطبته للجن ودعائه إياهم، قال: وإنما كان بعيداً منه، ولم يخرج مع النبي ﷺ أحد سواه، ومع هذا لم يشهد حال المخاطبة، قال: هذه طريقة البيهقي، قال: وقد يحتمل أن يكون أول مرة خرج إليهم لم يكن معه ﷺ ابن مسعود ولا غيره، ثم بعد ذلك خرج معه ليلة أخرى، والله أعلم.





قوله تعالى: ﴿وَلَا سَتَعِجِلْ لَّهُمْ﴾ يعني العذاب. قال بعض المفسرين: كان النبي ﷺ ضَجِرَ بعض الضَجَرِ، وأحبُّ أن ينزل العذاب بمن أبي من قومه، فأمر بالصبر.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ أي: من العذاب ﴿لَوْ يَلْبِثُونَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ﴾ لأن ما مضى كأنه لم يكن وإن كان طويلاً. وقيل: لأن مقدار مكثهم في الدنيا قليل في جَنِبِ مكثهم في عذاب الآخرة. وهاتنا تم الكلام. ثم قال: ﴿يَبْلُغُ﴾ أي: هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغٌ عن الله إليكم. وفي معنى وصف القرآن بالبلاغ قولان: أحدهما: أن البلاغ بمعنى التبليغ. والثاني: أن معناه: الكفاية، فيكون المعنى: ما أخبرناهم به لهم فيه كفايةً وغنى. وذكر ابن جرير وجهاً آخر، وهو أن المعنى: لَمْ يَلْبِثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَّهَارٍ، ذلك لُبُّ بلاغ، أي: ذلك بلاغ لهم في الدنيا إلى آجالهم، ثُمَّ حُذِفَتْ «ذلك لُبُّ» اكتفاءً بدلالة ما ذُكِرَ في الكلام عليها. وقرأ أبو العالية، وأبو عمران: «يَبْلُغُ» بكسر اللام وتشديدها وسكون الغين من غير ألف.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو المتوكل، وابن محيصن: «يَهْلِكُ» بفتح الياء وكسر اللام، أي: عند رؤية العذاب ﴿إِلَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ﴾ الخارجون عن أمر الله ﷻ!؟<sup>(١)</sup>.



(١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فهل يهلك الله بعباده إذا أنزله إلا القوم الذين خالفوا أمره وخرجوا عن طاعته وكفروا به!؟ قال: ومعنى الكلام: وما يهلك الله إلا القوم الفاسقين. اهـ.

سورة محمد ﷺ

وفيها قولان: أحدهما: [أنها] مدنيّة، قاله الأكثرون، منهم مجاهد، ومقاتل. وحكي عن ابن عباس وقتادة أنها مدنيّة، إلا آية منها نزلت عليه بعد حجّه حين خرج من مكة وجعل ينظر إلى البيت، وهي قوله: ﴿وَكَيْفَ يَنْزِلُ إِلَيْنَا أُنْزُلُ﴾ [سورة النازعات: ١٣]. والثاني: أنها مكّيّة، قاله الضحاك، والسدي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ حَبِيلِ اللَّهِ أَصْلَحَ أَهْلَهُمْ﴾ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْنَا مِنْ حَقِّهِ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَرَّمَ سُبُحَانَهُ ۝ وَأَمْلَحَ بَالَهُمْ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْقَبِيلَ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْبَاقِينَ ۚ آمَنَّا لَهُمْ ۝ إِذَا قُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَبِئْسَ الْفَرَادِيقُ ۚ إِذَا أَقْبَضْنَاهُمْ فَنُفِثُوا الْوَلَدَ ۚ إِنَّمَا مَتَّ بَدَ وَإِنَّا فَدَاهُ ۚ حَتَّىٰ نَضَعَ الْحَرْبَ أُنْزَالًا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَمَرُوا مِنْهُمْ وَلَكِنْ يَبْذُلُوا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ قِيلُوا لَهُمْ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالُوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۚ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۚ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۚ

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: بتوحيد الله ﴿وَصَدُّوا﴾ الناس عن الإيمان به، وهم مشركو قريش، ﴿أَسْلَحْ أَتَاهُمْ﴾ أي: أبطلها، ولم يجعل لها ثواباً، فكانها لم تكن؛ وقد كانوا يظعنون القلعام، ويصلون الأرحام، ويتصدقون، ويفعلون ما يعتقدونه قرينة. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَفَلُوا الصَّلَاحَ﴾ يعني أصحاب محمد رسول الله ﷺ. ﴿وَنَاسُوا بِمَا نَزَّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ وقرأ ابن مسعود: ﴿نَزَّلَ﴾ بفتح النون والزَّيِّ وتشديدها. وقرأ أبي بن كعب، ومعاذ القارئ: ﴿أُنْزِلَ﴾ بهمزة مضمومة مكسورة الزَّيِّ. وقرأ أبو رزين، وأبو الجوزاء، وأبو عمران: ﴿نَزَّلَ﴾ بفتح النون والزَّيِّ وتخفيفها، ﴿كَثُرَ عَنْهُمْ سِتَانُهَا﴾ أي: غفرها لهم ﴿وَأَسْلَحَ بِأَكْثَرِ﴾ أي: حالهم، قاله قتادة، والمبرّد.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ قال الزجاج: معناه: الأمرُ ذلك، وجائز أن يكون: ذلك الإضلال، لأتباعهم الباطل، وتلك الهداية والكفارات باتباع المؤمنين الحق، ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ أي: كذلك يُبين أمثال حسنات المؤمنين وسيئات الكافرين كهذا البيان.

قوله تعالى: ﴿صَبَّ الرِّقَابَ﴾ إغراء؛ والمعنى: فاقتلوهم، لأن الأغلب في موضع القتل ضربُ الفُتق<sup>(١)</sup> ﴿وَحَقَّ إِذَا أَتَمْتُمُوهُ﴾ أي: أكثرتم فيه القتل ﴿فَسُدُّوا أَلْوَاكَ﴾ يعني في الأسر؛ وإنما يكون الأسر بعد المبالغة في القتل. والوئاق، اسم من الإيثاق؛ تقول: أوثقتُه إيثاقاً ووئاقاً، إذا شددت أسره لئلا يُفلت ﴿فَلَمَّا سَأَلْنَا يَدَ﴾ قال أبو عبيدة: إما أن تمثوا، وإما أن تفادوا، ومثله: سَفِيًّا، وَرَعِيًّا، وإنما هو سُقِيَّتْ وَرَعِيَّتْ. وقال الزجاج: إِمَّا مَنَنْتُمْ عليهم بعد أن تأسروهم مَنًّا، وإِمَّا أَطْلَقْتُمُوهم بفداء.

## فصل

وهذه الآية محكمة عند عامة العلماء. وممن ذهب إلى أن حُكْمَ المَنِّ والفداء باقٍ لم يُنسخ: ابنُ عمر، ومجاهد، والحسن، وابن سيرين، وأحمد، والشافعي. وذهب قوم إلى نسخ المَنِّ والفداء بقوله: ﴿فَأَقِمْ وَفِعْ﴾ <sup>(٢)</sup>، وممن ذهب إلى هذا ابن جريج، والسدي، وأبو حنيفة. وقد أشرنا إلى القولين في [براءة: ٥].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ لِرَبِّهِ أَوَّلًا﴾ قال ابن عباس: حتى لا يبقى أحد من المشركين. وقال مجاهد: حتى لا

(١) قال ابن كثير: يقول تعالى مرشداً للمؤمنين إلى ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين: ﴿إِنَّمَا يُقِـِّدُ الْوَيْلَ الْكُبْرَى فَكَرَّ الْوَيْلَ﴾ أي: إذا واجهتهم فاحصوهم حصصاً بالسيف. اهـ.

(٢) في الأصل: «اقْتُلُوا» بدل «فاقتُلُوا».

يكون دينٌ إلّا دين الإسلام. وقال سعيد بن جبير: حتى يخرج المسيح. وقال الفراء: حتى لا يبقى إلّا مُسلمٌ أو مُسلمٌ. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: حتى يضع أهل الحرب سلاحهم؛ قال الأعشى:

وَأَعْدَدْتُ لِنَحْرِبِ أَوْزَارَهَا: رِمَاحاً طَوَّالاً وَخَيْلاً ذُكُوراً<sup>(١)</sup>

وأصل «الوزر» ما حملته، فسُمي السلاح «أوزاراً» لأنه يُحمل، هذا قول ابن قتيبة. والثاني: حتى تضع حربكم وقتلكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يُسلموا ولا يعبدوا إلّا الله، ذكره الواحدي.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك الذي ذكرنا ﴿وَلَوْ أَنَّكَ اللَّهُ لَأَنْفَرْتَ مِنْهُمْ﴾ بإهلاكهم أو تعذيبهم بما شاء ﴿وَلَكِنْ﴾ أمرهم بالحرب ﴿لِيَلْزِمَ بَعْضُكُمْ يَتِيمٌ﴾ فيئيب المؤمن ويكرمه بالشهادة، ويُخزي الكافر بالقتل والعذاب.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ثَلَاثًا﴾ قرأ أبو عمرو، وحُفص عن عاصم: «ثَلَاثًا» بضم القاف وكسر التاء؛ والباقون: «ثَلَاثًا» بآلف.

قوله تعالى: ﴿سَيَبْيَهُمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: يهديهم إلى أرشد الأمور، قاله ابن عباس. والثاني: يحقق لهم الهداية، قاله الحسن. والثالث: إلى مُحااجة منكر ونكير. والرابع: إلى طريق الجنة، حكاهما الماوردي. وفي قوله: ﴿عَرَفْتُمْ لَهُمْ﴾ قولان: أحدهما: عرّفهم منازلهم فيها فلا يستدلّون عليها ولا يُحيطون بها، هذا قول الجمهور، منهم مجاهد، وقتادة، واختاره الفراء، وأبو عبيدة. والثاني: طيّبها لهم، رواه عطاء عن ابن عباس. قال ابن قتيبة: وهو قول أصحاب اللغة، يقال: طعماً معروفاً، أي: مطيّب. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، وابن محيصن: «عَرَفْتُمْ لَهُمْ» بتخفيف الراء<sup>(٢)</sup>.

﴿يَتْلُو آيَاتِهِ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْهِ﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَسَاءَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ مَا آتَى اللَّهُ مِنْ بَيِّنَاتٍ لِيُجِيبُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرَهُ اللَّهُ عَالِمًا ﴿ذَلِكَ﴾ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَنْوُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْثَمُ وَالنَّارُ مَوْجِيءٌ لَهُمْ﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَةٍ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿أَفَنْ كَانَ عَلَى يَتِيمٍ يَتِيمٍ كَنْزٍ لَمْ يَسُوءْ عَلَيْهِمْ وَآبَتُوا أَوَّامَهُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ﴾ أي: تنصروا دينه ورسوله ﴿يَنْصُرْكُمْ﴾ على عدوكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ عند القتال. وروى المفضل عن عاصم: «وُثِّبَتْ» بالتخفيف. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَسَاءَلُونَ﴾ قال الفراء: المعنى: فاتعسبهم الله، والدُّعاء قد يجزي مَجْرَى الأمر والنهي. قال ابن قتيبة: هو من قولك: تَسَاءَلْتُ، أي: عَثَرْتُ وَسَقَطْتُ. وقال الزجاج: التَّعَسُّبُ في اللغة: الانحطاط والمُثُور. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الكهف: ١٠٥، يوسف: ١٠٩] إلى قوله: ﴿دَمَرَهُ اللَّهُ عَالِمًا﴾ أي: أهلكهم الله<sup>(٣)</sup> ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: أمثال تلك العاقبة. ﴿ذَلِكَ﴾ الذي فعله بالمؤمنين من النصر، وبالكافرين من الدمار ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: وليهم. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْثَمُ﴾<sup>(٤)</sup> أي: إن الأنعام تأكل وتشرب، ولا تُدري ما في غد، فكذلك الكفار لا يلتفتون إلى الآخرة. و«الْمَوْجِيءُ»: المنزل. ﴿وَكَأَيِّنْ﴾ مشروح في [المراد: بقرته: مكة؛ وأضاف القوة والإخراج إليها، والمراد أهلها، ولذلك قال: «أَهْلَكْنَاهُمْ»].

قوله تعالى: ﴿أَفَنْ كَانَ عَلَى يَتِيمٍ يَتِيمٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه رسول الله ﷺ، قاله أبو العالية. والثاني: أنه

(١) «ديوانه» ٩٩، و«غريب القرآن» ٤٠٩، و«الفرط» ١٦/٢٢٩، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: وُزِرَ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: سيوفن الله تعالى ذكره للملح بما يرى ويحبّ هؤلاء الذين قالوا في سبيله ﴿يَسْلُحُ بَالَهُمْ﴾ ويصلح أمرهم وحالهم في الدنيا والآخرة ﴿وَيُثَبِّتُهُمْ لِنَفْسِهِمْ ذِكْرًا لَهُمْ﴾ (١) يقول: ويدخلهم الله جنته عرّفها ويثبتها لهم، قال: حتى إن الرجل ليأتي منزله منها إذا دخلها كما كان يأتي منزله في الدنيا لا يشكّل عليه ذلك. اهـ. وروى البخاري في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا خلص المؤمنون من النار، حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار يتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا ذهبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، والذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة أمدى من بمنزله الذي كان في الدنيا».

(٣) قال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿أَفَنْ يَسِيرُوا﴾ يعني المشركين بالله المكذّبين لرسوله ﷺ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرَهُ اللَّهُ عَالِمًا﴾ أي: عاقبهم بتكذيبهم وقهرهم.

(٤) وأول الآية: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَنْوُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْثَمُ﴾. (٥) وأول الآية: ﴿كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَةٍ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾.

المؤمن، قاله الحسن. وفي «البيئة» قولان: أحدهما: القرآن، قاله ابن زيد. والثاني: الدين، قاله ابن السائب. ﴿كَانَ يُؤْمِنُ لَمْ يَسْمَعْ عَلَيْهِ﴾ يعني عبادة الأوثان، وهو الكافر ﴿وَأَتَّبَعُوا آيَاتَهُمْ﴾ بعبادتها<sup>(١)</sup>.

﴿عَنْ الْجَنَّةِ إِلَى رُجْدِ النَّفْثِ﴾ أي: أُنْزِلَ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ مَائِنٍ وَأُنْزِلَ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأُنْزِلَ مِنْ حَمَرٍ لَدَوٍّ لِلشَّيْطَانِ وَأُنْزِلَ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفُورٌ مِنْ رَيْبِهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِيلٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْلَهُمْ ﴿٥٦﴾

﴿عَنْ الْجَنَّةِ إِلَى رُجْدِ النَّفْثِ﴾ أي: صِفَتُهَا، وقد شرحناه في [الرعد: ٣٥]. و«المتقون» عند المفسرين: الذين يتقون الشرك. و«الآسين» المتغير الرِّيح، قاله أبو عبيدة، والزجاج. وقال ابن قتيبة: هو المتغير الرِّيح والطَّعم، و«الآجن» نحوه. وقرأ ابن كثير: «غير آسين» بغير مد. وقد شرحنا قوله «لَدَوٍّ لِلشَّيْطَانِ» في [الصافات: ٤٦].

قوله تعالى: ﴿مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ أي: من عسل ليس فيه عكر ولا كدر كعسل أهل الدنيا.

قوله تعالى: ﴿كَانَ هُوَ خَلِيلٌ فِي النَّارِ﴾ قال الفراء: أراد: مَنْ كَانَ فِي هَذَا النِّعَمِ، كمن هو خالد في النار؟!<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَاءً حَمِيمًا﴾ أي: حارًّا شديد الحرارة. و«الأمعاء» جميع ما في البطن من الحوايا<sup>(٣)</sup>.

﴿وَنُفِثَ مِنْ يَسْتَنَجِ إِلَيْكَ حَقٌّ لِمَا رَجَعُوا مِنْ عِبْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مَاذَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمْ هُدًى وَكَانَتْهُمْ تُقَاتِلُهُمْ ﴿٥٨﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنْتُمْ لَهَا جَاهِلُونَ ﴿٥٩﴾ ذُكِّرْتُمْ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنُفِثَ مِنْ يَسْتَنَجِ إِلَيْكَ﴾ يعني المنافقين. وفيما يستمعون قولان: أحدهما: أنه سماع خطبة رسول الله ﷺ يوم الجمعة. والثاني: سماع قوله على عموم الأوقات، فأما «لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ»، فالمراد بهم: علماء الصحابة.

قوله تعالى: ﴿مَاذَا قَالَ عِيسَى﴾ قال الزجاج: أي: ماذا قال الساعة، وهو من قولك: استأنفت الشيء: إذا ابتدأته، وروضة أنف: لم تُرْعَ، أي: لها أول يُرْعَى؛ فالمعنى: ماذا قال في أول وقت يقرب منا. وحذثنا عن أبي عمر غلام ثعلب أنه قال: معنى «أنفأ» مذهب ساعة. وقرأ ابن كثير، في بعض الروايات عنه: «أنفأ» بالقصر، وهذه قراءة عكرمة، وحמיד، وابن محيصن. قال أبو علي: يجوز أن يكون ابن كثير توهم، مثل حاذِر وحذِر، وفاكِه وفكِه. وفي استفهامهم قولان: أحدهما: لأنهم لم يَقُولُوا ما يقول، ويُدُلُّ عليه باقي الآية. والثاني: أنهم قالوه استهزاء.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم المسلمون، قاله الجمهور. والثاني: قومٌ من أهل الكتاب كانوا على الإيمان بأنبيائهم وبمحمد ﷺ، فلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ آمَنُوا بِهِ، قاله عكرمة. وفي الذي زادهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الله ﷻ. والثاني: قول الرسول. والثالث: استهزاء المنافقين زاد المؤمنين هُدًى، ذكرهن الزجاج. وفي معنى الهدى قولان: أحدهما: أنه العلم. والثاني: البصيرة. وفي قوله: ﴿وَكَانَتْهُمْ تَقَاتِلُهُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: ثواب تقواهم في الآخرة، قاله السدي. والثاني: اتقاء المنسوخ والعمل بالناسخ، قاله عطية. والثالث: أعطاهم التقوى مع الهدى، فأتقوا معصيته خوفاً من عقوبته، قاله أبو سليمان الدمشقي<sup>(٤)</sup>. و«يَنْظُرُونَ» بمعنى ينتظرون، ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو الأشهب، وحמיד: ﴿إِنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ بكسر الهمزة من غير ياء بعد التاء. والأشراط: العلامات؛ قال أبو عبيدة: الأشراط: الأعلام، وإنما سُمِّيَ الشُّرَطُ - فيما ترى - لأنهم أعلموا أنفسهم. قال المفسرون: ظهور النبي ﷺ من

(١) يقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ كَانَ عَلَى نَذِيرٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي: على بصيرة ويقين في أمر الله ودينه بما أنزل الله في كتابه من الهدى والعلم، وبما جبله الله عليه من الفطرة المستقيمة ﴿كَانَ يُؤْمِنُ لَمْ يَسْمَعْ عَلَيْهِ﴾ أي: ليس هذا كهذا، كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَنْتَظِرُونَ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْفُتُورُ﴾ أي: لا يَتَوَقَّعُونَ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْفُتُورُ وَأَمْ يَحْتَسِبُ أَنْ يَكُونَ هُمْ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٩﴾. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: ليس هؤلاء كهؤلاء، وليس من هو في الدرجات كمن هو في الدرجات. اهـ.

(٣) قال ابن جرير: وقوله: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْلَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وسقي هؤلاء الذين هم خلود في النار ماء قد انتهى حره، فقطع ذلك الماء من شدة حره أمعائهم. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمْ هُدًى﴾ أي: والذين قصدوا الهداية، وقَّعهم الله تعالى لها، فهداهم إليها، وثبتهم عليها، وزادهم منها ﴿وَكَانَتْهُمْ تَقَاتِلُهُمْ﴾ أي: ألهمهم رشدهم. اهـ.

أشراط الساعة، وانشقاق القمر والدخان وغير ذلك<sup>(١)</sup>. «فَأَنذَرْتُكُمْ أَي: فمن أين لهم ﴿إِنَّا جَاءَهُمْ﴾ الساعة ﴿ذُكِّرْتُمْ﴾؟ قال قتادة: أتى لهم أن يذكروا ويتوبوا إذا جاءت! ١٩

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِنَّا أَنْزَلْنَا سُورَةَ الْحُكْمَةِ وَذَكَرَ فِيهَا الْفِتْنَةُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَقَلَّرَ الْمَشْفِيُّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوَّلُ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ قَلَّ صَادِقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قال بعضهم: أثبت على علمك، وقال قوم: المراد بهذا الخطاب غيره؛ وقد شرحنا هذا في فاتحة (الأحزاب). وقيل: إنه كان يضيق صدره بما يقولون، فقيل له: اغلِّم أنه لا كاشف لما بك إلا الله. فأما قوله: «وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ» فإنه كان يستغفر في اليوم مائة مرة<sup>(٢)</sup>، وأمر أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات إكراماً لهم لأنه شفيح مجاب<sup>(٣)</sup>. «وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مُتَقَلَّبَكُمْ في الدنيا ومثواكم في الآخرة، وهو معنى قول ابن عباس. والثاني: مُتَقَلَّبَكُمْ في أصلاب الرجال إلى أرحام النساء، ومقامكم في القبور، قاله عكرمة. والثالث: «مُتَقَلَّبَكُمْ» بالنهار ومثواكم أي: ماواكم بالليل، قاله مقاتل<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: «وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ» قال المفسرون: سألوا ربهم أن يُنزل سورة فيها ثواب القتال في سبيل الله، اشتيافاً منهم إلى الوحي وجرحاً على الجهاد، فقالوا: «لولا» أي: هلا، وكان أبو مالك الأشجعي يقول: «لا» هاهنا صلة، فالمعنى: لو أنزلت سورة، شوقاً منهم إلى الزيادة في العلم، ورغبة في الثواب والأجر بالاستكثار من الفرائض. وفي معنى «الْحُكْمَةِ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها التي يُذكر فيها القتال، قاله قتادة. والثاني: أنها التي يُذكر فيها الحلال والحرام. والثالث: التي لا منسوخ فيها، حكاهما أبو سليمان الدمشقي. ومعنى قوله: «وَذَكَرَ فِيهَا الْفِتْنَةَ» أي: فُرِضَ فيها الجهاد. وفي المراد بالمرض قولان: أحدهما: النفاق، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والجمهور. والثاني: الشك، قاله مقاتل.

قوله تعالى: «يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ أَي: يَشْخَصُونَ نحوك بأبصارهم ينظرون نظراً شديداً كما ينظر الشاخص ببصره عند الموت، لأنهم يكرهون القتال، ويخافون إن قعدوا أن يتبين نفاقهم. «فَأَوَّلُ لَهُمْ» قال الأصمعي: معنى قولهم في التهديد: «أَوَّلَى لَكَ» أي: وَلَيْكَ وقَارَكَ ما تكزّه. وقال ابن قتيبة: هذا وعيد وتهديد، تقول للرجل - إذا أردت به سوءاً، ففَأَتَكَ - أَوَّلَى لَكَ، ثم ابتداً، فقال: «طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ...» وقال سيبويه والخليل: المعنى: طاعة وقول معروف أمثل. وقال الفراء: الطاعة معروفة<sup>(٥)</sup> في كلام العرب، إذا قيل لهم: افعلوا كذلك، قالوا: سَمِعْ طَاعَةً، فوصف [الله] قولهم قبل أن تنزل السورة أنهم يقولون: سَمِعْ طَاعَةً، فإذا نزل الأمر كرهوا. وأخبرني حبان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: قال الله تعالى: «فَأَوَّلُ»، ثم قال: «لَكُمْ» أي: للذين آمنوا منهم «طَاعَةٌ»، فصارت «أَوَّلَى» وعيداً

(١) قال ابن كثير: فبعضة رسول الله ﷺ من أشراط الساعة، لأنه خاتم الرسل الذين أكمل الله تعالى به الدين، وأقام به الحجة على العالمين، قال: وقد أخبر ﷺ بأمارات الساعة وأشراطها، وأبان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤت نبياً قبله، قال: ولهذا جاء في أسمائه ﷺ أنه نبي التوبة، ونبي الملحمة، والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه، والعاقب الذي ليس بعده نبي. اهـ. وروى البخاري في «صحيحه» عن سهل بن سعد ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعيه هكذا، بالوسطى واليها: «بعثت أنا والساعة كهاتين».

(٢) روى مسلم في «صحيحه» عن الأغر بن يسار المزني ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليغان على قلبي، وإنني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» والمراد بليغان: أن يفتر عن الذكر الذي في شأنه أن يداوم عليه، فإذا فتر عنه لأمر ما عد ذلك ذنباً فاستغفر منه. وروى البخاري في «صحيحه» عن شداد بن أوس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» قال: «ومن قالها في النهار موثقاً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موثق بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة».

(٣) روى أحمد في «مسنده» من حديث شعبة عن عاصم الأحول قال: سمعت عبد الله بن سرجس قال: أتيت رسول الله ﷺ فأكلت معه من طعامه، فقلت: غفر الله لك يا رسول الله، فقال ﷺ: «فولك» فقلت (أي شعبة): استغفر لك؟ قال: «نعم ولكم»، وقرأ: «وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ». قال ابن كثير: ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن عاصم الأحول به.

(٤) والقول الثالث أولى كما قال ابن كثير. (٥) في الأصلين: مرفوعة.

لَمِنْ كَرِهَهَا، واستأنف الطاعة بـ «لهم»؛ والأول عندنا كلام العرب، وهذا غير مردود، يعني حديث أبي صالح. وذكر بعض المفسرين أن الكلام متصل بما قبله، والمعنى: فأولى لهم أن يطيعوا وأن يقولوا معروفاً بالإجابة.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ قال الحسن: جد الأمر. وقال غيره: جد رسول الله ﷺ وأصحابه في الجهاد، ولَزِمَ فرض القتال، وصار الأمر معروفاً عليه. وجواب «إذا» محذوف، تقديره: فإذا عَزَمَ الْأَمْرُ نَكَلُوا؛ يدلُّ على المحذوف ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ أي: في إيمانهم وجهادهم ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ من المعصية والكرامة.

﴿فَهَلْ عَصَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْصَامَكُمْ﴾ (١) أَوَّلُكَ الَّذِينَ لَتَنَّهُمْ اللَّهُ فَمَا مَسَّحَرُوا وَأَعْمَى أَبْصَرَهُمْ (٢) أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٣) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَّ لَهُمْ (٤) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ بِمَا يَصْنَعُونَ خَبِيرٌ (٥) إِذَا تَوَلَّيْتُمْ الْمَلَائِكَةُ بِبَرِّتٍ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارُهُمْ (٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ (٧)

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَصَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ في المخاطب بهذا أربعة أقوال: أحدها: المنافقون، وهو الظاهر. والثاني: منافقو اليهود، قاله مقاتل. والثالث: الخوارج، قاله بكر بن عبد الله المزني. والرابع: قريش، حكاة جماعة منهم الماوردي. وفي قوله: ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه بمعنى الإعراض. فالمعنى: إن أعرضتم عن الإسلام ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بأن تعودوا إلى الجاهلية يقتل بعضكم بعضاً، ويغير بعضكم على بعض، ذكره جماعة من المفسرين. والثاني: أنه من الولاية لأمر الناس، قاله القرطبي. فعلى هذا يكون معنى «أن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ»: بالجور والظلم. وقرأ يعقوب: «وتَقَطَّعُوا» بفتح التاء والطاء وتخفيفها وسكون القاف (١). ثم دَمَّ من يريد ذلك بالآية التي بعد هذه. وما بعد هذا قد سبق [النساء: ٨٢] إلى قوله: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ «أم» بمعنى «بل»، وذكر الأقفال استعارة، والمراد أن القلب يكون كالبيت المغقل لا يصل إليه الهدى. [قال مجاهد]: الزان أسير من الطئع، والطئع أسير من الإقفال، والإقفال أشد ذلك كله. وقال خالد بن معدان: ما من آدمي إلا وله أربع أعين، عَيْنَانِ في رأسه لِذُنْيَاهُ وما يُضِلُّحَهُ من معيشتِهِ، وعَيْنَانِ في قلبه لِذُنْيِهِ وما وَعَدَ اللهُ من العَيْبِ، فإذا أراد الله بعد خيراً أبصرَ عَيْنَاهُ اللتان في قلبه، وإذا أراد به غير ذلك طمس عليهما، فذلك قوله: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾ أي: رجعوا كُفَّاراً؛ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم المنافقون، قاله ابن عباس، والسدي، وابن زيد. والثاني: أنهم اليهود، قاله قتادة، ومقاتل. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ الْهُدَى﴾ أي: من بعد ما وَضَحَ لهم الحق. ومن قال: هم اليهود، قال: من بعد أن تبين لهم وصف رسول الله ﷺ ونعته في كتابهم. ومعنى زَيْن، ﴿وَأَمَلَّ لَهُمْ﴾ قرأ أبو عمرو، وزيد عن يعقوب: «وأَمَلِّيَ لهم» بضم الهمزة وكسر اللام وبعدها ياء مفتوحة. وقرأ يعقوب إلا زيدا، وأبان عن عاصم كذلك، إلا أنهم أسكنوا الياء. وقرأ الباقر بفتح الهمزة واللام. وقد سبق معنى الإبلاء [آل عمران: ١٧٨، الأعراف: ١٨٣].

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ قال الزجاج: المعنى: الأمرُ ذلك، أي: ذلك الإضلال بقولهم ﴿لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ وفي الكاهرين قولان: أحدهما: أنهم المنافقون، فعلى هذا في معنى قوله: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ ثلاثة

(١) أي: وتقطَّعوا الأرحام. قال ابن كثير: وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموماً، وعن قطع الأرحام خصوصاً، بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض، وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأعمال وبذل الأموال، قال: وقد وردت الأحاديث الصحاح والحسان بذلك عن رسول الله ﷺ من طرق عديدة وجوه كثيرة. اهـ. روى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يسقط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه». وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعته الله». وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة؟ قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك» ثم قال رسول الله ﷺ: «الروا إلى شتم» ﴿فَهَلْ عَصَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْصَامَكُمْ﴾ (١) أَوَّلُكَ الَّذِينَ لَتَنَّهُمْ اللَّهُ فَمَا مَسَّحَرُوا وَأَعْمَى أَبْصَرَهُمْ (٢).

(٢) رواء الطبري ٥٧/٢٦ وفي سنده ضعف.

أقوال: أحدهما: في السُّعُود عن نُصْرَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، قاله السدي. والثاني: في المَعْلِ إليكم والمظاهرة على محمد ﷺ. والثالث: في الارتداد بعد الإيمان، حكاهما الماوردي. والثاني: أنهم اليهود، فعلى هذا في الذي أطاعوهم فيه قولان: أحدهما: في أن لا يصدّقوا شيئاً من مقالة رسول الله ﷺ، قاله الضحاك. والثاني: في كُتْم ما عَلِمُوهُ من بُيُوتِهِ، قاله ابن جريج<sup>(١)</sup>. «وَاللَّهِ يَمْلِكُ إِسْرَارَكُمْ» قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم، والوليد عن يعقوب: بكسر الألف على أنه مصدر أَسْرَرْتُ؛ وقرأ الباقر: بفتحها على أنه جمع سِرٌّ، والمعنى أنه يَعْلَم ما بين اليهود والمنافقين من السِّرِّ. قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ؟﴾ أي: فكيف يكون حالهم حينئذٍ؟ وقد بيَّنا في [الأنفال: ٥٠] معنى قوله: ﴿يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَصَكِّرُوا رِضْوَانَكُمْ﴾ أي: كَرِّهُوا ما فيه الرِّضْوَان، وهو الإيمان والطاعة. «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرُوضٌ أَنْ لَنْ يَخْرِجَ اللَّهُ أَشْقَانَهُمْ» (١) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرْزَقْنَهُمْ قُلُوبَهُمْ بِسَمْعِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٢) وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّعِيفِينَ وَتَلَوا لِقَابَكُمْ (٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرِّسَالَ مِنْ بَدْنِهِمْ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْكُفْرُ أَنْ يُضَرُّوا اللَّهُ شَيْئاً وَسَيُحِطُّ بِأَعْمَالِهِمْ (٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُذْهِبْ اللَّهُ وَيَلْغُوا أَلْسِنَتَكُمْ لَكِنَّا لَكُنَّا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَوْمٌ كَاذِبُونَ (٥) وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ بِسَمْعِهِمْ (٦) أَي: نفاق «أَنْ لَنْ يَخْرِجَ اللَّهُ أَشْقَانَهُمْ» قال الفراء: أي لن يُبَيِّد عداوتهم ويُغْضِبهم لمحمد ﷺ. وقال الزجاج: أي: لن يُبَيِّد عداوتهم لرسوله ﷺ ويُظهِرُهُ على نفاقهم<sup>(٧)</sup>. «وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرْزَقْنَهُمْ» أي: لنعرفناكم، تقول: قد أَرَيْتَكَ هذا الأمر، أي: قد عَرَفْتُكَ إِيَّاهُ، المعنى: لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة، وهي السيماء «فَلَتَعْرِفَنَّهُمْ بِسَمْعِهِمْ» أي: بتلك العلامة «وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ» أي: في فحوى القول، فدلَّ بهذا على أن قول القائل وفعله يدلُّ على نيَّته. وقول الناس: قد لَحَنَ فلانٌ، تأويله: قد أخذ في ناحية عن الصواب، وَعَدَّلَ عن الصواب إليها، وقول الشاعر:

مَنْ طَلَّقَ صَائِبٌ وَتَلَحَّنَ أَخِيَا  
نَأ، وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَخْنَا<sup>(٨)</sup>  
تأويله: خير الحديث من مثل هذه ما كان لا يعرفه كلُّ أحد، إنما يُعَرَّفُ قولها في أنحاء قولها. قال المفسرون: وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ في فحوى الكلام ومعناه ومقصده، فإنهم يتعرَّضون بتهجين أمرك والاستهزاء بالمسلمين. قال ابن جرير: ثم عرَّفه الله إِيَّاهُمْ.

قوله تعالى: ﴿وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي: وَلَتَعَامِلَنَّكُمْ معاملةً الْمُخْتَبِرِ بآن نأمركم بالجهاد «حَتَّى تَعْلَمَ» العلم الذي هو علم وجود، وبه يقع الجزاء، وقد شرحنا هذا في [المنكوت: ٣].

قوله تعالى: ﴿وَتَلَوا لِقَابَكُمْ﴾ أي: نُظِّهَرُها ونُكْشِفُها إِيَّاهُ من يَأْبَى القتال ولا يَضْرِبُ على الجهاد. وقرأ أبو بكر عن عاصم: «وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ» بآلاء «حتى يَعْلَمَ» بآلاء «وَيَلْغُوا» بآلاء فيهن. وقرأ معاذ القرائي، وأيوب السخيتاني: «أَخْيَارَكُمْ» بآلاء جمع «خير»<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ [الآية]<sup>(١٠)</sup> اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها في الْمُطْلُوعِينَ

(١) قال ابن كثير: أي: ما لَوْهَم وناصحهم في الباطن على الباطل، قال: وهذا شأن المنافقين يظهرُونَ خلاف ما يَظُنُونَ، ولهذا قال الله ﷻ: «وَاللَّهُ يَمْلِكُ إِسْرَارَكُمْ» أي: ما يَسْرُونَ وما يَخْفُونَ، والله مُلْغٍ عليه وعالم به، كقوله تبارك وتعالى: «وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْشِرُونَ». اهـ.  
(٢) قال ابن كثير: يقول تعالى: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرُوضٌ أَنْ لَنْ يَخْرِجَ اللَّهُ أَشْقَانَهُمْ»؟ أي: أيعتقد المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين؟ بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمهم ذُور البصائر، قال: وقد أنزل الله تعالى في ذلك سورة (براءة) فيبين فيها فضائلهم وما يعتمدونه من الأفعال الدالة على نفاقهم، قال: ولهذا كانت تسمى «الفاضحة»، قال: والأغصان جمع ضِفْن، وهو ما في النفوس من الحسد والحدق للإسلام وأهله والقائلين بنصره. اهـ.

(٣) البيت لمالك بن أسماء بن خارجة الفزاري، وهو في «البيان والبيان» ١/١٤٧، و«الأمالي» ٥/١، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: لحن. قال في «اللسان»: تأويله: وخير الحديث من مثل هذه الجارية ما كان لا يعرفه كلُّ أحد، إنما يُعَرَّفُ أمرها في أنحاء قولها.

(٤) قال في «اللسان»: ورجلٌ غَيَّرَ وَخَيَّرَ، مشدّد ومعتف، وامرأةٌ خَيْرَةٌ وَخَيْرَةٌ، والجمع أخْيَارٌ وَخَيْرَاتٌ.

(٥) وتامها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرِّسَالَ مِنْ بَدْنِهِمْ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْكُفْرُ أَنْ يُضَرُّوا اللَّهُ شَيْئاً وَسَيُحِطُّ بِأَعْمَالِهِمْ﴾.

يوم بدر، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها نزلت في الحارث بن سويد، ووحوش الأنصاري، أسلما ثم ارتدّا، فتاب الحارث ورجع إلى رسول الله ﷺ، وأبى صاحبه أن يَرْجِعَ حتى مات، قاله السدي. والثالث: أنها في اليهود، قاله مقاتل. والرابع: أنها في قريظة [وأنضير]، ذكره الواحدي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبِيلُوا أَعْمَلَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> اختلفوا في مَبِيلُهَا على أربعة أقوال: أحدها: المعاصي والكبائر، قاله الحسن. والثاني: الشك والتناق، قاله عطاء. والثالث: الرياء والسُّمعة، قاله ابن السائب. والرابع: بالَمَنْ<sup>(٤)</sup>، وذلك أن قوماً من الأعراب قَدِمُوا على رسول الله ﷺ فقالوا: أتيناك طائعين، فلنا عليك حق، فنزلت هذه الآية، ونزل قوله: ﴿يَسْتَوُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ [الحجرات: ١٧]، هذا قول مقاتل<sup>(٥)</sup>. قال القاضي أبو يعلى: وهذا يدلُّ على أن كُلَّ مَنْ دَخَلَ فِي قُرَيْشٍ لَمْ يَجُزْ لَهُ الْخُرُوجُ مِنْهَا قَبْلَ إِمْتَامِهَا، وهذا على ظاهره في الحج، فأما في الصلاة والصيام، فهو على سبيل الاستحباب<sup>(٦)</sup>.

﴿فَلَا تَهْتَفُوا إِلَى السِّلَاحِ وَأَنْتُمْ الْأَعَزُّونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَرْكُزَ أَعْمَلَكُمْ﴾<sup>(٧)</sup> إِنَّمَا لِلْيَوْمِ الدُّنْيَا لَوْبٌ وَلَهُوَ لَكِنَّ قُرَيْشًا وَتَنَعُوا يَرْكُزُ لُجُرُكُمْ وَلَا يَسْطَلِكُمْ أَمْرُكُمْ﴾<sup>(٨)</sup> إِنْ يَسْطَلِكُوكُمَا يَخُونُكُمْ تَبَخَّرُوا وَخَرَجَ أَصْفَانُكُمْ﴾<sup>(٩)</sup> هَآئِنْتَ هَؤُلَاءِ تَنْعَوْتَ لِيُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُنْفِقُمْ مَنْ يَبْغُلُ وَمَنْ يَبْغُلْ فَإِنَّمَا يَبْغُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَلَكِنْ تَتَذَكَّرُونَ يَسْتَقْبِلُ قَوْمًا عَرَبَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَسْمَلَكُمْ﴾<sup>(١٠)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهْتَفُوا﴾ أي: فلا تَضَعُفُوا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السِّلَاحِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم: «إلى السِّلْم» بفتح السين؛ وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: بكسر السين، والمعنى: لا تَدْعُوا الْكُفَّارَ إِلَى الصِّلَحِ ابتداء. وفي هذا دلالة على أنه لا يجوز طلب الصِّلَحِ من المشركين، ودلالة على أن النبي ﷺ لم يدخل مكة صلحاً، لأنه نهاه عن الصِّلَحِ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعَزُّونَ﴾ أي: أنتم أَعَزُّ مِنْهُمْ، وَالْحُجَّةُ لَكُمْ، وَآخِرُ الْأَمْرِ لَكُمْ وَإِنْ غَلَبَكُمْ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ<sup>(١١)</sup> ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بِالْعَزْوَ وَالنُّصْرَةِ ﴿وَلَنْ يَرْكُزَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: لن يَنْقُصَكُمْ وَلَنْ يَطْلُبَكُمْ، يقال: وَرَزَنِي حَقِّي، أي: بَحْثَنِيهِ. قال المفسرون: المعنى: لن يَنْقُصَكُمْ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْطَلِكُمْ أَمْرُكُمْ﴾<sup>(١٢)</sup> أي: لن يَسْأَلَكُمْ بِهَا كُلُّهَا.

قوله تعالى: ﴿يَخُونُكُمْ﴾ قال الفراء: يُجْهِدُكُمْ. وقال ابن قتيبة: يُلْحِقُ عَلَيْكُمْ بِمَا يُوْجِبُهُ فِي أَمْوَالِكُمْ ﴿تَبَخَّرُوا﴾، [يقال: أَخْفَانِي بِالمَسَالَةِ وَالْخَف: إِذَا أَخ. وقال السدي: إِنْ يَسْأَلُكُمْ جَمِيعٌ مَا فِي أَيْدِيكُمْ تَبَخَّرُوا]. ﴿وَخَرَجَ أَصْفَانُكُمْ﴾ وقرأ سعد بن أبي وقاص، وابن عباس، وابن عمر: «وَيُخْرِجُ» بياء مرفوعة وفتح الراء «أَصْفَانُكُمْ» بالرفع. وقرأ أبي بن كعب، وأبو رزين، وعكرمة، وابن السميع، وابن محيصن، والجحدري: «وَتُخْرِجُ» بشاء مفتوحة ورفع الراء،

(١) ذكره البغوي والغازن عن ابن عباس بدون سند.

(٢) قال ابن كثير: يخبر تعالى عمن كفر وصعد عن سبيل الله وخالف الرسول وشاقه وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى، أنه لن يضرب الله شيئاً، وإنما يضرب نفسه، ويخسرهما يوم معادهما، وسيحبط الله عمله فلا يثيبه على سالف ما تقدم من عمله الذي عليه برده مقال بعوضة من خير، بل يحبطه ويمحقه بالكليّة، كما أن الحسنات يلذهن السيئات. اهـ.

(٣) والآية بتمامها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَبِيلُوا أَعْمَلَكُمْ﴾.

(٤) قال الشوكاني في «فتح القدير»: والظاهر النهي عن كل سبب من الأسباب التي توصل إلى بطلان الأعمال كأنما ما كان من غير تخصيص بنوع معين. اهـ.

(٥) ذكره البغوي عن مقاتل بدون سند.

(٦) روى أحمد والبيهقي بسند جيد عن أم هانئ رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ شرب شراباً، فناولها لتشرب، فقالت: إني كنت صائمة، ولكنني كرهت أن أُرَدَّ سؤرك، قال: «إِنْ كَانَ قِصَافٌ مِنْ رَمَضَانَ، فَاقْضِي يَوْمًا مَكَانَهُ، وَإِنْ كَانَ طَوْعًا، فَإِنْ شِئْتَ فَاقْضِي، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَقْضِي».

(٧) قال ابن كثير: أي: لا تضعفوا من الأعداء ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السِّلَاحِ﴾ أي: إلى المهادنة والمسالمة، ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عددكم، قال: ولهذا قال: ﴿فَلَا تَهْتَفُوا وَتَدْعُوا إِلَى السِّلَاحِ وَأَنْتُمْ الْأَعَزُّونَ﴾ أي: في حال علوكم على عدوكم، قال: فأما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جمع المسلمين، ورأى الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحة، فله أن يفعل ذلك كما فعل رسول الله ﷺ حين صلح كفار قريش من مكة ودعوه إلى الصِّلَحِ ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين، فأجابهم ﷺ إلى ذلك. اهـ.

(٨) والآية بتمامها: ﴿إِنَّمَا لِلْيَوْمِ الدُّنْيَا لَوْبٌ وَلَهُوَ لَكِنَّ قُرَيْشًا وَتَنَعُوا يَرْكُزُ لُجُرُكُمْ وَلَا يَسْطَلِكُمْ أَمْرُكُمْ﴾.



«أَضْغَانُكُمْ» بالرفع. وقرأ ابن مسعود، والوليد عن يعقوب: «وَنُخْرِجُ» بنون مرفوعة وكسر الراء، «أَضْغَانُكُمْ» بنصب النون، أي: يُظْهَرُ بُغْضُكُمْ وَعِدَاوَتُكُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، ولكنه فرض عليكم يسيراً. وفيمن يضاف إليه هذا الإخراج وجهان: أحدهما: إلى الله ﷻ. والثاني: البخل، حكاهما الفراء. وقد زعم قوم أن هذه الآية منسوخة بآية الزكاة، وليس بصحيح، لأنّا قد بينّا أن معنى الآية: إِنْ يَسْأَلُكُمْ جَمِيعَ أَمْوَالِكُمْ؛ وَالزَّكَاةُ لَا تَنَافِي ذَلِكَ.

قوله تعالى: ﴿كَانَتْ هَذِهِ تَدْعُونَ لِنُفُوسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني ما فرض عليكم في أموالكم ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلْ﴾ بما فرض عليه من الزكاة ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: على نفسه بما ينفعها في الآخرة ﴿وَاللَّهُ التَّقِيُّ﴾ عنكم وعن أموالكم ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ إليه وإلى ما عنده من الخير والرحمة، ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ عن طاعته ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أطوع له منكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَشْتَكْرًا﴾ بل خيراً منكم. وفي هؤلاء القوم ثمانية أقوال: أحدها: أنهم المعجم، قاله الحسن. وفيه حديث يرويه أبو هريرة قال: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ كان سلمان إلى جنب رسول الله ﷺ، فقالوا<sup>(١)</sup>: يا رسول الله، مَنْ هؤلاء الذين إذا تولّينا استبدلوا بنا؟ فضرب رسول الله ﷺ يده على منكب سلمان، فقال: «هذا وقومُه، والذي نفسي بيده، لو أن الذين معلقٌ بالثريا لتناولوه رجال من فارس»<sup>(٢)</sup>. والثاني: فارس والروم، قاله عكرمة. والثالث: من يشاء من جميع الناس، قاله مجاهد. والرابع: يأتي بخلق جديد غيركم، وهو معنى قول قتادة. والخامس: كندة والنخع، قاله ابن السائب. والسادس: أهل اليمن، قاله راشد بن سعد، وعبد الرحمن بن جببر، وشريح بن عبيد. والسابع: الأنصار. قاله مقاتل. والثامن: أنهم الملائكة، حكاها الزجاج وقال: فيه بُعْدٌ [لأنه] لا يقال للملائكة «قَوْمٌ»، إنما يقال ذلك للآدميين؛ قال: وقد قيل: إن تولّى أهل مكة استبدل الله بهم أهل المدينة، وهذا [معنى] ما ذكرنا عن مقاتل<sup>(٣)</sup>.



(١) في الأصل: فقال.

(٢) رواه ابن جرير الطبري ٦٦/٢٦، وفي سننه مسلم بن خالد المخزومي المعروف بالزُّنْجِي، قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب»: ففيه صدوق كثير الأوهام، وذكره ابن كثير في التفسير من رواية ابن جرير وابن أبي حاتم، وقال: تفرد به مسلم بن خالد الزنجي، ورواه عنه غير واحد، وقد تكلم فيه بعض الأئمة رحمة الله عليهم، والله أعلم. ورواه الترمذي في «سننه» ١٥٨/٢ وفي سننه جعفر بن عبد الله بن نجيع، قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب»: ضعيف. وأورده السيوطي في «الدر» ٦٧/٦، وزاد نسبه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، والطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «الدلائل» عن أبي هريرة ﷺ. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٥٢: رواه الترمذي، وابن حبان، والحاكم، والطبري، وابن أبي حاتم وغيرهم من طريق الملاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة، وله طرق عنه وعن غيره. ورواه البخاري في «صحيحه» ٤٩٢/٨، ومسلم ١٩٧٢/٢ بسبب نزول سورة (الجمعة)، ولفظه عند مسلم: عن أبي هريرة ﷺ قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت سورة (الجمعة) فلما قرأ: ﴿وَلَا تَكْفُرْ بَيْنَهُمْ لَنَا يُكْفَرُوا بِهِمْ﴾ قال رجل: مَنْ هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثاً، قال: وفيما سلمان الفارسي، قال: فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لثله رجال من هؤلاء» قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وفي بعض طرق الحديث عند أبي نعيم عن أبي هريرة أن ذلك كان عند نزول قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ قال: ويحتمل أن يكون ذلك صدر عند نزول كل من الآيتين (بريد آية سورة «الجمعة» وآية سورة «محمد»). اهـ. والحديث رواه مسلم في «صحيحه» دون سبب النزول عن أبي هريرة بلفظ: «لو كان للذين عند الثريا للهب به رجل من فارس» (أو قال: من أبناء فارس) حتى يتناولوه. ورواه أحمد في «المسنَد» عن أبي هريرة بلفظ: «لو كان العلم معلقاً بالثريا لتناولوه ناس من أولاد فارس» وفي سننه شهر بن حوشب، وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام كما قاله الحافظ ابن حجر في «التقريب».

(٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله تعالى ذكره: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن تولّوا أيها الناس عن هذا الدين الذي جاءكم به محمد ﷺ فزتكم وأرجعتم عنه ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾، يقول: يهلككم، ثم يجيء بقوم آخرين غيركم بدلاً منكم، يصدّقون به، ويعملون بشراعه ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَشْتَكْرًا﴾، يقول: ثم لا يبخلوا بما أمروا به من النفقة في سبيل الله، ولا يضيّعون شيئاً من حدود دينهم، ولكنهم يقومون بذلك كلّ على ما يؤمرون به. اهـ.

## سورة الفتح

وهي مدنيّة كُلُّهَا بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمِّمَ عَلَيْكَ وَهَبَ لَكَ مِمَّا رَزَقَنَاكَ ﴿٢﴾ وَيُنْصِرَكَ اللَّهُ تَتَمَّرَ فِي الدِّينِ مِنَّا ﴿٣﴾﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾...﴾ [الآية] سبب نزولها أنه لما نزل قوله: ﴿وَمَا آتَاكَ مَا يَقُولُ وَلَا يُنْصِرُكَ﴾ [الاحزاب: ٩] قال اليهود: كيف نُسب رجلًا لا يدري ما يفعل به؟ فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، روى عطاء عن ابن عباس<sup>(١)</sup>، وفي المراد بالفتح أربعة أقول: أحدها: أنه كان يوم الحديبية، قاله الأكثرون. قال البراء بن عازب: نحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان<sup>(٢)</sup>. وقال الشعبي: وهو فتح الحديبية، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأطعموا نخل خيبر، وبلغ الهدي محلّه، وظهرت الروم على فارس، وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس. قال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكّن الإسلام في قلوبهم، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الإسلام. قال مجاهد: يعني بالفتح ما قضى الله له من نحر الهدي بالحديبية وخلق رأسه. وقال ابن قتيبة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾﴾ أي: قضينا لك قضاء عظيمًا، ويقال للقاضي: الفتح. قال الفراء: والفتح قد يكون صلحًا، ويكون أخذ الشيء عنوةً، ويكون بالقتال. وقال غيره: معنى الفتح في اللغة: فتح المنغلق، والصلح الذي يجعل مع المشركين بالحديبية كان مسدودًا متعذرًا حتى فتحه الله تعالى.

### الإشارة إلى قصة الحديبية<sup>(٣)</sup>

روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ رأى في النوم كأنه قائلاً يقول [له]: لَتَدْخُلَنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمين، فأصبح فحدث الناس برؤياه، وأمرهم بالخروج للعمرة<sup>(٤)</sup>؛ فذكر أهل العلم بالسيرة أنه خرج واستنفر أصحابه للعمرة،

(١) ذكره الرازي في أسباب النزول ٢١٧ من رواية عطاء عن ابن عباس بدون سند.

(٢) روى البخاري في صحيحه ٣٤٠/٧ عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «تعدّون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحًا، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية». وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: قوله: «ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان» يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾﴾ قال: وهذا موضع وقع فيه اختلاف قديم، والتحقيق أنه يختلف ذلك باختلاف المراد من الآيات، فقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾﴾ المراد بالفتح هنا: الحديبية، لأنها كانت مبدأ الفتح المبين على المسلمين، لما ترتب على الصلح الذي وقع منه الأمن ووقع الحرب، وتمكن من يخشى الدخول في الإسلام والوصول إلى المدينة من ذلك، كما وقع لخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وغيرهما، ثم تبعته الأسباب بعضها بعضًا إلى أن كمل الفتح. ثم قال: وأما قوله تعالى في هذه السورة: ﴿وَأَكْمَلْتُمْ فَتْحَكُمْ قُرَيْشًا﴾ فالمراد بها فتح خيبر على الصحيح، لأنها هي التي وقعت فيها المغنمات الكثيرة للمسلمين، قال: وقد روى أحمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع بن جارية قال: شهدنا الحديبية، فلما انصرفنا وجدنا رسول الله ﷺ واقفًا عند كراع الغميم وقد جمع الناس قرأ عليهم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾﴾... الآية، فقال رجل: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: «أَيُّ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ الْفَتْحُ»، ثم قسمت خيبر على أهل الحديبية، قال: وروى سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن الشعبي في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾﴾ قال: صلح الحديبية، وغفر له ما تقدم وما تأخر، وتبايعوا بيعة الرضوان، وأطعموا نخيل خيبر، وظهرت الروم على فارس، وفرح المسلمون بنصر الله. قال: وأما قوله تعالى: ﴿تَتَمَّرَ فِي الدِّينِ مِنَّا﴾ فالمراد بالحديبية. وأما قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ وقوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح» فالمراد به فتح مكة باتفاق، قال: فيها ما يرتفع الإشكال وتجتمع الأقوال بكون الله تعالى. اهـ.

(٣) الحُدَيْبِيَّةُ: قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت بئر عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، أو بشجرة حذباء كانت في ذلك الموضع، وبين الحديبية ومكة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل.

(٤) قال الرازي: قال المفسرون: إن الله سبحانه أرى نبيه ﷺ في المدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية كأنه هو وأصحابه حلقوا وقصروا، فأخبر بذلك -

وذلك في سنة ست، ولم يخرج بسلام إلا السيوف في القُرب. وساق هو وأصحابه البُذَن، فصلَّى الظهر بـ «ذي الحليفة»، ثم دعا بالبُذَن فُجِّلَتْ، ثم أشعرها وقُلِّدها، وفعل ذلك أصحابه، وأحرم ولَّي، فبلغ المشركين خروجُه، فأجمع رأيهم على صلِّه عن المسجد الحرام، وخرجوا حتى عسكروا بـ «بُلْدَح»<sup>(١)</sup>، وقَدَّموا مائتي فارس إلى كُراع الغميم، وسار رسولُ الله ﷺ حتى دنا من الحديبية؛ قال الزجاج: وهي بئر، فسَمِّي المكان باسم البئر؛ قالوا: وبينها وبين مكة تسعة أميال، فوقفت يَدًا راحلته، فقال المسلمون: حَلَّ حَلَّ<sup>(٢)</sup> يزجرونها، فَأَبَتْ، فقالوا: خَلَّاهُ الْقَضَاءُ<sup>(٣)</sup> - والخَلَاءُ في النَّاقَةِ مثل الجِراحِ في الفَرَس - فقال: «مَا خَلَّاهُ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ، أَمَا وَاللَّهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً فِيهَا تَعْظِيمُ حُرْمَةِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ لَهَا»، ثم جَرَّهَا فَقَاسَتْ، فَوَلَّى رَاجِعاً عَوْدَهُ عَلَى بُذْنِهِ حَتَّى نَزَلَ عَلَى ثَمَدٍ مِنْ أَثْمَادِ الْحَدِيبَةِ قَلِيلِ الْمَاءِ<sup>(٤)</sup>، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَعَرَزَهُ فِيهَا، فَجَاشَتْ لَهُمْ بِالرَّوَاءِ<sup>(٥)</sup>، وَجَاءَهُ بُذَيْلُ بْنُ رِقَاءٍ فِي رَكْبٍ فَسَلَّمُوا وَقَالُوا: جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ قَوْمِكَ وَقَدْ اسْتَفْتَوْا لَكَ الْأَحْيَاشِ وَمِنْ أَطَاعِهِمْ، يُقْسِمُونَ، لَا يَخْلُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْبَيْتِ حَتَّى تُبَيِّدَ خَضِرَاءَهُمْ<sup>(٦)</sup>، فقال رسول الله ﷺ: «لَمْ نَأْتِ لِقَاتٍ أَحَدٍ إِنَّمَا جِئْنَا لِنَطُوفَ بِهَذَا الْبَيْتِ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتِلُنَا»، فَرَجَعَ [بِدَيْلٍ] فَأَخْبَرَ قَرِيشًا، فَبِعَثُوا عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ، فَكَلَّمَهُ بِنَحْوِ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَ قَرِيشًا، فَقَالُوا: نَرُدُّهُ مِنْ عَامِنَا هَذَا، وَيَرْجِعُ مِنْ قَابِلٍ فَيَدْخُلُ مَكَةَ وَيَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، قَالَ: «اذْهَبْ إِلَى قَرِيشٍ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّا لَمْ نَأْتِ لِقَاتٍ أَحَدٍ وَإِنَّمَا جِئْنَا زُورًا لِهَذَا الْبَيْتِ»، مَعَنَا الْهَدْيُ نَنْحَرُهُ وَنَنْصَرِفُ، فَأَتَانَهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ، فَقَالُوا: لَا كَانَ هَذَا أَبَدًا، وَلَا يَدْخُلُهَا الْعَامَ، وَيَلْغُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ عِثْمَانَ قَدْ قُتِلَ، فَقَالَ: «لَا تَبْرَحْ حَتَّى تُنَاجِرَهُمْ»، فَذَلِكَ حِينَ دَعَا الْمُسْلِمِينَ إِلَى بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، فَبَايَعَهُمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ<sup>(٧)</sup>. وَفِي عَدَدِهِمْ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ، قَالَه الْبَرَاءُ، وَسَلْمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ، وَجَابِرٌ، وَمَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ. وَالثَّانِي: أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ، رَوَى عَنْ جَابِرٍ أَيْضًا، وَبِهِ قَالَ قَتَادَةُ. وَالثَّلَاثُ: أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ وَخَمْسٌ وَعَشْرُونَ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالرَّابِعُ: أَلْفٌ وَثَلَاثُمِائَةٍ، قَالَه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى. قَالَ: وَضَرَبَ يَوْمَئِذٍ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ عَلَى يَمِينِهِ لِعِثْمَانَ، وَقَالَ: إِنَّهُ ذَهَبَ فِي حَاجَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَجَعَلَتْ الرُّسُلُ تَخْتَلِفُ بَيْنَهُمْ، فَاجْمَعُوا عَلَى الصُّلْحِ، فَبِعَثُوا سَهِيلَ بْنَ عَمْرٍو فِي عِدَّةِ رِجَالٍ، فَصَالَحَهُ كَمَا ذَكَرْنَا فِي [بِرَاءة: ٧]، فَأَقَامَ بِالْحَدِيبَةِ بَضْعَةَ عَشْرِ يَوْمًا، وَيُقَالُ: عَشْرِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمَّا كَانَ بِـ «ضُبَّجَانَ»<sup>(٨)</sup> نَزَلَ عَلَيْهِ: ﴿إِنَّا نَمُنَّا لَكَ فَمَّا تُبَيِّنَا﴾، فَقَالَ جَبْرِيلُ: يَهَيْئِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَتَاهُ الْمُسْلِمُونَ. وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ هَذَا الْفَتْحَ فَتَحَ مَكَةَ، رَوَاهُ مَسْرُوقٌ عَنْ عَائِشَةَ، وَبِهِ قَالَ السُّدِّيُّ. وَقَالَ بَعْضُ مَنْ ذَهَبَ إِلَى هَذَا: إِنَّمَا وُعِدَ بِفَتْحِ مَكَةَ بِهَذِهِ الْآيَةِ. وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ فَتَحَ خَيْبَرَ، قَالَه مُجَاهِدٌ، وَالْعَوْفِيُّ وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ كَالْقَوْلَيْنِ. وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ الْقَضَاءُ لَهُ بِالْإِسْلَامِ، قَالَه مِقَاتِلٌ. وَقَالَ غَيْرُهُ: حَكَمْنَا لَكَ بِإِظْهَارِ دِينِكَ وَالتَّصَرُّعِ عَلَى عَدُوِّكَ.

= أصحابه، ففروا وحسبوا أنهم سيدخلون مكة عامهم ذلك، فلما رجعوا من الحديبية ولم يدخلوها مكة، فقال المنافقون: والله ما حلقنا، ولا قُصْرنا، ولا دخلنا المسجد الحرام، فأنزل الله هذه الآية. اهـ.

(١) قال في «معجم البلدان»: «بلدح»: آخره حاء مهمله والذال قبله: واو قبل مكة من جهة المغرب.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: حل، بفتح المهملة وسكون الهمزة: كلمة يقال للثقة إذا تركت الشيء. قال الخطابي: إن قلت: «حل» واحدة، فالسكون، وإن أعدتها، نُؤْتَتْ في الأولى، وسُكِّنَتْ في الثانية. قال: حكى غيره السكون فيهما والتنوين، كنظيره في: «بيع بخ» يقال: حَلَحْتُ فَلَانًا: إِذَا أَوْجَعْتَهُ عَنْ مَوْضِعِهِ. اهـ.

(٣) قال الحافظ ابن حجر: القصواء، بفتح القاف بعدها مهمله ومدّ: اسم ناقة رسول الله ﷺ، وزعم الداودي أنها كانت لا تسبق، فقيل لها: القصواء، لأنها بلغت من السبق أقصاء.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: التمد: حفيرة فيها ماء متمد، أي قليل، قال: وقرئ: قليل الماء، تأكيد لدفع توهم أن يراد لغة من يقول: إن التمد: الماء الكثير. قال: وقيل: التمد: ما يظهر من الماء في الشتاء ويذهب في الصيف.

(٥) قال في «اللسان»: وماء زواء، ممدود مفتوح الراء، أي: غلب.

(٦) قال في «اللسان»: وقولهم: أباد الله خضراءهم، أي سوادهم ومُظْلَمَهُمْ.

(٧) حديث قصة الحديبية، ذكره أهل السير، وهو في «مسند أحمد» و«صحيح البخاري» وأبي داود، والنسائي، وابن جرير، وغيرهم مختصراً ومطولاً، بالفاظ مختلفة، وانظر «صحيح البخاري» ٥/٢٤١، و٣٤٨/٧، و«البداءة والنهاية» لابن كثير ٤/١٧٣، و«الدر المنثور» ٦/٧٦، و«تفسير ابن كثير» ٤/١٩٤.

(٨) قال في «معجم البلدان»: ضُبَّجَان: جبل بناحية تهامة.



قوله تعالى: ﴿مَنْهُمْ ذَكَرُوا النَّسْوةَ﴾<sup>(١)</sup> قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بضم السين؛ والباقون: بفتحها.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ أي: ذلك الوعد بإدخالهم الجنة وتكفير سيئاتهم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: في حكمه ﴿قَرِيبًا عَظِيمًا﴾ لهم؛ والمعنى: أنه حكم لهم بالفوز، فلذلك زعمهم إدخال الجنة.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ النَّسْوةَ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنهم ظنوا أن الله شريكاً. والثاني: أن الله لا ينصر محمداً وأصحابه. والثالث: أنهم ظنوا به حين خرج إلى الحديبية أنه سيقتل أو يهزم ولا يعود ظافراً. والرابع: أنهم ظنوا أنهم ورسول الله ﷺ بمنزلة واحدة عند الله. والخامس: ظنوا أن الله لا يبعث الموتى. وقد بينا معنى «النسوة» في [براءة: ٩٨]. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الفتح: ٤، الأحزاب: ٤٥] إلى قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «لَيُؤْمِنُوا» بالياء «وَيُؤْمِرُوهُ وَيُوقِرُوهُ وَيُسَبِّحُوهُ» كلهن بالياء؛ والباقون: بالتاء؛ على معنى: قل لهم: إنا أرسلناك، لتؤمنوا. وقرأ علي بن أبي طالب: وابن السميع: «وَيُؤْمِرُوهُ» بزاءين. وقد ذكرنا في [الأعراف: ١٥٧] معنى «وَيُؤْمِرُوهُ» عند قوله: ﴿وَعَزَّوْهُ وَنَصَرُوهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيُوقِرُوهُ﴾ أي: يعظموه ويبجلوه. واختار كثير من القراء الوقف هاهنا، لاختلاف الكناية فيه وفيما بعده.

قوله تعالى: ﴿وَتَسْبِيحُهُ﴾ هذه الهاء ترجع إلى الله ﷻ<sup>(٢)</sup>. والمراد بتسبيحه هاهنا: الصلاة له. قال المفسرون: والمراد بصلاة البكرة: الفجر، وبصلاة الأصل: باقي الصلوات الخمس.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهِكُمْ يَبْسُطُكَ﴾ يعني بيعة الرضوان بالحديبية. وعلى ماذا يبيعوه؟ فيه قولان: أحدهما: أنهم يبيعوه على الموت، قاله عبادة بن الصامت. والثاني: على أن لا يفروا، قاله جابر بن عبد الله. ومعتاهما متقارب، لأنه أراد: على أن لا تفروا ولو مثم. وسميت بيعة، لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة، وكان العقد مع رسول الله ﷺ، فكانهم يبيعوا الله ﷻ، لأنه ضمن لهم الجنة بوفائهم. «يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» فيه أربعة أقوال: أحدها: يد الله في الوفاء فوق أيديهم. والثاني: يد الله في الثواب فوق أيديهم. والثالث: يد الله عليهم في المنة بالهداية فوق أيديهم بالطاعة، ذكر هذه الأقوال الزجاج. والرابع: قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم، ذكره ابن جرير، وابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿مَنْ تَنَزَّكَ﴾ أي: نقض ما عقده من هذه البيعة ﴿فَلَنَّا نَنكَثَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: يرجع ذلك النقص عليه ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهُ﴾<sup>(٣)</sup> من البيعة ﴿فَسَيُؤْمِنُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبان عن عاصم: «فسنؤتيه» بالنون. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: بالياء «أَجْرًا عَظِيمًا» وهو الجنة. قال ابن السائب: فلم ينكث العهد منهم غير رجل واحد يقال له: الجذ بن قيس، وكان منافقاً<sup>(٤)</sup>.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآيَاتِنَا إِنْ تَأْتِينَا بِبَيِّنَاتٍ لَكُمْ مِنْ رَبِّكَ فَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ نَصْرٌ وَمِنْ رَبِّكُمْ بَيِّنَاتٌ﴾ ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَعْيُنِهِمْ أَبَدًا وَرُبَّمَا ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّتْ سَبْحَةَ النَّسْوةِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَلَا يَأْتِ الْكُفْرَيْنَ سَبْعًا﴾ ﴿يَهُوَ تِلْكَ الْكُفْرُ الَّذِي يَبْدُلُ مِنْ يَدَيْهِ يَدَايَ﴾ ﴿وَكَانَ اللهُ مُعَذِّبًا رَحِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ قال ابن إسحاق: لما أراد العمرة استنفر من حول المدينة من أهل البوادي والأعراب ليخرجوا معه، خوفاً من قومه أن يعرضوا له بحرب أو بصد، فتشاكل عنه كثير منهم، فهم الذين

(١) هذه الفقرة من الآية الكريمة تنمى لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ النَّسْوةَ﴾ الذي سيأتي بعد قليل، وكان حق المؤلف أن يذكرها في محلها، ولعله ذكرها هنا ليتكلم عن الخلاف في قراءتها فقط، لأنه لم يرد أن يفسرها في محلها حيث قال: وقد بينا معنى «نَسْوةُ النَّسْوةِ» في [براءة].

(٢) وذكر ابن جرير عن قتادة أن في بعض القراءات: «فوسبحوا الله بكرة وأصيلاً».

(٣) قال الألويسي في «روح المعاني»: قرأ الجمهور «عليه» بكسر الهاء كما هو الشائع، وضمها حفص هنا. ثم قال: وحسن الضم في الآية، للتوصل به إلى تضييق لفظ الجلالة الملائم لتضييق أمر العهد المشعر به الكلام. اهـ.

(٤) ونقل الزمخشري في «الكشاف» نحوه عن جابر بن عبد الله ﷺ، والذي في «صحيح مسلم» ١٤٨٣٣٣ من جابر: قبايعناه، غير جد بن قيس اختبا تحت بطن بعيره. ولا يعل: بايعناه كلنا إلا الجذ بن قيس، فإنه اختبا تحت بطن بعيره، فهذا ليس فيه أنه بايع ونكث، بل فيه أنه لم يبايع أصلاً.

عن الله بقوله: ﴿سَيُؤَلِّفُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾، قال أبو صالح [عن ابن عباس]: وهم غفار ومزينة وجهينة وأشجع والدليل وأسلم. قال يونس النحوي: الدليل في عبد القيس ساكن الياض. والدُول من حنيفة ساكن الواو، والدليل في كنانة رهط أبي الأسود الدؤلي<sup>(١)</sup>. فأما المخلفون، فإنهم تخلّفوا مخافة القتل. ﴿سَقَلْنَا أَمْرًا وَأَقْلَبْنَا أَمْرًا﴾ أي: خُفْنَا عليهم الضيعة ﴿فَأَسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾ أي: ادْعُ [الله] أَنْ يَغْفِرَ لَنَا تَخَلُّفَنَا عَنْكَ ﴿يَقُولُونَ وَالْيَسِيرُ تَمَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: ما يبالون استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرْبًا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «ضَرْبًا» بضم الضاد؛ والباقون: بالفتح. قال أبو علي: «الضَرْبُ» بالفتح: خلاف النفع، وبالضم: سوء الحال، ويجوز أن يكونا لغتين كالْفَقْر والفقر، وذلك أنهم ظنوا أن تخلّفهم يدفع عنهم الضَرْ، ويعجل لهم النفع سلامة أنفسهم وأموالهم، فأخبرهم الله تعالى أنه إذا أراد بهم شيئاً، لم يقدّر أحد على دفعه [عنهم]، ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَمَلُّونَ خَبِيرًا﴾ من تخلّفهم وقولهم عن المسلمين أنهم سيهلكون، وذلك قوله: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ﴾ أي: توهّمتم ﴿أَنْ لَنْ يَغْلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَهْلِيهِمْ﴾ أي لا يرجعون إلى المدينة، لاستئصال العدو إياهم، ﴿وَرَبُّكَ عَلِيمٌ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ وذلك من ترين الشيطان.

قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ قد ذكرناه في [الفرقان: ١٨].  
﴿سَيُؤَلِّفُ الْمَخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَيْكَ مَنَاصِرَ تَلَاغِدُوهَا ذُرُوعًا نَنِيحُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَسُودُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَغِيْبُونَا كَذَلِكَ قَالِ اللَّهُ إِنَّ بَلَّ قَسِيْلُونَ بَلَّ تَحْدُوثًا بَلَّ كَاوًا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٥﴾

وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿سَيُؤَلِّفُ الْمَخَلَّفُونَ﴾ الذين تخلّفوا عن الحديبية ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَيْكَ مَنَاصِرَ﴾ وذلك أنهم لما انصرفوا عن الحديبية بالصلح وعدّهم الله فتح خير، وخصّ بها من شهد الحديبية فانطلقوا إليها، فقال هؤلاء المخلفون: ﴿ذُرُوعًا نَنِيحُكُمْ﴾، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَسُودُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «أَنْ» يبدّلوا كَلِمَ الله بكسر اللام. وفي المعنى قولان: أحدهما: أنه مواعيد الله بغنيمة خير لأهل الحديبية خاصة، قاله ابن عباس. والثاني: أمر الله نبيه أن لا يسير معه منهم أحد، وذلك أن الله وعده وهو بالحديبية أن يفتح عليه خير، ونهاه أن يسير معه أحد من المتخلّفين، قاله مقاتل. وعلى القولين: قصدوا أن يجيز لهم رسول الله ﷺ ما يخالف أمر الله، فيكون تبديلاً لأمره.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ فيه قولان. أحدهما: قال: إن غنائم خير لمن شهد الحديبية، وهذا على القول الأول. والثاني: قال: لن تتبعونا، وهذا قول مقاتل. ﴿فَسَيُؤَلِّفُونَ بَلَّ تَحْدُوثًا﴾ أي: يمنعكم الحسد من أن تُصيب معكم الغنائم.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّونَ إِلَيَّ قَوْمَ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ لَقَدْ لَبِثْتُمْ أَوْ يُسَلِّسُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤَيِّدْكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَلَنْ تُنْزَلُوا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يَمْؤُودُكُمْ عَنَّا أَلَيْسَ﴾

قوله تعالى: ﴿سُدُّونَ إِلَيَّ قَوْمَ﴾ المعنى: إن كنتم تريدون الغزو والغنيمة فسُدُّونَ إلى جهاد قوم ﴿أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾. وفي هؤلاء القوم ستة أقوال: أحدها: أنهم فارس، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال عطاء بن أبي رباح، وعطاء الخراساني، وابن أبي ليلى، وابن جريج في آخرين. والثاني: فارس والروم، قاله الحسن، ورواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. والثالث: أنهم أهل الأوثان، رواه ليث عن مجاهد. والرابع: أنهم الروم، قاله كعب. والخامس: أنهم هوازن وغطفان، وذلك يوم حنين، قاله سعيد بن جبيرة، وقتادة. والسادس: بنو حنيفة يوم اليمامة، وهم أصحاب مسيلمة الكذاب، قاله الزهري، وابن السائب، ومقاتل<sup>(٢)</sup>. قال مقاتل: خلافة أبي بكر في هذه بيعة مؤكدة. وقال رافع بن خديج: كنّا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دُعِيَ أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فلمينا أنهم هم. وقال بعض أهل

(١) قال أبو العباس الميرد: الدؤلي مضمومة الدال مفتوحة الواو من الدليل بضم الدال وكسر الياض: وهو دابة.

(٢) قال ابن كثير: اختلف المفسرون في هؤلاء القوم الذين يدعون إليهم، الذين هم أولى بأس شديد على أقوال، ثم قال: ومن مجاهد: هم رجال أولو بأس شديد، قال: ولم يعين فرقة، وبه يقول ابن جريج، وهو اختيار ابن جرير. اهـ.

العلم: لا يجوز أن تكون هذه الآية إلا في العرب، لقوله: ﴿تَقْبَلُونَهُمْ أَوْ تَنْبِذُوهُمْ﴾، وفارس والروم إنما يقاثلون حتى يُسلموا أو يؤدوا الجزية. وقد استدل جماعة من العلماء على صحة إمامة أبي بكر وعمر بهذه الآية، لأنه إن أريد بها بنو حنيفة، فأبو بكر دعا إلى قتالهم، وإن أريد بها فارس والروم، فعمرو دعا إلى قتالهم، والآية تلزمهم اتباع طاعة من يدعوه، وتتوعددهم على التخلف بالعقاب. قال القاضي أبو يعلى: وهذا يدل على صحة إمامتهما إذا كان المتولي عن طاعتها مستحقاً للعقاب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنْ تُطِيعُوا﴾ قال ابن جريج: فإن تطيعوا أبا بكر وعمر، ﴿وَلَنْ تَنَالُوا﴾ عن طاعتها ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن طاعة محمد ﷺ في المسير إلى الحديبية. وقال الزجاج: المعنى: إن تبتم وتركتم نفاقكم وجاهدتم، يؤتكم الله أجراً حسناً، وإن توليتم فاقمت على نفاقكم، وأعرضتم عن الإيمان والجهاد كما توليتم على عهد رسول الله ﷺ يعذبكم عذاباً أليماً<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ قال المفسرون: عذر الله أهل الزمانة الذين تخلفوا عن المسير إلى الحديبية بهذه الآية<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَذِخْرُهُ جَنَّاتٍ﴾<sup>(٤)</sup> قرأ نافع، وابن عامر: ﴿تَذِخْرُهُ﴾، وتُعَذِّبُهُ، بالنون فيهما، والباقرن: بالياء. ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُوكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَنَافِئَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾<sup>(٥)</sup> وَهَذَا اللَّهُ مَنَافِئَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا فَجَعَلَ لَكُمْ هَذِهِ. وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلَكِنَّ دَابَّةَ الْفُلَيْنِ رَهْبَكُمْ فِرَاقًا مُّسْتَبِشًا<sup>(٦)</sup> وَأَعْرَضَ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا وَلَوْ فَتَنَّاكَ لِلدِّينِ لَكُنَّا لَوَلَا الْأَذَى ثُمَّ لَا يَحْدُوثُ بِكَ وَلَا تَصِيرُ<sup>(٧)</sup> شَيْءَ اللَّهِ أَلَيْ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِ وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا<sup>(٨)</sup> وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا<sup>(٩)</sup>.

ثم ذكر الذين أخلصوا نيتهم وشهدوا ببيعة الرضوان بقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقد ذكرنا سبب هذه البيعة آنفاً. وإنما سميت ببيعة الرضوان، لقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُوكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ روى إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه، قال: بينما نحن قائلون زمن الحديبية، نادى منادي رسول الله ﷺ: أيها الناس، البيعة، البيعة، نزل روح القدس، قال: فثرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمره، فبايعناه<sup>(١٠)</sup>. وقال عبد الله بن مغفل: كان رسول الله ﷺ تحت الشجرة يبايع الناس، وإني لأرفع أغصانها عن رأسه<sup>(١١)</sup>. وقال بكير بن الأشج: كانت الشجرة بفتح نحو مكة<sup>(١٢)</sup>. قال نافع: كان الناس يأتون تلك الشجرة فيصلون عندها، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فأوعدهم فيها، وأمر بها فقطعت<sup>(١٣)</sup>.

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿تَقْبَلُونَهُمْ أَوْ تَنْبِذُوهُمْ﴾ يعني شرع لكم جهادهم وقتالهم، فلا يزال ذلك مستمراً عليهم، ولكم النصرة عليهم، أو يسلمون فيديخلون في دينكم بلا قتال بل باختيار.

(٢) قال ابن كثير: ﴿إِنْ تُطِيعُوا﴾ أي تستجيبوا وتتفروا في الجهاد وتؤدوا الذي عليكم فيه ﴿يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَلَنْ تَنَالُوا﴾ كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يعني زمن الحديبية حيث دعيتم فتخلفتم ﴿يُؤْتِيَكُمْ مَكَّاهَا أَلِيمًا﴾.

(٣) قال ابن كثير: ذكر تعالى الأعداء في ترك الجهاد، فمنها لازم كالعمى والعرج المستعمر، وعارض كالمرض الذي يطرا أياً ما ثم يزول، فهو في حال مرضه ملحق بلوي الأعداء اللازمة حتى يبرأ. اهـ.

(٤) الآية بتسامها: ﴿زَيْنَ يُطِيعُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ جَنَّاتٍ جَنَّتْ مِنْ قَبْلِهَا الْأَنْهَارُ وَمِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ جَارِيَةٌ تَحْتَهَا أَلِيمًا﴾ وذلك ترغيب في الجهاد وطاعة الله ورسوله، وأن من نكل عن الجهاد وأقبل على المعاش يعبه عذاباً أليماً في الدنيا بالملأة، وفي الآخرة بالنار.

(٥) رواه ابن جرير الطبري ٨٦/٢٦ وفيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف، وعند مسلم ١٤٨٦/٣ من حديث مولى سلمة بن الأكوع قال: قلت لسلمة: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت. والسر: وزان زجل وسبع: شجر الطلع، وهو نوع من المضاء، الواحلة: سمره.

(٦) رواه الطبري ٩٣/٢٦، ٩٤ وإسناده حسن، وهو في مسلم ١٤٨٥/٣ بمعناه من حديث مغفل بن يسار.

(٧) رواه الطبري: ٨٦/٢٦ عن بكير بن الأشج أنه بلغه أن الناس بايعوا رسول الله ﷺ على الموت، فقال رسول الله ﷺ: «على ما استطعتم» والشجرة التي بويج تحتها بفتح نحو مكة.

(٨) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٣٤٥/٧ رواه ابن سعد بإسناد صحيح.

قوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: من الصدق والوفاء، والمعنى: عَلِمَ أَنَّهُمْ مُخْلِصُونَ ﴿فَأَنزَلَ الْكَتِبَةَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني الطَّمَانِينَةَ وَالرُّضَى حَتَّى بَايَعُوا عَلَى أَنْ يَقَاتِلُوا وَلَا يَوْرُوا ﴿وَأَنبَهُمْ﴾ أي: عَوَّضَهُمْ عَلَى الرُّضَى بِقَضَائِهِ وَالصَّبْرَ عَلَى أَمْرِهِ ﴿فَتَمَّا قَرِيبًا﴾. وهو خيبر، ﴿وَمَغَانِدَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ أي: من خيبر، لأنها كانت ذات عقار وأموال. فَمَا قَوْلُهُ بَعْدَ هَذَا: ﴿وَعَدَكُمْ أَنَّهُ مَتَانَةٌ كَثِيرَةٌ تَأْخُذُونَهَا﴾ فقال المفسرون: هي الْفَتْوحُ الَّتِي تَفْتَحُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ﴿فَنَجِّمَ لَكُمْ كَوُودًا﴾ فِيهَا قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا غَنِيمَةٌ خَيْرٌ، قَالَه مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالْجُمْهُورُ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ الصُّلْحُ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَكَفَّ أَيْدِي أَتَّانٍ عَنْكُمْ﴾ فِيهِمْ ثَلَاثَةٌ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُمُ الْيَهُودُ هُمَا أَنْ يَغْتَالُوا عِيَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ خَلَفُوهُمْ فِي الْمَدِينَةِ، فَكَفَّهُمُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، قَالَه قَتَادَةُ. وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ أَسَدٌ وَغُطَفَانٌ جَاؤُوا لِيَنْصُرُوا أَهْلَ خَيْبَرٍ، فَقَدَّتْ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، فَانْصَرَفُوا عَنْهُمْ، قَالَه مِقَاتِلٌ. وَقَالَ الْفَرَاءُ: كَانَتْ أَسَدٌ وَغُطَفَانٌ [مَعَ أَهْلِ خَيْبَرٍ، فَقَصَدَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَالَحَهُمْ وَخَلَّوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَيْبَرٍ. وَقَالَ غَيْرُهُمَا: بَلَ هُمْتَ أَسَدٌ وَغُطَفَانٌ] بِأَغْيَالِ [أَهْلِ] الْمَدِينَةِ، فَكَفَّهُمُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ. وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ كَفَّهُمُ اللَّهُ بِالصُّلْحِ، حَكَاهُمَا الثُّعْلُبِيُّ وَغَيْرُهُ. فِي قَوْلِهِ: «عَنْكُمْ» قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ عَلَى أَصْلِهِ، قَالَه الْأَكْثَرُونَ. وَالثَّانِي: عَنْ عِيَالِكُمْ، قَالَه ابْنُ قَتِيْبَةَ، وَهُوَ مُقْتَضَى قَوْلِ قَتَادَةَ. ﴿وَلَتَكُونَنَّ مَكَّةَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فِي الْمَشَارِ إِلَىهَا قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا الْفَعْلَةُ الَّتِي فَعَلَهَا بِكُمْ مَنْ كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ كَانَتْ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُتَوَلِّي حِرَاسَتِهِمْ فِي مَشْهَدِهِمْ وَمَعْنِيهِمْ. وَالثَّانِي: أَنَّهَا خَيْبَرُ كَانَ فَتَحَهَا عَلَامَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فِي تَصَدِيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا وَعَدَهُمْ بِهِ.

قوله تعالى: ﴿يَهَيِّجُكُمْ مِرْطَابًا مُسْتَقِيمًا﴾ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: طَرِيقُ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالتَّفْوِضِ إِلَيْهِ، وَهَذَا عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ. وَالثَّانِي: يَزِيدُكُمْ مُدَىً بِالتَّصَدِيقِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ وَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْفَتْحِ وَالْغَنِيمَةِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَفَرَيْنِ﴾ الْمَعْنَى: وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ أُخْرَى؛ وَفِيهَا أَرْبَعَةٌ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهَا مَا فَتِحَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَ ذَلِكَ. رَوَى سَمَاكُ الْحَنْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿وَلَفَرَيْنِ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ قَالَ: مَا فَتَحَ لَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْفَتْوحِ، وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ. وَالثَّانِي: أَنَّهَا خَيْبَرٌ، رَوَاهُ عَطِيَّةٌ، وَالضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ. وَالثَّلَاثُ: فَارِسُ وَالرُّومُ، رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا، وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى. وَالرَّابِعُ: مَكَّةُ، ذَكَرَهُ قَتَادَةُ، وَابْنُ قَتِيْبَةَ.

قوله تعالى: ﴿بَدَّ أَحَاكَ اللَّهُ يَهَاً﴾ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَحَاطَ بِهَا عِلْمًا أَنَّهَا سَتَكُونُ مِنْ قُتُوحِكُمْ. وَالثَّانِي: حَفِظَهَا لَكُمْ وَمَعْنَاهَا مِنْ غَيْرِكُمْ حَتَّى تَفْتَحُوهَا.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَلَكُمُ اللَّيْلُ كَفَرًا﴾ هَذَا خُطَابٌ لِأَهْلِ الْحَدِيثِ، قَالَه قَتَادَةُ؛ وَالَّذِينَ كَفَرُوا مَشْرُكُو قُرَيْشٍ. فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمَعْنَى: لَوْ قَاتَلْتُمْ يَوْمَ الْحَدِيثِ ﴿لَوَلَوْ الْأَدْبَرُ﴾ لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الرُّعْبِ ﴿ثُمَّ لَا يَحْدُوثُ وَلَكِنَّ﴾ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ خَذَلَهُمْ. قَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: لَوْ قَاتَلْتُمْ مَنْ لَمْ يَقَاتِلْكُمْ لَنُصِرْتُمْ عَلَيْهِ، لِأَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ النَّصْرَةَ لِأَوْلِيَائِهِ. وَ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الْمَصْدَرِ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَوَلَوْ الْأَدْبَرُ﴾ مَعْنَاهُ: سَنَّ اللَّهُ ﷻ خِذْلَانَهُمْ سُنَّةً. وَقَدْ مَرَّ مِثْلُ هَذَا فِي قَوْلِهِ: ﴿يَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿سُنَّ اللَّهُ﴾ [النمل: ٨٨].

قوله تعالى: ﴿وَمَوْ أَرَى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ رَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ هَبَطُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ مُتَسَلِّحِينَ يَرِيدُونَ غَزَاً<sup>(٢)</sup> النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ، فَأَخَذَهُمْ سِلَاحًا<sup>(٣)</sup>، فَاسْتَحْيَاهُمْ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ

(١) قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ بِالصُّوَابِ مَا قَالَه مُجَاهِدٌ، وَهُوَ أَنَّ الَّذِي أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ مَسِيرِهِمْ ذَلِكَ مَعَ الْفَتْحِ الْقَرِيبِ: الْمَغَانِمُ الْكَثِيرَةُ مِنْ مَغَانِمِ خَيْبَرٍ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَفْتَحُوا بَعْدَ الْحَدِيثِ غَنِيمَةً، وَلَمْ يَفْتَحُوا فَتْحًا أَقْرَبَ مِنْ بَيْعَتِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْحَدِيثِ إِلَيْهَا مِنْ فَتْحِ خَيْبَرٍ وَغَنَائِمِهَا. اهـ.

(٢) الْغَزَا: هِيَ الْغَزَاةُ، أَيْ: يَرِيدُونَ أَنْ يَصَادِفُوا مِنْهُ وَمِنْ أَصْحَابِهِ خَفْلَةٌ عَنْ التَّأْبُّبِ لَهُمْ لِيَتِمَكَّنُوا مِنْ غَدْرِهِمْ وَالتَّفَكُّ بِهَمْ.

(٣) قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي «شرح مسلم» ١٨٧/١٢: «سِلَاحًا» ضَبَطُوهُ بِوَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: سَلَحًا، وَالثَّانِي: سَلَمًا، قَالَ الْحَمِيدِيُّ: وَمَعْنَاهُ: الصِّلَحُ. قَالَ الْقَاسِي فِي «المشارك»: هَكَذَا ضَبَطَهُ الْأَكْثَرُونَ، قَالَ فِيهِ فِي الشَّرْحِ: وَالرَّوَايَةُ الْأُولَى أَظْهَرَ. وَالْمَعْنَى: أَسْرَهُمْ. وَالسَّلَمُ: الْأَسْرُ. وَجَزَمَ الْخَطَّابِيُّ بِفَتْحِ اللَّامِ وَالسِّينِ، قَالَ: وَالْمُرَادُ بِهِ: الْاسْتِسْلَامُ وَالْإِذْعَانُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْقَوْلُ إِنَّا كُنَّا﴾ أَيْ: الْإِقْنَادُ، وَهُوَ مُصَدَّرٌ يَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْأَتْنَيْنِ.



هذه الآية<sup>(١)</sup>. وروى عبد الله بن مغفل قال: كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة، فبينما نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شاباً، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله بأبصارهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «هل جئتم في عهد؟» أو «هل جعل لكم أحد أماناً؟» قالوا: اللهم لا، فخلّى سبيلهم، ونزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وذكر قتادة أن رسول الله ﷺ بعث خيلاً، فأتوه بانثي عشر فارساً من الكفار، فأرسلهم<sup>(٣)</sup>، وقال مقاتل: خرجوا يقاتلون رسول الله ﷺ، فهزمهم النبي ﷺ بالظعن والنبل حتى أدخلهم بيوت مكة. قال المفسرون: ومعنى الآية: إن الله تعالى ذكر منته إذ حجز بين الفريقين فلم يقتل حتى تم الصلح بينهم. وفي بطن مكة ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحديبية، قاله أنس. والثاني: وادي مكة، قاله السدي. والثالث: التنعيم، حكاه أبو سليمان الدمشقي. فأما «مكة» فقال الزجاج: «مكة» لا تنصرف لأنها مؤنثة، وهي معرفة، ويصلح أن يكون اشتقاقها كاشتقاق «بكة»، والميم يُبدل من الباء، يُقال: ضربة لازم، ولازب، ويصلح أن يكون اشتقاقها من قولهم: ائْتَكَّ الفَصِيلُ ما في ضرع الناقة: إذا مَضَّ مَضاً شديداً حتى لا يُبقي فيه شيئاً، فيكون سَمِيَتْ بذلك لشيء الازدحام فيها؛ قال: والقول الأول أحسن. وقال قطرب: مكة من تَمَكَّكْتُ المَحْجَ: إذا أكلته. وقال ابن فارس: تَمَكَّكْتُ العظم: إذا أخرجت مَحْجَهُ؛ والتمكك: الاستقصاء؛ وفي الحديث: «لَا تَمَكَّكُوا عَلَى غُرْمَاتِكُمْ»<sup>(٤)</sup>. وفي تسمية «مكة» أربعة أقوال: أحدها: لأنها مثابة يؤمها الخلق مِنْ كُلِّ قَبْجٍ، وكأنها هي التي تجذبهم إليها، وذلك من قول العرب: ائْتَكَّ الفَصِيلُ ما في ضِرْعِ الناقة. والثاني: أنها سَمِيَتْ (مكة) من قولك: بَكَكْتُ الرجل: إذا وضعت منه وَرَدَدْتَ نَحْوَهُ<sup>(٥)</sup>، فكانها تَمَكُّ مِنْ ظَلَمِهَا، أي: تُهلكه وتُنْقِصه، وأنشدوا: يا مَكَّةُ، الفاجِرُ مُكِّي مَكَا ولا تُمَكِّي مَذْجِجاً وَعَكَا<sup>(٦)</sup>

والثالث: [أنها] سَمِيَتْ بذلك لجهد أهلها. والرابع: لِقِلَّةِ الماءِ بها. وهل مكة وبكة واحد؟ قد ذكرناه في [آل عمران: ٩٦].

قوله تعالى: «مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ» أي: بهم؛ يقال: ظَفَرْتُ بفلان، وظَفَرْتُ عليه.

قوله تعالى: «وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا سَمَكُونَ بَعِيْرًا» قرأ أبو عمرو: [يعملون] بالياء؛ والباقون: بالياء.

«هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَدَى مَكْكُوا أَنْ يَبْلُغَ حِلْمُ رِجَالٍ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءً مُؤْمِنَاتٍ لَنْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطْلُقُوهُمْ فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةً يَغْزِي لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَمَذَّنَا عَلَيْهِمْ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٥ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّوْجَاتِ كَلِمَةً الْقَوِيَّةَ أَتَوْا وَكَانَتْ أَمْرًا يَبَا وَأَعْلَاهَا وَكَانَ اللَّهُ يَكْلِفُهُمْ عَلَيْهِمْ ١٦»

قوله تعالى: «هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعني أهل مكة «وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» أن تطوفوا به وتحلوا من غمرتكم «وَالْمَدَى» قال الزجاج: أي: صدوا الهدي «مَكْكُوا» أي: محبوساً «أَنْ يَبْلُغَ حِلْمُ رِجَالٍ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءً مُؤْمِنَاتٍ» قال المفسرون: «مَحْلَهُ» مَنْعَهُ، وهو حيث يحل نَحْرُهُ «وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءً مُؤْمِنَاتٍ» وهم المستضعفون بمكة «لَنْ تَعْلَمُوهُمْ» أي: لم تعرفوهم «أَنْ تَطْلُقُوهُمْ» بالقتل. ومعنى الآية: لولا أن تطؤوا رجالاً مؤمنين ونساءً مؤمنات بالقتل، وتوقعوا بهم ولا تعرفونهم، «فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةً» وفيها أربعة أقوال: أحدها: إثم، قاله ابن زيد. والثاني: غرم

والجمع، قال ابن الأثير: هذا هو الأشبه بالقصة، فإنهم لم يؤخذوا صلحاً، وإنما أخذوا قهراً، وأسلموا أنفسهم عجزاً، قال: وللقول الآخر وجه، وهو أنه لما لم يجر معهم قتال، بل عجزوا عن دفعهم والنجاة منهم، فرضوا بالأسر، فكانهم قد صولحو على ذلك. اهـ.

(١) رواه مسلم ١٤٤٢/٣، والطبري ٩٤/٢٦، وذكره السيوطي في «الدرر» ٧٥/٦، وزاد نسيته لأحمد، وعبد بن حميد، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» من أنس بن مالك ﷺ.

(٢) رواه الطبري ٩٤/٢٦ وإسناده حسن، والحاكم ٤٦٠/٢، وصححه، والواحي في «أسباب النزول» ٢١٨، وذكره السيوطي في «الدرر» ٧٨/٦ وزاد نسيته لأحمد، والنسائي، وأبي نعيم في «الدلائل»، وابن مردويه، عن عبد الله بن مغفل ﷺ.

(٣) «الطبري» ٩٤/٢٦ وهو مرسل، وذكره السيوطي في «الدرر» ٧٥/٦ وزاد نسيته لعبد بن حميد عن قتادة.

(٤) هذا الحديث ذكره ابن الأثير في «النهاية» في غريب الحديث، ولم نره في كتب الحديث.

(٥) كانت العبارة في الأصل هكذا (تَمَكَّكْتُ الرجل: إذا أردت نخوته) وقد صوبناها كما ترى نفعاً عن المصنف كما مر سابقاً عن الزبيدي وقطرب، ومن كتب اللغة.

(٦) الرجز غير منسوب في «اللسان» و«التاج»: مكك.

الدِّبَّة، قاله ابن إسحاق. والثالث: كفارة قتل الخطأ، قاله ابن السائب. والرابع: عيب يقتل مَنْ هو على دينكم، حكاية جماعة من المفسرين. وفي الآية محذوف، تقديره: لأدخلكم من عامكم هذا؛ وإنما حُلْتُ بينكم وبينهم ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمِهِ﴾ أي: في دينه ﴿مَنْ يَكْفُرْ﴾ من أهل مكة، وهم الذين أسلموا بعد الصلح ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ قال ابن عباس: لو تفرَّقوا. وقال ابن قتيبة، والزجاج: لو تميَّزوا. قال المفسرون: لو انماز المؤمنون من المشركين ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والسَّيْب بأيديكم. وقال قوم: لو تزيَّل المؤمنون من أصلاب الكفار لعذبنا الكفار. وقال بعضهم: قوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ جواب لكلامين: أحدهما: «لولا رجال»، والثاني: «لو تزيَّلوا»، وقوله: ﴿إِذْ جَعَلْنَا﴾ من صلة قوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾. والحمية: الأثرة والجبرية. قال المفسرون: وإنما أخذتهم الحمية حين أراد رسول الله ﷺ دخول مكة، فقالوا: يدخلون علينا [وقد قتلوا] أبناءنا وإخواننا فتحدث العرب بذلك والله لا يكون ذلك، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فلم يدخلهم ما دخل أولئك فيخالفوا الله في قتالهم. وقيل: الحمية ما تداخل سهيل بن عمرو من الأثرة أن يكتب في كتاب الصلح ذمُّ «الرحمن الرحيم» وذمُّ «رسول الله» ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنُسُلِهِمْ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: «لا إله إلا الله»، قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبيرة، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن زيد في آخرين، وقد روي مرفوعاً إلى النبي ﷺ<sup>(١)</sup>؛ فعلى هذا يكون معنى: «الزَّهْم» حَزَنٌ لهم بها، وهي التي تنفي الشُّرك. والثاني: «لا إله إلا الله والله أكبر»، قاله ابن عمر. وعن علي بن أبي طالب كالقولين. والثالث: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له المُلْك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»، قاله عطاء بن أبي رباح. والرابع: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، قاله عطاء الخراساني. والخامس: «بسم الله الرحمن الرحيم» قاله الزمري. فعلى هذا يكون المعنى أنه لما أبى المشركون أن يكتبوا هذا في كتاب الصلح، ألزمه الله المؤمنين ﴿وَكُفَرُوا أَحَقُّ بِهَا﴾ من المشركين ﴿و﴾ كانوا «أهلها» في علم الله تعالى.

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّبَيَّا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ السَّجْدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَائِيَّتَ مِائِيَّتَ رُؤُوسِكُمْ وَمَقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ قَوْلِهِ مَا لَمْ تَمْلِكُوا فَعَمَلٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَمَّا قَرِيبًا ﴿٢٦﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّبَيَّا بِالْحَقِّ﴾ قال المفسرون: سبب نزلها أن رسول الله ﷺ كان أُرِي في المنام قبل خروجه إلى الحديبية قائلاً يقول له: ﴿لَتَدْخُلَنَّ السَّجْدَ الْحَرَامَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ ورأى كأنه هو وأصحابه يدخلون مكة وقد خلَقوا وقصَّروا، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، فلما خرجوا إلى الحديبية حَسِبُوا أنهم يدخلون مكة في عامهم ذلك، فلما رجعوا ولم يدخلوا قال المنافقون: أين رؤياه التي رأى؟! فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>، فدخلوا في العام المقبل. وفي قوله: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ستة أقوال: أحدها: أن «إِنْ» بمعنى «إِذَا»، قاله أبو عبيدة، وابن

(١) روى الترمذي في مسته ١٥٩ قال: حدثنا الحسن بن قُرَّة البصري، حدثنا سفيان بن حبيب عن شعبة عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه عن الطفيل بن أبي كعب عن أبيه عن النبي ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنُسُلِهِمْ﴾ قال: «لا إله إلا الله» قال الترمذي: هنا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قُرَّة، قال: وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث فلم يعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه. اهـ. وثوير بن أبي فاختة ضعيف، ورواه الطبري ٢٦/ ١٠٤ بنسب السند، وذكره السيوطي في «الدرا» ٨٠/ ٦ وزاد نسبه لعبد الله بن أحمد في «توالت المسند»، والدارقطني في «الأنوار»، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عن أبي بن كعب مرفوعاً، وذكر السيوطي أيضاً من رواية ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً، ومن رواية ابن مردويه عن سلمة بن الأكوع مرفوعاً.

(٢) روى سبب أنزل هذا البيهقي والخازن هكذا بغير سند. ورواه الطبري ١٠٧/ ٢٦ من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّبَيَّا بِالْحَقِّ﴾ إلى آخر الآية، قال: قال لهم النبي ﷺ: «إني قد رأيت أنكم ستدخلون المسجد الحرام محلقين رؤوسكم ومقصرين»، فلما نزل بالحديبية، ولم يدخل ذلك العام، طعن المنافقون في ذلك فقالوا: أين رؤياه؟ فقال الله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّبَيَّا بِالْحَقِّ﴾ قرأ حتى بلغ «وَنَشِيطِينَ لَا تَخَافُونَ» إني لم أره يدخلها هذا العام، وليحزن ذلك.

وروى الطبري أيضاً من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله: ﴿الرُّبَيَّا بِالْحَقِّ﴾ قال: أرى بالحديبية أنه يدخل مكة وأصحابه محلقين، فقال أصحابه حين نحر بالحديبية: أين رؤيا محمد ﷺ. وذكره السيوطي في «الدرا» ٨٠/ ٦ وزاد نسبه للفرجاني، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في «الدلائل» عن مجاهد.



وعبد الرحمن وسعد وسعيد وأبو عبيدة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿سَيَاكُهُمْ﴾ أي: علامتهم ﴿فِي جُوهِهِمْ﴾، وهل هذه العلامة في الدنيا، أم في الآخرة؟ فيه قولان: أحدهما: في الدنيا. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها السُّمْتُ الحسن، قاله ابن عباس في رواية ابن أبي طلحة؛ وقال في رواية مجاهد: أما إنه ليس بالذي ترون، ولكنه سيما الإسلام وَسَمْتُهُ وَخُشُوعُهُ، وكذلك قال مجاهد: ليس يَنْدَبُ التراب في الوجه، ولكنه الخُشُوع والوقار والتواضع. والثاني: أنه نَدَى الظُّهور وترى الأرض، قاله سعيد بن جبير. وقال أبو العالية: لأنهم يسجدون على التراب لا على الأثواب. وقال الأوزاعي: بلغني أنه ما حَمَلَتْ جباههم من الأرض. والثالث: أنه السُّهُوم<sup>(٢)</sup>، فإذا سهم وجه الرجل من الليل أصبح مُصْفَرًّا. قال الحسن البصري: ﴿سَيَاكُهُمْ فِي جُوهِهِمْ﴾: الصُّفْرَة؛ وقال سعيد بن جبير: أثر السهر؛ وقال شمر بن عطية: وهو تَهَيُّج في الوجه من سهر الليل. والقول الثاني: أنها في الآخرة<sup>(٣)</sup>. ثم فيه قولان: أحدهما: أن مواضع السجود من وجوههم يكون أشدَّ وجوههم بياضاً يوم القيامة، قاله عطية العوفي، وإلى نحو هذا ذهب الحسن، والزهري. وروى العوفي عن ابن عباس قال: صلاتهم تبدو في وجوههم يوم القيامة. والثاني: أنهم يُعَثُّون غَرًّا مُحَبِّلِينَ من أثر الظُّهور<sup>(٤)</sup>، ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ أي: صِفَتُهُمْ؛ والمعنى أن صفة محمد ﷺ وأصحابه ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ هذا. فأما قوله: ﴿وَيَكُنُّ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن هذا المَثَل المذكور أنه في التوراة هو مَثَلُهُمْ في الإنجيل. قال مجاهد: مَثَلُهُمْ في التوراة والإنجيل واحد. والثاني: أن المتقدم مَثَلُهُمْ في التوراة فأما مَثَلُهُمْ في الإنجيل فهو قوله: ﴿كَرَّجَ﴾، وهذا قول الضحَّاك، وابن زيد<sup>(٥)</sup>. والثالث: أن مَثَلُهُمْ في التوراة والإنجيل كَرَّج، ذكر هذه الأقوال أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَجَ سَطَفَهُ﴾ وقرأ ابن كثير، وابن عامر: [سَطَفَاهُ] بفتح الطاء والهمزة. وقرأ نافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: [سَطَفَاهُ] بسكون الطاء. وكلهم يقرأ بهمزة مفتوحة. وقرأ أبي بن كعب، وأبو العالية، وابن أبي عبله: [سَطَفَاهُ] بفتح الطاء [وبالمد] والهمزة وبالف. قال أبو عبيدة: أي: فراخه يقال: أسطا الزُّرْعُ فهو مُسْطِي؛ إذا أفرخ ﴿فَكَذَّبَهُ﴾ أي: ساواه، وصار مثل الأم. وقرأ ابن عامر: «فَأَزَّزَهُ» مقصورة الهمزة مثل قَعْلَهُ. وقال ابن قتيبة: أزَّره: أعانه وقواه ﴿فَاسْتَقْلَطَ﴾ أي: غَلَطَ ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ وهي جمع «ساق»، وهذا مَثَلٌ ضربه الله ﷻ للنبي ﷺ إذ خرج وحده، فأيد به أصحابه، كما قوى الطاقة من الزُّرْع بما نبت منها حتى كَثُرَتْ<sup>(٦)</sup>، وَغَلَطَتْ واستحكمت. وقرأ ابن كثير: «على سُوقِهِ» مهموزة؛ والباقون: بلا همزة. وقال قتادة: في الإنجيل: سَيَخْرُجُ قَوْمٌ يَنْبُتُونَ نَبَاتَ الزُّرْعِ<sup>(٧)</sup>. وفيمن أريد بهذا المَثَل قولان: أحدهما: أن أصل الزُّرْع: عبد المطلب ﴿أَفَرَجَ سَطَفَهُ﴾: أخرج محمداً ﷺ ﴿فَكَذَّبَهُ﴾: بأبي بكر ﴿فَاسْتَقْلَطَ﴾: بعمر ﴿فَاسْتَوَى﴾: بعثمان ﴿عَلَى سُوقِهِ﴾: علي بن طالب، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس<sup>(٨)</sup>. والثاني: أن المراد بالزُّرْع:

(١) اللغة لا تحتمل هذا التأويل، وليس مع الحسن نقل يثبت عن رسول الله ﷺ. ومبارك بن فضالة الراوي عن الحسن موصوف بالتدليس.

(٢) قال في «اللسان»: الشَّهَامُ والشَّهَامُ: الضُّمَر وتغير اللون وقُبُولُ الشَّقَاتَيْنِ. سَهَمٌ: بالفتح، يَسْهَمُ شُهَاماً وشُهَاماً، وسَهْمٌ أيضاً، بالضم، يَسْهَمُ شُهَاماً فيهما، وسَهْمٌ يَسْهَمُ، فهو سَهْمٌ؛ إذا ضَمُرَ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك الصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذي وصف صفتهم في وجوههم من أثر السجود، قال: ولم يخص ذلك على وقت دون وقت، قال: وإذا كان ذلك كذلك، فذلك على كل الأوقات، فكان سيماهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام، وذلك خشوعه وهدوئه وسَمْتُهُ وآثار أداء فرائضه وتطوعه، وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به، وذلك الغُرَّة في الوجه، والتحبيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء وبياض الوجوه من أثر السجود. اهـ.

(٤) روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إن أمي يأتون يوم القيامة غُرًّا مُحَبِّلِينَ من أثر الوضوء» واللفظ لمسلم.

(٥) وهو الذي اختار ابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهما. (٦) كذا الأصل، وفي «غريب القرآن»: حتى كَثُرَتْ.

(٧) قال ابن كثير: أي: فكلكت أصحاب رسول الله ﷺ أزروه وأيدوه ونصروه، فهم معه كالشَّطَر مع الزرع.

(٨) هذا تأويل بعيد، وليس تفسيراً لظاهر لفظ القرآن، وقد ذكر مثل هذا المعنى السيوطي في «الدرر» ٨٣/٦ من رواية ابن مردويه، والخطيب، وابن عساكر عن ابن عباس، والله أعلم بصحته، وكذلك الخبر الذي بعد هذا من رواية الضحَّاك عن ابن عباس، ومبارك عن الحسن، والأولى في ذلك أن يكون هذا مثلاً لأصحاب رسول الله ﷺ في الإنجيل على العموم، ولا شك أن هؤلاء أفضل من غيرهم، فهم داخلون بطريق الأولى.

محمد<sup>(١)</sup> ﷺ ﴿أَفَرَجَ سُلْطَانَهُ﴾: أبو بكر ﴿فَأَزِيدُهُ﴾: بعمر ﴿فَأَسْتَقْلَطُ﴾: بعثمان ﴿فَأَسْتَوِي عَلَى سُوءِهِ﴾: بعلي. ﴿يُتِمُّهُ الزَّجَاجُ﴾: يعني المؤمنين ﴿لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾ وهو قول عمر لأهل مكة: لا يُعْبَدُ الله سِوَاً بعد اليوم، رواه الضحاك عن ابن عباس، ومبارك عن الحسن.

قوله تعالى: ﴿لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾ أي: إِنَّمَا كَثَرَهُمْ وَقَوَّاهُمْ لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ. وقال مالك بن أنس: من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية. وقال ابن إدريس: لا أَمْنُ أَنْ يَكُونُوا قَدْ ضَارَعُوا الْكُفَّارَ، يعني الرافضة، لأن الله تعالى يقول: ﴿لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ تَقْفِرُهُمْ وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ قال الزجاج: في «ومن» قولان: أحدهما: أن يكون تخلصاً للجنس من غيره، كقوله: ﴿فَأَجْعَلِ الْيَقِينُ مِنَ الْإِيمَانِ﴾ [الحج: ٣٠]، ومثله أن تقول: أَنَفَقْتُ مِنَ الدَّرَاهِمِ، أي: أجعل نفقتك من هذا الجنس. قال ابن الأنباري: معنى الآية: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ هَذَا الْجِنْسِ، أي: من جنس الصحابة. والثاني: أن يكون [هذا] الوعد لمن أقام منهم على الإيمان والعمل الصالح<sup>(٣)</sup>.



(١) في الأصل: «محمد».

(٢) ولا يجوز لمسلم أن يظن في الصحابة رضوان الله عليهم، أو يتعرض لهم بسوء، أو يضمر في قلبه بغضاً لأحد منهم، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أتق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدكم، ولا نصيفه» وروى مسلم عن أبي بردة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «أصحابي أمة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتاهم ما يوعدون»، أي من الفتن.

(٣) قال ابن كثير في تكملة الآية: «تَقْفِرُهُمْ» أي للذنوبهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي ثواباً جزيلاً، وورثاً كريماً، قال: ووعد الله حقاً وصدق، لا يخلف ولا يبتذل، وكل من اقتضى أثر الصحابة ﷺ، فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة ﷺ وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس ماوهم، وقد فعل. اهـ.

## سورة الحجرات

### وهي مدنيّة بإجماعهم

روى ثوبان عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله أعطاني السبع الطُول»<sup>(١)</sup> مكان التوراة، وأعطاني المئين مكان الإنجيل، وأعطاني مكان الزبور المثاني، وفضلني ربّي بالمفصل»<sup>(٢)</sup>. أما السبع الطُول فقد ذكرناها [عند قوله] «﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْكِتَابِ﴾» [الحجر: ٨٧]. وأما المئون، فقال ابن قتية: هي ما ولي الطُول، وإنما سميت بالمئين، لأن كل سورة تزيد على مائة آية أو تقاربها، والمثاني: ما ولي المئين من السور التي دون المائة، كأن المئين مَبَادٍ، وهذه مَثَانٍ، وأما المَفْصَلُ، فهو ما يلي المثاني من قصار السور، وإنما سميت مُفْصَلًا لِقَصَرِهَا وكثرة الفُصول فيها بسطر: بسم الله الرحمن الرحيم. وقد ذكر الماوردي في أول «تفسيره» في المَفْصَل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه من أول سورة (محمد) إلى آخر القرآن، قاله الأكثرون. والثاني: من سورة (قاف) إلى آخره، حكاه عيسى بن عمر عن كثير من الصحابة. والثالث: من (الضحى) إلى آخره، قاله ابن عباس<sup>(٣)</sup>.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّاتِ الْاَلْفِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْصُرُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَهِيدٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ

- (١) السبع الطُول، بضم الطاء وفتح الواو، جمع «الطولي» مثل «الكبري» و«الكبرى». قال ابن جرير الطبري: والسبع الطُول: «البقرة»، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس» في قول سعيد بن جبير، قال: وإنما سميت هذه السور: السبع الطول، لطولها على سائر سور القرآن. اهـ. وقال ابن كثير: قال سعيد ابن جبير: بين فهن الفرائض والحلود والقصص والأحكام، وقال ابن عباس بين الأشال والخبر والبيبر. اهـ.
- (٢) أخرجه البيهقي في «التفسير» بإسناد الثعلبي عن ثوبان رضي الله عنه، وفيه ضعف، ورواه أحمد في «المستدرك» ١٠٧/٤، و«الطبري» ١٠٠/١ عن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه عن طريق أبي داود الطيالسي عن أبي العوام عن قتادة عن أبي المليح عن وائلة، وإسناده صحيح. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١/٧ من حديث وائلة، وقال: رواه أحمد، والطبراني بنحوه.
- (٣) زيادة ليست في الأصل.

- (٤) قال ابن كثير في أول سورة (ق) هذه السورة هي أول الحزب المفصل، وقيل: من (الحجرات)، قال: وأما ما يقول العوام: إنه من (عم) فلا أصل له، ولم يقله أحد من العلماء رضي الله عنهم فيما نعلم، قال: والدليل على أن هذه السورة (يعني سورة «ق») هي أول المفصل، ما رواه أبو داود في «سننه»: «باب تحزيب القرآن» ثم قال: حدثنا مسدد، أخبرنا قُرْآن (الأصل: قراب وهو خطأ) ابن تمام - ح - وحدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد، ثنا سليمان بن حبان، وهذا لفظه عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى، عن عثمان بن عبد الله بن أوس عن جده، قال عبد الله بن سعيد: حدثني أوس بن حذيفة، ثم اتفقا، قال: قدما على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف، قال: فتزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبه رضي الله عنه، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبّة له، قال مسدد: وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا، قال أبو سعيد: قائما على رجله حتى يراوح بين رجله من طول القيام، فأكثر ما يحدثنا ﷺ ما لقي من قومه قریش، ثم يقول ﷺ: «لا سواء (في ابن كثير: لا أساء) وفي «تهذيب السنن» لا أنسى» وكلاهما خطأ) وكنا مستضعفين مستغلبين، قال مسدد: بمكة - فلما خرجنا إلى المدينة كانت الحرب سجلا بيننا وبينهم، نذال عليهم، ويُدالون علينا، فلما كانت ليلة أبطأ عنا ﷺ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه، فقلنا: لقد أبطأت علينا الليلة، قال ﷺ: «إنه طرا علي حزبي من القرآن، فكرهت أن أجيء حتى أتته»، قال أوس (يعني ابن حذيفة) سألت أصحاب رسول الله ﷺ: كيف يحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده. قال ابن كثير: رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر به. قال: ورواه الامام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله بن عبد الرحمن - هو ابن يعلى الطائفي - به، ثم قال ابن كثير: إذا حلم فلما، فإفا عدت ثمانيا وأربعين سورة، فالتى بعدهن سورة (ق) بيانه: «ثلاث: البقرة، وآل عمران، والنساء، و«خمس»: المائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، وبراءة. «سبع»: يونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، والمحل. «تسع»: سبحان، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج، والمؤتون، والتور، والفرقان. «إحدى عشرة»: الشعراء، والنمل، والقصص، والمنكوت، والروم، ولقمان، وآل عمران، والأحزاب، وسبا، وفاطر، ويس. «ثلاث عشرة»: الصافات، وهن، والزمر، وخافز، وحم السجدة، وحم عنق، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، والقتال، والفتح، والحجرات. ثم بعد ذلك الحزب المفصل، كما قاله الصحابة رضي الله عنهم، قال: فتعين أن أوله سورة (ق) وهو الذي قلنا، وله الحمد والمنة. اهـ.

صَوَّبَ النَّبِيُّ وَلَا يَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ آمَنَّا وَهُمْ هِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّفَقَةِ لِيُمَتِّعَهُمْ مَّتَّغِيرَةً وَاجْرُ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن رجلاً من بني تميم قَدِمُوا على رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: أُمِرُ القَعْقَاعُ بْنُ مَعْبُدٍ، وقال عمر: أُمِرُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، فقال أبو بكر: ما أردتُ إلا خلافي، وقال عمر: ما أردتُ خلافتك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾، فما كان عمر يُسَمِعُ رسولَ الله ﷺ [بعد هذه الآية] حتى يستفهمه، رواه عبد الله بن الزبير<sup>(١)</sup>. والثاني: أن قوماً ذَبَحُوا قبل أن يُصَلِّيَ رسولُ الله ﷺ يومَ النَّحْرِ، فأمرهم رسولُ الله ﷺ أن يُعِيدُوا الذَّبْحَ، فنزلت هذه الآية، قاله الحسن<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها نزلت في قوم كانوا يقولون: لو أنزلَ الله في كذا وكذا فكَرِهَ الله ذلك، وقَدِمَ فيه، قاله قتادة<sup>(٣)</sup>. والرابع: [أنها] نزلت في عمرو بن أمية الضمري، وكان قد قتل رجلين من بني سليم قبل أن يستأذن رسولَ الله ﷺ، قاله ابن السائب<sup>(٤)</sup>. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة<sup>(٥)</sup>. وروى العوفي عنه قال: نُهِوا أن يتكلموا بين يَدَيِ كلامه<sup>(٦)</sup>. وروى عن عائشة رضي الله عنها في هذه الآية قالت: لا تصوموا قبل أن يصومَ نبيكم<sup>(٧)</sup>. ومعنى الآية على جميع الأقوال: لا تعجلوا بقول أو فعل قبل أن يقول رسول الله ﷺ أو يفعل. قال ابن قتيبة: يقال فلان يُقَدِّمُ بين يَدَيِ الإمام وبين يَدَيِ أبيه، أي: يُعَجِّلُ بالأمر والنهي دونه. فأما «تَقْدُمُوا» فقرأ ابن مسعود، وأبو هريرة، وأبو رزين، وعائشة، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، والضحاك وابن سيرين، وقاتدة، وابن يعمر، ويعقوب: بفتح التاء والداد؛ وقرأ الباقون: بضم التاء وكسر الدال. قال الفراء: كلاهما صواب، يقال: قَدَّمْتُ، وتَقَدَّمْتُ؛ وقال الزجاج: كلاهما واحد؛ فأما «بين يَدَيِ الله ورسوله» فهو عبارة عن الأمام، لأن ما بين يَدَيِ الإنسان أمامه؛ فالمعنى: لا تَقْدُمُوا قُدَّامَ الأمير.

قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن أبا بكر وعمر رفعَا أصواتهما فيما ذكرناه آنفاً في حديث ابن الزبير، وهذا قول ابن أبي مليكة<sup>(٨)</sup>. والثاني: [أنها] نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وكان

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ٤٥٤/٨ عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، باب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ يُكَذِّبُونَ بِهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ لَآتَوْهُمْ مِنْهُ﴾ ما دون قوله: «فما كان عمر يُسَمِعُ رسولَ الله ﷺ حتى يستفهمه» فإنه ذكره في الباب الذي قبله من سورة الحجرات ٤٥٢/٨ باب: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ...﴾ الآية من حديث ابن أبي مليكة، ثم قال: قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسَمِعُ رسولَ الله ﷺ بعد هذه الآية حتى ينضمهم، يريد بذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ...﴾ الآية. والحديث ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٨ بسنده، دون قول ابن الزبير: «فما كان عمر يُسَمِعُ رسولَ الله ﷺ حتى يستفهمه» وأورده السيوطي في «الدرر» ٨٣/٦ بنحوه من رواية البخاري، وزاد نسبه لابن المنذر، وابن مردويه عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

(٢) ذكره الطبري عن الحسن بغير سند ١١٧/٢٦، وأورده السيوطي في «الدرر» ٨٤/٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن الحسن.

(٣) رواه الطبري ١١٧/٢٦ عن قتادة، وذكره السيوطي في «الدرر» ٨٤/٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) ذكره الألويسي بضماء بغير سند ولم يخره لأحد.

(٥) رواه الطبري ١١٦/٢٦، وذكره السيوطي في «الدرر» ٨٤/٦ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الحلية» عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٦) «الطبري» ١١٦/٢٦، وذكره السيوطي في «الدرر» ٨٤/٦ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٧) ذكره السيوطي في «الدرر» ٨٤/٦ من رواية الطبراني في «الأوسط» وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها.

(٨) رواه البخاري في «صحيحه» ٤٥٢/٨ باب: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ...﴾ الآية، من حديث نافع عن ابن أبي مليكة قال: كاذب الغثران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني جاشع، وأشار الآخر بربيع آخر، قال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر: ما أردتُ إلا خلافي، قال: ما أردتُ خلافتك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ...﴾ الآية، قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسَمِعُ رسولَ الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك من أبيه، يعني أبا بكر. اهـ. وفي رواية الترمذي: وما ذكر ابن الزبير جده. وفي رواية الطبري: وما ذكر ابن الزبير جده، يعني أبا بكر. اهـ. والحديث أورده السيوطي في «الدرر» ٨٤/٦ وزاد نسبه لابن المنذر، والطبراني عن ابن أبي مليكة.

جَهَوْرِي الصُّوت، فريما كان إذا تكلم تأذى رسول الله ﷺ بصوته، قاله مقاتل<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الجهر بالصوت في المخاطبة، قاله الأكثرون. والثاني: لا تدعوه باسمه: يا محمد، كما يدعو بعضكم بعضاً، ولكن قولوا: يا رسول الله، ويا نبي الله، وهو معنى قول سعيد بن جبير، والضحاك، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَحِطَّ﴾ قال ابن قتبية: لئلا تحبط. وقال الأخفش: مخافة أن تحبط. قال أبو سليمان الدمشقي: وقد قيل معنى الإحباط هاهنا: نقص المنزلة، لا إسقاط العمل من أصله كما يسقط بالكفر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُعْتَبِرُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ قال ابن عباس: لما نزل قوله: ﴿لَا تَقْرَءُوا أَمْوَالَكُمْ﴾ نأى أبو بكر أن لا يكلم رسول الله ﷺ إلا كأخي السرار، فأنزل الله في أبي بكر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُعْتَبِرُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾، والغرض: التقص<sup>(٢)</sup> كما بينا عند قوله: ﴿قُلْ لِلرِّبَايَةِ يَنْفُسُوا﴾ [النور: ٣٠]. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ اللَّهَ قَلْبُهُمْ﴾ قال ابن عباس: أخلصها [للتقوى] من المعصية. وقال الزجاج: اختبر قلوبهم فوجدهم مخلصين، كما تقول: قد امتحنت هذا الذهب والفضة، أي: اختبرتهما بأن أذنتهما حتى خلصا، فعلمت حقيقة كل واحد منهما. وقال ابن جرير: اختبرها بامتحانها إياها، فاصطفاها وأخلصها للتقوى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَذَكَّرُونَ مِنْ دَوْلَةِ الْمُجْرِبِ لَا يَقُولُونَ﴾ ① ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذَكِيٌّ ②﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَذَكَّرُونَ مِنْ دَوْلَةِ الْمُجْرِبِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن بني تميم جازؤا إلى رسول الله ﷺ فنادؤا على الباب: يا محمد اخرج إلينا، فإن مدحنا زين وإن ذمنا شين، فخرج وهو يقول: «إنما ذلكم الله»، فقالوا: نحن ناس من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك، فقال: «ما بالشعر يُعْثُ ولا بالفخار أُمِرْتُ، ولكن هاتوا»، فقال الزبيرقان بن بدر لشاب منهم: قُمْ فاذكُرْ فَضْلَكَ وَفَضْلَ قَوْمِكَ، فقام فذكر ذلك، فأمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس، فأجابه: وقام شاعرهم، فأجابه حسان، فقال الأقرع بن حابس: والله ما أدري ما هذا الأمر؟! تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولاً، وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أشعر، ثم دنا فأسلم، فأعطاهم رسول الله ﷺ وكساهم، وارتفعت الأصوات وكثر اللغط عند رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية، هذا قول جابر بن عبد الله في آخرين<sup>(٣)</sup>. وقال ابن إسحاق: نزلت في جفأة بني تميم، وكان فيهم الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، والزبيرقان بن بدر، [وقيس بن عاصم المنقرى]، وخالد بن مالك، وسويد بن هشام، وهما نهشلان، والقعقاع بن معبد، وعطاء بن حابس، ووكيع بن وكيع<sup>(٤)</sup>. والثاني: أن رسول الله ﷺ بعث سرية إلى بني النضير، وأمر عليهم عينة بن حصن الفزاري، فلما علموا بذلك هربوا وتركوا عيالهم، فسباهم عينة، فجاء رجالهم يُقَدِّون الدُّراري، فقدموا وقت الظهيرة

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٨ بغير سند، ولم يخره لأحد. وحديث ثابت بن قيس بن شماس رواه البخاري في «صحيحه» ٤٥٤/٨ من حديث موسى بن أنس، عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالساً في بيته متكئاً رأسه، فقال له: ما شئت؟ فقال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال موسى (يعني ابن أنس) فرجع إليه المرأة الأخيرة بيشارة عظيمة، فقال: «أذهب إليه قتل له: إنك لست من أهل النار، ولكك من أهل الجنة». ورواه مسلم من رواية حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك ﷺ، وأورده السيوطي في «الدر» ٨٤/٦ وزاد نسبه لأحمد، وأبي يعلى في معجم الصحابة، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٩ عن ابن عباس بغير سند، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: وأخرجه البزار وابن مردويه عن طريق طارق بن شهاب عن أبي بكر قال: لما نزل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَءُوا أَمْوَالَكُمْ قَرْنَ صَرِيحَ الْكَيْفِ﴾ قلت: يا رسول الله أليت ألا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله، قال: وأخرجه الحاكم والبيهقي في «المدخل» من حديث أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿الَّذِينَ يُعْتَبِرُونَ...﴾ الآية، قال أبو بكر: والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول الله لا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله ﷺ، وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٣) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٠ مطولاً، من رواية معلّى بن عبد الرحمن عن عبد الحميد بن جعفر عن عمر بن الحكم عن جابر بن عبد الله، وفي سنده معلّى بن عبد الرحمن الواسطي، ضعفه الدارقطني وغيره، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به.

(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٩ عن محمد بن إسحاق بغير سند.



ورسول الله ﷺ قائل، فجعلوا ينادون يا محمد اخرج إلينا، حتى أيقظوه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>.  
والثالث: أن ناساً من العرب قال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل، فإن يكن نبياً نكن أسعد الناس به، وإن يكن ملكاً نعيش في جناحه، فجاؤوا، فجعلوا ينادون يا محمد، يا محمد، فنزلت هذه الآية، [قاله زيد بن أرقم]<sup>(٢)</sup>.  
فأما «الحجرات» فقرأ أبي بن كعب، وعائشة، وأبو عبد الرحمن السلمي، ومجاهد، وأبو العالية، وابن يعمر، [وأبو جعفر، وشيبة]: بفتح الجيم؛ وأسكنها أبو رزين، وسعيد بن المسيب، وابن أبي عبله؛ وضمها الباقر. قال الفراء: وجه الكلام أن تُضمّ الحاء والجيم، وبعض العرب يقول: الحُجرات والرُّكبات، وربما خَفَّفوا فقالوا: «الحُجرات»، والتخفيف في تميم، والتثقيب في أهل الحجاز. وقال ابن قتيبة: واحد الحُجرات حُجرة، مثل ظُلْمة وظُلُمات. قال المفسرون: وإنما نادوا من وراء الحُجرات، لأنهم لم يعلموا في أي الحُجر رسول الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ قال الزجاج: أي: لكان الصبر خيراً لهم. وفي وجه كونه خيراً لهم قولان: أحدهما: لكان خيراً لهم فيما قَدِموا له من فداء ذراريهم، فلو صَبَرُوا خَلَّى سبيلهم بغير فداء، قاله مقاتل. والثاني: لكان أحسنَ لأدابهم في طاعة الله ورسوله، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: لمن تاب منهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهْلِكِهِمْ مَقْتَلَهُمْ تَدْرِيْنَ ۚ﴾ وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَنُرْسِلَنَّ إِلَيْكُمْ اللَّهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْأَعْيَانِ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ ﴿١﴾ فَضَلَّكَ يَنَ اللَّهُ وَبِعَمَّةٍ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ نزلت في الوليد بن عتبة، بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق لِيَقْبِضَ صدقاتهم، وقد كانت بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فسار بعض الطريق، ثم خاف فرجع فقال: إنهم قد منعوا الصدقة وأرادوا قتلي، فصرف رسول الله ﷺ البعث إليهم، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. وقد ذكرتُ القصة في كتاب «المغني» وفي «الحدثائق» مستوفاة، وذكرْتُ معنى «تَبَيَّنُوا» في سورة [النساء: ٩٤]، والثَّابِي: الخبر، و«أَنْ» بمعنى «ثلاثاً»، والجهالة هاهنا: أن يجهل حال القوم، ﴿فَتَبَيَّنُوا عَلَيَّ مَا قُلْتُمْ﴾ من إصابتهم بالخطأ «تَدْرِيْنَ». ثم خَوْفهم فقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: إن كَذَبْتُمُوهُ أخبره الله فافتضحتم، ثم قال: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ أي: متى تخبرونه فيه بالباطل «لَوَقَعْتُمْ فِي عَنَبٍ». قال ابن قتيبة: وهو الضَّرُّ والفساد. وقال غيره: هو الإثم والهلاك، وذلك أن المسلمين لما سَمِعُوا أن أولئك القوم قد كَفَرُوا قالوا: ابْعَثْ إليهم يا رسول الله واغْزِهِمْ واقتُلهم؛ ثم خاطب المؤمنين فقال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ إلى قوله: ﴿وَالْمُصِيبَاتِ﴾، ثم عاد إلى الخبر عنهم فقال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ﴾ أي: المهتدون إلى محاسن الأمور، ﴿فَضَلَّكَ يَنَ اللَّهُ﴾ قال الزجاج: المعنى: ففعل بكم ذلك فضلاً أي: للفضل والتعمة.

﴿وَلَنَ كَلَّامَتَانِ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفَنَلَّوْا فَاسِقِيحًا يَبْهَتُهُمَا فَإِن يَبَيَّنْهُمَا عَلَى الْآخِرَةِ فَقِيلُوا تَبَيَّنْ حَقَّ نَبَأِهِ لَكَ أَمْرٌ أَلَوْ فَإِن قَالَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا لِيَرْضَوْا وَتَرْضَى اللَّهُ لَمَّا كَرِهَ لَكُمْ تَسْمُونَ ﴿٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنَ كَلَّامَتَانِ...﴾. الآية، في سبب نزولها قولان: أحدهما: ما روى البخاري ومسلم في

(١) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: أخرجه ابن مردويه من رواية إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهو إسناد تالف.

(٢) رواه الطبري ١٢١/٢٦، وذكره السيوطي في «الدرر» ٨٦/٦ وزاد نسبه لابن راهويه، ومسدد، وأبي يعلى، والطبراني، وابن أبي حاتم عن زيد بن أرقم.

(٣) ذكره الرازي في «أسباب النزول» ٢٢٢ بغير سند، ورواه الطبري من حديث أم سلمة، وفي سننه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف، ورواه أحمد في «المستدرك» من حديث الحارث بن ضرار الخزاعي، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: رواه ابن إسحاق، والطبراني من حديث أم سلمة، وفيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف. قال: ونحوه رواه أحمد والطبراني أيضاً من حديث الحارث بن ضرار الخزاعي. وأخرجه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن موسى بن المسيب عن سالم بن أبي الجعد عن جابر. قال الحافظ ابن كثير: وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عتبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق، قال: ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في «مستدركه» من رواية ملك بن المصطلق وهو الحارث بن ضرار والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين، ثم قال: وكذا ذكر غير واحد من السلف، منهم ابن أبي ليلى، ويزيد بن رومان، والضحاك، ومقاتل بن حيان وغيرهم في هذه الآية أنها نزلت في الوليد بن عتبة، والله أعلم.

«الصحيحين» من حديث أنس بن مالك قال: قيل لرسول الله ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبي، فركب حماراً وانطلق معه المسلمون يمشون، فلما أتاه النبي ﷺ، قال: إليك عني، فوالله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، وغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهم ضربٌ بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنه أنزلت فيهم ﴿وَكَانَ طَائِفَتَانِ...﴾ الآية<sup>(١)</sup>. وقد أخرجنا جميعاً من حديث أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ خرج يعود سعد بن عباد، فمرَّ بمجلس فيهم عبد الله بن أبي، وعبد الله بن رواحة، فحمر ابن أبي وجهه بردائه، وقال: لا تغبروا علينا، فذكر الحديث، وأن المسلمين والمشركين واليهود استبوا<sup>(٢)</sup>. وقد ذكرت الحديث بطوله في «المغني» و«الحدائق». وقال مقاتل: وقف رسول الله ﷺ على الأنصار وهو على حمار له، فبال الحمار، فقال عبد الله بن أبي: أف، وأمسك على أنفه، فقال عبد الله بن رواحة: والله لهُوَ أطيب ريحاً منك، فكان بين قوم ابن أبي وابن رواحة ضرب بالنعال والأيدي والسَّعَف، ونزلت هذه الآية. والقول الثاني: أنها نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مُماراة في حقٍّ بينهما، فقال أحدهما: لآخذنَّ حقي قنوة، وذلك لكثرة عشيرته، ودعاه الآخر ليحاكمه إلى رسول الله ﷺ، فلم يزل الأمر بينهما حتى تناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال، قاله قتادة<sup>(٣)</sup>. وقال مجاهد: المراد بالطائفتين: الأوس والخزرج؛ اقتتلوا بالعصي بينهم. وقرأ أبي بن كعب، وابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «اقتلا» على فعل اثنين مذكَّرين. وقرأ أبو المتوكل الناجي، وأبو الجون، وابن أبي عبة: «اقتلتنا» بناءً وألف بعد اللام على فعل اثنين مؤنثتين. وقال الحسن وقاتدة والسدي «فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا» بالدعاء إلى حكم كتاب الله ﷻ والرضى بما فيه لهما وعليهما ﴿فَإِنْ بَكَتْ إِحْدَهُمَا﴾ طلبت ما ليس لها، ولم ترجع إلى الصلح، ﴿فَقَاتِلُوا آلَ بَنِي حَنْظَلَةَ﴾ أي: تَزَججْ «مَا أَتَى اللَّهُ» أي: إلى طاعته في الصلح الذي أمر به.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِمْ وَدَّاعِي﴾ أي: اعدلوا في الإصلاح بينهما<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا الْكَافِرُونَ إِخْوَةً﴾ قال الزجاج: إذا كانوا متفقين في دينهم رجعوا باتفاقهم إلى أصل النسب، لأنهم لآدم وجواء، فإذا اختلفت أديانهم افرقوا في النسب<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَوْلِيَاءِكُمْ﴾ قرأ الأكثرون: [بين أخويكم] بياء على التثنية، وقرأ أبي بن كعب، ومعاوية، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، [وقتادة]، وأبو العالية، وابن يعمر، وابن أبي عبة، ويعقوب: [بين إخوانكم] بناءً مع كسر الهمزة على الجمع. وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، والشعبي، وابن سيرين: [بين إخوانكم] بالنون وألف قبلها. قال قتادة: ويعني بذلك الأوس والخزرج.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحْزَنَ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَصَا أَنْ يَكُونُوا خِيَارَ يَتِيمٍ وَلَا يَسَا عَصَا أَنْ يَكُنْ خِيَارَ يَتِيمٍ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَلْسُنُ الْقُشُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزَنَ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ هذه الآية نزلت على ثلاثة أسباب؛ فأما أولها إلى قوله تعالى: ﴿خِيَارَ يَتِيمٍ﴾

(١) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ ٢١٨/٥، وَمُسْلِمٌ ١٤٢٤/٣، وَذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٩٠/٦، وَالحديث رواه أيضاً أحمد في «المسند» وابن جرير الطبري في «التفسير»، وَذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٩٠/٦، وَزَادَ نَسْبَهُ لِابْنِ الْمُنْزَلِ، وَابْنِ مَرْوَيْهِ، وَابْنِ أَبِي عِيْنٍ فِي «مُسْنَدِهِ» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ.

(٢) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ ١٧٣/٨، وَمُسْلِمٌ ١٤٢٤/٣.

(٣) ذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٩٠/٦ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ، وَابْنِ جُرَيْرٍ، وَابْنِ الْمُنْزَلِ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: ذَكَرْنَا هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَتْ بَيْنَهُمَا مِمَارَاةٌ... الخ.

(٤) وَتَمَّتْ الْآيَةُ «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» أَي: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَادِلِينَ فِي أَحْكَامِهِمُ، الْفَاقِينَ بَيْنَ خَلْقِهِ بِالْقِسْطِ اهـ. وَهُوَ الْعَدْلُ، وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» ١٤٥٨/٣ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمَقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكُلْنَا يَدَيْهِ يَمِينَ. الَّذِينَ يَعْلَمُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَعْلَامِهِمْ وَمَا وَكَّلُوا».

(٥) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ، «إِنَّا الْكَافِرُونَ إِخْوَةً» أَي: الْجَمِيعُ إِخْوَةٌ فِي الدِّينِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُسْلِمُ إِخْوَةُ الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَسْلِمُهُ» وَفِي «الصَّحِيحِ»: «وَاللَّهُ فِي حَوْنٍ لِعَبْدٍ مَا كَانَ فِي حَوْنٍ لِعَبْدِهِ» وَفِي «الصَّحِيحِ» أَيْضاً: «إِذَا دَعَا الْمُسْلِمُ أَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلِكُ: آمِينَ وَلَكَ بِظِلِّهِ وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ. قَالَ: وَفِي «الصَّحِيحِ»: «مِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَلَّاهُمْ وَتَرَاحَمَهُمْ وَتَوَاصَلَهُمْ كَمِثْلِ الْجَسَدِ إِذَا لَشِكِي مِنْهُ عَضُو تَعَالَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحَمَى وَالسَّهَرِ». وَفِي «الصَّحِيحِ» أَيْضاً: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَيْتَانِ يَشُدُّ بِعَضْوِ بَعْضُهُمَا وَشِبْكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِمَا» اهـ.

فنزلت على سبب، وفيه قولان: أحدهما: أن ثابت بن قيس بن شماس جاء يوماً يريد الدُّنُوَّ من رسول الله ﷺ، وكان به صمم، فقال لرجل بين يديه: افسح، فقال له الرجل: قد أصبت مجلساً، فجلس مُخَضَّباً، ثم قال للرجل: من أنت؟ قال: أنا فلان. فقال ثابت: أنت ابن فلانة!! فذكر أمّا له كان يعبر بها في الجاهلية، فأغضى الرجل ونكس رأسه، ونزل قوله تعالى: ﴿لَا يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَمَّ أَنْ يُكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾، قاله أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن وفد تميم استهزؤوا بفقراء أصحاب رسول الله ﷺ لما رأوا من رثالة حالهم، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك ومقاتل<sup>(٢)</sup>. وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْأَلُكَ مِنْ نِسَاءٍ﴾ فنزلت على سبب، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن نساء رسول الله ﷺ عيّن أم سلمة بالْقَصْرِ، فنزلت هذه [الآية]، قاله أنس بن مالك<sup>(٣)</sup>. وزعم مقاتل أن عائشة استهزأت من قَصْرِ أم سلمة. والثاني: أن امرأتين من أزواج رسول الله ﷺ سخرتا من أم سلمة زوج رسول الله ﷺ، وكانت أم سلمة قد خرجت ذات يوم وقد ربطت أحد طرفي جلبابها على حقوها، وأرخت الطرف الآخر خلفها، ولا تعلم، فقالت إحداهما للآخرى: انظري، ما خلّفت أم سلمة كأنه لسان كلب، قاله أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن صفية بنت حيّ بن أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن النساء يعيّرني ويقولن: يا يهودية بنت يهوديين، فقال رسول الله ﷺ: «هَلَا قُلْتُ: إن أبي هارون، وإن عمّي موسى، وإن زوجي محمد» فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>. وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ فنزلت على سبب، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ قَدِمَ المدينة ولهم ألقاب يُدْعَوْنَ بها، فجعل الرجل يدعو الرجل بلقبه، فقيل له: يا رسول الله: إنهم يكرهون هذا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، قاله أبو جيرة بن الضحاك<sup>(٦)</sup>. والثاني: أن أبا ذر كان بينه وبين رجل منازعة، فقال له الرجل: يا ابن اليهودية، فنزلت: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، قاله الحسن. والثالث: أن كعب بن مالك الأنصاري كان بينه وبين عبد الله بن أبي حلدرد الأسلمي كلام، فقال له: يا أعرابي، فقال له عبد الله: يا يهودي، فنزلت فيهما ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، قاله مقاتل. وأما التفسير، فقوله تعالى: ﴿لَا يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ أي: لا يستهزئ غني بفقر، ولا مستور عليه ذنب بمن لم يُسْتَر عليه، ولا ذو حَسَبٍ بلثيم الحَسَبِ، وأشبه ذلك ممّا ينتقصه به، عسى أن يكون عند الله خيراً [منه]. وقد بيّنا في [البقرة: ٥٤] أن القوم اسم الرجال دون النساء، ولذلك قال: ﴿وَلَا يَسْأَلُكَ مِنْ نِسَاءٍ﴾ وتَلْمِزُوا بمعنى تعيبوا، وقد سبق بيانه [التوبة: ٥٨]. والمراد بالأنفُس هاهنا: الإخوان. والمعنى: لا تعيبوا إخوانكم من المسلمين لأنهم كأنفسكم. والتنابر: التفاعل من التَبَرَّ، وهو مصدر، والتَبَرَّ الاسم. والألقاب جمع لقب، وهو اسم يُدعى به الإنسان سوى الاسم الذي سُمِّيَ به. قال ابن قتيبة: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي: لا تتداعوا بها. والألقاب، والألقاب، واحد، ومنه الحديث: «تَبَرُّهُمُ الرافضة» أي: لقبهم<sup>(٧)</sup>. وللمفسرين في المراد بهذه الألقاب أربعة أقوال: أحدها: تعبير التائب بسببَات قد كان عملها، رواه عطية العوفي عن ابن عباس<sup>(٨)</sup>. والثاني: أنه تسميته بعد إسلامه بدينه قبل الإسلام، كقوله

- (١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٣ بغير سند ولم يعزه لأحد. وذكره البغوي والخازن عن ابن عباس بدون سند. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: ذكره الثعلبي ومن تبعه عن ابن عباس بغير سند.
- (٢) ذكر البغوي والخازن عن الضحاك بغير سند. وأورده السيوطي في «الدر» ٩١/٦ من رواية ابن أبي حاتم عن مقاتل.
- (٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» عن أنس بن مالك بغير سند، وكذلك البغوي والخازن.
- (٤) ذكره الألوسي بغير سند ولم يعزه لأحد.
- (٥) ذكره البغوي والخازن في «التفسير»، والواحدي في «أسباب النزول» عن عكرمة عن ابن عباس بلا سند.
- (٦) رواه الترمذي ١٥٩/٢ وقال: حديث حسن، ورواه الطبري ١٣٢/١٦، والواحدي في «أسباب النزول»، وأورده السيوطي في «الدر» ٩١/٦ وزاد نسيته لأحمد، وعبد بن حميد، والبخاري في «الأدب المفرد»، والنسائي، وابن ماجه، وأبي يعلى، وابن المنذر، والبغوي في «معجمه»، وابن حبان، والثيراني في «الألقاب»، والطبراني، وابن السني في «عمل اليوم والليلة»، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي جيرة بن الضحاك.
- (٧) قال ابن قتيبة في «غريب القرآن»: ومنه قيل في الحديث: «قوم تبزؤهم الرافضة» أي لقبهم، قال الفقيه شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي في مقلمة كتابه «الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة». أخرج الدارقطني عن علي بن النبي ﷺ: «سألتني من يعدي قوم لهم نيز يقال لهم: الرافضة». الحديث، ولم ينشر عليه، والله أعلم بصحته.
- (٨) «الطبري» ١٣٣/٢٦.

لليهودي إذا أسلم: يا يهودي، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً<sup>(١)</sup>، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وعطاء الخراساني، والقرظي. والثالث: أنه قول الرجل للرجل: يا كافر، يا منافق، قاله عكرمة<sup>(٢)</sup>. والرابع: أنه تسميته بالأعمال السيئة، كقوله: يا زاني؛ يا سارق، يا فاسق، قاله ابن زيد<sup>(٣)</sup>. قال أهل العلم: والمراد بهذه الألقاب: ما يكرهه المنادى به، أو يُعدّ ذمّاً له. فأما الألقاب التي تكسب حمداً وتكون صدقاً، فلا تُكره، كما قيل لأبي بكر: عتيق، ولعمر: فاروق، ولعثمان: ذو النورين، ولعلي: أبو تراب، ولخالد: سيف الله، ونحو ذلك. وقوله: ﴿يَتَسَنَّوْنَ﴾ أي: تسميته فاسقاً أو كافراً وقد آمن، ﴿وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ﴾ من التنازع ﴿فَأُولَئِكَ مُمْكَانُونَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: الضارون لأنفسهم بمعصيتهم، قاله ابن عباس. والثاني: هم أظلم من الذين قالوا لهم ذلك، قاله ابن زيد.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا كَيْدَ بَنِ الْكَفْرِ إِنَّ بَنِي الْكَفْرِ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ بَعْدَ الْكَفْرِ إِفْرٌ وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا تَحْسَبُوا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ أَهْبَاءُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا كَيْدَ بَنِي الْكَفْرِ﴾ قال ابن عباس: نهى الله تعالى المؤمن أن يظنّ بالمؤمن شراً. وقال سعيد بن جبير: هو الرجل يسمع من أخيه كلاماً لا يريد به سوءاً أو يدخل مَدْخَلًا لا يريد به [سوءاً]<sup>(٤)</sup>، فيراه أخوه المسلم فيظنّ به سوءاً. وقال الزجاج: هو أن يظنّ بأهل الخير سوءاً. فأما أهل السوء والفسق، فلنا أن نظنّ بهم ومثل الذي ظهر منهم. قال القاضي أبو يعلى: هذه الآية تدل على أنه لم يُنه عن جميع الظنّ؛ والظنّ على أربعة أضرب: محظور، ومأمور به، ومباح، ومندوب إليه، فأما المحظور، فهو سوء الظن بالله تعالى، والواجب: حُسْنُ الظن بالله<sup>(٥)</sup>، وكذلك سوء الظن بالمسلمين الذين ظاهريهم العدالة محظور<sup>(٦)</sup>، وأما الظن بالمأمور به، فهو ما لم ينصب عليه دليل يوصل إلى العلم به، وقد تُعبدنا بتنفيذ الحكم فيه، والاقتصار على غالب الظن، وإجراء الحكم عليه واجب، وذلك نحو ما تُعبدنا به من قبول شهادة العدول، وتحريّ القبلة، وتقويم المستهلكات، وأروش الجنائيات التي لم يردّ بمقاديرها توقيف، فهذا وما كان من نظائره قد تُعبدنا فيه بأحكام غالب الظنون. فأما الظن المباح، فكالشك في الصلاة إذا كان إماماً، أمره النبي ﷺ بالتحريّ والعمل على ما يُثَلِّب في ظنّه، وإن فعله كان مباحاً، وإن عدلّ عنه إلى البناء على اليقين كان جائزاً وروى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِذَا ظَنَنْتُمْ فَلَا تَحْقُقُوا﴾<sup>(٧)</sup>، وهذا من الظن الذي يعرض في قلب الإنسان في أخيه فيما يوجب الرّيبة، فلا ينبغي له أن يحققه. وأما الظن المندوب إليه، فهو إحسان الظن بالأخ المسلم يُندب إليه ويُثاب عليه. فأما ما روي في الحديث: «احترسوا من الناس بسوء الظن»<sup>(٨)</sup>، فالمراد: الاحتراس بحفظ المال، مثل أن يقول: إن تركت بابي مفتوحاً خشيت السراق.

- (١) ذكره الطبري ١٣٣/٢٦ عن الحسن، وذكره السيوطي في «الدر» ٩١/٦ من رواية عبد الرزاق عن الحسن.
- (٢) «الطبري» ١٣٢/٢٦، وذكره السيوطي في «الدر» ٩١/٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن عكرمة.
- (٣) «الطبري» ١٣٣/٢٦.
- (٤) زيادة ليست في الأصلين.
- (٥) روى مسلم في «صحيحه» ٢٢٠٦/٤ عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ».
- (٦) روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا أيها الذين آمنوا أكلبوا ألبابكم ولا تجسسوا، ولا تاجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تتباغضوا، ولا تحسبوا عباد الله إخواناً».
- (٧) ذكره ابن كثير في «التفسير» من رواية الطبراني، ولفظه بتمامه: «ثلاث لازمات لأمتي: الطيرة، والحسد، وسوء الظن» فقال رجل: وما يذهبهن يا رسول الله ممن هن فيه؟ قال ﷺ: «إذا حدثت فاستغفر، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامحّض»، وأورده الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/٧٨ وقال: رواه الطبراني، وفيه إسماعيل بن قيس الأنصاري، وهو ضعيف.
- (٨) رواه الطبراني في «الأوسط» وابن عدي من حديث بقة بن الوليد عن معاوية بن يحيى عن سليمان بن سليم عن أنس مرفوعاً. قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨٦/٨: بقة بن الوليد مدلس، وفيه رجاله ثقات، وقال الحافظ المناري في «فيض القدير»: قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: خرج الطبراني في «الأوسط» من طريق أنس، وهو من رواية بقة بالعننة، عن معاوية بن يحيى وهو ضعيف، فله علتان. قال: وصح من قول مطرف، أخرجه مسند. وقال الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة»: رواه أحمد في «الزهد» والبيهقي في «السنن» وغيرهما، كلاهما من قول مطرف بن الشخير أحد التابعين. اهـ. والحديث مخالف لأحاديث الصحيحة التي يأمر فيها النبي ﷺ المسلمين بأن لا يسيئوا الظن بإخوانهم، منها قوله ﷺ في الحديث الذي تقدم: «يا أيها الذين آمنوا»، الحديث، ولا تستقيم المعاملة مع الناس على إساءة الظن بهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِمَنْ أَلْفَيْتَ إِثْرًا﴾ قال المفسرون: هو ما تكلم به مما ظنّه من السوء بأخيه المسلم، فإن لم يتكلم به فلا بأس، وذهب بعضهم إلى أنه يأثم بنفس ذلك الظن وإن لم ينطق به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ وقرأ أبو رزين، والحسن، والضحاك، وابن سيرين، وأبو رجاء، وابن يعمر: بالحاء. قال أبو عبيدة: التجسس والتجسس واحد، وهو التَّبَحُّثُ، ومنه الجاسوس. وروي عن يحيى بن أبي كثير أنه قال: التجسس، بالجيم: البحث عن غورات الناس، وبالحاء: الاستماع لحديث القوم. قال المفسرون: التجسس: البحث عن عيب المسلمين وغوراتهم؛ فالمعنى: لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه ليطلع عليه إذ ستره الله. وقيل لابن مسعود: هذا الوليد بن عتبة تقطر لحيته خمرًا، فقال: إنا نُهينا عن التجسس، فإن يظهر لنا شيء نأخذ به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْتَبِهُنَّ عَنْ أَهْلِيهِنَّ﴾ أي: لا يتناول بعضكم بعضاً بظهر الغيب بما يسوؤه. وقد روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ سئل ما الغيبة؟ قال: «ذُكْرُكَ أَخَاكَ بما يكره». قال: أرايت إن كان في أخي ما أقول. قال: «إن كان في أخيك ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»<sup>(١)</sup>. ثم صَرَّبَ الله للغيبة مثلاً، فقال: «أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا» وقرأ نافع «مَيْتًا» بالتشديد. قال الزجاج: وبيانه أن ذُكْرَكَ بسوء مَنْ لم يَحْضُرْ، بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يُجِسُّ بذلك. قال القاضي أبو يعلى: وهذا تأكيد لتحريم الغيبة، لأن أكل لحم المسلم محظور، ولأن النفوس تعافه من طريق الطَّبع، فينبغي أن تكون الغيبة بمنزلة في الكراهة.

قوله تعالى: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ وقرأ الضحاك، وعاصم الجحدري: «فَكَرِهْتُمُوهُ» برفع الكاف وتشديد الراء. قال الفراء: أي: وقد كرهتموه فلا تفعلوه، ومن قرأ «فَكَرِهْتُمُوهُ» أي: فقد بُغِضَ إليكم، والمعنى واحد. قال الزجاج: والمعنى: كما تكرهون أكل لحمه ميتًا، فكذاك تجنّبوا ذُكْرَهُ بالسوء غائبًا.

قوله تعالى: ﴿وَالْفَرُّ أَغْنَىٰ﴾ أي: في الغيبة «إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ» على من تاب «تَجِبَةً» به.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: نزلت في ثابت بن قيس وقوله في الرجل الذي لم يفسح له: أنت ابن فلانة، وقد ذكرناه عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١]<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه لما كان يوم الفتح أمر رسول الله ﷺ بلالاً فصبغ على ظهر الكعبة فأذن، وأراد أن يذلل المشركين بذلك، فلما أذن، قال عتاب بن أسيد: الحمد لله الذي قبض أسيداً قبل اليوم، وقال الحارث بن هشام: أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً؟! وقال سهيل بن عمرو: إن يكره الله شيئاً يغيره، وقال أبو سفيان: أما أنا فلا أقول شيئاً، فأني إن قلت شيئاً لتشهدن عليّ السماء، ولتخيرن عني الأرض، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن عبداً أسود مرض فعاده رسول الله ﷺ، ثم قبض فتولّى غسله وتكفينه ودفنه، فأثر ذلك عند الصحابة، فنزلت هذه الآية، قاله يزيد بن شجرة<sup>(٤)</sup>. فأما المراد بالذكر والأنثى، فأدم وحواء. والمعنى: إنكم تتساوون في النسب؛ وهذا زجر عن التفاخر بالأنساب. فأما الشعوب، فهي جمع شعب. وهو الحي العظيم، مثل مضر وربيعة، والقبائل دونها، كبكر من ربيعة، وتميم من مضر، هذا قول الجمهور من المفسرين وأهل اللغة. وروى عطاء عن ابن عباس قال: يريد بالشعوب: الموالي، وبالقبايل: العرب. وقال أبو رزين: الشعوب: أهل الجبال الذين لا يعتزّون

(١) رواه أبو داود في «سننه» (رقم ٤٨٧٤)، والترمذي في «جامعه» ١٥/٢. وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه ابن جرير ١٣٧/٢٦. وأورده السيوطي في «الدرر» ٩٤/٦ وزاد نسبة لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه، كلهم عن أبي هريرة رَوَاهُ. ورواه مسلم في «صحيحه» ٤/٢٠٠. ولفظه: عن أبي هريرة رَوَاهُ أن رسول الله ﷺ قال: «اتَّبِعُوا مَا الْغَيْبَةُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذُكْرُكَ أَخَاكَ بما يكره» قيل: أرايت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته». أي: قلت فيه البهتان، وهو الباطل.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٣ بلا سند، ولم يعزه لأحد، وذكره البغوي والخازن عن ابن عباس بلا سند أيضاً. وقال الحافظ ابن حجر في «تفريغ الكشف»: ذكره الثعلبي ومن قبله عن ابن عباس بغير سند.

(٣) ذكره. الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٤ عن مقاتل.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في «تفريغ الكشف» ١٥٩: هكذا ذكره الثعلبي والواحدي بغير سند.

لأحد، والقبائل: قبائل العرب. وقال أبو سليمان الدمشقي: وقد قيل: إن القبائل هي الأصول، والشعوب هي البطنون التي تشعب منها، وهذا ضد القول الأول.

قوله تعالى: ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ أي: ليعرف بعضكم بعضاً في قرب النسب وبعده. قال الزجاج: المعنى: جعلناكم كذلك لتعارفوا، لا لتفاحروا. ثم أعلمهم أن أرفعهم عنده منزلة أنقامهم. وقرأ أبي بن كعب، وابن عباس، والضحاك، وابن عمر، وأبان عن عاصم: ﴿لِتَعْرِفُوا﴾ بإسكان العين وكسر الراء من غير ألف. وقرأ مجاهد، وأبو المتوكل، وابن محيصن: ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ بقاء واحدة مشددة وبألف مفتوحة الراء مخففة. وقرأ أبو نهيك، والأعمش: ﴿لِتَعْرِفُوا﴾ بقاءين مفتوحة الراء وبشديدها من غير ألف.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، ومجاهد، وأبو الجوزاء: «أَنْ» بفتح الهمزة. قال الفراء: من فتح «أَنْ» فكانه قال: لتعارفوا أَنَّ الكريمَ الثَّقِيَّ، ولو كان كذلك لكانت ﴿لِتَعْرِفُوا﴾، غير أنه يجوز ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ على معنى: ليعرف بعضكم بعضاً أن أكرمكم عند الله اتقاكم<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ يُطِئُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَنفَكُوا عَنْكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ١٢ قُلْ أَتَمْلِكُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١٣ يَتَذَكَّرُ أَنَّ أَسْلَمُوا قُلْ لَمْ تَمُوتُوا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُتُ حَيْثُ يَشَاءُ أَنْ هَذَا ذِكْرٌ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٤ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٥﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ قال مجاهد: نزلت في أعراب بني أسد بن خزيمة. ووصف غيره حالهم، فقال: قديموا المدينة في سنة مُجِدِّية، فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات، وأغلوا أسماهم، وكانوا يُعْتَوْنَ على رسول الله ﷺ يقولون: آيتناك بالآثقال والعيال، ولم تُقَاتِلْكَ، فنزلت فيهم هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وقال السدي: نزلت في أعراب مزينة وجهية وأسلم وأشجع وغفار [وهم الذين ذكرهم الله تعالى في سورة (الفتح)] وكانوا يقولون: آمنا بالله، ليامنوا على أنفسهم، فلما استشفروا إلى الحديبية تخلّفوا، فنزلت فيهم هذه الآية<sup>(٣)</sup>. وقال مقاتل: كانت منازلهم بين مكة والمدينة، فكانوا إذا مرّت بهم سرية من سرايا رسول الله ﷺ قالوا: آمنا، ليامنوا على دماهم وأموالهم، فلما سار رسول الله ﷺ إلى الحديبية استفهم فلم يَنُفِرُوا معه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ أي: لَمْ تَصَدَّقُوا ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ قال ابن قتبية: أي: استسلمنا من خوف السيف، وانقذنا. قال الزجاج: الإسلام: إظهار الخضوع والقبول لما أتى به رسول الله ﷺ، وبذلك يُخَفَّنَ الدَّمُ، فإن

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاتُكُمْ﴾ أي: إنما تتفاضلون عند الله تعالى بالتقوى، لا بالأحساب. قال: وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله ﷺ، فقد روى البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة ؓ قال: سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ قال: «أكرمهم عند الله أتقاهم». وروى مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَصْلَابِكُمْ» وروى أبو داود في «سننه» والترمذي وحسنه عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ لَمْ تَنْظُرْ عَنكُمْ خِيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ (كبرها ونفوتها) وفقرها بالآباء، مؤمن تلقى، وفاجر شقي، أتم بنو آدم وأتم من تراب، ليدفن رجالاً فخرهم بأقوالهم إنما هم فح من لحم جهنم، أو يكونون أمون على الله من الجملان التي تلعب بأنفسها التين».

وروى أحمد في «المستد» بسند صحيح أن رسول الله ﷺ قال: «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لمجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى» ثم قال ابن كثير في «تمهيد الآية»: «إِنَّ اللَّهَ يَكْبُرُ خَيْرٌ» أي عليهم بكم، غير بأموالكم، فيهدي من يشاء، ويفضل من يشاء، ويرحم من يشاء، ويعذب من يشاء، ويفضل من يشاء على من يشاء، وهو الحكيم العليم الخبير في ذلك كله، قال: واستدل بهذه الآية الكريمة وهذه الأحاديث الشريفة من ذهب من العلماء إلى أن الكفاية في النكاح لا تشترط، ولا يشترط سوى الدين، لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاتُكُمْ﴾ قلت: ورويه الحديث المزبور: «إِذَا اتَّكَمَ مِنْ تَرْغُونِ دِينَهُ وَأَمَاتِهِ فُزِجُوا إِلَّا تَعْمَلُوا تَكُنْ قِتَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِضٌ» رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم، وهو حديث حسن.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» والبيهقي والخازن في «الظهير» بلا سند.

(٣) ذكره البيهقي والخازن عن السدي بغير سند، ولم يمزوا لأحد.

كان معه اعتقاد وتصديق بالقلب، فآخَرَجَ الله هؤلاء من الإيمان بقوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: لَمْ تُصَدِّقُوا، إنما أسلمتم تعوذاً من القتل، وقال مقاتل: «ولمَّا» بمعنى «ولم» يدخل التصديق في قلوبكم<sup>(١)</sup>. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَةٌ مِّنَ النَّاسِ ظَنَّتْ أَنَّهُ مَعَهُمْ﴾ قال ابن عباس: إن تُخْلِصُوا الإيمان ﴿لَا يَلْتَمِسْكُمْ﴾ قرأ أبو عمرو: «يَالْتَمِسْكُمْ» بآلف وهمز؛ وروي عنه بآلف ساكنة مع ترك الهمزة: وقرأ الباقون: «يَلْتَمِسْكُمْ» بغير ألف ولا همز. فقراءة أبي عمرو من أَلَتْ يَالِثٌ، وقراءة الباقين من لَات يَلِثٌ، قال الفراء: وهما لغتان، قال الزجاج: معناهما واحد. والمعنى: لا يَنْقُصُكُمْ. وقال أبو عبيدة: فيها ثلاث لغات: أَلَتْ يَالِثٌ، تقديرها: أَفَكَ يَأْفُكُ، وأَلَات يَلِثٌ، تقديرها: أَقَالَ يُقِيلُ، ولَات يَلِثٌ، قال رؤية:

وَلَيْلَةٍ ذَاتِ نَوْدَى سَرِيثٌ  
لَمْ يَلِثْنِي عَنْ سُرَاهَا لَيْثٌ<sup>(٢)</sup>  
قوله تعالى: ﴿يَنْ أَعْلَيْكُمْ﴾ أي: من ثوابها. ثم نعت الصادقين في إيمانهم بالآية التي تلي هذه<sup>(٣)</sup>. ومعنى: ﴿يَرْكَبُوا﴾ يَشْكُوا. وإنما ذكر الجهاد، لأن الجهاد مع رسول الله ﷺ كان فرضاً في ذلك الوقت، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [في إيمانهم]. فلما نزلت هاتان الآيتان أتوا رسول الله ﷺ يحلفون أنهم مؤمنون صادقون [فترلت هذه الآية].  
قوله تعالى: ﴿قُلْ أَصْلَحُوا اللَّهَ يَصْلَحْكُمْ﴾ و«عَلِمَ» بمعنى «أعلم»، ولذلك دخلت الباء في قوله: «بدينكم» والمعنى: أتخبرون [الله] بالدين الذي أنتم عليه؟! أي: هو عالمٌ بذلك لا يحتاج إلى إخباركم؛ وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿يَسْتَوُونَ عَلَيْكَ أَن أَسْلَمُوا﴾ قالوا: أَسْلَمْنَا ولم نَقَاتِلْكَ<sup>(٤)</sup> [والله أعلم].



(١) قال ابن كثير: يقول تعالى منكراً على الأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادَّعَوْا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يَتِمَّكِنِ الإيمان في قلوبهم بعد ﴿فَكَتَبَ اللَّهُ مَائِثَةً لِّمَن لَّمْ يُزَيِّنُوا وَلَكِنَّ قَوْلًا اشْتَرَيْنَا بِهِ قُلُوبَكُمْ﴾ قال: وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، قال: ويدل عليه حديث جبريل عليه السلام حين سأل عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص ثم للأخص منه. اهـ.

(٢) الرجز في «مجاز القرآن» ٢/٢٢١، و«الطبري» ٢/١٥ و٢٦/١٤٣، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: ليت.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿لَمَّا تَشَهِدُوا إِلَيْهِ كَاشِفًا يَدَيْهِ وَسُودَ ثُمَّ لَمْ يَرْكَبُوا وَخَفَلُوا بِأَمْرِهِمْ وَأَنْشَبَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

(٤) قال الحافظ السيوطي في «الدرر» ١٠٠/٦: أخرج ابن المنذر، والطبراني وابن مردويه عن عبد الله بن أبي أوفى أن ناساً من العرب قالوا: يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك كما فاتلك بنو فلان، فأنزل الله ﴿يَسْتَوُونَ عَلَيْكَ أَن أَسْلَمُوا...﴾ الآية، قال الحافظ الهيثمي في «المجمع» ١١٢/٧: رواه الطبراني في «الكبير» والأوسط وفيه الحجاج بن أرطاة وهو ثقة، ولكنه منلس، وبقية رجاله رجال الصحيح. وذكره ابن كثير عن البزار من طريق أبي حنن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، ثم قال: قال البزار: لا تعلمه يروي إلا من هذا الوجه، ولا تعلم روى أبو حنن محمد بن عبد الله غير هذا الحديث. وذكره السيوطي في «أسباب النزول» من رواية النسائي والبزار وابن مردويه عن ابن عباس، ومن رواية سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه عن سعيد بن جبير، ومن رواية ابن أبي حاتم وابن مردويه عن الحسن. والله أعلم اهـ.





**عَجِبَ**. والثاني: أنه قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾، فيكون المعنى: [قاف] والقرآن المجيد لقد عَلِمْنَا، فحذفت اللام لأن ما قبلها عوضٌ منها، كقوله: ﴿وَالْقَيْنِ وَحُصْنًا... قَدْ أَفْلَحَ﴾ [النسر: ١-٩] أي: لقد أفلح، أجاز هذا القول الزجاج. والثالث: أنه قوله: ﴿مَا يَلِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾، حكى عن الأخفش. والرابع: أنه في سورة أخرى، حكاه أبو سليمان الدمشقي، ولم يبين في أي سورة.

قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوا﴾ مفسر في [ص: ٤] إلى قوله: ﴿ثُمَّ عَجِبَ﴾ أي: مُعْجِبٌ. ﴿أَوَدَا يَتَنَا﴾ قال الأخفش: هذا الكلام على جواب، كأنه قيل لهم: إنكم ترجعون، فقالوا: أنذا متنا وكنا تراباً؟ وقال غيره: تقدير الكلام: ق والقرآن لِيُعْثَنَ، فقال: أنذا متنا وكنا تراباً؟ والمعنى: أنبئت إذا كنا كذلك؟! وقال ابن جرير: لما تعجبوا من وعيد الله على تكذيبهم بمحمد ﷺ فقالوا: هذا شيء عجيب، كان كأنه قال لهم: ستعلمون إذا بُعث ما يكون حالكم في تكذيبكم محمداً، فقالوا: أنذا متنا وكنا تراباً؟

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ﴾ أي: ردٌ إلى الحياة ﴿بَعِيدٌ﴾ قال ابن قتيبة: أي: لا يكون. ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي: ما تاكل من لحومهم ودمائهم وأشعارهم إذا ماتوا، يعني أن ذلك لا يغزب عن علمه، ﴿وَعَدْنَاهُ﴾ مع علمنا بذلك ﴿كِتَابَ حَيْطَرٍ﴾ أي: حافظ لعددهم وأسمائهم ولما تنقص الأرض منهم، وهو اللوح المحفوظ قد أثبت فيه ما يكون. ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ وهو القرآن. والمريج: المختلط، قال ابن قتيبة: يقال: مَرَجَ [أمر] الناس، وَمَرَجَ الدين، وأصل هذا أن يَلْتَقِيَ الشيء، ولا يستقر، يقال: مَرَجَ الخاتم في يدي: إذا قلق، للهزال. قال المفسرون: ومعنى اختلاط أمرهم: أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ مرّة: ساحر، ومرّة: شاعر، ومرّة: مُعَلِّمٌ، ويقولون للقرآن مرّة: سحر، ومرّة: مُفْتَرَى، ومرّة: رَجَزٌ، فكان أمرهم ملتبساً مختلطاً عليهم.

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهُ وَزَيَّنَّاهُ وَمَا لَنَا مِنْ فُرُجٍ ۝ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِجْسًا وَجَعَلْنَاهَا رِجْجًا ۝ وَذَكَرْنَا لِكُلِّ عِبْدٍ نُسُوبًا ۝ وَزَلَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَلْبَسْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْفُرُوجُ ۝ كَذَّبَ قَوْمٌ قَوْمٌ نوحاً وَأَحْصَى الْآرِينَ وَتَمُودَ ۝ وَآدَ وَفِرْعَوْنَ وَغُرَجَ ۝ وَأَحْصَى الْأَنْبِيَاءَ وَقَوْمٌ نوحاً كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ هُنَّ رِجْدٌ ۝ أَفَبِمَا يَلْحَقُ الْأَوَّلَ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝﴾  
ثم دلهم على قدرته على البعث بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهُ﴾ بغير عمد ﴿وَزَيَّنَّاهُ﴾ بالكواكب ﴿وَمَا لَنَا مِنْ فُرُجٍ﴾ أي: من صدوع وشقوق. والزُّوج: الجنس. والبهيج: الحسن، قاله أبو عبيدة. وقال ابن قتيبة: البهيج: الذي يَبْهَجُ به.

قوله تعالى: ﴿بَاسِقَاتٍ لِكُلِّ عِبْدٍ نُسُوبًا﴾ قال الزجاج: أي: فعلنا ذلك لِنُبَيِّنَ ونُدُلَّ على القدرة. والمنيب: الذي يَرْجِعُ إلى الله ويفكر في قدرته.

قوله تعالى: ﴿وَزَلَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وهو المطر ﴿مُبَارَكًا﴾ أي: كثير الخير، فيه حياة كل شيء، ﴿فَأَلْبَسْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ وهي البساتين ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ أراد: الحبَّ الحصيد، فأضافه إلى نفسه، كقوله: ﴿لَوْ حَقَّ الْقَيْنُ﴾ [الواقعة: ٩٥] وقوله: ﴿مِنْ حَبْلِ آدَمَ﴾ [لق: ١٦] فالْحَبْلُ هو الوريد، وكما يقال: صلاة الأولى، يراد: الصلاة الأولى، ويقال: مسجد الجامع، يراد: المسجد الجامع، وإنما تضاف هذه الأشياء إلى أنفسها لاختلاف لفظ اسمها، وهذا قول الفراء، وابن قتيبة. وقال غيرهما: أراد حَبَّ التَّبِثِ الحصيد. ﴿وَالنَّخْلَ﴾ أي: وأنشأنا النخل: ﴿بَاسِقَاتٍ﴾ و«باسِقها» طولها. قال ابن قتيبة: يقال: بَسَقَ الشيء يَبْسُقُ بَسُوقًا: إذا طال، والنضيد: المنضود بعضه فوق بعض، وذلك قبل أن يفتتح، فإذا انشَقَّ جُفُ طُلُعِهِ وَتَفَرَّقَ فليس بنضيد.

قوله تعالى: ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ أي: أنبئنا هذه الأشياء للرزق ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ أي: بالمطر ﴿بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْفُرُوجُ﴾ من الشُّبُور. ثم ذكر الأمم المكذبة بما بعد هذا، وقد سبق بيانه إلى قوله: ﴿هُنَّ رِجْدٌ﴾ أي: وجب عليهم عذابي. ﴿أَفَبِمَا يَلْحَقُ الْأَوَّلَ﴾ هذا جواب لقولهم: ذلك رَجْعٌ بَعِيدٌ، والمعنى: أعجزنا عن ابتداء الخلق، وهو الخلق الأول، فنعيا بالبعث وهو الخلق الثاني؟ وهذا تقرير لهم، لأنهم اعترفوا أنه الخالق، وأنكروا البعث ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ أي: في شك ﴿مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو البعث.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ بِهِ تَقْدِيرَهُ﴾ ﴿١﴾ وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿٢﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَيْدٌ ﴿٣﴾ مَا يُلْقِيْنَ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ ﴿٤﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿٥﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ﴿٦﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَنَاشِدٌ ﴿٧﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَفَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَرَكْهُ الْيَوْمَ حَيْدٌ ﴿٨﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يعني ابن آدم ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ أي: ما تحدثه به نفسه. وقال الزجاج: نعلم ما يُكِنُّه في نفسه.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ أي: بالعلم ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ الحبل هو الوريد، وإنما أضافه إلى نفسه لما شرحناه آنفاً في قوله: ﴿وَحَبَّ لِمَيْدٍ﴾ [ق: ٩] قال الفراء: والوريد: عِرْقٌ بين الحلقوم والعلباؤين. وعنه أيضاً قال: عرق بين اللبّة والعلباؤين. وقال الزجاج: الوريد: عِرْقٌ في باطن العُنُقِ، [وهما وريدان]، والعلباوان: العصبان الصفراوان في مَتْنِ العُنُقِ، واللبتان: مَجْرَى الْفَرْطِ في العُنُقِ. وقال ابن الأنباري: اللبّة حيث يتذبذب الْفَرْطُ مِنَّا يَثْرُبُ من شحمة الأذن. وحكى بعض العلماء أن الوريد: عِرْقٌ متفرّق في البدن مُخَالِطٌ لجميع الأعضاء، فلَمَّا كانت أبعاد الإنسان يحجب بعضها بعضاً، أَعْلَمَ أن عِلْمَهُ لا يحجب شيئاً. والمعنى: ونحن أقرب إليه حين يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ، وهما الملكان الموكّلتان بآدم يتلقّيان عَمَلَهُ <sup>(١)</sup>. وقوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ أي: يأخذان ذلك ويُفْتِتانهُ ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾ كاتب الحسنات ﴿وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ كاتب السيئات. قال الزجاج: والمعنى: عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، فدلّ أحدهما على الآخر، فحذف المدلول عليه، قال الشاعر:

نَحْنُ بِمَا عَمِلْنَا وَأَنْتَ بِمَا عَمِلَ

ذَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ <sup>(٢)</sup>

وقال آخر:

رَمَانِي بِأَمْرِ كُنْتُ مِنْهُ وَالْإِدِي

بَرِيئاً، وَمِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي <sup>(٣)</sup>

المعنى: كنتُ منه بريئاً. وقال ابن قتيبة: الْقَعِيدُ بمعنى قاعد، كما يقال: «قدير» بمعنى «قادر»، ويكون القعيد بمعنى مُقَاعِدٍ، كالأكيل والشريب بمنزلة: المُؤَاكِلِ والمُشَارِبِ.

قوله تعالى: ﴿مَا يُلْقِيْنَ﴾ يعني الإنسان، أي: ما يتكلّم من كلام فيلْفِظُهُ، أي: يَرْمِيهِ من فمه، ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ أي: حافظ، وهو الملك الموكّل به، إمّا صاحب اليمين، وإمّا صاحب الشمال ﴿عَيْنٌ﴾ قال الزجاج: العتيد: الثابت للأزم، وقال غيره: العتيد: الحاضر معه أينما كان. وروى أبو أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «كَاتِبُ الْحَسَنَاتِ عَلَى يَمِينِ الرَّجُلِ، وَكَاتِبُ السَّيِّئَاتِ عَلَى يَسَارِهِ، فَكَاتِبُ الْحَسَنَاتِ أَمِينٌ عَلَى كَاتِبِ السَّيِّئَاتِ، فَإِذَا عَمِلَ حَسَنَةً كَتَبَهَا لَهُ صَاحِبُ الْيَمِينِ عَشْرًا، وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً، وَأَرَادَ صَاحِبُ الشَّمَالِ أَنْ يَكْتُبَهَا، قَالَ صَاحِبُ الْيَمِينِ: أَمْسِكْ، فَيُمْسِكُ عَنْهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ، فَإِنْ اسْتَغْفَرَ مِنْهَا لَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ شَيْئًا، وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ كُتِبَ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ <sup>(٤)</sup>». وقال ابن عباس: جَعَلَ اللَّهُ

(١) قال ابن كثير: وقوله ﷺ: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ يعني ملائكة تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه، ومن تأوله على العلم، فإنما فر لئلا يلزم حلول أو اتحاد، وهما منفيان بالإجماع، تعالى الله وتقدس. ولكن اللفظ لا يقتضيه، فإنه لم يقل: «وأنا أقرب إليه من حبل الوريد» وإنما قال: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ كما قال في المحضر: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِيزُونَ﴾ <sup>(٢)</sup>، يعني ملائكته. وكما قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ الرَّحْمَنُ الْكَرِيمُ وَلَكِنْ لَمْ تُحِيزُوا﴾ <sup>(٣)</sup> قال: فالملائكة نزلت بالذكر وهو القرآن، بإذن الله ﷻ، وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه باعتبار الله جل وعلا لهم على ذلك، قال: فللملك لمة من الإنسان كما أن للشيطان لمة، قال: وكذلك الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق، ولهذا قال تعالى هاهنا: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ يعني الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان: ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾ كاتب الحسنات، أي مترصد. اهـ. وقد سبقه إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وأوضحه في كتابه «شرح حديث النزول».

(٢) سبق تخريج البيت في ٥٨٠ و١١٥٢، وانظر «اللسان»: قعد.

(٣) البيت لمعمر بن أحمز بن العمرد الباهلي، أو للأزرق بن طرفة، وهو في «الكتاب» ٣٨٠/١، ومعاني القرآن ٤٥٨/١، ومجاز القرآن ١٦١/٢، وشواهد الكشاف ١٢٨، «والصالح»، «واللسان» و«التاج»: حول.

(٤) روى البيهقي والعليني من طريق حماد بن سلمة عن جعفر بن الزبير عن القاسم بن محمد عن أبي أمامة وفيه ضعف، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني، وأخرجه البيهقي من هذا الوجه ومن رواية بشر بن نمير عن القاسم نحوه، وأخرجه الطبراني من رواية ثور بن يزيد عن القاسم نحوه، وروى أبو نعيم في «الحلية» وابن مردويه، من طريق إسماعيل بن عياش، عن حاصم بن رجا عن عروة بن روم عن القاسم عن أبي أمامة، وعند الطبري من طريق علي بن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة قال: دخل عثمان بن عفان على -

على ابن آدم حافظين في الليل، وحافظين في النهار. واختلفوا هل يكتبان جميع أفعاله وأقواله على قولين: أحدهما: أنهما يكتبان عليه كل شيء حتى أنينه في مرضه، قاله مجاهد. والثاني: أنهما لا يكتبان إلا ما يؤجر [عليه]، أو يؤزر، قاله عكرمة. فأما مجلسهما، فقد نطق القرآن بأنهما عن اليمين وعن الشمال، وكذلك ذكرنا في حديث أبي أمامة. وقد روى عليّ كرم الله وجهه عن النبي ﷺ قال: «إن مقعد ملكيك على ثنيتيك، ولسانك قلمهما، وريقك مدادهما، وأنت تجري فيما لا يعينك»<sup>(١)</sup> وروي عن الحسن والضحاك قالا: مجلسهما تحت الشعر على الحنك.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ وهي غمرته وشيئته التي تنشى الإنسان وتقلب على عقله وتذله على أنه ميت، ﴿وَالْحَقُّ﴾ وفيه وجهان: أحدهما: أن معناه: جاءت بحقيقة الموت. والثاني: بالحق من أمر الآخرة، فأبانت للإنسان ما لم يكن بيناً له من أمر الآخرة. ذكر الوجهين الفراء، وابن جرير. وقرأ أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ﴿وجاءت سكرة الحق بالموت﴾، قال ابن جرير: ولهذه القراءة وجهان: أحدهما: أن يكون الحق هو الله تعالى، فيكون المعنى: وجاءت سكرة الله بالموت. والثاني: أن تكون السكرة هي الموت، أضيفت إلى نفسها، كقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُ حَقُّ الْيَمِينِ﴾<sup>(٢)</sup> [الواقعة: ٩٥]، فيكون المعنى: وجاءت السكرة الحق بالموت، بتقديم «الحق». وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران: «وجاءت سكرات» على الجمع «الحق بالموت» بتقديم «الحق». وقرأ أبي بن كعب، وسعيد بن جبيرة: «وجاءت سكرات الموت» على الجمع «بالحق» بتأخير «الحق».

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: فيقال للإنسان حينئذ: «ذلك» أي: ذلك الموت ﴿مَا كُنْتُمْ تَعِدُّ﴾ أي: تهرب وتفر<sup>(٣)</sup>. وقال ابن عباس: تكبر.

قوله تعالى: ﴿وَفِيهِ فِي أَشْوَرٍ﴾ يعني نفخة البعث ﴿ذَلِكَ﴾ اليوم ﴿يَوْمَ الْآزِيدِ﴾ أي: يوم وقوع الوعيد. قوله تعالى: ﴿تَمَّتْ سَائِرٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن السائق: ملك يسوقها إلى محشرها، قاله أبو هريرة<sup>(٤)</sup>. والثاني: أنه قرينها من الشياطين، سمي سائقاً لأنه يتبعها وإن لم يحثها. وفي الشهيد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ملك يشهد عليها بعملها، قاله عثمان بن عفان، والحسن. وقال مجاهد: الملكان: سائق، وشهيد. وقال ابن السائب: الذي كان يكتب عليه السيئات، والشهيد: الذي كان يكتب الحسنات. والثاني: أنه العمل يشهد على الإنسان، قاله أبو هريرة. والثالث: الأيدي والأرجل تشهد عليه بعمله، قاله الضحاك. وهل هذه الآيات عامة، أم خاصة؟ فيها قولان: أحدهما: أنها عامة، قاله الجمهور. والثاني: خاصة في الكافر، قاله الضحاك، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ﴾ أي: ويقال له: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ يَوْمَ كُنْتُمْ﴾ اليوم. وفي المخاطب بهذه الآيات ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الكافر، قاله ابن عباس، وصالح بن كيسان في آخرين. والثاني: أنه عام في البر والفاجر، قاله حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، واختاره ابن جرير. والثالث: أنه النبي ﷺ، وهذا قول ابن زيد<sup>(٥)</sup>. فعلى القول الأول يكون المعنى: لقد كنتم في غفلة من هذا اليوم في الدنيا بكفركم به؛ وعلى الثاني: كنتم غافلاً عن أهوال القيامة، ﴿فَكُنْتُمْ عَنْكَ عَمَلَكُمْ﴾ الذي كان في الدنيا يغشى قلبك وسمعك وبصرك. وقيل معناه: أريناك ما كان مستوراً

= رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كم مع العبد ملك؟... الحديث. وقد ذكره السيوطي في «الدر» ١٠٤/٦ من رواية الطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ١٠٣/٦ عن علي موقوفاً قال: أخرج ابن أبي الدنيا في «الصمت» عن علي قال: لسان الإنسان قلم الملك، وريقه مداد. وذكره مرفوعاً من رواية أبي نعيم، والديلمي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: «إن الله لطف الملكين الحافظين حتى أجلسهما على التاجلين وجعل لسانه قلمهما، وريقه مدادهما» والله أعلم.

(٢) قال ابن كثير: أي: هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص.

(٣) قال ابن كثير: هذا هو الظاهر من الآية الكريمة، وهو اختيار ابن جرير.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: غني بها البر والفاجر، لأن الله أتبع هذه الآيات قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ آدَمُ بِشَرِّهِ﴾ والإنسان في هذا الموضع بمعنى الناس كلهم، غير مخصوص بهم بمعهم دون بعض، فمعقول إذا كان ذلك كذلك أن معنى قوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ وجاءت أيها الإنسان سكرة الموت بالحق ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتُمْ تَعِدُّ﴾ وإذا كان ذلك كذلك، كانت بينة صحة ما قلنا. اهـ.

عنك؛ وعلى الثالث: لقد كنت قبل الوحي في غفلة عما أوحى إليك، فكشفنا عنك غطاءك بالوحي ﴿فَمَرْكَ أَيْمَ حَوِيدٍ﴾ وفي المراد بالبصر قولان: أحدهما: البصر المعروف، قاله الضحاك. والثاني: العلم، قاله الزجاج. وفي قوله: «اليوم» قولان: أحدهما: أنه يوم القيامة، قاله الأكرون. والثاني: أنه في الدنيا، وهذا على قول ابن زيد. فأما قوله: «حديث» فقال ابن قتيبة: الحديد بمعنى الحاد. أي: فأنت ثاقب البصر. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فبصرك حديثاً إلى لسان الميزان حين تُوزَن حسناتك وسيئاتك، قاله مجاهد. والثاني: أنه شاخص لا يطرّف لمعاينة الآخرة، قاله مقاتل. والثالث: أنه العلم النافذ، قاله الزجاج.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَى عَيْنِي ﴿١٧﴾ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلُّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٨﴾ مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَرٍ قَرِيبٍ ﴿١٩﴾ أَلَمَّا جَاءَ مَعَ اللَّهِ إِلَهِهَا مَخْرَ فَأَقْبَهُ فِي الْمَذَابِ الْغَيْبِ ﴿٢٠﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَفْقَيْتُمْ وَلَكِنْ كَانُوا فِي سَكَلٍ يَبِيدٍ ﴿٢١﴾ قَالَ لَا تَخْشَوْا لَدَيْ وَلَا قَدَمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَيْدِ ﴿٢٢﴾ مَا يَبِيدُ الْقَوْلُ لَدَيْ وَمَا أَنَا بِمُكَلِّمٍ لِلْبَشَرِ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ قال مقاتل: هو ملكه الذي كان يكتب عمله السيئ في دار الدنيا، يقول لربه: قد كتبت ما وكلفتني به، فهذا عندي مُعَدَّ حاضر من عمله الخبيث، فقد أثبتك به ويعمله. وفي «ما» قولان: أحدهما: أنها بمعنى «من» قاله مجاهد. والثاني: أنها بمعنى الشيء، فتقديره: هذا شيء لديّ عتيّد، قاله الزجاج. وقد ذكرنا معنى العتيّد في هذه السورة (ق: ١٨)، فيقول الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ﴾ وفي معنى هذا الخطاب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مخاطبة للواحد بلفظ الخطاب للاثنتين، قال الفراء: والعرب تأمر الواحد والقوم بأمر الاثنين، فيقولون للرجل: وملك أرحلاه وأزجراها، سمعتها من العرب، وأنشدني بعضهم:

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي لَا تَخْشَا نَا

وَأَنْشَدَنِي أَبُو ثُرَوَان:

فَلَمَّا تَزَجَّرَانِي يَا ابْنَ عَفَّانَ أَنْزَجِرَ

ونرى أن ذلك منهم، لأن أدنى أعوان الرجل في إبله وغنمه اثنان، وكذلك الرّفقة أدنى ما تكون ثلاثة، فجري الكلام على صاحبه، ألا ترى الشعر أكثر شيء قِيلاً: يا صَاحِبِي ويا خَلِيلِي. قال امرؤ القيس:

خَلِيلِي مُرّاً يَبِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ

ثم قال:

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً

فرجع إلى الواحد، وأول كلامه اثنان، وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل، وقال: «ألقيا» خطاب للخازن، يعني خازن النار. والثاني: أنه فعل ثُنِي توكيداً، كأنه لما قال: «ألقيا»، ناب عن أَلْقَى أَلْقَى، وكذلك: قَفَا تَبَلَّكَ<sup>(٥)</sup>، معناه: قَفَّ وَقَفَّ، فلما ناب عن فعلين، ثُنِيَ، قاله المبرد. والثالث: أنه أمر للملكين، يعني السائق والشهيد، وهذا اختيار الزجاج. فأما «الكفار»، فهو أَشَدُّ مُبَالَعَةً من الكافر. و «العتيد» قد فسرناه في (مود: ٤٥٩).

(١) البيت لمُفَرِّسِي بن رَيْمِي الأندلي، وهو في «مشكل القرآن» ٢٢٤، و«الطبري» ١٦٥/٢٦، و«المصاحح»، و«اللسان» و«التاج»: جزز، ونسبه الجوهري ليزيد ابن الطرية. وقوله: «فقلت لصاحبي» أراد بالصاحب من يحتطب له، يقول لصاحبه: لا تحبسا عن شيء اللحم بأن تقلع أصول الحطب وعروقه، بل اكتف بقطع الشج فو أسهل وأسرع.

(٢) البيت في «مشكل القرآن» ٢٢٥، و«الطبري» ١٦٥/٢٦، وقوله: «وإن تدعاني» أي: إن تركتاني حميت عرضي ممن يؤذيني، وإن زجرتاني انزجرت وصبرت.

(٣) في الأصل: يَقْضِي، والتصويب من «الديوان».

(٤) «ديوانه» ٤١، و«الطبري» ١٦٦/٢٦، و«مختار الشعر الجاهلي» ٤٣/١. جمع لُبَانَة، وهي الحاجة، والطارق: الذي يأتي ليلاً، يعني أنها طية الريح وإن لم تمسّ طياً، وخاصة في الوقت الذي تتغير فيه الأقواء.

(٥) جزء من أول بيت في معلقة امرئ القيس، والبيت بتمامه:

قَفَا تَبَلَّكَ يَنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

يَسْطِطُ السَّوَى بَيْنَ السُّخُولِ فَسَوْسِلِ

قوله تعالى: ﴿مَتَّعَ لِلْعَيِّتِ﴾ في المراد بالخير هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: الزكاة المفروضة، قاله قتادة. والثاني: أنه الإسلام، يمنع الناس من الدُّخُول فيه، قاله الضحاك، ومقاتل، وذكر أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، منع بني أخيه عن الإسلام<sup>(١)</sup>. والثالث: أنه عامٌ في كل خير من قول أو فعل، حكاه الماوردي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَتَّعَ﴾ أي: ظالم لا يُؤَيَّر بالتوحيد<sup>(٣)</sup> ﴿مُرِيبٌ﴾ أي: شاكٌ في الحق، من قولهم: أراب الرجل: إذا صار ذا رُبٍّ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبَدَّلَ﴾ فيه قولان: أحدهما: شيطانه، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقاتة، والجمهور. وفي الكلام اختصار تقديره: إن الإنسان ادّعى على قرينه من الشياطين أنه أضله فقال: ﴿رَبَّنَا مَا لَلْفِتْنَةِ﴾ أي: لم يكن لي قُوَّة على إضلاله بالإكراه، وإنما طغى هو بضلاله. والثاني: أنه الملك الذي كان يكتُب السيئات. ثم فيما يدّعي الكافر على الملك قولان: أحدهما: [أنه] يقول: زاد عليّ فيما كتب، فيقول الملك: ما أطغيته، أي: ما زدته عليه، قاله سعيد بن جبير. والثاني: أنه يقول: كان يُعْجِلني عن التَّوْبَةِ، فيقول: رَبَّنَا ما أطغيته، هذا قول الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَانُ فِي مَكَلِّمْ يُبَدِّلُ﴾ أي: بعيد من الهدى، فيقول الله تعالى: ﴿لَا تَحْتَسِبُوا لَدَيْ﴾. في هذا الخصام قولان: أحدهما: أنه اعتذارهم بغير عذر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه خصامهم مع قرنائهم الذين أغوَوْهم، قاله أبو العالية. فأما اختصاصهم فيما كان بينهم من المظالم في الدنيا، فلا يجوز أن يَهْمَلَ، لأنه يوم التناصف.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ ذُكِّرْتُمْ بَلْأَعْيُنِكُمْ قَدْ خَفَتْ عَلَى السُّنَنِ الرُّسُلَ﴾ أي: قد أخبرتكم على السُّنَنِ الرُّسُلَ بعدايي في الآخرة لمن كفر. ﴿مَا يَبْدُلُ أَفَرًّا لَدَيْ﴾ فيه قولان: أحدهما: ما يبدل [القول] فيما وعدته من ثواب وعقاب، قاله الأکثرون. والثاني: ما يكذب عندي ولا يغيّر القول عن جهته، لأنّي أعلم الغيب وأعلم كيف ضلُّوا وكيف أضللتهم، هذا قول ابن السائب واختيار الفراء وابن قتيبة، ويدل عليه أنه قال تعالى: ﴿مَا يَبْدُلُ أَفَرًّا لَدَيْ﴾ ولم يقل: ما يبدل قولي ﴿وَمَا أَنَا بِمُكَلِّمٍ لِّلْمُتَّبِعِ﴾ فأريد على إساءة المُسِيء، أو أنقص من إحسان المُحسن.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِهَيْمَنَ هَلْ امْتَلَكَتَ وَقَوْلَ هَلْ مِنْ مَرْيَمَ ۖ وَأَنزَلْنَاهُ لِهَيْمَنَ لِّلشَّيْطَانِ عَن بَعِيدٍ ۖ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ۖ مِّنْ حَتَّىٰ الرِّجْحَنِ الرَّحْمَنِ يَكْنُ بِقَلْبِ شَيْبٍ ۖ أَتَعْلَمُونَ بِسَكْرِ ذَلِكَ يَوْمَ الْقُلُوبِ ۖ قُلْ مَا يَنصَرُونَ مِنَّا وَلَدَيْنَا مَرْيَمُ ۖ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن مَّرْثٍ هُمْ أَشَدُّ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ حَمِيمٍ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن لَّيِّنَ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۖ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّثُوبٍ ۖ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۖ وَمِن لَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُورِ ۖ﴾

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِهَيْمَنَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «يَوْمَ نقول» بالنون المفتوحة وضم القاف. [وقرأ نافع، وأبو بكر، والمفضل عن عاصم: «يَوْمَ يقول» بالياء المفتوحة وضم القاف]. وقرأ أبي بن كعب، والحسن، وعبد الوارث عن أبي عمرو: «يَوْمَ يُقال» بياء مضمومة وفتح القاف وإثبات ألف. قال الزجاج: وانتصاب «يَوْمَ» على وجهين: أحدهما: على معنى: ما يبدل القول لَدَيْ في ذلك اليوم. والثاني: على معنى: وأنزلهم يوم نقول لجهنم. فأما فائدة سؤاله إياها، وقد عَلِمَ هل امتلأت أم لا، فإنه توبيخ لمن أدخلها. وزيادة في مكروهه، ودليل على تصديق قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨]. وفي قولها: ﴿هَلْ مِنْ مَرْيَمَ﴾ قولان عند أهل اللغة: أحدهما: أنها تقول ذلك بعد امتلائها، فالمعنى: هل بقي في موضع لم يمتلئ؟ أي: قد امتلأت. والثاني: أنها تقول تغيطاً على من عصى الله

(١) ذكره البغوي والخازن في «تفسيريهما» بنحوه بغير سند ولم يمزوا لأحد.

(٢) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أنه كل حق وجب لله تعالى أو لأدي في ماله، قال: والخير في هذا الموضع هو المال، وإنما قلنا: ذلك هو الصواب من القول، لأن الله تعالى ذكره عم بقوله: ﴿مَتَّعَ لِلْعَيِّتِ﴾ أنه يمنع الخير، ولم يخص منه شيئاً دون شيء، فذلك على كل خير يمكن منعه طالبه. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: «معتد» يقول: معتد على الناس بلسانه، بالبذاء والفحش في المنطق، ويبدد بالسطوة والبطش ظلماً. اهـ. وقال ابن كثير: «معتد» أي: فيما ينفقه ويصرفه يتجاوز فيه الحد، قال: وقال قتادة: معتد في منطق وسيره وأمره. اهـ.

تعالى، وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهَا أَنْ تَمَيَّزَ وَتَخَاطَبَ، كما جَعَلَ فِي النَّمْلَةِ أَنْ قَالَتْ: ﴿أَذْكُلُوا سَنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨] وفي المخلوقات أَنْ تَسْبَحَ بِحَمْدِهِ.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا لَمَلَكًا لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٩] أي: قُرْبَتْ لِلْمُؤْمِنِينَ [الشرك] ﴿غَيْرَ بَيِّنٍ﴾ أي: جُعِلَتْ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ حيث يراها أَهْلُ الْمَوْقِفِ، ويقال لهم: ﴿هَذَا﴾ الذي ترونه ﴿مَا تُرْكُونَ﴾ وقرأ عثمان بن عفان، وابن عمر، ومجاهد، وعكرمة، وابن محيصن: «يُوعِدُونَ» بالياء ﴿إِلَّا أَرَأَيْتَ﴾ وفيه أقوال قد ذكرناها في [ابن إسرائيل: ٢٥]. وفي ﴿حَفِيفٌ﴾ قولان: أحدهما: الحافظ للذنوب حتى يرجع عنها، قاله ابن عباس. والثاني: الحافظ لأمر الله تعالى، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿مَنْ حَقَّى الرَّحْمَنَ وَالنَّبِيَّ﴾<sup>(١)</sup> قد بيَّناه في [الأنبياء: ٤٩] ﴿وَيَا قَلْبُ يُنِيبُ﴾ أي: راجع إلى طاعة الله عن معصيته. ﴿أَتَذْكُرُوا﴾ أي: يقال لهم: أدخلوا الجنة ﴿يَسْتَكْبِرُ﴾ وذلك أنهم سلموا من عذاب الله، وسلموا فيها من العُصُومِ والتغَيُّرِ والزَّوالِ، وسَلَّمَ اللَّهُ وَمَلَأَتْهُ عَلَيْهِمْ ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْقُلُوبِ﴾ في الجنة، لأنه لا موت فيها ولا زوال. ﴿كَمْ تَأْتِيكَ يَتَا﴾ وذلك أنهم يسألون الله حتى تنتهي مسائلهم، فيُعْطُونَ ما شَاءُوا، ثم يَزِيدُهُمْ ما لم يسألوا، فذلك قوله: ﴿وَلَدَيْتَا مَزِيدٌ﴾. وللمفسرين في المراد بهذا المزيد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه النظر إلى الله ﷻ؛ روى علي بن النبي عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَلَدَيْتَا مَزِيدٌ﴾ قال: يتجلى لهم<sup>(٢)</sup>. وقال أنس بن مالك في قوله: ﴿وَلَدَيْتَا مَزِيدٌ﴾: يتجلى لهم الرب تعالى في كل جمعة<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن السحاب يُمُرُّ بأهل الجنة، فيمطرهم الحور، فتقول الحور: نحن اللواتي قال الله ﷻ: ﴿وَلَدَيْتَا مَزِيدٌ﴾، حكاية الزواج. والثالث: أن الزيادة على ما تمتوه وسألوا مما لم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر، ذكره أبو سليمان الدمشقي. ثم خَوْفُ كُفَّارِ مَكَّةَ بما بعد هذا إلى قوله: ﴿فَتَقَبَّوْا فِي الْبَلَدِ﴾ قرأ الجمهور «فَتَقَبَّوْا» بفتح النون والقاف مع تشديدها. وقرأ أبي بن كعب، وابن عباس، والحسن، وابن السميع، ويحيى بن يعمر كذلك، إلا أنهم كسروا القاف على جهة الأمر تهذواً. وقرأ عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز، وقتادة، وابن أبي سبرة، وعبيد عن أبي عمرو: «فَتَقَبَّوْا» بفتح القاف وتخفيفها. قال الفراء: ومعنى «فَتَقَبَّوْا»: ساروا في البلاد، فهل كان لهم من الموت ﴿مِنْ عَيْبٍ﴾ فأضمرت «كان» هائناً، كقوله: ﴿أَمَلَكْتَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محمد: ١٣] أي: فلم يكن لهم ناصر. ومن قرأ «فَتَقَبَّوْا» بكسر القاف، فإنه كالوعيد؛ والمعنى: اذهبوا في البلاد وجثوا فهل من الموت من محيص؟ وقال الزجاج: «تَقَبَّوْا»: طَوَّقُوا وَتَشَوَّوْا، فلم تَرَوْا مَحِيصاً من الموت. قال امرؤ القيس:

لَقَدْ نَقَبْتُ فِي الْأَنْفَاقِ حَتَّى

رَضِيتُ مِنَ الْعَزِيمَةِ بِالْإِيَابِ<sup>(٤)</sup>

فَأَمَّا الْمَحِيصُ فَهُوَ الْمَغِيلُ؛ وقد استوفينا شرحه في سورة [النساء: ١٢١].

قوله تعالى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ يعني الذي ذكره من إهلاك القرى ﴿لَذِكْرٌ لَكُمْ﴾ أي: تذكرة وعظة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قال ابن عباس: أي: عقل. قال الفراء: وهذا جائز في اللغة أن تقول: مالك قلب، وما معك قلبك، تريد العقل. وقال ابن قتيبة: لما كان القلب موضعاً للعقل كنى به [عنه]. وقال الزجاج: المعنى: لمن صرف قلبه إلى التفهم ﴿أَوْ أَلْقَ السَّيْفَ﴾ أي: استمع مِنِّي ﴿وَوَفَّوْا شَهِيدٌ﴾ أي: وقلبه فيما يسمع. وقال الفراء: «وهو شهيد» أي: شاهد ليس بغائب.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ذكر المفسرون أن اليهود قالت: خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وما بينهما في ستة أيام، آخرها يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، فلذلك لا نعمل فيه شيئاً، فنزلت هذه الآيات،

(١) قال ابن كثير: أي: من خاف الله في سره حيث لا يراه أحد إلا الله ﷻ، كقوله ﷻ: «ورجل ذكر الله خالياً فاضت عيناه».

(٢) ذكره الآلوسي في «روح المعاني» ١٧٣/٢٧ من رواية البيهقي في «الروية» والديلمي عن علي بن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْتَا مَزِيدٌ﴾ قال: يتجلى لهم الرب ﷻ.

(٣) ذكره الآلوسي في «روح المعاني» ١٧٣/٢٧ من رواية ابن المنذر وجماعة عن أنس أنه قال في ذلك أيضاً: يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل جمعة.

(٤) «ديوان» ٩٩، و«مجاز القرآن» ٢/٢٢٤، و«الطبري» ١٧٦/٢٦، و«مختار الشعر الجاهلي» ٨٠/١، و«اللسان» و«التاج»: تقب. وفي «الديوان»: «وقد طوقت» بدل «لقد تقبت».

فأكذبهم الله ﷻ بقوله: ﴿وَمَا مَسْكَنَيْنِ لُتُبٍ﴾<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: واللُتُب: الثَّعْب والإعياء.

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: من بهتهم وكذبهم. قال المفسرون: ونسخ معنى قوله: «فاصبر» بآية السيف، ﴿وَسَيَحْمَدُ رَبَّكَ﴾ أي: صلُّ بالثناء على ربك والتنزيه [له] ممَّا يقول المُنِيطِلُون ﴿قِيلَ طُلُوعَ الشَّمْسِ﴾ وهي صلاة الفجر. ﴿وَقِيلَ الْغُرُوبِ﴾ فيها قولان: أحدهما: صلاة الظهر والعصر، قاله ابن عباس. والثاني: صلاة العصر، قاله قتادة. وزوى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث جرير بن عبد الله، قال: كُنَّا عند رسول الله ﷺ ليلة البدر، فقال: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ حِينَئِذَا كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ»<sup>(٢)</sup> في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغْلِبُوا على صلاة قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ فافعلوا. وقرأ: ﴿وَسَيَحْمَدُ رَبَّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَيَرُّهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها صلاة الليل كله، أي وقت صلى منه، قاله مجاهد. والثاني: صلاة العشاء، قاله ابن زيد. والثالث: صلاة المغرب والعشاء، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنَ الشُّجُورُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وحزمة، وخلف: بكسر الهمزة؛ وقرأ الباقون بفتحها. قال الزجاج: من فتح ألف «أدبار» فهو جمع دُبُر، ومن كسرهما فهو مصدر: أدبر يُدبر إدباراً. وللمفسرين في هذا التسييح ثلاثة أقوال: أحدها: أنه<sup>(٤)</sup> الركعتان بعد صلاة المغرب، روي عن عمر، وعلي، والحسن بن علي ﷺ، وأبي هريرة، والحسن، ومجاهد، والشعبي، والنخعي، وقاتدة في آخرين، وهو رواية العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه<sup>(٥)</sup> التوافل بعد المفروضات، قاله ابن زيد. والثالث: أنه التسييح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات، رواه مجاهد عن ابن عباس. وروي عن أبي الأحوص أنه قال في جميع التسييح المذكور في هاتين الآيتين كذلك.

﴿وَأَسْبَغَ يَوْمَ يَكُونُ الْآلَاءُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾<sup>(١)</sup> يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ<sup>(٢)</sup> إِنَّا نَحْنُ نَحْيُ. وَنُيَبِّئُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ<sup>(٣)</sup> يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ<sup>(٤)</sup> نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِحِجَابٍ قَدْرُكَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ يَوْمَ يَكُونُ الْآلَاءُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «ينادي المنادي» بياء في الوصل. ووقف ابن كثير بياء، ووقف نافع وأبو عمرو بغير ياء. ووقف الباقون ووصلوا بياء. قال أبو سليمان الدمشقي: المعنى: واستمع حديث يوم ينادي المنادي. قال المفسرون: والمنادي: إسماعيل، يقف على صخرة بيت المقدس فينادي: يا أيها الناس هلمُّوا إلى الحساب، إن الله يأمركم أن تجتمعوا لفصل القضاء، وهذه هي النفخة الأخيرة. والمكان القريب: صخرة بيت المقدس. قال كعب ومقاتل: هي قرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً. وقال ابن السائب: بانني عشر ميلاً. قال الزجاج: ويقال: إن تلك الصخرة في وسط الأرض<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ﴾ وهي [هذه] النَّفْخَةُ الثَّانِيَّةُ ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالبعث الذي لا شك فيه ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾ من القبور. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَحْيُ. وَنُيَبِّئُ﴾ أي: نُمِيتُ في الدنيا ونُحْيِي للبعث ﴿وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ بعد البعث، وهو قوله: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «تَشَقَّقُ» بتشديد الشين؛ وقرأ الباقون بتخفيفها: ﴿سِرَاعًا﴾ أي: فيخرجون منها سراعاً. ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ﴾ أي: هَيِّنْ. ثم عَزَى نَبِيَّهُ فقال: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في تكذيبك، يعني كفار مكة ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِحِجَابٍ﴾ قال ابن عباس: لم تبعث لتجبرهم على الإسلام إنما بُعِثْتَ مَذْكُراً،

(١) ذكره الطبري عن قتادة، وأورده السيوطي في «الدر» ١١٠/٦ وزاد نسبه لعبد الرزاق، وابن المنذر عن قتادة، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٦ عن الحسن وقاتدة.

(٢) «لا تضامون» يجوز ضم التاء وفتحها. وهو بتشديد الميم من الضم، أي: لا ينضم بعضهم إلى بعض، ولا يقول: أرنه، بل كل ينفر برويته. وروي بتخفيف الميم من الضم، وهو الظلم، يعني: لا ينالكم ظلم بأن يرى بعضهم دون بعض، بل تسترون كلكم في رؤيته تعالى.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ٤٥٨/٨، ومسلم ٤٣٩/١، ورواه أحمد في «المستند» وأصحاب «السنن» عن جرير بن عبد الله ﷺ.

(٤) في الأصل: أنها.

(٥) ذكره البغوي عن مقاتل بغير سند، والهازم بغير سند ولم يعزه لأحد، وذكره ابن جرير الطبري ١٨٣/٢٦ عن قتادة عن كعب الأحبار مطولاً، ومختصراً عن بريدة ﷺ، وأورده السيوطي في «الدر» ١١٠/٦ من رواية ابن عساكر والواسطي في «فضلان» بيت المقدس عن يزيد بن جابر.

وذلك قبل أن يؤمر بقتالهم؛ وأنكر الفراء هذا القول فقال: العرب لا تقول: «فَعَالٌ مِنْ أَفَعَلْتُ» لا يقولون: «خَرَّاجٌ يريدون «مُخْرِجٌ» ولا «دُخَالٌ» يريدون «مُدْخِلٌ»، إنما يقولون «فَعَالٌ» من «فَعَلْتُ»، وإنما الجَبَّار هنا في موضع السلطان من الجبرية، وقد قالت العرب في حرف واحد: «دَرَّأَكَ» من «أَذْرَكَتُ» وهو شاذ، فإن جعل هذا على هذه الكلمة فهو وجه. وقال ابن قتيبة: «يَجْبَرُ» أي: بمسلط، والجَبَّار: المليك، سمي بذلك لِتَجْبِرَهُ، يقول: لستَ عليهم بمليك مُسلَّط. قال اليزيدي: لستَ بمسلط فتقهرهم على الإسلام. وقال مقاتل: لِنَقْتُلَهُمْ. وذكر المفسرون أن قوله: «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ» منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: «تَذَكَّرْ بِالَّذِينَ مِنْ يَمَانٍ وَعِيدٌ» أي: فَعِظْ بِهِ «مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ» [وقرأ يعقوب: «وعيدي» بياء في الحالين]، أي: ما أوعدتُ مَنْ عَصَانِي مِنَ الْعَذَابِ<sup>(١)</sup>.



(١) قال ابن كثير: «تَذَكَّرْ بِالَّذِينَ مِنْ يَمَانٍ وَعِيدٌ» أي: بلغ أنت رسالة ربك، فإنما يتذكر من يخاف الله وعيده، ويرجو وعده كقوله تعالى: «إِنَّا عَلَيْكَ بَرِّقَتِ الرَّعَابُ» وقوله جل جلاله: «تَذَكَّرْ إِنَّا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَوِّرٍ»، «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَوِّرٍ»، «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَوِّرٍ» وقوله تعالى: «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ تَذَكَّرْ بِالَّذِينَ مِنْ يَمَانٍ وَعِيدٌ» اهـ.



## سورة الذاريات

### مكية كلها بإجماعهم

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّذِينَ ذُكِّرُوا ۖ فَأَلْحِقْنَا بِرُوحِهِمْ ۖ فَالْمُؤْتَىٰ أَمْرًا ۖ إِنَّمَا نُوَدِّعُ لَدَاقٌ ۖ وَإِنَّ الَّذِينَ لَاقُوا ۖ وَاسْتَأْذَنُوا ۖ ذَاتَ الْمُنَاقِبِ ۖ إِنَّكَ لَنَاقٍ ۖ تَحْلِفُ ۖ يَوْمَ ۖ عَلَىٰ النَّارِ ۖ يَنْتَوُونَ ۖ ذُوقُوا ۖ فَنَنْتَكِرُ ۖ هَذَا ۖ الَّذِي ۖ كُنتُمْ بِهِ ۖ تَسْتَعِجِلُونَ ۖ إِنَّ ۖ الْمُتَّيِّبِينَ ۖ فِي ۖ جَنَّتِ ۖ وَهُمْ ۖ مَا ۖ هَلْهُمْ ۖ رَجُمَ ۖ لَهُمْ ۖ كَانُوا ۖ قَبْلَ ۖ ذَلِكَ ۖ مُخْسِنِينَ ۖ كَانُوا ۖ قَبْلَ ۖ ذَلِكَ ۖ يَلْبِثُ ۖ مَا ۖ يَجْعُونَ ۖ وَلَا ۖ الْأَمْحَارَ ۖ ثُمَّ ۖ يَسْتَفْهِرُونَ ۖ وَلَٰكِنَّا ۖ أُنزِلْنَاهُمْ ۖ حَقًّا ۖ لِلنَّارِ ۖ وَالْحَرِيرِ ۖ فِي ۖ الْأَرْضِ ۖ مَا ۖ يَشْفَعُونَ ۖ فِي ۖ الْأَشْيَاءِ ۖ أَفَلَا ۖ يُبْصِرُونَ ۖ فِي ۖ الْأَشْيَاءِ ۖ يَنْفَكُوا ۖ وَمَا ۖ نُوَدِّعُونَ ۖ تَرَىٰ ۖ الْأَرْضَ ۖ وَهِيَ ۖ لَاحِقٌ ۖ فِي ۖ مَا ۖ أَكْنَعُ ۖ تَطِيرُونَ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ذُكِّرُوا﴾ يعني الرُّبُح، يقال: ذُرْتُ الرُّبْحَ الترابَ تَذُرُّهُ ذُرًّا: إذا فَرَّقْتَهُ. قال الزجاج: يقال: ذُرْتُ فهي ذارية، وأذُرْتُ فهي مُذَرِيَّة، بمعنى واحد. ﴿وَالَّذِينَ ذُكِّرُوا﴾، مجرور على القسم، المعنى: أخلف بالذاريات وهذه الأشياء، والجواب ﴿إِنَّمَا نُوَدِّعُ لَدَاقٌ﴾، قال قوم: المعنى: وربُّ الذاريات، وربُّ الجاريات.

قوله تعالى: ﴿فَالْمُؤْتَىٰ وَرُوحِهِمْ﴾ يعني السحاب التي تحمل وقرها من الماء. ﴿فَالْمُؤْتَىٰ يَسْرُ﴾ يعني السفن تجري ميسرة [في الماء] جرياً سهلاً. ﴿فَالْمُؤْتَىٰ أَمْرًا﴾ يعني الملائكة تقسم الأمور على ما أمر الله به<sup>(١)</sup>. قال ابن السائب: والمقسمات أربعة، جبريل، وهو صاحب الوحي والغلبة، وميكائيل، وهو صاحب الرزق والرحمة، وإسرافيل، وهو صاحب الصور واللوح، وعزرائيل، وهو قابض الأرواح. وإنما أقسم بهذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته. ثم ذكر المُقَسَّم عليه فقال: ﴿إِنَّا مَا نُوَدِّعُونَ﴾ أي: من الثواب والعقاب يوم القيامة ﴿لَدَاقٌ﴾ أي: لَحَقَّ. ﴿وَالَّذِينَ ذُكِّرُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: الحساب. والثاني: الجزء ﴿الَّذِينَ ذُكِّرُوا﴾ أي: لكانن. ثم ذكر قَسَمًا آخر فقال: ﴿وَاسْتَأْذَنُوا ذَاتَ الْمُنَاقِبِ﴾ وقرأ عمر بن الخطاب، وأبو رزين: «الحَبْك» بكسر الحاء والباء جميعاً. وقرأ عثمان بن عفان، والشعبي، وأبو العالية، وأبو حيو: «الحَبْك» بكسر الحاء وإسكان الباء. وقرأ أبي بن كعب، وابن عباس وأبو رجاء، وابن أبي عبل: «الحُبْك» برفع الحاء وإسكان الباء. وقرأ ابن مسعود، وعكرمة: «الحَبْك» بفتح الحاء والباء جميعاً. وقرأ أبو الدرداء، وأبو الجوزاء، وأبو المتوكل، وأبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: «الحَبْك» بفتح الحاء وكسر الباء. ثم في معنى «الحبك» أربعة أقوال: أحدها: ذات الخلق الحسن، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: البنيان المثقن، قاله مجاهد. والثالث: ذات الرينة، قاله سعيد بن جبيرة. وقال الحسن: حُبْكُها: نُجُومُها. والرابع: ذات الطرائق، قاله الضحاك واللغويون<sup>(٢)</sup>. وقال الفراء: الحُبْك: تَكْشُرُ كُلُّ شَيْءٍ كَالرَّمْلِ إِذَا مَرَّتْ بِهِ الرِّيحُ السَّاكِنَةُ، والماء القائم إِذَا مَرَّتْ بِهِ الرِّيحُ، والشَّعْرَةُ الْجَعْدَةُ تَكْشُرُهَا حُبْكٌ، وواحد الحُبْك: حَبَاكٌ وَحَبِيكَةٌ. وقال الزجاج: أهل اللغة يقولون: الحُبْك: الطرائق الحسنه، والمَحْبُوك في اللغة: ما أجيد عمله، وكل ما تراه من الطرائق

(١) قال السيوطي في «الدرر» ١١١/٦: أخرجه عبد الرزاق، والفرهاني، وسعيد بن منصور، والحارث بن أبي أسامة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في «المصاحف» والحاكم وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» من طرق عن علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله: ﴿وَالَّذِينَ ذُكِّرُوا﴾ قال: الرياح ﴿فَالْمُؤْتَىٰ وَرُوحِهِمْ﴾ قال: السحاب ﴿فَالْمُؤْتَىٰ أَمْرًا﴾ قال: السفن ﴿فَالْمُؤْتَىٰ أَمْرًا﴾ قال: الملائكة.

(٢) قال ابن كثير: وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء، كما قال ابن عباس عليه السلام، فإنها من حسنها مرتفعة شفاقة صفيقة شديدة البهاء، متسعة الأرجاء، أنيقة البهاء، مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات، موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات.

في الماء وفي الرَّمْل إذا أصابته الرِّيح فهو حُبْك. وروي عن عبد الله بن عمرو أنه قال: هذه هي السماء السابعة. ثم ذكر جواب القَسَم الثاني، قال: ﴿إِنَّكُمْ﴾ يعني أهل مكة ﴿لَقَدْ قَرَأْتُمْ﴾ في أمر محمد ﷺ، بعضكم يقول: شاعر، وبعضكم يقول: مجنون. وفي القرآن [بعضكم] يقول: سِحْر، وبعضكم يقول: كهانة وَرَجَز، إلى غير ذلك. ﴿يُؤْثِرُكَ عَنْهُ﴾ أي: يُضَرِّفُ عن الإيمان [به] مَنْ ضَرَفَ [فَحَرَمَهُ]، [والهاء في «عنه» عائدة إلى القرآن، وقيل: يُضَرِّفُ عن هذا القول، أي: من أجله وسببه عن الإيمان من ضَرَفَ]. وقرأ قتادة: «مَنْ أَفَكَ» بفتح الالف والفاء. وقرأ عمرو بن دينار: «مَنْ أُولَكَ» بفتح الالف وكسر الفاء. ﴿قِيلَ الْقَرَأْتُمْ﴾ قال الفراء: يعني [للعن] الكذّابون الذين قالوا: إن النبي ﷺ ساحر وكذّاب وشاعر، خَرَصُوا ما لا علم لهم به. وفي رواية العوفي عن ابن عباس: أنهم الكهنة. وقال ابن الأنباري: والقتل إذ أخبر عن الله به فهو بمعنى اللعنة، لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ لِي عَصْرٍ﴾ أي: في عَمَى وجهالة بأمر الآخرة: ﴿سَاهَوْتَ﴾ أي: غافلون. والسَّهْو: الغفلة عن الشيء. وذهاب القلب عنه. ﴿يَسْتَكُونُ أَيَّامَ يَوْمِ الْآزِي﴾ أي: يقولون: يا محمد متى يوم الجزاء؟! تكذِّباً منهم واستهزاء. ثم أخبر عن ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى آثَارٍ﴾ قال الزجاج: «اليوم» منصوب على معنى: يقع الجزاء يوم هُمْ على الثَّارِ ﴿يَسْتَكُونُ﴾ أي: يُحَرِّقُونَ ويمتدِّبُونَ، ومن ذلك يقال للحجارة الشُّود التي كانها قد أحرقت بالنار: القَتِين.

قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا﴾ المعنى: يقال لهم: ذوقوا ﴿وَيَسْتَكُونُ﴾ وفيها قولان: أحدهما: تكذيبكم، قاله ابن عباس. والثاني: حريقكم، قاله مجاهد. قال أبو عبيدة: هاهنا تم الكلام، ثم انتشف، فقال: ﴿هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَكُونُونَ﴾ قال المفسرون: يعني الذي كنتم تستعجلونه في الدنيا استهزاء. ثم ذكر ما وعد الله لأهل الجنة فقال: ﴿إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنُحُورٍ﴾ وقد سبق شرح هذا [البقرة: ٢٥، الحجر: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿مُنِيزِينَ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال، فالمعنى: في جَنَاتٍ وعيون في حال أخذ ﴿مَا أَنْتُمْ بِهِ﴾ قال المفسرون: أي ما أعطاهم الله من الكرامة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَدْ كُنُوا مُنِيزِينَ﴾ في أعمالهم. وفي الآية وجه آخر: ﴿مُنِيزِينَ مَا أَنْتُمْ بِهِ﴾ أي: عاملين بما أمرهم به من الفرائض ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَدْ كُنُوا مُنِيزِينَ﴾ أي: مطيعين، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية مسلم البطين<sup>(١)</sup>. ثم ذكر إحسانهم فقال: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ النَّاسِ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ﴾ والمعنى: النُّوم بالليل دون النهار<sup>(٢)</sup>. وفي «ما» قولان: أحدهما: النفي. ثم في المعنى قولان: أحدهما: كانوا يسهرون قليلاً من الليل. قال أنس بن مالك، وأبو العالية: هو ما بين المغرب والعشاء. والثاني: كانوا ما ينامون قليلاً من الليل. واختار قوم الوقف على قوله: «قليلاً» على معنى: كانوا من الناس قليلاً، ثم ابتداء فقال: «من الليل ما يهجمون» على معنى نفي النوم عنهم البتة، وهذا مذهب الضحّاك، ومقاتل. والقول الثاني: أن «ما» بمعنى الذي، فالمعنى: كانوا قليلاً من الليل الذي يهجمونه، وهذا مذهب الحسن، والأحف بن قيس، والزهرري، وعلى هذا يحتمل أن تكون «ما» زائدة.

قوله تعالى: ﴿وَيَا أَهْلَ الْبُيُوتِ﴾ وقد شرحناه في [آل عمران: ١٧].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَاهُ حَقًّا﴾ أي: بنصيب، وفيه قولان: أحدهما: أنه ما يصلون به رَجِمًا، أو يقرّون به ضيفًا، أو يحملون به كَلًّا، أو يعينون به محروماً، وليس بالزكاة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الزكاة، قاله قتادة، وابن سيرين.

(١) رواه ابن جرير ١٩٦/٢٦ وفي سننه ضعف وانقطاع، وذكره ابن كثير عن عثمان بن أبي شيبة بسند حسن. وقد رد ابن كثير على ابن جرير هذا التفسير الذي أورده في «تفسيره» واقتصر عليه بقوله: والذي فسر به ابن جرير، فيه نظر، لأن قوله تبارك وتعالى: ﴿مُنِيزِينَ﴾ حال من قوله: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَاهُ حَقًّا﴾ فالتقون في حال كونهم في الجنان والعيون آخذين ما أتاهم ربهم، أي: من النعم والسور والنبطة. وقوله ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَدْ كُنُوا مُنِيزِينَ﴾ أي: في الدار الدنيا ﴿مُنِيزِينَ﴾ كقوله تعالى: ﴿قُلُوا زَكَاةً إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

(٢) روى أحمد في «المستدرك» والترمذي وابن ماجه في «سننهما» بسند صحيح عن عبد الله بن سلام قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة انجفل الناس عليه (أي: ذهبوا)، مسرعين إليه فكانت فيمن انجفل، فلما تبين وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته يقول: «أفئدوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام».

قوله تعالى: ﴿لَسَالٍ﴾ وهو الطالب. وفي: «المَحْرُوم» ثمانية أقوال: أحدها: أنه الذي ليس له سهم في شيء المسلمين، وهو المَحَارِف<sup>(١)</sup>، قاله ابن عباس. وقال إبراهيم: هو الذي لا سهم له في الغنيمة. والثاني: أنه الذي لا ينمي له شيء، قاله مجاهد، وكذلك قال عطاء: هو المحروم في الرزق والتجارة. والثالث: أنه المسلم الفقير، قاله محمد بن علي. والرابع: أنه المتعفف الذي لا يسأل شيئاً، قاله قتادة، والزهري. والخامس: أنه الذي يجيء بعد الغنيمة، وليس له فيها سهم، قاله الحسن بن محمد ابن الحنفية. والسادس: أنه المصاب ثمرة وزرعه أو نسل ماشيته، قاله ابن زيد. والسابع: أنه المملوك، حكاه الماوردي. والثامن: أنه الكَلْب، روي عن عمر بن عبد العزيز. وكان الشعبي يقول: أعياني أن أعلم ما المحروم. وأظهر الأقوال قول قتادة والزهري، لأنه قرنه بالسائل، والمتعفف لا يسأل - ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل - ثم يتحفظ بالمتعفف من ظهور أثر الفاقة عليه، فيكون محروماً من قبل نفسه حين لم يسأل، ومن قبل الناس حين لا يعطونه، وإنما يفتن له متيقظ. وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية منسوخة بآية الزكاة، ولا يصح.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْأَرْضِ يُزَكِّي﴾ كالجبال والأنهار والأشجار والثمار وغير ذلك ﴿الْشَّرِيفِينَ﴾ بالله ﷻ الذين يعرفونه بصنعه. ﴿رَبِّ أَسْكُنُوا﴾ آيات إذ كنتم نطفاً، ثم عظاماً، ثم علقاً، ثم مضغاً، إلى غير ذلك من أحوال الاختلاف، ثم اختلاف الصور والألوان والطباع، وتقويم الأدوات، والسمع والبصر والعقل، وتسهيل سبيل الحدث، إلى غير ذلك من العجائب المودعة في ابن آدم. وتم الكلام عند قوله: «وفي أنفسكم»، ثم قال: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ قال مقاتل: أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاءِ زُكِّي﴾ وقرأ أبي بن كعب، وحמיד، وأبو حصين الأسدي: «أزركم» براء ساكنة وبالف بين الزاي والقاف. وقرأ ابن مسعود، والضحاك، وأبو نهيك: «ارزركم» بفتح الراء وكسر الزاي وبالف بينهما. وعن ابن محيصن<sup>(٣)</sup> كهاتين القراءتين. وفي قولان: أحدهما: أنه المطر، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وليث عن مجاهد، وهو قول الجمهور. والثاني: الجنة، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. وفي قوله: ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنه الخير والشر كلاهما يأتي من السماء، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد. والثاني: الجنة، رواه ليث عن مجاهد. قال أبو عبيدة: في هذه الآية مضمهر مجازة: عند من في السماء زركم، وعنده ما توعدون، والعرب تُضمِر، قال نابغة [ذبيان]:

كَأَنَّكَ مِنْ جَمَالِ بَنِي أُنَيْشٍ

يُقَنِّعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنْ<sup>(٤)</sup>

أراد: كأنك جمل من جمال بني أنيش.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ قال الزجاج: يعني ما ذكره من أمر الآيات والرزق وما توعدون وأمر النبي ﷺ ﴿يُنْزِلُ مَا أَتَاكُمْ نَطْقُونَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «ينزل» برفع اللام. وقرأ الباقون بنصب اللام. قال الزجاج: فمن رفع «ينزل» فهي من صفة الحق، والمعنى: إنه لَحَقُّ يَنْزِلُ نَطْقُكُمْ؛ ومن نصب فعلى ضربين: أحدهما: أن يكون في موضع رفع، إلا أنه لما أُضيف إلى «أَنْ» فُتِح. والثاني: أن يكون منصوباً على التأكيد، على معنى: إنه لَحَقُّ حَقّاً يَنْزِلُ نَطْقُكُمْ، وهذا الكلام كما تقول: إنه لَحَقُّ كما أنك تتكلم.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ مُرَيْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢) فَذَكَرَ إِلَهُهُمْ فَمَا يَسْمَعُونَ سِيمَانَ (٣) فَذَكَرَهُ إِلَهُهُمْ قَالَ أَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤) فَارْجِعْ إِلَيْهِمْ حَقًّا قَالُوا لَا تَحْفَ وَبَشِّرْهُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ (٥) فَأَقْبَلَتْ أَمْرًا فِي صَرَرٍ فَصَكَتْ (٦)

(١) قال في «الصحيح»: ورجل محارف، بفتح الراء، أي مخلود محروم، وهو خلاف قولك: مبارك، وقد حورف كسب فلان: إذا شدد عليه في معاشه، كأنه ميل برزقه عنه.

(٢) قال ابن جرير الطبري: ﴿رَبِّ أَسْكُنُوا﴾ أيضاً أيها الناس آيات وعبر تدلهم على وحدانية صانعكم، وأنه لا إله إلا الله لكم سواء، إذ كان لا شيء يقدر على أن يخلق مثل خلقه إياكم ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ يقول: أفلا تنظرون في ذلك فتذكروا فيه فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم؟

(٣) في الأصل: «محيصن».

(٤) تقدم البيت ٥٥٨.

وَحَمَّهَا وَقَالَتْ جَعُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٨٠﴾ قَالُوا إِنَّا أَنْتُمْ لَكُمُ الْفَرْجُ بَيْنَ قَوْمَيْنِ ﴿٨١﴾ لِيُرْسِلَ عَلَيْهِنَّ حِمَارًا يَنْطَلِقُ فِي طِينٍ ﴿٨٢﴾ فَنُفِثَتْ عَنْهُنَّ الْأُثْمَانُ وَالْحَبْلُ ﴿٨٣﴾ قَالُوا هَذَا أَشْيَاءُ أَنْتُمْ تُخْفُونَ عَلَيْنَا ﴿٨٤﴾ قَالُوا هَذَا أَشْيَاءُ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾ قَالُوا هَذَا أَشْيَاءُ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ قَالُوا هَذَا أَشْيَاءُ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿هَذَا أَشْيَاءُ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٧) «هل» بمعنى «قد» في قول ابن عباس، ومقاتل، فيكون المعنى: قد أتاك فاستمع نقضه عليك، وضيغه: هم الذين جاؤوا بالبشرى. وقد ذكرنا عددهم في [هود: ٧٠]، وذكرنا هناك معنى الضيف. وفي معنى «المُكْرَمِينَ» أربعة أقوال: أحدها: لأنه أكرمهم بالعجل، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: بأن خدمهم هو وامراته بأنفسهما، قاله السدي. والثالث: أنهم مُكْرَمُونَ عند الله، قاله عبد العزيز بن يحيى. والرابع: لأنهم أضياف، والأضياف مُكْرَمُونَ، قاله أبو بكر الوراق.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا سَكَنَ﴾ قد ذكرناه في [هود: ٧٠].

قوله تعالى: ﴿قَوْمٌ شُكِرُوا﴾ قال الزجاج: ارتفع على معنى: أنتم قومٌ مُنْكَرُونَ. وللمفسرين في سبب إنكارهم أربعة أقوال: أحدها: لأنه لم يعرفهم، قاله ابن عباس. والثاني: لأنهم سلموا عليه، فأنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض، قاله أبو العالية. والثالث: لأنهم دخلوا [عليه] من غير استئذان. والرابع: لأنه رأى فيهم صورة البشر وصورة الملائكة.

قوله تعالى: ﴿وَرَأَى لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: عدل إليهم في حُفْنَةٍ، ولا يكون الرِوَاغُ إلا أن تُخْفِيَ ذهابك ومجيئك.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا يَبْتَغِ سَوَاءً﴾ وكان مشروباً. وقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قال الزجاج: والمعنى: فقربه إليهم ليأكلوا منه، فلم يأكلوا، فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ؟﴾ ١٩ على التكثير، أي: أمركم في ترك الأكل مما أنكره<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْجَسَ فِيهِمْ خِمْلَهُ﴾ قد شرحناه في [هود: ٧٠]، وذكرنا معنى: «غلام عليم» في [الحجر: ٥٤]. ﴿فَأَبَاقَتْ أَمْرًا﴾ وهي: سارة. قال الفراء وابن قتيبة: لم تُقْبِلْ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، وإنما هو كقولك: أقبلَ يَشْتَمْنِي، وأقبلَ يَصِيحُ ويتكلم، أي: أخذ في ذلك، والصَّرَّةُ: الصَّيْحَةُ. وقال أبو عبيدة: الصَّرَّةُ: شِدَّةُ الصَّوْتِ. وفيما قالت في صيحتها قولان: أحدهما: أنها تأوَّعت، قاله قتادة. والثاني: أنها قالت: يا ويلتا، ذكره الفراء.

قوله تعالى: ﴿فَنَكَتَ وَجْهَهَا﴾ فيه قولان: أحدهما: لطمت وجهها، قاله ابن عباس. والثاني: ضربت جبينها تعجباً، قاله مجاهد. ومعنى الصَّكِّ: ضَرْبُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ العريض<sup>(٢)</sup>. ﴿وَقَالَتْ جَعُوزٌ﴾ قال الفراء: هذا مرفوع بإضمام. ﴿أَتَيْدُ عَجُوزًا﴾. وقال الزجاج: المعنى: أنا عجوز عقيم، فكيف ألدُّ؟ وقد ذكرنا معنى «الْعَقِيمِ» في [هود: ٧٢]. ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ أنك ستلدن غلاماً؛ والمعنى: إنما نُخْبِرُكَ عن الله ﷻ وهو حكيم عليم يُقَدِّرُ أن يجعل العقيم ولوداً، فعلم [حيثئذ] إبراهيم أنهم ملائكة. ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ؟﴾ مفسر في [الحجر: ٥٧].

قوله تعالى: ﴿حِمَارًا يَنْطَلِقُ فِي طِينٍ﴾ قال ابن عباس: هو الأجر.

قوله تعالى: ﴿فَنُفِثَتْ عَنْهُنَّ الْأُثْمَانُ وَالْحَبْلُ﴾ قد شرحناه في [هود: ٨٣].

قوله تعالى: ﴿لِلْمُتَرَفِّينَ﴾ قال ابن عباس: للمشركين.

قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلْنَاهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي: من قُرى لوط ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلْنَاهُ بِأَهْلِكَ﴾ الآية.

[هود: ٨٢].

(١) قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ؟﴾: تُلْغَفُ في العبارة وعرض حسن، وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة، فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أولاً فقال: تأتكم طعام. بل جاء به بسرعة وخفاء، رأى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فني سمين مشوي. فقربه إليهم، لم يضعه، وقال: اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمراً يشق على سامعه بصيغة الجزم، بل قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ؟﴾ على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تفضل وتحسن وتصدق فافعل.

(٢) قال في، «اللسان»: الصك: الضرب الشديد بالشئ العريض، وقيل: هو الضرب عامة بأي شيء كان، صكه يصكه صكاً.



محذوف يدل عليه قوله: «فرشناها»، فالمعنى فرشنا الأرض فرشناها ﴿فَتَمَّ الْتَهْدُونَ﴾ أي: فينعم الماهدون نحن. قال مقاتل: «فرشناها» أي: بسطناها مسيرة خمسمائة عام، وهذا بعيد، وقد قال قتادة: الأرض عشرون ألف فرسخ<sup>(١)</sup>، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿زَيْنَ كُلِّ شَيْءٍ عَلَّمْنَا نَدَّبِينَ﴾، أي: صنفين ونوعين كالذكر والأنثى، والبر والبحر، والليل والنهار، والحلو والمر، والثور والغلظة، وأشباه ذلك ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ فتعلموا أن خالق الأزواج واحد. ﴿فَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ بالتوبة من ذنوبكم؛ والمعنى: اغربوا مما يوجب العقاب من الكفر والعصيان إلى ما يوجب الثواب من الطاعة والإيمان.

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سِيرًا أَوْ مَجْنُونًا ۚ﴾ ﴿أَتَوْسَا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۚ﴾ ﴿قَوْلَ عَنَّهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلَكٍ ۚ﴾ ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الْإِذْنَ نَفَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾ ﴿وَمَا خَلَقْتَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَهُ ۚ﴾ ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ۚ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۚ﴾ ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا يَحِلُّ ذُنُوبُ أَحْسَنِ مِنْهُمَا ۚ﴾ ﴿قَوْلَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما كذبت قومك وقالوا: ساحر أو مجنون، كانوا من قبلك يقولون للأنبياء.

قوله تعالى: ﴿أَتَوْسَا بِهِ﴾ أي: أوصى أولهم آخرهم بالكذب؛ وهذا استفهام توبيخ. وقال أبو عبيدة: أتواطوا عليه فأخذ بعضهم من بعض؟

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي يحملهم الطغيان فيما أعطوا من الدنيا على التكذيب؛ والمشار إليهم أهل مكة. ﴿قَوْلَ عَنَّهُمْ﴾ فقد بلغتهم ﴿فَمَا أَنْتَ﴾ عليهم ﴿بِمَلَكٍ﴾ لأنك قد أتيت الرسالة. ومذهب أكثر المفسرين أن هذه الآية منسوخة، ولهم في ناسخها قولان: أحدهما: أنه قوله: ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الْإِذْنَ نَفَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾. والثاني: آية السيف. وفي قوله: «وذكر» قولان: أحدهما: عطف، قاله مقاتل. والثاني: ذكرهم بأيام الله وعذابه ورحمته، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَهُ ۚ﴾ أثبت الباء في «يعبدون» و «يطيعون» و «لا يستعجلون» في الحاليين يعقوب. واختلفوا في هذه الآية على أربعة أقوال: أحدها: إلا لأمرهم أن يعبدوني، قاله علي بن أبي طالب، واختاره الزجاج. والثاني: إلا ليقرؤوا بالعبودية طوعاً وكرهاً، قاله ابن عباس؛ وبيان هذا قوله: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لِقَوْلِ اللَّهِ ۚ﴾ [الزخرف: ١٨٧]. والثالث: أنه خاص في حق المؤمنين. قال سعيد بن المسيب: ما خلقت من يعبدني إلا ليعبدني. وقال الضحاك، والفراء، وابن قتيبة: هذا خاص لأهل طاعته، وهذا اختيار القاضي أبي يعلى فإنه قال: معنى هذا الخصوص لا العموم، لأن البهائم والأطفال والمجانين لا يدخلون تحت الخطاب وإن كانوا من الإنس، فكذلك الكفار يخرجون من هذا بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كُفْرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فمن خلق للشفاء ولجهنم، لم يخلق للعبادة. والرابع: إلا ليعضدوا إليّ وينذلوا. ومعنى العبادة في اللغة: الذل والانقياد. وكلُّ الخلق خاضعٌ ذليلٌ لقضاء الله ﷻ لا يملك خروجاً عما قضاه الله ﷻ، هذا مذهب جماعة من أهل المعاني.

قوله تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ أي: ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ﴾ أي: أن يطيعوا أحداً من خلقي، لأنني أنا الرزاق. وإنما أسند الإطعام إلى نفسه، لأن الخلق عيال الله، ومن أطعم عياله أحد فقد أطعمه. وقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله ﷻ يوم القيامة: يا ابن آدم: استطعتك فلم تطعمني»، أي: لم تطعم عبيدي<sup>(٢)</sup>. فأمّا «الرزاق» فقرا الضحاك، وابن محيصن: «الرازق» بوزن «العالم». قال الخطابي: هو المشكّل بالرزق القائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها. «الذين» الشديد القوة الذي لا تنقطع قوته ولا يلحقه في

(١) ليس في هذا خبر عن الشارح، وإنما هو ضرب من الظن والخيمن.

(٢) وهو قطعة من حديث طويل رواه مسلم في «صحيحه» ١/ ١٩٩٠، ونصه: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعطني، قال: يا رب كيف أهوك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبيدي فلاناً مرض فلم تعد، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمتك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعتك عبيدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استنقيت فلم تستقي، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استنقاك عبيدي فلان فلم تسقه، أما إنك في سقته وجدته ذلك عندي».

أفعاله مَشَقَّة. وقد روى قتبية عن الكسائي أنه قرأ: «المتين» بكسر النون. وكذا قرأ أبو رزين، وقتادة، وأبو العالية، والأعمش. قال الزجاج: «ذُو الْقُوَّةِ المتين» أي: ذو الاقتدار الشديد، ومن رفع «المتين» فهو صفة الله ﷻ، ومن خفضه جعله صفة للقوة، لأن تأنيث القوة كتأنيث الموعظة، فهو كقوله: «فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ» [البقرة: ٢٧٥].

قوله تعالى: «إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا» يعني مشركي مكة «ذُنُوبًا» أي: نصيباً من العذاب «يُنْزَلُ ذُنُوبُ أَحْسَنِ» الذين أهلكوا، كقوم نوح وعاد وثمود. قال الفراء: الذُّنُوبُ في كلام العرب: الدَّلُوءُ العظيمة، ولكن العرب تذهب بها إلى النَّصِيبِ والحِظِّ: <sup>(١)</sup>، قال الشاعر:

لَنَا ذُنُوبٌ وَلَكُمْ ذُنُوبٌ      فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَنَا الْقَلِيبُ <sup>(٢)</sup>  
والذُّنُوبُ يُذَكَّرُ ويؤنث. وقال ابن قتيبة، أصل الذُّنُوب: الدَّلُوءُ العظيمة، وكانوا يَسْتَقُونَ، فيكون لكل واحد ذُنُوبٌ، فتجعل «الذُّنُوب» مكان «الحِظِّ والنَّصِيب».

قوله تعالى: «فَلَا يَسْتَعْمِلُونَ» أي: بالعذاب إن أُخْرُوا إلى يوم القيامة، وهو يومهم الذي يوعدون، ويقال: هو يوم بدر.



(١) وتام كلام الفراء: وبذلك أتى التفسير، فإن للذين ظلموا حظاً من العذاب كما نزل بالذين من قبلهم.

(٢) البيت في «معاني القرآن» الورقة ٣١٣، و«الطبري» ١٤/٢٧، و«البحر» ١٣٢/٨، و«اللسان» و«التاج»: ذَنْب. والقلب: البئر.

## سورة الطّور

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّاءِ الْفَجْرِ

﴿وَالطُّورِ ۝ نَكْتَبُ مَسْطُورٍ ۝ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ۝ وَالْيَتِيبِ الْمُتَنَبِّرِ ۝ وَالنَّفَّاثِ الْمُرْجِفِ ۝ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَآتٍ ۝ مَا لَمْ يَنْ دَافِعٍ ۝ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَشْكَالُ مَوَدًّا ۝ وَيُسَبِّحُ الْحِمَالُ سَبًّا ۝ قَوْلًا يَوْمَعِلَى الْمُكْدِبِينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي حُوزٍ يُلَمِّعُونَ ۝ يَوْمَ يُلْقُونَ لَكَ نَارَ جَهَنَّمَ دَفًّا ۝ فَذِي الْقُلَادِ إِلَيْ كُنْتُمْ بِهَا تُكْرَهُونَ ۝ أَفَيْسَرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ أَصَلَحُوا قَاتِلًا أَوْ لَا تَعْلَمُونَ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْرَمُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ۝﴾ هذا قسم بالجبل الذي كلم الله ﷺ عليه موسى ﷺ، وهو بأرض مدين لإواسمه زبيراً<sup>(١)</sup>. ﴿نَكْتَبُ مَسْطُورٍ ۝﴾ أي: مكتوب، وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه اللوح المحفوظ، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: كتب أعمال بني آدم، قاله مقاتل، والزجاج. والثالث: التوراة. والرابع: القرآن، حكاهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فِي رَقٍّ﴾ قال أبو عبيدة: الرُّقُّ: الزَّرَق. فأما المنشور: فهو المبسوط.

قوله تعالى: ﴿وَالْيَتِيبِ الْمُتَنَبِّرِ ۝﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بيت في السماء. وفي أي سماء هو؟ [فيه] ثلاثة أقوال: أحدها: [أنه] في السماء السابعة، رواه أنس عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>. وحديث مالك بن صعصعة الذي أخرج في «الصحاحين» يدل عليه<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه في السماء السادسة، قاله علي بن أبي حمزة<sup>(٤)</sup>. والثالث: أنه في السماء الدنيا، رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ<sup>(٥)</sup>. وقال ابن عباس: هو حيال الكعبة يحجُّه كلُّ يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون فيه حتى تقوم الساعة، يسمى الضُّراح. وقال الربيع بن أنس: كان البيت المعمور مكان الكعبة في زمان آدم، فلما كان زمن نوح أمر الناس بحجِّه، فعصوه، فلما طغى الماء رُفِعَ فجعل بحذاء البيت في السماء الدنيا<sup>(٦)</sup>. والثاني: أنه البيت الحرام، قاله الحسن. وقال أبو عبيدة: ومعنى «المعمور»: الكثير الغاشية.

قوله تعالى: ﴿وَالنَّفَّاثِ الْمُرْجِفِ ۝﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه السماء، قاله علي بن أبي حمزة والجمهور. والثاني: العرش، قاله الربيع.

(١) قال ابن كثير: يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قوته العظيمة أن عذابه واقع بأعدائه، وأنه لا دافع له عنهم. قال: فالطور: هو الجبل الذي يكون فيه أشجار مثل الذي كلم الله عليه موسى وأرسل منه عيسى، قال: وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً، إنما يقال له جبل. اهـ.

(٢) روى ابن جرير الطبري ١٧/٢٧ من حديث حماد عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ قال: «البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة» ورواه الحاكم ٤٦٨/٢ وصححه ووافقه الذهبي، وأورده السيوطي في «الدرر» ١١٦/٦ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٣) حديث مالك بن صعصعة رواه البخاري في «صحيحه» ٢١٩/٦، ومسلم ١٥٠/١ وهو حديث طويل، والشاهد منه هنا قوله ﷺ: «فأُتِيتُ السماء السابعة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ مرحباً به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه فقال: مرحباً بك من ابن نبي، فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه، آخر ما عليهم...» واللفظ للبخاري.

(٤) رواه ابن جرير الطبري ١٧/٢٧ وفي سنده خالد بن هريرة وهو مجهول، وهو معارض للحديث الصحيح.

(٥) ذكره السيوطي في «الدرر» ١١٧/٦ ونسبه إلى ابن المنذر، والعقيلي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وضيف إسناده. وقال ابن كثير: والذي في السماء الدنيا يقال له: بيت العزة، والله أعلم.

(٦) والقول الأول، وهو أن البيت المعمور في السماء السابعة هو الصواب كما ثبت ذلك في «الصحاحين» وغيرهما.



قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بحر تحت العرش ماؤه غليظ يُنْظَرُ العباد منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحاً فينبئون في قبورهم، قاله عليّ عليه السلام. والثاني: أنه بحر الأرض<sup>(١)</sup>، ذكره الماوردي. وفي ﴿الْأَسْجُورِ﴾ أربعة أقوال: أحدها: المملوء، قاله الحسن، وأبو صالح، وابن السائب، وجميع اللغويين<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه الموقد، قاله مجاهد، وابن زيد. وقال شمر بن عطية: هو بمنزلة التنور المسجور. والثالث: أنه اليابس الذي قد ذهب ماؤه ونضب، قاله أبو العالية. وروي عن الحسن قال: تسجر، يعني البحار، حتى يذهب ماؤها، فلا يبقى فيها قطرة. وقول هذين يرجع إلى معنى قول مجاهد. وقد نقل في الحديث «أن الله تعالى يجعل البحار كلها ناراً، فتزاد في نار جهنم»<sup>(٣)</sup>. والرابع: أن «المسجور» المختلط عذبه بولحه، قاله الربيع بن أنس. فأقسم الله تعالى بهذه الأشياء للتنبيه على ما فيها من عظيم قدرته على أن تعذيب المشركين حق، فقال: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾<sup>(٤)</sup> أي: لكائن في الآخرة. ثم بين متى يقع، فقال: ﴿يَوْمَ تُنْفَخُ أَلْسِنَتُهُمْ مَّرْكًا﴾<sup>(٥)</sup> وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: تدور دَوْرًا، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وهو اختيار الفراء وابن قتيبة والزجاج. والثاني: تحرك تحركاً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة. وقال أبو عبيدة: «تمور» أي: تكفأ، وقال الأعشى:

كَأَنَّ مَشْيَئَهَا مِنْ بَيْتٍ جَارَتْهَا  
مَوْرُ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلٌ<sup>(٦)</sup>

والثالث: يمجج بعضها في بعض لأمر الله تعالى، قاله الضحاك. وما بعد هذا قد سبق بيانه [النمل: ٨٨] إلى قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حُورٍ يَلْمِزُونَ﴾<sup>(٧)</sup> أي: يخوضون في حديث محمد صلى الله عليه وسلم بالكذب والاستهزاء، ويلهون بذكره، فالويل لهم. ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يُدْفَعُونَ، يقال: دَفَعْتُهُ أَدْعُهُ، أي: دفعتهم، ومنه قوله: ﴿يُدْعَى الْيَتِيمُ﴾ [الماعون: ٢]. قال ابن عباس: يُدْفَعُ في أعناقهم حتى يردوا النار. وقال مقاتل تغل أيديهم إلى أعناقهم وتُجْمَعُ نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يُدْفَعُونَ إلى جهنم على وجوههم، حتى إذا دنوا منها قالت لهم خزنتها: ﴿هَٰذَا النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا تُكَلِّمُونَ﴾<sup>(٨)</sup> في الدنيا «أَقْبِرُ هَٰذَا» العذاب الذي ترون؟ فإنكم زعمتم أن الرسل سحرة ﴿لَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْعِرُونَ﴾ النار؟ فلما أُلْقُوا فيها قال لهم خزنتها: ﴿أَصَلَوْا﴾. وقال غيره: لما نسبوا محمداً صلى الله عليه وسلم إلى أنه ساحر يغلطي على الأبصار بالسحر، ويخونوا عند رؤية النار بهذا التوبيخ، وقيل: ﴿أَصَلَوْا﴾ أي: قاسوا شدتها ﴿فَاصْبِرُوا﴾ على العذاب ﴿وَإِذْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءَ عَلَيْكُمْ﴾ الصبر والجزع ﴿إِنَّمَا تُجْرُونَ﴾ جزاء ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب.

﴿إِنَّ السَّادِقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾<sup>(٩)</sup> فكيفهم بما ءالتهُم رُبَّمَا وَوَقَّعْتُمْ رُبَّمَا عَذَابَ الْجَحِيمِ<sup>(١٠)</sup> كُلُّوْا وَاشْرَبُوا هَٰذَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ<sup>(١١)</sup> مُنْكِحِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ<sup>(١٢)</sup>

ثم وصف ما للمؤمنين بما بعد هذا، وقوله: ﴿فَنُكِّهْنَهُمْ﴾ قرئت بألف ويغير ألف، وقد شرحناها في [يس: ٥٥]، ﴿وَوَقَّعْتُمْ﴾ أي: صرف عنهم و«الجهنم» مذكور في [البقرة: ١١٩]. ﴿كُلُّوْا﴾ أي: يقال لهم: كُلُّوْا ﴿وَاشْرَبُوا هَٰذَا﴾ تأمنون حدوث المرض عنه. قال الزجاج: المعنى: ليهنكم ما صيرتم إليه، وقد شرحنا هذا في سورة [النساء: ٤]. ثم ذكر حالهم عند أكلهم وشربهم، فقال: ﴿مُنْكِحِينَ عَلَى سُرُرٍ﴾ وقال ابن جرير: فيه محذوف تقديره: على نمارق على سُرُرٍ، وهي جمع سرير ﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾ قد وُضِعَ بعضها إلى جنب بعض. وباقى الآية مفسر في سورة [الدخان: ٥٤].

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَآلَيْهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ لِقَائِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَمَا أَنْتُمْ مِنْ عُقُوْهِمْ كُلُّ إِنْسِيٍّ وَمَا كَسَبَ رِيسًا﴾<sup>(١٣)</sup> وَأَمَّا ذُرِّيَّتُهُمْ بِفِكَهْمُ وَلَحْمٌ مِّمَّا يَنْتَنُونَ<sup>(١٤)</sup> يَنْتَنُونَ فِيهَا كَلْسًا لَا تَلَوُّ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ<sup>(١٥)</sup> وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ زُلْفًا لَهُمْ مَا كَانَتْ تَزُولُ مَكُونًا<sup>(١٦)</sup> وَأَقْبَلُ يَسْأَلُهُمْ عَلَى بَيْتٍ يَسْأَلُونَ<sup>(١٧)</sup> قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلَانَا سُفُوفِينَ<sup>(١٨)</sup> فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ<sup>(١٩)</sup> إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ<sup>(٢٠)</sup>

(١) وهو قول الجمهور، والأول لا يضح.

(٢) لم نقف على هذا الحديث مستنداً فيما بين أيدينا من المصادر، وقد أورده بعض المفسرين كالمصنف بلا سند.

(٣) «ديوانه» ٥٥، و«مجاز القرآن» ٢/٢٣١، و«الطبري» ٢٧/٢٠، و«مختار الشعر الجاهلي» ٩٧/٢، و«اللسان» و«التاج»: مور. وفي «الديوان»: «مُرٌّ بدل موزر».

قوله تعالى: ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «وَأَتْبَعْتَهُمْ» بالتاء «ذُرِّيَّتَهُمْ» واحدة ﴿يَوْمَ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ واحدة أيضاً. وقرأ نافع: «وَأَتْبَعْتَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» واحدة «بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ» جمعاً. وقرأ ابن عامر: «وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ» «بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ» جمعاً في الموضعين. واختلفوا في تفسيرها على ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناها: أتبعتهم ذُرِّيَّتَهُمْ بإيمان الحقنا بهم [ذُرِّيَّاتِهِمْ] من المؤمنين في الجنة، وإن كانوا لم يبلغوا أعمال آبائهم، تكملة من الله تعالى لأبائهم المؤمنين باجتماع أولادهم معهم، روى هذا المعنى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: وأتبعتهم ذُرِّيَّتَهُمْ بإيمان، أي: بلغت أن آمنث، الحقنا بهم ذُرِّيَّتَهُم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان. وروى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. ومعنى هذا القول، أن أولادهم الكبار تبعوهم بإيمان منهم، وأولادهم الصغار تبعوهم بإيمان الآباء، [لأن الولد يُحْكَم له بالإسلام تبعاً لوالده. والثالث: «وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ» بإيمان الآباء] فأدخلناهم الجنة، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكَلْتُمْ﴾ قرأ نافع: وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «وما أَلْتَنَاهُمْ» بالهمزة وفتح اللام. وقرأ ابن كثير: «وما أَلْتَنَاهُمْ» بكسر اللام. وروى ابن شنبوذ عن قنبل عنه «وما أَلْتَنَاهُمْ» بإسقاط الهمزة مع كسر اللام. وقرأ أبو العالية، وأبو نهيك، ومعاذ القارئ بإسقاط الهمزة مع فتح اللام. وقرأ ابن السيف «وما أَلْتَنَاهُمْ» بمد الهمزة وفتحها. وقرأ الضحاك، وعاصم الجحدري: «وما أَلْتَنَاهُمْ» بواو مفتوحة من غير همزة وينصب اللام. وقرأ ابن مسعود، وأبو المتوكل: «وما أَلْتَنُمْ» مثل جَعَلْتُمْ. وقد ذكرنا هذه الكلمة في [المحرات: ١٤٠] والمعنى: ما نَقَضْنَا الآباء بما أعطَيْنَا الذُرِّيَّةَ. ﴿كُلُّ إِنْسَانٍ لِّمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مُرْتَهَنٌ بعمله لا يؤاخذ أحدٌ بذنب أحد. وقيل: هذا الكلام يختص بصفة أهل النار، وذلك الكلام قد تَمَّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْنَدْنَهُمْ﴾ قال ابن عباس: هي الزيادة على الذي كان لهم.

قوله تعالى: ﴿يَنْتَزِعُونَ﴾ قال أبو عبيدة: أي: يتعاطون ويتداولون، وأشد الأخطال:

نَارُ عَشَّة طَيِّبَ الرِّيحِ الشُّمُولِ وَقَدْ صَاحَ الدُّجَاجُ وَحَانَتْ وَقْعَةُ السَّارِي<sup>(١)</sup>

قال الرَّجَّاجُ: يتناول هذا الكأس من يد هذا، وهذا من يد هذا. فأما الكأس فقد شرحناها في [الصافات: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿لَا تَلَوْا فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «لَا تَلَوْ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ» نصباً، وقرأ الباقون: «لَا تَلَوْ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ» رفعاً منوناً. قال ابن قتيبة: أي: لا تذهب بقولهم فيَلْعَوُا وَيَرْفُقُوا فيأثموا، كما يكون ذلك في خمر الدنيا. وقال غيره: التائيم: تفعيل من الإثم، يقال: آثمه: إذا جعله ذا إثم. والمعنى أن تلك الكأس لا تجعلهم آثمين. ﴿وَيَلْعَوُا عَلَيْهُمْ﴾ للخدمة «وَلَمَّا لَعْنَهُمْ كَانَتْهُمْ» في الحُسْن والبياض «لَوْلَوْ مَكُونٌ» أي: مصونٌ لم تَمَسَّهُ الأيدي. وسئل رسول الله ﷺ فقيل: يا نبي الله، هذ الخادم، فكيف المخدم؟ فقال: «إِنْ فَضَّلَ المَخْدُومُ عَلَى الخَادِمِ كَفَضَّلَ القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَنكِسُّهُمْ عَلَى بَنِينَ يَلْعَلُونَ﴾ قال ابن عباس: يتذكرون ما كانوا فيه في الدنيا من الخوف والتعب، وهو قوله: ﴿فَأَنَّا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ ذَٰلِكَ أَهْلًا﴾ أي: في دار الدنيا «شُفِيقِينَ» أي: خائفين من العذاب، ﴿نَسْرَجَ اللَّهُ يَلْعَنًا﴾ بالمغفرة «وَوَكُنَّا عَذَابَ الْكُفُورِ» أي: عذاب النار. وقال الحسن: السُّمُوم من أسماء جهنم. وقال غيره: سُمُوم جهنم: وهو ما يوجد من نَفْحِهَا وَخَرِّهَا، ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلَ نَدْعُوهُ﴾ أي: نوحده ونُخْلِصُ له ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ﴾ وقرأ نافع، والكسائي: «أنه» بفتح الهمزة. وفي معنى «الْبَرِّ» ثلاثة أقوال: أحدها: الصادق فيما وعد، رواه أبو صالح عن

(١) «ديوانه» ١١٦، و«مجاز القرآن» ٢/٢٢٢، و«الطبري» ٢٧/٢٨.

(٢) روى ابن جرير الطبري ٢٩/٢٧ عن قتادة قوله: ﴿وَيَلْعَوُا عَلَيْهُمْ لَمَّا لَعْنَهُمْ كَانَتْهُمْ لَوْلَوْ مَكُونٌ﴾ ذكر لنا أن رجلاً قال: يا نبي الله هذا الخادم، فكيف المخدم؟ قال: «والذي نفس محمد بيده، إن فضل المخدم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» وهو مرسل، وأورده السيوطي في «الدر» ١١٩/٦ وزاده نسبته لعبد الرزاق، وابن المنذر وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٦٠: «رواه عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة به».

ابن عباس. والثاني: اللطيف، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: العطوف على عباده المحسن إليهم الذي عَمَّ بِيَرَهُ جميع خلقه، قاله أبو سليمان الخطابي.

﴿نَذَرْتُكُمْ قُلُوبًا لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَّأَهُ رَبُّكَ الْمَوْتُ ﴿٢﴾ قُلْ تَرَىٰ قُلُوبًا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَفْسٌ مِّنْ رَّبِّكَ نَبَّأَهُ الْمَوْتُ ﴿٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَفْسٌ مِّنْ رَّبِّكَ نَبَّأَهُ الْمَوْتُ ﴿٥﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَفْسٌ مِّنْ رَّبِّكَ نَبَّأَهُ الْمَوْتُ ﴿٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَفْسٌ مِّنْ رَّبِّكَ نَبَّأَهُ الْمَوْتُ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَفْسٌ مِّنْ رَّبِّكَ نَبَّأَهُ الْمَوْتُ ﴿٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَفْسٌ مِّنْ رَّبِّكَ نَبَّأَهُ الْمَوْتُ ﴿٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَفْسٌ مِّنْ رَّبِّكَ نَبَّأَهُ الْمَوْتُ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿نَذَرْتُكُمْ قُلُوبًا لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: قَعِظَ بِالْقُرْآنِ ﴿قُلُوبًا لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: بَانِعَامِهِ عَلَيْكَ بِالنَّبُوءَةِ ﴿يَكَاهِنُ﴾ وهو الذي يُوهم أنه يعلم الغيب ويُخبر عما في غد من غير وحي. والمعنى: إِنَّمَا تَنْطَلِقُ بِالْوَحْيِ لَا كَمَا يَقُولُ [فِيكَ] كِفَارِ مَكَّةَ. ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ أي: هو شاعر. وقال أبو عبيدة: «أَمْ» بمعنى «بل»، قال الأخطل:

كَذَّبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتُ بِسَوَائِطِ

لَمْ يَسْتَفْهَمُوا، إِنَّمَا أَوْجِبَ أَنَّهُ رَأَى.

قوله تعالى: ﴿نَذَرْتُكُمْ قُلُوبًا لَا يَعْقِلُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الموت، قاله ابن عباس. والثاني: حوادث الدهر، قاله مجاهد، قال ابن قتيبة: حوادث الدهر وأوجاعه ومصائبه، و«الْمَوْتُ» الدهر، قال أبو ذؤيب:

أَمْسِنَ الْمَوْتُونَ وَزَيْبُهُ نَسْوَ جُعُ

وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُغْتَبٍ مَّنْ يَجْزَعُ (١)

هكذا أنشدناه أصحاب الأصمعي عنه، وكان يذهب إلى أن الْمَوْتُ الدَّهْرُ، قال: وقوله: «وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُغْتَبٍ» يدلُّ على ذلك، كأنه قال: «أَمْسِنَ الدَّهْرُ وَزَيْبُهُ تَوَجَّعُ؟» قال الكسائي: العرب تقول: لا أكلمك آخِرَ الْمَوْتِ، أي: آخِرَ الدَّهْرِ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَرَىٰ قُلُوبًا لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: انظروا بي ذلك ﴿قُلُوبًا لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: من الْمُتَظَنِّينَ عَذَابَكُمْ، فَعُدُّوا يَوْمَ يَدْرُسُ السَّيْفُ. وبعض المفسرين يقول: هذا منسوخ بآية السيف، ولا يصح، إذ لا تضاد بين الآيتين.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَفْسٌ مِّنْ رَّبِّكَ نَبَّأَهُ الْمَوْتُ﴾ قال المفسرون: كانت عظماء قريش توصف بالأحلام، وهي العُقُول، فأزرى الله بخلوهم، إذ لم تُشجِّرْ لَهُمْ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ. وقيل لعمر بن العاص: ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله تعالى بالعُقُول؟ فقال: تلك عُقُولُ كَادَمَا بَارَتْهَا، أي: لَمْ يَضَحَّيْهَا التَّوْفِيقُ. وفي قوله: «أَمْ يَقُولُونَ نَفْسٌ مِّنْ رَّبِّكَ نَبَّأَهُ الْمَوْتُ» قال: والمعنى: أَنَا مُرَّاهِمُ أَحْلَامُهُمْ بِتَرْكِ الْقَبُولِ مِمَّنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَيَأْتِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ بِالذَّلَائِلِ، أَمْ يَكْفُرُونَ طُغْيَانًا وَقَدْ ظَهَرَ لَهُمُ الْحَقُّ؟ وقال ابن قتيبة: المعنى: أَمْ تَذَلُّهُمْ عَقُولُهُمْ عَلَى هَذَا؟ لَأَنَّ الْجِلْمَ يَكُونُ بِالْعَقْلِ، فَكُنِيَ عَنْهُ بِهِ.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَفْسٌ مِّنْ رَّبِّكَ نَبَّأَهُ الْمَوْتُ﴾ أي: افْتَعَلَ الْقُرْآنُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ؟ وَالتَّقُولُ: تَكَلُّفُ الْقَوْلِ، وَلَا يَسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي الْكُذْبِ ﴿بَلْ﴾ أي: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بِالْقُرْآنِ، اسْتِكْبَارًا. ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ فِي نَظْمِهِ وَحُسْنِ بَيَانِهِ. وقرأ أبو رجاء، وأبو نهيك، ومورق العجلي، وعاصم الجحدري: «بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ» بِغَيْرِ تَنْوِينٍ ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ أَنْ مُحَمَّدًا يَقُولُهُ.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (١) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَتِ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُتَعَذِّبُونَ ﴿٣﴾ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ يَلْمِزُونَ فِيهِ قُلُوبًا سَمِيعَةً يَسْمَعُونَ شَيْئًا مِّنْ أَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ ﴿٤﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٥﴾ أَمْ تَنْظُرُونَ أَجْرًا فَمِنْ مَن تَقْرَرُ تُنْقَلُونَ ﴿٦﴾ أَمْ عِنْدَهُ الْغَيْبُ فَهَمْ يَكْنِئُونَ ﴿٧﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٨﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ رَبِّ خَالِقٍ؟ والثاني: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ آبَاءٍ وَلَا أُمَّهَاتٍ، فَهَمْ كَالْجِمَادِ لَا يَعْقِلُونَ؟ والثالث: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ كَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ أي: إِنْ هُمْ لَيْسُوا بِأَشْدَّ خُلُقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، وَهَمْ خُلِقُوا مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابِئِهِ. والرابع: أَمْ

(١) سبق تخرجه البيت ٤٥٠.

(٢) البيت مطلع مراثيه الجيلة، وهو في «ديوانه» ١/١، و«غريب القرآن» ٤٢٥، و«المفضليات» ٤٢١، و«ديوان الهلاليين» ١/١، و«اللسان» و«التاج»: من.

خَلَقُوا لغير شيء؟ فتكون «مِنْ» بمعنى اللام. والمعنى: ما خَلَقُوا عَبَثًا فلا يؤْمَرُونَ ولا يُنْهَوْنَ.

قوله تعالى: ﴿أَمْ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ فلذلك لا يأتَمرون ولا يتنهنون؟ لأن الخالق لا يؤمر ولا يُنهى.

قوله تعالى: ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالحق، وهو توحيد الله وقدرته على البعث.

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: المطر والرُّزْق، قاله ابن عباس. والثاني: الثَّبُوتُ، قاله عكرمة. والثالث: عِلْم ما يكون من الغيب، ذكره الثعلبي. وقال الزجاج: المعنى: أعندهم ما في خزائن رَيْكَ من العِلْم، وقيل: من الرُّزْق، فهم مُعْرِضُونَ عن رَيْبهم لاستغنائهم؟!

قوله تعالى: ﴿أَمْ هُمُ الْمُضْطَرُّونَ﴾ قرأ ابن كثير: «المُضْطَرُّونَ» بالسین. وقال ابن عباس: المُسْلَطُونَ<sup>(١)</sup>. قال أبو عبيدة: «المُضْطَرُّونَ»: الأرباب. يقال: تسيطر عليّ، أي: اتَّخَذْتَنِي حَوْلًا، قال: ولم يأت في كلام العرب اسم على «مُضْطَرِّعٍ» إلا خمسة أسماء: مُهَيِّمٌ، ومُجَبِّرٌ، ومُضْطَرِّعٌ، ومُضْطَرِّعٌ، ومُضْطَرِّعٌ، ومُضْطَرِّعٌ، فالتَّهْنِئَةُ: الله الناظر المُحْصِي الذي لا يفوته شيء؛ ومُجَبِّرٌ: جيل؛ والمُضْطَرِّعُ: المُسْلَطُ؛ ومُضْطَرِّعٌ: يَظْطَرُّ؛ والمُضْطَرِّعُ: الذي يخرج من أرض إلى أرض، يقال: يَظْطَرُّ: إذا خرج من بلد إلى بلد، قال امرؤ القيس:

أَلَا هَلْ أَنَا قَدَا، وَالْحَوَادِثُ جَمْعٌ      بَأَنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ ابْنَ تَمْلِكَ بَيَّقَرَا<sup>(٢)</sup>

قال الزجاج: المِضْطَرُّونَ: الأرباب المُسْلَطُونَ، يقال: قد تسيطر علينا وتسيطر: بالسین والصاد، والأصل السین، وكل سین بعدها طاء، فيجوز أن تُقْلَبَ صادًا، تقول: سطر واطر، وسطا علينا واططا. قال المفسرون: معنى الكلام: أم هم الأرباب فيفعلون ما شاؤوا ولا يكونون تحت أمر ولا نهى؟!

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيٌ مِّنْ قَبْلِهِ﴾ أي: مَرَفَئٌ ومُضْعَدٌ إلى السماء ﴿بَسْمُوتُونَ رَيْكَ﴾ أي: عليه الرُّوحِي، كقوله: ﴿فِي جُدُجٍ لَّنْجِلٍ﴾ [طه: ٧١]، فالمعنى: يستمعون [الرُّوحِي] فيعلمون أنَّ ما هُم عليه حق ﴿تَلَيَّانِ سَمِعْتُمْ﴾ إن ادَّعَى ذلك ﴿يَسْأَلُنِي﴾ أي: بِحُجَّةٍ واضحة كما أتى محمد بِحُجَّةٍ على قوله. ﴿أَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُ الْبُتُّ وَلَكُمُ الْبُتُّ﴾ هذا إنكار عليهم حين جعلوا الله البنات. ﴿أَمْ تَسْأَلُنَّ لَهُنَّ مِمَّنْ يَنْتَفِرْنَ مَشْفُورًا﴾ أي: هل سألتهم أجرًا على ما جئت به، فأتقلم ذلك الذي تطلبه منهم فمنعهم عن الإسلام؟ والمُتَّعَمُ بمعنى العُزْم، وقد شرحناه في [براءة: ٤٨].

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ هذا جواب لقولهم: ﴿تَرْصُدْ بِهِ رَبِّي السَّاعَةَ﴾؛ والمعنى: أعندهم الغيب؟ وفيه قولان: أحدهما: أنه اللوح المحفوظ، ﴿فَنَمَّ يَتَذَكَّرُ﴾ ما فيه ويخبرون الناس. قاله ابن عباس. والثاني: أعندهم عِلْمُ الغيب فيعلمون أن محمداً يموت قبلهم ﴿فَنَمَّ يَتَذَكَّرُ﴾ أي، يحكمون فيقولون: سَتَقْهَرُكَ. والكتاب: الحكم؛ ومنه قول النبي ﷺ: «سأقضي بينكما بكتاب الله»<sup>(٣)</sup> أي: بِحُكْمِ الله ﷻ؛ وإلى هذا المعنى: ذهب ابن قتبية.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ وهو ما كانوا عزموا عليه في دار النَّدوة؛ وقد شرحنا ذلك في قوله: ﴿وَإِذْ يَسْكُرُ رَيْكَ الْغَيْنَ كَثْرًا﴾ [الأنفال: ٣٠] ومعنى ﴿هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ هم الْمَجْزُؤُونَ بِكَيْدِهِمْ، لأن ضرر ذلك عاد عليهم فقتلوا بيدٍ وغيرها. ﴿أَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِزٌّ أَتَوْهُ﴾ أي أَلْهَمَ إله يرزقهم ويحفظهم غيرُ الله؟ والمعنى أن الأصنام ليست بآلهة، لأنها لا تنفع ولا تدفع. ثم نَرَاهُ نَفْسَهُ عن شركهم بباقي الآية.

(١) روى البخاري في «صحيحه» ٤٦٣/٨ عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خَلَقُوا الشَّيْءَ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أَمْ هَدَّاهُمْ خَزَائِنَ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْقَائِلُونَ؟ كاد قلبي أن يطير.

(٢) «ديوانه» ٣٩٢، «واللسان» «والنَّجْد» بقر. «وتلك»: أمه.

(٣) هو قطعة من حديث أخرجه البخاري ومسلم وأصحاب «السنن» من حديث أبي هريرة، ولفظه عند مسلم ١٣٢٤/٣: عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني أنهما قالا: إن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال: أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله، فقال الخصم الآخر وهو أقره منه: نعم فاقض بيننا بكتاب الله، وإذني لي، فقال رسول الله ﷺ: «قل» قال: إن ابني كان عسيفاً (أجيراً) على هذا فزني بامرأته، وإني أخبرت أن علي ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني أنما علي ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن علي امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأقضي بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم رد (مرودة إليك) وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، واغد يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها» قال: فننا عليها فاعترفت، فأمر بها رسول الله ﷺ فرجمت.

﴿وَلَا يَرَوْا كِنْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ (١) فَذَرَعْتُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٢) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٣) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤) وَأَمِيرٌ لِّمَكْرٍ رَبِّكَ فَلَئِكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ (٦)

ثم ذكر عنادهم فقال: ﴿وَلَا يَرَوْا كِنْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ والمعنى: لو سقط بعض السماء عليهم لَمَا انتهوا عن كفرهم، ولَقَالُوا: هذه قطعة من السحاب قد رُكِمَ بعضُه على بعض. ﴿فَذَرَعْتُمْ﴾ أي خَلَّ عنهم ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا﴾ قرأ أبو جعفر «يُلَاقُوا» بفتح الياء والقاف وسكون اللام من غير ألف ﴿يَوْمَهُمُ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوم موتهم. والثاني: يوم القيامة. والثالث: يوم النَّفْخَةِ الأولى.

قوله تعالى: ﴿يُصْعَقُونَ﴾ قرأ عاصم، وابن عامر: «يُصْعَقُونَ» برفع الياء، من أَصْعَقَهُمْ غَيْرُهُمْ؛ والباقون بفتحها، من صَعَقَوْهُمْ. وفي قوله: ﴿يُصْعَقُونَ﴾ قولان: أحدهما: يموتون. والثاني: يُغشى عليهم، كقوله: ﴿وَحَرَّ مَوْسَىٰ صَوْفًا﴾ [الاعراف: ١٤٣]، وهذا يخرج على قول من قال: هو يوم القيامة، فإنهم يُغشى عليهم من الأحوال. وذكر المفسرون أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولا يصح، لأن معنى الآية الوعيد.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ هذا اليوم الأول؛ والمعنى: لا ينفعهم مكرهم ولا يدفع عنهم العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: يُمنعون من العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْبِثُونَ إِلَّا ظُلُمًا﴾ أي: أشركوا ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي، قبل ذلك اليوم؛ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه عذاب القبر، قاله البراء، وابن عباس. والثاني: عذاب القتل يوم بدر، وروي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال مقاتل. والثالث: مصائبهم في الدنيا، قاله الحسن، وابن زيد. والرابع: عذاب الجوع، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون ما هو نازل بهم. ﴿وَأَمِيرٌ لِّمَكْرٍ رَبِّكَ﴾ أي: لما يحكم به عليك ﴿فَلَئِكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ قال الزجاج: فإنك بحيث نراك ونحفظك ونرعاك، فلا يصلون إلى مكروهم. وذكر المفسرون: أن معنى الصبر نُسْخَ بآية السيف، ولا يصح، لأنه لا تضاد. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: صلِّ الله حين تقوم من منامك، قاله ابن عباس. والثاني: قُلْ: «سبحانك اللهم وبحمدك» حين تقوم من مجلسك، قاله عطاء، وسعيد بن جبير، ومجاهد في آخرين. والثالث: قُلْ: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك» حين تقوم في الصلاة، قاله الضحاك. والرابع: سَبِّحَ الله إذا قُمْتَ من نومك، قاله حسان بن عطية. والخامس: صلِّ صلاة الظهر إذا قُمْتَ من نوم القائلة، قاله زيد بن أسلم<sup>(١)</sup>. والسادس: اذْكُرْ الله بلسانك حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل في الصلاة، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ قال مقاتل: صلِّ المغرب وصلِّ العشاء ﴿وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾ قرأ زيد عن يعقوب، وهارون عن أبي عمرو، والجمعني عن أبي بكر: «وإدبار النجوم» بفتح الهمزة؛ و[قرأ] الباقر بكسرهما. وقد شرحناها في [٣: ٤٠]؛ والمعنى: صلِّ له في إدبار النجوم، أي: حين تُلْهِجُ، أي: تغيب بضوء الصُّبْح. وفي هذه الصلاة قولان: أحدهما: أنها الرُّكْعَتَانِ قَبْلَ صلاة الفجر، رواه عليٌّ عليه السلام عن النبي ﷺ، وهو قول الجمهور<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنها صلاة الغداة، قاله الضحاك، وابن زيد.



(١) رجع هذا القول ابن جرير الطبري في «تفسيره».

(٢) أخرجه مسند في «مسنده»، وابن المنذر، وابن مردويه كما في «الدر» ١١٠/٦ من علي بن أبي طالب قال: سألت رسول الله ﷺ عن إدبار النجوم والسجود، فقال: «إدبار السجود: الركعتان بعد المغرب، وإدبار النجوم: الركعتان قبل الغداة».

## سورة النجم

### وهي مَكِّيَّة بإجماعهم

إِلَّا أَنَّهُ قَدْ حُكِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ أَنَّهُمَا قَالَا إِلَّا آيَةٌ مِنْهَا، وَهِيَ ﴿الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَكْثَرَ اللَّيْلِ﴾ [النجم: ٣٢]، وَكَذَلِكَ قَالَ مِقَاتِلٌ؛ [قال]: وَهَذِهِ أَوَّلُ سُورَةٍ أَعْلَنَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا سَلَكَ مَسَاجِدُكُمْ وَمَا هَوَىٰ ۝ وَمَا يَطُوعُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِن مَرُءٌ إِلَّا رَءًى يَرَىٰ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [١] مَا سَلَكَ مَسَاجِدُكُمْ وَمَا هَوَىٰ [٢] وَمَا يَطُوعُ عَنِ الْهَوَىٰ [٣] إِن مَرُءٌ إِلَّا رَءًى يَرَىٰ [٤] قوله تعالى: وفي المراد بالنجم خمسة أقوال: أحدها: أَنَّهُ الثَّرَيَّا، رواه العوفي عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد<sup>(١)</sup>. قال ابن قتيبة؛ والعرب تسمي الثريا - وهي ستة أنجُم - نجماً. وقال غيره: هي سبعة، فسنة ظاهرة، وواحد خفي يمتحن به الناس أبصارهم. والثاني: الرَّجُومُ مِنَ النُّجُومِ، يعني ما يرمى به الشياطين، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: أَنَّهُ الْقُرْآنُ نَزَلَ نَجُوماً مُتَفَرِّقَةً، قاله عطاء عن ابن عباس، والأعمش عن مجاهد. وقال مجاهد: كَانَ يَنْزِلُ نَجُوماً ثَلَاثَ آيَاتٍ وَأَرْبَعَ آيَاتٍ وَنَحْوَ ذَلِكَ. والرابع: نَجُومُ السَّمَاءِ كُلِّهَا، وهو مروى عن مجاهد أيضاً. والخامس: أَنَّهُا الزُّهْرَةُ؛ قاله السدي. فعلى قول من قال: النجم: الثريا، يكون «هوى» بمعنى «غاب»؛ ومن قال: هو الرَّجُومُ، يكون هَوِيْهَا فِي رَمَى الشَّيَاطِينِ، ومن قال: القرآن، يكون معنى «هوى»: نَزَلَ، ومن قال: نَجُومُ السَّمَاءِ كُلِّهَا، ففيه قولان: أحدهما: أَن هَوِيْهَا أَن تَغِيْبَ. والثاني: أَن تَنْتَشِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر هذه السورة كُلِّهَا بِفَتْحٍ أَوْ آخِرَ آيَاتِهَا. وقرأ أبو عمرو ونافع بين الفتح والكسر. وقرأ حمزة والكسائي ذلك كُلَّهُ بِالْإِمَالَةِ.

قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَ مَسَاجِدُكُمْ﴾ هذا جواب الْقَسَمِ؛ والمعنى: مَا سَلََّ عَنْ طَرِيقِ الْهَدَى، والمراد به: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. ﴿وَمَا يَطُوعُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [٣] أَي: مَا يَتَكَلَّمُ بِالْبَاطِلِ. وقال أبو عبيدة: «عن» بمعنى الباء. وذلك أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّهُ يَقُولُ الْقُرْآنُ مِنْ تَلْقَآءِ نَفْسِهِ. ﴿إِن مَرُءٌ إِلَّا رَءًى﴾ أَي: مَا الْقُرْآنُ إِلَّا رَءًى مِنَ اللَّهِ ﴿يَرَىٰ﴾ [٤] وَهَذَا مِمَّا يَحْتَجُّ بِهِ مَنْ لَا يُجِيزُ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَجْتَهِدَ، وَلَيْسَ كَمَا ظَنُّوا، لِأَن اجْتِهَادَ الرَّأْيِ إِذَا صَدَرَ عَنِ الْوَحْيِ، جَاز أَنْ يُنَسَّبَ إِلَى الْوَحْيِ.

﴿عَلَّمَ شَيْدُ الْقُرَىٰ﴾ [٥] ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ [٦] وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ [٧] ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ [٨] فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ [٩] فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ [١٠] مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ [١١] أَفَتَسْمُوعُهُ إِلَّا مَا رَأَىٰ [١٢] وَلَقَدْ رَمَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ [١٣] عِنْدَ رِندَةِ اللَّشَعْرِ [١٤] عِنْدَ جَنَّةٍ الْمَآوَىٰ [١٥] إِذْ يَتَشَوَّى اللَّيْلُ مَا يُفَشِّنُ [١٦] مَا رَأَىٰ الْبَصِيرُ وَمَا لَقَىٰ [١٧] لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ [١٨]

قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ شَيْدُ الْقُرَىٰ﴾ [٥] وَهُوَ جَبْرِيلُ ﷺ عَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ؛ قال ابن قتيبة: وَأَصْلُ هَذَا مِنْ «قُوَى الْحَبْلِ» وَهِيَ طَائِفَاتُهُ، الْوَاحِدَةُ: قُوَّةٌ؛ ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ [٦] أَي: ذُو قُوَّةٍ، وَأَصْلُ الْمِرَّةِ: الْقَتْلُ. قال المفسرون: وَكَانَ مِنْ قُوَّتِهِ أَنَّهُ قَلَعَ قُرَيَاتٍ لَوَطَ وَحَمَلَهَا عَلَى جَنَاحِهِ فَقَلَبَهَا، وَصَاحَ بِشُمُودٍ فَأَصْبَحُوا خَامِدِينَ.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ [٦] وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ [٧] فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: فَاسْتَوَىٰ جَبْرِيلُ، وَهُوَ يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ؛ وَالْمَعْنَى أَنَّهُمَا اسْتَوَيَا بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَه الْفَرَّاءُ<sup>(٢)</sup>. وَالثَّانِي: فَاسْتَوَىٰ جَبْرِيلُ، وَهُوَ - يَعْنِي جَبْرِيلُ -

(١) قال ابن كثير: وكلما روي عن سفيان الثوري، واختاره ابن جرير الطبري.

(٢) قال ابن كثير: وقد قال ابن جرير هاهنا قولاً لم أره لغيره، ولا حكاة هو من أحد، وحاصله أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أَن الْمَعْنَى: ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ أَي هَذَا الشَّيْءُ الْقَوِيُّ ذُو الْمِرَّةِ هُوَ وَمُحَمَّدٌ ﷺ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى، أَي: اسْتَوَيَا جَمِيعاً بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى، وَذَلِكَ لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ، كَذَا قَالَ. وَلَمْ يَوَاقِفْ أَحَدٌ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ شَرَعَ بِوَجْهِ مَا قَالَ مِنْ حَيْثُ الْعَرَبِيَّةُ، فَقَالَ: وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿هَذَا كَأَنَّ رَمَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ فَعُطِفَ بِالْأَبَاءِ عَلَى الْمَكْنِيِّ فِي «كُنَّا» مِنْ غَيْرِ إِظْهَارِ «نَحْنُ» فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ وَهُوَ، قَالَ: وَذَكَرَ الْفَرَّاءُ عَنْ بَعْضِ الْعَرَبِ أَنَّهُ أَنْشَدَهُ:

بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية، لأنه كان يَتَمَثَّلُ لرسول الله ﷺ إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجل، وأحب رسول الله ﷺ أن يراه على حقيقته، فاستوى في أفق المشرق، فعلا الأفق؛ فيكون المعنى: فاستوى جبريل بالأفق الأعلى في صورته، هذا قول الزجاج. قال مجاهد: والأفق الأعلى: هو مطلع الشمس. وقال غيره: إنما قيل له: «الأعلى» لأنه فوق جانب المغرب في صعيد الأرض لا في الهواء.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ قال الفراء: المعنى: ثم تدلى فدنا، ولكنه جائز أن تقدم أي الفاعلين شئت إذا كان المعنى فيهما واحداً، فنقول: قد دنا فقرب، وقرب فدنا، وشتم فأساء، وأساء فشتم، ومنه قوله: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، المعنى - والله أعلم - انشق القمر واقتربت الساعة. قال ابن قتبية، المعنى: تدلى فدنا، لأنه تدلى للدنو، ودنا بالتدلي. وقال الزجاج: دنا بمعنى قرب، وتدلى: زاد في القرب، ومعنى اللفظتين واحد. وقال غيرهم: أصل التدلي: النزول إلى الشيء حتى يقرب منه، فوضع موضع القرب. وفي المشار إليه بقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ أَحَدُهَا: أَنَّهُ ﷺ. روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث شريك بن أبي نجر عن أنس بن مالك قال: «دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى»<sup>(١)</sup>. وروى أبو سلمة عن ابن عباس: «ثم دنا» قال: دنا ربه فتدلى، وهذا اختيار مقاتل. قال: دنا الرب من محمد ليلة أُسْرِي به، فكان منه قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. وقد كشفت هذا الوجه في كتاب «المُغْنِي» وبيئت أنه ليس كما يخطر بالبال من قرب الأجسام وقطع المسافة، لأن ذلك يختص بالأجسام، والله منزّه عن ذلك. والثاني: أنه محمد دنا من ربه، قاله ابن عباس، والقرطبي. والثالث: أنه جبريل. ثم في الكلام قولان: أحدهما: دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض، فنزل إلى رسول الله ﷺ، قاله الحسن، وقتادة. والثاني: دنا جبريل من ربه ﷻ فكان منه قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين: «فكان قاد قوسين» بالبدال. وقال أبو عبيدة: القَابُ والقَادُ: القُدْر. وقال ابن فارس: القَابُ: القدر. ويقال: بل القَابُ: ما بين المَفْضِ والسَّيَةِ، ولكل قوس قَابَان. وقال ابن قتبية: سَيَةِ الْقَوْسِ: ما عُوِطَ من طَرَفَيْهَا. وفي المراد بالقوسين قولان: أحدهما: أنها القوس التي يرمى بها، قاله ابن عباس، واختاره ابن قتبية، فقال: قَدَّرَ قَوْسَيْنِ. وقال الكسائي: أراد بالقوسين: قوساً واحداً. والثاني: أن القوس: الذراع؛ فالمعنى: كان بينهما قَدَّرَ ذراعين، حكاه ابن قتبية، وهو قول ابن مسعود، وسعيد بن جبير، والسدي. قال ابن مسعود: دنا جبريل منه حتى كان قَدَّرَ ذراع أو ذراعين.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها بمعنى «بل»، قاله مقاتل. والثاني: أنهم خوطبوا على لغتهم؛ والمعنى: كان على ما تقدرونه أنتم قَدَّرَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَقَلَّ، هذا اختيار الزجاج.

ألم تر أن السباع يسئلب عودها ولا يستوي والخروج المستعصف

وهذا الذي قاله من جهة العربية متجه، لكن لا يساعده المعنى على ذلك، فإن هذه الرواية لجبريل، لم تكن ليلة الإسراء، بل قبلها ورسول الله ﷺ في الأرض، فهبط عليه جبريل ﷺ، وتلى إليه فاترته منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سفرة المنتهى بعني ليلة الإسراء، وكانت هذه الرواية الأولى في أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريل ﷺ أول مرة، فأوحى الله إليه صدر سورة «آزَّا» ثم فتر الوحي... حتى تبدي له جبريل ورسول الله ﷺ بالأبطح في صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق، فاقترب منه وأوصى إليه عن الله ﷻ ما أمر به، ففرغ عند ذلك عظمة الملك الذي جاءه بالرسالة، وجلالة قدره، وعلو مكانه عند خالقه الذي بعث إليه. اهـ.

(١) حديث شريك أخرجه البخاري في «صحيحه» ٣٩٩/١٣، وذكر مسلم ١٤٨/١ قطعة منه، ثم قال: قلتم وأخر وزاد ونقص. وقد جاء في رواية شريك في هذا الحديث أرواهم أنكرها عليه الحفاظ، وغلطوه فيها. منها ما نقله ابن كثير عن الحافظ أبي بكر البيهقي أنه قال: في حديث شريك زيادة تفرد بها على مله من زعم أنه ﷺ رأى الله ﷻ يعني قوله: «ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» قال البيهقي: وقول عائشة وابن مسعود وأبي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل أصبح. قال الحافظ ابن كثير: وهذا الذي قاله البيهقي رحمه الله في هذه المسألة هو الحق، فإن أبا ذر قال: يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال: «نور أرى أراه» وفي رواية «رأيت نوراً» أخرجه مسلم. وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ إنما هو جبريل ﷺ كما ثبت ذلك في «الصحيحين» عن عائشة أم المؤمنين، وعن ابن مسعود، وكذلك هو في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة، ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بهذا، قلت: وهذا القول هو الصواب وما عداه من الأقوال لا يصح. وإذا أردت الإطلاع على بقية ما أخطأ فيه شريك في هذا الحديث فانظر «شرح مسلم» ٢/٢١٠، وفتح البازي ١٣/٤٠٢، ٤٠٥.

قوله تعالى: ﴿تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ مَا أَمَرَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أوحى الله إلى محمد كِفاحاً<sup>(١)</sup> بلا واسطة، وهذا على قول من يقول: إنه كان في ليلة المعراج. والثاني: أوحى جبريل إلى النبي ﷺ ما أوحى الله إليه، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أوحى [الله] إلى جبريل ما يوحى، روي عن عائشة رضي الله عنها، والحسن، وقائدة.

قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾<sup>(٢)</sup> قرأ أبو جعفر، وهشام عن ابن عامر، وأبان عن عاصم: «ما كَذَّبَ» بتشديد الدال؛ وقرأ الباقون بالتخفيف. فمن شَدَّ أراد: ما أنكر فؤاده ما رآه عينه؛ ومن خَفَّفَ أراد: ما أوهمه فؤاده أنه رأى، ولم يرَ، بل صدَّق<sup>(٣)</sup> الفؤاد رؤيته. وفي الذي رأى قولان: أحدهما: أنه رأى ربه ﷻ، قاله ابن عباس، [وأنس] والحسن، وعكرمة<sup>(٤)</sup>. والثاني: أنه رأى جبريل في صورته التي خُلِقَ عليها، قاله ابن مسعود وعائشة.

قوله تعالى: ﴿أَفَتَضَاهُ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، والمنفصل، وخلف، ويعقوب: «أَفَتَمَرُونَهُ». قال ابن قتيبة: معنى «أَفَتَمَرُونَهُ»: أفتجادلونه، من المراء، ومعنى «أَفَتَمَرُونَهُ»: أفتجحدونه.

قوله تعالى: ﴿رَفَعَهُ رَهَبَهُ رَبُّكَ لِأَنَّكَ لَمَّا رَأَى رَبَّهُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَرَاتِ مَرَّةً أُخْرَى﴾ قال الزجاج: أي: رآه مرّة أخرى. قال ابن عباس: رأى محمد ربه؛ وبيان هذا أنه تردّد لأجل الصلوات مراراً، فرأى ربه في بعض تلك المرات مرّة أخرى. قال كعب: إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين محمد وموسى، فرآه محمد مرتين، وكلمه موسى مرتين. وقد روي عن ابن مسعود أن هذه الرؤية لجبريل أيضاً، رآه على صورته التي خُلِقَ عليها<sup>(٥)</sup>. فأما يذرة المُنْتَهَى، فالسُورَةُ: شجرة التّيق، وقد صح في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تَبْقَى مِثْلُ لَيْلٍ لَيْلٍ مِثْلُ أَذَانِ الْفَيْلَةِ»<sup>(٦)</sup>. وفي مكانها قولان: أحدهما: أنها فوق السماء السابعة، وهذا مذكور في «الصحيحين» من حديث مالك بن صعصعة<sup>(٧)</sup>. قال مقاتل: وهي عن يمين العرش. والثاني: أنها في السماء السادسة، أخرجه مسلم في أفرادهِ<sup>(٨)</sup> عن ابن مسعود، وبه قال الضحاك. قال المفسرون: وإنما سُمِّيَتْ يذرة المُنْتَهَى، لأنه إليها مُنْتَهَى ما يُصْعَدُ به من الأرض، فيُقبَضُ منها، وإليها ينتهي ما يُهْبَطُ به من فوقها فيُقبَضُ منها، وإليها ينتهي عِلْمُ جميع الملائكة.

قوله تعالى: ﴿عِنْدَهَا﴾ وقرأ معاذ القرائي، وابن يعمر، وأبو نهيك: «عِنْدَهُ» بهاء مرفوعة على ضمير مذكّر ﴿جَنَّةُ الْآزْوَاجِ﴾ قال ابن عباس: هي جنة يأوي إليها جبريل والملائكة. وقال الحسن: هي التي يصير إليها أهل الجنة. وقال مقاتل: هي جنة إليها تأوي أرواح الشهداء. وقرأ سعيد بن المسيّب، والشعبي، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو العالية: «جَنَّةُ الْمَأْوَى» بهاء صحيحة مرفوعة. قال ثعلب: يريدون أجنته، وهي شاذة. وقيل: معنى «عندها»: أدركه المبيت، يعني رسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَنْشَأُ الْكِتَابُ مَا يَقَعُ﴾<sup>(٩)</sup> روى مسلم في أفرادهِ من حديث ابن مسعود قال: غَشِيَهَا قَرَأَشٌ مِنْ ذَهَبٍ<sup>(١٠)</sup>. وفي حديث مالك بن صعصعة عن رسول الله ﷺ قال: «لَمَّا غَشِيَتْهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَتْهَا، تَفَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِفَهَا مِنْ حُسْنِهَا»<sup>(١١)</sup>. وقال الحسن، ومقاتل: تَغَشَّاهَا الْمَلَائِكَةُ أَمْثَالَ الْغُرْبَانِ حِينَ يَقَعْنَ عَلَى الشَّجَرَةِ. وقال الضحاك: [غَشِيَهَا] نور ربّ العالمين.

(١) كِفاحاً، أي: مواجهة. (٢) في الأصل: صدقة.

(٣) روى مسلم في «صحيحه» عن ابن عباس رضي الله عنه ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ﴿رَفَعَهُ رَبُّكَ لِأَنَّكَ لَمَّا رَأَى رَبَّهُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَرَاتِ مَرَّةً أُخْرَى﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين. قال ابن كثير: وكلنا رواه سناك عن عكرمة عن ابن عباس مثله، وكلنا قال أبو صالح والسدي وغيرهما: إنه رآه بفؤاده مرتين، قال: وقد خالفه ابن مسعود وغيره، وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية، قال: وهي محمولة على العقيدة بالفؤاد، قال: ومن روى عنه باليصر فقد أغرب، فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم، قال: وقول البخوي في «تفسيره»: ذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسن وعكرمة، فيه نظر، والله أعلم.

(٤) وهو الذي عليه أكثر المحققين. قال ابن كثير: هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها، وكانت ليلة الإسراء.

(٥) رواه البخاري في «صحيحه» ١٦٤/٧، ومسلم ١٥٠/١، وهو جزء من حديث الإسراء الطويل.

(٦) البخاري ١٦٤/٧، ومسلم ١٥٠/١. (٧) ١٥٧/١.

(٨) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: ولا يعارض قوله: إنها في السادسة ما دلت عليه بقية الأخبار أنه وصل إليها بعد أن دخل السماء السابعة، لأنه يحمل على أن أصلها في السادسة وأعضاؤها وفروعها في السابعة، وليس في السادسة منها إلا أصل ساقها.

(٩) هذا اللفظ في رواية ثابت الباني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن مسلم في «صحيحه» ١٦٤/١.



قوله تعالى: ﴿مَّا رَأَى الْبَصَرُ﴾ أي: ما عدلَ بصرُ رسول الله ﷺ يميناً ولا شمالاً ﴿وَمَا كُنَّ﴾ أي: ما زاد ولا جاوز ما رأى؛ وهذا وصف أدبه ﷺ في ذلك المقام. ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ فيه قولان: أحدهما: [لقد] رأى من آياتِ رَبِّهِ العظام. والثاني: لقد رأى من آياتِ رَبِّهِ [الآية] الكبرى<sup>(١)</sup> وللمفسرين في المراد بما رأى من الآيات ثلاثة أقوال: أحدها: أنه رأى رفرفاً أخضر من الجنة قد سدَّ الأفق، قاله ابن مسعود. والثاني: أنه رأى جبريل في صورته التي يكون عليها في السماوات، قاله ابن زيد. والثالث: أنه رأى من أعلامِ رَبِّهِ وأدلته [الأعلام والأدلة]<sup>(٢)</sup> الكبرى، قاله ابن جرير<sup>(٣)</sup>.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ وَمَنْزِلَةُ الثَّالِثَةِ الْآخَرَىٰ ﴿أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَنَبَأَكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَفْسَاسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهَدَىٰ﴾ ﴿أَمْ لَا تَأْنِسُكَ مَا نَتَىٰ﴾ ﴿إِنَّهُ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُفْقِي سَفْتَنَهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْمُرَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرَضَىٰ﴾

قال الزجاج: فلما قصَّ الله تعالى هذه الأقاصيص قال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ المعنى: أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها هل لها من القدرة والعظمة التي وُصف بها ربُّ العزَّة شيء؟ فأما «اللات» فقرأ الجمهور بتخفيف التاء، وهو اسم صنم كان لثقيف اتخذوه من دون الله، وكانوا يَشْتَقُونَ لأصنامهم، من أسماء الله تعالى، فقالوا من «الله»: اللات، ومن «العزى»: العزى. قال أبو سليمان الخطابي: كان المشركون يتعاطون «الله» اسماً لبعض أصنامهم، فصرفه الله إلى اللات صيانةً لهذا الاسم ودباً عنه. وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، والضحاك، وابن السميع، ومجاهد، وابن يعمر، والأعمش، وورش عن يعقوب<sup>(٤)</sup>: «اللات» بتشديد التاء؛ ورد في تفسير ذلك عن ابن عباس ومجاهد أن رجلاً كان يُلْتُ السَّوْق ويبيعه عند ذلك الصنم، فسُمِّي الصنم: اللات. وكان الكسائي يقف عليها الزجاج: زعموا أن رجلاً كان يُلْتُ السَّوْق ويبيعه عند ذلك الصنم، فسُمِّي الصنم: اللات. وكان الكسائي يقف عليها بالهاء، فيقول: «اللاة»؛ وهذا قياس، والأجود الوقوف بالتاء، لاتباع المصحف. وأما «العزى» ففيها قولان: أحدهما: أنها شجرة لغطفان كانوا يعبدونها، قاله مجاهد. والثاني: صنم لهم، قاله الضحاك. قال: وأما «مناة» فهو صنم لهذيل وخزاعة يعبدُه أهل مكة. وقال قتادة: بل كانت للأنصار. وقال أبو عبيدة: كانت اللات والعزى ومناة أصناماً من حجارة في جوف الكعبة يعبدونها. وقرأ ابن كثير: «ومناة» ممدودة مهموزة. فأما قوله: ﴿الثَّالِثَةُ﴾ فإنه نعت لـ «مناة»، هي ثلاثة الصنمين في الذَّكْر، و«الأخرى» نعت لها. قال الثعلبي: العرب لا تقول للثالثة: الأخرى، وإنما الأخرى نعت للثانية؛ فيكون في المعنى وجهان: أحدهما: أن ذلك لوفاق رؤوس الآي، كقوله: ﴿مَنَارِبٌ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨] ولم يقل، آخر، قاله الخليل. والثاني: أن في الآية تقديمًا وتأخيراً تقديره: أفرأيتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة، قاله الحسين بن الفضل.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال ابن السائب: إن مشركي قريش قالوا للأصنام والملائكة: بناتُ الله، وكان الرجل منهم إذا بُشِّرَ بالأُنثى كره، فقال الله تعالى مُنْكَرًا عليهم: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ ١٩ يعني الأصنام وهي [إنات] في أسمائها. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قرأ عاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: [«غِيْزِي»] بكسر الضاد من غيْز: همز؛ وافقهم ابن كثير [في] كسر الضاد، لكنه همز. وقرأ أبي بن كعب، ومعاذ القارئ: «غِيْزِي»

(١) قال في «البحر المحيط»: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ قيل: «الكبرى» مفعول «رأى» أي: رأى الآيات الكبرى والعظمى التي هي بعض آياتِ ربه، أي: حين رَفَى إلى السماء رأى عجائب الملكوت، وتلك بعض آياتِ الله. وقيل: «من آيات» هو في موضع المفعول، و«الكبرى» صفة لـ «آيات ربه»، ومثل هذا الجمع يوصف بوصف الواحدة، وحسن ذلك هنا، كونه فاصلة كما في قوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ عند من جعلها صفة لـ «آيات» اهـ.

(٢) زيادة من «الطبري».

(٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ كقوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ أي الدالة على قدرته وعظمته، قال: وبهاتين الآيتين استدلل من ذهب من أهل السنة إلى أن الرؤية تلك الليلة لم تقع، لأنه قال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك، ولقال ذلك للناس. اهـ.

(٤) في النسخة الاستنبولية: وروى عن يعقوب.

بفتح الضاد من غير همز. قال الزجاج: الضيبي في كلام العرب: الناقصة الجائرة، يقال: ضاهه يضيئه إذا نقصه حقه، ويقال: ضَاهَرَه يَضَاهِرُهُ<sup>(١)</sup> بالهمز. وأجمع النحويون أن أصل ضيبي: ضَوْرِي، وَحُجَّتُهُمْ أَنَهَا نُقِلَتْ مِنْ «فَعْلَى» مِنْ ضَوْرِي إِلَى ضِيْبِي، لِتَسْلَمَ الْبَاءُ، كَمَا قَالُوا: أبيض ويبيض، وأصله: بَوْضٌ، فَنُقِلَتْ الضَّمَّةُ إِلَى الْكَسْرِ. وقرأت على بعض العلماء باللغة: في «ضيبي» لغات يقال: ضيبي، وضوري، وضوْري، وضَارِي على «فَعْلَى» مفتوحة؛ ولا يجوز في القرآن إلا «ضيبي» بياء غير مهموزة؛ وإنما لم يقل النحويون: إنها على أصلها لأنهم لا يعرفون في الكلام «فَعْلَى» صفة، إنما يعرفون الصفات على «فَعْلَى» بالفتح، نحو سَكَرَى وَغَضِبَى، أو بالضم، نحو حُبْلَى وَفُضِلَى.

قوله تعالى: ﴿إِنْ مِنْكُمْ﴾ يعني الأوثان ﴿إِلَّا أَشْكَاكُمْ﴾ والمعنى: إن هذه الأوثان التي سموها بهذه الأسماء لا معنى تحتها، لأنها لا تضر ولا تنفع، فهي تسميات ألقيت على جمادات، ﴿مَّا أَتَىكَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: لم ينزل كتاباً فيه حجة بما يقولون: إنها آلهة. ثم رجع إلى الإخبار عنهم بعد الخطاب لهم فقال: ﴿إِنْ يَقُولُونَ﴾ في أنها آلهة، ﴿إِلَّا الظَّنُّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾<sup>(٢)</sup> وهو ما زين لهم الشيطان، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ وهو البيان بالكتاب والرسول، وهذا تعجيب من حالهم إذ لم يتركوا عبادتها بعد وُضوح البيان. ثم أنكر عليهم تمنّيه شفاعتها فقال: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ﴾ يعني الكافر ﴿مَا تَشَاءُ﴾ من شفاععة الأصنام، ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾<sup>(٣)</sup> أي لا يملك فيهما أحد شيئاً إلا بإذنه. ثم أكد هذا بقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا يَقْبَلُ شَفَاعَتَهُمْ شَيْئاً﴾ فجمع في الكناية، لأن معنى الكلام الجمع ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ في الشفاعة ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَرَحْمَةً﴾؛ والمعنى أنهم لا يشفعون إلا لمن رضي الله عنهم.

﴿إِنْ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسْوَئُونَ لَكُمُ الْكَيْدَ النَّفْسِ الْأُنْتَى﴾<sup>(٤)</sup> وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَخْلَعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَقْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً<sup>(٥)</sup> فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ قَوْلَ عَنْ ذِكْرِنَا وَكَرِهَ إِلَّا الْحَيَّةُ الثَّانِيَةَ<sup>(٦)</sup> ذَلِكَ سَلَفُهُمْ مِنَ الْوَلَدِ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ سَبِيلُهُ. وَهُوَ أَكْبَرُ بِمَنْ أَهْتَدَى<sup>(٧)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: بالبعث ﴿لَيُسْوَئُونَ لَكُمُ الْكَيْدَ النَّفْسِ الْأُنْتَى﴾ وذلك حين زعموا أنها بنات الله، ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ بذلك، ﴿بِمَنْ عِلْمٍ﴾ أي: ما يستطيعون أنها إناث ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَقْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ أي: لا يقوم مقام العلم<sup>(٨)</sup>؛ فالحق هاهنا بمعنى العلم ﴿فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ قَوْلَ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ يعني القرآن؛ وهذا عند المفسرين منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ سَلَفُهُمْ مِنَ الْوَلَدِ﴾ قال الزجاج: إنما يعلمون ما يحتاجون إليه في معاشهم، وقد نبذوا أمر الآخرة.

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَكْبَرُ بِمَنْ سَبِيلُهُ﴾ الآية؛ والمعنى أنه عالم بالفرقين فيجازيهم. ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَخْتَارُ الَّذِينَ اسْتَفْهَمُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَخْتَارُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ﴾<sup>(٩)</sup> الَّذِينَ يَخْتَارُونَ كَثِيرٌ الْإِنْدِ وَالْفَوْحُشُ إِلَّا اللَّهُ إِنْ رَبُّكَ وَبِيعَ الْمَغْفِرَةُ هُوَ أَكْبَرُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْشَأَ آجَنَةً فِي بَطْنِ أُمَمِيكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَكْبَرُ بِمَنْ أَتَى<sup>(١٠)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا إخبار عن قدرته وسعة ملكه، وهو كلام معترض بين الآية الأولى وبين قوله: ﴿يَخْتَارُ الَّذِينَ اسْتَفْهَمُوا﴾ لأن اللام في «يجزي» متعلقة بمعنى الآية الأولى، لأنه إذا كان أعلم بهما، جازى كلًّا بما يستحقه، وهذه لام العاقبة، وذلك أن علمه بالفرقين أدّى إلى جزائهم باستحقاقهم، وإنما يقدّر على مجازاة الفرّيقين إذا كان واسع الملك، فلذلك أخبر به في قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. قال المفسرون: و «أسأوا» بمعنى أشركوا، و «أحسنوا» بمعنى وحدوا. والحسنى: الجنة. والكبائر مذكورة في سورة [النساء: ٣١]. وقيل: كبائر الإثم: كلُّ ذنب تختم بالنار، والفواحش: كلُّ ذنب فيه الحدّ. وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل، وخلف:

(١) في الأصل: ضاهه يضيئه بالهمز، والتصويب من كتب اللغة.

(٢) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ياكم والظن لأن الظن أكذب الحليث، ولا تحسوا، ولا تجسوا، ولا تتاجسوا، ولا تحاسدوا، ولا تهاضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوة».

(٣) ما بين المقتفين زيادة سقطت من الأصل.

يَجْتَنِبُونَ كِبِيرَ الْإِثْمِ وَاللَّمَمَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْمُقَارَبَةُ لِلشَّيْءِ. وفي المراد به هاهنا ستة أقوال: أحدها: ما أَلْمَوْا به من الإثم والفواحش في الجاهلية، فإنه يُغْفَرُ في الإسلام، قاله زيد بن ثابت. والثاني: أن يُلَمَّ بِالذَّنْبِ مَرَّةً ثم يتوب ولا يعود، قاله ابن عباس، والحسن، والسدي. والثالث: أنه صِغار الذُّنُوب، كالتَّظَرُّة والقُبلة وما كان دون الزُّنَا، قاله ابن مسعود، وأبو هريرة، والشعبي، ومسروق، ويؤيد هذا حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَقَّهُ مِنَ الزُّنَا، فَرَزْنَا الْعَيْنِينَ النَّظَرَ، وَزْنَا اللِّسَانَ التُّطُقَ، وَالنَّفْسَ تَشْتَهِي وَتَمْتَنِي، وَيَصْدُقُ ذَلِكَ وَيَكْذِبُهُ الْقُرْخُ»<sup>(١)</sup>، فإن تَقَدَّمَ بِقُرْخِهِ كان الزُّنَا، وإلا فهو اللَّمَم. والرابع: أنه ما يَهْمُ به الإنسان، قاله محمد ابن الحنفية. والخامس: أنه أَلَمٌ بالقلب، أي: حَظَر، قاله سعيد بن المسيَّب. والسادس: أنه النَّظَرُ من غير تَعَمُّد، قاله الحسين بن الفضل. فعلى القولين [الأولين] يكون الاستثناء من الجنس، وعلى باقي الأقوال ليس من الجنس.

قوله تعالى: ﴿إِذْ رَدَّكَ رَبُّكَ وَبِيعَ الْكُفْرَةَ﴾ قال ابن عباس: لَمَنَ فعل ذلك ثم تاب، وهاهنا تَمَّ الكلام. ثم قال: ﴿هُوَ أَكْثَرُ يَكْرًا﴾ يعني قبل خلقكم ﴿إِذْ أَتَاكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ الْآيَةُ﴾ يعني آدم عليه السلام ﴿وَإِذْ أَنْتَ أَجْنَبٌ﴾ جمع جَنِين، والمعنى أنه عِلِمَ ما تفعلون وإلى ماذا تصيرون، ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: لا تشهدوا لها أنها زكية بريئة من المعاصي. وقيل: لا تمدحوها بحُسن أعمالها. وفي سبب نزول هذه الآية قولان: أحدهما: أن اليهود كانوا إذا هلك لهم صبي، قالوا: صديق، فنزلت هذه الآية، هذا قول عائشة رضي الله عنها<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن ناساً من المسلمين قالوا: قد صُلِّينا وضمنا وفعلنا، يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَكْثَرُ بِينَ أَتَقَى﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: عمل حسنة وارعوى عن معصية، قاله علي رضي الله عنه. والثاني: أخلص العمل لله، قاله الحسن. والثالث: اتقى الشُّركَ فآمن، قاله الثعلبي.

﴿أَنْزَلَتْ الَّتِي قَوْلُكَ ٣٣ وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْثَى ٣٤﴾ أَعْنَدُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بَرَاءٌ ٣٥ أَمْ لَمْ يَبْنَأْ يَمًا فِي صُحُفٍ مَوْسَى ٣٦ وَبَرَزِهِمَ الَّتِي وَكَلَّ ٣٧ أَلَا نَزِدُّهُ ذَرْبًا وَنَزِدُّهُ نَفْثًا ٣٨ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ٣٩ وَأَنْ سَعِيَهُمْ سَوْفَ يَرَى ٤٠ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ ٤١ الْأَكْثَى ٤٢

قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَتْ الَّتِي قَوْلُكَ ٣٣﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنه الوليد بن المغيرة، وكان قد تبع رسول الله ﷺ على دينه، فغيره بعضُ المشركين، وقال: تركت دين الأشياخ وضللتهم؟ قال: إني خشيتُ عذابَ الله، فضمين له إن هو أعطاه شيئاً من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذابَ الله ﷻ ففعل، فأعطاه بعضُ الذي ضمين له، ثم يَخِلُّ ومتعه، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد، وابن زيد. والثاني: أنه النَّضْرُ بن الحارث أعطى بعضُ فقراء المسلمين خمسَ فلائص حتى ارتدَّ عن إسلامه. وضمين له أن يَحْمِلَ عنه إثمَه، قاله الضحاك. والثالث: أنه أبو جهل، وذلك أنه قال: واللَّهِ ما يَأْمُرُنَا مُحَمَّدٌ إِلَّا بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، قاله محمد بن كعب القرظي. والرابع: أنه العاص بن وائل السهمي، وكان ربماً وافق رسول الله ﷺ في بعض الأمور، قاله السدي. ومعنى «تَوَلَّى»: أَعْرَضَ عن الإيمان. ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أطاع قليلاً ثم عصى. قاله ابن عباس. والثاني: أعطى قليلاً من نفسه بالاستماع ثم أكثى بالانقطاع، قاله مجاهد. والثالث: أعطى قليلاً من ماله ثم منع، قاله الضحاك. والرابع: أعطى قليلاً من الخير بلسانه ثم قطع، قاله مقاتل. قال ابن قتبية: ومعنى «أَكْثَى»: قَطَعَ، وهو من كُذِّبَتِ الرِّكْبَةُ، وهي الصَّلابة فيها، وإذا بلغها المحافر يش من حَفَرها، قَطَعَ الحَفَرَ، فقليل لكل من طلب شيئاً فلم يبلغ آخره، أو أعطى ولم يُيَمِّمْ: أَكْثَى.

قوله تعالى: ﴿أَعْنَدُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بَرَاءٌ ٣٥﴾ فيه قولان: أحدهما: فهو يرى حاله في الآخرة، قاله الفراء. والثاني: فهو يعلم ما غاب عنه من أمر الآخرة وغيرها، قاله ابن قتبية.

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَبْنَأْ يَمًا فِي صُحُفٍ مَوْسَى ٣٦﴾ يعني التوراة، ﴿وَبَرَزِهِمَ ٣٧﴾ أي: وصحف إبراهيم. وفي حديث

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ٢٢/١١، ومسلم ٢٠٤٦/٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٦ عن ثابت بن الحارث الأنصاري وفي سننه ابن لهيعة، وفكره السيوطي في «الدر» ١٢٨/٦ وزاد نسبة لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبي نعيم في «المعرفة»، وابن مردويه عن ثابت بن الحارث الأنصاري.

أبي ذر عن النبي ﷺ «أن الله تعالى أنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف»<sup>(١)</sup>.  
 قوله تعالى: ﴿الَّذِي وَكَّلَ﴾ قرأ سعيد بن جبير، وأبو عمران الجوني، وابن السميع اليماني «وَقَى» بتخفيف الفاء.  
 قال الزجاج: قوله: «وَقَى» أبلغ من «وَقَى»، لأن الذي أمحن به من أعظم المحن. وللمفسرين في الذي وقى عشرة أقوال: أحدها: أنه وقى عمل يومه بأربع ركعات في أول النهار، رواه أبو أمامة عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه وقى في كلمات كان يقولها. روى سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم لم سعى الله إبراهيم خليله [الذي وقى]؟ لأنه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى: ﴿قَسَبَحَنَّا لِلَّهِ حِينَ تَشْرُوكَ وَحِينَ تَقْسِيحُونَ﴾» وختم الآية [الروم: ٢٧]<sup>(٣)</sup>. والثالث: أنه وقى الطاعة فيما فعل بآبائه، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال القرظي. والرابع: أنه وقى ربّه جميع شرائع الإسلام، روى هذا المعنى عكرمة عن ابن عباس. والخامس: أنه وقى ما أمر به من تبليغ الرسالة، روى عن ابن عباس أيضاً. والسادس: أنه عمل بما أمر به، قاله الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، وقال مجاهد: وقى ما فُرض عليه. والسابع: أنه وقى بتبليغ هذه الآيات، وهي: ﴿أَلَا نُرِذُّ زُرَّةً وَنُرِذُّ لُثْرًا﴾ وما بعدها، وهذا مروى عن عكرمة، ومجاهد، والنخعي. والثامن: وقى شأن المناسك، قاله الضحاك. والتاسع: أنه عاهد أن لا يسأل مخلوقاً شيئاً، فلما قُذِف في النار قال له جبريل، ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا<sup>(٤)</sup>، فوَقَى بما عاهد، ذكره عطاء بن السائب. والعاشر: أنه أدّى الأمانة، قاله سفيان بن عيينة. ثم بين ما في صحفهما فقال: ﴿أَلَا نُرِذُّ زُرَّةً وَنُرِذُّ لُثْرًا﴾<sup>(٥)</sup> أي: لا تحمل نفس حاملةً جمل أخرى؛ والمعنى: لا تؤخذ بإثم غيرها. «وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» قال الزجاج: هذا في صحفهما أيضاً. ومعناه: ليس للإنسان إلا جزاء سعيه، إن عمل خيراً جُزي عليه خيراً، وإن عمل شراً جُزي شراً. واختلف العلماء في هذه الآية على ثمانية أقوال: أحدها: أنها منسوخة بقوله: «وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان»<sup>(٦)</sup> [الطور: ٢١] فأدخل الأبناء الجئة بصلاح الآباء، قاله ابن عباس، ولا يصح، لأن لفظ الآيتين لفظ خبر، والأخبار لا تنسخ. والثاني: أن ذلك كان لقوم إبراهيم وموسى، وأما هذه الأئمة فلهم ما سَعَوْا وما سعى غيرهم، قاله عكرمة، واستدل بقول النبي ﷺ للمرأة التي سألت: إن أبي مات ولم يحج، فقال: «حجني عنه»<sup>(٧)</sup>. والثالث: أن المراد بالإنسان هاهنا: الكافر، فأما المؤمن، فله ما سعى وما سعى له، قاله الربيع بن أنس. والرابع: أنه ليس للإنسان إلا ما سعى من طريق العدل، فأما من باب الفضل، فجاز أن يزيد الله ﷻ ما يشاء، قاله الحسين بن الفضل. والخامس: أن معنى «ما سعى»: ما نوى، قاله أبو بكر الوراق. والسادس: ليس للكافر من الخير إلا ما عمله في الدنيا، فيُثاب عليه فيها حتى لا يبقى له في الآخرة خير، ذكره الثعلبي. والسابع: أن اللام بمعنى «على»، فتقديره: ليس على الإنسان إلا ما سعى. والثامن: أنه ليس له إلا سعيه، غير أن الأسباب مختلفة، فتارة يكون سعيه في تحصيل قرابة وولد يترحم عليه وصديق، وتارة يسعى في خدمة الدين والعبادة، فيكتسب محبة أهل الدين، فيكون ذلك سبباً حصل بسعيه، حكى

(١) قال السيوطي في «الدر»: ٣٤١/٦: أخرج عبد بن حميد، وابن مردويه، وابن عساكر عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب؟ قال: «مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف... إلخ».

(٢) رواه ابن جرير الطبري ٧٣/٢٧ وفي سننه جعفر بن الزبير الباهلي، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: متروك الحديث، وكان صالحاً في نفسه، وذكره السيوطي في «الدر»: ١٢٩/٦ وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والشيрази في «الألقاب» والديلمي بسند ضعيف عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد في «المسند»: ٣٣٩/٢ عن معاذ بن أنس، وابن جرير الطبري ٧٣/٢٧، وفي سننه زيان بن فائد وهو ضعيف. وأورده السيوطي في «الدر»: ١٥٤/٥ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الدعوات» عن معاذ بن أنس رضي الله عنه.

(٤) قد تقدم الكلام على هذا الأثر ٩٣٤ فانظر فيه.

(٥) قراءة حفص «وَالَّذِينَ تَزَيَّجْتُمْ» وهذه قراءة ابن عامر.

(٦) رواه البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ونسبه: أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله إن أبي أدرسته فريضة الله في الحج شيئاً كثيراً لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره، قال: «فحجني عنه».



قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه القرآن، نذيرٌ بما أنذرت الكتبُ المتقدمة، قاله قتادة. والثاني: أنه رسول الله ﷺ، نذيرٌ بما أنذرت به الأنبياء، قاله ابن جريج.

قوله تعالى: ﴿أَنزِلَ الْآيَةُ﴾ (٤٧) أي: دنت القيامة، ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ (٤٨) فيه قولان: أحدهما: إذا غشيت الخلق شدائدها وأحوالها لم يكشفها أحد ولم يردها، قاله عطاء، وقتادة، والضحاك. والثاني: ليس يعلمها كاشف دون الله، أي: لا يعلم علمها إلا الله، قاله الفراء، قال: وتأنيت «كاشفة» كقوله: ﴿فَهَلْ رَمَى لَهُمْ مِنْ بَاطِنِهِ﴾ (١) [البقرة: ٨]، يريد: من بقاء؛ والعافية والباقية والناحية كُلُّه في معنى المصدر. وقال غيره: تأنيت «كاشفة» على تقدير: نفس كاشفة.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَى هَذَا الذَّنْبَ﴾ قال مقاتل: يعني القرآن «تَجَبُّونَ» تكذيباً به، «وَتَضْمَكُونَ» استهزاء «وَلَا يَكُونُ» مما فيه من الوعيد؟ ويعني بهذا كفار مكة، «وَأَنْتُمْ سَوِيدُونَ» (١١) فيه خمسة أقوال: أحدها: لاهون، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الفراء والزجاج. قال أبو عبيدة: يقال: دُغ عنك سُمُودك، أي: لَهُوك. والثاني: مُغْرَضُونَ، قاله مجاهد. والثالث: أنه الغناء، وهي لغة يمانية، يقولون: اشْمُد لنا، أي: تَعَنَّ لِن، رواه عكرمة عن ابن عباس. وقال عكرمة: هو الغناء بالجمزية. والرابع: غافلون، قاله قتادة. والخامس: أشيرون يطرون، قاله الضحاك.

قوله تعالى: ﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه سُجود التلاوة، قاله ابن مسعود. والثاني: سُجود الفرض في الصلاة. قال مقاتل: يعني بقوله: «فأسجدوا»: الصلوات الخمس. وفي قوله: ﴿وَأَعْبُدُوا﴾ قولان: أحدهما: أنه التوحيد. والثاني: العبادة (٢).



(١) الآية في التلاوة: ﴿فَهَلْ رَمَى لَهُمْ مِنْ بَاطِنِهِ﴾ وقد سوغ المتقدمون حذف الواو والفاء عند ذكر الآية للاستدلال، انظر «الرسالة» للشافعي ٣٦١ بتحقيق العلامة أحمد شاكر رحمه الله.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَأَعْبُدُوا﴾ يقول تعالى ذكروه: فأسجدوا لله أيها الناس في صلاتكم دون من سواه من الآلهة والأنداد، وإياه فاعبدوا دون غيره، فإنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا له، فأخلصوا له العبادة والسجود، ولا تجعلوا له شريكاً في عبادتكم إياه. وروى البخاري في «صحيحه» ٤٧٢/٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس. وروى البخاري أيضاً عن ابن مسعود قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة «وَالَّذِينَ» قال: فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلاً رأته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فراهته بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف.

## سورة القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿أَنزَلْنَاهُ الْسَّاعَةَ وَأَنشَقَّ الْقَمَرَ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُرْسُوا فِيهَا وَيقُولُوا مُسْتَقَرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْآيَةِ مَا فِيهِ مُرْدَجَةٌ ۝٤ جَعَلْنَاهُمْ نَصِيفًا لِّمَا تَتَنَزَّلُ ۝٥﴾.

وهي مكية بإجماعهم، وقال مقاتل: مكية غير آية ﴿سَبِّحْهُمُ الْجَمْعُ﴾ [القمر: ٤٥]، وحكي عنه أنه قال: إلا ثلاث آيات، أولها: ﴿أَنزَلْنَاهُ الْسَّاعَةَ وَأَنشَقَّ الْقَمَرَ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿وَأَمْرٌ﴾ [القمر: ٤٤-٤٦]، قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن كنت صادقاً فنشأ لنا القمر فرقتين، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن فعلت تؤمنون؟» قالوا: نعم، فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما قالوا، فانشق القمر فرقتين، ورسول الله ﷺ يتأدي: «يا فلان يا فلان اشهدوا»، وذلك بمكة قبل الهجرة<sup>(١)</sup>. وقد روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» من حديث ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا»<sup>(٢)</sup>. وقد روى حديث الانشقاق جماعة، منهم عبد الله بن عمر، وحذيفة، وجبير بن مطعم، وابن عباس، وأنس بن مالك<sup>(٣)</sup>، وعلى هذا جميع المفسرين، إلا أن قوماً شذّبوا فقالوا: سينشق يوم القيامة. وقد روى عثمان بن عطاء عن أبيه نحو ذلك، وهذا القول الشاذ لا يقاوم الإجماع، ولأن قوله: ﴿وَأَنشَقَّ﴾ لفظ ماضٍ، وحمل لفظ الماضي على المستقبل يفتقر إلى قرينة تنقله ودليل، وليس ذلك موجوداً<sup>(٤)</sup>. وفي قوله: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُرْسُوا فِيهَا﴾ دليل على أنه قد كان ذلك. ومعنى ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾: دَنَتْ، و ﴿السَّاعَةَ﴾ القيامة. وقال الفراء: فيه تقديم وتأخير، تقديره: انشق القمر واقتربت الساعة. وقال مجاهد: انشق القمر فصار فرقتين، فثبت فرقة، وذهبت فرقة وراء الجبل. وقال ابن زيد: لما انشق القمر كان يرى نصفه على قُفَيْعَانَ، والنصف الآخر على أبي قُبَيْس - قال ابن مسعود: لما انشق القمر قالت قريش: سحرهم ابن أبي كبشة، فاسألوا السُّفَّارَ، فسألوهم، فقالوا: نعم قد رأينا، فأنزل الله ﷻ: ﴿أَنزَلْنَاهُ الْسَّاعَةَ وَأَنشَقَّ الْقَمَرَ ۝٥﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً﴾ أي: آية تذللهم على صدق الرسل، والمراد بها هاهنا: انشقاق القمر ﴿يُرْسُوا﴾ عن التصديق ﴿وَيَقُولُوا مُسْتَقَرٌّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ذاهب، من قولهم: مَرَّ الشَّيْءُ واستمرَّ: إذا ذهب، قاله مجاهد، وقادة، والكسائي، والفراء؛ فعلى هذا يكون المعنى: هذا سحر، والسحر يذهب ولا يثبت. والثاني: شديد قوي، قاله أبو العالية، والضحاك، وابن قتيبة، قال: وهو مأخوذ من المِرَّة، والمِرَّة: القتل<sup>(٥)</sup>. والثالث: دائم، حكاة الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا﴾ يعني كذبوا النبي ﷺ وما عاينوا من قدرة الله تعالى ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ ما زين لهم الشيطان ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن كل أمر مستقر بأهله، فالخير يستقر بأهل الخير، والشر يستقر بأهل

(١) رواه البخاري ٤٦٤/٦ بمعناه مختصراً، وذكره السيوطي في «الدر» ١٣٣/٦ ونسبه إلى أبي نعيم في «الحلية» من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس.

(٢) البخاري ٤٧٤/٨، ومسلم ٢١٥٨/٤.

(٣) حديث عبد الله بن عمر رواه مسلم والترمذي والبيهقي؛ وحديث حذيفة أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وعبد الله بن أحمد في «توابع الزهد» وابن جرير، وابن مردويه. وحديث جبير بن مطعم رواه أحمد والبيهقي. وحديث ابن عباس رواه البخاري في «صحيحه». وحديث أنس بن مالك رواه أحمد والبخاري ومسلم.

(٤) في الأصل: موجود.

(٥) رواه الواحدي في «أسياب النزول» ٢٢٧، وابن جرير الطبري ٨٥/٢٧، وذكره السيوطي في «الدر» ١٣٣/٦ وزاد نسبه لابن المنثور، وابن مردويه، وأبي نعيم والبيهقي كلاهما في «الدلائل» من طريق مسروق عن ابن مسعود ﷺ.

(٦) في الأصل: القتل، وهو تصحيف، والتصويب من «غريب القرآن».

الشر، قاله قتادة. والثاني: لكل حديث مُنتهى وحقيقة، قاله مقاتل. والثالث: أن قرار تكذيبهم مستقر، وقرار تصديق المصدقين مستقر حتى يعلموا حقيقة بالثواب والعقاب، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ يعني أهل مكة ﴿بِآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ﴾ أي: من أخبار الأمم المكذبة في القرآن ﴿مَا فِيهِ مُرْجَرٌ﴾ قال ابن قتيبة: أي: مُتَعَطِّ ومُتَهَي.

قوله تعالى: ﴿حِكْمَةً بَلِغَةً﴾ قال الزجاج: هي مرفوعة لأنها بدل من «ما»، فالمعنى: ولقد جاءهم حكمة بالغة [وإن شئت رفعتها بإضمار: هو حكمة بالغة]. و «ما» في قوله: ﴿فَمَا تَنْتَ الْأَنْذَرُ﴾ جائز أن يكون استفهاماً بمعنى التوبيخ، فيكون المعنى: أي شيء تُغني التلذذ؟! وجائز أن يكون نفيًا، على معنى، فليست تُغني التلذذ. قال المفسرون: والمعنى: جاءهم القرآن وهو حكمة تامة قد بلغت الغاية، فما تُغني التلذذ إذا لم يؤمنوا!.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾ ① خُشْعًا أَصْنَرُمُ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَنْبَاءِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَبِزٌ ② مَهْطِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَاذِبُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ ③

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ قال الزجاج: هذا وقف التمام، و ﴿يَوْمَ﴾ منصوب بقوله: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾. وقال مقاتل: فتولَّى عنهم [إلى] يوم «يَدْعُ الدَّاعِي» أثبت هذه الباء في الحاليين يعقوب؛ ووافقه أبو جعفر، وأبو عمرو في الوصل، وحذفها الأكثرون في الحاليين. و «الدَّاعِي»: إسرائيلي ينفع النفخة الثانية. ﴿إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾ وقرأ ابن كثير: «نُكْرٍ» خفيفة؛ أي: إلى أمر فظيع. وقال مقاتل: «النُّكْرُ» بمعنى المنكر، وهو القبامة، وإنما يُنكرونه إعظاماً له. والتولي المذكور في الآية منسوخ عند المفسرين بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿خُشْعًا أَصْنَرُمُ﴾ قرأ أهل الحجاز، وابن عامر، وعاصم: «خُشْعًا» بضم الخاء وتشديد الشين من غير ألف. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «خَاشِعًا» بفتح الخاء وألف بعدها وتخفيف الشين. قال الزجاج المعنى: يخرجون خُشْعًا، و «خَاشِعًا» منصوب على الحال، وقرأ ابن مسعود: «خَاشِعَةً»؛ ولك في أسماء الفاعلين إذا تقدّمت على الجماعة التوحيد والتأنيث والجمع؛ تقول: مررت بشبانٍ حَسَنٍ أوجههم، وجسانٍ أوجههم، وحَسَنَةٍ أوجههم، قال الشاعر:

وَسَبَابٍ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ

قال المفسرون: والمعنى أن أبصارهم ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب. والأحداث: القبور، وإنما شبههم بالجراد المنتشر، لأن الجراد لا جهة له يقيصدها، [فهو أبدأ مختلف بعضه في بعض]، فهم يخرجون فزعين ليس لأحد منهم جهة يقيصدها. والدَّاعِي: إسرائيلي. وقد أثبت ياء «الدَّاعِي» في الحاليين ابن كثير، ويعقوب؛ تابعتها في الوصل نافع، وأبو عمرو؛ والباقيون بحذفها في الحاليين. وقد بينّا معنى «مُهْطِينَ» في سورة [إبراهيم: ٤٣] والتعير: الصَّعْب الشديد.

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ① فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ② فَفَتَنَّا أَزْوَاجَ السَّمَاءِ بِمَاوُ مُنْتَهِي ③ وَفَتَرَا الْأَرْضُ عِشْوًا فَاتَّخَذَ الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ④ وَحَمَلْنَا عَلَى ذَاتِ الْأَرْحِ وَدُمِرَ ⑤ تَجَرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرَ ⑥ وَلَقَدْ زَكَّيْنَاهَا بِمَاوُ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ⑦ فَكَيْفَ كَانَ عَلَاكَ وَنَذَرُ ⑧ وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ⑨ كَذَبْتَ عَادَ فَكَيْفَ كَانَ عَلَاكَ وَنَذَرُ ⑩ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحِينٍ شَنِيعٍ ⑪ نَبِيحُ النَّاسِ كَأَنَّهُمْ أَصْحَابُ غَلِيٍّ شَفِيعٍ ⑫ فَكَيْفَ كَانَ عَلَاكَ وَنَذَرُ ⑬﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبل أهل مكة ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحاً ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ﴾ قال أبو عبيدة: افتعل من رُجِر. قال المفسرون: زجره عن مقالته ﴿فَدَعَا﴾ عليهم نوح ﴿رَبِّهِ﴾ بـ ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ أي: فانتقم لي ممن كذبني. قال الزجاج: وقرأ عيسى بن عمر النحوي: «أَنِّي» بكسر الألف، وفسرها سيويه فقال: هذا على إرادة القول، فالمعنى: قال: إني مغلوب؛ ومن فتح، وهو الوجه، فالمعنى: دعا ربّه بـ ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾.

(١) البيت للمحارث بن دوس الإباضي، ويروى لأبي داود الإباضي «هاشم القرطبي» ١٢٩/١٧. وهو في «الطبري» ٩٠/٢٧. والبيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» الورقة ٣١٧ قال: إذا تقدم الفعل قبل اسم مؤنث وهو له، أو قبل جمع مؤنث، مثل الانصار والأعمار وما أشبهها، جاز تأنيث الفعل وتذكيره وجمعه.



قوله تعالى: ﴿فَنَحْنُ أَرْبَابُ السَّمَاءِ﴾ قرأ ابن عامر «فَفَتَحْنَا» بالتشديد. فأما المُنْهَمِر، فقال ابن قتيبة: هو الكثير السريع الانصباب، ومنه يُقال: هَمَر الرجل: إذا أكثر من الكلام وأسرع. وروى عليٌّ عليه السلام أن أبواب السماء فُتحت بالماء من المجرة، وهي شَرْجُ السماء. وعلى ما ذكرنا من القصة في [مرد: ٤٤] أن المطر جاءهم، يكون هو المراد بقوله: ﴿فَنَحْنُ أَرْبَابُ السَّمَاءِ﴾ قال المفسرون: جاءهم الماء من فوقهم أربعين يوماً، وفُجرت الأرض من تحتهم عيوناً أربعين يوماً. ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري: «الماءان» بهمزة وألف ونون مكسورة. وقرأ ابن مسعود: «المايان» بياء وألف ونون مكسورة من غير همز. وقرأ الحسن، وأبو عمران: «الماوان» بواو وألف وكسر النون. قال الزجاج: يعني بالماء: ماء السماء وماء الأرض، ويجوز الماءان، لأن اسم الماء اسم يجمع ماء الأرض وماء السماء.

قوله تعالى: ﴿عَلَى أَمْرٍ مَّذْذُورٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: كان قَدْر ماء السماء كَقَدْر ماء الأرض، قاله مقاتل. والثاني: قد قَدِر في اللوح المحفوظ، قاله الزجاج. فيكون المعنى: على أمر قد قُضي عليهم، وهو الفرق.

قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَتْهُ﴾ يعني نوحاً ﴿عَلَى ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسِّرَ﴾ قال الزجاج. أي: على سفينة ذات ألواح. قال المفسرون: ألواحها: خشباتها العريضة التي منها جُمعت. وفي الدُّسْر أربعة أقوال: أحدها: أنها المسامير، رواه الوالي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والقرظي، وابن زيد. وقال الزجاج: الدُّسْر: المسامير والشُّرط التي تُشَدُّ بها الألواح، وكل شيء نحو السَّمَر أو إدخال شيء في شيء بقوة وشدة قهر فهو دُسِر، يقال: دَسَرْتُ المسمار أدسَرُهُ وأدسِرُهُ. والدُّسْر: واحد دسار، نحو جمار، وحُمِر. والثاني: أنه صُدِر السفينة، سُمِّي بذلك لأنه يَدُسَّر الماء، أي: يدفعه، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن وعكرمة؛ ومنه الحديث في العنبر أنه شيء دسره البحر، أي: دفعه<sup>(١)</sup>. والثالث: أن الدُّسْر: أضلاع السفينة، قاله مجاهد. والرابع: أن الدُّسْر: طرفاها وأصلها، والألواح: جانبها، قاله الضحاك.

قوله تعالى: ﴿فَجَبَرِيَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بِمَنْظَرٍ ومَرَأَى مِنَّا ﴿جَرَائِمَ﴾ قال الفراء: فعلنا به وبهم ما فعلنا من إنجائه وإغراقهم ثواباً لمن كُفِر به. وفي المراد بـ «مَنْ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الله تعالى، وهو مذهب مجاهد، فيكون المعنى: عوقبوا الله وكُفِرهم به. والثاني: أنه نوحٌ كُفِر به وجُحد أمره، قاله الفراء. والثالث: أن «مَنْ» بمعنى «ما»؛ فالمعنى:جزاء لما كان كُفِر من نعم الله عند الذين أغرقهم، حكاه ابن جرير. وقرأ قتادة: «لَمَنْ كان كَفَرًا» بفتح الكاف والفاء.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ﴾ في المشار إليها قولان: أحدهما: أنها السفينة، قال قتادة: أبقاها الله على الجودي حتى أدرَكها أوائل هذه الأمة. والثاني: أنها الفعلة، فالمعنى: تركنا هذه الفعلة وأمر سفينة نوح آية، أي: علامة ليعتبر بها، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ وأصله مُدْتِكِر، فأبدلت التاء دالاً على ما بيّنا في قوله: ﴿وَأَذَكَّرَ بِمَذْأَمِهِ﴾ [يوسف: ٤٥]. قال ابن قتيبة؛ أصله: مُدْتِكِر، فأدغمت التاء في الدال، ثم قُلِبَت دالاً مشددة. قال المفسرون: والمعنى: هل من متذكّر يعتبر بذلك؟ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ وفي هذه السورة «وَنُذِرَ» ستة مواضع، أثبت الياء فيها في الحاليين يعقوب، تابعه في الوصل ورش، والباقيون بحذفها في الحاليين. وقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي﴾ استفهام عن تلك الحالة، ومعناه التعظيم لذلك العذاب. قال ابن قتيبة: والنُّذْر هاهنا جمع نذير، وهو بمعنى الإنذار، ومثله التَّكْيِير بمعنى الإنكار. قال المفسرون: وهذا تخويف لمشركي مكة. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾ أي: سَهَّلْنَاهُ ﴿لِلذِّكْرِ﴾ أي: للحفظ والقراءة ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ أي: من ذاكِر يذكره ويقرؤه؛ والمعنى: هو الحث على قراءته وتعلُّمه<sup>(٢)</sup> قال سعيد بن جبير: ليس من كتب الله كتاب يُقرأ كُلُّه ظاهراً إلا القرآن. وأما الرُّبُح الصُّرصر، فقد ذكرناها في [تم السجدة].

(١) قال الشيخ محمد السراييني في «شرح ثلاثيات مستند الإمام أحمد»: جاء في الحديث عن ابن عباس عليه السلام: مثل رسول الله ﷺ عن زكاة العنبر؟ فقال: «إنما هو شيء دسره البحر».

(٢) قال ابن كثير: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراد، ليذكر الناس، كما قال: ﴿كَتَبَ اللَّهُ الْقُرْآنَ إِلَيْكَ مَكِّيًّا لِيَذْكُرَ بِذِكْرِهِ وَأُولَا الْأَنْبِيَاءِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: سهلناه لفظه ويسرنا معناه لمن أراد، ليذكر الناس، كما قال: ﴿كَتَبَ اللَّهُ الْقُرْآنَ إِلَيْكَ مَكِّيًّا لِيَذْكُرَ بِذِكْرِهِ وَأُولَا الْأَنْبِيَاءِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: سهلناه لفظه ويسرنا معناه لمن أراد، ليذكر الناس، كما قال: ﴿كَتَبَ اللَّهُ الْقُرْآنَ إِلَيْكَ مَكِّيًّا لِيَذْكُرَ بِذِكْرِهِ وَأُولَا الْأَنْبِيَاءِ﴾

قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ نَخَسُّ شَتِيرًا﴾ قرأ الحسن: «في يوم» بالتثنية، على أن اليوم منوع بالتحس. والمستمر: الدائم الشوم، استمر عليهم بنحوه. وقال ابن عباس: كانوا يتشاءمون بذلك اليوم. وقيل: إنه كان يوم أربعاء في آخر الشهر<sup>(١)</sup>. ﴿تَبَيَّنَ النَّاسُ﴾ أي: تخلصهم من الأرض من تحت أقدامهم فتصرعهم على رقابهم فتدق رقابهم فتبين الرأس عن الجسد، فـ ﴿كَانَهُمْ أَصْحَابُ نَخْلٍ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وابن السميع: «أعجز نخل» برفع الجيم من غير ألف بعد الجيم. وقرأ ابن مسعود، وأبو مجلز، وأبو عمران: «كانهم عجز نخل» بضم العين والجيم. ومعنى الكلام: كأنهم أصول نخل ﴿شَقِيرٍ﴾ أي: مثقل. وقال الفراء: المنقعر: المنقعر من النخل. قال ابن قتيبة: يقال: فَعَرْتُه فَاثْقَرْتُ، أي قلعته فسقط. قال أبو عبيدة: والنخل يُذَكَّرُ ويؤنث، فهذه الآية على لغة من ذكّر، وقوله: ﴿أَعْبَارُ نَخْلٍ حَارِيثٍ﴾ [الحاقة: ٨] على لغة من أنث. وقال مقاتل: شبههم حين وقعوا من شدة العذاب بالنخل الساقطة التي لا رؤوس لها، وإنما شبههم بالنخل لظلولهم، وكان طول كل واحد منهم اثني عشر ذراعاً.

﴿وَلَقَدْ بَيَّنَّا الْفُرْقَانَ لِلَّذِي لَدَيْكَ فَهَلْ مِنْ مُنْكَرٍ﴾ ١٧ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنَّدَى﴾ ١٨ ﴿فَقَالُوا أَبْنَاءُ رَبِّنَا وَجِدَا بَلْئَعْمَهُمْ إِنَّا لَنَبِيٍّ مِلَّتِ رُسُلُهُمْ﴾ ١٩ ﴿لَقَدْ أَلْهِىَ الزُّكْرَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَبْتَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَثِيرٌ﴾ ٢٠ ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَثِيرُ﴾ ٢١ ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فَبَنَى لَهُمْ قَارِئَتَهُمْ وَأَصْلَحَ﴾ ٢٢ ﴿وَبَيَّنَّا أَنْ الْمَاءَ فَسَمَّيْنَاهُمْ كُلٌّ فِرْقَانٍ فَحَضَرَ﴾ ٢٣ ﴿فَقَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ ٢٤ ﴿فَكَفَّ كَانَ عَذَابِي وَنُذِيرٌ﴾ ٢٥ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَجِدَّةً فَكَانُوا كَهَيِّبِ الْخَاشِعِينَ﴾ ٢٦ ﴿وَلَقَدْ بَيَّنَّا الْفُرْقَانَ لِلَّذِي لَدَيْكَ فَهَلْ مِنْ مُنْكَرٍ﴾ ٢٧

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنَّدَى﴾ ١٧ فيه قولان: أحدهما: أنه جمع نذير. وقد بينا أن من كذب نبياً واحداً فقد كذب الكل. والثاني: أن النذر بمعنى الإنذار كما بينا في قوله: ﴿فَكَفَّ كَانَ عَذَابِي وَنُذِيرٌ﴾ فكانهم كذبوا الإنذار الذي جاءهم به صالح، ﴿فَقَالُوا أَبْنَاءُ رَبِّنَا﴾ [قال الزجاج: هو منصوب بفعل مضمر والذي ظهر تفسيره، المعنى: أنتع<sup>(٢)</sup> بقراً ميتاً. ﴿وَجِدَّةً﴾]، قال المفسرون: قالوا: هو آدمي وفلنا، وهو واحد فلا نكون له تبعاً ﴿إِنَّا إِذَا﴾ إن فعلنا ذلك ﴿لَنَبِيٍّ مِلَّتِ رُسُلُهُمْ﴾ أي: خطئوا وذهاب عن الصواب ﴿رُسُلُهُمْ﴾ قال ابن عباس: أي: جنون. قال ابن قتيبة: هو من: تَسَعَّرَتْ<sup>(٣)</sup> النار: إذا تهبّت، يقال: ناقةٌ مَسْمُورَةٌ، أي: كانها مجنونة من النشاط. وقال غيره: لَفِيَ شِقَاءٌ وَعَنَاءٌ لأجل ما يلزمنا من طاعته. ثم أنكروا أن يكون الوحي يأتيه فقالوا: ﴿لَقَدْ أَلْهِىَ الزُّكْرَ﴾؟ أي: أنزل الوحي ﴿عَلَيْهِمْ يَوْمَ يَبْتَا﴾؟ أي: كيف خضع من بيننا بالنبوة والوحي؟ ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَثِيرٌ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه المرح المتكبر، قاله ابن قتيبة. والثاني: البطر، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ قرأ ابن عامر وحزمة: «سيعلمون» بالتاء «غداً» فيه قولان: أحدهما: يوم القيامة، قاله ابن السائب. والثاني: عند نزول العذاب بهم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ﴾ وذلك أنهم سألو صالحاً أن يظهر لهم ناقة من صخرة، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ﴾ أي: مخرجوها كما أرادوا ﴿فَبَنَى لَهُمْ﴾ أي: محنة واختباراً ﴿قَارِئَتَهُمْ﴾ أي فانتظر ما هم صانعون ﴿وَأَصْلَحَ﴾ على ما يصيبك من الأذى، ﴿وَبَيَّنَّا أَنْ الْمَاءَ فَسَمَّيْنَاهُمْ كُلٌّ فِرْقَانٍ فَحَضَرَ﴾ أي: بين ثمود وبين الناقة، يوم لها ويوم لهم، فذلك قوله: ﴿كُلٌّ فِرْقَانٍ فَحَضَرَ﴾ يحضره صاحبه ويستحقه.

قوله تعالى: ﴿فَقَادُوا صَاحِبَهُمْ﴾ واسمه قُدار بن سالف ﴿فَتَعَاطَى﴾ قال ابن قتيبة: تعاطى عقر الناقة ﴿فَعَقَرَ﴾ أي: قتل؛ وقد بينا هذا في [الأعراف: ١٧٧].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَجِدَّةً﴾ وذلك أن جبريل عليه السلام صاح بهم؛ وقد أشرنا إلى قصتهم في [هود: ٦١]

١ - قراءته، وقال السدي: يسرنا تلاوته على الألسن. وقال الضحاك عن ابن عباس: لولا أن الله يسره على لسان الأعميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله. وقوله: ﴿هَذَا مِنْ مَّنْكَرٍ﴾ أي: فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسر الله حفظه ومعناه؟ وقال محمد بن كعب القرظي: فهل منجز عن المعاصي؟

(١) الشوم من مضطدات الجاهلية المقيمة التي أبطلها الإسلام، وما يروى مرفوعاً من أن «يوم الأربعاء يوم نحس مستمر» فلا يصح منه شيء.

(٢) في الأصل: اتبع، والتصويب من «القرطبي». (٣) في الأصل: تسعر، والتصويب من «غريب القرآن».

﴿تَكَادُوا كَهَيْسِرَ اللَّحْظِ﴾ قال ابن عباس: هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك دون السباع، فما سقط من ذلك وداسته الغنم، فهو الهشيم. وقد بينا معنى «الهشيم» في [الكهف: ٤٥] وقال الزجاج: الهشيم: ما يس من الورق وتكسر وتحطم، والمعنى: كانوا كالهشيم الذي يجمعه صاحبُ الحظيرة بعد أن بلغ الغاية في الجفاف، فهو يُجمع ليوقد. وقرأ الحسن: «المُحْتَظَرُ» بفتح الظاء، وهو اسم الحظيرة؛ والمعنى: كهشيم المكان الذي يُحْتَظَرُ فيه الهشيم من الحطب. وقال سعيد بن جبير: هو التراب الذي يتناثر من الحيطان. وقال قتادة: كالعظام النخرة المحترقة. والمراد من جميع ذلك: أنهم يادوا وهلكوا حتى صاروا كالشيء المتحطم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ﴾ ١٣٠ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَخَرٍ﴾ ١٣١ ﴿فَعَمَّ يَتَذَكَّرُ أَلَيْسَ لَكَ بِكَرَّةٍ مِّنْ شَرِّكَ﴾ ١٣٢ ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَلْغَاءً فَتَوَارَّوْا بِالنَّذْرِ﴾ ١٣٣ ﴿وَلَقَدْ رَدَدْنَاهُ عَنْ صَيْفِهِ. فَلَمَّسَتْ أَعْيُنُهُمْ فُذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرٌ﴾ ١٣٤ ﴿وَلَقَدْ مَتَّعْنَاهُمْ بَكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَوْفٍ﴾ ١٣٥ ﴿فُذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرٌ﴾ ١٣٦ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ﴾ ١٣٧

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ قال المفسرون: هي الحجارة التي قذفوا بها ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ يعني لوط وابنتيه ﴿بِالنَّذْرِ﴾ من ذلك العذاب ﴿بِسَخَرٍ﴾ قال الفراء: «سَخَرٌ» هاهنا يجري<sup>(١)</sup> لأنه نكرة، كقوله: نجيتناهم بليلٍ، فإذا ألقت العرب منه الباء لم يجر، لأن لفظهم به بالالف واللام، يقولون: ما زال عندنا منذ السَّحَرِ، لا يكادون يقولون غيره، فإذا حذفت منه الألف واللام لم يُصَرَفْ. وقال الزجاج: إذا كان السَّحَرُ نكرة يراد به سَحَرٌ من الأسحار، انصرف، فإذا أردت سَحَرَ يومك، لم ينصرف.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَجْرِي مَن شَكَرَ﴾ قال مقاتل: من وحَّد الله تعالى لم يُعَلَّبْ مع المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَدَدْنَاهُ عَنْ صَيْفِهِ﴾ أي: طلبوا أن يسلم إليهم أضيافه، وهم الملائكة ﴿فَلَمَّسَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ وهو أن جبريل ضرب أعينهم بجناحه فأذهبها. وقد ذكرنا القصة في سورة [مود: ٨١]. وتم الكلام هاهنا، ثم قال: ﴿فُذُوقُوا﴾ أي: فقلنا لقوم لوط لما جاءهم العذاب: ذوقوا ﴿عَذَابِي وَنُذِرٌ﴾ أي: ما أنذركم به لوط، ﴿وَلَقَدْ مَتَّعْنَاهُمْ بَكْرَةً﴾ أي: أتاهم صباحاً ﴿عَذَابٌ مُّسْتَوْفٍ﴾ أي: نازل بهم. قال مقاتل: استقر بهم العذاب بكرة. قال الفراء: والعرب تُجري «غُدوة» و «بكرة» ولا تُجريهما، وأكثر الكلام في «غُدوة» ترك الإجراء، وأكثر في «بكرة» أن تُجري، فمن لم يُجرها جعلها معرفة، لأنها اسم يكون أبداً في وقت واحد بمنزلة «أمس» و «غدي»، وأكثر ما تُجري العرب «غُدوة» إذا قرنت بعشيّة، يقولون: إني لأتيهم غُدوة وعشيّة، [وبعضهم يقول: «غُدوة»، فلا يُجريها، و «عشيّة» فيجريها، ومنهم من لا يُجري «عشيّة» لكثرة ما صحبت «غُدوة». وقال الزجاج: الغُدوة والبكرة إذا كانتا نكرتين نَوْنَتَا وَصَرَفْنَا، فإذا أردت بهما بكرة يومك وغداة يومك، لم تصرفهما، والبكرة هاهنا نكرة، فالصرف أجود، لأنه لم يثبت رواية في أنه كان في يوم كذا في شهر كذا.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ﴾ ١٣٨ ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَلَنَنْهَضَنَّهُمْ أَنذَرِ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ﴾ ١٣٩ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ أَرْكَانُ الْكُرْسِيِّ أَنزَلْنَا فِي الْزَّيْتُونِ﴾ ١٤٠ ﴿أَن يَأْتُواكُم بَشِيرٌ أَوْ نَذِيرٌ﴾ ١٤١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السَّبِيلَ﴾ ١٤٢ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السَّبِيلَ﴾ ١٤٣ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السَّبِيلَ﴾ ١٤٤ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السَّبِيلَ﴾ ١٤٥ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السَّبِيلَ﴾ ١٤٦ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السَّبِيلَ﴾ ١٤٧ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السَّبِيلَ﴾ ١٤٨ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السَّبِيلَ﴾ ١٤٩ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السَّبِيلَ﴾ ١٥٠

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ﴾ يعني القبط ﴿النَّذْرُ﴾ فيهم قولان: أحدهما: [أنه] جمع نذير، وهي الآيات التي أنذرهم بها موسى. والثاني: أن النَّذْرُ بمعنى الإنذار؛ وقد بيناه أنفأ، ﴿فَلَنَنْهَضَنَّهُمْ﴾ بالعذاب ﴿أَنذَرِ عَزِيزٌ﴾ أي: غالب في انتقامه ﴿مُقْتَدِرٌ﴾ قادر على هلاكهم. ثم خوف أهل مكة فقال: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ أَرْكَانُ الْكُرْسِيِّ﴾ يا معشر العرب ﴿عَزِيزٌ﴾ أي: أشد وأقوى ﴿فَزَيَّنَّا لَكُمُ الْكُرْسِيَّ﴾ وهذا استفهام معناه الإنكار؛ والمعنى: ليسوا بأقوى من قوم نوح وعاد وثمود، وقد أهلكناهم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ أَرْكَانُ الْكُرْسِيِّ﴾ من العذاب أنه لا يصيبكم ما أصابهم ﴿فِي الزَّيْتُونِ﴾ أي: في الكتب المتقدمة، ﴿أَن يَأْتُواكُم بَشِيرٌ أَوْ نَذِيرٌ﴾ أي: يأتونكم بَشِيرٌ أَوْ نَذِيرٌ. المعنى: أقولون: نحن يدٌ واحدة على مَنْ خالفنا فنتنصر منهم؟ وإنما وحَّد المُتَنَصِّرُ للفظ الجميع، فإنه على لفظ «واحد» وإن كان اسماً للجماعة ﴿سَبِيْرٌ لِّجَمْعٍ﴾ وروى أبو حاتم بن يعقوب: «سنهزم» بالنون، «الجمع» بالنصب،

«وتولون» بالتاء، ويعني بالجمع: جمع كفار مكة «وَيُولُونَ الذُّبُرَ» ولم يقل: الأدبار، وكلاهما جائز؛ قال الفراء: ومثله أن يقول: إن فلاناً لكثير الدُّيَّار والدُّرهم. وهذا مما أخبر الله به نبيه من علم الغيب، فكانت الهزيمة يوم بدر.

قوله تعالى: «وَالسَّاعَةُ أَقْبَرُ» قال مقاتل: هي أفظع «وَأَمْرٌ» من القتل. قال الزجاج: ومعنى الذَّاهية: الأمر الشديد الذي لا يَهْتدى لدوائه، ومعنى «أَمْرٌ»: أشدُّ مرارة من القتل والأشهر.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي سَكَلٍ وَشَعْرٍ﴾ (١٧) يَوْمَ يُسْعَوْنَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ دُورًا مِّنْ سَقَرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿١٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ ﴿٢١﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٢٢﴾ وَكُلَّ صَغِيرٍ كَبِيرٍ مُّسْتَطَرٍّ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الْكُفْرَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿٢٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ لَبِيبٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٢٥﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي سَكَلٍ وَشَعْرٍ﴾ (١٧) في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن مشركي مكة جاؤوا إلى رسول الله ﷺ يُخاصمون في القدر، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ انفرد بإخراجه مسلم من حديث أبي هريرة<sup>(١)</sup> وروى أبو أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذه الآية نزلت في القدرية»<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن أشقف نجران جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد تزعم أن المعاصي بقدر، وليس كذلك، فقال رسول الله ﷺ: «أنتم خصماء الله»، فنزلت: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿بِقَدَرٍ﴾، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿وَشَعْرٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: الجنون. والثاني: العناء. وقد ذكرناهما في صدر السورة. والثالث: أنه نار تشتعل عليهم، قاله الضحاك. فأما «سَقَرٌ» فقال الزجاج: هي اسم من أسماء جهنم لا ينصرف لأنها معرفة، وهي مؤنثة. وقرأت على شيخنا أبي منصور قال: سَقَرٌ: اسم نار الآخرة أعجمي، ويقال: بل هو عربي، من قولهم: سَقَرْتَهُ الشمس: إذا أذاخته، سميت بذلك لأنها تذيب الأجسام. وروى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْرٌ مَّنَادِيًا فَنَادَى نَدَاءً يَسْمَعُهُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ: أَيْنَ خُصَمَاءُ اللَّهِ؟ فَتَقُومُ الْقَدَرِيَّةُ فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذُرْقُوا مِّنْ سَقَرٍ﴾ (١٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ»<sup>(٣)</sup>، وإنما قيل لهم: «خُصَمَاءُ اللَّهِ» لأنهم يُخاصمون في أنه لا يجوز أن يُقدَّر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها. وروى هشام بن حسان عن الحسن قال: قال: واللَّهِ لو أن قديراً صام حتى يصير كالخجل، ثم صلى حتى يصير كالوتر، ثم أخذ ظملاً وزوراً حتى دُبح بين الرُّكن والمقام لكَبَّهَ اللَّهُ على وجهه في سَقَرٍ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾. لوروى مسلم في أفرادهِ من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ»<sup>(٤)</sup>. وقال ابن عباس: كل شيء بقدر حتى وضع يدك على خذك. وقال الزجاج: معنى «بِقَدَرٍ» أي: كل شيء خلقناه بقدر مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه، ونصب «كُلُّ شَيْءٍ» بفعل مضمر؛ المعنى: إِنَّا خَلَقْنَا كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَنَا بِقَدَرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ﴾ قال الفراء: أي: إلا مرة واحدة، وكذلك قال مقاتل: مرة واحدة لا مشنوية لها. وروى عطاء عن ابن عباس قال: يريد: إن قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر. وقال ابن السائب: المعنى: وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا كلمح البصر. ومعنى اللَّمَحُ بالبصر: النظر بسرعة. «وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ» أي: أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الأمم الماضية «فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ» أي مُنْعَطٍ «وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ» يعني الأمم. وفي «الزُّبُرِ» قولان: أحدهما: أنه كُتِبَ الحَقَّة. والثاني: اللوح المحفوظ. «وَكُلَّ صَغِيرٍ كَبِيرٍ» أي: من الأعمال المتقدمة «مُسْتَطَرٍّ» أي: مكتوب، قال ابن قتيبة: هو «مُقْتَلَرٌ» من «سَطَرْتُ» إذا كتبت، وهو مثل «مُسْطَوْر».

(١) ٢٠٤٦/٤، ورواه أحمد في «المستند»، والترمذي، وابن ماجه، والواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٨، وابن جرير الطبري، وذكره السيوطي في «الدرر» ١٣٦/٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ذكره السيوطي في «الدرر» ١٣٧/٦ ونسبه إلى ابن عدي، وابن مردويه، والديلمي، وابن عساكر، بسند ضعيف عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) ذكره بنصه الخازن في «تفسيره» نقلاً عن المؤلف، وذكر السيوطي في «الدرر» ١٣٨/٦ نحوه من ابن عباس رضي الله باطول منه من رواية ابن مردويه.

(٤) «صحيح مسلم» ٢٠٤٥/٤، والكيس: ضد المعجز، وهو النشاط والخلق بالأمور، ومعناه أن الماجز قد قدر عجزه والكيس قد قدر كبه. والحديث رواه أيضاً أحمد في «المستند».

قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ﴾ قال الزجاج: المعنى: في جنات وأنهار، والاسم الواحد يدلُّ على الجميع، فيجتزأ به من الجميع. أنشد سيويه والخليل:

بِهَا جَيْفُ الْحَسْرَى، فَأَمَّا عِظَامُهَا  
يريد: وأما جلودها، ومثله:

فِي خَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا<sup>(١)</sup>

ومثله:

كُلُّوا فِي زُخْفٍ بِظَنِّكُمْ تَعْيِشُوا<sup>(٢)</sup>

وحكى ابن قتيبة عن الفراء أنه وُحِدَ لأنه رأسُ آية، فقابل بالتوحيد رؤوس الآي، قال: ويقال: النَّهْرُ: الضياء والسَّعة، من قولك: أَنَهَرْتُ الطعنة: إذا وسَّعْتُهَا، قال قيس بن الخطيم يصف طعنة:

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنَهَرْتُ فَتَقَّهَا  
أي: أوسعت فتَّقَهَا. قلت: وهذا قول الضحاك. وقرأ الأعمش «وَنَهْرٍ».

قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ أي: مَجْلِسٍ حَسَنٍ؛ وقد نَبَّهْنَا على هذا المعنى في قوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٢٧]. فَأَمَّا الْمَلِكُ، فقال الخطابي: الْمَلِكُ: هو المالك، وبناء فَعِيلٌ للمبالغة في الوصف، ويكون الْمَلِكُ بمعنى الْمَلَكِ، ومنه هذه الآية. والمُقْتَدِرُ مشروح في [الكهف: ٤٥].



(١) تقدم تخريجه ٢٩٩.

(٢) سبق الرجز ٢٩٩.

(٣) سبق الشطر ١٣٣ و ٥٠٥ والبيت بكامله ٧٨٠.

(٤) «ديوانه» ٨، «غريب لقرآن» ٤٣٥، «مشكل القرآن» ١٣٢، «المصاحح»، «اللسان» و«التاج»: نهر.

## سورة الرحمن

وفي نزولها قولان: أحدهما: أنها مكية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعطاء، ومقاتل، والجمهور، إلا أن ابن عباس قال: سوى آية، وهي قوله: ﴿يَسْأَلُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرحمن: ٢٩]. والثاني: أنها مدنية، رواه عطية عن ابن عباس. وبه قال ابن مسعود.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ ۝ وَالرَّيْحَانُ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝﴾  
قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝﴾ [الرحمن: ١] قال مقاتل: لما نزل قوله: ﴿أَسْمِعُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٦٠] قال كفار مكة: وما الرحمن؟ فأنكروه وقالوا: لا نعرف الرحمن، فقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الذي أنكروه هو الذي ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾. وفي قوله: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝﴾ قولان: أحدهما: علّمه محمداً، وعلّم محمداً أمته، قاله ابن السائب. والثاني: يسّر القرآن، قاله الزجاج<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اسم جنس، فالمعنى: خلق الناس جميعاً، قاله الأكثرون. فعلى هذا، في «البيان» ستة أقوال: أحدها: النطق والتّمييز، قاله الحسن<sup>(٢)</sup>. والثاني: الحلال والحرام، قاله قتادة. والثالث: ما يقول وما يُقال له، قاله محمد بن كعب. والرابع: الخير والشر، قاله الضحاك. والخامس: [طرق] الهدى، قاله ابن جريج. والسادس: الكتابة والخط، قاله يمان. والثاني: أنه آدم، قاله ابن عباس، وفتادة. فعلى هذا في «البيان» ثلاثة أقوال: أحدها: أسماء كل شيء. والثاني: بيان كل شيء. والثالث: اللغات. والقول الثالث: أنه محمد ﷺ، علّمه بياناً ما كان وما يكون، قاله ابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝﴾ أي: بحساب ومنازل، لا يَغْدوانها؛ وقد كشفنا هذا المعنى في [الأنعام: ٩٦]. قال الأخفش: أضمر الخبر، وأظنه - والله أعلم - أراد: يجريان بحسبان.

قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝﴾ في النجم قولان: أحدهما: أنه كُلُّ نَبْتٍ ليس له ساق، وهو مذهب ابن عباس، والسدي، ومقاتل، واللغويين. والثاني: أنه نَجْمُ السَّمَاءِ، والمراد به: جميع النجوم، قاله مجاهد. فأما الشَّجَرُ: فكلُّ ما له ساق. قال الفراء: سُجودهما: أنهما يستقبلان الشمس إذا أشرقت، ثم يميلان معها حتى ينكسر النقي. وقد أشرت في [النحل: ٤٩] إلى معنى سُجود ما لا يَغْفِل. قال أبو عبيدة: وأما نبي فعلهما على لفظهما.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا ۝﴾ وإنما فعل ذلك ليحيا الحيوان وتمتد الأنفاس، وأجرى الرّيح بينها وبين الأرض، كما يتروح<sup>(٣)</sup> [الخلق]. ولولا ذلك لماتت الخلائق كَرَبًا.

قوله تعالى: ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه العَدْل، قاله الأكثرون، منهم مجاهد والسدي

(١) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكّره: الرحمن أيها الناس برحمته إياكم علمكم القرآن، فأنعم بذلك عليكم، إذ يضرّكم به ما فيه رضا وركم، وعزّركم ما فيه سخطه، لتطيعوه باتباعكم ما يرضيه عنكم وعملكم بما أمركم به، وتجنبكم ما يسخط عليكم فتسجّدوا بذلك جزيلاً ثوابه، وتتجروا من أليم عقابه. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: وقرول الحسن هاهنا أحسن وأقوى، لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن، وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق، وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من اللحن واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها وأنواعها. اهـ.

(٣) في الأصل: يتروح.

واللغويون. قال الزجاج: وهذا لأن المعادلة: مُوَازَنَةُ الأشياء. والثاني: أنه الميزان المعروف، ليتناصف الناس في الحقوق، قاله الحسن، وقتادة، والضحاك. والثالث: أنه القرآن، قاله الحسين بن الفضل.

قوله تعالى: ﴿أَلَا تَقْلَقُوا﴾ ذكر الزجاج في «أن» وجهين: أحدهما: أنها بمعنى اللام؛ والمعنى: لنلا تَقْلَقُوا. والثاني: أنها للتضخيم، فتكون «لا» للتهيء؛ والمعنى: أي: لا تَقْلَقُوا، أي لا تُجاوِزُوا القُدْل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَيِّرُوا الْيَمِينَ﴾ قال ابن قتيبة، أي: لا تنقصوا الوزن. فأما الأناص، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الناس، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: كل ذي رُوح، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والشعبي، وقتادة، والسدي، والفراء. والثالث: الإنس والجن، قاله الحسن، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَكِكُكُمْ﴾ أي، ما يُتفكَّه [به] من ألوان الشمار. ﴿وَالْتَقَلَّ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ والأكمام: الأوعية والغُلْف؛ وقد استوفينا شرح هذا في [حم السجدة: ٤٧].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ﴾ يريد: جميع الحبوب، كالبر والشعير وغير ذلك. وقرأ ابن عامر: «والحَبَّ» بنصب الباء «ذا العصف» بالالف «الرَّيْحَانَ» بنصب النون. وقرأ حمزة، والكسائي إلّا ابن أبي سُرَيْج، وخلف: ﴿وَلَقَدْ ذُرُّ الْقَصَفِ وَالرَّيْحَانَ﴾ بخفض النون؛ وقرأ الباقون بضم النون. وفي «العصف» قولان: أحدهما: أنه تين الزُّرْع وورقه الذي تعصفه الرياح، قاله ابن عباس. وكذلك قال مجاهد: هو ورق الزُّرْع، قال ابن قتيبة: العصف: ورق الزُّرْع، ثم يصير إذا جفَّ ويس ويس تبناً. والثاني: أن العصف: المأكول من الحَبِّ، حكاه الفراء. وفي «الرَّيْحَانَ» أربعة أقوال: أحدها: أنه الرُّزْق، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبيرة، والسدي. قال الفراء: الرَّيْحَانَ في كلام العرب: الرُّزْق، تقول: خرجنا نطلب رَيْحَانَ الله، وأنشد الزجاج للتور بن تَوَلَّب:

سَلامُ الإِلهِ وَزِيحَاتُهُ وَزَحْمَتُهُ وَسَمَاءُ وَرَزِّ<sup>(١)</sup>

والثاني: أنه خُضرة الزُّرْع، رواه الوالي عن ابن عباس. قال أبو سليمان الدمشقي: فعلى هذا، سُمِّي رَيْحَاناً، لاستراحة النَّفْس بالنظر إليه. والثالث: أنه رَيْحَانُكم هذا الذي يُسَمُّ، روى العوفي عن ابن عباس قال: «الرَّيْحَانَ»: ما أنبتت الأرض من الرَّيْحَانَ، وهذا مذهب الحسن، والضحاك، وابن زيد. والرابع: أنه ما [لم] يؤكل من الحَبِّ، والعصف: المأكول منه، حكاه الفراء.

قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن قيل: كيف خاطب اثنين، وإنما ذكر الإنسان وحده؟ فنه جوابان ذكرهما الفراء: أحدهما: أن العرب تخاطب الواحد بفعل الاثنين كما بيَّنا في قوله: ﴿فَبِأَيِّ جَهَنَّمَ﴾ [ق: ٢٤]. والثاني: أن الذِّكْر أُريد به: الإنسان والجان، فجرى الخطاب لهما من أول السورة إلى آخرها. قال الزجاج: لما ذكر الله تعالى في هذه السورة ما يدلُّ على وحدانيته من خَلْق الإنسان وتعليم البيان وخلق الشمس والقمر والسماء والأرض، خاطب الجن والإنس قال: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: فبأي نعم ربكما تُكذِّبان من هذه الأشياء المذكورة، لأنها كلُّها مُنعم بها عليكم في دلالتها إيتاكم على وحدانيته وفي رزقه إيتاكم ما به قوامكم. وقال ابن قتيبة: الآلاء: النعم، واحدها: آلاء، مثل: قنأ، وإلّا، مثل: يمن.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ ١ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ٢ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣ وَرَبُّ الْفَرِّقَيْنِ ٤ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ٥ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦ مَرْجَ الْبَحْرِ يَبْسُجَانِ ٧ يَتَّبِعُكُمْ بِرِزْقٍ لَا يَبْيُغِيانِ ٨ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٩ يَخْرِجُ مِنْهَا الزُّلُوفَ وَالْمِصْبَاحَاتِ ١٠ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١١ وَلَهُ الْغَوَايِرُ الْأَنْشَاءُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَكْمَامِ ١٢ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٣

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ يعني آدم «من صَلْصَلٍ» قد ذكرنا في [الحجر: ٢٦، ٢٧] الصَّلْصَال والجَانَّ، فأما قوله: ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ فقال أبو عبيدة: خُلِق من طينٍ يابس لم يُطْبَخ، فله صوت إذا نُقِر، فهو من يُنْبِسه كالْفَخَّار. والفَخَّار: ما

(١) البيت في «غريب القرآن» ٤٢٧، و«الطبري» ١٢٣/٢٧، و«القرطبي» ١٥٧/١٧، و«المصباح»، و«اللسان» و«التاج»: روح، وبعده:

عَمَامٌ يُنَزِّلُ رِزْقَ السَّوْبَادِ فَأَخْبَا السَّيْلَةَ وَطَابَ الشَّجَرُ

طُيخ بالنار. فأما المارج، فقال ابن عباس: هو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهمت. وقال مجاهد: هو المختلط بعظمه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدَتْ. وقال مقاتل: هو لهب النار الصافي من غير دخان. وقال أبو عبيدة: المارج: خلط من النار. وقال ابن قتيبة: المارج: لهب النار، من قولك: قد مَرَجَ الشيءُ: إذا اضطرب ولم يستقر. وقال الزجاج: هو اللهب المختلط بسواد النار. فإن قيل: قد أخبر الله تعالى عن خلق آدم ﷺ بالفاظ مختلفة، فتارة يقول: ﴿عَلَّكُم مِّن تَرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وتارة: ﴿مِّن مَّصْنُونٍ﴾، وتارة: ﴿مِّن لَّيْظٍ﴾ [الصافات: ١١]، وتارة: ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]، وتارة: ﴿مِّن حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٩]؛ فالجواب: [أن الأصل التراب فجعل طيناً، ثم صار كالحمى المسنون، ثم صار صلصالاً كالْفَخَّارِ، هذه أخبار عن حالات أصله. فإن قيل: ما الفائدة في تكرار قوله: ﴿فِي أَيِّ مَّالَةٍ نَّكَلْنَا نَكَلًا بَيِّنًا﴾ [الجواب: أن ذلك التكرير لتقرير النعم وتأكيد التذكير بها. قال ابن قتيبة: من مذاهب العرب التكرار للتوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار [للتخفيف والإيجاز، لأن افتتان المتكلم والخطيب في الفنون أحسن من اقتصاره] في المقام على فنٍّ واحدٍ، يقول القائل منهم: واللَّهِ لا أفعله، ثم واللَّهِ لا أفعله، إذا أراد التوكيد وحسم الأطماع مِنْ أَنْ يفعله، كما يقول: واللَّهِ أفعله، بإضمار «لا» إذا أراد الاختصار، ويقول القائل المستعجل: اعْجَلْ اعْجَلْ، وللرامي: ارم ارم، قال الشاعر:

كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لَهُ وَكَمْ وَكَمْ<sup>(١)</sup>

وقال الآخر:

هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْدَ يَوْمٍ وَلَوْ أَثْنَيْنِ أَيْنَا<sup>(٢)</sup>

وربما جاءت الصفة فأرادوا توكيدها، واستوحشوا من إعادتها ثانية لأنها كلمة واحدة، فغيروا منها حرفاً ثم أتبعوها الأولى، كقولهم: عَطَشَانُ نَطَشَانُ، وشيطان لَيَطَانُ، وحَسَنٌ بَسَنٌ. قال ابن دريد: ومن الإتيان: جائع نائع، ومليح قريح، وقبيح شقيح، وشحيح نخيح، وغيبث نبيث، وكثير بثير: وسبغ لَبِغ، وسائغ لائغ، وحَقِيرٌ تَقِير، وضئيل بئيل، وخضر مضر<sup>(٣)</sup>، وعَفِرْتِ يَفِرْتِ، وثَقَّةٌ يَفَقَّةٌ، وَكِئٌ إِنْ، وواحدٌ فاحدٌ، وحائزٌ بائرٌ، وَسَمُحٌ لَمُحٌ. قال ابن قتيبة: فلما عَدَدَ اللَّهُ تعالى في هذه السورة نعماءه، وأذَكَرَ عِبَادَهُ آلامه، وَبَيَّهَمَ على قُدْرته، جعل كل كلمة من ذلك فاصلة بين كل نعمتين، لِيُقَهِّمَهُمُ النِّعَمَ وَيُقَرِّرَهُمُ بِهَا، كقولك للرجل: ألم أَبَوَّلَكَ مَنَزَلاً وَكُنْتَ طَرِيداً؟ أَفَتُنْكِرُ هذا؟ ألم أَحَجَّ بِكَ وَأَنْتَ صَرُورَةٌ<sup>(٤)</sup>؟ أَفَتُنْكِرُ هذا؟ وروى الحاكم أبو عبد الله في «صحيحه» من حديث جابر بن عبد الله قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها [ثم] قال: «ما لي أراكم سكوتاً؟ لَلْجَنِّ كَانُوا أَحْسَنَ مِنْكُمْ رِذَاءً، ما قرأت عليهم هذه الآية من مَرَّةٍ ﴿فِي أَيِّ مَّالَةٍ نَّكَلْنَا نَكَلًا بَيِّنًا﴾ [١٤]، إِلَّا قَالُوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد»<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ قرأ أبو رجاء، وابن أبي عبة: «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ» بالخفض، وهما مَشْرِقُ الصَّيْفِ وَمَشْرِقُ الشِّتَاءِ وَمَغْرِبُ الصَّيْفِ وَمَغْرِبُ الشِّتَاءِ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ جَمِيعاً.

قوله تعالى: ﴿مَجَّ الْجَرَيْنِ﴾ أي: أرسل العذب والبلح وخلاهما وجعلهما: ﴿يَلْبِغَانِ﴾، ﴿يَبْهَمَا بَرْزَخٌ﴾ أي: حاجز

(١) الرجز غير منسوب في «مشكل القرآن» ١٨٣ وفيه:

كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لَكُمْ كَمْ كَمْ وَكَمْ

وهو أيضاً في «أما لي المرتضى» ٨٤/١ و«الصناعتين» ١٤٤، و«الصحاحي» ١٧٧.

(٢) البيت لعبيد بن الأبرص، «ديوانه» ١٤٢، و«مشكل القرآن» ١٤٣، و«مختارات ابن الشجري» ٣٩/٢، و«الشعر والشعراء» ٢٢٤/١.

(٣) قال في «اللسان»: مضر: أخذ الشيء خِضْراً يَضْرأ وخِضْراً يَضْرأ، أي: خضاً طرياً.

(٤) في «اللسان»: صرر: ورجل صرور وصرورة: لم يحج قط.

(٥) رواه الترمذي ١٦١/٢، والحاكم في «المستدرک» ٧٣/٢ من حديث الوليد بن مسلم ثنا زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حدث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد. قلت: وزهير بن محمد هذا وإن أخرج له الشيخان فقد قال البخاري كما في «التلخيص» ٣٤٩/٣: ما روى عنه أهل الشام، فإنه متاكير، وما روى عنه أهل البصرة فإنه صحيح، قلت: وهذا الحديث مما رواه عنه الوليد بن مسلم وهو من أهل الشام.



من قدرة الله تعالى: ﴿لَا يَبْيِغَانِ﴾ أي: لا يختلطان فيبغى أحدهما على الآخر. وقال ابن عباس: بحر السماء وبحر الأرض يلتقيان كل عام. قال الحسن: ﴿سَجَّ الْبَحْرَيْنِ﴾ يعني [بحر] فارس والروم، بينهما برزخ، يعني الجزائر؛ وقد سبق بيان هذا في [الفرقان: ٥٣].

قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قال الزجاج: إنما يخرج من البحر اللؤلؤ، وإنما جمعهما، لأنه إذا خرج من أحدهما فقد أخرج منهما، ومثله: ﴿وَجَمَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦]. قال أبو علي الفارسي: أراد: يخرج من أحدهما، فحذف المضاف. وقال ابن جرير: إنما قال «منهما» لأنه يخرج من أضداد البحر عن قطر السماء. فأما اللؤلؤ والمرجان، ففيهما قولان: أحدهما: أن المرجان: ما صغر من اللؤلؤ، واللؤلؤ: العظام، قاله الأکثرون. منهم ابن عباس، وقتادة، والضحاك، والفراء. وقال الزجاج: اللؤلؤ: اسم جامع للحب الذي يخرج من البحر، والمرجان: صغاره. والثاني: أن اللؤلؤ: الصغار، والمرجان: الكبار، قاله مجاهد، والسدي، ومقاتل. قال ابن عباس: إذا أمطرت السماء، فتحت الأصداف أفواهاها، فما وقع فيها من مطر فهو لؤلؤ؛ قال ابن جرير: حيث وقعت قطرة كانت لؤلؤة. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: ذكر بعض أهل اللغة أن المرجان أعجمي معرب. قال أبو بكر، يعني ابن دريد: ولم أسمع فيه بفعل منصرف، وأخر به أن يكون كذلك. قال ابن مسعود: المرجان: الخرز الأحمر. وقال الزجاج: [المرجان] أبيض شديد البياض. وحكى القاضي أبو يعلى أن المرجان: ضرب من اللؤلؤ كالقضباني.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْكِبَرُ﴾ يعني السفن ﴿الْمُنْتَثَاتُ﴾ قال مجاهد: هو ما قد رُفِعَ قَلْعُهُ من السفن دون ما لم يُرْفَع قَلْعُهُ. قال ابن قتيبة: هُنَّ اللواتي أنشئن، أي: ابتدئ بهن «في الْبَحْرِ»، وقرأ حمزة: «الْمُنْثَاتُ»، فجعلهن اللواتي ابتدأن، يقال: أنشأت السحابة تُمطر: إذا ابتدأت، وأنشأ الشاعر يقول. والأعلام: الجبال، وقد سبق هذا [الشورى: ٣٧].

﴿كُلٌّ مِّنْ عَلَيَّا قَالُوا وَيَسْئَلُ رَبُّكَ ذُو الْمَلَائِكِ وَالْإِكْرَارِ﴾ ﴿يَأْتِي مَالَهُ رَبُّكَ تَكْذِبَانِ﴾ ﴿يَسْأَلُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿يَأْتِي مَالَهُ رَبُّكَ تَكْذِبَانِ﴾

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنْ عَلَيَّا قَالُوا﴾ أي: على الأرض، وهي كناية عن غير المذكور، «قَالُوا»: أي، هالك. ﴿وَيَسْئَلُ رَبُّكَ رَبُّكَ﴾ أي: ويبقى ربك ﴿ذُو الْمَلَائِكِ وَالْإِكْرَارِ﴾ قال أبو سليمان الخطابي: الجلال: مصدر الجليل، يقال: جليل بين الجلالة والجلال. والإكرام: مصدر أكرم يُكْرَم إكراماً؛ والمعنى أن الله تعالى مستحق أن يُجَلَّ ويُكْرَم، ولا يُجْحَد ولا يُخْفَر به؛ وقد يحتمل أن يكون المعنى: أنه يُكْرَم أهل ولايته ويرفع درجاتهم؛ وقد يحتمل أن يكون أحد الأمرين - وهو الجلال - مضافاً إلى الله تعالى بمعنى الصفة له، والآخر مضافاً إلى العبد بمعنى الفعل منه، كقوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ الْمَلَأِ وَأَهْلُ الْعَفْوَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]. فانصرف أحد الأمرين إلى الله وهو المغفرة، والآخر إلى العباد وهو التقوى.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المعنى أن الكل يحتاجون إليه فيسألونه وهو غني عنهم ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ مثل أن يُحْيِي وَيُمِيت، وَيُعِزُّ وَيُذِلُّ، وَيُشْفِي وَمِيضاً، وَيُعْطِي سائلاً، إلى غير ذلك من أفعاله. وقال الحسين بن الفضل: هو سَوَّقُ المقادير إلى المواقيت. قال مقاتل: وسبب نزول هذه الآية أن اليهود قالت: إن الله لا يقضي في يوم السبت شيئاً، فنزلت: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

﴿سَمِعَ لَكُمْ آيَةُ الْفَقْدَانِ﴾ ﴿يَأْتِي مَالَهُ رَبُّكَ تَكْذِبَانِ﴾ ﴿بِمَعْمَرِ الْبَيْنِ وَالْإِنِّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْظُرُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ﴿يَأْتِي مَالَهُ رَبُّكَ تَكْذِبَانِ﴾ ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْابٌ مِّن نَّارٍ وَنَارٌ فَلَا تَنْصِرَانِ﴾ ﴿يَأْتِي مَالَهُ رَبُّكَ تَكْذِبَانِ﴾

قوله تعالى: ﴿سَمِعَ لَكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «سَمِعَ» بنون مفتوحة. وقرأ ابن مسعود، وعكرمة، والأعمش، وحمزة، والكسائي، وعبد الوارث: [«سَمِعَ»] بياء مفتوحة. وقرأ ابن السميع، وابن يعمر، وابن أبي عبله، وعاصم الجحدري، عن عبد الوارث: «سَمِعَ» بضم الياء وفتح الراء. قال الفراء: هذا وعيد من الله تعالى، لأنه لا يشغله شيء عن شيء، تقول للرجل الذي لا شغل له: قد فرغت لي؛ قد فرغت تشمتني؟! أي: قد أخذت في هذا وأقبلت عليه؟! قال الزجاج: الفراغ في اللغة على ضربين. أحدهما: الفراغ من شغل. والآخر:

القصد للشيء، تقول: قد فرغت مما كنت فيه، أي: قد زال شغلي به، وتقول: سأنتزع لفلان، أي: سأجعله قصدي، ومعنى الآية: ستعقد لحسابكم. فأما «الفلان» فهم الجن والإنس، شئياً بذلك لأنهما ثقل الأرض.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ أي: تخرجوا؛ يقال: نفذ الشيء من الشيء: إذا خلص منه، كالسهم ينفذ من الرمية؛ والأقطار: النواحي والجوانب. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا؛ قاله ابن عباس. والثاني: إن استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السموات والأرض فاهربوا وأخرجوا منها؛ والمراد: أنكم حينما كنتم أدرككم الموت، هذا قول الضحاك ومقاتل في آخرين. والثالث: إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والأرض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا؛ وإنما يقال لهم هذا يوم القيامة، ذكره ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا إِلَّا بِطَلَنٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا تنفون إلا في سلطان الله ومملكه، لأنه مالك كل شيء، قاله ابن عباس. والثاني: لا تنفون إلا بحجة، قاله مجاهد. والثالث: لا تنفون إلا بملك، وليس لكم ملك، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿يُرْسِلُ عَلَيْكَ﴾ فثنى على اللفظ. وقد جمع في قوله: ﴿إِنْ أَنْتَلِّمُ﴾ على المعنى. فأما «الشواظ» ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لهب النار، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: هو اللهب الأخضر المنقطع من النار. والثاني: الدخان، قاله سعيد بن جبير. والثالث: النار المحضه، قاله الفراء. وقال أبو عبيدة: هي النار التي تأجج لا دخان فيها، ويقال: شواظ وشواظ. وقرأ ابن كثير بكسر الشين؛ وقرأ أيضاً هو وأهل البصرة: «ونحاس» بالخفض، والباقون برفعهما. وفي «النحاس» قولان: أحدهما: أنه دخان النار، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، والفراء وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج، ومنه قول الجعدي يذكر امرأة:

نُضِيءُ كَضَرْوِ سِرَاجِ السَّلِيلِ  
طَلَمَ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاساً<sup>(١)</sup>

وذكر الفراء في السليط ثلاثة أقوال: أحدها: أنه دهن السنام، وليس له دخان إذا استُصيح به. والثاني: أنه دهن السمسم. والثالث: الزيت. والثاني: أنه الصُفْرُ المُذاب يُصَبُّ على رؤوسهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقاتة. قال مقاتل: والمراد بالآية: كفار الجن والإنس، يرسل عليهما في الآخرة لهب النار والصُفْرُ الذائب، وهي خمسة أنهار تجري من تحت العرش على رؤوس أهل النار، ثلاثة أنهار على مقدار الليل، ونهران على مقدار نهار الدنيا<sup>(٢)</sup>، ﴿فَلَا تَنْفِرَانِ﴾ أي: فلا تمتعان من ذلك.

﴿إِنَّمَا أَنْشَأَ السَّمَاءَ ثَلَاثَ رَوْدَءٍ ۖ أَلْوَحَايَ ۚ قُلُوبُهُ لَا يَسْمَعُ ۚ لَا يَسْمَعُ عَنْ دَلِيلِهِ ۚ وَلَا جَبَأٌ ۚ﴾<sup>(٣)</sup>  
﴿قُلُوبُهُ لَا يَسْمَعُ ۚ لَا يَسْمَعُ عَنْ دَلِيلِهِ ۚ وَلَا جَبَأٌ ۚ﴾<sup>(٤)</sup> قُلُوبُهُ لَا يَسْمَعُ ۚ لَا يَسْمَعُ عَنْ دَلِيلِهِ ۚ وَلَا جَبَأٌ ۚ  
﴿قُلُوبُهُ لَا يَسْمَعُ ۚ لَا يَسْمَعُ عَنْ دَلِيلِهِ ۚ وَلَا جَبَأٌ ۚ﴾<sup>(٥)</sup> قُلُوبُهُ لَا يَسْمَعُ ۚ لَا يَسْمَعُ عَنْ دَلِيلِهِ ۚ وَلَا جَبَأٌ ۚ

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْشَأَ السَّمَاءَ﴾ أي: انفرجت من المجرة لتزول من فيها يوم القيامة «ثَلَاثَ رَوْدَءٍ» وفيها قولان: أحدهما: كلون الفرس الوردية، قاله أبو صالح، والضحاك. وقال الفراء: الفرس الوردية، تكون في الربيع ورده إلى الصُفْرَةِ، فإذا اشتد الحر كانت وردة حمراء، فإذا كان بعد ذلك كانت وردة إلى الغيرة، فشبه تلون السماء بتلون الوردية من الخيل؛ وكذلك قال الزجاج: «ثَلَاثَ رَوْدَءٍ» أي: كلون فرس وردة؛ والكُميت: الورد يتلون، فيكون لونه في الشتاء خلاف لونه في الصيف، ولونه في الصيف خلاف لونه في الشتاء، فالسمااء تتلون من الفزع الأكبر. وقال ابن قتيبة: المعنى: فكانت حمراء في لون الفرس الورد. والثاني: أنها وردة النبات؛ وقد تختلف ألوانها، إلا أن الأغلب عليها الحمرة، ذكره الماوردي. وفي الدُّهَان قولان: أحدهما: أنه واحد، وهو الأديم الأحمر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه جمع دُهن، والدُّهْن تختلف ألوانه بخضرة وحُمرة وصُفْرَة، حكاه البيهقي، وإلى نحوه ذهب

(١) البيت في معجم القرآن ٢/ ٢٤٥، و«غريب القرآن» ٤٣٨، و«الطبري» ١٤١/ ٢٧، و«اللسان» و«التاج»: نحس.

(٢) هذا الخبر لا سند له، ورواه مقاتل - وهو ابن سليمان الأزدي المفسر - كذبوه وهجروه ورووه بالتجسيم كما في «الطريق».

مجاهد. وقال الفراء: شبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل، وشبه الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يُشْغِلُ عَنْ دُئْبِهِ إِشٌ وَلَا جَعٌ﴾ (٤٦) فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يسألون ليعلم حالهم، لأن الله تعالى أعلم منهم بذلك. والثاني: لا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله لاشتغال كل واحد منهم بنفسه، روي القولان عن ابن عباس. والثالث: لا يسألون عن ذنوبهم لأنهم يعرفون بسيماهم، فالكاfer أسود الوجه، والمؤمن أقر محجل من أثر وضوئه، قاله الفراء. قال الزجاج: لا يسأل أحد عن ذنبه ليستفهم، ولكنه يسأل سؤال توبيخ.

قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُ الْشَّجِرُونَ يَسِينُهُمْ﴾ قال الحسن: بسواد الوجوه، وزرق الأعين ﴿يُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن خزنة جهنم تجمع بين نواصيهم إلى أقدامهم من وراء ظهورهم، ثم يدفعونهم على وجوههم في النار، قاله مقاتل. والثاني: يؤخذ بالنواصي والأقدام، فيسحبون إلى النار، ذكره الثعلبي. وروي مردويه الصائغ، قال: صلى بنا الإمام صلاة الصبح فقرأ سورة «الرحمن» ومعنا علي بن الفضل بن عياض، فلما قرأ ﴿يَعْرِفُ الْشَّجِرُونَ يَسِينُهُمْ﴾ خَرَّ عَلَيَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ حَتَّى فَرَعْنَا مِنَ الصَّلَاةِ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قُلْنَا لَهُ: أَمَا سَمِعْتَ الْإِمَامَ يَقْرَأُ ﴿حُرِّقَ مَقْصُورَتِي فِي الْخِيَارِ؟﴾ قال: شغلني عنها ﴿يَعْرِفُ الْشَّجِرُونَ يَسِينُهُمْ يُوْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾.

قوله تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ﴾ أي: يقال لهم: هذه جهنم ﴿الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْكُفْرُونَ﴾ يعني المشركين، ﴿يَطْرُقُونَ بِهَا﴾ وقرأ أبو العالية، وأبو عمران الجوني: «يَطْرُقُونَ» بياء مضمومة مع تشديد الواو؛ وقرأ الأعشى مثله إلا أنه بالياء. قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَ جَمْعٍ آتَيْنِ﴾ قال ابن قتيبة: الحميم؛ الماء الحار، والآني: الذي قد انتهت شدته حره. قال المفسرون: المعنى أنهم يستون بين عذاب الجحيم وبين الحميم، إذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم الشديد الحرارة.

﴿وَلَمَنَ عَاقَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (٤٧) ﴿يَأْتِي مَالَهُ زَوَاجُهُ نَكْدَانِ﴾ (٤٨) ﴿ذَوَاتَا أَفْتَانِ﴾ (٤٩) ﴿يَأْتِي مَالَهُ زَوَاجُهُ نَكْدَانِ﴾ (٥٠) ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ (٥١) قوله تعالى: ﴿وَلَمَنَ عَاقَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (٤٧) فيه قولان: أحدهما: قيامه بين يدي ربه ﷻ يوم الجزاء. والثاني: قيام الله على عبده بإحصاء ما اكتسب. وجاء في التفسير: أن العبد يهيم بمعضية فيتركها خوفاً من الله ﷻ فله جنتان، وهما بستانان (٤٨). ﴿ذَوَاتَا أَفْتَانِ﴾ (٤٩) فيه قولان: أحدهما: أنها الأغصان، وهي جمع قَنَن، وهو الثمن المستقيم طولاً، وهذا قول مجاهد، وعكرمة، وعطية، والفراء، والزجاج. والثاني: أنها الألوان والضروب من كل شيء، وهي جمع قَنَن، وهذا قول سعيد بن جبير. وقال الضحاك: ذواتا ألوان من الفاكهة. وجمع عطاء بين القولين، فقال: في كل غصن فُتُون من الفاكهة.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ (٥١) قال ابن عباس: تجريان بالماء الزلال، إحداهما: السلسيل، والأخرى: التسليم. وقال عطية: إحداهما: من ماء غير آسن، والأخرى: من خمر. وقال أبو بكر الوراق: فيها عينان تجريان لِمَنَ كانت له في الدنيا عينان تجريان من البكاء.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ ثَكْبَةٍ ذَوَاتَانِ﴾ (٥٢) أي: صنفان ونوعان. قال المفسرون: فيها من كل ما يُتَفَكَّهُ به نوعان، ورطب وبابس، لا يقصر أحدهما عن الآخر في فضله.

﴿مُكْوَّنِينَ عَلَى فُرْشٍ بَلَائِيًا مِنْ إِسْتَرْقٍ وَمِنْ أَلْجَنِّينَ دَانٍ﴾ (٥٣) ﴿يَأْتِي مَالَهُ زَوَاجُهُ نَكْدَانِ﴾ (٥٤) ﴿فِيهَا قَصِيرَتُ الْفَرْقِ لَرٍ يَطْلُغُهُنَّ إِشٌ فَسَاهُهُنَّ وَلَا حِيَانٌ﴾ (٥٥) ﴿يَأْتِي مَالَهُ زَوَاجُهُ نَكْدَانِ﴾ (٥٦) ﴿كَأَنَّهُنَّ الْفَاوْتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (٥٧) ﴿يَأْتِي مَالَهُ زَوَاجُهُ نَكْدَانِ﴾ (٥٨) ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنَ﴾ (٥٩) ﴿يَأْتِي مَالَهُ زَوَاجُهُ نَكْدَانِ﴾ (٦٠)

﴿مُكْوَّنِينَ﴾ هذا حال المذكورين ﴿عَلَى فُرْشٍ﴾ جمع فراش: ﴿بَلَائِيًا﴾ جمع بطانة، وهي التي تحت الطهارة. وقال أبو هريرة: هذه البطائن، فما ظنكم بالظواهر؟! وقال ابن عباس: إنما ترك وصف الظواهر، لأنه ليس أحد يعلم ما هي.

(١) روي البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: جنتان من نعمة آتيتها وما فيها، وجنتان من نهب آتيتها وما فيها، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم ﷻ إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن.

وقال قتادة: البطائن: هي الظواهر بلغة قوم. وكان الفراء يقول: قد تكون البطانة ظاهرة، والظاهرة بطانة، لأن كل واحد منهما قد يكون وجهاً، والعرب تقول: هذا ظَهَرُ السماء، وهذا بَطْنُ السماء، لظاهرها، وهو الذي نراه، وقال ابن الزبير يعيب قَتْلَ عثمان: خرجوا عليه كاللصوص من وراء القرية، فقتلهم الله كل قتل، ونجا منهم من نجا تحت بطون الكواكب. يعني هربوا ليلاً، فجعلوا ظهور الكواكب بطوناً، وذلك جائز في العربية. وأنكر هذا القول ابن قتيبة جداً، وقال: إنما أراد الله أن يعرفنا - من حيث نفهم - فضل هذه الفُرُش وأن ما ولي الأرض منها استبرق، وإذا كانت البطانة كذلك، فالظاهرة أعلى وأشرف. وهل يجوز [لأحد] أن يقول لوجه مصل: هذا بطانته، ولما ولي الأرض منه: هذا ظهارته (١٩)؟ وإنما يجوز هذا في ذي الوجهين المتساويين، تقول لما وليك من الحائط: هذا ظَهَرُ الحائط، ويقول جارك لما وليه: هذا ظَهَرُ الحائط، وكذلك السماء ما وليتنا منها: ظَهَر، وهي لِمَنْ قَوْفُها: بَطْن (٢٠). وقد ذكرنا الإستبرق في [سورة] [الكهف: ٣١].

قوله تعالى: ﴿فَمِمَّنَ الْجَنَّتَيْنِ ذَاكَ﴾ قال أبو عبيدة: أي: ما يُجتنى قريب لا يُعني الجاني.

قوله تعالى: ﴿فَمِمَّنَ قَصِرَتْ أَوْرَاقُهُ﴾ قد شرحناه في [الصفات: ٤٨]. وفي قوله: ﴿فَمِمَّنَ﴾ قولان: أحدهما: أنها تعود إلى الجنتين وغيرهما مما أعد لصاحب هذه القصة، قاله الزجاج. والثاني: أنها تعود إلى الفُرُش، ذكره علي بن أحمد النيسابوري.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَتْلُوتُهُنَّ﴾ قرأ الكسائي بضم الميم، والباقون بكسرهما، وهما لغتان: يَتْلُوتُ وَيُطْلُتُ، مثل يَفْكُفُ وَيَفْكُفُ. وفي معناه قولان: أحدهما: لم يَتَقَصَّضْهُنَّ؛ والظن: التَّكْاحُ بالثديمة، ومنه قيل للحائض: طائِثٌ، قاله الفراء. والثاني: لَمْ يَمَسَّسْهُنَّ؛ يقال: ما طَمَسَتْ هذا البعيرَ حَبْلٌ [قَطَطَ]، أي: ما مَسَّه، قاله أبو عبيد. قال مقاتل: وذلك لأنهن خُلِفْنَ من الجنة؛ فعلى قوله، هذا صفة الحور. وقال الشعبي: هُنَّ من نساء الدنيا لَمْ يَمَسَّسْهُنَّ مذ أنشئن خلق. وفي الآية دليل على أن الجنَّ يَغْتَسِي المرأة كالإنسي.

قوله تعالى: ﴿كَانَتْ أَلْكَوُثُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قال قتادة: هُنَّ في صفاء الياقوت وبياض المَرْجَان. وذكر الزجاج أن أهل التفسير وأهل اللغة قالوا: هُنَّ في صفاء الياقوت وبياض المَرْجَان (٢١) وبياض اللؤلؤ، وهو أشدُّ بياضاً. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: «الياقوت» فارسيٌّ معربٌ، والجمع «اليواقيت»، وقد تكلمت به العرب، قال مالك بن نويرة الزبوعي:

لَنْ يُلْزِمَ السُّؤْمُ تَاَجَ قَدْ حُبِيتْ بِهِ  
مِنَ الزُّرْجِدِ وَالْيَاقُوتِ وَالذُّقْبِ (٢٢)

قوله تعالى: ﴿مَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ قال الزجاج، أي: ما جزاء مَنْ أَحْسَنَ في الدنيا إلا أن يُحَسَّنَ إليه في الآخرة. وقال ابن عباس: هل جزاء من قال: «لا إله إلا الله» وعَمِلَ بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة. وروى أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية، وقال: «هل تدرون ما قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن ربكم يقول: هل جزاء مَنْ اتَّعَنَّا عليه بالتوحيد إلا الجنة» (٢٣).

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ﴾ ﴿مُتَّعَاتَانِ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ﴾ ﴿فِيهِمَا عِتَابٌ لِّلَّذِينَ ۖ﴾

(١) في الأصل «بطانته»، والتصويب من «غريب القرآن». (٢) في «غريب القرآن»: وهو لمن فوقها - من الملائكة - بطن.  
(٣) روى مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أمواه كوكب هوي في السماء، لكل امرئ منه زوجتان تتان، يرى مع سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب».

(٤) البيت في «المعرب» ٣٥٦.

(٥) روى البغوي في «تفسيره» وفي إسناده ضعف، وذكره السيوطي في «الدر» ١٤٩/٦ وزاد نسبه للحكيم الترمذي في «توابع الأصول» والديلمي في «مستند الفردوس» وابن النجار في «تاريخه» عن أنس بن مالك ﷺ. وقال السيوطي في «الدر» ١٤٩/٦: أخرجه ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» وضعفه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿مَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ قال: «ما جزاء من أتممت عليه بالتوحيد إلا الجنة». قال: وأخرج عبد حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قوله: ﴿مَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ قال رسول الله ﷺ: «هل جزاء من أتممت عليه ممن قال: لا إله إلا الله في الدنيا إلا الجنة في الآخرة».

يَأْتِي مَالَهُ زَكَاةً يُكَذِّبُهَا ﴿٧٧﴾ فِيمَا نَكْتُمُ وَنَعْلُ رَوَّانٌ ﴿٧٨﴾ يَأْتِي مَالَهُ زَكَاةً يُكَذِّبُهَا ﴿٧٩﴾ فِيمَا نَكْتُمُ وَنَعْلُ رَوَّانٌ ﴿٨٠﴾ يَأْتِي مَالَهُ زَكَاةً يُكَذِّبُهَا ﴿٨١﴾ سَوْرٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَارِ ﴿٨٢﴾ يَأْتِي مَالَهُ زَكَاةً يُكَذِّبُهَا ﴿٨٣﴾ لَوْ يَلْمِزْنَ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴿٨٤﴾ يَأْتِي مَالَهُ زَكَاةً يُكَذِّبُهَا ﴿٨٥﴾ مُكَيِّدٌ عَلَى رَقَبَةٍ خَضِرٍ وَبَقَرَةٍ جَنَّاتٍ ﴿٨٦﴾ يَأْتِي مَالَهُ زَكَاةً يُكَذِّبُهَا ﴿٨٧﴾ تَبَرَّكَ أَنْتَ رَبَّنَا وَبِالْحَمْدِ لِلَّهِ الْكَلِيمِ ﴿٨٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ قال الزجاج: المعنى: ولَمَنْ خاف مقام ربِّه جنتان، وله مِنْ دُونِهِمَا جنتان. وفي قوله: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ قولان: أحدهما: دونهما في الدَّرَج، قاله ابن عباس. والثاني: دونهما في الفضل كما روى أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «جنتان من ذهب وجنتان من فضة»<sup>(١)</sup>؛ وإلى نحو هذا ذهب ابن زيد، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿مُدَّعَاتَانِ﴾ قال ابن عباس [وابن الزبير]: خضراوان من الرِّي. وقال أبو عبيدة: من خُضِرْتِهما قد اسودَّتا. قال الزجاج: يعني أنهما خضراوان تضرب خضرتُهما إلى السَّوَاد، وكل نبت أخضر فتمام خُضِرْتِه وريِّه أن يضرب إلى السَّوَاد.

قوله تعالى: ﴿نَضَّاجَاتٍ﴾ قال أبو عبيدة: فَوَارَتَان. وقال ابن قتيبة: تفوران، و«النَّضْجُ» أكثر من «النَّضْح». وفيما يفوران به أربعة أقوال: أحدها: بالمسك والكافور، قاله ابن مسعود. والثاني: بالماء، قاله ابن عباس. والثالث: بالخيز والبركة، قاله الحسن. والرابع: بأنواع الفاكهة، قاله سعيد بن جبيرة.

قوله تعالى: ﴿وَنَعْلُ رَوَّانٍ﴾ قال ابن عباس: نَحْلُ الْجَنَّةِ: جذوعها زمرّد أخضر، وكرْبُها: ذهب أحمر<sup>(٢)</sup>، وسَعْفُها: كُسوة أهل الجنة، منها مَقْطَعَاتُهم وحُلُهم. وقال سعيد بن جبيرة: نخل الجنة: جذوعها من ذهب، وعروقها من ذهب، وكرانيفها من زمرّد، ورطبها كالذَّلاء أشد بياضاً من اللَّبَن، والين من الرُّيد، وأحلى من العسل، ليس له عَجَم<sup>(٣)</sup>. قال أبو عبيدة: الكرانيف: أصول السَّعَف الغلاظ، الواحدة: كَرْنَاقَة<sup>(٤)</sup>. وإنما أعاد ذكر النَّخْلِ والرُّمَّان - وقد دخلا في الفاكهة - لبيان فضلها كما ذكرنا في قوله: ﴿وَنَلَّهْكَ كَيْدَ رُسُلِهِ وَجَنِيحَ وَمَيْكَنَ﴾ [البقرة: ٩٨]، هذا قول جمهور المفسرين واللُّغَوِيِّين. وحكى الفراء والزجاج أن قوماً قالوا: ليسا من الفاكهة؛ قال الفراء: وقد ذهبوا مذهباً، ولكن العرب تجعلهما فاكهة. قال الأزهري: ما علمتُ أحداً من العرب قال في النخيل والكروم وثمارها: إنها ليست من الفاكهة، وإنما قال من قال، لِقَلَّةِ عِلْمِهِ بكلام العرب، فالعرب تذكرُ أشياء جملة ثم تَحْصُ شيئاً منها بالتسمية تنبيهاً على فضل فيه، كقوله: ﴿وَجَنِيحَ وَمَيْكَنَ﴾ [البقرة: ٩٨]؛ فمن قال: ليسا من الملائكة كفر، ومن قال: ثمر النخل والرمان ليسا من الفاكهة جهل.

قوله تعالى: ﴿فِيهِمْ﴾ يعني في الجنان الأربع: ﴿خَيْرَاتٌ﴾ يعني الحور. وقرأ معاذ القارئ، وعاصم الجحدري، وأبو نهيك؛ «خَيْرَاتٌ» بتشديد الياء. قال اللغويون: أصله «خَيْرَاتٌ» بالتشديد، فَخُفَّ، كما قيل: هَيَّيْ لَيْنٌ. وَهَيَّيْ لَيْنٌ. وروى أم سلمة عن النبي ﷺ أنه قال: «خَيْرَاتُ الْأَخْلَاقِ جِسانُ الْوُجُوهِ»<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ﴾ قد بيَّنا في سورة [الدخان: ٥٤] معنى الحور. وفي المقصورات قولان: أحدهما: المحبوسات في الجِجَال، قاله ابن عباس، وهو مذهب الحسن، وأبي العالية، والقرظي، والضحاك، وأبي صالح. والثاني: المقصورات الطَّرَف على أزواجهن، فلا يرفعن طَرَفاً إلى غيرهم، قاله الربيع. وعن مجاهد كالقولين. والأول أصح، فإن العرب تقول: امرأة مَقْصُورة وقَصِيرَة وقَصُورَة: إذا كانت ملازمة خدرها، قال كُثَيْر:

لَعَمْرِي لَقَدْ حَبَّبْتُ كُلَّ قَاصِرَةٍ  
إِلَيَّ، وَمَا تَذَرِي بِذَاكَ الْقَصَاصِ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» ٤٧٩/٨ وَمُسْلِمٌ ١٦٣/١ وَلَفْظُهُ بِشَمَاء: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ أَتَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ أَتَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رِجْلِهِمْ إِلَّا رَدَّاهُ الْكِبْرِيَاءُ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عِلْدَنَ».

(٢) قَالَ فِي «النِّهَايَةِ»: وَفِي صِفَةِ نَخْلِ الْجَنَّةِ: كَرْبُهَا ذَهَبٌ، وَهُوَ بِالتَّحْرِيكِ أَصْلُ السَّفَرِ، وَقِيلَ: مَا يَبْقَى مِنْ أَمْوَالِهِ فِي النَّخْلَةِ بَعْدَ الْقَطْعِ كَالْعِرَاقِيِّ.

(٣) الْمَجْمُوعُ بِالتَّحْرِيكِ: النَّوَى، الْوَاحِدَةُ: عِجْمَةٌ، مِثْلُ قِصْبَةٍ وَقِصْبٍ.

(٤) كَرْنَاقَةٌ: بِكسر الكاف وضمة.

(٥) رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ الطَّبْرِيُّ ١٥٨/٢٧ وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ، وَذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَجَةِ» ١٥٠/٦ وَزَادَ نِسْبَةَ لِلطَّبْرَانِيِّ، وَابْنُ مَرْدُوَيْهِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٦) الْبَيْهَقِيُّ فِي «غَرِيبِ الْقُرْآنِ» ٤٤٣، وَ«الْقُرْطُبِيُّ» ١٨٩/١٧، وَ«الْبَحْرُ» ١٨٩/٨، وَ«اللِّسَانُ» وَ«التَّاجُ»: قَصَر.

عَنْبِثُ قَصِيرَاتِ الْحَجَالِ، وَلَمْ أَرِدْ  
 قِصَارَ الْخُطَى، شَرُّ النِّسَاءِ الْبَحَائِرُ  
 وبعضهم ينشده: قَصُورَةٌ، وَقُصُورَاتٌ؛ والباحتر القُصار. وفي «الخيام» قولان: أحدهما: أنها البيوت. والثاني: خيام  
 تضاف إلى القصور. وقد روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ [أنه] قال: «إن  
 للمؤمن في الجنة لخمعة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها في السماء سِتُّونَ ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم  
 [المؤمن]، فلا يرى بعضهم بعضاً»<sup>(١)</sup>. وقال عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وابن عباس: الخيام: دُرٌّ مُجَوَّفٌ. وقال  
 ابن عباس: الخيمة: لؤلؤة واحدة أربعة فراسخ في أربعة فراسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب.

قوله تعالى: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ﴾ وقرأ عثمان بن عفان، وعاصم الجحدري، وابن محيصن: «على رَفَارَفٍ» جمع  
 غير مصروف. وقرأ الضحاك، وأبو العالية، وأبو عمران الجوني مثلهم، إلا أنهم صرفوا «رفارف» قال ثعلب: إنما لم  
 يقل: أخضر، لأن الرَّفْرَفَ جمع، وأحدته: رفرفة، كقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكَ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠] ولم  
 يقل: الخُضْرُ، لأن الشجر جمع، تقول: هذا حصي أبيض، وحصي أسود، قال الشاعر:  
 أَحَقُّ عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ مَا شِئْتُ بِهِرْجَابَ مَا دَامَ الْأَرَاكُ بِهِ خُضْرًا<sup>(٢)</sup>

واختلف المفسرون في المراد بالرَّفْرَفِ على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها فضول المحابس [والبُسُط]، رواه العوفي  
 عن ابن عباس. وقال أبو عبيدة: هي: الفُرُش والبُسُط. وحكى الفراء، وابن قتيبة: أنها المحابس<sup>(٣)</sup>. وقال النقاش:  
 الرَّفْرَفُ: المحابس الخُضْرُ فوق الفُرُش. والثاني: أنها رياض الجنة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن  
 جبير. والثالث: أنها الوسائد، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَعَبْقَرِيَّ حَسَانٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها الزُّرَابِيَّةُ، قاله ابن عباس، وعطاء، وقتادة، والضحاك،  
 وابن زيد، وكذلك قال ابن قتيبة: العبقرية: الطنَّافِسُ النُّحَانُ. قال أبو عبيدة: يقال لكل شيء من البُسُط: عبقرية.  
 والثاني: أنه الدُّبْيَاغُ الغليظ، قاله مجاهد. قال الزجاج: أصل العبقرية في اللغة أنه صفة لكل ما يُولَغُ في وصفه، وأصله  
 أن عبقر: بلد كان يوشى فيه البُسُط وغيرها، فُنسب كل شيء جيد إليه، قال زهير:

يَحْمِلُ عَلَيْهَا جِنَّةً عَبْقَرِيَّةً جَدِيدُونَ يَوْمًا أَنْ يَنَالُوا فَيَسْتَعْمِلُوا<sup>(٤)</sup>

وقرأ عثمان بن عفان، وعاصم الجحدري، وابن محيصن: «وعَبَاقِرِيَّةٌ» بآلف مكسورة القاف مفتوحة الياء من غير  
 تنوين؛ قال الزجاج: ولا وجه لهذه القراءة في العربية، لأن الجمع الذي بعد ألفه حرفان، نحو: مساجد ومفاتيح، لا  
 يجوز أن يكون فيه مثل عَبَاقِرِيَّةٍ، لأن ما جاوز الثلاثة لا يُجمع بياء النسب، فلو جمعت «عبقرية» كان جمعه «عباقرة»،  
 كما أنك لو جمعت «مُهَلْبِيَّةً» كان جمعه «مُهَلْبِيَّةً»، ولم تقل: «مُهَلْبِيَّةً»، قال: فإن قيل: «عبقرية» واحد، و«حَسَانٌ»  
 جمع، فكيف جاز هذا؟ فالأصل أن واحد هذا «عبقرية» والجمع «عبقرية»، كما تقول: ثَمَرَةٌ، وَتَمْرٌ، وَلَوْزَةٌ، وَلَوْزٌ،  
 ويكون أيضاً «عبقرية» اسماً للجنس. وقرأ الضحاك، وأبو العالية، وأبو عمران: «وعَبَاقِرِيَّةٌ» بآلف مع التنوين.

قوله تعالى: ﴿بَرَكَةً أَمْ رَبِّكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن دَخَرَ «الاسم» صِلَةً، والمعنى: تبارك ربك. والثاني: أنه  
 أصل. قال ابن الأنباري: المعنى: تفاعل من البركة، أي: البركة ثَمَلٌ وَتُكْتَسَبُ بِذِكْرِ اسْمِهِ. وقد يَتَنَا معنى «تبارك» في  
 [الأعراف: ٥٤]، وذكرنا في هذه السورة معنى ﴿وَيُؤَيِّدُ الْكَلِمَةَ وَالْإِكْرَامَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وكان ابن عامر يقرأ: «ذو الجلال» وكذلك  
 هي في مصاحف أهل الشام؛ والباقون: «ذو الجلال» وكذلك هي في مصاحف أهل الحجاز والعراق، [وهم] متفقون  
 على الموضع الأول أنه «ذو».



(١) رواه البخاري ٤٧٩/٨، ومسلم ٢١٨٢/٤.

(٢) الشطر الثاني من البيت في «اللسان» و«التاج»: هرجب. و«هرجاب»: اسم موضع.

(٣) المحابس: جمع محبس، وهو الثوب يطرح عن ظهر الفراش للثوم عليه.

(٤) «ديوانه» ١٠٣، و«مجاز القرآن» ٢٤٦/٢، و«القرطبي» ١٩٢/١٧، و«اللسان»: عبقر.

## سورة الواقعة

وفيها قولان: أحدهما: أنها مكيّة، قاله الأكثرون، منهم ابن عباس، والحسن، وعطاء، وعكرمة، وقتادة، وجابر، ومقاتل. وحكي عن ابن عباس أن فيها آية مدنيّة وهي قوله: ﴿وَيَقْلُوبُونَ رُؤُوسَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٤٨]. والثاني: أنها مدنيّة، رواه عطية عن ابن عباس.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لَوْفِقِهَا كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۝ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۝ وَسُيِّتَ الْجِبَالُ سُيًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۝ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝ فَأَصْحَبُ الِأَيْمَنَةِ مَا أَصْحَبُ الِأَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَبُ الْشَّمَائِلِ مَا أَصْحَبُ الْشَّمَائِلِ ۝ وَالشَّيْثُونَ الشَّيْثُونَ ۝ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: لما قال المشركون: متى هذا الوعد، متى هذا الفتح؟ نزل قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾، فالمعنى: يكون إذا وقعت الواقعة. قال المفسرون: والواقعة: القيامة، وكل آت يتوقع، يقال له إذا كان: قد وقع، والمراد بها هاهنا: النَّفْخَةُ في الصُّور لقيام الساعة. ﴿لَيْسَ لَوْفِقِهَا﴾ أي: لظهورها ومجيئها «كاذبة» أي: كذب، كقوله: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَيًّا﴾ [الغاشية: ١١] أي: لغوًا. قال الزجاج: «وكاذبة» مصدر، كقولك: عافاه الله عافيةً، وكذَّب كاذبَةً، فهذه أسماء في موضع المصدر. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: لا رجعة لها ولا ارتداد، قاله قتادة. والثاني: ليس الإخبار عن وقوعها كذبًا، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ﴾ أي: هي خافضة «رافعة» وقرأ أبو رزين<sup>(١)</sup>، وأبو عبد الرحمن، وأبو العالية، والحسن، وابن أبي عبله، وأبو حيوة، واليزيدي في اختياره: «خافضة رافعة» بالنصب فيهما. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: أنها خفضت فأسمعت القريب، ورفعت فأسمعت البعيد، رواه العوفي عن ابن عباس. وهذا يدل على أن المراد بالواقعة: صيحة القيامة. والثاني: أنها خفضت ناسًا، ورفعت آخرين، رواه عكرمة عن ابن عباس. قال المفسرون: تخفض أقوامًا إلى أسفل السافلين في النار، وترفع أقوامًا إلى عليين في الجنة.

قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ أي: حُرِّكَت حركةً شديدةً وزلزَلَتْ، وذلك أنها ترتج حتى ينهدم ما عليها من بناء، وينثرت ما عليها من جبل. وفي ارتجاجها قولان: أحدهما: أنه لإماتة من عليها من الأحياء. والثاني: لإخراج من في بطنها من الموتى.

قوله تعالى: ﴿وَسُيِّتَ الْجِبَالُ سُيًّا﴾ فيه قولان: أحدهما: قُتِلَتْ قَتَاً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. قال ابن قتية: قُتِلَتْ حتى صارت كالذَّقِيقِ والسَّوِيقِ المبسوس. والثاني: لُتَّتْ، قاله قتادة. وقال الزجاج: حُطِطَتْ وَلُتَّتْ. قال الشاعر:

لَا تَسْخَرُوا خَبِيرًا وَبُسًّا بَسًّا<sup>(٢)</sup>

وفي «الهباء» أقوال قد ذكرناها في [الفرقان: ٢٣]. وذكر ابن قتية أن الهباء المُنْبَثُ: ما سطع من سنايك الخيل، وهو من «الهيبة»، والهيبة: الغبار. والمعنى: كانت ترابًا منتشرًا.

قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: أضغاثًا «ثَلَاثَةً». «فَأَصْحَبُ الِأَيْمَنَةِ» فيهم ثمانية أقوال: أحدها: [أنهم] الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت ذُرِّيَّتُهُ مِنْ ضَلْبِهِ، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم الذين يُعْطَوْنَ كتبهم بأيمانهم، قاله

(١) في النسخة الاستبوابية: أبو المتوكل.

(٢) الرجز في «مجاز القرآن» ٢/٢٤٨، و«الطبري» ٢٧/١٦٧، و«القرطبي» ١٧/١٩٦، و«الصالح» و«اللسان» و«التاج»: بس.

الضحاك، والقرظي. والثالث: أنهم الذين كانوا يأمين على أنفسهم، أي: مباركين، قاله الحسن، والربيع. والرابع: أنهم الذين أخذوا من شئ آدم الأيمن، قاله زيد بن أسلم. والخامس: أنهم الذين منزلتهم عن اليمين، قاله ميمون بن مهران. والسادس: أنهم أهل الجنة، قاله السدي. والسابع: أنهم أصحاب المنزلة الرفيعة، قاله الزجاج. والثامن: أنهم الذين يؤخذ بهم] ذات اليمين إلى الجنة، ذكره علي بن أحمد النيسابوري.

قوله تعالى: ﴿مَا أَحْبَبْتُ الْيَمِينَ﴾ قال الفراء: عَجِبْتُ نَبِيَّ ﷺ منهم؛ والمعنى: أي شيء؟ هُم؟ قال الزجاج: وهذا اللفظ في العربية مجراه مجرى التعجب، ومجراه من الله ﷻ في مخاطبة العباد ما يعظم به الشأن عندهم، ومثله: ﴿مَا لَكَائِةٌ﴾ [الحاقة: ٢]، ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٢]؛ قال ابن قتيبة: ومثله أن يقول: زَيْدٌ مَا زَيْدًا أَي: أَيُّ رَجُلٍ هُوَ! ﴿وَأَمْسَبَ اللَّيْلُ مَا أَحْبَبْتُ اللَّيْلَ﴾ [أي: أصحاب] (١) الشمال، والعرب تسمي اليد اليسرى: الشَّوْمَى، والجانب الأيسر: الأَشَام، ومنه قيل: اليمَن والشَّوْم، فاليمَن: كأنه [ما] (٢) جاء عن اليمين، والشَّوْم [ما جاء] عن الشمال، ومنه سميت اليمَن، و «الشَّام» لأنها عن يمين الكعبة وشمالها. قال المفسرون: أصحاب الميمنة: هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين، ويعطون كتبهم بأيمانهم؛ وتفسير أصحاب المشأمة على ضد تفسير أصحاب الميمنة سواء؛ والمعنى: أي قوم هم؟ ماذا أعد لهم من العذاب؟!

قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (٣) فيهم خمسة أقوال: أحدها: أنهم السابقون إلى الإيمان من كل أمة، قاله الحسن، وقتادة. والثاني: أنهم الذين صلوا [إلى] أقبليتين، قاله ابن سيرين. والثالث: أهل القرآن، قاله كعب. والرابع: الأنبياء، قاله محمد بن كعب. والخامس: السابقون إلى المساجد وإلى الخروج في سبيل الله، قاله عثمان بن أبي سودة. وفي إعادة ذكرهم قولان: أحدهما: أن ذلك للتوكيد. والثاني: أن المعنى: السابقون إلى طاعة الله هم السابقون إلى رحمة الله، ذكرهما الزجاج.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (٤) قال أبو سليمان الدمشقي: يعني عند الله في ظل عرشه وجواره.

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (٥) وَقِيلَ مِنَ الْآخِرِينَ (٦) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُوعَةٍ (٧) تُنَكَّبِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (٨) يَلْقَوْنَ عَلَيْهِمْ قُلُوبٌ مَلَأَتْ وَلَدًا مَخْلُوعًا (٩) يَأْكُلُونَ وَالْأَرْبَابُ زَكَاةً مِنْ مِيعَةٍ (١٠) لَا يَصُدُّونَ عَنْهَا وَلَا يُرْفَعُونَ (١١) وَلَكِنَّهُمْ مِمَّا يَبْتَغُونَ (١٢) وَكَلِمَةً مِمَّا يَبْتَغُونَ (١٣) وَحُرُوفًا (١٤) كَانَتْ لِلزُّلُمِ الْأَكْثَرِ (١٥) جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَمْلِكُونَ (١٦) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْلِيمًا (١٧) إِلَّا فَيَلَا سَكَنًا سَكَنًا (١٨)

قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (٥) الثَّلَاة: الجماعة غير محصورة العدد. وفي الأولين والآخريين هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن الأولين: الذين كانوا من زمن آدم إلى زمن نبينا ﷺ، والآخرون: هذه الأمة. والثاني: [أن الأولين]: أصحاب رسول الله ﷺ، والآخريين: التابعون. والثالث: أن الأولين [والآخريين: من]: أصحاب نبينا محمد ﷺ. فعلى الأول يكون المعنى: إن الأولين السابقين جماعة من الأمم المتقدمة الذين سبقوا بالتصديق لأنبيائهم مَنْ جاء بعدهم مؤمنًا، وقليلٌ من أمة محمد ﷺ، لأن الذين عاينوا الأنبياء أجمعين وصدَّقوا بهم أكثر ممن عاين نبينا وصدَّق به. وعلى الثاني: أن السابقين: جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم الأولون من المهاجرين والأنصار، وقليل من التابعين وهم الذين اتَّبَعُوهم بإحسان. وعلى الثالث: أن السابقين: الأولون من المهاجرين والأنصار، وقليل ممن جاء بعدهم لعجز المتأخرين أن يلحقوا الأولين، فقليل منهم من يقاربهم في السَّبق. وأما «الموضونة»، فقال ابن قتيبة: هي المنسوجة، كان بعضها أدخِلَ في بعض، أو تُصَدُّ بعضها على بعض، ومنه قيل للدُّع: مَوْضُونَةٌ، ومنه قيل: وَضِيْنُ الثَّاقَةِ، وهو بَطَانٌ مِنْ سُيُورٍ يُدْخَلُ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ. قال الفراء: سمعت بعض العرب يقول: الْأَجْرُ مَوْضُونٌ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، أي: مُشْرَجٌ. وللمفسرين في معنى «مَوْضُونَةٌ» قولان: أحدهما: مرمولة بالذهب (٢)، رواه مجاهد عن ابن عباس. وقال عكرمة: مشبكة بالدُّرِّ والياقوت، وهذا معنى ما ذكرناه عن ابن قتيبة، وبه قال الأكثرون. والثاني: مصفوفة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وما بعد هذا قد تقدم بيانه [الكف: ٣٠] إلى قوله: ﴿وَلَدًا مَخْلُوعًا﴾ [الولدان:



الغلمان. وقال الحسن البصري: هؤلاء أطفال لم يكن لهم حسنات فيُجْزَوْنَ بها، ولا سيئات فيعاقبون عليها. فوضعوا بهذا الموضع. وفي المخلدين قولان: أحدهما: أنه من الخلد؛ والمعنى: أنهم مخلوقون للبقاء لا يتغيرون، وهم على سنٍّ واحد. قال الفراء: والعرب تقول للإنسان إذا كَبُرَ ولم يَشْمَطْ: أو لم تذهب أسنانه عن الكِبَر: إنه لمخلد، هذا قول الجمهور. والثاني: أنهم المُقَرَّبُونَ، ويقال: المُسَوَّرُونَ، ذكره الفراء، وابن قتيبة، وأنشدوا في ذلك:

وَمَخَلَّدَاتٌ بِاللُّجَيْنِ كَأَنَّمَا أَعْجَازُهُنَّ أَقَاوِزُ الْكُتُبَانِ<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ﴾ الكوب: إناء لا عروة له ولا خُرطوم، وقد ذكرناه في [الزخرف: ٧٢]؛ والأباريق: آنية لها عُرَى وخراطيم؛ وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: الإبريق: فارسي معرب، وترجمته من الفارسية أحد شيتين، إما أن يكون: طريق الماء، أو: صب الماء على هيئة، وقد تكلمت به العرب قديماً، قال عدي بن زيد:

وَدَعَا بِالصَّبِيحِ يَوْمًا فَجَاءَتْ قَيْنَةً فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ<sup>(٢)</sup>

وربما في الآيات في [الصفات: ٤٦].

قوله تعالى: ﴿لَا يَصُدُّونَ عَنَّا وَلَا يُزِفُونَ﴾<sup>(٣)</sup> فيه قولان: أحدهما: لا يَلْحَقُهُم الصُّدَاعُ الذي يلحق شارب خمر الدنيا. و «عنها» كناية عن الكأس المذكور، والمراد بها: الخمر، وهذا قول الجمهور. والثاني: لا يتفرقون عنها، من قولك: صدغته فانصدع، حكاه ابن قتيبة. «ولا يَزِفُونَ» مفسر في [الصفات: ٤٧]<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَحْزِنُونَ﴾ أي: يختارون، تقول: تخيرت الشيء: إذا أخذت خيره.

قوله تعالى: ﴿رَبِّكَ كَثِيرٌ﴾ قال ابن عباس: يخطر على قلبه الطير، فيصير مثلاً بين يديه على ما اشتهى. وقال مغيث بن سمي: تقع على أغصان شجرة طوبى طير كأمثال البُخْتِ<sup>(٥)</sup>، فإذا اشتهى الرجل طيراً دعاه، فيجيء حتى يقع على خوانه<sup>(٦)</sup>، فيأكل من أحد جانبيه قديداً والآخر شواءً، ثم يعود طيراً فيطير فيذهب.

قوله تعالى: ﴿يُخَوِّرُ عَيْنَ﴾<sup>(٧)</sup> قرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «وَيُخَوِّرُ عَيْنَ» بالرفع فيهما. وقرأ أبو جعفر، وحزمة، والكسائي، والمفضل عن عاصم: بالخفض فيهما. وقرأ أبي بن كعب، وعائشة، وأبو العالية، وعاصم الجحدري: «وَيُخَوِّرُ عَيْنًا» بالنصب فيهما. قال الزجاج: والذين رفعوا كرهوا الخفض، لأنه معطوف على قوله: ﴿يُطَوِّفُ عَلَيْهِمْ﴾، قالوا: والخور ليس مما يُطَافُ به، ولكنه مخفوض على غير ما ذهب إليه هؤلاء، لأن المعنى: يطوف عليهم ولدانٌ مخلدون بأكوابٍ ينعمون بها، كذلك ينعمون بلحم طير، فكذا ينعمون بخور عَيْنَ، والرفع أحسن، والمعنى: ولهم خور عَيْنَ؛ ومن قرأ «وَيُخَوِّرُ عَيْنًا» حملة على المعنى، لأن المعنى: يُعْطَوْنَ هذه الأشياء ويُعْطَوْنَ خوراً عَيْنًا، إلا أنها تخالف المصحف فتُكْرَهُ. ومعنى «كَأَنَّشِلَ الْوَلُؤُ» أي: صفاؤه وتلاؤه كصفاء اللؤلؤ وتلاؤه. والمكنون: الذي لم يغيّره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال، فهو كاللؤلؤ حين يخرج من صدفه. «جزءاً» منصوب مفعول له؛ والمعنى: يُفعل بهم ذلك جزءاً بأعمالهم، ويجوز أن يكون منصوباً على أنه مصدر، لأن معنى «يُطَوِّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مَخْلُودَانِ»: يُجَاوِزُونَ جزءاً بأعمالهم؛ وأكثر النحويين على هذا الوجه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَقْوًا﴾ قد فسرنا معنى اللغو والسلام في سورة اعراف: ٦٢ ومعنى التائيم في [الطور: ٢٣] ومعنى «مَا أَصْحَبَ آلِيَيْنَ» في أول هذه السورة [الواقعة: ٤٩]. فإن قيل: التائيم لا يُسمع فكيف ذكره مع المسموع؟ فالجواب: أن العرب يُنْعَمُونَ آخر الكلام أوله، وإن لم يحسن في أحدهما ما يحسن في الآخر، فيقولون: أكلتُ خبزاً ولَبَنًا، واللبن لا يؤكل، إنما حَسُنَ هذا لأنه كان مع ما يؤكل، قال الفراء: أنشدني بعض العرب:

(١) البيت غير منسوب في «غريب القرآن» ٤١٧، و«القرطبي» ٢٠٢/١٧، و«اللسان» و«التاج»: قوز. والأقاز: جمع قوز، وهو كتيب من الرمل صغير شبه به أرداف النساء، فالإضافة للبيان.

(٢) البيت في «المعرب» للجوابي ٢٣.

(٣) قال ابن كثير: ورد في الضحاك عن ابن عباس أنه قال: في الخمر أربع خصال: الشُّكْر، والصُّدَاع، والقيء، والبول، فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزهاها عن هذه الخصال. اهـ.

(٤) البُخْت: الإبل الحُرَّاسانية. (٥) الخوان، بضم الخاء وكسرهما: الذي يؤكل عليه.

إِذَا مَا الْغَنَائِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا  
قَالَ: وَالْعَيْنُ لَا تَزْجَجُ إِنَّمَا تَكْجَلُ، فَرَدَّهَا عَلَى الْحَاجِبِ لِأَنَّ الْمَعْنَى يُعْرَفُ، وَأَنْشَدَنِي آخَرَ:  
وَلَقَسِمِيكَ زَوْجَكَ فَنَسِيَ السَّوْعَى  
مَنْقُلاً سَائِفاً وَزُنْحاً<sup>(١)</sup>  
وَأَنْشَدَنِي آخَرَ:

عَلَفْتُهَا تَبْنَاءً وَمَاءً بَارِداً<sup>(٢)</sup>

والماء لا يُغْلَفُ وإنما يُشْرَبُ، فجعله تابعاً للثبني؛ قال الفراء: وهذا [هو] وجه قراءة من قرأ، «وَحُورٌ عَيْنٌ» بالخفض، لإتباع آخر الكلام أوّله، وهو وجه العربية.

﴿وَأَحْسَبُ الْيَمِينَ مَا أَحْسَبُ الْيَمِينَ﴾ (١٧) فِي يَمِينِ مَحْضُورٍ (١٨) وَكَلَجَ مَحْضُورٍ (١٩) وَظَلَى مَحْضُورٍ (٢٠) وَكَأَوْ مَحْضُورٍ (٢١) وَكَفَكَهُوَ (٢٢) لَا مَقْطُوعَةً وَلَا مَمْنُوعَةً (٢٣) وَرُبِّي مَمْنُوعَةً (٢٤) إِنَّا أَشْأَنَهُنَّ إِنَّنَا (٢٥) لَجُتْنَهُنَّ أَكْثَرًا (٢٦) عَمَّا أَكْرَأَا (٢٧) لِأَحْسَبُ الْيَمِينَ (٢٨) ثَلَاثَةٌ يَكُ الْأَوَّلَيْنِ (٢٩) وَثَلَاثَةٌ يَكُ الْآخِرِينَ (٣٠)

وقد شرحنا معنى قوله: ﴿وَأَحْسَبُ الْيَمِينَ﴾ في قوله: ﴿وَأَحْسَبُ الْيَمِينَ﴾ [الواقعة: ٩]. وقد روي عن علي عليه السلام أنه قال: أصحاب اليمين: أطفال المؤمنين<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فِي يَمِينِ مَحْضُورٍ﴾ (١٨) سبب نزولها أن المسلمين نظروا إلى وَجْهِهِ وهو وادٍ بالطائف مخصب. فأعجبهم سدره، فقالوا: يا ليت لنا مثل هذا؟ فنزلت هذه الآية، قاله أبو العالية، والضحاك. وفي المخضود ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذي لا شوك فيه، رواه أبو طلحة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وقاسم بن زهير. قال ابن قتيبة: كلته مُجَصَّدَ شَوْكِهِ، أي: قلع، ومنه قول النبي ﷺ في المدينة: «لَا يَخْضَدُ شَوْكُهَا»<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه الموقر حملاً، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والضحاك. والثالث: أنه الموقر الذي لا شوك فيه، ذكره قتادة. وفي الطَّلَح قولان: أحدهما: أنه الموز، قاله علي، وابن عباس، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، [والحسن]، وعطاء، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه شجر عظام كبار الشوك، قال أبو عبيدة: هذا هو الطَّلَح عند العرب، قال الحادي:

بَشَّرَهَا دَلِيلُهَا وَقَالَ  
عَدَا تَرَيْنَ الطَّلَحَ وَالْجِبَالَ<sup>(٣)</sup>

فإن قيل: ما الفائدة في الطَّلَح؟ فالجواب أن له نَوْرًا وريحاً طيبة، فقد وعدهم ما يعرفون ويميلون إليه، وإن لم يقع التساوي بينه وبين ما في الدنيا. وقال مجاهد: كانوا يُعْجِبُونَ بِهِ «وَجْ» وظلاله من طلحه وسدره. فأما المنضود، فقال ابن قتيبة: هو الذي قد نُضِذَ بِالْحَمَلِ أو بالورق والحمل من أوّله إلى آخره، فليس له ساق بارزة، وقال مسروق: شجر الجنة نضيد من أسفلها إلى أعلاها.

قوله تعالى: ﴿ظَلَى مَحْضُورٍ﴾ (٢٠) أي: دائم لا تنسخه الشمس<sup>(٤)</sup>. ﴿وَكَاؤُ مَحْضُورٍ﴾ (٢١) أي: جار غير منقطع. قوله تعالى: ﴿لَا مَقْطُوعَةً وَلَا مَمْنُوعَةً﴾ (٢٣) فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا مقطوعة في حين دون حين، ولا ممنوعة بالحيطان والنواطير، إنما هي مطلقّة لمن أرادها، هذا قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، ولخصه بعضهم فقال: لا مقطوعة بالأزمان، ولا ممنوعة بالأثمان. والثاني: لا تنقطع إذا جُنِيتْ، ولا تُمنَع من أحد إذا أريدت،

(١) البيت غير منسوب في «مشكل القرآن» ١٦٥، و«الطبري» ١٧٦/٢٧، و«أساس البلاغة» و«الصاح» و«اللسان» و«التاج»: زجج.

(٢) سبق البيت ٣٦٢.

(٣) رواء الطبري ١٧٩/٢٧ وفي سنده عثمان بن قيس وهو ضعيف.

(٤) رواء أحمد في «المسنّد» رقم (٢٩٢٣) ولفظه بتمامه: عن ابن عباس عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي حرم، وحرمي المدينة، اللهم إني أحرمها بحرمك، أن لا يورى فيها محدث، ولا يخلّى خلاها، ولا يعهد شوكها، ولا تؤخذ لقطتها إلا لمتشدّد، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣٠١/٣ من أحمد وحسنه. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٧/٤: ووقع في رواية لعمر بن شبة بلفظ «لا يخضد» بالخاء المعجمة بدل العين المهملة، وهو راجع إلى معناه، فإن أصل الخضد: الكسر ويستعمل في القطع. اهـ.

(٥) البيت غير منسوب في «مجاز القرآن» ٢٥٠/٢، و«الطبري» ١٨١/٢٧، ونسبه «القرطبي» ٢٠٨/١٧ إلى الجمدي.

(٦) روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» من حديث أبي هريرة عليه السلام عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، الرّوّا إن شتم: ﴿ظَلَى مَحْضُورٍ﴾». اهـ.

روي عن ابن عباس. والثالث: لا مقطوعة بالفتاء، ولا ممنوعة بالفساد، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَرُفِعَ مَرْفُوعَةٌ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الحشايا المفروشة للجلوس والنوم، وفي رفعها قولان: أحدهما: [أنها] مرفوعة فوق السرير. والثاني: أن رفعها؛ زيادة حشوها لطيب الاستمتاع بها. والثاني: أن المراد بالفراش: النساء؛ والعرب تسمي المرأة: فراشاً وإزاراً ولباساً؛ وفي معنى رفعهن ثلاثة أقوال: أحدها: أنهن رُفِعْنَ بالجمال على نساء أهل الدنيا. والثاني: رُفِعْنَ عن الأنداس. والثالث: في القلوب لثمة الميل إليهن.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ لِنَشْأٍ﴾ يعني النساء. قال ابن قتيبة: اكتفى بذكر الفُرْش لأنها محل النساء عن ذكرهن. وفي المشار إليهن قولان: أحدهما: أنهن نساء أهل الدنيا المؤمنات؛ ثم في إنشأتهن قولان: أحدهما: أنه إنشأوهن من القبور، قاله ابن عباس. والثاني: إعادتهن بعد الشُّطْط<sup>(١)</sup> والكِبَر أيكاراً صغاراً، قاله الضحاك. والثاني: أنهن الحُور العين، وإنشأوهن: لإيجادهن عن غير ولادة، قاله الزجاج. والصواب أن يقال: إن الإنشاء عَمَهُنَّ كُلَّهُنَّ، فالحُور أنشئن ابتداءً، والمؤمنات أنشئن بالإعادة وتغيير الصفات؛ وقد روى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ مِنَ الْمُنْشَأَتِ اللَّائِي كُلُّ فِي الدُّنْيَا حَاجَزٌ خَشَاءٌ رَفْعاً»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يُحْشِنُهُنَّ أَكْبَارًا﴾ أي: عذاري. وقال ابن عباس: لا يأتيها زوجها إلا وجدتها بكراً.

قوله تعالى: ﴿عُرْيًا﴾ قرأ الجمهور: بضم الراء. وقرأ حمزة، وخلف: بإسكان الراء؛ قال ابن جرير: هي لغة تميم ويكر. وللمفسرين في معنى «عُرْيًا» خمسة أقوال: أحدها: أنهن المتحبات إلى أزواجهن، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبيرة، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنهن العواشي، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة، ومقاتل، والمبرّد؛ وعن<sup>(٣)</sup> مجاهد كالتقويلين. والثالث: الحسنة التبعل، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال أبو عبيدة. والرابع: الغُنْجَات، قاله عكرمة. والخامسة: الحسنة الكلام، قاله ابن زيد. فأما الأثراب فقد ذكرناهن في [ص: ٢٥٢].

قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ هذا من نعت أصحاب اليمين. وفي الأولين والآخرين خلاف، وقد سبق شرحه [الرواية: ١١٣]. وقد زعم مقاتل أنه لما نزلت الآية الأولى، وهي قوله: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ وجد المؤمنون من ذلك وجداً شديداً حتى أنزلت ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ ففسختها. وروي عن عروة بن رُويم نحو هذا المعنى. قلت: وادعاء النسخ هاهنا لا وجه له لثلاثة أوجه: أحدها: أن علماء النسخ والمنسوخ لم يوافقوا على هذا. والثاني: أن الكلام في الآيتين خبر، والخبر لا يدخله النسخ، [فهو هاهنا لا وجه له]. والثالث: أن الثَلَاثَ بمعنى الفِرْقَة والفتة؛ قال الزجاج: اشتقاقهما من القطعة، والثَّلُّ: الكسر والقطع. فعلى هذا قد يجوز أن تكون الثَلَاثَ في معنى القليل.

﴿وَأَحَبُّ إِلَيَّ مَا أَحَبَّ إِلَيَّ﴾ ١ في سُبُورٍ وَحَمِيرٍ ٢ وَظِلٌّ مِنْ يَمِينٍ ٣ لَا بَابُ وَلَا كَرِيمٍ ٤ إِنْهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَكِينَ ٥ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيْدَا يَمِينَا وَكُنَّا شُرَكَاءَ وَعِظَمًا لَوْ كُنَّا لَمَتَّبِعُونَ ٦ أَوْ بَابُ الْآدَمِ ٧ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ٨ لَمَجْمُوعُونَ لِمَا يُفْتَدَى بِمِثْلِهِمْ ٩ ثُمَّ إِنَّكُمْ إِيَّاهُ السَّالُونَ ١٠ لَكُلُّونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُفَرٍ ١١ فَلَوْلَاقِيَّتَا الْبَلَدِ ١٢ فَتَدْرُونَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامِ ١٣ فَتَدْرُونَ شَرِبَ الْمَيِّ ١٤ هَذَا تَزَلُّمٌ يَوْمَ الْقِيَامِ ١٥

قوله تعالى: ﴿مَا أَحَبَّ إِلَيَّ﴾ قد بينّا أنه بمعنى التعجب من حالهم؛ والمعنى: ما لهم، وما أعدّ لهم من الشر؟ ثم بين لهم سوء مُتَقَلِّبِهِمْ فقال: ﴿فِي سُبُورٍ﴾ قال ابن قتيبة: هو حُرُّ النَّارِ.

قوله تعالى: ﴿وَظِلٌّ مِنْ يَمِينٍ﴾ قال ابن عباس: ظِلٌّ من دخان. قال الفراء: الِيخُموم: الدُّخَانُ الأسود، ﴿لَا بَابُ وَلَا كَرِيمٍ﴾ فوجه الكلام الخفض تبعاً لما قبله، ومثله ﴿يَتَزَيَّعُونَ لَا شَرِيْعَ وَلَا غَرِيْبَ﴾ [النور: ٣٥]، وكذلك قوله:

(١) الشُّطْط: الشَّيْب.

(٢) رواه ابن جرير ١٨٥/٢٧، ١٨٦، والترمذي في «جامعه» ١٦٤/٢ من رواية موسى بن عبيدة الرضدي عن يزيد بن أبان الرقاشي عن أنس، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، قال: وموسى بن عبيدة ويؤيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

(٣) في الأصل: عن.

﴿وَفَكَهَمُوا كَيْدَهُ﴾ (٦٢) لَا مَقْطُوعَ وَلَا مَمْنُوعَ، ولو رفعت ما بعد «لا» كان صواباً، والعرب تجعل الكريم تابِعاً لكل شيء نفث عنه فعلاً يُنَوَّى [به] الذم، فنقول: ما هذه الدار بواسعة ولا كريمة، وما هذا بسمين ولا كريم. قال ابن عباس: لا بارد المدخل ولا كريم المنظر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ أي: في الدنيا ﴿مُتَرَفِّفِينَ﴾ أي: متنعمين في ترك أمر الله، فشغلهم ترفُّهم عن الاعتبار والتعبد. ﴿وَكَاذِبُوا يَصُورُونَ﴾ أي: يُقيمون ﴿عَلَّ لَيْتَنِي﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الشُّرك، قاله ابن عباس، والحسن، والضحاك، وابن زيد. والثاني: الذُّنْب العظيم الذي لا يتوبون منه. قاله مجاهد. وعن قتادة كالقولين. والثالث: أنه اليمين الغموس، قاله الشعبي. والرابع: الشُّرك والكفر بالبعث، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٦٣) قال أبو عبيدة: الواو متحركة لأنها ليست بواو «أَوَّ» إنما هي «وَأَبَاؤُنَا»، فدخلت عليها ألف الاستفهام فثرت مفتوحة. وقرأ أهل المدينة، وابن عامر: «أَوْ أَبَاؤُنَا» بإسكان الواو وقد صحق بيان ما لم يُذَكَّر هاهنا (مرد: ١٠٣، الصفات: ٦٢، الانعام: ٧٠) إلى قوله: ﴿فَتَنَبَّهُوا شَرَّ الْبَئِيسِ﴾ (٦٤) قرأ أهل المدينة، وهماصم، وحمزة: «شُرْب» بضم الشين؛ والباقون بفتحها. قال الفراء: والعرب تقول: شَرَبْتُهُ شُرْباً، وأكثر أهل نجد يقولون شُرْباً بالفتح، أنشدني عائتهم:

تَكْفِيهِ حَزَّةٌ فَلَوْلَ إِنْ أَلَمَ بِهَا  
مِنَ الشَّوَاءِ وَيَكْفِيهِ شَرُّهُ الشُّمَرُ<sup>(١)</sup>

وزعم الكسائي أن قوماً من بني سعد بن تميم يقولون: «شُرِبَ الهيم» بالكسر. وقال الزجاج: «الشُّرب» المصدر، و«الشُّرب» بالضم: الاسم، قال: وقد قيل: إنه مصدر أيضاً. وفي «الهيم» قولان: أحدهما: الإبل العطاش، رواه ابن أبي طلحة. والعوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وعطاء، والضحاك، وقاتدة. قال ابن قتيبة: هي الإبل يُصَيِّبُهَا دَاءٌ فَلَا تَرَوَى مِنَ الْمَاءِ، يقال: بعيرٌ أَهْيَمٌ، وناقَةٌ هَيْمَاءٌ. والثاني: أنها الأرض الرُّمْلَة التي لا تَرَوَى مِنَ الْمَاءِ، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً. قال أبو عبيدة: الهيم: ما لا يَرَوَى من زَمَلٍ أو بعير.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَزَّلْنَاهُ﴾ أي: رزقهم. ورواه عباس عن أبي عمرو: «نَزَّلْنَاهُمْ» بسكون الزاي، أي: رزقهم وطعامهم. وفي «الذين» قولان قد ذكرناهما في (الفاتحة).

﴿فَخَنَ خَلْقَكُمْ فَلَوْلَا نَصِيحُونَ﴾ (٦٥) أَرَدَيْتُمْ مَا تُثْنُونَ (٦٦) هَٰأَنَتُمْ خَلْقْتُمُوهُ أَمْ تَخُنُّونَ الْفَالِقُونَ (٦٧) عَنْ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ (٦٨) عَلَّ أَنْ يُؤَلَّ أَتْلُكُمْ وَنُصِيبَكُمْ فِي مَا لَا تَحْمِلُونَ (٦٩) وَلَقَدْ جِئْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٧٠)

قوله تعالى: ﴿فَخَنَ خَلْقَكُمْ﴾ أي: أوجدناكم ولم تكونوا شيئاً، وأنتم تُفَرِّقُونَ بهذا ﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلاً ﴿نَصِيحُونَ﴾ بالبعث! ثم احتج على بعثهم بالقدرة على ابتدائهم فقال: ﴿أَرَدَيْتُمْ مَا تُثْنُونَ﴾ (٦٦) قال الزجاج: أي: ما يكون منكم من المني، يقال: أمني الرجل يُعْنِي، ومنى يَمْنِي، فيجوز على هذا «فَتَمْنُونَ» بفتح التاء إن ثبت به رواية.

قوله تعالى: ﴿هَٰأَنَتُمْ خَلْقْتُمُوهُ أَمْ تَخُنُّونَ الْفَالِقُونَ﴾ (٦٧) أي: تخلقون ما تُثْنُونَ بَشْراً! وفيه تنبيه على شيئين: أحدهما: الامتنان، إذ خلق من الماء المهيمن بَشْراً سَوِيًّا. والثاني: أن من قَدَّر على خَلْق ما شاهدتموه من أصل وجودكم كان أَقْدَرَ على خَلْق ما غاب عنكم من إعادتكم.

قوله تعالى: ﴿عَنْ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ وقرأ ابن كثير: «قَدَرْنَا» بتخفيف الدال. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: قضينا عليكم بالموت. والثاني: سَوَّيْنَا بَيْنَكُمْ في الموت ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ﴾ (٦٨) عَلَّ أَنْ يُؤَلَّ أَتْلُكُمْ قال الزجاج: المعنى: إن أردنا أن نخلق خلقاً غيركم لم يسبقنا سابق، ولا يفوتنا ذلك. وقال ابن قتيبة: لسنا مغلوبين على أن نُسْتَبَدَّ بكم أمثالكم.

(١) البيت لأعشى باهلة من قصيدته الجيدة التي يرثي بها أخاه المتشرب بهب الباهلي ومطلعا:

قد جاء من عل أنبياء أنبأوها

إلبي لا عجب منها ولا سحر

وهي في «الأصمعيات» ٨٩، و«جمهرة أشعار العرب» ٢٥٤ و«مختارات ابن الجبري» ١٩، و«أمالى المرتضى» ١٥٥/٣ وغيرها، والحزة: ما قطع من اللحم طويلاً، والفلذ: كيد البعير، والغمر: أصفر الأقداح.

قوله تعالى: ﴿وَنُفِثَكُمْ فِي مَا لَا تَمْلِكُونَ﴾ وفي أربعة أقوال: أحدها: نبذل صفاتكم ونجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم، قاله الحسن. والثاني: ننشكهم في حواصل طير سود تكون به «برهوت» كأنها الخطاطيف، قاله سعيد بن المسيب<sup>(١)</sup>. والثالث: نخلقكم في أي خلق شئنا، قاله مجاهد. والرابع: نخلقكم في سوى خلقكم، قاله السدي. قال مقاتل: نخلقكم سوى خلقكم في ما لا تعلمون من الصور.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾ وهي ابتداء خلقكم من نُطفة وعَلَقَة ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: فهلّا تَعْتَبِرُونَ فتعلموا قُدرة الله فَتَقَرُّوا بالبعث.

﴿أَوَلَيْتُمْ مَا تَحْمِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup> مَا تَزْرَعُونَهُ أَمْ عَنْ الزَّرْعِ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكُّهُونَ﴾<sup>(٣)</sup> إِنَّا لَمَعْرِضُونَ ﴿بَلْ عَنْ حَرْثٍ مَزِيدٍ﴾<sup>(٤)</sup> أَوَلَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿إِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ أَمْ عَنْ السَّمَاءِ أَمْ عَنْ الْمُنْتَشِينَ﴾<sup>(٥)</sup> لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ لُجُلًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿أَوَلَيْتُمْ أَتَارَ الْوُجُوهِ﴾<sup>(٦)</sup> مَا تَنْشَأْتُمْ شَجَرًا أَمْ عَنْ الشَّجَرِ ﴿عَنْ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتْنًا لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٧)</sup> فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الطَّيِّبِ ﴿٧﴾

﴿أَوَلَيْتُمْ مَا تَحْمِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup> أي: ما تعملون في الأرض من إثارها، وإلقاء البذور فيها، ﴿مَا تَزْرَعُونَهُ﴾ أي: تُبْتِنُونَهُ؟ وقد نبّه هذا الكلام على أشياء منها إحياء الموتى، ومنها الامتنان بإخراج القوت، ومنها القدرة العظيمة الدالة على التوحيد.

قوله تعالى: ﴿لَجَعَلْنَاهُ﴾ يعني الزرع ﴿حُطَامًا﴾ قال عطاء: تبناً لا قمح فيه. وقال الزجاج: أبطلناه حتى يكون محتطاً لا حنطة فيه، ولا شيء.

قوله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ﴾ وقرأ الشعبي، وأبو العالية، وابن أبي عبله: ﴿فَظَلْتُمْ﴾ بكسر الظاء؛ وقد بيناه في قوله: ﴿ظَلَلْتُ عَلَيْهِ مَا كُنَّا﴾ [٢٧: ٢٧].

قوله تعالى: ﴿تَفَكُّهُونَ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وابن السميع، والقاسم بن محمد، وعروة: ﴿تَفَكُّنُونَ﴾ بالنون. وفي المعنى أربعة أقوال: أحدها: تَعَجُّبُونَ، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، ومقاتل. قال الفراء: تَتَعَجَّبُونَ مِمَّا نَزَلَ بِكُمْ في زرعكم. والثاني: تَتَذَمُّونَ، قاله الحسن، والزجاج. وعن قتادة كالقولين. قال ابن قتيبة: يقال: ﴿تَفَكُّهُونَ﴾: تَتَذَمُّونَ، ومثلها: تَفَكُّنُونَ، وهي لغة لُحْلُ. والثالث: تتلاومون، قاله عكرمة. والرابع: تَتَضَّعُّعُونَ، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَعْرِضُونَ﴾<sup>(٣)</sup> قال الزجاج: أي: تقولون: قد غَرِمْنَا وذهب زرعنا. وقال ابن قتيبة: ﴿لَمَعْرِضُونَ﴾ أي: لَمَعْدَبُونَ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿بَلْ عَنْ حَرْثٍ مَزِيدٍ﴾<sup>(٤)</sup> أي: حُرِمْنَا ما كُنَّا نطلبه من الزرع في الزرع. وقد نبّه بهذا على أمرين: أحدهما: إنعامه عليهم إذ لم يجعل زرعهم حُطَامًا. والثاني: قدرته على إهلاكهم كما قدر على إهلاك الزرع. فأما المَزْن، فهي السحاب، وأحدثها: مُزْنَة. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿وُجُوهٍ﴾ قال أبو عبيدة: تستخرجون، من أَوْرِيْتُ، وأكثر ما يقال: وَرَيْت. وقال ابن قتيبة: التي تستخرجون من الرُّنُود. قال الزجاج: «تورون» أي: تقدحون، تقول: أوريث النار، إذا قدحتها.

قوله تعالى: ﴿مَا تَنْشَأْتُمْ شَجَرًا﴾ في المراد بشجرتها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الحديد، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها الشجرة التي تتخذ منها الرُّنُود، وهو خشب يُحْكُ بعضه ببعض فتخرج منه النار، هذا قول ابن قتيبة، والزجاج. والثالث: أن شجرتها: أصلها، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿عَنْ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا﴾ قال المفسرون: إذا رآها الرائي ذكر نار جهنم، وما يخاف من عذابها، فاستجار بالله منها ﴿وَمَتْنًا﴾ أي: منفعة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وفيهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم المسافرون، قاله ابن عباس،

(١) برهوت: واد باليمن، وقد روي أن أرواح الكفار تجتمع فيه، وأن أرواح المؤمنين بالجابية من أرض الشام، ولكن لا دليل عليه من الكتاب والسنة الصحيحة، ولعل ذلك من الإسرائيليات.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: إِنَّا لَمَعْدَبُونَ، وذلك أن الغرام عند العرب: الغلاب.

وقتادة، والضحاك. قال ابن قتيبة: سما بذلك لنزلهما القوي، وهو القفر. وقال بعض العلماء: المسافرون أكثر حاجة إليها من المقيمين، لأنهم إذا أوقدوها هربت منهم السباع واهتدى بهم الضال. والثاني: أنهم المسافرون والحاضرون، قاله مجاهد. والثالث: أنهم الجائعون، قال ابن زيد: المقوي: الجائع في كلام العرب. والرابع: أنهم الذين لا زاد معهم ولا مرد لهم، قاله أبو عبيدة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَسِيحَ يَاسِرَ رَبِّكَ الْغَظِيْبِ﴾ قال الزجاج: لما ذكر ما يدل على توحيده، وقدرته، وإنعامه، قال: «فسبح» أي: برّء الله ونزّهه عما يقولون في وصفه. وقال الضحاك: معناه: فصل باسم ربك، أي: استفتح الصلاة بالتكبير. وقال ابن جرير: سبّح بذكر ربك وتسميته. وقيل: الباء زائدة. والاسم يكون بمعنى الذات، والمعنى: فسبح ربك.

﴿فَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَوْقِعِ الْجَبْرِ﴾ و﴿وَإِنَّ لَفَسْرَ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ إِنَّ لَقَوْلَهُ كَرِيمٌ ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿تَنْزِيلَ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَلَيْكَذَا لَكُمُوتٌ أَنْتُمْ تُذَوِّتُونَ ﴿وَيَعْمَلُونَ لَكُمْ كَذِبُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿فَلَا أُنَبِّئُكُمْ﴾ في «لا» قولان: أحدهما: أنها دخلت تأكيداً. والمعنى: فأقسم، ومثله ﴿إِنَّمَا يَمْلِكُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [الحشر: ٢٩] قال الزجاج: وهو مذهب سعيد بن جبير. والثاني: أنها على أصلها. ثم في معناها قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى ما تقدم، ومعناها: النهي، تقدير الكلام: فلا تكذبوا، ولا تجحدوا ما ذكرته من النعم والحجج، قاله الماوردي. والثاني: أن<sup>(٢)</sup> «لا» رد لما يقوله الكفار في القرآن: إنه سحر، وشعر، وكهانة. ثم استأنف القسم على أنه قرآن كريم، قاله علي بن أحمد النيسابوري: وقرأ الحسن: فلا قسم بغير ألف بين اللام والهمزة.

قوله تعالى: ﴿بِمَوْقِعٍ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: «بموقع» على التوحيد. قال أبو علي: مواقعها: مساقطها. ومن أفرد، فلأنه اسم جنس. ومن جمّع، فلاختلاف ذلك. وفي «النجوم» قولان: أحدهما: نجوم السماء، قاله الأكثرون. فعلى هذا في مواقعها ثلاثة أقوال: أحدا: انكدارها وانتشارها يوم القيامة، قاله الحسن. والثاني: منازلها، قاله عطاء وقتادة. والثالث: مغيبها في المغرب، قاله أبو عبيدة. والثاني: أنها نجوم القرآن، رواه ابن جبير عن ابن عباس. فعلى هذا سميت نجومها متفرقة، ومواقعها: نزولها ﴿وَإِنَّ لَفَسْرَ﴾ الهاء كناية عن القسم. وفي الكلام تقديم وتأخير، تقديره: وإنه لقسم عظيم لو تعلمون عظمته. ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُكَ كَرِيمٌ﴾ والكريم: اسم جامع لما يحمد، وذلك أن فيه البيان، والهدى، والحكمة، وهو مُعْظَم عند الله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه اللوح المحفوظ، قاله ابن عباس. والثاني: أنه المصحف الذي بأيدينا، قاله مجاهد، وقتادة. وفي «المكنون» قولان: أحدهما: مستور عن الخلق، قاله مقاتل، وهذا على القول الأول. والثاني: مصون، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ من قال: إنه اللوح المحفوظ. فالمطهرون عنده: الملائكة، وهذا قول ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وسعيد بن جبير. فعلى هذا يكون الكلام خبراً. ومن قال: هو المصحف، ففي المطهرين أربعة أقوال: أحدها: أنهم المطهرون من الأحداث، قاله الجمهور. فيكون ظاهر الكلام النهي، ومعناه النهي. والثاني: المطهرون من الشرك، قاله ابن السائب. والثالث: المطهرون من الذنوب والخطايا، قاله الربيع بن أنس. والرابع: أن معنى الكلام: لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به، حكاه الفراء<sup>(٣)</sup>.

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: غني بذلك المسافر الذي لا زاد معه ولا شيء له، وأصله من قولهم: أفوت الدار: إذا غلبت من أهلها وسكانها. اهـ.

(٢) في الأصل: أنه.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه أخبر أنه لا يمس الكتاب المكنون إلا المطهرون، فمع بغيره المطهرين، ولم يخص بعضاً دون بعض، قال: فالملائكة من المطهرين، والرسول والأنبياء من المطهرين، قال: وكل من كان مطهراً من الذنوب، فهو ممن استثنى وعني بقوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ اهـ.

قال ابن كثير: وقال آخرون: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ أي من الجنابة والحدث، قالوا: ولفظ الآية خبر، ومعناها الطلب، قالوا: والمراد بالقرآن =

قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ﴾ أي: هو تنزيل. والمعنى: هو منزل، فسمي المنزل تنزيلاً في اتساع اللغة، كما تقول للمقدور: قدر، وللمخلوق: خلق.

قوله تعالى: ﴿أَنبِئُوا النَّبِيَّاتِ﴾ يعني: القرآن ﴿أَنْتُمْ تُنذِرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: مكذبون، قاله ابن عباس، والضحاك، والفراء. والثاني: مائلون الكفار على الكفر به، قاله مجاهد. قال أبو عبيدة: المدهن: المداهن، وكذلك قال ابن قتيبة: «مدهنون» أي: مدهنون. يقال: أدهن في دينه، وداهن ﴿وَيَحْتَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ﴾<sup>(١)</sup> روى مسلم في «صحيحه»<sup>(٢)</sup> من حديث ابن عباس قال: مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: «أصبح من الناس شاكراً، ومنهم كافر». قالوا: هذه رحمة وضعها الله حيث شاء. وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا، وكذا، فنزلت هذه الآية ﴿فَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَوْعِدِ الْجُورِ﴾ حتى بلغ ﴿أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ﴾. وروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث زيد بن خالد الجهني، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة بالحديبية على إثر سماء<sup>(٣)</sup> كانت من الليل. فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر. فأما المؤمن فقال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي، كافر بالكواكب. وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذاك كافر بي مؤمن بالكواكب»<sup>(٤)</sup>. وللمفسرين في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أن الرزق هاهنا بمعنى الشكر. روت عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿وَيَحْتَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ قال: «شكركم»<sup>(٥)</sup>، وهذا قول علي بن أبي طالب، وابن عباس. وكان علي يقرأ «وتجعلون شكركم»<sup>(٦)</sup>. والثاني: أن المعنى: وتجعلون شكر رزقكم تكذيبكم، قاله الأكثرون. وذلك أنهم كانوا يمتطرون، فيقولون: مطرنا بنوء كذا. والثالث: أن الرزق بمعنى الحظ. فالمعنى: وتجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون، ذكره الثعلبي. وقرأ أبي بن كعب، والمفضل عن عاصم «تَكْذِبُونَ» بفتح التاء، وإسكان الكاف، مخففةً الذال.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْمُلُوكُ﴾<sup>(١)</sup> وَأَنْتَ حَيٌّ بِرَحْمَتِنَا<sup>(٢)</sup> وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْكُمْ أَنْ تَقُولُوا إِنْ كُنْتُمْ بِمَدِينَةٍ تَرْجُوْنَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ<sup>(٣)</sup> فَلَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ<sup>(٤)</sup> قَرَّعَ وَرَحَّانَ وَحَنَّتْ نِيبُ<sup>(٥)</sup> وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَحْسَبَ الْيَبِيِّ<sup>(٦)</sup> فَسَلَّكَ الْيَنْ أَحْسَبَ الْيَبِيِّ<sup>(٧)</sup> وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ فَسَالَتْ<sup>(٨)</sup> نَزْلٌ مِنْ جَيْمٍ<sup>(٩)</sup> وَنَصِيلُهُ جَيْمٍ<sup>(١٠)</sup> إِنَّ هَذَا لَمَوْحٌ أَلْيَيْنُ<sup>(١١)</sup> فَسَجَّ يَأْتِمُ رَبُّكَ الْعَظِيمُ<sup>(١٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلاً ﴿إِذَا بَلَغَتِ الْمُلُوكُ﴾ يعني: النفس، فترك ذكرها لدلالة الكلام، وأنشدوا من ذلك: إِذَا حَشَرَ جَنَّتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصُّدْرُ<sup>(١٣)</sup>

ها هنا: المصحف، كما روى مسلم في «صحيحه» من ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو، واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في «موطئه» عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم أن لا يمس القرآن إلا طاهر، قال: وروى أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال: قرأت في صحيفة عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله ﷺ قال: «لا يمس القرآن إلا طاهر» اهـ. قلت: وقد روي الحديث موصولاً عن كثير من الصحابة، وهو صحيح بمجموع طرقه اهـ.

(١) ٨٤، ٨٣/١. (٢) إثر وأثر، لغتان مشهورتان، أي بعد المطر، والسماء: المطر.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ٤٣٤/٢، ومسلم ٨٤/١ واللفظ للبخاري. قال أبو عمرو بن الصلاح: النوء في أصله ليس هو نفس الكوكب، فإنه مصدر ناء ينوء، أي: سقط وغاب، وقيل: أي نهض وطلع. اهـ.

(٤) لم تقف على هذا الحديث من طريق عائشة وإنما هو من طريق علي ﷺ عن النبي ﷺ كما رواه الطبري ٢٠٧/٢٧ وفي سننه عبد الأعلى بن حامر الثعلبي وهو ضعيف، ورواه أحمد أيضاً ٧٧/٢ من حديث عبد الأعلى بن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن النبي ﷺ قال: ﴿وَيَحْتَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ﴾<sup>(١)</sup> قال: «شكركم (وفي «السنن» شكركم وهو خطأ). مطرنا بنوء كذا وكذا: بنجم كذا وكذا.

وروى ابن جرير في «تفسيره» ٢٠٨/٢٧ بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: ما مطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافراً يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا وقرأ ابن عباس «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون».

(٥) أخرجه ابن جرير ٢٠٨/٢٧ عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: كان علي ﷺ يقرأ «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون» وفي سننه عبد الأعلى الثعلبي، وقد حمل بعض الشراح هذه القراءة على الضمير، من غير قصد للتلاوة.

(٦) البيت لحاتم الطائي، «ديوانه» ٥٠ وصدره:

أماوي ما ينهني الشراء من النفس

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ﴾ يعني أهل الميت ﴿تَنْتَرُونَ﴾ إلى سلطان الله وأمره. والثاني: تنظرون إلى الإنسان في تلك الحالة، ولا تملكون له شيئاً ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: ملك الموت أدنى إليه من أهله ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ الملائكة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: ونحن أقرب إليه منكم بالعلم والقدرة والرؤية ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ أي: لا تعلمون، والخطاب للكفار، ذكره الواحدي.

قوله تعالى: ﴿عَمَّ مَتَدِينٌ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: محاسبين، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وابن جبير، وعطاء، وعكرمة. والثاني: موقنين، قاله مجاهد. والثالث: مبعوثين، قاله قتادة. والرابع: مجزيين. ومنه يقال: دنته، وكما تدن تدان، قاله أبو عبيدة. والخامس: مملوكين أذلاء من قولك: دنت له بالطاعة، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿تَرْجُوْنَآ﴾ أي: تردون أنفس. والمعنى: إن جحدتم الإله الذي يحاسبكم ويجازيكم، فهلاً تردون هذه النفس؟! فإذا لم يمكنكم ذلك، فاعلموا أن الأمر لغيركم. قال الفراء: وقوله تعالى: ﴿تَرْجُوْنَآ﴾ هو جواب لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَّوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ الْمُلُوكُمُ﴾ (١٨) ولقوله تعالى: ﴿قُلْ لَّوْلَآ إِنْ كُنْتُمْ عَمَّ مَتَدِينٌ﴾ (١٩) فإنهما أجيبتا بجواب واحد. ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنْهُ هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٣٨] ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا إِنْ كَانَ﴾ يعني: الذي بلغت نفسه الحلقوم ﴿مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ عند الله. قال أبو العالية: هم السابقون ﴿فَرُوحٌ﴾ أي: قلَّة رُوح. والجمهور يفتحون الراء. وفي معناها ستة أقوال: أحدها: الفرح، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: الراحة، رواه أبو طلحة عن ابن عباس. والثالث: المغفرة والرحمة، رواه العوفي عن ابن عباس. والرابع: الجنة، قاله مجاهد. والخامس: رُوح من الغم الذي كانوا فيه، قاله محمد بن كعب. والسادس: رُوح في القبر، أي: طيب نسيم، قاله ابن قتيبة<sup>(١)</sup>. وقرأ أبو بكر الصديق، وأبو رزين، والحسن، وعكرمة، وابن يعمر، وقاتدة، ورويس عن يعقوب، وابن أبي سريج عن الكسائي: ﴿فَرُوحٌ﴾ برفع الراء. وفي معنى هذه القراءة قولان: أحدهما: أن معناها: فرحة، قاله قتادة. والثاني: فحياة وبقاء، قاله ابن قتيبة. وقال الزجاج: معناها: فحياة دائمة لا موت معها. وفي «الريحان» أربعة أقوال: أحدها: أنه الرزق، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: أنه المستراح، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنه الجنة، قاله مجاهد، وقاتدة. والرابع: أنه الريحان المسموم. وقال أبو العالية: لا يخرج أحد من المقربين من الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة، فيشمه، ثم تقبض فيه روحه، وإلى نحو هذا ذهب الحسن، وقال أبو عمران الجوني: بلغنا أن المؤمن إذا قبض روحه تلقى بضيائر<sup>(٢)</sup> الريحان من الجنة، فتجعل روحه فيه.

قوله تعالى: ﴿سَلَّمَ لِلَّهِ مِنْ أَحْسَنِ أَلْيَيْنَ﴾ (٢٠) فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فسلامة لك من العذاب، قاله أبو صالح

= والحرثية: الفرغة عند الموت، وتردد النفس، وهو في «أمالى المرتضى» ٦٣/٤، و«العلامة» ٢/٢٦٣، و«مجموعة المعاني» ٣١، و«العقد الفريد» ٣٣٦/١، و«أمالى ابن الشجري» ٥٠/١.

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عن الرُوح: الفرح والرحمة والمغفرة، وأصله من قولهم: وجدت رُوحاً: إذا وجد نسيماً يستروح إليه من كرب الحر. وروى الإمام أحمد في «المسند» عن أم هانئ أنها سألت رسول الله ﷺ: أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضاً؟ فقال رسول الله ﷺ: فيكون النسيم طيراً يعلق بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها، وفي سنده ابن لهيعة، قال ابن كثير: هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن. ومعنى يعلق: يأكل، ويشهد لهذا الحديث بالصحة ما رواه الإمام أحمد بن حنبل عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي، عن الإمام مالك بن أنس، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه، عن رسول الله ﷺ قال: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرحمه الله إلى جسده يوم يبعثه» قال: وهذا إسناد عظيم ومتن قوي، قال: وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في رياض الجنة حيث شامت ثم تأتي إلى فتايل معلقة بالمرش... الحديث. اهـ. وروى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: فمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة أو بعض أزواجه ﷺ: إنا نكره الموت، قال: ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضر الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أماته فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أماته فكره لقاء الله وكره الله لقاءه.

(٢) الضيائر - كما في «اللسان» -: الجماعات في تفرقة، وفي الحديث: أنه الملائكة بحريرة فيها مسك، ومن ضيائر الريحان. قلت: أخرج عبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» عن أبي عمران الجوني في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٠) ﴿فَرُوحٌ وَرِيحٌ﴾ قال: بلغني أن المؤمن إذا نزل به الموت يلقى بضيائر الريحان من الجنة فتجعل روحه فيها. انظر «الدر المنثور» ١٦٧/٦.



عن ابن عباس. والثاني: تسلّم عليه الملائكة، وتخبره أنه من أصحاب اليمين، قاله عطاء. والثالث: أن المعنى: أنك ترى فيهم ما تحب من السلامة. وقد علمت ما أعدّ لهم من الجزاء، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: بالبعث ﴿الْعَابَثِينَ﴾ عن الهدى ﴿فَنَزَّلُ﴾ وقد بيّناه في هذه السورة [الواقعة: ٥٦].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ يعني ما ذكر في هذه السورة ﴿لَمَوْحٌ يَقِينٌ﴾ أي: هو اليقين حقاً، فأضافه إلى نفسه، كقولك: صلاة الأولى، وصلاة الغصير، ومثله: ﴿وَلَذَارُ الْأَخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩] وقد سبق هذا المعنى. وقال قوم: معناه: وإنه للمتقين حقاً. وقيل للحق: اليقين.

قوله تعالى: ﴿فَنَسِجَ بَأْسِرَ رَبِّكَ﴾ قد ذكرناه في هذه السورة [الواقعة: ٧٤] <sup>(١)</sup>.



(١) روى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر الجهني قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿فَنَسِجَ بَأْسِرَ رَبِّكَ الْخَبِيرِ﴾ قال: «اجعلوها في ركوعكم» ولما نزلت ﴿فَنَسِجَ بَأْسِرَ رَبِّكَ الْكَلْبِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في سجودكم» ورواه أيضاً أبو داود وابن ماجه. وإسناده صحيح. وروى البخاري في آخر «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيقتان على اللسان، ثقلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

## سورة الحديد

وفيه قولان: أحدهما: أنها مدنية، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وجابر بن زيد، وقادة، ومقاتل. والثاني: أنها مكية، قاله ابن السائب.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ١ ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِحَيْثُ وَهَيْبَتُهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢ ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٣ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَغْلِبُ مَا يَلِيقُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجِعُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٤ ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِلَّهِ اللَّهُ رُحُومُ الْأُمُورِ﴾ ٥ ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ٦

قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أما تسبيح ما يعقل، فمعلوم، وتسبيح ما لا يعقل، قد ذكرنا معناه في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنْ شَعْنِهِ لَا يَسْبُحُ بِحُيُودٍ﴾ [الإسراء: ٤٤].

قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ قال أبو سليمان الخطابي: هو السابق للأشياء ﴿وَالْآخِرُ﴾ الباقي بعد فناء الخلق ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ بحججه الباهرة، وبراهينه الثيرة، وشواهد الدالة على صفة وحدانيته. ويكون: الظاهر فوق كل شيء بقدرته. وقد يكون الظهور بمعنى العلو، ويكون بمعنى الغلبة. والباطن: هو المحتجب عن أبصار الخلق الذي لا يستولي عليه توهم الكيفية. وقد يكون معنى الظهور والبطون: احتجابه عن أبصار الناظرين، وتجليه لبصائر المتفكرين. ويكون معناه: العالم بما ظهر من الأمور، والمطلع على ما بطن من الغيوب <sup>(١)</sup> ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مفسر في [الأعراف: ٥٤] إلى قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِيقُ فِي الْأَرْضِ﴾ وهو مفسر في [سبا: ١٢] إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ أي: بعلمه وقدرته <sup>(٢)</sup>. وما بعده ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قال المفسرون: هذا الخطاب لكفار قريش ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَلِّطِينَ فِيهِ﴾ يعني: المال الذي كان بأيدي غيرهم، فاهلكهم الله، وأعطى قريشاً ذلك المال، فكانوا فيه خلفاء من مضى.

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَلِّطِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا هُمُ الْأَمْثَرُ كِبَرٌ﴾ ٧ ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِقَائِهِمْ يُؤْمِنُوا يَرْيَكُوا وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَهُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ٨ ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَنْ عَبْدِهِ ءَايَتِهِ يَتَنَزَّلُ فِي السَّمَاءِ إِلَى

(١) قال ابن كثير: وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية وأقوالهم على نحو من بقعة عشر قولاً، وقال البخاري: قال يحيى: (يريد به يحيى بن زياد الفراء صاحب معاني القرآن) الظاهر على كل شيء علماً، والباطن على كل شيء علماً. اهـ. وروى مسلم في [صحيحه] ٢٠٨٤/٤ من سهيل بن أبي صالح قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحد أن ينأى أن يضطجع على شفة الأيمن ثم يقول: «اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أموه بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين، وأغنني من الفقر» قال: وكان (يعني أبا صالح) يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ يقول: وهو شاهد لكم أيها الناس، أينما كنتم يعلمكم ويعلم أعمالكم ومتعلبيكم ومثواكم، وهو على عرشه فوق سمواته السبع، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يقول: والله بأعمالكم التي تعملونها من حسن وسين، وطاعة ومعصية، ذو بصير، وهو لها محص، ليجازي المحسن منكم بإحسانه، والسين بإساءته. اهـ. وقال ابن كثير: وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي وقيب عليكم، شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم من بر أو بحر في ليل أو نهار، في البيوت أو في القفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامكم، ويرى مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم، كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَلْمِزُكَ يَتْلُونَ سُورَةَكَ يَسْتَعْلَمُونَ مِنْهَا آيَاتٍ يَنَتَنَزَّلُونَ فِيهَا فَهُمْ يَكْفُرُونَ وَمَا يَكْفُرُونَ إِلَّا فِي كَيْدٍ يَدَاتِ الشُّرُورِ﴾ وقال تعالى: ﴿مَرْكَةً يَنْكُرُ عَنْ أَشْرَ الْقَرْوَلِ وَمَنْ جَهَرُ بِهِ. وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِأَنْبِلٍ وَسَارِيٍّ بِالْهَارِ﴾ ٩ فلا إله غيره ولا رب سواه. قال: وقد ثبت في [الصحيح] أن رسول الله ﷺ قال لجبريل لما سألته عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». اهـ.



اللَّهُ وَعَزَّكُمْ بِاللَّهِ الْفَرُّدُ ﴿١٤﴾ قَالِيمٌ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ مِنْ مَوْلَانِكُمْ وَيُنْشِ الْمَصِيدُ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿يُنْشِ تَرْوِمُ﴾ قال المفسرون: يضيء لهم نور عملهم على الصراط على قدر أعمالهم. قال ابن مسعود: منهم من نوره مثل الجبل، وأدناهم نوراً نوره على إبهامه يطفى مرة، ويتقد أخرى. وفي قوله تعالى: ﴿وَيُنْشِ تَرْوِمُ﴾ قولان: أحدهما: أنه كتبهم يعطونها بأيامهم، قاله الضحاك. والثاني: أنه نورهم يسمى، أي: يمضي بين أيديهم، وعن إيمانهم، وعن شمائلهم. والباء بمعنى: «في». و«في» بمعنى «عن»، هذا قول الفراء. قوله تعالى: ﴿يُنْشِ تَرْوِمُ﴾ هذا قول الملائكة لهم.

قوله تعالى: ﴿أَنْظُرُوا تَقِيْسُ﴾ وقرأ حمزة: «أنظرونا» بقطع الهمزة، وفتحها، وكسر الظاء. قال المفسرون: يغشى الناس يوم القيامة ظلمة شديدة، فيعطى المؤمنون النور، فيمشي المنافقون في نور المؤمنين، فإذا سبقهم المؤمنون قالوا: انظرونا نقتبس من نوركم ﴿قِيلَ أَرْجِعُوا رَوْعَكُمْ﴾ في القائل قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون، قاله ابن عباس. والثاني: الملائكة، قاله مقاتل. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: ارجعوا إلى المكان الذي قبستم فيه النور، فيرجعون، فلا يرون شيئاً. والثاني: ارجعوا فاعملوا عملاً يجعله الله لكم نوراً. والثالث: أن المعنى: لا نور لكم عندنا. ﴿فَقُشِرَ بَيْنَهُمْ سُورٌ﴾ قال ابن عباس: هو الأعراف، وهو سورٌ بين الجنة والنار ﴿بَابُهُمْ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ وهي: الجنة ﴿وَوُظِّفُوا﴾ يعني: من وراء السور ﴿وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَلْفَافٌ﴾ وهو جهنم. وقد ذهب قوم إلى أن هذا السور يكون بيت المقدس في مكان السور الشرقي بين الوادي الذي يسمى: وادي جهنم، وبين الباب الذي يسمى: باب الرحمة، وإلى نحو هذا ذهب عبادة بن الصامت، وعبد الله بن عمرو، وكعب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَأْتُواكُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين من وراء السور: ﴿أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾ أي: على دينكم نصلي بصلاتكم، ونغزو معكم؟! فيقول لهم المؤمنون: ﴿بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ قال الزجاج: استعملتموها في الفتنة. وقال غيره: آتمتموها بالنفاق ﴿وَوَرَّيْتُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: ترضيت بالتوبة. والثاني: ترضيت بمحمد الموت، وقلتم: يوشك أن يموت فنستريح ﴿وَأَرَيْتُمْ﴾ شككتهم في الحق ﴿وَعَزَّيْتُمْ الْأُمَاطِ﴾ يعني: ما كانوا يتمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه الموت. والثاني: إلقاؤهم في النار ﴿وَعَزَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْفَرُّدُ﴾ أي: غرکم الشيطان بحكم الله وإمهاله. ﴿قَالِيمٌ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب «لا تؤخذ» بالياء، أي: بدل وعوض عن عذابكم. وهذا خطاب للمنافقين، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا يَنْ أَلَيْسَ كَثَرُوا﴾.

قوله تعالى: ﴿مِنْ مَوْلَانِكُمْ﴾ قال أبو عبيدة: أي: أولى بكم. ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَ قُلُوبُهُمْ لِلَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ أَمْنٍ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلَ فَلَاكَ عَلَيْهِمُ الْاَمْنُ فَكَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَبَّرَ بَيْنَهُمْ فِتْنَةٌ ﴿١٥﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِي قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في المؤمنين. قال ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا، وبين أن عوتبتنا بهذه الآية إلا أربع سنين<sup>(٢)</sup>، فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضاً. والثاني: أنها نزلت في المنافقين، قاله أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. قال مقاتل: سأل المنافقون سلمان الفارسي فقالوا:

(١) قال ابن كثير: وهذا مجبول منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى، ومثلاً لذلك، لا أن هذا هو الذي أريد من القرآن هذا الجدار المعين ونفس المسجد وما وراءه من الوادي المعروف بـ«وادي جهنم» فإن الجنة في السموات في أعلى عليين، والنار في الدركات أسفل سافلين، قال: وقول كعب الأحبار: إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد، فهذا من إسرائيلياته وتزواته، وإنما المراد بذلك: سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه، فإذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من وراءه في الحيرة والظلمة والمذاب كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة. اهـ.

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» ٢٣١٩/٤ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ورواه أيضاً النسائي وابن ماجه، وذكره السيوطي في «الدر» ١٧٥/٦ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن مردويه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) هذا غير صحيح، لأن الآية صريحة في الذين آمنوا.

حَدَّثَنَا عَنْ التَّوْرَةِ، فَإِنْ فِيهَا الْعَجَائِبُ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(١)</sup>. وقال الزجاج: نزلت هذه الآية في طائفة من المؤمنين حُتُوا على الرِّقَّة والخشوع. فأما من كان وصفه الله ﷻ بالخشوع، والرِّقَّة، فطبقة من المؤمنين فوق هؤلاء. فعلى الأول: يكون الإيمان حقيقة. وعلى الثاني: يكون المعنى: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا» بالسُّتْم. قال ابن قتيبة: المعنى: ألم يحن، تقول: أنى الشيء: إذا حان.

قوله تعالى: «أَنْ تَقْسَعَ قُلُوبُهُمْ» أي: تَرْقُ وتلين لذكر الله<sup>(٢)</sup>. المعنى: أنه يجب أن يورثهم الذُّكر خشوعاً «وَمَا زَلَّ مِنْ كَلَمَةٍ» قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي «وما نزل» بفتح النون، والزاي، مع تشديد الزاي. وقرأ نافع، وحفص، والمفضل عن عاصم «نزل» بفتح النون، وتخفيف الزاي. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو العالية، وابن يعمر، ويونس بن حبيب عن أبي عمرو، وأبان عن عاصم «نزل» برفع النون، وكسر الزاي، مع تشديدها. وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء «وما أنزل» بهزمة مفتوحة، وفتح الزاي. وقرأ أبو مجلز، وعمرو بن دينار مثله، إلا أنه بضم الهزمة، وكسر الزاي. و«الحق» القرآن، «وَلَا يَكُونُوا» قرأ رويس عن يعقوب «لا تكونوا» بالثاء «كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» يعني: اليهود، والنصارى، «فَلَا ظَلَمَ عَلَيْهِمُ الْأَنْدَ» وهو: الزمان. وقال ابن قتيبة: الأمد: الغاية. والمعنى: أنه بعد عهدهم بالأنبياء والصالحين «فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثُرَ بَيْنَهُمْ فَيَقُونَ» وهم الذين لم يؤمنوا بعميسى ومحمد ﷺ<sup>(٣)</sup> «اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمِي الْأَرْضَ بَدَدَ مَوْجَةٍ» أي: يخرج منها النبات بعد يبسها، فكذلك يقدر على إحياء الأموات<sup>(٤)</sup> «قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ» الدالة على وحدانيته وقدرته «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»، أي: لكي تأملوا.

«إِنَّ الْمَصْدِقِينَ وَالْمُصَدِّقِينَ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ قَرَبًا حَسَنًا يُنْعَمُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ» وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّاهِدُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ<sup>(٥)</sup> قوله تعالى: «إِنَّ الْمَصْدِقِينَ وَالْمُصَدِّقِينَ» قرأ ابن كثير، وعاصم إلا حفصاً بتخفيف الصاد فيهما على معنى التصديق وقرأ الباقون، بالتشديد على معنى الصدقة<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: «أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّاهِدُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ» اختلفوا في نظم الآية على قولين: أحدهما: أن تمام الكلام عند قوله تعالى: «أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» ثم ابتداء فقال تعالى: «وَالشَّاهِدُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ» هذا قول ابن عباس، ومسروق، والفراء في آخرين. والثاني: أنها على نظمها. والواو في «الشهداء» واو النسق. ثم في معناها قولان: أحدهما: أن كل مؤمن صديق شهيد، قاله ابن مسعود، ومجاهد. والثاني: أنها نزلت في قوم مخصوصين، وهم ثمانية نفر سبقوا إلى

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٣ عن الكلبي ومقاتل بغير سند. وكذلك ذكره البغوي، والصحيح الأول كما جاء في «صحيح مسلم» وغيره عن ابن مسعود.

(٢) قال ابن كثير: يقول تعالى: أما أن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله والموعظة وسماع القرآن فتفهم وتقاد له وتسبح له وتطيعه. اهـ. وقال الألوسي: المعنى: ألم يأن لهم أن ترق قلوبهم لأجل ذكر الله تعالى وكتابه الحق النازل فيسارعوا إلى الطاعة على أكمل وجوها؟ اهـ.

(٣) قال ابن كثير: نهى الله تعالى المؤمنين أن يشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول عليهم الأمد بللوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثناً قليلاً وبنوه وراء ظهورهم وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المتفكة وقلدوا الرجال في دين الله واتخذوا أصحابهم ووجهانهم أرباباً من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: فيه إشارة إلى أن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضلالتها، ويفرج الكرب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجدية الهامة بالغيث الهان الرابل، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراكين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد أن كانت مغلقة لا يصل إليها الرواصل، فنبجان الهادي لمن يشاء بعد الضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فقال، وهو الحكيم العدل في جميع أفعاله، اللطيف الخبير الكبير المتعال. اهـ.

(٥) قال ابن جرير الطبري: قرأته عامة قراء الأمصار خلا ابن كثير وعاصم بتشديد الصاد والدال، بمعنى: إن المتصدقين والمتصدقات، قال: ثم تدغم التاء في الصاد فتجعلها صاداً مشددة، كما قيل: «يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» يعني: المتزمل: قال: وقرأ ابن كثير وعاصم: «إِنَّ الشَّاهِدِينَ وَالْمُصَدِّقِينَ» بتخفيف الصاد وتشديد الدال، بمعنى: إن الذين صدقوا الله ورسوله. قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان صحيح معنى كل واحدة منهما، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. قال: فتأويل الكلام إذن على قراءة من قرأ ذلك بالتشديد في الحرفين أهني في الصاد والدال: إن المتصدقين من أموالهم والمتصدقات «وَأَقْرَبُوا اللَّهَ قَرَبًا حَسَنًا» بالنفقة في سبيله، وفيما أمر بالنفقة فيه، أو فيما ندب إليه «يُنْعَمُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ» يقول: يضاعف الله لهم قروضهم التي أقرضوها إياه، فيوفيهم ثوابها يوم القيامة «وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ» يقول: ولهم ثواب من الله على صدقهم وقروضهم إياه كريم، وذلك الجنة. اهـ.

الإسلام: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحمزة بن عبد المطلب، وطلحة، والزبير، وسعد، وزيد، قاله الضحاك. وفي الشهداء قولان: أحدهما: أنه جمع شاهد. ثم فيهم قولان: أحدهما: أنهم الأنبياء خاصة، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم الشاهدون عند ربهم على أنفسهم بالإيمان لله، قاله مجاهد. والقول الثاني: أنه جمع شهيد، قاله الضحاك، ومقاتل.

﴿أَعْلَمُوا أَنَّا لِلْحَيَوَةِ الدُّنْيَا لَوْبٌ وَقَوَّ وَزِينَةٌ وَتَفَاضُلٌ بَيْنَكُمْ وَكَثْرَةٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَذَلِكَ يَحِبُّ الْكَفَّارَ بَنَاهُ ثُمَّ يَجْعَلُ قَدْرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا لِلْحَيَوَةِ الدُّنْيَا إِلَّا مَتْنَعٌ الضَّرِيرُ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّا لِلْحَيَوَةِ الدُّنْيَا﴾ يعني: الحياة في هذه الدار ﴿لَوْبٌ وَلَهْوٌ﴾ أي: غرور ينقض عن قليل. وذهب بعض المفسرين إلى أن المشار بهذا إلى حال الكافر في دنياه، لأن حياته تنقضي على لهو ولعب وتزين الدنيا، ويفخر قرناه وجيرانه، ويكاثروهم بالأموال والأولاد، فيجمع من غير حله، ويتناول على أولياء الله بماله، وخدمه، وولده، فيفني عمره في هذه الأشياء، ولا يلتفت إلى العمل للآخرة. ثم بين لهذه الحياة شياً، فقال: ﴿كَذَلِكَ يَحِبُّ﴾ يعني: مطراً ﴿أَحَبُّ الْكَفَّارِ﴾ وهم الزُّرَّاع، وسموا كفاراً، لأن الزارع إذا ألقى البذر في الأرض كفره، أي: غطاه. ﴿بَنَاهُ﴾ أي: ما نبت من ذلك الغيث ﴿ثُمَّ يَجْعَلُ﴾ أي: يبس ﴿قَدْرَهُ مُصْفَرًّا﴾ بعد خضرته وريته ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ أي: ينحطم، وينكسر بعد يسه<sup>(١)</sup>. وشرح هذا المثل قد تقدم في «يونس» عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا﴾ الآية: [٢٤]، وفي «الكهف» عند قوله تعالى: ﴿وَاقْرَبِ لَمْ مَثَلُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا﴾ الآية: [٤٥].

قوله تعالى: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي: لأعداء الله ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لأوليائه وأهل طاعته. وما بعد هذا مذكور في [ال عمران: ١٨٥] إلى قوله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ فبين أنه لا يدخل الجنة أحد إلا بفضل الله<sup>(٢)</sup>.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ تُوبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كَثِيرٍ مِّن قَبْلِ أَنْ تَبْرَأَهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ وَيُؤْمِنُونَ النَّاسَ بِالْبَطْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ تُوبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: قحط المطر، وقلة النبات، ونقص الثمار، ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من الأمراض، وفقد الأولاد ﴿إِلَّا فِي كَثِيرٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ. ﴿مِّن قَبْلِ أَنْ تَبْرَأَهُ﴾ أن نخلقها، يعني: الأنفس ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: إثبات ذلك على كثرته حين على الله ﷻ ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ أي: تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ وقرأ أبو عمرو - إلا اختيار البيهقي - بالقصر على معنى: جاءكم من الدنيا. وقرأ الباقون بالمد على معنى: أعطاكم الله منها. وأعلم أنه من علم أن ما قضي لا بد أن يصيبه قل حزنه وفرحه. وقد روى قتبية بن سعيد قال: دخلت بعض أحياء العرب، فإذا بفضاء من الأرض فيه من الإبل ما لا يحصى عدده، كلها قد مات، فسألت عجوزاً: لمن كانت هذه الإبل؟ فأشارت إلى شيخ على تل يغزل الصوف، فقلت له: يا شيخ ألك كانت

(١) قال ابن كثير: مكنا الحياة الدنيا، تكون أولاً شابة، ثم تكهل، ثم تكون عجوزاً شوهاء، قال: والإنسان يكون كذلك في أول عمره وعفوان شبابه فحسب طرياً، لين الأعطاف بهي المنظر، ثم إنه يشرى في الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه، ثم يكبر فيعير شيخاً كبيراً ضعيف القوى قليل الحركة يعجزه الشيء اليسير، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ إِلَىٰ خَلْقِكُمْ مِّنْ ضَرَفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ضَرَفًا وَبَيْنَ يَدَيْهِ بَلَلًا مَّا يَنْتَهِ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٢٠﴾﴾ قال: ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضاءها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذر من أمرها، ورغب فيما فيها من الخير فقال: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا لِلْحَيَوَةِ الدُّنْيَا إِلَّا مَتْنَعٌ الضَّرِيرُ﴾ أي: وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا، وإما هذا، إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان، ﴿وَمَا لِلْحَيَوَةِ الدُّنْيَا إِلَّا مَتْنَعٌ الضَّرِيرُ﴾ أي: هي متاع فاني غار لم ركن إليه فإنه يفتر بها وتعجز حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد ورامها، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة. اهـ.

(٢) وذلك مصداق قول رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري وسلم عن أبي هريرة ؓ: قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يدخل أحدكم منكم هذه الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: «فولاً أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل روحه» متفق عليه واللفظ لمسلم.

هذه الإبل؟ قال: كانت باسمي، قلت: فما أصابها؟ قال: ارتجعها الذي أعطاها، قلت: فهل قلت في ذلك شيئاً؟ قال: نعم، قلت:

لَا وَالَّذِي أَنَا عَبْدٌ فِي عِبَادَتِهِ      وَالْمَرْءُ فِي الدَّهْرِ نَضَبَ الرُّزْءِ وَالْحَزَنِ  
مَا سَرَّنِي أَنَّ يُسْلِيَ فِي مَبَارِكِهَا      وَمَا جَرَى فِي قَضَا رَبِّ السَّوَرِ يَكُنِ

وما بعد هذا قد ذكرناه في سورة [النساء: ٢٧] والذي قيل في البخل هناك هو الذي قيل هاهنا إلى قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ أي: عن الإيمان ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن عباده ﴿الْحَمِيدُ﴾ إلى أولياته. وقد سبق معنى الاسمين في [البقرة: ٢٦٧] وقرأ نافع وابن عامر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ليس فيها «هو» وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة، والشام.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَصِرُّ رُسُلَهُ بِالْبَيِّنَاتِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالآيات والحجج ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ ببيان الشرائع والأحكام. وفي «الميزان» قولان: أحدهما: أنه العدل، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: أنه الذي يوزن به، قاله ابن زيد ومقاتل. فعلى القول الأول: يكون المعنى: وأمرنا بالعدل. وعلى الثاني: ووضعنا الميزان، أي أمرنا به ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي: لكي يقوموا بالعدل.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الله تعالى أنزل مع آدم السندان، والكلبتين، والمطرقة، قاله ابن عباس. والثاني: أن معنى «أنزلنا»: أنشأنا وخلقنا، كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَشْجَارِ أَشْجَارًا كَثِيرَةً مِّنَ الْأَنْجَارِ﴾ [النور: ٦].

قوله تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ قال الزجاج: وذلك أنه يُمتنع به، ويُحارب به ﴿وَمَنْفِعٌ لِلنَّاسِ﴾ في أدواتهم، وما يتفقون به من آية وغيرها<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ هذا معطوف على قوله تعالى: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ﴾، والمعنى: ليتعامل الناس بالعدل وليعلم الله ﴿مَنْ يَصِرُّهُ﴾ بالقتال في سبيله ونصرة دينه، وذلك أنه أمر في الكتاب الذي أنزل بذلك. وقد سبق معنى قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ في مواضع. وقوله تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: ولم ير الله، ولا أحكام الآخرة، وإنما يجهد ويثاب من أطاع بالغيب.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِثَّلْنَا لَمْثَهُمْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسَيِّئُونَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ عَائِثِهِمْ بِرُسُلِنَا وَنَقَّبْنَا يُعْسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ وَجَعَلْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنَاءَ ابْتَدَعُوا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ إِلَّا آيَاتَهُ يَرْثُوهَا اللَّهُ فَمَا رَعَوْهَا حَتَّىٰ رَعَيْنَاهَا فَتَأْتِيَنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسَيِّئُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ يعني: الكتب ﴿فَمِثَّلْنَا﴾ يعني: من الذرية ﴿مِثْلَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسَيِّئُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: كافرون، قاله ابن عباس. والثاني: عاصون، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ عَائِثِهِمْ﴾ أي: أثبغنا على آثار نوح، وإبراهيم، وذريتهما ﴿يُعْسَىٰ﴾ وكان آخر أنبياء بني إسرائيل، ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ يعني: الحواريين وغيرهم من أتباعه على دينه ﴿رَأْفَةً﴾ وقد سبق بيانها [النور: ٢٦] متوآقين، كما وصف الله تعالى أصحاب نبيينا عليه الصلاة والسلام، فقال تعالى: ﴿رَحْمَةً لِّبَنِيهِمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿وَرَهَابَنَاءَ ابْتَدَعُوا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ليس هذا معطوفاً على ما قبله، وإنما انتصب بفعل مضمر، يدل عليه ما بعده، تقديره: وابتدعوا رهابانيةً ابتدعوها، أي: جاؤوا بها من قبل أنفسهم، وهي غلوهم في العبادة، وحمل المشاق على

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أي: وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه، قال: ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين وبيان وإيضاح للتوحيد وبيئات ودلالات، فلما قامت الحجة على من خالف، شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيف وضرب الرقاب والهزم لمن خالف القرآن وكذب به وعانده. قال: ولهذا قال تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني السلاح كالسيف والحراب والسنان والنصال والدروع ونحوها ﴿وَمَنْفِعٌ لِلنَّاسِ﴾ أي في معاشهم، كالسكة والناس والقوم والمنتشار والإزميل والمعرجة والآلات التي يستعان بها في الحرث والحياكة والطبخ والخبز وما لا قوام للناس بدونه، وغير ذلك. اهـ.

أنفسهم في الامتناع عن المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعبّد في الجبال ﴿مَا كَتَبْنَا عَلَيْهَا﴾ أي: ما فرضناها عليهم. وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَضْوَانِ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى قوله تعالى: «ابتدعوها»، وتقديره: ما كتبناها عليهم إلا أنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله، ذكره علي بن عيسى، والرامي عن قتادة، وزيد بن أسلم. والثاني: أنه راجع إلى قوله تعالى: «ما كتبناها». ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: ما كتبناها عليهم بعد دخولهم فيها تطوعاً إلا ابتغاء رضوان الله. قال الحسن: تطوّعوا بابتداعها ثم كتبها الله عليهم. وقال الزجاج: لما ألزموا أنفسهم ذلك التطوع لزمهم إتمامه، كما أن الإنسان إذا جعل على نفسه صوماً لم يفترض عليه، لزمه أن يتمّه<sup>(١)</sup>. قال القاضي أبو يعلى: والابتداع قد يكون بالقول، وهو ما ينذر ويوجهه على نفسه، وقد يكون بالفعل بالدخول فيه. وعموم الآية تتضمن الأمرين، فاقضى ذلك أن كل من ابتدع قربة، قولاً، أو فعلاً، فعليه رعايتها وإتمامها. والثاني: أن المعنى: ما أمرناهم منها إلا بما يرضي الله ﷻ، لا غير ذلك، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الذين ابتدعوا الرهبانية، قاله الجمهور. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ما رَعَوْهَا لتبديل دينهم وتغييرهم له، قاله عطية العوفي. والثاني: لتقصيرهم فيما ألزموه أنفسهم. والثالث: لكفرهم برسول الله ﷺ لما بُعث، ذكر القولين الزجاج. والثاني: أنهم الذين اتبعوا مبتدعي الرهبانية في رهبانيتهم، ما رَعَوْهَا بسلوك طريق أوليهم، روى هذا المعنى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. قوله تعالى: ﴿فَنَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: الذين آمنوا بمحمد ﴿وَكَبِيرَ بَيْنَهُمْ فَيُقَرَّبُونَ﴾ وهم الذين لم يؤمنوا به. والثاني: أن الذين آمنوا: المؤمنون بعبسى، والفاسقون: المشركون. والثالث: أن الذين آمنوا: مبتدعو الرهبانية، والفاسقون: متبعوهم على غير القانون الصحيح.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُلِهِ يُؤْخَذَ مِنْكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَةٍ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَنُفِّرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٧٨) ﴿لَيْسَ بَلَدٌ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٩) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُلِهِ﴾ عامة المفسرين على أن هذا الخطاب لليهود والنصارى. والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله، وآمنوا برسوله محمد ﷺ ﴿يُؤْخَذُ مِنْكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ أي: نصيبين، وحظّين ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾<sup>(٣)</sup> قال الزجاج: الكفل: كساء يمنع الراكب أن يسقط، فالمعنى: يؤتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة المعاصي. وقد بينا معنى «الكفل» في سورة [النساء: ٨٥] وفي المراد بالكفلين هاهنا قولان: أحدهما: لإيمانهم بمن تقدّم من الأنبياء، والآخر: لإيمانهم بمحمد ﷺ، قاله ابن عباس. والثاني: أن: أحدهما: أجر الدنيا، والثاني: أجر الآخرة، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلْ لَكُمْ نُورًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: القرآن، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: نوراً تمشون به على الصراط، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: الهدى، قاله مجاهد. والرابع: الإيمان، قاله ابن السائب.

(١) وهو مذهب الحنفية والمالكية، وأما عند الشافعية فلم يوجبوا الإتمام، ففي «المجموع» ٣٩٢/٦ قال الشافعي والأصحاب رحمهم الله تعالى: فإذا دخل في صوم تطوع أو صلاة تطوع، استحبه له إتمامها، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَبْلُغُوا أَهْلَكُ﴾ وللخروج من خلاف العلماء، فإن خرج منهما بغيره أو بغير عذر، لم يحرم عليه ذلك، ولا قضاء عليه، لكن يكره الخروج منهما بلا عذر، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَبْلُغُوا أَهْلَكُ﴾ هذا هو المذهب.

(٢) جاء في «تفسير القاسمي» ٥٦٩٨/١٦: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي: ما قاموا بما التزموا منها حق القيام من التزهد والتخلّي للعبادة وعلم الكتاب، بل اتخذوها آلة للتروس والسودد وإخضاع الشعب لأموالهم.

(٣) حمل ابن عباس هذه الآية على مؤمني أهل الكتاب وأنهم يؤتون أجراً مرتين، كما في الآية التي في (القصاص)، وكما في حديث «الصحيحين» عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجراً مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن ببيته وأمن بي فله أجران، وحيد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران، ورجل أذب أمة فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران». ووافق ابن عباس على هذا التفسير الضحاك وعتبة ابن أبي حكيم وغيرهما، وهو اختيار ابن جرير. وقال سعيد بن جبيرة: لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجراً مرتين، أنزل الله تعالى هذه الآية في حق هذه الأمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُلِهِ يُؤْخَذَ مِنْكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ أي ضعفين ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ وزادهم ﴿وَيَحْمِلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يعني هدى يتبصر به من العمى والجهالة، ﴿وَيُؤْتِي لَكُمْ﴾، فضلهم بالنور والمغفرة.



قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَقُولُ﴾ «لا» زائدة. قال الفراء: والعرب تجعل «لا» صلة في كل كلام دخل في آخره أو أوله جحد، فهذا مما جعل في آخره جحد. والمعنى: ليعلم ﴿أَهْلِي الْكِتَابِ﴾ الذين لم يؤمنوا بمحمد ﴿أَلَا يَقْدِرُونَ﴾ أي: أنهم لا يقدرُونَ ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ والمعنى: أنه جعل الأجرين لمن آمن بمحمد ﷺ ليعلم من لم يؤمن به أنه لا أجر لهم ولا نصيب في فضل الله ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ فاتاه المؤمنين. هذا تلخيص قول الجمهور في هاتين الآيتين. وقد ذهب قوم إلى أنه لما نزل في مُسلمة أهل الكتاب ﴿الَّذِينَ ءَامَنَتْهُمْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٢-٥٤] افتخروا على المسلمين بزيادة الأجر، فشق ذلك على المسلمين، فنزلت هاتان الآيتان، وهذا المعنى في رواية أبي صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. فعلى هذا يكون الخطاب للمسلمين، ويكون المعنى: يؤتكم أجرين ليعلم مؤمنو أهل الكتاب أنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله الذي خصَّكم، فإنه فضلكم على جميع الخلائق. وقال قتادة: لما نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ...﴾ الآية، حسد أهل الكتاب المسلمين عليها، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَقُولُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الآية.



## سورة المجادلة

وهي مدنية في قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، والجمهور. وروي عن عطاء أنه قال: العشر الأول منها مدني، والباقي مكّي. وعن ابن السائب: أنها مدنية سوى آية، وهي قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝﴾<sup>(١)</sup>  
قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ أما سبب نزولها، فروي عن عائشة أنها قالت: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة فكلّمت رسول الله ﷺ، وأنا في جانب البيت أسمع كلامها، ويخفي عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها وتقول: يا رسول الله: أبلى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات<sup>(٢)</sup>. فأما تفسيرها، فقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ قال الزجاج: إدغام الدال في السين حسن لقرب المخرجين، لأنهما من حروف طرف اللسان، وإظهار الدال جائز، لأنه وإن قرب من مخرج السين، فله حيز على حدة، ومن موضع الدال الطاء والتاء، فهذه الأحرف الثلاثة موضعها واحد، والسين والزاي والصاد من موضع واحد، وهي تسمى: حروف الصفير. وفي اسم هذه المجادلة ونسبتها أربعة أقوال: أحدها: خولة بنت ثعلبة، رواه مجاهد، عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وقتادة، والقرطبي. والثاني: خولة بنت خويلد، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: خولة بنت الصامت، رواه العوفي عن ابن عباس. والرابع: خولة بنت الدليج، قاله أبو العالية. واسم زوجها: أوس بن الصامت، وكانا من الأنصار. قال ابن عباس: كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنت عليّ كظهر أمي، حرّمت عليه، فكان أول من ظاهر في الإسلام أوس، ثم ندم، وقال لامرأته: انطلقني إلى رسول الله ﷺ فسله، فأنته، فنزلت هذه الآيات<sup>(٣)</sup>. فأما مجادلتها رسول الله ﷺ، فإنه كان كلما قال لها: قد حرمت عليك، تقول: والله ما ذكر طلاقاً، فقال: ما أوحى إليّ في هذا شيء، فجعلت تشتكي إلى الله. وتشتكي بمعنى: تشكو. يقال: اشتكت ما بي، وشكوت. وقالت: إن لي صبية صغاراً، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا. فأما التحاور، فهو مراجعة الكلام. قال عترة في فرسه:

لو كان يذري ما المُحَاوَرَةُ اُشْتَكِيَ  
ولو كان لو عِلِمَ الكلام مُكَلِّمِي<sup>(٤)</sup>

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِمَّا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُسْكِرًا مِنَ الْقَوْلِ وَوُذُوًّا وَلَيْتَ اللَّهُ لَمَعَزُ طَعْنًا ۖ قَدْ كَانَتْ هُنَّ حَفَاكِمْ وَقُيُومًا لِيَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ قِيلَ مَنْ يَكْفُلُهُمْ قُلْ يَكْفُلُهُمْ رَبِّي وَأَكْفُلُهُمْ اللَّهُ ۚ وَرَسُولُهُ ۚ وَقَالَ حُذْرٌ لِّلَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِمَّا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو «يُظَاهِرُونَ» بفتح الياء، وتشديد

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٠٤، والطبري ٦٠٥/٢٨، والحاكم في «المستدرک» ٤٨١/٢، وصححه، ووافقه الذهبي، وابن ماجه في «سننه» رقم (٢٠٦٣) وسنده صحيح، والبيهقي في «سننه» ٣٨٢/٧.

(٢) رواه البيهقي في «سننه» ٣٨٣/٧ من طريق عكرمة عن ابن عباس، وفي سنده أبو حمزة الثمالی، وهو ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في «التقریب». والخبر ذكره السيوطي في «الدرر» ١٧٩/٦ وزاد نسبة للنحاس، وابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٣) هو من معلقته المشهورة. وفي «شرح القصائد السبع» لابن الأنباري: أو كان لو علم الكلام مكلمي. وفي «مختار الشعر الجاهلي» ٣٧٩/١: أو كان يذري ما جواب تكلمي.

الظاء والهاء وفتحهما من غير ألف. وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بفتح الياء، وتشديد الظاء، وبألف، وتخفيف الهاء. وقرأ عاصم «يُظَاهِرُونَ» بضم الياء، وتخفيف الظاء والهاء، وكسر الهاء في الموضعين مع إثبات الألف. وقرأ ابن مسعود «يُظَاهِرُونَ» بياء، وتاء، وألف. وقرأ أبي بن كعب «يُظَاهِرُونَ» بياء، وتاء، وتخفيف الياء، وتشديد الهاء من غير ألف. وقرأ الحسن، وقتادة، والضحاك «يُظَاهِرُونَ» بفتح الياء، وفتح الظاء، مخففة، مكسورة الهاء مشددة. والمعنى: تقولون لهم: أنتم كظهور أمهاتنا. «مَا مِنْ أَهْتَهْتُمْ» قرأ الأكثرون بكسر التاء. وروى المفضل عن عاصم رفعها. والمعنى: ما اللواتي تجعلن كالأمهات بأمهات لهم «إِنْ أَهْتَهْتُمْ» أي: ما أمهاتهم «إِلَّا أَلَيْ وَكَذَهْتُمْ» قال الفراء: وانتصاب «الأمهات» هاهنا بإلقاء الياء، وهي قراءة عبد الله «مَا مِنْ بَأْمَاهَتِهِمْ»، ومثله: «مَا هَذَا بِشَرٍّ» (يوسف: ٢٣١)، المعنى: ما هذا ببشرٍ، قلما ألقيت الباء أبقي أثرها، وهو: النصب، وعلى هذا كلام أهل الحجاز. فأما أهل نجد، فإنهم إذا ألقوا الباء رفعوا، وقالوا: «ما من أمهاتهم» و «ما هذا بشرٌ» أنشدني بعض العرب: رِكَابٌ حُسَيْلٍ أَحْرَ السَّيْفِ بُدْنٌ وَنَاقَةٌ عَمْرُو مَا يُحِلُّ لَهَا رَحْلٌ<sup>(١)</sup> وَمَا أَنْتَ فَرْعٌ يَا حُسَيْلٌ وَلَا أَضَلُّ

قوله تعالى: «وَإِنْ قُمْ» يعني: المظاهرين «يَقُولُونَ مُسْكِرًا مِنَ الْقَوْلِ» لتشبيههم الزوجات بالأمهات، والأمهات محرمات على التأيد، بخلاف الزوجات. «وَرَوَّارًا» أي: كذباً «وَلَيْتَ اللَّهُ لَمَتَّو عَفْوَرًا» إذ شرع الكفارة لذلك<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: «ثُمَّ يَبُودُونَ لَنَا قَالُوا» اللام في «لما» بمعنى «إلى» والمعنى: ثم يعودون إلى تحليل ما حرّموا على أنفسهم من وطء الزوجة بالعزم على الوطء. قال الفراء: معنى الآية: يرجعون عما قالوا، وفي نقض ما قالوا. وقال سعيد بن جبير: المعنى: يريدون أن يعودوا إلى الجماع الذي قد حرّموه على أنفسهم. وقال الحسن، وطاووس، والزهري: العود: هو الوطء. وهذا يرجع إلى ما قلناه. وقال الشافعي: هو أن يمسكها بعد الظهار مدة يمكنه طلاقها فيه فلا يطلقها. فإذا وجد هذا، استقرت عليه الكفارة، لأنه قصد بالظهار تحريمها، فإن وصل ذلك بالطلاق فقد جرى على ما ابتدأه، وإن سكت عن الطلاق، فقد ندم على ما ابتدأ به، فهو غود إلى ما كان عليه، فحينئذ تجب الكفارة. وقال داود: هو إعادة اللفظ ثانياً، لأن ظاهر قوله تعالى: «يَبُودُونَ» يدل على تكرير اللفظ. قال الزجاج: وهذا قول من لا يدري اللغة. وقال أبو علي الفارسي: ليس في هذا كما ادّعوا، لأن العود قد يكون إلى شيء لم يكن الإنسان عليه قبل، وسميت الآخرة معاداً، ولم يكن فيها أحد ثم عاد إليه. قال الهذلي:

وَعَادَ الْفَتَى كَالْكَهْلِ لَيْسَ بِقَائِلٍ سِوَى الْحَقِّ شَيْئاً وَاسْتَرَاحَ الْعَوَائِلُ<sup>(٣)</sup>

وقد شرحنا هذا في قوله تعالى: «وَلَيْتَ اللَّهُ ثَبَّحَ الْأُمُورَ» [البقرة: ٢١٠] قال ابن قتيبة: من توهم أن الظهار لا يقع حتى يلفظ به ثانية، فليس بشيء، لأن الناس قد أجمعوا أن الظهار يقع بلفظ واحد. وإنما تأويل الآية: أن أهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار، فجعل الله حكم الظهار في الإسلام خلاف حكم عندهم في الجاهلية، وأنزل قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ» يريد في الجاهلية «ثُمَّ يَبُودُونَ لَنَا قَالُوا» في الإسلام، أي: يعودون لما كانوا يقولونه من هذا الكلام<sup>(٤)</sup>، «فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ» قال المفسرون: المعنى: فعليتهم، أو فكفارتهم تحرير رقية، أي: عتقها. وهل

(١) أنشد البيهقي صاحب «الإنصاف في مسائل الخلاف» ٦٩٤ ولم يزمها لقائل، والشاهد في قوله: «وما أنت فرع يا حُسَيْلٌ ولا أصل» فإنه أهمل «ما» النافية فلم يرفع بها الاسم وينصب الخبر، وإعمالها لغة تميم، وإعمالها لغة الحجاز.

(٢) قال ابن كثير: أصل الظهار: مشتق من الظهر، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا ظاهروا أحدهم من امرأته قال لها: أنت علي كظهر أمي، ثم في الشرع كان الظهار في سائر الأعضاء قياساً على الظهر، وكان الظهار عند الجاهلية طلاقاً، فأرخص الله لهذه الأمة، وجعل فيه كفارة، ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتدونه في جاهليتهم، هكذا قال غير واحد من السلف. اهـ.

(٣) في الأصلين: كالطلق، وهو خطأ، وقائل البيت أبو خراش غويلد بن مرة الهذلي، وهو في «شرح أشعار الهذليين» ١٢٢٣/٣، و«ديوان الهذليين» ٢/ ١٥٠، و«سيرة ابن هشام» ١٧٣/٢، و«الطبري» ١٦٣/٢، و«الأغاني» ٤١/٢١، و«الكامل» ٢٦٧/١، و«مشكل القرآن» ١١٢، و«شرح الحماسة» للمرزوقي ١٣١٤ من أبيات جياذ في رثاء صديق له. وفي «ديوان الهذليين» يقول: رجع الفتى عما كان عليه من قوته. وصار كأنه كهل. قوله. فاستراح العوائل، لأنهن لا يجدن ما يملن فيه سوى العدل، أي: سوى الحق.

(٤) قال ابن كثير: اختلف السلف والأئمة في المراد بقوله تعالى: «ثُمَّ يَبُودُونَ لَنَا قَالُوا» فقال بعض الناس: العود: هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره، =

يشترط أن تكون مؤمنة؟ فيه عن أحمد روايتان<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْذِنَ﴾ وهو: كناية عن الجماع على أن العلماء قد اختلفوا: هل يباح للمظاهر الاستمتاع باللمس والقبلة؟ وعن أحمد روايتان. وقال أبو الحسن الأخفش: تقدير الآية «والذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة لما قالوا ثم يعودون إلى نسائهم».

## فصل

إذا وطئ المظاهر قبل أن يكفر أئمه، واستقرت الكفارة. وقال أبو حنيفة: يسقط الظهار والكفارة. واختلف العلماء فيما يجب عليه إذا فعل ذلك، فقال الحسن، وسعيد بن المسيب، وطاوس، ومجاهد، وإبراهيم، وابن سيرين: عليه كفارة واحدة، وقال الزهري، وقتادة في آخرين: عليه كفارتان. فإن قال: أنت علي كظهر أمي اليوم، بطل الظهار بمضي اليوم، هذا قول أصحابنا، وأبي حنيفة، والثوري، والشافعي. وقال ابن أبي ليلى، ومالك، والحسن بن صالح: هو مظاهر أبداً.

واختلفوا في الظهار من الأمة، فقال ابن عباس: ليس من أمة ظهار، وبه قال سعيد بن المسيب، والشعبي، والنخعي، وأبو حنيفة، والشافعي. وقال سعيد بن جبير، وطاوس، وعطاء، والأوزاعي، والثوري، ومالك: هو ظهار. ونقل أبو طالب عن أحمد أنه قال: لا يكون مظاهراً من أمته، ولكن تلزمه كفارة الظهار، كما قال في المرأة إذا ظهرت من زوجها لم تكن مظهارة، وتلزمها كفارة الظهار.

واختلفوا فيمن ظاهر مراراً، فقال أبو حنيفة، والشافعي: إن كان في مجالس، فكفارات، وإن كان في مجلس واحد، فكفارة. قال القاضي أبو يعلى: وعلى قول أصحابنا: يلزمه كفارة واحدة، سواء كان في مجلس، أو في مجالس، ما لم يكفر، وهذا قول مالك.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ ثَوْبُ غَوَظٍ يَدٍ﴾ قال الزجاج: ذلكم التغليظ توعظون به. والمعنى: أن غلظت الكفارة وغظت لكم حتى تركوا الظهار.

قوله تعالى: ﴿قَدْ لَمْ يَحِدْ﴾ يعني: الرقبة «فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ» أي: فعليه صيام شهرين «مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْتَأْذِنَ» فَنَ تَرِ يَسْتَأْذِنُ الصيام «ف» كفارته «فَلَعَلَّامَ يَسْتَأْذِنُ يَسْتَأْذِنُ ذَلِكَ» أي: الفرض ذلك الذي وصفنا «لِيَتَوَسَّأُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» أي: تصدقوا بأن الله أمر بذلك وتصدقوا بما أتى به الرسول «وَلَتَكُنَّ خُذُوهُ اللَّهُ» يعني: ما وصفه الله من الكفارات في الظهار «وَلَتَكُنَّ عَذَابُ الْيَوْمِ» قال ابن عباس: لمن جحد هذا وكذب به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوا كَمَا كُنْتُمُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَفَدَّ أَنْزَلْنَا إِلَيْنَا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ٦٣﴾ يَوْمَ يَسْعَاهُمْ اللَّهُ جَمِيعًا يَبْسُطُهُمْ مِثْلَ عَمَلٍ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٦٤ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا ثُمَّ يَبْسُطُهُمْ مِثْلَ عَمَلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٦٥﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قد ذكرنا معنى المحادة في [التوبة: ٦٣] ومعنى «كُتِبُوا» في [آل عمران: ١٧٧]

= وهذا القول باطل، وهو اختيار ابن حزم وقول داود. حكاه أبو عمر بن عبد البر عن بكير بن الأشج والفرافرة وقرقة من أهل الكلام. وقال الشافعي: هو أن يسكنها بعد المظاهرة زماناً يمكنه أن يطلق في فلا يطلق. وقال أحمد بن حنبل: هو أن يعود إلى الجماع أو يعزم عليه فلا تحل له حتى يكفر بهذه الكفارة، وقد حكى عن مالك أنه العزم على الجماع أو الإنسائك، وعنه: أنه الجماع. وقال أبو حنيفة: هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريره ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية، فمضى ظاهر الرجل من امرأته فقد حرّمها تحريماً لا يرقه إلا الكفارة، وإليه ذهب أصحابه واليث بن سعد. وقال ابن لبيبة: حدثني عطاء عن سعيد بن جبير «يَوْمَ يَبْسُطُهُمْ مِثْلَ عَمَلٍ» يعني يريدون أن يعودوا في الجماع الذي حرّموه على أنفسهم. قال الحسن البصري: يعني الغشيان في الفرج، وكان لا يرى بأساً أن ينشئ فيما دون الفرج قبل أن يكفر.

(١) قال ابن كثير: هاتنا الرقبة مطلقه غير مقيدة بالإيمان، فحمل الشافعي رحمه الله ما أطلق هاتنا على ما قيّد هناك، لاتحاد الموجب، وهو حق الرقبة، واعتضد في ذلك بما رواه عن مالك بسنده عن معاوية بن الحكم السلمي في قصة الجارية السوداء، وأن رسول الله ﷺ قال: «اعتقها فإنها مؤمنة» وقد رواه أحمد في «مسنده» ومسلم في «صحيحه».

عند قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكْتُمُهُمْ﴾. وقال ابن عباس: أخزوا يوم الخندق بالهزيمة كما أخزي الذين من قبلهم ممن قاتل الرسل.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: من قبورهم ﴿فَيُنْزِلُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ من معاصيه، وتضييع فرائضه. ﴿أَخَصَّنَهُ اللَّهُ﴾ أي: حفظه الله عليهم ﴿وَسَوَّاهُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أعمالهم في السر والعلانية ﴿شَبِيدًا﴾. ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: ألم تعلم.

قوله تعالى: ﴿مَا يَسْكُوتُ مِنَ النَّجْوَى فَلَنَجْوَ﴾ وقرأ أبو جعفر «ما تكون» بالتاء. قال ابن قتيبة: النجوى: السرار. وقال الزجاج: ما يكون من خلوة ثلاثة يسرون شيئاً، ويتناجون به ﴿إِلَّا هُوَ رَافِعُهُمْ﴾ أي: عالم به. و «نجوى» مشتق من النجوة، وهو ما ارتفع. وقرأ يعقوب «ولا أكثر» بالرفع. وقال الضحاک: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ أي: علمه معهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَمُودُونَ لِمَا نَهَوْنَا عَنْهُ وَيَنْتَجِرُونَ بِالْآثِرِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَكَ حَيْوُكَ بِمَا كَرِهْتَ يَوْمَ تَرَى اللَّهَ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَتَسْمِعُ لَهُمْ سَوَاسِثَ الَّذِينَ نَسُوا ۝ وَالَّذِينَ مَكَانُوا فِي السَّيْرِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنْجَرُوا بِالْآثِرِ وَالْفَقْرَى وَأَنْفَعُوا اللَّهَ الَّذِينَ إِلَيْهِ تُعْشَرُونَ ۝ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَرَرِهِمْ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين، ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا قد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا، قتل أو موت، أو مصيبة، فبقع ذلك في قلوبهم، ويحزنهم، فلا يزالون كذلك حتى تقدم أصحابهم. فلما طال ذلك وكثر، شكوا المؤمنون إلى رسول الله ﷺ، فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: نزلت في اليهود، قاله مجاهد. قال مقاتل: وكان بين اليهود وبين رسول الله موادة، فإذا رأوا رجلاً من المسلمين وحده تناجوا بينهم، فيظن المسلم أنهم يتناجون بقتله، أو بما يكره، فترك الطريق من المخافة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فنهاهم عن النجوى، فلم ينتهوا، وعادوا إليها، فنزلت هذه الآية. وقال ابن السائب: نزلت في المنافقين. والنجوى: بمعنى المناجاة. ﴿ثُمَّ يَمُودُونَ﴾ إلى المناجاة التي نهوا عنها ﴿وَيَنْتَجِرُونَ﴾ قرأ حمزة، ويعقوب إلا زيدا، وروحا «ويتنجسون» وقرأ الباقون «ويتناجون» بألف. وفي معنى تناجيهم ﴿بِالْآثِرِ وَالْعُدُونِ﴾ وجهان: أحدهما: يتناجون بما يسوء المسلمين، فذلك الإثم والعدوان، ويوصي بعضهم بعضاً بمعصية الرسول. والثاني: يتناجون بعد نهى الرسول، ذلك هو الإثم والعدوان ومعصية الرسول.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ حَيْوُكَ بِمَا كَرِهْتَ يَوْمَ تَرَى اللَّهَ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: نزلت في اليهود. قالت عائشة رضي الله عنها: جاء ناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم، وفعل الله بكم، فقال رسول الله ﷺ: «ما هي عائشة، فإن الله لا يحب الفحش، ولا التفحش، فقلت: يا رسول الله! ترى ما يقولون؟ فقال: أأست تريني أردو عليهم ما يقولون، وأقول: وعليكم، قالت: فنزلت هذه الآية في ذلك»<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: والسام: الموت. والثاني: أنها نزلت في المنافقين، رواه عطية عن ابن عباس. قال المفسرون: ومعنى «حَيْوُكَ» سَلَّمُوا عليك بغير سلام الله عليك، وكانوا يقولون: سام عليك. فإذا خرجوا يقولون في أنفسهم، أو يقول بعضهم لبعض: لو كان نبياً عذبنا بقولنا له ما نقول.

(١) هو في «أسباب النزول» ٣٠٦ عن ابن عباس ومجاهد بغير سند.

(٢) رواه ابن أبي حاتم من حديث الأعمش عن مسروق عن عائشة وإسناده صحيح، وهو أيضاً في «صحيح مسلم» ١٧٠٧/٤ عن عائشة رضي الله عنها. ورواه أحمد في «المسند» رقم (٦٥٨٩) عن عبد الله بن عمر أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سام عليك، ثم يقولون في أنفسهم: ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا يَكْفُرُ لَكُمْ وَهْمُ رَبِّكُمْ بِمَا كَرِهْتُمْ﴾. وقال ابن كثير: إسناده حسن، وهو في «معجم الزوائد» ١٢١/٧، وقال: رواه أحمد والبيهقي والطبراني، وإسناده جيد، لأن حماداً سمع من عطاء في حالة الصحة..

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا تَنَجَّيْنَكُمْ فِيهَا قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ، فَاَلْمَعْنَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِزَعْمِهِمْ، وَهَذَا قَوْلٌ عَطَاءٌ وَمَقَاتِلٌ. وَالثَّانِي: أَنَّهَا فِي الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ نَهَاهُمْ عَنْ فِعْلِ الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ، وَهَذَا مَذْهَبُ جَمَاعَةٍ، مِنْهُمْ الرِّجَازُ.

قوله تعالى: ﴿تَنَجَّيْنَا﴾ هَكَذَا قَرَأَ الْجَمَاعَةُ بِأَلْفٍ. وَقَرَأَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ «فَلَا تَنْجُوا». فَأَمَّا «الْبِرُّ» فَقَالَ مَقَاتِلٌ: هُوَ الطَّاعَةُ، وَ «التَّقْوَى» تَرَكَ الْمَعْصِيَةَ. وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّمَشَقِيُّ: «الْبِرُّ» الصَّدَقُ، وَ «التَّقْوَى» تَرَكَ الْكَذِبَ. ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ مَا يَفْعَلُهُ الْيَهُودُ وَالْمُنَافِقُونَ، مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا التَّجْوِي مِنْ الشَّيْطَانِ﴾ أَي: مِنْ تَزْيِينِهِ، وَالْمَعْنَى: إِنَّمَا يَزِينُ لَهُمْ ذَلِكَ ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَقَدْ بَيَّنَّا اتِّقَاءَ مَا كَانَ يَحْزَنُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ النُّجُوى ﴿وَلَيْسَ بِضَرْمٍ شَيْئًا﴾ أَي: وَلَيْسَ الشَّيْطَانُ بِضَارٍّ لِلْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا ﴿إِلَّا يَأْذِي اللَّهَ﴾ أَي: بِإِرَادَتِهِ ﴿وَكَلَّ اللَّهُ فَيَنْوِيكَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أَي: فَلْيَكِلُوا أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَبَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَاسْبَحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فَرِحَ اللَّهُ الْيَوْمَ بِكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْوَحْيَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَبَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ وَقَرَأَ عَاصِمٌ «فِي الْمَجَالِسِ» عَلَى الْجَمْعِ، وَذَلِكَ لِأَن كُلَّ جَالِسٍ لَهُ مَجْلِسٌ، فَاَلْمَعْنَى: لِيَفْسَحَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ فِي مَجْلِسِهِ. قَالَ الْمَفْسُورُونَ: نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا يَسَاقِبُونَ إِلَى مَجْلِسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْمُهَاجِرُونَ وَأَهْلُ السَّابِقَةِ، لَمْ يَجِدُوا مَوْضِعًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحِبُّ أَنْ يَلِيَهُ أَوَّلُو الْفَضْلِ لِيَحْفَظُوا عَنْهُ، فَيَمِينُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ جُمُعَةٍ جَالِسٌ فِي صُفَّةٍ ضَيْقُوهُ فِي الْمَسْجِدِ، جَاءَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ فِيهِمْ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ بْنُ شِمَاسٍ، فَسَلَّمُوا وَانْتَظَرُوا أَنْ يَوْسَعُوا لَهُمْ، فَأَوْسَعُوا لِبَعْضِهِمْ، وَبَقِيَ بَعْضُهُمْ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: قُمْ يَا فُلَانُ، قُمْ يَا فُلَانُ، حَتَّى أَقَامَ مِنَ الْمَجْلِسِ عَلَى عِدَّةٍ مِنْ هُوَ قَائِمٌ مِنْ أَهْلِ السَّابِقَةِ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي وَجْهِهِ مِنْ أَقَامَهُمُ الْكَرَاهَةَ، وَتَكَلَّمَ الْمُنَافِقُونَ فِي ذَلِكَ وَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا عَدَلْ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانُوا يَتَفَاسُونَ فِي مَجْلِسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا أَقْبَلَ مَقْبِلَ ضَنْوَاتِهِمْ بِمَجْلِسِهِمْ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَفْسَحَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، قَالَ الْمَفْسُورُونَ: وَمَعْنَى «تَفَسَّحُوا» تَوَسَّعُوا وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَجْلِسُونَ مُتَضَافِينَ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا يَجِدُ غَيْرَهُمْ مَجْلِسًا عَنْدهُ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَوْسَعُوا لْغَيْرِهِمْ لِيَتَسَاوَى النَّاسُ فِي الْحِظِّ مِنْهُ، وَيُظْهَرُ فَضِيلَةُ الْمُتَقَرِّبِينَ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ وَغَيْرِهِمْ. وَفِي الْمُرَادِ «بِالْمَجْلِسِ» هَاهُنَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ مَجْلِسُ الْحَرْبِ، وَمَقَاعِدُ الْقِتَالِ، كَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي الْقَوْمَ فِي الصَّفِّ، فَيَقُولُ لَهُمْ: تَوَسَّعُوا، فَيَأْبُونَ عَلَيْهِ لِحَرَصِهِمْ عَلَى الْقِتَالِ، وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنِ، وَأَبِي الْعَالِيَةِ، وَالْقُرْظِيِّ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ مَجْلِسُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ. وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ هَذَا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَمِنْ حَوْلِهِ خَاصَّةً. وَالثَّالِثُ: مَجَالِسُ الذِّكْرِ كُلُّهَا، رَوَى عَنْ قَتَادَةَ أَيْضًا<sup>(١)</sup>. وَقَرَأَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبُو رَزِينٍ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَعُكْرَمَةُ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ أَبِي عُبَيْلَةَ، وَالْأَعْمَشُ: ﴿تَسَبَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ بِأَلْفٍ عَلَى الْجَمْعِ.

قوله تعالى: ﴿يَسْبَحُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أَي: يَوْسَعُ اللَّهُ لَكُمْ الْجَنَّةَ، وَالْمَجَالِسَ فِيهَا. ﴿وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا﴾ قَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ «أَنْشُرُوا فَانْشُرُوا» بِرَفْعِ الشَّيْنِ. وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَحُمَزَةُ، وَالْكَسَائِيُّ: بِكَسْرِ الشَّيْنِ فِيهِمَا. وَمَعْنَى «أَنْشُرُوا» قَوْمُوا. قَالَ الْفَرَاءُ: وَهِيَ لُغَتَانِ. وَفِي الْمُرَادِ بِهَذَا الْقِيَامُ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ الْقِيَامُ إِلَى الصَّلَاةِ، وَكَانَ رِجَالٌ يَتَاقَلُونَ عَنْهَا، فَقِيلَ لَهُمْ: إِذَا نَوَدِيَ لِلصَّلَاةِ فَانْهَضُوا، هَذَا قَوْلُ عُكْرَمَةَ، وَالضَّحَّاكَ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ الْقِيَامُ إِلَى قِتَالِ الْعَدُوِّ، قَالَهُ الْحَسَنُ. وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ الْقِيَامُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ، مِنْ قِتَالٍ، أَوْ أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ. وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ الْخُرُوجُ مِنْ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانُوا إِذَا جَلَسُوا فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَطَالُوا لِيَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ آخِرَهُمْ عَهْدًا بِهِ، فَأَمَرُوا أَنْ يَنْشُرُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ: أَنْشُرُوا، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ. وَالْخَامِسُ: أَنَّ الْمَعْنَى: قَوْمُوا

(١) قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ: وَالصُّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ، أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَسَبَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ. وَلَمْ يَخْصُصْ بِذَلِكَ مَجْلِسَ النَّبِيِّ ﷺ دُونَ مَجْلِسِ الْقِتَالِ، وَكَلَا الْمَوْضِعَيْنِ يَقَالُ لَهُ: مَجْلِسٌ، فَذَلِكَ عَلَى جَمِيعِ الْمَجَالِسِ مِنْ مَجَالِسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَجَالِسِ الْقِتَالِ. أَمَّا-

وتحرّكوا وتوسّعوا لإخوانكم، قاله الثعلبي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ أي: يرفعهم بإيمانهم على من ليس بمنزلتهم من الإيمان ﴿و﴾ يرفع ﴿الذين أوتوا العلم﴾ على من ليس بعالم. وهل هذا الرفع في الدنيا، أم في الآخرة؟ فيه وجهان: أحدهما: أنه إخبار عن ارتفاع درجاتهم في الجنة. والثاني: أنه ارتفاع مجالسهم في الدنيا، فيكون ترتيبهم فيها بحسب فضائلهم في الدين والعلم. وكان ابن مسعود يقول: أيها الناس: افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم، فإن الله يرفع المؤمن العالم فوق من لا يعلم درجات<sup>(٢)</sup>.

﴿يَتَابِعُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَجَيَّعَ الرَّسُولُ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُودِكُمْ صَدَقَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> أَشَقَقْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُودِكُمْ صَدَقَتْ قَوْلُهُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ قَائِمًا الصَّلَاةَ وَأَتَاوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ يَمَا تَمَلَّكُونَ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا تَجَيَّعَ الرَّسُولُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن الناس سألوا رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، فانزل هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنها نزلت في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يكثرّون مناجاة رسول الله ﷺ، ويغلبون الفقراء على المجالس، حتى كره رسول الله ﷺ ذلك، فنزلت هذه الآية، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئاً، وأما أهل الميسرة فيخلّوا، واشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فنزلت الرخصة، قاله مقاتل بن حيان، وإلى نحوه ذهب مقاتل بن سليمان، إلا أنه قال: فقدّر الفقراء حينئذٍ على مناجاة رسول الله ﷺ، ولم يقدّم أحد من أهل الميسرة صدقة غير علي بن أبي طالب. وروى مجاهد عن علي رضي الله عنه قال: آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي، ولن يعمل بها أحد بعدي، آية النجوى. كان لي دينار، فبعته بعشرة دراهم، فكلما أردت أن أناجي رسول الله ﷺ قدّمت درهماً فنسختها الآية الأخرى ﴿أَشَقَقْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ أي: تقديم الصدقة على المناجاة خير لكم، لما فيه من طاعة الله، وأطهر لذنوبكم ﴿فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا﴾ يعني: الفقراء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إذ عفا عنكم لا يجدر.

قوله تعالى: ﴿أَشَقَقْتُمْ﴾ أي: خفتم بالصدقة المأقاة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: فتجاوز عنكم، وخفّف بنسخ إيجاب الصدقة. قال مقاتل بن حيان: إنما كان ذلك عشر ليال. قال قتادة: ما كان إلا ساعة من نهار.

﴿أَنْزَلَ الرَّبُّ إِلَيْنَا الْكِتَابَ قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ هُم بِكُمْ وَلَا يَتَمَنَّى وَيُحِبُّونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَمَلَّكُونَ﴾<sup>(٥)</sup> أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَمَلَّكُونَ ﴿٦﴾ أَفَعَدَّوْا أَسِنَّةَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٧﴾ لَنْ تَنفَى عَنْهُمْ أَسِنَّةَهُمْ وَلَا أَوْلَدُهُمْ

(١) روى البخاري ومسلم في (صحيحهما) عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن تقسحوا وتوسّعوا». وروى مسلم في (صحيحه) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به». قال ابن كثير: وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء على أحوال، فمنهم من رخص في ذلك محتجاً بحديث: «قوموا إلى سيدكم» ومنهم من منع من ذلك محتجاً بحديث: «من أحب أن يحتل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار» ومنهم من فصل فقال: يجوز عند القعود من سفر، وللحاكم في محل ولايته، كما دل عليه قصة سعد بن معاذ، فإنه لما استقدمه النبي ﷺ حاكماً في بني قريظة، فرآه مقبلاً قال للمسلمين: «قوموا إلى سيدكم» وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه، والله أعلم. قال: فأما اتخاذ ديدناً، فإنه من شعار العجم، قال: وقد جاء في «السنن» أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكان إذا جاء لا يقومون له لما يعلمون من كراهيته لذلك. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَسْلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: لا نتعدوا أنه إذا نسح أحد منكم لأخيه إذا أتبل، أو إذا أمر بالخروج فخرج، أن يكون ذلك نقصاً في حقه، بل هو رتبة ورتبة عند الله، والله تعالى لا يضيع ذلك له، بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة، فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكوره، ولهذا قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَسْلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي خبير بمن يستحق ذلك ومن لا يستحقه. اهـ.

وروى مسلم في (صحيحه) ٥٥٩/١ عن عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب وكان عمر يستعمله على مكة. فقال: من استعملت على أهل الروادي؟ فقال: ابن أبيزى، قال: ومن ابن أبيزى؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله ﷺ، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين».

(٣) ذكر سبب النزول هذا البخاري في «تفسيره» عن ابن عباس بغير سند، وأورده السيوطي في «الدرر» ١٨٥/٦ من رواية ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس وقال في آخره: فانزل الله بعد هذا ﴿أَشَقَقْتُمْ﴾ الآية، فوسع الله عليهم ولم يضيق.

مَنْ اللَّهُ شَيْئًا أَوْلَيْكَ أَمَّسَتْ النَّارُ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جِيْمًا يَخْلَفُونَ كَلِمًا كَانُوا يَمْلِكُونَ لَكُمْ وَبَشِّرُوا أَنَّهُمْ عَلَى قَوْلِهِمْ إِلَّا لِمَنْ هُمْ أَكْثَرُونَ ﴿٨﴾ أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أَوْلَيْكَ فَجَزَبَ الشَّيْطَانُ إِلَيْنَا إِنَّا رَبُّ الشَّيْطَانِ ثُمَّ لَمَّا بَشَّرْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَرَسُولَهُ أَوْلَيْكَ فِي الْآدَاءِ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَبُّ إِلَيْنَا قَوْلًا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ نزلت في المنافقين الذين تولوا اليهود، ونقلوا إليهم أسرار المؤمنين. وقال السدي، ومقاتل: نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق، وذلك أنه كان يجالس رسول الله ﷺ، ويرفع حديثه إلى اليهود، فدخل عليه يوماً، وكان أزرق، فقال له رسول الله ﷺ: «حلام تشتمني أنت وأصحابك؟» فحلف بالله ما فعل، فقال له النبي ﷺ: «فعلت» فانطلق فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما سبوه، فأنزل الله هذه الآيات. وروى الحاكم أبو عبد الله في «صحيحه» من حديث ابن عباس، أن رسول الله ﷺ كان في ظل حُجرة من حججه، وعنده نفر من المسلمين، فقال: إنه سيايتكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا أتاكم فلا تُكلموه، فجاء رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ، فقال: علام تشتمني أنت وفلان وفلان؟ فانطلق الرجل فدعاهم، فحلفوا بالله، واعتذروا إليه، فأنزل الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جِيْمًا يَخْلَفُونَ﴾ الآية<sup>(١)</sup>. فاما التفسير، فالذين تولوا: هم المنافقون، والمغضوب عليهم: هم اليهود ﴿وَيَخْلَفُونَ عَلَى الْكُذِبِ﴾ وهو ما ذكرنا في سبب نزولها. وقال بعضهم: حلفوا أنهم ما سبوا رسول الله ﷺ، ولا تولوا اليهود ﴿وَهُمْ يَمْلِكُونَ﴾ أنهم كذبة ﴿أَفَعَدُوا آيَاتَهُمْ جُنَّةً﴾ أي: ستره يَتَّقُونَ بها القتل. قال ابن قتيبة: المعنى: استتروا بالحلف، فكلما ظهر لهم شيء يوجب معاقبتهم حلفوا كاذبين، ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: صَدُّوا النَّاسَ عن دين الإسلام، قاله السدي. والثاني: صَدُّوا عن جهادهم بالقتل وأخذ مالهم.

قوله تعالى: ﴿يَخْلَفُونَ كَلِمًا﴾ قال مقاتل، وقناة: يحلفون لله في الآخرة أنهم كانوا مؤمنين، كما حلفوا لأوليائه في الدنيا ﴿وَبَشِّرُوا أَنَّهُمْ عَلَى قَوْلِهِمْ﴾ من أيمانهم الكاذبة ﴿إِلَّا لِمَنْ هُمْ أَكْثَرُونَ﴾ في قولهم وأيمانهم. قوله تعالى: ﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ قال أبو عبيدة: غلب عليهم، وحاذهم، وقد بينا هذا في سورة النساء: [١٤١] عند قوله تعالى: ﴿تَسْتَحْوَذُ عَلَيْهِمُ﴾، وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿أَوْلَيْكَ فِي الْآدَاءِ﴾ أي: في المغلولين، فلمهم في الدنيا ذُلٌّ، وفي الآخرة خِزْيٌ.

﴿إِنَّا إِلَيْنَا يَخْدُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَوْلَيْكَ فِي الْآدَاءِ﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَخِيكَ أَنَا وَرَسُولِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيَّ عَزِيزٌ ﴿١٠﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْلَيْكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَتَدَّبَهُمْ جَنَّاتُ جَهَنَّمَ بَازِحِينَ ﴿١١﴾ وَبَدَّلْنَاهُمْ حِزْبًا لَّيِّنًا يَنْبَغِي مِنَ النَّارِ لَقَدْ أَخْلَفْنَا نَبَأَهُمُ اللَّهُ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْلَيْكَ فَجَزَبَ اللَّهُ إِلَيْنَا إِنَّا رَبُّ اللَّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ أي: قضى الله ﴿لَأَخِيكَ أَنَا وَرَسُولِي﴾ وفتح الياء نافع، وابن عامر. قال المفسرون: من بُعث من الرسل بالحرب، فعاقبة الأمر له، ومن لم يبعث بالحرب، فهو غالب بالحجة ﴿إِنَّا إِلَيْنَا يَخْدُونَ﴾ أي: مانع حزبه من أن يذل.

قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾ الآية. اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: نزلت في أبي عبيدة بن الجراح، قتل أباه يوم أحد، وفي أبي بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، فقال: يا رسول الله دعني أكون في الرعدة الأولى<sup>(٢)</sup>، فقال: متعنا بنفسك يا أبا بكر، وفي مصعب بن عمير، قتل أخاه عبيد بن حمزة يوم أحد، وفي عمرو قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر. وفي علي وحزمة قتلا عتبة وشيبة يوم بدر، قاله ابن مسعود<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنها نزلت في

(١) الحاكم في «المستدرک» ٨٢٢/٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، ورواه أحمد في «المسنَد» رقم (٣٢٧٧)، وإسناده جيد كما قال ابن كثير.

(٢) الرعدة والرَّعِيل: القطعة المتقدمة من الخيل، يريد: الفوج الأول المتقدم ليقاتل في سبيل الله.

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣١٠ بغير سند، وروى الحاكم في «المستدرک» ٢٦٥/٣ عن عبد الله بن شاذب قال: جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح ينصب آل آل (وهي الحرية العريضة الصل) لأبي حبيدة يوم بدر، وجعل أبو حبيدة يحذ عنه، فلما أكثر الجراح قصد أبو حبيدة، فأنزل الله فيه هذه الآية حين قتل أباه ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾ وقال الحافظ في «الإصابة» ٢٤٤/٢: وأخرجه الطبري بسند جيد عن عبد الله بن شاذب.



أبي بكر الصديق، وذلك أن أبا قحافة سب رسول الله ﷺ، فصغّه أبو بكر صغّة شديدة سقط منها، ثم ذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أو فعلته؟» قال: نعم. قال: فلا تعد إليه، فقال أبو بكر: والله لو كان السيف قريباً مني لقتلته، فنزلت هذه الآية، قاله ابن جريج<sup>(١)</sup>. والثالث: نزلت في عبد الله بن عبد الله بن أبي، وذلك أنه كان جالساً إلى جنب رسول الله، فشرب رسول الله ماءً، فقال عبد الله: يا رسول الله أبق فضلة من شرابك، قال: وما تصنع بها؟ قال: أسقيها أبي، لعل الله سبحانه يطهر قلبه، ففعل، فأتى بها أباه، فقال: ما هذا؟ قال: فضلة من شراب رسول الله جئتكم بها لتشربها، لعل الله يطهر قلبك، فقال: هلا جئتني ببول أمك! فرجع إلى رسول الله ﷺ، فقال: يارسول الله: ائذن لي في قتل أبي، قال: فقال رسول الله ﷺ: ارفق به، وأحسن إليه، فنزلت هذه الآية، قاله السدي. والرابع: أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة يخبرهم أن رسول الله ﷺ قد عزم على قصدهم، قاله مقاتل، واختاره الفراء، والزجاج. وهذه الآية قد بينت أن موادة الكفار قدح في صحة الإيمان، وأن من كان مؤمناً لم يوال كافراً وإن كان أباه أو ابنه أو أحداً من عشيرته.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين، يعني: الذين لا يوادون من حادّ الله ورسوله ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ وقرأ المفضل عن عاصم «كُتِبَ» برفع الكاف والنون من «الإيمان». وفي معنى «كتب» خمسة أقوال: أحدها: أثبت في قلوبهم الإيمان، قاله الربيع بن أنس. والثاني: جعل، قاله مقاتل. والثالث: كتب في اللوح المحفوظ أن في قلوبهم الإيمان، حكاه الماوردي. والرابع: حكم لهم بالإيمان. وإنما ذكر القلوب، لأنها موضع الإيمان، ذكره الثعلبي. والخامس: جمع في قلوبهم الإيمان حتى استكملوه، قاله الواحدي.

قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُمُ﴾ أي: قوّاهم ﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ وفي المراد «بالروح» ها هنا خمسة أقوال: أحدها: أنه النصر، قاله ابن عباس، والحسن. فعلى هذا سمي النصر روحاً، لأن أمرهم يحيا به. والثاني: الإيمان، قاله السدي. والثالث: القرآن، قاله الربيع. والرابع: الرحمة، قاله مقاتل. والخامس: جبريل عليه السلام أيدهم به يوم بدر، ذكره الماوردي. فأما ﴿حَزَبَ أَلُوهُ﴾ فقال الزجاج: هم الداخلون في الجمع الذين اصطفاهم وارتضاهم، و«ألا» كلمة تنبيه وتوكيد للقصة.



(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣١٠ عن ابن جريج قال: حدثت أن أبا قحافة... الخ، وقال الحافظ في «تخريج أحاديث الكشاف» ١٦٦: نقله الثعلبي عن ابن جريج قال: حدثت أن أبا قحافة... فذكره.

## سورة الحشر

### وهي مدنية كلها بإجماعهم

وذكر المفسرون أن جميعها أنزلت في بني النضير<sup>(١)</sup>. وكان ابن عباس يسمي هذه السورة «سورة بني النضير»<sup>(٢)</sup> وهذه الإشارة إلى قصتهم.

ذكر أهل العلم بالتفسير والتسير: أن رسول الله ﷺ خرج إلى مسجد قباء، ومعه نفر من أصحابه، فصلّى فيه، ثم أتى بني النضير، فكلّمهم أن يعينوه في دية رجلين كان قد أمنهما، فقتلها عمرو بن أمية الضمري وهو لا يعلم، فقالوا: نفعل، وقموا بالعذر به، وقال عمرو بن جحاش: أنا أظهر على البيت، فأطرح عليه صخرة، فقال سلام بن مشكم: لا تفعلوا، والله ليخبرن بما همتم به، وجاء رسول الله ﷺ الخبر، فنهض سريعا، فتوجه إلى المدينة، فلحقه أصحابه، فقالوا: قمت ولم نشعر! فقال: همّت يهود بالغدر، فأخبرني الله بذلك، فقامت، وبعث إليهم رسول الله محمد بن مسلمة: أن اخرجوا من بلدي، فلا تساكنوني، وقد هممت بما هممت به، وقد أجلكم عشرا<sup>(٣)</sup>. فمن رثي بعد ذلك ضربت عنقه، فمكثوا أياما يتجهّزون، فأرسل إليهم ابن أبي: لا تخرجوا، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم، وتمدّدكم قريظة، وحلفاؤكم من غطفان، وطمع حيي فيما قال ابن أبي، فأرسل إلى رسول الله ﷺ: إنا لا نخرج، فاصنع ما بدا لك، فكبّر رسول الله ﷺ، وكبّر المسلمون لتكبيره، وقال: حاربت يهود، ثم سار إليهم في أصحابه، فلما رأوه، قاموا على حصونهم معهم النبل والحجارة، فاعتزلتهم قريظة، وخذلهم ابن أبي وحلفاؤهم من غطفان، وكان رئيسهم كعب بن الأشرف قد خرج إلى مكة فعاقد المشركين على التظاهر على رسول الله، فأخبر الله رسوله بذلك، فبعث محمد بن مسلمة فاعتزّه فقتله، وحاصره رسول الله، وقطع نخلهم، فقالوا: نحن نخرج عن بلادك، فأجلاهم عن المدينة، فمضى بعضهم إلى الشام، وبعضهم إلى خيبر، وقبض سلاحهم وأموالهم، فوجد خمسين درعا، وخمسين بيضة، وثلاثمائة وأربعين سيفا<sup>(٤)</sup>. فأما التفسير فقد ذكرنا فاتحة هذه السورة في [الحديد: ١].

(١) وهم طائفة من اليهود أجلاهم رسول الله ﷺ من المدينة بعدما تقصروا العهد الذي بينه وبينهم على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل وقعة أحد كما ذكر ذلك عبد الرزاق في «مصنعه» عن معمر عن الزهري عن هرو.

(٢) روى البخاري في «صحيحه» ٢٥٦/٧ عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس سورة الحشر؟ قال: قل: سورة النضير. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٤٨٣/٨: كأنه كره تسميتها بالحشر، لئلا يظن أن المراد: يوم القيامة، وإنما المراد به هنا: إخراج بني النضير.

(٣) هكذا رواية ابن سعد: «وقد أجلكم عشرا». والذي في «دلائل النبوة» للبيهقي كما في «فتح الباري» ٢٥٤/٧ من حديث محمد بن مسلمة أن رسول الله ﷺ بعث إلى بني النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاثة أيام.

(٤) روى هذا الخبر ابن سعد في «الطبقات» ٥٧/٢، ٥٨ في غزوة بني النضير، وذكره ابن هشام في «السيرة» ١٩٠/٢ بنحوه من رواية ابن إسحاق، وانظر «البداية والنهاية» لابن كثير دمشقي ٧٥/٤، و«شرح المواهب اللدنية للزرقاني» ٩٥/٢، ٩٦. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٥٥/٧: روى ابن مردويه قصة بني النضير بإسناد صحيح إلى معمر عن الزهري: أخبرني عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: كتب كفار قريش إلى عبد الله بن أبي وغيره ممن يعبد الأوثان قبل بدر يهدّونهم بيوتهم النبي ﷺ وأصحابه ويتوعدونهم أن يخزؤهم بجميع العرب، فهم ابن أبي ومن معه يقاتل المسلمين، فأتاهم النبي ﷺ فقال: ما كادكم أحد بمثل ما كادتكم قريش، يريدون أن تلقوا بأسكم بينكم، فلما سمعوا ذلك عرفوا الحق فترقوا، فلما كانت وقعة بدر كتب كفار قريش بعدما إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة والحصون يتهدّدونهم، فأجمع بنو النضير على الغدر، فأرسلوا إلى النبي ﷺ: أخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا، فإن آمنا بك أتبعناك، ففعل، فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر، فأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخ لها من الأنصار مسلم تخبره بأمر بني النضير، فأخبر أخوها النبي ﷺ قبل أن يصل إليهم، فرجع وصحبهم بالكتائب فحصرهم يومه، ثم غدا على بني قريظة، فحاصره، فعاودوه، فانصرف عنهم إلى بني النضير، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا السلاح، فاحتلوا حتى أبواب بيوتهم، فكانوا يخربون بيوتهم فيهدمونها ويحملون ما يوافقهم من خشبها. وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام، قال الحافظ: وكذا أخرجه عبد بن حميد في «تفسيره» عن عبد الرزاق، قال: وفي ذلك رد على ابن التين في زعمه أنه ليس في هذه القصة حديث بإسناد. قلت (القاتل ابن حجر): فهذا أقوى مما ذكر ابن إسحاق من أن سبب غزوة بني النضير طلبه ﷺ أن



قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرُوا يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الاعتبار: النظر في الأمور، ليعرف بها شيء آخر من جنسها، و «الأبصار» العقول. والمعنى: تدبروا ما نزل بهم ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ﴾ أي: قضى ﴿عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ وهو خروجهم من أوطانهم. وذكر الماوردي بين الإخراج والجلء فرقين: أحدهما: أن الجلء: ما كان مع الأهل والولد، والإخراج: قد يكون مع بقاء الأهل والولد. والثاني: أن الجلء لا يكون إلا لجماعة. والإخراج: قد يكون لواحد ولجماعة. والمعنى: لولا أن الله قضى عليهم بالخروج ﴿لَمَذَبْتُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي، كما فعل بقرينة ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ مع ما حل بهم في الدنيا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ذلك الذي أصابهم ﴿يَأْتُهُمْ شَأْوَأُ اللَّهِ﴾ وقد سبق بيان الآية [الأنفال: ١٣] و [محمد: ٣٢]. قال القاضي أبو يعلى: فقد دلت هذه الآية على جواز مصالحة أهل الحرب على الجلء من ديارهم من غير سبي ولا استرقاق، ولا جزية، ولا دخول في ذمة، وهذا حكم منسوخ إذا كان في المسلمين قوة على قتالهم، لأن الله تعالى أمر بقتال الكفار حتى يسلموا، أو يؤدوا الجزية. وإنما يجوز هذا الحكم إذا عجز المسلمون عن مقاومتهم فلم يقدرُوا على إدخالهم في الإسلام أو الذمة، يجوز لهم حينئذ مصلحتهم على الجلء من بلادهم. وفي هذه القصة دلالة على جواز مصلحتهم على مجهول من المال، لأن النبي ﷺ صالحهم على أرضهم، وعلى الحلقة، وترك لهم ما أقلت الإبل، وذلك مجهول.

قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ سبب نزولها أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير، وقطع، فنزلت هذه الآية، أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر<sup>(١)</sup>. وذكر المفسرون أنه لما نزلت بيني النضير تحصنوا في حصونهم، فأمر بقطع نخيلهم، وإحراقها، فجزعوا، وقالوا: يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح، أفمن الصلاح عقر الشجر، وقطع النخل؟ وهل وجدت فيما أنزل عليك الفساد في الأرض؟ فشق ذلك على رسول الله ﷺ، ووجد المسلمون في أنفسهم من قولهم. واختلف المسلمون، فقال بعضهم: لا تقطعوا، فإنه مما أفاء الله علينا. وقال بعضهم: بل نغيظهم بقطعها، فنزلت هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه، وتحليل من قطعه من الإثم، وأخبر أن قطعه وتركه بإذن الله تعالى<sup>(٢)</sup>. وفي المراد «باللينة» ستة أقوال: أحدها: أنه النخل كله ما خلا العجوة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وبه قال عكرمة، وقتادة، والفراء. والثاني: أنه النخل والشجر، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أنها ألوان النخل كلها إلا العجوة، والبرنية، قاله الزهري، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. وقال الزجاج: أهل المدينة يسمون جميع النخل: الألوان، ما خلا البرني والعجوة. وأصل «لينة»: لؤنة، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها. والرابع: أنها النخل كله، قاله مجاهد وعطية، وابن زيد. قال ابن جرير: معنى الآية: ما قطعتم من ألوان النخل. والخامس: أنها كرام النخل، قاله سفيان. والسادس: أنها ضرب من النخل يقال لتمرها: اللون، وهي شديدة الصفرة، ترى نواه من خارج، وكان أعجب ثمرهم إليهم<sup>(٣)</sup>، قاله مقاتل<sup>(٤)</sup>. وفي عدد ما قطع المسلمون ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قطعوا وأحرقوا ست نخلات، قاله الضحاك. والثاني: أحرقوا نخلة وقطعوا نخلة، قاله ابن إسحاق. والثالث: قطعوا أربع نخلات، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال يزيد بن رومان ومقاتل: بأمر الله.

قوله تعالى: ﴿وَالْيَحْزَىٰ أَلْفَيْسَيْنِ﴾ يعني اليهود. وخزيمهم: أن يُزَيِّهم أموالهم يتحكَّم فيها المؤمنون كيف أحبوا. والمعنى: وليخزي الفاسقين، أذن في ذلك، ودل على المحذوف قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

﴿وَمَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ مَّا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ مَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآلِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا تَنْكُم عَنْهُ فَأَنْهَوْا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٧﴾ لِلْفَقْرَةِ الْمُهَنْجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا

(١) البخاري في «صحيحه» ٧/٢٥٦ و ٨/٤٨٣، ومسلم ٣/١٣٦٦.

(٢) الواحدي في «أسباب النزول» ٣١٢، ورواه الطبري ٢٨/٣٤ من رواية ابن إسحاق، ثنا يزيد بن رومان.

(٣) في الأصل: إليه.

(٤) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: اللينة: النخلة، وهو من ألوان النخل ما لم تكن عجوة.

مِنْ دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَّبِعُونَ فَضَلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَنُصْرًا اللَّهُ أَوْلَيْتُكُمْ هُمْ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَكُونُونَ مِنْ هَاجِرٍ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ أي: ماردٌ عليهم ﴿وَنُفُوسُهُمْ﴾ يعني: من بني النضير ﴿فَمَا أَرْجَعْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَبْلِ وَلَا رِكَابٍ﴾ قال أبو عبيدة: الإيضاع، والإيضاع، والركاب: الإبل. قال ابن قتيبة: يقال: وجف الفرس والبعير، وأوجفته، ومثله: الإيضاع، وهو الإسراع في السير. وقال الزجاج: معنى الآية: أنه لا شيء لكم في هذا، إنما هو لرسول الله ﷺ خاصة. قال المفسرون: طلب المسلمون من رسول الله ﷺ أن يحمس أموال بني النضير لما أجلوا، فنزلت هذه الآية تبين أنها فيء لم تحصل لهم بمحاربتهم، وإنما هو بتسليط رسول الله ﷺ، فهو له خاصة، يفعل فيه ما يشاء، فقسمه رسول الله ﷺ بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار منه شيئاً، إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة، وهم: أبو دُجَّانَة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصُّمَّة. ثم ذكر حكم الفيء فقال تعالى: ﴿فَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ أي من أموال كفار أهل القرى: ﴿فَلِلَّهِ﴾ أي: يأمركم فيه بما أحب، ﴿وَلِرَسُولِهِ﴾ بتحليل الله إياه. وقد ذكرنا ذوي القرى واليتامى في [الأنفال: ٤١] وذكرنا هناك الفرق بين الفيء والغنمة.

### فصل

واختلف العلماء في حكم هذه الآية، فذهب قوم: أن المراد بالفيء هاهنا: الغنمة التي يأخذها المسلمون من أموال الكافرين عنوة، وكانت في بلد الإسلام للذين سبَّاهم الله هاهنا دون الغالبيين<sup>(١)</sup> الموجفين عليه، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى في [الأنفال: ٤١]: ﴿وَأَقْبَلُوا أَنَا نَعْتَمَ مِنْ شَيْءٍ...﴾ الآية، هذا قول قتادة ويزيد بن رومان. وذهب قوم إلى أن هذا الفيء: ما أخذ من أموال المشركين ما لم يوجف بخيل ولا ركاب، كالصلح، والجزية، والعشور ومال من مات منهم في دار الإسلام ولا وارث له، فهذا كان يقسم في زمن رسول الله ﷺ خمسة أخماس، فاربعة لرسول الله ﷺ يفعل بها ما يشاء، والخمس الباقي للمذكورين في هذه الآية. واختلف العلماء فيما يصنع بسهم رسول الله ﷺ بعد موته على ما بينا في [الأنفال: ٤١] فعلى هذا تكون هذه الآية مثبتة لحكم الفيء والتي في [الأنفال: ٤١] مثبتة لحكم الغنمة، فلا يتوجه النسخ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُنْ﴾ يعني: الفيء ﴿ذُوْلَةً﴾ وهو اسم للشيء يتداوله القوم. والمعنى: لتلا يتداوله الأغنياء بينهم فيغلبوا الفقراء عليه. قال الزجاج: الذولة؛ اسم الشيء يتداول. والذولة، بالفتح: الفعل والانتقال من حال إلى حال. ﴿وَمَا عَلَيْكُمْ أَلْسُنُكُمْ﴾ من الفيء ﴿فَقُضُوا وَمَا تَكُنْ﴾ عن أخذه ﴿فَأَنْتَهُمْ﴾ وهذا نزل في أمر الفيء. وهو عام في كل ما أمر به، ونهى عنه<sup>(٣)</sup>. قال الزجاج: ثم بين من المساكين الذين لهم الحق، فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ

(١) في الأصل: المالمين.

(٢) قال ابن كثير: يقول تعالى مبيهاً ما الفيء؟ وما صفته؟ وما حكمه؟ فالفيء: كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاب خيل ولا ركاب، كأموال بني النضير هذه، فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصالحة، بل نزل أولئك من الرهب الذي أتى الله في قلوبهم من هبة رسول الله ﷺ، فأفاء الله على رسوله، ولهذا تصرف فيه كما يشاء، فرد على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله ﷻ في هذه الآية فقال تعالى: ﴿فَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ أي من بني النضير ﴿فَمَا أَرْجَعْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَبْلِ وَلَا رِكَابٍ﴾ يعني الإبل ﴿وَلِكُلِّ أَفْهٍ يَرْثِي رَسُولَ اللَّهِ مَن يَبْتَغِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي هو قدير لا يغال ولا يمانع، بل هو القاهر لكل شيء، ثم قال تعالى: ﴿فَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ أي: جميع البلدان التي فتحت هكذا، فحكمها حكم أموال بني النضير، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَلِأَنْتِيبِلِ﴾ إلى آخرها والتي بعدها. فهذه مصارف أموال الفيء ووجوهه. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَمَا عَلَيْكُمْ أَلْسُنُكُمْ أَلْسُنُكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وما أعطاكم رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه من أهل القرى فخذوه، ﴿وَمَا عَلَيْكُمْ مَنَّهُ﴾ من الغلول وغيره من الأمور: ﴿فَأَنْتَهُمْ﴾. اهـ. وقال ابن كثير: ﴿وَمَا عَلَيْكُمْ أَلْسُنُكُمْ فُقُضُوا وَمَا تَكُنْ عَنْتَهُمْ﴾ أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنها ينهى عن شر. اهـ. وقال الشوكاني في فتح القدير: والحق أن هذه الآية عامة في كل =

لَفَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴿١﴾ قال المفسرون: يعني بهم المهاجرين ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: رزقاً يأتيهم ﴿وَرِضْوَانًا﴾ رضا ربهم حين خرجوا إلى دار الهجرة ﴿أَوَّلِيكَ هُمُ الْمُتَذَكِّرُونَ﴾ في إيمانهم. ثم مدح الأنصار حين طابت أنفسهم عن الفداء، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ يعني: دار الهجرة، وهي المدينة ﴿وَالْإِيمَانِ مِن قَبْلِهِ﴾ فيها تقديم وتأخير، تقديره: والذين تبوؤوا الدار من قبلهم، أي: من قبل المهاجرين، والإيمان عطف على «الدار» في الظاهر، لا في المعنى، لأن «الإيمان» ليس بمكان يتبوأ، وإنما تقديره: وآثروا الإيمان، وإسلام المهاجرين قبل الأنصار، وسكنى الأنصار المدينة قبل المهاجرين. وقيل: الكلام على ظاهره، والمعنى: تبوؤوا الدار والإيمان قبل الهجرة ﴿يُخَبِّرُونَ مَنِ حَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ وذلك أنهم شاركوهم في منازلهم، وأموالهم، ﴿وَلَا يَحْذَرُونَ فِي مُدَرِّجِهِمْ حَاجَةً﴾ أي: حسداً وغيظاً مما أوتي المهاجرون. وفيما أوتوه قولان: أحدهما: مال الفداء، قاله الحسن. وقد ذكرنا آنفاً أن النبي ﷺ قسم أموال بني النضير بين المهاجرين، ولم يعط من الأنصار غير ثلاثة نفر. والثاني: الفضل والتقدم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَيُذَكِّرُونَ عَلَيْ أَنفُسِهِمْ﴾ بأموالهم ومنازلهم ﴿وَلَوْ كَانَتْ بَيْنَهُمْ حَصَصَةٌ﴾ أي فقر وحاجة، فبين الله ﷻ أن يثأرهم لم يكن عن غنى<sup>(١)</sup>. وفي سبب نزول هذا الكلام قولان: أحدهما: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ، وقد أصابه الجهد، فقال: يا رسول الله؛ إني جائع فأطعمني، فبعث رسول الله ﷺ إلى أزواجه: هل عندكن شيء؟ فكلهن قلن: والذي بعثك بالحق ما عندنا إلا الماء، فقال: ما عند رسول الله ﷺ ما يطعمك هذه الليلة. ثم قال: «مَنْ يَضِيفُ هَذَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ يَرْحَمَهُ اللَّهُ؟» فقام رجل فقال: أنا يا رسول الله، فأتى به منزله، فقال لأهله: هذا ضيف رسول الله ﷺ، فأكرميه ولا تدخري عنه شيئاً، فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبية، فقال: قومي فعللهم عن قوتهم حتى يناموا ولا يطعموا شيئاً، ثم أصبح سراجك<sup>(٢)</sup>، فإذا أخذ الضيف ليأكل، فقومي كأنك تصلحين السراج، فأطفيئه، وتعالني نمضغ ألسنتنا لأجل ضيف رسول الله ﷺ حتى يشبع، ففعلت ذلك، وظن الضيف أنها يأكلان معه، فشبع هو، وباتا طاويين، فلما أصبحا عَدَا إلى رسول الله ﷺ، فلما نظر إليهما تبسم، ثم قال: ضحك الله الليلة، أو عجب من فعالكما<sup>(٣)</sup>، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُذَكِّرُونَ عَلَيْ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَتْ بَيْنَهُمْ حَصَصَةٌ﴾ الآية. أخرجه البخاري ومسلم في «الصحاحين» من حديث أبي هريرة<sup>(٤)</sup>. وفي بعض الألفاظ عن أبي هريرة: أن الضيف كان من أهل الضفة، والمضيف كان من الأنصار، وأن

شيء يأتي به رسول الله ﷺ من أمر أو نهى أو قول أو فعل، وإن كان السبب خاصاً، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكل شيء أتاها به من الشرع، عند إعطائنا إياه وأوصلنا إليه، قال: وما أنفع هذه الآية وأكثر فائدتها! ثم لما أمرهم بأخذ ما أمرهم به الرسول وترك ما نهاهم عنه، أمرهم بتقواه وخوفهم شدة عقوبته فقال: ﴿وَأَقْبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فهو معاقب من لم يأخذ ما آتاه الرسول ولم يترك ما نهاه عنه. أحد. وقد روى الإمام أحمد في «المسند»، والبخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن علقمة قال: قال عبد الله بن مسعود ﷺ: لمن الله الواشحات والمستوشحات، والمتنصتات والمطلعات للحسن المغيرات خلق الله ﷻ، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب، فجاءت إليه فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، قال: وما لي لا ألن من لمن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله؟ قالت: لقد قرأت ما بين لحي المصحف فما وجدت فيه شيئاً من هذا؟ قال: لكن كنت قرأت فيه لقد وجدته، أما قرأت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَكْثِرُوا نَسَبَكُمْ عَنْ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ يُبْغِضُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قد نهى عنه... وروى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه».

(١) ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل الصدقة جهد المقل» وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله تعالى بقوله: ﴿زُلْفِيَّيْنَ أَلَمَلَمَ عَلَى خِيَابِهِ﴾ وقوله: ﴿وَمَا كَانَ عَلَى غَيْبٍ﴾ فإن هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع عصاصهم وحاجتهم إلى ما أنفقوا، من هذا الباب تصدق الصديق ﷺ بجميع ماله، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» فقال ﷺ: أبقيت لهم الله ورسوله، وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك، فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه وهو جريح مقل أجرح ما يكون إليه، فرده الآخر إلى الثالث، حتى وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم، ﷺ وأرضاهم.

(٢) أي أوقديه.

(٣) قال الحافظ ابن حجر: نسبة الضحك والتعجب إلى الله مجازية، والمراد بهما: الرضا بصنيعهما؛ وقوله «فعالكما» وفي رواية «فعالكما» بالافراد، قال في «البارع»: الفعلان بالفتح: اسم الفعل الحسن، مثل الجود والكرم، قال: وفي «التعليق»: الفعلان بالفتح: فعل الواحد في الخير خاصة، يقال: هو كريم الفعل بفتح الفاء، وقد يستعمل في الشر. والفعل بالكسر: إذا كان الفعل بين اثنين، يعني أنه مصدر فاعل، مثل قاتل قتلاً.

(٤) البخاري في «صحيحه» ٩٠/٧، ٩١ و ٤٨٤/٨، ومسلم ١٦٢٤/٣.

النبي ﷺ قال: «لقد عجب من فعالكما أهل السماء»<sup>(١)</sup>. والثاني: أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ أهدي له رأس شاة، فقال: إن أخي فلاناً وعياله أروح إلى هذا منا، فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحد إلى واحد حتى تداولها سبعة أهل أبيات، حتى رجعت إلى أولئك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عمر<sup>(٢)</sup>. وروي نحو هذه القصة عن أنس بن مالك قال: أهدي لبعض الصحابة رأس شاة مشوي، وكان مجهوداً، فوجه به إلى جاري له فتناوله تسعة أنفس، ثم عاد إلى الأول، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾: وقرأ ابن السميع، وأبو رجاء «ومن يُوقِ» بتشديد القاف. قال المفسرون: هو أن لا يأخذ شيئاً مما نهاه الله عنه، ولا يمنع شيئاً أمره الله بأدائه. والمعنى: أن الأنصار ممن وقى شُحَّ نفسه حين طابت أنفسهم بترك الشيء للمهاجرين.

### فصل

وقد اختلف العلماء في الشح والبخل، هل بينهما فرق، أم لا؟ فقال ابن جرير: الشُّحُّ في كلام العرب: هو منع الفضل من المال. وقال أبو سليمان الخطابي: الشح أبلغ في المنع من البخل، وإنما الشُّحُّ بمنزلة الجنس والبخل بمنزلة النوع، وأكثر ما يقال في البخل: إنما هو في أفراد الأمور وخواص الأشياء، والشح عام، فهو كالوصف اللازم للإنسان من قِبَل الطَّبع والجيَّة. وحكى الخطابي عن بعضهم أنه قال: البخل: أن يَصِفُ بماله، والشح: أن يبخل بماله ومعروفه. وقد روى أبو الشعثاء أن رجلاً أتى ابن مسعود فقال: إني أخاف أن أكون قد هلكت، قال: وما ذاك؟ قال: أسمع الله يقول: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء، فقال: ليس ذلك بالشح الذي ذكره الله في القرآن، الشُّحُّ: أن تأكل مال أخيك ظلماً، إنما ذلك البخل، وبش الشيء البخل<sup>(٤)</sup>. وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «برئ من الشُّحِّ من أدَّى الزكاة، وقَرَى الضيف، وأعطى في النائة»<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَيْدِهِمْ﴾ يعني التابعين إلى يوم القيامة. قال الزجاج: والمعنى: ما أفاء الله على رسوله فله وللرسول وللهؤلاء المسلمين، وللذين يجيئون من بعدهم إلى يوم القيامة ما أقاموا على محبة أصحاب رسول الله ﷺ، ودليل هذا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَيْدِهِمْ﴾ أي: الذين جاؤوا في حال قولهم: ﴿رَبَّنَا اغْنِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾ فمن ترحم على أصحاب رسول الله ﷺ ولم يكن في قلبه غلٌ لهم، فله حظٌ من فيء المسلمين، ومن شتمهم ولم يترحم عليهم، وكان في قلبه غلٌ لهم، فما جعل الله له حقاً في شيء من فيء المسلمين بنص الكتاب. وكذلك روى عن مالك بن أنس ﷺ أنه قال: من تنقص أصحاب رسول الله ﷺ، أو كان في قلبه عليهم غلٌ، فليس له حق في فيء المسلمين، ثم تلا هذه الآيات.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَخُرُوجُكُمْ مَعَكُمْ وَلَا نَقُصُّ عَلَيْكُمْ

(١) كذا لفظ الحديث في «أسباب النزول» للواحد ٣١٣، ٣١٤، وكون المضيف من الأنصار ثابت في «الصحاحين». وأهل الطُّفَّة: أضياف الإسلام من قراء المهاجرين، ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه، كانوا يبيتون في مسجد رسول الله ﷺ، والطُّفَّة: موضع مظلل من المسجد كانوا يأوون إليه.

(٢) رواه الواحد في «أسباب النزول» ٣١٤ عن عبد الله بن عمر، وفي سننه عبيد الله بن الوليد الوصافي، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: ضعيف. والحديث رواه الحاكم في «المستدرک» ٤٨٤/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: قلت: عبيد الله بن الوليد، ضعفوه. وأورده السيوطي في «الدر» ١٩٥/٦ وزاد نسبه لابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن عبد الله بن عمر ﷺ. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» في رواية البخاري الأولى: هذا هو الأصح في سبب نزول هذه الآية، ثم ذكر رواية ابن مردويه هذه وقال: ويحتمل أن تكون نزلت بسبب ذلك كله. اهـ.

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٢٥/١٨ ونسبه إلى الثعلبي عن أنس، بلفظ: «فتناولته سبعة أنفس في سبعة أبيات» بدل «فتناوله تسعة أنفس».

(٤) رواه ابن جرير: ٤٣/٢٨، وذكره ابن كثير ٣٣٩/٤ ونسبه إلى ابن أبي حاتم، وإسناده صحيح، إلا أن المسعودي أحد رواة اختلط قبل موته.

(٥) رواه ابن جرير الطبري ٤٤/٢٨ وفي سننه ضعف، وذكره السيوطي في «الدر» ١٩٧/٦ وزاد نسبه لابن مردويه، والبيهقي عن أنس ﷺ. اهـ. وقد روى مسلم في «صحيحه» ١٩٩٦/٤ عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم».

أَحَدًا أَبَدًا وَلَئِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ لَكُمْ دِينٌ ۖ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُهُمْ وَلَئِنْ نَصَرْتُمْ لَيُؤْلِكَنَّ الْأَذَى ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۖ لَأَشَدُّ أُنْدًا رَهَبًا فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۖ لَا يَقُولُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُعَصَّةٍ أَوْ مِنْ وَكَلَةٍ جُدُرٍ بِأَسْهُرٍ يَنْتَهَرُ شَرِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ۖ كَتَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قُرَيْبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۖ كَتَلِ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْمَالِئِينَ ۖ لَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ۖ

قوله تعالى: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَقَاتَلُوا﴾ يعني: عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾ في الدين، لأنهم كفار مثلهم، وهم اليهود ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ من المدينة ﴿لَتَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا تُطِيعُكُمْ﴾ أي: في خذلانكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ فكذبهم الله تعالى في ذلك بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ لَكُمْ دِينٌ﴾ ثم ذكر أنهم يخلفونهم ما وعدوهم من الخروج والنصر بالآية التي تلي هذه، فكان الأمر على ما ذكره الله تعالى، لأنهم أخرجوا فلم يخرج معهم المنافقون، وقوتلوا فلم ينصروهم، ومعنى ﴿وَلَئِنْ نَصَرْتُمْ﴾: لئن قُدر وجود نصرهم، لأن الله نفى نصرهم، فلا يجوز وجوده. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ يعني: بني النضير.

قوله تعالى: ﴿لَأَشَدُّ أُنْدًا﴾ يعني: المؤمنين أشد ﴿رَهَبًا فِي صُدُورِهِمْ﴾ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم المنافقون، قاله مقاتل. والثاني: بنو النضير، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿لَا يَنْتَظِرُكُمْ جَمِيعًا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله الأكثرون. والثاني: اليهود والمنافقون، قاله أبو سليمان الدمشقي. والمعنى: أنهم لا يبرزون لحربكم، إنما يقاتلون مُتَحَصِّينَ ﴿فِي قُرَى مُعَصَّةٍ أَوْ مِنْ وَكَلَةٍ جُدُرٍ﴾ وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبان «جدار» بآلف. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي «جُدُر» بضم الجيم والدال. وقرأ أبو بكر الصديق، وابن أبي عبيدة «جُدُر» بفتح الجيم والدال جميعاً، وقرأ عمر بن الخطاب، ومعاوية، وعاصم الجحدري «جُدُر» بفتح الجيم وسكون الدال. وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، والحسن، وابن سيرين، وابن عمر «جُدُر» بضم الجيم وإسكان الدال. ﴿بِأَسْهُرٍ يَنْتَهَرُ شَرِيدٌ﴾ فيما وراء الحصون شديد، وإذا خرجوا إليكم فهم أجبن خلق الله.

قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود والمنافقون، قاله مقاتل. والثاني: بنو النضير، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ قال الزجاج: أي: هم مختلفون لا تستوي قلوبهم، ولا يتعاونون بنيات مجتمعة، لأن الله تعالى ناصر حزبه، وخاذل أعدائه.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ يعني: ذلك الاختلاف ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما فيه الحظ لهم. ثم ضرب لليهود مثلاً، فقال تعالى: ﴿كَتَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قُرَيْبًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: بنو قينقاع، وكانوا وادعوا رسول الله، ثم غدروا، فحصرهم، ثم نزلوا على حكمه أن له أموالهم، ولهم النساء والأثريّة. فالمعنى: مثل بني النضير فيما فعل بهم كبنى قينقاع فيما فعل بهم. والثاني: أنهم كفار قريش يوم بدر، قاله مجاهد. والمعنى: مثل هؤلاء اليهود كمثل المشركين الذين كانوا من قبلهم قريباً، وذلك لقرب غزاة بني النضير من غزاة بدر. والثالث: أنهم بنو قريظة، فالمعنى: مثل بني النضير كبنى قريظة ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ﴾ بأن قُتِلت مقاتلتهم، وسُبيت ذراريهم، وهؤلاء أجلوا عن ديارهم فذاقوا وبَالَ أَمْرِهِمْ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة. ثم ضرب لليهود والمنافقين مثلاً فقال تعالى: ﴿كَتَلِ الشَّيْطَانُ﴾. والمعنى: مثل المنافقين في غرورهم بني النضير، وقولهم: لئن أخرجتم لنخرجن معكم، ولئن قوتلت لننصرنكم، كمثل الشيطان: ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه مثلُ ضربه الله تعالى للكافر في طاعة الشيطان، وهو عام في جميع الناس، قاله مجاهد. والثاني: أنه مثلُ ضربه الله لشخص معين، وعلى هذا جمهور المفسرين، وهذا شرح قصته. ذكر أهل التفسير أن عابداً من بني إسرائيل كان يقال له: برصيصا تعبد في صومعة له أربعين سنة لا يقدر عليه الشيطان، فجمع إبليس يوماً مردة الشياطين، فقال: ألا أحد منكم يكفيني برصيصا، فقال الأبيض، وهو صاحب الأنبياء: أنا



أكفيكه، فانطلق على صفة الرهبان، وأتى صومعته، فناداه فلم يجبه، وكان لا يفتل عن صلاته إلا في كل عشرة أيام، ولا يفطر إلا في كل عشرة أيام، فلما رأى أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته، فلما انتقل برصيصا، أطلع فرآه متصباً يصلي على هيئة حسنة، فناداه: ما حاجتك؟ فقال: إني أحببت أن أكون معك، أقتبس من عملك، وأتأدّب بأدبك، ونجتمع على العبادة، فقال برصيصا: إني لفي شغل عنك، ثم أقبل على صلاته، وأقبل الأبيض يصلي، فلم يُقْبَلْ إليه برصيصا أربعين يوماً، ثم انتقل، فرآه يصلي، فلما رأى شدة اجتهاده قال: ما حاجتك؟ فأعاد عليه القول، فأذن له، فصعد إليه، فأقام معه حولاً لا يفطر إلا كل أربعين يوماً، ولا يفتل من صلاته إلا في كل أربعين يوماً، وربما زاد على ذلك، فلما رأى برصيصا اجتهاده، أعجبه شأنه وتقاصرت إليه نفسه، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا: إني منطلق عنك، فإن لي صاحباً غيرك ظننت أنك أشد اجتهاداً مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذي أرى، فاشتد ذلك على برصيصا، وكره مفارقتة، فلما ودّعه قال له الأبيض: إن عندي دَعَوَاتٍ أعلمكها، يشفي الله بها السقيم، ويعافي بها المبتلى، فقال برصيصا: إني أكره هذه المنزلّة، لأن لي في نفسي شغلاً، أخاف أن يعلم الناس بهذا، فيشغلوني عن العبادة، فلم يزل به حتى علمه إياها، ثم انطلق إلى إبليس فقال: قد والله أهلكك الرجل، فانطلق الأبيض، فترعّض لرجل فخّته، ثم جاءه في صورة رجل متطبّب، فقال لأهله: إن بصاحبكم جنوناً فأعالجوه؟ قالوا نعم، فقال لهم: إني لا أقوى على جنيّ، ولكن سارشدكم إلى من يدعو له فيعافي، فقالوا له: دُنّا، قال: انطلقوا إلى برصيصا العابد، فإن عنده اسم الله الأعظم، فانطلقوا إليه، فدعا بتلك الكلمات، فذهب عنهم الشيطان، وكان الأبيض يفعل بالناس ذلك، ثم يرشدهم إلى برصيصا، فيُعاوَنُون، فلما طال ذلك عليه انطلق إلى جارية من بنات ملوك بني إسرائيل، لها ثلاثة إخوة، فختمها، ثم جاء إليهم في صورة متطبّب، فقال: أعالجها؟ قالوا: نعم. فقال: إن الذي عرض لها مارد لا يطاق، ولكن سارشدكم إلى رجل تدعونه عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها، قالوا، ومن هو؟ قال: برصيصا، قالوا: فكيف لنا أن يقبلها ممّا، وهو أعظم شأناً من ذلك؟ قال: إن قبلها، وإلا فضعوها في صومعته، وقولوا له: هي أمانة عندك، فانطلقوا إليه، فأبى عليهم، فوضعوها عنده. وفي بعض الروايات أنه قال: ضعوها في ذلك الغار، وهو غار إلى جنب صومعته، فوضعوها، فجاء الشيطان فقال له: انزل إليها فامسحها بيدك تعافي، وتتصرف إلى أهلها، فنزل، فلما دنا إلى باب الغار دخل الشيطان فيها، فإذا هي تركض، فسقطت عنها ثيابها، فنظر العابد إلى شيء لم ير مثله حسناً وجمالاً، فلم يتمالك أن وقع عليها، وضرب على أذنه، فجعل يختلف إليها إلى أن حملت، فقال له الشيطان: ويحك يا برصيصا قد افترضت، فهل لك أن تقتل هذه وتتوب؟ فإن سألوك عنها قتل: جاء شيطانها فذهب بها، فلم يزل بها حتى قتلها، ودفنها، ثم رجع إلى صومعته، فأقبل على صلاته إذ جاء إخوتها يسألون عنها، فقالوا: يا برصيصا! ما فعلت أختنا؟ قال: جاء شيطانها فذهب بها، ولم أطقه، فصَدَّقُوهُ، وانصرفوا. وفي بعض الروايات أنه قال: دعوت لها، فعافاها الله، ورجعت إليكم، فترقّوا ينظرون لها أثراً، فلما أمسّوا جاء الشيطان إلى كبيرهم في منامه، فقال: ويحك! إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا، وإنه دفنها في موضع كذا من جبل كذا، فقال: هذا حلم، وبرصيصا خير من ذلك، فتتابع عليه ثلاث ليال، ولا يكثر، فانطلق إلى الأوسط كذلك، ثم إلى الأصغر مثل ذلك، فقال الأصغر لإخوته: لقد رأيت كذا وكذا، فقال الأوسط، وأنا والله، فقال الأكبر: وأنا والله، فأتوا برصيصا، فسألوه عنها، فقال: قد أعلمتكم بحالها، فكانكم اتهمتموني، قالوا: لا والله، واستحيّوا، وانصرفوا، فجاءهم الشيطان فقال: ويحكم إنها لمدفونة في موضع كذا وكذا، وإن إزارها لخارج من التراب، فانطلقوا، فحفروا عنها، فأروها، فقالوا: يا عدوّ الله لم تقتلتها؟ اهبط، فهدموا صومعته، ثم أوثقوه، وجعلوا في عنقه حبلاً، ثم قادوه إلى الملك فأقرّ على نفسه، وذلك أن الشيطان عرض له، فقال: تقتلها ثم تكابر، فاعترف، فأمر الملك بِقَتْلِهِ وَصَلْبِهِ، فعرض له الأبيض، فقال: أتعرفني؟ قال: لا، أنا صاحبك الذي علمت الدعوات، ويحك ما اتّقيت الله في أمانة خنت أهلها، أما استحييت من الله؟! ألم يكفك ذلك حتى أقررت ففضحت نفسك وأشباك بين الناس؟! فإن ميتاً على هذه الحالة لم تفلح، ولا أحدٌ من نظرائك، قال: فكيف أصنع؟ قال: تطيعني في خصلة حتى أنجيك، وأخذ بأعينهم، وأخرجك من مكانك، قال: ما هي؟ قال: تسجد لي، فسجد له،

فقال: هذا الذي أردت منك صارت عاقبة أمرك أن كفرت ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾ ثم قتل<sup>(١)</sup>. فضرب الله هذا المثل لليهود حين غرهم المنافقون، ثم أسلموهم.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ ونصب ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو بـاء «إني» وأسكنها الباقون. وقد بينا المعنى في [الأنفال: ٤٨] ﴿كَانَ عَاقِبَتَهُ﴾ يعني: الشيطان وذلك الكافر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَيْرِ اللَّهِ وَآتَوْهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ شَرُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٨﴾ لَا يَسْتَوِي أَعْمَدُ الثَّارِ وَأَعْمَدُ الْجَنَّةِ أَمْحَبُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ أي: لينظر أحدكم أي شيء قدَّم؟ أعمالاً صالحاً يُنجيه؟ أم شيئاً يُوْيقه؟ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ شَرُوا اللَّهَ﴾ أي: تركوا أمره ﴿فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: أنساهم حظوظ أنفسهم، فلم يعملوا بالطاعة، ولم يقدِّموا خيراً. قال ابن عباس: يريد قريظة، والنضير، وبني قينقاع.

﴿قُلْ أَرْكَبُ هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَقَالَ الْأُمْتَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْقِيَامُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤَيَّدُ الْمُهَيَّمُ الْمَزِيدُ الْجَبَّارُ التَّكَوُّنُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرْكَبُ هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ أخبر الله بهذا عن تعظيم شأن القرآن، وأنه لو جعل في جبل - على قساوته وصلابته - تمييزاً، كم جعل في بني آدم، ثم أنزل عليه القرآن لشق من خشية الله، وخوفاً أن لا يؤدي حق الله في تعظيم القرآن. و «الخاشع»: المتطاطب الخاضع، و «المتصدع»: المتشق. وهذا توبيخ لمن لا يحترم القرآن، ولا يؤثر في قلبه مع الفهم والعقل، وكذلك على هذا المثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْأُمْتَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ ثم أخبر بعظمته وربوبيته، فقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ قال الزجاج: قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ﴾ ردُّ على قوله تعالى في أول السورة: ﴿سُبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. فإما هذه الأسماء، فقد سبق ذكر «الله»، و «الرحمن»، و «الرحيم» في (الفاتحة) وذكرنا معنى «عالم الغيب والشهادة» في [الأنعام: ٧٣]. و «الملك» في سورة [المؤمنين: ١١٦]. فإما «القدوس» فقرأ أبو الأشهب، وأبو نهيك، ومعاذ القارئ بفتح القاف. قال أبو سليمان الخطابي:

(١) الخبير يطوله أخرجه ابن جرير الطبري ٥٠/٢٨ وغيره عن ابن عباس موقوفاً عليه وإسناده ضعيف جداً، وأخرجه الحاكم في «المستدرک» ٤٨٤/٢ عن علي بن أبي حمزة قال: كان راهب يتعبد في صومته وامرأة زيت له نفسها، فوقع عليها، فحملت، فجاهه الشيطان فقال: اقتلها فإنهم إن ظهروا عليك انتضحت، فقتلها فدفنتها، فجاءوه فأخذوه فذهبوا به، فبينما هم يمشون، إذ جاءه الشيطان فقال: أنا الذي زيتك لك، فاسجد لي سجدة أنجيك، فسجد له، فأنزل الله ﷻ: ﴿كَتَلْنَاكَ أَكْبَرُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَا يَرْجِي مِنْكَ﴾ الآية. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأورده السيوطي في «الدر» ١٩٩/٦ وزاد نسبه لعبد الرزاق وابن راهويه، وأحمد في «الزهد»، والبخاري في «تاريخه»، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن علي بن أبي حمزة. وما رواه ابن أبي الدنيا وغيره عن عبيد بن رفاعه الزرقني يبلغ به النبي ﷺ في قصة هذا الراهب، فلا يصح رفعها، بل الصحيح أنها موقوفة على علي بن أبي حمزة، ولعلها من الإسرائيليات، والله أعلم. وقد أورد هذه القصة ابن كثير في «تفسيره» من رواية ابن جرير الطبري عن ابن مسعود ثم قال: وكذا روي عن ابن عباس وطائوس ومقاتل بن حيان نحو ذلك، قال: واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو «برصيصا» قاله أعلم.

وجاء في هامش نسخة الرباط بخط مغربي ما يلي:

له در الحافظ ابن الجوزي، إذ لم ينص على ضعف هذه القصة، إذ نسبها صاحب «الدر المنثور» لعبد الرزاق، وابن راهويه، وأحمد في «الزهد» وعبيد بن حميد، والبخاري في «تاريخه»، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وسلمه الذهبي في «التلخيص» وابن مردويه، والبيهقي عن علي موقوفاً. ثم أوردنا أيضاً من عند ابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفاً، ثم عن ابن مسعود كذلك، أخرجه ابن جرير، ثم عن ابن أبي الدنيا، وابن مردويه، والبيهقي عن عبد الله بن رفاعه الزرقني مرفوعاً، لكن رفعها لا يصح، إنما الصحيح فيها الوقف على علي، خلافاً لقول ابن عطية لما علقها: منسوبة للخصاص ضعيفة. اهـ. فلان كاتبه محمد بن جبر إسلام. وقال الشوكاني في «فتح القدير»: والمراد بالإنسان هنا: ﴿كَتَلْنَاكَ أَكْبَرُ﴾ - جنس من أطاع الشيطان من نوع الإنسان. وقيل: هو عابد كان في بني إسرائيل حمله الشيطان على الكفر فأطاعه، فلما كفر قال: إني بريء منك. وقيل: المراد بالإنسان هنا: أبو جهل، قال: والأول أولى. اهـ. يريد بذلك عموم جنس الإنسان. وقال الرازي في «تفسيره»: أي مثل المنافقين الذين غرَّوا بني النضير بقولهم: ﴿إِنِّي أَخْرَجْتُكَ لَتَرْجِعَ بِكُمْ﴾ ﴿كَتَلْنَاكَ أَكْبَرُ﴾ ثم تبرأ منه في العاقبة. اهـ.

«القدوس»: الطاهر من العيوب، المنزه عن الأنداد والأولاد. و القدس: الطهارة. ومنه سمي: بيت المقدس، ومعناه: المكان الذي يُتَطَهَّرُ فيه من الذنوب. وقيل للجنة: حظيرة القدس، لطهارتها من آفات الدنيا. والقدس: السطل الذي يتطهر فيه، ولم يأت من الأسماء على فُعلٍ بضم الفاء إلا «قُدُوس»، و «سُبُوح» وقد يقال أيضاً: قُدُوس، وسُبُوح بالفتح فيهما، وهو القياس في الأسماء، كقولهم: سَفُود، وكُلُوب. فأما «السلام» فقال ابن قتيبة: سمي نفسه سلاماً، لسلامته مما يلحق الخلق من العيب والنقص والفناء. وقال الخطابي: معناه: ذو السلام. والسلام في صفة الله سبحانه: هو الذي سَلِمَ من كل عيب، ويرى من كل آفة ونقص يلحق المخلوقين. قال: وقد قيل: هو الذي سَلِمَ الخلقُ من ظلمه. فأما «المؤمن»، ففيه ستة أقوال: أحدها: أنه الذي آمَنَ الناسُ ظلمه، وأَمِنَ مَنْ آمَنَ به عَذَابُهُ، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنه المجبر، قاله القرظي. والثالث: الذي يَصَدِّقُ المؤمنون إذا وُحِّدوه، قاله ابن زيد. والرابع: أنه الذي وُحِّدَ نفسه، لقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [إكر عمران: ١٨] ذكره الزجاج. والخامس: أنه الذي يُصَدِّقُ عباده وعده، قاله ابن قتيبة. والسادس: أنه يَصَدِّقُ ظنون عباده المؤمنين، ولا يُخَيِّبُ آمالهم، كقول النبي عليه الصلاة والسلام فيما يحكيه عن ربه ﷻ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»<sup>(١)</sup> حكاه الخطابي. فأما «المهيمن» ففيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الشهيد، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والكسائي. قال الخطابي: ومنه قوله تعالى: ﴿وَهَيَّيْنَا عِثْرًا﴾ [المائدة: ٤٨]، فالله الشاهد على خلقه بما يكون منهم من قول أو فعل. والثاني: أنه الأمين، قاله الضحاك، قال الخطابي: وأصله: مؤيمن، فقلبت الهمزة هاء، لأن الهاء أخفُّ عليهم من الهمزة. ولم يأت مُفَيِّلٌ في غير التصغير، إلا في ثلاثة أحرف «مسيطر» و «مُبيطر» و «مهيمن». وقد ذكرنا في سورة [الطور: ٣٧] عن أبي عبيدة، أنها خمسة أحرف. والثالث: المصدِّق فيما أخبر، قاله ابن زيد. والرابع: أنه الرقيب على الشيء، والحافظ له، قاله الخليل. قال الخطابي: وقال بعض أهل اللغة. الهيمنة: القيام على الشيء، والرعاية له، وأنشد:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِ  
مُهَيِّمُهُ التَّالِيهِ فِي الْعُرْفِ وَالنُّكْرِ

يريد القائم على الناس بعده بالرعاية لهم. وقد زدنا هذا شرحاً في [المائدة: ٤٨] وبيئنا معنى «العزیز» في [البقرة: ١٢٩]. فأما «الجبار»، ففيه أربعة أقوال: أحدها: أنه العظيم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما يريد، قاله القرظي والسدي. وقال قتادة: جبر خلقه على ما شاء. وحكى الخطابي: أنه الذي جبر الخلق على ما أراد من أمره ونهيه. يقال: جبره السلطان، وأجبره. والثالث: أنه الذي جبر مفاقر الخلق، وكفاهم أسباب المعاش والرزق. والرابع: أنه العالي فوق خلقه، من قولهم: تجبر النبات: إذا طال وعلا، ذكر القولين الخطابي. فأما «المتكبر» ففيه خمسة أقوال: أحدها: أنه الذي تكبر عن كل سوء، قاله قتادة. والثاني: أنه الذي تكبر عن ظلم عباده، قاله الزجاج. والثالث: أنه ذو الكبرياء، وهو الملك، قاله ابن الأنباري. والرابع: أنه المتعالي عن صفات الخلق. والخامس: أنه الذي يتكبر على عتاة خلقه إذا نازعه العظمة، فقسمهم، ذكرهما الخطابي. قال: والتاء في «المتكبر» تاء التفرُّد، والتخصُّص، لأن التعاطي والتكلف والكبر لا يليق بأحد من المخلوقين، وإنما سمة العبد الخضوع والتذلل. وقيل: إن المتكبر من الكبرياء الذي هو عظمة الله، لا من الكبر الذي هو مذموم في الخلق<sup>(٢)</sup>. وأما «الخالق» فقال

(١) هذه قطعة من حديث قدسي رواه البخاري في «صحيحه» ٣٢٥/١٣، ومسلم ٢١٠٢/٤، ولفظه عند البخاري بتمامه: هن أبي هريرة ؓ قال: قال النبي ﷺ: يقول الله تعالى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأْ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَيْئاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذُرْأَةً، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذُرْأَةً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً، وَإِنْ أَتَانِي بِمِشْيِ آبَتِهِ هَرُولَةً. والحديث يرشد إلى تحسين الظن بالله ﷻ، ولكن حسن الظن إنما يكون لمن تاب وندم وأقلع وبدل السيئة بالحسنة، واستقبل ببقية عمره بوسائل النجاة، فمن فعل ذلك، ثم أحسن الظن، فقد أحسن، وحله محله، وأما من أساء وأصر على الكبائر، فوحشة المعاصي لا يجامعها إحسان الظن بالله تعالى. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٤٢٧/١٣: قال صاحب «المشارق»: والمراد بما جاء في الحديث سرعة قبول توبة الله للمعبد، أو تيسير طاعته وتقويته عليها، وتام هدايته وتوقيفه، والله أعلم بمراده. اهـ.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» ١٧٣/١٦ عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «الْعَزَّ إِزَارُهُ، وَالْكِبَرِيَاءُ رِدْلَاهُ، لِمَنْ يَنَازِعُنِي حُدُوبُهُ» قال النووي: هكذا هو في جميع النسخ «الْعَزَّ إِزَارُهُ وَالْكِبَرِيَاءُ رِدْلَاهُ» فالضمير في «إزاره ورياداه» يعود إلى الله تعالى، للمعلم به، وفيه محذوف =

الخطابي: هو المبتدئ للخلق المخترع لهم على غير مثال سبق، فأما في نعوت الأدميين، فمعنى الخلق: كقول زهير:  
 وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ  
 ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي<sup>(١)</sup>  
 يقول: إذا قدرت شيئاً قطعته، وغيرك يقدر ما لا يقطعه، أي: يتمنى ما لا يبلغه. و﴿الْبَارِئُ﴾ الخالق. يقال:  
 بَرَأَ اللهُ الخلقَ يَبْرِئُهُمْ. و«المصوِّر»: الذي أنشأ خلقه على صُورٍ مختلفة ليتعارفوا بها. ومعنى: التصوير: التخطيط  
 والتشكيل. وقرأ الحسن، وأبو الجوزاء، وأبو عمران، وابن السميع «البارئ المصور» بفتح الواو والراء جميعاً، يعني:  
 آدم ﷺ. وما بعد هذا قد تقدم بيانه [الأعراف: ١٨٠، والإسراء: ١١٠] إلى آخر السورة.



= تقديره، قال الله تعالى: ومن ينازعني ذلك أعليه، ومعنى ينازعني: يتخلق بذلك فيصير في معنى المشارك.

(١) «ديوانه»: ٩٤ «ومختار الشعر الجاهلي» ١/٢٦٥ و«الأضداد» لابن السكيت: ٢٠٥، وشرح شواهد الشافية: ٢٢٩، و«الكتاب» ٢/٢٨٩ و«الحيوان»: ٣/٣٨٣. والخالق هنا: الذي يقدر الجلد ويهيئه لأن يقطعه ويخرزه. والفري: القطع، يريد أنك إذا نهيت لأمر مغيب له وأنفذته ولم تمجز عنه كما يمجز بعض القوم عن إتمامه.

## سورة الممتحنة

وهي مدنية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْذُوا عَذْوِي وَتَعْلَمُوا أَنِّي لَمْ أَخْلُقْ فِي سَبِيلِي الْفِتْنَةَ مَرَّتَيْنِ فَيُشْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَطْلَعُ بِمَا أَفْقَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ يَالُتُوهُنَّ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَقُولُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهِ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْذُوا عَذْوِي وَتَعْلَمُوا أَنِّي لَمْ أَخْلُقْ فِي سَبِيلِي الْفِتْنَةَ مَرَّتَيْنِ﴾ ذكر أهل التفسير أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أن سارة مولاة أبي عمرو بن صفية بن هاشم أنت رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، ورسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة، فقال لها: «أمسلمة جئت؟» قالت: لا، قال: «فما جاء بك؟» قالت: أنتم الأهل والعشيرة والموالي، وقد احتجت حاجة شديدة، فقدمت إليكم لتعطيني. قال لها رسول الله ﷺ: «فأين أنت من شباب أهل مكة؟» وكانت مغنية، فقالت: ما طُلب مني شيء بعد وقعة بدر، فحث رسول الله ﷺ بني عبد المطلب، فكسوها، وحملوها، وأعطوها، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة، فكتب معها كتاباً إلى أهل مكة، وأعطاهم عشرة دنانير على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة، [وكتب في الكتاب: من حاطب إلى أهل مكة] إن رسول الله ﷺ يريدكم، فخذوا حلزكم، فخرجت به سارة، ونزل جبريل فأخبر رسول الله ﷺ بما فعل حاطب، فبعث رسول الله ﷺ علياً، وعماراً، والزبير، وطلحة، والمقداد، وأبا مرثد، وقال: «انطلقوا حتى تأتوا «روضة خاخ»<sup>(١)</sup>، فإن فيها ظعينة<sup>(٢)</sup> معها كتاب من حاطب إلى المشركين، فخذوه منها، وغفلوا سبيلها، فإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها» فخرجوا حتى أدركوها، فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها من كتاب، ففتشوا متاعها فلم يجدوا شيئاً، فهتموا بالرجوع، فقال علي: والله ما كذبنا ولا كذبنا، وسل سيفه، وقال: أخرجني الكتاب، وإلا ضربت عنقك، فلما رأت الجد أخرجته من ذواتها<sup>(٣)</sup>، فخلعوا سبيلها، ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ فأرسل إلى حاطب، فأتاه، فقال له: «هل تعرف الكتاب؟» قال: نعم. قال: «فما حملك على ما صنعت؟» فقال: يا رسول الله والله ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلّا ولّه بمكة من يمنع عشيرته، وكنت [غريباً] فيهم، وكان أهلي بين ظهرانيهم، فخشيت على أهلي، فأردت أن ألتجئ عندهم يداً، وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه، وكتابي لا يغني عنهم شيئاً، فصعدته رسول الله ﷺ وعذّره، ونزلت هذه السورة تنهى حاطباً عما فعل، وتنهى المؤمنين أن يفعلوا كفعله، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك يا عمر لعل الله أطلع على أهل بدر، فقالوا: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»<sup>(٤)</sup>. وقد أخرج هذا الحديث في «الصحيحين» مختصراً، وفيه ذكر علي، وابن الزبير، وأبي مرثد فقط<sup>(٥)</sup>.

(١) «روضة خاخ»: موضع بين مكة والمدينة، شرقهما الله تعالى، بقرب المدينة.

(٢) الظعينة هنا: الجارية، وهي في الأصل: اليهود، وسميت بها الجارية لأنها تكون فيه.

(٣) اللزابة: الناصية، أو منبتها من الرأس، وشعر في أعلى ناصية الفرس، والمراد هنا: الشعر المصفور من شعر الرأس.

(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣١٥ ولم ينسب لأحد، بل قال: قال جماعة من المفسرين: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة... فلذكره.

(٥) انظر «صحيح البخاري» ٤٠٠/٧ و ٤٨٦/٨، و«مسلم» ١٩٤١/٤، والحديث أورده السيوطي في «الدرر» ٢٠٢/٦ من رواية «الصحيحين» وزاد نسبه لأحمد في «المستند» والمحمدي، وعبد بن حميد، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وأبي حنيفة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي



حَسَنَ بِهِ وَبِمَنْ مَعَهُ. وَفِيهِمْ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمُ الْأَنْبِيَاءُ. وَالثَّانِي: الْمُؤْمِنُونَ، ﴿إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِمْ إِنَّا بِكُم كَاذِبُونَ﴾ قَالَ الْفَرَاءُ: يَقُولُ: أَفَلَا تَأْسَيْتَ يَا حَاطِبُ بِإِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ قَبِضَتْ مِنْ أَهْلِكَ كَمَا تَبْزُوا مِنْ قَوْمِهِمْ؟<sup>(١)</sup>

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ قَالَ الْمَفْسُورُونَ: وَالْمَعْنَى: تَأَسَّوْا بِإِبْرَاهِيمَ إِلَّا فِي اسْتِغْفَارِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ فَلَا تَأَسَّوْا بِهِ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّهُ كَانَ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴿وَمَا أَتَيْتُكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أَي: مَا أَدْفَعُ عَنْكَ عَذَابَ اللَّهِ إِنْ أَشْرَكَتَ بِهِ، وَكَانَ مِنْ دَعَا إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِهِ: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْفَرْزُ الْحَكِيمُ﴾ قَالَ الْفَرَاءُ: قُولُوا أَنْتُمْ: رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا. وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا جُنْدَ لَنَا سِوَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فِي يُونُسَ: ٢٨٥. ثُمَّ أَعَادَ الْكَلَامَ فِي ذِكْرِ الْأَسْوَةِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾ أَي: فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ مَعَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَبْغِضُونَ مَنْ خَالَفَ اللَّهَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ بَدَلَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَكُمْ﴾ وَبَيَّنَّ أَنَّ هَذِهِ الْأَسْوَةَ لِمَنْ يَخَافُ اللَّهَ، وَيَخْشَى عِقَابَ الْآخِرَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ أَي: يَغْرُضُ عَنِ الْإِيمَانِ وَيُوَالِ الْكُفَّارَ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْكَيْدُ﴾ عَنْ خَلْقِهِ ﴿الْحَكِيدُ﴾ إِلَى أَوَّلِيَّائِهِ. فَلَمَّا أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِعِدَاةِ الْكُفَّارِ عَادُوا أَقْرَبَاءَهُمْ، فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَكُمْ مِنْكُمْ مَخْرَجًا﴾ أَي: مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ ﴿مَوْدَّةً﴾ فَفَعَلَ ذَلِكَ، بَانَ أَسْلَمَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمَ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سَفْيَانَ، فَانْكَسَرَ أَبُو سَفْيَانَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ حَتَّى هَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ ﴿وَاللَّهُ وَبَرٌ﴾ عَلَى جَعْلِ الْمَوْدَةِ ﴿وَاللَّهُ عَفُوفٌ﴾ لَهُمْ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِمْ بَعْدَمَا أَسْلَمُوا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَذَكَّرُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُبَيِّنْ لَكُمْ فِي الْآيَاتِ﴾ اخْتَلَفُوا فِيمَنْ نَزَلَتْ عَلَى خَمْسَةِ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهَا فِي أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، وَذَلِكَ أَنَّ أَسْمَاءَ قَتِيلَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُزَيِّ، قَدِمَتْ عَلَيْهَا الْمَدِينَةُ بِهَدَايَا، فَلَمْ يَقْبَلْ هَدَايَاهَا، وَلَمْ تَدْخُلْهَا مَنْزِلَهَا، فَسَأَلَتْ لَهَا عَائِشَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، فَأَمَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَدْخُلَ مَنْزِلَهَا، وَتَقْبَلَ هَدِيَّتَهَا، وَتَكْرُمَهَا، وَتَحْسَنَ إِلَيْهَا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ<sup>(١)</sup>. وَالثَّانِي: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي خِزَاعَةِ وَبَنِي مَدْلَجٍ، وَكَانُوا صَالِحُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَنْ لَا يَقَاتِلُوهُ، وَلَا يَعِينُوا عَلَيْهِ أَحَدًا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَرَوَى عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي خِزَاعَةِ، وَبَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ، فَدَامُوا عَلَى الْوَفَاءِ بِهِ. وَالثَّلَاثُ: نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْهُمْ الْعَبَّاسُ، قَالَهُ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيِّ وَمَرَّةً. وَالرَّابِعُ: أَنَّهَا عَامَةٌ فِي جَمِيعِ الْكُفَّارِ، وَهِيَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، قَالَهُ قَتَادَةُ. وَالْخَامِسُ: نَزَلَتْ فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، حَكَاهُ الزَّجَاجُ. قَالَ الْمَفْسُورُونَ: وَهَذِهِ الْآيَةُ رَخِصَةٌ فِي صَلَةِ الَّذِينَ لَمْ يَنْصَبُوا الْحَرْبَ لِلْمُسْلِمِينَ، وَجَوَّازٌ بِرُؤْمِهِمْ، وَإِنْ كَانَتْ الْمَوَالَاةُ مَنْقُطَةً مِنْهُمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَرَّ يَرْجِعُكَ مِنْ يَدِهِمْ﴾ أَي: مِنْ مَكَّةَ ﴿أَنْ تَرْوَعَهُ وَتَقْطِعُوا إِلَيْهِمْ﴾ أَي: تَعَامَلُوهُمْ بِالْعَدْلِ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَءَوْا مَلَكًا إِخْرَاجَكُمْ﴾ أَي: عَاوَنُوا عَلَى ذَلِكَ ﴿أَنْ قَوْلَهُمْ﴾ وَالْمَعْنَى: إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ عَنْ أَنْ تَوَلَّوْا هَؤُلَاءِ، لِأَنَّ مَكَاتِبَهُمْ بِإِظْهَارِ مَا أَسْرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوَالَاةً. وَذَكَرَ بَعْضُ الْمَفْسُورِينَ أَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ وَالَّتِي قَبْلَهَا مَنْسُوخٌ بِآيَةِ السِّيفِ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: لَا وَجْهَ لِأَدْعَاءِ النِّسْخِ، لِأَنَّ بَرَّ الْمُؤْمِنِينَ لِلْمُحَارِبِينَ سَوَاءٌ كَانُوا قَرَابَةً أَوْ غَيْرَ قَرَابَةٍ، غَيْرَ مُحَرَّمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ تَقْوِيَةٌ لَهُمْ عَلَى الْحَرْبِ بِكَرَاعٍ أَوْ سِلَاحٍ، أَوْ دَلَالَةٌ لَهُمْ عَلَى عَوْرَةِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ. وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ أَسْمَاءَ وَأُمِّهَا الَّذِي سَبَقَ.

(١) رَوَاهُ الْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النُّزُولِ» ٣١٧ مِنْ رَوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ عَنْ مَصْعَبِ بْنِ ثَابِتٍ عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ. وَمَصْعَبُ بْنُ ثَابِتٍ لَيْسَ بِالْحَدِيثِ كَمَا قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «التَّقْرِيبِ». وَرَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» ٤/٤٨٥ مِنْ رَوَايَةِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، وَالطَّبْرِيِّ، وَالْحَاكِمِ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» ٢/٤٨٥. وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ إِسْنَادُهُ وَلَمْ يَخْرُجْ، وَوَفَّقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَذَكَرَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعِ الزَّوَالِدِ» ٧/١٢٣ مِنْ رَوَايَةِ أَحْمَدَ وَالطَّبْرَانِيِّ وَالزَّيْزَارِيِّ، وَقَالَ: وَفِيهِ مَصْعَبُ بْنُ ثَابِتٍ، وَفَقَهُ ابْنُ حَبَانَ، وَضَعَفَهُ جَمَاعَةٌ، وَبَقِيَ رِجَالُ وَجْهٍ الصَّحِيحِ، وَأَوْرَدَهُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٦/٢٠٤ وَزَادَ نَسْبَةَ لِلطَّلِيسِيِّ، وَأَبِي يَمَلَى، وَابْنِ الْمُنْتَوَرِ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ، وَالنَّحَّاسُ فِي «تَارِيخِهِ»، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ﷺ. وَرَوَى أَحْمَدُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» وَالْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» بِغَيْرِ هَذَا السِّيَاقِ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ قَالَتْ: قَدِمْتُ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدُوا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَصَلُّهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ صَلِّي أُمَّكَ».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ التَّوْبَتُ مُهْجِرَتِ فَاذْهَبُوا إِلَى اللَّهِ أَعْلَمَ بِإِسْنِهِ فَلَنْ يَسْتَوْفَى تَوْبَتِي فَلَا تَرْجِعُوا إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَكُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ وَمَا أَنْفَقُوا مِمَّا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوا نِسَاءَهُنَّ إِذَا بَلَغْتُمُوهُنَّ الْجُورَةَ وَلَا تَسِيكْرًا بِعَصَمِ الْكُفَّارِ وَتَسَلُّوا مِمَّا أَنْفَقْتُمْ وَلَسْتُمْ بِمَآ أَفْشَرُوا إِلَيْكُمْ حَتَّى اللَّهُ يَمُكَكُمْ بِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ وَإِنْ فَانَكُرْتُمْ عَنْهُ يَنْ أَرْزِيكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَمَا قَبِلْتُمْ فَتَاوُوا الْوَيْتَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ يَنْتَلِ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الْوَيْتَ أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾﴾

**قوله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ التَّوْبَتُ مُهْجِرَتِ فَاذْهَبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: إن مشركي مكة صالحوا رسول الله ﷺ عام الحديبية على أن من أتاه من أهل مكة رده إليهم. ومن أتى أهل مكة من أصحابه، فهو لهم، وكتبوا بذلك الكتاب، وختموه، فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي بالحديبية، فأقبل زوجها وكان كافراً، فقال: يا محمد: ارد علي امرأتي، فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا، وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. وذكر جماعة من العلماء منهم محمد بن سعد<sup>(٢)</sup> كاتب الواقدي<sup>(٣)</sup> أن هذه الآية نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهي أول من هاجر من النساء إلى المدينة بعد هجرة رسول الله ﷺ، فقَدِمَتْ المدينة في هدنة الحديبية، فخرج في أثرها أخوها الوليد وعمارة ابنا عقبة، فقالا: يا محمد، أوف لنا بشرطنا، وقالت أم كلثوم: يا رسول الله، أنا امرأة، وحال النساء إلى الضعف ما قد علمت، فتردني إلى الكفار يفتنونني عن ديني، ولا صبر لي؟! فنقض الله عز وجل العهد في النساء، وأنزل فيهن المحنة، وحكم فيهن بحكم رضوهن كلهن، ونزل في أم كلثوم ﴿فَاذْهَبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ فامتحنا رسول الله ﷺ، وامتنح النساء بعدها، يقول: والله ما أخرجكن إلا حباً لله ورسوله، وما خرجتن لزوج ولا مال؟ فإذا قلن ذلك تركن، فلم يردن إلى أهلهن<sup>(٤)</sup>. وقد اختلف العلماء في المرأة التي كانت سبياً لنزول هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها سبيعة، وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وقد ذكرناه عن جماعة من أهل العلم، وهو المشهور. والثالث: أئمة بنت بشر من بني عمرو بن عوف، ذكره أبو نعيم الأصبهاني. قال الماوردي: وقد اختلف أهل العلم هل دخل رد النساء في عقد الهدنة لفظاً أو عموماً؟ فقالت طائفة: قد كان شرط ردهن في لفظ الهدنة لفظاً صريحاً، فنسخ الله تعالى ردهن من العقد، ومنع منه، وأبقى في الرجال على ما كان. وقالت طائفة: لم يشرط ردهن في العقد صريحاً، وإنما أطلق العقد، وكان ظاهر العموم اشتماله مع الرجال، فبين الله ﷻ خروجهن عن عمومهم، وفرق بينه وبين الرجال لأمرين: أحدهما: أنهن ذوات فروج تحرم عن عليهن. والثاني: أنهن أرق قلوباً، وأسرع تقلباً منهم. فاما المقيمة على شركها فمردودة عليهم. وقال القاضي أبو يعلى: وإنما لم يرد النساء عليهم، لأن النسخ جائز بعد التمكن من الفعل، وإن لم يقع الفعل<sup>(٥)</sup>. قال المفسرون: والمراد

(١) قال الحافظ ابن حجر في «تفريع الشكاف» ١٦٨: هكذا ذكره البهوي عن ابن عباس بغير سند.

(٢) هو محمد بن سعد بن منيع الزهري، مولاهم أبو عبد الله (١٦٨ - ٢٣٠هـ) صاحب «الطبقات الكبرى»: مؤرخ ثقة ومن حفاظ الحديث الثقات، ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها وصحب الواقدي المؤرخ زماناً، كتب له وروى عنه، وعرف بـ «كاتب الواقدي» المؤرخ. قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب»: صدوق فاضل.

(٣) هو محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله الواقدي (١٣٠ - ٢٠٧هـ) من أقدم المؤرخين في الإسلام ومن أشهرهم ومن حفاظ الحديث، ولد بالمدينة، ثم انتقل إلى العراق، وولي قضاء بغداد، واستمر فيها إلى أن توفي، وهو الذي ينسب إليه كتاب «فتوح الشام» وأكثره مما لا تصح نسبة إليه، له مؤلفات كثيرة، ولكنه مع سعة علمه متروك، كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»، وأشهر من روى عنه كاتبه محمد بن سعد الزهري، صاحب «الطبقات».

(٤) ذكره ابن سعد في «الطبقات» ٨/ ٢٣٠ بغير سند. وخرجه السيوطي في «الدرر» ٦/ ٢٠٦ من رواية ابن سعد عن ابن شهاب بنحوه وهو مقطوع. وذكره بنحوه الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١٢٢ من رواية الطبراني عن عبد الله بن أبي أحمد، وقال: وفيه عبد العزيز بن عمران، وهو ضعيف، وأوردته بنحوه الحافظ السيوطي في «الدرر» ٦/ ٢٠٦ فقال: أخرج الطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن عبد الله بن أبي أحمد... فذكره.

(٥) قال القرطبي في «تفسيره» ١٨/ ٦٣: أكثر العلماء على أن هذا ناسخ لما كان عليه الصلاة والسلام عاهد عليه قريشاً، من أنه يرد إليهم من جاء منهم مسلماً، فنسخ من ذلك النساء، قال: وهذا مذهب من يرى نسخ السنة بالقرآن. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٣٥٠: تقدم في سورة (الفتح) ذكر صلح الحديبية الذي وقع بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش، فكان فيه: على أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا ردهه إلينا. وفي رواية: على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا ردهه إلينا، قال: وهذا قول عروة، والضحاك، وعبد الرحمن بن زيد، والزهري، ومقاتل بن حيان، والسدي، قال: فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للسنة، وهذا من أحسن أمثلة ذلك، قال: وعلى طريقة بعض السلف ناسخة، فإن الله ﷻ =





## فصل

وذكر بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا بِعِصَمِ الْكَافِرِ﴾ أنه نسخ ذلك في حرائر أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْإِيمَانِ أَوْثَرُ مِنَ الْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٥]، وهذا تخصيص لا نسخ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ فَانَكَوْا فَمِنْ بَيْنِ أَرْبَعِكُمْ إِلَى الْكُفْرِ فَتَأْتِمُ﴾ قال الزجاج: أي: أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنتم. وقرأ ابن مسعود، والأزهري، والنخعي: «فَعَقَبْتُمْ» بغير ألف، ويفتح العين والقاف، ويتخفيفها. وقرأ ابن عباس، وعائشة، وحמיד، والأعمش مثل ذلك، إلا أن القاف مشددة. قال الزجاج: المعنى في التشديد والتخفيف واحد، فكانت العقوبة لكم بأن غلبتم. وقرأ أبي بن كعب، وعكرمة، ومجاهد: «فَأَعَقَبْتُمْ» بهمزة ساكنة العين، مفتوحة القاف خفيفة. وقرأ معاذ القارئ، وأبو عمران الجوني: «فَعَقَبْتُمْ» بفتح العين، وكسر القاف وتخفيفها من غير ألف ﴿فَتَأْتُوا الْذِينَ ذَهَبَتْ أَرْبَعُهُمْ يَتْلُ مَا أُنْفَرُوا﴾ أي: أعطوا الأزواج من رأس الغنيمة ما أنفقوا من المهر. وذكر بعض المفسرين أن هذه الآية نزلت في عياض بن غنم<sup>(١)</sup>، كانت زوجته مسلمة، وهي أم الحكم بنت أبي سفيان، فارتدَّت، فلحققت بمكة، فأمر الله المسلمين أن يعطوا زوجها من الغنيمة بقدر ما ساق إليها من المهر، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٢١] إلى رأس الخمس.

## فصل

قال القاضي أبو يعلى: وهذه الأحكام في أداء المهر، وأخذه من الكفار، وتعويض الزوج من الغنيمة، أو من صدق قد وجب ردُّه على أهل الحرب، منسوخة عند جماعة من أهل العلم. وقد نص أحمد على هذا. قلت: وكذا قال مقاتل: كل هؤلاء الآيات نسختها آية السيف.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ بِبَيْعَتِكُمْ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَرْفِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَبْنِينَ بِبَهْتَنٍ بَعْرِيَّةٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَلَا يَرْحَلُهُنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكُمْ فِي مَعْرُوفٍ فَإِيهِنَّ وَأَسْتَغْفِرُ لَكُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ بِبَيْعَتِكُمْ﴾ قال المفسرون: لما فتح رسول الله ﷺ مكة جاءته النساء يباعتهن، فنزلت هذه الآية، وشرط في مبايعتهن الشرائط المذكورة في الآية، فبايعهن وهو على الصفا، فلما قال: ولا يزني، قالت هند<sup>(٢)</sup>: أو تزني الحرة؟ فقال: ولا يقتل أولادهن، فقالت: ربيتهن صغاراً فقتلتهم كباراً، فأنتم وهم أعلم<sup>(٣)</sup>. وقد صح في الحديث أن النبي ﷺ لم يصاح في البيعة امرأة، وإنما بايعهن بالكلام<sup>(٤)</sup>. وقد سُمِّينا من أحصينا من المبايعات

(١) هو عياض بن غنم بن أبي شداد الفهري، شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد، وكان يقال له: زاد الراكب، لأنه كان يطعم رفيقه ما كان عنده، وإذا كان مسافرًا أكرمهم بزاده، فإن نفذ نحر لهم جملة.

(٢) هي هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان.

(٣) ذكره بنحوه البغوي في «تفسيره» وكذلك الخازن، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: لم أره بسياقه، لكن أخرجه الطبري بمعناه وأخص منه من طريق العوفي عن ابن عباس، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق مقاتل بن حيان، وفيه قول هند: ربيتهن صغاراً وقتلتهم كباراً، فضحك عمر بن الخطاب ﷺ حتى استلقى.

(٤) روى البخاري في «صحيحه» ٤٨٨/٨ عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنهما زوج النبي ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ بِبَيْعَتِكُمْ﴾ إلى قوله: «عَفُورٌ رَحِيمٌ» قال عروة: قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات: قال لها رسول الله ﷺ: «قد بايعتكم كلاماً» والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعات، ما يبايعن إلا بقوله: «قد بايعتكم على ذلك». والحديث أورده السيوطي في «الدرر» ٢٠٩/٦ وزاد نسبه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن ماجه، وابن المنذر، وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها.

وروى الإمام أحمد من حديث سفيان بن محمد بن المنكدر عن أميمة بنت ربيعة قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نساء لبنايعه، فأخذ علينا ما في القرآن: أن لا نشرك بالله شيئاً... الآية. وقال: «فيما استطعتم وأطعتم» قلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، قلنا: يا رسول الله، ألا تصافحنا؟ قال: «إني لا أصافح النساء، إنما قولني لامرأة واحدة قولني لمائة امرأة» قال ابن كثير: هذا إسناد صحيح، قال: وقد رواه الترمذي، والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة، والنسائي أيضاً من حديث الثوري، ومالك بن أنس، كلهم عن محمد بن المنكدر به، وقال الترمذي: حسن صحيح، لا نعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر، وقد رواه أحمد أيضاً من حديث محمد بن إسحاق عن محمد بن المنكدر عن أميمة به، وزاد: «لم يصافح منا امرأة» قال: وكذا رواه ابن جرير من طريق موسى بن عتبة عن محمد بن المنكدر به.

والمبايعات عبارة عن المعاهدة، سميت بذلك تشبيهاً بالمعاهدة المالية.

في كتاب «التلخيص» على حروف المعجم، وهن أربع مائة وسبع وخمسون امرأة، والله الموفق.  
قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَنَلَّزْنَ الْوَلَدَهُنَّ﴾ قال المفسرون: هو الواد الذي كانت الجاهلية تفعله.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهِنَّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ أَتَرْكَبُ فِيهِنَّ لُزُوجَهُنَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم، قاله ابن عباس، والجمهور، وذلك أن المرأة كانت تلتقط المولود، فتقول لزوجها: هذا ولدي منك، فذلك البهتان المفترى. وإنما قال: ﴿بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَأَرْخُلِهِمْ﴾ لأن الولد إذا وضعت الأم سقط بين يديها ورجليها. وقيل: معنى ﴿بَيْنَ يَدَيْهِمْ﴾: يأخذنه لقيطاً ﴿وَأَرْخُلِهِمْ﴾ ما ولدته من زنى. والثاني: السحر. والثالث: المشي بالنيمة، والسعي في الفساد، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّبِعُنَّكَ فِي مَقْرَفِكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه النوح، قاله ابن عباس، وروي مرفوعاً عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه لا يذعن ويلاً، ولا يخذش وجهاً، ولا ينشرب شعراً، ولا يشفق ثوباً، قاله زيد بن أسلم. والثالث: جميع ما يامرهن به رسول الله ﷺ من شرائع الإسلام وأدابه، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي هذه الآية دليل على أن طاعة الولاة إنما تلزم في المباح دون المحظور.

قوله تعالى: ﴿فَبَايَعْتُنَّ﴾ المعنى: إذا بايعتك على هذه الشرائط فبايعهن.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهود، وذلك أن ناساً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين، يتقربون إليهم بذلك ليصيبوا من ثمارهم وطعامهم، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ وذلك أن اليهود بتكذيبهم محمداً، وهم يعرفون صدقه، قد يشعرون أن يكون لهم في الآخرة خير، والمعنى: قد يشعرون من ثواب الآخرة، هذا قول الجمهور، وهو الصحيح. وقال قتادة: قد يشعرون أن يبعثوا، ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ﴾ فيه قولان: أحدهما: كما يشك الكفار من بعث من في القبور، قاله ابن عباس. والثاني: كما يشك الكفار الذين ماتوا من ثواب الآخرة، لأنهم أيقنوا بالعذاب، قاله مجاهد.



قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٤٨٨/٨: قوله: «قد بايعتك كلاماً» أي يقول ذلك كلاماً فقط، لا مصافحة باليد، كما جرت العادة بمصافحة الرجال عند المبايعة.

وقال الشيخ محمد السفاريني الحنبلي في كتابه «شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد» طبع المكتب الإسلامي ٩٢٨/٢: وما جاء عن ابن خزيمة، وابن حبان، والبخاري، وابن مردويه، من طريق إسماعيل بن عبد الرحمن عن جدته أم عطية ؓ في قصة المبايعة، قالت: فمد يده من خارج البيت، ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال: «اللهم اشهد» وكذا حديثها الذي في «البخاري» وغيره: فقبضت منا امرأة يدها، فإنه يشعر بأنهن كن يبايعته بأيديهن، والتي قبضت يده هي أم عطية أبهت نفسها. قال: وأجيب عن الأول بأن مد الأيدي من وراء الحجاب، إشارة إلى وقوع المبايعة وإن لم تقع مصافحة، وعن الثاني بأن المراد بقبض الأيدي: التأخر عن القبول. وأم عطية التي قبضت يدها وتأخرت عن المبايعة، رجعت بعد ذلك وبايعها رسول الله ﷺ. فهذه النصوص التي تقدمت تدل على أن المبايعة كانت كلاماً، ولم تكن مصافحة باليد، وأن الرسول ﷺ ما مست يده يد امرأة قط.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» ٦٤٦/٢ من حديث أم عطية قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾... قالت: كان منه النياحة... وأخرج أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم من حديث أم سلمة الأنصارية قالت امرأة من هذه النسوة: ما هذا المعروف الذي لا ينبغي أن نعصيك فيه؟ فقال ﷺ: «لا تتحن... الحديث».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣١٨ بغير سند ولم يعزه لأحد، وكذلك البهوي والخازن في تفسيريهما، وقال الحافظ السيوطي في «الدرر» ٦/٢١١: أخرج ابن إسحاق وابن المنذر، عن ابن عباس ؓ قال: كان عبد الله بن عمر، وزيد بن حارثة، يوافون رجلاً من يهود، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ الآية.

## سورة الصف

### ويقال لها: سورة الحواريين

وفيها قولان: أحدهما: مدنية، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والجمهور. والثاني: مكية، قاله ابن يسار.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّكَّانِ

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُبْتَغِيُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ يُتْرَكُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: ما روى أبو سلمة عن عبد الله بن سلام، قال: قعدنا نقرأ من أصحاب رسول الله ﷺ، فقلنا: لو تعلم أي الأعمال أحب إلى الله ﷻ عملناه، فأنزل الله: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ إلى آخر السورة<sup>(١)</sup>. والثاني: أن الرجل كان يجيء إلى النبي ﷺ، فيقول: فعلت كذا وكذا، وما فعل، فنزلت ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وكذلك قال الضحاك: كان الرجل يقول: قاتلت، ولم يقاتل، وطعنت، ولم يطعن، وصبرت، ولم يصبر، فنزلت هذه الآية. والثالث: أن ناساً من المسلمين كانوا يقولون قبل أن يفرض الجهاد: لوددنا أن الله تعالى دلنا على أحب الأعمال إليه، فلما نزل الجهاد، كرهه ناس من المؤمنين، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والرابع: أن صهيياً قتل رجلاً يوم بدر، فجاء رجل فادعى أنه قتله وأخذ سلبه، فقال صهيب: أنا قتلت يا رسول الله، فأمره أن يدفع سلبه إلى صهيب، ونزلت هذه الآية، رواه سعيد بن المسيب عن صهيب. والخامس: أن المنافقين كانوا يقولون للنبي وأصحابه: لو قد خرجتم خرجنا معكم، ونصرناكم. فلما خرج النبي ﷺ نكصوا عنه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: «مقتاً» منصوب على التمييز، والمعنى: كَبُرَ قولُكم ما لا تفعلون مقتاً عند الله<sup>(٤)</sup>. ثم أعلم ﷻ ما الذي يحبه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُبْتَغِيُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ يُتْرَكُونَ ۝﴾ أي: بنيان لاصق ببعضه بعض، فأعلم أنه يحب من ثبت في الجهاد، ويلزم مكانه كثيوت البنيان

(١) رواه الدارمي في «سننه» ٢/٢٠٠، والواحدي في «أسباب النزول»، ورواه بمعناه أحمد في «المسنند» ٥/٤٥٢، والحاكم في «المستدرک» ٢/٤٨٦ مسلسلاً وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والترمذي ٢/١٦٤، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/١١٢ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن حبان، ثم قال: وأخرجه ابن المنذر مسلسلاً، والبيهقي في «الشعب» و«السنن» مسلسلاً، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٨/٤١٩: وقد وقع لنا سماع هذه السورة مسلسلاً في حديث ذكر في أوله سبب نزولها وإسناده صحيح قل أن وقع في المسلسلات مثله مع مزيد علوه.

(٢) ذكره السيوطي بنحوه في «الدر» ٦/١١٢ من رواية ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس ﷺ.

(٣) رواه ابن جرير الطبري ٢٨/٨٤ من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﷺ، وابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/١١٢ من رواية ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس ﷺ. وهذا القول اختاره ابن جرير الطبري.

(٤) وقال ابن كثير في تفسيره قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ فيه إنكار على من يبدع أو يقول قولاً لا يفهمه، ولهذا استدلل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً، سواء ترتب عليه عزم للموعد، أم لا، واحتجوا أيضاً بما ثبت في «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا أؤتمن خان» وفي الحديث الآخر في الصحيح: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها...» فذكر منه إخلاف الوعد، ولهذا أكد الله تعالى هذا الإنكار عليهم بقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ ۝﴾. وذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى إلى أنه إذا تعلق بالوعد عزم على الموعد، وجب الوفاء به، كما لو قال لغيره: تزوج ولك علي كل يوم كذا، فتزوج، وجب عليه أن يعطيه ما دام كذلك، لأنه تعلق به حق آدمي، وهو مبني على المضائق، وذهب الجمهور إلى أنه لا يجب مطلقاً، وحملوا الآية على أنها نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد عليهم، فلما فرض نكل عنه بعضه، وهكذا هذه الآية معناها، وهذا اختيار ابن جرير.

المرصوص. ويجوز أن يكون عنى أن يستوي ثباتهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنين المرصوص. وللمفسرين في المراد بـ «المرصوص» قولان: أحدهما: أنه الملتصق ببعضه ببعض، فلا يرى فيه خلل لإحكامه، قاله الأكثرون. والثاني: أنه المبني بالرصاص، وإلى نحو هذا ذهب الفراء، وكان أبو بحرية يقول: كانوا يكرهون القتال على الخيل، ويستحبون القتال على الأرض لهذه الآية<sup>(١)</sup>. اسم أبي بحرية: عبد الله بن قيس التراغمي، يروي عن معاذ<sup>(٢)</sup>، وكأنه أشار بذلك إلى أن الفرسان لا يصطفون في الغالب إنما يصطف الرجال<sup>(٣)</sup>.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ لِئَمْ يَتَّبِعُنِي أَنْزَلَ إِلَهُي إِلَهُكُمْ قَلْبًا رَأَوْا أَنَّ اللَّهَ تَقْوَاهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ١﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ تُخَوِّفُ لِيَ بَيْنَ يَدَيْ مِنَ الْيَهُودِ وَبَنِي إِسْرَءِيلَ يَرْشُلُوهُ فَإِنِ ابْنَى أَسْمُهُمْ لَعَنَهُ قَوْمُهُمُ بِالْإِذْنِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ شَيْثٌ ٢ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اتَّذَرَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ٣ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَامِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ٤ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾ المعنى: اذكر لمن يؤذك من المنافقين ما صنعتُ بالذين آذوا موسى. وقد ذكرنا ما آذوا به موسى في [الأحزاب: ٦٩]<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَلْبًا رَأَوْا﴾ أي: مالوا عن الحق: ﴿أَنَّ اللَّهَ تَقْوَاهُمْ﴾ أي: أمالها عن الحق جزاء لما ارتكبهوه، وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿يَأْتِي مِنْ بَيْنِي﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم «من بعدني اسمه» بفتح الياء. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم «من بعدني اسمه» بإسكان الياء<sup>(٥)</sup> ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اتَّذَرَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ﴾ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله مقاتل. والثاني: النصاري حين قالوا: عيسى ابن الله، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقرأ ابن مسعود، وعاصم الجحدري، وطلحة بن مصرف «يدعي» إلى الإسلام» بفتح الياء، والدال، وتشديدها، ويكسر العين، وما بعد هذا في [براء: ٣٢] إلى قوله تعالى: ﴿مُتِمُّ نُورِهِ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم وخلف «مُتِمُّ نُورِهِ» مضاف. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم «مُتِمُّ» رفع منون.

﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ عَلَى عَذَابٍ أَلِيمٍ ٦ تَوْرَتُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ يُحْيِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْلِكُكُمْ وَأَنْفُسُكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُتَّقِينَ ٧ يَتَفَرَّ لَكُمْ دُونُكُمْ وَيَذَلُّكُمْ جَنَّتِي جَبْرِي مِنْ تَحْتِ الْأَنْهَارِ وَسَكَنَ لِي فِي جَنَّتِي عَذَابُ ذَلِكَ الْقَوْمِ الْأَقْبَامِ ٨ وَأَتَرَى شَيْثًا نَعَرَ مِنْ اللَّهِ وَنَحَرَ قَرِيبٌ وَبَنِي النَّوْمِ ٩ يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا كُفْرًا أَنْصَارُ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ لِحَوَارِيِّهِمْ مَنْ أَنْصَارُ اللَّهِ فَانْتَمَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ بَنَاتِ إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ عَلَيْهِمْ فَهَئِنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَذَابِهِمْ فَاتَّبَعُوا طَائِفَتَهُ ١٠﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَخْرَجٍ﴾ قال المفسرون: نزلت هذه الآية حين قالوا: لو علمنا أي الأعمال أحب إلى الله

(١) رواه الطبري في «تفسيره» ٨٦/٢٨ وفي سنده بقية بن الوليد، وهو صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، وقد عنعن في هذا الخبر.

(٢) هو عبد الله بن قيس الكندي السكوني التراغمي أبو بحرية الحمصي، شهد خطبة عمر بالجابية، روى عن معاذ بن جبل وأبي عبيدة بن الجراح وأبي الدرداء وأبي هريرة ومالك بن يسار السكوني وحمزة بن ثعلبة، وعنه ابنه بحرية، يزيد بن قطيب السكوني، وخالد بن معدان، ويزيد بن أبي زياد مولى ابن عباس، وأبو ظبية الكلاعي، وعبد الملك بن مروان، وأبو بكر بن عبيد الله بن أبي مريم، قال ابن عبد البر: تابعي ثقة، وذكر أبو الحسن بن سميع أنه أدرك الجامعية. قال الحافظ في «الترغيب»: حمصي مشهور مخضرم ثقة، مات سنة سبع وسبعين.

(٣) الرُّجَالَة، جمع راجل، وهو الذي يمشي على رجله، وله جموع كثيرة، قال في «القاموس»: وَرَجَلٌ - كَفَرَج - فهو راجل، وَرَجُلٌ، وَرَجْلٌ، وَرَجِيلٌ، وَرَجْلٌ، وَرَجْلَانٌ، إذا لم يكن له ظهر يركبه، والجمع رَجَالٌ، وَرَجَالَةٌ، وَرَجَالٌ، وَرَجَالِي، وَرَجَالِي، وَرَجْلَانٌ، وَرَجْلَةٌ، وَرَجْلَةٌ، وَأَرْجَلَةٌ، وَأَرَاوَجِلٌ، وَأَرَاوَجِلٌ.

(٤) قال ابن كثير: وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم، وأمر له بالصبر، قال: ولهذا قال: «رحمة الله على موسى، لقد أودى بأكثر من هذا فصبر» قال: وفيه نهى للمؤمنين أن ينالوا من النبي ﷺ أو يوصلوا إليه أذى، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا كَالَّذِينَ آمَنُوا مَوْتَهُمْ قَبْلَهُ وَاللَّهُ بِمَا قَالُوا وَأَكْبَرُ وَعَدَ اللَّهُ نَجِيًّا ١٠﴾.

(٥) قال ابن كثير: نفسي ﷺ هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملا بني إسرائيل مبشراً بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة. وانظر (١١٦٦) من كتابنا هذا.

لعملنا به أبداً، فدلّهم الله على ذلك، وجعله بمنزلة التجارة لمكان ربحهم فيه<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿شُجِرَكُمْ﴾ قرأ ابن عامر «تَنْجِيَكُمْ» بالتشديد. وقرأ الباقون بالتخفيف. ثم بيّن التجارة، فقال تعالى: ﴿تَوَمَّنْ وَأَنْتَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ قال الزجاج: وقوله: «يغفر لكم» جواب قوله: «وتجاهدون»، لأن معناه معنى الأمر. والمعنى: آمنوا بالله واجاهدوا، يغفر لكم، أي: إن فعلتم ذلك، يغفر لكم. وقد غلط بعض النحويين، فقال: هذا جواب «هل» وهذا غلط بيّن، لأنه ليس إذا دلّهم على ما ينفعهم غفر لهم، إنما يغفر له إذا عملوا بذلك. ومن قرأ «يغفر لهم» يادغام الراء في اللام، فغير جائز عند سيبويه والخليل، لأنه لا تدغم الراء في اللام في قولهم. وقد رُوِيَ عن أبي عمرو بن العلاء، وهو إمام عظيم، ولا أحسبه قرأها إلا وقد سمعها من العرب: وقد زعم سيبويه والخليل وجميع البصريين، ما خلا أبا عمرو، أن اللام تدغم في الراء، وأن الراء لا تدغم في اللام، وحُجَّتُهُمْ أن الراء حرف مكرر قوي، فإذا أدغمت في اللام ذهب التكرير منها. وما بعد هذا قد سبق إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ قال الفراء: والمعنى: ولكم في العاجل مع ثواب الآخرة أخرى تحبونها، ثم فسرها فقال تعالى: ﴿نَصْرٌ مِنْ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه فتح مكة، قاله ابن عباس. والثاني: فتح فارس والروم، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بالنصر في الدنيا، والجنة في الآخرة. ثم حصّهم على نصر دينه بقوله تعالى: ﴿كُفُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو «كنونا أنصاراً لله» منوثة. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمة، والكسائي «أنصاراً لله». معنى الآية: دُوموا على ما أنتم عليه، وانصروا دين الله، مثل نُصرة الحواريين لما قال لهم عيسى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟ وَحَرِّكَ نَافِعُ يَاءٍ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟﴾. وقد سبق تفسير هذا الكلام (إلا عمران: ٥٢) ﴿فَكَانَتْ عَلَيْهِمْ يَمِينٌ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بعيسى ﴿وَكُفِّرَتْ كَلِمَةُ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِعِيسَى﴾ وعمل عذرونهم، وهم مخالفو عيسى، كذلك قال ابن عباس، ومجاهد، والجمهور وقال مقاتل: تم الكلام عند قوله تعالى: ﴿وَكُفِّرَتْ كَلِمَةُ﴾، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ﴾ ﴿عَمَلٌ عَذْرُهُمْ فَاتَّبَعَ اللَّهُ رُوحَهُ بِتَعْلِيمِ الْحِجَّةِ﴾<sup>(٣)</sup>. قال ابن قتيبة: ﴿فَاتَّبَعَ اللَّهُ رُوحَهُ بِتَعْلِيمِ الْحِجَّةِ﴾ أي: غالبين عليهم بمحمد. من قولك: ظهرت على فلان: إذا علوته، وظهرت على السطح: إذا صرّت فوقه.



(١) ذكر ذلك البيهقي والخازن في «تفسيرهما» وقد تقدم في حديث عبد الله بن سلام في أول السورة أن الصحابة رضي الله عنهم أرادوا أن يسألوا رسول الله ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله ﷻ ليفعلوه، فأُنزل الله هذه السورة، ومن جملتها هذه الآية.

(٢) قال ابن كثير: أي لما بلغ عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام رسالة ربه إلى قومه، ووازره من وازره من الحواريين، اهتمت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به، وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به وجحدوا نبوته وزعموه وأمه بالطعام، وهم اليهود عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة، قال: وغلت فيه طائفة ممن اتبعه حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة، واخترقوا قرعاً وشيعاً، فمن قاتل منهم: إنه ابن الله، وقال: إنه ثالث ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس، ومن قاتل: إنه الله، وهم النصارى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وقال ابن كثير أيضاً في سورة (المائدة: ٧٢، ٧٣) عند قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ و ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُ تَالُوتُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ تعالى الله عن قولهم وتنزه وتقدس علواً كبيراً، قال: وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد أن قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ ولم يقل: إني أنا الله، ولا: ابن الله، بل قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ مَنَّانِي الْكِتَابَ وَبَعَثَنِي فِيكُمْ﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَيْدَ اللَّهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَمِدُّوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ وكذلك قال لهم في حال كهولته ونبوته أمراً لهم بعبادة الله ربه وربه وحده لا شريك له. ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَتَسُبُّوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّكُمْ مِنْ يُسُفِرْهُ يُلْقُوهُ يَدِي فَقَدْ كَرَّمَ اللَّهُ عَبْدِي وَهُوَ الْحَقُّ﴾

(٣) والأول أظهر، والله أعلم.



واحدة، وملة واحدة. والثاني: أنهم التابعون، قاله عكرمة، ومقاتل. والثالث: جميع من دخل في الإسلام إلى يوم القيامة، قاله ابن زيد، وهي رواية ابن أبي نجيع عن مجاهد. والرابع: أنهم الأطفال، حكاه الماوردي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَنَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي: لم يلحقوا بهم.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ نَقُصُّ اللَّهُ﴾ يعني: الإسلام والهدى ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ بإرسال محمد ﷺ.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُلُوا بِالْكَفَرِ لَمْ يَحْمِلُوا كَثِيرًا مِنْ ثِقَلِهِمْ﴾ كَثِيلُ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَالًا يَنْتَسِلُ مِنَ الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٦﴾ قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَضِيتُمْ أَنْتُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَقَبَّلُوا الْوَيْلَ مِنْكُمْ صَدِيقِينَ ﴿٧﴾ وَلَا يَمْنُنَ اللَّهُ أَتَدْرِكُونَ مَا قَدَّمَتْ يَدَايُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٨﴾ قُلْ إِنْ الْمَوْتُ الَّذِي تَتَرَوْنَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَيِّكُكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابِ الْعَذَابِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْفِئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾

ثم ضرب لليهود الذين تركوا العمل بالتوراة مثلاً، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُلُوا بِالْكَفَرِ﴾ أي: كُفُّوا العمل بما فيها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوا﴾ أي: لم يعملوا بموجبها، ولم يؤدوا حقها ﴿كَثِيلُ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَالًا﴾ وهي جمع سفر. والسُّفَرُ: الكتاب، فشبههم بالحمار لا يعقل ما يحمل، إذ لم يتفنعوا بما في التوراة، وهي دالة على الإيمان بمحمد [وهذا المثل يلحق من لم يعمل بالقرآن ولم يفهم معانيه ﴿يَنْتَسِلُ مِنَ الْقَوْرِ﴾ ذم مثلهم، والمراد ذمهم، واليهود كذبوا بالقرآن وبالتوراة حين لم يؤمنوا بمحمد] ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أنفسهم بتكذيب الأنبياء.

قوله تعالى: ﴿إِنْ رَضِيتُمْ أَنْتُمْ أَوْلِيَاءَ لِلَّهِ﴾ وذلك أن اليهود، قالوا: نحن ولد إسرائيل الله، ابن ذبيح الله، ابن خليل الله، ونحن أولى بالله ﷻ من سائر الناس، وإنما تكون النبوة فينا. فقال الله ﷻ لنبية عليه الصلاة والسلام ﴿قُلْ﴾ لهم إن كنتم ﴿أَوْلِيَاءَ لِلَّهِ... فَتَقَبَّلُوا الْوَيْلَ﴾ لأن الموت خير لأولياء الله من الدنيا. وقد بينا هذا وما بعده في [البقرة: ١٧٤] إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتُ الَّذِي تَتَرَوْنَ مِنْهُ﴾ وذلك أن اليهود علموا أنهم أفسدوا على أنفسهم أمر الآخرة بتكذيبهم محمداً، وكانوا يكرهون الموت، ف قيل لهم: لا بد من نزول [بكم] بقوله تعالى: ﴿فَأِنَّهُ مُلَيِّكُكُمْ﴾ قال الفراء: العرب تدخل الفاء في كل خير كان اسمه مما يوصل، مثل «من» و «الذي» فمن أدخل الفاء هاهنا ذهب «بالذي» إلى تأويل الجزاء. وفي قراءة عبد الله «إن الموت الذي تترؤون منه ملائكتكم» وهذا على القياس، لأنك تقول: إن أحاك قائم، ولا تقول: فقامت، ولو قلت: إن ضاربك فظالم، لجاز، لأن تأويله: إن من يضربك فظالم. وقال الزجاج: إنما جاز دخول الفاء، لأن في الكلام معنى الشرط والجزاء. ويجوز أن يكون تمام الكلام عند قوله تعالى «تترؤون منه» كأنه قيل: إن فررت من أي موت كان من قتل أو غيره «فإنه ملائكتكم» وتكون «فإنه» استئنافاً بعد الخبر الأول.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّعْتُمْ لِلصَّلَاةِ مِنْ بَيْنِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٠﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَبِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١١﴾.

قوله تعالى: ﴿إِذَا تَوَدَّعْتُمْ لِلصَّلَاةِ﴾ وهذا هو النداء الذي ينادى به إذا جلس الإمام على المنبر، ولم يكن في عهد رسول الله ﷺ نداء سواه، كان إذا جلس على المنبر أذن بلال على باب المسجد، وكذلك كان على عهد أبي بكر، وعمر، فلما كثرت الناس على عهد عثمان أمر بالتأذين على دار له بالسوق، يقال لها: «الزوراء»<sup>(٢)</sup> وكان إذا

قال ابن كثير: والحديث رواه مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن جرير، من طرق عن ثور بن يزيد الدبلي عن سالم أبي الغيث عن أبي هريرة به، قال: ففي هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية، وعلى عموم بعثته ﷺ إلى جميع الناس، لأنه فسر قوله تعالى: ﴿وَتَاخَّرُوا﴾ بفارس، قال: ولهذا كتب كتيبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم يدعوهم إلى الله ﷻ وإلى اتباع ما جاء به، ولهذا قال مجاهد وغيره في قوله تعالى: ﴿وَتَاخَّرُوا﴾ بفتح تاء، قال: هم الأحاجم وكل من صدق النبي ﷺ من غير العرب.

(١) ذكر ابن جرير الطبري أن أولى الأقوال بالصواب قول من قال: عنى بذلك كل لاحق لحق بالذين كانوا أصحابوا النبي ﷺ في إسلامهم من أي الأجناس، لأن الله ﷻ هم بقوله: ﴿وَتَاخَّرُوا﴾ بفتح تاء، كل لاحق بهم من آخرين، ولم يخص منهم نوعاً دون نوع، لكل لاحق بهم فهو من الآخرين الذين لم يكونوا في عهد الأولين الذين كان رسول الله ﷺ يتلو عليهم آيات الله.

(٢) روى البخاري في «صحيحه» ٣٢٦/٢ عن السائب بن يزيد ﷺ قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبي ﷺ.



جلس أذن أيضاً<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لِلصَّلَاةِ﴾ أي: لوقت الصلاة. وفي «الجمعة» ثلاث لغات: ضم الجيم والميم، وهي قراءة الجمهور. وضم الجيم مع إسكان الميم، وبها قرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رجاء، وعكرمة، والزهرري، وابن أبي ليلى، وابن أبي عبله، والأعمش. وبضم الجيم مع فتح الميم، وبها قرأ أبو مجلز، وأبو العالية، والنخعي، وعدي بن الفضل عن أبي عمرو. قال الزجاج: من قرأ بتسكين الميم، فهو تخفيف الجمعة لثقل الضميتين. وأما فتح الميم، فمعناها: الذي يجمع الناس، كما تقول: رجل لُغَةٌ: يكثر لعنة الناس، وَصَحْكَةٌ: يكثر الضحك. وفي تسمية هذا اليوم بيوم الجمعة ثلاثة أقوال: أحدها: لأن فيه جُوع آدم. روى سلمان قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أتدري ما الجمعة؟» قلت: لا. قال: «فيه جُوع أبوك» يعني: تمام خلقه في يوم<sup>(٢)</sup>. والثاني: لاجتماع الناس فيه للصلاة. والثالث: لاجتماع المخلوقات فيه، لأنه اليوم الذي منه فرغ من خلق الأشياء<sup>(٣)</sup>. وفي أول من سماها بالجمعة قولان: أحدهما: أنه كعب بن لؤي سماها بذلك، وكان يقال ليوم الجمعة: العروبة، قاله أبو سلمة. وقيل: إنما سماها بذلك لاجتماع قريش فيه. والثاني: أول من سماها بذلك الأنصار، قاله ابن سيرين<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَوُوا إِلَيْهِ﴾ وفي هذا السعي ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المشي، قاله ابن عباس. وكان ابن مسعود يقرأها «فامضوا» ويقول لو قرأتها «فاستعوا» لسعيت حتى يسقط ردائي<sup>(٥)</sup>. وقال عطاء: هو الذهاب والمشي إلى الصلاة. والثاني: أن المراد بالسعي: العمل، قاله عكرمة، والقرظي، والضحاك، فيكون المعنى: فاعملوا على

١ - وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما كان عثمان رضي الله عنه وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء. وفي رواية أخرى للبخاري عن السائب بن يزيد زيادة «فثبت الأمر على ذلك». قال باقوت في «معجم البلدان»: الزوراء: موضع عند سور المدينة قرب المسجد. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: قوله: «زاد النداء الثالث» في رواية وكيع عن ابن أبي ذئب «فأمر عثمان بالأذان الأول» ونحوه للشافعي من هذا الوجه. قال: ولا منافاة بينهما، لأنه باعتبار مزيد يسمى ثالثاً، وباعتبار كونه جعل مقدماً على الأذان والإقامة يسمى أولاً، قال: ولفظ رواية عقيل: (يعني في البخاري) أن التأذين بالثاني أمر به عثمان، قال: وتسميته ثانياً أيضاً متوجه بالنظر إلى الأذان الحقيقي لا الإقامة. والمقصود من الأذان الثالث، الإقامة.

(١) أي إذا جلس على المنبر أذن الأذان الثاني.

(٢) هو جزء من حديث طويل رواه أحمد في «المسند» ٤٤٠/٥ وتتمتة قال النبي ﷺ: «ألا أحدثك عن يوم الجمعة، لا يتطهر رجل مسلم ثم يمشي إلى المسجد، ثم ينصت حتى يقضي الإمام صلاته إلا كان كفارة لما بيننا وبين الجمعة التي بعدها ما اجتنبت المقتلة». وهو حديث حسن، قال الحافظ الهيثمي في «معجم الزوائد» ١٧٤/٢: رواه الطبراني في «الكبير» وإسناده حسن، قال: وروى النسائي بعضه، وأورده السيوطي في «الدرر» ٢١٦/٦ وزاد نسبة لسعيد بن منصور، وابن أبي حاتم، وابن مردويه. وروى مسلم في «صحيحه» ٥٨٥/٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة». وروى مالك في «الموطأ» ١٠٨/١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أبط من الجنة، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مصيعة (مصينة لنفخة الساعة) يوم الجمعة، من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة، إلا الإنس والجن، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه» وسنده صحيح، ورواه بنحوه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، قال الترمذي ٣٦٣/٢: هذا حديث صحيح. وروى أبو داود في «سننه» رقم (١٠٤٧) عن أوس بن أوس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي»، قال: قالوا: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ يقولون: بليت، فقال: «إن الله ﷻ حرم على الأرض أن تاكل أجساد الأنبياء». وسنده صحيح. ورواه النسائي وابن ماجه وغيرهما.

(٣) قال ابن كثير: إنما سميت الجمعة جمعة، لأنها مشتقة من الجمع، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار، قال: وفيه كمل جميع الخلائق، فإنه اليوم السادس من الست التي خلق الله فيها السموات والأرض.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٣٩٤/٢: روى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال: جمع أهل المدينة قبل أن يقدمها رسول الله ﷺ وقيل أن تنزل الجمعة، فقال الأنصار: إن لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى كذلك، فهل فلنجعل يوماً نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلي ونشكر. فجعلوه يوم القروية.

(٥) رواه الطبري ١٠٠/٢٨ من رواية إبراهيم عن ابن مسعود، وفي سنده انقطاع. قال الحافظ الهيثمي في «المعجم» ١٢٤/٧: رواه الطبراني، وإبراهيم لم يدرك ابن مسعود، ورجاله ثقات، وأورده السيوطي في «الدرر» ٢١٩/٦ وزاد نسبة لعبد الرزاق، والقرطبي، وأبي عبيد، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن الأباري من طرق عن عبد الله بن مسعود. وصح عن عمر أنه قرأها كذلك. ونقل القرطبي عن ابن شهاب أنه قرأها كذلك، ثم قال: وهو كله تفسير منهم. وقال البخاري في «صحيحه» (باب فرض الجمعة) لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُورِئَ لِلصَّلَاةِ مِنْ بَرٍّ أَلْتَمِعُوا فَأَسْمُوا إِلَيْهِ ذِكْرَ اللَّهِ وَذَكْرَ الْإِسْلَامِ﴾ قال: فاستعوا فامضوا. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وهو تفسير منه للمراد بالسعي، بخلاف قوله في الحديث: «فلا تأتوها تسعون» فالمراد به: الجري، وقد جاء أن عمر قرأ «فامضوا» وهو يؤيد ذلك.

المضي إلى ذكر الله بالتفزع له، والاشتغال بالطهارة ونحوها. والثالث: أنه النية بالقلب، قاله الحسن. وقال ابن قتيبة: هو المبادرة بالنية والجد. وفي المراد «بذكر الله» قولان: أحدهما: أنه الصلاة، قاله الأكثرون. والثاني: موعظة الإمام، قاله سعيد بن المسيب.

قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أي: دعوا التجارة في ذلك الوقت. وعندنا: أنه لا يجوز البيع في وقت النداء، ويقع البيع باطلاً في حق من يلزمه فرض الجمعة. وبه قال مالك<sup>(١)</sup> خلافاً للأكثرين<sup>(٢)</sup>.

## فصل

تجب الجمعة على من سمع النداء من المصر، إذا كان المؤذن صَيِّتاً، والريح ساكنة. وقد حده مالك بفسخ، ولم يحده الشافعي. وعن أحمد في التحديد نحوهما. وتجب الجمعة على أهل القرى<sup>(٣)</sup>. وقال أبو حنيفة: لا تجب إلا على أهل الأمصار. ويجوز لأهل المصر أن يقيموا الجمعة في الصحراء القريبة من المصر خلافاً للشافعي. ولا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين. وعن أحمد: أقله خمسون. وعنه: أقله ثلاثة. وقال أبو حنيفة تنعقد بثلاثة والإمام، والعدد شرط في الجمعة<sup>(٤)</sup> وقال أبو حنيفة في إحدى الروايتين: يصح أن يخطب منفرداً. وهل تجب الجمعة على العبيد؟ فيه عن أحمد روايتان. وعندنا: تجب على الأعمى إذا وجد قائدًا، خلافاً لأبي حنيفة: ولا تنعقد الجمعة بالعبيد والمسافرين، خلافاً لأبي حنيفة. وهل تجب الجمعة والعيدان من غير إذن سلطان؟ فيه عن أحمد روايتان. وتجوز الجمعة في موضعين في البلد مع الحاجة. وقال مالك، والشافعي، وأبو يوسف: لا تجوز إلا في موضع واحد. وتجوز إقامة الجمعة قبل الزوال خلافاً لأكثرهم، وإذا وقع العيد يوم الجمعة أجزأ حضوره عن يوم الجمعة، وبه قال الشعبي، والنخعي، خلافاً للأكثرين. والمستحب لأهل الأعدار أن يصلوا الظهر في جماعة. وقال أبو حنيفة: يكره. ولا يجوز السفر يوم الجمعة بعد الزوال. وقال أبو حنيفة: يجوز. وهل يجوز السفر بعد طلوع الفجر؟ فيه عن أحمد روايتان. ونقل عن أحمد: أنه لا يجوز الخروج في الجمعة إلا للجهاد. وقال أبو حنيفة: يجوز لكل سفر. وقال الشافعي: لا يجوز أصلاً. والخطبة شرط في الجمعة. وقال داود: هي مستحبة. والطهارة لا تشترط في الخطبة، خلافاً للشافعي في أحد قوليه. والقيام ليس بشرط في الخطبة، خلافاً للشافعي. ولا تجب القعدة بين الخطبتين، خلافاً له أيضاً. ومن شرط الخطبة: التحميد، والصلاة على النبي ﷺ، وقراءة آية، والموعظة. وقال أبو حنيفة: يجوز أن يخطب بتسبيحة.

وقال ابن كثير: أي: اقصدوا واعمدوا واعتصموا في سيركم إليها، قال: وليس المراد بالسمي هاهنا: المشي السريع، وإنما هو الاهتمام بها، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ آتَاكَ الْخَبْرَ وَسَمِعَ فَامْنِمْهُ وَمَنْ سَمِعَهَا بِغَيْرِ مَقَرٍّ﴾ قال: وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود، رضي الله عنهما، يقرأنها «فامنموا إلى ذكر الله» قال: فأما المشي السريع إلى الصلاة، فقد نهى عنه، لما أخرجهما في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة، وعليكم السكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا».

(١) قال القرطبي في تفسير الآية: وملعب مالك أن يترك البيع إذا نودي للصلاة، ويفسخ عنده ما وقع من ذلك من البيع في ذلك الوقت، ولا يفسخ المتق والتناكح والطلاق وغيره، إذ ليس من عادة الناس الاشتغال به كاشتغالهم بالبيع، قالوا: وكذلك الشركة والهدية والصدقة ناهي لا يفسخ. قال: قال ابن العربي: والصحيح فسخ الجميع، لأن البيع إنما منع منه للاشتغال به، فكل أمر يشغل عن الجمعة من المقود كلها، فهو حرام شرعاً منسوخ ودعاً.

(٢) كأي حنيفة، والشافعي، وغيرهما، فإن البيع عندهم يتعقد مع الحرمة بعد النداء ولا يفسخ. قال ابن كثير: اتفق العلماء على تحريم البيع بعد النداء الثاني، واختلفوا: هل يصح إذا تناهوا متعاط، أم لا؟ على قولين، قال: وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه، والله أعلم.

(٣) قال الحافظ ابن حجر: من عمر أنه كتب إلى أهل البحرين أن جمعوا حيثما كنتم. قال: وهذا يشمل المدن والقرى، أخرجه ابن أبي شيبة من طريق أبي رافع عن أبي هريرة عن عمر، وصححه ابن خزيمة، قال: وعند عبد الرزاق بإسناد صحيح عن ابن عمر أنه كان يرى أهل المياه بين مكة والمدينة يجمعون فلا يجب عليهم.

(٤) لا خلاف بين العلماء أن الجماعة شرط من شروط صحة الجمعة، ولكن اختلفوا في العدد الذي تنعقد به الجمعة إلى عدة أقوال ذكرها الحافظ ابن حجر في «الفتح»، والراجح أنها تصح باثنين فأكثر، قال الشوكاني في «نيل الأوطار»: وقد انعقدت سائر الصلوات بالاثنتين بالإجماع، والجمعة صلاة، فلا تختص بحكم يخالف غيرها إلا ببديل، ولا دليل على اعتبار عدد فيها زائد على المعتبر في غيرها، وقد قال عبد الحق الإشبيلي: إنه لا يثبت في عدد الجمعة حديث، وكذلك قال السيوطي: لم يثبت في شيء من الأحاديث تبين عدد مخصوص، ومن ذهب إلى هذا: الطبري، وداود، والنخعي، وابن حزم.

والخطبتان واجبتان. وأما القراءة في الخطبة الثانية، فهي شرط، خلافاً للشافعي. والسنة للإمام إذا صعد المنبر، واستقبل الناس: أن يسلم، خلافاً لأبي حنيفة، ومالك. وهل يحرم الكلام في حال سماع الخطبة؟ فيه عن أحمد روايتان. ويحرم على المستمع دون الخاطب، خلافاً للأكثرين. ولا يكره الكلام قبل الابتداء بالخطبة، وبعد الفراغ منها، خلافاً لأبي حنيفة. ويستحب له أن يصلي تحية المسجد والإمام يخطب، خلافاً لأبي حنيفة، ومالك<sup>(١)</sup>. وهل يجوز أن يخطب واحد، ويصلي آخر، فيه عن أحمد روايتان.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: إن كان لكم علم بالأصلح ﴿وَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ أي: فرغتم منها ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا أمر بإباحة ﴿وَانْفَعُوا بَيْنَ قُضَلِ اللَّهِ﴾ إباحة لطلب الرزق بالتجارة بعد المنع منها بقوله تعالى: ﴿وَرُدُّوهُ إِلَى الْبَيْعِ﴾ وقال الحسن، وابن جبير: هو طلب العلم.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَزَكَّوْهُ قَالِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ الْيَجَرِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً﴾ سبب نزولها أن رسول الله ﷺ كان يخطب يوم الجمعة، إذ أقبلت غير قد قدمت، فخرجوا إليها حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، فنزلت هذه الآية، أخرجه البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث جابر بن عبد الله<sup>(٢)</sup>، قاله الحسن. وذلك أنهم أصابهم جوع، وغلاء سعر، فلما سمعوا بها خرجوا إليها، فقال النبي ﷺ: «لو اتبع آخرهم أولهم التهب عليهم الوادي ناراً»<sup>(٣)</sup>. قال المفسرون: كان الذي قدم بالتجارة دحية بن خليفة الكلبي، قال مقاتل: وذلك قبل أن يسلم. قالوا: قديم بها من الشام، وضرب لها طبل يؤذن الناس بقدموها. وهذه كانت عادتهم إذا قدمت غير<sup>(٤)</sup>. قال جابر بن عبد الله: كانت التجارة طعاماً. وقال أبو مالك: كانت زيتاً. والمراد باللهم: ضرب الطبل. و«انفَضُّوا» بمعنى: تفرقوا عنك، فذهبوا إليها. والضمير للتجارة. وإنما خصت برد الضمير إليها، لأنها كانت أهم إليهم، هذا قول الفراء، والمبرد. وقال الزجاج: المعنى: وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها، أو لهواً انفضوا إليه، فحذف خبر أحدهما، لأن الخبر الثاني يدل على الخبر المحذوف. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عتبة «انفَضُّوا إليهما» على التشية. وعن ابن مسعود، وابن أبي عتبة «انفَضُّوا إليه» على ضمير مذكر ﴿وَزَكَّوْهُ قَالِمًا﴾ وهذا القيام كان في الخطبة ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من ثواب الصلاة والثبات مع رسول الله ﷺ ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ الْيَجَرِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾ لأنه يرزق من يؤمن به ويعبده، ومن يكفر به ويجحده، فهو يعطي من سأل، ويتدنى من لا يسأل، وغيره إنما يرزق من يرجو منفعة، ويُقبل على خدمته<sup>(٥)</sup>.



(١) وذهب الشافعي إلى الاستحباب أيضاً. وحجتهم في ذلك ما رواه البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن جابر ﷺ قال: دخل رجل يوم الجمعة رسول الله ﷺ يخطب، فقال: «صليت؟» قال: لا، قال: «فصل ركعتين» والرجل هو: سليك النطفاني ﷺ. وروى مسلم في «صحيحه» عن جابر ﷺ قال: جاء سليك النطفاني يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب، فجلس، فقال له: «يا سليك قم فاركع ركعتين وتجويز فيهما» ثم قال: «إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين ولينجز فيهما».

(٢) البخاري ٤٩٣/٨، ومسلم ٥٩٠/٧.

(٣) ذكره بنحوه البغوي والخازن عن الحسن بغير سند. وذكره السيوطي في «الدرر» ٢٢١/٤ من رواية عبد بن حميد عن الحسن مرسلاً بنحوه. قال ابن كثير: وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا هشيم، عن حصين، عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان، عن جابر بن عبد الله قال: بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقلت غير إلى المدينة، فابتدوها أصحاب رسول الله ﷺ حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو تابعتهم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي ناراً» ونزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَزَكَّوْهُ قَالِمًا﴾.

(٤) ذكره السيوطي في «الدرر» ٢٢١/٦ من رواية البيهقي عن قتادة مرسلاً.

(٥) قال ابن جرير الطبري: «والله خير رازق، فإليه فارغبوا في طلب أرزاقكم، وإياه فاسألوا أن يوسع عليكم من فضله دون غيره».

## سورة المنافقون

### وهي مدنية بإجماعهم

وذكر أهل التفسير أنها نزلت في عبدالله بن أبيّ ونظرائه. وكان السبب أن عبد الله خرج مع النبي ﷺ في خَلْعٍ كثير من المنافقين إلى المُرَيْسِع، وهو ماء لبني المصطلق طلباً للغنيمة، لا للرغبة في الجهاد، لأن السفر قريب. فلما قضى رسول الله ﷺ غزوه، أقبل رجل من جهينة، يقال له: سنان، وهو حليف لعبد الله بن أبيّ، ورجل من بني غفار يقال له: جهجاه بن سعيد، وهو أجير لعمر بن الخطاب لاستقاء الماء، فدار بينهما كلام، فرفع الغفاري يده فطمم الجهني، فأدماه، فنادى الجهني: يا آل الخزرج، فأقبلوا، ونادى الغفاري: يا آل قريش، فأقبلوا، فأصلح الأمر قوم من المهاجرين. فبلغ الخبرُ عبد الله بن أبيّ، فقال وعنده جماعة من المنافقين: والله ما مَثَلُكم ومَثَلُ هؤلاء الرهط من قريش إلا مَثَلُ ما قال الأول: سَمْنٌ كَلْبُكْ يَأْكُلُكَ، ولكن هذا فعلكم بأنفسكم، أوتيموهم في منازلكم، وأنفقتم عليهم أموالكم، فقوموا وضَعُفْتُمْ. وإيم الله؛ لو أمسكتهم أيديكم لتفرقت عن هذا جموعه، ولئن رجعنا إلى المدينة لُيُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، وكان في القوم زيد بن أرقم، وهو غلام يومئذٍ لا يؤبُّه له، فقال عبد الله: أنت والله اللذليل القليل، فقال: إنما كنت ألعِب، فأقبل زيد بالخبر إلى رسول الله ﷺ، فقال: دعني أضرب عنقه. فقال: إذنْ ترد له آف كبيرة، قال: فإن كرهت أن يقتله رجل من المهاجرين، فمر سعد بن عبادة، أو محمد بن مسلمة، أو عبَّاد بن بشر فليقتله، فقال: إذنْ يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبيّ، فأتاه، فقال: أنت صاحب هذا الكلام؟ فقال: والذي أنزل عليك ما قلت شيئاً من هذا، وإن زيدا لكذَّاب، فقال من حضر: لا يصدق عليه كلام غلام، عسى أن يكون قد وهم، فعزَّره رسول الله ﷺ، وفشت الملامة من الأنصار لزيد، وكذبوه، وقال له عمه: ما أردت إلا أن كذَّبك رسول الله ﷺ والمسلمون، ومقتوك! فاستحيا زيد، وجلس في بيته. فبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ ما كان من أمر أبيه، فأتى رسول الله ﷺ فقال: بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي، لما بلغك عنه. فإن كنت فاعلاً فمُرني، فإنا أحمل إليك رأسه، فإني أخشى أن يقتله غيري، فلا تدعني نفسي حتى أقتل قاتله، فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: «بل تحسن صحبتته ما بقي معنا»، وأنزل الله سورة (المنافقين) في تصديق زيد، وتكذيب عبد الله، فأرسل رسول الله ﷺ فقرأها عليه، فقال: إن الله قد صدقك. ولما أراد عبد الله بن أبي أن يدخل المدينة جاء ابنه، فقال: ما وراءك، قال: مالك وملك؟ قال: والله لا تدخلها أبداً إلا بإذن رسول الله ﷺ ليعلم اليوم من الأعزِّ، ومن الأذلِّ، فشكا عبد الله إلى رسول الله ﷺ ما صنع، فأرسل إليه رسول الله ﷺ أن خلَّ عنه حتى يدخل، فلما نزلت السورة وبأن كذبه قيل له: يا أبا حباب: إنه قد نزلت فيك آيات شداد، فاذهب إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لك، فلو به رأسه، فذلك قوله تعالى: ﴿أَوْرَا رَسُولَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> وقيل: الذي قال له هذا عبادة بن الصامت<sup>(٢)</sup>.

(١) رَوَاهُ الْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النُّزُولِ» ٣٢١، ٣٢٢ بِنَحْوِهِ مُخْتَصَرًا. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «تَخْرِيجِ الْكُشَافِ»: حَدِيثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ لَقِيَ بَنِي الْمِصْلَقِ عَلَى الْمَرَيْسِعِ، وَهُوَ مَاءٌ لَهُمْ وَهَزَمَهُمْ، وَقَتْلَ مِنْهُمْ، أَزْدَحَمَ عَلَى الْمَاءِ جِهْجَاهَ بَنِ سَعِيدٍ - أَجِيرٍ عَمْرٍ - يَقُودُ فَرَسَهُ، وَسَنَانَ الْجَهْنِيَّ حَلِيفَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِيٍّ وَاقْتَتَلَا... الْحَدِيثُ، وَفِيهِ قِصَّةُ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ فِي قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِيٍّ: لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذْلَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ وَكَذَبَ الْمُنَافِقُ... هَكَذَا ذَكَرَهُ الْوَاقِدِيُّ فِي «الْمَغَازِي» بِغَيْرِ إِسْنَادٍ، وَعَزَاهُ إِلَى الثَّعْلَبِيِّ وَالْوَاحِدِيِّ وَأَصْحَابِ السَّيْرِ، قَالَ: وَأَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السَّيْرِ»: حَدَّثَنِي حَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَبَانَ، كُلُّ قَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ حَدِيثِ بَنِي الْمِصْلَقِ، فَذَكَرَ الْغَزْوَةَ بِطَوْلُهَا، وَالْقِصَّةَ الْمَذْكُورَةَ بِاخْتِلَافٍ سِيرٍ، وَكَذَا أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ مِنْ طَرِيقِهِ، وَأَصْلُ الْقِصَّةِ فِي «الصَّحِيحِينَ» مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَمِّي فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِيٍّ يَقُولُ... الْحَدِيثُ. وَأَوَّلُهُ عِنْدَهُمَا أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: كُنَّا فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمِصْلَقِ، فَتَبِعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ... قَالَ: وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ مِنْ طَرِيقِ أَبِي سَعْدٍ الْأَوْذِيِّ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ مَعَنَا أَنْاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، فَكُنَّا نَبْتَلِ الْمَاءَ، وَكَانَ الْأَعْرَابُ يَسْبِقُونَنَا، سَبَقَ أَعْرَابِيٌّ فَلَمَّا الْوَحُوشُ فَذَكَرَ الْقِصَّةَ بِطَوْلُهَا، وَفِي سِيَاقِهَا اخْتِلَافٌ.

(٢) يَعْنِي قَوْلَهُ: يَا أَبَا حَبَابٍ إِنَّهُ قَدْ نَزَلَتْ فِيكَ آيَاتُ شِدَادٍ فَاذْهَبْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَسْتَغْفَرَ لَكَ، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَّقُونَ قَالُوا تَشْهَدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَّقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ أَتَعْدُوا أَنْتُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَجَّ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مَسْنَدٌ يَخْسَرُونَ كُلَّ صَبِيحٍ عَلَيْهِمْ هَرُّ الْمَدَدِ فَاحْذَرْهُمْ فَنَلَّهَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَوْفَكَوْنَ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَّقُونَ﴾ يعني: عبد الله بن أبيّ وأصحابه ﴿قَالُوا تَشْهَدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ وما هنا تم الخبر عنهم. ثم ابتدا فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَّقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ وإنما جعلهم كاذبين، لأنهم أضمرنا غير ما أظهروا. قال الفراء: إنما كذب ضميرهم. ﴿أَتَعْدُوا أَنْتُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قد ذكرناه في [المجادلة: ١٦]. قال القاضي أبو يعلى: وهذه الآية تدل على أن قول القائل: «أشهد» يمين، لأنهم قالوا: «نشهد» فجعله يميناً بقوله تعالى: ﴿أَتَعْدُوا أَنْتُمْ جُنَّةً﴾ وقد قال أحمد، والأوزاعي، والثوري، وأبو حنيفة: أشهد، وأقسم، وأغزم، وأحلف، كلها إيمان. وقال الشافعي: «أقسم» ليس بيمين. وإنما قوله: «أقسم بالله» يمين إذا أراد اليمين<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك الكذب ﴿بِأَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ باللسان ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ في السر ﴿فَطَجَّ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الإيمان والقرآن ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ يعني: أن لهم أجساماً ومناظر. قال ابن عباس: كان عبد الله بن أبيّ جسيماً فصيحاً، ذلق اللسان<sup>(٢)</sup>، فإذا قال، سمع النبي ﷺ قوله. وقال غيره: المعنى: تصغي إلى قولهم، فتخيب أنه حق. ﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: وحزمة: «خُشْبٌ» بضم الخاء، والشين جميعاً، وهو جمع خشبة. مثل ثَمَرَةٍ، وَثْمَرٍ. وقرأ الكسائي: بضم الخاء، وتسكين الشين، مثل: بَذَنَةٍ، وَبَذْنٍ، وَأَكْمَةٌ، وَأَكْمٌ. وعن ابن كثير، وأبي عمرو مثله. وقرأ أبو بكر الصديق، وعروة، وابن سيرين: «خُشْبٌ» بفتح الخاء، والشين جميعاً. وقرأ أبو نهيك، وأبو المتوكل، وأبو عمران بفتح الخاء، وتسكين الشين، فوصفهم الله بحسن الصورة، وإبانة المنطق، ثم أعلم أنهم في ترك التفهيم والاستبصار بمنزلة الخُشْبِ. والمُسْنَدُ: الممالة إلى الجدار. والمراد: أنها ليست بأشجار تثمر وتتمي، بل خُشْبٌ مُسْنَدٌ إلى حائط. ثم عابهم بالجنين فقال تعالى: ﴿يَخْسَرُونَ كُلَّ صَبِيحٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا يسمعون صوتاً إلا ظنوا أنهم قد أتوا لما في قلوبهم من الرعب أن يكشف الله أسرارهم، وهذه مبالغة في الجبن. وأنشدوا في هذا المعنى:

وَلَوْ أَنَّهَا عُصْفُورَةٌ لَحَبِئَتْهَا

مُسُومَةٌ تَدْعُو عُبَيْدًا وَأَزْنَمًا<sup>(٣)</sup>

أي: لو طارت عصفورة لحبستها من جبنك خيلاً تدعو هاتين القبيلتين.

قوله تعالى: ﴿هُرُّ الْمَدَدِ فَاحْذَرْهُمْ﴾ أي: لا تأمنهم على سرك، لأنهم عيون لأعدائك من الكفار. ﴿فَنَلَّهَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَوْفَكَوْنَ﴾ مفسر في [براءة: ٣٠].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَكَالُواِ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَلَا دُؤُسُهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُبْعَثُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُتَّقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَنْ رَجَعَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَنُخْرِجَنَّكَ الْأَغْرَ

(١) قال القرطبي في «تفسيره»: من قال: أقسم بالله، أو أشهد بالله، أو أهرم بالله، أو أحلف بالله، أو أقسمت بالله، أو أشهدت بالله، أو أهرمت بالله، أو أحلفت بالله، فقال في ذلك كله بالله، فلا خلاف في أنها يمين. قال: وكذلك عند الله وأصحابه إن قال: أقسم، أو أشهد، أو أهرم، أو أحلف، ولم يقل: «بالله» إذا أراد «بالله»، قال: وإن لم يرد «بالله» فليس بيمين، قال: حكاه الكيا عن الشافعي، قال الشافعي: إذا قال: أشهد بالله ونوى اليمين كان يميناً، قال: وقال أبو حنيفة وأصحابه: لو قال: أشهد بالله لقد كان كذا، كان يميناً، ولو قال: أشهد لقد كان كذا دون النية كان يميناً، لهذه الآية، لأن الله تعالى ذكر منهم الشهادة، ثم قال: ﴿أَتَعْدُوا أَنْتُمْ جُنَّةً﴾ قال: وعند الشافعي لا يكون ذلك يميناً وإن نوى اليمين، لأن قوله تعالى: ﴿أَتَعْدُوا أَنْتُمْ جُنَّةً﴾ ليس يرجع إلى قوله: ﴿قَالُوا تَشْهَدُ﴾ وإنما يرجع إلى ما في [براءة] من قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ مَا قَالُوا﴾.

(٢) أي تَلَقَّى اللسان، يقال: تكلم فلان بلسان ذلق تَلَقَّى. أي: فصيح بليغ. قال في «اللسان»: لسان ذلق تَلَقَّى، وَتَلَقَّى تَلَقَّى، وَذَلَقَ تَلَقَّى، أربع لغات فيها، والغليق: الفصحى اللسان.

(٣) البيت للعوام بن شاذب، الشيباني، وهو في «مشكل القرآن» ٦، و«غريب القرآن» ٤٦٨، و«الناظم» ٥٨٥، و«العقد الفريد» ١٩٥/٥، و«معجم الشعراء» ٣٠٠، و«حيون الأخبار» ١/١٦٦، و«الصالح» و«اللسان» و«التاج»: زئم، و«القرطبي» ١٢٦/٢٨، و«أزئم» بطن من بني يربوع.

يَتَّبِعُوا الْآذَالَ وَلِلَّهِ الْمِرَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ قد بينا سببه في نزول السورة ﴿لَوْزًا رُؤُوسَهُمْ﴾ وقرأ نافع، والمفضل عن عاصم، ويعقوب: ﴿لَوْزًا﴾ بالتخفيف. واختار أبو عبيدة التشديد. وقال: لأنهم فعلوا ذلك مرة بعد مرة. قال مجاهد: لما قيل لعبد الله بن أبي: تعال يستغفر لك رسول الله لوى رأسه، قال: ماذا قلت؟ وقال مقاتل: عطفوا رؤوسهم رغبة عن الاستغفار. وقال الفراء: حركوها استهزاء بالنبي وبدعائه.

قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ أي: يعرضون عن الاستغفار. ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: متكبرون عن ذلك. ثم ذكر أن استغفاره لهم لا يضعهم بقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وقرأ أبو جعفر: ﴿أَسْتَغْفَرْتَ﴾ بالمد.

قوله تعالى: ﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُبْعَثُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ قد بينا أنه قول ابن أبي. و ﴿تَنْصُرُوا﴾ بمعنى: يفتقروا. ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ قال المفسرون: خزائن السموات: المطر، وخزائن الأرض: النبات. والمعنى: أنه هو الرزاق لهؤلاء المهاجرين، لا أولئك، ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يعلمون أن الله رازقهم في حال إفاق هؤلاء عليهم. ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا﴾ من هذه الغزوة. وقد تقدم ذكرها وهذا قول ابن أبي ﴿لِيُخْرِجَ الْأَعْرَضَ﴾ يعني: نفسه، وعن يـ ﴿الْآذَالَ﴾ رسول الله ﷺ. وقرأ الحسن: ﴿لِيُخْرِجَ﴾ بالنون مضمومة وكسر الراء ﴿الْأَعْرَضَ﴾ بنصب الزاي [والآذال منصوب] على الحال [بناء على جواز تعريف الحال، أو زيادة «ال» فيه، أو بتقدير «مثل»]. المعنى: لنخرجه ذليلاً على أي حال ذل. والكل نصبوا [الآذال] فرد الله ﷻ عليه فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْمِرَّةُ﴾ وهي: المنعة والقوة ﴿وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بإعزاز الله ونصره إياهم ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْكُلَ أَعْيُنُكُمْ أَلْفُسُ بَقَوْلِ رَبِّ لَوْلَا كُنتُمْ لِكَيْلَ لَئِنْ قَرَّبْتُ إِلَيْكَ آخِلٍ قَرِيبٍ فَاصْذُكْ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَكَانَ يُخَوِّرُ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾ أي: لا تشغلكم. وفي المراد يذكر الله هاهنا أربعة أقوال: أحدها: طاعة الله في الجهاد، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الصلاة المكتوبة، قاله عطاء، ومقاتل. والثالث: الفرائض من الصلاة، وغيرها، قاله الضحاك. والرابع: أنه على إطلاقه. قال الزجاج: حطهم بهذا على إدامة الذكر.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ في هذه النفقة ثلاثة أقوال: أحدها: أنه زكاة الأموال، قاله ابن عباس. والثاني: أنه النفقة في الحقوق الواجبة بالمال، كالزكاة والحج، ونحو ذلك، وهذا المعنى مروى عن الضحاك. والثالث: أنه صدقة التطوع، ذكره الماوردي. فعلى هذا يكون الأمر ندباً، وعلى ما قبله يكون أمر وجوب.

قوله تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَ أَعْيُنُكُمْ أَلْفُسُ﴾ قال الزجاج: أي: من قبل أن يعاين ما يعلم منه أنه ميت.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا كُنتُمْ لِكَيْلَ لَئِنْ قَرَّبْتُ إِلَيْكَ آخِلٍ قَرِيبٍ﴾ يعني بذلك الاستزادة في أجله ليتصدق ويترحم، وهو قوله تعالى: ﴿فَاصْذُكْ﴾ قال أبو عبيدة: «فاصدق» نصب، لأن كل جواب بالفاء للاستفهام منصوب. تقول: مَنْ عَنْدَكَ فَأَتَيْكَ. هَلَّا فَعَلْتَ كَذَا فَاغْتَلَّ كَذَا، ثم تبعها ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بغير واو. وقال أبو عمرو: إنما هي، وأكون، فذهبت الواو من الخط. كما يكتب أبو جاد أبجد هجاء، وهكذا يقرأها أبو عمرو «وأكون» بالواو، ونصب النون. والباقون يقرأون «وأكن» بغير واو. قال الزجاج: من قرأ «وأكون» فهو على لفظ فاصْذُكْ. ومن جزم «أكن» فهو على موضع «فاصدق»، لأن المعنى: إن أخرتني أصدق وأكن. وروى أبو صالح عن ابن عباس «فاصدق» أي: أركب مالي «وأكن» من الصالحين أي: أخرج مع المؤمنين، وقال في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ والمعنى: بما تعملون من التكذيب بالصدقة. قال مقاتل: يعني المنافقين. وروى الضحاك عن ابن عباس: ما من أحد يموت، وقد كان له مال لم يتركه، وأطاق الحج فلم يحج، إلا سأل الله الرجعة عند الموت، فقالوا له: إنما يسأل الرجعة الكفار، فقال: أنا أتلو عليكم به قرآنًا، ثم قرأ هذه الآية (١).

## سورة التغابن

وفيها قولان: أحدهما: أنها مدنية، قاله الجمهور، منهم ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة. والثاني: أنها مكية، قاله الضحاك. وقال عطاء بن يسار: هي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلن بالمدينة قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ مِنْ أَرْوَاحِهِمْ﴾. والثاني بعدها.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْجُدْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الثَّانُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَتُكْرَ كَارُكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْحَيَّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ يَمْشِي مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تَشِئُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَمْ يَكْفُرُونَ بِالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَكَالَ أَمْرِهمْ وَلَكُمُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا ابْشِرْ بَعْدُونَا فَكَفَرُوا وَقُولُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَكِيمٌ ۝﴾

وقد سبق تفسير فاتحتها إلى قوله تعالى: ﴿فُتُكْرَ كَارُكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أن الله خلق بني آدم مؤمنًا وكافراً، رواه الوالبي عن ابن عباس. والأحاديث تعضد هذا القول، كقوله عليه الصلاة والسلام: «خلق فرعون في بطن أمه كافراً» وخلق يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمناً<sup>(١)</sup>، وقوله: «فيؤمر الملك بأربع كلمات: بكتب رزقي، وأجله، وعملي، وشقي أم سعيد<sup>(٢)</sup>». والثاني: أن تمام الكلام عند قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ ثم وصفهم، فقال تعالى: ﴿فُتُكْرَ كَارُكُمْ مُؤْمِنٌ﴾، واختلف أرباب هذا القول فيه على أربعة أقوال: أحدها: فمنكم كافر يؤمن، ومنكم مؤمن يكفر، قاله أبو الجوزاء عن ابن عباس. والثاني: فمنكم كافر في حياته مؤمن في العاقبة، ومنكم مؤمن في حياته كافر في العاقبة، قاله أبو سعيد الخدري. والثالث: فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب، ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب، قاله عطاء بن أبي رباح، وعنى بذلك شأن الأنواء. والرابع: فمنكم كافر بالله خلقه، ومؤمن بالله خلقه، حكاه الزجاج<sup>(٣)</sup>. والكفر بالخلق مذهب الدهرية، وأهل الطوائع. وما بعد هذا قد سبق إلى قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ قال الزجاج: أي: خلقكم أحسن الحيوان كله. وقرأ الأعمش «صوركم» بكسر الصاد. ويقال في جمع صورة: صُور، وصُور، كما يقال في جمع لحية: لِحَى، وَلَحَى. وذكر ابن السائب أن معنى ﴿فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ أحكمها. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿وَيَمْشِي مَا تَشِئُونَ﴾ روى المفضل عن عاصم «يسرون» و«يعلون» بالياء فيهما: ﴿أَمْ يَكْفُرُونَ بِالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ هذا خطاب لأهل مكة خوفهم ما نزل بالكفار قبلهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَذَاقُوا وَكَالَ أَمْرِهمْ﴾ أي: جزاء أعمالهم، وهو ما أصابهم من العذاب في الدنيا ﴿وَلَكُمُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة ﴿ذَلِكَ﴾ الذي أصابهم ﴿يَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فينكرون ذلك، ويقولون: ﴿إِبْرَ﴾ أي: ناس مثلنا ﴿بَعْدُونَا؟﴾ والبشر اسم جنس معناه الجمع، وإن كان

(١) ذكر هذا الحديث السيوطي في «الجامع الصغير» من رواية ابن عدي، والطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «خلق الله يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمناً، وخلق فرعون في بطن أمه كافراً» قال الحافظ المنائي في «فيض القدير»: وكذا زواه الديلمي عن ابن مسعود، وفي سننه محمد بن سليم العبدي الراسبي، قال النسائي: ليس بالقوي في الحديث، وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: صدوق فيه لين.

(٢) هو قطعة من حديث طويل رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدق قال: «إن لأحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليمثل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن أحدكم ليمثل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل أهل النار فيدخلها».

(٣) جاء في «القرطبي» ١٨/١٣٣: وقال الزجاج - وهو أحسن الأقوال، والذي عليه الأئمة والجمهور من الأمة -: إن الله خلق الكافر، وكفره ففعل له وكسب، مع أن الله خالق الكفر، وخلق المؤمن، لإيمانه ففعل له وكسب، مع أن الله خالق الإيمان.

لفظه واحداً ﴿كَفَرُوا وَكُفِّرُوا﴾ أي: أعرضوا عن الإيمان ﴿وَأَسْتَفْتَى اللَّهَ﴾ عن إيمانهم وعبادتهم.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ كُنْ يُعَذِّبُهُمْ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُبْشِرُونَ بِنَارِ اللَّهِ فَلَيْسَ بَلَاغُ النَّارِ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الْكَافِرِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴿٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ فِي جَنَّاتٍ مُتَجَدِّدَةٍ يُصْبِحُونَ عَلَىٰهَا﴾ ﴿١٠﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ فِي جَنَّاتٍ مُتَجَدِّدَةٍ يُصْبِحُونَ عَلَىٰهَا﴾ ﴿١١﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ فِي جَنَّاتٍ مُتَجَدِّدَةٍ يُصْبِحُونَ عَلَىٰهَا﴾ ﴿١٢﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ فِي جَنَّاتٍ مُتَجَدِّدَةٍ يُصْبِحُونَ عَلَىٰهَا﴾ ﴿١٣﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ فِي جَنَّاتٍ مُتَجَدِّدَةٍ يُصْبِحُونَ عَلَىٰهَا﴾ ﴿١٤﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ فِي جَنَّاتٍ مُتَجَدِّدَةٍ يُصْبِحُونَ عَلَىٰهَا﴾ ﴿١٥﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ فِي جَنَّاتٍ مُتَجَدِّدَةٍ يُصْبِحُونَ عَلَىٰهَا﴾ ﴿١٦﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ فِي جَنَّاتٍ مُتَجَدِّدَةٍ يُصْبِحُونَ عَلَىٰهَا﴾ ﴿١٧﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ فِي جَنَّاتٍ مُتَجَدِّدَةٍ يُصْبِحُونَ عَلَىٰهَا﴾ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كان ابن عمر يقول: «زعموا» كناية الكذب. وكان مجاهد يكره أن يقول الرجل: زعم فلان.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: البعث ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هو القرآن، وفيه بيان أمر البعث والحساب والجزاء.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الْكَافِرِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ هو منصوب بقوله تعالى: «البعث» ثم لتنبؤ بما عملتم ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الْكَافِرِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ وهو يوم القيامة. سمي بذلك لأن الله تعالى يجمع فيه الجن والإنس، وأهل السموات، وأهل الأرض، ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ تفاعل من الغبن، وهو فوت الحظ. والمراد في تسميته يوم القيامة بيوم التغابن فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه ليس من كافر إلا وله منزل وأهل في الجنة، فيرت ذلك المؤمن، فيغبن حيثئذ الكافر، ذكر هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: غبن أهل الجنة أهل النار، قاله مجاهد، والقرظي. والثالث: أنه يوم غبن المظلوم الظالم، لأن المظلوم كان في الدنيا مغبوناً، فصار في الآخرة غابناً، ذكره الماوردي. والرابع: أنه يوم يظهر فيه غبن الكافر بتركه للإيمان، وغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان، ذكره الثعلبي. قال الزجاج: وإنما ذكر ذلك مثلاً للبيع والشراء، كقوله تعالى: ﴿فَمَا رَهِعَتْ غَيْرُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿مَلَأْنَا كَلْبَكَ عَلَىٰ يَمِينِهِ﴾ [الصف: ١٠] وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ قرأ نافع، وابن عامر، والمفضل عن عاصم «نكفر» و«ندخله» بالنون فيهما. والباقون: بالياء. ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: بعلمه وقضائه، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَدْعُ لَهُ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطاه لم يكن ليصيبه، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من قبل الله تعالى، فيسلم، ويرضى. والثاني: يهد قلبه للاسترجاع، وهو أن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، قاله مقاتل. والثالث: أنه إذا ابتلي صبر، وإذا أنعم عليه شكر، وإذا ظلم غفر، قاله ابن السائب، وابن قتيبة. والرابع: يهد قلبه، أي: يجعله مهتدياً، قاله الزجاج. والخامس: [يهد وليه بالصبر والرضا، قاله أبو بكر الوراق. والسادس: [يهد قلبه لاتباع السنة إذا صح إيمانه، قاله أبو عثمان الحيري. وقرأ أبو بكر الصديق وعاصم الجحدري، وأبو نهيك: «يُهْدَى» بياء مفتوحة ونصب الدال، «قُلْبُهُ» بالرفع. قال الزجاج: هذا من هداً: إذا سكن. فالمعنى: إذا سلم لأمر الله سكن قلبه. وقرأ عثمان بن عفان، والضحاك، وطلحة بن مصرف، والأزرق عن حمزة: «يُهْدَى» بالنون. وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو عبد الرحمن: «يُهْدَى» بضم الياء، وفتح الدال «قُلْبُهُ» بالرفع. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ مِنْكُمْ أَزْوَاجٌ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سبب نزولها أن الرجل كان يسلم. فإذا أراد الهجرة منعه أهله، وولده، وقالوا: ننشدك الله أن تذهب وتَدَعَ أهلك وعشيرتك وتصير إلى المدينة بلا أهل ولا مال. فمنهم من يرق لهم، ويقم فلا يهاجر، فنزلت هذه الآية. فلما هاجر أولئك، ورأوا الناس قد قفها في الدين هُموا أن يعاقبوا أهلهم الذين منعوهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَقْضُوا وَفَقَاحُكُمْ﴾ إلى آخر الآية، هذا قول ابن عباس<sup>(١)</sup>. وقال

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٢٢ من ابن عباس رضي الله عنه، ورواه بنحوه الترمذي في «جامعه» ١٦٥/٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح، =



الزجاج: لما أرادوا الهجرة قال لهم أزواجهم، وأولادهم: قد صبرنا لكم على مفارقة الدين ولا نصبر لكم على مفارقتكم، ومفارقة الأموال، والمساكن، فأعلم الله ﷻ أن من كان بهذه الصورة، فهو عدو، وإن كان ولداً، أو كانت زوجة. وقال مجاهد: كان حب الرجل ولده وزوجته يحمله على قطيعة رحمه ومعصية ربه. وقال قتادة: كان من أزواجهم، وأولادهم من ينهاتهم عن الإسلام، ويضطهم عنه، فخرج في قوله تعالى: ﴿عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: بمنعه من الهجرة، وهذا على قول ابن عباس. والثاني: بكونهم سبباً للمعاصي، هذا على قول مجاهد. والثالث: بنهيهم عن الإسلام، وهذا على قول قتادة.

قوله تعالى: ﴿فَلَحَذَرُوهُمْ﴾ قال الفراء: لا تطيعوهم في التخلف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: بلاء وشغل عن الآخرة. فالمال والأولاد يوقعان في العظام إلا من عصمه الله. وقال ابن قتيبة: أي: إغرام. يقال: فتن فلان بالمرأة، وشغف بها، أي: أغرم بها. وقال الفراء: قال أهل المعاني: إنما دخل «من» في قوله تعالى: «إن من أزواجكم» لأنه ليس كل الأزواج، والأولاد أعداء. ولم يذكر «من» في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لأنها لا تخلو من الفتنة، واشتغال القلب بها. وقد روى بريدة عن رسول الله ﷺ أنه كان يخطب، فجاء الحسن، والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان، ويعثران، فنزل من المنبر، فحملهما، فوضعهما بين يديه ثم قال: «صدق الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان، ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي، ورفعتهما»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ أي: ثواب جزيل، وهو الجنة. والمعنى: لا تعصوه بسبب الأولاد، ولا تؤثروهم على ما عند الله من الأجر العظيم. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ أي: ما أطقتم ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ ما تؤمرون به ﴿وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ وفي هذه النفقة ثلاثة أقوال: أحدها: الصدقة، قاله ابن عباس. والثاني: نفقة المؤمن على نفسه، قاله الحسن. والثالث: النفقة في الجهاد، قاله الضحاك. ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ حتى يعطي حق الله في ماله. وقد تقدم بيان هذا في [الحشر: ٩] وما بعده قد سبق بيانه إلى آخر السورة [البقرة: ٢٤٥]. والحديد: ١١، ١٨. والحشر: ٢٣، ٢٤.



رواه الطبري في «التفسير» ١٢٤/٢٨، والحاكم في «المستدرک» ٤٩٠/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وصححه الذهبي، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٢٨/٦ وزاد نسبه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنه.

(١) رواه الإمام أحمد في «مسند» ٣٥٤/٥ وفي سننه الحسين بن واقد المروزي أبو عبد الله القاسمي، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: ثقة له أوام، قال ابن كثير: ورواه أهل «السنن» من حديث حسين بن واقد به، وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٧٣: أخرجه أصحاب السنن، وابن حبان، والحاكم، وأحمد، وإسحاق، وابن أبي شبة، وأبو يعلى، والبخاري، من رواية حسين بن واقد عن ابن بريدة عن أبيه، قال: قال البخاري: لا نعلم له طريقاً إلا هذا.

## سورة الطلاق

وتسمى سورة النساء القُصْرَى<sup>(١)</sup>، وهي مدنية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيَقُوهُنَّ لِمَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِغَيْرِ حُدُودٍ فَإِنْ يَكُنْ لَكُمْ حُدُودُ اللَّهِ فَتَعَدُّوا حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُخْرِثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ قال الزجاج: هذا خطاب للنبي ﷺ، والمؤمنون داخلون معه فيه. ومعناه: إذا أردتم طلاق النساء، كقوله تعالى: ﴿إِذَا طَلَقْتُمْ إِلَى الْعَلَفَةِ﴾ [المائدة: ٤٦]. وفي سبب نزول هذه الآية قولان: أحدهما: أنها نزلت حين طلق رسول الله ﷺ حَفْصَةَ، وقيل له: راجعها، فإنها صَوَامَةٌ قَوَّامَةٌ، وهي من إحدى زوجاتك في الجنة، قاله أنس بن مالك. والثاني: أنها نزلت في عبد الله بن عمر، وذلك أنه طلق امرأته حاتِضًا فأمره النبي ﷺ أن يراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر، قاله السدي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لِمَدَّتِهِنَّ﴾ أي: لزمان عِدَّتِهِنَّ، وهو الطهر. وهذا للمدخل بها، لأن غير المدخول بها لا عِدَّةَ عليها. والطلاق على ضربين: سُتْنِي، وبُذْعِي. فالسُتْنِي: أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه، وذلك هو الطلاق لِلْعِدَّةِ، لأنها تعتد بذلك الطهر من عِدَّة، وتقع في العدة عقيب الطلاق، فلا يطول عليها زمان العدة. والطلاق البُدْعِي: أن يقع في حال الحيض، أو في طهر قد جامعها فيه، فهو واقع، وصاحبه آثم. وإن جمع الطلاق الثلاث في طهر واحد، فالمصور من مذهبنا أنه بدعة.

قوله تعالى: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ أي: زمان العدة. وفي إحصائها فوائد. منها: مراعاة زمان الرجعة، وأوان النفقة، والسكنى، وتوزيع الطلاق على الإقرار إذا أراد أن يطلق ثلاثاً، وَلِتَعْلَمَ أَنَّهَا قَدْ بَانَتْ، فيتزوج بأختها، وأربع سواها. قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أي: فلا تعصوه فيما أمركم به. ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ فيه دليل على وجوب السكنى. ونسب البيوت إليهن، لسكناهن قبل الطلاق فيهن، ولا يجوز لها أن تخرج في عدتها إلا لضرورة ظاهرة. فإن خرجت أئِثْمَتْ، ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِغَيْرِ حُدُودٍ﴾ وفيها أربعة أقوال: أحدها: المعنى: إلا أن يخرجن قبل انقضاء المدة، فخرجوهن هو الفاحشة المبينة، وهذا قول عبد الله بن عمر، والسدي، وابن السائب. والثاني: أن الفاحشة: الزنى، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والشعبي، وعكرمة، والضحاك. فعلى هذا يكون المعنى: إلا أن يزنيَنَّ فَيُخْرِجَنَّ لإقامة الحد عليهن. والثالث: الفاحشة: أن تبدؤ على أهلها، فيحل لهم إخراجها، رواه محمد بن إبراهيم عن ابن عباس. والرابع: أنها إصاية حد، فتخرج لإقامة الحد عليها، قاله سعيد بن المسيب<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ يعني: ما ذكر من الأحكام ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ التي بينتها، وأمر بها ﴿فَقَدْ ظَلَمَ

(١) سماها بذلك عبد الله بن مسعود ﷺ كما في «صحيح البخاري» ٥٠٢/٨.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٢٣ عن السدي بغير سند. وأخرج البخاري ومسلم من حديث سالم أن عبد الله بن عمر أخبره أنه طلق امرأة له وهي حاتِض، فذكر عمر لرسول الله ﷺ، فغضب رسول الله ﷺ، ثم قال: «يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسها، فذلك المدة التي أمر بها الله ﷻ، ولغز مسلم: «فذلك المدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء» وفي رواية لمسلم قال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ: «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فليقوهن في قبل عدتهن».

(٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِغَيْرِ حُدُودٍ﴾ أي: لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة فتخرج من المنزل، قال: الفاحشة المبينة، تشمل الزنى كما قاله ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، والشعبي، والحسن، وابن سيرين، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وأبو قلابة، وأبو صالح، والضحاك، وزيد بن أسلم، وعطاء الخراساني، والسدي، وسعيد بن أبي هلال، وغيرهم. قال: وتشمل ما إذا نشزت المرأة، أو بلّوت على أهل الرجل، وأذنتهم في الكلام والفعال، كما قاله أبي بن كعب، وابن عباس، وعكرمة وغيرهم.

نَسَمُ أَي: أثم فيما بينه وبين الله تعالى ﴿لَا تَدْرِي لَمَلَّ اللَّهُ يَحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ أي: يوقع في قلب الزوج المحبة لرجعتها بعد الطلقة والطلاقين. وهذا يدل على أن المستحب في الطلاق تفرقه، وأن لا يجمع الثلاث.

﴿إِذَا بَلَغَ الْإِنْسَانُ نِكَاحًا فَلَيْسَ كَلِمَةٌ فِيهِ بَرْءٌ أَوْ فَرْقٌ أَوْ مَبْرَءٌ وَإِنَّهُ أَشَدُّ بَرْءًا وَأَشَدُّ كَلِمَةً فِيهِ فَالْقَوْلُ الَّذِي يَسْمَعُونَ لَكَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّ اللَّهَ يَخْتَارُ لِكُلِّ شَيْءٍ فَتْرَةً ۚ﴾ ﴿١﴾ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۚ﴾ ﴿٢﴾ ﴿وَرِزْقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَّكِلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۚ﴾ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا بَلَغَ الْإِنْسَانُ نِكَاحًا﴾ أي: قاربن انقضاء العدة ﴿فَلَيْسَ كَلِمَةٌ فِيهِ بَرْءٌ﴾ وهذا مبين في [البقرة: ٢٣٦] ﴿وَأَشْهَدُوا ذَرْوًا مِمَّا يَتَذَكَّرُ﴾ قال المفسرون: أشهدوا على الطلاق، أو المراجعة. واختلف العلماء: هل الإشهاد على المراجعة واجب، أم مستحب؟ وفيه عن أحمد روايتان، وعن الشافعي قولان<sup>(١)</sup> ثم قال للشهداء: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ أي: أشهدوا بالحق، وأدوها على الصلحة، طلباً لمرضاة الله، وقياماً بوصيته. وما بعده قد سبق بيانه [البقرة: ٢٣٢] إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ فذكر أكثر المفسرين أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، أسر العدو ابناً له، فذكر ذلك للنبي ﷺ، وشكا إليه الفاقة، فقال: اتق الله، واصبر، وأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ففعل الرجل ذلك، ففعل العدو عن ابنه، فساق غنمهم، وجاء بها إلى أبيه، وهي أربعة آلاف شاة، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وفي معناها للمفسرين خمسة أقوال: أحدها: ومن يتق الله يُنْجِهْ من كل كرب في الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس. والثاني: بأن مَخْرَجَهُ: علمه بأن ما أصابه من عطاء أو منع، من قِبَلِ الله، وهو معنى قول ابن مسعود. والثالث: ومن يتق الله، فيطلق للشئ، ويراجع للشئ، يَجْعَلُ له مخرجاً، قاله السدي. والرابع: ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة، يجعل له مخرجاً من النار إلى الجنة، قاله ابن السائب. والخامس: يجعل له مخرجاً من الحرام إلى الحلال، قاله الزجاج. والصحيح أن هذا عام، فإن الله تعالى يجعل للنقي مخرجاً من كل ما يضييق عليه. ومن لا يتقي، يقع في كل شدة. قال الربيع بن خثيم: يجعل له مخرجاً من كل ما يضييق على الناس ﴿وَرِزْقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: من حيث لا يأمل، ولا يرجو. قال الزجاج: ويجوز أن يكون: إذا اتقى الله في طلاقه، وجرى في ذلك على الشئ، رزقه الله أهلاً بدل أهله ﴿وَمَنْ يَتَّكِلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي: مَنْ وَثِقَ به فيما نابه، كفاه الله ما أهمه ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ وروى حفص، والمفضل عن عاصم «بالحق أمره» مضاف. والمعنى: يقضي ما يريد ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي: أجلاً ومنتهاً ينتهي إليه، فَرَّ الله ذلك كله، فلا يقدّم ولا يؤخر<sup>(٣)</sup>. قال مقاتل: قد جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء قدراً، فقدر متى يكون هذا الغني فقيراً، وهذا الفقير غنياً.

﴿وَالَّذِي يَشْنُ مِنَ الْمَجْهِدِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَمَدَّتُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَالَّتِي تَرَى بِحَضْنٍ وَأُولَئِكَ الْأَحْزَابُ أَجْلُهُمْ أَنْ يَبْعَثَ حَمَلُهُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ إِسْرًا ۚ﴾ ﴿١﴾ ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَكْرَامًا﴾ ﴿٢﴾

(١) وقال عطاء: لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاء إلا شاهداً عدل، كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَرْوًا مِمَّا يَتَذَكَّرُ﴾ إلا أن يكون من عدل. وروى أبو داود في «سننه» رقم (٢١٨٦)، وابن ماجه (٢٠٢٥) عن عمران بن حصين ﷺ سئل عن رجل يطلق امرأته ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا وحيتها؟ فقال: طلقت لغير سنة، وراجعت لغير سنة، أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تُؤد. وإسناده صحيح كما قال الحافظ في «بلوغ المرام».

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٢٤ بغير سند. وأورده السيوطي في «الدرر» ٢٣٣/٦ من رواية ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وينحوه من رواية الخطيب البغدادي في تاريخه من طريق جوير عن الفساحك عن ابن عباس. ورواه ابن جرير الطبري من طريق سالم أبي الجعد مرسلًا قال: نزلت في رجل من أشجع، فذكره بنحوه. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٧٤: رواه الثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. قال: وروى الحاكم من طريق سالم أبي الجعد عن جابر قال: نزلت هذه الآية في رجل من أشجع... فذكره. قال: وفيه عيب بن كثير تركه الأزدي.

(٣) روى أحمد في «المسنند»، والترمذي في «سننه» عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال لي: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف» قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهو كما قال: وروى أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم عن عمر بن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً، وتروح بطاناً» قال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم وأقره الذهبي. ومعنى خماصاً: جياً، وطاناً: شباعاً.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يَنْتَهِى مِنَ الْمَيْحِصِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها لما نزلت عِدَّة المطلقَّة، والمتوفَّى عنها زوجها في [البقرة: ٢٢٧، ٢٢٨] قال أبي بن كعب: يا رسول الله: إن نساء من أهل المدينة يقلن: قد بقي من النساء ما لم يذكر فيه شيء. قال: «وما هو؟» قال: الصغار والكبار، وذوات الحمل، فنزلت هذه الآية، قاله عمرو بن سالم<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ الآية [البقرة: ٢٢٨] قال خلاد بن النعمان الأنصاري: يا رسول الله، فما عِدَّة التي لا تحيض، وعِدَّة التي لم تحض، وعِدَّة الحُبلى؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل<sup>(٢)</sup>. ومعنى الآية: ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ، أَيْ: شككتكم فلم تدرُوا ما عدَّتْهن ﴿فَعِدَّتُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّذِي لَا يَحْضُنَّ﴾ كذلك<sup>(٣)</sup>».

## فصل

قال القاضي أبو يعلى: المراد بالارتباب هاهنا: ارتباب المخاطبين في مقدار عدة الآيسة. والصغيرة كم هو؟ وليس المراد به ارتباب المعتلات في اليأس من المحيض، أو اليأس من الحمل للسبب الذي ذكر في نزول الآية. ولأنه لو أريد بذلك النساء لتوجَّه الخطاب إليهن، فقيل: إن ارتبتِ، أو ارتبتِ، لأن الحيض إنما يعلم من جهتهن. وقد اختلف في المرأة إذا تأخر حيضها لا لعارض كم تجلس؟ فمذهب أصحابنا أنها تجلس غالب مدة الحمل، وهو تسعة أشهر، ثم ثلاثة. والعدة: هي الثلاثة التي بعد التسعة. فإن حاضت قبل السنة بيوم، استأنفت ثلاث حيض، وإن تَمَّت السَنَةُ من غير حيض، حَلَّت، وبه قال مالك. وقال أبو حنيفة، والشافعي في الجديد: تمكثُ أبداً حتى يعلم براءة رحمها قطعاً، وهي أن تصير في حدٍّ لا يحيض مثلها، فتعدُّ بعد ذلك ثلاثة أشهر.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي لَا يَحْضُنَّ﴾ يعني: عدتهن ثلاثة أشهر أيضاً، لأنه كلام لا يستقلُّ بنفسه، فلا بدَّ له من ضمير، وضميره تقدَّم ذكره مظهراً، وهو العِدَّة بالشهور. وهذا على قول أصحابنا محمول على من لم يأت عليها زمان الحيض: أنها تعدُّ ثلاثة أشهر. فأما من أتى عليها زمان الحيض، ولم تحض، فإنها تعدُّ سنة.

قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْصَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَصْنَعَ حَلَّتْهُنَّ﴾ عامٌّ في المطلقات، والمتوفَّى عنهن أزواجهن، وهذا قول عمر، وابن عمر، وابن مسعود، وأبي مسعود البدرى، وأبي هريرة، وقهواء الأمصار. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: تعدُّ آخر الأجلين. ويدل على قولنا عموم الآية. وقول ابن مسعود: من شاء لاعتته ما نزلت ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْصَالُ﴾ إلا بعد آية المتوفَّى عنها زوجها<sup>(٤)</sup>، وقول أم سلمة: إن شبيعة وضعت بعد وفاة زوجها بأيام، فأمرها رسول الله ﷺ أن تتزوج<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْتَهِى اللَّهُ﴾ أي: فيما أمَرَ به ﴿يَجْعَلُ لَكُمْ مِنْ أَشْيَاءٍ يُسَهِّلُ عَلَيْهِ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ وهذا قول

(١) رواه الواحدى في «أسباب النزول» ٣٢٤ عن عمرو بن سالم، ورواه نحوه ابن جرير الطبري ١٤١/٢٨، والحاكم ٤٩٢/٢ وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وواقفه الذهبي، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٣٤/٦ وزاد نسبه لإسحاق بن راهويه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «مسنه» عن أبي بن كعب ﷺ.

(٢) رواه الواحدى في «أسباب النزول» ٣٢٤ عن مقاتل بغير سند. وكذلك ذكره البغوي والخازن عن قتادة.

(٣) قال ابن كثير: وهذا مروى عن سعيد بن جبيرة، وهو اختيار ابن جرير وهو أظهر في المعنى. وذكر أنه يحتج لذلك بحدث عمرو بن سالم الذي تقدَّم ذكره. قال السيوطي في «الدر» ٢٣٥/٦: أخرج عبد الرزاق، وابن أبي شيبه، وسعيد بن منصور، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه من طرق عن ابن مسعود أنه بلغه أن علياً يقول: تعدُّ آخر الأجلين، فقال: من شاء لاعتته، إن الآية التي نزلت في سورة النساء القصصى (يريد بذلك سورة الطلاق) نزلت بعد سورة [البقرة] ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْصَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَصْنَعَ حَلَّتْهُنَّ﴾ بكذا وكذا شهراً، فكل مطلق أو متوفى عنها زوجها فأجلها أن تصفح حملها.

رواه البخاري في «صحيحه» ٥٠١/٨ عن أم سلمة قالت: قتل زوج شبيعة الأسلمية وهي حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة، فخطبت، فأنكحها رسول الله ﷺ، وكان أبو السناهل فيمن خطبها. قال ابن كثير: هكذا أورد البخاري هذا الحديث هاهنا مختصراً، وقد رواه مسلم وأصحاب الكتب مطولاً من وجوه أخر، وذكره من رواية أحمد ثم قال: ورواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، من طرق عن أم سلمة ﷺ. وأورده السيوطي في «الدر» ٢٣٦/٦ وزاد نسبه لعبد الرزاق، وابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه.

الأكثرين. وقال الضحاك: ومن يتق الله في طلاق السنة، يجعل الله له من أمره يسراً في الرجعة ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ أي: يمحى عنه خطاياه: ﴿وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا﴾ في الآخرة.

﴿أَنْتُمْ كُونُوا مِنَ الْخَالِفِينَ وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَئِكَ عَلَى فُلُقُقَةٍ عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَحْكُمَ لَكُمْ إِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْزُقُوهُنَّ مِنْ أَجْلِ نَفْسِكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَمَسَّرْتُمْ فَاسْتَرْضِعْ لَهُنَّ أُخْرَى ۖ﴾ ① لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُفْسِقْ إِنَّمَا يَفْسِقُ لِلنَّفْسِ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا عَاتَمَهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بِدَّ عَصْرَ يُثْرًا ۗ﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ كُونُوا مِنَ الْخَالِفِينَ﴾ و «من» صلة قوله: ﴿يَنْ يُبَيِّنُكُمْ﴾ قرأ الجمهور بضم الواو. وقرأ أبو هريرة، وأبو عبد الرحمن، وأبو رزين، وقتادة، وزوج عن يعقوب بكسر الواو. قرأ ابن يعمر، وابن أبي عبله، وأبو حيوة: بفتح الواو. قال ابن قتيبة: أي: يقدّر وسعكم. والوُجْد: المقدرة والغنى، يقال: افتقر فلان بعد وُجْدٍ. قال الفراء: يقول: على ما يجد، فإن كان موسعاً عليه، وسّع عليها في المسكن والنفقة، وإن كان مقترراً عليه، فعلى قدر ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَضَارُّوهُنَّ﴾ بالتضييق عليهن في المسكن والنفقة، وأنتم تجدون سعة. قال القاضي أبو يعلى: المراد بهذا: المطلقة الرجعية دون المبتوتة، بدليل قوله تعالى: ﴿لَا تَحْدِرِي لَمَلَّ اللَّهُ يَحْدِثْ بِدَّ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]. وقوله: ﴿فَإِذَا بَلَغَ لَبَهُنَّ فُلُقُقَهُنَّ فَمَبْرُوفٍ أَوْ فَارِزُهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٢] فدل ذلك على أنه أراد الرجعية. وقد اختلف الفقهاء في المبتوتة: هل لها سكنى، ونفقة في مدة العدة، أم لا؟ فالمشهور عند أصحابنا: أنه لا سكنى لها ولا نفقة، وهو قول ابن أبي ليلى. وقال أبو حنيفة: لها السكنى، والنفقة. وقال مالك والشافعي: لها السكنى، دون النفقة. وقد رواه الكوسج<sup>(١)</sup> عن أحمد. ويدل على الأول حديث فاطمة بنت قيس أن النبي ﷺ قال لها: «إنما النفقة للمرأة على زوجها ما كانت له عليها الرجعة، فإذا لم يكن له عليها، فلا نفقة ولا سكنى»<sup>(٢)</sup>. ومن حيث المعنى: إن النفقة إنما تجب لأجل التمكن من الاستمتاع، بدليل أن الناشز لا نفقة لها. واختلفوا في الحامل، والمتوفى عنها زوجها، فقال ابن مسعود، وابن عمر، وأبو العالية، والشعبي، وشريح، وإبراهيم: نفقتها من جميع المال، وبه قال مالك، وابن أبي ليلى، والثوري. وقال ابن عباس، وابن الزبير، والحسن، وسعيد بن المسيب، وعطاء: نفقتها في مال نفسها، وبه قال أبو حنيفة، وأصحابه. وعن أحمد كالقولين.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْزُقُوهُنَّ مِنْ أَجْلِ نَفْسِكُمْ﴾ يعني: أجرة الرضاع. وفي هذا دلالة على أن الأم إذا رضيت أن ترضعه بأجرة مثلها، لم يكن للاب أن يسترضع غيرها ﴿وَالْيَتَرَدَّ بَيْنَكُمُ الْمَعْرُوفُ﴾ أي: لا تشتط المرأة على الزوج فيما يطلبه من أجرة الرضاع، ولا يقصّر الزوج عن المقدار المستحق ﴿وَإِنْ تَمَسَّرْتُمْ فِي الْأَجْرَةِ﴾ ولم يراض الوالدان<sup>(٣)</sup> على شيء ﴿فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى﴾ لفظه لفظ الخبر، ومعناه: الأمر، أي: فليسترضع الوالد غير والدة الصبي. ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُفْسِقْ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبله «قَدَّر» بفتح القاف وتشديد الدال. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبله «قَدَّر» بفتح القاف وتشديد الدال «رزقه» بنصب القاف ﴿فَلْيُنْفِقْ إِنَّمَا يَفْسِقُ لِلنَّفْسِ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا عَاتَمَهَا﴾ أي: على قدر ما أعطاه من المال ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بِدَّ عَصْرَ يُثْرًا﴾ أي: بعد ضيق وشدة، غنى وسعة، وكان الغالب عليهم حينئذ الفقر، فأعلمهم أنه سيفتح عليهم بعد ذلك.

﴿وَلَكِنْ مِّن قَرِيبٍ عَنَ أَثَرِ نَيْكَةٍ وَرُسُلِهِمْ مَحْسُوبَاتٌ جَسَدًا شَدِيدًا وَعَظْمًا ضَرِبًا ۖ وَلَوْ أَنَّ قُلُوبَهُمْ ذُرِّيُّوسًا ۖ وَبَشَرًا لَّكُنَّ ۚ﴾ ② فَكَانَتْ وَبَالَ أَمْرَهَا وَكَانَ عَذَابُهَا شَدِيدًا ۖ ③ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولَئِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْنَا ذِكْرًا ۖ ④ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ

(١) هو إسحاق بن منصور بن بهرام أبو يعقوب المروزي المعروف بالكوسج، وهو الذي دون المسائل الفقهية عن الإمام أحمد بن حنبل، وروى عنه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود، وهو ثقة ثبت من رجال الحديث، توفي رحمه الله سنة (٢٥١هـ).

(٢) رواه أحمد في «المسنود» ٣٧٣/٦ من فاطمة بنت قيس وهو جزء من حديث طويل. قال الشوكاني في «نبيل الأوطار» ١٠٨/٧: تفرد برفعه مجالد بن سعيد، وهو ضعيف، قال: وقد تابعه في رفعه بعض الرواة، قال في «الفتح»: ولكنه أضعف من مجالد، وهو في أكثر الروايات موقوف عليها، والرفع زيادة يتعين قبولها لما بيناه في غير موضع، ورواية الضعيف مع الضعيف توجب الارتفاع من درجة السقوط إلى درجة الاعتبار.

(٣) في الأصل: الولدان.

مَأْمُونًا وَحَلِيلًا أَمْلَأْتَنِي مِنَ الْفُلْجَانِ إِلَى الْوُجْهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَكَ رِزْقًا ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَايْنِ﴾ أي: وكمن ﴿مِنْ قَرْنَيْ عَتَّةَ عَنْ أَثَرِ رَيْحَانِ وَرُسُلِهِ﴾، أي: عن أمر رسله. والمعنى: عتا أهلها. قال ابن زيد: عتت، أي: كفرت، وتركت أمر ربها، فلم تقبله. وفي باقي الآية قولان: أحدهما: أن فيها تقديمًا، وتأخيرًا. والمعنى: عذبناها عذاباً نكراً في الدنيا بالجوع، والسيوف، والبلايا، وحاسبتها حساباً شديداً في الآخرة، قاله ابن عباس، والفراء في آخرين. والثاني: أنها على نظمها، والمعنى: حاسبتها بعملها في الدنيا، فجازيناها بالعذاب على مقدار عملها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَعَذَّبْنَاهَا﴾ فجعل المجازاة بالعذاب محاسبة. والحساب الشديد: الذي لا عفو فيه، والتكر: المنكر ﴿فَنَافَتْ وَكَالَ أَثَرَهَا﴾ أي: جزاء ذنبها. ﴿وَكَانَ عَقِبُهُ أَثَرًا خَيْرًا﴾ في الدنيا، والآخرة، وقال ابن قتيبة: الخسر: الهلكة.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَنْكُرًا ذِكْرًا﴾ أي: قرأنا ﴿رَسُولًا﴾ أي: وبعثه رسولاً، قاله مقاتل. وإلى نحوه ذهب السدي. وقال ابن السائب: الرسول هاهنا: جبرائيل، فعلى هذا: يكون الذكر والرسول جميعاً منزّلين. وقال ثعلب: الرسول: هو الذكر. وقال غيره: معنى الذكر هاهنا: الشرف. وما بعده قد تقدّم [البقرة: ٢٥٧، والأحزاب: ٤٣، والتغابن: ٩] إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَكَ رِزْقًا﴾ يعني: الجنة التي لا ينقطع نعيمها.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾

قوله: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي: وخلق الأرض بعددهن<sup>(١)</sup>. وجاء في الحديث: كثافة كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وما بينها وبين الأرض كذلك، وكثافة كل أرض خمسمائة عام، وما بينها وبين الأرض الأخرى كذلك<sup>(٢)</sup>. وقد روى أبو الضحى عن ابن عباس قال: في كل أرض آدم مثل آدمكم، ونوح مثل نوحكم، وإبراهيم مثل إبراهيمكم، وعيسى كعيسى، فهذا الحديث [تارة] يرفع إلى ابن عباس، وتارة يوقف على أبي الضحى<sup>(٣)</sup>، وليس له معنى إلا ما حكى أبو سليمان الدمشقي، قال: سمعت أن معناه: إن في كل أرض خلقاً من خلق الله لهم سادة، يقوم كبيرهم ومقدمهم في الخلق مقام آدم فينا، وتقوم ذرئته في السنّ والقدّم كمقام نوح. وعلى هذا المثال سائرهم. وقال كعب:

(١) قال ابن كثير: وقوله: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي: سبباً أيضاً، كما ثبت في «الصحيحين»: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين» وفي «صحيح البخاري»: «خفف به الله سبع أرضين» قال: ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم، فقد أبعد النجمة، وأغرقت في النزاع، وخالف القرآن والحديث بلا مستند. وقد صح من رواية البخاري وغيره قوله ﷺ: «اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أظللن» الحديث.

(٢) روى ابن جرير الطبري ١٥٣/٢٨، وعثمان بن سعيد الدارمي في كتاب «الرد على الجهمية» ص ٢٦ طبع المكتب الإسلامي من طريق عاصم عن زاذ عن عبد الله بن مسعود ﷺ موقوفاً عليه قال: خلق الله سبع سموات، غلط كل واحدة مسيرة خمسمائة عام، وبين كل واحدة منهن خمسمائة عام، وخلق الله سبع سموات، والسموات فوق الماء، ولا يطفئ عليه شيء من أعمال بني آدم، والأرض سبع، وبين كل أرضين خمسمائة عام، وغلط كل أرض خمسمائة عام. وإسناده حسن ولكنه موقوف. ورواه مرفوعاً أحمد في «المسنند» رقم (١٧٧٠) و (١٧٧١)، وأبو داود رقم (٤٧٢٣)، وعثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» ص ٢٤، وفي سننه عندهم عبد الله بن عميرة وهو مجهول، وفيه أسطورة الأرواح. ورواه الترمذي ١٦٢/٢ من رواية الحسن بن أبي هريرة وليس فيه ذكر الأرواح وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، ويروى عن أيوب ويونس وعلي بن زيد قالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة. وروى شريك بعض هذا المعنى عن سماك ووقفه، فالحديث لا يصح مرفوعاً، وهو حسن موقوفاً والله أعلم.

(٣) قال ابن كثير في «التفسير» ٢٨٥/٤: وروى البيهقي في كتاب «الاسماء والصفات» هذا الأثر عن ابن عباس فقال: أنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أحمد بن يعقوب، ثنا عبيد بن غنام الحنفي، أنا علي بن حكيم، ثنا شريك، عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس في قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال: في كل أرض نبي كنبئكم، وأدم كآدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى. قال: ثم روى البيهقي من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن ابن عباس في قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال: في كل أرض نحو إبراهيم ﷺ، قال: ثم قال البيهقي: إسناده هذا عن ابن عباس صحيح، وهو شاذ بمرّة، لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعاً، والله أعلم.

وقال ابن كثير أيضاً في «البداية والنهاية» ٢١/١: وهو محمول - إن صح نقله عن ابن عباس - على أنه أخذه ﷺ عن الإسرائيليات، والله أعلم.

ساكن الأرض الثانية: البحر العقيم، وفي الثالثة: حجارة جهنم، والرابعة: كبريت جهنم، والخامسة: حيات جهنم، والسادسة: عقارب جهنم، والسابعة: فيها إبليس<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بِبَيْنِهِمْ﴾، في الأمر قولان: أحدهما: قضاء الله وقدره، قاله الأكثرون. قال قتادة: في كل أرض من أرضه وسماؤه من سمائه خلق من خلقه، وأمر من أمره، وقضاء من قضاؤه. والثاني: أنه الوحي، قاله مقاتل<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَتْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أعلمكم بهذا لتعلموا قدرته على كل شيء وعلمه بكل شيء<sup>(٣)</sup>.



- (١) وهذا أيضاً - والله أعلم - من الإسرائيليات التي نقلها كعب وغيره عن أهل الكتاب.
- (٢) قال ابن جرير: وقوله تعالى: ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بِبَيْنِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ينزل أمر الله بين السماء السابعة والأرض السابعة.
- (٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿يَتْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ينزل قضاء الله وأمره بين ذلك، كي تعلموا أيها الناس كنه قدرته وسلطانه، وأنه لا يمتنع عليه شيء أراد، ولا يمتنع عليه أمر شاء، ولكنه على ما يشاء قدير ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ يقول جل ثناؤه: ولتعلموا أيها الناس أن الله بكل شيء من خلقه محيط علماً، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أعتز من ذلك ولا أكبر. يقول جل ثناؤه: فخافوا أيها الناس المخالفون أمر ربكم عقوبته، فإنه لا يمنعه من عقوبتكم مانع، وهو على كل شيء قدير، وصحيط أيضاً بأعمالكم، فلا يخفى عليه منها خاف، وهو محصيها عليكم ليجازيكم بها، يوم تجزي كل نفس ما كسبت.

## سورة التحريم<sup>(١)</sup>

وهي مدنية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ مَا أَمَلَ اللَّهُ لَكَ تَبَنَّى مَرْثَاتٍ أَرْوَاهُ اللَّهُ وَغَرَضٌ رَجِيمٌ ۝ قَدْ رَضَى اللَّهُ لَكَ مَحَلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلىٰ بَعْضِ أَرْوَاهِهِ حَيَاتًا فَلَمَّا بَيَّاتَ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا بَيَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَن أَيْبَاكَ هَذَا قَالَ بَيَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۝ إِنْ نَوَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ۝ عَنِ رَبِّهِ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْوَاهًا خَيْرًا مِنْكُم مِّمَّنْ سَلَكْتُمْ يُؤْمِنُوهَ فَيَنْبَغِي عَلَيْكُمْ حُسْنُ حَالٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿لَرَحْمٌ مَّا أَمَلَ اللَّهُ لَكَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن حفصة ذهبت إلى أبيها تتحدث عنه، فأرسل النبي ﷺ إلى جاريته، فظلت معه في بيت حفصة، وكان اليوم [الذي] يأتي فيه عائشة، فرجعت حفصة، فوجدتها في بيتها، فجعلت تنتظر خروجها، وغارت غيرة شديدة. فلما دخلت حفصة قالت: قد رأيت من كان عندك. والله لقد سؤتني، فقال النبي ﷺ: «والله لأَرْضِيَنَّكَ، وَإِنِّي مُبِرُّ إِلَيْكَ سِرًّا فاحفظيه»، قالت: وما هو؟ قال: «إني أشهدك أن ميراثي هذه عليّ حرام رضى لك»، وكانت عائشة وحفصة متظاهرتين على نساء النبي ﷺ، فانطلقت حفصة إلى عائشة، فقالت لها: أبشري، إن النبي ﷺ قد حرم عليه فاته، فنزلت هذه الآية، رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وقد روي عن عمر نحو هذا المعنى، وقال فيه: فقالت حفصة: كيف تحرمها عليك، وهي جاريته؟ فحلف لها أن لا يقربها، فقال لها: «لا تذكره لأحد»، فذكرته لعائشة، فألى أن لا يدخل على نسائه شهرًا، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup> وقال الضحاك: قال لها: «لا تذكرى لعائشة ما رأيت»، فذكرته، فغضبت عائشة، ولم تزل بنبي الله حتى حلف أن لا يقربها، فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>، وإلى هذا المعنى: ذهب سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، والشعبي، ومسروق، ومقاتل، والأكثر. والثاني: ما روى عروة عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يحب الحُلَّاء والعسل<sup>(٥)</sup>، وكان إذا انصرف من صلاة العصر دخل على نسائه، فدخل على حفصة بنت عمر، احتبس عندها، فسألت عن ذلك، فقيل: أهدت لها امرأة من قومها عُكَّةً من عسل<sup>(٦)</sup>، فسقت رسول الله ﷺ، فقلت: أما والله لنحتالَنَّ له<sup>(٧)</sup>، فقلت لسودة: إنه سيدنو منك إذا دخل عليك، فقول له: يا رسول الله أكلت مغافير، فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل، فقول له:

(١) ويقال لها: سورة التحريم، وسورة «لم تحرم». قال الألويسي: ويقال لها «سورة النبي ﷺ» وعن ابن الزبير: سورة النساء.

(٢) رواه ابن جرير الطبري ١٥٧/٢٨ عن محمد بن سعد صاحب «الطبقات» من رواية عطية العوفي عن ابن عباس، وعطية ضعيف. وأورده السيوطي في «الدرة» ٢٣٩/٦ وزاد نسبه لابن مردويه عن ابن عباس ﷺ.

(٣) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٢٥، قال ابن كثير: وقال الهيثم بن كليب في «مسنده»: ثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي، ثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا جرير بن حازم، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر قال: قال النبي ﷺ لحفصة: «لا تخبري أحداً، وإن أم إبراهيم عليّ حرام» فقالت: أنحرم ما أحل الله لك؟ قال: «فوالله لا أقربها» قال: فلم يقربها حتى أخبرت عائشة، قال: فأنزل الله: ﴿قَدْ رَضَى اللَّهُ لَكَ مَحَلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة، قال: وقد اختاره الحافظ الفياء المقدمي في كتابه «المستخرج».

(٤) رواه الطبري ١٥٦/٧٨ وفي آخره: وأمره أن يكفر عن يمينه ويأتي جاريته، وفي مسنده انقطاع.

(٥) المراد بالحلواء هنا: كل شيء حلوا، وذكر المسلب بعدها تنبيه على شرفه ومزته، وهو من باب ذكر الخاص بعد العام، وفيه جواز أكل للذي الأطلعة والطيحات من الرزق، وأن ذلك لا يتنافى الزهد والمراقبة، لا سيما إذا حصل اتفاقاً.

(٦) قال الجوهري: الشُّكَّة: آنية السمن، أو القرية الصغيرة.

(٧) أي لتطيل له الحيلة، وهي الحلق في تدبير الأمور وتقلب الفكر حتى يهتدي إلى المقصود.



جَرَسَتْ نَحْلَهُ الْعُرْفُطُ<sup>(١)</sup> وسأقول ذلك، وقولي أنت يا صفية ذلك، فلما دار إلى حفصة قالت له: يا رسول الله أسقيك منه؟ قال: لا حاجة لي فيه. قالت: تقول سودة: سبحان الله، والله لقد حَرَمْتَاهُ<sup>(٢)</sup> قلت لها: اسكتي، أخرجه البخاري ومسلم في «الصحيحين»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية ابن أبي مليكة عن ابن عباس: أن النبي شرب عندها العسل سودة، فقالت له عائشة: إني لأجد منك ريحاً، ثم دخل على حفصة، فقالت: إني أجد منك ريحاً، فقال: «إني أراه من شراب شربته عند سودة، والله لا أشربه»، فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>. وفي حديث عبيد بن عمير عن عائشة أن النبي شرب عندها العسل زينب بنت جحش، فتواطأت حفصة وعائشة أن تقولاً له ذلك القول<sup>(٥)</sup>. قال أبو عبيد: المغافير: شيء شبيه بالصمغ فيه حلالة. وخرج الناس يتمغفرون: إذا خرجوا بهجتونه. ويقال: المغافير بالثاء، مثل جدث، وجدف. وقال الزجاج: المغافير: صمغ متغير الرائحة. فخرج في المراد بالذي أحل الله له قولان: أحدهما: أنه جاريته. والثاني: العسل<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تَبَيَّنَ مَرْثَاكَ أَرْثُكَ﴾ أي: تطلب رضاها بتحريم ذلك. ﴿وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ غفر الله لك التحريم ﴿قَدْ رَضِيَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال مقاتل: قد بين الله لكم ﴿عَجَلَةَ آمَنِكُمْ﴾ أي: كفارة إيمانكم، وذلك البيان في [المائدة: ٨٩]. قال المفسرون: وأصل «عَجَلَةٌ» تَحْلِيلَةٌ على وزن تَفْعِيلَةٍ، فادغمت، والمعنى: قد بين الله لكم تحليل إيمانكم بالكفارة، فأمره الله أن يكفر يمينه، فأعتق رقبة<sup>(٧)</sup>. واختلفوا هل حرم مارية على نفسه يمين، أم لا؟ على قولين: أحدهما: حرمها من غير ذكر يمين، فكان التحريم موجباً لكفارة اليمين، قاله ابن عباس<sup>(٨)</sup>. والثاني: أنه حلف يميناً حرمها بها، قاله الحسن. والشعبي، وقادة<sup>(٩)</sup>، ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: وليكم وناصركم.

(١) رعت نحل هذا العسل الذي شربته، يقال: جرت النحل تجرس جرماً: إذا أكلت لتعسل، ويقال للنحل: جوارس، والعرفط: مفعول جرس، وهو شجر ينضج الصمغ المعروف بالمغافير، أي لكونها رغته وأخفت منه حصلت هذه الرائحة.

(٢) حرمتها، هو يتخفيف الراء، أي: متناه منه، يقال فيه: حرمت وأحرمت، والأول أنصح.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ١/ ٢٩٥-٢٩٧ ومسلم ١١٠١/٢ من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) وقال السيوطي في «الدرر» ٦/ ٢٣٩: أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه بسند صحيح عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يشرب من شراب عند سودة من العسل، فدخل على عائشة فقالت: إني أجد منك ريحاً، فدخل على حفصة فقالت: إني أجد منك ريحاً، فقال: أراه من شراب شربته عند سودة، والله لا أشربه، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلِفُوا بِاللَّهِ لَكُمْ بَعْثٌ يَأْتِيكُمْ فَتَحْلِفُونَ﴾ الآية. وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١١/ ٢٩٢: وأخرج ابن مردويه من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس أن شرب العسل كان عند سودة... والراجح أن صاحبة العسل زينب لا سودة، لأن طريق عبيد بن عمير أثبت من طريق ابن أبي مليكة بكثير.

(٥) رواه البخاري ١١/ ١٩٣، ومسلم ١١٠١/٢، قال ابن كثير بعد أن ساق حديث عبيد بن عمير وحديث عروة: وقد يقال: إنهما واقعتان، ولا بُدَّ في ذلك، إلا أن كونهما سبباً لنزول هذه الآية فيه نظر، والله أعلم، قال: وما يدل على أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما هما المتظاهرتان، الحديث الذي رواه أحمد عن ابن عباس، وفيه أنه سأله عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، فقال: هي عائشة وحفصة. والحديث بطوله أخرجه البخاري ٥٠٣/٨ وغيره.

(٦) قال الحافظ في «الفتح» ١١/ ١٩٩: وقد اختلف في الذي حرم على نفسه وعوقب على تحريمه كما اختلف في سبب حله على أن لا يدخل على نساءه على أقوال، فالذي في «الصحيحين» أنه العسل، وقول آخر: إنه في تحريم جاريته مارية، ووقع في رواية يزيد بن رومان عن عائشة عند ابن مردويه ما يجمع القولين، وذكر غيره، ثم قال: والراجح من الأقوال كلها قصة مارية، لاختصاص عائشة وحفصة بها، بخلاف العسل، فإنه اجتمع فيه جماعة منهن، قال: ويحتمل أن تكون الأسباب جميعها اجتمعت فأشير إلى أمها، ويؤيده شمول الحلف للجميع، ولو كان مثلاً في قصة مارية فقط لاختص بحفصة وعائشة.

(٧) ذكر الحافظ السيوطي في «الدرر» ٦/ ٢٤٠ من رواية ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه: فأعتق رسول الله ﷺ رقبة. قال القرطبي: وقد قال جماعة من أهل التفسير: إنه لما نزلت هذه الآية كفر عن يمينه بعتق رقبة وعاد إلى مارية رضي الله عنها، قاله زيد بن أسلم وغيره. وكذلك ذكر الزمخشري والخازن، والشوكاني، والألويسي. وأخرج النسائي ١٠١/٦ من طريق سالم الأفلح عن سعد بن جبير عن ابن عباس أن رجلاً جاءه فقال: إني جعلت امرأتي عليّ حراماً، قال: كنت ما هي عليك بحرام، ثم تلا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلِفُوا بِاللَّهِ لَكُمْ بَعْثٌ يَأْتِيكُمْ فَتَحْلِفُونَ﴾ الآية. قال الحافظ: وكأنه أشار عليه بالرقبة لأنه عرف أنه مؤسر، فأراد أن يكفر بالأغلظ من كفارة اليمين، لا أنه تعين عليه عتق الرقبة. وذكره السيوطي في «الدرر» ٦/ ٢٤١ من رواية ابن المنذر، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٨) رواه ابن جرير ١٥٧/٢٨ من طريق العوفي عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدرر» ٦/ ٢٣٩ من رواية ابن سعد، وابن مردويه عن ابن عباس. قال ابن كثير: ومن هاهنا ذهب من ذهب من الفقهاء معن قال بوجوب الكفارة على من حرم جارية أو زوجة أو طعاماً أو شرباً أو ملبساً أو شيئاً من المباحات، وهو مذهب الإمام أحمد وطائفة، قال: وذهب الشافعي إلى أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية إذا حرم يمينهما أو أطلق التحريم فيهما في قول، فأما إن نوى إطلاق الزوجة أو عتق الأمة فقد فيها.

(٩) قال السيوطي في «الدرر»: أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، عن الشعبي وقادة رضي الله عنهما ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلِفُوا بِاللَّهِ لَكُمْ بَعْثٌ يَأْتِيكُمْ فَتَحْلِفُونَ﴾ قال: حرم جاريته، قال =

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَسْرَ النِّسَاءُ إِلَى بَيْتِ أَزْوَاجِهِمْ حَرَامٌ﴾ يعني: حفصة من غير خلاف علمناه. وفي هذا السر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قال لها: إني ميسر إليك يسراً فاحفظيه، سرتني هذه عليّ حرام، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال عطاء، والشعبي، والضحاك، وقتادة، وزيد بن أسلم، وابنه، والسدي. والثاني: أنه قال لها: «أبوك، وأبو عائشة، وإليها الناس من بعدي، فلياك أن تخبري أحداً»، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثالث: أنه أسر إليها أن أبا بكر خليفة من بعدي، قاله ميمون بن مهران<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّتْ يَدَهُ﴾ أي: أخبرته به عائشة ﴿وَأَلْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: أطلع الله نبيه على قول حفصة لعائشة، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، لأنه استكنم حفصة ذلك، ثم دعاها، فأخبرها ببعض ما قالت، فذلك قوله تعالى: ﴿عَرَفَ بَهْمَهُ وَأَعْرَفَ عَنْ بَيْتِهِ﴾ وفي الذي عرفها إياه قولان: أحدهما: أنه حدثها ما حدثتها عائشة من شأن أبي بكر وعمر، وسكت عما أخبرته عائشة من تحريم مارية، لأنه لم يبال ما أظهرت من ذلك، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن الذي عرف: تحريم مارية، والذي أعرض عنه: ذكر الخلافة لثلاث يتتشر، قاله الضحاك<sup>(٣)</sup>، وهذا اختيار الزجاج. قال: ومعنى «عرف بعضه» عرف حفصة بعضه. وقرأ الكسائي، «عَرَفَ» بالتخفيف. قال الزجاج: على هذه القراءة قد عرف كل ما أسره، غير أن المعنى جارٍ على بعضه، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَكْتُمُهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٩]، أي: يعلمه ويجاز عليه، وكذلك: ﴿فَمَنْ يَسْكُنْ يَشْقَاكَ دُورٌ خَيْرٌ يَسِرُّهُ﴾ [الزلزلة: ٧] أي: يرى جزاءه. فقيل: إن النبي ﷺ طلق حفصة طليقة، فكان ذلك جزاءها عنده، فأمره الله أن يراجعها. وقال مقاتل بن حيان: لم يطلقها، وإنما هم بطلاقها، فقال له جبريل: لا تطلقها، فإنها صوامة قوامة<sup>(٤)</sup>. وقال الحسن: ما استقصى كريم قط، ثم قرأ ﴿عَرَفَ بَهْمَهُ وَأَعْرَفَ عَنْ بَيْتِهِ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وابن السميع «عُرُوف» برفع العين، وتشديد الراء وبألف «بعضه» بالخفض.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّا يَدَهُ﴾ أي: أخبر حفصة بإفشاءها السر ﴿قَالَتْ مَنْ أَبَاكَ هَذَا؟﴾ أي: من أخبرك بأني أنشيت سرّك؟ ﴿قَالَ نَبَاؤُكَ الْخَيْرُ﴾ ثم خاطب عائشة وحفصة، فقال: ﴿إِنْ نَبَاؤُكَ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من التعاون على رسول الله ﷺ بالإيذاء ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ قال ابن عباس: زأغت، وأثمت. قال الزجاج: عدلت، وزأغت عن الحق. قال مجاهد: كنا نرى قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ شيئاً هيناً حتى وجدناه في قراءة ابن مسعود: فقد زأغت قلوبكما. وإنما جعل

= الشعبي: وحلف يميناً على التحريم، فعاتبه الله في التحريم، وجعل له كفارة اليمين، وقال قتادة: حرماً فكانت يميناً.

(١) ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١١/٢٠٠ من رواية ابن مردويه عن الضحاك عن ابن عباس قال: دخلت حفصة على النبي ﷺ بيتهما فوجدت معه مارية فقال: «لا تخبري عائشة حتى أبشرك بيشارة، إن أباك يلي هذا الأمر بعد أبي بكر إذا أنا مت...» قال: وفي سننه ضعف.

(٢) قال السيوطي في «الدرر» ١/٣٤١: أخرج ابن عساکر عن ميمون بن مهران في قوله: ﴿وَإِذَا أَسْرَ النِّسَاءُ إِلَى بَيْتِ أَزْوَاجِهِمْ حَرَامٌ﴾ قال: أسر إليها أن أبا بكر خليفة من بعدي. وهذا الأثران مختلفان للأحداث الصحيحة، فإنها ليس فيها التصريح بإمارة أبي بكر وعمر ﷺ، وإلا لما حصل خلاف في ذلك أبداً، ولكنها تشير إلى أن أحسن الناس بالخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ أبو بكر ﷺ، من ذلك ما رواه مسلم في «صحيحه» عن عائشة ؓ قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «لهي لك أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فلي أعرف أن يضمني ثم يوقول قاتل: أنا أولي، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر». فروى البخاري ومسلم عن جبيرة بن مطعم قال: أتت النبي ﷺ امرأة، فكلمت في شيء، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله أرايت إن جئت ولم أجده؟ كأنها تريد الموت. قال: «فأني أبا بكر». وروى الترمذي بسند جيد عن عمر ؓ قال: أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ. وقال ﷺ في أبي بكر وعمر فيما رواه الترمذي عن حذيفة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لا أدرى ما بقائي فيكم؟ فافتدوا بالثلثين من بعدي لي بكر وعمر» وهو حديث حسن، وروى الترمذي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين» وهو حديث صحيح. وروى الترمذي عن عفة بن عامر قال: قال النبي ﷺ: «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب» وهو حديث حسن. وروى البخاري عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ؓ قال: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نزل أصحاب النبي ﷺ لا تقاضل فيهم.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: أخرج ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: دخلت حفصة على النبي ﷺ بيتهما فوجدت معه مارية، فقال: لا تخبري عائشة، فأخبرتها، فعاتبها ولم يعاتبها على أمر الخلافة، فلعلها قال الله تعالى: ﴿عَرَفَ بَهْمَهُ وَأَعْرَفَ عَنْ بَيْتِهِ﴾. قاله: وأخرج الطبراني في «الأوسط» وفي «عشرة النساء» عن أبي هريرة نحوه بشماه، وفي كل منهما ضعف.

(٤) تقدم الحديث في الصفحة ١٤٥٠ بلفظ: فراجعها فإنها صوامة قوامة هو يدل على أنه طلقها، ويؤيده ما رواه أبو داود ٢/٣٨٢ والنسائي ٦/٢١٣ عن عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ طلق حفصة ثم راجعها. وإسناده صحيح.



[البقرة: ٢٤] ﴿عَلَيْهَا مَلَكُوتُكَ غِلَظًا﴾ على أهل النار ﴿شِدَادًا﴾ عليهم. وقيل: غلاظ القلوب شِدَادُ الأبدان. وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: خَزَنَةُ النَّارِ تَسْعَةُ عَشْرَ، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، وَقُوَّتُهُ: أن يضرب بالمقعدة، فيدفع بذلك الضربة سبعين ألفاً، فيهُوون في قعر جهنم ﴿لَا يَصُونُ اللَّهُ مَا أَمَرَهُمْ﴾ أي: لا يخافون فيما يأمر ﴿وَيَقْتُلُونَ مَا يُمْرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يتجاوزون ما يأمرون. والثاني: يفعلونه في وقته لا يؤخروه ولا يقدمونه. ويقال لأهل النار: ﴿يَكُنَّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَمْ يَدْرُوا الْيَوْمَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةٌ خُشُوعًا﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم، وخارجة عن نافع «نُصُوحًا» بضم النون. والباقون بفتحها. قال الزجاج: فمن فتح فعلى صفة التوبة، ومعناه: توبة بالغة في النصح، و«فَعُول» من أسماء الفاعلين التي تستعمل للمبالغة في الوصف. تقول: رجل صبور، وشكور. ومن قرأ بالضم، فمعناه: ينصحون فيها نصوحاً، يقال: نصحت له نصحاً، ونصاحاً، ونصوحاً. وقال غيره: من ضم أراد: توبة نُصِحَ لأنفسكم. وقال عمر بن الخطاب: التوبة النصوح: أن يتوب العبد من الذنب وهو يحدث نفسه أنه لا يعود. وسئل الحسن البصري عن التوبة النصوح، فقال: ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وترك بالجوارح، وإضمار أن لا يعود. وقال ابن مسعود: التوبة النصوح تكفر كل سيئة، ثم قرأ هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَخْزَى اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ قد بينا معنى «الخزي» في [آل عمران: ١٩٢] وبيننا معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةٌ خُشُوعًا﴾ في [الحديد: ١٦] ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا ثَوْبًا﴾ وذلك إذا رأى المؤمنون نور المنافقين يُطْفَأُ سألوا الله تعالى أن يتم لهم [نورهم]، ويبلغهم به الجنة. قال ابن عباس: ليس أحد من المسلمين إلا يعطى نوراً يوم القيامة. فاما المنافق يُطْفَأُ نوره، والمؤمن مُشْفِقٌ مما رأى من إطفاء نور المنافق، فهم يقولون: ﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا ثَوْبًا﴾.

﴿يَكُنَّهَا النَّبِيُّ جِهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَآغْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَعِيرُ﴾ ① ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتُ نُوحٍ وَأَمْرَاتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَهُمَا فَلَمْ يُنَبِّئْهُمَا مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِطِينَ﴾ ② ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْرَاتُ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَسَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ③ ﴿وَمَرْمَ ابْنَتُ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنَ الْفَائِزِينَ﴾ ④

قوله تعالى: ﴿جِهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ قد شرحناه في [براءة: ٧٣].

قوله تعالى: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتُ نُوحٍ﴾ قال المفسرون منهم مقاتل: هذا المثل يتضمن تخويف عائشة وحفصة أنهما إن عصيا ربهما لم يُغْنِ رسول الله ﷺ عنهما شيئاً. قال مقاتل: اسم امرأة نوح «والهة» وامرأة لوط «والغة».

قوله تعالى: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ يعني: نوحاً ولوطاً ﷺ ﴿فَخَانَتَهُمَا﴾ قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، وإنما كانت خيانتهم في الدين، كانت امرأة نوح تخبر الناس أنه مجنون، وكانت امرأة لوط تدل على الأضياف، فإذا نزل بلوط ضيف بالليل أو قُدت النار، وإذا نزل بالنهار دخت ليعلم قومه أنه قد نزل به ضيف. وقال السدي: كانت خيانتهم: كفرهما. وقال الضحاك: نيمتهما. وقال ابن السائب: نفاقهما.

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يُنَبِّئْهُمَا مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: فلم يدفعا عنهما من عذاب الله شيئاً. وهذه الآية تقطع طمع من ركب المعصية ورجا أن ينفعه صلاح غيره. ثم أخبر أن معصية الغير لا تضر المطيع بقوله تعالى: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْرَاتُ فِرْعَوْنَ﴾ وهي آسية بنت مزاحم ؑ. وقال يحيى بن سلام: ضرب الله المثل الأول يحذر به عائشة وحفصة ؓ. ثم ضرب لهما هذا المثل يرغبهما في التمسك بالطاعة. وكانت آسية قد آمنت بموسى. قال أبو هريرة:

«مسلم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته».

ضرب فرعون لامرأته أوتاداً في يديها ورجليها، وكانوا إذا تفرقوا عنها أظلتها الملائكة، فقالت: ﴿رَبِّ أَيْنَ لِي بِعَذَابِكَ يَبْنَؤُا فِي الْجَنَّةِ﴾ فكشف الله لها عن بيتها في الجنة حتى رآته قبل موتها<sup>(١)</sup> ﴿رَبِّنِي مِنَ الْفَرَجِ وَالْغَلِيلِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن عمله: جماعه. والثاني: أنه دينه<sup>(٢)</sup> روي عن ابن عباس، ﴿رَبِّنِي مِنَ الْفَرَجِ وَالْغَلِيلِ﴾ يعني: أهل دين المشركين. قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَحْمَقَنَتْ فَرْجَهَا﴾ قد ذكرنا فيه قولين في سورة (الأنبياء: ٩٢) فمن قال: هو فرج ثوبها، قال «الهاء» في قوله تعالى: ﴿فَتَفَحَّشْنَا فُيُوءَ﴾ يرجع إليه، وذلك أن جبريل مَدَّ جيب درعها، فدخل فيه. ومن قال: هو مخرج الولد، قال: «الهاء» كناية عن غير مذكور، لأنه إنما نفخ في درعها لا في فرجها<sup>(٣)</sup>. قوله تعالى: ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنها قول جبريل ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ (مریم: ١٩). والثاني: أن الكلمات هي التي تضمنتها كتب الله المنزل. وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز، وعاصم الجحدري «بكلمة ربها» على التوحيد. «وَكُتِبَ»، قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «وكتابه» على التوحيد، وقرأ أبو عمرو، وحفص عن عاصم، وخارجة عن نافع «وَكُتِبَ» جماعة، وهي التي أنزلت على الأنبياء، ومن قرأ «وكتابه» فهو اسم جنس على ما بينا في خاتمة [البقرة: ٢٨٥] وقد بينا فيها القنوت مشروحاً [البقرة: ١١٦]. ومعنى الآية: وكانت من القانتين، ولذلك لم يقل: من القانتات<sup>(٤)</sup>.



- (١) قال السيوطي في «الدرر» ٢٤٥/٦: أخرج أبو يعلى والبيهقي بسند صحيح عن أبي هريرة أن فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها، فكانوا إذا تفرقوا عنها أظلتها الملائكة ﷺ، فقالت: ﴿رَبِّ أَيْنَ لِي بِعَذَابِكَ يَبْنَؤُا فِي الْجَنَّةِ﴾ فكشف لها عن بيتها في الجنة.
- (٢) أي: شرکه وكفره، وهذا القول أولى، والمعنى: نجني من نفس فرعون الخيئة وخصوصاً من عمله وهو الكفر وعبادة غير الله والتعذيب بغير جرم وغير ذلك من قبائحه.
- (٣) قال ابن كثير: ﴿فَتَفَحَّشْنَا فُيُوءَ﴾ أي: بواسطة الملك وهو جبريل، فإن الله بعث إليها فتعلم لها في صورة بشر سوي، وأمره الله أن ينفخ فيه في جيب درعها، فنزلت النخلة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعبسى ﷺ.
- (٤) روى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «أكمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، ولفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

## سورة الملك

وهي مكية ياجماعهم

قال ابن مسعود: هي المانعة من عذاب القبر<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدِيرُ الْمُلْكَ. وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ يَسْأَلُكُمْ أَنتُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عِلًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْقُدُّوسُ ۝ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَنذِرْ فَأَنذِرِ الْبَصِيرَ ۝ هَلْ تَرَى مِن تَطْوِيرٍ ۝ ثُمَّ أَنِيعَ الْبَصَرُ كَذَّبَتْ بِفُلَيْتٍ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَائِبًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝ وَلَقَدْ رَزَقْنَاهُ الذُّنْبَ الْبَعِيجَ ۝ وَسَخَّرْنَا لِرُحْمَآئِهِ الشَّيَاطِينَ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝ وَلَمَّا دَرَسُوا عَلَى السَّعِيرِ ۝ أَنذَرْنَا لَهُمْ آتٍ فَذُكِّرُوا فِيهَا لَمَّا جَاءُوا ۝ إِذَا أَفْقَرُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْقَيْظِ ۝ كُلَّمَا أَلْقَيْنَا فِيهَا قُوحًا تَلَّحْمَهَا حَزْنًا أَلَدَ بَاطِكًا نَذِيرٌ ۝ قَالُوا لَئِنْ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَشَرْنَا إِلَّا فِي سُلْكِ كِبِيرٍ ۝ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ۝ فَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۝ لَأَصْحَابُ السَّعِيرِ ۝﴾.

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ﴾ قد شرحناه في [الأعراف: ٥٤].

قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَدِيرُ الْمُلْكَ﴾ قال ابن عباس: يعني: السلطان يُعِيرُ وَيُدِيرُ.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ قال الحسن: خلق الموت المزيل للحياة، والحياة التي هي ضد الموت ﴿يَسْأَلُكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عِلًّا﴾ قد شرحناه في [مرد: ٧] قال الزجاج: والمعلق بـ ﴿أَيُّكُمْ﴾ مضمرة تقديره: ليلوكم، فيعلم أيكم أحسن عملاً، وهذا علم وقوع. وارتفعت «أي» بالابتداء، ولا يعمل فيها ما قبلها، لأنها على أصل الاستفهام، ومثله ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحْسَنُ﴾ [الكهف: ١٢]. والمعنى: خلق الحياة ليختبركم فيها، وخلق الموت ليعتكمكم ويجازيكم. وقال غيره: اللام في «ليلوكم» متعلق بخلق الحياة دون خلق الموت، لأن الابتلاء بالحياة، ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أي: خلقهن مطابقات، أي: بعضها فوق بعض ﴿هَلْ تَرَى﴾ يا ابن آدم ﴿فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾ قرأ حمزة والكسائي: «من تفوت» بتشديد الواو من غير ألف. وقرأ الباقون بألف. قال الفراء: وهما بمنزلة واحدة، كما تقول: تعاهدت الشيء، وتعهذته. والتفاوت: الاختلاف. وقال ابن قتيبة: التفاوت: الاضطراب والاختلاف، وأصله من الفتوت، وهو أن يفوت شيء شيئاً، فيقع الخلل، ولكنه متصل ببعضه ببعض.

قوله تعالى: ﴿فَأَنذِرْ فَأَنذِرِ الْبَصِيرَ﴾ أي: كرر البصر ﴿هَلْ تَرَى مِن تَطْوِيرٍ﴾ وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي «هل ترى» بإدغام اللام في التاء، أي: هل ترى فيها فروجاً وصدوعاً.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنِيعَ الْبَصَرُ كَذَّبَتْ بِفُلَيْتٍ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَائِبًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: مبعداً من قولك: خَسَأْتُ الْكَلْبَ: إذا बादته ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي: كليل منقطع عن أن يلحق ما نظر إليه. وقال الزجاج: قد أعيا من قبل أن يرى في السماء خللاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَزَقْنَاهُ الذُّنْبَ الْبَعِيجَ﴾ وقد شرحناه في [عم السجدة: ١٢] ﴿وَسَخَّرْنَا لِرُحْمَآئِهِ الشَّيَاطِينَ﴾ أي: يرحم بها مستغرق السمع. وقد سبق بيان هذا المعنى [الحجر: ١٨] ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ وهذا وما بعده قد سبق بيانه إلى قوله تعالى: ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ أي: صوتاً مثل صوت الحمار. وقد بينا معنى الشهيق في [مرد: ١٠٦].

(١) ذكره السيوطي في «الدرر» ٢٤٦/٦ من رواية ابن مردويه عن ابن مسعود موقوفاً عليه، وقد ورد هذا المعنى عن ابن عباس مرفوعاً، وهو ضعيف.

(٢) روى أحمد في «المسند»، وأصحاب «السنن» الأربعة بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن سورة في القرآن ثلاثون آية شملت لأصحابها حتى غفر له، وهي ﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدِيرُ الْمُلْكَ﴾».

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ أَيْ: تغلي بهم كفلي الميزجل ﴿كَذَّادٌ تَمْيِرُ﴾ أَيْ: تفتطع من تعيظها عليهم ﴿كَلَّمَآ أَنَّىٰ فَيَا فَوْجَ﴾ أَيْ: جماعة منهم ﴿سَلَّمَ حَزَنَتَهَا أَلَّا يَأْكُرَ نَذِيرَ﴾ ١٩ وهذا سؤال توبيخ.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أَيْ: في ذهاب عن الحق بعيد. قال الزجاج: ثم اعترفوا بجهلهم فقلوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ أَيْ: سماع من يعي ويفكر ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ عقل من يُميز وينظر ﴿مَا كُنَّا﴾ من أهل النار ﴿فَسَحَقًا﴾ أَيْ: بُغْدًا. هو منصوب على المصدر، المعنى: أسحقهم الله سحقاً، أَيْ: باعدهم الله من رحمته مباعداً، والسحق: البعيد. وكذلك روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿فَسَحَقًا﴾ أَيْ: بُغْدًا. وقال سعيد بن جبير، وأبو صالح: السحق: واد في جهنم يقال له: سحق.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ٢٠ ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ٢١ ﴿أَلَا يَتْلُمَنَّ مَا خَلَقَ وَمَوْءَاظِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ﴾ ٢٢ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ ٢٣.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ قد شرحناه في سورة [الأنبياء: ١٩] ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وهو: الجنة. ثم عاد إلى خطاب الكفار، فقال تعالى: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ قال ابن عباس: نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ، فيخبره جبرائيل بما قالوا، فيقول بعضهم: أسروا قولكم حتى لا يسمع إله محمد.

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَتْلُمَنَّ مَا خَلَقَ﴾ ١٩ أَيْ: ألا يعلم ما في الصدور خالقها؟ ١٩ و [اللطيف] مشروح في [الأنعام: ١٠٣] و [الخبر] في [البقرة: ٢٢٤].

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ أَيْ: مذللة سهلة لم يجعلها ممتعة بالعزوة والغلظ. قوله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: طرقاتها، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: جبالها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، واختاره الزجاج، قال: لأن المعنى: سهل لكم السلوك فيها، فإذا أمكنكم السلوك في جبالها، فهو أبلغ في التذليل. والثالث: في جوانبها، قاله مقاتل، والقراء، وأبو عبيدة، واختاره ابن قتيبة<sup>(١)</sup>، قال: ومنكبا الرجل: جانباه.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ أَيْ: إليه تبعثون من قبوركم. ﴿مَأْنِسْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ إِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ٢٤ ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَلْمِزُونَهُ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾ ٢٥ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ٢٦ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ قَوْعَهُمْ صَوْتٌ وَقَبْضٌ مَا يُحْسِبُونَ إِلَّا الرِّيحَ إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّبْعِدُونَ﴾ ٢٧.

ثم خوف الكفار فقال: ﴿مَأْنِسْتُمْ﴾ قرأ ابن كثير: «واليه النشور وأنتم» وقرأ نافع، وأبو عمرو: «النشور أنتم» بهزة مدودة. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «أأنتم» بهزتين ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ قال ابن عباس: أنتم عذاب مَنْ في السماء، وهو الله عز وجل ١٩ و «تمور» بمعنى: تدور. قال مقاتل: والمعنى: تدور بكم إلى الأرض السفلى.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ وهي: الحجارة، كما أرسل على قوم لوط، ﴿فَسَتَلْمِزُونَهُ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾ أَيْ: كيف كانت عاقبة إنذاري لكم في الدنيا إذا نزل بكم العذاب، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كفار الأمم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أَيْ: إنكاري عليهم بالعذاب. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ قَوْعَهُمْ صَوْتٌ﴾ أَيْ: تصف أجنتها في الهواء، وتقض أجنتها بعد البسط، وهذا معنى الطيران، وهو بسط الجناح وقبضه بعد البسط ﴿مَا يُحْسِبُونَ﴾ أن يقعن: ﴿إِلَّا الرِّيحَ﴾. ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ يَصْرِفُ بَيْنَ دُونِ الرِّيحِ إِنَّ الرِّيحَ لَآتِيَةٌ فِي عُرْوٍ﴾ ٢٨ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْمِيكَ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَنْزِلَ﴾ ٢٩ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ فِي عُرْوٍ وَتَقْوِي﴾ ٣٠ ﴿أَمَّنْ يَبْنِي مِثْلًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَبْنِي سَوَاءً عَلَىٰ مِرْطٍ مُّشْتَقِمْ﴾ ٣١ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ فِي عُرْوٍ وَتَقْوِي﴾ ٣٢.

(١) وهو اختيار ابن جرير الطبري أيضاً.

وَالْأَنسَرُ وَالْأَنْدَاقُ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعِذُّ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَتْ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ﴾ هذا استفهام إنكار. ولفظ «الجند» مؤنث، فلذلك قال تعالى: «هذا الذي هو» والمعنى: لا جند لكم «يَصْرُفُكُمْ» أي: يمنعكم من عذاب الله إن أَرَادَهُ بكم «إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ» وذلك أن الشيطان يغرهم، فيقول: إن العذاب لا ينزل بكم «إِنَّمَا هَذَا الَّذِي يَرْتَدُّكُمْ» المطر وغيره «إِن أَنَسَكُ» الله ذلك عنكم «لَجَأٌ فِي غُرٍّ» أي: تماذ في كفر «وَتَقُولُ» عن الإيمان. ثم ضرب مثلاً، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَّبِعُ مُبِينًا عَلَى وَجْهِهِ» قال ابن قتيبة: أي: لا يبصر يميناً، ولا شمالاً، ولا من بين يديه. يقال: أَكْبُ فُلَانٌ عَلَى وَجْهِهِ بِالْأَلْفِ، وَكَبَّهُ اللهُ لَوَجْهِهِ، وَأَرَادَ: الأعمى. قال المفسرون: هذا مثل للمؤمن، والكافر. و«السوي»: المعتدل، أي: الذي يبصر الطريق. وقال قتادة: هذا في الآخرة يحشر الله الكافر مُبِينًا على وجهه، والمؤمن يمشي سرياً.

قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم لا يشكرون، قاله مقاتل. والثاني: يشكرون قليلاً، قاله أبو عبيد.

قوله تعالى: ﴿ذَرَأَكُمْ﴾ أي: خلقكم «وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ» يعنون بالوعد: العذاب «فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً» أي: رأوا العذاب قريباً منهم «سَيَّتَتْ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا» قال الزجاج: أي: تبين فيها السوء. وقال غيره: قُبِضَتْ بالسواد «وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدْعُونَ» فيه قولان: أحدهما: أن «تَدْعُونَ» بالتشديد، بمعنى تدعون بالتخفيف، وهو «تفتعلون» من الدعاء. يقال: دعوت، وأدعيت، كما يقال: حَبِزْتُ وَاحْتَبِزْتُ، ومثله: يَذْكُرُونَ، وَيَذْكُرُونَ، هذا قول الفراء، وابن قتيبة. والثاني: أن المعنى: هذا الذي كنتم من أجله تَدْعُونَ الأباطيل والأكاذيب، تَدْعُونَ أنكم إذا مُتُّمْ لَا تُبْعَثُونَ! وهذا اختيار الزجاج. وقرأ أبو رزين، والحسن، وعكرمة، وقاتدة، والضحاك، وابن أبي عبله، ويعقوب: «تَدْعُونَ» بتخفيف الدال، وسكونها، بمعنى تَفْعَلُونَ من الدعاء. وقال قتادة: كانوا يَدْعُونَ بالعذاب.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ إِلَهِ﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ مَنَّامًا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَتَسْتَعْلِفُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ﴾ بعذابه «وَمَنْ مَعِيَ» من المؤمنين. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «معي» بفتح الياء. وقرأ أبو بكر عن عاصم، والكسائي: «معي» بالإسكان، «أَوْ رَحِمَنَا» فلم يعذبنا «فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ» أي يمنعهم ويؤمّنهم «مِنْ عَذَابِ إِلَهِ» ومعنى الآية: إنا مع إيماننا، بين الخوف والرجاء: فمن يجيركم مع كفركم من العذاب! أي: لأنه لا رجاء لكم كرجاء المؤمنين، «قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ» الذي نَعْبُدُ «فَتَسْتَعْلِفُونَ» وقرأ الكسائي: «فسيعلمون» بالياء عند معاية العذاب من الضالّ نحن أم أنتم.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ قد بيناه في [الكهف: ٤١] «فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ»! أي: بماؤ ظاهر تراه العيون، وتنااله الأرضية.





## سورة القلم

وهي مكية كلها بإجماعهم

إلا ما حكى عن ابن عباس وقتادة أن فيها من المدني قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا يَمْلِكُونَ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الْعَظِيمِ

﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِنَعْمِ رَبِّكَ يَمْجُوتِ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَمَلَكٌ خُلِّيَ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَبِشِيرَتِكَ الْغَفُورِ ﴿٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ مَنَعَهُ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْهَكِينَ ﴿٦﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿ت﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وحفص: ﴿نُ﴾ والقلم: النون في آخر الهجاء من نون ظاهرة عند الواو، وهذا اختيار الفراء. وروى أبو بكر عن عاصم أنه كان لا يبين النون من (نون). وبها قرأ الكسائي، وخلف، ويعقوب، وهو اختيار الزجاج. وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وقتادة، والأعمش: «نون» والقلم: بكسر النون. وقرأ الحسن، وأبو عمران، وأبو نهيك: ﴿نُ﴾ والقلم: برفع النون. وفي معنى نون سبعة أقوال: أحدها: أنها الدواة. روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أول ما خلق الله القلم، ثم خلق النون، وهي الدواة»<sup>(١)</sup> وهذا قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير، وبه قال الحسن وقتادة. والثاني: أنه آخر حروف الرحمن، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: أنه الحوت الذي على ظهر الأرض، وهذا المعنى في رواية أبي طيخان عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وهو مذهب مجاهد، والسدي، وابن السائب، ومقاتل. والرابع: أنه لُوح من نور، قاله معاوية بن قرة. والخامس: أنه افتتاح اسمه «نصير»، و «ناصر»، قاله عطاء. والسادس: أنه قَسَمٌ يُضَرُّهُ الله للمؤمنين، قاله القرطبي. والسابع: أنه نهر في الجنة، قاله جعفر الصادق<sup>(٣)</sup>. وفي «القلم» قولان: أحدهما: أنه الذي كتب به في اللوح المحفوظ. والثاني: أنه الذي يكتب به الناس<sup>(٤)</sup>. وإنما أقسم به، لأن كتبه إنما تكتب، و «يَسْطُرُونَ» بمعنى: يكتبون. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الملائكة. وفيما أرادوا بما يكتبونه قولان: أحدهما: أنه الذكر، قاله مجاهد، والسدي. والثاني: أعمال بني آدم، قاله مقاتل. والقول الثاني: أنهم جميع الكتبة، حكاه الثعلبي. ﴿مَا أَنتَ بِنَعْمِ رَبِّكَ يَمْجُوتِ ﴿٥﴾﴾ أي: ما أنت بإنعام ربك عليك بالإيمان والثبوة بمجنون. قال الزجاج: هذا جواب قولهم: إنك لمجنون. وتأويله: فارقك الجنون بتعمة الله.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ بصبرك على افترائهم عليك، ونسبتهم إيتاك إلى الجنون ﴿لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع ولا منبوص، ﴿وَإِنَّكَ لَمَلَكٌ خُلِّيَ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: دين الإسلام، قاله ابن عباس. والثاني:

(١) رواه ابن عساکر ١/٢٤٧/١٧ عن الحسن بن يحيى الخشني عن أبي عبد الله مولى بني أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه، وتماه: فلم قال له: أكتب، قال: وما أكتب؟ قال: أكتب ما يكون - أو ما هو كائن من عمل أو رزق أو أجل، فكتب ذلك إلى يوم القيامة، فلذلك قوله: ﴿ت وَالْقَلَمِ رَبَّكَ يَمْجُوتِ ﴿٥﴾﴾ ثم ختم على القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل وقال: وهزني لأكملتك فيمن أحببت، ولأقتضتكم ممن أبغضت. والحسن بن يحيى صدوق كثير الغلط كما قال الحافظ في «التقريب»، والحديث رواه أحمد في «المسند» ٣١٧/٥ من طرق عن الوليد بن عباد عن أبيه جابر بن الصامت رضي الله عنه، وليس فيه ذكر النون في أوله، ولا ذكر العقل في آخره، ورواه الترمذي ١٦٢/٢ بنحو رواية أحمد وقال: حديث حسن صحيح غريب، ورواه أيضاً أبو داود في «سننه» رقم (٤٧٠٠)، والطبري ١٧/٢٩ وهو حديث صحيح بهذا القدر.

(٢) رواه الطبري ١٤/٢٩، وأبو طيخان قايوس، فيه لين كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب».

(٣) والصواب أن (نون) من الحروف الهجائية التي ذكرت في أوائل السور بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته، وقد تقدم ذلك.

(٤) قال ابن كثير: والظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به، فقله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ﴾ ﴿لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ ﴿وَإِنَّكَ لَمَلَكٌ خُلِّيَ عَظِيمٍ﴾ ﴿لَوْ كَانُوا يَمْلِكُونَ﴾ فهو قسم منه تعالى وتبنيه لخلقته على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم، ولهذا قال: ﴿رَبَّكَ يَمْجُوتِ﴾.

أدب القرآن، قاله الحسن. والثالث: الطبع الكريم. وحقيقة «الخُلُق»: ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب، فسمي خُلُقاً، لأنه يصير كالخُلقة في صاحبه. فأما ما طبع عليه فيسمى: «الخِيم» فيكون الخِيم: الطبع الغريزي، والخُلُق: الطبع المُتَكَلَّف. هذا قول الماوردي. وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلُقِ رسول الله ﷺ، فقالت: كان خُلُقُه القرآن<sup>(١)</sup>. تعني: كان على ما أمره الله به في القرآن.

قوله تعالى: ﴿مَسْبُورٌ وَيَبْرُؤُنَّ﴾ يعني: أهل مكة. وهذا وعيد لهم بالعذاب. والمعنى: سترى ويرون إذا نزل بهم العذاب بِبَرْءٍ. «بِأَيْكُمُ الْفِتْنَةُ» وفيه أربعة أقوال: أحدها: الضال، قاله الحسن. والثاني: الشيطان، قاله مجاهد. والثالث: المجنون، قاله الضحاك. والمعنى: الذي قد فتن بالجنون. والرابع: المَعْدَب، حكاه الماوردي. وفي الباء قولان: أحدهما: أنها زائدة، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. وأنشدوا:

لَنَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَصْحَابِ الْفَلَجِ  
نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالنَّعْرِجِ<sup>(٢)</sup>

والثاني: أنها أصلية، وهذا قول الفراء، والزجاج. قال الزجاج: ليس كونها لغواً بجائز في العربية في قول أحد من أهلها. وفي الكلام قولان للنحويين: أحدهما: أن «المفتون» هاتنا: الفتون. والمصادر تجيء على المفعول. تقول العرب: ليس هذا معقود رأي، أي: عقد رأي، وتقول: دعه إلى ميسوره، أي: يسره. والمعنى: بأيكم الجنون. والثاني: بأيكم المفتون بالفرقة التي أنت فيها، أم بفرقة الكفار؟ فيكون المعنى: في أي الفرقتين المجنون. وقد ذكر الفراء نحو ما شرحه الزجاج. وقد قرأ أبي بن كعب، وأبو عمران، وابن أبي عبيدة: «في أي المفتون». ثم أخبر أنه عالم بالفرقتين بما بعد هذا.

﴿لَا تُلَاحِظْ الشَّاكِرِينَ﴾ وُدُّوْا تَوَدُّهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿١﴾ وَلَا تُلَاحِظْ كُلَّ حُلَايٍ مِّمَّيْنِ ﴿٢﴾ هَآؤُلَاسُكُمْ يَبْسِيوْنَ ﴿٣﴾ مَتَاعٌ لِّخَيْرٍ مُّتَمَدِّوْا أَيْمِرَ عُمَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيْمٌ ﴿٤﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِيْنٌ ﴿٥﴾ إِذَا تَنَلَّكَ عَلَيْكَ مَا نَشَاءُ قَالَ اسْتَطِرْ الْأَوَّلِيْنَ ﴿٦﴾ سَكَنُ عَلَى الْخُرُوبِ ﴿٧﴾.

قوله تعالى: ﴿لَا تُلَاحِظْ الشَّاكِرِينَ﴾ وذلك أن رؤساء أهل مكة دَعَوْهُ إلى دين آبائه، فنهاه الله أن يطيعهم ﴿وُدُّوْا تَوَدُّهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: لو ترخص فیرخصون، قاله ابن عباس. والثاني: لو تُضَايِعُهُمْ في دينك فَيُضَايِعُونَ في دينهم، قاله الحسن. والثالث: لو تكفر فيكفرون، قاله عطية، والضحاك، ومقاتل. والرابع: لو تَلَيَّنُوا فليتلون لك، قاله ابن السائب. والخامس: لو تنافق وترائي فيناقفون ويرأفون، قاله زيد بن أسلم. والسادس: وُدُّوْا لو تداهن في دينك فيداهنون في أديانهم. وكانوا أرادوه على أن يعبد آلهم مَدَّةً، ويعبدوا الله مدة، قاله ابن قتيبة. وقال أبو عبيدة: هو من المداينة. والسابع: لو تقاربهم فيقاربونك، قاله ابن كيسان<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلَاحِظْ كُلَّ حُلَايٍ﴾ وهو كثير الحلف بالباطل «مِهْيَ» وهو الحقير الدنيء. وروى العوفي عن ابن عباس قال: المِهْيَن: الكذاب. واختلفوا فيمن نزل هذا على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الوليد بن المغيرة، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: الأخنس بن شريق، قاله عطاء، والسدي. والثالث: الأسود بن عبد يغوث، قاله مجاهد<sup>(٤)</sup>.

(١) هو قطعة من حديث طويل رواه الإمام أحمد في «مسند» ٥١/٦، ٥٢، ورواه مسلم ٥١٢/١ بنحو حديث أحمد. ورواه الحاكم في «المستدرک» ٢/ ٤٩٩ مختصراً، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ورواه الذهبي، وأوردته السيوطي في «الدر» ٢٥٠/٦ مختصراً، وزاد نسبه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها. قال ابن كثير: ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجيته له وخُلُقاً طبعه وترك طبعه الجبلي، فهما أحره القرآن فعله، وهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جيله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء، والكرم، والشجاعة، والصفح، والحلم، وكل خلق جميل.

(٢) هو لراجز من بني جعدة، كما في «مجاز القرآن» ٥/٢، و«الخرائفة» ١٦٠/٤، و«الانقصاب» ٤٥٨، وشواهد «المغني» ١٦٤، و«الطبري» ١٤/١٨ و ٢٩/ ٢٠، و«القرطبي» ٣٥/١٢. والفعل يتحرك اللام: موضع لبني جعدة بن قيس بنجد، وهو في أعلى بلاد قيس، والبيت شاهد على زيادة الباء في قوله «بالفرج»، أي: ونرجو الفرج، وهي زائدة في المفعول به سماعاً، ويروى البيت: نضرب بالبيض وتدعو بالفرج. وكلا الروايتين بمعنى واحد.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: وُدُّوْا هؤلاء المشركين يا محمد لو تليين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركوع إلى آلهم فيلبنون لك في عبادتك إلهك، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَوْ أَنَّ بَنِيكَ لَقَدْ كَرِهْتَ تَرَكَهُمْ إِيَّاهُ تَبَيَّنَ قِيْلًا﴾ إذا لَدَقْتَنكَ يَمَنَكَ الْكَبِيرَ رَضِمْتَ الْكَبَابَ قال: وإنما هو مأخوذ من الدُّهْن، شبه التليين في القول بتليين الدُّهْن.

(٤) روى البخاري في «صحيحه» ٥٠٧/٨ عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿عُمَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيْمٌ﴾ قال: رجل من قريش له زُمنة مثل زُمنة الشاذل. قال الحافظ =

قوله تعالى: ﴿مَكَارٍ﴾ قال ابن عباس: هو المختاب. وقال ابن قتيبة: هو المَيَّاب.

قوله تعالى: ﴿تَشَامَّ يَمِينٍ﴾ أي: يمشي بين الناس بالنميمة، وهو نقل الكلام السيئ من بعضهم إلى بعض ليفسد بينهم<sup>(١)</sup> ﴿مَنَاجٍ لِلنَّحْرِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه منع ولده وعشيرته الإسلام، قاله ابن عباس. والثاني: مَنَاجٍ للحقوق في ماله، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿مُتَعَدٍّ﴾ أي: ظلوم ﴿أَيُّرٍ﴾ فاجر ﴿عُثْلٍ مَّذَّ ذَلِكُ﴾ أي: مع ما وصفناه به<sup>(٢)</sup>. وفي «العُثْلُ» سبعة أقوال: أحدها: أنه العاني الشديد المناق، قاله ابن عباس. والثاني: أنه المتوفر الجسم، قاله الحسن. والثالث: الشديد الأثَرُ. قاله مجاهد. والرابع: القوي في كفره، قاله عكرمة. والخامس: الأكل الشروب القوي الشديد، قاله عبيد بن عمير. والسادس: الشديد الخصومة بالباطل، قاله الفراء. والسابع: أنه الغليظ الجافي، قاله ابن قتيبة. وفي «الزَّيْمُ» أربعة أقوال: أحدها: أنه الدَّعْيُ في قريش وليس منهم، رواه عطاء عن ابن عباس، وهذا معروف في اللغة أن الزَّيْمُ هو الملتصق في القوم وليس منهم، وبه قال الفراء. وأبو عبيدة، وابن قتيبة. قال حسان:

وَأَنْتَ زَيْمٌ نَيْطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ

كَمَا نَيْطٌ خَلْفَ الرَّائِبِ الْقَدْحِ الْقَرْدِ<sup>(٣)</sup>

والثاني: أنه الذي يعرف بالشُّرِّ، كما تعرف الشاة بِزَنَمَتِهَا<sup>(٤)</sup>، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثالث: أنه الذي له زَنَمَةٌ مثل زَنَمَةِ الشاة. وقال ابن عباس: نُعت قلم يعرف حتى قيل: زَيم، فعرف، وكانت له زَنَمَةٌ في عنقه يعرف بها. ولا نعلم أن الله تعالى بلغ من ذكر عيوب أحد ما بلغه من ذكر عيوب الوليد، لأنه وصفه بالحلف، والمهانة، والعيب للناس، والمشي بالنميمة، والبخل، والظلم، والإثم، والجفاء، والدَّعْوَةُ، فألحق به عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة. والزَّيْنَتَانِ: المعلقتان عند حلق المعزى. وقال ابن فارس: يعني التي تتعلق من أذنها. والرابع: أنه الظلوم، رواه الواثقي عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ ﴿١﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وحفص عن عاصم: «أن كان» على الخبر، أي: لأن كان. والمعنى: لا تطعه لماله وبنيه. وقرأ ابن عباس بهزتين، الأولى: مخففة. والثانية: ملينة، وفصل بينهما بألف أبو جعفر. وقرأ حمزة: «أَنَّ كان» بهزتين مخففتين على الاستفهام، وله وجهان: أحدهما: لأن كان ذا مال تطيعه؟ والثاني: لأن كان ذا مال وبنين؟ ﴿إِذَا تَلَّكُ لَئِنَّكَ أَيْكُنَّا﴾ يكفر بها؟ فيقول: ﴿أَسْطِيزُ الْأَرَبِينَ﴾ ذكر القولين الفراء. وقرأ ابن مسعود: «أن كان» بهزعة واحدة مقصورة. ثم أوعده فقال تعالى: ﴿سَيَسْأَلُكَ اللَّهُ لِقَائِهِ﴾ ﴿٢﴾ الخطوم: الأنف. وفي هذه السمة ثلاثة أقوال: أحدها: سنمه بالسيف، فنجعل ذلك علامة على أنه ما عاش، فقاتل يوم بدر فخطم بالسيف، قاله ابن عباس. والثاني: سنلحق به شيئاً لا يفارقه، قاله قتادة، واختاره ابن قتيبة. والثالث: أن المعنى: سنسود وجهه. قال الفراء: و «الخطوم» وإن كان قد خص بالسمة، فإنه في مذهب الوجه، لأن بعض الوجه يؤدي عن البعض. وقال الزجاج: سنجعل له في الآخرة العلم الذي يعرف به أهل النار من أسوداد وجوههم. وجائز - والله أعلم - أن يفرد بسمة لمبالغته في عداوته لرسول الله ﷺ يتبين بها عن غيره.

ابن حجر في «الفتح»: اختلف في الذي نزلت فيه، قيل: هو الوليد بن المغيرة. وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره»، وقيل: الأسود بن عبد يغوث، ذكره سديد بن داود في «تفسيره»، وقيل: الأخنس بن شريق، وذكره السهيلي عن القتيبي. وحكى مذهب القولين الطبري، فقال: يقال: هو الأخنس؛ وزعم قوم أنه الأسود، وليس به، وأبعد من قال: إنه عبد الرحمن بن الأسود، فإنه يصغر عن ذلك، وقد أسلم، وذكر في الصحابة.

(١) وقد ثبت في «الصحاحين» من حديث ابن عباس ؓ قال: مرَّ رسول الله ﷺ بقبيرين، فقال: «إنهما ليعلمبان، وما يعلمبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة». وفي «الصحاحين» أيضاً من حديث حذيفة ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتاتٌ أي: نمام»، كما في رواية أخرى لمسلم.

(٢) في «الصحاحين» عن جارتة بن وهب الخزاعي ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أتيتكم بأهل الجنة، كل ضعيف متصنف لو أقسم على الله لأبره، ألا أتيتكم بأهل النار كل خُلِّ جَوَاطٌ مستكير». والجَوَاطُ: الجيمع المنوع.

(٣) «ديوانه» ١٦٠، و«معجاز القرآن» ٢/٢٦٥، و«الطبري» ٢٩/٢٥، و«القرطبي» ١٨/٢٣٤.

(٤) قال في «المصباح»: الزَّيْنَةُ مثال قصبة: المتدلية من الحلق.

﴿إِنَّا بِقُوَّتِهِ كَمَا يُنْفَخُ أَحْسَبُ لَمَنَ فِي أَهْمُوا لِمَصْرُفٍ مُّصِيبَةٍ ١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْفِئُ ١٨ ﴿فَلَا عَلَىكَ لَاحِظٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُوَ تَابِعُونَ ١٩﴾ فَأَسْبَحَتْ  
 كَالْمَيِّتِ ٢٠ ﴿فَتَنَادَا مُصِيبَةٍ ٢١﴾ أَوْ أَقْدُوا عَلَى حَرْوِكَ إِنْ كُنْتُمْ صَرِيحِينَ ٢٢ ﴿فَاطْلُقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ٢٣﴾ أَوْ لَا يَسْتَنْفِئُ إِلَيْكَ عَلَيْكَ يَنْكِهُونَ ٢٤  
 وَغَدَا عَلَى حَرٍّ قَدِيرٍ ٢٥ ﴿فَمَا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَمُتْلُونَ ٢٦﴾ عَلَى غَرْوَتِهِ ٢٧ ﴿قَالَ أَوْشَاهُمْ أَوْ أَقْلَ لَكُمْ وَلَا تَسْتَعِينُ ٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا  
 عَلَيْهِمْ ٢٩ ﴿فَأَنبَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْنَ ٣٠﴾ قَالُوا يَبْرُكُ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ٣١ ﴿عَنِ رَبِّنَا أَنْ يَبْدُوكَ خَيْرًا مِنَّا إِنَّا إِذْ رَبَّنَا رَيْثُونَ ٣٢﴾ كَذَلِكَ  
 الْعَذَابُ وَلَكِنَّ الْآخِرَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٣٣ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ الْجَنَّةِ ٣٤﴾ فَتَجَمَّلُ السَّيِّئِينَ كَالْمَيِّتِينَ ٣٥ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ٣٦﴾  
 أَمْ لَكُمْ كَيْفَ فِيهِ تَدْرُسُونَ ٣٧ ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَا تَغْفِرَ ٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَسْتَكْبِرُوا فَتَبْغُوا ٣٩ ﴿إِنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ لَكُمْ لَأَمْ تَحْكُمُونَ ٤٠﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِاللَّهِ  
 رَبِّهِمْ ٤١ ﴿أَمْ لَمْ شَرَكُوا فِئَاءُوا يَرْكَهَهُمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا بِقُوَّتِهِ﴾ يعني: أهل مكة، أي: ابتليناهم بالجوع، والفحط ﴿كَمَا يُنْفَخُ أَحْسَبُ لَمَنَ﴾ حين هلكت جثثهم

### وهذه الإشارة إلى قصتهم

ذكر أهل التفسير أن رجلاً كان بناحية اليمن له بستان، وكان مؤمناً. وذلك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام، وكان يأخذ منه قدر قوته، وكان يتصدق بالباقي. وقيل: كان يترك للمساكين ما تعذاه المنجل، وما يسقط من رؤوس النخل، وما ينتثر عند الدّراس، فكان يجتمع من هذا شيء كثير، فمات الرجل عن ثلاث بنين، فقالوا: والله إن المال لقليل، وإن العيال لكثير، وإنما كان أبونا يفعل هذا إذ كان المال كثيراً، والعيال قليلاً، وأما الآن فلا نستطيع أن نفعل هذا. فغرموا على حرمان المساكين، وتحالفوا بينهم ليفدّوا قبل خروج الناس، فليصرم نخلهم، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَيْنَاهُ﴾ أي: جلفوا ﴿لِمَصْرُفٍ﴾ أي: ليقطعن نخلهم ﴿مُصِيبَةٍ﴾ أي: في أول الصباح. وقد بقيت من الليل ظلمة لثلا يبقى للمساكين شيء <sup>(١)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَنْفِئُ ١٨﴾ قولان: أحدهما: لا يقولون: إن شاء الله، قاله الأكثرون. والثاني: لا يستنون حق المساكين، قاله عكرمة. ﴿فَلَا عَلَىكَ لَاحِظٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: من أمر ربك. قال الفراء: الطائف لا يكون إلا بالليل. قال المفسرون: بعث الله عليها ناراً بالليل، فاحترقت، فصارت سوداء، فذلك قول تعالى: ﴿فَأَسْبَحَتْ كَالْمَيِّتِ ٢٠﴾ وفي ثلاثة أقوال: أحدها: كالرماد الأسود، قاله ابن عباس. والثاني: كالليل المسود، قاله الفراء. وكذلك قال ابن قتيبة: أصبحت سوداء كالليل محترقة. والليل: هو الصريم، والصبح أيضاً: صريم، لأن كل واحد منهما ينصرم عن صاحبه. والثالث: أصبحت وقد ذهب ما فيها من الشر، فكانه قد صرم، أي: قطع وجُد، حكاة ابن قتيبة أيضاً.

قوله تعالى: ﴿فَتَنَادَا مُصِيبَةٍ ٢١﴾ أي: نادى بعضهم بعضاً لما أصبحوا ﴿أَوْ أَقْدُوا عَلَى حَرْوِكَ﴾ يعني: الثمار والزروع والأعقاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَرِيحِينَ ٢٢﴾ أي: قاطعين للنخل، ﴿فَاطْلُقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ﴾ أي: ذهبوا إلى جثثهم ﴿وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ﴾ قال ابن قتيبة: يتساررون بـ ﴿أَنْ لَا يَسْتَنْفِئُ إِلَيْكَ عَلَيْكَ يَنْكِهُونَ ٢٣﴾ وَغَدَا عَلَى حَرٍّ قَدِيرٍ ٢٥﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: على قدرة، قاله ابن عباس. والثاني: على فاقة، قاله الحسن في رواية. والثالث: على جد، قاله الحسن في رواية، وقتادة، وأبو العالية، والفراء، ومقاتل. والرابع: على أمر مجمع قد أسوسه بينهم، قاله مجاهد، وعكرمة. والخامس: أن الحرد: اسم الجنة، قاله السدي. والسادس: أنه الحق والغضب على المساكين، قاله الشعبي، وسفيان. وأنشد أبو عبيدة:

أَسْوَدُ شَرِيٍّ لَأَثَّ أَسْوَدُ خَفِيٍّ

تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِمَاءِ الْأَسَاوِدِ <sup>(٢)</sup>

والسابع: أنه المنع، مأخوذ من حَارَدَتِ السَّيَّةُ فليس فيها مطر، وحارَدَتِ الناقة فليس لها لبن، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. والثامن: أنه القصد. يقال: حَرَدْتُ حَرْدَكَ، أي: قَصَدْتُ قَصْدَكَ، حكاة الفراء، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. وأنشدوا:

(١) ذكر هذه القصة البخري في «تفسيره» من رواية محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وذكرها الخازن عن ابن عباس بغير سند.

(٢) البيت للأشهب بن رُمَيْلَة الذي كان يهاجي الفرزدق، وهو في «مجاز القرآن» ٢/٢٦٦، و«الكامل» للمبرد ٤٣٨، و«الطبري» ١٩/٣٣، و«القرطبي» ٢/١٧٧، و«السمط» ٣٥، و«معجم ما استمع» ٣/٧٨٥، و«اليعني» ١/٤٨٢، و«الخرزانه» ٢/٥٠٨، و«شري» و«خفية» مأسدتان معروفتان، و«الخرد»: الغضب، من حَرَدَ يَحْرُدُ حَرْدًا، مثل غَضِبَ يَغْضَبُ غَضَبًا. والأساود: جمع أسود، وهو اسم للحية، ولذلك جمع كما تجمع الأسماء على «أفاعل»، مثل «أرانب»، ولو كان صفة لجمع على: سود.

قَدْ جَاءَ سَيِّئٌ كَانَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ

يَخْرُجُ الْجَنَّةُ الْمُغْلَّةُ

أي: يقصد قصدها. قال ابن قتيبة: وفيها لغتان: خَرَدٌ، وَخَرَدٌ، كما يقال: الدَّرَك، والدَّرَك. وفي قوله تعالى: ﴿تَذَرِينَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: قادرين على جَنَّتِهِمْ عند أنفسهم، قاله قتادة. والثاني: قادرين على المساكين، قاله الشعبي. والثالث: أن المعنى: منعوا وهم قادرون، أي: واجدون، قاله ابن قتيبة. قالوا: ﴿لَا تَزَالُ﴾ محترقة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: قد ضللتنا طريق جَنَّتِنَا، فليست هذه. ثم علموا أنها عقوبة، فقالوا: ﴿لَا تَزَالُ تَحْرُورُونَ﴾ (١٧) أي: حُرْمَتُنَا تَمُرُ جَنَّتِنَا بمنعنا المساكين ﴿هَلْ أَوْلَيْنَاكُمْ﴾ أي: أعدلهم، وأفضلهم ﴿وَلَا﴾ أي: هَلَا ﴿تَسْبِيحُ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: هَلَا تَسْتَنْتُونَ عند قولكم: «ليصْرُ مَنُهَا مصيحين» قاله ابن جريج والجمهور. والمعنى: هَلَا قلتم: إن شاء الله. قال الزجاج: إنما قيل للاستثناء: تسبيح، لأن التسبيح في اللغة: تنزيه الله ﷻ عن السوء. والاستثناء تعظيم لله، وإقرار بأنه لا يقدر أحد أن يفعل فعلاً إلا بمشيئة الله. والثاني: أنه كان استثناءهم قول: «سبحان الله»، قاله أبو صالح. والثالث: هَلَا تَسْبِيحُونَ الله وتشكرونه على ما أعطاكم، حكاه الثعلبي. وقوله تعالى: ﴿لَا تَزَالُ تَزَالُ تَزَالُ﴾ فنزوه أن يكون ظالماً فيما صنع، وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بمنعنا المساكين ﴿فَأَنْبَلْ بِصُحُفِهِمْ عَلَى بَعْضِ يَتْلُوُونَ﴾ (١٨) أي: يلوم بعضهم بعضاً في منع المساكين حقوقهم. يقول هذا لهذا: أَنْتَ أَشْرَتْ عَلَيْنَا، ويقول الآخر: أَنْتَ فَعَلْتَ، ثم نادوا على أنفسهم بالويل، فقالوا: ﴿وَلَيْتَكُمُ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ حين لم نصنع ما صنع آبائنا، ثم رجعوا إلى الله تعالى فسألوه أن يبدلهم خيراً منها، فذلك قوله: ﴿هَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا﴾. وقرأ قوم: «بيدنا» بالتخفيف، وهما لغتان. وفرق قوم بينهما، فقالوا: التبديل: تغيير حال الشيء وصفته والعين باقية. والإبدال: إزالة الشيء ووضع غيره مكانه. ونقل أن القوم أخلصوا، فبدلهم الله جَنَّةَ الْعُقُودِ منها وَفَّرَ بَغْلًا.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَلْقَيْنَا﴾ ما فعلنا بهم فعل بمن تعدى حدودنا. وهاتنا انتهت قصة أهل الجنة. ثم قال تعالى: ﴿وَلَمَّا لَبِثَ الْأَخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: المشركين. ثم ذكر ما للمتقين عنده بما بعد هذا، فقال المشركون: إنا لننطفي في الآخرة أفضل مما نعتقدون، فقال تعالى مكذباً لهم: ﴿فَتَجَمَّلُ النَّارِيُّ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٩) قال الزجاج: هذه ألف الاستفهام مجازها هاتنا مجاز التوبيخ، والتقرير.

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: كيف تقضون بالجور ﴿إِنْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾ أنزل من عند الله ﴿فِيهِ﴾ هذا ﴿تَدْرُسُونَ﴾ أي: تقرأون ما فيه ﴿إِنْ لَكُمْ﴾ في ذلك الكتاب ﴿لَا تَحْزَنُونَ﴾ أي: ما تختارون وتشتبهون. وقرأ أبو الجوزاء، وعاصم الجحدري، وأبو عمران: «أن لكم» بفتح الهمزة. وهذا تقييد لهم، وتوبيخ على ما يتمنون من الباطل ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِإِلَهِ رَبِّكُمْ﴾ (٢٠) ﴿إِنْ لَكُمْ إِشْرَافٌ مِمَّا بَيْنَهُ﴾ أي: ألكم عهد على الله تعالى حلف لكم على ما تدعون بأيمان بالغوث، أي: مؤكدة. وكل شيء متناو في الجودة والصحة فهو بالغ. ويجوز أن يكون المعنى: بالغة إلى يوم القيامة، أي: تبلغ تلك الأيمان إلى يوم القيامة في لزومها وتوكيدها. ﴿إِنْ لَكُمْ لَّا تَحْكُمُونَ﴾ لأنفسكم به من الخير والكرامة عند الله تعالى. قال الفراء: والقراء على رفع «بالغة» إلا الحسن فإنه نصبها على مذهب المصدر، كقوله تعالى: ﴿حَقًّا﴾ (الروم: ٤٧). ومعنى الآية: هل لكم أيمان علينا بالغة بأن لكم ما تحكمون؟! فلما كانت اللام في جواب «إن» كسرتهَا.

قوله تعالى: ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِإِلَهِ رَبِّكُمْ﴾ (٢١) فيه قولان: أحدهما: أنه الكفيل، قاله ابن عباس، وقاتدة. والمعنى: أيهم كفل بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين من الخير. والثاني: أنه الرسول، قاله الحسن.

(١) الرجز غير منسوب (مجاز القرآن: ٢/٢٦٦، والكمال: ٥٠، والطبري: ٣٣/٢٩، والقرطبي: ١٨/٣٤٢، وشواهد الكشاف: ٢٥٤، وفي «معاني القرآن» للفراء: والحد أدنى: القصد كما يقول الرجل: قد أقبلت، وقصدت قصدك، وحردت حردك، وأنشدني بعضهم: وجاء سيل كان... وجاء في «الكمال» للمبرد بعد إنشاء البيت: قال أبو حاتم: هذه صنعة من لا أحسن الله فكره يعني قطرياً. وأبو حاتم: هو سهل بن محمد بن عثمان السجستاني من شيوخ أبي العباس، وقوله: «هذه صنعة» يريد حذف الألف من لفظ الجلالة، والألقين باسم الله أن ينطق به على أكمل وجه، والعماد بـ «قطري» قطري بن الفجاءة الخارجي. قال المصنف في شرح «الكمال» ١/١٨٠: ومن الغريب من نقل عن ابن السيد شارح الكتاب أن هذا الرجز لقطرب بن المستير تلميذ سيويه.



أولي العزم، لأنها خطيئة. ولو قلنا: إن كل مخطئ من الأنبياء ليس من أولي العزم، خرجوا كلهم إلا يحيى. ثم أخبر عن عقوبته إذ لم يصبر، فقال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ قال الزجاج: مملوء غماً وكرهاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَن تَدْرِكُ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وابن أبي عبله: «لولا أن تداركته» بتاء خفيفة، وبتاء ساكنة بعد الكاف مع تخفيف الدال. وقرأ أبو هريرة، وأبو المتكلى: «تداركه» بتاء واحدة خفيفة مع تشديد الدال. وقرأ أبي بن كعب: «تداركه» بتاءين خفيفتين. ﴿يَمَّةٌ بَيْنَ رَيمٍ﴾ فرحمه بها، وتاب عليه من معاصيه ﴿لَنِيذٌ لِّأَعْلَمَ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ وقد بينا معنى «العراء» في [الصفات: ١٤٥]. ومعنى الآية: أنه نِيذٌ غير مذموم لنعمة الله عليه بالتوبة والرحمة. وقال ابن جريج: نِيذٌ بالعراء، وهي: أرض المحشر، فالمعنى: أنه كان يبقى مكانه إلى يوم القيامة ﴿فَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ أي: استخلصه واصطفاه، وخلّصه من الدم ﴿فَمَجَّلَ بَيْنَ الْقَلِيلَيْنِ﴾ فردّ عليه الوحي، وشقّعه في قومه ونفسه ﴿وَلَا يَكْذِبُ الْإِنِّ كَذْرًا﴾ قرأ الأكثرون بضم الياء من أزلقته، وقرأ أهل المدينة، وأبان بفتحها من رَلَقْتَهُ أَزْلَقَهُ، وهما لغتان مشهورتان في العرب. قال الزجاج: يقال: زلق الرجل رأسه وأزلقه. إذا حلقه. وفي معنى الآية للمفسرين قولان: أحدهما: أن الكفار قصدوا أن يصيبوا رسول الله ﷺ بالعين، وكان فيهم رجل يمكث اليومين والثلاثة لا يأكل شيئاً، ثم يرفع جانب خبائه، فتمرّ به النعم، فيقول: لم أر كاليوم إلا لا غنماً أحسن من هذه، فما تذهب إلا قليلاً حتى يسقط منها علة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين، فعصم الله نبيه، وأنزل هذه الآية، هذا قول الكلبي، وتابعه قوم من المفسرين تلقّوا ذلك من تفسيره، منهم الفراء<sup>(١)</sup>. والثاني: أنهم كانوا ينظرون إليه بالعداوة نظراً شديداً يكاد يُزْلِقُهُ من شدته، أي: يلقيه إلى الأرض. وهذا مستعمل في كلام العرب. يقول القائل: نظر إليّ فلان نظراً كاد يصرعني. وأنشدوا:

يَنْتَقَرِضُونَ إِذَا التَّقَرُّوا فِي مَوْطِنٍ      نَقَرًا يُزِيلُ مَوَاطِنَ الْأَقْدَامِ<sup>(٢)</sup>

أي: ينظر بعضهم إلى بعض نظراً شديداً بالعداوة يكاد يزيل الأقدام، وإلى هذا ذهب المحققون، منهم ابن قتيبة، والزجاج. ويدل على صحته أن الله تعالى قرن هذا النظر بسماع القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿لَنَا يَوْمَ الْأَكْزَرِ﴾ والقوم كانوا يكرهون ذلك أشدّ الكراهة، فيجذّون النظر إليه بالبغضاء. وإصابة العين، إنما تكون مع الإعجاب والاستحسان، لا مع البغض، فلا يُظَنُّ بالكلبي أنه فهم معنى الآية. ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي: موعظة.



(١) قال ابن كثير: وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله ﷻ، كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة. وقد روى مسلم في «صحيحه» ١٧١٩/٤ عن ابن عباس رضيهما عن النبي ﷺ قال: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا».

وروى البخاري وأصحاب «السنن» عن ابن عباس رضيهما قال: كان رسول الله ﷺ يموّذ الحسن والحسين يقول: «أصليكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لائمة».

(٢) البيت غير منسوب في «غريب القرآن» ٤٨٢، و«مشكل القرآن» ١٣٠، و«البيان والتبيين» ١١/١، و«الصناعتين» ٢٨١، و«اللسان»: قرض، وتفسير القرطبي ٢٥٦/٨، و«البحر المحيط» ٣١٧/٨، و«الكتاب» ١٣٢/٤: ١٤٥.

## سورة الحاقة

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَاقَّةُ ١ ﴾ مَا الْحَاقَّةُ ٢ ﴿ وَبَا أَذَىٰكَ مَا الْكَلَاءَةُ ٣ ﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُ ٤ ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمُ ابْنُ مَرْيَمَ ٥ ﴾ سَمِعَ لَيْلًا ٦ ﴿ وَكَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُ ٧ ﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ٨ ﴿ رَبَّنَا ٩ ﴾ وَرَبَّنَا ١٠ ﴿ فَصَوِّرْهُمْ أَشْدَّ رَآيَةً ١١ ﴾ إِنَّا لَنَّا كَلِمًا ١٢ ﴿ حَمَلْنَا فِي الْغَاسِقِ ١٣ ﴾ لِيَجْزِيَكَ ١٤ ﴿ وَنَحْنُ أَزْدَىٰ ١٥ ﴾

﴿ الْحَاقَّةُ ١ ﴾: القيامة. قال الفراء: إنما قيل لها: حاقة، لأن فيها حواقي الأمور. وقال الزجاج: إنما سميت الحاقة، لأنها تحق كل إنسان بعمله من خير وشر.

قوله تعالى: ﴿ مَا الْحَاقَّةُ ١ ﴾؟ هذا استفهام، معناه التفخيم لشأنها، كما تقول: زيد، وما زيد؟ على التعظيم لشأنه. ثم زاد في التحويل بأمرها، فقال تعالى: ﴿ وَبَا أَذَىٰكَ مَا الْكَلَاءَةُ ٢ ﴾: أي: لأنك لم تعانها، ولم تدر ما فيها من الأهوال. ثم أخبر عن المكذبين بها، فقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُ ٣ ﴾: قال ابن عباس: القارة: اسم من أسماء يوم القيامة. قال مقاتل: وإنما سميت بالقارة، لأن الله تعالى يقرع أعداءه بالعذاب. وقال ابن قتيبة: القارة: القيامة لأنها تفرق، يقال: أصابهم قوارع الدهر. وقال الزجاج: لأنها تفرق بالأهوال. وقال غيرهم: لأنها تفرق القلوب بالفرق. فاما ﴿ بِالْغَاسِقِ ٧ ﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها طغيانهم وكفرهم، قاله ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. قال الزجاج: ومعنى الطاغية عند أهل اللغة: طغيانهم. و «فاعلة» قد يأتي بمعنى المصادر، نحو عاقبة، وعافية. والثاني: بالصيحة الطاغية، قاله قتادة. وذلك أنها جاوزت مقدار الصباح، فاهلكتهم. والثالث: أن الطاغية: عاقرة الناقة، قاله ابن زيد. والريح الصرصر قد فسرناها في [تم السجدة: ١٦]. والعاتية: التي جاوزت المقدار. وجاء في التفسير أنها عَثَّتْ على خُرْأَنها يومئذ، فلم يكن لهم عليها سبيل.

قوله تعالى: ﴿ سَمِعَ لَيْلًا ٦ ﴾ أرسلها وسلطانها. والتسخير: استعمال الشيء بالاعتقاد. وفي قوله تعالى: ﴿ حُسُودًا ٧ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تبعاً، قاله ابن عباس. قال الفراء: الحسوم: التباع، يقال في الشيء إذا تابع، فلم ينقطع أوله عن آخره: حسوم. وإنما أُجِذَّ - والله أعلم - من حُسْمِ الدَّاءِ: إذا كُوي صاحبه، لأنه يحمنى ثم يكوى، ثم يتابع الكي عليه. والثاني: كاملة، قاله الضحاك. فيكون المعنى: أنها حسمت الليالي والأيام فاستوفتها على الكمال، لأنها ظهرت مع طلوع الشمس، وذهبت مع غروبها. قال مقاتل: هاجت الريح غُدُوَّةً، وسكنت بالعِشِيِّ في اليوم الثامن، وقبضت أرواحهم في ذلك اليوم، ثم بعث الله طيراً أسود فالتقطهم حتى أقامهم في البحر. والثالث: أنها حسمتهم، فلم تبق منهم أحداً، أي: أذهبهم وأفتتهم، هذا قول ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ تَرَىٰ الْقَوْمَ فِيهَا ٥ ﴾: أي: في تلك الليالي والأيام ﴿ مَرَعَىٰ ٥ ﴾ وهو جمع صريع، لأنهم صرعوا بموتهم ﴿ كَانَتْهُمْ أَعْجَارُ تَلَٰلٍ ٦ ﴾ أي: أصول نخل ﴿ حَاوِيَةٍ ٦ ﴾ أي: بالية. وقد بينا هذا في سورة [القمر: ٢٠].

قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ٨ ﴾: فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من بقاء، قاله الفراء. والثاني: من بقية، قاله أبو عبيدة. قال: وهو مصدر كالطاغية. والثالث: هل ترى لهم من أثر؟ قاله ابن قتيبة. ﴿ رَبَّنَا ٩ ﴾ وَرَبَّنَا ١٠ ﴿ فَصَوِّرْهُمْ أَشْدَّ رَآيَةً ١١ ﴾: قرأ أبو عمرو، ويعقوب، والكسائي، وأبان: بكسر القاف، وفتح الباء. والباقون: بفتح القاف، وإسكان الباء. فمن كسر القاف أراد: من يليه ويحف به من جنوده وأتباعه. ومن فتحها أراد: من كان قبله من الأمم الكافرة. وفي «المؤتفكات»



ثلاثة أقوال: أحدها: قرى قوم لوط. والمعنى: وأهل المؤتفكات، قاله الأكثرون. والثاني: أنهم الذين افتتحوها بذنوبهم، أي: هلكوا بالذنوب التي معظمها الإفك، وهو الكذب، قاله الزجاج. والثالث: أنه قارون وقومه، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿بِالْطَّائِفَةِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: بالذنوب، وقال الزجاج: الخاطئة: الخطأ العظيم. ﴿فَقَصَّ رُسُلَ رَبِّهِمْ﴾ أي: كذبوا رسلهم ﴿فَلَقَدْ نَزَّلَ نَارَهُ﴾ أي: زائدة على الأحداث ﴿إِنَّا لَنَّا عَلَمُ الْمَلَايِكَةِ﴾ أي: تجاوز حدّه حتى علا على كل شيء في زمن نوح: ﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾ يعني: حملنا آبائكم وأنتم في أصلابهم ﴿فِي الْبَلَاءِ﴾ وهي: السفينة التي تجري في الماء: ﴿لِنَجْعَلَ لَكُمُ الْفُلَّ﴾ التي فعلنا من إغراق قوم نوح، ونجاة من حملنا معه: ﴿لِنُصْرِكُمْ﴾ أي: عبرة، وموعظة: ﴿وَرَبِّمَا أَذْنُ رَيْبَةٍ﴾ أي: أذن تحفظ ما سمعت، وتعمل به. وقال الفراء: لتحفظها كل أذن، فتكون عظة لمن يأتي بعده.

﴿وَإِذَا يُنْفَخُ فِي السُّمُورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ﴿وَرُجُلِي الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَذُكُّوا ذِكُّهُ وَاحِدَةً﴾ ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ سِمْكٌ مُوْجٍ وَاحِدٌ﴾ ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ قَبِيضَةٌ يَوْمَئِذٍ تَمْرُصُونَ لَا يَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ ﴿فَأَنَّا مِنَ الْأُورِ كُنْتُمْ بِبَيْتِهِمْ يَقُولُ مُدْمِمْ أَقْرَبُوا كَيْفَةً﴾ ﴿إِنِّي عَلَنْتُ آبَ مَالِي حِسَابِيَّةً﴾ ﴿نَهَوْتُ فِي يَمِينِي رَأْسِي﴾ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ ﴿فَلَوْفُهَا دَائِيَةٌ﴾ ﴿كُرًّا وَاشْرَاقًا هَيَّجًا يَمًّا أَسْفَلَتْهُ فِي الْأَعْيَادِ النَّجَايَةُ﴾ ﴿وَأَنَّا مِنَ الْأُورِ كُنْتُمْ بِبَيْتِهِمْ يَقُولُ يَلْتَنِي لَرَأْتُ كَيْفِيَّةً﴾ ﴿وَلَرَأْتُ مَا حِسَابِيَّةً﴾ ﴿يَلْبِسُهَا كَانَتْ الْفَاضِيَّةُ﴾ ﴿مَا أَفْنَى عَنِّي مَالِي﴾ ﴿هَلْكَ عَنِّي مُطْلَبِيَّةٌ﴾ ﴿عُدُوهُ فُلُوهُ﴾ ﴿قَدْ لَقِيتُمْ سَأْلُوهُ﴾ ﴿قَدْ فِي سَبِيلِهِ دَرَضُهَا﴾ ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْغَيْبِ﴾ ﴿وَلَا يُحْشَى عَلَى طَعْمِ الْيَتِيمِ﴾ ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حِسْمٌ﴾ ﴿وَلَا طَعْمٌ إِلَّا مِنْ غِيظٍ﴾ ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا يُنْفَخُ فِي السُّمُورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ وفيها قولان: أحدهما: أنها النفخة الأولى، قاله عطاء. والثاني: الأخيرة، قاله ابن السائب، ومقاتل. ﴿وَرُجُلِي الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ أي: حملت الأرض والجبال وما فيها ﴿ذُكُّوا ذِكُّهُ وَاحِدَةً﴾ أي: كسرتا، ودقنا دقة واحدة، لا يشئ عليها حتى تستوي بما عليها من شيء، فتصير كالأديم الممدود. وقد أشرنا إلى هذا المعنى في [الأعراف: ١٤٣] عند قوله تعالى: ﴿جَعَلَكُمْ ذِكًّا﴾. قال الفراء: وإنما قال: فدكتا، ولم يقل: فذككن، لأنه جعل الجبال كالشيء الواحد، كقوله تعالى: ﴿أَنَّ السَّمَكَيْنِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ وَاحِدَةً فَفَقَعْنَهُمَا﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وأنشدوا:

هُمَا سَيِّدَانَا يَزْعُمَانِ وَإِنَّمَا يَسُودَانِنَا أَنْ يَسُرَّتْ غَنَمَاهُمَا<sup>(١)</sup>

والعرب تقول: قد يسرت الغنم: إذا ولدت، أو تهيأت للولادة.

قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامة ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ لتزول من فيها من الملائكة ﴿فَهِيَ سِمْكٌ مُوْجٍ وَاحِدٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن وفيها: صَغَفُهَا وتمزُّقُهَا من الخوف، قاله مقاتل. والثاني: أنه تشققها، قاله الفراء. ﴿وَالْمَلَكُ﴾ يعني: الملائكة، فهو اسم جنس ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ أي: على جوانبها. قال الزجاج: ورجله كل شيء: ناحيته، مقصور. والثنية: رجوان، والجمع: أرجاء. وأكثر المفسرين على أن المشار إليها السماء. قال الضحاك: إذا انشقت السماء كانت الملائكة على حافتها حتى يأمرهم الله تعالى، فينزلون إلى الأرض، فيحيطون بها، ومن عليها. وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: على أرجاء الدنيا.

(١) البيت في تفسير ابن جرير الطبري، ٥٦٩/٢٩، ونسبه في «اللسان»: بسر، والعيني في شرح شواهد الألفية إلى أبي أسيدة اللبيري، وأنشد في «اللسان» قبله بيتاً آخر هو:

إِن لَنَا شَيْخَيْنِ لَا يَنْفَقَانِنَا غَيْبَيْنِ لَا يُجِدِي عَلَيْنَا غَنَامَا

أي: ليس فيهما من السيادة إلا كونهما قد يسرت غنمهما، أي: كثرت ألبانها ونسلها، والسؤد يوجب البذل والعطاء والحراسة والحماية وحسن التدبير والحلم، وليس عندهما من ذلك شيء، واستشهد المؤلف بهذا البيت على أن الشاعر قال: غنمهما بلطف التشبيه للغنم، مع أن الغنم اسم للجمع، وليس بمفرد، ولكنه عامله معاملة المفرد، كما اعتبرت الجبال في قوله تعالى: ﴿وَرُجُلِي الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَذُكُّوا ذِكُّهُ وَاحِدَةً﴾ في حكم المفرد كالأرض، ولذلك قال: فدكتا، ولم يقل: فدككن.

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ عَرْشَ رَبِّكَ قَوْمَهُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فوق رؤوسهم، أي: العرش على رؤوس الحَمَلَة، قاله مقاتل. والثاني: فوق الذين على أرجائها، أي: أن حملة العرش فوق الملائكة الذين هم على أرجائها. والثالث: أنهم فوق أهل القيامة، حكاهما الماوردي. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة ﴿تَكْتُمُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ثمانية أملاك. وجاء في الحديث أنهم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله بأربعة أملاك آخرين، هذا قول الجمهور<sup>(١)</sup>. والثاني: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله ﷻ، قاله ابن عباس، وابن جبير، وعكرمة. والثالث: ثمانية أجزاء من الكروبيين لا يعلم عددهم إلا الله، قاله مقاتل. وقد روى أبو داود في «سننه» من حديث جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حِمْلَةِ الْعَرْشِ، أَنْ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أَذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ على الله لحسابكم ﴿لَا تَخَفْنَ﴾ عليه. قرأ حمزة، والكسائي «لا يخفى» بالياء. وقرأ الباقون بالتاء. والمعنى: لا يخفى عليه ﴿يَوْمَئِذٍ خَافِيَةً﴾ أي: نفس خافية، أو قَعْلَة خافية. وفي حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجذل، ومعاذير، وأما الثالثة، فعندما تتطابق الصحف في الأيدي، فأخذ بيمينه، وأخذ بشماله»<sup>(٣)</sup>، وكان عمر بن الخطاب يقول: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر، يومئذ لا تخفى منكم خافية. ﴿يَقُولُ هَؤُلَاءِ﴾ قال الزجاج: «هاؤم» أمر من الجماعة. بمنزلة هاكم. تقول للواحد: ها يا رجل، وللثنتين: هاؤما يا رجلان. وللثلاثة: هاؤم يا رجال. قال المفسرون: إنما يقول هذا ثقة بسلامته وسروراً بنجائه. وذكر مقاتل أنها نزلت في أبي سلمة بن عبد الأسد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَلِمَتَ﴾ أي: علمت وأيقنت في الدنيا ﴿إِنَّ مَثَلِي حَسِيَّةٌ﴾ أي: أبعث، وأحاسب في الآخرة ﴿نَهْوٌ فِي سَيْتٍ﴾ أي: حالة من العيش ﴿رَاضِيَةً﴾ قال الفراء: أي: فيها الرضا. وقال الزجاج: أي: ذات رضى يرضاها من يعيش فيها. وقال أبو عبيدة: مجازها مجاز مرضية ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي: عالية المنازل ﴿فَتُكْرَمُهُا﴾ أي: ثمارها ﴿كَأَنَّهَا﴾ أي: قريبة ممن يتناولها، وهي جمع تطف. والقطف: ما يقطف من الثمار. قال البراء بن عازب: يتناول الثمرة وهو نائم.

قوله تعالى: ﴿كُلُوا﴾ أي: يقال لهم: كلوا ﴿وَأَشْرَبُوا حَيْثُ مَا أَسْلَمْتُمْ﴾ أي: قَدَّمْتُمْ من الأعمال الصالحة ﴿فِي الْأَكْثَرِ لِلْغَايَةِ﴾ الماضية، وهي أيام الدنيا. ﴿وَأَمَّا مَنْ أَرَادَ كَيْفَ يَشْكُرُ﴾ قال مقاتل: نزلت في الأسود بن عبد الأسد، قتله حمزة بيدر، وهو أخو أبي سلمة. وقيل: نزلت في أبي جهل.

قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُنِي لَرَأَيْتُ كَيْفِيَّةَ﴾ وذلك لما يرى فيه من القبايح ﴿وَلَرَأَيْتُ مَا حَسِيَّةٌ﴾ لأنه لا حاصل له في ذلك الحساب، إنما كله عليه. وكان ابن مسعود، وقتادة، ويعقوب، يحذفون الهاء من «كتائبه»، و«حسابيه» في الوصل. قال الزجاج: الوجه أن يوقف على هذه الهاءات، ولا توصل، لأنها أدخلت للوقف. وقد حذفها قوم في الوصل، ولا أحب مخالفة المصحف، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ﴾ [البقرة: ١٠].

(١) رواه الطبري من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن رسول الله ﷺ، وهو خبر مقطوع. ورواه الطبري أيضاً من طريق ابن إسحاق قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «هم اليوم أربعة» يعني حملة العرش «فإذا كانوا يوم القيامة أمدهم الله بأربعة آخرين فكانوا ثمانية» وقد قال الله: ﴿وَيَجْعَلُ عَرْشَ رَبِّكَ قَوْمَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنَةً﴾ وهذا خبر مقطوع أيضاً. قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ عَرْشَ رَبِّكَ قَوْمَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنَةً﴾ أي: يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة، قال: ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش، العرش العظيم، أو العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء، والله أعلم بالصواب اهـ.

(٢) رواه أبو داود في «سننه» رقم (٤٧٧٧) وسنده جيد، وذكره ابن كثير في «تفسيره» من رواية ابن أبي حاتم وقال: وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات.

(٣) رواه أحمد في «المسند»، وابن ماجه ١٤٣٠/٢ من رواية وكيع عن علي بن رفاعه عن الحسن بن أبي موسى. قال البوصيري في «الزوائد»: رجال الإسناد ثقات، إلا أنه منقطع، والحسن لم يسمع من أبي موسى، قاله علي بن المديني، وأبو حاتم، وأبو زرعة، وقد رواه الترمذي عن الحسن بن أبي هريرة وقال: لا يصح هذا الحديث من يَزِيلُ أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة. ورواه الطبري ٥٩/٢٩ من رواية مجاهد بن موسى عن زيد، عن سليمان بن حامد عن مروان الأصغر عن أبي وائل عن عبد الله نحوه، وقال ابن كثير: ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلًا مثله.

قوله تعالى: ﴿يَلْبَسَهَا﴾ يعني: الموتة التي ماتها في الدنيا ﴿كَانَتْ الْقَابِضَةَ﴾ أي: القاطعة للحياة، فكانه تمنى دوام الموت، وأنه لم يُبْعَثْ للحساب ﴿هَكَذَا عَنِّي شَاطِئِيَّةٌ﴾ (١) فيه قولان: أحدهما: ضلّت عني حجتني، قاله مجاهد، وعكرمة، والضحاك، والسدي. والثاني: زال عني ملكي، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ﴾ أي: يقول الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَذَلُّهُ﴾ (٢) أي: اجمعوا يده إلى عنقه ﴿فَرُّوا لِلْحَبِيمِ سَلْوَةً﴾ أي: أدخلوه النار. وقال الزجاج: اجمعوه يضلّى النَّارَ ﴿فَرُّوا فِي سِلْسِلَةٍ﴾ وهي: خلقٌ منتظمة ﴿ذَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ قال ابن عباس: بذراع المَلَك. وقال نوف الشامي<sup>(١)</sup>: كل ذراع سبعون باعاً، الباع أبعد مما بينك وبين مكة، وكان في رحبة الكوفة. وقال سفيان: كل ذراع سبعون ذراعاً. وقال مقاتل: ذرعها سبعون ذراعاً بالذراع الأول. ويقال: إن جميع أهل النار في تلك السلسلة.

قوله تعالى: ﴿تَأْسَلُكُوهُ﴾ أي: أدخلوه. قال الفراء: وذكر أنها تدخل في دبر الكافر فتخرج من رأسه، فذلك سلكه فيها. والمعنى: ثم اسلكوا فيه السلسلة، ولكن العرب تقول: أدخلت رأسي في القلنسوة، وأدخلتها في رأسي. ويقال: الخاتم لا يدخل في يدي، وإنما اليد تدخل في الخاتم، وإنما استجازوا ذلك، لأن معناه معروف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَزُومُونَ﴾ (٣) أي: لا يصدق بوحدياته وعظمته ﴿وَلَا يَحْشُرُ عَلَى ظُلْمِ الْيَتِيمِ﴾ (٤) أي: لا يطعمه، ولا يأمر بإطعامه ﴿فَلْيَسِّرْ لَهُ الْيَوْمَ مَهَيِّمًا حَبِيمًا﴾ (٥) أي: قريب ينفعه، أي: يشفع له ﴿وَلَا ظُلْمٌ إِلَّا مِنْ عِنْدِنَا﴾ (٦) فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه صديد أهل النار، قاله ابن عباس. قال مقاتل: إذا سال القيح، والدم، بادروا أكله قبل أن تأكله النار. والثاني: شجر يأكله أهل النار، قاله الضحاك، والربيع. والثالث: أنه غسالة أجوافهم، قاله يحيى بن سلام. قال ابن قتبية: وهو «فغليل» من «غسلت» كأنه غسالة<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْفَاطِنُونَ﴾ يعني: الكافرين.

﴿فَلَا أُقِيمُ بِمَا تُبْهَرُونَ﴾ (٨) وَمَا لَا تُبْهَرُونَ (٩) إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٠) وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (١١) وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَدَّكُرُونَ (١٢) نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْمَكِينِ (١٣)

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقِيمُ﴾ (١٤) «لا» ردّ للكلام المشركين، كأنه قيل: ليس الأمر كما يقول المشركون «أقيم بما تُبْهَرُونَ» (١٥) وَمَا لَا تُبْهَرُونَ وقال قوم: «لا» زائدة مؤكدة. والمعنى: أقسم بما ترون، وما لا ترون، فأراد جميع الموجودات. وقيل: الأجسام والأرواح، ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: محمد ﷺ، قاله الأكثرون. والثاني: جبريل، قاله ابن السائب، ومقاتل. قال ابن قتبية: لم يرد أنه قول الرسول، وإنما أراد أنه قول الرسول عن الله تعالى، وفي الرسول ما يدل على ذلك، فاكتمى به من أن يقول عن الله ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ وقرأ ابن كثير: «يؤمنون» و«يدكرون» بالياء فيهما. قال الزجاج: «ما» مؤكدة، وهي لغو في باب الإعراب. والمعنى: قليلاً تؤمنون. وقال غيره: أراد نفي إيمانهم أصلاً. وقد بينّا معنى «الكاهن» في [الطور: ٢٩]. قال الزجاج: وقوله تعالى: «تنزيل» مرفوع بـ «هو» مضمره يدل عليها قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ﴾ هو تنزيل.

﴿وَلَوْ لَقَوْلٌ عَلَيْنَا بِبَعْضِ الْأَقْوَالِ﴾ (١٦) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (١٧) ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (١٨) فَمَا يَسْكُرُ مِنْ أَلَمٍ عَنْهُ حَنِينٌ (١٩) وَإِنَّهُمْ لَلْكَذِبُ لِلْمُتَّقِينَ (٢٠) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ يَسْكُرُ مُكْذِبِينَ (٢١) وَإِنَّهُمْ لَحَسَرُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٢) وَإِنَّهُمْ لَعَنُ الْيَتِيمِ (٢٣) فَسَجَّ يَأْتِمُ رَبُّكَ الْأَطْفَالَ (٢٤)

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَقَوْلٌ عَلَيْنَا﴾ أي: لو تكلف محمد أن يقول علينا ما لم نقله ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ (٢٥) أي: لاخذناه بالقوة والقدرة، قاله الفراء، والمبرد، والزجاج. قال ابن قتبية: إنما أقام اليمين مقام القوة، لأن قوة كل شيء في ميامنه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (٢٦) وهو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب، فإذا انقطع بطلت القوى،

(١) هو نوف بن فضالة الحميري البكالي، إمام أهل دمشق في عصره، من رجال الحديث، ورد ذكره في «الصحيحين»، وكان راوياً للقصاص، وهو ابن زوجة كعب الأحبار. توفي نحو (٩٥هـ) رحمه الله.

(٢) في الأصل: الغسالة.

ومات صاحبه. قال أبو عبيدة: الوتين: نياط القلب، وأنشد الشَّماخ:

إِذَا بَلَغْتُ غَيْرِي وَحَمَلْتُ رَحْلِي

عَرَابَةً فَأَشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ<sup>(١)</sup>

وقال الزجاج: الوتين: عرق أبيض غليظ كأنه قصبه.

قوله تعالى: ﴿فَمَا يَنْكُرُ مِنْ أَثَرِهِ حَتَّىٰ يَنْفَصِحَ عَنْهُ﴾ أي ليس منكم أحد يحجزنا عنه، وإنما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَنْفَصِحَ عَنْهُ﴾ لأن أحداً يقع على الجمع، كقوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَأُ يَوْمَ أُولَٰئِكَ لِيَأْخُذُوا بِرُسُلِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، هذا قول الفراء، وأبي عبيدة، والزجاج. ومعنى الكلام: أنه لا يتكلف الكذب لأجلكم مع علمه أنه لو تكلف ذلك لعاقبناه، ثم لم يقدر على دفع عقوبتنا عنه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ يعني: القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ في يوم القيامة. يندمون إذ لم يؤمنوا به ﴿وَلَا تَحْزَنْ أَلِيبَنِي﴾ إضافة إلى نفسه لاختلاف اللفظين، كقوله تعالى: ﴿وَلَذَارُ الْأَخْصَرِ﴾ [يوسف: ١٠٩]. قال الزجاج: المعنى: وإنه لليقين حق اليقين، وقد شرحنا هذا المعنى، وما بعده في [الواقعة: ٩٥، ٩٦].



(١) البيت للشماخ بن ضرار التنلي، «ديوانه» طبع القاهرة ٩٢، و«الطبري» ٩٧/٢٩، و«القرطبي» ٢٧٦/١٨ من قصيدة يمدح بها عرابة بن أوس بن قيثي، وكان هو وأبوه من الصحابة، وكان عرابة مشهوراً بالكرم.

## سورة المعارج

سورة سال سائل، ويقال لها: سورة المعارج، ويقال لها:

سورة الواقع، وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ① لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ② مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ③ تَجْرُجُ السَّمَاوَاتُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ④ فَأَمَرَ صَبَرًا بَعِيدًا ⑤ إِنَّمَا يُرِيتُهُمْ يُودَّ الْمُكَرَّمُ ⑥ أَوْ يُقْدِرُ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ يُبْدِئُ ⑦ وَصُنِّجِيهِ، وَأَخْبِئُ ⑧ وَفَصِيلَتِهِ إِلَى تَقْوِيهِ ⑨ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ⑩ كَلَّا إِنَّمَا لَقُلٌّ ⑪ نَزَّاعَةً لِّلشَّوْىِ ⑫ تَتَخَوَّىٰ مِّنْ أَدْرٍ وَتَوَكَّلْ ⑬ وَجَمْعٌ قَاطِعٌ ⑭﴾

قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ قال المفسرون: نزلت في النضر بن الحارث حين قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْلِمْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾<sup>(١)</sup> [الأنفال: ٢٢]، وهذا مذهب الجمهور، منهم ابن عباس، ومجاهد. وقال الربيع بن أنس: هو أبو جهل. قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن عامر: «سال» بغير همز. والباقون: بالهمز<sup>(٢)</sup>. فمن قرأ: «سال» بالهمز ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: دَعَا دَاعٍ على نفسه بعذاب واقِع. والثاني: سال سائل عن عذاب واقِع لمن هو؟ وعلى من يَتَوَكَّلُ ومتى يكون؟ وذلك على سبيل الاستهزاء، فتكون الباء بمعنى «عن»، وأنشدوا:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَسَئَلْنِي خَيْرًا بِأَذْوَاءِ النِّسَاءِ طَلِيبٌ<sup>(٣)</sup>

والثالث: سال سائل عذاباً واقعاً، والباء زائدة. ومن قرأ بلا همز ففيه قولان: أحدهما: أنه من السؤال أيضاً، وإنما لِينِ الهمزة، يقال: سال، وسال، وأنشد الفراء:

تَسَالَوْا فَسَالُوا يَغْلُمِ النَّاسُ أَثْنًا لِصَاحِبِهِ فِي أَوَّلِ الدَّفْعِ تَابِعٌ

والثاني: المعنى: سال واد في جهنم بالعذاب للكافرين، وهذا قول زيد بن ثابت، وزيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن. وكان ابن عباس في آخرين يقرؤون «سَالٌ سَيْلٌ» بفتح السين، وسكون الياء من غير ألف ولا همز وإذا قلنا: إنه من السؤال، فقوله تعالى: «لِّلْكَافِرِينَ» جواب للسؤال، كأنه لما سأل: لمن هذا العذاب؟ قيل: للكافرين. والواقع: الكائن. والمعنى: أن العذاب للذي سأل هذا الكافر كائن لا محالة في الآخرة ﴿لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ② مِّنَ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: المعنى: ذلك العذاب واقع من الله للكافرين.

قوله تعالى: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها السموات، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: هي معارج الملائكة. قال ابن قتيبة: أصل «المعارج» الدَّرَجُ، وهي من عَرَجَ: إِذَا صَحَّجَ. قال الفراء: لما كانت الملائكة تَجْرُجُ إليه، وصف نفسه بذلك. قال الخطابي: المعارج: الدَّرَجُ، واحدها: مَفْرَجٌ، وهو المَصْعَدُ، فهو الذي يُصْعَدُ إليه بأعمال العباد، وبأرواح المؤمنين. فالمعارج: الطرائق التي يُصْعَدُ فيها. والثاني: أن المَعَارِجَ: الفَوَاضِلُ والنِّعَمُ، قاله قتادة.

(١) رواء الحاكم في «المستدرک» ٥٠٢/٢ عن سعيد بن جبیر وقال: هذا حدیث صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه. وتعبه الذهبی فقال: علی شرط البخاری فقط، وأورده السيوطی فی «الدرا» ٢٦٣/٦ وزاد نسبة للقرطبي، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) قال ابن جرير الطبري: والذي هو أولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ بالهمز، لإجماع الحجة من القراء على ذلك، وأن عامة أهل التأويل من السلف بمعنى الهمزة تأولوه.

(٣) البيت للعقبة بن عبدة، وهو في «ديوانه» ١١، و «المفضليات» ٣٩٣، وأدب الكاتب ٥٠٥، والقرطبي ٢٨/٢٧٧ والشاهد فيه أن الباء في قوله «بالنساء» بمعنى «عن». والمعنى: فإن تسألوني عن النساء. والأدواء: جمع داء.

قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْكَلْبَ كُذَّ﴾ قرأ الكسائي: «يَفْرُجُ» بالياء. «وَالرُّوحُ» في «الروح» قولان: أحدهما: جبريل، قاله الأكثرون. والثاني: رُوح الميت حين تُقبَضُ، قاله قيسة بن دُؤيب.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي﴾ أي: إلى الله ﷻ ﴿هُوَ يَوْمَ كَانَ يُقَادَرُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يوم القيامة، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، والقرظي، وهذا هو مقدار يوم القيامة من وقت البعث إلى أن يفصل بين الخلق. وفي الحديث: «إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَخَفُّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ»<sup>(١)</sup>. وقيل: بل لو ولي حسب الخلق سوى الله ﷻ لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة، والحق يفرغ منه في ساعة من نهار. وقال عطاء: يفرغ الله من حساب الخلق في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا. فعلى هذا يكون المعنى: ليس دافع من الله في يوم مقداره خمسين ألف سنة. قيل: المعنى: سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير. والثاني: أن مقدار صعود الملائكة من أسفل الأرض إلى العرش لو صعدوا غيرهم قطعه في خمسين ألف سنة، وهذا معنى قول مجاهد.

قوله تعالى: ﴿فَأَنزِلْ﴾ أي: اصبر على تكذيبهم إياك ﴿صَبْرًا جَبِيلًا﴾ لا جزع فيه، وهذا قبل أن يُؤْمَرَ بقتالهم، ثم نسخ بآية السيف. ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ يعني: العذاب ﴿بَيِّنًا﴾ غير كائن ﴿وَرَبَّهُ قَرِيبًا﴾ ﴿كَانَتْ﴾ لأن كل ما هو آت قريب. ثم أخبر متى يكون فقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ الْأَشْجَلُ كَالْهَلَلِ﴾ ﴿وَقَدْ شَرَحْنَا فِي [الكهف: ٢٩] وَتَكُونُ الْبِلَالُ كَالْيَمِينِ﴾ أي: كالصوف، فَشَبَّهَهَا فِي صَفْهَاهَا وَلَبَّيْهَا بِالصَّوْفِ. وقيل: شَبَّهَهَا بِهِ فِي خِفَّتِهَا وَسَوَّيْهَا، لأنه قد نقل أنها تسير على صورتها، وهي كالهباء. قال الزجاج: «العهن» الصوف. واحدته: عِهْنَةٌ، ويقال: عُهْنَةٌ، وعُهْنٌ، مثل: صُوفٍ، وصُوفٍ. وقال ابن قتيبة: «العُهْنُ» الصوف المصبوغ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَلْ حَبِيرٌ حَبِيرًا﴾ قرأ الأكثرون: «يسال» بفتح الياء. والمعنى: لا يسأل قريب عن قرابته، لاشتغاله بنفسه. وقال مقاتل: لا يسأل الرجل قرابته، ولا يكلمه من شدة الأهوال. وقرأ معاوية، وأبو رزين، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وابن محيصن، وابن أبي عبله، وأبو جعفر بضم الياء. والمعنى: لا يقال للحميم: أين حبيبك؟

قوله تعالى: ﴿يَمْرُؤُهُمْ﴾ أي: يَعْرِثُ الحميم حميمه حتى يَعْرِفَهُ، وهو مع ذلك لا يسأل عن شأنه، ولا يكلمه اشتغالا بنفسه. يقال: بَصُرْتُ زَيْدًا كَذَا: إِذَا عَرَفْتَهُ إِثَّاء. قال ابن قتيبة: معنى الآية: لا يسأل ذو قرابة عن قرابته، ولكنهم يَصُورُونَهُمْ، أي: يُعْرِفُونَهُمْ. وقرأ قتادة، وأبو المتوكل، وأبو عمران «يُصَيِّرُونَهُمْ» بإسكان الباء، وتخفيف الصاد، وكسرهما.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الدَّيْمِ﴾ يعني: يتمنى المشرك لو قُبِلَ منه الفداء ﴿يَوْمَ يَسِيرُ﴾ ﴿رَمَجَ يَمِينَهُ﴾ وهي الزوجة: ﴿وَمَصِيبَتِهِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: عشيرته. وقال الزجاج: هي أدنى قبيلته منه. ومعنى: ﴿تَقْوِيَةٍ﴾ تضمينه، فيؤدُّ أن يفندي بهذه المذكورات ﴿يَوْمَ يَبِيدُ﴾ ذلك الفداء، ﴿كَلَّا﴾ لا ينتجبه ذلك ﴿إِنَّمَا لَنَا﴾ قال الفراء: هو اسم من أسماء جهنم، فلذلك لم يُجَرَّ، وقال غيره: معناها في اللغة: اللهب الخالص. وقال ابن الأنباري: سميت لظي لشدة تَوَقُّدِهَا وتَلْهِبِهَا، يقال: هو يتلظى، أي: يتلهب ويتوقد. وكذلك النار تلتظى يراد بها هذا المعنى. وأنشدوا:

جَحِيمًا تَلْتَظِي لَا تَفْشُرُ سَاعَةً وَلَا الْحَرُّ مِنْهَا غَايِرَ الدَّهْرِ يَبْرُدُ

﴿نَزَاعَةُ لِلشَّوَى﴾ قرأ الجمهور «نَزَاعَةُ» للشوى بالرفع على معنى: هي نَزَاعَةٌ. وقرأ عمر بن الخطاب، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، ومجاهد، وعكرمة، وابن أبي عبله، وحفص عن عاصم «نَزَاعَةٌ» بالنصب. قال الزجاج: وهذا على أنها حال مؤكدة، كما قال تعالى: ﴿هُوَ أَلَحُّ مَصِيبًا﴾ [فاطر: ٣١] ويجوز أن ينصب على معنى «إنها تلتظى نزعاً». وفي

(١) رواه الإمام أحمد عن الحسن بن موسى، عن ابن لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري ﷺ، ولفظه: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلبها في الدنيا» ورواه ابن جرير الطبري عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به، ودراج وشيخه أبو الهيثم ضعيفان.

المراد به ﴿لَشَرٌّ﴾ أربعة أقوال: أحدها: جلدة الرأس، قاله مجاهد. والثاني: محاسن الوجه، قاله الحسن، وأبو العالية. والثالث: العصب، والعقب، قاله ابن جبير. والرابع: الأطراف: اليدين، والرجلان، والرأس، قاله الفراء، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَتَعَوَّزُوا بِآيَاتِهِ﴾ عن الإيمان ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ عن الحق. قال المفسرون: تقول: إليّ يا مشرك، إليّ يا منافق ﴿رَجَعَ فَأَرْوَى﴾ قال الفراء: أي جمع المال في وعاء فلم يؤد منه زكاة، ولم يصل منه رحماً.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ إذا سئله الشّرّ جرّوا ﴿وَإِذَا سئله الْخَيْرُ مَنَعَا﴾ إِلَّا الْمُسْلِمِينَ ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ وَالَّذِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿لَسَّائِيلُ وَالْمَعْرُورُ﴾ وَالَّذِينَ يَصُومُونَ يَبْزُونَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُتَعَقِبُونَ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ خَيْرٌ مَأْمُونٍ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَرْؤُسِهِمْ حَقْلُونَ ﴿إِلَّا عَنْ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ غَيْرِ مَلْهُومِينَ﴾ فَمَنْ أَتَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَتَهْمِيغٍ دَعَوْنَ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ يَشْتَدُّونَ قَائِمُونَ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَهَنَّمَ مُكْرَمُونَ ﴿قَالَ الَّذِينَ كَرِهُوا آلَ مُحَمَّدٍ مَّهْلُومِينَ﴾ مِنَ الْبَيْنِ وَبَيْنَ الشَّيْءِ ﴿أَيُّهَا كُلُّ أَتْرَفِي يَنْتَهَىٰ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةً يَغِيْرُ﴾ كَلَّا إِنَّا مَحْلُومُونَ ﴿يَمَّا يَمْلِكُونَ﴾ فَلَا أَتَمُّ رُبَّ الشَّكِيِّ وَالْكَرْبِ إِنَّا لَنَقْدِرُ ﴿عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ عَذَابَ سَئِمٍ وَمَا تَعْنَىٰ يَسْتَوُونَ﴾ فَذَرَهُمْ مَبْعُوثًا خِلَافَ رَأْيِهِمْ يَوْمَئِذٍ يُرِيدُونَ ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ يَرَكُنًا كَأَنَّهِمْ إِلَىٰ نُصَبٍ يُفْشَوْنَ﴾ خَشِيعَةً أَنْفُسُهُمْ رَهْمَتُهُمْ ذَٰلِكَ يَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُعَذِّبُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ قال مقاتل: عنى به أمية بن خلف الجُمحي. وفي الهلوع سبعة أقوال: أحدها: أنه الموصوف بما يلي هذه الآية، رواه عطية عن ابن عباس، وبه قال أبو عبيدة، والزجاج. والثاني: أنه الحريص على ما لا يحلّ له، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: البخيل، قاله الحسن، والضحاك. والرابع: الشحيح، قاله ابن جبير. والخامس: الشرّ، قاله مجاهد. والسادس: الضُّجُور، قاله عكرمة، وقَتَادَة، ومقاتل، والفراء. والسابع: الشديد الجزع، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿إِذَا سئله الشّرّ﴾ أي: أصابه الفقر ﴿جرّوا﴾ لا يصبر، ولا يحسب ﴿وَإِذَا سئله الْخَيْرُ﴾ أصابه المال ﴿سَوَّعَا﴾ بمنعه من حق الله ﷻ ﴿إِلَّا الْمُسْلِمِينَ﴾ وهم أهل الإيمان بالله. وإنما استثنى الجمع من الإنسان، لأنه اسم جنس ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ وفيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الذين يحافظون على المكتوبات، وهو معنى قول ابن مسعود. والثاني: أنهم لا يلتفتون عن إيمانهم وشمائلهم في الصلاة، قاله عتبة بن عامر، واختاره الزجاج. قال: ويكون اشتقاقه من الدائم، وهو الساكن، كما جاء في الحديث أنه نهى عن البول في الماء الدائم<sup>(١)</sup>. والثالث: أنهم الذين يكثرون فعل التطوع، قاله ابن جريج. ﴿وَالَّذِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ قد سبق شرح هذه الآية والتي بعدها في [الذاريات: ١٩] وبيننا معنى [يوم الدين] في الفاتحة. وما بعد هذا قد شرحناه في [المؤمنين: ٧، ٨] إلى قوله تعالى: ﴿لَا تَسْتَكْبِرُوا﴾ قرأ ابن كثير وحده: «لأمانتهم» ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَشْتَدُّونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «بشهادتهم» على التوحيد. وقرأ حفص عن عاصم: «بشهاداتهم» جمعاً ﴿قَائِمُونَ﴾ أي: يقومون فيها بالحق ولا يكتُمونها. ﴿قَالَ الَّذِينَ كَرِهُوا آلَ مُحَمَّدٍ مَّهْلُومِينَ﴾ نزلت في جماعة من الكفار جلسوا حول رسول الله ﷺ يستهزئون بالقرآن، ويكذبون به. قال الزجاج: والمُهْطِع: المُقْبِلُ بِصَرِّهِ عَلَى الشَّيْءِ لَا يُزِيلُهُ، وكانوا ينظرون إلى النبي نظر عداوة. وقد سبق الخلاف في قوله تعالى: ﴿مُهْلُومِينَ﴾ [إبراهيم: ٤٣، والقمر: ٨].

قوله: ﴿مَنْ الْبَيْنِ وَبَيْنَ الشَّيْءِ﴾ قال الفراء: العزّون، الجملات، واحدها: عَزَّةٌ، وكانوا يجتمعون حول النبي ﷺ فيقولون: إن دخل هؤلاء الجنة، كما يقول محمد ﷺ، فلندخلها قبلهم، فنزل قوله تعالى: ﴿أَيُّهَا كُلُّ أَتْرَفِي يَنْتَهَىٰ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةً يَغِيْرُ﴾<sup>(٢)</sup> وقرأ ابن مسعود، والحسن، وطلحة بن مبصر، والأعمش، والمفضل عن عاصم «أن يَدْخُلَ» بفتح الياء، وضم الخاء. وقال أبو عبيدة: عَزِين جمع عَزَّة، مثل ثَبَّة، وثَبِين، فهي جماعات في تفرقة<sup>(٣)</sup>.

(١) - روى البخاري ومسلم في (صحيحهما) عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبول أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه».

(٢) - ذكره الواحدي عن المفسرين بغير سند ولم يعزه لأحد.

(٣) - روى مسلم في (صحيحه) ٣٢٢/١ عن جابر بن سمرة ؓ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فرأنا جُلُفًا، فقال: «ما لي أراكم عَزِين؟» أي جماعات في =

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يكون ذلك ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنَّا يَمْلِكُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: من نقطة، ثم من علقه، ثم من مضغة، فالمعنى: لا يستوجب الجنة أحد بما يدّعيه من الشرف على غيره، إذ الأصل واحد، وإنما يستوجبها بالطاعة. والثاني: إنا خلقناهم من أقدار. فبماذا يستحقون الجنة ولم يؤمنوا؟! وقد روى بشر<sup>(١)</sup> بن جحاش عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنَّا يَمْلِكُونَ﴾ ثم بَرَّقَ، قال: يقول الله ﷻ: أَنِّي تَعْجِزُني، وقد خلقتك من مثل هذه!؟ حتى إذا سَوَّيْتُكَ، وَعَدَّلْتُكَ، مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ، وللارض منك وئيد، فجمعت، ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي قلت: اتَّصَدَّقْ، وَأَنَّى أَوَانِ الصَّدَقَةَ؟!<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا أَتَيْتُ﴾ قد تكلمنا عليه في [الحاقة: ٣٨] والمراد بالمشارق، والمغارب: شرق كل يوم ومغربُه ﴿إِنَّا لَفَعَلْنَا ۝١٥ عَذَابَ أَن يُدْعَىٰ خَيْرًا يَتَمَنَّ﴾ أي: نَخْلُقْ أَثْمَلًا مِنْهُمْ، وَأَطْلَعُ لَهُ حِينَ عَصَاوُا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْرُورِينَ﴾ مفسر في [الواقعة: ٦٠] ﴿فَبَدَّلَ هُمُومًا﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْمِزُوا﴾ أي: يلهاو في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يَلْقَوا﴾ وقرأ ابن محيصن ﴿يَلْقَوا﴾ يومهم الذي يوعدون، وهو يوم القيامة. وهذا لفظ أمر، معناه الوعيد. وذكر المفسرون أنه منسوخ بآية السيف. وإذا قلنا: إنه وعيد بقاء يوم القيامة، فلا وجه للنسخ. ﴿وَيَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْجَنَّةِ يِرَاقًا﴾ أي: يخرجون بسرعة كأنهم يَسْتَقِفُونَ.

قوله تعالى: ﴿كَانَهُمْ إِلَىٰ نَصَبٍ﴾ قرأ ابن عامر، وحفص عن عاصم بضم النون والصاد. وقال ابن جرير: وهو واحد الأنصاب، وهي ألتهتهم التي كانوا يعبدونها. فعلى هذا يكون المعنى: كأنهم إلى ألتهتهم التي كانوا يعبدونها يُسرعون. وقرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي بفتح النون وسكون الصاد، وهي في معنى القراءة الأولى، إلا أنه مصدر. كقول القائل: نصبت الشيء أنصبه نصباً. قال قتادة: معناه: كأنهم إلى شيء منصوب يسرعون. وقال ابن جرير: تأويله: كأنهم إلى صنم منصوب يُسرعون. وقرأ ابن عباس، وأبو مجلز، والنخعي «نُصَب» برفع النون، وإسكان الصاد. وقرأ الحسن، وأبو عثمان النُّهْدِي، وعاصم الجحدري «إِلَىٰ نَصَبٍ» بفتح النون والصاد جميعاً. قال ابن قتيبة: النصب، حجر يُنْصَبُ أو صنم، يقال: نُصِبَ، ونُصِبَ، ونُصِبَ. وقال الفراء: النُّصْب والنُّصْب واحد، وهو مصدر، والجمع: الأنصاب. وقال الزجاج: النُّصْب، والنُّصْب: العلم المنصوب. قال الفراء: والإيفاض الإسراع.

قوله تعالى: ﴿رَمَقَهُمْ ۝١٦﴾ قرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعمرو بن دينار «وَلَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ» بغير تنوين، ويخفض الميم. وباقى السورة قد تقدم بيانه [المعارج: ٤٢].



= تفرقة، جمع عِزَّة، وأصلها «عزوة» فحذفت الواو وجمعت جمع السلامة على غير قياس كثيرين جمع ثُبَّة. والحديث رواه أيضاً أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن جرير الطبري. وفي هذا الحديث دلالة على أن التفرقة في الأجسام تولد التفرقة في القلوب.

(١) كذا الأصل: «بشر» وقد ذكره الحافظ ابن حجر في «الإصابة» «يسر» بالسین المهملة بن جحاش قال: بكسر الجيم بعدها هملة خفيفة، قال: ويقال: يفتحه بعدها مظهلة، وبعد الألف معجمة، قرشي نزل حمص. قال ابن منده: أهل العراق يقولونه بالمعجمة (بشر) وقال الدارقطني وابن زيد: لا يصح بالمعجمة، وكذا ضبطه بالمهملة أبو علي الهجري في «نواذره» لكن سمي أباه جحشاً. وقال مسلم وابن السكيت وغيرهما: لم يرو عنه غير جبير بن نفيير، وحديثه عند أحمد وابن ماجه والحاكم من طريقه بإسناد صحيح. قال ابن منده: عداة في الشاميين، مات بجمص.

(٢) رواه أحمد في «المستد» ٢١٠/٤ من حديث حريز بن عثمان عن عبد الرحمن بن مسيرة عن جبير بن نفيير عن يسر بن جحاش، وإسناده حسن، ورواه الحاكم في «المستدرک» ٥٠٢/٢ قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعبه الذهبي فقال: صحيح. ورواه ابن ماجه رقم (٢٧٠٧)، وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح. وأورده السيوطي في «الدر» ١٦٧/٦ من رواية البيهقي في «شعب الإيمان».



## سورة نوح

وهي مكة كلها ياجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ إِنِّي إِلَهُ دِينُكُمْ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ وَقَوْمُهُ إِنَّ لِي فِئْتًا بِكُمْ فَجَاءَتْهُمُ الْغَلْغَلَةُ فظَلُّوا عَلَىٰ الطُّورِ ﴿٢﴾ ثُمَّ اتَّخَذَ مُوسَىٰ ذَاتَ الْعُرَىٰ إِعْجَازًا فَأَنشَأَهُ لَدِ الْكُفَّةِ أَهْلًا عَاصِمًا ﴿٣﴾ تَبِعُوا نَارًا أُولَٰئِكَ الْأَشْقَىٰ ﴿٤﴾ إِنَّ أَعْيُنَنَا عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ لَقَدْ بَرَأْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْ أُنْذِرَ قَوْمَكَ﴾ أي: بأن أُنذِرَ قومك. و «العذاب الأليم» العُرق.

قوله تعالى: ﴿إِن أَعْبَدُوا اللَّهَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي، وعلي بن نصر عن أبي عمرو «أَنْ أَعْبَدُوا اللَّهَ» بضم النون. وقرأ عاصم، وحمزة، وعبد الوارث عن أبي عمرو ﴿إِن أَعْبَدُوا اللَّهَ﴾ بكسر النون. قال أبو علي: من ضم كره الكسر.

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا﴾ أثبت الياء في الحالين يعقوب.

قوله تعالى: ﴿يَنْ ذُؤَيْبُكَ﴾ «من» هاهنا صلة. والمعنى: يغفر لكم ذنوبكم، قاله السدي ومقاتل. وقال الزجاج: إنما دخلت «من» هاهنا لتختص الذنوب من سائر الأشياء. ولم تدخل لتبعض الذنوب، ومثله ﴿فَأَنذِرُوا أَرْبَعِينَ يَوْمًا﴾ [الأنبياء: ٣٠] «الحج: ٣٠» وذهب بعض أهل المعاني إلى أنها للتبعض. والمعنى: يغفر لكم من ذنوبكم إلى وقت الإيمان ﴿وَوَرِّكُمُ﴾ أي: عن العذاب ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ وهو منتهى آجالهم. والمعنى: فتموتوا عند منتهى آجالكم غير مية المعتبين، ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أجل الموت، قاله مجاهد. فيكون المعنى: إن أجل الله الذي أجلكم إليه لا يؤخر إذا جاء، فلا يمكنكم حينئذ الإيمان. والثاني: أنه أجل البعث، قاله الحسن. والثالث: أجل العذاب، قاله السدي ومقاتل.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي مَوْتٌ قَدْ لَئَلَا وَهَبَا ۖ قُلْ يَرْجِعْ دُعَاؤِي إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَأَنَا كُنْتُ أَتُوبُ ۙ﴾ ﴿١﴾ رَأَىٰ كَلْبًا دُوحْتُهُمْ يُتَغَيَّرُ لَمَّا جَعَلُوا أَمْنَهُمْ فِي مَآلِكِهِمْ وَاسْتَفْتَوْا بِهِمْ وَأَسْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتَكْبَارًا ۙ﴾ ﴿٢﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۙ﴾ ﴿٣﴾ ثُمَّ إِنِّي أَتَلَّتْ لَمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۙ﴾ ﴿٤﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۙ﴾ ﴿٥﴾ يُرْسِلُ السَّحَابَ عَلَيْكُمْ يُدْرِكُوا ۙ﴾ ﴿٦﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ يُغْنِيكُمْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيجعل لَكُمْ أَنْهَارًا ۙ﴾ ﴿٧﴾ تَا لَكُمْ لَا تَرْجِعُوا إِلَىٰ اللَّهِ وَقَالَ ۙ﴾ ﴿٨﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَلْوَارًا ۙ﴾ ﴿٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَكَاتٍ لِّبَاطَا ۙ﴾ ﴿١٠﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ۙ﴾ ﴿١١﴾ وَاللَّهُ أَتَيْنَكُم مِّنَ الْأَرْضِ بَنَاتًا ۙ﴾ ﴿١٢﴾ ثُمَّ يُبْدِيكُمْ فِيهَا وَجْهَكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۙ﴾ ﴿١٣﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۙ﴾ ﴿١٤﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَالًا ۙ﴾ ﴿١٥﴾ قَالَ فُجَّ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْا وَاعْتَبُوا مِن لِّمَن بَرَّهَ مَا لَهُمْ وَرَدَّاهُ ۙ﴾ ﴿١٦﴾ إِلَّا خَسَارًا ۙ﴾ ﴿١٧﴾ وَمَكُرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ۙ﴾ ﴿١٨﴾ وَقَالُوا لَا تَنْدَرُ بِالْمِثْكَرِ وَلَا تَنْدَرُ وَتَا وَلَا سَوَاءً وَلَا يَمُوتُ وَيَمُوتُ وَشَرًّا ۙ﴾ ﴿١٩﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ۙ﴾ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَرْفَعْ دَعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا ۝١﴾ أي: تباعدًا من الإيمان ﴿وإِنِّي كُنْتُ دَعَوْتُهُمْ﴾ إلى الإيمان والطاعة ﴿جَلًّا أَسِيئَةً يَافِكَاهُمْ﴾ لئلا يسمعوا صوتي ﴿وَأَسْتَفْتُوا بِآيَاهُمْ﴾ أي: غطوا بها وجوههم لئلا يروني ﴿وَأَمَرُوا﴾ على كفرهم ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بك وأتباعي ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٢﴾ أي: معلناً لهم بالدعاء. قال ابن عباس: بأعلى صوتي ﴿ثُمَّ إِنِّي أَفْلَحْتُ ثُمَّ﴾ أي: كررت الدعاء معلناً ﴿وَأَنْشَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ قال ابن عباس: يريد أكلهم الرجل بعد الرجل في السر، وأدعوه إلى توحيدك وعبادتك ﴿فَنُفِثَ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ قال المفسرون: منع الله عنهم القطر، وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فقال لهم نوح: ﴿أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك، أي: استدعوا مغفرته بالتوحيد ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْهِمُ مِدْرَارًا﴾ قد شرحناه في أول (الأنعام: ٦١) ومعنى الكلام أنه أخبرهم أن الإيمان يجمع لهم خير الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

(١) قال ابن كثير: أي: إذا تبت إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه، كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَئِنْ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَنَا﴾؟ فيه أربعة أقوال: أحدها: لا تَرَوْنَ الله عظمة، قاله الفراء، وابن قتيبة. والثاني: لا تخافون عظمة الله، قاله الفراء، وابن قتيبة. والثالث: لا تَرَوْنَ الله طاعة، قاله ابن زيد. والرابع: لا ترجون عاقبة الإيمان والتوحيد، قاله الزجاج: ﴿وَلَدَّ خَلْقُكُمْ أَطْوَارًا﴾ (١) أي: وقد جعل لكم في أنفسكم آية تدل على توحيده من خلقه إياكم من نقطة، ثم من علفة شيئاً بعد شيء إلى آخر الخلق. قال ابن الأنباري: الطُّور: الحال، وجمعه: أطوار. وقال ابن فارس: الطُّور: الثارة، طوراً بعد طور، أي: تارة بعد تارة. وقيل: أراد بالأطوار: اختلاف المناظر والأخلاق، من طويل، وقصير، وغير ذلك، ثم قرَّزهم، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبله «طباقي» بتوئين القاف، وكسرهما من غير ألف. وقد بيَّنا هذا في سورة [الملك: ٣].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِ نُورًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن وجه القمر قيلت السموات، وظهره قيلت الأرض، يضيء لأهل السموات، كما يضيء لأهل الأرض، وكذلك الشمس، هذا قول عبد الله بن عمرو. والثاني: أن القمر في السماء الدنيا. وإنما قال: «فيهن» لأنهن كاشية الواحد، ذكره الأخفش والزجاج، وغيرهما. وهذا كما تقول: أتيت بني تميم، وإنما أتيت بعضهم، وركبت السفن، ﴿وَجَعَلَ النَّهْرَ يَرَاكُمَا﴾ يستضيء بها العالم (٢) ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يعني: أن مبتدأ خلقكم من الأرض، وهو آدم ﴿يُنَافَا﴾ قال الخليل: معناه: فنبئتم نباتاً. وقال الزجاج: «نباتاً» محمول في المصدر على المعنى، لأن معنى أنبتكم: جعلكم تنبتون نباتاً. قال ابن قتيبة: هذا مما جاء فيه المصدر على غير المصدر، لأنه جاء على نبت. ومثله: ﴿وَيَبْقَىٰ إِلَيْنَا مَبْعُودٌ﴾ [الزمل: ٨] فجاء على «بُتْل». قال الشاعر:

وَحَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ  
فَجَاءَ عَلَى أَتْبَعْتِ. وقال الآخر:

وَأَنْ شَأْنَكُمْ تَمَادُنَا عَوَادًا

فجاء على «عَادُونَا»، وإنما تجيء المصادر مخالفة الأفعال، لأن الأفعال وإن اختلفت أبينتها، واحدة في المعنى. قوله تعالى: ﴿سُبْحًا يَبَاقًا﴾ قال الفراء: هي الطرق الواسعة.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَرِزْقَهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ﴾ قرأ أهل المدينة، وابن عامر، وعاصم «وَوَلَدَهُ» بفتح اللام والواو. وقرأ الباقون «وَوَلَدَهُ» بضم الواو، وسكون اللام. قال الزجاج: وهما بمعنى واحد، مثل العَرَب، والغُرَب، والعَجَم، والْعَجَم. وقرأ الحسن، وأبو العالية، وابن يعمر، والجاحدي: «وَوَلَدَهُ» بكسر الواو، وإسكان اللام. قال المفسرون: المعنى: أن الاتباع، والفقراء اتَّبَعُوا رأيي الرؤساء والكبراء.

قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ قرأ أبو رجاء، وأبو عمران: «كِبَارًا» برفع الكاف، وتخفيف الباء. وقرأ ابن يعمر، وأبو الجوزاء، وابن محيصن «كِبَارًا» بكسر الكاف مع تخفيف الباء. والمعنى «كبيراً» يقال: كبير، وكبار. وقد شرحنا هذا في أول (ص). ومعنى «المكر»: السعي في الفساد. وذلك أن الرؤساء منعوا أتباعهم من الإيمان بنوح ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: لا تَدَعُوْا عبادتها ﴿وَلَا تَذَرُونَّ رَبَّكُمْ﴾ قرأ أبو جعفر، ونافع بضم الواو. والباقون بفتحها. وهذا الاسم وما بعده أسماء ألّهتهم. وجاء في التفسير أن هذه أسماء قوم صالحين، كانوا بين آدم ونوح، ونشأ قوم بعدهم

لهم الزرع، وأذن لكم الضرع، وأمذكم بأموال وبنين، أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وغلّلتها بالأنهار الجارية بينها. ثم قال: هذا مقام الدعوة بالترغيب، ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال: ﴿ثُمَّ لَئِنْ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَنَا﴾؟.

(١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِ نُورًا﴾ يقول: وجعل القمر في السموات السبع نوراً، وجعل الشمس فيهن سراجاً. وقال ابن كثير: المقصود أن الله سبحانه وتعالى: خلق سبع سموات طباقاً، وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً، أي: فأتيت بينهما في الاستارة، فجعل كلاً منهما أنموذجاً على حلة ليحرف الليل والنهار بطلع الشمس ومضيها، وقدر للقمر منازل ويرجعاً، وفاتت نوره، فتارة يزداد حتى يتأهي، ثم يهجر في النقص حتى يستمر ليلد على مغربي الشهور والأعوام، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ النَّهْرَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَوَدَّعَ سُبُلَ سُبُلِهَا عَدَدَ السَّيِّئَاتِ وَالْحَسَبَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفِيدُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾. وقال الألويسي: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِ نُورًا﴾ متوراً لوجه الأرض في ظلمة الليل، وجعله ليهن مع أنه في إحداهن وهي السماء الدنيا، كما يقال: زيد في بغداد وهو في بقعة منها، والمرجح له الإيجاز والملازمة بالكلية والجزئية وكونها طباقاً شفاعاً.

(٢) البيت للقطامي، وهو في «ديوان» ٣٥، «واللسان»: تبع. وضع الاتباع موضع التبج مجازاً، لأن تَبَّعْتُ في معنى اتَّبَعْتُ.

يأخذون بأخذهم في العبادة، فقال لهم إبليس: لو صورتم صُورَهُمْ كان أنشط لكم، وأشوق للعبادة، ففعلوا. ثم نشأ قوم بعدهم، فقال لهم إبليس: إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم، فعبدوهم، وكان ابتداء عبادة الأوثان من ذلك الوقت. وسميت تلك الصور بهذه الأسماء، لأنهم صوروها على صور أولئك القوم المستمين بهذه الأسماء. وقيل: إنما هي أسماء لأولاد آدم، مات منهم واحد، فجاء الشيطان فقال: هل لكم أن أصور لكم صورته، فتذكرونه بها؟ فصورها. ثم مات آخر، فصور لهم صورته، إلى أن صور صوراً خمسة. ثم طال الزمان، وتركوا عبادة الله، فقال لهم الشيطان: مالكم لا تعبدون شيئاً؟ فقالوا: لمن نعبد؟ قال: هذه آلهتكم، وآلهة آبائكم، ألا ترونها مصورة في مصلاكم؟ فعبدوها. وقال الزجاج: هذه الأصنام كانت لقوم نوح، ثم صارت إلى العرب، فكان «ود» لكلب، و«سواع» لهمدان، و«يغوث» لبني غطف، وهم حي من مراد. وقيل: لما جاء الطوفان غطى على هذه الأصنام وطَّها التراب، فلما ظهرت بعد الطوفان صارت إلى هؤلاء المذكورين، قال الواقدي: كان «ود» على صورة رجل، و«سواع» على صورة امرأة، و«يغوث» على صورة أسد، و«يعوق» على صورة فرس، و«نسر» على صورة النسر من الطير.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَخْلَلْنَا كَيْبَرًا﴾ فيه قولان: أحدهما: وقد أضلت الأصنام كثيراً من الناس، أي: ضلوا بسببها. والثاني: وقد أضل الكبراء كثيراً من الناس. ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: الكافرين ﴿إِلَّا سَكَلًا﴾ وهذا دعاء من نوح عليهم، لما أعلمه الله أنهم لا يؤمنون.

﴿يَمَّا خَطْبْتَهُمْ أَتَرَوْا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَصْنَارًا﴾ ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَبْسُتُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِراً كَفَّارًا﴾ ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾

قوله تعالى: ﴿يَمَّا خَطْبْتَهُمْ﴾ «ما»: صلة. والمعنى: من خطبتاتهم: أي: من أجلها، وسببها. وقرأ أبو عمرو «ما خطاياهم»، وقرأ أبو الجوزاء، والجحدري «خطبتهم» من غير ألف، ﴿أَتَرَوْا فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾ قال ابن السائب: المعنى: سيدخلون في الآخرة ناراً، فجاء لفظ الماضي بمعنى الاستقبال، لأن الوعد حق، هذا قول الأكثرين. وقال الضحاك: فأدخلوا ناراً في الدنيا، وذلك أنهم كانوا يفرقون من جانب، ويحترقون في الماء من جانب.

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَصْنَارًا﴾ أي: لم يجدوا أحداً يمنعهم من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿دَيَّارًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: أحداً. يقال: ما بالمنازل دياراً، أي: ما بها أحد، وهو من الدار، أي: ليس بها نازل داراً. وقال الزجاج: أصلها: «دَيَّوار» فيقال، فقلبت الواو ياءً، وأدغمت إحداهما في الأخرى. وإما دعا عليهم نوح، لأن الله تعالى أوحى إليه ﴿كَأَن يُؤْمَرَ بِرَبِّكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ وذلك أن الرجل منه كان ينطلق بانيته إلى نوح، فيحذره تصديقه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِراً كَفَّارًا﴾ قال المفسرون: إن الله تعالى أخبر نوحاً أنهم لا يلدون مؤمناً، فلذلك علم الفاجر الخارج عن الطاعة.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ قال الحسن: وذلك أنهما كانا مؤمنين. وقرأ أبو بكر الصديق، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، والجحدري، والجوني «ولوالدي» ساكنة الياء على التوحيد. وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، وابن يعمر، والزهري، والنخعي «ولولدي» من غير ألف على التنثية «وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ» وقرأ حفص عن عاصم «بيتي» بفتح الياء. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: منزله، قاله ابن عباس. والثاني: مسجده، قاله الضحاك. والثالث: سفينة، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ هذا عام في كل من آمن، ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: الكافرين ﴿إِلَّا تَبَارًا﴾ أي: هلاكاً. ومنه قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ تَبَارَكَ﴾ [الفرقان: ٣٩].

## سورة الجن

كلها مكية بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الْهُدَىٰ فَأَمَّا بِنَا وَإِنَّ شَرْكَ رَبِّنَا أَكْبَرُ ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ قَتَلَ جَدَّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَظَالُ مِنَ الْإِنسِ يُوذُونَ يَحَاوِلُونَ ﴿٤﴾ وَبَيْنَمَا هُم مَّقْعِدٌ لِّلشَّيْءِ فَجَاءَتْهُمْ مَّيْمَنَةٌ مِّنَ رَبِّهِمْ ﴿٥﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَمِيتَ اللَّهُ أَهْلَكَا ﴿٦﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَنَظَرْنَا مُنِيبِينَ وَهَبًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلشَّيْءِ فَمِنَ ابْتِغَايِ الْآلَانِ حِيدٌ لَّمْ يَمِيزْ الْإِنسَانُ مَا رَزَقَهُ ﴿٨﴾ وَنَادَىٰ أَشْرٌ أُورِدَ يَمِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْرَ أَرَادَ يَمِيزُ رَبُّهُمْ رَهَقًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا إِنَّا الْغَالِيُونَ وَمِنَّا ذُو ذَلِكْ كُنَّا طَائِفًا يَذْكُرُ ﴿١٠﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نَحْمِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْزِرَهُ هَرًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰ أَمَّا بِدِ قَمِ يَوْمِ يَرْيَبُ فَلَا يَحَافُ بَحْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا إِنَّا الْغَالِيُونَ وَمِنَّا الْغَالِيُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٣﴾ وَأَمَّا الْغَالِيُونَ فَكَانُوا لِيَجْهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٤﴾ وَالَّذِي اسْتَفْتَوْا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً عَذْبًا ﴿١٥﴾ لَقَدْ نَزَّلْنَاهُمْ بِهِ وَيَوْمَ يُعْرَضُ عَنْ دَرِي رَيْبٍ يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ قد ذكرنا سبب نزول هذه الآية في [الاحقاف: ٢٩] وبيئنا هنالك سبب استماعهم. ومعنى «النفر» وعددهم، فأما قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَجَبًا﴾ فمعناه: بليغاً يعجب منه لبلاغته ﴿يَهْدِي إِلَى الْهُدَىٰ﴾ أي: يدعو إلى الصواب من التوحيد والإيمان ﴿وَلَن تَشْرِكَ بِرَبِّنَا﴾ أي: لن نعدل برئنا أحداً من خلقه. وقيل: عنوا إبليس، أي: لا نطيعه في الشرك بالله.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ قَتَلَ جَدَّ رَبِّنَا﴾ اختلف القراء في اثنتي عشرة همزة في هذه السورة، وهي: «وأنه تعالى»، «وأنه كان يقول»، «وأننا ظننا»، «وأنه كان رجال»، «وأنهم ظنوا»، «وأننا لمسنا»، «وأننا كنا»، «وأننا لا ندرى»، «وأننا منا»، «وأننا ظننا أن لن نعجز الله»، «وأننا لما سمعنا»، «وأننا منا» ففتح الهمزة في هذه المواضع ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم، ووافقه أبو جعفر في ثلاثة مواضع: «وأنه تعالى»، «وأنه كان يقول»، «وأنه كان رجال»، وكسر الباقيات. وقرأ الباقون بكسرها. وقال الزجاج: والذي يختاره النحويون في هذه السورة أن ما كان من الوحي قيل فيه: «أن» بالفتح، وما كان من قول الجن قيل: «إن» بالكسر، معطوف على قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ وعلى هذا يكون المعنى: وقالوا: إنه تعالى جَدُّ رَبِّنَا، وقالوا: إنه كان يقول سفيهاً. فأما من فتح، فذكر بعض النحويين، يعني القراء: أنه معطوف على الهاء في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا بِنَا﴾ وبأنه تعالى جَدُّ رَبِّنَا. وكذلك ما بعد هذا. وهذا رديء في القياس، لا يعطف على الهاء المتمكنة المخفوضة إلا بإظهار الخافض. ولكن وجهه أن يكون محمولاً على معنى أمّا به، فيكون المعنى: وصدّقنا أنه تعالى جَدُّ رَبِّنَا. وللمفسرين في معنى ﴿قَتَلَ جَدَّ رَبِّنَا﴾ سبعة أقوال: أحدها: قُدْرَةُ رَبِّنَا، قاله ابن عباس. والثاني: غِنَى رَبِّنَا، قاله الحسن. والثالث: جَلَالُ رَبِّنَا، قاله مجاهد، وعكرمة. والرابع: عَظَمَةُ رَبِّنَا، قاله قتادة. والخامس: أَمْرُ رَبِّنَا، قاله السدي. والسادس: ارتفاع ذكره وعظمته، قاله مقاتل. والسابع: مُلْكُ رَبِّنَا وثناؤه وسلطانه، قاله أبو عبيدة. ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه إبليس، قاله مجاهد، وقاتدة. والثاني: أنه كفارهم، قاله مقاتل. و«الشطط»: الجور، والكذب، وهو: وصفه بالشريك، والولد. ثم قالت الجن: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ﴿٦﴾ وقرأ يعقوب: «أن لن نقول» بفتح القاف، وتشديد الواو. والمعنى: ظنناهم صادقين في قولهم: لله صاحبة ولد، وما ظنّناهم يكذبون حتى سمعنا القرآن، يقول الله ﷻ ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَظَالُ مِنَ الْإِنسِ يُوذُونَ يَحَاوِلُونَ﴾ وذلك أن الرجل في الجاهلية كان إذا سافر فأمسى في قفر من الأرض قال: أعوذ

يسئد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فبييت في جوار منهم حتى يصبح. ومنه حديث كردم بن أبي السائب الأنصاري، قال: خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة، وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة، فأوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء ذئب، فأخذ حملًا من الغنم، فوثب الراعي فنادى: يا عامر الوادي جارك، فنادى مناد لا نراه: يا سرحان أرسله. فإذا الحمل يشد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة<sup>(١)</sup>، فأنزل الله على رسوله ﷺ ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ﴾ الآية<sup>(٢)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿فَرَادَوْهُمْ رَهَقًا﴾ قولان: أحدهما: أن الإنس زادوا الجن رهقًا لتعوذهم بهم، قاله مقاتل. والمعنى: أنهم لما استعاذوا بسادتهم قالت السادة: قد سدنا الجن والإنس. والثاني: أن الجن زاد الإنس رَهَقًا، ذكره الزجاج. قال أبو عبيدة: زادوهم سَفَهًا وطغيانًا. وقال ابن قتيبة: زادوهم ضلالًا. وأصل الرهق: العيب. ومنه يقال: فلان يرهق في دينه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾ يقول الله ﷻ: ظن الجن ﴿كَمَا ظَنُّنَا﴾ أيها الإنس المشركون أنه لا بعث. وقالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَسْنَا السَّكَّةَ﴾ أي: أتيناها ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ وهم الملائكة الذين يحرسونها من استراق السمع ﴿وَرَهَبًا﴾ جمع شهاب، وهو النجم المضيء ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلشَّمْعِ﴾ أي: كنا نستمع، فالآن حين حاولنا الاستماع بعد بعث محمد ﷺ رُمينا بالشُّهب. ومعنى ﴿رَسَدًا﴾ قد أرصد له المرمى به ﴿وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَتَرَىٰ أَرِيدُ يَمْنَ فِي الْآرْضِ﴾ بإرسال محمد ﷺ إليهم، فيكذبونه، فيهلكون ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ وهو أن يؤمنوا فيهدوا، قاله مقاتل. والثاني: أنه قول كفر الجن، والمعنى: لا تدري أشر أريد بمن في الأرض بحدوث الرجم بالكواكب، أم صلاح؟ قاله الفراء. ثم أخبروا عن حالهم، فقالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْفَاسِقُونَ﴾ وهم المؤمنون المخلصون ﴿وَمِنَّا ذُوْ ذَٰلِكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم المشركون. والثاني: أنه أهل الشر دون الشرك. ﴿كُنَّا طَرَائِقَ يَفْعَدًا﴾ قال الفراء: أي: فرقًا مختلفة أهواؤنا. وقال أبو عبيدة: واحد الطرائق: طريقة، وواحد الفَعْد: قدة، أي: ضروريًا واجتبابًا ومِلًّا. قال الحسن، والسدي: الجن مثلكم، فمنهم قَدْرِيَّةٌ، ومرجئةٌ، ورافضة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾ أي: أيقنا ﴿أَن لَّنْ تُعْجِزَ اللَّهُ فِي الْآرْضِ﴾ أي: لن نُفَوِّتَهُ إذا أراد بنا أمرًا ﴿وَلَكِنْ تَعْجِزُ هَرًا﴾ أي: أنه يدركننا حيث كنا ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَوَقْنَا لِلْمَلِكِ﴾ وهو القرآن الذي أتى به محمد ﷺ ﴿مُتَكَبِّرِينَ﴾ أي: صدقنا أنه من عند الله ﷻ ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَحَافُ بِحَسَا﴾ أي: نقصًا من الثواب: ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ أي: ولا ظلمًا ومكروهاً يفسدها ﴿وَأَنَّا مِنَّا السَّائِلُونَ﴾ قال مقاتل: المخلصون لله ﴿وَمِنَّا الْفَاسِقُونَ﴾ وهم المردة. قال ابن قتيبة: القاسطون: الجاثرون. يقال: قسط: إذا جار، وأقسط: إذا عدل<sup>(٣)</sup>. قال المفسرون: هم الكافرون. ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ أي: تَوَخَّوْهُ، وأمَّوْهُ. ثم انقطع كلام الجن. قال مقاتل: ثم رجع إلى كفار مكة فقال تعالى: ﴿وَالَّذِي اسْتَفْتَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ يعني: طريقة الهدى، وهذا قول ابن عباس، وسعيد بن المسيب، والحسن، ومجاهد، وقاعدة، والسدي، واختاره الزجاج. قال: لأن الطريقة هاهنا بالآلف واللام معرفة، فالأوجب أن تكون طريقة الهدى. وذهب قوم إلى أن المراد بها: طريقة الكفر، قاله محمد بن كعب، والربيع، والفراء، وابن قتيبة، وابن كيسان. فعلى القول الأول يكون المعنى: لو آمنوا لو سَعْنَا

(١) أي: أثر حفص.

(٢) ذكر هذا الحديث ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم، وفي سننه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف، وذكره الهيثمي في «معجم الزوائد» ١٢٩/٧ وقال: رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف، قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» في ترجمة (كردم بن أبي السائب) بعدما ساق حديثه هذا من رواية العقيلي من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن أبيه عن كردم بن أبي السائب: وأخرجه ابن مردويه في «التفسير» من هذا الوجه، وأخرج له شاهداً من حديث معاوية بن قره عن أبيه. وأورده السيوطي في «الدرر» ٢٧١/٦ وزاد نسبته لابن المنذر، وأبي الشيخ في «العظمة»، وابن عساكر عن كردم بن أبي السائب الأنصاري ﷺ. قال ابن كثير: وروي عن عبيد بن عمير، ومجاهد، وأبي العالية، والحسن، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي نحوه، ثم قال: وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل وهو ولد الشاة، كان جثيًا حتى يهرب الإنسي ويخاف منه، ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويخرجه عن دينه، والله أعلم. اهـ.

(٣) ومنه قوله ﷺ فيما رواه مسلم في «صحيحه» عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نورا».

عليهم ﴿يَقْتَتِلُ﴾ أي: لنختبرهم ﴿فِيهِ﴾ فننظر كيف شكرهم. والماء العَذَق: الكثير. وإنما ذكر الماء مثلاً، لأن الخير كله يكون بالمطر، فأقيم مقامه إذ كان سببه. وعلى الثاني: يكون المعنى: لو استقاموا على الكفر فكانوا كفاراً كلهم، لاكثرنا لهم المال لفتتهم فيه عقوبة واستدرجاً، ثم نعذبهم على ذلك. وقيل: لاكثرنا لهم الماء فأغرقناهم كقوم نوح، ﴿وَمَنْ يُرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ يعني: القرآن ﴿يَسْلُكْهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «نسلكه» بالنون. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي بالياء «عَذَاباً صَعَدَاً» قال ابن قتيبة: أي: عذاباً شاقاً. يقال: تصعدني الأمر: إذا شق عليّ. ومنه قول عمر: ما تصعدني شيء ما تصعدني خطبة النكاح. ونرى أصل هذا كله من الصعود، لأنه شاق، فكفي به عن المشقات. وجاء في التفسير أنه جبل في النار يكلف صعوده، وسنذكره عند قوله تعالى: ﴿سَاءَ يَفْقَهُ صَعُودًا﴾ [المشر: ١٧] إن شاء الله تعالى.

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وَأَنَّ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدَا ﴿١٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُغَيِّرَ بَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أُجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَجَاً ﴿٢١﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتٍ وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَدْ جَارَ جَهَنَّمَ خِلَافَيْنِ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْجُدُونَ سِجْداً مِمَّنْ آمَنُوا فَيَقُولُ قَائِلًا وَأَقْبَلْ عَصَدًا ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن أَدْرَأْتُ أَقْرَبَ مَا تُوْعَدُونَ أَمْ يَكُنْ لَكُمْ رَبٌّ أَمَدًا ﴿٢٤﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَيَخْلُفُ مِنْ خَلْفِهِ رَسَدًا ﴿٢٦﴾ يَعْلَمُ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَكَ رَيْبَهُمْ وَأَعْلَاطَ مَا لَهُمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ فيها أربعة أقوال: أحدها: أنها المساجد التي هي بيوت الصلوات، قاله ابن عباس. قال قتادة: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا، فأمر الله ﷺ المسلمين أن يخلصوا له إذا دخلوا مساجدهم. والثاني: الأعضاء التي يسجد عليها العبد، قاله سعيد بن جبير، وابن الأنباري، وذكره الفراء. فيكون المعنى، لا تسجدوا عليها لغيره<sup>(١)</sup>. والثالث: أن المراد بالمساجد هاهنا: البقاع كلها، قاله الحسن. فيكون المعنى: أن الأرض كلها مواضع للسجود، فلا تسجدوا عليها لغير خالقها. والرابع: أن المساجد: السجود، فإنه جمع مسجد. يقال: سجدت سجوداً، ومسجداً، كما يقال: ضربت في الأرض ضرباً، ومضرباً، ثم يجمع، فيقال: المساجد، والمضارب. قال ابن قتيبة: فعلى هذا يكون واحدها: مسجد، بفتح الجيم. والمعنى: أغلضوا له، ولا تسجدوا لغيره. ثم رجع إلى ذكر الجن فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ أي: يعينه. وكان يصلي ببطن نخلة على ما سبق بيانه في [الاحقاف: ٢٩] ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدَا﴾ قرأ الأكثرون: «لِيَدَا» بكسر اللام، وفتح الباء. وقرأ هشام عن ابن عامر، وابن محيصن «لِيَدَا» بضم اللام، وفتح الباء مع تخفيفها. قال الفراء: ومعنى القراءتين واحد. يقال: لِيَدَا، وَلِيَدَا. والزجاج: والمعنى: كاد يركب بعضهم بعضاً. ومنه اشتقاق اللبد الذي يفرش. وكل شيء أضفته إلى شيء فقد لبّده. وقرأ قوم منهم الحسن، والجدري: «لِيَدَا» بضم اللام مع تشديد الباء. قال الفراء: فعلى هذه القراءة يكون صفة للرجال، كقولك: رُكْعاً وركوعاً، وسُجْداً وسجوداً. قال الزجاج: هو جمع لا بد، مثل راع، وركع. وفي معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إخبار الله تعالى عن الجن يحكي حالهم. والمعنى: أنه لما قام يصلي كاد الجن لازدحامهم عليه يركب بعضهم بعضاً، جزعاً على سماع القرآن، رواه عطية عن ابن عباس. والثاني: أنه من قول الجن لقومهم لما رجعوا إليهم، فوصفوا لهم طاعة أصحاب محمد رسول الله ﷺ واتمامهم به في الركوع، والسجود، فكانهم قالوا: لما قام يصلي كاد أصحابه يكونون عليه لبدًا، وهذا المعنى في رواية ابن جبير عن ابن عباس. والثالث: أن المعنى: لما قام رسول الله ﷺ بالدعوة تلبّدت الإنس والجن، وتظاهروا عليه، ليلطوا الحق الذي جاء به، قاله الحسن، وقاتدة، وابن زيد<sup>(٢)</sup>.

(١) ومنه قوله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة: (وأشار بيده إلى الله، واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين).

(٢) وهذا اختيار ابن جرير الطبري. قال ابن كثير: وهو الأظهر لقوله بعده: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ أي قال لهم الرسول لما أدّوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليلطوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ أي: إنما أعبد ربي وحده لا شريك له، وأستجير به، وأتوكل عليه ﴿وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾، قرأ عاصم، وحزمة ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ بغير ألف. وقرأ الباقون «قال» على الخبر عن النبي ﷺ. قال مقاتل: إن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: إنك جئت بأمر عظيم لم يسمع بمثله فارجع عنه، فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ أي: لا أدفعه عنكم ﴿وَلَا أَسْأَلُكُمْ إِلَيْكُمْ﴾ أي: خيراً، أي: إن الله تعالى يملك ذلك، لا أنا ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ أي: إن عصيته لم يمنعي منه أحد، وذلك أنهم قالوا: اترك ما تدعو إليه ونحن نجيرك ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِداً﴾ وقد بيناه في [الكهف: ٢٧] ﴿إِلَّا بَلَاً مِّنَ اللَّهِ﴾ فيه وجهان، ذكرهما الفراء: أحدهما: أنه استثناء من قوله تعالى: ﴿لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَداً﴾ إلا أن أبلغكم. والثاني: لن يجيرني من الله أحد إن لم أبلغ رسالته. وبالأول قال ابن السائب، وبالثاني قال مقاتل. وقال بعضهم: المعنى: لن يجيرني من عذاب الله إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت، فذلك البلاغ هو الذي يجيرني. ﴿وَمَنْ يَقْوِ اللَّهَ يَجْعَلَ لَهُ مَخْرَجاً﴾ بترك الإيمان والتوحيد.

قوله تعالى: ﴿حَقَّ إِنَّا نُنْزِلُكَ﴾ يعني: الكفار ﴿مَّا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب في الدنيا، وهو القتل، وفي الآخرة: ﴿تَسِيلُونَ فِي مِجَنِّ صَايَرٍ نُفِثَ مَعَهُمْ﴾ أي: جنأ ونصرأ. أهم، أم المؤمنون؟ ﴿قُلْ إِن أَرِيتُمْ﴾ أي: ما أدري ﴿أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ أي: غاية ويعداً<sup>(١)</sup>. وذلك لأن علم الغيب لله وحده ﴿فَلَا يَظْهَرُ﴾ أي: فلا يطلع ﴿عَلَى غَيْبِهِ﴾ الذي يعلمه ﴿لَهُدًى﴾ من الناس ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ لأن من الدليل على صدق الرسل إخبارهم بالغيب والمعنى: أن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من غيبه. وفي هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر. ثم ذكر أنه يحفظ ذلك الذي يطلع عليه الرسول فقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ الشَّيَاطِينَ﴾ تعلقه إلى الكهنة، فيتكلمون به قبل أن يخبر النبي ﷺ الناس. وقال الزجاج: يسلك من بين يدي الملك ومن خلفه رسداً. وقيل: يسلك من بين يدي الوحي. فالرصد من الملائكة يدفعون الشياطين عن أن تستمتع ما ينزل من الوحي.

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: ليعلم محمد ﷺ أن جبرائيل قد بلغ إليه، قاله ابن جبير. والثاني: ليعلم محمد ﷺ أن الرسل قبله ﴿قَدْ أَتَيْنَا رَسَلَاتٍ رَّسِمَتْ﴾ وأن الله قد حفظها فدفع عنها، قاله قتادة<sup>(٢)</sup>. والثالث: ليعلم مكذبو الرسل أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم، قاله مجاهد. والرابع: ليعلم الله ﷻ ذلك موجوداً ظاهراً يجب به الثواب، فهو كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَهْلُ الذِّكْرِ أَجْلَهُنَّ جَاءَهُنَّ مِنْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، قاله ابن قتبية. والخامس: ليعلم النبي أن الرسل قد أتته ولم تصل إلى غيره، ذكره الزجاج. وقرأ رويس عن يعقوب «لِيُعْلَمَ» بضم الياء على ما لم يسم فاعله، وقال ابن قتبية: ويُقرأ «لَتُعْلَمَ» بالياء، يريد: لتعلم الجن أن الرسل قد بلغت عن الله بما رجوا من استراق السمع. ﴿وَأَنبَأَ بِمَا لَهُمْ﴾ أي: علم الله ما عند الرسل ﴿وَأَخْبَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدُوًّا﴾ فلم يفته شيء حتى الذر والخرذل.



(١) قال ابن كثير: وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذي يتداوله كثير من الجهلة من أنه عليه الصلاة والسلام لا يؤلف تحت الأرض، كذب لا أصل له، ولم نره في شيء من الكتب، وقد كان ﷺ يسأل عن وقت الساعة، فلا يجيب عنها، ولما تبلى له جبريل في صورة أعرابي، كان فيما سأله أن قال: يا محمد: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوت جهوري فقال: يا محمد متى الساعة؟ قال: «فويلك إنها كائنة فما أعددت لها؟» قال: أما إنني لم أعد لها كثير صلاة ولا صيام، ولكنني أحب الله ورسوله، قال: «فانت مع من أحبه» قال أنس: فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث.

(٢) هذا القول اختاره ابن جرير الطبري في تفسيره.

## سورة المزمل

### وهي مكية كلها بإجماعهم

إلا أنه قد روي عن ابن عباس أنه قال: سوى آيتين منها، قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ والتي بعدها [المزمل]: ١١، ١٠. وقال ابن يسار، ومقاتل: فيها آية مدنية، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ بِمَا أَنْتَ تَعْمَلُ﴾ [المزمل: ٢٠].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّاتِ الثَّلَاثِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ① قُمْ أَيْلَ إِلَّا قِيلَا ② يَصْمَعُ أَوْ أَشْفَىٰ يَتَقِيلَا ③ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَزَقِ الْقُرْآنَ تَرِيَلَا ④ إِنْ سَأَلْتَنِي عَلَيْكَ قَوْلَا قِيلَا ⑤ إِنْ تَأْتِيَنَّ اللَّيْلَ مِنْ أَشَدِّ رَمَلًا وَأَوْفَىٰ قِيلَا ⑥ إِنْ لَكَ فِي النَّهَارِ سِتًّا عَاشِرًا ⑦ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَتَيَلَا ⑧ رَبُّكَ لِلشَّرِيفِ وَالْقَرِيبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلَا ⑨ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَبِيلَا ⑩ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَىٰ الْقَعَمَةِ وَهَلْكَارِ قِيلَا ⑪ إِنْ لَدَيْنَا أُنْكَاةٌ ذَرِيَعَاتٌ ⑫ وَكَلَامًا مَا نَسْتَعِذُّ بِهَا ⑬ وَنَعْدَاكَ إِلَيْنَا ⑭ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْلَابًا مَهِيلَا ⑮ إِنْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا سُبُحًا عَلَيْكَ مَا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رِغْوَنَ رَسُولَا ⑯ فَتَسْمَعُ رِغْوَنَ الرُّسُولِ فَتُحَذِّثُهُ أَشْدَا وَيِيلَا ⑰ فَكَيْفَ تَنْفَعُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْمَلُ الْوِلْدَانَ سِيبَا ⑱ السَّمَاءُ مُنْقَلَبًا ⑲ كَانَ وَعْدُهُ مَقْضُولَا ⑳﴾

وقرأ أبي بن كعب، وأبو العالية، وأبو مجلز، وأبو عمران، والأعمش «المزمل» بإظهار التاء. وقرأ عكرمة، وابن يعمر: «المزمل» بحذف التاء، وتخفيف الزاي. قال اللغويون «المُزْمَلُ» الملتف في ثيابه، وأصله «المزتمل» فأدغمت التاء في الزاي، فثقلت. وكل من التف بشوبه فقد تزمل. قال الزجاج: وإنما أدغمت فيها لقربها منها. قال المفسرون: وكان النبي ﷺ يتزمل في ثيابه في أول ما جاء جبريل فرقا منه حتى أنس به. وقال السدي: كان قد تزمل للنوم. وقال مقاتل: خرج من البيت وقد لبس ثيابه، فناداه جبريل: يا أيها المُزْمَلُ. وقيل: أريد به مُتَزَمِّلُ النبوة. قال عكرمة في معنى هذه الآية: رُمِلَتْ هذا الأمر، فُتِمَ به. وقيل: إنما لم يخاطب بالنبي والرسول هاهنا، لأنه لم يكن قد بلغ. وإنما كان في بدء الوحي.

قوله تعالى: ﴿قُمْ أَيْلَ إِلَّا قِيلَا ② يَصْمَعُ أَوْ أَشْفَىٰ يَتَقِيلَا ③ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَزَقِ الْقُرْآنَ تَرِيَلَا ④﴾ هذا بدل من الليل، كما تقول: ضربت زيداً رأسه. فإنما ذكرت زيدا لتوكيد الكلام، لأنه أؤكد من قولك: ضربت رأس زيد. والمعنى: قم من الليل النصف إلا قليلا ﴿أَوْ أَشْفَىٰ يَتَقِيلَا ③﴾ أي: من النصف ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ④﴾ أي: على النصف. قال المفسرون: انقص من النصف إلى الثلث، أو زد عليه إلى الثلثين، فجعل له سعة في مدة قيامه، إذ لم تكن محدودة، فكان يقوم ومعه طائفة من المؤمنين، فشق ذلك عليه وعليهم، فكان الرجل لا يدري كم صلى، وكبم بقي من الليل، فكان يقوم الليل كله مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب، فنسخ ذلك عنه وعنهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ بِمَا أَنْتَ تَعْمَلُ أَذْنٌ مِنْ تَلْقَىٰ أَيْلَ...﴾ الآية، هذا مذهب جماعة من المفسرين. وقالوا: ليس في القرآن سورة نَسَخَ آخرها أولها سوى هذه السورة. وذهب قوم إلى أنه نُسِخَ قِيَامُ اللَّيْلِ في حقه بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَيْلَ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَا لَكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، ونسخ في حق المؤمنين بالصلوات الخمس. وقيل: نسخ عن الأمة، وبقي عليه فرضه أبداً. وقيل: إنما كان مفروضاً عليه دونهم. وفي مدة فرضه قولان: أحدهما: سنة، قال ابن عباس: كان بين أول: (المزمل) وآخرها سنة. والثاني: ستة عشر شهراً، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَرَزَقِ الْقُرْآنَ تَرِيَلَا ④﴾ قد ذكرنا الترييل في [الفرقان: ٣٢].<sup>(١)</sup>

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَرَزَقِ الْقُرْآنَ تَرِيَلَا ④﴾ أي: افراء على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره، قال، وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه، قالت عائشة رضي الله عنها: كان يقرأ السورة فيرثلها حتى تكون أطول من أطول منها. وفي «صحيح البخاري» عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت مَدًّا، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّاتِ الثَّلَاثِ ①﴾ يمد «الرَّكَّاتِ» ويمد «الرَّكَّاتِ». ثم قال: وروى الإمام أحمد من



قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا لَكَ قَوْلًا نَّيْلًا﴾ وهو القرآن. وفي معنى ثقله ستة أقوال: أحدها: أنه كان يثقل عليه إذا أوحى إليه، وهذا قول عائشة. قالت: ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، يعني يتخلص عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً<sup>(١)</sup>. والثاني: أن العمل به ثقیل في فروضه وأحكامه، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: أنه يثقل في الميزان يوم القيامة، قاله ابن زيد. والرابع: أنه المهيب، كما يقال للرجل العاقل: هو رزين راجح، قاله عبد العزيز بن يحيى. والخامس: أنه ليس بالخفيف ولا السفاسف، لأنه كلام الرب ﷻ، قاله الفراء. والسادس: أنه قول له وزن في صحته وبيانه ونفعه، كما تقول: هذا كلام رصين، وهذا قول وزن: إذا استجدته، ذكره الزجاج<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ قال ابن مسعود، وابن عباس: هي قيام الليل بلسان الحبشة. وهل هي في وقت مخصوص من الليل، أم في جميعه؟ فيه قولان: أحدهما: أنها في جميع الليل. وروى ابن أبي مليكة عن ابن عباس أنه قال: الليل كله ناشئة. وإلى هذا ذهب اللغويون. قال ابن قتيبة: ناشئة الليل: ساعاته الناشئة، من نشأت: إذا ابتدأت. وقال الزجاج: ناشئة الليل: ساعات الليل، كل ما نشأ منه، أي: كل ما حدث. وقال أبو علي الفارسي: كأن المعنى: إن صلاة ناشئة، أو عمل ناشئة الليل. والثاني: أنها في وقت مخصوص من الليل. ثم فيه خمسة أقوال: أحدها: أنها ما بين المغرب والعشاء، قاله أنس بن مالك. والثاني: أنها القيام بعد النوم، وهذا قول عائشة، وابن الأعرابي. وقد نص عليه أحمد في رواية المروزي. والثالث: أنها ما بعد العشاء، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة، وأبو مجلز. والرابع: أنها يذو الليل، قاله عطاء، وعكرمة. والخامس: أنها القيام من آخر الليل، قاله يمان، وابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿بِئْسَ أَشَدُّ وَطْأً﴾ قرأ ابن عامر، وأبو عمرو، «وطأ» بكسر الواو مع المد، وهو مصدر واطأت فلاناً على كذا موطأً، ووطأ، وأراد أن القراءة في الليل يتواطأ فيها قلب المصلي ولسانه وسمعه على التفهيم للقرآن والإحكام لتأويله<sup>(٣)</sup>. ومنه قوله تعالى: ﴿يَتَوَطَّأُونَ عِلَّةً مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾. التوبة: ٣٧. وقرأ الباقون «وطأ» بفتح الواو مع القصر. والمعنى: إنه أثقل على المصلي من ساعات النهار، من قول العرب: اشتدت على القوم وطأة السلطان: إذا ثقل عليهم ما يلزمهم. ومنه قول النبي ﷺ: «اللهم اشدد وطأتك على مضرم<sup>(٤)</sup>». ذكر معنى القراءتين ابن قتيبة. وقرأ ابن محيصن «أشد وطأة» بفتح الواو، والطاء، وبالممد.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْوَمُ نَيْلاً﴾ أي: أخلص للقول وأسمع له، لأن الليل تهدأ فيه الأصوات فتخلص القراءة، ويفرغ القلب لفهم التلاوة، فلا يكون دون سماعه وتفهمه حائل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ أي: فراغاً لنومك وراحتك، فاجعل ناشئة الليل لعبادتك، قاله ابن عباس، وعطاء. وقرأ علي، وابن مسعود، وأبو عمران، وابن أبي عبيدة «سبخاً» بالخاء المعجمة. قال الزجاج: ومعناها في اللغة صحيح. يقال: قد سبخت القطن بمعنى نفشته. ومعنى نفّشته: وسعته، فيكون المعنى: إن لك في النهار توسعاً طويلاً.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَتَمَّ رَيْكَ﴾ أي: بالنهار أيضاً «يَتَبَلَّغُ إِلَيْهِ نَيْلًا» قال مجاهد. أخلص له إخلاصاً. وقال

= عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «يقال لقارئ القرآن: اقرأ واروق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإ منزلتك عند آخر آية تقرأها» ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(١) رواه البخاري في «صحيحه» عن عائشة ؓ أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ: كيف يأتيك الرّوح؟ قال: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول» قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الرّوح ﷺ في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه يعضد عرقاً.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال: إن الله وصفه بأنه قول ثقیل، فهو كما وصفه به ثقیل محمله، ثقیل العمل بحدوده وفراقضه.

(٣) في الأصل: والإحكام وتلاوته، والتصويب من «غريب القرآن». قال ابن كثير: أي: أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار، لأنه وقت انتشار الناس ولغظ الأصوات وأوقات المعاش.

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة ؓ في قصة القنوت في صلاة الصبح.

ابن قتيبة: انقطع إليه، من قولك: بئَلْتُ الشيء: إذا قطعته. وقال الزجاج: انقطع إليه في العبادة. ومنه قيل لمريم: البتول، لأنها انقطعت إلى الله تعالى في العبادة. وكذلك صدقة بتلة: منقطعة من مال المصدق. والأصل في مصدر تبَتَّل تبَتَّلًا. وإنما قوله تعالى: «تَبَتَّلًا» محمول على معنى: تبَتَّل. «رَبِّ الشَّرِيفِ» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم «رَبِّ» بالرفع. وقرأ ابن عامر، وحمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم بالكسر. وما بعد هذا قد سبق [الشراء: ٢٨] إلى قوله تعالى: «وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ» من التكذيب لك والأذى «وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جِيلًا» لا جَزَع فيه. وهذه الآية عند المفسرين منسوخة بآية السي. «وَدَرْيَ وَالْكَذِبِينَ» أي: لا تهتم بهم، فإنا أكفيهم «أُولَى النِّعَمَةِ» يعني: التَّعَم. وفيمن غني بهذا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المطيعون يَنْزِرُ، قاله مقاتل بن حيان. والثاني: أنهم بنو المغيرة بن عبد الله، قاله مقاتل بن سليمان. والثالث: أنهم المستهزون، وهم صناديد قريش، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: «وَيَهْلِكُ جِيلًا» قالت عائشة: فلم يكن إلا اليسير حتى كانت وقعة بدر، وذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، وليس بصحيح.

قوله تعالى: «إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا» وهي القيود، واحدها: نكل. وقد شرحنا معنى «الجحيم» في [البقرة: ١١٩] «وَلَمَّا كَا شَعُو» وهو الذي لا يسوغ في الحلق. وفيه للمفسرين أربعة أقوال: أحدها: أنه شوك يأخذ الحلق فلا يدخل ولا يخرج، قاله ابن عباس، وعكرمة. والثاني: الزُّقُوم، قاله مقاتل. والثالث: الضَّرِيع، قاله الزجاج. والرابع: الزُّقُوم والغسلين والضَّرِيع، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ» قال الزجاج: هو منصوب بقوله تعالى: «إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا» والمعنى: ينكل الكافرين ويعذبهم «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ» أي: تزلزل وتتحرك أغلظ حركة.

قوله تعالى: «وَكَانَ لِلْجِبَالِ» قال مقاتل: المعنى: وصارت بعد الشدة، والقوة «كَيْبًا» قال الفراء: «الكثيب»: الرمل. و«المهيل»: الذي تحرك أسفله، فينهال عليك من أعلاه. والعرب تقول: مهيل ومهيول، ومكيل ومكيول. وقال الزجاج: الكثيب جمعه: كتيبان، وهي: القطع العظام من الرمل. وللمهيل: السائل.

قوله تعالى: «إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ» يعني أهل مكة «رَسُولًا» يعني: محمداً ﷺ «شَاهِدًا عَلَيْكَ» بالتبليغ وإيمان من آمن، وكفر من كفر «كَأَنْزِلًا» إِنْ رَوَّعَ رَسُولًا وهو موسى ﷺ. والويل: الشديد. قال ابن قتيبة: هو من قولك: استوبلت المكان: [إذا استوخمته]. ويقال: كَلَّا مُسْتَوْبِلٌ أي: لا يُسْتَمَرُّ. قال الزجاج: الويل: الثقل الغليظ جداً. ومنه قيل للمطر العظيم: وابل. قال مقاتل: والمراد بهذا الأخذ الويل: الفرق. وهذا تخويف لكفار مكة أن ينزل بهم العذاب لتكذيبهم، كما نزل بفرعون.

قوله تعالى: «ذَٰلِكَ تَتَّقُونَ» كَثَرَتْ يَوْمًا أي: عذاب يوم. قال الزجاج: المعنى: بأي شيء تتحصنون من عذاب يوم من هوله يتسبب الصغير من غير كبير. وقرأ أبي بن كعب، وأبو عمران «تجعل الولدان» بالنون.

قوله تعالى: «السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ» قال الفراء: السماء تُذَكَّرُ وتؤنث. وهي هاهنا في وجه التذكير. قال الشاعر:  
فَلَسَوْ رَعَى السَّمَاءُ إِلَيْهِ قَوْمًا  
لَجِئْنَا بِالسَّمَاءِ مَعَ السَّحَابِ<sup>(١)</sup>

قال الزجاج: وتذكير السماء على ضربين: أحدهما: على أن معنى السماء معنى السقف. والثاني: على قولهم: امرأة مُرْضِعٌ على جهة النسب. فالمعنى: السماء ذات انقطاع، كما أن المِرْضِع ذات الرضاع. وقال ابن قتيبة: ومعنى الآية: السماء مُنْقَطِرٌ به، أي: فيه، يعني في ذلك اليوم.

قوله تعالى: «كَانَ وَعْدُهُ مَقُولًا» وذلك أنه وعد بالبعث، فهو كائن لا محالة.  
«إِنَّ هَٰذَا نَذِيرٌ لِّمَنْ شَاءَ أَنْ يَذَّكَّرَ» سَيَكُنْ ﴿٢٠﴾ ﴿٢١﴾ إِنَّ رَبَّكَ بِمَا تَعْمَلُ لَدُنَّكَ عَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ مِنْ لَدُنِّي أَلَيْلٌ رِضْمٌ وَلَكِنَّهُ مِنْ أَلَيْلٍ مَلَكَ وَاللَّهُ يُضَرِّقُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِيمٌ أَنْ لَنْ يَخْشَوْهُ قَابَ عَثِيرٍ قَاتِرًا مَا يَنْسَرُ مِنَ الْفَرَاءِ عَلِيمٌ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكَ مَرْثَى وَمَاخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي

الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَعُوا مَا يَنْتَرُونَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقْرِضُوا لِتَنْقُصُوا مِنْ خَيْرِ حُدُودِهِ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْلَمُ لَبْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾

﴿إِنْ هَذِهِ﴾ يعني: آيات القرآن ﴿تَذَكُّرٌ﴾ أي: تذكير وموعظة ﴿فَمَنْ شَاءَ أَخَذْ لَكَ رِيزَةً سَيِّئًا﴾ بالإيمان والطاعة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَمْلِكُ أَنْ تَقُومَ أَذُنٌ﴾ أي: أقل ﴿مِنْ ثَلَاثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ وقرأ ابن كثير، وأهل الكوفة بفتح الفاء والثاء والباقون: بكسرهما.

قوله تعالى: ﴿وَكَلَامُهُ يَنْ أَلَيْسَ مَكَ﴾ يعني: المؤمنين ﴿وَاللَّهُ يُعَذِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يعلم مقاديرهما، فيعلم القدر الذي تقومون<sup>(١)</sup> به من الليل ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ وفيه قولان: أحدهما: لن تطيقوا قيام ثلثي الليل، ولا ثلث الليل، ولا نصف الليل، قاله مقاتل. والثاني: لن تحفظوا مواقيت الليل، قاله الفراء. ﴿فَقَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: عاد عليكم بالمغفرة والتخفيف ﴿فَأَقْرَعُوا مَا يَنْتَرُونَ﴾ عليكم ﴿مِنْ الْفَرَاغِ﴾ يعني: في الصلاة، من غير أن يوقت وقتاً. وقال الحسن: هو ما يقرأ في صلاة المغرب والعشاء. ثم ذكر أعضادهم فقال تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْجُؤٌ﴾ فلا يطيقون قيام الليل ﴿وَأَخَرُونَ يُضَيِّقُونَ فِي الْبُيُوتِ﴾ وهم المسافرون للتجارة: ﴿يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: من رزقه فلا يطيقون قيام الليل ﴿وَأَخَرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المجاهدون فلا يطيقون قيام الليل ﴿فَأَقْرَعُوا مَا يَنْتَرُونَ﴾ وذكروا أن هذا نسخ عن المسلمين بالصلوات الخمس، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: الصلوات الخمس في أوقاتها<sup>(٢)</sup> ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وقد سبق بيانه [الحديد: ١٨]. قال ابن عباس: يريد سوى الزكاة في صلة الرحم، وقرى الضيف، ﴿وَمَا تُقْرِضُوا لِتَنْقُصُوا مِنْ خَيْرِ حُدُودِهِ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي تجددوا ثوابه في الآخرة. ﴿هُوَ خَيْرٌ﴾ قال أبو عبيدة: المعنى: تجددوا خيراً. قال الزجاج: ودخلت ﴿هو﴾ فضلاً. وقال المفسرون: ومعنى ﴿خَيْرٌ﴾ أي: أفضل مما أعطيتكم ﴿وَأَعْلَمُ لَبْرًا﴾ من الذي تؤخرونه إلى وقت الوصية عند الموت<sup>(٣)</sup>.



(١) في الأصل: تقوموا.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم، وآتوا الزكاة المفروضة، قال: وهذا يدل لمن قال: إن فرض الزكاة نزل بمكة، لكن مقادير النُصَب والمخرج لم يبين إلا بالمدينة، والله أعلم. قال: وقد قال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والنخسن، وقتادة، وغير واحد من السلف: إن هذه الآية نسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولاً من قيام الليل، واختلطوا في العبداء التي بينهما على أقوال، وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال للرجل الذي سأله: ماذا فرض الله عليه من الصلوات؟ قال: خمس صلوات في اليوم واللييلة قال: هل علي غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع.

(٣) قال ابن جرير الطبري في تكملة الآية من آخر السورة ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ يقول تعالى ذكره: سئلوا الله غفران ذنوبكم، يصفح لكم عنها ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول: إن الله ذو مغفرة للذنوب من تاب من عباده من ذنوبه، وذو رحمة أن يعاقبهم عليها من بعد توبتهم منها.

## سورة المدثر

### وهي مكية بإجماعهم

وقال مقاتل: فيها من المدني آية، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾ [المدثر: ٣١].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّذِيرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبِّكَ فَكْذِرْ ۝٣ وَرَبَّكَ فَكْذِرْ ۝٤ وَالْزُّكُرْ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَنْتَنُ تَنْتَكِرُ ۝٦ وَرَبِّكَ فَانْصِرْ ۝٧ فَإِذَا يُنَادِي فِي النَّارِ ۝٨ فَبَلِّغْ يَوْمَ عَيْدٍ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرَ يَسِيرَ ۝١٠ ذَرَى وَمَنْ خَلَقْتَ وَجْهًا ۝١١ وَجَعَلْتَ لَهُ مَا لَا مَثَدُونَ ۝١٢ وَبَيْنَ شُهُورًا ۝١٣ وَبَهَّدْتَ لَهُ فَهَمًّا ۝١٤ ثُمَّ بَلَغَ أَنْ أَرِيدَ ۝١٥ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِنْتِنَا عَنِينًا ۝١٦ سَأَرْفَعُهُ سَمْعًا ۝١٧ إِنَّهُ نَكَرَ فَقَدَرُ ۝١٨ فَبُلَّ كَيْفَ قَدَرُ ۝١٩ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرُ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَسَى وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ دُونَ ۝٢٤ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝٢٥ سَأُخْبِرُهُمْ سَعَرًا ۝٢٦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَعَرٌ ۝٢٧ لَا يَبْقَى وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ وَلَوْ أَنَّ لِلْبَشْرِ ۝٢٩ عَلَيْهَا سِتْرَةً عَسَرًا ۝٣٠ وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ الْأَنْبَاءِ إِلَّا مَلَكِيكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَوِينَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَرَدَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَّا وَلَا يُزَادَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ غَرَبٌ ۝٣١ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكَ آيَاتِهِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَخْلُفُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا يَكُنْ إِلَّا ذِكْرًا لِلْبَشَرِ ۝٣٢ كَلَّا وَالْقَمَرِ ۝٣٣ وَالْأَبْلَى إِنْ أَدْبَرَ ۝٣٤ وَالشَّيْخِ إِنْ أَسْفَرَ ۝٣٥ إِنَّمَا يَأْخُذُ الْكُفْرَ ۝٣٦ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ۝٣٧ لِمَنْ شَاءَ يَنْتَقِمْ أَوْ يَنْتَقِرْ ۝٣٨﴾

فأما سبب نزولها، فروى<sup>(١)</sup> البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث جابر بن عبد الله قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «جاورت بحراء شهرًا، فلما قضيت جوارى<sup>(٢)</sup> نزلت فاستبطنت بطن الوادي<sup>(٣)</sup>، فنوديت، فنظرت أمامي، وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فلم أرَ أحدًا، ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو في الهواء (يعني: جبريل ﷺ) فاقبلت إلى خديجة، فقلت: «دثروني دثروني»، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّذِيرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾<sup>(٤)</sup> قال المفسرون: فلما رأى جبريل وقع مغشياً عليه، فلما أفاق دخل إلى خديجة، ودعا بماء فصبه عليه، وقال: «دثروني، فدثروه بقطيفة، فأتاه جبريل فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّذِيرُ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو عمران، والأعمش «المدثر» بإظهار التاء. وقرأ أبو رجاء، وعكرمة، وابن يعمر «المدثر» بحذف التاء، وتخفيف الدال. قال اللغويون: وأصل «المدثر» المتدثر، فأدغمت التاء، كما ذكرنا في المترمل، وهذا في قول الجمهور من التدثير بالثياب. وقيل المعنى: يا أيها المدثر بالنبوة، وأثقالها. قال عكرمة: دثرت هذا الأمر فقم به.

قوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝١﴾ كَفَّارَ مَكَّةَ الْعَذَابِ إِنْ لَمْ يُؤْخَذُوا ﴿وَرَبِّكَ فَكْذِرْ ۝٢﴾ أي: عظِّمه عما يقول عبدة الأوثان. ﴿وَرَبَّكَ فَكْذِرْ ۝٣﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: لا تلبسها على معصية، ولا على غدر. قال غيلان بن سلمة التقفي:

وَأَنسِي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا تَوْبَ فَاجِرٍ لِبَسْتُ وَلَا مِنْ عَذْرَةٍ أَتَقَنَّعُ<sup>(٥)</sup>

روى هذا المعنى عكرة عن ابن عباس. والثاني: لا تكن ثيابك من مكسب غير طاهر، روى عن ابن عباس

(١) في الأصل: روى.

(٢) أي: مجاورتي واحتكافي.

(٣) أي: جهرت في باطنه.

(٤) رواه البخاري ٥٢٠/٨، ومسلم ١٤٤/١، وأحمد في «المستد» ٣٠٦/٣، والطبري ١٤٣/٢٩، والواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٣، وأورده السيوطي في «الدرر» ٦/٢٨٠ وزاد نسباً للطائفة، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن الضريس، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن الأنباري في «المصاحف» عن جابر ﷺ.

(٥) البيت في «الطبري» ١٤٥/٢٩، و«القرطبي» ٦٢/١٩، و«البحر المحيط» ٣٧١/٨، و«ابن كثير» ٤٤١/٤، و«الدرر» ٣٨١/٦، وفتح القدير» للشوكاني ٣١٥/٥ متوسلاً إلى غيلان بن سلمة التقفي، وهو في «اللسان»: توب.

أيضاً. والثالث: طهر نفسك من الذنب، قاله مجاهد، وقادة. ويشهد له قول عترة:

فَسَكَّكَ بِالرُّمَحِ الْأَصَمِ ثِيَابَهُ  
لَبَسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَّا بِمُحَرَّمٍ<sup>(١)</sup>  
أي: نفسه، وهذا مذهب ابن قتيبة. قال: المعنى: طهر نفسك من الذنوب، فكنى عن الجسم بالثياب، لأنها تشتمل عليه. قالت ليلي الأخيلية وذكَّرت إبلاً:

رَمَوْهَا بِأَنْوَابٍ خِفَافٍ فَلَا تَرَى  
أَيَّ رَكْبِهَا، فَرَمَوْهَا بِأَنْفُسِهِمْ. والعرب تقول للعفاف: إزار، لأن العفيف كأنه استتر لما عَفَّ. والرابع: وعَمَلَكَ فَأُضْلِعَ، قاله الضحاك. والخامس: خُلِّقَ فَحَسَنَ، قاله الحسن، والقرظي. والسادس: وَثِيَابَكَ فَقَصَّرَ وَشَمَّرَ، قاله طاووس. والسابع: فَلَبَّكَ فَطَهَّرَ، قاله سعيد بن جبير. ويشهد له قول امرئ القيس:

فَلَنْ يَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ  
فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَشْلُ<sup>(٢)</sup>  
أي: قلبي من قلبك. والثامن: اغسل ثيابك بالماء، وثَّقَا، قاله ابن سيرين، وابن زيد<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالرَّجَزُ فَالرَّجَزُ﴾<sup>(٤)</sup> قرأ الحسن، وأبو جعفر، وشيبة، وعاصم إلا أبا بكر، ويعقوب، وابن محيصن، وابن السميع «والرَّجَزُ» بضم الراء. والباقون بكسرهما. ولم يختلفوا في غير هذا الموضع. قال الزجاج: ومعنى القراءتين واحد. وقال أبو علي: قراءة الحسن بالضم، وقال: هو اسم صنم. وقال قتادة: صتمان: إساف، ونائلة. ومن كسر، فالرَّجَزُ: العذاب. فالمعنى: ذو العذاب فاهجر. وفي معنى «الرجز» للمفسرين ستة أقوال: أحدها: أنه الأصنام، والأوثان، قاله ابن عباس. ومجاهد، وعكرمة، وقادة، والزهري، والسدي، وابن زيد. والثاني: أنه الإثم، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: الشرك، قاله ابن جبير، والضحاك. والرابع: الذنب، قاله الحسن. والخامس: العذاب، قاله ابن السائب. قال الزجاج: الرَّجَزُ في اللغة: العذاب. ومعنى الآية: اهجر ما يؤدي إلى عذاب الله. والسادس: الشيطان، قاله ابن كيسان<sup>(٥)</sup>. ﴿وَلَا تَتَنَزَّكُزْ﴾<sup>(٦)</sup> فيه أربعة أقوال: أحدها: لا تعط عطية تلتمس بها أفضل منها، قاله ابن عباس، وعكرمة، وقادة. قال المفسرون: معناه: أعطِ لربك وأرد به الله، فأدبه بأشرف الآداب. ومعنى «لا تمنن»: لا تعط شيئاً من مالك لتعطى أكثر منه، وهذا الأدب للنبي ﷺ خاصة، وليس على أحد من أمته إثم أن يهدي هدية يرجو بها ثواباً أكثر منها. والثاني: لا تمنن بعملك تستكثره على ربك، قاله الحسن. والثالث: لا تضعف عن الخير أن تستكثر منه، قاله مجاهد. والرابع: لا تمنن على الناس بالثبوة لتأخذ عليها منهم أجراً، قاله ابن زيد<sup>(٧)</sup>. ﴿وَرَبِّكَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لأجل ربك. والثاني: لثواب ربك. والثالث: لأمر ربك. والرابع: لوغيد ربك ﴿قَاتِرٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: على طاعته وفرائضه. والثاني: على الأذى والتكذيب.

قوله تعالى: ﴿إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَلِمْ يَدَكَ﴾<sup>(٨)</sup> أي: نفخ في الصور. وهل هذه النفخة هي الأولى أو الثانية؟ فيه قولان، ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾<sup>(٩)</sup> أي: يعسر الأمر فيه ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١٠)</sup> غير هين ﴿ذَرْفٍ﴾ قد شرحناه في [المزمّل: ١١] ﴿وَمَنْ خَلَقَتْ﴾ أي: ومن خلقته ﴿وَجِدًا﴾ فيه قولان: أحدهما: خلقتة وحيداً في بطن أمه لا مال له ولا ولد، قاله

(١) «ديوانه» ١٢٥، و«شرح القصائد العشر» ١٨٤، و«أمالي المرتضى» ٦٤/٢، و«مختار الشعر الجاهلي» ٣٧٧/١.

(٢) هو في «المعاني الكبير» ٤٨٦/١، و«الصناعين» ٢٧٧، و«الفاقي» ٢٨/١، و«اللسان» ثوب، غير منسوب. قال ابن قتيبة: يعني بأجسام خفاف، يريد: ركبوها.

(٣) «ديوانه» ١٣ روايته فيه: وإن كنت قد ساءت مني خليفة... إلخ.

(٤) واختار هذا الأخير ابن جرير الطبري: قال: قال ابن زيد: كان المشركون لا يتطهرون، فأمره الله أن يتطهر ويظهر ثيابه. وقال ابن كثير: وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب.

(٥) قال ابن كثير: وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبيسه ﷺ بشيء من ذلك. فقله تعالى: ﴿يَتَنَزَّكُزْ أَلَيْسَ أَلَيْسَ اللَّهُ لَا يُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ﴾، ﴿وَقَالَ شَوْحُ لَأَجِبُوا مُنْذَرًا لَّنظَلِّي فِيهِمْ وَأَنْصِلْ وَلَا تَلْعَلْ يُسْجِلَ الْفَاسِقِينَ﴾.

(٦) قال ابن جرير الطبري: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا تمنن على ربك من أن تستكثر عملك الصالح، قال: وإنما قلت: ذلك أولى بالصواب، لأن ذلك في ميثاق آيات تقدم فيها أمر الله نبيه ﷺ بالجهاد في الدعاء إليه، والصبر على ما يلقى من الأذى فيه، قال: فهذه بأن تكون من أنواع تلك أشبه منها بأن تكون من غيرها.

مجاهد. والثاني: خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد، قاله الزجاج. قال ابن عباس: جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكانه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه، فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا، فإني أتيت محمداً تتعرض لما يقوله، فقال: قد علمت قریش أنني من أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، فوالله ما يشبهها الذي يقول، والله إن لقوله حلاوة، وإن عليه طلاوة، وإنه لثمر أعلاه، مغنٍ أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلو. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه. فقال: هذا سحر يؤثر: يأتريه عن غيره، فنزلت ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ﴾... الآيات كلها<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: قال الوليد لقریش: إن لي اليكم حاجة فاجتمعوا في دار الندوة، فقال: إنكم ذوو أحساب وأحلام، وإن العرب يأتونكم، ويطلقون من عندكم على أمر مختلف، فاجتمعوا على شيء واحد. ما تقولون في هذا الرجل؟ قالوا: نقول: إنه شاعر، فعبس عندها، وقال: قد سمعنا الشعر فما يشبه قوله الشعر. فقالوا: نقول: إنه كاهن، قال: إذن يأتونه فلا يجدونه يحدث بما يحدث به الكهنة، قالوا: نقول: إنه مجنون، قال: إذن يأتونه فلا يجدونه مجنوناً. فقالوا: نقول: إنه ساحر. قال: وما الساحر؟ قالوا: يشر يحببون بين المتباغضين، ويبغضون بين المتحابين، قال: فهو ساحر، فخرجوا لا يلقي أحد منهم النبي إلا قال: يا ساحر، فاشتد ذلك عليه، فأنزل الله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ۖ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ ۖ ﴿تَقَالِ إِنَّ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْرُكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> وذكر بعض المفسرين أن قوله تعالى: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ﴾ منسوخ بآية السيف، ولا يصح.

قوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا لِمَالَا مَثَدُوكَ﴾ في معنى الممدود ثلاثة أقوال: أحدها: كثيراً، قاله أبو عبيدة. والثاني: دائماً، قاله ابن قتية. والثالث: غير منقطع، قاله الزجاج. وللمفسرين في مقداره أربعة أقوال: أحدها: علة شهر بشهر، قاله عمر بن الخطاب. والثاني: ألف دينار، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير. قال الفراء: نرى أن الممدود مجمل غاية للعدد، لأن «الف» غاية للعدد يرجع في أول العدد من الألف. والثالث: أربعة آلاف، قاله قتادة. والرابع: أنه بستان كان له بالطائف لا يقطع خيره شتاءً ولا صيفاً، قاله مقاتل<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَرَبَّيْنِ شُوبَا﴾ أي: حضوراً معه لا يحتاجون إلى التصرف والسفر فيغيثوا عنه. وفي عددهم أربعة أقوال: أحدها: عشرة، قاله مجاهد، وقتادة. والثاني: ثلاثة عشر، قاله ابن جبير. والثالث: إثنا عشر، قاله السليبي. والرابع: سبعة، قاله مقاتل. ﴿وَمَدَدْتُ لِمَ مَوْبِدًا﴾ أي: بسطت له العيش، وطول العمر، ﴿ثُمَّ يَلْمَعُ أَنْ أَرِيدَ﴾ في قولان: أحدهما: يطمع أن أدخله الجنة، قاله الحسن. والثاني: أن أزيد من المال والولد، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا أفعل، فمنعه الله المال والولد حتى مات فقيراً، ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِنِيدًا﴾ أي: معانداً. وفي المراد بالآيات هنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن، قاله ابن جبير. والثاني: الحق، قاله مجاهد. والثالث: رسول الله ﷺ، قاله السليبي.

قوله تعالى: ﴿سَأَرْفَعُهُ صَعُودًا﴾ قال الزجاج: سأحملة على مشقة من العذاب. وقال غيره: سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له منها. وقال ابن قتية: «الصعود»: العقبة الشاقة، وكذلك «الكؤود». وفي حديث أبي سعيد عن نبي الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿سَأَرْفَعُهُ صَعُودًا﴾ قال: قال جبل من نار يكلف أن يصعده، فإذا وضع رجله عليها ذابت، فإذا رفعها عادت. يصعد سبعين خريفاً، ثم يهوي فيه كذلك أبداً<sup>(٤)</sup>. وذكر ابن السائب أنه جبل من صخرة ملساء في

(١) رواه بهذا اللفظ الواحد في «أسباب النزول» ٣٣٠ من رواية عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السخيتي عن عكرمة عن ابن عباس، وسنده صحيح. ورواه الحاكم به وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري، ولم يخرجاه. ورواه الطبري من رواية معمر عن عباد بن منصور عن عكرمة. ورواه أيضاً الطبري بنحوه من رواية عطية الموفى عن ابن عباس. قال ابن كثير: وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد نَحْواً من هذا.

(٢) ذكره بنحوه وبأخصر منه الواحد في «أسباب النزول» ٣٣٠ من مجاهد بغير سند.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله: ﴿وَبَعَثْنَا لِمَالَا مَثَدُوكَ﴾ وهو الكثير الممدود عدده أو مساحته.

(٤) هذا الحديث ذكره المؤلف ملفقاً من حديثين، الأول رواه ابن جرير الطبري من رواية شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي عن عمارة بن القمقاع عن عطية الموفى عن أبي سعيد الخدري، ورواه ابن أبي حاتم من رواية شريك عن عمارة النخعي عن عطية به، بللفظ ﴿سَأَرْفَعُهُ صَعُودًا﴾ قال: هو جبل -

لناره يكلف أن يصعد بها حتى إذا بلغ أعلاها أحدر إلى أسفلها، ثم يكلف أن يصعد بها، فذلك ذابها أبداً، يجذب من أيامه سلاسل الحديد، ويضرب من خلفه بمقامع الحديد، فيصعد بها في أربعين سنة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَكْفُرُ بِنَفْسِهِ﴾ أي: تفكر ماذا يقول في القرآن ﴿وَقَدَّرَ﴾ القول في نفسه ﴿ثَقِيلٌ﴾ أي: لعن ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ ثم قيل كيف تكلم؟ أي: لعن على أي حال قدر ما قدر من الكلام. وقيل: كيف هاهنا بمعنى التعجب والإنكار والتوبيخ. وإنما كرر تأكيداً ﴿ثُمَّ نَزَّلَهُ﴾ في طلب ما يدفع به القرآن، ويرده ﴿ثُمَّ عَسَّ وَفَسَّ﴾ قال اللغويون: أي: كره وجهه وقلب. يقال: بسر الرجل وجهه، أي: قبضه. وأنشدوا لقوته:

وَقَدْ رَأَيْتِي مِنْهَا ضُدُودَ رَأْيَيْهِ  
وَإِعْرَاضَهَا عَنْ حَاجَتِي وَيُسُورَهَا<sup>(١)</sup>

قال المفسرون: كره وجهه، ونظر بكرهية شديدة، كالمهتمة المتفكر في الشيء ﴿ثُمَّ أَوَّسَ﴾ عن الإيمان ﴿وَأَسْكَبَ﴾ أي: تكبر حين دعي إليه ﴿قَالَ إِنَّ هَذَا﴾ أي: ما هذا القرآن ﴿إِلَّا عَرِيزٌ يُزَيَّرُ﴾ أي: يروى عن السحرة ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ أي: من كلام الإنس، وليس من كلام الله تعالى، فقال الله تعالى: ﴿سَأُخْلِبَنَّكَ﴾ أي: سأدخله النار. وقد ذكر «سفر» في سورة القمر: [٤٨] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَخَرْنَا لِعِظَمِ شَأْنِهَا﴾ لا ينبغي ولا ندر ﴿١٨﴾ أي: لا بقي لهم لحماً إلا أكلته، ولا تدرهم إذا أعيدوا خلقاً جديداً ﴿ثَلَاثَةً﴾ أي: مغيرة. يقال: لأخته الشمس، أي: غيرته. وأنشدوا:

يَا ابْنَةَ عَمِّي لَأَحْنِي الْهَوَاجِرَ<sup>(٢)</sup>

وقرأ ابن مسعود، وابن السميع، وابن أبي عبله «لَوَاحَةً» بالنصب. وفي «البشر» قولان: أحدهما: أنه جمع بشر، وهي جلدة الإنسان الظاهرة، وهذا قول مجاهد، والفراء، والزجاج. والثاني: أنهم الإنس من أهل النار، قاله الأخفش، وابن قتيبة في آخرين.

قوله تعالى: ﴿عَلَيَّ سَعَةَ عَشَرَ﴾ وهم خزائنها، مالك ومعه ثمانية عشر، أعينهم كالبرق الخاطف، وأنبياءهم كالصياصي يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، يسع كف أحدهم مثل ربيعة ومضر. قد نزع منهم الرحمة. فلما نزلت هذه الآية قال أبو جهل: يخوفكم محمد بتسعة عشر، أما له من الجنود إلا هؤلاء! أيعجز كل عشرة منكم أن يبطش بواحد منهم، ثم يخرجون من النار! فقال أبو الأشدين<sup>(٣)</sup> - قال مقاتل: اسمه: أسيد بن كلفة. وقال غيره: كلفة بن خلف الجمحي - يا معشر قريش: أنا أمشي بين أيديكم فأرفع عشرة بمنكبي الأيمن، وتسعة بمنكبي الأيسر، فندخل الجنة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ الْكَافِرِينَ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ لا آدميين، فمن يطيقهم ومن يغلبهم؟ ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ في هذه القلة ﴿إِلَّا سِتَّةً﴾ أي: ضلالة ﴿لَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حتى قالوا ما قالوا ﴿لَيَسْتَفِيقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أن ما جاء به محمد حق، لأن عِدَّتَهُمْ في التوراة تسعة عشر ﴿وَيَذَرُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أهل الكتاب ﴿إِيمَانَهُمْ﴾ أي: تصديقاً بمحمد ﷺ إذ وجدوا ما يخبرهم موافقاً لما في كتابهم ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالَّذِينَ أُوتُوا فِي عَهْدِهِ الْحَزُنَةَ﴾ ﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه النفاق، ذكره الأكثرون. والثاني: أنه الشك، قاله مقاتل. وزعم أنهم يهود أهل المدينة، وعنده أن هذه الآية مدنية. والثالث: أنه الخلاف، قاله الحسين بن الفضل. وقال: لم يكن أبى مكة نفاق. وهذه مكية. فأما «الكافرون» فهم مشركو العرب، ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ﴾ أي: أي شيء أراد الله

من نار يكلف أن يصعد، فإذا وضع يده ذابت، وإذا وضع رجله ذابت، وإذا رفعها عادت. وخطبة العوفي ضعيف. والحديث الثاني رواه أحمد من حديث ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري، والطبري عن عمرو بن الحارث عن دراج به، بلفظ «الضخود: جبل من نار، يصعد فيه الكافر سبعين خريفاً، ثم يهوي به كذلك منه أبداً» ودراج عن شيخه أبي الهيثم ضعيفان. وقال ابن كثير بعدما ذكر حديث أحمد والطبري (وهو الرواية الثانية): وفيه غرابة وبكارة.

(١) البيت لقوتة بن الحميم، وهو في «مجاز القرآن» ٢/٢٧٥، و«الأغاني» ١٠/٢٧٢، و«الطبري» ٢٩/١٥٦، و«القرطبي» ١٩/٧٤.

(٢) هو في «مجاز القرآن» ٢/٢٧٥، و«القرطبي» ١٩/٧٦، و«الألوسي» ٢٩/٢٢٥.

(٣) كذا الأصل: «أبو الأشدين»، وهو كذلك في بعض كتب التفسير، وفي النسخة الاستنبولية: أبو الأسدين. والذي في «القرطبي»، و«البحر»، و«روح المعاني»: أبو الأشد أسيد بن كلفة الجمحي. وكان شديد البأس، وذكروا أنه كان يسطر له الأديم العكاظي فيقوم عليه ويقول: من أزالني عنه فله كذا، فلا يتزع إلا قطعاً، ويأتي موضع قطعته، وكان من أعداء النبي ﷺ.

﴿بِهَذَا﴾ الحديث والخبر ﴿مَثَلًا﴾ والمثل يكون بمعنى الحديث نفسه. معنى الكلام: يقولون: ما هذا من الحديث ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما أضل من أنكر عَدَدَ الْحَزَنَةِ، وهدي من صدق ﴿يُحِلُّ اللَّهُ مَن يَتَّقُهُ وَيَهْدِي مَن يَتَّقُهُ﴾ وأنزل في قول أبي جهل: أما لمحمد من الجنود إلا تسعة عشر: ﴿وَمَا يَنْتَهِ جُودُ رَبِّهِ إِلَّا هُوَ﴾ يعني: من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار. وذلك أن لكل واحد من هؤلاء التسعة عشر من الأعوان ما لا يعلمه إلا الله. وذكر الماوردي في وجه الحكمة في كونهم تسعة عشر قولاً محتملاً، فقال: التسعة عشر: عدد يجمع أكثر القليل، وأقل الكثير، لأن الآحاد أقل الأعداد، وأكثرها تسعة، وما سوى الآحاد كثير. وأقل الكثير: عشرة، فوقع الاختصار على عدد يجمع أقل الكثير، وأكثر القليل. ثم رجع إلى ذكر النار فقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَّا يَذْكُرُنَّ﴾ أي: ما النار في الدنيا إلا مذكورة لنار الآخرة ﴿كَلَّا﴾ أي: حقاً ﴿وَالْقَبْرِ﴾ والآلِ إِذْ أُدْبِرَ قَرَأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «إذا أدبر» وقرأ نافع، وحزمة، وحفص، والفضل عن عاصم، ويعقوب «إذا بسكون الدال من غير ألف بعدها «أدبر» بسكون الدال، وبهجمة قبلها. وهل معنى القراءتين واحد، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنهما لغتان بمعنى واحد. يقال: دبر الليل، وأدبر. ودبر الصيف وأدبر، هذا قول الفراء، والأخفش، وثعلب. والثاني: أن «دبر» بمعنى خلف، و«أدبر» بمعنى ولى. يقال: دبرني فلان: جاء خلفي، وإلى هذا المعنى ذهب أبو عبيدة وابن قتيبة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَرْنَا﴾ أي: أضاء وتبين ﴿إِنَّمَا﴾ يعني: سفر ﴿لِنَذِيرِ الْكُفْرِ﴾ قال ابن قتيبة: الكُفْرُ، جمع كبرى، مثل الأول، والأولى، والصُّغْرُ والصُّغْرَى. وهذا كما يقال: إنها لإحدى العظام. قال الحسن: والله ما أنذر الله بشيء أوهى منها. وقال ابن السائب، ومقاتل: أراد بالكُفْرُ: دركات جهنم السبعة.

قوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِّقَوْمٍ﴾ قال الزجاج: نصب «نذيراً» على الحال. والمعنى: إنه لكبيرة في حال الإنذار. وذكر «النذير»، لأن معناه معنى العذاب. ويجوز أن يكون «نذيراً» منصوباً متعلقاً بأول السورة، على معنى: قم نذيراً للبشر.

قوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَاءَ يَنْزِلُ﴾ بدل من قوله تعالى: «البشر»، ﴿أَنْ يَنْزِلَ أَوْ يَنْزَلُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن يتقدم في طاعة الله أو يتأخر عن معصيته، قاله ابن جريج. والثاني: أن يتقدم إلى النار، أو يتأخر عن الجنة، قاله السدي. والثالث: أن يتقدم في الخير، أو يتأخر إلى الشر، قاله يحيى بن سلام. والرابع: أن يتقدم في الإيمان، أو يتأخر عنه. والمعنى: أن الإنذار قد حصل لكل أحد ممن أقر أو كفر.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَوِيَّةٌ﴾ إِلَّا أَحَبَّ إِلَيْنِ ﴿١٨﴾ فِي جَنَّاتٍ يَدْخُلُونَ ﴿١٩﴾ عَنِ الشَّجَرِينَ ﴿٢٠﴾ مَا سَلَكَ فِي سَفَرٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا لَوْ نَكُنَّا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴿٢٢﴾ لَوْ نَكُنَّا نَحْمِلُ السِّكِّينَ ﴿٢٣﴾ وَكُنَّا نَحْمِلُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ ﴿٢٤﴾ وَكُنَّا نَكُونُ بِرُؤُوسِ الْأَيَّامِ ﴿٢٥﴾ حَتَّىٰ آتَانَا الْيَوْمَ ﴿٢٦﴾ قَالُوا نَحْمِلُهُمْ شَقَقْنَا الشَّيَئِينَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْفَكْرَةِ مُرِيدِينَ ﴿٢٨﴾ كَانَهُمْ حُمْرٌ مُّشْتَبِرَةٌ ﴿٢٩﴾ قَرَّتْ مِنْ سَوَرَةٍ ﴿٣٠﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ الْأَشْيَاءِ أَنْ يَكُونَ مِثْلًا مُّثْبَرًا ﴿٣١﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٣٢﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ تَذْكِرَةٌ ﴿٣٣﴾ فَمِنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٣٤﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُرُونِ وَأَهْلُ الْعُقُورِ ﴿٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَوِيَّةٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: كل نفس بالغو مرتبة بعملها لتحاسِبَ عليه ﴿إِلَّا أَحَبَّ إِلَيْنِ﴾ وهم أطفال المسلمين، فإنه لا حساب عليهم، لأنه لا ذنوب لهم، قاله علي، واختاره الفراء. والثاني: كل نفس من أهل النار مرتبة في النار، إلا أصحاب اليمين، وهم المؤمنون، فإنهم في الجنة، قاله الضحاك. والثالث: كل نفس مرتبة بعملها لتحاسِبَ عليه إلا أصحاب اليمين، فإنهم لا يحاسبون، قاله ابن جريج.

قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَ﴾ عَنِ الشَّجَرِينَ ﴿٢٠﴾ قال مقاتل: إذا خرج أهل التوحيد من النار قال المؤمنون لمن بقي في النار: ﴿مَا سَلَكَ فِي سَفَرٍ﴾؟ قال المفسرون: سلككم بمعنى: أدخلكم. وقال مقاتل: ما حبسكم فيها؟ ﴿قَالُوا لَوْ نَكُنَّا مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ الله في دار الدنيا ﴿وَلَوْ نَكُنَّا نَحْمِلُ السِّكِّينَ﴾ أي: لم نتصدق لله ﴿وَكُنَّا نَحْمِلُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ﴾ أهل

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا أنها قراءتان معروفتان صحيحتان المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.



الباطل والتكذيب ﴿وَكَاذِبٌ كَذِبٌ﴾ أي: بيوم الجزاء والحساب ﴿حَتَّىٰ آتَيْنَا آلَ يُونُسَ﴾ وهو الموت. يقول الله تعالى: ﴿فَمَا تَتْمَتُوهُمْ سَكَنَةُ النَّارِ﴾ وهذا إنما جرى بعد شفاعة الأنبياء والملائكة والشهداء والمؤمنين. وهذا يدل على نفع الشفاعة لمن آمن. ﴿فَمَا لَكُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُبْرِينَ﴾؟ يعني: كفار قريش حين نفروا من القرآن والتذكير بمواعظه. والمعنى: لا شيء لهم في الآخرة إذ أعرضوا عن القرآن فلم يؤمنوا به، ثم شبههم في نفورهم عنه بالحُمُر، فقال تعالى: ﴿كَانَهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَفِرَّةٌ﴾ قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن عامر، والمفضل عن عاصم بفتح الفاء. والباقون بكسرهما. قال أبو عبيدة، وابن قتيبة: من قرأ بفتح الفاء أراد: مدعورة، استنفرت فنفرت. ومن قرأ بكسر الفاء أراد: نافرة. قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: حُمُرٌ مُّسْتَفِرَّةٌ. وناس من العرب يكسرون الفاء. والفتح أكثر في كلام العرب. وقراءتنا بالكسر. أنشدني الكسائي:

إخْبِسْ جِمَارَكَ إِنَّهُ مُسْتَفِرُّ  
في إثر أخيرة عَمَدَنْ لِعُزْبٍ<sup>(١)</sup>

و «عُزْب» موضع. وفي «القصورة» سبعة أقوال: أحدها: أنه الأسد، رواه يوسف بن مهرا عن ابن عباس. وبه قال أبو هريرة، وزيد بن أسلم، وابنه. قال ابن عباس: الحمر الوحشية إذا عَايَنَتِ الأسدَ هَرَبَتْ منه، فكذلك هؤلاء المشركون إذا سمعوا النبي ﷺ هربوا منه، وإلى هذا ذهب أبو عبيدة، والزجاج. قال ابن قتيبة: كأنه من التَّسْرِ والتَّقْرِ. فالأسد يقهر السباع. والثاني: أن القصورة: الرماة، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال أبو موسى الأشعري، ومجاهد، وقادة، والضحاك، ومقاتل، وابن كيسان. والثالث: أن القصورة: جبال الصيادين، رواه عكرمة عن ابن عباس. والرابع: أنهم عُصَبُ الرُّجَال، رواه أبو حمزة عن ابن عباس. واسم أبي حمزة: نصر بن عمران الضبيعي. والخامس: أنه رَكْزُ الناس، وهذا في رواية عطاء أيضاً عن ابن عباس. وركز الناس: جِشْمُ وأصواتهم. والسادس: أنه الظُّلْمَةُ والليل، قاله عكرمة. والسابع: أنه التَّبَل، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّثَنَّنَةً﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قالوا للنبي ﷺ: إن سَرَكَ أَنْ تَنْتَحِكَ، فليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله تعالى إلى فلان ابن فلان يؤمر فيه باتباعك، قاله الجمهور. والثاني: أنهم أرادوا براءة من النار أن لا يعدبوا بها، قاله أبو صالح. والثالث: أنهم قالوا: كان الرجل إذا أذنب في بني إسرائيل وجده مكتوباً إذا أصبح في رُقعة. فما بالنا لا نرى ذلك؟ فنزلت هذه الآية، قاله الفراء. فقال الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يؤتون الصُّحُفَ ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: لا يَحْشَوْنَ عَذَابَهَا. والمعنى: أنهم لو خافوا النار لما اقترحوا الآيات بعد قيام الدلالة ﴿كَلَّا﴾ أي: حقاً. وقيل: معنى ﴿كَلَّا﴾: ليس الأمر كما يريدون ويقولون ﴿إِنَّهُ تَذَكُّرٌ﴾ أي: تذكير وموعظة ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ الهاء عائدة على القرآن، فالمعنى: فمن شاء أن يذكر القرآن ويتعظ به ويفهمه، ذكره. ثم رد المشيئة إلى نفسه فقال تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا أن يريد لهم الهدى ﴿هُوَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ أي: أهل أن يُتَّقَى ﴿وَأَهْلُ الْقُرَى﴾ أي: أهل أن يَغْفِرَ لمن تاب. روى أنس عن رسول الله ﷺ أنه تلا هذه الآية، فقال: «قال ربكم ﷻ: أنا أهل أن أتقى، فلا يشرك بي غيري. وأنا أهل لمن أتقى أن يشرك بي غيري أن أغفر له»<sup>(٢)</sup>.



(١) البيت في «اللسان»: نفر، منسوباً لابن الأعرابي، وأوله «اربط حمارك» بدل «إخبس» وهو في «الطبري» ١٦٨/٢٩ غير منسوب، و«القرطبي» ٨٧/١٩ وأوله فهما «امسك حمارك» بدل «إخبس». و«عُزْب» ككُفْر: اسم موضع وجبل دون الشام في بلاد بني كلب.

(٢) رواه أحمد في «المسند»، والترمذي ١٦٨/٢، والحاكم ٥٠٨/٢، وابن ماجه، والدارمي، والطبراني في «الأسطى»، وابن عدي، وأبو يعلى، والبيهقي، كلهم من رواية سهيل بن أبي حمز القُطَيْمي عن ثابت بن أنس، وهو ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب». قال الترمذي: حديث حسن غريب، وسهيل ليس بالقوي في الحديث، وقد تفرد سهيل بهذا الحديث عن ثابت. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٨٠: ورواه الحكم الترمذي في السبيع والسبعين بعد المائة بلفظ: «قال: هو أهل أن يتقى، فمن اتقى فهو أهل أن يغفر له» وله شاهد من رواية عبد الله قال: سمعت ثلاثة نفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبا هريرة، وابن عمر، وابن عباس يقولون: مثل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى... فذكره.

## سورة القيامة

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ① وَلَا أُقِيمُ وَالنَّفْسُ اللَّوَامَةُ ②﴾ أَيْحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ③ بَلْ قَدِيرِينَ عَلَيَّ أَنْ تُشَوَّى بِكَامَةٍ ④ بَلْ يَرِيهِ الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ أَهْلًا ⑤ يَسْتَلْ أَفَاقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ⑥ إِنَّمَا يَرَى الْمَوْتَ ⑦ وَحَسَبَ الْقَمَرُ ⑧ وَجَمَعَ النَّفْسُ وَالْقَمَرُ ⑨ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَفَنُ الْفَتْرِ ⑩ كَلَّا لَا وَدَّ ⑪ إِنْ رَأَاهُ يَوْمَئِذٍ لَلشَّعَثِ ⑫ يُبَيِّنُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ⑬ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ⑭ وَلَوْ أَلْفَ مَعَادِيرٍ ⑮

قوله تعالى: ﴿لَا أُقِيمُ﴾ اتفقوا على أن المعنى «أقسم» واختلفوا في «لَا» فجعلها بعضهم زائدة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَلْ أَهْلًا﴾ [الحديد: ٢٩] وجعلها بعضهم رداً على منكري البعث. ويدل عليه أنه «أقسم» «على كون البعث». قال ابن قتيبة: زيدت «لَا» على نية الرد على المكذبين، كما تقول: لا والله ما ذاك، ولو حذف جاز، ولكنه أبلغ في الرد، وقرأ ابن كثير إلا ابن فليح «لأقسم» بغير ألف بعد اللام، فجعلت لاهياً دخلت على «أقسم»، وهي قراءة ابن عباس. وأبي عبد الرحمن، والحسن، ومجاهد وعكرمة، ابن محيصن. قال الزجاج: من قرأ «لأقسم» فاللام لام القسم والتوكيد. وهذه القراءة بعيدة في العربية، لأن لام القسم لا تدخل على الفعل المستقبل إلا مع النون، تقول: لأضربن زيداً. ولا يجوز: لأضرب زيداً.

قوله تعالى: ﴿لَا أُقِيمُ وَالنَّفْسُ اللَّوَامَةُ ①﴾ قال الحسن: أقسم بالأولى ولم يقسم بالثانية. وقال قتادة: حكما حكم الأولى<sup>(١)</sup>. وفي «النفس اللوامة» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها المذمومة، قاله ابن عباس، فعلى هذا: هي التي تلوم نفسها حين لا يتفهمها اللوم. والثاني: أنها النفس المؤمنة، قاله الحسن. قال: لا يُؤَيِّمُ المؤمن إلا يلوم نفسه على كل حال. والثالث: أنها جميع النفوس. قال الفراء: ليس من نفس برّ ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملاً خيراً قال: هلا زدت. وإن كانت عملت سوءاً، قال: ليتني لم أفعل<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَيْحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ③﴾ المراد بالإنسان هاهنا: الكافر. وقال ابن عباس: يريد أبا جهل. وقال مقاتل: عدي بن ربيعة، وذلك أنه قال: أجمع الله هذه العظام؟ فقال النبي ﷺ له: «نعم»، فاستهزأ منه، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. قال ابن الأنباري: وجواب القسم محذوف، كأنه: لَتُبْعَثُنَّ، لَتُحَاسَبُنَّ، فدل قوله تعالى: ﴿أَيْحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ على الجواب، فحذف<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿بَلْ يُتْلَأُ ④﴾ وقوف حسن. ثم يُتْلَأُ ﴿بَلْ قَدِيرِينَ ⑤﴾ على معنى: بلى نجتمعها قديرين. ويصلح نصب «قادرين» على التكرير: بلى قَلْبُخَسْبِنَا قَادِرِينَ<sup>(٥)</sup> ﴿عَلَيَّ أَنْ تُشَوَّى بِكَامَةٍ ④﴾ وفيه قولان: أحدهما: أن نجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً

(١) قال ابن كثير: والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً، كما قاله قتادة رحمه الله، وهو المراد عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، واختاره ابن جرير.

(٢) قال ابن جرير: وكل هذه الأقوال مقاربة المعنى، والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر، وتلوم على ما فات.

(٣) قال البغوي: نزلت في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة غنم الأحنس بن شريق الظفي، وكان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم اكفني حازي السوء»، يعني عدياً والأحنس، وذلك أن عدي بن ربيعة أتى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد حدثني من القيامة متى تكون؟ وكيف أمرها وحالها؟ فأخبره رسول الله ﷺ فقال: لو هابت ذلك اليوم لم أصفك ولم أؤمن بك، أو يجمع الله العظام؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿أَيْحَسِبَ الْإِنْسَانُ﴾ يعني الكافر ﴿أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ بعد الضم والياء فتحية قبل ذكر المقام، وذكره كذلك بغير سند القرطبي والخازن. والله أعلم. وفي «القرطبي» «والبحر المحيط»: وقيل: نزلت في أبي جهل.

(٤) قال ابن كثير: والمقسم عليه هاهنا، هو إثبات المعاد، والرد على ما يزعم الجبهة من البعاد من عدم بعث الأجساد.

(٥) قال ابن كثير: والظاهر من الآية أن قوله تعالى: ﴿قَدِيرِينَ﴾ حال من قوله تعالى: ﴿يَجْمَعُ﴾ أي: أيظن الإنسان أننا لا نجتمع عظامه؟ ﴿بَلْ﴾ متجمعة ﴿قَدِيرِينَ﴾ على أن تُشَوَّى بِكَامَةٍ، أي: قدرتنا صالحة لجمعها، ولو فشتا لبعثنا أزيد مما كان فنجعل بئانه وهي أطراف أصابعه مستوية.

واحداً كُخِّفَ البعير، وحافر الحمار، فيعدم الارتفاق بالأعمال اللطيفة، كالكتابة والخياطة، هذا قول الجمهور. والثاني: نقدر على أن نسوي بنانه. كما كانت، وإن صغرت عظامها، ومن قدر على جمع صغار العظام، كان على جمع كبارها أقدر، هذا قول ابن قتيبة، والزجاج. وقد بينا معنى البنان في (١١٧: أنال: ٤١٧).

قوله تعالى: ﴿بَلْ يُبْذِرُ الْإِنْسَانُ يَتَجَرَّأً ۖ﴾ (١١٨) فيه قولان: أحدهما: يكذب بما أمامه من البعث والحساب، قاله ابن عباس. والثاني: يقدم الذنب ويؤخر التوبة، ويقول: سوف أتوب، قاله سعيد بن جبير. فعلى هذا: يكون المراد بالإنسان: المسلم. وعلى الأول: الكافر<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَتْلُو آيَاتٍ مِّنَ الْكِتَابِ ۚ﴾ (١١٩) أي: متى هو؟ تكذيباً به، وهذا هو الكافر ﴿وَإِنَّا بِكَ لَشَرٌّ ۚ﴾ (١٢٠) قرأ أهل المدينة، وأبان عن عاصم «بَرَقَ» بفتح الراء، والباقون بكسرها. قال الفراء: العرب تقول: بَرَقَ البصر يَبْرُقُ، وَيَبْرُقُ يَبْرُقُ: إذا رأى هولاً يفزع منه. و«بَرَقَ» أكثر وأجود<sup>(٢)</sup>، قال الشاعر:

فَنَفْسِكَ فَسَانِعٌ وَلَا تَنْفَعَنِي وَدَاوِ الْكُلُومَ وَلَا تَنْبَرِّقِ<sup>(٣)</sup>  
بالفتح. يقول: لا تنفع من هول الجراح التي<sup>(٤)</sup> بك. قال المفسرون: يشخص بصر الكافر يوم القيامة، فلا يَظَرُفُ لما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا. وقال مجاهد: بَرَقَ البصر عند الموت.

قوله تعالى: ﴿وَوَسَّيَ الْقَمَرَ ۖ﴾ (١٢١) قال أبو عبيدة: كَسَفَ وَخَسَفَ بمعنى واحد، أي: ذهب ضوءه. قوله تعالى: ﴿وَرَجَعَ النَّفْسُ وَالْقَمَرُ ۖ﴾ (١٢٢) إنما قال «جمع» لتذكير القمر، هذا قول أبي عبيدة. وقال الفراء: إنما لم يقل: جُمِعَتْ، لأن المعنى: جمع بينهما. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: جمع بين ذاتيهما. وقال ابن مسعود: جمعا كالبعيرين القرينين. وقال ططاء بن يسار: يُجْمَعَانِ ثُمَّ يُفْدَقَانِ فِي الْبَحْرِ. وقيل: يُفْدَقَانِ فِي النَّارِ. وقيل: يجمعان، فيقطعان من المغرب. والثاني: جمع بينهما في ذهاب نورهما، قاله الفراء، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ ۖ﴾ يعني: المكذِّبُ بيوم القيامة ﴿إِنِّي الْمُرَّةُ ۖ﴾ قرأ الجمهور بفتح الميم، والمفاء، وقرأ ابن عباس، ومعاوية، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، والحسن، وعكرمة، والضحاك، وابن يعمر، وابن أبي عبيدة: بكسر الفاء. قال الزجاج: فمن فتح، فالمعنى: أين الفرار؟ ومن كسر، فالمعنى: أين مكان الفرار؟ تقول: يجلس جالساً بالفتح، يعني: جلوساً. فإذا قلت: مجلساً بالكسر، فانت تريد المكان.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تَتَذَكَّرُ ۖ﴾ (١٢٣) قال ابن قتيبة: لا ملجأ. وأصل الوزر: الجبل الذي يمتنع فيه ﴿إِلَّا رَبُّكَ يَهْدِي النَّفْرَ ۖ﴾ (١٢٤) أي: المنتهى والمرجع. ﴿يَبْذُرُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ مِمَّا قَدَّمَ وَكَثَّرَ ۖ﴾ (١٢٥) فيه ستة أقوال: أحدها: بما قدَّم قبل موته، وما سَرَّ من شيء ففعل به بعد موته، قاله ابن مسعود، وابن عباس. والثاني: يَبْذُرُ بِأَوَّلِ عَمَلِهِ وَآخِرِهِ. قاله مجاهد. والثالث: بما قدَّم من الشَّرِّ، وآخر من الخير، قاله عكرمة. والرابع: بما قدَّم من فرض، وآخر من فرض، قاله الضحاك. والخامس: بما قدَّم من معصية، وآخر من طاعة. والسادس: بما قدَّم من أمواله، وما خَلَّفَ للورثة، قاله زيد بن أسلم.

قوله تعالى: ﴿بَلْ يَرَى الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ يَغِيْرُ ۖ﴾ (١٢٦) قال الفراء: المعنى: بل على الإنسان من نفسه بصيرة، أي: رقباء يشهدون عليه بعمله، وهي: الجوارح. قال ابن قتيبة: فلما كانت جوارحه منه، أقامها مقامه. وقال أبو عبيدة:

(١) قال ابن كثير: وروى عن عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والسدي وغير واحد من السلف: هو الذي يجعل الذنوب ويسوّف التوبة.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب كسر الراء، ﴿وَإِنَّا بِكَ لَشَرٌّ ۚ﴾ بمعنى: فرج فشق وفتح من هول القيامة ووزع الموت، قال: وبذلك جاءت أشعار العرب.

(٣) البيت لطرفة بن العبد في (ديوانه: ٢١٨)، وهو في (الطبري: ١٧٩/٢٩)، و(القرطبي: ٩٤/١٩)، و(اللسان: بَرَقَ). وتبرق: تهتد. يقول طرفة لعناته: إذا تافقت نفستك إلى السخيرة والاستهزاء، فابعد عني واستهزئ بنفسك واحقرها، واحبس نفسك داخل لتداوي ما أصبتك به من جروح، ولياك وتهديد الأبطال مرة أخرى فلتست منهم، ولا تقوى عليهم. وقبله بيت، وهو:

تَسْتَفِيضُ حَسَنَاتِي مَلُوبَةً إِلَى

ومعنى نعمتي: شُهرني وحاول أن يسيء ضمعتي، طويالة: نعمة، لقبه بذلك، وهي منصوبة على الترخيم. تسف: تأكل. اليبس: اليابس. العشرق: نبات معروف. ومعنى الكلام: إن حانة قد حاول أن يبيتي ويشتربي، فرحمة لك أيها النجعة التي ترضي يابس العشب وأروقه.

(٤) في الأصل: الذي.

جاءت الهاء في «بصيرة» في صفة الذكر، كما جاءت في رجل «راوية»، و «طاغية»، و «علامة».

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلْمُغِيرِثِ﴾ في المعاذير قولان: أحدهما: أنه جمع عذر، فالمعنى: لو اعتذر، وجادل عن نفسه، فعليه من يكذب عذره، وهي: الجوارح، وهذا قول الأكثرين. والثاني: أن المعاذير جمع معذار، وهو: الستور. والمعاذير: الستور. فالمعنى: ولو أرخى ستوره، هذا قول الضحاک، والسدي، والزجاج. فيخرج في معنى «ألقى» قولان: أحدهما: قال، ومنه «فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ» (النحل: ٣٦)، وهذا على القول الأول. والثاني: أرخى، وهذا على القول الثاني.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَنَبَّأَ بِهِ﴾ ١١. ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ١٢. ﴿إِذَا قَرَأْتَ قُلُوبَهُمْ قُلْ إِنَّ عَلَيْنَا يَوْمَئِذٍ﴾ ١٣. ﴿لَا يُخْبِرُ إِلَّا بِمَا كُنَّا نَظِيرُهُ﴾ ١٤. ﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَاهُ بِالْحَقِّ﴾ ١٥. ﴿وَرُؤُوسُهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّخْبَرَةٌ﴾ ١٦. ﴿إِلَّا رِبًّا نَّارٌ﴾ ١٧. ﴿وَيَوْمَ يُؤْمِنُ كَبِيرُهُ﴾ ١٨. ﴿فَلَنْ أُنْزِلَ بِهَا قَوْلٌ﴾ ١٩.

قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان يشد عليه جفظه، وكان إذا نزل عليه الوحي يُحرّك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبريل من قراءة الوحي، مخافة أن لا يحفظه، فأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(١)</sup>. ومعناها: لا تحرك بالقرآن لسانك لتعجل بأخذه ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قال ابن قتيبة: أي: ضمّه وجمعه في صدرك ﴿إِذَا قَرَأْتَ﴾ أي: جمعناه ﴿فَلْيُخْبِرْ قُرْآنَهُ﴾ أي: جمعه. قال المفسرون يعني: اقرأ إذا فرغ جبريل من قراءته. قال ابن عباس: فأتبع قرأته، أي: اعمل به. وقال قتادة: فاتبع حلاله وحرامه ﴿فَلْيُخْبِرْ قُرْآنَهُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: نبئته بلسانك، ففروه كما أقرأك جبريل. وكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب، قرأه كما وعده الله، قاله ابن عباس. والثاني: إن علينا أن نجزي به يوم القيامة بما فيه من وعد ووعد، قاله الحسن. والثالث: إن علينا بيان ما فيه من الأحكام، والحلال، والحرام، قاله قتادة. والرابع: علينا أن ننزله قرآنًا عربيًا، فيه بيان للناس، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿لَا تُخْبِرُ إِلَّا بِمَا كُنَّا نَظِيرُهُ﴾ قال عطاء: أي: لا يؤمن أبو جهل بالقرآن وبيانه، وقال ابن جرير: المعنى: ليس الأمر كما تقولون من أنكم لا تُخْبِرُونَ، ولكن دعاكم إلى قيل ذلك مَعْبُتُكُمْ للعاجلة.

قوله تعالى: ﴿لَا يُخْبِرُ إِلَّا بِمَا كُنَّا نَظِيرُهُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو «بل يحبون العاجلة ويذرون» بالياء فيهما. وقرأ الباقون بالتاء فيهما. المراد: كفار مكة، يحبونها ويعملون لها «ويذرون الآخرة» أي: يتركون العمل لها إثارًا للعاجلة.

قوله تعالى: ﴿وَرُؤُوسُهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّخْبَرَةٌ﴾ أي: مشرقة بالنعيم ﴿إِلَّا رِبًّا نَّارٌ﴾ روى عطاء عن ابن عباس قال: إلى الله ناظرة. قال الحسن: حق لها أن تُنْصَر وهي تنظر إلى الخالق، وهذا مذهب عكرمة. وروية الله ﷻ حق لا شك فيها، والأحاديث فيها صحاح، قد ذكرت جملة منها في «المعني» و «الحدائق»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَرُؤُوسُهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّخْبَرَةٌ﴾ قال ابن قتيبة: أي: عابسة مقطبة.

قوله تعالى: ﴿فَلْيُخْبِرْ قُرْآنَهُ﴾ قال الفراء: أي: تعلم، و «الفارقة» الداهية. قال ابن قتيبة: إنه من فقرة الظهر، كأنها تكسره، يقال: فُقرت الرجل: إذا كسرت فقارَه، كما يقال: رأسه: إذا ضربت رأسه، ويُنْطَئُهُ: إذا ضربت بطنه. قال ابن زيد: الفارقة: دخول النار. قال ابن السائب: هي أن تُحْجَبَ عن ربها، فلا تنظر إليه.

﴿لَا إِذَا بَلَغَتِ الْقُرَىٰ﴾ ٢٠. ﴿فَلَيْلٌ مِّنْ لَّيْلِ﴾ ٢١. ﴿وَلَقَدْ أَنشَأَ أَلَسَاقُ﴾ ٢٢. ﴿إِلَّا رِبًّا نَّارٌ﴾ ٢٣. ﴿فَلَا مَكْدُ وَلَا مَكْ﴾ ٢٤. ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ٢٥. ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ آخِلِهِ يَنْتَعِلُ﴾ ٢٦. ﴿أَنْتَ لَكَ قَوْلٌ﴾ ٢٧. ﴿ثُمَّ أَنْتَ لَكَ قَوْلٌ﴾ ٢٨. ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ ٢٩.

(١) روله الإمام أحمد في «المستند» من حديث سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، و«البخاري» ٢٢٥/٨، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٨٩/٦، وزاد نسبه للطبراني، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في «المصاحف» والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم والبيهقي معاً في «الدلائل» من ابن عباس ﷺ.

(٢) وقد ثبت رؤية المؤمنين ﷻ في النار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها، كحديث أبي سعيد وأبي هريرة، وهما في «المصحيحين» أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تشارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحب؟» قالوا: لا، قال: «إنكم ترون ربكم كذلك» وفي «المصحيحين» عن جرير قال: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا».

أَوَّلُ بَيْتٍ تَلْفَهُ مِنْ تَحْتِ يَتَّقِ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَقَبَهُ فَتَلَقَىٰ سَوَّىٰ ﴿٢٨﴾ جَمَلَ مِنْهُ الرَّجَسَيْنِ الذَّاكِرَ وَالْأَنَىٰ ﴿٢٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ ﴿٣٠﴾ قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ قال الزجاج: «كلا» ردع وتنبية. المعنى: ارتدعوا عما يؤدي إلى العذاب. وقال غيره: معنى «كلا»: لا يؤمن الكافر بهذا.

قوله تعالى: ﴿إِذَا بَلَغْتَ﴾ يعني: النفس. وهذه كناية عن غير مذكور. و «التراقي» العظام المكتنفة للقرّة النحر عن يمين وشمال. وواحدة التراقي: ترقوة، ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الإشفاء على الموت، ﴿فَقِيلَ مَنْ لَكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه قول الملائكة بعضهم لبعض: من يرقى روحه، ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب؟ رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس، وبه قال أبو العالية ومقاتل. والثاني: أنه قول أهله: هل من راقٍ يزقيه بالرقى؟ وهو مروى عن ابن عباس أيضاً، وبه قال عكرمة، والضحاك، وأبو قلابة، وقنادة، وابن زيد، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا﴾ أي: أيقن الذي بلغت روحه التراقي ﴿أَنَّهُ الْبَرَاءُ﴾ للدنيا ﴿وَالْقَبِي الْأَسَاءُ وَالنَّاقِ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أمر الدنيا بأمر الآخرة، رواه الوالبي عن ابن عباس: وبه قال مقاتل. والثاني: اجتمع فيه الحياة والموت، قاله الحسن. وعن مجاهد كالقولين. والثالث: التفت ساقاه في الكفن، قاله سعيد بن المسيب. والرابع: التفت ساقاه عند الموت، قاله الشعبي. والخامس: الشدة بالشدة، قاله قنادة. قال الزجاج: آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْعِدُ الْأَسَاءُ﴾ أي: إلى الله المنتهى. ﴿فَلَا سَعْدَ لَكَ مَعَهُ﴾ قال أبو عبيدة: «لا» هاهنا في موضع «لم». قال المفسرون: هو أبو جهل<sup>(٢)</sup> ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَقَتَلَ﴾ عن الإيمان: ﴿ثُمَّ دَعَىٰ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَتَّعْ﴾ أي: رجع إليهم يتبختر ويختال. قال الفراء: «يتمطى»، أي: يتبختر، لأن الظهر هو المَطَا، فيلوي ظهره متبخترًا. وقال ابن قتيبة: أصله يتمطط، فقلبت الطاء فيه ياءً، كما قيل: يتظنى، وأصله: يتظنن، ومنه المشية المَطِيطَاءُ. وأصل الطاء في هذا كله دال. إنما هو مد يده في المشي إذا تبختر. يقال: مَطَطْتُ وَمَدَدْتُ بمعنى.

قوله تعالى: ﴿أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَهُ﴾ قل ابن قتيبة: هو تهديد ووعد. وقال الزجاج: العرب تقول: أولى لفلان: إذا دعت عليه بالمكروه، ومعناه: وليك المكروه يا أبا جهل.

قوله تعالى: ﴿إِنْسَبِ الْإِنْسَ﴾ يعني: أبا جهل ﴿يَرْكَ سُدَّ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يهمل فلا يؤمر ولا ينهى ولا يعاقب، يقال: أسدبت الشيء، أي: أهملته. ثم دل على البعث بقوله تعالى: ﴿أَوَّلَ بَيْتٍ تَلْفَهُ مِنْ تَحْتِ يَتَّقِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وحزمة، الكسائي وأبو بكر عن عاصم: «تَمْنَى» بالطاء. وقرأ ابن عامر، وحفص عن عاصم، ويعقوب «يَمْنَى» بالياء. وعن أبي عمرو كالقراءتين. وقد شرحنا هذا في [النجم: ٢٤] ﴿ثُمَّ كَانَ عَقَبَهُ﴾ بعد النطفة ﴿فَتَلَقَىٰ﴾ فيه الروح، وسَوَّىٰ خلقه ﴿جَمَلَ مِنْهُ﴾ أي: خَلَقَ من مائه أولاداً ذكوراً وإناثاً. ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾ الذي فعل هذا ﴿بِقَدِيرٍ﴾؟ وقرأ أبو بكر الصديق، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري «يقدر» ﴿عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ الْمَوْتُ﴾ ١؟ وهذا تقرير لهم، أي: إن من قَدَّرَ على الابتداء قَدَّرَ على الإعادة. قال ابن عباس: إذا قرأ أحدكم هذه الآية، فليقل: اللهم بلى<sup>(٣)</sup>.



(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندي قول من قال: معنى ذلك: والتفت ساق الدنيا بساق الآخرة، وذلك من شدة كرب الموت، بشدة هول المطلع.

(٢) والصحيح أنها عامة في أبي جهل وغيره.

(٣) ذكره ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي خاتم عن ابن عباس موقوفاً من حديث أبي إسحاق السبيعي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وأبو إسحاق السبيعي ثقة غاب عنه لكنه اختلط بأخرة. ورواه أبو داود والترمذي مطولاً عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً وفي سننه أعرابي لم يسم، وعنه أخرجه أحمد ٢٤٩/٢، والترمذي ٢٣٨/٢ مختصراً وأعله بالأعرابي. ورواه الحاكم في «المستدرک» ٥١٠/٢ وصححه ووافقه الذهبي، وفي سننه يزيد بن عياض، وهو متروك كما قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف». ورواه أبو داود رقم (٤٨٤) من رواية موسى بن أبي عائشة عن رجل سمعه من النبي ﷺ قال ابن كثير: تفرد به أبو داود، ولم يسم هذا الصحابي، ولا يضر ذلك.

## سورة الدهر

### سورة هل أتى: ويقال لها: سورة الإنسان

وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها مدنية كلها، قاله الجمهور منهم، مجاهد وقادة. والثاني: مكية، قاله ابن يسار، ومقاتل، وحكي عن ابن عباس. والثالث: أن فيها مكياً ومدنياً. ثم في ذلك قولان: أحدهما: أن المكي منها آية، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلَاحِظْ إِلَيْهِمْ كَيْدًا أَوْ كَذُوبًا﴾ وباقيها جميعه مدني، قاله الحسن وعكرمة. والثاني: أن أولها مدني إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ [الإنسان: ٢٤] ومن هذه الآية إلى آخرها مكّي، حكاه الماوردي.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى﴾ قال الفراء: معناه: قد أتى. و«هل» تكون خبراً، وتكون جحداً، فهذا من الخبر، لأنك تقول: هل وعظمتك؟ هل أعطيتك؟ فنقرر به أنك قد فعلت ذلك. والجحد، أن تقول: وهل يقدر أحد حلي مثل هذا؟ وهذا قول المفسرين، وأهل اللغة. وفي هذا الإنسان قولان: أحدهما: أنه آدم عليه السلام. والحين الذي أتى عليه: أربعون سنة، وكان مصوراً من طين لم يُنفَخ فيه الروح، هذا قول الجمهور. والثاني: أنه جميع الناس، روي عن ابن عباس، وابن جريج، فعلى هذا يكون الإنسان اسم جنس، ويكون الحين زمان كونه نطفة، وعلقة، ومضغة. قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ المعنى: أنه كان شيئاً، غير أنه لم يكن مذكوراً. قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يعني: ولد آدم ﴿مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ قال ابن قتيبة: أي: أخلاط. يقال: مشجته، فهو مشيج، يريد: اختلاط ماء المرأة بماء الرجل.

قوله تعالى: ﴿نَبْتَلِيهِ﴾ قال الفراء: هذا مقدم، ومعناه التأخير، لأن المعنى: خلقناه وجعلناه سمياً بصيراً لنبتليه. قال الزجاج: المعنى: جعلناه كذلك لنختبره. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ أي: بينا له سبيل الهدى بنصب الأدلة، وبعث الرسول ﴿إِنَّا شَاكِرًا﴾ أي: خلقناه إما شاكراً ﴿وإِمَّا كَفُورًا﴾ قال الفراء: بينا له الطريق إن شكر، أو كفر (١).

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَكِينًا وَاعْلَانًا وَسُورًا ۝٤ إِذَا الْأَبْصَارُ بَصُرَتْ مِنْ أَيْنَ كَانَ رِجَالُهَا مَسْكُورًا ۝٥ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُدْفَنُونَ بِالنَّارِ وَنَارُونَ بِهَا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيَطْمَئِنُّونَ عَلَى حِدْدِهِمْ يَنْصَرِفُونَ عَنْهَا وَابِعًا ۝٨ إِنَّا نُلْمَسُّكَ رُجْمًا أَوْ لَا رُجْمَ يَكُونُ جَزَاءً وَلَا شُكَّ ۝٩ إِنَّا نَحْنُ مِنْ رَبِّهَا بِمَا عَمِلُوا مُطَوِّرًا ۝١٠ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذِكْرِ الْبَوْرِ لِقَعَتِهِمْ فَتَزَعَزَعُوا ۝١١ وَنَحْنُ لَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرًا ۝١٢ نُنَكِّبُونَ بَيْنَا عَلَى الْأَرْكَانِ لَا يَرَوْنَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ حَسَبًا وَلَا زَمَانًا ۝١٣ وَذَائِبَةٌ عَلَيْهِمْ فَلَانَةٌ ذُلَّتْ مُطَرَّتُهَا نَذِيلًا ۝١٤ وَطَائِفٌ عَلَيْهِمْ يَكْبِتُونَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَكْوَابُ كَانَتْ قَوَارِيرًا ۝١٥ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ مَدْرُورًا نَقِيرًا ۝١٦ وَشَقَوقٌ بَيْنَا كَأَنَّ رِجَالَهُمْ ذُرِّيَعًا ۝١٧ عَيْنَا فِيهَا سَمَرٌ سَلِيلًا ۝١٨ وَطُورٌ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُطْلَوْنِ إِنَّا جَعَلْنَاهُمْ حَبِيبَتَهُمْ لَوْلَا نُشْكُورُ ۝١٩ وَإِنَّا رَأَيْنَا نِيَامًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ۝٢٠ عَلَيْهِمْ يَابُثٌ سُنْبُ حُضْرٍ وَاسْتَبْرَقُ وَطُورٌ أَسَاوِدُ مِنْ فِضَّةٍ وَسَمْنَتُهُمْ رُجْمٌ مَسْرَاكٌ مُطَوَّرًا ۝٢١ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُنْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيرًا فَشُكُّورًا ۝٢٢ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٢٣ قَاصِرٌ لِمَنْ رَنَى وَلَا تُلَاحِظْ إِلَيْهِمْ كَيْدًا أَوْ كَذُوبًا ۝٢٤ وَذَكَرْ أَمْرَ رَبِّكَ بِكُورًا وَأَصِيلًا ۝٢٥ وَمِنْ أَيْلٍ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَمِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝٢٦﴾

(١) قال ابن كثير: وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ أي بيناه له ووضحناه وبصّرناه به، بقوله جل وعلا: ﴿إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نُنَادِيهِمْ فَوَيْلٌ لِلْمُصَدِّقِينَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وكقوله جل وعلا: ﴿وَمَذْكُورَتِ الْفَجْرِ﴾، أي: بينا له طريق الخير وطريق الشر، وهذا قول عكرمة وعطية وابن زيد مجاهد في المشهور عنه والجمهور.

(٢) قال ابن كثير: فهو في ذلك إما شقي وإما سعيد كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل الناس ينظر فبائع نفسه لعمتها أو موبتها».

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَالِيَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا قَلِيلًا﴾ تَحَنُّنُ خَلَقْتَهُمْ وَشَدَدًا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بِدَلَكَا أَسْلَمْتُمْ تَبْدِيلًا ﴿١٥﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ تَزَكَّرُوا فَمَنْ شَكَّ لَعَنَهُ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٦﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالْغَالِبِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَكِينًا﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحزمة «سلاسل» بغير تنوين، ووقفوا بالفاء. ووقف أبو عمرو بالفاء. قال مكي بن أبي طالب النحوي: «سلاسل» و «قوارير» أصله أن لا ينصرف، ومن صرفه من القراء، فإنها لغة لبعض العرب. وقيل: إنما صرفه لأنه وقع في المصحف بالالف، فصرفه لاتباع خط المصحف. قال مقاتل: السلاسل في أعناقهم، والأغلال في أيديهم. وقد شرحنا معنى «السعير» في [النساء: ١٠].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ واحدهم برٌّ، وبارٌّ، وهم الصادقون. وقيل: المطيعون. وقال الحسن: هم الذين لا يؤذون الذرَّ ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ أي: من إناء فيه شراب ﴿كَأْسٌ رِزْقُهَا﴾ يعني: مزاج الكأس ﴿كَأْسُهَا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الكافور المعروف، قاله مجاهد، ومقاتل، فعلى هذا في المراد «بالكافور» ثلاثة أقوال: أحدها: برده، قاله الحسن. والثاني: ريحه، قاله قتادة. والثالث: طعمه، قاله السدي. والثاني: أنه اسم عين في الجنة، قاله عطاء، وابن السائب. والثالث: أن المعنى: مزاجها كالكافور لطيب ريحه، أجازها القراء، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿عَيْنًا﴾ قال القراء: هي المفسرة للكافور، وقال الأخفش: هي منصوبة على معنى: أعين عينًا. وقال الزجاج: الأجود أن يكون المعنى: من عين ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يشرب منها. والثاني: يشربها، والباء صلة. والثالث: يشرب بها عباد الله الخمر يمزجونها بها. وفي هذه العين قولان: أحدهما: أنها الكافور الذي سبق ذكره. والثاني: التسنيم، و ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ هاهنا: أولياؤه ﴿يَشْرَبُونَ قَتِيرًا﴾ قال مجاهد: يقودونها إلى حيث شاؤوا من الجنة. قال القراء: حيث ما أحب الرجل من أهل الجنة فجزأها لنفسه.

قوله تعالى: ﴿يُرْوَدُونَ بِالْذِّكْرِ﴾ قال القراء: فيه إضمار «كانوا» يوفون بالندر. وفيه قولان: أحدهما: يوفون بالندر إذا نذروا في طاعة الله، قاله مجاهد، وعكرمة. والثاني: يوفون بما فرض الله عليهم<sup>(١)</sup>، قاله قتادة. ومعنى «الندر» في اللغة: الإيجاب. فالمعنى: يوفون بالواجب عليهم ﴿وَيَكُونُونَ يَوْمًا كَأَنَّهُمْ مُتَكَلِّمُونَ﴾ قال ابن عباس: فاشياً. وقال ابن قتيبة: فاشياً متشراً. يقال: استطار الحريق: إذا انتشر، واستطار الفجر: إذا انتشر الضوء. وأنشدوا للأعشى:

قَبَائِثٌ وَقَدْ أَسَارَتْ فِي الْفُؤَا  
وَصَدْعًا عَلَى نَاقِهَا مُسْتَطِيرًا<sup>(٢)</sup>

وقال مقاتل: كَانَ شَرُّهُ فَاشِيًا فِي السَّمَوَاتِ، فَانْتَشَتْ، وَتَنَاثَرَتْ الْكَوَاكِبُ، وَفَزَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَكَوَّرَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فِي الْأَرْضِ، وَنُفِثَتِ الْجِبَالُ، وَغَارَتِ الْمِيَاهُ، وَتَكَسَّرَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ جَبَلٍ، وَبِنَاءٍ، وَفَشَا شَرُّ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِيهَا.

قوله تعالى: ﴿وَيُطْمِئِنُّونَ الْكَلَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: نزلت في علي بن أبي طالب. أجز نفسه ليسقي نخلًا بشيء من شعير ليلة حتى أصبح. فلما قبض الشعير طحن ثلثه، وأصلحو منه شيئًا يأكلونه، فلما استوى أتى مسكين، فأخرجوه إليه، ثم عمل الثلث الثاني، فلما تم أتى يتيم، فأطعموه، ثم عمل الثلث الباقي، فلما استوى جاء أسير من المشركين، فأطعموه وطوَّروا يومهم ذلك، فنزلت هذه الآيات، رواه عطاء عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>.

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَيُرْوَدُونَ بِالْذِّكْرِ﴾ أي: يبعثون الله فيما أوجه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبه على أنفسهم بطريق النذر. قال الإمام مالك في «الموطأ» ٤٧٦/٢: من طلحة بن عبد الملك الأيلي عن القاسم بن محمد بن الصديق عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من نذر أن يطعم الله قليطعة، ومن نذر أن يعطي فلا يعصه» ورواه البخاري في «صحيحه» كتاب الإيمان والنذور باب النذر في الطاعة من حديث مالك.

(٢) البيت للأعشى الكبير ميمون بن قيس، وهو في «ديوانه» ٩٣ ورواية الشطر الأول فيه: وبانت وقد أَوْرَثَتْ في الفؤاد... الخ وهو في «الطبري» ٢٩/٢٠٩٠، و«القرطبي» ١٩/١٢٦، و«ابن كثير» ٤٤٤/٢٤، و«الشوكاني» ٣٣٧/٥٨.

(٣) ذكره الواحدي في «أسانيد التزويل» ٣٣٦، و«البيهقي» من رواية عطاء عن ابن عباس بغير عند. وأورده السيوطي في «الدر» ٢٩٩/٦ من رواية ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت في علي بن أبي طالب وقاطمة بنت رسول الله ﷺ. والله أعلم.

والثاني: أنها نزلت في أبي الدحداح الأنصاري صام يوماً، فلما أراد أن يفطر جاء مسكين، ویتيم، وأسیر، فأطعمهم ثلاثة أرغفة، وبقي له ولأهله رغيف واحد، فنزلت فيهم هذه الآية، قاله مقاتل<sup>(١)</sup>. وفي هاء الكناية في قوله تعالى ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا غَافِلًا﴾ قولان: أحدهما: ترجع إلى الطعام، فكانهم كانوا يؤثرون وهم محتاجون إليه، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، والزجاج، والجمهور<sup>(٢)</sup>. والثاني: ترجع إلى الله تعالى، قاله الداراني<sup>(٣)</sup>. وقد سبق معنى «المسكين والیتيم» [البقرة: ٨٣]. وفي الأسير أربعة أقوال: أحدها: أنه المسجون من أهل القبلة، قاله عطاء، ومجاهد، وابن جبير. والثاني: أنه الأسير المشرك، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: المرأة، قاله أبو حمزة الثمالي. والرابع: العبد، ذكره الماوردي<sup>(٤)</sup>.

### فصل

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الآية تضمنت مدحهم على إطعام الأسير المشرك. قال: وهذا منسوخ بآية السيف. وليس هذا القول بشيء، فإن في إطعام الأسير المشرك ثواباً، وهذا محمول على صدقة التطوع. فأما الفرض فلا يجوز صرفه إلى الكفار، ذكره القاضي أبو يعلى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَطْعَمُوهُ لِرَبِّهِ اللَّهِ﴾ أي: لطلب ثواب الله. قال مجاهد، وابن جبير: أما إنهم ما تكلموا بهذا، ولكن علمه الله من قلوبهم، فأنى به عليهم ليرغب في ذلك راغب.

قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ يَنَكْرُ حَرَّةٌ﴾ أي: بالفعل ﴿لَا شُكْرًا﴾ بالقول ﴿إِنَّمَا تَخَافُ مِنْ رَبِّكَ يَوْمًا﴾ أي: ما في يوم ﴿عَبُودًا﴾ قال ابن قتبية: أي: تمس في الوجوه، فجعله من صفة اليوم، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ٤١٨]، أراد: عاصف الريح. فأما «القمطير» فروى ابن أبي طلحة، عن ابن عباس: أنه الطويل. وروى عنه العوفي أنه قال: هو الذي يقبض فيه الرجل ما بين عينيه. فعلى هذا يكن اليوم موصوفاً بما يجري فيه، كما قلنا في «العوس» لأن اليوم لا يوصف بتقيض ما بين العينين. وقال مجاهد، وقتادة: «القمطير» الذي يقلص الوجوه، ويقبض الحياة، وما بين العينين من شدته. وقال الفراء: هو الشديد. يقال: يوم قمطير، ويوم قماطر. وأنشدني بعضهم:

بَنِي عَمْنَا هَلْ تَذْكُرُونَ بَلَاءَنَا  
عَلَيْكُمْ إِذَا مَا كَانَ يَوْمٌ قُمَاطِرٌ<sup>(٥)</sup>

وقال أبو عبيدة: العيوس، والقمطير، والقماطر، والعصيب، والعصْبَب: أشد ما يكون من الأيام، وأطولها في البلاء.

قوله تعالى: ﴿وَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ بطاعتهم في الدنيا ﴿وَلَقَّعَهُمْ نَصْرًا﴾ أي: سُحْنًا وبياضاً في الوجوه ﴿وَسَرَّوْهُمَا﴾ لا انقطاع له. وقال الحسن: النَّصْرَةُ في الوجوه، والسَّرُّور في القلوب ﴿وَبَرَّزَهُمْ بَنَاءً صَرًّا﴾ على طاعته، وعن معصيته

(١) ذكره البغوي عن مقاتل بغير سند قال: نزلت في رجل من الأنصار، ولم يسمه، وقال الخازن: قيل: نزلت في رجل من الأنصار يقال له: أبو الدحداح، وقال القرطبي في «تفسيره» ١٢٨/١٩: والصحيح أنها نزلت في جميع الأبرار، ومن فعل فعلاً حسناً، فهي عامة، قال: وقد ذكر النقاش، والثعلبي، والقشيري وغير واحد من المفسرين في قصة علي وفاطمة وجاريتهما حديثاً لا يصح ولا يثبت، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الشكاف» ١٨٠: رواه الثعلبي من رواية القاسم بن بهرام عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس، ومن رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي السَّحَابُ بِرَدَدٍ مَرَكًا كَانَ شَرًّْا تُخِشُّهُ﴾ [الأنعام: ٦٠] ﴿وَتَكُونُ السَّحَابُ عَلَى خِيَمِهِمْ سَكِينًا وَبَرًّا وَبَرًّا﴾ [الأنعام: ٦٠] زاد في إثباته شعراً لعلي وفاطمة ثم قال: قال الحكيم الترمذي: هذا حديث مزق مفصل لا يروج إلا على أحمد ق جاهل، ورواه ابن الجوزي في «الموضوعات» من طريق أبي عبد الله السمرقندي عن محمد بن كثير عن الأصمغين بن نباتة، قال: مرض الحسن والحسين... إلخ. فذكره بشعره وزيادة ألفاظ ثم قال: وهذا لا تشك في وضعه.

(٢) قال ابن كثير: والأظهر أن الضمير عائد على الطعام، أي: يطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوته لهم، قاله مجاهد، ومقاتل، واختاره ابن جرير، كقوله تعالى: ﴿وَيَكُنْ أَلْفًا عَلَى خَيْرٍ﴾ وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْتُوا اللَّهَ حَقَّ تِلْكَاءٍ وَكُنْ تِلْكَاءٍ﴾ [النحل: ١٠٠] ثم قال: وفي الصحيح: «أنفيل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغني وتغني الفقير» أي: في حال محبتك للمال وحركتك عليه وحاجتك إليه، ولهذا قال: ﴿وَتَكُونُ السَّحَابُ عَلَى خِيَمِهِمْ سَكِينًا وَبَرًّا وَبَرًّا﴾ [النحل: ١٠٠].

(٣) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الغساني المذحجي أبو سليمان الداراني، زاهد مشهور من أهل داريا (بغوة دمشق) توفي فيها رحمه الله سنة (٢١٥هـ).

(٤) قال ابن كثير: قال عكرمة: هم العبيد، واختاره ابن جرير، لعموم الآية للمسلم والمشرك، وهكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة، وقد وصى رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث، حتى إنه آخر ما أوصى أن جعل يقول: «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم».

(٥) البيت في «اللسان»: قماطر، ولم ينسبه، وهو في «الطبري» ٢٩/٢١١، و«القرطبي» ١٩/١٣٣، و«ابن كثير» ٤/٤٥٥، و«الشوكاني» ٥/٣٣٨.



﴿جَنَّةٌ وَحَرِيرٌ﴾ وهو لباس أهل الجنة ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال، أي: جزاهم جنة في حال اتكائهم فيها. وقد شرحنا هذا في [الكف: ٣١].

قوله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ فيؤذيهم حرُّها ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ وهو البرد الشديد. والمعنى: لا يجدون فيها الحرَّ والبرد. حكى عن ثعلب أنه قال: الزمهرير: القمر، وأنشد:

وَلَيْلِي ظِلَامُهَا قَدْ اغْتَمَرَ  
قَطَعَتْهَا وَالزَّمْهَرِيرُ مَا زَهَرَ<sup>(١)</sup>  
أي: لم يطلع القمر.

قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ أي: قرية منهم ظلال أشجارها: ﴿وَذُلَّتْ ظُرُوبُهَا نَازِلًا﴾ قال ابن عباس: إذا هم أن يتناول من ثمارها تذللَّت إليه حتى يتناول ما يريد. وقال غيره: قُرِبَتْ إليهم مُدَلَّةٌ كيف شاؤوا، فهم يتناولونها قياماً، وقعوداً، ومضطجعين، فهو كقوله تعالى: ﴿فَلَوْعُهَا دَانِيَةً﴾ [الحاقة: ٢٣]. فأما «الأكواب» فقد شرحناها في [الزخرف: ٧١]. ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ أي: تلك الأكواب هي قوارير، ولكنها من فضة. قال ابن عباس: لو صُرِّبَتْ فضة الدنيا حتى جعلتها مثل جناح الذباب، لم يُرَ الماء من ورائها، وقوارير الجنة من فضة في صفاء القارورة. وقال القراء، وابن قتيبة: هذا على التشبيه، المعنى: كأنها من فضة، أي لها بياض كبياض الفضة وصفاء كصفاء القوارير. وكان نافع، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم يقرؤون «قواريراً قواريراً» فيصْلُونَهَا جميعاً بالتثنية. ويقفون عليهما بالالف. وكان ابن عامر وحزمة يَصْلَانِهَا جميعاً بغير تنوين، ويقفان عليهما بغير ألف. وكان ابن كثير يَصِلُ الأول بالتثنية، ويقف عليه بالالف، ويَصِلُ الثاني بغير تنوين، ويقف بغير ألف. وروى حفص عن عاصم أنه كان يقرأ «سلاسل» و «قوارير قوارير» يَصِلُ الثلاثة بغير تنوين، ويقف على الثلاثة بالالف. وكان أبو عمرو يقرأ الأول «قواريرا» فيقف عليه بالالف، ويصل بغير تنوين. وقال الزجاج: الاختيار عند النحويين أن لا يصرف «قوارير» لأن كل جمع يأتي بعد ألفه حرفان لا ينصرف. ومن قرأ «قواريرا» يصرف الأول علامة رأس آية، وترك صرف الثاني لأنه ليس بأخر آية. ومن صرف الثاني: أتبع اللفظ اللفظ، لأن العرب قلبت إعراب الشيء لشيء اللفظ اللفظ، كما قالوا: جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ. وإنما الخَرِبُ من نعت الجحر.

قوله تعالى: ﴿قَدَرُوا قَدْرًا﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو عمران، والجحدري، وابن يعمر «قَدَرُوا» برفع القاف، وكسر الدال، وتشديدها. وقرأ حميد، وعمر بن دينار «قَدَرُوا» بفتح القاف، والدال، وتخفيفها. ثم في معنى الآية قولان: أحدهما: قَدَرُوا في أنفسهم، فجاءت على ما قَدَرُوا، قاله الحسن. وقال الزجاج: جعل الإناء على قَدَرٍ ما يحتاجون إليه ويريدونه على تقديرهم. والثاني: قَدَرُوا على مقدار لا يزيد ولا ينقص، قاله مجاهد. وقال غيره: قَدَرُ الكأس على قَدَرِ رِيحٍ، لا يزيد عن رِيحٍ فيُقَلُّ الكَفُّ، ولا ينقص منه فيطلب الزيادة، وهذا ألدُّ الشواب. فعلى هذا القول يكون الضمير في «قَدَرُوا» للسقاة والخدم. وعلى الأول للشاربين.

قوله تعالى: ﴿وَرِثَتْهُنَّ﴾ يعني في الجنة ﴿كَأَنَّ كَانَ رِثَاجُهَا زَجْجًا﴾ والعرب تضرب المثل بالزنجبيل والخمر ممزوجين. قال المسيب بن علس يصف فم امرأة:

كَأَنَّ طَعْمَ الزَّجْجِ يَمِيلُ بِهِ  
إِذْ دُقَّتْهُ وَسُلَاقَةُ الْخَمْرِ<sup>(٢)</sup>  
وقال آخر:

كَأَنَّ الْقَرْنَفُلَ وَالزَّجْجَ  
لِ بَاتَا بِفِيهَا وَأَزْيَا مُشَارًا<sup>(٣)</sup>

(١) البيت غير منسوب في «القرطبي» ١٣٦/١٩، و«الألوسي» ١٥٨/٢٩.

(٢) هو في آخر «ديوان الأعمى» ابن أخت المسيب بن علس، ورواه ٣٥٢ من قصيدة مطلقها:

أَصْرَمْتُ حَبْلَ الْوَصْلِ مِنْ فِتْرِ  
وَمَجَرَّتْهَا وَلَجَجَتْ فِي الْهَجْرِ

(٣) رواية البيت في «ديوان الأعمى الكبير» ميمون بن قيس ٩٣:

كَأَنَّ جَزِيئًا مِنَ الزَّجْجِ  
لِ غَالِطَ قَامَا وَأَزْيَا مُشَارًا

الأزى: العسل. والمشار: المستخرج من بيوت النحل. قال مجاهد: والزنجيل: اسم العين التي منها شراب الأبرار. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: الزنجيل معرب. وقال الدُّنُورِي: يَبْتُثُ في أرياف عُمان، وهي عروق تسري في الأرض، وليس بشجرة تؤكل رُطْبًا، وأجود ما يحمل من بلاد الصين. قال الزجاج: وجائز أن يكون فيها طعم الزنجيل، والكلام فيه كالكلام السابق في الكافور. وقيل: شراب الجنة على برد الكافور، وطعم الزنجيل، وريح المسك.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ قال الزجاج: يسقون عيناً. وسلسيل: اسم العين، إلا أنه صرف لأنه رأس آية. وهو في اللغة: صفة لما كان في غاية السلاسة. فكان العين وصفت وسميت بصفتها. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: قوله تعالى: ﴿سَلْسِلًا﴾ قيل: هو اسم أعجمي نكرة، فلذلك انصرف. وقيل: هو اسم معرفة، إلا أنه أجري، لأنه رأس آية. وعن مجاهد قال: حديقة الجرية. وقيل: سلسيل: سلسل ماؤها، مستقيد لهم. وقال ابن الأنباري السلسيل صفة للماء، لِسَلْسِيهِ وسهولة مدخله في الحلق. يقال: شراب سَلْسَل، وسَلْسَال، وسَلْسِيل. وحكى الماوردي: أن علياً قال: المعنى: سَلْ سَيْلاً<sup>(١)</sup> إليها، ولا يصح<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ قد سبق بيانه [للقائمة: ١٧] ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ جَنَّتَهُمْ لَوْلَا شَرُّهُ﴾ أي: في يتأخى اللؤلؤ وحُسنه، واللؤلؤ إذا نثر من الخيط على البساط كان أحسن منه منظراً. وإنما شَبَّهُوا باللؤلؤ المنشور، لانتشارهم في الخدمة. ولو كانوا صَفًا لَشَبَّهُوا بالمنظم. ﴿وَلَوْلَا رَأَيْتَهُمْ﴾ يعني: الجنة ﴿رَأَيْتَ مَيْمًا﴾ لا يوصف، ﴿وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ أي: عظيماً واسعاً لا يريدون شيئاً إلا قَدَرُوا عليه، ولا يدخل عليهم ملك إلا باستئذان.

قوله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ﴾ قرأ أهل المدينة، وحمزة، والمفضل عن عاصم بإسكان الياء، وكسر الهاء. وقرأ الباقون بفتح الياء، إلا أن الجعفي عن أبي بكر قرأ ﴿عَالِيَهُمْ﴾ بزيادة تاء مضمومة. وقرأ أنس بن مالك، ومجاهد، وقاتدة ﴿عَالِيَهُمْ﴾ بفتح اللام، وإسكان الياء من غير تاء، ولا ألف. قال الزجاج: فأما تفسير إهراب ﴿عَالِيَهُمْ﴾ بإسكان الياء، فيكون رفعه بالابتداء، ويكون الخبر ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ وأما ﴿عَالِيَهُمْ﴾ بفتح الياء، فنصبه على الحال من شيئين، أحدهما من الهاء والميم، والمعنى: يطوف على الأبرار وَلَدَانِ مُخَلَّدُونَ عَالِيًا لِلْأَبْرَارِ ثِيَابٌ سُنْدُس، لأنه وصف أحوالهم في الجنة، فيكون المعنى: يطوف عليهم في هذه الحال هؤلاء. ويجوز أن يكون حالاً من الولدان. المعنى: إذا رأيتهم حَسِبْتَهُمْ لَوْلَا مُنْتَوَرًا في حال حُلُو الثياب. وأما ﴿عَالِيَهُمْ﴾ فقد قرئت بالرفع وبالنصب، وهما وجهان جيّدان في العربية، إلا أنهما يخالفان المصحف، فلا أرى القراءة بهما، وتفسيرها كتفسير ﴿عَالِيَهُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ خُضِرْ﴾ قرأ ابن عمر، وأبو عمرو «خضر» رفعاً «وَإِسْتَبْرَقْ» خفضاً. وقرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم «خُضِرْ» خفضاً «وَإِسْتَبْرَقْ» رفعاً. وقرأ نافع، وحفص عن عاصم «خُضِرْ» «وَإِسْتَبْرَقْ» كلاهما بالرفع. وقرأ حمزة، والكسائي «خُضِرْ» «وَإِسْتَبْرَقْ» كلاهما بالخفض. قال الزجاج: من قرأ «خُضِرْ» بالرفع، فهو نعت الثياب، ولفظ الثياب لفظ الجمع، ومن قرأ «خُضِرْ» فهو من نعت السندس، والسندس في المعنى راجع إلى الثياب. ومن قرأ «وَإِسْتَبْرَقْ» فهو نعت على «ثِيَاب» المعنى: وعليهم إستبرق. ومن خفض، عطفه على السندس، فيكون المعنى: عليهم ثياب من هذين النوعين. وقد يَبْتُثُ في [الكهف: ٣١] معنى السندس، والإستبرق، والأساور.

قوله تعالى: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يُخَذِّثُونَ ولا يَتَوَلَّوْنَ عَنْ شَرْبِ خَمْرِ الْجَنَّةِ، قاله عطية. والثاني: لأن خمر الجنة طاهرة، وليست بنجسة كخمر الدنيا، قاله الفراء. وقال أبو قلابة: يُؤْتَوْنَ بعد الطعام بِالشَّرَابِ الطَّهَوْرِ فيشربون فَتَضْمُرُ بذلك بَطُونُهُمْ، ويفيض من جلودهم عَرَقٌ مثل ريح المسك.

(١) على أنه أمر للنبي ﷺ ولأهله بسؤال السبل إليها.

(٢) قال الألوسي: وهو غير مستقيم بظاهره، إلا أن يراد أن جملة قول القائل: «سل سَيْلاً» جعلت اسماً للعين، كما قيل: تأبط شراً، وسميت بذلك لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سَيْلاً بالعمل الصالح، وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع، وعزوه إلى مثل الأمير ﷺ أبعد، ونص بعضهم على أنه افتراء عليه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ يعني: ما وصف من نعيم الجنة ﴿كَأَن لَّكَ جَزَاءٌ﴾ بأعمالكم ﴿وَكَانَ سَيِّئًا﴾ أي: عملكم في الدنيا بطاعته ﴿تَشْكُرُونَ﴾ قال عطاء: يريد: شكرتكم عليه، وأثبتكم أفضل الثواب ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ أي: فضّلناه في الإنزال، فلم نُثَرِّله جُمْلَةً واحدة ﴿فَتَذَكَّرَ لِنُكَرٍ رَبِّكَ﴾ وقد سبق بيانه في مواضع [الطور: ٤٨، والقلم: ٤٨]. والمفسرون يقولون: هذا منسوخ بأية السيف، ولا يصح، ﴿وَلَا تُلَاحِظْ إِلَهُهُمْ﴾ أي: من مشركي أهل مكة: ﴿إِنَّمَا أَوْفَرُوا﴾ «أو» بمعنى الواو، كقوله تعالى: ﴿أَوِ الْكُوفَى﴾ [الأنعام: ١٤٦]. وقد سبق هذا. وللمفسرين في المراد بالآثم والكفور ثلاثة أقوال: أحدها: أنهما صفتان لأبي جهل. والثاني: أن الآثم: عتبة بن ربيعة، والكفور: الوليد بن المغيرة. والثالث: الآثم: الوليد. والكفور: عتبة، وذلك أنهما قالاه: ارجع عن هذا الأمر ونحن نرضيك بالمال والتزويج. ﴿وَأَذْكُرْ أَنَّم رَبُّكَ﴾ أي: اذكره بالتوحيد في الصلاة ﴿بِكُورَةٍ﴾ يعني: الفجر ﴿وَأَمْسِلًا﴾ يعني: العصر. وبعضهم يقول: صلاة الظهر والعصر ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْبُدْ لَهُ﴾ يعني: المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ وهي: صلاة الليل، كانت فريضة عليه، وهي لأُمِّيَّة تَطَوُّع ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ يعني: كفار مكة ﴿يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدار العاجلة، وهي الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ وُأَهُمْ﴾ أي: أمامهم ﴿يَوْمًا قَبِيلًا﴾ أي: عسيراً شديداً. والمعنى: أنهم يتركون الإيمان به، والعمل له. ثم ذكر قدرته، فقال تعالى: ﴿عَنُ خَلْقَتُهُمْ وَشَدَدًا أَسْرَفُهُمْ﴾ أي: خلقهم، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. قال ابن قتيبة: يقال: امرأة حسنة الأسر، أي: حسنة الخلق، كأنها أيسر، أي: شُدَّت. وأصل هذا من الإسار، وهو: القيد. [الذي تشد به الأتارب] يقال: ما أحسن ما أسر قَتَبَهُ، أي: ما أحسن ما شُدَّهُ [بالقيد]. وروي عن أبي هريرة قال: مفاصلهم. وعن الحسن قال: أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب، ﴿وَلِذَا شِئْنَا بِذَلِكَ أَتَيْنَاهُمْ﴾ أي: إن شئنا أهلكتهم وأتينا بأشياهم، فجعلناهم بدلاً منهم ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ تَذَكَّرُوا﴾ قد شرحنا الآية في [المزمّل: ١٩].

قوله تعالى: ﴿وَمَا فَتَنَّاكَ﴾ إيجاد السبيل ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ذلك لكم. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، «وما يشاؤون» بالياء.

قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ قال المفسرون: الرحمة هاهنا: الجنة، ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ المشركون. قال أبو عبيدة: نصب «الظالمين» بالجوار. المعنى: ولا يدخل الظالمين في رحمته. وقال الزجاج: إنما نصب «الظالمين» لأن<sup>(١)</sup> قبله منصوباً. المعنى: يدخل من يشاء في رحمته، ويعذب الظالمين، ويكون قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾ تفسيراً لهذا المضمّر، وقرأ أبو العالية، وأبو الجوزاء، وابن أبي عبيدة: «والظالمون» رفعاً.





على الله تعالى بأعمال العباد، قاله الضحاك. والرابع: البعث للقيامه تنشر فيه الأرواح، قاله الربيع. والخامس: المطر ينشر النبات، حكاه الماوردي. وفي «الفارقات» أربعة أقوال: أحدها: الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل، قاله الآكثرون. والثاني: أي القرآن فَرَّقَتْ بين الحلال والحرام، قاله الحسن، وقتادة، وابن كيسان. والثالث: الريح تفرق بين السحاب فتبدِّدُه، قاله مجاهد. والرابع: الرسل، حكاه الزجاج. «فَالْمَلَكُوتِ ذِكْرًا» ﴿١﴾ قولان: أحدهما: الملائكة تلقي ما حلت من الوحي إلى الأنبياء، وهذا مذهب ابن عباس، وقتادة، والجمهور. والثاني: الرسل يلقون ما أنزل عليهم إلى الأمم، قاله قطرب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿عَذْرًا أَوْ تَذَرًا﴾ ﴿٢﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم «عَذْرًا خفيفًا» أو «تَذَرًا» مثلاً. وقرأ أبو عمرو، وخمزة، والكسائي، وحفص، وخلف «عَذْرًا أَوْ تَذَرًا» خفيفتان. قال الفراء: وهو مصدر، مثلاً كان أو مخففاً. ونصبه على معنى: أرسلتُ بما أرسلتُ به إعداراً من الله وإنذاراً. وقال الزجاج: المعنى: فالمليقات عذراً أو تذراً. ويجوز أن يكون المعنى: فالمليقات ذكراً للإعذار والإنذار. وهذه المذكورات مجرورات بالقسم. وجواب القسم «إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَعْدٍ» ﴿٣﴾ قال المفسرون: إن ما توعدون به من أمر الساعة، والبعث، والجزاء لواقع، أي: لكائن. ثم ذكر متى يقع فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْتِجُمْ طُيُسْتُ﴾ ﴿٤﴾ أي: مُجِي نُورُهَا ﴿وَلَا ائْتَنَّةَ فُيْتُ﴾ ﴿٥﴾ أي: شَقَّتْ ﴿وَلَا لِيَلَا فُيْتُ﴾ ﴿٦﴾ قال الزجاج: أي: ذُهِبَ بها كلها بسرعة. يقال: انتسفتُ الشيء: إذا أخذته بسرعة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا الرُّسُلُ أَفْنَتْ﴾ ﴿٧﴾ قرأ أبو عمرو «وُتْنَتْ» بواو مع تشديد القاف. ووافقه أبو جعفر، إلا أنه خَفَّفَ للقاف. وقرأ الباقر: «أُتْنَتْ» بآلف مكان الواو مع تشديد القاف. قال الزجاج: «وُتْنَتْ» وأُفْنَتْ بمعنى واحد. فمن قرأ «أُتْنَتْ» بالهمز، فإنه أبدل الهمزة من الواو لانضمام الواو. وكل واو انضمت، وكانت ضميتها لازمة، جاز أن تبدل منها همزة. وقال الفراء: الواو إذا كانت أول حرف، وضُمَّتْ، همزت. تقول: صلى القوم أحداناً. وهذه أجوبة حسان. ومعنى «أُتْنَتْ»: جمعت لوقتها يوم القيامة. وقال ابن قتيبة: جمعت لوقت، وهو يوم القيامة. وقال الزجاج: جعل لها وقت واحد لفصل القضاء بين الأمة.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي يَوْمَ يُنْفَخُ﴾ ﴿٨﴾ أي: أُخْرِثُ. وَضُرِبَ الأجل لجمعهم، يعجب العباد من هول ذلك اليوم. ثم بيَّنه فقال تعالى: ﴿يَوْمَ الْقَسْلِ﴾ ﴿٩﴾ وهو يوم يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق. ثم عَظَّمَ ذلك اليوم بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْقَسْلِ﴾ ﴿١٠﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ لِلنَّكَّارِينَ ﴿١١﴾ بالبعث. ثم أخبر الله تعالى عما فعل بالأمم المكذبة، فقال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْآكِرِينَ﴾ ﴿١٢﴾ يعني بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم «ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ» ﴿١٣﴾ والقراء على رفع العين في «تَتَّبِعُهُم»، وقد قرأ قوم منهم أبو حيوة بإسكان العين. قال الفراء: «تَتَّبِعُهُم» مرفوعة. ويدل على ذلك قراءة ابن مسعود «وستتبعهم الآخرون». ولو جزمَت على معنى: ألم تقدر على إهلاك الأولين وإتباعهم الآخرون كان وجهاً جيداً. وقال الزجاج: الجزم عطف على «نُهْلِكَ»، ويكون المعنى: لمن أهلك أولاً وآخراً. والرفع على معنى: ثم تتبع الأول الآخر من كل مجرم. وقال مقاتل: ثم تتبعهم الآخرون: يعني: كفار مكة حين كذبوا بالنبي ﷺ. وقال ابن جرير: الأولون: قوم نوح، وعاد، وثمود، والآخرون: قوم إبراهيم، ولوط، ومذنب.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ ﴿١٤﴾ أي: مثل ذلك «فَعَمَلُ الْيَوْمِينِ» يعني: المكذبين. فإن قيل: ما الفائدة في تكرار قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ لِلنَّكَّارِينَ﴾ ﴿١٥﴾؟ فالجواب: أنه أراد بكل آية منها غير ما أراد بالآخرى، لأنه كلما ذكر شيئاً قال: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ لِلنَّكَّارِينَ﴾ ﴿١٦﴾ بهذا.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَخْشَ﴾ ﴿١٧﴾ قرأ قالون عن نافع بإظهار القاف. وقرأ الباقر بإدغامها.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْوِيهِمْ﴾ ﴿١٨﴾ أي: ضعيف «فَجَمَلَتْهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ» ﴿١٩﴾ يعني: الرحم «إِنْ قَدَرِ مَتَّوِيهِ» ﴿٢٠﴾ وهو مدة

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿فَالْمَلَكُوتِ ذِكْرًا﴾ ﴿١﴾ عَذْرًا أَوْ تَذَرًا يعني الملائكة، قاله ابن مسعود، وابن عباس، ومسروق، ومجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي، والثوري، ولا خلاف ما هنا، فإنها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل، والهدى والغي، والحلال والحرام، وتلقي إلى الرسل وحياً فيه إلهار إلى الخلق، وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره.

الحمل ﴿شَدَّرْنَا﴾ قرأ أهل المدينة، والكسائي ﴿فَقَدَّرْنَا﴾ بالتشديد. وقرأ الباقون: بالتخفيف. وهل بينهما فرق؟ فيه قولان: أحدهما: أنهما لغتان بمعنى واحد. قال الفراء: تقول العرب: قَدَّر عليه، وَقَدَّر عليه. وقد احتج من قرأ بالتخفيف فقال: لو كانت مشتدة لقال: فَنَعَم المَقْدَرُونَ، فأجاب الفراء فقال: قد تجمع العرب بين اللغتين كقوله تعالى: ﴿قِيلَ الْكُفْرِينَ أَتُهْلِكُونَهُمْ وَيَبْنِيهِمْ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿الطارق: ١٧﴾. قال الشاعر:

وَأَنْكَرْتُ نَفْسِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرْتُ  
مِنْ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبُ وَالضَّلَالَةُ<sup>(١)</sup>

يقول: ما أنكرت إلا ما يكون في الناس. والثاني: أن المخففة من القُدرة والملك، والمشددة من التقدير والقضاء. ثم بين لهم صنعه ليعتبروا فيوحده، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كِنَانًا﴾ ﴿٢٦﴾ قال اللغويون: الكنف في اللغة: الضم. والمعنى: أنها تضم أهلها أحياء على ظهرها، وأمواتاً في بطنها. قال ابن قتيبة: يقال: اكفث هذا إليك، أي: ضمه. وكانوا يسمون بقبع الفرقد: كفته، لأنه مقبرة يضم الموتى. وفي قوله تعالى: ﴿أَحْيَا وَأَمَاتَا﴾ ﴿٢٦﴾ قولان: أحدهما: أن المعنى: تكفثهم أحياء وأمواتاً، قاله الجمهور. قال الفراء: وانتصب الأحياء والأموات بوقوع الكفات عليهم، كأنك قلت: ألم نجعل الأرض كفات أحياء وأموات، فإذا نَوُت نصبت كما يقرأ ﴿أَوْ لِمَنْ فِي يَوْمٍ مَسْكُونٍ﴾ (البلد: ١٤). وقال الأخفش: انتصب على الحال. والقول الثاني: أن المعنى: ألم نجعل الأرض أحياء للغنات والغبارة، وأمواتاً بالخراب واليبس، هذا قول مجاهد، وأبي حنيفة.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِجْسًا﴾ قد سبق بيانه ﴿شَيْخَرًا﴾ أي: عاليات، ﴿وَأَنْتَنَّا﴾ قد سبق معنى ﴿أَسْقِينَا﴾ (الحجر: ٢٢، والجن: ١٦) ومعنى «الفرات» (الفرقان: ٥٣، واطر: ١٢) والمعنى: إن هذه الأشياء أعجب من البحث. ثم ذكر ما يقال لهم في الآخرة: ﴿أَطْلِقُوا إِنَّا كُنَّا بِكُمْ نَذِيرًا﴾ في الدنيا، وهو النار ﴿أَطْلِقُوا إِنَّا ظِلٌّ﴾ قرأ الجمهور هذه الثانية بكسر اللام على الأمر. وقرأ أبي بن كعب، وأبو عمران، ورويس عن يعقوب بفتح اللام على الخبر بالفعل الماضي. قال ابن قتيبة: «والظل» هاهنا: ظل من دخان نار جهنم سطع، ثم افترق ثلاث فرق، وكذلك شأن الدخان العظيم إذا ارتفع أن يتشعب، فيقال لهم: كونوا فيه إلى أن يفرغ من الحساب، كما يكون أولياء الله في ظل عرشه أو حيث شاء من الظل، ثم يؤمر بكل فريق إلى مستقر من الجنة والنار. ﴿لَا ظِلٌّ﴾ أي: لا يظلكم من حر هذا اليوم بل يذيقكم من لهب النار إلى ما هو أشد عليكم من حر الشمس. قال مجاهد: تكون شعبة فوق الإنسان، وشعبة عن يمينه، وشعبة عن شماله، فتحيط به. وقال الضحاك: الشعب الثلاث: هي الصُّرْب، والزُّقوم، والفُسلين. فعلى هذا القول يكون هذا بعد دخول النار.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّقِيَنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَهًا﴾ أي: لا يدفع عنكم لهب جهنم. ثم وصف النار فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَرَى بُشْكُورًا﴾ وهو جمع شررة، وهو ما يتطاير من النار متفرقاً ﴿كَالْقَصْرِ﴾ قرأ الجمهور بإسكان الصاد على أنه واحد القصور المبنية. وهذا المعنى في رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو قول الجمهور. وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، ومجاهد، وأبو الجوزاء «كالْقَصْرِ» بفتح الصاد. وفي أفراد البخاري<sup>(٢)</sup> من حديث ابن عباس قال: كنا نرفع الخشب [بقصر]<sup>(٣)</sup> ثلاثة أذرع أو أقل [فترفعه]<sup>(٤)</sup> للشئاء، فنسميه: القصر. قال ابن قتيبة: من فتح الصاد أود: أصول النخل المقطوعة المقلوعة. قال الزجاج: أراد أعتاق الإبل. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وعائشة، وهكرمة، وأبو مجلز، وأبو المتوكل، وابن يعمر «كالْقَصْرِ» بفتح القاف، وكسر الصاد. وقرأ ابن مسعود، وأبو هريرة، والنخعي «كالْقَصْرِ» برفع القاف والصاد جميعاً. وقرأ أبو الدرداء، وسعيد بن جبيرة «كالْقَصْرِ» بكسر القاف، وفتح الصاد، وقرأ أبو العالية، وأبو عمران، وأبو نهيك، ومعاذ القارئ «كالْقَصْرِ» بضم القاف وإسكان الصاد.

قوله تعالى: ﴿كُلُّكُمْ جَمَلَةٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم «جملات» بالفتح،

(١) البيت للأعشى الكبير ١٠١ من قصيدة يمدح بها هذؤ بن علي المحض ملك اليمامة، وأشده الفراء في معاني القرآن ٢٠٤، والطبري: ٢٣٦/٢٩، والقرطبي: ١٥٨/١٩.

(٢) زيادة من «صحيح البخاري». (٣) زيادة من «صحيح البخاري». (٤) ٥٢٨/٨ تفسير سورة المرسلات.

وكسر الجيم. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم «جَمَالَةً» على التوحيد. وقرأ رويس عن يعقوب «جَمَالَات» بضم الجيم. وقرأ أبو رزين، وحמיד، وأبو حيو «جَمَالَةً» برفع الجيم على التوحيد. قال الزجاج: من قرأ «جَمَالَات» بالكسر، فهو جمع جَمَال، كما تقول: بُيوت، ويُبوتات، وهو جمع الجمع، فالمعنى: كأن الشرارات كالجمالات. ومن قرأ «جَمَالَات» بالضم، فهو جمع «جمالة» ومن قرأ «جمالة» فهو جمع جَمَل وجمالة، كما قيل: حَجَر، وِجَارَة. وذكر، وِجَارَة. وقرئت «جمالة» على ما فسرناه في جمالات بالضم. و «الصُّفْر» هاهنا: السود. يقال للإبل التي هي سود تضرب إلى الصفرة: إبل صُفْر. وقال الفراء: الصُّفْر: سود الإبل لا يرى الأسود من الإبل إلا وهو مُشْرَبٌ صُفْرَة، لذلك سَمَّيَ العرب سود الإبل: صُفْرًا، كما سَمَّوا الظباء: آدمًا لما يعلوها من الظلمة في بياضها.

قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٢٥) قال المفسرون: هذا في بعض مواقف القيامة. قال عكرمة: تكلموا واختصموا، ثم ختم على أفواههم، فتكلمت أيديهم، وأرجلهم، فحينئذ لا ينطقون بحجة تنفعهم. وقرأ أبو رجاء، والقاسم بن محمد، والأعمش، وابن أبي عبله «هذا يوم لا ينطقون» بنصب الميم.

قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْقَسْلِ﴾ أي: بين أهل الجنة وأهل النار «جَمَعْتُمْ» يعني: مكذبني هذه الأمة، «وَالْأَوَّلِينَ» من المكذبين الذين كذبوا أنبياءهم، «فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا» أثبت فيها الباء في الحالين يعقوب، أي: إن قدزتم على حيلة، فاحتملوا لأنفسكم. ثم ذكر ما للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنِينَ فِي ظِلَالٍ﴾ يعني: ظلال الشجر، وظلال أكتان القصور، «وَعِيُونَ» الماء، وهذا قد تقدم بيانه، إلى قوله تعالى: ﴿كُلُوا﴾ أي: ويقال لهم: كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون في الدنيا بطاعة الله. ثم قال لكفار مكة: ﴿كُلُوا وَتَشَبَّهُوا قَلِيلًا﴾ في الدنيا إلى منتهى آجالكم «إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ» أي: مشركون بالله.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه حين يُدْعَوْنَ إلى السجود يوم القيامة، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه في الدنيا كانوا إذا قيل لهم: اركعوا، أي صلوا «لَا يَرْكَعُونَ» أي: لا يصلون. وإلى نحو هذا ذهب مجاهد في آخرين، وهو الأصح. وقيل: نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله ﷺ بالصلاة، فقالوا: لا نحني، فإنها مَسَبَةٌ علينا، فقال: «لا خير في دين ليس فيه ركوع» (١).

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّ حَادٍيْنِ بَعْدُ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إن لم يصدقوا بهذا القرآن، فبأي كتاب بعده يصدقون، ولا كتاب بعده.



(١) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٨١: هكذا ذكره الثعلبي، قال: وأخرجه أبو داود ٢٢٢/٣، وأحمد ٢١٨/٤، وابن أبي شيبة، والطبراني، من رواية الحسن بن عثمان بن أبي العاص به، وأتم منه. قلت: وفيه عنة الحسن.

## سورة النبا

ويقال لها: سورة التساؤل  
وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّزِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُوَ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَلِلْجِبَالِ أَوْدَاكًا ﴿٧﴾ وَخَلَقَنَّاكَ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ بَيْنِكُمْ أَسْبَابًا ﴿٩﴾ وَجَعَلَ الْبَلَدَ مَنَازِلًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَكُمْ سَبِيلًا ﴿١١﴾ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوْبَاكًا ﴿١٢﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَابًا ﴿١٣﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٤﴾ وَجَعَلْنَا النَّارَ مَنَازِلًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا الْقَصَصَ كَادًّا يَفْقَهُونَ ﴿١٦﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي السُّمُورِ قَاتِلُوهُ أَوْ مُبَاكًا ﴿١٧﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٨﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿١٩﴾ إِذَا جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢٠﴾ لِلطَّاغِينَ مَنَازِلًا ﴿٢١﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ فِيهَا مَنَّا وَلَا مُبَاكًا ﴿٢٢﴾ لَا يَدْخُلُوهَا فِيهَا بَرًّا وَلَا تَرَاكًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا حَيْثُ وَفَّيْنَاكَ ﴿٢٤﴾ حَرْكَةً وَفَّيْنَاكَ ﴿٢٥﴾ لَأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُفْرَحُونَ ﴿٢٦﴾ حَسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ نَفْسٍ أَعْتَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نُّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِذَا لَشَّتَيْن مَنَازِلًا ﴿٣١﴾ حَسَابًا وَفَّيْنَاكَ ﴿٣٢﴾ وَكُلَّ نَفْسٍ أَرَاكًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً وَلَا كِذَابًا ﴿٣٤﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَلَيْهِ حَسَابًا ﴿٣٥﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٦﴾ يَوْمَ يَوْمُ الدُّرُجِ وَاللَّيْلِ كَمَا سَمَاءٌ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُوذِيَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ سَوَابًا ﴿٣٧﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ مَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَازِلًا ﴿٣٨﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ ثَرِيًّا ﴿٣٩﴾

قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾﴾ أصله «عن ما» فأدغمت النون في الميم، وحذفت ألف «ما» كقولهم: فيم، ويم. قال المفسرون: لما بُعِثَ رسولُ الله ﷺ جَعَلَ المشركون يتساءلون بينهم، فيقولون: ما الذي أتى به؟ ويتجادلون، ويختصمون فيما بحث به، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. واللفظ لفظ استفهام، والمعنى: تفخيم القصة، كما يقولون: أي شيء زيد؟ إذا أردت تعظيم شأنه. ثم بيّن ما الذي يتساءلون عنه، فقال تعالى: ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ يعني: عن الخبر العظيم الشأن. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: القرآن، قاله مجاهد، ومقاتل، والفراء. قال الفراء: فلما أجاب صارت «عم» كأنها في معنى: لأي شيء يتساءلون عن القرآن. والثاني: البعث، قاله قتادة. والثالث: أنه أمر النبي ﷺ، حكاة الزجاج.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي هُوَ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٣﴾﴾ من قال: إنه القرآن، فإن المشركين اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: هو شعر، وقال بعضهم: أساطير الأولين، إلى غير ذلك. وكذلك من قال: هو أمر النبي ﷺ. فأما من قال: إنه البعث والقيامة، ففي اختلافهم فيه قولان: أحدهما: أنهم اختلفوا فيه لما سمعوا به، فمنهم من صدّق وآمن، ومنهم من كذّب، وهذا معنى قول قتادة. والثاني: أن المسلمين والمشركين اختلفوا فيه، فصدّق به المسلمون، وكذّب به المشركون، قاله يحيى بن سلام.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ قال بعضهم: هي ردع وزجر. وقال بعضهم: هي نفي لاختلافهم، والمعنى: ليس الأمر على ما قالوا ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ عاقبة تكذيبهم حين ينكشف الأمر ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ وعيد على إثر وعيد. وقرأ ابن عامر «استعلمون» في الحرفين بالتاء. ثم ذكر صنعه ليعرفوا توحيده، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾﴾ أي: فراشاً وبساطاً ﴿وَلِلْجِبَالِ أَوْدَاكًا ﴿٧﴾﴾ وللأرض لثلا تميد ﴿وَوَفَّيْنَاكَ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾﴾ أي: أصنافاً، وأضداداً، ذكوراً، وإناثاً، سوداً،

(١) روى ابن جرير الطبري سبب النزول هذا عن الحسن ١/٣٠، وأورده السيوطي في «الدر» ٣٠٥/٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن الحسن.



وبيضا، وحمرا ﴿وَجَعَلْنَا لِقَوْمِكَ سَبَاطًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: راحة لأبدانكم. وقد شرحنا هذا في [الفرقان: ٤٧] وشرحنا هناك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الْآلَ يَأْسًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الْبَارَّ مَتَا﴾ أي: سببا لمعاشكم. والمعاش: العيش، وكل شيء يُعَاشُ به، فهو مَعَاشٌ. والمعنى: جعلنا النهار مطلباً للمعاش. وقال ابن قتيبة: معاشاً، أي: عيشاً، وهو مصدر. ﴿وَجَعَلْنَا فَوْقَكُمْ سَبَاطًا﴾ قال مقاتل: هي السموات، غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماءين مثل ذلك، وهي فوقكم يا بني آدم. فاحذروا أن تَغْشَوْا فتُخْرَجَ عليكم.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا يَرْيَا﴾ يعني: الشمس ﴿وَرَيَّا﴾ قال ابن عباس: هو المضيء. وقال اللغويون: الوهاج: الرقاد. وقيل: الوهاج يجمع النور والحرارة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها السموات، قاله أبي بن كعب، والحسن، وابن جبير. والثاني: أنها الرياح، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة، ومقاتل. وقال زيد بن أسلم: هي الجنوب. فعلى هذا القول تكون «ين» بمعنى «الباء»، فتقديره: بالمعصرات. وإنما قيل للرياح: معصرات، لأنها تستدِرُّ المطر. والثالث: أنها السحاب، رواه الوالي عن ابن عباس، وبه قال أبو العالية، والضحاك، والربيع. قال الفراء: السحابة المعصر: التي تتحلَّبُ بالمطر ولما يجتمع، مثل الجارية المعصر، قد كادت تحيض، ولما تحض. وكذلك قال ابن قتيبة: شَبَّهَتِ السحاب بمعاصير الجواير، والمُعْصِرُ: الجارية التي قد دنت من الحيض. وقال الزجاج: إنما قيل للسحاب: معصرات، كما قيل: أجر الزرع، فهو مُجْرٌ، أي: صار إلى أن يُجْرَ، فلكذلك السحاب إذا صار إلى أن يطر، فقد أعصر.

قوله تعالى: ﴿لَا يَجَاءُ﴾ قال مقاتل: أي: مطراً كثيراً مُنْصَباً يتبع بعضه بعضاً. وقال غيره: يقال: ثَجَّ الماء يثج: إذا انصب ﴿يُنْجِي بِهِ﴾ أي: بذلك الماء ﴿مَنْ وَبَّأ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أن الحب: ما يأكله الناس، والنبات: ما تنبت الأرض مما يأكل الناس والأنعام، هذا قول الجمهور. وقال الزجاج: كُلُّ مَا حُصِدَ حَبٌّ، وكُلُّ مَا أَكَلَتْهُ الماشية من الكلال، فهو نبات. والثاني: أن الحب: اللؤلؤ، والنبات: العشب. قال عكرمة: ما أنزل الله من السماء قطراً، إلا أنبت به في البحر لؤلؤاً، وفي الأرض عشباً.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ يعني: بساتين ﴿الْأَنبَاءَ﴾ قال أبو عبيدة: أي: مثقلة من الشجر ليس بينها خلال، الواحدة: لَفَاءٌ، وجنات لَفٌ، وجمع الجمع: أَفْئَاتٌ. قال المفسرون: فدلّ بذكر المخلوقات على البعث. ثم أخبر عن يوم القيامة فقال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: يوم القضاء بين الخلائق ﴿كَانَ سَيِّئَةً﴾ لما وعد الله من الثواب والعقاب. ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي السُّورِ قَاتُونَ﴾ من قبوركم ﴿أَنبَاءُ﴾ أي: زُمراً زُمراً من كل مكان ﴿وَيُخَوِّعُ السَّمَاءَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «وَفُتِحَتْ» بالتشديد. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي بالتخفيف، وإنما تفتح لنزول الملائكة ﴿كَانَتْ أَرْبَابًا﴾ أي: ذات أبواب ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ عن أماكنها ﴿كَانَتْ سَرَابًا﴾ أي: كالسراب، لأنها تصير هباءً منبهاً فيراها الناظر كالسراب بعد شدتها وصلابتها ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ قال المبرد: مرصاداً يرصدون به، أي: هو مُعَدٌّ لهم يَرْصُدُ بها خزنتها الكفار. وقال الأزهرى: المرصاد: المكان الذي يَرْصُدُ فيه الراصد العدو. ثم بين لمن هي مرصاد فقال تعالى: ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ قال ابن عباس: للمشركين ﴿وَلِأَنبَاءٍ﴾ أي: مرجعاً.

قوله تعالى: ﴿الْبَيْتِينَ﴾ وقرأ حمزة «لَيْثِينَ» والمعنى فيهما واحد. يقال: هو لايت بالمكان، وليث. ومثله ظاميع، وطميع، وفأره، وقره. وأما الأحقاب فجمع حقب، وقد ذكرنا الاختلاف فيه في [الكهف: ٦٠]. فإن قيل: ما معنى ذكر الأحقاب، وخلودهم في النار لا نفاد له؟ فغنه جوابان: أحدهما: أن هذا لا يدل على غاية، لأنه كلما مضى حقب تبعه حقب. ولو أنه قال «لابتين» فيها عشرة أحقاب أو خمسة دل على غاية، هذا قول ابن قتيبة، والجمهور. وبيانه أن زمان أهل الجنة والنار يَتَصَوَّرُ دخوله تحت العدد، وإن لم يكن لها نهاية<sup>(١)</sup>. والثاني: أن المعنى: أنهم يلبثون فيها أحقاباً ﴿

(١) في النسخة الإستنبولية: وإن لم يكن لها غاية.

يَذُوقُونَ فِي الْأَحْقَابِ ﴿يَرَوْنَ وَلَا يَسْمَعُونَ﴾ فَأَمَّا خلودهم في النار فدائم. هذا قول الزجاج. وبيانه أن الأحقاب حَدُّ لعذابهم بالحميم والغسق، فإذا انقضت الأحقاب عُدُّوا بغير ذلك من العذاب. وفي المراد «بالبردة» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه برد الشراب. روى أبو صالح عن ابن عباس قال: لا يذوقون فيها برد الشراب، ولا الشراب. والثاني: أنه الرِّوْح والراحة، قاله الجسن، وعطاء. والثالث: أنه النوم، قاله مجاهد، والسدي، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، وأنشدوا:

لَمَّا شِئْتُ حَرَمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُمْ  
وَإِنْ شِئْتُ لَمْ أَطْعَمْ نَفْسًا وَلَا بَرْدًا<sup>(١)</sup>

قال ابن قتيبة: النقاخ: الماء، والبرد: النوم، سمي بذلك لأنه تبرد فيه الحرارة. وقال مقاتل: لا يذوقون فيها برداً ينفعهم من حرها، ولا شرباً ينفعهم من عطش، ﴿إِلَّا حِمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ ﴿١٥﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «غَسَّاقًا» بالتخفيف. وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل، وحفص عن عاصم بالتشديد. وقد تقدم ذكر الحميم، والغساق (ص: ٥٧) ﴿جَزَاءً وَكَفَّارًا﴾ قال الفراء: وفقاً لأعمالهم. وقال غيره: جُوزوا جزاءً وفقاً لأعمالهم على مقدارها، فلا ذنب أعظم من الشرك، ولا عذاب أعظم من النار. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ ﴿١٧﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يخافون أن يحاسبوا، لأنهم لا يؤمنون بالبعث، قاله الجمهور. والثاني: لا يرجون ثواب حساب، لأنهم لا يؤمنون بالبعث، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَبُوا بِكَلِمَاتٍ كَذِبًا﴾ قال الفراء: الكذاب بالتشديد لغة يمانية فصيحة، يقولون: كذَّبت به كذباً، وخرَّقت القميص خِرْقاً، وكل «فَعَلْتُ» فمصدره في لغتهم مُشَدَّد. قال لي أعرابي منهم على المروة يستفتيني: الحَلْقُ أحب إليك، أم القَبَارُ؟ وأنشدني بعض بني كلاب:

لَقَدْ طَالَ مَا تَبَطَّطْنِي عَنْ صَحَابَتِي  
وَعَنْ حَوْجٍ يَضَاوِيهَا مِنْ شِفَائِيَا<sup>(٢)</sup>

وأما أهل نجد، فيقولون: كذَّبت به تكدياً. وقال أبو عبيدة: الكذاب أشد من الكذاب، وهما مصدر المكاذبة. قال الأعشى:

فَصَدَّقْتُهَا وَكَذَّبْتُهَا  
وَالْمَرَّةُ يَنْفَعُهُ كَذَابُهَا<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَصْنَانٌ﴾ قال الزجاج: «كل» منصوب بفعل مضمر تفسيره: أحصينا، والمعنى: أحصينا كل شيء، و«كَلِمَاتٍ» توكيد<sup>(٤)</sup> لـ «أحصينا» لأن معنى «أحصينا» و«كَلِمَاتٍ» فيما يحصل ويثبت واحد. فالمعنى: كتبناه كتاباً. قال المفسرون: وكل شيء من الأعمال أثبتناه في اللوح المحفوظ. ﴿فَذُوقُوا أَيُّ النَّارِ﴾ أي: فيقال لهم: ذوقوا جزاء فعالكم ﴿فَلَنْ تَرِيذَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ ﴿٢٠﴾ إِذْ لِنُفْسَيْنِ الذين لم يشركوا ﴿مَفَازًا﴾ وفيه قولان: أحدهما: متنزهاً، قاله ابن عباس، والضحاك. والثاني: فازوا بأن نَجَوْا من النار بالجنة، ومن العذاب بالرحمة، قاله قتادة. قال ابن قتيبة: «مَفَازًا» في موضع «فوز». ﴿مَلَأْنَا﴾ قال ابن قتيبة: الحدائق: بسايتين نخل، واحدها: حديقة.

قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَاتٍ﴾ قال ابن عباس: الكواعب: التواجد. قال ابن فارس: يقال: كعبت المرأة كعابة، فهي كاعب: إذا نَكَتْ لَدَيْهَا. وقد ذكرنا معنى «الأتواب» في (ص: ٥٢).

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَهَآؤَ﴾ ﴿٢١﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الملاى، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال

(١) البيت لمجد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان المغربي، وهو في «ديوانه» ١٠٩، و«غريب القرآن» ١٤٦، ٥٠٩، و«شواهد الكشاف» ٣٤، والقرطبي ١٧٨/١٩، و«البحر» ٤١٤/٨.

(٢) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٥٥) وهو في الطبري ١٦/٣٠، والقرطبي ١٧٩/١٩، و«اللسان»: نفس. والشاهد فيه تشديد «فضاوها».

(٣) البيت في ملحق «ديوان الأعمش» ٢٣٨، و«مجاز القرآن» ٢/٢٨٣، و«الكامل» للمبرد ٥٦٤. قال المبرد: وأنشد المازني للأعشى، وليس مما روت الرواة متصلاً بقصيدة:

فَصَدَّقْتُهُمْ وَكَذَّبْتُهُمْ  
وَالْمَرَّةُ يَنْفَعُهُ كَذَابُهَا

وهو في الطبري ٢٠/٣٠، والقرطبي ١٧٩/١٩، و«اللسان» و«التاج»: صدق.

(٤) في الأصل: توكيداً.

الحسن، وقتادة، وابن زيد. والثاني: أنها المتتابعة. رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال ابن جبير. وعن مجاهد كالقولين. والثالث: أنها الصافية، قاله عكرمة.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمُونَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة إذا شربوها ﴿لَقَدْ﴾ وقد ذكرناه في (الطور: ٢٣) وغيرها ﴿وَلَا كَذِبًا﴾ أي: لا يكذب بعضهم بعضاً، لأن أهل الدنيا إذا شربوا الخمر تكلموا بالباطل، وأهل الجنة مُتَزَهِّونَ عن ذلك. قال الفراء: وقراءة علي عليه السلام «كُذِّبًا» بالتخفيف، كأنه - والله أعلم - لا يتكاذبون فيها. وكان الكسائي يخفف هذه ويشدد، ﴿وَكُذِّبُوا بِأَنبِيَائِنَا كُذِّبًا﴾ لأن «كُذِّبُوا» يقيد «الكذاب» بالمصدر، وهذه ليست مقيدة بفعل يصيرها مصدرًا. وقد ذكرنا عن أبي عبيدة أن الكذاب بالتشديد والتخفيف مصدر المكاذبة. وقال أبو علي الفارسي: «الكذاب» بالتخفيف مصدر «كُذِّب»، مثل «الكتاب» مصدر «كُتِب».

قوله تعالى: ﴿جَزَاءً﴾ قال الزجاج: المعنى: جازاهم بذلك جزاء، وكذلك «عطاء»، لأن معنى أعطاهم وجازاهم واحد. و«جَسَاءً» معناه: ما يكفيهم، أي: فيه كل ما يشتهون. يقال: أحسبني كذا بمعنى كفاي. ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، والمفضل «رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرض وما بينهما الرحمن» برفع الباء من «رب» والنون من «الرحمن» على معنى: هو ربُّ السموات. وقرأ عاصم، وابن عامر بخفض الباء والنون على الصفة من «ربك». وقرأ حمزة والكسائي بكسر الباء ورفع النون، واختار هذه القراءة الفراء، ووافقه على هذا جماعة، وعلَّلوا بأن الربُّ قريب من المخفوض، والرحمن بعيد منه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَكُونُ مِنَّةٌ لِّأَحَدٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يملكون الشفاعة إلا بإذنه، قاله ابن السائب. والثاني: لا يقدر الخلق أن يكلموا الربَّ إلا بإذنه، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: أنه جند من جند الله تعالى، وليسوا بملائكة، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: هم خلق على صورة بني آدم يأكلون ويشربون. والثاني: أنه ملك أعظم من السموات والجال، والملائكة، قاله ابن مسعود، ومقاتل بن سليمان<sup>(٢)</sup>. وروى عطاء عن ابن عباس قال: الروح: ملك ما خلق الله أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفًا، وقامت الملائكة كلهم صفًا واحدًا، فيكون عظم خلقه يثقل صفوفهم. والثالث: أنها أرواح الناس تقوم مع الملائكة فيما بين النفتين قبل أن تُردَّ إلى الأجسام، رواه عطية عن ابن عباس. والرابع: أنه جبريل عليه السلام، قاله الشعبي، وسعيد بن جبير، والضحاك. والخامس: أنهم بنو آدم، قاله الحسن، وقتادة. والسادس: أنه القرآن، قاله زيد بن أسلم. والسابع: أنهم أشرف الملائكة، قاله مقاتل بن حيان<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ قال الشعبي: هما سماءان، سماء من الروح، وسماء من الملائكة. فعلى هذا يكون المعنى: يوم يقوم الروح صفاً، والملائكة صفاً. وقال ابن قتيبة: معنى قوله تعالى: ﴿صَفًّا﴾ صفوفًا.

قوله تعالى: ﴿لَا يَكْلَمُونَ﴾ يعني: الخلق كلهم ﴿إِلَّا مَن أَدْنَىٰ لَهُ الرِّحْمَنُ﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي: قال في الدنيا صواباً، وهو الشهادة بالتوحيد عند أكثر المفسرين. وقال مجاهد: قال حقاً في الدنيا، وعمل به ﴿وَالَّذِي أَلَمَّ لَتْفُ﴾ الكائن الواقع بلا شك ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا﴾ أي: مرجعاً إليه بطاعته. ثم خُوفُ كَفَّار مَكَّة، فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ وهو عذاب الآخرة، وكل آت قريب ﴿يَوْمَ يُنْظَرُ أَلْفَرُّ مَا فَتَنَتْ يَدَاهُ﴾ أي: يرى عمله مثبتاً في صحيفته خيراً كان أو شراً ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ رَبًّا﴾ يا ليتني لم أبعث. وحكى الثعلبي عن بعض أشياخه أنه رأى في بعض التفاسير أن الكافر هاهنا: إبليس، وذلك أنه عاب آدم، لأنه خُلِقَ من التراب، فتمنى يوم القيامة أنه كان بمكان آدم، فقال: يا ليتني كنت تراباً<sup>(٤)</sup>.

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ٣٠٩/٦ من رواية ابن أبي حاتم وأبي الشيخ في «العظمة»، وابن مردويه عن ابن عباس، والله أعلم بصحة سنده. وقد ذكر ابن كثير هذا المعنى عن ابن عباس موقوفاً عليه، وذكره ابن كثير والشوكاني من مجاهد وأبي صالح، ولعله مما تلقاه ابن عباس من الإسرائيليات، والله أعلم.

(٢) روى هذا المعنى ابن جرير الطبري في «تفسيره» ٢٢/٣٠ من ابن مسعود. قال ابن كثير: وهذا قول غريب جداً.

(٣) توفى ابن جرير الطبري فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها، وقال ابن كثير: والأشبه عندي - والله أعلم - أنهم بنو آدم.

(٤) والصحيح أنها عامة في كل كافر، وإبليس داخل بطريق الأولى.

## سورة النازعات

### مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرَابًا﴾ ١ ﴿وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطًا﴾ ٢ ﴿وَالسَّيْحَاتِ سَبَا﴾ ٣ ﴿فَالْمَدِيرَاتِ أَمْرًا﴾ ٤ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّايِفَةُ﴾ ٥ ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّاوِدَةُ﴾ ٦ ﴿ثَلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِدَةٌ﴾ ٧ ﴿أَبْصَرُهَا غَشِيَةٌ﴾ ٨ ﴿يَقُولُونَ أَوْنَا لَنَرُودُونَ فِي الْمَكَرَةِ﴾ ٩ ﴿أَوْدَا كُنَّا عَطْلًا خَيْرَةً﴾ ١٠ ﴿قَالُوا يَلَيْكَ إِذَا كَرُّهُ خَيْرَةٌ﴾ ١١ ﴿فَلَمَّا هِيَ بَرْجَةٌ كِيدَةٌ﴾ ١٢ ﴿فَإِذَا هُمْ بِالنَّازِعَةِ﴾ ١٣

قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: أنها الملائكة تنزع أزواج الكفار، قاله علي، وابن مسعود. وروى عطية عن ابن عباس قال: هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم، وبه قال مسروق. والثاني: أنه الموت ينزع النفوس، قاله مجاهد. والثالث: أنها النفس حين تنزع، قاله السدي. والرابع: أنها النجوم تنزع من أفق إلى أفق تطلع ثم تغيب، قاله الحسن، وقتادة، وأبو عبيدة، والأخفش، وابن كيسان. والخامس: أنها القسي تنزع بالسهم، قاله عطاء، وعكرمة. والسادس: أنها الوحوش تنزع وتفر، حكاه الماوردي. والسابع: أنها الرماة، حكاه الثعلبي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿غَرَابًا﴾ اسم أقيم مقام الإغراق. قال ابن قتيبة: والمعنى: والنازعات إغراقاً، كما يغرق النازع في القوس، يعني: أنه يبلغ به غاية المد.

قوله تعالى: ﴿وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطًا﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنها الملائكة<sup>(٢)</sup>. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أنها حين تنشط أرواح الكفار حتى تخرجها بالكرب والغم، قاله علي عليه السلام. قال مقاتل: ينزع ملك الموت روح الكافر، فإذا بلغت ترقوته غرقها في حلقه، فيعذبها في حياته، ثم ينشطها من حلقه - أي: يجذبها - كما ينشط السفود من الصوف الميتل. والثاني: أنها تنشط أرواح المؤمنين بسرعة، كما ينشط العقال من يد البعير إذا حلّ عنها، قاله ابن عباس. وقال الفراء: الذي سمعته من العرب: كما أنشط من عقال باللف. تقول: إذا ربطت الحبل في يد البعير: نشطته، فإذا حللته قلت: أنشطته. والقول الثاني: أنها أنفس المؤمنين تنشط عند الموت للخروج، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً. ويبيانه أن المؤمن يرى منزله من الجنة قبل الموت فتنشط نفسه لذلك. والثالث: أن الناشطات: الموت ينشط نفوس الإنسان، قاله مجاهد. والرابع: النجوم تنشط من أفق إلى أفق، أي: تذهب، قاله قتادة، وأبو عبيدة، والأخفش. ويقال لبقر الوحش: نواشط، لأنها تذهب من موضع إلى موضع. قال أبو عبيدة: والهموم تنشط بصاحبها. قال هيمان بن قحافة:

أَمْسَتْ مُمُومِي تَنْشِطُ الْمَنَاشِطَا

الشَّامُ بِي طُوراً وَطُوراً وَاسْطَا<sup>(٣)</sup>

والخامس: أنها النفس حين تنشط بالموت، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّيْحَاتِ سَبَا﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أنها الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين، قاله علي عليه السلام. قال ابن السائب: يقبضون أرواح المؤمنين كالذي يسبح في الماء. فأحياناً ينغمس، وأحياناً يرتفع، يسألونها سلاً رفيقاً،

(١) ذكر ابن كثير أن الصحيح في قوله: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرَابًا﴾: الملائكة، قال: يعنون حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتفرقه في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة، وكأنما حلت من نشاط، وهو قوله: ﴿وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطًا﴾.

(٢) وهو الأقرب.

(٣) البيت في «اللسان»: نشط، لهيمان بن قحافة، راجز إسلامي. وهو في «مجاز القرآن» ٢/ ٢٨٤، والطبري ٣٠/ ٢٩، والقرطبي ١٩/ ١٩٠، والروح المعاني ٣٠/ ٢٤، ومعنى البيت: يقول: صارت همومي ثقلي من بلد إلى بلد، فمرة إلى الشام، ومرة إلى واسط.

ثم يَدْعُونَهَا حَتَّى تَسْتَرِيحَ. والثاني: أنهم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين، كما يقال للفارس الجواد: سابع: إذا أسرع في جريه، قاله مجاهد، وأبو صالح، والفراء. والثالث: أنه الموت يسبح في نفوس بني آدم، روي عن مجاهد أيضاً. والرابع: أنها السفن تسبح في الماء، قاله عطاء. والخامس: أنها النجوم، والشمس، والقمر، كل في فلك يسبحون، قاله قتادة، وأبو عبيدة. والسادس: أنها الخيل، حكاه الماوردي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَالْتَبَيَّنْتَ سُبْحًا﴾<sup>(٢)</sup> فيه خمسة أقوال: أحدها: أنها الملائكة. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء، قاله علي، ومسروق. والثاني: أنها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة، قاله مجاهد، وأبو رزق. والثالث: أنها سبقت بني آدم إلى الإيمان، قاله الحسن. والقول الثاني: أنها أنفس المؤمنين تسبق الملائكة شوقاً إلى لقاء الله، فيقبضونها وقد عاينت السرور، قاله ابن مسعود. والثالث: أنه الموت يسبق إلى النفوس، روي عن مجاهد أيضاً. والرابع: أنها الخيل، قاله عطاء. والخامس: أنها النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿فَالْتَبَيَّنْتَ أَمْرًا﴾<sup>(٣)</sup> قال ابن عباس: هي الملائكة. قال عطاء: وكُلْتُ بأمور عَرَفْنَاهُ الله العمل بها. وقال عبد الرحمن بن سابط: يُدَبِّرُ أمر الدنيا أربعة أملاك: جبريل، وهو موكل بالرياح والجنود، وميكائيل، وهو موكل بالقطر والنبات. وملك الموت، وهو موكل بقبض الأنفس. وإسرافيل، وهو ينزل بالامر عليهم. وقيل: بل جبريل للوحي، وإسرافيل للصور. وقال ابن قتيبة: فالمدبريات أمراً: تنزل بالحلال والحرام. فإن قيل: أين جواب هذه الأقسام؟ فتنه جوابان: أحدهما: أن الجواب قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن يَخْشَى﴾<sup>(٤)</sup>، قاله مقاتل. والثاني: أن الجواب مضمرة، تقديره: لَتَبَعَثْنِ، وَلَتَحَاسِبْنِ، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿أَوَدَا كُنَّا عَطَلًا فَنَقَرُوا﴾<sup>(٥)</sup> قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ رَجَعْتَ إِلَى أَلْبَنَةِ﴾<sup>(٦)</sup>، وهي النفخة الأولى التي يموت منها جميع الخلائق. والراجفة: صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد إذا تمحض. وترجف: بمعنى: تتحرك حركة شديدة ﴿تَتَّبَعَهَا الرَّادِفَةُ﴾<sup>(٧)</sup> وهي: النفخة الثانية ردت الأولى، أي: جاءت بعدها. وكل شيء جاء بعد شيء فهو يردفه ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِعَةٌ﴾<sup>(٨)</sup> أي: شديدة الاضطراب لما عاينت من أحوال القيامة، ﴿أَبْصَرُهَا عَشِمَةٌ﴾<sup>(٩)</sup> أي: ذليلة لمعاينة النار. قال عطاء: وهذه أبصار من لم يمت على الإسلام. ويدل على هذا أنه ذكر منكري البعث، فقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَوَدَا كُنَّا لَنَرُدُّوهُنَّ فِي لَمَّا كُنَّا﴾<sup>(١٠)</sup> قرأ ابن عامر وأهل الكوفة «أنا» بهمزتين مخففتين على الاستهزام، وقرأ الباقون بتخفيف الأولى وتلين الثانية، وفصل بينهما بألف نافع وأبو عمرو. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أن الحافرة: الحياة بعد الموت. فالمعنى: أراجع أحياء بعد موتنا؟! وهذا قول ابن عباس، وعطية، والسدي. قال الفراء: يعنون: أنزُدْ إلى أمرنا الأول إلى الحياة؟! والعرب تقول: أتيت فلاناً، ثم رجعت على حافرتي، أي: رجعت من حيث جئت. قال أبو عبيدة: يقال: رجع فلان في حافرتي، وعلى حافرتي: إذا رجع من حيث جاء، وهذا قول الزجاج. والثاني: أنها الأرض التي تحفر فيها قبورهم، فسميت حافرة، والمعنى: محفورة، كما يقال: ﴿هَلَوُ دَانِي﴾ [الطارق: ٦]، و﴿يَسْئَرُ دَانِيَةً﴾ [الحاقة: ٢١] وهذا قول مجاهد والخليل. فيكون المعنى: أننا لمرودون إلى الأرض خلقاً جديداً؟! قال ابن قتيبة: «في الحافرة» أي: إلى أول أمرنا. ومن فسرها بالأرض، فإلى هذا يذهب، لأننا منها يُدْتَنَّا. قال الشاعر:

أَحَافِرَةٌ عَلَى صَلَعٍ وَثَنِيْبٍ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفْوٍ وَعَارٍ<sup>(١١)</sup>

[كانه قال: أراجع إلى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والصبأ]<sup>(١٢)</sup> بعد ما شَبْتُ وَصَلَعْتُ؟<sup>(١٣)</sup>. والثالث: أن الحافرة: النار، قاله ابن زيد<sup>(١٤)</sup>.

(١) والقول الأول أقرب إلى الصواب. (٢) في الأصل: «في»، والتصحيح من «غريب القرآن».

(٣) البيت في «غريب القرآن» ٥١٣، والطبري ٣٣/٣٠، والقرطبي ١٩/١٩٥، وهو في «اللسان»: حفر، قال: وأشد ابن الأعرابي... فذكره.

(٤) في الأصل: أراجع إلى ما كنت عليه في شبابي من القول في الصبا. والتصحيح من «لسان العرب».

(٥) زيادة من «اللسان». (٦) ما بين المعقوفين زيادة من النسخة الإستانبولية.

(٢) قال ابن كثير: ﴿فَلَمَّا لَمْ يَنْصَرِفْ إِلَّا عَلَىٰ عَظْمِ الْأَكْفَامِ﴾ أي: انتقم الله منه انتقاماً جعله به عبرة ونكالاً لأمثاله من المتمردين في الدنيا، ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ أي: وللذين يقولون ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْلِمُونَ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ بِمُسْلِمِينَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ﴾ وهذا الصريح في معنى الآية أن المراد بقوله: ﴿لَمْ يَنْصَرِفْ إِلَّا عَلَىٰ عَظْمِ الْأَكْفَامِ﴾ أي: الدنيا والآخرة.

السماء، فيكون المعنى: أم السماء التي بناها. وقال قوم: السماء ليس مما توصل، ولكن المعنى: أنتم أشد خلقاً، أم السماء أشد خلقاً؟ ثم بين كيف خلقها، فقال تعالى: ﴿بَنَاهَا﴾ قال المفسرون: أخلقكم بعد الموت أشد عندكم، أم السماء في تقديركم؟ وهما في قدرة الله واحد. ومعنى: «بناها» رفعها. وكل شيء ارتفع فوق شيء فهو بناء. ومعنى ﴿رَفَعَ سَنَاهَا﴾ رفع ارتفاعها وعلوها في الهواء ﴿سَنَاهَا﴾ بلا شق، ولا فطور، ولا تفاوت، يرتفع فيه بعضها على بعض ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أي: أظلمه فجعله مظلماً. قال الزجاج: يقال: غطش الليل وأغطش، وغبش وأغبش، وغسق وأغسق، وغشي وأغشى، كله بمعنى أظلم.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ صَهْنَهَا﴾ أي: أبرز نهارها. والمعنى: أظهر نورها بالشمس. وإنما أضاف النور والظلمة إلى السماء لأنها مصدران ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: بعد خلق السماء ﴿دَحَاهَا﴾ أي: بسطها. وبعض من يقول: إن الأرض خلقت قبل السماء يزعم أن «بعد» هاهنا بمعنى «قبل»، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. وبعضهم يقول: هي بمعنى «مع»؛ كقوله تعالى: ﴿عَلَى بَعْدَ ذَلِكَ زَيْبٌ﴾ [الفلم: ١٣]، ولا يمتنع أن تكون الأرض خلقت قبل السماء، ثم دحيت بعد كمال السماء، وهذا مذهب عبد الله بن عمرو بن العاص. وقد أشرنا إلى هذا الخلاف في [البقرة: ٢٩] <sup>(١)</sup>. ونصبت الأرض بمضمر تفسيره قوله تعالى: ﴿دَحَاهَا﴾. ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا﴾ أي: فُجِّرَ العيون منها ﴿وَرَزَقْنَاهَا﴾ وهو ما يأكله الناس والأنعام، ﴿وَالْجِبَالُ أَوَّسَهَا﴾ قال الزجاج: أي: أثبتنا ﴿سَنَاهَا لَكُمْ﴾ أي: للإمتاع، لأن معنى أخرج منها ماءها ومرعاها: أمتع بذلك. وقال ابن قتيبة: ﴿سَنَاهَا لَكُمْ﴾ أي: منفعة لكم].

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّلَافَةُ الْكُبْرَى﴾ ﴿يَوْمَ يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ ﴿وَرِزْقَتِ الْجَبِيصُ لِمَنْ رِزْقٌ﴾ ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ ﴿وَرَأَى الْجَنَّةَ الْكُبْرَى﴾ ﴿فَكَانَ الْجَنَّةَ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْفَوَاحِشِ﴾ ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ النَّارُ﴾ ﴿يَتَلَوْنَهَا عَنْ السَّاعَةِ﴾ ﴿يَأْنُ مُرْسَهَا﴾ ﴿يَوْمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَا﴾ ﴿إِلَّا رَيْكَ مُنْهَنَّا﴾ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْزَرٌ مِنْ بَحْسِنَا﴾ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ رَزَقْنَاهَا لَوْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا عِيشَةً أَوْ حَنَانًا﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّلَافَةُ الْكُبْرَى﴾ والطامة: الحادثة التي تطم على ما سواها، أي: تعلقو فوقه. وفي المراد بها هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: النفخة الثانية التي فيها البعث. والثاني: أنها حين يقال لأهل النار: قوموا إلى النار. والثالث: أنها حين يساق أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار.

قوله تعالى: ﴿يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ أي: ما عمل من خير وشر ﴿وَرِزْقَتِ الْجَبِيصُ لِمَنْ رِزْقٌ﴾ أي: لأبصار الناظرين. قال مقاتل: يكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق. وقرأ أبو مجلز، وابن السميع: «لمن ترى» بالتاء. وقرأ ابن عباس، ومعاذ القارئ «لمن رأى» بهمة بين الراء والألف.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ في كفره ﴿وَرَأَى الْجَنَّةَ الْكُبْرَى﴾ على الآخرة ﴿فَإِنَّ الْجَبِيصَ هِيَ النَّارُ﴾ قال الزجاج: أي هي المأوى له. وهذا جواب ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّلَافَةُ﴾ فإن الأمر كذلك. قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ قد ذكرناه في سورة [الرحمن: ٤٦].

قوله تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْفَوَاحِشِ﴾ أي: عما تهوى من المحارم. قال مقاتل: هو الرجل يهيم بالمعصية، فيذكر مقامه للحساب، فيتركها.

قوله تعالى: ﴿يَتَلَوْنَهَا عَنْ السَّاعَةِ﴾ ﴿يَأْنُ مُرْسَهَا﴾ قد سبق في [الأمراء: ١٨٧] ﴿يَوْمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: لست في شيء من علمها وذخريها. والمعنى: إنك لا تعلمها ﴿إِلَّا رَيْكَ مُنْهَنَّا﴾ أي: منتهى علمها ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْزَرٌ مِنْ بَحْسِنَا﴾ وقرأ أبو جعفر «منذر» بالتونين. ومعنى الكلام: إنما أنت مخوف من يخافها. والمعنى: إنما ينفع إندارك من يخافها، وهو المؤمن بها. وأما من لا يخافها فكانه لم يندر ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ رَزَقْنَاهَا﴾ أي: يعاينون القيامة ﴿لَوْ يَتَّبِعُونَ﴾ في الدنيا. وقيل: في قبورهم ﴿إِلَّا عِيشَةً أَوْ حَنَانًا﴾ أي: قدر آخر النهار من بعد العصر، أو أوله إلى أن

(١) قال ابن كثير ٩٢/٤: أما خلق الأرض، فقبل خلق السماء بالنص، وبهذا أجاب ابن عباس <sup>(١)</sup> فيما ذكره البخاري. انظر «صحيح البخاري» ٤٢٧/٨، ٤٢٨. ثم قال ابن كثير ٤٦٨/٤: ولكن إنما دحيت الأرض بعد خلق السماء، بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل، قال: وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد، واختاره ابن جرير.

ترتفع الشمس. قال الزجاج: والهاء والألف في «ضحاه» عائدان<sup>(١)</sup> إلى العشيّة. والمعنى: إلا عشيّة، أو ضحى العشيّة. قال الفراء: فإن قيل: للعشيّة ضحى، إنما الضحى لصدر النهار؟ فالجواب: أن هذا ظاهر في كلام العرب أن يقولوا: آتيك العشيّة، أو غدائها، أو آتيك الغداة، أو عشيّتها، فتكون العشيّة في معنى «آخر»، والغداة في معنى «أول». أنشدني بعض بني عقيل:

نَحْنُ صَبَحْنَا عَامِرًا فِي دَارِهَا      عَشِيَّةَ الْهَلَالِ أَوْ سِرَارِهَا<sup>(٢)</sup>  
أراد: عشيّة الهلال، أو عشيّة سرار العشيّة، فهذا أشد من قولهم: آتيك الغداة أو عشيّتها.



(١) في الأصل: عائد.

(٢) البيت لبعض بني عقيل، أنشده الفراء في «معاني القرآن» ٣٥٧ عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِيشَةُ أَرْسَلَتْهَا﴾ وهو في الطبري ٥٠/٣٠، والقرطبي ٢٠٨/١٩.



## سورة عبس

### مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَوَلَّى ۝١﴾ ١ ﴿أَن جَاءَهُ الْأَحْسَنُ ۝٢﴾ ٢ ﴿وَمَا يَدْرِي لَعَلَّهِ بَرْكَ ۝٣﴾ ٣ ﴿أَرَى بَلَدًا فَنَسَمَهُ الْإِكْرَ ۝٤﴾ ٤ ﴿أَنَا مَنِ اسْتَقْنُ ۝٥﴾ ٥ ﴿فَأَن لَّمْ يَسْتَلْ ۝٦﴾ ٦ ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكُ ۝٧﴾ ٧ ﴿وَأَنَا مَن جَاءَكَ يَسِّنْ ۝٨﴾ ٨ ﴿وَهُوَ يَخْشَى ۝٩﴾ ٩ ﴿فَأَن عَنَّا لَغُلٌ ۝١٠﴾ ١٠ ﴿كَلَّا إِنَّا نَذْكُرُ ۝١١﴾ ١١ ﴿فَن شَاءَ ذَكَرُ ۝١٢﴾ ١٢ ﴿فِي صُ ۝١٣﴾ ١٣ ﴿تَرْوَعُو شَطْرَهُ ۝١٤﴾ ١٤ ﴿يَأْتِي سَفَرُ ۝١٥﴾ ١٥ ﴿يَكْرَهُ يَرْ ۝١٦﴾ ١٦

قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَوَلَّى﴾ قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ يوماً يناجي عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام، وأمية وأبياً ابني خلف، ويدعوهم إلى الله تعالى، ويرجو إسلامهم، فجاء ابن أم مكتوم الأعمى، فقال: علمني يا رسول الله مما علمك الله، وجعل يناديه، ويكرّر النداء، ولا يدري أنه مشتغل بكلام غيره، حتى ظهرت الكراهية في وجهه ﷺ لقطعه كلامه، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وأقبل على القوم يكلمهم، فنزلت هذه الآيات، فكان رسول الله ﷺ يكرمه بعد ذلك، ويقول: «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي»<sup>(١)</sup>. وذهب قوم، منهم مقاتل، إلى أنه إنما جاء ليؤمن، فأعرض عنه النبي ﷺ اشتغالا بالرؤساء، فنزلت فيه هذه الآيات. ومعنى ﴿عَبَسَ﴾ قَلَبَ وَكَلَحَ ﴿وَوَلَّى﴾ أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ ﴿أَن جَاءَهُ﴾ أي: لأن جاءه. وقرأ أبي بن كعب، والحسن، وأبو المتوكل، وأبو عمران، «أَن جَاءَهُ» بهمزة واحدة مفتوحة ممدودة. وقرأ ابن مسعود، وابن السميع «أَن» بهمزتين مقصورتين مفتوحتين. و﴿الْأَحْسَنُ﴾ هو ابن أم مكتوم، واسمه عمرو بن قيس. وقيل: اسمه عبد الله بن عمرو ﴿وَمَا يَدْرِي لَعَلَّهِ بَرْكَ﴾ أي: يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح، وما يتعلمه منك. وقال مقاتل: لعله يؤمن ﴿أَرَى بَلَدًا فَنَسَمَهُ الْإِكْرَ﴾ أي: يتعظ بما يتعلمه من مواظ القرآن ﴿فَنَسَمَهُ الْإِكْرَ﴾ قرأ حفص عن عاصم «فتفتحه» بفتح العين، والباقون برفعها. قال الزجاج: من نصب، فعلى جواب «العل»، ومن رفع، فعلى العطف على «يَرْكُ».

قوله تعالى: ﴿أَنَا مَنِ اسْتَقْنُ﴾ قال ابن عباس: استغنى عن الله وعن الإيمان بماله. قال مجاهد: ﴿أَنَا مَنِ اسْتَقْنُ﴾: عتبة، وشيبة، ﴿فَأَن لَّمْ يَسْتَلْ﴾. قرأ ابن كثير، ونافع «تَصَدَّى» بتشديد الصاد. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي «تَصَدَّى» بفتح التاء، والصاد وتخفيفها، وقرأ أبي بن كعب، وأبو الجوزاء، وعمرو بن دينار: «تَصَدَّى» بتاءين مع تخفيف الصاد. قال الزجاج: الأصل: تصدى، ولكن حذفت التاء الثانية لاجتماع تاءين. ومن قرأ «تَصَدَّى» بإدغام التاء، فالمعنى أيضاً: تصدى، إلا أن التاء أدغمت في الصاد لقرب مخرج التاء من الصاد. قال ابن عباس: «تَصَدَّى» تقبل عليه بوجهك. وقال ابن قتيبة: تتعرض<sup>(٢)</sup>. وقرأ ابن مسعود، وابن السميع، والجدري: «تَصَدَّى» بتاء واحدة مضمومة، وتخفيف الصاد.

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكُ﴾ أي: أي شيء عليك في أن لا يُسَلِّمَ مَنْ تدعوه إلى الإسلام؟ يعني: أنه ليس عليه إلّا البلاغ. ﴿وَأَنَا مَن جَاءَكَ يَسِّنْ﴾ فيه قولان: أحدهما: يمشي. والثاني: يعمل في الخير، وهو ابن أم مكتوم ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ الله ﴿فَأَن عَنَّا لَغُلٌ﴾ وقرأ ابن مسعود، وطلحة بن مصرف، وأبو الجوزاء «تتلهى» بتاءين. وقرأ أبي بن

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٣ بغير سند، وقال الحافظ في «تخريج أحاديث الكشاف» ١٨١: ذكره الثعلبي بلا إسناد، وأخرجه ابن أبي حاتم من رواية العوفي عن ابن عباس نحوه. وأخرجه الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، وابن حبان عن عائشة قالت: أنزلت سورة «عبس وتولى» في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه، ويقول على الآخر، ويقول: أتري بما أقول بأساً؟ فيقول: لا، ففي هذا أنزلت.

(٢) وفي «غريب القرآن»: تعرض.

كعب، وابن السميع، والجحدري: «تَلَّهَى» بئاء واحدة خفيفة مرفوعة. قال الزجاج: أي: تشاغل عنه. يقال: لهيت عن الشيء ألهى عنه: إذا تشاغل عنه.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا تفعل ذلك. ﴿إِنِّي﴾ في المكني عنها قولان: أحدهما: آيات القرآن، قاله مقاتل. والثاني: هذه السورة، قاله الفراء. «والتذكرة» بمعنى التذكير ﴿فَنَسَّ ذَكْرًا﴾ مفسر في آخر [المثنى: ٥٥]. ثم أخبر بجلالة القرآن عنده، فقال تعالى: ﴿فِي حُجِّيٍّ لِّذِكْرِهِ﴾ أي: هو في صحف، أي: في كتب مكرّمة، وفيها قولان: أحدهما: أنها اللوح المحفوظ، قاله مقاتل. والثاني: كتب الأنبياء، ذكره الثعلبي. فعلى هذا يكون معنى «مرفوعة»: عالية القدر. وعلى الأول يكون رفعها كونها في السماء. وفي معنى «المطهرة» أربعة أقوال: أحدها: مطهرة من أن تنزل على المشركين، قاله الحسن. والثاني: مطهرة من الشرك والكفر، قاله مقاتل. والثالث: لأنه لا يمسها إلا المطهرون، قاله الفراء. والرابع: مطهرة من الدنس، قاله يحيى بن سلام.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِي سَرًّا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم الملائكة، قاله الجمهور. والثاني: أصحاب محمد ﷺ، قاله وهب بن منبه. وفي معنى ﴿سَرًّا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الكتّبة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج. قال الزجاج: واحدهم: سافر، وسفرة، مثل كاتب، وكتّبة، وكافر، وكفرة. وإنما قيل للكتاب: سفر، وللكتاب: سافر، لأن معناه أنه يبين الشيء ويوضحه. يقال: أسفر الصبح: إذا أضاء. وسفرت المرأة: إذا كشفت النقاب عن وجهها. ومنه: سفرت بين القوم، أي: كشفت ما في قلب هذا، وقلب هذا، لأصلح بينهم. والثاني: أنهم القراء، قاله قتادة. والثالث: أنهم السفراء، وهم المصلحون. قال الفراء: تقول العرب: سفرت بين القوم، أي: أصلحت بينهم، فجعلت الملائكة إذا نزلت بوحى الله، كالسفير الذي يصلح بين القوم. قال الشاعر:

وَمَا أَدْعُ السَّفَرَةَ بَيْنَ قَوْمِي  
وَمَا أَمْشِي بِبُشٍّ إِنْ مَشَيْتُ<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿رَكِبَ﴾ أي: على رُكْبٍ ﴿رَبْرَ﴾ أي: مطيعين. قال الفراء: واحد «البررة» في قياس العربية: بارٌّ، لأن العرب لا تقول: فَعَلَهُ يَنْوَنُ به الجمع إلا والواحد منه فاعل، مثل كافر، وكفرة، وفاجر، وفجرة.

﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ﴾ ﴿يَنْ أَيُّ قَوْمٍ خَلَقَهُ﴾ ﴿يَنْ تُلْفُو خَلَقَهُ فَقَدَرُوا﴾ ﴿ثُمَّ أَوَّلَيْتُمْ يَسْرًا﴾ ﴿ثُمَّ أَنَا فَاتَرْتُمْ﴾ ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرْتُمْ﴾ ﴿كَلَّا لَنَا قَبْضٌ مَّا أَمْرٌ﴾ ﴿يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ إِلَى طَائِفِهِ﴾ ﴿أَنَا صَبَا إِلَهَ صَبَا﴾ ﴿ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفَا﴾ ﴿فَأَنبَأْنَا بِهَا بَنَا﴾ ﴿بَعَا وَفَعَا﴾ ﴿وَرَبُّنَا وَفَعَلَا﴾ ﴿وَسَدَّيْنِ عَلَا﴾ ﴿وَلَكُمَا وَبَا﴾ ﴿ثُمَّ لَكُرْ وَلَاقَتِكُمَا﴾

قوله تعالى: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ﴾ أي: لعن. والمراد بالإنسان هاهنا: الكافر. وفيمن عنى بهذا القول ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أشار إلى كل كافر، قاله مجاهد. والثاني: أنه أمية بن خلف، قاله الضحاك. والثالث: عتبة بن أبي لهب، قاله مقاتل. وفي قوله تعالى: ﴿مَا أَكْفَرُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: ما أشد كفره، قاله ابن جريج. والثاني: أي شيء أكفره؟ قاله السدي. فعلى هذا يكون استفهام توبيخ. الثالث: أنه على وجه التعجب، وهذا التعجب يؤمر به الآدميون، والمعنى: اعجبوا أنتم من كفره، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿يَنْ أَيُّ قَوْمٍ خَلَقَهُ﴾ ﴿يَنْ تُلْفُو خَلَقَهُ﴾. ثم فسره فقال تعالى: ﴿يَنْ تُلْفُو خَلَقَهُ﴾. وفي معنى ﴿فَقَدَرُوا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: قدر أعضاء: رأسه، وعينه، ويديه، ورجليه، قاله ابن السائب. والثاني: قدره أطواراً: نقطة، ثم علقه، إلى آخر خلقه، قاله مقاتل. والثالث: قدره على الاستواء، قاله الزجاج. ﴿ثُمَّ أَوَّلَيْتُمْ يَسْرًا﴾ فيه قولان: أحدهما: سهل له العلم بطريق الحق والباطل، قاله الحسن، ومجاهد. قال الفراء: والمعنى: ثم يسره للسبيل. والثاني: يسر له السبيل في خروجه من بطن أمه، قاله السدي، وقائل<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَرُ﴾ قال الفراء: أي جعله مقبوراً، ولم يجعله ممن يلقى للسباع والطير، فكان القبر مما أكرم به المسلم. ولم يقل: قبره؛ لأن القابر هو الدافن بيده. والمُقْبِرُ الله، لأنه صيّرهُ مقبوراً، فليس فعله كفعل الآدمي.

(١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» ٣٥٨، وفي «اللسان»: سفر، وهو في الطبري ٥٤/٣٠، والقرطبي ٢١٤/١٩، وابن كثير ٤٧١/٤.

(٢) وهو الذي اختاره ابن جرير الطبري وغيره.



﴿إِنَّمَا جَاءَكَ الْمَلَكُ﴾ (١٢) يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (١٣) وَأُخِيهِ وَأُخِيهِ (١٤) وَصَحْبِيهِ وَيَدِيهِ (١٥) لِكُلِّ أَمْرٍ رِئَاسَةٌ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنَبِّئُ (١٦) وَيَوْمَئِذٍ تُسْفِرُ (١٧) حَاجَتَكَ تُسْتَشِيرُ (١٨) وَيَوْمَئِذٍ يُؤْمِنُ عَلَيْهَا عَبْدٌ (١٩) أَفَلَا تَكْفُرُ الْفَجْرَةَ (٢٠) ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَاءَكَ الْمَلَكُ﴾ (١٢) وهي الصيحة الثانية. قال ابن قتبية: الصاخة تصيح صَحَاً، أي: تُصيح. يقال: رجل أصخ، وأصلخ: إذا كان لا يسمع. والداهية صاخة أيضاً. وقال الزجاج: هي الصيحة التي تكون عليها القيامة، تصيحُ الأسماك، أي: تصيحها، فلا تسمع إلا ما تدعى به لإحيائها. ثم فسّر في أي وقت تجيء، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (١٣) قال المفسرون: المعنى: لا يلتفت الإنسان إلى أحد من أقاربه، لِعِظَم ما هو فيه. قال الحسن: أول من يَقْرَأ من أخيه هابيل، ومن أمه وأبيه إبراهيم، ومن صاحبه نوح ولوط، ومن ابنه نوح. وقال قتادة: يفر هابيل من قابيل، والنبي ﷺ من أمه، وإبراهيم من أبيه، ولوط من صاحبه، ونوح من ابنه (١).

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ رِئَاسَةٌ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنَبِّئُ﴾ (١٤) قال الفراء: أي: يَشْغَلُهُ عن قرابته. وقال ابن قتبية: أي: يَضْرِفُهُ ويصده عن قرابته، يقال: أغنى عني وجهك، أي: أصرفه، وأغن عني السفه. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والزهري، وأبو العالية، وابن السميع، وابن محيصن، وابن أبي عتبة «يعنيه» بفتح الياء والعين غير معجمة. قال الزجاج: معنى الآية: له شأن لا يقدر مع الاهتمام به على الاهتمام بغيره. وكذلك قراءة من قرأ «يعنيه» بالعين، معناه: له شأن لا يهمه معه غيره. وقد روى أنس بن مالك قال: قالت عائشة للنبي ﷺ: أنحشر عراة؟ قال: نعم. قالت: واسوءتاه، فأنزل الله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ رِئَاسَةٌ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنَبِّئُ﴾ (١٤) (٢).

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ تُسْفِرُ﴾ (١٥) أي: مضية قد علمت ما لها من الخير ﴿حَاجَتَكَ﴾ لسروها ﴿تُسْتَشِيرُ﴾ أي: فرحة بما نالها من كرامة الله ﷻ ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُؤْمِنُ عَلَيْهَا عَبْدٌ﴾ (١٦) أي: غبار. وقال مقاتل: أي: سواد وكأبة ﴿رُفَعَهَا﴾ أي: تغشاها ﴿فَرَّةً﴾ أي: ظلمة. وقال الزجاج: يعلوها سواد كالدخان. ثم بيّن مَنْ أَهْلُ هذه الحال، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا تَكْفُرُ الْفَجْرَةَ﴾ (٢٠) وهو جمع كافر وفاجر.



(١) والصحيح أن الآية عامة. قال الخازن: وفائدة الترتيب: كأنه قيل: يوم يفر المرء من أخيه، بل من أبويه لأنهما أقرب من الإخوة، بل من الصحابة والولد، لأن تعلقه بهما أشد من تعلقه بالأبوين. قال ابن كثير: يراهم ويفرّ منهم، لأن الهول عظيم، والخطب جليل. ثم قال: وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول: نفسي نفسي، لا أسألك اليوم إلا نفسي، حتى إن عيسى ابن مريم يقول: لا أسأله اليوم إلا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدني.

(٢) رواه بنحوه الطبري ٦١/٣٠ من رواية الحسين بن حريث عن الفضل بن موسى عن عائذ بن شريح عن أنس، ورواه ابن أبي حاتم من رواية أضر بن حاتم عن الفضل بن موسى عن عائذ بن شريح به، وعائذ بن شريح، قال أبو حاتم الرازي في «الجرح والتعليل»: في حديثه ضعف. وروى الترمذي في «سننه» ١٦٨/٢ عن ابن عباس ؓ عن النبي ﷺ قال: «تحتشرون حفاة عراة غرلاء» فقالت امرأة: أيصير أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال: يا فلاة ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ رِئَاسَةٌ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنَبِّئُ﴾ (١٤) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، قد روي من غير وجه عن ابن عباس. وروى مسلم في «صحيحه» ٤/٢١٩٤ عن عائشة ؓ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاء» (غير مختونين)، قلت: يا رسول الله النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض».

## سورة التكوير

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُكِّتْ ⑧ إِيَّيْ ذُنِّي قِيلَتْ ⑨ وَإِذَا الشُّعُفُ تُسِّرَتْ ⑩ وَإِذَا النُّفُوسُ كُسِفَتْ ⑪ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُيِّرَتْ ⑫ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ⑬ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ ⑭﴾

روى أبو عبد الله الحاكم في «صحيحه» من حديث عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ①﴾» (١). وفي قوله تعالى: ﴿كُوِّرَتْ ①﴾ أربعة أقوال: أحدها: أظلمت، رواه الوالي عن ابن عباس، وكذلك قال الفراء، ذهب ضوءها، وهذا قول قتادة، ومقاتل. والثاني: دُفِّتْ، رواه عطية عن ابن عباس، وكذلك قال مجاهد: اضمحلَّت. والثالث: عُورَتْ، روي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وابن الأنباري، وهذا من قول الناس بالفارسية: كُورِبَكْرَدُ (٢). وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: هو بالفارسية كوربوز. والرابع: أنها تُكْوَرُ مثل تكوير العمامة، فتلث وتحمي، قاله أبو عبيد. قال الزجاج: ومعنى «كُوِّرَتْ» جمع ضوءها، وَلُثَّتْ كما تلف العمامة. ويقال: كُوِّرَتْ العمامة على رأسي أكوِّرها: إذا لَفَقْتَهَا. قال المفسرون: تُجمع الشمس بعضها إلى بعض، ثم ثُلُثَ ويرمي بها في البحر. وقيل: في النار (٣). وقيل: تعاد إلى ما خلقت منه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ②﴾ أي: تناثرت، وتهاقت. يقال: انكدر الطائر في الهواء: إذا انقضَّ. ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③﴾ عن وجه الأرض، فاستوت مع الأرض ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④﴾ قال المفسرون وأهل اللغة: العشار: النوق الحوامل، وهي التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر فقبل لها: العشار لذلك، وذلك الوقت أحسن زَمَانٍ حَمْلُهَا، وهي تضع إذا وَضَعَتْ لتمام في سنة، فهي أنفس ما للعرب عندهم، فلا يعطلونها، إلا لإتيان ما يَسْغَلُهُمْ عنها، وإنما خوطبت العرب بأمر العشار، لأن أكثر عيشهم ومالهم من الإبل. ومعنى «عُطِّلَتْ» سُيِّتَتْ وأُفِيلَتْ، لاستغلالهم عنها بأهوال القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤﴾ يعني: دوابُّ البحر ﴿حُشِرَتْ ⑤﴾ وفيه قولان: أحدهما: ماتت، قاله ابن عباس. والثاني: جمعت إلى القيامة، قاله السدي. وقد زدنا هذا شرحاً في [الأنعام: ١١١].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو «سُجِّرَتْ» بتخفيف الجيم، وقرأ الباقر بتشديد الجيم. وفي المعنى ثلاثة أقوال: أحدها: أوقِدَتْ فاشتعلت ناراً، قاله علي وابن عباس. والثاني: يبست، قاله الحسن. والثالث: ملئت بأن صارت بحراً واحداً، وكثر ماؤها، قاله ابن السائب، والفراء، وابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: قرنت بأشكالها، قاله عمر رضي الله عنه. الصالح مع الصالح في الجنة، والفاجر مع الفاجر في النار، وهذا قول الحسن، وقاتل (٤). والثاني: زُودَتْ الأرواح إلى الأجساد،

(١) أخرجه أحمد في «المستدرك» رقم ٤٨١٦ و ٤٩٣٤ و ٤٩٤١ و ٥٧٥٥ وإسناده صحيح، والترمذي ١٦٨/٢، والحاكم ٥١٥/٢، وصححه ووافقه الذهبي، وأورده السيوطي في «الدرر» ٣١٩/٦ وزاد نسبه لابن المنذر وابن مردويه.

(٢) أخرجه عن سعيد بن جبير الطبري، ونقله عنه ابن كثير، والسيوطي في «الدرر المنثور» بالفاظ مختلفة.

(٣) وقد روى في المرفوع من حديث أبي هريرة: «الشمس والقمر نوران مكوران في النار يوم القيامة»، رواه الطحاوي في «مشكل الآثار» وإسناده صحيح. ورواه بنحوه أبو يعلى واليزاد من حديث أبي هريرة، والطائسي من حديث أنس. وذلك تكية لمن عيدهما في الدنيا.

(٤) وهو الذي اختاره ابن جرير الطبري وابن كثير، وهو الصحيح.





## سورة الانفطار

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكُوكُوبُ انْفَرَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدَّمَتْ ﴿٥﴾ وَأَخَّرَتْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ ﴿٧﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّكَ فَعَدَلَكَ ﴿٨﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٩﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ ﴿١٠﴾ بِالْبَيِّنِ ﴿١١﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٢﴾ كِرَامًا كَاهِنِينَ ﴿١٣﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَقْلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٥﴾ وَإِنَّ الْفَاجِرَ لَفِي جِيمٍ ﴿١٦﴾ يَصَلُّونَ يَوْمَ الْيَوْمِ ﴿١٧﴾ وَمَا مِنْهُمْ مِنْ مُتَابِعِينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الْيَوْمِ ﴿١٩﴾ ثُمَّ مَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الْآخِرِ ﴿٢٠﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّاءُ انْفَطَرَتْ﴾ انفطارها: انشفاقها. و﴿انْفَرَّتْ﴾ بمعنى تساقطت. و﴿فُجِّرَتْ﴾ بمعنى فُتح بعضها في بعض فصارت بحراً واحداً. وقال الحسن: ذهب ماؤها، و﴿بُعِثَتْ﴾ بمعنى أثيرت. قال ابن قتيبة: قُلِبَتْ فأخرج ما فيها. يقال: بَغِثْتُ المتاع وَبَغِثْتُهُ: إذا جعلت أسفله أعلاه.

قوله تعالى: ﴿عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ﴾ هذا جواب الكلام. وقد شرحناه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣].

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه غُيِّبَ به أبو الأشدين<sup>(١)</sup>، وكان كافراً، قاله ابن عباس، ومقاتل. وقد ذكرنا اسمه في [المدر: ٣٠]. والثاني: أنه الوليد بن المغيرة، قاله عطاء. والثالث: أبي بن خلف، قاله عكرمة. والرابع: أنه أشار إلى كل كافر، ذكره الماوردي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ﴾ قال الزجاج: أي: ما خدَعَكَ وسوَّلَ لك حتى أضعت ما وجب عليك؟ وقال غيره: المعنى: ما الذي أَمْنَك من عقابه وهو كريم متجاوز إذ لم يعاقبك عاجلاً؟ وقيل للفضيل بن عياض: لو أقامك الله سبحانه يوم القيامة، وقال: ما غَرَّكَ بربك الكريم، ماذا كنت تقول؟ قال: أقول: غرني سُتُورُكَ المُرَخَاة. وقال يحيى بن معاذ: لو قال لي: ما غَرَّكَ بي؟ قلت: بِرَّكَ سَالِفاً وَآتِفاً. قيل: لما ذكر الصفة التي هي الكرم هاهنا دون سائر صفاته، كان كأنه لقَّن عبده الجواب، ليقول: غَرَّنِي كرم الكريم.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّكَ﴾ إنساناً تسمع وتبصر ﴿فَعَدَلَكَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «فَعَدَلَكَ» بالتشديد. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي «فَعَدَلَكَ» بالتخفيف. قال الفراء: من قرأ بالتخفيف، فوجهه - والله أعلم -: فسوَّوكَ إلى أي صورة شاء، إما حَسَن، وإما قَبِيح، وإما طَوِيل، وإما قَصِير. وقيل: في صورة أب، في صورة عم، في صورة بعض القربات تشبيهاً. ومن قرأ بالتشديد، فإنه أراد - والله أعلم -: جعلك معتدلاً، معدل الخلق. وقال غيره: عدلُ أعضائك فلم تفضل يد على يد، ولا رجل على رجل، وعدل بك أن يجعلك حيواناً بهيماً.

قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ قال الزجاج: يجوز أن تكون «ما» زائدة. ويجوز أن تكون بمعنى الشرط والجزاء، فيكون المعنى: في أي صورة ما شاء أن يرَكِّبَكَ فيها رَكَّبَكَ. وفي معنى الآية أربعة أقوال: أحدها: في أي صورة من صور القربات رَكَّبَكَ، وهو معنى قول مجاهد. والثاني: في أي صورة، من حسن، أو قبح، أو طول، أو

(١) قد تقدم الكلام عليه في سورة المدر.

(٢) وهذا هو الصواب أنه عام لكل كافر.



قصر، أو ذكر، أو أنثى، وهو معنى قول الفراء. والثالث: إن شاء أن يرَّجِّب في غير صورة الإنسان رجَّبك، قاله مقاتل. وقال عكرمة: إن شاء في صورة قرد، وإن شاء في صورة خنزير. والرابع: إن شاء في صورة إنسان بأفعال الخير. وإن شاء في صورة حمار بالبلادة والبله، وإن شاء في صورة كلب باليخل، أو خنزير بالشره، ذكره الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿بَلْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِينَ﴾ وقرأ أبو جعفر «بالياء» أي: بالجزاء والحساب، تزعمون أنه غير كائن. ثم أعلمهم أن أعمالهم محفوظة، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَرْفَعُ عَلَيْكُمْ حِسَابُكُمْ﴾ أي: من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم ﴿كِرَامًا﴾ على ربهم ﴿كَثِيرِينَ﴾ يكتبون أعمالكم ﴿يَقُولُونَ مَا تَقُولُونَ﴾ من خير وشر، فيكتبونه عليكم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ وذلك في الآخرة إذا دخلوا الجنة ﴿وَلَا يَلْعَنُ اللَّهُ﴾ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم المشركون. والثاني: الظلمة. ونقل عن سليمان بن عبد الملك أنه قال لأبي حازم: يا ليت شعري ما لنا عند الله؟ فقال له: اعرض عملك على كتاب الله، فإنك تعلم ما لك عنده، فقال: وأين أجده؟ قال: عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ﴿وَلَا يَلْعَنُ اللَّهُ﴾ قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: قريب من المحسنين.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَوُونَ﴾ يعني: يدخلون الجحيم مقاسين حرًّا أي: يوم الدين ﴿يَوْمَ﴾ أي: يوم الجزاء على الأعمال ﴿وَمَا تُمَنُّهُ﴾ أي: عن الجحيم ﴿يَسْتَوِينَ﴾ وهذا يدل على تخليد الكفار. وأجاز بعض العلماء أن تكون «عنها» كناية عن القيامة، فتكون فائدة الكلام تحقيق البعث. ويشتمل هذا على الأبرار والفعجار. ثم عظم ذلك اليوم بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ ثم كرر ذلك تفضيلاً لشأنه، وكان ابن السائب يقول: الخطاب بهذا للإنسان الكافر، لا لرسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو «يوم» بالرفع، والباقون: بالفتح. قال الزجاج: من رفع «اليوم» فعلى أنه صفة لقوله تعالى: «يوم الدين». ويجوز أن يكون رفعه<sup>(١)</sup> بإضمار «هو» ونصبه على معنى: هذه الأشياء المذكورة تكون ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾ قال المفسرون: ومعنى الآية أنه لا يملك الأمر أحدٌ إلا الله، ولم يملك أحدٌ من الخلق شيئاً كما ملَّكهم في الدنيا. وكان مقاتل يقول: لا تملك نفس لنفس كافرة شيئاً من المنفعة. والقول على الإطلاق، لأن مقاتلاً فيما أحسب خاف نفي شفاعة المؤمنين. والشفاعة إنما تكون عن أمر الله وتمليكه.



(١) في نسخة الرباط: رفعها، وفي النسخة الإستانبولية: رفعاً.

## سورة المطففين

وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها مكية، قاله ابن مسعود، والضحاك، ويحيى بن سلام. والثاني: مدنية، قاله ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة، ومقاتل، إلا أن ابن عباس، وقتادة قالوا: فيها ثمان آيات مكية، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَتَيْنَا﴾ [المطففين: ٢٩] إلى آخرها. وقال مقاتل: فيها آية مكية، وهي قوله تعالى: ﴿إِذَا نُفِثَ عَلَيْهِ مَيْثًا قَالَ أَتَيْتُ الْأَرْثِينَ﴾ [المطففين: ١٣]. والثالث: أنها نزلت بين مكة، والمدنية، قاله جابر بن زيد وابن السائب، وذكر هبة الله ابن سلامة<sup>(١)</sup> المفسر أنها نزلت في الهجرة بين مكة والمدنية، نصفها يقارب مكة، ونصفها يقارب المدينة.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّهِمُ الْآخِرِينَ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ قال ابن عباس: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبت الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فاحسنوا الكيل بعد ذلك<sup>(٢)</sup>. وقال السدي: قدم رسول الله ﷺ المدينة، وبها رجل يقال له: أبو جهينة، ومعه صاعان، يكيل بأحدهما، ويكتال بالآخر، فأنزل الله هذه الآية. وقد شرحنا معنى «الويل» في [البقرة: ٧٩]. وقال ابن قتيبة: المطفف: الذي لا يوفي الكيل، يقال: إناء طَفَانٌ: إذا لم يكن مملوئاً. وقال الزجاج: إنما قيل: مطفف، لأنه لا يكاد يسرق في الميزان والمكيال إلا الشيء الطفيف، وإنما أخذ من طَفَّ الشيء، وهو جانبه.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ أي: من الناس. فاعلى بمعنى «من» في قول المفسرين واللغويين. قال الفراء: «على»، و«من» يعقبان في هذا الموضع، لأنك إذا قلت: اكتلت عليك، فكأنك قلت: أخذت ما عليك [كيلاً]، وإذا قلت: اكتلت منك، فهو كقولك: استوفيت منك [كيلاً]. قال الزجاج: المعنى: إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل، وكذلك إذا اتزنوا، ولم يذكُرْ «إِذَا اتَّزَنُوا»، لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يُكَالُ ويوزن، فأحدهما يدل على الآخر ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ أي: كالوا لهم ﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ أي: وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ أي: ينقصون في الكيل والوزن. فعلى هذا لا يجوز أن يقف على «كالوا»، ومن الناس من يجعل «هم» توكيداً لما كالوا<sup>(٣)</sup>، ويجوز أن يقف على «كالوا» والاختيار الأول. قال الفراء: سمعت أعرابية تقول: إذا صدر الناس أتينا التاجر، فيكيلنا المد والمدن إلى الموسم المقبل.

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ قال الزجاج: المعنى: لو ظنوا أنهم يُبْعَثُونَ ما نقصوا في الكيل والوزن، ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني به يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾ منصوب بقوله تعالى: ﴿يُبْعَثُونَ﴾. قال المفسرون: والظن هاهنا بمعنى العلم واليقين. ومعنى: يقوم الناس، أي: من قبورهم ﴿لِرَبِّهِمُ الْآخِرِينَ﴾ أي: لأمره، أو لجزائه وحسابه. وقيل: يقومون بين يديه لفصل القضاء. وفي «الصحيحين» من حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: في

(١) في الأصل: سلام، وهو خطأ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٧٤٨/٢)، والطبري (٩١/٣٠)، والواحدي (٣٣٣)، وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» (١٢٨): رواه النسائي وابن حبان والحاكم من رواية يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس. وأورده السيوطي في «الدرة» (٣٢٣/٦) وزاد نسبه إلى الطبراني وابن مرفوعه والبيهقي في «شعب الإيمان» بسند صحيح عن ابن عباس.

(٣) قال الألوسي: «وهم» ضمير مرفوع، تأكيد للضمير المرفوع وهو الواو، يعني في «كالوا».

هذه الآية: «يقوم أحدهم في رَشَحِهِ»<sup>(١)</sup> إلى أنصاف أذنيه»<sup>(٢)</sup>. وقال كعب: يقفون ثلاثمائة عام. قال مقاتل: وذلك إذا خرجوا من قبورهم.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَیْ سَیِّئٍ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَیِّئٌ ۚ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۝١٧ وَتِلْكَ الْوَعْدُ لِلْمَكْذِبِينَ ۝١٨ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِمَا عَهِدُوا أَنَّهُمْ لَا یَكْذِبُونَ إِلَّا كُلُّ مُعَذِّبٍ مُّهِمٌ ۝١٩ إِذَا نُنَادِیَ عَلَيْهِمْ فَمَا لَمْ تَكُنْ لَهُمْ آيَةً فَكَذَّبُوا إِلَّا كَذَّبُوهَا فَذُحِلَّتْ لَیْ سَیِّئٌ ۚ ثُمَّ تَوَلَّوْا لِمَجْمَعٍ ۝٢٠ ثُمَّ قَالُوا هَذَا الَّذِی كُنْتُمْ بِكُمْ تُكْذِبُونَ ۝٢١ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْآبَرَارِ لَیْ عَظِيمٌ ۝٢٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلْمُونَ ۝٢٣ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٤ یَشْهَدُ الْمَرْقُومُ ۝٢٥ إِنَّ الْآبَرَارَ لَیْ نَجِیمٌ ۝٢٦ عَلَى الْأَنْبَاكِ یُنْظَرُونَ ۝٢٧ تَرَوْنَ فِی وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِیمِ ۝٢٨ یَسْقُونَ مِنْ نَّحِیقٍ مَّحْشُورٍ ۝٢٩ حَتَّىٰ یَسْكُنُوا سِتْرُكُمُ ۝٣٠ فَمَتَّاعٌ مِنْ ثَمَنِیمٍ ۝٣١ عَنَّا یَقْرَبُ بِهَا الْمَعْمُورُونَ ۝٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر، أي: ليس الأمر على ما هم عليه، فليرتدعوا. وهامنا تم الكلام عند كثير من العلماء. وكان أبو حاتم يقول: ﴿كَلَّا﴾ ابتداء يتصل بما بعده على معنى «حقاً» ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ﴾ قال مقاتل: إن كتاب أعمالهم ﴿لَیْ سَیِّئٌ﴾ وفيها أربعة أقوال: أحدها: أنها الأرض السابعة، وهذا قول مجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد، ومقاتل. وروي عن مجاهد قال: ﴿سَیِّئٌ﴾ صخرة تحت الأرض السابعة، يجعل كتاب الفجار تحتها، وهذه علامة لخسارتهم، ودلالة على خسارة منزلتهم. والثاني: أن المعنى: إن كتابهم لفي سفال، قاله الحسن. والثالث: لفي خسار، قاله عكرمة. والرابع: لفي حيس، فُعِلَ مِنَ السَّجَنِ، قاله أبو عبيدة<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَیِّئٌ﴾ هذا تعظيم لأمرها. وقال الزجاج: أي: ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك.

قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ أي: ذلك الكتاب الذي في سجين كتاب مرقوم، أي: مكتوب. قال ابن قتيبة: والرقم: الكتاب. قال أبو ذؤيب:

عَرَفْتُ الدِّبَارَ كَرَقَمِ الدَّوَا  
وَيَزِيرُهُ الْكَاتِبُ الْجَمِيرِي<sup>(٤)</sup>

وأشده الزجاج: «يَذِيرُهَا» بالذال المعجمة، وكسر الباء. قال الأصمعي: يقال: زبر: كتب، وذبر: قرأ. وروى أبو عمرو عن ثعلب، عن ابن الأعرابي، قال: الصواب: زبرت - بالزاي - كتبت. وذبرت - بالذال - أتقنت ما حفظت. قال: والبيت يزبرها، بالزاي والضم. وقال ابن قتيبة: يروى «يزبرها» و«يذبرها» وهو مثله، يقال: زبر الكتاب يزبره، ويذبره. وذبره يذبره، ويذبره. وقال قتادة: رقم له بشر، كأنه أعلم بعلامة يعرف بها أنه الكافر. وقيل: المعنى: إنه مثبت لهم كالرقم في الثوب، لا ينسى ولا يمحى حتى يجازوا به.

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْوَعْدُ لِلْمَكْذِبِينَ﴾ هذا منتظم بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾، وما بينهما كلام معترض. وما بعده قد سبق بيانه إلى قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر «بَلْ رَانَ» بفتح الراء مدغمة، وقرأ أبو بكر عن عاصم «بَلْ رَانَ» مدغمة بكسر الراء. وقرأ حفص عن عاصم «بَلْ» بإظهار اللام ﴿رَانَ﴾ بفتح الراء. قال اللغويون: أي: غلب على قلوبهم، يقال: الخمرة ترين على عقل السكران. قال الزجاج: قرئت بإدغام اللام في الراء، لقرب ما بين الحرفين، وإظهار اللام جائز، لأنه من كلمة، والرأس من كلمة أخرى. ويقال: ران على قلبه الذئب يرين ريناً: إذا غشي على قلبه، ويقال: غان يغين غيناً، والغين كالغيم الرقيق، والرين كالصدا يغشى على

(١) أي: عرق، لأنه يخرج من البدن شيئاً بعد شيء، كما يرشح الإناء المحتلل الأجزاء.

(٢) رواه مالك في «الموطأ» والبخاري ٥٣٥/٨، ومسلم ٢١٩٥/٤ واللفظ لـ مسلم.

(٣) قال ابن كثير: والصحيح أن «سجينة» مأخوذة من السجن، وهو الضيق، فإن المخلوقات كل ما تسافل منها ضائق، وكل ما تعالى منها اتسع، فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه، وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها حتى ينتهي السفول المطلق والمحل الأدنى إلى المركز في وسط الأرض السابعة، ولما كان مصير الفجار إلى جهنم، وهي أسفل السافلين؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنُّوا فَكَانُوا سَمِيعِينَ ۝١٩﴾ إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ فَكُنُوا لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَإِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يُؤْتِي﴾، وهو يجمع الضيق والسفول، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُنْزِلْهُمُ مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطَةً يُدْرِكُهُمْ ذُرٌّهُمُ فَهُمْ لَا يُخْلَوْنَ﴾.

(٤) البيت لأبي ذؤيب عوفيل بن خالد، جاهلي إسلامي، وهو في «ديوان الهذليين» (٦٤/١)، و«غريب القرآن» (٥١٩) وفيهما: «يزبرها» بدلاً من «يزبره».

القلب. وسمعت شيخنا أبا منصور اللغوي يقول: الغين يقال: بالراء، وبالغين، ففي القرآن ﴿كَذَّٰبٌ يَّرٰٓءَ﴾ وفي الحديث: «إنه ليغان على قلبي»<sup>(١)</sup>، وكذلك الراءية تقال بالراء، وبالغين، والرميصاء تكتب «بالغين»، وبالراء، لأن الرمص يكتب بهما. قال المفسرون: لما كثرت معاصيهم وذنوبهم أحاطت بقلوبهم. قال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَذَّٰبٌ﴾ أي: لا يصدقون. ثم استأنف ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُورُونَ﴾ قال ابن عباس: إنهم عن النظر إلى ربهم يومئذ لمحجوبون، والمؤمن لا يحجب عن رؤيته. وقال مالك بن أنس: لما حجب أعداءه فلم يَرَوْه تجلَّى لأوليائه حتى رآوه. وقال الشافعي: لما حجب قومًا بالشُّطْطِ دلَّ على أن قومًا يَرَوْنَهُ بالرضا<sup>(٣)</sup>. وقال الزجاج: في هذه الآية دليل على أن الله ﷻ يُرَى في القيامة. ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة، ولا خسست منزلة الكفار بأنهم يحجبون عن ربهم. ثم من بعد حجبهم عن الله يدخلون النار، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا الْآلِهَةَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ هَآءَ﴾ أي: يقول لهم خزنة النار: ﴿هَٰذَا الْعَذَابُ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: لا يؤمن بالعذاب الذي يصلاه. ثم أعلم أين محلّ ﴿كَتَبَ الْأَبْرَارُ﴾ فقال تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ وفيها سبعة أقوال: أحدها: أنها الجنة، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: أنه لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش فيه أعمالهم مكتوبة، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنها السماء السابعة، وفيها أرواح المؤمنين، قاله كعب، وهو مذهب مجاهد، وابن زيد. والرابع: أنها قائمة العرش اليمنى، قاله قتادة. وقال مقاتل: ساق العرش. والخامس: أنه سدره المنتهى، قاله الضحاك. والسادس: أنه في علو وصعود إلى الله ﷻ، قاله الحسن. وقال الفراء: في ارتفاع بعد ارتفاع. والسابع: أنه أعلى الأمكنة، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَزِيدُكَ مَا يَلِيزُ﴾ هذا تعظيم لشأنها.

قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رُؤُوسَهُمْ﴾ الكلام فيه كالقلام في الآية التي قبلها.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَهْزِئُ الْمُرَّةَ﴾ أي: يحضر المقرَّبون من الملائكة ذلك المكتوب، أو ذلك الكتاب إذا صُيِّد به إلى عليين. وما بعد هذا قد سبق بيانه [لافتظار: ١٣] إلى قوله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: إلى ما أعطاهم الله من الكرامة. والثاني: إلى أعدائهم حين يعدُّون.

قوله تعالى: ﴿تَمَثَّلَ فِي وُجُوهِهِمْ نُفُورٌ أَلْوِيَّةٌ﴾ قرأ أبو جعفر، ويعقوب «تُعَرِّفُ» بضم التاء، وفتح الراء «نُفُورَةً» بالرفع. قال الفراء: بريق النعيم ونداء. قال المفسرون: إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعيم، لما ترى من الحسن والنور. وفي «الرحيق» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الخمر، قاله الجمهور. ثم اختلفوا أي الخمر هي على أربعة أقوال: أحدها: أجود الخمر، قاله الخليل بن أحمد. والثانية: الخالصة من الغش، قاله الأخفش. والثالث: الخمر البيضاء، قاله مقاتل. والرابع: الخمر العتيقة، حكاه ابن قتيبة. والقول الثاني: أنه عين في الجنة مشوبة بالمسك، قاله الحسن. والثالث: أنه الشراب الذي لا غش فيه، قاله ابن قتيبة، والزجاج. وفي قوله تعالى: ﴿تَخْتَوِي﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: ممزوج، قاله ابن مسعود. والثاني: مختوم على إنائه، وإلى نحو هذا ذهب مجاهد. والثالث: له ختام، أي: عاقبة ريح، وتلك العاقبة هي قوله تعالى: ﴿يَخْتَمُّ مَسْكُ﴾، أي: عاقبته. هذا قول أبي عبيدة. ﴿يَخْتَمُّ مَسْكُ﴾ قرأ ابن كثير،

(١) روى مسلم في «صحيحه» ٢٧٧٥/٤ عن الأغر المزني ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليغان على قلبي، وإنني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة.

(٢) الروي الترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها حُقل قلبه، وإن زاد زادت، فلذلك قول الله تعالى: ﴿كَذَّٰبٌ يَّرٰٓءَ عَلَى قُلُوبِهِمْ تَا كَاوًا يَكْسِيوُنَ﴾»، وقال الترمذي: حسن صحيح، ولفظ النسائي: «إن العبد إذا أعطى عطيته نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب، حُقل قلبه، فإن عاد زيد فيها حتى تملو قلبه، فهو الران الذي قال تعالى: ﴿كَذَّٰبٌ يَّرٰٓءَ عَلَى قُلُوبِهِمْ تَا كَاوًا يَكْسِيوُنَ﴾».

(٣) وقال ابن كثير: قال الإمام أبو عبد الله الشافعي: وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه ﷻ يومئذ، وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم الآية، كما دلَّ عليه منطوق قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْكَافِرَةُ﴾ إلَّا نَبَا كَاوَةً وكما دلَّت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة رؤية بالابصار في عرصات القيامة وفي روضات الجنات الفاخرة.

وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة ﴿حَتَمَهُ﴾ بكسر الخاء، ويفتح التاء، وبألف بعدهما، مرفوعة الميم. وقرأ الكسائي «حَاتَمَهُ» بخاء مفتوحة، بعدها ألف، وبعدها (١) تاء مفتوحة. وروى الشيزري «حَاتِمَهُ» مثل ذلك، إلا أنه يكسر التاء. وقرأ أبي بن كعب، وعروة، وأبو عالية: «حَتَمَهُ» بفتح الخاء والتاء وبإضمار الميم من غير ألف. وللمفسرين في قوله تعالى: ﴿حَتَمَهُ يَسْكَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: خَلَطَهُ مسك، قاله ابن مسعود، ومجاهد. والثاني: أن حَتَمَهُ الذي يختم به الإناء مسك، [قاله ابن عباس. والثالث: أن طعمه وريحه مسك، قاله علقمة. والرابع: أن آخر طعمه مسك] (٢) قاله سعيد بن جبير، والفراء، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَبَّهُوا﴾ أي: فليجذّبوا في طلبه، وليحرصوا عليه بطاعة الله. والتنافس: كالتشاح على الشيء، والتنازع فيه.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْسِي﴾ (٣) فيه قولان: أحدهما: أنه اسم عين في الجنة يشربها المقربون صرفاً، وتمزج لأصحاب اليمين. والثاني: أن التسنيم الماء، قاله الضحاك. قال مقاتل: وإنما سمي تسيماً، لأنه يتسّم عليه من جنة عدن، فينصبّ عليهم انصباباً، فيشربون الخمر من ذلك الماء. قال ابن قتيبة: يقال: إن التسنيم أرفع شراب في الجنة. ويقال: إنه يمتزج بماء ينزل من تسيم، أي: من علو. وأصل هذا من سنام البعير، ومن تسيم القبور. وهذا أعجب إلّٰي، لقول المسيّب بن علس في وصف امرأة:

كَأَنَّ بِرِيقَتِهَا لِبَرْزًا

ج مِنْ ثَلَجٍ تَسْنِيمٍ شَبِيبَتْ عُقَارًا (٤)

أراد: كأن بريقها عُقَاراً شَبِيبَتْ للمزاج من ثلج تسيم، يريد: جبلاً. قال الزجاج: المعنى: ومزاجه من تسيم عيناً تأتيهم من تسيم، أي: من علو يتسّم عليهم من الغرف. فدعينا في هذا القول منصوبة، كما قال تعالى: ﴿أَوْ يُلْقَىٰ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَرٍ﴾ (٥) ﴿يَسْمَا﴾ (البلد: ١٥). ويجوز أن تكون «عيناً» منصوبة بقوله: يُسْقَوْنَ عيناً، أي: من عين. وقد بينا معنى ﴿يَشْرَبُونَ﴾ في (مل أم: ٦).

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَلْمَزُوا كَاوًا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَصْحَكُونَ﴾ (٦) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٧﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٨﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَسَاوُونَ ﴿٩﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿١٠﴾ فَالَّذِينَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَصْحَكُونَ ﴿١١﴾ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿١٢﴾ هَلْ ثُبَّ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَقُولُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَلْمَزُوا﴾ أي: أشركوا ﴿كَأُوًّا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني أصحاب رسول الله ﷺ، مثل عمار، وبلال، وخبّاب وغيرهم ﴿يَصْحَكُونَ﴾ على وجه الاستهزاء بهم ﴿وَإِذَا مَرُّوا﴾ يعني: المؤمنین ﴿بِهِمْ﴾ أي: بالكفار ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ أي: يشيرون بالجفن والحاجب استهزاء بهم ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا﴾ يعني: الكُفَّار ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ أي: متعجّبين بما هم فيه يتفكّهون بذكرهم. وقرأ أبو جعفر، وحفص عن عاصم، وعبد الرزاق عن ابن عامر ﴿فَكِهِينَ﴾ بغير ألف. وقد شرحنا معنى القراءتين في (يس: ٥٥) ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ أي: رأوا أصحاب رسول الله ﷺ ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَسَاوُونَ﴾ يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا﴾ يعني الكفار ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: على المؤمنين ﴿حَافِظِينَ﴾ يحفظون أعمالهم عليهم، أي: لم يؤكّلوا بحفظ أعمالهم ﴿فَالَّذِينَ﴾ يعني: في الآخرة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَصْحَكُونَ﴾ إذا رأوهم يعذبون في النار. قال أبو صالح: يقال لأهل النار وهم فيها: اخرجوا، وافتح لهم أبوابها، فإذا أقبلوا يريدون الخروج، غُلِّقت أبوابها دونهم. والمؤمنون ﴿عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ (١٢) إلى عذاب عدوهم. قال مقاتل: لكل رجل من أهل الجنة ثلثة ينظرون إلى أعداء الله كيف يعذبون، فيحمدون الله على ما أكرمهم به، فهم يكلمون أهل النار ويكلمونهم إلى أن تطبق النار على أهلها، فتسدّ حيثنذ الكوى.

قوله تعالى: ﴿هَلْ ثُبَّ الْكُفَّارُ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وهارون عن أبي عمرو ﴿هَلْ ثُبَّ﴾ بإدغام اللام. أي: هل جوزوا وأثبوا على استهزائهم بالمؤمنين في الدنيا؟ وهذا الاستفهام بمعنى التقرير.

(١) في الأصل: وبعده.

(٢) ما بين المعقوفين سقط من نسخة الرباط، واستدركناه من النسخة الاستنبولية.

(٣) البيت في «غريب القرآن» ٥٢٠.

## سورة الانشقاق

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَخُفَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخُفَّتْ ④ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَخُفَّتْ ⑤ يَتَأَيَّأُ الْإِنْسَانُ ⑥ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَلْيَقِهِ ⑦ فَمَا مِّنْ أَوْفٍ ⑧ كَتَبَتْ لَهُمْ ظُهُورُهُمْ ⑨ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ⑩ وَصَلَ سَيْرًا ⑪ إِنَّكَ كَانَ فِي أَعْلَاهِ مَسْرُورًا ⑫ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَن لَّنْ يَحُورَ ⑬﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ①﴾ قال المفسرون: انشقاقها من علامات الساعة. وقد ذكر ذلك في مواضع من القرآن: [الفرقان: ٢٢٥، الرحمن: ٣٧، الحاقة: ٤١٦]. ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا ②﴾ أي: استمعت وأطاعت في الانشقاق، من الأذن، وهو الاستماع للشيء والإصغاء إليه، وأنشدوا:

سُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا دُكِرَتْ بِوِ  
لَإِنْ دُكِرَتْ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذْنُوا<sup>(١)</sup>  
﴿وُخِفَّتْ ④﴾ أي: خَفَّتْ لها أن تطيع ربها الذي خلقها ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③﴾ قال ابن عباس: تُمَدُّ مَدَّ الْأَدِيمِ، ويزاد في سَمَتِهَا. وقال مقاتل: لا يبقى جبل ولا بناء إلا دخل فيها.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا ②﴾ من الموتى والكنوز ﴿وُخِفَّتْ ④﴾ أي: خَلَّتْ من ذلك، فلم يبقَ في باطنها شيء. واختلفوا في جواب هذه الأشياء المذكورات على أربعة أقوال: أحدها: أنه متروك، لأن المعنى معروف قد تردَّد في القرآن. والثاني أنه ﴿يَتَأَيَّأُ الْإِنْسَانُ ⑥﴾ كقول القائل: إذا كان كذا وكذا، فإيا أيها الناس ترون ما عملتم، فيجعل ﴿يَتَأَيَّأُ الْإِنْسَانُ ⑥﴾ هو الجواب، وتضمير فيه الفاء، كأن المعنى: يرى الثواب والعقاب إذا السماء انشَقَّتْ، وذكر القولين الفراء. والثالث: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: «يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقية إذا السماء انشَقَّتْ» قاله المبرد. والرابع: أن الجواب مدلول عليه بقوله تعالى: ﴿فَلْيَقِهِ ⑦﴾. فالمعنى: إذا كان يوم القيامة لقي الإنسان عمله، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا ⑦﴾ فيه قولان: أحدهما: إنك عامل لربك عملاً، قاله ابن عباس. والثاني: ساع إلى ربك سعيًا، قاله مقاتل. قال الزجاج: و«الكدح» في اللغة: السعي، والدأب في العمل في باب الدنيا والآخرة. قال تميم بن مقبل:

وَمَا الدَّفْعُ إِلَّا تَارَتَانِ فَوْنُهُمَا  
أُمُوتُ وَأُخْرَى أَبْنَعِي الْعَيْشِ أَخَذُ<sup>(٢)</sup>  
وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ ⑧﴾ قولان: أحدهما: عامل لربك، وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: إلى لقاء ربك، قاله ابن قتيبة. وفي قوله تعالى: ﴿فَلْيَقِهِ ⑦﴾ قولان: أحدهما: فملاقٍ عَمَلِكَ. والثاني: فملاقٍ رَبِّكَ، كما ذكرهما الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَحْسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑩﴾ وهو أن تعرض عليه سيئاته، ثم يغفرها الله له. وفي «المضحكين» من حديث عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «من نوقش الحساب هلك، فقلت: يا رسول الله، فإن الله يقول: ﴿فَسَوْفَ

(١) البيت لقُتَيْب بن ضمرة ابن أم صاحب أم قعب، وكان في أيام الوليد، وهو في «مجاز القرآن» ١٧٧/١، و«الطبري» ١١٢/٣٠، و«السمط» ٣٦٢، و«الاقصاب» ٢٩٢، و«شواهد الكشاف» ١٤٣، و«القرطبي» ٢٦٧/١٩، و«اللسان» ٤٥٥، وأورد بيتاً قبله، هو:

إِنْ يَسْتَمُوا رِبَّةً طَارُوا بِهَا كَرْحًا  
يَتِي وَمَا عَلِمُوا مِنْ سَالِحٍ دَفَنُوا  
(٢) «ديوانه» (٢٤)، وسيبويه ٣٧٦/١، و«الكامل» ٩٠٨/٣، و«الحيوان» ٤٨/٣، و«حماة البحري» ١٨٣، و«القرطبي» ٢٦٩/١٩.

يَحْسَبُ حَسَابًا يَبِيرًا ﴿٨﴾ ١٩ قال: ذلك العرض<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَنَقَلْهُ لَكَ أَقْلِيهٖ﴾ يعني: في الجنة من الحور العين والآدميات ﴿سَرُورًا﴾ بما أوتي من الكرامة ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْفَ وَرَدَّ ظَهْرَهُ﴾ ﴿٩﴾ قال المفسرون: نُقِلَ يده اليمنى إلى عنقه، وتجعل يده اليسرى وراء ظهره ﴿فَنُفِثَ يَدْعُوًا يَبُورًا﴾ ﴿١٠﴾ قال الزجاج: يقول: يا ويلاه، يا بُوراه، وهذا يقوله كل من وقع فيهلكة.

قوله تعالى: ﴿وَيَصْلَىٰ سَوِيرًا﴾ ﴿١١﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي: «ويُصَلَّى بضم الياء، وتشديد اللام.. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحزمة «ويصلى» بفتح الياء خفيفة، إلا أن حمزة والكسائي يميلانها. وقد شرحناه في سورة (النساء: ١١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كَانَ فِي أَقْلِيهٖ﴾ يعني في الدنيا ﴿سَرُورًا﴾ باتباع هواه، وركوب شهواته ﴿إِنَّكَ ظَنَّ أَنَّ لَنْ يَبُورَ﴾ ﴿١٢﴾ أي: لن يرجع إلى الآخرة، ولن يبعث وهذه صفة الكافر. قال اللغويون: الحور في اللغة: الرجوع، وأنشدوا للبيد:

وَمَا الْمَرْءُ كَالشَّهَابِ وَضَوْؤِهِ  
يَحُورُ زَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ<sup>(٢)</sup>

﴿يَنْزِلُ إِذْ رَدَّ كَانَ بِهِ بَيِيرًا﴾ ﴿١٣﴾ فَلَا أَقِيمَ بِالشَّقِيقِ ﴿١٤﴾ وَالْأَيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٥﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا أَتَقَّ ﴿١٦﴾ لَتَكُنَّ طَبَقًا مِّنْ طَبَقِ ﴿١٧﴾ فَمَا لَمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٨﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٩﴾ بِلِ الَّذِينَ كَذَّبُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَنَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢١﴾ فَنَبِّئْهُمْ بِمَا فِي أَلْبَامِ ﴿٢٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَمْ أَجْزْ غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿يَنْزِلُ﴾ قال الفراء: المعنى: بلى ليحورون، ثم استأنف، فقال تعالى: ﴿إِنَّكَ رَدَّ كَانَ بِهِ بَيِيرًا﴾ قال المفسرون: بصيراً به على جميع أحواله.

قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقِيمَ﴾ قد سبق بيانه. فأما «الشقيق» فقال ابن قتبية: هما شققان: الأحمر، والأبيض؛ فالأحمر: من لدن غروب الشمس إلى وقت صلاة العشاء ثم يغيب، ويبقى الشفق الأبيض إلى نصف الليل. وللمفسرين في المراد «بالشفق» هاهنا ستة أقوال: أحدها: الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس. وقد روى ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الشفق: الحمرة»<sup>(٣)</sup>، وهذا قول عمر، وابنه، وابن مسعود، وعباد، وأبي قتادة، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، وأبي هريرة، وأنس، وابن المسيب، وابن جبير، وطاووس، ومكحول، ومالك، والأوزاعي، وأبي يوسف، والشافعي، وأبي عبيد، وأحمد، وإسحاق، وابن قتبية، والزجاج. قال الفراء: سمعت بعض العرب يقول وعليه ثوب مصبوغ: كأنه الشفق، وكان أحمر. والثاني: أنه النهار. والثالث: الشمس، روي القولان عن مجاهد. والرابع: ما بقي من النهار، قاله عكرمة. والخامس: السواد الذي يكون بعد ذهاب البياض، قاله أبو جعفر محمد بن علي. والسادس: أنه البياض، قاله عمر بن عبد العزيز.

قوله تعالى: ﴿وَالْأَيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ ﴿١٥﴾ أي: وما جمع وضم. وأنشدوا:

إِن لَّنَا قَلَابُصًا خَفَائِقًا  
مُسْتَوْسِقَاتٍ لَوْ يَجِدُنَّ سَائِقًا<sup>(٤)</sup>

قال أبو عبيدة: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ ما علا فلم يمنع منه شيء، فإذا جَلَّ الليل الجبال، والأشجار، والبحار، والأرض، فاجتمعت له، فقد وسقها. وقال بعضهم: معنى: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾: ما جمع مما كان منتشراً بالنهار في تصرفه إلى مأواه.

قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا أَتَقَّ﴾ ﴿١٦﴾ قال الفراء: اتساقه: اجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة، وأربع عشرة، إلى ست عشرة.

(١) رواه البخاري ١٧٦/١ و ٥٣٥/٨ و ٣٤٧/١١، ومسلم ٢٢٠٤/٤، ورواه الطبري ١١٦/٣٠، والترمذي ١٦٩/٢ وقال: حديث حسن صحيح، وأورده السيوطي في «الدر» ٣٢٩/٦ وزاد نسبه لأحمد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) «ديوانه» ١٦٩.

(٣) أخرجه الدارقطني في «سننه» ١٠٠، وصححه البيهقي وقفه، وقال في «المعرفة»: روي هذا الحديث عن عمر، وعلي، وابن عباس، وعبد بن الصامت، وشداد بن أوس، وأبي هريرة، ولا يصح عن النبي ﷺ فيه شيء، وذكره السيوطي في «الدر» موقوفاً على ابن عمر، وعزا إلى عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وعبد بن حميد، وابن مردويه.

(٤) الرجز في «ملحق ديوان المجاج» ٨٤، وهو في «مجاز القرآن» ٢٩١/٢، و«الطبري» ١٢٠/٣٠، و«القرطبي» ٢٧٥/١٩، و«اللسان» وسق.

قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ ﴿١٥﴾ قرأ ابن كثير، وحزمة، والكسائي: «لَتَرْكَبُنَّ» بفتح التاء والباء، وفي معناه قولان: أحدهما: أنه خطاب لرسول الله ﷺ، ثم في معناه قولان: أحدهما: لتركبنَّ سماءً بعد سماء، قاله ابن مسعود، والشعبي، ومجاهد. والثاني: لتركبن حالاً بعد حال، قاله ابن عباس، وقال: هو نبيكم. والقول الثاني: أن الإشارة إلى السماء. والمعنى: أنها تتغير ضرورياً من التغيير، فتارة كالمُهَل، وتارة كالدَّهَان، روي عن ابن مسعود أيضاً. وقرأ عاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ بفتح التاء، وضم الباء، وهو خطاب لسائر الناس. ومعناه: لتركبنَّ حالاً بعد حال. وقرأ ابن مسعود، وأبو الجوزاء، وأبو الأشهب: «ليركبنَّ» بالياء، ونصب الباء. وقرأ أبو المتوكل، وأبو عمران، وابن يعمر: «ليركبنَّ» بالياء، وضم الباء. وعن «بمعنى «بعد». وهذا قول عامة المفسرين واللغويين، وأنشدوا للأقرع بن حابس:

إِنِّي أَمْرُؤٌ قَدْ حَلَبْتُ الدُّهْرَ أَشْطَرَهُ  
وَسَأَقْنِي طَبَقٌ مِنْهُ إِلَى طَبَقٍ<sup>(١)</sup>

ثم في معنى الكلام خمسة أقوال: أحدها: أنه الشدائد، والأحوال، ثم الموت، ثم البعث، ثم العرض، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الرخاء بعد الشدة، والشدّة بعد الرخاء، والغنى بعد الفقر، والفقر بعد الغنى، والصحة بعد السقم، والسقم بعد الصحة، [قاله الحسن. والثالث: أنه كون الإنسان رضيعاً ثم فطيماً ثم غلاماً شاباً ثم شيخاً]<sup>(٢)</sup>، قاله عكرمة. والرابع: أنه تغير حال الإنسان في الآخرة بعد الدنيا، فيرتفع من كان وضيعاً، ويتضع من كان مرتفعاً، وهذا مذهب سعيد بن جبيرة. والخامس: أنه ركوب سنن من كان قبلهم من الأولين، قاله أبو عبيدة. وكان بعض الحكماء يقول: من كان اليوم على حالة، وغداً على حالة أخرى، فليعلم أن تدبيره إلى سواء<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ يعني: كفار مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يؤمنون بمحمد والقرآن، وهو استفهام إنكار ﴿وَإِذْ رَأَوْهُمُ الْفَرَكَانَ لَا يَجِدُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يصلّون، قاله عطاء، وابن السائب. والثاني: لا يخضعون له، ويستكينون، قاله ابن جرير، واختاره القاضي أبو يعلى. قال: وقد احتج بها قوم على وجوب سجود التلاوة، وليس فيها دلالة على ذلك، وإنما المعنى: لا يخشعون، ألا ترى أنه أضاف السجود إلى جميع القرآن، والسجود يختص بمواضع منه.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا بَيِّنَاتٌ﴾ بالقرآن، والبعث، والجزاء ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعَى﴾ ﴿١٦﴾ في صلورهم ويضمرون في قلوبهم من التكذيب. قال ابن قتيبة: ﴿يُوعَى﴾: يجمعون في قلوبهم. وقال الزجاج: أوعيت المتاع في الوعاء، ووعيت العلم.

قوله تعالى: ﴿بَيِّنَاتٌ يَمْكُرُ بِهَا﴾ أي: أخبرهم بذلك. وقال الزجاج: اجعل للكفار بدل البشارة للمؤمنين بالجنة والرحمة، العذاب الأليم. و«المؤمنون» عند أهل اللغة: المقطوع.



(١) أنشده القرطبي في «تفسيره» ٢٧٨/١٩.

(٢) زيادة سقطت من نسخة الرباط، واستدركناها من النسخة الاستنبولية.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من التأويل قول من قال: لتركبن أنت يا محمد حالاً بعد حال، وأمرأ بعد أمر من الشدائد، والمراد بذلك - وإن كان الخطاب إلى رسول الله ﷺ موجهاً - جميع الناس، أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأحواله أحوالاً.



## سورة البروج

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّهُ ذَاتُ الْبُرُوجِ﴾ (١) وَالْيَوْمِ الْآخِرِ (٢) وَشَهِيدٌ (٣) قِيلَ أَصْحَابُ الْأَنْجَادِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوُجُوهِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُرْسَلِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ وَلَهُمْ عَذَابُ الْخَرْقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ جَزَاءً مِنْ تَحْتِهَا إِلَّا الْغَنَاءَ ذَلِكَ الْقَرَارُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ بَرِيءٌ وَمُنِيبٌ (١٣) وَهُوَ الْقَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَمَالِ لَنَا بُرْدٍ (١٦) هَلْ آنَاكَ حَدِيثُ الْخَمْرِ (١٧) فَرَعُونَ نُصُودٌ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ يَنْزِلُ فِي السَّحَابِ طِفْلاً (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْظُومٍ (٢٢)

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذَاتُ الْبُرُوجِ﴾ (١) قد ذكرنا البروج في [الحجر: ١٦] ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (٢) هو يوم القيامة بإجماعهم ﴿وَشَهِيدٌ وَشَهِيدٌ﴾ (٣) فيه أربعة وعشرون قولاً: أحدها: أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهد: يوم عرفة، رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ (١)، وبه قال علي، وابن عباس في رواية، وابن زيد. فعلى هذا سمي يوم الجمعة شاهداً؛ لأنه يشهد على كل عامل بما فيه، وسمي يوم عرفة مشهوداً، لأن الناس يشهدون فيه موسم الحج، وتشهده الملائكة. والثاني: أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهد: يوم النحر، قاله ابن عمر. والثالث: أن الشاهد: الله ﷻ، والمشهد: يوم القيامة، رواه الوالبي عن ابن عباس. والرابع: أن الشاهد: يوم عرفة، والمشهد: يوم القيامة، رواه مجاهد عن ابن عباس. والخامس: أن الشاهد: محمد ﷺ، والمشهد: يوم القيامة، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس، وبه قال الحسن بن علي. والسادس: أن الشاهد: يوم القيامة، والمشهد: الناس، قاله جابر بن عبد الله. والسابع: أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهد: يوم القيامة، قاله الضحاك. والثامن: أن الشاهد: يوم التروية، والمشهد: يوم عرفة، قاله سعيد بن المسيب. والتاسع: أن الشاهد: هو الله، والمشهد: بنو آدم، قاله سعيد بن جبيرة. والعاشر: أن الشاهد: محمد، والمشهد: يوم عرفة، قاله الضحاك. والحادي عشر: أن الشاهد: آدم ﷺ، والمشهد: يوم القيامة، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. والثاني عشر: أن الشاهد: ابن آدم، والمشهد: يوم القيامة، رواه ليث عن مجاهد، وبه قال عكرمة. الثالث عشر: أن الشاهد: آدم ﷺ، وذريته، والمشهد: يوم القيامة، قاله عطاء بن يسار. والرابع عشر: أن الشاهد: الإنسان، والمشهد: الله ﷻ، قاله محمد بن كعب. والخامس عشر: أن الشاهد: يوم النحر، والمشهد: يوم عرفة، قاله إبراهيم. والسادس عشر: أن الشاهد: عيسى ﷺ، والمشهد: أمته، قاله أبو مالك. ودليله قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [المائدة: ١١٧]. والسابع عشر: أن الشاهد: محمد ﷺ، والمشهد: أمته، قاله عبد العزيز بن يحيى، وبيانه ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَذِهِ لَآءَ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]. والثامن عشر: أن الشاهد: هذه الأمة، والمشهد: سائر الناس، قاله الحسين (٢)، بن الفضل، ودليله ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. والتاسع عشر: أن الشاهد: الحفظة، والمشهد: بنو آدم، قاله محمد بن علي الترمذي، وحكي عن عكرمة نحوه. والعشرون: أن

(١) رواه الترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وفي سننه موسى بن عبيدة الرندي، وهو ضعيف كما قال الحافظ بن حجر في «التقريب»، وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة: يضعف في الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد وغيره من قبل حفظه، وقال ابن كثير: وروى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيدة الرندي، وهو ضعيف، وقد روي موقوفاً على أبي هريرة، وهو أشبه.

(٢) في الأصل: الحسن.

الشاهد: الحق، والمشهود: الكون، قاله الجنيد. والحادي والعشرون: أن الشاهد: الحجر الأسود، والمشهود: الحاج. والثاني والعشرون: أن الشاهد: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والمشهود: محمد ﷺ، وبيانه ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْنَّبِيِّينَ...﴾ الآية (آل عمران: ٨١). والثالث والعشرون: أن الشاهد: الله ﷻ، والملائكة، وأولو العلم، والمشهود: لا إله إلا الله، وبيانه ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالَّتِيكَهٗ زَلُّوا إِلَيْهِ﴾ (آل عمران: ١٨)، حكى هذه الأقوال الثلاثة الثعلبي. والرابع والعشرون: أن الشاهد: الأنبياء ﷺ، والمشهود: الأمم، حكاه شيخنا علي بن عبيد الله<sup>(١)</sup>. وفي جواب القسم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (١١) قاله قتادة، والزجاج. والثاني: أنه قوله تعالى: ﴿قِيلَ اصْحَبِ الْأَعْدُو ۝﴾، كما أن القسم في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ رَضَعْنَاهَا ۝﴾: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾، حكاه الفراء. والثالث: أنه متروك، وهذا اختيار ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿قِيلَ اصْحَبِ الْأَعْدُو ۝﴾ أي: لُونُوا. والأخدود: شق يشق في الأرض، والجمع: أخاديد. وهؤلاء قوم حفروا حفائر في الأرض وأوقدوا فيها النار، وألقوا فيها من لم يكفر. واختلف العلماء فيهم على ستة أقوال: أحدها: أنه مَلِكٌ كان له ساحر فبعث إليه غلاماً يعلمه السحر، وكان الغلام يمرُّ على راهب، فأعجبه أمره، فتبعه، فعلم به المَلِكُ، فأمره أن يرجع عن دينه، فقال: لا أفعل، فاجتهد الملك في إهلاكه، فلم يقدر، فقال الغلام: لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به: اجمع الناس في صعيد واحد، واصلبيني على جذع، وارمني بسهم من كنانتي، وقل: بسم الله ربِّ الغلام، ففعل، فمات الغلام، فقال الناس: آمنا برب الغلام، فخذ الأخاديد، وأضرم فيها النار، وقال: من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها، ففعلوا، وهذا مختصر الحديث، وفيه طول، وقد ذكرته في «المغني» و«الحدائق» بطوله من حديث صهيب عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن ملكاً من الملوك سكر، فوقع على أخته، فلما أفاق قال لها: ويحك: كيف المخرج؟ فقالت<sup>(٣)</sup>: [له: اجمع أهل مملكتك فأخبرهم أن الله ﷻ قد أحلَّ نكاح الأخوات، فإذا ذهب هذا في الناس وتناشوه، خطبتهم فحرمتهم. ففعل ذلك، فأبوا أن يقبلوا ذلك منه، فبسط فيهم السوط، ثم جرد السيف، فأبوا، فخذ لهم أخدوداً، وأوقد فيه النار، وقذف من أبي قول ذلك، قاله علي بن أبي طالب<sup>(٤)</sup>. والثالث: أنهم ناس اقتتل مؤمنهم وكفارهم، فظهر المؤمنون، ثم تعاهدوا أن لا يغيّر بعضهم ببعض، فنذر كفارهم، فأخذوهم، فقال له رجل من المؤمنين: أوقدوا ناراً، واعرضوا عليها، فمن تابعكم على دينكم، فذاك الذي تحبون، ومن لم يتبعكم أقحم النار فاسترحمتم منه، ففعلوا، فجعل المسلمون يقتحمونها، ذكره قتادة. والرابع: أن قوماً من المؤمنين اعتزلوا الناس في الفترة، فأرسل إليهم جبار من عبدة الأوثان، فعرض عليهم الدخول في دينه فأبوا، فخذ لهم أخدوداً، وألقاهم فيه، قاله الربيع بن أنس. والخامس: أن جماعة آمنوا من قوم يوسف بن ذي نواس بعدما رفع عيسى، فخذ لهم أخدوداً، وأوقد فيه النار، فأحرقهم كلهم، فأنزل الله تعالى: ﴿قِيلَ اصْحَبِ الْأَعْدُو ۝﴾ وهم: يوسف بن ذي نواس وأصحابه، قاله مقاتل. والسادس: أنهم قوم كانوا يعبدون صنماً، ومعهم قوم يكتمون إيمانهم، فعلموا بهم، فخذوا لهم أخدوداً، وقذفوهم فيه، حكاه الزجاج<sup>(٥)</sup>. واختلفوا في الذين أحرقوا على خمسة أقوال: أحدها: أنهم كانوا من الحبشة، قاله

- (١) وقال الطبري بعد أن سرد معظم الأقوال التي ساقها المصنف: والصواب في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أقسم يشاهد شهود، ومشهود شهود، ولم يخبرنا مع إقامه بذلك أي شاهد رأي مشهود أراد، وكل الذي ذكرنا أن العلماء قالوا هو المعنى مما يستحق أن يقال: شاهد ومشهود.
- (٢) انظر الحديث بطوله في «مسند أحمد» ١٧/٦، و«صحيح مسلم» رقم ٢٠٠٥، و«سنن الترمذي» ٢/١٦٩.
- (٣) من هنا وحتى قبيل تفسير سورة (الشمس) وقع نقص في نسخة الرباط، استدركتنا من النسخة الإستانبولية، وقد بللنا الغاية في تقويم ما فيها من تحريف كثير، نبهنا إلى بعضه، وأغلطنا أكثره لمعم فائدته.
- (٤) ذكره الطبري ١٣٢/٣٠ وفيه أن ذلك الملك كان من المجوس، وأنهم كانوا أهل كتاب، وذكر في آخره: فلم يزالوا منذ ذلك يستحلون نكاح الأخوات والبنات والأهتات.

(٥) قال ابن كثير: وقد يحتمل أن ذلك قد وقع في العالم كثيراً، كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا صفوان، عن عبد الرحمن بن جبير قال: كانت الأخدود في اليمن زمان تبع، وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم من دين المسيح والتوحيد، فاتخذوا آتوتاً والتي في النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد، وفي العراق في أرض بابل يستهتر الذي صنع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له فامتنع دانيال وصاحبه حزقيا وميشائيل، فأوقد لهم آتوتاً والتي في الحطب والنار، ثم ألقاهما فيه، فجعلها الله تعالى عليهما برداً وسلاماً، وأخذهما منها،

علي كرم الله وجهه. والثاني: من بني إسرائيل، قاله ابن عباس. والثالث: من أهل اليمن، قاله الحسن. وقال الضحاك: كانوا من نصارى اليمن، وذلك قبل مبعث رسول الله ﷺ بأربعين سنة. والرابع: من أهل نجران، قاله مجاهد. والخامس: من النبط، قاله عكرمة. وفي عددهم ثلاثة أقوال: أحدها: اثنا عشر ألفاً، قاله وهب. والثاني: سبعون ألفاً، قاله ابن السائب. والثالث: ثمانون رجلاً، وتسعة نسوة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ذَاتَ الْوُؤْدِ﴾ هذا بدل من ﴿الْأَخْدُودِ﴾ كأنه قال: قتل أصحاب النار، و﴿الْوُؤْدُ﴾ مفسر في [البقرة: ٢٤]. وقرأ أبو رزين العقيلي، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، ومجاهد، وأبو العالية، وابن يعمر، وابن أبي عبيدة «الْوُؤْدُ» بضم الواو. ﴿إِذْ هَرَمْنَا مُتُوتًا﴾ أي: عند النار. وكان الملك وأصحابه جلوساً على الكراسي عند الأخدود يعرضون المؤمنين على الكفر، فمن أبقى ألقوه ﴿وَمَنْ عَلَى مَا يَمُنُّونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُبُوتًا﴾ أي: حضور، فأخبر الله ﷻ في هذه الآيات بقصة قوم بلغ من إيمانهم ويقينهم أن صبروا على التحريق بالنار، ولم يرجعوا عن دينهم. قوله تعالى: ﴿وَمَا تَقُومُوا بِهِمْ﴾ قرأ ابن أبي عبيدة: «نَقِمُوا» بكسر القاف. قال الزجاج: أي: ما أنكروا عليهم إيمانهم، وقد شرحنا معنى تقموا في [المائدة: ٥٩] و[براءة: ٧٤] وشرحنا معنى «النَّارِيزِ الْحَبِيدِ» في [البقرة: ١٢٩، ٢٦٧].

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: لم يخف عليه ما صنعوا، فهو شهيد عليهم بما فعلوا. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَكُتِبَتْ لَهُمْ أَلْحَادٌ﴾ أي: أحرقوهم، وعذبوهم، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُوتُ أُمِّيَّةٌ عَلَى مَا كَانَتْ يَتْلُونَ﴾ [الذاريات: ١٣] ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ من شركهم وفعلهم ذلك بالمؤمنين ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ لَئِيمٌ﴾ بما أحرقوا المؤمنين، وكلا العذابين في جهنم عند الآخرين. وذهب الربيع بن أنس في جماعة إلى أن النار ارتفعت إلى الملك وأصحابه فأحرقتهم، فذلك عذاب الحريق في الدنيا. قال الربيع: وقبض الله أرواح المؤمنين قبل أن تمسهم النار. وحكى الفراء أن المؤمنين نَجَوْا من النار، وأنها ارتفعت فأحرقت الكفرة. قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْقَوْمُ الْكَافِرُ﴾ لأنهم فازوا بالجنة. وقال بعض المفسرين: فازوا من عذاب الكفار، وعذاب الآخرة.

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ رَبُّكَ﴾ قال ابن عباس: إن أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمة والجبابرة «لَنَدِيكَ». قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ هَوَ يَوْمَ يَدْعُ وَيَدْعُ﴾ فيه قولان: أحدهما: يبدئ الخلق ويعيدهم، قاله الجمهور. والثاني: يبدئ العذاب في الدنيا على الكفار ثم يعيده عليهم في الآخرة، رواه العوفي عن ابن عباس. وقد شرحنا في [معد: ٩٠] معنى «الْوُؤْدِ».

قوله تعالى: ﴿ذُو الْأَرْزِ لِلْحَبِيدِ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل عن عاصم «المجيد» بالخفض، وقرأ غيرهم بالرفع، فمن رفع «المجيد» جعله من صفات الله ﷻ، ومن كسر جعله من صفة العرش. قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ﴾ أي: قد أتاك حديث «الْمُؤَدِّ» وهم الذين تجندوا على أولياء الله. ثم بين من هم، فقال تعالى: ﴿وَعَزَّ وَتَوَدَّ﴾ بئ الذين كَفَرُوا، يعني: مشركي مكة ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾ لك والقرآن، أي: لم يعتبروا بمن كان قبلهم ﴿وَاللَّهُ مِنْ دُونِهِمْ خَبِيرٌ﴾ لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ أي: كريم، لأنه كلام الله، وليس كما يقولون بشعر، ولا كهانة، ولا سحر. وقرأ أبو العالية، وأبو الجوزاء، وأبو عمران، وابن السميع «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ» بغير تنوين وبخفض «مجيد» ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ، منه نسخ القرآن وسائر الكتب، فهو محفوظ عند الله، محروس به من الشياطين، ومن الزيادة فيه والنقصان منه. وقرأ نافع «محفوظ» رفعاً على نعت القرآن. فالمعنى: إنه محفوظ من التحريف والتبديل.



= والى فيها الذين بغوا عليه، وهم تسعة رهط فأكثمتهم النار. وذكر نحوه عن أسباط عن السدي، وعن ابن أبي حاتم من رواية الربيع بن أنس، والله أعلم.

## سورة الطارق

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمُ وَالطَّارِقُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝ يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ رِمَ حَقٍّ ۝ حَقٌّ مِنْ شَلَوَ دَافِي ۝ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الشُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝ إِنَّهُ عَلَى رَجِيبٍ لَقَائِدٍ ۝ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْكَارُ ۝ فَأَلَمَ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَكِيرٍ ۝﴾  
قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالطَّارِقُ ۝﴾ قال ابن قتيبة: الطارق: النجم، سمي بذلك، لأنه يطرق، أي: يطلع ليلاً، وكل من أتاك ليلاً، فقد طرقتك. ومنه قول هند ابنة عتبة:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ نَمشي على النمارق<sup>(١)</sup>

تريد: إن أبانا نجم في شرفه وعلوه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝﴾ قال المفسرون: ذلك أن هذا الاسم يقع على كل ما طرق ليلاً<sup>(٢)</sup>، فلم يكن النبي ﷺ يدري ما المراد به حتى تبيته بقوله تعالى: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝﴾ يعني: المضيء، كما بيّنا في [الصفات: ١٠]. وفي المراد بهذا النجم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه زُحَل، قاله علي عليه السلام، وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس عليه السلام: قال: هو زحل، ومسكنه في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم، فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء، هبط، فكان معها، ثم رجع إلى مكانه من السماء السابعة، فهو طارق حين ينزل، وطارق حين يصعد. والثاني: أنه الثريا، قاله ابن زيد. والثالث: أنه اسم جنس، ذكره علي بن أحمد النسابوري.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝﴾ قرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل [إن] بالتشديد «كل» بالنصب ﴿لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝﴾ وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، وعاصم الجحدري، وحمزة، وأبو حاتم عن يعقوب «لَمَّا» بالتشديد. وقرأ الباقر بالتخفيف. قال الزجاج: هذه الآية جواب القسم، ومن خفف فالمعنى: لَعَلَّهَا حَافِظٌ و«ما» لغو. ومن شدد، فالمعنى: [إلا]، قال: فاستعملت «لما» في موضع «إلا» في موضعين. أحدهما: هذا. والآخر<sup>(٣)</sup>: في باب القسم. تقول: سألتك لما فعلت، بمعنى: إلا فعلت. قال المفسرون: المعنى: ما من نفس إلا عليها حافظ، وفيه قولان: أحدهما: أنهم الحفظة من الملائكة، قاله ابن عباس. قال قتادة: يحفظون على الإنسان عمله من خير أو شر. والثاني: حافظ يحفظ الإنسان حتى حين يسلمه إلى المقادير، قاله الفراء. ثم نبّه على البعث بقوله تعالى: ﴿يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ رِمَ حَقٍّ ۝﴾ أي: من أي شيء خلقه الله؟ والمعنى: فلينظر نظر التفكر والاستدلال ليعرف أن الذي ابتداء من نطفة قادر على إعادته.

قوله تعالى: ﴿حَقٌّ مِنْ شَلَوَ دَافِي ۝﴾ قال الفراء: معناه: مدفوق، كقول العرب: سر<sup>(٤)</sup>، كاتم، وهم ناصب، وليل نائم، وعيشة راضية. وأهل الحجاز يجعلون المفعول فاعلاً. قال الزجاج: ومذهب سيبويه وأصحابه أن معناه النسب إلى الاندفاق، والمعنى: من ماء ذي اندفاق<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الشُّلْبِ ۝﴾ قرأ ابن مسعود، وابن سيرين، وابن السميع، وابن أبي عبلة ﴿الشُّلْبِ ۝﴾ بضم

(١) انظر «الأغاني» طبع دار الثقافة ١٣٤٣/١٧، والقرطبي ٢٠/٢٠.

(٢) قال ابن كثير: قال قتادة وغيره: إنما سمي النجم طارِقاً، لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار، قال: ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح: نهى أن يطرق الرجل أهله طروقاً، أي: بأنهم فجأة بالليل.

(٣) في الأصل: إلاط.

(٤) في الأصل: ستر.

(٥) في الأصل: من ماذا اندفاق.

الصاد، واللام جميعاً، يعني: يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة. قال الفراء: يريد يخرج من الصلب والترائب: يقال: يخرج من بين هذين الشيئين خير كثير. بمعنى: يخرج منهما. وفي «الترايب»<sup>(١)</sup> ثلاثة أقوال: أحدها: أنه موضع القلادة، قاله ابن عباس. قال الزجاج: قال أهل اللغة أجمعون: الترائب: موضع القلادة من الصدر، وأنشدوا لامرئ القيس:

مَهْفَهْفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَايِبُهَا مَضْقُولَةٌ كَالسَّجَنَجِلِ<sup>(٢)</sup>

قرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: السجنجل: المرأة بالرومية. وقيل: هي سبيكة الفضة، وقيل: السجنجل: الزعفران، وقيل: ماء الذهب. ويروى: البيت «بالسجنجل». والثاني: أن الترائب: اليدان والرجلان والعينان، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثالث: أنها أربعة أضلاع من يمنة الصدر، وأربعة أضلاع من يسرة الصدر، حكاه الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ﴾ الهاء كناية عن الله ﷻ ﴿عَلَىٰ تَبْيِهِ﴾ الرجوع: رد الشيء إلى أول حاله. وفي هذه الهاء قولان: أحدهما: أنها تعود على الإنسان، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه على إعادة الإنسان حياً بعد موته قادر، قاله الحسن، وقادة. قال الزجاج: ويدل على هذا القول قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ﴾. والثاني: أنه على رجعه من حال الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصبا، ومن الصبا إلى النطفة قادر، قاله الضحاك<sup>(٣)</sup>. والقول الثاني: أنها تعود إلى الماء. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: رد الماء في الإحليل، قاله مجاهد. والثاني: على رده في الصلب، قاله عكرمة، والضحاك. والثالث: على حبس الماء فلا يخرج، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ﴾ التي بين العبد وبين ربه حين يظهر خيرا من شرها، ومؤدبها من مضيعها، فإن الإنسان مستور في الدنيا، لا يُدرى أصله، أم لا؟ أتوضأ، أم لا؟ فإذا كان يوم القيامة أبدى الله كل سر، فكان زيناً في الوجه، أو شيناً. وقال ابن قتيبة: تُحْتَبَرُ سرائر القلوب.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ أي: فما لهذا الإنسان المنكر للبعث من قوة يمتنع بها من عذاب الله ﴿وَلَا تَكْبِيرٍ﴾ ينصره.

﴿وَالْأَرْضُ ذَاتُ الْأَعْنَاعِ﴾ وَالْأَرْضُ ذَاتُ الْأَعْنَاعِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَتَوَلَّوْا قَصْدًا ﴿٨﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا مَعْرَءٌ ﴿٩﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٠﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١١﴾ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَنَّهُمْ رَوَّيَا ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ ذَاتُ الْأَعْنَاعِ﴾ أي: ذات المطر، وسمي المطر رجماً لأنه يجيء ويرجع ويتكرر ﴿وَالْأَرْضُ ذَاتُ الْأَعْنَاعِ﴾ أي: ذات الشق. وقيل لها هذا، لأنها تتصدع وتتشقق بالنبات، هذا قول المفسرين وأهل اللغة في الحرفين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَوَلَّوْا قَصْدًا﴾ يعني به القرآن، وهذا جواب القسم. والفصل: الذي يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا مَعْرَءٌ﴾ أي: باللُّب. والمعنى: إنه جد، ولم ينزل باللُّب. وبعضهم يقول: الهاء في «إنه» كناية عن الوعيد المتقدم ذكره.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني مشركي مكة ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ [أي: يحنلون] وهذا الاحتيال المكر برسول الله ﷺ حين اجتمعوا في دار الندوة. ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أي: أجازيهم [على كيدهم] بأن أستدرجهم من حيث لا يعلمون، فأنقم منهم في الدنيا بالسيف، وفي الآخرة بالنار. ﴿فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ﴾ هذا وعيد من الله لهم. وَمَهْلٌ وَأَمْهَلٌ لغتان جمعتا هاهنا. ومعنى الآية: مهلهم قليلاً حتى أهلكهم، ففعل الله ذلك بِئَرٍ، ونسخ الإمهال بآية السيف. قال ابن قتيبة: ومعنى ﴿رَوَّيَا﴾ مهلاً،

(١) في الأصل: وفي التراب.

(٢) «ديوانه» ١٥، «إحجاز القرآن» للباقلاني ٢٧٠، والقرطبي ٥/٢٠، والمهفهفة: الخفيفة اللحم ليست برهلة، ولا ضخمة البطن، والمفاضة: المسترخية البطن، والترائب جمع تربية، وهي موضع القلادة من الصدر.

(٣) واختاره ابن جرير الطبري.

ووريدك بمعنى أمهل. قال تعالى: ﴿فَهَلْ أَعِزُّ إِلَهُكُمُ الرَّبُّ﴾ (١٧) أي: أمهلهم قليلاً، فإذا لم يتقدمها ﴿أَتَهْتَكُمُ﴾ كانت بمعنى «مهلاً». ولا يتكلم بها إلا مصغرة ومأموراً بها، وجاءت في الشعر بغير تصغير في غير معنى الأمر. قال الشاعر:

كَأَنَّهَا مِثْلُ مَنْ يَمْشِي عَلَى رُودٍ<sup>(١)</sup>

أي: على مهل.



(١) كلما أنشده ابن قتيبة في «مشكل القرآن» ٤٢٣، وتبعه ابن فارس في «المصاحبي» ١٢٤، و«مقاييس اللغة» ٤٥٨/٢، و«الصواب ما في «القرطبي» ١٢/٢٠، و«اللسان» مادة: رود قال الجموح الطبري:

تَكَادُ لَا تَشْلُمُ الْبَطْحَاءَ وَطَأْتِهَا

كَأَنَّهَا مِثْلُ يَمْشِي عَلَى رُودٍ

وفي «أساس البلاغة» ٣٧٩/١: قال الهذلي:

تَكَادُ لَا تَشْلُمُ الْبَطْحَاءَ خَطْوَتِهَا....

## سورة الأعلى

وهي مكية كلها بإجماعهم<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الْأَلَى عَلَى سَوَّى ۝ وَاللَّي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ وَالَّذِي أَنزَلَ الذَّرَى ۝ فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَى ۝ سُبُّوْكَ فَلَا تَنْسَى ۝ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۝ وَيَبْسُوكَ لِلسَّرَى ۝ فَذَكِّرْ إِن نَّمَعْتَ الذَّرَى ۝ سَيَذَكَّرُكَ مَنْ يَخْفَى ۝ وَتَجَنَّبَهَا الْأَشَى ۝ الْأَلَى يَصِلُ أَكْثَرَ الْكُهَى ۝ ثُمَّ لَا يَبُوءُ فِيهَا وَلَا يَخْفَى ۝﴾

وفي معنى «سَبِّحْ» خمسة أقوال: أحدها: قل: سبحان ربِّي الأعلى، قاله الجمهور. والثاني: عَظَّمَ. والثالث: صَلَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ، روي القولان عن ابن عباس. والرابع: نَزَّهَ رَبِّكَ عَنِ السَّوْءِ، قاله الزجاج. والخامس: نَزَّهَ اسْمَ رَبِّكَ وَذَكَرَكَ إِيَّاهُ أَنْ تَذْكُرَهُ وَأَنْتَ مُعْظَمٌ لَهُ، خَاشِعٌ لَهُ، ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ<sup>(٢)</sup>. وفي قوله تعالى: «أَسْمَرُ رَبِّكَ» قولان: أحدهما: أَنْ ذَكَرَ الْاسْمَ صَلَةً، كَقَوْلِ لَيْدِ بْنِ رَبِيعَةَ:

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا

والثاني: أَنَّهُ أَصْلِي<sup>(٣)</sup>. وقال الفراء [سَبِّحْ رَبِّكَ، وَأ<sup>(٤)</sup> سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ سِوَاهُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ.

قوله تعالى: «الَّذِي عَلَى سَوَّى ۝» أي: فَعَدَّلَ الْخَلْقَ. وقد أشرنا إلى هذا المعنى في [الانفطار: ٧] «وَالَّذِي قَدَّرَ» قرأ الكسائي وحده «قَدَّرَ» بالتخفيف «فَهَدَى» فيه سبعة أقوال: أحدها: قَدَّرَ الشَّقَاوَةَ وَالسَّعَادَةَ، وَهَدَى لِلرُّشْدِ وَالضَّلَالَةِ، قَالَه مُجَاهِدٌ. والثاني: جَعَلَ لِكُلِّ دَابَّةٍ مَا يَصْلَحُهَا وَهَدَاهَا إِلَيْهِ، قَالَه عَطَاءٌ. والثالث: قَدَّرَ مَدَّةَ الْجَنِينِ فِي الرَّحِمِ ثُمَّ هَدَاهُ<sup>(٥)</sup> لِلْخُرُوجِ، قَالَه السَّيِّدِي. والرابع: قَدَّرَهُمْ ذِكْرًا وَإِنَاءً، وَهَدَى الذِّكْرَ لِإِتْيَانِ الْأَنْثَى، قَالَه مِقَاتِلٌ. والخامس: أَنَّ الْمَعْنَى: قَدَّرَ فَهَدَى وَأَضَلَّ، فَحَذَفَ «وَأَضَلَّ»، لِأَنَّهُ فِي الْكَلَامِ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ، حَكَاهُ الزَّجَاجُ. والسادس: قَدَّرَ الْأَرْزَاقَ، وَهَدَى إِلَى طَلِبِهَا. والسابع: قَدَّرَ الذُّنُوبَ، وَهَدَى إِلَى التَّوْبَةِ، حَكَاهُمَا الثَّعْلَبِيُّ.

(١) روى البخاري في «صحيحه» ٥٣٧/٨ عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ (يعني بالمدينة) مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، فجعلنا يقرأنا القرآن، ثم جاء عمار، وبلال، وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء، فما جاء حتى قرأت «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» في سور مثلها أم. وقد كان رسول الله ﷺ يقرأ بها وبسورة الفاشية في صلاة الجمعة والعيدين وتر العشاء، وثبت في «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ: «عَلَا صَلَاتُ بِسْمِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَالشَّمْسُ وَضَعَاهَا، وَاللَّيْلُ إِذَا يَفْشَى؟».

(٢) وفي «الطبري»: نَزَّهَ تَسْمِيَتَكَ يَا مُحَمَّدُ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَذَكَرَكَ إِيَّاهُ: أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا وَأَنْتَ لَهُ خَاشِعٌ مُتَذَلِّلٌ، وَفِي «معالم التنزيل»: نَزَّهَ تَسْمِيَةَ رَبِّكَ بِأَنْ تَذْكُرَهُ وَأَنْتَ لَهُ مُعْظَمٌ وَلِلذِّكْرِ مُحْتَرَمٌ. وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن عتبة بن عامر الجهني لما نزلت «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» قال لنا رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم»، فلما نزلت «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» قال: «اجعلوها في سجودكم» وإسناده صحيح.

(٣) تقدم تخريج البيت رقم (٦٠٠)، يقوله لَيْدُ بْنُ أَبِيهِ، فِي آيَاتِ هِي: تَمَنَّى الْبَيْتَ الْبَيْتَ لَا يَمِيشُ إِيَّاهُمَا فَقَرُومًا فَقَرُومًا بِالْبَيْتِ قَدْ عَلِمْتُمَا وَقَوْلًا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا خَلِيلَ وَقَوْلُهُ: «إِلَى الْحَوْلِ»، أَي: إِلَى أَنْ يَحُولَ الْحَوْلُ. والحول: السنة كاملة بأسرها، وقوله: «فَقَدْ اعْتَلَزَ» هُنَا، بِمَعْنَى اعْتَلَزَ، أَي بَلَغَ أَقْصَى الْغَايَةِ فِي الْمَعْرِزِ.

(٤) قال الآلوسي في «روح المعاني» ٢٤٧/٩: أَي نَزَّهَ أَسْمَاءَهُ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّا لَا يَلِيقُ، فَلَا تَزُولُ مِمَّا وَرَدَ مِنْهَا اسْمًا مِنْ غَيْرِ مُقْتَضٍ، وَلَا تَقَعُ عَلَى ظَاهِرِهِ إِذَا كَانَ مَا وَضَعَ لَهُ مِمَّا لَا يَصِحُّ لَهُ تَعَالَى، وَلَا تَطْلُقُهُ عَلَى غَيْرِهِ سِبْجَانَهُ أَصْلًا إِذَا كَانَ مُخْتَصَبًا بِكَالِاسْمِ الْجَلِيلِ، أَوْ عَلَى وَجْهِ يَشْفُرُ بِأَنَّهُ تَعَالَى وَغَيْرِهِ فِيهِ سِوَاهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُخْتَصَبًا، فَلَا تَقُلْ لِمَنْ أَعْطَاكَ شَيْئًا مَثَلًا: هَذَا رَازِقِي عَلَى وَجْهِ يَشْفُرُ بِمِلْكٍ وَصْنَهُ عَنِ الْإِبْتِدَالِ وَالتَّلَفُّظِ بِ«فِي» مَحَلٍّ لَا يَلِيقُ بِهِ...

(٥) زيادة ليست في الأصل، ولكنها يقتضيها السياق. (٦) في الأصل: هدى.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَوْفَرَ الْوَعْدَ﴾ (١) أي: أنبت العشب، وما ترعاه البهائم ﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد الخضرة ﴿غُثَاءً﴾ قال الزجاج، أي: جثفه حتى جعله هشيماً جافاً كالغناء الذي تراه فوق ماء السيل<sup>(١)</sup>. وقد بينا هذا في سورة [المؤمنين: ٤١]. فأما قوله تعالى: ﴿أَمْوَالٌ﴾ فقال الفراء: الأحرى: الذي قد اسودَّ عن القدم، والعنق<sup>(٢)</sup>، ويكون أيضاً: أخرج المرعى أحرى: أسود من الخضرة، فجعله غثاء<sup>(٣)</sup>؛ كما قال تعالى: ﴿مُدْعَاَتَانِ﴾ (٤) [الرحمن: ٦٤].

قوله تعالى: ﴿سُقْرَتِكَ فَلَا تَسْقِ﴾ (٥) قال مقاتل: سنعلمك<sup>(٤)</sup> القرآن، ونجمعه في قلبك فلا تنساه أبداً. قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدهما: إلا ما شاء الله أن ينسخه فتنسأه، قاله الحسن، وقتادة. والثاني: إلا ما شاء الله أن تنسى شيئاً، فإنما هو كقوله تعالى: ﴿خَلِيلِكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [معد: ١٠٧]، فلا يشاء<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَدْرَأُ الْيَهُودَ﴾ من القول والفعل ﴿وَمَا يَخَفُ﴾ منهما ﴿وَيَنْبِرُكَ لِلْيَمِينِ﴾ (٦) أي: نُسهل<sup>(٦)</sup> عليك عمل الخير ﴿فَذَرِكْ﴾ أي: عظ أهل مكة ﴿إِنْ تَمَنَّيَ الْإِكْرَاءَ﴾ وفي ﴿إِنْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الشرطية، وفي معنى الكلام قولان، أحدهما: إن قيلت<sup>(٧)</sup> الذكرى، قاله يحيى بن سلام. والثاني: إن نفعت وإن لم تنفع، قاله علي بن أحمد النيسابوري. والثاني: أنها بمعنى «قد»، فتقديره: قد نفعت الذكرى، قاله مقاتل. والثالث: أنها بمعنى «ما» فتقديره: فذكر ما نفعت الذكرى، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿سَيَذَرُكَ﴾ سيتعظ<sup>(٨)</sup> بالقرآن ﴿مَنْ يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُ﴾ ويتجنب الذكرى ﴿الَّذِي يَصِلُ الْكَارَ الْكَبِيرَ﴾ (٧) أي: العظيمة الفظيعة لأنها أشد من نار الدنيا ﴿ثُمَّ لَا يَبُوءُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَخْشَى﴾ حياة تنفعه. وقال ابن جرير: تصير نفس أحدهم في حلقه، فلا تخرج فتضارقه فيموت، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى﴾ (٨) وذكر أسد زكياً ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٩) والآخرة خير وأبقى (١٠) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١١) صُفِّ إِلَهُمِ وَمُؤَمِّنِ (١٢)

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ قال الزجاج: أي: صادف البقاء الدائم، والفوز ﴿مَنْ زَكَّى﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: من تطهر<sup>(٩)</sup> [من] الشرك بالإيمان، قاله ابن عباس. والثاني: من أعطى صدقة الفطر، قاله أبو سعيد الخدري، وعطاء، وقتادة. والثالث: من كان عمله زاكياً، قاله الحسن، والربيع. والرابع: أنها زكوات الأموال كلها، قاله أبو الأحوص. والخامس: تكثر بتقوى الله. ومعنى الزاكي: النامي الكثير، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ قد سبق بيانه [الأحزاب: ٣١]. وفي قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الصلوات الخمس، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: صلاة العيدين، قاله أبو سعيد الخدري. والثالث: صلاة التطوع، قاله أبو الأحوص. والقول قول ابن عباس في الآيتين، فإن هذه السورة مكية بلا خلاف، ولم يكن بمكة زكاة، ولا عيد.

قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (١٠) قرأ أبو عمرو، وابن قتيبة، وزيد عن يعقوب «بل يؤثرون» بالياء،

(١) في الأصل: السيل، وهو تصحيف.

(٢) في الأصل: والعنق، وهو تصحيف، والتصحیح من «اللبيان» نقلًا عن الفراء.

(٣) نص عبارة الفراء كما في «اللسان»: وقد يكون معناه أيضاً: أخرج المرعى أحرى، أي: أخضر فجعله غثاء بعد خضرته، فيكون مؤخرًا معناه التقديم، والأحرى: الأسود من الخضرة.

(٤) في الأصل: سيعلمك.

(٥) عبارة الفراء كما في «القرطبي» ١٨/١٠: إلا ما شاء الله وهو لم يشأ أن ينسى شيئاً، كقوله تعالى: ﴿خَلِيلِكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ ولا يشاء.

(٦) في الأصل: لسهل.

(٧) في الأصل: قلت، والتصحیح من مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٨) في الأصل: أسرمت ينظ، والتصحیح من «مجمع البيان» للطبرسي. (٩) في الأصل: يظهر.



والباقون بالتاء، واختار الفراء والزجاج التاء، لأنها رويت عن أبي بن كعب: «بل أنتم تؤثرون». فإن أريد بذلك الكفار، فالمعنى: أنهم يؤثرون الدنيا على الآخرة، لأنهم لا يؤمنون بها. وإن أريد به المسلمون، فالمعنى: يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الاستحسان من الثواب. قال ابن مسعود: إن الدنيا عجلت لنا، وإن الآخرة نُعِتَتْ<sup>(١)</sup> لنا، وزويت عنا، فأخذنا بالعاجل [وتركنا الآجل]<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ﴾ يعني الجنة أفضل ﴿وَالْأُولَى﴾ أي: أدوم من الدنيا. ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ في المشار إليه أربعة أقوال: أحدها: أنه قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾<sup>(٣)</sup> قاله قتادة. والثاني: هذه السورة، قاله عكرمة، والسدي. والثالث: أنه لم يرد [أن معنى] السورة [في الصحف الأولى]، ولا الألفاظ<sup>(٤)</sup> بعينها، وإنما أراد أن الفلاح لمن تزكى وذكر اسم ربه فصلّى، في الصحف الأولى، كما هو في القرآن، قاله ابن قتيبة. والرابع: أنه من قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾<sup>(٥)</sup> إلى قوله: ﴿وَأَبْقَى﴾ قاله ابن جرير<sup>(٦)</sup>. ثم بين الصحف الأولى ما هي، فقال: ﴿صُحُفٌ يُرْوَاهُمْ وَمُوسَى﴾<sup>(٧)</sup> وقد فسرناها في [النجم: ٣٦].



(١) في الأصل: نُعِتَتْ.

(٢) زيادة لم ترد في الأصل، استدركتها من الطبري، والبخاري و«مجمع البيان» والقرطبي، وابن كثير. وعبارة ابن جرير الطبري في «التفسير»: عن عرفة التقي قال: استقرأت ابن مسعود «سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَكْبَرُ» فلما بلغ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُؤْخِرُونَ الْمَوْتَ الْأَبَدَ﴾<sup>(١)</sup> ترك القراءة وأقبل على أصحابه وقال: آثروا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم، فقال: آثروا الدنيا لأننا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها، وزويت عنا الآخرة، فأخذنا بالعاجل وتركنا الآجل. قال ابن كثير: وهذا منه على وجه التواضع والهضم، أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو، والله أعلم.

(٣) في الأصل: لفاظها، والتصويب من «غريب القرآن» ٥٢٤.

(٤) واختاره، وقال: وإنما قلت: ذلك أولى بالصحة من غيره، لأن «هذا» إشارة إلى حاضر، فلأن يكون إشارة إلى ما قُرِبَ منها، أولى من أن يكون إشارة إلى غيره.

## سورة الغاشية

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝ وَجُوهُ يُوعَدُونَ خِزْمَةً ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِيَةٌ ۝ تَمَلَّكَ نَارًا سَاكِئَةً ۝ تَسْقَى مِنْ عَيْنٍ مَّائِيَةٍ ۝ لَيْسَ لَكَ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ذَرِيرٍ ۝ لَا تَسِينُ وَلَا يَتَّقِي مِنْ شَيْءٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ أي: قد أتاك، قاله قطرب. وقال الزجاج: والمعنى: هذا لم يكن من علمك<sup>(١)</sup>، ولا من علم قومك. وفي ﴿الْغَاشِيَةِ﴾ قولان: أحدهما: أنها القيامة تغشى الناس بالآهوال، قاله ابن عباس، والضحاك، وابن قتيبة. والثاني: أنها النار تغشى وجوه الكفار، قاله سعيد بن جبير، والقرطبي، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَجُوهُ يُوعَدُونَ خِزْمَةً﴾ أي: ذليلة، وفيها قولان: أحدهما: أنها وجوه اليهود والنصارى، قاله ابن عباس. والثاني: أنه جميع الكفار، قاله يحيى بن سلام.

قوله تعالى: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِيَةٌ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنهم الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام، كعبدة الأوثان، وكفأ أهل الكتاب، مثل الرهبان وغيرهم، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: أنهم الرهبان، وأصحاب الصوامع، رواه أبو الضحى عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وزيد بن أسلم. والثالث: عاملة ناصبة في النار بمعالجة السلاسل والأغلال، لأنها [لم] تعمل لله في الدنيا، فأعملها وأنصبها في النار، وروى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن. وقال قتادة: تكبرت في الدنيا عن طاعة الله، فأعملها وأنصبها في النار بالانتقال من عذاب إلى عذاب. قال الضحاك: يُكَلَّفُونَ ارتقاء جبل في النار. وقال ابن السائب: يَخْرُجُونَ على وجوههم في النار. وقال مقاتل: عاملة في النار تأكل من النار، ناصبة للعذاب. والرابع: عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في النار يوم القيامة، قاله عكرمة والسدي. والكلام هاهنا على الوجوه، والمراد أصحابها. وقد بينا معنى النصب في قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ [الحجر: ٤٨].

قوله تعالى: ﴿تَمَلَّكَ نَارًا سَاكِئَةً﴾ قرأ أهل البصرة وعاصم إلا حفصاً *تُضَلَّى* بضم التاء. والباقون بفتحها<sup>(٢)</sup>. قال ابن عباس: قد حمت فهي تتلظى<sup>(٣)</sup> على أعداء الله، *تَسْقَى مِنْ عَيْنٍ مَّائِيَةٍ*، أي: متناهية في الحرارة. قال الحسن: وقد [أوقدت]<sup>(٤)</sup> عليها جهنم منذ خلقت، فدفعوا إليها [ورداً]<sup>(٥)</sup> عطاشاً.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ذَرِيرٍ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أنه نبت ذو شوك لا طيب بالأرض، وتسميه قریش «الشُّبْرُق» فإذا هاج سموه: ضريعاً، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقاتادة. والثاني: أنه شجر من نار، رواه الوابي عن ابن عباس. والثالث: أنها الحجارة، قاله ابن جبير. والرابع: أنه السِّلَمُ<sup>(٦)</sup>، قاله أبو الجوزاء. والخامس: أنه في الدنيا: الشوك اليابس الذي ليس له ورق، وهو في الآخرة شوك من نار، قاله ابن زيد. والسادس: أنه طعام يضرعون إلى الله تعالى منه، قاله ابن كيسان. قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية قال المشركون:

(١) في الأصل: علمك، والتصحيح من «القرطبي».

(٢) قال في «البحر» و«روح المعاني»: وقرأ خارجة *تُضَلَّى* بضم التاء، وفتح الصاد مشدداً للام، للمبالغة.

(٣) في الأصل: تظلى.

(٤) كلمة «أوقدت» سقطت من الأصل، واستدركتها من البغوي والخازن والقرطبي.

(٥) زيادة من البغوي والخازن والقرطبي.

(٦) في الأصل: السلا.

إِنْ إِبْلِسًا لَتَسْمُنَ عَلَى الضَّرِيعِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي وَلَا يَتَّقِي مِنْ شَيْءٍ﴾ (٧) ﴿وَكَذَّبُوا، فَإِنَّ الْإِبْلِسَ إِنَّمَا تَرَعَاهُ مَا دَامَ رَطْبًا، وَحِينَئِذٍ يَسْتَوِي شَيْئًا، لَا ضَرِيعًا، فَإِذَا يَبِيسَ يَسْمَى: ضَرِيعًا لَمْ يَأْكُلْ شَيْءًا. فَإِنْ قِيلَ: إِنَّهُ (١)﴾ قَدْ أَخْبَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿لَيْسَ لَكُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ﴾ (٢) ﴿وَفِي مَكَانٍ آخَرَ: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَنِيٍّ﴾ (٣)﴾ [الحاقة: ٣٦] فَكَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ النَّارَ حَرَكَاتٌ، وَعَلَى قَدْرِ الذُّنُوبِ تَقَعُ الْعُقُوبَاتُ، فَمِنْهُمْ مَنْ طَعَامُهُ الرُّقُومُ، [وَمِنْهُمْ] (٤) مَنْ طَعَامُهُ غُسْلِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ شَرَابُهُ الْحَمِيمُ، وَمِنْهُمْ مَنْ شَرَابُهُ الصَّدِيدُ، قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ.

﴿وَجُودٌ يُؤْتِيهِ تَاعَةً﴾ (٥) ﴿لَيْسَ بِهَا رَاضِيَةً﴾ (٦) ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (٧) ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَفِيَةً﴾ (٨) ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ (٩) ﴿فِيهَا مَرْوٌ مَرْوَةٌ﴾ (١٠) ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْشُوعَةٌ﴾ (١١) ﴿وَنَارٌ مَوْشُوعَةٌ﴾ (١٢) ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (١٣) ﴿وَلِئَلَّا يَسْأَلُوا كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (١٤) ﴿وَلِئَلَّا يَكُونَ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (١٥) ﴿وَلِئَلَّا يَكُونَ كَيْفَ سُلِّحَتْ﴾ (١٦) ﴿فَلَذِكْرِ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (١٧) ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّلٍ﴾ (١٨) ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ (١٩) ﴿يَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ (٢٠) ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ (٢١) ﴿ثُمَّ إِنَّ إِلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (٢٢)

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجُودٌ يُؤْتِيهِ تَاعَةً﴾ (٥) أَي: فِي نِعْمَةٍ وَكَرَامَةٍ ﴿لَيْسَ بِهَا رَاضِيَةً﴾ (٦) فِي الدُّنْيَا ﴿رَاضِيَةً﴾ (٧) وَالْمَعْنَى: رَضِيَتْ بِثَوَابِ عَمَلِهَا ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (٨) قَدْ فَسَّرْنَاهُ فِي [الحاقة: ٢٢]، ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَفِيَةً﴾ (٩) قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَرُوَيْسٌ لَا يَسْمَعُ بَيَاءً مَضْمُومَةً. «لَاغِيَةً» بِالرَّفْعِ. وَقَرَأَ نَافِعٌ كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ بَتَاءُ مَضْمُومَةٍ، وَالْبَاقُونَ بَتَاءُ مُفْتَوَحَةٍ، وَنَصَبَ «لَاغِيَةً» وَالْمَعْنَى: لَا تَسْمَعُ فِيهَا كَلِمَةً [لِغَوٍّ] (٤) ﴿فِيهَا مَرْوٌ مَرْوَةٌ﴾ (٩) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلْوَاهَا مِنْ ذَهَبٍ مَكْتَلَّةٌ بِالزَّرْجَدِ، وَالدَّرُّ، وَالْيَاقُوتُ، مَرْفُوعَةٌ مَا لَمْ يَجْعَ أَهْلُهَا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَجْلِسَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا، تَوَاضَعَتْ لَهُ حَتَّى يَجْلِسَ عَلَيْهَا، ثُمَّ تَرْتَفِعُ إِلَى مَوْضِعِهَا ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْشُوعَةٌ﴾ (١١) عِنْدَهُمْ. وَقَدْ ذَكَرْنَا «الْأَكْوَابَ» فِي [الزخرف: ٧١]، ﴿وَنَارٌ مَوْشُوعَةٌ﴾ (١٢) هِيَ الْوَسَائِدُ، وَاحِدُهَا: نَمْرَقَةٌ بِضَمِّ النُّونِ. قَالَ الْفَرَّاءُ: وَسَمِعْتُ بَعْضَ كَلْبٍ يَقُولُ: يَنْمَرِقُ، بِكَسْرِ النُّونِ وَالرَّاءِ ﴿مَوْشُوعَةٌ﴾ بَعْضُهَا إِلَى جَنْبِ بَعْضٍ، وَالزَّرَابِيُّ: الطَّنَافُسُ [التِّي] (٥) لَهَا خَمَلٌ (٦) رَقِيقٌ ﴿مَوْشُوعَةٌ﴾ كَثِيرَةٌ. قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ: كَثِيرَةٌ مَفْرَقَةٌ. قَالَ الْمَفْسُورُونَ: لَمَّا نَعَتَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ مَا فِي الْجَنَّةِ، عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ أَهْلُ الْكُفْرِ، فَذَكَّرَهُمْ صُنْعَهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ﴾ (١٣) وَقَالَ قَتَادَةُ: ذَكَرَ اللَّهُ ارْتِفَاعَ [سُرُرِ] (٨) الْجَنَّةِ، وَفَرَشَهَا، فَقَالُوا: كَيْفَ نَصْعُودُهَا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (٩). قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَإِنَّمَا خَصَّ الْإِبْلَ مِنْ غَيْرِهَا لِأَنَّ الْعَرَبَ لَمْ يَرَوْا بِهِيمَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا، وَلَمْ يَشَاهِدُوا الْفِيلَ إِلَّا الشَّادَّ مِنْهُمْ، وَلَأنَّهَا كَانَتْ أَنْفَسَ أَمْوَالِهِمْ وَأَكْثَرَهَا، لَا تَفَارِقُهُمْ وَلَا يَفَاوِقُونَهَا، فَيَلْحَظُونَ فِيهَا الْغَيْرَ الدَّالَّةَ عَلَى قُدْرَةِ الْخَالِقِ، مِنْ إِخْرَاجِ لَبِئْهَا مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ [وَأَ] (١٠) مِنْ عَجِيبِ خَلْقِهَا، وَهِيَ عَلَى عَظَمَتِهَا مُذَلَّلَةٌ لِلْحَمْلِ الثَّقِيلِ، وَتَنْقَادُ لِلصَّبِيِّ الصَّغِيرِ، وَلَيْسَ فِي ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ مَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ وَقَرَهُ وَهُوَ بَارِكُ فَيَطْبِقُ النَّهْوضَ بِهِ سِوَاهَا. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو عَمْرٍو الْجَوْنِي، وَالْأَصْمَعِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو «الْإِبْلَ» بِاسْكَانِ الْبَاءِ، وَتَخْفِيفِ اللَّامِ. وَقَرَأَ أَبُو بِنٍ كَعْبٌ، وَعَائِشَةُ، وَأَبُو الْمُتَوَكِّلِ، وَالْجَحْدَرِيُّ، وَابْنُ السَّمِيعِ، وَيُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ وَهَارُونُ كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي عَمْرٍو «الْإِبْلَ» بِكَسْرِ الْبَاءِ، وَتَشْدِيدِ اللَّامِ. قَالَ هَارُونُ: قَالَ أَبُو عَمْرٍو: «الْإِبْلُ» بِتَشْدِيدِ اللَّامِ: السَّحَابُ الَّذِي يَحْمِلُ الْمَاءَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ وَقَرَأَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ أَبِي عَبْلَةَ «خُلِقَتْ» بِفَتْحِ الْخَاءِ، وَضَمُّ التَّاءِ. وَكَذَلِكَ قَرَأُوا: «رَفَعَتْ» وَ«نُصِبَتْ» وَ«سَطَّحَتْ».

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِئَلَّا يَكُونَ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (١٤) مِنْ الْأَرْضِ حَتَّى لَا يَنْالَهَا شَيْءٌ يَغِيرُ عَمَدَ ﴿وَلِئَلَّا يَكُونَ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (١٥)

(١) فِي الْأَصْلِ: ابْنُ.

(٢) زِيَادَةٌ لَمْ تَرِدْ فِي الْأَصْلِ.

(٣) سَقَطَتْ مِنَ الْأَصْلِ، وَاسْتَدْرَكَاهَا مِنَ الْقُرْطُبِيِّ تَقْلًا عَنْ الْفَرَّاءِ وَالْأَخْفَشِ.

(٤) زِيَادَةٌ مِنَ الطَّبْرِيِّ وَالْقُرْطُبِيِّ.

(٥) فِي الْأَصْلِ: حُلْ.

(٦) رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ ١٦٥/٣٠، وَأَوْرَدَهُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدَّرِّ» ٣٤٣/٦ وَزَادَ نَسْبَهُ لَعِيدِ بْنِ حَمِيدٍ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ.

(٧) كَلِمَةٌ «سَرَرُ» سَقَطَتْ مِنَ الْأَصْلِ، وَاسْتَدْرَكَاهَا مِنَ الْبَغْوِيِّ وَالْخَازَنِ.

(٨) ذَكَرَهُ الْبَغْوِيُّ وَالْخَازَنُ عَنْ قَتَادَةَ بِغَيْرِ سَنَدٍ.

(٩) زِيَادَةٌ لَيْسَتْ فِي الْأَصْلِ.

على الأرض لا تزول ولا تتغير ﴿وَلِلَّيْلِ الْأَرْضِ كَيْفَ سَطَحَتْ﴾<sup>(١)</sup> أي: بَسِطَتْ. والسطح: بسط الشيء، وكل ذلك يدل على [قدرة]<sup>(٢)</sup> خالقه ﴿فَذَكِّرْ﴾ أي: عِظْ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ أي: واعظ، ولم يكن حينئذ أمر بغير التذكير، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿كُنْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ أي: بمسلط، فتقتلهم وتكرهمهم على الإيمان<sup>(٣)</sup>. ثم نسختها آية السيف. وقرأ أبو رزين، وأبو عبد الرحمن، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والحلواني عن ابن عامر «بمسيطر» بالسين. وقد سبق بيان «المسيطر» في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هُمْ الصَّيِيرُونَ﴾ [الطور: ٣٧].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى﴾ وهذا استثناء منقطع معناه: لكن من تولى ﴿وَكَفَرَ﴾ بعد التذكير. وقرأ ابن عباس، وعمر بن العاص، وأنس بن مالك، وأبو مجلز، وقتادة، وسعيد بن جبيرة «إلا من تولى» بفتح الهمزة وتخفيف اللام ﴿يَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾<sup>(٤)</sup> وهو أن يدخله جهنم، وذلك أنهم قد عذبوا في الدنيا بالجوع، والقتل، والأسر، فكان عذاب جهنم هو الأكبر ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾<sup>(٥)</sup> قرأ أبي بن كعب، وعائشة، وعبد الرحمن، وأبو جعفر «إيأابهم» بتشديد الياء، أي: رجوعهم ومصيرهم بعد الموت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾<sup>(٦)</sup> قال مقاتل: أي: جزاءهم.



(١) قال القرطبي: وقرأ الحسن وأبو حية وأبو رجاء «سَطَحَتْ» بتشديد الطاء وإسكان التاء.

(٢) زيادة ليست في الأصل.

(٣) روى مسلم في «صحيحه» ٥٣/١ عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله، ثم قرأ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾<sup>(١)</sup> كُنْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ»، ورواه الترمذي (١٧٠/٢) وقال: حديث حسن صحيح.

## سورة الفجر

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ ۝ ذِكْرُ عَشْرِ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُ ۝ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَاءِ ۝ إِذْ ذَاكَ الْمَاءُ ۝ أَلَمْ يَكُنْ لَمْ يَخْلُقْ يَتْلُهَا فِي الْبَلَدِ ۝ وَتُؤَدُّ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝ وَرَفَعُونَ ذِي الْأَوْدَادِ ۝ الَّذِينَ طَعَنُوا فِي الْبَلَدِ ۝ فَاتَّخَذُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ نَصَبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْمًا عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِلٌ مُّصَادٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝﴾ قال ابن عباس: الفجر: انفجار الظلمة عن الصباح، وانفجر الماء: انبجس. قال شيخنا علي بن عبيد الله: الفجر: ضوء النهار إذا انشق عنه الليل، وهو مأخوذ من الانفجار، يقال: انفجر النهر يتفجر انفجاراً: إذا انشق فيه موضع لخروج الماء، ومن هذا سمي الفاجر قاجراً، لأنه خرج عن طاعة الله. وللمفسرين في المراد بهذا الفجر ستة أقوال: أحدها: أنه الفجر المعروف الذي هو بدء النهار، قاله علي عليه السلام<sup>(١)</sup>. وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: هو انفجار الصباح كل يوم، وبهذا قال عكرمة، وزيد بن أسلم، والقرظي. والثاني: صلاة الفجر، رواه عطية عن ابن عباس. والثالث: النهار كله، فبهر عنه بالفجر، لأنه أوله، وروى هذا المعنى أبو نصر<sup>(٢)</sup> عن ابن عباس. والرابع: أنه فجر يوم النحر خاصة، قاله مجاهد<sup>(٣)</sup>. والخامس: أنه فجر أول يوم<sup>(٤)</sup> من ذي الحجة، قاله الضحاك. والسادس: أنه أول يوم من المحرم تتفجر منه السنة، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ عَشْرِ ۝﴾ فيها أربعة أقوال: أحدها: أنه عشر ذي الحجة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي ومقاتل<sup>(٥)</sup>. والثاني: أنها العشر الأواخر من رمضان، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس. والثالث: العشر الأول من رمضان، قاله الضحاك. والرابع: العشر الأول من المحرم، قاله يمان بن رثاب.

قوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف «الوتر» بكسر الواو، وفتحها الباقون، وهما لغتان. قال الفراء: الكسر لقريش وتميم وأسد، والفتح لأهل الحجاز. وللمفسرين في «الشفع والوتر» عشرون قولاً: أحدهما: أن الشفع: يوم عرفة ويوم الأضحى، والوتر: ليلة النحر، رواه أبو أيوب الأنصاري عن رسول الله ﷺ<sup>(٦)</sup>. والثاني: يوم النحر، والوتر: يوم عرفة، رواه جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ، وبه قال ابن عباس، وعكرمة، والضحاك<sup>(٧)</sup>. والثالث: أن الشفع والوتر: الصلاة، منها الشفع، ومنها الوتر، رواه عمران بن حصين عن

(١) وهو المختار، وقد قال بذلك أيضاً ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والسدي.

(٢) في الأصل: أبو نصر، والتصحيح من «الطبري» وكتب الرجال، ولا يعرف له اسم. أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، وقال أبو زرعة: أبو نصر الأسدي الذي يروي عن ابن عباس ثقة.

(٣) وبذلك قال مسروق، ومحمد بن كعب، وهو خاتمة الليالي العشر. (٤) في الأصل: يوم أول.

(٥) وهو الذي اختاره ابن جرير الطبري، وقال: الصواب من القول في ذلك عندنا أنها عشر الأضحية، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه. وقال ابن كثير: الليالي العشر: المراد بها عشر ذي الحجة، كما قاله ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف، قال: وقد ثبت في «صحيح البخاري» عن ابن عباس مرفوعاً: «ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيها من هذه الأيام» يعني عشر ذي الحجة، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء».

(٦) قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٣٧/٧: رواه الطبراني في حديث طويل، وفيه وأصل بن السائب، وهو متروك. وقال الحافظ السيوطي في «الدرر» ٢٤٦/٦: أخرجه الطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن أبي أيوب الأنصاري عليه السلام.

(٧) حجارة الأصل: رواه جابر بن عبد الله عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ، وبه قال عكرمة والضحاك، وهي خطأ، فإن جابراً عليه السلام لم يروه عن رسول الله ﷺ بواسطة ابن عباس، وإنما رواه مباشرة عن رسول الله ﷺ كما في «مسند أحمد» ٣٢٧/٣ من رواية زيد بن الحباب عن عياض بن عقة =

رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وبه قال قتادة. والرابع: [أن الشفع: الخلق كله، والوتر: الله تعالى]<sup>(٢)</sup>، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في رواية مسروق، وأبو صالح. والخامس: أن الوتر: آدم شفع بزوجته<sup>(٣)</sup>، رواه مجاهد عن ابن عباس. والسادس: أن الشفع يومان بعد يوم النحر، وهو النفر الأول، والوتر: اليوم الثالث، وهو النفر الأخير، قاله عبد الله بن الزبير، واستدل بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَجَلَّى فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. والسابع: أن الشفع: صلاة الغداة، والوتر: صلاة المغرب، حكاية عطية. والثامن: أن الشفع: الركعتان من صلاة المغرب، والوتر: الركعة الثالثة، قاله أبو العالية، والربيع بن أنس. والتاسع: أن الشفع والوتر: الخلق كله، منه شفع، ومنه وتر، قاله ابن زيد ومجاهد في رواية. والعاشر: أنه العدد، منه شفع، ومنه وتر، وهذا والذي قبله مرويان عن الحسن. والحادي عشر: أن الشفع: عشر ذي الحجة، والوتر: أيام [آسى]<sup>(٤)</sup> الثلاثة، قاله الضحاك. والثاني عشر: أن الشفع: هو الله، لقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِمُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، والوتر: هو الله، لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(٥)</sup>، قاله سفيان بن عيينة. والثالث عشر: أن الشفع: هو آدم وحواء. والوتر: الله تعالى، قاله مقاتل بن سليمان. والرابع عشر: أن الشفع: الأيام والليالي، والوتر: اليوم الذي لا ليلة بعده<sup>(٦)</sup>، وهو يوم القيامة، قاله مقاتل بن حيان. والخامس عشر: الشفع: درجات الجنان، لأنها ثمان، والوتر: ذركات النار لأنها سبع، فكان الله أقسم بالجنة والنار، قاله الحسين بن الفضل. والسادس عشر: الشفع: تضاد أوصاف المخلوقين بين عزٍّ وذلٍّ، وقدرة وعجز، وقوة وضعف، وعلم وجهل، وموت وحياة. والوتر: انفراد صفات الله ﷻ: عزٌّ بلا ذلٍّ، وقدرة بلا عجز، وقوة بلا ضعف، وعلم بلا جهل، وحياة بلا موت، قاله أبو بكر الورواق. والسابع عشر: أن الشفع: الصفا والمروة، والوتر: البيت. والثامن عشر: أن الشفع: مسجد مكة والمدينة، والوتر: بيت المقدس. والتاسع عشر: أن الشفع: القرآن بين<sup>(٧)</sup> الحج والتمتع، والوتر: الأفراد. والعشرون: الشفع: العبادات المتكررة، كالصلاة، والصوم، والزكاة، والوتر: العبادة التي لا تتكرر، وهو الحج، حكى هذه الأقوال الأربعة الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿وَأَكْبَلْ إِنَّا بِشَيْءٍ﴾ وقرأ ابن كثير، ويعقوب «يسري» بياء في الوصل والوقف، وافقهما في الوصل نافع وأبو عمرو. وقرأ ابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي «يسري» بغير ياء في الوصل والوقف. قال الفراء، والزجاج: الاختيار حذفها لمشاكلتها لرؤوس الآيات، ولاتباع المصحف<sup>(٨)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَكْبَلْ إِنَّا بِشَيْءٍ﴾ قولان: أحدهما: أن الفعل له، ثم فيه قولان: أحدهما: إذا يسري ذاهباً، قاله الجمهور، وهو اختيار الزجاج. والثاني: إذا يسري مقبلاً، قاله قتادة. والقول الثاني: أن الفعل لغيره<sup>(٩)</sup>، والمعنى: إذا يسري فيه؛ كما يقال: ليل نائم، أي: ينام

= عن خير بن نعيم عن أبي الزبير عن جابر، وأبو الزبير، هو محمد بن مسلم بن تدرس أبو الزبير المكي، وهو صندوق من رجال مسلم، إلا أنه يدلس كما قال المحافظ ابن حجر في «التقريب». وقال ابن كثير: ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبد بن عبد الله، وكل منهما عن زيد بن الحباب به، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زيد بن الحباب به، قال: وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم، وعندي أن المتن في رفعه تكارة، والله أعلم. وقال المحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٣٧/٧: رواه البزار، وأحمد، ورجالهما رجال الصحيح، غير عياش بن عبة، وهو ثقة، وأما عبد الله بن عباس، فلم يروه مرفوعاً، وإنما روي هذا المعنى موقوفاً، كما في «الطبري» ١٧٠/٣٠، ولذلك قال ابن كثير بعدما أورد حديث جابر من رواية أحمد والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم، قال (أي هذا المعنى) ابن عباس، وعكرمة، والضحاك أيضاً.

(١) رواه أحمد في «المستدرك» ٤٤٢/٤ من حديث همام عن قتادة عن عمران بن عصام الضبي أبو عمارة البصري، عن شيخ من أهل البصرة، عن عمران بن حصين رضي الله عنه. ورواه أيضاً الترمذي ١٧٠/٢ من حديث همام عن قتادة به، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة، وقد رواه خالد بن قيس أيضاً عن قتادة، ورواه ابن جرير الطبري ١٧٢/٣٠ عن خالد بن قيس عن قتادة به، والحاكم في «المستدرك» ٥٢٢/٢ من حديث همام عن قتادة به، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وفيه نظر؛ لأن الراوي عن عمران بن حصين مجهول، ولم يوثقه إلا ابن حبان. وأورده السيوطي في «الدرر» ٣٤٦/١ وزاد نسبة لغيره بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) عبارة الأصل: «أن الشفع الوتر وله الخلق كله، والوتر: الله تعالى» والتصحيح من الطبري والقرطبي.

(٣) في الأصل: بن وجه، والتصحيح من القرطبي، وقيل: إن الشفع والوتر آدم وحواء، لأن آدم كان فرداً فشفع بزوجته حواء، فصار شفعاً بعد وتر.

(٤) سقطت من الأصل، واستدركتها من القرطبي.

(٥) سقطت من الأصل، واستدركتها من القرطبي.

(٦) في الأصل: في.

(٧) في الأصل: لعبارة.

(٨) وهو اختيار ابن جرير الطبري.

فيه، قاله الأخفش، وابن قتيبة. وفي المراد بهذا الليل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عام في كل ليلة، وهذا الظاهر. والثاني: أنه ليلة المزدلفة، وهي ليلة جَمْع<sup>(١)</sup>، قاله مجاهد وعكرمة. والثالث ليلة القدر، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾ أي: [هل في ذلك المذكور من الأمور التي أقسمنا بها]<sup>(٢)</sup> ﴿قَسَمَ إِلَيَّ جِبْرِ﴾ أي: لذي عقل، وسمي العقل حَجْرًا، لأنه يحجر صاحبه عن القبيح، وسمي عقلًا، لأنه يعقل عما لا يحسن، وسمي العقل النُّهْي، لأنه ينهي عما لا يحل<sup>(٣)</sup>. ومعنى الكلام: أن من كان ذا لبٍّ، عَلم أن ما أقسم الله به من هذه الأشياء، فيه دلائل على توحيد الله وقدرته، فهو حقيق أن يقسم به لدلالته. وجواب القسم قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِلِرَصَادٍ﴾ فاعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَكَّا﴾ فخوف أهل مكة بإهلاك من كان أشدَّ منهم. وقرأ ابن مسعود، وابن يعمر «بعاد إرم» بكسر الدال من غير تنوين على الإضافة. وفي «إرم» أربعة أقوال: أحدها: أنه اسم بلدة، قال الفراء: ولم يُجَرَّ<sup>(٤)</sup> «إرم» لأنها اسم بلدة ثم فيها ثلاثة أقوال، أحدها: أنها دمشق، قاله سعيد بن المسيب، وعكرمة، وخالد الرُّبَيْعِي. والثاني: الإسكندرية، قاله محمد بن كعب<sup>(٥)</sup>. والثالث: أنها مدينة صنعها شداد بن عاد، وهذا قول كعب. وسأتي ذكره إن شاء الله تعالى. والقول الثاني: أنه اسم أمة من الأمم، ومعناه: القديمة<sup>(٦)</sup>، قاله مجاهد. والثالث: أنه قبيلة من قوم عاد<sup>(٧)</sup>، قاله قتادة ومقاتل. قال الزجاج: وإنما لم تنصرف «إرم» لأنها جعلت اسمًا للقبيلة ففتحت، وهي في موضع خفض. والرابع: أنه اسم لجِدِّ عاد، لأنه عاد بن عَوْص بن إرم بن سام بن نوح، قاله ابن إسحاق<sup>(٨)</sup>. قال الفراء: فإن كان اسمًا لرجل على هذا القول، فلإنما ترك إجراؤه<sup>(٩)</sup>، لأنه كالعجمي، قال أبو عبيدة: هما عادان، فالأولى: هي إرم، وهي التي قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ [النجم: ٥٠]، وهل قوم هود عاد الأولى، أم لا؟ فيه قولان قد ذكرناهما في [النجم]<sup>(١٠)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿إِرم ذات الأيمان﴾ أربعة أقوال: أحدها: لأنهم كانوا أهل عمد وخيام يطلبون الكلأ حيث كان، ثم يرجعون إلى منازلهم، فلا يقيمون في موضع، روى هذا المعنى عطاء عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، والفراء<sup>(١١)</sup>. والثاني: أن معنى ذات العماد: ذات الطول، روى عن ابن عباس أيضاً، وبه قال مقاتل، وأبو عبيدة. قال الزجاج: يقال: رجل مُعَمَّد: إذا كان طويلًا. والثالث:

(١) في الأصل: جمعة، والتصحيح من الطبري «والدر المثور»، سميت بذلك لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله تعالى.

(٢) عبارة الأصل «فيما سأله ولده وقد قرئناها كما ترى اعتماداً على كتب التفسير.

(٣) عبارة البغوي: وسمي العقل حجراً، لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا ينبغي، كما يسمى عقلًا، لأنه يعقله عن القبائح، ونهى، لأنه ينهي عما لا ينبغي.

(٤) سقطت من الأصل الباء من «بقوله»، والتصحيح من «مجمع البيان» للطبرسي.

(٥) في الأصل: ولم يجز، وهو تصحيف، والتصويب من الطبري، ومعنى «لم يجز» لم يصرف.

(٦) علق ابن كثير رحمه الله على هذه الأقوال بقوله: ومن زعم أن المراد بقوله: ﴿إِرم ذات الأيمان﴾ مدينة، إما دمشق كما روي عن سعيد بن المسيب، وعكرمة، أو إسكندرية، كما روي عن القرظي، أو غيرهما، ففيه نظر، فإنه كيف يلتزم الكلام على هذا ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَكَّا﴾ ﴿إِرم ذات الأيمان﴾ إن جعل ذلك بدلاً أو عطف بيان، فإنه لا يتسق الكلام حينئذ. ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بمعد، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم، قال: وإنما نهت على ذلك لثلا يفتخر بكثير ما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها: إرم ذات العماد، مبنية ببلن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها، وإن حصبها لآلئ وجواهر، وترابها بندق المسك، وأنها مرساة، وشارها ساقطة، ودورها لا أنيس بها، وسورها وأبوابها تصفر، ليس بها دافع ولا مجيب، وأنها تنتقل، فتارة تكون بأرض الشام، وتارة باليمن، وتارة بالعراق، وتارة بغير ذلك من البلاد، فإن هذا كله من غرائب الإسرائيليين من وضع بعض زنادقتهم، ليختبروا بذلك عقول الجيلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك.

(٧) يعني عاد الأولى.

(٨) قال ابن جرير الطبري: وأشبه الأقوال فيه بالصواب عندي أنها اسم قبيلة من عاد، ولذلك جاءت القراءة بترك إضافة عاد إليها وترك إجرائها، قال: ولو كانت إرم اسم بلدة أو اسم جد لعاد، لجاءت القراءة بإضافة عاد إليها، ولكنها اسم قبيلة منها فيما أرى، كما قال قتادة والله أعلم، فلذلك أجمعت القراءة فيها على ترك الإضافة وترك الإجراء.

(٩) الذي في الطبري والقرظي وابن كثير عن ابن إسحاق: عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح.

(١٠) في الأصل: ترك جاؤه.

(١١) في الأصل زيادة «أحدهما» بين قوله: «قولان» وقد. وانظر تفسير الآية (٥٠) من سورة النجم.

(١٢) واختاره ابن جرير الطبري.

ذات القوة والشدة، مأخوذ من قوة الأعمدة، قاله الضحاك. والرابع: ذات البناء المحكم بالعماد، قاله ابن زيد. وقيل: إنما سميت ذات العماد لبناء بناء بعضهم<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَخْلُقْ يَتْلُهَا فِي آلِ لَيْدٍ﴾ (٨) وقرأ أبو المتوكّل، وأبو الجوزاء، وأبو عمران: «لم تَخْلُقْ» بناءً مفتوحة ورفع اللام «مثلها» بنصب اللام. وقرأ معاذ القارئ، وعمرو بن دينار: «لم تَخْلُقْ» بنون مفتوحة ورفع اللام «مثلها» بنصب اللام. وفي المشار إليها قولان: أحدهما: لم يَخْلُقْ مثل تلك القبيلة في الطول والقوة، وهذا معنى قول الحسن<sup>(٢)</sup>. والثاني: المدينة لم يخلق مثل مدينتهم ذات العماد، قاله عكرمة. وقد جاء في التفسير صفات تلك المدينة، وهذه الإشارة إلى ذلك: روى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت، فبينما هو في صحاري عدن وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن، وحول الحصن قصور كثيرة. فلما دنا منها ظن أن فيها أحداً يسأله<sup>(٣)</sup> عن إبله، فلم ير خارجاً ولا داخلاً، فنزل عن دابته، وعقلها، وسلّ سيفه، ودخل من باب الحصن، فلما دخل<sup>(٤)</sup> الحصن إذا هو ببايين<sup>(٥)</sup> عظيمين [لم يرَ أعظم منهما<sup>(٦)</sup>]، والبايان مُرْصَعَان بالياقوت [الأبيض و<sup>(٧)</sup> الأحمر، فلما رأى ذلك دهش<sup>(٨)</sup>، ففتح أحد البايين، فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها، وإذا قصور، كلُّ قصر فوقه غرف<sup>(٩)</sup> وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت. ومصاريع تلك الغرف مثل مصاريع المدينة، يقابل بعضها بعضاً، مفروشة كلها باللؤلؤ، وبنادق من مسك وزعفران. فلما عين ذلك، ولم ير أحداً، هاله ذلك، ثم نظر إلى الأتعة فإذا هو في كل زقاق منها شجر قد أثمر، وتحت الشجر أنهار مطردة يجري ماؤها من قنوات من فضة. فقال الرجل: إن هذه هي الجنة، فحمل معه من لؤلؤها، ومن بنادق المسك والزعفران ورجع إلى اليمن، فآظهم ما كان معه. وبلغ الأمر إلى معاوية، فأرسل إليه، فقصّ عليه ما رأى، فأرسل معاوية إلى كعب الأجبّار، فلما أتاه قال له: يا أبا إسحاق! هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة؟ قال: نعم، أخبرك بها ويمن بناها؟ إنما بناها شداد بن عاد، والمدينة: «إرم ذات العماد»، قال: فحدثني حديثها، فقال: إن عاداً<sup>(١٠)</sup> المنسوب إليهم عاد الأولى، كان له ولدان: شديد، وشداد. فلما مات [عاداً]<sup>(١١)</sup>، ثم مات شديد وبقي شداد، ملك الأرض، ودانت له الملوك، وكان مولعاً بقراءة الكتب، فكان إذا مرّ بذكر الجنة دعت نفسه إلى بناء مثلها عتوّاً على الله تعالى. فأمر بصنع «إرم ذات العماد»، فأمر على عملها مائة قهرمان<sup>(١٢)</sup> مع كل قهرمان ألف من الأعوان، وكتب إلى ملوك الأرض أن يمدّوه بما في بلادهم من الجواهر، فخرج القهّارمة<sup>(١٣)</sup> يسرون<sup>(١٤)</sup> في الأرض ليجدوا أرضاً موافقة، فوققوا على صحراء<sup>(١٥)</sup> عظيمة نقية من التلال، وإذا فيها عيون ماء ومروج<sup>(١٦)</sup> فقالوا: هذه صفة الأرض التي أمر الملك أن يبنى بها، فوضعوا على أساسها من الجزع اليماني، وأقاموا في بنائها ثلاثمائة سنة، وكان عمر شداد تسعمائة سنة، فلما أتوه وقد فرغوا منها<sup>(١٧)</sup> قال: انطلقوا، واجعلوا عليها حصناً، واجعلوا حول الحصن ألف قصر، عند كل قصر ألف عَلم ليكون في كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائي، ففعلوا ذلك، فأمر الملك الوزراء - وهم ألف وزير - أن يتهيّئوا للنقلة إلى «إرم ذات العماد»، وكان الملك وأهله في جهازهم عشر سنين، ثم ساروا إليها، فلما كانوا على مسيرة يوم وليلة بعث الله

(١) في الأصل: لبنائه بعضهم، والتصحيح من الطبري.

(٢) في الأصل: أن فيها أحد سأل، والتصحيح من «مجمع البيان» للطبرسي.

(٣) في الأصل: دنا، والتصحيح من «مجمع البيان».

(٤) في الأصل: ما بين.

(٥) زيادة من «مجمع البيان».

(٦) في الأصل: دهن.

(٧) في الأصل: كل قصر منها فيها غرف، والتصحيح من «مجمع البيان».

(٨) في الأصل: عاد.

(٩) في الأصل: ملك ابنة.

(١٠) القهرمان: من أماء الملك وخاصته، فارسي معرب.

(١١) في الأصل: فتبدوا.

(١٢) في الأصل: لتجدوا ما يوافقه حتى وقموا على صحرة، والتصحيح من الخازن.

(١٣) في الأصل: وإذا هم بمنون مطردة، والتصحيح من الخازن.

(١٤) في الأصل: وقد فرغوا منه، والتصحيح من الخازن.



عليه، وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعاً، ولم يَبْقَ منهم أحد<sup>(١)</sup>. وروى الشعبي عن دَقْفَل<sup>(٢)</sup> الشيباني عن علماء جَمَيْر قالوا: لما هلك شداد بن عاد ومن معه من الصيحة، ملك بعده ابنه مَرْثَد بن شَدَاد، وقد كان أبوه خَلَفَهُ بحضرموت على ملكه وسلطانه، فأمر بحمل أبيه من تلك المفازة إلى حضرموت، وأمر [بدفنه]<sup>(٣)</sup> فَحُفِرَتْ له حفيرة في<sup>(٤)</sup> مفازة، فاستودعه فيها على سرير من ذهب، وألقى عليه سبعين حُلَّةً منسوجة بقضبَان الذهب، ووضع عند رأسه لوحاً عظيماً من ذهب وكتب عليه:

رَوُّ بِالْعَمْرِ الْمَدِيدِ<sup>(٥)</sup>  
صَاحِبُ الْحَصَنِ الْمَشِيدِ<sup>(٦)</sup>  
سَاءَ وَالْمَلِكُ الْحَشِيدِ<sup>(٧)</sup>  
لِيَّ مِنْ خَوْفٍ وَعَيْدِي<sup>(٨)</sup>  
بِ بَسَلِطَانٍ شَدِيدِ  
عَدَاةٍ فِيهِ وَالْعَمِيدِ  
فِي ضَلَالٍ قَبْلَ هَوْدِ  
إِلَى الْأَمْرِ الرَّشِيدِ<sup>(٩)</sup>  
مَا لَكُمْ هَلْ مِنْ مَحِيدِ؟<sup>(١٠)</sup>  
يُؤَيُّ مِنَ الْأَفَقِ الْبَعِيدِ  
وَسَطَ بِيَدَاءِ حَصِيدِ

إِعْتَبِرِيَا أَيُّهَا الْمَغْدُورُ  
أَنَا شَدَادُ بْنُ عَادِ  
وَأَخُو الْقُوَّةِ وَالسُّبْحَانِ  
دَانَ أَهْلُ الْأَرْضِ طُوراً  
وَمَلَكْتُ الشَّرْقَ وَالْمَغْرِبَ  
وَبَفَضَلِ الْمَلِكِ وَالْعَمِيدِ  
فَأَتَى هَوْدٌ وَكَتَبَ  
فَدَعَانَا لِقَبْلِنا  
فَعَصَيْنَاهُ وَنَسَادِي  
فَأَتَيْنَا<sup>(١١)</sup> صِيْحَةً تَهْ  
فَلْتَوَافِينَا كَزَرْعٍ

قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الَّذِينَ جَاءُوا النَّصْرَ قُطُوعُهُمْ وَنَقِبُهُمْ﴾ قال إسحاق: والوادي: وادي القرى. وقرأ الحسن: «بالوادي» بإثبات الياء في الحالين. ﴿وَقَرَعُونَ دِي الْأَذْنَانِ﴾ مفسر في سورة [ص: ١٢]، «الَّذِينَ طَفَعُوا فِي الْكِبَرِ» يعني: عاداً، وثمود، وفرعون، عملوا بالمعاصي، وتجبروا على أنبياء الله ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ القتل والمعاصي ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾، قال ابن قتبية: وإنما قال: سوط عذاب، لأن التعذيب قد يكون بالسوط. وقال الزجاج:

(١) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٨٤ عن حديث عبد الله بن قلابة الذي ساقه المؤلف بطوله: رواه الثعلبي من طريق عثمان الدارمي عن عبد الله بن أبي صالح عن ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت، فذكره مطولاً. قال ابن حجر: قلت: آثار الوضع عليه لائحة. وقال ابن كثير: فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، ولو صح إلى ذلك الأعرابي، فقد يكون اختلق ذلك، أو أنه أصابه نوع من الهوس والخيال، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج، وليس كذلك، وهذا مما يقطع بعدم صحته، وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمتحيين من وجود مطالب تحت الأرض فيها قناتير الذهب والفضة، وألوان الجواهر والياقوت، واللاكن والإكسير الكبير، لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها، والأخذ منها، فيجتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء، فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاقير ونحو ذلك من الهذبات، ويطنزون بهم، والذي يجزم به أن في الأرض دقائن جاهلية وإسلامية، وكثوراً كثيرة، من طفر بشيء منها أمكنه تحويله، فأثماً على الصفة التي زعموها، فكذب وافتراء وبهت، ولم يصح في ذلك شيء مما يقولون إلا أن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم، والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب.

وقال الشوكاني في «فتح القدير» عن حديث عبد الله بن قلابة: وهذا كذب على كذب وافتراء على افتراء، وقد أصيب الإسلام وأهله بداهية ذهية، وفارقة عظمى، وروية كبرى، من أمثال هؤلاء الكذابين الذين يجتثرون على الكذب، تارة على بني إسرائيل، وتارة على الأنبياء، وتارة على الصالحين، وتارة على رب العالمين، وتضاعف هذا الشر وزاد كثره بتصدد جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية من ضيعتها من موضوعها للتصنيف والتفسير للكتاب العزيز، فأدخلوا هذه الخرافات المختلفة والأفاقيص المنحولة والأساطير المفتعلة في تفسير كتاب الله سبحانه، فحرفوا وغيروا وبكروا، قال: ومن أراد أن ينف على بعض ما ذكرنا فلينظر في كتابي الذي سميت «القولاء المجموعة في الأحاديث الموضوعة».

(٢) في الأصل: وعقل. (٣) زيادة ليست في الأصل.

(٤) في الأصل: من. (٥) في الأصل: الشديد، والتصحيح من «معجم البلدان» لياقوت: إرم.

(٦) في الأصل: «العديد». (٧) في الأصل: الحصيد.

(٨) البيت في الأصل: وإن أهل الأرض لي من خوف وعيدي ووعيدي، والتصحيح من «معجم البلدان».

(٩) في الأصل: الشديد، وفي «معجم البلدان»: «أجبناء» مكان قوله: «قيلناه».

(١٠) البيت في الأصل: فعصيناه وناديت ألا هل من مجيد؟ (١١) في الأصل: فأتينا.



قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّتُ النَّالَ﴾ أي: تحبون جمعه ﴿حُجًا جَنًّا﴾ أي: كثيراً فلا تنفقونه في خير ﴿كَلَّا﴾ أي: ما هكذا ينبغي أن يكون [الأمر]<sup>(١)</sup>. ثم أخبر عن تلقفهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم، فقال تعالى: ﴿إِذَا ذُكِّرَ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ أي: مرة بعد مرة، فتكسر كل شيء عليها، ﴿وَبَآءَ رُكَّ﴾ قد ذكرنا هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ سَفَا سَفَا﴾ أي: تأتي [ملائكة] كل سماء صفاً صفاً<sup>(٢)</sup> على حدة. قال الضحاك: يكونون سبعة صفوف، ﴿وَبَآءَ يَوْمِيَوْمٍ يَجْمَعُونَ﴾ روى مسلم في أفراد من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بهن يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع [كل زمام]<sup>(٣)</sup> سبعون<sup>(٤)</sup> ألف ملك يجرونها». قال مقاتل: يجاء بها فتقام عن يسار العرش. قوله تعالى: ﴿يَوْمِيَوْمٍ﴾ أي: يوم يجاء بهنهم ﴿يَذْكُرُ الْإِنْسَانَ﴾ أي: يتعظ الكافر ويتوب. قال مقاتل: هو أمية بن خلف ﴿وَأَنَّ لَهُ الذِّكْرَى﴾ أي: كيف له بالتوبة وهي في القيامة لا تنفع ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾ العمل الصالح في الدنيا ﴿يَلَيَّانِي﴾ في الآخرة التي لا موت فيها ﴿فَيَنْهَى لَا يَذْبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ قرأ الكسائي، ويعقوب، والمفضل «لا يعذب» بفتح الذال، والباقون بكسرها، فمن فتح، أراد: لا يعذب عذاب الكافر أحد، ومن كسر أراد: لا يعذب عذاب الله أحد، أي كعذابه، وهذه القراءة تختص بالدنيا، والأولى تختص بالآخرة<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ اختلّفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال: أحدها: في حمزة بن عبد المطلب لما استشهد يوم أحد، قاله أبو هريرة، وبريدة الأسلمي. والثاني: في عثمان بن عفان حين أوقف بثر رومة<sup>(٦)</sup>، قاله الضحاك. والثالث: في خبيب بن عدي لما صلبه أهل مكة، قاله مقاتل. والرابع: في أبي بكر الصديق ﷺ، حكاه الماوردي. والخامس: [في]<sup>(٧)</sup> جميع المؤمنين، قاله عكرمة<sup>(٨)</sup>. وفي معنى «الطَّمِئِنَّةُ» ثلاثة أقوال: أحدها: المؤمنة، قاله ابن عباس. وقال الزجاج: المطمئنة بالإيمان. والثاني: الراضية بقضاء الله، قاله مجاهد. والثالث: الموقنة بما وعد الله، قاله قتادة. واختلفوا في أي حين يقال لها ذلك على قولين: أحدهما: عند خروجها من الدنيا، قاله الأكثرون. والثاني: عند البعث يقال لها: ارجعي إلى صاحبك، وإلى جسدك، فيأمر الله الأرواح أن تعود إلى الأجساد، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال عطاء، وعكرمة والضحاك. وفي قوله تعالى: ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً﴾ أربعة أقوال: أحدها: ارجعي إلى صاحبك الذي كنت في جسده، وهذا المعنى في رواية العوفي عن ابن عباس، وبه قال عكرمة والضحاك. والثاني: ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ بعد الموت في الدنيا، قاله أبو صالح. والثالث: ارجعي إلى ثواب ربك، قاله الحسن. والرابع: يا أيها النفس المطمئنة [إلى الدنيا]<sup>(٩)</sup>، ارجعي إلى الله تعالى بتركها، حكاه الماوردي<sup>(١٠)</sup>.

(١) زيادة من البغوي.

(٢) سقطت من الأصل، واستلكتها من «صحيح مسلم» ٢/٤١٨٤.

(٣) في الأصل: سبعين. قال الإمام الثوري في «شرح مسلم» ١٧/١٧٨: هذا الحديث مما استلكره الدارقطني على مسلم وقال: رفعه وهم، رواه الثوري ومروان وغيرهما عن العلاء بن خالد موقوفاً. قلت: وحقق (أحد الرواة) ثقة حافظ إمام، فزيادته الرفع مقبولة كما سبق نقله عن الأكثرين والمحققين. والحديث رواه الثرمذي أيضاً موقوفاً وموقوفاً على ابن مسعود، ورواه ابن جرير الطبري ٣٠/١٨٨ موقوفاً على عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٤) والصحيح أنها عامة في كل كافر.

(٥) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا ما عليه قراء الأصم، وذلك كسر الذال والثاء، لإجماع الحجة من القراءة عليه. وقال الشوكاني في «فتح القدير»: والضميران على قراءة الجمهور في «يعذب» و«يؤتى» مبنيان للفاعل، لله عز وجل، قال: قرأ الكسائي على البناء للمفعول فيهما، فيكون الضميران راجعين إلى الإنسان، أي: لا يعذب كعذاب ذلك الإنسان أحد، ولا يؤتى كوقافته أحد، والمراد بالإنسان الكافر.

(٦) هي بئر بالمدينة.

(٧) قال القرطبي: والصحيح أنها عامة في كل نفس مؤمن مخلص طائع.

(٨) سقطت من الأصل، واستلكتها من البغوي والخازن.

(٩) وقال الألويسي رحمه الله في «فروع البيان» ٩/٣٧٠: ارجعي، أي: من حيث حوسبت إلى محل عنايته تعالى وموقف كرامته عز وجل لك أولاً، وهذا لأن للمعدة قبل الحساب كما يقف من الأخبار موقفاً في المحشر خصوصاً يكرمهم الله تعالى به لا يجدون فيه ما يجد غيرهم في مواقفهم من النصب، ومنه ينادي الواحد بعد الواحد للحساب، فمتى كان هذا القول عند تمام الحساب اقتضى أن يكون المعنى ما ذكر.

قوله تعالى: ﴿فَادْخُلْ فِي يَوْمِ﴾ (١) أي: في جملة عبادي المصطفين. قال أبو صالح: يقال لها عند الموت: ارجعي إلى ربك، فإذا كان يوم القيامة قيل لها: ﴿فَادْخُلْ فِي يَوْمِ﴾ (٢) وقال الفراء: ادخلي مع عبادي. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وأبي بن كعب، وابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وأبو العالية، وأبو عمران: «في عدي» على التوحيد<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: فعلى هذه القراءة - والله أعلم - يكون المعنى: ارجعي إلى ربك، أي: إلى صاحبك الذي خرجت منه، فادخلي فيه<sup>(٢)</sup>.



(١) في «البحر المحيط»: وقرأ الجمهور ﴿فِي يَوْمِ﴾ جمعاً، وابن عباس، وعكرمة، والضحاك، ومجاهد، وأبو صالح، والكلبي، وأبو شيخ الهنائي، واليماني «في عدي» على الإفراد. قال الطبري: والصواب من القراءة في ذلك ﴿فَادْخُلْ فِي يَوْمِ﴾ (٢) بمعنى: فادخلي في عبادي الصالحين، لإجماع الحجة من القراء عليه.

(٢) والظاهر الأول، قال ابن كثير: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّسِقُوا لِلَّهِ﴾ (٣) أَرْجِعُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ إِلَىٰ جِوَارِهِ وَثَوَابِهِ وَمَا أَعَدَّ لِعِبَادِهِ فِي يَوْمِهِ ﴿يَوْمِ﴾ أي في نفسها ﴿يَوْمِ﴾ أي قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاهها ﴿فَادْخُلْ فِي يَوْمِ﴾ (٤) أي في جملتهم ﴿فَادْخُلْ فِي يَوْمِ﴾ قال: وهذا يقال لها عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضاً، كما أن الملائكة يثرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره، فكذاك هاهنا.

## سورة البلد

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَكَانَ مَوْلَاكَ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَرٍ ۝ أَحَسَّبَ أَنْ أَنْ يَفْرَغَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ ۝ أَحَسَّبَ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَا السَّبِيلَيْنِ ۝﴾ قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ قال الزجاج: المعنى: أقسم. و﴿لَا﴾ دخلت توكيداً؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩] وقرأ عكرمة، ومجاهد، وأبو عمران، وأبو العالية: «لَأُقْسِمُ»<sup>(١)</sup> قال الزجاج: وهذه القراءة بعيدة في العربية، وقد شرحنا هذا في أول «القيامة».

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝﴾ فيه ثلاثة أقوال: و﴿الْبَلَدِ﴾ هاهنا: مكة<sup>(٢)</sup>. أحدها: حلٌّ لك ما صنعت في هذا البلد من قتل<sup>(٣)</sup> أو غيره، قاله ابن عباس، ومجاهد. قال الزجاج: يقال: رجل حلٌّ، وحلال، ومُحَلٌّ. قال المفسرون: والمعنى: إن الله<sup>(٤)</sup> تعالى وعد نبيه<sup>(٥)</sup> أن يفتح مكة على يديه بأن يُجَلِّها له، فيكون فيها حلالاً. والثاني: فأنتم مُحَلٌّ بهذا البلد غير مُحرَّم في دخوله، يعني: عام الفتح، قاله الحسن، وعطاء. والثالث: أن المشركين بهذا البلد يستحلون إخراجك<sup>(٦)</sup> وقتلك<sup>(٧)</sup>، ويحرِّمون قتل الصيد، حكاها الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ مَوْلَاكَ ۝﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه آدم وما ولد، قاله الحسن، ومجاهد، والضحاك، وقتادة. والثاني: أولاد إبراهيم، وما ولد: ذريته<sup>(٨)</sup>، قاله أبو عمران الجوني. والثالث: أنه عامٌّ في كل والدٍ وما ولد، حكاها الزجاج<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ۝﴾ هذا جواب القسم. وفيمن عني بالإنسان خمسة أقوال: أحدها: أنه اسم جنس، وهو معنى قول ابن عباس. والثاني: أنه أبو الأشدين الجمحي<sup>(١٠)</sup>، وقد سبق ذكره، [المدر: ٢٩، والانفطار: ٥] قاله الحسن. والثالث: أنه الحارث بن عامر بن نوفل، وذلك أنه أذنب ذنباً، فأمره النبي ﷺ بالكفارة، فقال: لقد ذهب مالي

(١) في الأصل: لا أقسم.

(٢) قال القرطبي: أي أقسم بالبلد الحرام الذي أنت فيه لكرامتك عليّ وحتى لك. وقال ابن كثير: هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حلالاً، ليثب على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها.

(٣) في الأصل: قبل.

(٤) وعد نبيه.

(٥) عبارة الأصل: «أنه حل عند المشركين بهذا البلد يستحلون إخراجك».

(٦) في الأصل: وقبلك.

(٧) في الأصل: وما ولد: محمد ﷺ، والتصويب من الطبري، والقرطبي، وابن كثير. قال الشوكاني والألوسي: وقيل: الوالد: إبراهيم، والولد: إسماعيل ومحمد ﷺ.

(٨) وهذا الذي اختاره ابن جرير الطبري. قال ابن كثير: وقال مجاهد، وأبو صالح، وقتادة، والضحاك، وسفيان الثوري، وسعيد بن جبيرة، والسدي، والحسن البصري، وخصيف، وشرحيل بن سعيد وغيرهم: يعني بالوالد: آدم، وما ولد: ولد، قال: وهذا الذي ذهب إليه مجاهد حسن قوي، لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى وهي المساكن، أقسم بعده بالساكن وهو آدم أبو البشر وولده.

(٩) وجاء في القرطبي: قال الكلبي: إن هذا نزل في رجل من بني جمح كان يقال له: أبو الأشدين. وكان يأخذ الأديم المكاظي فيجعله تحت قدميه فيقول: من أزالني عنه فله كذا، فيجذبه عشرة حتى يمتزق ولا تزول قدماء، وكان من أعداء النبي ﷺ وفيه نزل ﴿أَحَسَّبَ أَنْ أَنْ يَفْرَغَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝﴾ يعني لقوته. وفي «الاشتقاق» لابن دريد ٢٥١: ومن رجالهم (أي: رجال بني سعد بن زيد مائة بن تميم) سنان بن خالد الأشد، وسمي الأشد، لشجاعته، وهو كذلك في «شرح القاموس».

في الكفارات، والنفقات منذ<sup>(١)</sup> دخلت في دين محمد، قاله مقاتل. والرابع: آدم عليه السلام، قاله ابن زيد. والخامس: الوليد بن المغيرة، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿فِي كَيْدٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: في نَصَبٍ، رواه الوابي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو عبيدة، فإنهم قالوا: في شدة. قال الحسن: يكابد الشكر على السَّراء والصبر على الضَّراء، لأنه لا يخلو من أحدهما<sup>(٢)</sup>، ويكابد مصائب الدنيا، وشدائد الآخرة. قال ابن قتيبة: في شدة غلبة ومكابدة لأمر الدنيا والآخرة<sup>(٣)</sup>، فعلى هذا يكون من مكابدة الأمر، وهي معاناته. والثاني: أن المعنى: خلق منتصباً يمشي على رجلين<sup>(٤)</sup>، وسائر الحيوان غير منتصب، رواه مقسم عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، والضحاك، وعطية، والفراء، فعلى هذا يكون معنى الكيد: الاستواء والاستقامة. والثالث: في وسط السماء، قال ابن زيد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يعني: آدم ﴿فِي كَيْدٍ﴾ أي: في وسط السماء<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ كَرِيماً عَلَيْهِ أَمْرٌ﴾ يعني الله تعالى أي: [أيحسب أن] <sup>(٦)</sup> لن تقدر على بعثه، ومعاقبته؟ ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ﴾ أي: كثيراً، قال أبو عبيدة: هو فعل من التلبد<sup>(٧)</sup>، وهو المال الكثير بعضه على بعض. قال ابن قتيبة: وهو المال المتلبد، كأن بعضه على بعض. قال الزجاج: وهو فعل للكثرة<sup>(٨)</sup>، كما يقال: رجل حُطِمَ: إذا كان كثير الحطيم. وقرأ أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعائشة، وأبو عبد الرحمن، وقتادة، وأبو العالية، وأبو جعفر «لَبَدَأَ» بضم اللام، وتشديد الباء مفتوحة. وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأبو المتوكل، وأبو عمران «لَبَدَأَ» بفتح اللام وتسكين الباء خفيفة. وقرأ عثمان بن عفان، والحسن، ومجاهد «لَبَدَأَ» برفع اللام والباء وتخفيفهما. وقرأ عليّ وابن أبي الجوزاء «لَبَدَأَ» بكسر اللام، وفتح الباء مخففة. وفيما قال لأجله ذلك قولان: أحدهما: أنه أراد: أهلك ما لا كثيراً في عداوة محمد، قاله ابن السائب، فكانه استطال بما أنفق. والثاني: أنفقت في سبيل الله وفي الكفارات ما لا كثيراً، قاله مقاتل. فكانه ندم على ما أنفق<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ لَمْ يَرَهُ أَكْبَرُ﴾ يعني الله تعالى. والمعنى: أيظن أن الله لم ير نفقته، ولم يُخصمها؟ وكان قد ادّعى ما لم ينفق.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عَيْنَيْنِ﴾ والمعنى: ألم يفعل به ما يدل على أن الله قادر على بعثه؟ قوله تعالى: ﴿وَعَزَّزْنَاهُ بِثَلَاثِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: سبيل الخير والشر، قاله علي، والحسن، والفراء. وقال ابن قتيبة: يريد طريق الخير والشر. وقال الزجاج: النجدان: الطريقان الواضحان. والنجد: المرتفع من الأرض،

(١) في الأصل: منه، والتصحيح من «القرطبي».

(٢) في الأصل: في شدة عليه ومكابده من أمور الدنيا والآخرة، والتصحيح من «غريب القرآن» لابن قتيبة.

(٣) في الأصل: على رجله، وما أثبتاه من «الطبري».

(٤) أصل الكيد: الشدة، ومنه كيد اللين: غلط وخُذْر واشتد، ومنه الكيد، لأنه دم تغلط واشتد. ويقال: كابدت هذا الأمر: قاسيت شدته، قال لبيد يري أخاه:

يَا عَيْنُ مَنْ لَا بِكَ يَتِ أَزْدَادُ      ثُمَّ وَقَامَ الْخُصُومُ فِي غَبِي

فقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي: في تعب ومشقة، والله سبحانه قد جعل حياة الإنسان سلسلة من الجهاد متصلة الحلقات، وجعلها مبتدأة بالجهاد والمشقة، ومنتهية بها أيضاً، فهو ما يزال يقاسي من المشقة ألواناً وضروباً مختلفة منذ نشأته في بطن أمه، ومن استلهاله صارخاً إلى أن يكبر ويهجر رجلاً، وفي هذا العهد تزداد مشقاته، ويكثر عليه الجهد، فمن تحصيل رزقه إلى تربية أولاده، ومن جهاد نفسه ورياضتها على البر والتقوى إلى مقارعة خطوب الدهر وتوازله، ومن الصبر على البلاء إلى الخضوع إلى رب الأرض والسماء، ومن الاجتهاد في المعرفة إلى مصابرة النفس على الطاعة، ثم هو بعد ذلك كله يمرض ويموت، ويلاتي في قبره وفي آخرته من المشاق والمتاعب ما لا يقدر عليه إلا بتيسير الله سبحانه، وكان هذا هو المشار إليه بـ «في» التي تدل على الظرفية في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾.

(٦) زيادة ليست في الأصل.

(٧) في الأصل: التلبد، والتصحيح من «مجاز القرآن» لأبي عبيدة.

(٨) في الأصل: فعل الكثير، والتصحيح من «فتح القدير» للشوكاني نقلاً عن الزجاج.

(٩) لقد ذكر المصنف قبل تحليل قول مقاتل بلفظ: لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد، وهو كذلك في «القرطبي» وغيره. قال القرطبي: وهذا القول من يحمل أن يكون استطلاة بما أنفق، فيكون طغياناً منه، أو أسفاً عليه، فيكون ندماً منه.

فالمعنى: ألم نعرفه طريق الخير والشر كتبتين الطريقين العاليتين. والثاني: سبيل الهدى والضلال، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: هو سبيل الشقاوة والسعادة. والثالث: الشديان ليتغذى بلبنهما، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال ابن المسيب، والضحاك، وقناة<sup>(١)</sup>.

﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةُ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (٢) فَكُلُّ رَقَبَةٍ (٣) أَوْ يَلْعَنُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ (٤) يَسْمَا ذَا مَقَرَّبَةٍ (٥) أَوْ مَسْكِيئًا (٦) ذَا مَقَرَّبَةٍ (٧) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَوَفَّاءُوا بَآثَرِهِمْ وَوَفَّاءُوا بِالرَّحْمَةِ (٨) أُولَئِكَ أَحَبُّ إِلَيْنَا (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَكُونُوا لَهُمْ عَصَابًا (١٠) الشَّقَقَةُ (١١) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَمَّدَةٌ (١٢)

قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةُ﴾ (١) قال أبو عبيدة: فلم يقتحم العقبة [في الدنيا]<sup>(٢)</sup>. وقال ابن قتيبة: فلا هو اقتحم العقبة. قال الفراء: لم يضم إلى قوله تعالى: فلا اقتحم العقبة كلاماً آخر فيه «لا»، والعرب لا تكاد تفرد «لا» في الكلام حتى يعيدوها<sup>(٣)</sup> عليه في كلام آخر؛ كقوله تعالى: ﴿فَلَا سَكَنَ لَهَا مَكَلٌ﴾ (٤) [القيامة: ٣١]، ﴿وَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]. ومعنى: «لا» مأخوذ من آخر هذا الكلام، فاكتمى بواحدة من الأخرى، ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة، فقال: ﴿فَكُلُّ رَقَبَةٍ﴾ (٥). ﴿أَوْ يَلْعَنُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ﴾ (٦). ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ففسرها بثلاثة أشياء، فكأنه كان في أول الكلام: فلا فعل ذا، ولا ذا. وذهب ابن زيد في آخرين إلى أن المعنى: أفلا اقتحم العقبة؟ على وجه الاستفهام، والمعنى: فهل أنفق ماله في فك الرقاب والإطعام ليجاوز بذلك العقبة؟ فأما الاقتحام<sup>(٧)</sup> فقد بيّنه في (امر): [٥٩]. وفي العقبة سبعة أقوال: أحدها: أنه جبل في جهنم، قاله ابن عمر. والثاني: عقبة دون الجسر، قاله الحسن. والثالث: سبعون دركة<sup>(٨)</sup> في جهنم، قاله كعب. والرابع: الصراط، قاله مجاهد، والضحاك. والخامس: نار دون الجسر، قاله قتادة. والسادس: طريق النجاة، قاله ابن زيد. والسابع: أن ذكر العقبة هاهنا مثلاً لضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر، فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة. يقول: لم يحمل على نفسه المشقة بعثت الرقبة والإطعام، ذكره علي بن أحمد النيسابوري في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ (١) قال سفيان بن عيينة: كل ما فيه ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾، فقد أخبره به، وكل ما فيه ﴿وَمَا يَدْرِيكَ﴾ فإنه لم يخبره به. قال المفسرون: المعنى: وما أدراك ما اقتحام العقبة؟ ثم بيّنه فقال تعالى: ﴿فَكُلُّ رَقَبَةٍ﴾ (٢) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، إلا عبد الوارث، والكسائي، والداجوني عن ابن ذكوان ﴿فَكُلُّ الكاف (رَقَبَةٍ) بالنصب، «أو أطعم» بفتح الهزلة والميم وسكون الطاء من غير ألف. وقرأ عاصم، وابن عامر، ونافع، وحزمة ﴿فَكُلُّ بالرفع (رَقَبَةٍ) بالخفض، «أو إطعام» بالألف. ومعنى فك الرقبة: تخليصها من أسر الرق، وكل شيء أطلقته فقد فَكَّكَتْهُ<sup>(٣)</sup>. ومن قرأ ﴿فَكُلُّ رَقَبَةٍ﴾ على الفعل، فهو تفسير اقتحام العقبة بالفعل، واختاره الفراء؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال ابن قتيبة: والمسغبة: المجاعة. يقال: سَغِبَ يَسْغَبُ سُغُوبًا: إذا جاع ﴿يَسْمَا ذَا مَقَرَّبَةٍ﴾ (٥) أي: ذا

(١) والصواب القول الأول كما قال ابن جرير. وقال: والثديان وإن كانا سيلبي اللين، فإن الله تعالى ذكره إذ عدد على العبد نعمه بقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا لِلْإِنْسَانِ مِن لَّدُنَّا أَشْنَاءَ يَكْفِيكَ قِسْطَتَا سَيِّئًا يَبِيرًا﴾ (١) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ (٢) إنما عدد عليه هدايته إياه إلى سبيل الخير من نعمه، فكذلك قوله: ﴿وَقَدَّرْنَاهُ أَنْتَابِي﴾ (٣).

(٢) زيادة من «عجاز القرآن» لأبي عبيدة، يريد أن «لا» بمعنى «لم».

(٣) في الأصل: والعرب لا تكاد تفرد «لا» في الكلام حتى يعيدوها، والتصحیح من «القرطبي».

(٤) الاقتحام: الدخول في الأمر الشديد، وأصله القحم، وهي الممالك والأمور العظام، يقال: قحم في الأمر قحوماً: رمى نفسه من غير روية، والقحمة: المهلكة والسنة الشديدة، يقال: أصابت الأعراب القحمة: إذا أصابهم قحط، فدخلوا الرفيف.

(٥) وفي الطبري وابن كثير: درجة. قال في «اللسان»: قال أبو عبيدة: جهنم دركات، أي منازل وأطباق، وقال غيره: الدركات: بعضها تحت بعض، قال الأزهرى: والدراجات: منازل ومَرَاقي بعضها فوق بعض، فالدرجات عند الدرجات. وقال الزبيدي في «تاج العروس شرح القاموس»: وقال المصنف (يعني صاحب القاموس) في «البصائر»: الدُرْكُ: اسم في مقابلة الدرج، بمعنى أن الدرج مراتب باعتبار الصعود، والدرك مراتب باعتبار الهبوط، ولهذا عبّروا عن منازل الجنة بالدراجات، وعن منازل جهنم بالدركات.

(٦) في الأصل: فكتة، وروى مسلم في «صحيحه» ١١٤٧/٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار حتى يعق فرجه بقرجه» ورواه بمعناه أحمد والبخاري.

قراءة<sup>(١)</sup> ﴿أَوْ يَشْكِكُنَا ذَا مَقَرٍّ﴾ أي: ذا فقر كأنه لصق بالتراب<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عباس: هو المطروح في التراب لا يقيه شيء. ثم بين أن هذه القُرْب إنما تنفع مع الإيمان بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ و«ثم» هاهنا بمعنى الواو، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِدٌ﴾ [يونس: ٤٦].

قوله تعالى: ﴿وَوَاصُوا بِالصَّبْرِ﴾ على فرائض الله وأمره ﴿وَوَاصُوا بِالرَّحْمَةِ﴾ أي بالتراحم بينهم. وقد ذكرنا أصحاب الميمنة والمشامة في [الواقعة: ٧، ٨]. قال الفراء: و«المؤصدة» المطبقة. قال مقاتل: يعني أبوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لها باب، ولا يخرج منها غم، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد. وقال ابن قتيبة: يقال: أَوْصَدْتُ الباب وآصدته: إذا أطبقته. وقال الزجاج: المعنى: أن العذاب مطبق عليهم. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «مُوصَدَّةٌ» بغير همز هاهنا، وفي [الهمزة: ٨] وقرأ أبو عمرو، وحمزة، وحفص عن عاصم بالهمز في الموضعين.



(١) روى الإمام أحمد عن سلمان بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان، صدقة وصلته» ورواه الترمذي والنسائي وهو حديث صحيح.

(٢) تقول: تَرَبَّ الرجل يَتَرَبُّ تَرَبًّا وتربة: إذا اضطر حتى لصق بالتراب، وتقول: أترب فلان، إذا كثر ماله حتى صار كالتراب في الكثرة.



## سورة الشمس

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسُ وَحُجَّتْ ۝ وَالْقَمَرُ إِذَا لِلَّهِ ۝ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ۝ وَاللَّيْلُ إِذَا يَشَتْهَا ۝ وَالسَّمَاءُ بِمَا بَنَتْهَا ۝ وَالْأَرْضُ وَمَا لَحَتْهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَحُجَّتْ﴾ في المراد «بضحائها» ثلاثة أقوال: أحدها: ضروها، قاله مجاهد، والزجاج. والضحى: حين يصفو ضوء الشمس بعد طلوعها. والثاني: النهار كله، قاله قتادة، وابن قتيبة. والثالث: حرها، قاله السدي، ومقاتل<sup>(١)</sup>. ﴿وَالْقَمَرُ إِذَا لِلَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: إذا تبعها، قاله ابن عباس في آخرين. ثم في وقت اتباعه لها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه في أول ليلة من الشهر يرى القمر إذا سقطت الشمس، قاله قتادة. والثاني: أنه في الخامس عشر يطلع القمر مع غروب الشمس، حكاه الماوردي. والثالث: أنه في النصف الأول من الشهر إذا غربت تلاها القمر في الإضاءة، وخلفها في النور، حكاه علي بن أحمد النيسابوري. والقول الثاني: إذا ساواها، قاله مجاهد. وقال غيره: إذا استدار، فتلا الشمس في الضياء والنور، وذلك في الليالي البيض.

قوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا﴾ في المكني عنها قولان: أحدهما: أنها الشمس، قاله مجاهد، فيكون المعنى: والنهار إذا بين الشمس، لأنها تتبين إذا انبسط النهار. والثاني: أنها الظلمة، فيكون كناية عن غير مذكور، لأن المعنى معروف، كما تقول: أصبحت باردة، وهبت شمالاً، وهذا قول الفراء، واللغويين<sup>(٢)</sup>. ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَشَتْهَا﴾ أي: يغشى الشمس حين تغيب تنظلم الآفاق.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءُ بِمَا بَنَتْهَا﴾ في «وَمَا» قولان: أحدهما: بمعنى «مَنْ» تقديره «ومن بناها»، قاله الحسن، ومجاهد، وأبو عبيدة، وبعضهم يجعلها بمعنى الذي. والثاني: أنها بمعنى المصدر، تقديره: وبناؤها. وهذا مذهب قتادة، والزجاج. وكذلك القول في «وَمَا سَوَّاهَا» وقد قرأ أبو عمران الجوني في آخرين «ومن بناها» «ومن طحاها» «ومن سَوَّاهَا» كله بالنون. قال أبو عبيدة: ومعنى «طحاها»: بسطها يميناً وشمالاً، ومن كل جانب<sup>(٣)</sup>. قال ابن قتيبة: يقال: خَيْرَ طَاحٍ<sup>(٤)</sup>، أي: كثير متسع. وفي المراد «بالنفس» هاهنا قولان: أحدهما: آدم، قاله الحسن. والثاني: جميع النفوس، قاله عطاء<sup>(٥)</sup>. وقد ذكرنا معنى «سَوَّاهَا» في قوله تعالى: ﴿فَسَوَّيْتُكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الأنفطار: ٧] «فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: أقسم جل ثناؤه بالشمس ونهارها، لأن ضوء الشمس الظاهرة هو النهار.

(٢) وقال ابن كثير: ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى «وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا» أي البسيطة لكان أولى، ولصح تأويله في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَشَتْهَا﴾ فكان أجود وأقوى، والله أعلم، ولهذا قال مجاهد: ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا﴾ إنه كقوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى﴾. قال: وأما ابن جرير فاختار عود الضمير في ذلك كله على الشمس لجريان ذكرها.

(٣) قال ابن كثير: وقال مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، والترمذي، وأبو صالح، وابن زيد: طحاها: بسطها، وهو أشهر الأقوال، وعليه الأكثر من المفسرين، وهو المعروف عند أهل اللغة، قال الجوهري: طحوته مثل دحوته، أي: بسطته، والمعنى بسطها لافتراشها وازدراعها والفرج في أكتافها.

(٤) الذي في «غريب القرآن»: حي طاح. قال في «القاموس»: والطاحي: الذي ملأ كل شيء كثرة.

(٥) قال ابن كثير: أي: خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمية، كما قال تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَاهُ رُحْمًا يُحْيِي فَاكْرَهُهُ وَنَحْنُ بِهِ قَوِيٌّ ۚ وَهُوَ اللَّهُ يَعْلَمُ خَيْدَ الصَّادِقِينَ﴾. وكل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد اليهودية بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ أخرجه من رواية أبي هريرة. وفي «صحيح مسلم» من رواية عياض بن حمار المجاشعي عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم من دينهم».

وَقَوْلَهَا ﴿١٠﴾ الإلهام: إيقاع الشيء في النفس. قال سعيد بن جبير: ألزمتها فجورها وتقواها<sup>(١)</sup>. وقال ابن زيد: جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى، وخذلانه إياها للفجور<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾<sup>(٣)</sup> قال الزجاج: هذا جواب القسم. والمعنى: لقد أفلح، ولكن اللام حذفت لأن الكلام طال، فصار طوله عوضاً منها. قال ابن الأنباري: جوابه محذوف. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: قد أفلحت نفس زكاهها الله ﷻ، قاله ابن عباس، ومقاتل، والفراء، والزجاج. والثاني: قد أفلح من زكّى نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال، قاله قتادة، وابن قتيبة. ومعنى ﴿زَكَّاهَا﴾: أصلحها وطهرها من الذنوب. ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾<sup>(٤)</sup> فيه قولان كالذي قبله. فإن قلنا: إن الفعل لله، فمعنى ﴿دَسَّاهَا﴾: خذلها، وأخملها، وأخفى محلها، [بالكفر والمعصية] ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح. وإن قلنا: الفعل للإنسان، فمعنى ﴿دَسَّاهَا﴾: أخفاها بالفجور. قال الفراء: ويروى أن ﴿دَسَّاهَا﴾ دَسَّاهَا لأن البخل يخفي منزله وماله. وقال ابن قتيبة: المعنى: دسى نفسه، أي: أخفاها بالفجور والمعصية. والأصل من دَسَّاهَا من دَسَّاهَا قلبت السين ياءً، كما قالوا: قصَّيت أظفاري، أي: قصصتها. فكان الُّطُفُفُ<sup>(٥)</sup> بارتكاب الفواحش دَسَّاهَا نفسه<sup>(٦)</sup>، وقمعها، ومُضْطَنِّعُ المعروف شهر نفسه ورفعها، وكانت أجواد العرب تنزل الرُّبَا للشهرة. واللتام تنزل الأطراف لتخفي أماكنها<sup>(٧)</sup>. وقال الزجاج: معنى ﴿دَسَّاهَا﴾ جعلها قليلة خسيسة.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَوَافِئَ﴾<sup>(٨)</sup> إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿٩﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٠﴾ فَكَذَّبُوهُ فَصَوْوَمَا قَدَّمْتُمْ عَلَيْهِمْ رِيْهَ رِيْهِمْ فَوَسَّوْهُمُ ﴿١١﴾ وَلَا يَخَافُ عَذَابَهَا ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَوَافِئَ﴾<sup>(٩)</sup> أي: كذبت رسولها بطغيانها<sup>(١٠)</sup>. والمعنى: أن الطغيان حملهم على التكذيب. قال الفراء: أراد بطغواها: طغيانها، وهما مصدران، إلا أن الطغوى أشكل برؤوس الآيات، فاختير لذلك. وقيل: كذبوا العذاب ﴿إِذِ انْبَعَثَ﴾ أي: انتدب<sup>(١١)</sup> ﴿أَشْقَاهَا﴾ وهو: عاقر الناقة لعقرها<sup>(١٢)</sup> ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ وهو

(١) بمعنى أن الله تعالى خلق في المؤمن القوى، وفي الكافر القصور، فالخلق لله، والإنسان قادر على سلوك أيهما شاء ومختير فيه، وبذلك الاختيار للخير أو الشر يثاب أو يعاقب. قال ابن جرير الطبري: ﴿فَأَنكَلَهَا بُرْهَمًا وَقَوْلَهَا﴾<sup>(١٣)</sup> فبين لها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير أو شر، أو طاعة أو معصية. وقال الشوكاني في فتح القدير: أي عرلها وأنهمها حالهما وما فيهما من الحسن والفتح.

(٢) إن الله سبحانه وتعالى أودع في نفس الإنسان خصائص القدرة على إدراك الخير والشر، والهدى والضلال، والحق والباطل، ليختار أيهما شاء، ففي طبعه هذا الاستعداد المزدوج لسلوك أي الطريقين شاء؛ وقد منح الله عز وجل القدرة على سلوك أيهما شاء ﴿وَقَدَرْتَهُ الْيَقِينَ﴾<sup>(١٤)</sup> ﴿إِنَّا عَدَيْنَا الْكَيْدَ﴾<sup>(١٥)</sup> ﴿إِنَّا شَاكِرُونَ لِّمَا كُنَّا كُفْرًا﴾، وزود الإنسان باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، وقادر على توجيه نفسه إلى الخير والشر على السواء، وهذه القدرة كامنة في نفسه، يعبر عنها القرآن تارة بالإلهام ﴿فَأَنكَلَهَا بُرْهَمًا وَقَوْلَهَا﴾<sup>(١٦)</sup> وتارة بالهداية ﴿وَقَدَرْتَهُ الْيَقِينَ﴾<sup>(١٧)</sup>، فهي كامنة بصورة استعدادات، والآيات القرآنية والرسائل الإلهية والتوجيهات تروّظ هذه الاستعدادات وتوجهها، ولكنها لا تخلق الاستعداد خلقاً جديداً، لأنها مخلوقة فطرة، وكانت طبعاً، وكانت إلهاماً، أضف إلى ذلك أن الله تعالى خلق في الإنسان قوة واعية مدركة، فمن استخدم هذه القوة في تزكية نفسه وتطهيرها وتنمية استعداد الخير فيها وتغلبه على استعداد الشر فقد أفلح وأنجح، ومن ظلم هذه القوة الواعية العبدية وخباها وأضعفها فقد خاب وخسر ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾<sup>(١٨)</sup> ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾<sup>(١٩)</sup>، والله عز وجل لم يبق الإنسان لاستعداد فطرته الإلهامي، ولا للقوة الواعية، بل أعانته بالرسالات التي تنفع له الموازين العاقبة، وتكشف له من موجبات الإيمان ودلائل الهدى، وتجلو عنه غواشي الهوى فيظهر له الحق في صورته الصحيحة، وبذلك يتضح له الطريق وضوحاً كاشفاً لا شبهة فيه فتصرف القوة الواعية حينئذ من بصيرة وإدراك لحقيقة هذا الاتجاه الذي يختاره ويسير فيه. ولما كانت هذه النفس عرضة للتأثر والمغدير، فقد كان عليه الصلاة والسلام يدعو بقوله: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكها، أنت وليها ومولاها» رواه أحمد ومسلم عن زيد بن أرقم.

(٣) التطف: التهم كما في «اللبان».

(٤) في الأصل: نفسها، وفي النسخة الإستانبولية: نفسه، وهو الصواب، وهو كذلك في «مشكل القرآن».

(٥) في الأصل: إمكانها، وما أثبتناه هو في النسخة الإستانبولية و«مشكل القرآن».

(٦) عبارة ابن قتيبة في «غريب القرآن»: كذبت الرسول إليها بطغيانها.

(٧) تقول: نذيت إلى كذا، فانتدب، أي أمرته فامتل، وفي الطبري: انبعث: ثار، وفي القرطبي: نهض، والانبعاث هو الإسراع.

(٨) وهو قدار بن سالف. روى البخاري في «صحيحه» (٥٤٢/٨) عن عبد الله بن زمة أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقر، فقال رسول الله ﷺ: «إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا» اتبعت لها رجل عزيز عارم منيع في رملها مثل أبي زمة» ورواه أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم.

صالح ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ قال الفراء: نصب الناقة على التحذير، وكل تحذير فهو نصب. قال ابن قتيبة: المعنى: احذروا ناقة الله وشربها. وقال الزجاج: المعنى: ذُرُّوا ناقة الله ﴿و﴾ ذُرُّوا ﴿سُقْيَاهَا﴾. قال المفسرون: سقياها: شربها من الماء. والمعنى: لا تتعرضوا ليوم شربها ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ في تحذيره إياهم العذاب بعقرها ﴿فَمَقَرُّوْهَا﴾ وقد بيَّنا معنى «العقر» في [الأعراف: ١٧٧]، ﴿فَكَذَّبَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ قال الزجاج: أي: أطبق عليهم العذاب. يقال دمدت على الشيء: إذا أطبقت فكررت الإطباق. وقال المؤرِّج<sup>(١)</sup>: الدمدمة: إهلاك باستئصال. وفي قوله تعالى: ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ قولان: أحدهما: سَوَّى بينهم في الإهلاك<sup>(٢)</sup>، قاله السدي، ويحيى بن سلام. وقيل: سَوَّى الدمدمة عليهم. والمعنى: أنه أهلك صغيرهم، وكبيرهم. والثاني: سَوَّى الأرض عليهم. قال مقاتل: سَوَّى بيوتهم على قبورهم. وكانوا قد حفروا قبوراً فاضطجعوا فيها، فلما صبح بهم فهلكوا زُلْزِلَت بيوتهم فوقعت على قبورهم<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ ﴿٥٦﴾ قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن عامر، «فلا يخاف» بالفاء، وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة والشام. وقرأ الباقر بالواو، وكذلك هي في مصاحف مكة، والكوفة، والبصرة. وفي المشار إليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الله ﷻ، فالمعنى: لا يخاف الله من أحد تَبِعَهُ في إهلاكهم، ولا يخشى عقبي ما صنع، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: أنه الذي عقرها، فالمعنى: أنه لم يخف عقبي ما صنع، وهذا مذهب الضحاك والسدي، وابن السائب. فعلى هذا في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: إذ أنبعث أشقاها وهو لا يخاف عقباها. والثالث: أنه نبي الله صالح لم يخف عقباها، حكاة الزجاج<sup>(٤)</sup>.



(١) في الأصل: المؤرخ، وفي النسخة الاستبوية: المؤرخ، وهو تصحيف.

(٢) في الأصل: إهلاك، وما أثبتاه من النسخة الاستبوية.

(٣) قال ابن كثير: ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء، قال قتادة: بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنتاهم، فلما اشترك القوم في عقرها، دمد الله عليهم بذنوبهم فسواها.

(٤) والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه، كما قال ابن كثير، والله أعلم.

## سورة الليل

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿رَأَيْتَ إِذَا يَفَتْ١﴾ وَالْبَهَارَ إِذَا تَجَلَّى٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى٣﴾ إِنَّ سَيِّئَ لَشَى٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَكُنَّ٥﴾ وَمَذَقَ الْيُسْى٦﴾ فَتَنِيَّرُ لِلْیُسْرِی٧﴾ وَأَمَّا مَنْ يَحِلَّ وَأَسْتَفْنَ٨﴾ وَكَذَّبَ بِالسُّعَى٩﴾ فَتَنِيَّرُ لِلْمُغْرَى١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى١١﴾

قوله تعالى: ﴿رَأَيْتَ إِذَا يَفَتْ﴾ قال ابن عباس: يغشى بظلمته النهار. وقال الزجاج: يغشى الأفق، ويغشى جميع ما بين السماء والأرض، ﴿وَالْبَهَارَ إِذَا تَجَلَّى﴾ أي: بان وظهر من بين الظلمة، ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ في «ما» قولان، وقد ذكرناهما عند قوله تعالى: ﴿وَمَا بَشَأًا﴾ [الشمس: ٥]. وفي ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ قولان: أحدهما: آدم وحواء، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثاني: أنه عام، ذكره الماوردي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَيِّئَ لَشَى﴾ هذا جواب القسم. قال ابن عباس: إن أعمالكم لمختلفة، عمل للجنة، وعمل للنار. وقال الزجاج: سعي المؤمن والكافر مختلف، بينهما بُعْدٌ<sup>(٢)</sup>. وفي سبب نزول هذه السورة قولان: أحدهما: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه اشتري بلاءاً من أمية وأبي ابن خلف ببردوة عشرة أواق، فاعتقه، فأنزل الله ﷻ ﴿رَأَيْتَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَيِّئَ لَشَى﴾ يعني: سعي أبي بكر، وأمية وأبي، قاله عبد الله بن مسعود<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن رجلاً كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال، وكان الرجل إذا صعد النخلة ليأخذ منها الثمر، فربما سقطت الثمرة، فيأخذها صبيان الفقير، فينزل الرجل من نخلته حتى يأخذ الثمرة من أيديهم، فإن وجدها في فم أحدهم أدخل أصبعه حتى يخرجها، فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ، فلقي النبي ﷺ صاحب النخلة، فقال: «تعطيني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة؟ فقال الرجل: إن لي نخلاً وما فيه نخلة أعجب إليّ منها، ثم ذهب الرجل، فقال رجل ممن سمع ذلك الكلام: يا رسول الله أتعطيني نخلة في الجنة إن أنا أخذتها؟ قال: نعم، فذهب الرجل، فلقي صاحب النخلة، فساومها منه، فقال له: أما شغرت أن محمداً أعطاني بها نخلة في الجنة؟ فقلت: ما لي نخلة أعجب إليّ منها، فقال له: أتريد بيعها؟ قال: لا، إلا أن أعطى بها ما لا أظنني أعطى، قال: ما منك؟ قال: أربعون نخلة، فقال: أنا أعطيك أربعين<sup>(٤)</sup> نخلة، فأشهد له ناساً، ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ فقال: إن النخلة قد صارت في ملكي، وهي لك، فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار، فقال: النخلة لك ولعيالك، فأنزل الله ﷻ ﴿رَأَيْتَ إِذَا يَفَتْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَيِّئَ لَشَى﴾ رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>. وقال عطاء: الذي اشتراها

(١) قال الشوكاني: والظاهر العموم.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» ٢٠٣/١ عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل الناس يفتنوا، فيباع نفسه فعمتها، أو موبتها» أي: كل إنسان يسمى بنفسه، فتمن من يبيعها لله بطاعة فيمقتها من العذاب، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعها فيوبتها، أي: يهلكها.

(٣) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٥، وأورده السيوطي في «الدر» ٣٥٨/٦ من رواية ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن عساكر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وذكره البغوي والخازن بغير سند.

(٤) في الأصل: أربعون، وهو خطأ، والتصحيح من النسخة الاستنبولية وكتب التفسير.

(٥) رواه ابن أبي حاتم والواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٥ من طريق حفص بن عمر العليني عن الحكم بن أبان العليني عن عكرمة عن ابن عباس، وهو حديث ضعيف، لضعف حفص بن عمر، والحكم بن أبان العليني، صدوق عابد له أوهام، كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب». والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في التفسير من رواية ابن أبي حاتم وقال في آخره: وهو حديث غريب جداً. وأورده السيوطي في «الدر» ٣٥٧/٦ من رواية ابن أبي حاتم بسند ضعيف. ومما يدل على ضعف سبب النزول هذا وعدم صحته، أن القصة كانت بالمدينة، وسورة «الليل» نزلت بمكة.

من الرجل أبو الدحداح، أخذها بحائط له، فأنزل الله تعالى هذه الآيات إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَيِّئَ لَقْدٍ﴾ أبو الدحداح، وصاحب النخلة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَضَلَّ وَأَقْبَلَ﴾ قال ابن مسعود: يعني: أبا بكر الصديق، هذا قول الجمهور<sup>(٢)</sup>. وقال عطاء: هو أبو الدحداح. وفي المراد بهذا المعطاء ثلاثة أقوال: أحدها: أعطى من فضل ماله، قاله ابن عباس. والثاني: أعطى الله الصديق من قلبه، قاله الحسن. والثالث: أعطى حق الله عليه، قاله قتادة. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: اتقى الله، قاله ابن عباس. والثاني: اتقى البخل، قاله مجاهد. والثالث: اتقى محارم الله التي نهى عنها، قاله قتادة. وفي «الحسنى» ستة أقوال: أحدها: أنه «لا إله إلا الله»، رواه عطية عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثاني: الخلف<sup>(٣)</sup>، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن. والثالث: الجثة، قاله مجاهد. والرابع: نعم الله عليه، قاله عطاء. والخامس: بوعده أن يثيبه، قاله قتادة، ومقاتل. والسادس: الصلاة، والزكاة، والصوم، قاله زيد بن أسلم.

قوله تعالى: ﴿فَسَيِّرُ الْيَمِينَ﴾ ضم أبو جعفر سين «اليسرى» وسين «العسرى» وفيه قولان: أحدهما: للخير، قاله ابن عباس. والمعنى: يُيسر ذلك عليه. والثاني: للجنة، قاله زيد بن أسلم. ﴿وَأَمَّا مَنْ يَبْخُلْ﴾ قال ابن مسعود: يعني بذلك أمية وأبي ابن خلف. وقال عطاء: هو صاحب النخلة. قال المفسرون: ﴿وَأَمَّا مَنْ يَبْخُلْ﴾ بالنفقة في الخير والصدقة. وقال قتادة: بحق الله ﷻ، ﴿وَأَسْتَفْتِي﴾ عن ثواب الله فلم يرغب فيه ﴿وَكَذَّبَ الْيُسْرَى﴾ وقد سبقت الأقوال فيها. وفي «العسرى» قولان: أحدهما: النار، قاله ابن مسعود. والثاني: الشر، قاله ابن عباس. والمعنى: سبته للشر فيؤديه إلى الأمر العسير، وهو عذاب النار<sup>(٤)</sup>. ثم ذكر أن ما أمسكه من ماله لا ينفعه، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَبْقَى عَنْهُ مَالُهُ﴾ الذي يخل به عن الخير ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾ وفيه قولان: أحدهما: إذا تردى في جهنم، قاله ابن عباس، وقاتادة. والمعنى: إذا سقط فيها. والثاني: إذا مات فتردى في قبره، قاله مجاهد.

﴿إِنَّ عَيْنَا لَهْدَى﴾ وَلَيْلًا لِّلْخَيْرِ وَالْأُولَى ﴿١٢﴾ فَأَذَرْنَاكَ نَارًا تَلْقَى ﴿١٣﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٤﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٥﴾ وَسَيَجْزِيهَا الْآفَتَى ﴿١٦﴾ الَّذِي يَبْقَى مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٧﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٨﴾ إِلَّا أَتَيْنَاهُ بِبَرٍّ رَؤٍ الْأَخْلَى ﴿١٩﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢٠﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَيْنَا لَهْدَى﴾ قال الزجاج: المعنى: إن علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلالة ﴿وَلَيْلًا لِّلْخَيْرِ وَالْأُولَى﴾ أي: فليطلبنا منا ﴿فَأَذَرْنَاكَ نَارًا تَلْقَى﴾ أي: توفد وتوجه ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ يعني: المشرك ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ الرسول ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان. قال أبو عبيدة: «الآشقى» بمعنى الشقي. والعرب تضع «أفعل» في موضع «فاعل». قال طرفة:

(١) ذكره البخاري في «تفسيره» من رواية علي بن حجر عن إسحاق بن نجيع الملطي عن عطاء، وإسحاق بن نجيع الملطي قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: كذبوه، وعطاء أرسله، وقد ورد التصريح باسم أبي الدحداح في رواية الواحدي في «أسباب النزول» حيث قال عن الشخص الذي اشتراه: ثم ذهب الرجل فلقي رجلاً هو ابن الدحداح كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ... إلخ، وهو حديث ضعيف كما تقدم. قال الخازن: والصحيح أنها نزلت في أبي بكر الصديق وأميه بن خلف، لأن سياق الآيات يقتضي ذلك.

(٢) ونقل القرطبي قول ابن مسعود هذا عن عامة المفسرين. وروى الحاكم في «المستدرک» ٥٢٥/٢ من حديث زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت اعتقت رجلاً جليلاً يمتعونك ويقومون دونك، فقال أبو بكر: يا أبت إنني إنما أريد ما أريد، فأنزلت هذه الآيات ﴿فَأَمَّا مَنْ أَضَلَّ وَأَقْبَلَ﴾ وَمَكَدَ الْيُسْرَى ﴿١٢﴾ سَيِّرُ الْيَمِينَ ﴿١٣﴾ إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا يَلْبَسُهُ عِنْدَ مَنْ يَسْتَوْجِرُ﴾ إِلَّا أَتَيْنَاهُ بِبَرٍّ رَؤٍ الْأَخْلَى ﴿١٩﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢٠﴾ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وسكت عليه الذهبي، ورواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٦ من حديث إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق به، ورواه ابن جرير الطبري ٢٢١٠/٣٠ وأوردته السيوطي في «الدرر» ٣٠٨/٦ من رواية ابن جرير وزاد نسبه لابن عساكر.

(٣) أي: بالخلف من الله تعالى على عطاء.

(٤) قال ابن كثير: والآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله عز وجل يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان، وكل ذلك بقدر مقدر، والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة، وذكر منها ما رواه البخاري عن علي بن أبي طالب قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بيع الفرقد في جنازة، فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعد من النار»، فقالوا: يا رسول الله أفلا تتكلم؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَضَلَّ وَأَقْبَلَ﴾ وَمَكَدَ الْيُسْرَى ﴿١٢﴾ سَيِّرُ الْيَمِينَ ﴿١٣﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَسَيِّرُ الْيَمِينَ﴾.

تَمَنَّى رَجَالٌ أَنْ أُمُوتَ وَإِنْ أُمُتَ قَتَلَكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ<sup>(١)</sup>

قال الزجاج: وهذه الآية التي من أجلها زعم أهل الإرجاء<sup>(٢)</sup> أنه لا يدخل النار إلا كافر، وليس [الأمرا] كما ظنوا. هذه نار موصوفة بعينها، ولأهل النار منازل. فلو كان [كل]<sup>(٣)</sup> من لا يشرك لا يعذب لم يكن في قوله تعالى: ﴿وَيَنْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] فائدة [وكان] ويغفر ما دون ذلك «كلاماً لا معنى له»<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِيَنَّ﴾ أي: يبعث عنها، فيجعل منها على جانب ﴿الْآتَى﴾ يعني: أبا بكر الصديق في قول جميع المفسرين ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ أي: يطلب أن يكون عنه الله زاكياً، ولا يطلب الرياء، ولا السمعة ﴿وَمَا يَلْحَقُ عِنْدَهُ مِنْ يَتَمَتَّعْ جَزَاءً﴾ أي: لم يفعل ذلك مجازاة ليد أشيئت إليه. وروى عطاء عن ابن عباس أن أبا بكر لما اشترى بلالاً بعد أن كان يعذب قال المشركون: ما فعل أبو بكر ذلك إلا ليد كانت لبلال عنده، فأُنزل الله تعالى: ﴿وَمَا يَلْحَقُ عِنْدَهُ مِنْ يَتَمَتَّعْ جَزَاءً﴾ إلا ابتغاء وجه ربه. قال الفراء: و﴿إِلَّا﴾ بمعنى «لكن» ونصب ﴿إِبْتِغَاءً﴾ على إضمار إنفاقه. فالمعنى: وما ينفق إلا ابتغاء وجه ربه. قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ أي: بما يُعطى في الجنة من الثواب<sup>(٥)</sup>.



- (١) هو في مجاز القرآن: لأبي حنيفة ٣٠١/٢، والطبري ٢٢٧/٣٠، والقرطبي ٢٠/٢٨٨.
- (٢) ويسمون المرجئة، وهم فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة، وسُموا مرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي، أي أخره عنهم. وقيل: المرجئة: فرقة من المسلمين يقولون: الإيمان قول بلا عمل، كأنهم قدموا القول، وأرجؤوا العمل، أي أخروه، لأنهم يرون أنهم لو لم يصلوا ولم يصوموا لتجاهل إيمانهم.
- (٣) زيادة من القرطبي.
- (٤) زيادة من القرطبي، وروى البخاري في صحيحه (٢١٤/١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل لتي يدخلون الجنة إلا من أبي»، قالوا: يا رسول الله ومن أبي؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى».
- (٥) ذكره القرطبي وغيره عن عطاء عن ابن عباس بغير سند.
- (٦) قال ابن كثير: «ولسوف يرضى» أي: ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات. قال: وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم، وهو قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِيَنَّ الْآتَى﴾ الذي يؤتي ماله يتزكَّى ﴿وَمَا يَلْحَقُ عِنْدَهُ مِنْ يَتَمَتَّعْ جَزَاءً﴾ ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة، فإنه كان صديقاً تقياً كريماً جواداً بذلاً لأمواله في طاعة مولاة ونصرة رسول الله ﷺ، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده مئة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل، ولهذا قال له عروة بن مسعود وهو سيد تقيف يوم صلح الحديبية: أما والله لولا يدك عندي لم أجرك بها لأجبتك. وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل، فكيف بمن عداهم؟! ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَلْحَقُ عِنْدَهُ مِنْ يَتَمَتَّعْ جَزَاءً﴾ إلا ابتغاء وجه ربه ﷻ، وفي «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعه خوة الجنة: يا عبد الله هذا خير» فمن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الرياء، فقال أبو بكر: يا رسول الله ما على أحد يدعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعي منها كلها أحد؟ قال: «نعم وأرجو أن تكون منهم».

## سورة الضحى

## وهي مكية كلها بإجماعهم

اتفق المفسرون: على أن هذه [السورة] نزلت بعد انقطاع الوحي مدة. ثم اختلفوا في سبب انقطاعه على ثلاثة أقوال: أحدها: أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن ذي القرنين، وعن أصحاب الكهف، وعن الروح، فقال: سأخبركم غداً، ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي. والثاني: لِقَلَّةِ النظافة في بعض أصحابه، وقد ذكرنا هذين القولين في سورة [مريم: ٦٥]. والثالث: لأجل جرو كان في بيته، قاله زيد بن أسلم<sup>(١)</sup>. وفي مدة احتباسه عنه أقوال قد ذكرناها في [مريم: ٦٦]. وروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث جُنْدُب قال: قالت امرأة من قريش للنبي ﷺ: «ما أرى شيطانك إلا قد ودَعَكَ»، فنزلت ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾<sup>(٢)</sup> جندب: هو ابن سفيان، والمرأة: يقال لها: أم جميل امرأة أبي لهب.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّزِ الرَّكَّزِ

﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَدَّعَكَ حَالًا فَرَدَّىٰ ۝٧ وَوَدَّعَكَ عَائِلًا فَأَقْنَىٰ ۝٨ فَإِنَّا الْيَوْمَ لَنُنَبِّئُكَ وَأَنَّ الْآخِلَ هُوَ الْبَاقِ ۝٩ وَأَنَّ الْآخِلَ هُوَ الْبَاقِ ۝١٠ وَأَنَّ الْيَوْمَ هُوَ الْبَاقِ ۝١١﴾

وفي المراد «بالضحى» أربعة أقوال: أحدها: ضوء النهار، قاله مجاهد. والثاني: صدر النهار، قاله قتادة. والثالث: أول ساعة من النهار إذا ترحلت الشمس، قاله السدي، ومقاتل. والرابع: النهار كله، قاله الفراء. وفي معنى «سَجَىٰ» خمسة أقوال: أحدها: أظلم. والثاني: ذهب، روي عن ابن عباس. والثالث: أقبل، قاله سعيد بن جبيرة. والرابع: سكن، قاله غطاء، وعكرمة، وابن زيد. فعلى هذا: في معنى «سكن» قولان: أحدهما: استقر ظلامه، قال الفراء: «سَجَىٰ» بمعنى أظلم وركد في طوله. كما يقال: بَحَرَ سَاجٍ، وَلَيْلٌ سَاجٍ: إذا ركد وأظلم. ومعنى: ركد: سكن. قال أبو عبيدة: يقال: ليلة ساجية، وساكنة، وشاكرة. قال الحادي:

(١) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٥٤٥/٨: وجدت في «الطبري» بإسناد فيه من لا يعرف أن سبب نزولها وجود جرو كلب تحت سريره ﷺ لم يشعر به، فأبطأ عنه جبريل لذلك، وقصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة، لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب، بل شاذ مردود بما في «الصحيح» والله أعلم. وورد لذلك سبب ثالث، وهو ما أخرجه الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لما نزل على رسول الله ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل أياماً، فتغير بذلك، فقالوا: ودعه ربه وقلاه، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾. ومن طريق إسماعيل مولى آل الزبير قال: فتر الوحي حتى شق ذلك على النبي ﷺ وأحزنه، فقال: فقد خشيت أن يكون صاحبي قلاني، فجاء جبريل بسورة «الضحى». وذكر سليمان التيمي في السيرة التي جمعها، ورواها محمد بن عبد الأعلى عن معتمر بن سليمان عن أبيه قال: وقر الوحي فقالوا: لو كان من عند الله لتابع، ولكن الله قلاه، فأنزل الله: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ و﴿لَنَنْبِئَنَّكَ بِمَا لَمْ يَدْرَأْ﴾ بكما لهما، قال: وكل هذه الروايات لا تثبت، والحق أن الفترة المذكورة في سبب نزول «الضحى»، غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي، فإن تلك دامت أياماً، وهذه لم تكن إلا ليلتين أو ثلاثاً، فاختلفتا على بعض الرواة. وتحرير الأمر في ذلك ما بيته، وقد أوضحت ذلك في التعبير لله الحمد، ووقع في «سيرة ابن إسحاق» في سبب نزول «الضحى» شيء آخر، فإنه ذكر أن المشركين لما سألوا النبي ﷺ عن ذي القرنين والروح وغير ذلك، وعدهم بالجواب ولم يستثن، فأبطأ عليه جبريل اثنتي عشرة ليلة أو أكثر، فضاقت صدره وتكلم المشركون، فنزل جبريل بسورة «الضحى» وجواب ما سألوا، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَأُ يَتِيمَةَ إِثْمًا ۚ وَلَئِنْ قِيلَ لَكَ إِنَّكَ نَذِيرٌ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۚ وَأَنَّ الْآخِلَ هُوَ الْبَاقِ ۚ وَأَنَّ الْآخِلَ هُوَ الْبَاقِ ۚ وَأَنَّ الْيَوْمَ هُوَ الْبَاقِ ۚ﴾ وذكر سورة «الضحى» هنا بعيد، لكن يجوز أن يكون الزمان في القصتين مقارباً، فضم بعض الرواة إحدى القصتين إلى الأخرى، وكل منهما لم يكن في ابتداء البعث، وإنما كان بعد ذلك بمدة، والله أعلم.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ٥٤٥/٨، ومسلم ١٤٢٣/٣، وأحمد في «المسند» ٣١٢/٤، وابن جرير الطبري ٢٣١/٣٠، والواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٧، وأورده السيوطي في «الدرر» ٦/٣٦٠ وزاد نسبته للترمذي، والنسائي، والبيهقي وأبي نعيم معاً في «الدلائل» عن جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي ﷺ.

يَا حَبْبَا الْقَمَرَاءُ وَاللَّيْلُ السَّاحِ

وَطُرُقٌ مِثْلُ مُلَاءِ التَّنَسَاجِ<sup>(١)</sup>

قال ابن قتيبة: «سَجَى» بمعنى سكن، وذلك عند تناهي ظلامه وركوده. والثاني: سكن الخلق فيه، ذكره الماوردي. والخامس: امتد ظلامه، قاله ابن الأعرابي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: «مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ» وقرأ عمر بن الخطاب، وأنس، وعروة، وأبو العالية، وابن يعمر، وابن أبي عبيدة، وأبو حاتم عن يعقوب «مَا وَدَّعَكَ» بتخفيف الدال. وهذا جواب القسم. قال أبو عبيدة: «مَا وَدَّعَكَ» من التوديع كما يودع المفاقر، و«مَا وَدَّعَكَ» مخففة من ودعه يدعه «وَمَا قَلَّ» أي: أبغض.

قوله تعالى: «وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ۖ» قال عطاء: خير لك من الدنيا. وقال غيره: الذي لك في الآخرة أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا.

قوله تعالى: «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ» في الآخرة من الخير «فَرَضَ» بما تُعْطَى. قال عليّ والحسن: هو الشفاعة في أمته حتى يرضى. قال ابن عباس: عُرِضَ على رسول الله ﷺ ما يُفْتَحُ على أمته من بعده كُفْرًا كُفْرًا، فُسِّرَ بذلك، فأنزل الله ﷻ: «وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ۖ» وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَارْضَ<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۖ» فيه قولان: أحدهما: جعل لك مأوى إذا ضَمَّكَ إلى عمك أبي طالب، فكفأك المؤونة، قاله مقاتل. والثاني: جعل لك مأوى لنفسك أغناك عن كفالة أبي طالب، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: «وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۖ» فيه ستة أقوال: أحدها: ضالًّا عن معالم النبوة، وأحكام الشريعة، فهذا إليها، قاله الجمهور، منهم الحسن، والضحاك. والثاني: أنه ضَلَّ وهو صبي صغير في شعاب مكة، فردّه الله إلى جدّه عبد المطلب، رواه أبو الضحى عن ابن عباس. والثالث: أنه لما خرج مع ميسرة غلام خديجة أخذ إلياس بزمام ناقته، فعدل به عن الطريق، فجاء جبريل، ففتح إلياس نفخة وقع منها إلى الحبيشة، وردّه إلى القافلة، فمَنَّ الله عليك بذلك، قاله سعيد بن المسيّب. والرابع: أن المعنى: ووجدك في قوم ضلّال، فهذا للتوحيد والنبوة، قاله ابن السائب. والخامس: ووجدك نسيأ، فهذا إلى الذكر. ومثله: «أَنْ تَبْتَغِيَ إِحْدَهُمَا فَتَكْشَرَ إِحْدَهُمَا الْآخَرُ» [البقرة: ٢٧٢]، قاله ثعلب. والسادس: ووجدك خاملاً لا تُذكر ولا تُعرف، فهذا الناس إليك حتى عرفوك، قاله عبد العزيز بن يحيى، ومحمد بن علي الترمذي.

قوله تعالى: «وَوَجَدَكَ عَالِمًا» قال أبو عبيدة: أي: ذا فعر. وأنشد:

وَمَا يَذْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ وَمَا يَذْرِي الْغَنِيُّ مَتَى يَعْجِلُ<sup>(٤)</sup>

أي: يفتقر. قال ابن قتيبة: العائل: الفقير، كان له عيال، أو لم يكن. يقال: عال الرجل: إذا افتقر. وأعال: إذا كثر عياله.

قوله تعالى: «فَأَغْنِ» قولان: أحدهما: رَضَّاك بما أعطاك من الرزق، قاله ابن السائب، واختاره الفراء. وقال:

(١) الرجز في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة، و«الكامل» ١٦١، و«الطبري» ٢٣٠/٣٠، و«القرطبي» ٩١/٢٠، و«اللسان»: سجي.

(٢) قال الطبري: وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي في ذلك قول من قال: معناه: واللَّيْلُ إذا سكن بأمله، وثبت بظلامه، كما يقال: بحر ساج: إذا كان ساكناً.

(٣) رواه ابن جرير الطبري ٢٣٢/٣٠ من رواية الإمام الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عبد الله بن عباس، ورواه ابن أبي حاتم من طريقه به. قال كثير: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ومثل هذا ما يقال عن توقيف. ورواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٨، والحاكم ٥٧٦/٢، ورواه الطبراني في «الكبير». قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٣٩/٧: وإسناد الطبراني في «الكبير» حسن. وأورده السيوطي في «الدرر» ٣٦١/٦ وزاد نسبه لمعد بن حميد، والبيهقي وأبي نعيم كلاهما في «الدلائل»، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٤) البيت لأحبة بن الجلاح الأوسي، وهو في «جمهرة أشعار العرب» ١٢٥، و«معاني القرآن» للفراء ٢٥٥/١، و«الجمهرة» ١٩٣/٢، و«الطبري» ٧/٥٤٩، و«اللسان» هيل، و«مجاز القرآن» ٣٠٢/٢، و«القرطبي» ٩٩/٢٠.



لم يكن غناه عن كثرة المال، ولكن الله رضاء بما آتاه. والثاني: فأغناك بمال خديجة عن أبي طالب، قاله جماعة من المفسرين<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ<sup>(٢)</sup>﴾ فيه قولان: أحدهما: لا تحقر، قاله مجاهد. والثاني: لا تقهره على ماله، قاله الزجاج<sup>(٣)</sup>. ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ﴾ ففيه قولان: أحدهما: سائل البر، قاله الجمهور. والمعنى: إذا جاءك السائل، فإما أن تعطيه، وإما أن تردّه ردّاً لئناً. ومعنى ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾ لا تنهره، يقال: نهره وانتهره: إذا استقبله بكلام يزرجه. والثاني: أنه طالب العلم، قاله يحيى بن آدم في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا يَتِمُّوكَ فَحَوِّثْ<sup>(٤)</sup>﴾ في النعمة ثلاثة أقوال: أحدها: النبوة. والثاني: القرآن، روي عن مجاهد. والثالث: أنها عامة في جميع الخيرات، وهذا قول مقاتل. وقد روي عن مجاهد قال: قرأت على ابن عباس، فلما بلغت ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ قال: كبر إذا ختمت كل سورة حتى تختتم. وقد قرأت على أبي بن كعب فأمرني بذلك. قال علي بن أحمد النيسابوري: ويقال: إن الأصل في ذلك أن الوحي لما فتر عن رسول الله ﷺ، وقال المشركون: قد هجره شيطانه وودّعه، اغتم بذلك، فلما نزل ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ كبر عند ذلك رسول الله ﷺ فرحاً بنزول الوحي، فاتخذته الناس سنة<sup>(٥)</sup>.



(١) روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس»، وروى مسلم في «صحيحه» عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قد أفلح من أسلم وورق كفافاً وقلقه الله بما آتاه».

(٢) وفي «صحيح البخاري» عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما قليلاً. ورواه أيضاً بمعناه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

(٣) قال عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير المفسر: روي عن طريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقرئ، قال: قرأت على عكرمة بن سليمان، وأخبرني أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد، فلما بلغت: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ قالوا لي: كبر حتى تختتم مع كل خاتمة كل سورة، فإنا قرأنا على ابن كثير (يريد به عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة، المتوفى سنة ١٢٠هـ) فأمرنا بذلك، وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزي من ولد القاسم بن أبي بزة، وكان إماماً في القراءات، فأما في الحديث، فقد ضعفه أبو حاتم الرازي، وقال: لا أحدث عنه، وكذلك أبو جعفر العقيلي قال: هو منكر الحديث، لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في «شرح الشاطبية» عن الشافعي أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة فقال: أحسنت وأصبحت السنة. وهذا يقتضي صحة هذا الحديث. قال ابن كثير: ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيته، فقال بعضهم: يكبر من آخر ﴿وَأَلْبِئْ بِمَا يَتَّقُ﴾ وقال آخرون: من آخر ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول: الله أكبر ويقتصر، ومنهم من يقول: الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر. قال ابن كثير: وذكر القراء في مناسبة التكبير من أول سورة ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ وفترت تلك المدة، ثم جاء الملك فأوحى إليه ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ ﴿وَأَلْبِئْ بِمَا يَتَّقُ﴾ السورة بتمامها، كبر فرحاً وسروراً، قال: ولم يرد ذلك بإستناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف، فإله أعلم.

## سورة الانشرح

### مكية كلها بإجماعهم

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَنْزَلَ نَحْنُ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ أَخَذْنَا مِيثَاقَكَ ۝ وَوَعَدْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝ فَإِنَّ مَعَ الْآنَسِ بُرْءًا ۝ إِذَا نَحْنُ بُرْءًا ۝ إِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ نَحْنُ لَكَ صَدْرَكَ ۝﴾ الشرح: الفتح بإذهاب ما يصدّ عن الإدراك. والله تعالى فتح صدر نبيه للهدى والمعرفة بإذهاب الشواغل التي تصدر عن إدراك الحق. ومعنى هذا الاستفهام: التقرير، أي: قد فعلنا ذلك<sup>(١)</sup>. ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝﴾ أي: حططنا عنك إثمك الذي سَلَفَ في الجاهلية، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، والضحاك، والفراء، وابن قتبية في آخرين. وقال الزجاج: المعنى: أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال ابن قتبية: وأصل الوزر: ما حمله الإنسان على ظهره، فَشُبّهَ بالحمل فجعل مكانه. ومعنى ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَكَ ۝﴾ أثقله حتى سمع نقيضه، أي: صوته. وهذا مثَلٌ، يعني: أنه لو كان حملاً يحمل لَسَمِعَ نقيضَ الظهر منه. وذهب قوم إلى أن المراد بهذا تخفيف أعباء النبوة التي يُثْقَلُ القيامُ بها الظَّهْرَ، فَسَهَّلَ الله له ذلك حتى تيسَّرَ عليه الأمر. وممن ذهب إلى هذا عبد العزيز بن يحيى.

قوله تعالى: ﴿وَوَعَدْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝﴾ فيه خمسة أقوال أحدها: ما روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه سأل جبريل عن هذه الآية، فقال: قال الله ﷻ: إِذَا ذُكِرْتُ [ذُكِرْتُ] معي<sup>(٢)</sup>. قال قتادة: فليس خطيب، ولا مُتَشَهِّدٌ، ولا صاحب صلاة إلا يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وهذا قول الجمهور. والثاني: رفعتنا لك ذِكْرَكَ بالنبوة، قاله يحيى بن سلام. والثالث: رفعتنا لك ذكرك في الآخرة كما رفعناه في الدنيا، حكاه الماوردي. والرابع: رفعتنا لك ذكرك عند الملائكة في السماء. والخامس: بأخذ الميثاق لك على الأنبياء، وإلزامهم الإيمان بك، والإقرار بفضلك، حكاهما الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْآنَسِ بُرْءًا ۝﴾ ضم سين «العُسْر»، وسين «اليسر» أبو جعفر، و«الآنس» مذكور في الآيتين بلفظ التعريف. و«اليسر» مذكور بلفظ التنكير، فدلّ على أن العسر واحد، واليسر اثنان. قال ابن مسعود، وابن عباس في هذه [الآية]<sup>(٣)</sup>: لن يغلب عُسْرُ يسرين. قال الفراء: العرب إذا ذُكِرَتْ نِكْرَةً ثم أعادتها بنكرة صارت اثنتين؛ كقولك: إذا كسبت درهماً فأنفق درهماً، فإذا أعادتها معرفة، فهي كقولك: إذا كسبت درهماً فأنفق الدرهم، فالثاني هو الأول. ونحو هذا قال الزجاج: ذُكِرَ العُسْرُ بالالف واللام، ثم ثُنِيَ ذِكْرُهُ، فصار المعنى: إن مع العسر يسرين. وقال الحسين بن يحيى الجرجاني - ويقال له: صاحب النظم -: معنى الكلام: لا يحزنك ما يُعَيِّرُك به

(١) قال ابن كثير: يقول الله تعالى: ﴿أَنْزَلَ نَحْنُ لَكَ صَدْرَكَ ۝﴾ يعني: إنا شرحنا لك صدرك، أي نورنا وجعلناه فيضاً رحياً واسعاً، كقوله: ﴿مَنْ يُؤِدَّ إِلَهُهُ﴾ أن يَهْدِيَهُ يَجْعَلْ لِنَهْلِهِ لَبِيدًا وكما شرح الله صدره، كذلك جعل شرعه فيضاً واسعاً سهلاً لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق.

(٢) سقطت هذه الكلمة من الأصل، واستدركناها من الطبري وغيره.

(٣) رواء ابن جرير الطبري ٢٣٥/٣٠ من رواية يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري، ودراج، وإن كان صدوقاً في حديثه فإنه في روايته عن أبي الهيثم ضعيف، كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» ومع ذلك فقد صححه ابن حبان. وقال ابن كثير: وكذا روى الحديث ابن أبي حاتم عن يونس عن عبد الأعلى به، ورواه أبو يعلى من طريق ابن لهيعة عن دراج. وأورد السيوطي في «الدرر» ٦/٣٦٤ وزاد نسبت لابن المنذر، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الدلائل» عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٤) زيادة من النسخة الإستانبولية.

المشركون من الفقر ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [عاجلاً في الدنيا، فأنجزه بما وعده، بما فتح عليه، ثم ابتداءً فصلاً آخر فقال: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾<sup>(١)</sup>، والدليل على ابتدائه تعرّبه من الفاء والواو، وهو وعد لجميع المؤمنين أن مع عسر المؤمنين يسراً في الآخرة، فمعنى قولهم: لن يغلب عسر يسرين: لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعده الله المؤمنين في الدنيا، فاليسر الذي وعدهم في الآخرة، إنما يغلب أحدهما، وهو يسر الدنيا. فأما يسر الآخرة، فإدّاء لا ينقطع، كقوله ﷺ: «شهرها عيد لا ينقصان»<sup>(٢)</sup>، أي: لا يجتمعان في النقص. وحكي عن العتبي قال: كنت ذات ليلة في البادية بحالة من الغم، فألقيت في روعي بيت من الشعر، فقلت:

أَرَى الْمَوْتَ لِمَنْ أَضْبَحَ      حَجَّ مَنُومًا لَهْ أَوْحَ

فلما جنّ الليل سمعت هاتفاً يهتف:

أَلَا يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ أَلَمْ      لَسِيذِي الْهَيْمُ بِهِ بَسْرُخْ

وَقَدْ أَنْشَدَ بَيْنَنَا لَمْ      يَزَلْ فِي فِكْرِهِ يَنْشَخْ

إِذَا اشْتَدَّ بِكَ الْغُشُرُ      فَمُشَرِّبِينَ يُشَرِّينْ

فحفظت الأبيات وقرّج الله عني.

قوله تعالى: ﴿إِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾<sup>(٣)</sup> أي: فادأب في العمل، وهو من النَّصَب، والنَّصَب: التعب، الذُّؤُوب في العمل. وفي معنى الكلام خمسة أقوال: أحدها: فإذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل، قاله ابن مسعود. والثاني: فإذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء، قاله ابن عباس، والضحاك، ومقاتل. والثالث: فإذا فرغت من أمر دنياك فانصب في عمل آخرتك، قاله مجاهد. والرابع: فإذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك، قاله الشعبي، والزهري. والخامس: إذا صحت بدنك فاجعل صحتك نصيباً في العبادة، ذكره علي بن أبي طلحة، «وَلَا رَيْبَ أَنَّكَ فَارَغْتَ»<sup>(٤)</sup> قال الزجاج: اجعل رغبتك إلى الله ﷻ وحده<sup>(٥)</sup>.



(١) زيادة من النسخة الاستبوية.

(٢) رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أبي بكرة ﷺ، واللفظ لمسلم ٧٦٦/٢ وهو بتمامه: «شهرها عيد لا ينقصان: رمضان وفو الحجّة» ولفظ البخاري ١٠٨/٤: «شهران لا ينقصان، شهرها عيد: رمضان وفو الحجّة»، قال الإمام النووي في «شرح مسلم»: قوله ﷺ: «شهرها عيد لا ينقصان: رمضان وفو الحجّة» الأصح أن معناه: لا ينقص أجرهما والثواب المرتب عليهما وإن نقص عددهما. وقيل: معناه: لا ينقصان جميعاً في سنة واحدة غالباً، وقيل: لا ينقص ثواب ذي الحجّة عن ثواب رمضان، لأن فيه المناسك، حكاة الخطاي وهو ضعيف، والأول هو الصواب المعتمد. ومعناه أن قوله ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»، وقوله ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً...» وغير ذلك، فكل هذه الفضائل تحصل، سواء تم عدد رمضان أم نقص، والله أعلم.

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١٠٦/٤ ما ملخصه: وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث، فمنهم من حمله على ظاهره فقال: لا يكون رمضان ولا ذو الحجّة أبداً إلا ثلاثين، وهذا قول مردود معاند للموجود المشاهد، ويكفي في رده قوله ﷺ: «صوموا لرؤيته، وأنظروا لرؤيته، فإن هم عليكم فأكملوا العدة»، فإنه لو كان رمضان أبداً ثلاثين لم يحتج إلى هذا، قال: ومنهم من تأوّل له معنى لنقصاً، قال أبو الحسن: كان إسحاق بن راهويه يقول: لا ينقصان في الفضيلة إذا كانا تسعة وعشرين أو ثلاثين، وقال البيهقي في «المعرفة»: إنما غصهما بالذكر لتعلق حكم الصوم والحجّ بهما. قال ابن حجر: والمعنى أن كل ما ورد منهما من الفضائل والأحكام حاصل سواء كان رمضان ثلاثين أو تسعاً وعشرين.

ثم قال: وفي الحديث حجة لمن قال: إن الثواب ليس مرتباً على وجود المشقة دائماً، بل لله أن يفضل بإلحاق الناقص بالتمام في الثواب، ثم قال: وهذا الحديث يقتضي أن التسوية في الثواب بين الشهر الذي يكون تسعاً وعشرين، وبين الشهر الذي يكون ثلاثين، إنما هو بالنظر إلى جعل الثواب متعلقاً بالشهر من حيث الجملة، لا من حيث تفضيل الأيام. وأطلق على رمضان أنه شهر عيد لقرنه من العيد، ونظيره قوله ﷺ: «المغرب وتر النهار» أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر، وصلاة المغرب ليلية جهرية، وأطلق كونها وتر النهار لقرنها منه، وفيه إشارة أن وقتها يدخل أول ما تغرب الشمس.

(٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾<sup>(١)</sup> وَلَا رَيْبَ أَنَّكَ فَارَغْتَ أي: إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علاقتها، فانصب إلى العبادة، وقم إليها نشيطاً فارغ البال، وأخلص لربك النية والرغبة، قال: ومن هذا القبيل قوله ﷺ في الحديث المتقدم على صحته: «لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدلهما الأخيطان»، وقوله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة وحضر المشاء، فابتدؤوا بالمشاء».

## سورة التين

وفيها قولان: أحدهما: مكة، قاله الجمهور، منهم الحسن، وعطاء<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها مدنية، حكاه الماوردي عن ابن عباس، وقاتدة.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّاتِ الثَّلَاثِ

﴿وَالزَّيْتُونَ وَالزَّيْتُونَ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ نَسَىٰ بِكَرْبِكَ بِمَدِّ الْإِنِّ ۝ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَرِيمٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالزَّيْتُونَ ۝﴾ فيهما سبعة أقوال: أحدها: أنه التين المعروف، والزيتون المعروف، قاله ابن عباس، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، وجابر بن زيد، وإبراهيم. وذكر بعض المفسرين أنه إنما أقسم بالتين لأنها فاكهة مخصصة من شائب التنقيص، وهو يدل على قدرة من هيأ على تلك الصفة. وجعل الواحدة منه على مقدار اللقمة، وإنما أقسم بالزيتون لكثرة الانتفاع به. والثاني: أن التين: مسجد نوح عليه السلام الذي بني على الجودي. والزيتون: بيت المقدس، رواه عطية عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثالث: التين: المسجد الحرام، والزيتون: المسجد الأقصى، قاله الضحاك. والرابع: التين: مسجد دمشق، والزيتون: بيت المقدس، قاله كعب، وقاتدة، وابن زيد. والخامس: أنهما جبلان، قاله عكرمة في رواية. وروي عن قاتدة قال: التين: الجبل الذي عليه دمشق، والزيتون: الجبل الذي عليه بيت المقدس. والسادس: أن التين: مسجد أصحاب الكهف، والزيتون: مسجد إيلياء، قاله القرظي. والسابع: أن التين: جبال ما بين حلوان إلى همدان، والزيتون: جبال بالشام، حكاه الفراء<sup>(٣)</sup>. فأما ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝﴾ فالطور: جبل، وفيه قولان: أحدهما: أنه الجبل الذي كلم الله موسى عليه، قاله كعب الأحبار في الأكثرين. والثاني: أنه جبل بالشام، قاله قاتدة. فأما ﴿سِينِينَ﴾ فهو لغة في سيناء، وقد قرأ علي، وسعد بن أبي وقاص، وأبو العالية، وأبو مجلز «طور سيناء» ممدودة مهموزة، مفتوحة السين. وقرأ ابن مسعود، وأبو الدرداء، وأبو حيو: «طور سيناء» مثلهم إلا أنهم كسروا السين. وقرأ أبو رجاء، والجحدري «سينين» كما في المصحف، لكنهما فتحا السين. وقال ابن الأنباري: «سينين» هو سيناء. واختلفوا في معناه، فقيل: معناه: الحسن، وقيل: المبارك، وقيل: إنه اسم للشجر الذي حوله. وقد شرحنا هذا في سورة [المؤمنين: ٢٠] قال الزجاج: وقد قرئ هاهنا «طور سيناء» وهو أشبه لقوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سِينَاءَ﴾ [المؤمنون: ٢٠]. وقال مقاتل: كل جبل فيه شجر مشمر فهو سينين، وسيناء بلغة النبط<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝﴾ يعني: مكة يأمن فيه الخائف في الجاهلية، والإسلام<sup>(٥)</sup>. قال الفراء: ومعنى «الأمين» الآمن. والعرب تقول للأمين: آمن. قال الشاعر:

(١) وهو الصواب.

(٢) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا قول من قال: التين، هو التين الذي يؤكل، والزيتون: هو الذي يعصر منه الزيت، لأن ذلك هو المعروف عند العرب.

(٣) قال أبو جعفر الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: طور سينين، جبل معروف، لأن الطور هو الجبل ذو النبات، فإضافته إلى سينين، تعريف له، ولو كان نعتاً للطور كما قال من قال: حسن أو مبارك، لكان الطور منوناً، وذلك أن الشيء لا يضاف إلى نعت لغيره علة تدعو إلى ذلك.

(٤) قال ابن كثير: وقال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة، بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلًا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، فالأول محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم عليه السلام، والثاني: طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران، والثالث: مكة، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمناً، وهو الذي أرسل فيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، قالوا: وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة: جاء الله من طور سيناء - يعني الذي كلم الله عليه موسى بن عمران - وأشرق من مساعير - يعني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى - واستعلن من جبال

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أَسْمَ وَنَحَكَ أَنْزِي

خَلَقْتُ يَمِينًا لَا أُخُونُ أَمِينِي<sup>(١)</sup>

يريد أمني.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ هذا جواب القسم. وفي المراد بالإنسان هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أنه كَلْدَة بن أسيد، قاله ابن عباس. والثاني: الوليد بن المغيرة، قاله عطاء. والثالث: أبو جهل بن هشام. والرابع: عتبة، وشيبة، حكامهما الماوردي. والخامس: أنه اسم جنس، وهذا مذهب كثير من المفسرين<sup>(٢)</sup>، وهو معنى قول مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيرٍ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: في أعَدَل خلق. والثاني: منتصب القامة، روي عن ابن عباس. والثالث: في أحسن صورة، قاله أبو العالية. والرابع: في شباب وقوة، قاله عكرمة<sup>(٣)</sup>. ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾<sup>(٤)</sup> فيه قولان: أحدهما: إلى أَرْدَلِ الْعُمُر، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وإبراهيم، وقادة<sup>(٥)</sup>. وقال الضحاك: إلى الهرم بعد الشباب، والضعف بعد القوة. والسافلون: هم الضعفاء، والزُمنى، والأطفال، والشيخ الكبير أسفل هؤلاء جميعاً. قال الفراء: وإنما قال ﴿سَافِلِينَ﴾ على الجمع؛ لأن الإنسان في معنى جمع. تقول: هذا أفضل قائم، ولا تقول: قائمين، لأنك تريد واحداً، فإذا لم ترد واحداً ذكرته بالتحديد وبالجمع. والثاني: إلى النار، قاله الحسن، وأبو العالية، ومجاهد. والمعنى: إنا فعلنا هذا بكثير من الناس. تقول العرب: أنفق فلان ماله على فلان، وإنما أنفق بعضه، ومثله قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾<sup>(٦)</sup> [الليل: ١٨] لم يُرِدْ كُلَّ ماله. ثم استثنى من الإنسان فقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لأن معنى الإنسان الكثير. وللمفسرين في معنى الاستثناء قولان: أحدهما: إلّا الذين آمنوا، فإنهم لا يُرَدُّون إلى الْحَرْفِ وَأَرْدَلِ الْعُمُرِ وإن عُمُرُوا طويلاً، وهذا على القول الأول. قال ابن عباس: من قرأ القرآن لم يُرَدَّ إلى أَرْدَلِ الْعُمُر. وقال النخعي: إذا بلغ المؤمن من الكِبَر ما يعجز عن العمل كُتِبَ له ما كان يعمل، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ وقال ابن قتيبة: المعنى: إلّا الذين آمنوا في وقت القوة والقدرة، فإنهم حال الكِبَر غير منقوصين وإن عجزوا عن الطاعات؛ لأن الله تعالى علم أنهم لو لم يسلبهم القوة لم ينقطعوا عن أفعال الخير، فهو يجري لهم أجر ذلك. والثاني: إلّا الذين آمنوا، فإنهم لا يُرَدُّون إلى النار. وهذا على القول الثاني<sup>(٧)</sup>. وقد شرحنا معنى «الممنون» في «ن» [آية: ٣].

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ يَكْذُوكَ بِمَدِّ الْإِثْمِ﴾<sup>(٨)</sup> فيه قولان: أحدهما: فما يكذبك أيها الإنسان بعد هذه الحجة، ﴿وَالَّذِينَ﴾ أي: ما الذي يجعلك مكذباً بالجزاء؟ وهذا توبيخ للكافر، وهو معنى قول مقاتل. وزعم أنها نزلت في عدي بن ربيعة. والثاني: فمن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب بعدما تبين له خلقنا الإنسان على ما وصفنا، قاله الفراء. فأما «الذين» فهو الجزاء. والمشار بذكره إلى البعث، كأنه استدلل بتقلب الأحوال على البعث.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نَكِيدُ لِلْكَافِرِينَ﴾<sup>(٩)</sup> أي: بأقضى القاضين. قال مقاتل: يحكم بينك وبين مكذِّبك. وذكر بعض المفسرين: أن معنى هذه الآية تسليته في تركهم والإعراض عنهم، ثم نسخ هذا المعنى بآية السيف<sup>(١٠)</sup>.

= فاران - يعني جبال مكة التي أرسل الله منها محمداً ﷺ، فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان، ولهذا أقم بالأشرف، ثم الأشرف منه، ثم الأشرف منهما.

(١) البيت من شواهد الفراء ٣٧١، وهو في الطبري ٢٤١/٣٠، والقرطبي ١١٣/٢٠.

(٢) وهو الصواب.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن معنى ذلك: لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدلها، لأن قوله: ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيرٍ﴾ إنما هو نعت لمحلوف، وهو في تقويم أحسن تقويم، فكانه قال: لقد خلقناه في تقويم أحسن تقويم.

(٤) واختار هذا القول ابن جرير الطبري، ورده ابن كثير، فقال: ولو كان هذا هو المراد، لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك، لأن الهرم قد يصيب بعضهم، وإنما المراد ما ذكرناه (يعني القول الثاني: النار)، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نَكِيدُ لِلْكَافِرِينَ﴾.

(٥) وهو الأقرب إلى معنى الآية، كما قال ابن كثير.

(٦) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نَكِيدُ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يهجر ولا يظلم أحداً، ومن عدله أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدنيا من ظلمه.

## سورة العلق<sup>(١)</sup>

وتسمى: سورة القلم، وسورة العلق، وهي مكية بإجماعهم. وهي أول ما نزل من القرآن. وقيل: إنها نزلت عليه في أول الوحي خمس آيات منها، ثم نزل باقيها في أبي جهل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ ⑤﴾  
قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ﴾ قرأ أبو جعفر بتخفيف الهمزة في الحرفين. قال أبو عبيدة: المعنى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ والباء زائدة. وقال المفسرون: المعنى: اذكر اسمه مستفتحاً به قراءتك. وإنما قال تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾ لأن الكفار كانوا يعلمون أنه الخالق دون أصنامهم. والإنسان هاهنا: ابن آدم. والعلق: جمع علقه، وقد بينّاها في سورة «الحج». قال الفراء: لما كان الإنسان في معنى الجمع جمع العلق مع مشاكلة رؤوس الآيات.

قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ﴾ تقرير للتأكيد. ثم استأنف فقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ قال الخطابي: الأكرم: الذي لا يوازيه كرم، ولا يعادله في الكرم نظير. وقد يكون الأكرم بمعنى الكريم، كما جاء الأعزُّ والأطول بمعنى العزيز والطويل. وقد سبق تفسير الكريم.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④﴾ أي: علّم الإنسان الكتابة بالقلم ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ ⑤﴾ من الخط، والصنائع، وغير ذلك. وقيل: المراد بالإنسان هاهنا: محمد ﷺ.

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ لِقَلَمٍ ④﴾ أَنْ رَكَّاهُ اسْتَقَى ⑤ إِنَّ إِلَهَ رَبِّكَ الْخَلِيقُ ⑥ أَوَيْتَ إِلَى يَمِينٍ ⑦ عِنْدَ إِذَا سَأَلَ ⑧ أَوَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْمَذْهَبِ ⑨ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوْلِ ⑩ أَوَيْتَ إِنْ كُنْتُ نَذَرًا ⑪ أَوْ يَمُرُّ بِكَ الْإِلَهُ ⑫ أَوْ يَمُرُّ بِكَ الْإِلَهُ ⑬ كَلَّا لَنْ يَسْتَنْصِفَ ⑭ نَاصِيَةً كَذِبٍ خَالِفًا ⑮ فَلْيَنْصَحْ نَاصِيَةً ⑯ سَتَجِدُ أَزْوَاجَهُ ⑰ كَلَّا لَا تُلْمِظُهُمْ فَتُلْظَمَ ⑱ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ⑲﴾

قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ﴾ أي: حقاً. وقال مقاتل: ﴿عَلَّمَ﴾ لا يعلم أن الله علمه. ثم استأنف فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُجٌ ⑥﴾ يعني: أبا جهل. وكان إذا أصاب مالاً أشر ويطر في ثيابه، ومراكبه، وطعامه، ﴿أَنْ رَكَّاهُ اسْتَقَى ⑤﴾ قال ابن قتيبة: أي: أن رأى نفسه استغنى، و﴿الْخَلِيقُ ⑥﴾: المرجع.

قوله تعالى: ﴿أَوَيْتَ إِلَى يَمِينٍ ⑦﴾ معنى: أرايت: تعجبه المخاطب، وإنما كررها للتأكيد والتعجيب. والمراد بالناهي هاهنا: أبو جهل. قال أبو هريرة: قال أبو جهل: هل يعرف محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم. قال: فبالذي يحلف به<sup>(٢)</sup> لئن رأيته لأطأن على رقبته. فقيل له: ها هو ذاك يصلي. فانطلق ليظن على رقبته، فما فجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه<sup>(٣)</sup>، ويتقي بيديه، فأتوه، فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار، وهولاً وأجنيحة. وقال نبي الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»، فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَيْتَ إِلَى يَمِينٍ ⑦﴾ إلى آخر السورة<sup>(٤)</sup>. وقال ابن عباس: كان النبي ﷺ يصلي، فجاء أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟

(١) في الأصل: سورة اقرأ.

(٢) في الأصل: عقبه، والتصحيح من مسلم والطبري.

(٣) روى مسلم في «صحيحه» ٢١٥٤/٤، وابن جرير الطبري ٢٥٦/٣٠، ورواه أحمد، والنسائي، وابن أبي حاتم. وأورد السيوطي في «الدر» ٣٧٠/٦ وزاد نسبة لابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي، وأبي نعيم عن أبي هريرة ﷺ.

ورواه البخاري في «صحيحه» ٥٥٧/٨ دون سبب النزول، ولفظه: عن عكرمة قال ابن عباس: قال أبو جهل: لئن رأيته محمداً يصلي عند الكعبة لأعان عنه، فبلغ النبي ﷺ فقال: «لو فعله لأخذه الملائكة» ورواه ابن جرير بنحوه بلفظ: «لو فعل لأخذه الملائكة عياناً». ورواه بنحو رواية الطبري: الترمذي في «سننه» ١٧٠/٢ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح. وأورد السيوطي في «الدر» ٣٦٩/٦ وزاد نسبته لعبد الرزاق،

فانصرف إليه النبي ﷺ فزيره<sup>(١)</sup>، فقال أبو جهل: والله إنك لتعلم ما بها نادٍ أكثر مني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَلْعَنُ نَادِيَهُ﴾<sup>(٢)</sup> قال ابن عباس: والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله<sup>(٣)</sup>. قال المفسرون: والمراد بالعبد هنا: محمد ﷺ. وقيل: كانت الصلاة صلاة الظهر.

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ يعني المنهي وهو النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ يعني: التاهي، وهو أبو جهل، قال الفراء: والمعنى: أرايت الذي ينهى عبداً إذا صلى، وهو كاذب متوَلِّ عن الذكر، فأى شيء أعجب من هذا؟ وقال ابن الأنباري: تقديره: أرايته مصيباً.

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ يعني أبا جهل ﴿يَلْعَنُ اللَّهَ﴾ ذلك فيجازه ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يعلم ذلك، ﴿لَنْ يَنْفَعَكَ﴾ عن تكذيب محمد وشتمه وإيذائه ﴿تَتَسَنَّأُ بِالْكَافِرِينَ﴾ السفع: الأخذ، والناصية: مُقَدِّمُ الرأس. قال أبو عبيدة: يقال: سفعت بيده، أي: أخذت بها. وقال الزجاج: يقال: سفعت الشيء: إذا قبضت عليه وجذبت جذباً شديداً. والمعنى: لتَجْرُؤَ ناصيته إلى النار.

قوله تعالى: ﴿كَافِرِينَ﴾ قال أبو عبيدة: هي بدل، فلذلك جَرَّها. قال الزجاج: والمعنى: بناصية صاحبها كاذب خاطئ، كما يقال: نهأه صائم، وليله قائم، أي: هو صائم في نهاره، قائم في ليله. ﴿يَلْعَنُ نَادِيَهُ﴾ أي: أهل ناديه، وهم أهل مجلسه فليستنصرهم ﴿سَنَعُ الزَّيَّانَةِ﴾ قال عطاء: هم الملائكة الغلاظ الشداد. وقال مقاتل: هم غَوَّثَةُ جهنم. وقال قتادة: الزَّيَّانَةُ في كلام العرب: الشَّرْطُ. قال الفراء: كان الكسائي يقول: لم أسمع للزَّيَّانَةِ بواحد، ثم قال بأخرة: واحد الزَّيَّانَةُ: زَيْتِي، فلا أدري أقياساً منه أو سماعاً. وقال أبو عبيدة: واحد الزَّيَّانَةُ: زَيْتِيَّة، وهو كل متمرد من إنس، أو جان. يقال: فلان زَيْتِيَّةٌ عَفْرِيَّة. قال ابن قتيبة: وهو مأخوذ من الزَّيْن، وهو الدَّفْع، كأنهم يدفعون أهل النار إليها. قال ابن دريد: الزَّيْن: الدَّفْع. يقال: ناقة زبون: إذا زَيْتَتْ حالبها، ودفعته برجلها. وَتَزَايَنَ القوم: تدارؤوا. واشتقاق الزَّيَّانَةِ من الزَّيْن، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر على ما عليه أبو جهل ﴿لَا تُطْمَئِنُّ﴾ في ترك الصلاة ﴿وَأَسْجُدْ﴾ أي: صلَّ الله ﴿وَأَقْرَبْ﴾ إليه بالطاعة، وهذا قول الجمهور أن قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبْ﴾ خطاب للنبي ﷺ. وقد قيل: إنه خطاب لأبي جهل، ثم فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: اسجد أنت يا محمد، واقرب أنت يا أبا جهل من النار، قاله زيد بن أسلم. والثاني: واقرب يا أبا جهل تهديداً له، رواه أبو سليمان الدمشقي عن بعض القدماء. وهذا يشرحه حديث أبي هريرة الذي قدّمناه. وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»<sup>(٣)</sup>.



= وجد بن حميد، وابن مردويه، وابن المنذر، وأبي نعيم والبيهقي معاً في «الدلائل» عن ابن عباس ؓ.

(١) أي: نهأه وأغلظ له.

(٢) رواه الترمذي ١٧١/٢ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح. رواه أحمد في «المسند» رقم ٢٣٢١ و٣٠٤٥، وابن جرير الطبري ٢٥٦/٣٠، والواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٩، وأورده السيوطي في «الدر» ٣٦٩/٦ وزاد نسبته لابن أبي شيبة، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم والبيهقي عن ابن عباس ؓ.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» ٣٥٠/١.

## سورة القدر

وفيها قولان: أحدهما: أنها مكية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: مدنية، قاله الضحاك، ومقاتل. قال الماوردي: والأول قول الأكثرين<sup>(١)</sup>. وقال الثعلبي: الثاني قول الأكثرين.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ قَدَرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ مِنْ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ يعني: القرآن ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وذلك أنه أنزل جملةً في تلك الليلة إلى بيت العزّة، وهو بيت في السماء الدنيا. وقد ذكرنا هذا الحديث في أول كتابنا<sup>(٢)</sup>. والهاء في ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ كناية عن غير مذكور. وقال الزجاج: قد جرى ذكره في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ [الدخان: ٤٣]. فأما ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ ففي تسميتها بذلك خمسة أقوال: أحدها: أن القدر: العظمة، من قولك: لفلان قدر، قاله الزهري. ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّىٰ قَدَرُوهُ﴾ [الأنعام: ٩١] و[النمر: ٦٧]. والثاني: أنه من الضيق، أي: هي ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين ينزلون، قاله الخليل بن أحمد، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَمِن مِّدْرٍ عَلَيْهِ رَيْفُهُمُ﴾ [الطلاق: ٧]. والثالث: أن القدر: الحكم، كان الأشياء تُقدّر فيها، قاله ابن قتيبة. والرابع: لأن من لم يكن له قدر صار بمراعاتها ذا قدر، قاله أبو بكر الورّاق. والخامس: لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر، وتنزل فيها رحمة ذات قدر، وملائكة ذوو قدر، حكاة شيخنا علي بن عبيد الله.

## فصل

واختلف العلماء هل ليلة القدر باقية، أم كانت في زمن النبي ﷺ خاصة؟ والصحيح بقاؤها. وهل هي في جميع السنة، أم في رمضان؟ فيه قولان: أحدهما: في رمضان، قاله الجمهور<sup>(٣)</sup>. والثاني: في جميع السنة، قاله ابن مسعود. واختلف القائلون بأنها في شهر رمضان هل تختص ببعضه دون بعض؟ على قولين: أحدهما: أنها في العشر الأواخر، قاله الجمهور، وأكثر الأحاديث الصحيحة تدلّ عليه. وقد روى البخاري في أفرادها من حديث ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، في تاسعة تبقى، أو سابعة تبقى، أو في خامسة تبقى»<sup>(٤)</sup>. وفي حديث أبي بكرّة قال: ما أنا بملتمسها لشيء سمعته من رسول الله ﷺ، إلا في العشر الأواخر، فإني سمعته يقول: «التمسوها في تسع يقيين، أو سبع يقيين، أو خمس يقيين، أو ثلاث يقيين، أو آخر ليلة»<sup>(٥)</sup>. والقول الثاني: أنها في جميع رمضان، قاله الحسن البصري. واختلف القائلون بأنها في العشر الأواخر هل تختص ليالي الوتر دون الشفع؟

(١) وهو الصواب.

(٢) وهو الصواب الذي تؤكده الأدلة الصحيحة عن رسول الله ﷺ، وسبوره المصنف بعضها.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ٢٢٦/٤ ولفظه: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر، في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى». قال ابن كثير بعدما ذكر حديث البخاري هذا: فسره كثيرون بليالي الأوتار، وهو أظهر وأشهر.

(٤) رواه الترمذي في «سننه» ٩٨/١ من حديث عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بكرّة وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الترمذي في آخر الحديث: وكان أبو بكرّة يصلي في العشرين من رمضان كصلاته في سائر السنة، فإذا دخل العشر يعني الأخير اجتهد. وقال الحافظ السيوطي في «الدر» ٣٧٣/٦: أخرج الطيالسي، وابن أبي شبة، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي وصححه، وابن جرير والحاكم وصححه، والبيهقي عن عبد الرحمن بن جوشن قال: ذكرت ليلة القدر عند أبي بكرّة فقال: أما أنا فليست بملتمسها إلا في العشر الأواخر بعد حديث سمعته من رسول الله ﷺ يقول: «التمسوها في العشر الأواخر، لتاسعة تبقى، أو سابعة تبقى، أو ثالثة تبقى، أو آخر ليلة»، فكان أبو بكرّة ﷺ يصلي في عشرين من رمضان كما كان يصلي في سائر السنة، فإذا دخل العشر اجتهد.



على قولين: أحدهما: أنها تختص الأفراد، قاله الجمهور. والأحاديث الصحاح كلها تدلّ عليه. وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحاحين» من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «ابتغوها في العشر الأواخر في الوتر منها»<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها تكون في الشفع كما تكون في الوتر، قاله الحسن. وروى عن الحسن ومالك بن أنس قالا: هي ليلة ثمان عشرة<sup>(٢)</sup>. واختلف القائلون بأنها في الأفراد في أخص الليالي بها على خمسة أقوال: أحدها: أن الأخص بها ليلة إحدى وعشرين. فروى البخاري ومسلم في «الصحاحين» من حديث أبي سعيد الخدري قال: اعتكف رسول الله ﷺ العشر الوسط، واعتكفنا معه، فلما أصبحنا صبيحة عشرين رجع، ورجعنا معه، وأري ليلة القدر، ثم أنسيتها، فقال: «إني رأيت ليلة القدر، ثم أنسيتها وأراني أسجد في ماء وطين، فمن اعتكف فليرجع إلى مُتَعَكِّفِهِ، وهاجت علينا السماء آخر تلك العشية، وكان سَقْفُ المسجد عرشاً من جريد، فوكف [المسجد]<sup>(٣)</sup> فوالذي هو أكرمهم، وأنزل عليه الكتاب لَرَأَيْتُهُ يصلي، بدأ المغرب ليلة إحدى وعشرين، وإن جبهته وأرنبة أنفه لفي الماء والطين»<sup>(٤)</sup>. وهذا مذهب الشافعي. والثاني: أن الأخص بها ليلة ثلاث وعشرين. روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال ليلة ثلاث وعشرين: «اطلبوها الليلة»<sup>(٥)</sup>. وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان منكم يريد أن يقوم من الشهر شيئاً فليقم ليلة ثلاث وعشرين»<sup>(٦)</sup>. وروى مسلم في أفراده من حديث عبد الله بن أنيس، أن رسول الله ﷺ قال: «أريت ليلة القدر، ثم أنسيتها»<sup>(٧)</sup>، وأراني صُبْحَهَا<sup>(٨)</sup> أسجد في ماء وطين. قال: فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين، فصلى بنا رسول الله ﷺ فانصرف<sup>(٩)</sup> وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه. قال: وكان عبد الله بن أنيس يقول: ليلة ثلاث وعشرين<sup>(١٠)</sup>. والثالث: ليلة خمس وعشرين، روى هذا المعنى أبو بكرة عن النبي ﷺ<sup>(١١)</sup>. والرابع: ليلة سبع وعشرين، روى مسلم في أفراده من حديث ابن عمر، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كان متحرّياً فليتحزّها ليلة سبع وعشرين»، يعني: ليلة القدر<sup>(١٢)</sup>، وهذا مذهب عليّ وأبيّ بن كعب. وكان أبيّ يحلف لا يستثني أنها ليلة سبع

(١) رواه البخاري ٢٢٥/٤ وهو جزء من حديث طويل، ولقظه: «... فابتغوها في العشر الأواخر، وابتغوها في كل وتر...» وهو في «مسلم» ٨٢٤/٢، بمعناه.

(٢) قال الترمذي ٩٨/١: وروى عن أبي قلابة أنه قال: ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر. قال ابن كثير: وهذا الذي حكاه الترمذي عن أبي قلابة نصّ عليه مالك، والثوري، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو ثور، والعزي، وأبو بكر بن خزيمة، وغيرهم، قال: وهو محكي عن الشافعي، نقله القاضي عنه، وهو الأشبه، والله أعلم.

(٣) زيادة من البخاري ومسلم، ومعنى وكف: أي: قطر ماء المطر من سقفه.

(٤) رواه البخاري ٢٣٦/٤، ٢٤٣، ٢٤٤، ومسلم ٨٢٤/٢، ٨٢٦.

(٥) قال السيوطي في «الدر» ٣٧٢/٦: وأخرج ابن زنجويه، وابن مردويه بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ذكرنا ليلة القدر عند رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «كم بقي من الشهر؟ قلنا: مضت اثنتان وعشرون، وبقي ثمان، فقال رسول الله ﷺ: مضت اثنتان وعشرون، وبقيت سبع، التمسوها الليلة، الشهر تسع وعشرون».

(٦) هذا قطعة من حديث ذكره الطبرسي في «مجمع البيان» ١٩٣/٣٠ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان منكم يريد أن يقوم من الشهر شيئاً فليقم ليلة ثلاث وعشرين، ولم نره عند غيره بهذا اللفظ، نعم رواه البخاري ومسلم في «الصحاحين» عن عبد الله بن عمر أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد توأمت في السبع الأواخر، فمن كان متحرّياً فليتحزّها في السبع الأواخر». قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٢١/٤: والظاهر أن المراد به أواخر الشهر، ثم قال: ولمسلم من طريق عقبة بن حريث عن ابن عمر: «التمسوها في العشر الأواخر، فإن ضعف أحدكم أو عجز، فلا يغلب على السبع البواقي»، قال: وهذا البيان يرجح الاحتمال في تفسير السبع.

(٧) في الأصل: نسيتها.

(٨) في الأصل: فأبصرته.

(٩) رواه مسلم ٨٢٧/٢، وقال الحافظ السيوطي في «الدر» ٣٧٣/٦: أخرجه مالك، وابن سعد، وابن أبي شيبة، وأحمد، ومسلم، وابن زنجويه، والطحاوي، والبيهقي عن عبد الله بن أنيس أنه سئل عن ليلة القدر، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «التمسوها الليلة» وتلك الليلة ليلة ثلاث وعشرين.

(١٠) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٢٩/٤: حكاه ابن العربي في «المعارضة»، وعزاه ابن الجوزي في «المشكّل» لأبي بكرة.

(١٢) لفظ رواية مسلم ٨٢٢/٢: «فمن كان متحرّياً فليتحزّها في السبع الأواخر». قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٢٩/٤: ولابن المنذر: «من كان



والولي في الناس<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ هذا على سبيل التعظيم والتشويق إلى خيرها.

قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ قال مجاهد: قيامها والعمل فيها خير من قيام ألف شهر وصيامها ليس فيها ليلة القدر، وهذا قول قتادة، واختيار الغراء، وابن قتيبة، والزجاج. وروى عطاء عن ابن عباس أن النبي ﷺ ذكّر له رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر، فعجب رسول الله ﷺ لذلك، وتمنى أن يكون ذلك في أمته، فأعطاه الله ليلة القدر، وقال: هي خير من ألف شهر التي حمل فيها الإسرائيلي السلاح في سبيل الله<sup>(٢)</sup>. وذكر بعض المفسرين أنه كان الرجل فيما مضى لا يستحق أن يقال<sup>(٣)</sup> له: عابد حتى يعبد الله ألف شهر كانوا يعبدون فيها.

قوله تعالى: ﴿نَزَلَ الْكَوْكَبُ﴾ قال أبو هريرة: الملائكة ليلة القدر في الأرض أكثر من عدد الحصى<sup>(٤)</sup>. وفي «الروح» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه جبريل، قاله الأكترون. وفي حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كعبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله ﷻ»<sup>(٥)</sup>. والثاني: أن الروح:

على ذلك. وقيل: إنها العصر، قال: قال الترمذي والبخاري رحمهما الله تعالى: وهو قول أكثر علماء الصحابة وغيرهم. وقال القاضي الماوردي: هو قول جمهور التابعين، وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر: هو قول أكثر أهل الأثر، وقال أبو محمد بن عطية في تفسيره: وهو قول جمهور الناس. ثم ذكر أنه جاء التصريح بها في الأحاديث الصحيحة، منها ما رواه أحمد ومسلم عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «فشقلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملاأ الله قلوبهم ويوتهم ناراً». قال: وأخرجه الشيخان، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وغير واحد من أصحاب «المسانيد» و«السنن» و«المصاح» من طرق يطول ذكرها. وذكر أقوالاً أخرى كثيرة، ثم قال: وقد ثبت السنة بأنها العصر فتعين المصير إليها هـ. وهذا يدل على أن الصلاة الوسطى أصبحت معروفة وليست خفية كما ذكر المؤلف رحمه الله.

(١) الولي لا يعرف بعينه، ولكن الله تعالى ذكر صفات الأولياء في كتابه فقال: ﴿إِنَّ إِلَهًا لَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﷻ أَلَيْسَ لَنَا نُشْرًا وَكَفَّارًا بِغُرُوبِ﴾ نكل من كان مؤمناً تقياً كان له ولياً.

قال ابن كثير: ثم يعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين، بدليل ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال: «اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، ألا تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه، وأبدله مكانه فرحاً»، فقيل: يا رسول الله، أفلا نتعلّمها؟ فقال: بلى ويغني لكل من سمعها أن يتعلّمها» وقد أخرجه الإمام أبو حاتم بن حبان البستي بمثله، وقال: وذكر الفقيه الإمام أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه «الأخوادي في شرح الترمذي» أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم، فأنه أعلم.

قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّ الْأَسْمَاءِ الْمُسَمَّى تَدْعُوهُ﴾ وهي كثيرة، وقد اختلف العلماء في تعيين اسمه الأعظم. وقد روى أصحاب «السنن» عن بريدة ﷺ أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال: «لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب»، فأنه أعلم أي الأسماء من هؤلاء الأعظم، وكلها عظيمة.

(٢) روى هذا الحديث البخاري في «تفسيره» من رواية عطاء عن ابن عباس بغير سند، وكذلك ذكره القرطبي في «تفسيره»، وذكره ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم عن مجاهد عن النبي ﷺ، وهو مقطوع، وكذلك ذكره السيوطي في «الدر» ٣٧١/٦ وزاد نسبت لابن المنذر، والبيهقي في «مسنده».

قال ابن كثير: وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد: ليلة القدر خير من ألف شهر ليس في ذلك الشهر ليلة القدر، قال: هكذا قال قتادة والشافعي وغير واحد، قال: وقال عمرو بن قيس الملائي: عمل فيها خير من عمل ألف شهر، قال: وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، هو اختيار ابن جرير، وهو الصواب، لا ما عداه، وهو قوله ﷺ: «رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل» رواه أحمد، وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة وثبة صالحة أنه يكتب له عمل سنة أجر صيامها وقيامها، إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك. وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ قال: لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ: «قد جاءكم شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل في الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم»، ثم قال: ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها ألف شهر، ثبت في «الصحيحين» عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

(٣) في الأصل: يقول، والتصحيح من النسخة الإسنوبلية.

(٤) قال ابن كثير: أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، قال: والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضمون أجنحتهم لطالب العلم بصدق، تعظيماً له.

(٥) حديث أنس هنا، ذكره السيوطي في «الدر» ٣٧٧/٦ وعزاه للبيهقي، والكعبة: الجماعة.

طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس إلى طلوع الفجر، قاله كعب، ومقاتل بن حيان. والثالث: أنه ملك عظيم يفي بخلق من الملائكة، قاله الواقدي.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ أي: في ليلة القدر ﴿يَأْذِنُ رَبِّهِمْ﴾ أي: بما أمر به وقضاه ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ قال ابن قتيبة: أي: بكل أمر. قال المفسرون: ينتزلون بكل أمر قضاه الله في تلك السنة إلى قاييل. وقرأ ابن عمر، وابن عباس، وأبو العالية، وأبو عمران الجوني: «من كل امرئ» بكسر الراء ويعدها همزة مكسورة مثوثة. ويوصل اللام من غير همز، ولهذه القراءة وجهان: أحدهما: من كل ملك سلام. والثاني: أن تكون «من» بمعنى «على» تقديره: على كل امرئ من المسلمين سلام من الملائكة؛ كقوله تعالى: ﴿وَنَصَرْتَهُ مِنَ الْفَرِّ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ [الأنبياء: ٧٧]. والقراءة الموافقة لخط المصحف هي الصواب. ويكون تمام الكلام عند قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، ثم ابتداء فقال تعالى: ﴿سَلَّمَ هُوَ﴾ أي: ليلة القدر سلام. وفي معنى السلام قولان: أحدهما: أنه لا يحدث فيها داء ولا يُرسل فيها شيطان، قاله مجاهد. والثاني: أن معنى السلام: الخير والبركة، قاله قتادة. وكان بعض العلماء يقول: الوقف على ﴿سَلَّمَ﴾ على معنى تنزل الملائكة بالسلام.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة «مطلع» بفتح اللام. وقرأ الكسائي بكسرها. قال الفراء: والفتح أقوى في قياس العربية، لأن المطلق بالفتح: الطلوع، وبالكسر: الموضع الذي يطلع منه، إلا أن العرب تقول: طلعت الشمس مطلوعاً، بالكسر، وهم يريدون المصدر؛ كما تقول: أكرمك كرامة، فتجتزئ بالاسم عن المصدر. وقد شرحنا هذا المعنى في [الكهف: ٩] عند قوله تعالى: ﴿مَطْلَعِ الشَّمْسِ﴾ شرحاً كافياً، والله الحمد.



سورة البينة<sup>(١)</sup>

وفيها قولان: أحدهما: مدنية، قاله الجمهور<sup>(٢)</sup>. والثاني: مكية، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره يحيى بن سلام.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿لَا يَكْفِي الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْكَيْنٌ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۖ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۖ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَيْنِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۖ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْ ذَلِكَ ۚ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَكْفِي الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ أي: ومن المشركين، وهم عبدة الأوثان ﴿مُنْكَيْنٌ﴾ أي: منفصلين وزائلين - يقال: فككت الشيء، فانفك، أي: انفصل - والمعنى: لم يكونوا زائلين عن كفرهم وشركهم ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أي: حتى أتتهم، فلفظه لفظ المستقبل، ومعناه الماضي. و﴿الْبَيِّنَةُ﴾ الرسول، وهو محمد ﷺ، وذلك أنه بَيَّنَّ لهم ضلالهم وجهلهم. وهذا بيان عن نعمة الله على من آمن من الفريقين إذ أنقذهم. وذهب بعض المفسرين إلى أن معنى الآية: لم يختلفوا أن الله يبعث إليهم نبياً حتى يبعث فافترقوا. وقال بعضهم: لم يكونوا ليتروا منكم عن حجج الله حتى أقيمت عليهم البينة. والوجه هو الأول. والرسول هاهنا محمد ﷺ، ومعنى ﴿يَتْلُو صُحُفًا﴾ أي: ما تضمنته الصحف من المكتوب فيها، وهو القرآن. ويدل على ذلك أنه كان يتلو القرآن عن ظهر قلبه لا من كتاب. ومعنى ﴿مُطَهَّرَةً﴾ أي: من الشرك والباطل. ﴿فِيهَا﴾ أي: في الصحف ﴿كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ أي: عادلة مستقيمة تُبَيِّنُ الحق من الباطل، وهي الآيات. قال مقاتل: وإنما قيل لها: كتب لما جَمَعَتْ من أمور شتى.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني: من لم يؤمن منهم ﴿إِلَّا مِنْ بَيْنِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها محمد ﷺ، والمعنى: لم يزلوا مجتمعين على الإيمان به حتى بُعِثَ، قاله الأكثرون. والثاني: القرآن، قاله أبو العالية. والثالث: ما في كتبهم من بيان نبوته، ذكره الماوردي. وقال الزجاج: وما تَفَرَّقُوا في كفرهم بالنبي إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ تَبَيَّنَا أَنَّهُ الَّذِي وَعَدُوا بِهِ فِي كُتُبِهِمْ<sup>(٣)</sup>.

(١) في الأصل: سورة لم يكن. وروى البخاري في «صحيحه» ٩٠/٦، ومسلم في «صحيحه» ١٩١٥/٤ عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿لَا يَكْفِي الَّذِينَ كَفَرُوا﴾»، قال: وسماني؟ قال: «نعم» فيكى. ورواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وغيرهم. وتخصيص هذه السورة بالذكر يقتضي اختصاصها وامتيازها، لما اشتملت عليه من الترجيد، والرسالة، والإخلاص، والصحف والكتب المنزلة على الأنبياء، وذكر الصلاة، والزكاة، والعماد، وبيان أهل الجنة والنار، مع جوازها.

(٢) وهو الصواب.

(٣) روى أبو داود في «سننه» رقم ٤٥٩٧ عن معاوية بن أبي سفيان أنه قام فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام لنا فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفرق على ثلاث وسبعين التتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة» وهي الجماعة، ورواه أحمد في «المستدرك» ١٠٢/٤ من حديث معاوية، وأبو داود في «سننه» رقم ٤٥٩٦ من حديث أبي هريرة، والترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وهو حديث صحيح لطريقه. وروى مسلم في «صحيحه» رقم ١٣٣٧ من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «فروني ما تركتم لئنما ملك من كان قبلك بكثرة سؤالهم واختلالهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء، فأتوا به ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء، فدعوه».

وروى مسلم في «صحيحه» ١٩٧/١٧ بشرح النووي عن عياض بن حمار ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِمَقْتَتِهِمْ مَرِيعًا وَهَجَمَهُمْ إِلَّا بِقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ... الحديث»، قال النووي: المراد بهذا المقْت والنظر: ما قبل بعثه رسول الله ﷺ، والمراد بقايا الكتاب: الباقي على التمسك بدِينهم الحق من غير تبديل.



## سورة الزلزلة

وفيها قولان: أحدهما: أنها مدنية، قاله ابن عباس، وقتادة، ومقاتل، والجمهور. والثاني: مكية، قاله ابن مسعود، وجابر، وعطاء.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَامًا ① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَعْيَارَهَا ④ يَأْتِي زُلْفَى ⑤ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاكًا يَعْزَابُهَا ⑥ كَمْ يَسْمَلُ يَتَفَقَّالُ ⑦ دَرَوُ خَيْرًا يَسِرُّ ⑧ وَمَنْ يَسْمَلُ يَتَفَقَّالُ ⑨ دَرَوُ شَرًّا يَسِرُّ ⑩﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَامًا ①﴾ أي: حُرِّكَتْ حركةً شديدةً، وذلك عند قيام الساعة. وقال مقاتل: تنزل من شدة صوت إسرافيل حتى يَنْكَسِرَ كُلُّ مَا عَلَيْهَا مِنْ شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقى ما على ظهرها من جبل، أو بناء، أو شجر، ثم تتحرك وتضطرب، فَتُخْرِجُ ما في جوفها. وفي وقت هذه الزلزلة قولان: أحدهما: تكون في الدنيا، وهي من أشرار الساعة، قاله الأكثرون. والثاني: أنها زلزلة يوم القيامة، قاله خارجة بن زيد في آخرين. قال الفراء: حدثني محمد بن مروان، قال: قلت للكلبي: أرايت قول الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَامًا ①﴾؟ فقال: هذه بمنزلة قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٨] فأضيف المصدر إلى صاحبه، وأنت قائل في الكلام: لأعطينك عطيتك، تريد عطية<sup>(١)</sup>. والزَّلْزَال بالكسر المصدر، وبالفتح: الاسم. وقد قرأ أبو العالية، وأبو عمران، وأبو حيو الجحدري «زَّلْزَالها» بفتح الزاي.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ②﴾ فيه قولان: أحدهما: ما فيها من الموتى، قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: كنوزها، قاله عطية. وجمع الفراء بين القولين، فقال: لفظت ما فيها من ذهب، أو فضة، أو ميت.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ③﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه اسم جنس يعم الكافر والمؤمن، وهذا قول من جعلها من أشرار الساعة، لأنها حين ابتدأت لم يعلم الكل أنها من أشرار الساعة، فسأل بعضهم بعضاً حتى أيقنوا. والثاني: أنه الكافر خاصة، وهذا قول من جعلها زلزلة القيامة؛ لأن المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها، والكافر جاحد لها لأنه لا يؤمن بالبعث، فلذلك يسأل.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَعْيَارَهَا ④﴾ قال الزجاج: «يَوْمَئِذٍ» منصوب بقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ①﴾ وَأَخْرَجَتِ ﴿٢﴾ ففي ذلك اليوم تحدث بأخبارها، أي: تخبر بما عمل عليها. وفي حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتدرون ما أخبارها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا»<sup>(٣)</sup>.

(١) الذي في القرطبي: أي: عطيتي لك.

(٢) قال ابن كثير: قاله غير واحد من السلف، وهذه كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَثْقَالًا يَتَخَفَتُهُمْ ②﴾ رَزَلَةُ الْكَافِرِينَ عَنِ عَطِيَّةٍ، وقوله: ﴿زُلْزَلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالًا ③﴾ وَأَتَتْهَا كَأَيِّهَا وَتَلَّتْ وَرَوَى مسلم في (صحيحه) رقم ١٠١٣ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَقِي الْأَرْضُ أَثْقَالًا كَيْدَهَا أَثْقَالُ الْأَسْطِوَانِ مِنَ اللَّحَبِ وَالْفُضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ يَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ النَّاطِقُ يَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ يَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ يَدِي، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَلَا يَأْخُذُونَ بِهِ شَيْئًا».

(٣) رواه الترمذي في (سننه) ١٧١/٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وفي آخره «فهذه أخبارها» ورواه أحمد في «المسند» والحاكم في «المستدرک» ٥٣٣/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد أورده السيوطي في «الدر» ٣٨٠/٦ وزاد نسبته لعبد بن حميد، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن موديه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وللحديث شاهد عند الطبراني من رواية ربيعة الجريسي.

قوله تعالى: ﴿بَانَ رَبُّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۖ﴾ قال الفراء: تحدّث أخبارها بوحى الله وإذنه لها. قال ابن عباس: أوحى لها، أي: أوحى إليها، وأذن لها أن تخبر بما عمل عليها. وقال أبو عبيدة: ﴿لَهَا﴾ بمعنى «إليها»<sup>(١)</sup>. قال العجاج: وَحَىٰ<sup>(٢)</sup> لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ أي: يرجعون عن موقف الحساب ﴿أَشْنَاءُ﴾ أي: فرّقاً. فاهل الإيمان على حدة، واهل الكفر على حدة، ﴿إِشْرَؤُا أَعْمَلَهُمْ﴾ وقرأ أبو بكر الصديق، وعائشة، والجحدري: «لِيَرْؤُا» بفتح الياء. قال ابن عباس: أي ليروا جزاء أعمالهم. فالمعنى: أنهم يرجعون عن الموقف فرّقاً لينزلوا منازلهم من الجنة والنار. وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: تحدّث أخبارها بأن ربك أوحى لها ليروا أعمالهم يومئذ يصدر الناس أشنأاً. فعلى هذا: يرون ما عملوا من خير أو شر في موقف الغرض ﴿فَكَمْ يَسْكَلُ يَشْكَلُ دَرَّةً﴾ قال المفسرون: من يعمل في الدنيا مثقال ذرة من الخير أو الشر يره<sup>(٤)</sup>، وقرأ أبان عن عاصم «يُره» بضم الياء في الحرفين. وقد بيّنا معنى «الذرة» في سورة [النساء: ٤٠] وفي معنى هذه الرؤية قولان: أحدهما: أنه يراه في كتابه. والثاني: يرى جزاءه. وذكر مقاتل: أنها نزلت في رجلين كانا بالمدينة، كان أحدهما يستقل أن يعطي السائل الكسرة، أو التمرة. وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير، فأنزل الله ﷻ هذا يُرْغِبُهُم في القليل من الخير، ويُحَذِّرُهُم اليسير من الشر<sup>(٥)</sup>.



(١) قال ابن كثير: قال البخاري: أوحى لها، وأوحى إليها، ووحى لها، ووحى إليها، واحد.

(٢) كذا في «القرطبي» و«اللسان»، وروايته في «مجاز القرآن» و«البحر» و«روح المعاني»: أوحى، وكلاهما صواب.

(٣) الرجز في «مجاز القرآن» ٣٠٦/٢، و«القرطبي» ١٤٩/٢٠، و«البحر» ٥٠١/٨، و«روح المعاني» ١٠/٣٠، و«اللسان»: وحى.

(٤) روى البخاري في «صحيحه» ٥٥٩/٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الخير ثلاثة: لرجل أجر، ورجل ينثر، وعلى رجل وذر، فأما الذي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرج أو روضة، فما أصابت في طيلها أي (حبيلها الطويل) ذلك في العرج والروضة كان له حسنات، ولو أنها قطعت في طيلها فاستثقت (خذت) شرفاً أو شرفين (شوطاً أو شوطين) كانت ثأرها وأرواؤها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقي: كان ذلك حسنات له، فهي لذلك الرجل أجر. ورجل ربطها تغنياً وتعطفاً ولم ينس حق الله في رقبها ولا ظهورها، فهي له ينثر، ورجل ربطها فخراً ورياء، ونواة (عدوة لأهل الإسلام) فهي على ذلك وذر»، فسل رسول الله ﷺ عن الحُمُر، (أي عن صدقتها)، قال: «ما أنزل الله عليّ فيها إلا هذه الآية الفأدة (المتفرقة) الجامعة: ﴿فَكَمْ يَسْكَلُ يَشْكَلُ دَرَّةً حَبْرًا يَسْرُ ۖ﴾ وَنَّ يَسْكَلُ يَشْكَلُ دَرَّةً شَكْرًا يَسْرُ»، ورواه مسلم في «صحيحه» بأطول منه ٦٨٠/٢، ٦٨١.

(٥) ذكر سبب النزول هذا الواحدي في «أسباب النزول» ٣٤٠، والبيهقي في «التفسير» عن مقاتل بن سير، وذكره ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم من طريق ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير، وابن لهيعة صدوق خلط بعد احتراق كتبه، وعطاء بن دينار صدوق، إلا من روايته عن سعيد بن جبير من صحيفته، وسعيد بن جبير أرسله.



## سورة العاديات

وفيه قولان: أحدهما: أنها مكية، قاله ابن مسعود، وعطاء، وعكرمة، وجابر. والثاني: مدنية، قاله ابن عباس، وقتادة، ومقاتل.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمَدْيَنَ صَبَاحًا ۝ ١﴾ ﴿وَالثُّورَ قَدَحًا ۝ ٢﴾ ﴿وَالْمُحِيرَ صَبَاحًا ۝ ٣﴾ ﴿فَإِنَّ يَوْمَهُ نَقَعًا ۝ ٤﴾ ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمًّا ۝ ٥﴾ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝ ٦﴾ ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ ٧﴾ ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝ ٨﴾ ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝ ٩﴾ ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝ ١٠﴾ ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝ ١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْمَدْيَنَ صَبَاحًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها الإبل في الحج، قاله علي، وابن مسعود، وعبيد بن عمير، والقرظي، والسدي. وروي عن علي أنه قال: ﴿وَالْمَدْيَنَ صَبَاحًا﴾ من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى. وروي عن علي أنه قال هذا في صفة وقعة بدر. قال: وما كان معنا يومئذ إلا فرس، وفي بعض الحديث أنه كان معهم فرسان. والثاني: أنه الخيل في سبيل الله، قاله ابن عباس، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وأبو العالية، وعكرمة، وقتادة، وعطية، والربيع، واللغويون<sup>(١)</sup>. وكان ابن عباس يذهب إلى أن هذا كان في سرية، فروى عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث خيلاً، فلم يأت خبرها شهراً، فنزلت ﴿وَالْمَدْيَنَ صَبَاحًا﴾ صبحت بمناخرها ﴿وَالثُّورَ قَدَحًا﴾ قدحت بحوافرها الحجارة فأورت ناراً ﴿وَالْمُحِيرَ صَبَاحًا﴾ صبحت القوم بغارة ﴿فَإِنَّ يَوْمَهُ نَقَعًا﴾ أثارت بحوافرها التراب ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمًّا﴾ قال: صبحت الحي جميعاً<sup>(٢)</sup>. وقال مقاتل: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى حَيٍّ من كنانة واستعمل عليها المنذر بن عمرو الأنصاري، فأبطأ عنه خبرها، فجعل اليهود والمنافقون إذا رأوا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ تناجوا، فيظن الرجل أنه قد قُتل أخوه أو أبوه، أو عمه، فيجد من ذلك حزناً، فنزلت: ﴿وَالْمَدْيَنَ صَبَاحًا﴾ فأخبر الله كيف فعل بهم<sup>(٣)</sup>. قال الفراء: الضبح: أصوات أنفاس الخيل إذا عَدَوْنَ. وقال ابن قتيبة: الضبح: صوت حلوقها إذا عَدَتْ. وقال الزجاج: ضبها: صوت أجوافها إذا عَدَتْ.

قوله تعالى: ﴿وَالثُّورَ قَدَحًا﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنها الخيل تُوري النار بحوافرها إذا جرت، وهذا قول الجمهور<sup>(٤)</sup>. قال الزجاج: إذا عدت الخيل بالليل، فأصابت بحوافرها الحجارة، انقدحت منها النيران. والثاني: أنها نيران المجاهدين إذا أوقدت، روي عن ابن عباس. والثالث: مَكْرُ الرجال في الحرب، قاله مجاهد، وزيد بن أسلم<sup>(٥)</sup>. والرابع: نيران الحجيج بالمزدلفة، قاله القرظي. والخامس: أنها الألسنة إذا ظهرت بها الحجج وأقيمت بها الدلائل على الحق وفضح بها الباطل، قاله عكرمة.

(١) قال البغوي: هذا قول أكثر المفسرين. وقال القرظي: كذا قال عامة المفسرين وأهل اللغة.

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٤١، وفي سنده حفص بن جميع، وهو ضعيف. قال ابن كثير: وقد روى أبو بكر البزار هاتنا حديثاً غريباً جداً... فذكره وذكره. الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/١٤٢ من رواية البزار، وقال: فيه حفص بن جميع، وهو ضعيف. وأورده السيوطي في «الدرا» ٣٨٣/٦ وزاد نسبة لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والدارقطني في «الأفراد»، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٣) هذا خبر منقطع، ومقاتل توفي سنة ١٥٠هـ. بينه وبين رسول الله ﷺ مفاوز، والحديث ذكره الطبرسي في «مجمع البيان» مصدراً إياه بقوله: بعث رسول الله ﷺ سرية... فذكره، ولم يعزه لأحد، وذكره القرظي وصدره بقوله: وروي أن رسول الله ﷺ بعث سرية... فذكره، ولم يعزه لأحد. وكذلك الألويسي في «روح المعاني». والله أعلم بصلته.

(٤) ورجحه الطبري.

(٥) تقول العرب إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه: أما والله لأورين لك بزئد وإي، ولا قدحُ لك.

قوله تعالى: ﴿فَالْمُخَيَّرَاتُ صَبَحْنَ﴾ (١) هي التي تغير على العدو عند الصباح، هذا قول الأكثرين. وقال ابن مسعود: فالمغيرات صباحاً حين يُغيضون من جمع.

قوله تعالى: ﴿فَأَثَرَهُ يَوْمَ﴾ قال الفراء: يريد بالوادي ولم يذكره قبل ذلك، وهذا جائز، لأن الغبار لا يثار إلا من موضع. والقنع: الغبار، ويقال: التراب. وقال الزجاج: المعنى: فاثرون بمكان عذوهم، ولم يتقدم ذكر المكان، ولكن في الكلام دليل عليه ﴿فَوْسَطَنَ يَوْمَ جَمَا﴾ (٢) قال المفسرون: المعنى: توسطن جمعاً من العدو، فأغارت عليهم. وقال ابن مسعود: فوسطن به جمعاً، يعني مزدلفة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلرَّحْمَنِ لَكُمْوَدٌ﴾ (٣) هذا جواب القسم. والإنسان هاتنا: الكافر. قال الضحاك: نزلت في الوليد بن المغيرة، وقال مقاتل: نزلت في قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشي. وفي «الكنود» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذي يأكل وحده، ويمنع رفقته<sup>(١)</sup>، ويضرب عبده، رواه أبو أمامة عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه الكفور، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك. والثالث: لَوَامُ لِرَبِّهِ يَغْدُ المصيبات<sup>(٣)</sup>، وينسى النعم، قاله الحسن. قال ابن قتيبة: والأرض الكنود: التي لا تثبت شيئاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَ ذَلِكَ لَشَيْبٌ﴾ (٤) في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله ﷻ [تقديره]<sup>(١)</sup>. وإن الله على كفره لشهيد. والثاني: أنها ترجع إلى الإنسان، فتقديره: إن الإنسان شاهد على نفسه أنه كنود، روي القولان عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ﴾ يعني: الإنسان ﴿لِحَبِّ الْخَيْرِ﴾ يعني: المال ﴿لَشَيْبٌ﴾. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: وإنه من أجل<sup>(٥)</sup> حُبِّ المال لبخيل، هذا قول الحسن، وابن قتيبة، والزجاج. قال أبو عبيدة: ويقال للبخيل: شديد، ومُتَشَدِّدٌ. قال طرفة:

أَرَى الْمَوْتَ يَغْتَامُ الْكِرَامَ وَيَضْطَلُّنِي

عَقِيلَةَ مَالِ الْبَاخِلِ الْمُتَشَدِّدِ<sup>(٦)</sup>

والثاني: وإنه للخير لشديد الحب، وهذا اختيار الفراء. قال: فكان الكلمة لما تقدم فيها الحب، وكان موضعه أن يضاف إليه «شديد»، حذف الحب من آخره لما جرى ذكره في أوله، ولرووس الآي. ومثله «أَشَدَّتْ يَدُ الْخَيْلِ فِي يَوْمِ عَاصِفٍ» [إبراهيم: ١٨] فلما جرى ذكر الريح قبل اليوم طرحت من آخره.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتْلُمُ﴾ يعني: الإنسان المذكور ﴿إِذَا بَعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ أي: أنير وأخرج ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الشُّدُورِ﴾ (٧) أي: مُيزَ واستخرج. والتحصيل: تميز ما يحصل. وقال ابن عباس: أبرز ما فيها. وقال ابن قتيبة: مُيزَ ما فيها من الخير والشر. وقال أبو سليمان الدمشقي: المعنى: لو علم الإنسان الكافر ما له في ذلك اليوم لزهد في الكفر، ويأبى إلى الإسلام. ثم ابتداء فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ (٨) وقال غيره: إنما قرئت «إن» بالكسر لأجل اللام، ولولاها كانت مفتوحة بوقوع العلم عليها. فإن قيل: أليس الله خبيراً بهم في كل حال، فلم خص ذلك اليوم؟ فالجواب أن المعنى: أنه يجازيهم على أفعالهم يومئذ، ومثله ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ يَكْفُرُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [النساء: ٦٣] ومعناه: يجازيهم على ذلك، ومثله: ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزَخٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ [غافر: ١٦].

(١) الرقة، بكسر الراء: المطاء والصلة.

(٢) رواه ابن جرير الطبري ٢٧٨/٣٠ وفي سننه جعفر بن الزبير، وذكره ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم من طريق جعفر بن الزبير، وقال: هو متروك، فهذا إسناد ضعيف. وقال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٤٢/٦: رواه الطبراني بإسنادين، في أحدهما جعفر بن الزبير، وهو ضعيف، وفي الآخر من لا أهرقه. وقال السيوطي في «الدر» ٣٨٤/٦: أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي، وابن عساكر، بسند ضعيف عن أبي أمامة... فذكره. ورواه الطبراني ٢٧٨/٣٠ من حديث حريز بن عثمان عن حمزة بن هانئ عن أبي أمامة موقوفاً عليه.

(٣) وفي النسخة الاستنبولية، والطبري، والقرطبي: المصائب. (٤) زيادة من النسخة الاستنبولية.

(٥) في الأصل: من أحب، وهو خطأ، والتصحيح من النسخة الاستنبولية، ومن الطبري.

(٦) «مختار الشعر الجاهلي» ٣١٨/١ من معلقته، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٣٠٨/٢، والطبري ٢٧٩/٣٠، والقرطبي ١٦٢/٢٠، و«شواهد الكشاف» ٣٩. ومعنى يهتم الكرام: أي يختارهم، والمقيلة من كل شيء: أكرمهم، يقول: أرى الموت يختار كرام الناس وصفوة مال البخلاء، أي: يأخذ النفيس الذي يضر به، كما يأخذ الخفيف فلا يفي شيئاً.

## سورة القارة

وهي مكية بإجماعهم

قد ذكرنا تفسير فاتحتها في أول [الحاقة].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الْإِيمَانِ

﴿ الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْشُوثِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨ فَأُنْزِلَتْ ٩ هَاوِيَةً ١٠ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ١١ نَارُ حَامِيَةٍ ١٢ ﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ﴾ اليوم منصوب على الظرف. المعنى: يكون يوم يكون الناس ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه غوغاء الجراد، قاله الفراء. قال ابن قتيبة: غوغاء الجراد: صغاره، ومنه قيل لعامة الناس: غوغاء<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه طير ليس بيعوض ولا دُبَّان، قاله أبو عبيدة<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنه ما تهافت في النار من البعوض، قاله ابن قتيبة. وكذلك قال الزجاج: ما يُرى كصغار البق تهافت في النار. وشبه الناس في وقت البعث به وبالجراد المنتشر، لأنهم إذا بعثوا ماج بعضهم في بعض. وذكر الماوردي: أن هذا التشبيه للكفار، فهم يتهافون في النار يوم القيامة تهافت الفراش<sup>(٣)</sup>. فأما ﴿الْمَبْثُوثِ﴾ فهو المشتري والمترق.

قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْشُوثِ﴾ وقد شرحناه في [سأل سأل: ٩]، و﴿الْعِهْنُ الْمَنْشُوثُ﴾ الذي قد ندف. قال مقاتل: وتصير الجبال كالصوف المندوف. فإذا رأيت الجبل قلت: هذا جبل: فإذا مسسته لم تر شيئا، وذلك من شدة الهول.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦﴾، أي: رجحت بالحسنات، وقد بيّنا هذه الآية في أول [الأمراء: ٢٨] ويثنا معنى ﴿عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ في [الحاقة: ٢١].

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦﴾، وقرأ ابن مسعود، وطلحة بن مصرف، والجحدري «فأما» بكسر الهمزة. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أم رأسه هاوية، يعني: أنه يهوي في النار على رأسه، هذا قول عكرمة، وأبي صالح. والثاني: أنها كلمة عربية كان الرجل إذا وقع في أمر شديد قالوا: هَوَتْ أُمُّهُ، قاله قتادة. والثالث: أن المعنى: فمسكته النار. وإنما قيل لمسكته: أُمُّهُ، لأن الأصل السكون إلى الأمهات. والثار لهذا كالأُم، إذ لا مأوى له غيرها، هذا قول ابن زيد، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج، ويدل على صحة هذا ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا مات العبد تلقى رُوحه أرواح المؤمنين، فتقول له<sup>(٤)</sup>: ما فعل فلان؟ فإذا قال: مات، قالوا: دُهِبَ به إلى أُمِّه الهاوية، فَبُسَّتِ الأُمُّ،

(١) قال في «اللسان»: أصل القَوَّاء: الجراد حين يخف للطيّان، ثم استعير للسلَفَةِ من الناس والمُتَرَعِّين إلى الشر، ويجوز أن يكون القَوَّاء: الصوت والجلبة، لكثرة لغظهم وصياحهم.

(٢) في معجم القرآن: لأي عبيدة: طير، لا بعوض ولا دُبَّاب، بالياء. ويجمع الذباب على دُبَّان، قال في «التاج»: والذباب: معروف، وهو الأسود الذي يكون في البيوت يسقط في الإناء والطعام، وقال الديرري في «حياة الحيوان»: سَمِي دُبَّاباً، لكثرة حركته واضطرابه، أو لأنه كلما دُبَّ قَبَّ، والذباب أيضاً: النحل. والواحدة من ذباب الطعام: دُبَّابة، بهاء، ولا تقل: دُبَّابة، وقال في ذباب النحل، لا يقال: دُبَّابة، والصواب: دُبَّاب، وهو واحد. وفي «التعليق»: واحد الدُبَّان: دُبَّاب بغير هاء، قال: ولا يقال: دُبَّابة، وفي التنزيل: ﴿وَلَا يَسْتَلِيمُ الدُّبَابُ كَيْفَ﴾ فسروه للواحد. والجمع: أخيه، مثل غراب وأخريه، ودُبَّان بالكسر مثل غِرْبَان.

(٣) روى مسلم في «صحيحه» رقم ٢٢٨٥ عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «مطلي وتظلمكم كمثل رجل أوقد ناراً، فجعل الجَنَابِيب (كالجراد) والفراش يَفْتَنُ فيها وهو يلجئهم عنها، وأنا أخلد بحجرهم من النار وأنتم تفتنون من يدي».

(٤) في «الدرر» ٦/ ٣٨٥ من رواية الحاكم: فيقولون له.

وَبَسَّتِ الْمَرْيَّةُ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ يعني: الهاوية. قرأ حمزة، ويعقوب «ما هي» بحذف الهاء الأخيرة في الوصل، وإثباتها في الوقف. وقرأ الباقون بإثباتها في الحالين. قال الزجاج: الهاء في «هي» دخلت في الوقف، لتبين فتحة الياء، فالوقف «هي» والوصل هي نار. والذي يجب اتباع المصحف. والهاء فيه ثابتة فتوقف عليها، ولا توصل. ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ أي: حارة قد انتهت حرها<sup>(٢)</sup>.



(١) رواه بهذا اللفظ الحاكم في «المستدرک» ٢/ ٥٣٢ من الحسن مرسلًا، وأورده السيوطي في «الدرة» ٦/ ٣٨٥ من رواية ابن مردويه عن أنس بن مالك مرفوعًا بنحوه، وبأطول منه من رواية ابن مردويه أيضًا عن أبي أيوب الأنصاري مرفوعًا. والله أعلم بصحة سنده. وقد ذكره القرطبي بمعناه عن أبي هريرة مرفوعًا، ولم يعزه لأحد. ورواه ابن جرير الطبري موقوفًا على الأشعث بن عبد الله الأعمى. وذكره السيوطي أيضًا في «الدرة» ٦/ ٣٨٥ من رواية ابن المبارك عن أبي أيوب الأنصاري موقوفًا عليه بأطول منه.

(٢) روى البخاري في «صحيحه» رقم ٢٣٨/٦، ومسلم في «صحيحه» رقم ٢٨٤٣ عن أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: «تأركم هذه التي يؤقّد ابن آدم، جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم»، قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: «لأنها فضّلت عليها بنسمة وستين جزءًا كلّها مثل حرّها» واللفظ لمسلم. وروى البخاري ٢٣٨/٦، ومسلم رقم ٦١٧ عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب أكل بعضي بعضًا، فأذن بها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير»، واللفظ لمسلم. وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة ؓ وأبي سعيد الخدري ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم»، واللفظ لمسلم. وفيح جهنم: سطوح حرها وانتشاره وغليانها.

## سورة التكاثر

وفي سبب نزولها قولان: أحدهما: أن اليهود قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وينو فلان أكثر من بني فلان، فألهامهم ذلك حتى ماتوا ضلّالاً، فنزلت هذه فيهم، قاله قتادة<sup>(١)</sup>. والثاني: أن حيين من قریش: بني عبد مناف، وبني سهم كان بينهما ليحاة<sup>(٢)</sup>، فقال هؤلاء: نحن أكثر سيّداً، وأعرزُ نقرأ. وقال أولئك مثل هذا؛ فتعادوا السادة والأشراف أيهم أكثر، فكثّرهم بنو عبد مناف، ثم قالوا: نعدّ موتانا، فزاروا القبور، فعدّوا موتاهم، فكثّرهم بنو سهم، لأنهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية، فنزلت هذه فيهم، قاله ابن السائب، ومقاتل<sup>(٣)</sup>.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْهَيْكُمُ التَّكَاثُرُ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ عَرْشَ الْيَقِينِ ⑥ ثُمَّ لَتَسْتَلْفُنَّ يَوْمَهُ عَنِ النَّوْاسِرِ ⑦﴾

قوله تعالى: ﴿الْهَيْكُمُ﴾ وقرأ أبو بكر الصديق، وابن عباس، والشعبي، وأبو العالية، وأبو عمران، وابن أبي عملة: «ألهامكم» بهمزيّن مقصورتين على الاستفهام. وقرأ معاوية، وعائشة «ألهامكم» بهمزة واحدة ممدودة استفهاماً أيضاً. ومعنى الهامكم: شغلكم عن طاعة الله وعبادته. وفي المراد بالتكاثر ثلاثة أقوال: أحدها: التكاثر بالأموال والأولاد، قاله الحسن. والثاني: التفاخر بالقبائل والعشائر، قاله قتادة. والثالث: التشاغل بالمعاش والتجارة، قاله الضحاك. وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ قولان: أحدهما: حتى أدرككم الموت على تلك الحال، حضرتم في المقابر زوّاراً ترجعون منها إلى منازلكم من الجنة أو النار، كرجوع الزائر إلى منزله. والثاني: حتى زرتم المقابر فعدّدتهم من فيها من موتاكم<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ قال الزجاج: هي ردع وتنبية. والمعنى: ليس الأمر الذي ينبغي أن تكونوا عليه التكاثر.

(١) ذكر سبب النزول هذا الواحدي في «أسباب النزول» ٣٤١ عن قتادة بغير سند، وكذا ذكره البغوي في التفسير، وذكره القرطبي عن مقاتل وفتادة بغير سند. ورواه الطبري ٢٨٣/٣٠ من طريق معمر عن قتادة ﴿الْهَيْكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وينو فلان أكثر من بني فلان، فألهامهم ذلك حتى ماتوا ضلّالاً، ولم يذكر أنهم اليهود. ورواه بنحوه من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة. وأورده السيوطي في «الدر» ٣٨٧/٦ وزاد نسبته لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) أي منازعة. قال في «اللسان»: ولاحيّة ملاحاة وليحاة: إذا نازعت، قال: والليحاء ممدود: الملاحاة كالسباب، ولاحي الرجل ملاحاة وليحاة: شاتمه، وتلاحي الرجلان: تشاتما. ولاحي فلان فلاناً ملاحاة وليحاة: إذا استقصى عليه. قال: والليحاء: اللعن، والليحاء: العذل.

(٣) ذكر سبب النزول هذا البغوي في «التفسير» عن مقاتل والكلبي بغير سند، والكلبي هو محمد بن السائب النسابي المفسر، متهم بالكذب، وقد ضعفه غير واحد، وكذلك ذكره القرطبي وأبو حيان والألويسي عن ابن عباس ومقاتل والكلبي بغير سند، وأورده ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم عن طريق صالح بن حيان عن ابن بريدة قال: نزلت في قبيلتين من الأنصار في بني حارثة وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحدهما: فيكم مثل فلان ابن فلان وفلان؟ وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور، فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان؟ فيشيرون إلى القبور، ومثل فلان، وفعل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله: ﴿الْهَيْكُمُ التَّكَاثُرُ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ②﴾. وصالح بن حيان القرشي الكوفي ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في «التريب». قال ابن كثير: والصحيح أن المراد بقوله: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ②﴾ أي صرتم إليها ودفنتم فيها، كما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأعراب يعود فقال: «لا بأس بطور إن شاء الله»، فقال: قلت: «طهورا» بل هي حمى تفور على شيخ كبير تزيده القبور، قال: «فنعيم إذن»، والآية عامة في كل من آلهة دنياه عن آخرته.

(٤) روى مسلم في «صحيحه» رقم ٢٩٥٨ عن مطرف عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿الْهَيْكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، قال: يقول ابن آدم: مالي، مالي (قال) وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأنتيت، أو لبست فألبيت، أو تصدقت فأعطيت، وروى مسلم أيضاً رقم ٢٩٥٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يقول العبد: مالي، مالي، إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأنتي، أو لبس فأبلي، أو أعطى فأنتي (أخبره لأخبرته) وما سوى ذلك فهو ذاهب وتارك للناس». وروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بيع الميت ثلاثة، فبرجع اثنان ويبقى واحد، يتيمه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله».

قوله تعالى: ﴿سَوْفَ نَمُوتُ﴾ عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت. وقيل: العلم الأول: يقع عند نزول الموت. والثاني: عند نزول القبر.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ المعنى: لو تعلمون الأمر علماً يقيناً لَشَغَلَكُمْ ما تعلمون عن التكاثر، والتفاخر. وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف: وهو ما ذكرنا. ثم أوعدهم وعيداً آخر فقال: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ﴿١﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحزمة ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ بفتح التاء. وقرأ مجاهد، وعكرمة، وحמיד، وابن أبي عبيدة «لَتَرَوُنَّ» بضم التاء فهما من غير همز ﴿لَتَرَوُنَّ عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ ﴿٢﴾ أي: مشاهدة، فكان المراد بـ ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ نفسه، لأن عين الشيء: ذاته.

قوله تعالى: ﴿لَتَنَسَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ﴿٣﴾ اختلفوا، هل هذا السؤال عام، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه خاص للكفار، قاله الحسن. والثاني: عام، قاله قتادة<sup>(١)</sup>. وللمفسرين في المراد بالنعيم عشرة أقوال: أحدها: أنه الأمن والصحة، رواه ابن مسعود عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، وتارة يأتي موقوفاً عليه<sup>(٣)</sup>، وبه قال مجاهد والشعبي. والثاني: أنه الماء البارد، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>. والثالث: أنه الخبز البُرُّ والماء العَذْبُ، قاله أبو أمامة. والرابع: أنه ملاذ المأكول والمشروب، قاله جابر بن عبد الله. والخامس: أنه صحة الأبدان<sup>(٥)</sup>، والأسماع، والأبصار، قاله ابن عباس. وقال قتادة: هو العافية. والسادس: أنه الغذاء والعشاء، قاله الحسن. والسابع: الصحة والفراغ، قاله عكرمة<sup>(٦)</sup>. والثامن: كل شيء من لذة الدنيا، قاله مجاهد<sup>(٧)</sup>. والتاسع: أنه إنعام الله على الخلق بإرسال محمد ﷺ، قاله القرطبي. والعاشر: أنه صنوف النعم، قاله مقاتل. والصحيح أنه عام في كل نعيم، وعام في جميع الخلق، فالكافر يسأل توبيخاً إذا لم يشكر المنعم، ولم يؤخده. والمؤمن يسأل عن شكرها. وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: «ثلاث

- (١) والصحيح أن السؤال عام، ولكن سؤال الكافر سؤال توبيخ، لأنه ترك الشكر، وسؤال المؤمن سؤال تشريف، لأنه شكر. قال ابن جرير الطبري: ﴿لَتَنَسَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ يقول: ثم ليسألكم الله عز وجل عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا: ماذا علمتم فيه؟ ومن أين وصلتم إليه؟ وقيم أصبتموه؟ وماذا علمتم به؟ وقال ابن كثير: ﴿لَتَنَسَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ﴿١﴾ أي: ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك، ما إذا قابلتم نعمة من شكره وعبادته. وروى الترمذي عن أبي هريرة الأسلمي ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وقيم أنفق، وعن جسمه فيما أبلاه» ورواه الترمذي من حديث ابن مسعود وهو حديث حسن بشواهد.
- (٢) ذكره ابن كثير من رواية أبي حاتم من طريق إبراهيم بن إبراهيم بن موسى عن محمد بن سليمان ابن الأصبهاني عن ابن أبي ليلى أظنه عن عامر الشعبي عن ابن مسعود. ومحمد بن سليمان الأصبهاني، صدوق يخطئ، وابن أبي ليلى، صدوق سيئ الحفظ، و عامر الشعبي يرسل عن ابن مسعود. فالحديث ضعيف، وذكره السيوطي في «الدرر» ٣٨٨/٦ وزاد نسبه لعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن مردويه عن ابن مسعود.
- (٣) رواه الطبراني ٢٨٦/٣٠ من طريق خالد الزيات عن ابن أبي ليلى عن عامر الشعبي عن ابن مسعود موقوفاً عليه. وفي سنده ضعف، وأورده السيوطي في «الدرر» ٣٨٨/٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد، وعناد، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن مسعود.
- (٤) رواه الترمذي ١٧١/٢، والطبري ٢٨٨/٣٠ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة - يعني العبد من النعيم - أن يقال له: ألم نصنع لك جسماً ونفوساً من الماء البارد؟» وقال: هذا حديث غريب، وأورده السيوطي في «الدرر» ٣٨٨/٦ وزاد نسبه لأحمد في «زوائد الزهد»، وعبد بن حميد، وابن حبان، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».
- (٥) روى ابن جرير الطبري عن ابن عباس قال: النعيم: صحة الأبدان، والأسماع، والأبصار، قال: يسأل الله العباد فيم استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ وَالْقَوَارِءِ كُلِّ لَأُنتَهَىٰ كَانَ عَنْهُ مَسْفُوحًا﴾. وذكره السيوطي في «الدرر» ٣٨٧/٦ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عباس ؓ.
- (٦) روى البخاري في «صحيحه» ١٩٦/١١ عن عبد الله بن عباس ؓ قال: قال النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ». قال الحافظ ابن جرير في «الفتح» ١٩٧/١١: وقوله في الحديث: «مغبون فيهما كثير من الناس» قوله تعالى: ﴿وَيَذَلُّكَ يَوْمَ أَصْبَرُوا عَنِ التَّكْوِينِ﴾، فالكثير في الحديث في مقابلة القليل في الآية، ونقل عن ابن بطال أن معنى الحديث: أن المرء لا يكون فارغاً حتى يكون مكفياً صحيح البدن، فمن حصل له ذلك، فليحرص على أن لا يغبين بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه، ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه، فمن فرط في ذلك فهو المغبون. قال ابن جرير: وأشار بقوله: «كثير من الناس» إلى أن الذي يوفق لذلك قليل. ونقل عن ابن الجوزي قوله: قد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون مغرباً لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعا فقلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، ويتم ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغها وصحته في طاعة الله فهو المغبون، ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون، لأن الفراغ يعيق الشغل، والصحة يعيق السقم.
- (٧) وقول مجاهد هذا يشمل جميع الأقوال المتقدمة.

لا أسأل عبدي عن شكر من وأسأله عما سوى ذلك: بيت يَكُنْه، وما يقيم به صلبه من الطعام، وما يوارى به عورته من اللباس»<sup>(١)</sup>.



(١) ذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٢٩١ من رواية عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، عن الحسن مرسلاً، وهو ضعيف في المرفوع، ورواه الطبري في «تفسيره» ٢٨٩/ ٣٠ بنحوه عن الحسن وقتادة من كلامهما، ولم يذكره في المرفوع. وروى مسلم في «صحيحه» رقم ٢٠٣٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالا: الجوع يا رسول الله، قال: «وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا! قداموا معه، فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رآته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً، فقال لها رسول الله ﷺ: «أين فلان؟» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله وصاحبه، ثم قال: الحمد لله ما أحذ اليوم أكرم أضيافاً مني، قال: فانطلق فجاءهم بعلق (غصن) فيه بُسر وتمر وُزْطَب، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المُدِيَّة (السكين) فقال له رسول الله ﷺ: «إياك والحلوب!» فذبح لهم. فأكلوا من الشاة ومن ذلك العلق، وشربوا، فلما أن شبعوا ووزَّوا، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا التعميم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا التعميم».

## سورة العصر

وفيها قولان: أحدهما: مكية، قاله ابن عباس، وابن الزبير، والجمهور. والثاني: مدنية، قاله مجاهد، وقتادة، ومقاتل.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَشِيرٌ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالْقَنَرِ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الدهر، قاله ابن عباس، وزيد بن أسلم، والفراء، وابن قتية. وإنما أقسم بالدهر لأن فيه عبرة للناظر من مرور الليل والنهار على تقدير لا ينخرم. والثاني: أنه العشي، وهو ما بين زوال الشمس وغروبها، قاله الحسن وقتادة. والثالث: صلاة العصر، قاله مقاتل<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَشِيرٌ ۝٢﴾ قال الزجاج: هو جواب القسم. والإنسان هاهنا بمعنى الناس، كما تقول: كثر الدرهم في أيدي الناس، تريد الدراهم. والخسر والخسران في معنى واحد. قال أهل المعاني: الخسر: هلاك رأس المال أو نقصه. فالإنسان إذا لم يستعمل نفسه فيما يوجب له الربح الدائم، فهو في خسران، لأنه عمل في إهلاك نفسه، وهما أكبر رأس ماله ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ۝٣﴾ أي: صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وعملوا بالطاعة ﴿وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ ۝٣﴾ أي: بالتوحيد، والقرآن، واتباع الرسول ﴿وَتَوَّصَوْا بِالْقَنَرِ ۝٣﴾ على طاعة الله، والقيام بشريعته. وقال إبراهيم في تفسير هذه السورة: إن الإنسان إذا عُمِّر في الدنيا لفي نقص وضعف، إلّا المؤمنين، فإنهم يكتب لهم أجور أعمالهم التي كانوا يعملون في شبابهم وصحتهم<sup>(٢)</sup>.



(١) أقسم سبحانه وتعالى بصلاة العصر لفضلها، وهي الصلاة الوسطى عند الجمهور، لقوله عليه الصلاة والسلام: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر» متفق عليه. ولقوله ﷺ: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله» رواه مسلم. والأعم من ذلك أن الله تعالى أقسم بالزمان الذي تقع فيه أعمال بني آدم من خير وشر، قاله ابن كثير.

(٢) قال الإمام الشافعي رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة لكفّتهم. وذلك لما فيها من المراتب التي باستكمالها يحصل للشخص غاية كماله، إحداها: معرفة الحق، والثانية: عمله به، والثالثة: تعليمه من لا يحسنه، والرابعة: صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه.



## سورة الهمزة

### وهي مكية بإجماعهم

قال هبة الله المفسر<sup>(١)</sup>: وقد قيل: إنها مدنية. واختلف المفسرون هل نزلت في حق شخص بعينه، أم نزلت عامة؟ على قولين: أحدهما: نزلت في حق شخص بعينه. ثم فيه ستة أقوال: أحدها: الأخنس بن شريق، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال السدي، وابن السائب. والثاني: العاص بن وائل السهمي، قاله عروة. والثالث: جميل بن عامر، قاله ابن أبي نجيع. والرابع: الوليد بن المغيرة، قاله ابن جريج، ومقاتل. والخامس: أمية بن خلف، قاله ابن إسحاق. والسادس: أبي بن خلف، حكاه الماوردي. والقول الثاني: أنها نزلت عامة لا في شخص بعينه، قاله مجاهد<sup>(٢)</sup>.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّاءِ الرَّحْمَةِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدُوا ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلَّا لَيُبَذَّنَ فِي النَّارِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا النَّارُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الَّتِي تَلْقَى عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٦ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ۝٧ فِي عَصْرِ مُدَدِّمٍ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ اختلفا في الهمزة واللمزة هل هما بمعنى واحد، أم مختلفان؟ على قولين: أحدهما: أنهما مختلفان. ثم فيهما سبعة أقوال: أحدها: أن الهمزة: المغتاب، واللمزة: العيَّاب، قاله ابن عباس. والثاني: أن الهمزة: الذي يهزم الإنسان في وجهه. واللمزة: يلزمه إذا أدبر عنه، قاله الحسن، وعطاء، وأبو العالية. والثالث: أن الهمزة: الطعان في الناس، واللمزة: الطعان في أنساب الناس، قاله مجاهد. والرابع: أن الهمزة: بالعين، واللمزة: باللسان، قاله قتادة. والخامس: أن الهمزة: الذي يهزم الناس بيده ويضربهم، واللمزة: الذي يلزمهم بلسانه، قاله ابن زيد. والسادس: أن الهمزة: الذي يهزم بلسانه، واللمزة: الذي يلزم بعينه، قاله سفيان الثوري. والسابع: أن الهمزة: المغتاب، واللمزة: الطاعن على الإنسان في وجهه، قاله مقاتل. والقول الثاني: أن الهمزة: العيَّاب الطعان، واللمزة مثله. وأصل الهمز واللمز: الدفع، قاله ابن قتيبة، وكذلك قال الزجاج: الهمزة اللمزة: الذي يغتاب الناس ويغضبهم<sup>(٣)</sup>. قال الشاعر:

إِذَا لَوَيْشُكَ عَنْ كُزْرِهِ تُكَاشِرُنِي

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَّدُوا ۝٢﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وروح: «جَمَعَ» بالتشديد. والباقون بالتخفيف.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَّدُوا ۝٢﴾ قرأ الجمهور بتشديد الدال. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، وابن يعمر بتخفيفها<sup>(٤)</sup>. وللمفسرين في معنى الكلام قولان: أحدهما: أحصى عدده، قاله السدي. والثاني: أعدّه لما يكفيه في

(١) هو هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي أبو القاسم الضير المفسر، من أهل بغداد، وبها وفاته، كانت له حلقة في جامع المنصور، له مؤلفات، منها «التاسخ والمنسوخ في القرآن» مطبوع، توفي رحمه الله (سنة ٤١٠هـ).

(٢) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله عمّ بالقول كل همزة لزمة، كل من كان بالصفة التي وصف هذا الموصوف بها، سيئه سيئه كائنًا من كان من الناس.

(٣) في الأصل: وبعضهم، والتصحيح من «اللسان» ومجاز القرآن، والطبري، والغض: الهمز والعيب.

(٤) تقدم البيت ص ٥٨٩، ورواية الشطر الأول: إذا لقيتك تبدي لي مكالشة.

(٥) قال ابن جرير الطبري: وقد ذكر عن بعض المتقدمين بإسناد غير ثابت أنه قرأ «جمع مالا وعدده» بتخفيف الدال، بمعنى: جمع مالا، وجمع عشيرته وعدده، قال: وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها، بخلافها قراءة الأمصار، وخروجها عما عليه الحجة مجمعة في ذلك.

السَّنين، قاله عكرمة. قال الزجاج: من قرأ «عَدَّه» بالتشديد، فمعناه: عدَّه للدهور. ومن قرأ «عَدَّه» بالتخفيف، فمعناه: جمع مالا وعدداً، أي: وقوماً اتخذهم أنصاراً.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبَنَّ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ (٢) أخلده بمعنى يخلده، والمعنى: يظن ماله مانعاً له من الموت، فهو يعمل عمل من لا يظن أنه يموت ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يخلده ماله ولا يبقى له ﴿يَلْبُدَنَّ﴾ أي: لِيُظَرَّحَنَّ ﴿فِي الْأُطَمَّةِ﴾ وهو اسم من أسماء جهنم. سميت بذلك لأنها تحطم ما يلقي فيها، أي: تكسره، فهي تكسر العظم بعد أكلها اللحم. ويقال للرجل الأكول: إنه لحطمة. وقرأ أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وأبو عبد الرحمن، والحسن، وابن أبي عتبة، وابن محيصن: «الينبذ» بآلف ممدودة، وبكسر النون، وتشديدها، أي: هو وماله.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ عَلَى الْأَقْنَدِ﴾ (٦) أي: تاكل اللحم والجلود حتى تقع على الأقنعة فتحرقها. قال الفراء: يبلغ ألمها الأقنعة. والاطلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى واحد، والعرب تقول: متى طلعت أرضنا؟ أي: بلغت. وقال ابن قتيبة: تطلع على الأقنعة، أي: توفي عليها وتشرف. وخص الأقنعة، لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه، فأخبر أنهم في حال من يموت، وهم لا يموتون. وقد ذكرنا تفسير ﴿مُؤَمَّدَةً﴾ في سورة [البعد: ٢٠].

قوله تعالى: ﴿فِي عَذْرِ﴾ قرأ حمزة، وخلف، والكسائي، وعاصم إلّا حفصاً بضم العين، وإسكان الميم. قال المفسرون: وهي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار. وفي «بمعنى الباء» والمعنى: مطبقة بعُمْدٍ. قال قتادة: وكذلك هو في قراءة عبد الله. وقال مقاتل: أطيقت الأبواب عليهم، ثم شُدَّتْ بأوتادٍ من حديد، حتى يرجع عليهم عُمْدُها وحُرُّها. و﴿مُؤَمَّدَةً﴾ صفة العُمْد، أي: أنها ممدودة مطوّلة، وهي أرسخ من القصيرة. وقال قتادة: هي عُمْدٌ يعذبون بها في النار<sup>(١)</sup>. وقال أبو صالح: ﴿فِي عَذْرِ مُؤَمَّدَةٍ﴾ (١) قال: القيود الطوال.



## سورة الفيل

### مكية بإجماعهم

#### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِ تَرَّ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْسِمًا بِحَبَابٍ ﴿٤﴾ خِشْيَمًا مِّن سَيْلٍ ﴿٥﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِ تَرَّ﴾ فيه قولان: أحدهما: ألم تُخَيِّرْ، قاله الفراء. والثاني: ألم تُغْلَمْ، قاله الزجاج. ومعنى الكلام معنى التعجب. وأصحاب الفيل هم الذين قصدوا تخريب الكعبة. وفي سبب قصدهم لذلك قولان: أحدهما: أن أبرهة بن بيعة<sup>(١)</sup> وقال: لست منتهاياً حتى أغيث إليها حج العرب، فسمع بذلك رجل من بني كنانة، فخرج، فدخلها ليلاً، فأحدث فيها، فبلغ ذلك أبرهة، فحلف ليسيرن إلى الكعبة فيهدمها، قاله ابن عباس. والثاني: أن قوماً من قريش خرجوا في تجارة إلى أرض النجاشي فنزلوا في جنب بيعة، فأوقدوا ناراً، وشؤوا لحماً، فلما رَحَلُوا هَبَّتْ الرِّيحُ، فاضطرم المكان ناراً، فغضب النجاشي لأجل البيعة، فقال له كبراء أصحابه: منهم حجر بن شراحيل، وأبو يكسوم - لا تحزن، فنحن نهديم الكعبة، قاله مقاتل. وقال ابن إسحاق: أبو يكسوم اسمه أبرهة بن الأشرم. وقيل: وزيره، وجنود من قواديه.

### ذكر الإشارة إلى القصة

ذكر أهل التفسير أن أبرهة لما سار بجنوده إلى الكعبة ليهدمها خرج معه بالفيل، فلما دنا من مكة أمر أصحابه بالغارة على نَمِ الناس، فأصابوا إبلاً لعبد المطلب، وبعث بعض جنوده، فقال: سَلْ عن شريف مكة، وأخبره أني لم آتِ لقتال، وإنما جئت لأهيم هذا البيت، فانطلق حتى دخل مكة، فلقى عبد المطلب بن هاشم، فقال: إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت لقتال إلا أن تقاتلوه، إنما جاء لهدم هذا البيت، ثم ينصرف عنكم، فقال عبد المطلب: ما له عندنا قتال، وما لنا به يد، إنا سنخلي بينه وبين ما جاء له، فإن هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، فإن يمنعه، فهو بيته وحرمه، وإن يخل بينه وبين ذلك، فوالله ما لنا به قوة. قال: فانطلق معي إلى الملك، فلما دخل عبد المطلب على أبرهة أعظمه، وكرمه، ثم قال لترجمانه: قل له: ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له الترجمان، فقال: حاجتي أن يرّد عليّ مائتي بعير أصابها. فقال أبرهة لترجمانه: قل له: لقد كنت أعجبني حين رأيتك، ولقد زهدت الآن فيك، جئت إلى بيت هو دينك لأهدمه، فلم تكلمني فيه، وكلمتني لإبل أصبتها. فقال عبد المطلب: أنا ربّ هذه الإبل، ولهذا البيت ربّ سيمنه. فأمر بإبله فُرِدَّتْ عليه، فخرج، فأخبر قريشاً، وأمرهم أن يَتَرَقَّوْا في الشعاب ورؤوس الجبال خوفاً من مَعَرَّةِ الجيش إذا دخل، ففعلوا، فأتى عبد المطلب الكعبة، فأخذ بحلقة الباب، وجعل يقول:

يَا رَبِّ قَاتِلْهُمْ مِنْهُمْ حِمَاكَ

امْنَعُهُمْ أَنْ يُخْرِبُوا قُرَاكَ

يَا رَبِّ لَا أَزْجُلْهُمْ سِوَاكَ

إِنَّ عَذْرَ الْبَيْتِ مِنْ عِبَادِكَ

وقال أيضاً:

(١) اليمّة بكسر الباء: كنية النصارى، وقيل: كنية اليهود، والجمع: ينج.

لَا هُمْ<sup>(١)</sup> إِنَّ الْمَرَّةَ يَنْمُ  
لَا يَنْفَكُ بَنٌ صَلِيْبُهُمْ  
جَرُّوا جَمِيْعَ بِلَادِهِمْ  
عَمِدُوا جِمَاكَ بِكَيْدِهِمْ  
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَكُفُّ

نَعُ رَحْلَهُ فَاَمْنَحُ جَلَالَكَ<sup>(٢)</sup>  
وَمَحَالُهُمْ عَزْدُوا وَمَحَالَكَ<sup>(٣)</sup>  
وَالْفَيْلَ كَيْ يَسْبُوْا عِيَاكَ  
جَهْلًا وَمَا رَقَبُوا جَلَالَكَ  
بَيْنَنَا قَائِمٌ مَا يَدَاكَ

ثم إن أبرهة أصبح متهيئاً للدخول، فبرك الفيل، فبعثوه فأبى، فضربوه، فأبى، فوجهوه إلى اليمن راجعاً، فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، وإلى المشرق ففعل مثل ذلك، فوجهوه إلى الحرم، فأبى، فأرسل الله طيراً من البحر. واختلفوا في صفتها، فقال ابن عباس: كانت لهم خراطيم كخراطيم الطير، وأكفت كأكفت الكلاب. وقال عكرمة: كانت لها رؤوس كرؤوس السباع. وقال ابن إسحاق: كانت أمثال الخطاطيف. واختلفوا في ألوانها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها كانت خضراء، قاله عكرمة، وسعيد بن جبيرة. والثاني: سوداء، قاله عبيد بن عمير. والثالث: بيضاء، قاله قتادة. قال: وكان مع كل طير ثلاثة أحجار، حَجَرَانِ في رجله، وحجر في منقاره. واختلفوا في صفة الحجارة فقال بعضهم: كانت كأمثال الحمص والعدس. وقال عبيد بن عمير: بل كان الحجر ك رأس الرجل والجمل، فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم، فلم تصب تلك الحجارة أحداً إلا هلك. وكان الحجر يقع على رأس الرجل، فيخرج من دبره. وقيل: كان على كل حجر اسم الذي وقع عليه، فهلكوا ولم يدخلوا الحرم، وبعث الله على أبرهة داءً في جسده، فتساقطت أنامله، وانصدع صدره قطعتين عن قلبه، فهلك، ورأى أهل مكة الطير وقد أقبلت من ناحية البحر، فقال عبد المطلب: إن هذه الطير غريبة. ثم إن عبد المطلب بعث ابنه عبد الله على فرس ينظر إلى القوم، فرجع يركض ويقول: هلك القوم جميعاً، فخرج عبد المطلب وأصحابه فغنموا أموالهم. وقيل: لم ينج من القوم إلا أبو يكسوم، فسار، وطائر يطير من فوقه، ولا يشعر به حتى دخل على النجاشي، فأخبره بما أصاب القوم، فلما أتم كلامه رماه الطائر فمات، فأرى الله تعالى النجاشي كيف كان هلاك أصحابه<sup>(٤)</sup>. واختلفوا كم كان بين مولد رسول الله ﷺ وبين هذه القصة على ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ ولد عام الفيل، وهو الأصح<sup>(٥)</sup>. والثاني: كان بينهما ثلاث وعشرون سنة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أربعون سنة، حكاه مقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ بِجَمَلٍ كِيدَهُ﴾ وهو ما أرادوا من تخريب الكعبة ﴿فِي تَقْوِيلٍ﴾ أي: في ذهاب. والمعنى: أن كيدهم ضلَّ عما قصدوا له، فلم يصلوا إلى مرادهم ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾. وفي «الأبابيل» خمسة أقوال: أحدها: أنها المتفرقة من هاهنا وهاهنا، قاله ابن مسعود، والأخفش. والثاني: أنها المتتابعة التي يتبع بعضها بعضاً،

(١) لاهم: أصلها: اللهم، والعرب تحذف الألف واللام منها وتكتفي بما بقي، كما تقول: لاؤ أبوك، وهي تريد: لا أبوك، وكما قالوا أيضاً: أجنك تفعل كلنا وكذا، أي: من أجل أنك تفعل كلنا وكذا. والجلال: بكسر الحاء جمع خلة، وهي جماعة البيوت، ويريد هنا: القوم الحلول، والجلال أيضاً: متاع البيت، وجائز أن يكون هذا المعنى الثاني مراداً هنا.

(٢) البيت في الأصل:

لَا هُمْ إِنْ الْمَرَّةَ يَنْمُ

لَهُ وَحَلَالَهُ فَاَمْنَحُ حَلَالَكَ

وهو خطأ، والتصحيح من سيرة ابن هشام: وكب الضير.

(٣) عَزْدُوا، أي غداً، وهو اليوم الذي يأتي بعد يومك، فحفظت لاهم، ولم يستعمل تاماً إلا في الشعر. واليجال بكسر الميم: القرة والشدة.

(٤) ذكر الخبر بنحوه البغوي من رواية ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبيرة وعكرمة عن ابن عباس، وفي سننه جهالة، ومن رواية الواقدي، والله أعلم.

قال ابن كثير: هذه من النعم التي امتنَّ الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود فأبادهم الله وأرغم آتافهم ونخب معيهم وأفضل عملهم وردهم بشر خيبة، وكانوا قوماً نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان، ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول: لم تنصركم يا معشر قريش على الحبة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشره ونعظمه ونوقره ببعثة النبي محمد صلوات الله عليه وسلامه على خاتم الأنبياء.

(٥) قال ابن كثير: ولد في ذلك العام على أشهر الأقوال.

قاله ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل. والثالث: الكثيرة، قاله الحسن، وطاووس. والرابع: أنها الجمع بعد الجمع، قاله عطاء، وأبو صالح، وكذلك قال أبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج: «الأبايل»: جماعات في تفرقة. والخامس: المختلفة الألوان، قاله زيد بن أسلم. قال الفراء، وأبو عبيدة: «الأبايل» لا واحد لها.

قوله تعالى: ﴿تَرْيِبُهُمْ﴾ قرأ أبو عبد الرحمن السلمي «يرميهم» بالياء، وقد بينا معنى «يَرْيِبُ» في [مورد: ٨٢]، ومعنى «العصف» في سورة [الرحمن: ١٢]. وفي معنى «مَأْكُولٌ» ثلاثة أقوال: أحدها: أن يكون أراد أنه أخذ ما فيه من الحب فأكل، وبقي هو لا حب فيه. والثاني: أن يكون أراد أن العصف مأكل البهائم، كما يقال للحنطة: هذا المأكل ولمّا يؤكل. وللماء: هذا المشروب ولمّا يشرب، يريد أنهما مما يؤكل ويشرب، ذكرهما ابن قتيبة. والثالث: أن المأكل هاهنا: الذي وقع فيه الأكال. فالمعنى: جعلهم كَوَرَقِ الزَّرْعِ الذي جَفَّ وأكل، أي: وقع فيه الأكال، قاله الزجاج.



## سورة قریش

### ويقال لها: سورة لإيلاف

وفيها قولان: أحدهما: مكية، قاله الجمهور. والثاني: مدنية، قاله الضحاك، وابن السائب. واختلف القراء في «الإيلاف» فقرأ ابن عامر «الإلاف» بغير ياء بعد الهمزة، مثل: «لعلاف». وقرأ أبو جعفر بياء ساكنة من غير همز. وروى حماد بن أحمد عن الشموني بهزتين مخففتين، الأولى: مكسورة، والثانية: ساكنة على وزن ليعلّاف. وقرأ الباقون بعدها ياء ساكنة، مثل ليعلّاف<sup>(١)</sup>. وفي لام «الإيلاف» ثلاثة أقوال: أحدها: موصولة بما قبلها، المعنى: فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قریش، أي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قریش. وما قد ألفوا من رحلة الشتاء، والصيف [هذا قول الفراء والجمهور. والثاني: أنها لام التعجب، كأن المعنى: اعجبوا لإيلاف قریش رحلة الشتاء والصيف]<sup>(٢)</sup>، وتركهم عبادة رب هذا البيت، قاله الأعمش، والكسائي. والثالث: أن معناها متصل بما بعدها. المعنى: فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف، لأنهم كانوا في الرحلتين آمنين، فإذا عَرَّضَ لهم عارض قالوا: نحن أهل حرم الله فلا يَتَّعِزُّ لهم، قال الزجاج: وهذا الوجه قول النحويين الذين ترفض أقوالهم. وقال ابن قتيبة: بعض الناس يذهب إلى أن هذه السورة وسورة الفيل واحدة، وأكثر الناس على أنهما سورتان، وإن كانتا متصلتي الالفاظ<sup>(٣)</sup>. والمعنى: إن قریشاً كانت بالحرم آمنة من الأعداء. والحرم وإد جديب لا زرع فيه ولا شجر، وإنما كانت قریش تعيش فيه بالتجارة وكانت لهم رحلتان في كل سنة، رحلة في الشتاء، ورحلة في الصيف إلى الشام. ولولا هاتان الرحلتان لم يكن به مقام. ولولا أنهم بمجاورة البيت لم يقدروا على التصرف، فلما قصد أصحاب الفيل هدم الكعبة أهلكتهم الله لتقيم قریش بالحرم، فذكّرهم الله نعمته بالسورتين. والمعنى: أنه أهلك أولئك ليؤلف قریشاً هاتين الرحلتين اللتين بهما<sup>(٤)</sup> معاشهم، ومقامهم بمكة. تقول: ألّفت موضع كذا: إذا لزمته، وألفنيه الله، كما تقول: لزمتم موضع كذا وكذا، وألّزمني الله، وكرر ﴿لِيَأْتِيَنَّ﴾ للتوكيد، كما تقول: أعطيتك المال لصيانة وجهك صيانة عن كل الناس. قال الزجاج: يقال: ألّفت المكان ألفاً، وألّفته إيلافاً بمعنى واحد. وأنا قریش فهم ولد النضر بن كنانة، وكل من لم يلد النضر فليس بقرشي. وقيل: هم من ولد فهر بن مالك بن النضر، فمن لم يلد فهر فليس بقرشي. وإنما سموا قریشاً لتجارتهم وجمعهم المال. والقرش: الكسب. يقال: هو يقرش لعياله، ويقترش، أي: يكتسب. وقد سأل معاوية ابن عباس رضي الله عنه: لم سميت قریش قریشاً؟ فقال ابن عباس: بدابة تكون في البحر يقال لها: القریش لا تمر بشيء من العت<sup>(٥)</sup> والسمين إلا أكلته. وأنشد:

وقريش هي التي تسكن البحر

رَبِّهَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشًا<sup>(٦)</sup>

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القراءة في ذلك عندي من قرأه ﴿لِيَأْتِيَنَّ قُرَيْشٌ﴾ بِلَايَاتِ الْيَاءِ فِيهَا بَعْدَ الْهَمْزَةِ مِنْ أَلَفَتِ الشَّيْءَ أَوْ لَفَهُ إِيْلَافًا، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقَرَاءَةِ عَلَيْهِ.

(٢) زيادة سقطت من الأصل، واستدركتها من النسخة الإستانبولية. وصوب ابن جرير هذا القول، وقال: ذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان مستقلتان.

(٣) قال ابن كثير: هذه السورة منفصلة عن التي قبلها في المصحف، كتبوا بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم»، وإن كانت متعلقة بما قبلها كما صرح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، لأن المعنى عندهما: حسبنا عن مكة الفيل، وأهلكنا أهله لإيلاف قریش، أي لاتلانهم واجتماعهم في بلدهم آمين.

(٤) العت: الرديء من كل شيء.

(٥) في الأصل: التي بها.

(٦) البيت في البغوي ٢٤٧/٧ استشهد به ابن عباس ونسبه للجمعي، وهو في «الدر المنثور» ٣٩٨/٦، و«روح البیان» ٢٣٩/٣٠، وأورده القرطبي ونسبه إلى تبع.



## سورة الماعون

### ويقال لها: سورة أرايت

وفيها قولان، أحدهما: مكية، قاله الجمهور. والثاني: مدنية، روي عن ابن عباس، وقتادة. وقال هبة الله المفسر: نزل نصفها بمكة في العاص بن وائل، ونصفها بالمدينة في عبد الله بن أبي المنافق.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۚ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَمِينَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْيَتِيمِ ﴿٣﴾ قَوْلِ الْمَصْلِينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاكِبُونَ ﴿٦﴾ وَيَسْتَمُونَ الْكَاثُونَ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ ﴿١﴾ اختلغا فيمن نزلت هذه الآية على ستة أقوال: أحدها: نزلت في رجل من المنافقين، قاله ابن عباس. والثاني: نزلت في عمرو بن عائذ، قاله الضحاك. والثالث: في الوليد بن المغيرة، قاله السدي. والرابع في العاص بن وائل، قاله ابن السائب. والخامس: في أبي سفيان بن حرب، قاله ابن جريج. والسادس: في أبي جهل، حكاه الماوردي. وفي «الدين» أربعة أقوال: أحدها: أنه حكم الله ﷻ، قاله ابن عباس. والثاني: الحساب، قاله مجاهد، وعكرمة. والثالث: الجزاء، حكاه الماوردي. والرابع: القرآن، حكاه بعض المفسرين، و﴿يَدْعُ﴾ بمعنى يدفع. وقد ذكرناه في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [الطور: ١٣]. والمعنى: أنه يدفع اليتيم عن حقه دفعاً عنيفاً يأخذ ماله. وقد بينا فيما سبق أنهم كانوا لا يؤثرون الصغير، وقيل: يدفع اليتيم إبعاداً له، لأنه لا يرجو ثواب إطعامه ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْيَتِيمِ﴾ ﴿٣﴾ أي: لا يطعمه، ولا يأمر بإطعامه لأنه مكذب بالجزاء.

قوله تعالى: ﴿قَوْلِ الْمَصْلِينَ﴾ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ نزل هذا في المنافقين الذين لا يرجون لصلاتهم ثواباً، ولا يخافون على تركها عقاباً. فإن كانوا مع النبي ﷺ صلوا رياءً، وإن لم يكونوا معه لم يصلوا، فذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاكِبُونَ﴾ ﴿٦﴾ وقال ابن مسعود: والله ما تركوها البتة ولو تركوها البتة كانوا كفاراً، ولكن تركوا المحافظة على أوقاتها. وقال ابن عباس: يؤخرونها عن وقتها. ونقل عن أبي العالية أنه قال: هو الذي لا يدري عن كم انصرف، عن شفع، أو عن وتر. ورد هذا بعض العلماء فقال: هذا ليس بشيء، لأن رسول الله ﷺ قد سها في صلاته، ولأنه قال تعالى: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾ ولم يقل: في صلاتهم، ولأن ذلك لا يكاد يدخل تحت طوق ابن آدم. قال الشيخ رحمه الله: قلت: ولا أظن أن أبا العالية أراد السهو النادر، وإنما أراد السهو الدائم، وذلك ينبئنا عن التفات القلب عن احترام الصلاة، فيتوجه الذم إلى ذلك لا إلى السهو<sup>(١)</sup>. وفي ﴿الْكَاثُونَ﴾ ستة أقوال: أحدها: أنه الإبرة، والماء، والنار، والنفاس، وما يكون في البيت من هذا النحو، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، وإلى نحوه ذهب ابن مسعود<sup>(٣)</sup>.

(١) قال ابن كثير: ﴿قَوْلِ الْمَصْلِينَ﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ إما عن فعلها بالكلى، كما قاله ابن عباس، وإما عن فعلها في الوقت المقدّر لها شرعاً فيخرجها عن وقتها بالكلى، كما قاله مسروق وأبو الفصح، وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائماً أو غالباً، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور بها، وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل ذلك كله، ولكل من أتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية.

(٢) قال السيوطي في «الدرر» ٤٠٠/٦: أخرج أبو نعيم، والديلمي، وابن عساكر، عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَيَسْتَمُونَ الْكَاثُونَ﴾ قال: ما يتعاره الناس بينهم: النفاس، والقدر، والذلو وأشباهه.

(٣) قال السيوطي في «الدرر» ٤٠٠/٦: أخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وأبو داود، والنسائي، والبخاري، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني في «الأوسط»، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» من طرق عن ابن مسعود قال: كنّا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارئة الذلو، والقدر، والنفاس، والميزان وما تتعاطون بينهم.



وابن عباس في رواية. وروى عنه أبو صالح أنه قال: الماعون: المعروف كله حتى ذَكَرَ الْقَدْرَ، والقصة، والفأس. وقال عكرمة: ليس الويل لمن منع هذا، إنما الويل لمن جمعهن، فراءى في صلاته، وسها عنها<sup>(١)</sup>، ومنع هذا. قال الزجاج: والماعون في الجاهلية: كل ما كان فيه منفعة كالفأس، والقدر، والدلو، والقداحة، ونحو ذلك، وفي الإسلام أيضاً. والثاني: أنه الزكاة، قاله علي، وابن يعمر، والحسن، وعكرمة، وقتادة. والثالث: أنه الطاعة، قاله ابن عباس في رواية. والرابع: المال، قاله سعيد بن المسيب، والزهري. والخامس: المعروف، قاله محمد بن كعب. والسادس: الماء، ذكره الفراء عن بعض العرب<sup>(٢)</sup> قال: وأنشدني:

يَمِجُ صَبِيرُهُ الْمَاعُونَ صَبِيًّا<sup>(٣)</sup>

والصبير: السحاب.



(١) في الأصل: وسها هذا، والتصحيح من النسخة الإستانبولية.

(٢) قال ابن كثير: وقال عكرمة: رأس الماعون: زكاة المال، وأدناه: المنخل، والدلو، والإبرة. رواه ابن أبي حاتم. قال ابن كثير: وهذا الذي قاله عكرمة حسن، فإنه يشمل الأقوال كلها، وترجع كلها إلى شيء واحد، وهو: ترك المعاونة بمال أو بمنفعة.

(٣) ذكره القرطبي ٢٠/٢١٤.



قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ اختلفوا فيمن عنى بذلك على خمسة أقوال: أحدها: أنه العاص بن وائل السهمي، قال ابن عباس: نزلت في العاص بن وائل، لقي رسول الله ﷺ على باب المسجد فوقف يحدثه حتى دخل العاص المسجد، وفيه أناس من صناديد قريش، فقالوا له: مَنْ الذي كُنْتَ تُحَدِّثُ؟ قال: ذاك الأبتَر، يعني النبي ﷺ، وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله ﷺ، وكانوا يسمون من ليس له ابن: أبتَر، فأنزل الله ﷻ هذه السورة. وممن ذهب إلى أنها نزلت في العاص: سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه أبو جهل، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أبو لهب، قاله عطاء. والرابع: عقبة بن أبي معيط، قاله شمر بن عطية. والخامس: أنه عنى به جماعة من قريش، قاله عكرمة<sup>(١)</sup>. والثاني: المبغض، والأبتَر: المتقطع عن الخير<sup>(٢)</sup>.



والآلهة، وكذلك تحرك اجعله له دون الأوثان، شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفه له، وخضك به من إعطائه إياك الكوثر. قال ابن كثير: وهذا الذي قاله ابن جرير في غاية الحسن، وقد سبقه إلى هذا المعنى، محمد بن كعب القرظي، وعطاء.

(١) قال ابن كثير: قال الزوار: حدثنا زياد بن يحيى الحساني، حدثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش: أنت سيدهم، ألا ترى إلى الصنبر المنبر من قومه؟ يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة، وأهل السقاية، فقال: أنتم خير منه، فنزلت ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. قال ابن كثير: هكذا رواه الزوار، وهو إسناد صحيح. وجاء في «اللسان» مادة (صنبر) أصل الصنبر: سعة ثبتت في جلع النخلة، لا في الأرض، قال أبو عبيدة: الصنبر: النخلة تبقى منفردة ويدق أسفلها وينقشر، يقال: صنبر أسفل النخلة. ومراد كفار قريش: أنه إذا قلع انقطع ذكره كما يذهب أصل الصنبر لأنه لا عقب له. وقال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن مبغض رسول الله ﷺ هو الأقل الأذل المتقطع عقبه، فذلك صفة كل من أبغضه من الناس، وإن كانت الآية نزلت في شخص بعينه.

(٢) قال ابن كثير: قال السدي: كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا: بتر، فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا: بتر محمد، فأنزل الله ﷻ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ قال: وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتَر: الذي إذا مات، انقطع ذكره، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بتره انقطع ذكره، وحاشا وكلاً، بل قد أبغى ذكره على رؤوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمراً على دوام الآباد، إلى يوم الحشر والمعاد، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم التناد.

## سورة الكافرون<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَكْفُرُ الْكَافِرُونَ﴾ ❶ ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ❷ ﴿وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ❸ ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ ❹ ﴿وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ❺ ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ❻ ﴿﴾

وفيها قولان: أحدهما: مكية، قاله ابن مسعود، والحسن، والجمهور. والثاني: مدنية، روي عن قتادة.

ذكر سبب نزولها. اختلفوا على ثلاثة أقوال: أحدها: أن رهطاً من قريش منهم الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث لقوا العباس بن عبد المطلب، فقالوا: يا أبا الفضل، لو أن ابن أخيك أسلم بعض آلهتنا لصدقناه بما يقول ولأمتنا بالله، فأتاه العباس فأخبره، فنزلت هذه السورة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن عتبة بن ربيعة، وأمّية بن خلف لقيا رسول الله ﷺ فقالا: يا محمد، لا ندعك حتى تتبع ديننا، وتبني دينك، فإن كان أمرنا رشداً كننت قد أخذت بحظك منه، وإن كان أمرك رشداً كنا قد أخذنا بحظنا منه، فنزلت هذه السورة، قاله عبيد بن عمير. والثالث: أن قريشاً قالوا للنبي ﷺ: إن سرّك أن تتبني دينك عاماً، وترجع إلى ديننا عاماً، فنزلت هذه السورة، قاله وهب. قال مقاتل في آخرين: نزلت هذه السورة في أبي جهل وفي المستهزئين، ولم يبق<sup>(٢)</sup> من الذين نزلت فيهم أحد<sup>(٣)</sup>. وأما قوله: ﴿لَا أَعْبُدُ﴾ فهو في موضع «مَرٌّ» ولكنه جعل مقابلاً لقوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ وهي الأصنام. وفي تكرار الكلام قولان: أحدهما: لتأكيد الأمر، وحسم أطماعهم فيه، قاله الفراء. وقد أنعمنا<sup>(٤)</sup> شرح هذا في سورة (الرحمن: ١٣). والثاني: أن المعنى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ❷ ﴿وَلَا أَنْتُمْ﴾ ❸ ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ ❹ ﴿وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ❺ في حالي هذه ﴿وَلَا أَنْتُمْ﴾ ❸ ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا أَعْبُدُ﴾ ❹ في حالكم ﴿عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ❺ بأعيانهم، أعلمه الله ﷻ أنهم لا يؤمنون، كما ذكرنا عن مقاتل، فلا يكون حينئذ تكراراً، هذا قول ثعلب، والزجاج<sup>(٥)</sup>. وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ❻ ﴿وَلِيَ﴾ نافع، وحفص، وأبان عن عاصم. وأثبت ياء «ديني» في الحاليين يعقوب. وهذا منسوخ عند المفسرين بآية السيف<sup>(٦)</sup>.



- (١) ويقال لها أيضاً: المقتشة، أي: المبردة من النفاق.
- (٢) قال ابن كثير: هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي أمرة بالإخلاص فيه، فقله تعالى: ﴿قُلْ يَكْفُرُ الْكَافِرُونَ﴾ يشمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش. وقيل: إنهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسوله ﷺ فيها أن يبتزاً من دينهم بالكلية.
- (٣) أي: زنا، يقال: أنعم أن يحسن أو يسيء، أي: زاد، وأنعم فيه: بالغ وفعل كذا، وأنعم أي: زاد. ويقال: أنعم النظر في الشيء: إذا أطال الفكرة فيه.
- (٤) قال ابن كثير: ونمّ قول نصره أبو العباس ابن تيمية في بعض كتبه، وهو أن المراد بقوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ❷ نفي الفعل، لأنها جملة فعلية ﴿وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ❸ نفي قبوله للملك بالكلية، لأن النفي بالجملة الاسمية أكد، فكانه نفي الفعل وكونه قابلاً لذلك، ومعناه: نفي الوقوع، ونفي الإمكان الشرعي أيضاً، قال ابن كثير: وهو قول حسن أيضاً، والله أعلم.
- (٥) قال ابن كثير: إن العابد لا بد له من معبود يعبد، وعبادة يسلكها إليه، فالرسول ﷺ وأتباعه يعبدون الله بما شرعه، ولهذا كان كلمة الإسلام: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أي لا معبود إلا الله، ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول ﷺ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله، ولهذا قال لهم الرسول ﷺ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ❻ ﴿وَلِيَ﴾ كما قال تعالى: ﴿رَبِّكَ كَذَبْتُ لَكَ عَنِّي وَلَكُم مَعَكُمْ أَنْتَ رَسُولُ رَبِّكِ وَأَنَا نَبِيٌّ وَمَا أَتَاكَ﴾ قال: ﴿لَا أَتَاكَ وَلَكُم مَعَكُمْ﴾.
- (٦) وقد ثبت في «صحيح مسلم» عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة ﴿وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في ركعتي الطواف، وفي «صحيح مسلم» أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي الفجر (أي في سنة الفجر).

## سورة النصر

### وهي مدنية بإجماعهم

وفي أفراد مسلم من حديث ابن عباس أنها آخر سورة نزلت جميعاً<sup>(١)</sup>.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ أي: معونته على الأعداء. ﴿وَالْفَتْحُ﴾: فتح مكة. قال الحسن: لما فتح رسول الله ﷺ مكة قالت العرب: أما إذا ظفر محمد بأهل الحرم، وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان<sup>(٢)</sup> فدخلوا في دين الله أفواجا. قال أبو عبيدة: والأفواج: جماعات في تفرقة.

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الصلاة، قاله ابن عباس. والثاني: التسبيح المعروف، قاله جماعة من المفسرين. قال المفسرون: نُعِيَتْ إليه نفسه بنزول هذه السورة، وأُغْلِمَ أنه قد اقترب أجله<sup>(٣)</sup>، فأمر بالتسبيح والاستغفار ليختم له عمره بالزيادة في العمل الصالح<sup>(٤)</sup>. قال ابن عباس: إذا جاء نصر الله والفتح: داغ من الله، ووَدَّاع من الدنيا. قال قتادة: وعاش بعد نزول هذه السورة ستين.

(١) روى مسلم في «صحيحه» رقم ٣٠٢٤ عن عبيد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: تعلم (وقال هارون: تدري) آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعاً؟ قلت: نعم ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال: صدقت. قال مسلم: وفي رواية ابن أبي شيبة (أحد الرواة): تعلم أي سورة، ولم يقل: آخر. قال الحافظ في «الفتح» ٥٦٤/٨: وأخرج النسائي من حديث ابن عباس أنها آخر سورة نزلت من القرآن. قال: وقد تقدم في تفسير (براءة) أنها آخر سورة نزلت، قال: والجمع بينهما أن أخيرة سورة النصر، نزولها كاملة، بخلاف (براءة)، فالمراد بنزول بعضها أو معظمها، ولألف فيها آيات كثيرة نزلت قبل سنة الوفاة النبوية، وأوضح من ذلك أن أول (براءة) نزل عقب فتح مكة في سنة تسع عام حج أبي بكر، وقد نزل ﴿أَيُّمُ أَهْلُكُمْ لَكُمْ وَيَكُمُ﴾ وهي في (المائدة) في حجة الوداع سنة عشر، فالظاهر أن المراد معظمها، ولا شك أن غالبها نزل في غزوة تبوك، وهي آخر غزوات النبي ﷺ. هذا بالنسبة للسورة، وأما بالنسبة لأخر آية نزلت، فقد روى البخاري عن ابن عباس: آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا، وفي «الفتح»: وجاء عن ابن عباس أيضاً من وجه آخر: «آخر آية نزلت على النبي ﷺ: ﴿وَالْقُلُوبُ يَوْمَ يَكُونُ يَوْمُ آلِ آدَمَ﴾» أخرجه الطبري من طرق. قال الحافظ: وطريق الجمع بين هذين القولين أن هذه الآية ختام الآيات المنزلة في الربا، وهي معطوفة عليهن، ثم قال: وأما ما سيأتي في آخر سورة (النساء) من حديث البراء: آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ فيجمع بينه وبين قول ابن عباس، بأن الآيتين نزلتا جميعاً، فيصدق أن كلا منهما آخر بالنسبة لما عدهما. قال: ويحتمل أن تكون الأخيرة في آية (النساء) مقيدة بما يتعلق بالمواريث مثلاً، بخلاف آية (البقرة)، ويحتمل عكسه، والأول أرجح لما في آية (البقرة) من الإشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول. قال: وأصح الأقوال في أخيرة الآية قوله تعالى: ﴿وَالْقُلُوبُ يَوْمَ يَكُونُ يَوْمُ آلِ آدَمَ﴾ ونقل ابن عبد السلام: آخر آية نزلت في الكلاله، فعاش بعدها خمسين يوماً، ثم نزلت آية البقرة ﴿وَالْقُلُوبُ يَوْمَ يَكُونُ يَوْمُ آلِ آدَمَ﴾ وحكى ابن عبد السلام أن النبي ﷺ عاش بعد نزول هذه الآية (بمعنى آية البقرة) أحدًا وعشرين يوماً، والله أعلم.

(٢) أي طاقة.

(٣) روى البخاري في «صحيحه» ٥٦٥/٨ عن ابن عباس ﷺ، قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وَعِدَ في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله! فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدهاء ذات يوم فأدخله معهم، فما رثيت أنه دعاني يومئذ إلا ليرثهم، قال: ما تقولون في قوله الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكلذك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وفي الحديث فضيلة ظاهرة لابن عباس، وتأثير لإجابة دعوة النبي ﷺ أن يعلمه الله التأويل ويفقهه في الدين، وفي جواز تحديث المرء عن نفسه بمثل هذا، لإظهار نعمة الله عليه، وإعلام من لا يعرف قدره لينزله منزله، وغير ذلك من المقاصد الصالحة، لا للمفاخرة والمباهاة، وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات، وإنما يتسكن من ذلك من رسخ قدمه في العلم، ولهذا قال علي ﷺ: أوفهما يؤتبه الله رجلاً في القرآن.

(٤) روى البخاري في «صحيحه» ٥٦٤/٨، من حديث عائشة ؓ قالت: ما صلى النبي ﷺ بعد أن نزلت عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلا يقول فيها: -

## سورة تبت

وهي مكية بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحْمَنِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَاتْرَاقُمُ حَتَالَةُ الْخَطَبِ ۝ فِي جِيدِكَ حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝﴾

وسبب نزولها ما روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزل ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد رسول الله ﷺ على الصفا فقال: «يا صباحاه». فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: ما لك؟ فقال: «أرايتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم، أو ممسيكم، أما كنتم تصدقوني؟» قالوا: بلى. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». قال أبو لهب: قَبَّأَ لَكَ، أَلِهَذَا دَعَوْتُنَا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾<sup>(١)</sup>. ومعنى: ﴿تَبَّتْ﴾: خسرت يدا أبي لهب ﴿وَتَبَّ﴾ أي: خسر هو. قال الفراء: الأول: دعاء، والثاني: خبر؛ كما يقول الرجل: أهلكك الله وقد أهلكك، وجعلك الله صالحاً وقد جعلك. وقيل: ذكر يديه، والمراد نفسه، ولكن هذا عادة العرب يعبرون ببعض الشيء عن جميعه؛ كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠]. وقال مجاهد: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾<sup>(٢)</sup> ولد أبي لهب. فأما أبو لهب فهو عم رسول الله ﷺ. وقيل: إن اسمه عبد العزى. وقرأ ابن كثير وحده «أبي لهب» بإسكان الهاء. قال أبو علي: يشبه أن يكون لغة كالتشع، والتشع<sup>(٣)</sup> والنهر، والنهر. فإن قيل: كيف كناه الله ﷻ، وفي الكنية نوع تعظيم؟ فنه جوابان: أحدهما: أنه إن صح أن اسمه عبد العزى، فكيف يذكره الله بهذا الاسم وفيه معنى الشرك؟! والثاني: أن كثيراً من الناس اشتبهوا بكنائهم، ولم يعرف لهم أسماء. قال ابن قتيبة: خبرني غير واحد عن الأصمعي أن أبا عمرو بن العلاء، وأبا سفيان بن العلاء أسماؤهما كناهما، فإن كان اسم أبي لهب كنيته، فإنما ذكره بما لا يعرف إلا به.

قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾ قال ابن مسعود: لما دعا رسول الله ﷺ أقربيه إلى الله ﷻ، قال أبو لهب: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً، فإني أفندي بمالي، ولدي، فقال الله ﷻ: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾<sup>(٤)</sup>. قال الزجاج: ﴿وَمَا﴾ في موضع رفع. المعنى: ما أغنى عنه ماله وكسبه، أي: ولده. وكذلك قال المفسرون: المراد بكسبه ما هنا: ولده. و﴿أَغْنَىٰ﴾ بمعنى يغني ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾<sup>(٥)</sup> أي: تذهب عليه من غير دخان ﴿وَاتْرَاقُمُ﴾ أي: ستصلى امرأته، وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان. وفي هذا دلالة على صحة نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام، لأنه أخبر بهذا المعنى أنه وزوجته يموتان على الكفر، فكان كذلك. إذ لو قالا بالسنتهما: قد أسلمنا، لوجد الكفار متعلقاً في الرد على رسول الله ﷺ، غير أن الله علم أنهما لا يسلمان باطناً ولا ظاهراً، فأخبره بذلك.

= سبحانه ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي.

(١) روى البخاري ٥٦٧/٨، ورواه مسلم ١٩٤/١ بمعناه. وقوله: يا صباحاه: كلمة يخاطبونها عند وقوع أمر عظيم، فيقولونها ليجتمعوا ويتأقروا له. ورواه ابن جرير الطبري ٣٣٦/٣٠، وأورده السيوطي في «الدر» ٤٠٨/٦ وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه. وإنما كني يابى لهب لإشراق وجهه، وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغضة له، والازدراء به، والتقصص له ولذنبه.

(٢) في الأصل: كالتشع، والتشع، والتصحیح من «اللسان».

(٣) ذكره البهقي وكثير من المفسرين عن ابن مسعود بنير سند، وذكره القرطبي عن ابن عباس أيضاً بنير سند، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنها كانت تمشي بالنميمة، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي، والفراء. وقال ابن قتيبة: فسبّوها النميمة بالحطب، والعداوة والشحناء بالنار، لأنهما يقعان بالنميمة، كما تلتهب النار بالحطب. والثاني: أنها كانت تحتطب الشوك، فتلقيه في طريق رسول الله ﷺ ليلاً، رواه عطية عن ابن عباس. وبه قال الضحاك، وابن زيد<sup>(١)</sup>. والثالث: أن المراد بالحطب: الخطايا، قاله سعيد بن جبيرة. والرابع: أنها كانت تُعيّرُ رسول الله ﷺ بالفقر، وكانت تحتطب فغيرت بذلك، قاله قتادة. وليس بالقوي، لأن الله تعالى وصفه بالمال<sup>(٢)</sup>. وقرأ عاصم وحده «حمالة الحطب» بالنصب. قال الزجاج: من نصب «حمالة» فعلى الذم. والمعنى: أعني: حمالة الحطب. والجيد: العنق. والمسد في لغة العرب: الخبل إذا كان من ليف المُقل. وقد يقال لما كان من أوبار الإبل من الحبال: المسد. قال الشاعر:

وَمَسَدٌ أَمْرٌ مِنْ أَيْئَانِي [صُهَبَ عَنَاقٍ ذَاتُ مُخٍّ زَاهِيَةٍ]<sup>(٣)</sup>

وقال ابن قتيبة: المسد عند كثير من الناس: اللّف دون غيره، وليس كذلك، إنما المسد: كُلُّ مَا صُفِرَ وَفُتِلَ مِنَ اللَّيْفِ وَغَيْرِهِ. واختلف المفسرون في المراد بهذا الجبل على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها حبال كانت تكون بمكة، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال الضحاك: جبل من شجر كانت تحتطب به. والثاني: أنه قلادة من ودع، قاله قتادة. والثالث: أنه سلسلة من حديد دُرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً، قاله عروة بن الزبير. وقال غيره: المراد بهذا الجبل: السلسلة التي ذكرها الله تعالى في النار، طولها سبعون ذراعاً. والمعنى: أن تلك السلسلة قد قتلت فتلاً مُحْكَمًا، [فهي] في عنقها تعذب بها في النار<sup>(٤)</sup>.



(١) ورجحه الطبري.

(٢) قال ابن كثير: ﴿وَمَرَاتُهُ حَمَالَةُ الْحَطَبِ﴾ كانت عوناً لزوجها على كفره وجوده وعناؤه، فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في نار جهنم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَرَاتُهُ حَمَالَةُ الْحَطَبِ﴾ ① في حديثها جِلٌّ تَنْ كَسَمٌ يعني تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه وهي مهياة لذلك مستعدة له. قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا إبراهيم بن سعيد، وأحمد بن إسحاق، قالوا: حدثنا أبو أحمد، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿بِئْسَ هَذَا أَبِي لَبِى﴾ جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله ﷺ جالساً معه أبو بكر، فقال له أبو بكر: لو تنجيت لا تؤذيك بشيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنه سيحال بيني وبينها»، فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر وقالت: يا أبا بكر هجانا صاحبك، فقال أبو بكر: لا ورب هذه البنية، ما ينطق بالشعر ولا يفقه به، فقالت: إنه لمصدق، فلما ولت، قال أبو بكر: ما أراك، قال: «ما زال ملك يسترنني حتى ولت» ثم قال البزار: لا تعلمه يروى بأحسن من هذا الإسناد عن أبي بكر ﷺ. وحسن إسناده أيضاً الحافظ في «الفتح» ٥٦٧/٨.

(٣) الرجز لمعمارة بن طارق، وقال أبو عبيدة: لعقبة الهجيمي، وهو في «مجاز القرآن» ٣١٥/٢، والطبري ٣٤١/٣٠، والقرطبي ٢٤٢/٢٠، و«اللسان»: مسد. وقوله «أمر» أي قتل فتلاً شديداً، والأياق، جمع ناقة، والصهب، جمع الأصهب، وهو بغير ليس بشديد البياض، والعناق جمع عتيق، وهو الكريم. وزهق المخ: إذا اكتنز (اجتمع) لحمه، فهو زاهق.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو جبل جمع من أنواع مختلفة. قال ابن كثير: وقال بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ لَنْ يَنْكَسَمَ﴾ في عنقها حبل من نار جهنم ترتفع به إلى شفيرها ثم ترمى إلى أسفلها، ثم كذلك دائماً.

## سورة الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ يَدٌ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ يَدٌ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾

وفيها قولان: أحدهما: أنها مكية، قاله ابن مسعود، والحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر. والثاني: مدنية، روي عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك. وقد روى البخاري في أفراده من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده إنها لتعبدُ ثلث القرآن»<sup>(١)</sup>. وروى مسلم في أفراده من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إنها تعبدُ ثلث القرآن»<sup>(٢)</sup>. وفي سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن المشركين قالوا: يا محمد انسب لنا ربك، فنزلت هذه السورة، قاله أبي بن كعب<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن عامر بن الطفيل قال لرسول الله ﷺ: إلام تدعوننا يا محمد؟ قال: إلى الله ﷻ. قال: صفه لي، أمن ذهب هو، أو من فضة، أو من حديد، فنزلت هذه السورة، قاله ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن الذين قالوا هذا، قوم من أحبار اليهود قالوا: من أي جنس هو، وممن ورث الدنيا، ولمن يورثها؟ فنزلت هذه السورة، قاله قتادة، والضحاك<sup>(٥)</sup>. قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي «أَحَدُ اللَّهِ» وقرأ أبو عمرو «أَحَدُ اللَّهِ» بضم الدال، ووصلها باسم الله. قال الزجاج: هو كناية عن ذكر الله ﷻ. والمعنى: الذي سألتهم تبيين نسبته هو الله. و«أَحَدٌ» مرفوع على معنى: هو أحد، فالجنى: هو الله، وهو أحد. وقرئت «أَحَدُ اللَّهِ الصمد» بتنوين أحد. وقرئت «أَحَدُ اللَّهِ» بترك التنوين، وقرئت بإسكان الدال «أَحَدُ اللَّهِ» وأجودها الرفع بإثبات التنوين، وكثير التنوين لسكونه وسكون اللام في «اللَّهُ»، ومن حذف التنوين، فلا لقاء الساكنين أيضاً، ومن أسكن أراد الوقف ثم ابتداء «اللَّهُ الصَّمَدُ» وهو أردوها. فأما «الأحد» فقال ابن عباس، وأبو عبيدة: هو الواحد. وفرق قوم بينهما. وقال أبو سليمان الخطابي: [الواحد]: هو المنفرد بالذات، فلا يضاويه أحد. والأحد: هو المنفرد بالمعنى، فلا يشاركه فيه

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ١٠٥/٦ باب فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ولفظه بتمامه: عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه سمع رجلاً يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يركعها، فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، وكان الرجل يتفألها، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنها لتعبدُ ثلث القرآن».

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» ٥٥٧/١ ولفظه بتمامه: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أحسدوا (اجتمعوا) فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، فتعبدُ من تحسد، ثم خرج نبي الله ﷺ يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: إني أرى هذا خيرٌ جاء من السماء، فذاك الذي أدخله، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال: «إني قلت لكم: سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا إنها تعبدُ ثلث القرآن».

(٣) رواه أحمد في «المستدرك» ١٣٣/٥، والترمذي ١٧٢/٢، والطبري ٣٤٢/٣٠، والواحدى في «أسباب النزول» ٣٤٦ من حديث أبي سعد الصغاني عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب وفي سنده ضعف. ورواه الحاكم في «المستدرك» ٤٠٣/٣ أيضاً من حديث أبي سعد الصغاني به، وصححه، ووافقه الذهبي. وأورده السيوطي في «الدرة» ٤٠٩/٦ وزاد نسبة للبخاري في «تاريخه»، وابن خزيمة، وابن أبي حاتم في «السنن»، والبغوي في «معجمه»، وابن المنذر في «المعظم»، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي بن كعب ﷺ. ورواه الترمذي ١٧٢ عن عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية فذكره مرسلًا، ولم يذكر فيه عن أبي بن كعب، وقال: وهذا أصح من حديث أبي سعد الصغاني. ورواه الطبراني عن محمد بن عوف عن شريح عن إسمايل بن مجال عن مجاهد عن الشعبي عن جابر. وذكره ابن كثير من رواية أبي يعلى الموصلي من طريق مجاهد بن سعيد عن الشعبي عن جابر، وأورده الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٤٦/٧ من رواية الطبراني في «الأوسط» وأبي يعلى. قال ابن كثير: وقد أرسله غير واحد من السلف، قال: وروى عبيد بن إسحاق المطار عن قيس بن الربيع عن أبي عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود قال: قالت قریش لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فنزلت هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قال: قال الطبراني: ورواه القزويني وغيره عن قيس عن أبي عاصم عن أبي وائل مرسلًا، قال: ثم روى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطرطوسي عن الوازع بن مانع عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لكل شيء نسبة، ونسبة الله: قل هو الله أحد. فهذه الروايات كلها شواهد لحديث أبي ﷺ.

(٤) ذكره البغوي والخازن عن ابن عباس بغير سند.

(٥) رواه الطبراني ٣٤٢/٣٠ عن قتادة مرسلًا، وذكره السيوطي في «الدرة» ٤١٠/٦ من رواية الطبراني في «السنن» عن الضحاك مرسلًا.



أحد. وأصل «الأحد» عند النحويين: الواحد، ثم أبدلوا من الواو الهمزة. وفي «الصمد» أربعة أقوال: أحدها: أنه السيد الذي يُصمَدُ إليه في الحوائج، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الصمد: السيد الذي قد كمل في سُؤْدِهِ<sup>(٢)</sup>. قال أبو عبيدة: هو السيد الذي ليس فوقه أحد. والعرب تسمي أشرافها: الصمد. قال الأسدي:

لَقَدْ بَكَّرَ النَّاعِي بِخَيْرِي بَنِي أَسَدٍ

بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد<sup>(٣)</sup>  
وقال الزجاج: هو الذي ينتهي إليه السؤدد، فقد صمد له كل شيء قصد قصده. وتأويل صمود كل شيء له: أن في كل شيء أثر صنعه. وقال ابن الأنباري: لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد: السيد الذي ليس فوقه أحد يصمد إليه الناس في أمورهم وحوائجهم. والثاني: أنه الذي لا جوف له، قاله ابن عباس، والحسن، ومنجاهد، وابن جبير، وعكرمة، والضحاك، وقتادة، والسدي. وقال ابن قتيبة: فكان الدال من هذا التفسير مبدلة من تاء، والمصمت من هذا. والثالث: أنه الدائم. والرابع: الباقي بعد فناء الخلق، حكاهما الخطابي وقال: أصبح الوجوه الأول، لأن الاشتقاق يشهد له، فإن أصل الصمد: القصد. يقال: اصمد صمد فلان، أي اقصد قصده. فالصمد: السيد الذي يصمد إليه في الأمور، ويقصد في الحوائج.

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ لَكُمْ سُلْطَانٌ﴾ قال مقاتل: لم يلد فيورث ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فيشارك، وذلك أن مشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الرحمن. وقالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، فبرأ نفسه من ذلك.  
قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ كُفُؤًا أَحَدٌ﴾ ﴿١﴾ قرأ الأكثرون بالثقل والهمز. ورواه حفص بالثقل وقلب الهمز واواً. وقرأ حمزة بسكون الفاء. والكفاء: المثل المكافئ. وفيه تقديم وتأخير، تقديره: ولم يكن له أحد كُفُؤاً، فقدّم وأخّر لتتفق رؤوس الآيات.



(١) ذكره الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣٠٨/٦ من تفسير ابن عباس موقوفاً عليه، وهو جزء من حديث طويل في باب: كيف يفسر القرآن بالقرآن، قال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني وفي إسناده جوير، وهو متروك.

(٢) وهو في الطبري ٣٤٦/٣٠ بلفظ: الصمد: السيد الذي قد كمل في سُؤْدِهِ، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والمظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفة لا تنبغي إلا له.

(٣) البيت لسيرة بن عمرو الأسدي، وهو في «مجاز القرآن» ٣١٦/٢، و«تهذيب الألفاظ» ٢٧٠، و«السمط» ٩٣٣، والطبري ٣٤٧/٣٠، والقرطبي ٢٠/٢٤٥، و«اللسان»: صمد.

## سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤﴾

وفيها قولان: أحدهما: مدنية، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة في آخرين. والثاني: مكية، رواه كريب عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر. والأول أصح، ويدل عليه أن رسول الله ﷺ سحر وهو مع عائشة، فنزلت عليه المعوذتان. فذكر أهل التفسير في نزولهما: أن غلاماً من اليهود كان يخدم رسول الله ﷺ، فلم يزل به اليهود حتى أخذ مُشَاطَةَ رأس رسول الله ﷺ، وعدة أسنانٍ من مُشَطِّه، فأعطاهم اليهود فسحروه فيها. وكان الذي تولى ذلك لبيد بن أعصم اليهودي. ثم دسها في بئر لبني زريق، يقال لها: بئر ذروان. ويقال: ذي أروان<sup>(١)</sup>، فمرض رسول الله ﷺ، وانتشر شعر رأسه، وكان يرى أنه يأتي النساء وما يأتيهن، ويخيل إليه أنه يفعل الشيء، وما يفعله، فبينما هو ذات يوم نائم أتاه ملكان، فقعده أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجله، فقال أحدهما للآخر: ما بال الرجل؟ قال: طُبٌّ، قال: وما طُبٌّ؟ قال: سُحْر. قال: ومن سحره؟ قال: لبيد بن أعصم. قال: وبم طَبُّه؟ قال: بِمُشَطِّ ومُشَاطَةِ. قال: وأين هو؟ قال: في جُفِّ طلع<sup>(٢)</sup> تحت راعوفة في بئر ذروان - والجف: قشر الطلع. والراعوفة: صخرة تترك في أسفل البئر إذا حفرت<sup>(٣)</sup> - فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقي عليها، فأنبته رسول الله ﷺ فقال: «يا عائشة أما شعرت أن الله أخبرني بدائي»، ثم بعث علياً، والزبير، وعمار بن ياسر، فنزحوا ماء تلك البئر، ثم رفعوا الصخرة، وأخرجوا الجُفَّ، وإذا فيه مُشَاطَةُ رأسه، وأسنان مشطه، وإذا وتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة [مغرورة بالابرة، فأنزل الله تعالى المعوذتين، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة]<sup>(٤)</sup>. ووجد رسول الله ﷺ خِفَّةً حين انحلت العقدة الأخيرة. وجعل جبريل ﷺ يقول: بسم الله أريقك من كل شيء يؤذك، ومن حاسد وعين، والله يشفيك. فقالوا: يا رسول الله، أفلا نأخذ الخبيث فنقتله؟ فقال: «أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن أثير على الناس شرّاً»<sup>(٥)</sup>. وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث عائشة حديث سحر رسول الله ﷺ<sup>(٦)</sup>، وقد بينا معنى «أعوذ» في أول كتابنا<sup>(٧)</sup>. وفي «الفلق» ستة أقوال: أحدها: أنه الصبح، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والقرطبي، وابن زيد، واللغويون قالوا: ويقال: هذا أبين من قُلِّ الصبح وفَرَّق الصبح. والثاني: أنه الخَلْق، رواه الوالي عن ابن عباس. وكذلك قال الضحاك: الفَلَقُ: الخَلْقُ كُلُّهُ. والثالث: سِجْنٌ في جهنم، روي عن ابن عباس أيضاً. وقال وهب والسدي: جُبٌّ في جهنم. وقال ابن السائب: وادٍ في جهنم. والرابع: شجرة في النار، قاله

(١) في الأصل: ويقال: أروان، والتصحيح من «القرطبي». وهي بئر بالمدينة في بستان بني زريق.

(٢) الجف - بضم الجيم وتشديد الفاء: الغشاء الذي يكون على الطلع. (٣) في النسخة الإستانبولية: إذا احضرت.

(٤) زيادة سقطت من الأصل، واستدركتها من النسخة الإستانبولية.

(٥) ذكره ابن كثير بنحوه من رواية الثعلبي في «تفسيره» بلا إسناد، قال: وفيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعشه شواهد، والله أعلم. ويغني عن هذه الرواية رواية الصحيحين التي بعدها.

(٦) رواه البخاري في «صحيحه» ١٠/١٩٢ - ١٩٩، ومسلم ٤/١٧١٩ عن عائشة رضي الله عنها، وهو حديث ثابت عند أهل العلم بالحديث، متلقى بالقبول بينهم، وقد رواه أيضاً أحمد في «المستد» عن زيد بن أرقم وعائشة رضي الله عنها، ورواه النسائي عن زيد بن أرقم، وابن ماجه عن عائشة، وابن مردويه والبيهقي عن عائشة، وابن مردويه عن ابن عباس، وغيرهم.

وانظر أقوال العلماء مفصلة في سحر رسول الله ﷺ في تعليقنا على هذا الكتاب (صفحة ٩١١ - ٩١٢).

(٧) (صفحة ٣١).

عبد الله بن عمرو<sup>(١)</sup>. والخامس: أنه كُلُّ ما انفلق عن شيء كالصبح، والحَبُّ، والتَّوَى، وغير ذلك، قاله الحسن. قال الزجاج: وإذا تأملت الخلق بَانَ لك أن أكثره عن انفلاق، كالأرض بالنبات، والسحاب بالمطر. والسادس: أنه اسم من أسماء جهنم، قاله أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد الحبلي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ مَا خُلِقَ﴾ ﴿١﴾ وقرأ ابن السميع، وابن يعمر: «خُلِقَ» بضم الخاء، وكسر اللام. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عام، وهو الأظهر. والثاني: أن شر ما خُلِقَ: إبليس وذريته، قاله الحسن. والثالث: جهنم، حكاه الماوردي. وفي «غاسق» أربعة أقوال: أحدها: أنه القمر، روت عائشة قالت: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر، فقال: «استعبدني بالله من شره فإنه الغاسق إذا وقب»، رواه الترمذي، والنسائي في كتابيهما<sup>(٣)</sup>. قال ابن قتيبة: ويقال: الغاسق: القمر إذا كسف فاسودَّ. ومعنى «وَقَبَ» دخل في الكسوف. والثاني: أنه النجم، رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>. والثالث: أنه الليل، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والقرظي، والفراء، وأبو عبيد، وابن قتيبة، والزجاج. قال اللغويون: ومعنى «وَقَبَ» دخل في كل شيء فأظلم. و«الغسق» الظلمة. وقال الزجاج: الغاسق: البارد، فقيل لليل: غاسق، لأنه أبعد من النهار. والرابع: أنه الثريا إذا سقطت، وكانت الأسقام، والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها، قاله ابن زيد<sup>(٥)</sup>. فأما «الْفَلَقُ» فقال ابن قتيبة: هن السواحر ينفثن، أي: يَتَقَلَّنَ إذا سحرن، وَرَقَيْنَ. قال الزجاج: يَتَقَلَّنَ بلا ريق، كأنه نفخ. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: تفسير نَفَثَ: نَفَخَ نفخاً ليس معه ريق، ومعنى تقل: تقل نفخاً معه ريق. قال ذو الرُّمَّة:

ومن جَوَفِ ماءٍ عَرَضَتْ الحَوْلُ قَوْبُهُ  
مَتَى يَخْسُ مِنْهُ مَا يَحُيِّ القَوْمَ يَخْفُلُ<sup>(٦)</sup>  
وقد روى ابن أبي سُرَيْج<sup>(٧)</sup> «النافثات» بألف قبل الفاء مع كسر الفاء وتخفيفها<sup>(٨)</sup>. وقال بعض المفسرين: المراد بالنافثات هاهنا: بنات لبيد بن أعصم اليهودي سحرن رسول الله ﷺ. «وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ» يعني: اليهود حسدوا رسول الله ﷺ. وقد ذكرنا حدَّ الحسد في [البقرة: ١٠٩]. والحسد: أخس الطبائع. وأوَّلُ معصية عُصِيَ الله بها في السماء: حَسَدُ إبليس لآدم، وفي الأرض حَسَدُ قَايِلَ هَابِيلَ<sup>(٩)</sup>.



- (١) في النسخة الاستنبولية «عبد الله بن عمر» وهو كذلك في «القرطبي».
- (٢) قال ابن جرير: والصواب القول الأول: أنه فلق الصبح. وقال ابن كثير: وهذا هو الصحيح، وهو اختيار البخاري في «صحيحه» رحمه الله تعالى.
- (٣) الترمذي ١٧٢/٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه أحمد في «المستدرك» ٦١/٦، وابن جرير الطبري ٣٥٢/٣٠، والحاكم في «المستدرك» ٢/٥٤١، وصححه، وواقفه الذهبي. وأورده السيوطي في «الدر» ٤١٨/٦ وزاد نسبه لابن المنذر، وأبي الشيخ في «العلامة»، وابن مردويه عن عائشة ؓ.
- (٤) رواه ابن جرير الطبري ٣٥٢/٣٠ من رواية محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة. قال ابن كثير: وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ.
- (٥) قال الشوكاني في «فتح القدير»: وهذا محتاج إلى نقل عن العرب أنهم يصفون الثريا بالنفوق.
- (٦) «ديوانه» طبع المكتب الإسلامي صفحة (٦٠٠). والجوف: المغطى من الأرض، والعروض: الخفيرة التي تملأ الماء، وهي الرمض، والعلق، والطحلب، والشبا. والمناج: الذي ينزل البثر فيملا الدلو. والمناج: الذي يجذب الدلو. وفي «الأساس»: وذاق ماء البحر فظله، أي: صبه كرامة له.
- (٧) ابن أبي سُرَيْج، هو أحمد بن الصباح، أبو جعفر الرازي، الثقة الثبت، وهو شيخ البخاري، وأحد أصحاب الشافعي، قرأ على الكناشي.
- (٨) قال القرطبي: وقرأ عبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن سابط، وعيسى بن عمر، ورويس عن يعقوب «النافثات» في وزن «فاعلات» ورويت عن عبد الله بن القاسم مولى أبي بكر ؓ.
- (٩) وانظر قصتهما في [سورة المائدة: ٢٧].

## سورة الناس

وفيها قولان: أحدهما: أنها مدنية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها مكية، رواه أبو كريب عن ابن عباس.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْغِيَةِ وَالنَّاسِ ⑥﴾

فإن قيل: لم خصّ الناس هاهنا بأنه ربهم، وهو ربّ كل شيء؟ فتنه جوابان: أحدهما: لأنهم معظّمون متميّزون على غيرهم. والثاني: لأنه لما أمر بالاستعاذة من شرهم أعلم أنه ربهم، ليعلم أنه هو الذي يعيد من شرهم. ولما كان في الناس ملوك قال تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ ②﴾ ولما كان فيهم من يعبد غيره قال تعالى: ﴿إِلَهِ النَّاسِ ③﴾<sup>(١)</sup>. و﴿الْوَسْوَاسِ﴾ الشيطان، وهو ﴿الْخَنَّاسِ﴾ يوسوس في الصدور، فإذا ذكّر الله، خنس، أي: كَفَّ وأقصر. قال الزجاج: الوسواس هنا: ذو الوسواس. وقال ابن قتيبة: الصدور هاهنا: القلوب. قال ابن عباس: الشيطان جائم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل، وسوس، فإذا ذكّر الله، خنس.

قوله تعالى: ﴿مِنَ الْغِيَةِ وَالنَّاسِ ⑥﴾ الغيئة: الجن. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: يوسوس في صدور الناس جتّهم وناسهم، فسمى الجن هاهنا ناساً، كما سّماهم رجالاً في قوله تعالى: ﴿يُؤْذِنُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْآخِرِينَ﴾ [الجن: ٦]، وسماههم نفراً بقوله تعالى: ﴿أَسْتَشْعِرُكُمْ مِنْ لَدُنِّي﴾ [الجن: ١]، هذا قول الفراء. وعلى هذا القول يكون الوسواس موسوساً للجن، كما يوسوس للإنس. والثاني: أن الوسواس: الذي يوسوس في صدور الناس، هو من الغيئة، وهم من الجن. والمعنى: من شر الوسواس الذي هو من الجن. ثم عطف قوله تعالى: ﴿وَالنَّاسِ﴾ على ﴿الْوَسْوَاسِ﴾. والمعنى: من شر الوسواس، ومن شر الناس، كأنه أمر أن يستعيذ من الجن والإنس، هذا قول الزجاج<sup>(٢)</sup>.

قال الشيخ رحمه الله: فهذا آخر «زاد المسير»، والحمد لله على الإنعام الغزير، وإذ قد بلغنا بحمد الله مرادنا مما أملنا، فلا يعتقّد من رأى اختصارنا أننا أقللنا، فإننا قد أشرنا بما ذكرنا إلى ما تركنا ودللنا، فليكن الناظر في كتابنا متيقظاً لما أغفلنا، فإننا ضمنا الاختصار مع نيل المراد، وقد فعلنا. ومن أراد زيادة بسط في التفسير، فعليه بكتابنا «المعني في التفسير». فإن أراد مختصراً، فعليه بكتابنا المسمى بـ «تذكرة الأريب في تفسير الغريب». والحمد لله رب

(١) قال ابن كثير: هذه ثلاث صفات من صفات الربّ عزّ وجلّ: الربوبية، والملك، والإلهية، فهو رب كل شيء، ومليكه، وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له، مملوكة، عبيد له، فأمر المستعبد أن يتموّذ بالمتصف بهذه الصفات، من شر الوسواس الخناس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزين له الفواحش، ولا يألوه جهداً في الخبال، والمعصوم من عصمه الله. وروى مسلم في «صحيحه» ٢١٦٧/٤ عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن» قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير». وقوله: «فأسلم» برفع الميم وفتحها، وهما روايتان مشهورتان، فمن رفع قال: معنا: أسلم أنا من شره وفتته، ومن فتح قال: إن القرين أسلم من الإسلام، وصار مؤمناً لا يأمرني إلا بخير. قال القاضي حياض: وأعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه، وفي هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه، فأعلمنا بأنه معنا، لنتحرز منه بحسب الإمكان. وثبت في «الصحيحين» عن أنس في قصة زيارة صفة للنبي ﷺ وهو معتكف وخروجه معها ليلاً ليردّها إلى منزلها، فلقية رجلاً من الأنصار، فلما رآها النبي ﷺ أسرع، فقال رسول الله ﷺ: «على وسلكما إنها صفة بنت حبي»، فقالا: سبحان الله يا رسول الله، فقال ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإنني خشيت أن يفلت في قلوبكما شيئاً» أو قال: شيئاً.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» ١١٦/١ عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلّموا أو يعملوا».

العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آبيه آدم، وذريته الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

تم بمون الله تعالى وتوفيقه طبع هذا التفسير القيم  
وقد قام بمقابلة أصوله الخطية، وتصحيحه  
وتفصيله وترقيمه، وتخريج نصوصه،  
والتعليق عليه، والإشراف على طبعه  
الأساتذة

محمد زهير الشاويش، وشعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

دمشق

الأربعاء ١٧ رجب الفرد ١٣٨٨ هـ

الموافق ٩ تشرين الأول ١٩٦٨ م

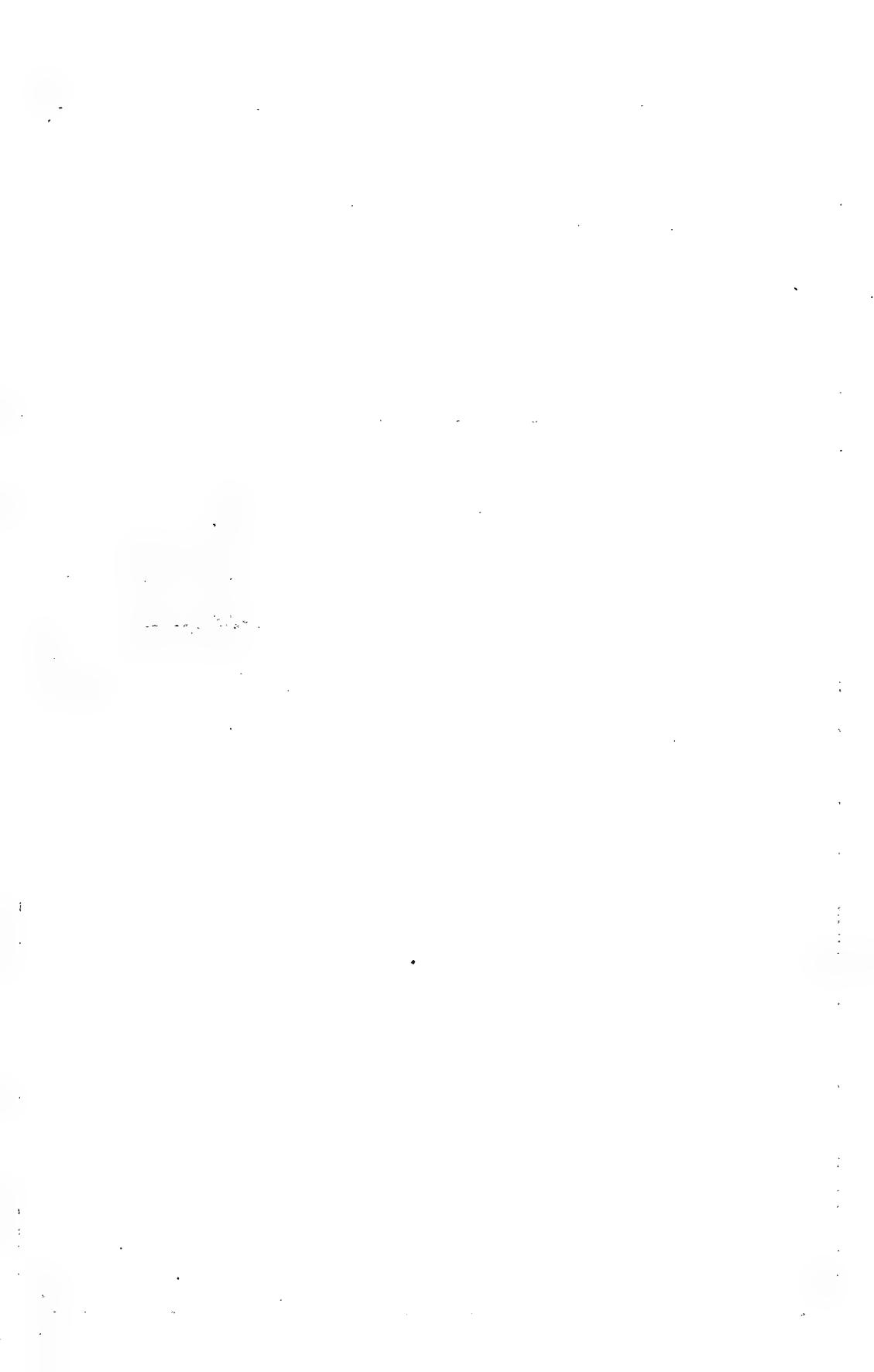




## الفهارس

- \* فهرس الآيات
- \* فهرس الأحاديث
- \* فهرس الأشعار







## فهرس السور

الصفحة	رقم	السورة	الصفحة	رقم	السورة
١١١٢	٣٣	سورة الأحزاب	٣٣	١	سورة الفاتحة
١١٤٢	٣٤	سورة سبأ	٣٧	٢	سورة البقرة
١١٥٧	٣٥	سورة فاطر	١٧٧	٣	سورة آل عمران
١١٦٧	٣٦	سورة يس	٢٥٣	٤	سورة النساء
١١٨٢	٣٧	سورة الصافات	٣٥٠	٥	سورة المائدة
١٢٠٠	٣٨	سورة ص	٤٢٤	٦	سورة الأنعام
١٢٢٣	٣٩	سورة الزمر	٤٨٣	٧	سورة الأعراف
١٢٣٩	٤٠	سورة غافر (المؤمن)	٥٣٩	٨	سورة الأنفال
١٢٥٢	٤١	سورة فصلت أو السجدة	٥٦٥	٩	سورة التوبة
١٢٦٣	٤٢	سورة الشورى	٦١٥	١٠	سورة يونس
١٢٧٤	٤٣	سورة الزخرف	٦٤١	١١	سورة هود
١٢٨٧	٤٤	سورة الدخان	٦٧٩	١٢	سورة يوسف
١٢٩٣	٤٥	سورة الجاثية	٧٢٤	١٣	سورة الرعد
١٢٩٨	٤٦	سورة الأحقاف	٧٤٠	١٤	سورة إبراهيم
١٣٠٨	٤٧	سورة محمد ﷺ	٧٥٣	١٥	سورة الحجر
١٣١٣	٤٨	سورة الفتح	٧٧٠	١٦	سورة النحل
١٣٢٨	٤٩	سورة الحجرات	٨٠١	١٧	سورة الإسراء
١٣٣٨	٥٠	سورة ق	٨٣٧	١٨	سورة الكهف
١٣٤٧	٥١	سورة الذاريات	٨٧٦	١٩	سورة مريم
١٣٥٤	٥٢	سورة الطور	٨٩٩	٢٠	سورة طه
١٣٦٠	٥٣	سورة النجم	٩٢٤	٢١	سورة الأنبياء
١٣٦٩	٥٤	سورة القمر	٩٤٧	٢٢	سورة الحج
١٣٧٦	٥٥	سورة الرحمن	٩٦٩	٢٣	سورة المؤمنون
١٣٨٥	٥٦	سورة الواقعة	٩٨٤	٢٤	سورة النور
١٣٩٦	٥٧	سورة الحديد	١٠١٠	٢٥	سورة الفرقان
١٤٠٤	٥٨	سورة المجادلة	١٠٢٦	٢٦	سورة الشعراء
١٤١٢	٥٩	سورة الحشر	١٠٤٠	٢٧	سورة النمل
١٤٢٣	٦٠	سورة الممتحنة	١٠٥٧	٢٨	سورة القصص
١٤٣٠	٦١	سورة الصف	١٠٧٦	٢٩	سورة العنكبوت
١٤٣٣	٦٢	سورة الجمعة	١٠٨٩	٣٠	سورة الروم
١٤٣٨	٦٣	سورة المنافقون	١٠٩٩	٣١	سورة لقمان
١٤٤١	٦٤	سورة التغابن	١١٠٦	٣٢	سورة السجدة

الصفحة	رقم	السورة	الصفحة	رقم	السورة
١٥٥١	٩٠	سورة البلد	١٤٤٤	٦٥	سورة الطلاق
١٥٥٥	٩١	سورة الشمس	١٤٥٠	٦٦	سورة التحريم
١٥٥٨	٩٢	سورة الليل	١٤٥٦	٦٧	سورة الملك
١٥٦١	٩٣	سورة الضحى	١٤٥٩	٦٨	سورة القلم (ن)
١٥٦٤	٩٤	سورة الانشراح	١٤٦٦	٦٩	سورة الحاقة
١٥٦٦	٩٥	سورة التين	١٤٧١	٧٠	سورة المعارج
١٥٦٨	٩٦	سورة العلق	١٤٧٥	٧١	سورة نوح
١٥٧٠	٩٧	سورة القدر	١٤٧٨	٧٢	سورة الجن
١٥٧٥	٩٨	سورة البينة	١٤٨٢	٧٣	سورة المزمل
١٥٧٧	٩٩	سورة الزلزلة	١٤٨٦	٧٤	سورة المدثر
١٥٧٩	١٠٠	سورة العاديات	١٤٩٢	٧٥	سورة القيامة
١٥٨١	١٠١	سورة القارعة	١٤٩٦	٧٦	سورة الإنسان (الدهر)
١٥٨٣	١٠٢	سورة التكاثر	١٥٠٢	٧٧	سورة المرسلات
١٥٨٦	١٠٣	سورة العصر	١٥٠٦	٧٨	سورة النبأ
١٥٨٧	١٠٤	سورة الهمزة	١٥١٠	٧٩	سورة النازعات
١٥٨٩	١٠٥	سورة الفيل	١٥١٥	٨٠	سورة عبس
١٥٩٢	١٠٦	سورة قريش	١٥١٩	٨١	سورة التكويد
١٥٩٤	١٠٧	سورة الماعون	١٥٢٢	٨٢	سورة الانقطار
١٥٩٦	١٠٨	سورة الكوثر	١٥٢٤	٨٣	سورة المطففين
١٥٩٨	١٠٩	سورة الكافرون	١٥٢٨	٨٤	سورة الانشقاق
١٥٩٩	١١٠	سورة النصر	١٥٣١	٨٥	سورة البروج
١٦٠٠	١١١	سورة تبت	١٥٣٤	٨٦	سورة الطارق
١٦٠٢	١١٢	سورة الاخلاص	١٥٣٧	٨٧	سورة الأعلى
١٦٠٤	١١٣	سورة الفلق	١٥٤٠	٨٨	سورة الفاشية
١٦٠٦	١١٤	سورة الناس	١٥٤٣	٨٩	سورة الفجر

## فهرس الأحاديث مرتباً على الحروف الهجائية

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٢٣٦	أذهب فتاد في الناس	٩٨٨	حرف الهمزة - همزة الوصل
٥٠١	أربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً	٩٨٨	اتني بأربعة شهداء وإلا فحد في ظهرك
٧٢٩	ارجع إليه فادعه	١٥٧١	ابتغوها في العشر الأواخر في الوتر منها
٣٦٣	ارجع فأحسن وضوءك	٤٦١	اتركهم حتى يتوب تائبهم
١٣٣	استحيوا إن الله لا يستحي من الحق	١٤١٧	اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم
١٦٠٥	استعذني بالله من شره فإنه الغاسق إذا وقب	١٠٣٩	اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة
٥٩٩ ، ٢٥١	استغفروا لأخيك وسلموا له الثببت فإنه الآن يسأل	٧٦٤	اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله
٦٧٦	استقم ولتحسن خلقك	١١٢٦	اتق الله
٢٥٣	استوصوا بالنساء خيراً	٦٧٦	اتق الله حيثما كنت
٢٩٧	إلى جارك	١٣٠٥	اجتمعوا إلي في قتل كان بينهم
٨٦٤ ، ٢٩٧	اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدر	٩٩٢ ، ٢٧٥ ، ١٦٩	اجتنبوا السبع الموفقات
٧٨٥	اسقه عسلاً	١٥٣٧ ، ١٣٩٥	اجعلوها في ركوعكم
١٥٨٢	اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً	١٥٣٧ و ١٣٩٥	اجعلوها في سجودكم
١٣٦٩	اشهدوا	٥٩٣	احبسوا عليّ الركب
٩٦٠	اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال	١٣٣٤	احترسوا من الناس بسوء الظن
٩٩٤	اصرف بصرك	١٦٠٢	احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن
١٣١	اصنعوا كل شيء إلا النكاح	٢٧٠	اختر أيتهما شئت
١٥٧١	اطلبوها الليلة، أي في ليلة ثلاث وعشرين	٢٥٥	اختر منهن أربعة
٢٥٤	اعبد الله كأنك تراه	٥٤٩	اخرجوا إليه واكتموا
٦٧٦	اعبد الله ولا تشرك به شيئاً	٣٨٠	اخرجوا باسم الله تقاتلون في سبيل الله
٣٨٠	اغزوا باسم الله في سبيل الله	٥٦٦	اخرج بهذه القصة من صدر براءة
١٤٥٢	اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر	٨٢٦	اخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس
٢٨٣	اقرأ عليّ القرآن	١١٣٩	اخرج يا فلان من المسجد فإنك منافق
٣٧	اقروا الزهراوين: البقرة وآل عمران	١٠٨	ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة
٣٨٢	اقطعوا يدها	١٤٥٢	ادعي لي أباك وأخاك
١٥٧١	التمسوها في تسع يمين	١١٢٧	اذكروها عليّ
١٥٧١	التمسوها في العشر الأواخر من رمضان	١٣١٧	أذهب إلى قریش فأخبرهم أنا لم تأت لقتال أحد
١٥٧٠	التمسوا ليلة القدر ليلة سبع وعشرين	١٣٣٠	أذهب إليه قتل له: إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة
	حرف الهمزة - همزة القطع	١١٢٨	أذهب فاذكروها علي
٩٨٩	أبشري فقد أنزل الله براءتك	٥٣٩	أذهب فاطرحه في القبض
٨٩١	أبطأت علي حتى ساء ظني	٥٣٩	أذهب فخذ سيفك
٥٦١	أبكي للذي عرض علي أصحابك من الفداء		أذهب فسلهم عما كانوا يضحكون منه، وقل لهم:
١٤٥٢	أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة	٥٩٣	أحرقكم الله

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٣٣٢	إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب	٤١١	أبوك حنيفة
٣٥٤	إذا رميت بالمعراف فخرق فكله	١١٧٨	أتجعل نهيي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة
٧١٨	إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يثرب	٢٠٤	أحلف
٨٧٣	إذا سألت الله الجنة فاسأله الفردوس	١٥٧٧	أتدرون ما أخبرها
١٤٣٦	إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة	١٠١٩	أتدرون ماذا قال ربكم
١١٣٨	إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله عز وجل والثناء عليه	١٣٣٥	أتدرون ما الغيبة
١٦٩	إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله	٩٢١	أتدرون ما المعيشة الضنك
٣٥	إذا قال الإمام «عَبْرَ النَّصْرَةِ عَلَيْهِمْ وَلَا الصَّالِحِينَ»	١٧٥	أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم
٥٣٨	إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان	١٢٠٢	أتعطلوني كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم
	إذا قضى الله عز وجل الأمر في السماء ضربت الملائكة	١٥٩٦	أتيت على نهر حافته قباب اللؤلؤ مجوف
١١٤٩	بأجنتحتا	٩٣٨	أجذني مقموماً
١١٣٤	إذا كانت عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما	٩٣٨	أجذني مكروباً
٣٥٨	إذا لم تصطحبوا ولم تغتبقوا ولم تحفظوا بقلأ فثأنكم	٣٤٨	أجوزهم يدخلهم الجنة
١١٦٩، ١٠٢٥	إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث	١٠٢١	أحب حبيك هوناً ما
١٥٨١	إذا مات العبد تلقى روحه أرواح المؤمنين	١٢٠٥	أحب الصيام إلى الله صيام داود
٧٣٧	إذا مضت على النطقة خمس وأربعون ليلة	٣٥٤	أحل لكم ميتان ودمان
٣٣٩	إذا نزلتم يقوم فأمرؤا لكم بما ينبغي للضيف	٥٢٧	أخذ الله العيثاق من ظهر آدم بنعمان
٣٥٦	إذا هم أحدكم بالأمير فليركع ركعتين من غير الفريضة	٣٣٩	أخرج متاعك فضعه على الطريق
١٤٥١	أراه من شرب شربته عند سودة والله لا أشربه	١٣٥٩	إدبار السجود الركعتان بعد المغرب
١٦٠٠	أرايتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم	٢٩٤	أد الأمانة إلى من ائتمنك
١٥٧١	أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر	١٦٠٢	أدهوكم إلى الله عز وجل
١١٥٤	أرايتكم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم	١٣٣٦	إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجه
١٤٣٠	أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً	١٠٢١	إذا أتيت الصلاة فلا تأتوها وأنت تسعون
٢١٠	أربعون سنة	٧٥٤	إذا اجتمع أهل النار في النار
٢٩٣	أرني المفتاح إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر	٨٩٨	إذا أحب الله عبداً قال: يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه
١١١٦	أريت دار هجرتكم أرض بين حرتين	٩١٢	إذا أخذتم الساحر فاقتلوه
١٥٧١	أريت ليلة القدر ثم أنسيها	٦٧٦	إذا أسأت فأحسن
٤٩١	الأزم دواء والمعدة داء	٩٩٣	إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليتنصرف
٣٦٣	أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار	١٥٨٢	إذا اشتد الحر فأبردوا
٣٧٨	الإسلام يهدم ما كان قبله	١٢٢٨	إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحانت ذنوبه
٦٠٧	أشترط لربي أن تبديوه ولا تشركوا به شيئاً	١٥٦٥	إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدؤوا بالشاء
١٠٧٦	أشد الناس بلاء الأنبياء	١٤١٦	إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم
١٣٢٧	أصحابي أمة	١٥٥٦	إذا أتيت أشقاها أتيت لها رجل عزيز عارم
٥٦٢	أضعفوا على العباس الفداء	١١٤٩	إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء
٣١٣	أظنه قد أحدث حدثاً	٣٦٤	إذا تروأ العبد المسلم أو المؤمن
	أعذر الله عز وجل إلى امرئ آخر عمره حتى بلغ ستين سنة	١٤٣٧	إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين
١١٦٤	أعطيت حسناً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي	١٣٧٤	إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة
٢٦١	أعطيت حسناً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي	١٣٣٤	إذا حسدت فاستغفر
١١٥١، ٢٢٩	أعوذ بك من دعاء لا يسمع	١٣٠٩	إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار
١٤٦٥	أعذكما بكلمات الله التامة	٦٢٢	إذا دخل أهل الجنة الجنة
١٣٤٨	أفشوا السلام وأطعموا الطعام	٨٨٦	إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٢٣١	إني عباد الله، أنا رسول الله	١٤٩٨	أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح
٣٢٢	أما إذا قلتما فاذعيا فاقتما	١٤١٦	أفضل الصدقة جهد المقل
١٠٢١	أما إن ملكاً بينكما يذب عنك	١٣٢	أقبل وأدبر وأتق الدبر والحيفة
١٦٠٤	أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شراً	٣١٥	أقتله بعدما قال: أمنت؟
٥٧٨	أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم	١٥٦٩	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
١١٢٤	أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر	١٣٣٦	أكرمهم عند الله أتقاهم
٥٩٦	أما ترضى أن تكون مثل نبي الله	٧٤٦	أكرموا عمتكم النخلة
١١٦٣	أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب	٢٠٤	ألك بينة؟
٥٥٣	أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله	٢٣٦	ألم أعهد إليكم ألا تبرحوا
١١٠٢	أما ما ظهر فالإسلام وما سوى الله من خلقك	١١١٠	ألم أنه عن القتال
٧٠٢	أما نقصان العقل	١٥٨٤	ألم نصبح لك جسمك ونروك من الماء البارد
١٤٨٠	أمرت أن أسجد على سبعة أعظم	١٥٤٧	ألم يسفل الله: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾
١٥٤٢	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله	١١٣٠	ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم
٣٩٢	أمرني خليلي ﷺ بسبح	١٠٢٤، ٢٧٦	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر
٨٤٤	أمرني رسول الله ﷺ أن اتخذ أنفاً من ذهب	١٤٦١	ألا أنبئكم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف
١١٢٦	أمسك عليك زوجك	٦٩٨	ألا احتطت فإن البضع ما بين السبع والتسع
١٤٢٣	أمسمة جث	١٤٣٥	ألا أحدثك عن يوم الجمعة؟ لا يتطهر رجل مسلم ثم يمشي إلى المسجد...
١٠٢٢، ٢٧٦	أن تجعل لله نداً وهو خلقك	٨٨٤	ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم
١٠٢٢، ٢٧٦	أن تزاني حليلة جارك	٢٢٥	ألا أخبركم بخير من ذلك
٢٠٨	أن تصدق وأنت صحيح شحيح	٢٥٢	ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا
١٠٢٢	أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك	١٣٦٦	ألا أخبركم لِمَ سُمِّيَ الله إبراهيم خليله ﴿الَّذِي وَدَّ﴾
٢١٣	أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى	٧٦٢	ألا أراكم تصحكون
٣٥٩	إن أرسلت كلبك وسيئت فأخذ قتل فكل	٩٩٥	ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا لا يدخلن عليكم
٩٢٣	إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم	١٠٩٥	ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم
٨٣١	إن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم	٥٨٢	ألا إن الزمان قد استدار
٨٥٤	إن عجزتم عن الليل أن تكابدوه	١٥٧٥	ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة
١١٠٨	إن شئت أنبأتك بأبواب الخير	٣٢٢	ألا إنما أنا بشر وإنما أقضي بنحو مما أسمع
٤٦١	إن فعلت تصدقوني	١٦٠٢	ألا إنها تعدل ثلث القرآن
١٣٦٩	إن فعلت تؤمنون	٢٩٤	ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه
١٣٣٥	إن كان فيه ما تقول فقد اغتبه	٣٩٧	ألا رجل صالح يحرسني الليلة
١٠٩	إن كان وسادك إذا لمرض	١٦٩	ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع
٧٠٤	أنا أكرم ولد آدم على ربه	٥٦٧	ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب
٣٦٩	أنا أولى الناس ببيسى	٥٦٦	ألا لا يحج بعد العام مشرك
٥٩٩	أنا بين خيرتين استغفر لهما أو لا تستغفر لهما	٥٦٧	ألا هل بلغت؟
١٣١٨	أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره	٤٢٢	ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم
٧٢٧	أنا المنذر	٥٦٧	أليست البلدة؟
١٤٢١	أنا عند ظن عبدي بي	٥٦٧	أليس ذا الحجة؟
١١٧٨	أنا النبي لا أكلب أنا ابن عبد المطلب	٥٦٧	أليس يوم النحر؟
١٥٦٣	أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا	٥٦٧	إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله
١٢٥	أنت أبصر	٣٥١	
٧٢٧	أنت المهادي يا علي بك يهتدى من بعدي		

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١١٢٠	إن الله تعالى في ثلاث ساعات يبيِّن من الليل ينظر في	١٥٤	أنت يا طلحة ممن قضى نحبه
٧٣٨	الكتاب	١٣٧٤	أنتم بعدة أصحاب طالوت يوم لقاء جالوت
١٠٨٧	إن الله لم يأمرني بكثر الدنيا ولا باتباع الشهوات	٤٥٣	أنتم خصماء الله
٧٦٠	إن الله لم يمسح شيئاً فیدع له نسلأ	٣٥٣	أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى
٣٩٤	إن الله لم يمسح قومأ أو يهلك قومأ فيجعل لهم نسلأ	٦٠٥	انصبر أخاك ظالماً أو مظلوماً
٨٠٢	إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة	١١٥٣	انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه
١١٨٤	فيحمد الله عليها	١٢٥	أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً
٥٩٦	إن الله عز وجل ليعجب من الشاب ليست له صبوة	١٣٦٦	أنفق على نفسك
١١٨٤	إن الله معني أن أقبل منك صدقتك	١٢٤٨	إن أبي أدركته فريضة الحج شيخاً كبيراً
٥٩٦	إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا	١٢٤٨	إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالقدادة والعشي
١٥٧٥	بقايا	١٤٤١، ٩٤٩	إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة
١٧٥	إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكروها عليه	٣٣٧	إن أنقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر
١٠٢١	إن الله يسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار	١٦٩	إن أرى الربا عرض الرجل المسلم
١٣٥٥	إن الله تعالى يجعل البحار كلها ناراً		إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في
٣٥٨	إن الله يحب أن تؤتى رخصه	١٣٩٤، ٩٥	الجنة
١٤٠٩	إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين	١٣٢٦	إن أمتي يأتون يوم القيامة غراً محجلين
	إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس	٩٥٠	إن الإسلام لا يقال
٤٨٥	الناس	٩٣٢	إن الجنة لا يدخلها المعاجز
١١٣٠	إن الله يسلم على أهل الجنة	١٢٥٠	إن الدعاء هو العبادة
١٥٠	إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة	٥٦٧	إن الزمان قد استدار كهيته يوم خلق السموات والأرض
١٠١٥	إن الله تعالى يطوي السموات بيمينه	١٦٠٦	إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم
٩٤٤	إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين	١٥٢٩	إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء
٢٦٦	إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغفر	٩٩١	إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها
	إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم	٨٦٦	إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً
١٣٥٢	تعلمي		إن الكريم بن الكريم بن الكريم [ابن الكريم] يوسف بن
٢٨٣	إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة	٧٠١	يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم
٨٣٠	إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد	٨٩٨	إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً
٤١١	إن الله لا يقبل إلا الطيب	١٣٢٨	إن الله أعطاني السبع الطول مكان التوراة
١١٥٢، ١٣٣٦	إن الله لا ينظر إلى صوركهم وأموالكم	١٥٧٥	إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
	إن الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه	١١٢٢	إن الله بعثني مبلغاً ولم يعثني متعتاً
٨٣٣	على وجهه يوم القيامة	١٧٤	إن الله تجارز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها
١٤٧٩، ١٣٣٢، ٢٥٥	إن للمقسطين عند الله على منابر من نور		إن الله تعالى حاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من
	إن الملائكة تقول لروح المؤمن: أخرجني أينها الروح	٩٦٩	فضة
١٢٥٧	الطيبة	٤٠٩	إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلي
٤١٤	إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه		إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع
٢٥١	إن أول ثلة تدخل الجنة لفقراء المهاجرين	٥٣	الأرض
١٣٨٢	إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر	١٣١٢	إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم
١٦٩	إن أول دم أضح من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث	١٠٠٥، ٥٧٩	إن الله زوى لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها
٥٧٦	إن أول ما نبأ به في يومنا هذا أن نصلي	٨٧٥	إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب
١٥٨٤	إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة	١٣٣٦	إن الله قد أذهب عنكم عبث الجاهلية
٤٢٥	إن بعدكم قومأ يخونون ولا يؤتمنون	١٣٦٥	إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا
٦٩٠	إن ثلاثة خرجوا فلجؤوا إلى غار، فانطبقت عليهم صخرة	٤١١	إن الله كتب عليكم الحج

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٤٩٤	إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر	٣٥٨	إن جبريل كان واعدي أن يلقاني
٢١٦	إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها	١٤٣	إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نقطة
١٣٤٥	إنكم سترون ربكم عياناً	١٦٩	إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمه يومكم هذا
٨٧٧	إنكم لا تدعون أصم	٥٠	إن ربكم حيي كريم
٧٠٢	إنكن أكثر أهل النار	١١٥٨	إن ربكم يقول كل يوم: أنا العزيز
١٠٨٩	إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع	١٢٧٢	إن روح القدس نفث في روعي
٨٦١	إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء	٨٧٨	إن زكريا كان نجاراً
٩٥٦	إنما سقى الله اليتيم: العتيق، لأن الله أعطاه من الجبابة		إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت ل صاحبها حتى
١٠٤٤	إن مياً رجل من العرب	١٤٥٦	غفر له
١٣٣٠	إنما ذلكم الله	١٢١٥	إن عفتراً من الجن ثقلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي
١٤٢٨	إنما قولي لامرأة واحدة قولي لمائة امرأة		إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا
١٣٩٤	إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة	١٣٨٨	يقطعها
٣٨١	إنما هلك من كان قبلكم أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه	٣١٦	إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين
١٣٧١	إنما هو شيء دسره البحر	١٥٧٢	إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم...
	إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير	٩٣٢	إن في المعارض لمتدوحة عن الكذب
١٠٥١	هاتين المرتين	٨٤٧	إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين
٤٥١	إنما هو الشرك		إن لله تسعة وتسعين اسماً
١٢٩٩	إنما هو شيء رأيته في مناحي	١٥٧٢	إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة
١٢٤٧	إنما يقتل يهود	٥٢٢	إن للمؤمن في الجنة نخبة من لؤلؤة واحدة مجوفة
١٣٠٥	إنه أثنائي داعي الجن	١٣٨٤	إن لهذه البهائم أبواب كأبواب الوحش
١٠٧٤	إنه أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد	٣٠٥٥	إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد
١٥٩٢	إنه أنزل علي الآن آتفا سورة	١١٢٩	إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً
٣٧٣	إنه أول من سن القتل	١١٢٩	إن مقعد ملكيك على ثيبك
٣٦٠١	إنه سيحال بيني وبينها	١٣٤١	إن ملكاً كان يجيب عنك
١١٩٩	إنه قد بلغني أنكم تريدون أن تنقلوا قرب المسجدين	٣٣٩	إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة
٨٧٣، ٤٨٥	إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة	١٤٣٥	إن من البيان سحراً
١٥٢٦، ١٣١١	إنه ليغان على قلبي	١١٧٩	إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها
٨٦٦	إنه كان ذهباً وفضة	٧٤٥	إن من عباد الله أناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم
١٢٠٢	إنها تعدل ثلث القرآن	٦٣٠	الأنبياء والشهداء
١٢٢١	إنها حق فادرسوها وتعلموها	١٣٨٩	إن من المنشآت اللاتي كن في الدنيا عجائز عشتاً ومصاً
٧٩	إنها قتلت ملكين	٨٥٩	إن موسى قام غطيماً في بني إسرائيل
١١٠٣	إنها في علم الله قليل	١١٤٥	إن موسى كان رجلاً حياً سيراً
٧٤٥	إنها النخلة	١٢٨٠	إن هذا الأمر في قرش
٩٤٦١	إنها ليعذبان وما يعذبان في كبير	١٠٥٦	إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض
٧٠٢	إنني أرى أكثر أهل النار	٣٦٥	إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم
١٣٠٥	إنني أمرت أن أقرأ على الجن	٨٧١	إن يأجوج ليحفرون السد كل يوم
٩٣٣	إنني حاكمك على ولد الناقة	٣٩٦	إن يمين الله ملأى لا يفيضها نفقة
١٠٩٤	إنني خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالهم الشياطين	٨١٣	أن الأولى كانت نسياناً من موسى
١٥٧١	إنني رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها	٩٣٣	إنما أحملوك على ولد الناقة
١٢٢١	إنني سأحدثكم ما حبسني عنكم الفتاة	٣٥٨	إننا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة
	إنني قد رأيت أنكم ستدخلون المسجد الحرام، معلقين	٥٦٣	إنك قلت لها: إنني لا أدرى ما يصيني في وجهي
١٣٢٤	روؤسكم ومقصرين	٣٢٢	إنكم تفتخسون إليّ وإنما أنا بشر

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٤٢٩	اللهم اشهد	١٦٠٢	إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن
٩٧٩	اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف	١٠٢٣	إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة
٩٧٩	اللهم أعني على قریش بسنين كسني يوسف	٩٤٠	إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه
١٣٢٥	اللهم اغفر للمحلقين	١١٧٨	إني لست بشاعر ولا ينبغي لي
٧٢٩	اللهم اكفنيهما بما شئت	٧٦٢	إني لما خرجت، جاء جبريل عليه السلام
١٤٩٢	اللهم اكفني جاري السوء	٩٤٥	إني لم أبعث لعناً
٢٢٣	اللهم أنج الوليد بن الوليد	٣٤٦	إني والله أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله
٥٤٢	اللهم أنجز ما وعدتني	١١٧٨	إني والله ما أنا بشاعر
٣١٢	اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد	١٤٥٢	إني لا أدري ما بقائي فيكم؟
١٥٧٣	اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله	١٤٢٨	إني لا أصافح النساء
٨٨	اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع	٥٧٥	انهزموا ورب الكعبة
١٢٧٥	اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى	٤٤٢	أوتي نبيكم ﷺ مفاتيح كل شيء
٣٨٢	اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه	٢٩٨	أو غير ذلك؟ ... فأعني على نفسك بكثرة السجود
١١٣٨	اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد	١٦٩	أول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب
١٣٩٦	اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم	١٤٥٩	أول ما خلق الله القلم
١٤٤٨	اللهم رب السموات السبع وما أظللن	٣٤٩	أوليس قد بين الله تعالى ذلك
١١٩٥	اللهم صل على آل أبي أوفى	١٧٢	أوليس قد ابتعته منك؟
٩٩٧	اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض	١٠١٢	أول من يكسى من أهل النار يوم القيامة إبليس
٨١	اللهم لا نبغيها	٢٤٦	أيا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب
٢٢٦	اللهم لا يعلون علينا	٩٩٤	إياكم والجلوس على الطرقات
٥٤٧	اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك	١١٣٦ ، ٩٩٥	إياكم والدخول على النساء
١١٢١	اللهم منزل الكتاب سريع الحساب	١٣٦٤ ، ١٣٣٤	إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث
١٩٩	اللهم هؤلاء أهلي	١٥٨٥	إياك والحلوب
	اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا	٤٦١	أي شيء تحبون؟
١١٣٤ ، ٣٣٢	أملك	١٠٦٨ ، ٦٠٨	أي عم قل مي: لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله
٩٠٠	اللهم هل بلغت	٦٤٣	أيكم أحسن عقلاً، وأورع عن معاصم الله عز وجل
	حرف الياء	١٢٠	أيكم يحتمل خيباً عن خشية وله الجنة
٣١٤ و ٢٩٠	يايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً	٢٧٩	أيما حلف كان في الجاهلية
٧٦٨	يحيى عبد الله	٣٣٩	أي مسلم ضاف قوماً فأصبح الضيف محروماً
٢٠٩	يحيى ذلك مال رابع	٦٥٩	أيما رجل أضر عمرى له ولعقبه
١٤١٧	برئ من الشح من أدى الزكاة	٥٦٣	أين الذهب الذي تركته عند أم الفضل
٥٨٠	بشر الكاذبين بكى في ظهورهم	٩٧٦	أيها للناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً
١٨٤	بعثت إلى الأحمر والأسود	٥٣٨	أيها الناس أرموا على أنفسكم
١٣١١	بعثت أنا والساعة كهاتين	٤١١	أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا
٩٢٣	يعني كنا وكذا من الدقيق	٣٩٧	الله
١٢١١	بل أنت زيد الخير	٥٦٣	الله - أخيرني
١٨٥	بل إلى كتاب الله	١٤١٣ ، ١١٩٩	الله أكبر خربت خبير
٩٣٨	بل أنا وأراساء	١٥٥٦	اللهم آت نفسي تقواها
١٧٢	بل قد ابتعته منك	١٠٩٧	اللهم اجعلها رحمةً ولا تجعلها عذاباً
٦٧٥	بل هي للمسلمين عامة	١٠٩٧	اللهم اجعلها ريحاً ولا تجعلها ريحاً
١١٢٥	بلى فانكحني فإنني قد رغبته لك	٣٦٤	اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين
		٥٩٦	اللهم ارزق ثعلبة



الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٦٢	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المنان بما أعطى	٦٠٩	بلى والله لاستغفرن لأبي
١٥٧٦، ١٤٠٢، ١٠٦٧	ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين	١٧٢	يَمُتْ تَشْهَدُ؟
٢١٠	ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجد	١٥٩٦	بيننا أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافتاه قباب الدر
٨٠١	ثم دخلت المسجد فصلت فيه ركعتين	٨٠١	بيننا أنا في الحطيم
٨٦٤	ثم دع الماء يرجع إلى الجدر	١٠٧٣	بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خسف به
١٤٥٩	ثم قال له: اكتب	١٠٥٣	بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون
٢٣٥	الطيب أحق بنفسها من وليها	٤٦٤	البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك
	<b>حرف الجيم</b>	٤٩١	البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء
٨٢٩	جاء الحق وزهق الباطل	٩٨٥	البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام
١٤٨٨	جبل من نار يكلف أن يصعده	٢٣٥	البكر تُستأمر في نفسها
٨٦١	جليس في فروة يبيض فاضضرت		<b>حرف التاء</b>
٨٧٣	جنان الفردوس أربع	١١٦٣، ٩٥٣	تبليغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الرضوء
١٣٨٣	جنتان من ذهب وجنتان من فضة	١٠٥٣	تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى
١٣٨١، ٨٧٣	جنتان من فضة أتيتهما وما فيهما	٦١٠	تحب ذلك؟
١٦٦	الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة	١٥١٨	تخشرون حفاة عراة غرلاً
٦٢٢	الجنة	٩٤٧	تلدون أي يوم ذلك؟
٨٧٣	الجنة مائة درجة	١٣٦	تدع الصلاة أيام أقرائها
	<b>حرف الحاء</b>	٩٩٦	تزوجوا الولود تئاسلوا فإني مباء بكم
٤٧٤	حرم رسول الله ﷺ لحوم الحمر الأهلية	٢٧٦	تسع أعظمهن الإشراك بالله
٩٣٤	حسبنا الله ونعم الوكيل	١٠٥٣	تسم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه مؤمن
٩٣٤	حسي من سؤالي علمه بحالي	٢٢١	تسوموا فإن الملائكة قد تسومت
١١٦	الحج عرفة	٩٨١	تشويه النار فتقلص شفته العليا
٤٤٠	الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام	١٢٥	تصدقوا
٨٤٨	الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر	١٢٥	تصدق به على خادمك
	<b>حرف الخاء</b>	١٢٥	تصدق به على زوجك
٩٨٥، ٢٦٥	خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً	١٢٥	تصدق به على نفسك
٥٣	خلق الله آدم بعد العصر يوم الجمعة	١٢٥	تصدق به على ولدك
٥٣	خلق الله تعالى آدم طوله ستون ذراعاً	٢٥٤	تصدق رجل من ديناره
١٢٥٣، ٤٩٩	خلق الله عز وجل التربة يوم السبت	١٢٨٧	تقطع الأجال من شعبان إلى شعبان
١٤٤١	خلق الله يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمناً		تفضل صلاة في الجميع على صلاة الرجل وحده خمساً
١٤٤١	خلق فرعون في بطن أمه كافراً	٨٢٧	وعشرين درجة
٩٢٧، ٧٦٠	خلقت الملائكة من نور	١٥٧٧	تقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان
١٤٨٥	خمس صلوات في اليوم والليلة	٧٠٢	تكثر اللعن وتكثرن العشير
٤٠٨	خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم	٦٧٩	تلك الأحاديث التي تقدرون الانتفاع بها
٢٨١	خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه	٣٣٧	تلك صلاة المتناق، تلك صلاة المتناق
٤٢٥	خير أمتي قرني	٦٧٥	توضأ وضوءاً حسناً ثم قم فصل
٤٢٥	خير الناس قرني ثم الذين يلونهم	٢٨٧	التيمن ضربة للوجه والكفين
١٤٣٥	خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة		<b>حرف الثاء</b>
١٣٨٣	خيرات الأخلاق حسان الوجوه	١٥٨٥	ثلاث لا أسأل عبيدي عن شكرهن
٤٢٥	خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم	١٣٣٤	ثلاث لازمات لأمتي، الطيرة والحسد وسوء الظن
		٩٩٦	ثلاثة حق على الله عونهم

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٦٦	سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله	١٥٧٨	الخيل لثلاثة، لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وذر
١١٣٠	سبق المفردون		حرف الدال
١٠٨٣	ستمته صلاته	١٦٩	درهم ربا يأكل الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية
١٨٣	سلاني	٨٩	دعوة أبي إبراهيم، ويشري عيسى
٤١١	سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دعت في مقام هذا	٩٤١	دعوة ذي النون إذ دعا ربه وهو في بطن الحوت
٥٩٧	إلا بيته لكم	١٣٦١	دنا الجبار رب العزة فتدلى
٢٢١	سوف أستغفر لهم أكثر من سبعين، لعل الله يغفر لهم	٣١٢	ذية المعاهد نصف ذية المسلم
١٣١١	سوموا فإن الملائكة قد سومت		حرف الذال
١٠٨٣	سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي	١٥٧٥، ٤١١	فروني ما ترككم فإنما ملك من كان بلكم بكثرة سؤالهم
	سينها ما تقول	٣٥٠	ذكاة الجنين ذكاة أمه
	حرف الشين	١٣٣٥	ذكرك أخاك بما يكره
٥٤٥	شامت الوجه	٨٣١	ذلك إلى الله عز وجل
٨٧٠	شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع	١٥٢٩	ذلك العرض
٧٣٤	شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة		حرف الراء
١٥٧٣، ١٤٦	شغلوا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر	١٠٥١	رايت جبريل وله ستمائة جناح
١٥٦٥	شهرًا عيد لا يقصان	٤١٢	رايت جهنم يحطم بعضها بعضاً
٦٤١	شيتي هود وأخوانها	١٢٢١	رايت ربي عز وجل فقال لي: قيم يختصم الملا الأعلى؟
١٥٣١	الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة	٤١٢	رايت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار
٢٧٦	الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين	١٦٩	رايت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني
١٥٢٩	الشفق الحمره	١٤٥٢	راجمها فإنها صوامة قوامة
١٥١٩	الشمس والقمر نوران مكوران في النار	١٥٧٣	رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه
	حرف الصاد	٢٥٢	رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها
٧٨٥	صدق الله وكذب بطن أخيك	٧٠٤	رحم الله أخى يوسف
٢٢٢	صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة	٦٦٦	رحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد
٧٦٩، ٢٤٩	صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً	١٤٣١	رحمة الله على موسى، لقد أوفى بأكثر من هذا فصبر
١٤٣٧	صليت؟ قال: لا، قال: فصل ركعتين	٢٤١	ردوا علي الرجل
١٥٦٥	صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته	٢٥٨	رفع القلم عن ثلاثة
١٥٥٤	الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان	١٦٩	الربا ثلاثة وسيئون باباً
١٤٨٨	الصعود: جبل من نار	١٣١٢	الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله
١٤٩٨، ٢٨٢	الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم	١٧٥٨	الريح الجنوب من الجنة
٨١	الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن		حرف الزاي
٤٤٨	الصور قرن ينفخ فيه ثلاث نفخات	٢١٢	الزاد والراحلة
١١٠٨	الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة	٦٢٢	الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل
	حرف الضاد		حرف السين
٦٢٢، ٤٧٨	ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً	٤٤٥	سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنين، ومنعني واحدة
٥٦٥	ضموا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا	٤٢٣	سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها
	حرف الطاء	١١٦٢	سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له
٢٧٠	طلق إحداهما	١١٢٦	سبحان مقلب القلوب
١١٣٥	طلق رسول الله ﷺ حفصة ثم راجعها	١٥٩٩	سبحانك ربنا ويحمدك اللهم اخفر لي
١٠٥٣	طولها ستون ذراعاً		

الحدث	الحدث	الحدث	الحدث
الطهور شطر الإيمان	٣٦٤	فضلنا على الناس بثلاث	١١٩٩
حرف العين		فكذلك يحيى الله الموتى وتلك آية في خلقه	١١٥٨
عجب ربك من شاب ليست له صبوة	١١٨٤	فما رأيت عبيراً يفري فري عمر	٨٨٤
عجب الله عز وجل من قوم يذخلون الجنة في السلاسل	٢١٧	فما منعكم أن تتبعوني؟	٨٣٤
عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير	٤٣٧	فمن كان متحريراً فليتحررها في السبع الأواخر	١٥٧١
عجل هذا	١١٣٨	فيما استطعتن وأطقتن	١٤٢٨
عرضت علي أمي وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر	٢٤٣	فيشفون الماء ويحصن الناس منهم في حصونهم	٨٧١
عفي لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل	٦٩٠	فيقول الله عز وجل: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه شقال	
علام تشتمني؟	١٤١٠	ذرة	٢٨٣
على رسلكما إنها صفة	١٦٠٦	فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يعني يوم	١٥٧٢
على ما استطعتم	١٣٢١	الجمعة	
علي وفاطمة ولولدهما	١٢٦٨	حرف القاف	
عليكم بالأسود البهيم	٣٥٩	قاربوا وسددوا	٣٢٩
عليكم منازلكم فإنما نكتب أثاركم	١١٦٩	قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر	١٠١٩
عمداً قتلته يا عمر	٣٦١	قال ربكم عز وجل: أنا أهل أن أتقى	١٤٩١
العز إزاره والكبرياء رداؤه	١٤٢١	قال الله تعالى: إذا هم عبدي بسيرة فلا تكتبوها عليه	١٧٤
العبادة فراق ناقة	١٢٠٤	قال الله عز وجل: إني خلقت عبادي حنفاء	١٠٩٤
العين حق	١٤٦٥	قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي	٦٣٠
حرف الغين		قتل الصبر لا يمر بذنوب إلا محاه	٣٧٥
غدا أخبركم	٨٤٧	قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً	١٨٤
غفر الله لك يا أبا بكر، ألسن تمرض؟ ألسن تحزن؟	٣٢٩	قد أذنت لك	٥٨٧
الغاسق النجم	١٦٠٤	قد أفلح من أسلم ورزق كافاً قد بايترك كلاماً	١٤٢٨
حرف الفاء		قد جاءكم شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه	١٥٧٣
فأنتما السماء السابعة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل	١٣٥٤	قد سمع الله ما تقول، فإن شاء أجابك	٣٣٠
فأنتي أبا بكر	١٤٥٢	قد قال أخي يعقوب: سوف أستغفر لكم ربي	٧١٩
فأسجد لله تعالى فيدعني ما شاء الله أن يدعني ويفتح علي	١١٤٩	قد قبلتك	١١٢٦
بمحمداً لا أحصيها الآن	٥٦٧	قد كنت أحب أن أراك على غير جوار	١٠٢٢
فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام	١٣٨٢	قد كنت وعدتني أن تلقاني الباردة	٣٥٨
فإن ربكم يقول: هل جزء من أنعمنا عليه بالتوحيد إلا	٧٨٠	قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين	٧٦٥
الجنة	٧٥٦	قل أمنت بالله ثم استقم	١٢٥٧
فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربه	٤٥٣	قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة	١٠٦٨
فإنها لا يؤرم بها لموت أحد ولا لحياة	١١٥٤	قلتم كذا وكذا	٥٩٣
فأنت الحبر السمين	٣٠	قم يا فلان فإنك منافق	١١٣٩
فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد	٦٣	قول عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾	٨٨٥
فبيتا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء	٨٠١	قوموا إلى سيدكم	١٤٠٩
فدخلوا يزحفون على أستاههم	٨٠١	قيام العبد من الليل	١١٠٨
فربطته بالحلقه التي يربط به الأنبياء	٩٦٧	قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد	١١٣٨
فركبته حتى أتيت بيت المقدس	١١٢٩	القبر قطع الليل المظلم	١٢٤٧
فضلت سورة على مائتي القرآن بسجديتين		حرف الكاف	
فضلت على الأنبياء بست		كاتب الحسنة على يمين الرجل	١٣٤٠
		كاد يصيبنا في خلافتك بلاء	٥٦٢

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٢٧٦	الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين	٩٣٩	كان ذو الكفل رجلاً لا ينزع عن ذنب
٢٧٥	الكبائر سبع الإشراك بالله أولهن	٣١٤	كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار
٢٧٥	الكبائر الشرك بالله وقتل النفس		كان رسول الله ﷺ إذا استراب الخبر تمثل فيه ببيت طرفه
١٥٨٠	الكود الذي يأكل وحده ويمنع رقه ويضرب عبده	١١٧٨	(ويأتيك بالأخبار من لم تزود)
<b>حرف اللام</b>		١٢٤٧	كان رسول الله ﷺ بعد يستعبد من عذاب القبر
٦٠٨	لاستغفرن لك ما لم أنه عنك	١٢٨٠	كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل
٨٠٠	لئن ظفرت بقاتل حمزة لأملن به	٧١٤	كان لعقوب أخ مؤاخ
٤٣٦، ٢٩٤	لثودن الحقوق إلى أهلها	٤٣٤	كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض
٥٣٢	لنقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما	٨٥٩	كانت الأولى من موسى نسياناً
٨٤٩	لِسَارِقِ النَّارِ أَرْبَعَةُ جُدُرٍ	٨٨	كانت الملائكة تحج إلى البيت قبل آدم
١٦٨	لئن رسول الله أكل الربا وموكله وكتابه وشاهديه	٨٦٤	كانوا أهل قرية لثاماً
٩١٢، ٧٦٧	لئن العاضة والمستعصية	٩٦٥	كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض
٣٢٧	لئن الله الواشحات والمستوشحات	١٤٤٨	كافة كل سماء مسيرة خمسمائة عام
	لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت	٤٥٤	كذا أنزلت علي فأكبتها
١٠٢٣	عليه الشمس	٩٣٢، ٧٠٩	كذب إبراهيم ثلاث كذبات
٩٦٩	لقد أنزلت علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة	١٢٤٧	كذب يهودية
١١٩٥، ١١٤٣	لقد أوتي هذا زمراً من مزامير آل داود	١١٧٨	كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً
١١٢٢	لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة	١٠٨٥	كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاء به
٩٧١	لقد ختمت بما تكلمت به يا ابن الخطاب	١٥٦٠	نبيهم
١٥٦١	لقد خشيت أن يكون صاحبي قلاني		كل أمي يدخلون الجنة
٣٥١	لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبي غادر		كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من
٢٢٤	لقد ذهبت فيها عريضة	١٩٢	يحيى بن زكريا
١٢٨٠	لقريش	٤٧٤	كل ذي ناب من السباع حرام
١٣٨٨	لكل نبي حرم وحرمة المدينة	١٣٧٤	كل شيء يقتل حتى العجوز والكهن
٢٨٢	للمملوك طعامه وكسوته	٩٩٥	كل عين زانية
٤٠٢	لم أؤمر بذلك	٢٥٨	كل من مال يتيمك غير مسرف
١٣١٧	لم نأت لقتال أحد إنما جئنا لنطوف بهذا البيت	١٠٩٤، ٤٢٧	كل مولود يولد على الفطرة
١١٩٠، ٩٣٢	لم يكذب إبراهيم النبي قط إلا ثلاث كذبات		كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في
	لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف	٢٥٢	سبيل الله
٢٣٩	طير خضر	١٥٥٨، ١٤٩٦	كل الناس يفلو فباع نفسه فمعتها أو موبها
٣٩٧	لما بعثني الله برسائله ضقت بها ذرعاً	١٣٩٥	كلمتان خفيقتان على اللسان
١٣٦٢	لما غشيها عن أمر الله ما غشيها تغيرت	١٤٥٤	كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته
٦٧٥	لئن عمل بها من أمي	١١٦٢	كلهم في الجنة
٤٣٦	لكن الله يدري وسيقضي بينهما	٢٣٦	كلا إني رأيت في النار في بردة عليها
١٤٠٠	لئن يدخل أحداً منكم عمله الجنة	١٢٢١	كما أنتم على مصافكم
٢٥١	لو أعطاني لأوفيته إني لأمين في السماء أمين في الأرض	١٤٥٥	كمل من الرجال كثير
	لو أنكم توكلون على الله حق توكله لوزقكم كما يوزق	١٥٧١	كم بقي من الشهر؟
١٤٤٥	الطير	١٥٠	كم من علق رداح في الجنة لأبي الدحداح
	لو أن يوسف قال: إني حفيظ عليم إن شاء الله، لملك من	١١١٥	كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث
٧٠٤	وقته	١١١٥	كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد
١٣٦٧	لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً	١٤٨٣	كيف يأتيك الوحي
		٢٢٣	كيف يفلح قوم فعلوا هذا بينهم

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٢٨٢	ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة	٢٩٤	لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف
٦٠٦	ما الذي أثنى الله به عليكم؟	٢٣٠	لو رأيتم الطير تخطفنا فلا تبرحوا من مكانكم
١٤٨١	ما المسؤول عنها بأعلم من السائل	١٠١٤	لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة
٦٠٤	ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً	١١٦٨	لو فعله لأخذته الملائكة
٨٣١	ما أنا بالذي يسأل ربه هذا	١٥٦٨	لو فعل لأخذته الملائكة عياناً
١٥٧٨	ما أنزل الله عليّ فيها إلا هذه الآية الفاءة	١١٢٨	لو قالها لجاهدوا في سبيل الله
٣٥٥	ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا	٤١١	لو قلت نعم لوجبت
٩٧٦	ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم	١٤٣٣، ١٣١٥	لو كان الإيمان عند الثريا لثاله رجال من هؤلاء
١٣٣٠	ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت	١٤٥٢	لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب
٨٣٦	ما بهذا بعثت وقد أبلغتكم ما أرسلت به	١٢٧٨	لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة
١١٧٥، ٤٤٨	ما بين الضخيتين أربعون	١٣١٥	لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس
١٨٥	ما تجدون في التوراة في شأن الزنا	١١٩	لو كان على أيك دين قضيت أما كان ذلك يجزئ عنه؟
٢٢٤	ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها	٧٠١	لو لبث في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي
٥٦١	ما ترى يا ابن الخطاب	٧٦٢	لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد
٣٦٣	ما توضع عند فأحسن الرضوء ثم قام إلى الصلاة، إلا غفر له	٣٦١	لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء
١٣١٧	ما خلأت ولكن حبسها حابس الفيل	٧٩٩	لولا أن تحزن النساء، أو تكون سنة بعدي لتركته
	ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه	٣٥٩	لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها
٧٣٣	في اليوم	٨٧٣	ليؤتين يوم القيامة بالعظيم الطويل
٢٨١	ما زال جبريل يوصيني بالجار	٥٧٩	ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار
١٥٦	ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة	١٤٤٤	ليراجعها ثم لمسكها حتى تظهر
١٦٢	ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم	٣٤٦	ليس أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل
٥٨٤	ما ظنك باثنين الله ثالثهما	١٠٤٤	ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من الولد
٧٥٦	ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية	١٥٦٣	ليس الفنى عن كثرة العرض
١٣٧٨	مالي أراكم سكوتاً؟	٣٩٠	ليس لبني النضير على بني قريظة فضل في عقل ولا دم
١٤٧٣	مالي أراكم عزين!	١٦٧	ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرثان
٤٩٦	ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار	٤٢٧	ليس من مولود يولد إلا على هذه الفطرة
٢٤٤	ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله	٣٣٩	ليلة الضيف واجبة على كل مسلم
٦٩١	ما من أحد يلقى الله تعالى إلا وقد همّ بخطيئة أو عملها	٢٣٤	ليأتي منكم أولو الأحلام والنهى
	ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه	١٥٦	ليهنك العلم يا أبا المنذر
١٥٤٣، ٩٥٥	الأيام	٥٧٥	الآن حمي الوطيس
	ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا مثل له يوم القيامة	١٧٤	الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه
٢٤٤	شجاع أقرع	٩٣٣	الذي في عينه بياض
٥٨١	ما من صاحب كثر لا يؤدي زكاته	١٣٣	الذي يأتي امرأته في دبرها هي اللوطية الصغرى
٢٩٠	ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك		
١١١٤	ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به		
٣٦٤	ما من امرئ يتوضأ فيحسن وضوءه		
١٢٩٠	ما من مسلم إلا وله في السماء بايان		
	ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة ليس فيها قطيعة رحم		
١٠٧	ولا إثم		
٣٢٣	ما من مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ فيصلي		
١٠٩٤، ٤٢٧	ما من مولود إلا يولد على الفطرة		
١١٥٣	ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان يتزلان		

## حرف الميم

ما أقيمت لأهلك

ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة

ما أردت بما أرى

ما أدري بُعْثاً، نبي أو غير نبي

ما اسمك؟

ما أصاب عبداً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك

ما أصبر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٠٠٠	من بنى مسجداً لله كمفحص قطاة	١٥٥٩	ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعه من النار
٣٦٤	من توضع فأحسن الوضوء	١٦٠٦	ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن
٦٧٣	من توضع وضوئي، ثم صلى الظهر غفر له ما كان بينها وبين صلاة الصبح	٤٩٦	ما منكم من أحد إلا وله منزلان
٣١٧	من جهز جيش العسرة فله الجنة	٣٦٤	ما منكم من أحد يتوضأ فليبلغ الوضوء أو فيسبغ
١٦٢	من حفر رومة فله الجنة	٣٧٢	ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر
٨٣٧	من حفظ عشر آيات من أول سورة البقرة	٣٤٠	ما نقصت صدقة من مال
٢٥٣	من حلف بغير الله فقد أشرك	٥٤٤	ما هزم قوم إذا بلغوا اثني عشر ألفاً من قلة
١٢٠٤	من حلف على يمين وهو فيها فاجر	٧٧٥	ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب
٣٥٣	من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه	٥٩٩	ما يقني عنه قميصي من عذاب الله تعالى
٣٥٣	من دل على خير فله مثل أجر فاعله	١١٢٧	ما يبني ليني أن تكون له خاتنة الأعين
١٢٢١	من رأى منكم الليلة رؤيا	١٤٥	معها ولو بقلنسوتك
٤٠٣	من رغب عن سني فلوس مني	٥٤٨	مثل القائم على حدود الله والواقع فيها
٢٤٧	من هتل عن علم فكنمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار	١١٣٠	مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت
١١٦٠	من سره أن يسطر له في رزقه وينسأ له في أثره	١٣٣٢، ١٣٣٥	مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم
١٢٠٠	من سره أن يمتثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار	١٥٨١، ١٠٠٩	مثلي، ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً
١١١٦	من سعى المدينة يثر بليستغفر الله تعالى	١٥١٥	مرحبا بمن غابني فيه ربي
١١٦٩	من سأل في الإسلام سنة حسنة	٥٩٦	مؤلاً تعلبه وفلان
١٥٦٥	من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه	٦٠٩	مؤت يقر أي فصلت ركعتين
٢١١	من طاف بالبيت لم يرفع قدماً ولم يضع أخرى إلا كتب الله له بها حسنة	١٤٥٣	مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين
١٤٤٨	من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين	١١٧٢	مسقرها تحت العرش فتفر ساجدة
٥٠٥	من عقر جواده	١٥٧١	ضفت اثنتان وعشرون وبقيت سبع التمسوها الليلة، الشهر
١٠٠٩	من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد	٤٤٢	تسع وعشرون
١١٦٩	من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر	١٣٣	مقاتيع الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله
١٥٨٦	من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله	١٣٣	ملعون من أتى النساء في أديارهن
١٤٠٩	من قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به	٢٤٤	من آتاه الله مالاً فلم يزد زكاته
١٥٧٣	من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه	١٣٣	من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها
١٧٤	من قرأ بالآيتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه	١٣١٢	من أحب أن يسطر له في رزقه وأن ينسأ له في أثره
٥٣٩	من قتل قتيلاً فله كذا وكذا	٢٤٦	من أحب أن يزحزح عن النار
٢٧٤	من قتل نفسه بحليلة فله حلالته	١٢١١	من أحب أن يمتلئ له عباد الله قياماً فليتبوأ مقعده من النار
٨٣٧	من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف	١٢١١	من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ ﴿إِذَا الْكُفُوفُ
٨٣٧	من قرأ عشر آيات من آخر الكهف	١٥١٩	﴿يُحْرَقُونَ﴾
١١٣٠	من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة	١٣٩٤	من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه
٢٥٣	من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله	٥٥٣	من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ في الجاهلية
١٥٧١	من كان متحرراً فليتحرها ليلة سبع وعشرين يعني ليلة القدر	٣٠٤	من أطاعني فقد أطاع الله
٢٨١	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره	١٥٥٣	من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار
٣٣٦	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة	١١١٠	من أغلق بابيه فهو آمن
١٥٧١	من كان منكم يزيد أن يقوم من الشهر شيئاً فليقيم ليلة ثلاث وعشرين	١٥٦٠	من أتفق زوجين في سبيل الله
		٥٠٥	من أعزق ذمه وعقر جواده
		١٠٠٠	من بنى لله مسجداً يتني به وجه الله

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٤٩٢	نعم يجمع الله هذه المظالم	١١٦٣	من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة
١٥٠٠	نعم أي يريد منا القرض	من لم تنته صلواته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله	
١٥٦٠	نعم وأرجو أن تكون منهم	١٠٨٣	إلا بعلد
٩٦٧	نعم ومن لم يسجد لهما فلا يقرأهما	من مات على ذلك كان مع النبيين	
١١٨٠	نعم يملك الله ثم يحييكم ثم يدخلكم نار جهنم	٢٩٨	من نذر أن يطيع الله فليطعه
١٥٨٤	نعمتان مقبوتان فيهما كثير من الناس	١٤٩٧	من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها
١٥٨٣	التعيم الأمن والصحة	٩٠١	من هوى
١٥٨٣	التعيم الماء البارد	٦٠٣	من وجد الزاد والراحلة
٨٨٥	تقاعاً حيثما توجهت	٢١٢	موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها
١٠٨٢	نهى رسول الله ﷺ عن الخذف	٢٤٦	من الكبائر شتم الرجل والديه
٤٧٤	نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع	٤٦٠	من مخاطبة العبد ربه
	<b>حرف الهاء</b>	١٢٥٥	مه يا عائشة فإن الله لا يحب الفضل ولا التضلل
١١٦٢	هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة	١٤٠٧	المؤمن أكرم على الله عز وجل من بعض ملائكته
٢٩٣	هات المفتاح	٨٢٣	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً
٤٧٥	هنا ما أوحى إليّ أنه محرم على المسلمين وعلى اليهود	١٣٣٣، ١٣٢٥	الفرء مع من أحب
٥٩٦	هنا علك، قد أمرتك فلم تطعني	٢٩٨	المتحجب ما قالاً فعلى البادع منها
٥٦٩	هنا ما اصطاح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو	٣٣٩	المسجد الأقصى
١٠٨٥	هنا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله	٢١٠	المسجد الحرام
١٣١٥	هنا وقومه والذي نفسي بيده لو أن هذا اللعين معلق بالثرى	١٣٣٢	المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه
٥٣١	هنا رجل من فارس	١٦٦	المغرب وتر النهار
٥٣١	هنا أمي بالحق يأخذون	٢٥٥	المعتصون في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة
٣٩٢	هنا لكم وقد أعطي القوم مثلها	١٠٧٩	الموت
	<b>حرف التاء</b>		
١١٧٩	هل أعطاك أحد شيئاً؟	٥٧٤	ناد يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة
١٣٩٣، ١٣٨٢	هل أنت إلا أصبح دمي؟	١٥٨٢، ٧٦٠	ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم
١٥٩٦	هل أتيتكم من الكوفة؟	٥٧٥	ناولني حصيات
١٢٥٥	هل أتيتكم من أضحك؟	٥٤٥	ناولني كفاً من حصياء
	هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس هوتهما	٣٦٩	نبي فيهم قومه
١٤٩٤	سحاب؟	٩٥٨	تخزنا مع رسول الله ﷺ البلدة عن سبعة والبقرة عن سبعة
١٣٢٣	هل جئتم في عهد أو هل جعل لكم أحد أماناً؟	٣٨٨	نحن معشر الأنبياء إخوة لعلات
	هل مررت برادي أهلك محلاً ثم مررت به يهتو خضرأ؟	٨٧٧	نحن معشر الأنبياء لا نورث
١١٥٨	قلت: نعم	٣٣٩	نزل ملك من السماء يكذبه
	هلا صليت بـ «سبح اسم ربك الأعلى والشمس	١٢٥٨	نزلت في المؤذنين
١٥٣٧	وضحاها؟	٢٤٠	نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة
١٣٣٣	هلا قلت: إن أبي هارون وإن عمي موسى وإن زوجي	١٣٥١، ١١١٥، ٥٥٦	نُصِرَتْ بِالْقَبْرِ وأهلك عاد باللبور
٦٩٠	محمد	٨٢٥	نعم
٢٨٢	هلك المصرون	٨٧٢	نعم إذا كثر الخبث
٨٧٠	هم إخوانكم خولكم	١٨٣	نعم أي أنا محمد
٥٦٠	هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرض	١٤٢٥	نعم صلي أمك
٢٣٥	هم الجن وإن الشيطان لا يخبل أحداً في داره فمن اهتدى	٢٢٤٧	نعم غلاب القبر حق
	هم قوم تحابوا بروح الله	١١٢	نعم أي: نهيت عن القتال في الشهر الحرام

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
	والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه	٣٩١	هم قوم هذا
١١١٤	من نفسه	١٤٦٨	هم اليوم أربعة
	والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم شيئاً يعظمون به	١٤١٢	هنت يهود بالغدر
١٣١٨	حرمت الله إلا...	١٤٩١	هو أهل أن يتقى
١٥٧٦ ، ١٨٤	والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة	١٤٨٨	هو جبل من نار يكلف أن يصعبه
	والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا	٣٥٤	هو الطهور ماؤه الحل ميته
٣٣	في الزبور ولا في الفرقان مثلاً	٤٤٨	هو قرن ينفخ فيه
١٣٣	وما الذي أهلكك	٦٠٦	هو مشجدي هذا
١٤٢٣	وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر	١٥٩٦	هو نهر أعطانيه ربي عز وجل
١١٢٥	(ومم ذاك) قاله لأسماء بنت عميس	١١٢٣	من حولي كما ترى يسألني النفقة
١٤٥٢	ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر	٦٧٦	من لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر
١٤٨١	ويحك إنها كائنة فما أعددت لها؟	٧٤٥	هي النخلة
٥٩٦	ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه	١٥٧٢	هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة
٣٦٣	ويل للأعقاب من النار		<b>حرف الواو</b>
٧١	ويل: واد في جهنم	٥٦٠	وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا وإن القوة الرمي
٨٩٣	الورود: الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها	١٣٢٤	وألزهم كلمة التقوى لا إله إلا الله
٨١٩	الولد ثمرة القلب وإنه مجنة مبخلة	٦٠٣	وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعزهم
	<b>حرف لا</b>	١٥٨٥	وأنا والذي نفسي بيده لا أخرجني الذي أخرجكما
٣٨١	لا أراك تكلمني في حد من حدود الله	١١٢٤	وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي
٦٠٠	لا أجد ما أحملكم عليه	١٣٩٣	وتجعلون رزقكم قال: شكركم
١٢٨٠	لا أسأل قد اكتفيت	٧٧٢	وجندي في أهل غنime يثيق
١٠١٥	لا أكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله	١١٠٨	وصلاة الرجل في جوف الليل
٢٣٦	لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته يعير له رغاء	١٣٦٦	وئى عمل يوم أربع ركعات في أول النهار
١١٢١	لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده	١٠٨٤	وللذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه
٨٧٢	لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب	١٠٦٨	والله لأستغفرن لك ما لم أنة عنك
١٠٧٤	لا، إن الله جميل يحب الجمال	٧٩٩	والله لأمثلن بسبعين منهم
١٥٨٣	لا بأس طهور إن شاء الله	١٢٩٤	والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله
٩٤٤	لا، بل لكل من عید من دون الله	١٣٣٢	والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه
٦٧٥	لا، بل للناس كافة	٤٣٤	والله ليتمن الله هذا الأمر
٩٧٧	لا، بل هم الذين يصلون وهم مشفقون	٩٢٣	والله لو باعني أو أسلفني لفضيت
١٣٣	لا تأتوا النساء في أعجازهن	١٥٦	والله ليهلك العلم أبا المنذر
٩٩٥	لا تبأشر المرأة المرأة تنعتها لزوجها		والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه
١٦٦	لا تصدقوا إلا على أهل دينكم	٥٨٣	هذه في اليم
٦٠١	لا تجالسوهم ولا تكلموهم	١٢١٢	والله ما صليتها
٣٧	لا تجعلوا بيوتكم مقابر	٨٧١	والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسفن
٢٦٩	لا تحرم الإملاجة والإملاجات	١٦٠٢	والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن
٢٦٩	لا تحرم الرضعة أو الرضعتان	١٣٥٨ ، ٩٨٥	والذي نفسي بيده لأقضي بينكم بكتاب الله
٢٦٩	لا تحرم المصة أو المصتان	١٥٨٥	والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة
٢٥٣	لا تحلفوا بأبائكم		والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسا
١٤٥٠	لا تخبري أحداً، وإن أم إبراهيم علي حرام	١٤٣٧	بكم الراوي ناراً
١٤٥٢	لا تخبري عائشة	١٥٦٨	والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً



الحدث	الحدث	الحدث	الحدث
لا تزال القوة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها	لا يتم بعد حلم	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه	لا يجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها	لا يحل أن تأتوا النساء في جشوشهن	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا تنسني عنه	لا يغفل بيت فيه عتيق من الخيل	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا تسبوا أصحابي	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر	لا يدخل هذا عليك	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق	لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا تشربوا في آية الذهب والفضة	لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله تعالى	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم	لا يستحيي الله من الحق	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً	لا يضرك بأيهما بدأت	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها	لا يفرق مؤمن مؤمنة	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها	لا يقبل الله دعاء من قلب غافل لاه	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون	لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا تكفرن أحداً من أصحابك على المسير معك	لا يمس القرآن إلا طاهر	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا تتحنن...	لا يموتن أحداكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا تزالون في الغرف ولا تعلمون الكتابة	لا ينحني له، ولا يلتزمه ولا يقبله	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا حاجة لي فيه	لا ينظر الله إلى رجل أتى امرأة من الدبر	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا خلف في الإسلام	حرف الياء	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا خير في دين ليس فيه ركوع	يا أبا ذر إذا طبخت مرقة	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا صلاة بحضرة طعام	يا أبا ذر تدري أين ذهب الشمس؟	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا طلاق قبل النكاح	يا أبا ذر تدري فيما انتطحتا؟	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك	يا أبا سعيد من رضي الله رباً وبالإسلام ديناً	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا، فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله	يا أبا المنذر أندري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا فضل لعربي على أعجمي	يا ابن آدم اتفق أنفق عليك	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا قطع على الخائن	يا ابن عمر ما لك لا تأكل؟	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا، ما زال ملك يسترني حتى ولت	يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا نبرح حتى تناجزهم	يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا نورث ما تركنا صدقة	يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا هجرة بعد الفتح	يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله خفاة	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا، وإنه قد أوحى إلي أنكم تكفنون في قبوركم	يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا، ولكن لا يبلغ عني إلا رجل مني	يا أيها الناس إنني قد كنت أذنت في الاستمئاع	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا والله لا يلقي حبيبه في النار	يا أيها الناس أي يوم هذا؟	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك	يا ثوبان ما غير وجهك؟	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا يأمن حيث وجد	يا جابر لا أراك ميتاً من وجهك هذا	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا يؤلف تحت الأرض	يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا يبقى على رأس مائة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد	يا جد هل لك في جلد بني الأصفر؟	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا يبقى على ظهر الأرض مدبر ولا وير إلا أدخله الله كلمة الإسلام	يا رب كيف أصنع إنما أنا وحدي يجتمع علي الناس	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
لا يولن أحدكم في الماء الدائم	يا سليك قم فاركع وكعتين	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
	يا صباحاه	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك
	يا عائشة أشعرت أن الله أفانني فيما استغفيت فيه	لا يدخل الجنة قتات	لا يدخل هذا عليك

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٥١٨ ، ٩٤٥	يحشر الناس يوم القيامة حفاة غرلاً	١١٧٣	يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً
٩١٢	يحصل هذا العلم من كل خطف عدوله	١٥١٨ ، ٩٤٥	يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض
	يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون حتى قنطرة بين الجنة والنار	١٦٠٤	يا عائشة أما شعرت أن الله أخبرني بدائي
٤٩٦		٥٥٨	يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي
٨٣٠	يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب	٩٩٤	يا عطفي لا تتبع النظرة النظرة
١٧٤	يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كفه	٣٩٧	يا حماد إن الله قد عصمني من الجن والإنس
١٢٣٥	يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة	١٣٠٣	يا حمر إن أولئك قوم عجبت لهم طياتهم
١١٥٥	يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا يببداً من الأرض	٢٧٥	يا حمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟
١٢٣٥	يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه	١٢٩٤	يا حمز وضع سيفك
٢٦١	يقضي الله في ذلك	١٤٤٥	يا غلام إني أعلمك كلمات
١٤٨٣	يقال لقارئ القرآن: اقرأ وقل	٦٠٣	يا غيلان اخرج فإنيك منافق
٢٠٨	يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة	١٣٦٩	يا فلان يا فلان اشهدوا
١٥٨٣	يقول ابن آدم مالي مالي	١٣٠	يا جرثومة الزاني لا يتكح إلا زانية أو مشركة
١١٣٠	يقول ريكم: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي بشفاء	٩٩٦	يا حموش الشباب من استطاع منكم البائة فليزوج
١٥٨٣	يقول العبد: مالي مالي، إنما له من ماله ثلاث	١٠٣٧	يا معشر قريش اشترُوا أنفسكم من الله
٧٧١	يقول الله تعالى: ابن آدم لقيت تعجزني وقد خلقتك؟	١٨٨	يا معشر قريش لقد خالقتكم ملة أياكم إبراهيم
	يقول الله تعالى: إذا هم عبدي بسيرة ولم يعملها لم أكتبها عليه	٧٠٢	يا معشر النساء تصدقن
٦٩٠		٥٤٧	يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك
	يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت	٥٩٦	يا وبع ثعلبة
١١٠٨		٩٥٠	يا يهودي إن الإسلام يسبك الرجال
١٥٥٥	يقول الله عز وجل: إني خلقت عبادي حفاة	٨٧٠	يا جوج أمة وما جوج أمة
١٠١٤	يقول الله تعالى: إني مبتليكم ومبتلي بك	١٢٤٤	يا ممر الله عز وجل لإسراييل بالنفخة الأولى
٩٤٧	يقول الله تعالى يوم القيامة لآدم: قم فابعث بعث النار	٨٧٣ ، ٤٨٥	يؤتى بالرجل الطويل الأكل الشروب العظيم فيوزن
	يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد	١٠٢٣	يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه
٤٨١		١٢٩٢	يؤتى بالموت في صورة كبش أملح
٥٩٤	يقول الله عز وجل لأهل الجنة: يا أهل الجنة هل رضيتم	٨٨٦	يؤتى يوم القيامة بناس إلى الجنة
١٢٩٦	يقول الله تعالى: يؤذني ابن آدم يسب الدهر	٧٥١	يسطها ويمدحها عد الأبيم
١٥٢٥	يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه	١٥٨٣	يتبع الميت ثلاثة
١٤٦٤	يكشف ربنا عن ساقه	١٣٤٤	يتجلى لهم الرزب
١٣٩٤	يكون النسيم طيراً يعلق بالشجر	٧٢٨	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار
٤٤٨	يلقي إبراهيم آباء آزر يوم القيامة	١١٨٧	يجهاد بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح
١٩٨	ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال	٥٤٩	يخبرك الثلث
١٨٢	ينزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى سماء الدنيا	٩٢	يحيى النبي يوم القيامة ومعه الرجل
١٠١٩	يوشك أن يأتي زمان يغربل فيه الناس غربلة	٢٦٩	يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة
		١١٨٥	يحشر صاحب الرما مع صاحب الرما

## فهرس الشعر

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
حرف الهمزة			
أروني عطة	البيـهـاء	زهير بن أبي سلمى	٢٠٠
فإن تدمو	بـقـاء	زهير بن أبي سلمى	٢٠٠
ومنا أدري	نـسـاء	زهير بن أبي سلمى	٦١
وقد أغدو	لـمـاء	زهير بن أبي سلمى	٢٩٦
وجبريل	لـسـاء	حسان بن ثابت	٧٧
ألا أبلغ	نـخـبـاء	حسان بن ثابت	٧٥٠
أجمعوا أمرهم	لـهـمـاء	الحارث بن حلزة	٣٠٤
ويروثني	مـبـوءـاء		٥٠٥
ملكك بها	مـاء	قيس بن الخطيم	١٣٧٥
ليس من	ميت الأحياء	عدي بن الرعلاء	١٨٦
ورثت بناء	أعراف البناء		٤٩٧
فاضرب وجوه	إلى السواء		٥٥٩
حرف الباء			
بأي بلاء أم	سلم والمهلب	بشر بن أبي خازم	٨٥١
وطاع دعاء	ذاك مجيب	كعب بن سعد الغنوي	٢٤١، ٤٤
فإن تسألوني	النساء طيب	علقمة بن عبدة	١٤٧١، ١٠٢٠
بها جيف الحمرى	فصليب	علقمة بن عبدة	١٣٧٥، ٢٩٩، ١٥٨
حلقت فلم	للمرء ملعب	الناقة الذبياني	٧٤٣
ألم تر أن الله	يتذبذب	الناقة الذبياني	٤٩
ترك شئاً	ولا نـدب	ذو الرمة	٧٦٠
كانه كوكب	منقضب	ذو الرمة	٧٥٦
أنسى ومن	ولا ريب	الكميت	١٩٢
وجدنا لكم	ومثـرب	الكميت	١٢٣٩
فطائفة قد	ومذنب	الكميت	٤٣٤
وكائن ترى	وعقرب		٢٢٨
فقلت لها	ذاك لبيـب	نضرب بن كعب	٣٥١
أرى كل قوم	فهو سارب	الأخضر بن شهاب	٧٢٧
وأرغب فيها	لست أرغب		٧٤٢
كانهم صابت	دبيـب	علقمة بن عبدة <sup>(١)</sup>	٤٦
فلت لأني	يصوب <sup>(٢)</sup>		٥٢

(١) وهو في «ديوانه» ص ٣٤، و«مجاز القرآن» ٣٣/١، و«الطبري» ٣٣٣/١.

(٢) وهو في «الكتاب» ٤٢٠/٢، و«الطبري» ٣٣٣/١، و«أمالى ابن السجري» ٢٠/٢، و«القرطبي» ١٨٣/٩، و«شرح شواهد الشافعية» ٢٨٧.

و«الصالح» و«اللسان» و«التاج»: صوب.

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
فلان تكن الأيام	لهن ذنوب		١٢٣، ٥٠٧
ومن لم يغمض	وهو عاتب		٢٦٨
ومن يتتبع	النهمر صاحب		٢٦٨
فمن يك	بها الغريب	ضايح بن الحارث	٥٨٠
تمزقها	فتصويروا		٥٣٥
تقول ابنتي	طبيب		٤٩٢
تتابع أحداث	والخطوب تُشيب		٤٩٢
ما نقم الناس	إن غضبوا	عبد الله بن قيس الرقيات	٥٩٥
وأنتهم سادة	عليهم العرب	عبد الله بن قيس الرقيات	٥٩٥
ولقد طمنت	أن ينضبوا	أبو أسماء بن الضريبة	٦٤٨
طلباً لعرفك	دونك الأسباب		٦٩٠
ليس في الحق	ما يقول الكذوب		٣٩
لنا ذنوب	قلنا القليب		١٣٥٣
تميم بن قيس	علي جوابها	الفرزدق	٢٤٧، ٦٧٠
وقفت على	وأخاطبُه	ذو الرمة	٧٥٩
وأسقى حتى	وملا عبُه	ذو الرمة	٧٥٩
وكائن أصابت	ومنه ثوابها		٢٢٨
فقلت اتجروا	وغارُبُه		٣٢٤
أضاءت لهم	ثاقبُه <sup>(١)</sup>	أبو الطحان البقيني	٤٤
عصيت إليها	أرشد طلابها	أبو ذؤيب	٢١٨
فصدقتها	كذابُه	الأعشى	١٥٠٨
ألم تر أن الدهر	لغاريه دائب		٥٨٤
أرى رجلاً	كفا مخضب	الأعشى	٨٣٨
فما أذكر	منها قريب	الأعشى	٥١٢
جريمة نامض	صليب	أبو خراش الهللي	٣٥٣
لا أبتغي	وأصيب	أبو الأسود الدؤلي	٧٨١
يمح صبره	الماعون صبا		١٥٩٥
فانقض كالدرية	تخاله طنب	أوس بن حجر	٧٥٧
خليلي مرابي	الفؤاد المعذب	أوس بن حجر	١٣٤٢
ألم تر أنني	وإن لم تطيب	أوس بن حجر	١٣٤٢
كليني لهم	بطيء الكواكب	الناطقة الذبياني	٧٨١
ولا عيب فيهم	قراع الكتائب	الناطقة الذبياني	٥٩٥
كان نقيق	أو نقيق العقارب	جرير	٤٧٥
أتاني كلام	أنك عائب	أبو الغول الطهوي	٢٨٠
فقلنا السلام	ومؤها بالحواجب		٦٦١
يا صاح بلغ	عري اللُذُيب	مالك بن نويرة	٥٥
لعمري أبيها	ابن أبي كعب		٩٤٣
أرانا مرصدين	وبالشراپ	الناطقة الذبياني	٨١٥

(١) وهو في «الكامل» للمبرد ٤٦، ٤٧، و«أمالي المرتضى» ١/١٨٦، و«اللسان» ٢/٩، ونسب في «الحيوان» ٣/٩٣، و«الشعر والشعراء» للقطب بن زرار

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
١٣٤٤	امرؤ القيس	بالإيـاب	لقد نـقبت
٣١٨	الناطقة الجمدي	المزاعم والمذاهب	كلود يـلاذ
٦٥٩ ، ١٦٥	عمرو بن معد يكرب	وذا نـشـب	أمرتـك الخير
١١٦٤	سلامة بن جندل	إلى الأعداء تأويـب	ينومـان يوم
١٣٨٢	مالك بن نويرة	والياقوت والذهب	لن يـذهب
١٤٨٤		مع السحاب	فلو رفع السماء
١٤٩١		عمدـن لفرـب	احبس حمـارك
٣٦٦	دريد بن الصمة	مراضع القنـب	متبذلاً تبدو
١٢٨٣	علي بن زيد	العبدُ بالكُوب	امتكتـاً تصفـق
٧٥٧	بشر بن أبي حازم	انقضاض الكواكب	والغير يرمقها
١٢٠٢		طوال الذنـب	جأؤوا بصـيد

## حرف التاء

٧٤٠	قيس بن ذريح	ودعـيوث	إذا خـبرت
٧٤٠	قيس بن ذريح	وقضـيـث	دعوت التـي
٤٣٢	يزيد بن ضبة	يفجـؤك البغـث	ولكنهم بانوا
١٥١٦		إن مشـيـث	ومـا أدع
٣٠٧	السموئل	الحساب مقيـث	إلى الفضـل
١٣٢٧	رؤبة	مراها ليـث	وليلة ذات
١٨٦		واسـتقيـث	ومنهل فيه
٣٠٧	أحيحة بن الجلاح	مساءته مقيـثاً	وذي ضـفـن
٦٨٩		إذا أتـينـا	أبلغ أـمير
٦٨٩		فهبت هـيتا	إن العـمراق
٦٨٩		بها لهـيتا	قد رابـني
١٣٥	كثير	الألية بنـرث	قليل الألايا
٥٨٨	كثير	إن تقـلـت	أنـيـي بنا
١٢٧٤	كثير	الوصل ملـت	صفوحاً فـما
٣٦		فانـفـلـت	أمين ومن أعطاك
٧١٦		سمعي وطاعـتي	أنرجو بنو مروان
٢٦٤		كبرت لدائـي	من اللواتـي
١٢٣٩		قد أمـثـيت	حلفت بالسبع
١٢٣٩		ئـلـئـث	ومـثـان
١٢٣٩		ئـصـلـث	وبالحواميم

## حرف الجيم

١٠٥٥	الناطقة الجمدي	تـهـمـلـج	بأرعن مـثل
١٠٢٣		وناراً تـاجـجا	متى تـأتـنا
١٤٦٠ ، ٨٨٢		ونرجو بالفـرج	نحن بنو جمـدة
١٥٦٢		ملاء النـسـاج	يا حبذا القـمراء

## حرف الحاء

٤٧	ذو الرمة	مـية يـبرـح	إذا غير النـاي
----	----------	-------------	----------------

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
بدت مثل قرن	..... في العيين أملح	ذو الرمة	٨١ ، ٤٤٦
وما الدهر	..... المييش أكدح	تميم بن مقبل	١٥٢٨ ، ٢٨٨
لمبك يزيد	..... طوحته الطوائح	نهشل بن حري	٧٥٨
وكلتا ماما قد	..... المييش أرواح		٨٥١
إنسي أرقست	..... الصاب مفيوح	أبو ذؤيب	٨٥٠
إنسي لأرجو	..... وأستريح		٥٠٢
وانفج جوانب	..... وفيئانح		٧٠٨
أقارض أقواماً	..... علي كشوحها	النعمان بن قلوب	٢٢٢
على طرق كنجور	..... المصروحا	أبو ذؤيب	١٠٤٩
فقلت لصاحبي	..... واجتز شبحا	مقرن بن ربيع	١٣٤٢
يا ليت بعلك	..... سيفاً وروحاً		١٣٨٨ ، ٣١٢
فمن بنجوته	..... يمشي بقرواح	عبيد بن الأبرص	٣٢٥
ونحن على جوانبه	..... كالإبل القماح	بشر بن أبي خازم	١١٦٨
السنم خبير	..... بطنون راح	جرير	١٠٠٣ ، ٥٣
سأشكر إن	..... في جناحي	جرير	١٠٦٣
وأعبد أن	..... وينسي رزاح		١٢٨٥
أضمه للمدر	..... والجناح		٩٠٣
ألا يا أيها	..... به برح		١٥٦٥
أرى الموت	..... لسه أروح		١٥٦٥

## حرف الدال

وأنت زعيم	..... القدح الفرد	حسان بن ثابت	١٤٦١
فبين ثواب الله	..... فيها يخلد	حسان بن ثابت	٨٧٤
ألا حبنا هند	..... والبيم	الحطية	٣٨٨
فكيف ولم	..... أبيتكم قبلوا	الحطية	٥٧٠
تمز أمير المؤمنين	..... ويولد		٥٣٠
عشية لا عفراء	..... منك بيمد	عروة	٥٠١
أنا ابن الذي	..... فسوف تعود		٩٣٣
تبرى الناس	..... حولها وتعود		٩٣٣
أما الفقير	..... له سبب	الراعي	٥٩٠
حتى إذا ما	..... ملوئ ومحصول		١١٧٨ ، ٦٢٣
تهد والذي	..... وأذكرك المجلود		٦٨٥
فما أجشمت	..... والأكباد سود	الأعشى	٢٢٢
كل حي	..... انقضى أمه	الطرماح	١٨٧
فأليت لا أرثي	..... تزور محمداً	الأعشى	٢٦٤
إذا ما انتسنا	..... بها بلداً	زائدة بن صمعة	٣٥٣
فإن شئت	..... ولا بسرردا	العرجي	١٥٠٨ ، ٤٠٦
أرثي جواداً	..... أو بخيلاً مخلداً	حطائط بن يعفر	٦٦٠
إذا كنت عزهاة	..... جلمدا	الأحوص	٨١٦
فقلت له	..... أموننا رجداً		٣٦
أمين وأغناه	..... تباريحه جهداً		٣٦

صفحة البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
تباعد مني	ما بيننا بعدا		٣٥
لا ترتجي حين	أم واحدا		٣٢١
تسمع في	جُـسـاة وبددا		٧٧٣
من البيض لا	الحلي جيلها		٦٦٥
وإن شئت تعاودونا	عـــــوا		١٤٧٦
أعاذل ما يدريك	أو في ضحى الغد	عدي بن زيد	٤٦١
وإني لعبد الضيف	شيمة العبد	المتنع الكتبي	٥٣٤
فإن الذي حانت	يا أم خالد	الأشهب بن رميلة	١٣٣١ ، ٤٥
بودي لو أنني	طريف وتاليد	متمم بن نويرة	٢٤٣
فأصبحت مما كان	الماء باليد		٧٣٠
أعاذل إن اللوم	غيبك المتردد	عدي بن زيد	٩٠١
ألا أيها الزاجري	أنت مخلدي	طرفة	١٠٩٢
تمنى رجال	فيها بأوحد	طرفة	١٥٦٠ ، ١٠٩٣
أرى الموت	الباعل المتشدد	طرفة	١٥٨٠
منى تأته	غير موقد	الحطينة	١٢٧٩
أسود شرى	دماء الأساود	الأشهب بن رميلة	١٤٦٢
أنحوي هذا العصر	جرهم وثمرود		٤٧
إذا نفيت	مقام جحود		٤٧
تكاد لا تعلم	على ردد		١٥٣٦
يا صاحبي	من أمر بمردود	هانئ بن شكيم	٧١٩
ولقد غنوا	ثابت الأوتاد	الأسود بن يعفر	١٢٠٣
ولو أنها عرضت	ضرورة متهدد	النابعة الذبياني	٨٢٧
لرنا لبهجتها	وإن لم يرشد	النابعة الذبياني	٨٢٧
أبهرت عليه	جايذ البرد	النابعة الذبياني	٦٦٦
تكلحك أمك	عقوبة المتمدد		٩٠٩
نجوت مجالدا	قديم عهد		٣٢٥
ومن يتق	موتاب وغادي		٨٨
على ما قام	فسي رماد	حسان بن ثابت	١٠٤٧
فإن تدفنوا	الحرب لانتقم	امروء القيس	٩٠٢
ومنا الذي	ولم يواد	الفرزدق	١٥٢٠
ألا ليتما	أو نصفه نقد	النابعة الذبياني	٥١
صادياً يستغيث	عصرة المنجود	أبو زيد الطائي	٧٠١
اعتبر أيها	بالعمر المديد		١٥٤٧
قلني من نصر	بالشجيع الملحد	حميد الأرقط	١١٩٦
ضمنت بخد	أصـــــدي		٥٥٢
فقمنا ولما يضح	عند حدادها	الأعشى	١٠٩
لقيد بكر الناعي	وباليد الصمد	سيرة بن عمرو	١٦٠٣
وشباب حسن	نزار بن ميمد	الجارث بن دوس	١٣٧٠
إن ينني الأرد	ليسوا من أسد <sup>(١)</sup>	منظور الوري	١٩٨

(١) وهو في أمجاز القرآن ١٣٧/٢، وفهرس القرآن ٣٤٦.

صدر البيت	الغاية	الشاعر	الصفحة
إلى أمير	الممناذ	رؤية	٤١٩
لم يؤذها	باقليذ		١٢٣٥
وطباب	ويبرذ		٧٨٣
<b>حرف الراء</b>			
أما وي	وضاق بها الصدر	حاتم الطائي	١٣٩٣
بني عمنا	يوم قماطر		١٤٩٨
غنيينا زماناً	بكأسيهما الدمع	حاتم الطائي	٥٠٨
فما زادنا	بأحسابنا الفقر	حاتم الطائي	٥٠٨
ألا أيهذا الباخع	يلديه المقايذ	ذو الرمة	٨٣٨
فلا يدعني	وتسلم عامر		٦٩٠
فما عصمة الأعراب	يُعمصر		٧٠١
إذا قلت	يطلع الفجر	أبو صخر الهذلي	٧١٨
ولا عائد	ولك الشكر	أبو صخر الهذلي	٩٤٠
وإن فؤاداً	الهوى لصبور		٧٤٨
ولو أن نفسي	يُعد كثير		٧٨٦
ولكنها نفس	اللتام قنور		٧٨٦
وصاحب صدق	عامداً أجر <sup>(١)</sup>		٥٥
أخو غائب	النوفل الزفر	أعشى باهلة	٢١٥
تكفيه حزة	شربه الغمر	أعشى باهلة	١٣٩٠
إن امرءاً	لمفرود		١٨٠
لا يغمز الساق	شروقه الصغر	أعشى باهلة	١٦٧
الله يعلم	إلى جيراننا صور		١٦٦
لولا ابن جملة	يسنفخ الصور		٤٤٨
نخالي اللحم	نفج القنود		٦٤٨، ٥٦٨، ٨٩
فقلنا أسلموا	الإحني الصدور	العباس بن مرداس	٦٣٤، ٢٩٩
فيوم علينا	ويوم نسر	النمر بن تولب	٣٥٦
ما ضر جاراً	لبابه ستر	مسكين الدارمي <sup>(٢)</sup>	٤٥
أصمى إذا ما	جارتني الخدر	مسكين الدارمي	٤٥
وتصم عما	كأنه وقر	مسكين الدارمي	٤٥
يا رسول المليك	إذ أنسا بمر	عبد الله بن الزبيري	١٠١٣
وقد رابني	ويصورها	توبة	١٤٨٩
وقاسمها بالله	إذا ما نشورها	خالد بن زهير	٦٢
وفر المنيأ	الحبي حاضر	الحطيئة	٧٦
المرء يهوى	قد يضره	الناطقة الجعدي	٦٥٨، ٢٣٤
ثفني بشائته	العميش مره	الناطقة الجعدي	٦٥٨
وتصرف الأيام	ثيئاً يسه	الناطقة الجعدي	٦٥٨
يا ابنة عمي لآحني	الهواجر		١٤٨٩
فأنت أعاليه	البسر أحمر	امرؤ القيس	٤٥٧

(١) البيت غير منسوب في «مجالس ثعلب» ١/ ٨٥، و«اللسان» ١٥/ ٢٦٨.

(٢) الأبيات الثلاثة في «الشعر والشعراء» ١/ ٥٣٠، و«معجم الأدباء» ٤/ ٢٠٦، و«أمالى المرتضى» ٢/ ١٢٠ و١٢٣، و«لباب الآداب» ٢٦٥.



صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ألا هل أناها	تملك بيقرأ	امرؤ القيس	١٣٥٨
جزى ربه	جزاء موفرا		٦٩٠
ولما رأى	كان أضمرأ	الفرزدق	٦٢٨
أبا حاضر	يصبح مسكرا	الفرزدق	٨١١
تمنى حصين	أذل وأفهرا	المخبل السعدي	١١٩٠
لعمري لشن	آل أبجرا	الأبجد الرياحي	١١٨٦
رموها	النعام المنفرا	ليلى الأخيلية	١٤٨٧
أحقاً عباد الله	الأراك به خضرا		١٣٨٤
نأني النساء	أكبرن إكبارا		٦٩٥
الشمس طالعة	والقمرأ	جرير	١٢٩٠
له قنبر	ووقسارأ	أبو عريف الكلبي	٥٧٥
ألف الصفون	الثلاث كسيرأ		١٢١١
أصبحت لا	إن ننفرا		١١٧٩
رعته أشهرأ	واستفارا	الراعي	٤٧٨
ولا ينميني	الفرح الإزارأ	ابن أحمر	٦٤٤
مجدوا الله	أمس كبيرأ	أمية بن أبي الصلت	٥٠٠
بالبناء الأعلى	السماء سريرا	أمية بن أبي الصلت	٥٠٠
شرجعاً لا يناله	صـورا	أمية بن أبي الصلت	٥٠٠
نشرب الإثم	بيننا مستعارأ		٦٩٤، ٤٩٢
وبيت قولي	عبداً كفورا	الأنود بن عامر	٣٠٤
أكل امرئ	بالليل نارأ	أبو دؤاد الأيادي	٢٧٩
وأعـددت	وخيلأ ذكورأ	الأعشى	١٣٠٩
كان القرنفل	وأريأ مشارأ	الأعشى	١٤٩٩، ٢٣٥
فبانـت وقد	نأيها مستظيرأ	الأعشى	١٤٩٧
لا أرى الموت	الغنى والفقيرأ		١٢٣
قتلت له	كهرة وزيرا		٥٥٢
فتولى غلامهم	أم حمـارأ		٢١٣
جعلت عيب الأكرمين سكرأ			٧٨٤
إن كنت ربحاً فقد لاقيت إحصارأ			١٦٤
ألم تر أن	وذا ظلفـر		٤٧٥
نحل بـلادأ	عاد وحـمير	ليبد	٤٠
إذا أبـبر	أرض عـامر	الراعي	٩٥١
تمنى كتاب	حنام المقادر		٩٦٢
فإن حرامأ	على عمرو		٩٤٢
ألا رب	منتصح الصنـر		٨٩٧
بأرض فضاء	غير منكـر	عبد بن وهب العبي	٨٤٣
فإن تـألينا	الأنام المسـر	ليبد	٨١٥
ألا إن خير الناس	في العرف والنكر		١٤٢١
لكم قدم	طلعت على البحر	ذو الرمة	٦١٦
كان فؤادي	نهضأ إلى وكـر		٧٤٨
فما فتئت	بني صخر		٧١٤

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
بحر	سجداً للحوائف	زيد الخيل	٧٨٠
هنالك لا	مبلاً بالجرائر	الشتري	٤٤٧
لقد كنت ذا	ولا ظفري		٤٧٥
سقى الله	المدجنات المواطير		٣٥
أمين وأدى	حمام المقادر		٣٥
فلما التقت	واعترينا لعامر	الراعي	٤٩
يرى طاعة الله	جامح الجمر	عمران بن حطان	٨٥
ولا تبك ميعاً	وأكأ أبي بكر		١٥٣
مستقبلين	القطن منثور	الفرزدق	٨٢٢
ما بين لقمة	قيد أظفري		٤٧٥
ياتت حواطب	ولا دمر	تميم بن مقبل	١٠٦٣
نازعه طيب	وقمة الساري	الأخطل	١٣٥٦
لوما الحياء	عبتما عوري	تميم بن مقبل	٧٥٤
هن الحرائر	لا يقرآن بالسور		٩٥٤
إنني غمنت	غير غسور		٥٨٠
من كان مسروراً	بوجه نهاري	الريح بن زياد	٢٠٢
فلست مُلماً	بتليم الأمير		١٢٠٨
أحافرة	سفه وعار		١٥١١
مما استويا	بغير زور		٥٠٠
ألا أبلغ	ثقة إزاري	بقيلة الأشجعي	١٠٨
شهد الحطية	بالمنر	الحطية	٧٧
لبمن الديار	ومن شجر	زهير	٧٧٣، ٦٠٦
ولأنت تفري	ثم لا يفري	زهير	٩٧١
سألتني	جثمانني بنكر	زيد بن عمر بن قيس	٢٠٧٣
ويحك أن	عيش ضر	زيد بن عمر بن قيس	١٠٧٣
سبو أمنت	إلى قابر	الأعشى	١٥١٧
حيثى يقول	للميت النائر	الأعشى	١٥١٧، ٥٠٢
فكان طعم	وسلافة الخمر	المسيب بن علس	١٤٩٩
أبلغ النعمان	وانتظاري	علي بن زيد	٥٢
لو بغير الماء	بالماء اعتصاري	علي بن زيد	٧٠١
لا يمدن	وأنة الجزر	الخرق بنت هفان	٣٤٤
الننازلين	مما قد الأزر	الخرق بنت هفان	٣٤٤
من كمي	في القصور		١٧٨
أزمان عيناء	العين الحير		١٢٩٢
عزفت الديار	الكاتب الحميري		١٥٢٥
نحن صبحنا	أو سرادها		١٥١٤
تمنى اينتاي	ربيعة أو مفر	ليبد	٤٦
إلى الحول	فقد اعتذر	ليبد	١٥٣٧، ٦٠٠
سلام الإله	وسماء ورر	النمر بن تولب	١٣٧٧
أعني لسان	قول نكر		٤٠٥

صفحة البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
وتتخني بهم	فلم أنتهز	امرؤ القيس	٧٤٨ ، ١٧٨
أخلته عزة	فعل الضجر		١٢١
أتوني فلم أرض	بشيء نكر	عبيدة بن همام	٣٠٤
يملأها اللحم	اللحم غرز		٧٧٣
وليلة ظلامها	ما زهر		١٤٩٩
وإنما العيش	معتصر		٧٠١

## حرف الزاي

إذا لقيتكم	الهامز اللمزة	زياد الأعاجم	١٥٨٧ ، ٥٨٩
كأن لم يكونوا	عز بـ	الخنساء	٦١٨ ، ١٣٥
قد جرفتهن	الأجرزاز		٨٣٩
حتى وقمنا	بالرجز	رؤبة	٦٣

## حرف السين

بشوب ودينار	هامننا رأس		٩٤٣
إلى ظمى	أيمانهم الفوارس		٨٤٣
تبعت أن	يا كليب المجلس	عدي بن ربيعة	٨٢٥ ، ٧٦
غير من	النساء المجلس		٦٩
أضأت لنا	بالفؤاد التباسا	النايفة الجعدي	٤٤
إذا ما الضجيج	عليه لباسا	النايفة الجعدي	١٠٨
تغسي كغرة	فيه نحاسا	النايفة الجعدي	١٣٨٠
جنتاً علي	أثراً بشيما	ذو الأصبح العدواني	٥٢٥
يا صاح هل	وأبلسا	المعاج	٤٣٧
حتى إذا	وعسما	علقمة بن قرط	١٥٢١
لا تخبزوا	بـ		١٣٨٥
السواردون وتيم	جلد الجراميس	جرير	٧٨٠
ولسولا كثرة	لقتلت نفسي	الخنساء	١٢٧٩
وما يكون مثل	عنه بالتأسي	الخنساء	١٢٧٩
وليلة من	كلوئ السندس		٨٥٠
وحضرت يوم	صفرة وإيلاس	رؤبة	٤٣٨

## حرف الشين

وقريش هي	قريشاً		١٥٩٦
----------	--------	--	------

## حرف الصاد

أمن ذكر سلمى	وتبوص	امرؤ القيس	١٢٠٢
أكبائره	حريص		٤٩٧
كلوا في	زمن غميم		١٣٧٥ ، ٧٨٠ ، ٥٠٥ ، ٤٠

## حرف الضاد

دايت أروى	وأدت بمضا		١٧٠
أبنا منلر	أهون من بعض	طرفة	٨٧٩
إن شكلي	وانعمي تبقيفي		٦٩١
طول الليالي	وطوين عرضي		٦٨٢

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
وليس	بالمعصى	روبة	٧٦٧
أمت همومي	وطوراً واسطاً	هيمان تحافة	١٥١٠
وقد حال هم	تبتغيه الأصابع	التابعة الذبياني	٦٩٣
خطاطيف حجن	إليك نوازع	التابعة الذبياني	٤٧
توهمت آيات	وذا العام سابع	التابعة الذبياني	٥٧
فبانوا فلولا	لعينك مئتم		٣٤٨
فيا رب ليلى	في رحمة الله أطمع		٥٢٦
منا الذي	الرياح الزعازع		٥٢١
أرى الخطفى	كليب مجاشع		٤٨٨
أليس ورائي	عليها الأصابع	ليد	٧٤٣
ومنا المرء إلا	إذ هو ساطع	ليد	١٥٢٩، ١١٧٥، ١٢٣
فما فتئت	وتفطع		٧١٤
أراجع يا لبن	ما لهن رجوع	قيس بن ذريح	٦٣٣
وفينا رسول الله	من الصبح طالع	عبد الله بن رواحة	٩٣٣
يبيت بجاني	بالكافرين المضاجع	عبد الله بن رواحة	٩٣٣
إذا أنست	أفرحتك الودائع	بيس العذري	٨٦٠
أخلنا بأفاق	والنجوم الطوالع		١٢٧٩
وإني بحمد الله	غداة أتقنع	غيلان بن سلمة الثقفي	١٤٨٦
تعالوا فالوا	الدهر تابع		١٤٧١
لما أتى	والجبال النخع	جرير	٦٨٣
ولقد حرصت	لا تذل	أبو ذؤيب	١٥٥
فثخالسا	التي لا تزق	أبو ذؤيب	٣٨٠
وعليهما مسرودتان	السوابغ تبغ	أبو ذؤيب	١٢٥٤
وتخيل قد	ضرب وجيع		٣٣٥
كان بياض غرقه صديق			٧٦٨
يا ليت شعري	وأمرى مجمع		٩١٠، ٦٣١
تذكر أياماً	إليك رجوعها	الأحوص	٩٧٤
تعبدون عقر	الكمي المقنعا	جرير	٣٠١
فأقسم لو	لك مدنعا	امرؤ القيس	٦٤٦، ٣٠٣
فدى لبني	كواكب أشنعا	مسهر بن النعمان	٤٤٤
فأدركت من	القصاد مصنعا		٧٠٨
فان تزجراني	عرضاً ممنعا		١٣٤٢
عليك مثل	المرء مضطجعا	الأعشى	
فأنكرتني وما	الشب والصلعا	الأعشى	١٥٠٤، ٦٦١
ما كنت	الخليل خلدعا		٢٠٣
وخير الأمر	تبعه اتباعا		١٤٧٦
إليك إليك ضاق بهم ذراعاً			٦٦٤
في قباب	قد ينمعا		٤٥٨

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٧٤٩		شيئاً أطمعاً .....	انتفض نحوي
٣٩٢	الأعبط بن قريع	قد رفعه .....	لا تذلل الفقير
٢٥٩		ليس بجائع .....	ونقفني وليد
١٢٠	خبيب	مصروعى .....	ولنت أبالي
١٢٠	خبيب	ثلوم منع .....	وذلك في
٤٨٢	الشماع	عن ربوع .....	تصيبهم
٩٥٩	الشماع	من القنوع .....	لسمال المرء
١٤٤	الحطينة	أنف القصاع .....	ونحرم مر
٥١٥	عمرو بن معديكرب	وأضغ .....	يا ليتني فيها
٤١	سويد بن كاهل	السريق خدغ .....	أبيض اللون
٥٤	سويد بن كاهل	أصم المستمع .....	ساجد المنخر
٦٨٣	سويد بن كاهل	لحمي رتع .....	وحبيب لي
٦٩٠		صاعاً بصاغ .....	لنما جف

## حرف القاء

٨٤٧	مزرد	قسي وزائف .....	وما زودوني
١٥٩٣		القلوب الرواجف .....	ولما دنا
٩٠٩	الفرزدق	أو مجلف .....	وعض زمان
٣٧٠	الفرزدق	إيلياء مشرف .....	وبيتان بيت
٧١٨		قوم تقصف .....	وليس صرير
٧١٨		الثناء المخلف .....	وليس فتيق
٧٤٤		الشمس كاسف .....	ويضحك عرفان
١٩٧		حين نزاحف .....	ونحن أناس
١٩٧		فيثا تخالف .....	جماجمنا يوم
١٣٦١		الخروج المتقصف .....	ألم تـران
٩٣١		ولا طـررف .....	بني المهلب
١٣٤٠ ، ١١٥٢ ، ٥٨٠		والرأي مختلف .....	نحن بما عندنا
٩٩٠		تكاذ تنفررف .....	تسنام عن
٥٤٤		سيرهن تزحف .....	لنم الطعائن
٧٤١		علي الأكفا .....	ينردون في
٧٤٢		علي الوظيفا .....	قد أننى
٦٧٥	العجاج	زلفاً فزلفا .....	ناج طواه
٨٢٦	العجاج	كي تزحلفا .....	والشمس قد
٢٤٤		إلى خلاي .....	إذا نهى
٤٩٧		على الأعراف .....	كل كنار
١٣٣٨ ، ٣٨	الوليد بن عقبة	الإيجاف .....	قلنا لها

## حرف القاف

٧٣١ ، ١٩٣	حميد بن ثور	تيسلذوق .....	فلا الظل
٤٧	ذومة الرمة	كاذ يهرق .....	ولو أن لقمان
١٠٧١		ما أطيق .....	فليت بنفسه
١٣٨٧	عدي بن زيد	يمينا يريق .....	ودعا بالصبح

صدر البيت	المقابلة	الشاعر	الصفحة
لنسم أنس	دموعها شرقي		١٠٢٨
وقولها والركاب	وتبطلت		١٠٢٨
بيل نطفة	وأمله الشرقي		١١٧٣
تمنيهم حتى	السرادقا	الفرزدق	٨٤٩
إنا لنا	لو يجدن سائقا		١٥٢٩
قالت سليمي	خاماً لبيقا		٨٨
قضت أمورا	لم تغثني		٨٠٨
سامنمها	لم تحشقني		٤٧٤
وقلتم لنا	كل موثق <sup>(١)</sup>		٤٨
فلما كفنا	في الملا متالي		٤٨
إنني امرؤ	إلى طبعي	الأقرع بن حابس	١٥٣٠
فنفسك فانع	ولا تبرقي	طرفة	١٤٩٣
ولا فاعلموا	في شقاي		٣٩٨
وإيالي بني	بدم مراقي	عوف بن الأحوص	٤٤٦
حتى استوى	ودم مهراق		٥٠٠
وميد	مخ زامتي		١٦٠١
قد كنت	أطعني وانطلق		٨٦٤
ضحكوا والدمر	لما نطق		٨٦٥
من شاء	له بالمضيئ		١٠٢٥
نحن بنات	على الثمارق		١٥٣٤
وقامت	على ساق		١٤٦٤
جاءت به	تلق		٩٩٠

## حرف الكاف

أقول له والرمح	أنا ذلكا	نخاف بن لدية	٢٨
يتا عاذلي	من مثلكا		٩١
والله أممك	به إيثاركا		٣١
يساروب لا	منهم حماكا	عبد المطلب	١٥٨٩
يظا مكة الفاجر	مذحجاً وعكا		١٣٢٣
مضاييع ليست	البدوالك	ذو الرمة	٨٢٦
لاهم إن	فامنع حلالك	عبد المطلب	١٥٩٠

## حرف اللام

وعاد الفتى	واستراح العواذل	أبو خراش	١٤٠٥
ركاب حسيل	لها رحل		١٤٠٥
يخيل عليها	ينالوا فيستعلوا	زهير	١٣٨٤
إذا غفل الواشون	والوسائل		٣٧٩
لعمرك ما أدري	المنية أول	معن بن أوس	١٠٩٣، ٥٤٠
إذا أشرف	قوم معازل	عبد بن الطيب	٥٣٥
أيأ أثلاث القاع	أظلائكن طويل		٧٣١

(١) البيتان غير منسوبين في «الطبري» ٣٦٤/١، و«أمالى ابن السجري» ٥١/١.

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
فإن سأل الواشون	للوشاة جزيل		٦٢٢
من لم يلبس	بعمدا فمطيل		٦٢٣
وأنت ذوي	أنبت السبقيل	زهير	٩٧٢
ومن جوف	النقوم يستقل	ذو الرمة	١٦٠٥
وجبريل يأتيه	الصندر مخزول	ورقة بن نوفل	٧٦
ثلاثة أحباب	هو القتل		٧٣
أنثت قليلاً	كذلك قليل		١٦٢
يذمون للنيا	لهائيل <sup>(١)</sup>	ابن همام الطولي	٢٠٣
أنت خير	تلقاتك الأمل	الزاعمي	١٠٣١
قد يدرك	المنعجل الزلل	القطامي	١٢٤٤
ما روضة	مبيل مطول	الأعشى	١٠٩١
يوماً بإطيب	إذ دنا الأضل	الأعشى	١٠٩١
في فتية	يحفى ويتحول	الأعشى	٤٩٧
كان مشيتها	لا ريث ولا عجل	الأعشى	١٣٥٥
إن الذي	أعز وأطول	الفرزدق	١٠٩٣، ٥١٨
أصحت أمحك	الصلود لأميل	الأحوص	١٠٩٣
دعوت الله	ما أتول	شمير بن الحارث الضبي	٥٠٩، ٨٨
وما يدري	متى يغفل	أخيرة بن الجلاح	١٥٦٢، ٥٧٦
تضحك الضب	لهائيل		٦٦٢
لم يثمر	ما حملوا		٧١٤
تأله أنسى	حنينها الإبل		٧١٤
فإن الذي	يستبيلها	الفرزدق	٥٥
لسانك معسول	صديقكم مالك		٢٠٥
نصالحكم	قبيلها	الأعشى	٨٣٢
هممت ولم أفعل	تبكي حلاله	ضبيب البرجمي	٩٠١
وأهات أهات	بالعقيق نواصله		٩٧٤
وأهل خباء	أنا أجلله	توبة بن مقرس	٣٧٦
وجدنا الوليد	الخلافة كاهله	الرماح	٤٥٢
وإني وإياكم	نصفه أنامله		٧٣٠
اليوم يبدو	فلا أجلله		٤٩١
مبطل	حواصله		٧٨٣
كذبتك عينك	الرباب خيالا		١٣٥٧، ٤٥٠
لييك على	الليل أرملا		٧١٦
خبرتنا من	اللقاح المطافلا		٥٧
ضخم تعلق	فوقه حملا	الأخطل	٧٨٨
وجاعل الشمس	قد فبشلا	علي بن زيد	٦٥
تلتك المكارم	بمد أبوالا	أمية بن أبي الصلت	١٢٣
عبدوا الصليب	وكذبوا ميكاالا	جزير	٧٧

(١) البيت في مجالس ثعلب ٥١٥/١، وقد أسفده المحقق فزراء: يذمون لي الدنيا.

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
حتى إذا	معمقولا		٦٨٥
أخضبت فعملك	لتخضب الأبطالا	الفرزدق	٨١١
إن الفرزدق	تنالها الأوعالا	الفرزدق	٦٩
في جنان	ولا تحيرلا	عبد الله بن رواحة	٨٧٣
فواعليه	أسهلا	عمر بن أبي ربيعة	٣٤٧
فلا تبعد	تلك السبلا <sup>(١)</sup>		٢١٣
تحنن علي	مقام مقالا	الحطية	٨٧٩
بشمرها	الطلع والجبلا		١٣٨٨
يوم عصب	السلم البطولا		٦٦٤
الواهب المائة	خلفها أطفالها	الأعشى	٧١٦
وإذا تجوزها	إليك حبالها	الأعشى	٢١٤
وقافيه	من قالها	الخنساء	٢٠٠
تقد الذوابة	أوعالها	الخنساء	٢٠٠
نطقت	أمثالها	الخنساء	٢٠٠
فباقت	نائحة مألها	الخنساء	٧١٤
فلا مزنة	أبقل إيقالها	عامر بن جوين الطائي	٨٠٦، ٧٠٠
أغرك مني	القلب يفعل	أمرؤ القيس	٦٣٣
فقلت يمين	لديك وأوصالي	أمرؤ القيس	٧١٣، ٣٧٥
فلما تنازعنا	شماريخ مئالي	أمرؤ القيس	٦٢٢
مهففة	كالسجنجل	أمرؤ القيس	١٥٣٥
فإن تك	ثيابك تنسل	أمرؤ القيس	١٤٨٧
فقلت له	وناء بكلكل	أمرؤ القيس	١٧٨
أبقتلني	كأنياب أغوالي	أمرؤ القيس	١١٨٨
ألا زعمت	السر أمثالي	أمرؤ القيس	١٤٤
وما ذرفت	قلب مقتل	أمرؤ القيس	١٧٨
فصرنا إلى	أي إذلال	أمرؤ القيس	٦٢٢، ١٩٠
فقلت يمين	الغواية تنجلي	أمرؤ القيس	٦٧٠
خرجت بها	مرط مرحل	أمرؤ القيس	٦٧٠
وليت بمفراج	صرفه المتحول	هدية بن خثرم الفارسي	١٠٧١
فظلوا ومنهم	العين بالمهل	ذو الرمة	٦٠١٣
تمنى كتاب الله	على رسل		٩٦٢، ٧١
لقد كذب	أرسلتهم برسول	كثير عزة	١٠٢٧
وترميني بالطرف	إياك لا أتلي		٨٥٢
كأن بلاد الله	كفة حابل		٢٢٤
جزيتك ضعف	من أحد قبلي	أبو ذؤيب	٧٤٢
إذا لسمته	نوب عواملي	أبو ذؤيب	٣٢١
لعمري لانت	بالأصائل	أبو ذؤيب	٥٣٨
فلان أنا يوماً	العشيرة والأهل	المنخل	٦٨٢
لما رأى	كالفقير الأعزل	ليد	٥٩٠



صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
أزهرهم إن	لغفت بهيضل	أبو كبير الهذلي	٧٥٣
وإذا لقيت	لغاع ممجل	عبد قيس	١٩٢
فأعنتهم	بضنك فانزلي	عبد قيس	١٩٢
إن يلحقوا	بضنك فانزلي	عترة	٩٢١
وبما تجزع	كحل العقالي		٧٥٤
فصرع تبع	شديد المحالي	الأعشى	٧٣٠
إن يعاقب	فإنه لا يبالى	الأعشى	٧٣٠
أيما شاطن	السجن والأغلاي	أمية بن أبي الصلت	٤٣
إنسني زارد	سوابغ الأذيالي	أمية بن أبي الصلت	٥٧
لا أرى ممن	بنى إسراي	أمية بن أبي الصلت	٥٧
رأت ممر	من الهلالي	جزير	١٠٢٦، ٦٨٢
كمنية جابر	بعض مالي	زيد الخيل	٦٦٠
شريت الإثم	تذهب بالعقولي		٤٩٢
سقى قومي	من هلال	ليد	٧٥٩
يريد الرمح	بنى عقيل	ليد	٨٦٥
وما رمت	العبد الذليل		١٢٥
وأغضيت	قيل وقالي		١٢٥
ثم أضحوا	يودي بالرجالي	علي بن زيد	١١٨٤
إنك والجور	بدم القليل	عترة بن عكرة الطائي	٥٥٢
تبقت في	مالك ونهشل	أبو النجم	٦٤
فظلنا	من قلله	جميل بن معمر	٦٩٤
والله لولا	من هزله	أم الأخف	٩٠
ويذهل	عن خليله	ابن رواحة	٩٤٨
قلق لا ننان	منها وحائل	الطرماح	٧٥٨
فتدليت	غيايات الطفل	ليد	٣٧
وغلام أرسلته	فبالنا ما سأل	ليد	٥٢
قال هجدنا	الدمر عفن	ليد	٨٢٧
بينما الظل	فاضحل	ليد	٧٣١
إن تقوى ربنا	ريثي وعجل	ليد	٥٣٩

## حرف الميم

فلا ينبسط	وأنفك راغم	الأعشى	٦٣٥
إذا اتصلت	والأنوف رواغم	الأعشى	٣٠٩
يعدون للهيحاء	والمنوت جناحم	الأعشى	٨٥
ألا من لنفس	لها طعم		٩١٣
فممتي علينا	ودر منظم		١٦٢
أناطم إنني	النساء يتيم		٧٢
إنني أمرؤ	شفتي السقم	العرجي	٧١٤
فبصرة الأزد	مصر والحرم		١٢٧٩
ولقد أبيت	ولا مخروم		٨٩٣
عبدك	والحتم		٧١٧

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ولا يبقى	عليهن السلام		٧٧٢
ومتركضة	والسلام	أوسى بن خلفاء	١٩٣
الأيان خلة	شاعكم السلام		٤٨٠
تبكي هاشماً	الفنن الحمام		١٧٨
أطوف في	بي حكيم		٥٥٩
وأقاموا حتى	وكلهم ملوؤم	حسان بن ثابت	٤٨٧
فسأى امرئ	من يُفسي		٧٤٧
وكيف بظلم	اللين والرؤم		٨٦٦
علت بما	وهو قائل	عبد المطلب	٨٦
عقم النساء	يمثله عقم		٩٦٣
تراك أمكنة	النفوس جمائها	ليد	١٢٤٤
باسم الذي	سورة بيته		٣١
وعامنا أعجبا	وقرصاب سته		٣١
وهبت له	المياه نسيها		٥٠٢
ومر بسفاح التراب عقيها			٧٥٨
يسرب الذي	زاد وتمما		٣٣
عجبت لها	بمنطقها فما		١٧٩
لملني إن	أن يتنلما		٢١٩
يرى الخمص	الهم مبهما	حاتم الطائي	٣٥٧
ولو غيبر	المراتين ميسا	المتلمس	٨٣٣
فأطرق أطراق	الشجاع لصما	المتلمس	٩٠٩
فهل لي أم	لها ابنما	المتلمس	٥٧٩
فلما كشفن	غياً موثما	حميد بن ثور	٤٨٩
إن الوثاة	ولا ذمما		٥٧٠
طاف الخيال	بالسلام سلاما	هند بنت عتبة	٦٩
من حس لي	أو من رأما	هند بنت عتبة	١٢٠٨
أبدين في	عرواهما	هند بنت عتبة	١٢٠٨
صقريين	جماهما	هند بنت عتبة	١٢٠٨
ومحيين	تراهما	هند بنت عتبة	١٢٠٨
ألا أبسلخ	يحبون الطعاما		٥٧
أنا سيف	تذريت النماما		٨٥٣
ثمد معاذراً	فقد ألاما	أم عمير	١١٩٧
رياشي منكم	زيارتكم الماما	جرير	٤٨٩
فإن المنية	تصادفه أيثما	النمر بن قهلب	٣٠٣
ويوم الفساد	وكان غراما	بشر بن أبي خازم	١٠٢١
رنة محراب	أو أرتقي سلما	وهناح اليمن	١٢٠٧، ١٩١
كنفاك كف	بالسيف الدما		٦٧٢
منشين كما	الرياح السنواسم	ذو الرمة	٤٢
هم وسط	الليالي بمعظم		٩٢
دعوت خليلي	للهجين المذم	الأعشى	١٢١
وكانن أرينا	أو أصر لمائس		٢٢٨

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
وكائن ترى	..... في التكلم		٢٢٨
أقول لهم	..... فإرس زهدم	سحيم بن وثيل اليربوعي	٧٣٥
وتشرق بالقول	..... من الدم	الأعشى	٦٨٣
وما الحرب	..... بالحديث المرجم	زهير	٨٤٥
فلما وردن	..... الحاضر المتخيم	زهير	٨٩٤
بها العين	..... كل منجتم	زهير	١٠١٢
لقد لمتنا	..... المطي بنائم		٦٣١
أولئك قوم	..... تميم بدائم	الفرزدق	١٢٨٥
فيه الرماح	..... نسج سلام	الحطية	٧٨
أبلغ أبا	..... بين أقوام <sup>(١)</sup>		١٠٣
لا يدرك المجد	..... عزوا لأقوام		٢٢٥
ويؤمنوا	..... صفح أحلام		٢٢٥
عزمت عليك	..... بالحوال وأنعم		١٥٤
لولا الحياء	..... أم القاسم	عدي بن الرقاع	٣٠١ ، ٦٤
وكانها بين	..... جأفر جاسم	عدي بن الرقاع	١٥٦
وسنان أقصده	..... وليس بنائم	عدي بن الرقاع	١٥٦
ثبطت مزار	..... ابنة مخرم	عترة	٨٩٣ ، ٦٢١ ، ٥٦٧
فشكت بالرمح	..... القنا بمحرم	عترة	١٤٨٧
لو كان يدري	..... الكلام مكلمي	عترة	١٤٠٤
بائسة ما	..... لم تحرم	عترة	١٢٠٨
ذم المنازل	..... بعد أم الهيثم	عترة	٦١
ترى للمؤمنين	..... أولئك الأيام	جرير	٨١٣
لقد لمتنا	..... الرؤف البرحيم	جرير	٦١٣ ، ٩٣
ثلاث والنتان	..... المطي بنائم	جرير	١١٥١
ندمت على	..... إلى شمامي	الفرزدق	١١٥
وأيقنت التفرق	..... جوف عجم	الحطية	٢٠٥
لممرك إن	..... أريد بالسهام	ليد	٢٤٢
لا والله	..... رال النمام	حسان بن ثابت	٥٧٠
كان فريضة	..... ولم تكلم		٨٥٨
حارث قد	..... فريضة الرجم		٨١١ ، ١٠٠
أوعدتني	..... وتجلي غمي	رؤبة	٤٤
الريح تبكي	..... والأدامم		٥٠٧
يقوم على	..... في غمايه		١٢٩٠
وكان دما	..... أو ينجم	الأعشى	٢٠٤
عكم تغشى	..... قد صرم	الأعشى	٦٣٥
وكلام سيء	..... قبل اليوم		٩٣٢
قد لفها	..... من صمم	المثقب العبدى	٤٣٠
	..... ولا غنم	الحطم	٣٥١

(١) البيت غير منسوب في «مشكل القرآن» ٥، و«اللسان» ١٨/١٤، وهو في أمالي اليزيدي من أبيات لمض المتقدمين، وفي «صيون الأخيار» لأبي القحطام الأسدي ٩١/١، وفي «المقد الفريد» لهشام الرقاشي، وفي «البيان والتبيين» لهشام الرقاشي ٣١٦/٢ و٢٠٢/٣ و٨٥/٤.

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ولا بجزار	لم ينم .....	الحطم	٣٥١
بات يقاسيها	ممسوح القدم .....	الحطم	٣٥١
نحن آل الله	على إسرهم .....		٨٦
حرف النون			
وللموت تغذو	تبنى المساكن .....		٦٣٥
إذا مذللت	الخليط المبائن .....		٦٩٥
نات بعماد	بها نيهون .....	كثير	٤٨٤
أتيتك عارياً	بها رهين .....	الناطقة الذيباني	٤٣
صمم إذا	بي الظنون .....	الناطقة الذيباني	٦٥٨
قد كنت	عندهم أذنوا .....	قنعب بن ضمرة	١٥٢٨
والروح جبريل	مخاصم ميزائه .....		٤٨٥
يسار رب	عند الله مأونا .....	عمران بن حطان	٧٧
باتت تشكي	قال آمينا .....		٣٦
الحمد لله	بعد سبعينا .....	ليبد	٣٤
إنني كأنني	ربي ومسانا .....	أمية بن أبي الصلت	٥٨٩
ورجلة يضربون	القوم عريانا .....		٤٩٠
أو كاهن تزاز	الأبطال سجيناً .....	تميم بن مقبل	٦٦٧
وللمنايا نربي	متنه لينا .....	تميم بن مقبل	٢١٥
إن أجـزات	الناس عمرانا .....		٦٣٥
والله لـن	المذكرا أحياناً .....		١٢٧٥
فاصدع بأمرك	الشراب دفيناً .....	أبو طالب	٤٣١
وعرغت دينا	منك عيتونا .....	أبو طالب	٤٣١
لولا الملامة	البرية ديتنا .....	أبو طالب	٤٣١
فلو حبالا	بذاك مبيتنا .....	أبو طالب	٤٣١
تنحي فاجلسي	حبالا متينا .....		٢١٤
ألا لا يجهلن	منك العالمينا .....	الحطينة	٣٣
كان سيرونا	جهل الجاهلينا .....	عمرو بن كلثوم	٤٣
ذراعي عيطل	بأيدي لاعبيناً .....	عمر بن كلثوم	٤٦
بيوم كرهية	لم تقرأ جنينا .....	عمر بن كلثوم	٣٠٥
تذكر حب	مواليك العيونا .....	عمر بن كلثوم	٨٨٣
إذا ما الغنائيات	قطع القرينا .....		١٢٠١
إن شـرخ	الحواجب والعيونا .....		٨٨٣
منطق صائب	كذباً ومينا .....	عدي بن زيد	٦١
هلا سألت	كان جنونا .....	حسان بن ثابت	٥٨٠
قال جواربي	ما كان لحنا .....	مالك بن أسماء	١٣١٣
عجبت من	أين أيننا .....	عبيد بن الأبرص	١٣٧٨ ، ١١٥
يقول أهل	اسماعينا .....		٨٧
	إذ يوصينا .....		٨٢
	إسرائيلينا .....		٥٧

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
سريت بهم	وقد شجينا		١٣٧٥، ٩٤٩، ٢٩٩
بواد يمان	بأرسان		٦٦٦
فليت لنا	والشبهان		٩٥٤
ألم تعلمي	على طهين	الأحول الكندي	٨٤٢، ٤١٧
رمانني بأمر	لا أخون أميني		١٥٦٧
لا والسذي	الطوي رمانني		١٣٤٠، ١٠
ما سرنني	الرزء والحزن		١٤٠١
ومخلدات	الوري يكن		١٤٠١
ومما أدري	أقارز الكشبان		١٣٨٧
أأخير الذي	أيهما يليني	المقرب العبدى	١١٦٨، ٦٤٩، ٢١٨، ١٠٥
إذا ما قمت	هو يبتغيني	المقرب العبدى	٢١٨، ١٠٥
ذعرت به	الرجل الحزين	المقرب	٦٠٩
إذا بلغتني	كالرجل اللعين	الشمخ	٩٧
وكلل أخ	بدم الوتين	الشمخ	١٤٨٠
أبال موت	إلا الفرقدان		٣١١
كانك من	تخوفيني	أبر حة النميري	١٠٧٣
بورك الميت	رجليه بشن	الناطقة الذبياني	١٣٤٩، ٥٥٨
إن دهرأ	الرمان والزيتون		٤٥٧
ووجو	يهم بالاحسان		٨٦٥
قد جعلت	حقان		٦٧٤
ياوي إلى	تبع القرين		٦٢٤
تيممت قياً	ومجد باني		٦٦٥
وإن تستضيفوا	ذي شزن	الأعشى	١٦٤
ومن ثائني	قد عدن	الأعشى	٥٩٤
نحن نطحنهم	له أنكرن	الأعشى	١٨٤
	غبار النقمين	الأعشى	٤٤٨
حرف الهاء			
لله در	من تألهي	رؤية	٣٢
ومخفق من	في مهمه	رؤية	٤٣
ويقلن ثيب	فقلت إن	عبد الله بن قيس الرقيات	٩١٠
والموت أعظم	على الجبل		١٠٣٦
قد جاء سيل	الجنة المغلة		١٤٦٣
أقتلهم ولا	العظيم الحاوية		٤٧٥
وشريت برودا	كنت هامة	يزيد بن مفرغ	٣٠٠
حرف الياء			
ألا أبلغ	فتاخرتكم غني		٥٠٨
أطرباً وأنت	دواري	المعاج <sup>(١)</sup>	٥٢
أترجو بنو	والفلاة ورائيا	سوار بن المضرب	٧٤٣

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
هنا تنفلا في	أشد لجاميا	الفزوقي	٦٩١
رايت فضيلا	حتى بدا ليا	عبد الله بن معاوية	٢٢٧
فنى كملت	من المال باقيا	الناطقة الجمدي	٥٥٢
ألا قاتل	الستين الخواليا	عترة	٦٤٣
وقولك للشيء	ليت ذالبا	عترة	٦٤٣
فأنبت يقطينا	ألبي ضاحيا		١١٩٧
غميرة ودع	للمرء ناهيا	سحيم بن الححاس	١١٧٨
لننقد طال	من شفائيا		١٥٠٨
أنتالنا لنوي	الدهر نبنيا		٥٣٠
أوردت مروهيا	والموت لاقيا	حسان بن ثابت	٦٤٧
أنا ابن طوق	النجم حاميا	طفيل الغنوي	٥٨
إنسي إذا ما	أعناقهم كالأرثي		٧١٢
حرف الألف المقصورة			
يظن سعيد	به أرغى		٦٤٩
هما سيدانا	يسرت غماما	أبو أسيلة الديبيري	١٤٦٧
شفاهما من	الغنة سقاما	ليلى الأخيلية	٨٦٣ ، ١٤١
كادت وكدت	ما مضى		٩٠٢
أبيض لا	ولا يخون إلى		٥٠٤
نقادهم	الافنا		٣٨
بالخير خيرات	إلا أن تـ		٣٨
يا عصمتي	ويا يدي اليمني		١٠٦٤
لاصت وجهاً	في الشري يـ		١٠٦٤
وإن اللـ	خفتها قلاها	يزيد بن الصمغ	٢١٦
على مطالهم	موابتنا		١٠٨٣
يشكرو إلي	فكلانا مبتلى		٨٦٥
ثم جزاك	السموات العلى		٤٢٢
علفتها تبنا	همالة عينها		١٣٨٨ ، ٣٦٢

